الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣١ — ٦ يناير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 131.

Lundi 6-1-1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ١٣١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٥٤ — ٦ يناير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة

١ الرسالة فى عامها الرابع ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٣ اجتلاء العيد ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٥ الرمز فى الأدب الصوفى ... : الأستاذ أحمد أمين ... ...
٧ عصبة الأمم بين المد والجزر : باحث دبلوماسى كبير ... ...
٩ أنس بن النضر ... ... : الأستاذ خليل هنداوى ...
١٢ نظرية النسبية الخصوصية ... : الدكتور اسماعيل أحمد أدهم
١٤ فى ليلة العيـد ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...
١٦ أيها الشبان ! لبول بورجيه : ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندى
١٨ قصـة المكروب ... ... : الدكتور أحمد زكى ... ...
٢٢ رثاء الأندلس ... ... : شاعر أندلسى مجهول ... ...
٢٥ سكان أعالى النيل ... ... : رشوان احمد صادق ... ...
٢٧ الشك لا يهدى (قصيدة) ... : الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
٢٨ الحق هو القوة « ... : الأستاذ ابراهيم ابراهيم على
٢٩ بعد مصرع هكتور (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٣ وفاة بول بورجيه ... ... : (ع) ... ...
٣٤ الأستاذ أحمد أمين يحاضر فى بيت المقدس . حول الاحتفال بذكرى المتلى . جواب عن سؤال . مؤتمر الجراحة الدولى العاشر
٣٥ جوائز أدبية مصرية . تأبين فقيد التعليم المغفور له محمد أمين لطفى
٣٦ كتاب تاريخ الاسلام السياسى : الدكتور حسن ابراهيم حسن
٣٩ كتاب الأوراق ... ... : الأستاذ محمد كرد على ...

الرسالة

فى عامها الرابع

تُحَيِّي الرسالة عامها الرابع بوجـه مشرق بالرضى ، وثغر مُفْتَرٍّ عن الأمل ، ولسان رطيب بالحمد ؛ وتسأل الله سبحانه أن يزيدها نَفَسا فى الأجل ، وثباتا فى العمل ، وإخلاصا فى النية ؛ ثم تقف على رأس هذه المرحلة الجديدة وقفة المستجم الذاكر ، تستمد القوة من الايمان ، وتستروح النشاط من الصبر ، وتستخرج الصواب من الخطأ ، ثم تبادل أصدقاءها الخلص ولاء بولاء ووفاء بوفاء وتحية بتحية

تعالوا يارفاق الروح وإخوان الفكرة نتناقل شجون الحديث فى هذه البرهة التى ينسدل فيها ستار ويرتفع ستار ، وينتهى من رواية الحياة فصل ويبتدئ فصل . ماذا سجل العام المنصرم فى صفحته المطوية عن حياتنا العقلية ؟ هل استقر لنا أدب خاص ؟ هل صدر عنا انتاج مستقل ؟ هل ظهر فينا زعيم موهوب ؟ هل غلبت علينا ثقافة واحدة ؟ هل تسايرت أفكارنا إلى غاية معينة ؟ هـل اتصل أدبنا بالأدب العالمى المشترك ؟ هـل اتسع نطاق الأدب العربى فشمل نواحى الفن ؟ تلك أسئلة يتشقق فى أجوبتها الرأى ، ثم لايجتمع لك منها مايوضح مبهما ويحدد فكرة . وحسبك

من ضعف الشيء أن تتعارض الأقوال في وجوده

مما لا ريب فيه أن هناك أدباً تميز بفنه عن كل عصر، وانتاجا استقل بإصالته عن كل نقل، وأسلوبا انفرد بخصائصه عن كل مذهب، واتجاها تنزه بمراميه عن كل عبث؛ ولكن هنالك أيضا تنوعا في مصادر الثقافة يباعد وجوه الرأي، وضلالا في فهم الأدب يزيف حقائق الفن، وإمعانا في استيحاء الغرب يفسد روح القومية. فأحمد أمين، والرافعي، وطه حسين، والعقاد، والمازني، وهيكل [1] لا تكاد تجد لهم في الأدب الموروث أشباها في سلامة المنطق وعمق التفكير وصدق الأداء وأصالة الانتاج. وهم على اختلاف ثقافتهم متفقون على بناء الجديد على أساس القديم، وإذكاء الفكر الشرقي بالفكر الغربي، وتلقيح الروحية العربية بالمادية الأوربية، وإيثار الأسلوب البليغ المشرق في حدود الفن البارع السليم؛ وقد ظهر اتحاد وجهتهم جليا فيما نشروه هذا العام من مقالات ومحاضرات وكتب، وسينتهون متى استقرت أمور البلد، واستقلت إرادة الشعب، وهدأت ثائرة النفوس، إلى أدب واضح المعالم، مرسوم الحدود، تحرك جسمه روح، وتجمع أجزاءه وحدة، ويوجه أهواءه غرض

* * *

وعلى هذه الخطة المثلى سارت الرسالة ثلاث سنين كاملة، قطعت فيها ولله الحمد مراحل مطموسة وعرة، ولولا عناية الله لأبدعت المطيّ وحار الدليل

لقد كان على الرسالة أن تجاهد خصوماً ثلاثة جمعهم عليها دفاع الطفيلي عن وجوده: زهادة الشباب في القراءة وبخاصة ما كان جدّياً منها؛ وتلك العلة التي جرها عليهم سوء التعليم وفساد العيش هي سبب ما نشكوه من بطء الثقافة وضعف الصحافة وقلة الانتاج. وطغيان الأدب اللاهي على الأذواق الناشئة، فأصاب الأذهان بالكسل العقلي حتى برمت بالدرس وضاقت بالتفكير وعزفت عن الجد. ثم نفور طائفة من الادباء لأسباب مرضية من هذه اللغة التي تقرأ، ومن هذا الأدب الذي تذوق؛ فهم يجلبون الأدب الأوربي بمعانيه ومراميه ووحيه، ثم يلبسونه طربوشاً أو عمامة ويقولون له تكلم، فيتكلم على الرضى أو على الكره، ولكنك لا تسمع بالطبع إلا عربية كعربية الرومي في البار، أو الايطالي في المتجر!

قالت الرسالة لهؤلاء: ما دمتم تكتبون بالعربية فلابد من فنها وأدبها؛ وما دمتم تعيشون في الشرق فلابد من الهامه وطابعه. أما أن تحاولوا طمس حدود الأرض، ونسخ قوانين الطبيعة، وقطع سلسلة الزمن، فذلك مجهود لا يضمه الناس إلا في قرارة الحمق

فقالوا إننا ننشر ثقافة العصور المظلمة، ونجدد أساليب البيان القديم! يريدون بالعصور المظلمة عصر الرشيد وابنه المأمون في آسيا، وعصر الناصر وابنه الحكم في أوروبا، وعصر العزيز بالله وابنه الحاكم في أفريقيا! وهي العصور الثلاثة التي جلت عن الأرض دياجير القرون فكشفت الأفق للانسان، وهيأت العقل للعلم، وراضت البربر على الحضارة! وهم في ذلك أيضاً يقلدون الكتاب الأوربيين في نعتهم عصور الجرمان بالظلام، كأنما ظنوا قبائل البربر من جزيرة العرب!!

ثم يريدون بأساليب البيان القديم تلك الأساليب التي تجري على قواعد الفن فلا يشوهها لحن ولا تتعاورها ركاكة. قطعوا أنفسهم عن الموارد الروحية لهذه اللغة فصاغوها من حروف الهجاء، لا من الاعصاب والدماء، ثم آذوا فطرة الانسان فجعلوا قوة الأسلوب عيبا، وجمال الصياغة نقيصة

ليس في أسلوب الرسالة ما يشبه القديم إلا في الصحة. إنما هو اختيار اللفظ الجميل القوي للمعنى الجديد القوي ليس غير. أما اطراد النسق، وحلاوة الجرس، ونبض الحياة في الكلمة، وإشراق الدلالة في اللفظ، وامتزاج الكاتب بالجملة، وبراءة الأسلوب من اللغو، فذلك هو الفن الذي يعيش ما عاش الناس، ويُعجب ما سلمت الفطرة

* * *

فالرسالة بين هؤلاء الخصوم الثلاثة إنما تنحت في الصخر طريقها الطويل! تسير ببطء ولكنها لا تقف، وتعالج برفق ولكنها لا تهن، وتصطدم بالاحداث ولكنها لا تحيد

على ذلك تجدد لأصدقائها وقرائها العهد والعزم معتمدة على فضل الله، مطمئنة إلى عطف الأمة، متكئة على عون الشباب، معتدة بإيمان القلب، معولة على اتقان العمل؛ وفي بعض ذلك الضمان الأوثق والسند الأقوى والمرفأ الأمين

أحمد حسن الزيات

(١) الترتيب على حروف الهجاء

اجتلاء العيـــد

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

جاء يومُ العيد ؛ يومُ الخروج من الزمن إلى زمنٍ وحدَهُ لا يستمرُّ أكثر من يوم

زمن قصير ظريفٌ ضاحك ، تفرضُهُ الأديان على الناس ، ليكون لهم بين الحينِ والحينِ يومٌ طبيعيٌّ في هـذه الحياة التي انتقلت عن طبيعتها

يومُ السلام ، والبِشْر ، والضحك ، والوفاء ، والاخاء ، وقول الانسان للانسان : وأنتم بخير

يومُ الثيابِ الجديدة على الكل إشعاراً لهم بأن الوجه الانسانيَّ جديدٌ في هذا اليوم

يومُ الزينـة التي لا يراد منها إلا إظهارُ أثرها على النفس ليكون الناس جميعا في يوم حب

يومُ العيد ؛ يوم تقديم الحَلوى إلى كل فم لتحلوَ الكلمات فيه . . . .

يوم تعمُّ فيـه الناسَ ألفاظُ الدعاء والتهنئة مرتفعةً بقوةٍ إلٓهية فوق منازعات الحياة

ذلك اليومُ الذي ينظر فيـه الانسانُ إلى نفسه نظرةً تلمحُ السعادة ، وإلى أهله نظرةً تبصر الاعزاز ، وإلى داره نظرةً تدرك الجمال ، وإلى الناس نظرة ترى الصداقة

ومن كل هذه النظرات تستوي له النظرة الجميلة إلى الحياة والعالم ؛ فتبتهج نفسُه بالعالم والحياة

وما أسماها نظرة تكشف للانسان أن الكلَّ جمالُه في الكل !

وخرجتُ أجتلي العيدَ في مظهره الحقيقيّ على هؤلاء الأطفال السعداء

على هذه الوجوه النَّضرة التي كبرتْ فيها ابتساماتُ الرضاع فصارت ضحكات

وهذه العيون الحالمة التي إذا بكت بكت بدموع لا ثقل لها ؛ وهذه الأفواه الصغيرة التي تنطق بأصوات لا تزال فيها نبرات الحَنان من تقليد لغة الأم ؛

وهذه الأجسام الغضة القريبـة العهد بالضمات والَّلثمات فلا يزال حولها جوٌّ القلب

على هؤلاء الأطفال السعداء الذين لا يعرفون قياساً للزمن إلا بالسرور

وكلٌّ منهم ملكٌ في مملكة ؛ وظرفهم هو أمرهم الملوكي

هؤلاء المجتمعين في ثيابهم الجديدة المصبَّغة اجتماعَ قوسِ قُـزَح في ألوانه

ثيابٌ عملت فيها المصانع والقلوب ، فلا يتم جمالها إلا بأن يراها الأبُ والأمُّ على أطفالهما

ثيابٌ جديدة يلبسونها فيكونون هم أنفسهم ثوباً جديداً على الدنيا

هؤلاء السَّحرةُ الصغار الذين يخرجون لأنفسهم معنى الكنز الثمين من قرشين . . .

ويسحرون العيد فاذا هو يومٌ صغير مثلهم جاء يدعوهم إلى اللَّعِب

وينتبهون في هذا اليوم مع الفجر ، فيبقى الفجرُ على قلوبهم إلى غروب الشمس

ويُلْقُون أنفسهم على العالم المنظور فيبنون كلَّ شيء على أحد المعنيين الثابتين في نفس الطفل : الحبّ الخالص ، واللهو الخالص

ويبتعدون بطبيعتهم عن أكاذيب الحياة ، فيكون هذا بعينه هو قربهم من حقيقتها السعيدة

هؤلاء الأطفال الذين هم السهولة قبل أن تتعقد

والذين يرون العالم في أول ما ينمو الخيالُ ويتجاوزُ ويمتدّ

يفتِّشون الأقدارَ من ظاهرها ؛ ولا يَسْتَبْطِنون كيلا يتألموا بلا طائل

ويأخذون من الأشياء لأنفسهم فيفرحون بها ، ولا يأخذون من أنفسهم للأشياء كيلا يوجدوا لها الهمّ

قانعون ، يكتفون بالثمرة ؛ ولا يحاولون اقتلاع الشجرة التي تحملها

ويعرفون كُنه الحقيقة ، وهي أن العِبرة برُوح النعمة لا بمقدارها . . . .

فيجدون من الفرح فى تغيير ثوبٍ للجسم ، أكثر مما يجده القائدُ الفاتحُ فى تغيير ثوبَ للمملكة

هؤلاء الحكماءُ الذين يشبه كلٌّ منهم آدمَ أولَ مجيئه الى الدنيا

حين لم تكن بين الأرض والسماء خليقةٌ ثالثة معقدة من صنع الانسان المتحضِّر

حكمتهم العليا : أن الفكر السامىَ هو جعلُ السرور فكرا وإظهارُه فى العمل

وشعرهم البديعُ : أن الجمالَ والحبَّ ليسا فى شىء إلا فى تجميل النفس وإظهارها عاشقة للفرح

هؤلاء الفلاسفةُ الذين تقوم فلسفتهم على قاعدة عملية ، وهى أن الأشياء الكثيرة لا تكثر فى النفس المطمئنة

وبذلك تعيش النفسُ هادئةً مستريحةً كأن ليس فى الدنيا إلا أشياؤها الميسرة

أما النفوسُ المضطربةُ بأطماعها وشهواتها فهى التى تبتلى بهموم الكثرة الخيالية

ومثَلُها فى الهمِّ مَثَلُ طُفيلىٍّ مغفَّلٍ يحزن لأنه لا يأكل فى بطنين ....

وإذا لم تكثر الأشياءُ الكثيرةُ فى النفس ، كثرت السعادة ولو من قلة

فالطفلُ يقلّب عينيه فى نساءٍ كثيرات ، ولكن أمّه هى أجملهن وإن كانت شوهاء

فأمه وحدها هى أمُّ قلبه ، ثم لا معنى للكثرة فى هذا القلب

هذا هو السرُّ ؛ خذوه أيها الحكماءُ عن الطفل الصغير !

وتأملت الأطفال وأثر العيد على نفوسهم التى وسعت من البشاشة فوق ملئها

فاذا لسانُ حالهم يقول للكبار : أيتها البهائم اخلعى أرسانك ولو يوماً . . . .

أيها الناسُ انطلقوا فى الدنيا انطلاقَ الأطفال يُوجدون حقيقتهم البريئة الضاحكة

لا كما تصنعون إذ تنطلقون انطلاقَ الوحش يُوجد حقيقتَه المفترسة

أحرارٌ حرية نشاط الكون ينبعث كالفوضى ولكن فى أدقّ النواميس

يثيرون السخط بالضجيج والحركة ، فيكونون مع الناس على خلاف لأنهم على وفاق مع الطبيعة

وتحتدم بينهم المعارك ولكن لا تتحطم فيها إلا اللعب ....

أما الكبارُ فيصنعون المدفعَ الضخمَ من الحديد للجسم اللّين من العظم

أيتها البهائمُ اخلعى أرسانك ولو يوماً . . . .

لا يفرح أطفال الدار كفرحهم بطفل يُولد ؛ فهم يستقبلونه كأنه محتاجٌ إلى عقولهم الصغيرة

ويملؤهم الشعور بالفرح الحقيقى الكامن فى سر الخلق لقربهم من هذا السر

وكذلك تحمل السنة ثم تلد للأطفال يوم العيد ؛ فيستقبلونه كأنه محتاج إلى لهوهم الطبيعى

ويملؤهم الشعور بالفرح الحقيقى الكامن فى سر العالم ، لقربهم من هذا السر

فيا أسفَا علينا نحن الكبار ! ما أبعَدَنا عن سرِّ الخَلْق بآثام العمر !

وما أبعدنا عن سر العالَم بهذه الشهوات الكافرة التى لا تؤمن إلا بالمادة !

يا أسفَا علينا نحن الكبار ! ما أبعدنا عن حقيقة الفرح ! تكاد آثامنا والله تجعل لنا فى كل فَرْحَة خَجْلَة . . . .

أيتها الرياض المنوَّرةُ بأزهارها !

أيتها الطيور المغرِّدة بألحانها !

أيتها الأشجار المصفِّقة بأغصانها !

أيتها النجومُ المتلألئة بالنور الدائم !

أنتِ شتّى ؛ ولكنك جميعاً فى هؤلاء الأطفال يوم العيد !

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

الى م . ح . ط . فى بغداد . لو أعان الله على وضع الكتاب الذى سألتم عنه لجاء الكتاب ، وهو بعد فى النية ولكن الأمر كما قال الشاعر :

فأين الشباب وأين الزمان ؟

والفصل الذى أشرتم إليه هو فصل منه ؛ وقد نتبع هذه الطريقة فنجعل الكتاب فصولا ننشرها فى « الرسالة » إن شاء الله وسلامه عليكم

الرافعى

الرمز فى الأدب الصوفى

للأستاذ أحمد أمين

تدور العقيدة الصوفية على فكرة « وحدة الوجود » ، فليس العالم والله شيئين منفصلين ، وليس الله فى السماء وحدها ولا فى الأرض وحدها ، بل هو فى كل شىء ، بل هو كل شىء ؛ وليس هناك محب ومحبوب ، وعاشق ومعشوق ، بل المحب والمحبوب واحد ، يختلفان فى المظاهر والأحوال ويتحدان فى الحقيقة ؛ وكل شىء فى العالم له مظهر فانٍ متغير متقلب ، وله مخبر دائم باق لا يتغير ؛ ونفس الانسان كذلك : نفس ناقصة فانية ظاهرة ، ونفس كاملة باقية باطنة ؛ والنفس الأولى تشق الطريق لتحقق نفسها الثانية فتتحد بالحقيقة وتتشربها وتفنى فيها . وسمى الصوفى هذا المسلك « طريقاً » أو « طريقة » ، وسمى نفسه «سالكا» ، وسمى المسافات التى يقطعها فيقف عندها للاستجمام « مقامات » ، وسمى الغرض الذى يقصده من سلوكه وهو اتحاد نفسه بالحقيقة ، وبعبارة أخرى اتحاد ذاته بالله « الفناء فى الحق » . وقد رسموا « خُرُطاً » لهذا الطريق ، وتعددت «خرطهم» بتعدد أنظارهم ، وسموا كل مرحلة وكل مقام باسم ، فهى عند بعضهم مقام التوبة ، ثم مقام الورع ، ثم مقام الزهد ، ثم مقام الفقر ، ثم مقام الصبر ، ثم مقام التوكل ، ثم مقام الرضا ؛ وفى كل مقام من هذه المقامات يقف السالك فيشعر بمشاعر نفسية خاصة سموها « الأحوال » ، فحال الخوف ، وحال الرجا ، وحال الشوق ، وحال الانس ، وحال الطمأنينة ، وحال المشاهدة ، وحال اليقين الخ ؛ ولابد للسالك أن يستوعب كل مرحلة من هذه المراحل ويؤقلم نفسه بها ليستعد للمرحلة التى تليها ، حتى يصل فى النهاية إلى حالة اتحاد بالعالم وبالله فيستحق بذلك أن يسمى « عارفاً » . ولا بد للسالك أن يقوده « شيخ » فى هذه الطريقة الوعرة حتى لا يضل المسلك

وليس المقام مقام تفصيل لتعاليمهم وعقائدهم وإنما نريد أن نقول إنهم بتعمقهم فى هذا المبدأ الذى ألممنا به إلماماً بسيطاً قد أقاموا أنفسهم فى عالم غير العالم المادى الذى يعيش فيه غيرهم ؛ فلهم لغة خاصة بهم ومسميات لا يعرفها إلا هم — ولكنهم فعلوا فى اللغة كما فعل كل العلماء فى اللغة العربية ، فأخذوا الألفاظ العربية وأطلقوها على مدلولات خاصة كما فعل النحاة بالفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والجار والمجرور ونحو ذلك من ألفاظ كان يستعملها العرب فى مدلولات عامة فأخذها النحاة ووضعوها لمصطلحات خاصة ، حتى أن العربى القح لم يكن يفهمها فى معانى النحاة . وهكذا الشأن فى البلاغة والعروض والفلسفة — غير أن هناك فرقاً كبيراً بين المتصوفة وغيرهم ، فالأوضاع النحوية والصرفية والبلاغية لها مدلولات ترجع إلى العقل فى تفهمها ، أما المصطلحات الصوفية فلا ترجع إلى العقل ، وإنما ترجع إلى الذوق ، ولهذا لا يفهمها أحد بعقله فهماً صحيحاً ؛ إنما يفهمها من تذوقها ووقف فى المقام الذى يقف فيه المتصوف ؛ والفرق بين العاقل والمتذوق كالفرق بين شخصين أحدهما لم يذق الكمثرى قط فوصفت له وصفاً لفظياً علمياً ، وشخص ذاقها وعرف الفروق الدقيقة بين مذاقها ومذاق اللوز والتفاح ؛ فاستعمل شعراء الصوفية ألفاظ الشعراء الخليعين من «ليلى» و « الخمر » والوصل والعناق والهجر والدلال ، واتخذوها رموزاً لأحوالهم ومقاماتهم ؛ وكان لهم من ذلك كله أدب رمزى بديع غريب يمتاز عن غيره من الأدب بروحانيته وصفائه ، كما يمتاز بغموضه وخفائه .

والسبب فى الغموض والخفاء أن الشاعر المادى إذا وصف خمراً أو لوعة حب أو هجراً أو وصالا ، فانما يصف عواطف يدركها الناس وهى فى متناولهم ، أو بعبارة أخرى هى قدر مشترك بينهم ؛ فكل الناس أحب ، وكل ذاق لذة الوصل وألم الهجر ؛ أما الصوفى فيعبر عن مقام يقفه وحال غلبت عليه ، فوصف مقامه وحاله بحيث لا يفهمه إلا من كان فى موقفه وحاله ، أو كان قد قطع هذه المرحلة إلى مرحلة أبعد منها مدى . ومن أجل هذا لا يفهم الصوفى إلا الصوفى ، بل قد لا يفهم الصوفى الصوفى إذا سلك كل منهما مسلكا خاصاً ، أو كان الصوفى الشاعر فى مقام بعيد عن مقام الأول ؛ ومن أجل هذا شرح بعضهم قصائد لبعض المتصوفة ، فكان الشرح غامضاً كالأصل . وصاحب القصيدة معذور كل العذر ، لأنه فى حال لا يجد فيها ألفاظاً تعبر عما فى نفسه فى وضوح وجلاء ؛ وهناك سبب آخر قد يدعو إلى الغموض ، وهو أنه فى حال لو أوضح ما فى نفسه لرماه من لم يفهمه بالكفر والالحاد

على كل حال يمتاز الأدب الصوفى بأنه أدب رموز من

ناحيتيه القابلة والفاعلة ، فهو يفهم مظاهر العالم على أنها رمز ؛ والعالم عنده لا يختلف عن أحلام النائم ؛ فكما أن الحلم يعرض حوادثه عرضاً رمزياً فكذلك العالم كل ما فيه رمز ، فكل ما يقع تحت عينه وما يسمع بأذنه ، وما يتصل بجميع حواسه رموز يستنتج منها ما يغذى عواطفه ومشاعره ، وبذلك انفتح أمامه عالم غريب الأطوار مملوء بالجمال ، مفعم بالتخيلات ، حتى كأن كل شيء – ولو كان صغيراً – كتاب ملئ علماً ، أو لسان ينطق دائماً بالحكمة ، هو فى العالم دائماً يقرأ ولا مقروء ، ويسمع ولا مسموع ، ويستخرج من الحبة قبة ، ومن القطرة بحراً خضما . يقرأ فى كل حادثة نفسه وعالمه وربه ، ويفسرها تفسيرا يتفق ومزاجه وحاله

وهذا الأدب الرمزى والدين الرمزى والحكمة الرمزية نزعة كانت فى الانسان منذ القدم ، فالديانة المصرية القديمة مملوءة بالرموز الدينية ، وكذلك ديانة الهنود والفرس الأقدمين ، ترمز إلى الحقيقة فى بعد وخفاء ؛ والميثولوجيا اليونانية ليست إلا رموزاً لما كانوا يرون من حقائق ؛ وكثير من شعائر الأديان إنما وضعها فلاسفة متصوفون رمزوا بها إلى بعض الحقائق . فأتى العامة الجهلة ، وظنوا نفس الرموز حقائق ؛ فما الأصنام ولا النجوم ولا نقوش المصريين فى عباداتهم ولا كثير غيرها إلا رموز أتى عليها الزمن فنسى أصلها وعبدت ذواتها ، وجرى كثير من الفلاسفة على هذا النحو فيحكى عن فيثاغورس اليونانى أنه كان يكثر من الكلام الرمزى ليدل به على الحقيقة ، وكذلك كان من بعده أفلوطن

ولهذا الأدب الرمزى جماله ، فهو يمتاز بأنه جمال مقنع تدركه ولا تلمسه ، وتتخيله ولا يسمح لك أن تحدق فيه ، فهو جمال تنظره وكأنك لا تنظره ، وتسمعه وكأنك لا تسمعه ، وتعرفه وكأنك لا تعرفه ، قد خلع عليه الخفاء جلالاً فكان جميلاً جليلاً معاً – تسمعه فتلتذ له وتترنم به ، فاذا أردت أن تقبض عليه قبضت على هواء ؛ ليس لكلماته مدلول محدود ، ولا لمعانيه حدود ، وإنما هو إمعان فى اللانهاية ، وسبْح ولا غاية

يرى الصوفى أن لكل ظاهر باطناً ، وفى كل شيء إشارة ، وفوق السطح عمقاً ، ووراء القناع جمالاً فاتناً ؛ ويتيه عجباً على الناس إذفهم ولم يفهموا ، وغنى لهم ولم يطربوا ، ويرى أن العقل حجاب يحجب النفس عن إدراك الجمال ، وأن كشف هذا القناع إنما هو بالذوق والالهام ، لا بالمنطق والقضايا والأحكام

وبهذا النظر نظر الصوفى إلى العالم فسمى الحقيقة ليلى وسعدى ، وأعجب بالخمر وتغنى بها ، ورأى فى الخمر معانى ليست فى غيرها . فهى رمز إلى رقى النفس وتساميها ، فالنفس ترقى بالفناء فى الحقيقة كما تنشأ الخمر بإفناء العنب ، فيكون شيء من شيء ، ويختلف الشيئان والأصل واحد ؛ وإذا خرجت الخمر من العنب بقيت إلى الأبد وصلحت بمرور الزمان ، على حين أن العنب نفسه لا يصلح للبقاء ، فكذلك النفس إذا تجردت من مادتها الفاسدة ونزعت إلى الكمال صلحت للبقاء ، ولم يعتورها فناء ، وكلما مرت عليها السنون والأعوام زادت نقاء ، ورقت صفاء

وهكذا ولّد الصوفية من كل شيء أشياء ، ورأوا فى كل مادة رمزاً لمعان لا عداد لها وبنى آخرهم على ما أتى به أولهم

ونظروا إلى الدين نظرهم إلى كل ما فى العالم ، فكل آية فى القرآن رمز ، وكل حديث له تأويل . فليسوا يفهمون من الآيات ما يفهم الناس ، ولا من الأحداث ما يفهم الناس

إن شئت مثلاً لذلك فخذ ما فهموا من حادثة شق صدر النبى صلى الله عليه وسلم ، فعلماء السيرة يروون أنه (ص) شُق قلبه وهو مع رابّته ومرضعته فى بنى سعد ، وأنه جيء بطست من ذهب فيه ثلج فغسل به قلبه إلى آخر ما رووا ؛ والصوفية لا يفهمون هذا إلا على أنه رمز ، فقلب الانسان قد ران عليه الخوف والشهوة والطمع وغير ذلك من السيئات ، فأراد الله أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيراً ، فأبعد عنه ما غشى قلوب الناس ، وفتح قلبه ونقاه من كل سوء حتى يستعد للنبوة . فرويت هذه القصة وفهمها العامة حقيقة ، وفهمها الخاصة رمزاً

وهكذا كان شأنهم فيما عرض عليهم من العالم ومن الدين ومن الأدب ؛ وهكذا كان شأنهم فيما انتجوا من دين وأدب – عاشوا فى حلم لذيذ من حب وتضحية ، ونمنموا بما قرءوا فى العالم من رموز ، وأخذوا أدب الأدباء وشعر الشعراء فنقلوه إلى أحوالهم ومقاماتهم ، فطربوا لشعر مجنون ليلى وأبى نواس وفسروه بليلاهم وخمرهم ، فلما شعروا هم أسبغوا على شعرهم من معانيهم ورموزهم ، فكان لنا من ذلك كله نوع من الأدب طريف . أرجو أن أعرض لتفصيله فى مقال تال .

أحمد أمين

فضيحة دولية استعمارية

عصـــبة الأمم
بين المد والجزر
بقلم باحث دبلوماسي كبير

كانت عصبة الأمم فى نظرنا دائماً أداة دولية مريبة ، لا تتفق أعمالها وجهودها مع المثل والغايات السامية التى ادمجت فى دستورها ، ولم نستطع يوماً مدى الخمسة عشر عاما التى قطعتها العصبة من حياتها أن نحمل على الثقة بها أو الاطمئنان لاستقلالها أو نزاهة وسائلها وغاياتها ؛ وإنما رأينا العصبة دائماً أداة مسيرة فى يد الدول الغربية القوية توجهها حيثما شاءت لتحقيق مشروعاتها وغاياتها على حساب الأمم الضعيفة ، ورأيناها بالأخص سوط استعمار بالنسبة لبعض الأمم الشرقية ، تفرض عليها نير الانتداب وتنظمه لمصلحة الدول الكبرى التى توجهها ؛ ولم تقدم العصبة يوماً أى دليل على أنها تعمل لانصاف دولة ضعيفة أو أمة شرقية ، خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بمصلحة دولة قوية أو أمة غربيــة ، ولم تنل العصبة توفيقاً فى أى ميدان من الميادين العامة أو الانسانية التى تزعم أنها تعمل فى سبيلها ، فلم يحقق مشروع نزع السلاح أو تحديده ، ولم يوضع نظام ثابت للسلامة العامة أو عدم الاعتداء ، ولم تكفل حقوق الأقليات أو الأمم الضعيفة بصورة مستقرة عادلة

ولكنا رأينا عصبة الأمم تتخذ فجأة لمناسبة النزاع الايطالى الحبشى صورة أخرى ، فتبعث دستورها من قبره وتطبقه بروح جديدة ؛ رأيناها تحل السيادة والحقوق القومية مكانتها ، وتعمل لاحترام استقلال الأمم الضعيفة ، فتصم إيطاليا بما تستحق من وصمات الاعتداء المنكر ، وتحرك من نصوص دستورها ما تراه كفيلاً بوقف الاعتداء ورد المتعدى إلى صوابه ؛ وتستجمع شجاعتها لتطبيق العقوبات الاقتصادية والمالية التى فرضت على المتعدى ، وتطبقها بالفعل على إيطاليا المعتدية ، فتحظر تصدير السلاح وجميع المواد الأولية إلى إيطاليا وتبيحه للحبشة ، وتطالب إلى أعضائها أن يقطعوا كل العلائق الاقتصادية والمبادلات التجارية مع إيطاليا ؛ فيلبى دعوتها نحو خمسين دولة أو ما يشبه الاجماع ؛ وهكذا رأينا عصبة الأمم تفتتح عهداً جديداً فى سياستها وفى فهم مهمتها الدوليــة ، واستبشرنا بأن يكون العهد الجديد مفتتح الآمال بالنسبة للأمم الضعيفــة ، فتستطيع أن تطالب بحقوقها وحرياتها ، وتستطيع أن تعتمد على ذلك التعضيد الدولى الذى تحمل لواءه عصبة الأمم

ولم يغب عن العالم مع ذلك ما هنالك من وراء ستار ، فقد فطن العالم إلى أن عصبة الأمم لم تكن فى عملها مستقلة ولا مختارة ، وأنها كانت مسيرة موجهة فيما اتخذت من قرارات جريئة ؛ ولم يغب عن العالم أن السياسة البريطانية هى مبعث التوجيه والوحى الأول ، وأنها اتخذت هذه الخطة لأن الاعتداء الايطالى على الحبشة ، وتوسيع النفوذ الايطالى فى شرق إفريقية ، وما يترتب على ذلك من إذكاء الروح الحربى الفاشستى ، يعرض الأمبراطورية البريطانية وسلامة مواصلاتها فى البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وسيادتها فى وادى النيل وشرق إفريقية إلى أخطار جسيمة ، وأن انكلترا لم تحرك أساطيلها الضخمة ، وتتخذ هذه الأهبات الحربية الواسعة النطاق فى مصر وعدن وشرق إفريقية انتصاراً لقضية الحبشة أو دفاعاً عنها ، ولكن رداً للخطر الفاشستى الذى ظهر فى الأفق فجأة ، وأخذ يزعجها بمطامعه وتحديه . بيد أن وقوف العالم على هذه العوامل المستترة الظاهرة معاً ، لم يثنه عن التصفيق لعصبة الأمم والاعجاب بموقفها وتصرفاتها فى هذا المأزق العصيب ؛ ذلك أن الوسائل لا تهم دائماً ؛ وكفى أن عصبة الأمم قد انتهت إلى الغاية المقصودة ، وسبقت إلى العمل لصون الحريات والحقوق القومية ، وإلى الحكم على الاعتداء المنظم بأقسى الأحكام

ولهذا دهش العالم أيما دهشة حينما أذيعت شروط هذا المشروع الشائن الذى أسفرت عنه المفاوضات الفرنســية البريطانية الأخيرة كتسوية سلمية للمسألة الحبشية ، والذى أريد أن يقدم الى ايطاليا هدية سابغة على اعتدائها المثير لكى تكف عن المضى فى أعمالها ومشاريعها الحربية . وقد وقف القراء على هذا المشروع وتطوراته فلا حاجة بنا إلى الافاضة فيه ، ويكفى أن نذكر أنه كان يقوم على تمزيق الحبشة تمزيقاً شائناً ، وينص

على منح أكثر من نصفها لايطاليا ، ويحيط سيادة الحبشة على الأراضي الباقية بقيود خطرة أو هو بعبارة أخرى يقضي بشقيه على الحبشة كأمة مستقلة ذات وجود ، ويمهد لاستعبادها النهائي فى أعوام قليلة ؛ نقول ثار العالم كله لهذا المشروع الشائن الذى يتوج اعتداء ايطاليا بغار ظفر لم تحرزه ، ويحقق لها حلماً ما زالت تتخبط فى غمر الصعاب لتحقق شطراً منه ؛ وأشد ما كانت دهشة العالم لأن السياسة البريطانية التى ثارت من قبل لاعتداء ايطاليا وألبت عليها أمم العالم بواسطة عصبة الأمم وحملت العصبة على أن تقرر العقوبات الاقتصادية ، قد اشتركت فى وضع هذا المشروع الشائن الذى يقضي لجأة على آمال أمة مستقلة ما زالت تناضل عن حريتها نضالاً يثير الاعجاب والاكبار ؛ على أن الصدى المنيف الذى أحدثه المشروع فى العالم كله ، وفى الرأى العام البريطانى بنوع خاص ، كان كافياً لأن يحدث أثره بسرعة فى استنكار هذه السياسة الاستعمارية الصارخة ، واستنكار المشروع برمته ، وكان من جراء ذلك أن استقال السير صمويل هور وزير الخارجية البريطانية الذى اشترك فى وضع المشروع ، وكان لاستقالته أعظم وقع كما شهدنا ، واضطرت الحكومة البريطانية أن تتراجع بسرعة ، وأن تعلن أنها لا تؤيد المشروع وأنها تعتبره قد مات ؛ هذا بينما كان المشروع مطروحاً أمام عصبة الأمم ، يلقى الضربة الأخيرة على يد مجلس العصبة ، ويرجئ النظر فيه إلى أجل غير مسمى

وهكذا مات مشروع تمزيق الحبشة فى أيام قلائل تحت ضغط الرأى العالى واستنكاره ، ولم يُسمح لايطاليا أن تجنى ثمرة اعتدائها الشائن وأن تحقق بالدجل السياسى ما لم تستطع أن تحققه على يد جنودها فى ميدان القتال . أما الحبشة فقد رفضت مشروع تمزيقها لأول وهلة ، ورفضته بمنتهى الأباء والقوة ؛ بل واستطاعت أن تقرن رفضها الأبى بانتصارات محلية أحرزتها الجيوش الحبشية فى مختلف الميادين فى نفس الوقت الذى طرح فيه المشروع أمام عصبة الأمم . ومع أن العوامل الحقيقية التى أمات بوضع هذا المشروع ، وحملت السياسة الانكليزية على اقراره ، فى الوقت الذى ذهبت فيه إلى هذا المدى البعيد فى مخاصمة ايطاليا ومقاومتها ، لم تتضح إلى الآن وضوحاً كافياً ، فانه يمكن فهمها على ضوء بعض الحوادث والظروف الأخيرة ، وأخصها تفاقم الخطر

اليابانى فى الشرق الأقصى ، وانتعاش الحركة الوطنية فى مصر ، وما يذاع من وجود تذمر فى الأسطول البريطانى ، وما يبدو من تحرك ألمانيا وتربصها ؛ هذا إلى بعض الاعتبارات الأوربية والاستعمارية العامة ، وهو أنه ليس من حسن السياسة أن تشجع أمة إفريقية سوداء على مقاومة أمة أوربية كبرى ، وأن تترك إيطاليا لتطوح على هذه الصورة بشطر كبير من قواها الحيوية فى شرق إفريقية ، فى حين أن هذه القوى ذاتها ضرورية لحفظ التوازن الأوربى ومقاومة مطامع ألمانيا فى النمسا ؛ ومن جهة أخرى فان هذه الصعاب والمتاعب الفادحة التى تتخبط فيها إيطاليا قد تدفع بها إلى غمار اليأس فيسقط النظام الفاشستى ، وسقوطه فى هذا المأزق الدقيق قد يضعف إيطاليا ويصيب التوازن الأوربى بضربة شديدة : فالى هذه العوامل يمكن أن نرجع تطور السياسة الانكليزية الفجائى . بيد أن هنالك حقيقة لا شك فيها هى أن أكبر الفضل فى هذا التطور يرجع إلى تذبذب السياسة الفرنسية وترددها ، وإلى ما تبديه من تحيز ظاهر للاعتداء الايطالى ، وما تبديه من فتور ظاهر فى تأييد سياسة العقوبات الدولية التى تعتمد عليها انكلترا فى تحطيم مشاريع ايطاليا . وتذبذب السياسة الفرنسية وتحيزها يرجعان إلى عوامل أنانية محضة ، فالحكومة الفرنسية الحاضرة تريد أن تحرص على الصداقة الايطالية بأى ثمن ، وأن تحافظ بكل الوسائل على أن تتقاضى تعاون إيطاليا فى أوربا ضد ألمانيا وبالأخص فى المسألة النمسوية ، ثمناً لما بذلته فرنسا لايطاليا فى الاتفاق الفرنسى الايطالى الأخير (يناير الماضى) من المنح والمزايا السياسية والاستعمارية ؛ وهى تحاول فى نفس الوقت أن تحتفظ بصداقة انكلترا ومعاونتها

على أن هذه السياسة التى انكشفت عواملها الأنانية بسرعة لقيت حتفها فى الحال فى انكلترا وفى الحبشة وفى جنيف ؛ ومع أن السياسة البريطانية استطاعت بسرعة مدهشة أن تستدرك الخطأ الذى وقع فيه السير هور وزير الخارجية البريطانية باقراره لمشروع الصلح ، واستقال الوزير فى الحال ليخلفه مستر إيدن بطل سياسة السلامة الاجماعية والعقوبات الدولية على يد عصبة الأمم ، أو بعبارة أخرى بطل سياسة التشديد على إيطاليا ، فان هيبة بريطانيا السياسية قد أصيبت بشىء من التصدع والريب ؛ ذلك لأنه لم يكن خافياً ما ينطوى عليه مشروع الصلح المقدم إلى جنيف

من معنى مستتر ، هو تقسيم الحبشة بين إيطاليا وانكلترا ، واختصاص إيطاليا بالقسم الشرقى الذى تحتل قسماً منه ، واختصاص انكلترا (فيما بعد) بالقسم الغربى الذى تقع فيه منابع النيل الأزرق ، والذى تحرص كل الحرص على استخلاصه من يد أية دولة أوربية أخرى ؛ بيد أن هذا الرجوع السريع الحازم من جانب السياسة البريطانية إلى خطتها الأولى ، أعنى خطة الوقوف فى وجه إيطاليا ومقاومتها عن طريق العمل الدولى ، قد رد إليها كثيراً مما كادت تخسر من هيبة ونفوذ

على أننا نستطيع أن نستخلص من هذه المأساة الدولية درساً بليغاً يؤيد ماذهبنا إليه فى صدر مقالنا بشأن عصبة الأمم ؛ فما كانت العصبة يوما ملاذاً للعدالة الدولية وحقوق الأمم الضعيفة ، ولاسيما الأمم الشرقية ، ولن تكون العصبة يوما ملاذا حقيقيا لهذه المثل العليا . وإذا كان موقف العصبة فى المسألة الحبشية قد أسبغ عليها هيبة لم تتمتع بها منذ نشأتها ، فان الفضل فى ذلك لا يرجع إلى إرادة العصبة ذاتها أو إلى استقلالها ونزاهتها بقدر ما يرجع إلى العوامل السياسية والاستعمارية الخارجية التى شرحناها ؛ وكون العصبة تعمل فى مثل هذه الظروف أداة مسيرة ، لا يؤكد الآمال التى يمكن أن تثيرها نصوص دستورها الخلاب ، بل كل ما هنالك يثير الريب دائماً فى وسائلها وغاياتها . ومع ذلك فان عصبة الأمم يمكن أن تكون أداة حقيقية لتأييد السلام العالمى والعدالة الدولية ، ولكنها يجب قبل كل شىء أن تحرر من ذلك النفوذ الذى يوجهها وينحرف بها عن العمل للغاية الحقيقية التى انشئت لها إلى العمل لغايات السياسة القومية والاستعمارية . وقد رأينا فى مثل إيطاليا وما نالها من أثر العقوبات الاقتصادية ، قوة العمل الاجماعى وتأثيره الفعال فى كبح جماح الشهوات القومية ؛ فاذا صلح دستور العصبة ليلائم الظروف الدولية الحاضرة ، وإذا استطاعت الأمم أن تضع ثقتها فى سياسة الضمان المشترك والسلامة المشتركة ، فان العالم يستطيع أن يتجنب كثيراً من الحروب الاعتدائية المخربة . ولكن هل تستطيع الدول الاستعمارية الكبرى أن تتجرد عن غايات الأثرة القومية ، أو تعدل عن الاتجاه إلى القوة الهمجية التى تمكنها من أعناق الفرائس الضعيفة المغصوبة ؟

(***)

شهيد من شهداء أحد

أنس بن النضر

للأستاذ خليل هنداوى

كتب الله النصر للمسلمين فى غزوة « بدر الكبرى » ؛ وكان نصراً رائعاً للدعوة الاسلامية ، فانصرف المشركون وفى كل عضو من أعضائهم جراحة من أثر بدر ، وفى كل بيت من بيوتهم مناحة لفقد عزيز من أعزائهم يوم بدر ؛ وقد تبرأ هذه الكلوم ، وتهدأ هذه المناحات ، ولكن الضغن كامن فى صدور كأنها الدروع المنطوية فى النار

— ألا يعود يوم كيوم بدر نثأر فيه لشرفائنا ، ونلوك أكباد أعدائنا ! إنه إن يعد — وهبل — نشف منهم النفوس أو تضمنا الرموس .. ..

والمسلمون خلال ذلك تخفق ألوية النصر عليهم ، وأصحاب بدر يخطرون طربين بما أوتوا ، يجلسون حلقات ، هذا يتحدث عن بلائه ، وذلك عن بطشه بأحد رؤوس قريش ، وقد يسمع النبى لحديث من أحاديثهم فيغلب الاشفاق على قلبه ويود لو أن دماء قومه لم تهدر ، ولكن الدعوة تفتقر إلى ضحايا ! وقد يغادر المتحدثون هذه الأصناف من الحديث ، لا لأن بدراً يفرغ حديثها . . . وإنما يعودون إلى التحدث بينهم : كيف ألقى الله الرعب فى قلوب أعدائهم ، وثبت منهم الأقدام ، وزلزل أقدامهم ، ويشكرون الله على صدق وعده لهم ، فما أخف نفوس هؤلاء البدريين الذين قاتلت جنود الله معهم ! ويكفى أحدهم إذا أراد أن يفتخر أن يقول : « أنا بدرى » ! وما أشد أسى الذين لم يكتب لهم أن يكونوا من جنود هذه الغزوة المباركة !

كيف يمشى هؤلاء الذين لم يحضروا غزوة بدر ، وكيف تطمئن لهم جنوب أو تسكن قلوب ، وقد رأوا أن رفاقهم سبقوا بالأجر : أجر بدر ؟ وكيف يخالطون أصحابهم الغزاة ، وكيف يكلمون الرسول ، وهم يرون فى أنفسهم منقصة تؤخرهم عن مجالس هؤلاء الغزاة ، إنهم ليسوا ببدريين !

حاور أنس بن النضر نفسه فلم يقنعه منها عذر ؛ فآثر أن

يتوارى عن قومه ، وأن يعتزل مجالسهم ، مقسماً أنه لن يغفر هذه الحوبة لنفسه حتى يلاقى غزوة كغزوة بدر ، يحملها ما لم تحمل ، ويحمل منها فوق ما حمل أصحابه ، فاذا سمع « بيدر » رأيت وجهه اكتآب وأساريره انقبضت ، لأن حديث بدر -- عنده -- حديث ذو شجون ، فيسأل نفسه إذا اشتد به الأمر :

— أعهد بدر الثانية عنك بعيد ؟ رب أقرب بدراً

وقد عجب أصحابه لوجومه وانصرافه عن مجالسهم ، ولم يروا منه إلا كل خلة حميدة ، وعقيدة صلبة ؛ يرونه يمشي كمن يلوذ بجدار ، ويرتاح إلى الليل الأسود كمن يتخذه لباساً ، ويجنح إلى العزلة كمن هو على موعد من ربه ... وتحدث القوم بينهم : ما بال أنس لا يطأ مجالسنا ؟ أأذىً به أم عارض ؟ وكان الرسول لا يلمحه إلا معتزلاً فى زاوية وحده ، لا يسمعه سامع إلا هاجساً ببدر ، مستفسراً عن بدر ؛ وقد أقلق الرسول حاله ، فسأله :

— ما خطبك يا أنس ؟

فقال أنس :

— « يارسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين ، لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ! »

ففهم الرسول أمره ، وبارك عزيمته وقال :

— أما وقد نويت :

ولم يقف الرسول على شىء من أمره بعد مقابلته . وهاهى المقادير جاءت تنتقم « لأنس » ، وتكتب اسمه فى سجل الغزاة الثابتين ، وها هى الأيام كرت تجدد « بدراً » ثانية ، ليس موعدها بدراً ، لكن أُحُداً ! فهب البدريون إلى شحذ سيوفهم البدرية ولا تزال أغراتها مكتسية دماً ، ورماحهم ولا تزال ثعالبها حُمرا ، ونشط من لم يحضروا بدراً لينالوا من الأجر ما لم ينالوه ، فكان الأولون يمشون ثابتى الأقدام ، مستخفين بأعدائهم عند الروع ؛ وكان الآخرون يمشون خفافاً كمن أزيح عن صدره ثقل الجبال ، وقد ارتاحت من أنس نفسه ، ودنا يحدث صحبه كأن لم يكن له عهد بتلك الوحشة

بزغ الفجر من وراء أحد ، وأفاقت قمقمة الرجال : وتيقظ كل ثأر قديم وكل خصومة قديمة ، فلم يمهل بعضهم بعضاً بالبراز وإنهم لا يملكون أنفسهم فى مثل هذا اليوم ، وقد ود « أنس » قبل زحفه إلى الشهادة أن يكلم الرسول فيكتسب منه دعوة صالحة أو يراه فيذكر الرسول وجومه فيقول له :

— إيه يا أنس ! اليوم بدر !

ولكن الزحام شديد والقتام ساطع والعدو راصد ، والنبي قد وزع عقله هنا وقلبه هناك ، يهدى ويوصى ويرشد وقد ذهب أمامه أقرباؤه قروم الحرب وأبطال الشدائد ، فأقلع أنس عن رغبته وأدرك أنه لم يكتب له الحظ أن يمس جلده جلد رسول الله قبل آخر العهد [1] ، فانطلق زاحفاً إلى صفوف المشركين يضرب بيديه وبسيفه ورمحه وفرسه ، وكأن المقادير أرادت أن تنتقم له انتقاماً حسناً فلم تظهر ثباته وصدقه فى جمع ظفر ، لكن فى جمع تفرق وانكسر ، ولم يثبت فيه إلا كل أروع صنديد ؛ فكرام من الصحابة يذودون عن النبي بأرواحهم وأجسادهم ! وكرام من الصحابة شدوا على العدو المحيط بهم وقد أبت لهم عقيدتهم أن ينهزموا ويستسلموا ! وهذا أنس لا يزال يجول وما زادته جراحه الكثيرة إلا زيادة فى الثبات . وهل أكرم من الثابتين عند الله ؟ وما زادته سراويله الحمر إلا استقتالاً وطمعاً فى ذلك الأجر الذى تلوّح له به بدر ؛ لكن يوم بدر كان يوم ظفر ، ويوم أحد أسود الجلباب ! فحيثما يطأ يجد صحابيا جريحاً يئن ، وأيان توجه ير قتيلا تزفه الحور العين

— بادر يا أنس ! فهذا هو يوم الأجر الأكبر ، وهذا هو يوم الرضوان ، ما ينفع تأجيل الموت وفى الشهادة حياة ؟

وإنه ليحدث نفسه بهذا الحديث فيستقبله سعد بن معاذ فيقول له :

— « يا سعد ! الجنة ورب النضر ، انى لأجد ريحها من دون أحد . . . »

فيتركه سعد ويود لو يصنع ما يصنع ، ولكن رجال الله رجال ، فيلتفت أنس إلى قومه فيقول :

— اللهم إنى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء !

ويلتفت إلى المشركين فيقول :

— وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء !

---

(١) مر الرسول فى غزوة بدر بسواد بن غزية وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب فى بطنه وقال استقم يا سواد ! فقال أوجعتنى يارسول الله ! فأقدنى من نفسك . فكشف الرسول عن بطنه وقال استقد ، فاعتنقه سواد وقبل بطنه ، فقال الرسول ماحملك على ذلك ؟ فقال : قد حضر ما ترى يارسول الله فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدى جلدك

ثم يحمل مقتحماً صفاً من المشركين المضرجة سيوفهم ونصالهم بدماء أصحابه فلا يزال مقتحماً فى حملته وقد أعجز المشركين رده وأحزن قومه فقدهُ. وإن المعركة لتنتهى وقد بذل فيها الفريقان من فلذات الأكباد والأولاد لها طعاماً ، وهيهات أن تشبع ! فيقوم أبو سفيان يقول :

— أفى القوم محمد؟ فلا يجيبه أحد. أفى القوم ابن أبى قحافة؟ فلا يجيبه أحد. أفى القوم ابن الخطاب؟ فلا يجيبه أحد

فيقول :

— أما هؤلاء فقد قتلوا

فلا يملك عمر نفسه فقال :

ـ كذبتَ والله يا عدو الله ـ إن الذين عددت لأحياء كلهم ! إنهم لأحياء ، وإن الحياة هى التى أنطقت عمر بالرغم من نهى الرسول ، وهل يخنق للحياة صوت ؟

إن هؤلاء أحياء ، والذين استشهدوا منهم أحياء !

فيجيب أبو سفيان :

يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ! إنكم ستجدون فى القوم مُثلة لم آمر بها ولم تسؤنى : أعلُ هبل ، أعلُ هبل !

فيجيبه أصحاب الرسول :

— الله أعلى وأجل !

فيقول : إن لنا العزى ولا عزى لكم

فيجيبونه : الله مولانا ولا مولى لكم

***

تنتهى هذه المحاورة ويؤوب أبو سفيان إلى قومه وقد شفوا قلوبهم وغسلوا عار يوم بدر ، وهب المسلمون إلى تلمس قتلاهم واستنقاذ جرحاهم وقد راعهم أن يمثل المشركون بالشهداء منهم وهم لو أرادوا تمثيلاً بهم لمثلوا . ولبث النبى فى مكانه يعالج أصحابه نزيفاً منه كاد يودى به ، وهو يرتقب جثة عمه حمزة وقد أشجاه ما أشجاه ، فجاءت الجثة بغير كبد والوجه معبوث بملامحه . فناب الصمت عن البيان ، وحجبت هذه الداهية غيرها من دواهى أحد ؛ فجمع المسلمون جثث قتلاهم يدفنونها متراكمة فى موضع المعركة وقد أسّاهم فى مصابهم ما أصاب الرسول فى عمه . فكان ينظر إلى الذين يغيبهم التراب إلى الأبد نظرة صامتة ، وعينه لا تتمثل إلا مصرع حمزة

لم يعد أنس جريحاً ولم يبن قتيلاً فى المعركة ، وقد ذهبت أخته تتحرى عنه بين القتلى فيمن تحرى ، حتى وقعت على قتيل خفيت تقاسيم وجهه ، وذهب جلده قدداً ، فى بدنه بضع وثمانون من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم . أهذا هو أنس صريعاً ؟ لكن وجهه لا يفصح ، وبدنه لا يبين عنه . لكن هذه بنانه قد أبقى عليها المشركون ولم يمسوها بسوء . مثلوا بجسده ماشاءوا أن يمثلوا بعد أن ملأهم ضربه غيظاً وقتاله حقداً ، وذهلوا عن بنانه

— رحمك الله يا أنس ! لقد بررت بعهدك الذى عاهدت ، وأدركت الأجر الذى طلبت . أليس فضل الثابتين فى أحد كفضل أصحاب بدر ؟

قضى أنس ولم يذكر مصرعه القوم ، لأن مصارع أذهلت عن مصارع . والرسول لم تندمل كلومه ، ولم يبرح مصرع حمزة قلبه .

لم يقتل حمزة وحده ولم يقتل أنس وحده ، بل قتل معهما « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه [1] » وهؤلاء هم الذين قتلوا فى سبيل ما عاهدوا الله عليه

***

خمدت وقعة أحد ، وكان الرسول كلما مر بأحد استشعر خشية ، والتفت إلى أصحابه كأنما يلتمس فى هذا الجبل شيئاً قدسيا يهبط على نفسه . التفت يقول لهم :

— « إن أحداً يحبنا ونحبه ! »

وكيف لا يحبونه وقد أطافت به أرواح الأعزاء وثوت فيه أجساد الشهداء وكيف لا يهتز الرسول لأحد وفيه قد أدّوا ثمن العقيدة والصدق والاخلاص من دمائهم وقلوبهم

أما إن لكل أمة « أحداً » تذكره وتعتز بذكره لأنه رمز ضحاياها الغالية التى عملت لها . وهذه الأمة المشتتة تحت كل كوكب ، المعتزة بإيمانها وعقيدتها تقيم فى كل زاوية « أحداً جديداً » تقدم له كل يوم ضحايا عزيزة من دمائها وقلوبها ! حتى غدت مواطنها : « كل موطن أحد » وشهداؤها : « كل شهيد أنس » .

خليل هنداوى

(١) ذكر المفسرون أن هذه الآية الكريمة نزلت فى « أنس بن النضر » وأصحابه

نظرية النسبية الخصوصية
المقال الثاني

وحدة قوانين الطبيعة والبعد الرابع فى النسبية

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

عناصر البحث

(١) الحد الرابع للمادة فى النسبية
(٢) ثبات النور ووحدة قوانين الطبيعة
(٣) النظام الغاليلى وقوانين التحويل اللورانتزية

— ١ —

تصور سطحاً فى حيز منه نقطة مثل « ن » ، وأنك تريد تحديد مكانها ، فلا شك أنك ستقيس بعدها عن الحافة اليمنى للسطح أو اليسرى ، ثم بعدها عن حافة السطح الأمامى أو الخلفى ، وبواسطة خطين تحدد مركز النقطة على السطح . أما إذا كانت النقطة المرغوب تحديدها فى حجم فلا بد من خطوط ثلاثة تنتهى عندها لتحدد مكانها بالضبط

لنتصور مكعباً ضلعه ١٠ أمتار ، ولنفرض به نقطة مادية مثل (ن) فى المكان « م » ، ولنشرع فى تحديد مكان هذه النقطة المادية ، فلا بد من أن نقيس الخط العمودى الساقط على هذه النقطة من السطح السفلى للمكعب ، ولنفرض أنه كان مترين ، فهذا الخط بمفرده لا يصح أن يكون محدداً لمكان النقطة إذ فى الامكان تحريك هذه النقطة حركة أفقية ويبقى الخط الممتد من السطح السفلى للمكعب حتى النقطة « ن » مترين بدون أن يلحقها أى تغيير ؛ فلا بد من حدّ ثان بخط يمتد من السطح الأيمن أو الأيسر إلى النقطة « ن » . فلنفرض أنه كان ستة أمتار ، فلنا أن نتساءل : هل فى الامكان الاكتفاء بهذين الخطين لتحديد موضع النقطة ؟

إن من السهل تحريك النقطة المذكورة فى خط مواز للسطح الأيمن أو الأيسر بحالة لا يختل معها طول الخطين ، فلابد من حد ثالث ، هو بعد النقطة عن السطح العامد للجدار الأيمن والأيسر ، ولنفرض أننا ألفيناه ثلاثة أمتار ؛ فعليه يمكن تحديد أية نقطة فى حجم بثلاثة أبعاد تتعامد على بعضها فى النقطة المرغوب تحديد مكانها ، وهذا النظام يعرف بنظام التعامدات الديكارتية[(١)]

إن المشاهد الذى يقوم بعملية القياس سيلجأ إلى قواعد فيثاغورس فى الهندسة ليحدد أبعاد الخطوط الثلاثة المحددة من مكان النقطة . وقاعدة فيثاغورس التى ترجع اليها هذه المسئلة نظريتان :

الأولى : أن مربع الوتر فى المثلث القائم الزاوية يساوى مجموع مربع الساقين

الثانية : أن مربع الوتر فى مكعب يساوى حاصل جمع مربع خطوط الطول والعرض والعمق

فتكون المسافة من المشاهد إلى النقطة « ن » :

$$\sqrt{٧^٢ + ٣^٢ + ٦^٢}$$

— ٢ —

لنفرض أنّ النقطة المادية « ن » تحرّكت من وضعها الأول فى (م) إلى وضع آخر ، وليكن ($م_١$) بمعدل سرعة متر واحد فى الدقيقة الواحدة ؛ ثم لنفرض أنها بلغت وضعها الجديد بعد دقيقتين من تحركها ، فالمسافة « $م - م_١$ » يستغرق قطعها زمناً . وهذا بلا شك[(٢)] يثبت أن الزمان يتداخل فى المكان ويندمج به ليكوّنا البعد الرابع للمادة

هذه قضية البعد الرابع فى النسبية الخصوصية فى أبسط صورها ، ولكنها ليست كل شىء كما سنرى

— ٣ —

لا يمكن فصل الزمان عن المكان ولا المكان عن الزمان ، لأنك لا تتصور حادثة إلاّ وتتصور آوان حدوثها ، ولا تتمثل فى ذهنك حركة إلاّ ويتطرق إلى وعيك الزمن الذى استغرقه الجسم فى الحركة

إنه لا يمكن تصور شىء فى الوجود لا يشغل مكاناً ولا يحدث فى زمن . فالبعد الرابع فى النسبيّة ليس إلا إدماج الحركة فى المسافة ، إذ تُعبر عن المسافة بحاصل ضرب معدل السرعة فى وحدة زمانية بوحدة زمانية أخرى

(1) Edhem (G. K) : Mathematik und Physik., P' 139.
(2) Weyl (Hermann) ; Raum, Zeit, Materie. Berlin 1921 P. 129.

هذه العملية نظرية لأننا لم نعمل حساب الزمن الذى تستغرقه شعاعة النور فى التحرك لقطع المسافة من مكان وقوع الحادثة إلى المشاهد ؛ ذلك لأن المسافات على سطح كرتنا الأرضية قصيرة، ولا يحس فرق زمنى إذا ما انسابت فى فضائها موجات النور . أما فى المسافات السحيقة بين الأجرام فالأمر يحتاج إلى حساب الزمن الذى تستغرقه شعاعة النور فى الوصول إلينا ، لأن هذا الزمن يتضخم حتى يبلغ ملايين السنين فى المسافات السحيقة . فمن المعلوم أن شعاعة النور تستغرق نحو ٩ دقائق للوصول إلى أرضنا من الشمس ، كما أن شعاعة تصدر من السدم اللولبية تحتاج الى مليون عام لتصل الينا ، وقد تحتاج أحيانا الى مائة مليون عام ؛ فهذا النجم يبعد عنا بنحو ١٢٤,٢٦٤,٨٠١,٦٢٥,٠٠٠ ميل . فاحسب كم عاما تحتاج له شعاعة الضوء لقطعه مع أنه قريب إلى أرضنا بالنسبة للسدم والمجرّات

لا شك أننا لا نجد الشمس إذا نظرنا إليها إلا كما كانت قبل دقائق ؛ فلو فرضنا أن الشمس انكسفت فجأة فانها تنير لنا نحو تسع دقائق بعد كسوفها تكون خلالها الشعاعة الأخيرة التى صدرت من الشمس قد وصلت إلينا . فكأن المسافة قد تمددت بالنسبة لنا واندمج الزمان فى المكان

— ٤ —

إن قانون ثبات سرعة النور الذى هو نتيجة لتجربة « ميكلصون — مورلى » يقضى بأن قوانين الطبيعة الشاملة للحادثات ثابتة . لأن هذه القوانين قائمة على انتشار النور بسرعة ثابتة فى كل الاتجاهات . وما دامت سرعة النور ثابتة والنور يحدد من حدوث الحوادث فقوانين هذه الحوادث ثابتة . هذا المبدأ الذى استخلصه ألبرت اينشتين فى تيه من المعادلات الرياضية الفائقة[1] طبقه العالم مينقوفسكى Minkouvski على حادثات الكون والظاهرات الضوئية والالكترو مغناطيسية . وقد كان هذا المبدأ فى صورة أخرى ذائعاً فى علم الطبيعة الكلاسيكى إذ كانت تفرض أن الحوادث تحدث فى العالم بالنسبة للأثير دون أن تتأثر بحالات الأكوان التى تحدث خلالها من حركة أو سكون . هذا المبدأ المطلق كان موضوعاً جوهرياً فى علم الطبيعة الكلاسيكى .

غير أن هنرى بوانكاريه[1] العالم الرياضى الفرنسى الشهير عدل عن هذا المبدأ وقرر أنه من المحال الاستناد إلى التجارب التى تجرى داخل عالم متحرك فى استخراج حركته المطلقة استناداً على تجربة « ميكلصون — مورلى » كما سبق

لقد عمل ألبرت اينشتين على أن يلائم بين سنة ثبات النور فى سرعتها ومبدأ ثبات قوانين الحادثات ، فقرر أن الضوء يتصف بسرعة ثابتة فى انتشاره فى جميع الجهات أياً كان الكون الذى ينتشر خلاله . ولتوضيح هذا القانون نفرض عالماً متحركاً مثل « ع » وعالماً آخر مثل « ع١ » ، ولنفرض أن سرعة الضوء فى العالم الأول « صه » وفى الثانية « صه١ » ، ولنفرض أن السرعة « صه » أكبر من السرعة « صه١ » ، فستكون سرعة النور فى العالم الأول أكبر منها فى العالم الثانى . فتكون السرعة النسبية إذن غير ثابتة فى كل الاتجاهات ، إذ تتأثر بحركات العوالم المنسوبة إليها والتى تنتشر خلالها . ولما كانت تجربة « ميكلصون — مورلى » قد أثبتت أن السرعة « صه » هى عين السرعة « صه١ » فاستناداً إلى قانون لورانتز فى التقلص ونتيجته فى استحالة استخراج الحركة المطلقة وثبات سرعة الضوء نقرر ثبات قوانين الحادثات ووحدتها

وهنا قد يتبادر إلى ذهننا سؤال : هل فى إمكاننا أن نؤلف بين سنة ثبات سرعة الضوء ومبدأ النسبية ؟

مبدأ النسبية الكلاسيكية يقرر أن الحادثات الكونية التى تحدث فى كون متحرك لا تتبع حركة الكون الذى تحدث فيه ، فكأنها تحدث فى عالم ساكن غير متحرك . فهل فى الامكان التوفيق بين هذا المبدأ النيوتونى وسنة ثبات انتشار الضوء فى الفضاء ؟

إن الاجابة على هذا السؤال ترجع بنا إلى مسألة التواقت التى توحى إلينا أن الزمان ليس بفكرة إنيّة a priori كما تقرر علوم الطبيعة الكلاسيكية ، وأن مفهوم السرعة مشتق منه ، بل إن سرعة النور وثبات هذه السرعة يجب أن يعدا من المبادىء الأولية ومنها يشتق مفهوم الزمان . فكأننا براصد الحادثات مقيد بآلاته يقرر حسبما تتراءى له الحادثات ، والزمان بالنسبة للمكان وليس هو بالشىء الوهمى الذى تصوره لورانتز بل له حقيقة موضوعية طبيعية Odgective

اسماعيل أحمد أدهم

(1) Einstein (Albert) : Ueber die spezielle und die allgemein Relativitaetstheorie., Braunschweig., 1933. P. 93 - 97

(1) Henri Poincaré : Science et l' hypotheses, paris 1913 P. 93 et Dernieres Pensees, paris 1909. P. 139 — 143.

فى ليلة العيد* ...

للأستاذ على الطنطاوى

يا أيها الغافلون ... إن هذا العيد ليس لنا .
إن أعيادنا مخبوءة فى ثنايا الماضى
الفخم ، ومطاوى المستقبل المنتظر .
« على »

مشيت ليلة العيد فى حاجٍ للعيال ، فتأخرت فى السوق ، فركبت (الترام رقم ١) لأروح الى الدار ، فكان مجلسى فيه قبالة شيخ سامم رازم ، عظيم اللحية ، كأن رأسه ولحيته ثغامة بيضاء ، زرىّ الهيئة ، رثّ الثياب ... فأشرت إليه بالتحية وابتسمت له ، فلا والله ما طرف ولا تحرك ولا ألتى إلىّ بالاً ، فجعلت أعجب منه ، وأحاول أن أذكر من هو ، وابن رأيت هذا الوجه ، فلا أدرى أين لقيته ولا أعرف من هو . ولا أستطيع أن أميز هذه الصورة من بين المئات من الصور التى اختلطت فى نفسى وانطمست وضلّت عن أصحابها ، ولكنى كنت على مثل اليقين بأن لى بهذه الصورة عهداً ... فلما بلغنا الدرويشية رأيت الشيخ يتحسس عصاه وبصره عالق بى ، فأدركت أنه أعمى وانه ينظر بعين قائمة ،(١) وعلمت سرّ امتناعه عن ردّ السلام . فرثيت له واشفقت عليه ، فلما سقط على العصا اعتمد عليها ، فقام يتلمس الطريق ، فهاجنى الفضول وأثارتنى الشفقة فقمت أتبعه ، فاذا هو ينزل من الترام فيميل عن الجادّة ، ويتجنب هذه البنى الجديدة ويتغلغل فى تيك الخرائب ، يضرب فيها على غير هدى ، وأنا أتبعه متمتا متألما ، أكره هذه الظلمة الداجية ، وهذه الخرائب الموحشة ، وأزمع العودة فلا تطيب نفسى بفراق هذا الشيخ وتركه يتخبط وحيداً فى هذه المجاهل ، فتعوذت بالله « من شرّ غاسق إذا وقب » ودنوت منه خبّيته وسألته :

ـ أتريد مساعدة يا عمّ ؟

ـ قال : جزاك الله خيراً يا بنى ... فمن أنت ؟

ـ قلت : عابر سبيل رآك فأحبّ مساعدتك

قال : أحسن الله اليك ... قل لى : أين نحن ؟

ـ قلت : فى خرائب الدرويشية

قال : أعرف ذلك ... هل وازينا القلعة ؟

ـ قلت : نعم

قال : هل ترى قوسين كبيرين قائمين وسط هذه الأطلال ؟

ـ قلت : نعم . هذه دار آل ه ...

ـ قال : أتعرفها ؟ (وبكى)

قلت : نعم أعرفها . فمالك تبكى يا عمّ ؟

قال : تلك والله دارى يا بنى

فلما قالها صعقت وذكرت أين لقيت هذا الرجل ، وعرفت من هو . ولكن ما بال هذه الشيبة ، ما هذه العصا ، ما هذه الثياب ؟ ما الذى أناخ عليه فهدّ شبابه ؟ أىّ سهم من سهام الدهر أصمى بصره ؟ حرت وحزنت ولكنى تجاهلت وقلت :

ـ دارك أنت يا عمّ ؟

ـ قال : إى والله يا بنى ... ألم تسمع بها ؟ لقد كانت من أجمل دور دمشق . لقد كان من تحت هاتين القوسين قاعة من أفخم القاعات ، يؤمها السيّاح من أوربا وأمريكا ليروها ويعجبوا بما فيها . لقد كان فيها بركة مصنوعة من ألف وثلثمائة قطعة صغيرة من الأحجار الملوّنة ... لقد دفعوا الى فى سقفها الخشبى ثمانية آلاف دينار ... ولكن ما فائدة الكلام ؟ لقد خسرت ما هو أعزّ علىّ منها : زوجتى وأولادى ...

(وانطلق يبكى بكاء موجعاً)

لقد كان ذلك ليلة العيد ، فى مثل هذه الليلة ... وكنا قد ذقنا فى رمضان الأمرّين من الخوف والرعب ، وكنا كأننا فى ساحة حرب : بينما نحن جالسون آمنون ، إذا بالرصاص يصفر ، وإذا هى المعركة : يهجم عشرون من الثوار ، فيطردون جيشاً فيلجئونه الى القلعة ويضطرونه الى الاعتصام بجُدُرها ، ويؤوبون وقد غنموا ما شاءوا من مجد ومال وعتاد ، فيخرج أولئك ، فيتبخترون بالساحة (يطلبون الحرب وحدهم والنزال) ، وتنطلق أفواه المدافع تلقى خطب البطولة على النساء والأطفال :

أسد علىّ وفى الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلاّ برزت الى غزالة فى الوغى   بل كان قلبك فى جناحى طائر

***

آه يا بنى . لا تلمنى إذا بكيت وأذهب البكاء بصرى ، فقد سحقت المصيبة قلبى ... كان ذلك ليلة العيد ، وكانت الدار

(*) لا يقعن فى وهم أحد من القراء انى أصف شخصاً بعينه ، أو أسرة بعينها ، فلست اكتب تاريخاً ، ولكنى أكتب قصة

(١) العين القائمة هى التى ذهب بصرها ، وبقيت حدقتها سالمة ،

تضحك سروراً ، وترقص بهجة ؛ وكان الأطفال ينتظرون مدافع العيد ، ليفرحوا ويمرحوا ، ويأخذوا عيديّاتهم . . . فلما انطلقت هتف الأطفال ، وصاح النساء ، وابتسم الرجال ، ولكن . . .

آه من لكن . . . لقد هدّت (لكن) كياني ؛ لقد طمست بصري ؛ لقد جعلتني قبراً يمشي ، ولكن هذا السرور لم يدم ؛ ولم تكن إلا لحظة حتى استحال الهُتاف بكاء ، والصياح ولولة ، والابتسام حيرة وجزعاً . لم تكن مدافع العيد ، بل كانت مدافع الموت نزلت على أجمل دار في دمشق ، وأهنأ أسرة فيها ، فجعلت هذه الأسرة موزّعة بين الموت والشقاء ، وهذه الدار مقسّمة بين النار والدماء ، ثم انجلت العاصفة ، فاذا هذه الدنيا الناعمة العريضة تلّ من التراب . . .

لقد حزنا وجزعنا ، ولم ندر ماذا نصنع ، فحملت الأم طفلها الرضيع ، وأمسكت بطفلها الآخر ، وكادت تنجو لولا أن عاطفة الأمومة قد عادت بها لتنقذ سائر أولادها ، فسدت النار سبيلها فابتغت سبيلاً غيره ، فاستقبلها اللهب ، فماتت هي وأولادها ، يلفهم كفن من لسان النار الأحمر . . .

أما أنا وولدي الشاب — رحمة الله على شبابه ... آه ! — أما نحن فما زلنا نجيء ونذهب ، نحاول أن ننقذ هذا ونخلص هذه ، حتى حملنا الجميع وكدنا ننجو ، بل لقد نجوت أنا ، وتلفت لأراه فحال بيننا اللهب ، ورأيته يشير إليّ بسلام الوداع ثم يسقط صريعاً . . .

لم ينج إلا أنا وولدي الصغير ، وليته لم ينجُ ، ولكن ماذنبه هو ؟ إنه بريء ، إنه نشأ على الفضيلة والعفاف ، وربي على الاستقامة والشرف ، فكان أكمل التلاميذ خلقاً وأجملهم خلقاً ، وأقومهم سيرة ، وأكثرهم اجتهاداً ؛ لم يعرف قط إلا طريق المدرسة ، حتى إذا وقعت الواقعة لم يع على نفسه إلا وهو يدور في الأسواق ليلاً بإزار النوم ، فاستحيا وجزع وعاد إلى الدار . . . فلم يجد داراً ، وجد بقعة من جهنم وقودها الناس والحجارة ، فارتد هائماً على وجهه ، وكان ذلك آخر عهدي به

لقد نسي من بعد هذه الفترة من حياته ، نسي أباه المفجوع وأمه الشهيد ، وأخاه القتيل ، وأهله الصرعى ، واستقر في نفسه أنه مخلوق نبت من الأرض ، بين سوق علي باشا ، والسوق العتيق ، وشارع النصر ، وميدان المرجة ، ثم قادوه بعد إلى معابد الرذيلة ، الى مذابح الأخلاق ، إلى هذه المزابل القذرة ، إلى المباسية وأولمبيا وتاجادا فقتلوه . . . آه يا بني إنهم لا يقتلون بالقنابل والرصاص والسيوف والخناجر إلا قليلاً ، ولكنهم يقتلون دائماً ، يقتلون الأمم بالحانات والقينات (الأرتستات) والأزياء والمدارس والقوانين . . .

وأدرك الشيخ العجزُ فهوى إلى الأرض وهو يبكي وينشهق ، وأن نفسه لتكاد تخرج في شهقة من شهقاته

* * *

كانت الأنوار تشع من المباسية ، وأولمبيا ، وتاجادا ، والأمبير ، وراديو ، وروكسي ، وهذه الملاعب الخشبية التي أقاموها على أطلال الدرويشية والسنجقدار احتفالاً بالعيد ، وكانت أصوات الموسيقى ، ورنات الضحك ، وصيحات الفرح تشق سكون هذا الليل . . .

وكان الشيخ يجود بنفسه على أنقاض دمشق لايدري به أحد

* * *

أما الشعب الثاكل فكان يرقص على رفات الشهداء ، أما الشعب فقد كان يفرح بالعيد . . . .

علي الطنطاوي



أيها الشبان!

لبول بورجيه

بمناسبة وفاته فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٥[1]

ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندى

إليكم هذا الكتاب يا شباب الوطن، الذين تتراوح أعماركم بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، والذين تبحثون فى مؤلفاتنا عن جواب عن المسائل الآخذة عليكم مذاهب التفكير، أما الجواب فيعتمد قليلا على حياتكم المعنوية، حياة فرنسا ذاتها، فلسوف تسيطرون فى العشرين سنة المقبلة على مصائر هذه الأمة العجوز .... أمنا جميعاً

ماذا حصلتم من مؤلفاتنا؟ هذا سؤال يخاف الكتاب النزيهون من تبعاته . . . .

فى كتاب «التلميذ»[2] بحث لهذه التبعات، وفيه دليل على أن الصديق الذى يطالعك وأنت تطالعه إنما علاؤه إيمان عميق بسلطان الأدب، ودليل آخر على أنه يفكر فيك أيام درجت تتعلم الهجاء، أيام كنا نحن كاسفى البال نوقع ألحان قريضنا الناشئ على رنين المدافع الفاغرة أفواهها على باريس، أيام كان كبارنا فى صفوف المعركة، وكنا نحن الصغار فى صفوف الجامعة، ترزح ضمائرنا تحت عبء فادح هو إحياء فرنسا

كنا نناجيك يا شباب اليوم بما ناجاك به بانفيل: «أقبلوا أيها الفيلق المبارك، يا شباب الأيام التى لم تنفرط من عقد الزمان بعد، أقبلوا كالفجر الطالع، واملأوا آفاق الورى بالنور .... »

كنا نتمنى أن يشرق فجركم وضاء يغمر الورى إشراقاً، فلقد كان فجرنا يختنق ببخار الدم الذى يسم الأفق، وكنا نعرف أن علينا أن نعيد لكم فرنسا سيرتها الأولى؛ ولئن كنا صغاراً فلقد كنا نعلم أن أفضل ما علمنا أساتذتنا هو «أن الظفر أو الخذلان فى الخارج إنما هما مظهر المنعة أو الانحلال الداخلى»

كنا نعلم أن نهضة ألمانيا فى فاتحة القرن لم تكن إلا عملاً من أعمال (النفس)، وكنا نعلم أن النفس الفرنسية هى التى انكسرت فى حرب السبعين، وأن الأزمة الفرنسية إنما هى أزمة نفسية عبر عنها ديماس حينما قال: «. . . حذار . . . حذار . . . إنها برهة مجلى ما أسرع أن تفوت . . . تلك البرهة التى يمكن أن يكون فيها الفتى حساساً كله عواطف، أو متشككاً أو ساخراً أو مهذاراً. أما الله، وأما الطبيعة، أما العمل والزواج والحب والبنون، فأولئك أمامك دائماً . . . أولئك يجب أن يحيوا أو أن تموت . . »

بلى: هذا الجيل الذى أنا منه والذى زخرت نفسه بالآمال الجسام، كم جاهد لمجد فرنسا!. إن نفسى لتذوب حسرات كلما تذكرت أن رجال السلطة قد تخلوا عنا فى غضون هذا الجهاد العاصف، وأن الطبقة الوسطى هى التى غذت فرنسا فى العشرين عاماً الماضية بالقادة والساسة والفنانين العباقرة حتى ليتساءل المرء: «ما أقدر هذا الفلك الفرنسى السيار! ما أكبر حيوية هذه الأمة الفرنسية! إن خطاها لاتنى حيث كانت تهلك أية أمة أخرى!»

هذه الطبقة الوسطى التى شهدت بعض الزعماء يضحون بالعزيز عليها من العقائد باسم الحرية، ودجاجلة سياسيين يلعبون على الاقتراع العام فيسمو التدجيل بكفاياتهم المتواضعة إلى أسمى الدرجات . . كم تحملت لتبعث فرنسا فى العوالم من جديد ..!

ولئن خطر الجند الفرنسيون ذهاباً وجيئة، أو أضمرت الحكومات لنا الاحترام، أو تقدم التعليم العالى، أو كانت الآداب الفرنسية ما برحت تحمل لفرنسا لواء العبقرية والمجد، فلهذه الطبقة الوسطى تلكم اليد العليا . . .

كيف تحيا بك فرنسا وتنهض؟ هذه مسألة الساعة

إنك لاتتذكر صور أولئك الخيالة البروسيين وهم يتبخترون على أرض فرنسا، يهزون أعطافهم كبرياء، ويصعرون خدودهم صلفاً؛ أما نحن فكم غصصنا بهذه الرؤى .. وما كنا نحسب أن الصلح يمحوها من الأحلام، أو أنه سيسوى أسباب الخصام والسلام

إننى أعلم أنك على استعداد لتهب فى سبيل الوطن روحك، لكن ليس هذا الفخر، ولا يكفى أن تعلم كيف تموت، بل يجب أن تعلم كيف تحيا . . .

هل لك مثل أعلى من أمثالنا العليا؟ أفيك إيمان أقوى مما تنطوى عليه أضالعنا؟ هل لك آمال دونها آمالنا؟ . . .

ان كان الجواب نعم، فشكرا

---

(١) انظر البريد الأدبى فى هذا العدد (٢) أحد كتب بول بورجيه

وان كان الجواب لا . . .

ان كان الجواب لا . . .

ان كان الجواب لا : فان من شباب هذا الجيل طرازين كلاهما زرى وكلاهما مشئوم

أما الأول فهو ذلك المرح المستهتر بالأشياء ، الذى همه وركبر مناه فى الدنيا أن يستمتع ، وعلى الأصح أن يصل وأن ينجح ، فاذا كان سياسيا أورجل أعمال أو أديبا أو محاميا أو فنانا أو ضابطا فانما « . . ذاته » هى الأمل المشتهى ، وهى المبدأ والمنتهى ؛ يندفع فى تطبيق قانون تنازع البقاء على اساليب عيشه وكفاحه اندفاعا بربريا ؛ هو لا يهوى من الحياة الا النجاح ، ولا من النجاح الا المال ؛ ولقد يقرأ ما أكتب كما يقرأ كل شىء ليكون فقط « . . مع الدنيا . . » ؛ ولقد يرمينى بأنى أهزأ بالجمهور وما أنا الا صورة منه ؛ طراز إباحى فى كل شىء ؛ ليس المثل العالى لديه الا فكاهة ؛ فاذا مارس الدمقراطية مثلا فليتبوأ مقعده فى مجلس النواب . . . أو ليس ذلك الشيطان الرجيم ؟ . . هذا الذى لم يقطع من مراحل الحياة خمسا وعشرين مرحلة وليست نفسه الا « عدادا » لحساب الملذات

ثم أرأيت إلى ذلك الآخر الأخلق بالزراية والمقت ، هـذا طراز قد اجتمعت له أرستقراطية الأعصاب والصلف ، أبيقورى مهذب على نقيض الأول ؛ فذلك أبيقورى متوحش ، وهذا الأرستقراطى إباحىّ لبق ؛ طافت كل الأفـكار برأسه ، فلا تحدثه عن التجديف أو عن المادية ، فان للمادة عنده معنى غير ذى حدود ... هو أنفذ بصيرة من أن يجهل أن كل دين دانت له الدنيا فى إبانه . . . هو لا يدين إلا « لذاته » . . ليس الخير ولا الشر ، ولا الجمال ولا القبح أموراً ذات بال تعنيه ، وإنما نفسه (أداة) متعلمـة يلتذ بتجريدها وتعطيل مزاياها كأنها موضوع تجارب ، لا يفقه فى الحق ولا فى الباطل ولا فى الانسانية ولا فى البهيمية ، بل كما قال (بارس) تناهت به شهواته إلى عبادة ذاته أو لذّاته .....

لا تكونوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أيها الفتيان ....

لا إلى الواقعيين المفرطين فى عالم الحس ، ولا إلى المتفيهقين المستهترين فى عالم المعقول ؛ ولا يركبنكم شيطان الغرور فيذلكم للـكبرياء والشموذة ، بل عليكم أن تجعلوا شعاركم : « إنما يحكم على الشجرة بما تؤتى من ثمار »

إن ثمة حقيقة لا مراء فيها لأنها بين الضلوع ، تبصرونها وتحسون بها : تلك هى النفس . وإن من الفكَر التى تسيطر على أذهانـكم لأفـكاراً تضعف من قوى الارادة والمحبة ، فاعلموا أنها أفـكار زيوف مهما طلاها السحر بالألوان . وزيدوا « المحبة والارادة » نماء فليس سواهما إلا عار دائم وعذاب مقيم

واعلموا أن العـلم الصحيح اليوم يعرف أن حدود « العالم المجهول » تتاخم حدوده ـ وكما قال لتريه : هذا بحر غامض تلاطم شواطئنا لجاته ، تشهده نواظرنا والهة ، لا زورق يسبح بنا فيه ولا شراع .... فقولوا للأولى زعموا أن عنده الظلمات والهاوية : « إنكم لا تعرفونه »

وما دامت فى جنوبكم هذه النفس فتعهدوها .

إن فرنسا تريد من كل فرنسى أن يفكر فيها ما ؟

باريس فى ٥ يونيو سنة ١٨٨٩

قصـــــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

كوخ KOCH رابع غزاة المكروب

يكتشف مكروب الكوليرا فى مصر

— ٧ —

وفى الرابع والعشرين من مارس عام ١٨٨٢ اجتمعت الجمعية الفسلجية Physiological فى برلين فى حجرة صغيرة حقيرة بحجمها ، كبيرة عظيمة بمن اجتمعوا فيها من أعلام رجال العلم فى ألمانيا . فكان فى الحاضرين بول ارليس Paul Ehrlich وكان فيهم علاّمتنا الجهبذ الكبير الأستاذ الشهير رودلف ڤرشو Rudolph Virchow ، الذى ذكرنا قِدْماً ما كان من استهانته لكوخ المأفون ودعواه المزعومة فى بشلات الأدواء . وكان فى الحاضرين كل مقاتل للأمراض له اسم يذكر فى ألمانيا

ولما اكتمل الجمع ، قام فيهم رجل صغير ، جَعدُ الأسارير ، على عينيه نظارتان ، وفى يديه أوراق أخذ يقلبها فى خَجلة ظاهرة وهى لانفتأ ترتعد بين أنامله. وأخذ يتكلم فاضطرب صوته اضطراباً خفيفاً . هذا كوخ قام يخبر الجماعة فى تواضع رفيع كيف تأتى له أن يكشف عن مكروب هذا الداء الذى يحظى بنصيب الأسد من الأدواء فيفوز برجل من كل سبعة يموتون . وأخبرهم دون أن يُجلجل بصوته ، فِعلَ مصاقع الخطباء ، أن أطباء العالم يستطيعون اليوم التعرّف إلى بَشيلة السل ودرس عاداتها وخصائصها . وأخذ كوخ فى الحديث عن هذه البشلّة ، أصغرِ أعداء الانسان وأ كبرها به فتكا ، فمرّفهم بمكامنها ومراصدها وبمظاهر ضعفها ومظاهر قوتها ، وأراهم طرائق لو أنهم سلكوها فلعلهم ماحون هذا المكروب القتال من على ظهر البسيطة

وجلس كوخ ، وانتظر النِّقاش والحِجَاج والمعارضة التى لابد منها عندما يختم باحث عرض بحث ثورىّ كالذى نحن بصدده . ولـكن لم يقف رجل على قدم ، ولم تنفرج بكلمة واحدة شفتان . وأخيرا اتجهت الأنظار إلى ڤرشو ، سلطان دولة العلم الألمانية ، ومهبط وحى الآلهة ، والرجل الرّعاد الذى كان يعبس للنظرية الجديدة تهم بالظهور فى تفسير الأدواء فيقضى عليها قبل ولادتها

اتجهت الأنظار إلى هذا الداهية ، فانتصب قائماً ، ووضع قبعته على رأسه ، وغادر المكان — فلم يكن عنده ما يقول !

لو أن لوڤن هوك كشف هذا الكشف الخطير فى قرنه السابع عشر ، أى قبل أيام كوخ بمائتى عام ، لا ستغرق انتشار خبر ذلك فى أوربا أشهرا عديدة طويلة ؛ أما فى عام ١٨٨٢ ، فلم ينفضّ اجتماع الجمعية الفسلجية حتى شاع خبر هذا الكشف فى الناس ، وحمله البرق فى نفس الليلة الى أقاصى اليابان شرقا ، الى أقاصى أمريكا غربا . وأصبح الصباح فكنت تراه فى جرائد الأمم كالقنبلة انفجرت على صفحاتها الاولى . وهاجت الدنيا وماجت لاكتشاف كوخ ، وجاءه الأطباء زرافاتٍ فى السُّفُن وعلى القُطُر تسأله تعليمهم كيف يُطبخ الفالوذج اللحم ، وكيف تُضرب المحاقن مليئةً بالجراثيم فى أجسام الخنازير وهى تمتلج وتضطرب

كشف بستور ما اكتشف ، فأثار فرنسا من جرائه الى التشاحن والتطاحن . أما كوخ فكشف عن مكروبة السل الخطيرة فهزّ بها الدنيا هزّا . وكلما اجتمع حوله المعجبون صرفهم بتلويحة من يده وهو يقول : « ليس لكشفى كل هذا الخطر الذى تزعمون » . وتهرّب منهم ، وتهرّب من تلاميذه يتفرغ ما استطاع لأبحاثه الجديدة . وكان مثل لوڤن هوك يكره التدريس ، ولـكنه غُصب عليه فكان يأتيه كاظما كرهه ، إلا غمغمةً وراء شفتيه ، فدرّس لليابانيين يتكلمون الألمانية سقيما ، وكلامهم بها أيسر عليهم من فهمهم اياها . ودرّس لبرتغاليين كانوا قوما يستحيل عليهم صيد المكروب ولو تعلموه على كوخ مائة عام . وخاصم بستورَ خصومة كبرى سنأتى عليها فى الباب القادم . وقام بين الفينة والفينة بتعليم عونه القديم جَفكى كيف يتصيد مكروب التيفود . واضطُر اضطرارا الى حضور استقبالات .

وتقبَّل الشارات ، فاذا فرغ من هذه عاد الى عونه الآخر لُـفلار وكان من ذوى الشوارب الـكبيرة الرائعة فأعانه فيما هو فيه ، وكان قد أخذ فى سبيل اقتناص ذلك المكروب الذى يَـقْـطُر سمّـا فى حلوق الاطفال الرضّع فيميتهم اختناقا ، واعنى به مكروب الدفتريا

ا كتشف كوخ طريقته لتكثير المـكروب على سطوح الاطعمة الجامدة ، وهى طريقة مُـغرقة فى البساطة ، إلا أنها على بسـاطتها فتحت له ابوابا شتى إلى كشوف شتى . ووصفها جَـفْـكى بعد ئذ بزمن فقال إنها كانت كالشجرة المباركة ، كُثُر طرحها ، وثقلت به فروعها ، فما كان على كوخ إلا أن يهز بجذعٍ فتساقط فى حجره بكل جَـنىٍّ من ثمرها

ولقد قرأت جميع ما كتب كوخ فلم أجـد فى شىء منها قرينة تدل على أنه عدّ نفسه يوماً كشافاً كبيراً ومبتكراً ذا بال . وهو لم يستشعر يوماً — كما استشعر بستور — أنه كان بحق قائداً عظيما فى حربه التى أثارها على المـكروب ، وقد كانت من أشد الحروب التى أثيرت عليـه ، ومن أجل الوقائع التى دبّرها الانسان لصدّ غارات الطبيعة ودفع قساواتها . كان هذا الرجل القصـير القليل الملتحى لا يطلب الى الشهرة سبيلا ، ولا يمثل من أجلها فى الناس تمثيلا . ولـكنه مع هـذا رفع على مسرح الـكون ستارا عن درامة أخـذت فصولها تتكشف عن معارك حامية أثارها اللاحقون من العلماء على رسل الموت مترسمين فيها خُطى هـذا السبّاق الأول ، مخاطرين بأرواحهم الى حـد النزق ، وبأرواح سواهم الى حد الاجرام ، كل هذا ليثبتوا أن المـكروبات أسباب الأدواء

ولنضرب مثلا لهؤلاء رجلا يدعى الدكتور فِيلَـيـسِـن Fehleisen ، خرج من معمل كوخ ، فوجد مكروبا مستديراً كالـكرة ، وقد تشبث بعضـه ببعض فأصبح كحبات السُّبحة ، فأخذ هذا المـكروب من جلد انتزعه تقويراً من مرضى بداء الحمرة [1] ، ثم ربّاه ، وبناء على نظرية حمقاء تقول إن اصابة من داء الحمرة قد تذهب بداء السّرطان ، أطلق صاحبنا البـلايين من هذه المكروبات فى مرضى مسروطين قلّ الرجاء فيهم ، وبعد أيام قلائل النهبت جـلود هذه الحيونات التجريبيّة من بنى الانسان بداء الحمرة وكاد يقضى عليهم قضاء مبرماً ، وفاز صاحبنا الأرعن ببرهانه : إن هذه الحبّـات السُّبحية Streptococcus سبب داء الحمرة

ولنضرب مثلاً آخر تلميذاً من تلاميذ كوخ ، وبطلا من الأبطال الذين ذهب بأسمائهم الزمان ، وعفى على ذكراهم النسيان ، ذلك الدكتور جاريه Garrè بمدينة بازل Basel ، فهذا الرجل سمع بستور يدّعى أن نوعاً آخر خاصاً من المـكروب هو سبب الدمامل التى تصيب الانسان ، فما كان منه إلا أن قام إلى أنابيب اختبار ملأى بهذا المـكروب فدعك بها ذراعه ، فـكان جزاءَه خُـراجٌ كبير وعشرون دُمّـلاً ؛ وكان من الجائز أن يذهب ضحية جسارته ، ولـكنه احتمل أوجاعه بسن ضاحكة ، ووَصف ما أتىَ بأنها تجربة « غير لطيفة » ، وصاح اغتباطا بفوزه قال : أنا الآن أعلم أن هذه الحبوب العنقودية Staplylooccus هى سـبب الدمامل والخراجات

وجاء عام ١٨٨٢ وقارب الختام ، وانتهى بانتهائه الخصام الشديد الذى قام بين بستور وكوخ ؛ وهو خصام على شدته لم يخل مما يضحك . أما بستور فانفض يتفرغ بكل حوله إلى غياث الشياه والأبقار الفرنسية مما أصابها . وأما كوخ فانفض يتشمم كالـكلب فى آثار مكروب جديد ، هو فى ذاته سهل القتل سريع الفناء ، إلا أنه مع هذا شر المـكروبات افتراساً للناس ؛ ذلك مكروب الـكوليرا . ففى عام ١٨٨٣ جاءت الـكوليرا من آسيا تطرق باب أوربا . فرّت من مخابئها فى الهند وتسلّـلت فى خفاء عَـبْرَ البحار ، وجازت الصحراء والرمال إلى مصر ، ثم انبثّت بعدواها المخيفة فى الاسكندرية ، وبقيت أوربا تنظر اليها من وراء البحر الأبيض وَجِـلة مرتاعة . خيّمت هذه الوافدة المُنكَـرَة على ميناء مصر الحيّة فخفّ نبض الحياة فيها ، وعم السكون شوارعها اكتئابا لفواجع النهار الحاضرة ، وارتقابا لفواجع الليل التى هى لا بد آتية ؛ ولم يكن يدرى الناس من أمر هذه الوافدة شيئاً ، إلا أنها وباء يسترق طريقه خُفية إلى جسم الرجل السليم فى الصباح ، فاذا أتى العصر التوى تشنجاً وانطوى ألماً ، فاذا خيّم الليل تباعد إلى الأبد ما بينه وبين الآلام

وتنافس كوخ وبستور فى كشف مكروب هذه الوافدة التى طلعت تُنذرها حمراء فى الأفق البعيد . وما التنافس بين كوخ

(١) ويسمى كذلك بالنار الفارسـية وبالرشكين وهو مرض وبائى ينتج من دخول المـكروب المذكور فى الجسم فيحدث فيه فوق الاختلال الباطنى اختلالا ظاهراً يبدو على الجلد فى صوره انتفاخات مستديرة حمراء ؛ وهو داء شديد الوطأة لاسيما على الأطفال والعجائز والـكبيرين

وبستور إلا تنافس بين ألمانيا وفرنسا . فقام كوخ وصاحبه جَفْسكي عن برلين قاصدين إلى مصر ، وحملا معهما مكرسكوبات وحيوانات ؛ وكان بستور في شُغْل شاغل يبحث مكروب الكَلَب ، فأوفد عنه أميل رُو Emile Roux ، والصموتَ السكوت توِّيه Thuillier وكان أصغر بُحّاث المكروب في أوربا . وعمل كوخ وصاحبه الليل والنهار ، فنسيا النوم والطعام ، وقاما في حجرات موحشة يقطِّعون جثث الموتى من المصريين . وقاما في معمل شديد الحر شديد الرطوبة حتى كاد جوه يتقطر ماء ، كما تقطرت أنفاهما عرقاً على مكرسكوباتهما ـ قاما يحقنان قردة وكلابا وقططا ودجاجا وفئراناً بالمواد الوبيئة التي استخلصاها من جثث الاسكندريين الذين ماتوا من الوافدة قريباً . ولكن بينما الفريقان الألمانيُّ والفرنسي يستميتان في طلب هذا المكروب الجديد ، إذا بالوافدة تتزايل لغير ماسبب ظاهر ، كما كانت جاءت لغير علة معروفة . ولم يكن منهم من تمكن من معرفة شيء عن المكروب المنظور ، فنظروا إلى الموت المتراجع نظرة الآسف على فرصة أمكنت ثم أفلتت

وهمّ كوخ وجَفْسكي بالرجوع إلى برلين ، وبينما هما يتأهبان للرحيل جاءهم رسول ينتفض ارتمادا ، فقال لهم : إن الدكتور توِّيه الباحث الفرنسي مات ، ومات بالكوليرا

كره بستور كوخ كرهاً شديداً ، وأخلص له الكره بقدر ما يكره الفرنسي الصميم ؛ وكره كوخ بستور كرهاً شديداً ، وأخلص له الكره بقدر ما يكره الألماني الصميم . ومع كل فما علم الألمانيان بالخبر حتى خفّا إلى رُو Roux يقدمان عزاءهما ويبذلان عونهما . وصحب كوخُ رفات توِّيه إلى مقره الأخير ، وقد حملوه في صندوق بسيط عار من الزخرف . ولدى قبره وضع كوخ على تابوته الأكاليل وقال « إنها غاية في البساطة ، إلا أنها من الغار . العرف يجرى بأن الغار هدية الأبطال » . مات هذا الشاب الجسور ، أماتته تلك المكروبات الضعيفة التي جاء يتقفاها اقتناصاً ، فاقتنصته في الطِّراد من حيث لا يدري

وانتهت جنازة هذه الضحية الأولى ، فعاد كوخ إلى برلين ومعه صناديق بها عيِّنات كان صبغها بصبغات قوية فتراءت فيها مكروبة على صورة الواو . فكتب تقريره إلى وزير الدولة ، وقال فيه : « لقد وجدت جرثومة واحدة في كل حالات الكوليرا التي بحثتها .... ولكنني لم أثبت أنها سبب هذا الداء ، فابعث بي إلى الهند حيث توجد الكوليرا دائماً . . . . في الذي وجدته مايكفي لتبرير إرسالي إليها »

وغادر كوخ برلين قاصدا كلكتا تصحبه ذكرى (توِّيه) وذكرى فاجعته التي كانت . وصحبه خمسون فأراً قام عليها وصياً راعياً . وزاد دوار البحر في عنته . فكثيراً ما تصورت ما خاله ركاب السفينة من أمره ، لعلهم ظنوه مبشراً حمله تحمسه على ماهو فيه ؛ أولعلهم حسبوه أستاذاً همه التنقيب عن تراث الهند القديم

ووجد كوخ تلك المكروبة الواوية في كل جثة من الجثث الأربعين التي فحصها . ووجدها كذلك في مَعَى المرضى عند أول إصابتهم بالكوليرا . ولم يجد أثراً لها في مئات الهنود الأصحاء الذين امتحنهم . ولم يجدها في أي حيوان سليم ، من الفأر الصغير الى الفيل العظيم

وسرعان ما تعلّم كوخ تربية هذه البشلات الواوية نقيةً على فالوذج حساء لحم الأبقار ، وما استطاع القبض عليها في أنابيب اختباره حتى درس عادات هذه المخلوقات النباتية الصغيرة الشريرة فعرف أنها تموت سريعاً إذا هي جففت ولو تجفيفاً طفيفاً ، وعرف كيف تتسلل إلى الرجال الأصحاء من ثياب الموتى وأفرشتهم بعد أن تتلوَّث بأقذارهم ؛ واستخرج هذه الواوات عينها من صهاريج الماء الآسن التي اجتمع الهندوس حولها في أكواخ حقيرة ، بل زرائب بائسة ، تخرج منها توجعات المرضى يستعْدون على الموت وليس من يُعدى ولا من يعين

وركب كوخ البحر عائداً إلى بلده ، فاستقبله الألمان استقبالهم قائداً عاد منتصراً ، واجتمع له العلماء الأطباء ، فقال فيهم : « إن الكوليرا لا تنشأ من ذات نفسها ، فلا بد للمكلور من ابتلاع بَشيلَّتها الواوية ، وهذه البشلة لا يمكن أن تنشأ إلا من بشلة مثلها ، وهي لا تنشأ من شيء آخر غير هذه البشلة ، وهي لا تنشأ من العدم ، وهي لا تنمو وتتكاثر إلا في أمعاء الانسان ، وإلا في الماء إذا زاد قذره كماء الهند »

ألا حمداً لكوخ ولأبحاث كوخ وشجاعته ، فهي التي أمَّنت أوروبا وأمريكا من غارات هذه الوافدة الشرقية ، ولم يبق لتلمين

العالم منها إلا تمدين الهند ونشر الأنظمة الصحيّة فيها

— ٨ —

ومن يد الأمبراطور نفسه تسلم كوخ وسام التاج بنجمته ؛ ومع هذا ظلت قبعته الريفية مطمئنة على رأسه الأكيس ؛ وكلما أعجب به المعجبون وأثنى عليه المادحون قال : « أنا إنما أفرغت كل وسعي ، فان كنت نجحت فوق نجاح غيري ، فما هذا إلا لأني وقعت اتفاقاً من مجاهل العلوم الطبية على أصقاع بكر بها التبر كثير مركوم . فليس لي في الذي وجدت فضل كبير »

كان البحّاث الذين اعتقدوا أن المكروبات أسباب الأدواء وأعداء الانسان رجالاً شجعاناً ، ولكن هذه الشجاعة لم تفت خصومهم من الأطباء الأقدمين وعلماء الصحة المحافظين الذين هزءوا بالأحاديث الجديدة عن المكروبات المزعومة وظنوها ضلالة وخرفاً ، ومن هؤلاء الخوارج الأستاذ الشيخ بيتنكوفر Pettenkofr ، أستاذ ميونيخ Munich ، وزعيم الشكاكين الذين لم تقنعهم تجارب كوخ على بساطتها ووضوحها . فلما عاد كوخ من الهند ومعه هذه المكروبات الواوية التي آمن بأنها أسباب الكوليرا ، كتب له بيتنكوفر ما معناه : « أرسل إلى شيئاً من جراثيم الكوليرا المزعومة ، وأنا أثبت لك أن لا ضرر فيها »

وبعث كوخ إليه بأنبوبة تمج بهذه الجراثيم القتالة ، فما كان من صاحبنا إلا أن رفعها إلى فمه وابتلعها ابتلاعاً . فارتاع كل صياد يؤمن بالمكروب ، فقد كان في هذه الأنبوبة بلايين من هذه الواوات تكفي لعدوى جيش ؛ ولكن الأستاذ تمطى بعد ما شربها استخفافاً وصاح يتحدّى من خلل لحيته الكثة : « والآن فلنصبر وننظر هل تجيئني الكوليرا كما زعمون » ، وانتظروا ولكن الكوليرا لم تأت لهذا الأستاذ المجنون ، ولأي سبب تخلفت ؟ لم يعلم أحد عندئذ ولا يعلم أحد إلى الآن من مر هذا شيئاً

بلغ النزق الجسور بيتنكوفر أن قام بتجربة جاز أن يكون بها قضاؤه ، وبلغ كذلك به اليقين بعدها أن زعم أنها قضت له فيما بينه وبين خصومه . فصاح فيهم : « ليس للمكروب شأن في الكوليرا ، إنما الشأن لاستعداد الشخص المصاب » ، والاستعداد كلمة مبهمة لا مفهوم لمعناها

فصاح كوخ يجيبه : « لا كوليرا إلا بالبشلات الواوية »

فرد عليه بيتنكوفر : « ولكني بلعت الملايين من بشلاتك القاتلة في زعمك ولم يصبني حتى وجعٌ في بطني »

كان في هذا الحوار ، وا أسفاه ، ما يكون بكل حوار على شديد : كلا الطرفين مصيب ببعض الاصابة ، وكلاهما مخطئ ببعض الخطأ . فقد توالت الأربعون عاماً التي جاءت من بعد كوخ بحوادث كلها تؤيده في قوله إن الناس لا تأتيهم الكوليرا إلا إذا هم بلعوا بشلاته الواوية ؛ وكل السنين التي توالت علمتنا أن تجربة بيتنكوفر ما هي إلا مثل غامض من كثير أبت حُجُب المجهول أن تكشف لنا عن تفسيره ، حتى في هذا العصر الحاضر الذي نحن فيه يعجز بحاث المكروب عن رفع طرف واحد من تلك الحجب الكثيفة ، فالمكروبات الفاتكة تملأ الكون ، وتتسلل إلى كل مكان ، وهي مع ذلك لا تقتل منا إلا بعضنا ؛ أما بعضنا الآخر فانه يقاوم مقاومة تحير عقولنا اليوم كما حيرت عقول الجيل الصاخب في العقد الخامس من القرن الماضي ، حين الرجال لا يبالون بالموت في سبيل اثبات ما يدعون أنه الحق ؛ فما كان بيتنكوفر هازلا فيما صنع . وكيف يهزل من مشى الى الموت حتى صار منه على مدى شبر واحد . وقد بلع غيره من البحّاث على غير عمد مثل الذي بلع من مكروب الكوليرا وماتوا على أثر ذلك شر ميتة

وما قاربت أيام كوخ العظيمة تمامها حتى أخذ بستور وأعماله الكبرى تتراءى مرة أخرى ضخمة هائلة ، فتلفت الناس والدنيا وتَزُجّ بكوخ وبغيره من البحاث الى الوراء في رقعة الحوادث الخطيرة . فلندع الآن كوخ ، ولنتركه إلى مواطنيه الطمّاحين ينصبون له غير عامدين شركا ، بل داهية عظمى ومأساة كبرى طمست قليلا من وهج هذا الأسم الكبير ، اسم الرجل الذي اقتنص من اعداء الانسان والحيوان مكروب الجمرة ومكروب الكوليرا ومكروب السل . وقبل أن أعود الى بستور فأكشف عن الصفحة الأخيرة الناصعة من سفر حياته الخالد ، دعوني أرفع قبعتي وأنحني احتراما لكوخ — هذا الرجل الذي أثبت يقينا أن المكروب ألدّ أعدائنا ؛ هذا الرجل الذي نظّم بحث المكروب فجعل منه علماء ؛ هذا الربّان الذي قاد السفائن في عصر من بطولة وأبطال عفّى الآن عليه النسيان بعض العفاء

(انتهى كوخ)

أحمد زكي

من روائع الشعر الأندلسي

رثاء الأندلس

لشاعر أندلسى مجهول

. . . . قصيدة بليغة من الأدب الأندلسى الرائع تصف أحسن وصف المأساة الأندلسية لم نعثر على قائلها ، وقد طبعها لأول مرة على ما يظهر الأستاذ الدكتور صوالح محمد بالجزائر سنة ١٩١٤ مع ترجمة فرنسية وبعض تعليقات بالفرنسية ذكر فيها أن هذه القصيدة من جملة قصائد بعثت إلى السلطان بايزيد العثمانى بقصد الاستغاثة ، وأشار إلى أن صحيفة الزهرة التونسية نشرت نتفاً منها منذ سنوات وطلبت من الادباء أن يعلنوا عن صاحبها إذا عرفوه ، ولكن لم يجب الصحيفة أحد : فبقى صاحبها مجهولا ؛ وقد عرضتها على المؤرخ المغربى الكبير السيد محمد بن على الدكالى السلوى فذكر لى أن صاحبها كما يفهم من القصيدة من مدينة المرية ، ولعله أبو جعفر بن خاتمة ، وقد تكون مذكورة فى كتاب له يسمى مزية المرية الموجود منه نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال

ولقد احببت أن أرسل إليكم نصها لكى تنشروه فى مجلتكم الحافلة إذا راقكم لعل بين المشتغلين بالأدب الأندلسى من له معرفة بقائلها فيعلنه

سلا — مراكش عبد الرحمن حجى

أحقاً خبا من جوّ رندة نورها   وقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت   منازهها ذات العلا وقصورها
أحقاً خليلى أنّ رندة أقفرت   وأزعج عنها أهلُها وعشيرها
وهُدّت مبانيها وثلت عروشها   ودارت على قطب التفرق دورها
وكانت عقاباً لا يُنال مطارُها   ومعقل عز زاحم النسر صورُها
هوت رندة الغراء ثم حصونها   وأنظارها اشنماء (كذا) عز نظيرها
وقد كن عقدا زين القطر نظمها   فقد فتح الآن البلاد نثيرها
وفرق شمل المؤمنين لهيبها   وقطع من أرحامهم زمهريرها
تسلمها حزبُ الصليب وقادَها   وكانت شروداً لا يقاد نَفورُها
وقد ذهبت أديانها ونفوسها   وقد دثرت تحت السباء دثورها
فباد بها الاسلام حتى تقطعت   مناسبها واستأصل الحق زورها
وأصبحت الصلبان قد عبدت بها   تماثيلها دون الاله وصورها
لقرع النواقيس اعتلى بمنارها   كرانه أصوات يروع صريرها
فيا ساكني تلك الديار كريمة   سقى عهدكم مزن يصوب نميرها
أحقاً أخلائى القضاء أبادكم   ودارت عليكم بالصروف دهورها
فقتل وأسر لا يفادى وفرقة   لدى عرصات الحشر يأتى سفيرها
لعمر الهدى ما بالحشا لفراقكم   سوى حُرَق سُحم تلظى سعيرها
ولوعة ثكل ليس يذهب روعها   ولا تنقضى أشجانها وزفيرها
ونفس على هذا المصاب حزينة   يذوب كما ذاب الرصاص صبورها
وقلب صديع ماج فيه بلاؤه   سويداؤه سوداء جمّ ثبورها
سأبكى وما يجدى على الفائت البكى   بعبرة حزن ليس يرقا عبورها
شآبيب دمع بالدماء مشوبة   يساجل قطر الغاديات درورها
عويلا يوافى المشرقين بريحه   وثكلا بأقمار قد أطفئ نورها
فواحسرتا كم من مساجد حولت   وكانت إلى البيت الحرام شطورها
ووا أسفا كم من صوامع أوحشت   وقد كان معتاد الأذان يزورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى   وآياتها تشكو الفراق وسورها
وكم من لسان كان فيها مرتّل   وحفل بختم الذكر تمضى شهورها
وكم من فتى ثبت الجنان مهذب   يود المنايا وهو كان يديرها
يصول على الأبطال صولة ضيغم   فيرهبه شبل الشرى وهصورها
له فى سبيل الله خير نقيبة   تزان لها عين الجنان وحورها
له فى جناب الكفر أجدى نكاية   وشعواء غارات يثاب مغيرها
يُراع لها دين الصليب وحزبه   ويخزى بها غُنصالها وزُميرُها
وكم أنفس كانت لديه أسيرة   فأضحى لعمر الله وهو أسيرها
يحكم فيه الشرك وهو موحد   كما قد قضى جبارها ونذيرها
وكم طفلة حسناء فيها مصونة   إذا سفرت يسبى العقول سفورها
تميل كغصن البان مالت به الصبا   وقد زانها ديباجها وحريرها
فأضحت بأيدى الكافرين رهينة   وقد هتكت بالرغم منها ستورها
وقد لطمت وا حر قلبى خدودها   وقد أسبلت وادمع عينى شعورها
وإن تستغث بالله والدين لا تغث   وإن تستجر ذا رحمة لا يجيرها
وقد حيل ما بين الشفيق وبينها   وأسلمها آباؤها وعشيرها
وكم من عجوز يحرم الماء ظمؤها   على الذل يطوى لبثها ومسيرها
وشيخ على الاسلام شابت شيوبه   يعزق من بعد الوقار قتيرها
وكم فيهم من مهجة ذات ضجة   تود لو انضمت عليها قبورها
لها روعة من وقعة البين دائم   أساها وعين لا يكف هديرها
وكم من صغير حيز من حجر أمه   فأكبادها حراء لفحٌ هجيرها
وكم من صغير بدل الدهر دينه   وهل يتبع الشيطان إلا صغيرها
وكم من شقىّ يسرت هذه له   سبيلاً إلى المسرى يحيف كفورها

كروب وأحزان يلين لها الصفا عواقبها محـــذورة وشرورها

فيا فرحة القلب الذى عاش بعدها ويا لعمى عين رآها بصـــيرها

ويا غربة الاسـلام بين خلالها . ويا عثرة أنّى يقـال عثورها

ويا ليت أمى لم تـلدنى وليتنى بليت ولم يلفح فؤادى حرورها

وماخير عيش يعذب الموت دونه ويغبط قل الأهل فيه كثيرها

فيا ليت شعرى بعد ماصح موتها أيرجى على رغم العداة نشورها

ويا ملة الاسلام هل لك عودة لأرجائها يشفى الصدور صدورها

وهل تسمع الآذان صوت الأذان فى معالمها تمـــلو بذاك عقيرها

ويا لعزاء المؤمنين لفاقـــة على الرغم أغنى من لديها فقيرها

لأندلسَ ارتجت لها وتضعضعت وحق لديها محوها ودثورها

منازلها مصـدورة وبطاحها مدائنها موتورة ونفـورها

تهائمها مفجوعة ونجودها وأحجارها مصدوعة وصخورها

وقد لبست ثوب الحداد ومزقت ملابس حسن كان يزهو حبورها

فاحياؤها تبدى الأسى وجمادها يكاد لفرط الحزن يبدو ضميرها

فلو ان ذا الف من البين هالك لذابت رواسيها وغاضت بحورها

على فرقة الدين الذى جاءها به بشـير الأنام المصطفى ونذيرها

فمالقة الحسناء ثكلى أسيفة قد استفرغت ذبحاً وقتلاً حجورها

وجزت نواصيها وشلت يمينها وبدل بالويل المبـين سرورها

وقد كانت الغربيّة الجُنّنَ التى تقيها فأضحى جنة الحرب سورها

وبلّش قطت رجلها بيمينها ومن سريان الداء بان قطورها

وصحّت على تلك الثنيات حجرها فأقفر مغناها وطاشت حجورها

وبالله إن جئتَ المنكب فاعتبر فقد خف ناديها وجفّ نضيرها

وسكّرُها قد بدل اليوم علقما لها رجة نار الهيـام تثيرها

وعرجْ على الاقليم فابك ربوعها بسحب يضاهى المصرات خريرها

وودع بها وفد النعيم فانها لها أدمع فين الدموع يميرها

ألا ولتقف ركب الأسى بمعالم قد ارتج باديها وضج حضورها

بدار العلى حيث الصفات كأنها من الخلد والمأوى غدت تستطيرها

محل قرار الملك غرناطة التى هى الحضرة العليا زهتها زهورها

فما فى العراقين المتيقين مثلها ولا فى بلاد الله طراً نظيرها

تُرى الأسى أعلامها وهى خشع ومنبرها مستـعبر وسريرها

ومأمومها ساهى الحجى وإمامها وزائرها فى مأتم ومزورها

لها حال نفس قد أصيب فؤادها وبتت لها اليمنى وحم تبورها

فأنفسها فى الصعق دون افاقة كنفس كليم الله إذ دك طورها

وقد ذعرت تلك البنيّات حولها فهن بواكى الأعين الرمد مُورها

وقد رجفت وادى الأشى فبقاعها سكارى وما استاكت بخمر ثغورها

لقد اظلمت حتى لفرط حدادها سواء بها نجل العيون وعورها

وبسطة ذات البسط ما شعرت بما دهاها وأنى يستقيم شعورها

على عظم بلواها وطول وبالها وما كابدت من ذا المصاب نحورها

وما أنس لا أنس المرية إنها قتيلة أوجال أزيل عـذارها

فلو أحرق الثكل المصابين أصبحت تأجج من حر الوجيف بحورها

فيا أصدقائى ودعوها كريمة أو استودعوها مَن اليه أمورها

منازل آبائى الكرام ومنشئى وأول أوطان غذانىَ خِيرها

وأقروا عليها من سلامى تحية تجددها آصالها وبكورها

أمانانها ضاعت فضاعت رقابها لقد عميت عين تبـدد نورها

أضعنا حقوقَ الرب حتى أضاعنا وقضت عرى الاسلام إلا يسيرها

وملتنا لم نعرف الدهر عرفها من النكر فانظر كيف كان نكيرها

بما قد كسبنا نالنا ما أنالنا كذا السيرة السوأى لدى من يسيرها

بشقوتنا الخذلانُ صاحب جمعنا ويؤنا بأحوال ذميم حضورها

بمصياننا استولى علينا عدونا وعاثت بنا أسد العدا ونمورها

نعم سـلبوا أوطاننا ونفوسنا وأموالنا فيئا أبيحت وفورها

علوها بلا مهر وما غمزت لهم قناة ولا غارت عليهم ذكورها

وقد عوت الافرنج من كل شاهق علينا فوفّت للصليب نذورها

وقد كثرت ذؤبانها وكلابها وقد كسرت عقبانها ونسورها

وجاءت إلى استئصال شأفة ديننا جيوش كموج البحر هبت دَبورها

علامات أخذٍ مالنا قِبَلٌ بها جنايات أخذ قد جناها مثيرها

فلا تمتحى إلا بمحو أصولها ولا تنجلى حتى تحط أصورها

معاشر أهل الدين هبوا لصعقة وصاعقة وارى الجسوم ظهورها

أصابت منار الدين فانهد ركنه وزعزع من أكنافه مستطيرها

أدارت على غربية الدهر أكؤساً فظاعا بسكر الدهر تقضى خمورها

ودبت أفاعيها إلى كل مؤمن وعضّ بأكباد التقاة عقورها

أنادى لها عجم الرجال وعربها نداء سراة القفر إذ ضل عيرها

وأستنفر الأدنى فالادنى فريضة على زمن الاسلام جلت أجورها

على كل محتاج لفضل دفاعها فليس يؤدى الفرض إلا نفيرها

ألا وارجعوا يا آل دين محمد إلى الله يغفر ما اجترحتم غفورها

أنيبوا وتوبوا واصبروا وتصدقوا وردوا ظُلامات يبيد نقيرها

ومن كل ما يردى النفوس تطهروا فليس يزكى النفس إلا طهورها

لا واستعدوا للجهاد عزائما ... يلوح على ليل الوغى مستنيرها
بأسد على جُرد من الخيل سبق ... يدعُ الأعادى سبقها وزئيرها
بأنفس صدق موقنات بأنها ... إلى الله من تحت السيوف مصيرها
تروم إلى دار السلام عرائساً ... على الله فى ذاك النعيم مهورها
وضرب كأن الهام تحت ظلالها ... حثالة نور الورد ذرّ ذرورها
وطعن برى الخطّىّ فى مهج العدا ... كأقلام ذات الخط خطت سطورها
بعين هدى إن تتقوا الله تنصروا ... وتحظوا بآمال يشوق غريرها
فلا يخذل الرب المهيمن أمة ... تدين بدين الحق وهو نصيرها
وان أنتمُ لم تفعلوا فترقبوا ... بوادر سخط ليس يرجى فتورها
وأيام ذل واهتضام وفرقة ... يطاول آناء الزمان قصيرها
وأهدوا لدين الشرك كل خريدة ... خبتها على طول الليالى خدورها
وكل نفيس من نفوس كريمة ... وأعلاق أموال خطير خطيرها
وحق العظيم الشان لاعيش بعدها ... بلايا يمر الطيبات مرورها
فترفع شكواها لعالم سرها ... فليس لها فى الخبر الاخبيرها
عدا أكف الذل فى باب عزه ... بافئدة خوف الفراق يطيرها
فان لم يقيل رب العباد عثارنا ... فهذا العدو الضخم حتما يبيرها
إلـه الورى ندعوك ياخير مرتجى ... لكالحة هز الصليب سرورها
وشقت جيوب المؤمنين وأسخنت ... عيونهمُ والكفر ظل قريرها
وليس لها ياكاشف الكرب ملجأ ... إذا لم يكن منك التلافى ظهيرها
أغث دعوات المستغيثين انهم ... ببابك موقوفوا الحشاشات بورها
وليس لهم إلا الرسول وسيلة ... شفيع الورى يوم التنادى بشيرها
امام الهدى بحر الندى قامع العدا ... وأول رسل الله فضلا أخيرها
محمد المختار من آل هاشم ... سراج السموات العلى ومنيرها
دعوناك أملناك جئناك خشعا ... بأنفس استولى عليها قصورها
بجاه العظيم الجاه أدرك ذماءنا ... برحمى يحلّى المؤمنين شذورها
وعفو وتأييد ونصر مؤزر ... وعزة سلطان يروق طريرها
ولطف وتسديد وجبر لما مضى ... يدال به من كل عاد كسيرها
وأرسل على هذا العدو رزية ... يروح ويغدو بالبوار مبيرها
يشتت شمل الكفر تشتيت نقمة ... وينظم شمل المؤمنين حصيرها
وصلّ على خير البرية أحمد ... وأكرم من قد أنجبته ظهورها
وأصحابه الشهب الهداة وآله ... صلاة مع الآناء يزكو عبيرها

تنبيه — قد وضعت لفظة (كذا) على بعض الكلمات فى القصيدة إشارة لعدم ملاءمة اللفظة للمعنى أو لاضطراب فى الوزن

٢ ـ سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

كذلك تستعمل الماشية فى القرابين ، ليكون هناك اتصال بين النوير والآلهة وأرواح أجداده ، فمثلا فى أوقات الشدائد مثل المرض والموت والتشليخ (تشريط الوجه) والزواج يجب أن يحوز النوير رضاء الأرواح الطيبة ، وذلك بأن يُستحضر عجل أو كبش ، ثم يوضع على ظهره مسحوق من الرماد ، ثم يقول له صاحبه ما يريده من الأرواح ، ثم يطلق إلى حال سبيله لكى يخبر الأرواح بما يريده سيده

والنوير يرى دائماً أنه لا بد أن توجد علاقة بينه وبين الأرواح ، وذلك بكون باهدائها بقرة ، وهذه البقرة تترك فى المنزل ولا يحل له ذبحها أو استعمالها لأى غرض من الأغراض ما دام قد وهبها للأرواح . فاذا ماتت فان أحد أولادها يحل محلها كحلقة اتصال بين النوير والأرواح . والقطيع من الماشية تتعهده مجموعة من الأفراد تجتمع لهذا الغرض ، إذ لا يمكن أن يتعهده فرد واحد . ومن ذلك يتبين الى أى حد بلغت علاقة النوير بالماشية خصوصا إذا ما علمنا أن أى فرد من هذه المجموعة لا يمكن أن ينفصل عنها ، لأن طعامه اليومى وزواجه ونجاته من شر الانتقام متوقف على بقائه داخلها . وهكذا يظل النويرى طول يومه يرعى ماشيته ولا حديث له سواها ، ولذا قلما ينادى رجل من النوير باسمه ، بل يعرف باسم أحد (عجوله أو ثيرانه) ، فمثلا بدل أن ينادى رجل باسمه ينادى بهذه العبارة : (أيها الثور أو العجل الأسود الأبيض ذو القرنين)

والنوير ينقسمون إلى عدة قبائل كل منها مستقل سياسياً ، ولكل منها مقاطعة تتمتع بكل مواردها الاقتصادية ، وكل واحد منهم يعرف حدود مقاطعته ، وإذا حدث أن أحد أفراد قبيلة استغل موارد مقاطعة أخرى غير مقاطعته فان ذلك يعتبر اعتداء يثير الحرب على الأثر ، فاذا قامت الحرب فانها لا تقف إلا إذا تساوى عدد القتلى فى الطرفين

والأستاذ الدكتور ايفانز بريتشارد يشرح النظام الحربى كما يأتى :

تنقسم القبيلة إلى قسمين ا ، ب ، وكل قسم من هذين ينقسم إلى قسمين ، فـ ا تنقسم إلى حـ ، د ، ب تنقسم إلى هـ ، و . وهذه الأقسام الصغيرة تنقسم إلى أصغر منها وهكذا

فاذا نشبت الحرب بين ل ، ك لا يتدخل أحد ، وإذا نشبت بين ل ، م تدخل ك فى صف ل ، وإذا نشبت بين ل وأى فرع من فروع ك فان جميع الأجزاء التى تتفرع من حـ ، د تشترك مع ل فى الحرب

وإذا كان هناك حرب بين هذه القبيلة وقبيلة أخرى فان جميع فروع هذه القبيلة المكونة ا ، ب تنضم ضد القبيلة الأخرى

وعلى العموم فما دامت الحرب بين أجزاء القبيلة فان القبيلة تتحد ضد أى عدو خارجى

والنوير عبارة عن عدة قبائل تربطها الحفلات العامة والظروف الحربية والدينية والقصص القديمة ، هذا علاوة على الروابط الجنسية كرابطة الدم مثلا . والعادة المتبعة أن الرجل لا بد أن يتزوج من قبيلة غير قبيلته

ومن أهم المظاهر الاجتماعية بين النوير مسألة التشاليخ (تشريط الجبهة) فكل ولد يبلغ من العمر أربع عشرة سنة لا بد أن تعمل له ستة شروط (أو خطوط) على جبهته من الأذن إلى الأذن الأخرى ، وبذلك يعتبر أنه أصبح رجلا ، فتتغير حياته الاجتماعية ، ويصبح عليه بعض الواجبات نحو المجتمع الذى يعيش فيه . ومن أمثلة هذا التغير أنه لا يقوم بتربية الماشية ، وعليه ألا يحلبها إذ يقال إن البقرة إذا حلبها شخص مشلخ فانها تموت ، وعملية التشليخ هذه أدت إلى ظهور الحلقات الاجتماعية المختلفة ، فمثلا كل الصبية الذين يشلخون فى سنة واحدة يكونون حلقة واحدة وعليهم واجبات نحو بعضهم وأخرى نحو الرجال المحترمين فى مجتمع النوير . وهذه العملية تعمل كل أربع سنوات ؛ فمثلا إذا أقيمت عملية التشليخ سنة ١٩٣٠ فان عملية التشليخ الثانية تكون سنة ١٩٣٤ ، وبذلك يمكن تقسيم النوير من الوجهة الاجتماعية إلى قسمين : (١) الرجال الشاخون (٢) الأولاد غير المشلخين . والنوير ليس عندهم رجال شرطة أو محاكم او نظم

حكومية ، وإنما يعتمدون على بعض الرجال الروحانيين أو رجال الدين ، وأهم هؤلاء (اللوبارد) ، ويقوم بحل الخصومات وارغام الخصم على قبول التعويضات ، ومع ذلك فسلطته غير عملية ، فليس لديه من وسائل العقاب إلا أن يلعن الشخص غير المطيع لأوامره . وهذا قلما يحدث لأن النوير يخاف سلطة هذا الرجل . كذلك يوجد عدد كبير من الرؤساء المختلفين مثل رئيس الماشية ورئيس الأسماك وغيرهما

الشلك

وهم المجموعة الثانية من الزنوج النيليين ويشبهون النوير في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، ولكنهم يمتازون بنظام حكومتهم ، فهم يكونون وحدة متينة برآسة ملك مطلق التصرف من حيث السلطة الروحانية والزمنية

ولدراسة مركز هذا الملك من الوجهة الروحانية يحسن أن نرجع إلى القصة التي يذكرونها عن منشئهم ، فهم يذكرون أن (نيا كنج) أخذ أتباعه وسار من موطنه الأصلي شمالاً إلى منطقة شرق بحر الغزال ، واستمر في الفتح والغزو حتى كون أمة وأسرة مالكة . (ويعتبر هذا الرجل بطل الشلك وربما كان ذلك في أوائل القرن السابع عشر) وإنه لم يمت بل تلاشى في الرياح . وبذلك أصبح موضع احترامهم منذ اختفائه . ويعتقدون أن روحه تنتقل إلى كل ملك يحكمهم ، وهذا هو السبب في المركز الروحاني لملك الشلك . ولذلك فهم يعتقدون بأن الملك مسئول عن سعادة شعبه ؛ ولا بد لكي يكون ذلك ممكناً أن تنتقل روح نيا كنج إلى ملك قوي صحيح الجسم ؛ ونتج عن ذلك الاعتقاد أن الملك إذا أظهر ضعفاً بأي شكل كان لا بد من أن يذبحوه لأنهم كانوا يظنون أن ضعف الملك الجسماني يضعف روح نيا كانج وبذلك تمرض الماشية ويقل نتاجها ويموت كثير من المرضى ويضعف نتاج الأرض وربما يخيب المحصول

وتدخل روح نيا كنج جسم الملك أثناء حفلة التتويج . وحسب تقاليد الشلك القديمة كان أي فرد من العائلة المالكة يتمكن من قتل الملك كان يحل محله ولذلك أصبح من المفروض أن الملك ينام نهاراً ويستيقظ ليلا كيما ينجو من الفتك به على انفراد . ومن التتبع أن الملك لا يطلب المعونة أثناء الاعتداء عليه كذلك القاتل . فكلا الاثنين يرى أنها مسألة كفاح ومن الشرف أن يفوز أحدهما على الآخر . هذه هي الطريقة القديمة لقتل الملك وتنصيب غيره وحديثاً تغيرت تلك العملية إلى حد ما فيقوم بقتل الملك جماعة يسمون (أورورو) وينتخبون من بعض العائلات التي يقال إنها من سلالة الملك الثالث للشلك . ومنذ قرون كانت تعلق جثة الملك على سور كوخ حتى يفنى

وتعقب قتل الملك عادة فترة يكون العرش فيها خالياً لمدة أشهر وفي هذه المدة يحضرون تمثالا للبطل نيا كنج من مكان مقدس بجهة أكروا يحملونه إلى فاشودة حيث مقر الملك . ويحضرون معهم أيضاً مقعداً ذا أربعة أرجل يزعمون أنه من بقايا أمتعة نيا كنج وتجرى عملية التتويج وأبدع ما فيها أن يوضع التمثال على الكرسي قليلاً ثم يرفع ويجلس الملك الجديد مكان التمثال توا . والغرض من هذه المسألة هو نقل روح نيا كنج إلى جسم الملك الجديد . وملك الشلك يعتبر مسئولا عن حفلة نزول المطر إذ يطلب من الملك نيا كنج الذي يعيش في الفلك أن ينزل المطر . وهذه الحفلة تقام في فاشودة وفي نفس الوقت يقوم بهذه الحفلة ممثلوه في أجزاء مملكته المختلفة

الدنكا

ويشبهون كلا من النوير والشلك في كثير من الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية وهم المجموعة الثالثة من الزنوج النيليين . ويحاكون الشلك في مسألة الرئيس الذي يقوم بحفلة المطر فهو ملك مقدس أيضاً . غير أنهم يخالفون الشلك في مسألة قتل هذا الرئيس ، فهم لا يقتلونه بل يتركونه حتى يصبح هرماً ويطلب القتل ، إذ يرى أنه أصبح غير كفء لقيادة قومه وإرشادهم . وعملية القتل تنفذ كما يأتي : ينام هذا الرجل على لوح من الخشب على شكل (نقالة) ويوضع في قبر أعد له حيث يبقى نحو أربع وعشرين ساعة يتلو في خلالها ملخصاً لأعماله وينصح للجمع المحتشد حول القبر حتى إذا ما خارت قواه وأصبح غير قادر على متابعة الكلام طلب من أتباعه اغلاق القبر فيختنق ويموت . وهو يفضل هذا النوع من الموت على الموت الطبيعي لأنه يرى أنه إذا ترك حتى يموت موتاً طبيعياً فإن ابنه لا يمكنه أن يخلفه وعند ذلك تصبح القبيلة في حاجة الى رئيس روحاني يقوم بعملية جلب المطر

(يتبع)

رشوانه أحمد صادق

الشك لا يهدى

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

— ١ —

رأيتُ الهدى فى الشكّ والشك لا يهدى
كأنىَ بالظلماء قد كنتُ أستهدى

فطوراً أقول الروح كالجسم هالك — وطوراً أقول الهُلكُ عنه على بعد
فيالك من شك يبرّح بى ولا — يبارحنى حتى أوسّدَ فى لحدى
و إنىَ لا أدرى أرشدىَ كان فى — ضلالىَ هذا أم ضلالىَ فى رشدى
أأفقد جسمى وحده عند ميتتى — أم الروح مثل الجسم يشمله فقدى
أروحٌ وجسمٌ أم هو الجسم وحده — يحرّكنى فيما يضلّل أو يهدى
أعذّب حوبائى بما أنا فاكرٌ — كأنىَ من أعداء حوبائىَ اللُدّ

— ٢ —

إذا كان روحى مثل جسمىَ يهلك — فانى لأبكى فى مصابى وأضحك
ولو خيرونى بين تركى لواحد — فانى لجسمى دون روحىَ أترك
يحرّكُ روحى الجسمَ وهو يحلّه — فمن ذا لهذا الروح فىّ يحرّك
وقبل وجودى أين كان مكانه — فهذا هو الشىء الذى لستُ أدرك
وقد يستطيع الروحُ حلاً لمشكلى
ولكن مجالُ الروح فى الجسم يضنك
وأطلب من عقلى الهدى فى ضلالتى
ومن أين يعطى العقلُ ماليس يملك
دع الموتَ يأتى فتكه بهما معاً — كما كان هذا الموت بالناس يفتك

— ٣ —

عهدتك يا روحى إلى الحق تجنح — فهل بجواب إن سألتك تسمح
تقول سأبقى بعد موتك خالداً — أأنت تريد الجدّ أم أنت تمزح
فان كان جداً ما تقول فما الذى — ستصنع بعدى يومَ منى تبرح
تجيب وقد يُغرى جوابك قائلاً — سألحق أرواحَ الذين تطوحوا
و إن الفضاء الرحبَ ما زال طافحاً — بأرواح موتى فى السموات تسبح
فقلت له مر فى سبيلك راشداً — ولا تنس جسما ليس بعدك يصلح
فياروح قبّلنى وصافح مُودّعاً — فانىَ لا أدرى متى لك ألمح

— ٤ —

نهارٌ لسيل النور فيه دفوق — وليلٌ كأن النجم فيه خروق
ألوفٌ من الأكوان تقصو كأنها — تريد اتساعاً بالفضاء يليق
وعند افتكارى فى الوجود كأننى — أخوض خِضماً والخِضمُ عميق
طريقى لإدراك الشؤون معبّدٌ — ومالى لإدراك الوجود طريق
فيا نفس سيرى فى الفضاء طليقةً — فلا شىء فيه للنفوس يعوق
لأنتِ شعاع طار من مستقرّه — وكلُ شعاع بالبقاء خليق
تحيق المنايا بالجسوم كثيفة — وأما بأرواحٍ فليس تحيق

— ٥ —

يقولون إن النفس حقٌ وجودُها — فلا ينبغى إنكارها وجحودها
و بعد الردى تطوى السماء خفيفةً — و إن بعدت فى اللاتناهى حدودها
وما الجسم إلا دولة مستقلة — لها حكمُها فى أهلها وجنودها
وما أهلها إلا خلايا صغيرة — وما النفس ذات الحول إلا عميدها
وما هى إلاّ ومضةٌ من شعاعة — فان خلدت ما كان بدعاً خلودها
فقلتُ لهم هذا جميلٌ وعله — خيالاتُ عقلٍ شاردٍ لا أريدها
ولم يكن الانسان إلاّ ابن غابةٍ — على فُجاءةٍ قد أنجبته قرودها

— ٦ —

سيطفئ يأسى فى المشيب حياتى — واذهب من نور إلى ظلمات
ويحملنى صحبى إلى القبر إننى — به بعد حين لست غيرَ رفات
تقطّعُ أوصالى وتبلى جوانحى — وليس بوسعى أن أبثّ شكاتى
وأجمل بأيام الصِّبا فهى لم تكن — على الفم من دهرى سوى بسمات
ولكن أيام الصبا قد تصرّمت — ولم تبقِ ذكراها سوى الحسرات
وفارقتُ أيامَ الشباب حميدةً — و إن كثرت فى عهده عثراتى
قضيت شبابى مُطمئناً و بعده — أتى الشيب منهوكاً من الشبهات

— ٧ —

من الموت مهما مضّ لستُ بخائف — ولكن وراء الموت ماذا ما صادفى
خضعتُ لعقلى فى حياتىَ كلها — وما كنت يوماً خاضعاً لعواطفى
وكنت إلى لمس الحقائق نازعاً — أنزهُ سمعى من سماع السفاسف
تعذّبتُ عمراً من مخالفة الورى — فياليتنى قد كنت غيرَ مخالف

عجبت لجذعى كيف ظلّ مقاوماً … فقد كان معروضاً لضرب العواصف

لقد قذفتنى بالمسبات ثلةٌ … ولم أتجنّب شرّ تلك القذائف

وكم شنّ ذو جهل على العلم غارة … وكم كان ذبّى صادقاً فى مواقفى

— ٨ —

تجمّع يرمينى خميس عرمرم … أأنكص كالمغلوب أم أتقدم

ولكننى اخترتُ التقدّمَ إنه … لمن كان يستبقى الحياةَ لأسلم

وللعلم أنصارٌ وللجهل مثلُها … ولكن أنصار الجهالة أعظم

لقد حاربونى بالمسبّة والخنا … وحاربتُهم بالعلم والعلمُ مخذم

إذا كان ليلى قد تجهّم وجهُه … فان صباحى بعده يتبسّم

يقصّ عليك الشيخُ منهم خرافةً … فتحسب أن الشيخ فى النوم يحلم

تصرّم عهدُ الجهل فى الغرب كله … ولكنه فى الشرق لا يتصرّم

(بغداد) جميل صدقى الزهاوى

الحق هو القوة

للأستاذ ابراهيم ابراهيم على

ذهب السكوت فلا سكوت … (شعبٌ ينام ولا يموت)

إن كنتَ من ذهب فانـ … ـك من نسيج العنكبوت

الصمت يطلب عن خناً … لا عن صلاةٍ أو قنوت

والصمت يحسن فى التفا … خر بالخزائن والبيوت

والصمت يُحمد فى التكا … ثر بالكراسى والدسوت

وعن الأكاذيب المشا … عة فى جهارٍ أو خفوت

والصمت أجمل فى المقا … بر وهى واعظةٌ صموت

أما عن الحق المضا … ع فليس يحتمل السكوت

لم تكتمون الحق عن … أوقاته حتى تفوت ؟

لم تحبسون الحق فى … أعماقكم كيما يموت ؟

***

الحق حر مطلقٌ … مهما تعثّر فى القيود

الحق صوت صائحٌ … فى صرخةٍ أو فى همود

الحق ضـوء نافذٌ … مهما تكاثفت البرود

مهما تعددت السـ … ـدود عليه فاخترق السدود

***

الحق ينطق (فتنةً) … فى اللحظ حيناً والخدود

فى الشمس تشرق من أعا … ليها على هذا الوجود

فى البدر. فى زهر الكوا … كب. فى الرشاقة والقدود

فى البحر مضطرباً وفى … أمواجه بعد الركود

فى الغصن كلل بالزهو … ر وبالبنفسج والورود

فى الروض أيقظه الندى … فى الصدر زانته النهود

***

الحق ينطق (قوةً) … والحق أقوى، لا مراء

فى البحر يضرب موجُه … حتى ليرتعب الفضاء

فى الرعد. فى السيل المحطـ … ـم. فى العواصف والبلاء

فى النار تفتك بالحديـ … ـد، كأنه النسج الهِواء

فى ثورة البركان فى … غضب الزلازل وهى ماء

فى سطوة الأيام تقـ … ـهر بالمقادر والقضاء

فاذا الملوك أذلةٌ … وإذا الممالك: لا وقاء

***

الحق ينصر نفسه … إن خلّفته الأنبياء

وهو المظفّر دائماً … فى الأرض (حقاً) والسماء

إن تنصروه فقد نصر … تم أنفساً لكمو هباء

أو تخذلوه فقد خذا … تمْ هذه الروح الغباء

ولقد يصول الحق بالضّعـ … ـفى فيردى الأقوياء

ولقد يثير الحق شاةً … تملأ الدنيا مضاء

فاذا الذئاب وهم حيا … رى هاربون، ولا نجاء

***

الحق حقٌ فانطقوا … أو فاسكتوا فيها: سواء!!

قليوب ابراهيم ابراهيم على



صور من هوميروس

١٩ - حروب طروادة

بعد مصرع هكتور . . .

للأستاذ دريني خشبة

انتصر أخيل !

وعاد بجثة هكتور ليجد أمه ما تزال تسقي بتروكلوس خمرا ! وما تزال تدفع عن القتيل المسجى فوق سرير الموت أسراب الذباب ! وما تزال تذرف الدموع الغوالي !

ويهرول زعيم الميرميدون ، ويهرول معه جنوده حول جثة صديقه ثلاثاً ، ثم يقف فوق الرأس المتشح بجلال الفناء . ويقول : « السلام عليك يا بتروكلوس فلقد ثأرت لك ! السلام عليك فأنت خيرٌ حياةً من كثيرين ممن ينعمون بالحياة ، وإن تكن تسبح في لا نهاية هيدز !

هاك غريمك هكتور سأتركه جزر السباع وكواسر الطير ، وسأضحي لك باثني عشر من خير شباب إليوم . . . . أذبحهم عند قدميك بيدي !

« إبكوا بتروكلوس يا رفاق ! . . . . »

فيبكي الميرميدون على بطل أبطالهم ، ويعولون حتى تخفق السماء بأناتهم ، وتضطرب الأرض بزفراتهم ، ويمتلئ الهواء من حولهم أسى وشجوناً !

ويقبل الهيلانيون من كل فج يهنئون ويعزون : يهنئون بقتل هكتور ، ويعزون ، ويا حرّ ما عزوا ، في بتروكلوس !

ويمتلئ بهم شاطئ الهلسبنت [1] ؛ ويأمر أخيل رجاله فيؤتى بالشاء والظباء ، وبكل عجل جسدٍ وخنزير سمين ؛ وتؤجج النيران ، ويسطع الشواء حتى ينضج ، وتكون وليمة يقبل عليها القوم أيما اقبال . . . إلا أخيل . . . المنعكف وحده يذرف الدموع على بتروكلوس . . .

وأمر أجاممنون بماء ساخن يغسل به أخيل ما عليه من نضخ الدم وغبار المعركة ، ولكن أخيل يأبى إلا أن يظل النضخ ويبقى الغبار حتى يتم تحريق بتروكلوس ، وحتى تنتهي المراسيم الدينية التي تقتضيها السماء . . . ويفرضها بلوتو على موتاه !

وتفرّق الهيلانيون بعد أكل شهي وري ، ونهض الميرميدون إلى خيامهم يخلعون عددهم ويستجمون من عناء اليوم الحافل ، ولبث أخيل وحده على الشاطئ الشاحب يرقب أواذيه الصاخبة ، ويرى إلى أعراف الموج تنتطح هنا وهناك ، وترتد وترتد حتى تغيب في لا نهاية الماء !

ثم غفا إغفاءةً فتمدد على العشب ، وأسلم جفنيه لنوم عميق ورأى ظلا حزيناً يُطيف به ولا يكاد يبين ، فتقلّب ذات اليمين وذات الشمال مما تأخذه الرؤيا به ، ولكن الشبح ما يفتأ يُهوّم ويهوم ، ويقترب ويقترب ، حتى يكون عند رأسه ، وحتى يقر النائم فما تبدو منه حركة ، ويسكن فما يتردد فيه نَفَس ، ويَحْسِر الزائر لثامه ، فاذا هو . . بتروكلوس ! !

لقد أقبل روحه الكبير يتحدث إلى مولاه ، فيقول :

« أخيل ! أهكذا تنام ملء عينيك وتدع صديقك يهيم في مملكة الظلمات دون أن يؤذن له بعبور ستيكس الفائض بالحميم ، ليقر في عدوته الأخرى مع المؤمنين ! إنني يا صديقي سأبقى طريداً شريداً مادمت متوانياً عن تأدية الطقوس التي يتطلبها بلوتو وتفرضها السماء ! ماذا تبتغي بعد أن ثأرت لي يا أخيل ! ألا يشجيك أن أظل معذباً في هذا التيه الذي لا نهاية له ، كاسف البال مسبوه اللب ، لأنك تأبى أن تؤدي لي فرائض الآخرة !

أتحسب أنا ملتقيان في دنياك كرة ثانية يا أخيل ، فأنت تنتظر هذا اللقاء ؟ لا ، لا ، يا صديقي ؛ نحن لا نلتقي إلا هنا ! في هذه الدار الجميلة الهادئة التي لا صخب فيها ولا ضجيج . . . .

[1] الدردنيل

سنلتقى هنا . . . . وسنلتقى سريعاً . . . . ولن أزعجك إذا أخبرتك عما علمته هنا ! ... إنك ملاق حتفك تحت أسوار طروادة . . . لا تنزعج يا أخيل ، فأنت بطل ، والأبطال أمثالك لا يرهبون الموت ، والبطل الذى لا يجرع الكأس طافحة فى حومة الوغى يموت موتة لا تشرفه . . . فاطمئن ! إنما ذكرت لك ذلك لأن لى رجيّة عندك أتمنى لو أديتها لى . . . ذلك أن توصى أن تدفن رفاتك فى نفس الرمس الذى يضم رفاتى ، لنظل آخر الدهر متقاربين ، كما كنا أول الدهر متقاربين ، ولنقضى أحقاب الموت فى مربع معاً ، كما قضينا شرخ الشباب فى ملعب معاً . . .

إيه يا ذكريات الماضى السعيد !

أبداً لن أنسى يوم حملنى مولاى الأمين أمفيداماس من نجاد أوبوس إلى بلاط پليوس ، حيث نشأت وترعرعت فى نفس الكنف الذى ترعرعت فيه يا أخيل . . . وأبداً لن أنسى هذا الحنان الذى كانت تغمرنى به ذيتيس ، أمك الرؤوم ، حتى اشتد ساعدانا ، وسار الركبان باسمينا فى كل ناد . . .

هلم يا أخيل . . . إنهض يا زعيم الميرميدون . . . واذكر ما قلته لك . . . »

ويذرف أخيل عبرة غالية ، ويجيب پتروكلوس فيقول :

« پتروكلوس ! إلىّ يا أعز الناس علىّ ! سأفعل كل ما تريد ، ولكن . . . اقترب . . . اقترب قليلا . . . لنسرّ من أحزاننا يا أخى ! هب لى أن أعانقك فأنا مشوق اليك ! »

وهب من نومه مذعوراً مادًّا ذراعيه لمناق پتروكلوس ، ثم ضمهما فجأة . . . ولكن !

وا أسفاه ! . . . لقد ضم أخيل اليه الهواء . . . ! لأن الشبح العزيز قد ولى بعيدا عنه . . . هناك . . . هناك . . . فى ظلمات الـ ثُفل . . . فى ديجور الدار الآخرة . . . فى مملكة پلوتو الجبار . . . حيث الأرواح والأشباح . . . . وحيث العذاب والنعيم . . . ! !

وصرخ الزعيم المفئود صرخة زلزلت عماد المعسكر ، واجتمع لها القادة مشدوهين مروّعين ، وروّعهم أكثر هذا الحديث الطويل عن الرؤيا الشجية ، فأنفذ أجاممنون الملك عصبة قوية إلى غابات الصنوبر والشاهبلوط القريبة ، فجمعت أحمالاً ثقالاً من جذوع الأيك وحطام الدوح اليابس ، وأقبلت فكومت ما جمعت كومة واحدة عالية ؛ ثم أمر أخيل جنوده فاصطفوا حول الكومة بعُددهم وخيولهم وعرباتهم ، وأقبل فوج منهم يحمل جثمان پتروكلوس ، موارًى فى شعر كثير انتزعه الفرسان من رؤوسهم حزناً على قائدهم بالأمس ؛ وكان أخيل يتعثر خلف القتيل وقد حطمه الحزن وزرأته المصيبة فى أعز أصدقائه ، وغشيه من الهم ما لو كان بعضه بوَضَح الضحى لأحاله ليلاً من الوجد مظلماً . . . ونزع شعر رأسه هو الآخر فغطى به وجه صاحبه ، ومد ذراعيه المرتجفتين فرفع الجثمان الطاهر ، يعاونه نفر من الميرمهدون ، ووضعوه فوق الكومة التى تسامت وسمقت حتى غدا ارتفاعها مائة قدم أو تزيد . وأمر أخيل فذبحت ألوف من العجول والخنازير والنَّعم ، ونزعت عنها شحومها جميعاً ، فوضعها بيده على الكومة من حول پتروكلوس ، ثم أشار إلى حَمَلة الزِّقاق فطفقوا يصبون الزيت والعسل المصفى ليزيدا فى ضرام الوقود

وارتفع ضجيج بعيد وضوضاء ، فتلفت القوم ، وإذا فريق من الميرميدون يسوقون الشبان الطرواديين الاثنى عشر ، الذين أسرهم أخيل فى ملحمة الأمس ، وقد كبلوا فى الأصفاد ورهقتهم قترة مظلمة من الروع والحزن ؛ فلما شارفوا ، تقدم أخيل المتغضب الحنق ، فاستل خنجره ، وشرع يمسح بأعناقهم ويبقر بطونهم ، ويروى سنانه من قلوبهم . . . . . والبشرية البائسة تتلفت يمنة ويسرة . . . . وتتعذب . . . . وتبكى ! !

وأمر الزعيم فصفت الضحايا الأثنتى عشرة من حول الكومة

أما هكتور ! فقد حدجه أخيل بنظرة ساحرة ، وأقسم ألا يحرق جثمانه فينفذ روحه إلى هيدز ، بل يتركه ثمة حتى تنوشه الطير ، وتأكله كلاب البرية ، وتاتى عظامه فى يهاليم ، غير كريمة ولا مرجوّة !

بيد أن منظراً عجباً خلب ألباب القوم ، وأذهلهم عن أنفسهم . . . . ذلك أنهم رأوا إلى شبح جميل أبيض ، يصب دهن الورد فيجعل منه حَنوطاً مباركا لجثمان هكتور ، ورأوا كذلك إلى ضبابة ذات أفياء وظلال باردة تقف من فوقه فتذود عنه أشعة الشمس المحرقة حتى لا ينتن أو يتعفن . . . !

ماذا ؟ ؟ ! آه ! إنها ڤينوس الوفية التى تصب دهن الورد فوق هكتور ، وإنه أبوللو المحزون الذى ينشر الضبابة من فوقه تحميه من الشمس وتذود عنه حرارتها ! !

وصلى أخيل صلاة قصيرة ، ونذر لآلهة الريح ، إذا هى أقبلت تروّح على النيران حتى تذكو ، أن يذبح لها ويقرب لها القرابين ! وما كاد يفرغ من صلاته ، حتى تقلب البحر واضطرب ،

ومار اليم واصطخب ، وثارت العاصفة الهوجاء فى بطن الدأماء وأقبل زفيروس وإخوته آلهة الريح فحاصروا الـكومة ، وما هى إلا لمحات حتى كانت ضراما فى ضرام ، واللظى يتأجج فى لظى

وسكنت اللهب ، وخفت أوار النار ، وتقـدم أخيل وحَمَلة الزِّقاق فصبوا على الجمر خمرا حتى خبا

وتقدم نفر فرفعوا رفات بتروكلوس وهم يبكون ، وأقدم أخيل فوضعها بيديه فى إران من الذهب ، وأشار الى بعض أصحابه فحفروا فى الأرض حفرة كبيرة عميقة ، فأسرع هو فوضع الاران فيها ، بين أنين الجنـد ، وبكاء القادة ، وزلزلة الأرض والسماء ... !!

وهيل التراب على الميت ، وعمل الـكل فى ذلك حتى كانت كومة عالية من الردم ، ستظل آخر الدهر رمز البطولة الخالدة ، وتحية الدار الآخرة لهذه الدنيا المشحونة بالأشجان ! !

***

وكان من دأب الهيلانيين إذا مات أحد أبطالهم أن يُحرّقوه كما حرّقوا بتروكلوس ، ثم تتلو ذلك حفلة ألعاب يشترك فيها أبطالهم ، ويساهم فيها الجندى الصغير إلى جانب القائد العظيم ، وقد يفوز عليـه فينال الجائزة من دونه ، وكانوا يعدون هذه الحفلة تتمة للجناز لا يكمل إلا بها ؛ فلما انتهوا من إقامة الشعائر الدينية للشهيد الـكبير نهض أخيل فأعلن القوم ببدء حفلة الألعاب ، ثم دعا للمشاركة فى سباق العربات الحربية ، وعدّد الجوائز فذكر أن للفائز الأول غانية من أبرع غانيات طروادة جمالا ، وأوفرهن حسناً ، وأنبغهن فى القيام بشؤون المنزل ، ثم آنية عظيمة من الذهب الخالص ، غالية الثمن ، عالية القيمة ، لا تقدر بمال لما بذل فى زخرفها ونقشها من فن ، وما أضفى عليها من عبقرية . وأن للفائز الثانى مُهرةً صافناً تسبق الريح وتلحق البرق ؛ وللثالث كوباً من الفضة الناصعة ، عظيم القدر ، غالى الثمن . وللرابع بدرتين من الذهب الأبريز . وللخامس إبريقاً فضياً للخمر ، وكأسين للشراب . . . .

واشترك فى هذا السباق لهاذم أبطال الأغريق ، وصناديدهم الصيد ؛ وكان أول من نزل إلى الحلبة يوميلوس الملك ابن أدميتوس المظيم ، وتلاه ديوميد الحلاحل ابن تيديوس ؛ ثم منالايوس سليل السماء ، وفرع الآلهة بن أتريوس الـكبير ؛ وكان رابعهم أنتيلوخوس المشهور بن نسطور الحـكيم ، الذى أخذ أعين القوم بقامته السامقة ، وعوده اللدن ، وقوامه الأهيف السمهرى الممشوق ، والذى تقدم اليه أبوه فقبّله فى حر الجبين ، وزوده بنصائحه الغوالى ؛ وكان خامسهم مريونيس الهائل ، صاحب الذكر البعيد والشأو الرفيع فى كل مثار نقع وفى كل ميدان

وكان على الفارس المظيم فونيكس أن يلاحظ السباق ، فكان فى مركزه هذا حكما عدلاً وقاضياً ماهراً . . .

وأعطى أخيل الأشارة . . . فانطلقت الجياد تزلزل الأرض ، وتثير عجاجة قاتمة من ثرى الميدان ، وتضرب الصخر بحوافرها فينقدح الشرر ، ويميد جانب الجبل ، وتتصل أبصار القوم بالريح الذى يتعثر فى أدبار الخيل ، ويتحسس كل منهم قلبـه ، متمنياً قصب السبق لصاحبه الذى هو من شيعته . . . ثم . . . تتدخل الآلهة فى هذا اللهو البرىء فتغير دفة المقادير ، وتتحمس مينرفا للبطل العظيم ديوميد ، حينما ينزع أبوللو السوط من يده ويلقى به إلى الأرض ، فتعيده إليه ؛ وتلحظ أن أبوللو يصنع هذا ليظفر يوميلوس ويفوز بالسبق ، فتذهب من فورها إلى ابن أدميتوس وتنزع إحدى عجلتى عربته ، فيهوى البطل ويوشـك رأسه أن يتحطم على الجلاميد المتراكمة على جانبى الطريق ...

وتعدو الخيل ...

وتخفق قلوب القوم ... ثم ينظرون فيرون إلى ديوميد قد أنهى الشوط ، ونزل من عربتـه فصافح فونيكس ، واستحق بذلك الجائزة الأولى

وتلاه أنتيلوخوس ، ثم منالايوس الملك ، ثم مريونيس ، وكان أبطأهم

وسكن القوم قليـلاً ، وإذا هم يبصرون يوميلوس القدام يسوق جياده ، وخلفها عربتـه التى حطمتها مينرفا ، فيثير مرآه قهقهة عالية وصخباً ؛ لا يقطعهما إلا أخيل بصيحة داوية تعيد إلى الملأ وقارهم ، ويقضى ليوميلوس بالجائزة الرابعة « لأنه لولا الحظ العاثر كان صاحب الجائزة الأولى ! ! »

واشرأبت الأعناق حين أعلن أخيل عن دوْرة الملاكمة

وشارك فيها من الأبطال إيبوس بن بنوبيوس ؛ فتى مفتول السواعد مكتنز العضل ، رحب الصـدر ، له قبضتان كأنهما حراشف جذور بارزة من جذع شجرةٍ ، ألقت بها الريح فى يوم عاصف ، ونهض إلى جانبه شاب قوى بادى البأس ، لم يلبث القوم أن عرفوا فيـه يوريالوس بن مسيتوس ، الذى طالما شارك فى أولمبيات الملك أوديبوس وكان أبداً فتاها وفارس حلبتها

وأعطيت الأشارة فانقض الأسد على الأسد ، وارتطم الجبل

بالجبل ، ولبث البطلان يكيل أحـدهما للآخر لكمات كانت تقشعر لها أبدان الآلهة ، وتنتفض من هولها أفئدة الرجال ، ثم لاحت فرصة للبطل إيبوس كال فيها لخصمه لـكمة فى ذقنه (١) ألقته فوق أديم الأرض بين هتاف الجنـد وضجيج القادة ، وبذا استحق إيبوس الجائزة الأولى ، وهى بغـل أشهب مسرج ، فى شدقيه لجام من الحديد ، يتصل به عنان من الفضة . أما يوريالوس فقد أفاق من اللـكمة القاسية لينال كأسين جميلتين أعدتا للفائز الثانى ... !

وأرهفت الأسماع حين نهض أخيل يعلن عن دورة المصارعة التى لم يجرؤ أحد أن يتقدم إليها حتى أوشك زعيم الميرميدون أن يلغيها لو لم ينهض أوليسيز ويتبعه أجاكس متثاقلين ! !

وأهطعت الرقاب ذاهلة نحو الزعيمين الهولتين ، وشخصت الأبصار ترى إلى الجبل يأخذ بتلاليب الجبل ، والبحر ذى العباب يصاول البحر ذا العباب ، والشهاب الراصد يندق على الشهاب الراصد ؛ لا هذا ينال فرصة من ذاك ، ولا ذاك يرى ثغرة ينفذ منها إلى هذا ، والقلوب أثناء ذلك تخفق وتخفق ، والقشعريرة الباردة تشيع فى أصلاب هؤلاء وهؤلاء ، كل يتمنى أن يفوز رجله . . . . .

حتى ثارت عجاجة حول البطلين انجلت عنهما صريعين فوق الأرض ، لم ينل أحدهما من الآخر !! فكان القضاء العادل من السماء !

وحاولا أن يعودا إلى صراعهما الأول ، فحال بينهما أخيل . . . لأن الدورة كانت لا تنتهى إذن . . . فكان بحسبهما أن ينالا جائزتين متساويتين ! !

وبدأ سباق العـدّائين ، واشترك فيـه أوليسيز وأجاكس أيضاً ، ثم أنتيلوخوس الذى استطاع أن يفوز بالجائزة الأولى ، لما كان يبدو على منافسيه من نصب ، من جراء صراعهما السابق .

وتبع ذلك سـباق المبارزة ، وشارك فيه أجاكس أيضاً ثم ديوميد العظيم ، الذى استطاع بعد لأى أن يجرح خصمه فى عنقه ، فينبثق الدم من الجرح ، فينال الحزام الفضى بذلك !

ثم كان حمل الأثقال وهو سباق محبوب من الاغريق كثيراً ، وقد شارك فيه بوليبوتيس وإيبوس وليونتيوس...

(١) Upper — cut ???

ثم . . . أجاكس . . . ! وفاز أولهم بالجائزة الأولى . . .

وتلا ذلك سـباق الرماية ، واشترك فيه البطلان تيوسير ومريونيس ، وفاز الأخير بأسنى الجائزتين للبراعة الفائقة التى أبداها فى إصابة الغرض (وكان حمامة تنطلق وتنطلق . . . حتى تكون خلف السحب . . . ! !)

وكان السباق . . . وهو سباق إصابة الغرض بقذف الرمح ، وقد تقدم إليه قائد الحملة العظيم . . . أجاممنون الملك ... ثم ... مريونيس الشجاع وأحد أتباع الملك إيدومنيوس . . . . . وقد هال أخيل أن ينافس أحد قائد الحملة ، فتقدم إليه معترفاً بتفوقه على الجميع فى كل شىء ، وقدم له الجائزة الأولى . . . ثم قدم الرمح لمريونيس ... وكانت مجاملة طيبة من أخيل تقبلها الجميع بثغور باسمة

(لها بقية) دريني خشبة

البريد الأدبي

وفاة بول بورجيه

نعت الينا الأنباء الأخيرة قطباً من اقطاب الأدب الفرنسي وكاتباً من أعظم كتاب العصر ، هو بول بورجيه ؛ توفى فى الخامس والعشرين من ديسمبر فى الثالثة والثمانين من عمره ، بعد أن قضى حياة حافلة ، وبلغ الذروة فى عالم الشعر والأدب والنقد . كان بول بورجيه عميد الأدب الفرنسي المعاصر بعد أناتول فرانس ، وكان يتبوأ مكانه فى الطليعة منذ خمسين عاما ؛ ولم يعرف الأدب الفرنسي المعاصر ، كاتباً قصصياً — إذا استثنينا أناتول فرانس — فى قوة بورجيه وعمق تفكيره وتحليله ، أو فى بعد آفاقه ووفرة انتاجه . وكان مولد بورجيه فى سنة ١٨٥٢ بمدينة اميان من أب روسي وأم انجليزية ؛ فنشأ نشأة حسنة وتلقى دراسة عالية وثقافة متينة ؛ وبدأ ينظم الشعر منذ حداثته ، ثم اشتغل بالصحافة ؛ وفى سنة ١٨٨٤ أخرج أولى رواياته القوية l'irreparable فظهرت فيها براعة الكاتب والقاص ، وتجلت فيها مقدرته الفذة على تفهم العواطف البشرية وتحليلها ، وهى مقدرة ترجع إلى ذلك المزيج فى السلالة الذى كان له أكبر الأثر فى تكوين عقلية الكاتب . ثم كتب بورجيه روايتين أخريين هما : Cruelle Enigme, André Cornelius والأخيرة من أعظم رواياته وأقواها ، بيد أن بورجيه يبلغ ذروة القوة والطرافة فى قصته الشهيرة : « التلميذ » Le Disciple ، وهى فى رأى النقدة أعظم قصصه وأقواها ، وأكثرها تمثيلا لمواهبه وخلاله وفنه ؛ ولم يلبث بورجيه أن تبوأ مكانته بين أقطاب الكتاب فى هذا العصر : بين زولا ، وفرانس ، وكوبيه ، ودوذيه ، ورشبان ، وغيرهم ؛ ثم لم يلبث أن احتل مكانه بين الخالدين فى الأكاديمية الفرنسية (سنة ١٨٩٤)

ولبورجيه تراث حافل من كتب الشعر والقصص والنقد والسياحة نذكر منها :

Terre Promise, Un Difvorce, Le autòme, Mensonges Aramēs de Famille ومن القصص الصغيرة *Un Crime D'amour* و *Le Coeur el la métier , Conflits intimes* ؛ وله ديوان شعر كبير ، وقطع مسرحية عديدة ، ، وله كتب فى الوصف والنقد والسياحة

وبورجيه كاتب خصب متعدد النواحى والآفاق ؛ بيد أنه على العموم كاتب ارستقراطى يكتب للخاصة قبل كل شيء ، ويصور مجتمع الخاصة ، وما يتصل بحياته من بذخ وأناقة ، وما يتخللها من نواحى الجمال والرشاقة والفن ؛ وما يغشاها من عوامل الفساد والوهن ، وهو من هذه الناحية نقيض قرينه ومعاصره فرانسوا كوبيه كاتب البؤس والطبقات البائسة . وأعظم ما تبدو مقدرة بورجيه ومواهبه فى المواقف النفسية وفى تحليل القلب البشرى ونزعاته ، وفى تصوير مختلف العواطف الانسانية ، فهو عندئذ لا يجارى ، بل هو أستاذ هذه المدرسة الفذ ؛ وهى مدرسة نلمس فيها الأدب الروسي . ويكتب بورجيه بلغة قوية ، وقد تبدو أحياناً عسيرة الفهم ، ولكنه يحمل قارئه بقوته ، ويأخذ لبه بسحر عرضه ، وروعة بيانه وفنه ؛ ومع أنه يميل الى المفاجآت المنيفة فى قصصه ، فانه مع ذلك يجنح الى الحقيقة ويجانب الاغراق ؛ وأكثر ما يميل بورجيه الى التشاؤم ، وقلما يميل الى الجانب المرح من الحياة والصور ؛ ويطبع الجد أسلوبه وتفكيره دائماً ؛ بيد أنه يجنح أحياناً الى السخرية اللاذعة ؛ وهو فوق ذلك فيلسوف عميق الفكرة دقيق الملاحظة بعيد الغور والمغزى ، وناقد قوى الجدل والحجة ، وفنان من الطراز الأول يعشق الفن ويرعاه ؛ وكان حتى آخر أيامه مديراً لمتحف شانتيى

ويتبوأ بورجيه كرسيه بين الخالدين فى الاكاديمية الفرنسية منذ اثنين وأربعين عاماً ؛ وكان الى ما قبيل وفاته يوالى الكتابة فى كثير من الصحف والمجلات الكبرى ، ويكتب منذ أعوام فى جريدة « الفيجارو » كلمات فى السياسة والاجتماع تلفت النظر بقوتها وطرافتها ، وبوفاته ينهار ركن عظيم فى صرح الأدب الفرنسي المعاصر

« ع »

الأستاذ أحمد أمين يحاضر في بيت المقدس

نظمت جمعية الشبان المسيحيين في فلسطين سلسلة محاضرات في « المدنية العربية » ، واختارت لها جماعة من صفوة العلماء ، منهم الأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ جيب ، والأستاذ ماير هوف

وسيلقى الأستاذ أحمد أمين محاضرته في (الاسلام كعامل في المدنية) ببيت المقدس في يوم الأربعاء ٢٢ يناير سنة ١٩٣٦

حول الاحتفال بذكرى المتنبي

لامنا الأديب السيد فاضل سعيد عقل في شيء من الاسراف على أننا أغفلنا حفلة لبنان حين أشرنا إلى بعض تلك الحفلات في مقالنا عن المتنبي ، وعزا ذلك إلى أن المصريين يتعمدون أن يَسْفهوا حق لبنان ! ولو تذكر الأديب ساعة كان يكتب أن الحفلة الرائعة التي أقيمت في (سان باولو) انما أقامها لبنان ، وأن الحفلة العتيدة التي ستقام في دمشق انما تقيمها سورية ، وأن الاسكندرية أقامت حفلة كحفلة بيروت لم نشر اليها ؛ لو تذكر ذلك كله ساعة كان يكتب رسالته لما سمح له ضميره أن يصطنع هذه العصبية الاقليمية المفرقة في عصر يدعونا فيه الجهاد المشترك إلى أن نمحو كل الفروق العارضة أمام الجوار والقرابة والجنس

جواب عن سؤال

سألنا (قارئ) من قراء الرسالة عن الحكمة في كتابة اسمها وتاريخ يومها ورقم عددها بالفرنسية ، وخشى أن يكون في الأمر تقليد أو حذلقة . والواقع أن ذلك احتياط بريدي اقتضاه انتشار (الرسالة) في البلاد الأجنبية ، وعمل اقتصادي استدعته علاقة مكتب الاعلان في المجلة بالشركات التجارية الأوربية ، وإذا لم تفعل الصحف الغربية ذلك فلأن لغاتها مقروءة في كل بلد

مؤتمر الجراحة الدولي العاشر

في منتصف الساعة الثانية عشرة من يوم الثلاثاء الماضي افتتح مؤتمر الجراحة الدولي العاشر في قاعة المحاضرات بالجامعة المصرية بحضور سمو النائب عن جلالة الملك ووزراء الدولة وأساتذة الجامعة وأعيان الحكومة ورجال الصحافة وطلاب العلم ، فكان يوماً مشهوداً من أيام الانسانية المفكرة العاملة ، أزال الفروق بين الناس ، ومحا الحدود بين البلاد وجمع بين الأمم المتباعدة المختلفة على فكرة نبيلة هي تسخير الجهود العلمية المشتركة لتخفيف آلام الانسان

افتتحه صاحب السعادة وزير المعارف بخطاب عربي جاء فيه « إن العِلم المصري الذي توالت عليه آلاف السنين ليشعر بشرف وسرور حق ، إذ يرى في هذا الاجتماع ثقات الممثلين للجراحة العامة في العالم أجمع ، والأعضاء المبرزين لأشهر المعاهد الطبية والعلمية ، يستعرضون في هذا الاجتماع الحافل كل ما أمكن تحقيقه في جميع أنحاء العالم من التقدم في فروع الجراحة ، ويتجهون نحو ترقية فن من أعز الفنون الانسانية في جو من السباق النبيل المثمر »

ثم ألقى بعده الدكتور على ابراهيم باشا عميد كلية الطب خطابا بالانجليزية عرض فيه جهود مصر القديمة والحديثة في فنون الطب . ثم قفاه الدكتور فرهوجن رئيس اللجنة الدولية فخطب بالفرنسية شاكرا لنائب جلالة الملك ولجنة تنظيم المؤتمر هاتفاً بآثار مصر في عالم الجراحة

ثم قام من بعده الدكتور كرفان فأثنى وشكر ثم قال :

« لقد رحبت أغلبية أعضاء اللجنة الدولية بدعوة مصر منذ ثلاث سنوات ، فهل ذلك لأن مصر والاسكندرية خاصة ، كانتا منذ ألفين من السنين واسطة العقد في العالم الطبي ، أو لأن ورق البردي يعد أقدم الوثائق لشفاء المرضى ؟

قد يكون هذا ، ولكن ثمة أمراً آخر ، هو أن مصر ظلت منذ أكثر من ألفي سنة بلد الأسرار الذي تتجه إليه أذهان الانسانية ؛ ولأنها من ناحية أخرى وطن الفن الذي يجمع بين القوة والعظمة والدقة

ثم قال : إن تاريخ الانسانية يفتح هنا ، كأنه كتاب نستطيع تقليب صفحاته واحدة واحدة ، وهو إذ نقرأه ، يبعث فينا شعور التواضع ، وينزل عملنا المنزلة الصحيحة

ولقد وجدنا جماعات برغم السحب التي تظلل سماء العالم بأسره ، ونحن على يقين أن عملنا — بفضل النظام الذي وضعه زملاؤنا في كلية الطب ، وعميدها خاصة — سيتم على أحسن صورة . »

ثم خطب بعده الدكتور ماير سكرتير الجمعية الجراحية الدولية خطبة بالفرنسية جاء فيها :

« وبهذه المناسبة أشيد بالجهود العلمية والمادية التي بذلت لجعل هذا المؤتمر يتمشى مع مبادئ جمعيتنا وهي العمل على اتساع العلوم الجراحية ، ولا أريد أن أتكلم عن الشخصيات . غير أني لا أستطيع أن أمنع نفسي عن التكلم عن الأعمال التي قام بها علي ابراهيم باشا والدكتور نجيب مقار وغيرهما من الجراحين الأجانب . فقد أوضح كل منهم تجاربه الشخصية بصور مختلفة ، وكانت كلها بمثابة أبحاث في المسائل التي اختلفت فيها آراء الجراحين ، وأعتبر أن هذه الأعمال إنما هي آثار خالدة خلود الأهرام »

وختم الاحتفال الدكتور شوماكر رئيس المؤتمر بخطبة ضافية في أغراض المؤتمر والتنويه بذكر مصر والجامعة

ولا يزال أساطين الجراحة وأساتذة الطب يوالون أبحاثهم العلمية فجعلوا من القاهرة كما قال أحدهم ميداناً للمناقشة في أحدث ما بلغه الطب من الآراء ، وأعوص ما عرفه العلم من مشكلات الجراحة . ومما تناقش فيه الأعضاء (جراحة عصب القطن السمبتاوى) ، وجراحة (القولون) عدا السرطان ، والأحوال الجراحية للبلهارسيا ، وقد ألقى الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك تمهيداً لذلك محاضرة عن (تاريخ حياة البلهارسيا) عرض صورها على شريط سينمائي

جوائز أدبية مصرية

بارك الله في بنك مصر ، وفي قادة بنك مصر ، وفي مشروعات بنك مصر ؛ فإنها أسطع درة في جبين هذا الوطن الذي يسمو دائماً إلى الطليعة . ولقد شاء بنك مصر بعد أن وضع الأسس الثابتة لنهضة مصر المالية ، ونهضتها الصناعية ، أن ينزل إلى ميدان الفن والأدب ، فأنشأ شركة مصرية للتمثيل والسينما ؛ ورأى أن يقرن الفن بالأدب ، وأن يغذى الشرائط المصورة بموضوعات وقصص مصرية محضة ، فأذاع أنه يخصص لكتاب القصص المصريين جوائز تبلغ قيمتها ألف جنيه منها أربعمائة لجائزة ممتازة ، واربعمائة لأربع جوائز من الدرجة الأولى ، ومائتان لخمس جوائز من الدرجة الثانية ، وأنه يترك لهم الحرية في اختيار نوع القصة . وتقول شركتنا المصرية في بيانها : « فهذا باب جديد يفتح أمام المجيدين من الكتاب لينالوا نصراً عزيزاً يرفع هاماتهم وهامة بلادهم » . وفي الحق أنه باب جديد يفتح لكتابنا ، بل هو فتح جديد في ميدان الرعاية الأدبية التي ليس لها في بلادنا أثر ، والتي تخلت عنها جميع الهيئات الرسمية وغير الرسمية ، ونحن نقص في هذا الباب دائماً أنباء الجوائز الأدبية العديدة التي تخصص في جميع البلاد المتمدنة لتشجيع الحركة الأدبية ، وتشجيع الكتاب الناشئين بوجه خاص ؛ ولكنا لم نجد من قبل ما نذكره عن أية جائزة أدبية مصرية ذات شأن . فالآن يتقدم بنك مصر على يد شركته للتمثيل والسينما لسد هذا الفراغ ؛ وهو يتقدم بثقة وكرامة شأنه في كل مشروعاته ، فيقدم إلى كتابنا جوائز من الطراز الأول ؛ وإذا كان لنا ما نتمناه في هذا الميدان فهو أن يعمل البنك على التوسع في تشجيع الحركة الأدبية ورعايتها من طريق نشر المؤلفات العلمية والأدبية النافعة . وللبنك مطبعة كبيرة مجهزة بأحدث الأدوات والآلات الفنية ، ففي وسعه أن يجعل منها في نفس الوقت داراً كبرى للنشر واحياء الآداب العربية ، وهو بذلك يسدى إلى الحركة الأدبية وإلى الثقافة العربية خدمة جليلة

تأبين فقيد التعليم المغفور له محمد أمين لطفي

قرر مجلس ادارة جمعية خريجي المعلمين العليا بجلسته المنعقدة بتاريخ أول يناير سنة ١٩٣٦ اقامة حفلة تأبين لفقيد التعليم المغفور له الأستاذ محمد أمين لطفي عضو الجمعية ، وقد تألفت لجنة من أعضاء المجلس لتنظيم الحفلة . وسيعلن عن موعدها ومكانها قريباً

وترجو اللجنة كل من يريد المساهمة في التأبين أن يتصل بها بنادي خريجي المعلمين العليا رقم ١ شارع فؤاد الأول بالقاهرة



رد على نقد

كتاب تاريخ الاسلام السياسى

للدكتور حسن ابراهيم حسن

مؤلف الكتاب

الآن وقد انتهى ناقد هذا الكتاب من الكلام عما سماه مآخذ تاريخية ، فيحق لى — إنصافاً للحق وتمحيصاً للتاريخ — أن أرد عليه بإيجاز حتى يكون القراء على علم بالحقيقة . ولا يفوتنى — قبل أن أرد على بعض هذه المآخذ — أن أشير إلى فكرة جالت فى خاطرى : هى إهمال الرد ، اتكالاً على أن المطلع على الكتاب يتولى بنفسه تفنيد هذه المزاعم ، لولا أن كثيراً من زملائى ألحّ علىّ أن أرد باسمى واضحاً لأضع الحق فى نصابه

يقول حضرة الناقد : « إنه عمد إلى نشر ما تيسر له نشره من الاستدراك خدمة لمادة ناشئة فى معاهدنا العلمية واستحثاثاً المؤلف على تدارك أمره فى مادة هو متخصص فيها ، وضناً بما لمصر من حسن السمعة العلمية فى الأقطار الشرقية أن يتطرق إليه ضعف أو وهن »

وقبل أن أستدرك على هذا الاستدراك وأبين أن ما سماه الناقد مآخذ تاريخية وجغرافية ، قد بالغ فى بعضها كل المبالغة ، وجانَب الانصاف فى غالبها ؛ ألفت نظر حضرته إلى أنه كان يستطيع أن يجنّب نقده بعض عبارات نابية يستغنى عنها الوضوع الذى هو بصدده . وما أدرى ما شأن تلك المآخذ بنحو هذه الألفاظ : « الألقاب الضخمة ، الآثار العلمية المؤلفة والمترجمة ، إن المؤلف شغل بنقل شرح التبريزى على القصيدة عن تفهمها وتبيين من قيلت فيه ، الأغلاط والتورط ، الخلط القبيح . » ولعل الأستاذ المستدرك غاب عنه أن مآخذه التاريخية والجغرافية على فرض صحتها — وسيرى القارئ مبلغ صحتها — لا تقدح فى كتاب أربى على ستمائة وخمسين من الصفحات ، ولا تدعو إلى كل هذا الاشفاق على حسن سمعة مصر فى الأقطار الشرقية أن يتطرق إليه ضعف أو وهن ، وغاب عنه أيضاً أن إيراد مثل هذه الألفاظ الشديدة التى لا تتعلق بموضوعه ألبتة تعكس الغرض من النقد الذى اشترطوا له أن يقوم على ركن ركين من النزاهة الكافية والخبرة التامة ، حتى لا يجد فيه الحاطبون أو ذوو المآرب مجالاً لبث كيدهم أو شفاء لحك حزازاتهم . وشتان بين تجريح عنيف وبين نقد سائغ يراد به الاصلاح ، قد أسس على الصدق والحق وتقدم به الناقد فى هدوء وسلامة ذوق ، فما جرح من عاطفة ولامس من كرامة ، ولا كان رغبة فى تشهير أو إلصاق عيب . ومن هنا قالوا إن النقد صعب مرتقاه . ذلك لأن الناقد حكم أو شبيه به ، ولا يتسنى له ذلك إلا بالقدرة على ضبط النفس وتجنب مواضع الزلل

ص ٣٤ ـ أخذ الناقد على الكتاب اطلاق كلمة «أقيال» على ملوك العرب وساداتهم ، مع أن هذا اللقب — على رأيه — خاص بملوك اليمن أو مَن دونهم من أمراء المخاليف اليمنية . والحق أن هذا التخصيص لا محل له . جاء فى القاموس أنه يطلق على الملك ، أو هو دون الملك الأعلى

ص ٣٦ ـ أخذ الناقد على الكتاب فى قوله : « وكان للعرب نظام ثابت للزواج ؛ فكان جمهورهم يقترن بالزوجة بعد رضاء أهلها ، كما كان كثير منهم يستشيرون البنات فى أمر زواجهن . . . الخ » ، أنه لم يقصر هذه الحال على الحجاز بل عممها فى شبه الجزيرة

وإذا لاحظ القارئ أن الحجاز هو قلب بلاد العرب ، تحج اليه من قديم الأزمان للعبادة والتجارة والمباراة فى الشعر ، وأقامت فيه الأسواق لذلك ، ومنه تصدر التقاليد والعادات اجتماعية وخلقية ، وعلى قالبه يضع القاطنون فى أنحاء الجزيرة

الملكة الصغيرة

بمصر واسكندرية





DE

LANVIN

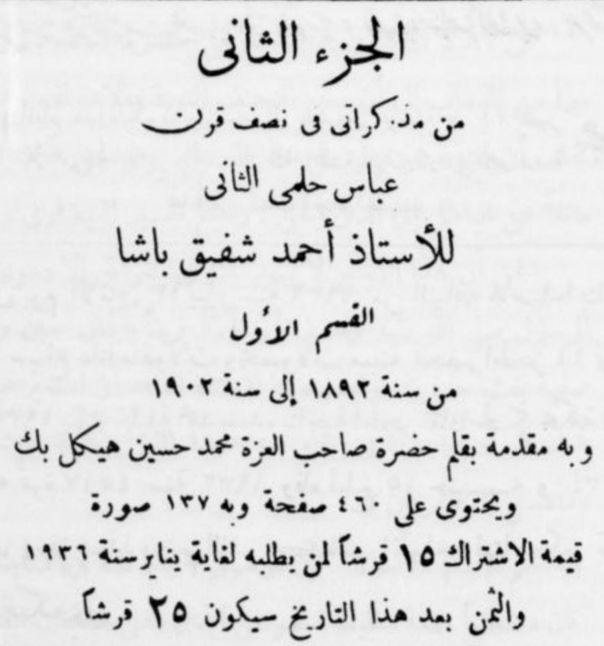
الروائح وأدوات الزينة التي ترغب

كل سيدة أن تكون عندها

المتعهدة الوحيدة : جان لنفان



اذكر في طلبك اسم (الرسالة) تحصل على تخفيض عظيم وشروط مناسبة



الجزء الثاني

من مذكراتي في نصف قرن

عباس حلمي الثاني

للأستاذ أحمد شفيق باشا

القسم الأول

من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٢

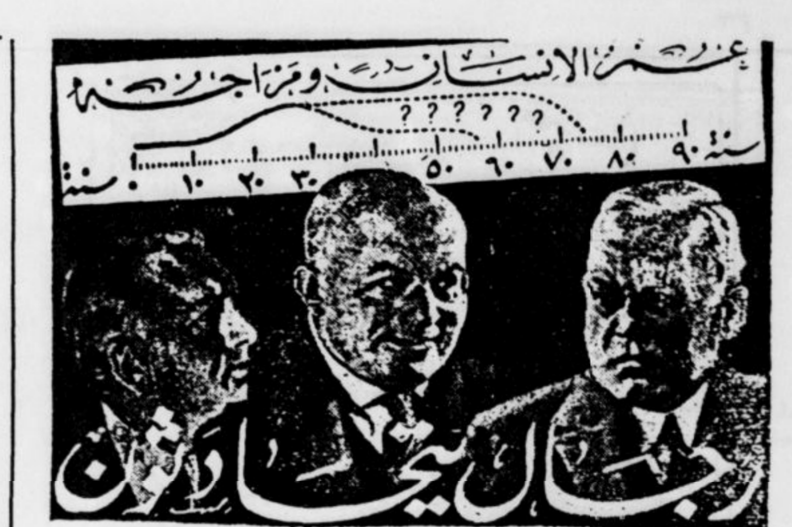
وبه مقدمة بقلم حضرة صاحب العزة محمد حسين هيكل بك

ويحتوي على ٤٦٠ صفحة وبه ١٣٧ صورة

قيمة الاشتراك ١٥ قرشاً لمن يطلبه لغاية يناير سنة ١٩٣٦

والثمن بعد هذا التاريخ سيكون ٢٥ قرشاً

أعلن في الرســـالة تجد نتيجة حسنة



الضعيف .. لم يبق لي في هذه الحياة مطمع بعد !
المكتئب .. ولا يسعنا الآن نحن الآخرين على نضارتهم وفتوتهم !
متجددو الشباب .. ماذا تعنيان بذلك ؟ إن عمري الآن ٥٧ سنة ومع ذلك فإنني أصبى من بعض الشبان

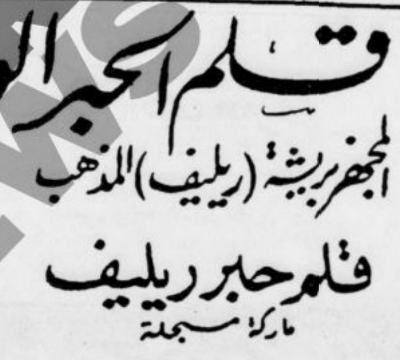
الضعيف .. إن حالتك حالة استثنائية لا يقاس عليها
متجددو الشباب .. هذا هراء، فليس في الأمر استثناء ولا شذوذ، ويمكنكم جميعاً أن تصبحوا أمثالي لو ساعدتم طبيعتكم بتعاطي . لولوتيطس .

إن العلم الحديث يدلنا على أن في الاستطاعة حث غدد الجهاز التناسلي على انتاج هرموناتها، وذلك بتعاطي الهرمونات النقية المتعادلة التركيب كما في مستحضر لولوتيطس الذي قام بتحضيره معهد التناسليات الحكومي المشهور ببرلين بعد ابحاث عدة سنين. فأن قيمة هذا المستحضر الفنية وقوة مفعوله الممتازة حتى في معالجة الحالات التي تخيب فيها الأدوية الأخرى قد أقرها العالم الطبي - مثل جامعة فينا وغيرها. ان مطالعة كتيبنا الفني «الحياة الجديدة» تحيطك علماً بكثير من أمور الحياة التناسلية التي تجهلها. ولتصور يرسل نظير ٥ قروش للنسخة الفرنسية أو الانجليزية، مرضحة برسوم ذات خمسة ألوان، و ٣ قروش للنسخة العربية.
أرسل المبلغ طوابع بريد الى : جلانهورمين . صندوق بوستة رقم ٢١٠٥ مصر
ارفضوا كل علبة غير مكتوب عليها باللغة العربية : تعبئة خاصة للشرق . جرعة قوية

مجانا — اقطع هذا الكبون وارسله إلى صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر X مرفقاً بطابع بريد من فئة الخمسة مليمات فترسل لك نسخة مجاناً من كتاب الحياة الجديدة — مجانا

في يوم الاثنين ١٣ يناير سنة ١٩٣٦ من الساعه ٨ صباحا بناحية الحجر سيباع علنا منقولات ومحصولات مبينة بمحضر الحجز ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ملك خليفة محمد سمده بناحية الحجر نفاذا لحكم محكمة المحله الأهليه نمرة ٤٥١٧ سنة ١٩٣٢ وفاء لمبلغ ١٥ جنيـه و٧٤٠ مليما بخلاف رسم هـذا ورسم النشر كطلب الخواجه فيتا حكيم تاجر بالمحله الكبرى

فعلى من يرغب الشراء الحضور



من جملة سنوات، يطلب إلينا الذين يستعملون ريشة «رليف». الذائعة الشهرة في سائر أنحاء العالم، أن نصنع لهم نوعاً من هـذه الريشة، يكون بالذهب ويتركب على قلم حبر، لتسهيل أعمالهم، ولذلك بذلنا جهدنا في تحقيق رغباتهم وأخرجنا من مصانعنا نماذج جديدة من ريشة «رليف» بسن من المعدن الأصفر الصقيل الذي ينزلق على الورق بالراحة والسهولة وهي تتركب على قلم حبر في غاية الجمال. وهـذا القلم من ماركة «رليف» يحتوي على مميزات الأقلام الأغلى ثمنا ويفوقها جميعاً بسن ريشته المضمونة ضمانة تامة بواسطة اسم ماركتها الشهيرة «رليف»

وهذا القلم مصنوع على ثلاثة أشكال، ومن كافة الألوان لارضاء كل ذوق، وهو غير قابل للاحتراق ومضمون ضمانة تامة. أدخل أي مكتبة أو أي مخزن يبيع الادوات الكتابية واطلب هذا القلم البديع بريشته الجميلة . . . وأنت تخرج في جيبك واحد منه

الموزعون الوحيدون : هارل، وطسون، وفيني ليمتد رقم ١٦٠ شارع شافستبوري لندن . الوكيل بمصر : دينو جودا ناحوم صندوق بريد رقم ٩٤٠ بالقاهرة
الاسكندرية : مكتبة ومطبعة فكتوريا سبيرو وجريفاس هـ. ا. مان . بورسعيد : محلات سيمون ارزت ستور مطبعة م جوروفتش مكتبة اخوان هورن .
المنيا : مطبعة صادق . بني سويف : مكتبة عريان يعقوب غالي . طنطا : مكتبة توفيق فركوح .
أسيوط : المطبعة الأهلية ومكتبتها . الفيوم : مكتبة حسن شفقي .
دمنهور : محمد الحوفي . المنصورة : مطبعة سركيس .
دمياط : مطبعة خضير . اسوان : ماك جيليفري .

العربية ويعتصمون بخواطره ، وأن الحجاز هو موطن الحركة الدينية والسياسية اللتين يؤرخ لهما المؤرخون ، إذا لاحظ القارئ هذا ، أدرك لأول وهلة أن الناقد لم ينصف في مأخذه ولم يوفق فيما استدل به من حديث عائشة في هذا المقام

ص ٤٥ ـ يقول الناقد إن الفرس لم يزهدوا في بلاد اليمن و « أنهم كانوا حراصاً عليه ليحدوا من نفوذ خصومهم الروم والأحباش في تلك البلاد » . ولو أنه اطلع على ما ذكره الطبري الذي أخذ عنه براون في كتابه « تاريخ الفرس الأدبي » (E. G. Browne, Literary History of Persia, vol , I. p . 178) وهو — كما لا يخفى — حجة دامغة في تاريخ الفرس ، لعلم أن الفرس كانوا حقيقة زاهدين في غزو بلاد اليمن . ولا أدل على ذلك من رد كسرى على سيف بن ذي يزن الحميري عند ما طلب منه مساعدته لاسترداد بلاده من الأحباش إذ يقول له : « بعدت أرضك عن أرضنا ، وهي أرض قليلة الخير . إنما بها الشاء والبعير وذلك مما لا حاجة لنا به »

ولعل من العجب أن يقيم حضرة الناقد عاصفة حول اختلاف المؤرخين في وصف « وهرز » قائد الحملة الفارسية على اليمن ، وهل حاجباه هما اللذان سقطا من الكبر أو أن جفنيه انطبقا أحدهما على الآخر من الكبر ! ! فالمسألة ـ كما يرى القارئ ـ مسألة شكلية خلافية بين المؤرخين ، ومؤداها ـ على كل حال ـ أنه بلغ من الكبر عتياً ، فلا تستحق كل هذا الجهد

ص ٦١ ـ ٦٢ ـ يأخذ الناقد علينا أننا استعملنا لفظاً أجنبياً لنظام عربي ، وأن التنظير بين بلاد العرب وبين شبه جزيرة قرشقة يبدو غريباً ونابياً . والمنصف يقدر لنا رغبتنا في عدم ايقاع القارئ في لبس ، خصوصاً إذا لم يكن قد قرأ شيئاً عن هذا النظام الذي كان سائداً في جزيرة قرشقة منذ مئات السنين ؛ وقد سلكنا هذا المسلك عينه في كتابنا « الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص » (ص ٢٣) الذي قامت وزارة المعارف بطبع ترجمته العربية على نفقتها سنة ١٩٣٢

ص ٦٨ ـ هوّل الأستاذ الناقد تهويلا عظيما فيما جاء بسياق كلامنا عن قريش « أنهم اتخذوا جزءا من الأرض أولوه احترامهم وبنوا به بيتاً حراماً لا يحل فيه القتال وأخذوا على عاتقهم حمايته » ، مستنداً في مأخذه على أن ابراهيم الخليل هو باني الكعبة ، وأن قريشاً كانت تحتمي بالبيت الحرام

ويقيننا أن حضرة الناقد ، إذا رجع إلى كتب التاريخ والسير والحديث ، عثر على ما يناقض استناده ـ ولو إلى حد كبير . فكما أنه لا يشك مسلم في أن ابراهيم هو أول من بنى الكعبة بنص الكتاب الكريم ، كذلك لا يشك مؤرخ في أن الكعبة قد هدمت بعد هذا مرات بفعل السيول أو النار ، وأنها بنيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حين كانت سنه خمسة وثلاثين ، وأنه هو الذي وضع بيده الكريمة الحجر الأسود وفض بذلك النزاع بين المتزاحمين ؛ ولا يشك محدث أن الرسول قال لعائشة : « لولا أن قومك حديثو عهد بالكفر لبنيت الكعبة على قواعد ابراهيم » ، وأن عبد الله بن الزبير هدمها ابان خلافته وبناها على أساس قواعد ابراهيم ، مستندا إلى الحديث السابق ، فأتى الحجاج بعد هذا وأعادها إلى ما كانت عليه في عهد الرسول

أما مسألة الاحتماء بالبيت الحرام أو حمايته ، فليس فيها فارق كبير إذا اعتبرنا الاحتماء للأفراد والحماية للجماعات . وقد حصل في قصة أبرهة الحبشي ما يؤيد ذلك ، على أننا قد ذكرنا في كتابنا هذا (ص ٦٦ ، ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٤٥٠) ما يثبت ذلك كله

ص ٨٧ لا أدري وجه النصح من حضرة الناقد لنا في أن نبرأ من الذهاب إلى أن معنى التحنف التوبة والاعتراف . فليس بخاف أن التوبة هي ميل من حال إلى حال . ومعنى « حنيفاً » مائلاً عن الباطل إلى الدين الحق . راجع تفسير البيضاوي وغيره

الحق أن هذا النصح لا يبعد عنه في الغرابة إلا دعوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم تأثر تأثراً بيناً بالجمال حين تزوج صفية بنت حيي !! وليسمح لنا الأستاذ الناقد أن نستعير عبارته « لست أدري ما الذي أبقاه بعد هذا القول لجهلة المبشرين ومتهوسي المستشرقين »

نعم ! أيها الأستاذ . إن الرسول — كما قلنا في كتابنا — كان مضطلعاً بمهمة عظيمة تسمو عن الجمال وعن خلجات الفكر ، ولعلك تراجع كتب التاريخ الاسلامي لترى أن السبب الوحيد في هذا الزواج هو تأليف قلوب قومها وإسلامهم ، ولتكون

سبباً فى عتقهم ليشتد بهم أزر المسلمين . فهذه هى عائشة أم المؤمنين تقول : « لم أر امرأة أكثر بركةً ومنةً على قومها من صفية . أسلم بزواجها قومها وأعتقوا ؛ فقد أطلق الصحابة أسراهم من قومها وقالوا إنهم أصهار الرسول » . ثم كيف تستبعد أن يطمع الرسول فى إسلام اليهود مع ما جرى منهم ، وهو الذى أنزل عليه القرآن محذراً من القنوط لأنه علامة الكفر ، وحاثاً على التواصى بالحق والتواصى بالصبر ؟ لعل الناقد أولى بأن يبرأ من هذا القول الجرىء وإلقاء تبعته على سبْق القلم

ص ١٣١ — أخطأ الناقد فى تفهم قولنا إن الاسلام أحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية ، وذكر أننا أوردنا عبارة « الدعوة الدينية » مع أنها « الوحدة الدينية ! ! » ، وقد ضم حضرته هذا الخطأ الذى وقع فيه إلى المآخذ التاريخية التى عابها على الكتاب ، وأما عن قوله : « إن المراد بالوحدة القومية والجنس هو القبيلة » فهو كلام غير مفهوم بدليل قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقوله عليه الصلاة والسلام « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » . فالمقصود هنا الموازنة بين أمة وأمة لا بين قبيلة وأمة ، ولعل الناقد يريد بذلك أن يقيس مع الفارق على رأيهم

ص ٢١١ — ثم ما ندرى عدم اللياقة فى التعبير عن نابليون بالفتى التليانى ، مع أن المعنى اللغوى والاطلاق العربى يجيزان ذلك بتوسع . إن نابليون كان فتى ، لأنه رجل عظيم أتى بصنوف من العبقرية والمواهب فى الحرب والسياسة ، وكان العرب يطلقون لفظ الفتى على من امتاز بموهبة تبعث الاعجاب والثناء ، ولقد قالوا قديماً : « لا فتى إلا علىّ » ، ونابليون كان فتى بالمعنى اللغوى لأنه حين بزغ نجمه لما يكتمل العقد الثالث من عمره ؟ ثم كان تليانياً (بياء النسبة) من جزيرة قرشقة . لعل لهذه الغيرة النابليونية سبباً تكشفه لنا الأيام

ص ٢٤٠ — ٢٤١ — يرمينا الناقد بالتقصير فى تفهم قصيدة « تأبط شراً » ويأخذ علينا نقل شرحها عن التبريزى ، وأننا ذكرنا فى التعليق عليها لفظ عمه بدل خاله ، وقد فات الناقد أننا ذكرنا لفظ خاله مرة قبل ذلك ، ثم ذكرنا لفظ عمه سهواً وعن غير قصد : أما نقلنا شرح التبريزى ، فمع إشارتنا إلى المصدر الأصلى — وهو ما يعبر عنه المؤرخون بالأمانة فى النقل — فاننا لم ننقل هذا الشرح على القصيدة برمته ، وإنما نقلناه بتصرف ومع مراجعة القاموس وكتب اللغة . فما ندرى أن الخطأ غير المقصود فى ذكر لفظ العم بدل الخال فى قصيدة يكون معناه أننا لم نتفهم معنى للقصيدة برمتها . وهكذا يكون الانصاف وإلا فلا ! !

كم أعجبنى قول الأستاذ الكبير والمؤرخ المشهور بآثاره العلمية محمد بك كرد على فى تحقيقاته على كتاب : « ذكر المعلق على الكتاب أنه وقعت فى طبعته هذه بعض أغلاط مع كل ما عانى فى تصحيحه جاء بعضها سهواً منه ، وبعضها من خطأ النظر ، وبعضها من الأغلاط المطبعية التى لا يتنزه عنها كتاب . ونحن نقيم من كلامه هذا عذراً لكل من أحيا كتاباً للقدامى . وليس من الانصاف أن يحمل على كل من ارتكب خطأ من هذا القبيل بعد بذل الجهد »

ص ٣٣٠ — على الرغم مما ورد فى كتب التاريخ بأن عثمان كان يصوم الدهر وأنه قتل صائماً ، فان الناقد يحاول بجرة قلم أن يرفض هذا القول لسبب واحد : هو أن العقل يرفضه ! ! كأن حوادث التاريخ أصبحت تجرى وراء عقل بعض الناس ؛ فما رفضه يجب أن يمحى من كتب التاريخ ولو بلغ حد التواتر أو قام عليه ألف دليل ودليل . ألسنا فى حل من أن نقول إن الذى حمل العقل يرفض هذا القول هو أننا نريد أن نثقل كفة السيئات والمآخذ ؟

ص ٣٦٥ ينفى الناقد ما ذكرناه من أن عثمان انتخب بمقتضى قانون الشورى الذى سنه عمر . ولم يكف حضرته فى ذلك أن عمر سن نظاماً شورياً مناسباً جداً لعصره بتعيينه ستة يُختار من بينهم خليفة ، وجعل ابنه عبد الله أحد من يختارون على ألا ينتخب . فهل كان يريد الناقد لتحقيق هذه التسمية أن يعد عمر دفاتر الانتخاب ويرجع إلى دستور سنة ١٩٢٣ ؟ ألا إن هذا المبدأ الذى سنه عمر كان حجر الزاوية فى قانون الشورى ، إن لم يكن هو القانون بأكمله . ولو أخذ المسلمون به لما بزغت قرون الفتن ، ولما زلزلوا زلزالا شديداً صدّع بنيانهم ، وأسرع فى انحلالهم

(يتبع)

حسن ابراهيم حسن



في يوم ٧ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بجهة شركس قسم بولاق سيباع بالمزاد العمومى منقولات منزلية مملوكة الى ابراهيم عليان وآخرين وذلك البيع بناء على طلب حضرة صاحب المعالى عبد العزيز محمد بك بصفته وزيرا للأوقاف وناظر على وقف احمد بك عصمت شركس وحرمه ومتخذا له محلا مختارا قسم قضايا الوزارة بمركزها الكائن بباب اللوق بمصر تنفيذا للحكم الصادر بتاريخ ١ / ١ / ٣٥ من محكمة بولاق الأهلية ووفاء لمبلغ ٥ ج و٨٧٩ م بخلاف ما يستجد فعلى من يرغب الشراء الحضور

في يوم الثلاث ٧ بناير سنة ١٩٣٦ بناحية المنيرة مركز قليوب وفى يوم الثلاث ١٤ يناير سنة ١٩٣٦ بسوق القناطر الخيرية من الساعة ٨ صباحا لآخر النهار والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علناأردبين أذرة بكيزانه مقشر داخل كيس وزكيبة ملك احمد القماش من المنيرة مركز قليوب نفاذا لحكم محكمة الأزبكية الأهلية فى القضية نمرة ٣٢٥٦ سنة ١٩٣٥ وفاء لمبلغ ١٤٤ قرش صاغ بخلاف رسم النشر ومايستجد وهذا البيع كطلب حضرة على افندى موافى التاجر بسوق الخضار الجديد بمصر فعلى راغب الشراء الحضور



سجاير أجود: لأنه يستطيع بهذه الطريقة أن ينتقى احسن أنواع الدخان بأنسب الأسعار

سجاير لا تتغير أبداً: لأنه بحماية سجايره أصلا من أصناف الدخان الرديئة — وهو ما يستحيل على الصانع الذى يتسوق دخانه من التجار — لا يجد أية صعوبة فى أن يحتفظ دائماً لكل سيجاره من سجايره بطعمها وبنكهتها الخاصة

سجاير
اخوان كيريازى

تحوى ١٠٠ ٪ من الدخان النقى وارد تركيا واليونان المشترى رأساً من المزارعين

فى يوم الثلاث ٧ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية مليج وفى اليوم نفسه بسوق مليج العمومى سيباع علنا جاموسة بيضاء بقرون مصرى سليمة سن ٤ ملك شاهين شاهين سلطان وسلطان شاهين شاهين سلطان من مليج تنفيذا للحكم المدنى نمرة ٣٤٦٥ سنة ١٩٣٥ شبين الكوم الجزئية لصالح عبد العدل علما الوكيل عنه احمد افندى حلمى بمليج وفاء لمبلغ ٢٧٩ قرشا صاغا بخلاف أجرة هذا النشر

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الاثنين ١٣ يناير سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا بقشطوخ مركز تلا ويوم الأحد ١٩ منه بسوق شونى سيباع علنا بقرة حمراء سن ٥ سنوات وعجلة بقر حمراء سن ٦ شهور تقريبا ومحراث وطنبور خشب مستعملين ملك أم الرزق على اسماعيل ومحمود شبل حسين من الناحية نفاذا لحكم محكمة بندر طنطا نمرة ١٧٠١ سنة ١٩٣٥ وفاء لمبلغ ٣٢٧ قرش صاغ الباقى من الدين بخلاف رسم هذا وما يستجد والبيع كطلب الخواجه أمين نوفل محفوض التاجر بطنطا فعلى راغب الشراء الحضور



فى يوم السبت ١٨ يناير سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا وما بعدها بشارع الكرمانى نمرة ٧ شياخة محمد حسن حبيب قدم محرم بك سيباع علنا منقولات منزلية مثل طقم فرش وأشياء أخرى مبينة بمحضر الحجز بتاريخ ٤/٣/١٩٣٥ ملك احمد افندى رجب الصباغ الرعية والمقيم بالجهة المذكورة نفاذا للحكم ٢٠٧٦ سنة ١٩٣٥ عطارين وفاء لمبلغ ٣١٤ قرش صاغ بخلاف رسم هذا النشر ما يستجد والبيع كطلب عبد الحميد افندى محمود المقيم بملكه بشارع القطاعى نمرة ٣٦ ومحله المختار مكتب الأستاذ على الحلوانى المحامى باسكندرية فعلى راغب الشراء الحضور



كتاب الأوراق

للصولى

للأستاذ محمد بك كرد على

كان أبو بكر محمد بن يحيى الصولى من الأدباء الظرفاء والندماء العلماء . نادم الراضى بالله وكان أولاً مؤدباً له . ونادم المكتفى ثم المقتدر . وكان من ألعب أهل زمانه بالشطرنج مات مستتراً بالبصرة فى سنة ٣٣٥ هـ على أصح الروايات ، لأنه روى خبراً فى على بن أبى طالب فطلبته الخاصة والعامة لتقتله . وله كتب كثيرة فى الأخبار وتراجم الرجال ، ولا سيما الخلفاء والأمراء والشعراء . والغالب عليه « أخبار الناس ، وله رواية واسعة ، ومحفوظات كثيرة . وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة . مقبول القول » وتآليفه : كتاب الأوراق هذا الذى قال فيه المسعودى « إن الصولى فى كتاب الأوراق ذكر غرائب لم تقع إلى غيره ، وأشياء تفرد بها ، لأنه شاهدها بنفسه . وكان محظوظاً من العلم ، مجدوداً من المعرفة مرزوقاً من التصنيف ، وحسن التأليف » والأوراق هو الذى أحياه بالطبع جزءين لطيفين أحد المستعربين من الانجليز السير هودث دن . وكان طبع له كتابه « أدب الكتاب » أحد أدباء بغداد الشيخ محمد بهجة الأثرى

بدئ الجزء الأول من الأوراق أو القسم الذى عثر عليه الناشر بترجمة أبان اللاحقى وأخباره مع الرشيد ومع جماعة من الشعراء وأجزاء من نظمه كتاب كليلة ودمنة وبدأه بقوله :

هذا كتاب كذب ومحنة	وهو الذى يدعى كليلة دمنة
فيه دلالات وفيه رشد	وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم	حكاية عن ألسن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله	والسخفاء يشتهون هزله ...

وفيه ترجمة ثلاثة شعراء وأدباء ظهروا من بيت اللاحق ، وترجمة أشجع السلمى ومختار شعره فى المديح وغزله ومراثيه ، وأشعار أشجع نحو ربع هذا الجزء . وترجم الصولى لأحمد أخى أشجع كما ذكر أخبار أحمد بن يوسف الكاتب وأسرته ولا سيما أخوه القاسم ، لأن الأخوين اقتسما نثر الكلام ونظمه فتقدم أحمد بن يوسف فى النثر وأخوه القاسم فى النظم . وبنو أحمد بن يوسف من أصل قبطى مصرى ، أسر جدهم فنشأوا فى العراق وما زالوا يعلون وتنبه أقدارهم حتى وزر أحمد بن يوسف للمأمون . وللقاسم فى الشيب والزهد من قصيدة :

ودع شبابك قد علاك مشيب	وكذاك كل معمر سيشيب
جازت سنوك الأربعين فأزعجت	منك الشباب تجارب وخطوب
ودعاك داع للرشاد أجبته	وبما يراك الغى ليس يجيب
فابك الشباب وما خلا من عهده	أيام أنت إلى الحسان طروب
يسبين لبك بالدلال وتستبى	ألبابهن فسالب وسليب
طوراً يسامحن الهوى ويطمنه	ويصبن قلبك بالجوى وتصيب
خلطن معصية بحسن إجابة	فلهن عندك أنعم وذنوب ...

ولهذا الشاعر قصائد جميلة قالها فى أغراض شتى مثل قصيدة يشكو فيها البق والبراغيث والبرغش ، وأخرى فى رثاء هرة ، وثالثة فى الشكوى من النمل والفأر ، ورابعة فى رثاء الشاهمرخ (الشاهمرد) ، وخامسة فى رثاء القمرى إلى غير ذلك (راجع ما كتبناه فى درس هذا الجزء فى المجلد السادس من مجلة المجمع العلمى العربى)

وفى الجزء الثانى من الكتاب أخبار الراضى والمتقى وتاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ وفيه نجابت نفسية الصولى ، وكان فى الجزء الأول ينقل أخبار غيره فيجيد النقل ويحسن الاختيار ؛ أما فى هذا الجزء فتكلم فيه عن نفسه ، وذكر أحاديثه مع الراضى وقصائده فيه ، ومبالغته فى محامده وعطاياه له ، فظهر الاسفاف عليه بالحافه فى الاستجداء من الخليفة

وشكوى الزمان من الحرمان ، وقول فلان منحنى وفلان حرمنى ، مما لا يتناسب مع جلالة قدر من يدعى أن أهله كانوا من نسل ملوك جرجان ، وهو يعاشر الخلفاء والأمراء ، وهذا القسم مهم فى تاريخ الخليفتين الراضى والمتقى ، يتجلى فيه انحطاط الملك العباسى ، وما كان يحاك حول الخلفاء من دسائس ، وكيف تنزع السلطة من الخوالف شيئاً فشيئاً

والغالب أن بعض المؤرخين اعتمدوا على نصوص الصولى فى أكثر المسائل التى ذكرها واقتبسوا عباراته بحروفها ، وشعر الصولى الذى شغل به صفحات طويلة من هذا الجزء مهجون بالمصانعة ، وعلى جانب من التكلف حاول أن يأتى بقصائد ذات قواف مستغربة ، فأبهم وعمى ، وحاد عن قانون السلاسة . ومما ذكره من شعر تلميذه الخليفة الراضى يفتخر :

لو أن ذا حسب نال السماء به نلت السماء بلا كد ولا تعب
منا النبي رسول الله ليس له شبه يقاس به فى العجم والعرب
فان صدقتم فأعلى الخلق نحن وإن
ملتم عن الصدق اعتقتم إلى الكذب

وله من قصيدة :

إنى امرؤ تصفو موارد رأفتى وتخرب سطواتى العدو المحربا
إذا عدت الأبيات أبصرت بيتنا كأن الثريا بالبنى مطنبا
رويدك إن النار تظهر تارة ويكمن فى الأحجار منها تغيبا

وذكر له صفحات من شعره فى الفخر والغزل والتشبيب

وما أخلى الصولى الخليفة المتقى من تهكم وتعريض ، ولعله قال ما رأى فى هذا ، وأغمض عن أمور رآها فى سلفه الراضى ، لانه لم يكن له القبول الذى يحاوله فى أيام المتقى ، (ذكر ص ٢٤٩) صورة أمر عن المتقى لما غادر بغداد إلى بعض أرجاء العراق وهو خائف من الناس قال : وكتب الخليفة الى صاحب الشرقية أحمد ابن جعفر الطلحى بكتاب يأمره أن ينادى بما فيه فنادى « أمر أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بالنداء ببراءة الذمة ممن فتح من العمال والمتصرفين شيئاً من الدواوين ، أو نظر فى الأعمال ، أو طالب بخراج ، أو تصرف فى عمل من الأعمال السلطانية بعد شخوص أمير المؤمنين ، فقد أحل بنفسه العقوبة الموجعة وهجم (داره) وإباحة ماله ، فقد أحب أمير المؤمنين ترفيه رعيته والاحتياط لهم ، وترك إعناتهم ، فليحذر المخالفون لذلك ، وليلحق بأمير المؤمنين سائر عماله وأوليائه ، ولا يتأخروا عن معسكره ، وليبلغ سامع هذا النداء الغائب عنه » أى أن الخليفة عطل كل شىء فى بغداد لئلا يشغب العامة مدة غيابه عنها . وذكر المؤلف قصة تأديب الراضى وأخيه هارون وكيف أرسلت القهرمانة ريدان الى المؤدب تقول (ص ٢٦) « إن هذه المحاسن من هذا الرجل عند السيدة ومن يخدمها مساوىء ، فقل له عنى ياهذا ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء ، وهذا أبوهم (المقتدر) قد رأينا كل ما نحب فيه ، وليس بعالم فاعمل على ذلك » قال المؤدب فأتيت نصرا الحاجب فأخبرته بذلك فبكى وقال : كيف نفلح مع قوم هذه نياتهم . قلنا ولما اكتفى العباسيون بالجهل لأولادهم تداعت دولتهم شأن كل دولة جاهلة فى القديم . وعهد المقتدر وتسلط النساء فى القصر العباسى من أغرب أيام بني العباس . ومن هذه الأمور صور صالحة فى كتاب الأوراق وصفحات ينبغى لها أن تقرأ بتدبير

محمد كرد على

وزارة المعارف العمومية

ادارة السجلات والامتحانات

اعلان

بما أن هناك طلبة يدرسون فى منازلهم على النظام الفرنسى ويرغبون فى التقدم لامتحان الانتقال أمام المدارس الأميرية ليكون لهم الحق فيما بعد فى التقدم لامتحان شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان فى مرحلة الثقافة العامة مع تأدية الامتحان فى مقرر السنة الرابعة فقط

لذلك رأت وزارة المعارف أن تخصص بالقاهرة المدرسة الخديوية وبالاسكندرية المدرسة العباسية لكى يؤدى طلبة المنازل المتقدم ذكرهم فى القطر كله امتحانات الانتقال أمامها

فعلى الطلبة الذين ينطبق عليهم هذا النظام أن يتقدموا لاحدى المدرستين المذكورتين بالطريقة السابق النشر عنها

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٢ — ١٣ يناير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 132. Lundi-13-1-1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة



العــدد ١٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شوال سنة ١٣٥٤ — ١٣ يناير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العــدد

صفحة
٤١ من أحاديث النيروز ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٤٣ فى الحب والمرأة ... ... : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٤٥ المشكلة ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٤٨ سفارة أندلسية إلى ملك النورمانيين ... ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٥١ تاريخ الأدب النسوى فى فرنسا : الأستاذ محمد بك كرد على...
٥٤ عشرة أيام بثينة ... ... : الدكتور يوسف هيكل ...
٥٨ فى ميدان الاجتهاد ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٦١ معركة عدوى ... ... : الفريق طه باشا الهاشمى ...
٦٤ عبد الرءوف المناوى ... ... : الأستاذ محمد ابراهيم العفيفى
٦٧ الكذب والصدق (قصيدة) : الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
٦٨ أختى ... ... » : الأستاذ أحمد رامى ... ...
٦٨ صمت الشك ... » : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٦٩ بريام الحزين ... (قصة) : الأستاذ درينى خشبة ... ...
٧٤ ترجمة لكير هاردى ... ...
٧٥ وثائق هامة عن حياة زعيم مسلم ... ...
٧٥ حول كتاب (الاسلام الصحيح) ... ...
٧٥ ضريح ابن الأثير فى الموصل ... ...
٧٥ الدكتور الرافعى ... ...
٧٥ آراء بعض الزملاء فى الرسالة ... ...
٧٧ كتاب تاريخ الاسلام السياسى : الدكتور حسن ابراهيم حسن
٨٠ المقتطف والمتنبى ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

من أحاديث النيروز

كنا ليلة النيروز المسيحى[1] نَسْمُر فى دار صديق؛ ولهذا الصديق زوجة من لوزان، دقيقة الفهم، رقيقة الشمائل، لطيفة التكوين؛ أُغرمت بمصر وأخلاق أهلها اغراماً شديداً، فهى تحاول أن تتكلم العربية، وتؤثر أن تعيش على الأوضاع المصرية، وتتابع بالنظر العَطوف نهضتنا المجاهدة، وتدافع بالحجة القارعة ما تفتريه علينا الألسن الأوربية الجاحدة، وتحب كلما حضرتُ مجلسها أن تناقلنى الأحاديث فى مصر والعرب والاسلام والشرق، وهى فى كل ذلك واسعة الاطلاع من طول ما تسافر ومن كثرة ما تقرأ

كان زوجها وفريق من المدعوين يلعبون الورق على المائدة المغربية، وكان فريق آخر يستمع إلى (الراديو) وهو يذيع الأناشيد الكنسية المهللة، وأنا وهى على كرسيين متقابلين أمام المدفأة، نتجاذب على عادتنا أطراف الحديث المشقق، ونتصفح على طريقتنا أوجه الرأى المختلف؛ فأجد فى حديثها الشهى الممتع ما يجده ذلك الذى يلعب، وذاك الذى يشرب، وهذا الذى يسمع!

***

(١) النيروز هو اليوم الأول من السنة الشمسية

تناهزَت النفوس الحبيبة لذة الصفو فى الساعات المودعة ، وتجاوبت فى البِيَع القريبة أصوات النواقيس المُرنّة ، وتلاقت الحياة والموت فى قلب الليلة المخضرمة [1] ، وتهتكت سدول المهد المحجب عن العام الوليد ؛ فقالت لى ساعتئذ والرفاق يتبادلون المودة بالعيون ، ويتناقلون التهنئة بالشفاه :

انظر كيف يولد العام المسيحى فى بقاع الأرض ! ! إنه يولد كما يولد الأمل المعسول فى النفوس المرحة الغضة ، فالكنائس تعج بالصلوات المستبشرة ، والمنازل تفيض بالمسرات المتجددة ، والعالم الغربى كله لايذكر فى هذه اللحظة عاماً دفن مع الأمس ، ذوت فيه نواضر المنى ، وذهب معه بعض العمر ، وإنما يذكرون عاماً يولد مع اليوم ، فتستأنف نشاطها فيه ، وتستمد رجاءها منه ، وتستقبل حدثان الغد بالثغر الباسم والعزم الصارم والنظر الرغيب.. وما أدرى — وقد نشأت فى ربوع الغرب وطوّفت فى بعض أنحاء الشرق — لماذا كان المسلمون وحدهم اليوم رماد الموقد المضطرم : يتحرك بهم الفلك وهم ساكنون ، وتتفجر عليهم الأحداث وهم غافلون ، ويلقون فى مراغة الذل وهم راضون ، وتؤكل بهم أرزاق الأرض وهم قانعون ، ويجادل عنهم خصومهم وهم ساكتون ؟ أيرجع ذلك إلى العقيدة أم إلى الطبيعة ؟

فأجبتها والخجل يكسر من طرفى ويعقد من لسانى : ربما كان مرجعه إلى الاثنتين معاً !

وكانت تنظر إلى لهب النار يرقص وارياً بين وقود المدفأة ، فحولت فى دهشة وسرعة وجهها إلىّ وثبّتت نظرها فىّ ، وقالت : كيف ؟! ألم تكن عقيدتهم اليوم هى العقيدةَ التى ألّفت من شتات البدو دولة ، وبعثت من جوف الصحارى حضارة ، ونفخت فى قلوب الصعاليك من روح الله فطمحوا إلى ملك كسرى وهم جياع ، وسموا إلى عرش قيصر وهم عراة ، وصمدوا إلى حكم العالم وهم سذّج ؟

ألم تكن طبيعتهم اليوم هى الطبيعة التى تكرمت عن الدون ، وتجافت عن الهُون ، وتسامت إلى القدْر الخطير ، وتمردت على الطغيان المستبد ، وجعلتهم يضعون أنفسهم فى كفة ، والعالم كله فى كفة ، فسموا — كما علمتُ منك — من عَداهم بالعجم ، كما سمى الرومان من عداهم بالبربر ؟

فقلت لها : كلا وا أسفاه ! ليست العقيدة هى العقيدة ، ولا الطبيعة هى الطبيعة ! كانت عقيدتهم كما قلتِ سامية تبعث الطموح ، صافية تكسب الخلوص ، بسيطة تنتج الوفاق ، جامعة توجب الوحدة ؛ توفق بين الدين والدنيا من غير كلفة ، وتصل بين الله والانسان من غير واسطة ، فاختلط بها فى القرون الأخيرة شعوذة الهنود وأساطير اليهود وصوفية الفرس ولاهوتية اليونان ، فأصيبت بالخَدَر الذاهل ، والتواضع الجبان ، والزهد الكسول ، والاتكال المخْلف ، والجدل العقيم ، والاختلاف المفرق ؛ ثم تبخر من هذا الخليط المشوه أكسير الحياة فلم يبق إلا الرواسب الغريبة ، وتصعّد منه عبير الروح فلم يبق إلا الأوراق الجفيفة ؛ فالدين اليوم شعائر من غير شعور ، وتقليد من غير فهم ، واعتقاد من غير تطبيق ، وشعوذة من غير حقيقة ، وأحكام من غير حكم

***

وكانت طبيعتهم كما قلتِ أبية تأنف الضراعة ، طماحة تكره القناعة ، وثابة تحاول التفوق ، طلاعة تحب المغامرة ؛ فامتزجت بها من بعد الفتوح دماء الأجناس المملوكة ، وأدواء الأمم المنهوكة ، وأوباء الأقاليم القصية ؛ ثم قرت فيها صبابة الأحقاب ، وانتهت إليها نفاية الأعقاب ، وناءت بها أعباء التقاليد . فالعقلية الاسلامية اليوم مشوبة غير صريحة ، معقدة غير واضحة ؛ وهى من عبث الأحداث متنافرة لا تلتئم ، متخاذلة لا تقاوم

إنما العقيدة الخالصة والطبيعة السليمة لا تزالان فى بوادى الحجاز وهضبات نجد ؛ ولكن العالم غير العالم ، والوسيلة غير الوسيلة ، والغاية غير الغاية !

فاذا لم نجلُ عن عقيدتنا هذا الصدأ العارض ، وننفُض عن ثقافتنا هذا الهراء الغث ، ونجُذّ من خلفنا ذيل التقاليد الفاسدة ، ظل سيرنا يا سيدتى بطيئاً لا يَلحق ، وجهدنا باطلا لا يفيد

***

وكانت فورة اللعب والطرب قد قرّت فى نفوس القوم ، نخلت المائدة ، وسكت الراديو ، وفتر الحديث ، وتهيأ السامرون للخروج ، فلم تستطع السيدة أن تعقب على هذا الكلام

احمد حسن الزيات

(١) لأنها أخذت شطراً من العام الماضى وشطراً من العام الجديد

فى الحب والمرأة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

أنا — كما لا يعرف القارئ وإن كان لاشك لبيباً — أكره أن أحب أو أن أحَب . ولهذا النفور من الحب أسباب شتى ، منها أنه لا بد لى فى الأمر ، ولا سلطان لى عليه ، والمرء يصاب بالحب كما يصاب بالزكام — بكرهه وعلى الرغم منه — ولو خيّر لاختار السلامة وآثر النجاة ، ومن ذا الذى يطيب له أن يتوعك ؟ والحب حين يغمر النفس يذهلها عن لذته وحلاوته ، ويشغلها بالوجيب والقلق والخوف والرغبة والغيرة ، ولهذا كان أمتع ما فيه ذكراه — أى بعد أن تفتر الحرارة وتسكن النفس ويزول الاضطراب والقلق — أو تنتفى دواعيهما بفتور الرغبة — وقد يكون البحر الجائش العباب رائعا ولكن ركوبه لا يحلو ، واعتسافه لا يؤمن ، والنفس مثله . وقد يسمو بها اضطرام الحب فيها إلى الجلال ، ولكن الاحاطة بما تضطرب به والغوص عليه لا يتسنيان إلا بعد الهدوء ؛ وقد يلهم المرء شيئاً وهو هائج ، ولكن النظرة المباركة هى التى تدور بها العين فى أنحاء النفس بعد أن تعود اليها سكينتها وصفوها ويتيسر الوصول إلى أغوارها والنفاذ إلى زواياها والتغلغل فى مراديها .

ومن الأسباب المزهدة أنى رجل عادل منصف ، أو دع الانصاف وقل إن الله خلق لى فى وجهى عينين ، فما خيرهما إذا أنا لم أنظر بهما ؟؟ والمرأة مستبدة ، ومن استبدادها أنها تغضب وتثور وتسوّد عيشك اذا نظرت إلى سواها . وعبث أن تحاول أن تفهمها أن الأغضاء عن كل هذا الجمال الذى فى الناس ، قلة عقل ، وقصر نظر — بل عمى — ؛ وماذا تصنع العينان إذا لم تبصرا ؟ وأى عمل آخر لهما هناك ؟ وكون المرأة التى يبتلى الانسان بحبها جميلة ليس معناه أن النساء غيرها دميمات ؛ وحبك إياها لا ينبغى أن يتقاضاك مقت النساء الأخريات وتنقصهن ؛ والاعجاب بهن لا يعد ثلباً لحبيبتك ، وفى وسعها هى أيضاً — إذا شاءت وكان هذا مما تستطيع — أن تعجب مثلك بهن . والرجل الذى يفقده الحب القدرة على الاعجاب بالجمال فى صوره المختلفة يكون فاسد الذوق ، ولو عقلت المرأة لكان هذا كافياً لتشكيكها فى رأيه فيها

ويزهدنى فى الحب أيضاً أن مناظر العشاق مضحكة ، وأحوالهم سخيفة ، ومبالغاتهم شديدة ، ودعواهم عريضة ، وعمى قلوبهم وأبصارهم تام عن كل ما يحيط بهم . وأى عاشق لم يقطع ألف وعد بالوفاء المستحيل ؟ بل أى محب لم ينس طربوشه مرة ، أو لم يلبس طربوشين واحدا فوق الآخر (ومع ذلك تراه لذهوله يدور باحثاً عن طربوشة لظنه أن رأسه عار !) أو لم يبد للناس فى الطريق أو الترام ملتاث العقل مخبولا ، يضحك ويقطب بلا سبب ظاهر ، ويشير بأصابعه أو يلوح بيده ، أو يكلم نفسه ؟ والأرق ؟ لا أدرى لماذا لا ينام العشّاق ملء جفونهم كما ينام عبادُ الله الآخرون ؟ ولكن الذى أدريه أن النوم المزعج قلما يؤاتيهم أو يسعفهم بسكينته ، وتالله إن العاشق لمسكين ! لا نوم الليلة يا صاحبى لأنك حين ذهبت الى بيت حبيبتك رأيتها مطلةً من النافذة وناظرةً الى جهة غير التى تعرف أنك آتٍ منها ! فهل كانت يا ترى تنتظر سواك ؟ وعليك أن تذرع أرض الغرفة مائة ألف مرة هذه الليلة وتقطع خمسمائة فرسخ — جيئة وذهوبا — لأنك وأنت معها جعلت ذراعك حولها وهممت بضمها وتقبيلها فجنحت الى الدلال ونفرت من العناق ، وكانت تبتسم ، ولكنها قالت « من فضلك ! » من فضلك ؟ ، وهل بيننا « من فضلك ؟ » . هذا كلام يقال للأغراب ، وتكلف فى التعبير لا يكون بين المحبين ! ويظل طول الليل يدب على رؤوس النيام تحته . وفى ليلة يسير على وجهه فى الشوارع كالمتشردين ، ويحدث نفسه بالانتحار ، ويجتاز جسر اسماعيل ، وعينه الى الماء الذى يتدافع بين قواعده ، وقد يسأم التدخين فيلقى بعلبة السجاير فى الماء ويغرقها فيه بدلا منه وفداء له ، وبعد خمس دقائق يشترى غيرها . ولا يزال يتمشى حتى يرتاب فى أمره الشرطة ، ويرى منهم ما يرد اليه بعض ما عزب من عقله ، فيرجع إلى البيت مضعضعاً مهدوداً . . . إلى آخره ، إلى آخره

ثم إن الحب إذعان ، ومن أحب امرأة فقد أسلم أمره — إلى حد ما — لأهواء لا ضابط لها ولا كابح ، ولا تميز فيها بين الممكن والمتعذر ، أو اللائق وغير اللائق ؛ وقد يطير الحب عقل الرجل — بل هو يفعل ذلك على التحقيق — ولكنه لا يستطيع أن يغير أسلوب تفكيره ولا أن يجعله كأسلوب المرأة فى تفكيرها . وعسير أن يظل الحب قادرا على إخفاء الفوارق بين أسلوبى

الرجل والمرأة في التفكير . وهب وقدته تبقى زمناً طويلا - وهو ما أشك فيه ولا أومن به - فان توالى اصطدام المقليتين خليق أن ينبّه الى هذه الفوارق وأن يزعج الرجل ويحيّره ، وقد يفضي به الى السآمة

والمرأة التي ترى نفسها محبوبة تتوهم أن الرجل أباحها ظهره فهي تركبه وتركضه كيف شاءت وإلى حيث ينزو برأسها أن تذهب ، ولا تبالي ما يصيبه من الارهاق والجهد والاعياء والملل ، ولا يخطر لها أن كده على هذا النحو ولجاجتها في ذلك خليقان أن يخمدا وقدة الحب

والدلال ، ماذا نقول فيه ؟ إنه مصيبة كبيرة وبلاء عظيم ، ولكن المرأة تحسبه وقود الحب ، فلا سبيل إلى شيء إلا بعذاب غليظ من هذا الدلال الثقيل ، إذ كانت المرأة تسيء الظن بقيمة الاستجابة السريعة ، ولا تؤمن إلا بقول القائل — قاتله الله كائناً من كان ، فقد نسيت من هو — : « وحَبَّ شيء إلى الانسان ما منعا »

قلت مرة لامرأة وقعت بينها وبين حبيبها نبوة من جراء دلالها وإبائها عليه قبلة اشتهاها : « ياستى أنت تحبينه ، وهو يحبك — أليس كذلك ؟ »

فألقت إليّ نظرة خبيثة ، فهززت رأسي وقلت : « نعم أو لا ؟ أيهما ؟ قولي بلسانك

فقالت : « لكأني في مدرسة ! »

قلت : « ومن الذي غشك وأوهمك أنك استغنيت عنها ؟ ؟ إنك لم تشبي عن الطوق إلى الآن ، ومازلت إلى هذه الساعة بنتاً صغيرة جاهلة ، أجدر بك أن تخرجي إلى الشارع ، فتلعبي فيه بالحبل ... »

فلم يسؤها مني هذا الطعن لأنها كانت تعرف عطفي عليها ، وحبي لخيرها ، فأعدت عليها السؤال ، فقالت : « نعم »

فقلت : « أشهد ألا إله إلا الله ! وقد اشتهى منك قبلة ، فهل كنت تأنسين من نفسك استعدادا للاجابة ورغبة فيها ؟ »

فضحكت وقالت : « هذا اشبه بالتحقيق . . . . شيء جميل والله ! »

قلت : « هو تحقيق . . . فأجيبي »

فصاحت : « ولماذا لم يقبلني ؟ ماذا منعه ؟ »

فصحت بدوري : « إيه ؟ ماذا تقولين ؟ »

قالت : « أقول إن روحي كانت على شفتي . . . . وكنت أتلهف على قبلته ، ولكنه لم يفعل وذهب يتكلم ... سخيف ! »

قلت : « ليس هو وحده السخيف »

فرفعت وجهها إليّ ، وزوت ما بين عينيها ، فقلت : « أنا أيضاً مثله . . . . . فقد كنت أحسبه مؤدباً ، وأعده مهذباً ، فاذا به مغفل ! »

فضحكت ... وهكذا المرأة أبداً ... ومن هذا الذي يجرؤ أن يزعم أنه يعرفها معرفتها ؟ يفعل الرجل الشيء يطلب به رضاها ، فاذا هي ساخطة ضجرة ؛ ويتقي الشيء يخشى أن يغضبها بفعله ، فاذا هي تلومه وتؤنبه وتمد ذلك من ذنوبه ؛ وتختصر الطريق وتمشي إلى غايتك مباشرة ، فتراها تؤثر اللف والمحاورة ، فتروح تدور فتجدها قد تغير مزاجها ، واختلفت رغبتها وانقلبت تؤمن بأن الخط المستقيم أقرب ما بين نقطتين ؛ وتهدى اليها تحفة تتعب في انتقائها ، وتغرم في سبيلها نصف دخلك ، فتقول : « هلا استشرتني قبل أن تشتريها ؟ » ؛ وتستشيرها في مرة أخرى فتقول : « لو فاجأتني بالهدية لكان ذلك أحلى وأوقع » فأنت معها أبدا على كف عفريت سكران

وعقول الرجال في رؤوسهم ، أما عقل المرأة فقد يكون في حذائها - ولكنه على التحقيق - ليس في رأسها . وضائع ، ضائع ، من يجادلها بمنطق الرجال ، أو يكلمها كلام العقل ، فما عرفتُ ذلك يجدى معها . ولو أن رجلا أثنى عليّ عقل امرأة بكتاب في ثلاثين جزءاً لما بلغ من نفسها ما هو خليق أن يبلغ بكلمة ثناء مفردة على جمالها — ولو كذبا — أو نظرة اعجاب واحدة الى حذائها وإن كان أضخم من الباخرة نورماندى ، أو مسحة بكفه - في حنو ، ولو متكلفا - على شعرها وإن كان كضوء القمر

ولست أذم المرأة ، وكيف أجرؤ ، وهي زينة الحياة وسر سحرها ؟ ولكني أقول إنها مخلوق آخر ، غير الرجل ، وهو قول ليس فيه جديد ، ولا شك أن الرجل يبدو للمرأة - كما تبدو هي له - مستغرب الأطوار شاذا في أسلوب تفكيره ، وطريقة تناوله للأمور

ابراهيم عبد القادر المازني

٢ - المشكلة (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لما فرغتُ من مقالات (المجنون) وأرسلتُ الأخيرة منها، قلتُ في نفسي هذا الآخِرُ هو الآخر من المجنون وجنونه، ومن الفكر في تخليطه ونوادره؛ غير أنه عاد إليَّ أخلاطاً وأضغاثاً فكأني رأيته في النوم يقول لي: اكتب مقالا في السياسة. قلت: مالي وللسياسة، وأنا «موظف» في الحكومة، وقد أخذت الحكومة ميثاق الموظفين لمَا عرفوا من نقدٍ أو غميزةٍ ليكتمُنَّه ولا يُبيِّنونه. فقال: هذه ليست مشكلة، وليس هذا يصلح عذرا، والمخرجُ سهلٌ والتدبير يسيرٌ والحلُّ ممكن. قلت: فما هو؟

قال: اكتب ما شئت في سياسة الحكومة، ثم اجعل توقيعك في آخر المقال هكذا: «مصطفى صادق الرافعي؛ غير موظف بالحكومة» . . . . . .

فهذه طريقة من طرق المجانين في حل المشاكل المعقَّدة، لا يكون الحل إلا عقدةً جديدةً يتم بها اليأس ويتعذَّر الامكان، وهي بعينها طريقةُ ذلك الطائر الأبله الذي يرى الصائد فيُغمِّض عينه ويلوى عنقه ويخبأ رأسه في جناحه ظناً عند نفسه أنه إذا لم ير الصائد لم يره الصائد، وإذا توهم أنه اختفى تحقق أنه اختفى؛ وما عمله ذلك إلا كقوله للصياد: إني غير موجود هنا . . . على قياس «غير موظف»

***

وقد كنت استفتيتُ القراء في (المشكلة) وكيف يتقي صاحبُها على نفسه وكيف نصنع صاحبتُها؛ فتلقيتُ كتباً كثيرة أهدتْ إليَّ عقولا مختلفة؛ وكان من عجائب المقادير أن أول كتاب أُلقي إليَّ منها — كتابُ «نابغة» كنابغة القرن العشرين، بعث به من القاهرة، وسمى نفسه فيه (المصلح المنتظر)؛ وهذه عبارته بحرفها ورسمها كما كُتبت وكما تُقرأ؛ قال:

نشر هذا النص كما هو، يكون أيضاً نصاً على ذلك العقل كيف هو . . . .

قال: «إن هذا الكون تعبت فيه آراء المصلحين، وكَتب الأنبياء زهاء قرون عديدة، ودائماً نرى الطبيعة تنتصر. ولقد نرى الحيوان يعلم كيف يعيش بجوار أليفه، والطير كيف يركن إلى عش حبيبته، إلا الانسانُ. ولقد تفنن المشرعون في أسماء العادات والتقاليد والحمية والشرف والعرض، وإن جميع هذه الأشياء تزول أمام سلطان المادة فما بالكم بسلطان الروح؟

ورأيي لهذا الشاب ألا يطيع أباه ولو ذهب إلى ما يسموه الجحيم (كذا) إذا كان بعد أن يعيش الحياة الواحدة التي يحياها ويتمتع بالحب الواحد المقدر له، ما دام قلبه اصطفاها وروحه تهواها؛ ولو تركته بعد سنين قليلة لأي داع من دواع الانفصال. (كذا)

وهذا ليس مجرد رأي مجرب، وإنما هو رأي أكبر عقل أنجبته الطبيعة حتى الآن، وسينتصر على جميع من يقفون أمامه، والدليل أن هذا المقال سيشار اليه في مجلة (الرسالة)، وهذا الرأي سيعمل به، وصاحب هذا الرأي سيخلد في الدنيا، وسيضع الأسس والقوانين التي تصلح لبني الانسان مع سمو الروح بعد أن أفسدت أخلاقه عبادة المال

إن الانسان يحيا حياة واحدة فليحياها بأحسن ما تكون، وليمتع روحه بما تمتع به جميع المخلوقات سواه. وإلى الملتقى في ميدان الجهاد» (المصلح المنتظر) انتهى

وهذا الكتاب يحل (المشكلة) على طريقة غير «موظف» ... فليعتقد العاشق أنه غير متزوج فاذا هو غير متزوج، وإذا هو يتقلب فيما شاء؛ وتسأل الكاتب ثم ماذا؟ فيقول لك: ثم الجحيم ...

وإنما أوردنا الكتاب بطوله وعرضه لأننا قرأناه على وجهين، فقد نبهتنا عبارة «أكبر عقل أنجبته الطبيعة حتى الآن» إلى أن في الكلام إشارةً من قوة خفية في الغيب، فقرأناه على وحي هذه الاشارة وهديها فاذا ترجمةُ لغة الغيب فيه: «ويحك يا صاحب المشكلة، إذا أردت أن تكون مجنوناً أو كافراً بالله وبالآخرة فهذا هو الرأي. كن حيواناً تنتصرُ فيه الطبيعة والسلام

***

(١) انظر المقال الأول في العدد ١٢٣ من الرسالة. والمشكلة هي قصة عاشق أكره على الزواج من امرأة وهو يحب أخرى فكيف يصنع

٦٠٤

تلك إحدى عجائب المقادير فى أول كتاب ألقى إلى ؛ أما العجيبة الثانية فان آخر كتاب تلقيته كان من صاحبة المشكلة نفسها . وهو كتاب آية فى الظرف وجمال التعبير وإشراق النفس فى أسرارها يَمُور مَوْر الضباب الرقيق من ورائه الأشعة ، فهو يحجب جمالاً ليظهر منه جمالاً آخر ؛ وكأنه يعرض بذلك رأياً للنظر ورأياً للتصوّر ، ويأتى بكلام يقرأ بالعين قراءةً وبالفكر قراءة غيرها . ولفظها سهلٌ سهل ، قريبٌ قريب ، حتى كأن وجهها هو يحدثك لا لفظها ، ومادة معانيها من قلبها لا من فكرها ، وهو قلبٌ سليمٌ مُقْفَلٌ على خواطره وأحزانه مُسترسِلٌ إلى الايمان بما كُتب عليه استرساله إلى الايمان بما كتب له ، فما به غرور ولا كبرياء ولا حقد ولا غضب ولا يُكرِه ما هو فيه

ومن نكد الدنيا أن مثل هذا القلب لا يُخلَق بفضائله إلا ليُعاقَب على فضائله ؛ فغِلظةُ الناس عقابٌ لرقته ، وغدرهم نكاية لوفائه ، وتهوّرهم ردٌّ على أناته ، وحمقهم تكدير لسكونه ، وكذبهم تكذيبٌ للصدق فيه

وما أرى هذا القلب مأخوذا بحب ذلك الشاب ولا مستهاماً به لذاته ، وإنما هو يتعلّق صُوراً عقلية جميلةً كان من عجائب الاتفاق أن عرضت له فى هذا الشاب أول ما عرضت على مقدار ما ؛ وسيكون من عجائب الاتفاق أيضاً أن يزول هذا الحب زوال الواحد إذا وُجدت العشرة ، وزوال العشرة إذا وُجدت المائة ، وزوال المائة إذا وُجد الألف

وبعد هذا كله فصاحبة المشكلة فى كتابها كأنما تكتب فى نقد الحكومة على طريقة جمل التوقيع : « فلان غير موظف بالحكومة » ... وهى فيما كتبت كالنهر الذى يتحدّر بين شاطئيه مدّعياً أنه هارب من الشاطئين مع أنه بينهما يجرى . تحبُّ صاحبها وتلقاه ؛ ثم هى عند نفسها غير جانية عليه ولا على زوجته ... فليت شعرى عنها ماعسى أن تكون الجناية بعد زواج الرجل غير هذا الحب وهذا اللقاء ؟

ونحن معها كأرسطاطاليس مع صديقه الظالم حين قال له : هَبْنا نقدر على محاباتك فى ألا نقول إنك ظالم ؛ هل تقدر أنت على ألا تعلم أنك ظالم ؟

ورأيها فى (المشكلة) أن ليس من أحد يستطيع حلّها إلا صاحبها ، ثم هو لا يستطيع ذلك إلا بطريقة من طريقتين : فاما أن تكون ضحيةُ أبيها وأبيه (تعنى زوجته) فحبته هو أيضاً ويستهدفُ لما يناله من أهله وأهلها فيكون البلاء عن يمينه وشماله ، ويكابد من نفسه ومنهم ما إنّ أقلهُ ليذهبُ براحته وينغّص عليه الحبَّ والعيش ، (قالت) : وإما أن يضحى بقلبه وعقله وبى ... .

وهذا كلام كأنها تقول فيه : إن أحداً لا يستطيع حل هذه المشكلة إلا صاحبها ، وأن صاحبها غير مستطيع حلها إلا بجناية يذهب فيها نعيمه ، أو بجنون يذهب فيه عقله . فان حلها بعد ذلك فهو أحد اثنين : إما أحمق أو مجنون ما منهما بد . . .

ولسان الغيب ناطق فى كلامها بأن أحسن حل للمشكلة هو أن تبقى بلا حل ، فان بعض الشر أهون من بعض

***

والعجيبة الثالثة أن « نابغة القرن العشرين » جاء زائراً بعد أن قرأ مقالات (المجنون) فرأى بين يدىَّ هذه الكتبَ التى تلقيتها وأنا أعرضها وأنظر فيها لأتخير منها ، فسأل نخبرته الخبر ؛ فقال : إن صاحب هذه المشكلة مجنون لو امتحنوه فى الجغرافيا وقالوا له ما هى أشهر صناعة فى باريس لأجابهم : أشهر ما تعرف به باريس أنها تصنع (البودرة) لوجه حبيبتى . . .

قلت : فكيف يرتد هذا المجنون عاقلاً ؟ وما علاجه عندك ؟

قال : وَجِّهْ فى طلب ا . ش ليجيء ، فلما جاء قال له الكاتب : جاس « نابغة القرن العشرين » مجلسه للافتاء فى حل المشكلة فأفتى مرتجلاً :

إن منطق الأشياء وعقلية الأشياء صريحان فى أن مشكلة الحب التى يعسر حلها ويتعذّر مجازُ العقل فيها ، ليست هى مشكلة هذا العاشق أكرهوه على الزواج بامرأة يحملها القلب أولا يحملها ، وإنما تلك هى مشكلة أمبراطور الحبشة يريدون إرغامه أن يتزوج إيطاليا ، ويذهبون يزفونها إليه بالدبابات والرشاشات والغازات السامة

ولو لم يكن رأس هذا العاشق المجنون فارغاً من العقل الذى يعمل عمل العقل ، إذن لكانت مجارى عقله مطردة فى رأسه فانحلّت مشكلتُه بأسباب تأتى من ذات نفسها أو ذات نفسه . غير أن فى رأسه عقلَ بطنه لا عقل الرأس ، كذلك الشره البخيل

الذى طبخ قِدْراً وقعد هو وامرأته يأكلان . فقال ما أطيبَ هذه القِـدْرَ لولا الزحام . . . قالت امرأته : أي زحام ههنا ؟ إنما أنا وأنت . قال : كنت أحب أن أكون أنا والقدر فقط . . .

فعقلُ النهم فى رأس هذا كعقل الشهوة فى رأس ذاك ؛ كلاهما فاسدُ التقدير لا يعمل أعمال العقول السليمة ؛ ويريد أحدهما أن تبطل الزوجة من أجل رطل من اللحم ، ويريد الآخر مثل ذلك فى رطل من الحب . . .

وإذا فسد العقل هذا الفساد ابتلى صاحبَه بالمشاكل الصبيانية المضحكة لا تـكون من شىء كبير ، ولا يكون منها شىء كبير ؛ وهى عند صاحبها لو وُزنت كانت قناطير من التعقيد ؛ ولو كِيلتْ بلغت أرادب من الحيرة ؛ ولو قيست امتدت إلى فراسخ من الغموض

هاتان المرأتان : (الحبيبة والزوجة) ، اما أن تـكونا جميعاً امرأتين فالمعنى واحد فلا مشكلة ؛ وإما ألا تكونا امرأتين فالمعنى كذلك واحد فلا مشكلة ؛ وإما أن تكون إحداهما امرأة والأخرى قردة أو هِرْدة وههنا المشكلة . (حاشية : الهردة من أوضاع نابغة القرن العشرين فى اللغـة ومعناها الأنثى ليست من إناث الأناسيّ ولا البهائم . . .)

فان زعم العاشق أن زوجته قردة فهو كاذب ، وإن زعم أنها الهردة فهو أكذب . والمشكلة هنا مشكلة كل المجانين ، فى مخه موضع أفرط عليه الشعورُ فأفسده ، وأوقع بفساده الخطأ فى الرأى ، وابتلاه من هذا الخطأ بالعمى عن الحقيقة ، وجعـل زوجته المسكينة هى معرض هذا العمى وهذا الخطأ وهذا الفساد ؛ ولا عيب فيها ، لأنها من زوجها كالحقيقة التى يتخبط فيها المجنون مدةَ جنونه فتكون مَجلَى هَـذَيانه ومعرضَ حماقاته ، وهى الحقيقة غير أنه هو المجنون

فان كانت هذه الحقيقة مسئلةً حسابيةً استمر المجنون مدة جنونه يقول للناس : خمسون وخمسون ثلاثة عشر ، ولا يصدق أبداً أنها مائة كاملة ؛ وإن كانت مسئلةً علميةً قضى المجنون أيامه يُشمِل التراب ليجعـله باروداً ينفجر ويتفرقع ، ولا يدخل فى عقله أبداً أن هذا تراب منطفئٌ بالطبيعة ؛ وإن كانت مسئلةً قلبية استمر المجنون يزعم أن زوجته قردة أو هردة ولا يشعر أبداً أنها امرأة

فان صح أن هذا الرجل مجنون فعلاجه أن يُربط فى المارستان ثم يجىء أهله كل يوم بزوجته فيسألونه : أهذه امرأة أم قردة أم هردة ؟ ثم لا يزالون ولا يزال حتى يراها امرأة ويعرفها امرأته فيقال له حينئذ : إن كنت رجلاً فتخلق بأخلاق الرجال

أما إن كان الرجل عاقلاً مميزاً صحيح التفكير ولكنه مريض مرض الحب ، فلا يرى (النابغة) أشفى لدائه ولا أنجع فيه من أن يستطبّ بهذه الأشفية واحداً بعـد واحد حتى يذهب سقامه بواحد منها أو بها كلها :

الدواء الأول : أن يجمع فـكره قبل نومه فيحصره فى زوجته ثم لا يزال يقول زوجتى ، زوجتى ، حتى ينام . فان لم يذهب ما به فى أيام قليلة فالدواء الثانى

الدواء الثانى : أن يتجرع شربة من زيت الخروع كل أسبوع . . . ويتوهم كل مرة أنه يتجرعها من يد حبيبته ، فان لم يشفه هذا فالدواء الثالث

الدواء الثالث : أن يذهب فيبيت ليلة فى المقابر ، ثم ينظر نظره فى أى المرأتين يريد أن يلقى الله بها وبرضاها عنه وبثوابه فيها ؛ وأيتهما هى موضع ذلك عند الله تعالى ، فان لم يُبصر رشده بعد هذا فالدواء الرابع .

الدواء الرابع : أن يخرج فى (مظاهرة) . . . فاذا فقئت له عين أو كسرت له يد أو رجل ثم لم تحلّ حبيبتـه المشكلة بنفسها ... فالدواء الخامس

الدواء الخامس : أن يصنع صنيع المبتـلى بالحشيش والـكوكايين ، فيذهب فيُسلم نفسه إلى السجن ليأخذوا على يده فينسى هذا الترف العقلى ، ثم ليعرف من أعمال السجن جدّ الحياة وهزلها ، فان لم ينزع عن جهله بعد ذلك فالدواء السادس

الدواء السادس : أنه كلما تحرك دمُه وشاعت فيـه حرارةُ الحب ، لا يذهب إلى من يحبها ولا يتوخى ناحيتها ، بل يذهب من فوره إلى حجّـام يحجمه ... ليطفئ عنه الدم باخراج الدم ؛ وهذه هى الطريقة التى يصلح بها مجانين العشاق ، ولو تبدلوا بها من الانتحار لعاشوا هم وانتحر الحب

قال « نابغة القرن العشرين » : فان بطلت هذه الأشفيةُ الستة وبقى الرجلُ جَمُوحاً لا يُردُّ عن هواه فلم يبق إلا الدواء السابع

سفارة أندلسية

إلى ملك النورمانيين

فى القرن الثالث الهجرى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لبث عرب الأندلس منذ الفتح زهاء قرنين فى مأمن من الغزوات الخارجية ، لا تزعجهم سوى الحروب والمعارك الداخلية ، ولم تشعر الأندلس المسلمة بخطر الغزو الخارجى فى تلك الفترة إلا من ناحية واحدة ، هى ناحية مملكة الفرنج التى بلغت ذروة القوة والبأس فى عصر عاهلها كارل الأكبر (شارلمان) ، والتى استطاعت من قبل أن تستخلص من يد العرب رباط الثغر وكل أملاكهم فى لانجدوك وما وراء جبال البرنيه ، وأن تغزو اسبانيا المسلمة من الشمال أكثر من مرة ؛ ولكن هذا الخطر الداهم

الدواء السابع : أن يُضربَ صاحبُ المشكلة خمسين قناةً يُصَكُّ بها (١) واقعةً منه حيث تقع من رأسه وصدره وظهره وأطرافه ، حتى يتهشم عظمه ، وينقصف صلبه ، وينشدخ رأسه ويتفرى جلده ؛ ثم تُطْلى جراحُه وكُسوره بالأطلية والمراهم وتوضع له الأضمدة والعصائب ، ويترك حتى يبرأ على ذلك أعرج متخلعاً مبعثرَ الخلق مكسورَ الأعلى والأسفل ، فان فى ذلك شفاءَه التام من داء الحب إن شاء الله

قلنا : فان لم يشفه ذلك ولم يصرف عنه غائلة الحب ؟

قال : إن لم يشفه ذلك فالدواءُ الثامن

الدواء الثامن : أن يعاد علاجه بالدواء السابع . . . . . .

مصطفى صادق الرافعى

(لها بقية)

(١) القناة هى العصا الغليظة التى يقال لها « الشومة » . والصك خاص فى ضرب الرأس ، ولكن لما كانت عظام صاحب المشكلة مقصودة فى هذا العلاج ... فقد جاز استعمال الصك فى الجسم كله كما رأيت

إلى الفاضل البرى بصور : لا وقت لى فأبحث وأجيبك عن كل هذه المسائل ، ولكنى سأعهد فى ذلك الى بعض أصحابنا ممن أكلوا الكتب وأكلتهم ، وقد انتظرت فانتظر أيضا

الرافعى

لم يلبث أن خبا عقب انحلال المملكة الفرنجية وتوطد الدولة الأموية فى الأندلس

بيد أن الأندلس لم تلبث أن عرفت خطراً آخر لم تكن لتفطن اليه أو تتحوط لرده ؛ ذلك هو خطر الغزوات البحرية النورمانية ؛ وقد ظهر هذا الخطر فجأة حينما ظهرت سفن النورمانيين فى مياه الأندلس لأول مرة فى سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٣ م) فى عصر أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم ، وعاثت فى ثغور الأندلس ، ووصلت إلى أشبيلية ، واقتحم الغزاة بسائطها بالنار والسيف ؛ ولم يك لعرب الأندلس يومئذ معرفة بتلك الأمة البحرية التى جاءت من أقاصى الشمال غازية فى أقاصى الجنوب ، فعرفوها وآنسوا خطرها ومنعتها ؛ وعرفوها عندئذ باسم « المجوس » ؛ ذلك لأن النورمانيين كانوا يومئذ أمة وثنية تعبد النار والكواكب والعناصر ، ثم عرفوها فيما بعد باسم « المجوس الأردمانيين » ، أعنى النورمانيين ؛ وكانت الأندلس حتى ذلك الحين تعنى بأسباب الدفاع الداخلية والبرية ، ولا تعنى كثيراً بأمر الأسطول أو التحصينات البحرية ، فلما شهدت جرأة أولئك الغزاة المجهولين ، وشدة عيثهم بشواطئها وثغورها ، عنيت بأمر الأسطول والثغور ، ولم يأت عصر عبد الرحمن الناصر حتى كان للأندلس أسطول فخم يسيطر على تلك المياه ، ويحمى ثغور الأندلس من كل غزو واعتداء

وقد ترددت حملات النورمانيين على شواطئ الأندلس مراراً ، فى عصر عبد الرحمن بن الحكم ، كما قدمنا ، ثم فى عصر ولده محمد (٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م) ، ثم بعد ذلك بنحو قرن فى عصر الحكم المستنصر (٣٥٥ هـ - ٩٦٦ م) ، ثم فى عهد الطوائف (٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م) ، وكانت فى كل مرة تبث الذعر والروع والخراب أينما حلت ، بيد أنها كانت ترد على أعقابها بعد معارك برية وبحرية طاحنة ؛ وكانت تقنع دائماً بما تحصل من الغنائم والسبى ، ولا تمكن من البقاء أو الاستقرار وسير هذه الغزوات البحرية مشهورة فى الروايات الاسلامية والنصرانية ، وليس من موضوعنا أن نعنى بتفاصيلها ، وإنما نعنى هنا بحادث دبلوماسى شهير ، كان من بعض آثار هذه الغزوات ، وهو من الحوادث الدبلوماسية الفريدة فى علائق الشرق والغرب والاسلام والنصرانية

قام النورمانيون بغزوتهم البحرية الأولى لشواطئ الأندلس في سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٣ م) في عهد عبد الرحمن بن الحكم ، وعاثوا في بسائط أشبونه وأشبيلية ولبلة ؛ ولم يستطع الأندلسيون رد أولئك الغزاة الشقر إلا بعد جهود جهيدة ومعارك طاحنة ، وبعد أن رأوا من جرأتهم وشجاعتهم وشدة فتكهم ما يؤذن بانتمائهم لأمة قوية عظيمة ؛ عندئذ رأى أمير الأندلس عبد الرحمن ابن الحكم أن يسبر غور هذه الأمة المجهولة ، وأن يسعى إلى مهادنتها وعقد أواصر الصداقة معها ، في نفس الوقت الذي يعنى فيه بتقوية الأسطول وتحصين الثغور ، فانتهز فرصة مقدم الرسل النورمانيين إلى قرطبة لعقد الصلح بعد هزيمة الغزاة وجلائهم عن الثغور الأندلسية ، وقرر أن يوفد معهم إلى ملك النورمانيين سفارة يؤكد بها المودة والصداقة

واختار أمير الأندلس لسفارته رجلا جملته صفاته الخاصة خير من يستطيع الاضطلاع بتلك المهمة هو يحيى بن الحكم المعروف بالغزال ؛ وكان الغزال شاعراً رقيقاً من أهل جيان ، وكان يومئذ من أكابر رجال الدولة والبلاط ، يصطفيه عبد الرحمن ويؤثره برعايته وتقديره لما كان يتمتع به من خلال وكفايات خاصة في الادارة والسياسة . وكان عبد الرحمن قد اختاره قبل ذلك ببضعة أعوام ليكون سفيره لدى قيصر قسطنطينية الامبراطور تيوفيلوس ؛ وكان الامبراطور قد بعث اليه سفارة وهدية فخمة ليخطب وده ومحالفته ويرغبه في ملك أجداده في المشرق حقداً منه على المأمون والمعتصم ؛ فرحب عبد الرحمن برسل الامبراطور ، وبعث إليه يحيى الغزال بهدية فخمة (٢٢٥ هـ — ٨٣٦ م) فأدى الغزال سفارته ببراعة ، واستطاع أن يخلب الباب الامبراطور وبطانته بذلاقته وحسن بيانه ورقة شمائله ؛ واستمر عبد الرحمن بعد ذلك يسند اليه مختلف المهام الدقيقة فيؤديها بكياسة وبراعة ؛ وكان الغزال في الواقع رجلا خلابا وسيم الطلعة — ومن ثم سمى بالغزال — يتمتع بصفات السيامى البارع وخلاله ومؤثراته ، ويستخدمها دائما بفطنة ونجاح

وقد انتهت الينا عن هذه السفارة الفريدة رواية اسلامية ضافية لكاتب أندلسي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي وهو أبو الخطاب بن دحية البلنسي في كتاب له يسمى « المطرب في أشعار أهل المغرب » [1] ؛ وفيه يسرد تفاصيل رحلة الغزال إلى بلاد النورمانيين ، ويورد لنا طرفا من خلاله وشيئاً من نظمه ، بيد أن هذه الرواية الضافية تعنى بالناحية الشخصية والأدبية أكثر مما تعنى بالتحقيق التاريخي ، ومن ثم فان كثيراً من الغموض يحيق بالمكان وبالظروف التي وقعت فيها هذه السفارة ويترك المجال واسعاً لمختلف الفروض

تقول الرواية إن يحيى الغزال ومساعده يحيى بن حبيب خرجا من مياه الأندلس الجنوبية في سفينة أندلسية خاصة أعدت لهما ، وسارت بهما إلى جانب سفينة الرسل النورمانيين ؛ واتجهت السفينتان نحو الغرب حتى خرجتا إلى المحيط ؛ وشهد السفير المسلم من عصف الرياح وروعة الموج أهوالاً ؛ وقد ترك لنا الغزال في وصفها شعراً يقول فيه :

قال لي يحيى وصرنا بين موج كالجبال
وتولتنا رياح من دبور وشمال
شقت القلعين وانبتـ ـت عرى تلك الحبال
وتمطى ملك المو ت الينا عن حيال
فرأينا الموت رأي العيـ ـن حالا بعد حال

ولكن الركب وصل سالما إلى « بلاد المجوس » بعد رحلة شاقة مروعة ؛ وسار الغزال وزميله إلى مستقر ملك النورمانيين . أما عن مستقر مملكة النورمانيين (المجوس) فتقول لنا الرواية ما يأتي : « وهي جزيرة عظيمة في البحر المحيط فيها مياه مطردة ، وجنات ، وبينها وبين البر ثلث مجار ، وهي ثلثمائة ميل ، وفيها من المجوس ما لا يحصي عددهم ؛ وتقرب من تلك الجزيرة جزائر كثيرة منها صغار وكبار أهلها كلهم مجوس ، وما يليهم من البر أيضاً لهم مسيرة أيام ، وهم مجوس ، وهم اليوم على دين النصرانية [2] »

وهنا موضع الغموض والحدس . إذ ما هو ذلك القطر الذي تعنيه الرواية الاسلامية ، والذي كان مستقرا لملك النورمانيين وقت مقدم الغزال ؟ لقد كان للفيكنج أو النورمانيين

(١) مازال هذا الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه نسخة في المتحف البريطاني وقد نقل الينا دوزي رواية ابن دحية عن سفارة الغزال في كتابه Recherches, II. App. XXX IV

(٢) راجع رواية ابن دحية في كتاب دوزي المشار اليه

يومئذ ملك فى الشمال ، فى دانماركه ، وكان سلطانهم منذ أوائل القرن الثامن يشمل دانماركه وقسما من اسكندناوه ، وألمانيا الشمالية حتى فرزيا ؛ ويلوح لنا من تأمل الوصف الذى تقدمه لنا الرواية الاسلامية عن رحلة الغزال فى بحار خطرة مروعة ، وعن طبيعية القطر الجزرية ، أن هذا القطر هو الدانماركه ، فهو شبه جزيرة يحيط بها عدد كبير من الجزائر ؛ ومن هذه الجزائر كانت تخرج حملات النورمانيين الغازية الى البحار الغربية والجنوبية .

وكان يجلس على عرش النورمانيين فى ذلك الوقت (نحو سنة ٨٤٤ أو ٨٤٥ م) ملك يسمى « هوريك » ، وكان النورمانيون يومئذ أحداثا فى النصرانية ، حسبما تقول الرواية الاسلامية ، لأنهم بدأوا باعتناقها قبل ذلك بنحو عشرين عاما فقط . بيد أن هناك احتمالاً آخر يمكن الأخذ به ، وهو أن القطر الذى زاره السفير الاسلامى ليؤدى رسالته الى زعيم الفيكنج ربما كان جزيرة ارلندة التى تنطبق طبيعتها وموقعها على أوصاف الرواية الاسلامية ، وكان الفيكنج قد فتحوها قبل ذلك بأعوام (٨٤٠ م) واستقروا فى شمالها ، واتخذها زعيمهم « تورجيس » أو « ترجستر » قاعدة لملكه

وعلى أى حال فقد لقى السفير المسلم من ملك النورمانيين كل ترحاب وعطف ، وأفرد لأقامته وزملائه منزلا حسناً ؛ وتصف لنا الرواية بعد ذلك كيف استقبل الملك الغزال ، وكيف أعجب بجرأته وذلاقته ولباقته ، وكيف قدم اليه الغزال كتاب الأمير عبد الرحمن وهديته من الثياب والآنية ، فوقعت لديه أحسن موقع . ولقى الغزال مثل هذا الاعجاب والعطف فى البلاط النورمانى كله . ثم تقدم لنا الرواية تفاصيل شائقة عن صلات الغزال بملكة النورمانيين « نود » ومواقفه معها ، وقد رآها الغزال لأول مرة فراعه حسنها ، وصرح أمامها بأنه لم ير فى حياته مثل هذا الحسن الشعرى الفائق مع كثرة ما شاهد من النساء الحسان فى مختلف القصور ؛ وكان الغزال يومئذ قد جاوز الخمسين من عمره ولكنه كان لا يزال جذاباً وسيم الطلعة ؛ فأعجبت الأميرة بروائه وظرفه وحسن بيانه ، وكثيراً ما كانت تستدعيه للتمتع بحديثه الساحر ؛ وكان الغزال من جانبه يهرع الى مجلسها ويكثر من زيارتها حتى حذره أصحابه من ذلك ، ولكنه لم يعبأ بذلك لما يلقاه منها من التشجيع والعطف ؛ وتقص الرواية علينا بعض مواقفه ومداعباته مع تلك الأميرة الحسناء ؛ ومن ذلك قوله ذات يوم فى مجلسها يتغنى بحسنها :

كلفت يا قلبى هوى متعباً ... غالبت فيه الضيغم الأغلبا
انى تعلقت مجوسية ... تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله فى حيث لا ... يلقى إليه ذاهب مذهبا
يا نود يا رود الشباب التى ... تطلع من أزرارها الكوكبا

وقوله ذات يوم وقد أمرته الأميرة بأن يخضب شعره الأشيب ففعل ، واستحسنت خضابه :

بكرت تحسن لى سواد خضابى ... فكأن ذاك أعادنى لشبابى
ما الشيب عندى والخضاب لواصف
إلا كشمس جللت بضباب
تخفى قليلاً ثم يقشعها الصبا ... فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكرى وضح المشيب فانما ... هو زهرة الأفهام والألباب
فلدى ما تهوين ، ماشأن الصبى ... وطلاقة الأخلاق والآداب

وعاد الغزال الى الأندلس بعد رحلة دامت عشرين شهراً ومعه كتاب من ملك النورمانيين الى عبد الرحمن بن الحكم ؛ وكان عوده عن طريق شنت ياقوب ثغر جليقية . وقد أدى الغزال سفارته خير الأداء بلا ريب ، ولكن ماذا كان موضوع هذه السفارة وغايتها الحقيقية ؟ هذا ما لم تفصح عنه الرواية ، وإن كنا نعتقد أنها كانت سفارة مودة وصداقة فقط

وعاش الغزال بعد ذلك أعواماً طويلة ، وتوفى بعد الخمسين ومائتين فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وقد أربى على الثمانين ؛ وكان مدى نصف قرن يتبوأ الزعامة فى ميدان الشعر والأدب والحكمة ، ويتبوأ فى بلاط قرطبة أسمى مقام من النفوذ والثقة والتقدير [١]

محمد عبد الله عنان

---

(١) راجع رواية ابن دحية المتقدمة الذكر فى دوزى Recherches, II, App. 34 — وراجع أيضاً نفح الطيب للمقرى حيث يورد ترجمة الغزال وطرفا من شعره (مصر) ج ١ ص ٤٤١ وما بعدها

تاريخ الأدب النسوى
فى فرنسا
للأستاذ محمد بك كرد على

Jean Larnac : Histoire de la littérature féminine en France

بينا نرى تركيا تقرر مساواة المرأة بالرجل ، وتعترف لها بحقوقها السياسية فى المجتمع ، غير ناظرة إلى ماضيها وحاضرها ، ولا لاستعدادها المطبوع والمكسوب ، ولا إلى قلة عدد المتعلمات من بنات جنسها فى بلادها ، يخيل اليها أن تجمل منهن أو أن ترتجل منهن عالمات مفكرات ناخبات منتخبات — بينا نرى هذا فى الشرق وتركيا تضع تشريعاً جديداً تجرى أحكامه فى أمة تغرق كثرتها القاصرة فى بحر لجى من الجهالة والأمية ، نرى رجال الغرب على كثرة ما بلغته المرأة عندهم من درجات النشوء والرقى ، يحاذرون أن تساوى الرجل عندهم فى كل الحالات ، ناظرين فى ذلك إلى عدة اعتبارات نفسية وجسمية وعلمية وأدبية وتاريخية

جرأة مستغربة من الترك فى محاولة أمر لم تتم أسبابه ، ولا بعضها ، وتأن لا غرابة فيه من الغربيين ممن بنوا مدنيتهم على العقل ، وساروا بسنة التطور الطبيعى فى كل مظاهرهم ، فأحدثوا هذه الحضارة القائمة على أساس راسخ من العمل والنظر ، ولو نسج الغرب خيوط مدنيته بالخيال ، تمليها العواطف ، ولا يدعمها العقل المولد ، ولا التجارب المسددة ، لما شهدنا هذه المدنية تتفوق على غيرها ، وتكسف شمس المدنيات القديمة التى كان من أعظم ما منيت به عصور جهالات كانت سود لياليها ، ونظريات خيالية ، فقد فيها التسلسل ، ومات منها الابداع

حقا إن أهل البصيرة لا يفهمون سيراً لهذه المغامرة فى جمهورية الترك ، إلا إذا غالطوا حسهم . أليس من أعاجيب الدهر أن ينام الأتراك قروناً عن الأخذ بمذاهب الحضارة ، ويهبوا اليوم دفعة واحدة يحاولون أن ينفذوا قوانين الجمهورية السويسرية فى سكان آسيا الصغرى . ولا يختلف اثنان أن السويسريين أصحاب هذا القانون وصلوا اليه فى عدة قرون ، فاستووا أرقى شعب فى الأرض ، أو أول شعب يجىء فى الصف الأول بين الأمم المتفوقة ، والترك بلا جدال مهما غرت ظواهرهم ، متأخرون فى معظم مظاهرهم فى سلم المدنية ، على ما عرفناهم وعرفهم غيرنا من الباحثين من أهل الشرق والغرب

وأعجب من هذا كله أن تحرم المرأة السويسرية الراقية من حق الانتخاب وترزقه المرأة التركية

أمامى الآن «تاريخ الأدب النسوى فى فرنسا» لجان لارنكان ، قرأته مرتين فما بلغت حظ النفس فى تلاوته ، لما ضم من الفوائد الأثيرة ، وليت العاملين والعاملات لانهاض الشرق القريب يتدبرون بعض ما فيه . وطبقات البشر تكاد تكون واحدة إذا تساوى أهلها فى شروط العيش والبيئة والثقافة . وإن ما يحاوله المتقدمون علينا فى سلم الحضارة والنشوء الانسانى حرى بالمتأخرين عنهم فى معظم مقومات الحياة أن يحتذوا مثاله ، ويتأدبوا بأدبه ، ويأخذوا من مضامينه عبرة وعظة . والمدنية مذ كانت ينقل فيها المتأخر عن المتقدم ، ولا ضير فى ذلك ولا غضاضة

قلت يوماً لأحد علماء الترك المتنورين : أما بلغك أن دمشق ستنار بعد قليل بالكهرباء ، وتسير فيها الحوافل الكهربائية ؟ فضحك وأجاب : إن حالكم بهذه الزينة الجديدة تقام بأيدى الغرباء ، أشبه بأمبراطور كوريا لبس على رأسه تاجاً من ذهب ، ولا سراويلات له تستر عورته . وكان الأولى يا صاح أن تكون للبلدة طرق معبدة ، وترزق حظاً من التنظيم قبل الكهرباء . وأنا أقرر الآن أنه كان الأولى قبل أن تمنح المرأة الشرقية حق التشريع فى مجالس النواب أن تتعلم وتتربى ، حتى إذا استوفت حظها على النحو الذى وصلت اليه المرأة الغربية ، ومتى تعلمت القروية كالبلدية كل ما يلزمها فى صراع الحياة تتمتع بالحقوق السياسية كالمرأة الانجليزية

جملة معترضة ساقت إليها المناسبة . والآن نرجع إلى تحليل الكتاب الجديد فنقول : عالج المؤلف هذا الموضوع أعواماً طويلة فى الصحف والمجلات وفى أسناد له ورسائل ، وكتابه هذا زبدة تجاربه وعصارة علمه وعمله . بدأه بفصل فى تاريخ المرأة فى القديم . فقال إن الرجل بينا كان فى العصور الخوالى صياداً محارباً عرافاً يسير فى العالم على هواه ، ويظفر طفراته فى سبيل المعرفة كانت المرأة قابعة فى دارها ، خاضعة خانعة لا يتسع نظرها لأكثر من أعمال بيتها ، وتلقين بنيها التربية الأولى . وكان

النساء فى يونان القديمة لا معرفة لهن بغير غزل الصوف يتمسدن القناعة لا يسألن أزواجهن غير هذا . ولذلك قال أفلاطون : إن القرد قرد مهما كان ، والمرأة مهما كان عملها تظل امرأة أى غبية مجنونة . يريد الهزؤ بها ، وقد بقى هذا الهزؤ بالنساء قروناً فى الأرض حتى كانت النصرانية ، ورأى رجال الكنيسة أن يحولوا دون زواج القائمين بأمر الدين فيها ، فصوروا المرأة بصورة بشعة تزهيداً منهم فيها ، حتى لتساءل أحدهم أن كان للنساء نفس

وجاء القرن الثانى عشر ، والنساء مأخوذات بعوامل كثيرة فى نهضتهن ، ليس لهن من الحرية ما يتسع لكثير من أسبابها ، ولئن أخذ كثير من الأساودة أو الفرسان وخدام الملوك يرون من الشرف رعاية السيدات ، ومعاملتهن بقواعد اللياقة والظرف ، فان كثيرين من المحافظين فى الغاليين (المغول) كانوا يبالغون فى وصف النساء بما لا يليق ، ويحرمونهن كل حرية . أما النساء فكن يصبرن على هذه المعاملة ويحاولن الخروج من حالتهن السيئة ، ويقين بين عوامل الحرمة وعوامل الاحتقار مدداً متطاولة ، ولا يعدمن مع هذا أناساً من طبقات مختلفة يحموهن وبفضلهم يتصدرن ويظهرن ، وأما القاعدة العامة فالتشديد عليهن والمبالغة فى الاحتفاظ بالتقاليد الموروثة . وقل فيهن من كن يستطعن أن يكتبن كتابة بسيطة ، أو ينظمن ولو نظماً سخيفاً

وأصبحت إيطاليا فى القرن السادس عشر مصدر الآداب والفنون الأدبية ؛ وسرى الفرنسيس على مثال الطليان ، بأن جعلوا المرأة موضع إعجابهم ، فأخذ بعض الكاتبين فى فرنسا يضعون رسائل وكتبا فى تاريخ المرأة ، وكان أكثر ما وضع بايماز الملكات ، فكان هذا القرن قرن رفعة المرأة ، جسر فيه كستكليون فى إيطاليا أن يقول . لولا النساء لتعذر كل شىء ، ولولا هن لما كانت الشجاعة العسكرية ولا الفنون ولا الشعر ولا الموسيقى ولا الفلسفة بل ولا الدين ، وما عرفنا المولى فى الحقيقة إلا بهديهن

وبدأ النساء يستعملن قرائحهن ، فنشأ بينهن بعض القصصيات وواصفات الحكايات والشاعرات ، وقل فيهن من كان لها قريحة يعتد بها . ولم يكن الماهرات منهن أكثر من هواة ينتفن وينتشن من الآداب . وأنشأت مدينة ليون لقربها من إيطاليا ، وكانت تدعى « فلورنسة فرنسا » تتذوق الآداب والفنون ، وظهرت فيها المطبعة قبل أن تؤسس فى باريز ، وجعل فرنسوا الأول من مدينة ليون مضم جيوشه خلال حرب إيطاليا فنشأت فيها حركة فكرية ندر وقوع مثلها فى مدن الولايات ، فكانت منازلها مواطن الظرف واللطف والنساء يصطنعن فيها كل ما يعجب به الرجال . ومنهن من كانت تجيب على ما يوجه إليها من كلمات المديح بأبيات من الشعر ، وتجرأ على نقد ذوق الباريزيات ، فأصبحن بذلك ملكات الذوق والأناقة والجمال ، وفتح كثير من نبيلاتهن قاعاتهن لانشاء قصائد كان ناظموها يجوزون لأنفسهم تمجيد جسم الحبيبة والتغزل بكل ما فيه ، فاتقى الأشراف من الأزواج عنتاً من هذا التمجيد ، ولطالما احمرت الوجوه بما يقال ، وكان يومئذ للحياء سلطان على النفوس

ففى القرن السادس عشر إذاً أحرز النساء مقاماً محموداً فى المجتمع بفضل الشعراء والنبلاء ، وبقى عليهن أن يطالبن بحقهن فى التعليم وحقهن فى النبوغ . واشتد الجدال فيما إذا كان للمرأة الحق فى التعليم لتكون عالمة . ومن النبلاء من قضى للأميرات والنبيلات بتلقف مبادىء العلم ليستطعن إدارة أرضهن ويحكمن رجالهن ، ويدرن شؤونهن ، واقتصر الأمر على هذه الطبقة فقط . وبذلك أرجعوا البنات الطامحات من سائر الطبقات إلى عمل المنازل ، ونشأ من ذلك حوار طويل دعوه خصام الألف باء ، والنساء مع هذا لم يداخلهن اليأس . ولم يقعدهن عن المضى فى سبيلهن عائق . وما طلع القرن التاسع عشر حتى دخل النساء فى طور العمل بالمطالبة بحقوقهن فى التربية ، ولم يكن لنساء الشعب معرفة بشىء : أما العقائل فكن يجلبن لبناتهن معلمين أو يبعثن بهن إلى الأديار ، وكانت بعض الراهبات تعلم الناس منذ القرن السادس عشر مسائل بسيطة لا يستطيع بها المتعلمات تصحيح الاملاء ، ولاحذق شىء من صرف اللغة ونحوها . وقام فى ذهن بعضهم أن الواجب إدخال تعديل على هذه الحالة . وقال العالم مالبرانش ، بعد أن درس دماغ الرجل ودماغ المرأة : إن الواجب تعليم النساء تعليما صحيحاً . وارتأت مدام دى سيفينيه ، فيما كتبت به إلى ابنتها من الرسائل أن تلقن أولادها قليلاً من العلم تلقيناً حسناً ، وأن يلقن الفتيات الأدب خاصة

وقل أن جسرت امرأة فى القرن الذى نشأت فيه مدام

دى سيفنيه ومدام دى لافاييت أن توقع كتابتها أو تأليفها ، مخافة أن تستهدف للسخرية . وما كان حول لويز الرابع عشر الملك العظيم سوى كاتبات يصرفن أوقات فراغهن فى الكتابة ، وما اقتدرت واحدة أن تكتب رواية تمثيلية ؛ وكان تأليف هذه الروايات وقفاً على الرجال . وعانى النساء فن الرسائل والشعر فى قلة . ودعى هذا القرن قرن المجتمعات والمحادثات . ومن هذا القرن خاف الكاتبات رسائل تجلت فيها مواهبهن فى الكتابة . ذلك لأن الرسائل غير محدودة الحدود ولا تربكها القواعد ، ولا تستلزم أكثر من ذهن وقاد ، وتفكر ذاتى ، وإرادة فى الاعجاب ، وحاجة يأمن معها المراسل صاحبه ، وهى صفات تفرد بها النساء . وما برّز فى هذا الباب أكثر من مدام دى سيفنيه ، ولا كُتب لامرأة أن دانتها فى هذا الباب . كانت تعشق المجد ؛ ولا نعلم لو رأت من زوجها عطفاً — وكان زير نساء فسّيقا — هل كانت تبرز هذا التبريز ؟ ومع هذا كانت تهوى من ترى ذات اليمين وذات الشمال، على مثال أعظم كبريات السيدات فى عصرها . وهكذا يقال فيمن أحرز شهرة مثلها ، وإن كن أقل منها مكانة . كانت دى سيفنيه أماً عاشقة مولهة ، وكاتبة متفردة بهذرها ، وهذرها عبارة عن شعور قوى فيها تحاول بثه ولا تحتاج فى ذلك إلى تأمل كثير . ورسائلها ملأى بالجذل والسرور والتنويع والبديهة ، وهى مرآة عصر القرن العظيم . والنساء فى هذا الجنس من الكتابة يبرزن ويتنوقن

أما مدام لافاييت فالناس على أنه كان لها مؤازرون من الرجال يصقلون ما تنسخ قريحتها ، أو يضعون لها الخطط التى تسير عليها . وأصبح من المألوف أن يكتب الرجال ما ينشر من الآثار باسم النساء ؛ وكان موليير وبوالو يهزآن بالنساء الكاتبات المؤلفات ، ولطالما سلقاهن بألسنة حداد . وكان جمهور النساء فى ذلك العصر على غاية الجهل ، ما خلا بعض العلية والطبقات المختارة ؛ ويختلف عدد الأميات بين سبعين وأربعة وتسعين فى المائة بحسب الأقاليم ، ومنهن من لا يحسن توقيع أسمائهن ؛ وأخذ بعضهن يحضرن بعض دروس الرجال ويتعلمن شيئاً من الرياضيات ، وظل أناس من أرباب المكانة ينعون على النساء ذكاءهن ويعنونهن من كل ثقافة . ورأى جمهور من الكاتبين أنه لا يليق الهزؤ بالنساء إلى هذا الحد ، وأنشأوا يعتبرونهن ويودون من الناس إجلالهن ، يقدمون النساء على الرجال فى الموائد والحفلات ؛ وإذا أحرز النساء هذا المقام الاجتماعى فى القرن الثامن عشر : فذلك بفضل ظهورهن فى الأندية الخاصة ؛ وكان البلاط الملكى فى مقدمة هذه المجالس ، وكانت كل امرأة تحررت فى الولايات أو العاصمة من بعض القيود تقيم لها ردهة استقبال ، يكون فيها دار ندوة للسياسة ومثابة للأدب . وكثرت هذه الأندية حتى حار الكتاب فى أيها يختارون . ومنها قاعات بعض نساء أعضاء المجامع العلمية . وعلى هذا أصبح النساء يقدن بأيديهن الملكتين ويحكمن المجتمع ، يملين عليه قواعد الحشمة ، ويأخذن بزمام الآداب ، ويحكن الأحابيل لا ليجمان من يحموين من الرجال فى جلة أعضاء المجمع العلمى ، حيث كانت لهن الكلمة المسموعة ، بل ليسمح لهن بنشر آراء شديدة اللهجة . ولم يكتفين بهذا ، بل كن يطمحن إلى المجد الأدبى فينشرن فى الصحف والمجلات ، ويقرأن ما يكتبن على من يختلف إلى مجالسهن . وغدا الولوع بالآداب من أمارات الظرف فى النساء . وكثر عديد النساء اللائى تعلقن من الأدب بسبب ، وبلغ عددهن ثلثمائة مؤلفة فى الولايات والعاصمة ، وما فيهن واحدة تسهل المقابلة بينها وبين المقيلتين : سفينيه ولا فاييت . وصح بهذا أن يقال إن القرن الثامن عشر أمسى فى تاريخ فرنسا قرن نهضة المرأة . وما سبق لهن فى العصور الخالية أن يتملق لهن الناس ويُستمع لكلامهن ويتمتعن بحرياتهن

كل هذا وجوزيف دى مستر يقول فى كتاب له إلى إحدى بناته : إن فولتير ادعى أن النساء قادرات على أن يعملن كل ما يعمله الرجال ، وما هذا إلا للتقرب من قلوب بعض الغوانى الجميلات ، ولم يأت النساء بأثر يذكر فى ضروب الآداب ، فالنساء لم يؤلفن « الالياذة » ولا « الانياد » ولا « القدس المنقذة » ولا « فيدر » ولا « أتالى » ولا « رودكون » ولا « الميزانتروب » ولا « تارتوف » ولا « زهرة دى ميديسيس » ولا « أبولون دى بلفيدر » ولا « البرسة » ولا « كتاب الأصول » ولا « خطاب التاريخ العام » ولا « تليماك » ، ولم يخترعن الجبر ولا المجاهر ولا المناظر ، ولا مضخة النار ولا صناعة الجوارب الخ ، وما قامت امرأة عالمة جديرة أن تمد بين العلماء . فالمرأة ليست فى حال تستطيع أن تفوق فيها الرجل إلا بأنوثتها ، وليست سوى قردة إذا أرادت مساواة الرجل

(البقية فى العدد القادم)

محمد كرد على

للتاريخ السياسي

عشرة أيام بئيسة

مشروع لافال - هور والرأى العام

دواعى هذه الخطة الوخيمة العواقب

للدكتور يوسف هيكل

شهد العالم خلال الثلث الثانى من شهر ديسمبر الماضى اضطراباً شديداً فى السياسة الدولية، وقلقاً عظيماً فى الدوائر السياسية، نجما عن الانقلاب الفجائى فى سياسة بريطانيا الخارجية بموافقة وزير خارجيتها السير صموئيل هور على سياسة مسيو لافال، رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية، وتوقيعه المشروع الذى وضعه لافال لحل المشكلة الحبشية عن طريق سلمية. ويُعرف هذا المشروع بمشروع الصلح، أو خطة السلام، أو اقتراح لافال — هور، أو اتفاق باريس

فحوى مشروع الصلح

فى يوم الثلاثاء الموافق ١٠ ديسمبر أبرق السير هور بمشروع الصلح إلى سفيرى بريطانيا فى روما وفى أديس أبابا طالباً منهما أن يذهبا مع زميليهما الفرنسيين ليطلعا السنيور موسولينى والامبراطور على ما تم الاتفاق عليه بين حكومة جلالته والحكومة الفرنسية. وفحوى البرقية أن الحكومتين اتفقتا على أن يطلبا من الامبراطور قبول التغيرات التالية فى الحدود الايطالية الحبشية

١ — التيكرى — إعطاء ايطاليا التيكرى الشرقية، وحدودها جنوباً نهر « خيطا »، وغرباً خط يمتد من الشمال إلى الجنوب ماراً بين اكسوم (فى الجانب الحبشى)، وعدوه (فى الجانب الايطالى)

٢ — إعطاء ايطاليا مقاطعة « أجادن » وجعل الحدود خطا مبتدئاً من نقطة (تلا) فى الحدود الحبشية والايطالية والصومال البريطانية، وممتداً شمالا شرقياً قاطعاً « كوراهى » فى الشرق، و « وارانادب » فى الغرب، وملاقيا حدود الصومال البريطانية حيث يقطعها خط الطول ٤٥

٣ — إعطاء ايطاليا امتيازا اقتصادياً خاصا فى جنوب الحبشة يضع موارد هذا الاقليم فى قبضة ايطاليا ويسمح للايطاليين بالاقامة فيه. وتكون الأراضى غير المملوكة ملكا للشركات الايطالية، على أن تبقى السيادة فى هذا الاقليم للأمبراطور

وحدود هذا الاقليم هى: الحدود الجديدة بين الحبشة والصومال الايطالى شرقاً، وخط العرض ٨ شمالا، وخط الطول ٣٥ غرباً، والحدود بين الحبشة وكينا جنوباً

٤ — إعطاء الحبشة مرفأ « أساب » وممرا اليه على طول حدود الصومال الفرنسى

وفى ذلك التاريخ أرسل وزير خارجية بريطانيا برقية إلى السفير الانكليزى فى اديس أبابا طالباً منه فيه أن يبذل كل نفوذه فى اقناع الامبراطور على قبول « المشروع » وألا يرفضه دون أن يتأمله جلياً (!)

تطور الحوادث السياسية على المسارح الثلاثة

ذلك فحوى مشروع هور — لافال. وحين وقف الرأى العام الدولى عليه انثالت الاحتجاجات عليه إلى عصبة الأمم من جهات الدنيا الأربع، وأخذت الحوادث تتطور، واشتدت الأزمات السياسية، وعلى الأخص فى باريس وجنيف ولندن

على مسرح باريس

غادر السير هور لندن إلى باريس يوم السبت الموافق ٧ ديسمبر. وفى منتصف الساعة الثامنة عشرة وصل « كى دورسى » ومعه المستر « كلارك » لمقابلة مسيو لافال. وفى الساعة التاسعة عشرة والدقيقة ٤٥ خرج من عنده. وعندها أنبأ لافال الصحافة أن الحكومتين على اتفاق، تعملان معاً للوصول إلى خطة تحل بموجبها المشكلة الحبشية عن طريق سلمية

وقد تقابل الوزيران فى اليوم التالى، ووصلا بعد المناقشة إلى اتفاق وقعاه عن حكومتيهما. وفى صباح الاثنين الموافق ٩ ديسمبر تلقى مستر بلدوين رئيس الوزارة الانكليزية كتاباً من السير هور، طالباً فيه موافقة الحكومة على اتفاق باريس، وقد رأى بلدوين أن من الواجب عليه تأييد زميله الغائب، فوافقت

الحكومة على مشروع هور — لافال (1). وبهذه الموافقة تحملت حكومة بلدوين المسؤولية، وابتدأت إذ ذاك عشرة الأيام البئيسة .....

•

في الأيام التالية نشرت الصحف الباريسية مضمون الاتفاق بصورة غير رسمية، فانقسم الرأي العام الفرنسي إلى فريقين: فريق يعضد الحكومة ويدافع عن «المشروع» واجدا فيه خير حل للمعضلة الحبشية، وكثرة هذا الفريق من أحزاب اليمين والوسط؛ وفريق آخر ينقم على اقتراح لافال — هور، ويرى فيه الضربة القاضية لعصبة الأمم؛ وللبقية الباقية من الثقة في سياسة «السلام المشترك». والناقمون هم أحزاب اليسار من اشتراكيين وكومنيست. وأخذ كل فريق يدعم رأيه ببراهينه وحججه، ويدحض أقوال الآخرين على صفحات جرائده؛ ومما لا شك فيه أن حجج المدافعين عن سياسة لافال الخارجية كانت واهنة لا تقوم على أساس قانوني. أما نظريات الناقمين على «اتفاق باريس» فكانت مبنية على دعائم قانونية وسياسية متينة؛ وبخاصة ما كتبه الزعيم الاشتراكي مسيو بلوم في جريدته «البوبلير» Populaire

أما موقف الحزب الراديكالي الاشتراكي فكان حرجا لاسيما موقف زعيمه «هريو» Herriot

والحزب الراديكالي أقوى حزب في مجلس النواب وهو مشترك في حكومة لافال؛ ورئيسه «هريو» وزير دون وزارة، وقد فقد هذا الحزب شهرته في البلاد بعد فضيحة ستافسكي وتخليه عن مسيو دومرج. والحزب يعلم أنه لا يستطيع في ظروف مجلس النواب الحالية أن يؤلف وزارة ذات أكثرية. ورئيسه هريو لا يود أن يكون على رأس وزارة والانتخابات العامة على الأبواب . . . لهذه الأسباب يتحاشى مسيو هريو حدوث أزمة وزارية في البلاد. ويجد نفسه مضطراً إلى معاضدة مسيو لافال، على رغم مخالفته لسياسته الخارجية. وقد أفضى إلى حزبه بذلك قبل اجتماع مجلس النواب لمناقشة سياسة لافال الخارجية. فانقسم الحزب إلى فريقين؛ فريق معه، وفريق يرى من الضروري تغيير سياسة لافال وإسقاطه بعدم الموافقة على مشروعه لحل المشكلة الحبشية. وكان من بين هؤلاء مسيو «كت» Cott

وفي صباح الثلاثاء الموافق ١٧ ديسمبر كان اجتماع مجلس النواب. وكان اجتماعا صاخباً مضطرباً شديد الجدل. وكان أهم المتكلمين في تلك الجلسة ثلاثة: لافال وكُتّ وبلوم

نهض لافال وألقى خطابه في جأش رابط متزن؛ ودافع عن سياسته الخارجية ولا سيما «مشروع الصلح». وأقوى حججه أن سياسة العقوبات ليست الطريق الوحيدة لحل المشكلة الحبشية، وأن حصر إيطاليا اقتصاديا وعلى الأخص منع البترول عنها مما يقود أوربا إلى حرب لا تعرف نتائجها، وأن روح مبادىء عصبة الأمم توجب حل كل خلاف عن طريق سلمي إن أمكن، وأن الخطة التي وضعها لايقاف الحرب في الحبشة تتمشى مع مبادىء عصبة الأمم (!) ...

ومسيو كت يرى غير ما يراه مسيو لافال: يرى في اتفاق باريس هدم مبادىء العصبة، إذ هي تقدم إلى المتعدي مكافأة على تعديه ومخالفته واجباته الدولية. ومسيو لافال بعمله هذا يقدم سابقة إلى عصبة الأمم لتحل بموجبها التعدي الذي سيحصل على شرق أوربا الوسطى. وبذلك يكون لافال قد ساعد الهرهتلر وجرأه على أن يحذو حذو موسوليني!. وقد هاجم مسيو كت لافال وقال إن عمله هذا ليس إلا تقسيما للحبشة وجعلها فريسة المعتدي، وهذا العمل مخجل لفرنسا ...

وقد لاحظ لافال أن الجو مكفهر وأن النقاش إن دام ربما أدى إلى سحب الثقة منه؛ فطالب تأجيل النقاش على سياسته الخارجية إلى يوم الجمعة الموافق ٢٧ منه. ولافال ماهر في أصول المراوغات البرلمانية؛ يعرف كيف يتخلص من المآزق الحرجة، فانه بطلبه هذا قد حول المناقشة من مهاجمة سياسته إلى البحث فيما إذا كان من الصواب تأجيل المناقشة كما يطلب أو المضي فيها؛ وكان على رأس القائلين بوجوب المضي في المناقشة مسيو بلوم الزعيم الاشتراكي. ورغم فصاحته وقوة حجته وافق المجلس على تأخير المناقشة بأكثرية ٥٢ صوتاً. ومما تجدر ملاحظته أن الكثرة التي كانت في جانب الحكومة هبطت إلى ما يقرب من مائة نائب بانضمام كثير من الراديكاليين إلى فريق المعارضة

---

(1) تايمس ٢٠ ديسمبر. من خطاب بلدوين

وعجل القول أن مسيو هريو الزعيم الراديكالى لم يشترك فى المناقشـــة ، ولم يبد حركة ما تدل على أنه يؤيد فريقا على آخر[1] ... ...

وفى اليوم التالى ذهب لافال إلى جنيف ...

على مسرح جنيف

فى يوم الأربعاء الموافق ١٨ ديسمبر كان اجتماع مجلس عصبة الأمم : فقام مستر إيدن ولم يدافع عن مشروع لافال – هور – بل قال إن الحكومتين وضعتا هذا المشروع وللمجلس أن يرفضه أو يقبله ؛ والحكومة البريطانية ليست مرتبطة به ...

ثم نهض مسيو لافال وقال إن عمله هو وزميله السير هور كان بموجب السلطة التى أعطيت للحكومتين لايجاد حل سلمى للمعضلة الحبشية . . . وللمجلس أن يقول الكلمة الأخيرة فى الاقتراح ...

وقبل فض الاجتماع العام قام سكرتير المجلس وألقى تصريح حكومة الحبشة وهو مؤلف من « ٥٠٠٠ » كلمة ومبنى على نقط قانونية ترمى إلى أن اقتراح باريس يخالف كل المخالفة لمبدأ العصبة

وقد قابل الأعضاء المشروع بمعارضـة شديدة ... وجاء فى المناقشة أن السلطة التى خولت إلى بريطانيا وفرنسا لايجاد حل سلمى قد انتهت ، وكل عمل من هذا القبيل يعود إلى مجلس العصبة أو إلى هيأتها العامة – وكان هذا ردا على ادعاء لافال –

وفى اليوم التالى قرر المجلس بأسلوب – دبلوماسى دولى – رفض المشروع

على مسرح لندن

أخذت الصحف الانكليزية تنقل أخبـــار اتفاق باريس ومحتوياته عن الجرائد الفرنسية ، وأخذت الجرائد التى كانت تناصر الحكومة وعلى رأسها التيمس تعارضها وتظهر سخطها على المشروع ، وأخذت جرائد المعارضة تهاجم الحكومة مهاجمة عنيفة وتصفها بأوصاف قاسية منها الجبن وخيانة الشعب وعصبة الأمم والحبشة ...

وفى اجتماع مجلس النواب الذى عقد فى العاشر من ديسمبر دافع مستر بلدوين عن خطة باريس وقال : لو كنت أستطيع أن أميط اللثام عن المشاكل التى تعترضنا ، لما كان هناك رجل من أى هيئة ومن أى حزب يعارضنا ...

ومع ذلك أخذ يزداد عدد الثائرين من حزب الحكومة ، مظهرين سخطهم على سياسة الحكومة الجديدة ؛ وأخذ آخرون يبدون قلقهم من موقف الحكومة الشاذ . فحدث من جراء ذلك انشقاق عظيم فى حزب الحكومة . وانقسم أعضاء الوزارة إلى قسمين : قسم مع بلدوين وقسم غير راض عن « اتفاق باريس » ومن بينهم مستر إيدن الوزير لدى عصبة الأمم إذ ذاك ، وقد صرح بذلك فى جنيف فى الثالث عشر من ديسمبر

ومن الرجالات البارزين الذين عارضوا المشروع فى حزب الحكومة السير أوستن شمبرلين : فقد اجتمعت لجنة الشؤون الخارجية التى يرأسها هو فى ١٧ منه لدرس « اتفاق باريس » وإبداء رأيها فيه . وصرح السير أوستن أنه غير راض عن « الاتفاق » ولا يقبله مهما كان تشبث الحكومة به . . . فتبعه أعضاء اللجنة ... وكان ذلك صدمة عنيفة لمستر بلدوين .

أما الصحافة فقد أخذ يشتد نقدها للحكومة ، طالبة منها بلهجة عنيفة التخلى عن « المشروع » والعودة إلى السياسة السابقة ، سياسة جنيف والسلام المشترك :

أمام ثورة الرأى العام المالى على اقتراح هور – لافال ، وأمام رفض الأمبراطور « المشروع » وتردد موسولينى فى قبوله ؛ وأمام هجمات الحزب المعارض العنيفة وأمام انقسام حزبه عليه ؛ أمام امتعاض الرأى الانكليزى من تخليه عن العصبة وسياسة السلام المشترك ، وأمام ثبات العصبة ورفضها « الاقتراح » ؛ أمام كل هـذه الصعوبات رأى مستر بلدوين أنه لا يستطيع أن يسير خطوة إلى الأمام بسياسته الجديدة ؛ فقرر أن يكون على رأس القائلين بعدم قبول الاقتراح ! . فدعا السير صموبل هور من سويسرا . وجمع أعضاء وزارته فى ١٨ ديسمبر وقرر التخلى عن هور ورفض اتفاق « باريس »

وفى هذا التاريخ قدم السير هور استقالته فقبلها مستر بلدوين

وفى يوم الجمعة الموافق ١٩ ديسمبر كان موعد اجتماع مجلس اللوردات ومجلس النواب لمناقشة اقتراح هور – لافال ، وكان الجميع متفقين على التخلى عن « اتفاق باريس »

كان اجتماع مجلس النواب غير عادى : فقد حضره البرنس

---

(١) فى مساء ١٨ ديسمبر استقال مسيو هريو من رئاسة الحزب الراديكالى الاشتراكى

أوف ويلز وحضره السفراء . . . وبعد إلقاء الأسئلة والاجابة عليها قام السير صموئيل هور مبيناً الأسباب التي قادته إلى توقيع الاقتراح ، ومما قاله إنه كان أمام عينيه هدفان :

« اتقاء حرب أوروبية والحيلولة دون نشوب حرب منفردة بين إيطاليا وبريطانيا

« إن منع البترول عن إيطاليا ربما يؤدى إلى هزيمة إيطاليا وخسرانها الحرب الحبشية ، وعند ما تجد نفسها فى هذا الوضع الذليل تقوم بمهاجمتنا ، وعندئذ تنشب الحرب بينها وبيننا دون أن ينهض لمساعدتنا أحد ، إذ لم تقدم دولة ما الى الآن باخرة واحدة ولا جندى واحد فى سبيل الأمن المشترك ؛ والرأى الفرنسى ضد الحرب ولا يريد أن يتورط فى مشاكل جديدة ...

« لهذا اضطررت وأنا فى باريس إلى أخذ قرار عاجل لأن مسألة البترول لا يمكن تأجيلها إلى تاريخ آخر

ثم أخذ يدافع عن مواد الاتفاق بحجج واهية . . .

أما مستر أتلى « Attlee » رئيس حزب العمال فقد طلب رفض « اتفاق باريس » ، وأثبت أن مسؤولية الحكومة لا تزول باستقالة السير هور . ثم أخذ يسائل الحكومة :

ما فائدة الابتداء فى العقوبات إذا كان أمرها سيهمل عند مجابهة أى خطر ؟! . لماذا صرح فى شهر أكتوبر بأن العمل المشترك مفيد وفى شهر ديسمبر أنه غير مفيد ؟ ! إذا كان يوجد الآن خطر عظيم نخبر من الوقوف بجانب المتمدى أن يقال بأن العصبة قد فشلت . . .

ثم ألقى مستر بلدون كلمة طويلة شديدة ، صرح فيها بأن اتفاق باريس قد قضى عليه تماماً ، وطلب من حزب الحكومة معاضدته ، وأعلن بأن الحكومة عائدة إلى العمل المشترك ضمن مبادىء جنيف . . .

وقال اللورد هارتنكتن « Hartington » : إن « عشرة الأيام البئيسة » قد انتهت

وقد ختم النقاش فى كلا المجلسين بقبول وجهة النظر القائلة بأن الحكومة قد ارتكبت غلطة فادحة فى توقيعها « مشروع الصلح » . وأنها بعملها هذا تقضى على النية الخالصة والأمل القوى فى نظام السلام المشترك

وقد جاء خطاب السير نفيل شمبرلين الذى ألقاه فى برمنجهام مساء ٢٠ ديسمبر مؤيداً لتصريح الحكومة ، ومما قاله :

« . . . هذه الاقتراحات قد ماتت إلى غير بعث ؛ وإننى أعتقد الآن بأن كل سعى للوصول إلى حل سلمى فاشل »

« فيجب أن نعود إلى سياسة العقوبات . . . »

وإن تعيين مستر إيدن وزيراً للخارجية لدليل ساطع على أن الحكومة عائدة إلى السياسة التى تحدث عنها السير شمبرلين

على أن الحكومة البريطانية لا تود العمل منفردة ، ولذلك أخذت تفاوض أعضاء عصبة الأمم الذين على البحر الأبيض المتوسط ، ولقد أجاب حتى الآن كل من تركيا واليونان ويوجوسلافيا بأنهم على استعداد لمساعدة بريطانيا وللعمل على مبدأ عصبة الأمم . . .

(البقية فى العدد القادم)

يوسف هيكل
دكتور فى الحقوق من (حكومة فرنسا)

فى ميـــدان الاجتهاد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى
أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية بالأزهر

— ١ —

كيف منع الاجتهاد

ينشد المسلمون الاصلاح فى هذا العصر ، وتنشده جامعتهم الأزهرية الكبرى فى مصر ، ويعالجون فى سبيل ذلك طرقاً ملتوية يعشون فيها إلى أن تنتهى بهم إلى أسوأ مما كانوا فيه ، فتعلو كلمة الجامدين بالرجوع إلى قديمهم المقوت ، ويوافقهم على ذلك بعض من يتظاهر بحب الاصلاح إذا أقبل عهده ، ويخفى فى قلبه كرهه وبغضه . ولو أنعم هؤلاء الناس النظر لرأوا الذنب فى ذلك يرجع إلى تلك الطرق الملتوية ، لا إلى الاصلاح المنشود الذى دعا إليه جمال الدين الأفغانى والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وغيرهما من كبار المصلحين فى هذا العصر

وهذا الاصلاح المنشود يتلخص فى كلمتين : فتح باب الاجتهاد فى علومنا عامة والعلوم الدينية منها خاصة ، وتأليف كتب جديدة فى هذه العلوم تسرى فيها روح الاجتهاد بدل تلك الكتب الميتة الجامدة ؛ أما ماعدا ذلك من أمور الاصلاح فمن الأمور الكمالية التى ضرنا الاهتمام بها أكثر من هذه الأمور الأساسية

ولست بسبيل الكلام فى هذا الاصلاح فقد قطعت شوطاً من حياتى فى الجهاد فيه ، حتى آل الأمر بنا إلى تلك الطرق الملتوية ، ووجدت فى ذلك غرائب وعجائب صرفتنى عن العناية بذلك الأمر إلى أمور أخرى من العلم والأدب ؛ وقد حاورت فيها أناساً آخرين وحاورونى ، فوجدت علماء الأدب أكرم الناس أخلاقاً ، وأسلمهم طوايا ، وأطهرهم أقلاماً ، ووجدت الخير فيهم مرجواً ، والشر منهم مأموناً ؛ ولست أدرى وقد تركتهم إلى هذا الموضوع الدينى الخطير أأجد أقلاماً مثل أقلامهم ، ونفوساً سمحة مثل نفوسهم ، أم أجد النفوس لا تزال على عهدى بها ، وإن تظاهرت بحب الاصلاح والانتصار له ؟ وقد أكون مخطئاً فى ظنى ، وأرجو من الله أن أكون مخطئاً فيه ، وأن نكون قد بدلنا نفوساً أخرى تبحث مثل هذه الأمور المهمة فى هدوء ، وتعرف الصواب للمصيب فلا تحسده عليه أو تتعامى عنه ، وتحسن الظن بمن يطلب الصواب فيخطئه طريقه ، فتأخذه بالتى هى أحسن ، حتى يعرف خطأه واضحاً فيرجع عنه ، ويشكر للذى دله عليه

وهكذا كان حال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم . كان باب الاجتهاد بينهم مفتوحاً على مصراعيه لا يحمل أحد منهم بسببه ضغينة على أخيه ، ولا يحاول قهره على موافقته فى رأى خالفه فيه ، إلى أن نبتت فتنة الخوارج المعروفة ، ولعبت السياسة بعقول الناس فيها ، فكانوا أول من سن فى الاسلام أخذ المخالف فى الرأى بوسائل القهر ؛ ثم تتابعت الحوادث وأتى عصر بنى العباس فرأوا من الأئمة المجتهدين فى عصرهم انكماشاً عن سلطانهم فأخذوا ذلك عليهم ، وجعلوا يصطنعون الوسائل لايذائهم ، فآذوا فى ذلك أبا حنيفة ومالكا والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الجماعة ، وصاروا ينصرون عليهم خصومهم من المعتزلة ، واستباحوا فى ذلك ما استباحوا من الحجر على حرية الرأى ، وتعذيب المخالف لهم فيه بالسجن والضرب والقتل ، وبلغ ذلك شدته فى مسألة خلق القرآن المعروفة

وكان التعليم من أول الاسلام يتخذ المساجد دوراً له ، فتتولاه الرعية بعيدة عن الحكومة ، كما تتولاه الأمم الآن فى الشعوب الراقية فى أوربا وأمريكا . وينشأ التعليم فى كنفها حراً لايتأثر بهوى حاكم ، وينشأ رجاله أحراراً لا تلين قناتهم لظالم

وقد أخذ حكام المسلمين فى آخر الدولة العباسية يدخلون فى أمور التعليم ليكون لهم نفوذ عليه ، وسلطان على رجاله ، فأنشأوا له المدارس الخاصة به ، وحبسوا عليها من الأوقاف الكثيرة مارغب العلماء والمتعلمين فيها ، وجعلهم يتنافسون على أبواب الملوك والحكام من أجلها ، فضاعت كرامة العلم والعلماء ، وخضع أهله لمن بيدهم أمر تلك المدارس والأوقاف

ومن أقدم ما بنى فى الاسلام من المدارس المدرسة البيهقية المنسوبة إلى البيهقى المتوفى سنة ٤٥٠ ﻫ ، والمدرسة السعيدية بنيسابور بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود حين كان واليا بها ، والمدرسة النظامية التى بناها الوزير نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان وابنه ملكشاه ببغداد سنة ٤٥٩ﻫ واحتفل بافتتاحها يوم السبت عاشر ذى القعدة من هذه السنة ، وجمع الناس على طبقاتهم ليحضروا دروس الشيخ أبى إسحاق

الشيرازى ، فجاء الشيخ ليحضر فلقيه صبي فى الطريق ، فقال ياشيخ كيف تدرس فى مكان مغصوب ؟ فرجع الشيخ واختفى . فلما يئسوا منه ذكر الدرس بها أبو نصر الصباغ

ولما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب مصر لم يكن بها شيء من المدارس ، فبنى بها المدرسة الناصرية لتعليم المذهب الشافعى سنة ٥٦٦ هـ ثم بنى المدرسة الصلاحية بالقرافة الصغرى سنة ٥٧٢ هـ مجاورة للامام الشافعى رضى الله عنه ، وجعل لناظرها أربعين دينارا فى كل شهر ؛ ورتب له فى كل يوم ستين رطلا من الخبز ، وراويتين من ماء النيل ؛ ثم بنى أخرى مجاورة للمشهد الحسينى ، وجعل دار عباس الوزير العبيدى مدرسة للحنفية

وكان من دواعى إنشاء هذه المدارس تأييد المذاهب التى كان السلاطين يشتدون فى نصرتها ، كما فعل صلاح الدين حين استولى على مصر ، فقد حارب فيها مذهب الشيعة الفاطميين الذين حكموا مصر قبله ، وكانت دروس هذا المذهب تلقى فى الأزهر وغيره من مساجدهم ، فأبطل هذه الدروس ، وأحيا مذهبي الشافعى ومالك وبنى لهما كثيراً من المدارس

وفى هذه المدارس أقفل باب الاجتهاد ، وقبرت المذاهب الفقهية عدا هذه المذاهب الأربعة الباقية ؛ وقد كانت هناك مذاهب كثيرة لأهل السنة والجماعة بقى بعضها إلى القرنين السابع والثامن الهجريين ؛ ومن هذه المذاهب مذهب البصرى والثورى ولم يطل العمل بهما لقلة اتباعهما ؛ ومنها مذهب الأوزاعى ، وقد بطل العمل به بعد القرن الثانى للهجرة ؛ ومنها مذهب أبى ثور ، وقد بطل العمل به بعد القرن الثالث ؛ ومنها مذهب ابن جرير الطبرى ، وقد بطل العمل به بعد القرن الرابع ؛ ومنها مذهب الظاهرى ، وقد طالت مدته وزاحم المذاهب الأربعة حتى جعله المقدسى فى أحسن التقاسيم رابع المذاهب فى زمنه (القرن الرابع) بدل الحنبلى ، وذكر الحنبلية فى أصحاب الحديث ، وعده ابن فرحون فى الديباج الخامس من المذاهب المعمول بها فى زمنه (القرن الثامن) ؛ ثم درس بعد ذلك ولم يبق لأهل السنة والجماعة إلا المذاهب الأربعة . وذكر ابن خلدون أن الظاهرى درس بدروس أئمته ، وإنكار الجمهور على منتحله ، ولم يبق إلا فى الكتب ، وربما يعكف متكلفو انتحاله عليها لأخذ فقههم منها ؛ فلا يحلون بطائل ، ويصيرون إلى إنكار الجمهور عليهم

وهكذا أخذت المذاهب الأربعة تتغلب مع الزمن على غيرها من هذه المذاهب حتى تم لها التغلب عليها فى القرن السابع الهجرى . وأخذ فقهاء هذه المدارس تبعاً لهوى أصحابها من الأمراء يتعصبون لها ، ويفتون بوجوب اتباعها . قال المقريزى فى خططه : « فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة ، وهم شافعى وحنفى ومالكى وحنبلى ، فاستمر ذلك من سنة ٦٦٥هـ حتى لم يبق فى مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الأربعة ، وعقيدة الأشعرى ، وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط فى سائر ممالك الاسلام ، وعودى من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ؛ ولم يول قاض ، ولا قبلت شهادة أحد ، ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلدا لأحد هذه المذاهب . وأفتى فقهاء هذه الأمصار بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها ، والعمل على هذا الى اليوم »

وإذا لم يكف هذا الاجمال فى بيان ما أتت به يد السياسة من وسائل القهر والاغراء فى احياء بعض هذه المذاهب وإماتة بعضها ، ومحاربة الاجتهاد إلى حد القضاء عليه فى تلك المدارس ، فانا نسوق مثلاً من ذلك فى المدرسة المستنصرية التى أمر بانشائها المستنصر بالله العباسى ، وشرع فى ذلك سنة ٦٢٥ هـ وقد تكامل بناؤها سنة ٦٣١ هـ وأنفق عليها أموالاً كثيرة ، واحتفل بافتتاحها فى تلك السنة احتفالاً عظيماً حضره بنفسه ، وحضره نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار الغرباء ، واختير لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفساً ، ورتب لها مدرسان ونائبا تدريس ؛ وكان المدرسان محيي الدين محمد بن يحيى بن فضلان الشافعى ، ورشيد الدين عمر بن محمد الفرغانى الحنفى ؛ وكان نائباهما جمال الدين عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزى الحنبلى ، وأبا الحسن علياً المغربى ؛ وجعل لها معيدون لكل مذهب أربعة ، وقسمت إلى أرباع ، فجعل ربع القبلة الأيمن للشافعية ، وجعل ربع القبلة الأيسر للحنفية ، وجعل الربع الذى على يمين الداخل للحنابلة ، وجعل الربع الذى على يساره للمالكية . وقد شرط المستنصر فى وقفه عليها أن يكون عدة فقهائها ثمانية وأربعين

ومائتى فقيه ، من كل طائفة اثنان وستون ، بالمشاهرة الوافرة ، والجراية الدارة ، واللحم الراتب ، إلى غير ذلك من وسائل الاغراء التى لم تتح لغير هذه المذاهب . وقد كان قبر الاجتهاد فى هذه المدرسة ، وحجر النظر فيها على العلماء بهذا الشكل

فى سنة ٦٤٥ هـ أحضر مدرسوها إلى دار الوزير ، فتقدم اليهم ألا يذكروا شيئاً من تصانيفهم ، وألا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها ، بل يذكروا كلام المشايخ تأدباً معهم ، وتبركا بهم . فأجاب جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى مدرس الحنابلة بالسمع والطاعة . وقال سراج الدين عبد الله الشرمساحى مدرس المالكية : « ليس لأصحابنا تعليقة ، فأما النقط من مسائل الاختلاف فما أرتبه » . وقال شهاب الدين الزنجانى مدرس الشافعية ، وأقضى القضاة عبد الرحمن بن اللمغانى مدرس الحنفية : « إن المشايخ كانوا رجالاً ونحن رجال » فكانا أفضل القوم إجابة . ثم أوصل الوزير أمر ذلك إلى المعتصم بالله ، وكان قد ولى أمر الدولة بعد أبيه المستنصر ، فتقدم اليهم أن يلزموا بذكر كلام المشايخ واحترامهم فأجاوه بالسمع والطاعة . وذهب إباء مدرسى الشافعية والحنفية فى الهواء . ولو أنهما استمرا على إبائهما لكان جزاؤهما القتل أو نحوه

ونستطيع بعد هذا أن نحكم بأن منع الاجتهاد لم يتم إلا فى عصور الظلم ، وبأن قصر الناس على هذه المذاهب الأربعة حصل بوسائل غير مقبولة من القهر والاغراء . وفى يقيننا أنه لو أتيح لغير هذه المذاهب ما أتيح لها من تلك الأوقاف والرواتب لكان حظها من البقاء مثل حظها ، ولبقيت معروفة مقبولة ممن يجهلها اليوم أو ينكرها

وقد حوولت هذه الوسائل لالزام الناس بهذه المذاهب قبل هذه العصور فلم يرض بهذا المسلمون حتى أصحاب هذه المذاهب . روى أبو نعيم فى الحلية عن مالك بن أنس أنه قال : شاورنى هارون الرشيد فى أن يعلق الموطأ فى الكعبة ويحمل الناس على ما فيه ؛ فقلت لا تفعل ، فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى الفروع ، وتفرقوا فى البلدان ، وكل مصيب . فقال وفقك الله تعالى يا أبا عبد الله

وروى ابن سعد فى الطبقات عن مالك بن أنس قال : لما حج المنصور قال لى قد عزمت على أن آمر بكتبك هذه التى وضعتها فتنسخ ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره ، فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم

فنحن إذن فى حل من أمر هذه المذاهب التى فرضت علينا فرضا ، وفى حل من ذلك الحظر على الاجتهاد فى أحكام ديننا ، لأنه أتى بطريق القهر ، ولم يتم برضا المسلمين وتشاورهم ، وإنما أمر المسلمين كما حكم الله تعالى شورى بينهم

عبد المتعال الصعيدى

٨ ـ معركة عدوى

للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي

تتمة

وأراد الجنرال «باراتيرى» أن ينسحب الى «أديكايه» ليقصر خط المواصلات إلا أنه لم يجسر على ذلك خوفاً من تأنيب رومة فقرر القيام باستطلاع تعرضي في اتجاه نهر مارب شأن كل قائد متردد . وكان يرمي بذلك الى وقف حركات الأحباش في اتجاه غوندت وأسمره ، وبعد أن تأهبت الفصائل للحركة سحب أمره . ولا شك في أن هذه الأوامر المتناقضة مما أزال اطمئنان الفصائل وجعلها تخشى العاقبة

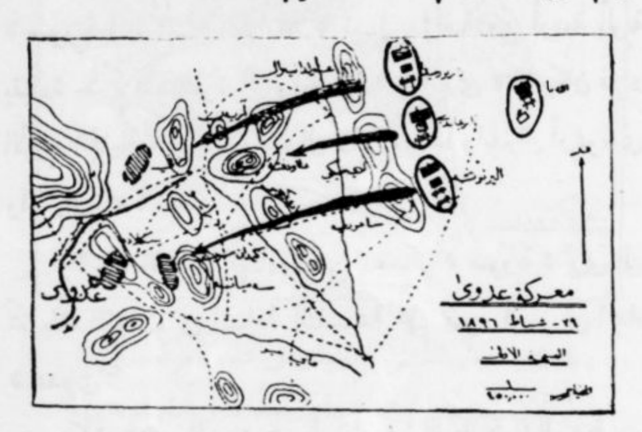
ومما زاد الموقف حروجة قلة الأرزاق . وكلف مدير المسيرة والتموين الجنرال بتقليل مقدار الأرزاق اليومي للجنود لأن مواد التموين لا تكفي وأن القوافل أخذت تتأخر والكثير منها يقع في أيدي الثوار ، فاضطرت القيادة إلى تقليل أرزاق الجندي اليومي ، وكان الجندي الأهلي يأخذ قليلا من الشعير ، ويفضل الدراهم مقابل الأرزاق الباقية ، الا أن الأرزاق كانت مفقودة . وتناول الضباط الأرزاق كالجنود . وأخيرا أضاف القائد العام خطيئة إلى خطيآته السابقة فكانت نذير الخذلان . فانه عقد مجلساً حربياً واستشار القواد فيما يعمل ، ومعنى ذلك أنه أراد أن يلقي تبعة الحركات عن عاتقه وكان هو المسؤول الوحيد عنها

والظاهر أن القائد العام كان يخشى حساب رومة بعد أن تلقى تلك البرقيات المرة منها ، وكان قرار أعضاء أكثرية المجلس القيام بالهجوم وعدم الانسحاب لأن البقاء في ادجرات يسبب مجاعة الجيش ، ولأن الأرزاق كانت على وشك النفاد برغم تقليل مقاديرها اليومية ، لأن القوافل أمست لا تصل بانتظام . أما الانسحاب إلى الوراء فلم يكن من شك في أنه أحسن تدبير لتقصير خط المواصلات وتموين الجيش بصورة منتظمة ، وبعد أن يتقوى بالنجدات المرسلة من ايطاليا وتكمل التدابير الادارية وتنتظم سوق التموين والذخيرة يتقدم للهجوم بخطوات ثابتة متينة ، بيد أن القائد العام والقواد الآخرين لم يكن لديهم من حب التبعة (المسؤولية) ما يجعلهم يتخذون هذه الخطة

وفي الوقت الذي قرر المجلس الحربي فيه القيام بالهجوم وردت البرقية التالية من رومة إلى القائد العام :

« رتب الجيش بحيث يقوم بالهجوم ويقاوم هجوم العدو »

ومعنى ذلك أن الحكومة الطليانية لم توافق على الانسحاب وأنها تريد المقاتلة مهما كانت النتيجة



نشوب المعركة

يظهر لنا مما تقدم أن أحد الفريقين المتحاربين شعب متوحش ملتف حول ملكه ومتعطش للقتال ، ويعرف بلاده ، ومستعد للاستفادة من جميع ظاهراتها للضربة القاضية على عدوه ، وعلى رأسه ملك يعرف كيف يستفيد من رجاله ، فاستطاع بدهائه وحنكته أن يحصل على المدد الكافي من السلاح ، ويجمع الأحباش حوله ويقودهم الى ميادين القتال

أما الفريق الآخر فيجهل أحوال البلاد ، وهو غير قادر على تحمل مناخها ، وقد أساء قواده قيادته ، فلم يضمنوا له ما يحتاج اليه من مواد التموين وأسباب الراحة التي تمكنه من القتال في هذه البلاد القاسية . وقد أدى التردد في التنفيذ الى زوال اعتماد الجنود على ضباطهم والضباط على رؤسائهم

والواضح من هذا أن المعركة سوف تنشب في ظروف غير متعادلة ، وقد لا يفيد التدريب المتقن والأسلحة الحديثة في التغلب على كثرة الأحباش المتشوقين الى القتال

والغريب في أمر هذه الحركات أن القيادة العامة كانت لا تملك خريطة صالحة تساعدها على وضع الخطط العاجلة . ومن

الضرورى معرفة حالة الأرض لتسـيير القوات عليها . فالخطيئة التى ارتكبت فى الحركات السوقية سوف يزداد شمولها بالخطأ فى التعبئة ، وهذا النقص مما سبب تسيير الأرتال فى ميدان المعركة بحيث لا يستطيع بعضها مساعدة بعض ، وذلك مما جعل القيادة الحبشية تغتنم الفرصة وتنقض برجالها على الأرتال وتقضى عليها على التعاقب

عسكرت القوات الطليانية فى ٢٩ فبراير سنة ١٨٩٦ فى « صورية » وكانت القوات كما نعلم مؤلفة من أربعة ألوية بقيادة حاكم المستعمرة العام الجنرال « بارانيرى » ، وكان قواد الألوية الجنرال البرتونه والجنرال دابوميـدا والجنرال أرعوندى والجنرال اللانا

وكانت الأوامر الصادرة من معسكر « صورية » ترمى إلى تحريك القوات فى الساعة التاسـعة على ضوء القمر فى اتجاه « عدوى »

وكان يؤدى إلى عدوى طريقان ، وهما طريق شمالى وطريق جنوبى ، وكلاهما يمتد فى منطقة وعرة فيمر الطريق الشمالى بمضيق (رابى أريان) ، والطريق الجنوبى بمضيق « شدان موت » قبل وصولهما إلى عدوى ، وبين الطريقين جبل « راجو » الوعر الذى لا يمكن تسلقه لشدة انحداره وللصخور المـكدسة فيـه . وتبلغ المسافة بين المضيقين أكثر من خمسة عشر كيلو متراً . فالتقدم على هذين المضيقين يجعل الأرتال الطليانيـة معرضة لهجمات القوة الحبشية المتمركزة حيث تتحرك على الخطوط الداخلية ، وبلغ الجنرال « بارانيرى » أوامره مقتنعاً بأن الأرتال بعد اجتياز المضايق يجتمع بعضها ببعض وتتقدم نحو العدو . إلا أن هـذا الاقتناع لم يصح ، وقد يأمل هذا القائد النصر إذا جمع الرتلين فى شرق جبل (راجو) واستفاد بعد ذلك من كثرة المدافع

وبدلاً من تقسيم الألوية على الرتلين وتسيير لوائين فى كل رتل لـكى يكون لـكل منها القوة الـكافية لمقابلة العدو تقدمت الألوية على الترتيب التالى :

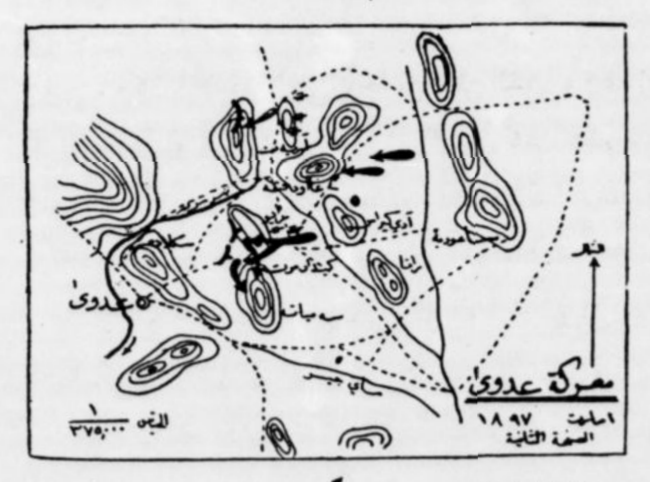
لواء البرتونة فى الجنوب نحو مضيق « شدان موت » ، ولواء « دابورميدا » فى الشمال نحو مضيق « رابى أريان » أما لواء « أرعوندى » فى القلب ، وبقى لواء اللانا فى الاحتياط إلى الوراء ،

ولما وصل لواء « أرعوندى » إلى سفح الجبل رأى أن لا طريق له . فوجه الجنرال « بارانيرى » إلى الشمال وراء لواء « البرتونة » أما لواء « اللانا » فسار فى المؤخرة وراء « البرتونة » . وهكذا تكدست ثلاثة ألوية على طريق واحد بينما بقى لواء فى الجنوب

والحقيقة ان مضيق « رابى اريان » لم يكن فيه مجال لانفتاح لواء واحد ، وكان اللواءان يتقدمان بصعوبة نحو المضيق ، وذلك يجعل لواء « اللانا » يتأخر فى الوراء بطبيعة الحال

وكان القسم الأكبر من لواء «البرتونة» من الأهلين ، وتقدم اللواء ليلا على ضوء القمر ، وكان الجنود يسيرون بنشاط ، بينما كان الأحباش يترقبون اقترابهم بفارغ الصبر ، وكانت طلائعهم تنسحب أمام هذا اللواء دون أن تحرك ساكناً

وعلى ما يظهر كان النجاشى ينتظر مرور هذا اللواء من المضيق وابتعاده عن الرتل الشمالى لينقض عليه ملتفاً حوله من كل جهة . واعتمد قائد اللواء على الخريطة غير الصحيحة فأراد أن يريح لواءه فى رابية بعد اجتياز المضيق ظناً منه أن الرابية تسيطر على الأرض فى شرق المضيق . ولما وصل الى الرابية باغت الأحباش لواءه من كل جانب وهاجموه بحرابهم وخناجرهم



وفى الساعة السابعة صباحاً سمع الجنرال «بارانيرى» صوت النار من الجنوب فكلف لواء « دابورميدا » بنجدة « البرتونة » عندما يجتاز المضيق ، بيد أن الأحباش كانوا قد احتلوا الوديان والروابى فى جنوبى مضيق « رابى اريان » فاضطر « دابورميدا » الى مقاتلتهم ، الا أنه بعد مدة قصيرة رأى نفسه أمام قوة فائقة من الأحباش أحاطت بجانبه فألجأته الى الوقوف للدفاع

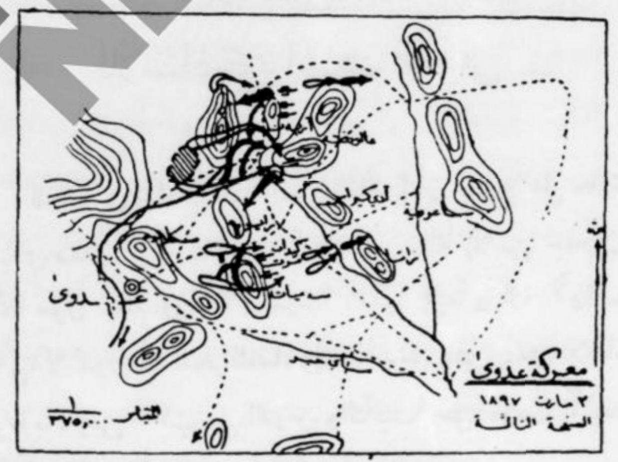
ولما علم « بارانيرى » أن لواء « دابورميدا » أيضاً اشترك

فى القتال وتأكد أنه لا يستطيع نجدة « البرتونة » أمر لواء « أريموندى » بألا يعقب لواء « دابورميدا » بل يتوجه رأساً إلى الجنوب لمساعدة « البرتونة »

ولما اجتاز هذا اللواء المضيق وتوجه إلى الجنوب وصل المنهزمون من لواء البرتونة إلى رأس الرتل فعلم منها أن الأحباش قضوا على اللواء بالاحاطة به من كل جانب وأن قائده قتل فى المعركة ، فتقدم اللواء فى الاتجاه الجنوبى الغربى ، وكان لواء « اللانا » يسير وراءه ، إلا أن وعورة الأرض وكثرة الوديان والأخاديد فيها عرقلت المسير

وكان الأحباش قد كمنوا لهذا اللواء مستفيدين من الوديان والأخاديد ، فلما اقترب اللواء منهم باغتوه من كل جانب ، ثم أعادوا الكرة على لواء « اللانا » فكانت مباغتة هائلة ، وكان قتال وجهاً لوجه ، فلم تستطع المدفعية مساعدة المشاة لاختلاط الحابل بالنابل . وكان بعض المدافع فى المؤخرة فلم تستطع تلك المدافع أن تسلك الروابى لدخول الموضع . وكلما تقدمت قوات الاحتياط لنجدة الخط الأول كان الأحباش يحيطون بها ويشتتون شملها . وعقب هذا القتال الشديد انسحاب ، ولكن لا على الصورة المعروفة بل كان أشبه بالهزيمة . فترك المشاة المدافع وولوا هاربين فى طلب النجاة ، فتكدسوا على الطرق وفى المضايق وفى الوديان فلم يسلم منهم إلا القليل

أما لواء « دابروميدا » فبقى وحده يقاتل الأحباش ويظهر أن القوة التى هاجمته لم تكن كبيرة فقاتل إلى المساء بعد أن فقد قائده وانسحب بصعوبة فى اتجاه آخر . أما القائد العام فلما رأى النكبة التى حلت بجيشه أصدر أمر الانسحاب فى الساعة الحادية عشرة وأسرع مع أركان حربه منسحباً إلى موقع « عدى كيه » البعيد عن ميدان القتال مسافة ٧٠ كيلو متراً فكان ذلك فراراً لا انسحاباً



وبلغت خسائر الجيش الطلياني فى هذه المعركة مايلى :

جنرالان مقتولان وهما « داپورميدا » و « إريموندى » وأخذ الجنرال « البرتونة » أسيرا

زعيمان من سبعة زعماء مقتولان وزعيم فى الأسر

خمسة عشر قائد فوج (من أربعة وعشرين) قتلى

والخلاصة أن مجموع الخسائر من قتيل وجريح وأسير بلغ ٢٨٤ ضابطا و ١٥,٤٠٠ جندى . أما الذين نجوا فكانوا ٢٦٢ ضابطاً و ٤٣٦٩ جندياً منهم ٢٧٦ جريحاً

انتهى طه الهاشمى

علمائنا المجهولون

عبد الرءوف المناوى

٩٥٢ — ١٠٣١ هـ

للأستاذ محمد ابراهيم العفيفى

للسائر فى شارع باب البحر بالقاهرة أن يعرج على حارة سيدى مدين ليرى بناء متهدماً درست معاله إلا من جدران قائمة حول مقام وزاوية ومدرسة أهملتها جميعاً وزارة الأوقاف كأنها لا تدرى أنه لفخر العلماء وإمام المحدثين ومن تصدى للافتاء يوما ما، ومن أكب على الدرس والتأليف حتى قاربت تآليفه المائة : ذلك مقام سيدى عبد الرءوف المناوى

عصره :

انتهى القرن العاشر الهجرى والدولة العثمانية تبسط سلطانها على كثير من البلاد الشرقية ، فكان لزاما أن تكون الطبقة الحاكمة فى مصر عثمانية ، وأن تكون اللغة المتداولة بين الأوساط الراقية تركية ، يشجعها الحكام ويساعدون على انتشارها بشتى الأساليب ؛ فلغة الدواوين ولغة المجالس ولغة التهانى والتناظر والمديح كلها تركيـة ؛ أضف إلى ذلك ما يترتب عليه من ذيوع التآليف ودواوين الشعر بتلك اللغة ؛ وأهملت اللغة العربيـة فى شتى الأبحاث ، وأقفرت تلك الحقبة من ذيوع لغة القرآن ؛ فجفت أقلام المفسرين والمحدثين والمؤرخين والشعراء إلا من نفر قليل قيضهم الله للاحتفاظ بالبقية الباقية من مجدها الأثيل

مولده

أنجبت القاهرة سنة ٩٥٢ هـ فخر العلم والأدب : زين الدين محمد المدعو عبد الرءوف بن تاج الدين بن على بن زين العابدين (أو العارفين) الحدادى المعروف بالمناوى [١]

(١) نسبة الى منيـة السيرج من ضواحى القاهرة ، اذ يذكر ذلك على باشا مبارك فى خططه جزء ١٦ صفحة ٥٠ : « المنيا (منية السيرج) قرية من قرى القليوبية بمركز شبرى ، موضوعة على الشاطىء القبلى لترعة القلج وشرق الخليج المصرى بشىء قليل ، وفى شمال قرية المخصوص وبها جامع عامر ... وهى وان كانت قرية صغيرة لكنها محلاة بالفضائل حيث نشأ منها من أكابر الأفاضل الامام الكبير والعالم الشهير الشيخ عبد الرءوف المناوى

نشأته

أكب على الدرس منذ حداثته ، « وحفظ القرآن قبل بلوغه ، ثم حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية ، وألفية ابن مالك ، وألفية الحديث للعراقى ، وعرض ذلك على مشايخ عصره فى حياة والده ، ثم أقبل على الاشتغال فقرأ على والده العلوم العربية ، وتفقه بالشمس الرملى ، وأخذ التفسير والحديث والأدب على النور على بن غانم المقدسى ، وحضر دروس الأستاذ محمد البكرى ، والتفسير والتصوف ، وأخذ الحديث عن النجم الغيطى والشيخ قاسم والشيخ حمدان الفقيه والشيخ الطبلاوى ؛ لكن كان أكثر اختصاصـه بالشمس الرملى وبه برع ، وأخذ التصوف عن جمع ، وتلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراوى ، ثم أخذ طريق الخلوتية عن الشيخ المناخلى أخى عبد الله ، وأخلاه مرارا ، ثم عن الشيخ محرم الرومى حين قدم مصر بقصد الحج ، وطريق البيرامية عن الشيخ حسين الرومى المنتشوى ، وطريق الشـــاذلية عن الشيخ منصور الغيطى ، وطريق النقشبندية عن السيد الحسيب النسيب مسعود الطاشكندى ، وغيرهم من مشايخ عصره ، وتقلد النيابة الشافعية ببعض المجالس ، فسلك فيها الطريقة الحميدة ، وكان لا يتناول منها شيئاً [١] »

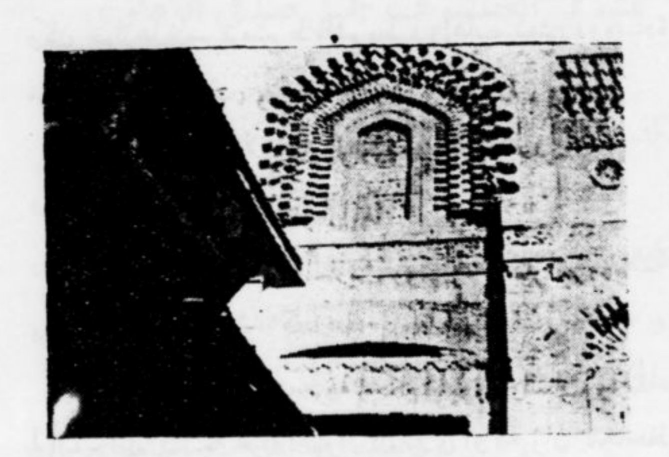
***

أكب على الدرس منذ حداثته ؛ وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام زهداً فى الدنيا واستجماماً للدرس والتحصيل ، يميل إلى العزلة .

ثم علق المنقول والمعقول ، واستهوته العلوم العويصة كالفلسفة والتصوف حتى أصاب منها بغيته ، ثم التفت إلى التاريخ فألف فيه المطولات لمن يريد الاستيعاب ، ثم المختصرات لمن يبغى الاطلاع ، كما ضرب بسهم فى السياسة والاجتماع . ثم واصل الدرس فتعمق فى فقه اللغة وعالج الكتابة غير أنه كان يميل إلى السجع والمحسنات اللفظية مما كان يعجب به أهل زمانه ؛ وتعرض للتاريخ الطبيعى حسبما مكنه الأوان ، ثم كان محدث عصره فجلس إلى الناس يحدثهم

(١) خلاصة الأثر للمحبى ج ٢ ص ٤١٢

ثم ولى التدريس بالمدرسة الصالحية [1] فحسده أهل عصره؛ وكانوا لا يعرفون مزية علمه لانزوائه عنهم



مدخل المدرسة الصالحية

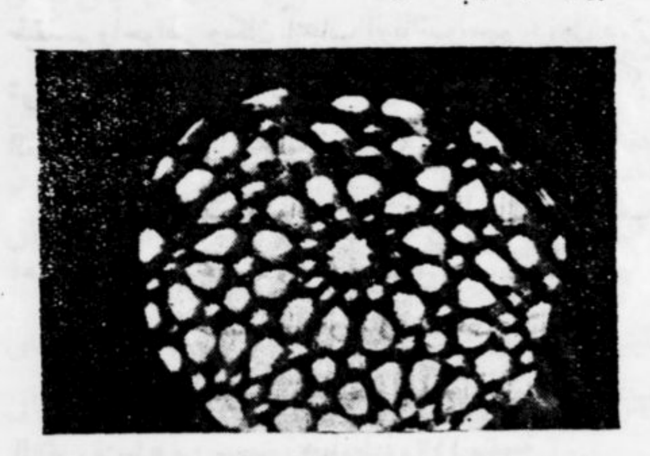
ولما حضر الدرس فيها ورد عليه من كل مذهب فضلاؤه منتقدين عليه ، وشرع فى اقراء مختصر المزنى ، ونصب الجدل فى المذاهب ، وأتى فى تقريره بما لم يسمع من غيره فأذعنوا لفضله ، وصار أجلاء العلماء يبادرون لحضور مجلسه ، وأخذ عنه منهم خلق كثير منهم الشيخ سليمان البابلى ، والسيد ابراهيم الطاشكندى ، والشيخ على الأجهورى ، والولى المعتقد الشيخ أحمد الكلبى [2] ، وولده الشيخ محمد ؛ وغيرهم

تصدره للافتاء

أما ما قيل من أنه تصدر الافتاء فذلك يرجع إلى أنه ذكر فى مقدمة زائفة لسيرة نسبت اليه : « قال شيخ الاسلام ومفتى الأنام الشيخ عبد الرءوف المناوى » ونحن نشك فى ذلك ، وربما كان ذلك يرجع إلى أن جده [3] الشيخ شرف الدين يحيي تولى مشيخة الأزهر وأن له مجموعة فتاوى

وفاته

ومع ذلك لم يخل من طاعن وحاسد حتى دس عليه السم فتوالى عليه بسبب ذلك نقص فى أطرافه وبدنه من كثرة التداوى ، ولما عجز صار ولده تاج الدين [1] محمد يستملى منه التآليف ويسطرها . ولا ننسى أنه كثيراً ما اعتزل الناس وامتنع من مخالطتهم ، وأنه كان إلى أواخر حياته بحراً فياضاً ومعيناً لا ينضب . وافاه قدره فى صبيحة الخميس فى الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ١٠٣١ هـ ودفن بجانب زاويته التى أنشأها بين زاويتى الشيخين احمد الزاهد ومدين الأشمونى بعد أن ترك للأجيال ما يفخر به عصره



نقش بقبة مقام المناوى

تآليفه

١ — كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق : يشتمل على ١٠٠٠٠٠ حديث استخرجها من ٤٤ كتابا ما بين مغاز ومسانيد وسير بينها الكتب الستة رامزاً للأسانيد . فرغ من تأليفه سنة ١٠٢٦ هـ وطبع بمصر سنة ١٢٨٦ هـ ، سنة ١٣٠٥ هـ

٢ — الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية : يبدأ بمقدمة فى التصوف رداً على آراء المعتزلة ، ثم يتبعها بثمانية أبواب

(١) « هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقى فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ... ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين الى المذاهب الأربعة فى سنة احدى وأربعين وستمائة » هجرية . المقريزى فى خططه ج ٢ ص ٣٧٤

(٢) له زاوية ومقام بالقرب من ضريحه

(٣) الشيخ شرف الدين يحيي بن محمد المناوى ... تولى مشيخة الجامع الأزهر، ولقب بشيخ الاسلام ، وكان يحضر مجالس مولانا الحنفى ، فأخذ عنه وانقطع اليه ... توفى فى ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٧١ هـ » (طبقات الشاذلية للحسن بن محمد الكوهن) والشيخ شرف الدين حاشية على شرح البهجة للعراقى . (خلاصة الأثر)

(١) هذا غير ابنه الآخر زين العابدين الذى له عدة رسائل منها : شرح تائية ابن الفارض ، وشرح الشاهد لابن العربى ، وحاشية على شرح المنهاج للجلال المحلى ، وشرح على الأزهرية ؛ ثم جمع فتاوى جده شيخ الاسلام يحيي المناوى ، وحاشية على الروض الأنف للسهيلى ، وتوفى صبيحة الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة ١٠٢٢ هـ ودفن الابنان مع والدهما

فى سيرة الرسول ثم بالخلفاء الراشدين ، ويلى ذلك تراجم الصوفية مفرداً طبقات كل قرن على حدة حسب سني وفياتهم ، مرتباً إياهم أبجدياً ؛ فكانت إحدى عشرة طبقة ينتهى الجزء الأول بانتهاء الطبقة السادسة والباقى فى الجزء الثانى ، فرغ من تأليفه سنة ١٠١١ هـ فى ٨٨٠ صفحة ولم يطبع

٣ — الطبقات الصغرى أو إرغام أولياء الشيطان : جمع فيه تراجم صوفيـة العجم والروم والحجاز واليمن والشام ومصر ، وصدره بمقدمة مرتبة على خمسة أبواب : فى التنبيه على جلال كرم الأولياء ، والرد على منكرى كراماتهم بالأدلة النقليـة والعقلية ، وبيان منازلهم ومقاماتهم والحـكمة فى ظهور الكرامات على أيديهم ، والترغيب فى مجالستهم ، والأخذ عنهم ، وبيان طبقاتهم وأحوالهم ومكان أصحاب الوظائف منهم ، وفى ذكر شىء من أصول علم التصوف المهمة التى لا يستغنى عنها ، ثم ذكر التراجم مرتبة أبجدياً . مخطوط فى ٢٧٦ صفحة ألفه بعد سابقه

٤ — آداب الأكل والشرب : فى آداب اللياقة يناسب أهل ذلك الزمن . مخطوط فى ٨٠ صفحة

٥ — شرح خطبة القاموس : فى صفحات قلائل

٦ — الدر المنضود فى ذم البخل ومدح الجود : من الأدب الرائع رغم ما به من سجع . مخطوط فى ١١٢ صفحة

٧ — اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل للمناوى[1] مخطوط ضمن المـكتبة التيمورية فى مناقب السـيدة فاطمة الزهراء فى خمسة أبواب :

الباب الأول : ولدت سنة ٤١ من مولد الرسول صـلى الله عليه وسلم . وقيل قبل الرسالة بخمس سنين

الباب الثانى : تزوجت علياً فى (خلاف من الخامسة عشرة من عمرها إلى الحادية والعشرين) وعمره إحدى وعشرون سنة فى رمضان سـنة ٢ هـ وبنى بها بعد العقد بنحو أربعـة أشهر ولم يتزوج قبلها ولا عليها ، وأولدها حسناً وحسيناً ومحسناً (مات صغيراً) وأم كلثوم الـكبرى التى تزوجت عمر فعون بن جعفر فمحمد فعبد الله أخويه وأمهرها درعاً باعها بمبلغ ٤٨٠ درهما وكان جهازها : سرير مشرط بالشريط ، وإهاب كبش ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وقربة ، ومنخل ، ومنشفة ، وقدح

الباب الثالث : الأحاديث الواردة فيها : ٥٢ حديثاً

الباب الرابع : مناقبها ومزاياها

الباب الخامس : عشرة أحاديث روتها ثم أشعار بين فاطمة وعلى ضعيفة التأليف

٨ — غاية الأرشاد فى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد لم أره ولعله يشـبه حياة الحيوان للدميرى أو الحيوان للجاحظ أو عجائب المخلوقات للقزوينى

٩ — الجواهر المضيئة فى الأحكام السلطانيـة : فى آداب السلطان وعلم الاجتماع

١٠ — سيرة عمر بن عبد العزيز[1]

١١ — التوقيف على مهمات التعريف : مخطوط بالمـكتبة الأهلية بباريس

وهو ذيل لـكتاب التعريف للشريف الجرجانى ويشـمل الاصطلاحات العلمية العربية فى عهدهما أفاض فيه المناوى فى ذكر المسميات الفنية التى تساعدنا الآن فى تسمية أجزاء الآلات وغيرها مما له مساس بأغراض المجمع اللغوى الملـكى

١٢ — فيض القدير : طبع فى مصر :

وهو شرح كبير مستفيض لـكتاب الجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطى فى علم الحديث

١٣ — ٨٠ مؤلفات تامة ذكرها المحبى فى خلاصـة الأثر فليراجعها من أراد

٨١ — ٩٣ مؤلفات لم تتم

ونحن نرجو من يعثر على مؤلفات لعبد الرءوف المناوى غير ما ذكرت أن يتفضل بذكر مكان وجودها خدمة للرجل وفضله

(الزقازيق) **محمد إبراهيم العفيفى**

(١) كتب المرحوم أحمد تيمور باشا على الصفحة الأولى منه ما يلى : « فى خلاصة الأثر صفحة ١٧٦ أنه للشيخ محمد حجازى بن محمد بن عبدالله الشهير بالواعظ المتوفى سـنة ١٠٣٥ هـ فيجوز أن تكون نسبته للعلامة المناوى خطأ أو يكون للواعظ كتاب آخر توافق اسمه مع المناوى؟ تيمور »

(١) مخطوطة بالمـكتبة العامة ببرلين تنسب إليه والحقيقة أنها لابن الجوزى (تراجع لذلك مقالة لـكاتب السطور نشرت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤

الكذب والصدق

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

الكذب أسعدنى والصدق أشقانى

والكذب أضحكنى والصدق أبكانى

الكذب صيّر أعدائى ذوى ثقةٍ   والصدق أبعد عنى كل أخدانى

كم ورطة كادفيها الصدق يوقعنى   و بعد ذلك منها الكذب نجّانى

حرمتُ أكثر ماعيشى يطيب به

والصدق قد كان من أسباب حرمانى

ما كنتُ أرعى نجومَ الليل فى سهرى

بل كان فيه نجومُ الليل ترعانى

لولا أكاذيبُ آمالٍ تخادعنى   من كان يذهب أشجانى وأحزانى

إن الأمانىّ تسلى وهى كاذبة

وليس فى الصدق من سلوى لأسوان

الصدق مستنقعٌ فى مائه أسَنٌ   فليس يملك إرواء لظمآن

والكذب بحرٌ خِضَمٌّ لا قرار له   يحوى جواهر من درٍّ ومرجان

الصدق يلقاك بالأشواك جارحةً   والكذب يبسم عن وردٍ وريحان

وقد يفوز أخو صدق بمأربه   وقد يؤوب أخو كذب بخسران

لكن هذا قليلٌ غير مطرّد   فليس يبنى عليه رأيه البانى

إن الحياة بدنيانا لقائمة   على الأكاذيب من زور و بهتان

الصادق الحرّ ذو فقر ومسكنة   والكاذب الغِرّ ذو مال وسلطان

إذا كذبتَ فقدأصبحتَ ربَّ تقى   و إن صدقتَ فأنت الملحد الجانى

ما كنت تلعننى لو كنت تفهمنى   أوكان عندك وجدانٌ كوجدانى

وربَّ أحدوثةٍ فى صدقها سببٌ   إلى إثارة أحقادٍ وأضغان

ورب أكذوبةٍ أدّت بحكمتها   إلى زوال حزازات وعدوان

الصدق فى بشه نارٌ مؤججة   فليس يطفئها إلا الدمُ القانى

* * *

كم دولةٍ أنشأتها ساسةٌ كذبوا   فأصبحت ذات أبراج وأركان

ودولةٍ بعد كذب صان بيضتها

أضاعها الصدق ، صدقُ العاهل الوانى

لا تنكروا ما به قدجئتُ أخبركم   إنى إذا قلتُ فالتاريخُ برهانى

هل السياسة إلاّ كذبُ باقعةٍ   على جماهير من بُلهٍ وعميان

هل الحياة و إن كانت مثقفة   سوى نفاقٍ وتدليس و إدهان

إن الحياة لسرٌّ ظلّ مختفياً   والروح أكبرُ من عقلى وعرفانى

هل كان فى الأولين السابقين لنا   حقاً عبادةُ أصنامٍ وأوثان

الكذب بالحور والغلمان ذو هِبةٍ   والصدق يقصيك عن حور وغلمان

نزلت فى ليلة مقرورةٍ بهما

فالصدق عبّس لى والكذب حيانى

* * *

الكذبُ كان بما فيه الرغادة لى   فى العيش يأمرنى والصدق ينهانى

إذا صدقتُ فان الناس تمقتنى   و إن كذبت فان الناس تهوانى

يصحّح الكذبُ ما للصدق من خطأ

والكذب والصدق فى الإنسان صنوان

وأعذب الشعر ماقد كان أكذبه   قد قال هذا قديماً كل إنسان

وطالب المثل الأعلى و إن عجزت   منه اليراع على هذا هو البانى

* * *

للنابغين شياطينٌ تساعدهم   وما شياطينهم أشباه شيطانى

إبليس أنجبَ شيطانى وأدّبه   و بالأكاذيب أوصاه وأوصانى

جميع مافىّ أمسى تحت سلطته   إلاّ ضميرى وأخلاقى و إيمانى

أما مفارقةُ الشيطان لى فكما   يفارق الروحُ عندالموت جثمانى

ولا يفارقنى إلاّ غداة يرى   مسيرى إلى العالم الباقى من الفانى

الشعرُ أنشِدُه كالشعر يقرضه   على لسانى فأنا فيه سيان

يبكى و يضحك شعرى حين أرسله   إلى الجماهير من أنسٍ وجِنّان

لقد جرى الشعر شوطاً فى تطوّره   وظل يُبدل ألواناً بألوان

لم يكبر الشعرُ معتزاً بقوته   حتى تربيته طفلاً بأحضانى

ولست أرضى بسلطانٍ على أدبى   إن لم يكن ذلك السلطان سلطانى

وربّ شعرٍ جميل بعد قائله   يشدو به الناس من قاصٍ ومن دان

الشعر باللفظ والمعنى يفوق كما   يطير بالطير فى الجوّ الجناحان

وأفتنُ الشعر ماقد هز سامعَهُ   بما به بثّ من وجد وأشجان

وسوف يبقى جديداً فى رسالته   إلى الجماعات ما كرّ الجديدان

بغداد   **جميل صدقى الزهاوى**

أختي

للأستاذ أحمد رامي

رزئ الشاعر الوجداني الرقيق الأستاذ رامي في أخته منذ أسابيع فبكاها بهذه العبرات المنظومة :

أنا للحزن وما يبعثه — في خيالي من تهاويل الشجن
كلما صرت بنفسي خالياً — يتبدى من غيابات الزمن
يعرض الماضي فيسقيني الذي — ذقت فيه من أفانين المحن
ثم يدعوني إلى مجلسه — بين أوّاهٍ وباكٍ من حزن
يشتكي ذو الوجد ما يعتاده — ويغني فيه مسلوب الوسن

* * *

هي أختي درجت في كنفي — ثم أمست وهي للروح سكن
علّلتُها طفلاً على بُعد أبي — وهو نائي الدار عني والوطن
ثم دللت صباها فنمت — كالنبات الغضّ في ظلّ الفنن
شربت طبعي وحاكت خلقي — ثم كانت هي سرّي المؤتمن
إن شكوت الدهر مما نالني — سكن القلب إليها واطمأنّ

* * *

هي أختي صبّرت نفسي على — فقد أهلي كلما ضمّ كفن
لو تذاكرنا أبي أو إخوتي — ساجلتني دمع عيني ما هتن
قلت ترعاني وترعى ولدي — وتربيه على قصد السَّنن
وتواسي علّتي في وحدتي — وتناجيني إذا الليل سكن
فطواها الموت عني بغتة — في الشباب الغضّ والوجه الحسن

* * *

تركت لي مَلَكاً في صورة — من جبين واضح النور فتن
وعيون تسحر اللبّ بما — أرسلته من ذكاء وفطن
وفم حلو اللمى مبتسم — فرّ عن درٍّ توارى واستكن
فيه منها ما يعزّيني عن — بعدها إما هفا قلبي وحنّ
وابن أختي قطعة من كبدي — أفتديه العمر روحاً وبدن

أحمد رامي

صمت الشك

علم أم ضعف

للأستاذ عبد الرحمن شكري

ألا لا أبيح العيش مدحاً ولا ذما — سكتُّ فلا عذراً نطقت ولا لوما
ولا يستقيم القول إلا لمُنتشٍ — من العيش والآمال لا من صحا غما
ملأت أساطير الحياة فإن أفِق — فمن لي بحلم قد حلمت به قِدْما
حلمت بحسن العيش والصدق والنهى — أمانيُّ لا صُمّاً تبدت ولا بُكْما
وإنْ لم يكن عيش الفتى حلم حالم — فما عذر قولي إن حسبت الدُّنى حلما
فإن شئت كان الشك ضعفاً وخيبة — وإن شئت كان الشك منطقه علما
وإن كان أصل الوحش والناس واحداً — فلِمْ فقدوا ظلفاً وقد كسبوا لؤما
وكيف أرى في مقبل الدهر للورى — علاء ومحيىً يجمع الخلق والفهما
إذا كان صدق الناس كذباً وفضلهم — رياء وود منهم الغدر والسما
صحوت كصحو الميّت من نوم عيشه — أترجعني للعيش ألعقه رغما
كما يلعق الآسي العليل دواءه — وإن مج منه علقماً قد نبا طعما
وهل ثقة بالعيش والناس تشترى — لِأنثرها نثراً وأنظمها نظما
وإن كان مدح المرء للعيش خشية — من اليأس كان المدح من وجل ذما
يسوغ بيان السخط إن كان من هوى الـ — حياة وإن أغرى بك الأمل الجما
وإلا فإن الصمت أولى بقائل — إذا قال قولاً جدد اليأس والهما
على تافه لا ينقع الدهر غلة — ولم يك بين الناس ربحاً ولا غُنْما
رأيت زوال الكائنات فلا أسى — إذا لم أُخلَّدْ لي مقالا ولا نظما



صور من هوميروس

٢٠ - حروب طُرْوَادَة

بريام الحزين . . .

للأستاذ دريني خشبة

تفرق القوم إلا أخيل . . .

لقد أوهنه الحزن ، وشف قلبه الأسى ؛ وكأن قتله هكتور لم يشف ما فى نفسه من شجو ، ولم يخفف عنه ما يلقاه من عذاب البعد عن أعز أصدقائه . . . . الفقيد بتروكلوس !

وخرج لبعض شأنه فرأى جثة عدوه فى طريقه ، تثير فى نفسه السكوامن الشواجن ، فينقض عليها كالمجنون ، ويشبعها ركلا بقدمه ، وكلوماً بخنجره ، ويربط القدمين فى عربته ، ثم يلهب جياده بسوط نقمته ، فتعدو كالريح حول قبر بتروكلوس ، جارة وراءها جثمان هكتور ، تقلبه فى الأديم المُنَدَّى ، وتلُتُّه فى التراب الهامد . . . . .

ويكون أبوللو مطلا من سحابةٍ سارية ، فينتابه من الهم على صديقه ما يثير فى قلبه الحنان المقدس ، ويُلقى درعه الذهبي على القتيل المهين ، فتقيه الدرع من الصخر والحصى . . . .

أما فينوس ! فانها ترف هى الأخرى فوق الجثة ، وما تنفك تصب عليها من خمر الأولمب ما تنضح به من دمائها . . . وطُلائها [1] . . . .

وتطلع الآلهة من ذروة جبل إيدا ، فترثى لما يحل بالميت المسكين من هوان ، ويلحظ أبوللو ما ينقدح من عينى سيد الأولمب من شر ، فيجد فرصته ، وينهض خطيباً مصقعاً كيما يثير زيوس على أخيل . . . . عسى أن يحل عليه غضبه . . . . بعد إذ حماه طويلا . . . .

وينجح أبوللو فى إثارة رحمة الآلهة ، وتأليبهم على زعيم اليرميدون ، وجعلهم إلباً عليه واحداً ؛ لولا أن نهضت حيرا مغضبة ، فانطلقت تدفع عن أخيل ، وتُذَكِّر سادة الأولمب بهذا المهرجان الفخم الذى أقامه بليوس ، أخوهم ونجيهم ، هناك ... هناك ، فى أعماق المحيط إحتفاء بقدومهم للمشاركة فى عرسه ، وبنائه على ذيتيس السكينة . . . التى يعلم الجميع أنها ثكلى ... وإن لم تفقد بعد أخيل ! !

وتذكرهم حيرا بالموثق الحرام الذى قطعوه على أنفسهم أن يباركوا نسل بليوس ، وأن يدفعوا عنه الضر . . . . حتى تنفذ مشيئة ربات الأقدار

ويحار زيوس بين سخط الآلهة ، ودفاع حيرا . . . ثم يبدو

(١) الطلاء دم القتيل

سيحدث بعد القول قول يُذيلُه ... وإن زال أقوام تجد بعدهم قوما

وما الخلد إلا غرة وطاعة ... وأنبل كذب يخدع اللب والفهما

يكون الفتى فى اليأس دهراً وفى المنى

(كأرجوحة بين الشقاوة والنعمى)

وقد حل بى دهر إذا ما مدحته ... أظل كحاسى المر يفتعل البسما

وإنْ لم يُنِلك القول إلا مذلة ... فمن بر نفسى أن ترى تركه حزما

فمن شاء فلينطق ومن شاء فليكن ... صموتاً فحسبى أن أرى الحمق والحلما

مللت نضال الناس فى غير طائل

وإن كان شراً يصقل الذهن والفهما

وكم شبهوا فهما بسهم ومورد ... ويا طالما أشوى الصوابَ وكم أظما

فياليت هذا العيش يبدو كصورة ... لعينىَّ أو خطا على الطرس أو رسما

كما تهدأ الهيجاء فى رسم راسم ... تراها فلا قتلا تراها ولا كَلْما

ترى حسن إحسان وتجويد صانع

وقدرة فنانٍ وجهداً له تما

عبد الرحمن شكرى

له أن ينفذ رسوله الأمين (إيريس) إلى ذيتيس الحالمة فى أعماق البحر ، فتوقظها ، وتأتى اليها برسالة السماء ...

« ... أن هلمى من فورك هذا إلى سيد الأولمپ ... فانه يأمرك أن تسمى إليه فى مهمة تعرفينها فيما بعد ... »

وتنتفض الأعماق بالأوسيانيد والنريد وسائر عرائس البحر وعذارى الماء ... يسمين خبباً فى إثر ذيتيس ... حتى تكون فى أفق جبل إيدا ... فينثنين ... تاركات مولاتهن فى ثوبها الحريرى الأسود ، وزنارها القاتم الحزين ، تسمى وحدها حتى تكون فوق الثبج ، ومن ثمة تعرج فى الأديم الأزرق حتى تلج أبواب السماء ...

وألفت حشد الآلهة ما يزال يتحاور ، وما يزال أبوللو يحاج حيرا وحيرا تقرعه ، حتى نظر زيوس فرأى ذيتيس تتهادى فى طيلسانها الأسود ، ووجهها المشرق المترع بالفاتن يزيده الحزن روعة ، ويضفى عليه الأسى جلالا ... فتبسم سيد الأولمب ، واهتز فوق العرش ، ثم قال : « مرحباً ذيتيس ! فيم هذا الأسى يا فتاة ! آه ... مسكينة ... ! ولكن اصغى إلى : لقد دعوتك إلى الأولمب لتذهبى برسالتى إلى أخيل العزيز ، فتوصيه بجثة هكتور ؛ لقد أثار بما ينزله بها من هوان غضب الآلهة جميعاً ... بل قد أثار غضبى أنا أيضاً ... أنا ... حاميه ومنقذه ومرشده فى كل مثار نقع ... إذهبى اليه فأمريه أن يقلع عن هذه المثلة ، فانه لا شىء يحنق الآلهة مثلها ... وليُسلِّم القتيل لأهله ، فهذا خير له ، وليقبل القَوَدَ العظيم الذى يقدمه اليه پريام الملك الشيخ الحزين ... الذى حطمه الرزء ، وعظمت عليه البلية ، وصدعت قلبه المصائب ... أما نحن ... فسننفذ إيريس إلى طروادة تأمر الملك باعداد القَوَدَ والتجهز للقاء أخيل فى معسكره ... وسنرسل ولدنا هرمز إلى پريام يحدو ركبه إلى معسكر أخيل ، ويُعَمِّى أبصار الميرميدون حتى لا يثوروا به ، وحتى يكون أمام زعيمهم وجهاً لوجه ...

« ذيتيس ! حسب أخيل ما حل بابن پريام ... »

وهمت ذيتيس فانطلقت إلى ولدها ، حيث ألفته يتناول وجبة الصباح ، فأبلغت اليه الرسالة الأولمبية وعيناها تفيضان بالدمع ، وقلبها يخفق ويضطرب ، ونفسها تذوب على شبابه الغض حسرات ...

وهش أخيل لأمه ، وتقبل رسالة الاله الأكبر قبولاً حسناً ، فنهضت ذيتيس وعادت أدراجها ، بعد إذ طبعت على جبين ولدها قبلة خاطفة ، كانت ... واأسفاه ... آخر وداع منها له فى الحياة ...

***

وانطلقت إيريس إلى پريام الملك ، فوجدته ما يفتأ يبكى هكتور ، ومن حوله أبناؤه التسعة ، خُضراً كأفراخ القطا ، نضراً كأكمام الزهر ، والرجل مع ذلك يقلب فيهم عينين تفيضان حسرة ، ووجهاً يتشح باليأس والهم ... وإلى جانبه جلست هكيوبا المرزأة تئن وتتفجع ، وترسل من أعماقها زفرات الهم والأسى ...

وبلغته إيريس رسالة ربه ، وعادت أدراجها إلى الأولمب ؛ وما كاد الملك يخبر زوجه بما أوحى إليه من ربه ، حتى اضطربت هكيوبا وأعولت ، وطفقت تضرب صدرها المتهدم بيديها الوانيتين لما اعتزم زوجها من تنفيذ ما أشارت به السماء ، والذهاب إلى أخيل يرجوه أن يهب له جثمان هكتور ، خشية أن يأسره زعيم الميرميدون ويستبقيه عنده رهينة حتى يسلم الطرواديون ... !

ولكن الرجل كان مؤمناً حتى لا يتسرب إلى قلبه الشك بما رسمت له الآلهة ، أو يساوره ريب فى أى مما تشير به أربابه ؛ فزجر الملكة ، ونهض إلى خزائنه العامرة بالتحف فتخير اثنى عشر قرطقا من أغلى ما نسجت مصر ، ومثلها من المعاطف المصنوعة من القاقم والسنجاب ، وعددا كبيراً من الوسائد الرائمة والطنافس ذات التصاوير ؛ ثم أمر بعشر بِدَر فأحضرت من بيت المال ، وبدستين كبيرين من الذهب ، ذَوَىْ قوائم من الفضة ، وأيد من الجوهر ؛ وبأربعة قدور مهداة من ملوك الشرق ، أحدها يزن بما يملأ خزائن بنپليوس ذهباً .. وبكأس من الأبريز الخالص بها من النقوش والصنعة ما يعجز عن مثله عباقرة الجن ... ...

أمر پريام بكل أولئك فوضعت فى صناديق كانت هى الأخرى تحفاً من صناعات مصر والشام والهند ... تهيم فوقها تصاوير فارس ... ...

وصاح بأبنائه التسعة فهرعوا من كل مكان ... پاريس المشئوم وهيلانوس وأجاثون ؛ وپامون وأنتيفون وپوليت ؛ ثم ديفوبوس وهپوثوس وديوس ... كلاب الأزقة كما كان يدعوهم أبوهم ... « ليت المنية التى تخطفت هكتور تلقفتكم وخلت

سبيل هكتور ... أوليتها أصابت ألف ألف من أمثالكم وعميت عن ليكاون وبوليدور ... ؟ »

وأمرهم فرتبوا الهدايا ورفعوها فوق ظهور البغال . . . وما ثقل منها وضعوه فى عربة كبيرة يجرها بهيمان ؛ وتقدمت هكيوبا فصبت على يدىْ زوجها خمراً يتّطهر بها ، وأخذ هو فى صلاة طويلة لزيوس ... أن يحميه ويوقيه ... ويُرشده فى طريقه إلى أخيل ؛ ويرسل إليه الرسول الذى وعد ، يقوده إلى فسطاط زعيم الميرميدون !!

ولم يكد ينهض من صلاته ، ويختم توسلاته ؛ حتى رف فوقه طائر ظل يضرب الهواء بخافيتيه ، ويهوّم ويدوم ، ويرنق فى سماء الهيكل تارة ، ثم يستقر عند المذبح أخرى ، حتى أيقن الملك وملؤه أنه الرسول المنتظر ، والقائد المنشود فخفقت قلوبهم ، وفرحوا واستبشروا

وتقدم إيديوس الحكيم فألجم البغال ، وأسرج الخيل ، وشد البهائم إلى عربة الملك ، وأقبل بريام فركب ، وأصدر أمره إلى حكيم طروادة وفيلسوفها فسار بين يدى الركب ، يحدوه ويباركه ويضمن له رعاية السماء

أما الطائر الميمون فقد انتفض انتفاضةً هائلة ، وراح يحلق فوق طروادة ، ... ثم غاب عن الأبصار ... إلى أين ... ؟ إلى حيث لا يدرى أحد !!

وتهادى الركب . وانطلق إيديوس يحدوه ، حتى كان عند مقبرة إليوس الأكبر ، وحتى كانت طروادة الخالدة وراءهم ، حالمةً فى غبشة المساء ساهمةً مستسلمة ، كالفكرة الشاردة فى دماغ الشاعر الغرير

وغابت الشمس فى مياه الهلسبنت ، واختلط البنفسج الشاحب بسواد الليل ، ونقت ضفادع الأبالسة فى فضاء البرية ، فملأت القلوب وحشة ، وأرسلت فى المفاصل رعدة ، فلم يكن بد من أن ينيخ القوم حتى يأذن القضاء بالرحيل

وفيما كان إيديوس يسقى الدواب من الغدير النائم فى كِلّة الغسق ، إذا شاب يافع يقبل نحوه ويسأل عن الملك ... ويكون بين يديه بعد لحظات ...

ويسأله الملك عن شأنه فيُحدّث أنه جندى آبق من جنود أخيل ، وأنه ينصح للملك ألا يجازف بنفسه وبما يحمل من اللُّهى والعطايا فى هذه الرحلة المهلكة ، التى قد تنتهى بما لا يدور للملك فى خلد ، أو يقع له بحسبان ؛ ولكن الملك يبدى تصميمه ويلح فى سؤال الشاب عن هكتور ... « أما زال مُسجّى بين يدى أخيل يشفى بمرآه حَرَدَه ، أم هو قد أسلمه للسباع وجوارح الطير تنوشه وتغتذى به ؟ ... » ويطمئنه الشاب اللّماب الداهية ثم يرثى له فيعده أن يكون قائده إلى فسطاط أخيل ... « لأن أحداً من الناس لا يستطيع أن يخترق صفوف الميرميدون الدواهى ما لم يكن مخاطراً بنفسه ، أو ملقياً بيديه إلى التهلكة ... » ويستسلم الملك الشيخ ، ويلقى فى يدى الجندى الشاب بزمامه ، ويأذن له فيمتطى الجواد الأمامى الذى يتقدم سائر الدواب ... وتبدأ الرحلة إلى مرابض الميرميدون ...

ويتحدث الشاب إلى الملك ، ويتحدث الملك إلى الشاب ... حتى إذا كانا قيد خطوات من معسكر أخيل ، مد الشاب ذراعيه المفتولين ، ولفهما حول جذع الملك ، ثم رقاه رقيةً قصيرة ، وإذا سأله الملك عما يبتغى بها أنبأه ... « كى لا تمتد اليك عين ولا يلمحك أحد ، ولا يحس بمَسْراك أىٌ من أولئك الميرميدون ... » فيسكن جأش بريام الشيخ ، ويطمئن قلبه ، وتتضاعف ثقته فى الجندى الشاب ...

ويكون فسطاط أخيل تلقاءها !

فينهض الشاب من جانب الملك ، ثم ينتفض انتفاضة تكشف عن حقيقة ، ويقول ضاحكا : « أيها الملك أنت الآن فى جوار أخيل ، وعليك أن تلقاه فى غير هيبة ولا وجل ، فادخل غير مستأذن ، ولتكن رابط الجأش ساكن الروع ، واركع بين يديه ثم ازرف أغلى دموعك حتى تُلين ما قسا من قلبه ، وتحجر من مشاعره ، واذكر له حاجتك فانه راد عليك جثمان هكتور ... وثق أن السماء قد قضت بذلك ، ولا مَرَدَّ لقضائها ... أما أنا ... فلا تنتظر أن أمسى بك الى زعيم الميرميدون ... وليس سراً أن أذكر لك أننى ... ... هرمز ... أرسلنى أبى اليك لأجىء بك إلى هذا المكان ... انهض ... انهض ... ماذا أخافك منى ؟ .. أجل ... أنا ربك ... ولكن لتقصر صلاتك هذه ، فالفرصة تكاد تفلت ... تشجع يابريام ... قف ... آمرك ... »

وينهض الملك من غشيته التى كادت تذهب به حين ذكر له الشاب أنه هو هرمز . . . هرمز نفسه الذى ذكرت له إيريس أنه سيقوده إلى فسطاط أخيل . . .

وينظر بريام فيرى إلى . . . الجندى الشاب . . . يرف فى

الهواء الندى ، ثم يرتفع ويرتفع ، حتى يكون فى السماء التى تفتح له أبوابها ! ؟ . . .

ويصلح الملك من شأنه ، ثم يتقدم بخطى وئيدة إلى فسطاط أخيل ، ويدخله ... ويرى زعيم الميرميدون فى الصدر ، وبين يديه وزيراه العظيمان أوتوميدون وألكيموس ، ثم قادة الجند منتثرين ههنا وههنا . . . يهمسون ولا يكادون يبينون ...

وكان السماط ما يزال أمام الزعيم ، وزقاق الخمر ما تزال تقبل الكؤوس المترعة ، والشواء العظيم يملأ الخياشيم بقتاره ... فلم يبال بريام ... بل تقدم وتقدم ... حتى كان أمام أخيل ... فركع ذاهلاً عن نفسه ، ولف ذراعيه حول ساق الزعيم ، وراح يوسعهما لثما وتقبيلاً ، ويعطرها بأحر العبرات ! ...

وشُده أخيل ! ...

بيد أنه كان يعلم من أمر هذه المفاجأة كل شىء ، فلم يزد أن قال : « بريام ! ؟ »

— « أجل يا بنى أنا بريام ! ! ... »

وبهت القادة مما رأوا ، وأذهلهم ما سمعوا ! ...

أهذا حقاً هو بريام ملك طروادة يبكى بين يدى أخيل وينتحب ؟ ... إذن ... فيم هذه الحرب ؟ ... وحتام ذاك الصراع ؟ ... وإلام تذهب هذه المهج ؟ ...

— « أجل يا بنى ... أنا هو ... أنا الرجل المرزأ المحزون الذى قتلت أبناءه ، وهرقت دماءهم لأنهم يحاربون من أجل وطنهم ، ويذودون عن بلادهم ... سعيت إليك ... إليك يا أخيل العظيم ، لأمطر هذه اليد التى ذبحتهم بدموعى ، ولأوسعها لثما وتقبيلاً ؟ !

أتمنى يا بنى أن تعود قريباً إلى أبويك سالماً ، فيهش أبوك للقائك ، وتبش أمك لعناقك ، ويفرح ذووك بك ، لأنك عدت اليهم بالنصر والفخر ... أستغفر الآلهة ، بل عدت اليهم سالماً من نكبات الحرب وكوارثها ... فهل أكون قاسياً أن أرجوك ... حين تعود الى ديارك وتلقى فيها أحباءك ... أن تذكر أن أبوين آخرين قد خلفتهما وراءك يشقيان ويبكيان ، ويلبسان السواد أبد الدهر ، لأن أبناءهما لم يعودوا من ساحة الحرب كما عدت أنت ، بل هم قد سقطوا فوق أديمها ، مضرجين بدمائهم ، شاكين إلى أربابهم ما حل فيها بهم ، تاركين آباءً شيوخاً فانين ، وأمهات ضعيفات معولات ، وقلوباً تتفجر أسى عليهم ، وعيوناً تختلط دموعها بدمائها من أجلهم ، وأرامل يلطمن الخدود ويشققن الجيوب ، ويتامى لا حول لهم ولا قوة على الزمان الغادر ، والحظ العاثر ، والصبر الجميل ... ؟ ...

هل أكون قاسياً يابنى إذا رجوتك أن تذكر ذلك أو بعض ذلك ، حين تعود إلى ديارك وتلقى أبويك الفرحين بك ؟ ...

أخيل ! لم أسع إليك يا بنى إلا بأمر الآلهة ، ووحى سيد الأولمب ... أرجوك فى هكتور ... ! ...

واحر قلباه يا هكتور ... ! وا أسفاه عليك يا ولدى ! ...

صدرت إليك يا أخيل عن أمر السماء أرجوك فى هكتور أن تسلمه إلى حتى نؤدى له فرائض الآلهة ، وطقوس الموت ، وما أحسبك إلا ملبياً ندائى الحزين ، حتى تتيح للآلاف المؤلفة من جنوده وذويه وزوجه وابنه ان يبكوا جميعاً عليه ، وأن يشيعوه إلى الدار الآخرة بما رضيت أن تؤديه لبعض أصحابك ، حتى تقر روحه ، ويؤذن لها فتلج إلى هيدز ...

أخيل ... لب ندائى أيها الزعيم الباسل ... لب نداء هذا الشيخ الضعيف ، ... وارحم فيه هذا الذل الذى حمله إليك ... وأسعده بتقبل هذه الهدية التى أمرت بها السماء ... وإن تكن يا أشجع المحاربين فى غَنَاء عنها ، ولا حاجة بك إليها ... »

وأحس أخيل كأنما تخاطبه السماء كلها بلسان هذا الشيخ المتهدم ، وكأنما الآلهة جميعاً تنطلق من فمه لتكون بياناً ورحمة فى قلبه ، فأنهضه من بين يديه ، وأجلسه إلى جانبه فوق أريكته ثم أخذا معاً فى بكاء حار طويل

وتقبل أخيل هدايا الملك ، وأشار إلى اوتوميدون وزميله فأخذاها إلى الأسطول ، ثم أمر الخادمات فغسلن هكتور بالماء الساخن المعطر بدهن الورد ، ولففنه فى مدارج بأكملها من كتان مصر ، وتقدم هو فوضعه على وسادة الموت ، وأشار إلى جنوده فرفعوه إلى إرانه ، ثم أخذ يهوّن على بريام وبواسيه ، ودعاه إلى تناول العشاء معه ، فلبى الشيخ وهو يعول ويبكى ... بكاء يفتت الأكباد ويذيب نياط القلوب . . .

وكان الليل قد انتصف أو كاد ، وكان بريام الملك قد لبث الليالى الطوال يتفجع على ولده ، ولا يذوق جفنه طعم الكرى فأحس بعد العشاء باعياء وجهد ، وميل شديد إلى النوم ، فصُفّت له ولرجاله وسائد فاخرة ، عليها طنافس وملاءات من الهند ، واستأذن أخيل واستلقى على متكئه . . . وقبل أن

يسلم عينيه للكرى ، سأله أخيل أن تكون هدنة بين الجيشين المتحاربين حتى تؤدى كل الطقوس اللازمة لتحريق هكتور ؛ واتفقا على أن تكون هذه الهدنة لمدة أحد عشر يوماً

***

وفى الهزيع الأخير من الليل ، أقبل هرمز الكريم فأيقظ بريام الملك ، ونبهه إلى الخطر الذى يحيق به إذا أشرقت الشمس وأقبل أجا ممنون وسائر القادة الهيلانيين ورأوا كبير أعدائهم ، وصاحب إليوم ، فى معسكر أخيل . . . هنالك يحجزونه لديهم رهينة حتى تسلم مدينته . . . « فهلم أيها الملك وانج بنفسك ، وسأقودك الى طروادة بحيث لا يشعر بك أحد ، ولا يحس اليرميدون لركبك ركزاً . . . »

ويسير الركب فى هدأة الفجر ، ويحدو هرمز القافلة حتى تكون لدى البوابة الاسكائية الكبرى ، فيسلم على الملك ويبارك الميت . . . ويعرج فى السماء . . .

وتكون كاسندرا ، ابنة بريام الكبرى ، أول من يلمح الركب مقبلا ، فتبشر الأهالى المحزونين ، ويرتفع اللغط ، وتشتد الضوضاء ، ويتكبكب الواطنون حول العربة التى تحمل الأران حتى ليتعذر السير ، ويبطئ السى ، فيصيح الملك بالملأ ، فتنفرج الطريق ، ويعم الصمت ، ولا يحس إلا وجيب القلوب وخفقانها

وتقبل أندروماك فتذرى دموعها ، وتندب حظها ، وتبكى زوجها ، وتمزق قلوب الطرواديين بما يبدو عليها من أسى وحزن ووجد وكمد . . .

وأم هكتور ! . . . ويا لمصاب الأمهات فى فلذات أكبادهن ، وأعز الأبناء عليهن ! ! . . .

وهيلين ! ! والعجيب أن تبكى هيلين هى الأخرى ! !

هلين الآبقة . . . هيلين الأثيمة . . . ! !

***

ويأمر الملك فينتشر الجند يجمعون الوقود من كل فج ، حتى تكون كومة عالية ؛ ويوضع الجثمان البكى فوقها ، وتنصب الخرنجية لاله الموت وتكرمة ، وتشتعل النار فتكون ضراما . .

***

أنشـــد يا هوميروس !

يا شاعر الأحقاب الخالية !

يا صدى الزمان القديم !

أيها القيثـــارة المرنّة فى أنامل الأيام !

أرسل من الأزل أنشودتك تملأ الأسماع فى الأبد !

واعصف مع الريح . . . . . .

واهتف مع البلابل . . . . . .

وتقبل تحيات المعجبين . . .

(تمت الألياذة)

(بقية الحروب فى العدد القادم)

دريني خشبة



ترجمة لكير هاردى

منذ أكثر من قرنين يتناوب الحكم فى بريطانيا العظمى حزبان عظيمان هما حزب المحافظين وحزب الأحرار ؛ ولكل من الحزبين فى ميدان الكفاح السياسى مواقف وتقاليد عريقة ؛ ولكن حزباً ثالثاً ظهر فجأة فى ميدان السياسة الانكليزية هو حزب العمال ؛ وكان ظهوره إيذاناً بوقوع الثورة الاجتماعية التى لبثت أسبابها تجتمع طوال القرن التاسع عشر ؛ وظهر حزب العمال ونما بسرعة مدهشة ، ولم يمض على قيامه نحو ثلاثين عاماً حتى استطاع أن ينتزع مقاليد الحكم من الحزبين القديمين الكبيرين (سنة ١٩٢٤) ، ثم تولاها مرة أخرى فى سنة ١٩٢٩

وقد كان كير هاردى من أقطاب مؤسسى هذا الحزب الجديد ومن أعظم الزعماء الذين أمدوه بأسباب الحياة والقوة ؛ وحياة هذا الزعيم المجاهد هى موضوع مؤلف جديد صدر أخيراً بالانكليزية بقلم هاملتون فايف ، وهى مثل رائع من صور الكفاح الخالد بين الطبقات . كان كير هاردى عاملاً منذ نعومة أظفاره ، وقد نشأ فى بيت فقر وبؤس ، وذاق مرارة الكفاح الشاق منذ طفولته ، ولم يتلق تعليما ولا ثقافة ، ولكنه تعلم القراءة فى منزله ، وصقل ذهنه بالدرس المتواضع ، ودرس الحياة بصورة عملية ، وظهر فى مجتمع العمال منذ حداثته ، واشتهر بكفاحه فى سبيل قضية العمال . وفى سنة ١٨٩٢ أسس كير هاردى مع نفر من صحبه الحزب الذى قدر له أن يتبوأ بعد قليل مركزاً خطيراً فى السياسة البريطانية وهو حزب العمال المستقل ؛ وكان هو أول رئيس لهذا الحزب ؛ وفى نفس العام دخل البرلمان نائباً عن إحدى المناطق الصناعية ، وكان دخوله فى هذا المجلس العريق فى مظاهرة اشتهر ذكرها فى هذا العصر ؛ ولبث كير هاردى يسهر على مصاير حزبه وعلى مصاير قضية العمال ، ويبث روح الكفاح والقوة فى الحزب الجديد ، تارة بقلمه وتارة بخطبه ، حتى أصبح حزب العمال قوة يخشى بأسها . وفى سنة ١٩٠٦ كان لحزب العمال فى مجلس النواب زهاء ثلاثين مقعداً ؛ وبدأ الكفاح الحقيقى بينه وبين الأحرار والمحافظين ، وبدأت الحكومات البريطانية المتعاقبة تحسب حسابه ، وتنزل عند بعض رغباته ، ومازال سائراً فى طريق الكفاح الاجتماعى حتى وصل الى ما وصل اليه اليوم من القوة والنفوذ

على أن الكفاح السياسى ليس أغرب صفحة فى حياة كير هاردى ، ولعل أغرب ما فى هذه الحياة هو ما تميزت به حياة هذا المجاهد من بسالة ومقدرة على مغالبة الشقاء والفاقة ، وما بذله من عزم وجلد . هنا تبدو حياة كير هاردى بديعة مؤثرة ؛ ولعل أحداً من الناس لم يصف لنا هذه الحياة المؤثرة بقدر ما وصفها كير هاردى نفسه ، فقد كتب كثيراً فى متاعب هذه الحياة وشقائها . ومما يذكر أنه فى صباه تأخر ذات يوم بعض الوقت عن عمله ، فطرده صاحب العمل ، وكان أبوه عاطلاً وأخوه يعانى الحمى ، ولم يكن لأسرته عائل غيره . وقد وصف لنا كير هاردى فيما بعد هذا المنظر المحزن فيما يأتى :

« لبثت مدى حين أتجول فى الشوارع تحت وابل المطر المنهمل ، خجلاً من أن أعود إلى بيت لا طعام فيه ولا وقود ؛ وأسائل نفسى دهشاً أليس أفضل شىء أن ألقى بنفسى فى نهر « كلايد » وأنتهى من حياة كهذه ليس فيها ما يرغب ؛ وأخيراً ذهبت إلى الدكان ، وقابلت صاحبه وأوضحت له سبب تأخرى ، ولكنى لم أظفر منه بطائل ، ولم يدفع لى أجرى ؛ وإنى لأرتجف الآن ويتفطر قلبى كلما ذكرت الحادث ؛ ومازلت أرتد إليه وأرتد على أجنحة الخيال ، وأتصور أنه فى نفس الليلة كان ثمة آلاف من التعساء يعانون مثل هذا العذاب ؛ وهى فكرة لا يطيق الانسان احتمالها »

ويصف لنا مستر هاملتون فايف حياة كير هاردى المؤثرة فى جميع أطوارها ؛ وإنها لقطعة مؤثرة مبكية من الكفاح فى هذه الحياة الشاقة ؛ ثم هى فى نفس الوقت صورة رائعة من البسالة وقوة النفس ، والصبر على المكاره ، وعظمة البؤس التى تحمل على الاحترام والاكبار

وكان كير هاردى صحفياً وكاتباً ، وقد كتب كثيراً عن الاشتراكية وتحرير الطبقات العاملة ، وتوفى فى سنة ١٩١٥ دون الستين من عمره ، بعد أن نفث فى حزب العمال كثيراً من روحه القوى الوثاب

وثائق هامة عن حياة زعيم مسلم

من أنباء موسكو أن بعض الباحثين فى محفوظات الدولة قد عثروا أخيراً على طائفة من الوثائق والرسائل الهامة التى تلقى أقوى الضياء على سياسة القياصرة نحو مسلمى القوقاز فى أواخر القرن الماضى ، وعلى حياة شاميل الزعيم القوقازى المسلم الشهير ، وعلى علاقات مسلمى القوقاز باخوانهم فى تركيا وبلاد العرب وفارس . ويرجع الفضل فى اكتشاف هذه الوثائق إلى جهود المعهد الشرقى الروسى ؛ وقد كتبت كلها فى عصر شاميل واليه بالعربية ؛ ومعظمها رسائل أصلية وجدت فى بعض محفوظات تفليس وجروزنى ، وعددها خمس عشرة وثيقة ؛ وينتظر أن تنشر بنصها الأصلى خلال انعقاد المؤتمر القادم للمباحث الشرقية

وقد وجدت الى جانب هذه الوثائق طائفة من المخطوطات والكتب الأدبية ترجع أيضاً إلى عصر شاميل ؛ ومنها مؤلف تاريخى وضعه الزعيم شاميل نفسه بالاشتراك مع صديقه وزميله محمد طاهر ؛ وهو الآن فى المعهد الشرقى قيد البحث والاعداد للنشر . واكتشاف هذه الوثائق والمؤلفات يعدل كثيراً من الوقائع والآراء التى جرت حتى اليوم فى شأن علائق القوقاز المسلمة بحكومة القياصرة ، وكفاحها ضد مظالمهم ، والتى استقيت معظمها من أقوال ووثائق رسمية مغرضة ، ويلقى فى نفس الوقت ضياء كبيرا على حياة شاميل زعيم القوقاز المجاهد وعلى حسن بلائه فى مقاومة سياسة القياصرة ، وفى بث روح الوطنية والعزة القومية والدينية فى بنى وطنه ودينه

حول كتاب (الاسلام الصحيح)

ألف هذا الكتاب الأستاذ اسعاف النشاشيبى منذ أشهر ، وكتب عنه فى (الرسالة) الاستاذ محمد كرد على منذ أشهر ؛ ثم درجت عليه الأيام دون أن تتاح لنا الفرصة لقراءته ؛ ومنذ أسابيع أخذت مجلة (العروبة) تنشر منه فقرات تتصل بالشيعة أخطأ التوفيق فيها المؤلف ، فثار على الكتاب والكاتب النقد المنيف من النبطية والنجف ، وعاتب بعض فضلاء الشيعة (الرسالة) على قبولها تقريظ هذا الكتاب . والرسالة التى تدعو الى اتحاد الأمة العربية وائتلاف الملة الاسلامية تبرأ الى الله من سوء النية فيما نشرت ، إنما هو رأى أستاذ كبير فى كتاب قرأه ولم تقرأه ؛ وكل مقال تنشره بامضاء كاتبه إنما تكون تبعته عليه لا عليها

ضريح ابن الأثير فى الموصل

يشغل ضريح العلامة ابن الأثير بقعة صغيرة من الأرض خارج الموصل على شارع الحزامية المؤدى إلى المستشفى الملكى ؛ وقد راع بعض الأفاضل حاله السيئة ففكر فى تشييد ضريح غيره يليق بشهرة صاحبه ومكانته فى التاريخ العربى ؛ وهو عمل جليل نرجو أن تساهم فيه إدارة الأوقاف وإدارة الآثار فى العراق ؛ فان من حق الذين أولونا الفضل فى الحياة ، أن نوليهم الاجلال فى الموت

الدكتور الرافعى

عاد من أوروبا منذ قريب ، الدكتور محمد الرافعى ، نجل صديقنا الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، بعد أن أتم دراسة الطب بجامعة ليون ، وكان مبعوثاً إليها على نفقة جلالة الملك ، تقديراً لنبوغه وكفايته

وقد كان الدكتور الرافعى فى دراسته ، وفى رسالته لنيل الدكتوراه ، وفى درجاته العلمية التى حصل عليها ، مفخرة مصرية ودعاية ناطقة للشباب المصرى فى أوروبا

وحسبه أن يعلن رئيس جامعة ليون فى اجتماع لجنة القضاة المحكمين لمناقشة رسالة الدكتور الرافعى : أن هذه الرسالة تعتبر أماً لجميع الرسائل والكتب والمؤلفات التى وضعت فى بابها من سنة ١٩١٠ إلى الآن ، وأنها جاءت بالحل الأخير لمناقشات كادت لا تنتهى . وكان الدكتور الرافعى قد اكتشف مرضاً مما يصيب الأطفال لم يتنبه إليه أحد ، ووضع له اسماً خاصاً به

وقد منحته الجامعة درجة (جيد جداً) ، مع (درجة تقدير القضاة) ، و(مبادلة الرسالة لجميع الجامعات الأجنبية) . وهى درجات رفيعة حقيقة منا بأن نتقدم اليه والى والده الكريم بالتهنئة فخورين معجبين

بعض آراء الزملاء فى الرسالة

لا تزال تنثال على (الرسالة) تهنئات الأصدقاء من مصر وسائر الأقطار العربية على دخولها فى عامها الرابع ؛ وهى تشكر لهم هذا العطف الجميل ، وترجو أن تظل من توفيق الله على الحال

التى يرتضيها الحق والجمال والخير ؛ ثم تثبت هنا بعض آراء الزملاء الفضلاء فيها تسجيلا للوفاء منهم وللشكر منها :

قالت الجهاد الغراء فى عددها الصادر فى ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت زميلتنا « الرسالة » الغراء فى عامها الرابع ، فحق لصاحبها الأديب الضليع الأستاذ أحمد حسن الزيات أن يغتبط بما أصاب فى رسالته من نجاح ، وما كتب لجهوده الصادقة من توفيق

ونحن إذ نقول التوفيق لا نشير فقط إلى ما لقيت « الرسالة » من ذيوع فى مصر وفى سائر الأقطار العربية ، وإنما نشير إلى السبيل التى سلكها الأستاذ الزيات بمجلته ، حتى بلغ بها هذا النجاح الذى يغتبط به كل ذى غيرة على الأدب العربى ، فهو لم يسلك إلى النجاح واجتذاب الجمهور تلك السبيل الممهدة الرخيصة وهى النزول إلى مستوى العامة واقتناص الربح منهم بأرخص المغريات ، ولكنه تطلع فى عزم وإيمان وهمة لا تحد نحو غاية أسمى ، وتصدى لمهمة أنبل وأكرم ، فراح يرفع الجمهور إلى المستوى الذى يحبب اليه الأدب الصافى القويم

وقد سلخت (الرسالة) ثلاثة أعوام لم تنثن فيها عن تحقيق هذه الغاية ، بل لقيت من النجاح ما حفزها إلى المثابرة والمضى فيما سلكت من سواء السبيل

فللصديق القدير تهنئتنا الخالصة ولمجلته اطراد التوفيق والنجاح

وقالت « البلاغ » الغراء فى عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

أتمت مجلة الرسالة لصاحبها ومحررها الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات سنتها الثالثة ، ودخلت بالعدد الأخير منها فى عامها الرابع من عمرها الطويل المبارك إن شاء الله . والرسالة تؤدى مهمة ثقافية سامية ، وتصل ما بين الأقطار العربية ، وتسمو بالأدب عن التجارة ، وتحرص على الرفعة والجد ، وهى تمثل فى الأدب المذهب السديد الذى يزاوج بين القديم والجديد ، فلا يهمل القديم من كنوز الآداب ولا سيما العربية لقدمها ، ولا يفتتن بالحديث لطرافته ؛ ومن هنا كانت « الرسالة » كاسمها « رسالة » حقيقية إلى أمم العرب قاطبة ، ولهذا فازت بحقها فى كل قطر من الأقطار العربية من التقدير والاكبار . فنهنئها بعامها الجديد ، ونشكر لزميلنا وصديقنا جهده الصادق المخلص فى خدمة العربية والأدب الرصين

وقالت روز اليوسف اليومية فى عددها الصادر فى ٧ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت زميلتنا « الرسالة » الغراء فى عامها الرابع مزودة بما قدمت لقرائها بل الأدب العربى من خدمات سيرويها التاريخ فخوراً بها . وسترى فيها الأجيال القادمة مرآة صادقة للمثل الأعلى فى ثقافة هذا الجيل وأدبه

وإذا كانت « الرسالة » باعتراف قادة الفكر رسول العلم والأدب إلى العقول ، فهى باعتراف قرائها الذين أقبلوا عليها طوال هذه السنين رسول الروح المهذبة والعقلية المؤدبة والعاطفة الملهمة ، تحمل إلى رواد الأدب والعلم والشعر كل رائع وكل بديع

وإذا كان واجباً علينا أن نهنىء حضرة الزميل الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات بدخول الرسالة فى عامها الرابع فأوجب من هذا أن نهنئ القراء بما سيقرأونه فى العام الجديد بين صفحات الرسالة فى عامها الجديد

فهنيئاً لزميلنا الكبير رسالته النبيلة ، وهنيئاً لقرائه ما سيقرأون

وقالت المقطم فى عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت مجلة الرسالة الغراء فى عامها الرابع بعددها الأخير وقد حفلت مجموعات سنواتها الثلاث بطائفة طيبة من الأدب العربى الصافى المورد ، فكانت مسرحا لأقلام فحول أدباء هذا العصر من المحافظين على متانة الأدب العربى القديم ، والناهلين من أدب الغرب الحديث ، من أدباء مصر وسورية والعراق وغيرها ، فنهنئ حضرة الزميل الفاضل الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة الغراء ونتمنى لرسالته ذيوعاً وانتشاراً حتى يشمل نفعها أكبر عدد من أدباء العرب الذين قدروها قدرها وعرفوا لها منزلتها

وقالت الأهرام فى عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت مجلة « الرسالة » الغراء فى عامها الرابع وهى المجلة الأسبوعية للآداب والعلوم والفنون لصاحبها ومديرها ورئيس تحريرها الأديب المعروف الأستاذ أحمد حسن الزيات . وقد برز العدد الجديد فى صدر هذا العام بحلة قشيبة تدل على ازدياد العناية بها . وهو يضم مقالات طريفة وقصائد متينة السبك لبلغاء الكتاب وفطاحل الشعراء فى موضوعات متنوعة لا تخرج عن الخطة التى نهجتها منذ إنشائها وتنطبق على الحاجة التى تشعر بها الأمة فى موقفها الحاضر : فنهنئها ونتمنى لها اطراد التقدم



رد على نقد

٢ - كتاب تاريخ الاسلام السياسى

للدكتور حسن ابراهيم حسن

مؤلف الكتاب

ص ٣٩٨ - يزعم حضرة الناقد أننا قد اتبعنا رأى نيكلسون فى أمر انتصار معاوية ، وفى أن المسلمين اعتبروه انتصارا للارستقراطية الوثنية التى ناصبت الاسلام العداء

وهذا الزعم غير صحيح ، فاننا بنينا هذا الرأى على مقدمات صحيحة رواها ثقاة المؤرخين عن جمهرة المسلمين فى القرن الأول الهجرى . وهذا على بن أبى طالب يقول فى معاوية مخاطباً أصحابه : « أنظروا إلى من يقول كذب الله ورسوله . إنما تقاتلون ابن رأس الأحزاب وابن آكلة الأكباد من قتلى أحد . وإنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء ممن أسلم كرها وكان للرسول حربا وكان عن الدين منحرفاً » . ربما تقول إن كلام على لا ينهض حجة فى رأى جمهور المسلمين حيال معاوية وشيمته ، وإن التنافس فى الحكم يدعو إلى أكثر من ذلك ، فان هذا القول فى معاوية لم ينفرد به علىّ ، فهؤلاء كبار الصحابة والتابعين يرددون هذا القول بل أشد منه . وهذا قيس بن سعد يقول للنعمان بن بشير « انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً . وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن » ، وقول ابن عباس : « هذه الحرب بدأها علىّ بالحق وانتهى فيها إلى العدل ؛ وبدأها معاوية بالبغى ، وانتهى فيها إلى السرف » ، وهذا أبو حمزة الخارجى يقول فى خطبته : « معاوية لَعين الرسول وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤتلف طليق ، فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وبغى دينه عوجاً ودغلا ... الخ . »

لم نذكر هذه الأقوال معتقدين بصحتها كلها فى معاوية ، إذ رأينا الشخصى أنه مسلم عظيم خدم الاسلام خدمات جليلة ، ولكنا اضطررنا إلى ذكرها لنبرهن على أن من استندوا إلى رأى نيكلسون وجدوا فى هذه الأقوال بعض المبررات لما ذهبوا اليه

ولَيْتَ الناقد راجع تلك الأقوال التى تفيض بها المصادر التاريخية ليعرف أننا نعنى بقولنا جمهور المسلمين ، فيريح نفسه ويريحنا أيضاً من هذا التعليق الطويل

ص ٣٤٠ - كان خيراً للناقد ألا يرجع إلى هذه الصفحة بعد أن تركها عمداً أو سهوا - لا أدرى - ويظهر أن شغفه بالتنقيب وتحميل اللفظ فوق ما يستحق ، واستخراج ما توهمه مؤاخذة ، هو الذى حمله على عكس الدورة ومعاودة المراجعة لهذه الصفحة بعد أن تركها فى أول مرة . ولينظر القارىء إلى ما قال عنها بعد أن أرجع البصر كرتين : إنه لم يرضه إلا أن يرمينا بالخطأ لأننا وقعنا فى أمر جسيم حيث تابعنا المصادر العربية التى تعين موقعة « ذات السوارى » بزمانها ومكانها ، ويريد أن يقسرنا على متابعة المصادر اليونانية فى أن تاريخ الوقعة كان سنة ٣٤ هـ لا سنة ٣١ كما تثبته المصادر العربية ، وأن مكان الموقعة كان قريباً من ساحل آسيا الصغرى الجنوبى لا قريباً من الاسكندرية

ولحين اطلاعنا على السبب فى ولع الناقد بتفضيل المصدر اليونانى على العربى ، نقول له إن رأيك هذا فيه تحكم وترجيح بلا مرجح ؛ على أن حضرته لم يذكر لنا ولو مصدراً واحداً من هذه المصادر اليونانية لنقف منها على مبلغ صحة اعتماده وأسباب ترجيحه ، اللهم إلا كتاب العصور الوسطى لكمبردج ، وهو

عبارة عن سلسلة مقالات بالانجليزية ، كما أن حكمه علينا بأننا نتابع السير وليام ميور الذى يأخذ عن جيبون هو من قبيل الرجم بالغيب ، وأن قوله : « كلا هذين المؤرخين أصبح قديماً ولا يصح التعويل عليه بصفة مطلقة » يحتاج إلى فك رموزه وأحاجيه ...

ص ٤٥٠ ـ يظهر أن الناقد سريع النسيان . فبينا هو يأخذنا بلاذع اللوم والتعنيف إذا روينا آراء جمهور المسلمين فى الأمويين ، نجـــده هنا لا يعجبه أن دافعنا بحق عن أحد خلفائهم بأنه لم يرد أن يحط من شأن الكعبة ، وأن رميها بالمجانيق أحدث فيها من غير قصـد ما أحدث ، وأن الحجاج لما نصب المجانيق على الكعبة جعل هذه الزيادة التى زادها ابن الزبير فى الكعبة هدفاً ، إذ كان الأمويون يعتبرونها بدعاً فى الدين » . وما أسرع هـذا الناقد فى سحب نقتـه من هؤلاء المساكين ، فيقول عنهم : « وبنو أمية كانوا إذا تعارضت المصلحة السياسية مع أى اعتبار آخر رجحوا جانب المصلحة السياسية كائناً ما كان ذلك الاعتبار الآخر . وتاريخهم يشهد بذلك ! ! » ثم ما أدرى وجه الضحك من قولنا إن الحجاج جعل الزيادة التى زادها ابن الزبير فى الكعبة هدفاً لمجانيقه ، وإنه كان من الممكن الانتظار حتى تضع الحرب أوزارها ثم تنقض الكعبة وتبنى على أسسها القديمة . فالواقع يقرر ما قلناه والتقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد ، وأما هذه الزيادة فقد كانت متميزة عن سائر بنية الكعبة يمكن نقضها دون هدم الكعبة ، بدليل أن الحجاج بعـد أن قتل ابن الزبير عمد إلى تلك الزيادة فأزالها وأعاد الكعبة إلى ما كانت عليـه زمن الرسول ، وليس من الصعب على العرب ، وهم مشهورون بتسديد الرماية ، أن يجعلوا الزيادة هدفهم بدون أن يلحقوا بسواها ضرراً ؛ وقد فصلنا الكلام فى ذلك فى مقالنا الأول . أما قول الناقد إن الهدف الحقيقى للمجانيق هو ابن الزبير نفسه ولما جعل الكعبة حائلاً بينه وبين المجانيق ضربت الكعبة ، فقول لم يأت الناقد فيـه بجديد عن قولنا ولا يتنافى مع ما قررناه

ص ٤٧١ ـ يقول علماء الأصول والتشريع إن الحكم على المجموع لا على الجميع . فاذا حكمنا على الخوارج بأنهم اشتطوا بالحكم على مخالفيهم حتى ساووا بينهم وبين الكفار عبدة الأوثان ، فلا يضرنا أن تشذ فرقة كالاباضية عن هذا الحكم ، ولا يخفى أن هـذه الفرقة لم تشترك مع الخوارج بظفر ولا بناب فيما ألحقوا بالأمة الاسلامية ، فليست مقصودة فى كلامنا لأنها غير معتبرة من الخوارج ذوى البأس الشديد

ويصدق هذا أيضاً على ما نقلناه عن « السيد أمير على » على نظام الامارة على البلدان فى العصر الأموى ، وبعد أن كان يفرض على ولاة الأقاليم الاقامة فى حواضر ولا ياتهم أصبحت الولاية فى عهد الأمويين تسند إلى بعض أفراد البيت المالك وإلى كبار رجال البلاط ، فكانوا يبقون فى دمشق ويعينون من قبلهم رجلاً يقومون بحكم الولايات نيابةً « عنهم » . وإذا رجع القارىء إلى كلامنا يلاحظ أننا نقرر ذلك نظراً لما حدث أثناء حكم هذه الدولة ، وأننا لم نجمل تطرق النقص منسحباً على العصر الأموى كله بدليل قولنا إن هناك نقصاً قد تطرق إلى النظام الادارى فى عهـد بنى أمية ، وجرّ إلى أسوأ العواقب فيما بعد ، إذ لا يخفى أن التطرق أمر عارض لم يكن موجوداً ثم وجد ، فكيف يحمل على التعميم والاستفاضة ؟ .

ص ٥٧٦ ـ من المحسنات البديعية أن يذكر الانسان شيئاً أجنبياً عن موضوعه لمناسـبة وفائدة . فاذا كنا تكلمنا عن نظام العدول فى معرض الكلام على نظام القضاء فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين ، وقلنا إن سُنَّة التقدم والارتقاء دعت إلى اتخاذ الشهود المحلفين حين فشت شهادة الزور ، فقضى النظام الجديد بتعيين شهود عدول عرفوا بحسن السمعة والفقه فصاروا من هيئة المحكمة يعمل برأيهم القاضى فيما له علاقة بالمتقاضين ، إذا ذكرنا هذا فليس معناه أننا نجهل تاريخ هذا النظام ونجهل أنه كان فى الدولة العباسية لا الأموية . والمنصف يرى أن مثل هذا الاستطراد له شواهد كثيرة من كتاب الله وكلام رسوله وكلام العرب . وقد لاحظ العلماء فيه أنه يكسب الكلام رونقاً وجدة ويذهب بالسآمة التى يشعر بها القارىء أحياناً من موضوع استطال الكلام فيه

يخيل الينا أن الناقد أحس بتهافت ملحوظته هذه فعمد إلى ستر الموقف وتدعيم المأخذ بكلام أرسله إرسالا وكال فيه التهم

جزافا ، فأبرم حكما مقضياً بأن كلامنا لا يجلو هـذا النظام على حقيقته وفيـه تخليط كثير !! ويا للعجب ! هو لم يقبل منا أن نستطرد بذكر نظام العدول موجزين ويريدنا أن نفصل الـكلام عنه . ولا بأس أن نترك الـكلام عن موضوع الـكتاب بالمرة لنفسح له فى الميـدان ليصول ويجول ويكون لنقده حينئـذ بعض القوة !

ص ٦٢٧ ـ كنا نتفكه بحكاية ذلك التركى الذى كان مغرماً بأن يأمر فيجد مأمورا ، وينهى فيجد منهياً ، ولما كانت مؤهلاته لم تسعفه باشباع رغبته اقتعد غارب الطريق ووضع أمامه بعض أباريق مملوءة بالماء ، حتى إذا ما أجهد أحد المارين العطش وأراد تناول إحداها ليشرب نهره ذلك التركى قائلا : دع هذا واشرب من ذاك ! فاذا ذهب حضرة الناقد فى غالب كلامه يلومنا بأننا نقلنا كذا عن فلان ، وكان أولى بنا أن ننقله عن سواه ، فانه — ولا شك — يذكرنا بهذه الحكاية المضحكة . ولقد رأينا حضرة الناقد يسلك هذا الطريق معنا فى أمر موقعة ذات السوارى ونفقات المسجد الأموى

وبعد ، فمن شيم العلماء وكرام النقاد ألا يلجأوا إلى التمويه والابهام عما ينقدون ويمحصون ، وإنما عملهم هو قرن الدعوة بالدليل ، ووضع الصحيح إزاء العليل ، وبذلك يُخدم العلم ، وتشكر الحقيقة مجليها . أما إذا لجأ الناقد إلى التعميم ، وعبارات التفخيم ، واعتذر عن الادلاء بالحجج والبينات بقصر الوقت وبكثرة السيئات ، فليس معنى هذا فى نظر الناس إلا الرغبة فى الهدم ، وعدم القدرة على البناء

(يتبع) حسن ابراهيم حسن

نوادر الـكتب

الكتب

المقتطف والمتنبي

المقتطف شيخ مجلاتنا ؛ كأنمن أولادُه وأحفادُه . وهو كالجدّ الأكبر ، زمنٌ يجتمع ، وتاريخ يتراكم ، وانفرادٌ لا يُلحق ، وعلم يزيد على العلم بأنه في الذات التي تفرض إجلالها فرضاً ، ويجب لها الحرمةُ وجوباً ، ويتضاعف منها الاستحقاق فيتضاعف لها الحق

وهل الجد إلا أبوّة فيها أبوةٌ أخرى ، وهل هو إلا عرش حيّ درجاته الجيل تحت الجيل ، وهل هو إلا امتداد مسافاته العصر فوق العصر ؟

والمقتطف يكبر ولا يهرم ، ويتقدم في الزمن تقدم المخترعات ماضيةً بالنواميس إلى النواميس ، مقيدةً بالبدأ إلى الغاية . فلقد أنشيء هذا المقتطف وما في المجلات العربيـة ما يغني عنه ، ثم أسفت الدنيا حوله بأخلاقها وطباعها ، وتحولت مجلات كثيرة إلى مثل الراقصات والمغنيات والممثلات . . . وبقى هو على وفائه لبدئه العلمي والسمو فيه والسمو به ، كأنما أُخذ عليه في العلم والأدب ميثاقٌ كميثاق النبيين في الدين والفضيلة ؛ فبين يديه الواجبُ لا الغرض ، وهمُّه الابداعُ بقُوى العقل لا الاحتيال بها ، وهَدْيُه الحقيقة الثابتة في الدنيا لا الأحلام المتقلبة بهذه الدنيا ، وطريقه في كل ذلك طريق الفيلسوف من هدوء نفسه لا من أحوال الدهر ، فهو ماضٍ على اليقين ، نافذ إلى الثقة ، متنقل في منزلة منزلة من يقينه إلى ثقته ، ومن ثقته إلى يقينه

وقد بدأ المقتطف مجلده الثامن والثمانين بعدد ضخم أفرده للمتنبي . ولئن كانت الأندية والمجلات قد احتفلت بهذا الشاعر العظيم ، فما أحسبُ إلا أن روح الشاعر العظيم قد احتفلت بهذا العدد من المقتطف

ولست أغلو إذا قلت إن هـذه الروح المتكبرة قد أظهرت كبرياءها مرة أخرى ، فاعتزلت المشهورين من الـكتاب والأدباء ولزمت صديقنا المتواضع الأسـتاذ محمود شاكر مدة كتابته هذا البحث النفيس الذي أخرجه المقتطف في زهاء ستين ومائة صفحة تدلُّه في تفكيره ، وتوحي اليه في استنباطه ، وتنبهه في شعوره ، وتبصره أشياء كانت خافية وكان الصدق فيها ، ليردَّ بها على أشياء كانت معروفة وكان فيها الـكذب ، ثم تعينه بكل ذلك على أن يكتب الحياة التي جاءت من تلك النفس ذاتها ، لا الحيـاة التي جاءت من نفوس أعدائها وحسادها

ولقد كان أول ما خطر لي بعد أن مضيت في قراءة هـذا العدد — أن المؤلف جاء بما يصح القول فيه إنه كَتَبَ تاريخ المتنبي ولم ينقله ؛ ثم لم أكد أمعن في القراءة حتى خيل إليّ أنه قد وضع لشعر المتنبي بعد تفسير الشرّاح المتقـدمين والمتأخرين تفسيرا جديداً من المتنبي نفسه ؛ وما الـكلمة الجديدة في تاريخ هذا الشاعر الغامض إلا الـكلمة التي نشرها المقتطف اليوم

إن هذا المتنبي لا يفرغ ولا ينتهي ، فان الاعجاب بشـعره لا ينتهي ولا يفرغ . وقد كان نفسـا عظيمة خلقها الله كما أراد ، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت . فكأنما جعلها بذلك زمنا يمتد في الزمن

وكان الرجل مطوياً على سر ألقى الغموض فيه من أول تاريخه ، وهو سر نفسه ، وسر شعره ، وسر قوته ؛ وبهذا السر كان المتنبي كالملك المغصوب الذي يرى التاج والسـيف ينتظران رأسه جميعاً ، فهو يتقي السيف بالحذر والتلفف والغموض ، ويطلب التاج بالـكتمان والحيلة والأمل

ومن هذا السر بدأ كاتب المقتطف فجاء بحثـه يتحدَّر في نسق عجيب متـسـلسلا بالتاريخ كأنه ولادة ونموّ وشباب ، وعرض بين ذلك شعر أبي الطيب عرضاً خيل إليّ أن هذا الشعر قد قيل مرة أخرى من فم شاعره على حوادث نفسه وأحوالها . وبذلك انكشف السر الذي كان مادة التهويل في ذلك الشعر الفخم إذ كانت في واعية الرجل دولة أضخم دولة عجز عن خلقها وايجادها فخلقها شعرا أضخم شعر ، وجاءت مبالغاته كأنها أكاذيب آماله البعيدة متحققة في صورة من صور الامكان اللغوي

ومن أعجب ما كشفه من أسرار المتنبي سرُّ حبهٍ ؛ فقال : إنه كان يحب خولة أخت الأمير سيف الدولة ، وكتب في ذلك خمس عشرة صفحة كبيرة ، وكأنها لم ترضه فقال إنه كان يؤمل أن يكتب هذا الفصل في خمسين وجهاً من المقتطف . وهـذا الباب من غرائب هذا البحث ، فليس من أحد في الدنيا المـكتوبة (أي التاريخ) يعلم هذا السر أو يظنه . والأدلة التي جاء بها المؤلف تقف الباحث المدقق بين الاثبـات والنفي ؛ ومتى لم يستطع المرء نفياً ولا إثباتاً في خبر جديد يكشفه الباحث ولم يهتد اليه غيره ، فهذا حسبك اعجاباً بذكر ، وهذا حسبه فوزاً يُعدّ

ولعمري لو كنت أنا في مكان المتنبي من سيف الدولة لقلت إن المؤلف قد صدق ... فهناك موضع لابد أن يبحث فيه القلب الشاعر الذي وضعت في الدنيا حكمتها ، وطوت فيه القوة سرها ، وبث فيه الجمال وحيه ، وأصغر هذه الثلاث أكبر من الملوك والممالك ، ولكن الحبيبة أكبر منها كلها . . . . ؟

مصطفى صادق الرافعي

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٣ — ٢٠ يناير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 133. | Lundi-20-1-1936





مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٥٤ — ٢٠ يناير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة		
٨١	مجمع اللغة العربيـة الملكى	: أحمد حسن الزيات ... ...
٨٣	سلطة الآباء	: الأستاذ أحمد أمين ... ...
٨٦	المشـكلة	: الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٩٠	رثاء الأندلس	: الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٩٣	قصة المكروب	: الدكتور أحمد زكى ... ...
٩٧	نظرية النسبية الخصوصية	: الدكتور اسماعيل أحمد أدهم ...
٩٩	تاريخ لأدب النسوى فى فرنسا	: الأستاذ محمد بك كرد على ...
١٠٢	عشرة أيام بثيسة	: الدكتور يوسف هيكل ...
١٠٤	سكان أعالى النيل	: رشوان أحمد صادق ... ...
١٠٦	يوم هنانو (قصيدة) ...	: الأستاذ أمجد الطرابلسى ...
١٠٧	سحر الطبيعة «	: الأستاذ عبد الرحمن شكرى
١٠٧	قبلة الحب «	: فريد عين شوكة ... ...
١٠٨	تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا	: الأستاذ خليل هنداوى ...
١١٠	مصرع أخيل (قصة)	: الأستاذ دريني خشبة ... ...
١١٤	الأدب قبل هوميروس . من كنوز البردى المصرية		
١١٥	مذكرات صحافى شهير . الاذاعة المدرسية		
١١٦	أشعة الأخفاء . زينة المرأة الحديثة		
١١٧	كتاب تاريخ الاسلام السياسى	: الدكتور حسن ابراهيم حسن
١١٩	الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير . الحوادث الجامعـة والتجارب النافعة فى المائة السابعة	كتابان : الأستاذ محمد بك كرد على
١٢٠	رسـالة العلم	

مجمع اللغة العربية الملكى

يفتتح دورته الثالثة

فى الضحى الأكبر من يوم الخميس الماضى افتتح مجمع اللغة العربية الملكى دورته الثالثة فى حفل متواضع من رجال العلم والأدب ؛ فألقى الأستاذ الرئيس خطبة مُجْمَعة ، أجمل فيها ما عالج المجمع من المسائل اللغوية فى دورته الثانية ، وأشار إلى وفوده عن المجمع العربى إلى عيد المجمع الفرنسى ، وإلقائه أول الناس خطاب التهنئة « باسم أحدث المجامع نشأة فى أقدم بلاد العالم حضارة » ؛ ونوه بهدية الأستاذ فيشر إلى المجمع وهى جزازات جمع فيها جمهرة الموثوق بصحته من متداول الكلمات فى القرن الأخير للجاهلية ، والقرون الثلاثة الأولى فى الاسلام ، واستهلك فى جمعها وترتيبها نيفا وأربعين عاماً ؛ ثم ألم إلمامة يسيرة ببعض ما وُجه من نقد إلى خطة المجمع

وقام من بعده الأستاذ حسين والى فألقى محاضرة سابغة سائغة أدلى فيها بحجج المجمع فى القرارات السبعة التى أصدرها فى عامه الثانى . ثم نهض على أثره الأستاذ محمد كرد على بك فدافع عن حداثة المجمع وأشاد بفضل جلالة المليك . وجاء ور الأستاذ جب فعقّب على بعض ما قال الخطباء بكلمة بارعة أداها عن ظهر قلبه .

ثم ختم الأستاذ الجارم هـذا الحفل الوقور بقصيدة من حر الكلام سلسل فيها أطوار العرب وأدوار اللغـة ، وأهاب (بعصبة الخير) أن ينشطوا لتجديد الفصحى :

فالدهر يسرع والأيام معجلة ونحن لم ندر غير الوخد والخبب

***

كانت حفلة افتتاح هذه الدورة نفثة من روح المجمع ، شاع فيها سره ، وسطع فى فورتها ريحه ، فكان اهتمامها برضى القاموس أبلغ من اهتمامها بذوق السامع ؛ وكأنى رأيت يومئذ فى بعض العيون بوادر الدمع رأفة بأولئك السيدات اللائى تظاهرن بالاصغاء إلى حقائق اللغـة ودقائق الصرف وهن من الضجر على حال لا تسر ! وهذه الحال نفسها ملحوظة بين المجمع والمجتمع فى وضع الكلمات للشؤون العامة ، فان من الأعضاء من يسرف فى بعث الحوشى المات ، أو الغريب المتنافر ، ليحل من لغة الجمهور محل الدخيل الذى لا يثقل فى الآذان ولا يعسر على اللسان ولا ينبو على أوزان اللغة ، فيضع الجماز للترام ، والنهبوع لليخت ، والعنقاش للبائع الجوال ، والكشّاءة للكماشة ، والضريم للبنزين ، والطربال للعمارة ! وليس من شك فى أن هذه الكلمات المرغوب عنها وأمثالها مما يحاول المجمع طرده من الاستعمال أدق فى الدلالة ، وأقوى على الحياة ، وأسهل على الطبع ، من تلك الألفاظ الجافية التى نقضها الدهر عن وجه البيان العربى لأسباب طبيعية منذ عمره الأول ... ما للترام واليخت والفِلْم والبنزين والكنبة مادامت سائغة فى المنطق جارية على سنن الفصيح واردة على أسلوب المعرَّب ؟ إن الشاكوش أدل من الخَصين ، والريال أجمل من الرقين ، والفسيخ أدنى من القريب ، والبشكير أولى من النشير ، والندالة أخف من الميطدة . لقد افتن الظرفاء طول العام فى الاضحاك مما أشبه الأرزيز والجماز حتى استراب الناس فى ذوق المجمع

والواقع أن الصفة الغالبة على أكثر الأعضاء هى الضلاعة القاموسية المحافظة ، فهم يريدون أن يتجاهلوا الاصطلاح والعرف ، ويتناسوا الكتّاب والعامة ، ويفرضوا على الأذواق الفنانة كلمات لا تقطر من جودها على قلم ، وعلى الطبقات العاملة لغات لا ينطبق مدلولها على عمل

إن اللغة العربية لابست مرافق العصر الحديث قبل أن ينشأ المجمع بقرن ونيف ، فاستحدثت الضرورة فى مدى هـذا الزمن ألفاظاً بالاشتقاق والتعريب والترجمة ، ربطت اللغة بأسباب الدنية ، ووصلت الأدب بمعانى الحياة . ووظيفة المجامع أن تقر ما وُجِـد وتنشىء ما لم يوجد ؛ والاستعمال الذى لا يقف ولا ينتهى ، يتمم القاموس الذى انتهى ووقف . أما اطلاق العربى المهجور على المعرَّب المشهور مخافة أن تطغى العجمة « ويصبح الفصيح بين لغتنا أقل من القلة ، بحيث لا يصح لنا وقتئذ أن نزعم أننا نتحدث بلسان العرب » كما قال الأستاذ الرئيس ، فلا يستقيم فى منطق اللغات ، ولا يجرى فى نظام الطبيعة ؛ لأن عربية القاموس لا تكاد تجاوز منتصف القرن الثانى ، وما اقتبسته اللغة بعد ذلك من حضارة الفرس ومدنية الروم أوشك أن يؤلف قاموساً آخر ، ومع ذلك لم تستعجم الفصحى ولم يَنْبهم بيان العرب ! ويخيل إلى أن الاستاذ جب كان يرد على معالى الرئيس حين قال فى خطبته : « ويل للغةٍ مصادرها معجماتها دون الشعور الحى للناطقين بها ! وويل كذلك للغةٍ ينطق الناطقون بها ويكتب الكاتبون فيها طوع أهوائهم ويضربون بمعجماتها عرض الحائط ! »

***

إن ما أخذناه وأخـذه الناس على ما وضع أعضاء المجمع من الألفاظ إنما ينحصر فى شؤون الحياة العامة ؛ أما ما وضعوه أو أقروه لعلوم الأحياء والطب فلا وجه فيه لآخذ ، ولا سبيل عليه لمنكر ، لأنه يتعلق بالعلم ويتصل بالتعليم ويجرى بين الخاصة ، ومن السهل أن تراض عليـه الألسنة فى المدارس ، وتؤخذ به الأقلام فى المعاجم ، وتُجمع اليه الناس فى الكتب ... كذلك كانت قراراته الأربعة التى تعلقت بالتوسع فى طرق القياس صادرة عن رأى حصيف ودرس ناضج . وسيكون لها كما رجا الرئيس أثرها البعيد فى التيسير على أهل العلم ومن يعالجون الصناعة ويزاولون الترجمة

إن فى إقرار المجمع عرض ما يضعه من الكلم على الجمهور قبولا سابقاً للنقد النزيه والقول الأسد ؛ وإن فيما كتب الكاتبون عن خطة المجمع ورَزانة يجب أن يُرَوِّىء فيها طويلا قبل أن يمضى على نيته ؛ وإن فيما تبيناه من مضامين الخطب فى الاحتفال دليلا على استصغار المجمع لما عمل واستعظامه لما سيعمل ! والشعور بالنقص مبدأ الكمال ، والنفور من العجز سبيل القدرة ، والركون إلى الأمل الحافز دليل الفوز ! أيد الله المجاهدين الصادقين بروح من عنده ، وسدد خطى العاملين المخلصين فى الطريق القاصد

احمد حسن الزيات

سلطة الآباء

للأستاذ أحمد أمين

رحم الله زماناً كان الأب فى بيته الآمر الناهى ، والحاكم المطلق ، والملك غير المتوج ؛ ينادى فيتسابق من فى البيت إلى ندائه ، ويشير فاشارته أمر ، وطاعته غنم ؛ تحدثه الزوجة فى خفر وحياء ، ويحدثه الابن فى اكبار واجلال ؛ من سوء الأدب أن يرفع اليه بصره ، أو يرد عليه قوله ، أو يراجعه فى رأى ، أو يجادله فى أمر . أما البنت ، فاذا حدثها لف الحياء رأسها ، وغض الخجل طرفها ؛ قليلة الكلام ، متحفظة الضحك ، خافضة الصوت ؛ تتوهم أنها أخطأت فى التافه من الأمر فيندى جبينها ، ويصبغ الخجل وجهها ، وتنكس بصرها ؛ وإذا جاء حديث الزوج والزواج فالى أمها الحديث لا إلى أبيها ، وبالتلويح والتلميح لا بالتصريح ؛ والأمر إلى الأب فيما يقبل وفيما يرفض ، وفيما يحدث وما لا يحدث

فى جملة الأمر أن البيت ينقسم إلى قسمين : حاكم وهو الأب ، ومحكوم عليه وهو سائر الأسرة ؛ منه الأمر ومنهم الطاعة ، له السيادة ولهم الخضوع ، يرسم الخطط وهم ينفذونها ، يجلب الرزق ويتولى الانفاق وهم يسيرون على ما رسم ؛ وويل لمن تبرم أو عارض ؛ فان أحس الابن حاجة ملحة إلى مال ، أوشعر بضرورة ملجئة إلى أكثر مما أخذ ، لم يجرؤ أن يجابه بالطلب ؛ إنما يحاور ويداور ، ويلمح ويرمز ؛ فان أعياه الأمر وسّط الأم لعلها تستطيع أن تعبر تعبيراً أوضح وأصرح ، وقل أن تنجح

وبجانب سلطة الأب الدنيوية كانت سلطته الدينية . فهو يوقظهم قبل الشمس ليصلوا الصبح أداء لاقضاء ، ويسائلهم فى أكثر الأوقات عن صلاتهم كيف صلوا ، وعن وضوئهم كيف توضأوا ؛ يعلم الجاهل ويؤم المتعلم ، ويجمعهم حوله من آن لآن يصلى بهم ، ويذكرهم ويعظهم ، ويقص عليهم قصص الأنبياء ، وحكايات الأولياء والصلحاء — وإن أنس لا أنس جمال المواسم الدينية — كيوم نصف شعبان ، إذ تشعر فى البيت من الصباح بحركة غير عادية : هذا ينظف ، وهذه تمد الأكل الحافل ، ويتهيأ الجميع قبل الغروب استعدادا لصلاة المغرب ، قد لبس النساء البياض ، وتقنعن بالشاش الأبيض ، وإذا رب البيت يؤم جميع من فى البيت ، ثم يخرج دعاء نصف شعبان من جيبه ويتلوه عليهم ، يقول جملة فيرددونها ، ويبتهل معهم إلى الله أن يسعده ويسعدهم ، ويصلحه ويصلحهم ، ويبارك له فى ماله وفى نفسه وفى ذريته ، ثم يأخذون حظهم لبطونهم ، كما أخذوا حظهم لأرواحهم ، وشملتهم السعادة وعمهم اللطف والهناءة

* * *

لقد ودعنا ذاك الزمان بخيره وشره ، وحلوه ومره ، واستقبلنا زماناً صار فيه الأبناء آباء ، وأرادوا أن تكون لهم السلطة كآبائهم فأبى عليهم الزمان

قالت الزوجة لزوجها : الناس أحرار ، وأنا انسان وأنت انسان ، فان اعتززت بالكسب اعتززت أنا بالانفاق ، وان اعتززت بالرجولة اعتززت بالأنوثة ، وان اعتززت بأى شىء فأنا اعتز عنه وبخير منه ؛ فأنا وأنت شريكان ، لا سيد وأمة ، ولا مالك ومملوك ؛ لى كل الحقوق التى لك ، وقد يكون علىّ بعض الواجبات التى عليك ، فان سفرتَ سفرتُ ، وإن غشيت دور الملاهى غشيتها ؛ عليك أن تحصل المال وعلىّ الانفاق ، ولك السلطان التام فى اختيار طرق التحصيل ، ولى الخيار التام فى وجوه التبديد . أنت للبيت والبيت لى . إن كان لك أم فقد شبعتْ سلطة فى الماضى أيام كانت زوجة ، فلا حق لها أن تنعم بسلطانها وسلطان غيرها ، فليس لها الحق إلا أن تأكل ، كما ليس لك الحق فى حبها ؛ فالحب كله للزوجة ، إنما لك أن ترحمها ؛ والدين لا شأن لك فيه بتاتاً فهو علاقة بين العبد وربه ، وكل انسان حر أن يحدد هذه العلاقة كما يوحى إليه قلبه ؛ فان شئت أنت أن تتدين فتدين ، على شرط ألا تقلب نظام البيت ، وتقلق راحتى وراحة الخدم ، بأعداد ماء ساخن فى الشتاء وما إلى ذلك

ورأى الزوج أن الأحكام قاسية ، والشروط فادحة ، وهام

يبحث بين المتمدنات عمن يرضى به زوجاً على الشروط القديمة فأعياه البحث

وأخيراً نزل على حكم القضاء، وأسلم نفسه لسلطان الزمان وقدّم الطاعة للزوجة، بعد أن كانت هي تقدم الطاعة له؛ ولا يزال في دار الآثار في المحاكم الشرعية قضايا اسمها قضايا الطاعة، يحكم فيها للأزواج على الزوجات؛ حفظ شكلها، وبطل روحها؛ ولو كانت المحاكم محاكم عصرية لحكمت بالطاعة على الزوج لزوجته، وحكمت بالنفقة على الزوجة لزوجها

وتم الزواج، وفرحت الزوجة بالظفر فغالت في المطالب، وابتدعت كل يوم مطلباً جديداً، وأرادت أن تنتقم لأمهاتها من آبائه في شخصه، فطالما أطَعْنَ، وطالما خضعن! فليطع هو دائماً وليخضع دائماً، جزاء وفاقاً على ما جنى آبؤه وأجداده

قالت: إن رقصتَ رقصتُ، فذلك حقك وحق؛ قال نعم. قالت بل إن لم ترقص رقصت لأنك ان أضعت حقك لم أضع حقي؛ وان خالتَ خالتُ، فالجزاء من جنس العمل، بل إن لم تخالل ربما خالت، لأن حياة الزوجية البحت قد يعتريها الركود والسأم والملل. فصرخ ولف الغضب وجهه، وحاول أن ينكل بها فتراجعت، وسحبت مطلبها الأخير ورأت الحكمة أن تتريث بعض الشيء حتى يبلع ريقه من أثر الصدمة الأولى، ويستعد للصدمة الثانية، فان لم يسعفها الزمان أوصت بناتها بشروطها الجديدة

قالت وسيكون من أول ما أوصي به ابنتي أن تتخذ قياس خطيبها، ثم يكون من أول جهازها أن تفصل له برذعة ولجاماً على قدره، فتضع البرذعة عليه وتركبه إذا شاءت، وتشكمه باللجام إذا حاول أن يتحرك يميناً أو شمالاً على غير رغبتها

***

وشاء الله أن يرزقا بنين وبنات

وقد رأوا أن الأم لا تجل الأب فلم يجلوه، ولم تعره كبير التفات فلم يعيروه؛ ورأوها تبذر في مال الأب فبذروا، ورأوها حرة التصرف فتحرروا، ورأوها تخرج من البيت من غير إذن الأب فخرجوا خروجها، وتعود متى شاءت ففعلوا فعلها، ورأوها لا تتدين فلم يتدينوا؛ ورأوها تطالب الأب ألا يفتح رسائلها فطالبوا، ورأوها تتكلم في المسائل الدقيقة أمام أبنائها وبناتها في صراحة فتفتحت شهواتهم، وتحركت رغباتهم، وغذيت تخيلاتهم

وقال الأبناء لأبيهم: إنا مخلوقون لزمان غير زمانك فاخضع لحكم الزمان؛ وقد نشأنا في زمن حرية في الآراء، وحرية في الأعمال، وحرية في التصرف، لا كما نشأتَ في جو من الطاعة والقيد والأسر والتقاليد، فمحال أن يسع ثيابك الضيق أبداننا، وتقاليدك العتيقة البالية نفوسنا، فان حاولت ذلك فانما تحاول ادخال الثور في قارورة، أو لفّ القصر الكبير بمنديل صغير! قال نعم. قالوا وأنت الذي سمح لنا باديء ذي بدء أن نغشى دور السينما والتمثيل، وأن نسمع الأغاني البلدية، ونشاهد المراقص الأوربية، فاذا أقررت المقدمة فلا تهرب من النتيجة. وأنت الذي عودتنا ألا نضع للبيت « ميزانية »، فأنت تمطى « ماهيتك » لأمنا تنفق من غير حساب، فان انتهت في نصف الشهر طلبت منك أن تقترض فاقترضت، وأن تشتري ما لا حاجة لنا به فاشتريت، وأن تقدم الكمالي على الضروري فأطعت؛ فليس لك أن تطالبنا بالاقتصاد في الجدول الصغير، والنهرُ الكبير ليس له ضابط. وخُرقٌ أن تحاول أن تضع ميزانية لمصلحة، وميزانيةُ الدولة مبعثرة! قال نعم. قالوا وقد أضعت سيادتك على أمنا فلمَ تفرض سيادتك علينا؟ ورضيت بالخضوع لها فلمَ تأباه علينا، وهي أم الحاضر وأنت أبو الماضي ونحن رجال المستقبل؟ قال نعم. قالوا وأنت نشأت في زمن خضوع تام: خضعت لأبيك في المهد صبيا، وخضعت للفقيه في المكتب، وللمدرس في المدرسة؛ فاذا قلت برأسك هكذا، قال الأستاذ بعصاه هكذا، فنكست رأسك، وغضضت بصرك، وأسعفتك عينك بالبكاء، ولم يسعفك لسانك بالقول؛ فلما صرت « موظفاً » وقفت من رئيسك موقفك من أبيك وأستاذك، تنفذ دائماً وتطيع دائماً — ولم يجر على ذهنك يوماً تفكير في استقلال، ولا على لسانك نداء بحرية؛ أما نحن فخربتنا في بيتنا: حررتنا على أساتذتنا، فحملتك كرهاً على تملقنا؛ وناديناك بالحرية فتبهتمونا في شيء من الرياء،

تظهرون الطاعة لرؤسائكم وتبطنون الرضا عن حركاتنا ، وتريدون أن تجمعوا بين الحرص على ماهيتكم والحرص على وطنيتكم المكبوتة . قال نعم . قالوا : فلما قمناك وقدنا رجالنا فى السياسة فلنقدكم جميعاً فى كل شيء : فى البيت وفى المال وفى العلم وفى رسم الخطط : ولنقلب الوضع فنكون قادة وتكونوا جنوداً وإلا لم نرض عنكم جنوداً ولا قادة

وقالت البنات لأبيهن :

يا أبانا الذى ليس فى السماء ! رقصت أمنا فرقصنا ، وشربت أمنا فشربنا ، وشربت سراً فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهراً ، ورأينا فى روايات السينما والتمثيل حبا فأحببنا ، ورأينا عريا على الشواطئ فتعرينا ، وتزوجت أمنا باذن أبيها فلنتزوج نحن باذننا . قال نعم . قلن وقد أوصتنا أمنا أن نركب الزوج ، ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها . فانا نرى شبان اليوم — كاخوتنا — متمردين لا يخضعون خضوعك ولا يستسلمون استسلامك ، فارادتهم قوية كارادتنا ، وهم يحبون السلطة حبنا ؛ فهم أحرار ونحن أحرار ، وهم مستبدون ونحن مستبدات ، فكيف نتفق ؟ هل يمكن أن يبقى البيت بعدة استبدادات ؟ ولكن لا بأس يا أبانا ! هل البيت ضرورة من ضرورات الحياة ؟ أوليس نظام الأسرة نظاما عتيقاً من آثار القرون الوسطى ؟ قال نعم . قلن على كل حال فيصح أن يجرب جيل النساء الجديد مع جيل الرجال الجديد ، فان وقع ما خشينا عشنا أحرارا وعاشوا أحرارا ، وطالبنا بتسهيل الطلاق وبهدم المحاكم الشرعية على رؤوس أصحابها ، وتعاقدنا تعاقدا مدنياً . قال الأب : وماذا تفعلن عما ترزقن من أبناء وبنات ؟ قلن لك الله يا أبانا ! إنك لا تزال تفكر بعقل جدنا وجدتنا ! لقد كنت أنت وأبوك وجدك تحملون أنفسكم عناء كبيرا فى التفكير فى الأولاد ، وتضحون بأنفسكم وأموالكم فى سبيلهم ، وتعيشون لهم لا لكم . أما عقليتنا نحن أهل الجيل الحاضر فأن نعيش لأنفسنا لا لغيرنا . لقد ضحك عليكم الدين والأخلاق ففهمتم أن الواجب كل شيء ، وكشفنا اللعبة ففهمنا أن اللذة كل شيء ، فنحن نمنع النسل ، فاذا جاء قسرا فليعش كما يشاء القدر ؛ ولنقدم حظنا على حظه ، وسعادتنا على سعادته ، ولا نفكر فيه طويلا ، ولا يتدخل فى شؤوننا كثيراً ولا قليلا

قال الأب : وأمر المال كيف يدبر ؟ كيف تعشن أنتن وأولادكن إذا كان طلاق وكان فراق ؟ قلن هذا ظل آخر ظريف من ظلال تفكيرك ، دع هذا يا أبانا والبركة أخيراً فيك

* * *

أما بعد فقد خلا الأب يوماً الى نفسه ، وأجال النظر فى يومه وأمسه ، فبكى على أطلال سلطته المنهارة ، وعزته الزائلة ، ورأى أنهم خدعوه بنظرياتهم الحديثة ، وتعاليمهم الجديدة — قال : لقد قالوا إن زمان الاستبداد قد فات ومات ، فلا استبداد فى الحكومة ، ولا استبداد فى المدرسة ، فيجب ألا يكون استبداد فى البيت ؛ إنما هناك ديمقراطية فى كل شيء ، فيجب أن يكون البيت برلماناً صغيراً يسمع فيه الأب رأى ابنه ورأى بنته ورأى زوجه ، وتؤخذ الأصوات بالأغلبية فى العمل وفى المال وفى كل شيء ؛ وقالوا تنازل عن سلطتك طوعاً ، وإلا تنازلت عنها كرها ، وقالوا إن هذا أسعد للبيت ، وأبعث للراحة والطمأنينة ، وقالوا إن هذا يخفف العبء عنك ، فنحن نقسم البيت إلى مناطق نفوذ ، فمنطقة نفوذ للمرأة ، وأخرى للرجل ، وثالثة للأولاد ، وكلهم يتعاونون فى الرأى ويتبادلون المشورة . سمعت وأطعت فماذا رأيت ؟ رأيت كل انسان فى البيت له منطقة نفوذ إلا إياى ، ولم أر البيت برلمانا ، بل رأيته حماما بلا ماء ، وسوقا بلا نظام ، إن حصلت على مال أرادته المرأة فستانا ، وأرادته البنت بيانو ، وأراده الابن سيارة ؛ ولا تسل عما يحدث بعد ذلك من نزاع وخصام . وإن أردنا راحة فى الصيف أردت رأس البر لأستريح ، وأرادت الأم والبنت الاسكندرية قريبا من ستانلى باى ، وأراد الابن أوربا ؛ وإن ، وإن ، إلى ما لا يحصى ، ولا يمكن أن يستقصى ؛ وأخيراً يتفقون على كل شيء إلا على رأيى . فوالله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما تزوجت ، فان كان ولابد ففلاحة صعيدية ، لم تسمع يوما بمدنية ، ولم تركب يوما قطارا الى القاهرة والاسكندرية ، لها يد صناع فى عمل « الأقراص » ، ورأس صناع فى حمل « البلاص »

أيتها الزوجة ! ويا أيها الأبناء والبنات ! ارحموا عزيز قوم ذل !

أحمد أمين

٣ - المشكلة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما البقية من هذه الآراء التي تلقيتها فكل أصحابها متوافقون على مثل الرأي الواحد من وجوب إمساك الزوجة والاقبال عليها، وإرسال «تلك» والانصراف عنها، وأن يكون للرجل في ذلك عزمٌ لا يتقلقل ومضاء لا ينثني، وأن يصبر للنفرة حتى يستأنس منها فانها ستتحول، ويجعلَ الأناةَ بازاء الضجر فانها تصلحه، والمروءةَ بازاء الكره فانها تحمله، وليترك الأيام تعمل عملها فانه الآن يعترضُ هذا العمل ويعطله، وإن الأيام إذا عملت فستغير وتبدّل، ولا يُستقَلُّ القليلُ تكون الأيامُ معه ولا يُستكثر الكثيرُ تكون الأيامُ عليه

والعددُ الأكبر ممن كتبوا إليّ يحفظون على صاحب المشكلة ذلك البيانَ الذي وضعناه على لسانه في المقال الأول ويحاسبونه به ويقيمون منه الحجةَ عليه، ويقولون له أنت اعترفت، وأنت أنكرت، وأنت رددت على نفسك، وأنت نصبتَ الميزان فكيف لا تقبل الوزن به؟ وقد غفلوا عن أن المقال من كلامنا نحن وأن ذلك أسلوبٌ من القول أدرناه ونحلناه ذلك الشابَّ ليكون فيه الاعتراضُ وجوابُه، والخطأ والرد عليه، ولنُظهر به الرجلَ كالأبله في حيرته ومشكلته تنفيرا لغيره عن مثل موقفه، ثم لنحرك به العللَ الباطنةَ في نفسه هو فنعرفه عن الهوى شيئاً فشيئاً إلى الرأي شيئاً فشيئاً، حتى إذا قرأ قصةَ نفسه قرأها بتعبير من قلبه وتعبير آخر من العقل، وتلمح ما خفي عليه فيما ظهر له، واهتدى من التقييد إلى سبيل الاطلاق، وعرف كيف يخلّص بين الواجب والحب اللذين اختلطا عليه وامتزجا له امتزاجَ الماء والخمر. وبذلك الأسلوب جاءت المشكلة معقدةً منحلّةً في لسان صاحبها، وبقي أن يُدفع صاحبها بكلام آخر إلى موضع الرأي

وكثير من الكتاب لم يزيدوا على أن نبهوا الرجل الى حق زوجته ثم يدعون الله أن يرزقه عقلاً . . . وقد أصاب هؤلاء أحسن التوفيق فيما ألهموا من هذه الدعوة، فانما جاءت المشكلة من أن الرجل قد فقد التمييز وجُنَّ بجنونين: أحدهما في الداخل من عقله والثاني في الخارج منه، فأصبح لا يبالي الاثمَ والبغض عند زوجته إذا هو أصاب الحظوةَ والسرور عند الأخرى؛ فتعدَّى طوره مع المرأتين جميعاً، وظلم الزوجة بأن استلب حقها فيه، وظلم الأخرى بأن زادها ذلك الحق فجعلها كالسارقة والمعتدية

وقد تمنى أحد القراء من فلسطين [1] أن يرزقه الله مثل هذه الزوجة المكروهة كراهة حب، ويضمَه موضعَ صاحب المشكلة ليثبت أنه رجل يحكم الكره ويصرّفه على ما يشاء ولا يرضى أن يحكمه الحب وإن كان هو الحب. وهذا رأي حصيف جيد فان العاشق الذي يتلصّص الحب به ويصده عن زوجته لا يكون رجلا صحيح الرجولة، بل هو أسخف الأمثلة في الأزواج، بل هو مجرم أخلاق ينصب لزوجته من نفسه مثالَ العاهر الفاسق ليدفعها إلى الدعارة والفسق من حيث يدري أو لا يدري؛ بل هو غبيٌّ إذ لا يعرف أن انفراد زوجته وتراجُعَها إلى نفسها الحزينة ينشيء في نفسها الحنين إلى رجل آخر؛ بل هو مغفل إذ لا يدرك أن شريعة السن بالسن والعين بالعين، هي بنفسها عند المرأة شريعة الرجل بالرجل . . . . . .

والمرأة التي تجد من زوجها الكراهيةَ لا تعرفها أنها الكراهةُ إلا أوّلَ أول؛ ثم تنظر فاذا الكراهة هي احتقارُها واهانتها في أخص خصائصها النسوية، ثم تنظر فاذا هي إثارة كبريائها وتحديها، ثم تنظر فاذا هي دفعُ غريزتها أن تعمل على اثبات أنها جديرة بالحب، وأنها قادرة على النقمة والمجازاة، ثم تنظر فاذا برهان كل ذلك لا يجيء من عقل ولا منطق ولا فضيلة، وانما يأتي من رجل ..... رجل يحقق لها هي أن زوجها مغفل وأنها جديرة بالحب

***

وكأن هذا المعنى هو الذي أشارت اليه الأديبة ف . ز . وإن كانت لم تبسطه، فقد قالت: وإن صاحب هذه المشكلة غبي، ولا يكون إلا رجلا مريض النفس مريض الخُلق، وما رأيت مثله رجلا أبعد من الرجل ... ومثلُ هذا هو في نفسه مشكلة

(١) هذه الآراء التي سننقلها قد تصرفنا في جميعها بالعبارة، ولكنا لم نخرج عما يرمي إليه صاحب الرأي وما أقام رأيه عليه

فكيف تُحل مشكلته ؟ إنه من ناحية زوجته مغفل لا وصف له عندها إلا هذا ؛ ومن جهة حبيبته خائن والخيانة أول أوصافه عندها .

وهذا الزوج يسمم الآن أخلاق زوجته ويفسد طباعها ، وينشئ لها قصة في أولها غباوته وإثمه ، وسيتركها تتم الرواية فلا يعلم إلا الله ما يكون آخرها . ومثل هذا الرجل أصبح المتعلمات يعتقدن أن أكثر الشبان إن لم يكونوا جميعاً - هم كاذبون في ادعاء الحب ، فليس منهم إلا الغواية ؛ أو هم محبون يكذب الأمل بهم على النساء ، فليس منهم إلا الخيبة

قالت : وخير ما تفعله صاحبةُ المشكلة أن تصنع ما صنعته أخرى لها مثلُ قصتها ، فهذه حين علمت بزواج صاحبها قذفت به من طريق آمالها الى الطريق الذي جاء منه ، وأنزلته من درجة أنه كلُّ الناس إلى منزلة أنه كَكل الناس ، ونبهت حزمَها وعزيمتها وكبرياءها فرأته بعد ذلك أهون على نفسها من أن يكون سبباً لشقاء أو حسرة أو هم ، وابتعدت بفضائلها عن طريق الحب الذي تعرف أنه لا يستقيم إلا لزوجة وزوجها ، فاذا مشت فيه امرأة إلى غير زواج ، انحرف بها من هنا ، واعوجّ لها من هنا ، فلم ينته بها في الغاية إلا أن تعود إلى نفسها وعليها غبارُه ، وما غبار هذا الطريق إلا سواد وجه المرأة .....

وقد جهَد الرجل بصاحبته أن تتخذه صديقاً ، فأبت أن تتقبل منه برهان خيبتها . . . وأظهرت له جفوة فيها احتقار ، وأعلمته أن نكث العهد لا يخرج منه عهده ، وأن الصداقة إذا بدأت من آخر الحب تغير اسمها وروحها ومعناها ، فاما أن تكون حينئذ أسقط ما في الحب ، أو أكذب ما في الصداقة

ثم قالت الأديبة : وهي كانت تحبه ، بل كانت مستهامة به ، غير أنها كانت أيضاً طاهرة القلب ، لا تريد في الحبيب رجلا هو رجل الحيلة عليها فتُخدع به ، ولا رجل العار فتسبُّ به ، وفي طهارة المرأة جزاء نفسها من قوة الثقة والاطمئنان وحسن التمكن ؛ وهذا القلب الطاهر إذا فقد الحب لم يفقد الطمأنينة ، كالتاجر الحاذق إن خسر الربح لم يفلس ، لأن مهارته من بعض خصائصها القدرة على الاحتمال والصبرُ للمجاهدة

قالت : فعلى صاحبة المشكلة التي عرفت كيف تحب وتجلُّ أن تعرف الآن كيف تحتقر وتزدري

***

وللأديبة ف . ع رأي جَزْلٌ مسدَّد ؛ قالت : إنها هي قد كانت يوما بالوضع الذي فيه صاحبة المشكلة ، فلما وقعت الواقعة أنفتْ أن تكون لصة قلوب ، وقالت في نفسها : إذا لم يُقدر لي ، فان الله هو الذي أراد ، واني أستحي من الله أن أحاربه في هذه الزوجة المسكينة ، ولئن كنت قادرةً على الفوز إن انتصاري عليها عند حبيبي هو انتصارها علي عند ربي ، فلأخسر هذا الحب لأربحَ الله برأس مال عزيز خسرته من أجله ، ولأبْقِ على أخلاق الرجل ليبقى رجلاً لامرأته فما يسرني أن أنال الدنيا كلها وأهدم بيتاً على قلب ، ولا معنى لحب سيكون فيه اللؤم بل سيكون ألأم اللؤم .

قالت : وعلمتُ أن الله تعالى قد جعلني أنا السعادة والشقاء في هذا الوضع ليرى كيف أصنع ، وأيقنت أن ليس بين هذين الضدين إلا حكمتي أو حمقي ، وصحَّ عندي أن حسن الداخلة في هذه المشكلة هو الحل الحقيقي للمشكلة

قالت : فتغيرت لصاحبي تغيراً صناعياً ، وكانت نيتي له هي أكبر أعواني عليه ، فما لبث هذا الانقلابُ أن صار طبيعياً بعد قليل . وكنت أستمد من قلب امرأته إذا اختانني الضعف أو نالني الجزع فأشعر أن لي قوة قلبين . وزدت على ذلك النصح لصاحبي نصحاً مُيسَّراً قائماً على الاقناع وإثارة النَّخوة فيه وتبصيره بواجبات الرجل ، وترفقتُ في التوصل إلى ضميره لأثبت له أن عزة الوفاء لا تكون بالخيانة ، وبينت له أنه إذا طلَّق زوجته من أجلي فما يصنع أكثر من أن يقيم البرهان على أنه لا يصلح لي زوجاً . ثم دَلَّلْته برفق على أن خير ما يصنع وخير ما هو صانع لارضائي أن يقلدني في الايثار وكرم النفس ويحتذيني في الخير والفضيلة ، وأن يعتقد أن دموع المظلومين هي في أعينهم دموع ، ولكنها في يد الله صواعق يضرب بها الظالم

قالت : وبهذا وبعد هذا انقلب حبه لي إكباراً وإعظاما وسما فوق أن يكون حباً كالحب ؛ وصار يجدني في ذات نفسه وفي ضميره كالتوبيخ له كلما أراد بامرأته سوءا أو حاول أن ينغص منها في نفسه . واعتاد أن يكرمها فأكرمها ، وصلحت لها نيته فاتصل بينهما

السبب ، وكبرت هذه النيةُ الطيبة فصارت ودا ، وكبر هذا الود فعاد حباً ، وقامت حياتهما على الأساس الذى وضعته أنا بيدى ، أنا بيدى ... ...

أما أنا ... ؟

* * *

وكتب فاضل من حلوان : إن له صديقا ابتلى بمثل هــذه المشكلة فركب رأسه فما ردّه شىء . عمد الزواج بحبيبته ، وزُفّ اليها كأنه ملك يدخل إلى قصر خياله ، وكأن أهله يعذلونه ويلومونه ويُخلصون له النُّصح ويجتهدون فى أمره جهدهم ، إذ يرون بأعينهم مالا يرى بعينه ، فكان النصح ينتهى اليه فيظنه غشاً وتلبيساً ، وكان اللوم يبلغه فيراه ظلماً وتحاملاً ؛ وكان قلبه يترجم له كل كلمة فى حبيبته بمعنى منها هى لا من الحقائق ، إذ غلبت على عقله فيها بعقل ، وذهبت بقلبه فيها يحس ، واستبدت بإرادته فاما ينقاد ؛ وعادت خواطره وأفكاره تدور عليها كالحواشى على العبارة المغلقة فى كتاب ؛ واستقرّت له فيها قوة من الحب أمرها إذا أرادت شيئاً أن تقول له كن ...

ثم مضت الليلة بعد الليلة وجاء اليوم بعد اليوم والموج يأخذ من الساحل الذرّة بعد الذرة والساحل لا يشعر ، إلى أن تصرمت أشهر قليلة فلم تلبث الطبيعة التى ألفت الرواية وجعلتها قبل الزواج رواية الملك والملكة ، وقصة التاج والعرش ، وحديث الدنيا وملك الدنيا ـ لم تلبث أن انتقلت على فجأة فأدارت الرواية إلى فصل السخرية ومنظر التهكم ، وكشفت عن غرضها الخفى وحلت العقدة

قال : ففرغ قلبُ المرأة من الحب وظمئ إلى السُّكر والنشوة مرة أخرى من غير هذه الزجاجة الفارغة .... وبَرَدَ قلب الرجل وكان الشيطان الذى يتسعَّر فيه ناراً ، شيطاناً خبيثاً فتحول إلى لوح من الثلج له طول وعرض . . . .

وَجدَّت الحياة وَهزَل الشيطان ، فاستحمق الرجلُ نفسه أن يكون اختار هذه المرأة له زوجة ، واستجهلت المرأةُ عقلَها أن تكون قد رضيت هذا الرجل زوجاً ، وأنكرها إنكارا أوله الملالة ، وأنكرته إنكارا آخر أوله التبرُّم ؛ وعاد كلاهما من صاحبه كانسان يكلف إنساناً أن يخلق له الأمس الذى مضى

وضربت الحياةُ ضربةً أو ضربتين فاذا أبنيةُ الخيال كلها هَدْمٌ هَدْم ، وإذا الطبيعة مؤلفةُ الرواية . . . . قد ختمت روايتهاوقوضت المسرح ، وإذا الأحلام مفسرة بالعكس ، فالحب تأويله البغض ، واللذة تفسيرها الألم ، و « البودرة » معناها الجير . . . . وتغير كل ما بينهما إلا الشيطان الذى بينهما ، فهو الذى زوّج وهو بعينه الذى طلّق . . . .

* * *

وكتب أديب من بغداد يقول : إنه كان فى هذا الموضع القَلِق موضع صاحب المشكلة ، وأن ذات قرباه التى سميت عليه كانت ملفّفَّة له فى حُجُب عِدّة لا فى حجاب واحد ، وقد وصِفتْ له باللغة . . . . وفى اللغة ما أحسنْ وما أجمل وما أظرف ، وكأنها ظبى يتلفت ، وكأنها غصن يميل ، وكأن سنَّةَ وجهها البدر !

قال : وشبهت له بكل أدوات التشبيه وجاءوا فى أوصافها بمذاهب الاستعارة والمجاز ، فأخذها قصيدة قبل أن يأخذها امرأة . وكان لم ير منها شيئاً وكانت لغة ذوى قرابته وقرابتها كلغة التجارة فى ألسنة حذّاق السماسرة ، ما بهم إلا تَنْفِيقُ السِّلعة ثم يُخَلون بين المشترى وحظّه

قال : فرسخ كلامهم فى قلبي ، فعقدت عليها ، ثم أعرست بها ونظرت فاذا هى ليست فى الكلمة الأولى ولا الأخيرة مما قالوا ولا فيما بينهما . . . . ثم تعرفت فاذا هى تكبرنى بخمس عشرة سنة . . . . . ورأيت اتضاع حالها عندى فأشفقت عليها ، وبت الليلة الأولى مقبلا على نفسى أؤامرها وأناجيها وأنظر فى أى موضع رأيى أنا . وتأملت القصة فاذا امرأة بين رحمة الله ورحمتى ، فقلت إن أنا نزعت رحمتى عنها ليُوشكنّ الله أن ينزعَ رحمته عنى ، وما بينى وبينه إلا أعمالى ؛ وقلت يانفسى : « إنها إن تكُ مِثقالَ حَبةٍ من خَرْدَلٍ فتكنْ فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأتِ بها الله » . وإنما أتقدم إلى عفو الله بآثام وذنوب وغلطات ، فلأجعل هذه المرأةُ حسنتى عنده ، وما علىّ من عمر سيمضى وتبقى منه هذه الحسنةُ خالدةً مخلّدة

إنها كانت حاجةَ النفس إلى المتاع فانقلبت حاجةً إلى الثواب ، وكانت شهوةً فرجعت حكمة ، وكنتُ أريد أن أبلغ

ماأحب فسأبلغ مايجب . ثم قلت : اللهمّ إن هذه امرأة تنتظرها ألسنةُ الناس إما بالخير إذا أمسكتها ، وإما بالشر إذا طلقتها ، وقد احتمتْ بي ؛ اللهمّ سأكفيها كلّ هذا لوجهك الكريم

قال : رأيتُني أكون ألأمَ الناس لو أني كشفتُها للناس وقلت انظروا . . . فكأنما كنت أسأتُ اليها فأقبلت أترضّاها ، وجملتُ أماسحها وأُلاينُها في القول وعدلتُ عن حظ نفسي إلى حظ نفسها[1] ، واستظهرتُ بقوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعلَ الله فيه خيراً كثيراً » ؛ واعتقدتُ الآيةَ الكريمةَ أصحّ اعتقادٍ وأتمه ، وقلت اللهمّ اجعلها من تفسيرها

قال : فلم تمض أشهر حتى ظهر الحملُ عليها ، فأاتى الله في نفسي من الفرح ما لا تعدله الدنيا بحذافيرها ، وأحسستُ لها الحبّ الذي لا يقال فيه جميل ولا قبيح لأنه من ناحية النفس الجديدة التي في نفسها (الطفل) . وجعلتُ أرى لها في قلبي كل يوم مداخلَ ومخارج دونها العشقُ في كل مداخله ومخارجه ، وصار الجنين الذي في بطنها يتلألأ نورُه عليها قبل أن يخرج إلى النور ، وأصبحت الأيام معها ربحاً من الزمن فيه الأمل الحلوُ المنتظر

قال : وجاءها المخاض ، وطرّقتْ بغلام ؛ وسمعتُ الأصوات ترتفع من حجرتها : ولد ! ولد ! فبشّروا أباه . فوالله لكأن ساعةً من ساعات الخلد وقعت في زمني أنا من دون الخلق جميعاً وجاءتني بكل نعيم الجنة . وما كان ملك العالم — لو ملكته — مستطيعاً أن يهبني ما وهبتني امرأتي من فرح تلك الساعة . إنه فرح إلهي أحسستُ بقلبي أن فيه سلام الله ورحمته وبركته . ومن يومئذ نطق لسانُ جمالها في صوت هذا الطفل . ثم جاء أخوه في العام الثاني ، ثم جاء أخوهما في العام الثالث ؛ وعرفتُ بركةَ الاحسان من اللطف الربّاني في حوادث كثيرة وتنفستْ على أنفاس الجنة وفسرت الآية الكريمة نفسها بهؤلاء الأولاد ، فكان تفسيرها الأفراح ، والأفراح ، والأفراح

* * *

ويرى صديقنا الأستاذ محمد حسين جبره ، أن صاحب المشكلة في مشكلة من رجولته لا من حبه ؛ فلو أن له ألف روح لما استطاع أن يعاشر زوجته بواحدة منها إذ هي كلها أرواح صبيانية تبكي على قطعة من الحلوى ممثلة في الحبيبة . . . . ولو عرف هذا الرجل فلسفة الحب والكره لعرف أنه يصنع دموعه بإحساسه الطفلي في هذه المشكلة ؛ ولو أدرك شيئاً لأدرك أن الفاصل بين الحبُ والكره منزوع من نفسه ، إذ الفاصل في الرجل هو الحزم الذي يوضع بين ما يجب وما لا يجب

إنه ما دام بهذه النفس الصغيرة فكل حل لمشكلته هو مشكلة جديدة ، ومثله بلاء على الزوجة والحبيبة معاً ، وكلتاهما بلاء عليه ، وهو بهذه وهذه كمحكوم عليه أن يشنق بامرأة لا عشنقة . . .

هذا عندي ليس بالرجل ولا بالطفل إلى أن يُثبت أنه أحدهما ، فان كان طفلا فمن السخرية به أن يكون متزوجاً ، وإن كان رجلا فليحل هو المشكلة بنفسه ؛ وحلُّها أيسر شيء : حلها تغييرُ حالته العقلية

* * *

ونحن نعتذر للباقين من الأدباء والفضلاء الذين لم نذكر آراءهم ، إذ كان الغرض من الاستفتاء أن نظفر بالأحوال التي تشبه هذه الحادثة لا بالآراء والمواعظ والنصائح . أما رأينا ففي البقية الآتية

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

(حاشية): تمثل في نفسي وأنا أبيض هذه المقالة أنها ستثير في نفس إحدى قارئاتها موضعاً ذا شأن وخطر ، وأن هذه القارئة ستتردد في الكتابة إلى والافضاء بمعناها . وقوى ذلك في الخاطر حتى كأنه واقع فما هو ذلك الشأن يا ترى ؟ ان سطراً صغيراً فيه شيء من حكمة الدنيا قد تكون فيه مقالات فلا يبخلن أحد على أحد الرافعي

(١) استوفينا بيان هذه المعاني في مقالة (قبح جميل) من مقالاتنا في (الرسالة)

الشاعر الأندلسي المجهول

رثاء الأندلس

وما يحتويه من العناصر واللمحات التاريخية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

نشرت (الرسالة) في الأسبوع الماضي قصيدة رائعة هي رثاء مؤثر للأندلس بقلم شاعر أندلسي مجهول ؛ ومهد لها الأديب المغربي الذي بعث بنصها إلى الرسالة بكلمة ذكر فيها أن هذه القصيدة نشرت بنصها الكامل في الجزائر لأول مرة سنة ١٩١٤ ، وأن صحيفة الزهرة التونسية نشرت منذ أعوام بعض مقاطيعها وطلبت إلى الأدباء أن يدلوا على ناظمها إذا استطاع أحدهم إلى ذلك سبيلا ، ولكن أحدا منهم لم يظفر بالجواب ؛ وأنه عرضها على مؤرخ المغرب الكبير السيد الدكالي السلاوي ، فذكر أن ناظمها ربما كان أبا جعفر بن خاتمة وهو من أدباء المرية كما يستدل من بعض أبياتها ، وأنها ربما كانت من محتويات كتابه المسمى « مزية المرية » الذي توجد منـــه نسخة مخطوطة بمكتبة الاسكوريال ؛ ويرجو الأديب المغربي في خاتمة كلمته أن يوفق أحد الأدباء المشتغلين بالأدب الأندلسي إلى معرفة ذلك الشاعر المجهول فيعلن اسمه

والحق أن القصيدة رائعـة مبكية ، وليس من ريب في أن ناظمها أديب كبير وشاعر بارع ؛ ومن حق الأدب أن يُعرف هذا الشاعر المبدع وأن تحقق سيرته ؛ بيد أننا نترك هذا البحث لمؤرخ الأدب الأندلسي في عصر السقوط ؛ وفي رأينا أن أهميـة القصيدة ليست في قيمتها الأدبية ، بل إن أهميتها ترجع بوجه خاص إلى ما تضمنته من الاشارات واللمحات التاريخية لحوادث المأساة الأندلسية ؛ وهي بهذا الاعتبار وثيقة تاريخية لها قيمتها ؛ ولهذا رأينا أن نؤثرها بتحليل عناصرها الواقعيـة ، وإيضاح ما فيها من الاشارات واللمحات التاريخية

وأول ما يجب تحقيقه هو الفترة التي وضعت فيها القصيدة ؛ وفي تعيين هذه الفترة تحقيق للعصر الذي عاش فيه الشاعر ، وللظروف والملابسات التي أحاطت به ؛ وهذه الفترة على ما يبدو من كثير من مقطوعات القصيدة هي الفترة التي تلت سقوط غرناطة مباشرة ؛ ونحن نعرف أن غرناطة سقطت في أيدي النصارى في صفر سنة ٨٩٧ هـ (ديسمبر سنة ١٤٩١) ودخلها جنود فرديناند الكاثوليكي في الثاني من ربيع الأول (٢ يناير سنة ١٤٩٢) ؛ وكانت قواعد الأندلس قد سقطت قبل ذلك كلها تباعاً في أيدي النصارى ؛ فسقطت مالقة في شعبان سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) ، ووادي آش والمنكب والمرية في أواخر سنة ٨٩٤ هـ (١٤٨٩ م) ، وبسطة في المحرم سنة ٨٩٥ (ديسمبر سنة ١٤٨٩) ، وهي آخر قاعدة أندلسية سقطت قبل غرناطة ؛ أما رندة التي يستهل الشاعر قصيدته بالاشارة اليها فقد سقطت في يد النصارى في سنة ١٤٨٥ (٨٩٠ هـ) ؛ ويبدو من أقوال الشاعر المؤسية عن رندة أنه ربما شهد سقوطها ، وأن هذا الحادث قد ترك في نفسه أثراً عميقاً يتردد بقوة في روعة استهلاله ، وهو أبدع مقطوعة في القصيدة :

أحقاً خبا من جو رُندة نورها ... وقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت ... منازلها ذات العلا وقصورها
أحقاً خليلي أن رندة أقفرت ... وأزعج عنها أهلها وعشيرها
وهدت مبانيها وثلت عروشها ... ودارت على قطب التفرق دورها

بل يلوح لنا أن الشـاعر ربما كان من أهل رندة وقت سقوطها ، وأن اشارته فيما بعد إلى المرية بقوله :

منازل آبائي الكرام ومنشئي ... وأول أوطان غـذاني َخيرها

لا يذهب إلى أكثر من أن المرية كانت موطن أسرته ومسقط رأسه ، وأنه قضى بها حداثته الأولى ، وربما كان ذلك حوالي سنة ٨٦٠ هـ ، وأنه وقت سقوط رندة كان رجلا ناضجاً يقف على مجرى الحوادث العامة وقوفاً تاماً

ولنرجع إلى الفترة التي وضعت فيها القصيدة ، فنقول إنه من المحقق مبدئياً أنها كتبت بعد سقوط غرناطة ؛ وليس هناك ما يدل على أنها كتبت لترسل إلى السلطان بايزيد الثاني العثماني كما يظن الأديب المغربي الذي تولى نشرها . ذلك أن رسـائل الاستغاثة التي وجهها زعماء الأندلس إلى السلطان بايزيد الثاني ، وإلى الأشرف قايتباي ملك مصر ، وجهت منـذ بدء الصراع

الأخير ، أعنى منذ حصار مالقة وقبل سقوطها فى سنة ٨٩٢ ﻫ (١٤٨٧ م) ؛ ولـكن الاستغاثة لم تغن شيئاً ، وسقطت قواعـد الأندلس تباعاً فى يد النصـارى على النحو الذى فصلنا [١]

ولما اشتد النصارى فى معاملة المسلمين بعد سقوط غرناطة ؛ وأرغموهم على التنصر ، وعصفت بهم محاكم التحقيق (محاكم التفتيش) ، كتب بعض كبرائهم إلى بايزيد الثانى فى أواخر عهده يستغيث به ، وذلك حوالى سـنة ١٥٠٥ م ، أعنى بعد سقوط غرناطة بنحو أربعة عشر عاماً ، وقد استطال عهد بايزيد الثانى حتى وفاته فى سنة ١٥١٢ م ؛ وقد نقل الينا المقرى هذه الرسالة فى كتابه « أزهار الرياض[٢] » ونقل الينا معها شعرا مؤثراً يصف به صاحب الرسالة عسف محاكم التحقيق ، ويبدو من أسلوب هذه الرسالة والشعر كيف انحدرت اللغة العربيـة وآدابها فى الأندلس فى تلك الفترة بسرعة مدهشـة ، وكيف استطاعت السياسة الاسبانية فى مدى قصير أن تخمد جذوة الشعر والأدب

أما القصيدة التى نحن بشأنها فيبدو أنها كتبت قبـل ذلك بحين ، والمرجح أنها كتبت فى سنة ٩٠٤ أو ٩٠٥ ﻫ (سـنة ١٥٠٠ م) . ولنا على ذلك أدلة عديدة ، منها قوة القصيدة وروعتها مما يدل على أنها كتبت عقب الفاجعـة بأعوام قلائل قبل أن يخف وقعها فى النفوس ، وقبل أن تحدث السياسة الاسـبانية أثرها فى قتل اللغة العربية ؛ ومنها الترتيب التاريخى الذى اتبعه الشاعر ، فهو يورد الحوادث تباعا بترتيبها التاريخى ، إذا استثنينا اشارته إلى غرناطة ؛ وبيان ذلك أنه يبدأ بالاشارة إلى سقوط رندة ، وقد كانت أول قاعدة سقطت فى أيدى النصارى سـنة ٨٩٠ ﻫ (١٤٨٥م) كما قدمنا ؛ ثم يتبعها بالاشارة إلى سقوط مالقة فى قوله

فمالقة الحسناء ثكلى أسيفة ... قد استفرغت ذبحا وقتلا جحورها

وجزت نواصيها وشلت يمينها ... وبدل بالويل المبـين سرورها

وقد كانت الغربيـة الجنن التى ... تقيها فأضحى جنة الحرب سورها

وفى هذا البيت الأخير إشارة فطنة إلى موقع مالقة ومناعتها وكونها كانت حصن الأندلس من النوب ، فلما سقطت سقطت قواعدها فى يد العدو تباعا ؛ ويشير الشاعر بعد ذلك إلى سقوط بلّش مالقة (Velez Malaga) فى قوله :

وبلّش قطت رجلها بيمينها ... ومن سريان الداء بان قطورها

وضحّت على تلك الثنيات جحرها ... فأقفر مغناها وطاشـت حجورها

وكان سقوط بلش وهى حصن مالقة من الشمال الشرق فى جمادى الأولى سنة ٨٩٢ ﻫ (ابريل سنة ١٤٨٧ م) وعلى أثر سقوطها حاصر النصارى مالقة واستولوا عليها فى شعبان من هذه السنة (أغسطس سنة ١٤٨٧)

ولما استولى النصارى على مالقـة أخذت ثغور الأندلس وقواعدها الباقية تسقط تباعا فى يد النصارى فسقطت المرية والمنكب فى أواخر (سنة ٨٩٤ ﻫ — ١٤٨٩ م) ، وسقطت بسطة فى المحرم سنة ٨٩٥ ﻫ (ديسمبر ١٤٨٩ م) ؛ ثم استولى النصارى على وادى آش قاعدة مولاى عبد الله (الزغل) فى صفر من تلك السنة (يناير ١٤٩٠ م) ؛ ويشير الشاعر إلى هـذه الوقائع بعد ذلك فى قوله :

وبالله إن جئت المنكب فاعتبر ... فقد خف ناديها وجف نضيرها

وقد رجفت وادى الأشى فبقاعها ... سكارى وما استاكت بخمر ثغورها

. . . .

وبسطة ذات البسط ما شمرت بها ... دهاها وأنى يسـتقيم شمورها

. . . .

وما أنس لا أنس المرية إنها ... قتيـلة أوجال أزيل عذارها

ولم يبق بعد سقوط هـذه القواعد فى يد المسلمين سوى غرناطة ، وقد سقطت فى يد العدو فى صفر سنة ٨٩٧ ﻫ (ديسمبر سنة ١٤٩١ م) ؛ وإلى ذلك يشير الشاعر خلال ما تقدم :

ألا ولتقف ركب الأسى بمعالم ... قد ارتج باديها وضج حضورها

بدار العـلى حيث الصفات كأنها ... من الخلد والمأوى غدت تستطيرها

محل قرار الملك غرناطة التى ... هى الحضرة العليا زهتها زهورها

---

(١) راجع تفاصيل هذه الحوادث والراسـلات المؤثرة فى كتابى «مصر الاسلامية» ص ١٣٤ وما بعدها والمراجع

(٢) أزهار الرياض (طبع تونس) ص ٥٩ — ٦١.

ترى الأسى أعلامها وهي خشع ومنبرها مستعبر وسريرها
ومأمومها ساهي الحجى وإمامها وزائرها في مأتم ومزورها

فهذا الترتيب التاريخي الدقيق الذي انبعه الشاعر في قصيدته ، وروعة نظامه ، وما يبدو خلال قصيدته من عميق تأثره بالحوادث التي يصفها ، مما يدلي بحداثة عهده بالمأساة حين وضع رثاءه المفجع ؛ بيد أن هنالك أيضاً في قصيدته ما يكاد يعين هذا العهد في نظرنا وهو قوله :

وجاءت إلى استئصال شأفة ديننا جيوش كموج البحر هبت دبورها
علامات أخذ مالنا قبل بها جنايات أخذ قد جناها مثيرها
فلا تنمحى إلا بمحو أصولها ولا تنجلي حتى تخط أسورها
معاشر أهل الدين هبوا لصعقة وصاعقة وارى الجسوم ظهورها
أصابت منار الدين فانهد ركنه وزعزع من أ كنافه مستطيرها

فهذه الاشارات تنصرف في نظرنا إلى أول محاولة قام بها الاسبان لتنصير المسلمين ، ونقض عهودهم التي قطعوها لهم عند تسليم غرناطة باحترام دينهم وشرائعهم ، وتأمين أشخاصهم وأعراضهم وأموالهم وحرياتهم . وكان ذلك سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩ م) حينما قرر مجلس الدولة أن يفرض التنصير على المسلمين ، وذلك لأعوام قلائل فقط من سقوط غرناطة . بل يلوح لنا أن الشاعر يشير بقوله :

ألا واستمدوا للجهاد عزائما يلوح على ليل الوغى مستنيرها
بأسد على جرد من الخيل سبق يدعُ الأعادي سبقها وزئيرها
بأنفس صدق موقنات بأنها
إلى الله من تحت السيوف مصيرها

إلى الثورة التي حاولت بعض المناطق الاسلامية أن تقوم بها مقاومة لقرار التنصير ؛ ويلاحظ هنا أن الشاعر يقف عند هذه الواقعة في الاشارة إلى الحوادث التاريخية مما يدل على أنها آخر حادث أدركه وقت نظم مرثيته ؛ فاذا صح الاستنتاج الذي سقناه على النحو المتقدم ، فانا نستطيع أن نقول إن الشاعر وضع مرثيته كما قدمنا حوالي سنة ٩٠٤ أو ٩٠٥ هـ (نحو سنة ١٥٠٠ م)

هذا ومما يلاحظ أيضاً أن الشاعر قد تأثر في مواطن كثيرة من قصيدته بالقصيدة الطائرة الصيت التي نظمها سلفه ومواطنه أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس ، وأنه استمد منه بعض الوحي والمعنى ؛ فقوله مثلاً :

فوا حسرتا كم من مساجد حولت
وكانت الى البيت الحرام شطورها
ووا أسفا كم من صوامع أوحشت
وقد كان معتاد الأذان يزورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى وآياتها تشكو الفراق وسورها

مستمد من قول أبي البقاء في مرثيته :

حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان

وقوله :

وكم طفلة حسناء فيها مصونة
إذا أسفرت يسبي العقول سفورها
تميل كغصن البان مالت به الصبا وقد زانها ديباجها وحريرها
فأضحت بأيدي الكافرين رهينة وقد هتكت بالرغم منها ستورها

مستمد من قول أبي البقاء :

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيران

وهكذا في مواطن أخرى . بيد أن شاعرنا يفيض في نظمه وفي تصويره قوة وطرافة ، وليس من ريب أن مرثيته المفجعة من أبلغ وأروع ما رثيت به دولة الاسلام في الأندلس

محمد عبد الله عنان

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

— ١ —

لن يدور بخلدك أيها القارىء أن بستور ترك اسمه للنسيان، وشهرته للنقصان، أثناء الزوابع التى أثارها كوخ فى الدنيا وهو يثبت أن المكروب يقتل الناس. وكيف يجوز هذا على بستور وفى عوده ما نعلم من صلابة، وفى أنفه لتصيّد المكروب ما فى أنف الكلب، وفى نفسه ما فى نفس الشاعر من الحس والخيال؛ وهو فوق ذلك ربّ الدعاية الذى يعرف كيف يأتى الجماهير فيشدههم فيتركهم صرعى حيارى مما رأوا أو سمعوا؟

فى أواخر العقد الثامن من القرن الماضى — وكان كوخ قد اكتشف بذور داء الجمرة فأدهش الأطباء وأفزع وأبدع — قام بستور ينفى بهزة من كتفه، وكلمة من أنفه، وتلويحة من يده، ما تمخضت عنه تجارب الأطباء ألوف السنين. يالها صفاقة من كيميائى! وحكاية ذلك أنه جاءت فترة من الزمان صارت فيها مستشفيات الولادة بباريس مخابىء للوباء، تدخلها الأمهات يملؤهن الأمل ويحدوهن الرجاء، ولكن القدر الصائد الخبىء فيها كان يختطف منهن أما من كل تسع عشرة، تذهب بها حُمّى النِّفاس تاركة ولدها يلقى الحياة بغير حب الوالدات. وماتت عشر نسوة متتابعات فى مستشفى واحد فأسماه الناس «بيت الاجرام»، وارتاع النساء فلم يثقن بالأطباء حتى أغلاهم أجوراً، وبلغت بهن الريبة فأخذن يقاطعن المستشفيات، وخشى كثيرات منهن مواجهة مخاطر الحمل فرغبن بحق عن النسل، والأطباء أنفسهم فزعوا وافتضحوا بمرأى رُسل الموت قائمة هكذا على أبواب الحياة وهى تولد. وذات يوم اجتمعت أكاديمية الطب بباريس، وقام فيها طبيب شهير يخطب ويجلجل فى أسباب حمى النفاس — وهو وأسفاه يجهلها كل الجهل — وامتلأ خطابه الرنان بكثير من الكلمات الأغريقية الطويلة، وكثير من الألفاظ اللاتينية الفخمة، وبينا هو فى إحدى جمله الطنانة قاطعه صوت كالرعد جاء من مقاعد البهو الأخيرة. قال صاحب الصوت: «إن الذى يقتل النساء بحمى النفاس ليس الذى تقول، ولا شيئاً يشبه الذى تقول. إن الذى يقتلهن أنتم أيها الأطباء، فأنتم الذين تحملون المكروبات القتالة من المرأة المريضة إلى الأخرى الصحيحة...!» وما كان صاحب الصوت إلا بستور، وكان قد قام عن مقعده، وكانت عيناه تتطاير شرراً

قال الخطيب: «قد تكون على صواب، ولكن أكبر ظنى أنك لن تجد هذا المكروب ابداً...» وأراد أن يعاود خطابته المقطوعة، ولكن بستوركان فى هذه اللحظة قد اخترق الصفوف ومشى إلى المنبر يجر وراءه رجله، وقد كانت شُلّت بعض الشلل. ولما بلغ السبورة أمسك بعنف قطعة من الطباشير وصاح فى الخطيب وهو فى ضيقه، وفى أعضاء المجمع وهم فى دهشة مما جرى، قال: «أنت تقول إنى لن أجد هذا المكروب. أيها الرجل، إنى وجدته، وشكله هكذا!» ورسم بستور على السبورة سلسلة من دوائر صغيرة، فانفض الاجتماع فى اختلاط كالعقد انقطع نظامه

كان بستور قارب الستين من عمره، ولكن كان لا يزال به عنف الخامسة والعشرين وتهوّرها، وكان كيميائياً، واختص فى تخمير سكر البنجر، وعلّم الخمّارين كيف يدفعون الفساد عن خمورهم، وترك هذا العمل فجأة وأخذ فى تخليص دودة القز مما اعتراها، وقام فى فرنسا بالدعاية إلى تحسين البيرة الفرنسية وفعلاً تحسنت عما كانت، وقضى تلك السنين الطويلة يشتد على نفسه فى العمل فأنجز فيها ما يستنفد أعمار عشرة رجال، ولكنه ظل يحلم دائماً طوال هذه السنين بالمكروبات وبأمل اصطيادها، لأنه علم علم اليقين أنها سبب مصائب الانسان ومنشأ أمراضه الخبيثة

ولكنه استيقظ يوماً فوجد كوخا سبقه إلى ما أمّل فحلّ العقدة التى رجا هو أن يحلّها. وإذن تحتم عليه أن ينهض لكوخ هذا وأن يلحق به. وكأنى به يتمتم لنفسه فيقول: «وعلى كل حال فالمكروبات من بعض الوجهات من متاعى وحق،

وأنا أول من أبان خطرها منذ عشرين عاماً لما كان كوخ طفلاً صغيراً . . . . »

على أن لحاق بستور بكوخ قامت دونه عقبات . منها أن بستور لم يجس نبضاً قط ، ولم يقل قط لرجل مصفور [١] أخرجْ لسانك . ولقد يشك في قدرته على تمييز الرئة من الكبد . ومن المؤكد أن يده لم تكن تعرف كيف تأخذ بالمشرط . أما تلك المستشفيات القاسيات فبعداً لها وسحقا ، فقد كانت روائحها تبعث الألم في قرارة معدته ، وكانت أصوات مرضاها وأناتهم تخرج من حجراتها إلى دهاليزها القذرة فيألم لها صاحبنا فيَهُمّ بسدّ أذنيه ويفر منها هارباً . على أن بستور لم يلبث أن تخطى هذه العقبات وذلّل هذه الصعوبات . فهذا كان دائماً دأب هذا الرجل الذي لا يغلب ، إذا قامت في سبيله صخرة فلم يستطع أن يقفز من فوقها دار من حولها . فاتخذ لنفسه أعواناً ثلاثة من الأطباء فبدأ أولاً بالطبيب جوبرت Joubert ثم بالطبيبين رو Roux وشمبرلاند Chamberland وكانوا أحداثاً صغاراً . وكانوا في آرائهم أحراراً ، بل بلاشفة ثائرين على الطب القديم وتعاليمه السخيفة . وجلسوا في المجمع الطبي يستمعون لمحاضرات بستور ، وكانت مما يزهد عامة الأطباء فيه ، ولكن هؤلاء الثلاثة كانوا ينصتون ويغتبطون معجبين ببستور عابدين مؤمنين بكل نبوءة يتنبأ بها من كل وباء فتاك يثيره كل خبيث دقيق يخفى على البصر من الأحياء . تفضل بستور ففتح لهذا الثالوث أبواب معمله ، فعلموه عوضاً من هذا تركيب جسم الحيوانات وكيف تعمل وتحيا ، وعرّفوه المحقن فأبانوا له الفرق بين إبرته وكابسته ، وأقنعوه بأن الحيوانات مثل الأرانب والخنازير الغينية لا تكاد تحس إبرة المحقن وهي تضرب في جلدها ، وكان رجلا يسوؤه أن يرى الألم أو أن يفعله . وعقدوا الخناصر فيما بينهم على أن يكونوا لوليهم هذا عبيداً طائعين ، وأن يكونوا لهذا العلم الجديد رسلاً مبشرين

إن صيد المكروب ليس له سبيل واحدة يقال لها هذه ، وهذه فحسب . وتلك حقيقة لا مراء فيها . ودليلنا عليها السبيلان اللتان اتخذهما كوخ وبستور لنفسيهما ، فقد اختلفا اختلافاً بيناً على الرغم من اتفاق الغاية التي قصدا إليها . أما كوخ فكان يطبق المنطق في برود قاتل ، حتى لكأنه كتاب هندسة في يد طالب — فقد بحث بَشِلة السل بتجاريب غاية في التنظيم ، وخال عنها كل الاعتراضات التي يخالها الشكاكون الناقدون ، وذلك قبل أن يعلم هؤلاء بوجود شيء ينقد . وكان كوخ ينشط إلى ذكر خيباته كما ينشط إلى ذكر فوزاته ، وبمقدار واحد لا يزيد في هذه على تلك أبداً . فقد كان له إحساس بالعدل غير إنسي . وكان ينظر إلى كشوفه نظرة الناقد المتغالي حتى لكأنها لغيره . أما بستور فقد كانت في قلبه شهوة على البحث متقدة ، فكانت تخرج من رأسه النظريات الصائبة تتلوها أخواتها الخاطئة في تتابع سريع كأنها صوارخ النيران انطلقت في مهرجان ، ولكن في قرية ، فخرجت على غير عمد وفي غير نظام

بدأ بستور يبحث عن مكروبات الأمراض فثقب دملا في عنق أحد أعوانه وربّى مما أخرج منه جرثومة ؛ وما أسرع ما أيقن أنها أصل الدمامل وسببها . وبغتة ترك ما هو قائم فيه من ذلك وهرع إلى مستشفى فوجد مكروبه المتسلسل في أجسام النسوة وهي تموت ، فما أسرع ما قال إنه مكروب حمى النِّفاس ! ومن المستشفى طار الى الريف ليكتشف أن دود الأرض يحمل بشلة داء الجمرة من جثث الأبقار الوبيئة المدفونة في باطن الأرض ويخرج بها إلى ظهرها ، ثم هو لا يثبت كشفه هذا إثباتاً كاملا . كان بستور عبقرياً في العباقرة ، غريباً يحس بحاجة دفّاعة إلى القيام بعشرة الأمور في آن واحد ، ولا يحتفل بمقدار الدقة التي ينجزها بها فهي قد تنقص وقد تزيد ، كل هذا ليكشف عن تلك الذرة من الحقيقة التي تتراءى في أكثر أعماله

خبط بستور في كل أرض ، وهب مع كل ريح ، وليس بعسير عليك أن تدرك في كثرة خبطاته وتنوع هباته أنه كان يتلمس طريقاً تؤدي به إلى سبق كوخ والتفوّق عليه . أثبت كوخ في وضوح جميل أن الجراثيم تحدث الأمراض ؛ لا شك في هذا . ولكن ليس هذا كل شيء . ليس هذا الاثبات أهم شيء . فأهم منه اكتشاف طريقة تمنع هذه الجراثيم من قتل الناس ؛ أهم منه حماية الانسان من الموت . وفي سبيل هذا ظل بستور يخبط طويلا على غير هدى . قال رو Roux يصف تلك الفترة من حياة بستور بعد أن فات زمان طويل : « أي تجربة سخيفة لم نبتكر !

(١) صفر الرجل بالبناء للمجهول اجتمع في بطنه الصفار أي الصفراء فهو مصفور

أى تجربة مستحيلة لم نتخيل ! ثم يصبح الصباح فنضحك من أنفسنا من جرائها ملء أفواهنا طويلا . »

لابد لفهم بستور من تفهم أخطائه وانهزاماته بمثل ما نتفهم إصاباته وانتصاراته . لم يكن لبستور صبر كوخ ولم تكن له دقته ، فلم يهتد إلى ما اهتدى إليه كوخ من تربيـة الميكروبات نقية . فذات يوم أغلى بستور بولا فى قبابة وزرع فيها بشلات الجمرة ثم نظر اليه بعد ذلك فساءه وغاظه أن وجد به ميكروبات دخيـلة جاءته من الهواء . وفى الصباح التالى نظر إليه مرة أخرى فلم يجد به من مكروبات الجمرة شيئاً . لقد ذهبت بها جميعاً مكروبات الهواء ! وعندئذ يقفز بستور قفزة بارعة إلى الفكرة الآتية : « حيث أن مكروبات الهواء المسالمة استطاعت أن تخنق بشلات الجمرة التى فى القبابة فلا شك أنها فاعلة ذلك فى الأجسام . والظاهرة واضحة : مكروب يأ كل مكروبا » . وما أسرع ماصاح بذلك فى الناس ! وما أسرع ما كلف عونيـه رو Roux وشمبرلاند Chamberland باجراء تجربة بديعة فى الخيال مؤداها حقن مكروب الجمرة فى خنازير غينية ثم إتباعها بحقن مكروبات هادئة مسالمة رجاء أن تطارد فى الدم تلك المكروبات الثائرة اللعينة فتقتلها وتزدردها ازدراداً . وأعلن بستور فى جِدّ عابس قال : « إن هذه التجربة قد يكون من ورائها انفتاح الأبواب لعلاج الأمراض وشفائها » . وهذا آخر ما تسمع منه عن هـذه التجربة التى أثارت كل هذا الأمل الهائل . فهكذا كان بستور يخفى إخفاقاته عن العلماء فيحرمهم من درسها ، وقد يكون فى درسهم إياها الاصلاح والنجاح

غير أنه لم يمض قليل من الزمن حتى كلفته أكاديمية العلوم أمراً غريباً وبعثته إنابة عنها رسولا ، وفى أداء هذا الأمر وإنجاز هذه الرسالة عثر بستور غير عامد على حقيـقة أنارت له السبيل فاهتدى على نورها إلى طريقة يؤنّس بها شوارد الميكروبات فتنقلب من بعد عدائها للانسان أمناً عليـه وسلاماً . نعم وقع على هذه الحقيقة فأخذ بناء عليها يخط الخطط ويحلم الأحلام ، فيجد نفسه قد أثار المكروب الحىّ بعضه على بعضه ، وبث فيه الخصام فأباد نفسه بنفسه ، فنجا الحيوان والانسان من الموت ، وكفى الله المؤمنين القتال . وقصة ذلك أنه شاع فى ذلك الوقت أن بيطريا اسمه لوفرييه Louvrire اكتشف علاجاً لداء الجمرة ، وذلك فى جبال الجور Jura بشرق فرنسا . وذاع أمر هذا العلاج واشتهر . وشهد أعيان الناحية بأن مئات الأبقار شُفيت به وهى على باب الموت ، وإذن آن أوان العلم أن يقرّ هذا العلاج الجديد

— ٢ —

وبلغ بستور تلك الناحية من جبال الجورا ، وصحبه أعوانه الشباب فوجدوا أن هذا العلاج المعجز يتلخص أولا فى أن يقوم نفر من الفلاحين بدعك البقرة المريضـة دعكا شديدا لتحتر مااستطاعت إلى الاحترار سبيلا ، ثم يشرط جلد البهيمة المسكينة شرطا ، ويُصب زيت التربنتينة على هذه الشروط صبّا . وبعد التمثيل بها هذا التمثيل الشنيع يُغطّى جسمها إلى رأسها بطبقة سميكة من مادة لا نذكرها تأدباً ، وذلك بعـد نقيعها فى الخل الساخن ، وتظل البقرة تصعق بالخُوار شديداً من الألم ولا سامع ولا راحم . أما وقد تم كل هـذا ، وقد ودّت البائسة المعذبة لو تموت ، فيغطى جسمها أجمع بثوب شامل ليستبقى هذا الرهم الغريب عليها زمناً مقدوراً

قال بستور للوفرييه : « إن البقر الذى تصيبه الجمرة لايموت كله بل يُشفى بعضه من ذات نفسه . وعندى تجربة لا أرى عدّلا لها ترينا هل حقا علاجك هو سبب خلاص هذه الأبقار . فهيّا بنا ياعزيزى نجرّب »

وأحضر لها أربع بقرات ، وقام بستور فى حضرة لوفرييه وبشهود وفد عليـه سيما الجد من المزارعين ، فطمن الأبقار فى أكتافها أربع طعنات من محقنه بعد أن ملأه بزريمة من مكروبات الجمرة ، فانساب فى أجسامها مقدار يقتل الشاة الواحدة بالتحقيق ويقتل من الخنازير الغينيـة عشرات . وفى الغد عاد بستور ولوفرييه ووفد المزارعين فوجدوا الأبقار جميعاً قد علت أكتافها أورام حادة محمومة ، وهى تتنفس شخيراً . فلم يعد شك فى أنها فى إبان مرضها

قال بستور لصاحبـه : « والآن يا دكتور ، تقدم فاختر بنفسك بقرتين من هذه الأربع المريضة . ولنسمها ا ، ب نخذهما وعالجهما على نحو ما تفعل . أما هاتان البقرتان الأخريان حـ ، ء فدعهما بلا علاج » وقام لوفرييه على البقرتين البائستين يصب عليهما النقمة التى تدعى علاجا . فـكانت النتيجة ضربة قاضـية

على العلاج وعلى صاحبه الذى أحسن النيـة وقصد الخير ـ ذلك إن إحدى البقرتين اللتين عولجتا ماتت وسلمت الأخرى ، وإحدى البقرتين اللتين لم تعالجا ماتت وسلمت الأخرى

قال بستور لصاحبه : « حتى هذه التجربة كان فى إمكانها أن تخدعنا ، فلو أنك أعطيت دواءك للبقرتين ا ، ى بدلا من ا ، ب وحدث الذى حدث ، إذن لظننا أنك وقعت للجمرة على خير علاج »

مات فى التجربة بقرتان ، وسلمت فيها بقرتان وشُفيتا لـكن بعد أن عانت من الداء الأمرّ . ففكر بستور فيما هو صانع بهما ، قال : « أظن أنه لا بأس من حقنهما مرة أخرى بنسـل من مكروب الجمرة أخبث من الأول . إن عندى فى باريس نسلا شديد الفتك لو أنه حقن فى كَرْكَدَن Rhinoceros لسود ليلته وأفسد عليه نومته » وبعث بستور فى طلبه من باريس فلما جاء حقن منه قطرات فى كتف البقرتين ، واصطبر ينتظر مرضهما فلم يعرضا ، حتى الورم لم يحصـل حيث ضرب بإبرة المحقن من كتفيهما . وبقيت البقرتان سليمتين هنيئتين ولم تحفلا بالذى كان !

فقفز بستور إلى إحدى استنتاجاته السريعة ، قال : « إن البقرة التى تُصاب بالجمرة ثم تُشفى لا تأتيها الجمرة مرة أخرى ولو حقنت بما على ظهر البسيطة من مكروب هذا الداء ـ إنها إذن تصـبح حصينة » . وأخذت هذه الفكرة تدور بفكره ثم تدور ، يلعب بها وتلعب به فلم تسـمع أذنه ما ألفت زوجه عليـه من سؤال ، ولم تر عينه ما وقعت عليه من الأشـياء . « كيف أستطيع أن أعطى الحيوان شيئاً قليلا من مرض الجمرة ، شيئاً يعطيه الداء ولا يقتله ، ولـكن يتركه من بعد ذلك حصينا ... كيف السبيل إلى ذلك ... لا بد من سبيل ... لا بد أنى واجده »

ومضت أشهر وبستور على هذه الحال . وكان يقول لرو ولشمبرلاند « أى سر فى الدنيا أشد خفاء من أن المرض الخبيث إذا زار مرة وارتحـل ، فلن يعود مرة أخرى » وبقى يردد بين شفتيه : « لا بد من الحصانة لا بد أن نحصن من المكروب ... لا بد ... لابد . »

(يتبع) أحمد زكى

الاشتراك المجانى فى الرسالة

لدخولها فى سنتها الرابعة

(١) ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٦ إلى ٣١ منه سيكون الاشتراك فى الرسالة على النحو الآتى :

قرش	
٥٠	فى مصر والسودان
٤٠	لطلاب العلم ولرجال التعليم الالزامى
٦٠	فى البلاد العربية بالبريد العادى
٥٠	لطلاب العلم فى البلاد العربية بالبريد العادى

(٢) إذا دُفع الاشتراك المخفض فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ أُهدى إلى المشترك مجموعة من السنة الثالثة ثمنها ستون قرشاً مصرياً . وأجرة البريد على المشترك ، وقدرها خمسة قروش فى الداخل ، وعشرة قروش فى الخارج

(٣) إذا دُفع الاشتراك الكامل فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ وقدره ستون قرشاً فى مصر ، وثمانون فى البلاد العربية ، أُهدى إلى المشترك نسخة من كتاب (ضحى الاسلام) أو (فجر الاسلام) للأستاذ أحمد أمين ، أو من كتاب (وحى القلم) للأستاذ الرافعى ، أو من كتاب (تاريخ الأدب العربى) للأستاذ الزيات ؛ أو كتابان يختاران من الكتب الآتية : آلام فرتر ، رفائيل ، فى أصول الأدب ، للاستاذ الزيات ؛ قصة المكروب ، مرجريت ، للدكتور أحمد زكى ؛ مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، قصص اجتماعية ، للأستاذ عنان وأجرة البريد مسجلا على المشترك وقدرها عشرة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٤) يقبل الاشتراك الكامل والمخفض أقساطاً من طلاب العلم ورجال التعليم الالزامى ، ولا يقل القسط عن عشرة قروش ولا تعطى الهدية إلا مع القسط الأخير

نظرية النسبية الخصوصية

المقال الثاني

وحدة قوانين الطبيعة والبعد الرابع فى النسبية

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ٥ —

إنه من غير الممكن التوفيق فى نظام غاليلى [1] « نسبة لغاليليو العالم الفلكى الايطالى » بين سنة النسبية الكلاسيكية ومبدأ انتشار النور بسرعة ثابتة إلاّ برد مبدأى إطلاق الزمان والمكان والرجوع بهما إلى هيئات القياس ، أعنى إلى مبدأ نسبتهما إلى الهيئة التى تقاسان بالنسبة لها . فاذا فرضنا نظاماً مادياً مثل « ع » ومن نقطة مثل « م » فيها لنفرض أن شماعة ضوئية مثل « ص » صدرت ، فستكون سرعة هذه الاشارة الضوئية واحدة فى كل الاتجاهات . فاذا فرضنا أن هذه الاشارة الضوئية حدثت فى زمان مثل « ت » وكان مرموزاً لسرعة الضوء بالرمز « ج » فهذه الشماعة ستتبع القانون الآتى :

$$ك^{2} + ى^{2} + ز^{2} - ج^{2} ت^{2} = م$$

لننتقل إلى نهاية امتداد نظامها ، وهنا الرموز ك ، ى ، ز تمثل ثلاث حوادث حدثت فى الكون « ع » فاذا فرضنا نظاماً مادياً آخر مثل « $ع_{1}$ » متعامدة على النظام الأول وتتحرك حركة نسبية إزاءها فان الدستور أو القانون الدال على الحادثات يتغير من الأول إلى آخر هو :

$$ك_{1}^{2} + ى_{1}^{2} + ز_{1}^{2} - ج^{2} ت_{1}^{2} = م$$

وفى هذا القانون يكون الرمز « $ت_{1}$ » لأوان الزمن الذى بدا فيه انتشار الشماعة الضوئية والمقادير

$$ك ، ى ، ز ، ت ؛ ك_{1} ، ى_{1} ، ز_{1} ، ت_{1}$$

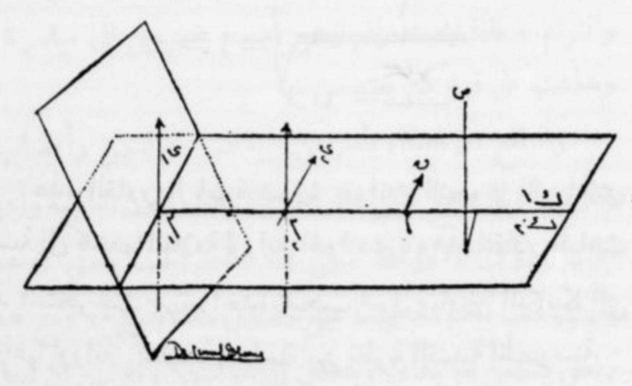
لما كانت ظواهر مستمدة من الاشارات الضوئية حدثت فى الكون « ع » كان معنا المعادلة :

$$ك^{2} + ى^{2} + ز^{2} - ن_{2} ت_{2} = ا (ك_{1}^{2} + ى_{1}^{2} + ز_{1}^{2} - ج^{2} ت_{1}^{2}) = م$$

وهنا « ا » رمز لسنة التقلص ، ولما كان خط الانتقال من النظام « ع » إلى « $ع_{1}$ » لا يؤثر فى الحادثات لثبوت قوانين الطبيعة كانت القوانين الطبيعية فى النظام « ع » هى القوانين التى بالنظام « $ع_{1}$ » ؛ واستناداً الى ما تقدم نقرر أن : ا = ١ فيكون القانون الدال على حركة انتقال الشماعة من « م » إلى نهاية امتداد حد النظام بالنسبة للنظام المادى « ع » هو نفس القانون الدال على الانتقال بالنسبة للنظام المادى « $ع_{1}$ » وينشأ بذلك معنا المعادلة الآتية :

$$ك^{2} + ى^{2} + ز^{2} - ن^{2} ت^{2} = ك_{1}^{2} + ى_{1}^{2} + ز_{1}^{2} - ن^{2} ت_{1}^{2}$$

لأن سرعة النور تنتشر بسرعة ثابتة فى جميع الاتجاهات



شكل « ٢ »

النظام الفاليلى ودساتير لورانتز

Grossmann « Marcel » und Einstein « Acbert ». (Kovarianz-eigens-chaften der Feldgleichungen der Graixtationsthearie) Zeitchrift für Mathematik und Pheyeik. 63 (1914), p. 215.

und.

Edham « I. K. » Mathematik und Phyeik. , Leipzig. 1934. p. 123.

---

(١) النظام الفاليلى هو النظام الذى تسيطر عليه معادلات التحويل الفاليلية ، فاذا فرضنا الحادثات « ك ، ى ، ز » حدثت فى عالم مثل « ع » وحادثات تقابلها « $ك_{1}$ ، $ى_{1}$ ، $ز_{1}$ » حدثت فى عالم آخر مثل « $ع_{1}$ » ثم إذا فرضنا أن خط الانتقال منطبق على محور العالم وأن الحادثات أخذت تنتقل من عالمها إلى الآخر فى الأوان « ت » بسرعة معينة لنرمز لها بالرمز « س » كان

$ز_{1} = ز$ ؛ $ى_{1} = ى$ ؛ $ك_{1} = ز_{1} - س ت$ (راجع Eneyklopaedie der Mathematik und Physik. vôl 13. P. 66. 1922 — 1929

وإذا ما فرضنا أن فى النظام « ع » المادى المحاور :

م١ ك١ ، م١ ى١ ، م١ ز١

موازية للمحاور م٢ ك٢ ، م٢ ى٢ ، م٢ ز٢ فى النظام « ع١ » وفرضنا أن المحورين « م١ ك١ » و « م٢ ك٢ » موازيان لاستقامة السرعة النسبية « س » فبالنسبة لراصد مثل « ص » يرصد الحادثات ك ، ى ، ز فى النظام « ع » والحادثات ك١ ، ى١ ، ز١ فى النظام « ع١ » إن حدثت فى الزمان « ت٢ » حوادث النظام « ع١ » وفى الزمان « ت١ » حوادث النظام « ع » فلتحقيق المساواة العليا يجب أن يتحقق أن :

ك٢ = ف (ك١ — س ت١)

ى٢ = ى١

ز٢ = ز١

ت٢ = ف (ت١ — (س ك١) / ض٢)

و

ك١ = ف (ك٢ + س ت٢)

ى١ = ى٢

ز١ = ز٢

ت١ = ف (ت٢ + (س ك٢) / ض٢)

حيث كان فيها ف رمزاً لقانون التقلص أعنى أن

ف = ١ = ١ / √(١ — س٢ / ض٢)

هذه المقادير الرياضية شهيرة بقوانين التحويل اللورانتزى نسبة إلى كاشفها العلامة لورانتز الهولندى ، وهذه المقادير مادامت قد استخرجت مرة واحدة فيجب قبول مبادئ الميكانيكا التى أذاعها لورانتز كنتيجة مسلسلة من نظرية النسبية الخصوصية

— ٦ —

أوضحنا فيما سبق أن أفكار اينشتين فى النسبية الخصوصية تقوم على أساسين :

الأول : انتشار الضوء بسرعة ثابتة فى الأكوان المختلفة أعنى أن الأمواج النورية ليست تتبع مصادرها من حيث الحركة والسرعة ، فبمجرد انطلاق موجة نور من منبعها تستقل عن مصدرها وتنتشر خلال الفضاء وفى رحاب المكان بحركة منظمة ذات سرعة ثابتة

الثانى : الحوادث التى تقع داخل أكوان تتحرك بازاء بعضها تنظم من حدوثها قوانين طبيعية تكون فى جميع أطوارها ثابتة لا تتغير

والمبدأ الثانى نتيجة للأول . ومن هذين المبدأين يستنتج أينشتين القاعدتين الآتيتين :

الأولى : أن سرعة النور لها مقدار ثابت لا يتغير

الثانية : ينظم من حدوث الحوادث التى تقع فى أكوان تتحرك بازاء بعضها حين انتقالها من كون إلى آخر قوانين التحويل التى كشف عنها العلامة لورانتز Lorentz

وبذلك تحافظ معادلات المجال الالكترومغناطيسى على صيغتها التقدمية بينما قوانين غاليليو [1] تتغير من هذه الصيغة إن قوانين [2] لورانتز لا تتفق مع قوانين غاليليو ، ذلك لأن الثانية تقوم على مبدأ اطلاق الزمان فى الوقت الذى تقوم فيه قوانين لورانتز على مبدأ نسبية الزمان ، ومن بين قوانين لورانتز وغاليليو تكونت تجربة « ميكلصون — مورلى »

كان من المنتظر أن تعطى تجربة « ميكلصون — مورلى » نتيجة ايجابية بالنسبة لمجاميع غاليليو التحويلية بينما كانت ترجح لها نتيجة سلبية بالنسبة لمجاميع لورانتز التحويلية من حيث كونها تتضمن مفهوم كل من الزمان والمكان نسبياً

لقد تأيدت معادلات التحويل التى أذاعها العلامة لورانتز بنتيجة تجربة « ميكلصون — مورلى » السلبية وكانت نتيجة هذا التأييد أن رجعت بالميكانيكا الكلاسيكية إلى مبادئ الالكتروديناميكا [3]

وعلى وجه عام فقوانين المجال الالكترومغناطيسى صحيحة إلا أن قوانين ومبادئ الميكانيكا الكلاسيكية يمكن تطبيقها على السرعات العادية التى هى كسر ضئيل من سرعة الضوء . وفى السرعات الكبيرة يلزم الرجوع لقوانين المجال الالكترومغناطيسى . وفى حالة تطبيق المبادئ الميكانيكية الكلاسيكية للسرعات البسيطة

(1) H. A. Lorentz : Principals of the new-mechanics oxford. 1905. P. 125—126

(2) David Hilbert : Die Grundlanger der Physik. P. 135

(3) Adam Angersbach : Des Relativitaetsprinzip. Leipzig 1920. P. 139. und Leon Block : L'espace et le temps dans la Physique moderne"
Revue Scientifique (1920) P. 333-341

تاريخ الأدب النسوى

فى فرنسا

للأستاذ محمد بك كرد على

بقية ما نشر فى العدد الماضى

Jean Larnac : Histoire de la littérature féminine en France

وما ظهرت تباشير القرن التاسع عشر ، حتى صحت العزائم على تعليم المرأة تعليماً رسمياً ، فنى سنة ١٨٣٦ منحت حق التعليم الابتدائى العالى ، وفى سنة ١٨٥٠ نشر قانون يقضى بانشاء مدرسة فى كل كورة يتجاوز سكانها ثمانمائة إنسان ، وبعد سبع عشرة سنة عم هذا القانون الأقاليم بأسرها ولا سيما ما يجاوز سكانه الخمسمائة . وفى سنة ١٨٧٨ نشر أحد عظماء الكتاب كتاباً أسماه « الجوارب الزرقاء » أورد فيه عدة مقالات فى المتأدبات والكاتبات ، وقال إن هذا الجنس من النساء الكاتبات قد خرجن عن الأنوثة ، وما هن إلا الرجال ، بيد أنهن لم يبلغن مبلغهم ، يريد بقوله صاحبات الجوارب الزرقاء النساء اللائى كن لكثرة ما صرفن من همتهن العقلية قد بلغت حالهن أن يزهدن فى التجمل ويلبسن جوارب زرقاء مثل المعجبات بأنفسهن فى انجلترا

واستطاعت المرأة بعد هذه الحقبة من الزمن أن تظهر بظهور مدام كورى تلقى درساً فى « كوليج دى فرانس » ، وما بقيت قلعة للذكور إلا وتخطاها النساء ، حتى ولا مدرسة المعلمين العليا ولا منابر الجامعات ، ولم يبق أمامهن عائق يعوقهن عن التعلم ، ونشر ما يستهوى قلوبهن ، ويرضى نفوسهن ، وأصبحن فى حل من أن يتعلمن كما شاء لهن الهوى ؛ وغدا منهن الأساتيذ والصحافيات ومديرات دور الطباعة ، وأخذن ينافسن الرجال فى جوائز الأدب والمجامع الأدبية العامة والخاصة ، فتمت لهن كل أدوات الثقافة فى بيوت العلم ، ولكن القرائح تخلق خارج المدارس ، وللنساء أن يتوسمن ما شئن ، وليس فى مقدورهن أن ينتهين إلى الحد الذى يطمحن إليه ، ولا يسرح النساء ويمرحن إلا فى ظل الحرية ، فاذا أخذن من عنان قرائحهن يفقدن أجنحتهن . ولذا بقين الى أول القرن العشرين يمشين على أثر الرجال ، ولم يتحررن التحرر المطلوب إلا فى هذا القرن . حتى لقد قال ستندال إن قلة استعداد المرأة لبلوغ مراتب الكمال فى تأليف النساء منبعث من كونهن ما جسرن ذات يوم أن يتحللن من قيودهن إلا نصف تحلل ، ومتى حاولن الحرية المطلقة فكأنهن يخرجن بلا خمار ؛ على أنهن بعد هذا القول خرجن بلا براقع ، وأحياناً بدون دثار ولا شعار ؛ والسعادة لم تحالف العاملات من هذا الطراز ، فانهن إذا أغلقن أبواب غرفهن وصرن إلى خلوة لا يسمعن العزاء بعملهن العقلى ، على حين يحاولن أن يجدن لأنفسهن عزاء ، فيأتى الشيطان يعبث بأهوائهن ، وقل فيهن من تنسى الحب والغرام ، فاذا اشتد إغواؤهن أصبح عسرهن إلى مياسرة ، وتداعت كل قوة كن يعتصمن بها

والواقع أن النساء بأسرهن عبيدات حواسهن وأعصابهن وقلوبهن ، لا ينجع فيهن اعتراض إذا خالف قانون الطبيعة وأعنى الحب . وكان الأديبات منهن إذا عجدن الحب بالمعنى الوجيز يجهلن حب الأمومة على ما تجلى ذلك فى مكتوباتهن ، ومع هذا تراهن يتكلفن فيما يكتبن ويتطلبن إلى حواسهن وقلوبهن أن تعطى أكثر مما لها ، وما كتب لهن إلا أن يكن أدوات تحس وتهتز ، وأن يجمعن من العالم مجموعة أحاسيس . وإذا خصت الأدب النسوى المعاصر من حيث الانشاء تسقط فيه على قرائح عظيمة وعلى نبوغ أيضاً ، ولكن قل أن تقع فيه على شىء اسمه فن . ويقال إن النساء ما عدا اثنتين أو ثلاثاً منهن لا يحسن التفريق بين المواد

يجب أن توفق مع قوانين لورانتز التحويلية

إن نظرية كلارك ماكسويل فى الكهرب مغناطيسية تقوم على أساس ثبات سرعة الضوء ، وعلى التأثير القربى فى انتشاره ، وبذا تتحقق دساتير وقوانين التحويل التى أذاعها لورانتز ويتقرر مبدأ نسبية الزمان وينتفى امكان وجود أية علاقة تربط أثراً ذا سرعة لا متناهية كالضوء بالمؤثر ، أعنى منبع الضوء

وخلاصة القول أن علم الحركات الذى كشف عنه إينشتين هو علم الحركات التجريبى ، وهو يستند على دساتير لورانتز التحويلية وتومىء إلى وحدة قوانين علم الحركات

(تم المقال الثانى) اسماعيل أحمد أدهم

التى تتطلبها الحياة ، فمنهن من تجتهد اجتهاداً ينتجن به آثاراً طيبة ، وكثيرات يرسلن أقلامهن على فيضها كما يشاء الهوى ، لا يحفلن التنقيح ولا سلامة التراكيب . وفيهن من اتخذت الأدب للسياسة ، ومنهن من عانين فلسفة الأخلاق ، ومنهن من مارسن فن التربيـة وظللن فيها متوسطات لم يأتين بابداع ، ونقد فى أدبهن التجدد على حين رأينا الأدباء والـكتاب بعـد الحرب أحدثوا طرائق لهم جـديدة خالفوا فيها طرائق الآداب قبل الحرب العامة

لا جرم أنهن لم يكتب لهن التفوق على الرجال لأن التدقيق يصعب عليهن ، حتى أن القصصيات منهن لم يتوخين إلا وصف الحب فى كل مظاهره ، جعلنه موضوع قصصهن ؛ وكذلك كان القصصيون ، ولهؤلاء قدرة على معرفة الداخل والخارج فى أقاصيصهم ، يتبعون العقل ، ويحسنون تطبيق الأصول اللازمة ، ولم يعهد لامرأة أن برّزت ، فـكانت مؤلفة فى الدرامة ، وما جاء منهن مؤرخة . فالمرأة تحسن أن تضحك من مثيلاتها ، ولـكنها لا تحسن الاضحاك . أما الرجل فيحسن نقد نفسه ، كما يحسن أن ينتقد غيره ؛ والنساء يحاذرن كثيراً من المزاح الذى يأتى على الاعتبار والحرمة والحب . وهن مجموعة عواطف تحس بالحاجة كل الاحساس وتخشى أن تقع فيها ، حتى لتضن بالابتسامة صادرة عن امرأة لا تنافسها ، وكذلك حالها فى التاريخ ، فقد نشأ فى النساء مدونات مذكرات بكثرة ، وقصصيات ، ومنهن اليوم أستاذات فى التاريخ وأستاذات فى استخراج المـكتوبات والمخطوطات ، يستطعن بما ثقفن من معارف أن يعملن عملا علمياً وما كان منهن إلى اليوم مؤرخة من عيار « أوغستين تيرى » ، ولا « ميشليه » ، لأن اللازم للتبرز فى هذا الشأن معلومات كثيرة ليس فى مكنة النساء احرازها ، بل الواجب أن يكون لها مع ذلك فـكر نقاد عار من كل هوى للتمييز بين الحقائق والظنون ، وعقل مجرب لادراك ألوف من الروابط تجمع الحوادث بعضها إلى بعض ، ورأى أكيد قادر خال من التفصـيل فى العواطف ، وقدرة على النظر إلى عصر واحد نظرة واحدة ؛ ولهذا لم ينشأ من النساء امرأة عظيمة واحدة فى باب النقد الأدبى والفنى ، ولا كان منهن فيلسوفة تلفت النظر . ومن النساء من كانت لهن مقدرة على الاستفادة من دروس أساتيذهن ، وليس فيهن واحدة ابتدعت مذهباً ، وما قام منهن واحدة استطاعت أن تنتج مثل « خطاب فى التاريخ » ولا « الأفـكار لباسكال » فهن قاصرات فى جميع الفروع التى تستلزم من المؤلف التجرد المطلق من نفسيته ، وما لمت أعمالهن إلا فى موضوعات لا فن فيها ؛ وقلائل منهن من كتب لهن التفوق فى الانشاء والـكتابة ، إلا من قادهن الرجال فى عملهن ، فان « مدام دى لافاييت » أشرف عليها « سكرى » و « لاروشفوكولد » ، و « مدام دى ستال » سارت بسير أصحابها المعددين ، و « جورج ساند » قادها عشاقها ، و « مدام كوليت » راقب أعمالها « فنيلى »

فاذا لم تتح مواهب النساء الطموح لهن إلى منزلة فى الأدب المجرد ، فقد شهدنا فى آثارهن أحياناً أنها خالية من الصنعة ، فصح أن يقال أن ليس لهن قدرة على التفكير الصحيح ، والتوسع اللازم لوضع الفكر المجرد والانشاء الفنى ؛ ولذلك تساءل « بول فاليرى » عما إذا كانت المرأة ستظل إلى الأبد ظاهرة التوسط فى معاناة الأعمال الفكرية ، ناقصة فى معانى الابداع والحرية ، وعما إذا كان هذا الضعف اللازم هو ثمرة استعبادها زمناً طويلاً . قال : وأنا أود أن يكون الأمر كذلك ، ففى الحالة الأولى تكون قد عبثت بها الأقدار الفسيولوجية ، وفى الحالة الثانية يحكم عليها بأن انحطاطها ناتج من أخلاقها . قال ولا يخفى ما تؤثره الأخلاق التى تخلّق البشر بها والقوانين التى ساروا عليها قروناً فى مجموعة التركيب البشرى

ولم يكتب للنساء درجة عالية حتى فى فن الطهى ، ورأينا كبار الطهاة من الرجال لا من النساء ، وتراهن فى باب الأزياء ، والأزياء من أخص خصائصهن ، ينثنين على أنفسهن ليتجملن ، فهن فى هذا الباب أيضاً مقودات بأيدى الرجال ، بل إن النساء الملـكات كالا حظ « باربيه دورفيلى » قد فقدن البداهة والعمل الذاتى وما ساعد الملـكة « اليزابت » الانجليزية إلا بورليخ ، وإذا ذكرت « كاترين » الروسية ذكرت معها بطرس الأكبر

وقد ظهر من أبحاث العلماء فى جميع الأمم أن الطبيعتين الأنوثة والذكورة متخالفتان ، لا فى ظواهرهما بل فى أعمق تراكيبهما ؛ والأطباء يقولون إن كلا من الفتى والفتاة ينشأ نشأة طبيعية متخالفة ، ويكثر الموت والضعف فى الصبيان ، ويتجلى الذكاء والاحساس والحـكمة فى الطفلة ، قبل تجليه فى الطفل ؛

ولا تزال الفروق بينهما تتزايد من الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ؛ ويبدو فى الصبيان الاستعداد لتعلم الحساب والعلوم المقررة كما يبدو للفتيات بفضل خصوبة إحساسهن ، جمال انشائهن ورقة نشوئهن بالقياس إلى خشونة كتابة الصبيان ؛ وبعد اجتياز هذه السن الصعبة يرتقى الصبيان ارتقاء دائماً ، أما الصبايا فيقفن فجأة مأخوذات بحالة جديدة ، وهى حالة المرأة ؛ وكثيرات فيهن من يتركن عندئذ كل عمل . وادعى بعضهم أن ذكاءهن يضمحل فى ذاك الدور ليقوم مقامه حس ينصرف إلى الدل ، والغزل ، والموسيقى ، والقراءة ، وأعمال الاحسان ؛ وكثيراً ما يكون أحسن التلميذات فى سن الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة ممن تأخر نموهن ؛ وبينا يكون البلوغ فى الصبي داعياً إلى توسع فكره ، وحاملاً له على معاناة المسائل الكبرى فوق الطبيعة ، تنثني الفتاة على نفسها ، وتتمشى مع إحساسها ، ثم تعانى مشاكل الحب والأمومة ، خلافاً لما ادعته « مدام دى ستال » من أن الأرواح ليس لها جنس معين

وقد قرر العلماء أن تشريح الجنسين متخالف كل التخالف ، فالقامة وثقل الجسم أقل فى النساء منهما فى الرجال ؛ وقوة الأعصاب فى الفتيات أقل مما هى فى الرجال بنحو الثلث ؛ وجماجم البنات أقل استعداداً للنمو وأدمغتهن أقل وزناً ، حتى بالقياس إلى الوزن العادى . وقرر العلماء أن حاسة الشم والذوق فى النساء أقل مما هى فى الرجال ؛ ولذلك قل أن استخدم أرباب المعامل النساء فى الأعمال التى تتطلب التمييز بين الألوان والأذواق ، مثل التفريق بين الخمور والشاى ، ومراقبة الصوت وإصلاح « البيان » . قالت « مدام دى رموزا » : إن الحس أكثر ملازمة لنا معاشر النساء من الملاحظة . واستنتج من هذا أن ذاكرة النساء أقل اضطلاعاً بالمسائل من كل وجه من ذاكرة الرجل ، واضطراب المرأة أعظم بكثير من اضطراب الرجل . وتزيد فى بعض أدوار حياتهن اضطراباً حتى تكون مرضاً وحرضاً تبعث على الغضب ، وتصبح مدة الحمل أحياناً فى مثل جنون عارض . وهكذا انفرد الرجل بالذكاء والمرأة بالشعور ؛ والرجل فى كل حين يفكر ويقدر ، والمرأة تشعر وتحس . فالشعور فيهن هو كل ما لهن من آيات النبوغ . قالوا إن المولى أبى أن يرزق النساء قرائح لتتجمع كل جذوتهن فى القلب

قال وقد يعترضنى أناس أن كثيراً من الفتيات أحرزن المقام الأول فى المسابقات العلمية والأدبية الصعبة ، ولكن « خير كوف » بحث فى فتيات الجامعات فانتهى به البحث إلى أن الطالبات قد أهبن بالحافظة والمعلومات الجدية التامة المدققة أكثر من الطلاب ؛ فالطالبات ينقصهن الاستقلال والتعمق فى الفكر . فهن آخذات غير موجدات . وقارن المؤلف بين ثلاثة من الكتاب : « بوسويه » و« فلوبير » و« بول فاليرى » ، وبين ثلاث كاتبات : « مدام دى سيفنيه » و « جورج ساند » و« مدام كوليت » ، فثبت له أن فى إنشاء الرجال منطقاً سليماً ، وفكراً مستقيماً ، كانت فيه متانة جملهم ، ورنة أصواتهم الموسيقية وتساوق المجموع من أقوالهم ، على خلاف كتابة أولئك الكاتبات المعظمات

قال ولا سبيل إلى إنكار تأثيرات العرف من القرون فى تربية المرأة . ولعل أوربا تشهد فى مستقبل الأيام حالة تشبه ما نراه من مثلها فى الولايات المتحدة اليوم ، وهى أن الرجل يشتد فى اقتناص المال عاملاً له كل ساعة ، والمرأة مستغرقة أبداً فى تثقيف نفسها ، وعندئذ ينشأ من النساء الهواة المنورات ، والكاتبات البارعات ، والمغنيات الباهرات ، يكن مناراً يهتدى به السارى فى هذه الحياة . أما الآن فالنساء ينقلن عن الرجل ، والناقل بنقله معترف ضمناً بتفوق من ينقل عنه

محمد كرد على

للتاريخ السياسي

عشرة أيام بئيسة

مشروع لافال ـ هور والرأى العام

دواعى هذه الخطة الوخيمة العواقب

للدكتور يوسف هيكل

بقية ما نشر فى العدد الماضى

موقف كل من الامبراطور وموسولينى :

فى ١٦ ديسمبر أبدت الحكومة فى ديسى رأيها فى اقتراح باريس ، وهى تعتبر أن إعطاء إيطاليا المتعدية قسما من الحبشة يكون مشجعاً لها أن تعمل على اكتساح الحبشة مرة ثالثة ، وأن الاقتراح القائل باعطاء إيطاليا امتيازاً اقتصادياً فى جزء كبير من الحبشة لأشد ضرراً من الانتداب ، وأن حكومة الأمبراطور موقنة بأن مجلس العصبة سوف يرفض الاقتراح عند اجتماعه فى ١٨ من ديسمبر

وبهذا التصريح أظهر الامبراطور مهارة دبلوماسية لا تقل عن مهارة كبار السياسيين اليوم . إذ رفض « الاتفاق » بصورة غير مباشرة ؛ ووضع عصبة الأمم أمام حقائق قانونية لا يمكن أن تحيد عنها دون أن تحيد عن مبدئها الأساسى

وقد أجاب الامبراطور أحد الصحافيين عندما سأله رأيه فى « الاتفاق » قائلاً : « إن جنودى لم تقهر بعد » !.

أما السنيور موسولينى فقد أخذ يماطل فى الاجابة . لقد طلب من باريس ولندن إيضاحاً عن بعض النقط فى « الاقتراح » وأجل الجواب إلى ما بعد انعقاد المجلس الفاشستى الكبير فى ٢٠ ديسمبر

وفى خلال ذلك أخذت الصحافة الايطالية تعلن أن « الاقتراح » لا يسد حاجة إيطاليا ! . . .

اختط موسولينى هذه السياسة اعتقاداً منه بأنه يستطيع بذلك أن ينال زيادة على ما جاء فى « الاقتراح » . وقد فقد بذلك بعض أصدقائه فى فرنسا ، وأخذ كثير من الصحافيين الذين كانوا يمجدون اسمه ويدافعون عنه ينتقدون سياسته ويلقون عليه تبعة الأزمة الدبلوماسية الحالية

ولما رأى موسولينى أن الرأى العام المالى ضد الاقتراح وضد أى اعتراف له بحق فى الحبشة ، عاد إلى سياسته الكلامية التهديدية ، فألقى خطاباً فى يوم الأربعاء الموافق ١٨ ديسمبر وصرح فيه بأن إيطاليا ستستمر فى سياستها الحبشية الى أن تخرج منها ظافرة

ومما جاء فى قرار المجلس الفاشستى الأكبر الذى انتهى انعقاده صباح السبت الموافق ٢١ ديسمبر : إن المجلس يثبت بأن عمل إيطاليا سيستمر ، وأن القرار لقاطع للوصول إلى الهدف الذى اختطه الدوتشى

ولما رأى موسولينى أن مجلس النواب فى لندن قد رفض « الاقتراح » وأن جمعية الأمم لم تقبله ، طلب من سفيريه فى باريس ولندن إخبار الحكومتين بأن روما سوف لا ترسل جواباً على « اتفاق باريس » نظراً لموته

الأسباب الحقيقية التى دعت مسيو لافال الى وضع «المشروع» :

منذ أن وضع مسيو لافال يده على زمام سياسة فرنسا الخارجية بعد وفاة مسيو برتو فى فاجعة مرسيليا وهو يتبع سياسة مسيو « دلكاسيه » المؤدية إلى حصر ألمانيا

لهذا قام بتصفية الخلاف مع إيطاليا ، وبعقد معاهدة مع الروسيا ، وقد حاول أن يحتفظ بصداقة بريطانيا ولكن دون أن يثق بها كل الوثوق ؛ ويمكن القول بأن هذه المحاولة كانت ظاهرية ، إذ أن لافال يكن ضغينة فى نفسه لحكومة لندن ، وذلك من جراء عقدها المعاهدة البحرية مع برلين دون أخذ رأى باريس فى ذلك

ومن المؤكد أن لافال قد أكد لموسولينى بأنه سوف لا يقف ضد مناهجه فى شرق افريقيا ، وأن السياسة التى اتبعها لافال فى المسألة الحبشية تثبت لنا ذلك

لقد حاول لافال قبل اعلان الحرب أن يتوصل إلى إقطاع

موسوليني امتيازات كبيرة في الحبشة عن طريق سلمية ففشل في ذلك . ثم أخذ يحاول تخفيف شدة العقوبات الاقتصادية التي وضعتها العصبة على إيطاليا فأخفق سعيه . وأخيراً بذل جهده في تأجيل عقوبة البترول فوفق ؛ ولما رأى أنه لا يستطيع تأجيلها مرة ثانية وإن لجنة العصبة ستبحثها في الاجتماع الذي حدد لها وذلك في ١٢ ديسمبر ، وضع « المشروع » وورط هور في توقيعه ؛ وذلك بإظهاره له أن إيطاليا ستعتبر حظر البترول عملاً حربياً وتهاجم البواخر الانكليزية . وإذ ذاك تتحول الحرب إلى حرب إيطالية انكليزية فقط . إذ أن فرنسا لا تستطيع مساعدة بريطانيا فوراً ، كما أنه لا توجد دولة من أعضاء العصبة مستعدة لذلك . أمام هذا التحذير وأمام الصعوبات التي تجابهها حكومة لندن في هذه الأيام من أحزاب عمال مناجم الفحم ، ومن الصعوبة التي تجدها في المؤتمر البحري المنعقد في لندن ؛ ومن اضطرابات مصر . . . أمام هذه العقبات خشي هور الحرب مع إيطاليا فوقع « المشروع » . وبذلك تمكن لافال من تأجيل مسألة الحصر البترولي بصورة غير مباشرة إن لم يكن قد قتلها

ولكن لماذا يبذل لافال هذه الجهود الجبارة في مساعدة موسوليني ؟ .

إن سياسة وزارة خارجية فرنسا كانت منذ حرب السبعين تعمل على توطيد العلاقات مع كبرى الدول الأوربية بعقد معاهدات معها . . . لتكون في مأمن من الخطر الجرماني . ولما وضعت الحرب أوزارها وأنشئت عصبة الأمم ، رأت وزارة الخارجية الفرنسية أن تستغل هذه المؤسسة وتستعيض بها وبسياسة السلام المشترك عن سياسة المعاهدات . وقد بذل مسيو بريان في سبيل ذلك جهوداً جبارة . . .

غير أن لافال حاد عن سياسة فرنسا الجديدة وعاد إلى سياسة ما قبل الحرب : سياسة المعاهدات . . . وحصر ألمانيا وتكوين جبهة قوية ضدها . فتمكن من إيجاد تحالف بين فرنسا وإيطاليا من جهة ، وبين فرنسا والروسيا من جهة ثانية . . .

وهو في سبيل المحافظة على صداقة إيطاليا والعمل معها ضد ألمانيا قد ضحى بمبدأ عصبة الأمم وسياسة السلام المشترك — ضحى بذلك برغم تصريحاته العديدة بأنه لايزال يعمل ضمن سياسة جنيف

ومن أجل المحافظة على صداقة إيطاليا يبذل لافال جهده في تثبيت مركز موسوليني الدولي — إذ هو يعتقد أن زوال حكم موسوليني في روما أو زوال نفوذه ربما يغير مجرى السياسة الايطالية ، فلا تستفيد فرنسا من المعاهدة التي عقدتها مع موسوليني ، هذا إذا لم تتقرب إيطاليا من ألمانيا وتكونا جبهة قوية . . . خطرة على فرنسا . وفي سبيل ذلك قد وتر علائقه مع بريطانيا ، إذ من المحال الاحتفاظ بمحالفة موسوليني وصداقة بريطانيا معاً في الظروف الحالية

فهل أصاب لافال بسياسته هذه ؟ وهل مكن مركز فرنسا الدولي وأبعد عنها كل خطر جرماني ؟

إن ألمانيا تتسلح الآن بكل ما لديها من قوة ، وأنها ستضع قوتها يوماً ما في حيز العمل ، غير أنها قد أخذت درساً كبيراً في الحرب العالمية ؛ وهو أنها لا تستطيع قط محاربة العالم ، وأن أي حرب تكون فيها فرنسا وبريطانيا في صف واحد خطرة عليها . لهذا يبذل ساسة ألمانيا جهدهم في تفريق وحدة دول جنيف وإضعاف سياسة الأمن المشترك من جهة ، وفي التقرب من بريطانيا وإبعادها عن فرنسا من جهة ثانية ، وهم ان تمكنوا من ذلك اتسع المجال لعملهم وتنفيذ مناهجهم

ومن الغريب أن نرى أن سياسة لافال الحالية ، تعمل بصورة غير مباشرة على تطبيق المنهاج الألماني ؛ وفي تطبيقه زوال مركز فرنسا الدولي ، وهو رفيع ، وإضعاف سلطانها

وإننا نعتقد أنه لا أضمن لسلامة فرنسا واستمرار عظمة نفوذها الدولي من تقوية جنيف وتثبيت سياسة الأمن المشترك ؛ وبتثبيت هذه السياسة وبالمحافظة على الصداقة البريطانية يزول عن فرنسا كل خطر جرماني

ومن هنا نرى أن لافال قد أخطأ كثيراً في تضحية هذه القوى الجسيمة في سبيل المحافظة على موسوليني وكيانه ، وأن مشروعه كان غلطة فادحة تجر على فرنسا ضرراً جسيماً لو نفذ ، ناهيك بالأضرار الجسيمة الأخرى التي تنال السلم العام وحقوق الدول الصغرى

(لندن) **يوسف هيكل**

دكتور في الحقوق من (حكومة فرنسا)

٣ ـ سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

المجموعة الحامية النيلية

البارى

يسكن جنوبى منطقة الدنكا أى (فى أعالى بحر الجبل) عدة قبائل تتكلم اللهجة البادية نسبة إلى شعب البادى ، وبهم بعض الشبه من شعب الدنكا ، ولا بد أنه حصل اختلاط فى المنطقة التى يسهل أن يحتك فيها الدنكا بالقبائل البادية خصوصاً فى المجموعة المسماة الشير ، ومع ذلك فهم ليسوا زنوجاً نيليين ، وهم وإن كانوا ثقافة ولغة وجنساً يتبعون النصف حاميين فى شرق افريقا لتغلب العنصر الحامى فى تكوينهم إلا أنهم يعتبرون ضمن مجموعة قائمة بنفسها وهى (المجموعة الحامية النيلية)

ويمكن تمييز نوعين من الجماعات التى تتكلم اللهجة البادية : جماعة شرق بحر الجبل ، وجماعة غربه . والمجموعة الشرقية تنقسم إلى عدة قبائل ، ويظهر أنهم كانوا يتبعون النظام الطوطمى لوجود بقاياه فى بعض القبائل ، إذ يعتقدون بانتقال روح الميت إلى حيوان مخصوص عندهم

والرجل الذى يقوم بعملية استنزال المطر هو رئيس القبيلة ، ومركزه يختلف عن مركز الرئيس الروحانى عند الزنوج النيليين ، فاذا أخفق فى استنزال المطر فانه يذبح فى الحال ، ويدور البحث عن غيره ليحل محله . كذلك يوجد عدة رؤساء يطلق على كل منهم اسم (صاحب الأرض أو الأب) ، وهو اسم يعطى لكل من جهز قطعة أرض وزرعها ، وكذلك يمنح هذا الاسم لخلفه ؛ وينحصر عمل هذا الرئيس فى القيام ببعض التعاويذ والسحر عند بذر الحبوب واثناء نمو النبات وقبل عملية الصيد ؛ ولهذا الرئيس مقام محترم بين البادى إذ بدونه يفشل الصيد والزرع

وحفلة استنزال المطر تعتبر من المظاهر الممتازة بين البادى ؛ وتجرى هذه الحفلة على النحو الآتى : يحضر الرئيس قطعاً من حجر الكوارتز بعضها أبيض اللون والبعض الآخر أخضره ، ثم يضعها فى إناء ، وبعد غسلها يضعها على صخر كبير يسمى صخر المطر Rain Store وهو بقايا آلة قديمة لطحن الحبوب . ثم يلطخ الحجر بزيت السمسم ، ثم يذبح عنز أسود بجوار هذا الحجر ، ويأكل الرئيس ومساعدوه وبعض الشيوخ من لحمه ، ثم تؤخذ بقايا الغذاء الذى فى معدة العنز وتوضع أيضاً على هذا الحجر ، ثم يأتى المطر بعد ذلك . وكثيراً ما تجرى هذه الحفلة بجوار مقبرة شيخ مطر قديم أو بعض الأماكن المقدسة التى تنتمى اليه

اللوتوكو

ولهجة اللوتوكو تتكلمها القبائل الآتية : (١) اللوتوكو (٢) الكويا (٣) اللنجو . ويلاحظ فى هذه القبائل الثلاث أن الرأس طويل ، أما القامة فقامة اللوتوكو أطول منها فى القبائل الأخرى بمقدار بوصتين . وهم ينقسمون إلى قبائل طوطمية ، وأهم مظهر للطوطمية عندهم هو أن كل فرد بعد موته تنتقل روحه إلى الحيوان الذى تقدسه القبيلة ؛ فهناك قبيلة تقدس التمساح ، وأخرى تقدس القرد ، وثالثة تقدس الفيل ، ورابعة تقدس النمل الأبيض ، وخامسة تقدس الثعبان وهلم جرا ؛ وأقوى هذه القبائل هى التى تقدس التمساح ، ومنها ينتخب الرؤساء الذين يقومون بحفلة استنزال المطر ، ويستعملون فى هذه الحفلات حجر المطر السابق ذكره Rain Stone ؛ كذلك يستعملون بعض الحراب المقدسة كمساعد ، والمياه التى توضع فيها هذه الحراب تحضر من بركة مقدسة يعيش فيها التماسيح التى تنتقل اليها أرواح أجدادهم رؤساء المطر

ومن عادتهم اخراج عظام الميت بعد دفنه بثلاثة أشهر ، وأحياناً من ثلاثة إلى ستة عند اللوتوكو ، ويعتقدون أن فى ذلك سعادتهم ورفعتهم . كذلك عند موت الميت يسرعون إلى دفنه ، ثم بعد ذلك يقيمون له تذكارا Nametere ينوب عن الميت حيث يقيمون له المراسم الجنائزية المختلفة

المجموعة الزنجية

الأزندى

رؤوسهم متوسطة ، وقاماتهم أقصر من قامة الزنوج النيليين ، ولونهم أفتح من لونهم ، إذ يختلف ما بين لون (الشكلاته) ، ولون بشرة سكان البحر الأبيض المتوسط . وبعض العلماء يعلل ذلك باختلاطهم مع البربر والحامى ، وربما كان هذا الاختلاط مع جماعة الفولانى . ويمكن اعتبار الأزندى من زنوج غرب افريقا ، إذ تظهر عليهم جميع المميزات التى تميز زنوج غرب افريقا

من غيرهم . ومن الصعب التفرقة بين رجل من الأزندى وآخر من سكان افريقيا الاستوائية الفرنسية أو نيجريا . كما أن لغة الأزندى خالية من الأثر الحامى ، على حين أنه توجد بها آثار من لغة البانتو ، وهذا ينعدم وجوده فى لغة الزنوج النيليين السابق الكلام عليهم . والأزندى من جهة الثقافة يتبعون غرب افريقيا بعكس الزنوج النيليين الذين يتبعون فى ثقافتهم شرق افريقيا . وهذا يتضح تماما من نظام بناء كوخ الأزندى ومساكنهم وآلاتهم الحربية والموسيقية مثلا

والأزندى عبارة عن عدة قبائل ولهم حكومة مركزية عليا . وهم ينقسمون إلى ولايات مستقلة عن بعضها ، وهى فى حرب دائمة مع جيرانها ، ولكنها جميعها تخضع لملك واحد من أسرة أرستقراطية مالكة ينتخب دائما منها الملوك ، وهذه العائلة المالكة تسمى (الافنجارا) ومنها ينتخب أيضاً رؤساء الادارة والحكومة الذين يساعدون الملك ؛ والملك هو الذى ينتخبهم ويوزع عليهم العمل . والملك وهؤلاء الرؤساء لا يشتركون فى الحروب

ويتلخص النظام الادارى فيما يأتى :

١ — الملك وهو الرئيس العام ويحكم فى العاصمة وهو المرجع الأعلى ويحرم عليه أن يدخل الحرب بنفسه

٢ — مقاطعات أو مديريات يديرها أبناء الملك أو إخوته أو غيرهم من العائلة المالكة ، وكل من هؤلاء مطلق السلطة إلا أنهم مسئولون أمام الملك مباشرة عن حفظ الأمن والعدل كما أن عليهم واجبات نحو الملك ؛ مثلا إذا أراد الملك عملا لبناء منازله أو جندا للحرب فعلى هؤلاء المديرين أن يقوموا بجمع العدد اللازم حسب طلب الملك ، وهؤلاء المديرون لا يدخلون الحرب

٣ — تنقسم كل من هذه المديريات إلى عدة أحياء أو مناطق على كل منها نائب أو وكيل ، وهذا النائب يباشر الأمور المختصة بالعدل بواسطة عقد مجلس يكون هو عضوا فيه يساعده الرجال المعترف بكفاءتهم فى حيه أو منطقته . فاذا ظهر نزاع بين فردين وجب أن تعرض المسألة على نائب الحى أولاً ، فان كان موضوع النزاع بسيطاً حله النائب ، ولكن إذا كانت المسألة معقدة مهمة فان النائب يحولها مباشرة إلى المدير الذى يحكم المديرية ، وهو طبعاً أحد أفراد العائلة المالكة ؛ ولا يمكن عمل استئناف من المدير إلى الملك ، لأن المدير مستقل بشؤون مديريته

فاذا أراد الملك أن يعلن حرباً أو يقوم بعمل اقتصادى مهم فانه يرسل فى الحال إلى المديرين يخبرهم بالعدد اللازم ، وعند ذلك يقوم كل مدير بعقد مجلس برياسته يدعو اليه جميع النواب الذين يحكمون الأحياء التى تنقسم اليها مديريته ، ويشاورهم فى العدد الذى يمكن أن يقدمه كل منهم ؛ وهؤلاء النواب يقومون بعد ذلك بجمع العدد اللازم من كل منهم بواسطة قرع الطبول . وبذلك يمكن إرسال العدد المطلوب من العمال والجنود إلى الملك . والملك نفسه يدير مقاطعة فى وسط بلاده وهى بمثابة العاصمة وضواحيها ، ولكنه يستعين بالمديرين فى المسائل القومية المهمة

(البقية فى العدد القادم) رشوان أحمد صادق

بمناسبة أربعين الزعيم الخالد

يوم هنانو

للأستاذ أمجد الطرابلسي

صُعق الناسُ حَسرةً فأهابوا / مَن صَريعُ الحِمى؟ فقيل الشِّهابُ
ضربوا في الدُّجى البهيمِ سُكارى / أين منهم هُداهمُ والصواب
وسَرَوا خُشَّعَ النواظرِ يَغشا / هُم من الليلِ والدموعِ حجاب
يتناجَوْن باللِّحاظِ من الهو / لِ؛ أصدقٌ ما قدرَوْا أم كذاب
شرِقوا بالدموع إذ هَتف النَّا / عي مُهيباً، ومادتِ الألباب
هَتفاتٌ فوق المآذن تعلو / فيضجُّ الباكونَ والنُّدّاب
ورنينُ الناقوس من كلِّ فجّ / تتفرَّى له القلوبُ الصِّلاب
زفراتٌ هي الكبودُ تَلظَّى / ودموعٌ هي النفوسُ تُذاب
هاهُنا لِلِّبى عويلٌ مُرِنٌّ / وهنا ثَمَّ للشِّبالِ انتحاب
من يواسيهمُ وكلٌّ طعينٌ! / من يُعزّيهمُ وكلٌّ مصاب!
لا تلُمْهم! خلا العرينُ، فمن يد / فعُ عنهم إذا استُبيح الغاب

***

زُلزلت دارةُ الوليدِ ومادت / تحت عبءِ المُصابِ فيها الهِضاب
فَعليها من الهُزالِ شُفوفٌ / وعليها من الشُّحوبِ نِقاب
لَبِستْ في نهارِها اللَّيلَ وجداً / وتوارى السُّمّارُ والأصحاب
وتباكت حمائمُ النَّيْرَبِ السا / جي وأودى غِرِّيدُهُ المِطراب
ليت شعري أذاك (مروانُ) أودى / فأهلَّ الورى وسَحَّ السحاب
أم تداعى عرشُ (الوليدِ) غداةً / فتداعت منابرٌ وقِباب

***

يا لَسُورِيَّةَ الشَّهيدةِ كم ذا / تتهاوى أبناؤها الأنجاب
يهبطُ الكوكبُ المُحَجَّلُ منهم / أو يُقدُّ المهنَّدُ القِرضاب
فإلى صدرِها تضمُّ الضحايا / وعلى صدرِها يُهال التراب
ملأوا قلبَها نُدوباً وشَجواً / ليس يخبو وقودُه اللهّاب
أبداً للدموع فيها انسكابٌ / أبداً للدماءِ فيها انصِباب
رَوِيَتْ مِن دِماءِ أبنائِها الغُرِّ م / وفاضت رِباعُها والرِّحاب
أمسِ في الغوطةِ الرَّؤومِ تهاوت / شُهُبٌ كلها مُنًى وشَباب

وعلى ميسلونَ سالت دِماءٌ / علَّمتنا أنّى يكونُ الغِلاب
شهداءٌ أعزّةٌ عَددَ الزَّهـ / ـرِ أيُحصى زَهرُ الشآمِ كِتاب!

***

يا هنانو أثرتَها ذِكرياتٍ / ضَمَّدَتْها السنونَ والأحقاب
فليالِيَّ بعدَ مَنعاك سُهدٌ / وشرابي قذًى وشَهدِي صاب
كنتُ في قريتي الوديعةِ سهوا / نَ فلا غُصةٌ ولا أوصاب (١)
تستبيني مِن الرُّعاةِ لحون / وأغانٍ عُلْويّةٌ، ورَباب
ومِنَ الطيرِ في الرُّبى نغماتٌ / هُنَّ لِلُّبِّ مِزهَرٌ وشراب
أذنُ الهمَّ في ظِلالِ التمنِّي / والأعاليلُ مورِقاتٌ رِطابُ
وأُغنّي مع الطفولةِ لحناً / ذِكرُهُ كله وشهد مذاب
وحواليَّ صِبيةٌ كالمصافـ / ـيرِ مِراحٌ، أهِلّةٌ، أتراب
يتبارَوْنَ عابثين فما يد / رون ما الهمُّ، ما الأسى، ما العذاب
كِدتُ أسلو لَذْعَ الحنينِ وأنسى / بينهم ما يهيجُهُ الاغتراب
فأتاني الناعي يُجمجمُ في القو / لِ فما إن يبينُ منه الخطاب
قال: مات الزَّعيمُ، قلتُ: هوى العَرْ / شُ رُكاماً وقُوِّض المحراب

***

يا إلهي أكلما سُدَّ باب / من شقاء الشآم حُطِّم باب!

***

يافقيدَ الآمالِ قم فتأمّل / كيف تبكي آمالُنا والرِّغاب
رَزَحَ المَوْطنُ الجريحُ وناءت / أمّةٌ لم يذلّها الإرهاب
كنتَ في السّاحِ والنديِّ زعيماً / ما دعوتَ الشِّبالَ إلا أجابوا
ومشوا خلفَ ضيغمِ الغابِ صفاً / ليس يخشى الردى وليس يهاب
كلهم باسمون خلفكَ للمو / تِ، سِراعٌ إلى الطّعانِ طِراب
كنتَ حِصناً فدكَّ ذَيّالكَ الحِصـ / ـنَ وحِرزاً تَقَدَّدَتِ الأطناب
وشِهاباً يغترُّ في أُفُقِ المجـ / ـدِ بهيّاً لا يعتريه غياب
شعَّ دهراً فأرشد ابنَ الدياجي / وأنيرت مسالكٌ وشِعاب
ثم غشّاه من سكونِ المنايا / سُحُبٌ مكفهرّةٌ وضباب

***

وطنٌ سار خلف نعشك يبكي / يا لهُ اللهُ صارخاً لا يجاب

(١) كنت في مدرستي القروية حين أتاني نعي الزعيم الغالي

كان يرنو إليكَ كالطّفل إما ... عَضّهُ من أراقم الظلم ناب
موكب كالخِضَمّ سارَ خشوعاً ... جَلّ ذا مَوْكِباً وَجَلّ الرِّكاب
مَن رأى محشراً يموجُ زحاماً ... وَعُباباً يبكي عليه عُباب !
ولواء قد كنتَ تفديه إمّا ... رَوّع الغابَ عاصِفٌ صَخّاب
ضَمّك اليومَ لوعةً وحناناً ... أنت منه الشَّبَاة وَهْوَ القِراب
من لهُ اليومَ إن أناخ عليه ... مُستبيح أو راعه غَصاب !

***

إيه (شهباء) أيُّ سِفرِ جهادٍ ... غالهُ فيكِ غائل ريّاب
وخفوق يغلي مُنىً وإباء ... وفتًى لا تغرّه الألقاب
كان تاجاً في مفرقيكِ وَدِرْعاً ... لكِ تنبو عنه القنا والحراب
وأباً بالبنينَ براً شفيقاً ... كلهم في فنائه أحباب
هزّهم للعُلى فكانوا صفوفاً ... وهْوَ ليث بين الصفوف مهاب
لهفَ نفسي أن غاض فيك نمير ... كان بالنُّور والهُدى ينساب
تنتوي ساحَهُ الحيارى وتهفو ... حول شطيْه عُطّشٌ وسِغاب

***

جسد هدّه الكِفاحُ فأبلا ... هُ وقلب على المدى وثّاب
كلما هاجه الإسارُ تنزّى ... فتنزّى فيه الصبى والشباب
إن مشى للأمامِ هانَ عصيب ... وتوارت عن الطريق صعاب
حمل السيف طاوياً في الصحارى ... عادةُ الليث عِزة وضراب
يرشُف الموت بالرماحِ ولا ير ... ضيه هَضم لحقّه واغتصاب
ذاب في حَوْمة النِّضالِ شهيداً ... ذا كُمُ المجدُ ساطعاً لا السراب
إنما المجدُ ثورة وجهاد ... لا كلام مُنمّق وخطاب

***

يا جيوش الشبابِ، يا أُسْدَ الغا ... بِ، ويا أيها الشبالُ الغِضاب
قد مضى القائدُ العظيمُ إلى الخُلْ ... دِ وقد عاجلَ الرئيس التَّباب
فارقأوا هذه الدُّموع الجواري ... ليسَ في الدمعِ للفقيدِ مآب
واسكبوا خلفَهُ الدماء الغوالي ... إنما الدمع هيّنٌ مِخصاب
وصليل السيوف أجملُ لحنٍ ... لِبُكاء الشهيدِ لا التَّنحاب
لا تخوروا فإنّ معركةَ النّص ... رِ بدا فجرُها الضحوكُ العُجاب !

أمجد الطرابلسي

سحر الطبيعة

للاستاذ عبد الرحمن شكري

كؤوس من النور هذي الزهو ... ر أم هي أخيلة الشاعر
وليست بِحُلم ولكنها ... أجل من الحُلم الباهر
وما خلقت لفنون الخيا ... ل فتنة حسن لدى الخابر
وماء الحياة ونبع الخلو ... د في مائها السلسل المائر
وعشب قشيب وظل ظليل ... أدنيا أرى أم مُنى الساحر
ومما يزيد رواء الزهور ... أذى العيش والقدر الجائر
لقد خفت أن تنطوي مثلما ... يزول الخيال عن الناظر
فاسلمت نفسي لسحر الخيال ... لأخلد في حسنها الزاهر
وغبت عن الحِسّ حِسّ الوجود ... كأنيَ روح لدى العابر
كأني نقلت إلى عالم ... سينشأ في الدهر أو غابر
كأني نقلت إلى جنة ... نأت عن سطا القدر الدائر
ومما يزيد رواء الزهور ... أذى العيش والقدر الجائر

عبد الرحمن شكري

قبلة الحب

بقلم فريد عين شوكه

هاتها هاتها فإنيَ ظمآ ... نُ إلى وِرْدك العفيف الطهور
هاتها قُبلةً تُهَدْهِدُ أحشا ... ئي، وتشفي من الجنون شعوري
عطشت مهجتي إليك وضاقت ... جَنَباتي بما بها من سعيرِ
فارْوِ ما جفّ من حشاي ورَفّهْ ... عن فؤادي وخاطري وضميري

ويك يا قلبُ! ما لخفقك يشتد (م) ... وما للحشا يلجّ وثوبا ؟
إنها خمرة الهوى فارتشفها ... لهباً في الضلوع حتى تذوبا
ضلّةً للفؤادِ! رفّ على النا ... رِ ولم يخش جمرها المشبوبا
كلما ذاق حرّها عاد لهفا ... نَ إليها حتى استحال لهيبا

يا لها قبلةً أحرّ من الجمـ ... ـر على قلبيَ اللهيف المعذّب
رشفة كالندى الندىّ استحالت ... شعلة في الدماء أيان تذهب
هيه يا ثغره الحبيب! أتاني ... منك ما يشعل الضلوع ويلهب
قبلةُ الحب لفحةٌ من جحيمٍ ... هي أشهى من النعيم وأعذب

فريد عين شوكه

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٦ - تطور الحركة الفلسفية فى المانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

لكل فلسفة أجل موقوت ، تظهر فيه حجتها على الناس . وكل فيلسوف يضم شتات فلسفته ويحبسها ضمن نظام منطق كأنها عمل عقلى محض ، ألا إن هذا باطل ، فان الحياة الواعية فى كل انسان لها جذور تمتص من الحياة غير الواعية فيه ؛ وإن حبه لمعرفة الحقيقة يعود إلى غريزة فيه قوية خفيــة . عد إلى المذهب الفلسفى العددى المجرد من كل شخصية ومن كل هوى تجـد شيئاً يتزل منزلة الايمان فيه ؛ وما نظريات الفيلسوف فى الحقيقة إلا بنات مذكراته واعترافاته . إن هـذا الفيلسوف ليس فى الحقيقة - كما يخيل الينا - مفكراً خالصاً ، ولـكنه محام خبيث يذب عن اعتقاداته الوهمية ولا سيما الأدبيــة منها . يجرب أن يجعل من اعتقاداته حقائق ثابتة ودساتير نافذة . على أن هذه الاعتقادات التى تنطوى عليها المذاهب الفلسفية التى تريد أن توجه الحياة فى سبيلها ، إنما هى اعتقادات مستمدة من المثل الذى يبشر بالزهد والمسكنة . . . وهكذا لم يكن الـكاهن والفيلسوف بخصمين - كما يبدو ظاهر الأمر - وإنما صاحبان وإن كانا لا يدريان

هذا هو (كانت) أبو الفلسفة الألمانية لا يرى فيه نيتشه إلا كاهناً مسيحياً تطور فى بعض حالاته . وخلاصة فلسفته أنها تضع « شعبتين » من شعبها خارج القوة العقلية ؛ فى الأولى تلهج بعالم حقيقى مباين لهذا العالم المبنى على الظواهر والحوادث ، وفى الثانية تؤمن بالشريعة الأدبية الخلقية انها مقدرة تقديراً . وإذا جرد المحقق هاتين الشعبتين وجد أنهما وليدتا نظريات الشريعة المسيحية ذاتها . اذ ما هو الايمان بعالم حقيقى غير هذا العالم ؟ أليست هذه الفلسـفة تنطوى على الفكرة التى يبشر بها علم اللاهوت ، فالاله هو العلة الأولى للوجود الذى تتلقفه الحواس ، وحياة الانسان الحقيقية هى الحياة فى الله ، وهكذا أخذ النظريون فـكرة القول باله صالح ، باله للمتألمين ، ودنقوها وسموا بها وبدلوا لونها حتى أحالوها عنـكبوتاً ضخماً ينسج الوجود من خيوطه . فـكان منه « المثل الأعلى » والعقل الخالص ، والواحد المطلق ، والشىء القائم بذاته ؛ على أن هذا الشىء القائم بذاته ، وهذا العالم الحقيقى ان هما - اذا تجردا - إلا العدم الخالص

ان اله المسيحيين - كما يراه نيتشه - هو اله كل ما يتألم ، وكل ما يجنح الى الموت ؛ وهو بدلا من أن يبشر كالآلهة الوثنية بما يفيض على الحياة من بهجة ونعيم ، ويبث الارادة القوية التى تقول للحياة : « بلى » ، ولـكل ما تحمله « بلى » ؛ تراه يحمل الناظر الى كل منحط خسيس فى فؤاد الانسان ، يكره الحياة الحقيقية ولا يحمل لها إلا مقتاً ؛ ويجعل رجاءه فى حياة وهمية ثانية . إن عالم النظريين عائل فى حقيقته هذا العالم المسيحى . إنه كلمة فارغة من كل حقيقة ؛ إن الاله المسيحى هو علامة « سلب الحياة » ، وإله الفلاسفة هو العدم الخالص

وتلك الارادة التى تمثل هـذا الاله إن هى إلا الجنوح الى الفناء . وإن أبرز هؤلاء الفلاسفة الذين يعتقدون بأنهم مارقون من كل دين وكل إيمان هم فى الحقيقة رجال إيمان لا يتزعزع . إن هؤلاء العلماء والفلاسفة اللابسين أثواباً مختلفة إنما لباسهم لباس واحد يلفهم ويضم بينهم ، هو لباس الزهد

لنحال مُستَقدهم : أن إرادة إدراك الحقيقة - مهما كان نمنها - تتهيأ فى طريقين مختلفين : تقول « لا أريد أن أخدع ! » أو تقول « لا أريد أن أخدع نفسى ولا أخدع أحداً » أما القول الأول فهو بعيد عن الحقيقة ، لأن الانسان ليقدر على أن يسمو إلى الحقيقة بفطنة منه أو خشية إذا كان يثق فى نفع هذه الحقيقة السامى اليها . ولـكن الحقيقة هى أنه إذا كانت هنالك حقيقة بدأت تنجلى شيئاً فشيئاً للعقول المستنيرة فهى أن الوهم ذو فائدة للوجود وضرورى له كالحقيقة . وفى اعتقاد نيتشه أن الوهم والـكذب هما من الجواهر اللازمة للحياة

إن مسألتنا التي نبتغي حلها ليست بجملة اعتراضات ، ولا فوز في النطق ، وإنما مسألتنا هذه : « ما هو الأجدى نفعاً لحفظ الحياة وصيانة النوع ووقاية الحيوان ؟ » وإنا لنستطيع أن نقول بدون تردد : إن الأفكار والأحكام الأكثر بعداً عن الحقيقة هي عندنا من الأشياء التي لا مُنصرَف عنها : ولو أن البشرية استغنت عنها لما استطاعت الحياة ، إذا كان الجحود جحوداً بالحياة نفسها وإعداماً لها

ولكن لو فرضنا أن الكذب أكثر نفعاً والحقيقة أكثر شؤماً ، فإن رجل العلم لا يجنح - إذ ذاك - الى الحقيقة طمعاً في فائدة أو رهبة من شيء ، وإنما يجنح اليها ويتواقع عليها لأنه نشأ على ألا يخدع نفسه ولا غيره مهما كلفه ذلك . تراه يضحي بسعادته وبالبشرية في سبيل الحقيقة ، هذه الحقيقة المقدسة التي راح يسميها المسيحي إلهاً

ومما لا ريب فيه أن ناشد الحقيقة يضع إيمانه في وجود غير هذا الوجود ، وحياة غير هذه الحياة . فماذا تراه يضع في وجودنا هذا بعد انصرافه عنه ؟ هل يجد غير الجحود به ؟ ولكن رويداً ! أريد أن أقول : إن اعتقادنا العلمي مبني على اعتقادنا النظري . وإننا نحن مفكري اليوم ، الجاحدين الناكرين نستمد النار التي تحرضنا وتثيرنا من الجمرة التي أضرمتها نار العقائد كثيراً ، ومن ذلك الإيمان المسيحي الذي شابه الإيمان الأفلاطوني القائل بأن الله هو الحقيقة وأن الحقيقة هي آلهيته

إن رسول الجيل الحاضر لم يجرؤ على أن يشك في القيم الحالية الموروثة ، لم يجرؤ على القول : ما هي قيمة الحقيقة وما هي قيمة ذلك الأمر المطلق للفضيلة التي تأمرنا بسلوك طريق الحقيقة ؟ إنه وقف مكتوف اليدين إزاء مسألة الحقيقة والفضيلة . إنه لم يقل لماذا وجب على الانسان أن يعرف كنه هذه الطبيعة التي نحسها اليوم كقوة عمياء ، غير عاقلة لا تعبأ بالخير ولا بالشر ، فيها قوة الخصب والتوليد ؛ تنجب دائماً مخلوقات جديدة لتضحي بها لغايات لا معنى لها ، ولا عاطفة في صدرها ... وإذا كانت هذه حالها فلماذا كتب الانسان على نفسه التضحية بها في سبيل مثل هذه الألوهية ؟

يرى نيتشه أن الرغبة في الحقيقة مثلها مثل الصبغة المصرية لصرامة التنسك والزهد التي دفعت الانسان إلى أن يضحي - في سبيل آلهه - بكل ما علك يداه ، فكان الانسان يقرب له الضحايا البشرية ، يضحي بأول غلام يأتيه ، حتى إذا جاء العهد المسيحي أصبح الزاهد يضحي للآله بكل غرائزه وميوله الطبيعية

والآن ماذا بملك عليه ليضحي به ؟ ألم ينته دور التضحية له بكل عزيز ؟ أليس الأجدر الآن تضحية الآله نفسه ؟ وعبادة الحجر والمُبهم والثِّقل والحظ والعدم إمعاناً في مجافاته ؟ وهكذا تجد رسول المعرفة الذي لم يهو في مهواة الشك ، المؤمن بالحقيقة ، الجريء على خلق مثل أعلى ، الشديد إيمانه بالعقل السامي والفضيلة ، تجده - إذا نزعت رداءه - زاهداً ينكر الوجود ، ومتشائماً يفر من الحياة ، لأنه يأبى أن يستسلم إلى الوهم ، إلى الكذب اللازم للحياة ، انه عدى كالمسيحي يعمل على أن يقذف بالانسانية في هاوية العدم

(يتبع) خليل هنداوي



صور من هوميروس

٢١ - حروب طروادة

١ — مصرع أخيل ٢ — انتحار پوليكسينا
٣ — سهام هرقل ٤ — مقتل پاريس
٥ — نهاية إيونونيه

للأستاذ دريني خشبه

انتهت الهدنة ، واندلعت نيران الحرب كرة ثانية ، والتحم الجمعان تؤجج العداوة بينهما ثارات وثارات ؛ ولم يُجدِ الطرواديين أن تنضم إليهم مليكة الأمازون تحارب بفصائلها فى صفوفهم وتشد بجموعها أزرهم ، فان أخيل هو هو لم ينقص ولم يزد . . . بل هو يزيد كل يوم ظمأً إلى دماء قاتلى صديقه وأحب الناس إليه ... بتروكلوس الشهيد ...

لقد انقض أخيل على مليكة الأمازون التى انقضت بدورها على جحافل الميلانيين فأوقعت الروع فى نفوسهم ، وقذفت الرعب فى قلوبهم ... فلم يزل بها يصاولها ويطاولها حتى نهز منها نهزة أنفذ بها رمحه فى صدرها ، وعفر جبينها الملتهب بثرى المعمعة ، وجردها من سلاحها إذ هى جثة هامدة ، وانكفأ أتباعها وبهن من الحزن على صاحبة الأمر فيهن ... ماصرفهن عن طروادة والطرواديين

وإن أخيل ليصول فى الميدان ويجول ، وإنه ليرتفع ببصره عفواً ، وعن غير قصد ، إلى البرج الشاهق من أبراج إليوم ، فوق البوابة الاسكائية ، إذا به يلمح قمراً مطلاً من شرفة البرج يرنو بعينى ظبى ، ويسطع بجبيد رئم ، ويشرق بخدين ناضجين من خدود ربات الخدور ، يرسلان على الساحة كلها سناءً ورُواءً ...

من هى ؟ ...

من هذه العذراء البارعة التى تشرف هكذا على الساحة الحمراء فتطفئ جذوات الغل المتقدة بين أضلاع أخيل ، وتضع حداً لهذه الثورة التى ظلت إلى تلك اللمحة تعصف بنفسه الغضبى ، وتحز فى قلبه المحزون ؟ ...

أوه ...!! إنها الأميرة الفتانة پوليكسينا ، صغرى بنات الملك الشيخ ... بريام البائس الباكى الحزين ...

لقد أرسلتها العناية لتشرف على الساحة الصاخبة ، ولتنظر إلى هذا البطل الخرافى الجبار الذى لم يعد بيت فى طروادة كلها إلا وفيه لسان يلهج بذكره ، ويتحدث عن شجاعته ، ويخوض فى جبروته .... ثم لم يعد بيت فى طروادة كذلك ، إلا وفيه عين مؤرقة تبكى على عزيزها الذى قتله هذا البطل ، أو الذى سيقتله ، أو الذى يخشى منه عليه أن يقتله ... كأنه أصبح سفير هيدز إلى إليوم ، أو وزير بلوتو العظيم !!

وأبصر أخيل بها ... ويالها من نظرة أنبتت فى قلبه دوحة من الحب وارفة ، ذات ظلال وذات أفياء ...

وظل الرمح يهتز فى يده ... ولا يصيب أحداً ... وظل هو يسارق قمر البرج المطل نظرة فنظرة ، وظل مشدوهاً مسبوهاً ... لا يعرف لم شُبَّت هذه الحرب ، ولم يقتتل هذان الجمعان ؟! ...

وانثنى من الميدان ينظر فى هذا الغرام الجديد ...

ولم يجد بداً من العمل لاحلال السلم محل تلك الحرب التى طالت وتتابعت عليها السنون ، من غير أن يظفر الميلانيون بالطرواديين ، أو الطرواديون بالميلانيين ، ومن غير أن يفكر أحد فى هذه المجزرة الشائنة التى تفتدى كل يوم بقطوف الشباب من زهرات الأمتين على السواء

فياله من حب مهد لسلم ، لولا قساوة فى القلوب زادتها الثارات عنفواناً ، ولولا شرف أمة بأسرها تعبث به امرأة ، ولولا الأحن التى ذهبت بأبناء الملوك الصيد !

واستطاع أخيل أن ينفذ رسله إلى بريام يستعتبه ، ثم استطاع الرسل أن يخاطبوا الملك فى بوليكسينا على أن تكون أحب أزواج أخيل وآثرهن إلى قلبه ، فوعدهم الملك ، بعد إذ لحظ من افتتان ابنته هى الأخرى بزعيم الميرميدون ، أن تتم مراسيم الزواج حين تضع الحرب أوزارها ، وحين تنكشف هذه الغمة القاسية عن طروادة ...

بيد أن الهوى المبرح قد ألح على قلب أخيل ، والصبابة العاتية قد جمعت أفانين من السهاد فى عينيه ، وطيف بوليكسينا يراوحه ويغاديه ، ويملأ عليه أخيلته ، ويتهادى أمامه فى كل نظرة ينفرج عنها هدبه ، أو غمضة يتناعس بها جفناه ! فلم يطق إلى صبر من سبيل !

وأنفذ رسله كرة أخرى فاتفقوا مع الملك على إجراء مراسم الخطبة ، عسى أن تفل من غرب هذه الحرب القاسية ، أو تبزغ منها تباشير السلام المنشود !

وأعلنت هدنة ليوم أو بعض يوم ؛ وأقيم المهرجان الفخم فى صميم الحومة الرائعة ، وتقدم أخيل فصافح الملك ، وأعلنت الخطبة ، وانثنى الزعيم المظيم وقلبه يطفر من الفرح ، أن أصبحت له بوليكسينا ...

وما كاد البطل ينقلب إلى جنده ، حتى كانت ڤينوس توسوس إلى باريس أن ينتهز الفرصة العزيزة النادرة ، ويريش سهماً من سهامه المسمومة إلى عقب أخيل التى لم تغمرها مياه ستيكس فيصميه ... فيرديه ! !

ووتر باريس قوسه ، وأرسل السهم المسموم إلى عقب أخيل فنفذ فيه ، وأنفذ فيه قضاء ربات القضاء ... اللائى فرغن الساعة فقط من غزل خيط حياته ، وقطعته أتروبوس [1] الهائلة بمقصها الجبار الفظيع

وهكذا أنهى باريس الخائن تلك الحياة الحافلة بغدرة سافلة من غدراته التى توشك أن تنتهى !

***

واستطير الميرميدون ! وانقض أوليسيز كالعاصفة ينافح عن جثمان صاحبه ، واستطاع أن يستنقذ القتيل العزيز من أيدى أعدائه الجبناء ؛ وكان أجاكس المظيم يعاونه فى دفع الجموع الحاشدة التى تكاثرت حول الجثة تطمع فى عدة فلكان ...

وانصرف الجيش الحزين يذرف دموعه على أخيل ! !

واجتمعوا حول الجثة المضمخة بالطيب وحنوط المسك يحرقونها !

ووقفت ذيتيس تلقى على ابنها نظرة الوداع ... وتذرف عليه عبرة الوداع ! !

وكانت ثيابها السود تبكى معها ...

وكانت السماء كلها تذرف شئونها على أخيل ...

وعرائس البحر ساهمات على شواطئ الهلسبنت الفائض بالآلام !

ونبتيوس المحزون يضطرب فى الأعماق فيجعلها ضراما !

والأولمب كله ، ما عدا عصابة ڤينوس يعزى بعضه بعضاً ! !

وليس أولئك جميعاً شيئاً إلى ما حدث من بعد ، قبيل أن تخمد النيران فوق أخيل ... فقد ضج المكان الصامت بصيحات مفاجئة ، نبهت ما سكن من هول هذا المحشر الرهيب ... وتلفت القوم ، فاذا أجاكس المظيم قد أصابه طائف من المس ، وإذا به يرغى ويزبد ، ويعول وينشج ، ثم يقذف من فمه صبيباً من الدم ، يتلوه شوب من العلق ، وينبطح على الأرض ثم يثب على قدميه ؛ ويروح ويغدو دون أن يلوى على شىء ... ثم يستل جرازه ويركزه فوق الأرض ، ويتكئ بصدره على سنانه ، فينفذ السنان من ظهر أجاكس ، ضحية جديدة لهذه الحرب التى لا تشبع ، وخيط حياة حافلة يمر وشيكا بين الشفرتين من مقص أتروبوس ! . . .

ويحك أجاكس ! وللآلهة ما وفيت لأخيل يا بطل الأبطال !

***

وذهل القوم لانتحار أجاكس ، ولم يفيقوا من ذهولهم إلا ليروا إلى مأساة ضعضعت ما أبقى عليه الحزن من ألبابهم ،

(١) أشرنا إلى ربات القضاء سالفا — وهن ثلاث — ١ – كلوتو وتنسج خيوط الحياة – ٢ – لاخيسز وتبرمها حتى تحتمل عاديات الزمان – ٣ – وأتروبوس وتقطعها فتنتهى الحياة !

وأطاشت ما بقى من حلومهم ، وتركتهم سكارى وماهم بسكارى هذه پوليكسينا ! !

إنها تقبل من طروادة كأنما بها مس ....

وهى تطوى الساحة المزدحمة بالأشلاء ... المضرجة بالدماء ، بقدمين عاريتين ، لا يقيهما حذاء ... وإن الدم ليتفجر منهما ...

وهى تصرخ ... وتلطم خديها الشاحبين ، بكفيها الواهيتين

وهى تجفل كالظبية المراعة ، وتدور حول نفسها ... ثم تقف لحظة ... وتنطلق ....

وهى تفعل هذا حتى تكون أمام البركان الخافت ، المشتمل على رفات أخيل ...

وإنها لتقف تلقاءه جامدة كأنها دمية .... ذاهلة كأنها تمثال ....

يالهول ! !

لقد انطلقت الفتاة تخاضت النيران .... ودست رأسها فى جمرات الغضى تبحث عن حبيبها المرجو .... عن أخيل .... ! ! (١)

أخيل الجبار ... قاتل ليكاون وپوليدور ... وهكتور ! !

***

ويجزع الهيلانيون مما ألم بهم من مقتل أخيل ، وانتحار أجاكس حزناً عليه ، فينصرفون عن الحرب إلى استيحاء آلهتهم ؛ وينفرد كالخاس يرسل نظرة فى النجوم ، ويناجى سكان السماء ، ثم يقبل على القادة وقد فرغت قلوبهم من الصبر ، وتبلبلت أفكارهم من طول الانتظار .... فيقول : « سهام هرقل ! ! لابد من سهام هرقل ! ! لن يفتح عليكم طروادة إلا سهام هرقل ... ! ! »

سهام هرقل ؟ ؟ وما سهام هرقل هذه ؟ ؟ »

آه ! لعلها هذه السهام التى غمسها هرقل فى دم هيدرا (٢) فتسممت به ، وادخرت من الموت ما يكفى لابادة الطرواديين جميعاً ...

(١) اختلفت المصادر فى انتحار پوليكسينا ، فبعضها يرويه كما أثبتنا ، وبعضها يزعم أنها انتحرت على قبر أخيل — والبعض يروى أن بيروس ابن أخيل ، قد انتزعها من حضن أمها هكيوبا وجعل منها قرباناً على قبر أبيه عقب فتح طروادة

(٢) نشرنا هذه الأسطورة فى الرسالة فى « مجازفات هرقل »

ولكن أين هى هذه السهام اليوم ! وأنى للهيلانيين أن يهتدوا اليها ؟ !

جلس القادة يفكرون ...

وذهب العرافون يقلبون صحف الغيب ....

وطفق مشايخ الجند يفتشون فى زوايا أدمغتهم ...

ثم ادّكر أوليسز ، بعد لأى ، أن هذه السهام المنشودة قد تُركت مع الجندى القديم فيلوكتتيس (١) الذى غادره الجيش فوق جزيرة لمنوس ، فى طريقه إلى طروادة ... فجرَّ الحملة ... منذ عشر سنوات !

ولقد كان فيلوكتتيس قد أصيب بجرح كبير فى قدمه جعل اصطحاب الحملة له من المحال ، لما كان يلقى أوانئذ من الآلام المبرحة ، وما كان يملأ به آذان الجند من الصراخ والأنين ... فاضطر أوليسز الى تركه فى جزيرة لمنوس ، حيث أوى الجندى المسكين الى كهف منعزل عكف فيه على جرحه يعالجه ... دون جدوى !

واتفق القادة على أن يذهب أوليسز ، مصطحباً معه بيروس ابن أخيل ؛ (أونيوپتلموس كما كانوا يسمونه أحياناً) الى جزيرة لمنوس ليريا هل الجندى الجريح ما زال يحيا هنالك ، وقد بحثا عنه فى أنحاء الجزيرة حتى عثرا به يئن فى كهفه ويتوجع ، ويشكو إلى غير سميع ، فعرضا عليه أن يصحبهما إلى طروادة فأبى . وجمله يشتد فى الأباء تذكره هذا اليوم الأغبر الذى آثروا فيه تركه فوق تلك الجزيرة القاحلة لا أنيس له ولا سمير ، ولا لسان يرفه عنه وحشة الألم ووحشة المنفى الذى لا يدله فيه ؛ وكبر عليه أن ينطلق مع هذا الجيش الذى جحده وغمطه حق الجهاد فى سبيل الوطن ، والذود عن شرف هيلاس واسمها المقدس ...

وتركه أوليسز لبيروس يأخذه بالحيلة والرفق ... ولكن بيروس ما يستطيع قط أن يقنع فيلوكتتيس ... فيكاد يدعه برما متسخطا .. لولا أن يظهر طيف هرقل فجأة مرفرفاً فى العلو ثم يأمر فيلوكتتيس ، بعد تهويمة هنا وتهويمة هناك ، أن

(١) اعتمدنا فى تلخيص هذا الجزء من ذلك الفصل على درامة سوفوكليس الخالدة Philoctetes ترجمة لويس كامبل طبعة اكسفورد

ينصاع لما يأمره أوليسيز به [١]

ولا يسع الجندى الكريم إلا أن ينطلق مع أوليسيز . . . فيركب الجميع فى السفينة إلى طروادة ، ويلقاهم العسكر المشتاق بالبشر ، ويهرع اليهم بالايناس !

أليس فى سهام هذا القادم الأعرج ... النصر كل النصر ؟!

***

ونفخ فى صور الحرب ، واشتجرت الأسنة ، واستحر القتال ، وتبوأ فيلوكتتيس مقعداً للرماية لا يبصره فيه أحد ؛ فى حين يبصر هو منه كل مافى الميدان ! وراش سهامه !

وتطايرت المنايا عن قوسه المرنان ! وسعت إلى الطرواديين مصارعهم تهددها سهام هرقل ، وتمهد لها عين فيلوكتتيس ! ومرق سهم منها إلى باريس ! ...

وكان يشرف على المعركة من أسوار إليوم ! ... فوقع يتشحط فى دمه ، وينغص بريقه ، ويصرخ من الألم الذى يسرى فى عروقه مع الدم ... والسم !!

واجتمع حول باريس أبوه وذووه وعشيرته ... وهيلين !... وطفق الجميع يبكون فى باريس إخوته ، والذكريات السود التى أقبلت من كل صوب ترف فوقه وترنق على جبينه ...

وأخذ الألم من باريس مأخذه ... وراح المسكين يصرخ ويتلوى ... غير آبه لما تغرقه به هيلين من قبلات دنسة ، ودموع مسمومة ، كانت الويل كل الويل على طروادة والطرواديين

وذكر ، وهو يتجرع غصص العذاب ، أن حبيبته الأولى وزهرة صباه ، ووردة حبه القديم ، أيونونيه ، كانت قد ذكرت له أنها تعرف من خواص الأعشاب المختلفة ما يشفى أقله أشد أوجاع الجروح وأنكاها وصباً ... فأشار إلى بعض أهله ، وطلب إليه أن يذهب إلى سِيف البحر عله يجد إيونونيه ... فاذا لقيها فليخبرها بما انتهى إليه (حبيبها !) باريس ، والآلام التى تعذبه وتشقيه ، من جراء جرح هذا السهم المسموم ... ... بيد أن إيونونيه التاعسة ... إيونونيه المعذبة ... إيونونيه التى أخلصت لباريس الحب حتى عبدته ... ذكرت ما كان من هجر هذا الحبيب وقلاه ؛ وذكرت دموعها التى ذرفتها مرة تحت قدميه ضارعة متوسلة ... وتلك القساوة التى كافأها هو بها لما أن خدعته فينوس ... وأوقعته فى أحبولة هيلين ... ... فرفضت أيةَ شماء أن تذهب اليه ... ؛ والآلهة وحدها تعلم مقدار ما كانت تكنه له برغم هذا الرفض من الحب النقى ... والصبابة الحزينة ... والهوى المتأجج المشبوب !!

وقضى باريس ! ! ...

وأعدت النيران الضخمة لتحريقه ، فما هو إلا أن أشعلت من حوله حتى شوهدت إيونونيه التَبْبُولة تخرج من لجة الهلسبنت وتعدو ، كأن قد أصابها مس ، حتى تكون تلقاء النار.. فتقف باهتةً ... وتتنهد طويلا ... وتقذف بجسمها الجميل المرمرى المشوق فى اللهب ... وتصرخ صرخة مشجية ... و ... وتنتهى قصة حبها الباكى ...

ونخط بيدها آخر سطر فى كتاب باريس ...

(البقية فى العدد المقبل) دريني خشبة

---

(١) هذه رواية سوفوكليس ويقول هوميروس إن هرقل زار فيلوكتتيس فى المنام وألقى اليه هذا الأمر



الأدب قبل هوميروس

يقدرون أن هوميروس عميد الشعر اليونانى وصاحب الالياذة الشهيرة قد عاش قبل المسيح بنحو ألف عام ؛ والمعروف أن هيرودوت (أو هرشيوش) أبا التاريخ قد عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ؛ ولكن انتهى الينا نص كامل من الالياذة ، وانتهى الينا نص كامل لتاريخ هيرودوت مع أن الأثرين الخالدين وضعا فى عصور لم تعرف الكتب ، فكيف كانت حال الأدب والتاريخ ، وكيف كانت تتناقل الآثار الأدبية فى هاتيك العصور ؟ كانت الرواية السماعية ولا ريب هى أنجع الوسائل لتوارث التفكير والأدب ، وان كانت الآثار والنقوش والكتابات البردية أيضا من وسائل تدوينها ، وهذا ما تناوله العلامة الانكليزى الأستاذ طومسون فى كتاب ظهر حديثاً عنوانه « فن الرواية » The art of Logos ؛ وكلة « لوجوس » رومية معناها « مايقال » والأستاذ طومسون حجة الادب اليونانى القديم ، وهو يتناول فى بحثه العلمى القيم فن الرواية فى عصور ما قبل التاريخ وكيف كان هذا الفن يشمل التاريخ والشعر والقصص ، وكيف أنها جميعاً تكاد تمتزج بعضها ببعض . ويعنى الأستاذ طومسون بوجه خاص بتحليل رواية هيرودوت وما فيها من الحقائق التاريخية الخالدة ؛ ثم يعنى ببحث الأساطير اليونانية الكبرى وأصولها ومراميها ، وأصل الالياذة ، والأوذيسة ؛ وتأثير الرواية فى تطور العقلية الشعبية خلال هذه العصور ، كل ذلك بأسلوب علمى محقق ، ممتع فى وقت معاً

وما يتناوله الأستاذ طومسون فى كتابه هو نفس الحالة التى كان عليها الأدب العربى قبل الاسلام ، فالشعر الجاهلى الذى ورثه الأدب الاسلامى ، ووقائع العرب وأيامها ، وما يتخلل ذلك كله من القصص والأساطير ، والمنثور والمنظوم ، انما انتقل خلال العصور بالرواية والسماع ؛ وقد كانت الرواية فى الجزيرة العربية بلا ريب أقوى وأنفذ ، وكان أثرها بلا ريب أقوى فى تكوين الأدب الجاهلى ؛ وتقدم الينا كتب الأدب الكبرى مثل الأغانى ، والعقد الفريد صورا بديعة مما كان عليه أدب الرواية فى عصور قد ترجع إلى ما قبل الاسلام عدة قرون

من كنوز البردى المصرية

يذكر القراء تلك الضجة التى قامت منذ أشهر حول تسرب الآثار المصرية القديمة خارج القطر ومنها مجموعات ثمينة من أوراق البردى التى ترجع إلى العصر الرومانى ؛ وقد ظهرت فداحة الخسارة الأثرية والعلمية التى أصيبت بها مصر من جراء تسرب آثارها على هذا النحو فى حادثين : الأول ظهور مجموعة ثمينة من أوراق البردى المصرية فى برلين ، وهى باقرار الخبراء أثمن مجموعة من نوعها لأنها تحتوى على نصوص عدة كتب كاملة من كتب مانى الفيلسوف الفارسى وصاحب المذهب المشهور ؛ والثانى ظهور بعض قطع وشذور من أقدم إنجيل معروف ، وقد كتب باليونانية على ورق البردى الذى تسرب من مصر أيضاً

وقد اقتنت مكتبة رايلاندس الانكليزية الشهيرة بمنشستر طائفة من هذه الأوراق الثمينة منذ أعوام ، وبدأت بنشرها ، فأصدرت مجلداً يحتوى على نصوص طائفة من أوراق البردى المصرية منذ العصر اليونانى ؛ وأصدرت أخيراً مجلداً جديداً يحتوى على نصوص طائفة من أوراق البردى المصرية منذ العصر الرومانى ؛ وأهمية هذا الجزء الأخير هى أنه يحتوى على مقتطفات من الانجيل الرابع (انجيل يوحنا) هى أقدم نصوص من نوعها ؛ وهى باللغة اليونانية ، ولكنها كتبت بمصر فى عصر يقدره العلماء والخبراء بالنصف الأول من القرن الثانى الميلاد ؛ وقد كان المظنون حتى اليوم أن انجيل يوحنا يرجع إلى عصر متأخر نوعاً ، يقدر بأواخر القرن الثانى ؛ ولكن ظهور هذه القطع من إنجيله ، وما اقترنت به من شواهد فى الكتابة والحبر والهجاء

تدل على أنها كتبت بمصر فى عصر الأمبراطور هادريان ، مما يحمل العلماء على تغيير نظريتهم ، والرجوع بانجيل يوحنا إلى أوائل القرن الثانى أعنى إلى نحو سنة ١٢٠ ميلادية

أما مجموعة برلين من أوراق البردى المصرية التى تحتوى على كتب مانى الفيلسوف فيجرى بحثها اليوم بمعرفة العلماء الاخصائيين تمهيداً لنشرها والتعريف عنها

وهكذا يتسرب تراثنا الأثرى والعلمى على هذا النحو ، ونحن شهود نرمق هذه الاختلاسات المتوالية باسم العلم والبحث

مذكرات صحافى شهير

هنرى نفنتون من أشهر الصحافيين الانكليز الذين جابوا أنحاء العالم وشهدوا عظائم الحوادث فى مختلف الأقطار والمناسبات ، وقد عرف خلال حياته الطويلة الحافلة مختلف الشخصيات فى ميادين الحرب والسياسة والأعمال ؛ واتصل بالعظماء والأقوياء وزعماء الثورات ، وتجار الرقيق وبالشعراء والأدباء ، والقتلة واللصوص ؛ وشهد بنفسه كثيراً من الحوادث والانقلابات التى وقعت فى أنحاء العالم منذ أواخر القرن الماضى ؛ فنى سنة ١٨٩٧ شهد الثورة اليونانية فى كريت ضد الترك ، ودرس الفظائع التركية فى البلقان كما درس تجارة الرقيق فى أفريقية وشهد فى سنة ١٩٠٥ مؤتمر الشباب الروسى لالغاء عقوبة الاعدام ، ورأى فلول الجيش الروسى المنهزم أمام اليابان ؛ وعرف تولوستوى وتحدث اليه فى منزله الريفى فذكر له أن ما يراه ليس ثورة وليس انقلابا ، ولكنه يرى خاتمة عهد مضى ؛ وشهد فى سنة ١٩٠٧ جهود آنى بزانت ودعايتها فى الهند ؛ وتجول فى ميادين الحرب أثناء الحرب الكبرى ، وشهد وقائع الدردنيل ، وانسحاب الانكليز من غاليبولى ؛ ثم شهد بعد ذلك الثورة الأرلندية الوطنية ، ومؤتمرات الصلح ، وشهد احتلال الجنود السود لمناطق الرور فى ألمانيا سنة ١٩٢٣ ، وتجول فى بيت المقدس وبغداد ، وكتب عن دراساته ومشاهداته مقالات ومذكرات لا نهاية لها

وقد أخرج مستر نفنتون أخيراً كتاباً ضخماً ضمنه كل هذه المشاهدات والدراسات بعنوان « نار الحياة » Fire of Life ؛ وكتبه بأسلوب قوى شائق يمتزج فيه صدق المؤرخ وخيال القصصى ، ويمتاز الكتاب بما يطبعه من روح إنسانى قوى ؛ ذلك أن مستر نفنتون رجل يضطرم فؤاده إنسانية ورحمة ، ويجيش ذهنه بأشرف المثل ، فهو يطرى الثورات الوطنية أنى وقعت ، ويحمل على سياسة العنف والغصب أيا كانت ، وينوه بالحقوق حيثما استحقت ، ويندد بكل ما فيه قسوة أو تحامل ، وينصر المثل العلمية والانسانية أيا كان مصدرها ، ويعتبر كتابه سجلا بديعاً لحوادث نصف القرن الماضى

الاذاعة المدرسية

كان يوم الاثنين الماضى بدء الاذاعة المدرسية التى شرعتها وزارة المعارف فى عهد سعادة وزيرها الحالى ـ لفائدة تلاميذ المدارس . والمشروع جليل يستحق الاحتفال والثناء والشكر لوزير المعارف

وكانت أولى المحاضرات بعد كلمة سعادة وزير المعارف فى مفتتح الاذاعة ، كلمة الأستاذ مهدى علام فى : « عتاب بين الأدب العربى والانجليزى ! » ماذا يُوحى هذا العنوان ؟ أما عندنا ، فكنا ننتظر أن نسمع حواراً بديعاً طريفاً بين العربية وأختها ، وما أكثر ما يقتضى العتاب بين اللغتين ! ولكنا . . . ولكنا لم نسمع إلا قطعتين من نماذج العتاب فى الأدبين ، نشرهما المحاضر من محفوظاته ، ثم ربط بينهما بهذا العنوان . . . !

قد يكون اختياره حسناً ، ولكن لغة الكتابة غير لغة الأذاعة ، وهذا مشروع جديد فى وسائل التربية ، فما كان أحوجه إلى الجديد من أقلام أهل التربية . . . !

ثم جاء دور المدارس الابتدائية ، فأرهفنا السمع على شوق وأمل . . . وكانت تلاوة شعرية فى (عمرية حافظ) ، وعمرية حافظ لون من الشعر التاريخى ، حبيبة إلى نفوسنا ، يسرنا ويرضينا كل الرضى أن يفهمها ويعيها أولادنا ؛ ولكن هل كانت الاذاعة المدرسية من أجل ذاك ؟ فماذا يعمل مدرس المحفوظات . . . ! وهنا أيضاً كما هناك ، كان أدب ولغة ، وخطابة وشعر ؛ ولكن للكتاب لا للمذياع . . . !

واسألوا التلاميذ بعد ذلك ماذا سمعوا مما كانوا يترقبون أن يسمعوا ؟

إن مئات من المدرسين فى الوزارة يحسنون التحدث إلى التلاميذ بأحسن مما سمعوا يوم الاثنين ؛ لا لأنهم خير من الذين

أذاعوا ، أو أفهم لروح الطفل ؛ ولكن لأنهم قد يكونون أقدر على خلع شخصياتهم حين يتحدثون إلى الطفل

ما نريد من هذه الاذاعة أن نجتلي علم فلان وفلان فما نشك في ذاك ، وإنما نريد أن نعرف كيف يتجاهل العلماء حين يريدون الحديث مع هؤلاء العقول الصغيرة الفارغة ، حتى يعيش الأطفال في دنياهم على حقيقتها

إن في الأدب القديم وفي الأدب الجديد كثيراً مما يروق التلاميذ صغاراً وكباراً أن يسمعوه ، أكثر مما يروقهم أن يقرأوه ، وما نرى التلاميذ يؤثرون أن يسمعوا شيئاً أكثر مما يؤثرون القصص . وفي ثنايا القصص يقال كل شيء ؛ وهذا رأى لانحسبه غريباً عن المكتب الفني في وزارة المعارف ، وإن كان غريباً عن هذه الاذاعة المدرسية

وللمعلمين أيضاً إذاعة كما للتلاميذ ، وكانت الاذاعة لهم (في الخاتمة) محاضرة قيمة في شؤون التربية والتعليم ، ألقاها الأستاذ أمين مرسي قنديل . وليس في المحاضرة مما ينقد إلا شيئاً واحداً ، هو أن أستاذاً في التربية يحاضر المعلمين عامة في القطر ثم لا يصحح نطق الجمل ولا إعراب الكلام .

يا معلمينا الأجلاء . افهموا تلاميذكم قبل أن تحاولوا تفهيمهم ...!

معلم

أشعة الاخفاء

من أنباء بودابست أن كيميائيا مجريا فتى يدعى ستيفان بريبل أذاع أنه قد اكتشف نوعا جديداً من الأشعة يخفي الأشياء إذا سلط عليها ، وأنه اخترع في نفس الوقت مادة تحول دون اختفاء الأشياء إذا سلطت عليها هذه الأشعة ؛ وأنها إذا سلطت أخيراً على باب أو جدار أمكن رؤية ما وراءه . وقد أثارت هذه الدعوى في المجر دهشة واهتماما عظيمين ، ولكن المخترع الشاب لم يجد كالعادة ما يطمح اليه من التشجيع الجدي ؛ ولذلك عم شطر لندن ليقوم هنالك بعرض اختراعه ؛ وقد صرح الى الصحف الانكليزية بأن الأشعة التي اخترعها إذا سلطت على سيارة اختفت في الحال عن الأنظار ؛ وأنها إذا سلطت على غرفة تضم عدة أشخاص ، فان أولئك الأشخاص يتوارون عن العيان ولا يبدو منهم سوى أشباح كالظل ؛ وهنالك أشياء عجيبة أخرى يحققها هذا الاختراع المدهش ، فمثلا يمكن استعمال هذه الأشعة في المسرح وفي السينما ، فتأتي بنتائج عجيبة في تسهيل المناظر وتغييرها

ومع أن ماهية هذا الاختراع لم تثبت بصفة قاطعة ، فانه يذكرنا بأي حال بما نقرأه في كتب القصص القديم من طلاسم كانت تستعمل للاختفاء عن الأنظار ، وليس بعيداً بعد الذي نشاهده اليوم من أعاجيب العلم أن يتحقق اختراع الفتى المجري وغيره من الأمور التي كانت تبدو فيما مضى مستحيلة ، فاذا هي اليوم موضع المحاولة والبحث الجدي

زينة المرأة الحديثة

هل يسير الجمال النسوي بما تختاره المرأة اليوم لنفسها من صنوف الزينة والتجميل إلى الكمال ؟ أم أن المرأة أسرفت في الالتجاء إلى الصناعة حتى أصابت من جمالها الطبيعي ؟ يقول الأستاذ أولان دي لو رئيس قسم الفنون الجميلة بأكاديمية بروكسل في محاضرة له عن « أحوال الجمال في عصرنا » إن المرأة الحديثة تؤذي نفسها وجمالها من حيث لا تريد ، وانها تبدو اليوم شاحبة سقيمة ، وأن الأصباغ والمساحيق المختلفة تجعل من وجهها « قناعاً من الورق المقوى » . أما تجميل الأظافر واحمرارها فما يجعل المرأة الأنيقة تبدو كأنها وصيفة أو طاهية عاطلة

بيد أنه يلاحظ من جهة أخرى أن الحكم المطلق على وسائل التجميل والزينة فيه تحامل على المرأة ؛ فما لا ريب فيه أن المرأة في حاجة إلى التجميل ، فقد نستطيع مثلا بالقلم الأسود أن نصحح عيباً في الحاجب ، وليست وسائل التجميل كلها مفرقة أو مضحكة ، والمرأة الفنانة ذات الذوق الحسن تستطيع أن تسبغ على وجهها من حسن الصنعة جمالاً لم تمنحه إياها الطبيعة ، وفي وسعها أن تعتدل في استعمال الدهان أو التلوين ؛ أما الحكم فيجب أن ينصب على التجميل المفرق وعلى الاسراف في وسائله ؛ والزينة هي بلا ريب ضرورة للمرأة الحسناء لا تستطيع عنها غنى ، كما أنها لا تستطيع دون إضرار بجمالها وذاتها أن تهمل في زينة ثوبها أو شعرها أو قبعتها ؛ ولو أن النساء الأنيقات عملن بنصح الأستاذ أولان وتركن ما يلجأن إليه من وسائل الزينة لفقدن كثيراً من أناقتهن وجمالهن

ظهر الجزء الثالث من

الشوقيات

للخالد الذكر أحمد شوقى بك

أمير الشعراء

يطلب من

مكتبة النهضة المصرية

١٥ شارع المدابغ بالقاهرة — تليفون ٥١٣٩٤

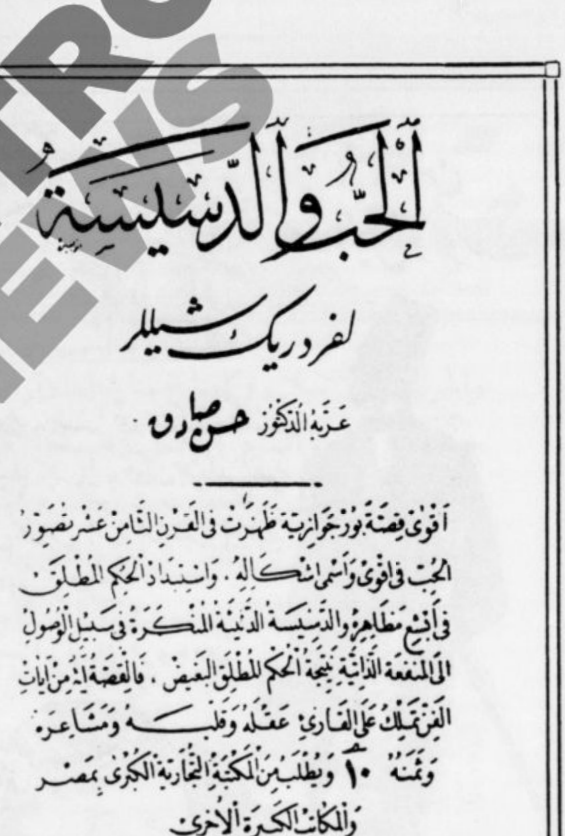
ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه غير أجرة البريد ٨ قروش صاغ

فى يوم الاثنين ٢٧ يناير سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا وما بعدها إذا لزم الحال بجهة شارع جوده نمرة ٤٩ قسم الجمرك .

سيباع علنا ماهو موضح بمحضر الحجز التنفيذى المؤرخ ١٥ مايو سنة ٩٣٥ وهى سرير حديد أسود بوصه وربع وصندوق خشب ودولاب خشب جوزى وأشياء موضحة بالمحضر آنفا ملك الست نظيره حسن شحاته المقيمة بالجهة المذكورة بناء على طلب حضرة صاحب العزة باشكاتب محكمة اسكندرية الأهلية بصفته مديراً لادارة خزانتها القضائية تنفيذاً لقائمة الرسوم فى القضية رقم ٥١١ سنة ٩٢٨ وفاء لمبلغ ١٨ جنيه و ٧٩٥ مليم قيمة المحجوز من أجله والنشر السابق خلاف ما يستجد وأجرة هذا فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأحد ٢ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية الهياتم وبوم الثلاث ٤ فبراير سنة ١٩٣٦ بسوق المحلة بناء على طلب نجيب أفندى تادرس صراف كفر المرازقه سيباع علنا مواشى وحاصلات مبينة بالمحضر ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ملك السيد على النجار من الناحية نفاذا للحكم نمرة ٣٩٩٩ سنة ١٩٣٥ كفر الشيخ فعلى راغب الشراء الحضور



فى يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ من الساعة ٦ صباحا بناحية الحورانى وفى يوم ١٦ منه بسوق فارسكور سيباع علنا بقرة حمراء بقرون علباوى سن ٦ سنوات تقريباً ونتاجها عجلة بقر حمراء وصفراء سنها سنة ونصف تقريباً ملك أحمد محمد أبو حمد من الحورانى والبيع كطلب قلم كتاب محكمة المنصورة الابتدائية الأهلية ونفاذا لقائمة الرسوم فى القضية المدنية نمرة ٢٠٤ سنة ٩٣٢ مستأنف ووفاء لمبلغ ١ ج و ٧٨٠ م ومائة مليم رسم التنفيذ وما يستجد فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم ٨ فبراير سنة ٩٣٦ الساعة ٦ صباحا بناحية الشيخ سليمان تبع شملان مركز ابشواى وفى يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ٦ صباحا بسوق النزلة سيباع علنا حمارة زرقاء سليمة قوية وحمارة زرقاء سوداء سليمة قوية سن ٧ سنوات ملك صديق وعلى محمد يوسف وجوده احمد يوسف وفاء لمبلغ ٢ ج و ٦٠ م بخلاف ما يستجد من المصاريف نفاذا للقائمة الصادرة من محكمة ابشواى الأهلية بتاريخ ٣ _ ١١ _ ١٩٣٥ فى القضية نمرة ١٥٢٨ سنة ١٩٣٥ والبيع كطلب قلم كتاب محكمة ابشواى الأهلية فعلى المشترى الحضور للمزايدة

محكمة تلا الجزئية الأهلية

اعلان بيع

فى القضية المدنية نمرة ٣٢٠٣ سنة ١٩٣٣

انه فى يوم الأحد ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ ونصف افرنكي صباحا بسراى المحكمة سيباع بالمزاد العلنى الأطيان الموضحة بعد المملوكة الى حسن موسى الرحوى المقيم بناحية صفط جدام مركز تلا

وهذا بيان الأطيان

١١ ط و ١٨ س بزمام الناحية قطعة نمرة ٥٧ بحوض داير الناحية نمرة ١ الحد البحرى أطيان مرسى مرسى الرحوى - الشرقى أطيان محمد سليم والقبلى أطيان محمد الرحوى والغربى مسقة خصوصية مناصفة بين الأطيان وحسن أبو العينين

وهذا البيع بناء على طلب حضرة صاحب المعالى وزير الحقانية بصفته نائبا عن نيابة شبين الكوم الكلية الأهلية ومحله المختار قسم القضايا الأهليـــة بعمارة عدس بشارع عماد الدين وعند الاقتضاء سراى النيابة أو المحكمة الأهلية وبناء على حكم نزع الملكية الصادر بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩٣٣ والمسجل بمحكمة شبين الكوم الابتدائية الأهلية بتاريخ ٦ مايو سنة ١٩٣٣ نمرة ٥١٨ صحيفة - وهذا البيع وفاء لمبلغ ٢٣ ج و٦٩٦ م والمصاريف بثمن أساسى قدره ١٦ جنيه بعد تنقيص الخمس وشروط البيع مودعة بدوسيه القضية لمن يريد الاطلاع عليها

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين أعلاه

كاتب البيوع

فى يوم الأربعاء ٢٩ يناير سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحاً بالاسماعيلية سيباع علنا منقولات منزليـة مبينة بمحضر الحجز بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٩٣٥ تعلق حافظ السيد أحمد المقيم بملك الحاج عبد القادر ابراهيم بشارع محمد على سابقا نفاذاً للحكم نمرة ١٢٣٠ سنة ١٩٣٥ الاسماعيلية وفاء لمبلغ ٦٦٦ قرشا صاغ بخلاف رسم النشر وما يستجد والبيع كطلب الحاج عبد القادر ابراهيم التاجر ومقيم بشارع سعد بالاسماعيلية

فعلى راغب الشراء الحضور

قسم البلديات - قلم التنظيم

تقبل العطاءات بقسم البلديات بوزارة الداخلية حتى ظهر يوم ٢ فبراير سنة ١٩٣٦ عن انشاء أربع مجموعات مباول ومراحيض عموميـــة اثنين منها ببندر سوهاج والأخرتين ببندر طهطا

وتطلب الشروط والمواصفات من قسم البلديات بوزارة الداخلية مقابل ٥٠٠ مليم وتقدم العطاءات داخل مظاريف مختومة بالجمع الأحمر ومصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمتها . وكل عطاء يرسل بطريق البريد ويصل متأخرا لا يلتفت اليه



رد على نقد

٣ـ كتاب تاريخ الاسلام السياسى

للدكتور حسن ابراهيم حسن

مؤلف الكتاب

لاحظ القارئ في مقالينا السابقين مبلغ تلك المآخذ التي أوردها الناقد من الصواب وأنها لا تغني من قيمة كتابنا شيئاً . فأي مجن وأي ظلم إذا ذهب هذا الأستاذ ، بعد أن شغل قراء « الرسالة » بمقالين طويلين يزهو مقسماً بعمره — وليس بهين — أن هذه الأغلاط التي كشفها يذهب بعضها بمحاسن أي كتاب يرد فيه ، فكيف بها كلها ؟

نترك حضرة الناقد يزهو في غير عجب ، ويتملق بلا سبب ؛ ونهمس في أذنه بأن إيراد تلك العبارة التي قدم بها كلمته الثالثة تذكرنا بالحكمة العربية « كاد المريب أن يقول خذوني » . ثم نكير على بعض تلك العيوب التي لحظها على طريقتنا في الأخذ من المصادر التاريخية لنتبين أن حظه فيها ليس بأحسن من حظه فيما سماه « مآخذ تاريخية وجغرافية » ، وإذا كان يقول إن سوء حظه أبى عليه أن يقدم الثناء للمؤلف ، فهناك من اطلعوا على كتابنا — وهم كثيرون — قد شاء حسن حظنا أن ننال تقديرهم ونغمر بفضلهم وتشجيعهم . ولا أدل على هذا مما نشر في الصحف والمجلات في مصر والشام والعراق وغيرها ، ومن أن الطبعة الأولى من الكتاب كادت أن تنفد ؛ ولا يعدم الحق مؤيداً وظهيراً

***

يتهمنا حضرة الناقد بأننا حملنا متن الكتاب من الشروح والحواشي حملا ثقيلا ، وكلفنا نفسنا شططا وقراءنا مشقة وعنتا ، حيث أننا راعينا الأمانة في النقل ، فنسبنا كل قول لقائله ، وأسندنا كل رأي الى مرجعه . ويرى حضرته أننا لم نقصد بذلك إلا ابتغاء السمعة ، وأن نلقي في روع القارئ أننا في التاريخ واسمو الاطلاع طويلو الباع فدوعينا ما كتبه الأوائل والأواخر !

لندع هذا الكلام الذي ينم عن الغرض من نقده ، ونناقشه بكل هدوء في هذه العيوب التي حالت بينه وبين كلمة ثناء يكيلها لنا جزافا

كل من اطلع على كتابنا يدرك لأول وهلة أننا أردنا أن يكون مرجعاً علمياً تاريخيا لمن يريدون التوسع في التاريخ الاسلامي

وليس من المعقول أن كتابا سيقع في ستة مجلدات لا ينقص أحدها عن ستمائة صفحة ـ قد قصد في وضعه أن يكون في متناول الطلاب الذين لم يتموا الدراسة الثانوية ـ فاذا أكثرنا من ذكر المصادر ، واحالة من يريد التوسع عليها ، فليس الغرض أننا نبغي السمعة عند الناس كما يتهمنا الناقد ـ سامحه الله ـ وانما هو انتهاج الطريقة الحديثة ، مراعاة للأمانة ، وكشفاً للطريق لمن يريد زيادة التحصيل ، وتبرؤاً من قول قد لا يتفق ورأينا الشخصي . أما الزعم بأن كتابنا من الكتب المدرسية التي جرى العرف بأن يقتصر فيها من ذكر المراجع في صلب الفصول على الضروري ، فزعم لا يتفق ووضع الكتاب وطريقة البحث فيه ، ويدرك ذلك من عنده أدنى تأمل ؛ وإذا كان حضرة الناقد كلف نفسه بعض المشقة لوجد أننا عمدنا إلى الطريقة الثانية المختصرة في كتابنا « تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب » للسنة الثانية الثانوية

وليت شعري كيف يحكم حضرة الناقد بأن كثرة المراجع التي اعتمدنا عليها صورية لا حقيقية ، وكيف يدعي بأن حرصنا على التكثر والتزيد قد حملنا في كثير من الأحيان على أن ندلل

على ما لا يحتاج إلى دليل ، وأن نعدد المراجع ولو كانت فى مرد أمرها ترجع إلى مصدر واحد ؟ أليس أحق بالغرابة والاشفاق أن يتخذ من إحالتنا القارئ لخطبة أبى بكر على أربعة كتب قديمة اختلفت رواياتها بعض الاختلاف ، سببا فى أننا ندلل فيما لا يحتاج إلى دليل ؟ إننا لا نشك فى أن البحث التاريخى الحديث يوافقنا ، بل يطالب أن نعدد المراجع ما استطعنا ، ولو لم تخالف الروايات من تقديم أو تأخير ، أو إبدال لفظ بلفظ . فما بالك وتلك المصادر الأربعة قد ذكرت فى كل منها الخطبة مختلفة عن زميلاتها بعض الاختلاف ؟ على أننا لم ندر ما هو الضرر الذى يلحق بالكتاب ويصيبه فى نظر الناقد من ذكر المصادر ، أربعة أو أكثر أو أقل ، حتى عن خطبة قيمة يعرفها طلاب المدارس وينكرها بعض الأساتذة

ولقد طوح القلم بحضرة الناقد ، ودفعه الحرص على إلصاق العيوب إلى التهجم على كتاب يعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله بإجماع المسلمين ، ذلك هو صحيح الامام أبى عبد الله البخارى . وإننا بدورنا نبادر ونطلب من الناقد أن يستغفر من ذنبه ، فان إمام المحدثين البخارى هو الذى روى ذلك الحديث الذى جرى بين أبى سفيان وبين هرقل قيصر الروم فى الشام (راجع باب بدء الوحى فى البخارى) ؛ كما أن هـذا الحديث ، وقد أجمع على صحته المحدثون ، لم يحمل فى ثناياه أدلة ضعفه وانتحاله — كما يقول الناقد — وأنه ذو خطر عظيم ؛ فانه يوضح بأجلى بيان كيف كان المشركون وعظماء قريش ينظرون إلى الرسول قبل إسلامه ، وكيف كانوا يعرفون صدقه وأمانته كما يعرفون آباءهم وأبناءهم . فكيف لا يقدم هـذا الحديث الصحيح فى فهم سيرة الرسول ولا يؤخر ؟ وقد كان أيضاً سبباً مباشراً فيما عرضه هرقل على بطارقته من الاسلام لولا أن حاصوا حيصة حُمُر الوحش إلى الأبواب (راجع هذا الباب فى البخارى)

أما أننا لم نقصد إلى مناقشة هذه النصوص التى وردت فى شرح البخارى ومقارنة رواياتها المختلفة بعضها عن بعض ، وأننا لم نبين ما اتفقت فيه وما اختلفت من حيث اللفظ والمعنى الخ ، فان هذا ليس بذى خطر ؛ فضلاً عن أنه يخرج بنا عن المام . وما لا يدرك كله لا يترك كله

ولعل من الغرابة أن يجعل الناقد من أسباب الخطر على مقدرتنا فى نقد المراجع وتقويمها أننا وافقنا على نسبة كتاب « فتوح الشام » للواقدى ، وأننا استعنا به فى الفصل الذى عقدناه لفتح العرب الشام ، ثم انبرينا لمناقشته ومجادلته ، وأننا كذلك اعتمدنا فى عدة مواضع على كتاب « الامامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة . ويقول الناقد إن الكتاب ليس للواقدى ، وإن كل شىء فى الكتاب الثانى يدل على أنه ليس لابن قتيبة ، وإنما هو لكاتب أندلسى

أما إن نسبة هذين الكتابين لهذين المؤرخين أو غيرهما فلا يقدم ولا يؤخر فى الموضوع ، فالكتابان — على كل حال — يوضحان الحياة العامة السياسية فى العصور التى تناولناها فى كتابنا . وقد تضافرت المصادر الأخرى على صحة القدر الغالب مما ورد فيهما . على أن مجرد إنكار نسبة الكتابين للواقدى وابن قتيبة لا يكفى ، بل يدعو إلى الابتسام ، اللهم إلا إذا اعتمد المنكر على غير « غالب الظن » ، و « الاعتماد على بعض ما كتبه الافرنج » ، مما لا يمتد به المنطق التاريخى ولا يدعمه دليل مبين . وإذا كان الظن فى كل المسائل لا يغنى من الحق شيئاً ، ففى المسائل التاريخية خصوصاً يكون أبعد من الحق منالا وأدنى للباطل مجالا

(يتبع) حسن ابراهيم حسن



١ – الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير :

لابن الساعى

٢ – الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة :

لابن الفوطى

للأستاذ محمد بك كرد على

– ١ –

كتبت فى مجلة المقتبس (م ٣ ص ٩٣ ـ ١٣٢٦ ـ ١٩٠٨) مبحثاً لفت فيه أنظار المشتغلين بالتاريخ إلى جزء من « الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير » لابن الساعى البغدادى (٦٧٤) كان عثر عليه العلامة أحمد تيمور باشا فى دشت وضمه إلى خزائنه رحمه الله . واليوم نشر الأستاذ مصطفى جواد بمعونة الأب انستاس مارى الكرملى هذا الجزء بعينه وهو التاسع من كتاب طويل . والمؤلف أكثر من ثلاثين تأليفاً منها ما يدخل فى بضعة مجلدات ، وأكثرها فى التاريخ والتراجم ، ساعده على الاستكثار من التأليف كونه كان خازن كتب المدرسة المستنصرية ببغداد ، إلى ما خص به من الدؤوب وثقوب الذهن ووفرة العلم . ولابن الساعى وهو على بن أنجب كتاب صغير طبع فى المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣٠٩ وهو مختصر أخبار الخلفاء ، يبدأ بظهور الدولة العباسية وينتهى بانقضائها

وفى هذا الجزء التاسع من الجامع المختصر حوادث سنة ٥٩٥ إلى ٦٠٦ هـ يذكرها مجملة ثم يترحم لمن ماتوا فى تلك السنة من الأعلام ، وفيه كثير من الفوائد التاريخية . ومعلوم عند الباحثين أن هذا العصر أحط عصور بنى العباس ، ولا ندرى كيف يثبت ناشر الكتاب أن « العصر الذى تناول حوادثه هذا التاريخ من أزهر عصور بنى العباس وأعظمها قوة ونظاماً » ، وعصر الناصر على غلو المؤرخين من الشيعة فيه ـ لأنه تشيع ـ كان فى الواقع عصر تراجع سلطان العباسيين ، فاكتفوا ممن سلبوهم حكم بلادهم بالسكة والخطبة ، وما كان يخطر ببالهم أن يتكرموا به على الخليفة من إتاوة ، والخلفاء يكيلون لكل متغلب ما شاء الله من الألقاب ويطلقون على أحد العلماء (ص ٢٣٤) : « الأجل السيد الأوحد العالم ضياء الدين شمس الاسلام رضى الدولة عز الشريعة علم الهدى رئيس الفريقين تاج العلماء . . . . » ويكتبون عن أنفسهم : « المواقف الشريفة المقدسة النبوية الأمامية الطاهرة الزكية المعظمة المكرمة المجدة الناصرة لدين الله تعالى . . . . »

وفى الكتاب تراجم بعض المشاهير فى تلك الحقبة وعهود وتقاليد صدرت عن خليفة الوقت بأقلام المنشئين فى ديوانه . وقد وقعت للناشر هفوات لغوية وتحريف بعض آيات الكتاب العزيز منها (ص ١٩٦) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك الظالمون) وصحة الآية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) . وغلط (ص٨٧) بأن حرف الآية هكذا (الذين كفروا بعضهم أولياء لبعض) وصحة الآية الكريمة (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) إلى غير ذلك

– ٢ –

طبع الجامع المختصر فى بغداد وقبله طبع فيها كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطى (بالفاء) البغدادى المتوفى سنة ٧٢٣ بدأه بحوادث سنة ٦٢٦ وانتهى بأخبار سنة ٧٠٠ . وللمؤلف يد طولى فى التاريخ ووقوف تام على سياسة عصره ، أورد فى تاريخه الممتع من الحوادث ما كلمت به سلسلة التاريخ فى العراق على عهد الانحطاط العباسى . ومن أهم فصول الكتاب وصف المؤلف فاجعة هولاكو التترى سنة ٦٥٦ وقضائه على الخليفة المستعصم وعلى جميع آل العباس مع ذراريهم وحرمهم وتخريبه بغداد ووضعه السيف فى أهلها . وقد قدر القتلى منهم بأكثر من ثمانمائة ألف فى مدينة بغداد فقط « عدا من ألقى من الأطفال فى الوحول ، أو من هلك فى القنى والآبار وسراديب الموتى جوعاً وخوفاً » « وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد » وصف ذلك وصفاً ممتعاً لا إفراط فيه ولا تفريط

وقد ساعد المؤلف على هذا التوسع والتبسط فى الحوادث التى عرض لها أنه كان كأستاذه ابن الساعى أيضاً خازن كتب المدرسة المستنصرية . وذكر فى حوادث سنة ٦٣١ ترجمة محمد بن يحيى بن فضلان ، وفتح المدرسة المستنصرية ، وابن فضلان هذا كان من العلماء درس فى النظامية والمستنصرية « وولى النظر بديوان الجوالى — أى جزية أهل الذمة . حكى عنه أنه كتب للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولى ديوان الجوالى رقعة طويلة يقول فيها إن أجرة سكنى أهل الذمة فى دار السلام والارتفاق بمرافقها لا يتقدر فى الشرع بمقدار معين ، فى طرف الزيادة ، ويتقدر فى طرف النقصان بدينار ؛ وطلب الى الخليفة أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يؤخذ منه . وقال إنهم ضروب وأقسام ، منهم من هو فى خدمة الديوان وله المعيشة السنية غير بركة يده الممتدة الى أموال السلطان والرعية من الرشا والبراطيل ؛ ولعل الواحد منهم ينفق فى يومه القدر المأخوذ منه فى السنة ؛ هذا مع ما لهم من الحرية الزائدة والجاه القاطع والترق على رقاب خواص المسلمين ... ثم ليس لهم فى بلد من الحرمة والجاه والمكانة ما لهم فى مدينة السلام ، فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف كان لهم الربح الكثير ؛ ومنهم الأطباء أصحاب المكاسب الجزيلة بترددهم إلى منازل الأعيان وأرباب الأموال ودخولهم على المتوجهين فى الدولة ؛ والناس يتحملون فيما يعطون الطبيب زائداً على القدر المستحق ، وهو أمر من قبل المروءات ، فلا ينفكون عن الخلع السنية والدنانير الكثيرة ، والطرف فى المواسم والفصول ، مع ما يخطئون فى المعالجات ويفسدون الأمزجة والأبدان ، ويخرج الصبى منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين ، وخمس قوائم من تذكرة الكحالين ، وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة ، وجلس فى مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يعرف ، وبيده المكحلة والملحدان ، يؤذى هذا فى بدنه ، ويجرب على ذا فى عينه ؛ فيفتك من أول النهار إلى آخره ، ويمضى آخر النهار إلى منزله ومكحلته مملوءة قراضة ، فاذا عرف بقعوده على الدكة وصار له الزبون قام يدور ، ويدخل الدور . ثم ذكر أصناف الحرف التى كان يحترفها أهل الذمة فى ذاك العهد ويغشون فيها . وهذه الرقعة أو التقرير على مايلمح فيه من التعصب يحمل حقائق من وصف المجتمع البغدادى فى القرن السابع . وهذا التاريخ مجموعة حوادث وأفكار مهمة جداً . وقد قدم له العلامة رضا الشبيبى من علماء العراق مقدمة ذكر فوائده ؛ ونظر فيه وعلق عليه الأستاذ مصطفى جواد

محمد كرد على

رسالة العلم

صحيفة علمية ، تصدرها جمعية خريجى كلية العلوم

نستقبل (رسالة العلم) عامها الثالث بالعدد الخامس الذى صدر فى هذا الشهر محرَّراً بأقلام قوية من خريجى كلية العلوم ؛ ومَن للعلم يؤدى رسالتَه غير كلية العلوم ؟

ونحن إذ نهنئ رسالة العلم بعامها الثالث ، لا يسعنا إلا التنويه بجهودها الموفق فى نشر الثقافة العلمية الخالصة باللغة العربية وبما أجدت على العلم وعلى اللغة ، فزادت فى محصول الأول وأضافت إلى تراث الثانية ما عرَّبت من مصطلحات العلم ، وما استحدثت من ألفاظه

وإن من يعرف أين كانت لغة العلم من لغة الأدب منذ قريب حتى أوشك العلم أن يصير احتكاراً لطائفة من دون سائر المتعلمين ، ثم يعرف المحاولات المجدية التى حاولتها هذه الصحيفة للتوفيق بين لغة العلم وهذه اللغة — ليشكر لجمعية خريجى كلية العلوم وللقائمين على صحيفتها هذه المحاولات وهذا الجهد المشكور . وإن (الرسالة) التى تفخر بحرصها على العربية والحفاظ لمهدها ليسرها أن تباهى بهذا الجهد وتدعو له وللقائمين عليه بالتوفيق م ؟

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٤ — ٢٧ يناير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 134.

Lundi-27-1-1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

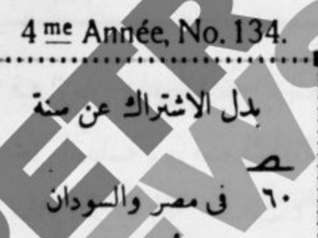
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة



العـــدد ١٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ٢٧ ينـاير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة		
١٢١	ملك وشاعر	: أحمد حسن الزيات ... ...
١٢٣	المشـكلة	: الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٢٦	ريح التعصب الجنسى تهب على أوربا	: باحث دبلوماسى كبير ... ...
١٢٩	فى الحب أيضاً	: الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
١٣١	رفعة المرأة	: الأستاذ محمد بك كرد على...
١٣٤	فى مقبرة جنوى	: الأستاذ فتحى رضوان ...
١٣٧	قصـة المكروب	: الدكتور أحمد زكى ... ...
١٤٠	الأشباح ــ لفكتور هوجو	: ترجمة السيد فؤاد نور الدين
١٤٢	تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا	: الأستاذ خليل هنداوى ...
١٤٤	أشبعوا غيرهم وباتوا جياعاً (قصيدة)	: الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
١٤٤	الغابة ... ... «	: الأستاذ عبد الرحمن شكرى
١٤٥	تحية يا شباب «	: الأستاذ ابراهيم ابراهيم على
١٤٦	سقوط البوم (قصة)	: الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٥١	الرجوع ... ... «	: الأديب عبد الوهاب الأمين
١٥٣	وفاة روديارد كبلنج عميد الشعر الانجليزى	
١٥٤	قضايا التاريخ العظمى . شكسبير والسينما	
١٥٥	كتاب تاريخ الاسلام السياسى	: الدكتور حسن ابراهيم حسن
١٥٩	مفتاح كنوز السنة (كتاب)	: الأستاذ محمد حامد الفقى ...
١٦٠	الفصص المدرسية «	: (م) ... ...

ملك وشـــاعر

حل أصدق المواعيد فى يومين متعاقبين بالملك جورج الخامس ، وبالشاعر رديارد كبلنج ، فارفضّ لخطبهما الصبر الانجليزى الذى يتماسك بطبعه على مض النوازل ، وتجاوبت بأصداء الأسى الوقور أقطارُ المُلْكِ البريطانى الشامل ، وشعر القلب الامبراطورى برجفة صماء لموت الملك ، وأحس اللسان الاستعمارى بعقدة بكماء لموت الشاعر ؛ ذلك لأن صاحب الجلالة كان يمثل شعبه فى نبله وديمقراطيته ، وصاحب العبقرية كان يمثله فى طموحه ووطنيته ؛ فأولهما كان رمز السمو الخلقى فى طبع السياسة ، وثانيهما كان لحنَ الغرور القومى فى معنى الأدب !

***

كان الملك جورج معنى جديداً من معانى الملكية الجديدة ؛ وفق بين غطرفة الملك وتواضع الديمقراطية ، وألف بين قيود الحكم ونوازع الحرية ، وصالح بين حِفاظ التقاليد وطبيعة التطور ، ولاءم بين إرادة العاهل وسلطة الدستور ، ووائم بين سياسة الدولة ورغبة الأمة ، واستبدل بالسلطة الزمنية التى أماتها

فيه الزمان، وورثها عنه البرلمان، سلطةً روحية أحلته من شعبه محل القَداسة، ورفعته فى أفقه مكان العَلَم، وجعلته فى حكمه سلامَ الحزبية إذا احتدمت، وقرار السياسة إذا اضطربت، وصلة الامبراطورية إذا تقاطعت، ومواساة المرضى من بَرْح الألم، وتعزية البؤس[1] من مس الحاجة؛ ثم تكرم عن أثرة الملوك وتميُّز السادة، فكان فى الحرب يأكل ما يأكل الناس، وفى الأزمة ينفق ماينفق الأوساط، وفى المحنة يكابد مايكابد الشعب، وفى الرخاء يكاد الاحسان العام لا يترك فى يديه من مخصصاته النصفِ مليون إلا قرابةَ الألفين

كانت ملكية الملك جورج كما رأيت لفظاً معناه الحب والخير والواجب؛ ومن هنا وجدت الأحزاب على اختلافها مضامينها فيه؛ فهى تثور فيما بينها وتسكن إليه، وتختلف فى رأيها وتتفق عليه، وتفترق فى طرقها وتلتقى عنده، حتى قال زعيم من زعماء الأحرار هو مستر اسكويث: « إن العروش لتَهاوَى حولنا، لأن بعضها قائم على أساس من الظلم، و بعضها مرفوع على غثاء من التقاليد، ولكن عرش هذه البلاد محمول على مشيئة الشعب البريطانى، فهو مستقر لا يتزعزع، راسخ لا يميد»، وحتى قال زعيم من زعماء العمال هو مستر استافورد: « إن الملكية الدستورية ستظل طويلا فى هذه الأمة خير أداة لاختيار رأس الدولة »

من أجل ذلك الخلق الأقوم كان حزن الإنكليز على مليكهم خالصا من الرياء الرسمى، صادرا عن الشعور الصادق بالحب لرجل غلّب الأبوة على المُلك، واستغنى بالطيبة عن البراعة، وسد بكمال الخلق نقص القدرة

***

وكان الشاعر كبلنج مفتونا بعظمة الإمبراطورية؛ صاغ من نسبها النضارِ شعره، وألف من لجبها المتناسق أغاريده؛ ثم شدا بالمجد الطوّاف على أثباج الماء، وهتف بالنصر الرفاف على وجوه الأرض، وجعل من شعره الجواب نشيدا قوميا تردده الآفاق البريطانية كما تردد نشيد الملك!

ولد كبلنج فى بلاد قال فيها: « إنها أعجب بلاد خضعت للمخلوق وفُتحت للخالق »: ولد فى الهند ببمباى كما يولد الهنود، ولكنه وعى فوجد نفسه سيدا، ووجد الهندى الذى ولد معه عبدا، يعيش على كده وهو ناعم بين وِسْكِيه وحسانه، و يرقى على ظهره إذا همّ بركوب حِصانه! الحقة هى الحاقة، والبيئة هى البيئة، والطبقة هى الطبقة، ولكن كبلنج رأى بشرته ودمه من لون العلم الخفاق، ورأى بشرة الهندى ودمه من لون الأرض المستَفَلة، فأدرك علة الامتياز وسر التفوق: عرف أن البريطانى بحكم الجنس قد يدعى ذكيا وهو فَدْم، وكيّسا وهو أخرق، وكافيا وهو عاجز، وسابقا وهو متخلف، فاستهام بهذه القوة التى تشع مع الشمس فى كل أفق، وتنتشر مع الحياة فى كل قطر، وتنبسط على حواشى البر والبحر أمناً وحماية، فحبس على إعلان مفاخرها لسانه، ووقف على تسويغ عدوانها عقله؛ فموه حجج الاستعمار بالشعر، وألهب سُعار العصبية بالحماسة، وشوه جمال الوطنية بالأثرة، وجعل الأدب وهو شعاع الروح دليلا لبغى القوى ولؤمه، ومهد لأساطيل الطغيان، استعباد الانسان للانسان، بحجة « أن الشرق شرق والغرب غرب فلا يلتقيان » إلا على شر، ولا يفترقان إلا على ثأر!

من أجل ذلك الاخلاص الملهَم كان مرض كبلنج تحت الرعاية الملكية، وكانت جنازة كبلنج جنازة « شبه رسمية »!

***

إن فى مثل سياسة الملك جورج لأماناً من طغيان الرءوس وثوران النفوس، وقيام الدعوات الباطلة، وشيوع المذاهب الجريئة، وانقلاب الحكم فى الدولة، واضطراب السلم فى الأمة، واغبرار العيش فى أوجه العامة. و إن فى مثل أدب الشاعر كبلنج لروحاً مزهوَّة تعتلج بالشعور الوطنى، وتختلج بالغرور القومى، وتدفع بالهمم الوانية إلى اللحاق، وتنزع بالنفوس الضارعة عن المذلة، وتكشف للقلوب المنخوبة عن معانى الرجولة!

إن فى كل حادث ذكرى؛ وإن فى كل حديث بلاغا!

احمد حسن الزيات

(١) البؤس: جمع بائس

٤ ـ المشكلة

تتمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

صاحبُ هذه المشكلة رجلٌ أعورُ العقل .... يرى عقلُه من ناحية واحدة ، فقد غاب عنه نصفُ الوجود فى مشكلته ؛ ولو أن عقله أبصر من الناحيتين لما رأى المشكلة خالصةً فى إشكالها ، ولوجد فى ناحيتها الأخرى حظًّا لنفسه قد أصابه ، ومذهباً فى السلامة لم يخطئه ؛ وكان فى هذه الناحية عذابُ الجنون لو عذبه الله به ، وكان يصبح أشقى الخلق لو رماه الله فى الجهة التى أنقذه منها ، فتهيأت له المشكلة على وجهها الثانى

ماذا أنت قائلٌ يا صاحب المشكلة لو أن زوجتك هذه المسكينة المظلومة التى بنيتَ بها ، كانت هى التى أُكرهت على الرضى بك ، وحُملت على ذلك من أبيها ، ثم كنت أنت لها عاشقاً ، وبها صبًّا ، وفيها مُتَدلهاً ؛ ثم كانت هى تحب رجلا غيرك ، وتصبو اليه ، وتفتتن به ، وقد احترقت عشقاً له ؛ فاذا جَلَوها عليك رأتك البغيضَ المَقِيت ، ورأتك الدميمَ الكريه ، وفزعت منك فزعها من اللص والقاتل ؛ وتمدُّ لها يدك فتتحاماها تحاميها المجذوم أو الأبرص ، وتكلمها فتُحَمُّ برداً من ثقل كلامك ، وتفتح لها ذراعيك فتحسبهما حبلين من مشنقتين ، وتتحبَّب اليها فاذا أنت أسمجُ خلق الله عندها ، إذ تحاول فى نذالة أن تحل منها محل حبيبها ، وتُقبل عليها بوجهك فتراه من تقذُّرها إياك واشمئزازها منك وجه الذبابة مكبراً بفظاعة وشناعة فى قدر صورة وجه الرجل ليتجاوز حدَّ القبح إلى حدِّ القذارة ، إلى حد انقلاب النفس من رؤيته ، إلى حد القىء إذا دنا وجهك من وجهها .... ؟ !

ماذا أنت قائلٌ يا صاحب المشكلة لو أن مشكلتك هذه جاءت من أن بينك وبين زوجتك الرجلَ الثانى لا المرأة الثانية ؟ ألست الآن فى رحمة من الله بك ، وفى نعمة كفَّت عنك مصيبة ، وفى موقف بين الرحمة والنعمة يقتضيك أن ترتب فى حكمك على هذه الزوجة المسكينة حكمَ الله عليك ؟

***

تقول : الحب والخيال والفن ، وتذهب فى مذاهبها ؛ غير أن « المشكلة » قد دلت على أنك بعيدٌ من فهم هذه الحقائق ، ولو أنت فهمتها لما كانت لك مشكلة ولا حسبت نفسك منحوس الحظ محروماً ، ولا جهلت أن فى داخل العين من كل ذى فنٍّ عيناً خاصةً بالأحلام كيلا تعمى عينُه عن الحقائق

الحب لفظ وهمىٌّ موضوع على أضداد مختلفة : على بركان وروضة ، وعلى سماء وأرض ، وعلى بكاء وضحك ، وعلى هموم كثيرة كلها هموم ، وعلى أفراح قليلة ليست كلها أفراحاً ؛ وهو خداعٌ من النفس يضع كل ذكائه فى المحبوب ، ويجهل كل بلاهته فى المحب ، فلا يكون المحبوب عند محبه إلا شخصاً خيالياً ذا صفة واحدة هى الكمال المطلق ، فكأنه فوق البشرية فى وجود تام الجمال ولا عيب فيه ، والناس من بعده موجودون فى العيوب والمحاسن

وذلك وهم لا تقوم عليه الحياة ولا تصلح به ، فانما تقوم الحياة على الروح العملية التى تضع فى كل شىء معناه الصحيح الثابت . فالحب على هذا شىء غير الزواج ، وبينهما مثل ما بين الاضطراب والنظام ؛ ويجب أن يُفهم هذا الحبُّ على النحو الذى يجعله حباً لا غير ، فقد يكون أقوى حب بين اثنين إذا تحابا هو أسخف زواج بينهما إذا تزوجا

وذو الفن لا يفيد من هذا الحب فائدتَه الصحيحةَ إلا إذا جعله تحت عقله لا فوق عقله فيكون فى حبه عاقلاً بجنون لطيف ... ويترك العاطفة تدخل فى التفكير وتضع فيه جمالها ونورَها وقوتَها ؛ ومن ثم يرى مجاهدةَ اللذة فى الحب هى أسمى لذاته الفكرية ، ويعرف بها فى نفسه ضرباً إلهياً من السكينة يوليه القدرةَ على أن يقهر الطبيعةَ الانسانية ويصرِّفها ويُبدعَ منها عمَلَه الفنىَّ العجيب

وهذا الضربُ من السموِّ لا يبلغه إلا الفكرُ القويُّ الذى فاز على شهواته وكبَحها وحملها تغلى فيه غليانَ الماء فى المِرْجل ليخرج منها ألطف ما فيها ويحوِّلها حركة فى الروح تنشأ منها حياةُ هذه المعانى الفنية ؛ وما أشبه ذا الفن بالشجرة الحية ، إن

لم تَضبطْ ما فى داخلها أصحّ الضبط لم يكن فى ظاهرها إلا أضعفُ عملها

ومثل هذا الفكر العاشق يحتاج إلى الزوجة حاجتَـه إلى الحبيبة ، وهو فى قوته يجمع بين كرامة هذه وقُدْسية هذه لأن إحداهما توازن الأخرى ، وتُمَدّ لها فى الطبع ، وتخفف من طغيانها على الغريزة ، وتُمسك القلب أن يتبدّد فى جوه الخيالى

* * *

والرجلُ الكاملُ المفكر المتخيل إذا كان زوجاً وعشق ، أو كان عاشقاً وتزوج بغير من يهواها استطاع أن يبتدع لنفسه فناً جيلاً من مسرات الفكر لا يجده العاشق ولا يناله المتزوج ، وإنه ليرى زوجته من الحبيبة كالتمثال جمد على هيئة واحدة ، غير أنه لا يُغفل أن هذا هو سرّ من أسرار الابداع فى التمثال إذ تلك هيئةُ استقرار الأسمى فى سموه ؛ فان الزوجة أُمومةٌ على قاعدتها وحياةٌ على قاعدتها ؛ أما الحبيبة فلا قاعدة لها ، وهى معان شاردةٌ لا تستقر وزائلةٌ لا تثبت ، وفنها كله فى أن تبقى حيث هى كما هى ، فجمالها يحيا كل يوم حياةً جديدة ما دامت فناً محضاً وما دام سرُّ أنوثتها فى حجابه

ومتى تزوج الرجل بمن يحبها انهتك له حجاب أنوثتها فبطل أن يكون فيها سر ، وعادت له غيرَ من كانت ، وعاد لها غير من كان ؛ وهذا التحول فى كل منهما هو زوالُ كل منهما من خيال صاحبه ؛ فليس بصلح الحب أساساً للسعادة فى الزواج ، بل أحْرِ به إذا كان وجداً واحتراقاً أن يكون أساساً للشؤم فيه ، إذ كان قد وضع بين الزوجين حداً يميز لهما درجةً من درجة فى الشغف والصبابة والخيال ، وهما بعد الزواج متراجعان وراء هذا الحد ما من ذلك بد ، فان لم يكن الزوجُ فى هذه الحالة رجلاً تام الرجولة — أفسدت الحياةَ عليه وعلى زوجته صبيانيةُ روحه فالتمس فى الزوجة ما لم يعد فيها ، فاذا انكشف له فراغها ذهب يلتمسه فى غيرها وكان بلاءً عليها وعلى نفسه وعلى أولاده قبل أن يولدوا ، إذ يضع أمام هذه المرأة أسوأ الأمثلة لأبى أولادها ويفسد إحساسها فيفسد تكوينها النفسىّ ؛ وما المرأة إلا حسها وشعورها (١)

(١) هذا كله من بعض الحكمة فى أن الاسلام لا يبيح اختلاط الزوجين قبل العقد إذ لا يعرف الدين الاسلامى من الزوجين إلا أسرة يجب أن تبقى بما بينها ، وتصان بما يصونها ، وقد أشرنا إلى حكمة أخرى فى المقالة الأولى من المشكلة

* * *

فالشأن فى تمام الرجولة وقوتها وشهامتها وخولتها إن كان الرجل عاشقاً أولم يكنه . وما من رجل قوىّ الرجولة إلا وأساسه ديانتُه وكرامتُه ؛ وما من ذى دين أو كرامة يقع فى مثل هذه المشكلة ثم تُظلم به الزوجة أو يَحيف عليها أو يُفسد ما بينه وبينها من الداخلة وحسن العِشْرة ، بَلْه أن يراها كما يقول صاحب المشكلة (مصيبة) فيُجافيها ويبالغ فى إعناتها ويشفى غيظه بإذلالها واحتقارها

وأى ذى دين يأمن على دينه أن يهلك فى بعض ذلك فضلا عن كل ذلك ؟ وأى ذى كرامة يرضى لكرامته أن تنقلب خسة ودناءةً ونذالةً فى معاملة امرأة هو لا غيرُه ذنبُها ؟ إن أساس الدين والكرامة ألا يخرج إنسان عن قاعدة الفضيلة الاجتماعية فى حل مشكلته إن تورط فى مشكلة ؛ فمن كان فقيراً لا يسرق بحجة أنه فقير ، بل يكد ويعمل ويصبر على ما يعانيه من ذلك ؛ ومن كان محباً لا يَستَزِلّ المرأة فيسقطها بحجة أنه عاشق ؛ ومن كان كصاحب المشكلة لا يظلم امرأته فيمقتها بحجة أنه يعشق غيرها ؛ وإنما الانسان من أظهر فى كل ذلك ونحو ذلك أثرَهُ الانسانى لا أثره الوحشىّ ، واعتبر أموره الخاصة بقاعدة الجماعة لا بقاعدة الفرد . وإنما الدين فى السمو على أهواء النفس ؛ ولا يتسامى امرؤٌ على نفسه وأهواء نفسه إلا بانزالها على حكم القاعدة العامة ، فمن هناك يتسامى ، ومن هناك يبدو علوُّه فيما يبلغ إليه ... ...

وإذا حل اللص مشكلتَه على قاعدته هو فقد حلَّها ، ولكنه حلٌّ يجعله هو بجملته مشكلة للناس جميعاً حتى ليرى الشرع فى نظرته إلى إنسانية هذا اللص أنه غير حقيق باليد العاملة التى خلقت له فيأمر بقطعها .

وعلى هذه القاعدة فالجنس البشرىُّ كله ينزل منزلة الأب فى مناصرته لزوجة صاحب المشكلة والاستظهار لها والدفاع عنها ما دام قد وقع عليها الظلم من صاحبها ، وهذا هو حكمها فى الضمير الانسانى الأكبر وإن خالف ضمير زوجها العدوُّ الثائر الذى قطعها من مصادر نفسه ومواردها . أما حكم الحبيبة فى هذا الضمير الانسانى فهو أنها فى هذا الموضع ليست

حبيبة ولكنها شحَّاذة رجال ... ...

* * *

لسنا ننكر أن صاحب هذه المشكلة يتألم منها ويتلذع بها من الوقدة التى فى قلبه ؛ بيد أننا نعرف أن ألم العاقل غير ألم المجنون وحزن الحكيم غير حزن الطائش ؛ والقلب الانسانى يكاد يكون آلةً مخلوقةً مع الانسان لاصلاح دنياه أو إفسادها ، فالحكيم من عرف كيف يتصرف بهذا القلب فى آلامه وأوجاعه ، فلا يصنع من ألمه ألماً جديداً يزيده فيه ، ولا يُخرج من الشر شراً آخر يجعله أسوأ مما كان . وإذا لم يجد الحكيم ما يشتهى أو أصاب مالا يشتهى استطاع أن يخلق من قلبه خلقاً معنوياً يُوجِدُه الغنى عن ذلك المحبوب المعدوم ، أو يوجده الصبر عن هذا الموجود المكروه ، فتتوازن الأحوال فى نفسه وتعتدل المعانى على فكره وقلبه . وبهذا الخلق المعنوى يستطيع ذو الفن أن يجعل آلامه كلها بدائع فن [1] وما هو فكر الحكماء إلا أن يكون مصنعاً ترسل اليه المعانى بصورة فيها الفوضى والنقصُ والألم ، لتخرج منه فى صورة فيها النظام والحكمة واللذة الروحية

يعشق الرجلُ العامى المتزوج ، فاذا الساعة التى أوْبَقَتْه فى المشكلة قد جاءته معها بطريقة حلها ؛ فاما ضَرَب امرأته بالطلاق ، وإما أهلكها باتخاذ الضرة عليها ، وإما عذبها بالخيانة والفجور ، لأن بعض العبث من الطبيعة فى نفس هذا الجاهل هو بعينه عبثُ الطبيعة بهذا الجاهل فى غيره ، كأن هذه الطبيعة تطلق مدافعَها الضخمة على الانسانية من هذه النفوس الفارغة . . .

وليس أسهل على الذكر من الحيوان أن يحل مشكلة الأنثى حلاً حيوانياً كحل هذا العامىّ ، فهو ظافر بالأنثى أومقتول دونها مادام مطلقاً مخلّىً بينه وبينها . والحقيقة هنا حقيقته هو والكون كله ليس إلا منفعة شهوانية ؛ وأسمى فضائله ألا يعجز عن نيل هذه المنفعة

ثم يعشق الرجل الحكيم المتزوج فاذا لمشكلته وجهٌ آخر ، إذ كان من أصعب الصعب وجود رجل يحل هذه المشكلة برجولة ، فان فيها كرامة الزوجة وواجب الدين وفيها حق المروءة ، وفيها مع ذلك عبثُ الطبيعة وخداعها وهزلها الذى هو أشدّ الجِد بينها وبين الغريزة . وبهذا كله تنقلب المشكلةُ الى معركة نفسية لا يحسمها إلا الظفر ولا يعين عليها إلا الصبر ، ولا يفلح فى سياستها إلا تحملُ آلامها ، فاذا رُزق العاشق صبراً وقوة على الاحتمال فقد هان الباقى ؛ وتيسرت لذةُ الظفر الحاسم ، وإن لم يكن هو الظفر بالحبيبة ، فان فى نفس الانسان مواقع مختلفة وآثاراً متباينة للذة الواحدة ، وموقع أرفع من موقع ، وأثرٌ أبهج من أثر ؛ وألذُّ من الظفر بالحبيبة نفسها عند الرجل الحكيم الظفر بمعانيها ، وأكرمُ منها على نفسه كرامة نفسه . وإذا انتصر الدين والفضيلة والكرامة والعقل والفن ، لم يبق لخيبة الحب كبيرُ معنى ولا عظيم أثر ، ويتوغّل العاشقُ فى حبه وقد لَبِسَتْه حالة أخرى كما يكظم الرجلُ الحليم على الغيظ ، فذلك يحب ولا يطيش ، وهذا يغتاظ ولا يغضب . والبطل الشديدُ البأس لا ينبغ إلا من الشدائد القوية ، والداهية الأريب لا يخرج إلا من المشكلات المعقدة ، والتقىّ الفاضل لا يعرف إلا بين الأهواء المستحكمة . ولعمرى إذا لم يستطع الحكيم أن ينتصر على شهوة من شهوات نفسه أو يُبطل حاجةً من حاجاتها فماذا فيه من الحكمة وماذا فيه من النفس ؟

* * *

وما عقّد (المشكلة) على صاحبها بين زوجته وحبيبته إلا أنه بخياله الفاسد قد أفسد القوةَ الصالحةَ فيه ، فهو لم يتزوج امرأته كلها ... وكأنه لا يراها أنثى كالنساء ، ولا يبصر عندها إلا فُروقاً بين امرأتين : محبوبة ومكروهة ، وبهذا أفسد عينَيه كما أفسد خياله ؛ فلو تعلم كيف يراها لرآها ، ولو تموَّدها لأحبها انه من وهمه كالجواد الذى يشعر بالمَقادة فى عنقه ؛ فشعوره يعنى الحبل وإن كان معنى ضئيلا عطّل فيه كل معانى قوته ، وإن كانت معانىَ كثيرة . وما أقدَرَك أيها الحب على وضع حبال الخيل والبغال والحمير فى أعناق الناس . ! .

* * *

وقد بقى أن نذكر توفية للفائدة أنه قد يقع فى مثل هذه المشكلة من نقصت فُحُولتُهُ من الرجال فيدلس على نفسه بمثل هذا الحب ويبالغ فيه ويتجرم على زوجته المسكينة التى ابتليت به ،

(١) استوفينا هذه المعانى فى كثير مما كتبنا وبعضها فى مقالات (الجمال البائس) ... ...

ويختلق لها العلل الواهية المكذوبة ويبغضها كأنه هو الذى ابتُلى بها وكأن المصيبة من قِبَلها لا من قبله ؛ وكل ذلك لأن غريزته تحولت إلى فكرة فلم تعد إلا صوراً خيالية لا تعرف إلا الكذب . وقد قرر علماء النفس أن من الرجال من يكره زوجته أشد الكره إذا شعر فى نفسه بالمهانة والنقص من عجزه عنها ، فهذا لا يكون رجلا لامرأته إلا فى العداوة والنقمة والكراهية وما كان من باب شفاء الغيظ ، وامرأته معه كالمعاهدة السياسية من طَرَف واحد .... لا قيمة ولا حرمة ؛ وإذا أحب هذا كان حبه خيالياً شديداً لأنه من جهة يكون كالتعزية لنفسه ، ومن جهة أخرى يكون غيظاً لزوجته وردًّا بامرأة على امرأة ......

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

ريح التعصب الجنسى

تهب على أوربا

بقلم باحث دبلوماسى كبير

مضى الآن أربعة أشهر على نشوب تلك الحرب البربرية التى تضرم إيطاليا نارها فى الحبشة باسم الاستعمار والمدنية ؛ والحبشة ترد هجمات المعتدين عليها بشجاعة وجلد يثيران اعجاب العالم وعطفه ؛ والعدو المغير يتخبط فى غمر فادحة من الصعاب والخيبة واليأس ، ويرتد شيئاً فشيئاً عن الأرض التى احتلها فى البداية دون مقاومة ، وظن أن احتلالها مقدمة الظفر الشامل

وقد سنحت لايطاليا المعتدية أكثر من فرصة للفوز بقسط معقول من أسلاب الفريسة ، قبل أن تصطدم بأية مقاومة حقيقية ، وقبل أن ينكشف ضعفها وعجزها عن تحقيق أطماعها الفادحة بالقوة القاهرة ؛ ولكنها لم تحسن انتهاز الفرصة وذهبت بعيداً فى غلوائها وتحديها ، ولم تحسن تقدير المقاومة السلبية الدولية التى استطاعت السياسة البريطانية أن تنظمها ضدها على يد عصبة الأمم ، والتى أملت تنظيمها على السياسة البريطانية بواعث حيوية خطيرة تتعلق بسلامة الامبراطورية وتأييد سيادتها فى البحر الأبيض المتوسط ، وفى وادى النيل وشرق أفريقية ؛ بيد أن إيطاليا استطاعت بسياستها المنيفة وما تحمل فى ثنيتها من احتمال اضرام نار حرب أوربية ، أن تحمل السياستين الفرنسية والبريطانية على وضع مشروع للصلح ، يقضى فى الواقع على الحبشة بالاعدام كأمة مستقلة ، ويحقق لايطاليا السيادة الفعلية على معظم أراضيها ، ويتوج حملتها الاستعمارية بظفر شامل لم تستطع أن تنال منه شيئاً بالحرب ؛ ولكن المقاومة الحبشية كانت قد بدأت عندئذ تحدث أثرها فى وقف الزحف الايطالى ، وظهر عجز إيطاليا وضعفها جلياً ، واستقبل العالم مشروع الصلح بالاستنكار والسخط ، ورفضته الحبشة بتاتاً ، فلم يلبث أن قضى عليه فى مهده ؛ وكانت فضيحة دولية حقيقية أصابت هيبة السياسة البريطانية ، واضطرت أن تتراجع أمامها بسرعة وأن تعود إلى موقفها الأول

وقد عرضنا من قبل إلى ذلك التطور المدهش فى سير الحرب الحبشية ، وأشرنا إلى بعض العوامل التى يظن أنها كانت سبباً فى تحول السياسة البريطانية ؛ ومنها ما يقال من أن مسيو لافال رئيس الوزارة الفرنسية استطاع أن يقنع السير صمويل هور وزير الخارجية البريطانية المستقيل بأن تعريض الحملة الايطالية للفشل ، وتمكن الأحباش من احراز نصر حاسم على البيض مما يعرض سيادة الدول الأوربية فى أفريقية للخطر ، ويصدع من صرح أوربا الاستعمارى كله ، ويبعث فى الشعوب السوداء أو الملونة رغبة الانتقاض والمقاومة ، وذلك ليس من مصلحة بريطانيا التى تحكم مئات الملايين من الشعوب الملونة فى أفريقية وآسيا

ومما يلاحظ أن هذه النغمة الجنسية تقوى وتشتد فى أوربا يوما عن يوم ، وأن الدوائر والصحف الاستعمارية أخذت تضرب عليها بطريقة منظمة ، وخصوصاً بعد الانتصارات المتوالية التى أحرزها الأحباش على الايطاليين فى الأسابيع الأخيرة ، مما يدل على أنها قد أخذت تحدث أثرها فى تكييف السياسة الاستعمارية الأوربية : بيد أنه مما يلاحظ أيضا أن هذه النغمة التى بعثتها الحرب الحبشية من رقادها ليست سوى ناحية واحدة من نواحى الفورة الجنسية العامة التى اشتدت بوادرها فى أوربا فى الأعوام

الأخيرة ، والتى ظهرت بصورة جلية فى كثير من المناسبات السياسية والدولية

وقد نرجع إلى الوراء قرونا إذا حاولنا أن ندرس كل التطورات التى مرت بها تلك النزعة الجنسية الأوربية ؛ فتاريخ هذه النزعة هو تاريخ الصراع بين الشرق والغرب وبين الاسلام والنصرانية ؛ ولكننا نكتفى بأن نعرض إلى أحدث طور من أطوارها ، وهو الذى نرى اليوم آثاره ماثلة فى سياسة أوربا العامة ، وفى السياسة المحلية لبعض الدول الأوربية . وفى وسعنا أن نقول إن هذا الطور الحديث من هذا الصراع الجنسى يرجع إلى الحرب الروسية اليابانية فى سنة ١٩٠٤ ، فقد كانت الفكرة الجنسية تجثم قوية وراء هذا الصراع بين دولة أوربية عظمى وبين دولة أسيوية استطاعت أن تنفض عنها غبار الماضى بسرعة وأن تتبوأ مكانتها بين الدول القوية ؛ ومع أن أوربا كانت تسئ الظن بمقدرة روسيا القيصرية واستعدادها ، فانها لم تكن تتوقع أن تصاب الجيوش والأساطيل الروسية بمثل ما أصيبت به من الهزائم الساحقة ، وأن تحرز اليابان ما أحرزت من نصر باهر

ولكن اليابان خرجت من تلك الحرب ظافرة قوية ، وكان من نتائجها أن بسطت سيادتها على أقاليم شاسعة من الصين ؛ وحدث لأول مرة فى التاريخ أن انتصرت دولة أسيوية على دولة أوربية عظمى ؛ ولهذا استقبلت أوربا انتصار اليابان فى دهشة وروع ، واستقبلته مقروناً بصيحة الخطر الأصفر ؛ ولما سما شأن اليابان بعد الحرب الكبرى وضاعفت جهودها فى سبيل التوسع الاستعمارى فى الصين ، وكشفت عن نيتها فى مقاومة النفوذ الأوربى فى الشرق الأقصى ، مستترة بشعار الجامعة الاسيوية ، واستطاعت فى الأعوام الأخيرة أن تبسط سيادتها تباعا على منشوريا وأقاليم أخرى من الصين ؛ زادت أوربا شعوراً بما تسميه الخطر الاسيوى ، أو الخطر الأصفر إشارة إلى تفوق اليابان أو الجنس الأصفر ؛ وما ينذر به من تحطيم النفوذ الأوربى فى الشرق الأقصى ، والحلول مكان الدول الأوربية فى استعمار الشعوب الاسيوية التى وقعت تحت سيادتها .

وهذه النعرة الجنسية تشتد اليوم فى أوربا وتتخذ صورا محلية الى جانب صورتها العامة . ففى ألمانيا الهتلرية مثلا تتخذ نظريات الجنس والسلالة أهمية خاصة ، وترتب عليها مزاعم مدهشة ، ويبدو أثرها جلياً فى اضطهاد اليهود ومطاردتهم بأساليب عنيفة منظمة ، وفى الدعوة القوية الى بغض الأجناس السامية والشرقية واحتقارها واعتبارها أجناساً منحطة لا يليق أن تتبوأ مكانها مستقلة أو حرة ، ووجوب اخضاعها واستغلالها بواسطة الشعوب الآرية الأوربية ؛ ويزعم هتلر ودعاته أن الجنس الجرمانى هو أشرف أجناس الخليقة ، وأعظمها فى الخواص والخلال ، وينكرون على الشعوب السامية والشرقية بوجه عام أنها ساهمت أو تستطيع أن تساهم فى إنشاء الحضارة ؛ بل يذهبون فى غلوهم إلى إعتبار أن اليابان أمة مقلدة لا يصح أن توضع فى مصاف الشعوب العظيمة المبتكرة ، الى غير ذلك من المزاعم التى تنم عن تعصب جنسى عميق ؛ ونرى مثل هذه الريح الجنسية تعصف بأمم ثانوية مثل بولونيا والمجر ورومانيا ، وتتخذ صورتها فى اضطهاد اليهود ومطاردتهم . أما الصورة العامة التى تتخذها النعرة الجنسية اليوم فى أوربا ، فتظهر جلياً فى أمرين : الأول صيحة الخطر الأصفر ، وذلك لمناسبة توغل اليابان فى الصين وتوجس الدول الأوربية من مطامع اليابان وخوفها من انهيار سيادتها الاستعمارية فى الشرق الأقصى ، وقد أخذت تنهار فعلا بتخلى روسيا عن مصالحها القديمة فى منشوريا ؛ والثانى فى صيحة البيض والسود التى ذاعت لمناسبة الحرب الحبشية الايطالية ، وقصور إيطاليا فى إدراك غاياتها الاستعمارية بعد أن لبثت طويلا تنظم قواها وبعد أن جردت على الحبشة نحو ثلث مليون جندى مجهزين بأحدث الأسلحة والمخترعات المهلكة ؛ وهذه الصيحة تشتد اليوم فى البيئات والدوائر الاستعمارية كلما اشتدت مقاومة الأحباش وزاد عجز إيطاليا وضوحا ، وبدا إزاء مايحرزه الأحباش من انتصارات متوالية أن مغامرة إيطاليا الاستعمارية ستمنى بالفشل الذريع . وهذه النغمة هى التى يضرب عليها اليوم غلاة الاستعماريين الذين يشدون بأزر إيطاليا تحقيقاً لغايات السياسة القومية ، مثل مسيو لافال رئيس الوزارة الفرنسية الذى يحاول أن يستبقى الصداقة الايطالية بأى الأثمان ويخشى أن يؤدى انتصار الأحباش أعنى السود على الايطاليين الى كارثة استعمارية تهز الأمم السوداء والملونة الى الأعماق ، وتعصف بنير الاستعمار الأوربى

فى إفريقية ، ولفرنسا فى افريقيا الشماليـة والغربية والوسطى امبراطورية استعمارية ضخمة ؛ ومثل زعماء ألمانيا الهتلرية الذين يرون فى سياسة ايطاليا الاستعمارية ، وفى تحقيق غايات الاستعمار الايطالى سنداً جديداً لمطامع المانيا الاستعمارية فى استرداد بعض مستعمراتها القـديمة تحقيقاً لنفس الغايات الاقتصادية التى يزعم موسولينى أنه يعمل لتحقيقها بالقضاء على حريات الحبشة واستقلالها

وهـذه النعرة الجنسية حرية بأن تحدث أثرها فى السياسة الانكليزية ؛ فانكلترا كفرنسا تسيطر على أمبراطورية شاسـعة من الشعوب الملونة ولا سيما فى شرق أفريقيـة حيث تضطرم الحرب الحبشية ، وسحق إيطاليا فى الحبشة يحـدث بلا ريب أثراً عميقاً فى عقلية هذه الشعوب ويذكى فيها روح التمرد والمقاومة للنير الأجنبى ؛ ولـكن الظاهر أن انكلترا مع تقديرها لهذا العامل ترى أن تضعه فى المحل الثانى بالنسـبة لعوامل جوهرية أخرى تضطرها أن تعمل فى وجهة أخرى . ذلك أن انكلترا ترى فى العسكرية الفاشستية خطراً داهماً على سيادتها فى البحر الأبيض ، وترى فى ظفر إيطاليا باجتياح الحبشة خطراً داهماً على أملاكها فى شرق أفريقية وعلى سيادتها فى وادى النيل ؛ وترى على الجملة فى استمرار هذه الفاشستية الطامحة التجنية المشبعة بروح الاعتداء والتحدى ، خطراً على سلامة أمبراطوريتها وسلامة مواصلاتها الأمبراطورية ، وخطراً على السلم الأوربى بوجـه عام ؛ والمسألة الحبشية ثانوية فى نظر السياسة الانكليزية كما بينا أكثر من مرة ، ولـكنها تغدو فى يد انكلترا وسيلة ناجعـة لمحاربة الفاشستية وتقويض دعامتها العسكرية والسياسية

على أن الذى نريد أن نلفت النظر إليه هو أن هـذه النعرة الجنسـية التى تهب ريحها اليوم على أوربا وتروجهـا الدوائر الاسـتعمارية ، ليست جديدة ولا حادثة فى أوربا ، إنما هى نزعة أصيلة فى هذه الشعوب الأوربية التى استطاعت بأساليب العنف والغدر والخديعة أن تفرض سـيادتها على معظم الأمم الافريقية والاسيوية ، والتى تحرص كل الحرص على استغلال هـذه الأمم واستصفاء ثرواتها لـكى تزيد بها فى قوتها وفى نمائها ورخاء بنيها على حساب هذه الأمم الهيضة ؛ وأوربا اليوم هى كما كانت بالأمس ، وكما كانت منذ العصور الوسطى مهد التعصب الجنسى والدينى ؛

وليس من الضرورى أن نعود إلى أيام الحروب الصليبية لـكى نصور أوربا المتعصبة على حقيقتها ، وإنما يكفى أن نذكر أن الاستعمار العسكرى والسياسى الذى تفرضه أوربا على الشعوب الشرقية باسم المدنيـــة والتهذيب والتفوق الجنسى والثقافى والاجتماعى ، تؤيده فى نفس الوقت حملات البعثات التبشيرية ، وتمهد له بالعمل على تقويض العقائد الدينية الشرقية ؛ فاذا كنا نسمع فى أوربا اليوم صيحة الخطر الأصفر لمناسبة التقدم اليابانى فى الصين ؛ وصيحة البيض والسود لمناسبة انهيار مشروع إيطاليا الاسـتعمارى فى الحبشة ، فانما ذلك يتفق تمام الاتفاق مع ماضى أوربا وتقاليدها فى الاضطرام بنزعات التعصب الجنسى والدينى وخصوصاً كلما خشيت على صرحها الاستعمارى من الانهيار ما؟

(***)

فى الحب أيضا

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كتبت إلىّ سيدة أعرفها فاضلة لبيبة تسألنى عن الحب كيف أقول فيه ما قلت ؟ وعن المرأة كيف أبسط لسانى فيها كل هذا البسط ؟ وعن الحب الافلاطونى ماذا ترى رأيى فيه ؟ وختمت كتابها باتهام الرجال بقلة الوفاء ، وبالغدر وكثرة التقلب

وقد استخلصت من كتابها أن مقالى الذى تفضلت بنشره « الرسالة » لم يصادف منها ارتياحاً ولم يلق قبولاً . ولست أستغرب هذا ، أو أنكر عليها امتعاضها ، فانى أعرف أن كل رأى فيه من الهوى أثر ؛ والمرء يميل بمزاجه إلى ما هو أحب اليه من الآراء وأكثر موافقة أو مجاراة لهذا المزاج ؛ وما يزال الانسان يوحى إلى نفسه حتى يصير الأمر عنده عقيدة راسخة لا تتزعزع ولا يسهل زحزحته عنها ؛ ولو أن انساناً استطاع أن يتبين مبلغ أثر الايحاء الذاتى فى آرائه لهاله ذلك ، ولذهب إيمانه بالعقل وقدرته على النظر المجرد ، ولأيقن أنه ما من رأى إلا وهو وليد عاطفة ، فمولد عاطفة ؛ والانسان يعيش بالطبع أكثر مما يعيش بالعقل . وأحسبنى لا أخطىء جداً حين أقول إن عقل كل فردٍ يُصب فى قالب من طباعه ، فليست هذه التى نفكّر بها « عقولاً » ، وإنما هى طباع وأمزجة اتخذت صوراً مزوّرة ؛ وأصل الخطأ أنا سميناها « عقولاً » فصار لها فى وهمنا ، على الأيام ، استقلال لا وجود له

وليس الذى نشرته لى « الرسالة » رأياً فى الحب ، وإنما هو بيان لحالات يجر اليها ، ومواقف يستدعيها ، ولا أرى لى صبراً عليها ؛ أما الحب فليس لغزا ، وما على من يريد فهمه على الوجه الصحيح إلا أن ينضو عنه كل ما خلع عليه الشعراء ولفوه فيه ، حتى أخفوه وحجبوه ؛ وليس هذا كل ما جنى الشعر ، وما هو إلا بعض ما مسخ من حقائق الحياة . والشعراء كالكهان الأقدمين — دأبهم التهويل على الناس وإيهامهم أنهم وحدهم دون خلق الله أهل العلم والاحاطة والبصر والاتصال بالحقائق العليا والأسرار المحجوبة — لا ، بل الشعر ضرب من الكهانة ، ومظهر من مظاهرها — أى نوع من الدجل . ولا نكران أن الشاعر والكاهن يبدآن مخلصين صادقى السريرة — وكذلك كل غرير قبل أن يجرب — ولكن الأمر يتحول شيئاً فشيئاً إلى صناعة ، فلا تصدق من يقول لك إن الشاعر يظل عمره — إلى آخره — طفلا كبيراً ، فان هذا ليس إلا بعض دجل الشعراء — أو هو بعض ما يوحون إلى نفوسهم ويلحون به عليها ليكونوا أقدر على الدجل ، والدجال يحتاج إلى اكتساب « مظهر » الاخلاص ليستطيع إقناع الناس . وقد رأيت فى زمنى دجالين كثيرين كان أبرز صفاتهم قدرتهم على مغالطة أنفسهم بالايحاء اليها ؛ والشعراء أبرعهم جميعاً لأنهم ألح على نفوسهم ، وأكثر استلهاماً منها ، وسبياً للتأثير فيها ، ودؤوباً على مناجاتها

أعود إلى هـــذا الحب فأقول إنه ليس فيه سر ، فهو ضرب من الجوع ، أو هو إذا شئت نوع من التنبيه تلجأ اليه الطبيعة لتغرينا بما يكفل المحافظة على النوع كما تنبهنا بالجوع ، فتبنى ما نحافظ به على ذواتنا . وعلى ذكر الجوع أقول إنى أذكر أنى أيام كنت أقول الشعر نظمت قصيدة نشرت فى الجزء الاول من ديوانى وفيها أن الحب أصاب منى « شبعه » فاستبشعها صديق لى أكبر رأيه وذوقه ، وأنكر علىّ أن أذكر « الشبع » فى معرض كلام على الحب ، فوافقته على رأيه ، ولكنى تركت البيت على حاله ، عجزاً عن تنقيحه ، أو إهمالاً ؛ ولولا أنى أرفض شعرى كله لقلت إنى الآن أرانى أحسنت

فالحب — كالجوع — اشتهاء ، أى إيذان بأن الجسم يطالب أن تسد له حاجة ، وليس الطعام هو الغاية من الأكل ، بل ما يفيده من الصحة والقوة واستمرار الحياة ؛ كذلك ليست المرأة هى الغاية من الحب ، بل ما تعين عليه من بقاء النوع بالانتاج ؛ وكما أن المرء يغلط فيأكل ما لا خير فيه ولا صحة تستفاد منه ولا قوة ، بل ما لعله يضر ويورث المرض ، كذلك يغلط الانسان فيحب ما لا يحقق الغاية التى ترمى اليها الطبيعة . والمرء يكون مترفا فى حبه كما يكون مترفا فى طعامه وملبسه وما الى ذلك ؛ ومن الناس من يأكل طعامه جرفا ، والبطان الذى لا ينتهى منـه ، والمخلِّط من صنوفه والمستقصى لها ، والقَرِ‍ُون الذى يأكل

لقمتين لقمتين ، والذى يكره معدته على الزيادة بعد الشبع ، والذى يسرع فى الأكل كراهة لطول الجلوس له ، والذى يضع يده على ما أمامه لئلا يتناوله الغير ، والذى يجيل اللقم ولا يمضغها ، والذى يلوك ، والذى يأكل نصف اللقمة ويرد نصفها ، والزهيد القليل الأكل ، والمريض ، والضعيف الاشتهاء ، والمتعجّف .

وكذلك أرى الناس يكونون فى حبهم ، بل الانسان الواحد يكون مرة هكذا ، ومرة هكذا ؛ والتوابل وما اليها لازمة للحب أحياناً لزومها للطعام ؛ واللحم هو هو كيفما طبخته ، ولكنه تارة يكون أشهى مشوياً ، وتارة أخرى يكون ألذ وهو مسلوق ، أو مقدد أو مشرح أو مملق فى السفود ، أو مخلوط بالرز أو البيض أو الخضر أو غير ذلك ؛ وقل مثل ذلك فى غير اللحم من الآكال فما أردنا إلا التمثيل ؛ وكذلك المرأة ، فمن كانت يعنيها أن يبقى حب الرجل لها أطول زمن ممكن ، فلتكن على كل لون وعلى كل صورة تُشتهى

ولا احتاج بعد هذا أن أقول : إنى لا أومن لا بالحب الأفلاطونى ولا بالوفاء ، ولست أعني أنى أستهجنهما أو أعيبهما ، فليس الأمر أمر استهجان أو عيب ، وإنما أعنى أنهما لا يوجدان مع الصحة والسلامة ؛ وإذا كان من الممكن أن يشبع الجائع بالنظر إلى الطعام فى أطباقه على السفرة ، وأن يحيا المرء بأن يأكل بعينه أو خياله ، فانه يكون من الممكن أيضاً إرضاء عاطفة الحب عند الرجل السليم المعافى بالنظر إلى المرأة والاستماع إلى حديثها والتمتع بابتسامتها ورشاقة وقفتها أو حسن جلستها . والذى يقنع من المرأة بذلك يكون أحوج إلى الطبيب المداوى منه إلى المرأة .

أما الوفاء فأكرم به وأنعم ! ولكن أين فى دنيانا من يصبر على طعام واحد وفى وسعه ألا يفعل ؟ وأقول « من يسعه ألا يفعل » وأنا أعنى ما أقول ، فما يلتزم الوفاء إلا من يعجز — بسبب ما — عن خلافه . وأسأل القارىء وأعفيه من الجواب العلنى : أى رجل لم ينقض عهداً بالوفاء بالفعل أو بالنية أو بالخاطر أو بالخيال — على حسب الاحوال ؟ والمرأة كالرجل وشأنها كشأنه . وكذاب من يقول — وكذابة من تدعى — غير ذلك . ولست أدعو إلى شىء — وحاشا أن أفعل — ولكنى أصف واقعاً ، وأقر حقا لا يكابر فيه إلا منافق يريد أن ينتحل فضلا على حسابى وحساب الحقيقة . والذى يجعل الوفاء مستحيلاً فى الواقع أن الحياة قائمة على التحول لا على الثبات ، والمرء يتغير حتى ليمكن أن يقال إنه يخلق كل يوم خلقاً جديداً مولداً من الخلق السابق أو أنه يموت ويجىء غيره باسمه ؛ وكل يوم يحياه هو يوم ماته ، ويبعث بعده كرّة أخرى فى صورة تخالف الأصل من بعض الوجوه . وقد شرحت هذا من قبل فى مقالات شتى فى « البلاغ » « والأهرام » ولا أذكر أين أيضاً ، فلا أعيد هنا ما قلت ... ...

وليس هذا رأياً جديداً لى ، فقد نظمت فيه شعراً كثيراً نشر بعضه ، ولن ينشر البعض الآخر ؛ وأذكر مما نشر هذه الأبيات :

أكلما عشت يوما ... أحسست أنيَ متّهْ

(من قصيدة الملل من الحياة)

***

إنى أرانى قد حلت وانتسخت ... مع الصبى سورة من السور

وصرت غيرى فليس يعرفنى ... — إذا رآنى — صباى ذو الطرر

ولو بدا لى لبت أنكره ... كأننى لم أكنه فى عمرى

كأننا اثنان ليس يجمعنا ... فى العيش إلا تشبث الذكر

مات الفتى المازنى ثم أتى ... من مازن غيرُه على الأثر

(من قصيدة كأس النسيان)

***

هذه كفى على خون العهود ... لا على الرعى — فهذا لا يكون

إنها دنيا كذاب وجحود ... ولصدق النفس أولى — لو يهون

هذه كفى على وشك اللال ... كل نار سوف يعلوها رماد

آه لو أستطيع تصديقَ الخيال ! ... أو يكون الجهل شيئاً يستفاد

***

ياعقيدى طامن الله حشاك ! ... لن ترانى شاكيا وهىَ حبالك

أين من طينتنا — أين الفكاك ؟ ... أنت انسان على فرط جمالك

(من قصيدة معاهدة هرامية)

***

وحسبى هذا القدر ، وعسى أن يكون كافياً فى جواب السؤال

ابراهيم عبد القادر المازنى

رفعـــة المرأة

للأستاذ محمد بك كرد على

تحارب فرنسا فكرة إعطاء الحقوق السياســية للنساء ومساواتهن بالرجال ؛ وقد جعلت ألمانيا وإيطاليا فى جملة نظامها الجديدة أن تعود بالمرأة إلى سالف عهدها من التزام البيوت والقيام على تربيــة الأطفال ومنعهن ما أمكن من معاطاة أعمال الرجال ؛ وتكتب فى هذا الشأن كتب ورسائل ، وتنشر صحف ومجلات . ومن الـكتب التى ظهرت مؤخراً فى فرنسا فأحدثت دوياً فى الأوساط المعتدلة وأظهرت المرأة بمظهرها الحقيقى كتاب (رفعة المرأة) للدكتور روبرتوتش Dr. Robert Teutsch : Le féminisme بدأه بكلام لثلاثة من مشاهير الـكتاب أحـدهم تيودور جوران قال : إن رفعة المرأة بلية صدرت إلينا من البلاد الأجنبية ولاسيما من أمريكا وجرمانيا وبلاد الشمال . وكان هذا النفوذ المتألف من كل غريب يكفى أن يكون منـه نتاج قد لا يتلاءم كثيراً مع تركيبنا الفرنسى . وقال روبر كيبو : من السهل الدلالة على أن دعوى رفع شأن المرأة كانت أبداً وليدة المذهب الاشتراكى ، فانا نراها نسقط فيها على أفـكار اشتراكية بعينها ، وعلى معان لهم وتعبيرات وعلى كلمات مابرح الاشتراكيون يرددونها مع سفسطات كانت ولا تزال مألوفة لهم ؛ وما المرأة إلا أعدى عدو لرفعة شأنها ، فهى موقنة بأنها تخسر من نفوذها الخاص أربعة أضعاف ما تربحه من نفوذها العام ، ولا يتأتى مما ترمى إليــه إدخال أدنى إصلاح على النظام الاجتماعى . وقال الثالث مارسـل تينار : إن حقوق النساء وتحريرهن الأدبى وطموحهن إلى الحياة السياسـية ، كل هذا حسن وجميل ، ولـكن ياسيداتى حررن أنفسكن أولاً من الخياط ، فان لم تكن لـكن هـذه الشجاعة فلا تتطاللن إلى أن تحصلن على ما بقى

قال المؤلف : إن مسألة إعطاء المرأة حقوقها مازالت منـذ ثلاثين سنة من الموضوعات الطريفة ، ولو كان الأمر يقف على إعطاء المرأة جميع حقوقها ولا سيما السياسـية التى لم تهيئها لها لاطبيعتها ولا عملها الخالق لهان الأمر ، ولـكنهن يرمين من المطالبة بذلك إلى التفلت من كل قيودهن ولا سيما قيود البيت والأمومة . تريد إنقاص شأن الرجل وتطمح إلى الاستيلاء على كل عمل لم تخلق هى له . تريد الابتعاد عن المنزل وعدم المبالاة بأعماله والاقلال من الأولاد والقضاء على الأسرة وينتهى ذلك بانقراض العنصر والجنس . وبتأثير الاضطربات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التى ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر فى معظم البلاد المدنة ولا سيما فى فرنسا ، راجت دعاية المفرطين ثم دعاية الرجال والنساء فى هذه الحرب الحديثة ، فـكان من تلك الدعاية إخراج المرأة عن طورها وحملها على أن تتناسى أو تستنكر عملها ، فصبغت المرأة بصبغة بشعة من محاكاة الرجل ليكون منها شريكة مبغضة له أحياناً ، ومنافسة وخصيمة يخشى بأسها . ومن العدل ألا نغفل عن التصريح بأن أسـباب حياة المرأة بعد الحرب الـكبرى قد تبدلت تبدلا خاصاً فيـه كثير من القسوة ، لأن أجور كثير من الرجال لم تعـد كافية لاعاشة البيوت فاضطرت المرأة بكسل الرجل أن تدخل أحياناً لتعمل فى البيوت التجارية والمعامل والمصانع لتكتسب ما تستلزمه حاجتها أو حاجة ذويها ، مما لم تحتج إليه فيما سبق من الأيام ، اللهم إلا إذا كان زوجها مصاباً بعـلة طال أمرها ، أو بعاهة فى جسمه تمنعه العمل ؛ وعلى ذلك كثر عدد العزبات المتجردات ، والعوزات والأيامى المطلقات ، ممن لا معرفة لهن بصناعة ؛ وكثيراً ما يكون لهن أولاد يضطررن لاعالتهن . وإذا لم ترغب فيهن النفوس أو كن بشمات ممسوخات يمشن خليلات للرجال أو يتدهورن فى المهوى السافل . ولطالما كان من الفتيات من جمعن شيئاً من المال ، وانتظرن السنين خاطباً أو راغباً ؛ ومن هـذه الطبقة أيضاً عوانس خرجن عن طبائعهن ، وحاولن أن يمشن عيشة جديدة ، ويخرجن من أفقهن الضيق فاستلزم ذلك اختلاطهن بكثيرات من بنات جنسهن وغير أبناء جنسهن ، فتيسر لهن إيجاد علائق كان من أثرها زواجهن ؛ وشق على كثيرات منهن لما أخفقن فى الحصول على عروس لهن أن يبقين بلا حب ، فاخترن خليلهن بحسب أذواقهن ، وكل أولئك كان يحسن ويحب لو وقف الأمر عنده ، ولـكن هناك نساء سطا عليهن الكبر والحقد ، فاحتقرن الرجل والزواج والولد ، وهن قادرات على أن يكن طاهيات ووصيفات وسـاعورات ودلاكات ومنظفات أيد (Nanicures) ومنظفات أرجـــل (Pédicures) وحاسبات وخازنات وكاتبات ومدرسات وبائعات

وسمسارات بل وقصصيات ومحاميات وطبيبات ، ويتوهمن أنهن أسمى من الرجل أو على الأقل مساويات له ، ويحاولن أن يقمن مقامه فى معاناة سامى الأعمال مما لسن له خليقات

بهذه الصفحة وصف المؤلف ما تحاول المرأة بلوغه فى بلاده ، أو تنزعه من قيودها الطبيعيــة لتتلبس طبائع غير جنسها . وقد قال فى وظيفة الحيض : ما برح دعاة تحرير المرأة منادين صاخبين أن المرأة مساوية للرجل ، وما كان تشريح الجنسين ونفسيتهما وطبيعتهما متشابهة قط ؛ وإذا كان الحال كما يدعون ، فلماذا نرى البقرة غير الثور ، والنعجة غير الخروف ، واللبوة غير الأســد ؟ ولماذا يتناسى دعاة هذا التحرير العمل العظيم الذى يؤثر فى طبيعة المرأة وعقليتها وما كتب عليها من الحيض فيخرجها إلى طور غريب ، وتفعل أيام الحيض فى خلقها ، وبعض الصحيحات منهن أو المريضات تعاودهن العــادة مرتين فى الشهر ، فيدفق الدم منهن فى الشهر الواحد مرتين ، وينقطع مرتين ، فيتأثر المجموع العصبى فيهن من هــذه الموجات الدموية . وأسهب فى شرح هذه الحال على ما يجوزه لسان الطب ، ولا يجوز نقله لسان الأدب الحديث فى صحيفة سيارة ، مستشهداً بآراء أعاظم الحكماء والأطباء ؛ ونقل عبارة أحدهم من أن المرأة لا تشعر بالحرارة ولا بالبرودة ، والدليل أنها تتدثر بالفرو فى الصيف ؛ وإذا قيل إن ذلك من جملة الأزياء الحديثة ، فأنا نشهدها تتعرى فى الشتاء إلى خاصرتيها ، دون أن تحس بما يضرها ؛ فالمرأة ما بردت قط ، وإن أظهرت أنها صردة تتأثر من البرد ، وأنها تضع الفرو عليها فذلك لأن هذه الحركة هى من الحركات الجميلة فيها . وعرض لغرامهن بالأزياء من كشف الأيدى والأرجل والسوق والصدور والظهور على ما تأباه قواعد الحشمة قال : ولو عقلن لسترنها ، لأن فى سترها مصلحة لهن على خلاف ما يعتقدن ، وبذلك إغواء الشباب إلى ما يحمل ذلك من الموبقات المخجلة

إن إعطاء الحقوق السياسية لم ينتج منه الاصلاح المدهش فى شمالى أوربا وفى أمريكا وأوستراليا ، حيث أخذن يتمتعن بحقوق الناخب والمنتخب ؛ فى الدانمرك لم يأت النساء بشىء أحسن مما كان للبلاد يوم كان نساؤها يسلمن للرجال الأعمال ، ولم يُقض على الغول (أو الكحول) فى بلاد السويد والنرويج وفنلندا وأوستراليا والولايات المتحدة ؛ أما الفحش فكثير جدا فى هاتيك الممالك ، وهو مشوب برياء وتصنع

خرج المتعلمات فى الجامعات الأمريكية من البيوت الفقيرة ؛ وأظهر الفتيات فى فرنسا وغيرها اجتهادا فى طلب العلم ؛ وقد يتعلمن بدعة وسرعة كل ما يتطلب اجهاد الذاكرة ؛ وقد يبرزن فى المسابقات ، ولكن كذلك عندما يخرجن إلى الحياة ، عندما يضطررن إلى القيام بمسألة تحتاج إلى تفكير وشخصية وحكم ؛ وقل فيهن من ينجحن فى المحاماة والطب ، وقل أن يقبل أرباب المصالح على توكيلهن فى القضايا أو استشارتهن فى الأمراض ؛ ومن تزوج منهن من رجال لهم مثل صنعتهن ، كأن تتزوج الطبيبة بطبيب ، والمحامية بمحام ، لم يحمدن غب زواجهن ، لأن التفاوت فى قريحتى الزوجين يؤدى إلى أن تحسد الزوجة زوجها على توفيقه فى عمله ، فتبغضه وتشنأه ؛ وثلث المتعلمات فى أمريكا لا يظفرن بأزواج ، وكلما أحرزن شهادات تخوف الرجل الاقدام على التأهل بهن ، ولذلك يحببن الانطلاق بأفكارهن أن أسفن لما صارت اليه حالتهن ؛ وثبت أن من تزوجن فى فرنسا لم يقدمن على الزواج إلا بعد الثلاثين ، وأحياناً فى الأربعين ، وكان معدل العقم من هذا الزواج تسعة وثلاثين فى المائة لا تنسل فيه صاحبته ولا تلد

فتحت فى الحرب معظم الأعمال فى فرنسا أمام النســاء ، فأثبت لهن الاختبار أن من الأعمال ما هو من شأن الرجال كقيادة الترام ، وسوق السيارات ، والمحاماة ، والطب ، فأخذ يرجع بعضهن عن تعاطى هاتين الصناعتين ؛ وأثبت النساء الموظفات فى الادارات الحكومية والخصوصية أن امرأة عندما تجلس من وراء كوة أو نافذة للقيام بعملها ، تصبح أشــبه بالحيوانات المفترسة ، وكانت خارج عملها من الساحرات الفاتنات بلطفها وظرفها . قالوا إن النساء إذا شاركن فى السياسة يهذبن الأخلاق ، ويبطلن الحروب ، ويشرعن تشريعاً انسانياً أكثر من تشريع الرجل ، والواقع خلاف ذلك ، لأن من الموظفات من إذا رضخ لهن بشىء من المال يبسمن ويغيرن معاملتهن ، فما بالك بهن إذا قبضت الواحدة المئات ؟ ومن تولين أعمالاً لا شأن لها كثيراً لم ينجحن النجاح المطلوب ؛ ومن نجحن كن بتراكيبهن الجسمية أشبه بتراكيب الرجال ، من حيث العضلات والقوى . وما نجح النساء فى تولى الحكومات لو لم يكن لهن مؤازرون عظماء من الرجال يعملون كل شىء وينسبون ما عملوا للملكات ،

وإذا رجعنا إلى تراجم الملكات والأميرات نجد كثيرات منهن على جانب من التهتك والخلاعة ، وما تعففن عن غمس أيديهن بالدماء ـ ويكون ذلك أحياناً لمآرب لهن ـ أو للتخلص من رجال تمتعن بهن ، ثم أردن اطفاء ذكرهم . وإذا أردنا أن نذكر شهيرات النساء فى الأدب لا نرى غير الرجال يعملون لهن من وراء ستار على الأكثر ، وما تركت فيه المرأة وشأنها من الآثار الأدبية كان إلى التفاهة والفهاهة

وعدد المؤلف المساوىء التى تنتج للمجتمع من إعطاء النساء حق الانتخاب وما يتبع ذلك من شرور تنبعث من الناخبات ، وفسوقهن وفجورهن كثير . وعقد فصلاً طويلاً فى آراء عظماء الرجال منذ القديم فى النساء ورفعة شأنهن ، وفى الأبناء والشباب . قال بركليس : إن خير النساء من لا يتحدث الناس فى أمرها . وقال موليير : إن النساء أتين العالم لعمل الحساء وإنسال الأولاد ، وما عدا ذلك فانهن يظهرن بمظهر مزعج خطر . وقالت مدام دى منتنون : ما عرف النساء قط إلا نصف معرفة ، والقليل الذى يكتب لهن معرفة يصبحن به متعجرفات هزءاءات مهذارات بعيدات عن الرصانة والرزانة . وقالت الآنسة دى سكودرى : إن فتاة تنسى النظر إلى السماء لا تحسن شيئاً على الأرض . وقالت مدام دى دوفان : إن النساء يحرصن على الاضطرابات حتى أن معظمهن يؤثرن البؤس على الراحة . وقالت الآنسة دى لسيناس : متى تعلمت المرأة الاملاء يأخذها العُجب ، فالواجب تعليم النساء لا تخريجهن عالمات . وقالت العقيلة دى بوز يولكس : مهما بلغ من خبث الرجل لا يقل فى النساء من القبائح أكثر مما يتصورون بأنفسهن . وقالت مدام دى ستال : لما لم يكن فى النساء تعمق فى نظرهن ولا تسلسل فى أفكارهن ، كان النبوغ متعذراً عليهن وإذا كتب للنساء أن اتسعت أفكارهن فلا يتم لهن ذلك إلا بألم شديد . وقالت إن مجد المرأة حداد ظاهر على سعادتها

وقال برودون : إن المرأة التى تبتعد عن جنسها تسقط الى مستوى أنثى مهذارة وخة كسلانة قذرة خائفة قوادة مسممة ، هى طاعون أسرتها والمجتمع . وقال لوكو فيه : إن المرأة الطبية يتقزز منها ، والمرأة التى تتولى كتابة الصكوك يضحك منها ، والمرأة المحامية يفزع منها . قال : كان أوجست كونت يعرف النساء كثيرا ويقرم بهن كثيرا ، ويخالف فى تحريرهن ، ويعرف أنهن ما عدا القليل منهن جداً لم يخلقن للعمل ولا للحرية ولا لتحمل التبعات

« البقية فى العدد القادم »

محمد كرد على

الاشتراك المجانى فى الرسالة

لدخولها فى سنتها الرابعة

(١) ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٦ إلى ٣١ منه سيكون الاشتراك فى الرسالة على النحو الآتى :

ص	
٥٠	فى مصر والسودان
٤٠	لطلاب العلم ولرجال التعليم الالزامى
٦٠	فى البلاد العربية بالبريد العادى
٥٠	لطلاب العلم فى البلاد العربية بالبريد العادى

(٢) إذا دُفع الاشتراك المخفض فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ أُهدى إلى المشترك مجموعة من السنة الثالثة ثمنها ستون قرشاً مصرياً . وأجرة البريد على المشترك ، وقدرها خمسة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٣) إذا دُفع الاشتراك الكامل فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ وقدره ستون قرشاً فى مصر ، وثمانون فى البلاد العربية ، أُهدى إلى المشترك نسخة من كتاب (ضحى الاسلام) أو (فجر الاسلام) للأستاذ أحمد أمين ، أو من كتاب (وحى القلم) للأستاذ الرافعى ، أو من كتاب (تاريخ الأدب العربى) للأستاذ الزيات ؛ أو كتابان يختاران من الكتب الآتية : آلام فرتر ، رفائيل ، فى أصول الأدب ، للاستاذ الزيات ؛ قصة المكروب ، مرجريت ، للدكتور أحمد زكى ؛ مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، قصص اجتماعية ، للأستاذ عنان وأجرة البريد مسجلا على المشترك وقدرها خمسة قروش فى الداخل ، وعشرة قروش فى الخارج

(٤) يقبل الاشتراك الكامل والمخفض أقساطاً من طلاب العلم ورجال التعليم الالزامى ، ولا يقل القسط عن عشرة قروش ولا تعطى الهدية إلا مع القسط الأخير

فى مقـــبرة جنوى

حيث تتجاور الحياة والموت

للأستاذ فتحى رضوان

الساعة العاشرة فى الصباح . . . .

وجنوى تشملها شمس ايطاليا الهادئة ، ونحن على أبواب مقبرة جنوى

ياعجبى ! لم أسمع من قبل أن أجمل ما فى مدينة مقبرتها ، وأن السياح والراغبين فى التفريج عن النفس ، والجارين وراء لذائذ العقل والفكر ، يهبطون جنوى ، فلا يطلبون حدائقها ، ولا يقصدون متاحفها ، ولا يسألون عن حماماتها أو أسواقها ، بل يستحثون الخطى وغايتهم « المقبرة » ! !

فأى مقبرة هذه التى يهواها الناس ؟ أليست مكاناً اضطجع فيه الناس بعد هذه الرحلة الطويلة التى يقطعونها فى الدنيا ، بحثاً عن المال ، أو هياماً بالجمال ، أو عدواً وراء جاه المنصب . . . ؟ أما تضم الرفات بعد أن ذاب عنها اللحم الوردى ؟ أما تجمع العظام بعد أن تشتتت وانتثرت وانحلت روابطها ؟ أما تفوح منها رائحة الذكريات الحزينة : ذكريات الحبيب الذى ترك وراءه قلباً دامياً وعيناً دامعة ، وذكريات الولد الذى خلف الأم الولهى ، وذكريات الزوج الذى من ورائه أرملة ثكلى . . . ؟

أتكون مقبرة جنوى شيئاً يمحو من صدور اليتامى والأيامى والبؤساء والحزانى أحزانهم ويهدئ آلامهم ؟ إن تكن كذلك فهى أعجوبة أحْرِ بالناس أن يقصدوها لا ليفرجوا عن أنفسهم برؤيتها ، بل ليحملوا اليها كل من فارقهم وكان عندهم عزيزا ، ليشعروا ببرد العزاء وحلاوة السلوان

دلفنا نحو المقبرة ؛ ولست أعرف احساسى وقت أن دنونا من بابها ، فقد وقفت بنا السيارة أمام باب ضخم مفتوح على المصاريع ، وإلى جانبه حارس ؛ فلما اقتربت من الباب نظرت إلى الحارس ، وقد حسبت أن طول اقترابه من قبور الموتى جعل له مظهرا خاصا به ، فاذا هو رجل عادى ، يرى كل يوم النعوش الرخيصة تتبعها أسر فقيرة ، والنعوش الغالية الثمينة ، ووراءها الأغنياء الذين يتأنقون فى الموت كما يتأنقون فى الحياة ، والموت يهزأ بهم ، وإن كانت الحياة تدللهم !

لقد تعود حارس المقبرة أن يرى أحزان الناس وصور شقائهم ، فبردت أعصابه ، وتفهت مآسى الناس عنده ، إذ رأى المتباكين الذين لا يحسون بألم ، والمفجوعين الذين لا يجدون دمعة يطفئون بها نار صدورهم . . .

ولكن يا ترى ماذا يفعل الحارس إذا أصابه القدر فى ابنه أو زوجته أو أمه أو حبيبته ؟ أتبقى أعصابه فى برودتها ، ونفسه فى شدتها ، ودموعه فى محجرها ؟ أم أنه سيفهم آلام الناس من جديد على ضوء النيران المشبوبة فى صدره ، الملتهبة فى قلبه ؟

تركنا حارس المقبرة ، ورأينا فى طريقنا عشرات من الحراس يلبسون على أكتافهم مآزر زُرقا من الصوف ، تقيهم برد الشتاء ، وتكسبهم وجاهة القواد والوجهاء ، وهم يتبخترون فى مشية عسكرية وخيلاء ، وقد جلوا شواربهم ورفعوها ، وحلقوا لحاهم وعطروها ، فما عاد هيناً أن تعرف إذا كان هؤلاء حكاماً جاءوا يتنزهون ، أم هم أشباح موتى ثقلت عليهم رقدة الموت ، فخرجوا يتمشون ويتنفسون . . . إى وربى إنهم أشباح ! فالواحد منهم على جلال مظهره ، وجمال ملبسه ، لا يعدو أن يكون تمثالا ؛ فالأيام تذوب وتدور ، وهم فى مماشى المقبرة واقفون ، يرفعون رءوسهم إلى السماء ، ويخفضونها إلى الأرض ، ويضمون خناصرهم وبناصرهم فى خواصرهم ، لا يشغلهم شاغل ! حسبهم من الحياة أنهم وقفوا على أبواب الموت ، تاركين وراءهم ضجات الناس وصيحاتهم ... بل حسبهم من الحياة أنهم يحملون أثقل أعبائها ، ويرون أصدق حقائقها ، فاذا جاءهم بعد ذلك الموت ، وجدهم كالموتى ، لا أوزار ولا أطماع ، ولا ماض يحاسبون عليه ؛ ثم وجدهم فى المقبرة ، يعرفون لحودها ويحفظون حدودها ، ويدركون مكانهم اللائق بهم فيها

لقد قسوت على حراس المقبرة ! وأحسب أن مظهرهم قد غرنى وخدعنى . . فكم تخفى الوجوه الهادئة نفوساً ثائرة ! وكم يحترق الذين يحسبهم الناس كسالى ونائمين ! ومن يدرى ؟ فلعل أحد هؤلاء الحراس شاب مغامر طاف بالأرض وجازف

بالمال القليل الذى كان بين يديه ، وبالحياة الغالية التى بين جنبيه ، ثم قذف به القدر حارساً لمقبرة ، وهو أبعد الناس عن الموت وفكرته ، مشغولا بالحياة ولذتها . ولكنه يسير كما يسير بقية الحراس ، مطرقاً متأملاً ، شاخصاً ، متألهاً ، وهو مستغرق فى أفكار نفسه ويوده لو يواتيه القدر فينطلق من جديد . . .

لقد طالت وقفتى بحراس المقبرة . . .

هذه هى المقبرة ، وقد لاحت من بعيد شواهد القبور ، فأفلتت منى ضحكة أعرفها من نفسى كلما جاشت فيها خواطر ، واحتدمت ضحكة يحسبها الذين معى أنها استخفاف بالذى أرى أو انصراف عما أرى ، وهى ضحكة النفس التى أسأمتها صور الحياة المتشابهة ، وقد أفرحها أن ترى الحياة والموت متجاورين ، فلا الموت جمل مظهر الحياة عابساً ، ولا الحياة جملت مظهر الموت تافهاً ... ضحكة الذى رأى الحياة وقد حنت على الموتى ، فجملت لهم مساكنهم وزينت لهم حدائقهم ، بل ضحكة الذى سره أن يرى مظاهر الحب الانسانى وقد تجسدت تماثيل وشواهد . . بل وقد تضوعت زهوراً وعطورا . . .

هـذه هى مقبرة جنوى . فأى فرحة شملت نفسى ! ومابالى أرى الدنيا من حولى ضاحكة ؟ هل أستخف أمام الموت بالموت الذى جمع فى هـذا المكان مئات الألوف من الموتى : صبياناً لم يتجاوزوا العقد الأول من أعمارهم ، وفتيات صبايا أرى صورهن على قبورهن فأرى وجوهاً تترقرق بماء الحياة وتفيض بفتنة الأنوثة . . . ورجالاً قصف القدر عمرهم وعلى أكتافهم عبء عمل ناضج ؟ . . .

الشمس فى السماء شمس رحيمة لا تحرق البدن ، ولا تلفح الوجه ؛ تحف بها السحب ، والمكان هادىء لا جلبة وحتى لا بكاء . . وأنا مستغرق فى تأملاتى ، وإخوانى قد سبقونى وأصواتهم تصل إلى من بعيد ! لقد هدأت نفسى ، وذابت فى أعماقها الضحكة التى كنت أسمعها بأذنى صوتاً ، وبراها صحبى بشرا . . . مابال الدموع قد ملأت عينى ؟ مابالى لا أرى شيئاً ، ولا أسمع شيئاً . . ؟

لقد أفقت على وقع أقدام من بعيـد : أقدام تطرق الأرض طرقاً حاداً ، ولكنه رفيق . . . عالياً ، ولكنه موزون . . فما تحركت ولا تركت مكانى ، بل بقيت مسترسلاً فى هـذه الخواطر التى لم أكن أعرف لونها ولا سرها ، لأنها كانت تبدو لنحتنى ، وتتمارض وتتقابل ، وتجتمع وتفترق ، وتهدأ وتشتد . . خواطر أشبه بهواجس النائم الذى شغلت ذهنه قبل نومه ألف فكرة ، فتحركت جميعاً حينما أغفى

لعلى لمت نفسى وأنا مطرق على قسوتها على الذين أحبونى وأخلصوا الحب ، فشغلتنى عنهم شواغل الحياة ، فتألموا صامتين ، وودعونى عند السفر باكين ، بل صابرين ... أو لعلى لمت نفسى إذ رسمت لنفسى طريقاً محفوفاً بالصعاب ، فوهنت حيناً ، وأغفيت حيناً ، وجدفت وتشككت أحياناً . . ولعلى لمت نفسى لأنى أحببت ألوان الجمال جميعاً ، فما تغذيت بلون منها ، ولا شبعت بها جميعاً . . .

لعلى لم ألم نفسى . . .

اقتربت الأقدام منى ، فاذا بشبح أسود يمر سريعاً دون أن أراه . . ولكنى أفيق فأتبين فى الشبح فتاة تلبس الرداء الأسود الحزين وفى يدها طاقة ورد ، وعلى وجهها مسحة ألم ، وهى فى مشيتها لا تلقى بالا لما حولها

هذه الفتاة ليست إلا قصـة حزن من قصص الحزن التى سجلها الحفار تمثالاً ، والتى سجلها الزمن أجساداً تسير فى الدنيا بلا أرواح ، مشغولة بالذين راحوا ، ولا عودة لهم بعد الرواح . .

تبعتها ، ولم أر بعدُ وجهها ، وقد أحسست أن نصف حزنها قد خف ولطف ، فقد قاسمتها الهم الذى تنوء من تحته ، والألم الذى تشكو من وخزه ، والحرمان الذى تبكى لطوله وعنفه . لقد بدت لى هذه الفتاة فى ثوبها الأسود ، ووشاحها المسدل ، وإطراقتها الطويلة ، الانسانية التى تنبعث آلامها من آمالها ، فقد تـكون هـذه الفتاة قد اقبلت لتضع على قبر حبيبها طاقة زهر ، أو تنثر فوقه دموع عينيها ، وقد كانت بالأمس تمنى نفسها أن تكون له ويكون لها . . .

انطلقت الفتاة وكأنها تعدو ، واخترقت الدهاليز ، واجتازت الابهاء ؛ وبعدت عن صحبى ، ولعلى بعدت عن نفسى ، وخيل إلى أن الفتاة لا تقصد قبرا ، وأن القبور تساوت أمامها فكلها من الحجر الغالى ، وكلها منقوش ومصور ، وكلها أصم أبكم ، بارد جامد لا يلين تحت يد ، ولا يلتهب لوقع قبلات المحزونين المكروبين .

أتقودنى هذه الفتاة إلى مجهول ، أم أن دنيا الأحزان هكذا

متسمة ، والطريق إليها يطول ويطول ... ؟ ولـكن الفتاة لم تلبث أن انحرفت إلى دهليز ضيق ، ثم خطت خطوتين ، وركعت أمام قبر من الرخام الأسود ، ورسمت الصليب ، وأغمضت عينيها ... كان النور ضعيفاً ، باهتاً ، وكان المكان ساكنا ساكنا ، فابتعدت عنها خطوتين ووقفت أتأملها ، ولـكن الشمس لم تلبث أن خطت في السماء خطوتين ، ثم سقط نورها من نافذة من الزجاج زرقاء ، فرأيت هـذه الفتاة تمثالا افتنت فيه يد صانع الطبيعة ، فاجتمع فيه ألف معنى ، فلو سألتنى أهذه الفتاة طفلة تتشبث بصدر أمها ، ولم تتجاوز بعد الأعوام الأولى من عمرها ، لقلت « نعم ! » . ثم لو عدت وسألتني : أهذه الفتاة صبية لاهية تائهة في الدنيا ساهية ، لقلت « نعم ! » . ثم لو رجعت إلى السؤال فقلت : أهـذه الفتاة شابة اكتملت أنوثتهـا ، ونضجت فتنتها ، لقلت « نعم ! » ثم لو ألححت في السؤال فقلت : أهـذه الفتاة امرأة أثارت الدنيا شهواتها ، ولم تضعف الأيام نزواتها ، لقلت « نعم ! » . ثم لو كان بعد ذلك في مكنتك أن تسأل فقلت : أهذه عجوز شيبت السنون رأسها ، وهدت البأساء نفسها ، لقلت « نعم ! » . لقد أطلت النظر إلى وجهها ، فرأيت الرجاء والتوسـل ، والبـكاء والتهدم ، والاطمئنان والاستسلام ، والثورة الجائحة ، والشك في رحمة الرحمن ...

لمست القبر وقبلته ، واقتربت منه وعانقته ، وأسلمت رأسها وقد انسـدل وشاحها على ظهرها ، وبدا لى أنها شَرِقَت تطلب ماء لغصة في حلقها ، ولـكنها رنت إلى السماء بوجهها ، فرأيت أنها تطلب من الله ماء العيون .. فلقد تحجرت عيناها فلا بكاء ولا دموع ... !

انتصبت الفتاة واقفة ، ثم رفعت من فوق القبر قنـديلا صغيراً كادت تخبو شمعته إذ أوشك زيته على النفاد ، وملأت القنديل بزيت من زجاجة كانت معها فاشتعل القنديل وتوهج ، ثم ذهبت إلى الناحيـة الأخرى من القبر وملأت القنـديل الموجود هناك ، ثم رفعت طاقة الزهر التى كانت معها فوضعتها على القبر وتمتمت ثم رسمت الصليب وانطلقت وقد زاد وجهها شحوباً ، ووقفت حيث كنت متأملا في نور هذا القنديل ، مشفقاً على هـذه الانسانية التى لا تدرى كيف تعبر عن حزنها ولا عن ألمها . . . ماذا يفعل هذا النور الخافت في هذا الدهليز الضيق ؟ وما الذى يفيده الفقيد الراحل من الزهر المنثور على القبر ومن القنـديل ومن تجديد الفتيل . . . إنه ذهب ولن يعود ... ولـكن الحياة لا تعترف بأنها فقدت من الموتى كل شيء ، فهى تحدثهم بلغة الأنوار والأزهار ، وهى تناجيهم بالتماثيل والتهاويل ، وهى تسمعهم الأغانى والتراتيل . . . أهى تفعل ذلك كله من أجل الموتى ؟ أومن أجل نفسها ؟ أهى تتشبث بالذين ذهبوا أم تتعلق بالدنيا التى تتجدد وتتطور وتزداد كل يوم جمالا وافتتانا ؟ . . . ما أقوى الحياة في بدايتها ! وما أقواها في نهايتها !

لـكن هذه الخواطر الغامضة لا تنتهى ، لأن كل شىء في المقبرة يفجر في النفس ينابيع التأمل والاسـتذكار ، فلا بد لزائر المقبرة من شيء أو شخص ينتزعه من هواجس نفسه وخواطرها . وقد كان الذى انتزعني دليلا من أدلاء المقبرة ، تقدم إلىّ وعلى عينيه مناظر لامعة ، وسألني كم من الوقت أريد أن أقضى في المقبرة . قلت لأصرفه عنى : « دقائق قليلة » ؛ فقال حسنا . اتبعني . فتبعته وأنا أسائل نفسى ماذا يستطيع أن يقول هـذا الدليل وقد تـكلمت التماثيل والأحجار ، ونطقت القبور والأنوار ، وسالت الفجيعة من كل ركن من أركان المقبرة ؟ ولـكنه قادنى إلى تمثال أنيق لراهب وانطلق يذكر صانع التمثال وشهرته ، وتاريخه وبدائعه ، فأحسست أن الجو الشعرى الذى اشتملنى قد تبدد أرجه وعطره ، وشعرت أنني خرجت إلى دنيا التوافه . . . دنيا الأرقام والاحصاء ، الدنيا التى لا ترى فيها إلا مكافحاً في سـبيل الرزق ، أو مدجلا من أجل الشهرة ، أو مغلوباً على أمره ، يبغى البقاء ويخشى أن يدهمه الفناء . . .

قل أيها الدليل كل الذى في جعبتك فانك لا تهوى الفن ولا تعشقه ، وليست هذه التماثيل في حسابك إلا بقدر ما تدخل الجثة المسجاة في سرير في حساب « النادبة » التى تؤجج نيران الأسى في قلوب ذوى الفقيد وهى لا تحس ألما ، بل تنتظر لعويلها ثمناً . مَرَّ بى على تمثال الجنـدى الشاب الذى صرع في ميدان القتال فأقامت له أمه نصبا خلدت به ابنها ، فأبرز المثال صورته ، وقد أصابته الرصاصة في صـدره ، فوضع يده حيث اخترقته القذيفة ووقفت أمه من ورائه تحنو عليه . . .

مر بى أيها الدليـل على تمثال الفتاة التى زفت الى خطيبها ،

فماتت فى شهر عسلها ؛ وعلى تمثال الغواص الذى هبط إلى أعماق البحر ولم يخرج ...

مر بى أيها الدليل فى الدهاليز ... وأشر بأصبعك إلى القطع البارعة التى احرقت أعصاب أصحاب الفن قبل أن تبرز إلى الوجود . . . لخص أيها الدليل أجمل معانى الدنيا فى عباراتك الباهتة وقل هنا « قبور الأغنياء » ، وهنا قبور القرن الماضى ، وهنا قبور المتوسطين من الناس ... كأنى جئت هنا لأضع الموتى فى مراتبهم الاجتماعية ، ولأسأل عن وظائفهم ومقادير ثرواتهم وما حصلوا من مجد ، وما لاقوا من عنت .... قف أيها الدليل أمام أجمل فتنة فنيــة ؛ ثم لا تدعنى أتأملها لأنك تحسب أنك قلت لى عنها كل شىء إذ تقول إنها تكلفت أموالا كثيرة ..

ولتدخل بى أيها الدليل إلى دهليز طويل ، لأرى فى جدارية ادراجاً فأحسب أنها أدراج مكتبة وقفها بعض ذوى الثراء على الراغبين فى العلم الباحثين عن المعرفة حتى فى المقبرة ، ثم قل لى إن فى كل درج جثماناً ... وأن الادراج امتلأت بالموتى ولم يبق إلا اثنان ينتظران ميتين ...

إنها لمكتبة حافلة ! ولـكن من يستطيع فك مغاليقها وفض أختامها ؟ واخرج بى أيها الدليـل الى مقبرة الفقراء والمساكين الذين لا يقيمون لموتاهم نصباً ولا تماثيل . ولا تقل لى عدد الموتى ولا أعمارهم ... فانى هنا فى حديقة جميلة غناء ، بودى أن أقف فيها والشمس الهادئة تغمرنى ، والجبل الأشم يطالعنى ، والموتى الساكنون يتسلون بسذاجة قبورهم نفسى . . .

ولـكن قل لى أيها الدليل ما بال هذا القبر يبدو عاطلا من كل حلية . ؟ « نعم ياسيدى لأنه قبر رجل غريب ! »

أيتها الانسانية المسكينة ! تشبثى بالفروق ، وتأنقى فى الموت ، وتأنقى فى الحياة ، وأقيمى لموتى الأغنياء قبابا ، واحفرى لموتى الفقراء لحودا ، ثم انظرى آخر الأمر ماذا بقى لديك فى يديك ؟ الموتى جميعاً أصـبحوا (معروضات) فى متحف ، يرتزق بالتحدث عنهم دليل جاهل ، ويتسلى بالنظر إلى صورهم زائر عابر ، ولا تبقى وراءهم إلا عبرة فى عين ، وحسرة فى قلب ، وعبرة لمن أراد أن يعتبر !

(جنوى) فهمى رضوان المحامى

قصـــة المكروب
كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وأخذ بستور ورجاله الخلصاء يصوبون مجاهرهم على مواد يستخرجونها من أجسام موتى من الانسان والحيوان . ماتت بأمراض مختلفة الأجناس بلغت العشرات عداً ، وقضوا فى هذا ما بين عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨٠ . كان بحثهم فى هذه الفترة به شىء من التخليط ، وتحسسهم فيها على غير هدى . ثم شاء القدر أو إرادة الله أن تضع تحت أنف بستور طريقة رائعة للتحصين من الأدواء ، ذلك التحصين الذى حلم به طويلاً . ليس فى استطاعتى أن أؤدى قصة ما جرى فى ذلك بالضبط ، لأن الذين كتبوا عن بستور اختلفت رواياتهم فيها ، ولأن بستور نفســه لم ينشر فى كتاباته العلميــة إلى الذى حدث ، ولم يقل قط إن الذى جرى له فى ذلك كان حظاً واتفاقاً . ومع هذا فأنا أقصها على أحسن ما أستطيع ، وأسد خللها على قدر الامكان

ففى عام ١٨٨٠ كان بستور يلهو بتلك المكروبة الصغيرة البالغة الصغر التى تصيب الدجاج فتميته بالداء المعروف بكوليرا الدجاج ، وكان الدكتور بيرُونسيتو Peroncito اكتشفها فوجدها ضئيلة بالغــة فى الضآلة فلا تُرى المكرسكوب منها غير نقطة صغيرة ترتعـد تحت أقوى العدسات ، وكان بستور أول باحث استطاع تربيتها نقية ، وذلك فى حساء صنعه لها من لحم الدجاج ، وبعد أن راقب هذه النقطة الراقصة ، وهى تتكاثر فى هذا الحساء فتبلغ الملايين الكثيرة فى الساعات القليلة ، قام فأخذ من الحساء قُطيرة فأسقطها على فُتيتة خبز ألقمها دجاجة ، فلم تمض ساعات حتى انقطعت وَقْوقة هذا الطائر المنكود ورفض الطعام وانتفش ريشه واستدار فكان كـكرة من العِهن . فلما أصبح الصباح جاءه بستور فألفاه يترنح على رجلين ضعيفتين ، وعيناه فى اغماض من نوم غامض انقلب سريعاً إلى نوم أبدى عميق

وقام روRoux وشمبرلاند Chamberland على هذه المكروبات الصغيرة يربيانها ويرعيانها تربية الحاضن ورعايتها . فكانا يغمسان عودا من البلاتين فى حساء يعج بها ، ثم يغمسانه بما حمل من البلل ويحركانه فى حساء جديد خال من الأحياء ، فلا يلبث أن يعج هذا بالخلائق الجديدة من ذلك المكروب . وقاما على هذا يوما من بعد يوم ، ويكثرون من القليل الذى على العود البليل العدد الهائل الكبير من هذه المكروبات ، حتى ازدحمت مناضد المعمل بزريعات متروكة قديمة بلغت أعمار بعضها أسابيع كثيرة ، وتفكر بستور فيها فقال : « غدا نُنَحّى كل هذا الركام وننظف المناضد »

وهنا جاء الحظ يهمس فى أذن بستور ، فما كان من صاحبنا أن غيّر رأيه ، فقال لرو : « نحن نعرف أن مكروب كوليرا الدجاج لا يزال حيّا فى هذه القبابة ... نعم إنه قديم ، فقد تركناه فى مكانه بضعة أسابيع . . . ولكن برغم هذا أرى أن تحقن قطرات قليلة منه فى بعض الدجاج ... »

وأنفذ رو ماسأله بستور ، وإذا بالدجاجات يجيئها المرض فيذهب عنها المرح والخفة والنشاط ، وتهوّم كأنها تطلب النعاس . وأصبح الصباح فأتى بستور يطلبها فى المعمل لتشريحها وفحصها موقناً أنها لا شك ماتت كالعادة ، فاذا بها تجرى على عينه هنيئة سعيدة . قال بستور : « هذا عجيب ! إن المكروب من زريعاتنا كان قبل الآن يُحقن فى العشرين دجاجة فتموت العشرون كلها ، أما هذه .... ! » على أنه لم يكن قُدّر لبستور فى هذا اليوم أن يكشف كشفه الخطير المنظور ؛ ففى الغد قام هو وأسرته ورو وشمبرلاند لقضاء عطلة الصيف ، وقبل سفره أودع الدجاجات التى بَرِئت ذمة حارس المعمل ونسى أمرها

وعاد بستور من سفره . وذات يوم طلب إلى خادم المعمل أن يحمل اليه بعض الدجاج الصحيح الجديد ، وأن يجهزه للحقن ، قال الخادم : « ولكن ياسيد بستور لم يبق من دجاجنا الجديد الذى لم يحقن غيرُ زوج أو زوجين ، أما البقية فأنت تذكر أنك حقنتها قبل سفرك بمكروب من زريعات قديمة فمرضت ولكنها لم تمت » . فتسخط بستور على الخدم الذين يهملون فلا يحتفظون بوفرة من الدجاج لتكون دائماً كافية حاضرة ، ثم قال : « إذن فأحضر ما عندك من دجاج جديد ، وزوّدنا كذلك بزوج أو اثنين من الذى حقناه فأبى أن يموت ... »

وأحضرت الدجاجات وهى تملأ الجو صياحا ، فضرب أحد الأعوان يحقنه فى عضلات صدورها بملايين المكروب فى صدور تلك التى كانت حقنت من قبل ، وكذلك فى صدور الجديدات ، ومضى النهار ؛ وأصبح صباح الغد ، فأقبل رو وشمبرلاند إلى المعمل ، وبينما هما يدخلان سمعا صوت بستور خافتاً يأتى من تحت السلم من بيت الدجاج وهو يصيح بهما : « رو ! شمبرلاند ! إنزلا إلىّ وأسرعا ! » وكان بستور يسبقهما دائماً إلى المعمل بساعة أو نحوها

ونزلا اليه فوجداه أمام الأقفاص يذرع الأرض بخطواته . فقال لهما : انظرا ! ان الدجاج الجديد الذى حقناه أمس مات . وكان يجب أن يموت . ثم انظرا الى هذا الدجاج القديم الذى كنا حقناه من شهر مضى ، فمرض ثم طاب ، هذا الدجاج أخذ بالأمس نفس الحقنة القاتلة التى أخذها ذلك الدجاج الجديد ، ولكنه لم يمت ... لقد قاوم فعل الحقْنة أتمّ مقاومة ، انه فرح مرح . . . انه يأكل ! »

فاختبل رو وشمبرلاند ، وانبهم عليهما الأمر حيناً . فقال بستور : « ألا تدركان مغزى هذا ؟ مغزاه أنى وجدت كلّ ما أردت ! لقد وجدت الآن كيف أعطى الداء قليلا الى الحيوان — قليلا بحيث يُمرضه ولا يميته فيُشفى وشيكا .. وكل الذى علينا أن نعمله هو أن ندع هذه المكروبات الحادة القاسية تشيخ فى زجاجاتها . بدل أن نستخرج منها بالزرع أنسالا كل يوم ... ان المكروبات تَقْدُم فتشيخ فتهدأ حدتها ، وتضعف ثورتها ، فاذا أنت حقنتها فى الحيوان أعطته مرض الكوليرا ، ولكن بعضاً قليلا منه لا كلّه ، فاذا طاب استطاع بعد ذلك أن يصمد لأخبث مكروب فى العالم ... فأنتما تريان أن فرصتنا فى هذا عظيمة ؛ وأن هذا أخطر اكتشافاتى ، هذا اللقاح الذى كشفت، وهو أكثر تأكدا من لِقاح Vaccine الجُدرىّ وأكثر منه حظاً من العلم ، فالجدرىّ لم يرَ أحدٌ له جرثومة ... فهيّا بنا نطبق هذا على داء الجمرة ... وعلى كل الأدواء الخبيثة ... ونخلّص حياة الانسان والحيوان ! »

— ٣ —

لقد كان الذى وجده بستور مصادفة واتفاقا ، فلم يكن من تدبير

العقل الانساني . ومع هذا فلو أن رجلا دون بستور قدرا وقع على الذي وقع عليه لقضى السنين الطويلة يحاول تفسير هذه الظاهرة الخفية لنفسه دون أن يأتي أمرا مذكورا ، أما بستور فما كاد يقع اتفاقا على حماية دجاجتين حقيرتين من جرثومة قتالة حتى رأى في هذا فرصة سانحة عظمى لحماية بني الانسان من الموت ، فابتدع عقله الوثاب طريقة جديدة يَختلُ بها الطبيعة التي شاءت أن يستسلم بنو الناس كلما هبت عليهم تلك بالعداء أحياؤها الصغيرة

كان بستور بلغ الثامنة والخمسين من عمره ، فلم يبق فيه من الشباب بقية . ولكن هذا اللقاح الجديد الذي اكتشفه بغير قصد فنجا به الدجاج من الكوليرا ، هذا اللقاح نفخ في جمرة حياته فاستمرت ، فعاش من بعد ذلك ست سنوات هي أملأ سنواته بالحركة وأشدها احتداماً بالحياة ، سنوات امتلأت بحجاج شنيع ، وانخذال فظيع ، ونصر غير منظور . في هذه السنوات الست صب بستور من الطاقة ما يصبه مائة رجل ، وأحدث فيها من الحوادث ما يحدثه هذا العدد من الرجال متظاهرين

وقام بستور وصاحباه يؤكدون أمر هذا اللقاح ، فتركوا مكروباً للكوليرا يقدُم في حسائه وزجاجته ، فلما ضعفت شرته حقنوه في عشرات من الدجاج الصحيح ، فمرضت سريعاً ، واشتفت سريعاً ؛ وبعد أيام قلائل حقنوها بذريعة خبيثة من المكروب نفسه تكفي لقتل العدد الوفير من الدجاج الصحيح الذي لم يحقن بعد ، وأخذ ثلاثتهم يرقبون هذا الدجاج تياهين معجبين باحتماله تلك الملايين من المكروبات وصموده الغريب لها

هكذا أغرى بستور بذ كائه مكروبا بمكروب . بدأ بتأنيسه ، فلما تم له ذلك حشده وسلطه بأسلوبه الغريب على مكروب من جنسه

ولو أنه لم يكن عندئذ فعل ذلك في غير مكروب كوليرا الدجاج ، فقد اندفع على عهده في غطرسته وتمجرفه على الأطباء ، وفي حملته على آرائهم العتيقة ، وهزئه برطانتهم اللاتينية ، وسخر بوصفات جرّت بها أقلامهم على الورق سريعة كالبرق الخاطف ، وانعقدت الجمعية الطبية فقام يخبر الأطباء في أدب جم أن لقاح الدجاج الذي كشفه يفوق كثيراً لقاح الجدري الخالد الذي كشفه بينار Ienner قال لهم : « فأما الآن قد دللت على ما لم يكن بينار ليستطيع التدليل عليه ، وذلك أن المكروب الذي يقتل الحيوان هو نفسه الذي يقيه من الموت ! »

وضجر الأطباء ذوو الآراء القديمة والأزرّة الزرقاء ببستور أن نصّب نفسه إماما لبينار العظيم . وقام الدكتور جول جيران Jules Guérin يسخر من بستور أن أثار هذه الثائرة كلها من أجل تخبيص في دجاج — واستمرت الحرب في استعارها . وقام بستور في غضبة ثائرة ، وأعلن على رؤوس الأشهاد رأيه في سخافة إحدى العمليات الجراحية التي يقوم بها جيران ويُعجب ويُغرم بها . فتلا ذلك منظر من أقبح المناظر وأفضحها يسوؤني أن أصفه وتضيق نفسي لاضطراري لذكره . نهض جيران من مقعده ، وكان شيخاً في الثمانين من عمره ، وأراد أن ينقض على بستور ذي الستين ، وما كاد يفعل حتى صوب إليه لكمة ، ولكن تدخل بينهما الأصحاب فمنعوا اشتباك هذين الشيخين اللذين حسبا أن الحقيقة تظهر باللكم والرفس وبكسر العظام وخمش الوجوه

وفي الغد أرسل جيران العتيق شاهديه إلى بستور يتحداه إلى المبارزة . ولكن يظهر أن بستور لم يشأ أن يخاطر بحياته وأن يموت على هذا النحو ، فأعطى صديقي جيران رسالة يحملانها إلى كاتب الأكاديمية ، وقال فيها : « لم يبق لي الواجب من سبيل أسلكها إلا أن أعرب عن استعدادي إلى تغيير كل ماقلته فيما يرى المحرّرون أني خرجت به عن حدود النقد المباح والدفاع المقبول عن النفس » . وبذلك هرب بستور من النزال فأثبت مرة أخرى أنه انسان ولو فاته أن يكون ما نسميه في العادة رجلا

(يتبع) أحمد زكي

الأشباح (١)

Fantômes

لفكتور هوجو

ترجمة السيد فؤاد نور الدين

واحسرتاه ! ما أكثر ما رأيتُ من غادات هصرتهن يد المنون !
هذه سنة القدر ! الفريسة ينتظرها الهلاك ،
والعشب تنتظره المناجل المشحوذة القاطعة ،
والزهور توطأ تحت أقدام الراقصين الناعمين في الحفلات ،
والماء ينفد من وديانه ، والبرق لا يومض إلا قليلاً ،
وأبريل (٢) الحسود يحرق بصقيعه أشجار التفاح المزهوة ذات الأزاهير الفواحة ، التي تتساقط كأنها ثلجُ الربيع .
نعم ، هذه سنة الحياة . يعقب الليلُ الشاحب النهار الضاحك .
وتعقب اليقظةُ كل شيء ، إما في النعيم وإما في الجحيم .
ويلتف المدعوون الجَشِمونَ حولَ المائدة الكبيرة ،
إلا أن كثيراً منهم يهجرونها قبل نهاية الطعام

— ٢ —

ما أكثر ما رأيت من غادات يَمُتن ! إحداهن وردية اللون بيضاء البشرة ؛ وأخرى كأنها لم تنصت إلا للألحان السماوية ؛ وأخرى ناحلة قد أسندت جبينها المحنيّ على ذراعها ؛ ثم فارقتها الروح كما يفارق العصفورُ غصن الدّوح وفنن الروض

إحداهن شاحبة ضالة ، استولى عليها الهذيان فما تنطق إلا اسماً لايدّكره أحد ، وثانية تفني كما يفنى النشيد على الأوتار ، وثالثة كانت تحتفظ بابتسامة الملاك الجميـــل الرحيم ، لما لفظت نفَسها الأخير

فما أشبههن جميعاً بالزهور المرتجفة التي أعجلها القدر إلى الموت !
وبالطيور الحائمة التي غمرتها الأمواه مع أعشاشها الطافية !
وبالحمائم الوديعة اللطيفة التي وهبها الله العالم !
فوالهف نفسي عليهن ! طواهن الثرى في غياهبه ، وما قضين بعدُ من العمر لبانة !

* * *

دعوني أتيه في ظلمات الغاب الدامسة ، وأطأ بأقدامي أوراق الشجر اليابسة ، فأنا لا أصدق أن جميع هؤلاء الفتيات الساحرات قد متن ، وذوت نضرتهن وخمدت أصواتهن ؛ ولا أكاد أصدق أن هذه المشاعل البراقة قد خبت أنوارها ، وتلك الورود الزاهية قد هصرت أعوادها

ما نفسي إلا أخت لهذه الطيوف الجميلة ، أما الحياة والموت فلا يفصلهما فاصل ولا قانون

فأنا طوراً أساعد خطواتهن وطوراً آخذ أجنحتهن فأموت مثلهن أو يعشن مثلي في رؤى عجيبة لا توصف

وتلبس أفكاري أشكالهن وصورهن ويخاطبنني قائلات : تعال !
ثم يتراقصن متشابكات مترابطات حول رموسهن
ويتوارين عن عياني بهوادة ، لا يخلفن لي غير الحلم والذكرى

— ٣ —

إنما أذكر منهن واحدة اسبانية : ملاك غض الصبي ؛ أبيض اليدين . قد رفعت النهدين وعقدتهما زفرات بريئة . العين حوراء تلمع فيها نظرات فتنة وسحر

والجمال مجهول أمره ، هذا الجمال الذي يتوج بهالة من النور والضياء جبين من بلغت الخامس عشر ربيعاً .

لم يقض الحب عليها ، فالحب لم تخطر بعدُ لذائذه ومعاركه في فؤادها العاصي بالرغم من هتاف الناس عنـد مرورها : ما أجملها ! كانت تهوى الرقص وهذا الرقص قضى عليها

فرفاتها لا يزال يرتمش رعشة الهدوء والسكون كلما رقصت حول كوكب السماء في الليلة الصحية غيمة بيضاء

كانت تعشق الرقص أشد العشق ، وكانت تظل قبل كل حفلة ثلاثة أيام ولياليها تفكر فيه وترى من أجله أحلاماً زاهية ، وترى نسوة وعازفين وراقصين كلهم يحفون بها

وترى الحلى اللامعة ، والعقود الساطعة ، وهـذه النسائج الرقيقة الناعمة ، وتلك النفائس البراقة المتلألئة ، وهذه الشرائط الخفيفة التي تشبه أجنحة النحل اللطيفة : كلها وزهور وورود كانت تملأ في الحلم عينيها وتسحر نفسها

* * *

فاذا كانت الحفلة ، ألفيتها لاهية ضاحكة مع رفيقاتها ، تقبل حيناً وتدبر حيناً في المخامل الحريرية

(١) نقلت عن كتاب Oeuvres choisies illustrées (V. hugo.)
(٢) نيسان

والمروحة بين أصابعها تضغط عليها والألحان المرحة تنتشر من حنجرتها

فتوافقت الموسيقى الصادحة ونغمات البيانة السابحة

لله ما أبهج النفس التي تتمتع برؤية هذه الكاعب ترقص وتزهو!

ثوبها يهتز بنجومه المتلألئة اللازوردية ، وعيناها السوداوان النجلاوان تلمعان تحت خمارها الحريري الرقيق لمعان نجمتين تضيئان على جبين الليل من خلف سحابة مظلمة

كل ما كان يكمن فيها كان رقصاً ضحوكا ومرحاً متوثباً

ما أشبهها بالطفل! — كنا نبتهج بالنظر إليها في دعتنا الكئيبة ؛ لأن القلب لا يجد متعة في الرقص فحسب ، فالرماد يعلو حول الألبسة الحريرية

والسأم يظهر وسط اللذائذ السماوية

* * *

أما هي فكان الرقص يهيجها ويثيرها ، وكانت تحلق - وهي نشوى بنفحات القيثارة الفخور - في فضاء من الحبور ، وفي جو من السرور

وكانت الزهور الجميلة ، ومصابيح الذهب المتوهجة ، وجلبة الأصوات المرتفعة ، وضجيج الخطوات المتنقلة ، تستهويها وتلذها

ما أسعدها وهي تثب وسط الجمع ، كأن مشاعرها تضاعفت وازدادت ونمت!

فلا تدري حينذاك أتتدحرج خلال السحب ، أم تصطاد خلال الغاب ، أم تطأ بأقدامها أمواج البحار ؟

* * *

واحسرتاه! إذا ما قرب انبثاق الفجر وجبت العودة إلى القصر

وهنا تضطر الراقصة الساذجة إلى الوقوف على عتبة الباب منتظرة المعطف

وهنا تحس وهي ترتجف أن نسيم الصباح الندى يلامس كتفها العاري الفضيّ

فيعقب الندُ الحزين واليوم الكئيب ليلة الرقص المائجة!

وداعاً أيتها الرقصات الصبيانية ، وداعاً أيتها الزينة!

أيتها الحفلات الجميلة ، أيتها الأغاني العذبة ، واللذائذ الحلوة ، والعيون المشرقة!

فلقد خلفتكنّ جميعاً عيونٌ منطفئة ، وأدواء معضلة

— ٤ —

ماتت فتاتنا — وما جاوزت ربيع الخامسة عشرة من عمرها!

ماتت في وفرة شبابها ، وروعة جمالها ، بين نظرات تعبدها ، وعيون تقدسها

ماتت على أثر خروجها من حفلة راقصة ، فتفتتت أكبادنا حسرة عليها ؛ ولبسنا لباس الحداد من أجلها

ماتت وا أسفاه! بين ذراعي أم ضاع صوابها وغاب رشادها ، لم يرحمها الموت فانتزعها انتزاعاً بيديه الباردتين لكي يضعها في القبر ، وهي ما تزال في أهبة لحضور حفلات تالية

لله ما أسرع الموت في اختطاف تماثيل الجمال!

أما تلك الزهور التي كانت تزين بالأمس رأسها ، وتتفتح أكمامها على صدرها ، فلقد ذبلت في الرمس ، قبل أن تنشد فتاتنا نشيد الهوى والعرس

— ٥ —

وارحمة لأمها التاعسة! إنها تجهل حظها العاثر

تلك الأم التي أضمرت لابنتها من الحب والحنان شيئاً عظيما؛

ألم ترع طفولتها الشاكية الحزينة ؟

ألم تقض لياليها ساهرة تهدهد لها المهد لتغفو وتنام ؟

رحماك رب! لم يفدها ذلك .

فالفتاة ماتت ، وهي ترقد الآن في تابوتها القاتم شاحبة اللون ، كاسفة الوجه ، فريسة للحشرات والديدان

* * *

فاذا ما أيقظتها في ليلة جميلة من ليالي الشتاء حفلة خاصة بالموتى ، تقدم إليها - ليتولى أمر زينتها - شبح رهيب ذو ضحكة مروعة

فيقول لها : هلمي حان وقت الرقص!

ويطبع على شفتها البنفسجية قبلة باردة جليدية ، ويمر أصابعه المقداء ، أصابع هيكل عظمي ، على خصلات شعرها الطويلة المتموجة ، ثم يسوقها مرتجفة مهتزة ، إلى الرقص النادب المشؤوم ، إلى تلك الموسيقى الجوية المتصاعدة في الظلام ، حيث يكون القمر في الأفق القاتم شاحباً عريضاً ، وقوس قزح مصبوغاً

(البقية في أسفل الصفحة التالية)

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٧ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية الايجابية من مذهب نيتشه

السوپرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

— ١ —

إن أوربا الحاضرة قد انسل إليها الداء ، ترى فيها حيث نظرت مظاهر العلة والانحطاط . فكأن نصباً بالغاً حل على الانسان فكبَّل قواه وأضوى عزمه . وهو بعد أن قطع سبيله من دودة أرضية إلى قرد ، ومن قرد إلى انسان أصبح يجنح فى هذه الساعة إلى راحة بعد هذا التطور الذى شقى فيه . لا يحفل إذا كانت الراحة فى الوقوف أو فى الموت ، وهنالك مذاهب كثيرة تتعلق بأطراف ثوبه تغريه بعوامل جميلة وآفاق مطرزة . هذا يعده بالمساواة المطلقة ، وهذا يعـــده بحياة ما أجمل أفقها ! المذهب الديموقراطى مذهب منحط فى الجماعات ، ومذهب ديانة الألم هو مذهب الضعفاء . وأولئك الشكوكيون الدقمون المارقون الذين ألفوا « مثوى » لهم عند زرادشت ، هم منحطون يتألمون من وجودهم ، ويكادون يختنقون سأماً من أنفسهم واحتقاراً لها كلما وقعت أنظارهم على الانسان الحاضر

أليس هذا هو الانسان المتشائم الاآـهى الذى يتعلق بمواعظ الموت قائلاً : « كل شىء باطل الأباطيل » « لا شىء يجدى ! السعى باطل » . « لا جزائر سعيدة وراء المحيط » ! . هنالك متشائمون كثيرون أووا إلى كهف زرادشت ، منهم الملكان اللذان هجرا مملكتهما لأنهما لم يخلقا أول الرجال ، والآن يريدان ألا يأمرا ولا ينهيا أحداً . وهنالك العالم الذى يعكس صور الأشياء ، ويضحى بحياته ابتغاء أن يدرس دماغ علَقة . وهنالك الساحر المشعوذ الذى يعبث كثيراً بحقائق الأشياء ويخدع كل الناس دون أن تجوز عليه خدعة . ثم يتحرى — وقلبه مفعم سأماً وكآبة — عن مجد مشروع صحيح . وهنالك « البابا الأخير » من لم يستطع أن يجد لنفسه عزاء عن موت الآله . وهنالك أقبح الرجال ، قاتل الآله ، لأن الآله خنق اشفاقه على بؤس الناس وشقائهم . وهنالك السائل الذى مقت الانسان المتمدن ، يتحرى إزاء قطعان البقر السارحة فى المروج ، يتحرى عن السعادة . وهنالك الشكوكى الذى قذف به جموح عقله إلى إضاعة نفسه ، فضل وغوى وانطلق — بدون أمل — يسبح فى أرجاء الوجود . كل هؤلاء يئنون من داء عميق يحز فى قلوبهم حزاً . فهم يطوفون فى الآفاق وقد أخذ القلق منهم كل مأخذ . فالناس وكل ما يؤمن به الناس من السعادة لا يزيدهم إلا سأماً . فهم أمسوا ولا إيمان لهم بكل الرموز التى يقدس الشعب ألفاظها ومعانيها . فلا ما وصلت إليه المادة يغنيهم نفعاً ، ولا الايمان بالمثل الأعلى يغمر قلوبهم ، فماذا يجب على الانسانية إذاً أمام هذه الهاوية ؟ فهل تقف مشيها وتطالب نفى الحياة وتنشد العدمية ؟

يجيب نيتشه : لا ! لأن الانحطاط لا يؤول إلى العدم ، بل

ببريق الياقوت والعسجد ، وتكون الغيوم ذوات أهداب من لجين

— ٦ —

يا أيتها الفتيات اللواتى تشوقهن ملاهى الرقص الضاحك !

لا تنسين تلك البنت الاسبانية التى انطفأت شعلتها إلى غير عودة ! ولا تنسين أنها كانت تنتقل من حفلة إلى حفلة باشة فرحة ، فتقتطف بيد مسحورة ، أزاهير العمر العبقة ، وتكسب روحها لذائذ الحياة الطاهرة ، وتملأ عينها بزاهى الألوان الساحرة

على أنها مضت إلى عتبات الموت سريعاً ، فقضت كما قضت أوفيليا [1] التى جرفها السيل وهى تقطف الورد والزهور ، فراحت غريضة الشباب والجمال فى ظلمات القبور

حلب فؤاد نور الدين

معلم الترجمة بمدرسة الزهراء النسائية

---

(١) Ophélie أحد أشخاص المأساة (هملت) وهو أروع شخص ابتكره شكسبير . أوفيليا جنت من اليأس ، فأخذت تقطف الزهور على شاطىء النهر فسقطت فى الماء ، ولاقت حتفها . (لاروس)

قد يكون الانحطاط بشائر حياة جديدة وعافية قوية ، وأن مما لا ريب فيه أنه لا يمكن الرجوع بالانسانية إلى الوراء . « يجب الاقدام ، الاقدام إلى الأمام ... تقدموا رويداً رويداً فى الانحطاط ، وكما أن أوراق الأشجار تصفر فى الخريف وتتناثر على الحضيض ، كذلك الانحطاط قد يكون طليعة سلالة جديدة ، والانسانية تهب باحتضارها حياة سامية ، إن الانسانية تتمخض وتتألم من أوجاع الولادة ؛ ولذلك لم يحمل زرادشت تعاسة الرجال السامين إذ يعتقد بأن الانسان ينبغى له أن يتألم كثيراً ليستطيع الوثوب على القمم العالية . إن شقاء الرجال السامين وسأمهم من الناس ومن أنفسهم ضروريان ، ليصعد فاهم إلى المواطن العالية وليزيدام جرأة واقداماً على الوثوب . وإذا كان هؤلاء الرجال السامون هم بأنفسهم نماذج ناقصة للانسانية فما همُّ ذلك ؟ يجب أن يكون هنالك انحطاط ونقص حتى يجىء النموذج كاملا من كل وجه . إن الانسان السامى هو كالاناء ، يتهيأ فيه مستقبل الانسانية ، وفيه تتألف وتتجاذب وتعمل كل الجذور التى ستظهر يوماً لمانقة أشعة الشمس ، على أن أكثر من إناء واحد ووعاء واحد بين هذه الأوعية سيتصدع وسيتحطم ! ولكن ما هم ذلك ؟ أإذا ساءت ولادة فرد ما فهل ساءت الانسانية كلها ؟ وإذا ساءت ولادة الانسانية كلها فما هم ذلك ؟ إن الانسان خاضع لهذا التشبيه الذى فرضه نيتشه . « إن الانسان هو حبل ممدود بين الحيوان والسوبرمان ، ليس الانسان بغاية ، إنما الانسان مجاز وممر ، وليفن الانسان فى سبيل حياة السوبرمان . يقول زرادشت للشعب الحاشد حوله :

« إنى أعلمكم السوبرمان ؛ الانسان يجب أن يفوق الانسان ؛ ماذا فعلتم لتفوقوا الانسان ؟

كل الكائنات سارت فى طريق الابداع إلى ما هو أسمى : وأنتم يا بنى الانسان شئتم أن تكونوا من الموجة جزرها لا مدها ، بل آثرتم العودة إلى الانسانية على السمو فوق الانسانية

ماهو القرد فى عين الانسان ؟ إنه لخزى وعار . وهذا ما يجب أن يكون الانسان فى عين السوبرمان : خزى وعار . ها إننى أعلمكم السوبرمان :

إنه هو ابن الأرض ، فلتقل إرادتكم ، بلى . ليكن السوبرمان ابن الأرض » !

— ٢ —

من هو السوبرمان ؟ وكيف يستطيع الانسان أن يكونه ؟ يمكننا تحديد السوبرمان بأنه هو الانسان الذى يصرف عن نفسه كل التقاليد الموروثة من مذاهب وشرائع سارية فى جسد أوروبا . يصرفها عن نفسه ليعود إلى تقاليد وضعها رجال نبلاء وأسياد خلقوا بأنفسهم هذه القيم ولم يقتبسوها من غير أنفسهم . وليس معنى ذلك أن نعود بالانسان إلى الوراء — إلى عصر الوحشية — وإنما نريد من الانسان أن يبقى محتفظاً بمعارفه وبتجاربه التى شقى فيها أدهاراً طويلة . . . ولكنه يجب عليه أن يحطم مجموعة التقاليد والشرائع التى تعوق سيره وتحول بينه وبين التقدم المنشود

إن الانسان بذهابه من الوجود يفتح الطريق للسوبرمان . وما أشبه هذا الاجتياز بالحركة التى تولد الرجل الزاهد عند « شوبنهاور » . يعتقد المتشائم الكبير بأن الألم قد يقود الانسان إلى الانعتاق من إرادته الشخصية ، ويسير به إلى الانتحار فى النهاية . ولكن هذا لا يغنى وحده فى نقله ، وإنما لا ينبغى له إذا أراد الخلاص أن يقنع بالتنازل عن حياته الخاصة التى يحرزها ، بل أن يتنازل عن الحياة عامة ، وبهذا الثمن يستطيع أن يحس بالهدوء . أما عند نيتشه فان الألم هو الواخز الذى يخز الانسان فيقوده إلى السلام . إن الانسان يتألم من كل شىء ذاتى ، فيدرك السآمة الحادة الفاشية فى نفسه ، وهذه السآمة هى التى تسوقه إلى طلب الزهد والتشاؤم . وهذه هى حالة الرجال السامين الذين جمع بينهم « زرادشت » فى كهفه . ولكن النبى يعظهم قائلا لهم « إنكم لم تبلغوا فى الألم الدرجة التى أريدها . لأنكم مازلتم تتألمون من حالتكم ومما أنتم عليه . إنكم لم تتألموا من حالة الانسان الحاضر ! » فاذا بلغ الانسان هذه الدرجة البالغة من الشقاء والسأم توارى وأباد نفسه تاركا الأرض للسوبرمان . إن التشاؤم الحاد المنيف هو الذى سيولد التفاؤل الظافر

(يتبع) خليل هنداوى

أشبعوا غيرهم وباتوا جياعا!

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

إن مَن كدُّوا يزرعون البقاعا ... أشبعوا غيرهم وباتوا جياعا
ربح المالكون للأرض غصباً ... ومضى كدُّ الزارعين ضَياعا
يُفقِرُ الدهرُ ألفَ بيتٍ ليغنى ... واحداً من أفراده جمّاعا
لا ترى بين أوليهم ثرياً ... كانزاً للأموال أو منّاعا
ومن العدل أن يكون نتاج الـ ... أرض بين المستثمرين مشاعا
إن بين الحق المحصحصِ والبا ... طل منذ الدهر القديم نزاعا
والالىٰ قد حسبتهم بَشَراً إن ... ظفروا كانوا أذؤباً وضباعا
عرفتكم عيونُ من أبصروكم ... لو رفعتم عن الوجوه القناعا
وعسى أن يغير الله ربُّ النـ ... اس فى القوم الظالمين الطبّاعا
رضى العاملون بالوهد مأوىً ... وأبى المالكون إلا اليفاعا
أفريقٌ يفوز بالعيش رغداً ... وفريقٌ يكابد الأوجاعا
إنما الدين وهو أكبر هادٍ ... لا يراعى الألوانَ والأوضاعا
وكتاب الله العظيم يساوى ... بين من كانوا سادة ورعاعا

***

ما بكم من جبن ولكنكم لم ... تستطيعوا عن الحقوق الدفاعا
مشهد يملأ العيونَ دموعا ... وأحاديث تجرح الأسماعا
إن للباطل الذميم لأشيا ... عا وللحق لا ترى أشياعا
يتنزى قلبى الجريح بصدرى ... موشِكا أن يحطم الأضلاعا
وإذا الأرض زُلزلت فترقب ... أن تكون الوهاد منها تلاعا
إنما الآمر الذى يُلزم الأحـ ... رارَ بالاثم لا يكون مطاعا
أيها العدل أنت شمسٌ فأرسل ... لعيونٍ تبغى الضياء شعاعا
لقد امتاز بالشجاعة ناس ... صارعوا الفقرَ يحسنون الصراعا
والذى كان فى الحياة قوياً ... كال للمعتدين بالصاع صاعا
وإذا لم ترهف حسامك للذو ... د فأرهف إذا استطعت اليراعا
أيها المبتغى انتحاراً تأخر ... فمن الجبن أن تكون شجاعا
بئس قلباً ما كان بالصادق الودّ ... وعقلا ما إن يجيد الخداعا

***

وإذا ما أنت صروف الليالى ... فهى تأتى بالرغم عنك تباعا
أيها القوم إن أردتم لحاقا ... بالالىٰ أبعدُوا فكونوا سراعا
إننى قد دعوتكم للذى فيـ ... ـه لكم خير إن أردتم سماعا
فسلاماً إذا رضيتم سلاما ... ووداعاً إذا أبيتم وداعا
لا يرى مشرق السعادة رحباً ... غيرُ من كان للعُلا طلاّعا
رُبّ أرضٍ تشكو الصدى وسماء ... لا ترى فيها كوكباً لمّاعا

***

كبرت جرأتى فجئت بشعر ... أنا فيه أخالف الاجماعا
حاسباً أن ما بنيتُ جدار ... ليس فى الظن أنه يتداعى

(بغداد) **جميل صدقى الزهاوى**

الغابة

للاستاذ عبد الرحمن شكرى

قد حكيتِ الآباد كالبحر والصحـ ... ـراء من طول أرضك الشجراء
وحجبت الأفق البعيد عن الطر ... ف فأنسيت منتهى الأشياء
فكأنْ لا مدَى لدوحك يرجى ... حين تُدحَى مطارح الغبراء
ورياح تشدو على ورق الدو ... ح بألحانِ شدة أو رخاء
منطق لم يدع لنفس شجوناً ... لا يُحاكى صفاتها فى الغناء
ثم تبدو الغصون فى هدأة الريـ ... ـح كناىٍ معلق بالهواء
وكأنى أصغى إلى غابر الدهـ ... ـر وما كان فيك من أرزاء
وكأن المساء ظلّل دوحاً ... يتسامى ولات حين مساء
وكأن الظلام دس كميناً ... رابضاً فى آجامك الدكناء
خطرت فى ظلام دوحك أروا ... ح وناجت مسامع القدماء
لبث القوم فيك دهراً فناجا ... هم سِرارُ الفنون بالايحاء
عُمُداً شيّدوا وسقفاً كبهوٍ ... واستمدوا من غابة وسماء
حين شادوا للدين بيعة إيما ... نٍ تبدت كالغابة اللفّاء
صرتِ ملهى وكنت غيلاً مخوفا ... وملاذ اللصوص والطرداء
وارتضيت الأمان من بعد ذعر ... لم يزل فى المدينة الشماء
غابة شادها ابن آدم نزلا ... دوحها من قصورها الزهراء
ربما عرّشت وضاقت فلا شمـ ... ـس لديها ولا مراح الهواء
ومَخُوفٍ من الفجاءة فيها ... كمخوف فى الغابة القتماء
واحتيال ليُقْنَصَ الرزقُ والصيـ ... ـدُ سواء فى مكرة كسواء

كم وحيد لايعرف الأنس فيها أصبحت نفسه كقفر خلاء
ضاق ذرعاً بنفسه فغدا يـ شد طباً فى معرض الأحياء
عذبته لواحظ الشمس حتى أخذته لواعج الظلماء
وأفاعٍ فى دورها وقرود ووحوش- من ناسها بالعَرَاء
وغريب ومعدم وطريد قد عداه حتى خداع الرجاء
فكأنَّ الاقوام لم يخرجوا منـ ـك ولا زال عهدك المتنائى
سُنَّةٌ قد سننتها فى نفوس إنْ دعتها كانت جوابَ النداء

عبد الرحمن شكرى

تحية يا شباب !

للاستاذ ابراهيم ابراهيم على

دعنا نحييكَ يا شبابُ ! تحيـةَ المعجَب الفخوز
ونجمع الأهل والصحاب نطرب فى غمرة الشعور
أنت مجيبٌ ومستجاب وأنت نار بها ونور
دعنا نحييك يا شباب

تحية العاجزِ المدين لآخذى النصر باليمين

تحيةً يا شبابَ مصرا يا فتيةَ النيـل يا جنود
وذخرنا أن عدمتِ ذخراً يا مصر فى ذلك الوجود
يا فيضة النيل بعد أخرى تمضى ، ولكنها تعود
دعنا نحييك يا شباب

تحية العُرف للأمين وفاتحى فتحها المبين

تحيـةً للدم الصبيبِ إلى الردى . أو إلى الحياه
يجرى هنا من فتى حبيبٍ أو يخضب الوجه من فتاه
فى ساحة الملتقى العصيبِ شاث من المعتدى يداه !!
دعنا نحييك يا شباب

يا ضاربَ الشك باليقين وقاطعاً ذلك الوتين

وفادياً مصر بالغوالى وبالأمانىِّ ، والرجاء
وخائض النار والعوالى لتستوى مصر فى العلاء
لا بغيـةَ الجاه ، أو لمال لكنها نفحة السماء
دعنا نحييك يا شباب

يا فاتح الصدر للمنون وباذلاً كل ما يكون

المجـد ! يا غبطةَ الضمير والمجدُ لله والبـلاد
وشعلةَ الروح فى الصدور ورفعةَ الرأس بالجهاد
ونشوةَ المدمع الغزير وغرةَ الحق والجلاد
دعنا نحييك يا شباب

قولوا هنا : مصرُ لا تلينى فلعنة الذل أن نلين

تحيـةً ! صخرة الأساسِ مصرعلى الرأس واليدين !!
تجهل ما الحكم والكراسى وتذكر الدين أىَّ دَيْن
وتبتغى شـدة الراس فما سبيل الهوى بِهَيْن
دعنا نحييك يا شباب

تحيـة الليث للعرين لا يُظلَمِ القلب أو يرين

نحب مصراً ومن عليها وإنما مصر فى بنيها
صعيدَها قبل شاطئيها قبطيَّها قبل مسلميها
ومن أعزُّ الورى لديها إلا الشباب الأعزُّ فيها
دعنا نحييك يا شباب

ابن بلادى هو ابن دينى وإنما بالهوى أدين

جهدَك يا جندُ لا يمارى مجدك يا جنـدُ لا يرام
خصمك يا جند لا يجارى فى سطوة الحرب والسلام
لكنها مصر ! من أغارا على حمى مصر لن ينام
دعنا نحييك يا شباب

اللهُ . فى ركنها الركين وحصنها الراسخ المكين

الحق والنصر صاجبانِ وما من الحق أن نذلاّ
وليس فى الحق من توان ولا على الحق أن نضلاّ
ان لم أصنْ مصرعن هوان وأبذِل الأعظمَ الأجلاّ
نعم وحاشاك يا شباب

خسئتُ من كاذبٍ مهينٍ أعرف ما الكاذب المهين

أجل ، وحاشاك يا شباب يا نجدةَ الحق يا نصير
حييتمو أيها الصحاب جهادكم ههنا كبير
(القوم) دعواهمو اغتصاب وأمرهم فى الهوى غرور
أجلْ ! وحاشاكَ يا شباب

فاضربه فى سره الدفين فكم له ثَمَّ من كمين



نحن مع فرجيل ولعنا مع يوربيديز

٢٢ - حروب طروادة

١ - الحصان الخشبي
٢ - سينون
٣ - مصير لاوكون
٤ - رؤيا إيناس
٥ - نهاية بريام
٦ - أنخيسيز
٧ - العاصفة

سقوط إليوم (١)

للأستاذ دريني خشبه

لم يبرح فيلوكتيتيس يرسل سهامه على الطرواديين، ولم تبرح المنايا تتخطفهم ... ولكن المدينة ذات الكبرياء ما برحت أمنع من عقاب الجو على الغزاة الجبارين ...

وذهب كالخاس عراف الحملة، إلى آلهته يستوحيها، ثم هرع إلى سادته قادة الجيش فذكر لهم أنه مادام تمثال مينرفا المقدس - البالاديوم المشهور - في طروادة فلن يفتحها على أهلها فاتح، ولو عاونته الأرباب جميعاً!

وانطلق أوليسيز، وانطلق معه ديوميديز، فتنكرا واحتالا على حارس البوابة الاسكائية الكبرى ففتحها لهما، وذهبا قدما إلى هيكل مينرفا، وسرقا البالاديوم المقدس، وعادا به، وكل همهما أن تبطل نبوءات العم كالخاس التي أخذت تترى، ويأخذ بعضها برقاب بعض .... وكرت الأيام .... ومع ذلك لم تفتح طروادة!؟

ثم بدا لأوليسيز أن يصطنع الحيلة ...

فعرض على زعماء الحملة أن يُدعى مهرة النجارين والمثالين فيصنعوا حصاناً هُولةً كبير الحجم ... خاوى الجسم، فيكون بداخله جمهرة من أقوى شجعان الميلانيين وأبطالهم، ثم يوهم الأسطول أنه أبحر بجنود الحملة، فإذا مضى شطر من الليل، وأقبل الطرواديون على الحصان فأدخلوه مدينتهم تذكارا لهذه الحرب الضروس التي أكلت أخضرهم، وأحرقت يابسهم، وذهبت بالزهرة اليانعة من شبابهم ... ثم إذا كان الهزيع الأخير من الليل ... خرج الأبطال المختبئون ففتحوا أبواب إليوم، وينقض الجيش المرابط، فيحتل المدينة العاتية التي رغمت تحت أسوارها أنوف، وذلت جباه، وذابت أنفس، وذهبت أرواح، دون أن ينال منها أحد ....

وطرب القادة لهذه الحيلة التي بدههم بها أوليسيز ..... وانصرفوا عن القتال وهم له كارهون ... وانصرف الطرواديون فاعتصموا بأسوارهم، ورابطوا داخل صياصيهم، ومهرة النجارين

(١) اعتمدنا في تلخيص هذا الفصل على ملحمة فرجيل الخالد The Aeneid ترجمة نيرفا كس تالمر (طبعة دانت) — ورجعنا كذلك إلى درامة يوريبيدز للمتعة (The Trojan Women) ترجمة جلبرت موري النثرية وترجمة ر — بوتر الشعرية مع ما بين الملحمة والدرامة من فروق محتفظين بروح الأسطورة

كن واحداً يا شباب مصرا — وادع إلى وحدة اللواء
ولا تكن للذئاب سخراً — ولا تكن سلماً لشاء
يا جند في مصر: لن تقرّا — حتى يقروك في السماء
دعنا نحييكَ يا شباب
في صرخة الدهش والسكون — أوْ لا! فمن ذا إذن نكون

يا باذلَ المهجةِ احتساباً — والرأسَ. والعينَ. والشبابا
وحامياً ذلك الجنابا
وفاعلا ههنا العجابا
دعنا نحييك يا شباب

ابراهيم ابراهيم على
المحامى

وكبار الثائلين دائبون على حصانهم الهولة حتى فرغوا منه .. وأقلع الأسطول ...

وانكشفت الساحة من هذا الجراد المنتشر الذى لبث ينوء فوقها عشر سنين ...

واختبأ أوليسيز داخل الحصان ومعه نخبة من شياطين الميرميدون ، وعلى رأسهم بيروس النجيب ، ابن أخيل الخالد ، وعصبة قوية من فرسان الأغريق البواسل ...

ودق الطرواديون البشائر ...

وجاءوا يُهرعون إلى الساحة ، ويتكبكبون حول الحصان الهولة ، ويكلمون سينون الذى تركه الهيلانيون عند الحصان ليخدع الطرواديين ولينصح لهم بنقله إلى المدينة ليكون آخر الدهر تذكارا لهذه الحرب التى شنها قومه على طروادة ظلماً ، فباءوا منها بالبوار ...

« ... هؤلاء الهيلانيون اللؤماء ، الذين انصبت عليهم أحقاد الآلهة ، وثار بهم كبير الأولمب وسيده الأعظم ، وسلطت عليهم الزوابع والأنواء حتى كادت تفنيهم ، لولا أن أمروا بتضحية قربان بشرى ينجيهم من غضب السماء ... ولكن ؟ ... من منهم أصاخ إلى الأمر المقدس ؟ ومن منهم سمع إلى هتاف الأولمب ؟ لقد جبنوا جميعاً ! ولم يشأ واحد منهم أن يضحى بنفسه لينقذ الجميع ، حتى أوليسيز ! أوليسيز نفسه ؟ هذا الداهية المنفل ! لقد جبن هو أيضاً ! وفى الوقت نفسه حاول أن يرغمنى أنا ! أنا سينون المسكين ، على أن أقبل التضحية ، وأن أهب دمى للآلهة لتهدأ ثورتها ...

ولكنى رفضت فى شمم ، وامتنعت فى إباء ... لا خوفاً من الذبح ؛ ولكن ضناً بدمى النقى الطاهر عن أن يهرق فى سبيل هؤلاء الجبناء ... الذين تكأكأوا وفزعت نفوسهم من صيحة السماء ... !

وهربت يا مولاى ! يا مولاى بريام العظيم .. ولذت بظلال طروادة الخالدة ، طروادة المنيفة القوية ، وجعلت أصلى لأربابى حتى استجابت لى ، وأرسلت اليهم من أنذرهم بسوء المنقلب إذا هم لم يقلعوا هذا المساء ... ! ! قاتلهم الله السند ! وقاتلهم الآلهة جميعاً ! ! ...

والآن ! ... ها هم أولاء قد تركوا هذا التمثال الرائع الذى أعدوه ليوم نصرهم ، فجعلته الآلهة آية فشلهم ! ... انقلوه يا مولاى إلى المدينة ، واجعلوه تذكار هذه النوبة الجنونية التى شنوها عليكم ، فحاق بهم سوء ما كانوا يمكرون ... ألا فليكن قربة لمبزئا ... !

ولقد سمعت هاتفاً فى صلاتى يقول : « ... الويل لمن يصيب هذا التمثال بشر ! تنقض عليه رجوم السماء ، وتنخسف من تحته الأرض ، وتميد من فوقه الجبال ! ... وطوبى لمن احتفظ إلى الأبد به ! ... إذن يحميه شر حدثان الزمان وعوادى الأيام ... »

وكان سينون يمزج كلماته بدموع الصلاح والورع ، ويشمل فيها جرات الاخلاص والصدق ... وكان يرسل آهاته من الأعماق ... ! حتى استطاع أن ينفذ إلى سويداء الملك ، ويستولى على مشاعر الطرواديين ؛ وحتى ثار الطرواديون أنفسهم على قديسهم الوقور لاوكون ، راهب نپتيون الأكبر حين نصح ألا تجوز عليهم هذه الكلمات المسولة ، والنفثات السحرية التى يتلجلج بها لسان سينون ، وأن يدعوا الحصان مكانه « فانه إن دخل طروادة جلب عليها الشر وكان فأل السوء للضحايا والشهداء ... ولا تصدقوا أن الهيلانيين قد تركوا هذا الحصان تكرمةً لنپتيون كما يدعى هذا الأفاق المأفون ، بل هم قد صنعوه حيلة منهم لغرض سيء ... وها هى ذى ابنتك أيها الملك ... كاسندرا العزيزة فاسألها ... فان لديها سر السماء ... »

وسأل الملك كاسندرا فأفتت بما أفتى به لاوكون ...

ولكن ... من يصدق كاسندرا وما تزال نقمة أپوللو تنصب فوق رأسها ... وقد جعلها إله الشمس عرضة لكل مستهزئ وضحكة كل ساخر لعّاب !

وزاد الناس استهزاء بالقديس لاوكون ، حين رأوا اليه تفترسه حيتان عظيمتان على رسيف الهلسپنت إذ هو يقدم قربانه لربه نپتيون فتقتلانه وولديه ، عقب تحذيره الطرواديين ألا يقربوا الحصان المشؤوم وألا يدخلوه مدينتهم ! !

وتعاون الطرواديون جميعاً فجروا الحصان الهولة ، وهدموا بأيديهم جزءاً كبيراً من سور إليوم المنيع لتتسع البوابة للتمثال الهائل فكانوا كالتى نقضت غزلها أنكاثاً ! ! ...

***

وكان الأسطول قد اختبأ فى ظلال الأيك النامى فوق جزيرة تندوس ، فلما كان النصف الثانى من تلك الليلة الخرافية الحالكة ، وكانت طروادة كلها قد استسلمت للنوم العميق الذى يسبق القضاء الصارم عادة فى مثل هذه الأحوال ، هب سينون الخبيث ففتح الباب السرى الذى لايعرف إلا هو مكانه من الحصان ، وخرج الأبطال فقتلوا الحراس النائمين لدى الأبواب ، وأشعلوا النيران فرآها الجنود الذين عاد بهم الأسطول فى دجى الليل ، فانطلقوا سراعا إلى إليوم الخالدة . . . المستسلمة ... فدخلوها ... وأعملوا السيف ، وشرعوا الرماح ، واستباحوا المدينة ، وهتكوا الأعراض النقية ، وأحلوا حرمة الهياكل ، وأضرموا النيران فى القصور ، وأتلفوا الحدائق الفينانة ، وهشموا تماثيل الآلهة فى الميادين العامة ، وقتلوا الصبية والأطفال ، وجعلوا المدينة أطلالاً فى أطلال ! !

وهكذا !! وفى سكرة الليل ، وهدأة الظلام ، تم للهيلانيين الاستيلاء على تلك المدينة المتيدة وهبت من تحت الثرى عشرة أعوام طوال مضرجة بالدم ، ملطخة بالإثم ، حافلة بالذكريات ، غارقة فى الدموع ... تشهد إلى الفتح المجرم ، وترى إلى المأساة الظالمة فى آخر فصولها !!

وكان إيناس اليافع بن ڤينوس الملوك من أنخيسيز ، فتى طروادة وأميرها الجيل ذا القسمات ، يغط فى نومه العميق ، ملء سريره الذهبي الوثير ... مطمئنا آمنا ... لا يدور بخلده أن تحل تلك الكارثة بأليوم فى هذه الغفوة من الفجر ..

وكان إيناس مُحبَّبا إلى الآلهة ... ولم يكن قد جاء أجله بعد ... فسخّرت اليه ربات الأقدار طيف هكتور يزوره فى نومه ، ويريه حلماً مفزعا ... وينذره ... « أن هب إيناس فقد سقطت طروادة ، وانج بنفسك وبأهلك فالأسطول ينتظرك ، واستنقذ التحف المقدسة والآثار العلوية ... فقد دنسها الفاتحون !! »

وذعر ايناس ، وهب من نومه لهفان صعقا ... ونزع إلى سلاحه ثم أشرف على المدينة المروعة فشهد المأساة تحل بها ...

وهاله أن يرى الوحوش الضوارى من بناة الميرميدون ، وغزاة الهيلانيين ، يسوقون أتراب طروادة وبيض خدورها المكنون ... عاريات أو نصف عاريات ... إلى الأسطول ... ليكنّ إماء فى بيوت هيلاس ... ورقيقاً فى أسواقها ! ؟

وكاسندرا ؟ ! كاسندرا نفسها !! ابنة بريام الملك ... حبيبة السماء وصفية الآلهة !! التى حذرت أباها يوماً من قبول باريس .. أن يحل البلاء بالمملكة وينزل الشؤم بالناس !! ها هى ذى مسوقة فى قبضة أجا ممنون نفسه ... أجا ممنون سيد القوم وقائدهم العام ، إلى ... سفينته ! !

وفكر إيناس ، فلم يجد لانقاذ المدينة وأهلها من سبيل ... فأشار إلى بعض رجال قصره فقتلوا نفرا من جند الاغريق المتخلفين عن الجيش الغازى ، كانوا مشغولين بالسلب والنهب فى متجر قريب ، ثم نزعوا عنهم ثيابهم فلبسها إيناس وصحبه ليستخفوا بها عن أعين المغيرين ؛ وانطلقوا إلى القصر الملكى ، وبودهم لو استطاعوا أن يحموا الملك فى هذا الروع الأكبر ... ولكن وا أسفاه !! لقد كان پيروس بن أخيل قد سبقهم إليه فى عسكر مَجْر من أبالسة الميرميدون ؛ وكان پوليتيس بن پريام ، وآخر فرع من دوحته الباسقة آبقاً أمامه ، مكروباً مفزعا ، فارًّا إلى ذراعى أبيه الضعيف الشيخ ، يلتمس الحماية فى أوهى حمى ... فلم يزل پيروس ينهب الأرض فى إثره ... حتى قتله بين يدى أبيه ، وانقض على الملك التاعس فوضع حدا لهذه الحياة الطويلة المملولة الشقية التى لطخها الدم البرئ وصهرتها جحيم الشدة ... ولم يغن عن پريام المسكين توسلات هذه الزوجة المعذبة التى وقفت بينه وبين پيروس ... هكيـــوبا !! الملكة المرزأة ! التى بقيت وحدها لتجرع الثمالة الباقية فى كأس الحياة... مراً وعلقما ...

وهكذا صعدت روح الملك إلى سماء طروادة تتلفت حولها ! ترى إلى المدينة الخالدة تضطرم النيران فى جنباتها ... وتندك صروحها المعزة فى الرغام ... وتتهـــاوى أبراجها المنيفة التى كانت تسجد تحتها آسيا الجبارة ... والآن ! ها هو ذا على ثرى إليوم لقىً لا نفَس فيه ! وجثة هامدة لا تحمل اسمها بعد ... ورأساً معفراً ... ... من غير جســــد !! (١)

---

(١) عن فرجيل

وزاغ بصر إيناس حين شهد هـذا المنظر الرهيب ، ووقر في نفسه أن مثل هـذه النهاية المحزنة قد تحل بأبيه الشيخ ، أنخيسيز ؛ وبزوجته الهيفاء كروزا ، وبطفله المعبود إبولوس ... فلم يبال أن يقتحم صفوف الأعداء إلى قصره الذي خلا غابه اليوم من أسْده ، وبُدّل الشوك من ورده ، وعاث فيه جنود الهيلانيين فأصبح قاعا صفصفاً ... كأن لم يَشْدُ في دوحه بلبل ... ولم يحن فيه فؤاد إلى فؤاد !

وهناك ... في إحدى الردهات المنعزلة ... وجد هيلين ! ! نعم ، هيلين ! سبب هذه الكوارث المتلاحقة التي حلت بطروادة والطرواديين ... هيلين التي لم تبال أن تتزوج ديفبوس — أخا باريس — عقب مقتل حبيبها بأيام معدودة ! !

وجدها هنالك ... تنقـدح المصائب شرراً من عينيها ، وتتدجى غواشي الكروب فوق هامتها ، وتنعقـد ظلمات الكوارث على جبينها المغضن الكريه ... ... الجميل ! !

وهم إيناس أن يفتك بها ، لما ذكر من الأرزاء التي حاقت بطروادة من جرائها ... لولا أن بدت له أمه ... فينوس ! ... فأنذرته ألا يفعل ... ثم كشفت له حجاب الغيب المحرم على أعين البشر ، فرأى إلى الآلهة أنفسهم يعملون بأيديهم في تخريب طروادة ، وتدمير الطرواديين ، وعلى رأسهم شيخ الأولمب وسيده ... زيوس ... كبير الأرباب ! !

« ... فانج بنفسك يا بني ... ولذ بالبحر ... ولتنزح عن هذه الديار ... »

وانطلق إلى أبيه فنصح له أن يهرب معه ... ولكن أباه استكبر وأبى ... بحجة أنه ينتظر نبوءة من السماء توحى اليه بما توحي ... فغيظ إيناس وأغلظ لوالده القول ؛ ثم أمره أن يقبض بيديه اللاريتس والبينيتس [1] ، وأن يركب كاهلي ابنه وإلا قتلوا في الحال !

فلم يسع أنخيسيز إلا أن يطيع ... فسار ابنه يحمله ، وسار ولده الصغير أبولوس بجانبه ، وتبعتهم زوجه الجميلة كروزا ...

وكان قد اتفق مع أتباعه ، قبل أن يقصد إلى قصر الملك ، أن ينتظروه في هيكل خرب قريب من مياه الهلسبنت ... فلما أقبل نحوهم يحمل أباه اتفقوا على أن يبحروا في الحال ... ولكنه ... وا أسفاه ! افتقد زوجه فلم يجدها ... زوجه كروزا التي كانت الساعة فقط تتبعه ! ! لقـد قتلها كلب من شياطين الميرميدون ... ! ولما رجع إيناس ليبحث عنها لقيه طيفها الجميل .. عند تمثال ميزفا ... فخاطبه قائلا ... « هلم يا إيناس ! غادر هذه الديار في الحال ... واذهب إلى شطئان التيبر ، فان الآلهة قضت أن تبني بيديك ... رومة أم القرى ! ! » وأبحر إيناس ... وأبحرت فلول الطرواديين معه

وفي غبشة الصبح المضطرب ، كان صوت الطبل الكبير يقصف كالرعد في خرائب طراودة . وكانت الجموع الحاشدة تهرول نحو الأسطول ، وكان السبي الكثير عذارى من طراودة وسائر نسائها يهرولن من الأخريات نحو البحر ... فكنت ترى هكيوبا الملكة .. واندروماك الحزينة التي اغتصبها بيروس لنفسه ... وكاسندرا ... تلك النبية التي أحبتها السماء ... فأصبحت في جملة السبي من سريات أجاممنون وغانياته ... وكنت ترى غيرهن يهرولن في الصباح الباكي إلى شاطىء الهلسبنت ، ليركبن البحر فينفين عن أرض الوطن إلى الأبد ...

وكانت كاسندرا تنظر إلى المأساة وتبتسم ...

وكانت أمها ترمقها بعينين دامعتين ... وتسألها عن سبب ابتساماتها ... فتفتر كاسندرا وتقول ... « أماه ليس حظ هؤلاء الغزاة المنتصرين بخير من حظ أبطالنا ... هأنذي أقرأ ألواح القضاء ... أنظري ... ها هو ذا مصرع أجاممنون بيد زوجته كليتمنسترا العاشقة ... إنها تفضل اليوم حضن عاشقها الآثم على جنة يكون فيها زوجها ... إنها ستقتله ، ستذبحه بيديها ... حينما تطأ قدماه أرض الوطن ... !

وانظري يا أماه ... ها هو ذا أوليسيز تعصف به الريح ... ويلعب به الموج ... ويؤرجحه البحر اللجي ... عشر سنين يا أماه يقضيها ملك إيثاكا في تيه هذا الماء ... والعشاق يتقاتلون من حول زوجه ... وتليماك المسكين يضطرم غيرة ولا يستطيع أن يفعل شيئاً ...

وانظري يا أماه ... ها هو ذا منالايوس ... بائس ... كم أنت بائس يا منالايوس ... لقد ظن المسكين أن هيلين نقية كما

(١) Lares & Penates تماثيل صغيرة للآلهة تحفظ في المنزل لعبادتها (وهي من طقوس الرومان فقط)

هى ! ... لقد نسى التاعس أنها تقلبت فى أحضان أزواج غيره !... أنظرى إليه يقذفه البحر إلى شطآن مصر ... وانظرى إليه ذليلا بين يدى هيلين يتوسل إليها وكان أحرى لو أنه قتلها ... ...

***

ونسى الهيلانيون فى نشوة النصر أن يقربوا القرابين للآلهة التى نصرتهم وأيدتهم وأظفرتهم بأعدائهم ؛ قبل أن يبحروا ... فأثاروا غضب الأولمب ... واستنزلوا لعنة السماء واستحقوا حنق حيرا ونبتيون ومينرفا ... ونقمة زيوس ! !

لقد ثارت ثائرة مينرفا ... فانطلقت إلى أبيها وشكت إليه ما فرط هؤلاء الجاحدون فى جنبها وجنب الآلهة ... واتفق الجميع على أن يسخر نبتيون الجبار ... إله البحر ... أرياحه العاتية على أساطيلهم فتمزقها ... وتضلها تضليلا ...

فما كادت الأساطيل تمخر عباب الماء . . وما كادت تبتعد عن شواطئ إليوم .. حتى بدأت العاصفة تدوّم . . وحتى أخذت الأمواج ترسل أعرافها حول السفائن ، وحتى نثر الثبج حبابه فوقها ... وحتى ارتعدت فرائص القوم ... ونظر بعضهم إلى بعض ... كأنهم فى يوم حشر ... ولا يتساءلون

ولقد صدقت كاسندرا !

فها هى ذى الأساطيل الكثيفة تتمزق فوق سطح البحر ... وها هى ذى جوارى منالايوس المنشئات تدفعها العاصفة فى طريقها إلى . . . مصر . . . وها هى ذى مراكب أجاممنون تتكسر على الصخور الناتئة فى عرض اليم ... وما يكاد يصل هو إلى مملكته أرجوس حتى تقتله زوجه العاشقة . . . مؤثرة عليه أحضان عاشقها الأثيم إيجستوس ... وها هى ذى سفين أوليسيز تضل فى البحر الشاسع ، وتتكسر بما عليها من سلب ، . . ويظل البطل المغوار فى نقلة وترحل . . . عشر سنوات . . . وتظل زوجه بنلوب تنتظره . . . وعشاقها يقتتلون حول قصرها . . . وتليماك البائس ابنها ينتظر أوبة أبيه . . . حتى يعود بعد شدة وبعد لأى فيدس العشاق الآثمين . . .

وهناك بيروس بن أخيل يعود ومعه أندروماك التى تظهر له الحب ، عاملة بنصيحة هكيوبا لها ... حتى تنشئ ابنها .. وكانت تعتزم مضايقة بيروس ومناوأته ليقتلها .... وتستريح بالقتل من عذاب العيش بعد هكتور .... (١)

دريني خشبة

(١) يعتبر هذا الفصل الأخير من حروب طروادة النبع العذب الذى استمد منه اسخيلوس وسوفوكليس ويوربيپدز أكثر دراماتهم الخالدة التى أربت على المائتين ، والتى لم يبق منها إلى اليوم أكثر من ست وعشرين . سبع لكل من اسخيلوس وسوفوكليس والباقى ليوربيپدز ... وسنحاول أن نعطى للقارئ صوراً منها على صفحات الرسالة ، ثم نعقب بملاهى أرستوفان التى يعتبر أكثرها نقدا ليوربيپدز

قصة:

الرجــــوع

إن ما ندعوه «قضاء» ليس إلا ما تقضيه على أنفسنا «ميخائيل نعيمة»

بقلم الأديب عبد الوهاب الأمين

لم يكن صبياً غراً عندما فتنته تلك الغادة، بل لقد حاول جهده أن يسيطر بعقله على جموح تلك العاطفة، فغره لأول وهلة شيء من النسيان أحس به، وظن أن الوقت قمين باستئصال ذلك الحب الفاسق، وطاوعته نفسه بعد أسابيع أن يمزق صورتها ليلقيها في الموقد أمامه، وقد عاوده طيف «العائلة» والزوج الحنون، وأطفاله في الغيب، وبسمة السعادة التي ستشيع على الوجوه، فتنهد!

وكان دائم اللجاجة في «التحليل»، فخيل اليه أن الأمر بلغ نهايته، وأن جذوة الشباب فيه قد قرت، وما عليه إلا أن يحنو على زوجته فتحنو عليه، فيثمر ذلك الحنو حباً شريفاً... لا ذلك الحب المجهد، حب المومس الذي تثيره غلمة وتقتله كلمة! وأنه بعد هذه السنين الثلاثين جدير به الاقلاع عن اجهاد نفسه وعاطفته الجامحة بالتطوح في مثل هذه المجازفات!

وماله قد فتنه تصوير! ألا يجوز أن يكون ليد المصور الفنانة فضل هذه الفتنة وهذا السحر؟ بل هذا هو المنطق المعقول، فليس لانسانة أن تمتلك مثل هذه النظرة المغرية، وهذا السحر الفاتن! إنها ولا شك فعلة الرسام!

وأطل عليه وجه زوجته في تلك اللحظة، فتمثل فيه الطهارة والاخلاص، وابتسم على رغمه لأن روحه الشابة المرحة لم تطق أن تقاوم البشر المنطلق من عينيها، والطرب الشائع في نظرتها! ورمته بقشر وهربت! وانهزم ممها فرحها الحي الطروب! فتمثل لخياله الفرق بين هدوء حياته هذه التي سيقبل عليها، وجموح تلك التي عزم على فراقها، فاستشعر شيئاً من الحزن طاف به على هذا الفراق، ومرت في ذهنه صور سريعة من ساعات اللذة واللهو يكاد ينسخها مر الأيام... غير أنه عاوده شعوره بقوة عزمه السابق ومسؤولية الرجل الرزين الذي سيكونه عما قريب، فمزق بقايا الصورة ورماها في الموقد ونظر إلى اللهب الصغير المتصاعد منه، وشرد ذهنه

* * *

تقدمهم الصبي بخفة إلى باب المقصورة وفتحها بتؤدة وعلى فمه ابتسامة متكلفة. وأخذ يفرك يده متظاهراً بالبشر لقدوم «سيده» الذي طالما نفحه بالعطايا الصغيرة التي كانت تتسع وتكبر حسب ما يقوم به من خدمة! وكان يبتهج كلما أبصر «سيده» بصحبة امرأة، فان وجودها معه يعني ضرورة الحاجة إلى خدمته ورعايته اللتين يستدرهما عند ارفضاض السينما نقوداً يطبق عليها أنامله بخفة، وعلى وجهه تلك الابتسامة التي لقيه مساء اليوم بها، والتي يكرهها «سيده» منه فلا يرفع بصره اليه!

وكان «المرض» مهماً، والمقاصير كلها ملأى بالمخلوقات الجميلة، وكانت عين الناظر تلقف بين كل ثانيــة وأخرى عضواً بارزاً نسوياً جميلاً بين تلك المناظر السينمائية الخلابة والاعلانات اللاصقة على الجدران، وتملو بين تلك الضجات المختلطة بضمة أصوات ناعمة تتطور بعض الأحيان إلى قهقهات صافية الجرس، تملوها رنة النعيم!

وكان وهو ينزع عن كتفيه معطفه الثقيل ويدير عينيه بين المقاعد يلحظ أن صوتاً في المقصورة إلى جانبه يرن في أذنه فيترك صدى غير اعتيادي... جذاب! ساحر! غير أن انتقاء المقعد شغله وصرف ذهنه هنيهة عن تتبع أثر ذلك الصوت في روحه، ولما جلس أخيراً لم يكن في ذهنه غير ذلك الصوت وصاحبته اللعوب! وبدرت منه — من غير قصد — التفاتة إلى المقصورة فاصطدم نظره المستريح بها...! نعم هي! وقد ظهرت في ثوبها البهيج أشد فتنة من صورتهــا، وزاد في جمالها الأخاذ سحر التجمل، فأدرك أن قوته تخونه، وأنه أمام شخص يملك سحراً يزيد على سحر المرأة، فعادت اليــه فجأة وبسرعة كل خيالاته التي نسختها عزيمتــه أولاً، واستعادت مخيلته أويقات التأمل التي كان يقضيها في مناجاة تلك الصورة على أشد وأقوى حالاتها، وأحس وهو يدير نظره عن وجهها الذي بدت عليه البغتــة أنه يقتلعه اقتلاعاً، وأن شيئاً من قلبه وحسه قد تملق بتلك الأهداب السحرية التي زاد جمالها الطبيعي الأخاذ اعتناء خاص بتنسيقها

وتجميلها ، وأدرك فى قرارة نفسه أن سيطرة هذه المرأة عليه أمر محتوم وقضاء لا يرد !

وانتهز فرصة « الفاصلة » فاحتج برغبته فى التدخين وأصر عليها ، ثم حسم المشكلة بخروجه من المقصورة ، وكان شيء فى رأسه يدور ويدور ! وهو عراك نفسى بين عاطفتين قويتين لا يكاد يركن لاحداهما حتى تبرز نتائجها ملموسة لعينيه ! أيحب هذه المومس وهو يعلم أن حبها يفقده أشياء كثيرة وعزيزة عليه ؟ أيتركها ولا يلتفت إلى تلك النظرة الصارخة فى عينيها ، وقد بدت الليلة بوضوح فى ملامح وجهها وشفتيها ، ولم تستطع البغتة أن تخفيها من عينيها الأخاذتين ! وهل هو قادر على أن يهمل اهتمامها الظاهر به ، وهو الذى كان يقضى الساعات فى مناجاة صورتها ؟ وما يدريه ! لعلها تصطنع كل ذلك لاستمالته ! إنها خبيرة ولا شك بفعل هذه النظرات فى القلوب ! إنها تاجرة تريد أن تغبنه بصفقة خاسرة ، تريد منه قلباً بروح ، لتعطيه قلباً بلا روح ! كلا إن ذلك لن يكون !

ووقف ذهنه عند هذا الحد ، فقد بدت من مقصورتها ومشت إلى ناحيته بتؤدة ، ولما وصلت إليه أسرت قائلة :

— كازينو أنترناسيونال ، منتصف الليل

ومنحته فوق ذلك ابتسامة !

***

عاد بسيارته بعد أن أخبر زوجته أنه سيقضى السهرة مع صديق له ، وأنه سيتأخر عن وقت قدومه المعتاد ، وانطلق كالسهم بها على غير قصد ، ثم خطر له أن يشرب فوقف عند أول حانة !

وبعد الكأس السادسة نظر إلى الساعة فوجد أن بينه وبين الموعد ما يقارب الساعة ، فخطر له أن يقضيها متجولا لأنه شعر بالاكتفاء من الشرب وقام

ولم يكن « التجول » فى مخيلته غير السير إلى طريق الكازينو ! فوقف على بابه وفى صدره عراك ، وفى خطواته تردد وإحجام ، وألقى نظرة تائهة على الوجوه فلم يجد بينها غادته ، فساقته قدماه إلى الباب وعاد إلى مقعده فى السيارة وقد خطر له أن موقفه ناطق بالذل والعبودية ، وأنه يسيء إلى نفسه بذلك العمل ، وأن شعوره بكرامته وكبريائه قد ثلم ، وبدت على وجهه غضون وغيوم !

وفى تلك اللحظة فقط شعر أنه تعب منهوك ، وأن حاجته إلى النوم شديدة ، فقبض على محرك السيارة وأداره بخفة ولباقة ، وشعر أن كل ما فيه فى تلك اللحظة عزيمة قوية ! وأن فى تلك العزيمة قضاء لا يرد !

واختلطت فى ذهنه الأفكار والصور وعجز عن متابعة نتيجة عمله ، وشعر بشيء من الكلال والفتور والأعياء ، وكانت ابتسامته لزوجته جامدة ، وكان على غير عادته فى النوم السريع بدون مزاح ولا دعابة

ولما سيطر سلطان الكرى على جفنيه كانت الساعة تؤذن بانتصاف الليل ، وكان ذهنه الكليل يدرك أن فى دقاتها أمراً ! غير أنه لم يدرك دقاتها الأخيرة !

عبد الوهاب الامين

البريد الأدبي

وفاة روديارد كبلنج عميد الشعر الانكليزي

منذ أسابيع قلائل كان عميد الشعر الانكليزي المعاصر روديارد كبلنج يحتفل ببلوغه السبعين من عمره ؛ ولكن الشاعر الأشهر لم يلبث أن مرض بعد ذلك بقليل ، ثم توفي في الثامن عشر من يناير الجاري

وقد ولد روديارد كبلنج في الهند بمدينة بومباي سنة ١٨٦٥ وكان أبوه جون كبلنج فناناً أديباً ؛ وكان وقت مولده يشغل منصباً في مدرسة الفنون الجميلة ببومباي ؛ وتلقى كبلنج تربيته في انكلترا في كلية ديفون ؛ ثم عاد إلى الهند في سن السابعة عشرة ؛ واشترك في تحرير صحيفة انكليزية تصدر في لاهور . وفي سنة ٨٦ أخرج كبلنج أول آثاره الشعرية في مجموعة سماها « الأغاني الاقليمية » ؛ وأعقبها بمجموعة قصصية عنوانها « قصص من التلال » وتوالت آثاره القصصية بعد ذلك فأخرج منها ، « الأبيض والأسود » و« الشبح ركشو » و« وي ولي ونكي » وغيرها ؛ فذاعت هذه القصص في الهند والصين واليابان ، وطارت شهرة كبلنج إلى ما وراء البحر ، واستقبل كبار النقدة فيه قوة أدبية جديدة ، وتجول كبلنج في بضعة الأعوام التالية في الهند والصين واليابان وأمريكا ، ثم عرج على انكلترا حيث سبقه صيته ، واستقبل بما يليق بأدبه وشعره من التجلة والتكريم ؛ وتجول بعد ذلك حيناً في إفريقية ، ونشر عن سياحاته المديدة كتاباً سماه « من بحر إلى بحر » ، وفي سنة ١٨٩٠ أخرج كبلنج مجموعة قصصية عنوانها « نضال الحياة » ، وأتبعها بأخرى اسمها « النور الذي خبا » بيد أن عبقرية كبلنج الأدبية تصل الذروة في كتابيه الشهيرين : « كتاب الغابة » The Jungle Book وكتاب « الغابة الجديد » ، وهما كتابان قصصيان عن حياة الحيوان في الغابة على مثل كتاب « كليلة ودمنة » في أدبنا العربي ، وعلى مثل بعض قصص الحيوانات والطيور التي وردت في ألف ليلة وليلة ؛ وفيهما يعرض كبلنج بعض خواص الحيوان الطبيعية والنفسية عرضاً رائعاً ساحراً ؛ وكان ظهور هذين الكتابين الأول في سنة ١٨٩٥ والثاني في سنة ١٨٩٦ ، أعني حينما بلغ كبلنج الثلاثين من عمره . ويعتبر النقدة كتابي « الغابة » أروع ما في أدب كبلنج وانتاجه . واستمر كبلنج في انتاجه الأدبي يخرج المجموعات القصصية والشعرية تباعاً ، ويرتفع باستمرار في سماء المجد والشهرة . ومن مجموعاته الشعرية الشهيرة غير ما تقدم « الأمم الخمس » (سنة ١٩٠٣) و « أناشيد من الكتب » (سنة ١٩١٣) و « الديوان الشامل » ، وفيه يجمع طائفة كبيرة من شعره المتفرق . وكتب كبلنج أيضاً « تاريخ انكلترا » بالاشتراك مع صديقه فلتشر ؛ وفقد كبلنج ولده في الحرب الكبرى ، فرأى أن يخلد ذكرى الفرقة التي حارب معها في كتاب عنوانه « الحرس الأرلندي في الحرب الكبرى » (سنة ١٩٢٣) ؛ وكتب كبلنج غير ذلك كتباً أخرى من القصص والشعر يضيق المقام عن ذكرها

ويلقب كبلنج في الأدب الانكليزي بأنه « شاعر الأمبراطورية » ؛ وهذه في الواقع أبرز خواص الشاعر الأكبر ؛ وربما كان في هذه الخاصة ما يباعد بين أدبه وبين العقلية الشرقية ؛ فقد كرس كبلنج كثيراً من نظمه ونثره للاشادة بعظمة الأمبراطورية البريطانية وما أحرزت من سيادة واسعة على كثير من الشعوب ، وما أصابت من النماء والغنى ، وما يجب عليها أن تتذرع به لاستمرار هذه السيادة الشاملة على الشعوب المحكومة ؛ وفي هذه المواطن يبدو كبلنج استعمارياً مغرقاً في القومية . بيد أن كبلنج ، فيما عدا ذلك ، يتمتع بخواص أدبية وشعرية باهرة ؛ وأسلوبه قوي ساحر يفيض بياناً وبلاغة ؛ وقد انقسم النقدة في شأنه إلى فريقين ، فريق يرتفع بأدبه إلى الذروة ، ويرى فيه المثل الأعلى للشعر المعاصر ، ومن هؤلاء روبرت لند الذي قال عن كبلنج « إن عبقريته تشرق على جيله في البلاغة

والفكاهة » وفريق وهو الاقلية ينتقص من مكانة كبلنج ، ويرميه بأنه سطحي في شعره وفي نثره ، وأنه يكتب بأسلوب براق يرضي الجماهير فقط . وزعيم هذا الفريق جورج مور . بيد أنه مهما قيل عن كبلنج وعن مواهبه وخلاله ، فلا ريب أنه يتبوأ أرفع مقام في الأدب الفيكتوري

وقد نال كبلنج طائفة كبيرة من الجوائز والأوسمة الأدبية الرفيعة ، فنال جائزة نوبل للآداب في سنة ١٩٠٧ ، ونال الوسام الذهبي لجمعية الآداب الملكية ، ومنح عدة أجازات فخرية من الجامعات الكبرى ، ولبث مدى أعوام مديراً لجامعة سنت أندروز

قضايا التاريخ العظمى

أصدر الأستاذ هنري روبير المحامي الفرنسي الكبير جزءا جديدا من كتابه الشهير « قضايا التاريخ العظمى » Les grand Procès de l'Histoire ، وهو الجزء العاشر من ذلك الأثر الحافل الممتع ؛ ويعرف عشاق الأدب الفرنسي كتاب الأستاذ هنري روبير حق المعرفة ويقرأون أجزاءه المتوالية بشغف ولذة ، وهو كتاب يفيض في الواقع طرافة وقوة وسحرا ، وفيه يتناول المحامي الأشهر طائفة كبيرة من أشهر القضايا التاريخية والجنائية المروعة ، ومعظم هذه القضايا والحوادث معروف للقارئ المثقف ، ولكن الجديد فيها حقاً هو الأسلوب الرائع الذي يعرضها به الأستاذ هنري روبير على قارئه ؛ فهو محام بارع تخرج على يد الأعلام من أقرانه السابقين مثل لاشو وديمانج ولابوري أعلام البيان والدفاع في القرن الماضي ، ثم هو كاتب من الطراز الأول يتشرف بالانتماء إلى الأكاديمية الفرنسية والانخراط في سلك الخالدين ؛ وهو بهاتين الصفتين يقدم إلى القارئ تحفة قضائية وأدبية رائعة ، عرضت في أسلوب قضائي وتاريخي واضح ، ونظمت فيه الأدلة والفروض القضائية إلى جانب التعليلات التاريخية والاجتماعية البارعة .

وربما كان عيبا في هذا الأثر الحافل أن يخصصه هنري روبير كله تقريباً لاستعراض قضايا التاريخ الفرنسية (وإن كان يقص فيه قليلاً جداً من القضايا الأخرى) ولكن ربما كان ذلك أيضاً من عوامل قوته ودقة معلوماته ووثائقه

ويتناول الجزء الجديد الذي أصدره هنري روبير عدة فصول أولها فصل خصص لحوادث السموم والنسوة المسممات في القرن السابع عشر ، وهي حوادث تناولها من قبل المؤرخ البارع فونك برنتانو في كتاب قوي ساحر ؛ وفصل خصص لفضيحة بناما الشهيرة التي انتهت بافلاس الألوف وضياع مئات الملايين ، ومحاكمة نفر من كبار المولين والساسة يومئذ والحكم على بعضهم بالسجن ؛ ثم فصل خصص لحياة كاترين دي مديتشي ملكة فرنسا ووالدة هنري الثالث وفرانسوا الثاني وشارل العاشر ملوك فرنسا ، وهي امرأة رائعة وافرة الدهاء والخبث ؛ ولكن الأستاذ هنري روبير يحاول أن يخفف عنها حكم التاريخ القاسي ، ويلتمس لها أعذار السياسة والملك

والأستاذ هنري روبير يخرج فصوله الساحرة دون نظام معين ، ففي كل جزء من كتابه أربعة فصول أو خمسة لا تجمعها رابطة العصر أو النوع ؛ ولهذا لا يعتبر الجزء الجديد خاتمة الكتاب ، وليس يعرف من جهة أخرى أين يقف الكتاب وأين ينتهي

شكسبير والسينما

سنرى قريباً أول رواية لشكسبير على ستار السينما ؛ وهي فكرة جريئة للفنان المشهور مكس رينهارت ، فهو يعمل الآن لاخراج شريط مصور من رواية شكسبير المسماة : « حلم ليلة صيف » ؛ وقد سبق أن عمل رينهارت لاخراج روايات شكسبير الكبرى على المسرح ، ونجح في ذلك نجاحاً عظيما ؛ فهو الآن يعالج إخراجها على ستار السينما ؛ وكذلك عمل رينهارت لاخراج روايات أعظم كتاب المسرح مثل موليير ، وابسن ، وبرناردشو ، وشترندبرج وغيرهم ؛ وكان مكس رينهارت أول فنان وأول مخرج مسرحي في ألمانيا حتى جاء الهتلريون في الحكم فلم يشفقوا على علم ولا فن ، وأطلقوا العنان لتعصبهم الجنسي الشنيع ، وشردوا أقطاب الفن لأنهم يهود ؛ وكان رينهارت في مقدمة أولئك الذين رفضوا البقاء في ظل هذا النظام البربري ؛ وهو يتجول الآن في عواصم القارة فيلقى فيها أعظم حفاوة وتقدير

ومكس رينهارت نمسوي الأصل ؛ وقد ولد في سالزبورج سنة ١٨٧٣ ، فهو الآن في نحو الثانية والستين من عمره ؛ وقد شاءت بلدية مدينة سالزبورج أخيراً أن تكرمه وأن تخلد ذكراه فأطلقت اسمه على شارع من أهم شوارعها ، وسالزبورج هي مدينة الفن والموسيقى



رد على نقد

٤ - كتاب تاريخ الاسلام السياسى

للدكتور حسن ابراهيم حسن

تتمة

ومن الغرابة أيضاً أن نجد الناقد يأخذ علينا أننا كثيراً ما نستمد ونقتبس من كتاب «تاريخ العرب» لسديو ، و «موجز تاريخ العرب» للسيد أمير على ، و «الحضارة العربية» لجوستاف لى بون ، و «أتباع محمد» لواشنجتن أيرفنج ، لأنها فى نظره أصبحت قديمة قاصرة من حيث المستوى العلمى فى الوقت الذى نراه فيه يشيد بمدح المستشرق مرجليوث ، ويستدل به فى نق الكتاب عن ابن قتيبة . وقد يدعوه الاعجاب بمرجليوث فيدافع عنه ضمناً بأننا لم نحسن الرد عليه حين قال : «فى صدد الرجلين اللذين أرسلهما عامل كسرى على اليمن ليأتياه بالرسول ، فلما قدم الرجلان على الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخبرهما بأن كسرى قتل وأن ابنه هو الذى قتله» ، أن الرسول كان له من يأتيه بالأخبار ! ! أما والله لولا أن الناقد مسلم كما نعتقد ! ! لظننا أنه يردد صدى هذا المستشرق الذى ينكر كل معجزة للرسول ويذهب فى التأويل بعيداً بحجة المعقول وغير المعقول ، ولو كان حصوله أوضح من الشمس فى وضح النهار

انظر الى هذا الناقد يجعل من عيوب كتابنا أننا لم نبطل هذه الرواية الدالة على المعجزة أو نتأولها على الرغم من تعرض كتب السنة الصحيحة لها وإثباتها ، وعلى الرغم من أنه يعلم كيف يتغلب التعصب الدينى أحياناً على روح العلم والبحث عند بعض المستشرقين ، فينظرون إلى ما ورد عن الرسول من خلال مذاهبهم الدينية لا أبحاثهم التاريخية ، ولسنا فى حاجة لايراد الأمثلة والشواهد على ذلك ، فهى فى متناول كثير من الناس

ولشد ما أعجب من حضرة الناقد حين يأبى أن يكيل لنا المدح جزافاً ، ولكنه لا يأبى أن يكيل الذم كذلك ويخطئنا تخطئة لا حق له فيها ، من ذلك أننا لما روينا قول بعض المؤرخين إن بعض الخوارج كانت تصدر منهم أمور متناقضة تدل على أنهم يخبطون خبط عشواء ، كلومهم آكل الرطبة بدون دفع ثمنها ، واسترضائهم ذمياً بدفع ثمن خنزير له قتلوه ، وقتلهم عبد الله ابن خباب وزوجه وبعض النساء — علقنا على ذلك فقلنا إن هذا ليس من التناقض فى شيء ، وإنما هو أقرب إلى أن يكون غلواً فى تطبيق مذهبهم ، وحجتنا فى هذا أن الخوارج يرون وجوب قتل المسلم الذى لايدين برأيهم لأنهم يعتبرونه مرتداً ؛ وحروبهم المتعددة مع على بن أبى طالب ومع الأمويين ، بل وأشعارهم وأراجيزهم تنطق بذلك . أما الذمى فلا سلطان لمذهبهم عليه ، كما أنهم كانوا لا يستحلون أكل المغصوب أيا كان صاحبه ، ولو أنهم يستحلون قتل النفس التى حرم الله قتلها . فمن أين يأتى التناقض يا ترى ؟ حبذا لو أرشدنا الناقد إلى وجه آخر فى هذه المسألة خلاف ما ذهبنا إليه ! فليس إلقاء الكلام على عواهنه مما يُخدم به «المادة الناشئة فى معاهدنا العلمية أو يحفظ لمصر سمعتها فى الأقطار الشرقية !»

لا يقل خطأ الناقد فى هذا عن خطئه فى دعواه ، بأننا مع استشهادنا ومباهاتنا بتلمذتنا لبعض المستشرقين ننسى ما ننقله عنهم أحياناً وننسبه لنفسنا ، وأننا جرينا على ذلك فى الفصل الذى عقدناه لمكتبة الاسكندرية ، ويكفى فى الرد على هذه الدعوى الجريئة أن يرجع القارىء إلى كتابنا عمرو بن العاص فيجد أننا ذكرنا هناك رأى «بطلر» مفصلاً فى إحراق هذه

الـكتبة ، وعلقنا عليه بما يستحق من تقدير . فاذا أحلنا القارىء إلى كتابنا المذكور ، فذلك لأنه يعتبر خاصاً بهذه المواضيع مدوناً فيه آراء بعض العلماء منسوبة اليهم عن هذه الحادثة العظيمة الشأن

ولقد كنا نربأ ببعض الأقلام أن تنزلق عن منهج النقد الخالص إلى إلقاء التهم والظنون بين الناس وغرس ما لا يستحسن غرسه بين التلميذ وأستاذه أو بين المؤرخ والمؤرخ . وحاشا لله أن ندعى ما ليس لنا أو أن نجهل فضل من جلسنا أمامه مجلس التلميذ ، فاذا رغبت بعض الأقلام فى أن تتهمنا بالتدليس مع بعض الأساتذة المستشرقين ، أو بالعقوق مع أستاذنا المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك الذى نقدره ونجله ، فانما تحاول عبثاً هذه الأقلام وتمكن من نفسها وتدل على مصرعها . إن المتصلين بنا يعرفون أن ليس من خلقنا إنكار الجميل . ونحمد الله أنه فى الوقت الذى كان الناقد يفكر فى هذه الوقيعة بيننا وبين استاذنا المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك كان أحد أفراد أسرته يتكرم بزيارتنا ويعرض علينا أن نشرف على نشر ما خلفه المرحوم من الكتب التى لم تنشر فى حياته . ويا للعجب إذا كانت الجرأة والضمير يطوحان ببعض الناس إلى إثارة الضغينة بين الحى والميت ، فكم تبلغ عفتها فى أن توقع بين الحى والحى ! ! ألا فليرح الناقد باله من هذه الناحية فلن يجد غرسه أرضاً خصبة ولا يشفى به غيظاً

* * *

كيف يمكن أن يوفق القارىء بين قول الناقد إن هـذا الكتاب عرض لنواح شتى من الحياة الاسلامية القديمة : عرض لنواحى الدين ، والسياسة ، والاجتماع ، والعقل ، والأدب ، وبين قوله — عفا الله عنه — « إن المؤلف غير موفور الثقافة الاسلامية وقد أداه تفريطه فى جانب الثقافة الاسلامية إلى الافراط فى الأخذ عن المصادر الأجنبية » ، ومن يدرى ؟ فلعل هذا تقريظ قامت عيناه فأبصر

جرت العادة أن يسمى الـكتاب بأبرز نواحى موضوعاته ، واللبيب يدرك بداهة أن فتح عمرو بن العاص مصر مما ينطبق عليه انطباقاً كلياً لفظ السياسة ومعنى السياسة ، ويدرك كذلك أنه كان لعقائد الفرق الاسلامية ومذاهبها المـكان الأول فى إحلال دول مكان دول ، وتقويض عروش وتدعيم عروش . فهذه الدولة العباسية استطالت أعالها بسبب انتشار العقائد الشيعية وتغلبها ؛ وتلك دولة الفاطميين خلقتها المذاهب الدينية أيضاً . ودع عنك القرامطة ، والباطنية ، والخوارج وغيرهم ؛ فتلك أمور يطول شرحها . فأنت ترى مبلغ تأثير تلك العقائد فى الاتجاهات السياسية ركوداً وهبوباً ، وماذا تـكون السياسة إذا لم تـكن هى خلق منشآت جـديدة ، وتنظيم أمور الناس وفق مشارب ملوكها وأمرائها ، وطبع المجتمع على غرار ما يراه الحاكمون سواء بسواء ؟ لـكن ناقدنا يأبى مع هذا معنفاً بأن عنوان الـكتاب قاصر لا يجمع مثل هذه البحوث ، فما كانت تصح نسبتها اليه ولا وضعها فيه ، ويتعطف فيرشدنا إلى أنه ينبغى — إذا لم تـكن مندوحة عن ذكر هذه الأبحاث — أن نصوغ عنوان كتابنا بما يدل على الشمول ، ويزداد تعطفاً فيذكرنا بكتاب « موجز تاريخ العرب » للسيد أمير على الهندى الذى نعرفه حق المعرفة ! ولقد كان يودنا أن نتبع نصحه — ولو مرة واحدة — تشجيعاً للنقد ، وثقة بنية صاحبه ، لولا أنه سها عن أننا بسبيل وضع جملة أجزاء لـكل جزء عصر خاص به . فاذا اقتدينا عن ذكره لحق علينا قوله ليس لدينا غرض واحد محدود نرمى اليه ونسير على هديه ، ولعله تذكر أخيراً أن هناك خمسة أجزاء باقية ستصدر بعد هذا الجزء — إن شاء الله — فلم يشأ إلا أن يزودنا — كعادته — بنصحه ، وبأن نـكون فى وضعها أشد تحفظاً وأكثر تثبتاً

على أننا نضحك أشد الضحك حيث يرشدنا الناقد إلى الاقتداء بوضع السيد أمير على لاسم كتابه « موجز تاريخ العرب » ذلك الكتاب الذى وصف مؤلفه بأنه « متوسط المكانة التاريخية » كما وصف أيضاً المؤرخ المشهور السير وليام ميور الذى خلف لنا كتابه فى سيرة النبى وكتابه الآخر فى الخلافة بأنهما قديمان . ونحب — قبل أن نترك هذه النقطة — أن نهمس فى أذن الناقد بأن المؤلف الأول السيد أمير على ، الذى لم يرق فى نظره أن أخذنا عنه بعض ما أخذنا ، يقول عنه الأستاذ ادوارد براون فى كتابه تاريخ الفرس الأدبى (E. G. Browne, Literary History of Persia, 4 vols. I. P. 188) فى سياق كلامه على مبدأ ظهور الاسلام ما نصه :

« هذه المسائل قد ناقشها فى مؤلفاتهم بكفاءة ولباقة كل من سيل ، وسبرنجر ، وميور ، وكرهل ، ونلدكه ، وبوزول سميث ، والسيد أمير على

والسيد أمير على هو ذلك المسلم المصرى الواسع الفكر والاطلاع ، جمع بين الثقافتين الشرقيـة والغربية ، وهو حقيق بأن يطلع على كتابه كل من يرغب فى تفهم ذلك النفوذ القوى الذى لا يزال يتمتع به الاسلام ونبيـه ، حتى فى نفوس هؤلاء الذين أشربوا روح الثقافة الأوربية »

ونعود إلى بعض ما أورده حضرة الناقد — أستغفر الله ! بل إلى الارشاد إلى ما نقده — ليعدل فى المستقبل عن تكلف ما لا يحسن — على رأيه فينا — وليستوعب ما يقرأ ويصرف نشاطه فى مدارستها ، فما يكون الانسان كاتباً إلا بعد أن يكون قارئاً ، وإنها لـكبيرة أن يعمد واحد إلى كيل التهم والتشكيك غير مراع للتاريخ حرمته ، ولا للقارئ عقليته ، ولا للحق كلمته

يقول : « إن تشريع القبلة وحكمته يظفران فى كتابنا بثلاث صفحات ، فى حين أن غزوة بدر التى تعتبر بحق أهم وقائع الاسلام ، ومن وقائع التاريخ الفاصلة لا تكاد تظفر بصفحة واحدة ؛ وأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك تخص بصفحتين ، فى حين أن الأحداث الجسام التى وقعت زمن الخليفة يزيد ابن الوليد بن عبد الملك تركز وتضغط فى أسطر قلائل »

وبحسبنا أن يرجع القارئ إلى كتابنا ليرى كيف تفتل بعض الأقلام من الهواء حبالاً ، وتخلق من الواقع محالاً . إن غزوة بدر ومقدماتها ظفرا وحدهما من صفحات الـكتاب بنحو الثلاث عشرة صفحة (صفحة ١٣٦ — ١٤٨) ، وإلا فهل كان الناقد يظن الـكلام فى الجهاد وأسبابه ، والغنائم وشرعيتها ، وهل الدعاية إلى الدين كانت من طريق السلام أو الحسام — كل هذا يظنه بمنأى عن غزوة بدر ولا يتعلق بها ، وأننا لم نفصـل الـكلام على هذه المواضيع بمناسبة تخالف تلك الغزوة الخالدة ؟ وهل كان يريد أن نستبدل هـذه الأحداث الهامة بذكر ما قيل فى رثاء قتلى المشركين ، وما تقدمت به قتيلة تعاتب الرسول لقتل أخيها النضر ، وما وقع فى قتل أبى جهل مما تختص به كتب السير ؟ أما إن الاحداث الجسام التى وقعت زمن يزيد ابن الوليد ركزت وضغطت فى أسطر قلائل فدعوى غريبة ، يكفى لوأدها صفحات الـكتاب من ٥٢٣ إلى ٥٥٠ ، وفيها أسباب سقوط الدولة الأموية ، والتعرض بالتفصيل لهذه الأحداث الجسام التى وقعت أيام يزيد وغيره

إنما اللوم على من يحسبها ظلمة من بعد ما يبصرها

* * *

فى الأمثال « لا يشكر الله من لا يشكر المحسن من الناس » وإذا كنا فى كلمتنا السابقة أخذنا على بعض المستشرقين أنهم أحياناً ينظرون إلى تاريخ الاسلام من خلال مذاهبهم الدينية ، لا أبحاثهم التاريخيـة ، فاننا لا نكتمهم حق الشكر على أنهم عاونوا فى رفع الحجب التى أسدلتها العصور المظلمة على تاريخنا ، وسلـكوه فى سلسلة تصل أوله بآخره ، وتعد القابض عليها السائر حذاءها بما يمكنه من إدراك ما فيه من قوة وضعف واعتلاء وابتلاء . هذا ما كتبه فون كريمر ، وبروان ، وكرهل ، والسير توماس أرنولد ، وأميل درمنجم وغيرهم ، يدل على توفيق كبير فى استخراج الوقائع والعبر التاريخية واضحة جلية بعد أن اختلطت أحداثها وتعددت نظمها وآراؤها ، وبعد أن كان التاريخ سيرا يتفكه بها الخالون ويحتقرها المالون ، صار بفضل تلك الأبحاث العلمية الحديثة فناً كريماً تقرن فيه الموقعة بالموعظة ، وتلحق فيه البينات والشواهد آثار رجالاته وبيئاته ، حتى غدت منابعه عذبة للواردين وطرقه معبدة للمدلجين . فليس من الانصاف ما ذهب اليه الناقد من أن التاريخ الاسلامى لم ينهض بعد فى الشرق نهضته المستقلة المنشودة ، وأنه لا يزال قصصاً يقص وسيراً ساذجة تتلى . أجل ! كان من حسن الحظ — أو من سوئه — أن الناقد بعد أن نعى علينا ما نعى ، وبعد أن ملأ مقالاته الأربع بما يسترهب بعض الألباب حتى ظنته إمام هذه الصناعة ، ذهب بعيدا جدا فى الاعتداد والارشاد ، وعمم بعد تخصيص ، وألقاها كلمة داوية بأن التاريخ الاسلامى فى الشرق لم ينهض نهضته ولما يجد من يقيل عثرته ، وأن روح الجماعات وأثر البيئة والتقاليد وعمل المبادئ والعقائد ، والقوى الاجتماعية والاقتصادية لا تزال فى العربية أسرارا لم ترفع عنها الحجب . فهذا الـكاتب يرى أن كل ما ألف أو درس فى التاريخ الاسلامى من

أصول وفروع وبيئات وتقاليد لغو وباطل ، سواء أكان الدارسون شرقيين أو مستشرقين

كان الظن بمن ينقد شيئاً أن يرينا مثلا أعلى لما ينبغي أن يكون عليه طريق البحث ويدلنا عما صنع هو للاحتذاء والأسوة ، فالنفس دائماً مولعة بأن تتبع ذا الفعال ، وقلما تفيدها الأقوال « ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال والتعظيم من معلم الناس ومؤدبهم » . ويظهر أن الناقد استثمر هذا الاشكال الجديد ، فهو يحاول النجاة بأن الذى يحول دون نمو الروح التاريخى الصحيح فى الشرق هو ما يعترض الباحث من وعورة المسلك وبعد الشقة وصعوبة المنال . مرحى مرحى ! ! كأنه يعتذر عن عدم إخراجه ولو مؤلفا واحدا بما ذكر ، ويتهم كل المؤرخين بأن التاريخ فى كتبهم لا يزال قصصاً يقص وسيراً ساذجة تسلى ، ويكتب أربع مقالات ينقدنا فيها نقداً لاذعاً ، ويدعونا إلى الأخذ من هذا وترك الأخذ من ذاك . وما عهدنا واعظا حكيما يهدى إلى طرق لم يسلكها ، ويكلف الناس بواجبات لم يتذوقها ، أو يثقل عاتق الناس بما يعجز عن حمله ، أو يسهو عن أن الحكم عن الشيء فرع عن تصوره . عفا الله عن ابن المقفع ، فقد ذكر فى ترجمة « كليلة ودمنة » أمثالا صالحة لمن يغشى حلبة السباق وهو مقعد ، أو يتولى سدة الوعظ وهو محتاج إلى الرشد

وبعد فما كان أغنى قراء « الرسالة » عن هذا كله ، وما كان أحق النقاد ألا يشرعوا قلمهم إلا لله والمصلحة العامة ، لا تنزو بهم نازية من خوف أو طمع . ولكن هكذا قدر (ولو شاء ربك ما فعلوه)

ولقد رأى حضرات القراء أن هذه الزوبعة التى هول فى أمرها وأطال فى ذكرها لم تكن بذات خطر تمد له فى تجريحه مداً . ولله الحمد قد آن لنا بعد أن حصحص الحق أن نمسك القلم شاكرين « للرسالة » والقراء ، معتذرين — بدورنا — عما عسى أن يكون ندر به القلم — فالبادئ أظلم . ومن لا يغار على الحق وكرامته يتهم فى رجولته . (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض)

انتهى حسن ابراهيم حسن



مفتاح كنوز السنة

من عمل الأستاذ ا . ى . فنسنك

ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى

بقلم الأستاذ محمد حامد الفقى

مطبعة مصر : ثمنه ستون قرشاً مصرياً

كان الباحث الذى تتوجه نفسه إلى معرفة علم الحديث والاشتغال به يجد نفسه أمام كنوز ملأى بالجواهر النفيسة ، فاذا ما حاول فتح مغلقها أخذه من العناء والمشقة الشيء الكثير المضنى ، لأنها جمعت على طرق من التأليف كانت آخر ما وصل اليه تفكير المتقدمين حين لم تكن مطابع ، ولم تخرج المقول هذه الفنون المدهشة من الفهارس ، والمفاتيح التى وصل اليها عقل العلماء اليوم بكثرة المران

كان يجد أمامه هذه الصعاب ، فيضرع إلى الله تعالى أن ييسر بفهرس يكون مفتاحا لهذه الكنوز ، يهون عليه الوصول إلى بغيته ؛ ولقد طال أمد هذه الضراعة حتى خرج علينا الأخ الفاضل محمد فؤاد عبد الباق بهذا المفتاح المبارك الذى ما ترك كنزا مغلقاً إلا فتحه على مصراعيه ، ونثر دره بين يدى الطالب يأخذ منها حاجته التى يبتغيها

فالكاتب ، والخطيب ، والمدرس ، والفقيه ، والمحدث ، وكل من تعوزه صنعته ، أو تقواه وعبادته ، إلى شيء من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يفزع إلى هذا المفتاح فيضع فى يده بسخاء كل ما يبتغى ويريد . وقد قدم له الامام الكبير محدث عصره السيد رشيد رحمه الله ، والمحدث الفاضل الشيخ أحمد شاكر بمقدمتين ، نقتطف منهما جملاً تنبئ القارئ الكريم عن عظيم الحاجة إلى هذا المفتاح إذ قال السيد رشيد رحمة الله عليه ورضوانه :

« ولو وجد بين يدى مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر على أكثر من نصف عمرى الذى أنفقته فى المراجعة . ولكنه لم يكن ليغنينى عن هذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) فان ذاك إنما يهديك إلى مواضع الأحاديث القولية التى تعرف أوائلها ، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية ، وما فى معناها ، كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازى وغيرها ، فلو كان بيدى هو أو مثله من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة لوفر على ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها »

وقال الأستاذ الشيخ احمد شاكر « وقد عنى الصديق فؤاد افندى بالدقة فى الترجمة أتم عناية ، فانه لم يترجم معنى من المعانى حتى رجع إلى الأحاديث فى مصادرها التى أشار إليها المؤلف وعبر عنها بالعبارة الصحيحة التى تدل عليها الأحاديث . ولذلك مكث فى ترجمته أربع سنين ثم لم يضن على طبعه بالمال ، فاختار أرق المطابع فى القاهرة وانتقى له أجود أنواع الورق ، فأبرز الكتاب كاملا ... »

« هذا الكتاب جمله مؤلفه فهرسا لثلاثة عشر كتابا من أمهات كتب الحديث . وهى : مسند الامام احمد بن حنبل . صحيح البخارى . صحيح مسلم . سنن الدارمى . سنن أبى داود سنن الترمذى . سنن النسائى . سنن ابن ماجه . وهذه الثمانية هى أصول السنة ومصادرها الصحيحة الموثوق بها . ويندر أن يكون حديث صحيح خارجا عنها . ثم موطأ الامام مالك . ومسند أبى داود الطيالسى ... ثم سيرة ابن هشام . ثم كتاب المغازى للامام محمد بن عمر الواقدى ... ثم أعظم كتاب جمع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وتراجم الصحابة والتابعين فمن بعدهم وهو كتاب الطبقات الكبير لابن سعد . والكتاب الرابع عشر المسند المنسوب إلى زيد بن على بن الحسين ... وقد رتب الأستاذ فنسنك كتابه على المعانى والمسائل العلمية ، والأعلام التاريخية ،

وقسم كل معنى أو ترجمة إلى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك ، ثم رتب عناوين الكتاب على حروف المعجم ، واجتهد فى جمع ما يتعلق بكل مسألة من الأحاديث والآثار الواردة فى هذه الكتب ..... ولعل نشر هذا الكتاب بلغتنا العربية الشريفة يكون سبباً فى اقبال المتعلمين من جميع الطبقات على الاشتغال بالسنة النبوية ، وعلى الاستفادة من كتب الحديث التى هى كنوز العلم والحكمة التى أعرض عنها أكثر الناس ، إما جهلا بفائدتها ، أو عجزاً عن المراجعة فيها عند الحاجة »

وقد وضع الأستاذ فؤاد عبد الباقى لهذا المفتاح فهارس أخرى تيسيراً للمنفعة به وبالمعجم المفهرس لألفاظ الأحاديث النبوى ، صدر منها فهرس البخارى ومسلم والترمذى . ولعلنا نتكلم عنها وعن المعجم المفهرس فى فرصة أخرى

محمد حامد الفقى

القصص المدرسية [1]

يصدرها الأساتذة

سعيد العريان — أمين دويدار — محمود زهران

المدرسون بالمدارس الأميرية

ماذا يقرأ الطفل فى وقت فراغه ؟

بل ماذا يقرأ الطفل فى مدرسته ؟

ولماذا ينقطع أكثر شبابنا الذين أتموا دراستهم ، عن المطالعة والدرس فلا يتذوقون لذة القراءة ، ولا يلتمسون متاع الروح ورياضة العقل بالاطلاع والنظر فى الكتب ؟

هذه أسئلة تعرض لكل ذى رأى فى هذا البلد ، فيذهب يلتمس الجواب ، ويعرض الرأى ، ويناقش الفكرة ، فلا يهتدى إلا إلى رأى واحد : هو أن الطفل العربىّ لا يجد ما يقرأه فيلذه ويفيده فى وقت معاً ؛ فما بين يديه من الكتب واحدٌ من ثلاثة : كتاب مدرسىّ يراه همّ النهار والليل ، وكتاب فى مكتبة أبيه يعيا من دونه فكره ويقصر ادراكه ، وصحيفةٌ بين هذين أو فى مذهب ثالث ، ليس من الحكمة أن تصل اليها يده . والطفل بين ذلك كله لا يجد ما يجذبه إلى القراءة أو يحببه الى الاطلاع فينشأ نشأته كما نرى أكثر شباب هذا الجيل

ومن هنا بدأ تفكير بعض أدباء العربية فى تلافى هذا النقص فاتجهوا بعنايتهم إلى محاولة إيجاد « أدب الطفل » ، ويعنون بأدب الطفل ، ذلك الأدب السهل الذى يلذّ الطفل ويشوقه ، ويحمله — بالرغبة والميل الطبيعى — على المطالعة وحب الكتب ، منبثّاً فى ثناياه ما يُراد أن يزوّد به الطفل من علم وفن ومعرفة وبيان ، فيتناوله مقبلا عليه بقلبه وعقله وطبيعته ؛ وكانت محاولات مجدية ، أضافت الى العربية فناً جديداً ، وأوجدت بينها وبين نفس المتعلم سبباً وثيقاً

على أن هذه « القصص المدرسية » التى نتكلم عنها اليوم — اتجاه جديد فى هذا الباب من الأدب ؛ فلم يقتصر مؤلفوها على الترجمة من أدب الغرب ، أو النقل من كتب الأدب القديم ، كما فعل من سبقهم إلى هذا الباب ؛ بل تراهم يحاولون أن ينشئوا « أدب الطفل » أصيلاً فى العربية ، مصوّراً من هذا الجوّ الذى يعيش فيه طفل اليوم ؛ وبذلك أوجدوا الصلة بين الطفل ولغته ، وبينه وبين أهله ، وبينه وبين الجو الذى يعيش فيه ، فلا يُعييه بعدئذ أن يتابع القصة بخياله ، كأنهُ بطل فيها ، مؤثر فى حوادثها ؛ وهذا — لعمرى — نهج سديد ، خليق بأن ينشىء من أطفالنا جيلاً جديداً ، له مُثُله العليا على مقداره ، وله رأيه فيما يحيط به

وقد استقبلنا هذه القصص لأول ظهورها منذ عام ، فرحين آملين ، مشفقين على مثل هذا المشروع أن يقف فى طريقه بعض ما يقف فى سبيل أكثر الجهود النافعة فى بلدنا فيحول دونها أن تبلغ التمام . ولكنا اليوم إذ تطالعنا القصة الخامسة من هذه القصص الدورية — نستبشر ويزايلنا الاشفاق على مصير هذا العمل النافع . على أن جهداً كهذا الجهد الذى يبذله مؤلفو القصص المدرسية صامتين — جدير بأن يلقى ما يستحق من عناية الآباء والمعلمين ليدلوا تلاميذهم عليه ، ويرشدوهم إلى سبيل الانتفاع به . لينجح المشروع ويؤتى ثمرته فى أولادهم وتلاميذهم

وما نحاول أن نصف هذه القصص بأكثر مما وصفها الأستاذ الرافعى فى رسالة كتبها إلى المؤلفين بخطه يقول فيها : « إنها رجولة عالية تساق إلى التلميذ فى أسلوب التلميذ ! » (م)

(١) صدر منها « مدرس اكسفورد » ، « الصياد التائه » ، « عروس البيغاء » ، « النهر الذهبى » ، « الزعيم الصغير »

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٥ — ٣ فبراير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

Lundi 3-2-1936

4 me Année, No. 135.

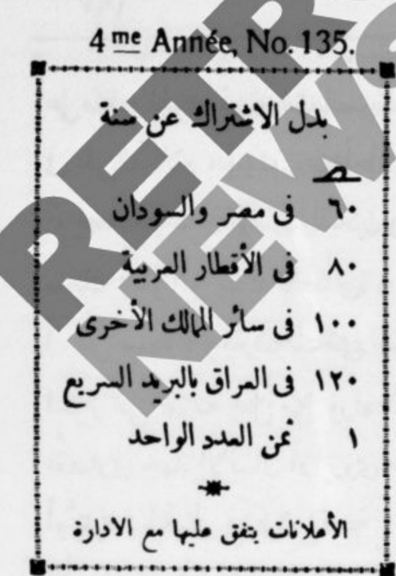
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique



بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ١٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ٣ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة

١٦١ محمـــد ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
١٦٣ كلمة وكليمة ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٦٤ السياحة فى مصر ... ... : بقلم سائح ... ...
١٦٧ رفعة المرأة ... ... : الأستاذ محمد بك كرد على ...
١٦٩ قصة المكروب ... ... : الدكتور أحمد زكى ... ...
١٧٢ أطفال دمشق ... ... : الأستاذ « م » ... ...
١٧٣ علم غير مفيد ... . : الأستاذ قدرى حافظ طوقان ...
١٧٥ بيوولف .... : الأستاذ حسن عبد الحليم اليمانى
١٧٨ مكانة مصر فى المغرب العربى : الأستاذ محمد السعيد الزاهرى
١٨١ من ربوع الغرب إلى بلاد العرب : الدكتور عبد الكريم جرمانوس
١٨٣ سكان أعالى النيل ... ... : رشوان أحمد صادق ... ...
١٨٦ سليل الفرد (قصيدة) : الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
١٨٦ البعث ... ... » : الأستاذ على أحمد با كثير ...
١٨٧ الحرمات ... » : محمود حسن اسماعيل ... ...
١٨٧ نسيم الفجر ... » : ترجمة وهيب رشيد ... ...
١٨٨ تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا : الأستاذ خليل هنداوى ... ...
١٩٠ الآباء البيض (قصة) : حبيب الزحلاوى ... ...
١٩٥ التعصب اللغوى بعد التعصب الجنسى ... ...
كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية ... ...
١٩٦ مشروع على جليل . تجربة لاختبار الذكاء . آثار العمالقة
١٩٧ أثر خطى نفيس . وفاة مؤلف موسيقى . جوائز أدبية نمسوية
١٩٨ كتاب اللآلى شرح أمالى القالى : الأستاذ أحمد أمين ... ...

« محمـــد »

لتوفيـق الحكيم

وهذا كتاب آخر، قد نسقه فن آخر، ليُعين رواجح الأحلام على اجتلاء شخصية سمت ببطولتها عن البيان، واكتناه سيرة جلت بقداستها عن الفهم. وشخصية الرسول الكريم وسيرته أصبحتا اليوم فى الشرق والغرب موضوع الدرس المفصل، وموضع التحليل العميق. وأنى للبصر المحدود أن يدرك مالا يحد؟ وللبصيرة المتناهية أن تبلغ مالا يتناهى؟!

***

حاول هيكل تعريف هذا الاشراق الإلهى من طريق العقل فاتخذ الدليل، وحاول طه حسين أن يصوره من طريق القلب فاصطنع الأسطورة، وحاول توفيق الحكيم أن يمثله من طريق الغريزة فاستعمل الحوار؛ والحوار ولاشك غريزة الحياة وأسلوب المجتمع، تجرى به الحوادث، وتتنقل عليه الأحاديث، وتتردد فيه المآرب، وتوشك لغة الخطاب لا تعرف من ضروب الكلام غيره. هو لسان الوجود اليومى، يترجم عن رغائب النفس فى غير كلفة، وينقل عن سوانح الذهن من غير إجالة، وينم

على مرامى الهوى فى نبرات الصوت ، ويكشف عن طوايا الصدر فى لحن الكلام ، ويشف عن أحاسيس الروح فى لهجات الحديث ، ثم يصطبغ بصبغة الزمان والمكان والموقف والمناسبة ؛ فاذا أنت سجلته بالحق أو مثلته بالصدق ، فقد صورت الوجود المعدوم أكمل صورة ، وجلوت الماضى المبهم أتم جلاء ؛ ولكن تسجيل الحوار على عمومه عمل من وراء الأمكان ومن فوق القدرة ، فقُصارى جهد الانسان أن يروى معناه بالسند فيكون التاريخ ، أو يموهه بالخيال فتكون القصة ، أو يزخرفه بالوهم فتكون الأسطورة . أما تمثيله على النمط الذى جرى عليه فهو الفن المبدع الذى يمده الإلهام وتهديه الطبيعة . يجرد الحادث من فضول الرواية ونافلة الحديث فيرده إلى جوهره ويحيله إلى بساطته ، ثم يبعث الأشخاص ، ويجدد الأمكنة ، ويعيد الملابسات ، ويحيى البيئة ، ويرجع بالقارىء إلى عصره ، فيحيا حياته ، ويعايش أهله ، فيرى بعينه ما يعملون ، ويسمع بأذنه مايقولون ، ويدرك بنفسه موانع الحال ودوافع الموقف ؛ وذلك ما عمله توفيق الحكيم فى كتابه الجديد « محمد » : عمد إلى المواقف الخطيرة فى حياة الرسول ، والمواقع العظيمة فى تاريخ الرسالة ، فمثلها على الوضع الذى كانت عليه ، بالعمل الذى حدث ، وبالحوار الذى جرى ، وبالروح الذى انتشر ، ثم صور البواعث النفسية التى أغفلها المؤرخ ، وأظهر الألوان المحلية التى أحالها الزمن ، فاتصلت الأسباب ، واستبانت العلل ، وتحددت الفروق ، ووقع الأمر من حسك موقع المألوف من غير التواء ولا فلسفة . اقرأ فى كتاب توفيق الحكيم موقعة بدر أو حديث الأفك أو وفاة الرسول ، ثم اقرأها فى كتاب من كتب التاريخ تجد ما قلته لك قد صار أوضح فى المثال وأوكد بالموازنة

لم يرد توفيق الحكيم أن يجعل من سيرة الرسول رواية ؛ فإنه لو أراد ذلك لما سلم من لوم رجل الدين ، ولا برىء من نقد رجل الفن ؛ إنما هى مناظر مجلوة على أسلوب الحوار لا يجمعها قانون الوحدة ، ولا يربطها تسلسل الزمن . ولقد ظهر هذا النوع أول ما ظهر فى (الرسالة) حين اقترحتُ على الأستاذ الحكيم أن يكتب على طريقته هجرة الرسول فى أول عدد من أعدادها الممتازة ؛ فتهيَّب الأمر بادىء ذى بدء ، ثم تخوف المتزمتين أن ينكروا عليه فعله ، ثم أقدم فعالج الموضوع فى حذر وحيطة ، ثم ترقب ما يكون من رأى الناس ، فإذا هم يقرأون فى لذة ويحكمون فى نزاهة ، فمضى يعرض جوانب السيرة هذا العرض الواضح فى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة طوى عليها هذا الكتاب . والأرجح أن هذا الأسلوب سيجد مكانه فى تاريخ الأدب المعاصر ، فإن شاعراً من شعراء مصر نحا نحوه فى مقتل حمزة ، وكاتباً من كتاب الشام حذا حذوه فى موقعة بدر

* * *

هذه كلمة عجلى كتبناها عن طريقة الكتاب على قدر ما اتسع المكان والوقت ؛ وفى أكثر المناظر منه مواقف للإعجاب وفى أقلها مواقف للمؤاخذة ، وسيقف الناقد النزيه منها موقف العاذر أو العاذل على حسب رأيه فى الفن وحريته . ولست اليوم بسبيل الكشف عن سر الكتاب وفنه ؛ إنما هى تقدمة وتحية ؛ وستقرأ عنه ثم تقرأ فى باب النقد أو فى باب الكتب .

وبعد فإن للرسالة أن تغتبط بتوفيق الله فيما تجاهد له ، فلقد كان لها نصيب منتج فى توجيه الأدب العربى الحديث فى مصر وفى غير مصر إلى هذه الغاية العليا . كان أدبنا منذ قليل يتخلق بغير خُلقه ، ويتزيا بغير زيه ؛ يرد المنابع البعيدة ونهره قريب ، ويستجدى الأنامل الكزَّة وخيره عَمَم ، حتى جفَّ ما بينه وبين أصله ، وانقطعت الأسباب بينه وبين أهله ، فأصبح اليوم بفضل هذا التوجيه الحميد موصول الحبل بماضيه ، معقود الرجاء بمستقبله ، مطوى الفؤاد على قصده . وما دام على الدرب الأمين القاصد فهو لا بدَّ فى القريب أو فى البعيد واصل

احمد حسن الزيات

الاشتراك المخفض فى الرسالة

اجابة لكثيرين ممن حالت بينهم بعض الظروف وبين الاستفادة من الاشتراك المخفض فى شهر يناير ، مددنا الأجل الى اليوم العاشر من فبراير لقبول الاشتراك المخفض بالهدية ، والى آخره لقبوله من غير هدية

٧ – كلمة وكليمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ليس فى الشرف كأداء الواجب بشرف

الوعدُ السياسيُّ جرىءٌ فى الكذب ، جرىءٌ فى الاعتذار ، حتى إنه ليَعِدُ باحضار القمر حين يستغنى عنه الليلُ فى آخر الشهر ... فاذا لم يجيئوا به قالوا : سيتركه الليل فى الشهر القادم ..

الزمن ضعيفٌ فى نُصْرة الضعيف ؛ فاذا قالت دولة أوربية لدولة شرقية : سأدَعُكِ فى سنة (كذا) ، فمناها فى سنة (دائماً) التى لا أعرفها لا أنا ولا أنت ولا الزمن ...

كما تضربُ السياسة بقنابل حشوها البارود والرصاص ؛ تضربُ بقنابل حشوها المطامع والمناصب ....

لا يجىءُ الاتحادُ القوىُّ من وحدة الأحزاب المختلفة ، ولكن من وحدة الحالة الواحدة فى الأحزاب المختلفة

للسياسة أحياناً أسلوب كأسلوب المرأة ذات العشاق ؛ إذا وافق بعضُهم بعضاً على النكاية بها ، فرّقتْ بين حظوظهم منها ، فما أسرع ما يختلفون

قال ذئبٌ سياسىٌّ لخروف سياسى : أريد الاتفاق معك (حالاً) . فقال الخروف : ويلك ! إذا كنت أنت ذئباً للّحْمى ، فهل تكونُ (حالا) هذه إلا ذئباً آخر لدمى ؟

لم يضيِّع الشرقيين ضعفُ القوة أكثرَ مما ضيّعهم ضعفُ البصيرة

تالله ما أذلَّ الشرقَ إلا هذا التصوفُ ، وتالله ما يُعِزُّ الشرق إلا هذا التصوف بعينه ، إذا انتقل عن رجاله إلى رجال المال والحكم والسياسة

كنتُ مرة فى ضيافة رجل من أهل القرى مع أحد علماء الفقه ، وذهبنا مع القرَوىّ إلى أرضه وفيها نخلةٌ مهانةٌ ليس أهون منها على صاحبها . فقال له الفقيه : أحب أن تهب لى هذه النخلة فى مغرِسها بحدودها الأربعة . قال قد وهبتها لك . قال الفقيه بحدودها الأربعة ؟ قال الرجل الطيب : نعم .

فقال له الفقيه : الآن وهبت لى أرضك كلها وخرجت منها شرعاً ... فهذا فضاءٌ ولا حدود للنخلة إلا آخر ما تملك منه فى الجهات الأربع . هكذا يملك دهاةُ الفقه السياسى البلاد المريضة إذا ملكوا ولو نخلة فيها ، غير أنهم يسمون حدود النخلة « تحفظات » النخلة ...

يكاد يقال اليوم إذا عُدّت العناصرُ الأرضية : إنها النارُ والماء والهواء والتراب والأسطول الانجليزى ...

كل ما استمتعتَ به على الحبيب المَلول ، أعان الملل فى نفسه

لاتعاتب حبيبك الذى ملَّ ، فاذا مرض الحب مات العتاب

أكثر صبر العشاق من قلة الحيلة ...

كذبُ الحبيب كذبٌ مرٌّ ، لأنه خرج من الفم الحلو

جمالُ التواضع فى الصديق أن يستمرَّ دائماً فى شكل تواضع ، وجمالُ الخضوع فى الحبيب ألاَّ يستمرَّ دائماً فى شكل خضوع

تنظر المرأةُ بقلبها إلى أشياء لا تراها بعينها

احترس فى المداوة مما تبدأ به المداوة ؛ واحترس فى الحب مما ينتهى به الحب

لا تنسى الاساءة امرأةٌ لأنها قليلاً ما تذكر الحسنة

كيف تتحرر المرأةُ إذا كان حكم الطبيعة أن أفضل ما تحرر به نفسها أن تجد من تقيد به نفسها ؟

يا ويل المرأة من قلبها حين يكون محروما ! ياويل المرأة من قلبها حين يكون فيها كالنفى فى غربة !

أبت الدنيا أن تفسِّر كل عجيبة إلا بما هو أعجب منها . وهذه هى العجيبة

لو كانت اللذة فى اللذة نفسها لما شقى أحد، ولتيسرت لكل الناس كما تيسرت لكل البهائم؛ ولكن أكثر اللذات لا يلذ إلا فى التركيب الوهمى الذى أكثره فى الخيال وأقله فى الواقع

ما دامت أخلاق البهائم فى الناس، فصلاحُ الانسانية سيبقى دائماً فى هذه المعانى الثلاثة: الراعى، والحبل، والعصا...

من لؤم الكذب وشرِّه أنك لو صدقتَ بكلمتين وكذبت بثالثة، كنتَ كأنك صدقت باثنتين وكذبت بثلاث

كيف تصلح الدنيا وفى كل أرض يعمل على عكس قوانينها — قانونُ الجوّ وقانونُ الأرض؟

شقاءُ العبقرىّ من نفسه؛ فان ظلّ يعمل تعبتْ به، وإن ترك العمل تعب بها

أين الحقيقةُ الكاملةُ من العقل الانسانى ونحن نرى كلّ عقل لا يُعْطَى منها إلا قدرَ ما يسعُ منها؟

أسكتْ عن السفيه فان ذلك إلاّ يجعله كريماً مثلك لا يجعلك لئيماً مثلَه

قيل لمغرور متكبِّر يُخَنْخِنُ فى خَيَاشيمه (١) إذا تكلم: لماذا تتكلم من أنفك؟ قال. لأنى لا أجد فى العالم من أكله بملء فمى.......

لو رد العالم على هذا المغرور لقال له: كلُّ الحمير تنهق بملء أفواهها إلا أنت.....

إذا صغرت النفس من لؤم صاحبها، كبرت بلسان صاحبها

الصورة الثانيةُ للرجل المضحك جداً، هى أن يظهر نفسَه عظيماً جداً

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

(١) يخرج الكلام من أنفه أخن فلا يبين فيه

إلى الآنسة ا. م كيف أصرح «بما هو غامض» وأنت تكتمين «ما هو غامض؟»..... إن كنت قرأت (المشكلة) سبع مرات كما قلت، فدعينا نخرج من مشكلتك أنت ما يقرأ أكثر من سبع مرات الرافعى

السياحة فى مصر

ومتى تغدو موردا قوميا؟

بقلم سائح

مصر بلد الآثار الباقية والذكريات الخالدة؛ آثارها وذكرياتها ترجع إلى أقدم عصور الخليقة، وتراثها الأثرى والفنى منوع فى عظمته، ممتد على كر العصور والدنيات؛ فمنذ عصر الفراعنة، حيث يغيض التاريخ فى ظلمات المجهول، ومنذ الحضارة المصرية اليونانية، والحضارة المصرية الرومانية، إلى الحضارة المصرية الاسلامية، تتكدس الآثار والذكريات الخالدة فى أرض مصر صنوفاً متعاقبة، حتى غدا تراث مصر الأثرى والفني فى روعته وفى عراقته وتباين أعصره وصنوفه، أغنى وأثمن ما عرف من بقايا الحضارات الذاهبة القديمة والوسطى

وقد كان حرياً ببلد كمصر يتمتع بمثل هذا التراث الأثرى الباهر إلى جانب ما يتمتع به أثناء الشتاء من طبيعة ساحرة وشمس وضاءة ودفء لذيذ، أن يغدو كعبة حقيقية للسياحة والسياح من سائر أنحاء الأرض، وأن يجعل من السياحة مورداً قومياً لا بأس به، وأن يستغل هذا المورد بوسائل وأساليب جذابة مجدية، وأن يسيطر على مرافقه ونواحيه بيارق عملية شاملة، وألا يدخر وسعاً فى الحرص عليه كمورد قومى ثابت، أو فى السعى إلى تنميته بجميع الوسائل والنظم

ولقد غدت السياحة فى كثير من البلاد مورداً قومياً للكسب، وأضحت وسائل استغلاله وتنميته فى بلاد كثيرة لا تتمتع بمثل تراثنا الأثرى، ولا مثل جونا الساحر، صناعة حقيقية؛ ولكن مصر ما زالت فى المؤخرة من حيث دراسة هذه الصناعة الحدثة وفهمها والانتفاع بوسائلها. نعم إن فى مصر موسماً للسياحة، وما زالت مقصد ألوف من السياح من مختلف البلاد فى كل شتاء، ولكن هذا الموسم لا يقوم على أسس ثابتة، بل يترك أمره للظروف والمصادفات الخارجية، وتكاد مصر تقف منه موقفاً سلبياً محضاً؛ فاذا كان الموسم حسناً

مزدهراً ، فان ذلك يرجع عادة إلى ظروف خارجية لا دخل لمصر فيها ، وإذا كان الموسم سيئاً مجدباً ، كما هو الشأن منذ أعوام ، فان مصر لا تبذل من جانبها أية جهود عملية مجدية لاجتذاب السياح ، والعمل على مقاومة العوامل والأسباب التي يمكن أن يرجع اليها مثل هذا الكساد

على أن موسم السياحة المصرى ليس فى الواقع مصرياً إلا بالاسم ، ومن الظلم أن يحسب على مصر بصورته الحالية ، فليست مصر أو الهيئات المصرية هى التى تجنى ثماره ، وتستغل موارده بقدر ما يجنيها ويستثمرها الأجانب والهيئات الأجنبية ؛ ذلك أن كل ما تجنيه مصر من هذا الموسم يكاد ينحصر فى أجور السكك الحديدية ورسوم المتاحف والآثار وأجور التراجمة وأثمان بعض السلع والمنتوجات القليلة التى تعرض للبيع أثناء الموسم ، وهذا كله قليل بالنسبة إلى ما تجنيه الوكالات والفنادق والمتاجر الأجنبية من الأرباح الطائلة ؛ وهكذا يستغل موسم السياحة المصرى باسم مصر ، ومصر تقنع منه بالفتات الضئيل

وهذه حقيقة مؤلمة ؛ بيد أن أشد ما يؤلم فيها هو أن هذا الغبن الفادح الذى يلحق مصر فى مورد من مواردها المشروعة ترجع التبعة فيه إلى مصر ذاتها ، وإلى ما تبديه هيئاتنا الرسمية وغير الرسمية من قصور وتقصير فى تنظيم الدعاية لمصر فى الخارج ، وفى تنظيم شؤون السياحة الداخلية بوسائل مجدية وطرق جذابة ، وفى توفير أسباب اليسر والراحة للسائحين ؛ ومن الحقائق المعروفة فى أوساط السياحة الخارجية أن نفقات السياحة فى مصر تصل إلى حدود مرهقة ، ولا يكاد يتحملها سوى كبار الأغنياء والموسرين ، وأن السائح المتوسط الحال يقاسون فيها من فداحة الأجور وعدم توفر أسباب الراحة ؛ وهذه الحقيقة وحدها تبعد عن مصر عشرات الألوف من السياح الذين تسرهم زيارتها لو توفرت فيها أسباب الاقامة المعتدلة ، كما هو الشأن فى معظم مراكز السياحة فى أنحاء العالم

ولنبدأ بمسألة الدعاية ، فنقول إن مصر ما زالت متأخرة فى هذا الميدان بصورة يرثى لها ؛ وما تنفقه مصر فى هذا السبيل من الألوف العديدة يذهب هباء ؛ إذ يندفق معظمه على بعض الصحف الأجنبية التى لا تفيد فى الدعاية الحقيقية ؛ والدعوة المنظمة هى روح السياحة الحديثة ، ومصر مشهورة فى الخارج بتراثها الفنى ومزاياها الاقليمية ، وميدان الدعوة إلى زيارتها خصب ممهد ؛ على أن مما يؤسف له أن مصر لم تقم حتى اليوم بتنظيم هذه الدعاية بطرق عملية ناجحة ، فليس لنا فى الخارج مكاتب ولا وكالات مصرية للسياحة ، وقنصلياتنا لا تبذل أى جهد فى هذا السبيل ؛ على حين أن جميع الأمم التى بها مراكز للسياحة تنظم دعايتها فى جميع أنحاء العالم تنظيما عملياً واسع النطاق ، فتنشئ لها مكاتب للسياحة فى الداخل والخارج ، وتذيع عن آثارها ومزايا السياحة فيها كتباً ونشرات بديعة جذابة توزعها بالألوف من مكاتبها وقنصلياتها ، ولا تدخر فى ذلك مالا ولا جهداً

ولكن مصر تقنع فى هذا الميدان بنشرات قليلة تذيعها فى بعض الصحف الأجنبية ، وبعض لوحات تعلقها فى عربات السكك الحديدية ؛ هذا إلى أن هناك دعايات مغرضة تنظم ضد مصر من منافسيها فى ميدان السياحة ، ومصر لا تبذل أى جهد لدحض هذه الدعاية السيئة

ولقد انشىء بمصر أخيراً مكتب رسمى للسياحة ، وبدأ أعماله فى ظروف سيئة عاقته عن القيام بالمجهود الذى تقتضيه هذه الحالة ؛ وإنما نؤيد الفكرة فى ذاتها ، ونرجو أن تتاح الفرص اللائمة ليقوم هذا المكتب الجديد بمهمته فى بث الدعاية لمصر وفى العمل على اجتذاب السياح إليها . بيد أن مهمة المكتب لا تقف عند هذه المهمة ؛ وفى رأينا أن مهمة المكتب الحقيقية هى وجوب العمل على تمصير موسم السياحة وجعله جهد الاستطاعة مورداً قومياً يتاح للهيئات المصرية ولأبناء البلاد قبل غيرهم اجتناء فوائده وثماره ؛ وهذا يتطلب من مكتب السياحة أن يعمل فى دائرة واسعة متعددة النواحى

وإذا كانت السياحة قد أضحت كما قدمنا فى بلاد السياحة صناعة وفنا ، فانه يجب علينا فى مصر أن نفهمها بهذا المعنى ؛ وعلينا إذا شئنا أن نجتنى مغانم هذا الموسم أن نعنى بانشاء الفنادق الفخمة والمتوسطة ، وإنشاء المطاعم والابهاء الأنيقة ،

وتنظيم السياحة الداخلية ، وترقية طائفة التراجمة والمرشدين ، وتخفيض أجور السكك الحديدية ورسوم الآثار والمتاحف .

وإذا أريد حقا أن يكون موسم السياحة فى مصر مورداً قوميا ، فعلى هيئاتنا الرسمية وغير الرسمية أن تبادر قبل كل شىء إلى العناية بصناعة الفنادق ، فهى عماد الموسم فى جميع مراكز السياحة ؛ ولا ندرى لماذا لا يفكر المولون المصريون فى النزول إلى هذا الميدان الذى ما زال يستأثر به الأجانب فى جميع عواصم القطر ؟ ولماذا لا يتجه الشباب المصرى إلى المساهمة فى هذه الصناعة وهى لا تحتاج إلى مجهودات فنية صعبة ؟ ولا ريب أن عدم توفر الفنادق الأنيقة المعتدلة الأجور من أهم عوامل الضعف فى موسم السياحة المصرى ، لأن الفنادق الأجنبية الفخمة التى تستأثر الآن باستقبال السياح ترهقهم بفداحة أجورها ونفقاتها ؛ وإذا تذكرنا الأرباح الطائلة التى توزعها شركة الفنادق المعروفة على حاملى أسهمها كل عام استطعنا أن نقدر إلى أى حد يرهق السياح النازلون فى فنادقها ؛ وهو إرهاق يترك أثراً سيئاً فى نفوس ضيوفنا الأجانب حتى الأغنياء منهم

ولا يسد هذا النقص سوى إنشاء فنادق مصرية أنيقة معتدلة الأجور ؛ وهى صناعة رابحة يجب ألا يتوانى المصريون عن النزول إلى ميدانها . ولا ريب أن بنك مصر هو أقدر الهيئات المصرية الاقتصادية على فتح هذا الباب خصوصاً وهو يضم بعض الشركات والمرافق التى يتصل عملها بشؤون السياحة كشركة الملاحة وشركة الطيران ومكتب مصر للسياحة ؛ وغزو هذه الصناعة التى يستأثر بها الأجانب ويجانبها المصريون بغير حق ، يحقق لمصر غايتين : الأولى تمصير صناعة الفنادق واجتناء أرباحها ، والثانية تيسير أسباب الاقامة للضيوف الأجانب وتشجيعهم بذلك على زيارة القطر المصرى

ونعتقد أن مكتب السياحة المصرى يجد مجالا طيباً للعمل فى هذا الباب من الناحية الحكومية ؛ ذلك أن الحكومة المصرية لا يفوتها ما يترتب على إحياء صناعة الفنادق الأنيقة المعتدلة من توفير أسباب الراحة للسياح وتشجيعهم لا على زيارة القطر فقط ، بل على إطالة مكثهم به أيضا ؛ ولا بأس من أن تتولى الحكومة نفسها أو إدارة السكك الحديدية ، وهى من أوثق الادارات الحكومية اتصالا بشؤون السياحة ، القيام بأول خطوة فى هذا السبيل ، وإنشاء فندق أو أكثر من طراز نموذجى يجمع بين الفخامة واعتدال الأجور

بقيت مسألة نرجو أن يعنى بها مكتب السياحة عناية خاصة ، وهى مسألة التأشيرات التى تمنحها القنصليات المصرية فى الخارج لراغبى زيارة القطر . ومن المعروف أن نظام التأشيرات الحالى يكاد يقضى على كل اختصاص حقيقى لقناصلنا فى هذا الشأن ، ويجعل الاختصاص الحقيقى فى منح التأشيرات ورفضها لقلم الجوازات التابع لادارة الأمن العام (ورئيسه انكليزى) وفى معظم الأحوال يضطر القناصل المصريون إلى مراجعة إدارة الأمن العام قبل المنح أو الرفض ، وتستغرق هذه المخاطبات وقتاً ليس بالقصير ، وإذا كانت تلغرافية فانها تجرى على حساب الطالب . وبذلك تمضى أسابيع وربما مضت أشهر قبل أن يبت فى طلب الطالب ؛ ولا تستطيع القنصليات أن تمنح تأشيرة دخول القطر من تلقاء نفسها إلا للكبراء والأشخاص المعروفين . فهذا النظام المعقد يزهد الكثيرين فى زيارة مصر . ولا ريب أنه يحق للسلطات المصرية فى الداخل أو الخارج أن تعمل لمنع العناصر الأجنبية السيئة وغير المرغوب فيها من دخول القطر ، ولكن الحرص على هذه الغاية يجب ألا يكون عقبة فى سبيل العناصر الشعبية الطيبة التى ترغب فى الزيارة البريئة . وأملنا أن يوفق ولاة الأمر إلى وضع نظام جديد للتأشيرات يسهل مهمة القناصل المصريين ويذلل العقبات الحالية

هذه خواطر وملاحظات فى شؤون السياحة أملت بها أزمة الموسم الحالى ، وما نقرأ من آن لآخر عن الدعايات المغرضة التى تذاع ضد مصر وأحوالها فى الخارج تنفيراً للسياح من زيارتها ؛ فاذا أرادت مصر أن يكون لها موسم للسياحة يتناسب مع مكانتها الأثرية والاقليمية ، وإذا أرادت أن تجتنى كسبه وثماره ، فعليها أن تعنى قبل كل شىء بجعله موسماً قومياً يكون لمصر والمصريين فى استغلاله أوفر نصيب

(سائح)

رفعـــة المرأة

للأستاذ محمد بك كرد على

بقية ما نشر فى العــدد الماضى

وعاد المؤلف فعقد فصلا فى الأعمال التى تبرز فيها المرأة على الرجل ، وهى الاحسان وتمهد المرضى وتربية اليتامى إلى غير ذلك من أنواع البر . ومما نقله لمديرة عصبة الخير أن الناس يتوخون أن يعرفوا ما نشكو منه من الأوجاع ، وما تشكو منه كل الأمم ، ومنشؤه افلاس تربية القلوب ، فقد وسع القائمون بالتربية درجات الذكاء بالتأديب الذى أدبوا الناس به ، وشددوا فى تلقين التربية الجسمية ، وظنوا فى ذلك الكفاية وهو دون حدها . فقد رأينا فى العهد الأخير أن خمسمائة مليون طن من الحنطة جعلت وقوداً ، أو ألقيت الى البهائم تقضمها ، على حين نجد ملايين من البشر فى الصين يموتون جوعاً . وألقوا فى البرازيل ٤٩٥٠٠ كيس من البن فى البحر ، ثم ٦٠٠٠٠ ألفاً جعلوها سماداً للأرض . وأبادوا فى ألمانيا مقادير من السكر . ودفنوا فى أوستراليا مليون خروف فى الأرض لئلا يستفاد منها ؛ وفى كل مكان يطرحون الأثمار والبقول والأسماك التى لم تنفق ، أو التى زادت على الحاجة ، ولا يفكرون فى أن بيوتا كثيرة تشكو الموز وتصاب بالمخمصة . ويزيد هذا الانحطاط فى الأخلاق كل يوم ، وتزيد معه وياللأسف هذه الأنانية كغيرها من النقائص التى تئن منها الانسانية ، وتردها الى أرذل أطوارها . فالشعور بالاحسان والأخاء سواء فى الحكومات أو فى الشعوب لم يستثمر ولم يرب . وعصبة الاحسان تعاون على تربية عقلية الأطفال فى المدارس التى تربى على حب الفضائل . وتعلُّم الاحسان ضرورى فى الحياة الاجتماعية كتعلم الصناعات والأعمال

وأفاض فى وصف عقليات الأمم التى تخالف العقلية الفرنسية ؛ فما قال فى وصف عقلية الأمريكان فى الولايات المتحدة إنها مخالفة كل المخالفة لعقلية الفرنسيس فى مسائل الزواج ، فالزواج عند الفرنسيس بالنسبة إلى العزب نوع حديث من الحياة يتحتم أن يكون ثابتاً يسبقه على الأكثر شعور صادق عميق ، اللهم إلا عند بعض شباننا فى السنين الأخيرة . وأغلب الأمريكيين والأمريكيات (ما خلا الفلاحين والعملة فى المدن وجمهور الفقراء) يعتبرون الزواج فقط حادثاً يبقى ما تيسر له البقاء ، ويمكن حله لأسباب تافهة ، أو لأنه فقد فيه الرضا ، كأن الزواج عندهم بحسب ما عرف شامفور الحب تعريفاً فيه سخرية بقوله إنه « تبادل هويتين واحتكاك بشرتين » . وليس من النادر فى الولايات المتحدة أن امرأة ورجلا كانا بالأمس لا يعرف أحدهما الآخر أن يتلاقيا ذات صباح ويتأهلا فى نفس ظهر ذاك اليوم بمعرفة القس الذى يجمع وظيفة ضابط الأحوال الشخصية إلى وظيفته

ووضع فصلاً عنْونَ له « كلمات للتأمل » جاء فيه أن مدام ما كدلين شوميون قالت فى جملة مقالات لها فى جريدة النهار البارزية : إن الفتاة عندما تبدأ فى فهم الحياة تتمثل أن تدخل فى ميدانها وحيدة بدون معين ولا استنصاح أحد . فيقال إنها تريد أن تعيش مستقلة وأنها تتجافى عن قبول آراء غيرها وتوبيخ أهلها ، وأنها تود أن تعمل لتربح مالا وتنفق على هواها ، وأن تبدو للناس ، وتسيح إذا اقتضت الحال ، وهذا غاية أمانيها . وهذا الجمهور الذى لا يحصى من الفتيات والنساء ممن يخرجن عن أطوارهن هو الذى يدعونا إلى اللهفة والأسف . ولقد رأينا محاميات انقلبن خادمات فى البيوت ، ولدينا براهين كثيرة على أنه خير للمرء أن يحسن صناعة من أن يحمل شهادات حسنة . ولقد نال كثير من النساء لقب دكتورات فى الحقوق فأصبحن كاتبات بسيطات على الآلة الكاتبة . يتعلمن علماً كثيراً ولا يعرفن احتياجهن على كسب قوتهن . وذكر المؤلف ما تحمله السينما من المفاسد ، ولا سيما للفتيات والصبيان ، وقبح الأبوين اللذين يستصحبان أولادهما لمشاهدة هذه المناظر التى لا تعلم فى الأكثر إلا القبائح والمفاسد

وروى ما قاله اميل بيكارد العالم الطبيبى الرياضى أن مستوى الأخلاق فى الجنس البشرى يسفل بمقياس واسع ، ولعلهم يقولون إن ذلك نشأ من الحرب العظمى ؛ والحقيقة أن هذه الحرب لم تعمل غير تعجيل هذا الفساد كما عجلت فى مسائل أخرى . وانتهى الحال ببعضهم أن ادعوا أن ذلك نشأ من العلم ، وهذه الدعوى تصدق ببعض الشىء ، ذلك لأن الآلة قد احدثت جنوناً فى الانتاج الصناعى ، فان السرعة التى تمت فى المسائل الفنية لم تسمح للزمن أن يعمل عمله . والزمن يهزأ بشىء يعمل دون تدخله ، بل ينتقم من صاحبه . ولم تكتف الآلة باغراق العالم فى الرفاهية

بل قامت مقام الانسان المنتج القوى ، وأبطلت فى الانسان اعتياد العمل الشاق العميق الطويل ، فأصبح سطحياً واستفرقته السهولة ، وما نمت فيه القدرة المادية بل قل فيه العنصر الأخلاق ، والجسم إذا اتسع توقع أن يكون له ملحق من الروح كما قال برجسون . وقد احتقرت الوطنية والتجارب وفقدت الحرمة الناتجة من الصبر والسن واختلاط العبقرية المريضة بالعبقرية السليمة وهى وليدة القوة

ونقل أقوالاً لعظماء من علماء العصر الحاضر تأييداً لقضيته ؛ ومنها أن نصف علم يحرزه المرء يتولد منه من الأوهام ما يكون أضرّ على صاحبه من الجهل ، لأن صاحبه يكلب على العمل فلا يأتى بكبير أمر ، وتزداد عاقبته الشؤمى بالضرورة لامتزاجها بالمصالح الشخصية والشهوات والأهواء الرائجة فى سوء الجدال الاجتماعى ، وما يتبعه من عبث العابثين بالسياسة المتجرين بها . وحمل على الاشتراكية التى تحارب المثمرين والمتمولين ، وتحاول القضاء على الطبقات الاجتماعية ، وعلى رؤوس الأموال ، وعلى النفرة من الحرب ؛ ونقل أن رؤوس الأموال إذا انعدمت تموت الاشتراكية ، لأنها لا تجد ما تحاربه فلا يبقى لها ماتقسمه من المال بين الاشتراكيين ؛ والاشتراكية تؤدى إلى « البلشفة » البشعة . ومن المتعذر قيام الدعوة الاشتراكية إذا فقد المال ، ولا شيء يعمل بلا مال . وما البلشفة إلا وضع حياة البشر فى يد عصابة تزعم أنها تمثل الدولة . ومعنى ذلك بسط السلطة العامة على الناس فى كل أمر يصدر من مصادر خفية . وقال هذا جنون شرقى ينساب على التدريج فى عقل الغرب

وختم كتابه بفصل فى انتشار العهر والأسباب الداعية إليه فى الغرب . وقال فى الخاتمة إن الفرنسيس ما خلا أربعة أو خمسة آلاف امرأة ومثلهن من الرجال يطمعون فى إعطاء حق التصويت للنساء لا يهتمون بتة فى منح الحقوق المزعومة للمرأة لادخالها فى الحياة السياسية . ويخشى اذا تمتع النساء بحقوق الرجال أن يقلبن أوضاع الأمة إلى التى لا تريدها ، شأن كثير من المتغلبين على الحكم فى الأمم يعملون ما تزين لهم أهواؤهم ، ويعلون إرادتهم على من يتعذر عليهم طاعتهم . وكان على هؤلاء الدعاة أن يبدأوا أولاً باقناع ملايين من النساء لا يريحه رأيهن فى الاشتراك فى الحياة السياسية . هذا والأفكار تسير سيرها ؛ ولعله يأتى اليوم الذى تستعد فيه المرأة الفرنسية للاشتراك مع الرجل فى الحياة العامة حذو القذة بالقذة . ويقضى على القائمين بهذه الدعوة ريثما تتحقق أمنيتهم أن يبدأوا باصلاح أخلاق المرأة الحاضرة وتهذيبها على أسلوب لا يقبل كل رأى يدلى به إليها ، ويحرورها على الأقل من سلطان أزيائها وتبرجها ، وأن يجهد الحاكمون أن يسيروا هذه الدعوة فى المجرى الصالح لخير المرأة والرجل والحب والسلام الاجتماعى ، ومستقبل العنصر ، والأخذ بأسباب الارتقاء الحق . والمرأة مهما حاولنا وصفها بالرقى الآن لا تخرج عن كونها تطمح فى استقرار حياتها وفى الخلوة إلى دارها ، وإن ألبسوها اليوم لباساً غير لباسها من النزوع الى الاستقلال . وقد أخذ كثير من الشبان يحولون اليوم وجههم متقززين من النساء المولعات بالألعاب الرياضية والمدخنات والشريبات والراقصات والساهرات أى من طبقة النساء ممن قد يكون فيهن العفيفات وظاهرهن أنهن بنات سرور ومرح ، ومن الطبقة التى يقول فيها الانجليز إنهن لسن نساء ولم يبلغن مبلغ الرجال

قال : أيتها المرأة إنك مهما فعلت مسوقة بنابل من الكبرياء وبعوامل أكرهتك على خوض غمار أزمة هذه الأيام لتخرجى عن حظيرة جنسك وتقطعى صلتك بمملك الأبدى السامى ، لن تكونى إلا محبة وزوجة وأماً . وإذا أنسيت رسالتك فان الطبيعة ستتولى عاجلاً أو آجلاً تذكيرك أن الأقدار ما خرجت بك إلا لتكونى شريكة الرجل ، وأم أولاده ، وجزؤه المتمم ، ونصفه ، وأحياناً الموحية اليه والمنقذة له . أنت أبداً مهد الآلام البشرية وستظلين على ذلك إلى يوم البعث والنشور ؟

محمد كرد على

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

حقن بستور فى دجاج مكروبا قديماً ضعيفاً لداء كوليرا الدجاج ، فمرض الدجاج ولكن لم يمت . وكان ذلك مصادفة . ثم حقن فيه مكروبا جديداً فتاكا فلم يمت . فتوصل بذلك إلى طريقة لتحصين الدجاج ضد الكوليرا ، إلى طريقة اللقاح أو الفكسين المعروفة اليوم

قلت فيما مضى إن بستور يضمر فى نفسه عبادة هذا الشيء العظيم الرائع الخفىّ فى هذا العالم المجهول ، وكثيراً ما ركع وسجد لهذه اللانهائية المستورة . ولكن أحيانا كان يأتيه الأمل فيطلب القمر وينسى رب السماء . وكلما رفعت إحدى تجاربه الجميلة ستاراً عن خفيّة من خفايا ذلك المجهول الضخم الرائع بأسراره ، ظن أن كل الخفايا انكشفت ، وأن كل العُقد انحلت . هكذا كان حاله ومزاجه فى هذه الساعة التى نحن فيها . إنه استطاع حقاً أن يحمى الدجاج حماية تامة من داء مميت بأن احتال له تلك الحيلة الجميلة فحقن فى الدجاج شيئاً من المكروب القتّال بعد تأنيسه وإضعاف شرته ، ولكنه ما كاد يستيقن من نجاح حيلته حتى قال لنفسه : « وما يدريني ؟ فلعل مكروب هذه الكوليرا يحمى الدجاج من كل داء خبيث آخر » . وما عتم أن حقن عددا من الدجاج بمكروب الكوليرا بعد إضعافه ، ثم أتبع ذلك بحقنة من مكروب الجمرة الخبيث ، واصطبر فلم يمت الدجاج !

فهاج وماج وكتب إلى أستاذه القديم دوماس ، ولمح له أن مكروب كوليرا الدجاج قد يكون لقاحا عاما يُحصِّنُ من كل الأدواء . وكتب اليه يقول : « فاذا تأكد هذا ، جاز لنا أن نأمل من النتائج أخطرها ، حتى فيما يتعلق بأدواء الانسان »

وفرح دوماس الشيخ بالذى قرأ ، فنشر الخطاب فى التقارير الرسمية لأكاديمية العلوم ، وها هو ذا إلى اليوم ماثل فى صفحاتها ، يشهد باندفاع بستور وتسرّعه ، ويكذّب من يقول إن بستور لا يقول دائماً إلا حقاً . ولقد بحثت ما استطعت فلم أجد أن بستور استردّ الذى قال ، ونفى الأمل الخادع الذى أحيا فى الناس . وبستور لم يطل به الزمن بعد ذلك طويلا حتى عرف خطل هذا الرأى ، واستيقن من أن النوع الواحد من البشلات لا يحصّن من كل الأمراض على نحو ما كان ادّعى ، وإنما يحصّن من المرض الواحد الذى هو سببه ، وحتى هذا قد لا يدفعه أحياناً

ولكن كان من خصائص بستور المحمودة أنه كان كلما انهدم له أمل ، قام على أنقاضه له أمل جديد ؛ وإذا احترق له رجاء ، انبعث له من رماده رجاء طريف . يحلّق به الخيال الوثاب حتى يصل به إلى السحاب ، ثم يخونه جناحاه ، فيهوى كالقنبلة على الأرض ، فتحسب هذا الدوىّ هو آخر ماتسمع منه ، ثم لا تلبث أن تراه قائماً من تلك الأنقاض على رجليه ، يجرى التجارب البارعة ، ويبحث بجد عن كل حقيقة صلبة صماء . لذلك لا تستغرب أن تسمع أنه فى عام ١٨٨١ كان يعمل مع عونيه رو وشمبرلاند ليكشف عن طريقة جميلة لتأنيس مكروب الجمرة وتحضير لقاح منه . فبمجيء هذا العام اشتد البحث وراء الألقحة اشتداداً لم يدع لرو وصاحبه وقتاً لراحة . حتى الآحاد اشتغلاها ، وأيام العطلة لم يتعطلاها ، والأجازات تجنباها ، وناما فى المعمل إلى جانب الأنابيب والمجاهر والميكروبات . وهنا ، وبارشاد بستور ، أضعفا بشلة داء الجمرة إضعافاً متدرّجاً . فمن الضعيف ما قتل الخنازير الغينية وأبقى على الأرانب ، ومن الأضعف ما قتل الفئران وأبقى على الخنازير الغينية . وحقنا الميكروب الأضعف فى الخراف ، وأتبعاه بالأقل ضعفاً ، فمرضت الخراف ولكنها شفيت ، وبعد ذلك صمدت على ما يظهر لمكروب الجمرة القوى الذى يقتل الأبقار

وما لبث بستور أن أذاع نصره الجديد فى أكاديمية العلوم — وكان قد ترك أكاديمية الطب بعد عراكه الذى كان مع الدكتور جيران — وبشر لهم بلقاحات يرجو استحداثها قريباً تمحو كل الأدواء ، من النُّكاف إلى الملاريا . وصاح فيهم : « وهل أيسر من لقاح الجمرة هذا ! سموم تُضعف بالتدريج من شرّتها

فتعطى الخراف والأبقار والخيول بعض الداء دون أن تقتلها ، ثم تتعافى ، فتمنى من الداء أبداً ! » وظن بعض زملاء بستور أنه يبالغ فى يقينه ، ويغلو فى ثقته بهذا اللقاح ، وتجاسروا على الجهر برأيهم ، فانتفخت أوردة بستور فى جبهته ، ولكنه كظم غضبه هذه المرة واستطاع أن يحبس لسانه حتى خرج هو ورو وسارا فى الطريق إلى منزليهما ، وعندئذ انفجر بستور على هؤلاء وعلى أمثالهم ممن يعجزون عن الايمان بالحق المحض الذى احتوته فكرته قال : « أنا لا أعجب إن أنت ذهبت إلى منازل أمثال هؤلاء فوجدتهم يضربون أزواجهن ضرباً »

صدّقنى ، ما كان العلم لدى بستور جمع الحقائق بنفس مطمئنة باردة ، فقد أثار فيه نفس الشىء الذى يثير الحيوان الآدمى إلى البكاء عند موت طفله ، أو إلى الفرح والغناء عند نعى عم أو خال قد ترك له من بعد موته نصف مليون دولار

وأخذ أعداء بستور يتبعون أثره ليثأروا منه شر ثأرة . ولم يكن أعداؤه من الأطباء فحسب ، بل كذلك كان البيطريون وهم رجال لهم مقام فى الناس ونفع لهم . أساء بستور إلى هؤلاء وهؤلاء فتصدى له بيطرىّ فنصب فى طريقه فخا عظيما وأغراه بالوقوع فيه . وكان اسم هذا البيطار روسنيول Rossignol . قام ذات يوم فى الجمعية الزراعية بميلان Melan يغرى بستور باجراء تجربة عامة ، يجريها على الملأ فى سبيل العدالة العلمية ظاهرا ، وفى سبيل القضاء على بستور وأم بستور باطنا . قال للجمعية : « إن بستور يقول إن أسهل شىء فى الدنيا صنع لقاح يحصن الشياه والأبقار من داء الجمرة تحصينا كاملا . فان حق هذا القول عاد على زرّاع فرنسا بالنفع العظيم ، ووفّر عليهم عشرين مليون فرنك يخسرونها كل عام بسبب هذا الداء . إن بستور لوكان يستطيع حقا إخراج هذا اللقاح العجيب ، لما وجد على نفسه غضاضة أن يثبت لنا أنه يستطيعه . فهيا بنا ندعوه إلى تجربة عامة يجريها فى الجمهور ، فان أصاب كان لنا الغنم نحن معشر المزارعين والبيطريّين ، وإن خاب سكت عن هذه الثرثرة الكاذبة ودعاويه الباطلة عن كشوفات هائلة تُنجِى من كل شىء ، من ديدان الأرض إلى حيتان الماء » . هكذا تمنطق هذا البيطار الماكر

وسرعان ما جمعت الجمعية مالا كثيراً لشراء ثمانٍ وأربعين شاة ، وعدد من الأبقار ، وجَدْيَين ، واختارت البارون دى لا روشت de la Rochette لمكانته وشهرته ، فبعثت به إلى بستور ليدخل اليه من عُجبه ليوقعه فى هذه التجربة وفيها من الخطورة ما فيها

ولم يشعر بستور أبداً بالذى يراد به ، فقال للبارون : « بالطبع أنا راضٍ بالذهاب إلى جمعيتكم لأريكم أن لقاحى ينقذ الحياة — إن علاج أربع عشرة شاة فى معملى لا يفترق عن علاج ستين فى ميلان ! »

هذا هو الشىء الغريب العظيم فى بستور : يريد أن يخرج البيضة من الديك ، والأرنب من القبعة ، ويدهش العالم ، فيقوم بكل هذا فى اخلاص عظيم وإيمان بما يصنع كبير ، كان عرّافاً كبيرا بارعاً ، وكان يجوز عليه أن ينزل فى سبيل ذلك أحياناً إلى ملاعيب بهلوانية يسيرة ، ولكنه لم يكن يعمد إلى التدبير والتخطيط لشىء من هذا أبداً . وتعيّن موعد امتحانه فى الملأ ، فكان مايو ويونيه من ذلك العام

وكان رو وشمبرلاند قد تعبا من العمل المتواصل تعباً كبيراً أثر فى أعصابهما ، فأخذا يريان رؤى مفزعة ، فتارة تفلت فى النوم إلى الأرض من أيديهما قبابة خطيرة بالذى فيها ، وتارة يجدان نفسهما ينظران إلى حيوانات غريبة نصفها دجاجة ونصفها الآخر خنزير . أو لا يأتيهما النوم فيأخذان فى حقن اللابين من الأرانب وهم فى الفراش راقدون ، فلما ساء حالهم إلى هذا الحدّ طلبا الراحة فى الريف ، وما كادا يستقران فيه حتى جاءهما التلغراف الآتى :

« أرجعا إلى باريس حالا . على وشك تجربة عامة أن لقاحنا يحمى الشياه من الجمرة — ل . بستور »

فرجعا مسرعين . فقال بستور للقوم : « فى مزرعة پوييلوفرت Pouilly-le-fort ، وفى حضرة الجمعية الزراعية بميلان ، سألقح أربعاً وعشرين شاة وبضع بقرات وعنزة واحدة . وسأدع بدون لقاح مثلها فى العدد عنزة وشياها وأبقارا ، فاذا جاء الوقت الموعود سأقوم وأحقن كل هذه الحيوانات بأخبث زريعة لدينا من بِشِلّة الجمرة ، أما الملقّحات فستكون فى حمى من الداء ، وأما الأخرى فستموت طبعاً فى يومين أو ثلاثة . » تحدّث بستور

كالفلكي يتنبأ بكسوف الشمس

قال صاحباه : « ولكن يا أستاذنا إنك تعلم أن عملنا هذا كالمشي على الصراط ، فنحن لا يمكننا أبداً أن نأمن أمناً تاماً إلى ألقحتنا ، فهي قد تقتل الشياه التي نريد أن نحميها . . . »

فزعق بستور فيهما : « إن اللقاح الذي يعمل بنجاح في أربع عشرة شاة في معملنا لا شك ناجح في خمسين شاة في ميلان » . فانه عندئذ لم يرد أن يسمع بالخيبة ، أو يذكر أن الطبيعة لها سر لا يُفشى وخدعات لا تؤتمن ، أو أن الغيب قد يخبئ كثيراً من المثرات ويأتي بكل غريب لا يُحتسب . بل لقد تراءى هذا الغيب في عينيه رائقاً كالماء ، شفافاً كالهواء ، سهل القراءة كما تقول اثنان في اثنين ينتجان أربعة . فلم يكن لرو وشمبرلاند بد من رفع الأكمام وكشف السواعد والأخذ في تجهيز الألقحة

وجاء يوم الامتحان الأكبر ، فكانت المحاقن جاهزة ، والقبابات حاضرة ، وكل قبابة عليها اسمها . وصاح بستور فيهما وقد همّوا جميعاً بركوب القطار : « إياكما ياولديّ أن تخلطا بين الألقحة » . وكان قلبه مليئاً بالثقة ووجهه يطفح بشرا . ولما بلغوا بويي لوفرت Pouillz-le-Fort ، وصلوا إلى الحقل الموعود حيث الثماني والأربعون شاة وبضع الأبقار والمعزتان ؛ تقدم بستور إلى إلى الميدان ، فدخله دخول مصارع الثيران ، وانحنى وطيئاً للجمهور المحشود ، وكان فيه أعضاء من مجلس شيوخ الجمهورية ، وكان فيه علماء وبيطريون وكثير من ذوي الأحساب ومئات المزارعين . فسار بستور بين صفوفهم يمرج قليلا ـ عرجة العظم والوجاهة لا عرجة الضعف والاستعطاف ـ فحيوه تحية صارخة ، وتسخّر به قليل

وحضر جماعة من رجال الصحافة ، وكان من بينهم رسول جريدة التيمس السيد دي بلاوتز Blowitz ، هذا الرجل المعروف الذي أصبح اليوم في التاريخ كأنه شخص خرافيّ مما يحكى عنه من الأعاجيب

وسيقت الأغنام إلى فرجة من الحقل ، وقام رو وشمبرلاند إلى مصابيح الكحول فأشعلاها ، وإلى المحاقن الزجاجية فأخرجاها بحذر من لفائفها ، وجاءا بلقاح الجمرة الضعيف الأول الذي يقتل الفئران ويُبقي على الخنازير الغينية ، فحقنا منه خمس قطرات في أفخاذ أربع وعشرين شاة وفي عنزة وفي نصف البقر . ونهضت البهائم وهزّت رؤوسها ، وأعلمت بثقب في آذانها . ثم قاد بستور جموع الناس إلى إحدى الزرائب ، وخطبهم نصف ساعة خطبة فخمة في هذه الألقحة الجديدة ، وبشر فيهم بالرحمات التي تحملها الانسانية المعذّبة

ومر اثنا عشر يوماً ، وجاء الناس مرة أخرى إلى الحقل واحتشدوا فيه ، فقام أعوان بستور إلى اللقاح الثاني الأقوى الذي يقتل الخنازير الغينية ولا يقتل الأرانب[1] ، وحقنوا منه المواشي مرة ثانية ، ونهضت بعد الحقن نشيطة كما يجب أن تكون الشياه والماعز والأبقار السليمة الصحيحة ، واقترب الموعد الخطير للحقنة الثالثة ، وهي أقوى الثلاثة فتحرج جوّ المعمل ، وثقل هواؤه ، واشتد العمل على رجاله ، فجرى الحديث بينهم اقتضاباً من وراء المصابيح . وصمت بستور صمتاً مخيفاً لم يُعهد فيه أبداً ، وكان يطلب ما يريد آمراً صارخاً يكاد ينط له صبية المعمل في انفاذه نطّا . وكان انضم إلى أعوان بستور عون جديد يسمى توييه Thuillier ؛ كان أصغرهم سناً ، فهذا كان يخرج إلى الحقل ليضع مقياس الحرارة تحت أذيال البهائم يرقب سير الحقنة فيها ، ولكن حمداً لله لم يجد بها حُمى ، وكانت جميعاً قائمة على خير حال ، صامدة للقاح الشديد صمودا عجيباً

وبينما قلقَ رو وشمبرلاند وشاب رأسهما همّا وحذراً وانتظاراً ، احتفظ بستور بثقته بنفسه . كتب يتحدث برأيه القديم الصريح الجميل عن نفسه قال : « لو تم النجاح الذي أرجوه ، فسيكون هذا مثلا من أروع الأمثلة لتطبيق العلم على الحياة في هذه البلاد ، وسيسجله التاريخ كشفاً من أخطر الكشوفات وأكثرها ثمراً »

قال أصدقاؤه همهمة ، وهم يهزون الرؤوس ويرفعون الأكتاف : « نابليونيّات رائعة أيها العزيز بستور ! »

قال بستور : « نابليونيات ولا نكران يا أعزائي الأصدقاء »

(تتبع بنتيجة هذه التجربة في العدد القادم) **أحمد زكي**

(١) ربما احتجنا إلى تذكير القارئ بأن الخنازير الغينية أكبر من الفئران وأصغر من الأرانب

على هامش حوادث دمشق

أطفـــال دمشق

بقلم الأستاذ «ع»

لمن هذه الرشاشات منصوبة فى الميادين والطرقات ؟ لمن هذه المصفحات وهذه الدبابات ، تروح وتغدو فى الشوارع والساحات ؟ لم يحوّم فى الجو هذه الطيارات ؟

لماذا يساق هؤلاء الجنود من كل جنس وكل لون ، فمن الشقر الفرنسيين الذين علموا أمم الأرض كيف تكون الثورة على الظالمين ، وكيف تنتزع الحرية من بين أنياب الأقوياء المستبدين ؟ إلى السمر المغاربة المسلمين ، الذين جاءوا راغبين أو راهبين ، ليحاربوا اخوانهم المسلمين ؟ إلى السود السينغاليين ،

من كل أشمط تدنى الموت طلمته ينساب فى لهوات الليل ثعبانا
زعانف وعبـادید برابرة لا يعرفون لهذا الـكون ديانا

إلى الصفر المهنـدين الصينيين ؟ إلى هؤلاء (المتطوعة) أنصار الباطل ، جزاة الخير بالشر ، الذين أكلوا خبزنا وحاربونا ! ! أ كل ذلك لأن هذا الشعب الأعزل تحرك ؟ أ كل ذلك لأن دمشق غضبت ؟

تيهى إذن يا دمشق واعتزى ، فما أنت بالضعيفة ولا بالهينة ، وقد حشدوا لك مالا يحشدون أكثر منه لقوم هتلر ، وشيعة ستالين !

***

كانت دمشق يوم الجمعة صابرة تتجرع حزنها على (ابراهيم) فى صمت رهيب ، وسكوت هائل ، فلم تحرك ســاكناً ، وما دمشق بالتى تعرف أنة المكلوم ، أو استغاثة العاجز ، ولـكنها تعرف الصبر الذى لا يصبر عليه الدهر ، أو الصرخة التى تصدع الصخر ، وتخرج الميت من القبر ؛ وما دمشق بالتى تعرف هذا الاحتجاج الضعيف ، احتجاج « أوسعته شتما وأودى بالابل »... ولـكنها تتلق الضربات بصدر كأنه الجلمود لا يشقق ولا يرفضّ ولا يلين

وباتت دمشق على هذا الصمت ، فلم يمض هزيع من الليل حتى سمعت الصريخ ، فأفاقت فزعة ، تسأل :

— ما الخبر ؟

— قيل : اختطفوا (فخرى البارودى)

ابن دمشق يختطف من حضن أمه وهى نائمة ؟ . . . يا للهول الأكبر ! يا لهبّة دمشق ! يا لغضبة البطل الغَشَمْشَم !

***

أقبل أبناء دمشق بأيديهم ، وأقبلت هذه الجيوش بحديدها ونارها ، وكانت المعارك ... التى يصطرع فيها الحق والقوة ، والدم والنار ، والصدور والحديد ، فبينما معركة من هذه المعارك على أشدّ ما تكون عليه وإذا ...

وإذا ماذا ؟ ليس على وجه الأرض من يستطيع أن يقدر ماذا كان ، إلا هؤلاء الشاميون ، وهؤلاء الفرنسيون الذين أ كبروا جميعاً هذه البطولة التى لم يرو مثلها التاريخ . . .

وإذا خمسون من الأطفال الذين لا تتجاوز سنّ أكبرهم التاسعة ، ينبعون من بين الناس ، يخرجون من بين الأرجل ، منهم التلميذ ذو الصدرية السوداء والأزرار اللامعة ، قد فرّ من مدرسته وقمطره لا يزال معلقا فى عنقه ، وحمل مسطرته بيده ... ومنهم صبىّ اللحام ، وأجير الخباز ، قد اتحدوا جميعاً ، وأقبلوا يهجمون بالساطر على الدبابة وهى تطلق النار ، وهم يطلقون من حناجرهم الرقيقة بأصواتهم الناعمة ، التى تشبه الآلة السحرية التى غنّى عليها الفارابى ، فأضحك وأبكى ... هذه الأنشودة البلدية المعروفة :

وصغارنا تحمل خناجر وكبارنا عالحرب واصل
يابالوطن يابالـكفن

فوقف الناس ينظرون اليهم ، وقد عراهم ذهول عجيب . فارتخت أيديهم بالحجارة التى كانوا يقاومون بها الرصاص . . . حتى رأوا الأطفال قد تسلقوا الدبابة وركبوها فاشتعل الدم فى عروقهم ، وفى أقحاف رؤوسهم ، فأنشدوا أنشودة الموت :

« يا سباع البر حومى ... ... »

وهم يرعدون بها . فتهتز من جهجهتها الغوطة ، ويرتجف قاسيون . وأقبلوا كالسيل الدفّاع ...

ولـكنهم رأوا الدبابة قد كفت عن الضرب ، ثم انفتح برجها ، وخرج منها شاب فرنسى يبسم للأطفال ، وإن فى عينيه

لأثر الدمع من التأثر ، ويداعبهم ، ويقدم لهم كفاً من الشكولاته ، ثم يعود إلى مخبئه !

إنسانية قد توجد حتى فى الدبابات !

* * *

ورأيت فى هؤلاء الصبية تلميذاً فى شعبة الأطفال من مدرستنا ، وكان صغيراً جداً ما أظنه قد أكمل عامه السابع ، فدعوته فأقبل حتى أخذ بيدى ، وجعل يرفع رأسه إلى يحاول أن يتثبت من وجهى ، فقلت :

— لماذا عملتم هذا العمل يا بابا ؟

— فقال : أخذوا نخفى الباغودى (يريد فخرى البارودى)

— قلت : ومن قال لك ذلك ؟

— قال : أمى . وقالت لى هلّى بموت بالقصاص يفوح عالجنة (يريد : من يموت بالرصاص يذهب إلى الجنة)

— قلت : وإذا أرجعوا فخرى البارودى ، هل ترضى ؟

— قال : لأ . خلى يفوحوا (يروحوا) هدول كان ما بدنا ياهم ! (يريد فليذهب هؤلاء أيضاً ، لا نريدهم)

فسكتُّ . فقال :

— أستاذ ، ليش الاسلام مالهم عسكغ (عسكر) ؟

فأصابتنى كلمته فى القلب ، ووجدت كأن شيئاً جاشت به نفسى ، ثم صعد إلى رأسى ، ثم وجدته فى قصبة أنفى ، وآماق عينى ، ودق قلبى دقاً شديداً ، فتجلدت ومسحت عينى ، وحككت أنفى ، وقلت له :

— أنتم يا بابا عسكر الاسلام .

— قال : نحن صغار !

— قلت : ستكبرون يا بابا ، انتم أحسن منا ، نحن لما كنا صغاراً كنا نخاف من البعبع ، ونخشى القط الأسود ، وأنتم تهجمون على الدبابة ، فالمستقبل لكم لا (لهم) ... !

* * *

وبعد ، فلمن هذه الرشاشات ؟ ولمن هذه المصفحات وهذه الدبابات ؟ ولمن هذه الجنود وهذه الطيارات ؟ إنها لم تصنع شيئاً ، ففتشوا عن شىء أكبر من الموت ، لتفزعوا ... (أطفال دمشق) ! ...

« ع »

علم غير مفيـــد

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

فى النشرة الأخيرة للجامعة الأمريكية فى بيروت مقال افتتاحى عنوانه « علم الفلك — علم غير مفيـــد » وقد أوحت إلىّ قراءته أن أكتب هذه العجالة فى الفوائد التى جناها الانسان من علم الفلك . ويُلاحظ أن المتعلمين وطلاب المدارس العالية والكليات والجامعات يختلفون فى نظرهم الى هذا الفرع من المعرفة اختلافا بيّنا ، فمنهم من يقول بوجوب تدريسه والاعتناء به ، إذ فيه فوائد ومنافع عادت على البشرية بأطيب الثمار ، ولولاه لما شعر الانسان باللذة الروحية شعوره الحالى ، ولبقى نظرنا إلى الكون فى نطاق محدود ، وفى محيط ضيق ؛ وفريق آخر يقول بعدم فائدة علم الفلك ، وبأن فى تدريسه إضاعة للوقت فيما ليس فيه غناء ، وأن الأولى لنا أن نهتم بشىء يعود على المدنية بالمتاع والنفع . ولا يقف هذا الفريق عند هذا الحد ، بل يتعداه إلى الجهر بأن الاعتناء بعلم الفلك وإنفاق الأموال الطائلة على مراصده وآلاته ضرب من الهوس والسخف ؛ ويتساءل هذا الفريق قائلا : ماذا يستفيد الانسان من معرفته أن الأرض كوكب من كواكب أخرى تدور حول الشمس ، وأن لهذا الكوكب تابعاً – القمر – يدور حولها ؟ وهل يزيد فى سعادة البشر ورفاهيتهم إذا عرفوا أن لبعض الكواكب توابع كما للأرض ؟ وهل فى القول بأن فى السماء نجوما لا عديد لها بعضها أكبر من الشمس وبعضها أصغر ، وأن هناك أنظمة أخرى وسدماً ومجرات وعوالم ، هل فى كل ذلك ما يعود علينا بالتقدم ؟ هذه بعض أسئلة الفريق الذى لا يؤمن بأهمية علم الفلك ومنافعه . ويسرنى ألا أكون من هذا الفريق وأننى أخالفه وأن أكون من الفريق الأول القائل بسمو علم الفلك وبأثره الفعال فى تطور نظر الانسان الى الكون وما يحويه من أعاجيب

وفى رأيى أن علم الفلك من العلوم الواجب تدريس مبادئها لطلاب المدارس العالية والكليات والجامعات وجعله اجباريا ، حتى يخرج الطالب وقد جمع الى العلوم العملية والفنون النافعة علماً ومعلومات عامة هى أسمى أنواع المعلومات ، توسع أفق التفكير

وتنير العقل ، وتزيد فى الاعتقاد بقدرة الخالق وعظمته المبدعة .

وأرجو ألا يُساء فهم القصد من تدريس مبادىء علم الفلك لطلاب التعليم العالى ، فقد يُظن أنى أطلب تدريس الفلك على وجه مفصل حيث المعادلات العويصة والأرقام المخيفة والعمليات المرعبة . . . ! أنا لا أطلب هذا ، إذ لا يتيسر الوقوف على كل ذلك إلا لمن كان له ميل الى الرياضيات ورغبة فى الطبيعيات وولع فى علم السموات . ولكن أقول إن علم الفلك برغم دقة بحوثه وما يحويه من عويص الموضوعات فيه كثير من البسائط سهلة التناول قريبة المأخذ تسهل الاحاطة بها وفهمها بدون تكلف أو صعوبة فنية . وهذه هى التى أدعو الى إدخالها فى مناهج التعليم العالى حتى يخرج الطالب ولديه فكرة عن هذا الفرع السامى مما يعود عليه بأجل الفوائد من الناحية الروحية والمعنوية فيرفعه إلى الى ما هو أسمى من عاله وأعلى من محيطه المادى

ولعلم الفلك فوائد عدة جليلة أهمها أنه وسّع نظر الانسان وأفق تفكيره فى الكون ، وجعله يدرك بوضوح وجلاء أن الكون وما يحويه من أجرام تسير على أنظمة ثابتة لا تتغير وأن الظواهر الجوية والطبيعية لا تحدث عفواً واتفاقاً ، بل إنها سائرة حسب قوانين ونواميس لا فوضى فيها ولا شذوذ ، عرف الانسان بعضها ولا يزال يجاهد فى معرفة البعض الآخر ، وأصبح فى استطاعة الفلكى أن يتنبأ عن الخسوف والكسوف وغيرها من ظواهر الطبيعة قبل حدوثها ووقوعها بعشرات السنين

لقد كان العلماء فى القرون الماضية يعتقدون أن أكثر ما يجرى فى هذا العالم هو من قبيل المصادفة وأن ليس هناك نظام شامل أو ناموس مسيطر ، ولكن بحوث علم الفلك أفسدت هذا الاعتقاد وأقامت الأدلة على بطلانه ، فثبت أن كل ما يجرى حولنا سائر على أنظمة خاصة وسنن ثابتة ، وأن ما يسيطر على أصغر أجزاء المادة يسيطر على أكبرها ؛ فالنظام الذى تسير عليه الذرة بألكتروناتها ونواياها هو النظام بعينه الذى يسير بموجبه النظام الشمسى والنظم الأخرى بكواكبها ونجومها وشهبها ونيازكها ، وهذه الفائدة هى من أجلّ الفوائد التى جناها العالم من علم الفلك ، فكانت سبباً فى تقوية إيمانه بوجود قوة خارقة منظمة مبدعة عن طريق البحث والاستقصاء والتفكير العميق

وكيف لا يكون علم الفلك علماً مفيداً وقد حذر الانسان من الانخداع بالظواهر وعدم الاعتماد عليها فى كثير من الأحيان وعلمه كيف يعمل العقل والفكر فى اكتناه حقيقة هذه الظواهر والوقوف على أسباب حدوثها . ألم يعتقد الانسان فى العصور الأولى والمتوسطة بأن الأرض هى محور هذا الوجود ، وأن الشمس وغيرها تدور حولها ، وأن كل شىء فى هذا الكون تابع للأرض ، فهى مركز دائرة هذا العالم والعنصر الأساسى فيه ؟ كان هذا الاعتقاد سائداً يدين به كثير من نوابغ العلماء وفحول رجال الفكر ، وبقى الأمر على هذه الحال إلى أن تقدم علم الفلك فرمى بهذه الأوهام عرض الحائط وبيّن للناس أن الأرض ليست إلاّ ذرة تدور فى فضاء الله الواسع ، وأن الشمس وكواكبها وتوابعها ليست إلا جزءاً يسيراً جداً من هذا الكون الذى لا يعلم مداه إلا العليم القدير . لقد بيّن لنا علم الفلك أن الانسان جرم متوسط بين الكوكب والذرة ، وأنه يستطيع بفضل ذلك وبفضل ما وهبه الله من قوى روحية ومعنوية أن يدرك حقيقة الأشياء الصغيرة من جهة والكبيرة من جهة أخرى ، واستطاع فوق ذلك أن يعرف الشئ الكثير عن حركات النجوم وطبائعها والعناصر التى تتكون منها ، وثبت له أن النجوم ليست إلا معامل كيمياوية وبوادق هائلة ذات حرارة عظيمة جداً من الصعب تصورها ؛ وقد يأتى يوم يستطيع فيه الفلكى أن يكشف أسراراً مغلقة عن كيفية تفاعلات عناصرها بعضها مع بعض ، وسيجدون فى هذه الاكتشافات ما يعود على البشرية بخير عميم . وما يدرينا لعلهم يستطيعون من دراسة النجوم وكشف غوامضها أن يقفوا على سر الحياة وهو ما يصبو إلى الوصول إليه كبار العلماء وعباقرة الفلاسفة ونوابغ المفكرين

والذى لا أشك فيه أن فى إدراك الانسان لبعض هذه الحقائق وفى وقوفه على النواميس والأنظمة المسيرة لهذا الكون فى صغار محتوياته وكبارها لمن العوامل الرئيسية التى جعلته يسيطر على كثير من عناصر الطبيعة وأفعالها ، ومن هنا نتجت فوائد مادية عجيبة لم تكن فى الحسبان ولا خطرت على قلب إنسان . وزيادة على ذلك استطاع الفلكيون أن يصلوا إلى نتائج باهرة فى تاريخ الكون وعمره فثبت لهم أن الانسان لا يزال عند مبدأ حياة جنسه ، وأنه لا يزال عند فجر يقظته العقلية ، وأن تاريخه كله ليس إلا طرفة عين إذا قيس بأعمار النجوم ، وأنه ليس فى استطاعته أن يتفهم كل عجائب الأكوان وغرائب الوجود ، ولما يمض على ظهور عقله إلا دقة واحدة من دقات ساعة الفلك ، وأنه كلما تقدم

في الزمن وقف على مدهشات وعجائب تحير العقل ، وتخلب اللب ، وتثير الدهش ، وتزيد في العبر

والآن ... وبعد أن ظهر لك بعض الفوائد التي جنتها البشرية من هذا العلم السامي المبني على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وبعد أن تبين لك أثر بحوثه على عقلية الانسان ، بعد كل ذلك هل من الانصاف أن يقال إنه علم غير مفيد ؟

أوليس الانصاف والعدل يقضيان على الانسان أن يعترف بسموه وسحره الحلال الأخاذ ؟

أليس الوقوف على أسراره ومحاولة كشف غوامضه مما يزيد المرء اعتقاداً بضآلته وشعوراً بأن الواجب عليه أن يكون كثير التواضع وفي الذروة العليا من سمو الخلق ؟

ثم أليس هذا التواضع وذاك الخلق السامي من العوامل الأساسية في سعادة البشر وطمأنينتهم ؟

وأخيراً أليست السعادة والطمأنينة هما الغاية التي يصبو اليها الانسان على سطح هذه الكرة العجيبة ... ... ؟؟

(نابلس) قدري حافظ طوقان

بيوولف
BEOWULF

أقدم ملاحم الانجليز الشعرية

للأستاذ حسن عبد الحليم اليماني

تمهيد تاريخي :

يرجع أصل الانجليز إلى قبائل الانجلو سكسون التي كانت تنزل الأراضي المنخفضة الألمانية في الجزء الممتد من مصب نهر الالب إلى شاطئ البلطيق ، وذلك قبل أن يدعوهم البريتون سكان الجزر البريطانية الأصليون في عام ٤٤٩ م لطرد قبائل الغال التي وفدت على بلادهم مستعمرة . وحلا لهم بعدها البقاء ، وتكاثروا حتى غلبوا أهل البلاد على أمرهم ؛ فبرزت إلى الوجود ثلاث ممالك انجليزية ضمت تلك القبائل المتفرقة ؛ وهي ممالك : نورثمبريا ، ومرسيا ، ووسكس Northumbria, Mercia and Wessex ، وذلك في أواخر القرن السادس الميلادي . وكان الانجليز قد حملوا معهم نصيباً من الأدب المتوارث تواتراً عن موطنهم الأول . ولم تكن لهم حروف صالحة لتدوينه ؛ حتى إذا اعتنقوا المسيحية ، عرفتهم إلى حروف الرومان الهجائية ، فسجلوا بها ما وعته حوافظهم من ذلك التراث . وقامت في هذا الصدد محاولات ناجحة ، ازدهر بها سوق الأدب ونفق ، وخصوصاً على يد أهل نورثمبريا التي قامت على رعاية الأدب وحفظه ، فدونوا الملحمة الشعرية « بيوولف » التي سنتكلم عنها كما سجلوا غيرها من آدابهم وتواريخهم . وتمت تلك الحركة إلى أن صدمها الغزو الدانماركي الذي عاود البلاد مرتين ؛ ثم شلها بعده الغزو النورماندي عام ١٠٦٦ م ، فأوقف نماءها قرابة قرن ونصف قرن . فالذي خلص لنا من تراث ذلك العهد إنما يمثل لنا في صدق صميم الروح الانجليزية ، قبل أن تسمها مياسم جديدة من أثر الاختلاط بين الانجليز والبريتون ثم بينهم وبين الدانماركيين والنورماند اجتماعياً وسياسياً ؛ وقبل أن تطبعهم المسيحية بطابعها . كما أنها ترسم لنا تلك المحاولات الأولى التي قام بها الانجليز في سبيل تدوين أدبهم والتعبير عنه ؛ وتوقفنا على التدرج الطبيعي الذي لازم تلك الجهود من دور إلى دور

بيوولف

بيوولف ملحمة شعرية طويلة فيما يزيد على ثلاثة آلاف بيت نظمت – على الأرجح – في مستهل القرن الخامس الميلادي ، قبل أن يزايل الانجليز موطنهم الأول إلى بريطانيا . وطابعها المميز لا يقوم على أنها أقدم قصائد الانجليز عهداً ، بل على أنها أصدق صورة للمجتمع الانجلوسكسوني القديم ، توضح لنا في جلاء حياة القوم في وطنهم الأول ، وترسم لنا أخلاقهم وعاداتهم ، وتنفذ إلى أكواخهم ودخائل معايشهم ، وتسجل تاريخهم وأيامهم . فقيمتها لهذا لا ترتكز على الناحية الفنية فحسب . أما عبارتها فأنيقة موجزة ، تطرد كل الاطراد مع الموضوع الذي تؤرخه وتروي حوادثه الحربية ، في سرعة وتسلسل لا يفقدانها توازنها ، أو يمتان إلى سطورها مللا وسآمة . وهي وإن كادت تخلو من التشبيهات التي لا تعدو خمسة ، فيها كثير من الاستعارات الجميلة البسيطة . والشعر السكسوني لا يأبه للوزن والقافية ، وإنما يعتمد كل الاعتماد على النبرات والمقاطع المشددة ، يكاد يلتزمها في كل جزء من أجزاء البيت ، فلا يكاد يخلو جزء من ثلاث كلمات مشددة ، تتشابه كلها في حرفها الأول غالبا

وبيوولف قطعة رائعة نادرة من الأدب القديم ، ظلت حبيبة إلى قلوب الانجليز ومشاعرهم خلال عدة قرون ، وإن كادت تختفي اليوم وتنسى إلا من كتب الأدب . وكثيرا ما أوحت إلى الشعراء وأمدتهم ببضاعة حية زاخرة ، وآخر من نلمس أثرها فيه منهم شاعر اسكتلندا الكبير وليام دنبر William Dunbar (من حوالى سنة ١٤٦٠ إلى سنة ١٥١٣ م) . وهي إلى هذا لا تخلو من سطوة الخرافة عليها ، شأن الملاحم القديمة ، تلك الخرافة التي أنتجها الخيال الآرى الخصب ، والتي تظهر لنا واضحة جلية في آداب الاغريق والرومان والتيوتون (آباء الأنجلوسكسون) ، والتي نراها تتسلل إلى أساطير الفراعنة أيضاً . وهي في كل حالاتها تحاول أن تمجد الانسان وترفعه — على صور عدة — إلى مصاف الآلهة وأنصاف الآلهة ، وحتى تنتظمه وإياها في وشائج وأنساب متشابكة متداخلة ؛ على أن أسطورتنا هذه لا تسمو ببطلها إلى حيث يختصم الآلهة ويتنضل الأرباب ، بل تقنع بتوجيهه إلى أغوار الجن والمردة ، يصارعها وتصارعه ، حتى يغلب أشدها مراسا وأقواها أيداً

ولغة القصيدة لا تكاد تفهم اليوم ، فقد نبتت واستوحشت . وحوادثها تدور حول البطولة الوثنية وحول حياة قبائل البلطيق فتتخذ لها مسرحا أرض زيلند وجوتلند وخليج البلطيق الذي يفصلهما .

حكم زيلنـــد [١] — في الماضي السحيق — الملك رونجار Hrothgar وكان أبدا مظفراً في حروبه ، ظاهرا في غزواته ، تضفي عليه تلك اسماً عريضاً ، وتدر عليه هذه أسلاباً وغنائم ، حتى إذا أتخمه الخير ، وفاضت خزائنه غنى ، ابتنى له ولفرسانه قصرا منيفاً Heorot جميل الأبهاء فسيح الأرجاء ، موشى الجوانب مستفيض الرونق ، يقيمون فيه نهارهم لاهين فرحين ، وليلهم قاصفين ثملين — وإلا فمن أولى من الأبطال الميامين بساعات تروّح عنهم أكلاف الحرب وأثقال النزال ؟

قام القصر على أرباض شاطئ رملي ، ينداح حتى ينتهي إلى مجاهل موحشة ، تتاخم أغوار الماء حيث يقيم المارد جرندل Grendel المخيف في رفقة أمه ، وكان الفرح والنور أعدى أعداء ذلك المارد ؛ جرى في دمه بغض متأصل لهما ، ما يكاد ينفذ إلى حواسه منهما دبيب أو بريق ، حتى يثور داؤه ، وحتى يود لو التهم هذا القصر الذي ما عرفت حياته غير الفرح والنور ، وبعث به إلى فمه لقمة تنساغ بالبرد والراحة إلى جوفه . وبيّت أمراً ما زال يتربص له الفرص متلصصاً حول القصر ، حتى إذا آنس من أهله غفلة ران بها عليهم كرى ثقيل ، وذبلت الأضواء وخرس الصخب ، انساب إلى القصر خفياً ، ثم كرّ عنه وفي قبضته ثلاثون فارسا . حتى إذا تنفس الصبح ألهب القصر شجى وأقام بأرجائه مناحة !

وتمضي اثنا عشر عاما قاسية مريرة ، يفجع فيها المارد قصر هيوروت Heorot في كل ليلة ، وينفلت سالما في كل مرة بضحاياه لا تطفأ له حفيظة أو يرد سغب ، حتى أوشك القصر أن يقفر من رجاله ، وحتى تهاوى الملك رونجار منحدرا إلى الضعف والهرم ، يثقله الحزن وتتلقفه الفواجع وترامت الأنباء وملأت الأسى كل قلب ، حزنا على ذلك الملك المجيد ، وعلى ما ألم به من مصائب لا تكاد تبين !

وفي قصر هايجلاك Hygelac ملك جوتلند ، حيث يعيش قريبه الفتى بيوولف Beowulf ترددت أنباء الفجيعة ، فدلفت من أسماع الفتى إلى قلبه ، وحركت فيه توقا إلى ملابسة هذا المشهد ، وإلى الاستمتاع بمصارعة ذلك المارد ، الذي طغى وطغى حتى لا مزيد على طغيانه . كان فتى خارق القوة ، يختزن كفه بأس ثلاثين رجلا ، يملك على نفسه حب المخاطرة سميا وراء الاسم ونشوة النصر ، وفي خمسة عشر من صفوة رجاله احتواه السفين لجرا ، ميمما مملكة زيلند ، حتى طالعتهم صخورها تلتمع في أضواء الغسق الخفيفة في فجر اليوم التالي . وقابلهم حارس الشاطئ في شك ، وما عتم أن صحبهم إلى القصر كما طلبوا . وهنالك على الأبواب ألقوا بتروسهم ومزاريقهم ، وخفوا إلى لقاء الملك في خوذاتهم الذهبية ، وقد زادتهم بهاء وروعة « ودب إلى رونجار بمرآهم دبيب الصبا وعاودته أحلام الفتوة » وأفضى إليه بيوولف أنه جاء في طلب المارد ، عله يريح الشعب الصديق من شره وأذاه . ورحب الملك بمعونته شاكرا . ودوّت أبهاء القصر مرحبة بالضيوف البواسل ، ومضى النهار وشطر من الليل في قصف وشراب وغناء ورقص . حتى إذا دنا موعد قدوم المارد تسلل كلٌ إلى فراشه وخلا البهو لبيوولف ، يلتفع الظلال ويتخفى بها متحفزاً للقاء معداً له عدته

برز المارد من مكمنه فما هي إلا أن ولج باب القصر ، حتى

(١) عربت هذا الملخص في قليل من التصرف عن المستر . ج لوجي روبرتسون .

احتواه بهوه ، تومض عيناه شررا ، وتنطلق ضحكاته عريضة ، وقد وجد سبيله ممهدا ؛ فالكل غاف مستغرق . وتناول أقرب النوّام إليه فعبّ دمه ثم التهمه ، ودار إلى فريسة أخرى ، وإذا بقبضة بيوولف الجبارة تشل ساعده . أذهلته الفجاءة ، ولكنه ما لبث أن أفاق إلى صراع عنيف مع بيوولف – واهتز القصر تحت أقدامهما ، وتهاوت السرر ، وتحطمت المقاعد ، وفزع النوّام على ذلك المشهد المروع . وجاهد المارد طويلا واستجمع بطشه ، لا ليحطم بيوولف كعهده ببني البشر ، وإنما ليقنع بالافلات تاركا لقبضته كتفاً مخلوعا وذراعاً مفصولا !

وجاء الفجر ، فخرج بيوولف برجاله فى أثر دمائه المنزوفة ، وهنالك على الشاطئ طالعهم الماء أحمر قانيا وقد صبغه الدم المسفوك ، فأيقنوا أن المارد قد ودّع الحياة إلى القاع قبرا يطويه ، فلا نشور له ولا رجعى . فيا للفرح يثير البلاد ويملك عليها المشاعر ! ويا لبيوولف يخب فى الخلع ، وتثقله الجوائز !

استطاعت الأجفان أن تطعم النوم فى ليلتها تلك ، ولكنها نامت عن أم ثكلى ، قرّح الدمع أجفانها ، وتحلبت شفتاها قرماً ، وعصف بها طلب الثأر . وفى هدأة الليل هاجمت أم المارد القصر ، وأهله تستغرقهم أحلام النصر ، ومضت عنه ومعها ذراع ابنها وأحد النبلاء انتقاماً للقتيل ، وإرواء لهامته ! وهب الغافلون فزعاً فاذا بها تمضى إلى وكرها كالريح الخاطف ، الأمر الذى أحنق بيوولف فأقسم ليلحقنها بابنها وشيكا

خرج بيوولف برجاله صباحاً يقتصون أثرها ، ويذرعون تلك المجاهل الموحشة ، فاذا بها أرض عذراء تكتنفها الخوانق ، وتقطعها الأخاديد ، وترقشها برك ومستنقعات آسنة ، تعج بحياتها وثعابينها ، يتحدر عليها الماء من شعب خفية فى الصخور ، فكأنه ينضح عن مزن ملئ وسحاب عاصر ، ثم تغوص هذه البرك مدومة إلى كهوف غائرة ، بينا تلتهب هنا وهنالك – على سطح الماء – نيران خاطفة غريبة . « فلو أن قنيصة أنهكها الطراد ، وحوم على عنقها الشرك ، رأت فى أكنافها خلاصاً من موت محقق ، لآثرت عليها ذلك الموت ، ولوجدت فى ورده مشرعاً أعذب من وردها ! » وإذ وصلوا فى تطوافهم إلى حيث صرع جرندل المارد بالأمس فخضب الماء بدمه ، رأوا الصخور تعمر أحجارها بنفر من الجن ، وخف بيوولف إلى قوسه فأردى بسهم منها واحدا من هذا النفر – ثم استل سيفه الماضى Hrunting وغاص بعيدا بعيدا إلى الأعماق فى أثر الجن الغائص هرباً . ظل بيوولف على غوصه يوماً كاملا ، حتى إذا قارب القاع أطبقت عليه أم المارد – وكان خلقها وسطاً بين الانسان والذئب – ثم حملته إلى كهفها ، حيث ثار بينهما نضال لم يغن فيه سيفه ولم ينل من لحمها الصفيق المضب ، وإنما أجدى عليه كفه الجبار يمسك الجنية فلا تحير منه خلاصاً ، وواتته الفرصة فلمح سيفاً حديدا من سيوف الردة ، فسرعان ما خطفه وأهوى به على رأسها فعزله . وأدار بيوولف بصره فاذا جثة المارد صريع الأمس – التى لا روح فيها ، وبالسيف الذى أودى بالأم فصل به رأس الابن ، وسبح بيوولف بالرأسين – مخلفاً وراءه كنوزا لم يابه لألاؤها – ومازال يعلو إلى السطح ورأس المارد ينزف دماً ، حتى صبغ الماء ، وملأ قلوب رفاقه عليه فزعاً ، وقد طاف بهم أن دمه هو ذاك الذى خالط الماء ومازجه . وما كان أروع اللقاء وقد برز اليهم سالماً صحيحاً ! وحمل الرفاق رأس المارد ورأس أمه وألقوا بهما تحت أقدام الملك ، واستأذنه بيوولف فى الرحيل قائلا : « آن لك أيها الملك أن تهدأ بالا ، وأن يعرف النوم سبيله إلى عيون فرسانك » وانقلبت البلاد إلى شعلة من الفرح ، وأقلع بيوولف فى عصبته إلى جوتلند ، تنوء رحالهم بالهدايا ، وتسير بذكرهم الركبان

وأتى حين بعد ذلك سمى فيه عرش جوتلند إلى بيوولف ، واعتلى تاجها رأسه ، فحكم شعبه خمسين عاما عادلا شجاعا ، لا يمل الغزو والجلاد . وكان آخر عهده بهما خروجه لقتال مارد مخيف أقام فى كهف من الكهوف يحرس فيه كنزا نادراً . وفعلت قبضة بيوولف فعلها فى المارد فأوردته الردى ، إلا أن حرّ أنفاس الجنى أتلفت جسمه ، ونفذت إلى دمه فسممته ، نتيجة لاشتباكهما فى صراع عنيف طويل ، واحتواه بعدها فراش السقم حيث غلبه الداء ومات . وعلى صخرة عالية يستشرفها البحر ، وتشرئب إليها المروج الخضراء ، أقام أهل جوتلند نصباً من خشب الصنوبر الثمين ، علقت عليه الدروع ، ورفت عليه السيوف ، مثوى لجثمان مليكهم العزيز . وتنفيذاً لوصية بيوولف أضرموا النار تلتهم النصب ووديعته ، وتلاشت من أمام أعينهم رويدا رويدا صورة مليكهم الدنيوية ، حيث وجدت طريقها إلى السماء على ألسنة اللهب الصاعدة مع الهواء !

حسن عبد الحليم اليمانى

مكانة مصر في المغرب العربي

للأستاذ محمد السعيد الزاهري

يشاع اليوم في الجزائر أن الآنسة أم كلثوم قد أزمعت أن تقوم بسياحة في بلاد المغرب وأن حكومة مراكش قد رفضت أن تسمح لها بدخول المغرب الأقصى . قالوا ولذلك عدات الآنسة عن زيارة المغربين الآخرين (الجزائر وتونس) وهذه هي المرة الرابعة التي نسمع فيها هذه الاشاعة تتردد في أرجاء المغرب العربي وتكون مشغلة الرأي العام فيه ويهتم لها الناس ويندفعون في شرحها والتعليق عليها بمختلف الآراء والأقوال : فهذا يقول لقد أحسنت السلطات بذلك إلى أهل مراكش ووفرت عليهم أعراضهم وأموالهم بمنع المطربة المصرية من دخول هذه البلاد ، إذ لو أن هذه الآنسة زارت مراكش للسكت على أهلها قلوبهم وأهواءهم ، ولذهبت بعقولهم وألبابهم ، واستولت على أموالهم وعلى ما كسبت أيديهم ، ولكانت عليهم في الآخر نكبة مالية كبرى لا تقل في فداحتها وقسوتها عن هذه الضائقة المالية التي أهلكت الزرع والضرع وأخذت بمخانق الدنيا كلها ؛ وذلك يقول لقد ضيقت السلطة بذلك على المغاربة حريتهم الشخصية ومنعتهم مما تهوى إليه أفئدتهم وحالت بينهم وبين ما يشتهون ؛ وهنالك آخر يقول غير هذا

ومهما اختلف الناس في تفسير هذه الاشاعة وفي تأويلها فانها تدل على شيء واحد وهو أن هذه الآنسة قد غزت بصوتها اللائكي الطروب قلوب هؤلاء الناس ، وأن منزلتها في بلاد المغرب العربي لا تقل عنها في مصر ، وأن المغاربة يتذوقون فنها وغناءها كما يتذوقهما المصريون

قالت مجلة « السلام » الغراء التي كانت تصدر في مدينة تطوان في بعض أعدادها إن المغاربة مولعون بالموسيقى المصرية وبالتلاحين المصرى إلى حد الهيام ، حتى أن الموانق في خدورهن ليهتفن بأم كلثوم ويترنمن بألحانها وأغانيها . ولقد رأينا بعض المراكشيين المشهورين بالتدين والصلاح قد طرب وانشرح ونسي أنه من أهل الورع والتقوى ، ولم يزل به الطرب والانشراح حتى خرج عن رزانته ووقاره إلى حالة من العبث والطيش تشبه أن تكون جنوناً ، وذلك حين سمع في « الفونوغراف » صوتاً للأستاذ محمد عبد الوهاب . ولا تجد في المغرب الأقصى داراً فيها « فنوغراف » إلا وتجد كل اسطواناتها أو جلها مصرية لأم كلثوم وعبد الوهاب وسامي الشوا ومن إلى هؤلاء . وتباع الاسطوانات المصرية هنا بثمن مرتفع قد يفوق ثمنها الأصلي أضعافاً مضاعفة . ولقد مرت علينا أيام رأينا فيها أسطوانات أم كلثوم وعبد الوهاب تباع الواحدة منها بثلاثة جنيهات انكليزية قبل هبوط الاسترليني

والواقع أن الألحان والأغاني المغربيـة التي كانت إلى عهد قريب منتشرة شائعة في المغرب العربي قد اختفت اليوم من الميدان ، وتخلت عن مكانتها من الذوق المغربي العام لألحان مصر وأغانيها ، ولا نستثني هذا التراث الذي بقي بأيدينا من فن الأندلس وغنائها فقد تزحزح هو الآخر عن مكانه للغناء المصري وترك له المجال واسعاً فسيحاً

ولما اعلنت الحكومة المصرية أنها ستفتح في القاهرة محطة للاذاعة اللاسلكية تهالك الناس في الجزائر وتونس ومراكش على أجهزة المذياع (الراديو) يشترونها ويقتنونها رجاء أن يستمتعوا بسماع ما تذيعه مصر من الأغاني والمحاضرات ، ولكنهم عادوا فجعلوا يبيعون أجهزتهم ببعض قيمتها عند ما تبين لهم أن المحطة المصرية لم تكن محطة عالية يمكنهم سماعها

كل هذا دليل على أن الذوق العام في بلاد المغرب العربي هو نفس الذوق العام في مصر ليس بينهما شديد خلاف . ولعل تونس ومراكش هما أرق من هذه الناحية ، فالحياة فيهما مترفة ناعمة تؤثر الطرب والسماع ، وتميل إلى اللهو والاستمتاع ، بخلاف الجزائر فانها عريقة في البداوة ، مطبقة الجهل والأمية ، لا تزال تغلب عليها حياة العشائر الأولى ، تشعر القبيلة فيها بأنها قبيلة وكفى ، وقلما تشعر بأنها شعبة من الجزائر فضلا عن أن تشعر بأنها من الأمة المغربية أو الأمة العربية الكبرى . ولعل مدينة وهران قد ضربت الرقم القياسي في البداوة والأمية وفي البُعدِ عن العالم العربي دون أنحاء الجزائر كلها ، ومع ذلك فكل مقهى من مقاهيها ، وكل بيت عربي فيها ، فيه « فونوغراف » لا يخلو من الاسطوانات المصرية ، وإننا لنسمع فيها الأنغام الساذجة البسيطة التي تحاكي رسيم

النجائب وخَبَبَ الجياد إلى جانب الفن والابداع فى أنغام أمّ كلثوم وعبد الوهاب

ولما عرض فيها للمرة الأولى الشريط المصرى « أنشودة الفؤاد » أقبل عليه هذا الجمهور العربى فى وهران إقبالاً منقطع النظير طيلة ثلاثة أسابيع ، وبعد بضعة أشهر عُرِضَ المرة الثانية واستمر عرضه ثلاثة أسابيع أخرى فكان الناس إلى الحفلة الأخيرة يتدافعون إليه بحماسة وشوق لا نظير لهما حتى أن منهم من شاهده عشر مرات !

وعند ما أزمعت فرقة مصرية للتمثيل الهزلى أن تقوم برحلة فى بلاد المغرب قالت عنها جريدة مصرية محترمة إنها ستبوء بالفشل الذريع ، وستقنع من الغنيمة بالاياب ، أو أنها على الأقل ستكابد فى مهمتها ألوانا من المشقة والعناء ما لم تترجم مسرحياتها من اللغة المصرية إلى اللغات المغربية . وقامت هذه الفرقة برحلتها ونجحت فى مهمتها نجاحا باهرا لم يكن يخطر لها على بال ، وتذوّق المغاربة رواياتها وفكاهاتها وأدركوا مغزى « النكتة » المصرية من ملهياتها من غير أن تضطر إلى ترجمة كلمة مصرية واحدة إلى اللغات المغربية ؛ وبعبارة أخرى إن هذه الفرقة وجدت نفسها فى بيئة عربية مغربية لا تختلف عن مصر إلا كما تختلف الهيئة المصرية نفسها باختلاف المديريات والأقاليم ، ووجدت أن كل ما يقال من وجود لغة مصرية ولغات مغربية هو من الأوهام الباطلة التى لا أصل لها ، وإنما يوجد لسان عربى واحد تتكلمه الشعوب العربية (مصر وأخواتها) بلهجات تختلف اختلافا لا يحول دون التفاهم بين الناطقين بالضاد ، ولا توجد فى الدنيا لغة إلا ولها لهجات تختلف فيما بينها اختلافا كثيرا أو قليلا

وكثير من الغربيين من يعتقدون أن الشعوب العربية تتكلم اليوم لغات مختلفة متباعدة فيما بينها ، وبعيدة كل البعد عن العربية الفصحى التى أصبحت فى نظرهم لغة مواتا . كما أن الشعوب اللاتينية تتكلم اليوم لغات متباعدة فيما بينها جدا حتى لا يمكن للفرنسى أن يفهم الاسبانية أو الايطالية دون أن يتعلمها ، وهذه اللغات هى الآن بعيدة عن اللغة اللاتينية التى هى أصلها

وفى هذه الأيام نشرت صحيفة فرنسية تصدر بالجزائر مقالا عن الحج إلى بيت الله الحرام عنوانه : « اللغة الفرنسية فى مؤتمر مكة » زعم فيه كاتبه أن حجاج الجزائر ومراكش وتونس وطرابلس ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق سيتفاهمون فى « مؤتمر مكة » لهذا العام باللغة الفرنسية ، لأن لكل فئة من هؤلاء الحجاج لغة قومية لا يفهمها الآخرون ، ولأن الفرنسية منتشرة بين جميع الطبقات فى هذه الأقطار . وأبى أن يرجع إلى الصواب إلا بعد أن رأى بعينيه وسمع بأذنيه بحارة مصريين يتحادثون مع بعض العملة الجزائريين والمراكشيين من غير أن يكون بينهم ترجمان !

وكان عالم فرنسى من علماء المشرقيات جاء بلاد المغرب مندوباً من وزارة المعارف الفرنسية لدرس اللهجات العامية المغربية ، فلبث فى هذه البلاد يبحث ويدرس ويستقرئ ، ثم رفع إلى الوزارة تقريرا بالنتائج التى انتهى اليها فى دراسته وأبحاثه ، ونشر هذا التقرير واطلعنا عليه فاذا هو مملوء بالأغاليط والأضاحيك ، فقد زعم فيه أن عربياً تونسياً تزوج فتاة عربية من بجاية (الجزائر) فلم يستطع الزوجان أن يتفاهما — لتباعد لغتيهما القوميتين — إلا بالفرنسية التى لم تكن تلم بها الزوجة إلا إلماماً قليلا . والحق أن هذا التقرير هو دعوة صريحة إلى إيجاد فروق بين اللهجات المغربية وإلى تجسيم ما يكون منها موجودا بالفعل

وحدثنى ذات يوم فنان فرنسى قال : « كنت أعتقد أنه لا بد أن يأتى يوم على المغاربة يصيرون فيه فرنسيساً خُلَّصاً من حيث تذوق الفن والشعور بالجمال ، غير أنى رجعت الآن عن اعتقادى هذا ، فقد مضى على فرنسا فى الجزائر مائة وبضع سنين لم تستطع أثناءها أن تحمل العرب الجزائريين يقبلون على الأفلام الفرنسية ، أو يطربون لسماع عازف فرنسى مهما كان محسناً بارعاً ، أو يتذوقون غناء فرنسياً مهما كان منسجماً ساحرا يستهوى القلوب ويأسر الألباب ، على حين نرى المغاربة جميعاً يقبلون الاقبال الذى لا نظير له على الأفلام المصرية وتستهويهم مصر بأنغامها وأغانيها ، ويعجبون الاعجاب كله بالفنانين المصريين » . ثم قال : « ولقد راعنى اقبال هؤلاء الناس على شريط الوردة البيضاء وتهالكهم على مشاهدته ، فشاهدته أنا أيضاً ، ولكننى لم أجد فى هذا الشريط ما يعجبنى ، على أن جميع من فى المسرح كانوا

يشاهدون عبد الوهاب وكأنما هو ملك كريم قد هبط اليهم من السماء ، وينصتون لصوته وكأنما هو نغم إلهي يتنزل عليهم من الملأ الأعلى »

وما من شيء له أثر في حياة المغرب العقلية أو الاجتماعية إلا وهو مصري غالباً ، فمثلا كتاب « مختصر خليل » في الفقه الاسلامي على مذهب الامام مالك بن أنس هو كتاب مصري قد جمل أفئدة من الناس في المغرب تهوى إلى مصر ، له منزلة سامية في قلوب المغاربة يخصونه بكثير من التقديس والاحترام ، ومنهم من يتعبدون بتلاوته كما يتعبدون بتلاوة القرآن الكريم ؛ ولم يعد خافياً أمر ذلك الفقيه المرحوم الذي كان يصلي « النافلة » بهذا الكتاب ويقوم به الليل عابدا متهجدا ؛ ولا أذيع سرا حين أقول إن هذا « المختصر » لا يزال له إلى الآن في كلية القرويين بفاس « حزّابة » كما للقرآن « حزابة » ، وهم يتقاضون أجورا أوفر وأسنى مما يتقضاه « حزابة » القرآن العظيم ؛ ولتلاوته هذه الراتبة أوقاف كما لتلاوة القرآن أوقاف . وفي بلاد المغرب طبقة من المحافظين يقولون عن أنفسهم إنهم « خليليون » ، وأهل المغرب جميعاً هم مالكية ما عدا وادي ميزاب بالجنوب الجزائري وجربة بالقطر التونسي ، فان أكثر أهلهما أباضية ، ولكنهم قليلون جدا فعددهم لا يتجاوز الخمسين ألفا ، بينما تمد الجزائر وتونس ومراكش من الأنفس خمسة عشر مليوناً يجلون هذا الكتاب ويرفعونه إلى أعلى مقام ، حتى النساء في خدورهن لا يفصل الخصومات التي تثور بينهن إلا الحلف بهذا الكتاب !

ولا يزال المغاربة ينظرون بعين الاعتبار إلى كل من طلب العلم بالأزهر الشريف ، ولو أنه كان قليل التحصيل ، ويعترفون بالفضل لكل من أقام في مصر أو رآها

وفي بلاد المغرب طرق صوفية منتشرة بين سائر الطبقات لها أكبر الأثر في العقائد والأخلاق ، وأكثر هذه الطرق مستمد من الشيخ البكري المصري ، فأتباع هذه الطرق ومريدوها يحبون البكري ويرون لهم فيه « الشيخ المد » فيرفعونه فوق كل الاعتبارات

وما أنت بواجد ولا مغربياً واحدا إلا وهو يحفظ كثيرا أو قليلا من شعر ابن الفارض الصوفي المصري المشهور

وكل حركة دينية أو أدبية في مصر لها صداها القوي في هذا المغرب العربي ، فللأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده المصري أنصار ومريدون . وفكرة الاصلاح الاسلامي التي كان يدعو اليها أصبحت اليوم في الجزائر مذهباً اجتماعياً تعتنقه الكثرة الكثيفة من الناس وتقوده « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » . وكل أديب كبير في مصر له أنصار وأشياع في بلاد المغرب ، فللأديب الامام الأستاذ مصطفى صادق الرافعي أنصار ومعجبون وهو أكثر الأدباء المصريين تلامذةً وقراءً في هذه البلاد . وللمرحوم قاسم أمين أنصار يدعون المغربيات إلى السفور وترك الحجاب ، غير أن دعوتهم لم تجد ملبّياً ولا مجيبا فأخفقت إخفاقا شديدا . والزعماء المصريين منازلهم من قلوب الناس هنا . والمطبوعات المصرية تحتل المقام الأول عندنا ، سواء في ذلك الصحف والكتب والمجلات . والصحف المغربية لكثرة ما تروي عن مصر وما تنشر من أخبارها تكاد تكون طبعات مغربية لزميلاتها المصريات . على أن هذه الصحف المصرية الكبرى لا تهتم لبلاد المغرب إلا قليلا ، ولا تتكلم عنها إلا كما تتكلم عن مجهل من المجاهل التي لم تطأها قدم إنسان ، فمن خلط في أسماء المدن المشهورة بالمغرب وفي أسماء الأشخاص البارزين الى حوادث تحوكها عن المغرب وتخبط فيها خبط عشواء

ويقول الشبان المغاربة الذين يطلبون العلم في جامعات فرنسا انهم تعرفوا الى الطلبة السوريين فعرفوا فيهم العروبة والاعتزاز بها ووجدوا منهم إخوانهم وذوي قرباهم ، وتعرفوا الى الطلبة المصريين فعرفوا فيهم رقة الشمائل ودماثة الأخلاق وما شئت من لطف وأدب ، وأنكروا منهم هذه « الفرعونية » الجافية التي تجعلنا وإياهم كما قال شاعر العروبة الأستاذ ابراهيم طوقان :

أحب مصر ولكن مصر راغبة عني فتعرض من حين إلى حين

إن تاريخ هذه البلاد حافل بالشواهد والبينات على أن المغرب يرتبط بمصر منذ العصر الحجري بكثير من روابط النسب والحضارة والدين

وإن الذي هو ما بيننا وما بين مصر لمحض النسب
رباط العروبة يجمعنا ويجمعنا ديننا والحسب

ولكن هل يمكن أن يبعث من جديد ما كان بين المغرب ومصر من الروابط وصلات القربى ؟

وهران (الجزائر) محمد السعيد الزاهري

رسائل حاج

من ربوع الغرب إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

لثلاثين عاماً خلت وأمنيتى الوحيدة الاشتراك فى موكب الحجيج والذهاب إلى مكة، حيث بزغ فجر الاسلام، وانتشرت دعوة النبى الكريم وتعاليمه المقدسة. وقد انبثق فى نفسى هذا الشعور إثر مشاهدتى رسوماً فوتوغرافية نشرت فى إحدى الصحف الأوربية الكبرى عن سياحة قام بها أحد الرحالين وتحدث فيها عن عجائب الشرق حيث تسطع الشمس طول النهار، ويريق القمر أشعته الفضية فوق رمال الصحراء فى الليل



الدكتور جرمانوس فى لباس عربى

وكان الأثر الذى تركته هذه الرسوم والمناظر الفتانة عميقاً فى نفسى، وباعثاً لاقبالى على تعلم اللغة التركية، وعلى زيارة الشرق مهد الديانات الحديثة ومهبط الوحى المقدس

ولكن الأمور جرت فى شىء من البطء، أى أكثر مما تخيلته فى البدء، فمشاغل الحياة والواجبات اليومية الملقاة على عاتقى وقفت عقبة فى سبيل تحقيق تلك الأحلام الذهبية التى تطوف بذهنى وتجذبنى نحو الاسلام . . . وأخيراً دعيت إلى زيارة الهند حيث قضيت بين ربوعها سنوات ثلاثاً لالقاء محاضرات عن التاريخ فى جامعاتها، وهناك اعتنقت الدين الاسلامى فى مسجد دلهى العظيم، ومن تلك الساعة أحسست من أعماق روحى بأننى أقترب من الغاية التى أرنو اليها بحيث يصبح فى مكنتى الطواف بالبقاع الاسلامية المقدسة فى مكة، والتعريج على المدينة مقر القبر النبوى الطاهر ومثوى سيد الخلق . . . .

ولكن كيف أذهب إلى الحج وأنا لا أعرف من العربية حرفاً واحداً ؟ .... كيف أدرس « أم اللغات » وأنا فى أوربا وبالأخص فى بلاد نائية كالمجر لا يوجد بها من يتكلم بهذه اللغة التى هى فى نظرى أصعب من تعلم أربع لغات أوربية معاً ! ! ؟ وتلك لعمرى كانت من أقوى العقبات التى وقفت حائلا بينى وبين تنفيذ رغبتى أو تحقيق أمنيتى فى حينها

على أنه كان لى من قوة الايمان وثبات اليقين ما دفعنى إلى الاقبال على تعلم هذه اللغة مهما بلغت العقبات وقامت الصعاب، فبدأت أولا أدرس العربية بدون معلم وبواسطة كتب حصلت عليها من المكتبات الأوربية، ثم عكفت على قراءة القرآن الشريف بمساعدة المعاجم اللغوية، وحفظت عن ظهر قلب معانى الكلمات المبهمة والألفاظ المعقدة، وتابعت السير على هذه الخطة عدة شهور إلى أن أصبحت بفضل الله ورعايته ملماً بأصولها . وفى خلال شهور الصيف أخذت أطالع قصص « ألف ليلة وليلة » والمعجم إلى جانبى، وكثيراً ما لاقيت صعابا كادت تفت فى عضدى وتوهن من قواى، كالشعر الجاهلى الذى كان يبدو على الرغم من جماله وموسيقاه مبهما معقدا، فكنت من حين لآخر أقذف بالكتاب جانبا وقد قر فى عزمى ألا أعود اليه مرة أخرى ليأسى من التقدم

وبمرور الزمان انتصرت على جميع الصعاب، ورحت أتفهم العربية فى شىء من السهولة واليسر، مع أننى لم أسمع فى حياتى صوت متكلم بها ؛ ولما أيقنت مقدار ما تبطنه الظروف وأن هناك بعض النقص فى إلمامى بالأدب العربى والشريعة السمحاء صممت قبل الشروع فى زيارة البقاع الاسلامية المقدسة على أن أقيم فترة طويلة من الزمن فى مصر حيث الأزهر الشريف مركز الثقافة الاسلامية ومحط العلماء

وفى الواقع كنت أسعد مخلوق فى العالم عند ما ألفيت نفسى أدخر مبلغا من المال يساعدنى على أن أطيل إقامتى على ضفاف النيل السعيد مهد المدنية والسلام

وعند ما وطئت قدماى أرض القاهرة قوبلت بحفاوة عظيمة

من جانب أدباء مصر وصحفييها وغيرهم ممن مهدوا السبيل أمامى لاستكمال نواحى دراستى فى الأدب العربى ، والتعمق فى شعاب الدين الحنيف ، بحيث أصبح قادراً على صد هجمات كل من تسول له نفسه الافتراء أو التشويه من عظمة الاسلام فى أوربا

وكانت فكرتى مقترنة دائماً بأن أدرس العربية دراسة جامعية لا دراسة هواية ، شأن كثير من المترفين ممن يعكفون على تعلم اللغات لغرض السياحة أو بقصد القراءة الخفيفة المسلية ؛ وكنت أرمى من وراء دراستى الى القيام بخدمة الاسلام والمسلمين الذين وقعوا تحت نير الاستعمار الأوربى منذ قرون ؛ وقد كانت هذه الغاية من أقوى العوامل التى دفعتنى للتقرب من المسلمين فى الهند وتركيا ومصر . وإن أنس لا أنس الظروف التى لاقيت فيها كثيراً من فقراء المسلمين الهنود ، وهم يعيشون فى بطون أكواخهم المشيدة من القش ، ويستضيئون بأنوار الاسلام فتتحول تلك الأكواخ فى أنظارهم إلى قصور وجنات بحيث يحتقرون مظاهر الجاه والثروة ويطأونها تحت أقدامهم

فالقرآن هو المثل الأعلى لتوجيه الانسان إلى الطريق السوى الذى يحتم على كل مسلم غيور ألا يحيد عنه قيد شعرة ؛ والمسلم الذى لم تعم بصيرته عن تلك الحقائق ويفقه تعاليم دينه فقهاً صحيحاً يرى أن القبس الروحى يتأجج فى قلوب المسلمين جميعاً ممن لا ينكصون عن التضحية وبذل الواجب ، والذين يفنون ذواتهم فى ذات الغرض الاسمى ، ويأخذون على عواتقهم التغلب على كل أمر والتجول فى أنحاء العالم لنشر الدعوة وإظهار فضائل دينهم ومحاسنه

والواقع أننا قد نجد بعض مظاهر هذه القوة فى الإيمان عند بعض الأمم الأجنبية الأخرى ، لكننى ألفيت فى قلوب إخوانى المسلمين كنوزا تفوق فى قيمتها الذهب والأحجار الكريمة ؛ ولقد عاشرت مسلمين فقراء كانوا لايحجمون عن أن يقاسموا رفاقهم آخر كسرة يملكونها من الخبز . . . كم استضافونى فى بيوتهم المتواضعة وأعطونى أعظم شىء فى الوجود ! . . إنهم منحونى إحساس الحب والتآخى ، ولقنونى عمل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعند ما أطلقونى من ضيافتهم فاهوا بحكمة نبيهم الكريم : « اطلبوا العلم ولو فى الصين »

***

وعقب وصولى القاهرة قصدت فوراً للاقامة فى الحى الوطنى المعروف « بسيدنا الحسين » ، لكنى لم أوفق للحصول على سكن ملائم

لقد كنت فى خلال إقامتى الطويلة بتركيا أقطن فى غرفة رحبة مؤثثة بالطنافس الوثيرة والرياش الفخم ، وكنت أتناول أفخر الآكل الشرقية وأشهاها ؛ فمن مظاهر الحياة الاسلامية فن الطهى ، إذ يؤثر عن النبى الكريم أنه كان يحث الناس على العناية بمسائل الطعام وبالذبيح المحلل ، ولا تخفى الفائدة من وراء ذلك ، فاتباع الطرق الصحية ووسائل النظافة والعناية باللحم مما يزيد فى صحة الأجسام ومناعتها

كانت آمالى إذن قبل القدوم الى القاهرة أن أقيم فى بيت من تلك البيوت العربية الطراز ، وبين قوم يرتدون اللباس الشرقى الفضفاض ويتناولون الطعام بأيديهم ، ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه ، فانني لم أوفق فى الحصول على سكن ملائم ، فاضطررت الى الاقامة فى نُزل أوربى

ولكم تألمت إذ ألفيت أهل القاهرة لا يلبسون الثياب الشرقية المزركشة ، ويستبدلون بالقفطان والعمامة شعار الاسلام — الأزياء الأوربية ، كما راعنى فى البيوت المصرية التى زرتها خلوها من الأثاث الشرقى ، وأن أجد الشباب المصرى يوجه عناية خاصة للالمام بأنواع الثقافات الأوربية المتعددة ، ويفرطون فى جانب لغتهم وقوميتهم ودينهم ! !

ولقد قال أحد أصدقائى المصريين فى معرض حديث له معى : « يستحيل علينا أن نعود الى تلك الأثواب الطويلة المهلهلة عند ما نبغى الصعود الى المركبات أو عربات الترام »

ولكنى رأيت كثيراً من الناس يرتدون تلك الأثواب وما كان أجملهم فى نظرى وهم يتسلقون الترام أو السيارة بكل خفة ورشاقة والواقع أن تلك الملابس أفضل بكثير من الأثواب الأوربية الضيقة ، ولاسيما القبعات التى نضطر إلى أن نحملها بين أيدينا عند ما نجلس أو نزور أو نحيى أحداً

ومن رأيى أن الحصول على الأثاث الشرقى واللباس العربى والتطبع بالعادات الشرقية أمور يسهل اتباعها فى القرن العشرين من غير أن يفقد المصريون خصائصهم ومميزاتهم ، أضف إلى ذلك أن إحياء الصناعات القومية وإنماش حال الأسواق الشرقية

٤ - سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

وكان أهم ما يميز الملك والمدير أن كلا منهما قادر على التكهن فى الفصل فى الخصومات oracles وكذلك فى الأمور القانونية ، فكل الأمور التى تؤدى الى المنازعات مثل القتل والموت كل هذه كان يفصل فيها بواسطة التنجيم والتنبؤ ، وكانت هذه مصدر ربح عظيم للأسرة المالكة

والملك هو مصدر القانون وهو مطلق التصرف ، فله الحق أن يقتل من شاء حسب إرادته ، فسلطته استبدادية . وجماعة الأزندى يكونون وحدة سياسية ، ومركز الفرد وسلامته واستغلاله لموارد بلاده الاقتصادية كل ذلك متوقف على قيامه بالواجب عليه نحو النائب والمدير والملك

وكل قبيلة تعرف باسم عميدها ، فمتى مات أو قتل تشتت أفرادها . والقبائل هنا ليس لها أى صبغة سياسية ولا اقتصادية ولكنها ذات صبغة دينية . فنظام القبائل مؤسس على النظام الطوطمى ، إذ لكل قبيلة حيوان تقدسه وتحرم على أفرادها أكل لحمه ، إذ يعتقدون أن أرواح موتاهم تنتقل إليه . والرجل واخوته وأنجالهم يسكنون سوياً على ضفة مجرى مائى ، ويعملون معاً فى الزراعة والصيد وغير ذلك من شؤون الحياة . ويهتمون بشؤون كل فرد منهم كما يشتركون فى الدفاع عن أى فرد يصيبه أذى منهم ؛ وأكبرهم سناً يقوم بالقاء الوعظ والأرشاد على الصغار

أما من حيث الزواج ، فاذا أراد الرجل أن يتزوج فعليه أن يعطى أقارب زوجته من عشرين الى أربعين حربة ، وهذه الحراب لا تشترى بماله الخاص ، بل يهديها إليه والده وأعمامه ، وهذا قد أدى الى توثيق صلة الابن بالأب والأعمام

ومن أهم المظاهر الاجتماعية الشائعة بين الأزندى ، والتى يهتم بها كل فرد فى مجتمع الأزندى سواء فى ذلك الملك والصعلوك هى مسألة الحسد ، تلك المسألة التى تلعب دوراً هاماً فى حياة الأزندى الاجتماعية ، فهم يعتقدون أن أناسا كثيرين يحملون فى معدتهم الحسد ، وهذا الداء ينتقل من شخص إلى آخر بواسطة الوراثة ، فالرجل الحسود أبناؤه الذكور حسودون ، وأما بناته فليس كذلك ؛ والمرأة الحسود بناتها حاسدات وأبناؤها بعكس ذلك ؛ وكانوا يشقون بطون موتاهم لمعرفة ما إذا كانوا حسدة أم لا

وفى اعتقاد الأزندى أن السبب فى سوء الحظ هو الحسد ، فالمرض والموت وفشل الصيد وقلة المحصول كل ذلك سببه الحسد ، ولذلك عند حدوث شىء من هذا القبيل يبحثون عن الحاسد الذى سبب المرض أو غيره ، وبعد معرفته يخبرون الرئيس عنه وهذا يستدعيه إليه ويأمره أن يكف حسده وأذاه عنهم

والطريقة التى يستعملها الأزندى لمعرفة الحاسد هى طريقة التكهن أو التنجيم oracle . وأهم طريقة يستعملونها للتكهن هى الطريقة التى يسميها الأستاذ بريتشارد (بنج Benge) والتى يسميها الأستاذ سلجمان Poison - wood ordeal . وهذه تتلخص فيما يأتى : يحضرون بعض أنواع السم ويعطونه لدجاجة ويسألونها عند إعطائها هذه المادة عن الرجل الذى يشتبهون فى أنه هو الحاسد ، هل هو متهم أو برىء ؟ فان ماتت الدجاجة التى أكلت هذه المادة السامة فمعنى ذلك أن الرجل متهم ، وأنه هو الحاسد ، وأما اذا لم تمت فان الرجل برىء . فان أعيدت العملية مرات وكانت النتيجة ثابتة كان ذلك زيادة فى التأكيد ، فاذا مات رجل فان اسرته تبحث عن الحاسد الذى كان سبب موته فان عرفوه بطريقة التكهن السابقة الذكر فانهم يقتلونه أو يدفع

متوقف على اقبال المصريين على عاداتهم الأصلية ، أما التقليد الأعمى والاتجاه شطر أوربا وترك الثقافة والتراث القومى جانباً فصفات يجب التخلى عنها

وليت الأمر وقف عند الحد الذى شرحته ، بل إن آمالى انهارت دفعة واحدة بمجرد أن زرت الأزهر وتفقدت الأروقة التى كثيراً ما قرأت عنها فى شبابى وتخيلتها فى أحلامى ، . . . فمقاعد التدريس لا تزال كما كانت منذ ألف سنة ، وبرامج التعليم ناقصة وغير مستوفاة لشروط الثقافة الحق ؛ ولم أر فى الأزهر سوى خلية للحكمة وبث التعاليم الاسلامية وقشور من العلوم الحديثة ؛ أما المعاهد الدينية فهى نماذج مصغرة لجامعاتنا إذ أن هذا النوع من التعليم يقود الطلاب فى سبيل البحث والاستقصاء والتعلم

(يتبع) عبد الكريم جرمانوس

غرامة ، وهذه الغرامة تقدر بامرأة وعشرين حربة

وإذا قتل رجل فانه يحنط ، والمدير مسئول عن البحث عن الحاسد الذى تسبب فى قتله وذلك بواسطة التكهن (Oracle) ولا يقوم بهذا العمل غيره

وأما فى الأحوال الأخرى التى تدل على سوء الحظ من مرض وغيره كما سبق شرحه فانهم يقومون بالبحث لمعرفة الحاسد بواسطة هذا النوع من التكهن ، فان عرف فانهم يخبرون النائب عنه حيث يستدعيه ويأمره بأن يكف أذاه وحسده عنهم

وهكذا يفصل فى كل الأمور القانونيـــة والمشاكل الاجتماعية بواسطة التكهن ، والحكم الأوروبى الآن يرفض الاعتراف بمسألة التكهن الذى شرحناه على الوجه السالف . ولكن الأزندى تمكن من إيجاد مفر من تشديدات الأحكام الجديدة فلجأ إلى السحر ، فاذا مات شخص فان ذويه يحضرون ساحرا ليقوم بعمل السحر والتعاويذ اللازمة لهلاك من تسبب فى موته بواسطة الحسد . ثم ينتظرون أياما وأشهرا ليروا النتيجة ، فاذا سمعوا بموت أحد من جيرانهم أو من أعدائهم أو ممن يشتبهون فيهم فانهم يقومون بعمل التكهن بواسطة الدجاجة كما سبق ذكره ويسألونها فيما إذا كان هذا الشخص الذى مات هو الحاسد الذى أهلكه السحر أم لا

وهذه طريقة أخرى للتخلص من النظام الأوربى الجديد للانتقام من الشخص الذى يتخذ الحسد حرفة له

وللأزندى اهتمام كبير بزراعة الأرض بعكس (الزنوج النيليين أو الحامى النيلى الكثيرى الاهتمام بتربية الماشية) . فهم يهتمون بتنسيق حدائقهم ومزارعهم بشكل يستحق الاعجاب . وتبدأ الزراعة فى شهر مارس إذ يعدون الأرض فيزيلون بقايا الحشائش ويقومون ببعض الأعمال لتطهير الأرض . وأهم المحاصيل التى تزرع عندهم هى :

١) الذرة — تزرع فى مارس وتحصد فى يوليو

٢) الحبوب الزيتية (Grounb Nut، Grounb dean، Pea-Nut) — تزرع فى ابريل ومايو وتحصد فى أغسطس وسبتمبر

٣) الذرة الرفيعة Millet (العويجة) تزرع فى يوليو وتحصد فى اكتوبر ونوفمبر وديسمبر

وعندهم نوعان من الدورة الزراعية : (١) الدورة الخماسية (٢) الدورة السنوية والأحادية . فأما الدورة الخماسية ، وتكون لمدة خمس سنوات ، فهى كما يأتى :

السنة الأولى	تزرع ذرة رفيعة وحبوبا زيتية
« الثانية	« « «
« الثالثة	« « «
« الرابعة	« حبوبا زيتية فقط
« الخامسة	تترك الأرض للراحة (شراق)

وأما الدورة السنوية أو الأحادية فهى فى سنة واحدة حيث تزرع محصولان فى سنة واحدة : الذرة والبطاطة

ويلاحظ أن البطاطة تزرع كسماد وتترك فى الأرض بعض الأحيان .

والدورة الخماسية هى الدورة التى يتبعها الأزندى فى حديقة منزله أيضاً ، كما أن الذرة تزرع كسياج يحيط بمنزل الأزندى ويقوم مقام السياج الحديدى حول حدائقنا



« صورة تخطيطية لمنزل الأزندى »

والأستاذ سلجمان يقول إن الأزندى يعتقدون فى مخلوق عظيم يسمونه (مبول) ولكنهم لا يدعونه إلا عند الجفاف والقحط

ويقول إنهم يعتقدون أن الانسان بعد موته تخرج منه روحان : إحداهما تذهب إلى الحيوان الذى تقدسه القبيلة (الطوطم)

والروح الأخرى تذهب إلى القبر فتبقى فيه إلى حين ، ثم بعد ذلك تغادره إلى رأس مجرى مائي حيث تبقى مع أرواح أجدادها

وهم الآن يقومون بعملية الختان



« صورة تخطيطية لمنزل الزنوج النيليين »

الفروق فى الحياة الاجتماعية

لكل من الزنوج النيليين وأصحاب الرؤوس المتوسطة

الزنوج النيليون

رعاة

الماشية عماد الحياة

يزرعون الحبوب

ليس عندهم ضحايا بشرية

لا يأكلون لحوم البشر

الرجال عراة الأجسام وأحياناً يلبسون جلودا على الكتف

يزينون الشعر بأشكال مختلفة

النساء يرتدين نصف جلباب (ملكوف petticont) من الجلد يغطى النصف الأسفل من الجسم من الوسط حتى الركبة ويلبسن أساور من العاج فى أعلى العضد

بعضهم يخلع أسنانه الأمامية مثل النوير

ليس عندهم رؤساء الحكومات وهم ديمقراطيون يحترمون السحرة والمشعوذين ويأخذون رأيهم فى بعض الأمور

والرابطة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية مبنية على القرابة والجنسية

أصحاب الرؤوس المتوسطة (الأزندا)

زراع ويربون الدجاج

ليس عندهم ماشية

الزراعة هى أهم ما يحترفه السكان وكذلك الصيد

عندهم تضحيات بشرية
كذلك أكل لحم البشر } قلت الآن بعد الحكم الأوربى

الرجال يرتدون جلد الأسد أو قميصا من الخيش أو الخوص أو سراويل . يضفرون شعورهم من منبت الشعر إلى الكتف ، ويلبسون قلنسوات من الخوص محلاة بريش الديكة

النساء يستترن بشبكة من ورق الشجر من الأمام والخلف تربط بحزام حول الوسط وأحيانا يرتدين (مريلة) ولا يستعملن الأساور المصنوعة من العاج إلا نادرا

لا يخلعون أسنانهم

حكومتهم منظمة لها صبغة سياسية ورؤساء سياسيون ، والرابطة العائلية قوية بينهم

رشوان احمد صادق

سليل القرد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

عاش فى الغاب القرد دهراً طويلا   قبــل أن يلتقى للرقىّ سبيلا
وُلد القردُ قبـل مليون عام   بشراً فارتقى قليـلاً قليلا
إنما هـــذه الطبيعة فى تَجْ   ديدها للحيـاة ليست عجولا
أىّ شيءٍ ألمّ بالقــرد حتى   هجر الغابَ نجله والقبيـلا
إنه لولا العقل كان ضـعيفاً   وعليه الحياةُ عبئاً ثقيـلا
واقتنى فطنـةً وكان غبيّا   وابتنى عزّةً وكان ذليـلا
وعلى رجليه مشى بعد أن سا   ر على أربعٍ زماناً طويـلا
تخذ الصخرَ بعد نحتٍ سلاحاً   يتّقى الوحش ضارياً أن يغولا
حادثٌ لم يرِ الزمانُ على الأر   ض له فى كل الدهور مثيلا
ليس انسانُ اليوم فى كل أرض   غيرَ قرد فى وسـعه أن يقولا
منح الدهرُ الأرضَ خيرَ ولىّ   وبه كان فى القديم بخيـلا
إنه فى لقائه للضــوارى   لم يكن خوّاراً ولا إجْفيـلا
إن عقل الانسان خيرُ سلاحٍ   ولقــد تفضل العقولُ العقولا

يا له من تطوّرٍ حوّلَ القر   دَ لانسانٍ يُحسنُ التخييـلا
سنةُ الله فى النشوء على الأر   ض فما إن ترى لهـا تبديلا
ليس من قدره يحطّ فيَخزَىٰ   إنه كانَ للقرود سليـلا
ولقد فارق القبيـلةَ إلاّ   أنه ظلّ حبلُهُ موصـولا
قبلَ إخلادِهِ لعـائلةٍ لم   يكُ إلاّ عن نفسـه مسؤولا
ولدته عرومة الغاب من قر   دٍ جميل فكان قرداً جميلا

عاش أبناؤه دهوراً وما إن   عرفوا تجربةً ولا تحليـلا
بعد فجر الانسـان كان غدُوٌّ   وأرى أن للغـدوّ أصيلا
إن للشمس بعـد كل شروق   يملأ الأرضَ بالضـياء أفولا
دُوَلٌ فوق الأرض ذات احتشام   غير أنى فى خشية أن تدولا
إننى أخشى للنشوء انقـلابا   فيعود الانسانُ قرداً كسولا
وإذا ما خلا من الناس وجهُ الأ   رض كان الخلوُّ خطباً جليلا
وإذا ما بالعكس عاشوا وجدّوا   فسيمحون الموتَ حتى يزولا
وليـأتى باسم السبرمان نسلٌ   هو أرقى منهم وأهدى سبيلا
يتقصى كنه الطبيـعة حتى   ليس يبـقى شىءٌ له مجهولا
انمـا فى حياته الصـدقُ دينٌ   لا خــداعاً يأتى ولا تضليلا
وترى فوق المنكبين له رأ   ساً كبيراً وسـاعداً مفتولا
وعلى رأسـه الـكبير ترى شعـ   راً أثيثاً تخـاله إ كليلا
وإذا ما أبصرت عند اللقاء الـ   عينَ منـه حسبتها قنديلا
وإذا ما تـكاثروا حكموا الأر   ض بعـدل جبالَها والسهولا
أخضعوا أصناف الأشـعة حتى   جعلوا منها للسماء رسـولا

(بغداد)   **جميل صدقى الزهاوى**

البعث !

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

مات الغرام وقد بكيتهْ   ورثيتـه ما قد رثيته
كفنته ودفنتـه   وبدمعىَ القانى سقيته
وأبى الزمان يصوّرنى   عن ذكره حتى سلوته
ياليت شعرى ، كيف عا   دَ إلى الحياة اليوم مَيْته ؟

***

أحببتـه عفَّ اللِحا   ظ سمعت عنه وما رأيته
كالخلد يرجوها أخو الـ   تقوى ولم يرها ـ رجوته !
فـكرت فيـه فشاقنى   ونوى الفؤاد وما دعوته
وطفقت أعبـد طيفه   وأنا الذى بيدى بَرَيته !
بفمى اسمه ، أروى به   ظمأ الفؤاد وما شفيته !
كالثلج فيـه ، وكلما   أمسسته قلبى كويته !
بينى الزمان وبينه !   وتجاورا بيتى وبيته ! !
سميتـــه (لولا) مخا   فة أن يساء وما كنيته

***

أوحى إلى وما درى !   وكتبت عنه وما نويته !
ماذا عليـه لو صغا   وعلى مسامعـه تلوته !
وهَمَى على عينى سـنا   ه ، وسال فى أذُنىَّ صوته !

على أحمد باكثير

الحرمان !

بقلم محمود حسن اسماعيل

أسدلت سترها ! وقالت: رويدا عابدالحسن، واتئد فى صلاتك
غب قليلا عن العيون وأنشد خفقات الغرام فى خلواتك
إن همساً يرفُّ فى ساحة المعـــبد أخشى ذيوعه من وشاتك!
غب قليلا وفى دمى لك عهدٌ أنا والحبُّ .. والمنى .. لحياتك
خمرتى شعرك العفيف، ويا طُـــهْرى إذا ما انتشيت من (كاساتك)
وجلالُ الهوى وقُدْس جمالى صبَوات نفحن من أغنياتك
رىٌّ روحى إذا ظمئتُ خيالٌ مستطار يَرنُّ من أبياتك
فترنم! فان روحىَ تصغى خلف أستارها الى نغماتك!

قلت: والنار فى دمى كيف تهدا إن حجبتِ الضياء من قسماتك
إن زادى من الحياة وميض رشفته العيون من بسماتك
فتنى إن رنوت موجة نورٍ أشرقت فى الجنان من نظراتك
كم طغى البؤس عابثاً بشبابى فقبست النعيم من وجناتك
وتوجعتُ فانتحبت لشجوى وسكبت الهناء من قبلاتك
كيف أحيا وفى دمى تقلق الرو ح نوازٍ مفجعاتٌ فواتك!
أنا لهفـــان والنعيم بكفيـ ـك دعينى أمت على عتباتك!
قالت: اهدأ! فما عهدتك يوماً تستثير النوى دفين شكاتك
كم غزا البين قربنا فتصـــبر ت، ورمت السلوان من ذكرياتك
قلت: يالوعتا لظمآن جنّت روحه لهفة على رشفاتك!
كم وقفنا حيال قصركِ نبكى وخلسنا الغرام من شرفاتك!
وشدونا الهوى ملاحن سحر رقرق النور طيفها من سماتك
وشكونا النوى فكاد يطير الحســـن فرط الحنان من غُرُفاتك!

آه يازهرتى! لقد شفَّ روحى ظمأ محرق إلى نفحـــاتك
فارفعى الستر بيننا، ودعينى أتحسى الضياء من هالاتك
رب ومض من لحظ عينيك ساج فجر السحر من سنا لحاتك
نهلته عيناى فانساب شعرا عبقرياً يفيض من نظراتك
وهنا.. أسدل الستار! ورنت خفقة: لهفتا على أمنياتك!

(دار العلوم) محمود حسن اسماعيل

نسيم الفجر

بقلم وهيب رشيد

(عن الشاعر الانجليزى Henry W. Songbellaut)

هب عند الفجر يجتاز البحار قائلا للسحب خلى الطرقا
هاتفاً بالسفن قد جاء النهار بزغ الفجر جميـــلا عبقاً
أيها الملاح قم شُدَّ القلوع
وسرى فى الأفق حراً جذلا مرَّ بالناس جميعاً نائمين
ســـيطر النوم عليهم فجَلاَ ســلطة النوم ببرهان مبين
صائحاً قد آن للشمس طلوع
مرَّ بالزهر مكباً نائماً فى ربى الغابة وشنان العيون
فجرى فيها نشيطاً باسماً يوقظ الزهر بتلويح الغصون
ومضى والغاب بالعطر يضوع
دخل العشَّ على الطير الجميل راقداً يحلم أحلام المنى
فأحس الطير بالريح العليل هز برديه سروراً ورنا
لحقول القمح بالعين الولوع
وغدا يقطع أرجاء الحقول قاصداً ديك الصباح الغرِدا
فتلقاه بلطف وقبول وبلحن ساحر جذل شدا
مرحباً بالصبح، بالفجر الوديع
وأتى المعبد قفراً موحشاً ما به غير سكون مطبق
أيقظ الحارس فيه فمشى يقرع الناقوس قرع المحنَقِ
يا نسيم الفجر أحييت الربوع

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٨ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية الايجابية من مذهب نيتشه

السوبرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

وهذه هى الميزات التى يراها نيتشه تميز السوبرمان من الانسان ، يرى أن فضيلة الانسان فضيلة تحمل إلى الناس جميعهم بدون فرق ولا استثناء ، بينما يرى أن فضيلة السوبرمان لا تعنى إلا فريقاً منتخباً ضئيلا سامياً . ألا ترى أوروبا اليوم جميعها تؤمن بديمقراطية تساوى بين طبقات الناس مهما اختلفت أصولا وفروعاً . ونيتشه لا يرى فى هذه الديمقراطية شيئاً طبيعياً ، هو يؤمن « باللامادة » ويريد أن يخلق طبقة ارستقراطية تتألف من أنواع محدودة ، لكل نوع تعاليمه وأعماله وواجباته المكتوبة عليه ، وأسفل هذه الأنواع هو مجموع الفئات المتوسطة التى يدور بأيديها دولاب المجتمع . فالنقش والتجارة والصناعة والعلم والفن تحتاج إلى عمال يخدمون برضاهم هذه الصناعات . يطيعون مختارين ويعملون مريدين . هؤلاء هم عبيد لأنهم ينفذون إرادة من هم اسمى منهم . وحق لهم أن تكون منهم الطاعة ، وأن يحتملوا من الألم كثيراً لأن الحقيقة قاسية . على أن هؤلاء يجب ان تضمن لهم أسباب حياتهم فيكونون أكثر هناء واطمئناناً وسعادة من رؤسائهم ، لا شغل لهم إلا أن يواصلوا دورة الحياة ... أما الايمان الدينى عندهم فهو نعمة لا تثمن ، لأنه يذهب كأشعة الشمس فاقة وجودهم المظلم ، يعلمهم القناعة والسكينة ويجعل واجباً عليهم احتمال إرادة غيرهم . وهو الذى يبث فى أرواحهم هذا الوهم الجميل القائل بأن هنالك نظاماً للأشياء . وأنهم هم أنفسهم لهم مكان نافع فى نظام الكائنات والأشياء . هؤلاء يقول لهم زرادشت : « لكم لكم العبودية والايمان ! » . وفوق هذا الفريق فريق المديرين وحارسى الشريعة والذائدين عن النظام والبلاد والمقاتلين وأمير البلاد . إن هؤلاء يديرون الأمر ويسوسون الملك بسلطهم . إن هؤلاء هم الذين تخضع لهم إرادة العبيد حين يريدون . أما الفريق الأول فهو فريق السادة والعقلاء وخالقى « القيم الاجتماعية » . هؤلاء يجب أن ينفذ تأثيرهم فى قلب المجتمع ، هؤلاء يجب أن يهبطوا إلى الأرض ينزلون فيها بين الناس منزلة الاله الذى يقدسه النصارى . هؤلاء هم السادة ولهم وحدهم صنعت فضيلة السوبرمان

وهذه الفضيلة لا تتميز من غيرها بأنها فضيلة ارستقراطية فحسب ، ولكنها تخالفها فى المثل الأعلى الذى ضربته ، أما الانسان الفاضل فى الشريعة المسيحية أو شريعة الزهاد فهو الذى يخضع حياته لمثل أعلى ، ويضحى بميوله ورغابه فى سبيل عبادة الخير والحق . أما العاقل فى شريعة نيتشه فهو غير ذلك . العاقل هو خالق « القيم » وليست مهنته إلا خلقها ! لا شىء فى الطبيعة له قيمة بنفسه ، إن عالم الحقيقة هو مادة واحدة لا معنى لها ولا غاية إلا المعنى أو الغاية التى نراها نحن فيها ونعطيها إياها . الفيلسوف الحقيقى هو الرجل الذى ينطوى على شخصية قادرة على خلق الوجود ، ويبعث فى الناس الرغبة ويستهويهم ، هو الشاعر العبقرى الذى تتألف فى نفسه « القيم الاجتماعية » التى يؤمن بها رجال عصر ! هو مفكر فى الاشياء ، لكن تفكيره ليس إلا الشريعة السامية التى تهتز لها أمم ! يبدع بحرية ما يشاء مستقل الفكر سابحاً من الخير والشر ، من الحقيقة وغير الحقيقة . هو يبدع حقيقته ، ويخلق شريعته وفضيلته . إنه رجل مجرب لا يفتأ يتحرى عن صور لعوالم جديدة . تراه يضحى بحياته وبسعادته ، ويفادى بحياة الآخرين الذين يجرون فى مضماره وبسعادتهم دون أن يتزعزع . إنه لاعب جرىء يتحدى الحظ ، لا يحفل إذا كانت لعبته الحياة أو الموت

إن العاقل عند نيتشه ليس بذى لروح الهادئ المسالم . هو من لا يعد الناس بالسلام وبالفرح الهادئ باقتطاف ثمرات عملهم . ولكنه يدفعهم إلى الحرب يلمع بين عيونهم الرجاء بالنصر والأمل بالظفر يقول زرادشت :

« إنكم ستتحرون عن أعدائكم ، إنكم ستقاتلون وستحاربون من أجل فكرتكم ، فاذا غلبت فكرتكم فليدفعكم إخلاصكم إلى السرور بهزيمتها . إنكم تحاربون السلم كوسيلة لحروب جديدة ، على أن السلم الصغير هو خير من السلم الكبير

أنا لا أنصح لكم بالعمل ، ولا أنصح لكم بالسلم ، ولكن أوصيكم بالظفر . ليكن عملكم حرباً وسلمكم ظفراً

يقولون : إن السبب الشريف يقدس الحرب . وأنا أقول لكم : إن الحرب الشريفة هي التي تقدس كل سبب

لا يجب أن يكون لكم من الأعداء إلا المبغضون لا الحقيرون ، وإذ ذاك تكونون أولى زهو وكبرياء بأعدائكم ، حتى ليغدو ظفرهم عليكم ظفراً لكم . »

إن القتال عند نيتشه هو خير سبب يعمل على التقدم ، لأنه يُري مواضع الضعف ومواضع القوة . يري الصحة والمرض في المادة والأخلاق . وقد يكون القتال تجربة خطرة يريده العاقل ليزيد في حيوية الحياة ويزيد آفاقها سعة . وليدرك قيمة فكرة ما وقدرتها على الاحاطة بمعاني الحياة . الحرب نعمة حسنة في ذاتها وتنبأ نيتشه بأن أوربا ستدخل في عصر قتال تتطاحن فيه شعوبها في سبيل سيادة العالم

وبينما كانت « القيم الاجتماعية » الأولى تضع الشفقة في رأس هذه القيم ، كان زرادشت يعلم رفاقه بأن الارادة هي الفضيلة العليا « هذه هي الشريعة الجديدة التي أوصيكم بها ، كونوا قساة أشداء » إذ يجب في الحقيقة على المبدع بأن يكون قاسياً عنيفاً إذا أراد أن يُخضع الحظ ، أو أراد أن يوحي بتعاليم جديدة . إن الشفقة ليست عنده بفضيلة ، ولكنها خطر من أكبر الأخطار التي تلاقيه .

ألم يسمع « زرادشت » حول كهفه أصوات اليأس يرددها الرجال الذين يدعونه « تعال ! تعال ! قد حان الوقت » فلو أن الشفقة عليهم استهوته اليهم لكتبت عليه الغلبة . إنه يحتاج إلى قوة قاسية تصرف عنه تأثير هذا الدعاء الباكي .

بينما كان زرادشت يغادر بيته لاحقاً اليائسين الذين يجأرون له ، نزل مكاناً موحشاً خُيِّل اليه أنه مدينة الموتى . هنالك الصخور البارزة السوداء والشماريخ الحمراء ، حيث لا تنبت عشبة ولا ينجم كوكب ولا يزقزق عصفور . هذا هو واد ينفر منه الحيوان ، لا يأوي اليه إلا الأفاعي العظيمة الزرقاء ، تأتيه في كهولتها لتعانق الموت فيه . في هذا المكان المروع أبصر « زرادشت » هيكل إنسان قبيح ، فلم يشأ أن يتأمله ، وهم بأن يركض ما استطاع فراراً من هذا المسخ . ولكن صوتاً أهاب به كأنه غرغرة محتضر أو بقية ماء في منحدر

— زرادشت ، زرادشت ! نبئني بسرى ! ما هو الانتقام من الشاهد ؟

وفجأة استولت على زرادشت شفقة غريبة ، ولكنه سرعان ما استعاد قسوته وصرامته ، فأجابه

— أنا أعرفك ... أنت قاتل الاله ، دعني أمر في طريقي ! أنت لم تحتمل من كان يراك ويطلع عليك في كل ارتماشك وشناعتك واشمئزازك أنت يا أقبح الرجال ! فأخذت ثأرك من هذا الشاهد » خرج زرادشت ظافراً من هذه التجربة التي هلك فيها الاله . إن إله المحبة قدمات وقد خنقته شفقته باطلاعه على كل نقائص الانسانية وشناعاتها الخفية . إن شفقته لا تعرف حداً . إنه وطأ الأماكن الأكثر عمقاً والأسحق بعداً من النفوس البشرية . ولهذا مات ، لأن الانسان لم يعد يقادر أن يحتمل شاهداً يقظ العين على خزيه وعيوبه . أحس زرادشت بموجة الحياة تغمر نفسه إزاء هذا المشهد ، فنفض من طرفه وهم بأن يتابع سبيله ، معتقداً بأن متابعته للطريق أجدى عليه من أن يهدر أيام عمره هدراً في سبيل الجلوس إلى « جسد » لا ينفع فيه دواء . وفي صنعه هذا لم ينج من الموت وحده فحسب ، بل اكتسب مع نجاته حب هذا الانسان الكريه . أما الانسان الكريه الذي كان يبغض الاله والرحماء فانه انحنى خضوعاً إزاء صرامة زرادشت وقبل أن يكون أحد الطارقين باب مثواه

(يتبع) خليل هنداوي



من صور الحياة

الآباء البيض

بقلم حبيب الزحلاوى

عرفته فى المدرسة فتى وسيم الطلعة ، صبوح الوجه ، حيىّ الطبع ، هادئ النفس ، فتوددت إليه وا كتسبت صداقته

عرفت من خصاله العبوسة والخشونة والتجهم والغضب كما عرفت منها الطيبة والسلاسة والصدق والوفاء

كان تارة عنيف الحركة حتى الجنون ، وطوراً ساكناً كأنه غارق فيها !

عرف معلموه فيه الاقدام بدون تردد ، والاحجام بغير سبب ، وعرفوا فيه الاندفاع نحو تحقيق رغباته وإرضاء ميوله وبداواته ، كما عرفوا فيه الانصراف عنها كأن ليس له رغبات ولا ميول وبداوات !

تسرعوا فسموه « المتناقض » ثم اعتدلوا فأطلقوا عليه اسم « ذى الحدين » الأقصى والأدنى

كان انكبابه على الدرس ، ودقته فى المحافظة على الواجب يثيران إعجاب المعلمين به وغيرة رفاقه منه ، كما كان توقفه عن الدرس ، واضرابه عن تلقيه بدون سبب ، وانتقاضه على الواجب ، وتمرده على العلم ، وقيامه على النظام ، مدعاة للدهشة والاستغراب

كنا تلميذين متلازمين متجاورين ، يفضى كل منا لصاحبه بطوية نفسه ودخيلة أمره ، إلا أنى كنت ألمح فيه حرصاً على دون سر شاغل خطير يكتمه عنى فى أعماق نفسه تفضحه نظراته الحزينة الباكية الذابلة

كان « ذو الحدين » خشناً فى لعبه ، بريئاً فى تعبيره عن خواطره كالأطفال ، صدوفاً عن المعاشرة ، مستغرقاً فى الوحدة والانفراد كالنساك ، وكانت بسماته النادرة حلوة كالجمال الصامت فى مظهر عروس ترملت بُعيد الزواج

ما كان أقرب نفسه إلى الرضا والطمأنينة والبشر عندما يكون فى المدرسة بين دروسه وفروضه ورفاقه ، وكم كان يفارقه مرح النفس وغبطة الروح عند ما يعود إلى البيت إذ كان تلازمه فيه الوحشة والكآبة والحزن ! !

كانت ثياب « ذو الحدين » تختلف عن ثياب وهندام التلاميذ ، وكان لأمه شغف فى ابراز وحيدها بثياب مخملية ليكون بين رفاقه — على حد تعبيرها — كالكوكب بين النجوم ، ولعل ولع أمه به وعنايتها بملبسه واهتمامها ببزته هى التى نمت فيه خاصية التأنق والملاحظة والانتقاد ، وصيرت لكلامه أداء فريداً ووقعاً خاصاً فى النفوس ، ولكن أنى الخلاص لفتى مثله حسن البزة ، صبوح الوجه ، لامع الذهن ، غريب الأطوار ، عريق المحتد ، صدوفاً عن المعاشرة ، عزوفاً عن مخالطة الناس ، أنى له الخلاص من مخالب فتيان تتوثب فيهم غرائز القوة البكر وإبراز قدرتها وسلطانها على الأقران ، وتتمطى فيهم الغيرة الآكلة لفقدهم أكثر الصفات والمزايا المتوفرة لهذا الفتى الرقيق ؟ ! ! !

ولكن صاحبى كان يتخطى هذه البواعث الشائكة على قنطرة من تبين الفتوة وتعمل الكبرياء واصطناع الترفع عن الاختلاط بتلاميذ فى غير ترتيبه ! بذلك نمت فيه ملكة المنجهية والتسامى

كانت ظاهرة الكبرياء عنده دخيلة على طبعه الرضى ، غير أنه توسل بها لدرء عوارض طارئة لا شأن له فى وجودها ، فكان يداريها بالعطف الأخوى ، والاحسان الانسانى ، والشفقة التى كان يشمل بها كل محتاج من إخوانه التلاميذ ، وما أكثر المعوزين فى تلك المدرسة التى كانت تضم جميع أبناء العمال فى ذلك الحى

* * *

جاءنى مرة بثغر باسم ووجه متهلل متلألئ يقص على خبر اعتزامه على الالتحاق ببعثة « الآباء البيض » ليتلقى العلم فى

مدرستهم « الصلاحية » فى القدس ويقول : إن الآباء رضوا أن يلحقوه بها ، وأنه دفع لهم مبلغاً من المال كان يدخره ، وأن رئيس البعثة وعده بأن يصطحبه معه وينتزعه من أهله إذا مانعوا ، وأنه سيتعلم علوم القساوسة ويعود فيرغم جميع الناس على تقبيل يده باحترام ، والاستماع إلى أقواله والانصات إلى عظاته بخشوع !

لم يكن اهتمامى بالخبر ليوازى فضولى الحافز إلى معرفة العامل الذى جعل صاحبي يطرب للرحيل عن أهله كطرب عصفور فى قفص يـقـسق ويصفق بجناحيه ، وأنت فى الحقيقة لا تدرى إذا كان طربه للطعام المقدم أو للانطلاق الموموق

لم يكن الخبر هاماً فى ذاته ، إنما كانت الأهمية عندي فى اكتشاف الدوافع التى جعلت هذا الفتى دائم التأرجح بين كفتى الفرحة القصوى والحزن الأقصى ، فتوهمت الفرصة موانية تدنيني من مكمن السر ! !

رفيق هذا الذى يحدثني عن سفره بطرب ، وعن اعتزام رئيس البعثة انتزاعه من أهله بسهولة ، هو وحيد لوالديه ، محبوب منهما حتى العبادة

ما الذى فى نفسه يا ترى من البيت ومن أبويه حتى يؤثر المدرسة والتلاميذ عليهم ؟

ما الذى فى نفسه منهم وهو يفزع إلى الآباء البيض هرباً من والديه مفضلاً الرحيل على البقاء معهما ؟

لم يكن فى وسعى تحويل الأمر آنذاك وقد كنت فتى أملك قوة اختزان الحوادث لا تعليلها ، أدخر عوارض الأشياء لا أنقدها ، أنظر إلى كليات المسائل لا جزئياتها ، وهكذا صرفت برهة فى استقبال خبر السفر كأنها كانت برهة الاستجمام لأعود بعدها إلى صاحبي بنفس قوية ، وعزم قاطع ، أصرف بهما ذهنه عن هذا الخاطر الطارئ المستحيل التحقيق

داورت صاحبي بحجة معرفة بواعث هذا السفر الفاجئ ، لمحت بالكلام إلى أمر حسبت أنه يكون بمثابة مفتاح للسر ، فانقبض مكتئباً وأشاح بوجهه عني كأنه ندم على ما قال ؛ لم يمهلني لأعتذر عن سوء تصرف وتوضيح قصدى وانصرف ، أسقط فى يدى وأضاع الفضول الفرصة المواتية ... ... ولكني صممت على عمل شيء

نجحت أولا فى إبلاغ والده خبر سفره سراً مع الآباء البيض وحاولت إقناع صاحبي بأنى لم أكن واشياً تماماً بل كنت المحب صادق المودة ، أوثر صداقته وأرعى اطراد تقدمنا معا فى مسالك الدراسة ...

لم ينصت إلى أقوالى ؛ غضب مني وبكى من والديه ؛ قاطعني وانقطع عن الايواء إلى البيت ، وسار كـكوك الحائك ينصرف من بيت عمته الأرملة وليس فيه رفيق أو صديق ، إلى المدرسة التى لم يبق له فيها سوى الوحـــدة والانفراد ورفقة الكتب وحفظ الدروس

عبثاً حاولت استرضاءه واسترداد وداده . قطع الرأى على قطيعتى ، وثبت على عناده ، وهكذا صرنا صديقين متباعدين

جزنا الامتحان سوية ، انتقلنا معا من مدرسة إلى أخرى ، زودتنا الكلية البطريركية بشهادتها العليا ، طوحت بنا الأقدار فألقت بواحدنا فى مصر وبالثانى فى أمريكا لا يعرف الواحد عن صاحبه شيئاً

***

فى شارع تتماوج فيه عشرات الألوف من نساء مستهترات وسيدات فضوليات من كل جنس متفرجات ، يعج بأضعاف الآلاف رجال من كل سن وعمر وقطر ومصر ، فيهم العابث المتهتك ، وفيهم من هو غير متهتك ولا عابث

فى هذا الشارع الذى لا تهدأ فيه حركة ، لا فى الليل النار بمصابيح أضواؤها الجمال والحسن والفتنة ، ولا فى النهار الذى ينزع فيه الانسان الدرهم من بين فكي أخيه الانسان لينفقها فى الليل على مباذل المرأة

فى هذا الشارع المكتظ بخلائق كأنها فى مهرجان ؛ فى هذا الشارع تطلق البسمات من الشفاه والغمزات من العيون ، وترشق القلوب بسهام النظرات الساحرات ؛ فيه يطلق الرجل أعنة الحياء وينضو ثياب الخجل ؛ فيه تخلع المرأة المذار وتتشح بالفتنة والشهوة ؛ فيه يرتجل الأكمه أبرع عبارات الاطراء الغزلى ، وتفتن المرأة فى ابتداع شباك الاصطياد ؛ فى هذا الشارع أنقذنى خاتم فى أصبع يدى اليسرى من إغراء حسناء لعوب من بائعات البدن ؛ فى هذا الشارع تصطدم البريئات والبريئين من الفضوليين الأغراب بمن لا براءة عندهم ولا فضول ، فيحسب المصطدمون والمصطدمين الانزلاق حرية ، والاستهتار مدنية ، والفجور طابع الأمة

هـذه سيدة قلقة تنتظر المتخلف عن الميعاد ! هـذا رجل

واقف مطمئن إلى لقاء من وعدته . هذا يعانق تلك ، وهذه تقبل هذا قبلات مسكرات ، وهذا غريب مشدوه يرى ويبصر وكأنه لا يرى ولا يبصر

فى هـذا الشارع البهيج الذى يجمع قلب باريس فى قبضة الحياة سمعت من يذكر اسمى ولقبى بصوت أيقظ فى حاسة غريبة مدفونة فى الأعماق منذ أيام الحداثة ، فاتجهت صوب رفيق المدرسة الذى لقينى هنا فعرفنى ، فنادانى فاستجبت

مشينا على غير هدى ، تبادلنا ألف تحية وأشواق ، يممنا مقهى أعرفه ، ولما جلسنا فى زاوية منفردة فيه تأملت صاحبى فاذا بالأعوام بدات من ملامحه وتركت فى وجهه بعض التغضن حول العينين ، وثنيات واضحة فى الجبين ، وشعرات رمادية ظاهرة فى السالفين ، قرأت فى نظراته معانى التوطد والثقة بالنفس ، ولمحت فيها بقية من آثار الذبول والحزن

أخذنا نتكلم ونعيد تلاوة صحائف الماضى ونسـتعرض ذكريات المدرسة بلذة وفرح ، ونسرد فصول رواية الحياة الـكبرى بين مآسى المرأة وفواجع كسب المال

انبلج الصبح وانطفأت مصابيح الـكهرباء ، تبدلت وجوه رواد القهوة ، وقد أورمها السهر وخنقتها الخمر ، بوجوه نضرة فياضة بقوة الراحة المستمدة من النوم تستقبل النهار لتستأنف الجهاد فى ميادين العمل ، بقيت وصاحبى وحدنا الجالسين الهانئين بذكر حوادث الماضى ثم افترقنا على موعد للتلاقى

كان الليل يجمعنى وصاحبى فى باريس على مائدة طعام أو شراب ، وكان لنا فى كل جلسة جولة أو جولات فى معترك الحياة ، غير أن جلسة الليـلة اختلفت عن سابقاتها فى الجو الذى هيأه وجود كاهن شرقى أعرفه بصحبة سيدة فى المطعم

جال خاطر مفاجئ فى ضميرى فابتسمت ، استطلعنى صاحبى معنى الابتسامة فرغبت اليـه أن يقرع بكأسه كأسى فنشرب النبيذ البكر على ذكر صداقتنا البكر ! !

نظر إلى متعجباً وقال : هل من طارئ جديد ؟

قلت : بلى

قال ما هو ؟

قلت : هل فى وسعك الآن وقد طويت مرحلة من الشباب واكتملت رجولتك أن توضح لى أسباب حزنك فى حداثتك ونفورك من والديك ، وتوقك إلى البعد عنهما ، وقطيعتك إياى وقد أفسدت عليك تدبير التحاقك بالآباء البيض ؟

ابتسم صاحبى فذكرنى بسمة العروس الأرملة وقال : أحسب وجود الـكاهن فى المطعم بثوبه الأسود الفضفاض ولحيته المسبلة على صدره هو الذى نبه ذهنك إلى هذا الموضوع

قلت : هو ذاك

سكن صاحبى هادئاً كأنه يفيض ذهنه فى قلبه ، وأطبق أو كاد يطبق أجفانه كمن يقرأ سطور الضمير فى سفر الغيب ، وطفق يقول : أشكر لك هذا السؤال ، لأن فى الاجابة عليه تفريجاً عن كرب مستعص آن أوان البرء منه

كانت عقدة نفسـية عقدتها الحساسية المرهفة والشعور الوجدانى فحللتها لوحدى على مهل

أكرهتْ والدتى على الزواج من والدى الأرمل ولما يكن له من العمر تسعة عشر عاما بعد ، فكان جمالها ، ووجاهة أهلها ، وزواجها من فتى أرمل ، علة جرحت كبرياءها بين أترابها الفتيات ، وبترة تنكأ التبكد الأليم والنفور المتواصل ونزق الشباب ، فـكنت أستشعر أنى الجسر الذى يربط قلبين متنافرين

كنت ثمرة زواج أنضجتها عناصر الجسد ولم تشملها موجات الروح بوحدات من الحنان والعطف الوالدى إلا بمقدار ما كانت الوسيلة تمهد للغاية ! !

وددت لو أكون الوسـيلة لاقرار الغاية المثلى من الزواج ، إلا أن الغاية كأنها تكونت للاتصال الوقتى الذى يعقبه النفور ، فـكنت أتمنى لو يتهدم الجسر فيبقى كل قلب على ضفة يشطرها عن أختها نهر الحياة ! !

آثرت الصدوف عن مرأى زهرة نبتت عفوا فى أرض رملية ، وعزفت عن تربة لا حياة فيها ولا رجاء ، فلذلك كنت أنكر نفسى وأشفق على الناس يلمّ بهم حزنى ، وأبكى لشقاء والدى

كان يعرف والدى فى حدة الاحساس والشـعور المرهف فاستبدل أبوته لى بأخوة

أقنعنى ، لما أبلغته أنت خبر اعتزامى على الالتحاق بالآباء البيض ، بان فى ابتعادى عنه مهدمة عاجلة لحياة تنهار من نفسها ببطء ، ويتمنى ألا أتعجل انهيارها فيبلغ القبر قبل أن أشب وأقوى ، وقال دع البيت يحترق بنار هادئة ثم اعمل أنت على بنائه من مواد لا تقبل الاحتراق

ثم قال لى : لا فائدة من علوم الـكهنوت للذين يتهيأون لأن

يطلوا على أرجاء الحياة السحيقة من كوات الدين الضيقة ، وإن علوم الدين على وجاهتها وقداستها ، تغل العقول ، وتضيق الأذهان ، وتبلد طبيعة الرجولة فى الانسان ، وإن الكهنوت صناعة يحترفها الكسالى والبلداء ، وإن الرجل الذى يمارك الدهر ويظفر منه بسلاح من الخلق السامى ونبالة القصد ، والذى ينصر الانسانية بروح منبعث من فيض انسانيته هو ، لا من تعاليم تحورت فصيرت جماعات الانسان عبيداً للأفراد من بنى الانسان

رأيت دموعاً جالت فى عينى صاحبى وتحدرت كالبرد على خديه ، ولمحت صور نفسه تشرق وتتجلى فى صفحة جبينه وتقاطيع وجهه ، وتكور جفونه ، وانقباضات حاجبيه وشفتيه

تناولنا كأسينا فأفرغنا ما بقى فيهما ، أترعناهما بالرحيق من جديد ، زودت غليونى بالتبغ ، وقبيل إشعاله سألت صاحبى : ماذا كان مصيرك لو ذهبت صحبة الآباء البيض وتعلمت تعاليمهم ، وتلقحت عبادتهم ، ونذرت الطاعة والعفة والفقر مرضاة لله وطمعاً فى الآخرة ؟

لا ، لا ، قال صاحبى : هـذا سؤال لى أطرحه عليك ، هذا عبء ألقيته عن ضميرى منذ اتجهت صوب المادة أعالج شؤونها معالجة عامل عقله فى ساعديه وذهنه بين ساقيه ، وقلبه فى « كرشه » ، أجب أنت ياصديقى على هذا السؤال لأنى آليت منذ هجرت الأهل والوطن أن ألتزم الآلة فأكون مثالها ، تحركها القوة الدافعة ، يغذيها الحريص على بقائها بالزيت والشحم ! ! قل ، أجب ، اشرح لأنى أتوق إلى معرفة ذلك المصير ، مصيرى لو صرت كاهناً ، لأنه كثيرا ما أقض هذا الخاطر مضجعى ، وعكر راحتى ، وسلب الرقاد من جفونى على كره منى

أشعلت غليونى ، أخذت أنظر الدخان يعقد حلقات تتمدد وتتبخر كخواطر الانسان ، وأرى النار تتأجج وتهمد فى قلبه كالرغبات فى ضمير الرجل ، ثم سمعت نفسى تناجينى وضميرى يسارنى فقلت :

ماذا ترانى كنت أكون لو فعلت تلك الفعلة ؟ هل كانت تتبلد مشاعرى ، ويتحجر احساسى ، وتتكور نظراتى ، ولا تعود آرائى تدور إلا حول نقطة مجهولة فى مصير مزعوم طمعاً فى وهم ملفق ؟

هل كنت أتعامى عن الدنيا وما فيها من بدائع صنعها الانسان بقدرته فصيرها جنة لمن يطيب له النعيم فى الجنات ، وجهنم لمن يرتاح إلى الشقاء فى الجحيم ؟

هل كنت أنطوى على جوفى الخالى وراسى القحل كما تنطوى الحية على نفسها فى الرمال تلمظ السم من أنيابها فى انتظار حياة رغدة فى فصل الربيع الذى لا شك فى اقباله بالخيرات ؟

هل كنت أتوسد فراشاً محشوا بشوك الحرمان ، ألتحف الكبت ، أتقلب على جمرات من عذاب الجسد ، ليس لى من مجير سوى حقنات الكافور تخمد إلى حين ثورة الأعصاب المتشنجة ، والنفس المحمومة ، والروح الحائر ؟

هل ترانى كنت أتوجه صوب السماء الصامتة أطلب الغوث من سكانها الصامتين ؟

ماذا ترانى كنت أكون لو فعلت تلك الفعلة ؟

هل كنت ألبس المسوح وأسكن الأديار النائية ، أعد دقائق العمر بين السأم والملل ، والرجاء والخيبة ، والشكوك والريب ، والاستسلام والجمود ؟

هل كنت أعزف عن الدير ومساجينه ، والزهد وقتلاه ، وأطمئن إلى سكنى المدن حيث الزلفى إلى الأغنياء ، والسلطان على الفقراء ، والراحة للجسد ، والشبع للمعد ؟

هل ترانى كنت أنطوى مع من انطوى قبلى من الأغنياء ، أو أتمرد وأتآمر فأصل ذروة العرش فأحمل صولجانه ، وألبس تاجه وأتدثر طيالسة القياصرة ، وأترك الصليب الثقيل للمتجردين ، وأرغم الضعفاء على طاعتى باسم الصليب المقدس ؟

صمت قليلاً وكان صديقى يصغى إلى ، تجرعت جرعة من الشراب هـدأت بها نفسى مما ساورها وباعدت بها عنى حمم التصورات والتخيلات وقد ازدحمت فى الذهن وأخذت تتدفق كسوائل صهرها البركان لتصل إلى العقل الذى يوازن ويقارن ويفاضل وإذا بى أسألها من جديد أسئلة عالجها لويجى بيرانديللو من قبل ، وهى :

« أية سيادة لنا على عواطفنا وأفكارنا وإراداتنا وشخصياتنا ؟ ألسنا كلنا خاضعين لضروب التأثيرات النفسية والجسدية وأن ليس لنا وجود شخصى معين ؟ ألسنا وجدنا لنكون تبعاً لأعمال الآخرين ؟ ألسنا نلعب الدور الذى يفرضه علينا مجتمعنا وبيئتنا وضعتنا ، وإننا ننتهى إلى حيث لا نعرف أين نحن ، وإننا لا ندرى ما إذا كانت شخصيتنا الحقيقية هى التى نحلم بها ، وهى التى نحياها ، أو هى التى نتظاهر بها أمام الناس »

اسمع ياصاحبي واصغ إلي ، إن انساناً واحداً في هذا الوجود له السيادة المطلقة على الفكر والعاطفة والارادة الشخصية ، وأنه وحده غير الخاضع لتأثيرات النفس على الجسد ، هو وحده المتمرد على البيئة والمجتمع والعرف والقانون ، هو الفريد في هذا الوجود ، له وجود شخصي معين يعرف البداية كما يعرف النهاية ، هو صاحب الرسالة ، الرسالة التي يضعها الانسان لأخيه الانسان ، رسالة غير منزلة على القلب ، ولا مكتوبة على الحجر ، ولا مبعوث بها مع رسول ، إنما هي أنات المجاميع ، وتوجعات العبيد ، وعويل الاجراء ، يصورها بالقلم ضمير إنسان مثلي ومثلك يشعر بالأنين والوجع والعويل أكثر مما يشعر بها أولئك الصادرة عنهم أنفسهم ، ويحس بالظلم والجبروت والطغيان والقهر الصادرة عن أفراد أشرار يعبثون بالمجاميع ، يلهون ويلغون في جسومهم وأبدانهم ودمائهم كما لو أنها نازلة فيه ومنصبة عليه ، هذا الانسان من القلائل الذين يحملون رسالة مساواة الانسان بأخيه ، هذا الرسول الذي تتمخض الانسانية فتلده ، لا يمكن مطلقاً أن تقيده قيود إكليريكية ، أو علمانية ، أو تغله سلاسل الملكية أو الاقطاعية ، أو تعوقه البورجوازية أو الرأسمالية لأنه خلق في الأصل لأن يكون صاحب رسالة ! !

شتان ياصاحبي بين رجل روحاني تطوح به الأقدار والمصادفات فتلقيه بين مخالب المادة فتكتنفه من كل جانب فتغرقه بين طيات لذاذاتها ، وبين رجل موهوب لو اجتمعت عناصر الطبيعة ، وأتمر الوجود على طمسه والطغيان على وجوده لسخر من الطبيعة والوجود وبرز كالظاهرة الكوكبية في أجواء الفضاء يلمع ويسطع بين عناصر الكون ليتمها بوجوده ! !

شتان بين البارقة من الروح واشعاعاتها كلها ، في كل إنسان نسمة من هذا الروح . أما صاحب الرسالة فهو روح بذاته

ستعود إلى أمريكا وأرجع أنا إلى مصر ، وقد نتلاقى ثانية ، وقد لا نتلاقى لا في هذا العالم ولا في العالم المجهول ، وستبقى أنت كما كنت مجداً في تنظيم مشاريعك الاقتصادية تموه بها على نزعة النسمة من روحك التي أكسدها الاستغراق في المادة ، وسأرجع أنا إلى مثل ما كنت عليه في تصوير الجمال بالألفاظ المتناسقة إرضاء لنسمة الروح المصقولة باندماجي فيها ، وستلد الأمهات الآلاف مثلك ومثلي ، وسيكون لكل منهم اتجاهه الخاص . نعم ، قد تعوق اتجاهه بعض العوامل الخارجية وتعرقله في إظهار ما في وسع نسمة الروح إظهاره من رسالة ، ولكنها لن تصده عن إتمامها على الوجه المقنن في خصائصها وعناصرها المقننة ! !

كلنا أبناء الطبيعة الهوجاء ، والقدر الأرعن ، والدهر العابث ، كلنا صرعى الفوضى وضحايا التشتت ، إنما الرسول الملهم هو الذي يستجمع من الهوج والرعن والعبث ألواناً زاهية يرسم فيها للحياة صوراً جميلة فاتنة مغرية تجتذب الجماعات المغمورة بالجهالة صوب الغاية من وجود الحياة ! !

* * *

باخرتان : اتجهت الواحدة صوب الغرب تحمل رجلاً ينزف دمه في عبادة المال حيث أربابه هناك ، وألقت الثانية مراسيها في ميناء شرقي تعيد إليه عابداً من عباد الحب والجمال والفن حيث آلهتها هنا ! !

حبيب الزحلاوي

البريد الأدبي

التعصب اللغوى بعد التعصب الجنسى

ظهرت فى إيطاليا أخيراً حركة للعمل على تطهير اللغة الايطالية من العبارات والكلمات الأجنبية ؛ وبطل هذه الحركة كاتب معروف هو السنيور باولو مونيلى ، وقد أذاع دعوته فى كتاب شديد اللهجة يدعو فيه إلى تحرير اللغة القومية العريقة من ذلك السيل من الكلمات والعبارات الأجنبية « البربرية » ويعترف السنيور مونيلى بأن هناك كلمات أجنبية فى دوائر الأعمال والرياضة يصعب الاستغناء عنها ، ولكنه يرى أنه يمكن الاستغناء عن الكثرة الساحقة من الكلمات والعبارات الدخيلة التى تشوه جمال اللغة الايطالية وتظهرها بمظهر القصور والفقر فى حين أنها من أعرق لغات الأرض وأغناها

وهذه الحركة التى يدعو إليها الكاتب الايطالى بالنسبة للغة الايطالية ليست إلا طرفا من الحركة العامة التى ظهرت من قبل فى تركيا الكمالية وفى ألمانيا ، ثم ظهرت أخيراً فى إيران ؛ ومما يلاحظ بنوع خاص أنها من آثار النظم الطاغية التى تسيطر على هذه الأمم وتمعن فى فهم النزعة القومية وتدفعها إلى حدود التعصب الجنسى والعلمى . ففى تركيا تضطرم الحكومة الكمالية بنزعة تعصب عميق نحو الاسلام ونحو اللغة العربية التى هى من أبرز مظاهره ، وتبذل منذ بضعة أعوام مجهوداً عنيفا لاستبعاد الألفاظ العربية من اللغة التركية مع أنها تكاد تتفوق فيها على العناصر التركية الأصلية ، وإحياء الألفاظ التركية القديمة ؛ بيد أنها مع ذلك تضطر إلى الاشتقاق من اللغات الأوربية بكثرة ظاهرة ، مما يدل على أن الغاية الحقيقية ليست تحرير اللغة التركية من الألفاظ الأجنبية ، بل قتل العناصر العربية فيها تحقيقا لبرنامج الكماليين فى محو كل آثار للاسلام والعربية من الحياة التركية الجديدة . وفى ألمانيا الهتلرية تجرى حركة لاستبعاد الألفاظ الأجنبية وتطهير الجرمانية منها ، وهذه حركة نستطيع فهمها فى أمة عظيمة كألمانيا ذات لغة عريقة محدثة ، وإن كانت فكرة الهتلريين لا تخلو مع ذلك من عناصر التعصب القومى والجنسى . كذلك أخذت إيران أخيراً تحذو حذو تركيا فى حذف الألفاظ العربية من اللغة الفارسية ؛ بيد أن حكومة الشاه تجرى فى ذلك فى هوادة واعتدال ، وتؤكد للعالم العربى أنها لا تبغى سوى غاية لغوية ثقافية ترى تحقيقها باحياء مجد اللغة الفارسية القديمة

كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية

صدر أخيراً بالانكليزية كتاب جديد عن الثورة الفرنسية بقلم دونالد جرير ؛ وعنوانه « حوادث عهد الارهاب » Incidents of the Terror ، فهو إذن يتناول هذه الناحية من حوادث الثورة فقط ، وهى بلا ريب من أخصب نواحى الثورة وأحفلها بالحوادث الرائعة

وقد ظهرت عن الثورة الفرنسية فى معظم الآداب الحية كتب ومؤلفات لا حصر لها ، ومنها آثار جليلة شاملة ؛ ولكن الثورة الفرنسية تبقى أبداً موضوعاً للتأمل والدرس ، ولا ينضب معين الطرافة والجدة فى حوادثها وأسرارها الدفينة . ومؤلف اليوم ليس قصة ، وإن كان ما يورد من الحوادث يفوق القصص فى غرابته وروعته ، بل هو تاريخ محقق من الوثائق والسجلات والمراجع المحترمة ؛ وفيه يقص المؤلف حوادث عهد الارهاب الذى أزهقت فيه عشرات الألوف ، ويصور لنا حالة الفرائس المسوقة من الكبراء والنبلاء ، ويسرد حوادث محاكمتهم وإعدامهم فى روية واعتدال ، وقد انتهى المؤلف إلى القول بأن من أعدموا خلال هذا العهد بواسطة المقصلة يبلغون ١٦,٥٩٤ نفساً ، وأن هنالك عدداً أكبر يقدر بين ثلاثين وأربعين ألفاً هلكوا فى السجون من المرض والبرد والمعاناة النفسية ؛ وتقديره النهائى هو أن خمسة وخمسين ألفاً هلكوا ضحية الثورة الفرنسية ، هذا بينما يقدر بعض الباحثين من هلكوا فى الثورة الروسية الأخيرة (الثورة البلشفية) بخمسين ألفاً فقط ، ويعرض لنا الكاتب فى أسلوب قوى شائق العوامل والأسباب التى يعتقد أنها مبعث هذا العنف والسفك المنظم

مشروع علمي جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربية والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحيــة ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربى

وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج ثلاثة كتب

(الأول) عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن

(الثانى) الآراء الحديثة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية

(الثالث) سكان هذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار

وستخرج اللجنة فى شهر فبراير سنة ١٩٣٦

(١) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام

(٢) كتاب « النقد الأدبى » تأليف لاسِل أبر كرومبى وترجمة الدكتور محمد عوض

(٣) كتاب « علم التاريخ » وهو بحث فى النظريات الحديثة لعلم التاريخ ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى

وهكذا ستسير اللجنــة على هذا النمط فى اخراج أجزاء السلسلة تباعاً فى فروع العلم المختلفة

وقد شجعت وزارة المعارف العموميــة اللجنة على هذا العمل بمساعدتها المالية والأدبية

وترجو اللجنة باستمرارها فى هذا العمل أن تكون منــه دائرة معارف عامة تشمل كل الموضوعات العلمية والأدبية

رئيس لجنة التأليف والترجمة

أحمد أمين

تجربة لاختبار الذكاء

قامت بعض دوائر التربية فى اليابان بتجارب عقلية لاختبار ذكاء التلاميذ فى المدارس الابتدائية ، وجعلت الحد الأعلى لمقدرة التلاميذ ١٥٠ درجة واختبرت بهذه الطريقة سبعة آلاف تلميذ فلم ينل منهم الحد الأعلى أعنى ١٥٠ درجة سوى ١٦٥ تلميذاً فقط وظهر من التجربة أن اختلاف السن بين الوالدين لا يؤثر تأثيراً سيئاً على الصفات العقلية للنسل ؛ ذلك لأنه وجد بين هؤلاء المائة وخمسة وستين تلميذاً النابغين عدد كبير من الأبناء الذين ولدوا من آباء سنهم بين الثالثة والأربعين والخامسة والأربعين ، وأمهات بين الخامسة والعشرين والسابعة والعشرين . بيد أنه وجد فى معظم الحالات أن هؤلاء التلاميذ ولدوا من آباء فى نحو الثلاثين وأمهات فى نحو الرابعة والعشرين

وقد ظهر أيضاً أن الوالدين الفتيان لم ينجبوا أبناء فى منتهى الذكاء ، وأن الزواج الباكر جداً ينتج أبناء لا تتفتح مواهبهم العقلية تفتحاً تاماً ؛ هذا وقد لوحظ مع الدهشة أن الوظفين والمستخدمين الصغار هم آباء أذكى التلاميــذ ، ثم يأتى بعدهم التجار ، ثم أرباب الصناعات فالمربون فالأطباء فالعمال

ومما أظهرته التجربة أيضاً أن أذكى التلاميذ هم كذلك أصحهم بنية وجسما

آثار العمالقة

يقدم إلينا القصص القديم كثيراً من سير العمالقة والمخلوقات الضخمة التى لم تعرفها عصور التاريخ المدون ؛ والظاهر أن أولئك « العمالقة » لم يكونوا مجرد خيال فقط صوره القصص القديم ؛ ففى الأنباء الأخيرة أنه اكتشفت فى منطقة مانيتوبا فى كندا (أمريكا الشمالية) هياكل بشرية ضخمة يبلغ طولها نحو ثمانية أقدام (نحو مترين وثلاثة أرباع المتر) ، واحدها فى حالة جيدة من الحفظ ، وكان اكتشافها على عمق أربعة أقدام فى أحد المحاجر التى تستغل فى تلك المنطقة

وقد استدعيت بعثة من الاخصائيين من علماء التشريح وعلم طبقات الأرض برآسة الأستاذ ديلورى أستاذ علم طبقات الأرض بجامعة وينبج ، فصرح بعد بحث الهياكل أنها ترجع إلى عدة آلاف من السنين ، وأنها تنتمى إلى جنس من العمالقة كان يسكن غرب كندا قبل مجيء الهنود الحمر بأحقاب بعيدة

هذا عن العمالقة من بنى الانسان . أما المخلوقات الضخمة التى يذكرها القصص القديم ، فتدل الابحاث العلمية الحديثة على أنها كانت توجد فى غابر الأزمان فى بعض جهات الصين وأفريقية الجنوبية كما تدل على ذلك بقايا العظام والهياكل الضخمة التى اكتشفت فى تلك الأنحاء . وأما الأحياء المائية الضخمة فما زالت توجد حية فى بعض البحار وإن كانت قد غدت نادرة بحالة تؤذن أنها أضحت على وشك الانقراض

أثر خطى نفيس

لا تزال الأديرة القديمة فى مختلف أنحاء أوربا تحتفظ بكنوز من الآثار الخطية القديمة ؛ ومن هذه الأديرة دير كرمز منستر بالنمسا ، فهو يحتفظ بطائفة من مخطوطات العصور الوسطى ، وفى الأنباء الأخيرة أن مكتبة الدولة فى بافاريا قد حصلت من هذا الدير على مخطوط أثرى نفيس للشاعر الألمانى هينرخ فون منخن وهو مخطوط يرجع إلى القرن الرابع عشر ، وفيه قصص شعرية رائعة مأخوذة من التوراة ، وقصص أخرى من العصر القديم حتى عصر كارل الأكبر ، وقد تولى شراءه لحساب مكتبة بافاريا الهير فون بابن سفير ألمانيا فى النمسا

وفاة مؤلف موسيقى

من أنباء فينا (النمسا) أن المؤلف الموسيقى الشهير البان برج قد توفى ، وكان مولده فى فينا منذ خمسين عاماً ، ومع أنه من تلاميذ المدرسة الأمبراطورية القديمة ، فانه نحا فى التأليف الموسيقى نحواً جديداً ، وله مقطوعات موسيقية كثيرة ، وقطعة «أوبرا» تسمى «فوتسك» نالت نجاحاً عظيما ، وكان إلى ماقبل وفاته بأيام قلائل يقود حفلاً موسيقياً عظيما فى أحد مسارح فينا الكبرى ، فأثارت طريقته الجديدة استحساناً عظيماً كما أثارت نقداً عظيما ، ويرى النقدة أنه لم يبلغ ذروة قوته وفنه ، وأن الموت عاجله ، فأصابت الموسيقى النمسوية بفقده خسارة لا تعوض

جوائز أدبية نمسوية

ومن أنباء النمسا أيضا أن جائزة الدولة النمسوية عن الأدب لسنة ١٩٣٥ قد منحت إلى الأستاذ بركونج ، ومنحت جائزة الدولة للموسيقى إلى الأستاذ يوسف مسنر رئيس فرقة سالزبورج للموسيقية ؛ ونال جائزة التأليف الموسيقى المؤلف الموسيقى الشهير الدكتور فريدريخ ريدنجر



كتاب اللآلى *

شرح امالى القالى

للاستاذ أحمد أمين

أخرجت المطابع الشرقية ، آلاف الكتب العربية ، ولكن — مع الأسف — لم يكن الاخراج فى أكثر الأحيان على نمط علمى ولا قريب منه ؛ فكثير من الناشرين تجار لا علماء ، يهمهم الربح أكثر مما تهمهم الدقة والضبط ، فهم يعهدون فى تصحيح كتبهم إلى من ليسوا محل ثقة ، ولا أمانة ، فلا يكلفون أنفسهم عناء جمع النسخ من الكتاب ليستعينوا بها ، بل يعتمدون على نسخة واحدة وقد يكون غيرها خيراً منها ، ثم لا يرعون الأمانة فيما بين أيديهم . فقد لا يفهمون جملة فيغيرونها أو يحذفونها ، وقد لا يستطيعون قراءة كلمة فيضعون كلمة أخرى من عندهم محلها ، من غير إشارة ولا تنبيه ، فخرج كثير من الكتب وعدمها خير من وجودها ، والنار أولى بها من المكتبات . وأمامى الآن وأنا أكتب هذه السطور كتاب الحيوان للجاحظ فلا أستطيع أن أقرأ صفحة منه من غير أن أعثر فيها على عدة عثرات ، من نقص ، إلى تصحيف ، إلى زيادة حرف ، إلى لحن ، إلى ما شئت من كل ضروب الخطأ — مع أن فى مكاتب العالم نسخاً يمكن بموازنتها اخراج نسخة أقرب إلى الضبط وأدنى إلى الكمال . ومثل كتاب الحيوان غيره من الكتب الأخرى يطول القول بتعدادها ، فنحن إذا عددنا الكتب الصحيحة أو القريبة من الصحة سهل علينا عدها ، وإذا عددنا السيئة المغلوطة أعيانا العد ، وقد أغرنا بعض العناية لكتب الحديث كالبخارى ومسلم ، وكتب اللغة كالقاموس واللسان . فأما غير هذين النوعين فقد كان مجال الخطأ فيه فسيحاً وفى ميدانه متسع للجميع

وقد سبقنا المستشرقون فى النشر وطرقه بمراحل ووضعوا له قواعد وأصولا ؛ ولست أنسى المحاضرات القيمة التى ألقاها فى سنة المرحوم « برجستراسر » فى كلية الآداب بالجامعة المصرية فى كيفية معارضة النسخ القديمة بعضها ببعض وكيفية النشر وما يجوز للناشر وما لا يجوز ... الخ

وكان كثير من الكتب التى أخرجها المستشرقون مثالا صالحاً ، لأنهم يعدون نشر الكتاب من الناحية العلمية لا يقل قيمة عن التأليف ، فالعالم كما يعد من مفاخره أنه ألف كتاباً ، يعد من مفاخره كذلك أنه نشر كتاباً ؛ وكما لا يضن بجهده ووقته فيما ألف ، لا يضن بهما فى ما ينشر . ومن الأوليات عندهم أن يجمعوا كل النسخ من الكتاب الذى يريدون نشره من مكاتب العالم ما استطاعوا ، ويصرفوا الزمن الطويل فى مقابلة بعضها ببعض والتعليق عليها وضبط أعلامها وغريبها ، ولا يألوا جهداً فى إيضاح الغامض وتبيين المشكل ، ووضع الفهارس للأعلام والبلدان وما إلى ذلك . فلا عجب أن يصرف الأستاذ « ريت » عشر سنوات فى تصحيح كتاب الكامل للمبرد ونشره لأول مرة ؛ وفضله وجهده ظاهران فى الطبعات المصرية التى نشرت بعد ، حتى سهل على العالم أن يدفع الثمن الغالى لكتاب طبع طبعة أوربية ولا يدفع الثمن البخس فى طبعة له مصرية . إن شئت فوازن بين كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة المطبوع فى أوربا والمطبوع فى مصر ، فهو فى مصر ناقص أكثر من نصفه ، ومحرف تحريفاً شنيعاً ، وهو فى أوربا كامل مضبوط صحيح بقدر الامكان

ومما نغتبط له أن نرى من أهل اللغة العربية أنفسهم من حذا حذو المستشرقين فى نشر الكتب ، بل فاق بعضهم أحياناً ، فبذل الجهد فى التصحيح والتعليق ومعارضة النسخ وعمل الفهارس ،

* هذا الكتاب يقع فى ثلاثة أجزاء وستصدره لجنة التأليف والترجمة والنشر فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

وهذه طليعة حسنة نرجو أن تستمر وترقى . فرأينا مثلا من ذلك فيما تنشره دار الكتب من كتاب الأغانى ونهاية الأرب وغيرهما ، وفيما تنشره لجنة التأليف من كتاب السلوك للمقريزى

ولعل من أجل الأعمال فى هذا الباب ما فعله صديقنا الأستاذ عبد العزيز الميمنى فى نشر كتاب اللآلى فى شرح أمالى القالى للوزير أبى عبيد البكرى ، فقد اختار كتاباً للنشر فأحسن الاختيار ، لأن كتاب الأمالى عدّ — من قديم — أصلا من أصول الأدب التى اعتمد عليها الأدباء فى العصور المختلفة إلى الآن ، وقد كان النواة الأدبية الأولى التى بذرها أبو على فى بلاد الأندلس من علوم الشرق فنمت وأثمرت ونضجت وآتت أكلها كل حين بإذن ربها . وقد كانت أماليه المدرسة التى تخرج عليها مشهورو الأدباء فى الأندلس ولقيت منهم من العناية ما هى جديرة بها . وكان للامالى طابع خاص غير الطابع الذى غلب على أمثالها من كتب الأدب كالبيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد ؛ فكتاب البيان والتبيين طابعه مختار من الأدب صبغ بصبغة الجاحظ من ميل للاستطراد الكثير وتحدث فى الشؤون الاجتماعية ، واقتباس من الثقافات الأجنبية ، كالثقافة الفارسية والهندية واليونانية ، وميل إلى الفكاهة والاحماض ؛ وكتاب الكامل غلبت عليه طبيعة المبرد من ميل إلى النحو والصرف ، لأن المبرد كان أديباً نحوياً ، أحسن ما يعجبه من الأدب ما استطاع أن يخرج منه إلى مسألة نحوية أو صرفية ، ثم يطيل النفس فى ذلك حتى كان الكتاب كتاب نحو ؛ وهو لا يستطرد فى الشؤون الاجتماعية كما يفعل الجاحظ ، ولكنه يعنى بالثقافة العربية مصبوغة بالصبغة النحوية ؛ فظهر الجاحظ مظهر المتكلمين من سعة الاطلاع وتفتيق الموضوع ، ومظهر المبرد مظهر النحويين الأدباء من تشقيق اللفظ وتخريجه واعرابه واستعراض معانى الكلمات فى أوضاعها المختلفة

أما القالى فقد غلب عليه الأدب واللغة أكثر من غلبة النحو والحديث ؛ وأكثر ما ألف فى اللغة والأدب ، فقد ألف البارع فى اللغة ، وشرح المعلقات ، وكتب فى الابل ونتاجها ، والخيل وشياتها الخ . فثقافته ثقافة عربية لغوية ؛ ثم هو ليس عربياً كالجاحظ والمبرد بل هو مولى للأمويين : كان جده سلمان مولى لعبد الملك بن مروان ، ولعل هذا ما حدا به إلى أن يرحل من الشرق إلى دولة مواليه الأمويين فى الأندلس ؛ وهذا يميزه عن الجاحظ والمبرد بأن علمه كان علم حفظ وجمع ورواية لا تعتمد على السليقة كما يعتمدان . فهو إذا أراد أن يخطب أرتج عليه ، ولكنه فى درسه واسع العلم غزير الرواية ، وكان كتابه الأمالى مظهراً لذلك ، ينقل القطعة المختارة من العرب فى شعرهم ونثرهم وحكمهم وخطبهم ووصاياهم — وأكثر ما ينقل عن أستاذه أبى بكر بن دريد — ثم يتبع نقله بتفسيره لما ورد فى القطعة الأدبية من ألفاظ لغوية ، ويشقق الكلمة اللغوية ويبين معانيها ، وكثيراً ما يستشهد على معنى الكلمة ببيت من شعر قديم أو مثل سائر أو نحو ذلك

وكتابه يمتاز بأنه يروى كثيراً من القصص العربية الأدبية ، وهى نزعة أتت له من ابن دريد ، فقد كان على ما يظهر محباً لهذا النوع من القصص اللطيف . فأكثر ما يرويه القالى فى أماليه من هذا القبيل : فأعرابيات يصفن آباءهن ، ومحاورة للفرزدق مع بعض الأعراب ، ووصف أعرابى للدنيا وقد سئل عنها ، ووصايا رجل لبنيه ، وامرأة لبناتها الخ ؛ فمختاراته ليست جافة جفاف « الكامل » ، ولا أدباً بحتاً كأدب « الكامل » ، إنما هو أدب فرش له فرش جميل وأعد له إعداد أنيق . لم يجرد فيه المظروف من ظرفه ، ولم تسلب فيه الحسناء حليها ؛ وقلّ أن يتعرض فيه للنحو والصرف التعقيبات كما يفعل المبرد ، ولا للاستطراد الخفيف الروح كما يفعل الجاحظ . إنما خفة روح الأمالى من نمط آخر غير نمط البيان والتبيين ، نمط فيه التاريخ والقصص والأساطير أحياناً ممزوجة بالأدب ، ثم تفسير لما ورد فيها من غريب اللغة

ولكن أخذ عليه بعض أشياء فى تأليفه ، فجاء أحد مواطنيه وهو أبو عبيد البكرى الأندلسى أمير لَبْلة وصاحب جزيرة شلطيش ، فأراد أن يخدم الأمالى بتكميل نقصها ، وتحلية عاطلها ، فألف فى ذلك « كتاب اللآلى فى شرح أمالى القالى » وأجمل غرضه فيما قدم بين يدى كتابه فقال : « هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التى أملاها أبو على اسماعيل بن القاسم القالى ما أغفل ، وبينت من معانى منظومها ومنثورها ما أشكل ، ووصلت من شواهدها وسائر أشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك إلى قائليه ما أهمل ... وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ذكر مرجح

ناقد ، ونبهت على ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند ، محتج على جميع ذلك بالدليل والشاهد ، والمستعان الله »

ثم جاء الأستاذ عبد العزيز الميمني الهندي أستاذ اللغة العربية بجامعة عليكره فقام في هذا الكتاب مقاما يستحق الاعجاب حقا ، ويستحق التقدير حقا ، وقد دلنا منه على علم غزير واطلاع واسع وإن لم يكن ذلك خافياً علينا من قبل

فقد أخرج كتاب « اللآلى فى شرح أمالى القالى » اخراجاً علميا على النمط الذى ننشده ، فعارض بين نسخه المختلفة من مكية وألمانية ؛ وبذل أقصى الجهد فى تصحيحها ، ولاقى عرق القربة فى ضبط أعلامها وبلدانها وأشعارها وغريبها ، ووقف فى كثير من المواضع موقف الحكم بين أبى على وأبى عبيد ، ينتصر لهذا حيناً وذاك حيناً بالدليل والبرهان ؛ ورأى أن أبا عبيد البكرى اقتصر فى شرحه ونقده على كتاب الامالى دون الذيل فوقف الميمنى موقف البكرى فى ذلك ، وشرح الذيل ونقده — وراجع فى كل ذلك مئات من أمهات الكتب . وسيعجب القارئ كيف وقف على الأبيات المختلفة المنتثرة فى هذه الكتب العديدة وعرف مواضعها ، ووفق إلى استخدامها ، ثم ختم ذلك بتصحيح أغلاط وضبط روايات ، وتقييد زيادات ، لكتاب الأمالى وذيله المطبوع فى مطبعة دار الكتب ، فأوفى فى ذلك كله على الغاية

ومنطقه فى أحكامه على القالى والبكرى منطق صحيح غالباً ، وإن أخذ عليه شىء فاستعماله أحياناً عبارات قاسية فى النقد مثل « أغلاط مستنكرة » و « متناهية فى الاستبشاع » ونحو ذلك مما كنا نود أن يرفق فيه قلمه

وعلى كل حال فقد أسدى « الميمنى » إلى اللغة العربية خدمة لا تنكر ، وقدم مثلا للنشر يجب أن يحتذى

وكان من فضل كتابه أنه « عصبة أمم » فى كتاب ، فأبو على القالى شرقى استوطن قرطبة ، والبكرى أندلسى الأصل والنشأة ، و « الميمنى » هندى ، ولجنة التأليف ناشرة الكتاب مصرية . فأنعم بهذه الرابطة بين القديم والحديث ، وبين المحدثين فى أوطانهم المتنائية وأرواحهم المتقاربة !

أحمد أمين

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٦ — ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 136.

Lundi-10-2-1936



بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة	الموضوع	الكاتب
٢٠١	تاريخ يثور	أحمد حسن الزيات .. ..
٢٠٣	فى وقع الموت	الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٢٠٥	الوزير ابن كلس	الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٢٠٧	القلم المصرى	الأستاذ محمد فريد أبو حديد ...
٢١٠	قصة المكروب	الدكتور أحمد زكى ... ...
٢١٤	الحياة الأدبية فى دمشق ..	الأستاذ على الطنطاوى .. ...
٢١٦	أزمة أوربا الدينية	محمد جـلال ... ...
٢١٩	بين الماضى والآتى ...	الأستاذ أديب عباسى ... ...
٢٢٢	الرابطة الثقافية بين مصر والشرق العربى	الأستاذ رفيق اللبابيدى . ...
٢٢٤	من ربوع الغرب إلى بلاد العرب	الدكتور عبد الكريم جرمانوس
٢٢٧	رثاء (قصيدة) ...	الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
٢٢٨	نذالة التعاسة « ...	الأستاذ عبد الرحمن شكرى ..
٢٢٨	الأمة العربية « ...	حبيب عوض الفيومى ... ...
٢٢٩	تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا	الأستاذ خليل هنداوى ... ...
٢٣١	أجاممنون (قصة) ...	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٢٣٦	حلم ليلة صيف . بيبردى نولهاك	
٢٣٧	كتاب عن ذكرى ابن ميمون . القصة فى التعليم	
٢٣٨	الاسلام فى اليابان . من أعاجيب الراديو	
٢٣٩	محمد (كتاب) ...	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٢٤٠	علم تكوين الجنين (كتابان) دليل الحج والسياحة	الأستاذ محمد بك كرد على ...

على ذكر حوادث دمشق

تاريخ يثـــور . . .

على ضفاف الوادى ، وهضاب فلسطين ، ورياض سورية ، يثور تاريخ ، ويغضب مجد ، ويستغيث مظلوم . . . ! !

على الوطن الذى ورفت على نيله أول حضارة ، والبلدِ الذى هبط على طُوره أول دين ، والقُطر الذى انبثقت من ساحله أول ثقافة ، تُمتحن الحرية بمن فرضوا على الملك أول دستور ، وتُمتهن العدالة ممن حملوا للهِ أول كتاب ، وتُبتلى الانسانية بمن أعلنوا للانسان أول حق . . . . ! !

على هذه الأقطار الثلاثة التى شع منها السلام والاسلام والخير ، يستكلب الطمع ، ويشتجر الهوى ، وينفجر البغى ؛ فالمفاوضات وعيد ، والاحتجاجات حديد ، والمواعيد مراوغة ، كأنما عيَّ المنطق من طول ما مارس العلم ! ومات الضمير من كثرة ما دارس الخُلق ! وزهق العدل من شدةما زاول القانون ! !

فى القاهرة وأورشليم ودمشق ، شباب يحمَى على لذع البنادق ، ودم يفور على مسِّ الأسنة ، وأمل يشرق فى الوجوه الوضيئة ،

وطموحٌ يومض فى العيون الرغيبة ، وماضٍ تميز فى إبهام الدهر تمثل فى الأذهان الصافية ، ومجدٌ تأثل فى أربعة عشر قرناً يعصف بالنفوس الفتية ! فماذا تصنع مُدية اللص فى قلب تدرَّع بالايمان ؟ وماذا تبلغ سطوة الباطل من حق تسجَّل فى لوح الزمان ؟!

* * *

يا لله ! ألم يأن لدعاة المدنية ... وحماة الحرية ... ورسل العلم .. أن يروضوا عقولهم على الحقيقة ، ويفتحوا عيونهم على الواقع ؟! إن هذا الشعب الذى تتحلب أفواههم قَرَماً لأكله ، لا يزال يعيش فى ملك آبائه الفاتحين ، ولا يزال مطوىَّ الحنايا على العزيمة التى قبض بها من قبل على زمام الدنيا ، وشارك فى تصريف الأقدار ، وأملى إرادته على سجل الزمن ! إن حلمه لثقيل ، ولكن غضبته مفزعة ؛ وإن نومه لطويل ، ولكن يقظته مروِّعة ! إنه على اختلاف أقطاره لا يزال يحمل فى نفسه سر (الجزيرة) التى يعيش فيها الجمل الوقور الصابر ، والأسد الهصور المتوثب !!

إن فى كبد أوروبا جمرة من العرب منذ غزتها بالدين والمدنية والعلم سفائنُ طارق ! ولقد انطفأت البراكين ولما تنطفىء هذه الجمرة ! أجلت العرب عن أرضها بالبربرية الهوجاء ، والتعصب الحاقد ، والقسوة الجامحة ، ثم كتَّبت الكتائب الحليفة وغزتهم فى عقر بلادهم باسم الدين المظلوم فى عهد (صلاح الدين) ، ثم بالعلم المسموم فى عصر (عبد الحميد) ، ثم بالمدنية المغشوشة فى عهد (عصبة الأمم) ! فما كان الدين والعلم والتمدن إلا ألفاظاً حُملت بالكره على معانى الثأر والاستعمار والغصب ! ثم أغروا بنا الجهالة والمجاعة والفوضى ، ومضوا فى ظلال الأمن ، يمتصون من دمائنا الذهب ، ويتخذون من لحومنا القوت ، حاسبين أننا مخدَّرون بالأباطيل فلا نفيق ، مُثقلون بالتقاليد فلا ننهض ؛ ولكن الملدن يا غُلْفَ القلوب كريم ! وهذا الذى يعلوه غبار لا صدأ ! وهاهى ذى سياسة الارهاب والاغتصاب تجلوه عن شباب عرفوا كيف يموتون ، أكثر مما عرفوا كيف يعيشون ! وهاهم أولاء يمشون على ما بلى من هيا كل الشيوخ ، كما يمشى المرحون على ما جف من سَقَير الشجر !! إنهم يسرعون الخطى إلى الربيع الباسم والجو الطليق ، وفى أسماعهم المرهفة دوىٌّ لا ينقطع بهذا الهتاف : « لقد فتح آباؤكم ثلاث قارات فى ربع قرن ، أفتعجزون عن تحرير ثلاثة بلاد فى نصف قرن ؟ ! »

* * *

إن شباب العرب مصريين وسوريين قد أخذوا موثقهم من الدم الشهيد أن يعيشوا أعزة أو يموتوا كراماً ! فلا تتحدَّوا بالعذاب السفيه جنساً برمته وتاريخاً بأسره ، ولا تعبثوا بالمعاجم التى تعب فيها اللغويون والمجامع فتسموا النهب تنظيما والقتل تعليما والغزو صداقة ! جربوا الصداقة بمعناها اللغوى الصحيح تفوزوا المال والرجال والسمعة ، فإن هذا الشعب الذى وقعتم فى صفوه ، وتعبتم من غزوه ، ويئستم من خداعه ؛ كان له فى السياسة العالمية شأن ، وفى اللغة الدولية اصطلاح ، وفى قيادة الانسانية محل ، ومن اصلاح المجتمع نصيب ! فهو يفهم الصداقة ، ويَقْدِر المعاونة ، ويكبر التضامن ، ويعقد صِلاته بالناس على ضوء شريعته وقرآنه !

إن سلام الشرق منوط بسلام العرب ؛ وإن السلام والاسلام لفظان مترادفان على معنى واحد ؛ وليس من معانى السلام المهانة ، ولا من دلالات الاسلام الاستكانة ! إنما هما الحياة القائمة على الحرية والأخاء والمساواة ، وهى الأقانيم الثلاثة التى رسمتها الثورة على عَلَمكم المثلث !

بغير هذا لا يرضى العرب ! وبدون هذا لا يحيا العرب ! فراجعوا فى سياستكم العقل السالم من الهوى ، والضمير الخالص من الرِّيبة ، وحكموا بينكم وبينهم مبادىء الناس ، فانهم — كما تحسون وتلمسون — من الناس ! !

احمد حسن الزيات

فى وقع المـــوت

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

ضمني مجلس قال أحد من فيه -- وقد ذكر بعضنا وفاة الملك جورج الخامس ، وقول الأطباء إنهم لم يشهدوا أعراض مرض معين ، وأن قواه كانت تهبط شيئاً فشيئاً — : « إن من الصعب على الانسان أن يواجه الموت وهو محتفظ بعقله » ، فقال آخر إن الذى يخفف عنه فى هذه الساعة أنه يستسلم للموت ولقضاء الله فيه ، فسألته : « هل معنى هذا أنه يقبل على الموت راضياً ويتلقاه مغتبطا ؟

فكان جوابه : « نعم . . . . يستسلم فيفقد الموت لذعه ورهبته » . . . ولست طبيباً ولا شبهه ، ولكنى لا أرى هذا ولا أستطيع أن أقتنع به ؛ وعندى أن الانسان لا يزال إلى آخر عمره يثور على الموت ويجاهد أن يدفعه عنه ويق نفسه منه ؛ ولكن جسمه يفقد الحيوية فتذهب معها الارادة — لا ارادة الحياة ، فانها لا تفارقه أبداً ، بل ارادة المقاومة والكفاح بعد استنزاف القوة ، ويظل المرء كارهاً للموت مشتهياً للحياة متعلقاً بها ، ولكنه يعرف من نفسه أنه لم يعد قادرا على المجاهدة ، ويخطئه العون اللازم من الجسم فيكون كالذى فقد فى المركة سلاحه ، أو فرغت ذخيرته والأعداء مطبقون عليه ، فيوطن نفسه على الموت يأساً من النجاة

والمرء إنما يقاوم الموت بجسمه ، وقد يستطيع بقوة الارادة أن يطيل أمد المقاومة ؛ ولكن استمرار المقاومة معناه أن جسمه لا يزال محتفظاً ببقية من القوة مذخورة — بالغة ما بلغت من الضآلة — وبهذه البقية يستطيع أن يجعل لارادته أثراً ولمقاومته لعدوان الموت مظهراً ، فاذا زالت هذه البقية ونضب المعين ، لم يبق للارادة عمل ، لأن الأداة التى تعمل بها الارادة تكون قد فنيت وذهبت

ولا فرق هناك بين من يكافح الموت — فى الأحوال العادية الطبيعية — وبين من يقاتل مع جيش . فكما أن الجندى يثبت ويصمد ويتسنى له أن يكر ويفر ، ويهاجم ويدافع ما بقى معه سلاحه وعدته ، حتى إذا فقد ذلك لم يبق له عمل ، كذلك يكون المرء حيال الموت الذى يدلف إليه ويدنو منه على الأيام ليثبت عليه آخر الأمر . وكل ما هنالك من الفرق أن الموت كامن فينا ، وأن أداته الضعف الذى يصيبنا ، والهرم الذى يدركنا ، والعجز الذى يستولى علينا فى النهاية ، فهو ليس عدواً يهجم علينا ، بل حالة نصير إليها حينما تنفد الحيوية لسبب من الأسباب

وقد راقبت الموت أكثر من مرة ، وشهدت كثيرين وهم فى سياقه ، ثم ماتوا بين يدى ، وكان الموت فى هذه الحالات كلها على أثر نضوب الحيوية ونفاد القدرة على المقاومة . وكانت إحدى الميتات بسبب النزف ، فظل العقل حاضراً لا يغيب ولا تغيم سماؤه ، ولا يتعكر صفوه ؛ وكان الاحساس بدنو الأجل قوياً ، ولا شك أن الرغبة فى الحياة كانت عظيمة ، والجزع من الفناء كان شديداً ، ولكن الجسم لم تكن له قوة تستخدمها الارادة ، فخرج النفس الأخير فى سلام ومن غير أن يبدو للناظر أثر للصراع . وبأى شىء يكون الصراع ؟ ؟

وميتة أخرى شهدتها ، كان الصراع فيها كأعنف ما يمكن أن يكون ، لأن الجسم بوغت بعدوان المرض المنذر ، فتنبه فيه كل كامن من قوته ، وهبت إرادة الحياة تدفع هذه الغائلة ، وكان يخيل إلى وأنا أنظر ، كأن انساناً ألقى به فى الماء وهو لا يعرف من السباحة إلا لفظها ، وكما يفعل المرء حين يلقى نفسه فى الماء ويخشى عليها الغرق ، فتراه يضرب بيديه ورجليه بغير حساب أو تفكير ويهز رأسه هزاً عنيفاً ، وينفخ ويرغى ، كذلك كنت أرى أمى لما أصابتها الذبحة ؛ وسكنت الآلام بفضل العلاج يومين ، وبدأنا نستبشر ، ولكن النكسة جاءت ، أو لا أدرى ماذا حدث ، فجعلت نوبات من الاختناق تعتريها ، وبينها فى أول الأمر فترات طويلة جعلت تقصر شيئاً فشيئاً حتى صارت دقائق . وكانت أول الأمر تقاوم الاختناق بشدة ، وتعالج التنفس بجهد عنيف ، يظهر أثره فى كل عضلة من عضلات الوجه والعنق ، وفى اضطراب الصدر وخفق القلب ، وفى دفع اليدين والرجلين ؛ وكان همى أن أقوى إرادة الحياة فى نفسها وأن أمدها بما يكفى من الأمل والثقة والشجاعة ، ولكن كرات الاختناق أوهت قوتها واستنفدت مجهودها ، ولم يفارقها الحرص على الحياة ، والنفور من الموت ، وإنما خذلتها قواها ؛ ولم يذهب عقلها ولا ضعف أو كل ، ولكن ما خير العقل وما غناؤه وحده ؟ ؟

وبأى شىء يشتد أزره ؟ فلما جاءت آخر النوبات كان كل ما وسع الجسم أن يكافح به هذه الغارة أن الشفة السفلى اختلجت مرة أو مرتين ، فهمد الجسم وكف القلب عن النبضان وانقطعت الأنفاس

وقد سقت هذه الأمثلة لأقول إن الانسان لا يستسلم ولا يزهد فى الحياة ، ولا تفتر رغبته فيها ، ولا يضعف كرهه للموت واستهواله للفناء ، ولكنه لا يجد مؤازراً من جسمه فييأس ؛ وليس هذا استسلاما وإنما هو إدراك لحقيقة بغيضة لا يبقى مفر من مواجهتها وتوطين النفس عليها ، والاذعان لها كرها . وخليق بهذا أن يكون مؤلماً ، ولكن فترته أقصر من أن يكون للألم فيها قيمة أو حساب ، وعلى أن عجز الجسم عن المقاومة ، يذهب فى رأيى بالألم ، لأن الألم فيما أعرف نوع من الاستجابة لوقع الشىء أو الحالة ، ومتى فقد الجسم القدرة على الاستجابة للمؤثرات فانه يفقد أيضاً قدرته على الاحساس بالألم أو الحزن أو الجزع أو الفزع ، لأن شعوره بذلك يقتضى أن تكون هناك بقية من الحيوية ، ولو كانت هناك بقية ، لاستمرت المقاومة ولظلت رحى الكفاح بين الحياة والموت دائرة

فلست أوافق الذين يستهولون أن يكون المرء مدركا لمجىء الأجل ، لأن إدراك المرء لذلك ، معناه أنه يدرك أن جهده نفد ، وأن مَعين حيويته نضب وجف ، وهذا الادراك وحده وبمجرده ، رياضة سريعة للنفس على السكون الى المصير المحتوم ، لأنه إشاعة للموت فى الجسم قبل تجربة وقعه ، فكأن الانسان يوحى إلى نفسه الموت — بفضل هذا الادراك وبقوته — قبل أن ينزل به ، فاذا زاره الفاه مستعدا له ، مهيأ لتلقيه ؛ والادراك تهيؤ ، والتهيؤ ينفى الألم ويستل اللذع

ومن هنا كانت الشيخوخة — أى الضعف — والمرض الطويل أو المضنى ، بمثابة التدريب على الموت . وكل امرىء يقرن الشيخوخة أو المرض بالموت ، ولا يستغربه حين يحل بالهرم أو الذى خامره الداء ، ولكن موت الشاب يصدم النفس ويرجها ، لأن الشباب — وهو أوان الحيوية الزاخرة — لا يقترن فى الأذهان بفكرة الموت . أما الشيخ الهِمُّ فان كل من يراه يجرى بخاطره أنه هامةُ يوم قريب ، وأخلق أن يكون الموت أقرب الى خاطره وأجرى بباله ، وأشد مثولا وأكثر حضوراً ، لأنه أحسّ بنفسه وأدق ادراكا لما خسر من قوته ، وعلما بما صار اليه من الوهن والفتور بالقياس الى ما كان عليه من المُنة والنشاط والخفة والمرونة . ويألف المرء الضعف واليبس فيألف المصير الذى يرى نفسه ينحدر اليه بسرعة أو على مهل ، فيكون هذا كالرياضة له على السكون الى المآل المحتوم ، وهذا هو معنى قولى إن الشيخوخة أو المرض تدريب على الموت

وهذه الرياضة النفسية — أو التدريب الذاتى — على الموت أفعل وأوقع من كل ما يشاهده الانسان من عدوان الفناء على الحياة فى مظاهرها المختلفة . وأحسب أن المرء حين يرى غيره يموت ، أو يسمع بذلك ، يستثنى نفسه من هذا المصير وإن كان على يقين جازم من أنه حتم لا رادّ له ولا حيلة فيه ؛ ولعله فى ضمير الفؤاد يهنىء نفسه بالنجاة ويشكر الله على أن الموت لم يختطفه هو ، وعسى أن يكون الأمل المستمد من غريزة المحافظة على الذات هو الذى يغريه بالتعلق بوهم الاستثناء المستحيل ، وهو على كل حال يخفف وقع الخبر ، ويجعله محتملا ، ويذهب ببواعث الجزع على النفس قياساً على المشهود

ولكن قدرة المرء على مغالطة نفسه تضعف أمام دبيب الموت اليه على الأيام . ذلك شىء يحسه فى نفسه فلا سبيل إلى تجاهله والاغضاء عنه . وكيف يسعه أن يتجاهل اليبس الذى فى أعضائه ، والتصلب الذى فى شرايينه ، والفتور الذى يجده ، والضعف الذى يعتريه حين يهم بأيسر الأشياء ، والعجز عن احتمال ما كان يمر به فلا يعيره لفتة ، الى آخر ذلك ؟ وكل يوم يمضى به يزيده وهنا على وهن ، ويدنيه من القرار الذى يُلفى نفسه هابطا اليه ، فلا يبقى سبيل الى مغالطة النفس . وكل ما يقدر عليه أمله هو أن يرجو أن يُنسىء الله فى أجله ، على الرغم مما يكابد من ذلة الشيخوخة ومهانة الضعف والحاجة المتفاقمة إلى الاسناد . فهو مضطر أن يوطن نفسه على الموت ، وأن يقصر الأمل على طول المهلة ، وليس أجدى عليه ولا أفعل فى تخفيف وطأة الموت من هذه الرياضة البطيئة . ومن هنا كان موت الفجاءة مزعجاً لنفوس الأحياء ، لأن صدمته لها تجىء على غير انتظار . والله أعلم ، فما جربَ الموت أحد وعاد الينا ليقول لنا كيف كان وقعه — هذا طريق لا يحمل المسافر فيه « تذكرة » ذهاب وإياب ، كما يقول ويندل هولمز

ابراهيم عبد القادر المازنى

الوزير ابن كلس

واضع الحجر الأول فى صرح الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

سألنى سائل كيف نشأت صفة الأزهر الجامعية ، ومن صاحب الفضل الأول فى اسباغها عليه ؟ فرأيت أن أنتهز هذه الفرصة لأعرض فى هذا الموضوع شيئاً من الشرح والتفصيل

ويجب أولا أن ننفى فكرة ذائعة ، هى أن الجامع الأزهر أنشىء ليكون جامعة أو معهداً للدرس ، فليس ثمة فى ظروف انشائه ما يدل على أنه أنشىء لمثل هذه الغاية ، وإنما أنشىء الجامع الأزهر ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية فى حاضرتها الجديدة ، ومنبراً لدعوتها ، ورمزاً لسيادتها الروحية . أما فكرة الدراسة بالأزهر فقد كانت حدثاً عارضاً ترتب على فكرة الدعوة المذهبية الجديدة ؛ ففى صفر سنة ٣٦٥ هـ ، فى أواخر عهد المعز لدين الله منشىء الأزهر ، ولنحو أربعة أعوام من انشائه ، جلس كبير القضاة على بن النعمان القيروانى بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه فى فقه الشيعة فى جمع حافل من العلماء والكبراء ، فكانت هذه أول حلقة للدرس عقدت بالجامع الأزهر ؛ ثم توالت حلقات بنى النعمان بالأزهر بعد ذلك ؛ وكان بنو النعمان من أكابر علماء المغرب الذين اصطفتهم الخلافة الفاطمية وجعلتهم دعاتها وألسنتها الروحية ، فلحقوا بها إلى مصر ، واستأثروا فى ظلها برياسة القضاء زهاء نصف قرن ؛ وكانت الخلافة الفاطمية تعتمد فى توطيد سلطانها بمصر على عصبيتها المغربية ، ثم على صحبها وخاصتها من الموالى الأجانب وجلهم من الصقالبة ؛ وكانت حلقات أولئك العلماء المغاربة بالأزهر حلقات دعاية روحية وسياسية ، تعقد فى الغالب للأكابر والخاصة ، ولم تكن لها فى البداية صفة الدرس العام

كانت هذه بداية جامعية فى معنى من المعانى ، بيد أنها لم تكن عامة ولا مستقرة ؛ ولكن حدث فى عهد العزيز بالله حدث جامعى آخر ؛ ففى رمضان سنة ٣٦٩ هـ جلس يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله ، ثم وزير ولده العزيز من بعده بالجامع الأزهر ، وقرأ على الناس كتاباً ألفه فى الفقه الشيعى ؛ وكان ابن كلس كما سنرى شخصية ممتازة ، تجمع بين السياسة والعلم ، وكان نصيراً كبيرا للعلماء والأدباء ؛ وكان يعقد مجالسه الفقهية والأدبية تارة بالأزهر وتارة بداره فيهرع اليها العلماء والطلاب من كل صوب ، وكانت فى الواقع أول مجالس جامعية حقة عقدت بالجامع الأزهر

والظاهر أن ابن كلس كان أول من فكر فى جعل الجامع الأزهر معهداً للدراسة المنظمة المستقرة ؛ وعلى أى حال فهو أول من فكر فى تنفيذ هذا المشروع الجامعى ؛ ففى سنة ٣٧٨ هـ استأذن ابن كلس العزيز بالله فى أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ، ويعقدون مجالسهم بالأزهر فى كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر ؛ وكان عددهم خمسة وثلاثين ؛ وقد رتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات شهرية وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر ، وخلع عليهم فى يوم الفطر ، وأجرى عليهم ابن كلس أيضاً رزقا من ماله الخاص

وهنا نجد أنفسنا أمام حدث جامعى حقيق ، فقد كان أولئك الفقهاء الذين رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالأزهر ، وأقرهم العزيز بالله ، أول الأساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الأزهر ، وأجرت عليهم الدولة أرزاقا ثابتة وباشروا مهمتهم العلمية تحت رعاية الدولة بطريقة منظمة مستقرة ؛ وإذن فهنا نستطيع أن نقول إن الأزهر يكتسب لأول مرة صفته الجامعية الحقيقية كمعهد للدراسة المنظمة ، وأنه يبدأ هنا حياته الجامعية الحافلة المديدة

— ٢ —

وإذا ما تقررت هذه الحقيقة ، فانا نستطيع أيضاً أن نقول إن أكبر الفضل فى تتويج الجامع الأزهر بهذه الصفة الجامعية الجليلة يعود إلى الوزير ابن كلس الذى أسبغ عليه لأول مرة صفة المعاهد الدراسية العامة ، ورتب له أول فريق من الأساتذة الرسميين .

ولقد كان ابن كلس وزيراً عظيما وعالماً جليلا ؛ بل كان عبقرية سياسية حقيقية ؛ وهو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ؛ واسمه يدل على أصله الذمى ؛ أجل ، فقد كان ابن كلس يهوديا ، نشأ ببغداد ، وغادرها فى شبابه إلى الشام واشتغل هنالك حينا

بالتجارة ، وأثقلتـه ديون عجز عن أدائها ففر إلى مصر فى عهد كافور الأخشيدى ؛ واتصل به وقام له ببعض الأعمال والمهام المالية فأبدى فى أدائها خبرة وبراعة ، وطاف بريف مصر بحصل الأموال ويعقد الصفقات ، حتى تمكنت منزلتـه لدى كافور ، وأثرى وكثرت أمواله وأملاكه ؛ ثم ثابت له فـكرة فى الأخذ بنصيب من السلطة والولاية ، ورأى الإسلام خير طريق لتحقيق هذه الغاية ، وكان قد بلغه أن كافورا قال فى حقه لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً ، فدرس قواعد الاسلام وشرائعه سراً ، وفى شعبان سنة ٣٥٦ هـ ، دخل جامع مصر (جامع عمرو) وصلى به الصبح فى موكب حافل ؛ ثم ركب فى موكبه إلى كافور ، فخلع عليـه ، واشتهر أمره ، وعلت منزله ، وقوى نفوذه ؛ فتوجس وزير مصر جعفر بن الفرات من تقـدمه وتمكن نفوذه شراً ، وأخذ يدس له الدسائس ، ويوغر عليه الصدور ؛ فخشى ابن كلس العاقبة ، وفر إلى المغرب فى شوال سنة ٣٥٧ هـ ، ولحق بالمعز لدين الله الخليفة الفاطمى ، وهو يومئذ ينظم مشروعه لغزو مصر ، فقدر المعز مواهبه وكفاياته ، ووقف منـه على أحوال مصر ومواطن القوة والضعف فيها ؛ ولبث ابن كلس فى خدمته حتى تم فتح مصر على يد جوهر الصقلى . ولما قدم المعز إلى مصر بأهله وأمواله وجيوشه فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، قدم معه ابن كلس ، وقلده المعز شؤون الخراج والأموال والحسبة والأحباس وسائر الشؤون المالية الأخرى ، فأبدى فى إدارتها وتنظيمها براعة وزاد الدخل زيادة واضحة ، ثم عهد اليه المعز بشؤون الخاص ؛ ولما توفى المعز بعد ذلك بقليل فى ربيع الآخر سـنة ٣٦٥ هـ فوض العزيز بالله ولد المعز وخليفته إلى ابن كلس النظر فى سائر أموره ثم لقبه بالوزير الأجل ؛ ووقعت فى حقه وشايات من بعض خصومه فاعتقله العزيز بالقصر بضعة أشهر ، ثم أطلقه ورده إلى مناصبه ؛ وتضاعفت منزلته لدى العزيز وغدا أقوى رجل فى الدولة ؛ وبذل ابن كلس جهوداً عظيمة فى تنظيم الادارة والدواوين ، وكان من أكبر بناة الدولة الفاطمية بمصر وموطدى دعائمها ونفوذها .

وليس غريباً أن يحرز رجل مثل ابن كلس تلك المكانة الرفيعة فى ظل الدولة الفاطمية مع أنه يهودى الأصل والنشأة ؛ فقد كانت الخلافة الفاطمية تصطنع الذميين والصقالبة ، وتوليهم ثقتها ؛ وقد ولى وزارتها فيما بعد ، فى عصر الحاكم بأمر الله ، وزراء يهود ونصارى خلص مثل ابن رسوبن ، وابن فهد ، وعيسى ابن نسطورس ، وابن عبدون ؛ وتولى بعد هؤلاء كثيرون فى عهود مختلفة ؛ ونستطيع أن نفهم سر ما كانت توليه الخلافة الفاطمية لوزرائها الذميين من العطف والثقة إذا ذكرنا أنها تتهم من بعض خصومها بالانتماء إلى أصل يهودى ، وأنها كانت تتهم فى عقائدها

ولم يكن ابن كلس وزيراً وسياسياً عظيما فقط ، بل كان عالما وأديباً كبيراً أيضاً ، وكان يعقد بداره مجالس علميـة وأدبية دورية ينتظم فى سلكها أكابر الفقهاء والأدباء والشعراء ؛ وكان يشرف بنفسـه على هذه المجالس ، ويشـترك فى أعمالها ، ويغدق العطاء على روادها . وقد أخذ ابن كلس بقسط حسن فى التأليف والكتابة ، فوضع كتابا فى القراءات ، وكتابا فى الفقه ، وكتابا فى آداب رسول الله ، وكتابا فى علم الأبدان والصحة ، ومختصرا فى فقه الشيعة مما سمعه من المعز لدين الله ، وهو المعروف بالرسالة الوزيرية . وكان يقرأ كتبه على الناس تارة بالجامع الأزهر وتارة بداره ، ويجتمع لديه الكتاب والنحاة والشعراء فيناظرهم ويصلهم ؛ وكانت موائده دائماً منصوبة ممدة للوافدين ؛ وكان كثير الصلات والاحسان ، وبالجملة فقـد كان هذا الوزير والعالم الأديب مفخرة فى جبين عصره ، وقد أشاد شعراء العصر بجلاله وجوده ، ومن ذلك ما قاله أحدهم حين أصابت الوزيرَ علة فى يده :

يد الوزير هى الدنيا فان ألمت   رأيت فى كل شىء ذلك الألما
تأمل الملك وانظر فرط علته   من أجله واسأل القرطاس والقلما

ومرض ابن كلس فى شوال سنة ٣٨٠ هـ ، فجزع عليه العزيز أعظم جزع ، ولبث يعوده ويرعاه ، حتى توفى فى الخامس من ذى الحجة ؛ فحزن عليه حزناً شـديدا ، وأمر بتجهيزه تجهيز الأمراء والملوك ، وخرج من القصر إلى داره فى موكب صامت محزن ، وشهد تجهيزه وصـلى عليه بنفسـه ، ووقف حتى تم دفنه وهو يبكى بدمع غزير ، واحتجب فى داره ثلاثاً لا يأكل على مائدته والحزن يشمل الخاص والقصر كله ؛ وأفاض الشـعراء فى رثاء الوزير الراحل ومديحه ، فوصـلهم العزيز جميعاً ؛ وعلى الجملة فقد سما ابن كلس فى ظل الدولة الفاطمية الى أرفع مكانة ، وترك

بوفاته فيها أعظم فراغ ، وكان له أعظم الأثر في توطيد حكمها وادارتها بمصر

— ٣ —

هكذا كانت حياة ذلك الوزير الخطير الذي يدين إليه الأزهر بأول خطوة عملية حقيقية في سبيل الحياة الجامعية ؛ ومن المحقق أن تلك الخطوة الأولى في ترتيب الأساتذة والدروس بالأزهر بطريقة منظمة مستقرة ، كان لها أثر كبير في تطور الغاية التي علقتها الخلافة الفاطمية بادىء ذي بدء على إنشاء الجامع الأزهر ؛ فقد كانت هذه الغاية كما رأينا أن يكون المسجد الجامع الجديد رمز الخلافة الجديدة ومنبراً لدعوتها ؛ ولكن يلوح لنا أن الخلافة الفاطمية لم تكن ترمى في المبدأ إلى توجيه الأزهر إلى تلك الناحية الجامعية ؛ ذلك لأن الجامعة الفاطمية الحقيقية أقيمت بعد ذلك في عصر الحاكم بأمر الله باسم دار الحكمة أو دار العلم الشهيرة في سنة ٣٩٥ هـ (سنة ١٠٠٥ م) ؛ ولكن الأزهر كان يومئذ بفعل الظروف والتطورات التي أشرنا إليها قد بدأ حياته الجامعية ؛ ومع أن دار الحكمة لبثت مدى حين تنافس الأزهر وتستأثر دونه بالدراسة المتصلة المنظمة ، فانها لم تلبث لصرامة نظمها وإغراق برامجها في الشئون المذهبية ، أن اضطربت أحوالها وضعف نفوذها العلمي ؛ هذا بينما كان الأزهر يسير في سبيل حياته الجامعية الوليدة بخطى بطيئة ولكن محققة ، ويسير في نفس الوقت إلى التحرر من أغلال تلك الصبغة المذهبية العميقة التي كادت في البداية أن تقضي على مصايره الجامعية الصحيحة

ونحن نعرف أن هناك مشروعاً للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر — وهو عيد يقع بعد نحو أربعة أعوام — ونعرف أن من مظاهر ذلك الاحتفاء بتلك الذكرى الجليلة أن يكتب تاريخ حافل للجامع الأزهر منذ إنشائه إلى يومنا ؛ فمن حق الوزير العالم ابن كلس أن يتبوأ في ذلك التاريخ مقاماً يجدر بفضله في وضع الحجر الأول في صرح تلك الجامعة الكبرى [1]

محمد عبد الله عنان

(١) راجع في هذا البحث وما يتعلق به : خطط المقريزي (الطبعة الأهلية) ج ٤ ص ٤٩ و١٥٦ و ١٥٧ و ج ٣ ص ٧ — ١٠ ؛ وابن خلكان ج ٢ ص ٤٤١ ؛ والاشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي ص ٢٣

الفلم المصري

بمناسبة فلم دموع الحب

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

لا يسع المصري إلا أن يغتبط أعظم الاغتباط عندما يرى تلك الأفلام المصرية الجديدة التي أقدم أبناء مصر على إخراجها بين حين وحين ؛ ولا شك في أنها فتح جديد يجب أن نفخر به ، ونحرص على المزيد منه ؛ وإذا كان الجمهور المصري قد أقبل على رؤيتها ذلك الاقبال الباهر فان في ذلك دليلاً قوياً على مقدار تطلعه إلى أن يرى تلك الصناعة تنمو وتنجح . فالشعب يؤدي واجبه في تشجيع أبنائه من أهل الفن ويجيب مجهود المقدمين منهم إجابة كريمة مستنيرة

والفلم المصري له مكان لا يستطيع فلم آخر أن يحل محله . فانه يشبع من عواطف المصريين مالا يشبعه خير الأفلام العالمية الأخرى ، وذلك أثر من آثار النهضة المباركة التي نحسها في كل ناحية من النواحي . فالشعب المصري يحس بنفسه ويريد أن يرى تلك النفس مصورة أمامه تصويراً فنياً كما يحتاج الانسان إلى أن ينظر في مرآة ليرى صورة وجهه أو هندامه ، وكما يرتاح إلى أن يسمع ترديد آماله ونزعات نفسه ومُثله العليا

فكل فلم من تلك الأفلام حديث نفسي يتحدث به الفنان إلى بني قومه . فهي ليست قطعة من الفن فحسب . بل هي رسالة عاطفية يرسلها الفنان من نفسه إلى نفوس الجماهير المتعطشة إلى الحياة والعلو والقوة ، ولهذا فنحن إذا ذهبنا لاجابة الداعي إلى فلم مصري كانت إجابتنا أولاً قومية وثانياً فنية

ومن هذا الاعتبار لا يسع المصري أن يقارن أو يوازن بين الأفلام المصرية ، وبين ما تخرجه الشركات العالمية من آيات الفن . لأن الأفلام العالمية إنما تؤدي رسالة واحدة وتشبع ناحية واحدة هي رسالة الفن المحض والناحية الأدبية الصرف ، ومهما كانت تلك الناحية الفنية فهي في المحل الثاني من نفوسنا ، ولا يمكن بأي حال أن تحل المحل الأول الذي

استولت عليه الآمال والأماني ، والرغبة القوية في الحياة ، والسمو والاعتزاز بالنفس

غير أنا نطلب من النفس المصرية أكثر مما تستطيع بذله إذا نحن وقفنا عند حد الأماني القومية ؛ بل إن تلك الأماني نفسها قد تخيب ولا تجد ما يستثيرها ، أو يعبر عنها إذا لم تتقدم الناحية الفنية وتعلو إلى المستوى الذي تتطلبه النفوس من الجمال والقوة ؛ ولهذا نجد من أنفسنا جرأة على أن نتناول ما يظهر من الأفلام المصرية بالتحليل والنقد حتى نشير إلى ما كنا ننتظر ، وما كانت نفوسنا تصبو اليه ؛ ولهذا نرجو أن يدرك قراء هذه الكلمة قصدنا منها ، وهو أن نشير إلى أمور نحب أن تراعى في الأفلام التي يقدمها المخرج المصري . فاذا ظهر أننا على حق فيما نذهب اليه كان مخرج الفلم المقبل على هدى فيما يتطلبه الجمهور المصري منه فيعمل على تحقيقه ، وبذلك يكون الغد أقرب إلى الكمال من اليوم . إننا لا نستطيع أن ننكر فضل أولئك الرواد الذين قد فتحوا باب ذلك الفن ، ولا نستطيع أن ننكر ما مهدوا من العقبات ، ولا ما عانوا من المشقة في سبيل عملهم المجيد ، وإنما ندعو بهذه الكلمة إلى التطلع إلى العلا ، وبلوغ درجات جديدة من الاتقان . فاذا تكلمنا هنا عن فلم دموع الحب فلسنا نريد أن نخصه بالنقد ، بل إنما نتخذه مثلاً في النقد لأنه أحدث الافلام وأقربها مثولاً في الأذهان

إن الفلم لا يكون ذا أثر بالغ في النفس إلا إذا كان يخدع الناظر عن المقصد المباشر الذي يرمي إليه الفنان . فان الناظر إذا استغرق في تأمل القصة التي أمامه ، كان ميالاً إلى نسيان الحقيقة وأنه إنما ينظر إلى قصة — بل يخال أنه يعيش ويتأمل منظراً من مناظر الحياة ؛ وتبلغ مقدرة الفنان ذروتها إذا استطاع أن يخدع الناظر فيجعله لا ينتبه إلى أنه إنما يطالع صفحة صور متحركة بل ينظر منظراً من مناظر الحياة الحقيقية ، ويكون هذا الخداع ممكناً إذا عمل الفنان على أن تكون كل الوقائع المعروضة تسير سيراً طبيعياً لا تكلف فيه ، وتتابع تتابعاً طبيعياً من غير تعسف ولا شطط . فاذا شعر الناظر أن هناك قفزة في الوقائع ، أو أن هناك ثغرة في التسلسل ، انتبه إلى نفسه وصحا من سحر المنظر ، وفسدت عليه الغاية التي يقصدها الفنان

وإذا أردنا أن نضرب أمثلة من فلم دموع الحب على تقصير الفنان في هذا الجانب النفسي لم يصعب علينا الأمر . فان تصور أية حادثة من الحوادث في تلك القصة يتيح لنا فرصة للتمثيل . فلنأخذ الموقف الأول الذي ظهر فيه فكري افندي (عبد الوهاب) في حديقة المنزل وقابل الفتاة ابنة صاحب المنزل ، فان المنظر لم يزد على مقابلة جاءت عفواً ، ولم يطل أكثر من مدة صب الشاي . ثم استأذن فكري افندي في الخروج لمقابلة صديق ، ومع ذلك قد كانت هذه المدة الوجيزة كافية لأن تجعل الشاب فكري افندي يهوى الفتاة ، ولأن يجعل الفتاة تحب ذلك الشاب ، كأنما قد عزم كل منهما ابتداء على أن يحب الآخر إذا رآه ! حقاً إن هناك نوعاً من الحب ينشأ للنظرة الأولى ، ولكن ذلك الحب لا يستطيع أن يكون من نظرة عابرة جاءت عفواً ؛ ولئن كانت النظرة السريعة تعقب الحب فلا بد أن يكون هناك عامل قد ساعد عليها ، وأنه من حق النظارة أن يروا ما هو ذلك العامل الذي أسرع بالحب إلى هذا الحد

على أننا إذا سلمنا أن الحب قد ينشأ من النظرة العجلى ، فانا لا نستطيع أن نسلم أن تبادل ذلك الحب يكون بغير تدرج ولا تقديم ، وذلك على الأقل بين أصحاب النفوس المثقفة المهذبة ، فكان لا بد للمخرج أن يدبر من الحوادث ما يساعد على إتاحة الفرص لتبادل ذلك الحب وإنمائه ، ولكن فلم دموع الحب سار من المقابلة القصيرة الأولى إلى نزهة في الفجر في الحديقة يلتقي فيها الشاب بالفتاة ويبادلها أول ألفاظ التعارف فلا يكادان يسيران معاً دقائق قليلة حتى ترتفع الكلفة ، وحتى يندفع الاثنان في تصريحات ودية ، وحتى تبادلا الحب تصريحاً . ثم يسير الفلم بعد ذلك إلى نزهة لا مناسبة لها ، ولا تفسير يعلل حدوثها ، وفيها يتبادل الحبان العهود والمواثيق على أقدس أنواع الارتباط

ومثل آخر لا يستطيع الناظر إلا أن يصطدم به وهو عند ما عاد فكري افندي من السفر بعد أن تبسم له الحظ ليحمل إلى حبيبته بشرى تحقيق الأمل في الزواج فيجد حبيبته في الحديقة إلى جوار حلمي صديقه ، ولم يكن يعرف أن ذلك الصديق له أية علاقة بحبيبته وكذلك لم يكن ينتظر أن يجد تلك الحبيبة في مثل تلك الجلسة الخاصة مع شاب آخر . ومع ذلك فانه لم يفعل شيئاً

أكثر من أن وقف وجمل يتكلم عما جاء له ، وكأنه لم يلاحظ شيئاً في وجود حبيبتــه في الحديقة منفردة مع شاب يناجيها وحيداً . ألم يكن من حق الناظر أن يرى علامة من علامات الاستياء على وجه المحب المتيم ؟ ألم يكن على الأقل من حقه أن يرى علامة من علامات الدهشة أو الارتياع على وجه الشاب الذي أتى يحمل كل آماله إلى حبيبته فلا يجدها تطير نحوه كما كان ينتظر ؟ وأين كرامته المجروحة ؟ وأين حبه الثائر ؟ وأين غيرته ونيران حقده ؟ ثم ذلك الصـديق الذي خانه مع سابق إخلاصه اليه وآثر على سعادته مع ما قدمه له في الأيام الماضيــة من وده وإخائه . ألا يستحق منه غير ذلك الموقف الفاتر الخامد ؟

ويعود فـكرى افندى بعد ذلك إلى الدار التي كان قد بناها لتكون داره مع زوجته المنشودة فيبكي ويتضاءل حتى يبلغ مكان صورة تلك الحبيبــة الغادرة — ولـكنه يقف فيطيل البكاء إلى جانبها ولا تحدثه نفسه بثورة ما — أحقا هكذا يفعل المحب الثائر الحب ؟

إننا نخطيء كثيراً لو زعمنا أن الفلم يستطيع أن يبلغ المستوى المطلوب بالغناء وحده ، فاذا شئنا الغناء فليكن الفلم صورة لعرض غنائي لا محاولة فيه للتمثيل . فاذا كان ولا بد من المزج بين الغناء والتمثيل فليكن الدور الأكبر مسـنداً إلى من يستطيع أداءه ، وليختر موضوع الفلم اختياراً يسـمح بأن يكون للمغني دور لا يحتاج إلى كبير دراية في فن التمثيل . فالحق أن الأدوار الثانوية في فلم دموع الحب كانت لا نسـبة بين أدائها وبين أداء الدور الأكبر . فلقد أتقن المعلم حنفي (عبد القدوس) ما شاء له الفن وكذلك أتقن حلمي افندي (سليمان نجيب) دور الصديق الغادر والغني المستهتر اتقانا يستحق كل الاعجاب ، ولو كان هذان الفاضلان هما بطلا القصة لـكان الاخراج الفني أروع وأبدع

وأما عن الغناء فلست أدري ماذا يرى كل من شهد الفلم فيه ، لأن الغناء مرجعه إلى الذوق ولا يستطاع فيه النقد المنطقي الذي يصح في التمثيل ، على أني لا أستطيع أن أكتم ما أحسست به ، وذلك أنني لم أسمع إلا تلك الأغاني التي اعتدنا سماعها في الصالات ، وفي ليالي الغناء المعتادة ، وفي أسطوانات الأدوار الشائعة . وبعد فانا نتساءل : أهذا هو الغناء المقصود في روايات الأوبرا أو الأوبريت ؟ إننا لم نشهد بعد من تقدم الغناء ما كنا شهدنا بوادره في روايات السـيدة منيرة المهدية أمثال كرمن وروزينا وتاييس وغيرها مما عرضته تلك الفنانة الماهرة في وقت ما منذ عشرات السنين ، وقد كنا ننتظر أن يسمو الغناء المسرحي بعد ذلك إلى درجة أعلى من تلك ، فاذا بنا نعود إلى تلك الأغاني الساذجة المكررة التي اعتدنا سماعها على التخوت أو في الصالات . وإنا لا نشك في أن تلك الأغاني لها جمالها الخاص ، ولا سيما عند بعض الأذواق التي يجب أن تخرج عن قيود المألوف إلى التعبير عن عواطف النفوس ، وتستدرج السامعين إلى أنواع منوعة بدل تلك الآهات المكررة والأنغام الواحدة المتادة . وإنه لمن العجيب أن نسمع صوت العود والكمان ، بل نقر الدف لحفظ الوحدة في تلك الأغاني كأنما نحن نستمع إلى تخت لا إلى شخص حي يفيض بعواطفه ويترجم عن وجدانه ! والحق أن تلك الآلات الوسـيقية وذلك النقر الناشز كان له أثر عظيم في تحويل العقل عن الاستغراق في القصة ، وإلى إزالة غشاء الخيال عن جو القصـة وإعادتها إلى جو آخر تنبه فيه العقل إلى أن الصور التي أمامه إن هي إلا صور متحركة وليست قصة حياة

ولقد جرى مخرجو الأفلام المصرية إلى الآن على عادة لا نظنها تؤدي بهم أبداً إلى التفوق المنشود ، وذلك أنهم يحاولون الاستغناء عن المؤلف الأديب . ولو كان المؤلف الأديب غير ضروري لـكان لهم العذر فيما يذهبون اليـه ، ولـكانت رغبتهم في الاقتصاد مفهومة واضحة ، إذ لا نستطيع أن نلومهم على اقتصاد مبلغ من المال بدل أن يبذلوه للأديب الذي لا فائدة منه ، ولـكن الأمر على غير ذلك ، فان أول أساس لنجاح القصة أن تكون قصة صالحة مكتوبة كانت أو مترجمة . ولقد رأينا فيما مضى أن أقوى مهارة في التمثيـل تضمحل وتنتهي إلى الفشل التام إذا لم يكن دعامة ذلك التمثيل موضوعاً سامياً وقصـة رائعة ذات جمال وفن وأدب ؛ ونحن إذا استعرضنا المحاولات التي حاولها المخرجون إلى الآن لم نجد أنهم خصصوا لناحية القصة عناية تذكر . وقد يشكو المخرجون من أن الأدباء لا يوآتونهم بالمؤلفات اللائقة كما أنهم قد يشكون من أن الأدباء يظهرون لهم من صعوبة المراس ما يجعلهم ييأسون من تعاونهم ، ولـكننا مع ذلك نريد أن نذكرهم ببعض أرقام قد تكون لها دلالة كبرى فان متوسط ما يناله الأديب الانجليزي نظير قصة من قصص الأفلام يتراوح بين خمسمائة جنيه

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

نصب أعداء بستور له فخاً فدعوه إلى أن يجرى تجربته عن اللقاح الذى اكتشفه فى جمع عام . فأجابهم إلى ذلك ، وحقن البهائم على رؤوس الأشهاد بالمكروب الأضعف ، وبعد أيام حقنها بالضعيف ثم بعد أيام بالأقل ضعفا . واصطبر إلى اليوم الذى يحقنها فيه بالمكروب الحى القتال

— ٤ —

وجاء اليوم الكبير الموعود ، اليوم الحادى والثلاثون من مايو ، لحقنت المواشى جميعها — ما حُصِّنَ منها باللقاح وما لم يحصن — بحقنة قاتلة لا شك فيها من مكروب الجمرة ، وقام بحقنها رو ، فنزل فى الوحل إلى ركبتيه ، ومن حوله مصابيح الكحول وقوارير المكروب ، فأدهش النظارة بحسن ضربه الابرة فى جلود الحيوانات ، وبهدوئه ورزانته وبروده وهو يضربها

أودع بستور كل سمعته العلمية هذه التجربةَ الدقيقة التى لا تؤمن ، وما فرغ منها حتى أدرك حقيقة الموقف ، وأيقن أنه أجاب داعى الرجولة والشجاعة برضائه إجراءها ، ولكنه أيقن إلى جانب ذلك أنه أذن للجمهور ، وهو المتلوّن المتذبذب ، فى تقدير علمه والحكم عليه . فلم يطب له نوم تلك الليلة ، وقضاها يتلوى ويتقلب على فراشه ، وكلما عزه النوم قام عن سريره يطلب الراحة فى القيام ، ثم هو لا يجده فيعود إلى النوم ، وهكذا دواليك ، وأوصته زوجه بالصبر ومنّته خيراً فصمت عنها ، ودخل معمله وخرج منه مُقطَّب الجبين عابساً ، ولا شك عندى أنه هرع إلى الله فصلى ورجا وابتهل ، ولو أنى لم أقرأ شيئاً من ذلك فى الأوراق

كره بستور الصعود فى البالونات ، وخشى دائماً عواقب الخصومات فى المبارزات ، ولكنه لم يجبن ولم يتردد لما دعاه هؤلاء البيطريون إلى هذه التجربة وساقوه عامدين إلى هذا المأزق الخطير

وجاء اليوم الأكبر الموعود ، يوم الثانى من يونيو عام ١٨٨١ ، فجاء الناس من كل حدب وصوب لحضور اليوم المشهود ، يوم يحكمون فى أمر بستور ، فان خيراً فله ، وإن شراً فعليه ، وكثر عددهم حتى ضاق بهم المكان الرحيب ، وتضاءل إلى جانب هذا الاجتماع كل اجتماع سبقه ، وكان فى الحاضرين نواب الأمة وشيوخ من شيوخها ، وكان فيهم عظماء ، وكان فيهم كبراء ، ومن كل حسب ونسب لا يظهر فى الناس إلا فى أعراس الأمراء وجنائز الملوك ، وكان فيهم الصحافى الشهير دى بلوفتس de Blowitz فاجتمعت حوله جمهرة من رجال الصحافة ومكاتبيها

ودقّت الساعة الثانية ، فخرج بستور إلى الميدان بصحبه رجاله ، وفى هذه المرة لم يكن له ولهم من الجمهور إلا الترحيب الصارخ والهتاف المتعالى . فأما الشياه الأربعة والعشرون التى كانت لُقِّحت ثم حُقنت فيها الملايين من المكروبات القاتلة فقد وجدوها قائمة تأكل وتجرى فرحة مرحة هائئة بالحياة ، ولم يجدوا بواحدة منها أثراً من الحُمّى ، فكأن مكروب الجمرة لم يخالط دمها ، وكأنما كان بينه وبينها ما بين الأرض والسماء

وألف جنيه ، فى حين أن متوسط ما يناله الأديب من هوليوود أكثر من ألف جنيه بلا نزاع ؛ وليس من العجيب ولا المحرم أن يفوز الفنى بآلاف الجنيهات ؛ وكذلك ليس من العجب ولا المحرم أن يفوز المخرج أو الممثل أو عارض الأفلام آلاف مثلها ، ولكنا نضيف إلى ذلك أنه ليس من العجيب ولا من المحرم أن يفوز الأديب ببعض تلك الألوف ، لأنه شريك أساسى فى المجهود الفنى . ولهذا نرجو أن يعنى المخرجون باختيار الموضوعات وألا يضنوا على الأدباء بما يشجع البرز منهم على التخصص فى إخراج ما تحتاج اليه الأفلام المصرية من القصص

هذه كلمة لا نقصد بها إلا خدمة ذلك الفن الوليد ونحن على يقين من أن القراء مدركون قصدنا منها ، وكذلك نرجو أن يحملها المخرجون والفنانون على القصد السامى الذى نرمى اليه .

محمد فريد أبو حديد

أما الشياه الأربعة والعشرون الأخرى التي لم تُلقَّح ، فتلك الأربعة والعشرون التي حقن الميكروب القتال تحت جلدها من غير أن تُحمى منه وتُحصَّن ، فقد وجدوا اثنتين وعشرين منها راقدة على جنوبها في خط واحد رقدةً تبعث الأسى والحزن . أما الاثنتان الأخريان فكانتا لا تزالان قائمتين على أرجلهما ولكن في غير اتزان ، تجاهدان في سبيل العيش هذا العدوّ الأخفى الذي ما غالب الحياة إلا غالبها ، وكان دم أسود ينضح من أنفيهما ومن بين شفتيهما ينذر بقرب لحاقهما بالشياه المنبطحة الصريعة من أخواتها

صاح بَيْطار لأخيه البيطار : « انظر ، انظر ، فهذه أخرى من التي لم يلقحها بستور قد سقطت إلى الأرض ! »

— ٥ —

حضر عيسى المسيح عرس (كانا) الشهير ، فلما نَفِد الخمر وكاد يتعرض أهل العرس للفضيحة شاء يسوع أن يستحيل الماء خمراً فاستحال ، ولم يذكر لنا الانجيل تفصيل ما ظن الناس بصاحب هذه المعجزة ، ولا ما فعلوا به عندها . وهذا بستور في الثاني من يونيو عام ١٨٨١ يأتي في هذا العصر الحديث بمعجزة لا تقل إعجازا عن تلك التي وقعت في ذلك العصر المقدس العتيق فيقوم هذا الجمع الحاشد ، على الرغم مما كان من اختلاف أهوائه يحنون رؤوسهم لهذا الرجل القليل ، المشلول بعضُه ، الذي حمى مواشيهم تلك الحماية التامة الرائعة من قرصات هذه الخلائق الصغيرة التي تقرص فتقتل في الظلام قتلاً مؤكدا . إن هذه التجربة الجميلة التي أجراها بستور على الملأ في بحبوحة هذا الحقل تقع في نفسي موقعاً شاذا غريباً ، لأنها قصة شاذة غريبة في تاريخ الانسان وجهاده هذه الطبيعة القاسية . أما شذوذها ففي هذا التهليل والتكبير الذي صحبها ، وهذا الترحيب الصاخب الذي ناله بستور من أجلها . فعهدنا بكشوف العلم ألا تقدَّر في حينها ، وعهدنا بها أن ينال صاحبها الأذى من أجلها . ألم يودع جاليليو السجن من أجل أبحاثه التي تسببت أكثر من غيرها في الانقلاب الهائل الذي أدى بالدنيا إلى حالها الحاضرة ؟ وكم لجاليليو من أشباه وأمثال . كذلك عهدنا بصاحب الفكرة أن تبقى فكرته ويزول فلا يَنْعم حتى بالذكر طيباً كان أو خبيثاً .

وإلاّ فما العباقرة الأولون الذين اخترعوا النار واصطنعوا العجلات وابتدعوا الشراع وأنسوا الخيل ؟

— ٦ —

أما بستور فحظه غير حظ هؤلاء جميعاً . فهذا هو قائم في هذا الحقل ومن حوله الأغنام الأربعة والعشرون تشطح وتمرح بين جُثثِ أربعٍ وعشرين لأخوات لها ماتت شر ميتة . رجلٌ قدير في تمثيله ، ومسرحٌ فخم في بشاعته ، ورواية خالدة على الدهور ، وقد اجتمعت الدنيا اليه تسمع وتنصت ، وتُثبت ما تسمع ، ثم تدخل في دينه أفواجاً تحارب معه الموت لمّا بان لها أن النصر قريب أكيد

وأحدثت هذه التجربة في الناس تحوّلا كبيرا . مثال ذلك رجل يدعى الدكتور بَيُوت Biot كانت صناعته علاج الخيل والسخرية ببستور سخريةً مُرّة . فلما رأى أخيرة الشياه تموت جرى مندفعاً إلى بستور يصيح به : « بالله عليك يا سيدي إلا ما حصّنتني بهذا اللقاح كما حصّنت هذه الشياه ، ثم حقنتني بذلك الميكروب القاتل كما حقنتها فنجّيتها ، فالعالم لابد أن يقتنع بصدق هذا الكشف العجيب ! »

وجاء خصيم آخر مخفوض الجناح يقول : « حقاً إني قصفت بالنُّكات الكثيرات عن هذه الميكروبات ، أما اليوم فأنا خاطئٌ توّاب ! » . فأجابه بستور مقتبساً من الانجيل : « سيكون الفرح في السماء لخاطئٌ واحد يتوب أكثر منه لتسعة وتسعين من العُدول الذين لا يحتاجون إلى التوبة »

أما الصَّحَفيّ الكبير دي بلوفتس فهتف لبستور وهرع يرسل تلغرافه إلى جريدة التيمس والى جرائد الدنيا . قال فيه : « إن تجربة قرية بويي لوفرت Pouilly-le-Fort نجحت نجاحا كاملا لم يسبق له مثيل

وتلقت الدنيا هذا الخبر ، وأخذت تنتظر ما بعده ، فكأنما حسبت في شيء من التخليط أن بستور بعض الأنبياء أرسله الله رحمة بالناس ، يحمل عنهم الأثقال ويدفع عنهم الآلام . وخرجت فرنسا عن وعيها فيه فنادت به أعظم أبنائها ومنحته وسام الكردون الأكبر لليجيون دونير Grand Cordon of the Legion of Honour وبعثت اليه الجمعيات الزراعية والبياطرة وفقراء

الفلاحين ممن حلّ بحقولهم داء الجمرة اللعين ، بعثوا أجمعين إلى بستور برقيات عديدة يسألونه ألوف الحقَن من لقاحه الشافى ، وأجاب بستور وأعوانه الثلاثة رجاء هؤلاء فى نخوة مجيدة أنستهم صحتهم — والعلم كذلك . وكان بستور شاعرا ، فأثارت شاعريته فى قلبه إيمانا بتجربته ، التى كانت ، زاد حتى أربى على إيمان من دخلوا فى دينه حديثاً

ثم أجاب بستور السائلين ، فقلب معمله الصغير بشارع أُلم Ulm إلى مصنع للقاح ، فكنت ترى الأوعية الكبيرة بأحسبتها على النار تغلى وتتفقّع ليُزرع فيها مكروب الجمرة بعد إضعافه وتأنيسه . وكنت ترى رو وشمبرلاند يقومان على إضعاف البشلة القوية والتخفيف من عنفها لتعطى شياه فرنسا بعض المرض دون أن تقتلها ، وتوخيا الدقة فيما يعملان ، ولكن أين الدقة من المسرع الهالع ؟ وتهيأ اللقاح ، فقام الأعوان جميعاً والعرق يتصبب منهم بتعبئة الجالونات الكثيرة منه فى زجاجات صغيرة تسع الأوقيات القليلة . وكان لابد أن تكون الزجاجات طاهرة من المكروب كل الطهارة فطهروها ؛ كل هذا دون أن يكون لديهم كل الأجهزة اللازمة لضمان العاقبة ، يا عجبا لبستور ! كيف قام بذلك كله ؟ بل هى تجربة واحدة واضحة ابتدعها — أم هو القدر أعثره بها ؟ — ملأته ثقة عمياء ليس عهدى بالتجارب الفرادى الواحدة أن تملأ رجلا بمثلها

وفى أثناء تحضير هذه الألقحة كان الأعوان الثلاثة يتحينون الفرص فيفلتون منها ليلقحوا البهائم فى شمال فرنسا وفى جنوبها ، وأدى بهم المطاف يوما إلى هنغاريا . لقحوا مائتى شاة هنا ، ولقحوا خمسمائة وستا وسبعين شاة هنالك ، حتى بلغ ما لقحوه فى دون العام مئات الألوف منها ؛ ثم يعود هؤلاء اللقّاحون الأمّانون يجرون أرجلهم من التعب إلى باريس ، وفى حلوقهم عطشة إلى شراب يسوغ ، وفى قلوبهم عطفة إلى حُبٍّ يطيب ، أو لعلهم كانوا يتوقون إلى ساعة هادئة يقتلونها على دخان الطُبّاق : ولكن أين لهم ذلك وبستور كان يكره رائحة الطباق ، أما الحب والشراب فكيف يجوزان عنده وشياه فرنسا تثغو ثغاء عالياً تطلب الخلاص ممن عنده الخلاص ، فلا يكون لهؤلاء الثلاثة الأرقاء رغم شبابهم مندوحة من اطاعة هذا المجاهد المجنون الذى تعبّدوا له اختيارا ، هذا المأفون الذى تجمع فكره وتركّز كيانه وانحشد عزمه على إيجاد هذا المكروب الذى يقتل بعضه بعضاً . فيقومون بالتخفف من ملابسهم والتشمير عن سواعدهم ثم يقضون الساعات الطويلة إلى جانب مجاهرهم يُحملقون فيها حتى تحمرّ جفونهم وتتساقط رموشهم . وفى أثناء ذلك يزداد الفلاّحون صياحا طلباً للقاح ، ويزداد أصحابنا انهماكا فى تجهيزه فيقعون أثناء ذلك ومن جرائه فى متاعب غريبة لم تكن فى الحسبان : دخلت بعض الجراثيم الغريبة إلى الأحسية مع مكروب الجمرة ، وإذا باللقاح الضعيف الذى يكفى لقتل الفأر صار يقتل الأرنب الكبير . فقام هؤلاء الأبالسة يتعرفون أصل الخطأ حتى عرفوه ، ويتعقبون مدخل هذا المكروب الضال فسدوه ، فيأتيهم بستور بعد هذا كله ساخطا صاخبا . ولم ذا ؟ لأنهم أضاعوا فى هذه التجارب وقتا طويلا ثمينا !

وأراد بستور أن يكشف عن جرثومة داء الكَلَب

كان ليل المعمل هادئا إلا من صوت الخنازير وعراك الأرانب ، أما الآن فقد غطى على هذا وهذا نباح الكلاب المسعورة ، وهى تعوى عواءاً يملأ الآذان وقرا والقلوب رعبا ، ويطير بالنوم عن أعين الأعوان الثلاثة رو وشمبرلاند وتوييه ... لهم الله من ثلاثة ! ليت شعرى ما كان يصنع بستور فى حربه رسلَ الموت لولا هؤلاء الثلاثة

ومضى عام أو دون عام على المعجزة التى جرت على يدى بستور فى قرية پويلوفرت Pouilly-to-Fort ، حتى أخذ يتضح للناس أن بستور ، هذا الصياد الماهر فى صيد الميكروّب ، ليس إلـها معصوما بل بشراً مخلوقا يخطىء ويصيب . وجاءته كتب عدة تراكمت على مكتبه من مونت پتييه Montpothier وعشر مدن أخرى فى فرنسا ، وكذلك من هنغاريا ، وكلها تشكو أن الشياه تموت من الجمرة ، لا الجمرة الطبيعية المألوفة ، ولكن جمرة جاءتها من هذا اللقاح الذى قصد الى خلاصها ، وأتت الأنباء بالسوء من أصقاع أخرى تقص حكايات أخرى عن خيبة هذا اللقاح . ففى بقعة من تلك البقاع اشترى الفلاحون هذا اللقاح ، ودفعوا ثمنه نقدا ، ولقحوا به قطعانا كاملة من الأغنام ، ولما جاء المساء عادوا إلى منازلهم وأراحوا جنوبهم فى مضاجعهم وهم يقولون حمدا لله الذى منّ علينا برجلنا العظيم بستور ، ثم طلع الصباح عليهم ، فما انفتحت عيونهم حتى وجدوا الحقول

قد غطّتها جثث الشياه النافقة — تلك الشياه التي زعموها حصينة قد ماتت من بزور الجمرة التي تخبأت في ثرى هذه الحقول

وأخذ بستور يكره كل صباح أن يفضّ الكتب التي تأتيه إشفاقا على نفسه مما كتب كاتبوها ، وودّ لو سدّ أذنيه فلم يسمع بسخرية الساخر وضحكة الهازىء يأتيه صداها من وراء الأركان . وأخيرا حدث شر ما يحدث له : تقريرٌ خرج من معمل كوخ ، تقريرٌ مُحكَم في بروده ، دقيقٌ في فظاعته ، كتبه ذلك الرجل الألماني القصير الخسيس ، وفيه نَفْي أن يكون للقاح الجمرة لدى التطبيق نفع أبدا . وزاد همّ بستور علمُهُ أن كوخ أدق صيادٍ للمكروب في الدنيا

قطف بستور القطفة الأولى من ثمار تجربته فكانت حلوة طيبة ، ثم أتى يقطف القطفة الثانية فأجزعته مرارتها يقينا . ولكنه ، طيّب الله ثراه ، كان شهما لا يثنيه الحدَث الجليل . فلم يكن في جِبلّته أن يعترف للناس أو لنفسه بأن دعاواه العريضة الطويلة ليس لها هذا العرض ولا هذا الطول الذي ادعاه . وكأني بك تسمعه يتمتم لنفسه : « ألم أقل إن هذه الألقحة تُمرض الشياه قليلا ولا تقتلها ، ثم هي بعد ذلك تحصّنها من الداء تحصينا تاما كاملا . فهو ذاك ، والأَزْمُ ما قلت فليس عنه من مَحِيد »

يا له من باحث عظيم ! ومع هذا فما أقل حظه من تلك الصراحة النبيلة التي نسي فيها سقراط نفسه ورابلاس Rabelais ذاته ، فلم تخدعهما عن الحق الظاهر ، ولم تستهوِهما عنه المنافع . على أن بستور لا يلام هذا اللوم كله ، ففرقٌ ما بينهما واسع واضح ، فهذان إنما طلبا الحق على الأسلوب الذي ارتأياه ولم يتطلبا شيئا سواه ، أما بستور فقد ساقه بحثه رويدا رويدا إلى حيث يفقد المرء لبّه ويُضيّع رشدَه ، إلى صناعة تخليص الأرواح من براثن الموت ، وهي صناعة ليس الحق بأهمّ ما فيها

وفي عام ، ١٨٨٢ بينا التقارير مكدسة على مكتبه تحمل أنباء المصائب الكثيرة من هنا وهنا ، قام بستور وسافر إلى جنيف وألقى على الزبدة المختارة من مجاهدي الأدواء في العالم خطبة رنّانة موضوعها : « كيف نخلص الأحياء من خبيث الأدواء بحقنها بالمكروبات بعد إضعافها » . وفيها أكد لهم بستور : « أن المبادئ العامة قد وجدناها فلا يستطيع المرء أن ينكر أن المستقبل مليء بآمال عظام . وصاح فيهم : « إننا جميعا مدفوعون بعاطفة قوية نبيلة ، هي حب الحق وحب التقدم بالإنسانية إلى خير مما هي فيه » . ولكنه وا أسفاه لم يذكر في هذا الخطاب البديع شيئا عن الشياه الكثيرة التي ذهب لقاحه بها وقد كان لحفظها وتحصينها

وكان كوخ حاضرا في هذا الاجتماع ، وظل يَطرِف إلى بستور بعينه من وراء نظارته الذهبية ويبتسم في لحيته الكثّة كلما سمع بستور يقصف بالجمل الرنانة ، قد عَمِرت باللفظ البديع وأقفرت من العلم الصحيح . وكان بستور يخطب وهو يحس كأن سيفا خفيا مُصلَتا فوق رأسه . ولما فرغ من خطابه تحدّى كوخَ أن يجادله على رؤوس الأشهاد علما منه أن كوخ في تصيد المكروب خير منه في الحِجاج . فقام كوخ فقال : « سأقنع نفسي بالرد كتابةً على السيد بستور ، وسيكون هذا قريبا » . وكحّ ، ثم جلس

(يتبع) **أحمد زكي**

الحياة الأدبية فى دمشق

للأستاذ على الطنطاوى

لا شك أن (الرسالة) بسموها عن الفكرة الاقليمية الضيقة ، وفتحها أبوابها لأبناء العربية جميعاً ، ودعوتها إلى الاجتماع على التوحيد فى الدين ، والفضيلة فى الأخلاق ، والوحدة فى السياسة ، والصحة فى اللغة ، والجمال فى الأسلوب ، والتجديد فى الأدب .. سيكون لها أثر كبير فى تاريخ الصحافة العربية بما سنت من هذه السنة الحسنة التى لم تعرفها من قبل كبريات مجلات مصر إلا قليلا ، وبما بلغته من الجمال والاتقان ، فى الشكل والموضوع ؛ وسيكون لها أثر كبير فى تاريخ الأدب العربى ، بما وضعت للأدب من منهج مستقيم ، وما أحيت من الأسلوب العربى ، وما قبست من روائع الآداب الأجنبية ؛ وسيكون لها أثر كبير فى التاريخ العربى العام ، بما دعت اليه من الوحدة العربية ، وما نشرت من أمجاد السلف ، وما وضعت فى نفوس الناشئة من قرائها ، من العمل للجامعة العربية الواسعة ، لا للاقليمية الضيقة . . .

ولا شك أن « الرسالة » اليوم للأقطار العربيـة كلها ، لا لمصر وحدها ؛ فكما تفتح « الرسـالة » أبوابها للمقالات الوصفية والقصصية ، وللقصائد والبحوث التى يبعث بها اليها أدباء الشام والعراق وغيرهما ، فلتفتح أبوابها للفصول النقدية ، والبحوث المستفيضة عن الحركة الأدبية فى هذه البلاد ، ولو كانت قاسية شديدة على النفوس ، ولو كشفت عن حقائق يحب بعض الناس ألا ينكشف عنها الستار ؛ وليس من مصلحة الأدب فى شىء أن يظل أدباء مصر والعراق جاهلين مدى الحركة الأدبية فى الشام — مفترين بها — وليس من المصلحة أن يبقى أدباء الشام ومصر جاهلين مدى الحركة الأدبيـة فى العراق ، بل يجب أن يصف أدباء كل قطر من الأقطار الحياة الأدبية فى قطرهم ، ومبلغ قوتها أو ضعفها ، وسبب تقدمها أو علة قصورها ، وأن يحللوا أدواءها وأمراضها ، لنتعاون جميعاً على عـلاجها ومداواتها ، وتقويتها وشد أزرها ؛ والحياة الأدبية فى الشام أحوج شىء إلى المداواة والعلاج ، إذا كان فى الشام حياة أدبيـة ، لها وجود ، ولها آثار يستطيع الناقد أن يصفها ويتحدث عنها ؛ وأنا أشك فى وجود هـذه الحياة ، فلا أستطيع أن أجزم بوجودها لأنى لا أرى علامة من علامات الحياة فى أدباء دمشق وأدبها ، ولا أستطيع أن أنفيها ، لأن فى دمشق أدباء كباراً معروفين ، ولأن دمشق — كما يعلم الناس جميعاً — عاصمـة من عواصم البيان العربى . . . .

ولقد رجعت أعرض تاريخ الأدب فى دمشق منذ عهد الاحتلال إلى اليوم ، وأنظر الآثار الأدبية الخالصة التى أخرجها أدباء دمشق فى هذه الخمسـة عشر عاماً ، فلا أجد إذا استثنيت مجلتى الرابطة الأدبية والميزان ، ورواية سـيد قريش لمعروف الأرناؤط ، وكتابى المتنبى والجاحظ لشفيق جبرى ، ورسـائل أئمة الأدب لخليل مردم بك ، إذا استثنيت هذه الـكتب ، وكتابين آخرين أو ثلاثة قد أكون نسيتها ، لا أجد أثراً أدبياً له قيمة . وهناك كتب محمد بك كرد على : خطط الشام ، والاسلام والحضارة ، وغيرها ، ولـكنها ليست من الـكتب الأدبية الخالصة ، وإنما هى كتب تاريخ لا تدخل فى موضوع مقالى

على أن هذه الـكتب التى استثنيتها ليست فى درجة واحدة من حيث قيمتها الأدبية ، فبينا نعد (سيد قريش) عملاً فنياً كبيراً على ما فيها من ضعف العقدة الروائية ، وتشابه المناظر ، وتكرار الأوصاف ، وغلبة النصرانية على أجمل صفحاتها ، نعد رسائل (أئمة الأدب) لخليل مردم بك ، كتباً مدرسية ، موضوعة لطلاب البكالوريا لا تبلغ أن تمـد فى الدراسات القوية التى تستند إلى طريقة فى البحث معروفة ، وتكشف عن نواح مجهولة من حياة الأديب الذى تبحث عنه ومن أدبه ؛ ثم إن هذه الـكتب نفسها إذا قيست بمدينة كدمشق ، فى مدة طويلة كهذه المدة ، لا تعدو أن تكون أثراً ضئيلا لا يدل على حياة .... وهذا الأثر على ما فيه من ضعف ينحصر فى فنين من فنون الأدب هما : القصة التاريخية ، والدراسة التحليلية ؛ أما سائر فنون الأدب كالقصـة التمثيلية ، والأقصوصة القصيرة ، والصورة الوصفية ، والمذكرات الأدبية ، والتأملات الفلسفيـة والشعرية ، والدواوين القيمة ، والخطب البليغة ، وغيرها من فنون الأدب ، فلا نكاد نجد لأدباء دمشق فيها أثراً يذكر

من أجل ذلك لم أقل إن فى دمشق حياة أدبية ، لأن ما نحن فيه ليس بالحياة ولا يشبه الحياة ، ولم أنف هذه الحياة لأن فى

دمشق أدباء ينتجون ، أو يستطيعون أن ينتجوا شيئاً ، وإنما أقول إن أدباء دمشق فى منزلة بين الموت الكامل ، والحياة الصحيحة ، هى السبات العميق ، والنوم الطويل الذى يشبه نوم الضفادع طول الشتاء ، إذ تدخل فى ثقب من الثقوب ، فتلبث الفصل كله كأنها قطع الحجارة ، لا تأكل ولا تشرب ، ولا تنق ولا تتحرك ...

وإلا فما يصنع كتاب دمشق وشعراؤها ؟ وأين هى منتجاتهم الأدبية ؟ وهل يكفى الشاعر أن يقول كل خمسة أعوام قصيدة واحدة تضطره اليها المناسبات اضطراراً ، ثم لا يكون فيها أثر من نفسه ، ولا تصف شيئاً من عواطفه ؟ وهل يكفى الكاتب أن ينشر كل عامين مقالة تطالب منه ، أو مقدمة كتاب يسأل كتابتها ؟ بل هل يستطيع أن يملك لسانه الشاعر فلا يقول شيئاً وهو يرى كل يوم ما ينطق الصخر بالشعر من مصائب الأمة ونكباتها ، بل وهمومه هو ومصائبه وما يشاهده فى حياته فى بيتـه ، وحياته فى عمله ؟ . . أليس فى حياته سرور وألم ، وأمل وقنوط ، وضحك وبكاء ؟ أفيضحك الشاعر فلا يغنى ، ويبكى فلا ينوح ، وتهز قلبه الحادثات فلا يقول شيئاً ؟ أنا لا أستطيع أن أتصوّر كاتباً أو شاعراً ، لا يكتب ولا ينظم ، وكل ما حوله يهيج نفسه ، ويثير عاطفته ...

إن أدباءنا يحتجون بأنهم لا يجدون مكاناً ينشرون فيه ، وإذا لم يجد الأديب سبيلاً إلى النشر ضعفت همته ، وانكسر نشاطه ، ولم يجد حافزا إلى العمل ، لأن فقد عنصر النشر من أكبر الأسباب فى هذا الركود الأدبى ... وهذا صحيح لا غبار عليه

وليس فى دمشق مجلات أدبيـة ، إلا مجلة صغيرة اسمها (الطليعة) يصـدرها نفر من الشباب المثقفين الذين يحملون الشهادات العالية من أكبر معاهد أوربا ، ولـكن لها منحى خاصاً لا يرضى عنـه الناس كلهم ، وهى تمشي بخطى مضطربة . ورعا اضطر أصحابها إلى إغلاقها كما اضطر من قبل أصحاب (الثقافة) إلى إغلاقها ، برغم أن أصحابها من صفوة أدبائنا ومفكرينا ، كخليل مردم بك وجميل صليبا وكاظم الداغستانى ؛ ثم إن الجرائد اليومية لا تعنى بالأدب عناية كبيرة ، ولا تخصص له صفحات دائمة تنفق عليها بسخاء ، وإن هذه الصفحات الأدبية التى تزيّن بها صـدور بعض جرائدنا اليومية صفحات فارغة ، لا أظن أن أحداً ممن له صلة بالذوق الأدبى يرضى عنها ، وما أظن أن أصحاب الجرائد والقائمين عليها يرضون عنها ، أو يجدون فيها وفاء مما يؤملون . وإذا ألّف الأديب كتابا أو قصة لم يجد الناشر ، وإذا أنفق عليها من ماله لم يشترها أحد ، لأن دمشق بلد تقرأ كثيرا ولـكنها لا تشترى ؛ وهذه مجلة (الرسالة) ، لا تجد فى دمشق أديباً أو متأدباً إلا اعترف لك بأنها خير مجلة أخرجت للناس ، وأن العالم العربى لم يعرف مجلة مثلها منذ أنشئت أول مطبعة فى مصر ، ولا تجد أديباً أو متأدبا إلا وهو ينتظر يوم الثلاثاء ليقرأ الرسالة ، وبعد ذلك كله يباع من أعداد الرسالة فى دمشق كلها أقل من خمسمائة عدد ...

هذه حجة الأدباء فى تقاعسهم عن النشر ، وهى كما ترى حجة مقبولة ، ولـكنك إذا سألت القراء لم لا يشترون ، احتجوا بأن الأدباء لا ينشرون ، وإن تقاعسهم وكسلهم علم القراء الزهد فى الآثار القيمة والانصراف عن شرائها . ، وأنه لا بد من أن يضحى الأدباء بقسط من أموالهم وشهرتهم حتى يستعيدوا القراء الذين فقدوهم . على أن الذنب فى رأيى ذنب المدارس والمدرسين ، لا ذنب الأدباء ولا ذنب القراء ، فليس فى الشام اليوم من دروس الأدب إلا هـذا المقدار القليل الذى يتعلمه الطالب فى مقرر البكالوريا . وهـذا المقدار لا يحق حقاً ، ولا يبطل باطلاً ، ولا يصنع شيئاً أكثر من تبغيض الطلاب فى الأدب ، وتسويده فى أعينهم ، ذلك لأن شعب الأدب فى صفوف البكالوريا تسـير فى طريق عوجاء أبعد ما تكون عن بث الملـكة الأدبية فى نفس الطالب . وكيف تكوّن الملـكة الأدبية طائفة من أخبار الشاعر وأشعاره يستظهرها الطالب من غير أن يفهمها غالباً ، ويحتفظ بها فى دماغه إلى يوم الامتحان ، فاذا أدّاه ونال الشهادة أهملها ، أو دخله الغرور فظن أن معنى (بكالوريوس فى الآداب) كاتب أو أديب ، فزهد فى المطالعة ، وانصرف عنها أو طالع ما يقع تحت يده من الـكتب والمجلات حتى ابتلى بسوء الهضم ، وأصيب بالتخمة العقلية ... فترك القراءة وذهب إلى النديّ (القهوة) يقطع عمره فى النرد والشطرنج ثم يعمد إلى الـكتابة فى موضوع علمى أو فلسفى دوّنت فيه عشرات المجلدات من غير أن يقرأ منها شيئاً ...

ثم إن طلاب شعب الأدب فى صفوف البكالوريا لا يستطيعون

أن يستعينوا بالثقافة العامة التي يتلقونها في المدرسة ، ولا يعرفون كيف يستفيدون من علم الغريزة (الفسلجة) أو علم النفس أو التاريخ في بحوثهم الأدبية ولا يعرفون شيئاً من مناهج النقد ، وقواعد التحليل الأدبي ، لا لأن الطلاب كسالى أو بلداء ، فالطلاب يدرسون الأدب الفرنسي فيسيغونه ، ويدرسون الرياضة فيفهمونها ، ويدرسون أشياء كثيرة غير هذه يضيقون ببعضها ويتبرمون به ، ويقبلون على بعضها ويحبونه ، ويجدون لذلك كله أثراً في نفوسهم ، فاذا جاء الأدب العربي وجدت أكثر الطلاب لم يلذّوه ولم يبق في نفوسهم أثراً

وسبب ذلك أن أكثر المدرسين عاجزون عن أداء هذه المهمة التي انتدبوا أنفسهم لها ، أو انتدبهم لها من بيدهم مقاليد الأمور ، لشهرتهم الأدبية أو لشهاداتهم العالية ، أو لشيء غير ذلك له صلة ضعيفة ، أو لا صلة له بالأدب قط . وأكثر المدرسين اليوم بين رجلين : رجل ثقف الأدب العربي القديم ثقافة حسنة ، وضرب بالسهم الوافر في علوم العربية نحوها وصرفها ، وبلاغتها وعروضها ، ونقدها وروايتها ، وحفظ أيام العرب وأمثالهم واستطاع أن يفهمها حق فهمها ، وينقدها نقد بصير بها ، ولكنه عجز عن أن يدرسها ويدرس رجالها دراسة تحليلية صحيحة لجهله الآداب الأجنبية ، وجهله قواعد النقد الحديث

ورجل درس الآداب الأجنبية أو واحداً منها دراسة عميقة ، وعرف مناهج البحث ، ومذاهب النقاد ، وأحسن نقلها إلى الأدب العربي ، ولكنه عجز عن فهم الشعر العربي ، وجهل علوم العربية ، فغدا لا يستطيع إدراك معنى النص العربي فضلا عن نقده أو الحكم عليه

ثم إن أكثر المدرسين من غير رجال الأدب ؛ وإن فيهم من لم يعرفه الناس شاعراً مطبوعاً ، ولا كاتباً مجيداً ، ولا ناقداً بصيراً ، ولا أكثر من ذلك ولا أقل . فكيف لعمري نطلب منه غرس الملكة الأدبية في نفوس الطلاب ؟ إن مثل هذا الطلب هدم للمنطق الذي يقرر أن فاقد الشيء لا يعطيه

***

هذه قيمة الحياة الأدبية في الشام ؛ وهذا موطن الضعف فيها ؛ فلا صلاح لها إلا بتقويته ، ولا نجاح لأمة لا تسخر أدبها لخدمة قضيتها . فهل يبدأ في حياتنا الأدبية « عهد الاصلاح » المنتظر ؟

علي الطنطاوي

أزمة أوربا الدينية

في العصر الحاضر

بقلم محمد جلال

يخيل الينا – كما يرى الكثيرون – أن التصوف هو أظهر حالات النفس وأقدرها على محاسبة الضمير وكشف حقيقته . قال ابن خلدون : « وأصله – أي التصوف – . . . طريقة الحق والهداية[1] » وقال أيضا : « ويتم (بالمجاهدة) وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك[2] » وقال الأستاذ لالاند :

« Le mysticisme est : .., croyance à la possibilité d'une union intime et directe de l'esprit humain en principe fondamental de l,étre [3]

أي أن التصوف هو اعتقاد في امكان حصول اتحاد تام مباشر بين الروح وحقيقة الانسان . وقال الفيلسوف برجسون :

« Le grand mystique serait une individnalité qui franchirait les limites assignées à l'espèce par sa matérialité,qui continuerait et prolongerait ainsi l'action divine [4]

ومعناه أن الصوفي الحقيقي هو الذي يتخطى حجاب الحس الذي وضعته الطبيعة البشرية ليواصل بذلك العمل الالهي

يتضح من ذلك أن التصوف يحقق شرطي الدين وهما الاعتقاد والعمل . فتلاحظ إذاً أن معظم المتصوفة قد نشأوا في بيئة دينية إلا القليل منهم من ظل يعمل بعيدا عنه في الظاهر . ولما كان للروح العلمية اتجاه يختلف عن الاتجاه الديني في كثير من أغراضه وميوله ، مال العلماء إلى التخلي عن الدين ورميه بالنقص . لهذا سنقصر بحثنا الآن على حقيقة الايمان مع اتصاله بالعلم والفلسفة والتاريخ

---

(١) مقدمة ابن خلدون — طبعة القاهرة ص ٤٠٨

(٢) مقدمة ص ٤١٠

(٣) Lalande : Vocabulaire de la philosophie-P. 496. Paris 1932

(٤) Bergson : Lea deux Sources de la morale etc ... — P. 215.Paris 1912

١ — العلم :

أحدث تقدم العلم فى القرن التاسع عشر اضطرابا فى الحياة الدينية أفضى الى تمحيص الدين على ضوء القوانين العلمية . من ذلك لوحظ أن نظرية خلق العالم فى سبعة أيام ـ كما هو وارد فى معظم الكتب المقدسة ـ لم تتفق وقوانين العلم الكونى . فان اليهودية والمسيحية والاسلام ومعظم الأديان الأخرى نشأت كلها فى الشرق فمن المحتمل إذاً أنها تكاد تتحد فى فكرة علمية واحدة . فى فلسطين مثلا ساد الاعتقاد قديما أن الأرض محاطة بطبقة صلبة معلقة فيها الكواكب يعلوها عرش الله الذى يثبت الأرض وما عليها وهو منفصل عنها ؛ ولكن علم الفلك أثبت أن العالم لا نهاية له ، فيكون عرش الله واقعا فى حيز العالم تجرى عليه سنة هذا الوجود من حركة وسكون . أدى هذا الخلاف الى رأيين : الأول اتحاد العلم والدين ، والثانى انفصالهما

أما الرأى الأول فانه يقرر — على رغم ظواهر الأشياء وما فى الكتب المقدسة من اختلاف — أن هناك صلة بين العلم والدين يسهل تحديدها إذا اتفق العلم والدين على معانى الكلمات ؛ فى المثال السابق مثلاً جاء فى التوراة أن معنى كلمة يوم : مدة مقدارها عصر لا أربعا وعشرين ساعة كما نعتقد نحن اليوم ؛ على هـذا الاعتبار تكون الأرض قد تم تكوينها فى ستة عصور — وهذا هو رأى علماء الجيولوجيا

ويقول الرأى الثانى إن للعلم والدين أسباباً ودواعى خاصة بكل منهما ، وقد يتفاوت محيط أحدهما بالنسبة لمحيط الآخر دون أن يتعارضا فى شىء . فمقتضى الدين اعتقاد وأمر ثم عمل ؛ وأما مقتضى العلم فكشف قوانين هذا الوجود — بما فى ذلك الانسان — وتحقيقها بالطرق التجريبية . وليس من العلم فى شىء أن تحمل الجماعة على اتباع هذا النظام أو التخلى عن هذا العرف . يستوى عنده البار والفاجر ؛ وبعكس ذلك الدين ، فانه حب وعاطفة ومفاضلة بين بار وفاجر ؛ فهو لذلك ضرورة للنظام الاجتماعى ، وهذا رأى برجسون فى كتابه المشار إليه آنفاً

أفى ذلك طمأنينة للنفوس ؟ قد يكون ذلك . . ولكن ظاهر الشىء غير حقيقته ؛ إذ النفس لا تعرف السكون الذى يُزيّن لها التخير بين طريق وطريق ؛ فهى إن خضعت للدين بالأمس فذلك من طبيعتها ، وإذا خضعت للعلم اليوم فذلك أيضاً من طبيعتها . وقد لا تخضع غداً لا لهذا ولا لذاك ، وعليه فان هذا التقسيم لم يحقق مأرباً

٢ — الفلسفة :

أما فى الفلسفة فالنزاع قائم بين أنصار مذهب الفكر[1] « Intellectualisme » وبين أنصار مذهب العمل[2] « Pragmatisme ».

يقرر الفكريون أن الذكاء هو خير وسيلة لفهم الحقيقة الواقعة ، وفى رأى العمليين أنه وسيلة لتكوين صور لأعمالنا نستعين بها على فهم الأشياء

فعند الفكريين (أى معظم فلاسفة الغرب والفرنسيين منهم خصوصاً يتقدمهم ديكارت) تتعين الحقيقة بنفسها ؛ وليس فى مستطاع الفرد ـ مهما كانت قدرته ـ أن يحددها دفعة واحدة ، ولكننا نقرب منها شيئاً فشيئاً مع وفرة مجهودنا الفكرى خلال العصور المتطاولة . كان العلم عند اليونان مثلاً مبادىء وأوليات ، وقد ترقى بعض الشىء عند العرب ، وفى عصر النهضة بأوربا ، ومازال يرتقى ويستخلص أسسه من شوائب كانت سبباً فى تغيير معالم الحقيقة التى لم تغير جوهرها بالنسبة لحاجة الانسان

ويرى آخرون أن ليس للحقيقة وجود ذاتى ، فهى محض فكرة دعت اليها حاجة الانسان . فعند اليونان تدل كلمة حقيقة على شىء نسبى ـ أى أن حاجة الانسان الفكرية تتطلب حقائق مختلفة حسب الزمان والمكان ، وهى بدورها تحقق رغبة علمية واحدة ؛ وبما أن حاجة الانسان غير ثابتة فتكون تلك الحقيقة أيضاً غير ثابتة ، وذلك لاختلاف وسائل تحقيقها . فمطرقة الحداد مثلاً كانت حقيقة فى الماضى ـ كذلك مطرقة النجار هى حقيقة اليوم ، ورغم ما أثبته العلم والعمل حتى عهد قريب من صحة نظرية نيوتن الخاصة بتجاذب الأجسام ، فان أبحاث اينشتين تثبت حقيقة أخرى بعد ما هدمت الأولى ؛ أعنى أن هناك تناسباً خاصاً فى الحياة الفكرية لكل عصر ؛ ولا غضاضة

---

(١) مقابلة لكلمة روحيين « Spiritualistes » كما جاء فى مقدمة ابن خلدون — ص ٣٥٣

(٢) استعملناه مؤقتاً إذ لم نعثر بعد على اصطلاحه فى المراجع العربية

إذا أقبلنا بجميع جهودنا على تلك الحقيقة المتغيرة فهي لم تتحدد بغير منفعتها

مثل وليم جيمس[1] هذا الرأي في أمريكا ـ وأخذ برجسن ببعض منه ، أي الجزء الخاص بتطور الفكر[2] ، وتبع المسيو ادوار لروا أستاذه برجسون في ذلك إذ رأى أنه يصعب على الرجل العملي فهم الدين من الوجهة المنطقية . وعليه فان عبارة « الأب والابن وروح القدس » معناها تصور حقيقة وائمة تنشأ عن ارتباط الفرد بغيره . ويقال مثل ذلك في تفسير وجود عبادة الله وحده — أي كونه ماثلا حقيقة روحاً ودماً (عقيدة سر القربان عند المسيحيين) ؛ ويراها آخرون أنها صيغة أمر ، أي وجوب تصور حالة العبد أمام ربه كما يجب أن يكون عليها أمام انسان يرى فيه أصل الحب والتقديس . هو أصل اليقين والشعور الطاهر ، وقال بمثل ذلك الأب سرتلانج Sertillanges الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بفرنسا في إحدى جلسات مجمع باريس الديني الأخير إذ رأى أن أوضاع الدين لم تكن غير نواميس للحياة

٣ — التاريخ

شك علماء التاريخ في مصادر التوراة ، لأن فيها أجزاء وضعها قديسون ، وقد نُقحت من بعدهم . وللآن لم يستقر الأمر على معرفة كيفية حصول ذلك لعدم توفر الوثائق التاريخية الكافية ؛ فلا يبعد إذن أن يكون قد وقع فيها بعض التغيير أو الحذف . مثال ذلك أسفار موسى الخمسة فانه لم يزل أمرها غامضاً حتى اليوم . يوجد عدا هذا بعض تناقض في الآيات من حيث الصورة والمعنى . آمن[3] عيسى عليه السلام في عودته ثانية إلى الارض ، وإن الساعة آتية قبل أن ينقضي العهد الذي نزل هو فيه

يلاحظ هنا تباين نشأ عما رمز اليه في التوراة من أعمال دنيوية ، إذ انقضى عهده وانتهى النظام الوراثي للملك وهو لم يعد بعد . أدى هذا الاعتراض إلى احداث انشقاق في الكنيسة الكاثوليكية في أواخر القرن التاسع عشر . أخذ رجال الكنيسة من جديد يدرسون الانجيل من حيث التاريخ والجغرافيا والتشريع ، وقد قضى الأب لوازى Loisy حياته في التوفيق بين الدين والتاريخ

نشأ عن تلك الحركة اتجاه جديد في الرأي سمي بمذهب « المثل الاعتقادي » Symbolofidéisme يرى أخذ الأشياء على أنها أمثلة بسيطة شأنها أن تحدث معتقدات تتناسب مع قوة إيمان الفرد ؛ فيكون مرمى نظرية نزول المسيح تحديد قيمة مثلى

على رغم كل ذلك ما زال في النفس بقية تدعوها إلى كشف معتقد جديد وحقيقة أخرى ، فيرى برجسن وهنري بوانكاريه H. Poincaré أن العقل غير كاف وحده لكشف الحقيقة التي دأب وراءها الانسان منذ نشأته . فلا بد له أن يتبع هدى روحه كما فعل أفلاطون وغيره

ويرى أوجست كنت وأتباعه أن الدين نظام اجتماعي قابل للتطور مثل الجماعة في تاريخها من تشريع وأخلاق . ويرى الأستاذ شارل مورا Charles Maurras ضرورة الدين الكاثوليكي لاصلاح النظم الاجتماعية في فرنسا لما فيه من عناصر السلام

ماهي حالة الفرد النفسية إزاء ذلك الانقسام ؟

* * *

عبر علماء النفس عن ذلك بأنه شعور جديد بشخصية الفرد يدعوه إلى تحديدها من حيث اتصاله بالجماعة ، ومن حيث اتصاله بنفسه ، مما أدى إلى ترك بعض المعتقدات والتمسك بأخرى . ولما كانت الجماعة تحمل في ماضيها عناصر مدنيات مختلفة فهي إذاً الدافع إلى هذا الشعور في الفرد . ويختلف الأفراد في قبول ذلك حسب استعدادهم النفسي ، وهذا ما نشاهده في القديس بولس إذ اضطربت نفسه متأثرا بعصره ، فخرج على الدين ثم عاد اليه متحمساً لتجديده ، وذلك بالدرس والمجاهدة النفسية

يرى بعض رجال الدين أن مثل هذا النوع من المجاهدة محاولة من العبد أن يتصل بالله ليظفر بالغفران . ولكن بعض أتباع لوثر ليسوا في حاجة إلى ذلك ، إذ الغفران في رأيهم ملك للجميع ، وثقتهم بالله عظيمة لتوزيع هذا الغفران ، فلم يكن عندهم إذاً هذا النوع من المجاهدة

وهناك فريق آخر يقال لهم الوصوليون Methodistes وغايتهم فعل الخير لأنهم مجبرون عليه ، وهذا عمل خاو من الشعور

---

(١) William James : La Philosophie de l'experience. Tr. fr. 1910

(٢) H. Bergson : *L'Evolution Créatrice. Ch. 3. Paris 1928*

(١) ٣ — انظر العهد الجديد — أعمال القديسين — اصحاح ١ — طبعة كمبردج سنة ١٩٢٨

بين الماضى والآتى

للاستاذ أديب عباسى

« وصلنا عدد (الرسالة) المائة والسادس والعشرون ، وقد انتهينا إلى جزء هذه المقالة الأخير . وكم كانت دهشة المفاجأة إذ فضضت غلاف الرسالة ووجدت بين بحوثها مقال الأستاذ الكبير أحمد أمين (أمس وغداً) . وكانت بادرة الفكر التى تلت دهشة المفاجأة أن أهمل الموضوع وأوفر على نفسى عناء المراجعة والتنقيح . ولكننى عدت وقلت قد أكون طرقت الموضوع من ناحية غير التى طرقها الأستاذ ، وقد أكون على خلاف معه فى الرأى أو بعضه . وقرأت المقال فوجدت أننا نسير والأستاذ بعض الطريق ونفترق فى بعضه الآخر . ومن أجل هذا الافتراق أبعث بمقالى هذا إلى (الرسالة) العزيزة »

تمرُّ بزمرة من الشيوخ خلوا الى أنفسهم وأرسلوا أحاديثهم ارسالا لا تحده موضوعية البحث الجدى ، ولا اندفاع العاطفة الثارة ، ولا عصبية الجدل ؛ فتكاد لا تحسُّ فى حديثهم إلا اللهفة العميقة ، والالتياع الشديد على الزمن الفائت ، حيث اللذة لا يكدرها ألم ، والصفو لا يرنقه كدر ، وحيث النعيم أبداً مقيم ، والمنى أبداً حُفَّل دانية ! وينبثُّ اليك من صدق اللهجة واجماع الرأى وخلوص النيــة فى حديثهم ما يوحى بأن أعصر السعادة المطلقة قد تلكأت عند شبابهم ، وترخَّصت فقط لماضيهم ، فأقامت ثمَّ لا تبرح ولا تريم ؛ لهذا أَخْل الحاضر ، وعقم المستقبل ، وغادر الناس طيب العيش وبشاشة الأمل !

تسمع هذا وخلافه مما تفيض به بقايا العمر وأعقاب السنين من الشيخوخة ، فتتدسَّس اليك الحسرة ويغمرك الألم ان تأخر بك الزمن ، ولم يحشرك فى زمرة الشيوخ هذه ، ويجعلك فى حشدهم ، فيكون لك من السعادة مثل ما يتحدثون ويصفون

وتقودك رجلاك من حيث أنت الى زمرٍ أخرى وأفراد آخرين ، بعضهم ما يزال – فى رأى نفسه – يستعدُّ لخوض معركة الحياة ، وبعضهم الآخر – كذلك فى رأى نفسه – قد أعدَّ لها العـدَّة ، وهيأ السلاح ، فهو الآن يخوض غمارها ليصطلى بنارها ، أو يستاف العطر الذكى عن أزهارها

وتقف تتسمع ، فما يروعك من هذه الزمر مثلُ انشغالها بمستقبلها عن حاضرها ، وغفلتها عما فى اليد الى ما يمنيها به الغد ، كأن حياة اليوم ليست فى العمر ولا فى تقدير الزمن ، وبعضون هذا المضى ، الغفلةُ عن حاضر الحياة غريبة مدهشة ، والثقة فى المستقبل قوية آمرة ، ويظلُّ هذا دأبهم الى أن يؤذّن بركود الشباب ، ووشك الانخراط فى سلك الشيخوخة المتهدمة . عندها – وعندها فقط – يصحون ، ولكن لات ساعة صحو

وهنا ينقلب الوضع وينكفئ الاتجاه ، فتحل الذكرى القريبة أو البعيدة محل العزم ، والركود محل النشاط ، والعجز محل القدرة ، وهكذا بين ماضى الحياة وآتيها ، يُسقط الناس كل رصيدهم فيهما ، ويجعلون منها – على حد تعبير الرياضيين – الكمية المهملة

وليست هذه الصور التى رسمنا بالصور الخاصة أو الطارئة طروءاً زائلاً ، إنما هى صور لها من طبيعة الشعور وخصائص الاحساس ما يجعلها من ألزم الصور للحياة وأكثرها لصوقاً بها وشيوعاً فيها . فالشيخ ، أو من كان فى حكمه من شبان السنين ، يتَّجه إلى الماضى ليلطف عنده مرارة الحاضر ، وليتعوض بذكراه عما يفيته العجز وضعف المُنة من لذائذ راهنة يراها ولا يرى السبيل إليها كيف يكون . وقد تقول : لم يؤثر الشيخ أن يرتد بخياله إلى ماضى العمر ولا يرى أن يرسله فى مطاوى المستقبل ليلتمس عنده الفرار وينشد السلوان ؟ والجواب سهل هين إذا علمنا أن خيال الشيخ يخونه هنا ، كما يخونه كذلك منطق الواقع ومنطق الاحتمال . فالشيخ يدرك أن سبيله من بقية العمر هى سبيل نازلة لا صاعـدة ، وأن كل يوم يمضى يدنيه من النهاية ويقلص لديه بقايا الأمل وأصداء السعادة ؛ وإذاً فالحاضر فسحة مسدودة ، والآتى سبيل مظلم مخيف ؛ أما الماضى فهو السبيل الوحيد الذى يستطيع أن ينساب فيه الخيال دون أن يشله برد الواقع أو تروّعه بشاعة الحاضر

بالاتجاه نحو الله كما رأى ذلك رينان Renan

عرضنا فى تلك الكلمة الوجيزة نشوء بعض تطورات الدين بأوربا ، مما يدعونا الى الاعتقاد أن هناك عوامل أخرى أدت الى تلك الاختلافات الطائفيـة غفل عنها رجال الدين والفلاسفة ، وهى التى دعت علماء الاجتماع للتعبير عنها بطريقة أخرى غير ما سبق . وذلك موضوع كلمتنا القادمة

(باريس) محمد هلال
بجامعة باريس

وقد تسأل : ألم يكن فى ماضى الشيخ الألم كاللذة ، والنعيم كالشقاء ، والحرمان كالأنالة ؟ فكيف يؤثر أن يعيش فى ماضيه دون حاضره وآتيه ؟ وهنا نرجع إلى حقائق الشعور الراهنة ، فيستبين لنا أن الألم الفائت يفقد قيمته مع الزمن حتى لا يبقى منه إلا ذكراه وصداه . وهذه الذكرى - إذا لم يصحب أسباب الألم عند نشوئه حالات ملازمة - تضحى باعثاً على الاطمئنان والراحة . فأنت إذ تفقد كل ما تملك أو تصاب إصابة جائرة فى سمعتك أو تجلس إلى حبيب إليك علقه المرض بين فكى الفناء والبقاء ، تشعر بالغبطة وانفراج الشعور بزوال الخطر ، حينما يعوض عليك السعى بديلاً من مالك ، وحينما يرد إليك الوضع العادل سمعتك ، وحينما يتخطى غول الفناء حبيبك فيرده إليك سليماً معافى تنعم بلقائه نعمتك بكل عزيز عليك . وعليه فتلك الأحداث التى كانت يوماً ناراً يقلب عليها الاحساس ويضرم الشعور أضحت بعد زوالها مجلبة للراحة والاطمئنان ، فلا عجب إذاً من ارتداد الخيال إلى الماضى وعكوفه عليه

بيد أننا لا ننكر أن ثمة عللاً أخرى غير ما أسلفنا لهـــذا العكوف من الشيخ على ماضيه وانصرافه اليه عن آتيه وحاضره : منها أن الشيخ إذ يرتدّ إلى ماضيه يُسيِّر الشعور فى مسارب أضحت بتكرار الحدوث ممهدة لا تعترضه فيها عقبة ولا تتصدى له عثرة . ومن هنا فكرة « الماضى السعيد » عند الشيوخ ، ومن هنا أيضاً ميلهم الميل الشديد إلى المحافظة وإبقاء القديم على قدمه وتجنب كل جديد يصدم الشعور ويدعو إلى تحويله من مجراه المعتاد

ومن هذه العلل أيضاً ذهاب الرفقة وتخطُّف الموت أبناء الجيل الواحد ، بحيث يجىء اليوم الذى يشعر فيه الشيخ انه غريب فى بيئة غريبة ، فيزداد حنينه إلى ذلك الرهط الذاهب من جيله ، فيستعيد بخياله ذكراهم المحبَّبة وأيامه وأيامهم الحائلة

يضاف إلى هـذا لون معهود من ألوان الدفاع عن النفس بتهوين الحرمان عليها وطلب العزاء لها عنه فى الماضى ؛ وهو نوع من أنواع تخدير الاحساس ينشأ أول الأمر فى دائرة الوعى ، ولكنه مع الزمن وتوالى الحـدوث والتأثير يتسرب إلى دائرة العقل الباطن ويتخفى فى تيه اللاشعور . وعندها يصدر ذمُّ الحاضر عن عقيدة وينطلق عن يقين . وهذه الظاهرة تبدو أجلى وأوضح فى حياة الجماعات منها فى حياة الأفراد . ومن هنا أن الأمم كلما أهمل حاضرها وازداد تخلفها عن غيرها من الأمم ازدادت حفولاً بالماضى وتفطناً اليه وعكوفاً عليه . ولعل عبادة السلف عند بعض الشعوب ترجع فى معظم الأمر إلى هذا الميل النفسى العميق

* * *

ونعود إلى صورة الشعور كما يرسمها طماح الشباب ويحددها أمله ، فنجد أن الشاب إذ يتجه فى أمانيه وأخيلته وعمله إلى المستقبل ، إنما يجرى على طبيعة الشعور وبموجب قواعده . فالحاضر لدى الشاب الذى لم يحدد الضعف وقصر المجال وضيق المضطرب أمله فيه وحدود مسعاه ، هو مرقاة منها يرقى إلى غيرها . واذاً فحاضر الحياة من الشاب هو الدرب ، والمستقبل الافق ، ما يفتأ متجدداً مغرباً بالسعى والسير ما بقيت فى النفس حوافز السعى والسير . ثم ان حاضر الحياة مزيج من الخير والشر واللذة والألم والنجاح والفشل . أما آتيها فهو كما يرسمه الخيال ويحدده الأمل ، خير ونعيم ونجاح . أما الماضى فقد كان يكون من خياله ما يكون من خيال الشيخ لولا أن صورة المستقبل صورة قوية رائعة لا تدع للتفكير فى الماضى الا ما يدعه القوى للضعيف . وعلى كل فقد ترى من الشباب من ينزوى عن مستقبله ويتجه الى ماضيه ، إن يكن له ماض ، فعل الشيوخ الذين غادرهم الأمل وأحلامهم الكبر

هـذا تحليل مجمل لصور الشعور فى ثلاثة أطوار الحياة وفى أزمنتها الثلاثة ، لا نعتقد أننا نتحكم فيه أو نفرضه فرضاً على القارىء ، لا سيما اذا أزلنا من الصورة جانبى المبالغة والاغراق من تفاؤل رخيص يجمل الحياة ابتسامة طويلة كاذبة ، وتشاؤم عبوس دائم التقطيب ، كما يتمثلان فى حياة نفر من الناس ، شأنهم الحقيق من الحياة شأن الهامش من الصحيفة ، فيها وليسوا فيها

مما وصفنا ترى جلياً ان حاضر الحياة - وهو كل حقنا فيها - لا ينال من فطنة الشعور إلاّ قدراً ضئيلاً عابراً إذا قيس بما يملأ أخيلتنا ويكظها من صور الماضى والآتى

وقد تقول : ماذا علينا - إذا كان هذا هو الحال - لنخلِّص الحياة من هذا العبث الذى يضيع فيه العمر بين لهفة على الماضى وغفلة عن الحاضر واستشراف المستقبل ؟ وجوابنا ان من طبيعة

الحياة أن يتمازج فيها الخير والشر وتساير اللذة الألم ، وانه يستحيل أن تكون الحياة خيراً كلها أو شرًّا كلها ، وانه لهذا أضحى واجباً أن يقبل عليها الناس اقبالاً لا يفيتهم ما يتيسّر لهم من نعيمها ، ولا يفيتهم - كذلك - النظر إلى المستقبل والسعي في سبيله ؛ ولن ينقص نظر الناس إلى المستقبل من استمتاعهم بلذات الحاضر إذا عرفوا كيف يحسنون السير في سبيله سيراً معتدلاً حتى لا يضحى مشغلة لهم تزحم حاضر الحياة على نصيبها الذي يجب أن يكون لها من وعي الشعور ، بل نحن نعتقد أن المرء يتيسّر له من سعادة الواقع ، مع السعي السليم والتطلع إلى المستقبل الذي لا يقطعُ المرء من حياته الحاضرة ، أكثرمما يتيسّر له حينما ينقطع عن ماضيه وآتيه ليكبّ على الحاضر وحده يرضع فيه اللذة ويترشف النعيم على الطريقة الخيّاميّة

وهذه الحالة السليمة من الشعور لا تحلُّ حلولا مفاجئاً ، كما يحلُّ الوحي ، ولا تجيء بالسعي الهين أو المعتدل ، انما هي حالة تقتضي السعي الأكيد ، والتعاون الشديد ، من جميع مصادر التوجيه النفسي . ولعل البيت والمدرسة يفوقان في هذا الشأن جميع مصادر التوجيه الأخرى في طول مدى التأثير وعمقه ، فالبيت والمدرسة يستطيعان أن ينشئا الجيل الذي لا يقتله الفشل فيرتد الى الماضي يخدّر فيه الشعور ، ولا يستخفه النجاح ، فيستعبده المستقبل ويستذله . ويكون ذلك بأن يتعاون البيت والمدرسة على تعويد الطفل بالتلقين والايحاء تلقي مؤثرات الحياة برحابة في الصدر ، وتوطين للنفس على خير الحياة وشرها على السواء

ويساعد على تكوين هذه الحالة السليمة من التصور مثل التربية الاستقلالية التي يُربّاها أبناء الأمم السكسونية ، حيث يتخذ الألم معنى الواقع الذي لا بدّ منه ، واللذة معنى الخير يجيء بالسعي ، فلابدّ من تذوّقه واستمتاعه إلى أقصى حدود الاستمتاع

ويجب كذلك أن يتعاون البيت والمدرسة تعاوناً حكيما في الحد من أنانية الصغار الصارخة ، وإفهامهم أن فرص النجاح ليست وقفاً عليهم وحدهم ، وأن غيرهم لهم من حق النجاح مثل حقهم ؛ فلا تمضي حياتهم آمالاً مخيّبة ، وآلاماً موصولة

كذلك على المدرسة والبيت أن يعوّدا الناشئ كيف يقف من حوادث الحياة موقف الحياد والاستقلال في التقدير ، ومن نفسه موقف المحاسبة والتحليل الدقيق للأوضاع التي تسوقه اليها ماجريات الحياة . بذلك يكتسب ثقة في النفس وتقديراً عادلاً للأوضاع ، ويحميه من خصومة النفس وغربة الوضع وغرابة الاحساس ...

ومن واجب البيت والمدرسة - كذلك - أن يعتاد الصغار تقدير آلام الغير ويستيقنوا أن الناس يتألمون كما هم يتألمون ، وأن ما نشاهده من ظاهر السعادة عندهم هو في أغلب الأحيان دون ما نقدّر ونتوهم

ومن أول واجبات البيت والمدرسة أن ينشئا الصغار على التفطن إلى جميع مظاهر الجمال وتذوقه في الطبيعة والحياة والفن ، فان في ذلك توسيعاً لمدى اللذة وتغليباً لأسباب السعادة على أسباب الشقاء

وأخيرا يجب على البيت والمدرسة أن يفقها أن عملية التربية ليست إعداد المرء للحياة كما تصر نظم التربية القديمة ، إنما هي - كما يقول جون ديوي - فيلسوف النزعة الحديثة في التربية : « الحياة » بذاتها ؟

أديب عباسي

الرابطة الثقافية
بين مصر والشرق العربي
دعوة الى توثيقها
للأستاذ رفيق اللبابيدي

أحب أن أقرر أولاً أن الأمة العربيــة مهما تــكن شتى في نوازعها السياسية ، هي أمة متماسكة ذات وحدة أو كيان واحد في ثقافتها وفي تفكيرها

وقد اختلفت على هذه الأمة أدوار من الزمن ، كما اختلفت فيها أطوار من التاريخ ، وكانت تجتمع كلما حزبها أمر من الأمور عند هذه الوحدة الفكرية في قوالب شتى ، فالدين كان ولا يزال واحداً ، واللغــة كانت ولا تزال لغة واحدة ، والخوالج النفسية العامة واحدة ، والأدب في مقاييسه ونوازعه كان واحداً ؛ ولو عدنا رَجْعَنا إلى التاريخ وقلبنا صفحاته ، لوجدنا أن الأقطار العربية كانت تجتمع عند الاحتفال بالشاعر النابه والأديب مهما يكن موطنه ومهما تــكن نزعته ؛ وقد كان الشــعر أو الأدب يطوفان في أرجائها يحملان اسم الشاعر أو الأديب طواف الفكرة الدينية أو المذاهب الفقهية ، أو النحل الشتى من بلد إلى آخر ، أو من قطر إلى قطر

وبينما كانت هذه الأقطار تسودها النزعات السياسية المتباينة كانت تفسح صــدورها للآراء الدينية والمذاهب الـكلامية ، والاستنباطاتِ التشريعية ، تتسرب اليها عن طريق الــفارات العلمية بارتحالِ العلماء في مختلف العصور

وفي بغداد ، وفي دمشق ، ثم في القاهرة ، وبين هذه العواصم التاريخية العريقة في تاريخنا الواحد وماضينا أمثلةٌ صادقة تسجّـل هذا الاتحادَ الثقافي أو هذه الرابطة العلمية ، وإن تــكن في غير ما نألفه الآن من وسائل يـسّرتها عواملُ الرقي ، وسننُ التطور

ولقد كانت رحلات الفقهاء ، وجماعات الأدباء ، ورحلات التاريخ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب تُوثِّـق من عُرَى هذه الروابط فاجتمع للعرب من هذا تراث واحد يمثل ذلك الاتجاه الفكري ، وإن تــكن قد اختلفت طرقه إلى النتائج ، وتباينت وسائله فيها ؛ ومذاهب الفقه ، والنحل المبسوطة في المدوّنات والمظانّ التي تسربت إلى المغرب الأقصى والأندلس في أيام ازدهارها ومن هذه إلى الشرق ـ لونٌ من ألوان هذا الاتجاه كما كان من قبل ذلك للأدب سفاراته في طواف الشعراء والـكتاب من دولة إلى دولة ، ومن أقليم إلى آخر ، ولم تستطع الأحداث السياسية أن توهن من هذه الروابط أو تفلّ منها ، وإن استطاعت بعضَ الاستطاعة أن تعوق وسائلها ، وتقف تقدمها ؛ على أني لا أزعم أن أثر هذه الأحداث لم يكن قوياً ، ولكني أجيز لنفسي أن أقول إن هذه الرابطة لم تضعف بالرغم من هذه الحوائل ، بل صمدت لها حتى اجتاحها الزمن ، وانطلقت الأقطار العربية من عقالها فعادت إلى طريقها الأولى ماضية فيها تساير أطوار التاريخ رفعة وضعة ، سنة الله في الـكائنات جميعها

***

ولمصر في نهضتها العلمية والأدبية الآن يد لا تُجحد على الشرق العربي ؛ ففي صحافتها روح قوية توحي بهذه الرابطة التي لم تنهزم أمام أحداث الزمن ، وفي نتاج بنيها النابهين ، وعلمائها ومعاهدها وما تخرجــه المطابع من مختلف الكتب والمؤلفات ، وما يظفر به القراء في الأقطار العربية من ثمرات هــذه الجهود المشكورة — ما يُحِلّ مصر الـكريمة محـلّ الزعامة المختارة المصطفاة ؛ والشرق العربي أحوج ما يكون اليوم إلى توثيق الروابط بمختلف ألوانها وأشكالها منــه في آونة أخرى ؛ فقد تدافعت هجمات الأحداث عليه من كل جانب ، وما أشده حين يكون كتلة واحدة على دفعها ، وما أهونه عليها حين تتسع شقة البين في روحه وفي تفكيره بين بعضه وبعضه الآخر ؛ وأقول في كثير من الاطمئنان إن دعامة هذه الجبهة الشرقية القوية لا تقوم إلا على وحــدة في الثقافة ترتكز على رابطة متينة بين الأقطار العربية وبين مصر الزعيمة

وبعــد ، فلست أقترح رأياً فطيراً لا يدعمه البحث أو الأخذ والرد بين الأدباء والقائمة على هذه الرابطة ؛ ولـكني أقدم

بين يدى هذه المجالة كلاماً يصح أن يكون دعوة الى خطوات تمهيدية لمعالجة هـذا الغرض المنشود ، ويشجعنى على القول أن الأستاذ الزيات فى زيارتى الأخيرة له فى دار (الرسالة) ، قد ارتاح الى ما بسطته من رغبة فى توثيق هذه العُرَى الثقافية ، وتمهد أن تقوم الرسالة بالسفارة الأدبية بين أشياع هذه الرابطة

وإيمانى ازداد رسوخا بنجاح هذه الفكرة أو هذه الدعوة ، حين تحـدثت بها إلى أكثر من أخ من اخواننا هنا فى مصر ، وهناك فى سوريا وفى فلسطين ؛ وأعتقد أن الحاجة ماسـة الى زورات علمية يقوم بها شباب مثقفون مؤمنون بفكرة هذه الرابطة الثقافية بين الآونة والأخرى ، لا يكون الغرض منها متعة النفس فحسب ، بل يكون مع هذا اتصال وثيق بين البيئات العلمية والأدبية هنا وهنالك باعداد بحوث تبسط فيها الأحاديث فى الشؤون الاجتماعية والأدبية والعلمية ، وأن تكون من ثم حلقاتٌ فى كل بلد من البلدان العربيـة تضع لها ميثاقا واحدا ينتظم الجهود الثقافية فيها ، مع الحرص على ما للشرق من تقاليـد تفرضها أو تحتمها أوضاع الـكيان القومى ، فقـد أخر الشرق كثيرا هـذا الاقتباس المشوّه عن الغرب فى أكثر من ناحية من النواحى التى لا تتفق مع تقاليده وروحه ، وحالت دون أن يكون له لون من ألوان الامتياز الاجتماعى والأدبى والاستقلال العلمى الى حد ما يحفظ كرامته . واتجاه الشباب المثقف فى مختلف الأقطار العربيـة يكاد يكون متأثرا بأوضاع شتى ونواح كثيرة متباينة ، وهـذا يوسع من شقة الخلاف ، ويباعد على الزمن بين ما ورثناه من هذه الروابط ؛ ذلك لاختلاف الثقافات ، واختلاف المناهج التى تفرضها هذه الثقافات ؛ وقد يجوز أن يكون مثل هذا فى الشرق العربى لو كانت اللغة غير واحدة ، أو لو كان التاريخ غير واحد ؛ ولـكن الأمة العربية مهما تباعدت سياسياً ، أمةٌ تراثها واحد روحا وتقاليد ؛ فيجب أن يكون اتجاهها واحداً فى الثقافة حتى يظل لها هذا التماسك القوى المتين

فتنظيم هذه الرحلات بين الشباب المثقف وسيلة من الوسائل لتكوين هذه الحلقات الثقافية فى الشرق العربى أو خطوة أولى الى توحيد الاتجاه الثقافى فيه ، وتلى هذه الخطوة مرحلة أخرى تكون بعقد المؤتمرات الأدبية وتناول ما تقترحه هذه الحلقات من اتجاهات قوية فى النهضة الأدبية والاجتماعية ، ووراء هاتين المرحلتين مراحل تقترح ليس هـذا مجال بسطها ؛ وبين يدى الأستاذ الزيات صاحب الرسالة وشباب مصر المثقف هذه الدعوة ، ولعلنا الى تحقيق هذه الأمنية واصلون

القاهرة — رفيق اللبابيدى

مشروع علمى جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنـة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربيـة والطبيعة والـكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلـكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربى

وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثانى) الآراء الحديثـة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأسـتاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هـــذا الـكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أسـتاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الـكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتمدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٥ قرشاً صاغاً

رسائل حاج

٢ - من ربوع الغرب إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

وشعرت وأنا أجتاز دهاليز الأزهر وأستقبل لأول مرة أروقته وحلقات دروسه بنوع من الرهبة والخشوع والتسليم. فهذا المعهد العظيم موئل الاسلام ومعقله ، ومنبع الثقافة الدينية ، وحامى حمى اللغة العربية . كان من أسمى أمانى أن أندمج فى سلك طلابه . وكم كنت فى شوق لاهف إلى أن أنهل من ينبوعه الفياض روح الاسلام الحق ، وأضىء شمعة معرفتى الخافتة بحيث تتحول إلى شعلة وقادة ، وإلى حماسة فائقة داخل جوانحى ، وأتعرف إلى شيوخه الذين يقودون العالم الاسلامى بآرائهم وأفكارهم ، كما كنت على يقين وثقة أننى بمعاونة هؤلاء العلماء الفطاحل سأمضى فى ترجمتى للقرآن الكريم إلى اللغة المجرية بحيث أجعلها فى متناول آلاف المسلمين من مواطنى

ومع أن هذه الترجمة كانت عملاً شاقاً مضنياً ، فانى كنت أحس من أعماق روحى أنها فرض واجب على كمسلم مخلص يريد أن يعلى منار الاسلام ويطمح فى أن يضيف لبنة صغيرة إلى صرحه العظيم

وخيل إلىّ وأنا فى نشوة روحية عميقة أننى بدأت أظفر ببغيتى وأجزى خير الجزاء عن تلك الليالى الطويلة التى لم أذق فيها طعم الكرى ، بل أمضيتها منكباً على دراسة الاسلام وتفهم قواعده وأصوله ، وأن كل ما حاق بى من مصاعب سيتبدد ، وفشلى سيتحول إلى فوز عظيم وانتصار رائع بمعاونة شيوخ الأزهر ومدهم يد المساعدة إلى عملى المتواضع

ولكننى رأيت والأسف يملأ جوانحى أن آمالى تنهار دفعة واحدة بحيث أصبحت عاجزاً عن خدمة الغرض الأسمى الذى خصصت حياتى له . علمت بأن هناك وشاة أوعزوا إلى الشيخ الظواهرى بأننى دخيل أرمى إلى الوقوف على أسرار الاسلام وإذاعتها فى البيئات العلمية فى أوربا ! وعلى الرغم من الظنون والشبهات السيئة التى حامت حولى بذلت جهداً عظيماً لمقاومتها ؛ وكان رائدى فى تلك المقاومة أن الحق على الدوام فى جانبى ، وقد كانت سيرة المرحوم الامام الشيخ محمد عبده وما لقيه من خصومة صماء خفية ، وانتصاره على خصومه أكبر مشجع لى فى الثبات أمام حجة خصومى . وقلت لنفسى : أين أنت أيها المصلح العظيم لترى كيف ابتعد الأزهر عن مبادئك العالية ، وتجاوز عن رسالتك الرفيعة التى سموت بها فوق الأغراض الوضيعة والمطامع الدنيوية والمنافع المادية

وعلى الرغم من جهادى الضعيف فى مقاومة خصومى ، ما كنت لأستطيع أن أبرهن لفضيلة الشيخ الظواهرى على اخلاصى وحبى للدين الحنيف ، وأنى لست دخيلا ، ولكننى رجل يؤمن من أعماق روحه بالرسالة المحمدية النبيلة ، وأريد أن أحصل على معاونة رجال الأزهر للوقوف على تعاليم الاسلام ، مع علمى بأن هذه الشريعة السمحاء ليس بها أسرار يمكن اذاعتها فى البيئات العلمية ، لأنها ديانة مؤسسة على ثقافة ثابتة مكشوفة للعالم لا تميز فيها بين الأجناس والألوان . وليس الأزهر سوى الجامعة الاسلامية الحق التى تضىء شعلة الحق ، فلا أسرار فى جوانبها يمكن اخفاؤها عن رجل أجنبى مهما كانتْ صفته . ألا يعاقب الله كل مسلم يرمى أخاه بالشرك والكفر والتشكك فى عقيدته المقدسة ؟ ألا يعاقب أيضاً أولئك الذين لا يقومون بواجب الدعاية والارشاد للاسلام ، والذين يخفون أسرارا فى قلوبهم ؟ يشهد الله أننى لا أرمى من وراء ذلك أن أوجه التهم جزافا ، لأنى لا أملك هذا الحق ، ولكنها صرخة ضعيفة أردت أن أنفس بها عن صدرى

إن الأزهر بحسب نظامه الحالى لا يستطيع أن يؤدى رسالة الاسلام كما يجب . فالنظام الحديث الذى أدخل عليه ، والحيلولة دون اجتماع الطلاب فى حلقات الدرس كما كانوا قبلا حول شيوخهم ، مسخ الأزهر وشوهه ، وأفسد ما كان قد بقى له من جمال وجلال وحرمة ، وأفقده سيطرته الدينية والاجتماعية فى العالم الاسلامى ،

تلك السيطرة التى ظل متمتعاً بها قروناً عدة . ويلوح لى أن البرامج الحديثة لم تقدم الأزهر خطوة واحدة ، لأن المشرفين على تنفيذها جعلوا هدفهم الأسمى فتح أبواب العمل فى وجوه الطلاب ، وتمكينهم من احتلال الوظائف المدنية دون أن يفكروا فى تحميلهم ثقافة الاسلام على وجهها الصحيح وارشاد المسلمين الى الخير وتفقيههم ، ودعوة غير المسلمين الى الدخول فى دين الله كما نص على ذلك القرآن الكريم . يجب إذن أن يترك الأزهر ليكون جامعة الاسلام الحق ، وأن يعد طلابه لحمل رسالة الحق ، وتهيئتهم للوعظ والارشاد ؛ أما فتح أبواب العمل واحتلال الوظائف المدنية فأشياء ثانوية قد تصرف الأزهر عن الغاية التى أنشىء من أجلها

وعلى الرغم من وجود عدد كبير من العلماء الجهابذة فى هذا المعهد الاسلامى العظيم فان الضغط أطفأ فى قلوبهم روح المرفة والتعطش اليها . على أن الاسلام فى عرفى يحتاج إلى حرية كاملة فى البحث والتنقيب والفكر . ولقد ولد الاسلام فى مهد الحريات فيجب أن يظل كذلك ، لأنه يحث على حب الحقائق والصدق والتغلغل فى أعماق المعرفة . وتقدم الأزهر لا يتم بتشييد العمارات المهيبة المظيمة ، وإقامة عمد من الرخام والمرمر ، وصنع مقاعد الدراسة من الاخشاب الثمينة ، وانما يتم بالتمسك بالعروة الوثقى ، وإزالة الصدأ الذى ران على القلوب من التمسك ببعض التقاليد والعقائد الزيفة ، وفى الاجماع على توحيد كلمة الحق ووضع الأنظمة الالـهية فى المكان اللائق بها . ألم يقل الله عز وجل : « خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » أو كما قال الرسول الكريم « تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »

* * *

ولما يئست من معاونة رجال الأزهر قر فى عزمى أن أقوم بدراستى وحدى مستعيناً بمعلم خاص تكرم بتضحية جزء من وقته لتعليمى ، كما ألفيت مساعدة عظيمة من بعض أصدقائى بالقاهرة ، كالأستاذ محمود تيمور الذى يجمع بين ظرف الشباب وطهارة الشيوخ ، والشاب النابه محمد أمين حسونه الذى عرفنى إلى طائفة من أدباء مصر وصحفييها ، وأعارنى مكتبته طيلة إقامتى فى مصر ، والباحث محمد عبد الله عنان الذى يعد حجة فى التاريخ الاسلامى ، والشيخ الوقور عبد الوهاب النجار الذى له أتباع وتلاميذ منتشرون فى أنحاء الأرض ، وقد كان سبباً فى تعرفى بكثير من اخوانى المسلمين ، وكانت كتب توصيته بمثابة مفتاح يفتح أمامى كل باب

* * *

وفى أواخر فبراير زودنى الأستاذ النجار بكتب توصية بمناسبة عزمى على أداء فريضة الحج ؛ وكان له الفضل الأكبر فى تقديمى إلى « بنك مصر » ، ذلك الصرح المالى العظيم الذى يتناول من جملة مشروعاته الاقتصادية تنظيم سبل السفر إلى الأقطار الاسلامية المقدسة . ومما يذكر مع الأسف العميق أن أعمال الحج كانت تقوم بها قبل ذلك شركات ملاحة أوربية لا علم لها بما تتطلبه حاجات الحجاج المسلمين ، فكانت بواخرها تحمل المشروبات الروحية ، وتقدم إلى الركاب الطعام الأوربى ، ولا تكترث بأن تهيىء لهم الماء الكافى للوضوء ولا إقامة مصلى يؤدون فيه الفرائض الشرعية

أما « بنك مصر » فقد نظم للحج باخرتين كبيرتين تعدان من أكبر البواخر ، وزودهما بكل ما يحتاج اليه الحجاج من وسائل الراحة والمأكل بحيث يشعر المسافر أنه لم يفارق بلاده . وقد كانت بغيتى أن أستقل إحدى هاتين الباخرتين ، لأننى عددت نفسى مصريا بعد أن شربت من ماء النيل ، ولكنى لم أتمكن وا أسفاه من نيل بغيتى ، فان قانون شركة ملاحة مصر يمنع من نقل الحجاج الأجانب على هذه البواخر ، وعلى الرغم من المجهود الذى قمت به وتوسط الهلباوى بك لم أوفق ، واضطررت إلى السفر على إحدى بواخر الشركة الخديوية

وقامت بنا الباخرة باسم الله مجراها تشق برزخ السويس ، فرحت أفكر فى تاريخ ذلك المضيق الذى كان سبباً فى فصل افريقيا عن آسيا ، بل كان فاصلا بين حقبتين من أحقاب التاريخ ؛ ومع أنه قرب مصر من أوربا فقد جعل لمصر مركزا سياسياً ممتازاً بحيث أصبحت جزءا من أوربا . وبينما أنا غارق فى غمار تلك الأفكار إذ اقترب منى فريق من الحجاج وبدأ التعارف بيننا بسرعة . كان بينهم طبيب هندى تصحبه كريمته ، ولكن لسوء الحظ لم يكن هذا الطبيب يعرف من اللغة العربية حرفا واحدا ، فاضطررنا أثناء السفر إلى التحدث باللغة الانجليزية . وفى

ذات يوم نظر إلى نسخة من القرآن الكريم فى يدى ، وهى الطبعة التى تولتها المطبعة الأميرية ، فأعجب بها أيما إعجاب ، وطلب إلىّ أن أبتاع لحسابه ألف نسخة من هذه الطبعة ليبعث بها إلى الهند إذ لا توجد هناك مصاحف جميلة من هذا النوع

وكان بالباخرة أيضاً حاج مراكشى ، يشغل وظيفة قاض فى فاس ، وكان صبوح الوجه ، وقورا ، أميل إلى التزام الصمت ، لكنه ما كاد يسمعنى أتحدث بالعربيـة مع أحد الحجاج الأتراك حتى أقبل الينا واشترك فى الحديث . ولشد ما أعجبت بتبحر الرجل فى العلوم الاسلامية والفقه ، كما أن لباسه الشرقى الفضفاض كان يخلع عليه طابعاً من الرزانة والوقار ؛ أما صاحبنا التركى فكان أحد ضباط الشرطة فى دمشق ، وبعد اعتزاله الخدمة آثر أن يبقى فى سورية حيث تعلم اللغة العربية ؛ وكان طيلة السفر يشكو مر الشكوى من الأنظمة الحديثـة فى تركيا وبالأخص ترجمة القرآن وتشويه هذه الترجمة بحيث لا تؤدى المعانى المقصودة ، ويظهر سخطه وتبرمه بالغازى الذى يحول دائماً بين المسلمين الأتراك وبين أداء فريضة الحج ، ويرهق كل من أراد الحج بالضرائب الفادحة

من ذلك ترى أننا كنا على ظهر الباخرة من بلاد متباينـة ، ولكن تجمعنا جامعة الاسلام ، وتؤلف بين قلوبنا وتجعلنا نعيش كأفراد أسرة واحدة . فلما اقترب موعد العشاء أخذنا أماكننا على المائدة ، وكان يخيل الى كل من يرانا أننا فى برج بابل ، فكل منا يتكلم بلغة لا يفهمها الآخر ، بيد أننا سوف نصل بعد بضعة أيام إلى جدة وتطأ أقدامنا الأرض المقدسة فنخلع عن أنفسنا تلك الملابس التى تفرق بيننا لنستبدل بها لباس الاحرام الفضفاض بحيث لا يصبح أى فارق بيننا بل نكون سواسـية فى حضرة رب البيت الكريم

وبعد انتهاء طعام العشاء بقليل صفرت الباخرة صفيراً عالياً فغادرنا المائدة وتهيأنا للوضوء ، ثم صلى كل منا ركعتين قرأ فيهما سورة الاخلاص وقل يا أيها الكافرون

وكان البحر هادئاً والهواء ندياً والنجوم تتألق فى القبة الزرقاء ، وراحت الباخرة التى كانت تحمل على ظهرها أكثر من ٧٠٠ حاج تلقى مراسيها بين هتاف الحجاج ودعواتهم الحارة وهكذا ظل الحجاج فى هرج ومرج ، فكنت ترى البعض يهتف بقوله : لبيك اللهم لبيك ، والبعض الآخر مستغرقا فى صلاته ، وآخرين صامتين لا يبدون حراكا ، شاخصين بأبصارهم فى ذهول نحو الأرض المقدسة التى خرج منها سيد الخلق ورسول رب العالمين

وما كنت بأقل من هؤلاء الحجاج شعوراً بالغبطة والابتهاج ، ولزمت مكانى خاشعاً راكعاً لا تقوى قدماى على الحركة ، ودقات قلبى تثب فى قوة وعنف بينما يردد لسانى فى خفوت : لبيك اللهم لبيك . ثم انهمرت الدموع من مآقى ولم أملك أن أمنع نفسى من الاسترسال فى البكاء . أجل ! أدركت الحق الصحيح ولمست عظمة هذا الدين الحنيف ، وعبثاً حاولت النوم فى تلك الليلة ، بل شرد عقلى واتجهت بتفكيرى إلى أعمال الخلفاء ، رضوان الله عليهم ، وإلى رعايتهم الأمم الاسلامية ، وتوزيع أسباب العدالة عليها طبقاً لأصول الشريعة السمحاء

(يتبع) عبد الكريم جرمانوس

رثـــــاء

محمود جلبي الشهبندر أحد سراة العراق

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

— ١ —

تحطمت الآمال من بعد محمود ... فيا سلوتي شحّي ويا عبرتي جودي
قد اجتثّ روحٌ كان قبل اجتثاثه ... يزين بأثمارٍ له ألفَ أملود
خلا القصرُ ممن كان للقصر مالئاً ... كأن لم يكن في رُدهتيه بموجود
لقد غمدوا السيفَ الصقيلَ بحفرة ... ويا ليت ذاك السيف ليس بمغمود
تجرّد من جسم تضيق حدودُه ... يجوب فضاءً واسعاً غير محدود
نعاه لِيَ الناعي فكان نعيُّه ... كصاعقة أو مثل صدمة جلمود
فأدركني يومٌ من الدهر أسودٌ ... فكان لحزني شرَّ أياميَ السود

— ٢ —

لقد غاب محمودٌ عن الصحب مضطراً ... ولم يبق منه للصديق سوى الذكرى
كأن لم يكن قد سُرّ أصحابُه به ... ولا هو في يوم بأصحابه سُرّا
بربك لا تَلحُ الحزينَ على البكا ... فإنك لا تدري بما فيه قد أورى
تقول عيوني للسحابة أقلعي ... فإنكِ لا تبكين من كبدٍ حرّى
على كل قبر مقلةٌ ذات عبرة ... وماذا انتفاع القبر بالمقلة العبرى
قسمتُ بكاء الشعر بيني وبينه ... فأعطيته شطراً وأبقيتُ لي شطرا
ولا تقترح قولاً على الشعر إنه ... بموقفه في يوم محنته أدرى

— ٣ —

لقد ظلّ للموت الزؤام يجاذب ... إلى أن علاه الموتُ والموتُ غالب
أطال الردى همساً بأذن مريضة ... كأن له ديناً لجاء يطالب
ولو حزتُ علماً بالمقادير جئتُها ... أؤنّبها فيا أنت وأعاتب
يقولون أمراض به أغرت الردى ... وما هي أمراضٌ ولكن نوائب
فيا دمعُ أنت اليوم كالقلب نابضٌ ... ويا قلب أنت اليوم كالدمع ذائب
لقد ندبته نسوةٌ حول نعشه ... وأشجِ بما كانت تقول النوادب
إذا انطفأ النجمُ الذي كان ساطعاً ... فليس ببدعٍ أن تسود الغياهب

— ٤ —

أمحمودُ كنتَ الراجحَ العقلِ والخلق ... من الباطل الخدّاع تفزع للحق
وكنتَ كنجم لا قرار لسيره ... فتطلع من أفق وتغرب في أفق
وكان لموتٍ قد أصابك سهمُه ... دويٌّ بغرب الأرضِ أجمعَ والشرق
ولا رُزءَ إلا كان رتقٌ لشقه ... وليس لشق يفتق الموت من رتق
مضى بصديقي الحرّ يستعجل الردى ... فليت الردى للحر قد كان يستبقي
بكتك عيون العارفيك بأدمع ... تفيض وللأرض التي ظمئت تسقي
تجنبتَ ضوضاء السياسة آخذاً ... بأيديك أسبابَ التجارة في حذق

— ٥ —

حياةٌ ومن بعد الحياة مماتُ ... وجمعٌ على الأعقاب منه شتات
وهل تغسل القلبَ الحزينَ من الأسى ... إذا العين منها انصبّت العبرات
وإن أثقلت نفسَ الوفيّ فجيعةٌ ... فلا النورُ يُسليها ولا الظلمات
أقول لقومي إن يكن عندكم لمن ... تَفَجّعَ سلوىً في المصاب فهاتوا
وما أجملَ الأيامَ إمّا لنا وفت ... ولكنما الأيامُ منتقلات
لقد حملوا نعشَ الفقيد لقبره ... فساروا وسارت خلفَه السروات
فما كنت من تلك الجماهير سامعاً ... سوى صرخات بينها شهقات

— ٦ —

على الأرض أمجادٌ كثير قصورُها ... وأكثر منها في العراء قبورها
وما من بقاع ليس يهلك أهلُها ... ولا من سماء ليس تردى نسورها
وما خيرُ دنيا بالزلازل أرضُها ... تميد وبالأمواج تغلي بحورها
إن الجسمُ أودى فالبوارُ نصيبُه ... ولكنما الأرواح ماذا مصيرها
إذا ما حياةُ المرء للمرء فارقت ... فهل من حياة غيرها يستعيرها
وليس لنفسٍ أن تخيِّرَ حمامَها ... ولا هو إمّا زارها يستشيرها
إذا النفس دبّ الداء فيها فعالجت ... منيتَها ماذا يكون شعورها

— ٧ —

هل الحزنُ إلا مقلةٌ تتفجّر ... وإلا قلوبٌ نارُها تتسعّر
تبعثر شمل البيت بعد اجتماعه ... وأيّ جميع عوضُ لا يتبعثر
وأجساد موتى في القبور تأسّرت ... وأرواح موتى للبقاء تحرّر
على أن موتى السابقين إلى الردى ... حياةٌ لأبناء لهم قد تأخروا
ولم يك يوماً للطبيعة غايةٌ ... سوى النوع إن النوع أبقى وأثمر
لقد عرف الإنسانُ منها ظواهراً ... ولم يدرِ ماذا في البواطن مُضمر

إذا مات طفل البيت فالخطبُ فادح
و إن مات ربُّ البيت فالخطب أ كبر

— ٨ —

لقد جاء ماقد كان يبنيه ذا حسن ... فما تمَّ حتى قام يهدم ما يبنى
حزنتُ وماحزنى سوى ابن رزيئةٍ ... وما دمعتى فى العين إلاَّ ابنة الحزن
وما أحدٌ فى الناس يدرى مصيرَه ... ومن كان لا يدرى فيفزع للظن
لقد زيّنت بالزهر قبرَك صحبةٌ ... وعن كل هذا الزهر قبرك مستغن
يخال الفتى علماً له بحقائق ... ولم ينتبه أن الحقائق فى الذهن
وليست حياة المرء بعد مشيبه
و إن قل شكواه سوى التعب المُضنى
سمعتُ أحاديثاً و إنى لمبدلٌ ... لما نظرت عينى بما سمعت أذنى

(بغداد) جميل صدقى الزهاوى

نذالة التعاسة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كدت أنسى دواعىَ الرفق مما ... قد أرتنى نذالة التعساء
يقضمون اليد التى تنتحيهم ... بسخاء ونجدة و إخاء
و يكيدون فى الخفاء أو الجهـ ... ـرة ألأمْ بجهرهم والخفاء
عشش اللؤم حيثما عشش البؤ ... س سوى فى القليل من كرماء
ليس بِدْعاً أليس ما نغص العيـ ... ـش من البؤس باعث الشحناء
كل قلب يبيت من حسك البؤ ... س ملىءٌ بخسة الأدنياء
يتلظى شراً و يرشح غدراً ... ويداجى خوناً بثوب رياءِ
يلؤم المرء وهو غير شقى ... كيف ينأى عن لؤمه فى الشقاء
ليزيدنَّهُ اغتيالا وحقدا ... وافتراساً على حطام الرخاء
وسُعاراً لو أنه نال من أر ... ض لَجُنَّتْ زلازل الغبراء
وهو غلٌ لو حاق بالشمس أمسى ... مثل ذر الرماد وجه ذُكاء
ليس شر البأساء قصراً على النحـ ... ـس ولكن كم أشعلت من عداء
وحقود وخسة وسعار ... واغتيال ومكرة ورياء
تفسد الأنفس الكرائم حتى ... تغتدى مثل أنفس اللؤماء
ضاع عطف الرحيم إذ ضاع حسن الـ ... ـخلق فى خيم أنفس التعساء
وعظيمٌ ما أفسد النحس من خلـ ... ـق هضيمٍ ورحمة الرحماء
كم شقاء يمضى وفى النفس منه ... أثر واضح لغير فناء
من عوادى سخائم لست تدرى ... هى بالمرء علة الأدواء
أم هى النفس سقمها مثل سقم الـ ... ـجسم من إحنة ومن شحناء
مثل ذل الشعوب خَلَّف لؤما ... بعد فوت من عهده وانتهاء
وصفات الشعب الضعيف لَتُلْفىَ ... فى جسوم صحيحة أقوياء
من رياء و إحنة واحتيال ... وتعادى تخاذل وافتراء
شيم يدرأ الذليل بها من ... عجزه سطوة من الأعداء
أصبحت شيمة النفوس و إن لم ... يك ذل ولم يكن من عداء
فمنى يلبس الخلائق طرا ... طيب نفس فى شملة النعماء
ليس إلا بها نجاء نفوس الـ ... ـناس طرا من خسة الغبراء
فاطلبنهُ فيها و إلا فدع نشـ ... ـدان أمر بغير داعى الرجاء

عبد الرحمن شكرى

الأمة العربية

بقلم حبيب عوض الفيومى

قد أصبحت وطعامها جِرّاتُها ... وتعرَّفتْ لِعَليمها نَكِراتُها
مبذولةً حُرُماتُها مفتوحةً ... أسدادها ملحوظةً غِرّاتها
غلبت مطامعها على أخلاقها ... فهوت بها أحقادها وتِرَاتها
فتخالفت من حقدها غاياتها ... وتشابهت من موتِها فتراتها
فكأن خالد لم يَفُزْ بدِمَشقِها ... يوماً ولا خَدَمَ الرشيدَ فُراتها
يا مُخْفِقَ الأسفارِ طَيَّاراً بها ... قد أنجحت بك آنفاً بَكَرَاتُها
نَهَضَت بنفسكَ فارساً أخلاقُها ... وهَوَت بنفسك طائراً عَزّاتها
انظر لنفسك أين موضع فضلها ... لا تلفحنَّك جامحاً جمراتها
ما بالغِنَىَ فتح البلادَ محمدٌ ... بل بالهدَى دانت له داراتُها
ينجو الكريم مَعَ القليل صيانةً
وتُميتُ صاحبَ حاجةٍ حَسَرَاتُها
وكأنَّ ذلكم البريقَ غِشَاوةٌ ... للنفس تَكْمُنُ تحته عثَراتُها
ومن الدليل على شقَاوَةِ أُمّةٍ ... أن يستنيم إلى النعيم سَرَاتُها
والأرضُ دارٌ إن تفاضل أهلُها ... بغنى البطون فخيرُهم حشراتُها

الفيوم حبيب عوض الفيومى

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٢٩ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

الناحية الايجابية من مذهب نيتشه

السوپرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوي

لا ينبغي للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه فحسب ، ليكن قاسياً على الآخرين أيضاً لا يحفل بهدوء ولا بسلام ؛ هو يدرك أن الانسانية لا تنشط نحو غاية معينة معلومة ؛ ولكنه يرى كل شيء في استحالة وتطور ؛ يرى من واجب الحياة نفسها أن تعمل على أن تفوق نفسها ، ويدرك أن الانسان ليس من حقه أن يملل نفسه بأنه بلغ المرفأ سالماً . ليكن كل سلام عنده ذريعة لحرب جديدة ، ولتكن حياته طافحة بالحوادث العظام ؛ هو لا يتحرى عن السعادة ولا يجهل أن الفرح والحزن هما توأمان متقارنان . وفي استطاعة الانسان أن يجوز الحياة بدون فرح كبير يغمره ، أو شقاء كبير يغزوه ، على أن ينقص من قوة حيويته . أما الذي يريد أن يتذوق الأفراح الكبيرة فمن واجبه أن يعرف الأحزان الكبيرة ، إذ كل ارتجاج في ناحية يقابله ارتجاج في ناحية أخرى . « أما خالق القيم المؤمن بالحياة ، من يريد الحياة عنيفة قوية ما شاءت القوة ، فهو يريد أن تكون الارتجاجات واسعة حول نقطة الموازنة ؛ يريد أن يعرف القمم العالية للسعادة والشقاء . يريد أن يعرف الانتصارات المسكرة والهزائم الشنيعة . يجب عليه أن يمشي في وقت واحد إلى النصر والى الاندثار . وزرادشت ذاته قد هلك حين بلغ « قمة » وجوده . والسوبرمان هو – في وقت واحد – الظفر اللامع والاندثار القوي للانسان

وبينا ينبغي للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه ، لا يلتوي إزاء الألم ، ينبغي له كذلك أن يكون قاسياً على الآخرين ؛ هنالك مصائب وآلام يُعد تخففها فاقداً للانسانية ، وهنالك منحطون ناقصون ، جاءوا الحياة اختلاساً ، فلا يجوز تأخير فنائهم !

يقول زرادشت : « في كل مكان ترن أصوات الذين يعظون بالموت ، والأرض مفعمة بالذين يجب أن يوعظوا بالموت ، أو « بالحياة الأبدية » حتى يقلعوا عن الحياة سراعاً . وللمتشائمين والشكوكيين والمنحطين الذين يئنون ويقولون « ما الحياة إلا شقاء » ، لهؤلاء يجب أن يقول العاقل « إذن ! ضعوا لحياتكم وآلامكم حداً تنتهي عنده حياتكم وآلامكم ، ولتكن شريعتكم مبنية على هذه الكلمة « الانتحار واجب ، والانهزام من الحياة واجب » ، إذ لا ينبغي للأرض أن تغدو داراً آهلة بالمرضى والبائسين ، حيث يفنى الانسان الخالص الجوهر سأماً وشفقة . إذا أردنا أن نستنقذ السلالات الآتية من مشاهد الفاقة والشناعة فلنترك الموت ينزل بمن هو ناضج للموت . ولتكن فينا جرأة على ألا نصرف الساقطين عن السقوط ؛ لندفعهم ولنقذف بهم قذفاً حتى يهووا سريعاً . ينبغي للعاقل أن يعرف كيف يتحمل مشهد الألم عند الآخرين ، وأن يعرف كيف « يؤلم » ويبث الألم دون أن تجد الشفقة إلى قلبه سبيلا

هذا هو ما تطلبه النفس العظيمة . يقول زرادشت : « أبالغ أنت شيئاً عظيماً إذا لم تشعر بقوتك وارادتك التي تعاقب بآلام كبيرة . عرفانك أن تتألم ، هذا شيء حقير ؛ فالنساء الضعيفات والعبيد يصبحون أسياداً في فن الألم . ولكن ثبات جأشك وعدم انحنائك أمام المصائب المؤلمة والصيحات المؤلمة ، هذان هما مظهر العظمة وسرها الصريح »

ينبغي للعاقل أن يتصف – في كل فصول حياته – بطهارة الطفل اللاعب ، وصفاء الراقص الباسم ، وهناء اللاعب المجدود ، وفي مثل « الاستحالات الثلاثة للروح » ينبئ زرادشت بأن النفس الانسانية يجب أن تكون في استحالتها الأولى « بعيراً » يحتمل بصبر أثقل الأعباء على ظهره ، حتى يستطيع أن يجمع الشيء الكثير من التجارب ، ثم يستحيل « البعير أسداً » يجأر قائلا : « أنا أريد ! » ويتوعد بمخالبه الحادة كل من يحاول العبث بحريته . يجب عليه أن ينتصر على تنين الشريعة المكتوب على كل جزء من جسده بأحرف ملتهبة « يجب عليك ! » ثم يسرع في نزع أثقال المثل الأعلى والحقيقة والخير عن ظهره

مما كان يظن حمله خيراً له ، وأخيراً ، لكي يستطيع أن يدخل في دور « الانتاج والابداع للقيم الجديدة » بعد تهديم القيم القديمة ، يجب عليه أن يستحيل طفلا يلهو ويلعب ؛ « إن الطفل هو صفاء ونسيان ، هو ابتداء ، هو لعبة ، هو دولاب يدور بنفسه حول نفسه » . وهكذا يجب على النفس التي تتوق إلى الصعود فوق قمم الحكمة أن تتعلم أن تلعب ، وأن تفرح وتمرح طاهرة صافية ، يجب أن تكون خفيفة غير واعية تنعتق من التشاؤم والكآبة ، ومن كل ما يجعل حياتها سحابة دكناء

تقول الشريعة القديمة : « ويل لمن يضحك » ! وهذا القول عند زرادشت منكر قبيح . أما العاقل فيجب عليه أن يضحك الضحكة الآلهية ؛ يجب أن يدنو من محجته وغايته بخطوات خفيفة راقصة طائرة ، لا بليدة نادمة ؛ إنه يتعزى بالضحك عن نقصه ؛ إنه بالرقص والطيران يجوز مستنقعات الكآبة كالرياح العاصفة . يجب على الانسان أن يتعلم الرقص بنفسه والضحك بنفسه وأن يرتفع وأن يسمو فوق نفسه ، وأن تفوق نفسُه نفسَه على أجنحة الضحك والرقص

يقول زرادشت : « إن إكليل الضحك ، هذا الأكاليل من الورد ، ضفرته أنا على رأسي ، وأنا قدست ضحكتي المرحة . إن إكليل الضحك ، هذا الأكاليل من الورد ، ألقي به إليكم يا رفاقي ! أنا أقدس الضحك أيها الرجال السامون ، فتعلموا أن تضحكوا »

— ٣ —

« إن من كان مثلي مدفوعاً بشوق غريب للتأمل في مذهب التشاؤم إلى أقصى حد ، قد يكون — من حيث لا يريد بذاته — فاتحاً عينيه على المثل الأعلى للرجل الحي الطروب المبتهج بالحياة الذي لم يتعلم أن يتحمل الماضي والحاضر فحسب ، بل يعمل على إحيائهما معاً ، مهما كان الماضي ومهما ذهب المستقبل . » ولعل هذا التشاؤم المبطن عمقه بالتفاؤل هو الذي حدا بنيتشه إلى أن يطلب الحياة لنفسه ، ولهذه الرواية الانسانية الشاملة الكاملة ، وللوجود الذي يقوم بتمثيل هذه الرواية

في شهر أغسطس من عام ١٨٨١ هبت في رأس نيتشه فكرة القول بالرجعة الخالدة التي أصبحت أساس فلسفة السوبرمان ، وما لبثت هذه الفكرة أن ملكت عليه مشاعره كلها . وقد تتلخص هذه الفكرة في هذه الكلمة : إن شحنة القوى التي تهيمن على العالم تتراءى لنا ثابتة سرمدية ؛ لا نقدر على أن نفترض لها نقصاً لأنها لو كانت كذلك لوجب زوالها في هذا الدهر الطويل ، ولا نقدر على أن نفترض لها نمواً — كالنمو العضوي الذي نعرفه — إذ لو كانت كذلك لافتقر نموها إلى غذاء ؛ وما هو هذا الغذاء أو هذا الوقود ؟ وعلى هذا لم يبق لدينا إلا الاعتقاد برسوخ هذه القوى وثباتها

(يتبع) خليل هنداوي



مأساة من اسخيلوس

أجاممنــــون

للأستاذ دريني خشبة

« ولد اسخيلوس سنة ٥٢٥ ق . م . وعاش سبعاً وستين سنة ، وحارب في موقعة ماراثون ، وكتب تسعين درامة لم يبق منها غير سبع . وكان يكتب درامات ثلاثية Trilogy أي تتركب الواحدة منها من ثلاث درامات — أو قل فصول — تستقل كل منها بنفسها ، وتتكون مع الأخريين وحدة رائعة . وكانت مآسي أسخيلوس غرة في جبين عصر بركليس ، أزهى عصور الأدب في التاريخ القديم ؛ ودرامة اليوم (أجاممنون) هي الحلقة الأولى — أو الفصل الأول — من إحدى ثلاثيات إسخيلوس (الأورستية) نسبة إلى بطل المأساتين الأخريين (أورست) (١) بن أجاممنون وضحية الأمومة الأثيمة ، ويعدها نقاد الأدب الكلاسيكي أروع ما في الأدب اليوناني

« وإسخيلوس هو أول من سار بتقاليد المسرح القديمة ، بل ربما كان واضع أول لبنة في المسرح القديم . وقد كانت الدرامة — أو المأساة — قبله غير معروفة ، وكانت العامة (Cantata) هي المتداولة ، وكان القصاصون يقومون بتأدية الأدوار جميعاً . فلما كان اسخيلوس حتم أن يخصص لكل دور ممثل بعينه ، والمنشدون أو (الخورس) لهم مكانة رفيعة في درامتي اسخيلوس وسوفوكليس ، وأناشيدهم هي شرح للاحداث التي تمهد للدرامة أو تتصل بها . »

— ١ —

نحن في الـ (بيلوبيديه) ، ذلك القصر المتبق الشاهق ، الذي تكتنفه الأسرار ، وتهوم في أبهائه وردهاته الألغاز . . .

ومن الـ (بيلوبيديه) تصدر الأوامر ، فتصدع بها مملكة آرجوس . . . وتُجيَّش الجيوش ، وتتحرك الأساطيل . . . وتسـ.ـا الدماء أنهاراً !

(١) آثرنا هذه التسمية لسهولتها ولأننا مضطرون لتكرارها كثيراً في الدرامتين التاليتين والاسم الحقيقي هو (أورستيس)

ومن هذا القصر ، يحكم الملكان الشقيقان أجاممنون ، ومنالايوس . . . أما أولهما فقد تزوج من الفتاة الكاسرة ، ذات الصولة ، كليتمنسترا ، بطلة المأساة التي نحن بصددها الآن . . . وأما ثانيهما ، فقد تزوج من الفتاة اللينة الغضة ؛ المترعة بالمفاتن ، هيلين ! التي فرت مع عشيقها المجرم باريس .. إلى .. طروادة ؟.. والتي شبت بسببها تلك الحروب الطويلة المروعة فذهبت بالنخبة الناضرة من شباب هيلاس واليوم . . .

والفتاتان شقيقتان ، وقد تبناهما تنداريوس العظيم ، وزوجهما من هذين الملكين الشقيين ، ليزيدا في شقائهما ، وليكونا حرباً عليهما وعلى شعبهما البائس لا تنتهي ! وليكونا كذلك ، ليلاً على هذا القصر المتبق الشاهق — الـ (بيلوبيديه) مظلماً . . . لا تنجاب غواشيه . . . ولا تنقشع دياجيره ! !

— ٢ —

وفرت هيلين الآبقة ، مع باريس الآثم ؛ . . . فهاجت هيلاس ، وهبت ريح الحرب ، وتدفقت الجيوش إلى أولس حيث الأساطيل في انتظارها ، لتمخر بها البحر الإيجي إلى مدينة بريام . . .

وودع أجاممنون زوجته ... وذرفا ، وهما يتعانقان ، دموعاً حارة سخينة ! وانطلق مع شقيقه الملك البائس المفضوح في عرضه ، منالايوس ، إلى أوليس ... ليركبا مع بقية الجند ... وليبحرا إلى اليوم ...

بيد أن البحر المضطرب كان ينذر بتحطيم الأسطول إذا هم أن يقلع

والعاصفة التي أطلق بوسيدون[1] عنانها كانت تثير في اليم موجاً كالجبال ... وكانت تراوح الشاطئ المرتجف وتغاديه ، فتهيل التراب وتسفيه ، وتحط صخره من علٍ وتغرق به ما تهاوى عليه من أسطول هيلاس ...

وانتظروا طويلاً حتى تسكن العاصفة ، ويهدأ البحر

(١) إله البحر

المصطخب ... ولكن ... بلا جدوى !

ثم قيل لهم إن الآلهة عطشى ، وأرباب الأولمب ظماء ، وإنها لا يرويها إلا دم عزيز غال يسفح ، ومهجة شابة غيداء تطل ، وإن الآلهة لا ترضى باحدى ابنتى أجاممنون بديلا ! !

لا ترضى الآلهة أن يسفك دم إلا دم إفجنيا العذراء ، أو أختها الكاعب إفياناسا ، فاذا لم ترو الآلهة فلن تهدأ العاصفة ، ولن يسكن العباب ، ولن يفتأ البحر يضطرب ، ولن يقلع هذا الأسطول اللجب

وتردد أجاممنون ! واضطرم قلبه بحنان الأبوة ! ولكن القادة تكبكبوا حوله يلحفون عليه أن يصغى إلى وحى السماء ، ويستجيب لأمر الآلهة ... فقبل ... وبكى ...

— ٣ —

وجىء بالعذراء البريئة إفجنيا ، ليحتفل بخطبتها إلى أخيل فيما ادعى الوالد المحزون فى رسالته إلى زوجه ...

ولكن الزوجة تكتشف أن لا خطبة هناك ... بل هناك قتلة شنيعة تنتظر ابنتها ... لا لشىء ... إلا أن تروى الآلهة ... كما أرجف المرجفون !

وتصبح أضواء الحياة كلها ظلمات فى عينى الأم ... وتحاول إنقاذ الفتاة ... ولكن ... عبثاً ! ... لقد تقدمت إفجنيا الى الكاهن الجلاد بقدم ثابتة ، وجأش رابط ، ونفس مطمئنة ... وأعلنت أنها تهب نفسها للوطن ... ! ودمها للآلهة ... وأنها تستودع الأولمب أباها ... وأمها ! ...

وأهوى الجلاد ... الكاهن ... بسكينه ... فهريق الدم العزيز الغالى ! !

— ٤ —

وعادت الأم المضعضعة إلى القصر الشاهق العتيق ... الى الـ(بيلوبيديه) ... تجتر هذه المصيبة الدامية ، وتغص بتلك الداهية الحمراء !

وتحزن أياماً ...

ويشمل السواد كل شىء ... حتى أضواء الشمس ، وأفواف الزهر ، وآراد القمر ! !

كل شىء أسود حالك ... لا سيما ... قلب الملكة ... !

لقد انفردت فى هذا القصر العتيق ، فهى صاحبة الأمر والنهى فيه ، وكل شىء يصدر عن إذنها ويقضى بأمرها ... والمملكة بأسرها بيديها ... ومع ذلك ... ومع كل ذلك ... فليس فى الدنيا العريضة ما ينسيها إفجيا ! أو يبعد عن عينيها ذلك المنظر الرائع الرهيب ... منظر السكين اللامعة تهوى على عنق الفتاة ... !

إنها أمامها أنى ذهبت وأيان وجهت . . .

ها هى ذى تمرح فى هذه الغيضة من حدائق القصر . . . وتلعب فى تلك الردهة من الطابق العلوى . . . وتغرق فى هذه اللجة من ديباج السرير . . . وتداعب الظباء فى الحظيرة . . . وتضفر أعواد الزنبق للتماثيل . . . وتنثر الورود والرياحين تحت أقدام الدمى ... ثم ... ...

ثم ها هى مسجاة فوق المذبح يتفجر من غلاصمها الدم ! !

— ٥ —

وسكنت العاصفة ، وهدأ البحر الجياش ، وأقلع الأسطول بمن عليه ... وحوصرت طروادة ... وقتل الأبطال الصناديد من الفريقين ...

وكرت أعوام عشرة . . .

— ٦ —

« كيف يقتل ابنتى هذا الملك الذى قُد قلبه من صخر ؟ كيف سوّلت له نفسه أن يأذن لجلاديه بذبحها ؟ أين حنان الوالد ؟ قربان للسماء ؟ أى سماء هذه التى تشره لدماء العذارى ؟ لا ظفر أجاممنون بأعدائه ! ولا حمله البحر إلى آرجوس كرة أخرى ! وروى ثرى طروادة من دمه ، كما رويت آلهته من دم ابنتى ! ! »

ووقر فى قلب كليتمنسترا أن تثأر لابنتها ... ولكن .. ممن ؟ من أجاممنون ... من أبيها أجاممنون ... ! إذن ... فلتدبر غيلته فى هذه السنين العشر ، ولتحشد حولها أعداء هذا القصر العتيق الباذخ ... ولتُنَشِّش الأحقاد القديمة ، والترات التى تتقلب فى أحشاء الماضى ... ولتجتمع عصابة الشرور فتدبر وتأتمر ...

— ٧ —

ترك أتربوس مُلك أرجوليس العتيد لولديه ، أجاممنون وأخيه ، وترك لهما كذلك إرثاً عتيداً من الدم لم يسمع الناس بمثله ... لن يسمعوا بمثله ... لأنه دم أعز الأبناء ... وشواء لعين أيما شواء ...

ذلك أنه كان للملك أتريوس أخ يناوئه من أجل عرش أرجوليس وما يتاخمها من الاقطاعات ... وكان هـذا الأخ (ثيذتيس) يحاول أن يجعل الملك في أبنائه ... من دون أبناء أخيه ... ولـكن أتريوس وقف على التدبير السيء الذي يرسم خططه أخوه في الظلام ؛ فما كان من أتريوس إلا ان دبر هو تدبيرا دموياً هائلاً ... قضى به على أخيه وعلى أبناء أخيه ... إلا واحداً !

تودد إلى أخيه أياما ، وعاتبه في هذه الجفوة التي لا يكون مثلها بين أخوين ، فأعتبه ... ثم دعاه الى وليمة فاخرة يقيمها له في ال (بلوبيديه) ... فقبل ثيذتيس !

وفي اليوم المحدد ... وبعد تدبير أحكمت حلقاته ... أقبل ثيذتيس ليؤاكل أخاه ، وليتصافح القلبان اللذان ينطوي كل منهما لصاحبه على الحب ... وأصرم الغل والحقد ...

وحان موعد الغداء ...

فنهضا الى خوان عامر بجلل بما لذ وطاب من لحم يملأ قتاره الخياشيم الجائعة ، ويسيل لعاب الأفواه المتلمظة ...

وجلس ثيذتيس المنهوم فأكل حتى امتلأ ... وما كاد ينتهي حتى كشف له الغطاء عن تلك الغيلة القاسية ، التي يتنزه عنها أضرى الوحوش ! !

لقد أكل ثيذتيس حتى امتلأ من الشواء الفاخر الذي أعد له من لحم أبنائه ... وأكبادهم وقلوبهم ... وها هي الأصابع والأيدي والرؤوس والأقدام في سفط كبير على مقربة من الوالد البائس ... شهيد على ذلك ! !

وجن جنون الأب المسكين !

ولـكنه عوجل هو الآخر بقاصمة الظهر ... فذهبت روحه تتردى في ظلمات هيدز !

فيا للوحشية ... وويل للمتوحشين ! ! !

— ٨ —

وكان إيجستوس يتقلب على وجهه في البلاد

فلما علم بالمأساة التي ذهبت بأخوته ، وبأبيه ... شرد في الأدغال ، ونفر في التيه الذي لا أول له ولا آخر من غاب هيلاس وأنس الى الوحشة ، وسمر الى الذئاب ، وصحب اللصوص وقطاع الطرق ... وتلبث حتى استد ساعده ، واشتد عوده ... وعاد مستخفياً يدبر أمر هذا الثأر الثقيل ، ويرسم الخطط لهذا الدم المطلول ...

ولـكن ... لقد مات أتريوس ... وحكم من بعده ابناه أجاممنون ومنالايوس ... وها اليوم تحت أسوار طروادة يصطرعان مع الطرواديين

فهل تزر وازرة وزر أخرى ؟

أجل ! ! (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ... فليتقوا الله ! !)

إيجستوس ! اهذه فرصتك فلا تفلتها ! !

— ٩ —

واتصل ايجستوس بالقصر ، وتأكدت بينه وبين كليتمنسترا أواصر الود أولا ؛ ثم انقلب الود واتحاد القصد وبغض أجاممنون وأسرة ال (أتريه) فصارت غراما أثيما وعشقا فاسقاً ولذاذة مجرمة وعمى قلب الأم ... وحجبت الغواية بصيرتها ؛ فنفت ولديها[1] : أورست الغلام الحدث ، وإفياناسا الفتاة الناعمة بعيـدا عنها ، لتزداد إغراقا في اللذة ، ولينام ضميرها الميت فلا يوقظه هذا النسل البريء من صلب أجاممنون ! !

— ١٠ —

العاصفة تهب بشـدة [2] ، والحارس المتعب يلفحه البرد القارس فوق سطح القصر الملكي العتيق ، ال (بيلوبيديه) ، والليل الرهيب ينظر الى القصر الفائض بالأسرار بعين قلقة من تلك النجوم المحملقة ؛ وسنوات عشر قد تصرمت ، وهذا الحارس المسكين في مكانه من هذا الميدان المعلق بين الأرض والسماء ... أجل عشر سنين طوال كأنها عشر أحقاب كاملة ، وهو يروح ويجيء كأنه آلة الزمن ، أو قوس من دائرة الفلك .. وهو يشكو ، ويحاول أن يتسلى بأغنية أو صفير ، ولـكن الأسرار الهائلة التي يعج بها القصر من تحته تفزعه ، فيعزف عن الغناء وعن الصفير ... ويصل شكواه ، ويرسل بثه

وهو هناك فوق سطح القصر الملكي منذ قيام تلك الحملة المشئومة الى طروادة ... وهو الى هذه الليلة يرقب النيران التي إذا تأججت في رؤوس الجبال كانت بشرى سقوط طروادة !

وأومض البرق في الظلماء فجأة ! ... واندلعت النيران المنشودة ! واستطار الحارس من الفرح ؛ وفرك عينيه ليستيقن

(١) يتناول سوفوكليس هذا الحدث من وجهة نظر ثانية ورأي آخر سنعرض لهما في حينهما إن شاء الله

(٢) من هنا تبتدئ درامة اسخيلوس

أنه ليس فى حلم . . . ولكن النار تنداح وتتنداح . . . إذن انتصرت جيوش هيلاس ... وسقطت مدينة بريام !

وأى بأس فى أن ينطلق هذا الحارس المسكين فيزف البشرى إلى الملكة ... لا بأس ! ولكنه ما يكاد يخطو خطوة واحدة ، مفترا فى ظلمات الليل البهيم عن ابتسامة الجذل ، حتى يذكر الأسرار الهائلة التى نسجتها عناكب القدر فى القصر ... فتنقلب ابتسامته الجذلة الى عبوسة قاتمة ... فيقف مكانه ويصمت ! !

— ١١ —

ويدخل المنشدون حديقة القصر ، ويهزجون بنشيد طويل حلو [1] ثم تقبل الملكة فيتقدم اليها رئيس الخورس محييا ويتساءل : « هل من نبأ عن الجلة يثلج الصدر المكروب ويبهج النفس المحروبة ؟ » وتبتسم الملكة ابتسامة خبيثة صفراء ، ثم تزف بشرى انتصار الهيلانيين

— « وكيف ؟ لا نصدق ! ولكن تكلمى ... تكلمى أيتها الملكة ! »

— « اليوم فى قبضة رجالنا ! هل أراك فهمت ؟ »

— « إنها مفاجأة تملأ أعيننا دموعاً ... »

— « وإنها دموع تؤكد إخلاصكم وطهارة قلوبكم »

— « ولكن هل من برهان أيتها الملكة ؟ »

— « ما لم يكن بعض الآلهة يخدعنى ! »

— « ألا تكونين قد استسلمت لغفوة لذيذة فشهدت رؤيا طارئة ؟ »

— « إن أوهام المنام لم تخدعنى قط ! »

— « إذن منذ كم سقطت طروادة ؟ »

— « فى نفس هذه الليلة التى كاد صبحها يتنفس ؟ »

— « وأى رسول حمل اليك النبأ فى مثل هذه السرعة ؟ »

— « النار الالهية ألمت به إلى هنا من ذروة حول إيدا ... وهشيم الجانح المتأجج فى شعاف الجبال ورؤوس الآكام ... »

واستطردت كليتمنسترا فذكرت كيف أشعل الهيلانيون النيران فى قُلل الشاطئ الأسيوى ، ثم كيف تنقل الوميض فى السموات حتى عكسه أفق أرجوليس ... وطفقت تحشد الكذابات فى حديثها ، وتنثر الألغاز فى ثناياه ... صادرة عن غلها المقيم وحقدها القديم على أجاممنون !

— « بالطبين النصر فى طروادة اليوم ؟ ... ... أحسب ألا يستطيع أحد أن يميز صيحات السادة الظافرين من صيحات العبيد المقهورين بين جدرانها ! إنهم سواء منكودو الحظ ، سود الجدود ، حقيقون بالرثاء ! ومن يدرى ؟ فلعل الآلهة تغضب فتنتقم ممن دنس هياكلها ، وسطا على طُرفها وتحفها بجملتها فى جملة الغنائم والأسلاب ! ... ولعل أرواح الضحايا (١) والشهداء تهب من مراقدها مغضبة حانقة فتنقض فى سبيل الأبطال الظافرين فلا يعودون إلى أوطانهم ! ... ولكن فلما سدد حق ... دون أن ترتكب ألف مذمة باسمه ! ... »

— ١٢ —

ويفطن الخورس إلى ما كان يتناثر فى حديث الملكة من ألغاز ، ويفطنون إلى هذا الفتور وذاك الضيق اللذين كانت تزف فى ظلالهما بشرى سقوط طروادة ... فيعزونه إلى أسبابه التى باتت لا تخفى على أحد فى المملكة ... ثم يتشككون فى كل ما انطلق به لسانها ويحسبونه هذياناً فى هذيان !

وما يكادون يفرغون من نشيد طويل رائع حتى يحضر البشير فتزف اليهم النبأ الصادق ويبشرهم بأوبة الملك ، ثم يصف لهم شطراً مما لقيه الجنود تحت أسوار إليوم : « بل ما لقيه الطروادیون ومنذ من مصائب الحصار وكوارث القتال ، ثم هذه الهزيمة التى أبادت دولتهم وقوضت بنيانهم ... »

بيد أنه سرعان ما يفطن البشير إلى تلك الكآبة التى تغشى نفوس القوم ، فيسائلهم ، ويجيبه رئيس الخورس :

— « لقد كان الصمت . وسيظل ... ملاذنا أيها البشير ! »

— « وكيف ؟ أترهبون أحدا فى هـذا القصر غير مولاكم ؟ »

— « ... ؟ ... ! ... »

— « أسرار ... أسرار ...

— ١٣ —

وتقبل الملكة كرة ثانية فتلمح تلجلج مشاعر المنشدين وتحاول أن تخدعهم عن خافية نفسها فتقول : « هل صدقتم الآن أن إليوم قد سقطت ؟ ! لقد كنتم فى ريبة من بشراى التى زففت اليكم لأنكم لم تروا أمامكم تلك الفتاة المزهوة التى تكاد تجن من الفرح

---

(١) نأسف جدا لاضطرارنا الى حذف الأناشيد برغم أهميتها مكتفين بما قدمنا للدرامة من شرح مسهب ، وذلك لأننا نحاول اعطاء القارئ صورة خفيفة قريبة بقدر المستطاع الى الأصل على ألا تمل . وربما عرضنا للأناشيد فى بحث خاص

لهذا النصر الفاجئ الذى انتظرناه طويلا ... يالكم أيها الرجال ! وأنت أيها البشير ! أترى إلى قرباني الجسد ذى الخوار الذى أعددنه أضحية لما بشرتنا به ؟ ... وسترى كيف ينتشر البخور من مجاس الند ومخارق المنبر فيؤرج أجواء آرجوس تحية لملك .

تعال ... تعال أيها البشير فقص على كيف سقطت طروادة وكيف رغم أنف ملكها ! ... ولكن ... لا ... ليست لى بيك حاجة ... اذهب ... فلن أسمع قصة ذلك إلا من رجلى ... أجاممنون ... ملك أرجوليس ومعقد آمالها ! ... أى فخار لامرأة أكبر من أن تستقبل فيض النور السماوى يتنزل عليها من العلو ... حين يعود إليها بعلها وعلى رأسه إكليل من غار النصر ؟ وأى فخار للرجل أكبر من أن يعود من حلبة الحرب فيجد زوجه وفية له كما تركها مخلصة كآخر عهده بها ! ؟ حريصة على أسراره ... قانعة على بيته ... ساهرة على أبنائه ككلبه الأمين !! ما تزال تحمل ذكرى عناقه الأخير ، وتشدو بآخر قبلاته كأحسن أغاريد الحياة ! يالمفخر ... بالمفخر ... »

وتخرج الملكة ... ولا ينطلى بما زخرفت من قول على أحد !

— « ها قد سمعت مقالة الملكة ، فلتكن أذنك ترجمانك الأمين ! ... ولكن ... حدثنا بأربابك عن أمير هذه البلاد المحبوب ، جليل المقام منالايوس ... هل قدم معكم فى أمان إلى أرض الوطن ! ...

ويربد وجه البشير ، ثم يمهد لحديثه بمقدمة مجلوة ، ويذكر كيف ثارت العاصفة فبعثرت الأسطول المنتصر ... « وفصلت سفائن منالايوس عن سائر الأسطول ، فلا يعلم أحد أين رست به إن كانت قد سلمت من غضبة البحر الذى طفق يتدجى فوقنا كأنه الليل ...

... ولم نصدق أننا نجونا من فورة هذا العباب حتى انبلج الصبح ، فصلينا للآلهة ، وشكرنا للسماء ... وابتهلنا الى الأرباب أن يحفظ منالايوس ، وأن يرده سالماً إلى أرض الوطن ... »

ويأخذ الخورس فى نشيد بعضه شدو وبعضه شجو ... وبعضه سخط على هيلين ... التى فاز بها من فاز بالحرب ... وتزوج منها من تزوج بالحرب ... والتى كانت على جميع من اتصل بها حرباً أى حرب ! »

— ١٥ —

وبينا المنشدون يتغنون بألحانهم ، إذا عربة مطهمة ، تجرها صافنات جياد ، تدخل فجأة فتكون تلقاء القوم ...

ويكون فى العربة أجاممنون الظافر المنتصر ، قاهر طروادة ! وإلى جانبه تلك النبية المباركة ... حبيبة الآلهة ... الفتاة العذراء .. كاسندرا ابنة بريام العظيم ملك إليوم المقتول ... عاد بها أجاممنون من جملة السبى لتكون خليلة له ...

ويحيى الخورس مليكهم بلحن حلو من موسيقى السماء ، يبللونه بدموعهم ويصهرونه بحرارة قلوبهم ، فيشكر لهم ويثنى عليهم ، ويقول :

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة



حلم ليلة صيف

ظهرت أخيراً أول قطعة من مسرحيات شكسبير الخالدة على ستار السينما ؛ وهو بلا ريب حادث عظيم فى تاريخ الاخراج السينمائى ؛ وقد كان رأى النقدة والفنانين أن مسرحيات شكسبير إنما خلقت للمسرح ، ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل إخراجها بنجاح على ستار السينما ؛ ذلك أن مناظرها وخيالاتها لاتسمح رغم روعتها بذلك السبك الذى يطالب فى الشرائط المصورة ، ولأنها ترتفع أحياناً فوق الوسائل الفنية التى يسمح بها الاخراج السينمائى ؛ ولكن فناناً عظيما هو ماكس رينهارت رأى فى مسرحيات شكسبير رأياً آخر ، وجالت بذهنه فكرة جريئة هى الاقدام على إخراج بعض هذه القطع الخالدة على لوحة السينما ؛ وقد تم إخراج المسرحية الأولى وعرضها ، وهى « حلم ليلة صيف » ، وقد أتيح لنا أن نشهد هذا الشريط الرائع أخيراً فى احدى دور السينما بالقاهرة ، فألفينا فيه عبقرية المخرج العظيم تتجلى إلى جانب عبقرية الشاعر الخالد ، ورأينا خيال الشاعر المبدع يبدو على صفحات الواقع الملموس فى أروع ثوب ؛ ولم يحل دون تحقيق هذه الأمنية . أن القصة كلها أحلام فى أحلام ، وأن هذه الأحلام تبلغ ذروة الخيال المغرق ، وتفيض فى عالم الأرواح والأشباح والعالم الآخر

وسر هذا الابداع المدهش فى إخراج هذه القطعة الخالدة هو بلا ريب فى عبقرية المخرج ؛ والواقع أن ماكس رينهارت قد بلغ الذروة من قبل فى إخراج المسرحيات الخالدة : مسرحيات شكسبير ، وجيتى ، وشيللر ، ولسنج وغيرهم ، على المسرح ؛ وماكس رينهارت نمسوى يهودى ، ولد فى مدينة سالزبورج ، موطن الفن والموسيقى الخالدة ؛ وتلقى تربيته وخبرته الفنية فى مدينة فينا أعظم موطن للثقافة الفنية والموسيقية ، وظهر قبل الحرب بجهوده المسرحية فى أعظم مسارح فينا وبرلين ، ثم استقر فى برلين بعد ذلك ، وهنالك تبوأ ذروة الفن ، وأضحى مرجع المسرح فى ألمانيا وكوكبه الساطع ؛ ولكن حكومة هتلر جاءت منذ ثلاثة أعوام لتسحق العلوم والفنون والآداب فى ألمانيا بكل ما وسعت من شهوات التعصب الجنسى والسياسى ، فلم يطق الفنان العظيم - وهو يهودى غير مرغوب فيه - أن يعيش فى هذا الجو المكدر ، فغادر ألمانيا حيث سطع مجده ، ليعمل حيثما تزدهر الأفكار والحريات الفنية ؛ وطاف بفينا وباريس ولندن وغيرها ، ومن منذ شهر بمدينة سالزبورج مسقط رأسه ، فلقى فيها أعظم مظاهر الحفاوة والتكريم ، وأطلقت البلدية اسمه على شارع من أشهر شوارعها

وفى « حلم ليلة صيف » تتجلى عبقرية شكسبير الرائعة فى مزج البكى بالضحك ، وإبراز المفاجآت والمدهشات فى ثوب يأخذ باللب ، ويذكى العواطف إلى الذروة ؛ ومع أن القطعة كانت فى بعض تفاصيلها مسهبة ، فان الموسيقى الرائعة التى اقترنت بمناظرها ، وهى من مقاطيع مندلزون وفاجنر ، كانت ترفع بجمالها وسحرها كل ميل إلى السأم

والمفهوم أن ماكس رينهارت سيمضى فى إخراج قطع أخرى من مسرحيات شكسبير ؛ وربما رأينا قريباً هملت أو مكبث ، أو تاجر البندقية أو يوليوس قيصر أو غيرها من آثاره الخالدة على مسرح السينما بفضل عبقرية ماكس رينهارت

بيير دى نولهاك

فى الأنباء البرقية الأخيرة أن الكاتب والمؤرخ الفرنسى الكبير بيير دى نولهاك قد توفى فى السادسة والسبعين من عمره . وكان دى نولهاك عضواً بارزاً من أعضاء تلك المدرسة التاريخية الباهرة التى استطاعت أن تجمع بين التحقيق التاريخى والعرض الساحر ، والتى تزعمها كتاب ومؤرخون ممتازون بالقوة والطرافة مثل فرانز فونك برنتانو ، ولينوتر ، ودى نولهاك ، وقد كان لهذه

المدرسة أكبر الفضل فى الكشف عن طائفة من الوثائق والمخطوطات الشهيرة ، ودرس دى نولهاك الفلسفة والأدب القديم ، وتفقه فى الدراسات اليونانية واللاتينية ، وعنى منذ فتوته بالتنقيب فى أقبية المكاتب العامة ؛ ودرس مدى حين فى مدرسة الآثار الفرنسية برومة ، وعثر فى مكتبة الفاتيكان على طائفة من الوثائق التاريخية النفيسة ، ونشر عن مباحثه عدة مؤلفات منها « مكتبة زعيم انسانى فى القرن السادس عشر » و « ثبت المخطوطات اليونانية لجان لسكاريس » و « مباحث عن رفيق بومبونيوس لا كتوس » وغيرها ، ووقع دى نولهاك أثناء هذه الفترة على نسخة خطية من كتاب « كانزونير » للشاعر الأشهر بترارك وبخطه أيضاً ، وقدمها لأكاديمية الآثار ، فكانت نقطة باهرة ؛ وأثار هذا الاكتشاف اهتمام دى نولهاك بدراسة بترارك ، فقدم عنه رسالته الشهيرة عنوان « بترارك والانسانية » فى سنة ١٨٩٢

والتحق دى نولهاك منذ سنة ١٨٨٦ بوظيفة فى المكتبة الأهلية ، وانتدب للتدريس فى نفس الوقت بمدرسة الدراسات العليا ؛ ثم عين بعد ذلك مديراً لها واستمر فى هذا المذهب حتى سنة ١٩٠٠ ، وعين أيضاً أميناً لمتحف فرساى واستمر فى هذا المنصب حقبة طويلة ، وفى أقبية المكتبة والمتحف بدأت مباحث دى نولهاك المؤرخ ، وهى مباحث دلت فيما بعد على أنه فى هذا الميدان عبقرية بارزة ، ووقع فى الأقبية على طائفة من الوثائق والمحفوظات التاريخية النادرة ، واستطاع أن يستخرج منها مادة بديعة لكتبه ، وأشهر مؤلفات دى نولهاك التاريخية : « فرساى فى القرن الثامن عشر » و « الملكة مارى انتوانيت » و « لويس الخامس عشر ومدام دى بومبادور » وغيرها ، وفيها تبدو عبقرية نولهاك كمؤرخ وكاتب ، ذلك أن حقائق التاريخ تعرض فيها فى أثواب ساحرة كأنها الخيال المرسل ، وتسطع فيها الصور حتى يخيل إليك أنها حية تغدو وتروح وكأنك تعيش معها وفى عصرها

وكتب دى نولهاك عدة كتب أخرى ارتفعت باسمه إلى مصاف أقطاب النقد والتفكير الفلسفى منها : « رونسار والانسانية » ، ومنها « قصائد ايطاليا وفرنسا » . وانتخب نولهاك عضواً بالأكاديمية الفرنسية وانتظم فى سلك الخالدين قبل وفاته بأعوام طويلة

كتاب عن ذكرى ابن ميمون

احتفلت الطوائف اليهودية فى مصر وفى سائر أنحاء العالم ، وكذلك احتفلت معظم الهيئات العلمية فى مختلف الأقطار بذكرى العلامة والفيلسوف والطبيب اليهودى العربى الأندلسى موسى ابن ميمون ، وكان الاحتفال فى ابريل من العام الماضى ، وذلك لمناسبة انقضاء ثمانمائة عام كاملة على مولد الطبيب الأشهر ؛ ولابن ميمون فى مصر ذكريات خاصة ، فقد كتب فيها معظم مؤلفاته ، وتوفى فيها ، وكان كبير الربانيين بالقاهرة ، وكان طبيبا للسلطان صلاح الدين الأيوبى ؛ وكان مولد ابن ميمون فى قرطبة فى ٣٠ مارس سنة ١١٣٥ م ، فى عهد المرابطين ، ثم نزح مع أسرته إلى المغرب فالقاهرة حيث اتصل بالسلطان صلاح الدين وعينه طبيبه الخاص . وعكف ابن ميمون على دراسة التلمود وكل ما يتعلق بالقصائد والفلسفة اليهودية ، وألف فيها بالعربية ، ولكن بحروف عبرية ، طائفة من الكتب الفلسفية والدينية مازالت تتبوأ المقام الأول بين تراث اليهودية

وقد عنيت الحاخامية اليهودية بالأسكندرية باصدار مجلد ضخم عن هذا العيد العلمى بالفرنسية بعنوان : « الذكرى المئوية الثامنة لابن ميمون » وضمنته ترجمة وافية للطبيب الفيلسوف ، وشرحاً قيما لأهم نظرياته ونصوصه ، وشذوراً من مصنفاته بالعربية والعبرية والفرنسية والايطالية ، وأشرف على وضعه وإخراجه الأستاذ دافيد براتو حاخام الطائفة اليهودية بالاسكندرية ، ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن لابن ميمون بين مفكرى اليهود وفلاسفتهم المقام الأول ، حتى لقد اعتبره بعضهم الرجل الثانى فى اليهودية بعد موسى . ولابن ميمون نظريات فلسفية ودينية عويصة ، وله شرح نفيس للتلمود مازال هو الحجة فى موضوعه

القصة فى التعليم

فى وزارة المعارف اليوم حركة تجديد تسير إلى غايتها بنشاط وقوة ، نؤمل من ورائها انقلابا فى وسائلنا التعليمية يدنينا من الهدف الذى نقصد اليه من تعليم أبنائنا

وقد كان آخر هذه المحاولات ، هذا المشروع الذى أشارت اليه الصحف فى الأسبوع الماضى ، بأن الوزارة تفكر فى تدريس كثير من المواد بالمدارس الابتدائية عن طريق القصة . وهو

مشروع جدير بأن يثمر ثمرة طيبة لو حسُنت القوامة عليه ؛ فما نعرف شيئاً يروق الصغار ويجذب انتباههم مثل القصة ، وما نعرف باباً من أبواب الأدب يتسع لكل شيء كما تتسع القصة ، فالقصة عند الطفل لون من ألوان اللعب يقبل عليه بشوق ولذة ، ولكنه عند أهل التربية فن من فنونهم يبلغون به ما لا يبلغون بسواه من أساليب العلم

وإذا كان لنا أن نغتبط بهذا المشروع ، فاننا نخشى أن تؤدي طريقة تنفيذه إلى ما لا نرجو من جدواه ، فن القصة فنٌ واستعداد لا يتوفران لكل شخص ، ولا يحسنهما إلا الموهوب ؛ فلو أن وزارة المعارف وكلت أمر إنشاء هذه القصص إلى غير القادرين عليه لقضت على الفكرة بالموت قبل أن تظهر لها ثمرة ؛ وفي وزارة المعارف رجال درسوا القصة وعالجوها فنجحوا فيما عالجوا إلى حد كبير ، وإن لم يكونوا من رجال التعليم . وفي مختلف مدارس الوزارة مدرسون حاولوا القصة ووُفِّقوا في كثير مما حاولوا ، فلعل الوزارة تنتفع برأي هؤلاء وهؤلاء

الاسلام في اليابان

كتبت مجلة (آسيا) في عددها الأخير أنه لن تنقضي أعوام حتى تصبح اليابان كلها اسلامية

وقد أشارت المجلة إلى الدعاية الاسلامية القائمة بين الشعب الياباني وقالت إن ٣٢ ألفاً من اليابانيين اعتنقوا الديانة الاسلامية منذ ثلاثة أعوام ، وإن الاقبال على الاسلام لا يزال مستمراً

وقد تم انشاء مسجد (باب الله) في الأسبوع الماضي واحتفل اليابانيون بافتتاحه احتفالاً عظيما

ويتألف هذا المسجد من ثلاثة طوابق ، ويمتاز بمآذنه الشائقة المزدانة بأجمل النقوش كما يمتاز بأبهائه وحدائقه والنقوش العربية التي تزين جدرانه

وقد رأس حفلة الافتتاح مياه عبد العزيز ، وكان يرتدي العباءة والكوفية والعقال ؛ وقد ألقى خطاباً شكر فيه لجنة المسجد ثم قال :

« إنه ليسرني أن أرأس هذه الحفلة في اليابان أمبراطورية الشرق الكبرى ، وأعتقد أن « باب الله » سيجد كثيراً من اليابانيين الذين يرغبون في دخوله . . »

وبعد أن أشار الخطيب إلى موقف الحكومة اليابانية من الديانة الاسلامية وتنشيط القائمين بالدعوة اليها شرح للحاضرين التعاليم الاسلامية ومبادىء المسلمين السامية وقال :

« إن الديانة الاسلامية التي أجمع العالم على أنها أفضل الديانات لا بد أن تنتشر في جميع أنحاء العالم وخاصة في اليابان ، ولا بد أن نجد من الأنصار ما يجعلها سيدة العالم »

وأشار الخطيب إلى اعجاب العرب المسلمين بالشعب الياباني ، وقال إن اليابان تسير في طريق الأمبراطورية الاسيوية الكبرى ، وإن الاسلام سيكون في أول هذا الطريق

من أعاجيب الراديو

أضحى « الراديو » أعجوبة الأعاجيب في عصرنا ، يستعمل في كل ما لا يمكن أن يخطر في البال من عظائم الأمور وصغائرها ؛ وسنرى في الأعوام القادمة إلى أي حد يمكن أن تقف أعاجيب هذا الاختراع المدهش ؛ ومما قرأناه أخيراً في صحف فيينا أن الراديو كان وسيلة مدهشة لنجاة مريض من تناول دواء خاطىء ؛ فقد وفد مريض على صيدلي وقدم إليه تذكرة دوائه ليعدها ، ثم أخذ المريض الدواء وانصرف ، وبعد قليل تذكر الصيدلي أنه ارتكب في صنع الدواء خطأ قد يودي بحياة المريض ، ولم يكن يعرف عن المريض أو اسمه أو طبيبه شيئاً ؛ فهرع إلى شركة للاذاعة اللاسلكية ، وفي الحال أذاعت الشركة خلال برنامجها نبأ هذا الخطأ في جميع أرجاء النمسا ؛ ووقف الطبيب المعالج مصادفة على هذا النبأ حين كان يستمع إلى الاذاعة ، فهرول إلى المريض في منزله ولحق به قبل أن يتناول الدواء القاتل



« محمـــد »

كتاب توفيق الحكيم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

عملُ الأستاذ توفيق الحكيم في تصنيف هذا الكتاب أشبهُ شيء بعمل « كريستوف كولمب » في الكشف عن أمريكا وإظهارها من الدنيا للدنيا ؛ لم يخلق وجودها ولكنه أوجدها في التاريخ البشري ، وذهب إليها فقيل جاء بها إلى العالم ، وكانت معجزته أنه رآها بالعين التي في عقله ، ثم وضع بينه وبينها الصبرَ والمعاناةَ والحذق والعلم حتى انتهى إليها حقيقة ماثلة

قرأ الأستاذ كتب السيرة وما تناولها من كتب التاريخ والطبقات والحديث والشمائل ، بقريحة غير قريحة المؤرخ ، وفكرة غير فكرة الفقيه ، وطريقة غير طريقة المحدِّث ، وخيال غير خيال القاصّ ، وعقل غير عقل الزندقة ، وطبيعة غير طبيعة الرأي ، وقصد غير قصد الجدَل ؛ فخلص له الفن الجميل الذي فيها إذ قرأها بقريحته الفنية المشبوبة ، وأمرّها على إحساسه الشاعر المتوثب ، واستلّها من التاريخ بهذه القريحة وهذا الإحساس كما هي في طبيعتها السامية متجهةً إلى غرضها الإلـهي محققةً عجائبها الروحانية المعجزة

وقد أمدته السيرة بكل ما أراد ، وتطاوعت له على ما اشتهى ، ولانت في يده كما يلين الذهب في يد صائغه ؛ فجاء بها من جوهرها وطبيعتها ليس له فيها خيال ولا رأي ولا تعبير ، وجاءت مع ذلك في تصنيفه حافلة بأبدع الخيال ، وأسمى الرأي ، وأبلغ العبارة ؛ إذ أدرك بنظرته الفنية تلك الأحوال النفسية البليغة ، فنظمها على قانونها في الحياة ، وجمع حوادثها المدوّنة فصوّرها في هيئة وقوعها كما وقعت ، واستخرج القصص المرسَلة فأدارها حواراً كما جاءت في ألسنة أهلها ؛ وبهذه الطريقة أعاد التاريخ حياً يتكلم وفيه الفكرة وملائكتها وشياطينها ، وكشف ذلك الجمال الروحاني فكان هو الفن ، وجلا تلك النفوس العالية فكانت هي الفلسفة ، وأبقى على تلك البلاغة فكانت هي البيان . كانت السيرة كاللؤلؤة في الصدفة ، فاستخرجها فجلاها اللؤلؤة وحدها

***

إن هذا الكتاب يفرض نفسه بهذه الطريقة الفنية البديعة ، فليس يمكن أن يقال إنه لا ضرورة لوجوده ، إذ هو الضروريّ من السيرة في زمننا هذا ، ولا يُغتَمَزُ فيه بأنه تحريف وتزوير وتلفيق ، إذ ليس فيه حرف من ذلك ؛ ولا يردُّ بأنه آراء يخطئ المخطئ منها ويصيب المصيب ، إذ هو على نص التاريخ كما حفظته الأسانيد ؛ ولا يُرمى بالفثاثة والركاكة وضعف النسق ، إذ هو فصاحة العرب الفصحاء الخُلَّص كما رُويت بألفاظها ؛ فقد حصنه المؤلف تحصيناً لا يُقتحم ، وكان في عمله مخلصاً أتم الاخلاص ، أميناً بأوفى الأمانة ، دقيقاً كل الدقة ، حَذِرا بغاية الحذر

ومن فوائد هذه الطريقة أنها هيأت السيرة للترجمة إلى اللغات الأخرى في شكل من أحسن أشكالها يرغم هذا الزمن على أن يقرأ بالاعجاب تلك الحكاية المنفردة في التاريخ الانساني ؛ كما أنها قرّبت ومهلت فجعلت السيرة في نصها العربي كتاباً مدرسياً بليغاً بلاغة القلب واللسان ، مربياً للروح ، مرهفاً للذوق ، مصححاً للملكة البيانية

وحسبُ المؤلف أن يقال بعد اليوم في تاريخ الأدب العربي : إن ابن هشام كان أول من هذّب السيرة تهذيباً تاريخياً على نظم التاريخ ، وأن توفيق الحكيم كان أول من هذبها تهذيباً فنياً على نسق الفن

مصطفى صادق الرافعي

١ — علم تكوين الجنين (طبع دمشق)

للدكتور شوكت موفق الشطى

٢ — دليل الحج والسياحة (طبع الرباط)

للأستاذ أحمد الهوارى

للأستاذ محمد بك كرد على

— ١ —

أصدر الدكتور الشطى فى دمشق الجزء الأول من هذا الكتاب ، وهو « يبحث فى التناسل والجهاز التناسلى فى الذكور والأناث ، والالقاح والذكورة والانوثة والوراثة » ، وقد تقدم للمؤلف أن نشر كثيراً من الأبحاث الطبية فى كتب ورسائل ومقالات . والذى يعنينا هنا أن نقوله إن هذا الكتاب وبعض الكتب الطبية والعلمية التى ظهرت فى العهد الحديث فى جمهورية سورية تدل على اضطلاع المؤلفين الجدد بعلمهم ، مضافاً اليه تمكنهم من العربية . وقد رأينا مصنف هذا الكتاب المفيد يضع ألفاظاً لبعض الكلمات الطبية والعلمية ، هذا إلى ما فى مجموع كلامه من الرشاقة والجزالة . أما البحث فى موضوع الكتاب ودرجته من العلم فهو من شأن الأطباء

— ٢ —

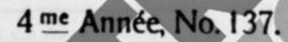
جاءت رحلة الأستاذ الهوارى الفاسى من المغرب الأقصى إلى الديار الحجازية المباركة فى ٣١٠ صفحات محلاة بالرسوم البديعة . وقد قال فى وصف كاتبها الأستاذ السيد عبد الحى الكتانى عالم فاس إنه رحل « ونقب ، وسأل وكتب ، وجمع وحطب ، وإن كانت وجهة قلمه غلبت عليها نشوة الوظيف والاهتبال بالموظفين ، والادارات والمديرين ، ولكن إذا عُلم أنه يكتب لأبناء هذا العصر زال العجب » . ووصفه بأنه « صاحب القلمين واللسانين » ، يعني العربية والفرنسية . وقد أورد الأستاذ الكتانى ثبتاً بديعاً بأسماء من رحلوا من القديم إلى اليوم ، إلى الحجاز من بلاد المغرب والأندلس ، ودل على أماكنها ، ومنها المخطوط المحفوظ فى الخزانة الكتانية بفاس . ولاحظنا أن المؤلف عني عناية خاصة بذكر أصحاب القبور أكثر من التنويه بأعمال الاحياء فى مصر والشام . والقبوريون يظفرون متى شاءوا بما يحبون من الزيارات فى كل بلد من بلاد الاسلام ، ولكن ما يحفظ على هذه الأمة دينها ودنياها هو اليوم الاستمداد من الأحياء ، ولذا كان على المؤلف أن ينوه بما يجب أن يقتبسه بنو قومه من جلائل أعمال الحياة فى البلاد التى زارها . وقد قدم صاحب الجلالة سيدى محمد سلطان المغرب الأقصى تقريظاً للكتاب على سبيل التنشيط . وعبارة المؤلف تدل على أنه عانى صناعة الكتابة فى بلاده ، بيد أنه جرى فى تدوين رحلته على ما يرضي العامة وأرباب السلطان ... ...

محمد كرد على

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

العدد ١٣٧ – ١٧ فبراير سنة ١٩٣٦ – السنة الرابعة


4 me Année, No. 137.

Lundi-17-2-1936

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ١٧ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة

٢٤١ العـــزة ... ... : الأستاذ أحمد أمين ... ...

٢٤٤ السـمكة ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

٢٤٩ أساليب الكفاح الدولى بين الأمس واليوم ... } : بقلم باحث دبلوماسى كبير ......

٢٥١ الاستعمار والتعليم ... : الأستاذ ساطع بك الحصرى ...

٢٥٦ قصة المكروب ...... : الدكتور أحمد زكى ... ...

٢٦٠ فى ميدان الاجتهاد ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ...

٢٦٣ من ربوع الغرب ... الى بلاد العرب ... } : الدكتور عبد الكريم جرمانوس

٢٦٦ بين الثريا والثرى (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...

٢٦٦ الليلة الثانية عشرة « : الأستاذ على أحمد باكثير ......

٢٦٧ الشـاعر ... « : السيد رياض معلوف ... ...

٢٦٧ يد الأيام ... « : السيد الياس قنصل ... ...

٢٦٨ تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا .... } : الأستاذ خليل هنداوى ... ...

٢٧١ أجاممنوت (قصة) ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٢٧٤ القفـاز . « ... : الأديب حسين شوقى ....

٢٧٦ كتاب لزعيم الاشتراكية الفرنسية . وفاة مؤرخ وصحفى كبير

٢٧٧ علم المثلثات والعرب ... : الأستاذ قدرى حافظ طوقان ...

٢٧٧ كتاب جديد لبول موران ... ...

٢٧٨ ذكرى مخترع القاطرة ... ...

٢٧٩ الفن الاسلامى فى مصر « كتاب » ... ...

العـــزة

للأستاذ أحمد أمين

استعملت العرب كلمة « العزة » فى مقابل « الذلة » ، فقالوا رجل عزيز ورجل ذليل . وجاء استعمال « العزيز والذليل » فى القرآن متقابلتين ، فقال تعالى : « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » . وحكى عن المنافقين أنهم قالوا فى حرب الغزوات : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، وهى كلمة قالها ابن أبيّ ، ويريد بالأعزة نفسه وصحبه ، وبالأذلة محمدا (ص) وصحبه ، فرد عليهم الله بقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » . وقد تصدى بعض المسلمين لابن أبيّ وسل سيفه عليه ومنعه من دخول المدينة ، وقال : والله لا أغمده حتى تقول : « محمد الأعز وأنا الأذل » فقالها . والسبب فى كل هذا أن العرب فى الجاهلية كانوا يفهمون العزة فى المال والجاه والرياسة والولد ونحو ذلك ، فجعلها الاسلام فى الدين الحق ، وأداء الواجب للناس ولله

وأكثرَ العرب من استعمال هذه الكلمة فى الجاهلية والاسلام ، فكان أبو جهل يقول : « أنا أعز أهل هذا الوادى وأمنعهم » ، وقال الشاعر :

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم ... فى كل نائبةٍ عِزازُ الآنُفِ

وفسر الراغب الأصفهانى « العزة » بأنها حالة مانعة للانسان من أن يُغْلب ، وجعل اشتقاقها من قولهم أرض عَزَاز أى صلبة ، وتعزز لحم الناقة اشتد وصلب

والحق أن تحديد معنى العزة فى منتهى الصعوبة ، وأصعب ما فى ذلك رسم الحد الفاصل بين العزة والكبر ، وبين الذل والتواضع ؛ وقديما حاول الناس أن يفرقوا بينهما ، فقد روى أن رجلا قال للحسن بن على : « إن الناس يزعمون أن فيك تيها » فقال : « ليس بتيه ولكنه عزة » . وروى عن عمر ابن الخطاب أنه قال : « اخْشَوْشِنُوا وتَمَعْزَزُوا » كأنه خشى إذا أمر الناس بتعود الخشونة أن يلجئهم ذلك إلى احتقار النفس وذلها فاستدرك ذلك بطلب المحافظة على العزة

وحاول السهروردى أن يفرق بين العزة والكبر فقال : « العزة غير الكبر لأن العزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وإكرامها ، كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها »

ولست أدرى لم أهمل علماء الأخلاق من المسلمين هذا الخلق فلم يكثروا الكلام فيه إكثارهم فى غيره من الصدق والعدل والكرم والتواضع

ولو وضعت أنا « قائمة » الأخلاق مرتبة حسب أهميتها للمسلمين لوضعت فى أعلاها « العزة » ، ولاخترت من الأخلاق ما يبعث القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والأنفة والحمية ، ولأقللت جداً من الكلام فى التواضع والزهد والخوف ونحو ذلك ، لأن قائمة الأخلاق يجب أن تخضع فى ترتيبها وتنوعها لعاملين : روح العصر ، وموقف الأمة إزاء بقية الشعوب ؛ بل أحياناً تنقلب الفضيلة إلى رذيلة ، ويكون الحث على هذا النوع من الفضائل داعية إلى الاجرام . فاذا أفرطت أمة فى التواضع كانت الدعوة اليه إجراماً ، وإذا أفرطت أمة فى الزهد كانت دعوة الأخلاقيين اليه دعوة إلى الموت والفناء

كنت زمناً قاضياً فى « الواحات الخارجة » وهى بلاد فى منتهى الفقر والبؤس ، أغناهم من ملك نُخَيْلات وسُوَيعات فى عين من عيون الماء ، بؤس شامل ، وجهل شائع ، وضعف يستذرف الدمع ، ويستوجب الرحمة . ذهبت يوماً إلى صلاة الجمعة فى مسجدها البائس الفقير أيضاً .. فما كان أشد عجبى من خطيب يخطب من ديوان مطبوع يستحث الناس على ألا يقضوا صيفهم فى أوربا ، وأنا على يقين أن الخطيب والسامعين لم يعرفوا أوروبا ، ولم يفهموا لها إلا معنى غامضاً ، ولم تحدث أحداً منهم نفسه بالسفر إلى مصر فضلاً عن أوروبا ، ولكنها قلة ذوق الخطيب وسماجته ، وجهله التام بالواقع

وأؤكد أن أكثر المتكلمين فى الأخلاق من المسلمين فى مثل حال هذا الخطيب ، لا يعرفون زمانهم ، ولا يعرفون أمتهم ، ولا يعرفون موقف أمتهم من زمانهم . يرونهم أذلة فيدعونهم إلى الذلة ، ويرونهم متواضعين فيلحون فى طلب التواضع ، ويرونهم زهاداً بالطبيعة لا يجدون الكفاف من العيش فيمعنون فى طلب الزهد . فان هم تلطفوا قليلاً طلبوا منهم الرضا بالبؤس والصقوه بالقدر ، وجعلوا ذلك كله ضرباً من التقوى والايمان ، وهم بذلك يداوون جوعاً بجوع ، وجرحاً بجرح ، وسما بسم ؛ وكان يجب أن يداووا جوعاً بشبع ، وجرحاً بضماد ، وسما بترياق

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا ندعو إلى خلق يزيد الأمة ضعفا ، فلا ندعوها إلى الرضا بالقليل وفى إمكانها الكثير ، ولا ندعوها إلى الاستسلام للقدر وفى وسعها مكافحة الصعاب ومواجهة الشدائد ، ولا ندعوها إلى الذلة وفى استطاعتها أن تعز . والواقع أن أبيات العزة وأدب العزة وأمثال العزة وقصص العزة إنما تكثر فى الأمة أيام عزتها وتختفى أيام بؤسها ، فلما كان العالم الاسلامى عزيزا أنطقتهم بالعزة رماحهم ، ثم غلبوا على أمرهم فنطقوا بالتواضع ، وتواصوا بالاستكانة ، وألفت الكتب والخطب من ذلك الحين تروّح على البائسين حتى لا يشعروا ببؤسهم ولا علوا اشقاءهم ، وما زال الحال على هذا المنوال حتى صار الداء صحة والدواء مرضا

وليس غريبا أن يسير الناس على هذه الخطة ، ولكن غريباً أن يسير القادة عليها ، وكان المفروض أن يكونوا أبعد نظرا ، وأطهر قلباً ، وأعرف بحقائق الأمور

* * *

أريد بالعزة أن يشعر كل انسان بكرامة نفسه ويشعر بما لها من حقوق ، فلا يسمح لمخلوق كائنا من كان أن ينال منها مثقال ذرة ، كما يشعر بما عليه من واجبات فلا يسمح

لنفسه أن يعتدى على حقوق الناس مثقال ذرة أيضاً

وللعزة مظاهر متعددة ووسائل مختلفة ، فالناس كثيراً ما يطلبون الغنى وسيلة من وسائل العزة ، وآخرون يطلبون المنصب الحكومى أو العضوية البرلمانية أو العضوية فى الجمعيات الراقية أو صداقة العظماء أو حسن اللبس على أنها وسائل للعزة ؛ والمتعلمون يطلبون العزة من طريق الشهادات من ليسانس ودكتوراه ودبلوم ونحو ذلك ، وهذه كلها عزة شخصية ؛ وهناك عزة أخرى قومية وهى اعتزاز الفرد بنسبته إلى أمته كاعتزاز الانجليزى بانجليزيته والفرنسوى بفرنسيته والألمانى بألمانيته ، ولهذه كذلك مظاهر متعددة كاحترام كل أمة أعلامها والمحافظة على بعض تقاليدها والافتخار بلغاتها والفخر بآثارها ونحو ذلك ؛ وليس يعنى الآن هذا ولا ذاك ، إنما يعنى نوع من الشعور يتملك المرء ويشعر منه بأنه إنسان فى الحياة لا يمتاز عنه أحد فى الوجود فى انسانيته . قد يمتاز الناس عنه فى المال أو فى الجاه أو فى المنصب ولكن لا يمتاز عليه أحد فى أنه انسان ، فسائق السيارة وصاحب السيارة سيان فى احترامهما أنفسهما وشعورهما بحقوقهما وواجباتهما

ويسوءنى أن أرى الشرق لا يشعر بالعزة الشعور الواجب ، ولا ينزل هذه الفضيلة من نفسه المنزلة التى تستحقها ، وأكبر ما يؤلمنى فى ذلك مظهران :

الأول : استخذاء الشرقى أمام الأجنبى الأوربى وشعوره فى أعماق نفسه كأنه خلق من طينة غير طينته ، وكأن الطبيعة جعلت أحدهما سيداً والآخر عبدا ، ترى هذا الشعور فى المصالح الحكومية وفى الحوانيت التجارية وفى المجتمعات وفى الشوارع ، وفى كل معاملة وفى كل خطوة . بالأمس كنت فى محطة السكة الحديدية فذهبت الى شباك التذاكر وسألت الموظف — فى أدب — هل هنا محل صرف التذاكر الى بلدة كذا ؟ فلم يجب ، وأعدت السؤال فلم يجب ، فتولانى شعور ممتزج من غضب وخجل واحتمال لبرودة السؤال وغير ذلك ، وما لبث أن جاء أجنبى فسأل مثل هذا السؤال بلغته الأجنبية ، فترك الموظف ما فى يده وأقبل عليه بكله ، وأجابه إجابة فيها كل معنى التبجيل والتعظيم ، واختتم كل جملة من جمله بكلمة « سيدى » ! فدهشت من هذا الحال وثارت نفسى ، وتجمع الدم فى وجهى ، ونالت من الموظف بقدر ما نال منى ، ولم أكسب من ذلك كله إلا أن أكتب هذا المقال

وموقف هذا الموظف تقفه كل الأوساط على اختلاف فى مقدار اللباقة والكياسة ولكن الجوهر واحد ، فذلك هو الشأن فى الأوساط العلمية والتجارية والسياسية ، يتكلم الأجنبى كلمة عادية فتكون المثل ، وتكون الحكمة ، وتكون القول الفصل ؛ ويبدى الرأى فيكون الرأى الناضج والقول الحكيم والغاية التى ليس وراءها غاية ؛ ويطلب الطلب فلا بد أن يجاب ، وإذا لم يمكن فالاعتذار الحار والوعد باجابته فى ظرف آخر ؛ ويدخل المحل التجارى أو يركب القطار أو يدخل النادى فموضع رعاية خاصة ؛ ويعمل العمل فيقدر التقدير الغالى فى قيمته الأدبية ومكافأته المادية إلى ما يطول شرحه

وفى هذا من غير شك مذلة للشعور وكبت للنفس واستعباد للمُواطن ، ومع هذا يطالبنا السادة الأخلاقيون بالتواضع ! لابد أن يفهم الناس فى كل مناسبة وفى كل ظرف أن القوم أناس مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وأن هؤلاء القوم على أحسن تقدير ضيوفنا لا سادتنا ، ومن لحم ودم كلحمنا ودمنا ، ولهم عقل ولكن كعقلنا ، وسلوك فى الأخلاق كسلوكنا ، وتصدر منهم الفضيلة والرذيلة كما تصدر عنا ، وأنهم ككل البشر يستذلون من أذل نفسه ، وأن واجبنا أن نحترمهم فى غير مذلة ، ونحترمهم لا على حساب احتقار المواطن ، وأننا نبادلهم احتراماً باحترام واحتقاراً باحتقار ، وأنه إذا حدثتهم أنفسهم بالاعتداء علينا لم نمكنهم ، وأن الحكم بيننا وبينهم دائما أن لنا حقوقاً وعلينا واجبات كحقوقهم وواجباتهم ، فاذا طلبوا المساواة فالسمع والطاعة ، وإذا طلبوا الاذلال قلنا « لا » بملء أفواهنا

والأمر الثانى من مظاهر الذلة الذى لا يقل خطرا عن هذا ، فهمُ الرئيس لمعنى الرياسة ؛ فهو يفهمها على أنها غطرسة من جانبه ، وذلة من جانب مرءوسه ، وإلا لم يكن المرءوس مؤدبا . فرئيس المصلحة ليس لأحد رأى بجانب رأيه ، لا لوكيله ولا لمديرى إدارته ، عليهم أن يسمعوا فى ذلة والعزة له وحده ، ثم يتكرر تمثيل هذا الدور مِنْ أعلى فنازلا ، فكل من بعد الرئيس الأعلى رئيس من جانب ومرءوس من جانب ، فهو كمرءوس حاله ما بيّنا ، وهو كرئيس يقلد تقليدا تاما رئيسه فى اعتزازه وإذلاله ، وهكذا دواليك ، حتى يصل الأمر إلى ما نرى من الباعة فى الشارع والجندى ، فمثلهم كالقاطرة تصدم العربة التى تقابلها

السمكة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

حدَّث أحمدُ بن مسكينٍ الفقيهُ البَغدادى قال : حصَلت في مدينة (بَلْخ) سنة ثلاثين ومائتين ، وعالمُها يومئذ شيخُ خراسان أبو عبد الرحمن[1] الزاهد صاحبُ المواعظ والحِكم ، وهو رجل قلبُه من وراء لسانه ، ونفسُه من وراء قلبه ، والفلكُ الأعلى من وراء نفسه ، كأنه يُلَقَّى عليه فيما زعموا ؛ وكان يقال له عندهم (لُقمانُ هذه الأمّة) لِمَا يعجبهم من حِكَمه في الزهد والموعظة . وقد حضرتُ مجالسه وحفظتُ من كلامه شيئاً كثيراً كقوله : من دخل في مذهبنا هذا ، (يعني الطريق) فليجعلْ على نفسه أربعَ خصال من الموت : موتٌ أبيض ، وموتٌ أسود ، وموتٌ أحمر ، وموتٌ أخضر ؛ فالموت الأبيض الجوع ، والموت الأسود احتمال الأذى ، والموت الأحمر مخالفةُ النفس ، والموت الأخضر طرحُ الرِّقاع بعضها على بعض (يعني لبس المرقعة والخَلَق من الثياب)

وقات يوما لصاحبه وتلميذه (أبي تراب) وجارَيْتُه في تأويل هذا الكلام : قد فهمنا وجهَ التسمية في الموت الأخضر ما دامت المرقعةُ خضراء ، فما الوجهُ في الأبيض والأسود والأحمر ؟ فجاء بقول لم أرضه ، وليس معه دليل ، ثم قال : فما عندك أنت ؟ قلت : أما الجوع فيُميت النفس عن شهواتها ويتركها بيضاء نقية ، فذلك الموت الأبيض ؛ وأما احتمال الأذى فهو احتمال سواد الوجه عند الناس فهو الموتُ الأسود ؛ وأما مخالفة النفس فهى كاضرام النار فيها ، فذاك الموت الأحمر

قال أحمد بن مسكين : وكنت ذات نهارٍ في مسجد (بلخ) والناس متوافرون ينتظرون (لقمانَ الأمة) ليسمعوه ، وشغله بعضُ الأمر فراث عليهم ، فقالوا : من يعظنا إلى أن يجيء الشيخ ؟ فالتفت إليَّ أبو تراب وقال : أنت رأيت الامام أحمد ابن حنبل ، ورأيتَ بِشرا الحافى وفلاناً وفلاناً ، فقم فحدِّث الناسَ عنهم ، فانما هؤلاء وأمثالهم هم بقايا النبوَّة ، ثم أخذ بيدى إلى الاسطوانة التي يجلس اليها إمامُ خراسان فأجلسني ثَمَّة وقعد بين يديَّ

وتطاولت الأعناق ، ورمانى الناس بأبصارهم ، وقالوا : البغدادى ! البغدادى ! وكأنما ضوعفتُ عندهم بمجاءى مرةً وبنسبتى مرةً أخرى ، فقلت في نفسى : والله ما في الموت الأحمر ولا الأخضر ولا الأسود موعظة ، ولو لبس عزرائيل قوس قُزح

(١) هو حاتم بن يوسف شيخ خراسان وواعظها توفى سنة ٢٣٧ للهجرة

ثم كل عربة تصدم ما بعدها الى آخر القطار

* * *

ليس لهذا من علاج إلا فهم العزة بمعناها الدقيق ، وهو احترام نفسك في غير احتقار أحد ، وأن تقف موقفا له جانبان ، فان نظرت الى من هو أعلى منك في المنصب والجاه والجنسية فلا تمكنه أن ينال من نفسك ولو ذرة ، ولا أن يتعدى حدوده ولو شعرة ؛ وإذا نظرت الى من هو أسفل منك فلا تتعد حدودك ، وإذا شعرت باستخذائه وذلته فارفع مستواه ما استطعت حتى يصل الى الحدود

على أنه ليس هناك أسفل ولا أعلى إلا في مواضعات سخيفة ، فمن الذى قال إن كناس الشارع وضيع وفراش المصلحة وضيع ، والخادم في المنزل وضيع ؟ نعم إن الحالة الاجتماعية فرقت بين الناس في المرتب ونحوه ، ولكن القيمة الحقيقية للانسان وهى ما له من حقوق وواجبات قدر مشترك بين الجميع .

فليس من حقك أن تنادى بائع الجرائد « يا ولد » ولا خادمك بأحقر الأسماء ، ولا فراش المصلحة بما يشعر باحتقاره ، وهو مطالب بالأدب معك ، وأنت مطالب بالأدب معه ، وليس للجندى حق أن يرفع عصاه على بائع لم يتجاوز حدوده ، ولا لأى رئيس أن يخرج عن الأوضاع الأدبية في مخاطبته مرءوسه

فاذا فرغ الرئيس والمرءوس من العمل ، وفرغ سائق السيارة ومالكها ، وفرغ الضابط والجندى والمعلم والتلميذ فكلهم سواء في الحياة الاجتماعية ، وكلهم سواء في الحقوق ، لا ذلة لأحد على أحد ، ولا اعتزاز من أحد على أحد

« مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ! »

أحمد أمين

لأفسد شعرُ هذه الألوان معناه ، وإنما يجب أن يكون كما يجب أن يكون . ولا موعظة فى كلام لم يمتلئْ من نفس قائله ليكون عملاً فيتحول فى النفوس الأخرى عملاً ، ولا يبقى كلاماً ؛ وإنه ليس الوعظُ تأليفُ القول للسامع يسمعُه ، لكنه تأليفُ النفس لنفسٍ أخرى تراها فى كلامها ، فيكون هذا الكلام كأنه قرابةٌ بين النفسين ، حتى لكأن الدمَ المتجاذبَ يجرى فيه ويدور فى ألفاظه

* * *

وكنت رأيتُ رؤيا (ببلخ) تتصل بقصة قديمة فى بغداد ، فقصصتها عليهم ، فكانت القصة كما حكيتُها أنى امتُحِنتُ بالفقر فى سنة تسع عشرة ومائتين ؛ وانحسمت مادتى وقَحِطَ منزلى قحطاً شديداً جمع علىَّ الحاجة والضرَّ والمسكنة ؛ فلو انكمشت الصحراءُ المجدبةُ فصغرت ثم صغرت حتى ترجعَ أذرُعاً فى أذرع لكانت هى دارى يومئذ فى محلة باب البصرة من بغداد . وجاء يومٌ صحراوىٌّ كأنما طلعت شمسُه من بين الرمل لا من بين السُّحُب ، ومرّت الشمس على دارى فى بغداد مرورها على الورقة الجافة الملقة فى الشجرة الخضراء ؛ فلم يكن عندنا شىء يُسيغه حلقُ آدمىّ إذ لم يكن فى الدار إلا ترابُها وحجارتها وأجذاعها ؛ ولى امرأة ولى منها طفل صغير وقد طوينا على جوع يخسِفُ بالجوف خسفاً كما تهبط الأرض ؛ فلتمنيتُ حينئذ لو كنا جرذاناً فنقرضَ الخشب ؛ وكان جوعُ الصبى يزيد المرأة ألماً إلى جوعها ، وكنت بهما كالجائع بثلاثة بطون خاوية ، فقلت فى نفسى : إذا لم نأكل الخشب والحجارة فلنأكل بثمنها ؛ وجمعتُ نيتى على بيع الدار والتحول عنها وإن كان خروجى منها كالخروج من جلدى لا يسمى إلا سلخاً وموتاً ؛ وبت ليلتى وأنا كالمُثْخَن حُمل من معركة فما يتقلب إلا على جراحٍ تعمل فيه عملَ السيوف والأسنّة التى عملت فيها

ثم خرجتُ بغَلَسٍ لصلاة الصبح ؛ والمسجد يكون فى الأرض ولكن السماء تكون فيه ، فرأيتنى عند نفسى كأنى خرجت من الأرض ساعة . ولما قُضِيت الصلاةُ رفع الناسُ أكفَّهم يدعون الله تعالى وجرى على لسانى بهذا الدعاء : اللهمَّ بك أعوذ أن يكون فقرى فى دِينى ، أسألك النفعَ الذى يُصلحنى بطاعتك ، وأسألك بركةَ الرضى بقضائك ، وأسألك القوةَ على الطاعة والرضى يا أرحم الراحمين

ثم جلستُ أتأمل شأنى وأطلتُ الجلوسَ فى المسجد كأنى لم أعد من أهل الزمن فلا تجرى علىَّ أحكامه ، حتى إذا ارتفع الضُّحى وابيضَّت الشمس جاءت حقيقة الحياة فخرجتُ أتسبب لبيع الدار وانبعثتُ وما أدرى أين أذهب ، فما مررت غير بعيد حتى لقينى أبو نصر الصياد وكنت أعرفه قديماً ، فقلت : يا أبا نصر ! أنا على بيع الدار فقد ساءت الحال وأحوَجَت الخصاصة ، فأقرضنى شيئاً يُمسكنى على يومى هذا بالقوام من العيش حتى أبيع الدار وأوفّيك

فقال : يا سيدى ! خذ هذا المنديل إلى عيالك وأنا على أثرك لاحق بك إلى المنزل . ثم ناولنى منديلا فيه رقاقتان بينهما حلوى وقال : إنهما والله بركةُ الشيخ

قلت : من الشيخ وما القصة ؟

قال : وقفتُ أمس على باب هذا المسجد وقد انصرف الناس من صلاة الجمعة فمر بى أبو نصر بشر الحافى[1] فقال : مالى أراك فى هذا الوقت ؟ قلت : ما فى البيت دقيق ولا خبز ولا درهم ولا شىء يباع . فقال : اللهُ المستعان ؛ إحمل شبكتك وتعال إلى الخندق ؛ فحملتها وذهبتُ معه ، فلما انتهينا إلى الخندق قال لى : توضَّأ وصلِّ ركعتين ، ففعلت ، فقال : سمِّ الله تعالى وألق الشبكة ؛ فسميت وألقيتها ، فوقع فيها شىء ثقيل فملت أجره فشقَّ علىَّ ؛ فقلت له ساعدنى فانى أخاف أن تنقطع الشبكة ، فجاء وجرها معى فخرجت سمكةٌ عظيمة لم أر مثلها سِمَناً وعِظَماً وفراهة . فقال : خذها وبعها واشتر بثمنها ما يصلح عيالك . فحملتها فاستقبلنى رجل اشتراها ، فابتعت لأهلى ما يحتاجون إليه ، فلما أكلتُ وأكلوا ذكرتُ الشيخ فقلت أهدى له شيئاً ، فأخذتُ هاتين الرقاقتين وجعلت بينهما هذه الحلوى وأتيت إليه فطرقت الباب فقال : من ؟ قلت : أبو نصر ! قال : افتح وضع ما معك فى الدهليز وادخل ، فدخلت وحدثته بما صنعت فقال : الحمد لله على ذلك . فقلت : إنى هيأت للبيت

(١) هو الزاهد العظيم بشر بن الحارث المعروف بالحافى ، توفى سنة ٣٢٧ للهجرة وكان واحد الدنيا فى ورعه وتقواه ؛ وقيل له الحافى لأنه كان فى حداثته يمشى الى طلب العلم حافياً إجلالا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم

شيئاً وقد أكلوا وأكلتُ ومعي رقاقتان فيهما حلوى

قال : يا أبا نصر ! لو أطعمنا أنفسنا هذا ما أخرجت السمكة ! اذهب كله أنت وعيالك

***

قال أحمد بن مسكين : وكنت من الجوع بحيث لو أصبتُ رغيفاً لحسبته مائدة أنزلت من السماء ، ولكن كلمة الشيخ عن السمكة أشبعتني بمعانيها شِبَعاً ليس من هذه الدنيا كأنما طعمت منها ثمرة من ثمار الجنة . وطفقتُ أرددها لنفسي وأتأمل ما تفتُقُ الشهواتُ على الناس ، فأيقنتُ أن البلاء إنما يصيبنا من أننا نفسر الدنيا على طولها وعرضها بكلمات معدودة ، فاذا استقر في أنفسنا لفظ من ألفاظ هذه الشهوات ، استقرت به في النفس كل معانيه من المعاصي والذنوب ، وأخذت شياطين هذه المعاني تحوم على قلوبنا فنُصبح مُهَيَّئين لهذه الشياطين عاملين لها ثم عاملين معها ، فتدخلنا مداخلَ السوء في هذه الحياة وتُقْحِمنا في الورطة بعد الورطة وفي الهلكة بعد الهلكة . وما هذه الشياطين إلا كالذباب والبعوض والهوام ، لا تحوم إلا على رائحة تجذبها فان لم تجد في النفس ما تجتمع عليه تفرقت ولم تجتمع ، وإذا ألمَّت الواحدة منها بعد الواحدة لم تثبت . فلو أننا طردنا من أنفسنا الكلمات التي أفسدت علينا رؤيةَ الدنيا كما خلقت ، لكان للدنيا في أنفسنا شكل آخر أحسن وأجمل من شكلها ، ولكانت لنا أعمال أخرى أحسن وأطهر من أعمالنا

فالشيخ لم يكن في نفسه معنى لكلمة (التلذذ) ، وبطرده من نفسه هذا اللفظ الواحد ، طرد معاني الشر كلها وصلُح له دينُه وخلُصت نفسه للخير ومعاني الخير . ولو أن رجلاً وضع في نفسه امرأةً يعشقها لصارت الدنيا كلها في نفسه كالمخدع ما فيه إلا المرأةُ وحدها بأسبابها اليه وأسبابه اليها

وقد كنتُ سمعتُ في درس شيخنا أحمد بن حنبل هذا الحديث : لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات ! فما فهمت والله معناه إلا من كلمة الشيخ في السمكة وقد علّمنيها هذا الصياد العامي . فالشياطين تنجذب إلى المعاني ، والمعاني يوجدها اللفظ المستقر في القلب استقرارَ غرض أو شهوة أو طمع ؛ فاذا خلا القلب من هذه المعاني فقد أمن منازعتها له وشغلها إياه فيصبح فوقها لا بينها ؛ ومتى صار القلب فوق الشهوات ولم يجد من ألفاظها ما يُعميه ويعترضُ نظرَه إلى الحقائق ، انكشفت له هذه الحقائق فانكشف له الملكوت . فاذا وقع بعدُ في واحدة من اللذات ولو (كالرقاقتين والحلوى) استعلت الأشياء عليه فحجبته ، وعاد بينها أو تحتها ، وعمِيَ عمى اللذة ؛ والحجابُ على البصر كأنه تعليقُ العمى على البصر

وكنت لا أزال أعجب من صبر شيخنا أحمد بن حنبل وقد ضرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غُشي عليه [1] فلم يتحول عن رأيه ، فعلمت الآن من كلمة السمكة أنه لم يجعل في نفسه للضرب معنى الضرب ، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي ؛ ولو هو صبر على هذا صبر الانسان لجزع وتحول ، ولو ضرب ضرب الانسان لتألم وتغير ؛ ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السنة وبقاء الدين وأنه هو الأمةُ كلُّها لا أحمد بن حنبل ، فلو تحوَّل لتحول الناس ولو ابتدع لابتدعوا ؛ فكان صبره صبر أمة كاملة لا صبر رجل فرد ، وكان يُضرَب بالسياط ونفسُه فوق معنى الضرب ، فلو قرضوه بالمقاريض ونشروه بالمناشير لما نالوا منه شيئاً إذ لم يكن جسمه إلا ثوباً عليه ، وكان الرجل هو الفكر ليس غير

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل ولكنهم يرونها أمانات قد ائتُمِنوا عليها من الله لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا ؛ فهم يُزرعون في الأمم زرعاً بيد الله ولا يملك الزرع غير طبيعته ، وما كان المعتصم وهو يريد شيخنا على غير رأيه وعقيدته إلا كالأحمق يقول لشجرة التفاح : أثمري غير التفاح

***

قال أحمد بن مسكين : أخذتُ الرقاقتين وأنا أقول في نفسي : لعن الله هذه الدنيا ! إن من هوانها على الله أن الانسان فيها يلبس وجهَه كما يلبسُ نعله . فلو أن انساناً كانت له نظرةٌ ملائكية ثم اعترض الخلقَ ينظر في وجوههم لرأى عليها وحولاً وأقذاراً كالتي في نعالهم أو أقذر أو أقبح ، ولعله كان لا يرى أجملَ

---

(١) كان هذا في سنة ٢١٩ وقد أرادوا الامام العظيم على القول بخلق القرآن فلم يقل به فأفتى القاضي ابن أبي دؤاد بقتله وشغب عليه . ثم ضرب بين يدي المعتصم ، فلما صمم ولم يجب أطلقه المعتصم وندم على ضربه

الوجوه التي تستهيم الناسَ وتتصبّاها من الرجال والنساء إلا كالأحذية العتيقة . . .

ولكني أحسست أن في هاتين الرقاقتين سرّ الشيخ ورأيتهما في يدي كالوثيقتين بخير كثير ، فقلت على بركة الله ومضيتُ إلى داري ؛ فلما كنت في الطريق لقيتني امرأةٌ معها صبي فنظرت إلى المنديل وقالت : ياسيدي هذا طفل يتيم جائع ولا صبر له على الجوع فأطعمه شيئاً يرحمك الله ؛ ونظر إليّ الطفل نظرةً لا أنساها حسبتُ فيها خشوعَ ألف عابد يعبدون الله تعالى منقطعين عن الدنيا ، بل ما أظن ألفَ عابد يستطيعون أن يُروا الناس نظرةً واحدة كالتي تكون في عين صبي يتيم جائع يسأل الرحمة . إن شدة الهمّ لتجمل وجوه الأطفال كوجوه القديسين في عين من يراها من الآباء والأمهات ، لعجز هؤلاء الصغار عن الشر الآدميّ وانقطاعهم إلا من الله والقلب الانسانيّ ، فيظهر وجهُ أحدهم وكأنه يصرخ بمعانيه يقول : يارباه يارباه !

* * *

قال أحمد بن مسكين : وخيل إلي حينئذ أن الجنة نزلت إلى الأرض تعرض نفسها على من يُشبعُ هذا الطفلَ وأمه ، والناس عميٌ لا يبصرونها ، وكأنهم يمرون بها في هذا الوطن مرورَ الحمير بقصر الملك ، لو سئلت فضلت عليه الاصطبل الذي هي فيه . . .

وذكرتُ امرأتي وابنها وهما جائعان منذ أمس ، غير أني لم أجد لهما في قلبي معنى الزوجة والولد ؛ بل معنى هذه المرأة المحتاجة وطفلها ، فأسقطتهما عن قلبي ودفعت ما في يدي المرأة وقلت لها : خذي وأطعمي ابنــك ، ووالله ما أملك بيضاء ولا صفراء وإن في داري لمن هو أحوج إلى هذا الطعام ؛ ولولا هذه الحالةُ بي لتقدمت فيما يصلحك . فدَمَعت عيناها وأشرق وجه الصبي ؛ ولكن طمّ على قلبي ما أنا فيه فلم أجد للدمعة معنى الدمعة ولا للبسمة معنى البسمة

وقلت في نفسي : أما أنا فأطوى إن لم أصب طعاما ، فقد كان أبو بكر الصديق يطوي ستة أيام ، وكان ابن عمر يطوي ، وكان فلان وفلان ممن حفظنا أسماءهم وروينا أخبارهم ؛ ولكن مَن المرأة وابنها بمثل عقدي ونيتي ؟ وكيف لي بهما ؟

ومشيتُ وأنا مُنكسِر منقبض وكأني كنت نسيت كلمة الشيخ « لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة » فذكرتها وصرفتُ خاطري إليها وشغلتُ نفسي بتدبرها وقلتُ : لو أني أشبعتُ ثلاثة بجوع اثنين لحُرمت خمس فضائل [1] وهذه الدنيا محتاجة إلى الفضيلة ، وهذه الفضيلة محتاجة إلى مثل هذا العمل ، وهذا العمل محتاج إلى أن يكون هكذا ، فما يستقيم الأمر إلا كما صنعت

وكانت الشمس قد انبسطت في السماء وذلك وقتُ الضحى الأعلى ، فملت ناحيةً وجلستُ إلى حائط أفكر في بيع الدار ومن يبتاعها ؛ فأنا كذلك إذ مرّ أبو نصر الصياد وكأنه مُستَطار فرحاً فقال : يا أبا محمد ما يجلسك ههنا وفي دارك الخير والغنى ؟ قلت : سبحان الله ! من أين خرجت السمكة يا أبا نصر ؟

قال : إني لفي الطريق إلى منزلك ومعي ضرورةٌ من القُوت أخذتها لعيالك ودراهمُ استدنتُها لك ، إذا رجلٌ يستدلُّ الناس على أبيك أو أحدٍ من أهله ، ومعه أثقال وأحمال ، فقلت له أنا أدلك ومشيت معه أسأله عن خبره وشأنه عند أبيك . فقال : إنه تاجر من البصرة وقد كان أبوك أودعه مالاً من ثلاثين سنة فأفلس وانكسر المال ، ثم ترك البصرة إلى خراسان فصلُح أمره على التجارة هناك وأيْسرَ بعد المحْنة ، واستظهر بعد الخذلان ، وأقبل جَدُّه بالثراء والغنى فعاد إلى البصرة ، وأراد أن يتحلل فجاءك بالمال وعليه ما كان يربحه في هذه الثلاثين سنة وإلى ذلك طرائف وهدايا

* * *

قال أحمد بن مسكين : وأنقلبُ إلى داري فإذا مالٌ جمٌّ وحال جميلة ؛ فقلت : صدق الشيخ : « لو أطعمنا أنفسنا هذا ماخرجت السمكة » ؛ فلو أن هذا الرجل لم يلق في وجهه أبا نصر في هذه الطريق في هذا اليوم في هذه الساعة لما اهتدى إلي ، فقد كان أبي مغمورا لا يعرفه أحد وهو حي ؛ فكيف به ميتاً من وراء عشرين سنة ؟

وآليت ليَعلمَنّ الله شكرى هذه النعمة ؛ فلم تكن لي همةٌ

---

(١) يريد جوعه وجوع امرأته وجوع ابنه ، ثم شبع هذه المرأة وشبع ابنها . فهذه خمس فضائل

إلا البحث عن المرأة المحتاجة وابنها فكفيتهما وأجريت عليهما رزقاً ، ثم اتجرت فى المال وجملت أرثه بالمعروف والصنيعة والاحسان وهومقبل يزداد ولا ينقص حتى عوّات وتأثّات

وكأنى قد أعجبتنى نفسى وسرّنى أنى قد ملأت سجلات الملائكة بحسناتى ، ورجوت أن أكون قد كُتبت عند الله فى الصالحين ، فنمتُ ليلة فرأيتنى فى يوم القيامة والخَلْق يموج بعضهم فى بعض ، والهول هولُ الكون الأعظم على الانسان الضعيف يُسأل عن كل ما مسّه من هذا الكون . وسمعتُ لصائح يقول : يا معشر بنى آدم ! سَجَدَت البهائم شكراً لله أنه لم يجعلها من آدم . ورأيتُ الناس وقد وُسّعت أبدانهم فهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مخلوقةً مجسّمة ، حتى لكأن الفاسق على ظهره مدينة كلها مُخزيات !

وقيل : وُضعت الموازين وجىء بى لوزن أعمالى . فجُعلت سيئاتى فى كفة وألقيت سجلات حسناتى فى الأخرى ، فطاشت السجلات ورجحت السيئات ، كأنما وزنوا الجبلَ الصخرىّ العظيم الضخم بلُفافة من القطن . .

ثم جعلوا يُلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت أصنعه فاذا تحت كل حسنة شهوةٌ خفيةٌ من شهوات النفس كالرياء والغرور وحب المَحْمَدَة عند الناس وغيرها فلم يسلم لى شىء ، وهلكتْ عنى حجتى ، إذ الحجة ما يُبينه الميزان ، والميزان لم يدلّ إلا على أنى فارغ

وسمعت الصوت : ألم يبق له شىء ؟ فقيل : بقى هذا

وأنظر لأرى ما هذا الذى بقى ، فاذا الرقاقتان اللتان احسنتُ بهما على المرأة وابنها ! فأيقنتُ أنى هالك ؛ فلقد كنت أحسن بمائة دينار ضربةً واحدة فما أغنت عنى ورأيتها فى الميزان مع غيرها شيئاً معلّقاً كالغمام حين يكون ساقطا بين السماء والأرض لا هو فى هذه ولا هو فى تلك

ووُضعت الرقاقتان وسمعتُ القائل : لقد طار نصفُ ثوابهما فى ميزان أبى نصر الصياد . فانخذلتُ انخذالاً شديداً حتى لو كُسرت نصفين لكان أخفّ علىّ وأهون . بيد أنى نظرت فرأيت كفة الحسنات قد نزلت منزلةً ورجحت بعض الرجحان

وسمعت الصوت : ألم يبق له شىء ؟ فقيل : بقى هذا

وأنظر ما هذا الذى بقى ، فاذا جوع امرأتى وولدى فى ذلك اليوم ! وإذا هو شىء يوضع فى الميزان ، وإذا هو ينزل بكفة ويرتفع بالأخرى حتى اعتدلتا بالسّويّة . وثبت الميزانُ على ذلك فكنت بين الهلاك والنجاة

وأسمع الصوت : ألم يبق له شىء ؟ فقيل بقى هذا

ونظرت فاذا دموع تلك المرأة المسكينة حين بكت من أثر المعروف فى نفسها ومن إيثارى إياها وابنها على أهلى . ووُضعت غَرْغَرَة عينيها فى الميزان ففارت فطمّت كأنها لجّةٌ من تحت اللجة بحر . وإذا سمكةٌ هائلة قد خرجت من اللجة وقع فى نفسى أنها روح تلك الدموع ، فجعلت تعظم ولا تزال تعظم ، والكفة ترجح ولا تزال ترجح ، حتى سمعتُ الصوت يقول : قد نجا !

وصحت صيحةً انتبهتُ لها فاذا أنا أقول : لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة !

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

أساليب الكفاح الدولى

بين الأمس واليوم

بقلم باحث دبلوماسي كبير

تثير المشاكل العسكرية والسياسية العالمية الحاضرة كثيراً من التأملات ؛ وأول ما يلاحظ فيها أن أساليب الحرب والكفاح المادية بين الدول قد طرأ عليها تغيير جوهري حاسم ، هذا بينما نرى أساليب الكفاح السياسي تقوم في جوهرها على نفس الأسس التي قامت عليها منذ قرون ، ويكفي أن نرجع إلى عشرين عاما فقط ، أعني إلى الحرب الكبرى ، لنرى إلى أي مدى هائل تطورت أساليب الحرب ؛ ففي أثناء الحرب الكبرى كانت الحرب الجوية لا تزال في بدايتها ، وكانت المخترعات والأسلحة الجديدة المهلكة مثل الغازات السامة والدبابات لا تزال في دور التجربة ، ولم يعلم يومئذ مبلغ فعلها أو أثرها في تطور أساليب الحرب . أما اليوم فقد غدت الأساطيل الجوية أروع وأفعل وسائل الحرب السريعة المهلكة ، وغدت الغازات السامة سلاحاً يعتمد عليه ويحسب حسابه ويتحوط لدرئه والوقاية منه في جميع الأمم المتمدنة ؛ وغدت الدبابات الضخمة وحدة فنية ثابتة في معظم الجيوش الكبرى ؛ وهذه أمثال فقط مما ذاع وعرف من أسلحة الحرب المعاصرة ، ولكن لا ريب أن هنالك أسلحة ووسائل مهلكة أخرى لم تعرف ولم تذع بعد ، وإن كنا نسمع عنها بعض الروايات الغريبة المدهشة ، ومن المحقق أنها يوم تنشب حرب عالمية جديدة ، أو حرب طاحنة بين دولتين عظيمتين ، ستقع على العالم وقع الصواعق ، وتحدث ثورة جديدة هائلة في أساليب الحرب والقتال

ونرى من الجهة الأخرى منظراً غريباً من مناظر الكفاح الدولي الحديث هو العقوبات الدولية ، فهنالك اليوم زهاء خمسين دولة من دول العالم ، وبينها عدة من الدول العظمى ، تبحث في جنيف في فرض عقوبة جديدة على ايطاليا تكون حاسمة في وقف اعتدائها على الحبشة ، وذلك بعد أن فرضت عليها العقوبات الاقتصادية الاجماعية وأحدثت في شؤونها الداخلية والاقتصادية أزمات ومتاعب شديدة ؛ وهذه العقوبة الجديدة تنحصر في حظر تصدير البترول والحديد والفحم إلى ايطاليا ، والمقدر أن تنفيذ هذه العقوبة يكون ضربة قاضية على المغامرة الايطالية في الحبشة ، وأنه يؤدي سريعاً إلى شل الحركات العسكرية الايطالية ، لأن ايطاليا تعتمد على الخارج في استيراد هذه المواد الحيوية اللازمة لتموين أسطولها وطياراتها ودباباتها ، وكل حركاتها ومشاريعها العسكرية ؛ وحرمانها من هذه المواد يقضي على كل هذه المشاريع والحركات ، ويجعل من أساطيلها وطياراتها ودباباتها قطعاً من الحديد والصلب لا حياة فيها ؛ ثم نرى الدول تذهب في تفكيرها إلى أبعد من ذلك ، فتقدر أن ايطاليا قد استوردت من هذه المواد ما يكفيها زمناً ، أو أنها ستظفر على أي حال باستيراد البترول من إحدى الدول التي لا توافق على حظره ، فتفكر في وسيلة أخرى هي حظر نقل البترول إلى ايطاليا على سفن الدول المشتركة في توقيع العقوبات ، وهذه الدول محدودة معروفة ، وايطاليا لا تملك من سفن نقل البترول ما يكفي لاستيراد ماتبغيه

فهذه وسائل جديدة مبتكرة في ميدان الكفاح الدولي ؛ ولكنها لا تخلو من روح القديم أيضاً ، بل لا تخلو من وسائله ، فهي في الواقع نوع من الحصار السلمي العام ، وهي تؤدي إلى نفس النتائج التي يؤدي اليها الحصار العسكري أو البحري ، وكل ما هنالك أنه قد أسبغ عليها تأييد دولي عام يجعلها بعيدة عن صفة النضال الشخصي أو المباشر ؛ ويقدم الينا التاريخ الحديث مثلا من هذا الحصار العام الذي يراد به إذلال دولة أو سحقها بالوسائل الاقتصادية ، وهو القرار الشهير الذي أصدره نابوليون في سنة ١٨٠٦ والذي يعرف بقرار برلين نسبة إلى البلد الذي صدر فيه ؛ فهذا القرار يقضي بوضع الجزائر البريطانية في حالة حصار تام ، وبان تقطع فرنسا وجميع الأمم التابعة لها جميع علائقها الاقتصادية والمالية مع انكلترا ، وأن تقفل جميع الثغور الفرنسية وثغور الأمم التابعة لها في وجه السفن البريطانية ؛ وكان نابوليون يرمي بتنظيم هذا الحصار الاقتصادي المطبق إلى سحق تجارة انكلترا التي هي سر عظمتها وغناها بعد أن عجز عن مكافحتها بالوسائل العسكرية ؛ ولكن انكلترا أجابت

على هـذا الحصار بتنظيم المقاطعة التجارية والبحرية ضد فرنسا واتخاذ الاجراءات الانتقامية المماثلة ؛ وقد عانت انكلترا مدى حين آثار هذا الحصار المرهق ، ولـكن فرنسا عانت أيضاً من آثاره ؛ ولم يوفق نابوليون إلى تحقيق غايته ، إذ كانت سياسـته قائمة على الغايات والاعتبارات الشخصية ، ولم تفز بنوع من التأييـد الدولى العام ؛ ومن الواضح أن العقوبات الاقتصادية التى توقعها الآن عصـبة الأمم على ايطاليا تقوم على فكرة مماثلة فى القصد إلى اضـعاف الدول المعتدية (ايطاليا) وإخضاعها بالوسائل الاقتصادية ، وهى وسائل فعالة فى عصرنا ، ولـكن الفرق بين قرار برلين ، وقرار عصبة الأمم أن قرار العصبة يفوز بما يشبه الاجماع الدولى ، وبذلك يتخذ طابعاً دولياً عاما بدلا من أن يتخذ طابع الـكفاح الشخصى بين دولتين ، ويغدو أثره أشد وقعاً وفعلا

أما وسائل الـكفاح السياسى الذى يضطرم اليوم فى أوربا ، والذى يراد أن يمهد به للصراع الحربى المقبل ، فما زالت تقوم على نفس الأسس التى عرفتها أوربا منذ قرون . وقد مرت عقب انتهاء الحرب الـكبرى فترة لاح للعالم فيها أن وسائل الـكفاح الدولى القديمة قد عفت ، وأن العالم سوف يستقبل عهد جديدا من الوئام والتفاهم الدولى ، وأن المنازعات الدولية يمكن أن تسوى بالوسائل السلمية مثل التحكيم أوالالتجاء لمحكمة دوليـة عليا ؛ وكان للعالم عذره فى هذا الاعتقاد وهو يرى عصبة الأمم ومثلها العليا ، ومواثيق السلام وعدم الاعتداء يتوالى عقدها منذ ميثاق لوكارنو ، ثم يرى ميثاقا يعقد بتحريم الحرب ونبذها كأداة للسياسة القومية وتنضم اليه أسرة الدول الـكبرى كلها ؛ ولـكن سرعان ما تبدد هـذا الحلم ، وارتفع الطلاء الخلب الذى كان يغشى هذه المظاهر والدعاوى ، وبدت السياسة الدولية فى ثوبها الحقيق القديم ، قائمة على نفس الأسس القديمة التى تدفع أوربا ما بين آونة وأخرى إلى معترك الحروب القومية الـكبرى

أما هذه الأسس التى يقوم عليها معـترك السياسة الدولية اليوم . فهى اعتبارات السياسـة والخصومات والمطامع القومية القديمة ، والتوازن الأوروبى القـديم ، الذى يقسم القارة الى كتل سياسية وعسكرية متشادة متكافئة ، لا تكاد تهم احداها بالتفوق حتى تناهضها أخرى أقوى وأكثر تحفزا ؛ وقد كانت السياسة القومية القديمة تلعب دورها من وراء الستار دائما حتى إبان ازدهار الدعوة الى السلام والتفاهم الدولى ؛ أما اليوم وقد اضمحلت هـذه الدعوة وانهارت المواثيق السلمية التى عقدت باسمها وفى ظلها ، فان السياسة القومية تسيطر فى ميدان النضال الدولى بصورة ظاهرة غـير منكورة ؛ وأوربا القديمة تتجاذبها اليوم عدة جباه سياسية وعسكرية خصيمة ؛ وإذا كانت هذه الجباه قد تغيرت أوضاعها عما كانت عليه قبل الحرب الـكبرى لتغير فى الأوضاع السياسية والجغرافية التى ترتبت على الحرب ، فانها ما زالت محتفظ فى جوهرها بهيكلها القـديم ؛ فالخصومة الفرنسية الألمانية مازالت محور التجاذب السياسى والعسكرى فى أوربا ، وحول هذه الخصومة تجتمع القوى المختلفة ؛ فروسيا الشـيوعية لأنها تخشى ألمانيا الهتـــلرية تجنح اليوم الى الجبهة الفرنسية ، بعد أن كانت تجنح من قبل الى الجبهة الألمانية ؛ وفرنسا تحاول أن تستبق الى جانبها جميع حلفائها بالأمس ؛ أعنى بريطانيا العظمى وبلجيكا وايطاليا ؛ وهى تبـذل فى سبيل استبقاء صـداقة ايطاليا جهودا واضحة ، ولا ترى بأساً من أن تمالئها فى مشروع اعتـدائها على الحبشة لأنها تخشى إن هى سلـكت سبيلا آخر أن تلقى بايطاليا فى أحضان ألمانيا ، وألمانيا رابضة متربصة تحاول أن تحدث هذه الثغرة فى الجبهة الخصيمة ؛ ثم إن فرنسا من جهة أخرى تبذل نفوذها فى تسيير دول الاتفاق الصغير — يوجوسـلافيا ، ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا — نحو الغاية التى تعمل لها دائما ، وهى احاطة ألمانيا بسياج قوى من الدول الخصيمة ؛ والواقع أن ألمانيا ما زالت تشـعر أنها بأزاء هذه الحركة تقع فى نوع من العزلة السياسية والعسكرية يدفعها إلى البحث عن أنصار وحلفاء ، وهى قد استطاعت أن تسلخ بولونيا من أحضان فرنسا ، ولـكن بولونيا ليست قوة كبرى يعتد بها ؛ أما بريطانيا العظمى ، فهى تشق سـبيلها فى هذا المعترك ، إلى جانب فرنسا فى الغالب ، ولـكن دون خصومة ظاهرة لألمانيا ؛ وهى تخاصم اليوم ايطاليا من أجل المسألة الحبشـية ومطامعها الاستعمارية فى شرق أفريقيا ، ولـكنها تحاول أن تجتذب فرنسا الى جانبها فى هذه الخصومة ، وقد استطاعت أن تحرز بعض النجاح فى هذا السبيل

والخلاصة أن المترك الدولى فى أوربا يقوم اليوم على نفس الأسس القديمة التى كان يقوم عليها قبل الحرب الكبرى : السياسة القومية ، والتوازن الأوروبى السياسى والعسكرى ؛ وإذا لم يكن هذا التوازن قد استقر الآن بصورة فعلية فانه يسير فى سبيل الاستقرار ، ومتى تم هذا الاستقرار استطعنا أن نميز المعسكرات الخصيمة التى تشترك فى الحرب الأوربية القادمة ؛ وإذا قلنا الحرب الأوربيـة فانما نعنى الحرب العالمية ، لأن التوازن الأوربى هو أساس التوازن العالمى ؛ وليس فى العالم بعد أوربا قوة يعتد بقوتها السياسية والعسكرية غير اليابان وأمريكا ؛ فأما اليابان فانها تتخذ لنفسها موقفا خاصا ، ولا يمكن تصورها متحدة مع أية دولة أوربية فى ميدان غير الشرق الأقصى ، وأما أمريكا فانه يصعب تصورها ملقية بنفسها فى غمر المعركة الأوربية مرة أخرى ، ومن المحقق أيضا أن الذى يقود أوربا الى ميادين الحرب أو السلام هى نفس الدول التى قادتها إلى الحرب الكبرى وهى ألمانيا وفرنسا وروسيا وبريطانيا العظمى وإيطاليا

وهنالك عنصر لا يمكن اغفاله فى تطور هذا المترك ، هو عنصر الدبلوماسيـة السرية ؛ وقد بلغت الدبلوماسية السرية ذروتها قبيل الحرب الكبرى وفى خلالها ، وكانت مبعث طائفة من المفاجآت والتطورات الخطيرة التى غيرت مصاير الحرب ، ولم ينقطع هذا العنصر السرى فى الدبلوماسية الأوربية عن العمل فى أى وقت ، ولكنه هدأ قليـلا عقب الحرب ، أمام اضطرام صيحات السلام والتفاهم الدولى ؛ بيـد أنه يستعيد الآن كل أهميتـه القديمة ، وإذا لم يكن من المستطاع أن نتلمس آثاره الآن فى المترك الأوربى ، فانه بلا ريب سيحدث أثره فى الوقت المناسب . وعلى أى حال فان السياسة الصريحة لم تكن يوما عماد دول عسكرية استعمارية مثل فرنسا وإيطاليا وألمانيا وروسيا ؛ وقد رأينا كيف لعبت المساعى السرية دورها فى سلخ إيطاليا عن التحالف الثلاثى أثناء الحرب الكبرى فمثل هـذه المساعى يبذل اليوم من جميع النواحى ، وإيطاليا ما زالت تقف بين الخصمين القديمين — ألمانيا وفرنسا — فى مفترق الطريق ؛ ولا ريب أن المستقبل فياض بمختلف التطورات والمفاجآت

(***)

الاستعمار والتعليم

للأستاذ ساطع بك الحصرى

مدير التعليم العام بوزارة المعارف العراقية

عند ما طلب إلىّ نادى المعلمين إلقاء محاضرة عامة فى هذه القاعة خطرت على بالى موضوعات عديدة ، اخترت منها موضوع « الاستعمار والتعليم » ولما ذكرت هذا الموضوع فى حديث لأحد أصدقائى اعترضنى بقوله : « لم اخترت هـذا الموضوع وقد تخلصنا من شبح الاستعمار ؟ » فقلت له حقاً لقد تخلصنا من الاستعمار ولكن بلادنا فى اتصال ببلاد لا تزال تلعب فيها أيدى الاستعمار . ولا يسوغ لنا وهذه هى الحال أن نتغاضى عما يضمره الاستعمار من الكيد للأمم المستضعفة ؛ زد على ذلك أن للاستعمار أساليب خداعة ، فقد عرف المستعمرون كيف يدسون أساليبهم هذه تحت أستار جذابة قد تفوت المرء لأول مرة قبل أن ينفذ إلى دقائقها . وأخشى أن بعض هذه الأساليب قد يصل إلينا ويتسرب إلى أذهاننا وينخر فى جسمنا من غير أن نشعر به ونتنبه إلى منابعه . لذلك وجب علينا كأمة فتحت عينيها للحياة أن تهتم بهذه المباحث وتمعن فى درسها

لقد أخذ الأوربيون بعد الحرب العظمى يهتمون بسياسة التعليم تنفيذاً لأغراض الاستعمار . وقد عقدوا مؤتمرات عديدة — بعضها قومية وبعضها أممية — للمداولة فى هذه الشؤون ؛ وخليق بنا أن ندرس سياسة الاستعمار من حيث علاقتها بالتعليم ؛ ولهذه الملاحظات جئت أتحدث إليكم هذا المساء عن «الاستعمار والتعليم »

***

تعلمون أيها السادة أن كل نظام تعليمى يتكيف عادة بمطالب السياسة العامة ، لذلك لابد لنا ونحن نبحث هذا الموضوع أن نعرف أهداف الاستعمار لنصل إلى أهداف السياسة التعليمية فيه . فلننظر ما هى غاية الاستعمار

لقد اعتاد علماء الاجتماع أن يقسموا المستعمرات إلى ثلاثة

* نص المحاضرة القيمة التى ألقاها الأستاذ ساطع بك الحصرى ببغداد فى الأسبوع الماضى

أصناف أساسية من حيث الغايات المتوخاة من الاستعمار وهي : (١) مستعمرات الاتجار (٢) مستعمرات الاستغلال (٣) مستعمرات الاستيطان

يبدأ المستعمرون عادة بالاستعمار التجاري ، فيختارون ميناء أو نقطة جغرافية مهمة في بلاد ما ، فيؤسسون فيها مستعمرة صغيرة يتخذونها مركزاً للاتجار ، ومن هـذا المركز يعقدون صلاتهم مع داخل البلاد ، فيعملون بذلك على احتكار تجارتها ، دون أن يستولوا على داخليتها . فغايتهم من هذه المستعمرة تنحصر في « الاتجار » ، غير أنهم كثيراً ما لا يقفون عند هذا الحد بل يتغلغلون في داخلية البلاد ، ويستولون على جميع منابع الثروة الموجودة فيها ، وهم في هذا السبيل لا يكتفون بتأسيس ما تحتاج إليه التجارة من مؤسسات ، بل يتوسعون في مؤسساتهم داخل البلاد ويستولون على كل ما يجب الاستيلاء عليه لاستغلال مرافقها . فالغاية الأصلية من مثل هذه المستعمرات تكون « الاستغلال » غير أن بعض المستعمرين لا يكتفون بذلك أيضاً ، فانهم لا يقصرون حظهم على استغلال المرافق الاقتصادية والثروة ، وإنما يرمون أحياناً إلى تركيز سياسة الاستيطان جاعلين من البلاد التي يستعمرونها وطناً جديداً لأبناء جلدتهم . وهذا أهم أنواع الاستعمار وأشدها خطرا

وهذه الأنواع لا يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كلياً لأن كثيرا ما يحول جشع المستعمرين البلاد التي يستعمرونها من شكل الى شكل آخر من الأشكال الثلاثة التي ذكرناها

ان أبرز الأمثلة على « مستعمرات الاتجار » هي المستعمرات التي أحدثها الأوربيون في سواحل الصين . أما أحسن الأمثلة على « مستعمرات الاستغلال » فهي الهند حيث تغلغل الانكليز وكانت أغراضهم الأولية استنزاف المنافع الاقتصادية من تلك البلاد الغنية المترامية الأطراف . وأما أوضح النماذج لمستعمرات الاستيطان فنجده ماثلا في كندا وأوستراليا حيث اتخذ المهاجرون من الانكليز وغيرهم وطناً جديداً لهم فيها

وقد يتطور الاستعمار في بعض المستعمرات من طور الى آخر . مثال ذلك تحول الاستعمار في الهند من شكل الاتجار الى شكل الاستغلال ، وتطور الاستعمار في كندا وأوستراليا من الاستغلال الى الاستيطان ، ونجد بعض المستعمرات ينفذ الاستعمار فيها بشكلين في وقت واحد . فقد حل الفرنسيون الجزائر مستعمرين لاستغلالها ، ثم ما لبثوا أن أخذوا يرمون الى سياسة الاستيطان في بعض أقسام الجزائر كما هو واقع

ان الغايات الثلاث التي ذكرناها هي الغايات الأساسية التي عملت عملها في تأسيس المستعمرات . غير أن المستعمرين أخذوا يتوخون من الاستعمار غايات أخرى لا تقل أهمية عنها . منها الغاية العسكرية ، فبعض الدول تقصد من وراء استعمارها بلدا ما ايجاد قواعد ارتكاز وحركة لجيشها وأسطولها ، وبعض الدول لا تكتفي بذلك بل تعمل على ايجاد جنود من أهل البلاد المستعمرة تضيفه الى جيشها معززة به قواتها المحاربة ؛ وقد تجلت هذه المطامع في الحرب الكبرى ، اذ حاولت كل دولة من الدول الاستفادة الى أقصى حد ممكن من مستعمراتها ، فلم تكتف باستنزاف الثروة منها واستغلال خيراتها لمعيشة جنودها ، بل عملت على أخذ أفراد من أهالي المستعمرات زادت بهم جيشها

واني لأذكر المارشال « ليوتي » الذي يعتبره الفرنسيون مؤسساً للامبراطورية في إفريقية الشمالية ، وقد أسهب هذا القائد الكبير في الخطبة التي ألقاها عند دخوله عضواً في الأكاديمية الفرنسية في وصف « فوائد المستعمرات للجيش » واعترف بأن أبناء المستعمرات الذين جندوا في خلال الحرب العالمية قد وفروا على فرنسا بما قدموه من تضحيات بأرواحهم ملايين من الأنفس الفرنسية »

وزيادة على ذلك فقد بين المرشال ليوتي في خطبته أن فرنسا استفادت من مدرسة المستعمرات استفادة كبيرة من جهة « تكوين الضباط والقواد » أيضاً ، لأن جل قوادها الذين بلغوا بها إلى النصر الأخير قد نشأوا في بيئة المستعمرات ، وشب كبار رجالها على العيشة في البلاد المستعمرة فنشأوا خير نشأة لأن حياة المستعمرات تربي في المستعمر الناشئ القوة المعنوية التي هي دعامة من دعامات الجيش . فالقادة المستعمرون في بلاد الاستعمار يضطرون إلى التذرع بالحزم والتدرب على اتخاذ القرارات الآنية وهم بذلك يتكونون رجالا أشداء في عقولهم وأخلاقهم

ان الكتاب والمفكرين من رجال الاستعمار لا يقفون عند هذا الحد فى تعداد فوائد المستعمرات ، بل يسترسلون فى شرح فوائدها المعنوية أيضاً ، فيقولون إن المستعمرات لا تكون للدولة المستعمرة مناجم ثروة مادية فحسب ، بل هى مباءة استغلال للقوة المعنوية أيضا ، إذ تجد هذه الأمم فى المستعمرات مجالا واسعا للجد والنشاط والاقدام فيزدهر أملها المرجو فى المستقبل . فان الأمم القانعة بحدودها تمتاد التراخى والكسل ، بينما تغير المستعمرات نفسية الأمة وتخلق فيها نشاطا حيا وآمالا جديدة ؛ ويمكننا أن نشبه تأثير المستعمرات فى نفسية الأمم بتأثير الأولاد فى نفسية العائلات ، فالولد ينشئ للعائلة أمل المستقبل ويحملها على العمل ، وكذلك المستعمرة تقدم للأمم المستعمِرة دافعا جديدا للحياة والكفاح

* * *

بعد أن ألقينا هذه النظرة العامة على غايات الاستعمار ومراميها نستطيع أن ننتقل الى بحث « سياسة التعليم » فى الاستعمار

إن هذه السياسة تتجلى فى ثلاثة أنواع من المعاهد التعليمية

أولا — المعاهد التى يؤسسها المستعمِر فى وطنه الأصلى لخدمة الاستعمار

ثانيا — المعاهد التى يؤسسها المستعمر فى المستعمرات لتربية أبنائه

ثالثا — المعاهد التى يؤسسها فى المستعمرات لتربية أولاد الأهلين فى القطر المستعمَر

فالنوع الأول من المعاهد التعليمية الاستعمارية سيبقى خارجاً عن نطاق بحثنا هذا ، أما النوع الثانى من المعاهد التعليمية التى ينشئها المستعمر فى المستعمرات لتربية أولاده فهى أيضاً لا تستدعى اهتمامنا كثيراً لأنها تشبه بوجه عام المعاهد التعليمية التى تنشأ فى الوطن الأصلى ولا تختلف عنها إلا من حيث زيادة بعض الدروس لاعداد أولاد المستعمرين للقيام بأعمال استعمارية

والمهم أن ندقق فى النظم التى يرسمها المستعمر لتعليم أولاد الأهلين فى المستعمرات وأن نستعرض السياسات المختلفة التى ابتدعت فى ذلك . إن أقدم هذه السياسات كانت السياسة السلبية فى التعليم ، وهى تتلخص فى عدم تعليم أحد من أبناء الأهلين ، وقد ترمى إلى بذل الجهد فى محو المتعلمين ، وهذه سياسة تجلت بوضوح تام فى أوائل القرن التاسع عشر فى أمريكا

ففى أمريكا الجنوبية عندما ثار الأهلون على المستعمرين الاسبانيين كتب القائد العام إلى مليكه يبشره بانتصار جيشه فى إحدى المعارك ، وكان مما قال فى تلك الرسالة التاريخية : « إنه عامل المتعلمين من أبناء البلاد معاملة العصاة وقضى عليهم قضاء ومحاهم محوا ، وإنه استأصل بهذه الصورة فكرة التمرد والعصيان من جذورها استئصالا تاماً » . وحتى فى أمريكا الشمالية مثلا كان يحظر فى الولايات المتحدة الأمريكية تعليم الزنوج القراءة والكتابة ؛ وكان كل أبيض يعلم زنجياً يعاقب بالحبس والجلد . وعلى هذا المنوال كانت سياسة الاستعمار فى التعليم بادىء ذى بدء فى موقف عدائى مطلق تسعى إلى عدم التعليم ، وتعمل على محو المتعلمين

غير أن سياسة الاستعمار لم تستطع الاستمرار على هذه الخطة السلبية ولا سيما فى المستعمرات الاستغلالية ؛ لأن المستعمرين وجدوا أنفسهم فى تلك المستعمرات فى حاجة شديدة إلى الاستعانة بأهالى البلاد لاستغلال المرافق الاقتصادية والثروة الطبيعية ، وشعروا بضرورة تعليمهم لاعدادهم لتلك الأعمال ، ولذلك أخذوا يؤسسون معاهد التعليم فى المستعمرات ؛ وكان العامل الأساسى لتأسيس هذه المعاهد تخريج طائفة من أهالى المستعمرات يخدمون المستعمر فى مصالح الحكومة والشركات ؛ وفى المشروعات المختلفة التى تتطلبها مقاصد الاستغلال والاستعمار ، هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى فكر بعض المستعمرين فى مسألة التعليم تفكيرا آخر فذهبوا إلى أنه يجب أن يرافق الفتح السياسى فتح معنوى ، بحيث يتقرب أهالى المستعمرات من المستعمرين إلى أن يندمجوا فيهم اندماجاً ، وقد فكروا فى سبيل تحقيق هذا الغرض أولا بنشر لغة المستعمر ، وثانياً بتعليم أهالى المستعمرات تعليما ينشىء فى نفوسهم حب المستعمر فيستسلمون له عن طواعية

وقد برز النوع الأول من سياسة الاستعمار أكثر وضوحاً فى الهند فى ظل الاستعمار الانكليزى ، كما تجلى النوع الثانى فى الجزائر بالاستعمار الفرنسى

وكان الفرنسيون يأملون من سياستهم هذه تقريب المستعمرين اليهم ، وظنوا أنهم بنشرهم لغتهم بينهم واشرابهم ثقافتهم يغرسون حبهم فى قلوب الأهلين ، لذلك جعلوا اللغة الفرنسية محوراً لكل درس فى مناهجهم ، وقالوا بصراحة إن المدرسة يجب أن تكون قبل كل شيء معهداً لتعليم اللغة الفرنسية ؛ وكذلك اهتموا بمناهج الأخلاق فى المدارس لتعليم أولاد المستعمرات كل ما يحبب الأهلين فى الفرنسيين ، فنجد فى مناهج الأخلاق فى مدارس الجزائر مثلا قسما خاصاً فى واجبات الأهلين نحو فرنسا ، يشغل حيزا مهماً بين الواجبات الأساسية كالواجبات نحو الله ، والواجبات نحو الناس . ومما جاء فى هذا المنهج « ما يترتب على أهل الجزائر من الواجبات نحو فرنسا ، مقابل الحماية التى تسديها اليهم والعدل الذى أدخلته الى بلادهم ، والأمن الذى نشرته فى ربوعهم ، ونعم التعليم والحضارة التى أغدقتها عليهم . . . الاحترام الذى يجب أن يشعروا به نحو من يدير البلاد باسم فرنسا ، والاحترام الذى يجب أن يظهروه نحو العلم الفرنسى »

وهكذا نجد الاستعمار بعد أن ترك السياسة السلبية فى التعليم التى وصفناها سلك طريقاً آخر يمكننا أن نسميه : « التعليم لتسهيل عمل الاستعمار »

***

على أن التجارب القاسية لقصر التعليم على خدمة الاستعمار وحده قد أسفرت عن نتائج سيئة إذ ما عتمت أن أحدثت رد فعل عند أولاد المستعمرات فقد تغيرت أحوالهم بعد مدة قليلة أو كثيرة من تخرجهم من المدارس ، وبدلا من أن يكونوا مطبوعين على حب المستعمر يتفانون فى سبيل خدمته وفق الثمرة التى كانت مرجوة من التعليم الاستعمارى ، أصبحوا على نقيض ذلك يكرهونه ويكافحونه . فأسقط فى أيدى المستعمرين وطفق ساستهم وعلماؤهم يفكرون فى الموضوع ويدرسونه فيجدون أنفسهم كلما أمعنوا فى تعليم أولاد المستعمرات بطرائق تضمن محبة الأهلين لهم ، تذهب الجهود سدى ، إذ لا يلبث أكثر هؤلاء الأولاد بعد تخرجهم أن يقلبوا للمستعمر ظهر المجن ، ففكر علماء المستعمرين فى هذه المعضلة فوجدوا أن هذه نتيجة طبيعية ، لأن ابن المستعمرات إذا ما قرأ تاريخ الأمة المستعمرة ودرس الثورات وقف على مطالب الشعب من الحكومة يتحمس بهذا الحس برغم أنف المستعمر فيشب راغبا فى تطبيق مادرسه . وهكذا تطورت آراء المستعمرين فى سياسة التعليم ووقعوا فى حيرة مربكة لا يدرون ماذا يفعلون

هل يركنون فى المستعمرات إلى عدم التعليم ؟ ولكنهم يعلمون أن عدم التعليم لا يمكنهم من استغلال البلاد المستعمرة ، إذ يجبر المستعمر فى تلك الحالة على ممارسة الاستغلال فى المستعمرات بقواه الذاتية فيضطر الى الاتيان بالعمال من وطنه الأصلى وهو لا يجد فى أمته العدد الكافى منهم ، وإذا وجد فاستقدامهم إلى المستعمرات وتشغيلهم فيها يكلفه كثيراً فيغدو للمنتوج الاقتصادى أغلى سعراً بحيث لا يستطيع أن ينافس منتوجات غيره فى الأسواق العالمية ، ومن ناحية أخرى لا يمكن أن يكون العامل مفيداً فى أى عمل ما لم يكن قد أخذ بنصيب من التعليم فى عصر الصناعة الذى نعيش فيه

وقد ظل المستعمرون فى حيرة من هذه المشكلة : التعليم فى المستعمرات يؤدى الى ثورة الأهلين عليهم ، وعدم التعليم فى المستعمرات يعيقهم عن الاستغلال ؛ ففكروا كثيراً وأخيراً وجدوا ضالتهم بطريقة مبتكرة فى سياسة التعليم وهى : « التعليم بغير تثقيف » . فقالوا نعلم أولاد المستعمرات من غير أن نثقفهم . نعلمهم تعليما ضيقاً جداً يجعلهم آلات صماء فى أيدى الاستعمار . وقد بذلت الدول المستعمرة جهودها فى وضع نظام للتعليم على هذا الأساس ، يجعل التعليم وسيلة ميكانيكية بحتاً إذ يكون لغايات محدودة معينة بدون أن يدخل على هذا التعليم أى عنصر من عناصر الثقافة العامة . وقد تفننوا فى إيجاد هذه الأساليب وابتكار طريقة خبيثة لتدريب أبناء المستعمرات على أن يكونوا مسامير فى صفحة خشبية ، أو عجلات فى آلة ميكانيكية ، محرومين من أى لون من ألوان الثقافة العامة

وهكذا اتفقت سياسة الاستعمار التعليمية على وجوب الأخذ بالتعليم بدون تثقيف ، وهذا آخر ما وصلوا اليه لحل معضلة التعليم فى المستعمرات . وقد بدأ المستعمرون من يوم تفتحت قرائحهم بهذا الابتكار يجاهدون فى تحقيق غاياتهم ، وقد أرادوا أن يموهوا على الناس ويستروا مقاصدهم الملومة تحت أستار حيل مختلفة ، فقالوا بأن هذا النوع من التعليم الابتدائى والعملى

هو الذى يفيد أولاد المستعمرات أنفسهم ؛ وادعوا بأن التعليم الثانوى والعالى وكل نوع من أنواع التعليم الأوربى يضير الأهلين ؛ وقد بذلوا جهوداً عظيمة ليقنعوا الأهلين بذلك ، وقاموا بدعايات كثيرة نشروها لبث هذه الفكرة وتوجيه الأمم المستعمرة الى هذا الضرب من التعليم

مع هذا جابه المستعمرون مشاكل كبيرة : جوبهوا بحقيقة مرة وهى تعذر السيطرة التامة على التعليم فى المستعمرات ، اذ فى وسع ابن المستعمرات الذى يرغب فى التعليم ولا يجد فى بلاده العلم الذى يريده أن يقصد الى بلد آخر فى طلب العلم

ويجدر بنا أن نذكر فى هذا الصدد المناقشات التى جرت فى ايطاليا لمعالجة مسألة التعليم فى طرابلس الغرب ، فعند ما أقدموا على الغاء المدارس الثانوية والعالية والدينية قال أحد رجال التربية فى روما خلال مناقشة لهذا الموضوع : إننى لا أوافق على الغاء هذه المدارس ، اذ يجب أن نعلم أننا اذا ألغينا هذه المدارس لا نستطيع أن نمنع الذين يريدون الذهاب من أبناء طرابلس الغرب الى الجامعة الزيتونية فى تونس أو الجامع الأزهر فى مصر ، وهؤلاء الشبان يحتكون هناك بشبان من أمم مختلفة ويتلقون ثقافات واردة من أنحاء العالم ويرجعون بأفكار أشد وبالا على سياستنا الاستعمارية . فخير من إلغاء هذه المدارس إذاً أن نحدد التعليم فى داخل طرابلس الغرب لنؤسس مدرسة عالية نحدد تعليمها ونجعل النشء مرتبطين بها فلا يضطرون الى السفر الى الخارج فى طلب العلم ويعودون الى بلادهم وقد تسممت أفكارهم كما قلت

ان الخطط التى وضعها المستعمرون فى هـذا الباب مختلفة باعتبار المشاكل العديدة التى يريدون حسمها فيعمدون لتحقيق كل مأرب من مآربهم بخطة منها . ومما يلفت النظر انتباههم الى أمر انتقال الطلاب من أبناء المستعمرات من بلد الى آخر حيث يقتبسون آراء جديدة ويستلهمون نزعات حديثة ، لذلك عمدوا الى تدابير يقدرون من ورائها فصل الأقطار عن بعضها لجعلها مختلفة اللغة

فقد أخذ الفرنسيون فى المغرب يفرقون بين البربر والعرب وغيرهم بحرمان البربر من تعلم اللغة العربية حتى يجعلوهم بعيدين عن التأثر بالمدارس التى تدرس العربية أو ما يكتب بهذه اللغة فى الأقطار الأخرى

وهناك فكرة أحيت بعض الأمل فى نفوس المستعمرين وهى السعى لنشر اللغة العامية ، وهذه الوسيلة تباعد بين الأقطار العربية وتسهل على المستعمرين أغراضهم . وقد بثوا هذه الفكرة دعايات منوعة : دعايات بدأها المستعمرون فانطلت مع الأسف على بعض أبناء البلاد المستعمرة إذ أن بعضهم خدعوا بها وروجوا لها ، وقد طلا المستعمرون هذه المكيدة تحت عنوان نشر التعليم بين طبقات الشعب وقالوا (مادام الجمهور فى الأقطار العربيـة لا يعرف اللغة الفصحى غالباً ، فيجب تعليمه بلغته المحلية العامية . ولماذا نضيع عليه الوقت فى تعليم الفصحى وقواعدها الكثيرة وأساليبها المعوصة ؟) وقد وجدت هذه الفكرة بعض الأنصار ولا يزال لها مؤيدون فى بعض الأقطار العربية مع أنها وليـدة الاستعمار !

ومن حسن حظ الأمة العربية أن هذه الفكرة لم تعمر كثيراً فى حينها . مع هذا نجد بعض الأوربيين قد أخذوا يعودون إلى هذه الفكرة وصاروا يعتقدون بأن السينما الناطقـة والراديو من المسائل التى ستجبر البلاد العربية على أن تفسح مجالا أوسع للغة العامية لأن التمثيل والكلام باللغة العامية يرضى الدهماء أكثر من الفصحى ، فيجب علينا نحن أن ننتبه إلى هـذا الخطر الأخير خطر انتشار اللغة العامية كما يشتهيه المستعمرون ، وهذا الخطر الذى يتمثل أمامنا ربما كان خطراً كبيراً لأن الموضوع يخالطه شىء كثير من المنفعة المادية : لأن التمثيل باللغة العامية يكسب الممثلين أكبر عدد من النظارة ، ولا ريب فى أن على كل مفكر عربى أن يحارب هذا السلاح الأخير الذى يرجو منه المستعمرون خيرا عظيما لمقاصدهم على حساب الضرر البليغ بالبلاد العربية ؟

الى المشتركين فى

وحى القلم

لم نستطع أن نرسل (وصول الاشتراك) لمن بعثوا الينا بالقيمة فى البريد اذ ليس هذا فى طاقتنا . فكل من بيده قسيمة اذن البريد أو الحوالة البريدية فهى كالوصل باشتراكه فى الكتاب

الرافعى

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

اكتشف بستور لقاحا يحصن الشياه من داء الجمرة ، وذلك باضعاف مكروبها ثم حقنه فى الشياه ، فتقوى بعد ذلك على مقاومة الداء . ونجح اللقاح واهتزت الدنياله . وبعد زمن أخذت ألقحة بستور تقتل بعض الشياه بدل تحصينها وكثرت الشكوى . فألقى بستور محاضرة فى اللقاح ولم يذكر تلك الشكاوى ، وتحدى كوخ وكان حاضرا إلى الحجاج فقام وقال إنه يجيبه بالقلم لا باللسان

ولم يمض زمن طويل على هذا حتى جاء كوخ بجوابه الموعود ، فكان جواباً بين الجد والهزل ، شديداً فظيعاً ؛ بدأ كوخ بقوله إنه أتى من بعض وكلاء بستور بشىء من هذه المادة الثمينة الغالية التى يقال لها لقاح الجمرة ، ثم استطرد يسلقه بلسان سليط :

أحقاً قال بستور إن اللقاح الأول يقتل الفئران ويُعفى الخنازير الغينية ؟ إذن لقد قام كوخ بتجربته فوجده لا يقتل حتى الفئران . وبعض عينات غريبة منه قتلت الشياه !

وهل حقاً قال بستور إن لقاحه الثانى يقتل الخنازير الغينية ويُعفى الأرانب ؟ إذن لقد قام كوخ بتجربة هذا اللقاح أيضاً فى دقة وعناية فوجده يقتل الأرانب ، ويقتلها فى الأغلب قتلاً مريعاً . ووجد أنه يقتل الشياه أحيانا ، تلك الشياه التى أراد بستور من هذا كله أن يحصنها من الموت

ثم أحقاً يعتقد بستور أن هذه اللقاحات لقاحات من مكروب الجمرة ، ومن مكروب الجمرة وحده ؟ إذن فقد قام كوخ على حذر بامتحانها ، فوجدها تعجّ بمختلف الأحياء ، فمن كل كُرَيّة ومن كل عُصَيّة دخلت اليها دخول الضيف الثقيل لا أهلا به ولا سهلا

وأخيراً ، أحقاً إن بستور يتحرّق تحرقاً إلى كشف الحقيقة خالصة ؟ إذن فلمَ لم يخبر الناس بجميع النتائج التى جاءت من لقاحه بعد أن شاع استخدامه وذاع ؟ لِمَ لم يخبرهم بالحالات الفاشلة الخائبة كما أخبرهم بالحالات الناجحة الصائبة ؟

ثم ختم جوابه بقاصمة الظهر ، قال : « إن هذا مسلك قد يُستساغ فى الدعاية لبيت من بيوت التجارة ، أما العلم فيجب أن يقيثه قيثاً »

فأجاب بستور على هذا النقد بنشرة تضمنت حجاجا غريباً لا يجوز حتى على محكّمين فى مناظرة بقرية فى الريف . استكبر على كوخ أن يدّعى أن ألقحته تحوى أخلاطا من مكروبات . قال : « لقد كانت صناعتى من قديم فصل المكروب وتربيته خالصا من كل شائبة . صناعة اصطنعتها عشرين عاماً قبل ميلاد كوخ فى عالم العلم سنة ١٨٧٦ ، فدعواه أنى لا أعرف كيف أربى المكروب نقياً لا يمكن أن تكون إلا هزلا وهذراً »

وأبت الأمة الفرنسية بوطنية صادقة أن تؤمن بأن كوخ استطاع أن يزحزح بطلها العظيم عن عرشه العالى ، وأن يبطل رِبابته للعلم ، وَشرِك صغراء الأمة فى ذلك كبراؤها ، وعلى كل حال فما كان ينتظر الناس من ألمانى غير هذا ؟ ! وما أسرع ما انتخبوا بستور عضوا فى المجمع الفرنسى Académie Française فمنحوه كبرى المِنَح التى يطمع فرنسى فيها ، وفى يوم جلوسه بين أعضاء المجمع الأربعين الذين يسمونهم بالخالدين قام أرنست رينان Ernest Renan بالترحيب به ، وهو العبقرى الزنديق الذى جعل من يسوع الرب بشرا رجلا غفر كل شىء لأنه فَقِه كل شىء ؛ عرف رينان أن بستور لو كان ستر الحق لما ذهب هذا بكل فضله ، ولم يكن رينان عالما ، ولكن كان له من الحكمة والفطنة مايدرك به أن بستور أتى بشىء فخم عظيم لما أثبت أن الجراثيم الضعيفة تمنّع الأجسام فلا تنالها الجراثيم القوية ، حتى ولو لم تبلغ هذه المناعة مائة فى المائة

التقى هذان الرجلان فى هذا اليوم المهيب ، فالتقى منهما نقيضان : بستورُ المناضل المحارب الوثّاب الملئ بشتيت من عقائد هوّشت عليه أحيانا وجه الحق ، ورينان فى ضخامته كالجبل يخاطبه جالساً من علٍ بنفس ساكنة مطمئنة لا تهزها الرياح الهُوج ، وكيف يهتز جسمه لشىء أو تتحرك نفسه لأمر ،

وهو قد بلغ به الشك أن ارتاب فى وجود نفسه ، وارتاب فى قِيَم الأعمال فلم يقم لعمل فصيّره طول القعود من أسمن رجال فرنسا

رحّب رينان بستور إلى المجمع فأسماه عبقريا ، وقرن اسمه بأسماء أكبر من عُرف من العباقرة ، ثم عرج يُقرّع صياد المكروب الشيخ الشاول المضطرب تقريعاً خافتاً خافياً ، قال : « إن الحقيقة يا سيدى كالمرأة الغَنِجة اللعوب ، لا تملك بالعاطفة الكثيرة تُبذل لها ، وكثيراً ما تأتيك منصاعة باعراضك عنها . وقد تسلّم اليك قيادها فتظن أنك مَلَكْتها فاذا بها تُفلت من قبضتك ، فاذا أنت اصطبرت عليها عادت فوضعت عنقها فى يدك . ولا يمنعها وداع وما سقط فيه من دموع أن تعود إلى الظهور ، ولكنك إذا أحببتها فغلوت لم يكن لك منها غير البين والقطيعة »

لا أظن أن رينان ، وهو الحكيم ، خال أن كلماته الجيلات هذه سيكون لها أثر ولو قليلا فى إصلاح المعوجّ من بستور ، ولكنها كلمات ترينا فى اختصار علة ما لاقى بستور فى حياته من فواجع ، وهى تعلمنا مايجر الرجل المجنون على نفسه من المآسى والأحزان إذ هو خال أنه يستطيع قلب العالم فى السبعين عاما التى أذن الله له أن يحياها

— ٧ —

بعدئذ أخذ بستور يضع أنابيب من الزجاج فى حلوق الكلاب وهى تتلوى وتتضوّر من داء الكَلَب . وكيف استطاع أن يضع هذه الأنابيب فى هذه الحلوق لهذه الضاريات ؟ لا يعلم هذا غير الله . هذان خادمان قائمان على فكىْ كلب قوى عصىّ يفتحان فاه كَرْها واغتصابا . وهذا بستور قائما فى وجه هذا الكلب تكاد لحيته تمس هذه الأنياب وفيها الموت المرير . وهذا هو يمص فى أنبوبته من حلق الكلب بعض رُغائه ، ليأتى منه بعيّنة يبحث فيها عن مكروب الداء . وأحيانا يناله الرشاش من هذا الرغاء فلا يأبه له وقد جاز أن يكون فيه القضاء

أريد الآن أن أنسى ماقلته عن حب بستور للدعاية ، فتصوّرى عينيه الزرقاوين وهما تحدقان فى حلق هذا الكلب الهائج المسعور لا يتفق مع هذه الذكرى

ليت شعرى ما الذى وجه بستور إلى صيد مكروب الكَلَب ؟ لقد كان فى الوجود عشرات من الأدواء يجهلها العلماء ، أدواءٌ قتلت من الناس أضعاف ما قتل داء الكَلَب ، ولم يكن بها من الخطر على بَحّاثة مُغامر مثلُ الذى كان بهذا الداء اللعين الذى لا ينجو صاحبه أبداً ، فما هو إلا أن ينفك الكلب من قيده فتقع الواقعة التى لا مردّ لها

يترجّح عندى أن شاعريته ، والفنّ الخفىّ فى نفسه ، هما اللذان دفعاه إلى اختيار هذا الداء على الأدواء جميعا . قال بستور : « لطال ما ساورتنى صرخات ضحايا هذا الذئب المجنون الذى كان يهبط على الناس فى شوارع اربوا Arbois لمّا كنت طفلا ... »

عرف بستور من صباه كيف كانت دماء الناس تبرد لصوت كلب مسعور . وذكر أنه قبل مائة عام أو دونها كان الفرنسيون يشتبهون فى الرجل يحسبونه مصابا بالكَلَب فيُذْعرون فيقومون عليه فيَسُمونه أو يخنقونه أو يطلقون عليه الرصاص . وشاع هذا حتى سُنّت القوانين لحماية هؤلاء المساكين . ذكر بستور كل هذا فاعتزم أن يعيد فى الناس السلام ، ويمنع عنهم هذه الآلام والآثام

بدأ بستور هذا البحث الذى انتهى بأن كان أبدع أبحاثه وأصدقها ، فاذا به يبدؤه على عادته بالأخطاء . جاء إلى طفل يموت من داء الكَلَب فأخذ بعض ريقه وامتحنه فوجد فيه جرثومة غريبة ساكنة فأسماها اسماً لا يتصل بالعلم كثيراً ، أسماها « مكروبة الثمانية [1] » ، وما أسرع ما حاضر أعضاء الأكاديمية وأشار إلى هذه المكروبة بأن لها صلة بالسبب الخافى لداء الكلب ، واستقر على هذا الرأى ، واستمر يجرى فى اطمئنان وراء هذا المكروب ، ولكنه لم يلبث غير قليل حتى اتضح له أنه إنما جرى وراء برق خُلّب . فانه بمعونة عَوْنيه وجد هذا المكروب فى أفواه أناس أصحاء كثيرين لم يقتربوا من كلب مكلوب أبداً

على أن هذا الضلال لم يدم طويلا حتى حملت بستور قدماه إلى الطريق الهادى إلى مخابىء هذه الأحياء ، قال لنفسه : « لقد قلّت الكلاب المسعورة فى هذه الأيام ، والشيخ البيطار بوريل Bourrel لا يبعث الآن لى منها إلا عددا يسيرا ، والمكلوبون من الناس أشد ندرة من الكلاب ؛ فلا بد لنا من إحداث داء الكَلَب فى حيوانات فى معاملنا كىْ نستطيع دراسته فى تواصل واستمرار »

(١) أراد أنها تشبه رقم ٨ الأفرنجية أى 8

وكان بستور فات الستين ، وكان مُتعَباً مجهوداً

وذات يوماً جاءوا إلى المعمل بكلب سعران اصطادوه بالوهق ضربوه فى عنقه ثم شـــدوا عليه ، فأمرهم بستور فأدخلوه وهو ينذر بالشر إلى قفص به كلاب أخرى كى يعضها ويعطيها من الداء مثل الذى به ، وجاء رو وشمبرلاند فأخذا من رُغاء فمه بعض الشيء ومصاه فى محقن وحقنا به من الخنازير الغينية ومن الأرانب ، واصطبرا ينتظران ظهور الداء فيها ، فكان يظهر فى بعضها أحياناً ويتخلف عن بعضها أحياناً أخرى فساءهما تخلّفه ، وعض الكلب المجنون أربعة من الكلاب ، ومضت ستة أسابيع فاذا كلبان منها هائجان يضربان فى جوانب القفص ويموتان ، أما الآخران فمضت أشهر لم يظهر فيهما عليهما من الجنون شيء . أمرٌ يُحيّر الباحث ويغيظه ، فهو دائماً ينتظر النتائج الواحدة تأتى من المقدمات الواحدة ، وقد اتحدت المقدمات هنا فكيف اختلفت نتائجها ؟ لقد ضاع اتساق العلم وانسجامه ، لا فى هذه الكلاب وحدها ، بل فى الخنازير والأرانب كذلك ، فقد يصاب من الستة الأرانب المحقونة اثنان ، يمدّان برجليهما الخلفيتين إلى الوراء من الشلل ، ثم يموتان بعد ارتجاجات من الصرْع عنيفة ، أما الأربعة الباقية فتظل قائمة تقضم الحشيش قضما ، فكأنما جرثومة الكلب لم تخالط دمها أبدا

وذات يوم خطرت فكرة على بال بستور ، فأسرع إلى رو يحدّثه بها ، قال : « إن جرثومة الكلب تدخل أجسام الناس بالعض عن طريق الجلد ، ثم هى تستقر بعد ذلك فى أمخاخهم وفقار ظهورهم ..... إن كل الأعراض تدل على أن هذه الجراثيم التى لا نراها ولا نستطيع كشفها تُغير دائماً على الجهاز العصبىّ . فنى هذا الجهاز العصبىّ إذن يجب أن نبحث عن هذه الجرثومة ..

ومن هـذا الجهاز قد نستطيع تربيتها وتربيتها حتى ولو لم نرها . . . . ولعلنا نستطيع أن نتخذ من مخ الحيوان طعاما لها فننمّيها فى جمجمته بدلا من قبابة الحساء . أن نتخذ من الجمجمة والمخ قبابة وحساء أمر غريب ، ولكن من يدرى ؟ . . ثم إننا اعتدنا أن نحقن الرُّغاء الخبيث تحت جلد هذه الأرانب والخنازير ، فما أدرانا أن الجرثومات التى به لا تضيع فى أجسام هذه الحيوانات قبل وصولها الى أمخاخها ، لوددت والله أن أرشق هذه الجراثيم مباشرة فى هذه الأمخاخ رشقا »

أنصت رو لهذه الأحلام ، وانفتحت عيناه وسمعهما ولمثا لهذه الخيالات ... لو أن رجلا غير رو سمعها لظن بستور أصابه مس من جنون . يريد أن يتخذ من مخ الكلاب والأرانب بديلا من الأحسية ! ويريد أن يتخذ من جماجمها بديلا من القبابات ! أى عبث هذا وأية خرافة تلك ! أما رو فكان أفهمَ لبستور من أن يَظن به خبالا . قال : « وما يمنعك من وضع المكروب فى مخ الكلب مباشرة يا سيدى الأستاذ ؟ أنا أستطيع أن أنقب لك به ثقبا صغيرا لا يؤلم الكلب ولا يفسد مخه . وهذا أمرٌ علىّ يسير . . . »

فصرخ بستور فى وجه رو حتى أخرسه . ولم يكن بستور طبيبا ، فلم يدر أن الطبيب يستطيع أن يفعل هذا حتى فى الانسان وهو آمن . لهذا أجزعته الفكرة جزعا كبيرا . « ثقبٌ يخترق جمجمة الكلب الى مخّه ! يا للفظاعة ! والكلب كيف يكون ألمه ؟ والمخ بعد هذا كيف يكون صلاحه ، إن الكلب يُشَلّ حتما ! لا ، لا آذن بهذا ! »

حنان قلب بستور كاد يفقده أكبر كشف أتاه ، ويضيّع عليه بل على الانسان أثمن تحفة أهداها اياه . وأمام هذه التجربة القاسية الغريبة خارت من بستور قواه ، ولكن رو ، رو الأمين لسيده ، رو الذى نسيه اليوم الناس أو كادوا ، رو هذا قام يحمى سيده من خَوَر نفسه ، فنجّاه بأن عصاه . ذلك انه اصطبر أياما قلائل حتى غادر بستور المعمل لبعض حاجته ، وعندئذ قام إلى كلب سليم فشممه قليلا من الكلوروفورم حتى أفقده الاحساس ، ثم ثقب رأسه ثقبا كشف عن مخه الحىّ ، فكان يدقّ بالنبض دقا بيّنا ، ثم أتى بقليل من مخ كلب كان قد مات مكلوبا فسحقه وحقن سحيقه فى مخ الكلب النائم برفق شـديد وهو يقول لنفسه : « لا شك أن سحيق هذا المخ مليء بمكروب الكَلَب ، فلعله مكروب دقّ فلم يكن فى استطاعتنا أن نراه »

واصبح الصباح فأخبر بستور بالذى كان . فصاح بستور فيه : « ويلك ماذا صنعت بالكلب المســـكين ! أين المخلوق التعيس ... لاشك أنه شُلّ ... لا شك أنه يموت ... »

ولكن رو كان سبق فنزل بسرعة على السلم ، وفى لحظة عاد والكلب ينط أمامه ، وإذا بالكلب يتمسح بساقَىْ بستور ، ثم يدور يتشمم بين قبابات الأحسية القديمة تحت مناضد المعمل . عندئذ أدرك بستور قدر رو ومبلغ ذكائه . وأدرك كذلك أن

طريقاً جديداً للتجربة انفتح أمامه . ولم يكن بستور يغرم بالكلاب ، ومع هذا فان اغتباطه بالذى سمع ورأى أغراه بملاعبة هذا الكلب خاصة . قال لسانه : « أهلا بكلبي العزيز ! أهلا بسيد الكلاب » . وقالت أحلامه : « ان هذا الكلب سيثبت أن فكرتى عن هذا الداء صائبة »

ولم يمض أسبوعان حتى تحققت أحلامه ، فسيد الكلاب أخذ يعوى عواء أليما حزيناً ، وصار يمزق فراشه ويعض قفصه ، ثم مات بعد أيام ، نعم مات هذه الميتة القاسية ، ولكنه ماتها ليحيا من بعده على نحو ما ستعلم ألوف من الناس كانت تموت مثل ميتته

بهذه الطريقة اهتدى بستور ورو وشمبرلاند أخيرا إلى نقل هذا الداء إلى الحيوانات نقلا أكيدا ؛ أعنى أنهم إذا حقنوا المكروب فى مائة كلب أو خنزير أو أرنب أصاب الداء المائة كلها ، وكأنى بك تستمع لبستور يقول لصاحبيه : « إنا لا نستطيع أن نرى المكروب ولا بأقوى العدسات ، فلا بد أن هذا يرجع إلى شدة صغره . ولسنا نعرف طريقة واحدة لتربيته فى الأحسية بالقبابات ، ولكن فى استطاعتنا أن نبقيه حياً فى مخ الأرنب ، فهذه هى الطريقة الوحيدة لحفظه ونمائه »

أوُجِد أو يُوجَد أعجب من هذه التجربة فى كل الذى كان ويكون من صيادة المكروب ، أو فى أى علم آخر من العلوم ! أم هل مارستْ تلك العلوم أمرا أبعد ما يكون عن المألوف فيها مثل الذى مارسه بستور وصاحباه : مكروبةٌ غير منظورة ، كل الذى يعلمونه عن وجودها أنهم يستطيعون نقلها فى الأمخاخ والحبال الفقرية فى سلسلة طويلة من الأرانب والخنازير والكلاب ، وكل برهانهم على كونها ، وأن للكلب مكروبا هى مكروبته ، موتُ تلك الأرانب المحقونة فى تشنّج وارتماص ، والعُواء المجزع لتلك الكلاب التى أعملوا فى رءوسها المِثقاب

ثم أخذ بستور وأعوانه يحاولون أمراً عجبا لا يقول عاقل بامكانه ، ذلك تأنيس تلك المكروبة الفتّاكة التى لا تُرى . وتمطّلوا فى محاولتهم هذه بعض التمطل ، فذهب رو Roux وتوييه Thuillier إلى مصر يدافعون مرض الكوليرا ومات توييه فى سبيل ذلك على ما علمت ، وذهب بستور إلى بعض زرائب الخنازير فى الريف يبحث عن مكروب داء كان تفشّى فيها ويطلب لها لقاحا منه ، ولم يطل هذا التمطّل طويلا . واجتنب بستور تلك المنازعات والحجاجات الوضيعة التى كانت تنتهى على الأغلب بذمه والنيل من اسمه وكرامته . وحبس نفسه مع عونَيْه والحيوانات الشلاّء الخطيرة فى معملهم بشارع أُلْم Ulm وفى هذه الحبسة أتوا على عدد لا حصر له من التجارب

ووضع بستور رقباء على مساعِدَيْه الشابَّين وألزمهما العمل على منضدتيهما فكنت تراهما مكبَّين عليهما صباح مساء كأنهما بعض الأرقّاء . وكان ينظر ما يصنعانه باحدى عينيه ، وينظر بالأخرى الباب الزجاجىّ للغرفة التى كانا يعملان فيها ، فاذا هو رأى أحدا من أصحابهما جاء يدعوهما إلى كأس بيرة فى شُرْفة مقهى قريب ، أسرع فخرج إلى الدخيل فقال له : « لا ، لا ، ليس هذا وقته . ألا ترى أنهما مشتغلان ؟ إنها تجربة فى غاية الخطر ليس فى الامكان أن يقطعاها ! »

ومضت على هذه الحال أشهر غير حسبوا جميعاً عند ختامها أنه لا سبيل إلى اضعاف هذه الجرثومة التى لا ترى ، فالمائة من الحيوانات التى يحقنونها بالمكروب بعد محاولة إضعافه كانت تموت كلها ، ومن ترى كان أقرب إلى اليأس فى ختام هذه الأشهر ؟ أظنك تقول الشيخ العجوز بستور ، وأن عونيه الشابين ، وقد ملأهما دم الشباب الحار ، كانا أعصى من أن يثنيهما هذا الخذلان . إذن لقد أخطأت الحسبان يا سيدى ، فالأمر كان على نقيض ذلك

(يتبع) أحمد زكى

فى ميدان الاجتهاد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٢ —

كيف يعود الاجتهاد

ولا بد من عودة إلى ذكر نصوص أخرى فيما كان للسياسة من أثر فى نصرة بعض هذه المذاهب على بعض ، ولتلك المدارس وأوقافها من أثر فى القضاء على الاجتهاد فى نفوس العلماء ؛ قال الشيخ أبو زرعة فى شرح جمع الجوامع : قلت مرة لشيخنا البلقينى : ما يقصر بالشيخ تقى الدين بن السبكى عن رتبة الاجتهاد وقد استكمل الآلة ؟ وكيف يقلد ؟ ولم أذكره هو استحياء منه لما أريد أن أرتب على ذلك ، فسكت عنى ، ثم قلت ما عندى أن الامتناع من ذلك إلا للوظائف التى قررت للفقهاء على المذاهب الأربعة ، وأن من خرج عن ذلك واجتهد لم ينله شىء ، وحرم ولاية القضاء ، وامتنع الناس من استفتائه ، ونسب إلى البدعة ، فتبسم ووافقنى على ذلك

وقال الحافظ الذهبى فى كتابه « بيان زغل العلم والطلب » عند الكلام على علم أصول الفقه : « أصول الفقه لا حاجة لك به يامقلد ، ويامن يزعم أن الاجتهاد قد انقطع ومابقى مجتهد ، ولا فائدة فى أصول الفقه إلا أن يصير محصله مجتهداً ، فاذا عرفه ولم يفك تقليد إمامه لم يصنع شيئاً ، بل أتعب نفسه ، وركب على نفسه الحجة فى مسائل ، وإن كان يقرؤه لتحصيل الوظائف وليقال ، فهذا من الوبال ، وهو ضرب من الخيال »

وجاء فى نيل الابتهاج أن أهل الأندلس التزموا مذهب الأوزاعى حتى قدم عليهم الطبقة الأولى ممن لقى الامام مالكا ، كزياد بن عبد الرحمن ، والغازى بن قيس ، وقرعوس ونحوهم ، فنشروا مذهبه ، وأخذ الأمير هشام الناس به ، فالتزموه وحملوا عليه بالسيف إلا من لا يؤبه له

وجاء فى نفح الطيب أن سبب حمل ملك الأندلس الناس على هذا المذهب فى بعض الأقوال أن الامام مالكا سأل عن سيرته بعض الأندلسيين فذكروا له عنها ما أعجبه ، فقال نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم ، أو كلاماً هذا معناه ، لأن سيرة بنى العباس لم تكن مرضية عنده ، وقد لقى منهم ما لقى مما هو مشهور ، فلما بلغ قوله ملك الأندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه ، حمل الناس على مذهبه وترك مذهب الأوزاعى

والآن فلنشرع فى بيان الطريق إلى عود الاجتهاد ، وإنه ليس هناك فرصة تنتهز لهذا أقرب من هذه الفرصة التى يتولى فيها أمر الأزهر شيخ من أنصار الاجتهاد ، هو الأستاذ الكبير محمد مصطفى المراغى ، ولا ننكر أنه يحيط به هذه المرة عوامل من جهات كثيرة جملته يصير إلى أمور لم يكن يصير إليها فى المرة الأولى ، وقد كان يأخذ بالاصلاح فيها غير متأثر بتلك العوامل ، ومن هذه الأمور محاولة القضاء على العلوم الرياضية فى الأقسام الثانوية بالمعاهد الدينية لتحشر حشرا فى الأقسام الأولية ، فلا يكون هناك فائدة من دراستها فيها ، وكثير منها ليس فى نفس طالب القسم الأولى الاستعداد لدراسته . ويقال إن الغرض من هذا تفريغ طلاب الأقسام الثانوية لدراسة الكتب الأزهرية كما كانت تدرس قديماً فى الأزهر ، ولا شك أن ستتبع هذه الخطوة خطوة أخرى فى القضاء على هذه العلوم فى الأقسام الأولية لتفريغ طلابها أيضاً لدراسة الكتب الأزهرية على تلك الطريقة التى كانت تدرس بها ، لأنه لا فرق عند علماء التربية بين هذين القسمين فى حياة الطالب ، وكلاهما فى حياته طور ثقافة عامة لا طور تخصيص لناحية من النواحى العلمية ، فما يجرى عندنا على أحد القسمين لتلك العلة السابقة لا بد أن يجرى على القسم الآخر من أجلها أيضا ، وهنالك نعود كما كنا قبل أن نقطع فى الاصلاح هذه الأشواط ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وإنه إذا كانت العلوم الرياضية قد زاحمت حقا العلوم الأزهرية فى الأقسام الثانوية ، فطريق ذلك أن تختصر دراسة هذه العلوم فيها ، لا أن يقضى عليها فيها لتحشر حشرا فى الأقسام الأولية

ومن هذه الأمور ما نحن الآن بسبيله من أمر الاجتهاد والعمل على فتح بابه ، إذ يخطو الأستاذ المراغى فى ذلك خطوة لا يرضاها منه أنصار الاجتهاد ، ويجعل دستور « لجنة الفتاوى »

التي ألفها من علماء المذاهب الأربعة على هذا النحو (أن تجيب الطالب على المذهب أو المذاهب التي يريد الاجابة على مقتضاها ، فاذا لم يعين المستفتي مذهبا أجابته بحكم الله المؤيد بالأدلة من غير تقييد بمذهب من المذاهب الشرعية) فلست أدري ممني لهذا التفريق بين المستفتين ، وقصر الاجابة بحكم الله على من يريده منهم ، وإنه ليجب أن تخضع لحكم الله مذاهب الفقهاء لا أن يخضع هولها ، فلا يجاب به المستفتي إلا إذا لم يطالب الفتوى على مذهب من مذاهب الفقهاء ، فاذا طلب الفتوى عليها أفتى له بها ولو كان حكم الله المؤيد بالأدلة على خلافها ، وإنا لننزلها بهذا منزلة لم يردها لها أصحابها ، ونجعل حكمها فوق حكم الله الذي كانوا يطلبونه فيها ، وهم بشر يصيبون ويخطئون ، ولم يدع العصمة أحد منهم في اجتهاده . وقد حكى ابن عبد البر عن معن بن عيسى باسناد متصل به قال سمعت مالكا يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه

وحكى ابن القيم عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنهما قالا : لا يحل لأحد يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه . وذكر صاحب الهداية في كتابه « روضة العلماء » أنه قيل لأبي حنيفة : إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال اتركوا قولي بكتاب الله ؛ فقيل إذا كان خبر الرسول يخالفه ؟ قال اتركوا قولي بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : إذا كان قول الصحابي يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي بقول الصحابي

وروى البيهقي عن الشافعي أنه قال : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت

وذكر الشعراني في كتابه « الميزان » أن الأئمة كلهم قالوا : إذا صح الحديث فهو مذهبنا وليس لأحد قياس ولا حجة

فاذا ثبت لنا الآن حكم مؤيد بالأدلة فهو حكم الله الذي يقول به أبو حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم ، ولو كانت أقوالهم في حياتهم على خلافه ، ولا شك أنا إذا أفتينا في ذلك على المذهب الذي يريد المستفتي الاجابة على مقتضاه نكون بذلك قد خالفنا حكم ذلك المذهب الذي جعل صاحبه حكم الله رائده ، وتبرأ من قوله إذا صح حكم الله بخلافه ؛ وقد كان من الواجب على الأقل أن يكون دستور هذه « اللجنة » ما ذكره الامام الشوكاني ، فانه بعد أن ذكر أن المقلد لا يصلح للقضاء وأنه لا يحل له أن يفتي من يسأله عن حكم الله في أمر من الأمور قال : فان قلت هل يجوز للمجتهد أن يفتي من سأله عن مذهب رجل معين وينقله له ؟ قلت يجوز ذلك بشرط أن يقول بعد نقل ذلك الرأي أو المذهب إذا كانا على غير الصواب مقالا يصرح به أو يلوح أن الحق خلاف ذلك ، فان الله أخذ على العلماء البيان للناس ، وهذا منه ، لاسيما إذا كان يعرف أن السائل سيعتقد ذلك الرأي أو المذهب المخالف للصواب

ومن المهم في ذلك أن الامام الشوكاني لم يبح للمفتي المقلد أن يفتي إلا من يسأله عن قول فلان أو رأي فلان ، ولم يبح له أن يفتي من يسأله عن الله أو حكم رسوله أو عن الحق أو عن الثابت في الشريعة أو عما يحل له أو يحرم عليه ، لأن المقلد لا يدري واحدا من هذه الأمور على التحقيق ، بل لا يعرفها إلا المجتهد ؛ وهكذا إن سأله السائل سؤالا مطلقا من غير أن يقيده بأحد الأمور المتقدمة ، فلا يحل للمقلد أن يفتيه بشيء من ذلك لأن السؤال المطلق ينصرف الى الشريعة المطهرة ، لا الى قول قائل أو رأي صاحب رأي . وهذه « اللجنة » قد ألفت من علماء المذاهب الأربعة ، فهم مقلدون لا مجتهدون ؛ وقد أبيح لهم أن يفتوا من لم يعين مذهباً في فتواه بحكم الله المؤيد بالأدلة ، من غير تقيد بمذهب من المذاهب الشرعية ولا يمكن لهم أن يفتوا بهذا إلا إذا خلعوا عن أنفسهم صفة التقليد ، وادعوا لأنفسهم صفة الاجتهاد ، ولا شك أن أكثر هؤلاء الأعضاء إن لم يكونوا كلهم لا يدعون لأنفسهم هذه الصفة وإنه ليسرنا أن يدعوها لأنفسهم . ولكنه يحول دون ذلك قبولهم أن يفتوا بحكم المذاهب الفقهية من يسألهم عنها وألا يبينوا حكم الله إلا لمن لا يعين في فتواه مذهباً من هذه المذاهب ، اللهم إلا أن يدعوا لأنفسهم الجمع بين الصفتين ، ويكون هذا من غرائب دستور « لجنتهم » ولكنا نجل إخواننا من أعضاء « اللجنة » عن هذه الدعوى ، ونعتقد أنهم سيعملون على إصلاح وجهتها ، وصرفها إما إلى الاجتهاد الخالص أو التقليد الخالص ، ليكونوا إما مجتهدين بحق وإما مقلدين

فتلك الخطوة التي خطاها الأستاذ المراغي إلى الاجتهاد خطوة ضئيلة جدا ، ولا يصح أبدا أن تكون نتيجة لذلك الجهاد الطويل

الذى قام به الداعون إلى الاصلاح وفتح باب الاجتهاد من عهد جمال الدين الأفغانى إلى الآن ، وهى خطوة من السهل أن ينظر اليها أنصار التقليد إذا آل الأمر اليهم وكأنها لم تكن ، ونحن نريد أن نفتح باب الاجتهاد فتحا صريحا يكون فى المستقبل حجة لأنصاره ، ونكأة يعتمدون عليها ، وحجة على أنصار التقليد يؤخذون بها ، والفرصة الآن سانحة بالتفاف رجال الأزهر حول الأستاذ المراغى ، واختيارهم له جميعا على أنه رجل الاصلاح وخليفة الامامين المصلحين : محمد عبده ، وجمال الدين

فلنبادر من الآن بالدعوة إلى عقد مؤتمر يجمع علماء الدين الاسلامى فى سائر البلاد الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، من رجال المذاهب الأربعة ، إلى رجال الشيعة الزيدية ، إلى رجال الشيعة الامامية ، إلى رجال الأباضية الباقين من فرق الخوارج ، إلى أنصار الاجتهاد الذين لا يأخذون بمذهب من هذه المذاهب ليكون فتح باب الاجتهاد فى هذا المؤتمر أمراً حاسماً لا يمكن أن يجادل فيه بعد هذا أنصار التقليد ، وينظم فيه أمر الاجتهاد تنظيما يفتح بابه لأهله ، ويغلقه دون من ليس أهلا له ، ويخط له الطريق إلى معالجة المسائل المهمة التى أدت إلى جمود الفقه الاسلامى ، وعدم تمشيه مع حاجة المسلمين ، ويملو به عما نشتغل به الآن من الخلاف فى أمور لا أهمية لها ، من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، والزيادة المعروفة فى الأذان ، وما إلى ذلك من الأمور التى نضيع وقتنا سدى فى الخلاف فيها

ولقد أرانى أبعدت فى الأمل بعد أن سكنت من زمن بعيد إلى اليأس ، ومضيت فى سبيلى لا ألوى على أحد ؛ على أنى سأمضى فى هذا السبيل الجديد بعد أن فتحت بابه على نفسى ؛ وأنا امرؤ لا يعرف الاحجام ، ولم يعود نفسه إلا الاقدام ؟

عبد المتعال الصعيدى

رسائل حاج

٣ - من روع الغرب
إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

وكنت لا أزال متزوياً فى مقدم الباخرة ، حينما أسفرت أضواء الفجر الشاحبة عن هذه البقاع الاسلامية المقدسة ، فاذا « بجدة » تسمو فى السماء اللازوردية ، بينما تتراى أمواج البحر على أقدامها ، تشقه عشرات البواخر والزوارق فى حركة متواصلة ، يتصاعد منها صخب داو اختلطت فيه كافة لغات الشرق ، فأعادت إلى ذهنى المكدود بابل بأسواقها وشعوبها ، إلا أن المدينة الخالدة كانت تبدو فوق هذه الحياة اللاغطة ، كأنما تسمو خلوداً فوق مظاهر مدنيتنا الحديثة الزائلة وقد برزت منها مآذن فى دقة الحراب وقباب كانت شاحبة البياض قبل أن يدنسها دخان بواخر الغرب فكانت ترسو فى ظلها المراكب الشراعية حاملة طوائف المسلمين من الهند وجاوة وسومطرا والصين وشواطىء أفريقيا

واقترب الصباح فاستعد الركاب للنزول وبدأوا يستقلون الزوارق الخفيفة ، وكان النساء يرتدين تلك الملابس البيضاء سافرات الوجوه ، لا يجرؤ أحد على أن يتطلع اليهن بنظرة ، ومن ذا الذى فى قلبه مرض فينظر اليهن فى هذه الساعة الرهيبة نظرة اشتهاء ؟ وفى الواقع أن الجاذبية الجنسية كانت منعدمة تماماً ؟ وقد أبعد الحجاج عن خواطرهم شتى صور الحياة حتى لا يحول شىء بينهم وبين الوصول بقلوبهم إلى نور الله الواحد القهار

وكان على الشاطىء حشد من الحمالين والمطوفين ومراقبى جوازات السفر وفريق من موظفى الحكومة لجباية الضرائب وهم جميعاً يتكلمون لغات شتى . فما إن يهبط عليهم أحد الحجاج حتى يلتقطه المطوف ويقوده إلى الموظفين المختصين وبعد إتمام الاجراءات الرسمية يصحبه إلى المسكن المعد لاقامته

وجاء دورى ، فلما مثلت أمام مراقب الجوازات تطلع إلىّ وسألنى عن جنسيتى فأجبته : من بلاد المجر ... عند ذلك أظهر ارتيا كا ، إذ لم يسبق له أن سمع قبل اليوم ببلادنا ؛ وأخيراً أسر إلىّ بأن مسألتى من المسائل التى يبت الأمير فيها بنفسه . وأشار إلى أحد رجال الشرطة وأمره بأن يقودنى إلى دار الأمير لأنه هو الذى بيده سلطة التصريح لى بالسفر إلى مكة . وكانت دار الأمير تبعد عن الميناء مسافة لا تقل عن نصف ساعة سيراً على الأقدام . ولبيت الأمر فسرت مع ذلك الشرطى نتجاذب أطراف الحديث فى طرق معبدة ملساء ، غير أنه كان من سوء حظى أن أحد مسامير الخف الذى كنت أنتعله ، برز من موضعه ودخل فى قدمى فأحدث لى ألماً شديداً ظل أثره أياماً طوالا

وما إن انتهت مقابلتى للأمير ، وقد استغرقت نحو ساعة ، حتى عدت إلى الباخرة ، وكنت قد نسيت أنى تركت أمتعتى فى الزورق البخارى ، ولقد كان أسفى لضياعها عظيما ، وكم عنفت نفسى لوقوعى فى مثل هذا الاهمال الذى كانت نتيجته ضياع الأمتعة بما فيها الكتب ! وكدت أقطع الأمل من العثور عليها ، ولكن الله سلم ، فان النظام المحكم الذى يقوم به رجال الشرطة فى الحكومة السعودية أتاح لى أن أعثر عليها بسهولة فى إحدى قاعات الجمرك وعليها بطاقة بأسمى . وبعد ساعة قادنى المطوف إلى دار الأستاذ محمد ناصيف الذى كنت أحمل اليه كتاب توصية ، وما كاد يتلوه حتى رحب بى على طريقة العرب فى شوق وترحاب ، وغمرنى بكل صنوف الكرم التى لن أنساها ؛ وتلك لعمرى إحدى مفاخر الاسلام التى تتجلى عظمتها فى كل مناحى الحياة

والأستاذ محمد ناصيف فوق أنه من سراة الحجاز رجل مثقف ثقافة عربية ناضجة ، وتضم داره مكتبة زاخرة لا يكاد الانسان يرى مثيلها فى بعض الأقطار الأوربية أو الأسيوية ، وله رفاق يلتفون حوله كأسراب الطيور ، ليلتقطوا من حديثه الشهى الحكم البالغة والآيات البينات

***

تبعد جدة عن مكة بمسافة ٧٩ كيلو متراً ، وتشبه مبانيها الاستحكامات العسكرية ، ودورها مرتفعة ارتفاعاً شاهقاً ، وهى

مكونة من جملة أدوار ، بينما تتوج جدة قباب المساجد المقدسة ، واسمة إياها بذلك الطابع الفريد الذى يميزها دون سائر مدن العالم

ومن الغريب أن قناصل الدول والوزراء المفوضين يقيمون فى جدة دون أن يتخطوها إلى داخل الأراضى المقدسة ؛ ويستحضر رجال الهيئة السياسية طعامهم من الخارج ، حتى الماء يجلبونه من مصر ، لأن مياه جدة أجاجية غير صالحة للشرب

وتستقبل أسواق جدة عادة زبائن من كافة بقاع العالم ، ولا يفتأ تجارها يستحضرون أنواعاً من السلع لا تناسب بينها مطلقاً ، بل هى خليط من أذواق مختلفة ومشارب متباينة

وبعد أن قضيت فى ضيافة الأستاذ محمد ناصيف بضعة أيام صدرت الأوامر بالسماح لنا بالسفر إلى مكة . والواقع أن الفترة التى قضيتها فى دار ذلك الشيخ الجليل دفعتنى إلى الايمان الشديد بأن الفوارق الجنسية لاأثر لها مطلقاً فى الاسلام ، بعكس مانشاهده فى الحضارة الأوربية من الاشادة بالقوميات والعصبيات وغيرها من المشكلات الاجتماعية التى تثيرها روح التعصب الأعمى .

وصادف أن رافقنى فى السيارة إلى مكة خمسة عشر زنجياً من أهالى الصومال ، وكنا فى خلال الطريق لا ننقطع عن أن نهتف : لبيك اللهم لبيك ! وهنا يجدر بى أن أنوه للمرة الثانيـة بعظمة الاسلام التى تتجلى فى عدم التفرقة بين الكبير والصغير والرئيس والمرءوس ، فالكل سواسية ؛ وقد شعرت بتلك الحقيقة وأنا بصحبة هؤلاء العبيد الفقراء ، وقارنت بين ذلك وبين الفروق الشاسعة فى أوربا الموجهة نحو احتقار العناصر الضعيفة والتفرقة بين الألوان

كانت السيارة تنطلق بنا فى طريق ممهد لا يمله النظر فى كل جزء من أجزائه ، طريق سلكه قبلنا ملوك وعظماء وأنبياء منذ مئات السنين ، وكانت السيارة كلما مرت بقافلة من القوافل نظر الأعراب إلى تلك الآلة الجهنمية التى تنبعث منها أصوات منفرة وروائح كريهة ، فى شيء من الحنق والغيظ . فقد أصبح النقل اليوم فى أكثر طرق الحجاز بالسيارات تمشياً مع مقتضيات الحضارة الحديثـة ، مع أن البدو كانوا يربحون الشيء الكثير من نقل الحجاج بالابل ، وكانت النقود التى تدفع إليهم تبقى فى حوزتهم ، أما السيارة فان ثمنها وأثمان وقودها وقطع تغييرها تتسرب الآن إلى خارج البلاد ، فلا عجب إذا نظر إليها البدو فى شيء من الحنق ونقموا على من كانوا سبباً فى إدخال تلك « الآلة الجهنمية » إلى الصحراء ، وهم يقولون إن الانسان يجب أن يركب فى سبيل الحج أشق الأمور ، فلا يخال نفسه ذاهبا إلى سياحة هادئة ، ويتذرع بوسائل الراحة والرفاهية مما يلقاه فى السيارة ؛ وبمقارنة الابل بالسيارة ، نجد أن للأولى قوة احتمال على الجوع والعطش ، بعكس السيارة التى تحتاج إلى تجديد الماء كل أربع ساعات ، والوقود كلما نفد ، فضلاً عن جهل السائق بميكانيكيتها مما يسبب عطلها فى الطريق وترك الحجاج فى العراء إلى أن تقدم سيارة أخرى

أجل ! لقد أزعجت السيارة ذلك الهدوء الشامل فى الصحراء وأقضت مضاجع الأعراب وحولت طمأنينتهم إلى نوع من الثورة على الحضارة الأوربيـة وما تقدمه إليهم من كهرباء وطيارات ولاسلكى

دخلت سيارتنا مكة فى منتصف الليل تقريباً فراعنى أن أرى الناس فى الشوارع ، يغطون فى نومهم ويحلمون بالجنة التى هم بها موعودون ، لاسيما وأنهم أصبحوا على قاب قوسين منها . أهاج هذا المنظر خاطرى فانبثق فى نفسى شعور خفى وأنا أستقبل تلك الأرض المقدسة التى وطئتها قدما الرسول وكانت خير منارة للحق ، فهدت الناس إلى السبيل القويم

وقصدت لساعتى إلى دار مطوفى ، وهى دار رحبة عالية البنيان ، بها غرف فى الدور الأسفل أعدت لاستقبال الحجاج الجدد عند وصولهم إلى مكة . وبعد أن رحب بى المطوف سألنى عما إذا كنت فى حاجة إلى طعام أو شراب فأجبته بالنفى ، إذ كنت لا أزال غارقاً فى تيار من الأحاسيس الخفية ، ممالاً النفس بقرب بزوغ النهار للطواف بالكعبة المقدسة

وما إن غشيت غرفتى واستلقيت على البساط حتى أغمضت عينى واستولى علىّ النعاس ، فتخيلت الرسول الكريم وقد بدا أمامى فى شكل نورانى ، يكاد يخطف الأبصار ، وكأنما هو ينشر كلمة الله فيضيء بها العالم يدعو الخلق إلى كلمة الحق ، ورأيت الخلفاء الأربعة يتوسطون حلقات من الناس طبقاً لقواعد الدين الحنيف ، ويسودون العالم بالحكمة والمحبة لا بالعنف والشدة ،

ثم تخيلت هارون الرشيد وهو يجول آناء الليل فى شوارع بغداد ويجوس فى خلال أزقتها ودروبها ، فيكافئ الأتقياء وينزل عقوبته بالمجرمين ، وانبسطت أمامى بلاد الأندلس الزاهرة وقد سادها حكم العرب ، فنشروا بين ربوعها العلم والحكمة والفلسفة والفلك والفقه حتى أصبحت هذه العلوم كشجرة مباركة فرعها فى السماء ، وأظلت بأوراقها اليانعة الخضراء نجاد مكة المكرمة والكعبة الشريفة ؛ ولا يظن أحد أن ما شهدته كان من قبيل الرؤيا أو أضغاث أحلام ، بل هى أشباح خالدة تطوف بذهن كل مسلم صادق العقيدة متوجه إلى الله بقلب نقى طاهر

وعند انبثاق الفجر نهضنا من النوم على أصوات ملائكية ، كأنها هابطة من السماء ، تلك هى أصوات المؤذنين يدعون المؤمنين إلى صلاة الفجر التى هى خير من النوم ، فقمت مهرولا ، وبعد أن توضأت يممت شطر المسجد الحرام ومعى مطوفى ، وكنت أؤدى الصلاة المفروضة طبقاً لارشاده ، ثم بدأت أطوف بالكعبة فسرنى أن رأيت الوفا من الحجاج ، من كافة الألوان والأجناس ، يقبلون فى لهفة على لثم الحجر الأسود ، وهو رمز تاريخى للاسلام ، كان الرسول الكريم يتبرك به ويقبله ؛ وتبعه فى ذلك الخلفاء الراشدون ، وظلت تلك العادة متبعة للآن ؛ ولقد حاولت مرارا أن أقترب منه فكان يصدنى عن بلوغه كثرة الزحام ، وبعد مشقة لمست بيدى سطحه الرمادى الأملس ، ولكن ما كدت ألثمه حتى رأيت سيدة من أهالى فرجانة تقع على الأرض إثر صدمات عنيفة من الخلف ، وكانت تحمل على ظهرها طفلتها المسكينة التى ستصبح حاجة بعد حين ، ولقد قدمت هذه المرأة التقية إلى الحج ممتطية صهوة جواد مع بقية أفراد أسرتها ، من بلدها فى أواسط آسيا فاستغرق سفرهم أربعة أشهر ؛ ولقد أخبرتنى هذه الحاجة أنها كانت تدخر لهذه الزيارة المقدسة من سنوات بعيدة ، وأخيراً حققت حلمها وكانت مبتهجة أشد الابتهاج

وقمت بعد ذلك للسعى بين الصفا والمروة ، وهناك نالنى كثير من المشقة والعناء ، فجلست بجوار حلاق أخذ يقص خصلة من شعرى المبعثر عملا بالسنة الشريفة ، ولبثت فى انتظار مطوفى ليأخذنى إلى جبل عرفات

إن اللقاء على جبل عرفات لهو الفرض الأساسى تقريباً للحج ، فالحجاج الذين يفدون إلى جدة متفرقين ، يجتمعون كلهم فى يوم واحد ويحشرون فى صعيد واحد ، وهنا تظهر عظمة الدين الحنيف وحكمته ، فقد كان مجموع الحجاج فوق عرفات لا يقل عن خمسين الفاً ، مع أن مكة بساحتها الشاسعة لا تستطيع أن تأوى مثل هذا العدد الوافر

وجبل عرفات من أجمل جبال العالم ، يصل الماء اليه من « عين زبيدة » فى أنابيب ، وهو عمل عظيم فى ذاته ، لأنه يخفف من متاعب الحجاج للحصول على الماء . وهناك تل يطلقون عليه « جبل الرحمة » به مصلى كان النبى عليه الصلاة والسلام يصلى فيه

ولقد رأيت الحرس الوهابى يقيم على تلك البقعة ليمنع الحجاج من اقامة الصلاة بالقرب منها ، كما أنهم يحرمون على الحجاج السجود أمام العمد الحجرية المسندة اليها

والوهابيون يعارضون أشد المعارضة فى تدخين التبغ ، ولكنى رأيت أن هذه العادة تكاد تتلاشى ، وألفيت كثيراً من الناس يدخنون فى الطرق العامة حتى فى الجبل وبجوار المصلى ، كما أبطلوا عادة الخطابة التى كانت تلقى على ظهر البعير

(يتبع) عبد الكريم جرمانوس

بين الثريا والثرى

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

الحمل والجدى والسرطان : هى الأبراج المعروفة بهذه الأسماء ، والمعنى هو أن الشباب لا يهتم بما يخبئ له القدر ، كما يهتم من يرصد الأفلاك والأبراج ليعرف منها ما يخبئه له القدر (الناظم)

الشباب

تذكرنى الشباب ، وقد علونا ... به فوق المجرة والنجوم
ونحن الخالدون ، وكان حقا ... خلوُّ الخالدين من الهموم
سوى الحزن الذى عقباه ضِحْكٌ ... يرن صداه فى ضحك الهزيم (١)
وطئنا فوق أطلال الدرارى ... وأشرفنا على يِسد السديم
فلا حمل ولا جدى رقبنا ... ولا السرطان ذو البرج العظيم
وما من صولة الأقدار خفنا ... ولا لاحت لنا مثل الغيوم
بأرواح لها فى الأفق مسعى ... وتحليق على العيش البهيم
ركضنا فى السماء لكل نجم ... خُنوَّ الطير للزهر العميم
وحوّلنا وجوه الكون كأساً ... حسوناها ولم تكُ من كروم
ولم نعبأ بما تُخْفِى الليالى ... ولم نَخْشَ المنية فى الهجوم
وأسْلَفَنا الزمان نعيم عيش ... ولم نحذر مقاضاة الغريم
وكنا فى ائتلاف الشمل نحكى ... نظام الشهب والدر النظيم

المشيب

سكنا الأرض بعد الأفق دارا ... وأنزلنا إلى بطن الأديم
وأفْهِمْنَا القضاء ، وما فهمنا ... وقُلْ ما شئتَ فى لغو العليم
وكُسِّرَت القوادم والخوافى ... وهِيضَ العظم فى الجسم الكليم
صحونا للحياة ، وما نراه ... من الخُلُقِ المُقَبَّحِ والنميم
فمن حذر إلى بخل وذل ... وسوء الظن بالخلِّ الحميم
أطَلَّ الموت من كَثَبٍ علينا ... وظِل الموت أصبح كالنديم
تُرَوِّعُنَا الصروف بكل خطب ... وخطب الموت أهون للفهيم
وضاعت جِدَّةُ الدنيا وصارت ... كأطمار على جسم العديم
يحاربنا التذكر والتمنى ... كلا الأمرين يُفْضِى للهموم
وقدما قد نعمنا بالتمنى ... وأمَّلْنَا الخلود على النعيم
وليت الذكر ، وهو نذير شجو ... يدوم بروقة العهد القديم
سننسى أننا كنا قديماً ... على هام الثريا والنجوم

عبد الرحمن شكرى

---

(١) ضحك الهزيم : يراد به صوت الرعد

الليلة الثانية عشرة

للشاعر الحضرمى على احمد با كثير

إحدى روايات شكسبير الخالدة يترجمها إلى العربية شعراً الشاعر الحضرمى على أحمد با كثير ، وقد تصرف تصرفاً لا يضير بجمال الأصل ، بل يزيده أحياناً وضوحاً وحسناً ؛ كما فعل فى التورية اللفظية التى قصد إليها شكسبير فى كلمتى HART (الوعل) و HEART (القلب) فقد نقل المترجم الصيد من البر إلى البحر ليتسنى له الاتيان بمثل هذه التورية فى اللغة العربية ، وإلى القارئ المشهد الأول من الرواية :

المشهد الأول — فى قصر الدوق

يدخل الدوق و (كريو) وأشراف آخرون ، حيث فرقة الموسيقى على استعداد

الدوق :

هات ألحانك يا عازف إن ... تكن الألحان للحب غذاء !
هاتها ! زدنىَ منها فعسى ... أن يلاقى حتفه منها امتلاء !
أعِدِ اللحن الذى غنّيته ! ... إنه طاب علىّ السمع غناء
كاد من رقته يفنى ! فلم ... يَدَعِ الشجو له الاذماء !
رفَّ بالسمع جنوباً عَطِراً ... سرق الروض شذاه ثم جاء
قَدْكَ ! قف لحنك هذا لم يعُدْ ... عندىَ الآن وما قبلُ سَواء
آه رُوحَ الحب ! ما ألطف مسـ ... ـراكِ فى النفس وأقواك مضاء
قوةٌ هائلة أنت ، فقد ... كدت تطغين على ماضى القضاء
قوة حُوَّلَةٌ قُلبة ... أبداً تَبْدين فى ألف رواء
أين منك البحر عُظما وقُوَى ؟ ... إنه ماء وأنتِ الكهرباء !
تسقط الأنهارُ فى البحر فلا ... تعدم التأثيرَ فيه والثَّواء
وهمومُ النفس مهما عظمت ... وسمت أوجًا ، وشطّت فى غلاء
دون أمواجكِ فى ثانيةٍ ... تتلاشى كالتماع من ضياء !

فاذا الغالى رخيصٌ ، و إذا الـ أوج قعر ، و إذا الأسْرعياء (١)

كريو :

مولاى ! هـل لك فى صيـد البال ؟ فالجو حالى (٢)

الدوق :

ويلك ! هـل أنا إلاّ فى الصيد ! والبال بالى !

أعـزُّ شىء بجسمى قـدراً وأنفسُ غالِ

أوّلَ ما زلزلتـنى بطرْفها القتـال

(أوليڤيا) ، وهدتنى للحبّ بعـد الضلال

هناك صُيِّرتُ بالاً مضرّساً بالنكال

مطارَدًا طـول أيّا مه وطول الليـالى !

اكتنفتْه شِبـاكٌ من كل وجه وحال

خيوطها من همومى ونسجها من خيالى ! !

« يدخل فالنتين »

— هات عنها ! ماذا وراءك ؟

— ما يُرْ ضيك مولاى ! لو رُزِقتُ القبولا

سلمتْنى عنها الوصيفةُ هذا الـ ردَّ منها — وما أُراه جميلا — :

لن يرى الكونُ نفسُه وجهَها السّا فرَ سبعاً كسبع يوسف طولا !

نذرَت أن تبقى كراهبة الدَّيْـ ر عليها نقابُها مسـدولا

كل يوم تطوف بالبيت بالدمـ ع يبلّ الثّرى ويُحنى المسيلا

كل هذا من أجل موت أخٍ كا ن إليهـا المحبّب المأمولا

رُزِئَتْه فأقسـمتْ لَتُديمَنّ (م) أساها عليـه دهراً طويلا

الدوق :

زهِ ! ضمّتْ إذاً — إلٰهى لك الحمـ دُ ! — إلى حسنها الشعورَ النبيلا !

كان هـذا وفاءها لأخيها كيف بالله لو أحبّت خليلا !

لوْ إليها (كوبيد) سدّد يوماً سهمه المُذْهَب اللطيف القتولا !

فغدا فى فؤادها كلُّ همٍّ شاغلٍ — دونه صريعاً قتيلا

واعتلى عرشَ قلبها مَلِكٌ فرْ دٌ كفرعونِ مصرَ دانَ النيلا !

سِرْ أمامى إلى أريكٍ من الزّهـر أُهدهِدْ بها الفؤادَ قليلا !

حيث تُلْنى خواطرُ الحب فى أكـ نافها مرتعاً خصيباً ظليلا ! !

علي أحمد باكثير

(١) الأسر : القوة (٢) البال : نوع معروف من الحيتان والبال أيضا القلب

الشاعر

للسيد رياض معلوف

من كتابه « الأوتار المتقطعة » الذى صدر حديثاً

شاعر فى شـفتيه كلمات مُـنْزلَهْ !

ضاقت الأرض عليه لطموحهْ

وخيالهْ

جـذوة فى مقلتيه رُوحُـه المشتعلهْ

قطرة من محجر الله ورُوحِه

وجمالهْ

شاعر إن شدا وردّدا شعرا فنياط القلوب من أوتارهْ

ما ابتسام الربيع ألطف ثغرا منه حتى لو كان فى نوّارهْ

ودموع الصباح أطهر دمعا منه فوق الخدود من أزهارِهْ

أين شدْو الهزار فى الروض منه لا يجاريه روضـه بهزاره

هو (مُوسّيه) هل سمعت نواحا فى الليالى أرق من أشعاره

وهو (دَنْتِى) هلا رأيت جحيما بكتاب حروفهُ جَمْرُ ناره

والمعرى ، رغم العمى (ضوء سقط) يهتدى التائهون من أنواره

رياض معلوف

يـد الأيام

للسيد الياس قنصل

لو كانت الأيام تقضى مرّةً للمرء ما يصبو إليـه ، معجبا

لخلعتُ عن نفسى ثيابَ رزانتى ورجعتُ مسروراً إلى عهد الصّبى

هى حقبة فى العمر يحرس صفوَها ظلٌّ من الطهر الصميم ظليلُ

وكأنها لخلوِّها من كلّ ما يئدُ العواطفَ للكمال سبيلُ

يسخو الزمان بما لديه على الذى رضىَ الوجودُ بأن يريه ضياءهُ

لكنّ حُمّاه ترافق جودَه سراً ، وتتلف ما يفوق عطاءهُ

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٣٠ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

الناحية الايجابية من مذهب نيتشه

السوپرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوي

لنفترض أن هذه القوى يتفاعل بعضها ببعض تبعاً لقانون المصادفة والتدابير المتعاقبة ، وأن الترتيب اللاحق مؤثر في الترتيب السابق ، فما عسى يقوم في أزلية الزمان ؟ أرانا إذ ذاك مضطرين إلى القول بأن هـذه القوى لم تبلغ بعد نقطة التوازن ولن تبلغها أبداً ، إذ لو كان هـذا الترتيب في استطاعته أن يظهر يوما ما ، لاستطاع إذاً أن يظهر لتطاول الزمن الغابر . والعالم – عند ذلك – يصبح جامداً ساكناً لا يتحرك ، لأن من المحال أن تضل هـذه القوى عن « نقطة التوازن والاستواء » بعد أن أدركتها ووصلت اليها . فنحن إذاً أمام القول بأن شحنة من القوى الثابتة المعينة تولد – في هـذه الآماد – تدابير لا تنبتر وحالات لا تتناهى . وبما أن الزمان لا نهاية له ، وبما أن هذه الشحنة من القوى هي معينة محدودة ، فسوف تأتي لحظة – مهما كانت هذه القوى عظيمة ومهما كانت آثارها الناشئة عنها كثيرة – نرى فيها هذه اللعبة الطبيعية غير العاقلة تولد « تدبيراً » أو تهتدي إلى حالة تستقر عندها وتقف عليها

ولكن هذه الحالة أو هذا الانتقال سيجر وراءه سلسلة تامة من الحالات المتسببة عنه ، من حيث أن الحركة العالمية تولد ذات الأشياء وتمشي باستمرار على دائرة واسعة . كل حياة خاصة هي جزء من هذا الدور الكلي . وكل فرد قد عاش الحياة ذاتها مرات لا تحصى وسيعيشها إلى الأبد . كل الحالات التي يمكن للوجود أن يبلغها قد بلغها في الماضي مرات متعددة . قد كان مرة ، ومرات عديدة سيكون وسيعود . وكل القوى السابقة متوزعة اليوم توزعها بالأمس

أيها الانسان ! إن الحياة كلها كرملة ترش دائماً وتجمع دائماً . وكل خليقة من هذه الخلائق لا تنفصـل عن الأخرى إلا بقدر تلك اللحظة الطويلة الضرورية لها حتى تعود تلك الضرورات التي كانت سبب ولادتها ، فتعود إلى الظهور . والولادة حالة محلها في « الدور العالمي » وعند ذلك ستجد كل شقاء وكل غبطة ، وكل صديق وكل عدو ، وكل أمل وكل ضـلال ، وكل غرسة وكل شعاعة من الشمس ، وكل نظام الأشياء ، وهذا الدور الذي انت فيه مثله مثل الحبة سينبثق من جديد

في كل دور من أدوار الوجود الانساني ، لكل إنسان – على الأغلب – ساعة تظهر فيها الفكرة القوية القائلة « بالرجعة الدائمة » لسائر الأشياء . وهذه الساعة التي تبلغها الانسانية هي ساعة « الهاجرة »

وما إن بدا لنيتشه هذا المذهب حتى سرى في روحه ، وغمر فكره ، وغلب على قلبه ؛ وقد عزم على أن يغامر بعشرة أعوام من عمره ، يدرس التاريخ الطبيعي لكي يستطيع أن يبني مذهبه هذا على قواعد علمية ثابتة ، ولكنه لاذ بالصمت وأدرك خيبته في زعمه هذا . ولكن فكرة الرجعة الدائمة ظلت تتجاذب فكره ، وظل يدور حولها . وهذه الفكرة كانت احدى هبات « زرادشت » الكبرى إلى رجاله

وقد وضح جلياً تأثير هذه الغمة التي غشيت نيتشه يوم أصبح يؤمن بهذه الرجعة الدائمة . ولن نستطيع أن نتخيل حلا لمسألة الوجود أظلم وأبهم من هذا الحل ، فالوجود لا يعني شيئاً ، إنه وليد مقادير عمياء ، ينتج من وراء مصادفاته الخالية من الشعور قوى يمتزج بعضها ببعض ، فيخلق بعض النماذج على

إني بلغتُ إلى الشباب مضيّعا ... من حيث لا أدري جمالَ هنائي
في كل يومٍ كان يهلك بعضُ ما ... زخرتْ به نفسي من الآراءِ
فإذا التفتُّ إلى الوراء رأيتني ... أشلاءَ ضمّتها الليالي الماضيهْ
ووجدتُ حولي ما يماثل غربةً ... تغشى بلاقعها الأماني الذاويهْ
والحق أني قد غُبنتُ ولم أفز ... إلا بساعات من الآلامِ
ما خبرتي إلا شعور طهارةٍ ... خنقتْه في صدري يدُ الأيامِ

(عاصمة الأرجنتين) الياس قنصل

حسب المصادفات . أما الحركة الشاملة للوجود فهي لا تقود جزءاً منه ولا قسما . وإنما هي تدور حول نفسها بدون انقطاع في نفس الدائرة ، وهذه الحياة التي نحياها سنكررها إلى مالا نهاية ، دون أن يكون هنالك رجاء في التغير . وكل لحظة مشحونة بالكآبة والشقاء والسأم سنحياها مرات لا تحصى . فهل في الامكان أن نتخيل ما يصنع هذا الافتراض في جماعات المنحطين والمرضى والمتشائمين ، وفي كل من ترجح كفة شقائهم على كفة فرحهم ؟
إن عند أغلب الناس — كما يبدو — فكرة تشبه فكرة العودة الدائمة ؛ تظل وإن لم تكن مبنية على مبدأ معين — غير مؤذية ولا ضارة ، لأنها تبنى فكرة مجردة خارجة عن الادراك ، لأن مخيلتنا غير قادرة على اخراج هذه الفكرة إلى حيز الحقيقة ، ولأن المعارف التي يتلقاها عقلنا لا تعين إلا قليلا من قوتنا الحاسة . ولكن نيتشه هو الذي يهب الحياة اتعاليمه ، وهو يتفلسف بكل وجوده

وقد يشاهد أن الرجعة الدائمة أخذت تظهر في بعض اللحظات ككابوس شيطاني يملأ قلبك رعباً ويقف دقات قلبك ، وقسوته على المنحطين والأشقياء بدأت الآن ترتدي غير رداء ، وقد وضح ما يريد في صيحته هذه « ليموتوا سريعاً . ليقتلوا أنفسهم ، أو ليقتلوا ، هؤلاء المنحطون . . . . ! ! من قبل أن يتمكنوا من قياس أعماق هاوية الآلام التي غرقوا فيها ، وقبل أن يفقهوا معنى القدر الوحشي الذي يقضي عليهم بأن يجرجروا صلبانهم بدون أمل في نجاة ، وإذ ذاك تفهم إذا كانت الانسانية في استطاعتها أن تتحمل هذا المذهب دون أن تزل سريعاً في هاوية اليأس والخوف ، أو أن تعتبر فكرة العودة الدائمة كابتلاء يهوى به من لا تصلح حيويتهم

لابد من قوة نفسية خارقة لاحتمال فكرة العودة الدائمة وهذا هو صاحب هذه القوة النفسية يستطيع أن يقول « إذا لم يكن للحياة معنى بذاتها فأنا أعطيها معنى . إنما أنا قطعة من الطبيعة تريد أن تكون دائماً جديدة ، تسمى بدون سأم ولا نصب إلى ما لا نهاية في الحلقة ذاتها . إنني سأرتفع وأصعد حتى يتسنى لي أن أتأمل كفنان روعة الحياة المخصبة التي لا تفهم . وسأهتز طرباً إلى لعبة هذه القوى التي أنتجت وحصلت كثيراً من الآلام اللطيفة الرائعة . والتي ولدت الانسان وستلد السوبرمان . سأتمنى بكل قلبي وإيماني من القوة العمياء أن تبدع شيئاً لامعاً ساطعاً يسمو على الانسان . وسأحيا يراودني هذا الأمل ، وسأجعل وجودي كله وعاء لهذه الفكرة . أريد أن الدائرة التي تتحرك فيها الحياة تحور إكليلا باهراً زاهراً . سأقضي حياتي فرحاً مرحاً ، راجياً أن يؤول دوري الذي أمثله إلى نتيجة حسنة . وإذا خسرتُ — في هذا الدور — فلي رجاء كبير فيمن يليني ويأتي بعدي . وهكذا لا يتلاشى من الوجود ضياء الحياة ولا يكفهر . وهكذا الانسان المأخوذ بهذه الفكرة التي تزيده نشوة ، يصبح في حالة يبصر فيها هزائمه وانكساراته كفدية يسيرة لأفراحه وانتصاراته . يجدها كالمنخس الذي يدفعه دائماً إلى التعالي والتسامي ، إلى تفوقه على نفسه . وهكذا إذا رجع إلى محاسبة نفسه يرى أن مقدار سروره كان أرجح من مقدار ألمه وإذ ذاك يرضى بكل حمية وشوق فكرة الحياة الخالدة ، وفكرة القبول بالحياة التي يكررها إلى الأبد

ولهذه النتيجة تسامى أولئك الرجال الساهون الذين جمعهم زرادشت في مغارته . فحين عرض عليهم تعاليمه الجديدة وفضائله الجديدة ، وفتح عيونهم على جمال الحياة وروعة الحياة ، وحين شفاهم من تشاؤمهم ورفع نفوسهم التي أوشكت أن تنحني تحت أثقال الكآبة والسآمة ، جمعهم تحت جنح الظلام أمام المنارة تحت قبة السماء

« جلسوا صامتين متهيبين . كلهم في سن الكهولة ولكن قلوبهم تفيض قوة وحياة ، وكل منهم راض بنفسه عن نفسه إذ غدا شيئاً صالحاً على الأرض ، وكان سكون الليل المفعم بالأسرار يناجي قلوبهم . عند ذلك تمت الأعجوبة الأعاجيب . فالانسان الأكثر قبحاً جلس ينفخ للمرة الأخيرة ، وحين دعاه داعي الكلام قال : هذا السؤال الذي خرج من فمه طاهراً نقياً عميقاً ، وجميع من كانوا حوله يصغون إليه أحسوا أن قلوبهم تهتز وتخفق طرباً

قال : « هأنا — لأول مرة — غدوت راضياً عن حياتي

جميلة الحياة على الأرض . ان يوماً واحداً ، ان عيداً واحداً مع زرادشت علمانى بأن أحب الأرض

سألت الموت : هل — هنالك — الحياة ؟

ألا لنأت مرة أخرى

أصحابى ! ألا تريدون أن تقولوا للموت مثلى : هل هنالك الحياة ؟ وفى سبيل محبة زرادشت لنكن مرة أخرى »

أفلح إذ ذاك زرادشت . فان الرجل الأكثر قبحاً ، والمسخ الذى قتل بمضه الآلـه ، الذى يتمثل فيه كل قبح وشر وسوء فى الانسانية قد تلقى الآن جمال الحياة ، وأدرك أن الألم هو فدية لا مندوحة منها للسعادة ، فقال : — بلى للوجود . وبينما كان النبى محاطاً بأتباعه ، يتذوق خمرة هذا النصر كان يتهادى ناقوس قديم ذو رنين حاد يعلن ببطء — مجيء نصف الليل — أن نصف الليل هو الساعة الواحدة التى يلتقى فيها النهار الذى انتهى بالنهار الذى سيبتدئ ، حيث يصافح الموت الحياة . نصف الليل هو ساعة الصمت الأكبر ، حيث النفس المتأملة تتفتح لها التأملات والأسرار الخفية . وبينما كان الناقوس القديم ، الرسول الذى يقرع لأفراح الانسانية وأوجاعها ، يعلن بدقاته الاثنتى عشرة عن تلك اللحظة التى يجوز فيها الموت الى الحياة ؛ نرى زرادشت يترك رجاله السامين يلحون الفكرة الكبرى للرجعة الدائمة غارقة فى الألغاز كأنها مزمور رمزى معطر بالنشوة الدينية

١ : ألا احترس أيها الانسان !

٢ : ماذا يقول منتصف الليل العميق ؟

٣ : كنتُ أنام ، كنت أنام

٤ : هأنا قد تيقظت من حلم عميق

٥ : الوجود هو عميق

٦ : أعمق مما لم يفكر فيه النهار

٧ : وعميق شقاؤه

٨ : وفرحه أعمق من ألمه

٩ : الشقاء يقول لك : اهلك

١٠ : ولكن كل فرح يبتغى الخلود

١١ : يبتغى الخلود ، الخلود العميق

« انتهى البحث فى فلسفة نيتشه (*) »

« خليل هنداوى »

(*) يطبع قريبا كتاب « فلسفة نيتشه » وهو أول كتاب فى العربية يبحث فلسفة هـذا الفيلسوف الصارم ، وسيكون مذيلا ببعض آثار نيتشه الأدبية



القصص

مأساة من اسخيلوس

٢ – أجاممنـــــون

للأستاذ دريني خشبه

« آرجوس ! »

« وطني العزيز ! »

« أربابي ! . . . »

« لكم في عنقي دين أبدي من الشكر ، وفي فمي لسان رطب لا يفتر عن ثناء ؛ فلولاكم ما نسمت هذا العبق الحلو الذي يتأرج به هواء هذا البلد ، ولا ظفرت باليوم الخالدة ، دولة بريام ، ودرة هذا الزمان ! أجل ! فلقد بده الآلهة ما ألم بشرفنا القومي ، وحاق بعزتنا الوطنية ، فقضت أن تكون طروادة نهباً مقسماً لا يحل إلا للهيلانيين ، فلا تزال ألسن النيران تملن في الخافقين حكمة السماء من أبراجها الشاهقة ، وصياصيها السامقة ، وقصورها الشماء ... وغداً تصبح صعيداً جُرُزاً وطللا بالياً ... من أجل من ؟ من أجل امرأة !

أما أنتم يا رعاياي فأشكر لكم إخلاصكم ووفاءكم وتعلقكم بهذا العرش الذي يستمد قوته منكم وما يزال يرتقي بتأييدكم ... وسننظر فيما تم إذ نحن نازحون عن الديار فنجزي كلا بما عمل ، ولا نغضي عن إساءة المسيء ، ولا نتسامح في تألب المتألبين ... يا آلهة النصر ... لك الحمد ولك الثناء ... لا زلت تباركين آرجوس ، ولا برحت أياديك تنتضر هذا الوطن »

— ١٦ —

وما يكاد الملك ينتهي من كلمته حتى تدخل الملكة ... الملكة كليتمنسترا ... أو الحية الرقطاء ! ... التي لا تفتأ تتحدث إلى الملأ عن حبها للملك ، وعن الآلام المبرحة التي عصفت بقلبها أثناء غيابه ، والوحشة التي ظلت تخيم على الـ (بلبيوديه) المتبق الشاهق طيلة هذه السنين العشر ... وتتحدث عن الاشاعات المحزنة التي تناقلتها الألسن عن الملك المفدى في ميدان إليوم ... ثم .. ترى ألا بد من كلمة عن هذا الأمير الصغير المنفي ... أورست ... الذي هو « ثمرة حبنا وواسطة عقدنا ، والنور الالـهي الذي يغمر قلبينا ويؤلف بين روحينا ... إنه ينشأ ويشب ويترعرع في كنف صديقنا وحليفنا ، وحافظ ودنا ، الأمير ستروفيوس ، صاحب فوسيز ، الذي تفضل فحماني في غيبتك ، وذاد عن قصرك المنيف تكالب الأرجيف[1] ... ... ولقد كنت أتقلب على إبر الشوك حنيناً إليك ، وشوقاً إلى لقائك ... وكنت أبداً حزينة كاسفة لأن النيران لم تشتعل مؤذنة بأوبتك ... ولكن ... ها أنت تعود فتعيد الآمال إلى القلوب الواجفة ، والايمان إلى النفوس التي نكأها اليأس ، والرجاء إلى كل من عزه الرجاء ... ... »

ثم تختل الملك وتخدعه ، عسى أن تنطلي عليه تدبيراتها السود فيلج معها في القصر ، وتنفذ فيه الغيلة الرائعة الرهيبة التي رسمتها له ، والتي آلت إلا أن تكون بيدها . . . وبسلاح عاشقها الآثم إيجستوس ...

« ... والآن هلم يا مليكي ... يا رجاء آرجوس وفخر هيلاس كلها . . . هلم فترجل من تلك العربة الفخمة الفاخرة ذات الأوشية ، وطأ أرض القصر العتيد بقدميك الراسختين ، كما وطأت بها عز طروادة ومنعتها . »

وتكون الملكة قد أعدت بساطاً كبيراً من الخز الأحمر الأرجواني ليمشي عليه الملك ، فتأمر قيانها وجواريها أن يبسطنه على المرمر الناصع ... « ليخطر عليه مليكي ، وليتم بهاء اليوم

(١) أهالي أرجوليس

... وأبهة النصر ... بما عاد رب البلاد ظافراً ! »

— ١٧ —

وتصدع الجوارى فيبسطنه

ولكن أجاممنون ، الذى كان الوسواس يملأ قلبه ، والشك يذوب فى كل قطرة من دمه ، وسرطان الهم ينهش نفسه الحائرة ... ظل فى عربته متردداً ...

ذلك أن كاسندرا ، تلك النبية الجالسة بجانبه ، ابنة بريام التى جلبها معه لتكون خليلة له فى ال — (بلبوديه) — كانت قد تحدثت الى الملك ، فكشفت له أستار الغيب ، وتنبأت عما ينتظره من دم ... وغدر ... وما ينتظرها هى أيضاً من مثل هذا المصير الأحمر ... والقدر المخبوء ...

وكانت أصداء النبوءة التى ملأت بها كاسندرا رَوْع الملك ، ما تزال تتجاوب أصداؤها فى قلبه ، وتهتف به بألف لسان أن ... يحترس ! فقال للملكة :

« إيه ياابنة ليداء ، وحارسة عرشى وحامية صولجانى ! لقد استطالت تهنئاتك بقدر ما استطال نأيى وشط نزوحى عن آرجوس ! بيد أننى كنت أوثر الثناء الوشى من غيرك ، وكنت أوثر ألا أرى فيك تلك الغادة اللعوب من غادات الشرق السحرى ... تتحوى وتتلوى ... وتلق رجلها بكل مصنوع ومجلوب ! ثم ماهذا البساط الأحمر الحريرى ؟ هل أصبح أجاممنون إلهاً ؟ إن البسط الحمراء لا يخطر عليها غير الآلهة ... فهى حق مقدس لهم ... أما بنو الموتى ، فليس أجلب للذعر ، وأدنى للرهبة ، من أن يتطاولوا على حقوق الأولمب ، ويؤثروا أنفسهم بما ينبغى أن يبقى للسماء ! ... والمجد ... بعد كل ذلك ... لايعوزه أن يسير على مهاد من المخمل ، أو أن يهز أعطافه فى حلل الدمقس ... إيه ! الخلود والمجد لمن تنتهى حياته الحافلة فى أمان وسلام ! »

— « ماذا أيها الملك ؟ هلم فحدثنى ... واجل لى خافيتك ؛ ماذا تريد أن تقول ؟ »

— « سأجلو لك كل شىء حتى لا يكون خفاء بيننا : »

— « قد تكون نذرت هذا فى ملمة نزلت بك ! »

— « بديهة حاضرة يا ابنة ليدا ! »

— « وماكان من أمر بريام ؟ وبم استحق هذه النهاية إذن ؟ »

— « أغلب ظنى أنه فرش طريقه بالخز والديباج . . . ؟ خنقت عليه الآلهة ؟ »

— « أنت تأبه كثيراً لما عسى أن يتقول الغوغاء ! »

— « وأى شىء هو أعنف من تقولات الغوغاء ؟ »

— « من لا حسود له ، لا معجبَ به ! »

— « آفة المرأة أنها أبداً تثير الشغب والاضطراب ! »

— « حاشاى ! بيد أنه من العظمة للمرأة أن تخضع فاتحاً عظيما (كفاتح طروادة !) »

— « أفنحن إذن فى معركة حتى يشتد حرصك على الغلبة فيها ؟ »

— « هلم . . ترجل . . دعنى أنتصر على قاهر طروادة ! »

— « إذا كان لا بد من هذا ، فمرى أحداً ينزع حذائى ، فقد يطلع أحد الآلهة من ذروة الأولمب فيرى إلى أطأ الخز الأحمر الأرجوانى بهما ، فينقم على ويثور بى . . . كم أضطرب حين أخطو خطوةً واحدة على هذا الديباج ؟ . . . »

(تتقدم جارية من جوارى الملكة فتنزع حذاءه)

— « إيه ... قُضى الأمر ... ولكنى أرجوك أن تتقبلى هذه الغريبة النازحة فى حنان وفى حب ... فما تزال السموات يتبسمن كلما اطامن فشهدننا نتلطف فى استعمال جبروتنا ! ... لقد منحنى الجيش إياها من سَبْى اليوم ... (يترجّل وتظل كاسندرا بمكانها من العربة) ... فأما وقد ظفرت بطلبتك ، فانى أمشى على هذا الأرجوان إلى قاعة العرش »

وتتملقه الملكة بكلمات فيدخل إلى قاعة العرش ، وتضرع كليتمنسترا إلى سيد الأولمب أن يحرس ما دبرت ، وأن يتولى النيلة التى أعدت للملك ببركاته ! !

— ١٨ —

ويترنم الخورس بأنشودة شفافة ، ينعكس فى صفائها غدر المرأة وشدة مكرها ...

ثم تحضر الملكة فتشير إلى كاسندرا قائلة : « ... هلمى فادخلى أنت أيضاً ياكاسندرا ... أدخلى ... ما دامت السموات قد ساقتك إلى هنا لنتقاسم أمواه هذا المطهر القربانى ... هلمى ... انزلى من هذه العربة المطهمة التى يبدو أنها نفخت أوداجك بريح الكبرياء ! ... انزلى ولا يؤلمك ما أنت فيه من أسر وذلة ونفى ... فما أنت بخير من ابن ألكمين (١) المظيم الذى قضى

(١) هى طبعاً تريد هرقل وما قاسى من ذلك المنفى عند الملك يوريثيوز ملك أرجوس

ردحاً طويلاً فى ربقة الأسار ... عند ملك جبار ... هنا ... فى نفس هذا القصر ! إنه لشرف أى شرف أن تخدمى فى ا(پيلوپيدبه) ، مادمت قد استسلمت لنزوة أحلامك حتى فقت بها حدودك يا فتاة ! إنزلى ... فان لك أن تشمخى بأنفك ، وتتيهى على أندادك ، لأنك ستكونين جارية من جوارى ملكة آرجوس ! »

رئيس المنشدين : « لقد قالت وقد سمعتِ ! وكلامها بين ... أوه ! مالك مكدودة هكذا ؟ ... قد تفكرين فى الطاعة ... ولكن ... قد ينجلى اشمئزازك بعد حين ! »

كليتمنسترا — « رضخت أو لم ترضخ ... لابد من أن تصغى لى ! »

رئيس الخورس — « أطيعى يا فتاة ... قد يكون هذا لصالحك ... إنزلى ! »

كليتمنسترا — « إن النيران المتأججة تنتظر بفارغ الصبر أن تلتهم فرائس الذبحة ، وقد نضب معين الرحمة ، وغاض ماء الحنان ، وليس هناك وقت نضحى به من أجل بكمك أيها الفتاة ، فاذا لم تستطيعى التكلم بلساننا فلتؤد يداك ما تريدين أن تجيبى به ... تكلمى ! »

ولكن كاسندرا ما تزداد إلا صمتاً ، وما تزداد إلا سكوناً ، فيقول رئيس الخورس :

— « يبدو أنها فى حاجة إلى ترجمان ... ... »

وتتميز الملكة من الغيظ ، فتحدج الفتاة بعينين تقدحان الشرر ... وتنطلق داخل القصر ...

— ١٩ —

ويرثى الخورس للفتاة المنكودة ، ويروعه هذا الأسى الذى يتشح به وجهها ، وتلك الكآبة التى تجلل جبينها ، فيعطف عليها ، ويدعوها لتنزل من العربة ... فاسمع إذن إلى هذا الحديث الشجى :

— « إنزلى ... أصيخى للقضاء ، وسلمى للقدر ... إنزلى ! »

— « آى ... آى ... أوه ... أپوللو ... أپوللو ! »

— « فيم هتافك الباكى بأپوللو ... ؟ »

— « آى ... أپوللو .. أپوللو ... آى ، آى ، أوه أپوللو .. ! ؟ »

— « ما تنفكين تهتفين بالإله الذى أصم أذنيه عنك ؟ »

— « آه يا أپوللو يا إلهى ! أيها البانى العظيم والمخرب العظيم ! بنيت طروادة ... وحطمتنى ! وهاهى يدك تمتد فى غير رفق مرة أخرى فتعبث بى ! »

— « اسمعوا يا رفاق ! إنها تتنبأ عما يخبئ لها القضاء ... كأن فيها جذوة من السماء [1] ! »

— « أپوللو ... أپوللو ... يابانى طروادة ... ياهادم بنيانى .. ماذا هنا ؟ أى سماء ؟ فيم جئت بى هنا ؟ »

— « هذا قصر الأتريديه [2] إن لم تكونى تعرفينه بعد ! »

— « آه ! ... حاشا ! بل هو كهف رهيب رائع ! ممقوت من السماء ! ملطخ بدماء الأثم ، مضرج بأرواح الشهداء تجثم الجريمة فى كل ركن من أرجائه ! »

— يا للآلهة ! إنها تشم رائحة الدماء ... وكأنها قريبة منها بل هى بين ناظريها لا شك ! »

— « أجل ! ... أجل ... هناك . هناك . هناك . وهاكم برهان قاطع ... تشمموا معى ... ولكن ... لا ... إنى أرى ... إنى أنظر ... الأطفال الأطهار الذين ذبحوا ... هاهم يتصايحون بقاياهم وهاهى لحومهم ... الشواء ! ... مسكين أبوهم ! لقد أكل ...! لقد قرت لحومهم فى بطنه ! »

— « أيتها الفتاة ! لقد طبقت شهرتك الآفاق كنبية تكشف الغيب ما كان منه وما يكون ! ولكنك هنا...ولا حاجة لهذا المكان المرعب بأنبياء !

— « آه ! ... وما ذاك أيضاً ؟ ويلى ! جريمة جديدة وحزن جديد ! ثمرة مرة من ثمرات الطغيان ! إنها تدبر الآن ... تحت سقفك أيها القصر الهائل ! طاعون ! طاعون مهلك لا سبيل إلى الفرار منه ! من عمل البغضاء العمياء للمحبة المبصرة ! الغوث ! ويلاه لاغوث ! »

— « لا أكاد أستبين هذه النبوءة ! لقد كانت الأولى جلية واضحة ! وكل مدينتنا ما تزال تتحدث حديث الوليمة المجرمة ! »

— « ياشقية ! زوجك ياشقية ! كيف بحسرين ؟ هاهى ! إنها تمد يدها الأثيمة ! إن الضربة الهائلة تتلو الضربة الهائلة ! ... »

— « ولم أفهم بعد ! إن نبيتنا تلغز ... إن نبوءاتها طلسمات »

(١) النار السماوية هى القضاء والقدر واستطاعة كشف الغيب فى الميثولوجية اليونانية (٢) أسرة أجا ممنون

— « يا للشبح ! وبلاه ! ما عساه أن يكون ؟ شراك من الموت ... ومن الجحيم ! بل هو شرك الغرفة السوداء ... غرفة الشريك المجرم ! هلمي يا غربان الوبل ... يا أبابيل الإثم ! هوّمي فوق هذا القصر ... أو إن استطعت فارجميها ... أرجميها ... ! »

— « أية أبابيل تستنزلين رجومها على القصر ؟ إن دهاءك يذهلني ! إن قطرات الموت المسمومة تتسرب إلى شغاف قلبي ؛ حينما تتسرب لُمعَ الحياة من جراح القتلى ... ! أوه ... ما أسرع الحزن انحداراً في القلوب ؟ ... »

— « ماذا أرى ؟ آه ... أسرعوا ... أسرعوا فاحجزوا البقرة واحموا العجل ! أنظروا ! أنظروا ؟ إنها تأخذ بتلابيبه ... وتخوض في لبته بسلاحها ... آه ... لقد سقط المسكين يتشحط في دمه الغزير ... ! »

— « لقد كنت أفخر بما أقدر عليه من كشف للغيب ، أحدس الآن أن هذا الهذيان لا يدل على خير !! ياللآلهة ؟ أبداً لم يكن الترجيم جلياً بيّناً ! وأبداً لم يضف الأنبياء أثارة حبور على هذا الكون ! إن الأشجان بضاعتهم دائماً ، وإن اللغو من القول آلتهم إلى أذهان الناس ، وهم لا يضربون إلا على أوتار الذعر ليصلوا إلى غور قلوبنا ! »

— « ويلي ! بالحظي العاثر ! لقد أترعت الكأس بما رويت من قصتي السادرة ! لم جئت بي إلى هذا القصر معك أيها التعيس ؟ ألأموت معك ؟ وماذا أيضاً ؟ لأموت ؟ لأموت ؟ ؟ »

— « ما تزدادين إلا هذياناً وهذراً !؟ وما بك إلا مس ؟ وإنا لا ندري : هل حملك إله إلى هذا القصر لتتغنى حظك العاثر ، كما تغننت أختك البلبلة [1] الحزينة من قبل ... ... »

— « ياويح لي ! ومن لي بنصيب مثل نصيبها ! الحورية الجميلة التي منحتها الآلهة ريشاً وأجنحة ؟ لقد سلمت وودعت وفازت بحياة طيبة ... ... أما أنا ... فقريباً أشق بنصل حاد فأكون شطرين ! ... »

— « ياعجباً ! أنى لك هذا ؟ ... من بذر فيك هذه البذرة السوداء ؟ أنى لك تلك الأغنية الكئيبة ، وهذا اللحن الحزين ؟ من أين تتنزل عليك موسيقاك الباكية ؟ من أوحى اليك بهذا الوسواس الخبيث ؟ ... »

« البقية في العدد القادم » دريني خشبة

(١) أسطورة البلبل الحزين تقول بأن احدى الأميرات ألمت بها ملمة فما برحت تشجى وتحزن حتى رثت لها الآلهة وحولتها إلى بلبل فرد ...

القفاز

بقلم حسين شوقي

(س) عنده الصفات التي تكفل عادة للمرء النجاح في ميدان الحياة : الذكاء والشباب وحسن المنظر .. ولكنه خجول لسوء الحظ إلى حد بعيد ، وقد أفسد عليه خجله أموراً كثيرة وعاق مستقبله ، إذ أن س لا يعمل غير عمل متواضع ، في محل تجاري متواضع . .

ماذا يفعل (س) في خجله ؟ ماذا ؟ لماذا عالج هؤلاء الأغريق الحكماء الفهاهة بوضع قطع من الحجر في الفم ولم يفكروا في معالجة الخجل ؟ . .

وإذا كان خجل (س) عاق مستقبله المادي ، فانه كان أشد عليه ضرراً في ميدان العاطفة . . إذ أنه برغم كونه في ريعان الصبا لم يعرف الحب بعد . . أو على الأصح لم يتصل بفتاة ما . . مع أنه كان تواقاً بشدة إلى الحب . . كم خفق قلبه في « السينما » عند ما يتلاقى الحبان على الشاشة بعد فراق طويل !. وكان إذا عاد إلى منزله بعد مشاهده مثل هذه المناظر الغرامية ، يرتمي على المخدة ليدفن فيها حزنه وألمه ، ويأخذ في البكاء الشديد . . لم يجد (س) في حياته الجرأة لمنازلة الفتيات ، حقيقة أن بعضهن غازلنه ، ولكن س لم يكترث لهن، لأنهن كن يتفاوتن في الدمامة ، و (س) لا ينظر إلا إلى الجمال ، لأن الحب في نظره أمر سماوي مقدس . . وكثيراً ما كان يذهب إلى المتنزه العمومي ، حيث كان يأمل التعرف بسهولة إلى حبيبة القلب المرتقبة .. فهناك ربما تنسى فتاة منديلها ، (أو حقيبة يدها) على أحد المقاعد ، فيلتقطه ويقدمه لها ، فتتم بهذه السهولة المعرفة بينهما .. يا للعجب ! ها هي أمنية (س) تتحقق ، لأن المقادير التي تضن علينا بكسب سباق (الدربي) ، لا تضن علينا بتحقيق أمانينا المتواضعة ...

إليك كيف تحققت أمنية (س) :

شاهد (س) ذات يوم سيدة رائعة الجمال (كما تخيلها في أحلامه) تجلس في المتنزه على أحد المقاعد وهي تقرأ كتاباً في يدها باهتمام شديد ، فجلس (س) حيالها على مقعد يترقب فرصة

التعرّف اليها . . ثم لم يمض زمن طويل على هذا ، حتى نهضت السيدة من مكانها ونسيت حقيبة يدها على المقعد (كما تمنى س) فنهض من فوره ليلتقط الحقيبة ويقدمها اليها ، ولكن قدوم شرطىّ فى هذه الأثناء أفسد عليه الأمر إذ خشى س أن يحسبه الشرطىّ لصّا . . وكان من حظ الشرطىّ تقديم الحقيبة لها ، وقد شكرته السيدة عليها بابتسامة ساحرة وانصرفت . .

مسكين (س) ، كم كان مغتما لخروجه من المتنزّه فى ذلك اليوم ! . .

ولكنه لم ييأس ، فعاد فى اليوم التالى إلى الحديقة فى المكان نفسه ، عساه يجدها هناك مرة أخرى ، فاذا بالسيدة الحسناء جالسة على المقعد نفسه تقرأ ! . . وكان من حسن حظه أن السيدة نسيت فى هذه المرة أيضا حقيبتها على المقعد ، لدى انصرافها ، فالتقطها وهرع فقدمها اليها ، قائلا فى تردد شديد :

— إنها المرة الثانية التى تنسين فيها حقيبتك ياسيدتى !

— هذا حقيقى ! ولكن كيف عرفت ذلك ؟

— كنت هنا بالأمس عند ما فقدتها ، لقد هممتُ وقتئذ بالتقاطها وإعادتها إليك ، ولكن قدوم الشرطىّ أفسدعلىّ الأمر فقد خشيتُ أن يظننى سارقاً . .

فضحكت السيدة عندئذ ضحكة عالية لسذاجة الشاب وبساطته . . ثم أذنت له فى مرافقتها فى السير ، كما تولّت إدارة الحديث بعد ما رأته على هذه الحال من الخجل :

— إنى لا بد أن أنسى شيئاً عند ما أقرأ كتاباً . .

— إن ما تقرأينه لابد أن يكون ممتعاً جداً حتى انه ينسيك حقيبتك يومين متواليين . .

— هى رواية بوليسية .. إنى شديدة التعلق بالروايات البوليسية لأن حَبْك الدسائس الجنائية يتطلب ذكاء نادراً ..

كم أسف (س) عندئذ لعدم قراءته قصصاً بوليسية ، ولقد بدا عليه الأسف واضحاً ..

قالت — ربما كان المشى يتعبك ؟

— أبداً !

يا لسذاجتها ! إن (س) ليصعد معها جبال الهملايا عن طيب خاطر !

— إنى مضطرة إلى المشى كل يوم . . لمعالجة الأملاح . . .

تذكر (س) عندئذ اسم دواء للأملاح كان أوصى به طبيب لأخته ، فصاح قائلا :

— هناك دواء نافع للأملاح اسمه ....

ولكنها قاطعته فى سخرية :

— دواء ؟ صدقنى ليس هناك ما هو خير من المشى ...

وبعد أن تنزها نصف ساعة وصلا إلى باب الخروج فأستأذنت وانصرفت بعد أن وعدته بالحضور إلى الحديقة فى اليوم التالى للتريض . . .

كم كان سعيداً فى ذلك اليوم ! ها هى ذى أحلامه تتحقق ! إن جمال هذه السيدة هو أسمى ما يطمح اليه ! أما هى ، فقد شعرت من فورها « باستلطاف » زائد نحو هذا الشاب الساذج الخجول ، لأنها لم تشاهد حولها فى وسطها الراق (إذ كانت من طبقة الأشراف) غير رجال أشبه بالطيور الجارحة ..

وفى اليوم التالى بكر فى الذهاب إلى الحديقة ، حيث التقى بسيدة أحلامه ، وقد تروضا هذه المرة ساعة بدلا من نصف ساعة . . .

ثم تقابلا فى الأيام التالية ...

وكانت هذه السيدة الحسناء تلبس دائماً قفازا أسود طويلا ، ودّ س . لو نزعته حتى يستطيع أن يطبع قبلة على يديها المحبوبتين . . .

وكان كلما طلب منها ذلك رفضت فى لطف . .

وقد ألحّ يوماً عليها فقالت :

— سوف تندم يا عزيزى لو نزعتُ قفازى ...

— هل تعنين أن يدك غير جميلة ؟

— أجل ، إن يدى اليمنى بها ست أصابع ...

— إذن ألثم اليد اليسرى

— اليد اليسرى ينقصها أصبع ...

— فليكن ذلك

— أقول لك إنك سوف تندم

ولكنه ألح الحاحاً شديدا اضطرت السيدة إزاءه أن تخلع القفاز ، ولكنه بدلا من أن يلثم يدها التى نزعت عنها القفاز ، صرخ صرخة مؤلمة ثم سقط مغشياً عليه ، إذ لمح فى يدها خاتم الخطوبة ...

حسين شوقى

البريد الأدبي

كتاب لزعيم الاشتراكية الفرنسية

منذ بضعة أشهر توفى الفريد دريفوس الضابط اليهودى الفرنسى وبطل القضية الشهيرة التى هزت فرنسا منذ ثلاثين عاماً وكادت تدفعها إلى غمر الحرب الأهلية ؛ وقد صدرت عن هذه المأساة القضائية الشهيرة أثناء وقوعها وبعده عشرات من الكتب بمختلف اللغات ، وصدرت بمناسبة وفاة بطلها عدة كتب ورسائل جديدة ؛ ومن ذلك كتاب صدر أخيرا بقلم الزعيم الاشتراكى الفرنسى ليون بلوم وعنوانه « ذكريات عن القضية » souvenirs sus l'Affaire ، أعنى قضية دريفوس ؛ ومسيو بلوم رئيس الحزب الاشتراكى الفرنسى ، وله ولحزبه مكانة قوية فى الحياة السياسية والبرلمانية الفرنسية ؛ وقد كان لموقفه أثر فعال فى التطورات السياسية الأخيرة وفى سقوط وزارة مسيو لافال ، ومسيو بلوم فضلا عن كونه سياسيا وخطيبا كبيرا ؛ كاتب كبير أيضاً ، وهو يتولى تحرير المقالات السياسية فى جريدة « بوبولير » الاشتراكية ، وله فيها جولات رنانة ، وقد كان مسيو بلوم وقت وقوع مأساة دريفوس فتى فى عنفوانه ولكنه كان قد شق طريقه السياسى ، وخاض غمار الحوادث السياسية والحزبية التى أثارتها القضية الشهيرة ؛ ونحن نعرف الآثار السياسية والاجتماعية والعقلية العميقة التى أحدثها النضال بين أنصار دريفوس وبين خصومه ، وكيف انشطرت الحياة العقلية الفرنسية يومئذ إلى شطرين : أحدهما يتجه إلى تأييد ما يسميه « الحقيقة والعدالة » بتأييد دريفوس ، والآخر يتجه إلى تأييد النزعات القومية والعسكرية المغرقة التى أثارت هذه المأساة الشهيرة ، ويصور مسيو بلوم فى كتابه هذه الحوادث والتطورات تصويراً قوياً ، ويشرح لنا البواعث النفسية والعقلية التى كانت تدفع أنصار دريفوس إلى العمل لنصرته وتبرئته ، فهؤلاء كما يقول مسيو بلوم كانت تربطهم عواطف قوية هى الثقة فى « قوة الحقيقة » ، وتدفعهم حماسة مضطرمة إلى ما فوق أنفسهم ، ويرى مسيو بلوم شبهاً قوياً بين حادث انهيار شركة بناما ومأساة دريفوس وهى أعظم حوادث هذا العصر ، وبين نكبة استافسكى الأخيرة وما تلاها من الحوادث الدموية فى فبراير سنة ١٩٣٤ ؛ فقد كان من ورائها العسكريون والوطنيون دائما يثأرون لهزيمتهم فى انتخابات سنة ١٩٣٢ ؛ وقد كانت دسائس العسكريين والوطنيين مثار قضية دريفوس ، والخلاصة أن مسيو بلوم يقدم الينا صورة قوية خلابة عن الأوضاع السياسية والفكرية أيام دريفوس . ومع أنه يقدمها الينا فى أثواب اشتراكية واضحة ، فانه مع ذلك يسبغ عليها بقلمه وبيانه كثيرا من الأناقة والطرافة . وكتابه جدير باهتمام أولئك الذين تذكى خيالهم وتشجيعهم حوادث المأساة الشهيرة .

وفاة مؤرخ وصحفى كبير

نعت الينا الأنباء الأخيرة مؤرخاً وصحفياً فرنسياً كبيرا هو فرانسوا جاك بانفيل ؛ توفى فى نحو الخمسين من عمره ، وفى ذروة حياته الأدبية وكان بانفيل كاتبا وصحفيا كبيرا ، يحرر القسم السياسى فى جريدة « لا كسيون فرانسيز » لسان الحركة الملوكية بفرنسا وكانت مقالاته وبحوثه يطبعها دائما نفس الطابع الذى عرفت به هذه الجريدة المجاهدة والذى يسبغه عليها كتاب عظام ملكيون مثل شارل موراس وبانفيل . بيد أن بانفيل كان يحرر فى صحف أخرى مثل « بتى بريزيان » و « لاليبرتيه » ليس لها مثل هذا الطابع . ومع أن بانفيل كان صحفياً بارزا يدفعه الغمار الصحفى دائماً إلى المعترك ، فانه لم ينس نزعته الحقيقية ، وهى نزعة المؤرخ الذى ينظر إلى الحوادث بروح علمى مستقل ؛ وقد ترك لنا عدة كتب تاريخية تشهد ببراعته النقدية وحسن تقديره للحوادث والأشخاص منها تاريخ لفرنسا ، وتاريخ للجمهورية الثالثة ، ومنها تاريخ لألمانيا المعاصرة حتى قيام هتلر ، وتاريخ للطغاة المعاصرين مثل ستالين وموسوليني وغيرهما ؛ وتمتاز كتبه وبحوثه بقوة التصوير ، وسلامة العرض ، والبحث العميق

علم المثلثات والعرب

تعليق على مقال في مجلة نايتشر [1]

في الشهر الماضي ظهر في مجلة نايتشر الانكليزية مقال من قلم أدجرسمث Edgar C. Smith تناول فيه البحث عن نوابغ العلماء والأدباء الذين ولدوا في الأعوام ١٥٣٦ ، ١٦٣٦ ، ١٧٣٧ ، ١٨٣٦ بمناسبة حلول العام الميلادي الجديد ١٩٣٦ ، وقد جاء في هذا المقال أن ريجيو مونتانوس كان من أعظم رياضيي زمانه ، ومن رجالات العلم البارزين في عصره ، وأنه كان أيضاً موضع إعجاب وتقدير من ذوي السلطات الزمنية والروحية ، وإليه يرجع الفضل في نقل بعض علوم اليونان والمسلمين إلى الغرب ، وفي تعريف الأوروبيين اليها – كل هذا صحيح لا سبيل إلى نكرانه ولا يختلف فيه باحثان . . . ولكن هناك شيئاً واحداً أحببت التعليق عليه وهو القول : « بأن ريجيو مونتانوس ألف في الرياضيات وأن كتاب المثلثات (De Triangulis) هو أول ثمرة من ثمار ريجيو مونتانوس ، ومجهوداته في المثلثات على نوعيها المستوية والكروية ، كما أنه أول كتاب بحث فيها بصورة منظمة علمية . . . »

اختلف العلماء في محتويات كتاب De Triangulis الذي وضعه ريجيو مونتانوس ، وفي نسبتها اليه ، فبعضهم يدعي أن كل محتويات الكتاب هي من وضع ريجيو مونتانوس وأنه لم يستمن في ذلك بأحد ، وبعضهم يقول خلاف ذلك ، وبقي هذا الاختلاف زمناً طويلا إلى أن ثبت حديثاً أن ريجيو مونتانوس اعتمد في بحوثه في هذا الكتاب على مؤلفات العرب والمسلمين . ولا عجب في هذا فاليهم يرجع الفضل الأكبر في وضع كثير من نظريات علم المثلثات وموضوعاته ، واليهم لا إلى غيرهم يرجع الفضل أيضاً في تقدمه ورقيه ، ولولاهم لما وصل الغربيون فيه إلى ما وصلوا اليه

وينقسم كتاب ريجيو مونتانوس إلى خمسة فصول كبيرة منها ما يبحث في المثلثات المستوية ، ومنها ما يبحث في المثلثات الكروية ، وقد ثبت لدى الباحثين أن الأصول التي اتبعها ريجيو في الفصل الخامس هي بعينها الأصول التي اتبعها العرب في الموضوع نفسه في القرن الرابع للهجرة – هذا ما توصل اليه العالم المحقق التركي صالح زكي بعد دراسة مؤلفات ريجيو مونتانوس وأبي الوفاء البوزجاني ، ومما يزيد المرء اعتقاداً بهذا كله اعتراف كاجوري بأن هناك أموراً كثيرة وبحوثاً عديدة في علم المثلثات كانت منسوبة إلى ريجيو مونتانوس ثم ثبت حديثاً أنها من وضع المسلمين والعرب ، ويوجد غير كاجوري أمثال سمث وسارطون وسيديو وغيرهم من اعترف بأن بعضاً من النظريات والبحوث نسبت في أول الأمر الى ريجيو مونتانوس وغيره ثم ظهر بعد الاستقصاء خلاف ذلك

نابلس قدري حافظ طوقان

[1] مجلة Nature عدد ٣٤٥٣

كتاب جديد لبول موران

بول موران من أعظم كتاب فرنسا المعاصرين ، وهو بلا ريب أحدثهم نزعة ، وأوفرهم طرافة ؛ وربما كان ذلك يرجع إلى تكوينه وظروف حياته ؛ فقد درس في باريس ، واكسفورد ، وأدنبورج ، ودرس الأدب والقانون ، وهيأت له حياته كموظف في السلك السياسي فرصة واسعة للسياحة والدرس ؛ واتخذت أشعاره وقصصه الأولى أحدث طابع ؛ وظهرت كتبه الأولى ومنها مجموعة القصص المساة « مفتوح بالليل » و « مغلق بالليل » فكانت تحفاً بديعة جديدة في الأدب الفرنسي ؛ وأشد ما تبدو قوة بول موران وطرافته في تصوير حياة المدينة ، وقد اشتهر بكتابيه عن لندن ونيويورك حيث يصور فيهما الحياة الظاهرة والخفية في تينك العاصمتين الكبيرتين أقوى تصوير وأبدعه ؛ وبول موران سائح لا تخمد له رغبة أو هوى ، يضرب في أنحاء العواصم الكبرى وينفذ إلى أعماقها وخفاياها ، وقد أصدر أخيراً كتاباً عن عاصمة جديدة هي « بوخارست » وذلك بعد أن أقام في رومانيا ردحاً من الزمن ؛ وعنوان الكتاب الجديد لا يثير لأول وهلة اهتماماً كبيراً لأن بوخارست ليست من العواصم الكبرى ذات الشهرة الرنانة ، ولكن بول موران يسبغ عليها بكتابه سحراً وروعة ؛ وهو يرى أن يثير بهذه المناسبة ذكرى بيزنطية وذكرى روسيا القيصرية ؛ بيد أنه يتناول المدينة الحديثة وحياتها . ويرى

فيها مفترق المدنية الأوربية ، وبدء انسيابها إلى الحياة الاسيوية ؛ ويصف المجتمع الرومانى وخلاله ، وميله إلى الطرب والاستهتار ، وما يمتاز به من الدعابة والنكتة ؛ ثم يصف مجتمع الريف فى صور ساحرة ، ويرى فى خلاله وعاداته طرافة ليست لمجتمع المدينة ؛ ويخصص موران فصولا ونبذاً عديدة لحياة « النور » الذين يكثرون فى رومانيا وخلالهم وفنونهم ، ويقدم الينا عن مختلف طبقات الشعب الرومانى كثيراً من المعلومات والحقائق المفيدة الطريفة معاً

وبول موران لا يجاوز اليوم الثامنة والأربعين من عمره ، ومع ذلك فهو يتبوأ منذ أعوام طويلة المقام الأول فى ثبت الكتاب المحدثين

ذكرى مخترع القاطرة

احتفل أخيراً فى انكلترا بالذكرى المئوية الثانية لمولد جيمس واث مخترع القاطرة البخارية ، واتخذ الاحتفال صبغة رسمية ، فأقيمت صلاة على روحه فى « وستمنستر ابى » ، ورفع الستار عن لوحة تذكارية أقيمت فى بلدته (جرنيوك) من أعمال اسكتلنده ، ونثرت زهور كثيرة على أثره التذكارى ببلدة برمنجهام أعظم مصنع لصناعة القاطرات فى انكلترا ؛ وأقيم فى لندن معرض علمى عرضت فيه نماذج من الآلات والقاطرات البخارية منذ اختراعها إلى اليوم ؛ وقد خصص المعهد الميكانيكى الأنكليزى بهذه المناسبة جائزة تعطى لمن يقوم بأفضل اختراع فى ميدان الهندسة الميكانيكية ، سواء فى انكلترا أو فى غيرها من البلاد

وقصة واث شهيرة فى تاريخ الاختراع ، فقد ولد فى سنة ١٧٣٦ وكان طفلاً سقيماً فلم يتلق تربيته قبل الثالثة عشرة ؛ ودرس الهندسة العملية ، واشترك فى أعمال وتجارب هندسية خطيرة ؛ وفى سنة ١٧٦٤ توصل إلى الوقوف على سر البخار كقوة محركة ، وذلك أثناء إصلاحه لآلة بخارية وضع تصميمها جون نيوكمن ؛ وفى العام التالى استطاع أن يصنع جهازاً لحفظ قوة البخار ، ثم وضع تصميماً لآلة بخارية جديدة صنعت فى معامل سوهو بالقرب من برمنجهام ، وكان هذا مولد القاطرة الحديثة



الفن الاسلامي في مصر

للدكتور زكي محمد حسن
المساعد العلمي بدار الآثار العربية

هذا الكتاب الثمين ليس سوى الجزء الأول من ثلاثة أجزاء وعد المؤلف بإصدارها . إذ رأى أن لتاريخ الفن الاسلامي في مصر حلقات ثلاثا : تبدأ الأولى بالفتح العربي وتنتهي بسقوط الدولة الطولونية ، وتشمل الثانية عصر الفاطميين ، ويحتوي الثالثة على عصر المماليك . وخص هذا الجزء بالحلقة الأولى وكشف في مستهله عن سر النزعات في هذا الفن بإيراده مقدمة تاريخية سياسية تفصح للقارىء عن أثر كل تطور خاص بسياسة الدولة المصرية في الفن الاسلامي

وطبيعي أن يعني المؤلف الفاضل بناحية البحث في تاريخ فن العمارة وزخرفة البناء الأسلامية عناية خاصة . وليس ذلك لمجرد مطابقة هذه الناحية من الفن لطابع العرب الديني ، بل ولأنه أيضاً استرعى أنظارهم وهم البدو ومساكنهم الشعر ، ولاءم مزاجهم الرياضي الفني ، واتفق وغرضهم من التعمير — على حد ما نعتقد

ولم يستكمل الفن الاسلامي في مصر وضوحه إلا في عصر الطولونيين . وكان فناً مستقلا عن الفن الذي ازدهر في سامرّا مدينة المعتصم

واستعرض المؤلف تاريخ تلك المدينة منذ نشأتها ، ثم واصل عرض آراء العلماء في شأن فنها ، وأخذ يوازن بين الخطأ في تلك الآراء والصحيح منها

ومن أهم النظريات التي أثبتها اعتبار زخارف سامرا غير متأثرة بأساليب الفن السيتي إلى حد كبير ، كذلك اعتبار أن الجند الترك لم يكن لهم في الناحية الفنية شيء يذكر في عهد الخلفاء العباسيين ، وأن الفرس عاضهم الفني المجيد أكثر استعداداً من الترك للتأثير في الفنون الأسلامية ، ولو أن ذلك الرأي قال به غيره ، إلا أنه عززه بأدلة مما عثر عليه من صور في سامرا ، ولم يفت المؤلف ذكر توافد مهرة الصناع العراقيين والفارسيين والأغريق وغيرهم على سامرّا ، فأصبح الفن هناك خليطا

وتكلم المؤلف في الفصل الثاني من الكتاب عن العمارة الدينية ، ولا شك أن العمارة بلغ بها المسلمون شأوا بعيداً ، إذ هي عندهم أجل الفنون ، فابتدعوا فيها وأبدعوا ؛ ويعد جامع احمد ابن طولون أهم الآثار العربية في مصر وأقدم شاهد على المدنية الاسلامية فيها . ودحض المؤلف فكرة أن هذا الجامع كان من مساجد المعسكرات . وهي فكرة رائجة بين عدد من علماء الفرنجة

ثم جاء في الفصل الثالث على ذكر العمارة الحربية والمدنية التي لم يبق منها لعهد الأسرة الطولونية سوى قناطر ابن طولون . إلا أن مؤرخي العرب ومؤلفي الخطط أفاضوا في وصف مدينة القطائع والبيمارستان وكذا القناطر . وذكر المؤلف بعض تفاصيل شائقة عن تأسيس مدينة القطائع وعن قصر ابن طولون بها الذي حاكى به قصور الخلفاء في سامرا . وجاء بوصف ممتع للقصر وما حوى وما أضافه ابنه خمارويه عليه من أبنية وحدائق . وكان لتنقيب دار الآثار العربية وعثورها في صيف سنة ١٩٣٢ على أطلال منزل طولوني بالتلال المجاورة لأبي السعود الفضل في الاستدلال على بعض قواعد وأصول العمارة المدنية الخاصة بالعصر الطولوني . وذكر المؤلف أن قناطر ابن طولون شيدت في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة القطائع . ولا زالت بعض عقود القناطر قائمة حتى اليوم ومنها يستدل على متانتها وبديع الصناعة فيها ؛ والمعروف أن المهندس النصراني الذي تولى لابن طولون بناء هذه العيون هو نفس المهندس الذي شيد له فيما بعد المسجد الجامع

أما زخرفة المباني للعهد الطولوني التي وردت في الفصل الرابع من الكتاب ، فهي أكثر الفنون التي تأثرت بالصناعة العراقية والفن الذي ازدهر في سامرا . وعالج فيها المؤلف مشكلة اختلف فيها العلماء وهي هل كان موطن هذه الزخارف ومكان نشأتها البلاد المصرية ، أم أن الزخارف الطولونية مأخوذة عن

الزخارف العراقية فى سامرا ؟ ورأى المؤلف فى الجمع بين الرأيين حلا امشكلة ؛ وقد حلل الدكتور محمد حسن الزخارف إجلا تحليلا دقيقاً ، لا نستطيع الا أن نحيل القارئ إلى ما كتبه عنها

ثم انتقل فى كتابه إلى الفنون القديمة ، ومهد لها بكلمة جامعة قيمة . وأتى فى الفصل الأول على تاريخ صناعة النسج فى مصر وتطورها ، فاستُغنى شيئا فشيئا عن الرسوم الآدمية والحيوانية التى كانت فى الفن القبطى ، وقوى الميل إلى الزخارف الهندسية ، كما لعبت الكتابة دورا هاما فى هذه الصناعة . وكانت صناعة الحرير والقطن والكتان من الجودة بدرجة أن المباراة بين الكنائس والمساجد والأسواق الخارجية كانت تتزاحم للحصول على منسوجات مصر . ومع كل فلم يطبع النسج بطابع إسلامى إلا ابتداء من العصر الفاطمى

ثم تكلم المؤلف عن الحفر على الخشب ، وأبواب استعماله فى مختلف أنواع المبانى والزخرف . ويمكن اعتبار أن هذا الفن بقى حافظا للتقاليد القبطية زمنا طويلا ، بدليل ما كان بقصر ابن طولون ؛ وأبان المؤلف ذلك كما أبان النزعة إلى الكتابة على الخشب فى عهد ابن طولون . ثم عالج فى اقتضاب تطور الخط العربى ، ورأى أن المناسبة حسنة لذلك

وانتهى من ذلك إلى الكلام عن الخزف ، ولو أن دراسة الخزف الاسلامى لا زالت صعبة المنال ، ولكن مما لا جدال فيه أن الخزف الاسلامى يمتاز بالجودة عن الخزف المصرى فى العهد القبطى فكان الخزف للعهد الطولونى يصنع من طينة رقيقة . ويمتاز بزخارف ذات بريق معدنى ، ذى لون أصفر أو زيتونى على أرض بيضاء أو بيضاء مشوبة بالصفرة . وهذه المميزات نفسها نجدها فى الخزف الذى عثر عليه فى سامرا

ثم ختم أبحاثه ببحث عن التصوير طريف . وفيه ذكر أن التصوير الذى ينسب إلى مدرسة بغداد كانت تستمد سورية أو العراق أو إيران مصدره ، وان فن التصوير لم يزدهر إلا فى تلك الأقاليم متأثرا بالتعاليم الفنية التى أخذها العرب عن المانويين واليعاقبة والصينيين . وظلوا لا يفكرون فى مصر كمهد لمدرسة من مدارس التصوير الاسلامى حتى كان الاكتشاف المشهور فى الفيوم ، ذلك الاكتشاف الذى أثبت وجود صور مصغرة إسلامية ترجع الى القرن التاسع والعاشر والحادى عشر . ولم يترك المؤلف هذا الفصل دون أن يعالج ما يسمونه تحريم التصوير فى الاسلام ، وقد أجمل القول بأن نظرة فى الكتاب الكريم ، وفى كتب التفسير ، وفى أسباب النزول كافية لأن تثبت أن هذا الزعم باطل لا أساس له وان كان مكروها

وعقد المؤلف للكتاب خاتمة ألم فيها بالصناعات التى عرفتها مصر فى فجر الفنون الاسلامية ، وذكر فى لمحات سريعة تطورها حتى نهاية العصر الطولونى ، وأشار الى أن رجال الفنون والصناعات فى القرنين الأول والثانى بعد الهجرة ، كانوا من المصريين ، سواء فى ذلك من اعتنق منهم الاسلام ومن ثبت على المسيحية

ولا شك فى أن الدكتور زكى محمد حسن قد أحسن دراسة موضوعه وسار ببحثه سيراً هادئاً ؛ وكان قديرا فى مناقشة حجج علماء الفنون الاسلامية ، وفى تدعيم آرائه بالبينة ، وليس ذلك بالأمر الصعب على مثله ، وقد راجع عشرات الكتب ، ومحص عديد التحف قبل أن يستقر على رأى يبديه فى جملة متواضعة ، وفى أسلوب سهل رصين ، وكان موفقاً فى تنسيق بحثه تنسيقاً محكما حتى كاد يبدو تحفة فى ذاته ، وساعده جمال الطبع والورق والتجليد على زيادة بهائه ورونقه ، وقد يهم القارئ أن يعرف أن المؤلف لم يترك كتابا قرأه فى ذلك البحث إلا وذكره ضمن مراجعه ، كما ذيل الكتاب بتراجم أهم الأسماء الواردة فى الكتاب وكذلك ذيله بلوحات فتوغرافية غاية فى الاتقان لايضاح ما تكلم عنه

ولسنا وحدنا الذين نثنى على حضرة الدكتور زكى محمد حسن وعلى عمله وجهده هذا ، ولا عيب عليه سوى انه يتركك بعد قراءة هذا الكتاب ، أو قل دراسته ، تتلهف لقراءة المطولات من قلمه ؟



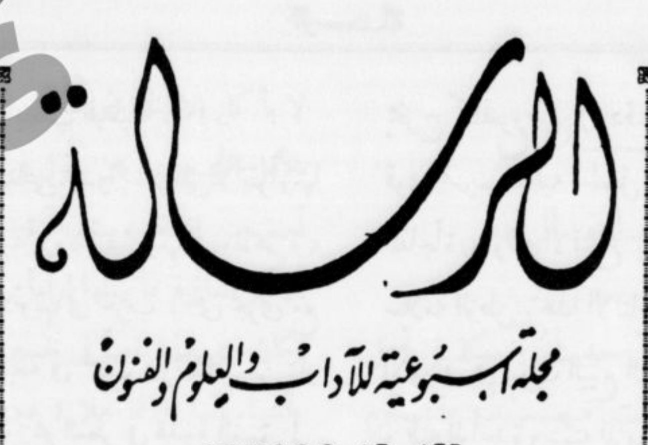
الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٨ — ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 138. | Lundi 24 2-1936


بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ١٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العــــدد

صفحة
٢٨١ مصر فى المعرض ! ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٢٨٣ الزاهــدان ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٢٨٦ أثر الحضارة الاسلامية فى الأحياء الأوربى : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٢٨٩ تحت قناطر جامع قرطبة : الأستاذ معروف الأرناءوط ...
٢٩١ قصة المكروب ... ... : الدكتور أحمد زكى ... ...
٢٩٤ ابن بسام صاحب الذخيرة : الأستاذ عبد الرحمن البرقوق
٢٩٦ إعرابى فى حمام ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٣٠٠ الســـر ... ... : محمد مصطفى حمام ... ...
٣٠١ نظرية النسبية الخصوصية : الدكتور اسماعيل أحمد أدهم ...
٣٠٤ من ربوع الغرب إلى بلاد العرب ... ... : الدكتور عبد الكريم جرمانوس
٣٠٦ مديرية أســوان ... ... : رشوان أحمد صادق ... ...
٣٠٩ الخريف (قصيدة) : الأستاذ أنور العطار ... ...
٣١٠ بين ماض وحاضر « : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٣١٠ صورة ... ... « : السيد أحمد عبد ... ...
٣١١ تطور الحركة الفلسفية فى المانيا ... ... : الأستاذ خليل هنداوى ...
٣١٣ أجممنوث ... (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣١٦ وفاة الأستاذ الشيخ محمد زيد بك . كتاب عن ابراهيم باشا ...
٣١٧ الحياة الأخرى ... ...
٣١٨ « محمــد » (كتاب) : الأستاذ محمد سعيد العريان ...

مصر فى المعرض !

— ١ —

أليس من حسن توفيق الله أن يجلس المفاوض المصرى فى قصر الزعفران ، ومن ورائه مصر العالمة العاملة محشودة كلها بسودانها وصعيدها وريفها فى المعرض ! تشدد قوته بروح النهضة ، وتؤيد حجته بدليل الحس ، وتسند هيبته بروعة الواقع ؟

أليس من جميل عون الله أن يتألف من ذات مصر ومعناها على هذا النحو الذى تراه فى المعرض قياس عجيب الإنتاج ، وقصيد قدسى الإلهام ، وخطاب سحرى البيان ، ودفاع قوى الأثر ، فى الوقت الذى بسّ فيه اللورد لويد عقاربه هنا وهناك ، ياسمون بالنمائم ، ويدبون بالأراجيف ، ويُقَسِّمون رأيهم فى الأمر على أن مصر بطبيعة ضعفها متخلفة لا تلحق وتابعة لا تستقل ؟ !

تعالوا يا طلائع الاستعمار ، وصنائع الامتيازات ، وثعالب الكرمة ! هــذه هى مصر الحقيقية قد عرضت عقلها ويدها فى ستين فداناً من الأرض لتيسّر لكم وسيلة الحكم ، وتقصّر عليكم مدى النظر ؛ فلطالما خدعكم عن حقيقتها مغرورٌ يريد الحكم ،

أو مهموم يرغب المال ، أو محروم يطالب الوظيفة .

زوروا المعرض الزراعي الصناعي تجدوا مصر التي لا تقرأونها في صحيفة ، ولا تسمعونها في خطبة ، ولا تبصرونها في مظاهرة ، ولا تقابلونها في ملهى ، ولا تحادثونها في حزب ! هي تجرى مع الزمن في سكون ، وتعمل مع الطبيعة في صمت ، وتنشق عن ثمار النبوغ كما تنشق الأكمام عن أريج العطر في هدوء الغسق !

زوروا أيها المفاوضون عن الحليفة المنجنية معرض الجزيرة قبل أن تدخلوا سراى العباسية ، تلمسوا في كل ناحية من نواحي النشاط الصناعي ألف دليل ودليلا على نضوجنا المدني ؛ لأن الإنتاج الزراعي إذا رجع إلى عمل الله وفطرته ، فإن الإنتاج الصناعي مرجعه إلى فكرة الإنسان وقدرته ؛ وقد عدونا ذلك الطور منذ سنين ، وأصبحنا نصرّف عمل الطبيعة ، ونستخدم ثروة الارض ، ونساهم بحذق في ترفيه الإنسان

* * *

بين الهرم والنيل شاهدى القرون وعيني الاسلاف ، احتشدت مصر الحديثة حكومةً وأمة ، تقدم إلى أمسها الحساب الذي يبرئ الذمة ، و إلى يومها العمل الذي يجدد الطريق ، وإلى غدها الأمل الذي يحدد الغاية !

الزارع والصانع والتاجر والعالم والأديب والموظف قد أثبتوا بهذا العرض الموفق في إخلاص غير غالٍ ولا مفتعل ، أن مصر التي تسير في مؤخرة الدول بسياسة الكلام ، تجرى في مقدمة الشعوب بسياسة العمل !

ودلالة ذلك أن بين الأمة وقادتها حجاباً من الجهل والعزلة لا ينفذ منه الشعاع ، ولا تنعكس عليه الروح ، ولا ترتسم فيه مقاييس التقدم ! على أن أكثرنا لا يزيد علمه بهذا البلد المظلوم على علم هؤلاء القادة ؛ فقد كنا نرى في المعروضات الأهلية والحكومية نفائس الصناعة ودقائق الفن ، من ضروب اللباس والأثاث والآنية والزينة ، فيداخلنا الشك في أنها مصرية ! ولكنا نرى بجانبها الآلة تدور ، والصانع يعمل ، والمنتوج يخرج كالمروض في دقته وأناقته ، فيستولى على المرء شعور قوى غريب ، فيه الخجل من سوء الظن ، وفيه اللذة من دهشة المفاجأة ، وفيه الاقتناع بصحة النهضة ، وفيه الاطمئنان على سلامة الوطن . هذا الانتاج الفاخر هو الذي يقدمه البك التاجر الأوربي في بيوت البيع الكبيرة بلسانه المعسول وغلافه المقبول وكلمته الواحدة وسِمَته المزورة ، فتشتريه بالثمن الغالي على أنه وارد من وراء البحر ، قد تجشم أكلاف النقل ، وتكلف رسوم الجرك ، وتكبد أضرار الخسارة ، وهو مصري اشتراه الأوربي بالغبن وباعه بالخديعة ، وحرم الصانع المصري المسكين أجر العمل بسرقته القيمة ، ومجد الصنعة بسرقته النسبة . وعلة ذلك كله أن المنتج المصري قد جعل الكذب جزءاً من رأس المال ، وأن المستهلك المصري قد جعل المساومة شطراً من الثمن ، فكان لابد من هذا الوسيط الأجنبي بينهما ليستر بخداعه كذب المنتج ، ويبطل بمهارته مساومة المستهلك !

* * *

معرض هذا العام قطعة من الفن العجيب عملت فيها يدٌ صَناعٌ وفكرةٌ فنانة ؛ فالوزارات والمصالح تتقدمها وزارة المعارف ووزارة الزراعة من جهة ، والشركات والجمعيات تتزعمها شركات بنك مصر والجمعية الزراعية من جهة أخرى ، تضافرت كفاياتها وتسايرت رغباتها على تمثيل النشاط المصري هذا التمثيل الناطق الصادق المبين ، فلا تجد عملاً من أعمال اليد ، ولا أثراً من آثار الذهن ، إلا منظوماً بفن ، ومعروضاً بذوق ، ومشروحاً بخبرة ، حتى أخلاق الموظفين والمنظمين والعارضين والمتفرجين — إذا استثنيت جزءاً من إدارة المعرض — تجرى على هذا النسق البديع من الجمال والنظام والدقة ! وسنقف بعد هذه النظرة الخاطفة والكلمة العجلى على كل قسم من أقسام المعرض فنستنبئه عن أمره ، ونستكشفه عن سره ، ثم نطالعك بما نلاحظ من أسبوع لأسبوع . . .

احمد حسن الزيات

٢ ـ الزاهدان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال أحمد بن مسكين : وانتشر حديثُ السمكة فى أهل (بلخ) ، واستفاض بينهم ، وكنتُ قصصْتُه عليهم يوم السبت . فلما دار السبتُ من أسبوعه لقينى شيخهم حاتم ابن يوسف (لقمان الأمة) ومعه صاحبُه أبو تراب ، فقال : يا أحمد ! لكأنك فى هذه المدينة قرنٌ طلع بلبلدٍ فلا يعظ الناسَ فى يوم السبت غيرك ؛ ومن سمع فكأنه عاين ، وليس على ألسنة أهل بلخ منذ تحدثتَ إلا بشْرٌ وابنُ حنبل ، ولا على بال أحد منهم إلا موعظتك وحديثك . والكلامُ عن الصالحين فى مثل ما وصفتَ وحكيتَ قُربٌ من حقائقهم ، وسموٌّ إلى معانيهم ؛ وليس فى القول بابٌ له موقع كوقع القصة عن هؤلاء الذين يخلقهم الله فى البشرية خلقَ النور ، يضيء ما حوله من حيث يُرى ، ويعمل فيما حوله من حيث لا يُرى ، وفى ظاهره الجمال والنفعة ، وفى باطنه القوةُ والحياة . ولست أقول لك اذهب فحدِّث الناس ، ولكنى أقول اذهب فأعط الناسَ عقلا من الحديث

قال ابن مسكين : فلما صلينا العصر قدمنى أبو تراب فجلست فى مجلسى ذاك ، وهتف بى الناسُ يريدون الحديث عن بشر الحافى وما سقط لى من أخباره على الطريقة التى حدثتهم بها من قبل ، فابتدأتُ بذكر موته رحمه الله وأن يومه كأنما اجتمع له أهل خمسٍ وسبعين سنة [١] ، إذ خرجت جنازته بعد صلاة الصبح فلم يحصل فى قبره إلا فى الليل مما احتشد فى طريقه من الخلق ، حتى لكأن فى نعشه سرا من أسرار الجنة فى هذا ، فخرجوا ينظرون اليه ، وكانوا يصيحون فى جنازته : هذا والله شرفُ الدنيا قبل شرف الآخرة

ثم قلت : حدثنى حسين المغازلى [٢] أن بشراً رحمه الله كان لا يأكل إلا الخبز تورعاً عن الشبهات واكتفاء لضرورة الحياة بالأقل الأيسر ، وكان يقول فى ذلك : يدٌ أقصر من يد ، ولقمة أصغر من لقمة . وسئل مرة : بأىّ شىء تأكل الخبز ؟ فقال : أذكر العافيةَ فأجعلها إداماً . وقد أعانه على ذلك أنه لم يتزوج ، وكان يرى هذا نقصاً فى نفسه حتى فضَّل الامام أحمد بن حنبل بأشياء منها أن له أهلا ؛ غير أنه قيل له ذات يوم : لو تزوجت تمَّ نُسُكك ؛ فقال : أخاف أن تقوم الزوجةُ بحقى ولا أقوم بحقها ، فكانت هذه النية فى نفسه أفضل من زواجه

وكان مع هذا لا يؤاكل أحدا ولا يسعى إلى لقاء أحد حتى إنه لما رغب فى مؤاخاة الزاهد العظيم معروف الكرخى أرسل اليه الأسودَ بن سالم وكان صديقا لهما ، فقال لمعروف : إن بشر بن الحارث يريد مؤاخاتك وهو يستحى أن يشافهك بذلك ، وقد أرسلنى اليك يسألك أن تعقد له فيما بينه وبينك أخوة يحتسبها ويعتد بها ، إلا أنه يشترط فيها شروطاً : أولها أنه لا يحب أن يشتهر ذلك ، وثانيها ألا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة ؛ فقال معروف : أما أنا فاذا أحببتُ أحداً لم أحب أن أفارقه ليلا ولا نهاراً ، وأزوره فى كل وقت ، وأوثره على نفسى فى كل حال ؛ وأنا أعقد لبشر أخوةً بينى وبينه ولكنى أزوره متى أحببت ، وآمره بلقائى فى مواضع نلتقى فيها إذا هو كره زيارتى

قال حسين المغازلى : وكان هذا كله من أمر بشر معروفاً فى بغداد لا يجهله أحد من أهلها إذ لم يكن لبغداد إمام غيره وغير ابن حنبل ؛ فما كان أكثر عجبى حين كنت عنده يوماً وقد زاره فتح الموصلى ، فقام فجاء بدراهم ملء كفه ودفعها إلى وقال : اشترلنا أطيب ما تجد من الطعام ، وأطيب ما تجد من الحلوى ، وأطيب ما تجد من الطيب ؛ وما قال لى مثل ذلك قط ، وهو الذى رأى الفاكهة يوماً فقال : ترك هذه عبادة ! وهو القائل لأبى نصر الصياد : لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة [١]

---

(١) مات رحمه الله عن خمس وسبعين سنة

(٢) نسبة الى عمل المغازل ، وكان حسين هذا صديقاً لبشر ، وكان — بشر يعمل المغازل ويعيش من ثمنها ، ومن كلامه لابن أخته عمر : يا بنى اعمل بيدك فان أثره فى الكفين أحسن من أثر السجدة بين العينين . هكذا كانوا

(١) مر هذا فى مقال (السمكة) فى العدد الماضى من الرسالة

فذهبت فاشتريت وانتقيت وتخيَّرت ، ثم وضعت الطعام بين أيديهما فرأيته يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره ، ورأيته منبسطاً إليه وما لى عهد كان بانبساطه إلى أحد . وقد كنت أخبرته فى ذلك النهار بخبر أحمد بن حنبل عَلمتُه من أدريس الحداد ؛ فانه لما زالت المحنةُ بعد أن ضُرب بين يدى المعتصم وصُرف إلى بيته ، حمل إليه مال كثير من سَرَوات بغداد وأهل الخير فيها ، فردَّ جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيراً ، وهو محتاج إلى أيسره ، وإلى الأقل من أيسره ، وإلى الشىء من أقله ؛ فجمل عمُّه اسحق يحسبُ ما ورد فى ذلك اليوم فكان خمسين الف دينار ، فقال له الامام : ياعم أراك مشغولا بحساب مالا يفيدك . قال : قد رددت اليوم كذا وكذا ألفاً وأنت محتاج إلى حبة من دانق . فقال الامام : ياعم لو طلبناه لم يأتنا ، وإنما أتانا لما تركناه

* * *

قال المَازلى : فنمت تلك الليلة وأنا أفكر فى صنع الشيخ وقد تملق خاطرى به كيف انقلبت الحال معه ، وأىّ شىء هذه الحال ، وجعلت أكدُّ ذهنى لأعرف الحقيقة العقلية التى سلَّطت عليه هذه الضرورة فتسلط النعيم على نفسه ، وأنا أعلم أن للقوم علوماً روحانية ليست فى الكتب ، فمنها ما لا يتعلمونه إلا من الفقر ، ومنها ما لا يتعلمونه إلا من البلاء ، ومنها ومنها ، ولكن ليس منها ما يتعلمونه من اللذات والشهوات ؛ وذهب قلبى إلى أوهام كثيرة ليس فى جميعها طائل ولا بها معرفة ، حتى غلبتنى عيناى وأنا من وهج الفكر نائمٌ كالمريض وقد ثقل رأسى واختلط فيه ما يُعقل بما لا يُعقل

فرأيت أول ما رأيت ملكا جباراً يحكم مدينة عظيمة وقد أطاف المنادى فى جمع كل أطفال مدينته لجىء بهم من كل دار ، ثم رأيته قد جلس على سريره وفى يده مقراض عظيم قد اتخذه على هيئة نصابين عريضين لو وضعت بينهما رقبة لفصلاها عن جسمها ؛ فكان هذا الجبار يتناول الطفل من أولئك فيضع أصابع إحدى قدميه فى شق المقراض فيقرضها فاذا هى تتناثر أسرع مما يقرض المقصُّ الخيط ، ثم يرمى بالطفل مغشياً عليه ويتناول غيره فيبتر أصابعه والأطفال يصرخون ؛ وأنا أرى كل ذلك ولا أملك إلا غيظى على هذا الجبار من حيث لا أستطيع أن أمضىَ فيه هذا الغيظ فأقرضَ عنقه بمقراضه

ثم رأيته يأخذ طفلا صغيراً ، فلما جاءت قدم الطفل بين شق المقراض صاح : يارب ، يارب ! فاذا المقراض يلتوى فلا يصنع شيئاً وكأن فيه حجراً صَلداً لا قدماً رَخْصَة . فتميز الجبار من الغيظ وقال من هذا الطفل ؟ فسمعت هاتفاً يهتف : هذا بشر الحافى ! لا يبلغ تاج ملك فى الأرض أن يكون لقدمه الحافية نعلا عند الله !

وكان إلى جنبى رجل يَتَوضأ وجهه صلاحاً وتقوى ، فقلت له : من هذا الطاغية ؟ ولم اتخذ المقراض لأقدام الأطفال خاصة ؟

فقال : ياحسين ! ان هذا الجبار هو ذل العيش ، وهذا وسمُه لأهل الحياة على الأرض يحقق به فى الانسان معنى البهيمة أولَ ما يدب على الأرض حتى كأنه ذو حافر لا ذو قدم

قلت : فما بال هذا الطفل لم يعمل فيه المقراض ؟

قال : إن لله عباداً استخصهم لنفسه ، أول علامته فيهم أن الذل تحت أقدامهم ، وهم يجيئون فى هذه الحياة لاثبات القدرة الانسانية على حكم طبيعة الشهوات التى هى نفسها طبيعة الذل ؛ فاذا اطرح أحدهم الشهوات وزهد فيها ، واستقام على ذلك فى عقد نية وقوة ارادة ، فليس ذلك بالزاهد كما يصفه الناس ، ولكنه رجل قوى اختارته القدرة ليحمل أسلحة النفس فى معاركها الطاحنة ، كما يحمل البطل الأروع أسلحة الجسم فى معاركه الدامية . هذا يُتعلم منه فن وذاك يُتَعلم منه فن آخر ، وكلاهما يرمى به على الموت لايجاد النوع المستمر من الحياة ، فأول فضائله الشعورُ بالقوة ، وآخر فضائله ايجاد القوة

* * *

قال المازلى : وضرب النوم على رأسى ضربة أخرى فاذا أنا فى أرض خبيثة داخنةٍ قد ارتفع لها دخان كثيف أسود يتضرب بعضه فى بعض ، وجعلت أرى شعلاً حمراً تذهب وتجىء كأنها أجسام حية ، فوقع فى وهمى أن هؤلاء هم الشياطينُ : ابليسُ

وجنودُه وسمعتُ صارخاً يقول : يا بشرى ! فلتبك السماءُ على الأرض ، لقد أكل بشر الحافى من أطيب الطعام وأطيب الحلوى بعد أن استوى عنده حجرها ومدَرُها ، وذهبُها وفضتها ! فمارضه صائح أسمع صوته ولا أرى شخصه : ويلك يا زَلَنْبور [١] ! إن هذا شر علينا من عامة نُسكه وعبادته .

فهذا ويحك هو الزهدُ الأعلى الذى كان لا يطيقه بشر ؛ إنه إعناتٌ سلّطه على نفسه ، فانى دفعتُ هذا (المنازلىّ) الأعمى القلب ليزين له ما فعل أحمد بن حنبل من رده خمسين ألف دينار على حاجته ، زهداً وورعاً وقوةَ عزم ونفاذَ إرادة ؛ وقلت عسى أن تتحرك فى نفسه شهوةُ الزهد فيحسدَ أو يغار ، أو تعجبه نفسه فيكون لى من ذلك لِمَّةٌ بقلبه فأوسوس له فانا نأتى هؤلاء من أبواب الثواب كما نأتى غيرهم من أبواب المعاصى ، ونتورّع مع أهل الورع كما نتسخّف مع أهل السخف ؛ ولكن الرجل رجل وفيه حقيقةُ الزاهد ، فقد أعطى القوة على جعل شهوات نفسه أشخاصاً حية يعاديها ويقاتلها ، فاذا أنا جعلت شهوته فى اللذة قتل اللذة ، وإذا جعلتها فى الكآبة قتل الكآبة ، وليس الزاهد العابد هو الذى يتقشف ويتعفف ، ويتخفف ويتلفف ، فان كثيراً ما تكون هذه هى أوصاف الذل والحق ويكون لها عمل العبادة وفيها إثم المعصية ، ولكن الزاهد حقٌّ الزاهد من أدار فى الأشياء عيناً قد تملت النظر بحقه والاغضاءَ بحقه ؛ فهذا لا يخطىء ممنى الشر إن ابسناه عليه فى صورة الخير ، ولا ممنى الخير إن زوّرناه فى صورة الشر ، وبذلك يضع نفسه فى حيث شاء من المنزلة ، لا فى حيث شاءت الدنيا أن تضعه من منازلها الدنيئة

وما أكلَ بشرٌ هذه الطيبات إلا ليبادر بها وسوستى ويردّنى عن نفسه وعن اللّمة بقلبه ، فلو أنه أعجبه زهد ابن حنبل ونظَر من ذلك إلى زهد نفسه لحبط أجره . فبهذه الطيبات عالج نفسه علاج مريض ، وقد غير على جوفه طعاما بطعام ، كما يبدّل على جلده ثوباً بثوب ، ولا شهوة للجلد فى أحدها

***

(١) هذا اسم بعض ولد ابليس فيما يروى ، وفى بعض النسخ التى بأيدينا انه خنزب لا زلنبور ... ...

قال المنازلى : وثقل النوم على ثقلةً أخرى فرأيتنى فى واد عظيم وفى وسطه مثل الطَّود من الحجارة قد ركم بعضها على بعض . ورأيتنى مع بشر أقصُّ عليه خبر احمد بن حنبل ؛ فقال انظر ويحك ؛ إن الناس يسمونها خمسين ألف دينار وهى هنا فى وادى الحقائق خمسون ألف حجر لو أصابت أحمد لقتلته ولكانت قبره آخرَ الدهر

إن المال يا بنى هو ما يعمله المال لا جوهره من الذهب والفضة ، فاذا كنت بمفازة ليس فيها من يبيعك شيئاً بذهبك فالتراب والذهب هناك سواء . والفضائل هى ذهب الآخرة ؛ فهنا تجدد بالمال دنياك التى لا تبقى أكثر من بقائك ، وهناك تجدد بالفضائل نفسك التى تخلد بخلودها

ومعنى الغنى معنى ملتبسٌ على العقول الآدمية لاجتماع الشهوات فيه ، فحين ردّ احمد بن حنبل خمسين ألفا ، يكون هذا المعنى قد صحح نفسه فى هذا العمل وجهاً من التصحيح

***

قال حسين المنازلى : وغطّنى النوم فى أعماقه غطّةً أخرى فاذا أنا فى المسجد فى درس الامام احمد وهو يحدث بحديث النبى صلى الله عليه وسلم : إذا عظّمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبةُ الاسلام ؛ وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حُرموا بركة الوحى . وهم أن يتكلم فى تفسيره [١] ولكنه رآنى فأمسك عنه وأقبل على فقال : ياحسين ! إذا اجتزأ شيخك بالرغيف فهذا عنده هو قدر الضرورة ، فان أكل الطيبات فقد عرضت حالٌ جعلت هذه الطيبات عنده هى قدر الضرورة . وفى هذه النفوس السماوية لا يكون الجزء الأرضىُّ إلا محدودا ، فلا يكون محصوله إلا ما نوى من قدر الضرورة

ولما صغُر الجزء الأرضى فى نفوس السلفين الأولين ملكوا الأرض كلها بقوة الجزء السماوى فيها ، إذ كانت إرادتهم فوق الأطماع والشهوات ، وكانت بذلك لا تذل ولا تضعف ولا تنكسر ؛ فالآدمية كلها تنتهى إلى بعض صورهم هؤلاء الذين نحلّهم فى أعلاها

(١) سيأتى تفسيره فى مجلس آخر من مجالس ابن مسكين

أثر الحضارة الاسلامية في الاحياء الأوربي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

عصر الاحياء أو إحياء العلوم [1] من أعظم عصور التاريخ الأوربي ؛ وهو بلا ريب مطلع النور والعظمة في حياة أوربا الحديثة وفي تكوينها السياسي والفكري والاجتماعي ؛ وفي معترك الاحياء الساطع تذوب ظلمات العصور الوسطى التي خيمت على أوربا منذ سقوط الدولة الرومانية ، ويفتر ليلها الطويل عن حياة جديدة تسري إلى جنبات القارة القديمة ، فتلتقي من حولها غمر الماضي بقوة ، وتستقبل عصوراً جديدة من القوة والعظمة والسيادة في جميع مناحي الحياة

وإنا لنشعر ونحن نستعرض تاريخ الأحياء أننا لا نتلو تاريخ أمم أو شعوب معينة ، وإنما نتلو صفحة من أنبل صفحات الانسانية تبهرنا بما حوت من المظاهر والمعاني السامية للعبقرية البشرية . ولقد كان تراث الأحياء وما يزال تراث الانسانية كلها ، ذلك أن ثمرات التفكير البشري هي ملك الانسانية في كل زمان ومكان ؛ ولم يكن تاريخ الاحياء مدى قرن ونصف في معظم الدول الأوربية سوى تاريخ العلوم والفنون والآداب التي تفتحت في ذلك العصر كما تتفتح الأزهار ، والتي بثتها إلى ظلمات العصور الوسطى أرواح وأذهان وعقول ارتفعت فوق العصور والمجتمعات التي ازدهرت بها ، وسمت بعبادتها ومثلها كما سمت بعبقريتها

ولقد كتب تاريخ الأحياء مدى القرون وما زال يكتب في كل عصر ؛ ولكنه يتخذ دائماً طابعه القومي أو المحلي ، وقلما يكتب من الناحيــة الانسانية المحضة ؛ وإنك لتشعر حتى فيما يكتب عنه من الناحية الانسانية أن العوامل القومية والمحلية تتبوأ دائماً مكانها وتتفشى فيــه كل نزعة أخرى ؛ وكثيراً ما تساءلت وأنا أستعرض هذه الصفحة الباهرة من تاريخ الانسانية ، كيف يغفل مؤرخو الغرب حين يكتبون تاريخ الأحياء عن استعراض صفحة أخرى من تاريخ الانسانية لا تقل عن صفحة الأحياء قوة وجمالاً وروعة هي صفحة الحضارة الغربيــة الاسلامية ، وما كان لها من أثر بارز في بعث عصر الاحياء الأوربي ؟

والحقيقة أن هذه الناحية من تاريخ عصر الأحياء كثيراً ما تغمط حقها وتنكر علائقها وآثارها في بعثه وتكوينه . بيد أنها تستحق منا نحن الذين يفهمونها ويقدرونها عناية خاصة ؛ وليس يكفي أن نكتب تاريخ الحضارة الاسلامية ، بل يجب أن نعالج آثارها في تكوين مختلف المدنيات والحركات العقلية الأخرى ؛ ولقد كان الاحياء الأوربي حركة عقلية عظيمة ومطلع حضارة جديدة رائعة ، وكان لحضارة الغرب الاسلامي أثرها في بعث هذه الحركة ، فمن واجبنا أن نستقصي هذا الأثر وأن نعرضه إلى جانب ما يعرض لنا من تطور حركة الاحياء الأوربي

ومن الصعب أن نحاول استعراض هذا الأثر في مقال أو فصل ، ولكنا نحاول فقط أن نلم ببعض أطرافه العامة ؛ وأخص ما يبدو هذا الأثر في النواحي الفكرية والاجتماعية من

(١) الرينصانس Renaiseance

يا حسين ! ألا وإن ردَّ خمسين ألف دينار هو كذلك قدرُ الضرورة .

قال حسين : وذهبت أعترض على الامام بما كان في نفسي من أن هذا المال وإن لم يكن من كسبه ، فقد كان يتحول في يده عملا من أعمال الخير ؛ وأنسيتُ أن هذه الصدقات هي أوساخ الناس وأقذار نفوسهم ، فلم أكد أفتح فمي حتى رأيت الكلام يتحول طيناً في فمي ليذكرني بهذا المعنى ؛ وكدت أختنق فانتفضتُ أتنفَّس فطار النومُ والحلمُ

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

الى التلميذ العاشق : يأبى ان التلميذ الذي يعشق ويذهب يسأل عن الحب — إما أن يكون فاجرا فهو في لعنة الله والملائكة ؛ وإما أن يكون خائبا فهو في لعنة أبيه وأمه ، وإما أن يكون مهملا فهو في لعنة الكتب والكراريس ...... وان استشارني زدته لعنتي أنا أيضا

الرافعي

عصر الأحياء ؛ ونلاحظ أن طوالع الأحياء ظهرت بادىء بدء في إيطاليا وبدت في الشعر بوجه خاص، وحمل لواءها الأول شعراء عظام مثل دانتي وبترارك، حاولوا أن يعيدوا مجد الشعر الروماني القديم؛ ولم تكن هذه النهضة الشعرية الرائعة رغم اتجاهها إلى مثل فرجيل عميد الشعر الروماني خالية من تأثير المثل الشعرية في غرب أوربا . ذلك أن النهضة الشعرية التي أزهرت قبل ذلك بنحو قرن في بروفانس (جنوب فرنسا) والتي كانت حركة « التروبادور » الأدبية في الشعر والقصص من أقوى مظاهرها، كانت قد أحدثت آثارها في الحركة الأدبية في شمال إيطاليا حيث بزغ فجر الأحياء ؛ ولم يكن شعر دانتي بعيداً عن التأثر بعوامل الشعر البروفنسي ووحيه، بل لم يكن أسلوب دانتي نفسه بعيداً عن التأثر بالأساليب البروفنسية ؛ ويرى علماء اللغة فوق ذلك أن اللغة الايطالية الحديثة والتي وضعت أسسها في عصر الاحياء قد تأثرت في تكوينها إلى حد كبير بالروح والتراكيب البروفنسية القديمة ؛ ويشيد دانتي نفسه في بعض قصائده الكبرى بعبقرية زعماء الشعر البروفنسي ومثلهم الشعرية، ويرى في تيبول ملك نافار مثلا أعلى للشاعر ؛ فهذه الظواهر والعوامل كلها تدلل على آثار النهضة الشعرية الغربية في شعر الأحياء

هذا ومن جهة أخرى فقد كان الشعر البروفنسي ذاته عرضة لمؤثرات قوية، من الجنوب فيما وراء البرنيه . وكانت الحضارة الاسلامية في الأندلس تنفث آثارها منذ القرن التاسع في شمال اسبانيا وفي غاليس (جنوب فرنسا)، وكان أثرها بالأخص قوياً واضحاً في بروفانس التي كانت مركز الحركة الأدبية في الجنوب منذ القرن العاشر ؛ وكانت بروفانس ذاتها مدى حين مستقراً لبعض المستعمرات العربية الغازية التي حملت إلى تلك الأنحاء كثيراً من التقاليد والمؤثرات الاسلامية، ولا سيما في شعر الفروسة، بل لقد سرت هذه التقاليد والمؤثرات إلى الحركات الفكرية والأدبية في أنكبرديه (لومباردي) ؛ فليس غريباً أن نستخلص من تفاعل هذه المؤثرات والعوامل كلها أن شعر الأحياء لم يكن في بدايته بعيداً عن التأثر بمؤثرات الحضارة الاسلامية ومؤثرات الشعر الأندلسي عن طريق الشعر البروفنسي

ومما يبعث حقاً الى الدهشة أن نجد شبها عجيبا في الموضوع والخيال والتصوير بين « جحيم دانتي » وهي أعظم وأروع آثاره وبين أثر عربي أقدم هو رسالة الغفران للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري، مما قد يحمل البعض على الظن بأن دانتي قد وقف بطريقة من الطرق على موضوع رسالة الغفران، وقد كتبت قبل عصره بأكثر من قرنين، ومع أن هذا الرأي لم يؤيد بصفة علمية واضحة، الا أنه مما يلاحظ في تأييده أن كثيرا من علوم العرب وآثارهم العلمية والعربية كانت معروفة في شمال إيطاليا عن طريق البندقية منذ القرن العاشر الميلادي

هذا ونستطيع من الناحية العلمية العامة أن نقول أيضا إن بعث الأحياء الأوربي لم يكن بعيدا عن التأثر بمؤثرات العلوم الاسلامية ؛ فنحن نعرف أن الأندلس كانت منذ القرن التاسع الميلادي نبراس الغرب كله في العلوم، ونعرف أن مدارس قرطبة واشبيلية وغرناطة كانت فيما بعد كعبة الطلاب من سائر أنحاء أوربا، وأن النهضة العلمية في أوربا بدأت قبل عصر الاحياء على يد جماعة من الرهبان النصارى الذين تلقوا العلوم في مدارس الأندلس مثل جربرت الراهب الفرنسي الذي ارتقى عرش البابوية فيما بعد باسم سلفستر الثاني (سنة ٩٩٩ م) وآبيار وهو أيضا راهب فرنسي تفقه في الفلسفة والعلوم المعاصرة وطار صيته في أوائل القرن الثاني عشر ؛ وكان أعظم ما يتلقى الرهبان العلماء - وهم يومئذ دعاة العلم في الغرب الأوربي - الفلسفة اليونانية عن طريق العلماء والفلاسفة المسلمين، ولاسيما ابن رشد الأندلسي الذي كان أول من عرف العالم الغربي بالفلسفة الارسطوطالية، وقد ترجمت شروحه المعتمدة من الفلسفة الارسطوطالية في المنطق وما وراء الطبيعة الى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر، وكانت أساساً لكثير من المباحث الفلسفية التي ازدهرت أيام الأحياء الأوربي في شمال ايطاليا، بل يرى مؤرخو الفلسفة أن الفلسفة الجدلية الأوربية استمدت من العرب والفلسفة العربية أكثر مما استمدت من قسطنطينية التي كانت مستودعاً لتراث المدنية اليونانية ؛ وليس من ريب في أن جهود العرب في ميدان الكيمياء والطب كانت أكبر مستقى للغرب في هذا الميدان ؛

فقد كانت الكيمياء العلمية علما عربيا محضا ، وقد بلغت ذروة ازدهارها فى العصور الوسطى فى معامل قرطبة واشبيلية وغرناطة ، وكان أطباء الأندلس أساتذة الطب فى أوربا كلها ، واليهم كان يهرع الطلاب من سائر الأمم الشمالية ؛ وكانت مدرسة سالرنو الطبية فى جنوب ايطاليا تقوم على تراث الحضارة الاسلامية التى سادت صقلية وجنوب إيطاليا زهاء قرنين ؛ وكانت آثار الطب العربى تبدو فى هذا الميدان بصورة قوية بارزة ؛ ويمكن أن يقال مثل ذلك عن بعض العلوم الأخرى مثل الفلك والرياضيات ، وقد بلغت أيضا فى الأندلس شأوا عظيما

والخلاصة أن آثار الحضارة والعلوم الاسلامية فى بناء النهضة العلمية الأوربية واضحة لا يمكن انكارها ؛ واذا استثنينا ميدان الفنون فى نهضة الأحياء ، فانه يصعب علينا أن نتصور ناحية من نواحى هذه النهضة الفكرية الرائعة ؛ سواء فى العلوم أو الآداب تبعد كل البعد عن التأثر بعبقرية التفكير الاسلامى ، سواء مباشرة أو بواسطة عوامل أخرى . بيد أنه مما يؤسف له أن هذه الناحية لا تلقى فى المباحث الغربية ما يجدر بها من الشرح والتقدير ؛ ويلاحظ أن مؤرخ الاحياء الأوربى يكاد يغفلها بصفة مطلقة ، هذا فى حين أن مؤرخ العصور الوسطى لا يستطيع أن يغفلها

ولكن معظم مفكرى الغرب ومؤرخيه ما زالوا ينظرون الى تاريخ العرب والاسلام والحضارة الاسلامية ومؤثراتها نظرة خاصة قلما تنجو من مؤثرات الدين والقومية ، بل لقد درج فريق منهم على اعتبار العرب ضمن القبائل والأجناس البربرية التى حطمت صرح الدولة الرومانية ، واعتبار الغزوات الاسلامية لجنوب أوربا كوارث دينية وقومية ؛ ومازالت المباحث التاريخية تبالغ فى تقدير مؤثرات الحضارة الرومانية فى أمم العصور الوسطى وتعتبرها دائما عاملا حاسما فى كل تطور فكرى أو اجتماعى ، هذا بينما نراها تغفل تقدير الحضارة الاسلامية ومؤثراتها ؛ ويلوح لنا أن الوقت قد حان لنعمل من جانبنا على تصحيح هذا الموقف ، ورفع هذا الاجحاف الذى يلحق بتراث المدنية الاسلامية فى أوربا ، والتنويه بما لهذا التراث من الآثار الحاسمة فى المدنية الأوربية بوجه عام ، وبما له من آثار خاصة فى معظم الحركات الفكرية التى قامت فى أوربا خلال العصور الوسطى

بيد أنه من الانصاف أيضا أن نقول إننا نلمح فى بعض المباحث الغربية المستنيرة أثر هذا التطور فى فهم المهام الانسانية التى أدتها الفتوحات الاسلامية فى العصور الوسطى ، وفى تقدير التراث العظيم الذى خلفته الحضارة الاسلامية ، وما كان لها من آثار خطيرة حاسمة فى تطور الحركات العقلية والاجتماعية فى تلك العصور ؛ ومن الحق أن نقول إن بحوث أولئك العلماء المستنيرين قد رفعت كثيرا من الحيف والاجحاف والريب التى لحقت ذكريات العرب والاسلام فى أوربا من جراء الصور والروايات الخاطئة المغرضة التى ما زالت تقدم منذ أحقاب عن العرب والاسلام الى المجتمع الأوربى الحديث

محمد عبد الله عنان

الفردوس الإسلامي المفقود

تحت قناطر جامع قرطبة

للشاعر الألماني هنري هين

(مهداة إلى الأستاذ الزيات)

ترجمة الأستاذ معروف الأرناءوط

محرر فتى العرب ومؤلف سيد قريش

« . . . أيتها القبة الرفيعة المنار ، لقد ظللت فى الماضى بيت الله . . . » « هنرى هين »

أرأيت ياسيدى السائح إلى مسجد قرطبة الجامع ! أرأيت إلى تلك العُمُدِ المرمرية وقد نهضت على قبابٍ فيحاءَ واسعة الأرجاء ؟

أرأيت إلى مفاتن الفنّ العربىّ وقد راحت تطفو على القباب والحنايا والقناطر ؟ أرأيت إلى سُوَرٍ من القرآن كيف أذابها الذكاء فى شتى الألوان ؟

فى سبيل الله ، وفى سبيل مجده الذى لا يَبْلَى قام هذا الصرحُ المُشمَخِرّ ثم تنكّرَ الزمن وجَهُمتْ نواحيه ، فتنكرت الأشياء وجهمت المشاهد ، وأرعد فى الأفق الذى تسرب اليه صوت المؤذن حلوا صافياً ، صوتُ النواقيس ، وقام الرهبان يدعون فى أغانيهم الشجية الكئيبة إلى المسيح فى محراب كان إلى الأمس مزهواً بالمؤمنين ، وامتلأت السُّوح بالدُّمى والتماثيل ، وتقاصرت ظلال الشمس أمام أنوار شاحبة تريقها الشموع والمصابيح !

***

وقف « المنصور بن أبى عبد الله » فى مسجد قرطبة تحت القبةِ المرمرية وهو يحدّق فى العُمُد والحنايا هادئاً ناعم الجأش ، ثم مضى يتخافت بصوته :

« أيتها القبة الرفيعة المنار ، لقد ظللت فى الماضى بيت الله ، ثم عدت اليك فرأيتك تظللين بيتاً غريباً ، ثم أصغيت اليك ، فاذا بك ترددين صلاة ماكانت لسُنَنا لك الأوانِ !

لقد هَدْهَدَ الزمن حماسَك ، وأطفأ كبرياءك ، فجمدت على خطبك الكريه ، وصبرت لبؤسك الأليم ، ولكن نفسي وقد صاغها الله من معْدنٍ ضعيف مازالت — وارحمتاه لها — ملتاعةً أسوانة حتى أعجزها اليأس عن الصبر فما عادت تطيق شجنها الجاهد ! »

***

وانثنى الفتى العربىُّ إلى الماء المقدّس يمسح به رأسه ويغسل جبينه ، ثم جفا المسجد وراح إلى فرسه فنهض على ذؤابته فانطلق به يعدُو فى الطريق ، وأخذ الهواء المستفيض فى الأفق يعبَثُ بغدائره المُرْسلة ويلاعب ريش قبعته المطرَّزة !

أشرف الفارس العربىّ على طريق القلمة حيث تجرى أمواه الوادى الكبير متطامنةً هادئة ، فبدت له الخضرة والرياحين والأعناب وشجر اللوز الباسق المهدّل وأزهار البرتقال الكاسية الضافية فلذّ الغناء فغنّى ، وراحت نغماته العذاب تختلط بأغانى الطيور !

وإنه لكذلك إذا قصر القلمة يلوح له عن بعد ، فطفر إليه مستروحاً إلى غناء رقيق يستفيض من حواشيه !

فى هذا القصر غزلات هانئة آوت اليها « كلارا الفاريس » وهى فتاة طفّارة وثّابةٌ فارق أبوها مَغْناه إلى أرض « النافار » فاستَمْدَى الغَرَق فى المرح والأهواء خلال غيبته عن القصر !

وقف المنصور بن أبى عبد الله فى ناحيةٍ دانيةٍ من القصر وطفق يُصْغى إلى عَزيفٍ لذّ هادئ ، وقد بَهَرَتْهُ الأنوار وأشجته الأعراف ، فَمايَدَ من الطرب ، وأمّ ناحية القصر يريد التوغل فى جَنّتيه بين ورده وأقحوانه !

وكان القصر يعج بالحسان والفرسان ، فزرف المنصور اليه فاذا هو بين الراقصين والراقصات والمغنّين والمغنيّات ، ثم عاد ينظر إلى نفسه فاذا هو أملح فرسان هذه الليلة الساهرة شباباً وأعذبهم حديثاً ، بل لقد كان أمْضَاهمْ فى الاغراء والاستهواء ؛ ولما استوثق من فتون عينيه ، مضى إلى هذه الأسراب الناعمة الطفّارة ، يحدث غانية عن حُبٍّ أجَنّهُ فى قلبه وحَرَصَ الأيذيعه إلاّ على مِسْمعِها ، حتى إذا أمله العبث والمجون ، طفر إلى غانيـة أخرى فاحتبسها بين ذراعين محمومتين مشبوبتين ، ثم شعر بالملل فارتد عنها إلى ثالثة يعانقها ويخاصرها تحت قباب من المرمر ، ثم جفاها إلى أختها ملولا من هوى شديد التقلب !

وكان يمضى إلى حسناء من حسان القصر فيسألها إن كانت

عنه راضية ، وبه ناعمة ، ثم يومض بيديه وعينيه إلى صليب من الذهب يَخْطَف بريقه على صدره ، ويقسم للكاعب اللّعوب أنّ مكانها من صدره مكان هذا الصليب ! وإنه لنصرانيتـه على وفاء غريب !

***

سكن القصر ، فسكنت فيه اللذّات والأهواء ، وانطفأت تحت قبابه الأنوار والأضواء ، وانقلب الفرسان إلى مضاجعهم صرعى هوى وصهباء ، وخلا القصر إلا من ربتـه الحسناء ، وفارسها العربيّ ذى البهاء ، وإلاّ من شموع ضعيفة السنا والسّناء !

جلست الحسناء الاسبانية إلى فراش ناعم وثير ، والفتى العربيّ جاثم على ركبتى الحبيبة ، صريع مسهد وأرق ، يُريدُ عينيه على إغفاءة لذيذة فتمّلس هـــذه الاغفاءة اللذيذة من عينيه الضحوكين !

وإنه لسادرٌ فى حمىّ شديدة من أرقٍ شديد ، إذا تلك الحسناء اللعوب تريق على غدائره ماء الورد من قوارير حفّت بالعجب ، وازينت بالذهب ، وهى بعد منزوفة سكرى من الحبّ والطرب ، لقد كانت تفعل ذلك سادرة حيرى ، والفتى العربىّ غريق هواجس وأحلام ، وشهيد ذكريات وأوهام ، وكان صدره يلوح لها محتدماً مشبوباً تمزّقه الزفرات ، وتقطّمه الآهات !

ثم ابتعث الحبّ فى قلبها سكراً فسلبها صحواً ، فأقبلت إلى فتاها تسعى ، وراحت تَلْثمُ شفتيْه وقد عادتا كاللّظى ، وهو فى سبحه غريق حُبٍّ وهوى

وَحدَّقت إليـه مبهولةً واجمة ، فرأتْ على جبينه وقد عاد مسفوعاً مقروراً غمامةً بلون الدجى ! فشجيت حتى لقد هدّها الشجى ، وبكت وانصبّ دمعها على جفنيْه فاستفاق َراعِشاً من هذا الندى !

لقد هزّته وهو يحْلم ! بل لقد كان يَحلمُ ! وقد رأى فى حُلمه القصير كأنه لا يزال فى مَسْجدِ قرطبة الجامع ، وَخيل إليـه أنه لا يبرح يطوف بالماء المقدّس يغسل به جبينه كأنه غريقٌ فى النصرانية وأشجاء هذا الذى تمثل ورأى ، وشعر بأن جوانب المعبد تميد ميداً ، وأن ألوف الأصوات أخذت تطفو على نفسه فلا يستطيع لها ردّاً !

ثم خيل إليه أنهُ يسمع قمقمة العمُد ، وصليل القباب وهىَ تنهار ، كأنّ مسجد قرطبة الجامع قد عاف عيشه الخابى ، فتداعى مَغيظاً مُحنَقاً

وتمثّل الناسَ والرهبان وآلهة النصرانيـة وقد طوتهم الأنقاض ، فاستفاق راعشاً ، وانطلق يعدو فى القفر البعيد النواحى شاجناً ناشجاً ، وقد َخلفَ ُحبّهُ فى القصر يائساً

معروف الارناءوط

مشروع علمى جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنـة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أوأدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربيـة والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربى وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثانى) الآراء الحديثـة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هـــذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

قصة المكروب
كيف كشفه رجاله
ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

لم يستطع بستور رؤية مكروب داء الكلب لصغره ومع هذا رباه فى مخ الأرانب فتربى . وذلك بأن حقن لعاب كلب مسعور فى أرنب ، ثم أخذ نخاع هذا الأرنب لحقنه فى مخ كلب فمات . فعلم بذلك أن مخ الأرنب ونخاعه غذاء طيب يتربى المكروب عليه . واتجه مع أعوانه الشباب إلى تأنيس المكروب ليصنعوا منه لقاحاً ففشلوا ، ويئس الأعوان الشباب ، أما بستور الشيخ العاجز فلم تضعف عزيمته ولا قل رجاؤه

قال الشابان : « إنه يا أستاذنا لا فائدة من كل هذا » ، وأشاحا بأيديهما فى تخاذل إلى الأقفاص بحيواناتها الشلاء ، وإلى ركام الأنابيب والقوارير

فصوّب الشيخ عينه فيهما تصويباً شديداً ، وعلته جَهمة خالا معها أن شعره الأشيب الخفيف تصلّب واستقام ، وصاح فيهما : « أعيدا هذه التجربة نفسها مرة أخرى ، ولو أنها خابت آخر مرة . قد تتراءى لكما الحماقة فى الذى أقول ، ولكنّ الشيء المهمّ الآن أن تظلا غامرين أيديكما فى الموضوع الذى أنتما فيه فلا تفصلاها منه فتنفضّا عنه » . هكذا أنّب بستور تلميذيه اللذين أسلما له من أمرهما المَقَاد ، وهكذا ظل ينخّسهما حتى يعيدا مرة بعد أخرى تجارب لا أمل فيها ولا رجاء . فهذا كان دأبه دائماً : تُعْوِزه الحجةُ ، ويصرخ المنطق والحقائق غاضبة فى وجهه ، ومع هذا يتشبّث بالتجربة العقيمة ، ويتغافل جنوناً عن وحى الرأى العادىّ السليم ، ولكنه تشبثٌ وتغافلٌ يُفضيان أحياناً من طريق الخيبة إلى النجاح المأمول

لكأنى بك تسألنى لمَ كان عقيما محاولةُ تأنيس مكروب الكَلَب هذا ؟ ولمَ وجبت إضاعة الرجاء فى ترويضه ؟ أوْجَبَ ذلك يا سيدى أن تاريخ الانسان كله لم يذكر حالة واحدة أصيب فيها انسان أو حيوان بهذا الداء ثم اشتفى . إنْ هى إلاّ أعراضه تظهر على المريض ، وتبلغ جرثومة الداء إلى نخاعه ومخه ، حتى يضيع فيه الرجاء . وأىّ جرثومة فتاكة قتّالة ! وهذه الجرثومة يا سيدى هى التى حملها بستور وأصحابه عارية على أطراف مشارطهم تكاد تهمّ أن تسقط بالبلاء عليهم . هذه الجرثومة هى التى مصّها بستور وأعوانه فى أنابيب الزجاج حتى بلغت إلى شفاههم إلاّ بوصةً واحدة ، وإلاّ قطعة من القطن فصلت بينها وبين أفواههم

وفى ظلمة اليأس الذى هم فيه أشرقت بارقة من الأمل ؛ وفى صموت الكآبة التى هم فيها سمعوا نغمة موسيقية حلوة بعثت فيهم الرجاء . ذلك أنهم ذات يوم وجدوا كلباً من الكلاب التى حُقنت بالمادة الوبيئة شُفى بأعجوبة بعد أن ظهرت عليه أعراض الداء من ارتماد وعواء ، وبعد أسابيع قاموا فى لهفة إلى هذا الكلب ، وهو أول مشتفٍ من هذا الداء ، لحقنوا الوباء فى مخه حقناً ، ولكن ما أسرع ما اندمل جرح رأسه ! وتربّص بستور به الموت ، ولكن الموت لم يأته ، وظل أشهراً يلعب ناشطاً فى قفصه وقد تمت حصانته كل التمام

قال بستور لرجاله : « الآن انفتح لنا ما استغلق ، وعلمنا أن لنا أملاً فى النجاح . . . إن الحيوان إذا جاءه داء الكَلَب ثم اشتفى منه فلن يعود اليه هذا الداء من بعد ذلك . . . فلم يبق علينا إلا أن نجد طريقة لاضعاف الجرثومة وتأنيسها » . فأمّن رجاله على ما يقول وفى قلوبهم أن لا سبيل إلى تأنيس هذه الجرثومة أبداً

وأخذ بستور فى اختراع تجارب مما لا يستطيعها الجنّ بَلْهَ البشر ، وانتثرت على مكتبه تخطيطات عدّة منها كأنها الخط الهيروغليفى ، وكانت تجتمع عنده فى صباح اليوم نتائج تجارب الأمس فيدعو اليه فى الساعة الحادية عشرة صباحاً عَوْنيه رو وشمبرلاند ، فيقرأ عليهما خطة جامحة أخرى يختطها ليصل بها تحسّساً فى الظلام إلى هذه الجرثومة التى لا تُرى ولا تُنال رجاء أن يُضْعفها ـ خطةً تأخذ بأصبعه إلى باطن الأرض فتحط به على رأس الجرثومة حطاً

كان يقول لهما بستور : « جرّبا هذه التجربة اليوم »

فيقولان له فى اعتراض : « ولكن هذا غير ممكن عملاً »

فيقول بستور : « ومع ذلك أجْرياها ، أجرياها بالطريقة

التى تتراءى لكما بشريطة أن تحسناها »

كان مَثَل بستورَ فى ذلك مثل بيتهوفن Beethoven ، يُضمِّن سِنْفُونيّاته الموسيقية دوراً لايلعبه إلا البوق وهو ليس عنده ، ولكنه لا يلبث بعد خلق الدور أن يخلق بوّاقاً . كذلك كان بستور فى تلك الأيام يَفْتِنّ فى التجارب افتناناً ، ثم بعد ذلك يجد من ذكاء هونيه وحرصهما ضميناً لأنجاحها

وأخيراً اهتدوا إلى طريقة لتأنيس جرثومة الكَلَب ، وذلك بأن استخرجوا قطعة من نُخاع أرنب مات من الداء ، ثم علقوها مدة أربعة عشر يوماً فى قارورة لا تدخلها جراثيم الهواء ، فلما جفّت وانضمرت حقنوها فى أمخاخ كلاب سليمة فاذا هذه الكلاب لا تموت !

قال بستور : « مات الجرثوم ! أو خير من ذلك أضعف إضعافاً كبيراً » ، وتلك النتيجة الأخيرة نطّ إليها بستور نطاً بلا سبب مقبول ولا مبرر معقول . قال : « والآن فلنجفّف قطعاً أخرى من النخاع الوبىء اثنى عشر يوماً ، ثم أخرى عشرة أيام ، فأخرى ثمانية ثم ستة ، ثم نرى أنستطيع بهذه القطع أن نعطى كلابنا قليلاً من الدّاء . . . إذن والله لتحصّنتْ منه

وأخذوا جميعاً فى سبيل هذه التجربة الخالبة ، ومضت أربعة عشر يوماً ذَرَع فيها بستور أرضَ المعمل رائحاً غادياً بين القوارير والمجاهر والأقفاص المنثورة فيه ، وعبّس وتسخّط ، وخطّ فى كراسته الشهيرة ما شاء له الخاطران يخُطّ ؛ وفى اليوم الأول حُقنت كلابٌ بالنخاع الوبىء الذى جُفف أربعة عشر يوماً ، وفى اليوم الثانى حُقنت بالنخاع الأقوى وباء ، ذلك الذى جُفف فى القارورة ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا إلى اليوم الرابع عشر وفيه حقنت الكلاب بالنخاع الذى جُفّف يوماً واحداً ، وبه وباء لا شك يقتل الكلاب لو أنها فوجئت به أول مرة

وظلوا جميعا ينتظرون هذه الكلاب أياما شابت فيها رؤوسهم ، ولكنّ شيئا من داء الكلب لم يظهر عليها أبدا . فانبسطت أسارير هذه الأغوال الثلاثة التى قامت تحارب الموت فتكشّر له كاكشر . حقنوا فى الكلاب أربع عشرة حقنة وبيئة فلم يصبها من الضرر قليل أو كثير . ولكن هل هى حقاً تحصّنت من الداء ؟

وخشى بستور ألا تكون ، فأجفل من ذكرى ضياع كل هذه الأعوام فى عمل غير نافع . ولكأنى بك تسمعه يقول لنفسه : « أنا اليوم شيخ عاجز ، والأيام تجىء فلا تزيدنى إلا عجزا ... » ، وكان لابد من إجراء التجربة الفاصلة الأخيرة . وكان لابد لبستور أن يتجلّد على إجرائها مهما كانت عاقبتها . كان لابد له أن يعلم أيحتمل هذه الكلاب بعد كل الذى جرى لها حقنة قوية غير مُضعَفَة من التى تحقن فى الكلاب المائة السليمة فتقتل منها المائة

وذات يوم ثقب رو فى رأس كلبين من هذه الكلاب ثقباً حقن فيه وباء قويا لم يُضعف . وفعل مثل ذلك فى كلبين سليمين لم يُحقنا بحقنة أبدا

وبعد شهر أيقن بستور وأصحابه أن النصر أتاهم أخيرا بعد عمل ثلاث سنين . فالكلبان اللذان كانا حقنا أربع عشرة مرّة ظلاّ يجريان فى قفصيهما ويلعبان ولم يتوعكا أصلا ، أما الكلبان الآخران اللذ ن لم يتحصّنا فنبحا آخر نباح وماتا من الداء

إن بستور له شخصيتان ، فهو مخلّص الأرواح ومحيّاتة فى آن ، وهما شخصيتان دائما متنازعتان ، ودائما تجور أولاهما على أخراهما . لذلك ما كاد يطمئن الى النتيجة الطيبة التى خرج عليها من هذه الكلاب ، حتى دارت رأسه بالخطط الكثيرة يرسمها ليمحو بها داء الكَلَب من على ظهر هذه البسيطة . فكانت له فى ذلك مئات المشروعات كلها سخيفة ، دار منها فى عالم أدكن من الخيال ، وسلك فيها من الفكر سُبُلا كثر ضبابها واشتد ، فلم يستطع رو وشمبرلاند أن يخترقاه فضلاً فيه وضلّت فيه زوجه كذلك . وكان ذلك عام ١٨٨٤ ، وفى هذا العام نسى بستور مما هو فيه عيدَ زواجه ، فأساء هذا النسيان إلى زوجه ، وهى التى عانت فى حياتها ما عانت ، فكتبت الى ابنتها تشكو : « إن أباك غارق فى أفكاره ؛ وهو قليل الكلام ، قليل النوم ، وهو يستيقظ مع الفجر ؛ واختصارا هو يجرى فى هذا اليوم على نفس الأسلوب الذى جرى عليه منذ التقت حياتانا من خمس وثلاثين سنة كاملة »

ومن تلك الخطط الجامحة أنه رأى أن يحقن هذا المكروب المُضعَف فى كل كلاب فرنسا فى دفعة نابليونيّة واحدة . قال للبيطار الشهير نوكار Nocard : « يجب أن نذكر أن الانسان لا يصاب بداء الكَلَب أبدا إلا إذا هو عضّه كلب مكلوب

فاذا نحن محونا هذا الداء من الكلاب محوا كاملا . . . » فضحك نوكار من قوله وهزّ رأسه إنكارا ، ثم قال له : « إن فى باريس وحدها مائة ألف من كلاب وجراء . وفى فرنسا مليونان ونصف مليون منها ، فاذا أنت أردت أن تحقنها كلها دفعة واحدة ، وأن تحقن كلا منها أربع عشرة حقنة فى أربعة عشر يوما ، فمن أين لك بالرجال ؟ ومن أين لك بالزمان ؟ ومن أين لك يا عزيزى الأفخم بهذا العدد من الأرانب ؟ بل من أين تأتى بأمخخة وبيئة تصنع منها ألف لقاح فحسب ؟

وأخيراً طافت على بستور فكرة بسيطة أخرجته من ورطته . قال لنفسه : « ليست الكلاب هى التى نعطيها الألقحة ، بل الرجال التى عضتها الكلاب . ألا ما أحصر ! ألا ما أيسر ! يعضّ الكلب المسعور رجلا فلا يختمر الداء فيه ولا تظهر أعراضه عليه إلا بعد أسابيع . . . إن الجرثومة إذن تستغرق كل هذه الأسابيع لتصل من مكان العضة الى مخّ الرجل . . . إذن نحن نستطيع فى هذه الفترة أن نحقن فى الرجل حقناتنا الأربع عشرة وبذلك نحميه من المرض قبل اختماره . » وما أسرع ما دعا اليه رو وشمبرلاند وقاموا بتجربة هذا الرأى فى الكلاب أولا

فوضعوا كلابا مريضة فى أقفاص واحدة مع أخرى سليمة فعضّتها . كذلك جاء رو بكلاب أخرى سليمة وحقنها بحقنة قاتلة من نخاع أرنب وبىء ، ثم جاءوا بجميع هذه الكلاب ، المعضوضة والمحقونة بالوباء ، تلك الكلاب التى لاشك هى لاقيةٌ حتفها إذا تُركت لشأنها ، فحقنوها جميعاً بالألقحة المحصّنة الضعيفة فالأقل ضعفا حتى استتمت أربع عشرة لكل منها ، فما الذى كان ؟ كان الفوز كل الفوز ، فكل مخلوق من تلك الخلائق صدّ عن نفسه فى استكمال وخفاء هجمة هذا الوباء . وبستور الذى عانى من ألقحة الجمرة الذى عانى ، صاح يدعو الى تأليف لجنة من خير رجال الطب فى فرنسا تقوم بامتحان تجاربه والحكم لها أو عليها . وجاء حكم اللجنة فاذا به يقول : « إن الكلب إذا حُصّن بأمخخة الأرانب الوبيئة التى ماتت من هذا الداء ، بأن يُحقن بالتدرج بضعيف الوباء فالأقل منه ضعفا ، فهذا الكلب لا يأتيه الكَلَب أبدا »

فتساقطت الرسائل على بستور من كل صوب ، رسائل هالعة من كتب وتلغرافات جاءت تنصب عليه انصبابا من أطباء مُداوين ، ومن آباء جازعين ، وأمهات راجفات يطلبن الغياث لأطفال لهن عضتها كلاب مسعورة . حتى امبراطور البرازيل العظيم تنازل من عليائه فكتب الى بستور سائلا راجيا

ولن أحدثك كثيرا عن همّ بستور فى تلك الأيام ، وزاد همّه ذكرُ ما كان قاساه من لقاح الجمرة . وشتان ما بين الجمرة والكَلَب . ففى الجمرة إذا زادت قوة اللقاح عن القدر المقدور ماتت شياه من جراء ذلك . أما هنا فى الكَلَب فخطأ فى التقدير يفضى الى ضياع أرواح البرايا من رجال وأطفال . . . لم يقع أحد من صيادى المكروبات فى حيرة مثل هذه ، ولم تقع عليه مسئولية كتلك .. قال بستور لنفسه : « لم يمت كلب من كلابى بسبب لقاحى أبدا . والذى عُضّ منها حُقن بهذا اللقاح احتمى من الداء احتماء كاملا . فلا شك أن الذى حدث فى الكلاب يحدث فى الانسان ... ولكن ... »

ومرة أخرى عاود الأرق هذا البحّاثة المسكين من أجل أنه كشف كشفاً بلغ من الابداع مبلغا بعيدا . فكان يرقد على ظهره فى سريره وينظر فى كُتَل الظلام التى فوقه فيرى فيها خيالات من أطفال تصرخ فى طلب الماء لحلوق جافة مختنقة بالداء ، وأولُ شىء أباه وخافه هو هذا الماء ، ويخال أنه هو الذى جاءها بداء الكَلَب بسبب خطأ فى لقاحه فيُجفل من تلك الخيالات إجفالا

ومرّت به ساعة عاوده فيها حب الباغتات على نحو ما يجرى على المسارح من المفاجآت ، فأراد أن يكون بطل الدرامة ، وكتب إلى صديقه القديم فرسيل Jules Vercel يقول : « أميل كثيراً إلى أن أبدأ بنفسى فأحقنها بهذا المكروب القاتل ثم أدفع فعله بلقاحى ، فقد والله بدأت أحس فى قلبى الثقة بنتائجه »

ولكن رحمة الله به ساقت اليه أخيراً من حلّ فى التجربة محلّه فوقته شر ما اعتزم عليه فى أمر نفسه : جاءته امرأة من الألزاس تسعى اليه دامعة العين ، ودخلت معمله تجر وراءها ولداً لها اسمه يوسف فى التاسعة من عمره جرحه كلب مسعور فى أمسه الأوّل أربعة عشر جرحاً ، وكان ينشج بالبكاء ، وقد ملأه الرعب وارتعدت فرائصه فلم يكد يستطيع سيراً

صاحت الأم راجية : « سيدى بستور ، أنقذ ولدى ! »

فسألها بستور أن تعود اليه فى مساء اليوم ، وقام هو لزيارة طبيبين يدعى أحدهما فلبيان Vulpian ويدعى الآخر جرانشيه

أندلسيات :

ابن بسام صاحب الذخيرة
والشاعر أبو مروان الطُّبْنى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

وما دمنا قد ترجمنا للفتح بن خاقان صاحب مطمح الأنفس وقلائد العقيان ، وقد بان لك من هذه الترجمة أن ابن بسام كان معاصراً للفتح ، وأنهما يتشابهان من وجوه شتى إن لم يكن منها إلا أنهما كليهما تصديا للكلام على أدباء عصرهما وشعرائه لكفى ؛ نقول ما دام الأمر كذلك كان جميلا بنا أن نردف ترجمة الفتح بترجمة ضريبه ابن بسام ....

وسيمر بك قريباً ما تتعرف به سبب ذكرنا الشاعر أبا مروان الطُّبْنى مع ابن بسام فى ترجمة واحدة ....

« ثم وأما بعد » فانا إلى هذه اللحظة التى نترجم فيها لابن بسام لم نعثر لأحد على ترجمة قد عقدها له وأفردها للقول عليه ، وإن كان مؤرخو الأندلس وغير مؤرخى الأندلس كثيراً ما ينقلون عن هذا الأديب كعمدة لهم ، ونَبَتت فيما بما لجون من تاريخ أدباء الأندلس ، حتى أن المقرى ذكره فى نحو من أربعين موضعاً من نفح الطيب ولم يفرد له على ذلك ترجمة ، وكذلك كثيراً ما ينقل عنه ابن خلكان وغير ابن خلكان ....

ومن غريب الأمر فى هذا الباب ، ومن سوء حظ هذا الأديب ، بل من تخبط الناس فى أمره ، أنك ترى النسخ المخطوطة للذخيرة فى دار الكتب سواء أكانت المكتوبة بخط مغربى أم المنقولة عنها بخط مصرى قد غُمّ على نساخها وشبه لهم ، واختلط الليل بالنهار ، فظنوا أن صاحب الذخيرة هو ابن بسام المعروف بالبَسَّامى الشاعر الهجاء البغدادى المتوفى سنة ثلاث وثلثمائة ، ونقلوا ترجمة هذا الشاعر من ابن خلكان كما هى وألصقوها بصاحب الذخيرة ، وصدق فيهم بهذا التخبط الغريب قول عمر بن أبى ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمْرَكَ الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان

وأفْصَدُ من هذا فى باب التخبط والتخليط أن خطبة الذخيرة الحقيقية كما سيمر بك [1] . . وقد مر على واضعى فهرس دار الكتب هذا التخليط فلم يتفطنوا اليه ، وظنوه صحيحاً ، وقالوا إن الذخيرة هى لابن بسام المعروف بالبسامى الشاعر الخ الخ ونقلوا نتفاً من هذه الخطبة المفتعلة ، وإن كان لهم فى هذا الصنيع كلّ المعذرة . . . « وبعد » فانا على هذا كله سنقدم اليك صورة وإن مُصَغَّرةً لهذا الأديب الأندلسى العظيم لقد التقطنا أجزاءها من ههنا وههنا

* * *

أزلفنا فى ترجمة الفتح أن أبا الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة كان فى زمن الملثمين — يوسف بن تاشفين وأولاده — وزيدهنا أن حياته امتدت إلى أيام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على رأس دولة الموحدين الذين أديل لهم من الملثمين وآضوا بذلك ملوك المغرب والأندلس ، إذ جاء فى نفح الطيب [2] ما نصه : « وتأخرت وفاته — أى وفاة ابن بسام — الى سنة ٥٤٢ » ويبدو من هذا أن ابن بسام عاش بعد الفتح بن خاقان نحواً من سبعة عشر عاماً . . .

* * *

ولد ابن بسام فى شنترين وهى بلدة من الكُوَر الغربية البحرية من أعمال بطليوس ، ومن ثم يقال له الشَّنْتَرينى ، ومن مؤرخى الأندلس من يقول الشَّنْتَمَرى نسبة الى بلدة

(١) وسيمر بك أيضا أن المفتعل هو جانب من هذه الخطبة وهو شطرها الأول (٢) ج ٢ ، ص ٣٠٩ طبع أوربة

Grancher ، وكانا من أحبابه ونُصرائه ، وكانا فى معمله فرأيا فيه كيف استطاع أن يخلص الكلاب من بلواها بعد أن عضتها كلاب مسعورة عضاً شديداً ، وفى المساء ذهبا معه إلى الطفل فلما رأى فلبيان جروحه عابسة متقيّحة ألحّ على بستور أن يقوم بتلقيحه تواً . قال : « قم يا رجل وابدأ علاجك ، فانك إن لم تفعل مات هذا الغلام لا محالة »

وفى هذه الليلة ، الليلة السادسة من يوليو عام ١٨٨٥ ، حُقنت أولُ حقنة من لقاح الكَلَب فى آدمى ، وقضى الطفل أربعة عشر يوماً أخذ فيها أربع عشرة حقنة من ابرة تحت الجلد فلم يصبه سوء ، ثم عاد إلى الالزاس فلم يأته بعد ذلك عرض من أعراض هذا الداء المخوف أبداً

فى العدد القادم : آخر مقال عن بستور

أحمد زكى

بالأندلس فى الشمال الشرقى لقرطبة يقال لها شنت مرية [١] (أى مريم القدسة)، وفى هذه البلدة يقول الأديب النحوى أبو محمد بن السيد البطليوسى:

تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم
وحفت بنا من معضل الخطب ألوان
أناخت بنا فى أرض شنت مرية
هواجس ظن خان والظن خوان
رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها
فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان [٢]

ولم يحدثنا المؤرخون عن مولده ونشأته، ولا عن مشيخته وكيف تعلم، فلا علينا إذا نحن تخطينا هذا واكتفينا بالكلام عليه من ناحية منزلته الأدبية وإيراد شيء من منظومه ومنثوره والقول على أثره الخالد كتاب الذخيرة ...

كان أبو الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة أديبا كاتبا شاعرا، وكان المنثور أغلب عليه من المنظوم، مثله فى ذلك مثل الفتح، فكان منثوره فائقاً بارعاً جيلا وإن كان يغلب عليه السجع كسائر معاصريه، أما شعره فقد كان دون نثره. ومما عثرنا عليه من شعره أبيات أوردها العالم الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى الأندلسى المتوفى سنة ٦٢٩ فى رسالته البديعة التى يفضل فيها الأندلس وأهل الأندلس على بر العدوه — مراكش — وأهل بر العدوه، قال الشقندى: وهل منكم من يقول مناديا لنديمه، وقد باكر روضا بمحبوب وكأس، فألفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف أن يكسل نديمه عن الوصول إذا رأى ذلك وهو أبو الحسن بن بسام:

ألا بادر فلا ثان سوى ما عهدت الكأس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم إلى أن توافيه فينحط اللثام

وجاء فى نفح الطيب ما نصه: « وقال أبو الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة، وشهرته تغنى عن ذكره، ونظمه دون نثره، يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز:

أبا بكر المجتبىَ للأدب رفيع العماد قريع الحسب
أيلحن فيك الزمان الخؤون ويعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقنا واحدا فينظمنا شمل هذا الأدب

أصدقت أن منظومه دون منثوره! إذن لا تتوهم من ابن بسام الأديب الكاتب شعراً من النسق الأعلى، وهكذا شأن أكثر الكتاب كما نبهنا إلى ذلك فى كلامنا على الفتح بن خاقان؛ وكذلك ترى أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون المنثور، وأظنك لا تجهل ما أورده العلامة ابن خلدون فى مقدمته شرحاً لهذه الظاهرة: ويبدو لنا ان لابن بسام شعرا كثيرا فى أكثر أبواب الشعر لم يتيسر لنا الوقوف عليه، يدل على ذلك تلك الأبيات التى يقولها الشاعر الوشاح الأندلسى أبو بكر بن عبادة القزاز فى ابن بسام وهى:

يا منيفاً على السماكين سامى حزت خصل السباق عن بسام
إن تحك مدحة فأنت زهير أو تشبب فعروة بن حزام
أوتبا كرصيد الها فابن حجر [١] أو تبكى الديار فابن خذام [٢]
أو تذم الزمان وهو حقيق فأبو الطيب البعيد المرامى

وعلى هذا فلنضرب عن ابن بسام الشاعر، ولنعرض لابن بسام الكاتب ولأثره الفذ الخالد كتاب الذخيرة . . .

* * *

نقول إن ابن بسام يمتاز من الفتح بأشياء: أهمها أنك لا ترى فى أسلوبه ذلك التقعر وتلك الطنطنة التى تراها فى أسلوب الفتح، وإنما ترى أسلوباً هادئا متزنا رصينا جميلا ، : . وأنك ترى ابن بسام ناقدا بارعا كثيرا ما يعقب على ما يختار تعقيبا يدل على تمكنه ورسوخه فى الأدب، ومن ثم كان أكثر من الفتح تقييدا، وعلما مفيدا، . . وأنك تراه أعف لسانا، وأنزه بيانا من الفتح، فلا ترى منه ذلك الاقذاع الذى تراه من الفتح. واليك نموذجا من تراجمه هو مصداق لما نقول، وهو ترجمته للشاعر الأندلسى أبى مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبنى [٣]

(يتبع) عبد الرحمن البرقوقى

---

(١) Saint merry (٢) صداء بئر ليس عند العرب ماء أعذب من مائها. وفى المثل ماء ولا كصداء، والسعدان نبت ينبت فى سهول الأرض من أطيب مراعى الابل وفى المثل مرعى ولا كالسعدان

(١) هو امرؤ القيس (٢) شاعر جاهلى قديم قال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خذام

(٣) الطبنى نسبة الى طبنة. قال ياقوت: بلدة وطرف أفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير. الى أن قال وينسب اليها أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبنى شاعر أديب لغوى الخ

قصة واقعية :

أعرابيّ في حمام ...

للأستاذ علي الطنطاوي

صحبنا في رحلتنا البرية إلى الحجاز ، دليل شيخ من أعراب نجد ، يقال له « صُنَيْبي » ما رأيت أعرابياً مثله ، قوة جنان ، وفصاحة لسان ؛ ولولا مكان النبرة البدوية من لسانه ، لقلت قد انصرف الساعة من سوق عكاظ لبيان لهجته ، وقوّة عارضته ، وكثرة ما يدور على لسانه من الفصيح ... وكان أبيّ النفس ، أشم المعطس ، عالي الهمة ، كريم الطباع ، لكن فيه جفوة الأعرابي ...

رافقنا أياماً وليالي ، فما شمنا خلة من خلال الخير إلا وجدناها فيه : كان يواسينا إذا أسبنا ، ويؤثرنا إذا أضقنا ، ويحمينا إذا هوجمنا ، ويحرسنا إذا غبنا ، ويقنع إذا قسمنا ، ويشكر إذا أعطينا ، ويصبر إذا منعنا ، ويعذر إذا اعتذرنا ، ويعفو اذا أسأنا ، ويلين إذا اشتددنا ، ولا يشتدّ إذا لنّا ... على خفة روح ، وسرعة جواب ، ونكتة حاضرة ، وشجاعة نادرة ... قلنا له مرة :

ـ إن « صُلبة » في عرب اليوم ، « كباهلة » في عرب الأمس ، قبيلة لئيمة خسيسة ، يأنف الكرام من الانتساب اليها ، وأنت فيما علمنا سيد كريم ، من سادة كرام ، وليس لك في هذه القبيلة نسب ، فما بالك تدعى « صُنَيْبيّ » ولا تغضب ؟

ـ فقال : صدقتم و لله ، ما أنا من « صُلبة » ولا « صُلبة » مني ، وإني لكريم العمّ والخال ، ولكن لهذا الاسم قصة أنا قاصّها عليكم

ـ قلنا له : هات

ـ قال : كان أبواي مُشْتَكِيَيْن لا يعيش لهما ولد ، فلما رزقا بي تاسع تسعة ماتوا جميعاً ، وأعجزتهما الحيلة ، احتسبا عند الله مصيبتهما بذل الاسم ، وسمّياني صُنَيْبيّ

ـ قلنا : أَن سمياك صُنَيْبي عشت ؟

ـ قال : نعم ! إن عزرائيل أكرم من أن يقبض روح صُنَيْبي وأرفع من أن يمسه بيد ...

ـ وسألناه مرّة : هل أنت متزوج يا صُنَيْبي ؟

ـ قال : لقد كنت متزوجاً بشرّ امرأة تزوجها رجل ، فما زلت أحسن اليها وتسيء إليّ حتى ضقت باحتمالها ذرعاً ، فطلقتها ثلاثاً وثلاثين

ـ قلنا : إنها تبين منك بثلاث ، فلم الثلاثون ؟

ـ قال : صدقة مني على الأزواج المساكين الذين لا يجدون ما يطلقون ...

وطال بنا الطريق إلى تبوك ، وكاد ينفد ما كان معنا من ماء ، وخشي القوم الموت ، فأقبلوا كلهم على صُنَيْبي ، يتذمرون من بُعد تبوك وطول الطريق ، فتركهم حتى إذا نفض كلٌّ جعبته ، قال لهم ضاحكاً :

ممكم الحق ، إنها بعيدة ، ولكني أقسم لكم بالله إني لم أضعها أنا هنالك ... وليس لي في بعدها يدان

ولم يكن صُنَيْبيّ يعرف المدن الكبيرة ، ولم يفارق الصحراء قط إلا إلى حاضرة تبوك (وتبوك قرية فيها ستون بيتاً ...) فلما بلغنا ـ قافلين ـ مشارف الشام ، أغريناه بدخول المدينة ، وجعلنا نصف له الشام : رياضها وأنهارها ، وعظمها وعمرانها ، فيأبى ؛ وكنت صفيّه من القوم وخليله ونجيّه ، فجعلت أحاوله وأداوره وبذلت في ذلك الجهد ، فلم أصنع معه شيئاً ، لما استقر في نفسه من كراهية المدن وسوء الظن بأهلها .. فتركناه مرغمين ، وودعناه آسفين !

* * *

وعدت إلى دمشق ، فانغمست في لجة الحياة ، وغصت فيها إلى أذنيّ ، ونسيت صُنَيْبيّ وصحبته ، وكدت أنسى الصحراء وأيامها ؛ ومرّت على ذلك شهور ... وكان أمس ، فلمحت في « باب الجابية » وسط الزّحم الهائل وجهاً أعرفه ، فذهبت أنظر اليه ، فاذا هو وجه صُنَيْبي بعينه وأنفه ... فأقبلت عليه مسروراً :

ـ صُنَيْبي ... هذا أنت ؟

ـ قال : لا صُنَيْبي ولا صُلبي ...

ـ قلت : لم ويحك ؟

ـ قال أنا في طلبك منذ ثلاث ، ثم لا تأتي إليّ

ـ فقلت له ضاحكا : وأيّ ثلاث ، وأي أربع ، وأي

خمس ؟ أتحسبها تبوك فيها ثلثمائة انسان ؟ إنها دمشق ياصاحبي فيها ثلثمائة ألف نسمة ، فأين تجدني بين ثلثمائة ألف ؟ . . .

قال : صدقت والله !

وأخذت بيده فاستخرجته من هذه الزحمة ، وملت به إلى ندىّ (مقهى) قريب ، فجلسنا فيه ودعوت له بالقهوة العربية والشاهي فسر وانطلق يحدثني ، فقال :

لما فارقتكم ورجعت أسير في هذه البادية وحيداً ، شعرت بالوحشة وحننت إلى هذه الأيام التي قضيتها معكم ، فاستعبرت وجعلت ألوم نفسي وأقول : يانفس ما كان ضرك لو أجبت القوم ووردت الشام فرأيت مالم ترى ؟ ... وانصرفت إلى أهلي ، فلبثت فيهم شهراً ، ثم دعاني الأمير فارتحلت اليه ، فاذا عنده رهط من أهل الحضر يريدون دليلا ، فسرت معهم أدلهم حتى بلغت بهم مشارف الشام ، فدعوني وألحوا عليّ فاستجبت لهم فدخلوا بي دمشق ...

فلما بلغنا « الميدان » وصرنا بين البيوت ، رأيت سيارة كسياراتكم تلك ، لكنها أكبر وأضخم ، ولها نوافذ وفيها غرف ، وقد خطوا لها خطين من حديد فهي تمشي عليهما ، فقال صاحبي : هذا هو الترام ، فتعال نركب فيه

قلت : لا والله ما أحب أن أركبه

فزينوه لي وحببوه إليّ ، حتى استحييت منهم لطول مايسألونني وأبى ، فدخلت ويدي على خنجري إن رأيت من أحد ما أكره وجأته به ، وعيني إلى النافذة إن رابني أمر قفزت إلى الطريق ، وجلست حذراً ، فما راعني إلا رجل بثياب عجيبة ، قد شق إزاره شقاً منكراً ، ثم خاطه حول فخذيه ، وارتدى برداء ضيق ، قد عمد اليه فصفف في صدره مرايا صغيرة من النحاس مارأيت أعجب منها ، فبدا كأنه قرد ... ولم أدر ماهو ، ثم رجع إليّ ماغرب من عقلي ، فقلت رومي مجنون من هؤلاء الروم الذين يحكمون الشام ، وخفت إن أنا لنت له أن يسطو عليّ ، فسللت خنجري لأغمده في صدره إذا هو انتهى اليّ ، فقام إليّ صاحبي يقول :

— مالك ياسلبي ، ماذا عراك ؟

— قلت : ألا ترى الرومي المجنون ؟

— قال : أيّ روميّ ياسلبي ؟ وأيّ مجنون ؟

— قلت : هذا ؟ أما تراه ؟

— قال : هذا جابي الترام

— قلت : جبّك الله ! !

وسكت فقد أقبل هذا القرد على صاحبي ، فمد اليه يداً كأنها حجر الرحى ، فوضع فيها من جُبنه قرشين ، فأعطاه بهما فتاتة ورق فما رأيت و لله صفقة أخسر منها ، وعجبت من صاحبي إذ يشترى بقرشين اثنين ورقة ما تصلح لشيء ، ولكني جلست صامتاً ، وما هي إلا هنيهة أخرى حتى أقبل علينا رجل كالأول ، رومي خبيث ، إلا أنه أجمل ثياباً وأحسن بزة ، فأخذ هذه الأوراق فمزقها ... فثارت ثائرتي وقلت : هذا والله الذل ، يقبح الله عربياً يقيم على الضيم ، ويرضى أن يسام الخسف ... وقمت اليه فَلَبَّبْتُه وقلت له : ياابن الصانعة ... أتعمد إلى شيء اشتريناه بأموالنا ، ودفعنا فيه قروشنا فتمزقه ، والله لأمزقنّ جلدة وجهك ....

وحسبت صاحبي سيدركه من الغضب لكرامته ، والدفاع عن حقه مثل ماأدركني ، فاذا هو يضحك ، وإذا الناس يضحكون لما يرون مني ، لأن عمل هذا الرجل ـ فيما زعموا ـ تمزيق أوراق الناس التي اشتروها بأموالهم !

ولما نزلنا من هذه الآفة ، قال لي صاحبي :

— هلم الى الحمام ؟

— قلت : مالي وللحمام ؟

— قال : تغتسل وتلقى عنك أدران السفر

— قلت : إن كان هذا هو الحمام ، فمالي بالحمام من حاجة ، حسبي هذا النهر أغطس فيه وأغتسل

— قال : هيهات ... إن الحمام لا يعدله شيء ، أو ما سمعت أن الحمام نعيم الدنيا ؟

— قلت لا والله . ما سمعت :

— قال : إذن تسمع وترى . وأخذني فأدخلني داراً فوراء في وسطها بركة يتدفق منها الماء فيذهب صعداً كأنه عمود من البلور ، ثم ينثني ويتكسر ويهبط وله بريق ولمعان : صنعة ما حسبت أن يكون مثلها إلا في الجنان . وعلى أطراف الدار دكك كثيرة مفروشة بالزرابي والأرائك والمتكآت كأنما هي خباء الأمير . فلم نكد نتوسطها حتى وثب الينا أهلوها وثبة رجل

واحد يصيحون علينا صياحاً غريباً ، ويصرخون صراخ من به مسّ ، فأدركت أنها مكيدة مدبرة ، فانتضيت خنجرى وصحت بهم : مكانكم ، فوالله لا يدنو مني رجل إلا قطعت رقبته . . . فأحجموا ، وعجبوا ورعبوا ، فقال صاحبي : إنه يمزح . ومال عليّ يعاتبني عتاباً شديداً ، فقلت : أفلا ترى صنيعهم بنا ، أفنحب أن ندعهم حتى يأخذونا ، قال إنهم يرحبون بنا ، ويسلمون علينا لا يريدون حرباً ولا قتالا

فصدقته وأغمدت الخنجر ، وظن القوم أنه المزاح ، فعادوا إلى حركتهم وضجتهم ، يدورون حولنا بقباقيبهم العالية ، ويجيئون ويذهبون ، وأنا لا أدرى ما هم صانعون ، حتى قادونا إلى دكة من هذه الدكاك ، وجاءوا ينزعون عنا ثيابنا ، فتحققت أنها المكيدة وأنهم سيسلبوننى خنجرى حتى يهون عليهم ، فقد عجزوا أن ينالونى وبيدى الخنجر فأبيت وهممت بالخروج . فجعل صاحبي يكلمنى ويحلف لى ، حتى أجبت واستسلمت ، والموت أهون عليّ من أن أنزل عن سلاحى ، وأمنحهم سلبى حتى يسلبونى ، ولكنها المدينة دار الذل والمهانة ، وليست بالصحراء ، ولو أنى لقيتهم فى الصحراء لجعلتهم طعمة الوحش والطير ... حتى إذا تمّ أمر الله ولم يبق عليّ إلا الازار ، أرادوا نزعه عنى ، فقلت : أما من مسلم فى هذا البلد ؟ أما من عربىّ ؟ أنكشف العورات فلا يغير أحد ، ولا يغضب إنسان ؟

فهدأنى صاحبي ، وقال : أفتغتسل وأنت متزر ؟

قلت : لعن الله نظافة الجسم إذا كانت لا تأتى إلا مع نجاسة النفس ، ويحك أتراني أضيع دينى وشرفى وأنكشف بعد هذه الشيبة ، وتذهب عنى فى العرب ، فتكون فضيحة الدنيا والآخرة ؟

قال : ومن أنبأك أنك ستنكشف ؟ هلا انتظرت ؟

ودعا غلاماً من أغلمة الحمام فقام دونى يسترنى ، ستره الله ، حتى خلعت إزارى واتزرت بازار أبيض أعطونيه ... وكان صاحبي قد تعرى كما تعرّيت فأخذ بيدى فأدخلنى إلى باطن الحمام ، فاذا غرف وسطها غرف ، وساحات تفضى إلى ساحات ، ومداخل ومخارج ملتوية معوجّة يضلّ فيها الخرّيت ، وهى مظلمة كالقبر ، قد انعقدت فوقه قباب فيها قوارير من زجاج ، تضىء كأنها النجوم فى الليلة الداجية ، وفى باطن الحمام أناس جالسون إلى أجران ضخمة من الصخر ، عرى لا يسترهم شىء ، فعلمت أنهم من الجن . وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، وجعلت ألتمس آية الكرسى فلا أجدها ، فأيقنت لما نسيتها أن جنياً منهم لا بدّ راكبنى ، وجعلت أبكى على هذه الشيبة أن تكون سخرية صبيان المدن ... وإنى لكذلك وإذا بالخبيث يعود إلىّ يريد أن ينزع عنى هذا الازار الذى كسانيه ... فقلت : ويل أمهاتكم ! ما ألأمكم ! أتأخذون ثيابى وسلاحى ، ثم تضنون على بثوب يسترنى ؟ الرحمة يا مسلمون ، الشفقة يا مؤمنون ! أأفتضح فى الانس والجن ؟

ووثب الجن عليّ وأحدقوا بى وهم عرى ، فَوَقَفَ والله شعر بدنى ، وامتلأت فزعاً ؛ فقال صاحبي وهو يضحك : أعطهم الأزار ، لقد أضحكت الناس علينا

قلت : ويحك ، وهل أبقى عريان ؟ قال : لا ، سنعطيك غيره . إن هذا جديد يفسده الماء

فاستخذيت وأطعت ، وما خوفى إلا من هؤلاء الجن أن ينفخ على أحدهم فيحرقنى ، أو يدفعنى دفعة فيلقينى وراء جبل قاف !

ودخلت إلى مقصورة من هذه المقاصير ، فجلست الى الجرن حزيناً كئيباً لا أعلم ماذا يجرى عليّ ، فبينما أنا على تلك الحال — وإذا بجني عار كأنه قفص عظام ، له لحية كشوك السعدان — وددت أنها عشاء لجملى . . . وقد تأبط ليفاً غليظاً — يا شر ماتأبط ! — وحمل ماعوناً كبيراً يفور فوراناً فتشهدت واستغفرت وعلمت أنه السم ، وأنه سيتناثر منه لحمى — وقصد الجنىّ إلىّ — فجعلت أفر منه ، وأتوثب من جانب الى جانب ، كأننى دجاجة تفر من سكين الجزار وهو يلحق بى ضاحكا ، ويعجب من فعلى ويظن أنى ألاعبه وأداعبه ، وصاحبي يقسم لى أنه الصابون . — قلت : وما الصابون لا أمّ لك — أمصابون أنتم فى عقولكم ؟ هذا هو السم ، لقد عرفته . . .

— قال : لا وأبيك إنه الصابون ، ولا ينظف شىء مثله .

— قلت : ألا شىء من سدر ؟ ألا قليل من أشنان ؟

— قال : والله ما أغشك فجرب ، ونطق الجنىّ فاذا هو والله كلام الناس ، وإذا هو آدمى من أمثالنا ، فاطمأننت وجلست بين يديه ، وأقبل على يدلكنى دلكا شديداً ، وأنا أنظر هل تساقط لحمى ، هل تناثر جلدى ، فلا أحد إلا خيراً فظننت أنه قد أحسن إلى ، وهممت بشكره ، لولا أن ظهر أنه شيخ سوء من القوم الذين أهلك الله ، فقد كان يتغافلنى ويعد

بده من تحت الأزار ، فيمس فخذى وساق ، فقلت : لو نجا منه أحد ، لأنجتني هذه الشيبة ، وجعلت أهم بهشم أنفه ، وهتم أسنانه ثم أدعه ، حتى انتهى وصبّ على الماء سخنا ، فشعرت والله كأنما نشطت من عقال ، وأحسست الزهو والخمة ، فصحت فأنكرت صوتى ، فقلت : ما هذا ؟ أينطق على لسانى جنى من الجن ؟ وأعدت الصيحة فازددت لصوتى انكارا ، فاستخفنى الطرب وجعلت أغنى وأحدو ، فقال لى صاحبى : هل استطبت صوتك ؟

قلت : إى والله ، قال : أفلا أدلك على باب القاضى ؟

قلت : فض الله فاك . مالى وللقاضى ؟ هل أحدثت حدثاً ؟ هل آويت محدثاً ؟ هل . .

قال : ألا تعرف قصة جحا ؟

قلت : لا والله ! فمن جحا ؟ وماهى قصته ؟

قال : كان جحا عالماً نحريراً ، إلا أن فيه لوثة ، وكان خفيف الروح ، فدخل الحمام مرة فغنى فأعجبه صوته ، فخرج من فوره إلى القاضى فسأله أن ينصبه مؤذناً ، وزعم أن له صوتاً جيلاً ، لا يدخل أذن رجل إلا حمله حملاً فوضعه فى المسجد

فقال له القاضى : فقم على المنارة فأذن نسمع ، فقام فأذن ، فلم يبق فى المسجد أحد إلا خرج هارباً يتعوذ . . .

فقال له القاضى : أى صوت هذا ؟ هذا الذى ذكره الله فى الكتاب

قال : أصلح الله القاضى ، ما يمنعك أن تبنى لى فوق المئذنة حماماً ؟

***

ولج « صاحبى » أعرابياً من أهل نجد يمر فى الطريق ، فقال لى : انتظر ! وخرج يعدو وراءه . . . .

. . . . ثم لم يعد !

علي الطنطاوى

وقائع كأنها قصص

السر

بقلم محمد مصطفى حمام

دخلت على الباشا والمجلس حافل والسرور شامل ، فلقينى بما عود زائريه من بشاشة وترحيب ، وأقبل بعدى آخرون يختلفون أعماراً وألواناً ، فمنهم الشيخ العتيق المحطم والفتى الأنيق المهندم ، ومنهم الحضرى الناعم والفلاح الخشن ، فتقبل الجميع بقبول حسن ، وأفاض عليهم من عطفه مثل ما أفاض على

وجاء الخادم يبشر بزائر جديد شعرت عند سماع اسمه بكثير من السرور ، فهو اسم أحد السراة الظرفاء الذين سمعت عنهم دون أن ألقاهم ، وما كان أشوقنى إلى هذا اللقاء !

ولم ينتظر الزائر اذن الباشا بالدخول ، بل أقبل فى أثر الخادم ، وإذا نحن نستقبل رجلا سمهرى القامة ، بهىّ الطلعة ، وافر الحظ من المهابة والروعة ، ولقد اهتز له المجلس تعظيما وإكباراً ، إلا الباشا فلم يعبأ بمقدمه ، ولم ينشط لاستقباله ، بل صافحه وهو لاصق بكرسيه ، ثم أشاح بوجهه عنه ، وأقبل بالحديث على سواه

وأخذتنى من هذا اللقاء السيء دهشة وعجب ، وجعلت ألتمس للأمر كثيراً من العلل

قلت لنفسى : قد يكون القادم من الأنسباء أو ذوى القربى ، فلا حاجة بصاحب الدار إلى المبالغة فى تكريمه ، أو لعل اقتحامه المجلس دون انتظار الاذن هو الذى أغضب الباشا عليه

ورأيت جو المجلس قد أظلم بعد استقرار الضيف الجديد فى مكانه ، وبدا على الباشا ضيق وضجر ، وحاول الرجل أن يظفر من صاحب البيت بلفتة إليه ، أو إقبال عليه ، فلم ينل إلا جفاء وإعراضاً

ثم انحنى على الباشا يحاول أن يسر إليه حديثاً ، فنهره كما ينهر السائل ، وصاح به وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

لقد انقطع ما كان بينى وبينك ، فلا تعكر صفاء مجلسى بقدومك ، ولا تحاول استرداد مودتى فذلك ما لن يكون

وانصرف الزائر خاسئ البصر ، لا يكاد يرى مما حوله شيئاً ، وودعناه راثين لحاله ! وأخذ المجلس يتبدد ، حتى لم يبق إلا أنا وصاحب الدار ، فلما هممت بالانصراف استبقانى

قال الباشا : لعلك أسأت الظن بأدبى ؟

قلت : معاذ الله

قال : أظنك فى دهشة من سوء لقائى لضيفى ، وربما أهمك أن تعرف السر

قلت : لا أرى فى معرفته بأساً

قال : لا يزال الصديق محبباً إلى قلبك ، رفيع القدر فى عينك ، حتى تكشف لك الأيام منه عن عورة لا تستطيع الاغضاء عنها ، فمالك يومئذ من ذنب إذا سقط عندك مقداره ، وتمكن من نفسك احتقاره

هذا رجل صاحبنى خمسة أعوام كاملة ، ملأ فى خلالها جوانب قلبى ، واستأثر دون الأصدقاء بحبى ، وجمعت بيننا مجالس بعضها لله وبعضها للشيطان ، وفى أمثال هذه المجالس أسخو بالمال وأكون المتلاف المبذال

وكان هذا الرجل زميلى فى كل هذه المجالس ، ودليلى إليها فى أكثر الأحيان

وقادنى إلى بيت فى حى من أجمل أحياء المدينة ، نادمنا فيه نسوة ثلاثاً كأنهن الحور العين ، فقطفنا منهن ورد الخدود ، وداعبنا غصون القدود ؛ وصار هذا البيت معهد غرامنا نسعى اليه بين الحين والحين ، ولكن فى جنح من الليل ، وفى غفلة من الجيران

وما هى إلا أشهر معدودات ، حتى علمت علم اليقين أن هذا البيت الذى نعبث بنسائه ونلهو ، هو بيت صاحبى دون سواه ! وأن نديماتنا هن امرأته وقريبتاه ! هن اللائى نغازلهن ونقبلهن ! وهن اللائى ينلن منى أجر العبث بهن ، أدفعه سخياً كريماً ، ويتقبلنه راضيات فرحات !

ولقد أخذنى من هذه الحقيقة أول وهلة هول وفزع ، فقد تكشف لى صديقى عن نفس خبيثة وعرض ممزق !

قلت : فهلا كاشفته بما علمت من دخيلته ؟

قال : لقد كان عذره أقبح من ذنبه ، فقد أفهمنى أنه وقد

نظرية النسبية الخصوصية

البحث الثالث

مبادئ الميكانيكا الحرية

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ١ —

لقد قررت سنّة لورانتز فى التقلص أن سرعة النور أقصى سرعة يمكن أن توجد فى الكون ، وهذه السنّة نتيجة لكون سرعة الجسم كلما أخذت فى الزيادة أخذت كتلتها تتقلص من اتجاه حركتها بنسبة رياضية ثابتة ، حتى إذا ما قاربت سرعتها سرعة النور بلغ التقلص حداً لا متناهياً ، لا يمكن أن يتقلص الجسم المتحرك بعده . فلو فرضنا جسما يتحرك بسرعة معينة ولتكن (س) ، فهذا الجسم حسب قانون التقلص يتقلص بمقدار ثابت مثل (ث) ومقدار هذا التقلص :

$$\text{ث} = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{\text{س}^2}{\text{ن}^2}}}$$

ولا يمكن أن تتجاوز السرعة (س) فى أى وقت سرعة النور (ض) لأن هذا القانون يتلاشى إلى حيث لا يكون له معنى [1]

لنفرض كتلة مادية مثل (ك) مقدار طاقة الحركة التى بها (ط ع) ، وهذه الكتلة تتحرك بسرعة مثل (س) ، فهذه الكتلة تقرر قواعد الميكانيكا الكلاسيكية أن طاقتها الحركية :

$$\text{« ط ع »} = \tfrac{1}{2}\,\text{ك}\,\text{س}^2$$

غير أن مبادئ النسبية استناداً على قوانين المجال الالكترومغناطيسى ، ونظرية « ماكسويل — لورانتز » تقرر أن

$$\text{ط ع} = \frac{\text{ك}\,\text{ض}^2}{\sqrt{\text{ض}^2 - \text{س}^2}}$$

فمقدار حركة الكتلة المادية (ك) لا يمكن أن تتجاوز فى سرعتها سرعة النور . حيث أن سرعة الكتلة المادية المرموزة لها بالرمز (س) تستنفد فى حركتها جزءاً من مقدار طاقة الحركة (ط ع) حتى إذا ما بلغت سرعة النور سرعتها تكون الطاقة قد استنفدت كلها [2]

— ٢ —

لو فرضنا قوتين : سرعة الأولى (س) وسرعة الثانية (س_1) وأن هاتين القطتين أثرتا على نقطة مادية فى اتجاه واحد . فتكون سرعة هذه النقطة المادية محصلة هاتين السرعتين ولنرمز بالرمز (س_2) فقانون الحركات الكلاسيكى يقرر أن

$\text{س}_2 = \text{س} + \text{س}_1$ « معادلة ١ » وهذا القانون النيوتونى يتبدل عند اينشتيجا ويتشكل فى صورة رياضية أخرى تقررها المعادلة :

$$\text{س}_2 = \frac{\text{س} + \text{س}_1}{1 + \frac{\text{س}\,\text{س}_1}{\text{ض}^2}} \quad \text{معادلة ٢}$$

وهذه الصيغة الجديدة نتيجة لمبدأ ثبات انتشار النور [3]

فمثلا لو فرضنا نظاما ماديا يبتعد عن الشمس بسرعة ١٣٠٠٠ كيلو مترا فى الثانية ، فشعاعة النور الصادرة من الشمس والتى

(1) M. A. Sommerfsld : Physik Zeitschrift., 8 (1907) P. 842—843.

(2) Levr Civita : « L'Enseiguement Mathematipue » Rome 1926 p. 155-156

(3) G. Maumann : « Annalen der Phijsik » 45 (1914) P. 525

عرف فىّ البعد عن الجريمة المنكرة ، وجرّب علىّ القناعة بالقبلة والنادمة ، وشهد سخائى فى البذل ، رأى أن يؤثر نفسه ونساء بيته عالى ، فهو وهن أحق بذلك المال الذاهب هباء ، والتى إلى أناس آخرين ، ولم يجد فى الأمر ثلماً للعرض ولا نقصاً من الشرف ، مادام الغزل لا يصل إلى نهايته الأثيمة !

***

وتراءت فى عينى صورة الرجل حين رأيته لأول مرة ، وقارنت بين جمال المنظر وسوء المخبر ، فذكرت قول الشاعر :

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم

إذا كانت الأعراض غير حسان !

محمد مصطفى همام

تتحرك نحو هذا النظام بسرعة ٣٠٠,٠٠٠ ك م فى الثانية تكون سرعتها بالنسبة لراصد فى النظام المادى :

٣٠٠,٠٠٠ ك م + ١٣,٠٠٠ ك م = ٣١٣,٠٠٠ ك م فى الثانية حسب مبادىء الميكانيكا الكلاسيكية . أما قواعد النسبية فتقرر أن سرعة شعاعة الضوء للمشاهد حسب قانون تركب السرع كما تقرره الميكانيكا الحديثة هى :

(٣٠٠,٠٠٠ + ١٣,٠٠٠) ÷ (١ + (٣٠٠,٠٠٠ × ١٣,٠٠٠) ÷ ٣٠٠,٠٠٠^٢) = ٣٠٠,٠٠٠ ك م فى الثانية

وهذه النتيجة توضح لنا تماماً أن سرعة النور سرعة مطلقة لا تتغير [1]

— ٣ —

إن علم الحركات « Cinematique » يرى فى الزمان حداً رابعاً للمادة ، ولكنه لا يخرج عن كونه مجرد ملاحظة رياضية ، حيث أن الزمان مطلق ومستقل عن المكان ، وقد كان أستاذنا هنرى بوانكاريه الشهير يفرض أن الزمان بعد رابع موهوم للمادة ويستند فى إثبات ذلك على الرياضيات الثابتة Invariant إلا ألبرت اينشتين ومينقوفسكى تمكنا من إثبات أن الزمان له شأن طبيعى كحد رابع للحوادث [2]

إذا فرضنا وقوع حادثتين غير معينتين وكان الخط الواصل بين الحادثتين (خ) مثلاً . فانتقالنا من نظام إلى آخر لا شك سيؤثر فى الخط الواصل بين الحادثتين وسيتأثر الخط بانتقالنا ويتغير (راجع مقال وحدة قوانين الطبيعة)

وإذا كان الزمان الفاصل بين أوان وقوع الحادثتين « ت » مثلاً ورمزنا لسرعة الضوء بالرمز (ض) كان معنا المعادلة

ف^٢ = « ض^٢ ت^٢ » — خ^٢ (معادلة ١) ، وهذه المعادلة ثابتة لا تتغير حيث فيها (ف) رمز لفاصلة الزمان المطلقة ، والحادثات

ك ، ى ، ض ، ت ؛ ك١ ، ى١ ، ض١ ، ت١ لو طبقت على قانون التحويل الذى وضعه لورانتز كانت النسبة بين مجموع حوادث الكونين ثابتة حيث أن :

(1) Edham (I A) die Grundlangen der Relativitaetstheere', Leipzig 1934-1935 Uol 3., P.92-93

(2) M. A. Sommerfeld : Annalen der Physik, 44 (1914) P. 175 — 177

ف^٢ = ض^٢ (ت١ — ت)٢ — (ك١ — ك)٢ + (ى١ — ى)٢ = (ض١ — ض)٢ (معادلة ٢) فاذن ليس الزمان بذلك الموجود المستقل عن المكان بل إنه مندمج فيه ، وليس الزمان والمكان مطلقين بل هما نسبيين إلا أنهما يندمجان فى الفاصلة الثابتة الرياضية (ف)

ليس للزمان ولا المكان شأن طبيعى وإنما إندماجهما يولد معنا حقيقة واحدة . فالمكان امتداد الزمان ، أعنى أن فواصل حوادث العالم تندمج فى (ف)٢ الثابتة الرياضية وتكوّن وحدة هو كون « الزمان — المكان »

هذا الكون[1] لا يتبع نسب وقياسات الحوادث ، بل هو مطلق فلكل حادثة أو مجموعة من الحادثات مكانها وزمانها الخاص بها . أما كون « الزمان — المكان » فهو ذو حقيقة مطلقة غير تابعة لقواعد القياس . والمكان فى حد ذاته ليس إلا مجموعة فواصل الحوادث ، فواصلها الفراغيـة المتساوية أعنى أنه قطاع للعالم فى زمان خاص ، أو بلغة أبسط هو العلاقة الانتشارية بين الحادثات واندماج المكان بالزمان فى الثابتة الرياضية (ف) ، توجد علاقة ثابتة بين الحوادث هى الفرق بين مربع الفاصلة الفراغية وحاصل ضرب سرعة النور بمربع الفاصلة الزمانية . هذه العلاقة تؤلف بين الحادثات وحدة ممتازة تحيل الكون عالما مطلقا هى منه الصفة المطلقة الوحيدة [2]

— ٤ —

لنفرض [3] نظاما ماديًا مثل (ظ) يتحرك حركة نسبية ا ض ا ى نظام مثل (ظ١) ولنفرض أن (خ) خط ثابت بالنسبة للنظام الثانى متحرك بالنسبة للأول بسرعة محدودة لنرمز لها بالرمز (س) فطول هـذا الخط بالنسـبة لمشاهد فى النظام الأول غيره بالنسبة لمشاهد فى النظام الثانى

ولنفرض أن (خ) يمتـد من النقطة « م » إلى النقطة (م١) فستبدو كل نقطة حادثة مستقلة عن الأخرى لكل من المشاهدين . وسيرى المشاهد الذى فى النظام « ظ١ » الحادثين متواقتين . أما المشاهد الذى فى النظام (ظ) فان (خ) ستبدو

(1) Fritz Beer : Die Einsteinsche Rehativitaetstheorie , Wnin 1909 6 . 118 — 119

(٢) شارل مالك : « الفضاء ـ الزمن » مقتطف يناير وفبراير ١٩٣٢

(2) Edhem (I. K.) ; Türk Ansiklopedia., Istanbul nesriyati. 18 cilt., 1935 (5) . P. 355 — 356. Izafiyat prnsipi.

له أطول مما تبدو للمشاهد الذي بالنظام (ظ١) كما وأن كل نقطة من نقطي الابتداء والانتهاء ستبدوان له حادثتين مستقلتين عن بعض غير متوافقتين

ولنفرض أن المحورين « ل م ؛ ل١ م١ » منطبقين على بعضهما كل الانطباق وأنهما موازيين استقامة السرعة (س) للخط (خ) في كل من السكونين (ظ) و(ظ١) فاذا كانت المحاور

م ل ، م ى ، م د ... ... (١)

موازية للمحاور

م١ ل١ ، م١ ى١ ، م١ د١ ... ... (٢)

في كل من النظامين (ظ) و (ظ١) كان :

ل١ = ث (ل − س ت   معادلة رقم (١)

ولا بد من أن يكون :

ل١ = ث ل   معادلة رقم (٢)

ليتحقق معنا تعادل المركز (م) مع الزمان (ث) ومن انطباق المركز على الزمان نستنتج أن

ل = ل١ / ث   معادلة رقم (٣)

وهنا تؤدي إلى أن :

١ / ث = √ (... س٢ / ن٢)   معادلة رقم (٤)

حيث أن ا رمز لمادلة التقلص

ولما كان المقدار العالي أصغر من (ا) كان ل١ ل ل١ [١]

إن الخط (خ) بالنسبة للمشاهد الذي بالنظام (ظ١) أطول مما هو بالنسبة للنظام الأول . ومسئلة تقاص الأطوال شيئاً فشيئاً كما تقرره ميكانيكية لورانتز ليست راجعة لتقاص الأجسام في اتجاه حركتها وإنما هي نتيجة لنسبية الأطوال . وليس هذا النقاص حقيقياً بل هو ظاهري حيث أن الواجب لا يمكنه ترتيب حدوث الحادثات كما تقع وإنما يرتبها حسب ما تتراءى له . وتقسيم الزمان والمكان تقسيماً مطابقاً لموضوعها في صورة مستقلة عن بعضها لا يمكن إجراؤها في أي حال حيث أن سرعة اندفاع الجسم إذا بلغت سرعة انتشار النور أو ما قاربها بلغ التقاص أقصاه ولم يصبح للجسم عمق لدى النظر ، لأن الأجسام

(١) راجع البحث الثاني عن قوانين لورانتز التحويلية وانظر الشكل

(٢) ص ٩٧ بالعدد ١٣٣ من الرسالة

عند ما تبلغ من السرعة هذا الحد تلوح كصفائح رقيقة [١]

وحاصل القول إن الأطوال تابعة لحالات المشاهدين الطبيعية من الحركة والسكون

— ٥ —

لنفرض [٢] ساعة في النظام (ظ) . فهذه الساعة ستبدو إشارها للزمان متأخراً بالنسبة لساعة النظام (ظ) فهذا التقاص في الزمان نتيجة للملاقة بين (ت ، ت١) حيث أن :

خ ت = ث خ ت١   معادلة (١)

ولما كان تقاص الأطوال نتيجة للقانون :

خ ل = خ ل١ / ث   معادلة (٢)

فقليل من البحث والاستفاضة في الدرس يكشف عن تساوي كل من :

خ ل خ ت = خ ل١ خ ت١   معادلة (٣)

حيث أن

خ ل ، خ ى ، خ د ، خ ت = خ ل١ ، خ ى١ ، خ د١ ، خ ت١   معادلة (٤)

ونخرج من هذا التساوي بحجم الجسم في عالم ذي أبعاد أربعة أو طوله في ذلك العالم

« للبحث بقية »   اسماعيل أحمد أدهم

(1) J. A. Schouten; Die direkte analysis zur neueren Relativitaetsiheorie., Amesterdam. 1919. P. 128 — 129.

(2) Hermemm Weyl Raum . Geitumd Materie . Berlim 1921 . P . 235

رسائل حاج

٤ ـ من ربوع الغرب
إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

تتمة

وقف جلالة الملك ابن السعود فوق ذروة «جبل الرحمة» كرمز خالد لعبقرية الأمة العربية، يذرع الفضاء بعين نسر جبار، ويشرف على راحة الحجاج الضاربين خيامهم فى السهول المجاورة. لكم كان منظره فاتناً خلاباً، والشمس تكتنفه وتشرق عليه، بينما يلتف حوله الحرس الوهابى بملابسهم المزركشة وخناجرهم التى تلمع مقابضها فى وهج الظهيرة

وقبيل الغسق تحرك الركاب الملكى شطر «المزدلفة» فظهر فى الجو غبار كثيف امتزج بصيحات الوهابيين الذين كانوا يهتفون: «نحن أنصار التوحيد، إخوة من أطاع الله» وليس لأى كاتب مهما بلغت عبقريته أن يصف هذا المنظر وصفاً شافيا، ومن لى بالفصاحة والبيان لأصوره على حقيقته؟

وعند وصولنا الى «مني»، بلغ مسامعنا نبأ محاولة اغتيال الملك، فان ابن السعود ما كاد ينتهى من طوافه للمرة الثالثة حتى داهمه أربعة من اليمنيين وهم يصيحون بأعلى أصواتهم: الله أكبر! الله أكبر! محاولين أن يطعنوه بخناجرهم. فان لليمنيين مهارة وحذقا خاصا فى استعمال الخناجر، لكنهم لم يصيبوا سوى ولى العهد وهو يهم بانقاذ أبيه. ثم حمل الجنود على الجناة وحاولوا أن ينزعوا سلاحهم. ولما لم يفلحوا اضطروا إلى رميهم بالرصاص، وأريقت دماؤهم فوق ثرى هذه الأرض المقدسة. وكان الملك الذى طالما خاض غمار حروب ومعارك حتى لم يخل جسمه من شبر واحد من آثار الجروح، هادئا ساكنا فلم تبدُ على وجهه أمارات الجزع، بل قصد لساعته بئر زمزم فتوضأ، ثم عاد الى اتمام طوافه بالكعبة

وكان للحادث أثره المؤلم فى نفوس الحجاج، فاستنكروا بشاعة الاغتيال، وتوغل بعض القتلة فى الصفوف تخشى أن يحدث فرارهم ذعرا فى القلوب. ولقد أحسن الملك صنعا بعودته السريعة الى منى ليزيل ما علق بنفوس الحجاج من الرعب، فانه ما كاد يستقر فى سرادقه حتى هرعت اليه جموع الحجاج ووفود البلاد لتقدم تهنئتها بنجاته من يد الآثمين. هنا سنحت الفرصة لأن أقف وجهاً لوجه أمام العاهل العربى الذى يحكم بلاده بالعدل والشريعة، ويسودها بالعطف والمحبة؛ فقد كان ابن السعود يجلس فى سرادقه تحيط به ثلة من الحرس النجدى، وهم من صفوة الرجال الأشداء، وكانت ملابسهم المزركشة تخطف بسناها الأبصار، يتوج رؤوسهم العقال البدوى، وتتدلى من تحته ضفائر الشعر الكثيف الأسود حتى تصل إلى صدورهم، بينا أقداح القهوة العربية وأكواب الليمون المثلج تطوف على الوفود بين حين وآخر. وعند ما غشيت مجلس الملك كان الخطيب الماثل بين يديه قد انتهى من خطابته، فلما التقى طرف الملك بطرفى أومأ إلىّ أن أتقدم، فجمعت شجاعتى وأنا فى نشوة روحية عميقة، ورفعت يدى إلى رأسى إجلالا واحتراماً ثم تقدمت...

لقد قابلت فى شبابى وأنا فى استامبول، السلطان عبد الحميد، ورافقت السلطان محيي الدين فى إحدى سياحاته، وزرت السلطان رشادا، وتحدثت إلى كثير من الرؤوس المتوجة فى أوربا، لكننى لم أشعر مطلقاً أنى وقفت وجها لوجه أمام التاريخ إلا فى تلك المقابلة، لا سيما عند ما رفعت عينى إلى وجه ابن السعود، ولمحت فى ثناياه دلائل الحزم والقوة والشفقة والحنان والمهابة والجلال. ولقد لاحظت أن بطرف عينه اليمنى حولاً، بينما العين الأخرى قوية سليمة، والمعروف عن الملك أنه شجاع مقدام، تضرب القبائل بشجاعته المثل، فعند ما كان فى الحادية عشرة من عمره، قاتل فى إحدى المعارك خصماً له فقضى عليه بضربة من حسامه؛ وهو رجل شديد الايمان بالله، ولقد كان إيمانه من أقوى الأسباب فى تأسيسه المملكة السعودية واحياء مجد الجزيرة العربية

وما كدت أقف أمام الملك حتى خاطبته بصوت جهورى فيه

كل معانى الاخلاص : السلام على أمير المؤمنين ، إننى أحمد الله على نجاتك من يد ذلك القاتل الأثيم عدو الدين

ومدّ إلىّ ابن سعود يده فصافحتها ثم طلب إلى أن أزوره فى قصره؛ وبعد أن شهدت حفلة الاستعراض العسكرية التى أقيمت « بوادى الشهداء » ورأيت ضروباً من الفروسية العربية ، تلك الفروسية التى خلقت من الحب أدباً عالياً ومن المرأة صنماً معبوداً توجهت إلى القصر الملكى بناحية « المعلى » بالضواحى ، وهو قصر عظيم شامخ البنيان ، يشبه الحصون العسكرية ، ويشتمل على عدد كبير من الغرف المتسعة الأرجاء والردهات والأبهاء ذات العمد

وجلست بقاعة الاستقبال ، فى انتظار التشرف بالمقابلة ، فسرنى أن التقيت بكثير من أعيان العرب ، الذين يأتون للمثول بين يدى الملك بملابسهم الفخمة ، فيحادثهم كانسان يستشير اخوته ، ويرسم معهم كل ما يتعلق بسياسة الدولة وتدبير وسائل الرفاهية والراحة للحجاج . ولقد راعتنى البساطة التى ألفيتها متمثلة فى الملك والشعب معاً ، فالرسميات المعقدة التى تتبع فى بلاط ملوك أوربا لا وجود لها فى هذا البلاط العميق الديموقراطية . والواقع أن ابن السعود هو عاهل الجزيرة العربية بلا منازع ، ولم يؤل الملك اليه عن طريق الوراثة ، بل آل إليه عن جدارة واستحقاق

وطفقت أستوعب الدقائق إلى أن يحل دورى فأتشرف بالمثول بين يدى الملك ؛ وكنت فى خلال فترة الانتظار جالساً فى مكتب سعادة فؤاد بك حمزة وزير الخارجية ، الذى ذكر لى أنى أول حاج قدم إلى مكة من بلاد المجر ؛ وما كاد يحل دورى حتى تقدمنى فؤاد بك حمزة وغشينا مجلس الملك ، وبعد أن صافحته أومأ إلى أن أجلس بجواره ، وقدمت إلينا القهوة ، فرأيته يرشفها بشغف ولذة . ثم بدأ الملك يتحدث إلى فقال : « لقد قدمت من نجد إلى الحجاز وجبت البلاد من الشرق إلى الغرب لزيارة بيت الله وتفقد حالة الحجاج . وغاية ما أرمى اليه أن أؤلف بين قلوب رجالى متوسلا إلى الله أن يلهمنى وإياهم الصواب فى أعمالنا . لقد عنيت عناية خاصة بإقامة الشرائع المحمدية ونشرت الأمن والسلام فى أنحاء الجزيرة العربية ، وفى وسعك الآن أن تتجول فى أقصى بقعة من بقاع الجزيرة دون خوف ولا وجل . وسترى عما قريب أننى سأعيد إلى هذه البلاد عظمتها القديمة حتى تصبح موئل الاسلام كما كانت أيام سيد المرسلين »

إن هذا العاهل العربى العظيم يلمس تماماً مواطن الضعف فى كل ركن من أركان بلاده ويعمل على اصلاحه وتقويمه ما استطاع إليه سبيلا ؛ فالسلام مع الرقى والتقدم هما الأمران اللذان يعنى بهما عنايته بطعامه وشرابه ، وإقامة حدود الله مع المحافظة على استقلال الجزيرة هما الغايتان اللتان يسترشد بهما فى تأدية واجبه ، وهو لعمرى الطريق السوى الذى يجب أن يسير فيه . وملك هذه صفاته وأعماله جدير حقاً بأن يخلد التاريخ ذكره فى ثبت الوجود

وبعد أن انتهيت من زيارتى استأذنته فى الانصراف فقام من مجلسه منتصباً وبسط إلى إحدى يديه الغليظتين وظل قابضاً على يدى برهة وهو يرمقنى بعينه المتسمة ، وكانت ملامحه تدعو إلى الهيبة والاحترام إلى حد ألفيت نفسى عاجزاً عن أن أرفع إليه بصرى ، ثم مالبثت أن هويت بفمى على راحته ألثمها في إكبار وإجلال

ولما أزفت ساعة الرحيل ودعت أصدقائى من سادة العرب وكبار العلماء كالأستاذ محمد شطا شيخ قضاة مكة ، ورئيس الشرطة ، وبعض الأطباء النابهين ، ووصلت إلى جدة حيث قضيت أياماً فى ضيافة الشيخ محمد على وهو رجل علامة يحذق لغات شتى ، وقد تجول فى أنحاء أوربا ، ويعرف الشيء الكثير من عادات الشرق والغرب

وأقلعت الباخرة فوقفت فى مقدمها واجما ساكنا تتناهبنى شتى العواطف ، وأنا أودع هذه الأراضى المقدسة التى ربما أراها للمرة الأخيرة . وكلما بعدت بنا الباخرة اغرورقت عيناى بالدموع ، فقد خلفت فى تلك الديار صداقة جديدة تكاد لعذوبتها تشبه الحب ، وذكرى عزيزة هى ثمرة عقيدتى فى الاسلام واليوم الآخر . فما أعظم الفرق بين مدنية أصدقائى العرب ، إخوانى فى الله ، الذين تشيع فى قلوبهم فكرة الاتصال بالواحد القهار فيصدفون عن الماديات ، وبين مدنية المغرورين الذين يتهالكون فرقا وراء قضبان المادة وينفقون غلتهم فى شهوة المال !

عبد الكريم جرمانوس

مديرية أسوان

والحد الفاصل بين مصر والسودان

بقلم رشوان أحمد صادق
B. A في الجغرافيا

أتحدث اليوم عن علاقة مصر بالأقاليم الجنوبية واهتمام المصريين بالحدود المصرية الجنوبية منذ بدء التاريخ الى اليوم فأقول:

أول من اهتم بالجهات التي تتاخم حدود مصر الجنوبية هو الملك ببى الأول ثانى ملوك الأسرة السادسة فأرسل القائد أونا (Una) الى كروسكو ليجمع بعض أنواع الأخشاب فساعده قبائل تلك الجهات على أداء مهمته واعترفوا بسيطرة الملك ببى عليهم. ثم أرسل الملك متوسوفيس (وهو الملك الثانى عشر من ملوك الأسرة السادسة) القائد هرخف لغزو بلاد بنت فعاد يحمل البخور والآبنوس والعاج والجلود حملها على ثلثمائة حمار وحمل معه قزماً من الدنقس أتى به من (بر الأظلال). فلما وصل مصر كان الملك متوسوفيس قد مات وخلفه أخوه الملك ببى الثانى فسر بخبر القزم فكتب إلى هرخف يأمره باحضاره إلى منف، وهذا نص الكتاب: «واصحب معك فى السفينة بعض الخفراء لحراسته كى لا يقع فى الماء أو يفلت فى الليل، لأنى أسر برؤية القزم أكثر من جميع ما أحضرت من بلاد بنت»، فخفر هرخف هذا الخطاب مع خبر غزوته على واجهة قبره فى جزيرة الفنتين

وفى عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل (أوسرتسن) الأول ثانى ملوك هذه الأسرة القائد هونو Huno إلى بلاد بنت بطريق قفط والقصير لجباية الجزية من أمراء تلك البلاد، فأدى مهمته ثم عاد. وقد جرد هذا الملك حملة بطريق النيل فامتدت حدود مصر الجنوبية حتى الشلال الثانى، وقد عثروا على حجر فى هيكل جهة حلفا (نقل الآن إلى فلورنسا) وعليه صورة هذا الملك وبجانبه المشايخ الثمانية رؤساء القبائل التى تغلب عليها؛ وفى عهد (اوسرتسن) الثالث خامس ملوك هذه الأسرة امتدت حدود مصر إلى شلال سمنه جنوباً، وتوجد آثار هيكل من بقايا أعمال ذلك العصر، كما وجد حجران جملا الحد الجنوبى للبلاد المصرية مكتوبا على أحدهما ما معناه: «هذا حد مصر الجنوبى الذى عين فى السنة الثامنة من حكم الملك أوسرتسن الثالث الخالد الذكر، فلا يجوز لأحد من السود أن يتعداه إلا فى سفن تحمل البقر والماعز والحمير»، ووجد على الحجر الثانى ما معناه: إن الملك شيد هذا الحجر فى السنة السادسة عشرة من حكمه وجعله حداً فاصلا بين مصر وانيوبيا، وله تمثل فى تلك الجهة، وتوجد قائمة من آثاره فى ممتوق. وفى جزيرة ارقو توجد تماثيل وأطلال من آثار الأسرة الثالثة عشرة

وفى عهد الأسرة الخامسة عشرة التى أسسها العمالقة كانت مصر فى حالة اضطراب، وهاجر كثير من المصريين إلى اتيوبيا وكونوا معاقل أهمها معقل ارقو، وحملوا معهم كثيرا من طرق الصناعة والفنون المصرية وأصبحوا دولة منظمة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، ولم يتم الملك لأحمس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلا بمساعدة ملك اثيوبيا الذى زوجه من ابنته وساعده على طرد الهكسوس من مصر؛ ويظهر أن عاصمة بلاد الأثيوبيين هى مدينة نبته عند جبل البرقل بالقرب من مروى ويعرف بالهيروغليفية باسم الجبل المقدس، ودامت العلاقات الحسنة بين مصر واتيوبيا إلى عهد تحتمس الأول ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة إذ غزا الأتيوبيين وانتصر عليهم

وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة غزا رمسيس الثانى بلاد اتيوبيا وأقام هيكلا فى كلابشه تذكاراً لانتصاراته ويعرف الآن عند سكان كلابشه باسم بيت الولى. ورسم على الهيكل صورة رمسيس الثانى وهو يحارب فى عربة، وعدة صور يتضح منها هزيمة الأعداء وتقديمهم القرابين له مثل الخواتم وأكياس الذهب وجلد الفهد وسن الفيل وبيض النعام. وجدد استخراج الذهب والزمرد من وادى العلاقى المعروفة قديماً باسم اكيتا akita وعلى هذا الطريق قلعة يظن أنها من أعمال رمسيس الثانى

ودامت سلطة مصر على اتيوبيا حتى الأسرة العشرين بعد ذلك انفصلت أتيوبيا عن مصر، وذلك أن (سمنتومباموز) أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين نفى بعض الكهنة المصريين إلى أتيوبيا فخرجوا عن طاعته واستقلوا تحت إمرة أحدهم

وبذلك رجعت حدود مصر إلى ما كانت عليه قبل الغزو

وفى آخر حكم الأسرة الثانية والعشرين هاجم الأتيوبيون مصر وأخذت حدود مصر الجنوبية تتراجع شمالا حتى استولى الأتيوبيون فى أيام الأسرة الثالثة والعشرين على صعيد مصر . على أن بمنخى ملك أتيوبيا بعد أن استولى على مصر فوجئ بخروج البلاد عليه وتقاسمها الأعيان لمدة خمسة عشر عاماً إلى أن قام أحدهم ويدعى (ابسمانيك) واستعان بجنود يونانية واستولى على جميع الأراضى المصرية وطرد الأتيوبيين وأعاد الحدود المصرية إلى أسوان . ولقد ذكر (هيرودوت) خبر فرار بعض الجنود المصرية فى عهد ابسمانيك مؤسس الأسرة السادسة والعشرين فقال إنهم ذهبوا إلى أتيوبيا واستوطنوا هناك وأطلق عليهم اسم (الأوتومولى) وعرفوا بهذا الاسم حتى القرن الأول للميلاد

وفى عهد البطالسة زحف ثامن ملوك هذه الأسرة على مملكة مروى وفتحها ثم سار جنوبا ففتح مدينة أكسوم ، ودون خبر فتوحاته باللغة اليونانية على حجر من الرخام فى ميناء (أدولس) المعروفة الآن بميناء (زولا) على عشرين ميلاً جنوبى (مصوع وهى ميناء أكسوم) ومع ذلك فقد عادت الحدود مرة أخرى إلى المحرقة فى عهد سلفه

وبعد وفاة كليوباترا آل حكم مصر إلى الرومان . وأول من تولى مصر من الرومان هو كرنيليوس جالس وقد ظهر من بعض النقوش على بعض الآثار أن الملك (نويا كوتاس خوانوس) ، ويظن أنه ملك نوبه ، أرسل رسلا فى أيام هذا الحاكم إلى فيلة ودخل فى حامية الرومان . وحاولت أتيوبيا غزو مصر فى عهد ملكتها (كنداكه) حينما كان الرومان مشتغلين بغزو بلاد العرب ولكنها لم تفلح . وفى عهد (نيرون) أرسل حملة للكشف عن منابع النيل فوصلت الى إقليم كثير المستنقعات ربما كان إقليم السدود الحالى ، وكانت المحرقة آخر حدود مصر أيام الرومان كما كانت أيام اليونان ، فرأى الامبراطور (دبوقلشيان) أن خراج البلاد التى بين المحرقة وأسوان لا يفى بنفقات الجند اللازمة لحمايته فلا فائدة من الاحتفاظ بهذه البلاد فاقطعها للنوبة وأعاد الحدود المصرية إلى أسوان وقوى حامية الفنتين

وفى عهد الحكم العربى غزا المسلمون النوبة . قال ابن الأثير (فغزا المسلمون النوبة فرجعوا بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم فسموهم رماة الحدق) وفى سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عشرين ألفاً الى النوبة فمكث بها مدة ثم صالحهم وقرر عليهم الجزية ثم ، استدعاه عمرو إلى مصر ثانية ؛ وبعد موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه تولى عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله مكانه ، وكان أهل النوبة نقضوا الصلح ووصلوا إلى الصعيد فردهم وغزاهم مرة ثانية وصالحهم على أن يدفعوا ٣٦٠ رأساً من الرقيق سنوياً على ان يرسل عبد الله اليهم بعض الحبوب . ويقول المسعودى (ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدد الأمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس ، وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه أن ناساً من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا أملاك لهم وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها . فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ

وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستنزع من أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتيعت منهم من أهل النوبة أنهم إذا حضروا حضرة الحاكم لا يقروا لملكهم بالعبودية ، وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم ، يجب علينا طاعته وترك مخالفته ، فان كنتم أنتم عبيدا لملككم وأموالكم له فنحن كذلك . ولما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس المجاورة لأسوان . وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين : نوعاً من وصفنا أحراراً غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة فى غير بلاد مريس) . من ذلك يتبين أن الحدود الجنوبية لمصر لم تكن محددة تماما أيام العرب ، إذ أن بعض المصريين كان يملك أراضى داخل حدود النوبة . ويقول المقريزى إنه فى سنة ٨٧٠ م ذهب

أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى الى محاربة النوبة ورجع غانما . ويفهم من كلام المقريزى أنه فى سنة ٩٥٦ م أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جماً من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل (أنوجور بن الأخشيد) سنة ٩٥٧ م برا وبحرا وأسروا بعض النوبيين الذين ضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة ، وسار الخازن حتى فتح مدينة أبريم ، وقدم الى مصر سنة ٣٤٥ هـ بمائة وخمسين أسيرا . وقال ابن الأثير (فى سنة ١١٧٣ م سار شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين الأكبر من مصر الى النوبة فوصل الى أول بلدهم . وكان سبب ذلك أن صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر ، فاستقر الرأى بينهم أنهم يتملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى إذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد ، فان قووا على منعه أقاموا بمصر وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها . فجهز شمس الدين وسار الى أسوان ومنها الى بلاد النوبة ، فنازل قلعة اسمها أبريم فسلمت ، فأقام بها ولم ير للبلاد دخلا يرغب فيه ، فتركها وعاد الى مصر بما غنم من العبيد والجوارى) . وقال المقريزى عن توران شاه هذا ما يأتى : (وأعطاه صلاح قوص وأسوان وعيذاب ، وجعلها له اقطاعا ، فكانت عبرتها فى تلك السنة مائتى ألف وستة وستين ألف دينار ، ثم خرج لغزو النوبة سنة ١١٧٤ وفتح قلعة ابريم) . واستمر غزو المماليك لبلاد النوبة مثل الظاهر بيبرس وقلاوون وغيرهم . ويقول ابن خلدون إن قلاوون عند ما غزا النوبة أرسل السفن بالبحر . ويقول ابن خلدون (ثم انتشر أحياء العرب من جهينة فى بلاد النوبة واستوطنوها وملكوها أيام الناصر بن قلاوون وملؤوها عيثا وفسادا ، وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ، ثم صاروا إلى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم ، لأن أمهاتهم من بنات ملوك النوبة على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم واستولى أعراب جهينة على بلادهم ، وليس فى طريقة استيلائهم شىء من السياسة الملوكية للأمة التى تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد) . الى أواخر القرن الثامن الهجرى .

وبقوا كذلك شيعاً على كل شيعة منهم رئيس أو ملك الى أن قام الفنج فى سناد سنة ١٥٠٥ الى الشلال الثالث ثم كان الفتح العثمانى لمصر بيد السلطان سليم سنة ١٥٢٠ فأرسل جيشاً الى النوبة فملكوها من أسوان الى الشلال الثالث وعرفوا (بالغز) وعرف حكامهم (بالكشاف) وهكذا انقسمت بلاد النوبة بين ملوك الفنج والكشاف الى أن كان الفتح المصرى للسودان سنة ١٨٢٠ م أى سنة ١٢٣٦ هـ فخضعت لمصر

وفى عهد محمد على امتدت حدود مصر جنوباً بعد فتحه للسودان وكانت تدخل اسوان فى مديرية اسنا ، ثم أحدث تعديلا بأن ضم مديرية اسنا الى مديرية قنا وصارتا واحدة ، ثم انفصلتا بعد ذلك وامتدت الحدود المصرية الى أعالى النيل أيام خلف محمد على خصوصاً فى عهد اسماعيل . واستمرت مديرية اسنا حتى سنة ١٨٨٧ وكان مركزها اسنا . ولما ازدادت الثورة المهدية فى السودان وكادت تمتد الى الحدود رأت الحكومة تحصين الحدود المصرية بقوة عسكرية وجعلت البلاد هناك تحت الأحكام العسكرية فصدر قرار مجلس الوزراء فى ٢٦ ابريل سنة ١٨٨٨ بقسم مديرية اسنا الى قسمين : الأول يشمل الجهات التى بين وادى حلفا وجبل السلسلة تتكون منه مديرية تسمى مديرية الحدود ومركزها اسوان . وأما الأقاليم شمالى جبل السلسلة فتضم الى مديرية قنا وعلى ذلك ألغيت مديرية اسنا وتكونت مديرية الحدود من مراكز ادفو وأسوان وكرسكو (الآن الدر وحلفا) وضمت بقية البلاد الى قنا واستمرت مديرية اسوان باسم مديرية الحدود الى أوائل سنة ١٨٩٩ حينما تحددت الحدود بين مصر والسودان ، وذلك أنه لما أعيد اخضاع السودان عمل اتفاق بين مصر وبريطانيا فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ بأن يصبح السودان حكومة مصرية انجليزية وأصبح خط عرض ٢٢ شمالا هو الحد الفاصل بين مصر والسودان وبناء على ذلك دخلت عشرة بلاد من قرى مصر العليا فى حكومة السودان وهى : سرة شرق . فرس . جزيرة فرس . دبيرة . شرة عزب . اشكيت . ارقين . أدندان . عنقش . دبروسة (وتعرف الآن بالتوفيقية) وبعد هذا التغيير أطلق على مديرية الحدود اسم مديرية اسوان ابتداء من سنة ١٨٩٩ م

(أسوان) أحمد صادق

الخـــريف

مهداة الى رفيقى الأستاذ حلمى اللحام

لشاعر الشباب العربى أنور العطار

أبى القلبُ فاستراحَ إلى الصمـ   ـتِ وللصمتِ عالمٌ مسحورُ

تترامى به الشجونُ فيعيَا   ليس يشكو الضنى وليس يثورُ

هيكلٌ متعبٌ تكادُ من السقـ   ـمِ تداعى أركانهُ وتخورُ

موحشٌ كالخريفِ تطفو عليهِ   صورٌ جهمةٌ وخطبٌ نكيرُ

* * *

كلُّ شىءٍ أراهُ يذوى ويفنى   ثمَّ يمشى على حِماهُ الدثورُ

ملعبٌ للحياةِ يطفحُ بالسحـ   ـرِ ويشقى بساحِه المغرورُ

أينَ زهوُ الرياضِ فى مُتعِ العيـ   ـشِ وأينَ الهوى وأينَ السرور

رقدت فى الغيوبِ قمريةُ الدو   حِ وطاحَ الهزارُ والشحرورُ

فجناحٌ على السفوحِ هشيمٌ   وجناحٌ على الوهادِ كسيرُ

وتجافى السنا عن الأفقِ الحلـ   ـوِ وغشى رفيفَهُ الديجورُ

وتولّت بشائرُ الأنسِ عنهُ   واستفاضَ الأسى وصاحَ النذيرُ

لم تعد تكرعُ الندى شفةُ الزهـ   ـرِ ولم تسكرِ النسيمَ العطورُ

وانطوت من مباهجِ الروحِ دنيا   كلُّها نائلٌ وجودٌ وخيرُ

* * *

همدَ الحقلُ فالعِشاشُ خرابٌ   هجرتها على الليالى الطيورُ

فعلى ضاحكِ المروجِ اكتئابٌ   وعلى باسمِ الدغالِ فتورُ

وإذا الغيمُ فى الفضاءِ ركامٌ   وإذا النهرُ مُغدِرٌ مخرورُ

والعصافيرُ نومٌ ليس تصحو   والفراشاتُ جثمٌ لا تطيرُ

* * *

ورقٌ مائتٌ تهاوى على السهـ   ـلِ وغنّت بهِ الصبا والدبورُ

ملأ الوهدَ والمساربَ والسو   حَ اغتماماً بساطهُ المنشورُ

غمرَ المشعبَ البعيدَ وغطّى الـ   ـوادىَ السمحَ عصفُهُ المنثورُ

خشخشت فى الرحابِ أوراقهُ الغبـ   ـرُ وللريحِ بينهنَّ صريرُ

نغمةٌ توقظُ النؤومَ منَ الشجـ   ـوِ ورمزٌ إلى الزوالِ يشيرُ

تعصفُ الصرصرُ العتيةُ بالغا   بِ فيهوى الدوحُ الأغنُّ الشجيرُ

وتضيعُ الألحانُ فى هبةِ الويـ   ـلِ ويرغو الأذى وتطغى الشرورُ

ليس يقرى الأسماعَ إلا عويلٌ   وصراخٌ وأنةٌ وزفيرُ

تمحّى فرحةُ الطبيعةِ فى الأر   ضِ ويطوى حلمُ الحياةِ النضيرُ

وتعفّى أرائكُ الحبِّ والعطـ   ـرِ ويبلى الروضُ النديُّ الخضيرُ

تطفحُ السحبُ فى عنانِ السموا   تِ ويخبو منها السراجُ المنيرُ

ويعجُّ الفضاءُ بالزبدِ المنـ   ـدوفِ والأفقُ كالخضمِّ يفورُ

وتغيبُ الأنوارُ إلا شعاعاً   يختفى تارةً وأخرى ينورُ

تتعزّى به النفوسُ الوجيعا   تُ ويحيا بدفئهِ المقرورُ

أيظلُّ الصرّارُ يرتعُ فى الحقـ   ـلِ وينأى عن عشهِ العصفورُ

تلكَ أحجيةُ الوجودِ تناهى الـ   ـفهمُ عنها واستغلقَ التفسيرُ

* * *

يا حبيبى أراكَ من حجبِ الغيـ   ـبِ فيزهو الكونُ السليبُ الحسيرُ

ويغوصُ الظلامُ فى نهرِ الفجـ   ـرِ ويبهى الصبحُ الأنيقُ الطريرُ

ينشدُ السفحُ والتلالُ تغنى   حيثُ لا مطربٌ ولا مزمورُ

تمرعُ الأرضُ بالنباتِ وتهتـ   ـزُّ منَ الدفءِ والحياةِ الجذورُ

وتذوبُ الأنداءُ فى أكؤسِ الزهـ   ـرِ ويحيى الثرى الشرابُ الطهورُ

ويطيبُ الهوى ويحلو التساقى   ومنَ الحبِّ روضةٌ وغديرُ

أيها الهاجرى أطلتَ التنائى   وتمادى من صدكَ المهجورُ

سهدت مقلتى وناجاكَ قلبى   وهفا خاطرى وحنَّ الضميرُ

عشتُ من طولِ حسرتى بالتمنى   وقليلٌ من التمنى الكثيرُ

تتراءى لناظرى فأناديـ   ـكَ كأنى مختبلٌ ممرورُ

أنتَ ريحانتى وأنت أحاديـ   ـثى وأنت المنى وأنت السميرُ

يا نصيرى إذا أظلنىَ الهـ   ـمُّ وألوى بىَ الشقاءُ المريرُ

طفْ بروحى كما تطوفُ الشعاعا   تُ ويسرى ضياؤها وينيرُ

ودعِ الحبَّ يزدهرْ فى خيالى   وتهدهدْ بهِ العصورَ العصورُ

* * *

غفلت عنىَ المنونُ فغنيـ   ـتُ ولحنُ الحياةِ لحنٌ قصيرُ

أتعامى عن الفناءِ وحولى   محنٌ ليسَ تنقضى وثبورُ

أَلمى صارخٌ وجُرحى ضَرِىٌّ والهوى يائسٌ وَجَدِّى عثورُ

وَبنفسى قيثـارةٌ تتشكّى وأنا الدمعُ والأسى والشعور

أتسلّى عنِ الضّنى بلُحون هى روحُ الحياةِ والإكسير

الشّجَا المُرّ فى حِماها شِفاءٌ والدُّجى الشاملُ المروِّعُ نور

خاطِرى من نشيدِها مستثارٌ وفمى من سُلافِها مخمور

* * *

عالَمى مَهْبِطُ الرُّؤى ومِهادى ذهبٌ خالصٌ وتبرٌ نثيرُ

وفضائى مُوَشَّحٌ بالغوادى ورِهضابى نَدًى وجَوِّى مَطير

وسماواتِىَ الفسيحاتُ تابو تٌ عليه من الغيوم سُتُور

أُفُقٌ شاحبٌ تدَثَّرَ بالسُّحْـ ـبِ وَأَغْيا فيه الضَّبابُ الغمير

لا السَّنَا ضاحكٌ بأبْهائه السُّحْـ ـمِ ولا النورُ فى مَداهُ يمور

فَمِنَ الحُزْنِ وَالجَهامَةِ قَبْرٌ ومن الهمِّ والكآبةِ سور

وتَعَرَّى المَسَاءُ من ألَقِ السِّحْـ ـرِ فلا رَوْعَةٌ ولا تَصْوير

التَّعاشِيبُ أعْيُنٌ جامداتٌ هى من طولِ ماتُحَدِّقُ صُورُ

أطفأَ العاصِفُ المُلِحُّ سَناهَا وغزَاهَا الصقيعُ والزمهرير

هٰهُنَا للجمالِ عُرْسٌ تَقَضَّى مِلْءُ أعْطَافِهِ شَذًا وعبير

هاهنا غنّتِ الينابيعُ سَكْرَى ومن السَّلْسَلِ النقىِّ الخرير

هاهنا كانَ للجداولِ ألحا نٌ لِطَافٌ وللنسيمِ سَرير

هاهنا حَنَّتِ العَشِيّاتُ للضَّحـ ـكِ وَبَشَّ الضُّحى وهَشَّ البكور

لا الرَّوابى تفيضُ بالعَبَقِ الطا هِرِ ولا يُطْرِبُ الحقولَ الخرير

هَدَأَتْ من جَوَى الغرامِ قلوبٌ واستراحت من الهديلِ ثُغُور

وَحْشَةٌ ماتكادُ تحملها النفـ ـسُ وشَجْوٌ تضيقُ عنه الصدور

المَرَادُ المُزَوَّقُ الحُلْمِ داجٍ وَحِمَى الأنسِ مُجْفِلٌ مَذْعُور

أينَ وادٍ رَفَّتْ عليه البشاشا تُ وَرَنَّتْ أعْشاشُه والوكور

ماجَ فيه الهوى فعاشتْ حوافيـ ـهِ وضجَّتْ من الحياةِ الصخور

* * *

أينَ لا أينَ عالم مستطابٌ عاثَ فيه ركبُ الفناءِ المغير

فامّحَى كالظِّلالِ تنتهبُ الأرْ ضَ وَيخفَى انطواؤها والمصير

أنور العطار

بين ماض وحاضر

أنشودة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

عهـدى بالعيش على رَغَد عذباً كالماء حساه صَدِى

نغم والدهر يُوَقّعُهُ يسرى كالنشوة فى الجسد

ياليت الدهر كمن يشدو بأغانٍ إنْ يُطرِبْ يَزِدِ

إن قلتُ أعد نُعْمَى عادت كترنم ذى النغم الغرد

حسنات كنت بها ثَمِلاً ذهبت فى الدهر فلم تَعُدِ

آمال كنت بها شَغِفاً نظر الولهان إلى الخُرُدِ

أحـلام كنت بها جَذِلاً قد شـح النوم ولم تجُدِ

وشباب ذقت به خلداً فى طرفة عين من أبد

لو دام دوام الخلد لما نقع الظمآنَ من الصَّفَدِ

لو عاد بذات له ذكرى من مُطَّرَفٍ أو مُتَّلدِ

بشعاع منـه أعيش مدى دِفْءٌ للشمس على بُعُـدِ

آب التذكارُ له شبحاً أو قبراً شِيدَ لمُفتقد

ماخَلَّفَ لى دهرٌ ثقة بمآلٍ فيه أو أحـد

يانبعَ الماضى لو عاد الـ وُرّادُ اليـك على جَدد

لرجعت اليك رجوع صَدٍ لم ينهل قبل ولم يَرِد

وغدًا ماذا يادهر ترى قد قُدِّرَ لىَ بضمير غد

عبد الرحمن شكرى

صورة...

(من صور دمشق فى هذه الأيام)

بقلم السيد أحمد عبيد

ما أَرْوَعَ القومَ إذ ضَنُّوا بعزّتهمْ فسالَتِ الشامُ فِتْياناً وَوِلْدَانَا

تدفقوا كأتِىِّ السيلِ مُقتحِماً لظىً جحيمٍ تُذِيقُ الموتَ ألوانَا

فلا الأتىُّ بمُخْبٍ من توقدها ولا الجحيمُ تَصُدُّ السيلَ إن دانى

إذا التَقَوْا والعِدَى فى وَقْعَةٍ فهما الـ ـبُرْكانُ يقذفُ «نِيراناً» و «صوّانا»

فى يوم الأربعاء ١١ مارس سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا وما بعدها بقراقص مركز دمنهور . وفى يوم الاثنين التالى مباشرة بسوق دمنهور عيدان القرية سيباع علناً أربع كنبات وترابيزة وسط وأشياء أخرى موضحة بمحضر الحجز ٢٦ يناير سنة ١٩٣٦ تملك الست نظيمة محمود الخولى عن نفسها وبصفتها وصية على أولادها القصر والقيمة بقراقص مركز دمنهور وذلك تنفيذاً للحكم نمرة ٢٠٥٥ سنة ١٩٣٥ دمنهور ووفاء لمبلغ ٤١٨ قرشاً بخلاف ما يستجد والبيع كطلب الشيخ عبد العال السيد قرطام وفاطمة وأمينة السيد قرطام بقراقص فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم السبت الموافق ٢٩ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحاً وما بعدها بشارع سوق السمك القديم نمرة ٦٨ بملك تفاحه قسم الجمرك باسكندريه سيباع علنا عدد ٦٦ سبت خرزان لعبوة الفحم الحجرى جديد و٧٠ جاروف حديد بيد خشب لزوم الفحم جديد وفاء لمبلغ ٤٨ج و٩٦٠ م بخلاف أجرة النشر تنفيذا للحكم رقم ٤٥ سنة ١٩٣٥ مدنى منشية ضد احمد افندى ابراهيم اللاح والست احسان حسن الساعى المقيمين بشارع الفريانى نمرة ١٤ والبيع كطلب الست بمبه محمد مصطفى الليجى رعية ومقيمة باسكندرية ومحلها المختار مكتب محمد عرارجى وسليمان حافظ المحاميان باسكندرية فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأربعاء ٢٦ فبراير سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا وما بعدها بالمنزل رقم ١٤ بسكة درب الجنينة قسم الوسكى مصر بناء على طلب الست سكينة أحمد حسن المقيمة بسكة الحسنى ن ٢٧ قسم باب الشعرية بمصر سيباع علنا منقولات منزلية عددها ١٢ قطعة تملك حبيب بولس المقيم بالمنزل المذكور نفاذاً للحكم نمرة ٥٤٢٩ سنة ٩٣٥ الوسكى وفاء لمبلغ ٣٨٢ قرش صاغ فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم الأربعاء ١٨ مارس سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ صباحاً بمحل الحجز بأسوان والأيام التالية بعد بسوق أسوان سيباع علناً منقولات منزلية موضحة بمحضر الحجز الرقيم ٤ فبراير سنة ٩٣٦ وتعلق عبد الرحمن أحمد منوحى من اسوان توقع عليها الحجز وفاء لمبلغ ١١٠ قرش صاغ بخلاف أجرة النشر تنفيذاً للحكم الصادر من محكمة اسوان الأهلية في القضية بن نمرة ٧٨ ونمرة ٨٢ سنة ٩٣٦ والبيع كطلب عبد المنعم أفندي عبد العزيز موسى من اسوان فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم السبت ١٤ مارس سنة ١٩٣٦ بناحية كفر بولين مركز كوم حماده وفي يوم السبت ٢١ مارس سنة ٩٣٦ بسوق النجيله العمومى إذا لزم الحال من الساعه ٨ صباحا سيباع علناً ٨ أرادب ذرة شامي بأكيزانها ومنقولات منزلية مبينة الأوصاف بمحضر الحجز ٥ فبراير سنة ٩٣٦ وهذه الأشياء ملك عبد العال عبد الحليم سليمان من أهالي ناحية كفر بولين مركز كوم حماده والبيع بناء على طلب محمد افندي عبد الحليم سليمان المقيم بالمنزل رقم ٥ بشارع عمارة موسى باشا قسم السيدة زينب بمصر نفاذاً للحكم ٣٧٢ كوم حمادة سنة ١٩٣٥ وفاء لمبلغ ١٦ ج و ٧٤٠ م بخلاف ما يستجد

فعلى من له رغبة في الشراء الحضور

رجاء

نكرر رجاءنا لحضرات مرسلي الاعلانات القضائية أن يكتبوها بخط واضح

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٣١ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

تعليق المؤلف [1] على فلسفة نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

يتمتع نيتشه بما لا يتمتع به فيلسوف آخر ، لأن تفكيره قد تناوله بالبحث أرباب الفلسفة وغير أربابها . وقد طغت «النيتشية» فى الأعوام الأخيرة أى طغيان ، فأما المعجبون به فهم يرون فيه المفكر الفرد الصارم العميق فى جرمانيا الحديثة ، له منزلة « دارون » فى الأخلاق . وأما خصماؤه فهم لا يرون فيه إلا ولداً مريضاً ، له خطره ومبدؤه الفاسد . وبينهما يقف الشعب حائراً ، تراه من ناحية معجباً بآثار هذا الجبار ومظاهر تفكيره الغريب ، ومحترسا من ناحية ثانية من مفكر ناقم على الأخلاق والتقاليد ؛ والآن سنعمل على تبيان الأسس الرئيسية التى ترتكز عليها فلسفة نيتشه ، والأهمية التى تنشأ عنها

هدم النقاد فلسفة نيتشه من وجهتين : فى الوجهة الأولى أبدوا أخطاءها العملية . وفى الوجهة الثانية بينوا خطرها على الأخلاق

إن نيتشه فى الطور الثانى من حياته لم يكن يكتسب شيئاً ولم يكن فى استطاعته أن يكون عالماً ؛ ولقد علمت رداءة صحته التى تحول بينه وبين مواصلة جهوده فى البحث . فهو قد بدأ حياته العلمية بدراسة اللغات ، ثم لم يلبث أن غادر هذا الميدان إلى غيره ؛ وهو لم يكن فى سائر العلوم إلا هاوياً ، لا يسعى وراء ترقية هذا الفرع وذلك الفرع فى العلوم ، ولكنه يريد من وراء ذلك أن يبدع مسائل جديدة ، أو يكسو المسائل القديمة ثياباً جديدة ! فهو لا يؤثر فى العلم نفسه ولكن فى روح العالم . فان اشتقاقاته التى استنبطها فى دراساته للغات القديمة لم تكن لتلائم الحقيقة ، ولكن ذلك لم يكن ليحفل به ، فهو يبغى أن يظهر طرق درس المسائل الاجتماعية بواسطة الدراسة اللغوية ، فالقيمة الجوهرية لملحوظاته الخاصة هى شىء ثانوى عنده ، سواء عنده حياتها ومماتها ، فهو يكفيه فضلا أن ينفخ فى نفوس هؤلاء الدارسين روحا جديدة ويفتح لهم آفاقا جديدة . ولذلك نراه فى آخر أدواره جد قلق ، يسعى بواسطة الدراسات اللغوية إلى أن يستكشف الحياة الاجتماعية ، وحضارة ما قبل التاريخ مستعيناً بدرسه ومقارنته بين اللغات

وإذا شئنا أن نوضح بعض خطيئات نيتشه فلا ننس أن آثاره كلها « ذاتية » Subjective والحقيقة — غير الذاتية — يراها نيتشه ضرباً من ضروب العاطفة الدينية ؛ وإننا لنطالب إلى العالم ألا يحترم إلا الحقيقة ، وأن يكون فى بحثه عنها خالياً من الأهواء متجردا عن شخصيته – على قدر الامكان – وإننا لنعلم أن التجرد عن الذاتية فى البحث عن الحقيقة هو خديعة ، ونعتقد أن ليس فى مقدور أحد أن يتجرد عن شخصيته وينظر إلى الأشياء نظرة خالصة لا تجتلى إلا الأشياء ؛ وبهذا ليست كل حقيقة ذاتية قبل كل شىء ؛ وجوهر الموضوع – فى البحث العلمى – لا يقف عند ما اعترفه الكاتب من حقيقة ، ولكنه يقف على مقدار ما أودع فى هذه الحقيقة من ذاته . ونحن على رغم هذا أرانا نؤمن بالحقيقة المجردة ، الحقيقة البارزة بحقيقتها خارج ادراكنا وحواسنا ، وأرانا نؤمن بالمؤلف ونزيد احترامنا له كلما دنت أفكاره مما ندعوه « الحقيقة المتجردة عن الذاتية »

لنا الحرية فى أن نزن آثار نيتشه بهذا الميزان ، ولكن نيتشه كان قبل كل شىء يفتش عن نفسه ويسعى وراء معرفة نفسه ؛ ولقد كان اهتمامه ضعيفاً فى الاطلاع على الأشياء بحقائقها ، وإنما وقف اهتمامه كله وجهوده على ما يمثل شخصيته ، فخلق من الأشياء خرافات كاذبة ، وقد علم أنه إنما وصف نفسه حين كتب عن « شوبنهاور وفاجنير » أنه حول الحقيقة إلى خرافات جذابة غريبة ، ولأن تكون مظاهر لشخصية نيتشه أجمل وأحرى من أن تكون مظاهر تمثل حقيقة الوجود الخارجى ، وبهذا يصبح عبثاً سمينا وراء الحقائق التى عالجها نيتشه والعمل على التوفيق بينها وبين الواقع

وهنالك تأثير معاصر به فيه — سواء أحس هو هذا التأثير أم لم يحسه — وفكرته التى جاء بها — إذا جردت من أثوابه الخاصة — تبدو فكرة قديمة ليست بابنة ذاته . فكل الآراء التى عالجها ، من قوله بالذاتية وعبادة النفس والثورة على قانون

(١) هو الأستاذ « هنرى ليشتنبرجر » وقد أشرنا اليه فى هذه المقالات

المساواة وعبادة الانسانية قد سبقه الى معالجتها أحد معاصريه(١) كما سبق « فلوبير » و « رنان » إلى الكتابة عن المذهب الارستقراطى . وقد وجد نيتشه فى الكاتب «أوجين دوهرنك» عضداً له فى محاربة التشاؤم . واتحد مع « هارتمان » فى النفور من الاجتماعيين والفوضويين ، واتفق معه فى القول باستحالة المساواة بين الناس ، فقالا بفضيلة الحرب للمدنية ، واتفقا على جعل الشفقة مادة غير صالحة للفضيلة . وكذلك نرى مذهب الرجمة الدائمة يتجلى فى كتاب « لبلانكى » ؛ وفى كتاب الدكتور « لوبون : الرجل والمجتمعات » . ولكنا — وان قارنا بين نيتشه وبين هؤلاء المعاصرين — فان هنالك تبايناً شاسعاً مهما كانت الأفكار متقاربة متآلفة . وعلة هذا التباين شخصية نيتشه . ولقد نراه فى بعض خطرات يتحامل على هؤلاء الأحلاف ، فمقت من « رينان » روحه الكاهنة ، ونعت « هارتمان » بالشموذ . وليس نفوره هذا وليد حقد أو حسد ، وإنما هو وليد طبيعة تختلف جد الاختلاف عن طبائع خصومه . هذه الطبيعة التى تؤمن بأن الشخصية فى الفيلسوف هى أكبر قيمة وأجل خطراً من آثار الفيلسوف

على أن هذا لا ينبغى أن يدفعنا الى انكار فضيلة كل حقيقة غير ذاتية اكراماً لقوة الشخصية عند نيتشه ، وإذ ذاك يعم الجور والخطأ فى الحكم . وانني لمعتقد بأن المؤرخ والفيلسوف يستطيعان أن يجدا عند نيتشه حقائق جميلة بذاتها . وهنالك آراؤه فى « فاجنير » يراها المؤرخ جديرة بالاعتبار لأنها تبدى قيمة الفنان العظيم . وهنالك آراء لنيتشه يجدر بها أن تكون محل مناقشة ومجادلة ، على أننى أقول إن عبقرية نيتشه لا تستقر إلا فى « الذاتية »

***

والآن أرانى أستشهد بكلمة « لبراندس » قالها فى موضع التحدث عن فيلسوفنا حينما قارن بينه وبين خصومه فلاسفة الانجليز . « قال : وحين نقبل عليه . . . (نيتشه) بعد مغادرتنا لفلاسفة الانجليز نرى عالماً جديداً حولنا . فالانجليز هم عقول متشابهة فى الصبر والجلد ، غرضهم أن يتقنوا الشيء جزءاً جزءاً ثم يجمعوا هذه الأجزاء الصغيرة المتفرقة ليؤلفوا منها شريعة وقانوناً ؛ يعملون غير متأثرين بذاتهم ؛ وقيمة فلسفتهم تتوقف على ما يعملون لا على ما ترق إليه ذاتهم ؛ أما نيتشه فهو على نقيض هذا المذهب ، هو مثل شوبنهاور متنبئ فنان ، تستهويك شخصيته قبل أن تستهويك آثاره . » وإذا شئنا إبداء قيمة آثاره فليس لنا أن نتلوها تلاوة كتاب على لا تتوقف روعته على روح صاحبه . نتلوها لنرى الروعة فيما بث هذا الرجل من معارف قديمة بسطها وجد بدة وضعها

يرى نيتشه فى معرض كلامه عن شوبنهاور « ان مذهب المفكر لا شأن له ، فكل فيلسوف ممكن انخداعه . إن ذلك الشيء الذى هو أجل من مذهبه — هو نفسه — فى كل فيلسوف شيء لا نجده فى فلسفته . علة كل الفلسفات والمذاهب هى الانسان ، الانسان العظيم

(التتمة فى العدد القادم)

خليل هنداوى

(١) ماكس : فى كتابه الواحد المجرد وصفاته

القصص

مأساة من اسخيلوس

٣ - أجاممنون

للأستاذ دريني خشبه

تتمة

— « باريس ! لقد خرّبت زيجة بينك ... أجل ... أنت وأخوتك ... أوه يانهر سكمندر[1] المصطخب ! لقد جرع أبي منك جرعة ، وعلى ضفافك شببت وترعرعت ، فيا لشقوتي ! أما الآن ... فان نبوءاتي تتواثب على شطئان كوكيتوس وأشيرون[2] ... »

— « أوضحي بحق أربابك عليك أيتها الفتاة ! إن آلامك تثب في صدري فتخز أشواكها حبة قلبي ... »

— « طروادة !! أهكذا سقطت إلى الأبد !! أهكذا تندلع النيران في أبراجك الشواهق ! أهكذا ينبطح أبي الملك الشيخ مضرجاً بدمه ؟ ... وبلاه ... بعد لحظات أغرق في لجة من دمي مثلك يا أبي ... »

— « عود إلى النغمة الملغوزة السالفة !! ما أحسب إلا أن إلـهاً قاسيا يرديك بعنف في هذه الحمأة المسنونة !! »

— « نغمة ملغوزة !! لا ! لن ألغز يارفاق ! سأجلو لكم السر الهائل الذي خبأته الجريمة السنين الطوال في هذا القصر ! هنا ! تآمر الآثمون في الظلام ... وكان الظمأ إلى الدم يشحذ عزائمهم جيماً ! كانوا يدلفون الى كمفهم فيتغنون آلامهم ويستنزلون اللعنة على ... خصمهم ... وهو منهم ، وهم مع ذلك منه ... أخوهم ... وهم إخوته وأقاربه ... قتلوه ... قتلوه وهو مستسلم للكرى الهادئ ... أليس كذلك ياسادة؟ أهذه ثرثرة ، أم أنا أهذي ؟ ... »

— « بل أنت قد صورت ما حدث منذ أعوام وأعوام كأنك ترين اليه الآن ... »

— « هذا من فضل أبوللو علي ! لقد أمدني بروح من عنده »

— « ولم ؟ هل شغفه حبك مرة ؟ »

— « ... ؟ ... ؟ ... لا أقدر أن أقول ؟ ... » [1]

— « ما كان ضرك لو تلطفت معه ... ... ! »

— « إيه ... كم كان رقيقاً حينما كان يصارع فؤادي ؟ »

— « وهل في وسعك أن تضعي حداً لمغامراته ؟ »

— « لقد وعدته ... ولكنه خان ميثاق ! ... أواه ! وا أسفاه ! تعالى ! لقد ثارت الزوبعة من جديد ! لا أطيق أن أكتم الحقيقة ! انظروا يارفاق ! أول الشجو ! ما هذه السمادير التي تغشى سماءكم ؟ يا لأفلاذ الأكباد ! يا للصغار ! إنهم يذبحون بنفس الأيدي التي كان أجدر لو ترفقت بهم وحنت عليهم ! ... ياللهول ! ... أبوهم يمد يده البريئة فيأكل شرائح مشوية من أكبادهم وضلوعهم ! ... إن لهذا قد دبر انتقام دموي هائل ... وها هوذا الأسد ! الأسد الجبان النذل ، الذي تقلب في سرير صاحب الجلالة — بحر اللذة والدنس ! ... إذ صاحبه نازح يغزو ! ... لا ضير أن يكون أحد أسيرا مرة ، ولكن هذا الفاتح المظيم ! غازي طروادة ! سيد الأسطول اللجب ! إنه لا يدري السر الهائل الذي تقبره زوجته ... السفاحة ... التي تتحوى كالأفعى ، وتهسهس في الظلام المنتشر حول نفسها ، وتوسوس إلى شر كأنها بأفسق الجرائم ... لقد فاقت في الخب كل مثل فما أدري بم أشبهها ؟ آه ! إنها أشنع من سكيلا (هذه الهولة الرائعة ، ذات الرؤوس الستة التي تنفث السم ، وتغتال رواد البحار ! ...) الآن ! الآن ينفذ سهم القضاء عن قوس غدرها ... والآن ستعترفون أنني ما ألغزت ، وما قلت غير الحق ! ...

(١) النهر القريب من طروادة والذي كاد يغرق فيه أخيل كما مر بك في الألياذة (٢) نهران من أنهر الجحيم

(١) أحب أبوللو كاسندرا كما مر بك في حروب طروادة ووهب لها قوة إدراك الغيب ، فلما بخلت عليه وصدت عنه كتب عليها أن يستهزئ مستمعوها ولا يصدقونها

— « الحق كل الحق يا فتاة ... لقد رويت ما كان من وليمة ذيسيس ، وما تم فيها من نهشه لحم أطفاله وهو لا يدرى ... يا للهول ... ما نزال نقشعر كلما روعنا رجع تلك الذكريات ... »

— « إذن سيموت مولاكم أجاممنون ... وسترون بأعينكم ! »

— « يا شقية ! لا تهرفى بهذا الهراء ! »

— « ولن أدعو أرباب الخلاص هذه المرة ! »

— « وهل خلاص من الموت ؟ ولكن عسى ألا يكون قريباً ! »

— « أنتم ترجون ، بينما غيركم يذبحون ... أو يكادون ! »

— « وأى إنسان يا ترى يضطلع بهذا النكر ؟ »

— « أى إنسان ! إن السهم الراش يطوى ما بين المشرقين ؟ »

— « أجل ، ونحن لا نستطيع أن نحدس من يجرؤ على هذه الفعلة ! »

— « أنا أقولها ؛ وحسبى أننى استطعت أن أكلمكم بلسانكم الهيلانى كواحدة منكم ! »

— « وهكذا استطاعت البيثونة [1] من قبل ... ! وكان كلامها ملغوزاً دائماً كذلك ! »

— « يا للشجى ! يا للجمر المتقد ! إنها تقدم ! الغوث يا أبوللو ! يالى من تاعسة ! هذه اللبؤة الآدمية ! إنها تضطجع مع الذئب بينما أسدها الهصور نازح عن الديار ... وأنا ! أنا التاعسة قد جئت لأضاعف أحقادها عليه ؟ جئت لأجعل السكين مسنوناً أكثر ! ها هى ذى تحدث ذئبها أنى أنا أيضاً ينبغى أن أذبح جزاءً لى ! ... فيم إذن أبقى على مسوحى وعصاى ! عصاى السحرية ! لأمزق المسوح ولأحطم العصا ! (وتمزق وتحطم) إذهبا إلى الفناء فإنى لاحقة بكما ! كونا قائدىّ إليه ! سأنيمكما ، أنيمسا حياةً ثانيةً غير حياتى ! ... انظروا انظروا ! إن أبوللو ينزع عنى المسوح بيديه ! آه ! أقبلت لترعانى فى هذه الأجمة الوبيئة ! لتسر قلبك بإهانتى ووخزاتى ! بسخرية أهلى من قبل ، ولعنات أعدائى ولعنات وطنى اليوم ! إنهم يزعموننى قديسة شحاذة ! أو كاهنة أفاقية ! يا للهول ؟ ماذا خبأت لى أيها القدر ؟ وىْ ! الوَضم [2] ! السكين المشحوذ ! الضربة اللازبة التى تتم بها التضحية ! ... يا سماء ! إن الذى يأخذ بثأر الأبرياء ما يزال حياً [1] ! ... ويحك يا قاتل أمه أين أنت ؟ خذ بثأر أبيك أيها الجائل فى الآفاق ! ... وىْ ! فيم بكائى ، وها هو قاهر طروادة وقاتل بريام يلقى جزاءه وفاقاً ! مرحباً يا موت ! أنا لا أهاب الردى ! — ولكن ! ... الصلاة ! ... الصلاة يا أربابى ! أضرع إليكم أن يكون جرحى بالغاً مميتاً فلا يعذبنى طويلاً ! لتتدفق منه حياتى فلا يعترضها شىء ... »

أيتها الفتاة التى تطممها الهواجس ، حسبك ، فقد بلغت المدى ! وللآلهة أنت ! كيف تتقدمين إلى حتفك بقدم ثابتة ، ونفس رابطة ، وأنت تعلمين من الغيب كل شىء ؟ لم لا تفرين ؟ »

— « وأين نفر من المنايا وقد جاء أجلنا ؟ »

— « كيف ! إن لكل مهلة قيمتها ! »

— « حم القضاء ، قلت لكم يا رفاق ! أية مهلة إذن ؟ إن الهرب لا يجدى فتيلا ! »

— « إيه ! رب قتلة شريفة تختم حياة مليئة ! »

— « وبلى عليك يا أبى . . . وعلى أبنائك التاعسين ! »

(وتتقدم الى باب القصر . . ثم تقف مذعورة)

— « ماذا يفزعك يا فتاة ! ؟

— « ويلاه !

— « ماذا ؟

— « تلك الغرف السود تضج بزفير الجريمة ! القتلى يسبحون فى لجة من الدم ! »

— « إنها دماء القرابين فلا تفزعى ولا تراعى »

— « بيت كأنه قبر ! لولا هذه الدماء . . . ! ولولا ذاك الصلول [2] »

— « تزودى من الصلول فقد ورمت أنوفكم من عطور الشام وطيوبه ! »

— « لأدخل اذن . . . ولأرو بالدمع حظى العاثر ، وحظ الملك التاعس . . . أجاممنون ! سئمت تكاليف الحياة يا رفاق ! لابد أن تقتل امرأة بامرأة ، ورجل برجل . . . وتلك أخرى نبوءاتى . . . سيقتص لى ، ولكل مقتول برىء ! . . . »

(وتنطلق داخل القصر)

— ٢٠ —

ويقف الخورس مشدوهين لما ألم بهذه الفتاة ، ويتحدث

(١) أفعى عظيمة قيل إنها خلقت من وحل الطوفان الذى نشأ عن غضب زيوس فى حربه ضد التيتان — وقد قتلها أبوللو

(٢) خشبة الجزار

(١) تقصد أورست بن كليتمنسترا الذى يأتى ليثأر من أمه لأبيه

(٢) النتن

بعضهم الى بعض عما حشدت فى حديثها من ألغاز ، وبثت من طلاسم وأسرار ... وتقطع حديثهم صرخة داوية داخل القصر ! ...

— « آه ! أهكذا أذبح فى قصرى ! ؟ »

وتزداد دهشة الخورس ، وتزداد ثقتهم بنبوءات كاسندرا ... فالصوت صوت أجاممنون لا غيره ! ... ويهمون أن يدخلوا ... ولكنهم يتريثون ... ويعود الملك الى صراخه :

— (آه . آه ! أهكذا وبهذه اليد أضرب حتى أموت ! ؟

ويعود الخورس إلى لغطهم فبعضهم يشير بالدخول ليكونوا شهداء مقتل الملك — ويتقاعس بعضهم كأن الأمر لا يهمه .... ثم يشير رئيسهم أن يتريثوا حتى تنكشف جلية الأمر . . .

وإنهم ليهمون أن يقتربوا من باب القصر حتى تنفضح الملكة بينما هى تلف جثمان القتيل فى الوشى الذى أعد لاستقبال الملك الظافر ... قاهر طروادة !

ولا تستحى أن تعترف بما اقترفت ، بل تصرح أنها دبرت الأمر وأخذت له أهبته ، وأنها فرحة به مسرورة له ...

— « يا للاجرأة أيتها الملكة الآثمة ! ... »

— « آثمة أو غير آثمة ... تمدحون أو تقدعون ... سواء لدى ! إنها جثة ملككم أجاممنون ، هذه الجثة المدرجة فى لفائفها أمامكم ... وأنا مزهوة بأن قتلته ... ! »

— « أيتها المرأة ! أى سوء اختلط بدمك ، وإثم خامر قلبك ، فتقتلين رجلك وأمير المملكة ... أبشرى بلعنة الجماهير وغضب الآلهة ! ... اليوم يفلت من يديك زمام الأمور ... »

— « لعنة الجماهير ، وغضب المملكة ... وزمام الأمور ! مضحك ! سرعان ما تحكمون على ما لا تعلمون ! وأين كنتم يا سادة ؟ وأين كانت جماهيركم وآلهتكم يوم ذبح أجاممنون الوحش طفلته ؟ ... أين كنتم يوم أهوى على عنقها بالسكين كما يهوى على رقبة شاه ! إفجينا ! ابنتى ! قطعة قلبى وكبدى ! ؟ ذبحها أبوها الوحش ! لماذا ؟ لتهدأ العاصفة ، وتسير السفين باسم الشر مجراها ومرساها ! ! ماذا تقولون إذن ؟ وأين كنتم يا سادة ؟ ولم يفلت من يديه زمام أموركم يومئذ ؟ لم لم يقص عن عرشكم ، وتنزل عليه لعناتكم ، ويحل عليه غضب آلهتكم ؟ آه ! ولكنكم تخلطون المين بالحق ... ودأبكم أن تسارعوا إلى الحكم دون روية ولا تبصرة ! »

— « حماسة وقحة وتبجح أثيم ! ويل لك حين تؤدين الدين من دمك ، إذن تفيقى ! »

— « أقسم بأبنتيه وإرينيس ، آلهة القوة والمجد ! »

— « تقسمين على فسقك وغرامك الدنىء الدنس ؟ ... »

— « أجل ! على غرامى وحبى ... حبى لهذا البطل المظلوم إيجستوس الذى دبر لى كل شىء وأعاننى على كل شىء ... وشاركنى فى هذا الدم ! أما لأن ملككم قتل ابنتى ، وذهب إلى طراودة ليغازل خريسيز ويرشف الرضاب الحلو من فم بريسيز ، ثم يعود ظافراً وفى ركابه هذه القينة الفاجرة التى جلست بجانبه تسكره بخمر حديثها ... ... وهو ، وإيجستوس (لأن له إخوة ذبحوا وأكل أبوهم من لحومهم وشرائح من أكبادهم ... ثم قتل بعد ذلك ! ... ومن قتله ؟ أخوه ؟ ... يا للهول ! ... هو الذى ذبح الأطفال الأبرياء ! وأطعم أخاه لحومهم وقلوبهم ... !) »

— « المرأة ! دائماً المرأة ! يا أخت هيلين ! ! كم أرواح مطهرة فاضت لأن أختك أثمت ، وتردت فى حمأة الفسق ! الفاجرة التى فرت مع عاشقها من خدر زوجها ! ثم أنت ؟ أنت أختها ؟ ومن البذرة السيئة نبتت مثلها ؟ »

— « عليكم أنفسكم مالكم ولهيلين ! »

— « ... آه أيها الغراب الناعب ! رنق على جثة زوجك وانعق ... هات أغنيتك المنكرة ، ورتلى أنشودة جريمتك فى جناز رجلك ! ... »

— « حاشاى أن أكون صنعت ما صنعت وأنا بعد زوجته أو هو بعد رجلى ! بل صنع هذا وليمة أتريوس ! أتريوس أبو أجاممنون ! الوحش الذى أطعم أخاه لحم أبنائه ! هو الذى ترك لابنه الملك هذا الارث العظيم ... قتل ... فليقتل ! وليقتل من بعده أبناؤه [1] ... فيا للقصاص ! ؟ »

— ٢١ —

وتستطيع الملكة بذلاقتها وقوة برهانها أن تخدع الخورس وأن تقنعهم — إلا قليلاً ! فقد قتل الملك ابنته حين قيل له إن السماء تطالب دماً ، وهذا منتهى الظلم ، وقد قتل أبوه أبناء أخيه وأطعمه لحومهم ... وهو بذلك ورث أبناءه العذاب ... والقتل ... والدم ... !

وما يكاد الخورس تهدأ ثورتهم ... حتى يحضر إيجستوس حبيب الملكة ... وشريكها ... ومدبر الأمر معها ... والذى ذبحت إخوته وأطعمت لحومهم أباه المسكين ! ... يحضر والبشر

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

(١) وهذا هو محور مآسى اسخيلوس (قد يجر الوزر وبالا عظيما على الشخص وعلى أحفاده وأحفاد أحفاده)



وفاة الأستاذ الشيخ محمد زيد بك

استأثرت رحمة الله بالأستاذ العلامة المغفور له الشيخ محمد زيد الابيانى ، فرزئت بفقده الشريعة الاسلامية التى كان علماً من أعلامها ، ورزئ العلم الغزير ، والافتاء الصائب ، والخلق الكريم ، والتواضع الجم . كان الفقيد من أبناء مديرية الغربية ، وتلقى دراسته بدار العلوم ، وعين منذ تخرجه فيها لتدريس الشريعة الاسلامية بمدرسة الحقوق ؛ ومازال زهاء أربعين عاماً يتبوأ منصة التدريس فى هذا المعهد الجليل ، متوفرا فى نفس الوقت على دراسة الاصول والمسائل الشرعية حتى غدا بحق مرجعها الفذ وحجتها الثقة ؛ وكانت الشريعة الاسلامية إلى هذا المعهد تدرس بأساليب عتيقة مضنية ، فلما تعاون على خلق العقلية الفقهية الصحيحة ، فاستطاع الفقيد بذكائه ومثابرته وعقليته الفقهية المستنيرة أن يختط لتدريسها منهجاً بديعاً قريب المأخذ جم الفوائد ؛ ووضع لهذه الغاية عدة مؤلفات قيمة ، تشهد له بغزارة المادة وبراعة الاستقراء والعرض هى : شرح الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية ، شرح المعاملات الشرعية ، مباحث المرافعات الشرعيـة ، مباحث الوقف . وما زالت هذه الآثار التى تضارع فى وضوحها ودقتها وحسن تنظيمها أقوم الشروح القانونية الأوربية ، مرجعاً نفيساً لطلاب الحقوق والأزهر ، ونبراساً قيما لرجال القضاء والمحامين

ولا نعرف أستاذاً من أساتذة الجيل المنصرم له ما للعلامة الراحل من فضل وأثر سابغين فى بعث النهضة الفقهية الحديثة ، وتكوين العقلية الشرعيـة المعاصرة ، بل لا نعرف أستاذاً من أساتذة الجيل المنصرم تخرج على يده مثل تلك الجمهرة الحافلة الممتازة التى تخرجت على يد الشيخ زيد . وقلما نجـد بين عظماء مصر وبين زعمائها وساستها ومفكريها وكتابها - وجلهم من خريجى الحقوق - من لم يدرس على الشيخ ، وليس بين أعلام القضاء وأعلام المحاماة المعاصرين ، بل ليس بين رجال القانون والقضاء المصريين جميعاً من لم يتلق عنـه ويتخرج على يديه ؛ فهؤلاء جميعاً عرفوا الشيخ أحداثاً وفتياناً ، ونهلوا من غزير مورده ، واستطاعوا جميعاً أن يقدروا مواهبه ورفيع خلاله

وكان الفقيد يتمتع فوق علمه الغزير ، بأخلاق طاهرة وشمائل باهرة ؛ فقد كان جم التواضع والأدب ، كثير الحلم والرفق ، سباقا إلى الخير ، يعامل طلابه معاملة الأب البار ، ويتمتع بحبهم وتقديرهم جميعاً

طيب الله ثراه ، وشمله بواسع رحمته ، وعوض عنه الأسرة القضائية خير العوض

« ع »

كتاب عن ابراهيم باشا

صدر أخيرا كتاب بالانكليزية عن ابراهيم باشا المصرى (ابن محمد على) عنوانه « ترجمة جديدة لابراهيم باشا A new Life of Ibrahim Pasha » بقلم الأستاذ ب . كرابتيس الامريكى الذى ظل منـذ أعوام طويلة قاضيا بالمحاكم المختلطة بمصر ؛ والأستاذ كرابتيس يعنى أثناء إقامته الطويلة بمصر بالشؤون والمسائل المصرية الفقهية والتاريخية والاجتماعية ويكتب عنها فى مختلف

يقطر فى وجهه ... وللنصر المؤزر سورة فى قلبه ... فما يكاد يذكر الماضى المؤلم الذى حل بلاؤه باخوته ، وهذه الخاتمة التى حلت بابن أتريوس المسكين (أجاممنون) حتى يثور ثائر الخورس ، ويهتف رئيسهم :

— « أ كان هذا النذل يتقلب فى أحضانك أيتها الملكة على فراش الملك ؟ ... أكنتما فى نشوة الفسق ، وسكرة الغرام ، ترسمان للملك هذه القتلة المدبرة ، »

ويهم إيجستوس أن يفتك بالخورس ورئيسهم قبلهم ، لولا تدخل الملكة ، وأنها ترجو أن تضع حدا للمجزرة ! ...

فيتوعدهم إيجستوس حين يصبح الأمر له ، وحين يحمل رأسه المجرم عرش آرجوس ... ... ولكن ... هيهات !

دريني خشبة

المجلات الأجنبية ؛ وقد تزود فى وضع مؤلفه الجديد عن ابراهيم باشا بطائفة هامة من الوثائق والمراجع الرسمية وغير الرسمية التى تحتفظ بها سراى عابدين ، واستطاع أن يجمع أشتاتا قيمة أخرى من المعلومات والوقائع المجهولة عن تاريخ ذلك العهد وعن حياة القائد الكبير

وقد كانت حياة ابراهيم دائماً تعتبر فى المرتبة الثانية إزاء حياة والده العظيم ؛ ذلك أن شخصية محمد على وجهوده السياسية والاصلاحية الجبارة كانت تلقى حجاباً على جهود ولده ابراهيم ، ولم يكن ابراهيم فى نظر التاريخ سوى ساعد والده الأيمن وقائد جيشه ؛ ولم يكن له ضلع فى السياسة أو الشؤون العامة ، ولكن الأستاذ كرابتيس يحاول أن ينفى هذا التصور ؛ فقد كان ابراهيم فى نظره سياسياً عظيماً كما كان قائداً عظيماً ؛ وكان له فى السياسة والشؤون العامة أثر فعال ؛ بيد أنه لم يكن يتفق دائماً فى الفكرة مع أبيه ، فقد كان يرى مثلا أن فوزه بتحطيم الوهابية فى الحجاز خطوة أولى فى سبيل تحقيق حلمه العظيم بانشاء امبراطورية عربية إسلامية ، ولكن محمد على كان دائماً يجانب هذه الفكرة مؤثراً مصانعة السلطان والتفاهم مع الدولة العلية

ويستعرض المؤلف حياة ابراهيم العسكرية ، وحملاته وغزواته المختلفة بدقة وإفاضة ، ويقول لنا إن أطماع محمد على لبثت فى سبيل التحقيق والنجاح ما بقيت محصورة فى بلاد العرب ، ولكنها مذ بدأت تتجه نحو الشمال ، أخذ الحظ يجانبه والمصاعب تتفاقم فى وجهه ؛ وقد كان اشتراك مصر فى حوادث اليونان ظرفا مشئوما جنت منه مصر شر العواقب . بيد أن محمد على لم تفتر همته وأطماعه ، حين حطم أسطوله فى ناڤارن ، فأنشأ دار صناعة جديدة بالاسكندرية ؛ وكان ذلك الرجل البعيد النظر يعلق دائماً أهمية كبيرة على قوة مصر البحرية

ويقول لنا الأستاذ كرابتيس إن الزمن لم يفسح مجالا لابراهيم ليبث عبقريته السياسية بصورة فعالة ، ولكن الموت عاجله ، ولما يمض على صدور الفرمان بتعيينه واليا لمصر سوى ستة أسابيع ؛ وقد توفى فى التاسعة والخمسين من عمره ، بعد أن عانى تباريح الآلام والمرض ردحاً من الدهر

الحياة الأخرى

مازالت مسائل الروح والحياة الأخرى تثير على كر العصور طلعة الانسان وروعه ؛ وقد اشتركت أديان الأرض جميعاً ؛ والمدنيات فى كل قطر وعصر ، فى التحدث عن الحياة الأخرى ، ولكن التفكير الانسانى لم يهتد حتى اليوم إلى نتائج حاسمة فى هذا الموضوع الخفى ، وما زال فى كل عصر يحوم حوله بمختلف الفروض والنظريات . وقد صدر أخيراً كتاب بالفرنسية فى هذا الموضوع عنوانه : « الحياة بعد الموت فى معتقدات الانسانية » بقلم كاتب أمريكى هو جيمس تاير أديسون ، وقد انتهج المؤلف فى كتابه الأسلوب العلمى ، ولكنه يعرض لنا من جهة أخرى فى عدة فصول وصور قوية بعض ما ينتاب الانسانية من أسباب المخاوف والروع من جراء تصور الحياة الأخرى وما وراء الموت . وما زال الموت يروع الأحياء الذين يرون ملايين الموتى يذهبون تباعا إلى عالم لا يعرف كنهه ، ولكن الأحياء يخضعون حتما إلى قدرهم . ويبسط لنا المؤلف مختلف المعتقدات والنظريات الانسانية والعلمية فى مسألة الحياة والموت ، فى كل عصر وكل قطر ؛ وهذا القسم أمتع أقسام الكتاب ، ويلاحظ أن التباين فى المعتقدات الانسانية على كر العصور وفى مختلف الأمم لم يمنع من وجود بعض التماثل بين معتقدات الانسان الأول وبين معتقدات أرقى المجتمعات ؛ والظاهر أن هذا التماثل إنما يرجع إلى أن غريزة الفضول والروع لا تختلف فى جوهرها عند الانسان الهمجى والانسان المتمدن ، فكما أن الجميع سواء أمام الحياة والموت ، فكذلك يشعر الجميع بنفس الجزع والفضول والروع

ويحدثنا المؤلف أيضا عن مختلف النظم والرسوم التى تتبع فى مختلف الأديان والأمم للعمل على سلام الروح ، وتزكية الراحلين عن هذا العالم إلى العالم الآخر



«محمـــــد»

كتاب الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ محمد سعيد العريان

أيكون لى أن أكتب عن توفيق الحكيم فى كتابه «محمد» بعد إذ كتب الزيات والرافعى ، أم يكون من فضول القول أن يَعْرِض مثلى لذلك وقد كتب الأستاذان الجليلان فأبلغا وبَلَغا ما لا مطمح لى وراءه . . . ؟ ولكن كتابا يصنّفه «توفيق الحكيم» عن «محمد» جدير بأن يثير الفضول ، وأن يعذر من يقول فيطيل القول . . .

وما لتوفيق الحكيم ولمحمد ؟

أما المؤلف فشابٌ من شباب هذا الجيل دَرَس دراسة أهله فى هذه المدارس المدنية التى تقول لمن يدخلها «أنتَ لستَ من هذه الأمة التى نَسَلَتْ من العرب ، واهتدتْ بهدْى الاسلام ، وعَبّت من روح الشرق وسِرّ روحانيته ؛ فاذهب فالتمس أمةً غير أمّتك تفخر بمجدها وتباهى بماضيها ... !»

وأما «محمد» فهو ذلك السرُّ الأعلى الذى يستغلق على من لم يتصل بروحانية هذا الشرق ، ويَغْمض على من لم يتعرف سرّ هذا الدين ، ويستخفى على من لم ينشأ موصول النسب بتاريخ الأدب القديم ... وأين توفيق الحكيم من ذلك .. ؟

على أن هذا البون البعيد بين توفيق الحكيم وتاريخ «محمد» هو الذى دعاه إلى أن يمدّ نظره إلى بعيد يتنوّر هذا السرّ من مطالعه ، ويستشرف لهذا النور من مشارقه ؛ فحياة محمد كانت الى قريب وقفا على طائفة من أهل العلم ، لا يتناولها إلا من أوتى كثيراً من الصبر على المعاناة فى استخراجها ، وكثيرا من القدرة على تنقيتها من فضول القول وحَشْو الرواة ولَغْو القُصّاص ، وقلّ من عِلك القدرة والصبر على مثل ذلك ؛ ثم جاءت طائفة من كرام العلماء فجهدوا جهدهم فى جلاء هذا التاريخ والكشف عنه ، فكتب المرحوم الخضرى بك ، وكتب جاد المولى بك ، وكتب الدكتور هيكل ، وكتب رضا ، فبلغوا مبلغهم فى ذلك ، واستطاع الناس أن يقرأوا «السيرة» كما ينبغى أن تُقرأ ، وأن يعرفوا من تاريخ الرسول ما لم يكن يعرف إلا الخاصة من علماء هذا الدين .

ولكن أتُرى هؤلاء العلماء — على ما بلغوا من التوفيق فيما جاهدوا ، وما أصابوا من الاجادة فيما عملوا — قد استطاعوا أن يحملوا واحداً لا يهتم بسيرة الرسول على أن يقرأ سيرة الرسول ، أو دعوا نفرا من شبابنا الذين لا يحسنون إلا اللهو والعبث الى التماس الجِد فى حياة محمد وابتغاء المُثُل العليا فى تاريخه . . . ؟ لو أن واحداً من هؤلاء الشباب قرأ شيئاً من ذلك لأفاد وانبعثتْ نفسه ، ولكن أين ما يحمله على أن يقرأ ... ؟ إن هذه الكتب على ما أُجِدَت قد عجزت أو كادت عن اجتذاب هذا النوع من الشباب الذى لا يعرف شيئاً عن محمد ولا يهتمّ أن يعرف ؛ ولكنْ لرجل الفن سبيلا غير ذلك ، وقد عرف توفيق الحكيم سبيله

***

قصد المؤلف من كتابه الى عرض حياة الرسول الكريم عرضاً يكشف عن دقائقها ويجلو صورها على أسلوب من الفن بعيد عن فلسفة العالِم وتحقيق المؤرخ ، على أن فيه الفلسفةَ وفيه التاريخ كما نرى الحادثة بصورتها فى حياتنا المادية مرئية مسموعة ، تفعل فعلها فى النفس وتترك أثرها الملْفِىّ من غير تعليق ولا بيان ؛ وللأستاذ توفيق فى فنّه باعٌ وذراع . . . فهو قد درس «القصة» دراسة العلم ، وفَقِهها فِقْه الأدب ، وعالجها علاج الفنان المبتكِر ، وانتج فيها إنتاجا سيخلد به بين أدباء العربية ؛ ولا أغلو إذا قلت إننى لم أقرأ حِوارا تمثيلياً فى العربية يعجبنى ويلذّنى مثل حِوار يصنعه توفيق الحكيم

بهذه القدرة الفنية قرأ توفيق ما كتب القدماء عن السيرة، وبحاسة الفنان تمثلت له (مناظرها) كما نقلها في كتابه. وهو ضرب من الرواية لا نستطيع أن نضع له اسما من أسماء الرواية، فهو ليس قصة، وهو ليس رواية، وهو ليس ترجمة تاريخية، ولكنه منها جميعاً؛ وهو مناظر حوارية، يباعد بينها الزمان والمكان، وتجمع بينها وحدة الموضوع والغرض؛ على أنه ليس لمؤلفها شيء من لغة الحوار ولا أسلوب الكلام، فليس له منها أكثر مما للمصور يرسم لك جزءاً من الزمن في ورقة، لا ينقل اليك الزمان الماضي ولكن ينقلك اليه، فاذا أنت ترى منه أكثر مما تريك الصورة، وتسمع منه ما لا يُسمعك الرسم الصامت

ولا شك أن المؤلف قد جهد جهداً غير يسير في إخراج كتابه على ما يشتهي، فهو نوع لم يُسبَق اليه، وباب اخترعه في فن الرواية ليس له حدود مرسومة تهديه السبيل؛ هذا إلى أن الموضوع دقيق، يقتضي الصبر والأناة وحسن الاحتيال؛ وما ظنك بالكاتب المسلم يؤلف شبه رواية عن محمد، يجرى الكلام فيها على لسانه من غير أن يخترع أو يتزيد؛ ثم هو مع ذلك يحاول أن يرضى الفن ويسلم بدينه في وقت معا ... ؟

ولكن المؤلف بسبيل هذا الفن قد تصرف في موضعين: أما أولهما فانه كان يجد بعض ما روى عن النبي محكياً بلغة الخبر لا بلغة الحديث، واتجاهه في الموضوع أن يجعل القصة حواراً: كلاماً يجيب كلاما، وخبراً يرد على خبر، فلم يجد أمامه إلا أن يترجم الخبر إلى لغة الكلام لتستقيم له طريقته في الأداء. فمن ذلك مثل ما تقول كتب السيرة: «استأذن فلان على النبي، فأذن له.» يؤديه المؤلف حواراً كما يلي:

— : إيذَن لفلان يا رسول الله ...

— : أذِنت

وهذا وإن لم يكن قولَ النبي — لأن عبارته في الاذن لم تنقل إلينا في الحديث — جائز فيما أراه، فهو باب من رواية الحديث بالمعنى، وقد أجازها رجاله. على أن هذا النوع في الكتاب قليل جداً لا يتجاوز بضع عبارات؛ ولعل أطول عبارة أجراها المؤلف على لسان النبي، هي ذلك الدعاء الذي ترجم له كتاب السيرة بقولهم: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء ...» فرأى المؤلف من تمام موضوعه أن يجعل على لسان النبي كلاماً يدعو به ربه في تحنثه (ص ٣١)، وأحسب أن المؤلف كان كثير الحرج في مثل ذلك، فاني لأحس في أكثر من موضع من الكتاب أن كلاماً هناك كان ينبغي أن يقوله محمد فلم يقله (المنظر الثالث ف ١، النبي وورقة بن نوفل ص ٣٧)

أما الموضع الثاني الذي تصرف فيه المؤلف، ففي ترتيب مناظر الكتاب، فهو لم يلزم الترتيب الزمني الذي جرت عليه السيرة، فقدم وأخر، ومازج حوادثَ وحوادث؛ وليس في هذا — على إجماله — ما يعيب المؤلف، فهو لم يقصد إلى أن تكون للكتاب وحدةُ القصة، بحيث تنبني حادثة على حادثة، وتأتى مقدمة بنتيجة، بل جرى على أن يجعله مناظر يُعطى كلُّ منظر منها أو مناظر صورة خاصة لفكرة أو حادثةٍ بعينها، ثم أن يكون للقارىء من مجموع هذه الصور في النهاية، صورةٌ محدودة للنبيّ الكريم كما يجب أن يعرفها المسلم

الآن قد فرغت من عرض الكتاب كما أراد مؤلفه وكما دلني على نفسه، وإني لأشهد أن مؤلفه قد وُفِّق توفيقاً كبيراً فيما حاول، وبلغ بهذا الكتاب ما لا يبلغ غيره؛ وما أحسب أن لي في هذه الناحية أن أتكلم عن توفيق الحكيم في فنه، فمن للعربية في فن الرواية مثل توفيق؟ على أن هذا الكتاب بابٌ جديد هو زادَه وأنشأه في فن القصة، فمن الفضول أن تقول له: أنت اخترعتَ وأنت لم تبلغ حدّ الكمال ...!

ولكن طابع توفيق الحكيم وشخصيته الفنية لم يكونا ظاهرين مميزين في أسلوب الحوار وفي تساوُق القصة ظهورهما وتميزهما في سائر ما ألّف. وسرُّ ذلك واضح، فهو هنا لم يضع الكلام، ولم يخترع الحادثة، بل نقل وصنّف، وداخل ومازج، وإنما تجد طابعه وشخصيته حيث يجد لنفسه الحرية فيما يقول أو فيما يضع: (إقرأ الحوار بين إبليس والحية ص ١٥٣ — ١٥٧، وموت أبي طالب، وغزوة بدر، وحديث الأفك، وعائشة الغيور) فانك واجد فيها وفي كثير غيرها روحاً وحياة وفناً، فكأنك معها ترى وتسمع وتحس

وأكثر الكتاب من لغة الرواة، لاءم بينها المؤلف ما استطاع ليربطها على أسلوب من البيان منسجم، فأيّ جهد

حمل من ذلك ؟ . . . ولكن عبارات وكلمات نبقات على غير وجهها مما أخطأ الأقدمون فى نسخه ، وعبارات وكلمات جاءت متداخلة من وضع المؤلف ، فأخلّت بنظام الكلام فى غير موضع ، ونبا بها مكانها من ذلك البيان العربى المشرق . على أن ذلك لا يعدو بضع عشرة كلمة فى الكتاب كله ، فما نراها إلى جانبه بشىء ذى بال

وقد كان جهد المؤلف كبيراً فى ربط الروايات المختلفة والتوفيق بينها ، ليخلص منها إلى الرأى الذى يرى ؛ وكان إلى ذلك حريصاً على أن تكون (المناظر) قليلة بقدر ما يتأتى له ، فجاء من ذلك أن يجمل الحوار فى منظر واحد لأكثر من موضوع ، وإذ كان الحديث كلّه بين المتحاورين من الآثار المروّية ـ لم يغير ذلك شيئاً من نصّ الكلام كما نقله السلف ، ولكنه غير جوّه فتغير من ذلك مدلوله ؛ فمن ذلك حديث النبى عن زوجاته فى الجنة ، إلى خديجة وهى تُحتضر ، (وفاة خديجة ص ١٠٠) ؛ ومنه حديث : « حُبّب إلىّ الطيب والنساء » روايتُه على مسمع عائشة فى غيرتها المشبوبة وقد جاءها النبى يهمّ أن يتزوج جويرية بنت الحارث . . . !

وجاء فى خبر عثمان بن مظعون أن ملاحاةً كانت بينه وبين لبيد بن ربيعة قبل هجرته إلى الحبشة ، وأحسب ذلك كان بين الهجرتين ؛ فقد كان عثمان على رأس الفوج الأول إلى الحبشة ، ثم عاد فاستجار الوليد بن المغيرة حيناً ، ثم خلع جوارَه وكان بينه وبين لبيد الشاعر ما كان بعد خلعه جوارَ الوليد ، ثم هاجر ثانية إلى الحبشة (ص ١٠٥)

ونقل الكتاب فى حديث الافك (ص ٣٧٦ — ٣٧٧) أن أمّ مِسْطح قالت : تَعس مسطح . إذ وجدت ما وجدت فى وجه عائشة من إعياء المرض ؛ والذى أذكره أن أم مسطح قالت ذلك لغير هذا السبب ، ولا أرى داعية للعدول عن المأثور فى الرواية

أما بعد ، فما حاولت عدّ ما أسلفت أن أنقد ، ولو أننى حاولتُ لما وجدت ؛ وإنما أذكر هذه الهنات كشهادة على براءة الكتاب وكماله ؛ وحسْبُ توفيق الحكيم أن يخرج كتاباً عن محمد على نهج جديد فى الفن ، ثم لا يجد الناقد فيه غير ما قدّمت ، وإنه لتوفيقٌ من الله أن يتهيأ لحياة محمد أديب كبير مثل توفيق يربط أسمى ما فى الفن بأقدس ما فى تاريخ الاسلام . وما أحسبنا ـ وهذا الكتاب بين أيدينا ـ سنشكو القطيعة بعد اليوم بين شبّاننا الذين يعشقون الجديد ويقدرون الفن ، وبين سيرة النبى الكريم . وإنى وقد فرغت من قراءة هذا الكتاب منذ قليل لأشعر بالحنين الى الساعات السعيدة التى قضيتها منه كأنى أعيش فى عصر النبوّة ، وما أرى هذا الحنين سينقضى حتى أعود الى الكتاب فأقرأه مرة ومرة ومرات ، حتى أروى ما بنفسى من ظمأ الى هذا الكوثر العذب ، وهيهات أن أشعر بعدُ بأنى شربت حتى رَويت . . .

(شبرا) محمد سعيد العريان

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٣٩ — ٢ مارس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 139. [Lundi-2-3-1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٢ مارس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة
٣٢١ شباب العراق فى مصر ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٣٢٣ أغنيـة ... ... : الأستاذ أحمد أمين ... ...
٣٢٥ مواكب سلاطين مصر : الأستاذ محمد فريد أبو حديد ...
٣٢٨ الجوع الروحانى ... ... : أفلاطونى... ... ...
٣٣٠ الصراع بين اليابان وأوربا حول سيادة الصين وآسيا : بقلم باحث دبلوماسى كبير ...
٣٣٣ إبليس يعلم ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٣٣٦ الضمير ... ... : الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
٣٣٩ الحاكمون بأمرهم ... ... : الأستاذ عبد الحليم الجندى ...
٣٤٢ ميرابو ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...
٣٤٥ عرفات ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٣٤٧ العراق فى مصر (قصيدة) : للشاعر الفيلسوف المرحوم جميل صدقى الزهاوى ... ...
٣٤٨ على قبر الزهاوى ... ... : الأساتذة : عزام والرصافى والجواهرى ... ...
٣٤٩ ابن بسام صاحب الذخيرة : الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى
٣٥١ تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا ... ... : الأستاذ خليل هنداوى ...
٣٥٤ ثأر أورست (قصة) : الأستاذ درينى خشبة ... ...
٣٥٨ وفاة الأستاذ جميل صدقى الزهاوى ... ...
٣٥٩ ندوة الزهاوى . تأبين الزهاوى ... ...
أسبوع المتنبى فى الجامعة المصرية ... ...
قبر أبى عبيدة عامر بن الجراح . الرقيم : بهاء الدين طوقان
٣٦٠ مديرية أسوان ... ... : يوسف صميح ... ...

شباب العراق فى مصر

قل لأولئك الذين زعموا أن مصر نَبَتْ على العروبة فقطعت الأسباب الموصولة ، وأيبست الأرحام المبلولة : تعالوا فانظروا كيف بَشَّتْ بالعراق بشاشة الألفة ، ورفَّت لبنيه رفيف القرابة ، وأشبلت عليهم إشبال الأمومة ! تعالوا فاسألوا شباب الفراتين : هل كانوا على ضفاف النيـل فى أرض غير أرضهم ، وقوم غير قومهم ، و بيئة غير بيئتهم ؟ لقد كان إقبالهم على محطة القاهرة كإقبال الربيع ، واستقبالهم فيها كاستقبال العافية ! نزلوا من القطار على أكتاف البهاليل من شباب النيل ، وحلوا فى قلوب الميامين من رجال الوادى ، وهتفت الجموع الحاشدة باسمى فؤاد وغازى ، وجرت الألسن الخاطبة بلفظى القرابة والوحدة ، وتلاقت العواطف الظامئة على وِرْدى الإخاء والمودة . ودخل الطلاب العراقيون فى غمار الألوف المتهللة ، فتجاذبت الدماء ، وتمازجت القلوب ، وتعاطفت الذكريات ، وتجاوبت الأمانى ، وترجمت اللغة ! ثم كانوا طوال الأسبوع المنصرم غبطة القاهرة وبهجة الأندية وحديث الصحف ، يظلون من مطالع النهار إلى مقطع الليل

غرقى فى احتفاء المدينة بين ترحيب يومض فى العيون ، وتسليم يفترّ فى الشفاه ، وإعجاب يدوّى فى الأكف ، وكرم يفيض على الموائد ، ثم لا يسعفون كل مَشُوق لسعة الحركة ، ولا يجيبون كل داع لضيق المدة

والحق أن الشباب العراقيين كانوا كما قال الدكتور محجوب : طاقة من شتيت الزهر النضير قدمتها بغداد إلى القاهرة فى العيد ! مثلوا العراق فى الرجولة والعزة ، ومثّله الأستاذ منير القاضى فى الوقار والنبل ، فكانوا بهذا المظهر الجميل دليل اليقين لمن يطيع فى أمتهم الشك ، وشاهد الاطمئنان لمن يعقد على نهضتهم الأمل !

***

كان مبعث الجفاء بين أقطار العرب انقطاع الأسباب وبُعد الشقة ؛ ثم غشيت كل سماء من سماواتها الزُّهر غمةٌ من أطماع الغرب ، حجبت عن العيون الضياء ، وعن النفوس الصفاء ، وعن العقول المعرفة ، فذهب القوم أشتاتاً يتلمس كل امرىء فى الظلام طريقه ! حتى إذا استيقظ فى الوجدان شعور العروبة ، وعاد فأشرق فى الأذهان نور الدين ، أبصرنا فإذا بيننا من بغى الإنسان حواجز تتقاصر عندها الخطى ، وتتناكر دونها المعارف !

أزيلوا قائم الحدود ، وجددوا دارس الطريق ، تتلاق الوجوه وتتعارف الأخوة ؛ واعملوا ما يعمل فى العراق رسول الوحدة ياسين ، وفى مصر أمثال الوزير محمد على ، والزعيم طلعت حرب ، تجدوا الاتحاد العربى جارفاً كدعوة محمد ، سريعاً كفتوح أمية ، خصيباً كحضارة العباس !

هذه هى مصر الصحيحة يا شباب الرافدين ! لا يزال دينها دينكم ، ولغتها لغتكم ، وهواها هواكم ! إنها لم تركم ولم تروها لأنها فى جوف الحوت ! وهأنتم أولاء تسمعون حشرجتها الأليمة فى حلقه ، وستجيش بين معدته وأضراسه جَيَشان السم الزعاف حتى يلفظها حيةً سليمة كيونس ! حينئذ تتجه (ابنة الشمس) إلى مطلع الشمس ! وهناك يكون مجد العرب اليوم كما كان هناك مجدهم بالأمس ! وليس الشرق موطن الديانات والمدنيات بضيق ولا جديب .

إن الأرض لتُزَلزَل فى كل مكان بالدخيل يا بَنِى (الهلال الخصيب) ! وإن تاريخ الجدود لينبجس فواراً حاراً من صحون المساجد الجامعة ! هل تذكرون ثورة بغداد فى جامع الحيدرخانة ؟ هل رأيتم غضبة دمشق فى الجامع الأموى ؟ هل سمعتم صرخة القدس فى الجامع الأقصى ؟ هل علمتم وثبة القاهرة من الجامع الأزهر ؟ إن لذلك معنى عجيباً لا يندُّ عن خاطر ولا يلتوى على ذهن ، ذلك أن المنارة التى يذكر عليها اسم الله ، لا تزال هى المكان الذى يرتفع فيه صوت الحرية ، وأن المحراب الذى يقوم فيه الدين ، لا يزال هو الركن الذى يأوى إليه الحق ، وأن الإسلام الذى ألف شتيت البدو فى الأول ، هو النظام الذى يجمع شمل العرب فى الآخر !

***

لقد كانت زيارة الطلاب العراقيين فرصة ميمونة لتوثيق الصلات التاريخية المقدسة ، صافحونا بالأيدى ، وخاطبونا بالألسن ، وسمعونا بالآذان ، فانمحت الفوارق العارضة ، وانجابت الحجب الكثيفة ، واستبان أن الخيال جانٍ على الحقيقة ، وأن السماع كاذب على العِيان ، وأن الوحدة المستحيلة أمر من الواقع !

نعى البرق شاعر العراق الزهاوى والمصريون والعراقيون فى حفلة اتحاد الجامعة ، فكان وقع المصاب فى نفوس الفريقين واحداً لا يختلف ؛ وقام كبير الأدباء فأبن كبير الشعراء بكلمة تلقاها الأخوان بعاطفة واحدة وشعور مشترك ، لأن الزهاوى كان يهزج بأغاريد الفجر على ضفاف دجلة ، فتتردد أصداؤها الموقظة فى ربوات بَرَدى وخمائل النيل وسواحل المغرب ! وأدب الزهاوى وأمثاله هو الذى وصل القلوب العربية فى مجاهل القرون السود بخيوط إلهية غير منظورة ، ولولاها لم تكن هذه الزورة ! وبهذه الزورة وأمثالها نتعارف ونتآلف ونتحد ! فتعالوا يا أخلاف المجد الفقيد وأسلاف المجد الوليد نتعاون على دفع الأذى عن العزة المهانة ! تعالوا نقرّ فى سمع الزمان أن أمة الرسالة تريد أن تؤدى الأمانة ! ولكن قبل ذلك كله :

تعالوا نجدد دارس العهد بيننا كلانا على هذا الجفاء ملوم

احمد حسن الزيات

أغنيــــة

للأستاذ أحمد أمين

تعجبني أحياناً بعض الأغاني الشعبية ، إذ أراها تمثل روح الشعب وآماله وآلامه — وأراها أصدق في وصف الحياة المتنوعة مما يفعل أدباء اليوم ، فكل أغانيهم لا تمثل إلا عاطفة الحب البائس ، وما يتبعه من ألم ممض ، ولوعة مضنية ؛ أما الأغاني الشعبية ففيها الحب البائس ، والحب الباسم ، وفيها التغني بالبطولة ، والشكوى من الظلم

وأحياناً فيها فلسفة اجتماعية كالأغنية التي سأعرضها اليوم ؛ ومرماها تصوير الهيئة الاجتماعية في صورة الجسم الواحد تتعاون أعضاؤه لتحقيق المصلحة العامة — وهو معنى عرض له الفلاسفة والأدباء في الأمم المختلفة قديماً وحديثاً — فمثله اليونان مرة باضراب أعضاء الجسم . قال القلب : لماذا أوزع الدم على سائر الأعضاء ولا ينالني أنا منه إلا قطرات ؟ فلأضربُ . وقالت المعدة : ولماذا أهضم أنا أيضاً الأكل كله وليس يصيبني منه إلا قليل ، أفما كان الأولى ألا أهضم إلا ما ينالني ؟ فلأضرب . وقالت الأسنان : ومالي أنا كالطاحون تطحن دائماً ولا ينالني من الغذاء إلا قدر السمسمة ؟ فلأضرب . وقالت الرجل : وأنا دائبة السعي يميناً وشمالا وليلا ونهاراً في جمع العيش وتحصيل القوت ، ثم حظي من كل هذا فتات الموائد ؟ فلأضرب . وقال كل عضو هذا القول أو شبهه ، فأضربت الأعضاء جميعاً ، فلا الرجل تسعى ، ولا اليد تحمل الغذاء إلى الفم ، ولا الأسنان تمضغ ، ولا المعدة تهضم ، ولا القلب يوزع

ثم بعد قليل شعرت المعدة بالجوع ولم تستطع الرجل المشي ولا اليد الحركة ، وأدركت كلها أنها سائرة إلى الفناء السريع ، فاجتمعت على عجل وقررت فض الأضراب إذ رأت أن كل عضو يعمل لنفسه ولغيره ، وأن غيره يعمل لنفسه ولغيره ، فالغرم بالغنم والربح على قدر الخسارة

ولحظ هذا المعنى شعراء العرب فقال أبو العلاء المعري فيه :

المرء كالنار تبدو عند مسقطها ... صغيرة ثم تخبو حين تحتدم

والناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وكل عضو لأمر ما يمارسه ... لا مَشيَ للكف بل تمشي بك القَدَم

أما هذه الأغنية التي أشرت اليها فتمثل هذا المعنى من ناحية أخرى ظريفة ، وهي ارتباط الصناع وأرباب الأموال برباط وثيق ، لا يمكن أن يستغني أحد عن أحد . وهاهي بعد حذف ديباجتها :

« وحصاني في الخزانة ، والخزانة «عاوزة» سلم ، والسلم عند النجار ، والنجار عاوز مسمار ، والمسمار عند الحداد ، والحداد عاوز بيضة ، والبيضة في بطن الفرخة ، والفرخة عاوزه قمحة ، والقمحة عند القماح ، والقماح عاوز فلوس ، والفلوس عند الصريف ، والصريف عاوز عصافير ، والعصافير في الجنة ، والجنة عاوزه حِنّا » الخ ...

أغنية لطيفة حقاً ، لا يزال أطفالنا إلى الآن يتغنون بها بتوقيعهم الظريف ، وصوتهم الشجي ، وهم إذ ينشدونها لم يدروا أنهم يتغنون بفلسفة عالية ، وفكرة سامية

قد يلاحظ عليها أن الربط في بعضها محكم كحاجة السلم إلى النجار والنجار إلى المسمار ، وبعضها غير محكم كحاجة الحداد إلى البيضة ، وحاجة الصريف إلى العصافير ، ولكن أظن أن تحكيم المنطق الدقيق الحاد في الأدب كالشعر والأغاني وسائر الفنون مجاوزة للحد ، فالأغنية ظريفة لطيفة رغم المنطق

ومن أسباب جمالها هذا النوع البديع الذي يصح أن أسميه « جمال الدوران » أو جمال التسلسل ، مثل قولهم « لا سلطان إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل »

وقولهم : « الحجر يكسر الزجاج ، والحديد يكسر الحجر ، والنار تذيب الحديد ، والماء يطفئ النار ، والريح تلعب بالماء ، والانسان يتقي الريح ، والخوف يغلب الانسان ، والخمر تزيل الخوف ، والنوم يغلب الخمر ، والموت يغلب النوم »

ومثل قولهم : « العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً » الخ

***

وبعد فما تاريخ هذه الأغنية ومن واضعها ؟ لا بد أن يكون فيلسوفاً أو حكيماً بعيد النظر . ومما يؤسف له أن هذه الأغاني

والأزجال والمواويل لم يعن بها عناية الأدب الأرستقراطى ، فبينا يعنى العلماء والأدباء بنسبة بيت الشعر إلى قائله ، والقصيدة إلى منشئها ، ويحتدم بينهم القتال على ذلك ، إذا بنا لا نجد هذه العناية ولا بعضها فى الأغانى والأزجال الشعبية ، وهذا نوع مما أصاب الأدب الشعبي من الظلم . وكم أصابه من أنواع ! وما هى الأغانى التى تخترع فى عصرنا نجدها على الأفواه ونستعذبها ، وتهش لها نفوسنا ، ولا نكلف أنفسنا مئونة البحث عن منشئها

ولكن من حسن حظ هذه الأغنية ، أو من حسن حظنا نحن ، أننا نجد ظلا لتاريخها ، فقد ذكرها الجبرتى فى تاريخه فى حوادث سنة ١١٤٣ هجرية ، فيكون عمرها أكثر من قرنين وظلت الأجيال تتعاقبها الى يومنا

ويظهر من كلام الجبرتى أن واضعها عالم كبير جليل من أكابر علماء الأزهر فى القرن الثانى عشر ، هو الشيخ الحفناوى أو الحفنى ؛ كان سيد الأزهر فى أيامه ، له حلقات الدروس الحافلة بنوابغ الطلبة ، يقرأ فيها أعوص الكتب وأصعبها ، كجمع الجوامع والأشمونى وحاشية السعد ؛ وله التآليف الكثيرة فى البلاغة والميراث والجبر والمقابلة ، كما كان بيته ساحة كرم يغشاه أعيان مصر وعلماؤها وأدباؤها ، ويلجأ اليه الفقراء وذوو الحاجات ؛ وكان راتب بيته من الخبز كل يوم نحو الأردب ، وطاحون بيته دائرة ليل نهار ، ويجتمع على مائدته الأربعون والخمسون والستون ، الى هيبة ووقار ، حتى يهاب العلماء سؤاله لجلاله

وهو مع هذا كله ظريف أديب ، سمع تلميذا له يوماً يقول :

قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالزيت حار

والعيش الأبيض تحبه ؟ قلت والكشكار

فضحك الشيخ وقال أنا لا أحبه بالزيت الحار ، وإنما أحبه بالسمن ، ثم قال :

قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالسلى والبيض مشوى تحبه ؟ قلت والمقلى

وله المواويل الظريفة كقوله :

بحياة ياليل قوامك وصوم الحرّ

تحجز لنا الفجر دا فوت الرفاقه حرّ

لما يجى الفجر يصبح ركبهم منجرّ

أزداد لوعه ولا عمرى بقيت انسرّ

إلى غير ذلك . فيحدث تلميذه أن الشيخ الحفنى قال له يوماً « أحدثك حدوته ، بالزيت ماتوته ، حلفت ما آكلها ، حتى يجى التاجر ، والتاجر فوق السطوح ، والسطوح عاوز سلم الخ » حكاية التلميذ ولم يكن سمعها من قبل وروايته لها عن شيخه ترجح الظن أنها من عمل الشيخ الحفنى

وقد زاد الشيخ على ذلك فشرح الأغنية على طريقة الصوفية ففسر التاجر بالمرشد الكامل والمربى الواصل ، والتاجر فوق السطوح فى مستو عال ، والسطوح لا يمكن صعوده إلا بمعراج الخ وقد كان للشيخ جانب آخر صوفى عظيم

فالأشمونى وجمع الجوامع ، والحواشى والتقارير ، كلها لم تمنع الشيخ العالم الأزهرى الجليل من أن يكون أديباً وزجالا ظريفاً يضع الأغانى والمواويل يتغنى بها الشعب . وهذا يذكرنى بما سمعت عن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعه المفتى الأسبق — مد الله فى عمره — من أنه واضع الدور المشهور : « الله يصون دولة حسنك »

فمن لنا بعلمائنا الأزهريين اليوم يشرفون على الأدب كما يشرفون على الدين ، ويتعرفون حياة الناس الاجتماعية ، ومناحيهم الأدبية ، ويضعون الأناشيد الظريفة ، والأغانى اللطيفة ، ويكونون عنوان الدين وعنوان الظرف ، يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة ، ولا ينسون نصيبهم من الدنيا

أحمد أمين

مواكب سلاطين مصر

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

إن أفئدتنا المتعلقة بمصرنا العزيزة تتوق إلى كل ما يرتبط بهذا الوطن المجيد ، فكما أن نسيمها حبيب وحرها حبيب ؛ وكما أن سماءها تأخذ بالألباب في صفائها ، وتنعش فيها الأمل بسحابها ومطرها ؛ وكما أن حاضرها نزهة الأعين وبهجة الأنفس ، كذلك نجد النفس في ماضيها مسارح محبوبة للخيال والفكر . فلنعد إلى عصر من تلك العصور الماضية المجيدة ، ولنتجرد من عصرنا الحاضر إلى حين لنفرغ إلى استجلاء بعض لذات تلك الأيام الغابرة ، ولنشارك بالفكر مواطنينا الأعزاء الذين ملأوا أيامهم جلالاً وبهجة

لنعد إلى القرن الثالث عشر ، ولنتخط إليه ستمائة عام على أجنحة الخيال ، ولنقف حول ركاب ملوكنا الأمجاد الذين كانوا زينة العصر وحماة الديار عند ذلك ، ولنشارك مواطنينا من الأجداد الذين كانوا يصطفون على جوانب الطرق وقلوبهم خفاقة ونفوسهم مملوءة بالإجلال الممزوج بالحب والعطف لهؤلاء الحماة ، ولننظر إلى السلطان العظيم وقد أقبل في موكبه والناس يضجون بالدعاء له فيتلقونه بأحسن الاستقبال . حتى إذا ما صار منهم على كثب رفعوا الأكف وقرأوا الفاتحة ودعوا له بالنصر والقوة على حماية البلاد ، ولنشارك مواطنينا في ذلك الدعاء فلقد كان أولئك السلاطين تفيض قلوبهم بخير ما تفيض به قلوب الملوك من حب لخير الرعية وتفان في سبيل مصلحتها العامة .

كان أحد هؤلاء السلاطين الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، وكان يلقب بالعلائي البندقداري نسبة إلى الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري أحد أمراء الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهو الذي اشتراه عندما كان مملوكا صغيراً ثم آل ملكه إلى السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب ، ولهذا يلقبه التاريخ أيضاً بالصالحي النجمي . وقد تعلم وترقى في الوظائف على النظام البديع الذي كان يسير عليه أمراء ذلك العصر في تعليم مماليكهم وترقيتهم حتى صار أميراً قائداً ، وذلك لما أظهره من الشجاعة في الحرب ولا سيما في موقعة المنصورة في أيام الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح أيوب ، وهي الموقعة التي هزم فيها الفرنج وأخذ ملكهم لويس التاسع أسيراً ، ومازال حتى صار (أتابكاً) للعساكر أي قائداً عاماً لهم

ثم استولى على الملك ، فكان الثالث من سلاطين الأتراك الذين جرى العرف بتسميتهم سلاطين المماليك

وكانت مصر في أيامهم تحيط بها عيون الأعداء من كل الجهات ، فبينا كان أهل أوربا يدبرون الخطط ويجندون الجيوش الجرارة لغزوها ، كان أحفاد جنكيز خان ملوك التتار العظام يدفقون جموعهم نحو الشام بعد أن اجتاحوا بلاد العراق وخربوها وأسالوا فيها الدماء أنهاراً ، فكان العصر عصر حرب ودفاع ، وكانت الروح الغالبة روح الحرب والدفاع ، وكان واجب الأمة الحرب والدفاع ، وكان بيبرس من خير من مثل تلك الروح واستمد بكل قوة للحرب والدفاع ، فكانت كل مظاهره مصبوغة بصبغة النضال والكفاح . كان الخليفة العباسي قد جاء الى مصر مطروداً مشرداً بعد أن نكب التتار بلاد العراق . جاء الى مصر يطلب فيها الأمن ويلتمس الحماية من سلطانها الأعظم بيبرس ، وأحب أن يكافىء ذلك السلطان على حمايته ومساعدته مقدماً ، فقلده السلطنة المصرية بصفته الحاكم الشرعي للدولة الاسلامية ، وبذلك عمل على تثبيت مركزه وجعله حاكما شرعيا الى جانب كونه حاكما بالسيف . فأمر السلطان فضربت لهذه المناسبة خيمة كبيرة في المطرية ، وجلس السلطان على كرسي عظيم في صدرها ، وكان طويل القامة مليح الشكل أبيض الوجه مستدير اللحية ، وقد اختلط سوادها بالبياض يكاد يغلب عليه . وقد اصطف الأمراء حوله بحسب مراتبهم ، لا يلتفت أحد منهم الى يمين ولا الى يسار ، ولا يكلم أحد من الى جواره ولا يشير اليه ، فلقد كان هذا خروجا على الآداب المقررة في المجلس السلطاني ، ولم تكن ملابس هؤلاء الأمراء قد بلغت بعد ما بلغته من الزينة والزركشة في أيام السلاطين الذين أتوا فيما بعد كالسلطان قلاوون وابنه الملك الناصر محمد ، وذلك لأن بيبرس كان لا يجد من فراغه متسعاً للتفكير في غير عدة الجهاد والنضال . فلم تكن

ملابس هؤلاء الأمراء غير أقبية (أو جبب) بيضاء واسعة ضيقة الأكمام، ومناطق ساذجة لا ذهب فيها ولا جواهر، بل كانت من القطن المصبوغ، وكانت أخفافهم من جلد بلغارى أسود، وفوق تلك الأخفاف خف ثان اسمه السقمان، وكان فوق الأقبية أو الجبب كران فيهما حلق وأبزيم ومعاليق فيهما صوالق (أوجيوب) جلد كبار يسع الواحد منها أكثر من نصف ويبة من القمح، ويغرز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع، وكانت شعورهم مضفورة، وضفائرهم مدلاة فى كيس حرير أحمر أو أصفر، وفوق رؤوسهم قلانس صفراء مضربة تضريباً عريضاً

وجلس عن يمين السلطان الخليفة والقضاة من المذاهب الأربعة، فان بيبرس جعل لكل مذهب قاضياً كبيراً بعد أن كانت ولاية القضاة لقاض واحد من علماء المذهب الشافعى. ثم جلس عن يمين القضاة بعض موظفى الدولة مثل وكيل بيت المال أو (وزير المالية كما نسميه الآن)، ثم ناظر الحسبة أو (هو محافظ القاهرة)، وكلاهما من القضاة وأرباب القلم. وجلس عن يساره الوزير ثم كاتب السر أو (الأمين الأول)، وجلس أمامه ناظر الجيش وجماعة من الكتاب الكبار أو كما كانوا يسمونهم الموقعين

ووقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من الأمراء الكبار وهم رؤساء الأمراء والقواد فى الجيوش، وجلس الى اليمين واليسار على بعد نحو ثمانية أمتار من السلطان ذوو السن من الأمراء القواد وهم أمراء المشورة فى الدولة. وجلس بعد ذلك من هم أدنى منهم مرتبة من أكابر الأمراء، ثم وقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان من هم دونهم من الأمراء والقواد بحسب درجاتهم، فكان أقربهم من السلطان أمراء المئين وهم مقدمو الألوف، وكان كل منهم أميراً على مائة فارس، وقد يزيد عدد فوارسهم عشرة أو عشرين فوق المائة؛ وكان يليهم أمراء الطبلخاناه، وكان كل منهم أميرا على أربعين فارساً، وقد يزيد عدد فرسانهم إلى السبعين؛ وكان بعد هؤلاء جميعاً أمراء العشرات ولكل منهم الامارة على عشرة فرسان، وقد يزيد عدد فرسانهم إلى العشرين

ونصب منبر وصعد عليه كاتب السر الشريف، فقرأ على الأمراء فى ذلك الحشد الحافل كتاب الخليفة العباسى أحمد المستنصر بالله الذى لجأ إلى مصر وأحسن السلطان استقباله، وفيه ثناء طيب من الخليفة على السلطان العظيم فأصبح بذلك ملكا على البلاد بحق الاستيلاء والسيف، وبحق تقليد خليفة المسلمين الذى كان العالم الاسلامى يرى فيه رمز الحق الشرعى للحكم. وأصبح سلطاناً على مصر والشام وكل ما يفتح من بلاد الأعداء

ثم حملت إلى السلطان خلعة الخليفة، فلبسها وهى جبة سوداء، وعمامة بنفسجية، وطوق من ذهب، وقلد بسيف عربى. ولما انتهى الاحتفال ركب السلطان بالخلعة والطوق والأمراء حوله وأمامه حسب ترتيبهم، وحمل الصاحب بهاء الدين محمد بن على ابن حنا تقليد الخليفة، على رأسه وسار قدام السلطان. ثم سار الموكب حتى دخل القاهرة من باب النصر ومر فى الشارع الأكبر من المدينة، والسلطان فى خلعته الجديدة راكب على فرس عربى عليه كسوة بديعة من الحرير الأصفر، وقد ركب إلى جواره أحد أمراء المئين راكباً على فرس يحمل المظلة وهى حبرة من الأطلس الأصفر المزركش بالذهب، من أعلاها قبة من الحرير نفسه، وفوقها طائر من الفضة المذهبة

وتلقت الجموع الزاخرة من أهل القاهرة ذلك الموكب بالتهليل والطرب؛ وكان السلطان كلما مر بجماعة ضجوا بالدعاء له بالنصر والفتح وقرأوا الفاتحة تبركا وتيمناً؛ ومازال ذلك الموكب حتى بلغ القلعة فلم يبق ركن من أركان القاهرة لم يهتز لرؤيته والاشتراك فى الحفاوة به

والآن فلنخرج مرة أخرى لنشارك أجدادنا أهل القاهرة فى التمتع برؤية موكب آخر سائرين فى ركاب السلطان إلى ميدان بجوار القاهرة كان ملوك مصر إذ ذاك يقصدونه للرياضة والتنزه ويلعبون فيه لعبتهم المشهورة وهى (الكرة)؛ وكانوا يخرجون لذلك إلى أحد ميدانين: الأول الميدان الناصرى الكبير، والثانى ميدان سرياقوس. وكان الخروج إلى كل من هذين الميدانين فى أوقات معينة من السنة، فالركوب إلى الميدان الكبير الناصرى كان يقع فى شهرى سبتمبر وأكتوبر؛ وذلك الميدان على ضفة النيل فى جهة بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر القديمة. وكان الخروج إليه فى كل يوم سبت من الشهرين المذكورين.

وقد كان بودي لو استطعت في هذه الكلمة أن أصف مواكب خروج السلاطين إلى كل من هذين الميدانين ، ولكنني أكتفي بوصف موكب واحد وهو موكب الخروج إلى الميدان الكبير الناصري

خرج السلطان الملك الناصر صباح أول يوم السبت بعد وفاء النيل بادئاً موسم لعب الكرة والصولجان في ذلك الميدان الفسيح ؛ وكان خروجه في الصباح ، ولكن الشمس كانت قد بسطت سلطانها على الأحياء فبدأ حرها يشتد وتكاثر الناس وازدحموا على الطريق ليروا السلطان وهو يخرج سائراً نحو الغرب إلى قناطر السباع القائمة فوق الخليج ، وذلك في موضع ميدان السيدة زينب الآن ، ومن هناك سار نحو النيل إلى الميدان . وكان في أول الموكب فارسان يلبسان ثياباً من الحرير الأصفر وعلى رأس كل منهما كوفية من الذهب على هيئة طاسات الحرب ، وكانا يركبان فرسين أبيضين بحلية بديعة من الذهب ، وكان على كل من الفرسين كساء من الحرير الأصفر المزركش بالذهب ينطي من تحت أذنيه إلى موضع السرج . فلما مر هذان الفارسان أقبل في أثرهما السلطان وهو راكب على فرس عربي أصيل هيئته وكسوته مثل هيئة فرسي الفارسين المتقدمي الذكر لا فرق بينه وبينهما ، حتى كان الناظر إلى الفرسين المتقدمين يظنهما قد أعدا لركوب السلطان نفسه ؛ وكان أمام فرس السلطان غاشية السرج يحملها بعض أمراء المماليك الخواص ، وهذه الغاشية عبارة عن جلد مزركش بالذهب ليغطى به سرج السلطان إذا نزل ، وكان حامل تلك الغاشية يحركها زهواً وافتخاراً ذات اليمين وذات الشمال ، وإلى جانب حامل هذه الغاشية فارس آخر يضرب على شبابة ، وهي آلة موسيقية لا يقصد بنغمها الاطراب ، بل يقصد بها إيقاع المهابة في النفوس

وكان فوق رأس السلطان العصائب السلطانية ، وهي من الحرير الأصفر المزركش بالذهب منقوشة باسمه وألقابه . وكانت العادة أن تحمل هذه العصائب فوق رأس السلطان عند الركوب إلى هذا الميدان خاصة وفي يوم العيد ، وعند ما يدخل إلى القاهرة عائداً من السفر أو إلى مدينة من مدن الشام

ولم يكن في هذا اليوم يستظل بالمظلة ، فان رفعها كان خاصاً بأيام العيد أو عند دخول المدينة أو في المواكب التقليدية الكبرى

وجاء خلف السلطان جماعة الأمراء أولهم الشاة يحفون به على هيئة دائرة ، وهم الطبردارية الذين يحملون الأطبار المشهورة ولباسها السيوف المموجة التي يسميها الفرنج (السابر) ، وكانوا في العادة من كبار الأكراد ، ويليهم بعد ذلك الأمراء الفرسان يسيرون بحسب مراتبهم : فنائب السلطنة ، ثم الوزير وأرباب الوظائف الكبرى ، ثم أمراء المئين مقدمو الألوف ، ثم الطبلخانات ، ثم أمراء العشرات ، ثم المماليك

فاذا ما انتهى الركب إلى الميدان واستقر مجلس السلطان هنيهة في ظلال الأشجار الوارفة التي حول الميدان أمر ببدء اللعب واشترك هو مع الأمراء الكبار فلعبوا الكرة بالصوالج وهم ركوب على الخيل ، وانتهزوا فرصة اللعب فاظهروا من المهارة في ركوب الخيل والتحرك فوقها أثناء جريها ما يدهش الألباب

فاذا انتهى اللعب في ذلك اليوم دعا السلطان الاثنين اللذين برزا في اللعب من الأمراء وأنعم عليهما بحوائص الذهب وهي مناطق ثمينة من الذهب يبلغ ثمن الواحدة أحياناً مئتي دينار أو يزيد ؛ وكان هذا التقليد مخصوصاً لكبار الأمراء المقدمين ، وكان السلطان بذلك ينعم بالحوائص على كل الأمراء المقدمين تدريجاً حتى يتم انعامه على الجميع مرة في مدى ثلاث سنوات أو أربع

وبعد أن ينتهي من الانعام بالحوائص يدعو البرزين من كل طبقات الأمراء ويهدي اليهم الخيول الجياد ، فكان يعطي الأمراء الكبار من أمراء المئين والطبلخانات خيولاً مسرجة ملجمة ، ثم يختار بعض أمراء العشرات فيجعل لهم حظاً من ذلك الانعام أيضاً ، ويزيد عطوه للمقربين من كبار أمراء حرسه الخاص فيجود عليهم بالجياد عشرات لا آحادا

فلقد كان خروج السلطان إلى ذلك الميدان أحد موسمين للانعام بالخيول على الأمراء ، وكان الموسم الآخر عند خروجه إلى مرابط خيله في الربيع

وبعد ، أفلم تكن تلك التقاليد المقررة جديرة بأن نذكرها ونحتفظ بذكراها ليكون جيلنا الحاضر مرتبطاً بالأجيال الماضية ارتباط البناء بالأساس ؟

محمد فريد أبو حديد

الجـــوع الروحانى

لأستاذ جليل ينم عليه اسلوبه

أتحفنا الأستاذ المازنى منذ أيام بمقال ممتع « فى الحب » ، ثم أعقبه بمقال آخر تحدث فيه عن « الحب الأفلاطونى » و « الوفاء فى الحب »

فقال عن الحب إنه « ضرب من الجوع ، أو هو إذا شئت نوع من التنبيه تلجأ اليه الطبيعة لتغرينا بما يكفل المحافظة على النوع »

وقال عن الحب الأفلاطونى والوفاء : إنهما لا يوجدان مع الصحة والسلامة ، وإذا كان من الممكن أن يشبع الجائع بالنظر إلى الطعام فى أطباقه على السفرة ، فانه يكون من الممكن أيضاً إرضاء عاطفة الحب عند الرجل السليم المعافى بالنظر إلى المرأة والاستماع إلى حديثها ، والتمتع بابتسامتها ، ورشاقة وقفتها ، وحسن جلستها ؛ والذى يقنع من المرأة بذلك يكون أحوج إلى الطبيب المداوى منه إلى المرأة »

وقال الأستاذ عن الوفاء : « أما الوفاء فأكرم به وأنعم ! ولكن أين فى دنيانا من يصبر على طعام واحد وفى وسعه ألا يفعل ؟ وإنى أسأل القارئ وأعفيه من الجواب السلبى : أى رجل لم ينقض عهداً بالوفاء ؟ ... والمرأة كالرجل ، وشأنها كشأنه ، وكذاب من يقول — وكذابة من تدعى — غير ذلك ، ولست أدعو إلى شىء . وحاشاى أن أفعل ، ولكنى أصف واقعاً وأقر حقاً لا يكابر فيه إلا منافق يريد أن ينتحل فضلا على حسابى وحساب الحقيقة »

وأورد الأستاذ فى هذا المعنى بيتين من الشعر قالهما قبل أن يهجر القريض — مأسوفا عليه من مقدرى فضله :

يا عقيدى طامن الله حشاك لن ترانى شاكياً وهى حبالك
أين من «طينتنا» أين الفكاك أنت انسان على فرط جمالك

***

وإنى مع فرط احترامى لآراء الأستاذ وإعجابى بها دائماً ، بل وعلى الرغم من إعجابى بأفكاره هذه التى عرضها فى مقاله الأخير ، أقول إنى أحسست بأنى شخصياً قد سُببت . وكلما نظرى على قوله : « كذاب من يقول ، وكذابة من تدعى » انتفضت وأحسست بالدم يصعد إلى رأسى شأن من يكون مقبلا على شجار والعياذ بالله ! وكلما أعدت البصر فى قوله انه « يقر حقاً لا يكابر فيه إلا منافق يريد أن يفعل كذا وينتحل كذا » ، أحسست كأنما تتحشرج فى حلقى عبارة : « اخنش يارجل ! » أو : « احفظ مقامك يا أخينا أنت وإلا . . . . » أو غير ذلك من العبارات التى تسبق التماسك عادة بين الفريقين !

ذلك بأنى أنا أومن بالحب الأفلاطونى ، وأومن بالوفاء ؛ وإن كان الأستاذ قد قال فى معرض الكفر بهذين المذهبين : « وأنا لا أدعو إلى شىء وحاشاى أن أفعل » ؛ فهأنذا أقول بأنى أدعو إلى الايمان بالحب الأفلاطونى وبالوفاء ، وقصاراى أن أفعل !

***

ولأبدأ أولا بأن أقول مع الأستاذ إن الحب اشتهاء ؛ فالى هنا نحن متفقان . ولكن يبدو لى مع الأسف أن هذا هو كل ما بيننا من توافق ، فانه يقول بعد ذلك رأساً إن الحب تنبيه للجسم ليعمل على حفظ النوع . بينما أنا أتابع الحديث بأن الجوع أنواع ، وأن الأصل فيه جوع المعدة إلى الطعام ، وأن لكل حاسة من حواس الجسم نوعا من الجوع تكابده وتعمل على إشباعه ، وأن الأذن مثلا تجوع وغذاؤها الموسيقى ؛ ويحس الجائع فى هذه الحالة باشتهاء مُلِح إلى استماع الألحان . والعين كذلك تجوع ولكنها تجوع إلى الجمال ، وقد يبلغ من جوعها أن تضطرب أعصاب صاحبها وتفسد عليه شؤونه إلى أن يمن الله عليه بصورة جميلة تقر لها عينه وتطمئن بها نفسه ، مع أنه لا يبغى من هذه الصورة أكثر من أن يجلو بها عينيه . وأجهزة الجسم جميعها تجوع . ولعل الحب الذى كتب عنه الأستاذ هو جوع الجهاز التناسلى ، وهو الجوع إلى المرأة وليس الجوع إلى الجمال ، فان جميع (الأعراض) البادية فى ذلك المقال (تشخص) هذه الحالة

وإذا كنت موفقاً فى التعبير فانى أعتقد أن هذا القول فيه ما يكفى لفتح الطريق أمام الحب الأفلاطونى الذى سد الأستاذ فى وجهه الأبواب ووقف من دونها يقول : « أين الكذاب الذى يقول إن شيئاً يقوم وراء هذا الباب ؟ ! وأنت أيها المكابر يامن تريد أن تنتحل فضلا على حسابى وحساب الحقيقة ! يامنافق ..

يا بن ا . . .[1] » إلى آخر تلك الثورة التي لا سبيل لي مع الأسف إلى انتفاء أذاها غير أن أنشر هذه الكلمة بدون توقيع ، وأترك الفضل بعد ذلك في انتحاله لمن شاء وأمرى إلى الله !

***

إن الحب الأفلاطوني نوع من المغناطيسية الآدمية . وكل متعة المحب فيه أن يكون قريباً من حبيبه . لأن حبه هو حب الروح التي تعمل على حفظ « المزاج » لا حب اللحم والأجهزة السفلية التي تعمل على حفظ « النوع »

ولعل من أبرع الأمثلة على هذه الحالة قول قيس في بعض أشعاره :

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم ... ولم يبد للنظار من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت أننا ... صغيرين لم نكبر ولم تكبر البهم

فأنت ترى أن هذا الصبي المحب كان محباً قبل أن يتنبه فيه جهازه الجنسي ، ولم يكن يصلح معالقاً للمحافظة على النوع ، بل إن ليلاه لم يكن قد تفتح في جسمها شيء من منبهات ذلك الجهاز . أفلست تسمعه إذ يقول : ولم يبد للنظار من ثديها حجم !

***

وأنا إذ أقول بوجود الحب الأفلاطوني لا أنكر حب (النوع) ولا أعيبه — وحاشاى أنا أيضاً أن أفعل — بل إني لأقول بامكان اجتماعهما في نفس واحدة ، ولكن الذي يعنيني هنا أن أثبت وجود هذا الحب الأفلاطوني الروحاني البريء الذي أحسه أحياناً ، والذي يهمني جداً أن أطمئن غيري على وجوده ليتعلم كيف يحسه هو الآخر عند اللزوم . ذلك لأنه ضرورة من ضرورات الرجل المهذب الذي يريد أن يشعر أحياناً أنه ليس حيواناً دائماً ، وأنه قد يسمو في بعض الأوقات فوق اعتبارات هذه المادة المظلمة التي هي جسمه وأجهزته الدنيا

***

يروى عن (للهدى) أنه لما هرب من المأمون ذهب الى عمته فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك ، وكانت هذه غاية في الحسن فأحبها المهدى ـ أعني على طريقتي أنا لا على طريقة الأستاذ المازني ـ فكره أن يحدثها حديث (النوع) ، وأنه قد حصل لجسمه تنبيه ليعمل على بقاء السلالة البشرية في دولة أمير المؤمنين ، ولكنه تسامى بحبه الى الغناء ، فبينما هي قائمة على رأسه ذات يوم تَغَنّى بهذين البيتين :

يا غزالا لي اليه ... شافع من مقلتيه

أنا ضيف وجزاء الضـ ... ـيف إحسان اليه

فلما انصرفت الجارية من عنده أخبرت سيدتها بما سمعت من مولاها ، فوهبتها له ؛ فلما رجعت الجارية اليه بعد ذلك أعاد غناءه ، فأكبت الجارية عليه ، فدفعها عن نفسه قائلا : كُفّي ! ما أنا بخائن ! فقالت له إن سيدتي وهبتني لك ، فقبلها قائلا : أما الآن فنعم !

***

هذه هي كلمتي عن الحب الأفلاطوني وعن الوفاء . وأرى أن القول بأن (طينة) الانسان لا تتفق مع هذا الخلق العظيم كما يقرر الأستاذ في شعره إنما هو محاجّة بالأساطير ، وتدليل بشيء لم يقل أحد إن له قوة الدليل . ونظيره أن يتقدم الشاهد الى المحكمة مثلا ليقول إنه سمع (بالاشاعة) أن فلانا قتل فلانا ، فان كان مثل هذا الشاهد يجد المحكمة التي تقيم لشهادته وزنا ، فسوف يجد حديث (طينتنا) من يستمع له !

***

وبعد . فما هي مهمة الكاتب الاجتماعي ؟ أهي أن يقرر الأمر الواقع أمام الأشهاد الذين يشهدونه ، فاذا فرغ من ذلك انصرف عنهم بقنع نفسه بأنه أدى رسالته ؟ أم هي أن يتسامى بقرائه الى المُثل العليا التي تملأ أحلامه وتتجسم في تفكيره حتى ليعتقد فملا بوجودها ولو لم تكن موجودة ؛ فيبشر لها في كتاباته ، ويصبح بذلك أهلا لحمل هذا اللقب الكبير .

لقد قال فولتير : « إن الله لو لم يكن موجوداً لوجب على الناس أن يوجدوه » ، والمعنى أن الناس لا تستقيم لهم حال إلا على أساس أن الله موجود ، وأنه من ورائهم محيط ، يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته . وهذا ما يصح أن نقوله الآن من الحب الأفلاطوني وعن الوفاء ، فان شيئاً من هذا إن لم يكن موجوداً لوجب علينا أن نوجده

***

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

[1] (١) الكلمة الأخيرة لم ترد طبعاً في مقال الأستاذ الفاضل ولكن سياق الكلام اقتضاها فاثبتناها

حوادث الشرق الأقصى

الصراع بين اليابان وأوربا
حول سيادة الصين وآسيا

بقلم باحث دبلوماسي كبير

يضطرم الشرق الأقصى كما تضطرم أوربا ويضطرم شرق إفريقية بحوادث خطيرة سياسية وعسكرية؛ وتتخذ هذه الحوادث لأول وهلة صبغة محلية، وتبدو متفرقة لا تربطها رابطة عامة؛ ولكن هذه النظرة السطحية لا تعبر عن الحقيقة المستترة؛ ذلك أن هذه الحوادث الخطيرة التي يجوزها القارات الثلاث تربطها جميعاً عوامل وظروف مشتركة؛ فالحرب الايطالية في شرق افريقية هي نتيجة لتطورات السياسة الاستعمارية الأوربية، وتوغل اليابان في الأراضي الصينية هو نفثة من نفثات الصراع بين الجنس الأصفر والاستعمار الغربي، ونتيجة لتطورات السياسة الأوربية العامة، وانشغال أوربا عما كها السياسية الداخلية، بل إن هذه الحوادث التي تقع في أماكن وأقطار متباعدة تكون في الواقع وحدة متماسكة الأطراف، فهي جميعاً ثمرة تلك الثورة العميقة الجامعة التي تجيش بها السياسة الدولية منذ بضعة أعوام، والتي تسفر عن نتائجها الخطيرة تباعاً في سلسلة من الحوادث متصلة الحلقات برغم تباعدها وتباينها

وفي الشرق الأقصى في سهول الصين الشاسعة، تضطرم بين أوربا وآسيا معركة هائلة، ربما كانت حاسمة في مصاير الجنس الأصفر والاستعمار الأوربي؛ فاليابان التي هي اليوم زعيمة الجنس الأصفر بلا منازع، تتوغل في أقطار الصين الشاسعة تباعاً غير مكترثة بأية مقاومة محلية أو خارجية؛ وقد كانت الصين قبل الفورة اليابانية الأخيرة تعتبر دائماً ميداناً خصباً للاستعمار الغربي؛ ولا تزال الدول الأوربية الكبرى تبسط نفوذها الاقتصادي على مناطق غنية شاسعة في شرق الصين وجنوبها، وهذه الدول تنظر اليوم إلى مركزها في الصين بعين التوجس والحزع؛ بيد أن المعركة الكبرى تنشب في الحقيقة في شمال الصين الشرقي حيث تلتقي اليابان وروسيا وهما العدوتان الخالدتان اللتان يتمثل في صراعهما اليوم صراع الجنسين الأصفر والأبيض؛ وقد وقعت أخيراً في شمال الصين حوادث ومعارك خطيرة تؤذن بأن هذا الصراع يتخذ اليوم صورة حاسمة؛ فاليابان التي غزت منشوريا واحتلتها منذ سنة ١٩٣١، وأقامت فيها امبراطورية صورية باسم منشوكيو، تتقدم اليوم في الصين صوب الجنوب وصوب الشرق. ونظرة سريعة إلى خريطة الصين ترينا إلى أي حد وصل التوغل الياباني في الصين الوسطى حتى شمل اليوم مقاطعات برمتها في شهيلي وشاهار، وتمدى السور الكبير إلى حدود بكين عاصمة الصين القديمة؛ وقد استطاعت اليابان أخيراً بحركة ضغط عسكرية وسياسية قامت بها أن ترغم الحكومة الوطنية الصينية (حكومة نانكين) على الموافقة على إقامة نظام سياسي وإداري خاص في بعض المناطق الوسطى بحيث تخرج عن نفوذ الحكومة الوطنية وتقع تحت نفوذ السلطات اليابانية؛ بيد أن اليابان لا تلقى أعظم مقاومة في هذه النقطة من الصين، بل يلوح لنا أن الصين ذاتها قد أخذت تذعن أخيراً للأمر الواقع، وترى التقدم الياباني أمراً لا مندوحة عنه ولا سبيل إلى رده؛ وترى الحكومة الوطنية وعلى رأسها الجنرال شانج كاي شك، أن تطور مصاير الصين على هذا النحو خير من بقائها فريسة لمشاريع الاستعمار الغربي؛ أولاً لأن الصين لا تستطيع مقاومة اليابان، وثانياً لأنها تنشد السلام الداخلي، وتطمح إلى إلغاء المعاهدات الأجنبية التي استطاعت الدول بمقتضاها أن تتوغل في شؤونها ومرافقها، وكذلك إلى استعادة سلطانها ونفوذها في منغوليا والتركستان الصينية، حيث يسود النفوذ الروسي، والتبت

إن المغريات المادية أصبحت تحيط بالانسان من كل جانب، وهي تعمل دائبة على أن تملق بأقدامه وتهوى به في القرار. فما لم يكن له نصيب من تلك المثل العليا ليحتفظ له بمستواه الآدمي العالي ينحط الى الدرك الأسفل الحيواني

فالافلاطونية والحالة هذه مزاج لابد منه للمذهب المادي الذي يطغى الآن على المجتمع، ويكاد يوقعه في شر أعماله. فمن لهؤلاء الناس باليد التي تنتشلهم مما هم فيه إن لم يجدوها عند الأستاذ المازني — وأضرابه — وهم كما يحس الأستاذ نفسه قليلون؟

«أفلاطوني»

حيث يسود النفوذ البريطانى ، ولا تستطيع الصين أن تطمح إلى تحقيق هذه الآمال ما لم تعتمد على معاونة حليف قوى كاليابان ، هذا فضلا عن أن هناك من الروابط الجنسية والاجتماعية بين اليابان والصين ما يخفف وقع النفوذ اليابانى ، ويحمل الشعب الصينى على تفضيله على أى نفوذ أجنبى آخر

وإنما يضطرم الصراع الحقيقى فى شمال الصين بين اليابان وروسيا . وقد كانت الحرب اليابانية الروسية فى سنة ١٩٠٤ عنواناً للصراع بين الجنس الأصفر والجنس الأبيض ، وكانت هزيمة روسيا فى تلك الحرب فاتحة النصر الحقيقى للجنس الأصفر ومثاراً لمخاوف أوربا والاستعمار الغربى فى آسيا ؛ ذلك لأنه لأول مرة فى التاريخ تنتصر دولة اسيوية لم تنفض عنها بعد غمر الماضى المظلم على دولة أوربية عظمى ، وترغم أوربا على الاعتراف بتفوقها العسكرى والسياسى ؛ بيد أن روسيا استطاعت رغم هزيمتها أن تحتفظ بمعظم أملاكها ومناطق نفوذها فى الصين ؛ ومع أن اليابان خرجت من تلك الحرب بمغانم استعمارية كبيرة منها استيلاؤها على بورت أرثر ، ونصف جزيرة سخالين ، والسكة الحديدية الشرقية ، وتوطد نفوذها فى كوريا التى غدت فيما بعد مقاطعة يابانية ، فانها لم تفتأ منذ انتصارها تحاول توسيع نفوذها فى تلك المنطقة على حساب النفوذ الروسى ، وما زالت روسيا من جانبها تقاومها بكل الوسائل ، وتعمل على وقف أطماعها ومشاريعها ؛ ولم يحد البلاشفة عن سياسة القياصرة فى هذا الشأن ، فقد عملت روسيا السوفيتية بكل ما وسعت على توطيد سياستها ونفوذها فى الصين ، ووقفت تناضل اليابان وجها لوجه ، وكادت فى الأعوام الأخيرة أن تشتبك معها غير مرة فى حرب استعمارية ، ومع أنها اضطرت أخيرا أن تبيع لليابان حقوقها فى السكة الحديدية الشرقية تجنباً للاصطدامات الخطرة ، فان النضال السياسى ما زال بين الدولتين على أشده ، وقد أسفر فى الأسابيع الأخيرة عن عدة حوادث ومناوشات دموية دلت على تفاقم خطر الحرب فى الشرق الأقصى

ويدور الصراع الآن بين اليابان وروسيا حول منغوليا التى تشغل مساحة شاسعة فى شمال الصين والتى تجاور منشوكيو من الغرب ؛ وتنقسم منغوليا سياسياً إلى قسمين أحدهما منغوليا الشمالية أو منغوليا الخارجية وهى تجاور سيبيريا وتقع تحت السيادة الروسية ، وقد حولها البلاشفة منذ أعوام إلى جمهورية سوفيتية باسم « تشيتا » ؛ ومنغوليا الجنوبية أو منغوليا الداخلية ، وقد كانت من قبل وحدة سياسية مستقلة داخلياً تحت حماية الصين ، ولكن السياسة البلشفية استطاعت منذ سنة ١٩٢٤ أن تجذبها الى حظيرتها وأن تجعل منها جمهورية مستقلة حليفة لموسكو ؛ ومن جهة أخرى فان التركستان الصينية تقع تحت النفوذ السوفيتى ، وقد وقعت فيها أخيراً حوادث وتطورات أدت الى انفصالها عن الصين ؛ وهكذا تسيطر روسيا على معظم أنحاء الصين الشمالية والغربية ، بينما تسيطر اليابان على الأقاليم الشرقية الشمالية وبعض الأقاليم الوسطى ؛ ويحتدم النضال بين الدولتين الاستعماريتين الكبيرتين حول السيادة والغلبة فى تلك الامبراطورية الصينية الشاسعة التى تنقسم اليوم الى وحدات سياسية عديدة تمهد بتنافسها وخصامها المستمر إلى تسرب النفوذ الأجنبى وتوطيده

وتمثل اليابان فى هذا الصراع الهائل الجنس الأصفر والجامعة الاسيوية ، وتستمد لخوضه بجميع قواها السياسية والعسكرية والاقتصادية ؛ وتمثل الروسيا فيه مصالح الجنس الأبيض والاستعمار الغربى فى آسيا ؛ ومع أن روسيا السوفيتية لا تحظى بكثير من عطف الدول الغربية ، فانها تعتبر مع ذلك حاجزاً منيعاً فى سبيل الزحف اليابانى نحو الغرب ، وتؤيدها الدول الاستعمارية الكبرى فى هذا الصراع ؛ ذلك أن تقدم اليابان نحو الغرب والجنوب يكون معناه انهيار صرح أوربا الاستعمارى فى الصين ، ويكون نذيراً بتقويض السيادة البريطانية فى الهند ، والسيادة الفرنسية فى الهند الصينية ، والسيادة الهولندية فى جاوه وسومطره ؛ ونذيراً بتقويض سيادة السوفيت فى منغوليا والتركستان ؛ وتقويض صرح الاستعمار الغربى فى هذه البلاد والأقاليم الشاسعة الغنية ، معناه تقويض سيادة أوربا الاقتصادية فى آسيا وضياع تلك الأسواق الرابحة التى غنمتها فى ظل هذه السيادة التى تؤيدها جميع الوسائل والقوى الاستعمارية المادية والمعنوية

وليس من شك فى أن اليابان تتقدم فى هذا السبيل بخطى واسعة تزعج أوربا وتروعها ؛ فالصناعة اليابانية التى تدعمها ظروف محلية مدهشة تتقدم فى جميع الميادين بخطى هائلة ، وقد غزت التجارة اليابانية الأسواق الاسيوية القديمة بسرعة مدهشة ،

وتخطى هذا الغزو إلى أوربا وأخذ يحدث الارتباك والذعر فى أسواقها ، وأخذت أوربا تفكر فى مصايرها الاقتصادية التى تدعمها فى آسيا وافريقيا سيادة استعمارية تجوز اليوم فى آسيا أمام الغزو الأصفر مأزقاً من أخطر المآزق ، والواقع أن اليابان تخوض غمار النضال مع الغرب فى ظروف حسنة جداً ، فأوربا تشغل اليوم إلى أقصى حد بشئونها ومسائلها الخاصة ؛ وبينما تشخص الأبصار نحو ألمانيا ونهوضها الحربى ، وبينما تشتغل فرنسا بالتحوط لمقاومة ألمانيا وتوطيد تحالفها مع السوفييت ، وتشتغل إيطاليا بحلمها الاستعمارى ، وتشتغل انكلترا بمقاومة مشاريع إيطاليا الاستعمارية ، إذا باليابان تحصر اهتمامها ومشاريعها فى الصين ، وتنذر أوربا وأمريكا فى جرأة وصراحة أن ارفعوا أيديكم عن الصين ، وتعلن عزمها على مقاومة أى تدخل أو محاولة استعمارية جديدة من جانب الدول فى الصين ، على نحو ما يقرره مبدأ مونرو الأمريكى بالنسبة لأمريكا ؛ وقد كانت الدول الأوربية تعتمد من قبل على اضطرام المنافسة بين اليابان وأمريكا حول السيادة فى المحيط الهادى ، واشتغال اليابان بأمر هذه السيادة والتحوط لضمانها وتوطيدها ، وكانت السياسة الأمريكية منذ أعوام تتجه فعلا الى مناوأة اليابان والحد من أطماعها ، ولكن أمريكا اليوم ترتد الى سياستها القديمة ، وتنظر الى مشكلة الباسفيك بعين أخرى ، وترى أن تقتصر على تأمين سلامتها البحرية فى شرق المحيط ، يدل على ذلك أنها تنازلت عن حمايتها على جزائر الفلبيين التى كانت ترى إلى اتخاذها من قبل قاعدة لمقاومة اليابان ومناوأتها ؛ وإذاً ففى وسع اليابان اليوم أن تعمل حرة من هذه الناحية مطمئنة الى موقف أمريكا وحيادها ؛ وليس فى وسع الدول الأوربية من جهة أخرى أن تقوم فى الوقت الحاضر بأية حركة مشتركة لوقف الزحف اليابانى نحو الغرب ، ولا يقف فى وجه اليابان اليوم سوى روسيا السوفيتية التى تشتبك معها كما بينا فى عدة ميادين ومصالح خطيرة ؛ وروسيا السوفيتية تعمل دائماً لمواجهة الخطر اليابانى ورده ، لأنه ينصب أولا على سيادتها الاستعمارية الباذخة فى آسيا ، وهى من جهة أخرى تمثل قضية الغرب فى هذا الصراع الجنسى والاقتصادى الخطير ؛ ولكن روسيا تواجه فى أوربا أيضاً خطراً آخر هو الخطر الألمانى . وهو نفس الخطر الذى تواجهه فرنسا ، ومن ثم كان تحالف الدولتين ضد الخطر المشترك ؛ والسياسة البريطانية تشد أزر روسيا فى هذا الصراع أيضاً ، ولكنها تنظر من جهة أخرى بعين الارتياح الى اشتغال روسيا بمقاومة الخطر اليابانى لأنه يحول أنظارها عن العمل لمناوأتها فى الهند وأفغانستان

والخلاصة أن خطر الحرب يجثم فى الشرق الأقصى ، كما يجثم فى أوربا ، وتطورات الحوادث فى الشرق والغرب تسير مرتبطة متفاعلة ؛ وقد تضطرم شرارة الحرب الأولى فى الشرق الأقصى ، كما قد تضطرم فى الغرب ، ولكنها كفيلة بأن تفضى فى أى الحالتين الى اضرام نار الحرب العالمية الجديدة

(***)

إبليس يعلم ... (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال أحمد بن مسكين : ودار السبتُ الثالثُ وجلستُ مجلسي للناس وقد انتظمت حلقتهم ؛ فقام رجل من عُرض المجلس فقال : إن الحسن بن شجاع البلخي تلميذ الامام أحمد ابن حنبل (٢) كان منذ قريب يحدثنا بأحاديث عن الشيطان ، حفظنا منها قوله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدُكم بعيره في سفره . وكان الحسن يقول في تأويله : إن شيطان الكافر دَهينٌ سمينٌ كاسٍ ، وشيطان المؤمن مهزول أشعثُ أغبرُ عارٍ . فهل يأكل الشيطان ويدّهن ويلبس ليكون له أن يجوع مع المؤمن ويعرى ويتشعّث ويغبر ؟

قال ابن مسكين : فقلت في نفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله ! ما أرى السائل إلا شيطانَ هذا السائل ؛ فان إبليس إذا أراد أن يسخر من العالم ويُسمعه طنزَه وتهكمه (٣) حرّك من يسأله عنه ما هو وكيف هو ؛ كأنما يقول له تنبّه ويحك على معناي فأنت تتكلم وأنا أعمل ، وأنت صورة من الرد عليّ ، ولكني حقيقة من الرد عليك ، وما أنت في محاربتك لي بالوعظ إلا كالذي يريد أن يضرب عنقَ عدوه بمائة اسم وضعت للسيف . .

قال : وكنت قد سمعت خبراً عجيباً عن أبي عامر قبيصة ابن عقبة الكوفي المحدّث الحافظ الثقة أحد شيوخ أحمد ابن حنبل (٤) ؛ وهو الرجل الصالح العابد الذي كان يقال له (راهب الكوفة) من زهده وعبادته واحتباس نفسه في داخله كأنما جسده جدار بين نفسه وبين الدنيا ، فقلت والله لأغيظن الشيطان بهذا الخبر ، فان أسماء الزهاد والعباد والصالحين هي في تاريخ الشياطين كأسماء المواقع التي تنهزم فيها الجيوش ، وما الرجل العابد إلا صاحب الغمرات مع الشيطان ، وكأنه يحتمل المكاره عن أمة كاملة بل عن البشرية كلها حيث كانت من الأرض ؛ فالناس يحسبونه قد تخلى من الدنيا ويظنون الترك أيسر شيء ، وما علموا أن الزهد لا يستقيم للزاهد حتى يحمل جسمه كأنه في نظام آخر غير نظام أعضائه ولا أشق من ذلك على النفس ؛ ومعجزة الزاهد أنه مكلف أن يخرج للناس أقوى القوة من المعاني التي هي عند الناس أضعف الضعف ؛ ولو أن ملكاً عظيما تعب في جمع الدنيا وفتح الممالك حتى حيزت له جوانب الأرض لكان عمله هذا هو الوجه الآخر لتعب الزاهد في مجاهدة هذه الدنيا وتركها

***

قال أحمد بن مسكين : وقصصتُ عليهم القصة فقلت : كان أبو عامر قبيصة بن عُقبة كثير الفكر في الشيطان يود لو رآه وما له الكلامَ ، وكان يتدبر الأحاديث التي صح ورودُها فيه ويفسر معنى الشيطان بأنه الروحُ الحيُّ للخطأ على الأرض ؛ والخطأ يكون صواباً محولاً عن طريقته وجهته ، ولهذا كان إبليس في الأصل ملَكا من الملائكة وتحوّل عن طبيعته حين خلق آدم عليه السلام ، أي وجد في الكون روحُ الخطأ حين وجد فيه الروحُ الذي سيخطئ . فلما هبط آدم من الجنة وحُرِمها هو وزوجُه وذُريته كان إبليس لعنه الله هو معنى بقاء هذا الحرمان واستمراره على الدهر ، فكأن هذه الآدمية أُخرجت من الجنة وأخرجت معها قوة لا تزال تصدُّها عنها ليضطربا في الكفاح ملياً من زمن هو عمرُ كل إنسان ، وهذا هو العدل الآلهي ، لم يعرف آدم حق الجنة فعوقب ألا يأخذها إلا بحقها ، وأن يقاتل في سبيل الخير قوة الشر

وبات أبو عامر ذات ليلة يفكر في هذا ونحوه بعد أن فرغ من صلاته وقراءته ، ثم هوّم فكان بين اليقظة والنوم ، وذلك حين تكون العينُ نائمةً والعقل لا يزال منتبهاً ، فكأن العينَ متراجعةٌ تبصر من تحت أجفانها بصراً يشاركها فيه العقل . فرأى شيخُنا أبو عامر صورة ابليس جاءه في زيّ رجل زاهد حسن السَّمْت طيب الريح نظيف الهيئة ، وكاد يشبَّه عليه لولا أنه قد عرفه من عينيه فان عيني الكاذب تصدقان عنه ، وقد علم الله أن الكاذب آدميٌّ قَفْر فجعل عينيه كالعلامات لمن خاض الفلاة

وظهر الشيطان زاهداً عابداً تقياً نقياً كأنه دين صحيح خلق بَشَراً فصرخ به أبو عامر : عليك لعنة الله ! أمعصية في ثوب الطاعة ؟

---

(١) دعانا إبليس لعنه الله مداعبة ثقيلة في كتابة هذا المقال وسنقص للقراء حكايته إن شاء الله

(٢) توفي ابن شجاع هذا سنة ٢٤٤ وكان من حفاظ (بلخ)

(٣) الطنز التهزؤ والتهكم ولعل منه كلمة (ضظ) عند العامة

(٤) توفي سنة ٢١٥

قال ابليس : يا أبا عامر ! لولم تقل المعصية إنها طاعة لم يقارفها أحد . وهل خلقت الشهوات فى نفس الانسان وغرزته إلا لتقريب هذه المعاصى من النفس ، وجعل كل منها طاعة لشىء ما ؛ فتقع المعصية بأنها طاعة لا بأنها معصية . أولا ترى يا أبا عامر أن الحيلة محكمة فى الداخل من الجسم أكثر مما هى محكمة فى الخارج عنه ، وأنه لولا أن هذا الباطن بهذا المعنى وهذا العمل لما كان لظاهر الوجود كله فى الانسان معنى ولا عمل ؟

قال الشيخ : عليك لعنة الله ! فما أرى الموت قد خلق إلا ردا عليك أنت ليتبين الناس أنك المتلئ المتلئ ولكنك الفارغ الفارغ ؛ بل كل شهواتك سخرية بك وردٌّ عليك ، فلا طعم للذةٍ من لذاتك إلا وهى تموت ، وإنما تمامُ وجودها ساعة تنقضى ؛ ومتى قالت اللذة قد انتهيت ، فقد وصفت نفسها أبلغ الوصف

قال إبليس : يا أبا عامر ولكن اللذة لا تموت حتى تلد ما يبقيها حية ، فهى تلد الحنينَ اليها وهو لا يسكن حتى يعود لذة تنقضى وتلد

قال الشيخ : معانى التراب ، معانى التراب ؛ كل نبتة فيها بذرتها . ولكن عليك لعنة الله لماذا جئتنى فى هذه الصورة ؟

قال ابليس : لأنى لا ألبس إلا محبةَ القلب الآدمى ، ولولا ذلك لطردتنى القلوب كلها وبطل عملى فيها ؛ وهل عملى إلا التلبيس والتزوير ؟ أفتدرى يا أبا عامر أنى لا أعترى الحيوان قط ؟

قال الشيخ : لأن الحيوان لا ينظر الى الشىء إلا نظرةً واحدة هى نظره وفهمُه معاً ، فلا محل للتزوير مع هذه النظرة الواحدة ؛ وصدق الله العظيم : « هل أُنَبِّئُكم على من تَنَزَّلُ الشياطين ؟ تَنَزَّلُ على كل أفَّاك أثيم » فأنت أيها الشيطان التزوير ، والتزوير موضعه الكذب . فمن لم يكذب فى الفكر ولا فى النظر ولا فى الفهم ولا فى الرجاء فليس لك عنده عمل

قال ابليس : يا أبا عامر ! وهل ترى رحمك الله أعجب وأغرب وأدعى إلى الهزء والسخرية من أن أعظم العقلاء الزهاد والعُبَّاد هو فى جملة معانيه حيوان ليس له إلا نظرة واحدة فى كل شىء ؟

قال الشيخ : عليك وعليك ؛ إن الحيوان شىء واحد فهو طبيعة مسخَّرة بنظامها ، ولكن الانسان أشياء متناقضة بطبيعتها ، فألوهيتُه أن يُقِرَّ النظامَ بين هذه المتناقضات كأنما امتُحن وأعطىَ من جسمه كونا فيه عناصرُ الاضطراب وحوله عناصر الاضطراب ثم قيل له دَبِّره

فضحك إبليس . قال الشيخ : مم ضحكت لعنك الله ؟

قال : ضحكت من أنك أعلمتنى حقيقة الابليسية ، فزهادهم الصالحون لأن يكونوا أعظم الأبالسة

قال الشيخ : عليك لعنة الله فما هى تلك الحقيقة التى زعمت ؟

قال إبليس : والله يا أبا عامر ما غلا انسان فى زعم التقوى والفضيلة إلا كانت هذه هى الابليسية ؛ وسألتك يا أبا عامر حقيقة الزهد والعبادة . فلا تقل أنها ألوهية تقر النظام بين متناقضات الانسان ومتناقضات الطبيعة

قال الشيخ : وتسخر منى لعنك الله ؟ فمتى كنت تعلَم الحقيقة والفضيلة ؟

قال إبليس : أولم أكن شيخ الملائكة ؟ فمن أجدرُ من شيخ الملائكة أن يكون عالما ومعلِّما ؟

قال : عليك لعنة الله فما هى حقيقة الزهد والعبادة ؟

قال إبليس : حقيقتها يا أبا عامر هى التى أعجزتنى فى نبيكم

قال الشيخ : صلى الله عليه وسلم فما هى ؟

قال إبليس : هى ثلاث بها نظام النفس ونظام العالم ونظام اللذات والشهوات : أن تكون لك تقوى ، ثم يكون لك فكر من هذه التقوى ، ثم يكون لك نظر إلى العالم من هذا الفكر . ما اجتمعت هذه الثلاث فى إنسان إلا قهر الدنيا وقهر إبليس

فان كانت التقوى وحدها كتقوى أكثر الزهاد والرهبان ، فما أيسر أن أجمل النظر منها نظر الغفلة والجبن والبلادة والفضائل الكاذبة ؛ وإن كان الفكر وحده كفكر العلماء والشعراء فما أهون أن أجمل النظر به نظر الزيغ والالحاد والبهيمية والرذائل الصريحة

قال الشيخ : صدق الله العظيم : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مُبصرون »

قال إبليس : يا أبا عامر ! ما يضرنى والله أن أفسِّر لك ان قارورة من الصِّبغ لا تصبغ البحر ، وأما أعد الزهاد والعلماء المصلحين فأضعهم فى الناس بجانب كل واحد منهم مئة ألف امرأة مفتونة ومائة ألف رجل فاسق ومائة ألف مخلوق ظالم ، ولو أنك صبغت البحر بملء قارورة حمراء لما صبغت البحر الانسانىّ

بالزاهد والصالح ما دام الصالح شيئاً غير السيف ، وما دام الزاهد شيئاً غير الحاكم

قال الشيخ : لعنك الله من شيطان عارم ، فاذا وضعت الصالح بين مائة ألف فاسد فهل هذه إلا طريقة شيطانية لأفساده ؟

قال إبليس : ومائة ألف امرأة فتانة مفتونة يا أبا عامر كل واحدة تحسب جسمها . . .

فصرخ الشيخ : أغرُبْ عني عليك لعنة الله !

قال إبليس : ولكن الآية الآية يا أبا عامر . لقد لقيتُ المسيح وجرّبته وهو كان تفسيرها

قال الشيخ : عليه السلام ! وعليك أنت لعنة الله ! فكيف قال ؟ وكيف صنع ؟

قال إبليس : ألفيتُه جائعاً فى الصحراء لا يجد ما يطعمه ولا يظن أنه يجد ولا يرجو أن يظن ؛ ثم قلت له : إن كنت روحَ الله وكلمته كما زعم فمر هذا الحجر ينقلب خبزا . فكان تقيا فتذكر فاذا هو مبصر ، فقال : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان . فمثل هذا لو مات جوعاً لم يتحوّل ، لأن الموت إتمامُ حقيقته السامية فوق هذه الدنيا ، ولو مُلئت له الدنيا خبزا وهو جائع لم يتحول ، لأنه بصرا من فوق الخبز إلى حقيقته السماوية ؛ فليس بالخبز وحده يحيا بل بمعان أخرى هى إشباعُ حقيقته السماوية التى لا شهوة لها

ثم ارتقيت به إلى ذروة جبل وأريته ممالك الخافقين كشفتها كلها لعينيه وقلت له : هذا كله لك إذا أنت سجدتَ لى . فكان متقيا فتذكر فاذا هو مبصر : أبصر حقيقة الخيال الذى جسَّمتُه له وعلم أن الشيطان يعطى مثل معانى هذه الممالك فى جرعة خمر ، كما يعطيها فى ساعة لذة ، كما يعطيها فى شفاء غيظ بالقتل والأذى ، ثم لا يبقى من كل ذلك باق غير الاثم ، ولا يصح منه صحيح إلا الحرام . ومن ملك الدنيا نفسها لم يبق لها إذا بقيت له ، فهى خيال فى جرعة الحياة كما هى خيال فى جرعة الخمر

يا أبا عامر ؛ إن هذا النظر الذى وراءه التذكر الذى وراءه التقوى التى وراءها الله ، هذا وحده هو القوة التى تتناول شهوات الدنيا فتصفّيها أربع مرات حتى تعود بها إلى حقائقها الترابية الصغيرة التى آخرها القبر وآخر وجودها التلاشى

فالبصر الكاشف الذى يجرد الأشياء من سحرها الوهمى ، هذا هو كل السر .

***

قال الشيخ : لعنك الله فكيف مع هذا تفتن المؤمن ؟

قال إبليس : يا أبا عامر هذا سؤال شيطانى . . . تريد ويحك أن تحتال على الشيطان ؟ ولكن ما يضرنى أن أفسرها لك . ليس الايمان هو الاعتقاد ولا العمل ، ولو كان من هذين لما شقّ على أحد والصالحات الدنيا وأهلها . إنما الايمان وضعُ يقين خفىّ يكون مع الغريزة فى مقرها ، ويصلح أن يكون فى مقرها لتصدر عنه أعمالُ الغريزة . وهذا اليقين لا يصلح كذلك إلا إذا كان يقيناً ثابتاً بما هو أكبر من الدنيا فيرجع إليه الانسان فيتذكر فيُبصر . هناك ميراث من الآخرة للمؤمن ، فاليقين بهذا الميراث هو سر الايمان

والعمل الشيطانى لا يكون إلا فى إفساد هذا اليقين وممارضة الخيال العظيم الذى فيه بالحقائق الصغيرة التى تظهر للمغفل عظيمة كما تشب نار أكبر من قرص الشمس ثم يقال للأبله انظر بعينيك فيصدق أنها أكبر من الشمس

ومتى صغر هذا اليقين وكانت الحقائق الدنيوية أكبر منه فى النفس ، فأيسر أسباب الحياة حينئذ يفسد المعتقدَ ويسقط الفضيلة ، وبدرهم واحد يوجد اللص حينئذ

أما إذا ثبت اليقين فالشيطان مع الانسان يصغر ثم يصغر ، ويعجز ثم يعجز ، حتى ليرجع مثل الدرهم إذا طمع الطامع أن يحمل الرجل الغنى الكثير المال لصاً من اللصوص بهذا الدرهم

قال الشيخ : لعنك الله ! فان لم تستطع إفساد هذا اليقين فكيف تصنع فى فتنة المؤمن ؟

قال إبليس : يا أبا عامر إن لم أستطع إفساد اليقين زدته يقيناً فيفسد ، واستحسان الرجل لأعماله السامية قد يكون هو أول أعماله السافلة . وبأى عجيب يكون الشيطان شيطانا إلا بمثل هذا ؟

***

قال أحمد بن مسكين : وغضب الشيخ فمد يده فأخذ فيها عنق إبليس وقد رآه دقيقاً ، ثم عصره عصراً شديداً يريد خنقه فقهقه الشيطان ساخرا منه . وينتبه الشيخ فاذا هو يشد يده اليمنى على يده اليسرى ... ...

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

الضمير

للدكتور ابراهيم بيومي مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

غامض في لفظه غموضه في معناه، ومستتر رغم ما يبرز من آثار؛ هو أقرب الأشياء منا وألزمها لنا، بل يكاد يكون كل شيء فينا: «والمرء بأصغريه قلبه ولسانه» بيد أنا إن حاولنا توضيحه توارى بالحجاب وأمعن في الاستتار والخفاء. نؤمن بوجوده دون أن نراه أو نفهم في وضوح حقيقته؛ وكيف ننكره وفي إنكاره إنكار لأنفسنا وهدم الدعامة الأولى من دعائم شخصيتنا؟ يأمر فيطاع، وينهى فيستمع له، ويسر ويحزن، ويخالط عواطفنا وأحوالنا النفسية على اختلافها؛ يعقد محكمته في أسرع من لمح البصر، ويصدر أحكاما غير قابلة للنقض والابرام. لذلك اتجه إليه الواعظ في وعظه؛ وناداه رجل الدين في نصحه، وجعله الأخلاقي أساساً لدرسه، وتولاه عالم النفس بالبحث والتحليل

يغلب على الظن أن العرب لم يستعملوا كلمة «ضمير» بمعناها الخلقي والنفسي الذي اصطلحنا عليه الآن؛ فإنهم أطلقوها على القلب والباطن والسريرة فحسب. وهذا المعنى، وإن كان يقرب من العرف الحاضر، متميز منه تمام التميز. وفلاسفة الإسلام ومتصوفوه، رغم تحليلهم الدقيق لبعض العواطف النفسية كالعشق والشوق والندم والتوبة لم تجر كلمة «ضمير» على لسانهم إلا في دوائر تختلف كثيرا عما نحن فيه، ويظهر أن العرب قد استعاضوا عن هذه الكلمة بلفظة «زاجر» التي تؤدي معناها بعض الأداء: «من لم يكن له من نفسه زاجر، لا تنفعه الزواجر» فكلمة «ضمير» بمدلولها الفلسفي وضع حديث واستعمال يرجع به العهد فيما نعتقد، إلى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حين بدئ في ترجمة كلمة conscience الأجنبية؛ وهذه الترجمة - وإن تكن صادقة في جملتها - مثار غموض واشتباه؛ لأنها تعبر عن الضمير الخلقي والنفسي بلفظ واحد. إلا أن اللغة الفرنسية وقعت في هذا الغموض من قبل واستعملت لفظاً مشتركا للدلالة على الضمير من حيث مظاهره الخلقية وأحواله النفسية. وقد تنبه الألمان والانجليز إلى هذا فخصوا الضمير النفسي بلفظ يميزه من الضمير الخلقي، وأصبح لعالم النفس كلمة يدل بها على الضمير غير تلك التي يستعملها الأخلاقي[1] وما أجدر كل اصطلاح بأن يوضع له لفظ خاص يناسبه[2]؛ غير أنه لا يفوتنا أن نلاحظ أن هذه التفرقة اللفظية إنما يراد بها فقط فصل العلوم بعضها عن بعض وقصر كل فن على مصطلحات معينة.، وإلا فالواقع يشهد أن الضمير الخلقي هو الضمير النفسي ملحوظاً فيه معنى الخير والشر. فليس في الانسان ضميران يفصل أحدهما في الأحكام الخلقية ويتولى الآخر الأحوال النفسية. لكل منا ضمير واحد قد تتنوع أسماؤه بتنوع مظاهره ووظائفه

لم يعن الأغريق بموضوع الضمير ولم يدرسوه الدراسة اللائقة به لا من الناحية الاخلاقية ولا من الناحية النفسية، ذلك لأن الأخلاق كانت تعتمد عند فلاسفتهم الأول على أساس اجتماعي. فأفلاطون كان يتعزى عن شقاء الأفراد بما كان يرجو من سعادة الجمعية؛ وارسطو لا يكاد يفصل الحياة الخلقية من الحياة السياسية. نعم إن الأبيقوريين والرواقيين قد نحوا بالأخلاق منحى فرديا، وحاولوا أن يؤسسوا سعادة الفرد على الفرد نفسه؛ ولكنهم ذوو نزعة مادية تتنافى مع التحليل الروحي للضمير. ومن الناحية السيكلوجية نلاحظ أنه فات الأغريق، بل القدامى عامة أن يتميزوا وحدة الظواهر النفسية، التي هي أثر من آثار الضمير. وإن من جهل هذه الوحدة أو قال بنظريات تناقضها لا يستطيع أن يفهم الضمير على وجهه الصحيح. وفوق هذا فإنهم كانوا يخلطون بين الضمير وبعض الأحوال النفسية؛ فأفلاطون مثلا لا يفرق بينه وبين المعرفة، وأصحاب الرواق يطلقونه على معرفة الحق والباطل. وقد بقي أمر الضمير مهملا إلى أن جاء صوفية القرون الوسطى من مسيحيين ومسلمين فأعاروه جانباً من العناية والدرس. والتصوف، وهو علم القلوب، لا يمكنه أن يغفل مشكلة الضمير وينسى ركناً تقوم عليه المناجاة الروحية. لذلك نسمع رجلا كأبيلارد بين المسيحيين يحدثنا عن الضمير وأثره في الأعمال الخلقية؛ كما نرى الغزالي مثلا بين المسلمين يشرح مراقبة

---

(١) نعلم أن الفرنسيين يستعملون من غير تمييز كلمة conscience في أبحاثهم الخلقية والسيكلوجية، وقد يضيفون إليها أحياناً وصفاً مخصصاً فيقولون: conscience morale et conscience psychologique
أما الألمان والانجليز فيسمون الضمير الخلقي: Gewissen, conscience
والضمير النفسي: Bewusstsein, consciousness

(٢) قد يسمى الضمير النفسي الشعور، وفي هذه التسمية ما يدل على وظيفته وإن كانت لا تبين تماما حقيقته

النفس وقوة المحاسبة التي يمكن أن تنطبق على الضمير بمعناه الحديث . غير أن هذه المحاولات في جملتها محدودة وجزئية .
وإلى رجال العصور الحديثة يرجع الفضل في شرح موضوع الضمير ومنحه ما يتطلب من عناية ومجهود . وتكاد تكون المدرسة الأبيقورية أول من تنبه إلى هذا الجانب الهام من النفس وإلى أثره في الأخلاق . ثم تبعتها مدارس أخرى اقتفت رأيها أو ردت عليها ، إلى أن جاء وليم جيمس وبرجسون فدرسا الضمير دراسة نفسية قضت على كثير من النظريات القديمة ، وغيرت مجرى التفكير في علم النفس إلى حد كبير . ولم يفت الاجتماعيين المعاصرين أن يعرضوا لمشكلة الضمير ويوضحوها على ضوء البيئة والظروف الاجتماعية . وهذه الدراسات مجتمعة ترمي إلى تحديد ماهية الضمير وحقيقته ، وبيان أصله وطبيعته ، وتوضيح قيمته ووظيفته ، ثم إلى اثبات تنوعه بتنوع الأفراد والجماعات ، وتطوره تبعاً لاختلاف العصور والأجيال

في قرارة نفوسنا وحيث تتكون أفكارنا وتمد أحكامنا ، هناك رقيب ملازم يشهدها ويقفنا عليها أولا فأولا ؛ هذا الرقيب هو ضميرنا والشعور الروحي الذي نحس به على أثر أية حركة من حركاتنا النفسية ، والالهام المستمر الذي ينقل إلينا كل ما يجول بالخاطر . فالمرء حين يفكر يشعر في الوقت نفسه بما يصنع ، ويدرك أن تفكيره من عمله وقطعة منه . وكذلك شأنه حين يفارق أو يوازن أو يتذكر معلومات قديمة أو يقضي في أمر بقضاء ما ، أو يسر أو يحزن ، أو يحب أو يبغض . وشعور الانسان بتفكيره وإدراكه لخفايا قلبه ليس إلا معرفته لنفسه ووقوف روحه على ما تعمل . وعلى هذا فالضمير جزء لا ينفصل من الظواهر النفسية وأساس لكل أعمالنا الباطنية . هو الشخصية في صورتها البسيطة المجردة ومبعث النور الأول في الحياة العقلية . وخطأ أن نعده قوة مستقلة ومتميزة من الأحوال النفسية كالعين تتميز من الشيء المرئي . فقد انقضى الزمن الذي كان يقال فيه بتقسيم النفس إلى قوى منفصلة تقوم كل واحدة منها بعمل خاص . ولسنا في حاجة لأن نقرر هنا أن في الانفعالات مثلا قدراً من التفكير لا يصح انكاره ، كما أن الجانب الفكري للانسان في أرقى صوره مشوب ببعض العواطف والميول . على أن القول بالقوى إن صح تصوره بالنسبة لبعض مظاهر النفس ، فواضح عدم انطباقه على الضمير الذي هو الشكل العام ونقطة الاشتراك والصورة الرئيسية لكل الأعمال العقلية . والمدرسة الأبيقورية وإن كانت من أول من عني بموضوع الضمير بين المحدثين أساءت من ناحية أنها عدته قوة قائمة بذاتها وشبهته بأحد النظارة يشهد رواية الحياة النفسية دون أن يقاسم فيها بنصيب [1]

وإذا كان الضمير شعور النفس بما تعمل ، فسهل أن نميز في هذا الشعور درجات بعضها أوضح من بعض . ففي اللحظات التي بين اليقظة والنوم نشعر بما يجري في نفوسنا شعوراً مبهماً غير محدود ؛ والأحلام والرؤى تتصل من غير شك بالضمير في أغمض صوره ، أو إن شئت فهما مرحلة العقل الباطن ، فإن جاوزنا هذه المرحلة وجدنا أحوالا نفسية واضحة بعض الشيء إلا أنها سريعة وغير متمركزة ، وما ألصق هذه الأحوال بالأعمال المادية والأمور المألوفة ؛ فالضمير يدركها دون أن يقف أمامها طويلا . وبعد هاتين المرحلتين نصل إلى درجة فيها تفكير وروية وتذكر وانتباه وبحث ومجهود . وهنا تبدأ المعرفة الحق ويدرك الضمير عمله في وضوح . وعلماء نفس الطفل المعاصرون وعلى رأسهم كلاارد (Claparéde) وبياجيه (Piaget) قد خصوا هذه المرحلة بقدر كبير من العناية ، وبينوا كيف يخطو الناشئ نحو إدراك نفسه وتكوين معلوماته ؛ ثم تجيء أخيراً مرحلة التفكير الانساني في أسمى صوره ، حيث تعرض المشاكل العلمية والفلسفية ، ويجهد الانسان نفسه في تفهمها وقلبها على وجوهها رجاء أن يصل إلى حل واضح مقنع ، وما هذه المرحلة إلا امتداد لسابقتها وصورة مكبرة لها ؛ والأبحاث العقلية في جملتها عمل للضمير ، ومبعث نضال نفسي مستمر يراد به الوصول إلى الأفكار الجلية النيرة

يزداد فهمنا للضمير إذا بينا الخصائص التي تمتاز بها مظاهره ؛ وقد عني جيمس وبرجسون بشرح هذه الخصائص وتوضيحها التوضيح الكافي ؛ وأول شيء نلاحظه في الظواهر النفسية هو اختلاطها وتشعبها ؛ فلا نكاد نجد أنفسنا أمام ظاهرة واحدة منعزلة ، بل دائماً أمام مجموعات من أحوال نفسية مختلفة ، أو كما يقول جيمس أمام حقول اكتسى بساطها بشتى الأزهار

---

(١) Th. Reid. Essai sur fac. intell., III,2.

والألوان (fields of cansciousnes) فى ظاهرة نفسية واحدة ، تلاقى احساسات متنوعة ، وذكريات قديمة ، وعادات ثابتة ، وأفكار عديدة ، وأحكام وتعليلات ، وموازنات لا حصر لها ؛ وهذه الأحوال النفسية كالأمواج الزاخرة تجرى وتتغير من غير انقطاع ؛ ومن هنا جاء تعبير جيمس المشهور : تيار الفكر أو تيار الضمير[1] . فاحساسنا بشيء فى حال اليقظة تخالف عنه فى حال النوم ؛ وإدراكنا لأمر ونحن متعبون يختلف عن إدراكنا له ونحن مستريحون ؛ وشعور هذه اللحظة لا يتكرر مرة أخرى فى نفس الظروف والمناسبات التى اقتضته ، ولئن بدا تكراره لم يعدُ ذلك المظهر العام ؛ أما التفاصيل والجزئيات فمختلفة لا محالة ، وكأن حركة التفكير كنهر جار تتابع موجاته إلى ما لا نهاية دون أن تعود موجة سيرتها الأولى ؛ والفكرة الواحدة المستمرة التى تخطر ببالنا من حين لآخر دون تغيير أو تبديل أمر خيالى وبعيد عن الحقيقة[2] . فنحن نحس الآن على صورة خاصة لن تستمر فى اللحظة التالية ، وما دمنا أحياء فنحن عرضة للتغيير ، وما أصدق بسكال حين يقول :

« الزمن يشفى الآلام والأحقاد لأنا متغيرون ولا نحتفظ بشخصية واحدة ، فلا المسيء ولا المساء اليه يبقيان كما كانا[3] »

بيد أن القول بأن ظواهر النفس فى حركة وتغير مستمر ليس معناه أن فى تيار الضمير انقساماً أو انفصاماً أو تبايناً . فظواهر النفس فى حركتها تدور حول نقطة واحدة وتتصل بأساس ثابت ؛ وحياتنا الروحية فى هذا الصباح ترتبط بحياتنا أمس دون أن يحدث النوم أى فراغ أو انقطاع فى وحدتها . وعلى هذا فالحاضر من أحوالنا النفسية يحمل فى طياته الماضى ويعد المستقبل ، وفى النفس حركة فى انفصال وتغير فى ارتباط . ومثل الحياة العقلية فى هذا مثل قطعة موسيقية مكونة من نغمات مختلفة ومتميزة قد امتزجت واختلط بعضها ببعض وأنتجت لحناً منسقاً . وما ذلك إلا لأن أحوال النفس جميعاً متصلة بشخصية معينة ، ومنجذبة نحو مركز واحد ، ومنبعثة من شمس الضمير الوحيدة . وأوضح شيء فى عمل النفس أنه يستلزم فاعلا ؛ ففكرة ما إما أن تنسب إلى أو إليك أو إلى زيد من الناس . والفكرة التى لا أب لها لا أصل لها ولا وجود ؛ على أنها إن وجدت فلا سبيل إلى تعرفها والتأكد منها ، لأن ما نتبادله من أفكار إنما هو عمل أشخاص معينين محدودين .

من خصائص مظاهر الضمير التى ألممنا بها سراعا تتبين بطلان المذهب الذرى الذى يزعم أن الحياة العقلية بأسرها ترجع الى جملة أفكار بسيطة التقت وارتبطت ونتجت عنها أفكار أخرى مركبة ؛ ومجموع هذه وتلك مسود بقانون تداعى المعانى . فالظواهر النفسية تتلخص فى جملة وحدات وضع بعضها بجانب بعض ، وفى مجرد انضمامها ما يكفى لتكوين حياة عقلية . تلك هى نظرية لوك ومن جاء بعده من رجال المدرسة الانجليزية أمثال هيوم وميل وبين وسبنسر . ولا يبعد عن هذه النظرية كثيرا ما قال به كوندياك الفرنسى من أن الروح ليست إلا مجموعة صور حسية توزعت الى طوائف عدة فنشأت عنها القوى النفسية المختلفة . وكلتا النظريتين تهدم فكرة الضمير من أساسها ، ولا ترى فى النفس شيئا سوى ما يمليه الحس . لذلك قام فى وجهها الأبيقوريون من جانب ، ومين دى بيران من جانب آخر ، مثبتين أن فى الروح حياة وقوة تجاوز المدركات الحسية ، ولولا هذه القوة وتلك الحياة ما نظمت آثار الحس ، ولا نتجت عنها أفكار مستقيمة . هناك روح ، هناك نفس ، هناك شخصية ، أو هناك ضمير ، سمه ما شئت ، والمهم أن الظواهر العقلية ليست مجرد أوضاع لصور حسية ، أو لوحدات متحجرة لا حياة فيها ، ولا تستطيع بالأولى أن تبعث الحياة فى غيرها . وأعمال بينيه ، ومدرسة فورتسبورج الالمانية وجيمس وبرجسون فى الحين سنة الأخيرة قائمة على شرح هذا الرأى ونصرته

والآن وقد اتضح الضمير فى مظهره النفسى ، يجدر بنا أن نفرق بينه وبين الضمير الخلقى ، أو أن نحدد بعبارة أدق مهمته من الناحية الأخلاقية . فى حين أن الضمير النفسى يقفنا على ما يجرى فى داخلنا ، ويشاطر فى الظواهر العقلية على اختلافها . يعنى الضمير الخلقى باصدار الأوامر الصالحة والحكم على الأعمال الانسانية . فاذا ما تعلق بالمستقبل بدا أثره كصوت خفى يأمر وينهى ، وإذا حكم على الماضى صحبت حكمه عواطف كثيرة من سرور وألم . « فصوت الضمير » هو ذلك النداء الخفى والوحى

(١) stream of thought or stream of consciousness.

(٢) W. Fames, Principles of Psychology I, pp. 231 ss. — H. Bergson, Evolution créatrice, pp. 2s s.

(٣) Pascal, Pensées, frag. 122.

تلخيص كتاب :

الحاكمون بأمرهم
LES DICTATEURS
تأليف جاك بانفيل

بمناسبة وفاته فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

للأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى

« أيها العظماء ! هل تريدون المجد ؟ موتوا »
فكتور هيجو

وهذا أيضاً رزء فادح نزل بفرنسا ، إذ لم يكد جاك بانفيل يتبوأ مقعده بين الخالدين فى كرسى الرئيس بوانكاريه فى مارس الماضى حتى اختطفته يد المنون من مجاسه الرفيع ؛ وهكذا فقدت فرنسا والمجمع فى ثلاثة أعوام متعاقبة ثلاث كفايات متقاربة . فذهب بوانكاريه « الذى لا يرتشى L'incomuptible » ثم ذهب «لويس مارتو» صاحب « ميرابو » وصاحب «دانتون» ، وأخيراً مات بانفيل

كان الثلاثة دعاة كبارا لمجد فرنسا ؛ ولكم شنوا الغارة على موجة الاشتراكية التى اجتاحت على أرض فرنسا فردتها خطوات واسعة إلى الوراء

كان بوانكاريه فى الحرب وفى السلم ، وفى قصر الأليزيه أو فى (الكى دورسيه) أو فى « المحكمة » فرنسياً وفرنسياً فقط ؛ وهكذا كان الشهيد « بارتو » حتى فى « مصرعه » أما بانفيل فقد كان قلمه قوة فوق القوى . . . ولما استقبله « دوماى » عميد الأكاديمية فى ٧ نوفمبر الماضى قال له : « إن المجمع يخلى بينك وبين مقعد الرئيس بوانكاريه ، فلقد استطعت أن تقول للملأ الأعلى وللعالم أجمع ما كان يمنعه مركزه السياسى من أن يقول »

مات رجل كان فرنسياً من قمة رأسه إلى أخمص القدم . . مات رجل كم حمل على إنجيل « سنت هيلين » ذلك الانجيل الذى دعا فيه بونابرت إلى خلق الدول التى زلزلت من بعد أقدام فرنسا فى الوجود . . مات أكبر أعداء ألمانيا !

فى كتابه عن « نابليون » وفى كتابه « تاريخ ثلاثة أجيال » ، وفى كتابه « تاريخ فرنسا » ، وفى « الجمهورية الثالثة » ، وفى « تاريخ ألمانيين » ، وفى حملاته الكبرى مع شارل موراس وليون دوديه أبطال الحكم الملكى كانت توضع « مقايسة » جديدة لانشاء جيل جديد

كنت أقرأ له منـــذ أيام آخر كتاب أخرجه للناس « les dictateurs » وكان يقعدنى العمل أو الكسل عن أن أنقل عنه كلمة للأدباء قراء (الرسالة) ، فلما مات وضجت لموته فرنسا ، ووقعت معارك « الاكسيون فرانسيز » ، وكان الاعتداء على زعيم الاشتراكيين « ليون بلوم » كان علينا أن نلخص كتابه للناس

* * *

وضع الناشر على الكتاب عبارة تنبىء عن غاية الكتاب قال : « لا تحكموا عليهم قبل أن تعرفوهم » وقدم المؤلف له بقوله « . . . الدكتاتورية ككثير من الأشياء قد تكون أسوأ نظام الحكم وربما كانت خير نظام ؛ ولئن كانت خيراً أو شرا فإن الظروف تلجىء إليها أحياناً فيخضع الناس لها دون أن يكون لهم حق الخيار . . . فعلى الشعوب ألا تضع نفسها فى مثل هذه الظروف .. » وينقش المؤلف ما يظنه البعض من أن الدكتاتورية اختراع ابتدعه العصر الحديث ، فما هى إلا سيرة معادة من سير العصور الغابرة ؛ ثم يعبث عبثاً مريرا بأحد الساسة الذى أطلق على أول دكتاتور معاصر لقب « قيصر الكرنفال » ، لربما كانت الدكتاتورية سدا يقام أمام طوفان الشيوعية الحمراء أو الديمقراطية الرعناء ؛ ولطالما كانت نداءاً حاراً للمساواة بين الناس ، أو لتهذيب شرة رأس المال ؛ وكثيراً ما كانت لاقرار نظام النقد إذا شالت به كفة الميزان

يهبط بانفيل ببحوثه إلى أعمق أغوار التاريخ قبل الميلاد فيفتتح الكلام ببحث عن « طغاة الاغريق les lyrans » وأولهم أول مشترع عرفه التاريخ « صولون » ثم « بركليس » ثم يسرع

الشخصى الذى يدفعنا نحو غاية أو يصرفنا عنها . وهذا التعبير ربما يظهر من أصل دينى صوفى ؛ وقد جاء التحليل النفسى الحديث مؤيداً له فإن المرء حين يقضى فى أمر بقضاء ما ، يبدو كأنه تحت تأثير اتجاهات مختلفة ، إن ساد أحدها ارتفع صوته وصدر أمره . وإذا كان صوت الضمير مبعث الأمر والنهى فوخزه مصدر الندم والألم . وكم اتجه أشخاص نحو جلائل الأعمال امتثالا لأصوات ضمائرهم ! وكم انصرف آخرون عن الشر لأنهم عانوا وخز الضمير وما جلبه عليهم من شقاء وبلاء

(يتبع) إبراهيم مدكور

المؤلف بنا إلى روما وأبطالها الأربعة « ماريوس » و « سيلا » و « بومبى » و « يوليوس قيصر » ، وفى مجالته عنهم يضرب الأمثال ويذكر العبر . فهذا « ماريوس » يجشم جيشه مخاطر الحرب فى « نوميديا بافريقيا » ليثبت أقدامه فى روما تماماً ، مثلما يغامر « موسولينى » فى الحبشة ليقوى أسبابه لدى الطليان ... وهذان الفنصلان « سيلا وبومبى » يخوضان إلى الحكم فى بحار من الدم . وهذا « قيصر العظيم » قام ابتذل ومصالح القضاء وعدو الترف فى أساليب فشستية تذكر به أحفاد الرومان فى القرن العشرين فيديرون أعينهم نحو ذلك الطود الذى يسيطر على مصائر روما منذ أعوام

ثم يطوى التاريخ طيا ليقف بك أمام أول دكتاتور فى التاريخ الحديث فيسترعى نظره أن يكون « كرومويل » أول الدكتاتوريين ويكون فى نفس الوقت أبر أبناء أمة تسمى «أم البرلمانات» ، وكأن الدكتاتورية ظاهرة تبدو مع الثورات دائماً أو مع الديمقراطية أو مع النظام النيابى

نائب كمبردج فى سنة ١٦٢٨ وقائد الخيالة فى معترك الثورة سنة ١٦٤٤ ، ذلك الفيلق الذى اشتهر بأنه « الشاطئ الحديدى » والذى ارتفع على صهواته كرومويل إلى ذروة الزعامة المطلقة ، ذلك مثلما عبر هتلر على أكتاف القمصان السمراء ، وكما وصل موسولينى بقمصان سود ؛ فلما قتل شارل الأول واستتب الأمر للدكتاتور أعلن أن الحكم يومئذ للدين ، وفى ٢٠ ابريل سنة ١٦٥٣ ذهب إلى دار النيابة يقول : « هيا يا قوم ... كفانا - فقط » وحل المجلس وانفرط عقد المساكين وعلى بيده على باب البرلمان لوحة مكتوباً عليها « ... غرفة غير مفروشة للايجار ! ! ! » لكن الأيام مضت والى الطاغية نفسه وحيدا فأعاد البرلمان ، وأخيراً بعد ١٤ عاماً من الحرب الأهلية مات كرومويل وعاد شارل الثانى بعد أن تعلمت الأمة أن الملكية خير وأبقى ، ولكن بعد أن تعلم الملوك درساً

وهذا هو الكردينال العظيم : أبو فرنسا وأبو الأكاديمية يضع يده على مقاليد الحكم فهى فوضى مالها من قرار . فمن ملك حدث فى أكتاف أم طائشة يهدد ملكه أمراء طامحون ، إلى أمراء يمكنون لسيادتهم فى الأرض كأنهم لويس تعلو مفارقها التيجان ، إلى نزاع دينى بين « الهيجنوت » والدولة .. كل ذلك فى الداخل ، أما فى الخارج فبيت هبسبورج تقدح عيناه بالشرور ؛ لكن الأب « ريشيليو » لا ينهزم ، فيسلخ السنوات الأولى من « وزارته » فى أخلد كفاح سياسى عرفه التاريخ لوزير ، ويضرب الأمراء ضربات ليس فيها إشفاق ، ويقتلع نفوذ الهيجنوت من الأعماق ؛ وبعد أن يوطد دعائمه فى الداخل ، يبعث إلى النمسا بفيوض الحماسة الفرنسية لتنتصر عليها فى معارك دامية ! . . كم رسم المؤلف من رائع الصور وأسماها لهذا الأب وهو محموم ومحمول على محفة متواصمة يتنقل فيها بين أطراف الدولة ليستولى على قلعة أو ليخضع أميراً أو لينازل النمسا . . . ! كل ذلك وهو فى « جفن الردى وهو نائم » فان الأمراء لم ينصبوا له أقل من عشر مؤامرات دموية جهلاً منهم أن الفزع لا يعرفه قلب كهذا القلب ، بل التهديد يسكب فى أمثاله فيضاناً من الحياة ، فلا يتردد فى أن يستل من أحضان الملك صديقه (سانمارس) و (دى نو) ليقدمهما إلى المقصلة لأنهما وأضرابهما (مجرد خونة من الطراز المبتذل » ثم لا يتردد فى أن ينفى من فرنسا أم ملك فرنسا ، وعرسوم من الملك ! وبينما يلقاه الهيجنوت فظيعاً فى الحرب ، يراه زعيمهم « دى روهان » بديعاً فى السلام . . . هذا هو حاكم فرنسا المطلق ريشيليو

بعد ذلك صفحات مشرقة عن «الملك الشمس» الملك القائل : « أنا الدولة » لويس الرابع عشر الذى حكم حكما مطلقاً أكثر من نصف قرن لله أزهى عصور الملكية فى فرنسا أو فى التاريخ

ثم يعقد المؤلف فصلاً للكلام عن « وسائل الطغيان المستنير » فنعدده أن أصحاب الانسكلوبيديا ومنهم « ديدرو » لم يكن فيهم جمهوريون ؛ وحتى فولتير «Le roi Voltaire» كما كان يسميه فردريك الأكبر كان يفضل سلطة الفرد ؛ أما صاحب العقد الاجتماعى الذى كان يُفتى ويشير فى النظم والدساتير فكان يرى الحكم الجمهورى صالحاً للدول الصغيرة ، أما الدول الكبرى فلم يكن يراه نافعاً لها بل فى العقد الاجتماعى دفاع غير قليل دافع به « روسو » عن الحكم المطلق . وفى القرن الثامن عشر فلاسفة كبار كانوا يعتذرون عن الحكم المطلق حكم الفرد المستنير « نصير الاصلاح » الذى كان يسميه رينان Le bon tyran أى الطاغية الطيب ، وإذا كانت الثورة قد قضت على هذا النظام فان فرنسا عبدته فى شخص نابليون .. وفى الحق أنك لا تستطيع أن تنسى — فى عصرنا هذا — مقدار ما تحظى به من التأييد نظرية المفكرين المنازين « المفكرين الأرستقراطيين » وفحواها أن التقدم لا يمكن أن يأتى من الجماهير بل هى تساق اليه وراء طائفة من « الأفراد » الكفاة . . . وكثيراً ما يكونون منهم

وفى الثورة الكبرى طغى « روبسبير » فصار قطعة من طغيان الثورة الدموية أو المجزرة ، لكأنى به جملة من اسمها أو مقدمة من منطقها فلولاه ما إنتجت الثورة نابليون . . . وما أدراك ما نابليون ! ابن الثورة فى فرنسا ، وابن الجماهير فى كل الدنيا ؛ النجم الذى تلألأ فى الأفق على غير ميعاد ، والحلم الذى طاف بأجفان الانسانية حيناً من الليل ثم صحت تتفقده ؛ اللاعب الذى كان يحرك الملوك والشعوب على رقعة الدنيا كرقعة الشطرنج ؛ الفاتح الذى كان ينثر الحرية ، ويبذر المساواة ، ويعلم العلم ، فى المشرق والمغرب أنى أسال دم الفتوح ؛ المنشىء الأمم والجامع الأجناس ، واضع تصميم أوربا الحديثة

لقد كان المستبد الهائل ، أو المستبد العادل ، أو الطاغية

كانت كل السلطات فى يديه ، وكان الخير يتفجر منهما والشر والجريمة أحياناً

كان مشرعاً يضع بنفسه (قوانين نابليون) ، وكان يدير دفة السياسة فى الدنيا ، وكان يحيط بالجحفل اللجب فى أسترلتز ويكتب إلى جوزفين ! ! وكان يصدر مرسوم الكوميدى فرانسيز وهو يتفجع أمام حرائق موسكو ، وينظر إلى صورة « النسر الصغير » نابليون الذى سماه ألد عداته وهو «شاتوبريان» : « شاعر يعمل » ؛ أو كما قال أوكتاف إوبرى : « ابن الثورة الأكبر الذى أنشأ الدنيا الحديثة على أنقاض ما هدمته الثورة من الدنيا القديمة » والذى بنى الدول حتى بعد أن مات ! ! فبعث إنجيل سنت هيلين من الموت : إيطاليا وألمانيا وغيرهما فى القرن التاسع عشر ، ويوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ودول البلقان فى القرن العشرين ! ! حتى إذا فقد امبراطوريته فى قلب القارة دانت له أمبراطورية القلوب فى كل الدنيا فأصبح أغنية فى فم التاريخ وطنيناً فى سمع الزمن

أوليس من الفرنسيين كما قال « دوناى » من يقول اليوم : « ليته يعود ! » وهو هو الذى أجهد فرنسا وأضناها ؟ وهو هو الذى عبر عن نفسه بقوله : « أفلم يكن أفضل ألا أكون ولدت ؟ »

هكذا استهلت فرنسا القرن الماضى بأروع دكتاتورية عرفها البشر . ولما انطفأت شعلة « المارد القرشقى » وبعث من أعلى الصخرة انجيله فى سنت هيلين كانت من آياته « نظرية الجنسيات » التى أوسعها المؤلف تجريحاً فى كتاب « تاريخ ثلاثة أجيال » لأنها أنشأت الدول التى زعزعت فرنسا فى القارة ، أما هنا فهو لا يناقش وإنما يعرض ويترك القارئ للاستنتاج ، فيقدم اليه معجزة أخرى من معجزات الانجيل تلك هى تسنم ابن أخى نابليون رياسة الجمهورية ، ثم تتويجه نفسه مثل عمه امبراطوراً بالقوة فى ديسمبر سنة ١٨٥١ ولا يحمل على (نابليون الصغير) كما سماه هيجو ، فهو قد شرحه فى كتابه « تاريخ ثلاثة أجيال » بما نقله عن بسمارك لما أن قابله نابليون الثالث فى بيارتز فقال : une grande incapacité inconnue حالة عجز كبرى لا يعرفها الناس !

وهنا يعني بانفيل بأن يلفت قارئه إلى طريقة احداث الانقلاب السياسى ، فيقول إن الانقلاب الذى أحدثه نابليون الصغير كالانقلاب الذى أحدثه نابليون الكبير ليجعل نفسه قنصلا عاماً ، كان يقوم على أيدى رجال فى يدهم الحكم لأن الانقلاب الناجح تجب له قوة حكومية ليستقر وليستمر

أما دكتاتورية نابليون الصغير فظلت فى الداخل طويلا ، ولكنها لم تنجح ، وفى الخارج أهدر الدم الفرنسى فى المكسيك وأنشأ مبدأ الجنسيات خصوصاً لفرنسا ، وكان الامبراطور نفسه يقول « كيف تظن أن الأمور تسير على قاعدة ؟ إن الامبراطورة ملكية ! وأنا جمهورى ! ! وليس هنالك بونابرتى إلا برزينى»

وجاءت حرب السبعين ؛ وانتهت قصة الامبراطورية ، وحاول Boulanger فى سنة ١٨٨٩ أن ينشىء دكتاتورية على أكتاف الباريسيين فلم ينجح لأنه نسى أن الانقلاب يجب أن يكون بمعرفة رجال فى دست الأحكام

بعد ذلك يرتحل بنا (بانفيل) إلى أمريكا اللاتينية رحلة تشبه المغامرات ، فيستعرض طغاة غلاظ الأكباد كمصارعى الثيران أو أشد فروسية وعجباً ! ! ويشرح لك عمل الماسونية وعمل القسس فى التدمير والتعمير فى دقة تفوق حلاوة القصص وتسمو إلى حكمة التاريخ . وينتقل من المكسيك إلى أمريكا الجنوبية وبطلها (بوليفار) تلميذ الثورة الفرنسية وصاحب خطة « الولايات المتحدة الجنوبية » على نسق اتحاد الشمال ؛ هذا الجمهورى الواقعى الذى كان يقول « إن الديمقراطية المطلقة كالاستبداد المطلق ، كلاهما طغيان » . ثم يتحدث المؤلف عن دول أمريكا الجنوبية وطغاتها ، فى كولومبيا ، وفى أورجواى ، وبورجواى وشيلى والبرازيل طغاة فى كل عشر سنوات ، وفى بوليفيا التى خلعت على نفسها هذا الاسم تمجيداً « لبوليفار » ، ثم فى الأرجنتين التى طغى فيها (ردزاس) المصلح الفظيع ، دنا أحد المارة يوماً من بائع متجول يصيح : كستنا ! كستنا ! »

التاريخ فى سير أبطاله

مـــــيرابو

ميرابو ... تلك الأعجوبة !
جوته

للأستاذ محمود الخفيف



تتهيأ بواعث الحركات الشعبية وتتلاقى تياراتها على كر السنين ، وما تزال فى نموها واطرادهـا حتى ينفجر سكونها بغتة عن عاصفة ، ثم لا تلبث تلك العاصفة أن تتمثل فى مظهرين : فكرة ورجل ! على هذا النحو هبت العاصفة فى فرنسا عام ١٧٨٩ ، فأما عقيدتها فكانت ما أعلنته الثورة من مبادئ ، وأما رجلها فكان ميرابو

أجل ، كان ميرابو رجل الثورة فى أولى مراحلها ، ذلك لأنه حين ألقى بنفسه فى ركابها لم تلبث أن وجدت فى لسانه ترجمانها ، وفى شخصه عنوانها ؛ فلقد نبض قلبه بمشاعرها ، وامتلأ رأسه بآمالها ، وانطلق لسانه بأناشيدها ، وكان لها أكبر عون فى حدة ذهنه ، ويقظة وجدانه ، وقوة جنانه ، وسحر بيانه ، فألقت اليه مقاليدها برهة ، فلما التوت عليه واتخذت طريقاً يفضي إلى هلكتها وجدت فيه الرجل الوحيد الذى يبذل غاية جهده ليحجزها عن وجهها ، ثم لما قضى نحبه ، لم تدر ما تأكله فأكلت نفسها .

من أجل ذلك لا تستطيع أن تفهم الثورة حق الفهم دون أن تفهم ميرابو ، وكذلك لن تستطيع أن تعرف ميرابو أصدق المعرفة إلا فى غمار الثورة ، فما كان قبل الثورة إلا رجلا كمن حوله من الرجال ، بل لقد كان من عدة وجوه دون الكثيرين منهم ، فلما أفاقت على صيحتها نفسه ، أصبح الرجل الذى ينعدم قرينه فى الرجال !

ولكن ما جره عليه نكد طالعه قبل الثورة كان ذا أثر عميق فى سيرته يوم جن جنونها ، حتى لقد كان الناس على رغم إكبارهم مواهبـه فى لبس من أمره دائماً ، يفسرون آراءه واتجاهاته بما كان من ماضيه ، فصار وهو الكوكب الساطع فى سياسة وطنه يعانى مما انعقد حوله من الشبهات اضعاف ما يعانيه من غباء معاصريه ونزقهم .

عودته غلظة أبيه وسوء معاملته اياه الحنق عليه والكراهية له ، وأتت سياسته على العكس مما كان ينتظر ، وكان من الأشراف الذين يحلو لهم العناد ، فلم يدع وسيلة يرى فيها كسر شوكته إلا جربها ، حتى السجن أرسله اليه مراراً بواسطة تلك الخطابات الملكية المختومة التى كان لها حكم القانون .

ولكن السجن لم يردعه ولم يصرفه عن الاسراف والاستدانة ولما هم أبوه أن يرسله اليه مرة أخرى فر هارباً مع خليلة كان قد هام بها على الرغم من احتجاج زوجته ، وعلى الرغم من حدب بعلها عليه واكرام مثواه حين كان يزوره فى منزله .

وهنالك فى هولندا حينما أنفق ما حملته معها خليلته من المال لم يجد له مرتزقاً سوى الكتابة ، فوضع رسالة فى الحكم الاستبدادى ذاع بها اسمه بين الناس ، وأتبعها غيرها فى الاقتصاد وكانت له فيها آراء صائبة ، غير أن حياة التشريد قد ألقت به فى كثير من مواطن الزلل ، فكان يستدين مرة ويستجدى

فلما هم بالشراء منه خر الشارى صعقاً لأنه لم يجـد فى سلته إلا « رؤوس رجال » ، لكن الاصلاح والتقدم المادى كان يشفع لهؤلاء الجبابرة ، بل ولمثل « بلانكو » طاغية فنزويلا فى سنة ١٨٧٥ الذى قال كلمته المشهورة وهو على سرير الموت يستدبر الدنيا ويستقبل الله

القسيس : يا بنى سامح أعداءك

بلانكو : لا أستطيع يا أبت

القسيس : كيف يا بنى ؟

بلانكو : ليس لى أعداء ... لقد قتلتهم جميعاً !!

عبد الحليم الجندى

(البقية فى العدد القادم)

بعض ذوي الثراء حيناً ، ويلجأ إلى ناشري الكتب أحياناً يعركهم ويعركونه حتى يتقاضاهم بعض المال ثمناً بخساً لرسائله

وما كان ذلك الشقاء ليقهر نفساً لا تقهر ، بل لقد أوحى اليه الانتقام من أبيه ، فلما علم وهو في غربته بما شجر بينه وبين أمه من نزاع ومقاضاة ، كتب رسالة صغيرة يحمل فيها عليه ويرميه بالغباء والجهل في أسلوب لاذع ، وأرسل منها عددا إلى أمه ، ولكنها وقعت في يد أبيه ، فبلغ الحنق من نفسه كل مبلغ واستعمل نفوذه ، فاذا بابنه وخليلته يرسلان إلى فرنسا ، حيث ألقيا في السجن كل جزاء فعلته .

وكان السجن في هذه المرة قاسياً إذ حرم عليه أول الأمر كل ما يخفف عنه آلام وحدته ، ولكنه استطاع أن يسحر حراسه بقوة شخصه فأتوا له بما طلب من الكتب والورق والصحف ، فكان فيها بعض السلوى لنفسه الوثابة

ولقد لبث في الجسن بضع سنين ، أعاده بعدها أبوه إلى الحياة الطليقة ، وهو يظن أن السجن قد نال من كبريائه ، ولم يدر أن الأمر قد زاد عوده صلابة ، وعلمه كيف يروض نفسه على البأس ، وكيف يستهين بالألم إذا فكر أحد في ارغامه ، ولذلك عاد إلى التبذير والسفه ، ولج في عناد أبيه وسوء معاملة زوجه ، ثم أخذ ينشر من الآراء في المال والسياسة ما أغضب عليه كبار رجال الدولة ، فهم أبوه أن يلجأ من جديد إلى خطاب مختوم ولكنه هرب وطوف في انجلترا وبروسيا وسواهما من ممالك القارة وهو لا يكاد يجد ما يتبلغ به .

أكب في أسره على المطالعة ، فالتهم ما حمل اليه من الكتب التهاماً ، وكانت له مقدرة خارقة على استيعاب ما يقرأ ، ثم هيأت له أسفاره أسباب الخبرة الصحيحة ، فصاحب أخلاطاً من الناس ، ورافق أغاطا من الساسة ، وشاهد ألواناً من المجتمعات ، ومارس ضروباً شتى من الأخلاق والعادات

على أن أصالته كانت أعظم من كسبه ، كما كان وحي عبقريته أكبر خطراً وأبعد أثراً في تكييف سلوكه من كل مازودته به الكتب من آراء ، ولكن تلك العبقرية كانت في حاجة إلى ما يستثيرها ، كانت فيما يحيط به من ظروف العيش ، وما يكتنفه من الحوادث كالجمرة طغى عليها الرماد ، فما أن تهب العاصفة حتى تظهر وتتوقد وتبهر جذوتها القلوب والأبصار ، وما كانت العاصفة إلا الثورة وهي من وطنه على الأبواب .

بيد أنك تراه الآن ولما تواته الثورة يعيش من نفسه في ثورة ! فلقد كان بطبعه عسوفاً عنوفاً لا تعرف نفسه الهدوء كما لا يعرف جسمه الدعة ، يميل بكل ما في طاقته إلى النضال والتحدي ، فيحمى على المجادلة ، ويستمر على الجلاد ، ولا يستقر إلا على الظفر والتفوق .

وكان قلبه الكبير مليئا بالأحاسيس ، جياشا بالعواطف ، وكثيراً ما كانت حدة عاطفته مبعث مواقفه الفذة ومثار شجاعته حين كانت تستحكم الأزمات فلن يخرج الوطن منها إلا بشجاعته . وكان ذا مقدرة غريبة في إثارة العاطفة في قلوب من حوله حتى لكأنهم منه حيال ساحر عجيب ، وهو في فورته يتناول كل شيء ولا يكاد يتجه إلى فكرة حتى يثب إلى غيرها ، ولا يكاد يسنح له خاطر حتى تتوارد على رأسه الخواطر ، وما كان ليضيق بها ، بل لقد كانت على وفرتها أقل من أن تقنع روحه أو تشبع عاطفته . قال أبوه يصف توثب روحه : « إن روحه كالمرآة المتحركة ينعكس فيها كل شيء ولا يستقر فيها شيء »

ولقد كان من أظهر خلاله وأعظم قوى نفسه ، شدة تأثيره فيمن حوله ، يحس من يقترب منه هيبة خفية لا يتبين مبعثها ، وينجذب إليه من يستمع له انجذابا يبعث على العجب ! ولقد بلغ من شدة تأثيره أنه كان يحمل رجال السجن على احترامه بل على محبته ، وتلك عجيبة من عجائب النفس لا تزال سراً مستغلقا على الأفهام .

على أن أبرز صفاته جميعاً وأوثقها علاقة بمستقبل حياته ، هي قوته الخطابية ، فلقد كان ميرابو خطيباً عبقرياً بكل ما تتسع له تلك الكلمة من معنى . وهو عند الكثيرين من المؤرخين أقدر خطيب شعبي في التاريخ الحديث ، وأشد الخطباء تسلطا على أفكار سامعيه وأسرعهم توجيهاً لمن حوله إلى ما يريد .

كان في أسلوبه رجل فن كأعظم ما يكون رجل الفن ، عرف أو على الأصح ألهم اختيار الكلمة القوية وصوغ العبارة التي تجمع إلى إشراق المعنى بعد المرمى وعمق المغزى . وكانت تواتيه عبقريته إذا تسنم المنبر فتسمو به عن مستوى الرجال ، فتراهم شاخصة أبصارهم إليه خافقة قلوبهم بما ينطق ، فاذا احتدم الجدل أو اشتد الموقف خطراً نظرت فاذا به أعظم مما كان حماسة وأسرع تدفقاً وأكثر إقناعاً ورأيت عبارته ترتفع وتعظم حتى تلائم الموقف ، وسمعت في نبرات صوته أزيز نفسه وغليان دمه .

كان فى جولاته كنابليون فى غزواته ؛ تزداد عبقريته ملابسة له كلما ازداد الموقف من حوله هولا . ولقد فاه بأبلغ عباراته وأبعدها أثراً فى نفوس سامعيه فى مواقف الحماسة الفائرة كأن كلماته الحيتان الضخمة لن تظهرها إلا العاصفة !

وكان له فضلا عن ذلك من هيبة منظره وقوة صوته ورنين جرسه وشتى إشاراته كل معدات الخطيب . كان كبير الجرم ، قوى الجسم ، عريض المنكبين ، عظيم الصدر ، ترى فى وجهه الجاد العابس آثار جراح اندملت كأنك تلمح فيها صرامة الحوادث وصروف الزمن ، وكانت ترتسم ملامح وجهه بانفعالات نفسه ، كما كانت تلتمع عيناه وتختلجان فتبعثان الرهبة أو تثيران الشفقة . أما عن قوة أعصابه وضبط نفسه وصدق فراسته وتفهم الغاية التى يرمى إليها وتخير أقرب الطرق وأسهلها إلى تلك الغاية فكان فى ذلك كله مضرب المثل بين معاصريه .

والآن فلندع مقدرته على الخطابة حتى نشاهد آثارها فى مجلس طبقات الأمة وفى الجمعية الأهلية ، ويجمل بنا أن نتبين قبل انعقادها بعض آرائه السياسية .

لم تك أصالة ذلك الرجل الفذ فى السياسة أقل من أصالته فى الخطابة ، فلقد جمع إلى حماسة القلب حدة العقل ، وإلى ثورة العاطفة اتزان المنطق ، وإلى جموح الخيال وضوح المنهج ، وإلى وحى العبقرية شمول النظر ، وصدق التجربة واتساع الخبرة ، وإن المرء ليدهش حقا إذ يرى ذلك كله فى رجل . ولقد صدق جوته حين وصفه فى قوله : ميرابو ... تلك الأعجوبة ! ! !

كان لهذا الزعيم غرض يرمى اليه ونهج يسير عليه . نشط قبيل الثورة فى نشر مبادئه ، عند ما عاد من برلين للمرة الأخيرة ، وكان قد أوفد اليها من قبل الوزير كالون فى مهمة سياسية عام ١٧٨٧ أى قبل هبوب العاصفة بعامين ، ويخيل إلى أن الوزير إنما أراد إبعاده ، فلما استقل ميرابو ما كان يصله من أجر عاد إلى وطنه مغيظاً محنقاً فشهر قلمه للطعن فى كالون ونكر صديق الشعب ، وابتدأ الناس يحسون خطره كناقد سياسى ، نعم أحس الناس روحاً جديدة فى كتاباته واستشعروا أن صاحبها يمتاز ممن عرفوا من الرجال . اقرأ مثل قوله فى نقد نكر « ليعلم الذين يحسبون أنهم لا يستطيعون أن يحبوا الله خالقهم أو أن يحبوا الملك والوطن إلا أن يعبدوا نكر ، أنهم فى ضلالتهم يعمهون . هل فكروا فى أن تفاخره بأنه يستطيع أن يعقد أى قرض دون زيادة فى الضرائب موضع عار لا موضع فخر ؟ هل فكروا فى أنه بذلك قد استطاع أن يستهوى أولى الأمر فى هذه الدولة ، فيدفع بهم إلى حرب تبرأ منها الانسانية [1] ، فضلا عما يتبعها من خراب مالى ؟ وهل يغنيهم ما يعلمون من حسن خلقه وطيب نفسه عن نجاح سياسته كوزير ؟ » إقرأ هذا وغيره تر أن الثورة قبل هبوبها قد اهتدت إلى زعيمها ، وتلق الرجل فى مستهل مرحلة جديدة فى حياته العجيبة ، مرحلة الجد الحكيم والوقار العاقل والجهد المتواصل .

راح يعلن للناس أنه عدو الامتيازات والاستبداد ، وأنه لن يقعد عن الجد حتى يرى الناس سواء أمام القانون ، ويرى الحرية حقاً يتمتع به كل فرد ، ويرى التعليم نورا ينفذ إلى جميع الطبقات ، والرخاء المادى حصناً يقى الوطن غائلة الفاقة . وهل كان للناس مطمع وراء هذا ؟ وهل كانوا يتغنون بغير هاتيك الأناشيد ؟ ولكن ميرابو لن يقبل أن يسعد الشعب على حساب الملكية ! وإذاً فهو يسعى من جانب آخر إلى أن يكون للملكية نفوذها وسيادتها على أن تستمد ذلك من الشعب صاحب الحق . ولئن كان يمقت من أعماق قلبه الفوارق بين الطبقات وقيود العهد الأقطاعى ، فان بدنه ليقشعر فرقا من الفوضى وإنه ليرى الطامة الكبرى فى جموح الشعب وتعديه حدوده .

بهذه المبادىء وبما عرف عنه من مقدرة خطابية فائقة ، تقدم ميرابو للانتخاب فى مدينة إكس ليكون نائباً عن العامة فى مجلس طبقات الأمة ، بعد أن نأى الأشراف بجانبهم عنه . وعلى الرغم من كيد خصومه له خرج من المعركة ظافراً داوى الصيت

(يتبع) الخفيف

(١) مشيرا إلى الحرب فى أمريكا وكانت فرنسا على رغم عسرها المالى قد أرسلت حملة لمساعدة أهلها

بوم الوقفة

عرفات...

للأستاذ على الطنطاوى

« وَأَذِّنْ فى النَّاسِ بالحجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُوا اسم اللهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الْفَقِيرَ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ »

هنالك ينكشف الغطاء ، وتنفتح أبواب السماء ، فيتوجه الحجاج إلى الله بقلوب انزاحت عنها ظلمة الأهواء والشهوات ، وأشرقت عليها الأنوار ، فسمت حتى رأت الأرض ومن عليها ذرة صغيرة تحملها رياح القدرة ، ثم سمت حتى سمعت تسبيح الملائكة بألسنة الطاعة ، ثم سمت حتى تدبرت القرآن غضاً غريضاً ، كأنما نزل به الوحى أمس ، وسمعت النداء من جانب القدس : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شُعُوباً وقبائلَ لِتَعَارَفُوا ، إنّ أكرمَكُم عِندَ الله اتقاكم » . فأجابت : لبّيك اللهم لبيك ! ، فردّدت بطاح عرفات ، وأرجاء الحرم ، وردّدت السموات السبع والأرضون السبع : لبيك اللهم لبيك !

هنالك تتنفس الانسانية التى خنقها دخان البارود ، وعلامات الحدود ، وسيد ومسود ، وعبد ومعبود ، وتحيا فى عرفات حيث لا كبير ولا صغير ، ولا عظيم ولا حقير ، ولا مأمور ولا أمير ، ولا غنىّ ولا فقير

هنالك تتحقق المثل العليا التى لم يعرفها الغرب إلا فى أدمغة الفلاسفة وبطون الأسفار ، فتزول الشرور ، وترتفع الأحقاد ، وتمّ المساواة ، ويسود السلام ، ويجتمع الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فى صعيد واحد ، لباسهم واحد ، يتوجهون إلى ربّ واحد ، ويؤمنون بنبي واحد ، ويدينون بدين واحد ، ويصيحون بلسان واحد : لبيك اللهم لبيك !

هنالك تظهر المعجزة الباقية ، فتطوى الأرض ثم تؤخذ من أطرافها ، حتى توضع كلها فى عرفات ، فتلتقى شطآن إفريقية بسواحل آسية ، ومدن أوربة بأكواخ السودان ، ونهر الكنج بنهر النيل ، وجبال طوروس بجبال البلور ، فيعرف المسلم أن وطنه أوسع من أن تحدّه على الأرض جبال أو بحار ، أو تمزقه ألوان على الصور فوق ألوان ، أو تفرقه فى السياسة خرق تتميز من خرق ، وأعلام تختلف عن أعلام

ذلك لأن وطن المسلم فى القرآن ، لا فى التراب والأحجار ، ولا فى البحيرات والأنهار ، ولا فى الجبال والبحار : « إنما المؤمنون إخوة » ، لا « إنما المصريون .... » ، ولا « إنما الشاميون ... » ، ولا « إنما العراقيون .... »

هنالك يتفقد الاخوة إخوتهم ، فيعين القوى الضعيف ، ويعطى الغني الفقير ، ويساعد العزيز الذليل ، فلا ينصرفون من الحج إلا وهم أقوياء أغنياء أعزاء

هناك يذكر المسلم كيف مرّ سيد العالم صلى الله عليه وسلم بهذه البطاح مهاجراً إلى الله ، تاركا بلده التى نشأ فيها ، وقومه الذين ربى فيهم ، وكيف جاء حتى وقف على الحزورة ، فنظر إلى مكة ، وقال : « إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وإنك لأحب بلاد الله إلى ، ولو لا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » . ثم يستقبل هذه الصحراء الهائلة ، ليس معه إلا الصديق الأعظم ، يتلفت كلما سار ليتزوّد بنظرة من مكة حتى غابت وراء الأفق الفسيح ، فانطلقا يؤمان الغار

هل علمتْ هذه البطاح أن هذا الرجل الفرد الذى قام وحده فى وجه العالم كله ، يصرع باطله بقوّة الحق ، ويبدّد جهالته بنور الاسلام ، ويهدى ضلالته بهدى القرآن ، والذى فرّ من مكة مستخفياً ، سيعود اليها بعشرة آلاف من الأبطال المغاوير ، فتفتح له مكة أبوابها ، وتتهاوى عند قدميه أصنامها ، ثم تعنو له الجزيرة ، ثم يخضع لدينه نصف المعمور ؟

هل علمت هذه البطاح أن هؤلاء النفر الذين مروا بها هاربين

من جبروت قريش وسلطانها ، سيعزون حتى تدين لهم قريش ، ثم يعزون حتى يرثوا كسرى وقيصر فى أرضيهما ، ثم يعزون حتى يرثوا الأرض ومن عليها ، وسيكثرون حتى يبلغوا أربعمائة مليون ، وسيتفرقون فى الأرض داعين مجاهدين فاتحين ، ثم يجتمعون فى عرفات حاجين منيبين ملبين : لبيك اللهم لبيك !

هنالك وقف سيد العالم صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يعلن حقوق الانسان ، ويقرر مبادئ السلام ، وينشر الأخوة والعدالة والمساواة بين الناس قبل أن تنشرها فرنسا بألف عام :

أيها الناس :

اسمعوا منى أبين لكم ، فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا

أيها الناس :

إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس :

إنما المؤمنون إخوة ، لا يحلّ لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس :

إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

وهنالك وقف يعلن انتهاء الرسالة الكبرى التى بعثه الله بها إلى الناس كافّة ، ويتلو قوله جلّ وعزّ : « اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً » ؛ ويبعث صحابته ليحملوا هذه الرسالة إلى آخر الأرض ، ثم يحملوها إلى آخر الزمان

فحملوها فأنشأوا بها هذه الحضارة التى استظل بظلها الشرق ، ويستظل بظلها الغرب

***

فى عرفات تتجلى عظمة الاسلام ، دين الحرية والمساواة والعلم والحضارة ؛ ومن عرفات يسمع المسلمون داعى الله يدعو : حىّ على الصلاة ! حى على الفلاح ! فيجيبون لبيك اللهم لبيك ! وينطلقون ليعملوا للآخرة كأنهم يموتون غداً ، ويعملوا للدنيا كأنهم يعيشون أبداً

***

فلتفسد الأرض ، ولتطغ الشرور ، وليعصف الحديد ، ولينفجر البارود ، ولتغُص الانسانية فى حمأة الرذيلة إلى العنق ، فانه لا خوف على الفضيلة ولا على الحق ولا على السلام ، مادام فى الأرض « عرفات » ، وما دام فى الجو هذا الصوت القدسى المجلجل :

« لبيك اللهم لبيك » !

على الطنطاوى

العراق فى مصر

للشاعر الفيلسوف المرحوم جميل صدقى الزهاوى

وهى آخر ما نظم الفقيد الكريم

حملها شباب العراق تحية كريمة لشباب مصر

— ١ —

أتى بعد شوق حافز للمحبينا   إلى مصر شبانُ العراق محيينا
أولئك شبان سنقتطف عن هوى   بها من رياض العلم ورداً ونسرينا
رضينا بما فى مصر من عبقرية   وما كل أرض تنبت العلم ترضينا
وكان مُنانا أن نرى مصر يقظة   فأفرحنا جمعاً بلوغ أمانينا
سعدنا بمصر والسعادة نعمة   لحينا تلاقينا وحين تجافينا
وليس لنا عن حبّ مصر تنكّب   فما كان هذا الحبّ إلاّ لنَا دينا
وما شعراء النيل إلاّ عنادل   على سرحة الآداب تشدو فتشجينا

— ٢ —

ألا إن مصراً موطن الأدب الحر   سلام على مصر سلام على مصر
وما مصر إلا البحر يلمع درّه   ونحن بمصر غائصون على الدر
لقد جمعتنا وحدة عربية   وأقرب منها بيننا وحدة الفكر
أرى فى لقاء الروح للروح فرحة   تفوق لقاء العين والأوجه الغر
وإن بنى مصر الذين تثقفوا   إذا طلعوا كانوا من الأنجم الزهر
حججناك طوّافين والدافع الذى   حدانا هو الايمان بالأدب الحر
وليس كايمان المنافق إنه   إذا لم يكن كفراً فشر من الكفر

— ٣ —

وجدنا بنى مصر الفتاة كواكبا   تضىء فتمحو بالضياء الغياهبا
إذا غاب نجم لاح نجم وإنما   تفوق بمصر الطالعاتُ الغواربا
ألا فليمم مصر من طلب العلا   ومن كان فى المجد المؤثل راغبا
وما أسعد الورّاد للعلم إنهم   إذا صدروا كانوا نجوماً ثواقبا
إذا ما تلقوا من أساتذة لهم   دروساً حسبت الودق ينصبّ ما كبا
قصدنا فقاسينا متاعب جمة   فلما رأيناكم نسينا المتاعبا
نصافحكم فيها مصافحة الذى   يريد لأعلام الهدى أن يقاربا

— ٤ —

حججنا بلاد العبقرية والنبل   نطوف بأركان الثقافة والفضل
معاهد فيها للهدى يشب الفتى   وليس بها من سار يمشى على مهل
تربّى عقولَ النشء حتى تقيمها   وما قيمة الإنسان إلاّ من العقل
وكانت فتاة العصر أنقى من الندى   وكان الفتى للمجد أنضى من النصل
وليس الذى فى البحر يسبح زاخراً   كمن كان فى الغدران يسبح والضحل
وليس غنى مصر من المال ناشئاً   ولكنه فى العلم والأدب الجزل
وفى عزة النفس التى قد أبت لها   على ما بها أن تستنيم إلى الذل

— ٥ —

على العقل فى كل الأمور المعوّل   ولولاه لم ينحل للمرء مشكل
وما العقل فى الإنسان إلاّ ابن رأيه   تولّد فيه آخراً وهو أوّل
وللعقل أنوار بها يهتدى الفتى   وأبهجْ بأنوار لها العقل يرسل
تبدل فى الناس العقول بغيرها   ولكن نفس المرء لا تتبدل
وربّ عقول لم تصادف مثقفاً   فتلك بلا هاد من العلم تعمل
يمثل مصراً فى العراق جهابذ   ونحن بمصر للعراق نمثل
وما العلم فى بغداد إلا كصيّب   توالى لأدران الجهالة يغسل

— ٦ —

نصافح إخواناً لنا قد تثقفوا   فساروا جماعات ولم يتوقفوا
فإن فرقت ما بيننا شقة النوى   فإنا جميعاً للعروبة نهتف
وإن عصفت ريح بكم فى ملمّة   فتلك بنا يا أمة النيل تعصف
وإن أبعدت أجسامنا عن جسومكم   فأرواحنا مجموعة تتعرف
ومصر هى اليمّ الذى ظلّ زاخراً   وإنا وإياكم من اليم نغرف
غداً ستشب الحرب صاخبة اللظى   فتزهق أرواحاً وتمحو وتتلف
وإن تلاميذ المدارس فى غد   جنود لصون الموطنين تألّف

— ٧ —

لنحن بمصر فى الثقافة نقتدى   وبالنجم فى تلك المطالع نهتدى
وليس بنا للأمس من لفتة الهوى   ولكننا نرنو بشوق إلى الغد
ونحترم الرأى القديم وأهله   ونهتف للتجديد أو للتحدد

على قبر الزهاوى

بعد أن وُورى التراب شيخ الشعراء وفقيد العرب وقف على قبره الدكتور عبد الوهاب عزام فنثر عليه هذه الزهرات :

اليوم يقع هذا النسر بعد طول تحليقه !

اليوم يصمت هذا البلبل بعد طول تغريده !

اليوم يظفر هذا الجواد بالجام !

اليوم يستريح هذا الفارس من الآلام !

اليوم تسكن هذه النفس الثائرة !

اليوم تخمد هذه النائرة !

اليوم يرقد الزهاوى فى قبره !

كل نفس ذائقة الموت ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . وإنما الخالد من خلدته آثاره . وسيبقى شعر الزهاوى مدوِّياً بعد مماته ، كما كان مدوياً فى حياته ، ليبعث العزائم الراقدة ، ويشعل النفوس الخامدة

ستتلقى مصر والبلاد العربية نعى الزهاوى كما تلقى العراق والبلاد العربيـة نعى شوقى ، فتتجاوب بلاد العرب بالرثاء ، وتتبادل العزاء . ونسأل الله أن يعوضها فى شاعر العربية خيراً

أيها الشاعر العظيم ستذهب وذكراك بيننا خالدة !

أجميلُ لا تبعد فذكرك خالد ألذكر للانسان عمر ثان

ثم وقف الأستاذ الشاعر معروف الرصافى فألقى هذه الأبيات :

أيها الفيلسوف قد عشت مُضْنى مثل مَيْتٍ وصرت بالموت حيا
ما حيـاة العظيم إلا خلود بعـد موت يكون للجسم طيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر ناطق بالبقـاء لم يخش عِيا
أنت فرد فى الفضل حياً وميْتا حزت فى الحالتين ذكراً عَلِيا
سوف أبكى عليك شجوا وإنى كنت أبكيك فى الحياة شجيا

ثم تلاه السيد محمد مهدى الجواهرى فألقى هذه القصيدة الباكية :

على رغم أنف الموت ذكرك خالد ترن بسمع الدهر منك القصائد
نعيت إلى غر القوافى فأعولت عليك من الشعر الحسانُ الخرائد
وللعـلم فياضاً فماجت مصادر عُنيت بها بحثاً وجاشت موارد
وفلسفة أطلعت فى الشعر نورها هى اليوم ثكلى عن جميل تناشد
حلفت يميناً لم تشبها اختلاطة وقلبى على دعوى لسانىَ شاهد
لقد كنت فخراً للعراق وزينة تزان نواديه بهـا والمعاهد
وكنت على خصب العراق شاهدا إذا أعوزتنا فى التباهى شـواهد
وكنت أرق الناس طبعاً ونكتة وألطف من دارت عليه المقاعد
وأنت ابتعثت الشعر بعد خموله نشيطاً تخوض الشعر بعدك راكد

ثوى اليوم فى هذى الحفيرة عالم بأسرارها ، لله بالعقل ناشـد
أقام على العلم الصحيح اعتقاده عدوٌّ لأشباح الخرافات طارد
وكان نقياً فكرة وعقيدة عزيزاً عليه أن تسف العقائد
يقرر أن الدين حب ورحمة وعدل ، وأن الله لا شك واحد
وأن الذى قد سخر الدين طامعاً يتاجر باسم الله ، لله جاحد
ثوى اليوم فى هذى الحفيرة شاعر على الظلم محتج عن العدل ذائد
وشيخوخة مدت على الكون ظلها تكافح عن آرائها وتجالد

أبا الشعر ! إن الشعر هذا محله فقد نُصت الأسماع والجمع حاشد
وهذى جيوش الشعر والعلم تبتغى لهـا قائداً فذاً فهل أنت قائد
فأين قصيد قد نظمت فريده وأين من الشعر البديع الفرائد
وأين النكات المؤنسات كأنها حدائق تُسقى بالندى وتعاود
وأين العيون اللامعات زكانة زغانب تبـدو فوقها ومقاصد

جميـلُ أعان الرافدين بثالث من الشـعر تنميه بحور روافد
وكان حياة للنفوس ورحمة تغاث بها هذى النفوس الهوامد
تطاوعه غر المعانى كأنها وصائف تبغى أمره وولائد

أقول لرهط الشعر يبغون باعثاً عليه : تثير الشعر هذى النضائد

نرى أن فى التجديد شيئاً مخلداً ولكنما التقليد غير مخلد
وذاك طريق للأديب معبد وهذا طريق ظل غير معبّد
وما العلم إلا للسعادة سـلم فمن يتخذ منه الوسيلة يسعد
فان تبتعد عنا السعادة نقترب وإن تقترب منا التعاسة نبعد

جميل صدقى الزهاوى

أندلسيات :

٢ـ ابن بسام صاحب الذخيرة والشاعر أبو مروان الطُّبْنى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

قال ابن بسام : كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام ، وحملة ألوية الأقلام ، من أهل بيت اشتهروا بالشعر ، اشتهار المنازل بالبدر . أراهم طرأوا على قرطبة قبل افتراق الجماعة ، وانتثار شمل الطاعة ، وأناخوا فى ظلها ، ولحقوا بسروات أهلها . . . وأبو مضر أبوه زيادة الله بن على التميمى الطبنى هو أول من بنى بيت شرفهم ، ورفع فى الأندلس صوته بنباهة سلفهم . قال ابن حيان : وكان أبو مضر نديم محمد بن أبى عامر أمتع الناس حديثاً ومشاهدة وأنصعهم ظرفاً ، وأحذقهم بأبواب الشحذ والملاطفة ، وآخذهم بقلوب الملوك والجلة ، وأنظمهم لشمل إفادة ونجعة ، وأبخلهم بدرهم وكسرة ، وأذبهم عن حريم نشب ونعمة ، له فى ذلك أخبار بديعة من رجل شديد الخلابة يضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا ندر ، رفيع الطبقة فى صنعة الشعر ، كثير الاصابة فى البديهة والروية . انتهى كلام ابن حيان . قال ابن بسام : وشعر أبى مضر ليس من شرط هذا المجموع لتقدم زمانه ؛ فأما ابنه مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ورحل إلى المشرق وسمع من جماعة المحدثين بمصر والحجاز ، وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة . . إلى أن قال : وجدت فى بعض التماليق بخط بعض أدباء قرطبة قال : لما عدا أبو عامر أحمد بن محمد بن أبى عامر على الحذلى فى مجلسه وضربه ضرباً موجعاً وأقر بذلك أعين مطالبيه ، قال أبو مروان الطُّبْنى فيه :

شكرت للعامرى ما صنعا ... ولم أقل للحذيلى لما
ليث عرين غدا بعزته ... مفترساً فى وجاره ضبعا
لا برحت كفه مُمَكَّنَةً ... من الأمانى فنعم ما صنعا
وددت لو كنت شاهداً لهما ... حتى ترى العين ذل من خضعا
إن طال منه سجوده فلقد ... طال لغير السجود ما ركعا

وابن رشيق القائل قبله :

كم ركعة ركع الضبعان تحت يدى
ولم يقل سمع الله لمن حمده

والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة إذا كنوا عن عهر الخلوة . .

قال ابن بسام : ولما صنفت كتابى هذا عن شين الهجاء ، وأكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء ، أجريت ههنا طرفاً [1] من مليح التعريض ، فى إيجاز القريض ، مما لا أدب على قائليه ولا وصمة على من قيل فيه . والهجاء ينقسم قسمين : فقسم يسمونه هجو الأشراف ، وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً مقذعاً ، ولا هجراً مستبشعاً ؛ وهو طأطأ قدعاً من الأوائل ، وثل عرش القبائل . انما هو توبيخ وتعيير ، وتقديم وتأخير ، كقول النجاشى فى بنى العجلان ، وشهرة شعره منعتنى عن ذكره [2] . واستعدوا عليه عمر وأنشدوه قول النجاشى فيهم فدرأ الحد

(١) وفى بعض النسخ طفقاً بدل طرفاً

(٢) قال ابن رشيق فى كتابه العمدة فى باب من رفعه الشعر ومن وضعه : وبنو العجلان كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه فى تعجيل قرى الأضياف إلى أن هجاهم به النجاشى فضجروا منه وسبوا به ؛ واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ! فقال : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة ... فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، فقالوا إنه قال : =

هلموا إلى قبر الزهاوىّ نقتبس ... به نَفَساً من روحه ونطارد
وإن خيالا يملأ الشعر رهبة ... سكون على قبر الزهاوىّ سائد
وحجوا إلى بيت هو الفن نفسه ... أثارت «فينيس» ساحه وعطارد
فان بيوت الشاعرين مناسك ... وإن قبور النابغين معابد

أبا الشعر والفكر المنبه أمة ... عزيز علينا أنك اليوم راقد
وأن الذى هز القلوب هوامداً ... وحركها فى الترب ثاو فهامد
وأن فؤاداً شع نوراً وقوة ... هو اليوم مسودّ الجوانب بارد
فهل أنت راض عن حياة خبرتها ... ممارسة أم أنت غضبان حارد
أضاعوك حياً وابتغوك جنازة ... وهذا الذى تأباه صِيدٌ أماجد

بالشبهات . وفعل مثل ذلك بالزبرقان حين شكا الحطيئة وسأله أن ينشده ما قال فيه فأنشده قوله :

دع المكارم لا ترحـــل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال : والله ما أودّ له بما قال حمر النعم ... وقال حسان لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل الشُبْرُم [1] . . فهمّ عمر بعقابه ثم استعطفه بشعره المشهور .. وقد قال عبد الملك بن مروان يوما : أحسابكم يا بنى أمية [2] فما أودّ أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس وأن الأعشى قال فىّ :

تبيتون فى المَشْتَى مِلاءً بطونكم
وجاراتكم غَرثى يبتن خمائصا

ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال : أنحن نفعل بجاراتنا هذا ؟ ودعا عليه . . . فما ظنك بشىء يبكى علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال : حس ! . . . وقد كان الراعى يقول : هجوت جماعة من الشعراء وما قلت فيهم ما تستحى العذراء أن تنشده فى خدرها . ولما قال جرير :

فغُضّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

أطفأ مصباحه ونام — وقد كان بات ليلته يتململ — لأنه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه . . قال الراعى : فخرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب إلا وسمعنا البيت قد سبقنا إليه حتى أتينا حاضر بنى نمير فخرج إلينا النساء والصبيان يقولون قَبَّحكم الله وقَبَّح ما جئتمونا به . . والقسم الثانى هو السباب الذى أحدثه جرير أيضاً وطبقته ، وكان يقول إذا هجوتم فأضحكوا ، وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عيّرت به قبيلة ، وهو الذى عُنَّا هذا المجموع عنه ، وأعفيناه أن يكون فيه شىء منه ، فان أبا منصور الثعالبى كتب منه فى يتيمته ما شانه اسمه ، وبقى عليه إثمه .

وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال : عاتبت بعض الاخوان عتاباً شديداً عن أمر أوجع فيه قلبى ، وكان آخر الشعر الذى خاطبته به هذا البيت :

وإنى على ما هاج صدرى وغاظنى ليأمننى من كان عندى له سر

فكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ؛ ولم يزل يقلق به حتى بكى إلىّ منه بالدموع . وهذا الباب ممتد الاطناب ، ويكفى ما مر ويمر منه فى تضاعيف هذا الكتاب . ومن شعر أبى الحسن علىّ بن عبد العزيز بن زيادة الله الطبنى مما أخذته عنه قوله :

كم بالهوادج يوم البين من رشأ يهفو عليه وشاح جائر قلق
وكم برامة من ريم يفارقها لهفان يثنيه عن توديعها الفرق
ونرجس كفرند السيف ساومنى مملا بنسيم عَرْفُه عبق
نادمته وشباب الليل مقتبل والنجم كفٌّ يحيينا به الأفق
وفتية كنجوم السعد أوجههم فى أوجه الحادثات الجُوز تأتلق
نلهو بقرقفة صفراء صافيةٍ يكاد ينجاب عن أضوائها الغسق
يسعى بها مرهف كالغصن نَعَّمه ماء النعيم عليه النورُ والورَق

وأنشدنى أيضاً :

ياسالياً عاشقيه وعاشقاً كل تيهِ
ومَن مدامى ونقلى بوجنتيـــه وفيه
هلا حزيت فؤادى ببعض مالك فيه

وأنشدنى أيضاً لنفسه :

عجباً أن يكون ساكن قلبى راتعاً منه فى بساتين حبى
ويجازى على الوفاء بغدرٍ حسبى الله ثم حسبى وحسبى
جازنى كيف شئت لا أترك الذنـ ـب إذا كان فرط حبك ذنبى

= قبيلته لا يغدرون بذمـــة ولا يظلمون الناس حبة خردل
فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك . . قالوا فانه قال :
ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل
فقال عمر : ذلك أقل للسكاك — يعنى الزحام — قالوا فانه قال :
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل
فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه . قالوا فانه قال :
وما سمى العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل
فقال عمر : كلنا عبد وخير القوم خادمهم . . فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال ما أسمع ذلك ، فقالوا فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال ما هجاهم ولكن سلح عليهم . وكان عمر أبصر الناس بما قال النجاشى ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات ، فلما قال حسان ما قال سجن النجاشى وقيل إنه حده . . .

(١) الشبرم حب يشبه الحمص يطبخ ويشرب ماؤه للتداوى ، وقيل إنه نوع من الشيح (٢) وفى نسخة احفظوا أحسابكم يا بنى أمية

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٣٢ - تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

تعليق المؤلف على فلسفة نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

تتمة

أما النظر الى نيتشه من حيث الوجهة الأخلاقية فقد لامه النقاد على غرائزه القاسية وأنانيته الطاغية، وقسوته البالغة على الضعفاء. على أن له بعض آراء لو لم يسىء الناس فهمها لآلت الى نتيجة أخلاقية حسنة؛ فليس يكفى المرء أن يكون فوضوياً هداماً طارحاً عن ظهره التقاليد ليحيا محققاً مذهب نيتشه. وليس نيتشه رفيق أولئك الذين يعيشون بالسورمان. وهذا نبيه زرادشت كان يطالب الى الذين يرغبون اتباعه أن ينفذوا مذهبه بقسوة وشدة

« هل أنت شريعة قوية؟ هل أنت شريعة جديدة؟ هل أنت حركة أولى؟ هل أنت دولاب يدور حول نفسه؟

وا أسفاه! ما أكثر أولئك الذين ردبهم تعطشهم إلى الصعود! وأولئك الطامعين الذين يضطربون بيأس! أرنى أنك لست بواحد من هؤلاء الظامئين ولا الطامعين

وا أسفاه! هنالك كثير من الأفكار العظيمة التى ليس شأنها إلا شأن النسمة تهب ثم تتلاشى

إنك تقول إنك حر، ولكنى أريد أن أعرف الفكرة التى تسيطر عليك، لا النير الذى زحت تهزه

هل أنت حقاً من أولئك الذين يجدر بهم أن يهزوا نيراً؟ إن منهم من طرحوا كل ما منحتهم بعض القيم، بطرحهم ثوب العبودية والارهاق حيث كانوا يعيشون. »

ونيتشه ذاته يعلن بأن مذهبه لا يحمله إلا إلى طائفة مختارة تستطيع حمله، والقيام بأعبائه؛ وأما الجماعات الأخرى فليس عليها إلا الاذعان والطاعة والحياة باعان. فلا نجد بنا والحالة هذه أن نسفه آراءه بحجة أن بعض الضعفاء العاجزين المنتفخة نفوسهم زهواً وكبراً قد أخذوا ببعض تعاليمه واقتبسوا نتفاً من مذهبه ليحققوا مطامعهم وليشبعوا جوع أنفسهم وأنانيتهم وليسموا إلى هدف العظمة. إن نيتشه هو ذاتى قبل كل شىء، ويكفى اعتقاده هذا أن يهيج الناس عليه. فالانسان الحاضر هو « ذاتى وغير ذاتى » فى وقت معاً. يرى فى الحالة الأولى نفع نفسه وفى الحالة الثانية نفع غيره، ويتحرى عن سعادتهم كما يتحرى عن سعادته. على أن النزاع بين هاتين الحالتين هو نزاع عنيف، وقد تقوى فى الانسان حالة مهما دون أخرى على حسب ميوله القلقة التى تميل به إما إلى ذاته وإما إلى المجتمع. فبعضهم تغلب فيه الذاتية على غيرها، فيضحى بمصالح الغير فى سبيل مصلحته؛ وبعضهم يضحى بمصلحته عاملاً على صيانة مصالح الغير. أما نيتشه فهو من القائلين « بالذاتية » الذين يحبون ذواتهم؛ ومذهب أهل حضارة العصر إنما يتجلى فى اعتناق مذهب المحبة الشاملة؛ ولذا الاختلاف بين نيتشه وبين معاصريه يكفى لأن يثير فى خصومه عداوة عميقة وخصومة عنيفة على هذا الذى لا يرى رأيهم فى اتخاذ محبة الغير مثلاً أعلى

على أن هاتين الحالتين ليستا من الحالات المبينة التى لا يتخطاها الانسان ولا يتعداها، إذ لست أرى أحداً مال بكليته إلى حالة وقطع كل اتصاله بالأخرى. فهنالك درجات متفاوتة فى الغرائز، وهذه الدرجات قد تتغير وتتطور بحسب الزمن والعصر

وهذا كقول أبي بكر بن عمار:

لئن كان ذنبي للزمان محققاً فذلك شىء لست منه أتوب

وقول عباس بن الأحنف:

إن كان ذنبي فى الزيارة فاعلمى أنى على كسب الذنوب مجاهد

(يتبع) عبد الرحمن البرقوقى

منشىء البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب

تصويب

جاء فى السطر الثالث عشر من الصفحة نمرة ٢٩٤ بالعدد الماضى بالعمود الثانى مانصه: « وأمعَدُ من هذا فى باب الخبط والتخليط أن خطبة الذخيرة الحقيقية ... الخ »

والصواب: « وأقعد من هذا فى باب التخبط والتخليط أن الخطبة المثبتة فى النسخ الموجودة من الذخيرة هى خطبة مفتعلة؛ أما خطبة الذخيرة الحقيقية فهى غير هذه الخطبة كما سيمر بك »

البرقوقى

والمحيط . على أننا سنحكم على فلسفة نيتشه الآن حكما عقلياً واضحاً
إن فلسفة نيتشه هي مثال من أجل الأمثلة الذاتية الارستقراطية ؛ مثال جميل حي منطقي ، يحتوي على هدى لكل من يريدون أن يكوّنوا حياتهم ويجعلوا منها مثالاً واحداً يتحدون معه ، كما هو الأمر في فلسفة « تولستوى » المناقضة لفلسفة نيتشه . على أن الحل الذي أعطاه نيتشه المسألة الأخلاقية يتراءى لنا أن احتماله شديد على الأنفس ، في الناحية التفكيرية والناحية العملية ، وإن تنفيذ مذهب « السوبرمان » ليفتقر إلى جهود قل أن توجد ؛ ونيتشه ذاته يعلن بأن أمثال هؤلاء الأفراد الذين يجد فيهم العبقرية لم يكونوا إلا وليدى المخيلة والخيال

وهكذا يتراءى لنا أن نيتشه لم يخلق ليكون زعيم مدرسة فلسفية حقيقية . إنه سيبقى وحيداً فريداً ، أمة وحده بين الناس ، كما كان في حالة تفكيره وتأمله ؛ على أن مذهبه تارك وراءه تأثيراً كبيراً . ينمي في روح الفرد وروح الشعب « الأفكار الذاتية » ، وهذا التأثير يتبع خيره وشره الجبلة الخلقية التي تلتصق بالأفراد والشعوب . فهو قد يعمل على تهديم طبائع طغت فيها الأمانية على كل شيء حتى جاوزت حدها ؛ وقد يعمل على رفع بعض الطبائع ، يدرأ عنها كل آفة ويحميها من كل خطر من الأخلاق والديموقراطية والزهد

يبدو لي أن عمل نيتشه له أثر قوي في بيئة كبيئتنا ، ولا ريب في ذلك ، فإن ما أراه في مظاهرنا الاجتماعية لا يدل على فيض في الحماسة المادية والخلقية . قليل من المفكرين الذين هم في مستواه يعرفون أن يسوقوا الانسان إلى معرفة نفسه والوقوف إزاءها مجرداً ؛ وقليل من أصحاب جمهورية الفضيلة من يمزقون — في وضح النهار — هذه الأغشية الرقيقة والأكاذيب الخفيفة التي تستر بها النفس ضعفها وجبنها وذلها وعجزها ؛ وقليلون من علماء النفس من وضح وأبان وأحسن البيان عن الحقيقة الذليلة التي ترتدي هذه الأثواب المزركشة : أثواب الشفقة ومحبة القريب والزهد

إن نيتشه كالطبيب الصارم الذي لا تدخل قلبه الشفقة ؛ والملاح الذي يحمله الى مرضاه ، علاج قاس خطر استعماله ، ولكنه علاج يخلق العزم والقوة . إنه لا يعزي من يأتيه شاكياً ، ولكنه يترك الشاكين تسيل الدماء من جراحهم ليجعلهم

أكثر قسوة وأشد احتمالاً للألم . فهو إما أن يشفي مرضاه شفاء صحيحاً أو يقتلهم ؛ قد يخشاه الناس للمرة الأولى ويفرون من مباضعه ، ويلقونه باحتراس ووجل ؛ يتساءلون : أليس هذا الانسان شريراً جلاداً ؟ يفرون من طريقه ويختلفون إلى أطباء خفيفة أناملهم ، لينة كلماتهم ، حلوة علاجاتهم ، خالية تعاليمهم من الشدة والصرامة ، ولكن نيتشه يلوذ به فريق من المخلصين له ولأنفسهم ، يهوون صرامته ، ويحبون استقامته وخلقه كله . وفي اعتقادي أن هؤلاء لم يكونوا مخدوعين بإعجابهم به وإخلاصهم له ، وقد علموا أنه — ليس عن صرامة قلبه ولا معرفته للألم معرفة خاطئة — قد غدا صارما قاسيا على الانسانية المتألمة ؛ وحياته كلها مشحونة بالحوادث البالغة والمصائب الكبيرة ؛ وحظه السيء الفاجع قضى عليه بأن يكون صادفاً عن الاشفاق على ضعف الانسانية وفاقتها . إنهم ليقفون بخشوع وجلال إزاء المفكر الجبار الذي لم يخضع للذل ولم يلعن الوجود ، برغم مرضه المضال . وظل على غبطته ورضاه في الحالة التي كان يصارع فيها الموت والجنون دون أن ينفذ اليه الوهن والضعف ، متمماً أنشودته المؤثرة في تمجيد الحياة الفنية الفياضة المخصبة ، مناضلا حتى النهاية — الألم الذي غلب على عقله ، ولم يستطع أن يقهر إرادته الواعية

لماذا أكرمت نيتشه ؟ وما الفائدة التي يجنيها العقل العربي منه ؟

حقاً إن بيني وبين نيتشه أسباباً لا أظن انقطاعها يسيراً ؛ وقد اختلفت اليه ليالي كثيرة وليس بيني وبين نبيه فاصل . أبثه من روحي ويبثني من روحه . نتألم معاً من الحياة ونرقص لها ابتهاجاً . ولا أدرى علة هذا الترابط ! ومن يستطيع أن يحفظ على التحقيق كل سبب يربط بينه وبين مفكر ما ؟ أليست هنالك أسباب مختلفة قد تتآلف وقد تتخالف ، فتمزج هذا المفكر مع عقلك وقلبك ، أولا تزيدك منه إلانفوراً ؟ وما عسى يكون سر تعلقي بنيتشه إلا سر تعلقي بالحياة ؟ كانت الحياة عندي ظلمة حالكة فغمرها نيتشه بفجره . كانت الحياة شكا مراً وقلقاً مستحوذاً عليّ فبدل شكي بإيمان ، وقلقي بعزيمة لا تتقلقل . كان سفيني مضطربا في خوض لجج الحياة ، تهم يد الضلال بافتراسه ، فاستنقذه نيتشه وساقه الى منارة النجاة !

ذلك فضل نيتشه عليّ ، وأعظم بهذا الفضل ! وكيف يريد

أولئك الذين لاموني على انكبابي على نيتشه أن أصدف عنه ؟ وانني لواجد فيه علامة من العلامات الواضحة التي تنصبها الحياة لاهثة ابن عن مناهجها ؛ فنيتشه هو علامة فيض الحياة المتفجرة والارادة الصارمة . ولعل أولئك السقماء الذين أتوه فروا من مباضعه القاسية وتعاليمه المنيفة لأنهم يريدون علاجاً يبعث في أعضائهم المشلولة الدفء والسكينة ، وهو إنما يريد أعضاء تبارك الحياة بالعزم والحركة . إنه قد أحرق العلاجات المخدرة للأسقام قبل أن يقدموا . فان كنت صابراً على احتمال قسوته فتعال الى نيتشه

إن نيتشه ليس يفتقر الى جثث — خالية من الاحساس — يحملها على ظهره ، وإنما هو يريد رفاقاً أحياء هدامين مثله ، قد ادّرعوا الارادة وصالحوا الألم رفيقاً لا سيداً . يقتحمون بارادتهم وصرامتهم كل شيء كالسيل الجارف ؛ لا يصدهم عن غرضهم صاد ، ولا يقف سيرهم حاجز ؛ يشون فوق القمم وثباً لا يزحفون زحفاً ؛ في نفوسهم عقيدة تفيض حماسة وقوة ، يفرضونها على الزمان ولا يجد الزمان الى اضعافها سبيلا . هؤلاء الرفاق الأشداء يستطيعون أن يمشوا مع نيتشه ، ويمجدوا الحياة في كل أدوارها ، ويحلقوا فوق آلام الحياة وأفراحها

إن كاتب « فلسفة نيتشه » بالفرنسية يرى في اقتحام نيتشه لبلاده نعمة ، لأنه لا يرى في مظاهرها الاجتماعية مايدل على فيض وحماسة في الناحية المادية والخلقية . وإن نيتشه ليبعث هذا الفيض ويخلق هذه الحماسة في الناحيتين . فاذا كانت فرنسا الحية تفتقر الى من يفيض على حياتها حياة ، فكيف بشعوبنا التي قتلها التخاذل بينها !

توجه أنى شئت ؛ فهل أنت واجد مني إلا قطعاناً هائمة على وجوهها ، ورعاة غافلين همهم صفو السمر ، وأواصر مقطوعة ، وتقاليد جامدة ، يتغنى بها القوم حين يريدون الرقص والغناء ، وشباباً مخنثين تناسوا رجولتهم ، وأهملوا رسالتهم ؛ كأنما تلك الراحة الطويلة المريضة قد أورثت أعضاءنا الشلل ، فاذا وثبت فيها الحياة لم تقدر على الحركة . وارم بطرفك أنى شئت فانك واجد هذا الموت الاجتماعي وجمود الفكر

وكأننا لم يرض فينا ريب الدهر حتى أعانه من أعاننا

فأصبح تفكيرنا رياء ، والتظاهر بالتقاليد رياء ، وهل كان الرياء إلا ثوباً من أثواب الضعف والعجز ترتديه أمة رضيت لنفسها أن تهوى بدلا من أن تصعد ، وإن اغفال علماء الاجتماع عندنا لهذه الظاهرة الخلقية إغفال فيه جناية لا تغتفر . يجلس مفكرنا في جماعة فيفصل لفكره عشرين وجهاً ، يأتيهم بوجه ويُعرض عنهم بآخر . ويصلي أحدنا عشرين ركعة ، يمنح واحدة لله ، ويمنح الباقيات للناس ؛ وهكذا غلب الرياء علينا في كل مظاهر تفكيرنا وتقاليدنا . وإنني لأخشى يوماً يرسو فيه الرياء في أنفسنا فيغدو متأصلاً فينا حتى يصبح علامة من العلامات الفارقة لهذه الأمة

هذه هي المظاهر التي غاظت نيتشه يوم أعلن الثورة على الضعف والرياء . وليت شعري من سيغيظه الضعف والرياء في مجتمعنا الحاضر ، فيعلن الثورة عليهما وعلى المرتدين أرديتهما !

إن العقل العربي عقل قوي بنشأته ، صادق بعزمه ، وهو لا يحتاج إلى من يبث فيه معنى القوة والصرامة لأنه قائم عليهما . ولكن جيلنا الحاضر اعتنق الفكرة العربية مجردة من معنى القوة والصرامة ؛ فتشوهت بذلك الرسالة وضاعت معالمها . إن المجتمع العربي يفتقر إلى من يرد عليه هذه الأمانة التي لا يعلم إلا الله سالبها . والمجتمع العربي بعدها غالب عليه الاضطراب والخزي والضلال . فمن يرد عليه أمانته ويعيد إليه صرامته ؟

كنتُ أتلو مواعظ — زرادشت — فأحس أن قوة جديدة أخذت تطغى على قلبي ، وأشعر باضطراب في نفسي جعلني أومن بأن الحياة لا يعسر عليها أن يخرج منها ألف حياة . ولم لا ؟ . كنت أسير معه وهو يهدم خيالات الرياء ، ويضرب التقاليد بعضها ببعض ، فأطرب لشجاعته ، وأعجب بنفسي وأسألها : « هل كان في استطاعتك أن تطأي هذه الأرض لولا هذا النبي ؟ » ، ولكن طربي لم يكن طرباً خالصاً لأنني كنتُ أبغي لمثل هذا النبي الهدام أن يقيم بيننا ليلة واحدة ، تنفذ عينه خلالها إلى قلوبنا الطافحة غشاً وخبثاً ، وقصورنا ومعابدنا المفعمة كذباً ورياء ، فينقض هذه القلوب ويدص هذه القصور

أين أراك يا زرادشت العرب ؟ ومتى يكون الموعد ؟ فقد اصطلح على إيذائنا كل شيء حتى أنفسنا . تمشي الحياة بنا ونحن ذاهلون ، ويتباهى الغير برجولته الصارمة ونتباهى نحن بالتخنث ، ويستيقظ الفكر في مواطنهم ونحن نضرب حوله السدود ونقيم له الحدود ، نفر من الألم لأنه يضنينا ، ونستجدي الفرح من غيرنا استجداء ؛ يتحرك كل شيء حولنا ونحن لا ترضينا الحركة ولا تستهوينا اليقظة . نقول بالانسانية ونشفق عليها ، وقائلوها لا يملكون من « انسانيتهم » شيئاً . يحسون آلام غيرهم ولا يحسون آلامهم . يشدد غيرنا روح « الذاتية » عندهم ، ونحن نسعى إلى محوها ، كأننا نريد أن نمثل دور الشرق الأول يوم كان



مأساة من اسخيلوس

ثأر أورست

The Choephoroe (١)

الدرامة الثانية من (الاورستية)

للأستاذ دريني خشبة

خلاصة الدرامة الأولى

« قدم أجاممنون ، ملك آرجوس وقائد الحملة الهيلانية على طروادة ، ابنته إفجينيا قرباناً للسماء لتسكن العاصفة وليمخر أسطوله عباب الماء ؟ فأحزن زوجته كليتمنسترا ، وأم الفتاة لا تفكر إلا في ابنتها ، وزادتها وحدتها في قصر الپلوپيديه وحشة ، وجعلت من حياتها نفراً مظلماً حتى اتصلت بإيجستوس ابن عم أجاممنون الذي ذبحت إخوته وأطعم أبوهم لحمهم وهو لا يدري ، ثم قتل هو أيضاً ، وكل ذلك بتدبير أتريوس أبي أجاممنون ... وهنا تجتمع الإحن وتتضافر الأحقاد ، ثم تنقلب العلاقة إلى حب فعشق دنيء ... فتآمر على قتل أجاممنون حين يعود من طروادة ... ويعود أجاممنون ظافراً وتكون معه كاسندرا ابنة پريام ملك طروادة التي تتنبأ بمقتل الملك ، وبمقتلها أيضاً بيد الملكة وبتدبير إيجستوس ... وتخدع الملكة زوجها فيمشي على بساط الديباج الأحمر فتغضب الآلهة ، لأن المشي على الديباج حق خالص من حقوقها .. ويقتل الملك وتقتل كاسندرا في أثره ... ويستوي إيجستوس على عرش آبائه مشتركا مع كليتمنسترا في حكم آرجوس رغم سخط الشعب واحتجاجات الجماهير ... »

— ١ —

قتل أجاممنون !

وخلص العرش لإيجستوس ولعشيقته الملكة الفاجرة ، كليتمنسترا . ولكنه كان عرشاً شائكا ، ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه فيه اللعنة الأبدية ، وسخط الأرباب وبغض العباد ...

وكانت الأم الآثمة قد أبغضت كل ما يثير في قلبها ذكرى أجاممنون ... وكيف لا تبغضه وها هي ذي حياتها تنقلب فتكون لذاذة خالصة ، وهوى محرماً ، وغراماً تخامره شهوة التشفي ، وتختلط بغمراته حمى الانتقام ! إذن هي تبغضه ، وهي تغلو في بغضه لأن عيونها في طروادة حملت إليها ما كان من غرامه الشديد بخريسيز إحدى سبايا الحرب ، ثم ولعه الفائق بأختها بريسيز التي خاصم فيها أخيل ؛ ولم يبال أن يهجر الميرميدون حابة الدوم من أجلها . ولم يكن بحسبه هاتين ، بل عاد من حومة الحرب فاقتحم القصر العتيق الشاهق بعربته المطهمة ، وإلى جانبه خليلة ثالثة من خليلاته الكثيرات ، هي هذه النبية المباركة البائسة ... كاسندرا ، ابنة بريام ، وحبيبة أبوللو في الزمن القديم !

أبغضته كليتمنسترا إذن ، وأبغضت كل ما يثير ذكرياته في فؤادها ... ولو كان أبناؤها الذين حملت بهم من صلبه ! وهي تقسو وتقسو ، وتغلو في قسوتها ، حتى لتأمر بابنها الواحد أورست ، وكان حدثاً لا يعرف من الدنيا إلا أن يصفها أبوه ...

(١) أطلقنا على هذه المأساة « ثأر أورست » لأنه خير اسم لها ؛ وترجمة اسمها الحقيقي هي « حاملات زقاق الخمر Libotion Bearers » التي لم نجد لها مرادفا في العربية — وحتى هذه الزقاق في معناها اليوناني لا تسكب إلا فوق القبور أضحية للموتى . فهل من اسم لها عندنا ؟ ؟

يفيض انسانيته على غيره . . . وقد قتلنا هذا الحب المفرط للغير ، وقد قتلنا هذا الزهد الخامل . تسامى غيرنا فوقنا فهم يريدون أن يعرفوا أنفسهم بعد أن وجدوها ، ونحن تائهون لما نعثر على أنفسنا

تعال أيها النبي أينما كنت ، فهنا كثيرون ممن يرتقبون أوبتك . واحمل مباضعك وائت بنفسك وقلبك وأيقظ أفكارنا وبث فينا الحياة . أعطنا الحياة وخذ منا فديتها . أتريد منا أن نتألم ؟ إننا نتألم ونحتمل الشقاء في سبيل الحياة . شدد شعورنا بالحياة وزدنا إيماناً بها . اهدنا إلى أنفسنا وحببنا فيها فقد علمونا أن نمقتها . تعال استأصل جذور الضعف فينا والذل فقد أكلت أنفسنا الاحشاشات ... تعال ولا تعطنا شيئاً إلا ما نؤدي ثمنه ، فقد أدركنا أن كل ما يعطى ويوهب رحمة يضر بآخذه . تعال يا إرادة القوة والصرامة ، فكثيرون هنا يرتقبون وصولك . . . والطريق ممهد ، والغاية دانية القطوف «انتهى»

« دير الزور » خليل هنداوي

ونصفها الآخر أمه ... فيُنفى [1] إلى أقصى الأرض ، وليكون بمعزل عن هذه الحاشية الموبوءة التي قد تثير فيه نخوة الرجولة حين يشتد عوده وينضج قلبه ، فلا يكون له هم إلا الأخذ بثأر أبيه ، والفتك بقاتليه ...

— ٢ —

أما أخته ، أما إلكترا ، فقد بقيت في القصر لتشهد الفصل الأخير من المأساة ... أو لتشهد كل الفصول الدامية التي تتركب منها المأساة ! لقد بقيت على كره منها لتعيش عيشة الرقيق ، وتحيا حياة الخدم ، ولترى إلى أمها تتقلب بين ذراعي عاشقها وملء حضنه ، ولتنعم على خرائب أسرة الأتريه ، ولتبني على أنقاضها القصور والعلالي !

بقيت إلكترا لتبكي دائماً ... ولتبكي دما !! يا للعذارى !! لقد كانت في ملاعب شبابها تحلم بمُلكٍ وبتاجٍ وبشعب يسجد تحت قدميها ، وهي اليوم تتشهى الموت فلا تجد اليه من سبيل !! لقد كانت بالأمس تمرح بين قلبين يغمرانها بالحب ، وأبوين يلقيانها بالبشاشة ، وهي اليوم لا عزاء لها إلا وقفة باكية بقبر أبيها المقتول ، ووقفة تتصدع لها جوانب نفسها عند مخدع أمها العاشقة ... الفاسقة ... وهل في إحدى الوقفتين عزاء ؟ !

بقيت إلكترا ترقب رسول السماء الذي يأخذ بثأر أبيها ، وبقيت لتكون رائد هذا الرسول يوم يجيء . ولم يكن لها من ولي ولا حبيب في هذا القصر الشاهق العتيق إلا هذه العجوز الشمطاء الطيبة ، مرضعة أورست ، التي بكت أحر البكاء وآلمه وأوجعه يوم أخذوا منها ولدها — كما كانت تدعوه — ليُنفى في أقصى الأرض

لقد كانت هذه العجوز الشمطاء امرأة ثاقبة الفكر ، رحبة الصدر ، شديدة الايمان في السماء ! فكانت تواسي إلكترا وتأسو جراحاتها ، وتمنيها الأماني ، وتزخرف لها الآمال ، وتذكر لها أن عين سيد الأولمب الساهرة لن تغفل عن لؤماء قصر الـ (بيلوبيديه) وأنها ترعى فتى القصر في منفاه ، حتى إذا آنست فيه استواءً أرسلته كالصاعقة على المجرمين ؛ فنقض بنيانهم ، وزلزل أركانهم ، وانتقم لأجاممنون !

وكان قاهر طروادة قد جلب معه غير كاسندرا عددا وافراً من السبايا الطرواديات ، فاستطاعت المرضعة العاقلة ، الحكيمة ، أن تجمل منهن جندا لها [1] ، وحاشية مخلصة لفتاتها المعذبة ، يخففن من برحائها ، ويكن لها أهلاً كما عزها الأهل

ومضت سنوات عشر فسقطت طروادة

ومضت سنوات عشر بعد مقتل أجاممنون

واشتد ساعد أورست ، وعاد ليبطش بالقتلة السفاكين

وبدأت المأساة الثانية

— ٣ —

لمن هذه الأشباح السادرة التي تهرول بين المقابر مُهطِعة إلى رمس أجاممنون ؟

إنها تختلط بغبشة الصباح وتمتزج صُعداؤها بأنفاسه ، وإنها لتضمر في قلوبها لظى ينعكس في ذاك الشفق الذي يضطرم به الشرق ... حيث يسبح البنفسج في حمرة الدم ! !

آه ! إنه شاب غرانق ، سمهري ، مجلل بالسواد ، يجثو فوق الثرى ... يبكي ويصلي !! وإن بالقرب منه لصديقا ينتظره . . . ويذرف دموعه من أجله . . . فيا للمودة في الرزء ، ويا للاخلاص في الشدائد !! اسمع إلى الشاب المحزون : يخاطب تمثال هرمز النصفي المنتصب فوق القبور ، ثم يكلم من بالقبور :

— « يا هرمز اللطيف ، يا إله الأرواح وحاديها إلى هيدز ، أيها الساهر على هذه المقبرة وعلى كل مقبرة ... العون العون ! »

ويضع خصلتين من الشعر على قبر أبيه ، ويقول : « ها أنذا أضع خصلةً من الشعر هنا تحية لأيناخوس الذي رويت عباه ، وترعرعت على شطئانه . . . وأخرى تحية للموتى ... يا رحمتا لك يا أبي ! هكذا شاءت قسوة المقادير ألا أكون قريباً منك فأذرف عبرتي الطاهرة فوق تراك ، وأروى الصفاح المركوم فوق جثمانك بالغيث الغزير الذي أرسلته من أجلك في دار غربتي ! »

— ٤ —

ويقلّب وجهه في بنفسج الشرق المموّه بالفرمز ، فيلمح نسوة يتعثرن في سيرهن بين المقابر ، ميممات شطر قبر أبيه ! فيوجس في نفسه خيفة ، ويحسب أن جديداً من نكد الحياة قد ألم بالبقية الباقية من دم أجاممنون في الـ (بيلوبيديه !)

ولكنه سرعان ما يعرف بينهن أخته ! أخته بعينها ! هي !

(١) ذكر سوفوكليس في درامته الخالدة Electra أن إلكترا نفسها هي التي أنقذت أخاها وأرسلته مع خادم أمين ليتربى في كنف جار كريم من رعايا أبيها — ويبدو لنا أن رواية سوفوكليس أقرب الى الحقيقة وسنعرض لها في حينها

(١) خورس هذه المأساة من هؤلاء السبايا ، فهن اذن منشدات — لا منشدين — كما في المأساة الأولى

هي إلكترا ! وهي تحمل كالأخريات زِقاً صغيرا وتقبل قُدُماً إلى المقبرة ...

— « لم أقبلن إذن في هذه البكرة المقرورة ؟ بالله ! الموت ياسيد الأولب ! صديق بيلاديز ! هلم نختبيء انرى ! »

ويختبئ أورست وصديقه بيلاديز ، وتقبل النسوة في إثر إلكترا الواهية التي حطم قلبها الحزن ، وأوهن جسمها الأسى ... ويأخذن في نشيد باك يتفجر في موسيقاه الدم ... ويمتزج شجوه بالدموع ... ويشرن إلى القبور وبينها هذا القبر ، ثم يتلفتن فيرين القصور النائية وفوقها هذا القصر ! ... فيرثين لآرجوس ويرثين للفتاة المحزونة الواقفة بينهن ... ويصلن ترنيمتهن ... فيذكرن نأيهن الذي شط واستطال عن الأوطان ويذكرن هذه الشباك المحكمة من الجواسيس والعسس المنشرة فوق آرجوس ، تلتقط الأبرياء والمظلومين ليروى من دمائهم إيجستوس ، ولتجهز من شبابهم النضر ضحايا لفسق الملكة ! ...

وتتكلم إلكترا ، بعد أن تذرف عبرة أو عبرتين ، فتستشير المنشدات فيما أمرتها أمها الآثمة أن تفعل بزقاق الخمر ... في هذا المكان المقفر ... إلا من الذكريات !

— « إذا صببت قرباني الخمرى ، فماذا أقول ؟ هل أقول « قربانا يا أبي ، من زوجتك التي سفكت دمك غير راحمة ، نشداناً للذة ، وحرصا مجرماً للهوى ؟ » أم أقول « لتهدأ يا رفات ! ولترضَ بالغدرة الكبرى التي دُبرت لك ، فلا تنتفضي تحت أطباق الثرى لترسلي الوبل على الظالمين ؟ » ، أم أصبها وألقى الزقاق ثم أنثني كأن ليس بي من ذلك المأتم حزن مقيم ووجد دفين ! » تكلمن بحق مودتي عليكن ، فنحن في الهم شركاء ، ولا تحبسن محض النصح عن فتاتكن ، ولا تخشين في البلاط الدنس أحدا ، فالأقدار قد شاءت أن تبسط كفها القاسية في هذه المأساة على رقاب السادة وأعناق العبيد ، حتى يكونوا سواسية ... »

— حبًا يا أميرة وطواعية ... إن قبر أبيك يفرض علينا النصح لك »

— « إذن ... ! ! »

— « إذن فاضرعي أن يسمع الأصدقاء لصلاتك ، وتصغي قلوبهم لتوسلاتك ! »

« الأصدقاء ؟ ! أي أصدقاء يعنيهم ما أصلي وما أتوسل ؟ »

— « أنت ، وذلك النائي عن هذه الديار ! »

— « من تعنين بحق الآلهة عليكن ؟ »

— « أورست !! أخاك يا أميرة ! ! صلى من أجله واضرعي للآلهة أن تسفك به ! »

— « آه ! للآلهة دَرُّ كُنَّ ! إذن ! »

— « ثم فكرى في هذا الدم المسفوك ، وفي أصحابه الأشرار الفجرة ! »

— « وكيف ؟ ... ... »

— « قد ترسل الآلهة نقمتها ... »

— « وله ! وعلى رأس من ؟ »

— « على رؤوس المجرمين ! »

« ويلاه ! المجرمين ؟ ! ومن هم المجرمون ؟ ... يا سماء ! ... يا سيد الأولمب ! رحماك يا إلهي ! اللهم ارع أخي يثأر لأبي ... من ... ممن يا عذارى إليوم ؟ ! ممن ؟ آه ياروح أبي ! رفرفي في سموانك ! وانتفضي في هيدز ! وتعالى فأرسلي أورست يثأر لك ! »

وتترنم المنشدات ، وتأخذ إلكترا في صب الخمر

— « باللآلهة ! ماذا أجد ؟ خصلتان من الشعر ؟ »

— « خصلتان من الشعر ؟ من رأس من يا ترى ؟ »

وتضع الشعر عند رأسها فيبدو الشبه كبيراً ، فتنزعج ...

— « ماذا بك ؟ فيم تغتمين هكذا ؟ ... »

— « إنهما من رأسه ! ... من رأسه هو ! من رأس أخي ؟ »

— « ربما يا أميرة ! ولكن ! كيف جازف بنفسه في هذه البرية الموحشة ؟ من أرسله ؟ »

وتنظر إلكترا حول المقبرة فترى آثار أقدام ...

— « وما هذا أيضاً ؟ ... آثار أقدام ! ... لا ريب إذن ! إنها آثاره ياعذارى !

ولكن ! ... إنها آثار رجلين لا رجل واحد ! ... آه ... قد يكون صديقا ... ياسماء ! ... »

ثم يظهر أورست فجأة ، ويقول :

— « إذن ! قد سمعت السماء صلاتك !

فتنزعج إلكترا ، وتدهش المنشدات ...

— « من ! ! من الرجل ؟ ...

— « أنا ؟ أنا هو ؟ ... أنا من كنت تهتفين باسمه الآن ! »

— « أوه ! أتخدعنا ياصاح ؟ إذهب ! وحسبنا ما نحن فيه ! »

— « أخدعك ؟ إذن أخدع نفسي !

— « سخرية . . . إذهب ، إذهب ! »

— « سخرية . . . ؟ عن ؟ بي ؟ . . . أسخر بنفسي ؟ »

— « أفأنت هو حقاً ؟ . . .

— « . . . ؟ ؟ . . . »

ويبكي أورست !

— « . . . ؟ أورست ؟ أخي ؟ »

— « . . . أفي مرية أنت ؟ إلكترا ؟ . . . خذي هـذا الشعر أيضاً ... خذي ! هاتي رأسك وانظري ! ... ... ولكن أنظري أيضاً ! أليس هذا هو الجلباب نفسه الذي خاطته يداك ؟ إنه هو ... اللحمة والسدى ! ! والصور المطرّزة ! ... لا ... لا ... لا يقتلك فرحك ! ليس لنا الآن أن نفرح بهذا اللقاء المفاجيء بين يدي ذلك القبر المنفرد ! إن لنا لساعة ! ... ! كبحي جماحك ، وهيمني على فؤادك ! فلنا أعداء ... وهم أقرب الناس إلينا ... »

— ٥ —

ولم يكذب أورست ، فلقــد كاد الفرح يقتل إلكترا ! إنها لم تره منذ عشرين سنة ! ثم ... أليس هو الآن بين يديها بعد طول انتظار ... وأحلام ... وأماني ؟ ... أو لم تكن هـذه اللحظة فقط ، تصلي للسماء ، وتضرع للآلهة ، أن ترسل لها أورست ؟ أليست السماء قد صغت ، والآلهة قد استجابت ؟

لقـد كانت أمها رأت في نومها حلماً مزعجاً ممضاً ... رأت أنها تلد أفعى هائلة ، ذات أنياب ! وأنها تأخذها فتضمها إلى صدرها ... ! يالهول ! إن الملكة تنتفض من نومها مذهولة مروّعة ! ... وإنها لتذكر أجاممنون فجأة ... تذكره بعد عشرين سـنة ! وتذكر أورست المنفي بأمرها في أقصى الأرض ! وإنها لتهب من السرير الديباجي الوثير ... وتنشر ذراعي إيجـستوس الجبارتين الملفوفتين حول خصرها ! ... وإنها لتنطلق في القصر مذعورة في أبهائه ... إلى ... بهو العبيد والخدم ... بهو العذارى الطروادیات ، حيث تنام إلكترا على فراش من الشوك ، تفكر في عشرين سنة مملوءة بالدم ... مملوءة بالدم ... مملوءة بالدم ...

وإن الملكة لتوقظها من أحلامها ، وتأمرها ، وسائر الطروادیات ، فينطلقن إلى المقابر بزقاق الخمر ، يسـقين الثرى ، ويقربن إلى أجاممنون ... ويرضين روحه الغضبى ! !

ولكن ، ولكن الصلاة تنقلب ، والقربان يصعد إلى السماء فيغضب الآلهة ، فترسل أورست ، ويتحقق الحلم الأسـود ... الأفعى ! الأفعى ذات الأنياب ، يتدفق منها السم الزعاف ! !

ويصليان لزيوس صلاة حارة ، ويضرعان إليـه أن يكون معهما فيما هما قادمان عليه من ذلك الهول الأكبر ... فاذا ارتفع صوتهما ، وعلا جُؤارُهما ، تقدمت رئيسـة المنشدات فابتهلت إليهما أن يتكلما همساً — « فقد تسمعكما أذن شر فيفشل سعيكما وتذهب ريحكما ، ولا تقوم لـكما قائمة من بعـد ! » فيطامنها أورست — « ليفرخ روعك أيتها السيدة الصالحة ! فلقد أرسلني أبوللو لآخـذ بثأر أبي ، فان لم أفعل ، فليجمد دمي حتى يكون كالثلج في عروق ! لا بد أن يشربا بالكأس التي أفرغاها في فم هذا الثاوي هنا ... يتطلع إلى ما يفعل له ابناه ، وآخر أثارة منه في هذه الحياة ! »

ويتقدم الفتى والفتاة فيصليان على قبر أبيهما صلاة حارة ، ثم يعطيانه موثقاً صادقاً أن يثأرا له ، ولو كلفهما الأثار له هـذه الصبابات من الدم التي أبقى عليها الأسى في عروقهما

ويلتمسان منه العون ، ويضرعان إلى السماء أن تكون معهما ، والى الآلهة أن تسدد خُطاها

دريني خشبه

(البقية في العدد القادم)



البريد الأدبي

وفاة الأستاذ جميل صدقي الزهاوي



كانت أعراض الشيخوخة وأزمات الداء قد أخذت منذ حين تصارع في غير هوادة حيوية القلب الفتي والعصب الشاعر في هيكل الزهاوي ، وكان الزهاوي يأبى أن يهادن الزمن الغلاب ، فهو حركة فكرية دائبة وجملة عصبية ثائرة ، لا يفتر ليله عن الفكر ، ولا يكل نهاره من الحديث ؛ وحديثه المتصل في قصر الالهام ، وفي دار الدفتري ، وفي مقهى (أمين) إذابة لجسمه وإحراق لعصبه ، لأنه لا ينفك منفعلا بشعوره متأثراً بطبعه . وحياة الزهاوي كلها تفكير في قصيدة ، أو قراءة في كتاب ، أو محاضرة في حديث

ذهب الزهاوي يوم الأحد الماضي متأخراً على غير عادته إلى قهوته المختارة في منعطف شارع خالد بن الوليد ببغداد ، وكان أصدقاؤه وتلاميذه وسماره قد تحلقوا حول مقعده الخالي ينتظرون كاهن أبوللو وشاعر الفكر الحديث ؛ دخل متوكئاً على ذراع خادمه محمود ، وهو يبسم لجلاسه بسمة السراج الفاني والأمل الشاحب ؛ ثم شكا بعد شوط من الحديث الممتع ألماً في أعلى كتفه الأيمن عزاه إلى كثرة ما كتب ليلة الأمس ، إذ قضى ليله ينظم قصيدة أخرى يحيي بها مصر على لسان الوفد النيابي الذي سيزورها عما قريب ؛ ثم اجتزأ بأكل قليل من الكمأة ولم يعد إلى الغداء في البيت ، واقترح على صديقه الأستاذ بحري صاحب العقاب أن يذهبا إلى السينما فيشاهدا فلماً مصرياً ورد بغداد منذ قريب ، ولكن الألم اشتد بَرْحه والقلب زاد وجيبه ؛ فأقبل على صديقه وقال بلهجته الخاصة : « يا أفندم ! إن هذا الألم يكاد يقضي عليَّ ، وهذه النوبات العصبية تنهك قواي . . يا أرحم الراحمين انقذني من هذه الآلام ! » ثم رغب أن يعود إلى داره ؛ ولم يكد يدخلها حتى أحس بالداء يتسع وبالنفَس يضيق ، فدعوا اليه الطبيب حوالى الساعة الرابعة بعد ظهر الأحد ولكنه كان قد فارق الحياة !

***

ريعت بغداد بالنعي المفاجيء والخبر الأليم ، وملكها الجزع على لسانها الذي أخرسه الردى ، وقلبها الذي أسكته القدر ، وتقاطر الناس على دار الشاعر الهامد يتقدمهم الوزراء والعلماء والنواب والأعيان والقادة ؛ وفي الوقت المحدد للجنازة من ظهر يوم الاثنين خرج النعش محمولاً على أكتاف عشرين طالباً من طلاب الفتوة فوضعوه في السيارة ، وجلس من خلفها الشاعران الكبيران رضا الشبيبي ومعروف الرصافي ، ومن أمامها اثنان من أقارب الفقيد . فسارت تحيط بها السريتان الأولى والثانية من الفوج الأول ، تتقدمها فرق الجوالة وفرق الفتوة المدارس الثانوية والعالية ودور المعلمين ومع كل فرقة إكليلها ، ويمشي وراءها الوزراء الحاليون والسابقون والمديرون العامون وكبار الضباط ووجوه البلاد وجماهير الشعب حتى بلغت الأعظمية فصلوا عليها في مسجد الامام أبي حنيفة ؛ ثم حملتها فرقة من فرق الفتوة إلى مرقدها الأخير في باحة « دار العلوم العربية » على مقربة من ضريح الامام الأعظم . تغمد الله شاعر العروبة بالرحمة وعزى فيه الأمة العربية خير العزاء

ذلك خبر تلقيناه بالطيارة آخر الوقت فسجلناه عن الرجل الذي مات ، أما الزهاوي الصديق الشاعر الفيلسوف ، فسنعود اليه ثم نعود

ندوة الزهاوي

روت (البلاد) أن رجال الأدب في بغداد أبدوا رغبتهم الملحة في أن تجعل الحكومة دار الأستاذ الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي (ندوة للأدباء) في بغداد، واقترح أحدهم بأن تقوم الحكومة بشراء هذه الدار وترتيبها وتنسيق أثاثها بما فيها كتب الأستاذ ومخطوطاته ودواوينه على غرار دار (شكسبير) في انكلترا، ودار (جوته) في ألمانيا، و (فكتور هوجو) في فرنسا؛ وليس ذلك كثيراً على وفاء العراق، ولا غريباً من حكومة الهاشمي

تأبين الزهاوي

كذلك روت الجريدة أن جمهرة من كبار رجالات العاصمة وأدبائها اعتزموا اقامة حفلة تأبينية كبرى لفقيد العربية، وشيخ القريض الزهاوي في يوم أربعينه، وستكون الحفلة تحت اشراف الدولة، وسيدعى لها كبار الأدباء والشعراء في الشرق العربي

أسبوع المتنبي في الجامعة المصرية

حالت الحوائل السياسية المعروفة دون اقامة هذا الأسبوع في الموعد الذي حدد له من قبل، وقد استقر اليوم قرار كلية الآداب على أن يقوم في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية في الساعة السادسة من مساء الأيام الآتية على النحو الآتي:

الثلاثاء ١٠ مارس: خطبة الافتتاح لصاحب السعادة الأستاذ مدير الجامعة، و «المتنبي شاباً» للدكتور طه حسين

الأربعاء ١١ مارس: (سيف الدولة الحمداني) للأستاذ عبد الحميد العبادي، ثم (المتنبي وسيف الدولة) للأستاذ أحمد أمين

الخميس ١٢ مارس: (كافور الأخشيدي) للدكتور حسن ابراهيم حسن، ثم (المتنبي في مصر) للأستاذ أحمد الشايب

السبت ١٤ مارس: (المتنبي من خروجه من مصر إلى وفاته) الأستاذ مصطفى السقا، ثم (أسلوب المتنبي) للأستاذ عبد الوهاب حموده

الاثنين ١٦ مارس: (المتنبي والنحاة) الأستاذ ابراهيم مصطفى، ثم (فلسفة المتنبي) للأستاذ مصطفى عبد الرازق

الثلاثاء ١٧ مارس: (مكانة المتنبي في الأدب العربي) للدكتور طه حسين

١ — قبر أبي عبيدة عامر بن الجراح. ٢ — الرقيم

قرأت في الصفحة ٣٧٦ من المجلد الأول من دائرة المعارف الاسلامية التي يقوم بترجمتها لفيف من شباب مصر الناهض، أن أبا عبيدة عامر بن الجراح توفي بالطاعون عام ١٨ﻫ في أمواس وأن قبره بجامع الجراح في دمشق

والراجح أن أبا عبيدة توفي في شرق الأردن بالطاعون الذي ينسب الى عمواس (لا أمواس كما ترجمت خطأ) وعمواس هذه قرية تقع بين القدس ويافا. ولعل وباء الطاعون تفشى فيها أولاً ثم انتشر في جميع البلاد السورية فمات به خلق كثير منهم أمين الأمة ومعاذ بن جبل وضرار بن الأزور وشرحبيل بن حسنه ويزيد بن أبي سفيان. ودفنوا جميعاً في غور الأردن، ولا تزال قبورهم ماثلة للعيان عدا قبر يزيد الذي اندثرت معالمه ولم يبق له أثر

وقد رمم ضريح أبي عبيدة في عهد السلطان بيبرس كما جاء في الكتابة المنقوشة عليه، وهذه صورة عنها:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«وأمر بانشاء هذه القبة المباركة على ضريح أبي عبيدة الجراح رضي الله عنه مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبو الفتح بيبرس ابن عبد الله قيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه ابتغاء مرضاة الله ورسوله مما وقفه عليه وحبسه من نصف مناصفات دير معل تونين من حمص من عمل حصن الأكراد المحروس تحبيساً مؤبداً دائماً أثاب الله واقفه بجوده وكرمه يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين. وذلك بنظر الأمير الأعز الأجل الكبير نسله ناصر الدين الجامنكلي الظاهري السمدي نائب مملكة عجلون المحروسة في ذي الحجة سنة ستمئة وسبعة وخمسون»

***

وجاء في الصفحة ٢٤٣ من المجلد الثاني من دائرة المعارف الاسلامية أيضاً أن الرقيم «قد تكون جهة في شرق الأردن قريبة من عمان»

أقول قد تكون الرقيم هذه قرية الرجيب التي تقع الى الشرق من عمان على مسافة تسعة كيلو مترات منها، لأن البدو كثيراً ما يقلبون القاف جيما والميم باء

ويوجد في هذه القرية مغاور عديدة نمت بجوارها أشجار برية قديمة العهد. والسبب في قدمها هو احترام البدو لها.

وتحريمهم قطعها لاعتقادهم أنها كانت تظلل الكهف الذى نام فيه الفتية المذكورون فى القرآن ولبثوا فيه ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ويقدس البدو والفلاحون هذه الكهوف كتقديسهم لأى مزار أو مقام

والرقيم من المنازل التى كان يرتادها الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك للهو والصيد ، وفيه يقول الشاعر :

أمير المؤمنين اليك نهوى على البخت الصلادم والعجوم
فكم غادرت دونك من جهيض ومن نعل مطرحة جذيم
يزرن على تنائيه يزيداً بأكناف الموقر والرقيم
تهنئه الوفود إذا أتوه بنصر الله والملك العظيم

والموقر المذكور بجانب الرقيم هو قصر أو حصن أموى — ولعله من بناء يزيد — يقع على مقربة من الرقيم (أو الرجيب)

وقد ورد فى أحسن التقاسيم للمقدسى أن الرقيم « قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية فيها مغارة ، لها بابان صغير وكبير ، ويزعمون أن من دخل الكبير لم يمكنه الدخول من الصغير . وفى المغارة ثلاثة قبور تسلسل لنا من أخبارها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بينما نفر ثلاثة يتماشون إذ أخذهم المطر فمالوا إلى غار فى الجبل ، فانحطت الى فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم »

وهذا القول ينطبق تمام الانطباق على ما نشاهده اليوم فى قرية الرجيب ، وما نسمعه من القصص والأساطير التى تروى عن كهوفها ومغاورها ؟

(عمان) بهاء الدين طوقان

مديرية أسوان

قال الأديب رشوان احمد فى مقاله المنشور فى العدد الماضى من الرسالة : « إن الملك منوسوفيس (وهو الملك الثانى عشر من ملوك الأسرة السادسة) أرسل القائد هرخف إلى بلاد بنت » ظناً منه أو خطأ فى مصدر النقل أن هذه البلاد جنوب صعيد مصر لقوله « وفى عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل امرتسن الأول ثانى ملوك هذه الأسرة القائد هونو بطريق قفط والقصير لجباية الجزية ... »

والمعروف عن بلاد بنت أنها بلاد الفينيقيين ومنها صيدا وصور

أما هجرة المصريين فى عهد قلاقل الأسرة الخامسة عشرة فقد كانت إلى نبتة أو نباطى وهى عاصمة بلاد النوبة لا أتيوبيا ، ولم تكن مملكة أتيوبيا مجاورة للمملكة المصرية إلا بعد غزوة ملوك مصر للنوبة والكوش ، وقد غزا بعنخى ملك النوبة مصر أيام حكومة الآشوريين ، وهذه الغزوة هى التى يخطئ فيها بعض المؤرخين فيسمونها غزوة الزنوج لمصر

وقد ذكر أن « رمسيس غزا بلاد أتيوبيا وأقام هيكلا عند كلابشة ، ويسمى ببيت الولى عند سكان كلابشة » ولكن المعروف أن رمسيس الثانى غزا النوبة وسطر حروبه وانتصاراته على معبد أبى سمبل ، وأما كلابشة وهيكلها المسمى بيت الوالى « لا بيت الولى » فيقال إن الهيكل من عمل امرتسن الثانى .

ولم تكن كلابشة وأبو سمبل تابعتين لأتيوبيا ولا لكوش فى وقت ما ، وما زالتا من القرى النوبية ، وهما اليوم من أعمال مركز الدر ، فكلابشة فى أقصى الشمال وأبو سمبل فى أقصى الجنوب

والكاتب جغرافى ولكنه لم يلتفت إلى تقسيم وادى النيل فى كلامه التاريخى ، فالمعروف جغرافياً أن مصر جنوبها النوبة ، وجنوب النوبة السودان ، وفى الجنوب الشرقى من السودان أتيوبيا أو الحبشة كما تسمى الآن

ولم يذكر غزوة على بابا ملك النوبة أيام عنبسة آخر ولاة العباسيين لمصر واستيلائه على صعيد مصر ، وأما الفنج فقد كان عاصمة ملكهم فى سنار (لا فى سناد) وقد تكونت مملكة الفنج فى حوض النيل الأزرق واستولت على جزء من أتيوبيا ، والجزء الجنوبى من النوبة

أما حكومة الكشاف التى بدأت فى بلاد النوبة بعد فتح السلطان سليم ، فقد كان الحكام من الأتراك ؛ وأول من تولى حكم النوبة وخاصة الاقليم الممتد من الشلال الأول حتى آخر مديرية دنقلة كان إلبانياً يدعى حسن قوسه وهو رأس أسرة الكشاف الحالية بمركز الدر ، ولم يتعرض محمد على باشا لاحفاده فى حكمهم عند غزوته للسودان ، لأن الحاكم قدم له فروض التابعية وساعده على نقل الجيوش إلى السودان ، وقد رضى بتقديم الضرائب لوالى مصر على أن يعفى أبناء الاقليم من الجندية ، وكان ذلك حتى اليوم ، ولكن نفوذ الحكام أخذ يتلاشى إلى أن قضى على سلطة الكاشف الروحية فى أواخر أيام توفيق باشا . أما معاهدة ١٨٩٩ فتنص على أن حدود مصر هى « فرس » جنوب حلفا بقليل ، وما فرس إلا جزيرة فى عرض النهر ، ولكن الانجليز وضعوا حدهم أمام فرس على ضفتى النيل الشرقية والغربية مع أن هذا الحد ليس بفاصل طبيعى

يوسف سميع

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٠ — ٩ مارس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 140.

Lundi 9-3-1936


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٩ مارس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة

٣٦١ المعنى السياسى فى العيد ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٣٦٣ رسوم الفطر والأضحى ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٣٦٥ التعليم والحالة الاجتماعية فى مصر ... ... : الأستاذ اسماعيل مظهر ... ...
٣٦٩ قصة المكروب ... ... : الدكتور أحمد زكى ... ...
٣٧١ المازنى العاشق ... ... : الأستاذ أبو سلمى .. ..
٣٧٣ ميرابو ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...
٣٧٦ الحاكمون بأمرهم ... ... : الأستاذ عبد الحليم الجندى ...
٣٨١ الحياة الأدبية فى بغداد ... : عبد الوهاب الأمين ... ...
٣٨٣ الرسالات ... ... : السيدة وداد سكاكينى ... ...
٣٨٥ نظرية النسبية الخصوصية : الدكتور اسماعيل أحمد أدهم ...
٣٨٨ صور الصداقة والعداوة (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٣٨٩ أنا قبر « : زكى المحاسنى ... ...
٣٨٩ ليلة فى الحمراء « : ناجى الطنطاوى ... ...
٣٨٩ فى غمرة الهوى « : الياس قنصل ... ...
٣٩٠ ابن بسام صاحب الذخيرة : الأستاذ عبد الرحمن البرقوق
٣٩٢ ثأر أورست (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٩٧ جون نيتل ومشروعه لتعليم الفلاح المصرى ... ...
٣٩٨ كتاب الذخيرة لابن بسام ... ...
٣٩٩ تراث جك بانفيل ... ...
٣٩٩ أحرب أم سلام ؟ ... ...
٤٠٠ الحياة المصرية المعاصرة . الفوكلور المراكشى ... ...

المعنى الســـياسى فى العيد

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

ما أشد حاجتَنا نحن المسلمين إلى أن نفهم أعيادَنا فهماً جديداً نتلقاها به ونأخذها من ناحيته فتجئ أياماً سعيدة عاملة تنبه فينا أوصافَها القوية وتجدد نفوسنا بمعانيها ، لا كما تجىء الآن كالحةً عاطلةً ممسوحةً من المعنى ، أكبر عملها تجديدُ الثياب ، وتحديد الفراغ ، وزيادة ابتسامة على النفاق

فالعيد إنما هو المعنى الذى يكون فى اليوم لا اليومُ نفسُه ، وكما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم ؛ وكان العيد فى الإسلام هو عيدَ الفكرة العابدة ، فأصبح عيدَ الفكرة العابثة ؛ وكانت عبادة الفكرة جمعَها الأمة فى إرادة واحدة على حقيقة عملية ، فأصبح عبث الفكرة جمعَها الأمة على تقليد بغير حقيقة ، له مظهر المنفعة وليس له معناها

كان العيد إثبات الأمة وجودَها الروحانى فى أجمل معانيه ، فأصبح إثباتَ الأمة وجودَها الحيوانىَّ فى أكثر معانيه ؛ وكان

يوم استرواح القوة من جدها ، فعاد يوم استراحة الضعف من ذله ؛ وكان يوم المبدأ ، فرجع يوم المادة !

* * *

ليس العيد إلا إشعارَ هذه الأمة بأن فيها قوةَ تغيير الأيام ، لا إشعارها بأن الأيام تتغير ؛ وليس العيد للأمة إلا يوماً تعرض فيه جمالَ نظامها الاجتماعى ، فيكون يومَ الشعور الواحد فى نفوس الجميع ، والكلمة الواحدة فى ألسنة الجميع ؛ يوم الشعور بالقدرة على تغيير الأيام ، لا القدرة على تغيير الثياب . . . . كأنما العيد هو استراحة الأسلحة يوماً فى شعبها الحربى

وليس العيد إلا تعليم الأمة كيف تتسع روحُ الجوار وتمتدّ حتى يرجع البلدُ العظيمُ وكأنه لأهله دار واحدة يتحقق فيها الإخاء بمعناه العملى ، وتظهرُ فضيلةُ الإخلاص مستعلنةً للجميع ، ويُهدى الناس بعضُهم إلى بعض هدايا القلوب المخلصة المحبة ، وكأنما العيدُ هو إطلاقُ روح الأسرة الواحدة فى الأمة كلها

وليس العيدُ إلاّ إظهار الذاتية الجميلة للشعب مهزوزةً من نشاط الحياة ؛ ولا ذاتية للأمم الضعيفة ؛ ولا نشاط للأمم المستعبدة . فالعيدُ صوتُ القوة يهتف بالأمة : أخرجى يومَ أفراحك ، أخرجى يوماً كأيام النصر !

وليس العيدُ إلاّ إبراز الكتلة الاجتماعية للأمة متميزةً بطابعها الشعبى ، مفصولةً من الأجانب ، لابسةً من عمل أيديها ، معلنة بعيدها استقلالين فى وجودها وصناعتها ، ظاهرة بقوتين فى إيمانها وطبيعتها ، مبتهجة بفرحين فى دورها وأسواقها . فكأن العيد يوم يفرح فيه الشعب كله بخصائصه

وليس العيد إلاّ التقاء الكبار والصغار فى معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة فى طريقها ، وترك الصغار يلقون درسَهم الطبيعى فى حماسة الفرح والبهجة ، ويعلّمون كبارهم كيف توضع المعانى فى بعض الألفاظ التى فرغت عندهم من معانيها ، ويُبَصِّرونهم كيف ينبغى أن تعمل الصفات الإنسانية فى الجموع عملَ الحليف لحليفه ، لا عمل المنابِذ لمنابِذه . فالعيدُ يومُ تسلط العنصر الحىّ على نفسية الشعب

وليس العيد إلاّ تعليم الأمة كيف توجِّه بقوتها حركة الزمن إلى معنى واحد كلما شاءت ؛ فقد وضع لها الدين هذه القاعدة لتُخرِّجَ عليها الأمثلة ، فتجعلَ للوطن عيداً مالياً اقتصادياً تبتسم فيه الدراهم بعضُها إلى بعض ، وتخترع للصناعة عيدَها ، وتوجد للعلم عيدَه ، وتبتدع للفن مجلَى زينته ؛ وبالجملة تنشئ لنفسها أياماً تعمل عمل القوّاد العسكريين فى قيادة الشعب ، يقوده كل يوم منها إلى معنى من معانى النصر

* * *

هذه المعانى السياسية القوية هى التى من أجلها فُرض العيدُ ميراثاً دهرياً فى الإسلام ليستخرج أهل كل زمن من معانى زمنهم فيضيفوا إلى المثل أمثلةً مما يُبدعه نشاط الأمة ، ويحققه خيالها وتقتضيه مصالحها

وما أحسب الجمعة قد فرضت على المسلمين عيـداً أسبوعياً يُشترط فيـه الخطيب والمنبر والمسجد الجامع ، إلاّ تهيئةً لذلك المعنى وإعداداً له . ففى كل سبعة أيام مسلمة يومٌ يجىء فيُشعر الناسَ معنى القائد الحربى للشعب كله

ألا ليت للمنابر الإسلامية لا يخطب عليها إلاّ رجالٌ فيهم أرواحُ المدافع ، لا رجال فى أيديهم سيوف من خشب . . . .

مصطفى صادق الرافعى

عدد الرسالة الممتاز

ستصدر الرسالة على عادتها عدداً ضخماً فخماً فى رأس السنة الهجرية تدور موضوعاته على المواقع العربية والمواقف الإسلامية التى كان لها أثر ظاهر فى تقدم المدنية . وسنعلن عن كتّابه بعد

رسوم الفطر والأضحى

فى عهد الدولة الفاطمية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الدولة الفاطمية فى مصر دولة البهاء والبذخ والترف فى الحياة العامة وفى الحياة الخاصة ؛ وكانت مواكب الخلافة الفاطمية ورسومها الفخمة دائماً مثار الروعة والاجلال ، وكانت أعيادها ومواسمها الباهرة مثار البهجة والفرح العام ؛ وما زالت آثار من تلك الرسوم والمواسم الشهيرة تمثل فى كثير من أعيادنا ورسومنا وتقاليدنا الدينية ؛ فاذا رأيت بعض هـذه الأعياد والمواسم يجنح إلى نوع من الفخامة ، وإذا رأيت بعض هذه الرسوم يتشح بأثواب من الرونق والبهاء ، فانما ذلك يرجع فى الأغلب إلى أثر الدولة الفاطمية فى بث هذه الروح الباذخة البهجة إلى كثير من نواحى الحياة العامة والخاصة فى مصر الاسلامية

وربما كان من الشائق الممتع ، وقد قضى المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها عيد الأضحى المبارك ، أن نقف على طرف من الرسوم والتقاليد التى كانت تجرى عليها الخلافة الفاطمية فى الاحتفاء بهذا العيد الاسلامى الجامع ؛ وقد كان للخلافة الفاطمية أعيادها ومواسمها الدينية الخاصة ، إلى جانب العيدين الاسلاميين الرئيسيين ، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى ؛ وكانت تحتفى بهما فى حفلات ومظاهر رسمية رائعة ؛ وكان موكب العيـد من أعظم مواكب الخلافة الفاطمية ؛ ففى ليلة عيد الفطر كان يعقد فى الليل بالإيوان الكبير الذى يواجه مجلس الخليفة سماط ضخم يبلغ طوله نحو ثلثمائة ذراع فى عرض سبعة أذرع ، وتنثر عليه أنواع الفطائر والحلوى الشهية مما أعد فى دار الفطرة الخلافيـة ؛ فاذا انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجاسه ، وفتحت أبواب القصر والايوان على مصاريعها ، وهرع الناس من جميع الطبقات إلى السماط الخلافى وتخاطفوا ما عليـه بحضور الخليفة ووزرائه ؛ وحينما تبزغ الشمس يركب الخليفة فى موكبه إلى الصلاة ويخرج من باب العيد إلى المصلى ؛ وقد انتهت إلينا عن هـذه المواكب الفاطمية من أقوال المؤرخين المعاصرين صور تبهرنا بروعتها وجمالها ؛ ونحن نحيل القارئ على تلك الفصول الشائقة البديعة التى ينقلها إلينا المقريزى عن هذه المواكب الخلافية الرائعة [1] ونكتفى بأن ننقل اليه هذه الصورة الموجزة من أقوال المسبحى مؤرخ العصر الأول من الدولة الفاطمية ، قال :

« وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى ، والعسكر فى زيه من الأتراك والديلم والعزيزية والأخشيدية والكافورية ، وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب . وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر ، والسروج بالعنبر ، وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة ، وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف » [2]

فاذا عاد الخليفة من الصلاة كان ثمة سماط آخر أبهى وأروع وهو السماط الثانى لعيد الفطر ؛ فيجلس الخليفة فى مجلسه وأمامه مائدة من فضة يقال لها المدورة وعليها أوانى الذهب والفضة غاصة بأفخم الأطعمة وأشهاها ؛ وقبالة المائدة الخلافية سماط ضخم يتسع لنحو خمسمائة مدعو ، وقد نثرت عليه الأزهار والرياحين [3] وصفت على حافتيه الأطباق الحافلة بصنوف الشواء والطيور والحلوى البديعة ، وجلس إليه رجال الدولة والعلماء والأكابر من كل ضرب وأكل من شاء دون الزام حتى لا يرغم على الافطار من لا يرى الافطار فى ذلك اليوم ؛ وعند الظهر ينفض المجلس وينصرف الناس

* * *

وأما عيد الأضحى أو عيد النحر كما كانت تؤثر تسميته فى ظل الدولة الفاطمية تنويها بأبرز مظاهره ألا وهى نحر الأضحية ، فقد كان يحتفى به بركوب الخليفة إلى الصلاة على النحو المتبع فى صلاة عيـد الفطر ثم يخص بسماط حافل يقام فى أول يوم منه . بيد أنه يمتاز بركوب الخليفة فيـه ثلاث مرات متوالية فى أيامه الثلاثة الأولى ، ويمتاز بالأخص باشتراك الخليفة نفسـه فى اجراءات النحر ؛ وكان قيام الخليفة بهذا العمل من أروع المظاهر والمراسيم التى جرت عليها الخلافة الفاطمية فى الأعياد العامة . فلنتصور

(١) راجع خطط المقريزى (الطبعة الأهلية) ج ٢ ص ٢١٤ إلى نهاية المجلد (٢) الخطط — ج ٢ ص ٣٢٣

(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٢٠ ، ومن هذا نرى أن تزيين المائدة بالأزهار ليس عادة محدثة وليس بالأخص فكرة أفرنكية

أمير المؤمنين متشحاً بثوب أحمر قان يسير فى موكبه ماشياً إلى دار النحر الخلافية — وقد كانت تقوم فى ركن خارجى من القصر — وبين يديه الوزير وأكابر الدولة والأساتذة المحنكون [1] (وهم المشرفون على شؤون الخاص) ويكون قد اقتيد إلى النحر واحد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة يعلوها الخليفة وحاشيته ، وقد فرشت حافتها بأغطية وبطائن حمر يتقى بها الدم ، وحمل الجزارون كل بيده إناء مبسوطا يتلقى به دم الضحية ؛ ثم تقدم رؤوس الأضاحى إلى الخليفة واحدة فواحدة ، فيدنو منها وبيده حربة يمسك بها من الرأس ، ويمسك القاضى بأسفل سنانها ويجعله فى عنق الدابة فيطعن بها الخليفة ، وتجر من بين يديه حتى يأتى عليها جميعاً ، وكلما نحر الخليفة رأساً جهر المؤذنون بالتكبير ؛ وتقدد الضحية الأولى ، وتفرق قطعاً صغيرة فى الأولياء والمعتقدين ؛ وفى اليوم التالى ينتظم نفس الموكب إلى النحر ، وينحر الخليفة سبعة وعشرين رأساً ؛ وفى اليوم الثالث ينحر ثلاثة وعشرين ؛ ويجرى توزيع لحم الأضحية خلال هذه الأيام الثلاثة على أرباب الرسوم فى أطباق خاصة للتبرك ، ويقوم بالتوزيع قاضى القضاة وداعى الدعاة ، ويخص نقباء الدعوة وطلبة دار الحكمة (دار العلم) بقسط من اللحوم الموزعة ؛ فاذا انقضت مراسيم النحر خلع الخليفة عند العودة إلى القصر على الوزير ثيابه الحمر ومنديلا ملوكياً بغير سمة ، والعقد المنظوم ، فيركب الوزير وعليه الخلع المذكورة فى موكب حافل من القصر شاقا القاهرة حتى باب زويلة ، ثم يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة ؛ وبذلك تنتهى حفلات النحر

وكان الخليفة العزيز بالله أول من سن سنة إعطاء الضحايا وتفريق لحومها فى أولياء الدولة على قدر مراتبهم ، وكان ما يخرج منها غير ما يذبحه الخليفة بنفسه يبلغ بضعة آلاف من مختلف الأصناف هذا عدا ما يفرق فى أرباب الدولة من الخلع والأموال ؛ وقد انتهت إلينا من روايات المؤرخين المعاصرين تفاصيل دقيقة عن مقادير النفقة فى تلك المواسم ، ومنها أن نفقة سماطى الفطر والأضحى كانت تبلغ زهاء أربعة آلاف دينار ؛ ويذبح من البقر والجاموس والنوق فى أيام النحر نحو ألفين وخمسمائة ، ومن الغنم ألفين وأربعمائة ؛ وقد أشرنا إلى ما كان يوزع فى عيد الفطر فى أرباب الدولة من صنوف الفطائر والحلوى ، وكيف كان يسمح للكافة باقتحام إيوان القصر لنهب السماط الخلافى أمام عينى الخليفة ذاته ؛ وعلى الجملة فقد كانت الخلافة الفاطمية تبدى فى المواسم العامة من ضروب البذخ والبهاء والبهجة ، ما يسبغ على هذه المواسم أثوابا ساطعة من الرونق والجمال والسحر

وقد كان هذا البذخ الذى تنثره الخلافة الفاطمية حولها ينفث فى الشعب ذاته حب الظهور والمرح ، فكانت القاهرة تلبس فى تلك المواسم حلة أنيقة باهرة وتحفل شوارعها ومحالها ودورها بأنواع الزينة القشيبة ؛ وكانت فى الليل تبدو كأنها شعلة ساطعة من الأنوار ؛ وكان القصف والمرح يخرجان أحيانا فى تلك المواسم عن حد الاعتدال حتى أن ولاة الأمر لجأوا غير مرة إلى إلغاء بعض الرسوم وتقييد بعض الحريات ؛ وفى عهد الحاكم بأمر الله ألغى الاحتفال ببعض المواسم التى كان القصف يخرج فيها عن حدود الاعتدال مثل عيد الشهيد ، وحرم شرب الخمور والركوب فى الخليج ، وخروج النساء ، واشتد الحاكم فى ذلك حتى كانت القاهرة تغدو أحياناً فى أثواب قاتمة من السكون والاقفار والروع . بيد أنه فيما خلا هذه الفترات القليلة ، كانت الخلافة الفاطمية دائما عند تقاليدها الباهرة تنثر حولها حلل البذخ والبهاء والترف فى كل المواسم والمناسبات

* * *

هذه لمحة سريعة فيما كانت ترتبه الخلافة الفاطمية من الحفلات والرسوم الباذخة لاستقبال العيدين الاسلاميين الرئيسيين ؛ ولم تكن الخلافة الفاطمية أقل بذخا وبهاء فى الاحتفاء بباقى المواسم والأعياد الأخرى كيوم عاشوراء ، ويوم الغدير ، ويوم النيروز ، وعيد الشهيد وغيرها ، فقد كانت تسبغ عليها جميعاً أقصى مظاهر الروعة والفخامة ، وكانت هذه المواسم والأعياد لدى الشعب المصرى أياماً مشهودة تفيض بهجة وحبوراً ؛ وكانت الخلافة الفاطمية ترمى بترتيب هذه الرسوم الباذخة إلى غايتين : الأولى أن تبث هيبتها الدينية عما تسبغه من الخطورة والخشوع على بعض المظاهر والرسوم ، والثانية أن تغمر الشعب

(١) الأساتذة المحنكون هم جماعة من أكابر موظفى القصر الفاطمى يتولون أخص شؤون الخليفة ، ومنهم زمام القصر ، وشاد التاج الشريف ، وصاحب بيت المال ، وصاحب الدفتر ، وصاحب الرسالة ، وزمام الأشراف الأقارب ، وصاحب المجلس ، وقد كانوا أكثر الناس اطلاعا على أسرار الخليفة .

المصري بسيل من الحفلات والمآدب والمواكب الباهرة ، وأن تأسره بمظاهر جودها الوافر ، وأن تنثر عليه ما استطاعت من آيات البهجة والمرح ، كل ذلك لكي تكسب ولاءه وعرفانه وتأييده ؛ وقد كانت الخلافة الفاطمية تشعر دائماً أنها لم تكسب كل ولائه وتقديره ، وأن سياستها المذهبية تبث إلى نفسه شيئاً من الوحشة والريب ؛ بيد أنه يجب أن نقول من جهة أخرى إن الدولة الفاطمية كانت بحق دولة البهاء والبذخ الواسع ، وكانت هذه الرسوم والمظاهر الرائعة من بعض مظاهر قوتها وعظمتها وغناها ؛ وكانت هذه الروح الفخمة الباذخة تطبع كل رسومها ومظاهرها ، في القصر وفي الخارج ، وفي السياسة والدين والادارة ، وفي الحياة العامة والحياة الخاصة ؛ وقد سرت آثار كثيرة من هذه المظاهر والرسوم الفخمة الشائقة إلى كثير من القصور والدول الاسلامية التي تعاقبت على مصر بعد الدولة الفاطمية ؛ وقد نلمس إلى اليوم في بعض الرسوم والنظم الدينية ، وفي بعض مظاهر أعيادنا ومواسمنا لمحات من آثار البذخ الفاطمي

محمد عبد الله عنان

التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

قرأت في العهد الأخير تقريرين عن التعليم في مصر كتبهما عالمان استقدمتهما وزارة المعارف لينظر كل منهما في ناحية خاصة من نواحي التعليم ودرجاته ، وأفضى كل منهما بآراء ناضجة فيما كلف به من بحث . فكتب مستر مان مفتش المدارس وكليات المعلمين بادارة المعارف بانجلترا تقريراً مدعماً بالاحصاءات فائضاً بالأفكار والنظريات ، وكتب مسيو كلاباريد أستاذ علم النفس في كلية العلوم بجامعة جنيف تقريراً آخر عمد فيه إلى نظريات حديثة في علم النفس والتربية لا نعلم مقدار ما فيها من خطأ أو صواب ، لأن الحكم على مثل هذه الأشياء يجب أن يرجع فيه إلى أهل الاختصاص ، وإن كانت النظرة العاجلة التي ألقيتها على هذا التقرير قد أقنعتني ، وقد أكون مخطئاً ، بأن نظريات كلاباريد ربما تكون قد أسلمت به إلى نتائج لا يؤيدها الواقع ولا تسندها الحقائق التي يعرفها كثير من المصريين معرفة أولية لا تحتاج إلى نظر علمي ولا إلى استنتاج من مقدمات

هذا إلى أن العالمين الأوربيين إن كانا قد بحثا في التعليم المصري كل من ناحية اختصاصه ، فان بحثهما إنما جاء قاصراً على الدائرة التي عينتها له وزارة المعارف وفي ضوء المعلومات التي زود بها ، وفي الحدود التي رسمت للتعليم في مصر منذ خمسين سنة مضت . فان كانا قد أحسا بشيء من النقص ، أو وقع لهما شيء يستحق النقد ، فانما وقع لهما فيما هو داخل في هذه الحدود أو مشمول بها . فلم ينظرا مثلا فيما يجب أن يؤدي التعليم في مصر من حاجات الحياة العامة فيها ، وفي علاقة التعليم بالحالات الجديدة التي تكتنف الحياة المصرية في تطورها الحديث . على أن هذا لا ينزل من مكانة ما كتب العالمان الفاضلان أو يقلل من قيمة آرائهما . فان المصريين أنفسهم أحق بأن يتلمسوا مكان النقص الذي يحسونه في التعليم من ناحية علاقته بالحياة عامة ، وبالحالة الاجتماعية خاصة

ومهما يكن من أمر الباحث الأوربي في الشؤون المصرية ، ومهما يكن من علمه وتمكنه فيه ، فانه من المتعذر عليه كما قال مستر مان في تقريره أن يلم به إلمام المحيط بالحقائق الأساسية التي يحس بها المصريون أنفسهم من غير استعانة بآراء أو نظريات . ذلك بأن لكل أمة إحساساً بما يعتورها من نقص لن يفقه الغريب عنها شيئاً من خصائصه إلا بالجهد الشديد وطول التأمل والتفكير . مثل ذلك أن التقريرين اللذين وضعهما العالمان الأوربيان لم يلمسا الحقائق الأولية في حياتنا الاجتماعية وعلاقتها بالتعليم ؛ ذلك في حين أن كل مصري يشعر شعوراً عميقاً بأن عصراً من عصور التطور الفكري قد آذن بأن تشرق شمسه في سماء مصر ، وأن عصراً آخر قد أخذ في الأفول . أضف إلى ذلك أننا نشعر بأن حالاتنا الاجتماعية قد اتجهت في تطورها متجهاً ألقى على التعليم في مصر عبئاً جديداً لم يشعر به آباؤنا ، وقد نشعر بعض الأحيان بشيء من القلق ، وقد نشعر بأن هذا القلق قد يتضاعف بعض الأحيان حتى ليذهب بالبعض إلى حد اليأس من

مستقبل آلاف الطلبة الذين يتعلمون اليوم فى المدارس وتخرجهم الكليات زرافات كل عام . بل إننا أخذنا نشعر بكل ما شعر به الأستاذ هنرى جيمس عند ما قال : إن الاحتفاظ بحالة اجتماعية ثابتة الدعائم قوية الأركان فى جمعية يكتب على المتعلمين فيها عيش الفقر والذلة ، لأمر فيه من البعد عن حقائق الطبع البشرى بقدر ما فى محاولتك بناء هرم يرتكز على رأسه لا على قاعدته من بعد عن حقائق الطبيعة الكونية

ولقد يمارى مفكر فى أن ذلك الشعور العميق الذى يكتنف تفكير الكثيرين من المصريين إنما له أسبابه الغامضة البعيدة عن ادراك الذين لا يفكرون فى التعليم إلا بقدر ما يفكرون فى أداة تخرج متعلمين ، ولا يزيد خطره فى نظرهم عن خطر آلة تخرج أحذية أو لفافات تبغ فى نظر عامل يجهل حقيقة الآلة التى يديرها ، ولا يعرف عنها إلا أمرين : شكلها الظاهر ، وثمرها الذى يجنيه منها

على أن الثمر الذى أخذنا نجنيه من أداة التعليم عندنا قد جدت عليه ظاهرتان جديدتان : الأولى أن طعمه قد أخذ يتغير ، والثانى أن صنفه أخذ ينحط مع كثرة الانتاج . ولا شك فى أنهما ظاهرتان يعلل بهما كثير من الظواهر الاجتماعية التى تمر علينا فى كل يوم صور منها ، وأخصها كثرة العاطلين من المتعلمين ، والجهد الذى يلقاه المجدون منهم فى تحصيل رزقهم الحلال

ولا ريب فى أن هذه الظاهرات ترجع إلى أسباب أخذت تتجمع منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، حتى أفضى بنا التطور إلى الحالة التى تكتنفنا اليوم . ولما كان الغرض الذى أرمى اليه من نشر هذه المقالات إنما يتجه إلى وصف العلاقة التى تقوم اليوم بين التعليم والحالة الاجتماعية والمهمة الكبرى الملقاة على عاتق التعليم فى تنظيم الحالة الاجتماعية ودرء الأخطار التى قد يتعرض لها المجتمع المصرى بقدر ما فى مستطاع التعليم أن يدرأ منها ، وجب أن أظهر أولا أن أشد الأخطار التى يتعرض لها الكيان الاجتماعى فى مصر من ناحية التعليم أن الشاب المتعلم فى مدارسنا العليا يفقد مع التعليم استقلاله الذاتى ، باعتباره قوة لها حقيقة مستقلة عن القوى الأخرى التى تكتنفها . وقد يشعر بذلك الشاب المتعلم ، وقد يشعر به الذين يعلمون أولادهم ، حتى لقد نجد أن بعض القادرين على التفكير ينظرون نظرة تشاؤم إلى المستقبل القريب ، وإن لهم فى ذلك لحقا ، وإن لهم فى تشاؤمهم لأسبابا تبرره وحقائق تعلله ، ومن أجل أن نظهر تطور الحالات التى أفضت بنا إلى هذه النتائج ينبغى لنا أن نذكر حقائق خمسا نرجع فيها إلى تاريخنا بعض الشىء :

أولا : حكمت مصر منذ أبعد العصور على نظام تباين الطبقات الاجتماعية ، وعلى أساس الفوارق فى الحقوق العامة ؛ غير أن الطبقات أخذت تتقارب حقوقها الطبيعية وتنتفى من بينها الفوارق من عهد قريب ، فالكل الآن متساوون أمام القانون ، ولكل مصرى حق الانتخاب والحكم من طريق مجلس النواب . فأخذ مظهر وجود طبقتين متمايزتين فى الحقوق المدنية يزول شيئاً بعد شىء ، فلقد كانت مصر القديمة مكونة من ثلاث طبقات هم : الحكام والكهنوت والشعب ؛ ومنذ غزو الاسكندر وحكم البطالسة إلى حكم المماليك حتى بدء الاحتلال الانجليزى كانت هنالك طبقات تختلف حقوقها وامتيازاتها ؛ أما الآن فقد انتفت هذه الفوارق نظرياً ، ونقول نظرياً لأننا لا نزال نشكو من بعض مساوئها ، بالرغم من أن أصغر فلاح فى مكنته أن يقاضى أعظم عين فى البلاد ، وأن يأخذ حقه منه إن كان له حق

ثانياً : بالرغم من أن نظام الطبقات المتباينة فى الحياة والحقوق هو النظام الذى اتبع فى مصر منذ أبعد العصور ، وبالرغم من أن حالة مصر الاجتماعية من خمسين سنة مضت كانت تكفل الاستقلال المادى لطبقتى ذوى الامتيازات والفلاحين معاً ؛ بأن تحمل طبقة الفلاحين ، وهى الطبقة العاملة ، العبء كله ، بأن تكفى نفسها وتكفى حاجات حكامها بقدر الاستطاعة ، فان الحالة الجديدة ، حالة التساوى أمام القانون فى الحقوق ، قد أحدثت ظاهرة اجتماعية جديدة ، كان سببها أن الفلاح قد خرج من كونه عاملا لا حق له فى ملكية الأرض ، إلى رجل حر له حق العمل متى شاء والانقطاع عنه متى أراد ، وله فوق ذلك حق الملك ، بل نقول إنه انتقل من عامل إقطاعى إلى رجل حر ، فقامت على هذه الحال ظاهرة اجتماعية جديدة

ثالثاً — هذه الظاهرة الاجتماعية الجديدة التي قامت على تحرير الفلاح المصري وعتقه من نظام الاقطاع الذي ظل خاضعاً له طوال القرون ، قد قلب آية الحياة الاجتماعية في مصر . فان هذا الفلاح لم يكن ينقصه شيء ليكون مستقلا تمام الاستقلال في حياته إلا قانون يحميه ، ونظام اجتماعي يجعله يشعر بأنه قوة لها أثر في الحياة ؛ فلما وقع ذلك بالفعل أصبحت الطبقة الدنيا أي طبقة الفلاحين المسخرين التي كان عليها أن تحفظ استقلالها واستقلال الطبقة التي تعلوها ، سيدة نفسها ، وأصبحت طبقة الملاك وأصحاب الجاه كما كانت في الحالة الأولى عبئاً عليها ، ولكن في صورة جديدة ، هي صورة أخذت شكل صراع خفي بين طبقتين

رابعاً — ولقد انحصر مظهر هذا الصراع في طبقة تحررت من قيود النظام الاقطاعي وهي الطبقة المنتجة العاملة بيدها ، فأصبحت مستقلة بنفسها . وهي طبقة قادرة على الحرث والغرس والحصاد في بلاد لن يزرعها غيرها ، ولن ينتفع بها غيرها ؛ فهي مستقلة مادامت من فوق الأرض التي يغذيها النيل بشرايينه الحيية ؛ وهذه الخطوة الجديدة أحدثت ظاهرة أخرى

خامساً — عكفت الطبقة الأخرى ، طبقة أصحاب الجاه على مطلب آخر تتقي به النتائج التي تترتب على استقلال الطبقة العاملة ولم تجد من وسيلة أقرب من تعليم أولادها ليكونوا حكام البلاد . ولكن طبقة الفلاحين أخذت تزاحم الطبقة الأولى في هذا المضمار ، فأخذ الأثرياء منهم يعلمون أولادهم ليكونوا حكاما فنجحوا . ولكن بعد أن ملئت الحكومة بما تحتاج من حكام وكتبة قام شعور جديد بأن أولاد موظفي الحكومة والأثرياء الذين أخرجوا أولادهم من محيط الفلاحة الى محيط العلم أقل استقلالا مع تعلمهم من أبناء الفلاحين الجهلاء . وأصبحنا الآن والموقف بين متعلم عاطل يتطلع الى مرتب أبيه أو ثروته ليعيش ، وفلاح جاهل لا عمدة له في الحياة إلا خبرته الموروثة في فلح الأرض وقوة عضلاته ومحراثه وفأسه وماشيته . فهو رجل مستقل تمام الاستقلال في الحياة ، على العكس من المتعلم العاطل . فاذا كانت الغاية من التعليم تخريج رجال مستقلين يكافحون في الحياة كفاح المنتج لا كفاح المستغل لكفاح غيره ، رأينا أن التعليم لم يف ببلوغ الغاية الأخيرة منه ، ما دمنا نرى أن ابن الفلاح بخبرته الموروثة مستقل في حياته منتج بعمله ، في حين أن المتعلم يفقد مع التعليم استقلاله الذاتي ويتطلع دائماً إلى حياة الركود لا إلى حياة الكفاح التي لم يهيء له تعليمه طريقها الواجب

على أن قليلا من التأمل في هذه الالمامة التي ألممنا فيها بأوجه التطور الاجتماعي الذي انتابنا منذ خمسين سنة خلت ، يحمل المفكر على المضي خطوة أخرى في تأملات إذا أحطنا بها نكون قد فرغنا من التمهيد للفكرة التي نريد أن تكون الدعامة التي يقوم عليها أساس التعليم في مصر ، فنرى ما يأتي :

أولا : إن طرق التعليم التي عكفنا عليها إلى الآن شطرت الأمة معسكرين : الأول معسكر المتعلمين على القواعد الأوربية التي اتبعناها في مدارسنا ، وخرجوا بهذا التعليم عن جو ثقافتنا التقليدية ، فأصبحوا نصف مصريين ؛ والثاني معسكر الفلاحين الذين أبعدناهم عن الثقافة الحديثة ، وحافظنا على ثقافتهم التقليدية فصاروا بذواتهم في القرن العشرين ، وبعقليتهم في مصر الفرعونية

ثانياً : كونّا بهذا طبقتين غير متجانستين ، بل مختلفتين تمام الاختلاف ، بحيث لا تجمع بينهما من رابطة إلا الرابطة الطبيعية التي هي رابطة الدم ؛ فكنا في ذلك أشبه بالمستعمر الذي يرغب دائماً في أن يزيد من الصدوع التي تفصل بين طبقات الأمة ، لا أشبه بالمصلح الذي يعمل دائماً على أن يرأب تلك الصدوع ويقرب بين الطبقات حفظاً للتوازن الاجتماعي . ولا شك في أن هذه السياسة تؤدي بطبعها ، وعن غير قصد ، إلى حرب الطبقات التي نحن مقدمون عليها حتماً إذا استمر التعليم على نماذجه الحاضرة وأخذت تلك الصدوع والفوارق تزيد عاماً بعد عام

ثالثاً : دليلنا على هذا أن ابن الفلاح إذا أثرت فيه الثقافة الحديثة ، سواء أكان تعليمه في مصر أم في إحدى جامعات أوربا ، أصبح لا ينشق في جو بلاده نسيم الثقافة التي نشأ فيها ، فتلحظ فيه روح التبرم بأبيه الفلاح وأمه الفلاحة ، وتأنس فيه نزعة قديمة تدفعه دائماً إلى حب العودة إلى الجو الذي نشأ فيه ، فتراه قلقاً غير مستقر ، هدّاماً لا بنّاء ، يريد لو تتاح

له الفرصة ليعود إلى الجو الذى كان فيه ؛ فاذا أعيته الحيلة ، كما يحدث دائماً ، واضطر إلى البقاء فى جو بلاده ، هجر الريف ، مرباه الأصيل ومربى آبائه وأجداده منذ قرون طويلة ومنشأ تقاليده منذ أزمان لا تعيها الذكريات ، ليسكن فى مدينة من المدن ، فيفضلها مع عيش الفقر والعوز على الريف مع عيش الراحة والهناءة ؛ وتراه ينزع إلى البطالة فى مدينة دون العمل الذى هو أجدر بحياة الرجولة فى الريف . ومن هنا تتكون الطبقات المتبرمة بالحياة ، العاملة على الهدم دون الاصلاح ، النزاعة إلى الأفكار المتطرفة والثورات . أولئك الذين عناهم العلامة هنرى جيمس فى كلمته التى سقناها من قبل

رابعاً : وأنت أينما وليت وجهك رأيت أثر المعسكرين اللذين كونهما التعليم المصرى ظاهراً جلياً . فأنت تنتزع الولد من حضن أبيه الفلاح وأمه الفلاحة ، فكأنك تنزعه من حضن « مصر الفرعونية » ، لتنشئه فى حضن « مصر الأوربية » ، وتخرجه بعد ذلك قاضياً أو محامياً أو مهندساً أو تاجراً أو رجل إدارة أو غير ذلك ، ولكن بروح أوربية تكسوها ثياب مصرية شفافة ؛ وبالأحرى تخرج رجالاً انبتت صلتهم بتقاليدهم الثقافية القديمة . وأنت فى دور العدل وفى المتاجر وفى مراكز الأدارة وفى عيادة الطبيب ومكتب المهندس ، واقع فى كل دقيقة على مظهر من مظاهر التفرقة بين المعسكرين . فالفلاح البعيد عن مدنية المدن ، وبالأحرى البعيد عن جو الثقافة الأوربية الذى نشأ فيه القاضى والمحامى والتاجر ومأمور المركز ومعاون الادارة وطبيب القرية ، يمثل معسكر مصر الفرعونية ؛ أما هؤلاء فانما يمثلون « مصر الأوربية » ، ولا شك فى أن هذا مظهر من مظاهر الانحلال الاجتماعى ، لا يسأل عنه فى مصر شىء بقدر ما يسأل التعليم

خامساً : بالرغم من أن المتعلم قد نزع بفكره نزعة أبعدته عن ثقافة آبائه التقليدية ، فقد أثرت تلك الحال فى مزاجه وتصوراته ونظرته الفنية فى الحياة ، تلك النظرة التى يجب أن تكون مصرية صميمة ، ويجب أن نحافظ عليها نقية على سجيتها لنكون مصريين جديرين بالمصرية ، وكان من نتائج هذا أن المتعلمين يفضلون أقذر قرية أوربية على ريفنا الجميل وبحيراتنا الفاتنة ؛ حتى لقد كادت تقوى النزعة الأوربية فينا على وحى النيل نفسه ؛ والسبب فى هذا أننا كنا خلال الخمسين عاماً الماضية كالنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، إذ انتزعنا من أرواح ناشئتنا « مصريتها » ، ولم نترك فيها من المصرية إلا لون البشرة ، ولقحناهم بالروح « الأوربية » فلم نبق مصريين كأهل الريف ، ولم نستطع أن نكون أوربيين كفتيان « بيكادلى سركس »

سادساً — بدأت هذه الحال تؤثر فى مرافقنا الحيوية ، حتى لقد نزعنا إلى القول بأن كل ما هو أوربى جميل ، وكل ما هو مصرى ردىء ؛ وكل فكرة مصرية لعب ولهو ، وكل فكرة أوربية جد ورجولة ؛ وكل فن مصرى بدائى وغير متفق وروح العصر ، وكل فن أوربى مهما كان فيه من بعد وتضاد مع نزعاتنا وتقاليدنا المصرية بل ومع آدابنا الرعية والعرف الانسانى ، حضارة وتمدين ؛ وشملت هذه الحال فتياننا وفتياتنا ، فألسنتهم لا تتحرك إلا بكل ما هو أوربى غربى ، وقلوبهم لا تهفو إلا لكل ما هو بعيد عن المصرية

ولا شبهة فى أن المعسكرين يتهيآن الآن : الأول للعمل على خراب الريف ، والثانى لا حول له ولا قوة ، فسوف ينهزم ليترك الريف خراباً . وإنما يخرب الريف بخراب القلوب التى يجب أن تؤمن بأن الريف هو مصر ، وأن مصر هى الريف ، وأن المدن أسواق لذلك الريف لا أقل ولا أكثر . إنما يخرب الريف بأن نحب المدينة ونهجر الريف ، فكأننا هجرنا مصر . ولا مخرج لنا من هذا إلا بأن نصل ثقافتنا الحديثة بثقافتنا التقليدية ؛ فيكون المصرى فلاحاً مصرياً روحاً ونزعة وخلقاً ، ثم قاضياً ومحامياً وطبيباً ورجل إدارة من بعد ذلك . يجب أن تكون ماهيتنا مصرية وأعراضنا أوربية ، لا أن نعكس الآية بأن نعمل أولاً على محو مصريتنا ، فاذا تم لنا ذلك رحنا نتيه بأننا أتينا بأعراض أوربية ولقحنا بها ذوات لا ماضى لها ، وبالأحرى لا ماهية لها

تلك مقدمات لا بد منها إذا أردنا أن نبحث حالتنا الاجتماعية من جهة علاقتها بالتعليم . وسنرى فى البحوث التالية كيف يمكن أن نستفيد منها

اسماعيل مظهر

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

اكتشف بستور لقاحا لداء الكلب هو عبارة عن ١٤ حقنة من مكروبه بعد اضعافه إضعافا متفاوتا فى المقدار يحقن به المريض . وجرب هذا فى الكلاب فكان النجاح . فلما أراد تجريبه فى الآدميين تخاذل وخشى العاقبة . حتى جاءه ولد عضه كلب مسعور فأشار عليه الأطباء بتجربة اللقاح فيه لأنه ميت لا محالة ففعل ونجح اللقاح ، وكان أول لقاح نجح فى آدمى

عندئذ ذهبت عن بستور مخاوفه ، وفارقته وساوسه . فكان موقفه من هذا الطفل هو عين موقفه من أول كلب حقنه رُو Roux باللقاح فى مخه بغير رضا أستاذه . خشى بستور على الكلب أن تُثقب جمجمته ، فلما ثقبها رُو بغير علمه وصحّ الكلب من بعد ذلك ، أكبّ بستور على رؤوس الكلاب تثقيباً وعلى جماجمها تخريقاً . وها هو ذا الآن يخشى عاقبة اللقاح الجديد على الطفل المكلوب ؛ فلما صح الطفل واشتَفى من دائه ، ماتت فى نفس بستور شكوكه ومخاوفه ، تلك الشكوك والمخاوف التى لم تتغلغل أبدا فى نفسه تغلغلا كبيرا ، ومع هذا تراءت له جسيمة واضحة ، أرته إياها نفسه الفنّانة وهى تكثّر القليل وتجلو الغامض . ثم إذا به يصيح للدنيا يُعلن أهل الأرض أن فى إمكانه دفعَ الكَلَب عنهم وحمايتهم من بلواه

وأخذت جماهير المكلوبين المذبين تتدفع الى معمله بشارع ألم Ulm تطلب ربّه ، ربّ المعجزة الكبرى . وجاء على هذه الحُجر القذرة القليلة حينٌ من الدهر وقف فيها البحث العلمىّ وقوفا كاملا . واشتغل بستور وعَونَاه فى فرز الخلائق التى اجتمعت عليهم من كل أمة . وتعدّدت لغاتهم ، فكنت تسمع أنغاماً متنافرة ، وألسنة متباينة ، كلها تصيح صيحة واحدة : « بستور ! أنقذنا ! » فلبى نداءهم وأنقذهم ؛ هذا الرجل الذى لم يكن طبيباً يوماً ما ؛ هذا الرجل الذى كان يقول فى سخرية يمازجها العُجْب : « هل أنا إلا كيميائى ؟ » . نعم أنقذهم رجل العلم هذا الذى قضى حياته ينازع الأطباء ويخاصمهم خصاماً مرّاً ؛ أنقذهم بأن حقنهم بتلك الأربع عشرة حقنة من مكروبه المجهول المضَعّف بعضَ الاضعاف ؛ تلك الأربعِ عشرة المقدّدة التى لم يستسغها عقل أو يألفها منطق : حقَن تلك الأربع عشرة فيهم ثم ردّهم بعدها مُعافين إلى أركان الأرض الأربعة

وجاءه من روسيا من بلدة سمانسك Smolensk تسعة عشر فلاحا من الموجيك عضهم ذئب مسعور قبل ذلك بتسعة عشر يوماً . وجرح الذئب خمسة منهم جروحاً بالغة فعجزوا عن السير فلم يكن بد من إرسالهم إلى المستشفى الكبير . وكان منظر هؤلاء الروس غريبا فى طواقى الفرو فوق رؤوسهم وهم ينادون : « بستور ! بستور ! » وهى الكلمة الوحيدة التى عرفوها من لغة البلد الذى حلّوا فيه

وثارت ثائرة باريس — على نحو لا يعرفه إلا باريس — قلقاً على هؤلاء المنكوبين الذين لا مفرّ لهم من الموت بعد أن طال الزمن عليهم مذ عضهم الذئب بنابه . وتحدّثت باريس فلم يكن لها غير هذا من حديث . وقام بستور ورجاله يحقن الألقحة فى هؤلاء المناكيد الذين نضب حظهم من الحياة وقل رجاؤهم فيها . فالعشرة كان يعضهم الذئب فيموت منهم على المعروف ثمانية ، فكان على هذا الحساب لابد أن يموت من أصحابنا خمسة عشر . قال الناس حينما اجتمعوا : « من الجائز أن يموتوا جميعاً فلا ينجو منهم أحد ؛ فقد مضى على عضهم أسبوعان وزيادة . مساكين والله ! وستظهر عليهم أعراض الداء ، وستكون شديدة فظيعة . ضاع الرجاء فيهم وحُمّ القضاء ! »

ولعل الناس صدقوا فيما قالوا ! ولعلهم حقا جاءوا بعد فوات الأوان ! وعزّ على بستور الطعام ، وعزّ عليه النوم ، فانه خاطر فأمر رجاله فحقنوا الألقحة الأربع عشرة فى هؤلاء التعساء صباح مساء ليقتصدوا نصف الأيام الضائعة عسى أن يلحقوا بالداء فينفع الدواء

وأخيراً صاح بستور صيحة الفخر عالية ، وصاحت باريس وفرنسا والدنيا أجمع صيحة الشكر ، وأنشدت أنشودة النصر حارّة داوية . فاللقاح أنجى الفلاحين الروس إلا ثلاثة . فعاد الناجحون إلى بلادهم فاستقبلهم بذلك السرور الرهيب الذى تجده القلوب إذا هى دُعيت للترحيب بميّت منشور ، للترحيب بهؤلاء الرجال المرضى الذين ودّعوا بلادهم والأمل منهم مقطوع ، فزاروا لاشك حرماً قدسيا لولىّ من أولياء الله ، ثم عادوا يسمون على أرجلهم إلى ديارهم سى الأحياء . وبعث قيصر الروس الأعظم إلى بستور صليب القديسة حنا الماسىّ ومائة ألف من الفرنكات ليبدأ بها فى بناء بيت لصيادة المكروب . فقام هـذا البيت فى شارع ديتو Dutot وهو المعمل الذى يُسمى اليوم معهدَ بستور . وجاءه غير المائة ألف مال من العالم أجمع ، من كل قطر من أقطاره ، وكل ركن من أركانه ، حتى تكدّست لدى بابه الملايين من الفرنكات ليبنى بها المعمل ليقتنص فيه مكروبات فاتكة أخرى ، وليجد لما فيه ألقحة ماضية أخرى . نعم تكدست الملايين على بابه ، فقد كانت عاطفة قوية تلك التى أندت أكُفّ هذا الخلق الكثير ، عاطفة قوية كالتى تثيرها المصائب إذا نزلت بالناس فادحةً شاملة

وتم بناء المعمل ؛ ولكن كان عمل بستور فى الحياة قد تم كذلك . فلقد كان نصره الأخير كبير الوقع فى نفسه ، ثقيلا على فقار ظهر احتملت أثقال العمل الشديد مدة أربعين عاماً فى تواصل لم يُسمع بمثله أبدا ، فناء جسده تحت آخر الأحمال ، وانقطع وتره بآخر الأثقال ، فمات فى عام ١٨٩٥ فى بيت صغير كان على مقربة من البيوت التى حفظوا بها عندئذ كلابه المسعورة فى فلنوف ليتانج Viileneuve l'Etang على أطراف باريس . ولفظ آخر أنفاسه كما يلفظها الكاثوليكىّ العريق فى كثلكته أوالصوفىّ وقد كانه طول حياته : فى إحدى يديه كان الصليب ، وفى اليد الأخرى كانت يد أكثر أعوانه صبرا وأقلهم شهرة وأكبرهم خطرا — تلك مدام بستور . وكان حول سريره عونه رو وعونه شمبرلاند ، وأعوانه الباحثون الآخرون ؛ أولئك البُحّاث الذين براهم نشاطه الجمّ فى حياته برياً ؛ أولئك البحاث الذين أسلموا له القياد فدار بهم فى هجيرة العمل دوراناً مستدعياً قاسياً مرا ؛ أولئك الأعوان الذين أوحى إليهم من وحيه واقتبس لقلوبهم قبساً من قلبه ؛ أولئك الخلصاء الذين خاطروا بأرواحهم فى انفاذ خططه الجامحة فى محاربة الموت ، قاموا اليوم حول سريره يودّون أن يفتدوه لو أمكن الفداء

هكذا انتهت حياة هـذا الرجل خير انتهاء . هذا الانسان الغالى فى إنسانيته ، صائد المكروب ومنجى الأرواح ، الثائر الوثّاب ، الناقص الخطّاء !

ولكن لبستور خاتمة حياة أخرى يتجه لها خاطرى أكثر من اتجاهه لهذه . كانت فى عيد ميلاده عام ١٨٩٢ حين استتم سبعين عاماً كاملة ، فاحتفلوا به فى السربون بباريس احتفالاً عاماً رائعاً كبيرا أهدوا إليه وساما . وكان لستر Lister حاضرا ، وكان رجال كثيرون مشهورون من أمم أخرى حاضرين ، فاحتل هؤلاء العظماء رقعة المكان الدنيا حيث مجالس العظماء ، واحتل الطبقات العليا من حولهم شباب فرنسا وطلاب السربون والكليات والمدارس العليا ؛ وامتلأ المكان بالأحاديث ، واختلطت به أصوات فيها رنة الشباب . وفى برهة قصيرة انقطعت الأحاديث ، وهدأت الأصوات ، وخيّم على المجتمع صمت رهيب ؛ ففى المشى تراءى بستور يجر خطاه عرجا ؛ وقد أخذ رئيس الجمهورية بذراعه واتجه الاثنان إلى المنصّة فى رأس المكان ، وصدحت موسيقى الحرس الجمهورى بدور جَلْجَلَ فى الفضاء ، كذلك الذى يُتَحى به الأبطال العظماء وقد عادوا من ساحة النصر بعد أن روّوها عبثاً بدماء الأعداء ، وحجبوا ثراها بغير طائل بألوف الأشلاء

بستور يموت

وكان فى الحاضرين لستر Lister أمير الجرّاحين ، فقام واحتضن بستور ؛ وهتف الشيوخ الأجلاء من مجالسهم ، والشبان الطُلاّب من شرفاتهم ، حتى ارتجت الحيطان ؛ وأخيراً جاء دور الكلام لصاحبنا صياد المكروب الشيخ ، وكان قد ذهب عنه صوته الحديد الرعّاد الذى كان يرفعه فى الخصومات عاليا ، فقام نجله يقرأ عنه خطابه ؛ وكان ختام هذا الخطاب أنشودة للرجاء ، لا بما تضمنته من خلاص الأنفس ، بل على الأكثر بأنه دعوة دينية حارة تفتح للرجال سبيلا جديداً من الحياة ؛ وكان بها يدعو شباب الجامعة وطلبة المدارس العالية ، قال :

المازنى العاشـــق ...!

للأستاذ «أبو سلمى»

ما قرأت كلمة أستاذنا المازنى «فى الحب والمرأة» إلا أيقنت أن هنالك مؤامرة على الحب — واحربا — فجزعت ..... لا على الأستاذ المازنى فانه إذا لوّح بيده أو زوى ما بين عينيه رفع خصومه الرايات البيض ....

ولا على المرأة ... فان لها من لسانها الطويل ـ بقطع النظر عما إذا كان وراءه شىء أم لا ـ ما قد تستطيع به الوقوف أمام المازنى ...

ولكننى جزعت على الحب فى هذا الزمن الذى طغى فيه العقل ـ أو مجموعة الاختبارات والأمزجة والطباع ـ ولو أستطيع لرميت به (أى العقل) مربوطا بكتلة من الحديد تثقله ـ إلى الهوة السحيقة التى تليق به

والمازنى عزيز على إخوانه وتلامذته ـ وأنا منهم ـ المنتشرين فى كل قطر، وحبيب إلى قلوبهم ـ وهم عدد النجوم ـ وما كان لمثلى أن يرفع يده وهى شلاء أمامه، ولكن حملته على الحب والمرأة أثارت علىّ جنودا لا قبل لى بها، تعرف عطفه علىّ وحبه لى، وهو أدرى بقوتها ..

وما دام المرء يخلق كل يوم خلقاً جديداً فلم لا نأخذ الحلقة التى نميل اليها وتستهوينا؟ وما دام الانسان يتحول إلى صور شتى فلم لا نهفو إلى الصورة التى تروق فى أعيننا؟ والحياة قصيرة، والهوى فضّاح، فلأعد إذاً إلى أعماق الماضى، إلى المازنى الفتى الذى دفنه:

مات الفتى المازنى ثم أتى من مازن غـيره على الأثر
أزيل عنه اللفافات وأبعثه بشراً سوياً تتوهج عيناه بنور قلبه ...

أيها الفتى المازنى! أين أنت تنتقم من المازنى الذى أتى على الأثر وتكون لنا عوناً عليه؟! ... ألست أنت الذى كنت تطوف حول دار الهوى وتتمتم وعيناك نديتان:

أوصـدوا الأبواب بالله ولا
تدعوا العين ترى فعل البلا
وامنعوا دار الهوى أن تبذلا

إن للدار علينـا ذمما وقبيح خونها بعد الخراب

من قصيدة «الدار المهجورة»

ألست أنت الذى كان يحوم حول الحمى فى الليـل مضلل الرقيب، وجامع الحبيب بالحبيب ـ ولا أدرى إذا كنت تلبس طربوشاً أم لا ـ فتنظر إلى شباك حسـنائك وروحك تتراءى خلف مقلتيك حيناً وفوق شفتيك حيناً آخر، حتى إذا رمتك باللحظ زفرت وأنشدت:

ما أفصح اللحظ يا حبيبى وأعذب البث بالعيون
لحظ يضئ الذى توارى فى ظلمـة الغابر الدفين

من قصيدة «لحظ الحبيب»

فاذا هبطت ـ هى ـ الى الحديقـة واختبأت بين الأغصان أنبأك همس الازهار عن مكانها فتقول:

وودت لو تنفـــع الأمانى لو كنت لدناً من الغصون
وليتنى صـــيدح يغنى فى ظلك الوارف الأمين

من قصيدة «لحظ الحبيب» أيضا

فاذا نادتك وظهر اللفظ من بين شفتيها مشتملاً بهديك إلى دنيا الغرام هتفت أنت:

أظل إذا اسْتَنكِ فى مسمعى يرفّ علىّ جناح الغرام

«لا تسوموا أنفسكم التشكك فى الأشياء، فالتشكك أرض قاحلة لا تُنبت، وسحاب جَهام لا يُمطر؛ ولا تحملوها على الريبة فى قيم الأمور وأوضاعها فتحملوها على الزهادة وتُفقدوها الثقةَ بالله. واحذروا أن تركنوا إلى اليأس من أجل ساعات سوداوات تأتى على الأمم! ذلك أن لكل حال غاية، ولكل كرب نهاية، والليل الأسود يعقبه النهار الضاحى. اطلبوا العيش فى المعامل والمكاتب، ففى أجوائها الساكنة تجدون طمأنينة النفس وسلامها. سلوا أنفسكم: ماذا صنعت أيتها الأنفس بالذى كان من تعليم وتثقيف؟ فاذا تقدمت السنُّ بكم فسلوها ثانية: وماذا صنعت لهذا البلد الذى من أرضه كان غذاؤك ومن مائه كان ماؤك. حتى إذا جاءتكم الشيخوخة فلعلكم عندئذ تجدون أكبر الهناءة فى الاحساس المُثمر اللذيذ بأنكم ساهمتم مع الساهمين وعملتم مع العاملين بطريقة أياً كانت لتقدم هذه الانسانية وخيرها . . .»

(انتهى بستور) أحمد زكى

شفاه يؤججن أنفاسه وبلثمن ألفاظهن الظوامى

من قصيدة « لفظ الحبيب »

وتدلف اليها ، ويلفكما الليل فى طياته « كما يغيب سر المرء كتمان » والكلام لك ، فتناجيها :

عجب كيف يرتضى البعد عنا من عبدنا فى حسنه الله جلاّ
أنت أفسدتنى وعلمتنى الحب فهلاّ أصلحت منى هلاّ
كان خيراً من السهاد رقادى فى حمى ظلك الوريف وأحلى

من قصيدة « المناجاة »

وتشير اليك بتلك اليد التى كنت تعتقد أنها تفتح لك طريق سعادتك فتطمئن الى الصدر الرحيب ، وتغفو بين الأحلام على ترنيمتها :

نم هنيئاً فى ظلى الفينان وانس برْح الهموم والأشجان
وانس ما كان من زفير على الهجـ ـر ودمع يجرى بغـير عنان
هذه راحتى على وجهك الغض وروحى وريفـة الأفنان
وفؤادى مرفرف بجناحيـ ـه حناناً فانشق نسيم الحنان

من قصيدة « رقية حسناء »

وحينما تقضى لبانات الفؤاد المعذب تودع الحبيب وتقول :

ودعته والليـل يخفرنا والبـدر يرمقنى وأرمقه
ولرب خـدّ بت ألثمه والدمع يطفىء ما أحرّقه
والورد أقطفه لوجـنته والشوك فى قلبى مفوّقه

من قصيدة « ليلة وداع »

ثم يلج الوجد فيوشى جنبات الأفق ويصبح الفتى المازنى « مثلا شروداً فى الهوى ... »

وبعد ، فحالات أستاذنا المازنى كلها حسنة مشرقة إشراق الابتسامة العذبة ، ولكن أحسنها عند إخوان الصفا هى هذه الصفحة العطرة التى تندى شبابا وصبابة ، فاذا أراد أن يعفى على أثرها ولو بالسيف ، فليعلم أننا نجتليها ولو من بين الغمام لامعة وهاجة ؛ وإننا وإن دوى فى الآفاق صوته المرنان يُسمع الصم ، نرجو منه أن يعلم أن هذا الصوت الداوى الآن — بشأن الحب المرأة — يتسرب من بين الطبقات ويصلنا ناعماً ليناً ويقف على أبواب القلوب

وإن هذا الحب الذى أصاب منه « شبعه » كان غذاءه الوحيد فكان يئن ويحن وينشد :

غذائى الحب يا من فيه حرمان منى له أبداً ما عشت نشدان
وهل غذائى إلاّ أن أراك وأن يمر بالسمع لفظ منك فتان

ما لذة القلب خلوا من دخيل هوى ما الليل إن لم يكن بالصبح إيقان
مالى بغير الهوى فى العيش من أرب ولا بقلبى أحقاد وأضغان

من « مناجاة هاجر »

والشعر . . . — لقد نسيت — الشعر الذى قلت عنه إنه يلبس الحب أستاراً تبعده عن الحقيقة . . . ومن يعلم ؟ فلعله يؤدى رسالة الشعر ، ويحسن صنعاً خوفا من ألا يكون وراء الأستار شىء من الحقيقة — كما تقول الأساطير —

نعم أنت كنت تقول فى الماضى :

أما يرى غايتى فى الشعر واحدة وإن تباين أوزان وأوزان
فما أحوك على الأيام قافيـة ألاّ وفيها على حُبِّيه عنوان

وما قيمة الشعر إذا لم تردده شفتان من مجفنان أو . . . لم تلْهُ به قدمان صغيرتان

ولـكننى أخشى ...وهنا أضع يدى على قلبى . . . . أخشى أن يكون كلامك عن الحب والمرأة نتيجة استبدادٍ بك . . . وممّن ؟ ... من امرأة ؛ فندينك بقولك :

وإننى عاشق كتوم يبطن غير الذى يقول

(القدس) أبو سلمى

٢ - مـــيرابو

ميرابو ... تلك الأعجوبة !
جوته

للأستاذ محمود الخفيف

وكان الملك قد أخذ بنصيحة نكر حين اشتدت الضائقة المالية فأجاب الشعب إلى دعوة مجلس طبقات الأمة إلى الاجتماع وهو مجلس قديم شهدت فرنسا آخر اجتماع له عام ١٦١٤ ، وقد حدد لاجتماعه اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٧٨٩ ، وكان الغرض من اجتماعه ، مشاورة نواب البلاد فى مخرج من الأزمة المالية

ولكن هل كانت الضائقة المالية كل ما يشكو منه الشعب ؟ كلا ؛ إن فرنسا إذا أردنا الواقع كانت على أبواب عصر جديد ، بل إن تاريخ العالم كان فى مستهل فصل جديد ! فما كانت الثورة مهما اختلفت مظاهرها إلا أوبة الشعب من غمر القرون أو من مجاهل النسيان ، كانت حركة لا محيص عنها ، حركة أدى اليها تطور الزمن على وجه معين بحيث لم تكن الأيام لتلد غيرها

ها هو ذا الأفق الباسم تنشق جوانبه عن جبين الصباح بعد ليل طال واشتدت حلكته ، ولكن ما تلك الخطوط الحمراء التى يراها ميرابو ويوجس فى نفسه خيفة منها ؟ ! إنه يرى فيها نذير الشر والفزع الأكبر . ياله من رجل عجيب ! إنه يتشاءم والقوم متفائلون ؛ إنه يرى ما لا يرون ، ولكن لينتظر ما تأتى به الأيام !

الشعب مبتهج يبسم له الأمل ابتسام الربيع من حوله ، أنظر اليه غداة افتتاح المجلس فى طريق نوابه تكاد تنشق حناجره وتدمى أكفه من كثرة ما يهتف وما يصفق . يالله ! ما له يطرق فى وجوم كلما مر به أحد السادة من النبلاء أو القساوسة ؟ هل آن لتلك الجموع أن تفرض سلطانها وتجبر القوم على الاعتراف بها ؟ من ذلك الرجل العابس المهيب الذى تتناقل الألسن اسمه وتتدافع الجموع لرؤيته ؟ انه بعينه نائب ا كس الكنت ميرابو !

اتخذ ميرابو كرسيه وسط العامة ، وقد تهامس الأشراف عند دخوله المجلس وتخاطبوا بالأحداق ، على أنه كان يزدريهم أكثر مما يزدرونه ، ويمقت فى أشخاصهم العهد القديم ونظمه وتقاليده

ودخل الملك القاعة فى حاشيته التى يتجلى فيها ترفع الملكية واستكبارها ، وألقى على النواب خطابا ارتاحوا إلى ما جاء فيه من أمانى ، وهتفوا لما تضمنه من عبارات العطف ، ثم قام نكر فأكد رؤوس سامعيه بخطاب طويل نصفه أرقام !

تبع الأشراف والقساوسة الملك الى خارج القاعة وبقى العامة فى أماكنهم وبينهم ميرابو يشيع الملك ووزيره بنظرات المقت والسخط . ولقد رأى النواب فى ملامح وجهه أمارات الغضب ، وفسرها الأشراف بأنها مظاهر الحقد الدفين والغل الشخصى

ولكن ميرابو أصبح اليوم غيره بالأمس فلقد ودع حياة السفه والتمرد ، وأصبح السياسى المتزن المهيب الجانب ، الذى يتوقف مصير الحوادث على ما يصدر عنه من قول أو فعل

إنه لا يطمئن الى المستقبل ويرى الأمور تنذر بالكارثة ما لم تعالج بالحكمة . ولقد درس نفسية الشعب خارج المجلس وعرف أن له أطماعا لابد من تحقيقها . لم يكن الناس ليرضوا أن تؤخذ الأصوات فى المجلس باعتبار الطبقة فيفوز الممتازون ، ولا يكون لمساواة العامة إياهم فى العدد أية قيمة . وكان الشعب ونواب الشعب يلحون فى أن يكون التصويت باعتبار الرؤوس . كذلك كان الشعب يطمع أن يكون للمجلس مكان مستديم فى النظام الحكومى ، ويكون لما يصدر من آراء أثر فى سياسة الدولة . وكان ميرابو يسعى جهده فى أن تعلن الحكومة موافقتها على ذلك فى أولى جلساته خشية أن ترغم على ذلك فيما بعد فيؤثر ذلك أسوأ الأثر فى مجرى الحوادث ، ولكن الحكومة أغفلت الأمر ، فكان محقاً فى حنقه وتبرمه

كان يفطن ميرابو أكثر مما يفطن غيره الى انبعاث الشعب واحتضار الملكية . وكان يرى الملكية وقد أثقلتها تقاليد الماضى تكاد تسقط من الأعياء ، حتى لقد قيل عن لويس السادس عشر إنه ورث عن آبائه الثورة والعرش معاً ! ولقد كان هذا الملك المسكين يهرول تارة ليدرك الزمن فتنقطع به الأسباب ، ثم يكلف الأيام ضد طباعها حيناً فتسخر منه الأيام ! وكان ميرابو يرى بنافذ

بصره أن سلامة الملكية وسلامة الوطن كلتاهما تتوقف على التوفيق بين الملك والشعب ، ولا سبيل لنجاح الثورة غير هذا السبيل

أرسل الى نكر يقول له : « صدقنى أيها الوزير أن مصير الملكية فى فرنسا متوقف على ماسيكون من أمر هذا المجلس ، وخير لك ولهذا البلد المسكين أن تواجه المجلس بما يحقق أمانى الشعب »

ولقد أعد ملتمسا ليتقدم به الى الملك فى الجلسة الأولى ؛ ويقال إن الملك بادر الى الخروج عقب انتهاء الاجتماع لما علم من عزم ميرابو . ومما جاء فى هذا الملتمس : « أضف إلى مآثرك أيها الأمير المعظم إجابة الشعب الى رغبته يبق الصولجان فى يدك ، فاننى أخشى إن رفضت أن يشهر فى وجهك . »

يالهذا الرجل من بطل ! كيف ينقلب سلوكه هذا الانقلاب المدهش ؟ إن المرء ليلمس أهم ناحية من نواحى عظمته فى ذلك التحول ، وما عرف التاريخ قبله رجلا درج من مثل ماضيه فوصل الى مثل ما أتيح له من مجد وعظمة وكمال سياسى

كان منطق الحوادث يقضى بأن يرى ميرابو فى الثورة فرصة لشهواته ومرتعاً لمآربه ، فيصبح فى غمرتها الرجل الأحمق الذى يهدم ولا يعرف غير الهدم ، ويبطش ولا يستطيع أن ينهض لغير البطش . ولكنه ما عرف الهدم ، وما كان رائده سوى البناء كأحسن ما يكون البناء ! وذلك لعمرى من عجائب الأيام ! ولكنه سر العبقرية

أجل ! لقد جد الزمان فأثار جلال الموقف كامن مواهبه ، ولامس موضع العظمة من قلبه ، ورأى فى الثورة حادثاً نبه نفسه الى حقيقتها ، أو قل إنه وجدها كفؤاً له كما وجد نفسه كفؤاً لها

وسنرى أن جهاده منذ اليوم سيكون شاقاً مريراً ، فان من يعنيهم أمر الوطن من الوزراء ورجال الدولة من أمره فى ريبة ، لا يأمنون أن يتخذ من حرج الأمور وسيلة إلى أغراضه الخاصة كما كانوا يزعمون ، بله ما كانوا يضمرونه له من حقد وما كانوا يكنونه من حسد ، حتى المستنيرين من معارفه ومقدرى نبوغه لم يكونوا أقل من هؤلاء حذرا منه ، وكانوا فوق ذلك يترفعون فى صلف عن مدارسة رجل له مثل ذلك الماضى ! مما كان يملأ قلبه غيظاً . والملك ؟ أيستطيع أن يصل اليه وله من بطانته أسوأ حجاب ؟

وهو لا يثق فى نواب العامة ، ويخاف أن يؤدى نزقهم وجهلهم إلى الكارثة . قال يصفهم ذات يوم : « أكثر من خمسمائة عضو لا يعرف الرجل منهم جاره ! أتوا من جميع أنحاء المملكة ، لا يجمعهم نظام ، ولا يلم شملهم زعيم ، ولن تجد بينهم ذا نفوذ ، أو تتبين فيهم من يأخذ نفسه بأى ميثاق من مواثيق الطاعة ، وكلهم ميال إلى أن يُصغَى اليه قبل أن يصغى هو إلى أحد . . . »

أرأيت موقفاً أشد من هذا الموقف حرجاً ؟ ولكن هل كان حرج الموقف يعمى بصيرته عن سبيل الرشاد ، أو يدفع السأم إلى قلبه ؟ كلا فما خلق مثله إلا للشدائد ، وما يظهر جلده أكثر ما يظهر إلا فى الملمات . وهل كانت تستطيع السفينة أن تسير بلا ربان فى مثل تلك الأنواء ؟ ومَن ربانها إن لم يكن هو ربانها ؟ لم تمض أيام حتى صار بين نواب العامة المقدم عليهم ، يستقيمون على ما يرسم من طريقة وإن لم يعلنوا زعامته لهم ، ويتجهون بأنظارهم اليه إن سدت فى وجوههم المسالك وإن لم يظهروا له ما هو جدير به من عطف ومحبة ، ولكنه كأخيل لم يكن ليصده عن مصلحة وطنه ما ينال شخصه من إهانة ، وفى ذلك من سر عظمة الرجل ما هو جدير بالاعجاب

وكان إلى جانبه الأب سييس ، ينقل إلى نواب العامة ماوحيه اليه ، وكان هذا الرجل قد آثر صفهم على صفوف الأشراف كما فعل ميرابو من قبل ؛ وكان لشخصه فى قلوبهم مكانة قوامها الحب ، إن لم يكن قوامها الاعجاب

أخذ الأشراف ورجال الدين يجتمعون كل طائفة فى حجرتها ، وعولوا على أن يكون اقرار المسائل باعتبار الطبقة ؛ ولو طاوعهم العامة إلى ذلك لكان للثورة اليوم سيرة غير سيرتها . ولكن أنى للعامة أن يقروا على أنفسهم عملا يطوى بهم القرون إلى الوراء ، وهم يتعجلون الزمن ، ويودون لو يسبقونه إلى تحقيق الأمل الوليد ؟ على أنهم ما كانوا يريدون بملكهم الطيب شرا حتى ذلك اليوم ، ولكن شطط رجال البلاط وسوء تدبيرهم سيجعل من هذا المجلس هيئة تقلب نظام الحكم فى فرنسا ، بل وتدفع تاريخ البشر إلى طريق جديد

وما كان ميرابو ليرضى أن يطيع أصحاب الامتياز الى

غرضهم الشائن وإن كان يخشى أن يؤدى احراج العامة واعناتهم إلى التذمر فالهجوم ، فيتدخل الملك وهو لا يريد أن يتدخل الملك إلا بما يرضى الشعب ؛ هو لا يحب أن تبغى إحدى القوتين على الأخرى ، ولذلك فهو يسعى ويواصل السعى ، ويدعو ويكرر الدعوة الى الأناة ، حتى يصبح له من صفوف العامة رجل رشيد لم يكن سوى سيس ، وسرعان ما يأخذ العامة بنصيحته على لسان سيس ، فيقفون من الأشراف موقفاً حكيما هو انتهاج السياسة السلبية ، فيأبون أن ينتخبوا لهم هيئة داخلية تشعر بقبول انعزال مجالسهم ، كما يرفضون أن يتسلموا الرسائل الموجهة اليهم باسم رجال الطبقة الثالثة

كان يرجو ميرابو أن يخرج العامة من المأزق دون شحناء ولا اعتداء ، ولكن العامة انتظروا حتى ملوا الانتظار ، فاقترح عليهم قرب نهاية مايو أن يرسلوا الى رجال الدين ، وقد أنس فى فئة منهم العطف على العامة ، يدعونهم باسم الله وباسم الانسانية والسلام أن ينضموا اليهم

وفى اليوم العاشر من يونيو أقترح سيس ارسال دعوة نهائية الى رجال الطبقتين يطلبون انضمامهم الى صفوف العامة ؛ وسواء قبلوا الدعوة أو لم يقبلوها يجتمع نواب العامة وحدهم للعمل باسم الشعب الفرنسى كله . وأخيراً حين رفض رجال الطبقتين دعوة العامة أعلنوا فى اليوم السابع عشر من يونية قرارهم الخطير أنهم هم « الجمعية الأهلية » فخطوا بذلك أول خطوة نحو الثورة

أشفق ميرابو وقد فهم مغزى هذا القرار على الجمعية وأيقن أن الملك لا بد مجيب على ذلك بضربة حاسمة ، إذ ما الذى يمنعه أن يباغتهم بمرسوم يحل به المجلس كله ؟ ولذلك فقد احتاط للأمر وتوقى الخطر قبل حدوثه . فتقدم إلى الجمعية باقتراح قبلته وأعلنته ، ومؤداه أن نواب الأمة يقررون أن الضرائب القائمة غير شرعية ، ولكنهم لا يمانعون فى جمعها ما دامت الجمعية منعقدة ؛ وكانت هذه خطوة سديدة موفقة من جانب ميرابو

على أنه ظل يحسب للموقف حسابه . فما كان الاشراف ورجال البلاط ليقابلوا عمل الجمعية بالسكون ، وكان ميرابو قد واجه ثورة النواب فى نقاشهم قبل أن يطلقوا على جمعيتهم ذلك الاسم ، وطلب اليهم أن يبحثوا عن اسم آخر لا يتضمن مثل ذلك التحدى ، ولكنهم أعرضوا عنه فلم يجبن عن أن يعلن فيهم « أن نفوذ الملك وحقه فى (الفيتو) لا بد أن يكون أمراً أساسياً فى الدستور ، وبغير ذلك فانه يفضل أن يقيم بالقسطنطينية على أن يعيش فى فرنسا ، لأنه لا يرى أخطر من تسلط ستمائة رجل على شؤون الدولة »

ولقد ذاعت الاشاعات يومئذ أن ميرابو أخذ من الملك مبلغاً طائلا ، وهكذا يأبى شؤم طالعه إلا أن يلازمه فيرمى بالخيانة منذ ذلك التاريخ الباكر

اعتزم الملك نقض قرارات الجمعية ، وعول على الذهاب بنفسه اليها ، وحدد لذلك اليوم الثالث والعشرين من يونيه ، وفى صباح اليوم العشرين من ذلك الشهر حين لم يستطع نواب الشعب الاجتماع فى دار الجمعية بحجة إعدادها لدخول الملك فقد توجهوا إلى ملعب التنس المجاور لها ؛ وهناك وقد أخذ الحماس من قلوبهم كل مأخذ أقسموا أنهم لن ينفضوا حتى يضعوا للأمة دستوراً ، فكان هذا أحد أيام فرنسا المشهورة

ما للسفينة تجلى تسخر بالأنواء وتستخف بما يحيط بها من موج كالجبال ؟ أدر الدفة يا ربانها ليس لها غيرك يوجهها إلى شاطىء السلامة !

دخل الملك فى اليوم الموعود ، وقد تكلف أكثر ما يطيق من الجد والحزم ، وأعلن نقض قرارات ١٧ يونيه ، وأمر أن تجلس كل طبقة على انفراد ليكون صدور الأصوات بالمجالس لا بالرؤوس ، وعلى الجميع أن يصدعوا بما يؤمرون وإلا فانه « سيعمل ما تقتضيه مصلحة البلاد معتبراً نفسه نائبها الوحيد »

طرب الأشراف ومن يشايعونهم من رجال الدين لذلك الوعيد ، وقاموا إلى مجالسهم بعد مبارحة الملك القاعة ، وبقى نواب العامة فى مكانهم جامدين . أخذتهم الحيرة فلا يدرون ماذا يفعلون ، واستولى الرعب على أفئدتهم ، فعلى وجوههم صفرة كئيبة ، وفى عيونهم دهشة ومسكنة ، ولكن ميرابو لم يخلق الفزع لمثله ، فوثب من مكانه وفى عينيه الواسعتين نظرات الليث ، وراح يزأر فيهم مذكراً إياهم بقسمهم . فأعاد إلى قلوبهم الحمية ، ثم دار بعينيه فاذا كبير الأمناء يسأل النواب فى صلف : « ألم يسمعوا أمر الملك ؟ » وفى تلك اللحظة الرهيبة التى ولدت للعالم عصراً جديداً يأبى القدر إلا أن يجعل من ميرابو ترجمانه ، فيصرخ فى رسول الملك قائلاً : « نعم أيها السيد ! سمعنا ما أوعز إلى الملك

بالقائه علينا، ولست أنت، ولم يكن لك من مركز أو حق يبيح لك الكلام فى هذا المجلس . نعم لست أنت الذى يذكرنا به . إذهب فقل لمرسليك إننا هنا بارادة الشعب ، فلن نبرح مكاننا الا على أسنة الحراب »

وتصايح النواب قائلين : « هذه إرادة الشعب » . « الشعب لا يتلقى أوامر من أحد » ، وقام سيس يذكرهم أنهم اليوم ما كانوا بالأمس ؛ ولم يخن ميرابو حضور ذهنه وسط تلك الحماسة ، فأعلنت الجمعية اقتراحه بأن رجالها منذ اليوم فى حصانة ، وأن التعدى عليهم جريمة كبرى !

أرأيت كيف هيأت بسالة ذلك الرجل له موقفاً أصبح فيه بحيث يتوقف مصير الحوادث على ما يفعل أو يقول ؟ وسرعان ما تجاوبت أنحاء فرنسا أنباء ذلك الرد التاريخى ، وجرى اسم ميرابو على كل لسان فى باريس وطبع شخصه فى كل قلب

من ذلك اليوم أصبح ميرابو زعيم الشعب غير مدافع ، وان تم له ذلك فعلا من قبل ، واذا كانت الحوادث تخلق الرجال كما يقولون ، فمن الرجال من يخلق التاريخ . وما تاريخ البشرية اذا أردت اليقين إلا تاريخ عظمائها . ولقد كان ميرابو من هؤلاء النفر الذين يربون جيلا ليلدوا غيره ! وانى لأجرؤ فأزعم أنه عندى أول زعيم شعبى بالمعنى الحديث . إذ كان التاريخ يومئذ ينتقل من فصل إلى فصل كما رأينا

وكان انتقاله هذه المرة على أساس جديد، على أساس شعور الفرد بوجوده فى شكل ديمقراطى لم ير العالم نظيره منذ ديموقراطية أثينا . أجل ، لقد جاءت الأنباء من وراء المحيط بانتصار الحرية على يد بطل من أهم أبطالها هو واشنطن ؛ ولكن الفرق بين الحركتين كالفرق بين الرجلين ؛ فتلك حركة سياسية فى شعب يخوض غمار الحرب إلى حقه الذى اغتصبه الأجانب من أعدائه ، وهذه حركة اجتماعيـة كانت أول أمرها سلبيـة فى شعب يستخلص حقه من ساداته وكبرائه ؛ وذلك رجل يشهر السيف ويصل إلى غرضه بالحديد والدم ، وهذا رجل لا يعرف إلا القلم ولا يرى سوى المنبر طريقاً إلى غرضه !

(البقية فى العدد القادم) **الخفيف**

تلخيص كتاب :

الحاكمون بأمرهم
LES DICTATEURS

تأليف جاك بانفيل

بمناسبة وفاته فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

للأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى

تتمـــة

طاف بنا بانفيل فى النصف الأول من كتابه بطغاة التاريخ ليقدم إلينا طغاة العصر الحاضر ؛ فنحن الآن فى روسيا القيصرية حيث الشعب يجزى قياصرته الارهاق الفظيع بالارهاب الأفظع ؛ وإن تعجب فاعجب لهـذا القدر الساخر الذى جعل من أكبر القياصر حبًّا للشعب أكبر صرعى الارهاب وهو القيصر « نقولا الثانى »[1] .. نشطت الشرطة فى أعقاب ذلك المصرع ولكن نشاطها كان متجها نحو (الانفار) لا نحو القادة ، فنجا من طغيانها دعاة جهنميو« كفالديمير أوليانوف » أولئك الذين جعلوا شعارهم « كل شىء ، أو لا شىء »

نفى الفتى — بل الأستاذ — فالديمير سنتين فى سيبريا ، وفى سنة ١٨٩٦ ألف جمعية الكفاح ، وفى سنة ١٩٠٣ افتتح مؤتمر بروكسل للعمال ، وعقب ذلك أنشأ فى لندرا حزب العمال الروس الديمقراطى

وفى سنة ١٩٠٥ اندلع لهيب الحرب بين اليابان وروسيا فكانت فرصة نادرة ، فمشى إلى قصر الشتاء مائتا ألف من العمال يحدوهم قسيس ليقدموا إلى سـدة القصر ملتمسات متواضعة ، فقابلتهم المدفعية بالنار على عتباته ، وكأن أركان الامبراطورية الأربعة كانت فى الانتظار ، إذ شجرت القلاقل فى كل ناحية وذُبح الغراندوق سرج ، وساد الاضراب فى أرمينيا وبولنيا وسبستبول؛ وعبر الدعر — لينين — الحدود ليختبئ فى موسكو ، وليؤلف

(١) راجع مذكرات بالبولوج سفير فرنسا السابق فهى من أروع ما كتب عن هذا القيصر العظيم وعن مصرعه

جيش الثورة الذى قاوم الحكومة تسعة أيام ثم انهزم ، ففر لينين وراء الحدود ليكون الحزب البلشفى فى سنة ١٩١٢ وليرقب الفرصة المتاحة

ومضت سنوات سبع كان على لينين فى منفاه أو فى مهربه أن يدبّر فيها للثورة تدبير الأستاذ الخبير ، فلقد كان يقول : « إن الثورة فن »

وفى سنة ١٩١٤ عند ما ارتفع بخار الدماء فى سماء الدنيا هدأت أعصاب لينين ! وأخذ يتحرك ، وأهاب بالعمال فى العالم أجمع أن يُلقوا السلاح ليتخلصوا من الطواغيت إلى الأبد ، وليجعلوا من رأس المال أسطورة تُحكى للناس ، أزيلت من عالم الواقع الحاضر ، وجاءت الظروف تضع الأحجار فى بنيان هذا الطاغية — والمصادفة دائماً فى خدمه الدكتاتوريات — إذ سرت الرعدة فى كيان الامبراطورية الذى شاخ ؛ فالحرب بدت مجزرة فاشلة ، والفيالق أخذت تتذمر فقامت قيامة العمال فى ٨ مارس سنة ١٩١٧ ، وفى ١٠٠ ساعة فقط هوى عن العرش آخر أبناء رومانوف

وتطلعت الثورة تريد رأس حكيم يحركها . . وتطلع لينين إلى الألمان فنقلوه إلى روسيا فى قطار مسلح فى حاشية من ثلاثين هداماً من زملائه ، ووصل الركب إلى روسيا ، وأخذ لينين يناضل الحكومة المؤقتة لتكف عن مواصلة القتال فى الحرب الكبرى ، فوجهت إليه تهمة الخيانة العظمى وأوشكت أن تظفر به ، ففرّ من جديد ليعود بعد شهور ومعه « الفنان الأكبر » فنان الثورات (تروتسكى) [1]

وضع الفنان الأكبر خطةً هى آية الفن الثورى الحديث ؛ فعمد إلى المصالح الميكانيكية ، وهى التلغراف والتلفون والبريد والكهرباء والسكة الحديد ؛ وعهد فى الاستيلاء عليها إلى فئة قليلة من المحاربين فى زى عمال ، وأمّر عليهم طائفة من المهندسين المهرة ، فلم يمض يومان حتى كانت هذه السواعد الفتية قد وصلت إلى نتائج باهرة برغم قلة عددها ، إذ كان اتحاد الغاية مع تشعب الأهداف الأولية سبباً فى عجز الجيش وضعف حيلة الحكومة عن مواجهة المخربين ، وهكذا استطاع « تروتسكى » أن يعزل العاصمة عن الامبراطورية ، ثم استطاع أن يصدر الأوامر إلى أنحاء الأرض النائية ؛ وبعد مناورات هندسية أخرى سار بفيلق صغير صوب القصر وسلط عليه شواظاً من جهنم ترسله مدافع الطراد (أوردرا) فتفتحت الأبواب للطارق الفظيع ودعا إليه « لينين » !..

واستسلمت روسيا إلى الشيطان ، ودان له النواب فى مجلس « الدوما »

وابتدأ لينين يحكم باسم الحق والعمال ، ففرغ من الألمان بالمعاهدة ، وتفرغ إلى روسيا بالحديد والنار ليفرض عليها أفظع طغيان يرتعد من هوله التاريخ ، ويتضاءل أمامه « نيرون » وألف نيرون !

ثم عجزت نظمه جميعاً وقامت جورجيا تطلب استقلالها فسار إليها « تروتسكى » فى جحفل أغبر ليمسح حركتها من الوجود ؛ وبدا لعين الطاغية الأعظم فشل مشاريعه فأخذ يقول : « لقد هدمنا أكثر مما نستطيع بناءه » وأخيراً أصابه الشلل وشب إلى جانبيه طاغية جديد هو ستالين

ومات لينين وخلفه ستالين ، فاستهل حكمه البلشفى أبرع استهلال ، إذ طوح بتروتسكى إلى أقصى الأرض لينُبذ من دولة إلى دولة كأنه الطاعون ؛ وليكتب فى الصحف كل يوم ليعيش .. « وهكذا — مثل ساتيرن — تأكل الثورات بنيها » واخترع ستالين نظام السنين الخمس ، وطنطنت له الاذاعات والاعلانات فى مشارق الأرض ومغاربها ، ثم خفت الصوت وسكنت العاصفة لما مُنى به المشروع من إخفاق

أما الشعب فما يزال جائعاً كما كان قبل الثورة ؛ وأما الأمية فما تزال - على الرغم من الاحصاءات الرسمية - متفشية ؛ وأما الانتاج والرغبة فيه ، وأما الرواج والحضارة ، وأما الشعراء المستقلون والكتاب ، فكل أولئك ومعهم خمسة ملايين من الناس نفُوا من روسيا فى الجزر الروسية أو فى سائر أرجاء الكوكب المعمور

ولابد أن يرتفع هذا الكابوس عن روسيا إذا مات طاغيتها الجاثم على صدرها فهو نظام لم يبدأ من الشعب ولن ينتهى إليه

***

بعد ذلك يبهرك « بانفيل » بوثبة بديعة من وثبات السحر البلاغى تخلبك طلاوتها لأنها تنقلك كسائح فى الجنة إلى قطر إسلامى شقيق فاذا بك أمام يراعةٍ منتشيةٍ كلها إعجاب ، وإذا بك بين يدى « أتاتورك » العظيم . .

يقدم المؤلف تركيا الجديدة بكلمة لأحد مندوبيها فى مؤتمر

(١) راجع فى وصف ذلك جان جا كوبى

لوزان موجهة إلى أعضاء المؤتمر: «لماذا تريدون معاملتنا كالمتوحشين؟ إننا جميعاً في هذا الوفد نحمل شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس!» وأنت تكاد تلمس من العبارة أية جماعة تأخذ بيد مصطفى كمال وتعاونه، وأية أفكار جديدة تنشرها هذه القوى الناهضة، دون قمقمة أو جلبة على طرائق موسوليني وهتلر وستالين، ففي مصطفى كمال كثير جداً من «واشنطن» وفيه أيضاً من «جنكيز خان»

ولد في سنة ١٨٨٠ وتعلم بالمدارس الحديثة وتلقى العلوم الحربية وصار «كابتن» في سنة ١٩٠٤، وفي سنة ١٩١٢ اتهم في مؤامرة على السلطان، ثم عمل في جيش القوقاز وفي الجزيرة أيام الحرب الكبرى

وعند ما هادنت تركيا الحلفاء وأراد الباب العالي أن يبيع الأتراك لانجلترا رفض كمال تسريح قواته، ووقف في وجه الحكومة ونازل اليونان فقذف بهم وبالانجليز من ورائهم إلى أعماق البحر الأبيض المتوسط؛ ثم سحق الثورة الكردية وعقد معاهدة لوزان، وأنشأ المجلس الوطني الكبير، وألغى الخلافة، وصار الغازي رئيساً للجمهورية

ونفخ في الصور ليبعث الأتراك من جديد!

وألغى الطربوش لتُلبس القبعة؛ وطاف مصطفى كمال في البلاد يهيب بها أن تستجيب لندائه؛ ورُفع الحجاب ووضع القانون المدني، وصار الزواج مدنياً بعد أن كان دينياً، وأدخلت الحروف اللاتينية في الأبجدية التركية

وهكذا جعل الغازي من أمته التي كانت مضرب المثل في الجمود، شعباً يستسيغ الاصلاحات الطافرة، ولو جاءته في سرعة الأفلام...!!

وبعد أن قضى على الحاضر المضارع التفت إلى الماضي ليستخدم العلم والتاريخ في مجد أمته؛ وليس فخرها في «عثمانيتها» بل فخرها في أنها «تركية»، ولم يعدم البحاث والمنقبون عن الآثار في الأناضول معالم ومشاهد وآثاراً تثبت قدم الأتراك وآبائهم «الحيثيين»؛ ثم اتجه الرجل العظيم إلى تطهير اللغة التركية من الغريب، وعمل رجاله في ذلك أعمالا جبارة، لكأنهم يخلقون الناس معهم من تاريخ نهضتهم فحسب! فمنذ عامين فقط شيعت الجموع شاعراً قومياً، ومشى الشباب وراء جثمانه وهم لا يفهمون شعره كما كان يجب، لأن لغته أصبحت لغةً قديمة...!! ولذلك نفدت المعاجم الجديدة أول ما عرضت في الأسواق

يُعطيك هذا العمل الأخير خير فكرة عن قوة اتجاه هذا الدكتاتور نحو الانشاء؛ حقاً إن التركي يأتي هذه المعجزات التي يهتز لها كل كيانه بعلامات استفهام وعلامات تعجب، لكنها ستجره معها يوماً على كل حال

يقولون إنه يعيش كأبطال الأساطير بين اللهو والقصف، ولربما بدا وجهه للناس بعد عشرين عاماً كوجه سلطان من السلاطين، لكن الذي لا مراء فيه أنه قدم الدليل الناهض على مقدار ما يحقق الرجل القادر للشعب القادر من رغبات في الانتصار وفي التقدم

ثم يقول المؤلف - فهذه غايته من مؤلفه - «وإنا لا نحسب أن الشعب الفرنسي يُسيغ هذه الطرائق، فالثورة الكبرى نفسها لم تستطع أن تقسره على أن يقبل حتى الأسماء الجديدة لشهور السنة! مع ما في هذه الأسماء من الملاءمة والاتساق!!»

***

والآن إلى قيصر!

لا قيصر الكرنفال، ولكن عبقرية أمةٍ زاخرة بالكفايات حافلةٍ بالمواهب ما أسرعها في الاستجابة إلى حاجات الساعة وضرورات السياسة تستعرض الماضي من مفاخرها لترفع على القوى منها عمد المستقبل المجيد

وليفهم القارىء الفاشستية يجب أن يرتد ببصره إلى سنة ١٩١٥ عند ما ساقت إيطاليا جيوشها إلى الساحة إثر نزاع بين المحايدين من أتباع «جيوليتي» والمتدخلين من أشياع «دانونزيو»، فلما انعقد لواء الظفر للحلفاء حسب الساسة من رجال المدرسة القديمة أن الأمور ستجري رتيبة، وستعود سيرتها الأولى دون أن يحسبوا للتيارات الجديدة حسابا

نشأ موسوليني لأبٍ يطرق الحديد، علمه شديد القوى؛ ثم صار معلماً، ولكن ثوريا، فطردته ثوريته من وظيفته وهاجر إلى سويسرا فلم تطب لها ضيافته، ثم عاد إلى إيطاليا ليؤدي الخدمة العسكرية، ثم ارتد يضرب في الآفاق من جديد ليتتلمذ على «سيزار باتستي» في النمسا، وهنالك عثر على الكنز المفقود؛ فلقد كان «باتستي» فيلسوفا وداعيةً وطنيا من أكبر الغلاة حتى امتلأ ذهن تلميذه بجمهرة من أفكاره الوطنية امتزجت باشتراكيته

فصيرته رجلاً من طراز خاص . ولما ولاه أستاذه تحرير جريدة « بوبولو » لم يكن يكتب ، ولكنه كان يحارب ، ولم تكن جمله عبارات وإنما كلمات من لحم ودم ؛ لذلك ألزمه البوليس بترك النمسا فتركها إلى سويسرا لينشىء الجمعيات ويدبر ثورة للعمال الطليان

وفي سنة ١٩١٤ حسب الفرصة أتيحت له عندما قتل ثلاثة من العمال ، وانتشر الاضراب وأعقبته القلاقل ، ولكن الفشل كان من نصيبه ، حتى إذا أعلنت الحرب الكبرى وانقسم الرأى العام جرد موسوليني قلمه ليحارب ، ودخلت إيطاليا الحرب . وفي ٢٢ مايو سنة ١٩١٥ يوم تجر يد الحملة عبر موسوليني عن رسالته في كلمة بليغة قال : « . . لقد تحملنا من الخسائر ما تحملنا في السنوات الفارطة . وها قد دنت ساعة الخلاص : فلنفتتح إيطاليا لنفسها عهداً جديداً في العالم ، ولتنل قسطها من السيادة في الأرض »

واشترك موسوليني في الحرب ورجع بأربع وعشرين رصاصة في جسده ؛ وفي سنة ١٩١٧ ألقى الطليان سلاحهم وعادت الجيوش مهزومة ساخطة ، وضربت الأزمة الاقتصادية بجرانها على كل الطبقات ، ولاحت في الأفق معالم الشيوعية الحمراء ، وشرعت موسكو تبعث رسلها وأموالها إلى إيطاليا ، وابتدأت القلاقل والمجازر في كل المدن الايطالية على مسمع من الحكومة

ولما وجد موسوليني أن رجال الحكومة خروا صماً وعمياناً أمام هذا الطوفان ، هب ليلقاه بجسمه وبصحيفته ، وبحزب جديد ؛ فلم تمض شهور ستة حتى كان له من الأتباع خمسة وعشرون ألفاً

وفي ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ أعلن الشيوعيون الاضراب العام وفرض القوم سلطانهم في كل مكان بمذابح مروعة ، يقشعر من هولها الانسان ، والحكومة لا تتحرك ، وكأن الأقاليم لا تسمع روما صرخاتها الموجعة ؛ ثم أخذ العمال المهندسين رهائن في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٠ ، واحتلوا المعامل ، وأطلقوا الرصاص على الجيش ونهبوا مخازن السلاح ... وهوت العملة ، ولم يبق للنقد سعر ، وتساءل الناس : « إلى أي طريق نحن مسوقون ؟ »

كل ذلك والحكومة كأنها ليست في روما ولا في أي مكان . عندئذ نظم موسوليني رجاله ليحاربوا الثوار حرب عصابات حيثما ثقفوهم ، فأعادوا الأمن ، وطمأنوا الناس ، وخفق باسمهم كل فؤاد مروع ؛ وأخذ ينضوي تحت لوائه الأب الملوع ، والأم الثكال . وفي سنة ١٩٢١ دخل الانتخابات وخرج منها ظافراً بخمسة وثلاثين نائباً ، كان يتزعمهم في البرلمان كأمهر ما يتزعم السياسي المتيد ؛ ثم عقد مع الاشتراكيين (هدنة !) ليدبر لهم مقتلا ... وفي اكتوبر عقد المؤتمر الفاشستي من ٢٢٠٠ شعبة تمثل ٣١٠ آلاف ، وتلا الرجل برنامجه : « السلام في الداخل والقوة في الخارج » فصفقت له الأمة بمجموعها

وفي سنة ١٩٢٢ كانت الحكومة تتساقط كقصور الورق ، وعجز الملك عن تأليف وزارات استقرار ، وكان الرعب الشيوعي يتفاقم ، فلم يتردد الفاشزم عن احتلال مدائن بأسرها لتطهيرها من الطاعون الأحمر ؛ وأعلن الشيوعيون الاضراب ؛ وأعلن موسوليني تجنيد رجاله ليعملوا بدلاً من المضربين ، وأنظر الحكومة ثمانية أيام لتقضي على البغي الشيوعي ، وإلا فهو حال محلها ؛ وختم نداءه بصيحة داوية : « يا رجال الفاشست ... إن إيطاليا لنا »

وفي ثمانية أيام عاد دولاب الأعمال إلى الانتظام ، فكتب موسوليني إلى رئيس الحكومة يقول : « إن الأمة تعبت من هؤلاء الحكام الذين يترددون بين الدناءة والاهمال » فأجابه بدعوته إلى الاضطلاع معه بأعباء الحكم ، فرفض إلا أن يعطى هو الوزارات الهامة ؛ وختم رفضه قائلاً : « إن لديه من القوة ما يكفي لينال دست الأحكام » وأعلن الزحف على روما ... وزحف الفتيان على روما فعلاً ؛ وطلب الوزير من الملك أن يعلن حالة الحصار ، فرفض جلالته ، لأنه كان يعلم ما هي الفاشزم ، ولأنه عهد بالوزارة في الغد إلى موسوليني

كان بعد ذلك ما كان مما يعلمه الكافة من بعث إيطاليا كرة أخرى لتضارع أكبر دولات التاريخ . وبعد ثلاثة عشر عاما من جهود فوق جهود البشر في كل مرافق الدولة ، غدت إيطاليا أمة تعرف الدنيا كلها مقدارها

ويختتم المؤلف بتحية الدكتاتور البارع داعياً له الله أن يقيه رد الفعل الذي يصيب الكثيرين من رجال الثورات . ثم يقول ناصحاً أمته على عادته في ختام حديث كل جبار — « فليحذر المقلدون من الفرنسيين ، ولا يحسبوا أن هذه الأساليب مأمونة عواقبها في فرنسا ؛ والانتاج الطائفي الذي يقوم عليه نظام

موسولينى لا يمكن أن يطيقه فرنسى واحد ؛ وقبل أن ننسخ صورة طبق الأصل يجب أن نفهم ماذا ننسخ »

* * *

وهذه شبه جزيرة الأندلس : نشأت فيها دكتاتورية مخففة على يد بريمو دي ريفرا فى أسبانيا ، لأنها لم تخلق غذاء للرأى العام ، ولأن رجلها لم تكن له فكرة محدودة يتبعها ، كما نشأت فيها دكتاتورية من أبدع الدكتاتوريات فى البرتغال على يد الأستاذ سالازار . . . ترك الأستاذ سالازار كرسيه فى الجامعة بعد أن هتف به الرأى العام لانقاذ الجمهورية إثر رفض شروط القرض التى شرطتها عليها عصبة الأمم ، فوضع الأستاذ شروطه قال : « . . . وليمنحنى الشعب ثقة ليس لها حدود ، وله ألا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولكن عليه الطاعة عند ما آمر . . . » وهنا يعنى المؤلف باظهار مدى تأثير ثقافة المؤلفين الفرنسيين فى الساسة المعاصرين ، فينوه بآمار صديقه (شارل موراس) الذى اتهم بتدبير الاعتداء على « ليون بلوم » فى جنازة المؤلف ! ! ثم يشرح المؤلف طريقة سالازار وهى : الدولة أولاً والديمقراطية ثانيا ، ويختتم كلامه بقوله : « يقولون عن جمهوريتنا إنها جمهورية الأساتذة . . . والحق إن البرتغال هى بلا مراء جمهورية الأساتيذ » فان نظام سالازار مازال يؤتى ثمراته البديعة منذ عشر سنوات

* * *

وهذا آخر رجال الحكم المطلق « أدولف هتلر » يتصدى له المؤلف فى ريبة الخصم ، ولكن فى نزاهة الباحث ! فهو خطيب خارق للمادة ، وداعية فى الهواء الطلق ، نشأ بناء ، ثم حارب فى الحرب الكبرى ، ولما حاول الانقلاب مع لودندورف سجن شهوراً كتب فيها كتابه « كفاحى » فغدا الكتاب انجيلا للألمان ، ولو أنه كاثر من آثار الفكر لا يساوى حبة من خردلة ، ففيه كلام فارغ عن اليهودية والآرية ، وفيه كلام عن استرداد النمسا من النمسا ! والألزاس واللورين من الخصم الخالد . . . فرنسا ، والتيرول من إيطاليا ؛ وفيه كلام عن الحركة الاشتراكية

وفى سنة ٩٣٢ كانت هذه الأمة التى تخلبها التشكيلات العسكرية قد انخرطت أغلبيتها فى سلك « فرق الهجوم » و « أصحاب القمص السمراء » فكان هتلر يسيطر على مصائر ألمانيا ، وفى ٣٠ يناير سنة ٩٣٣ دعاه هندنبورج للوزارة فلبث غير قليل ليمهد إلى « شلايشر وزوجته » فيقتلهما ، وليطهر الحزب من « روهم » على طريقة « الجانجستر » فى شيكاغو ؛ وأخذ هتلر وجيبلز يغنيان الأناشيد للشعب الألمانى . وكلما خطبوا صدحت الموسيقى فانتشى الشعب من الموسيقى ومن الأغاريد وسار وراء فرسانه

وبدأت محاولة التعقيم ، وحرب الكنيسة ، وتشريد اليهود فى ألوان قاتمة من التعذيب ، وبدأت وسائل الجهاد الداخلى والنشاط القومى توجهها كفايات ممتازة . . . أما عن الخطة الاجتماعية فان الشك يساور الأنفس ، فهناك ملايين من العاطلين محشودة فى « معسكرات العمل » لن تُوجه فى الغد إلا إلى الميدان . . !

أما هتلر فما يزال فى طريقه

فلتصح فرنسا

* * *

وبعد « فالدكتاتورية نظام ككل النظم » ولقد تكون خير شرعة شرعت للناس ، إذا دعت اليها ظروف الساعة ؛ وقد لا تكون إذا لم تدع اليها الظروف . . . وإذا كانت العمليات الجراحية بغيضة إلى نفوسنا ، فلنعمل على ألاّ تكون فينا جراح ، لأننا لن نستطيع عند وجودها أن نتفادى مشرط الجراح

ولا بد مما ليس منه بد

عبد الحليم الجندى



الحياة الأدبية فى بغداد

بقلم عبد الوهاب الأمين

تمهيد :

ذكرنى مقال الأستاذ « على الطنطاوى » عن الحياة الأدبية فى دمشق بحياتنا الأدبية فى بغداد، وحبب لى العزم على دخول المضمار، وأغرانى بالبحث عن التراث الأدبى الذى خلفته عصور الذهب وعصور الزوال لعاصمة الرشيد !

وليس جديداً عندى مثل هذا البحث فقد كنت أردده فى فرص عديدة سابقة، ولكن صدى هذه البحوث لم يكن يبلغ الآذان ؛ أما الآن فقد رغبت أن يكون ذلك فى « الرسالة » الغراء، وهى المجلة المقروءة فى كل قطر عربى، رغبة منى فى إطلاع إخواننا فى بقية الأقطار على أن سوء الحال لا يمكن أن يبلغ بالأدب ما بلغه فى بغداد !

قبل عشر سنوات

لو أتيح للقارئ الكريم أن يتصفح الصحف والمجلات قبل عشر سنين لما فاته أن يلحظ فيها طيف اليقظة الأدبية وهى فى مهدها، ولرأى من كثرة ما ينشر فى الصحف حينذاك من الشعر على الأخص، ومن بقية الفنون الأدبية، وإن كانت بصورة بدائية، روحاً أدبياً يبشر بمستقبل لا بأس به، ولكان فى وسعه أن يتجوز فى تسمية تلك الحركة نهضة أدبية قد يأتى عليها زمن تصل فيه إلى النضوج فتؤتى أكلها أدباً جديداً وأدباء مبدعين !

غير أن حقيقة الواقع ليست كذلك ! فها نحن أولاء الآن قد خسرنا حتى تلك الحركة البدائية البسيطة ؛ وقد ماتت كل المحاولات التى كان القصد منها بعث الروح فى الأدب العراقى فى كل مناسبة عرض لها بعض الذين خيل إليهم أن فى العراق تربة صالحة لمثل تلك المحاولات

وقد اشترك كاتب هذه السطور وساهم فى إنشاء بعض الصحف الأدبية فكانت تنقضى الواحدة منها تلو الأخرى، فلما يئس وانزوى وترك العمل أخذ بعضهم يلومه، وزاد اللوم فى بعض الأحيان حتى بلغ التعنيف ! كأن من واجب الأديب أن يستقل بالتضحية وحده، فان أحجم أو قصر أو تردد فقد أجرم !

وقد كان سبب ذلك الخمود والموت الأدبى فى جميع الحالات واحداً لم يتغير ولم يتأثر بتطورات الزمن. فكأن هذا النبات لم يخرج من هذه الأرض، وكأن فى طبيعة كليهما ما ينفره من الآخر

فما هى علة هذه الرجعية ؟

جناية السياسة والصحافة على الأدب

لست أقصد بالسياسة العمل السياسى، فان ذلك خارج عن بحثى كما أنه خارج عن صلاحيتى ! وإنما أقصد أولئك الأشخاص الذين بدأوا حياتهم أدباء ثم انقلبوا سياسيين، ومقدار ما فى هذا العمل من الجناية على الأدب ! وبعبارة أدل : أولئك الأشخاص ذوى الأطماع السياسية الذين لم تمكنهم شخصياتهم من الخوض فى غمار السياسة رأساً، فقدموا لأطماعهم بالاشتغال فى الأدب واضعين تلك الغاية نصب أعينهم، فلما ظهرت أسماؤهم على الأفواه تركوا الأدب وانصرفوا إلى السياسة !

هؤلاء أساءوا إلى الأدب أولاً وإلى السياسة ثانياً ... أساءوا إلى الأدب لأنهم لم يخصوه بنشاطهم ورغبتهم وإنما جعلوه مطية لأطماعهم، وأساءوا إلى السياسة لأنهم جعلوا فيها هذه السابقة

ومن هنا يتبين السبب فى تلك النهضة التى حسبناها « أصلية » (Original) وما كانت فى الحقيقة إلا وسيلة بعض المرتزقين من حملة القلم ؛ ولو رجعنا إلى الأسماء التى كانت تذيل بها قصائد الصحف والمجلات قبل عشر سنين، ومقالات ذلك العهد ومحاضراته، لوجدناها من أضخم الأسماء وأعلاها فى عالم الوظيفة والسياسة الآن

وقد جرى ذلك على الصحف اليومية، فان كل صحيفة صدرت فى العراق كانت فى مبدأ أمرها خالصة لوجه الأدب أو تخصه بأكبر عناية، فأصبحت كل الصحف تقريباً لا تنشر القطعة

الأدبية أو القطعة الشعرية إلا فى الأسبوع أو الأسبوعين مرة ! وقد كانت جريدة « البلاد » — وهى كبرى جرائد العاصمة — فى أول مبدئها تخص « الأدب » بثلث صفحاتها يومياً ، وكانت تستكتب الأدباء والشعراء وتنشر لهم وتدعو لأدبهم ، وكانت وقتذاك تصدر فى ست صفحات فقط ، والآن بعد أن زيدت صفحاتها إلى الثمانى فقد تركت الأدب مرة واحدة ، ولم تعد تنشر شيئاً منه إلا فى بعض المناسبات القاهرة

وكذلك قل فى الصحف الباقية اليومية منها والأسبوعية ، فانك لن تجد فيها إلا ما هو أقرب إلى الأدب السياسى فى بعض الأحيان منه إلى الأدب الخالص

ومما يؤلم ويستفز النفس أن الصحف فى العراق لا تتكبد فى نشر الأدب شيئاً مادياً ، بل كل ما ينشر فيها تقريباً « أدب تبرع » وليس أدباً مأجوراً ، وهو بذلك أقوم وأفيد بطبيعة الحال من ذلك الأدب الذى تستنطقه المادة ، ولكن أصحاب الصحف « الأدباء » لا يكلفون أنفسهم عناء الاستكتاب ، بل قد وصل الأمر بهم إلى الاقتصار على الأخبار والأمور السياسية وإهمال الناحية الأدبية بالمرة !

وهذا ما يثبط عزم الأديب العراق ، ويفت فى عضده ويكسر من خياله وهمته ، فهو لا يخسر التشجيع والتعضيد فقط ، بل عليه أن يجتاز الصحافة اجتيازاً ، وفى ذلك ما فيه من المغامرة والخسران ، فان من البديهى أن مهمة الصحافة هى التمهيد للأدب والدعوة له وتقديمه ، لا الوقوف فى وجهه وتثبيط عمله بطريق غير مباشر !

المؤلف والناشر

أكثر ما ينشر فى بغداد بل كله كتب مدرسية غير مستكملة حتى الشروط المطلوبة فى مثل هذه الكتب ، وأكثرها مترجم ومقتطع من الكتب الغربية ، وهى تبدل حسب مناهج التعليم كل سنة ، وفى بعض الأحيان فى أقل من السنة ! ولو استثنينا بضعة كراريس فى المساجلات الأدبية كالسهام المتقابلة ، وبضعة أقاصيص ابتدائية للأستاذ محمود أحمد ، كمصير الضعفاء وما اليها ، فلن تجد كتاباً أدبياً نشر فى السنين الأخيرة غير لب الألباب للسهروردى ، والمجمل فى الأدب العربى لمحمد بهجة الأثرى ، وتاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوى !

هذا كل ما هنالك !

وفى هذا كل معانى الفقر ! وإنه ليجرح عزة هذه الأمة وكرامتها أن تفتقر هذا الافتقار من الأدب الذى هو قوام الحياة ، وإنه لأقطع دليل على أن هذه الخلائق لم تستوف ضرورات الحياة ، ولم تصل بعد إلى إدراك معانيها وتشوفها ، وأنهم — بأدبهم — يعيشون كَلاًّ على غيرهم !

فليس هناك إذن لا « مؤلف » ولا « ناشر » ، وإن وجد أحدهما فليس بينه وبين الثانى تفاهم ، وإن وجد كلاهما فانهما يكونان وقتئذ أقرب الى المرابين منهما الى المشتغلين بالمعنويات والخدمة العامة

والمطبعة العراقية فقيرة الى حد مزر ، فهى لا تزال على نمط المطابع قبل عشرين سنة ؛ وهناك جريدة يومية كانت تطبع بمطبعة تدار باليد الى زمن قريب ؛ وليس هناك من نوع اللينوتايب غير واحدة فى مطبعة الحكومة ! وبالطبع ليس هناك « روتغراف » أو شبهه ! ومن هنا نعرف سبب اقبال القارىء العراقى على الجرائد المصرية المصورة ، إذ ليس فى العراق جريدة أو مجلة مصورة !

القارىء

يتذمر أصحاب الصحف من مشكلة « القراءة » وهى أن باعة الصحف يتفقون وبعض القراء على السماح لهم بتصفح جميع الصحف اليومية لقاء أجر زهيد يستعيضون به عن شرائها ، وأن الصحفيين بهذا « الداء » كما يسمونه يلاقون أشد العنت والارهاق والعسر فى تحسين صحافتهم ! ولا أكذب القارىء أنى شهدت مرات عديدة قسماً من المشتغلين بالصحافة اليومية يتبعون هذه الطريقة سراً وجهراً ، وذلك لأنهم يجدون من الصعب منح الصحيفة العراقية ثمنها لأنها فى الحقيقة لا تساويه ! وهذا إقرار مزر لا يجد الانسان معه إلا الوقوف مكتوف اليد !

وليس من الحق لوم القارئ العراقي وحده ، فإن هـذا الشخص الذي لا يسخو على صحيفته بثمنها يبـذر في شراء الصحف المصرية اليومية منها والأسبوعية والشهرية تبذيراً ، فهو يشتري الصحيفة المصرية اليومية بضعف ثمن الصحيفة العراقية !

ولا يبخل على المجلة المصرية بثمن عددها الذي قد يبلغ في بعض الأحيان ثمن اشتراك نصف سنة في مجلة عراقية !

فالجلي من هذا أن القارئ العراقي لا يضمر العداء لصحيفته ، وأن الأديب العراقي لا يحجم عن تغذيتها ، بل السبب في كل ذلك هو شيء من سوء التفاهم القائم على اهمال مصلحتيهما .

فالصحفي يريد التشجيع بدون مقابل ، والقارئ يريد التحسين بدون مقابل ، وكلاهما لا يحرك ساكناً في دفع هذا « المقابل »

خلاصة

إذن فالأدب على أسوأ أحواله في بلاد الرافدين ؛ وبغداد التي كانت في وقت مضى منبع الحكمة والأدب والشعر تنتظر بريد الأسبوع لتتلقف الصحف المصرية تلقفاً ، وتتغذى حاجتها من الأدب المصري ، حتى لقد يعلم القارئ العراقي عن أحوال مصر الداخليـة والخارجية وعن شخصياتها الكبيرة ما لا يعلمه عن أمور العراق الداخليـة وما يتصـل بمعاشه وحياته ! وحتى بلغ الأمر بنا أن تعودنا الاطلاع على ما يخص العراق من مصادر خارجية ، كأن ليس في البلد صحافة وصحفيون ، وكأنه لا يعيش لأهله ، ولا يعيش أهله له !

فإن كان الأسـتاذ « علي الطنطاوي » قد همه ألا تكون في « دمشق » حياة أدبية ، فلست أجدني إلا مضطراً إلى زيادة همه ! فإننا في بغداد ننظر إلى دمشق بعين التطلع ، وننتظر أن يصلنا منها ما يروي أرواحنا العطشى إلى الأدب ! وإن كان حضرته ينعى عليها هذا الخلو والاقفار ، فماذا سيقول عن عاصمة الرشيد ؟

لو كان الوقت والمجال يسمحان بالتبسط في شرح بعض الأمور التي تتعلق بالحياة الأدبية في بغداد ، كما نسمي هذا الموت تجوزاً بالحياة ، لأطلعت القارئ على أحوال منه قد لا تسره ، ولكني لا أكون بذلك إلا كالكاشف عن جيفة ! فشكراً لضيق الوقت والمجال على حسن صنيعهما !

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

الرسـالات

للسيدة وداد سكاكيني

أتى على الانسان حين من الدهر كانت تعبث به الأحداث ، وتدور عليـه الأفلاك ، وهو في شرق الأرض تسوده الفوضى والجهالة ، ويقوده الظلم والطمع ؛ فكان كل امرىء ينتبذ مكاناً يحميه ويركن إليه هرباً من بطش فرعون وطغيانه الجارف

في ذلك العهد المظلم كانت امرأة مسـلوبة الأمان ، مشبوبة الفؤاد ، تسـير إلى جانب نهر زاخر ، حاملة وليدها ، حائرة في خطواتها ، فأوحيَ إليها أن تلقيه في اليم ، وهي مطوية الحنايا على أمل باهر ووعد أكيد . . . ثم يأتي عهد يكون فيه موسى كليم الله ورسوله

حمل هذا النبي رسالة ربه إلى بني إسرائيل ، فانجلت غواشي الذلة عن عيونهم الدامعة ، وتجلت لهم الحقيقة البارعة ؛ لقـد أنقذهم من جور الفراعنة ، وأهدى إليهم الأمن والحرية ، فتمت كلمة الله في أول دين هبط على الطور

ثم غبرت عصور وتعاقبت أحقاب ، فاذا الرومان يعيثون في الأرض فساداً ، ويملأونها حرباً واعتسافاً ، وإذا كل قيصر جبار يستعبد الأمصار ويخرب الديار ، فكانت الأفواه شاكية ، والعيون باكية ، تستغيث وتستجير ، والأسماع المرهفة لا تبدي ولا تعيد ، فأشفق الله على خلقه الضارعين وهو أرحم الراحمين ؛ لقـد أرسل إليهم عيسى بن مريم كلمته الخارقة ، وأيده بروح القدس ، فأقبل عليهم بدين الرحمة والمحبة والوئام ، وخلص القوم من مظلمة الرومان ومرارة الحرمان

ولبث العرب في جاهليـة جهلاء ، ووثنية نكراء ، وبؤس ملحف ، وعيش مرهق ، وقد كان قيصر الطاغي على عاتق من شبه جزيرتهم ، وكسرى الباغي على عاتق آخر ، وهم يُصلَون في أرضهم الجدباء نار الصحراء وشح الماء ، فكان من رحمة الله أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ؛ لقد طلع عليهم محمد بن عبد الله بهدى كبير وخير كثير ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، ودانت له البداوة الأبية الشتيتة مجتمعة تحت راية القرآن ، حتى بعثت من بطاحها القفراء ورمالها الرمضاء ، إلى مدن العالم ورحاب الدنيا حضارة وحرية وعلماً ، فتهدّم مجد فارس ، وتحطم عز

الرومان ، وأتم الله نعمته على العرب بدينه الحنيف ، وإذا بفجر الاسلام الساطع يكشف الآفاق ، ويشرق على الانسان بنور الاخاء والحرية والمساواة ، فكان سباق الأمم الحديثة التي تزعم أنها تسير على هدى ، وتدعى الحفاظ على الحق والسلام

ثم يمخر بنو الانسان خضم الزمن حتى يصلوا إلى شواطىء العصور الحديثة ؛ فاذا انتهت رسالات الدين التي نزلت على الشرق ، بدأت في الغرب رسالات الدنيا ، وبينا الناس (بأوربة) في ذهول وخمول ، تنقض ظهورهم المظالم ، وتكوى جلودهم المغارم ، وبعضهم يرسف في الاصفاد بالسجون ، كان جان جاك روسو ومنتسكيو وڤولتير ينشرون الكتب ليبصروا الشعب باستبداد الملوك ، واستعباد الأمراء ، وإذا هم ثلاثة رسل للثورة الفرنسية ، وإذا مداد دُوِيِّهم ، وصرير أقلامهم ، ينقلبان بعد قليل إلى دوى مدافع وسيول دماء ؛ ثم تسكن الفتنة ، وقد أعلنت حقوق الانسان

وتتفتح الأعين في أرجاء الأرض على ضوء الحرية ، فتقوم رسلها في كل أمة ، وتسرى عدوى المساواة إلى كل ملة ، ثم يجر ذلك إلى مغانم شتى ، ومطامع قصوى ؛ وبعد أن تصرم قرن والناس في بحران سياسة ملتوية ، احتدمت الحرب الكبرى ، فهزت العالم هزاً عنيفاً . فلما وضعت الحرب أوزارها قام الناس من وقعها الأليم كأنهم ينسلون من القبور

وتقوى في الناس عقيدة الرسالة ويسمونها زعامة ، فينهض في الهند غاندي بجسم ضئيل وروح جبار ، فيهز سيدة البحار ، ويظهر في الترك مصطفى كمال فيخلقهم خلقاً جديداً ، ويطالع في الألمان هتلر فيعيدهم سيرتهم الأولى ، وتضيق ايطاليا بموسوليني فيغزو الحبشة بناشئة الطليان

أما في الشرق ، فيمين الله الشرق ! لقد حمل الرسالة فيه بمصر سعد زغلول ، فبعث العروبة من مرقدها ، وأيدها بروح منه ، ونادى في الشرق أن حطموا الأغلال فتنالوا الاستقلال

المصلحون في الدنيا كثير ، وهم رسل لأقوامهم ، وإذا رجعنا إلى التاريخ قرأنا فيه صفحات دامية عما يعانون في جهادهم لتحرير الرقاب العانية من ربقة الجهل والوهم والاستخذاء والاستبداد

وبعد فالشاعر رسول يصور بشعوره الصادق آلام أمته ، ويجلو آمالها بروح العبقرية والالهام

والأديب رسول حين يوجه الناس في آثاره إلى سبيل الخير وطلب الحق ومعرفة الجمال

والمعلم رسول يثقف العقول ويهذب الأرواح ، فيبنى الأمم وينشىء الرجال

والعلماء المصلحون والأطباء المكتشفون ، جميعهم رسل الانسانية المتألمة يسدون إليها الخير والاحسان

كل أولئك رسل أبرار يخطون لأممهم المجد والخلود ، ولا تكاد رسالاتهم تحصى ؛ فلئن جمل الله رسالات الدين خيراً وأبقى ، فان عنده رسالات الدنيا في درجة عليا

(دمشق) وداد سكاكيني

مشروع علمي جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة في الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربية والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت في ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف في الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربي

وقد بدأت هذا الشهر في اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخي للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة في تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثاني) الآراء الحديثة في علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا في الجامعة المصرية يبحث في سكان الكرة الأرضية من بني الانسان من حيث نشأة النوع البشري وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم في مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

نظرية النسبية الخصوصية
البحث الثالث
مبادئ الميكانيك الحديثة

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم
عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ٦ —

القيمة التفاضلية فى الهندسة الأوقليدية لخط تعينها المعادلة :

غ ف٢ = غ ك١ + غ ى١ + غ ز١ معادلة (١)

وهذه القيمة التفاضلية تتغير فى كون « الزمان — المكان »

أعنى فى عالم مينقوفسكى إلى ما تعينه المعادلة :

غ ف٢ = غ ك١ — غ ى١ — غ ڡ١ + ڡ غ ت١

معادلة (٢)

وهذه المعادلة تقابل كية ثابتة « ث » التى هى نتيجة لمعادلة التقلص التى كشف عنها لورانتز [1]

— ٧ —

قلنا[2] فى البحث الأول عن الزمان ونسبيته إن اينشتين غير موضوع الهندسة من الأشكال التى يرسمها انتشار النقط المادية الى الأشكال التى يخطها انتشار الأمواج النورية . وهذه الحقيقة قامت عليها هندسة مينقوفسكى معتبرة طول جسم ما ضرباً من مباحث علم الحركة

فى نظرهندسة مينقوفسكي أن المادة ليست إلامجموعة متواليات الحوادث ، Events ، فى نقطة واحدة . ومجموع توالى الحوادث فى نقطة يشكل خطاً من خطوط عالم مينقوفسكى . وهذا الخط ينشأ داخل كون « الزمان — المكان » من تحرك نقطة « حادثة Event » والقانون الذى يعين طول خط يصل بين حادثتين الأولى مثل « ا » والثانية مثل « ب » تعينها المعادلة التفاضلية

(١) البحث الأول « الزمان ونسبيته » وفقرة (١) من هذا البحث

(2) Edham (I. A) Mathematik und Phycik. , P. 118-120 Ehre-Ehrenfest. (E) . Where is Science Going ?. P. 38-,1935

ب
|ا غ ف معادلة (١)

إذ فيها « غ ف » العنصر التفاضلى الثانى للرقم الأول ؛ وهذه المعادلة تجرنا الى اعتبار المادة مجموعة الحادثات المنتظمة فى حركتها فى الفاصلة « غ ف »

لنتصور جزيئاً من المادة مسندا الى نظام كونى ، فهذا الجزىء المادى كل نقطة فيه تحتفظ بمكانها النسبى تجاه محورها ، ويكون انطباقها على محورها فى المكان مشفوعاً بانطباقها فى الزمان ، فكل نقطة فى هذا الجزىء المادى تقع فى نظام معين بالنسبة للكون المسند اليه بصورة ثابتة . وكل حركة فى هذا الجزىء تتبع نظام الكون المنسوبة اليه ، فحوادث الماضى والحاضر والمستقبل تحدث بدقة على خط النظام المسيطر الشامل للكون الذى تحدث بالنسبة اليه الحوادث . فجزىء المادة ، لما كانت الفاصلة « غ ف » تساوى المركز « م » كان :

غ ف٢ = ڡ٢غ ت٢ — غ ظ٢ « معادلة رقم (١) »

فلو أبدلنا الرمز « ت » الدال على الزمان فى المعادلة السابقة إلى « T » كان :

غ ف = ڡ غ T « معادلة رقم (٢) »

ومن هذه المعادلة نستنتج أن :

ب ب
|ا غ ف = ڡ |ا غ T « معادلة رقم (٣) »

حيث أن الرمز « غ T » رمز لفاصلة الزمان الخصوصية بجزئ المادة المسند للنظام الكونى فى صورة ثابتة

وإذا حولنا المعانى الرياضية التى فى المعادلات السابقة إلى عبارات عادية أفادت مساواة خط جزىء المادة بحاصل ضرب سرعة النور فى الزمان الخاص لهذا الجزئ المادى المسند للنظام المادى ، أو بتعبير آخر أن الملاقة بين فاصلة الحوادث لعالم ما وسرعة النور توجد معنا الزمان الخاص بجزئ المادة ؛ بمعنى أن قياس الزمن فى جزئ مادى مسند إلى نظام كونى يكون بساعة أو كرونومتر مستندا إلى هذا النظام نفسه بصورة ثابتة [1]

(1) Levi Civita : Scientia « Revue Internationale ee Synthére Scientifique. in S o Bologne. vol. XIV. P. 215.

— ٨ —

لنفرض نقطة مادية مثل « ف » فمبدأ الاستمرار يقرر أن هذه النقطة المادية تتحرك حركة مستقيمة منتظمة إذا لم يؤثر في حركتها مؤثر . ولنفرض حادثتين : الأولى مثل « ا » والثانية مثل « ب » في خط حركة النقطة المادية « ف » ، ولنفرض أن الحادثة الأولى « ا » تسبق الحادثة الثانية « ب » ، ولما كان هنالك خطوط المجال الانتشارى بين الحادثتين فاننا نرمز لمجموعها بالرمز « غ ص » ولواحدها بالرمز « غ » . فلتعيين خط من هذه الخطوط نبدأ من عند الحادثة « ا » التي حدثت في النقطة « م » ، ولنفرض أن هذا الخط مسنود بصورة ثابتة لنظام مثل « ظ » ومتحرك بالنسبة لآخر مثل « ظ$_{١}$ » ، وإذا انتهينا بالخط عند الحادثة « ب » التي حدثت في النقطة « م$_{١}$ » حيث يقوم بها متحرك مثل « ف$_{١}$ » يتحرك من « م$_{١}$ » إلى « م »

وإذا فرض[1] أنه كان خط حركة النقطتين المتحركتين « ف » و « ف$_{١}$ » منطبقين على بعضهما تمام الانطباق ، وكانت النقطة المادية المتحركة المرموزة لها بالرمز « ف » منطبقة على النقطة « م » ، والنقطة المتحركة « ف$_{١}$ » منطبقة على « م$_{١}$ » فخطوط الحركة بين هاتين ستكون مختلفة إذا ما تحركتا ، وحركة « ف » تكون منتظمة وسيرها مستقيما ، كما أن « ف$_{١}$ » تكتسب تعجيلا خلال حركتها من « م$_{١}$ » إلى « م »

فاذا فرض أن حدثت الحادثة « ا » في الآونة « ت$_{١}$ » والحادثة « ب » في الآونة « ت$_{٢}$ » فستكون حركة كل من النقطتين الماديتين «Matierial Points» « ف » ، « ف$_{١}$ » محصورة بين الأوانين « ت$_{١}$ » و « ت$_{٢}$ » والنقطة المادية « ف$_{١}$ » تتخذ الوضع الذي يتم عنه الرموز الرياضية

$$\text{ل} + \text{غ ل} \text{ ؛ } \text{ى} + \text{غ ى} \text{ ؛ } \text{ز} + \text{غ ز}$$

في الآونات « ت$_{١}$ » وت غ » و « ت » فيكون معنا المعادلة :

$$\text{غ} = \text{غ ت} \quad \text{... ... معادلة (١)}$$

هـذه المعادلة تعين خطوط حركة الحادثتين عند الانتقال من خط سير النقطة المادية « ف$_{١}$ » إلى خط سير النقطة المادية « ف » كما وأنها تعين أصغر أقواس الخطوط التي تربط النقطتين ببعض . والفاصلة « غ ف^{٢} » تعينها المعادلة

$$\text{غ ف}^{٢} = - \text{غ ل}^{٢} - \text{غ ى}^{٢} - \text{غ ز}^{٢} \;\text{ه}^{٢}\, \text{غ ت}^{٢}$$

فاذا ما حولنا الرمز « غ ف » إلى الرمز « ه غ ت » لنشأ معنا المعادلة :

$$\text{غ ف}^{٢} = \text{ه}^{٢} \text{غ ت}^{٢} \Big\{ ١ \left[\frac{\text{خ ك}}{\text{خ ت}}\right]^{٢} + \left[\frac{\text{خ ى}}{\text{خ ت}}\right]^{٢} + \left[\frac{\text{خ ن}}{\text{خ ت}}\right]^{٢} \Big\} = \text{ه}^{٢}\, \text{غ}\, T^{٢} \quad \text{... ... معادلة (١)}$$

فلو رمزنا بالرمز « س » إلى سرعة النقطة المادية المتحركة « ف$_{١}$ » في آوان الزمان « ت » كانت المعادلة الدالة عليه :

$$\text{ه}^{٢} \text{غ}\, T^{٢} = \text{ه}^{٢} \text{غ ت}^{٢} \left(١ - \frac{\text{س}^{٢}}{\text{ن}^{٢}} \right) \quad \text{... ... معادلة (٢)}$$

أو أن :

$$١ - \frac{\text{س}^{٢}}{\text{ن}^{٢}} = \frac{١}{\text{ث}^{٢}} \quad \text{... ... معادلة (٣)}$$

فيكون معنا أن :

$$\text{ه}^{٢} \text{غ}\, T^{٢} = \frac{\text{ن}^{٢}\, \text{خ ت}^{٢}}{\text{ث}^{٢}} \quad \text{... ... معادلة (٤)}$$

ومن هذه المعادلة نستنتج أن

$$\text{غ}\, T = \frac{\text{خ ت}}{\text{ث}} \quad \text{... ... معادلة (٥)}$$

ولو حولنا[1] هـذه العبارات الرياضية إلى عبارات عادية لأفادت أن خط العالم الواقع بين الحادثتين « ا » و « ب » والمنطبقة على خط حركة النقطة المادية « ف$_{١}$ » يكون زمانها بالنسبة لنظام مثل « ظ » تتحرك إزاءها حركة انتقالية مستقيمة أقل من مقدار الزمان بين الحادثتين . وكلما ازدادت سرعة النقطة المادية « ف » بالنسبة إلى النظام « ظ » أخذ الزمان في التقلص حتى يتساوى شطرا المعادلة رقم « ٥ » فيكون معنا المعادلة :

$$\text{غ}\, T \Big|_{ا}^{ب} = \frac{\text{غ ت}}{\text{ث}} \Big|_{ا}^{ب} \quad \text{معادلة (٦)}$$

ولو حولنا هذه المعادلة إلى كلام عادي لأفادت أن النقطة

(15) : Moore • G. E.• Principes new Mathematics., 1908 P. 138-140, Cincinati hress.

(5). (Edham. I. A.) : Die Grundlangen der Relativitaets-theorie.; vol 3, P. 175—178.

المادية « ق ١ » فى حركتها من « ا » إلى « ب » كلما أخذت فى الانحراف عن خط سير الحركة المنتظمة المستقيمة كانت سرعتها بالنسبة إلى « ق » أكبر . ولما كانت الفترة الواقعة بين الآونتين « ت ١ » و « ت ٢ » ثابتة لا تتغير فزمان النقطة « ق ١ » يتناقص بهذا القدار ويكون الخط المنطبق على خط سير النقطة المادية المتحركة حركة مستقيمة منتظمة أطول خط بين هاتين النقطتين (١)

— ٩ —

من المعادلات التى سبق ذكرها نستنتج المبادىء الآتية :

أولاً : سرعة النور سرعة محدودة لا تتغير لا فى المكان ولا فى الزمان . وسرعتها مستقلة عن حركة مصدرها ، وتنتشر فى الفضاء وبين الأكوان بسرعة ثابتة

ثانيا : قوانين الميكانيكا الكلاسيكية « مبادئ نيوتن » لا تسرى على حركة وسرعة النور والأمواج الكهربائية والالكترو مغناطيسية ، ولا على حركة وسرعة الحادثات التى تقرب فى سرعتها من سرعة النور ، وإنما يسرى عليها قوانين اينشتين الميكانيكية

ثالثاً : ليس للزمان حقيقة منفصلة عن المكان بل كلاهما يتحدان فى فاصلة واحدة هى الفرق بين مربع الفاصلة المكانية وحاصل ضرب سرعة النور بمربع الفاصلة الزمانية ، وهذه الفاصلة هى الفاصلة المطلقة الوحيدة فى عالم الحادثات

رابعاً : أطوال الأجسام تتبع حالات مشاهديها وتتغير تبع حركتهم وسكونهم فالأطوال نسبية للشاهدين

خامساً : ليست المادة كما يعبر عنها العلم الطبيعى الكلاسيكى بأنها كل ما كان لها امتدادات ثلاثة فى المكان ، بل المادة مجموعة توالى الحادثات فى نقطة واحدة ، بمعنى أن العالم ليس إلا مجموعة من الحادثات ، وتوالى عدد من هذه الحادثات فى نقطة واحدة يلقى فى روعنا معنى المادة

سادساً : الزمان الخاص بحادثة ما هو مجرد العلاقة بين فاصلة الحادثة وسرعة النور

سابعاً : الخط المستقيم الواصل بين حادثتين هو أطول خط بين هاتين الحادثتين

(تم البحث الثالث) اسماعيل أحمد أدهم

(١) حسنى حامد : اينشتاين نظرية لرينك على قيمتى استانبول ١٩٢٨ صحيفة ٥٩

صالح ذكى : اينشتاين وبوانكاريه . دار الفنون ، فيزيق شعبه سى ، فيزيق رياضيات محاضره لرى ١٩٢٥

تصحيح خطأ

جاء فى المقال السابق نشره فى العدد ١٣٨ خطآن مطبعيان نصححهما فيما يلى :

الأول وقع فى ص ٣٠١ سطر ٢٣ بالمعادلة رقم ٢

خطأ

$$س_2 = \frac{س + س_1}{1 + \frac{س + س_1}{ح^2}}$$

صواب

$$س_2 = \frac{س + س_1}{1 + \frac{س \times س_1}{ح^2}}$$

كما أنه فى السطر الثانى من الفقرة (٤) ص (٣٠٢) بالعمود الثانى وقع :

خطأ	صواب
اداء	ازاء

صور الصداقة والعداوة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

وَفِيٌّ غادر سمحٌ حقود ... أرى الأضداد فيك إلى لقاء
أمدحك لى انتقام من عدو ... أساء اليك أم محض الثناء
وفاؤك كى أبادلك التحايا ... أذا سبب التقرب والتنائى ؟
وكيما أصطلى وأشن حرباً ... على من مدحه لك كالهجاء
أتخدعنى ولم تلحق بسنى ... ولم تظفر بخُبرىَ أو بلائى
وتمذق لى إخاءك مذق حقد ... على وما أصبتك بالعداء
تحاربنى وتحسب أن مستخفى ... عداؤك ليس يظفر بالخفاء
كشأن نعامة للرأس تخفى ... وتحسب مالها فى الناس رائى
ولست بأول المخفين بغضاً ... نما بين المحبة والإخاء
عرفت الناس قبلك يا خليلى ... وذقت الغدر من حلو الوفاء
فان كان الولاء كما أراه ... فويلى من وفائك والولاء
وبُعداً للمديح وإن تغالى ... وسحقاً للمروءة والصفاء
سل الخلان ما فعلوا بقلبى ... وهل أبقوا لشدقك من غذاء
وهل أبقوا لبطنك منه شِلْواً ... مريراً لا يساغ على عداء
أعيذك أن أراك شبيه قوم ... رجولة بعضهم فقد الحياء
وهم فقدوه من ذل وعار ... وهم فقدوه من فقد الأباء
وكم أخفوا رخاوتهم بهُجْرٍ ... كمن فقد الحياء من النساء
وهم مثل الهلوك رمت رجالاً ... بما قد صح فيها من هجاء
على الأبواب واقفة تنزَّى ... وترمى القوم من دان ونائى
وتحسب أنها نفضت خناها ... كجلد الكلب هُزَّ لنفض ماء
فلا يعديك خلقهم فانى ... رأيت الخُلق يعدى كالوباء
صفحت ولو أردت بلغت ثأرى ... وقد عُرِفَ اقتدارىَ فى الرماء
فان يأبوا وإن تأبى سكوتى ... فما صمتى بعىِّ الأدعياء
ولا يُغليك بين الناس خفضى ... ولم تبعد بأفقك عن سمائى
لتنزلنى إلى حيث استقرت ... بك الدنيا تفنن فى العداء
تخبِّرُنى اللحاظ بفسل قوم ... على ما نلت من فرص الرخاء
وكنت أظنه حسداً لقولى ... فخلت الصمت أقرب للنجاء
ولو سمعوا بموتىَ ما استراحوا ... ولا يشفى حقودهمُ فنائى
أرادوا لى الممات ولو دهانى ... لفرط الحقد أحسد للفناء
فلا يرضيهمُ عيشى رخياً ... ولا يرضيهمُ منى عفائى
وفى الدنيا الدنيئة هان سمحٌ ... تعالى عن سلاح الأدنياء
إذا ما أحرجوا سمحاً كريماً ... تدرَّع بالقواذع فى الرماء
دعونى صامتاً فالصمت أوقى ... لكم إن لم تصولوا بالغباء
أداجى الناس ما داجوا وإنى ... لأزهد فى الدِّهانِ وفى الرياء
ولكن الحياة لها قضاء ... فمن يأباه يزهد فى البقاء
وما أدرى لدُنْ أُلفِى عدُواً ... أأبله أم تبالَهَ بالعداء
أخوَّفه أذاى أخو دهاء ... أخوَّفه ذكائىَ واعتلائى
أتمّقَ وعده بالخير إما ... تمادى من تمادى فى الجفاء
أسَعْىُ سعاية ام قول واشٍ ... يُحَكِّمُهُ المحكِّمُ فى الخفاء
أرجّاه مُرجِّى الخوف منى ... ضلالاً نيل عونىَ أو ثنائى
أعدْوى فى التثاؤب من كسول ... كعدوى فى العداوة والاخاء
أرشح اللؤم فى رهط وضيع ... يفيض بما يشاء من الأداء
ومن عرف الأنام رأى أموراً ... مُرَعْبَلَةً كرعبلة الكساء
أراها كلها صُوَراً تنزَّى ... تنزِّى الآل فى الخرق الخواء
سراب لست أتبعه فأخشى ... هلاكاً لا ولا هو من رجائى
أنا المرء الذى عرف البرايا ... فلا يردى لعاد أو لشانى
ومن خَبَرَ الأنامَ لصُنْعِ فنٍّ ... فكل الخلق من صُور الأداء
تراموا بالهجاء فان أصابوا ... فرهطهم الملطخ بالهجاء
أليس الرهط فرداً ثم فرداً ... وأوصافاً لها عدوى الوباء
نعتم رهطكم لما نعتم ... نفوسكم بأوضار الرماء
نفوسكم معرَّة كل رهط ... ومدرجة الشعوب إلى الفناء
ومهزلة المكارم والمعالى ... وهل لؤم يؤول إلى علاء
لعلكم حسبتم كل شر ... إلى عود بخير وانتحاء

عبد الرحمن شكرى

أعلام ورموز :

أنا قبر

بقلم السيد زكى المحاسنى

يا حبيبي حبي يضيق كلاماً ... ليت أنى أبينهُ أنغاما
نغماً تفهم الجوارحُ منه ... وبريح العذاب والآلاما
أنت أغرودة على الدهر تعلو ... عن سماع يغدو ذووه رغاما
أنت لحن سمعتُــه فرمانى ... ضائع الرُشد حائراً مستهاما
ربما قد شككتُ فى صدق عينى ... لحسبت الذى رأيت مناما
كيف فرّت حقيقةٌ من يد الحِ ... سِّ فصارت فى مزعمى أوهاما
أأنا ذاك أم أعيــد وجودى ... بعد ما كنتُ فى فنائى رماما

* * *

أغلِق الكُوّةَ المنيرة واملأ ... نى ظلاماً حتى أصير ظلاما
علنى أسترد صورةَ ما فا ... ت وعلّى أرُدُّها أحــلاما
هاهو السبح يدّنى من أمامى ... واجماً وجهــه يلوح كهاما
جللت منكبيه بردةُ بؤس ... جعلتها الأسفارُ تبدو قتاما
مدّ لى كفّهُ الهزيلةَ والرج ... فةُ فى ثغره وقال : سلاما
لم أكد أهتدى إليه فأرجعـ ... ـتُ الخوالى إلىّ عاماً فعاما
ثم لمّا عرفتُهُ غاب عنى ... وكفانى ولو يزورُ لماما

* * *

ردَّ ضوئى واحمل إليـهِ حياتى ... واسقِنى فى سُلوّ همى مُداما
داونى مثلما يداوَى عليل ... خاف أهلوه أن يموتَ سَقاما
أغدُ بى فى الرياض واقصص حديثاً ... أتخذ منــه سلوةً وجَماما
أنا أهوى الحياةَ من كلّ آتٍ ... وأرجّى من البقاء دواما
إحتفز هُوّةً وأنزِلْ إليهـا ... ذِكرياتى وأردُم عليها رجاما
وكأنى أمرُّ يوماً عليها ... فتنادى : ألا رعيت ذِماما
فأبكّى لهــا وأســفح دمعى ... فتبلُّ الدموعُ منهــا أُواما

* * *

أنا قبرٌ وفىّ مَيتٌ توارى ... وبكانى علىّ كان لزاما

ليلة فى «الحمراء»

« عن شاتوبريان »

بقلم السيد ناجى الطنطاوى

ولى ذكريات أودعت مهد مولدى ... عذاب وعهــد فى رباه أنيق
فهل تذكرين اليوم يا أخت ما مضى
فانى إلى تلك الديار مَشُوق

وهل تذكرين « الكوخ » حين تضمنا
إلى صدرها الأم الحنون فنجذل
وشَعراً لها قد بيّض الشيب جُلّه ... نداعبه طوراً وطوراً نقبّل ؟

وهل تذكرين القصر والنهر دونه ... يبلّله والبرج فيــه قديم ؟
إذا قرع الناقوس أعلن صائحاً ... بأن نهار الأمس عاد يقوم

كذا العندليب الخفُّ هل تذكرينه ؟
يلامس سطح الماء حين يطير
وللقصب الزاهى انحناء وعند ما ... نرى الشمس فى ماء الغدير تغور

فهل من معيد لى « هيلين » ودوحةً ... بها وجُبيلاً كيف لى أن أراها ؟
تسبب لى ذكراها الوجد والجوى ... لأنىَ لا أهوى ربوعاً سواها

فى غمرة الهوى

بقلم السيد الياس قنصل

لا تحزنى إن كنتِ عاشقةً ولا ... تستسلمى لتفجّع وبكاء
الحبّ لا يُشقى وإن حمل الردى ... بفوادح النكباتِ والأرزاء
هو نفحةٌ علويةٌ سحريةٌ ... تسبى الفؤاد بلطفِ الاستهواء
تحبو الخلىّ جناحَ وهمٍ خالدٍ ... يسمو به عن سائر الأحياء
لا تحزنى ، فجمالكِ الفتان قد ... تذويه عاديةٌ من البلواء
والحزنُ ينفث فى الحياة وكأسها ... ما ليس تنفثه سوى الرقطاء

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

أندلسيات :

٣ - ابن بسام صاحب الذخيرة
والشاعر ابو مروان الطُّبْنى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

ألاَ يحسن بنا بعد أن أوردنا ترجمة ابن بسام للشاعر أبى مروان الطبنى أن نردفها بترجمة الفتح بن خاقان لهذا الشاعر حتى نرى فرق ما بين الترجمتين فتتم الموازنة بذلك بين هذين الأديبين من جهة ، وحتى نوفى ترجمة هذا الشاعر حقها بما فى ترجمة الفتح من زيادة على مما فى ترجمة ابن بسام من الجهة الأخرى . نعم ، قال الفتح فى المطمح فى حق الطبنى : من ثنية شرف وحسب ، ومن أهل حديث وأدب ، امام فى اللغة متقدم ، فارع لرتب الشعر متسنم ، له رواية بالأندلس ورحلة إلى المشرق ، ثم عاد وقد توّج بالمعارف المفرق ، وأقام بقرطبة عَلَماً من أعلامها ، ومتسنما لترفعها وإعظامها ، تؤثره الدول ، وتصطفيه أملا كما الأول ، وما زال فيها مقيما ، ولا برح عن طريق أحانيها مستقيما ، إلى أن اغتيل فى إحدى الليالى بقضية يطول شرحها ، فأصبح مقتولا فى فراشه ، مذهولا كل أحد من انبساط الضرب اليه على انكماشه ؛ وقد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع ، وتصغى اليه المسامع ؛ فمن ذلك قوله :

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم على ما به منهم حنين الأباعر
وأصبر عن أحباب قلب ترحلوا ألا إن قلبي سائر غير صابر

ولما رجع إلى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم ، اجتمع اليه فى المجلس خلق عظيم ، فلما رأى تلك الكثرة ، وماله عندهم من الأثرة قال :

إنى إذا حضرتنى ألف محبرة يكتبن : حدثنى طوراً وأخبرنى
نادت بمفخرتى الأقلام معلنة هذى المفاخر لا قعبان من لبن[1]

وكتب إلى ذى الوزارتين أبى الوليد ابن زيدون :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار وقلّ منا ومنك اليوم زوّار
وبيننا كل ما تدريه من ذمم وللصبى ورق خضر وأنوار
وكل عتب وإعتاب جرى فله بدائع حلوة عندى وآثار
فاذكر أخاك بخير كلما لعبت به الليالى فان الدهر دوار

عود الى الذخيرة

« وأما بعد » فقد آن لنا أن نعود إلى القول على كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، وهو الأثر الفذ الباقى للمترحم له أبى الحسن على بن بسام ؛ ولولا أن لهذا الكتاب شأناً غير شأن سائر نظائره لما عرضنا للقول عليه والتعريف به ، إذن لناق عليه نظرة ليس منها بد ؛ ولا سيما بعد أن بشرنا صديقنا الأستاذ الكبير محمد كرد على بك بأن هناك لجنة من أفاضل المستشرقين تألفت برياسة العلامة المستشرق الفرنسى الأستاذ ليفى بروفنسال لاخراج هذا الكتاب الضخم الخالد الذى حُرِمت منه المكتبة العربية هذا الزمن الأطول ...

***

وتأملى تجدى تباريح الهوى قد ميزتك برقةٍ وسناء
ما كنتِ قبل اليوم إلا دمية تحوى ضروب الحسنِ دون رواء
يأتى الربيعُ فلا ترين جماله إلا بعطرِ زهوره الميلاء
وتدغدغ النسماتُ وجهكِ حيث لا تلقى سوى لون بلا إغواء
وإذا تمايلت الغصونُ وصفَّقت أوراقها فى الروضة الغناء
لم تدركى معنى تمايلها ، ولم تنفى طى همساتها الخرساء
ما كان قلبك رغم كل حنوّه إلا شبيه الصخرةِ الصماء
واليوم بتِّ وقد عرفتِ لُغَى الهوى نبتَ الخلودِ ومهبطَ الإيحاء
فاذا رنوتِ إلى السما عند المسا ورأيت سلك الأنجم الزهراء
أدركتِ شيئاً لم يكن لك ظاهراً وكشفتِ سرّ القبة الزرقاء
أمسيتِ أقرب للذى أمر الورى بالحبّ ، لا بالحقد والبغضاء
سرّى إذن ، وليمحُ عنكِ الحزن ما يجتاز قلبك من هوى وهناء

(عاصمة الأرجنتين) الياس قنصل

---

(١) يشير الى قول الشاعر :
تلك المكارم لا قعبان فى لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
والقعب قدح من خشب يروى الرجل والاثنين والثلاثة

وضع قديماً أبو عبد الله هرون بن على بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ كتاباً اسمه «البارع» في أخبار الشعراء المولدين جمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً ، وافتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح ، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه ، وقال في أوله : إني لما عملت كتابي في أخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى اليه علمي ؛ والعلماء يقولون : دل على عاقل اختياره . وقالوا : اختيار الرجل من وفور عقله . وقال بعضهم : شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من عقله ، واختياره قطعة من علمه . وطول الكلام في هذا وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن ، وأنه كان طويلاً فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر . ثم جاء بعده أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ووضع كتابه «يتيمة الدهر في شعراء أهل الدهر» ، وجعله ذيلاً لكتاب البارع ؛ هذا ثم جاء أبو الحسن على بن الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ ؛ وألف كتاباً اسمه «دمية القصر وعُصرة أهل العصر» ، وجعله ذيلاً لكتاب يتيمة الدهر ؛ ثم جاء أبو المعالي سعد بن على الوراق الحظيري المتوفى سنة ٥٦٨ هـ وصنّف كتاباً أسماه «زينة الدهر» ، وجعله ذيلاً على دُمية القصر ؛ وأخيراً ظهر العماد الكاتب الأصبهاني المعروف بابن أخي العزيز والمتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ووضع كتابه المسمى «خريدة القصر وجريدة أهل العصر» ، وجعله ذيلاً على زينة الدهر للحظيري . هذا في الشرق ، وأنت فانك تعلم أن الأندلسيين كثيرا ما يحذون حذو المشارقة في سائر مناحيهم ؛ ومن ثم نحوا نحوهم في وضع هذا النوع من التواليف ، فوضع الأديب الكاتب الشاعر أبو عمر احمد بن فرج – وكان معاصراً للخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر – كتاباً اسمه «الحدائق» قدمه للخليفة المستنصر وعارض به «كتاب الزهور» لأبي محمد بن داود الأصبهاني ولم يورد فيه لغير اندلسي شيئاً – وسنترجم لهذا الأديب – ثم جاء من بعده صاحبنا أبو الحسن على بن بسام فوضع كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» وجعله ذيلا على حدائق ابن فرج . وفي عصره صنف الفتح بن خاقان كتابي القلائد والمطمح ، وجاء بعدهما الأديب أبو عمر بن الامام وذيل على الذخيرة والقلائد بكتاب اسمه سمط «الجمان وسقيط المرجان» ذكر فيه من أخل ابن بسام والفتح بتوفية حقه من الفضلاء ، واستدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة ؛ وذيل على هذا الكتاب أبو بحر صفوان بن ادريس الكاتب الأندلسي الكبير بكتاب سماه «زاد المسافر» ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة . وهنا نذكر أن أكثر هذه الكتب مفقود كما أن هناك تواليف كثيرة من هذا القبيل لم نسمع بها فضلا عن أنها غير موجودة . فلقد أخبرنا الامام أبو محمد بن حزم في رسالته التي يشيد فيها بفضائل الأندلس أن للشاعر الوشاح أبي بكر عبادة بن ماء السماء كتاباً في أخبار شعراء الأندلس أثنى عليه وقال انه كتاب حسن في معناه . وحدثنا أيضاً بأغرب من هذا وهو أن من بين الكتب التي وضعت للخليفة الحكم المستنصر كتاباً في أخبار شعراء «ألبِيَرة» في نحو عشرة أجزاء . . . فتأمل . . . ومما يتصل بهذا وما هو أمعن في باب الغرابة ما حدثنا به ابن حزام أيضاً من أن هناك شاعراً أندلسياً كان في عصر جرير والفرزدق اسمه أبو الأجرب جَعْوَنَة بن الصِّمَّة الكلابي يقول ابن حزم في حقه : ونحن إذا ذكرنا أبا الأجرب في الشعر لم نباه به إلا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما ؛ ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين . وحكى ابن سعيد صاحب كتاب المغرب قال : ان عباس ابن ناصح الشاعر الأندلسي لما توجه من قرطبة إلى بغداد ولقى أبا نواس قال له أنشدني لأبي الأجرب قال : فأنشدته ، ثم قال : أنشدني لبكر الكناني ، فأنشدته ؛ فأين شعر هذين الشاعرين الأندلسيين العظيمين ؟ إنا وا أسفاه لم نعثر لهما على شيء قط . . . . . ثم وأين كتاب المُسهب للحجَاري ، وكتاب المغرب لابن سعيد ، وكتابا المبين والمقتبس لمؤرخ الأندلس الأكبر أبي مروان حيان ابن خلف ؟ ! . . . وأين وأين . . . ! ؟

ابن سكانك لا ابن لهم أحجازا أوطنوها أم شآما

***

فاسألنها واجعل بكاك جواباً تجد الدمع سائلا ومجيباً

عبد الرحمن البرقوقي



مأساة من اسخيلوس

ثأر أورست

The Choephoroe

الدرامة الثانية من (الأورستيه)

للأستاذ دريني خشبه

تتمة

— ٦ —

ويسأل أورست عن هذه الزقاق من أرسلها ، وعن هذه الخمر فيم يصبانها على ثرى أبيه ، وقد تصرمت السنون على جدثه ، فتحدثه رئيسة المنشدات عن رؤيا الملكة :

— « حلم ! حلم ! أيها الأمير ! حلم مزعج مروع أقض مضجعها ؛ وأذهلها عن نفسها ! رؤيا انبجست عن ضميرها المضطرب الملوث بالآثام ! »

— « رؤيا ! وأى رؤيا هذه ؟ »

— « حملت واستكرشت ، ثم وضعتها أفعى هائلة »

— « أهذا كل شيء ؟ »

— « لقد هبت مروعة مشدوهة ، وطفقت تصيح وتصخب كأنها طفلة جائعة ... »

— « الحية الرقطاء ! وأى غذاء يرد شرهها ! زادها الله سغباً ! »

— « لقد كانت تمسك صدرها بيديها ، كأنها تخمد فيه ناراً ! »

— « وكيف لم ينفث السم فى ثديها ... »

— « كلا ! بل لقد قطر ثدياها دماء ... لا لبنا ! »

— « يالها من رؤيا ... لو تتم ! ... »

ثم انطلقت تصيح فى أبهاء القصر ، وهب العذارى يحملن المشاعل ويغسلن ظلام الليل ؛ وأمرت بهذا القربان الخمرى فصُبّ فى تلك الزّقاق ، وحملناه إلى ... »

ـ « قبر زوجها ! الغادرة الفاجرة ! ليشقى سمارها ! يا آلهة الأولمب ! ويح لك يا أرض الآباء ! رحمة لك يا قبر ! يا سيد الأولمب ! يا ربات المقادير ! أكتبي أن أكونه ، أكتبي أن أكون هذا الأفعوان الهائل الذى يقر فوق صدرها ... لن يردنى شيء ! سأغمد خنجرى فى الصدر الذى شببت فوقه ! سأمزق الأثداء التى قطرت فى فمى علقم الحياة !

أكتبي يا ربات المقادير ! لتمت موتة دامية ! سأذبحها ! أنا الأفعوان لا ريب ! إشهدن أيتها العذارى ! سجلى يا سماوات ! هلم بيلاديز ! هلم يا صديقى لنأخذ فيما قدمنا له ؛ وأنت يا إلكترا كونى رائدنا فى القصر ؛ تحسسى لنا أخباره ، وقصى آثاره ، فاذا أزفت الآزفة لم تفلتهم الغيلة التى دبرناها لهم ، كما دبروها لمولاهم من قبل ؛ ولم يفلتهم الشرك الذى نصبوه بأيديهم ، وآن لهم أن يقعوا فيه . . . . . ليذوقوا وبال أمرهم مادام أن النفس بالنفس ! هلمى إلكترا ! سأبدو أمام البوابة الكبرى مع صديقى بيلاديز فى زى مهاجرين ، وسنتحدث بلهجة أهل هذه البرية التى نتقفها جيداً ، يا للآلهة ! إن أحداً من أهل القصر لن يمنحنا ابتسامة ، أو يتصدق علينا بنظرة !! ...

لا علينا ! بيد أننا سنترصد لأيجستوس ، فاذا حانت لنا منه غفلة فسننقض عليه وننفذ خناجرنا فيه ! إلكترا ! أرقبى القصر جيداً ، واحذرى أن تحركى لسانك بكلمة تفسد علينا كل شيء .... تكلمى إذا كان فى الكلام خير لنا ..... وإلا ..... فالصمت .... الصمت الذى يشبه الكبرياء يا أختاه ... وأنتن أيتها العذارى . . . هاتين موثقكن (يقسمن له أيمن معه) إذن ... إلى اللقاء ... »

— ٧ —

« المنظر : أمام قصر البلوبيديه (١) »

« يهزج المنشدات بلحن طويل حلو ، ويتغنين أشجان القصر العتيق ، ويرددن ذكريات الماضي المظلم المضرجة بالدم ، ويلمحن إلى الهول الأكبر الذي ينتظر المجرمين . . . »

« يدخل أورست ويطرق باب القصر »

— « أنتم يامن هنا ؟ ... (ويطرق ثانيةً) ... يا أهل هذا المنزل الرحب ... (ويستمر في الطرق) ... يا سادةَ هـذه الدار ! ... الأمير إيجستوس ! أريد الأمير إيجستوس ! ماذا ؟ ألا من أحدٍ هنا ... في هذه الدار المضيافة ... (يطرق بعنف)

البواب : « هيه ! من ؟ من أنت ؟ (في غضب) من أين أقبلت ؟ تكلم أيها الريق !

— « لقد جئت لسادة هـذا القصر بأخبار هامة ... غريبة ... فالبدار البدار أيها البواب ! ... قل لهم إن بالباب رجلا من بدو البرّية يريد لقاءهم ... هيا ... و ... إسمع أيها البواب ... اسمع ، أرجو أن ... لقد أوشك الليـل يرخي سدوله ، ولا بد لابن السبيل من ملجأ كريم يأوي إليه ... فحبذا لو لقيت أبّا من ذوي الشأن هنا — وحبـذا لو كان رجلاً ... إن لديّ أنباءً هامة ، وقد أرتبك إذا ألقيتها لامرأة ... أما إن كان رجلا ... فالرجل يصارح الرجل من دون ما حياء ... بل لا يكاد ذهنه يشرد في حضرته كما قد يشرد في حضرة امرأة ... ... »

« تدخل كليتمنسترا »

— « ماذا أيها السيد ؟ ! غريب لاجيء ! مرحبا مرحبا ... إن قصر البلوبيديه لن يضيق بالجائع المعتر ، ولا بالطامىء الصادي ... إنزل أهلا ، وحل سهلا ... ولكن ... ! يبدو عليك أنك رسول ولديك أنباء ! إذن ... ما وراءك ؟ هـذا إن لم تكن رسالتك للأمير ... »

— « أنا ؟ ... أجـل ... رسول ! لقد قدمت من بلدتي دُوليس ، إلى آرجوس ، في بعض شأني ... و ... بينا أنا في بعض الطريق ، إذا رجل طوال وقور الهيئة يلقاني فجأة ويسألني إلى أين ؟ ولم أكد أجيبه أنني ميمم شطر آرجوس حتى لهث لهثة شديدة وقال : إذن لي رجيّة عندك ما أحسبك إلا مؤديها لي ... ومنّاني بالخير الكثير ، ووصل حديثه فقال : إذا كنت في آرجوس فاقصد من فورك قصر الامارة ... البلوبيديه الشاهق ... والق ال ... ملـ ... الأ ... مير ... ونبئه أن أورست قد قضى نحبـه ... مات ... ثم سلهم ، هل يرون أن تنقل رفاته فتقر في ثرى الوطن ... أم يؤثرون أن تظل حبيسةً في دار الغربة كما عاش صاحبها إلى آخر أنفاسه مشرداً في أنحاء الأرض ، طريدا من رحمة أبويه ... أما الرجـل فقد ذكر لي أنه ستروفيوس وأنه من فوسيز ... وقد ألح في أن أعود إليه برد على ما طلب ... و ... و ... فاتني أن أذكر أن رفات الأمير الصغير ما تزال محفوظةً في إرانٍ نحاسي ... و ... أنه يبكيها ... و ... ولكن يا سيدتي بحق الآلهة عليك ! لقد ذكرت كل شيء ... هل أديت الرسالة الأُذُن التي طلب مني الرجل أن تعمها ؟ إذ ينبغي أن يعلم أبَوا الأمير قبل كل أحد »

ـ « ويلاه ! يا للداهية تنصب في هذا الخبر الأسود ! إيه أيتها اللعنة التي ماتفتأ ترنق على هذا القصر ! إيه يا عُقاب الردى هويت من شاهق على حَمَلينا ! إيه يا سهم المنية اخترمته من بُعد ! بينا كنت أحسبه في مأمن من مزالق الحتوف ، إذا هو يموت ، ويغادرني في تعاستي وحدي ! أورست ! يا رحمتا لك يا بُنيّ ! لقد كنت أدخرك لتشفي أوجاع هذا البيت ... ياأملي الوحيد ! يا آخر رجاء لي في الحياة ! لقد جاء النعي فلا شاك ! ... »

— « وا أسفاه ! كم كنت أود لو أتيت بالبشريات الغُر لأنال رفد هؤلاء السادة الأثرياء ! ولـكن ! لا عليّ ! فلقد ظل قلبي يحدثني عما في النبأ الذي حُمّلت من شر !

إ ... إ ... إنما ! ... مالي ولذاك ! أيتها الأميرة ! أمن رد على ستروفيوس .. ؟ »

— « ليطمئن قلبك على الرفد أيها الرسول ! ولا يحزنك أنك جئت الينا بهذا النبأ ، فقد كان غيرك يجيء به لو لم تفعل ... والآن ... هلم أيها الخادم بالضيف الكريم الى أنخر غرف الضيافة ، وليصحبه تابعه ، ولتكرم مثواه ، ، فما أظنهما إلا قد أضناهما السفر ، ونال منهما الطريق ... أما نحن ، فسنبلغ الملك وسنرى ماذا يكون في مسألة الرفات »

« يخرج الجميع ماعدا المنشدات »

— ٨ —

« تدخل مرضع أورست »

رئيسة الخورس : « هيا يا وصيفات القصر ! صلاة مباركة

---

(١) لم يتقيد اسخيلوس بوحدة المكان في هذه المأساة ، وكان المنظر الأول أمام مقبرة أجا ممنون

للآلهة أن تحرس أورست وأن تلحظه بعين الرعاية ... وصلاة مباركة على روح الوالد القتيل ، الذى لابد هو راع ولده الذى جاء ليثأر له من الآثمين ! ... هيه ! من ؟ مرضعة أورست ؟ كيليسَّا ؟ ماذا جاء بك يا كيليسا ؟ ! تبكين ؟ ماذا يبكيك يا طيبة القلب ؟ ! »

— « عِمْنَ مساء يا عذارى طروادة ! لاشىء ! فقط ، ... لقد طلبتْ إلىّ المليكة أن أدعوَ إليها أميرها إيجستوس ليتلقى بأذنيه أنباء النعى ! ويلاه ! ويلاه عليك يا أورست ! يا طفلى العزيز ! شجن جديد يغطش سماءك أيها القصر ! أنت يا مأوى الأشجان وكهف الأسرار ! يا بيت أتريوس كم مصيبة خبأتها لك الأقدار ؟ ! آه يا طفلى ! يا من غذونك من ثديىّ لبن المحبة والحنان ! أنا كيليسَّا المفجوعة فيك ... أنا التى غذونك ونشأتك وسهرت عليك بأمر أبيك الملك ! أنا التى كنت أفديك بالحياة ... لقد انتزعوك منى ... ونفوك فى أقصى الأرض حتى لا تروع أحلامهم وتقف فى سبيل لذاتهم ! اللئام ... ! أنا أذهب الآن لأدعو إيجستوس ! لأملأ سمعيه بخبر وفاتك ! يا ولدى ... ياولدى ... ! »

— « مسكينة ! ياويح لك يا كيليسَّا ! ولكن ! ... ، اهدئى ، فان لنا سؤالاً نحب أن تجيبى عنه ... ! »

— « ... ؟ ... ؟ ... »

— « وبم أمرت المليكة ؟ هل أمرتك أن يأتى إيجستوس ومعه أحد ؟ »

— « لا أفهم ... أفصحن بحق الآلهة عليكن ! »

— « نعنى ، هل يأتى وحده ، أم يكون معه حرس ؟ »

— « لا ! بل أمرت أن تكون حوله فرقة من حملة الرماح ! »

— « صه ! ... لا . لا ... إياك يا كيليسا ! قولى له إن المليكة تريد أن تذهب إليها بمفردك ... و ... نرجوك ! ... نحن نترك البقية لحسن فهمك !... »

— « ماذا ؟ ... وهل لكن الحق فى إصدار أوامر ؟ »

— « لا ... ولكن إن كنت حقاً وفية لأورست فلا تقولى إلا ما أشرنا عليك به ! »

— « لست أفهم ! ... لقد أودى أورست وكان منتهى آمالنا ... فماذا نرجو بعد ؟ »

« وتبكى »

— « لترقأ عبرتك يا كيليسا ! وليفرخ روعك ! هونى عليك ياطيبة القلب ، فقد يكون حياً يرزق ! من يدرى ؟ لقد ألقى إلينا أن ... »

— « ماذا ؟ نبوءة ! نبوءة بالله عليكن ؟ ... أم سمعتن أنباء خاصة ؟ »

— « صه ... ! هيا هيا ... إذهبى إلى إيجستوس وليقصد إلى المليكة وحده ! »

« تخرج كيليسا »

« وتصلى المنشدات من أجل أورست ، ضارعات إلى الآلهة أن تكون معه ؛ وإلى هرمز أن يحرسه »

— ٩ —

« يدخل إيجستوس »

— « هيــه ! ... هأنذا قد أتيت ! ياله من خبر ! أين الغريبان ! ماذا ؟ أحقا مات أورست ؟ ! ما كنا نؤثر أن يموت ! يالجرح الذى ينغل فى أحشائك أيها القصر ؟ هاك فادحا آخر ينوء بكلكله عليك ! ولكن ! ... لا ... لا أصدقه ! لا أصدقه ... ! أنا فى شك من النبأ مريب ! المرأة ! لقد زخرفوا لها الخبر الأسود وقذفوا به فى روعها ! أكبر ظنى أنها إشاعة لا تلبث أن تذوب ! خبرن يا وصيفات ! أحق ذاك النبأ ؟ »

— « لقد سمعنا كما سمعت ! ولكن ! ... لتدخل أنت ، ولتلق الطارقيْن الغريبيْن ! فقد خُيِّل إلينا أنها مجرد إشاعة ! وقد تجلو الحقيقة حينما تواجههما »

— « ما أحسبنى أصدّقهما إلا أن يقولا رأيناه يجود بآخر أنفاسه ! إن لى لعقلاً ، وإنه لا تجوز عليه الأباطيلُ ! »

(ويخرج)

وما تكاد المنشدات يترنمن بأنشودة قصيرة يصلين فيها لزيوس حتى تُسمع صرخة من الداخل :

— « آه ... آه ... ذُبحت ! لقد ذُبحت ! »

المنشدات : — « ها ! ... إشتدى أزمة ! »

— « آه ... آه ... »

— لقد نفذ السهم وقُضِىَ الأمر ! ...

« يدخل أحد الخدم »

— « ويلاه ! قتل الأمير ! أخبروا المليكة ! ... ويلاه ! افتحوا البوابة لأميرة القصر ! « تحاول المنشدات فتح البوابة فلا تستطعن » أنتن ضعيفات ! ليفتحها الرجال الأشداء ! الغوث الغوث ! آه ... لا غوث اليوم ، لقد انتهى كل شىء !

أين الأميرة ! أين الملكة ! أين كليتمنسترا ؟ ياوح لها حين يفجعها النبأ ! . . . »

— ١٠ —

« تدخل كليتمنسترا »

— « من ذا يصيح ويصخب هنا ؟ ماذا ؟ أنت الذي تصخب أيها الخادم ؟ »

— « أ ... أنا ... ؟

— « ماذا ؟ تكلم ! »

— « لقد انتفض الأموات تحت أطباق الثرى فذبحوا الأحياء ! هنا في هذا القصر ! »

— « آه ! الخديعة ! جلوت السحر وكشفت الطلسم ! هلم فهات لي بلطا[1] ! وليكن حديداً مشحوذاً ! هلم هلم ! عليّ وزر هذا العمل أو لي خيره ! لأصارع الأقضية ، ولأنازل المقادير هذه النوبة أيضاً ! »

(ويزاح ستر فيبدو أورست وأمامه جثة إيجستوس والى جانبه بيلاديز)

أورست : « آه . . . هلا ! هذي أنتِ ! لقد فرغت من إيجستوس ، وقد جاء دورك ! . . . »

« كليتمنسترا وقد هالها مقتل ايجستوس »

— « قُتِلتَ ! ويلاه ! سكتت نأمتك ، وشالت نعامتك ، يا أعز الناس عليّ ! »

— « أعز الناس عليك ! ها ها ها ... إذن سترقدين إلى جانبه آخر الدهر ليتم له وفاؤك يا آثمة ! »

« ويهم أن يفتك بها فتعرف فيه ولدها »

— « أورست ! أهو أنت ؟ ولدي ! حاشاك ! إرحم هذا الصدر الذي طالما دللك ، والثدي الذي طالما أرضعك ! »

« ينثني أورست ليستشير صديقه »

— « بيلاديز ! أشر عليّ يا أعز الأصدقاء ! هل نفل الرحمة من غرب هذا السيف من أجل أمي ؟ »

— إذن أين ما أوحى إليك من لدن أبوللو ؟ وأين النبوءة الصادقة وما ناشدتك السماء أن تؤديه لها ؟ رو سيفك غير راحم يا أورست . كن صديق السماء واغسل بغضبتك أدران الأرض ! »

— « آه ... شكراً لك يا بيلاديز ! حقاً إنك المخلص الأمين ! أنا أبداً في حاجة إلى مشورتك ! سأقتلك إذن يا أدنس الأمهات ! سأقتلك لتخرّي إلى جانب عاشقك المجرم النجس ! لقد فضلته على مليكك في الحياة ، فقري معه بعد الموت ! حبيبك النتن الذي كان غيره أجدر بحبك لو عرف قلبك أثارة من الطهر يا فاسقة ! »

« ويهم أن يفتك بها ثانية »

— « أورست ! لقد أرضعتك ، وكنت آمل أن تكون سندي في شيخوختي ! »

— « سنداً لها ! الفاسقة ! وكيف يظلني سقف وقاتلة أبي ! ملومة العرض ! »

— « قدر محتوم يا أورست ! »

— « والقدر المحتوم هو الذي يكتب عليك ما تلقين اليوم »

— « ولعنة أمك ! ألا تخيفك يا أورست ! »

— « أمي التي قذفت بي من حالق فريسة لأشجان الحياة ! »

— « أنا قذفت بك من حالق ! حاشا ! لقد أرسلتك إلى أعز الأصدقاء ليكلأك ويرعاك ! »

— « لقد كانت مقايضة خاسرة بالنسبة لي ! حرية وملك ، بعبودية وذل ! »

— « وأين الأعطيات التي بعثت بها يا بني ؟ »

— « الأعطيات ؟ يا للعار حين نخوض في ذاك من غير ما احتشام ؟ »

— « قد لا نذكر أيام أن انحرف أبوك وضل ! »

— « لا تنحى على الغائب بلائمة ! »

— « ألا تقدر لأواء أم محزونة مهجورة ، يا أورست ! »

— « بلى ! وأعرف أنها ظفرت بكل ما تشتهت ! »

« ويهم أن يقتلها »

— « آه ! أتقتل أمك يا بني ؟ »

— « أنا ؟ أنا لا أقتلك ! ولكن تقتلك آثامك ! »

— « ها ! ... وأين تهرب من هامة أمك إذا قتلتها ! »

— « وأين أهرب من هامة أبي إذا خليتك يا آثمة ! »

— « كأني أخاطب فيك قبراً فلا يسمع ! »

— « أجل ! وهو قبر أبي الذي يضرب وجهك بزفير جهنم ! »

— « آه ! الأفعى ! لقد ولدتها وربيتها ... وهاهي ذي تنفث سمها في حياتي ! »

— « إذن : هي رؤياك قد جعلها أبوللو حقاً ! »

— « ... ! ... تبدو كليتمنسترا كأنما يكاد يغمى عليها »

(١) البلط لغة الخرط (ق) وقد استعملناه لمناه العامي (البلطة) لأنها المقصودة في المعنى اليوناني كما تنت صورة كليتمنسترا ذلك

— « القصاص يا أتعس الامهات ! لقد زرعت وزراً ، فلتجنى اليوم أوزاراً ! »

« تنطلق كليتمنسترا داخل القصر فيعدو أورست فى أثرها »

— ١١ —

ويذكر المنشدات ـ عذارى طروادة التاعسات ـ أوطانهن ، وما حاق بإليوم وبريام من دماء وتقتيل . فيتغنين آلامهن ، ويرجمن ذكرياتهن ، ويهتفن بعروس الهلسبنت ، ويناجين العظام النخرة التى نامت إلى الأبد تحت أسوارها ...

ثم ....

ثم ينزاح ستر صفيق عن أورست ... بين الجثتين الجبارتين جثة أمه الفاسقة كما دعاها ... وجثة إيجستوس المتهتك ، الذى لم يطهر ثأره بالحفاظ والنقاء ... بل لطخه بفضائح الدعارة وحياة الهوى التى عاقر خمرها مع كليتمنسترا

— « إشهدن يا عذارى ! ها هما قاتلا أبى ، وهادما مجد الوطن ! لقد استويا بالأمس على عرش آرجوس فلطخاه بالاثم ، وهما اليوم مجندلان فوق ثرى واحد ... وبيد واحدة ... وهو من البر بالأقسام ! أجل ! لقد برا بيمينهما ... أليس أحدهما قد أخذ الموثق على صاحبه أن يقتلا مولى هـذا القصر ... وأن يقتسما النتيجة ؟ إذن : لقد برت يمينهما ... ولقد حاق بهما المكر السيئ ، وعلقا فى الشرك الهائل الذى حاكاه أولاً ... فمدت لهما فيه السنون والأيام ! ... ولـكن . . . ! وا أسفاه ! لقد جشمتنى القادير مهمة ملعونة ... ! وكيف ؟ أما .... أورست المسكين قاتل أمه ! يالاشقاء ! ... أبوللو ... أبوللو ... كن شاهدى ياسيد الشمس ! ... لقد أمرتنى ... وأوحيت إلى أن اقتل أمك واحمل بعدها غصن الزيتون ! ... فلو لم أفعل لـكان شقائى أدهى وأنكى ! وكيف أطيق صبراً على قاتلى والدى ؟ ! وأنا ابنه الوحيد ... والسماء تطلب دمه من رجولتى !

وأنتن يا طرواديات ! تكلمن بحق السماء ! أترين إلى مذنباً ينقض ظهره الاثم ... أم بريئاً امتشقت العدالة سيفها بيمينه ...! أيها الأصدقاء ! لقد قضت السماء أن أقتل أمى ... ! أمى التى ظلت حياتها سلسلة من المخازى ومستنقعاً من الفضائح ... حياتها التى كانت تحدياً للسماء ... لقد أقدمت وفوبوس[1] يحدونى ... لم يكن لى رائد سواه ... ولا كنف إلا كنفه ... ... هلم ياشعب الأرجيف المجيد ... كن شاهدى ومؤيدى ... وأنت يا حمى منالايوس ... ستأتى ... ستعود إلى الوطن يوماً وتقر ما أقدمت عليه بوحى السماء ! ... لن يلومنى أحد ... فإذاً ... فلن أضيق بالمنفى من جديد ... سأذرع الأرض ثانية ... سأجوب الآفاق .. ولـكن راضياً مطمئن النفس ... لأنى ثأرت لوالدى ... ولشرف آرجوس كلها »

— حاشا حاشا أيها الأمير ! لن يلومك أحد على ما فعلت فلا تحرك لسانك بهذا اللغو ... ولا تملأ نفسك بذاك التشؤم ... لقد أعدت للأرجيف حريتهم وشرفهم حين حطمت رأس الأفعى ، وثنيت بذنبها ! »

— ١٢ —

ولكن الأمير الشاب ما يزداد إلا ذعراً حين يرى إلى أمه مضرجة بدمائها ... وسرعان ما تكظ وجدانه رؤى كالحة وأشباح ... ثم تستيقظ فى نفسه كلماتها الاخيرة : « وأين تهرب من هولى يا أورست ؟ إن هامتى ستلاحقك فى كل مكان صارخة فى وجهك : يا قاتل أمه ! ... » فيجن جنونه ... ويصيح ويصرخ ويصخب ...

— ويلاه ! آه .. ! ما هذه السمادير التى ترقص فى حبر من الظلام ! آه ! أين المهرب ؟ »

— « إطمئن ياأعز الأبناء ! إنها أوهام ياأورست ! هدئ روعك ! »

ليست أوهاماً ياعذارى ! ويلاه .. ! إنها تنقض على ! هامة أمى ! ... ها هى ! ... آه ! »

— بل هى صورة هذا الدم الذى ما يزال يلوث يديك ... إطمئن ... »

— « لا ... أنا برىء ! أدركنى يا إلهى أبوللو ! يا سيد الشمس هذه الجرجون[1] الملكة الثعابين تتحوى فوق رؤوسها ... عيونها تقدح الشرر ... اللهب يندلع من أفواهها ... السم ! ... »

— « أدع أبوللو ... أدع فهو بك بر رحيم ؟ »

« آه ! ... انها تنشب أظفارها ... المهرب ... المهرب ! »

دريني خشبة

---

(١) فوبوس الاسم الأغريقى لأبوللو

(١) مر ذكرها فيما أذعناه (من أساطير الأغريق) فى أسطورة برسيوس



جون نبتل ومشروعه لتعليم الفلاح المصري

جون نبتل من أنبه الكتاب السويسريين ذكرا، وأجملهم أسلوباً، وأصدقهم فناً في نقل صور البلاد، والقيام بتحقيقات اجتماعية رائعة، وقد تجلت موهبته لا في دقة الملاحظة فحسب، بل في سحر أسلوبه وسلاسة عباراته، بحيث تنفذ إلى نفس القارئ وتحدث في عواطفه أعمق تأثير

ومما يدل أبلغ الدلالة على تفوق هذا الكاتب في فنه أنه برغم كونه سويسريا استطاع أن يثبت شخصيته أمام الانجليز، وتمكن في روايته «الدكتور ابراهيم» من أن يدفعهم إلى الاعتراف بأن ثمرة تعليمهم في مصر هوت إلى الحضيض، وأن استعمارهم أصبح كابوساً لا يطاق لشعب نشر ألوان الحضارة والمرفة، على حين كانت أوربا تغط في ظلمات الجهالة ومخلفات القرون

ويبدو لنا أن حالة الفلاح المصري أحدثت تأثيرا عميقاً في نفس هذا الكاتب، وجعلته أشد عطفاً عليه، وأميل إلى أن ينقل لقرائه صوراً رائعة من أفكاره ومعتقداته وسوء حالته المعيشية، مع حث المصريين على تجهيز قوافل برية ونيلية تؤلف من متاحف صغيرة متحركة، وتزود بآلات للسينما وأجهزة علمية لتغزو الجهل المتفشي في القرى والدساكر وتقضي عليه قضاء مبرما

ولقد حدث من سنوات أن قام جون نبتل برحلة طويلة إلى مراكش حيث الاستعمار الفرنسي يرتع في بلد فطري، فما كاد يستقر هناك بضعة شهور حتى ثارت ثائرته على مظاهر الاستبداد الفظيعة، وكتب كتابه المشهور «مراكش وعبد الكريم» فغضب الفرنسيون لصراحته، وأحدث ظهور كتابه ضجة هائلة في الأوساط الاجتماعية والسياسية بفرنسا

وظاهر أنه وضع روايته الجديدة «الدكتور ابراهيم» عن مصر وهو على ثقة من أنه سيستهدف لغضب الانجليز ونقمتهم، وتبرم صحافتهم بصراحته، لكنه لم يحفل بهذا كله ومضى يسرد الوقائع بين سطور كتابه ويصورها بريشة الكاتب الواقعي الذي لا يخضع لسلطان سوى سلطان فنه، غير عابئ بالحملات الشديدة التي أعلنت عليه، ولا بمختلف الانتقادات النارية التي استقبلت بها الصحافة الانجليزية كتابه

غير أن هذا الكتاب المظلم صادف هوى في نفوس الأمريكيين الذين يشيدون بمظاهر العدالة، فمجدوا شخصية جون نبتل وأفردوا لكتابه الفصول الطوال لافتين الأنظار إلى ما يجري في الريف المصري من تفشي الأمراض والجهل الفاضح والوقوع تحت أثقال ديون المرابين الأجانب

ففي هذه القرى لا يصرف قرش واحد لنظافة البيوت والطرقات ونقل القاذورات وتجفيف المستنقعات، حتى لقد تبلغ الدرجة فيها أن تبقى رمم الحيوانات ملقاة بين المساكن فتتجمع عليها أسراب الجوارح والذئاب وتتصاعد منها روائح خبيثة

وفي أسواق القرى لا يوجد مرحاض واحد يفي بحاجة من يؤمه من التجار الذين يضطرون لقضاء حاجتهم في أركان الأسواق لتبقى هذه القاذورات هدفاً لأسراب الغربان والطيور والكلاب وجامعي الأحطاب، أو تأتي بقيتها في الترع والقنوات. فالعمل على تجنب الأضرار الناشئة من الماء الملوث الآسن يجب أن يكون قبل تدبير الماء الصالح للشرب في القرى، وهذا لا يتأتى إلا بإرشاد الفلاح إلى طرق النظافة، وتوقي الأمراض المعدية، ولن يكون إرشاده إلا بتجهيز قوافل علمية تطوف بمساكنه من وقت لآخر وتعمل على أن تنتشل الفلاحين المساكين من وهاد القذارة والجهل، وتخرج بهم من الظلمات إلى النور

ولقد كانت المحاضرة التي ألقاها جون نبتل في مساء الأربعاء الماضي بقاعة يورت التذكارية تحت إشراف معهد جان جاك روسو

للتربية بجنيف ، تدور حول هذه المشكلة ، مشكلة إصلاح حال الفلاح المصرى ورفع مستواه الاجتماعى مع المحافظة على تقاليد أسلافه .

فذكر المحاضر بأن كل فكرة ترمى إلى تعليم الفلاح بقصد انتزاعه من أرضه ونزوحه إلى المدن هى محاولة فاشلة ، فالواجب تشويق الفلاح إلى أرضه وتنمية مداركه وتوسيع آفاق فكره ومعارفه العامة ؛ فاذا أردنا مثلاً أن نرشده إلى الأحوال الجوية ومعرفة سير الكواكب كان علينا أن نزوده ببعثة فلكية مكونة من محاضرين بارعين ، مزودين بسيارات بها آلات ومراصد فلكية ، فيحل أعضاء البعثة بقريته يوما أو بعض يوم ، ويجمعون الفلاحين فى مكان واحد ثم يلقون عليهم محاضرات بلغة بسيطة سهلة عن علم الفلك وحركة الكواكب والنجوم مع مساعدتهم على استيعاب هذه المعلومات بواسطة المجاهر الفلكية

وهب أننا نريد أن نلقى على فلاحى قرية كذا درساً فى النظافة والصحة العامة ، فنوفد اليهم قافلة صحية بمتحفها الصحى المؤلف من نماذج مختلفة الأشكال ، وبأفلام سينمائية معها نشرات مكتوبة فى اللغة العامية يستطيع المربون الذين يرافقون القافلة أن يتلوا منها نصائح عملية على جماهير الفلاحين المحتشدين لاستقبالهم

فالتعليم الحديث بواسطة القوافل العلمية هو الوسيلة التى يرمى اليها مشروع جون نيتل لرفع مستوى الفلاحين ، إذ لا فائدة ترجى من إنشاء المدارس لتعليمه مبادئ الحساب والجبر وقواعد اللغة والرياضة إلى جانب تزويده بالمعارف العامة وتثقيفه الثقافة الشعبية الصحيحة التى تساعده على تربية الجيل الجديد تربية خالية من الجمود وشوائب الجهل

ونوه المحاضر بأنه لا يرمى إلى أن يظهر فى مشروعه بمظهر من على إرادته ، ولكنه مشروع مفيد وضع بعد دراسات طويلة للتضامن مع الذين يهمهم رفع مستوى الفلاحين ، وتحسين أحوال معيشتهم ، كما أن تحقيقه على الوجه الأكمل يقتضى عشرات المئات من الشبان المتعلمين أن يساهموا فى إسداء هذه الخدمة الانسانية الجليلة ؛ وإن فى استخدامهم لهذا الغرض لحلاً لجانب كبير من مشكلة الشبان المتعلمين ومكافحة الأمية فى القرى والدساكر

وأهاب المحاضر فى ختام محاضرته بأن فى تغافل الحكومة وفى تركها الفلاح غارقا فى محيط جهله خطرا عظيما على مستقبل الأمة ، لأنه سيصبح فى مصر طبقتان بينهما هوة عميقة : الشباب المتعلم فى المدارس العالية وفى معاهد أوربا ، وجمهور الفلاحين الذين يظلون بعقلية القرون الوسطى ويعيشون تحت إرهاب أساليب عصور الظلام

كتاب الذخيرة لابن بسام

نعرف أن لابن بسام الأديب الأندلسى الكبير أثراً حافلا عن حياة الأندلس الأدبية والسياسية فى القرن الخامس الهجرى ، وهو « كتاب الذخيرة فى التعريف بمحاسن أهل الجزيرة » ، وإلى أعوام قلائل لم نكن قد ظفرنا بعد بنسخة كاملة من هذا الأثر الحافل ؛ وكل ما انتهت الينا منه نسخ مغربية وأندلسية ناقصة ، ولكن العلامة المستشرق الأستاذ ليڤى بروفنسال مدير مدرسة الدراسات العليا فى مراكش قد ظفر بعد البحث الطويل فى إحدى مجموعات المغرب بنسخة كاملة من كتاب الذخيرة ؛ والأستاذ بروفنسال حجة فى شؤون « المغرب الاسلامى » أعنى الأندلس والمغرب وله مؤلفات قيمة عن عرب اسبانيا والمغرب ، وقد نشر فوق ذلك طائفة نادرة من الكتب والوثائق عن تاريخ الأندلس والمغرب الأقصى : منها الجزء الثالث من كتاب البيان المغرب ، ووثائق عن ابن تومرت (المهدى) ، وجزء من تاريخ ابن حيان . ومن مؤلفاته كتاب بالفرنسية عن أحوال الأندلس أيام الدولة الأموية ، وقد تألفت أخيراً لجنة من أفاضل المستشرقين برياسة العلامة المذكور لتقوم على طبع كتاب الذخيرة وتحقيقه وتذييله ، وربما شغل الكتاب أربعة مجلدات كبيرة ؛ وهو ينقسم إلى أربعة أقسام : الأول خاص بقرطبة وأعيانها ؛ والثانى خاص بغرب الأندلس وأعيانه وأخبار بنى عباد ؛ والثالث خاص بأخبار بلنسية وأعيانها ؛ والرابع خاص بأخبار الجزيرة . ولدينا فى دار الكتب من كتاب الذخيرة نسخة ناقصة تحتوى على قسمين منه فقط هما الأول والثانى

وقد استفاد من كتاب الذخيرة كثير من العلماء المشتغلين بتاريخ الأندلس مثل دوزى وسيبولد ، وذلك قبل أن يوجد نصه كاملا ؛ والكتاب من أنفس آثار الأدب الأندلسى ، وقد كتب بأسلوب بديع ، وبه معلومات قيمة عن أحوال دول الطوائف خلال القرن الخامس الهجرى ، وليس من ريب فى أن نشره سيكون خدمة جليلة للتاريخ الأندلسى

تراث جاك بانفيل

أشرنا في عدد سابق الى وفاة الكاتب والمؤرخ الفرنسي الكبير جاك بانفيل . وقد قرأنا أخيرا في إحدى المجلات الفرنسية الكبرى فصلا عن الكاتب الراحل للعلامة المؤرخ أوكتاف أوبري الذي زار مصر منذ حين وألقى بها عدة محاضرات تاريخية شائقة ، يصف فيها تراث بانفيل التاريخي ويحلل مواهبه وكفاياته كمؤرخ وفيلسوف للتاريخ . وقد كان بانفيل قبل كل شيء كاتباً سياسيا ؛ وكان رجل جدل قوي يذود عن آرائه بيقين وحرارة ؛ وكانت تغلب عليه الروح الفلسفية في كتابة التاريخ . ويرى الأستاذ أوبري في كتابيه « تاريخ فرنسا » و « نابليون » أثرين جليلين يمتازان بقوة خاصة . وقد كان بانفيل ملوكيا يؤمن أشد الايمان بالملوكية ونظمها وتقاليدها ؛ وكان يدافع عن عقيدته في هذا الوسط الجمهوري المضطرم بحرارة المؤمن ؛ ومن ثم كان رأيه في الثورة الفرنسية واعتبارها حركة دموية طائشة . وهو في هذا يتفق مع كتاب عظام ناصروا الملوكية مثل لامرتين ؛ بيد أنه يفوقهم جميعاً في حرارة اخلاصه للملوكية وشدة وطأته على الثورة . ويعتبر الأستاذ أوبري كتابه عن نابليون أفضل مما كتب عنه تاين وميشليه ؛ ويرى في كتابه « تاريخ الأجيال الثلاثة » صورة صادقة قوية من احداث فرنسا ومحنها ومواطن عظمتها وضعفها منذ واقعة واترلو حتى معاهدة فرساي

بيد أن بانفيل يبدو في ذروة قوته كفيلسوف مؤرخ في كتابه الأخير ، وهو كتاب « الحاكمون بأمرهم » ، وقد استعرض فيه تاريخ الطغاة والطغيان منذ العصور الغابرة ؛ ويبدي بانفيل في بحثه وتحليله لخواص الطغيان والطغاة مقدرة تطبعها رزانة خاصة ؛ ويرى أوبري أن أثر بانفيل عن الطغاة يجب أن يتبوأ مكانه بجوار كتاب « الأمير » للفيلسوف الايطالي مكيافيللي ، برغم أن بانفيل يهتدي في كتابه بمثل أخلاقية واجتماعية غير تلك التي يهتدي بها مكيافيللي في كتاب « الأمير [1] » . ولتقدير الأستاذ أوبري لتراث بانفيل التاريخي أهمية خاصة لأنه يتبوأ مكانة سامية بين مؤرخي فرنسا المعاصرين

(١) اقرأ تلخيص هذا الكتاب للأستاذ عبد الحليم الجندي في العدد الماضي وفي هذا العدد من الرسالة

أحرب أم سلام

نشر الكاتب الانكليزي الكبير الدوس هكسلي حفيد العلامة هكسلي مقالا عن مصاير السلام يقول فيه إن عام ١٩٣٦ سيكون عاماً حاسماً في تاريخ البشرية ؛ ذلك أنه إما أن يكون عام حرب أو عام سلام ؛ إما أن يستطيع الساسة فيه أن يحتفظوا بسلام أوربا ، وإما أن تفلت الحوادث من يدهم وينحدر العالم إلى الحرب

والدول التي تسيطر على مصاير العالم اليوم هي سبع : بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة والروسيا ـ وهذه في نظر الكاتب هي الدول « الراضية » ـ ثم ألمانيا وايطاليا واليابان ، وهذه هي الدول «غير الراضية» ، ذلك لأن الاحتكار الاستعماري والاقتصادي الذي تنعم به الدول الراضية قد اشتدت وطأته في الأعوام الأخيرة من جراء السياسة القومية التي تتبعها ، والنظم الجمركية والاقتصادية التي تنظمها ، لتوطيد تجارتها وسحق تجارة الدول الأخرى . والدول غير الراضية لها كل الحق في أن تنقم على الدول الراضية هذا الاستئثار ؛ ذلك لأن مستوى الحياة في ايطاليا وألمانيا واليابان يهبط بالتدرج ، وسيستمر على هذا الهبوط ؛ والحياة في هذه البلاد تغدو كل يوم أشد وطأة ، حتى أصبحت ترى أن المغامرة بخوض الحرب أفضل من أي سلام مسكين تجنيه في ظل هذه الظروف التعسة . وقد قامت في هذه الدول الثلاث حكومات تعد شعوبها بأن ترد بالقوة القاهرة عنها هذا الحيف ؛ فأما اليابان فقد انقضت على بعض أقاليم الصين ؛ وتحاول ايطاليا أن تفتتح الحبشة ؛ وربما أقدمت ألمانيا في فرصة قريبة على محاولة نيل الترضية اللازمة ، وربما كان ذلك على حساب روسيا أو أوربا الوسطى

وقد شهدت السياسة الدولية تطوراً عظيما في المبادئ ، وذلك بتطبيق مبادئ وإجراءات اجتماعية « أخلاقية » ؛ ولكنا إذا أردنا السلام وجب أن نشتد في تطبيق هذه المبادئ الاجتماعية إلى حدود أخرى ؛ وإذا كانت ايطاليا تتبع سياسة غاشمة فذلك لما حاق بها من الظلم ؛ وليس ثمة وسيلة واحدة لدفع هذا الحيف عن الدول غير الراضية سوى معاملتها ومعاملة دول أوربا الوسطى بعدالة

ويرى الكاتب أن الحرب والسلام بيد الدول نفسها ، فإذا أصرت الدول الراضية على التمسك باحتكارها الاقتصادى الذى كسبته بوسائل غير عادلة ، وإذا حاولت أن تتسلح حتى الذروة لتحتفظ به ، فان الحرب واقعة لا محالة

وأما إذا اعتزمت الدول الراضية أن تسير طبقاً لمبادئ الأخلاق ، وهى فى نفس الوقت مبادئ حسن التصرف ، فان السلام يغدو محققاً مكفولا

الحياة المصرية المعاصرة

ظهر أخيراً فى انكلترا كتاب عن الحياة المصرية منذ أواخر القرن الماضى حتى يومنا ، عنوانه « حياة فى مصر » A Lefatine in Egypt بقلم سيدة انكليزية ، أنفقت طول حياتها فى هذه البلاد هى السيدة مابل جايارد . ويتناول هذا الكتاب وصف الحياة المصرية منذ أواخر عهد اسماعيل حتى سنة ١٩٣٥ ؛ أعنى خلال ستين عاما . وكان والد السيدة مابل موظفاً فى الحكومة المصرية منذ أوائل عهد الاحتلال ؛ وكانت مس مابل يومئذ فتاة ناشئة ، فقطعت حياتها الحافلة فى هذه البلاد ، بين الاسكندرية ومصر ، وشهدت تطورات الحياة المصرية فى هذه الحقبة ، واتصلت بكثير من الشخصيات البارزة فى هذا العهد ، ووقفت على كثير من الشؤون والمعلومات العامة والخاصة . وتقدم المس مابل فى كتابها عن مصر صوراً ساحرة لهذا العهد الذى كانت الحياة فيه ما تزال ناعمة هينة ؛ وتصف لنا مدينة القاهرة والمجتمع القاهرى فى أواخر القرن الماضى ، حين كانت لا تزال فى طور نشوئها العظيم ؛ وكانت لا تزال مدينة شرقية تحتفظ بكامل جمالها وسحرها الشرقى الذى ما زال يملأ مخيلة الكتاب والسائحين ؛ وتصف لنا الاسكندرية فى أوائل عهد الاحتلال وتروى لنا كيف كانت الحياة فيها أحياناً صعبة غير أمينة ، وكيف كانت محط المغامرات والمفاجآت المكدرة

وتقدم لنا المس مابل صوراً ممتعة عن البلاط الخديوى فى هذه الحقبة ، وعن الخديويين وعن أكابر سيدات الحرم الخديوى الذى اتصلت به المؤلفة وعرفت كثيراً من رسومه ومظاهر الحياة فيه ؛ وتصف لنا الاسكندرية والقاهرة أيام الحرب الكبرى ، وكيف تحولت العاصمتان الكبيرتان إلى شبه محطة عسكرية هائلة ، ثم تصف لنا ما طرأ على الحياة المصرية بعد الحرب الكبرى إلى يومنا

وكتاب المس مابل طريف تجدر قراءته فى هذه البلاد ، وإن لم يكن يخلو من بعض نواحى التحيز والتحامل التى قلما تخلو منها كتب الأجانب ، وبخاصة الانكليز ، عن مصر

الفوكلور المراكشى

تعتبر اليوم دراسة المعتقدات والعادات والتقاليد الشعبية من الدراسات الأثرية المفيدة فى تاريخ الشعوب وتاريخ الحضارة ؛ وقد اتسعت هذه الدراسة وتقدمت فى عصرنا حتى أضحت تكوّن فرعاً خاصاً يطلق عليه « الفوكلور » أو دراسة المعتقدات الشعبية . ومن المؤلفات التى ظهرت أخيراً فى هذا الموضوع كتاب للدكتوره فرانسواز ليجى عن « الفوكلور المراكشى » وقد عاشت الدكتوره ليجى فى مراكش أعواماً طويلة ، ودرست المجتمع المراكشى دراسة مستفيضة ، ووقفت على معتقداته وتقاليده القديمة التى لم تنجح المدنية الفرنسية المفروضة فى إزالة معالمها ؛ وتناولت المؤلفة معتقدات الشعب المراكشى الدينية ، وعاداته الاجتماعية ، وما تداولته الأجيال منذ العصور الغابرة فى شأن الخليقة وآدم والبر والبحر والحيوان والنبات والطير ، من الأساطير والأمثال السائرة ؛ وتسوق لنا المؤلفة أمثلة طريفة من هذه المعتقدات فى شأن بعض الأشجار والأزهار فتقول : « إنهم يعتقدون أن بعض النباتات ليست من خلق الله ولكنها من خلق الشيطان ، وهذا شأن التبغ مثلاً ؛ وأما شجرة الكرم وشجرة التين فقد حملهما آدم من الجنة ؛ وقد نبتت الورود وزهر البرتقال من دموع النبى ، ونبتت شجرة الرمان من الأزهار التى تركتها فاطمة الزهراء ابنة النبى حينما علمت بموت ولديها الحسن والحسين » ، ويعتقدون أيضاً أن بعض الحيوانات كانت بشراً ومسخت ، عقاباً لها على سيئاتها

والكتاب طريف فى موضوعه وفى مباحثه وخصوصاً فيما يتعلق بتقاليد القبائل البربرية وعاداتها ؛ وفى مباحثه ما يلقى كثيراً من الضوء على المجتمع المغربى فى تطوراته المختلفة ، فى ظل الوثنية والاسلام ، وما لا يزال حياً فى معتقداته وتقاليده من تراث العصور الغابرة

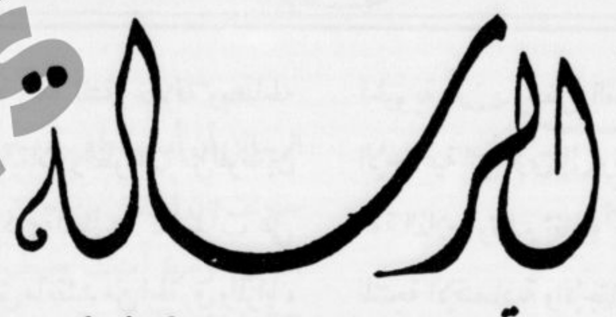
الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤١ — ١٦ مارس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 141. Lundi-16-3-1936





مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ١٦ مارس سنة ١٩٣٦ » العـــدد ١٤١

فهرس العـــدد

صفحة
٤٠١ رعاية الفلاح واجب قومى : ... ...
٤٠٣ ولود وعقيم ... . : الأستاذ أحمد أمين ... ...
٤٠٥ الدينار والدرهم ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٤٠٨ البارون فون أوفنباخ ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٤١١ فلاسفة الاسلام ... ... : الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
٤١٥ ميرابو ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...
٤٢٠ التعليم والحالة الاجتماعية فى مصر ... ... : الأستاذ اسماعيل مظهر ... ...
٤٢٣ ذكرى ساقية ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٤٢٦ ابن بسام صاحب الذخيرة : الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى
٤٢٨ الهاربون من الفضاء (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٤٢٩ رمز الخريف « : الأستاذ خليل هنداوى ...
٤٢٩ أغلال تتحطم « : « أ » ... ...
٤٣١ محاكمة أورست (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٤٣٤ صانعة الكرامى « : ترجمة السيد فؤاد نور الدين ...
٤٣٨ الأرحام المبلولة ... ... : الزيات ... ...
الحركة الأدبية ... ...
مديرية أسوان .. ... : رشوان أحمد صادق ... ...
٤٣٩ ذكرى مأساة غرامية شهيرة . مؤسس الأدب اليهودى الشعبى
٤٤٠ وداع الحرية ... ...

رعاية الفـــلاح واجب قومى

أشارت الرسالة فى عددها الماضى إلى المحاضرة القيمة التى ألقاها نزيل مصر، المستر جون نيتل الكاتب السويسرى الكبير، عن تعليم الفلاحين ووجوب الاهتمام بثقافتهم القروية والصحية، فذكرتنا هذه المحاضرة بمسألة لا تزال تثير فى نفوسنا شجناً، هى مسألة الفلاح المصرى بوجه عام

أجل إن مسألة الفلاح المصرى مسألة تجدر بعناية كل مصرى يقدر الدور الخطير الذى يضطلع به الفلاح فى حياة هذه البلاد؛ فالفلاح عماد الإنتاج القومى، وجهوده عصب الثروة المصرية العامة، وهو منبع الذكاء المصرى العامل؛ يؤدى للخزينة العامة من دخله ما لا يؤديه أى مصرى آخر من ذوى المناصب أو المهن أو المال

ومع ذلك فالفلاح المصرى أقل أبناء الأمة حظاً من عناية أولى الأمر، بل يكاد يكون منهم نسياً منسياً؛ فقلما يفسح له

مجال فى المشاريع والمرافق العامة ، وقلما تقدر حقوقه ومصالحه قدرها الحقيقى ؛ وبينما نرى جميع الطبقات والطوائف من الموظفين وذوى المهن والطلبة والعمال ، بل وذوى المال ، كلا تدأب على مطالبة الحكومة وأولى الأمر بتحقيق ما تنشد من الحقوق والمزايا ، إذا بالفلاح يلزم الصمت والسكينة ، ويرقب مصيره قانعاً بالأمل ، راضياً بحكم القدر ، معتمداً على الله ثم على نفسه ودأبه المتواصل

بل نلاحظ مع الأسف والألم أن أصوات قادتنا ومصلحينا ترتفع فى كل وقت مطالبة بتحقيق مختلف المشاريع الإصلاحية العامة ، ولكن قلما يرتفع منها صوت من أجل الفلاح والعناية بانتشاله من ذلك المنحدر السحيق الذى قضى عليه أن يعيش فيه ؛ وإذاً فمما يثير الشكر والعرفان أن يرتفع بيننا صوت إنسانى كصوت ضيفنا المستر نيتل ، مطالباً للفلاح بما نقصر نحن فى المطالبة به من عناية هو خليق بها

يعيش الفلاح ، عصب الشعب المصرى وكثرته الساحقة ، فى نفس الحالة التى يعيش عليها منذ آلاف السنين ، فى غمر من الجهل المطبق والأمراض الفتاكة ، تعوزه أبسط وسائل الصحة والنظافة ؛ ولا يكاد يخرج من كده ودأبه المتواصل بأكثر من القوت الضرورى ، بل لا نعرف فى بلد من البلاد المتمدنة طبقة اجتماعية ينحط منسوب العيش فيها إلى هذا الدرك الأسفل الذى تنحط اليه معيشة الفلاح المصرى

ويؤدى الفلاح إلى خزينة الدولة نحو خمسة ملايين جنيه ضريبة عقارية ، ويؤدى أكثر منها ضرائب أخرى مباشرة وغير مباشرة ، فهو بذلك من أكبر المساهمين فى تكوين الدخل العام ؛ ومع ذلك فهو لا يصيب من النفقات العامة قسطاً يذكر ، سواء فى التعليم أو الصحة أو المنشآت والمرافق العامة . صحيح أن الدولة تنفق الملايين على أعمال الرى والصرف التى ينتفع بها الفلاح ، ولكنها إنما تنفق فى الواقع على إدارة الثروة المصرية العامة وإحيائها ؛ ومن العدالة بل من مصلحة البلاد الحيوية أن يحظى الفلاح بنصيب حسن من الإصلاحات الإجتماعية التى ترمى إلى رفع مستواه الصحى والعقلى ، ففى تقدم صحة الفلاح وتقدم ثقافته ثروة حقيقية للبلاد ، وزيادة فى قواها المنتجة الإقتصادية والإجتماعية

وليس الفلاح بحاجة إلى التدليل على قدره وأهميته فى حياة البلاد ؛ فهو يعمل متوارياً فى صمت ، ولكن شرايين الحياة المصرية كلها تمت بصلة وثيقة إلى عمله وإنتاجه ؛ وها هو ذا المعرض الزراعى الصناعى القائم الآن أسطع دليل حى على ما لهذا الفلاح المتواضع من جليل القدر فى الإنتاج العام ، وما يستطيع أن يقوم به من المعجزات الزراعية والصناعية إذا تعهده ولاة الأمر بالعناية الرفيقة والإرشاد المستنير

إن الفلاح مستودع الذكاء المصرى ، وأبناء الفلاحين هم صفوة القادة والزعماء وأكابر رجال الدولة والحكومة ، فكيف يعدم الفلاح بين أبنائه أنصاراً يطالبون بحقوقه فى الرعاية العامة ، وبقسطه من العناية الصحية والثقافية ؟ لقد كانت صحة الفلاح وعقله وروحه ومازالت عصب مصر الزراعية والاقتصادية ، وقد كانت وستغدو عصب الدفاع عن مصر ؛ فاذا شاءت مصر أن تحافظ على قواها المنتجة ، وأن تشحذها وتضاعفها ، فعليها ألا تدخر وسعاً فى العناية بجسم الفلاح وعقله وروحه

وإذا كنا نستطيع أن نسجل لبعض الوزارات المصرية شيئاً من الفضل فى الاهتمام بأمر الفلاح ، ولا سيما فى تقرير التعليم الأولى ، وإنشاء بعض المستشفيات والمؤسسات الصحية ، وردم البرك ، وغيرها ، فانه لا يسعنا إلا أن نلاحظ أن هذه المشروعات تسير بخطى بطيئة جداً ، وأن ما تم منها لا يعدو بداية ضئيلة . ومن حق الفلاح ، وهو الذى يكون أغلبية الأمة الساحقة ، ويساهم بأكبر قسط فى إنتاجها الحيوى ، ويتحمل معظم الأعباء والتكاليف العامة ، أن يفوز من ولاة الأمر ، ومن مشاريع الاصلاح العامة بأوفى نصيب

(***)

ولود وعقيم

للأستاذ أحمد أمين

ركبَتْ من أول محطة لترام مصر القديمة وهي كهلال الشك ، جلد على عظم ، وعلى يديها طفل قد جلل بالبياض ، وعصبت عيناه ، وغطى رأسه ووجهه بشاشة زرقاء

وركب في المحطة التالية سيدة نصَف ، أطيب شطريها الذي ذهب ، ممتلئة البدن ، سمينة الضواحي ، لخيت الأولى ، وتحادثتا

والنساء سريعات التعارف ، تراهن في طرفة عين يتحدثن إلى من لم يعرفن قبل في أدق الأمور ، وأعمق الأسرار ، حتى كأنهن صديقات العمر ، ورفيقات الصبى ؛ فهن يتحدثن بعد دقيقة في السعادة والشقاء ، وأوصاف الأزواج وعيوبهم ، والحموات ومصائبهن ومضايقتهن ، والدخل والخرج ؛ وقد ينتقلن إلى ما هو أدق من ذلك وأصعب ، مما لا يستطيع الرجال أن يتكلموا في بعضه إلا بعد عمر طويل ، وصداقة متينة ، ومشاركة في السراء والضراء

وبعد لحظة صرخ الطفل وأمعن في الصراخ ، تحاول أن ترضعه ليسكت فلا يسكت ، وتنيمه فلا ينام ، وتتبع معه كل الأساليب التي تعلمتها في اسكات الأطفال فلا تنجح ، وأخيراً تدعو عليه بالموت فلا يستجاب لها

— الثانية — ما له ؟

— الأولى — رمدت عيناه من أيام ثلاثة فشرَّبنى المر ، وفي الليلة الماضية لم أذق طعم النوم ، وأنا طول الليل واقفة على رجلي أذرع الحجرة من أولها إلى آخرها ومن آخرها إلى أولها ، وكلما هدأ وبدأ النوم ذهبت إلى السرير لأنيمه وأنام فيصرخ ويكرر النغمة عينها ويمثل الدور نفسه إلى الصباح ، حتى دار رأسي ، ومللت الحياة ، وتمنيت الموت ، ولم أر للحياة طعماً مذ رأيت الأولاد ، وها أنا ذاهبة إلى طبيب العيون

ألمك أولاد أخر ؟

نعم — مى خمسة وهذا سادسهم ؛ وقد حاولت بكل الوسائل أن أمنع الحمل بعد أول ولد ففشلت وفشلت . ومرة حاولت أن أخلص من جنين فكدت أخلص من نفسي وبقى الجنين . ومرة أصبت بنزيف شديد فعرضت نفسي على طبيب فقال إنه اجهاض ، وليس من أمل كبير في بقاء الجنين ؛ ثم أمرني أن ألتزم سريري ولا أتحرك ، وأنام على ظهرى دائماً ، وكتب لي دواء يمنع النزيف . فامتنعت من شرب الدواء ، وأكثرت الحركة ، وعملت كل شيء عكس ما نصح الطبيب رغبة في الاجهاض ، ثم مع هذا كله ارتفع الدم وثبت الجنين . وهذا هو الذي على يدى

و « اسم الله عليهم » كلهم ذكور ؟

لا والله ! أربعة ذكور وبنتان ، وكلهم في الهم سواء ، وكل يوم نوع جديد من أنواع العذاب . ففي آخر السنة نضع يدنا على قلبنا عند الامتحان ؛ وتظهر النتيجة ، فهذا نجح ، وهذا سقط بلا ملحق ، وهذا له ملحق ؛ وتمضي الأجازة في عناء ! وتبتدئ السنة ، فمن نجح في الشهادة الابتدائية ظهر متأخر الترتيب فلا نجد له مدرسة أميرية تقبله ؛ والشهادة في يد ، والمصاريف في يد ، والمدرسة في رفض ! ثم هذا صحيح وهذا مريض ، وهذا ذاكرَ وهذا لم يذاكر . ولا تسألى عن وقت ذهابهم إلى المدرسة ! هذا يبحث عن جزمته فلا يجدها ، وهذا عن طربوشه فلا يجده ، وترى فرد جورب في حجرة وفرداً آخر في حجرة أخرى ، فلا يكادون يذهبون إلا وقد بلغت الروح الحلقوم . وعند مجيئهم من المدرسة هذا يغضب على الأكل وهذا يرضى ، وهذا ينازع ذاك ، ولا ينقذنا من كل هذا إلا نومهم . ثم هذا الشهر شهر أقساط المصاريف ، وهذا شهر كسوة الصيف ، وهذا شهر كسوة الشتاء ، وماهية الزوج لا تكفى هذا وذاك ، والعيش كله عناء في عناء . وأنت ؟ أليس عندك أولاد ؟

كان منظراً غريباً ، فقد طفرت الدمعة فجأة من عين السيدة الثانية ، فلما أخرجت منديلها ومسحت دمعتها قالت : أبى الله أن يرزقني في حياتي ولداً ، وطالما دعوته وسألته ! وحججت مرة ، وكان أكبر همي من حجى أن أقف في أشرف بقعة وأسأل

الله أن يهبني ابناً أو بنتاً ؛ وليكن الابن ذكياً أو غبياً ، ولتكن البنت جميلة أو دميمة ؛ فأنا راضية بأي مولود على كل حال ، ولكنه — سبحانه وتعالى — لم يفعل ، وفي القرآن الكريم : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما » فقد شاء أن يجعلني من الصنف الأخير — لتمنيت أن يكون لي أولاد ، وأتحمل فيهم أضعاف ما ذكرتِ من عناء . ثم أراهنك أني أكون سعيدة مغتبطة لا أشكو ولا أتألم — لقد طرقت كل الأبواب لذلك فلم أنجح ، ذهبت إلى الأطباء فعملوا لي عملية ، واحتملت في سبيلها كل الآلام ؛ وذهبت إلى المشايخ فرقَوا وعزّموا ؛ وذهبت إلى الشيخات «فخضّرن» وبخرن و « وصفن » ؛ وقالوا تخافين ؛ نخفت ونزلت القبر ، وركبت وابور « لونابارك » ؛ وقالوا وقالوا ، وفعلت وفعلت ، فذهب ذلك كله هباء ، ورزقني الله مالاً كثيراً استطعت أن أفعل به كل ما وصفوا حتى السفر إلى أوربا واستشارة أطبائها ، ولكن إذا أبى الله فماذا يفعل العبد ؟

لم يبق لي من ذلك كله إلا التلهف على الولد والحسرة الدائمة ؛ وكل شيء حولي يذكرني بالأولاد فيثير أشجاني وأحزاني . لقد رأيت في حديقتي أشجار البرتقال والليمون تحمل أثمارها فقلت يالله ! أتسبل نعمك على الأشجار فتحمل كل عام أثمارها ، وتضنّ على فلا أحمل مرة ثمرة ! وعندي قطة تحمل دائماً وتضع مالا يعد من الأولاد ، وكلما حملت ذكرتُ حملي ، وكلما ولدت بكيت أولادي الذين لم يوجدوا بعدُ ؛ وأرى الفقيرات البائسات العاريات في الشارع كل واحدة منهن تحمل في بطنها ولداً ، وترضع ولداً ، وتجر ولداً ، فيتجمع الحزن في قلبي ، وتنفجر منه عيني ؛ وأسمع «معارف» وصواحبي ، هذه ولدت ، ثم هذه ولدت ، ثم هذه ولدت ، فأقول لم يبق عقيما إلا أنا ، ولم يتخصص للشقاء غيري ! رزقني الله مالاً ولم يرزقني ولداً ، وليته رزقني ولداً ولم يرزقني مالاً ؛ ولو كان الولد يشرى بكل ما أملك لاشتريته وكنت سعيدة ؛ بل لو كان يشرى بعينيّ لاشتريته وكنت رابحة في صفقتي . وما الدنيا وما المال ؟ وما الحياة بغير الولد ؟ لقد كنت في أول أمري أطلب الولد خشية أن يتزوج زوجي غيري ، فلما أمنت جانبه ، واطمأننت من ناحيته ، طلبت الولد لأنه طبيعتي ولأنه حياتي بعدي ، ولأنه موطن انتساخ روحي ، ولأني امرأة قد خلقت للأمومة . لقد أحسست بهذه الأمومة في صغري فعملت العرائس إرهاصاً لأمومتي ، ثم تزوجت تهيؤاً لهذه الأمومة ، فلما تقدمت في السن ولم أجد الأمومة رأيتني فقدت طبيعتي ، ورأيتني في الحياة مقدمة بلا نتيجة ، أو قبة بلا شيخ ، أو لوزة فارغة ، وأنا والعروس من الحلوى ، والعروس من القطن سواء ، كلنا لا يلد . ليس لي أمل في السلوة إلا بالموت . فهو وحده بلسم الهموم ، ومقبرة الأحزان ! وهنا ختمت حديثها — كما بدأته — بالدموع

قالت الأولى : والله لو ذقتِ مرارة الأولاد ما تمنيتِهم ؛ ولو جربتِ سهر الليالي ما اشتقتهم ؛ ولكن أحب شيء إلى الانسان ما منع ؛ والقصر من بُعد أجمل منظراً من سكناه ؛ والخيال دائما ألذ من الحقيقة . لقد كان مرة أكبر أولادي يبكي وهو رضيع ولا نعلم سبباً لبكائه ، ويبكي ويشتد في البكاء حتى بلغ منا الهم مبلغه ، وإذا بزفة عريس تمر من تحت بيتنا ، فأضحكني زوجي أبو الطفل إذ قال للعريس : « غُرْ » غداً تخاف « وترى » — ولو تمنيت الآن شيئاً لتمنيت أني لم أكن تزوجت ، وإن تزوجت فلم أكن « خلفت » — أتبادلينني ؟ وضحكت

قالت الثانية وتأوهتْ : وكيف يمكن البدل ؟ إنما أريد أولاداً مني لا منك ، أريد كبدي تمشي على الأرضْ أربيها ، ولا أريد كبدك أعيها وأغذيها — وأنت أيضاً لا تعبرين عما في نفسك تعبيراً صادقاً ، فمن تهون عليه أولاده ؟ إنما ينفع البدل إن كان قدر لي الله أن أكون ولوداً وأن تكوني عقيما

قالت الأولى : أتريدين الحق يا أختي ؟ الدنيا كلها تعب فلا ولود في راحة ، ولا عقيم في راحة ، ولا متزوجة سعيدة ، ولا عزبة سعيدة

ووصل الترام إلى العتبة فنزلنا ، هذه إلى طبيب ابنها وتلك لبعض شؤونها

قال صاحبي : ولكن كيف أمكنك أن تسمع هذا الحوار ؟

قلت : هذا سر الصنعة .

أحمد أمين

٤ – الدينار والدرهم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال أحمد بن مسكين : وأزِفَ ترحُّلي عن (بلخ) وتهيأتُ للخروج ، ولم يبق من مدة مقيلي بها إلا أيام يجيء فيها السبتُ الرابع . وكانت قد وقعت مُمَاراةٌ بيني وبين مفتي (بلخ) أبي إسحق ابراهيم بن يوسف الباهلي [1] تلميذ أبي يوسف صاحب الامام أبي حنيفة ، ويزعمون أنه شحيحٌ على المال وأنه يَتَمَلَّلُه من مُسْتَغَلَّات كثيرة [2] ، فكأنما غشيته غمامتي ، فهو لا يرى أن أتكلم في الزهد ، ويحسب هذا الزهد تماوُتَ العبَّاد ونَفْضَ الأيدي من الدنيا وسوءَ المصاحبة لما يُنعم الله به على العبد ، وخذلانَ القوة في البدن ، وما جرى هذا المجرى من تزوير الحياة بالأباطيل التي زعم أنها أباطيل الطاعات وما أقربها من أباطيل المعصية . ولم يكن هذا الفتى قد سمعني ولا حضر مجلسي ، ولولا الذي لم يعرفه من ذلك لقد كان عرف

وجادلتُه فرأيته واهنَ الدليل ، ضعيفَ الحجة ، يُخَمِّنُ تخمين فقيه ، وينظر إلى الخفايا من حقائق النفوس نظر صاحب النصِّ إلى الظاهر ، كأن الحقيقة إذا ألقيت على الناس مضت نافذة كفتوى المفتي ... ويزعم أن الوعظ وعظُ الفقهاء ، يقولون هذا حرام فيكون حراماً لا يُقارفه أحد ، وهذا حلال فيكون حلالاً لا يتركه أحد ؛ وهو كان بعيداً عن حقيقة الوعظ ومداخله إلى النفس وسياسته فيها ، ولا يعرف أن الحقيقة كالأنثى إن لم تزين زينتها لم تستهو أحدا ؛ وأن الموعظة إن لم تتأدَّ في أسلوبها الحي كانت بالباطل أشبه ، وأنه لا يغير النفسَ إلا النفسُ التي فيها قوةُ التحويل والتغيير كنفوس الأنبياء ، ومن كان في طريقة روحهم ، وأن هذه الصناعة إنما هي وضع نور البصيرة في الكلام لا وضعُ القياس والحجة ، وأن الرجل الزاهد الصحيح الزهد ، إنما هو حياة تلبسها الحقيقة لتكون به شيئاً في الحياة والعمل . لا شيئاً في القول والتوهم ، فيكون إلهامها فيه كحرارة النار في النار من واتاها أحسها

ولعمري كم من فقيه يقول للناس هذا حرام ، فلا يزيد هذا الحرام إلا ظهوراً وانكشافاً ما دام لا ينطق إلا نطق الكتب ولا يحسن أن يصل بين النفس والشرع ، وقد خلا من القوة التي تجعله روحاً تتعلق الأرواحُ بها وتضمه بين الناس في موضع يكون به في اعتبارهم كأنه آتٍ من الجنة منذ قريب ، راجعٌ اليها بعد قريب

والفقيهُ الذي يتملق بالمال وشهوات النفس ولا يجعل همَّه إلا زيادة الرزق وحظ الدنيا — هو الفقيه الفاسدُ الصورة في خيال الناس يُفهمهم أولَ شيء ألَّا يفهموا عنه إذ حرصه فوق بصيرته ، وله في النفوس رائحةُ الخبز وله معنى خمسٌ وخمس عشرة [1] ... وكأن دنياه وضعت فيه شيئاً فاسداً غريباً يفسد الحقيقة التي يتكلم بها ؛ ولست أدري ما هو هذا الشيء ولكني رأيت فقهاء يعظون ويتكلمون على الناس في الحرام والحلال وفي نص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم لم أجد لكلامهم نفعاً ولا رداً ، إذ يلهمون الناس بأرواحهم غير المعنى الذي يتكلمون فيه ؛ وتسخر الحقيقة منهم — على خطرهم وجلال شأنهم — بذات الأسلوب الذي تسخر به من لص يعظ لصاً آخر فيقول له لا تسرق . . .

* * *

قال ابن مسكين : فلما دار يوم السبت أقبل الناس على المسجد أفواجاً ، وكانوا قد تمالأوا إزماعي الرحيل عن بلدهم — وجاء (لقمان الأمة) في أشياعه وأصحابه ، وجاء أبو اسحق المفتي في جماعته ؛ واستقر بي المجلس فنفذتْ الناسَ بنظري فكأنهم نبات على الأرض ، فأذكرني هذا شيخنا السريَّ بنَ مُغلِّس السقطي [2] ، وكان قد لزم داره في بغداد لا يخرج منها ولا يراه إلا من قصد اليه ، وهممتُ أن أجمل الموعظة في شرح كلمته

(١) توفي مفتي بلخ هذا سنة ٢٣٩

(٢) المستغلات أصول الأموال وتغلل واستغل بمعنى

(١) يريد أنه في هذه الدنيا (عملية حسابية ...) وفي أيام ضعفة الدين يكون الفقه استخراج الدراهم من النصوص . . .

(٢) السقط رديء المتاع (روبابيكا) وبائعه السقطي . وهذا الامام العظيم كان أوحد أهل زمانه في الورع وله كلام إلهي مشرق وقد توفي عن سن عالية في سنة ٢٥٣ .

المشهورة : لا تصحُّ المحبة بين اثنين حتى يقولَ أحدهما للآخر : يا أنا . وما نقلوا عنه من أنه قال مرة لبعض أصحابه : منذ ثلاثين سنة وأنا فى الاستغفار من قولى (الحمد لله) . فقال صاحبه : وكيف ذلك ؟ قال : وقع ببغداد حريق فاستقبلنى رجلٌ فقال : نجا حانوتك . فقلتُ الحمد لله ؛ فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت إذ أردتُ لنفسى خيراً من الناس . قال ابن مسكين : ولكنى أحببت أن أكلم الفتى ومالَ الفتى ؛ فحدثتهم حديث معرفتى بالسّرى أنى سمعتُ يوماً غيْلان الخياط يقول : إن السرى كان اشترى كُرّ لوز[1] بستين ديناراً وأثبته فى رزنامجه[2] وكتب أمامه : ربحُه ثلاثة دنانير[3] ؛ فلم يلبث أن غلا السعر فبلغ تسعين ديناراً ؛ فأتاه الدلال الذى كان اشترى له فقال : أريد ذلك اللوز . قال الشيخ : خذه . قال : بكم ؟ فقال بثلاثة وستين ديناراً . وكان الدلال رجلاً صالحاً فقال للشيخ : إن اللوز قد صار الكُر بتسعين . قال السرى : ولكنى عقدت بينى وبين الله عقداً لا أحلُّه ، فلست أبيع إلا بثلاثة وستين ديناراً . فقال الدلال : وأنا قد عقدت بينى وبين الله عقداً لا أحله ألاّ أغشّ مسلماً ، فلست أشترى منك إلا بتسعين ؛ فلا الدلال اشترى منه ولا السرىُّ باعه

قال أحمد بن مسكين : فلما سمعت ذلك لم تكن لى همةٌ إلا أن آتى الشيخ وأصحبه وآخذ عنه ، فلم أُعرّج على شىء حتى كنت فى المسجد الذى يصلى فيه فأجده فى حَلْقته وعنده ممن كنت أعرفهم : عبدُ الله بن أحمد بن حنبل وإدريس الحداد وعلى بن سعيد الرازى ، وحوله خلق كثير وهو فيهم كالشجرة الخضراء بين الهشيم تملوه نَضْرةُ روحه وكأنما يُمدّه بالنور عِرق من السماء فهو يتلألأ للعين ؛ ولا يملك الناظر إليه أن يحس فى ذات نفسه أنه الأدنى من رؤيته فى ذات نفسه أن هذا هو الانسان الأعلى

ورأيت على وجهه آلاماً تمسحه مسحةَ الأشواق لا مسحة الآلام ، فهى آثارُ ما يجده فى روحه القوية ، لا كآلام الناس التى هى آثار الحرمان فى أرواحهم الواهنة الضعيفة فلا تمسح وجوههم إلا مسحة الغم والكآبة . وما يخطىء النظر فى تمييز آلام السماء على هذه الوجوه السعيدة من آلام الأرض فى الوجوه الأخرى فإن الأولى تتندّى على روح الناظر بمثل الطل إذا قطّره الفجر ، والأخرى تتَثَوّرُ كما تَهيج الغَبرةُ إذا ضربت الريحُ الأرض

كان الشيخ فى وجود فوق وجودنا فلا تتلوّن له الأشياء ولا تعدو عنده ما هى فى نفسها ، ولا يحمل الشىء له إلا معناه من حيث يصلح أو لا يصلح ، ومن حيث ينبغى أو لا ينبغى . فإنما تتلون الأشياء عند ما يضع الشيطانُ عينَه فى عين الناظر إليها ؛ وإنما تزيد وتنقص فى القلب عند ما يكون روح الشيطان فى القلب ؛ وإنما يشتبه ما ينبغى وما لا ينبغى عند ما يأتى الشىء من جهتين : جهته من طبيعته هو ، وجهته من طبيعتنا نحن . وبهذا قد يجمع الانسان المال ثم لا يجد فى المال معنى الغنى ، وقد تتفق أسباب النعيم ولا يكون منها إلا الذل . وكم من إنسان يجد وكأنه لم يجد إلا عكس ما كان يبغى ، وآخرَ لم يجد شيئاً ووجد بذلك راحته .

* * *

قال ابن مسكين : وما كان أشدّ عجبى حين تكلم الشيخ فقد أخذ يجيب على ما فى نفسى ولم أسأله كأن الذى فى فكرى قد انتقل إليه ؛ فروى الحديث : إذا عظّمتْ أمتى الدينارَ والدرهم نُزع منها هيبة الاسلام ، وإذا تركوا الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر حُرموا بَركةَ الوحى . ثم قال فى تأويله :

إن ملك الوحى ينزل بالأمر والنهى ليخضع صَولةَ الأرض بصولة السماء ، فاذا بقى الأمر بالمعروف والنهىُ عن المنكر بقى عملُ الوحى إلا أنه فى صورة العقل ، وبقيت روحانية الدنيا إلا أنها فى صورة النظام ، وكان مع كل خطأ تصحيحُه فيصبح الانسان بذلك تنفيذاً للشريعة بين آمرٍ مطاع ومأمور مطيع ، فيتعامل الناس على حالة تجعل بعضَهم أستاذاً لبعض ، وشيئاً منهم تعديلا لشىء ، وقوة سنداً لقوة ؛ فيقوم العزمُ فى وجه التهاون ، والشدة فى وجه التراخى ، والقدرة فى وجه العجز . وبهذا يكونون شركاءَ متعاونين ، وتعود صفاتهم الانسانية وكأنها جيشٌ عامل يناصر بعضه بعضاً فتلون الحياة مفسرةً ما دامت معانيها السامية تأمر أمرها وتلهم إلهامَها وما دامت ممثَّلة فى الواجب النافذ على الكل

(١) الكر بضم الكاف مكيال عظيم يقدرون به فى الحساب وهو أربعون إردبا مصريا (٢) أى دفتر حسابه (٣) خمسة فى المائة

والناس أحرار متى حكمتهم هذه المعانى فليست حقيقة الحرية الانسانية إلا الخضوع للواجب الذى يحكم ، وبذلك لا بغيره يتصل ما بين الملك والسوقة وما بين الأغنياء والفقراء اتصالَ الرحمة فى كل شيء واتصالَ القسوة فى التأديب وحده . فبركة الوحى إنما هى جعل القوة الانسانية عملا شرعياً لا غير

. أما تنظيم الأمة للدينار والدرهم فهو استعباد المعانى الحيوانية فى الناس بعضها لبعض ، وتقطُّعُ ما بينهم من التشابك فى لحمة الانسانية ، وجعلَ الكبير فيهم كبيرا وإن صغرت معانيه والصغير فيهم صغيرا وإن كبر فى المعانى ؛ وبهذا تموج الحياة بعضها فى بعض ولا يستقيم الناسُ على رأى صحيح ، إذ يكون الصحيح والفاسد فى ملك الانسان لا فى عمل الانسان ، فيكنز الغنى مالا ويكنز الفقير عداوة كأن هذا قتل مالَ هذا وكأن أعمالا قتلت أعمالا ، وترجع الصفاتُ الانسانية متعادية وتباع الفضائل وتشترى ، ويزيد من يزيد ولكن فى القسوة ، وينقص من ينقص ولكن فى الحرية ، وتكون المنفعة الذاتية هى التى تأمر فى الجميع وتنهى ، ويدخل الكذبُ فى كل شيء حتى فى النظر إلى المال فيرى كل انسان كأنما درهمهُ وديناره أكبر قيمة من دينار الآخر ودرهمه فاذا أعطى نقص فغش ، وإذا أخذ زاد فسرق ؛ وتصبح النفوس نفوساً تجارية تساوم قبل أن تنبعث لفضيلة وتُعَا كِسُ إذا دُعيت لأداء حق ، ويتعامل الناس فى الشرف على أصول من المعِدة لا من الروح ، فلا يقال حينئذ إن رغيفين أكثر من رغيف واحد كما هى طبيعة العدد ، بل يقال إن رغيفين أشرفُ من رغيف كما هى طبيعة النفاق

أما التجارة وهى التفسير الظاهر لمعانى النفوس فتصبح بين الغش والضرر والمكر ، وتكون يقظة التاجر من غفلة الشارى وتفسد الارادة فلا تحدث إلا آثارها الزائفة . وما التاجر فى الأمة القوية إلا أستاذ لتعليم الصدق والخلق فى الوضع المتقلب فكلمته كالرقم من العدد لا يحتمل أزيد ولا أنقص مما فيه ، ويُمتحن بالدنيا والدرهم أشدَّ مما يمتحن العابد بصلاته وصيامه . وقد شهد رجل عند عمر بن الخطاب فى قضية فقال له عمر : ائتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل أثنى عليه خيراً ، فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا ، قال فكنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا . قال : فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورعُ الرجل ؟ قال : لا

قال عمر : أظنك رأيته قائماً فى المسجد يُهَمْهِمُ بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى . قال : نعم

قال : فاذهب فلست تعرفه

وإنما التاجر صورة من ثقة الناس بعضهم ببعض وإرادة الخير واعتقاد الصدق ، وهو فى كل ذلك مظهر توضع اليد عليه كما تجسُّ اليدُ مرض المريض وصحته

فاذا عظمت الأمة الدينار والدرهم فانما عظمت النفاق والطمع والكذب والعداوة والقسوة والاستعباد ؛ وبهذا تقيم الدنانير والدراهم حدوداً فاصلة بين أهلها ، حتى لتكون المسافة بين غنى وفقير كالمسافة بين بلدين قد تباعد مابينهما . وإنما هيبة الاسلام فى العزة بالنفس لا بالمال ، وفى بذل الحياة لا فى الحرص عليها ، وفى أخلاق الروح لا فى أخلاق اليد ، وفى وضع حدود الفضائل بين الناس لا فى وضع حدود الدراهم ، وفى إزالة النقائص من الطباع لا فى إقامتها ، وفى تعاون صفات المؤمنين لا فى تماديها ، وفى اعتبار الغنى ما يُعمل بالمال لا ما يجمع من المال ، وفى جعل أول الثروة العقل والارادة لا الذهب والفضة

هذا هو الاسلام الذى غلب الأمم ، لأنه قبل ذلك غلب النفس والطبيعة

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

عصر الخفاء

البارون فون أوفنباخ
داعية ومغامر ومشعوذ
للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان القرن الثامن عشر عصر الخفاء فى أوربا ، تزدهر فيه الدعوات والحركات السرية ، ويزدهر فيه أقطاب الدعاة السريين ؛ ففى أوائله نرى حركة البناء الحر (الماسونية) تتغلغل فى أنحاء أوربا ، وتقوم طائفة أخرى من الحركات والجمعيات السرية ؛ وفى أواخره نرى طائفة من أقطاب المغامرين الذين يتشحون بأثواب الخفاء والشعوذة يجوبون أوربا من أقصاها إلى أقصاها ، ويثيرون الروع والدهشة أينما حلوا ؛ ولهؤلاء الدعاة المغامرين سير عجيبة تفيض بها سير القرن الثامن عشر ، وتبدو كأنها قصص مغرق ، بيد أنها ترجع فى الغالب إلى كثير من الحقيقة ، وكل ما هنالك أن هذه الحقيقة يكتنفها كثير من الغموض والخفاء يرجع إلى ظروف العصر والمجتمعات التى ظهر فيها أولئك الدعاة المغامرون

ومما يلاحظ أن معظم المغامرين والدعاة السريين الذين ظهروا فى هذه الفترة هم يهود أو ينتمون إلى أصل يهودى ، وأن معظم الحركات والدعوات السرية التى ازدهرت فيها ترجع أيضاً إلى أصل يهودى ، أو نلمس فيها على الأقل وحى الدعاية اليهودية ؛ وهذه الملاحظة ترجع فى الواقع إلى ظاهرة تاريخية أعم ، وهى أن اليهودية كانت منذ العصور الوسطى مستقى أو مبعثاً لكثير من الحركات والجمعيات السرية التى قامت فى أوربا ، ومعظمها يرمى إلى غايات هدم دينية أو اجتماعية ، تقصد بها النصرانية ومبادئها وعقائدها قبل كل شىء

وقد كانت « الكابالا » اليهودية منذ العصور الوسطى أكبر مصدر لهذه الدعوات والرموز السرية . والكابالا شهيرة فى تراث اليهودية الروحى والفلسفى ، وهى عبارة عن مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية ، والرموز السحرية ، يتوارثها أحبار اليهودية ودعاتها منذ أقدم العصور ، وأخص تعاليمها الروحية أن الله وهو الكائن المطلق الخالد ينفث من نفسه إلى عالم الأرواح النقية ، وأن روح الانسان تنتقل من جسم إلى جسم حتى تعود فى النهاية إلى الله وتفنى فيه ؛ ولكن الكابالا اشتهرت بالأخص برموزها السرية وتعاويذها السحرية ، وقد كانت هذه مدى العصور تراث الخفاء فى يد الدعاة والمشعوذين ، يستغلون به سذاجة الكافة ، ويتخذونه سلاحاً قوياً لبث دعواتهم وتحقيق غاياتهم فى مجتمعات مؤمنة يروعها السحر والخفاء على كر العصور

وقد بلغت هذه الدعوات والتعاليم السرية اليهودية ذروة القوة والذيوع فى القرن السابع عشر ؛ وكانت بولونيا ، وبالأخص مقاطعة بودوليا التى كانت يومئذ منزلا لطوائف كثيرة من اليهود ، مركزاً للدعوة الكابالية ؛ وكانت هذه الدعوة تتمخض من آن لآخر عن ثورات دينية يتردد صداها فى المجتمع اليهودى كله . وفى أواسط القرن السابع عشر ظهر فى تركيا شابتاى زيبى ، وهو داعية يهودى زعم أنه المسيح المنتظر ، فأثار ظهوره ومزاعمه فتنة كبيرة فى المجتمع اليهودى ؛ ولم يكن « المسيح المنتظر » سوى داعية ماهر من دعاة « الكابالا » ؛ وفى أواسط القرن الثامن عشر ظهر فى بولونيا عدة متعاقبة من الدعاة الكاباليين ، أشهرهم اسرائيل البدولى الذى أسس طائفة « الحسديم » ؛ وكان اسرائيل بارعاً فى ضروب الشعوذة واستخدام الرموز والتعاويذ السحرية ، فلقيت دعوته صدى كبيراً ، والتف حوله كثير من اليهود الذين خرجوا على تعاليم « التلمود » وتقاليده

وفى ذلك الحين أيضاً ظهر داعية من أعظم دعاة الكابالا ، وأشدهم خفاء وغموضاً ، فأثارت شخصيته الغامضة ، وحياته العجيبة ، ومزاعمه الخارقة ، وبذخه الطائل أيما روعة ودهشة فى مجتمعات أوربا الوسطى . واسم هذا الداعية الغريب يعقوب فرنك ، وكل ما نعرف عن نشأته وحياته الأولى أنه ولد فى بولونيا ، وكان فى حداثته يشتغل بتقطير الخمور ؛ ثم تجول حيناً فى بلاد القرم وفى تركيا ، ودرس تعاليم « الكابالا » ورموزها دراسة عميقة ، واتصل بأنصار شابتاى زيبى ودعاهم إلى لوائه ، ثم عاد

إلى بودوليا منزل الحركة الكابالية ، وهنالك أسس فى سنة ١٧٥٥ طائفة جديدة تعرف بجماعة « الزوهاريين » نسبة إلى « زوهار » أو كتاب الضوء ، وهومن الكتب المبرية الكابالية ؛ ولم يلبث أن ذاعت دعوته وقويت عصبته ؛ ونهض لمقاومته جماعة « التلموديين » الرجميين ، ونشبت بينهما خصومة قوية ، فالتجأ فرنك إلى حماية أسقف كامنيك وأفضى اليه بميوله النصرانية ، وأحرق التلمود علناً ؛ وعاونه الأسقف على مقاومة خصومه حيناً ولكنه لم يلبث أن توفى ، واشتد الأحبار اليهود فى مهاجمة فرنك ومطاردته ، وأوقعوا به لدى حكومة وارسو ، ولدى مبعوث البابا ، وصوروه للسلطات الدينية والمدنيـة يهودياً مرتداً ، ونصرانياً مماذقاً ، وأن دعايته خطر على العقائد الرعية ، فهبت السلطات لمقاومتـــه ، وبدأت يد المطاردة تعمل لسحق « الزوهاريين » وتشريدهم

والواقع أن مذهب فرنك لم يكن يهودية خالصة ولا نصرانية خالصة ، بل كان مزيجاً غريباً من اليهودية والنصرانية والوثنية ؛ ولم تكن بولونيا مهداً خصباً لمثل هـذه الدعوات الجريئة ؛ فلم يمض بعيد حتى قبض على فرنك بتهمة الارتداد الكاذب ونشر الالحاد والكفر ، وزج إلى قلعة شنتشوف ، وبادر كثير من أنصاره بالفرار إلى تركيا ، واعتنق الكثلكة كثير ممن بقى منهم فى بولونيا ، ولكنهم بقوا يهوداً فى سرائرهم ، وقبض على عدد منهم ، وحكم على البعض بالأشغال الشاقة ، ولكن كثيرين منهم استطاعوا أن يتقوا بستار الكثلكة ويل المطاردة ؛ والتى الذين هاجروا إلى تركيا عنتاً واضطهاداً من السلطات الدينية فى مولدافيا ، وانقض عليهم العامة ونهبوهم ، وتفرقوا فى كافة الأنحاء . أما يعقوب فرنك فلبث يرسف فى سجنه حتى سقطت قلعة شنتشوف فى أيدى الروس فى سنة ١٧٧٢ ، وعندئذ أطلق سراحه ؛ فتجول حيناً فى بولونيا وبوهيميا ومورافيا متشحاً فى الظاهر بثوب الكثلكة ، وهو يجمع الأموال والرسوم الفادحة من أنصاره وأبناء جلدته ، ويثير الروع والاجلال بين الكافة بمظاهر بذخه ؛ وكان مذهب الزوهاريين قد ذاع فى المجتمعات اليهودية فى تلك الأنحاء ، وكانت تعاليمهم أكثر جنوحاً إلى النصرانية ، فهم ينكرون التلمود ، ويدلون بالتثليث والحلول ، ولكن ينكرون أن المسيح وحده أهل للحلول ؛ وكان هذا المزيج بين المذاهب والتعاليم المختلفة ملاذ الدعاة فى كل عصر ، فهم يزعمون دائماً أنهم ينشئون مذهباً أو ديناً جديداً ، ولكنهم يمدون دائماً إلى الاقتباس من المذاهب والأديان القائمة ، ويسبغون على مزيجهم نوعاً من الجدل الغامض للتمويه على العامة والبسطاء

على أن يعقوب فرنك غدا مذ قوضت دعائم طائفته رجلا آخر ، فهو لم يبق بعد داعية يتزعم مذهباً جديداً ؛ ولم يبق بعد اعتناق الكثلكة يهودياً ينفث دعايته إلى أبناء دينه ؛ بل غدا فى الواقع شخصية جديدة يحوطها خفاء من نوع جديد ؛ ذلك أنه ظهر فجأة فى المجتمع الرفيع ، يعيش فى بذخ شرقى طائل ، ويحيط نفسه بحاشية كبيرة فخمة ، ويدهش المجتمعات الرفيعة فى ألمانيا والنمسا بروعة مظاهره وفيض بذخه ؛ ومازالت حياة فرنك فى تلك الفترة لغزاً ، وما زال مصدر ثرائه المدهش سراً على التاريخ ؛ ومن ذلك الحين يعيش فرنك فى فينا وفى برون على مقربة منها ، تحيط به أروع مظاهر الفخامة والبذخ ، كما يحيط به أعمق الأسرار وأغرب المزاعم ؛ ولبث فرنك مدى حين يدهش البلاط النمسوى وكل مجتمع فينا الرفيع بشخصيته الخفية ، وحياته الفخمة الباذخة ؛ وكانت له ابنة حسناء تدعى « حوه » ، استطاعت أن تتقرب من الأمبراطورة ماريا تيريزيا ، وأن تنال لديها حظوة ونفوذاً ، وأن تمهد لأبيها كثيراً من السبل ؛ ولكن الريب الذى يلاحقه أينما حل كان يحيط دائماً بشخصيته ومحيطه ووسائله ومزاعمه ؛ ولم يلبث أن اضطر إلى مغادرة النمسا ليتقى شر الاتهام والمطاردة ، وعندئذ تحول إلى مدينة أوفنباخ بألمانيا على مقربة من فرانكفورت ، واستقر بها مع حاشيته الكبيرة ، وعاش هنالك بنفس البذخ الطائل الذى كان مثار الروع والدهشة والاعجاب أينما حل

وعاش فرنك فى أوفنباخ أعواماً طويلة ، وتسمى بالبارون فون أوفنباخ ، وهو لقب يغلب عليه فى كتب التاريخ والقصص ؛ وأثار بروعة بذخه ومظاهره طلمة المجتمع الألمانى ودهشته كما أثار دهشة المجتمع النمسوى من قبل . ويقدم إلينا المؤرخ الألمانى بيتر بير وصفاً روائياً شائقاً لحياة فرنك العجيبة وبذخه المدهش فيقول لنا : « كانت له حاشية من بضع مئين من الفتيان والفتيات اليهود ذوى الحسن الرائع ؛ وكان يذاع أن صناديق المال تنهمر عليه فى كل يوم ولا سيما من بولونيا ، وكان يخرج كل يوم فى

موكب حافل ليقيم شعائره في العراء ، في عربة تجرها جياد مطهمة ، ومن حوله عشرة أو اثنا عشر فارساً بروسياً في حلل حمراء خضراء موشاة بالذهب ، وقد شهروا الرماح ووضعوا في قلنسواتهم رموزاً من النسور أوالوعول أو أهلة وشموساً وأقماراً ؛ وكان الماء يصب دائماً حينما كان يقيم شعائره ؛ وكان يؤم الكنيسة في مثل هذا البذخ ، وهنالك يؤدي القداس بطريقة خاصة ، وفي خشوع خاص ؛ وكان أنصاره يعتقدون فيه الخلود ، بيد أنه توفي في سنة ١٧٩١ ؛ ودفن في بذخ يعدل بذخ حياته ، وسار وراء نعشه موكب من ثمانمائة ؛ بيد أن سر ثرائه وبذخه دفن معه في قبره ؛ وانحدرت أسرته بعد وفاته إلى حالة من البؤس تدنو إلى التسول ؛ وعبثاً حاولت أن تستدر عطف أنصاره أو صدقتهم ؛ ولم يمض سوى قليل حتى غمرها النسيان والعدم ، واضطرت لكي تعيش أن تزاول أعمال الحياة الفانية » [1]

هذه هي قصة يعقوب فرنك وقصة حياته العجيبة . قصة مغامر ومشعوذ بارع استطاع أن يستغل ظروف عصره ، وما كان يسود مجتمع عصره من إيمان وتعلق بالخوارق والأساطير . بيد أنه من الخطأ أن نقف عند هذه الصورة الظاهرة من حياته . ذلك أن حياة فرنك كانت سراً من الأسرار التي لا تنفذ إليها طلعة الكافة ، وكان وراء هذه الحياة الفخمة الباذخة ناحية أخرى يغمرها الخفاء المطبق . هل كان فرنك يعمل لنفسه وبوسائله الخاصة أم كان يعمل بوحي قوة خفية أخرى تمده بأسباب البذخ الطائل وتدفعه إلى المجتمع مزودا بتلك المظاهر الرائعة لكي يعمل على بث دعاية معينة وتحقيق أغراض معينة ؟ لقد كان العصر الذي ظهر فيه فرنك عصر الخفاء حقاً ، وكانت موجة من الخفاء والتعلق بالخوارق والمجهول تغمر مجتمعات أوروبا الرفيعة وتملك عليها تفكيرها وأهواءها ؛ وفي نفس الوقت الذي ظهر فيه فرنك مسلحاً بأسراره ومظاهره العجيبة ، ظهر يوسف بلسامو أو الكونت كاجليوسترو مسلحاً بمثل هذا الخفاء وأثار دهشة المجتمعات الرفيعة ولا سيما في فرنسا بمظاهره وأعماله العجيبة ومزاعمه الخارقة ؛ وظهر في نفس الوقت مغامر آخر من نفس الطراز وإن كان أقل روعة وتأثيراً ، وهو الكونت سان جرمان واقتفى أثر زميله في التذرع بالخوارق . ومما يلفت النظر أن الثلاثة كانوا يهوداً ؛ وقد كانت اليهودية يومئذ مبعث الحركات والدعوات السرية ، وكانت الكابالا اليهودية كما أسلفنا مستقى خصباً للدعاة السريين فيما يعرضون من ضروب الرموز والأساليب السحرية ، وكانت حركة البناء الحر (الماسونية) يومئذ تضطرم في جميع أوربا ؛ وقد أثبت البحث الحديث أن لحركة البناء الحر أغراضاً خفية غير الأغراض الانسانية التي تتظاهر بها ، وأنها تعمل لغاية ثورية شاملة هي سحق الأديان والمعتقدات القائمة كلها ، وادماج الانسانية كلها في نوع من التفكير الحر المطلق والمساواة الاجتماعية المطلقة . ويرى بعض الباحثين أن الثورة الفرنسية كانت مؤامرة « ماسونية » ونفثة من نفثات البناء الحر ، وأن محافل البناء الحر هي التي نظمت خططها وبرامجها الأولى ، بل يرى بعض الباحثين أن الثورة البلشفية الحديثة ليست بعيدة عن تأثير البناء الحر ، وأن ما ترمي إليه من إحداث ثورة عالمية يطابق نفس الغاية التي يعمل لها البناء الحر ؛ وقد كان أولئك الدعاة المغامرون الذين خلبوا الباب أوربا في القرن الثامن عشر يتصلون بمحافل البناء الحر اتصالاً وثيقاً وإن يكن خفياً . أفليس لنا أن نعتقد بعد ذلك أن يعقوب فرنك لم يكن مغامراً أفاقاً يعمل لنفسه ولمطامعه الشخصية ، وأنه بالعكس كان داعية خطيراً يبث حركة خطيرة لها صلة بخطط البناء الحر وغاياته ؟ وأنه كان يستمد المال الوفير والنصح والحماية من قوة خفية أعظم ؟ هذا ما نرجح ، وهذا ما يؤيده خفاء حياته وخفاء وسائله ومزاعمه وغاياته ، واتشاحه بثوب الدعوة الدينية التي كانت على كر العصور ملاذاً لمختلف الدعوات والغايات .

محمد عبد الله عنان

(١) بيتر بير في كتابه : Geschichte der Juden

فلاسفة الاسلام

والتوفيق بين الفلسفة والدين

للدكتور ابراهيم بيومي مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

سيداتي ، سادتي !

أشكر قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية على أن هيأ لي الفرصة للتحدث إليكم الليلة في موضوع جاف ودقيق ؛ ولست أدري هل دقته منشأ جفافه ، أم جفافه زاد في دقته وغرابته ؛ ومهما يكن فالذي أستطيع أن أؤكده لكم أنكم لستم بصدد موضوع من تلك الموضوعات الطريفة المسلية التي تمر بالمستمع في شوق ورغبة وهدوء وسكون ، وقد أعذر من أنذر ! على أن لي في سعة صدركم وعظيم انتباهكم ما يشجعني على القول برغم مايصادفني من صعوبات . وما فكرت في أن أخوض معكم غمار هذه الأحاديث إلا رغبة مني في أن أوجه النظر إلى شطر من الثقافة الاسلامية أهمله أهله وتناقل عنه ذووه . وأعني بهذا الشطر الدراسة العقلية والبحث النظري في الاسلام . للاسلام فلسفة انفردت بخصائصها ومميزاتها وأضحت ذات شخصية مستقلة . فليست مجرد الفلسفة الأرسطية مصوغة في عبارات عربية كما يزعم رينان ، ولا فلسفة مدرسة الاسكندرية منسوبة فقط إلى بعض رجال الاسلام كما يدعي دهيم [1] . كلا بل هي فلسفة ذات موضوع خاص ومشاكل معينة وطريقة في البحث جديدة إلى حد كبير . هذه الفلسفة مجهولة ومهملة إلى درجة لم تصل اليها فيما أعتقد أية فلسفة أخرى . فرجالها لا يكادون يعرفون ، وكتبهم ليست أعظم حظاً منهم ؛ ولا يزال قدر منها مخطوطاً إلى اليوم دون أن يفكر أحد في طبعه ونشره . ولو لم يقيض الله لهذا التراث بعض المستشرقين لما عرف عنه شيء و بقي في طي الكتمان إلى الأبد . [2] وما أجدرنا أن نقوم نحن على إحياء مجدنا والاشادة بذكر رجالنا كي يتصل حاضرنا بماضينا ونؤسس نهضتنا على أسس متينة من القديم الحي والجديد النافع

قلت أيها السادة إن موضوعنا دقيق ، وعنوانه كاف للدلالة على ما فيه من أمور شائكة ومشاكل عويصة . فان الأبحاث الدينية في جلتها مثار اتهامات وتأويلات وشبه لا حصر لها . وقد ساد بلدنا في العشرين سنة الأخيرة روح اتهام خبيثة ترمي بالالحاد والزندقة والتمرد والكفر كل من حاول تفسير ظاهرة من الظواهر الدينية تفسيراً تاريخياً أو عقلياً . لذلك تحاشى كثير من الباحثين هذا الميدان وتجنبوه اتقاء لما فيه من شرر متطاير وعراك ونضال . غير أني أشعر بنسمة من نسمات التسامح الاسلامي القديم تهب علينا من جديد ، وألمح في صفوف قادة الرأي والفكر اتجاها نحو الحرية وسعة الصدر وطلاقة التفكير . ولا أدل على هذا من خمود تلك النعرة القديمة ، نعرة الأباحيين والمستمسكين واللادينيين والدينيين . ويغلب على ظني أنه لو كان تقدم الزمن عشر سنين بكتاب ككتاب « حياة محمد » مثلاً للدكتور هيكل لعد في صف المؤلفات المحاربة المطرودة . أما اليوم فانه مقروء ومرغوب فيه بشكل يدعو إلى الاعجاب والتقدير . وليس هناك شك في أن لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي يداً في هذه النزعة الصالحة والتسامح الجديد . وإذا كانت النفوس اليوم أكثر استعداداً لتفهم مسائل الدين في جو حر طليق فاني لا أرى غضاضة في أن أتحدث عن بعضها . على أني لست في هذا الحديث إلا الرسول الأمين والناقل الصادق لما قال به فلاسفتكم الأقدمون . فمهمتي أن أنقل إليكم آراء كبار فلاسفة الاسلام ، وأردد بينكم أصواتاً تقادم بها العهد ، وأبعث من تحت الرغام أشباحاً طال رقادها ، وأبين لكم كيف حاول الفارابي وابن سينا وابن رشد التوفيق بين الفلسفة والدين

***

الدين وحي الله ، ولغة السماء وغذاء القلوب ، ومصدر الأوامر والنواهي . فكيف نوفق بينه وبين الفلسفة التي هي صنع البشر ولغة الأرض ، ومجال الأخذ والرد والبحث والتمايل ؟ كيف نوفق بين الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية ، والأولى عمادها الالهام ، والثانية أساسها البرهان ؟ كيف نوفق بين السمعيات والعقليات ، بين المسلمات واليقينيات ؟ كيف نوفق بين أفكار

(1) Renan, Averroes, p. 88. — Duhem, Le systeme du Monde, IV, pp. 321 et suiv.

(٢) ابراهيم مدكور ، الفلسفة الاسلامية ودراستها (الرسالة) عدد ٩٣

العامة المبنية على البساطة والسهولة ، وآراء الخاصة الناتجة عن التفكير الزائد والتأمل العميق ؟ مهمة شاقة قطعاً ومحاولة يعز أن تكلل بالنجاح . ولكنها ضرورية لقوم عاشوا فى العالم الأسلامى واعتنقوا الاسلام ، وكانت دراستهم بل حياتهم كلها خاضعة للجو المحيط بهم ، ومتأثرة بمختلف العوامل والظروف التى استولت على عصرهم . فلم ير الفلاسفة المسلمون بدأ من محاولة التوفيق بين معتقداتهم وأبحاثهم . وهذه المحاولة هى حجر الزاوية فى فلسفتهم وأخص خصائصها ، وبها تتميز من الفلسفة الأرسطاية وتبدو فى ثوبها الفذ المستقل . ففى كل خطوة من خطاهم ، وفى كل بحث من أبحاثهم ، صوب هؤلاء الفلاسفة نحو هذا الغرض واتجهوا نحو هذه الغاية . وكان لجهودهم أثر يذكر فى انتشار الفلسفة ونفوذها إلى صميم الدراسات الاسلامية الأخرى . ويعد الفارابى أول من سلك سبيل هذا التوفيق وأظهره فى شكل مهذب منسق . ثم أتى من بعده ابن سينا فسار على سننه واهتدى بهديه ، ووسع طريقته وكمل ما فاته ، إلا أن محاولة التوفيق التى قام بها هذان الفيلسوفان لم ترق لدى الغزالى ، فشن عليها الغارة وأثار عليها حرباً شعواء ونقض أصولها وفروعها وأعمل معوله فى هدم بنائها الفخم وأركانها المتينة ؛ وكتابه تهافت الفلاسفة قائم على انتزاع أحجار هذا البناء الواحد بعد الآخر ، وإثبات أن الفلاسفة أساءوا إلى الفلسفة والدين معاً بمحاولتهم التوفيق بينهما . وقد جاء ابن رشد أخيراً مدافعاً عن أسلافه الفلاسفة ومبيناً ما فى حجج الغزالى من مغالطة وسفسطة . ولم يمنعه تعصبه الزائد لأرسطو وعنايته الكبيرة بالفلسفة القديمة من أن يقف على هذه المشكلة ثلاثة كتب هامة هى : تهافت التهافت فى الرد على الغزالى ، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، ومناهج الأدلة فى عقائد الملة . ولا يعنينا كثيراً أن نعرف ما إذا كان هؤلاء الفلاسفة مخلصين فى عملهم أو غير مخلصين ، فهذه مسألة تتجاوز دائرة بحثنا وتتعلق بأشخاصهم وصلتهم بربهم . وما لنا نتتبع بواطن الناس وقد دلت ظواهرهم على حسن نيتهم ؟ ومن لنا بالوقوف على أمر هذه البواطن والله وحده هو الذى يتولاها ويدرك كنهها وخفاياها ؟ على أن البحث عن السرائر مقرون غالباً بالشك والصاق تهم بأشخاص لم يقم دليل من أقوالهم وأفعالهم على اتهامهم . فلندع هذا جانباً ، ولنقنع بأن نقرر أن فلاسفة الاسلام الذين نتحدث عنهم خلفوا كتباً تشهد برغبتهم الأكيدة فى التوفيق بين دراستهم وعقائدهم ، وفلسفتهم كلها قائمة على هذا الأساس

واضح أن التوفيق يستلزم على الأقل جانبين متقابلين وطرفين متنافرين . ومهمة الموفق أن يبعد أسباب الخلاف ويقرب الشقين المتباعدين ؛ وهذا ما حاوله الفارابى وابن سينا فى ربط الفلسفة بالدين ، فقد كان أمامهما من جهة الفلسفة الأرسطية تراث الأغريق وأسمى صورة لما أنتجه العقل الانسانى فى ذلك الزمان ، كما كانا يعتنقان من جهة أخرى عقائد الاسلام والملة الحنيفية السمحاء التى تدعو إلى تحرير الانسان من قيوده وتوجيهه نحو البحث والنظر . وفى فلسفة أرسطو نواح لا تلائم أصول الدين ، كما أن فى الاسلام تعاليم قد لا تتفق ظواهرها والروح الفلسفية ؛ فعنى الرجلان بصبغ مذهب أرسطو بصبغة دينية وكسوة الدين بثياب فلسفية ، وبذا أصبحت الفلسفة دينية ، والدين فلسفياً ؛ أو بعبارة أدق أصبحت فلسفتهما ديناً ودينهما فلسفة . وليس فى مقدورنا أن نأتى هنا على تفاصيل أوجه التوفيق التى حاولاها ، وإنما نكتفى بالمسائل الرئيسية التى أدخلاها فى الفلسفة والدين معاً . فنتبين النقط التى خالفا فيها أرسطو والحلول التى عرضاها لبعض المشاكل الدينية . وعلى هذا فأوجه التوفيق تنقسم إلى شعبتين ، تتصل إحداهما بالفلسفة والأخرى بالدين ، وكأن الموفقين شاءا أن يخطوا بالفلسفة نحو الدين فى الوقت الذى قربا فيه الدين من الفلسفة ؛ وكأن التصالح بين الطرفين ، إن صح هذا التعبير القضائى ، تم على تساهل متبادل وتضحية مشتركة . فى الفلسفة الأرسطية ثلاث مسائل جوهرية تبعد عن تعاليم الاسلام : الأولى فكرة الاله ومدلولها الصحيح وتحديد صفات البارئ وخصائصه ؛ والثانية الصلة بين الله والعالم وبيان ما إذا كانت الحركة والمادة محتاجتين إلى الله أو غير محتاجتين ؛ والثالثة النفس وخلودها ، نظرية كلامية ميتافزيقية ، وأخرى فلكية طبيعية ، وثالثة سيكلوجية . هذه هى النقط الثلاث الهامة التى تباعد بين آراء أرسطو وما جاء به الاسلام ، وفى التعاليم الاسلامية من جانب آخر مشكلتان عظيمتان هما : مشكلة النبوة ومشكلة

السمعيات . وقد شغل الفلاسفة بهما وعنوا بتفسيرها تفسيراً علمياً ينطبق على مبادئ البحث العقلي . وسأعرض عليكم سريعاً أوجه الخلاف هذه وطريق علاجها

لم يعن أرسطو عناية خاصة بمعرفة الله ، ولم يعتبرها غرضاً رئيسياً لفلسفته ، ولم يدخلها في قوانينه الأخلاقية ولا في نظامه السياسية ، ويظهر أنه نظر أولاً إلى العالم الحسي وبين أسبابه وعلله دون أن يفكر في قوة خفية تدبره ، وبعد أن استكملت الطبيعة وسائلها وانتظمت الأفلاك في سيرها انتهى به المطاف إلى محرك أول أخص خصائصه أنه يحرك غيره ولا يتحرك هو [1] . هذا المحرك الساكن أو المحرك الصوري هو الإله في رأيه ، ولا يذكر من صفاته إلا أنه عقل دائم التفكير ، وتفكيره منصب على ذاته [2] . فإذا ما طالبته بتفاصيل أكثر وبيان أشمل ألفيت نفسك أمام صمت عميق وسكون مطبق . ذلك لأنه يتحرج عن الكلام في المسائل الدينية ، ويعدها فوق مقدور البشر ، ويصرح بأن الكائنات الأزلية الباقية وإن تكن رفيعة مقدسة ليست معروفة إلا بقدر ضئيل [3] . وليت أرسطو وقف عند هذا الحد ، بل جاوزه إلى ما هو أقبح وأشنع ، فإن نظرياته المختلفة تشعر بتردد بين الوحدة والتعدد . حقاً إنه ينادي بالوحدة مردداً قول هومير إنه « ليس حسناً أن يكون هناك سادة متعددون » ويلاحظ أن وحدة نظام العالم تستلزم وحدة سببه الأول [4] ، ولكنه يقرر في مقام آخر أن لكل فلك محركا خاصاً لا يختلف كثيراً عن المحرك الأول والإله الأعظم . فالأفلاك وحركاتها تقوده إلى التعدد وإن جهر بالوحدة وبرهن عليها ، وبذا لم يستطع التخلص تماماً من التقاليد الأغريقية القديمة التي كانت تعتبر النجوم آلهة [5] . ففكرة الإله عنده غامضة وغير متمشية مع مذهبه ، ولا تشغل حيزاً واضحاً في فلسفته ، وأراني في غنى عن أن ألاحظ أن هذه الفكرة تختلف كل الاختلاف عن العقيدة الإسلامية . لذلك اضطر الفلاسفة المسلمون أن يبينوا حقيقة الله ويشرحوها شرحاً لا يدع مجالاً للإبهام والشك ، وقد أثبتوا أن الله هو الموجود الأول والسبب الحقيقي لسائر الموجودات ، وأنه منزه عن الشريك والنظير والمثيل والضد ، هو الإله الواحد الحي القادر العليم الحكيم السميع البصير . يقول الفارابي : « الموجود الأول هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها وهو بريء من جميع أنحاء النقص . . . فوجوده أفضل الوجود وأقدم الوجود ولا يمكن أن يكون وجود أفضل ولا أقدم من وجوده . . . فهو أزلي دائم الوجود بجوهره وذاته من غير أن يكون به حاجة في أن يكون أزلياً إلى شيء آخر يمد بقاءه ، بل هو بجوهره كاف في بقائه ودوام وجوده . . . وهو مباين بجوهره لكل ما سواه ولا يمكن أن يكون الوجود الذي له لشيء آخر سواه [1] » . وفي هذا المعنى يقول ابن سينا إن « الأول لا ند له ولا ضد له ولا جنس له ولا فصل له فلا حد له ولا إشارة إليه إلا بصريح العرفان العقلي . وهو معقول الذات قائمها ، فهو قيوم بريء عن العلائق والعهد والمواد وغيرها مما يجعل الذات بحال زائدة . وقد علم أن ما هذا حكمه فهو عاقل لذاته معقول لذاته . تأمل كيف لم يحتج بياننا لثبوت الأول ووحدانيته وبراءته عن الصفات إلى تأمل لغير نفس الوجود ولم يحتج إلى اعتبار من خلقه وفعله ، وإن كان ذلك دليلاً عليه ، لكن هذا الباب أوثق وأشرف ، أي إذا اعتبرنا حال الوجود فشهد به الوجود من حيث هو وجود ، وهو يشهد بعد ذلك على سائر ما بعده في الوجود . وإلى مثل هذا أشير في الكتاب الإلهي : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » . أقول هذا حكم لقوم ؛ ثم يقول : « أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » أقول إن هذا حكم الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه [2] » ، وقد برهن الفيلسوفان على وحدة الله بطريقة مبتكرة وفي مهارة ولباقة خلابتين [3] ، وإذا كان الله واحداً فإنا لا نستطيع أن نتصور له صفات خارج ذاته ، بل هو عالم حي سميع

(1) Aristote, Physique, 258 a, 5 — b, 4.

(2) Aristote, Métaphysique, 1072 b, 27 — 29, 1079, 34.

(3) Aristote, Des parties des animaux, I, 5.

(4) Aristote, Métaphysique, 1076 a, 24; L'Iliade, II, 204.

(5) Aristote, Métaphysique, 1074 a, 31 — 38 = Physique, 258 b, 10.

(١) الفارابي ، رسالة في آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٥ — ٦

(٢) ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، ص ١٤٦ — ١٤٧

(٣) الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ٧ و ابن سينا ، الاشارات ، ص ١٣٩ — ١٤١

قادر بذاته . « فليس بمحتاج فى أن يتعلم إلى ذات أخرى يستفيد بعلمها الفضيلة خارجةً عن ذاته ، ولا فى أن يكون معلوماً إلى ذات أخرى تعلمه ، بل هو مكتف بجوهره فى أن يَعلم ويُعلم ، وليس علمه بذاته شيئاً سوى جوهره ، فانه يعلم وأنه معلوم وأنه علم ، كل ذلك ذات واحدة وجوهر واحد[1] » فالفارابى وابن سينا يقولان ، كالمعتزلة ، بوحدة الذات ويلغيان الصفات الخارجة عنها ، وفكرة الاله عندهما أساس المذهب جميعه ، وكل المسائل الأخرى متفرعة عنها. وفى هذا ما يبين مسافة الخلاف بينهما وبين أستاذهما أرسطو

لم يفارق فلاسفة الاسلام أستاذهم فى هذه النقطة فحسب ، بل انفصلوا عنه فى مسألة أخرى هى نتيجة لهذه ، الا وهى الصلة بين الله والعالم . وذلك أن أرسطو وقد قال بقدم المادة والحركة لم يدع لله مكاناً فى هذا العالم . نعم إنه يسميه المحرك الأول ومعنى هذا أنه علة فاعلية ، ولكنه يعود فيقول إنه محرك ساكن ؛ وكل ما هنالك أن العالم يتجه إليه فى حركته[2] . فهو غرض وغاية فقط ؛ وليس تأثيره فى العالم بأكثر من تأثير التمثال الجميل فى نفس المعجب به . وإله هذا شأنه يتنافى مع ما يصرح به القرآن من أن الله خالق كل شىء . فلا المادة ولا العالم يتصور لهما وجود بدون الله . والتغيرات الكونية على اختلافها ترجع إلى الخالق المبدع جل شأنه . إزاء هذا التناقض الواضح لجأ الفارابى وابن سينا إلى حل وسط فقالا إن المادة مخلوقة وقديمة . خلقها الله بفيض من عنده أزلاً وتعهدها بعنايته ورعايته فيما بعد . وكلمة « فيض » هذه ليست من الكلمات التى تمر بنا دون أن نعيرها أية أهمية فانها ذات مدلول خاص وأهمية تاريخية[3] . ويراد بها أن الله وهو عقل محض وتفكير مستمر قد صدر عنه العقل الأول كما يصدر الضوء عن الشمس ، وعن العقل الأول صدر العقل الثانى وهكذا إلى العقل العاشر . وهذه العقول مرتبة ترتيباً تنازلياً أسماها العقل الأول وأدناها العقل العاشر . وهى موزعة على الأفلاك المختلفة لتمدها بالحركة وتحقق فيها النظام . ويختص العقل العاشر أو العقل الفعال بالعالم الأرضى وعنه صدرت المادة التى هى مخلوقة وقديمة فى آن واحد . يقول الفارابى : « وأول المبدعات عنه شىء واحد بالعدد وهو العقل الأول ويحصل فى المبدَع الأول الكثرة بالعرض لأنه ممكن الوجود بذاته ، واجب الوجود بالأول ، ولأنه يعلم ذاته ويعلم الأول . وليست الكثرة التى فيه من الأول لأن إمكان الوجود هو لذاته وله من الأول وجه من الوجود . ويحصل من العقل الأول بأنه واجب الوجود وعالم بالأول عقل آخر ولا يكون فيه كثرة الا بالوجه الذى ذكرناه . ويحصل من ذلك العقل الأول بأنه ممكن الوجود وبأنه يعلم ذاته الفلك الأعلى بمادته وصورته التى هى النفس . والمراد بهذا أن هذين الشيئين يصيران سبب شيئين : أعنى الفلك والنفس . ويحصل من العقل الثانى عقل آخر وفلك آخر تحت الفلك الأعلى . وانما يحصل منه ذلك لأن الكثرة حاصلة فيه بالعرض كما ذكرناه بدياً فى العقل الأول ، وعلى هذا يحصل عقل وفلك من عقل ، ونحن لا نعلم كمية هذه العقول والأفلاك إلا على طريق الجملة إلى أن تنتهى العقول الفعالة إلى عقل فعال مجرد من المادة ؛ وهنالك يتم عدد الأفلاك ؛ وليس حصول هذه العقول بعضها من بعض متسلسلاً بلا نهاية ، وهذه العقول مختلفة الأنواع كل واحد منها نوع على حدة ، والعقل الأخير منها سبب وجود الأنفس الأرضية من وجه ، وسبب الأركان (العناصر) الأربعة بوساطة الأفلاك من وجه آخر »[1] ، ويقول ابن سينا كذلك إن « الأول يبدع جوهراً عقلياً هو بالحقيقة مبدع وبتوسطه جوهراً عقلياً وجرماً سماوياً . وكذلك عن ذلك الجوهر العقلى حتى تتم الأجرام السماوية وتنتهى إلى جوهر عقلى لا يلزم عنه جرم سماوى . فيجب أن تكونَ هيولى العالم العنصرى لازمة عن العقل الأخير[2] » وعلى هذا فالفارابى وابن سينا يثبتان الخالق الذى جاء به القرآن وإن كانا يصورانه بصورة عقلية روحية ، ويسلمان مع أرسطو بقدم العالم وإن اعترفا بعدمه

(يتبع) إبراهيم مدكور

(١) الفارابى ، المدينة الفاضلة ، ص ١

(2) Aristote, Métaphysique, 1074 a, 23.

(3) Madkour, La place d' alfârâbi, p. p. 44 — 77

(١) الفارابى ، الثمرة المرضية ، طبعة ليدن ، ص ٥٨ و ٥٩

(٢) ابن سينا ، الاشارات ، ص ١٧٤ — ١٧٥

التاريخ في سير أبطاله

٣ - ميرابو

ميرابو ... تلك الأعجوبة !
جوته

للأستاذ محمود الخفيف

تتمة

صارت الغلبة للشعب ، فلقد وقف ميرابو وقفة حاسمة كان في الثورة كما رأينا بجانها ؛ وليت شعرى هل يعمل عمله هذا على الهدم أم هو يعمل على البناء ؟ أتراه يوجه السفينة إلى حيث لاعاصم لها من الموج ، أم تراه يجنبها الصخرة المعترضة ؟ أدر الدفة بإربابها ! لكن الربان اليوم يزجيها ويدفعها ! أكان عن طيش ذلك أم عن خبل ؟ كلا مأبى للطيش أو الخبل أن يبلغا هذا الرأس الأشم ؟ أو لم ير الأشراف يأتمرون بالثورة ويرى الملك يتنمر بفتنة وبهم أن يأتيها من مقتلها ؟ إنه يعرف ما يفعل ويدرك متى يتخذ الهجوم سلاحاً ومتى يجعل من الصبر مثابة وأمنا . وإنك لتراه يجمع في ذلك إلى إقدام القائد حنكة السياسي

أكبرته باريس وكانت قد أعجبت بما قرأت له في صحيفته التي كان يصدرها دفاعاً عن آرائه ، واليوم تخلص له الحب ، ولو كان للرجل يومئذ مآرب خاصة كما تقول عنه خصومه لكان له من تلك الشهرة أعظم فرصة ، ولكنه وقف من باريس موقف الحذر الفطن ، إذ كان يخشى أن تنقلب الثورة من مظهرها الدستورى إلى مظهر دموى هو عنده الطامة الكبرى

ولكنه إذ يعمل على تفادى الخطر من ناحية الشعب لم يكن يأمن جانب البلاط ، ولم ير في إذعان الملك وحوله السادة المتآزين على مجالسة العامة إلا سكون المتحفز الذى يتربص بالجمعية الدوائر ليضربها الضربة القاضية

ولم تلبث الحوادث أن أيدت ما رأى ، فقد طافت شائعات السوء بالجمعية ثم أيقنت أن الملك يحشد حول باريس وفرساى من جنده نحو أربعين ألفاً ، وأنه موشك أن يعود إلى سالف موقفه منها وهو اليوم بهؤلاء الجند أشد بطشاً وأعظم حولاً ، ولقد أنكر ميرابو هذه السياسة المذبذبة من لدن ذلك الملك الذى كان بسياسته يوقظ الفتنة ويحركها ؛ وتساءل في دهشة وفي قوة وحجة : « إذا كان الملك يريد أن ينفرد بالأمر دوننا فلم دعانا إليه ؟ وإذا كان قد دعانا لحاجة إلينا فكيف يسوغ له أن يشهر السلاح في وجوهنا » ؟

وتطلعت الجمعية إلى رجلها من جديد وانتظرت باريس منه القول الفصل ، ووثب ديموستين الفرنسى مرة ثانية إلى الصدر فهز جنبات القاعة بل جوانب فرنسا بخطاب من أبلغ ما فاه به . ثم أراد أن يأخذ الطريق على من يكيدون للجمعية بالدس فاقترح أن ترسل وفداً إلى الملك يطلب له ولاءها ويرجوه أن يسحب الجند من حول باريس . ولقد جعلت الجمعية ميرابو على رأس ذلك الوفد ؛ فلما جاء الملك أجاب متهكما : « إنه وحده الذى يحرك جنده كما يريد ، وإذا كان النواب يخافون هؤلاء الجند فلينسحبوا إلى ماوراء باريس ؛ وبعد ذلك بيومين عزل (نكر) من الوزارة يوم ١١ يوليو سنة ١٧٨٩

أدرك ميرابو أن الكارثة واقعة لا محالة . ولم تنقض ثلاثة أيام على عزل نكر حتى حملت باريس السلاح ودكت ذلك الحصن المتيد سجن الباستيل رمز الطغيان والعبودية

دخلت الثورة في دورها الدموى الرهيب ؛ ولقد ذعرت الجمعية وخشيت أن تقع الحرب الأهلية فتقضى على الثورة والجمعية معاً ؛ وكان رجلها غائباً عنها لما علم من وفاة أبيه . فلما عاد عاودها الأمل وأوفدت وفداً جديداً يعيد على الملك ملتمس الجمعية ، ووقف ميرابو ينصحه قائلا : « بلغوا الملك أن جنوده الذين أحاطوا بنا من كل صوب قد غمرتهم أيدى أمرائه وأميراته ورجال حاشيته بالهدايا والتحف . وأن هؤلاء الجند وقد بهرهم بريق الذهب وامتلأت رؤوسهم الخمر باتوا يتغنون بسحق فرنسا وكل ذلك في اليوم السالف لليلة سان بارثلميو »

ولكن هاهو ذا رسول من قبل الملك ينبىء الجمعية بأنه في الطريق إليها ، وهاهو ذا ميرابو ينصح إليها أن تلاقيه جادة صامتة معلنة حدادها على من قتلوا في باريس قائلا : « إن في صمت الشعوب درساً للملوك »

وجاء الملك يستعين بالجمعية على تهدئة الحال في باريس ثم يدخلها في رهط من النواب معلناً رضاءه عما اتخذته بعد سقوط الباستيل ! ويسحب الجند منها ومن فرساى !

وكانت باريس بعد أن أعلنت غضبتها قد سيطرت على الموقف فألفت الحرس الوطني وجعلت رياسته للافايت وانتخبت بايى عمدة لها وأسست كثيراً من الصحف والنوادي الثورية

أدر الدفة يا ربانها ! لقد أحدق الخطر بها ، فالربان مشفق يرقب مجراها وهو أشد حذراً وأكثر تشاؤماً . لقد وقع ما كان يخشاه وجرت الدماء في باريس ، وطاف شبح الفوضى بالأقاليم ، وبات الشعب في سكرة النصر يتوعد ويتوثب ، والملك لا يزال ألعوبة في يد بطانته وعلى الأخص في يد امرأته ، والمهاجرون من الأشراف يؤلبون أوربا على الثورة ، وغول الخراب المالي يطالع البلاد من كل ناحية

ولكن الربان وسط العاصفة لا يعرف اليأس سبيلا إلى قلبه . زار باريس فهبت تزاحم مهرجانه باريس ، وطاف بخرائب الباستيل يشهد مصرع الظلم فامتلأت عربته بالزهور ، ورأى الحرية الحمراء تعلن عن نفسها في أجواء المدينة راقصة صادحة ، فهل أطربه ما سمع وما رأى ؟ كلا بل أمضه ذلك وأزعجه

زادت الحوادث مهمته صعوبة ولكنها لم تفل من عزمه ، ولعله كان يأمل أن يجد في اشتداد الأزمة مخرجا من الأزمة ! وإن بدا ذلك متناقضا . كان يرجو أن يكف أعوان الملك من غلوائهم ، ويصالحوا على الثورة نفوسهم ، ولكنه ما لبث أن عرف أنهم لا يزالون يبيتون لها وهم بذلك يرسمون طريقهم إلى الهاوية ويجرون معهم مليكهم المسكين . ومن له بأن يدرك هؤلاء عاقبة طيشهم ؟

يالله ! ألم يأن للذين استذلتهم شهواتهم وحطمهم كبرياؤهم أن يفيقوا من غمرتهم ؟ ما بال فرساي تتحدى في أشخاصهم باريس ؟ ما بال أوانس البلاط وفرسانه تخف أحلامهم فيهينون في حفل بهيج يقيمونه لفرقة سويسرية من فرق الحرس الملكي شعار الثورة ويسخرون من مبادئها ؟ يا ويحهم ! ألم يكفهم ما باتوا فيه يتقلبون من نعمة ، فهم ضاحكون ممن يبيتون على الطوى ويفيقون على الوساوس والأوهام ؟ ولكن باريس ترسل الى أختها رهطا من نسائها وغوغائها ، فاذا الملك وحاشيته رهائن عندها يتخذ على ارغم منه من التويلري سجناً له !

أدر الدفة يا ربانها ! لكنها جمحت اليوم والتوت عليه . وأنى للجمعية أن تقنع بما كانت تقنع به بالأمس ؟ لقد صارت الكلمة امامة باريس وأندية باريس وصحف باريس !

وإن المرء ليتساءل لم يخاف ميرابو كل ذلك الخوف من خطوات الشعب وانتصاراته ؟ والجواب على ذلك يسير ، فقد كان يرى في خطة الشعب ما يباعد بينه وبين الملكية وما يحمل الملك وبطانته على الجد للقضاء على الثورة وهو لا يرى لها نجاحاً إلا في التوفيق بين القوتين ، هذا إلى ما كان يخشاه من احتمال تدخل أصحاب العروش لحماية عرش فرنسا إذ كان المهاجرون لا يفتأون يوقعون بينهم وبين شعبهم العداوة والبغضاء ، وأهم من ذلك كله فقد راحت الجمعية تعلن حقوق الانسان وتثير عقيم الجدل حول الدستور ، دون أن تتناول مشاكل البلاد الأساسية بالحل . فلقد ظلت الحالة المالية على ما هي عليه إن لم تكن ازدادت سوءا ، وتعقد الموقف السياسي بين فرنسا وانجلترا والنمسا ، ومما ضاعف حرج الموقف أن الجمعية رأت ألا تجعل للملك سلطة فعلية في الاعتراض على القوانين ، وفي اعلان الحرب والسلم ، ولقد هال ذلك ميرابو فقال يوماً لصديقه لامارك : « إن البلاد مقدمة على أشد ضروب الفوضى ، وما لم تتدارك الملكية فلفناء مصيرها حتما ، ويوم يحيق بها الفناء وتضرب الفوضى بجرانها يساق الشعب إلى الرضى بالاستبداد المطلق ، إذ يكون المستبد في تلك الحال في نظره هو المنقذ الصالح » . وإنك لتراه بهذا كأنما يرى المستقبل ويصف لك مذابح سبتمبر وعهد الارهاب وديكتاتورية روبسبير مما يدل على لقانة مدهشة !

وقف في الجمعية وكانت قد انتخبته رئيساً لها يدافع في عزم وقوة عن حق الملك في الاعتراض على القوانين ، داعياً بكل ما في وسعه إلى تقرير مبدأ الملكية الدستورية ؛ ولا تسل عما كان يبذله من جهد أعانته عليه قوة بدنه ، وعما كان يعرض من آراء أوحت بها اليه دقة فهمه ، وبعد نظره ، وصدق تجربته ؛ وهو في هذا الموقف الذي يؤود حمله الجبابرة لا يغفل شؤون وطنه فيفاوض (بت) في انجلترا ، ويلتمس حلا لارضاء النمسا ، ويلقي على الجمعية البيانات المسهبة في المشكلة المالية ، ويلفت اليها أصحاب الرأي . وجملة القول أنك تراه يعمل عمل رئيس حكومة ، وإن لم يكن له مركزه ، حتى لقد وصفه كاي ديمولان بطل المجوم

على الباستيل بأنه « قنصل أكثر منه رئيس جمعية دستورية »

ألا ترى فى ذلك الاخلاص كأروع ما يكون الاخلاص ، وتلمس فيه الرجولة كأقوى ما تكون الرجولة ؟ ألا ترى كيف ينسى الرجل نفسه ، ولا يذكر إلا وطنه ؟ ولكن الجمعية وا أسفاه قد خذلته حين كان ينتظر منها العون . وظلمته حيث كان يطالب اليها الانصاف !

أخذ الشك فى نياته يتسرب إلى نفوس النواب ، والشك إذا تملك النفس يعمى ويصم ، وليس مثله داء يبدل عرف الناس نكرا ، ويجعل نهارهم ليلا ، ويلبس الحق بينهم بالباطل . انظر إلى هؤلاء النواب كيف يرون فى رجلهم اليوم رجل الأمس ، تخيفهم طويته وإن أعجبتهم حجته ، أو تريبهم حماسته وإن هزتهم فصاحته ، وتدفعهم إلى معارضته بديهته وإن أنقذتهم يقظته ! ولكن أخيل الثورة لم تلن قناته وإن جاء غمزها ممن يعمل لهم ، ولم تنفك عنه عبقريته وإن التوت عليه الأمور أو كادت ؛ وظل يبسط آراءه للناس وينذرهم أن الثورة تقتل نفسها إن جرد الملك من سلطانه وجعل التشريع والتنفيذ جيماً للشعب . وكان قد أدرك يومئذ أن الملك بعد أن صار رهينة فى باريس ، وبعد أن ترامى إلى سمعه وسمع حاشيته ما يريد العامة بنفوذه ، وما تقول الصحف عنه ، لابد أن يفكر فى الالتجاء إلى أعداء البلاد ، وما لبث ميرابو أن تحقق من ذلك ، إذ علم أن المفاوضات كانت جارية بين البلاط الفرنسى والبلاط النمسوى ؛ ومعنى هذا أن الحرب عما قريب ستكون كبرى مصائب البلاد !

وفى هذا الجهد الذى يبذله ميرابو دليل على مقدرة فائقة فى السياسة تزيد إعجابنا بهذا الرجل ، ويدحض فرية من يصفون أعماله بالهدم ، وتسخر ممن يذكرونه فيجرؤون على تسميته كبير الغوغاء ! على أن لكل عظيم حساده وأعداءه ، كما أن له مناصريه وأصفياءه . وليست الحنكة السياسية بحسب ما ينطوى عليه موقف ميرابو ، بل إن المرء ليعجب ببسالته ، حين يواجه الثوار بتلك الآراء وحين يترفع عن تملق الشعب واسترضائه ، وحين يجعل الاخلاص لما يرى أنه الحق فوق العواطف والأهواء الشعبية ، ولو لم يكن له غير ذلك من المآثر والصفات ، لعد بذلك الخلق وحده عظيما من العظماء !

يئس ميرابو من النواب ولكنه لم ييأس من نفسه وسنراه اليوم يخطو خطوة جعلها خصومه كبرى خطيئاته ، وأود لو أجعلها كالعنوان من حسناته لولا ما أحاط بها من ظروف وما اكتنفها من ظنون ، بل وما لحق بها من عيوب !

كان طبيعياً أن يلجأ إلى الملكية بعد أن أعياه صرف الشعب عن غيه ، وبعد أن حيل بينه وبين منصب رسمى يستعين فيه بالقوة على تنفيذ سياسته . ولو أن نواب الجمعية أدركوا حقاً مصلحة وطنهم لعلموا أن هذا الرجل كان يومئذ خيراً من يضطلع بأعباء الحكم . ولكنه حين اقترح عليهم السعى إلى استبدال الوزارة القائمة بوزارة قوية بادروا إلى اصدار قرار يحرم الوزارة على كل عضو من أعضاء الجمعية ، وما كان المقصود بهذا القرار سوى ميرابو وحده !

ولقد ثارت ثائرته لهذا القرار ، فلم يتمالك أن صاح بالنواب قائلا : « سوف تذرفون الدمع دماً على ما تفعلون » . وندم ميرابو أشد الندم أو قل أسف أشد الأسف على أن لم يكن بباريس عقب سقوط الباستيل ، إذ لولا غيابه عنها لتشييع رفات والده لانتخب عمدة لها بدل باى ، ولقد كان هذا المنصب يمكنه من صد تيار العنف أو على الأقل يمهد له سبيل الاتصال بالملك .

وهل كان فى تطلع ميرابو إلى الحكم ما يشينه ؟ كلا بل إن فى ذلك ما يزيدنا احتراماً له وتقديراً لسياسته ما دام الحكم إحدى وسائله إلى تنفيذ غرض يعتقد حقاً فى صلاحيته ، فضلا عن دفعه به خطراً يكاد يجتاح البلاد . وإن أعجب فعجب عد ذلك من نقائصه أو من نقائص أى زعيم فى مثل موقفه يرى فى الحكم طريقاً إلى الخلاص ! إن النقيصة كل النقيصة ألا يسعى الزعيم فى تلك الحالة ما وسعه السعى للوصول إلى الحكم

خطا ميرابو خطوته نحو الملكية ووسط صديقه لامارك لدى البلاط ، وأخيراً قبل الملك أن يستعين بآرائه ، وصار ميرابو منذ مايو سنة ١٧٩٠ المستشار السرى للملك ! وهنا يأبى سلوكه الخاص إلا أن يختلط بسياسته العامة فيلحق بها كثيراً من الشوائب أطلق الناس فيما بعد من أجلها الستهم فيه بكل فاحش من القول وباطل من الاتهام . وبيان ذلك أن ميرابو وقد غرق فى الدين من أخمصيه إلى قمة رأسه بسبب تبذيره من ناحية

وبسبب انشغاله بشؤون وطنه عن شؤونه الخاصة من ناحية أخرى ، قد قبل أن يدفع عنه الملك ديونه وأن يجعل له أول كل شهر ستين ألفاً من الفرنكات

أيفسر عمله هذا بالخيانة ؟ ويعتبر قبوله المال رشوة ؟ هل غير خطته فمالأ الملك على حساب أمته فى نظير ما أخذ من مال ؟ كلا ! بل لقد ظل أميناً لمبدئه وفياً لوطنه ، إذاً فمن الظلم أن يفسر عمله بالخيانة ، ومن الاسراف أن نعتبر قبوله المال رشوة ، بيد أنى وإن نفيت الخيانة والرشوة عنه وشايعت من يعتبرون هذا المال مكافأة له على خدماته ، لا يسعنى إلا أن أقرر أنه ليؤلمنى أن يلجأ من كان له مثل عظمته وبسالته إلى العمل فى الخفاء مهما كان من نقاء طويته ومهما جر ذلك من غضب الشعب عليه ، كذلك ما كان لزعيم أن يبيع خدماته بالمال ولو عدم قوت يومه

أخذ ميرابو يقدم التقارير للملك ، كما أخذ يدافع بكل ما فى نفسه من قوة عن مبدأ الملكية الدستورية ، ولكن الجمعية أوشكت أن تتم الدستور فى سبتمبر وجعلت حق الملك فى الاعتراض على القوانين حقاً معلقاً ، ولم يدع الملك سوى الاذعان ، فلقد أصبحت باريس قوة خطيرة وظهر اليعاقبة أبطال الارهاب فيما بعد واستهان الناس بالملكية واجترأت عليها الصحف والأندية

على أن الأمر قد أصبح اليوم أعظم خطراً من الدستور وما يتصل بالدستور . فلقد يئس الملك من الثورة وما تدعو إليه ويئس أصحاب الثورة من الملكية وما تحافظ عليه ، ولذلك لم يكن عجباً أن يلجأ الملك إلى أعداء فرنسا ، وأن يلجأ الثوار إلى الاستعداد واليقظة حتى لقد عول الملك على الهرب سراً !

وكان ميرابو الرجل الوحيد الذى لم يأخذه دوار الزوبعة فألم بالموقف من شتى نواحيه ، وتمثلت لعينه الساهرة تلك الهوة السحيقة التى أوشكت أن تتردى فيها البلاد ، فتلفت حوله عله يصيب من يعينه ، فهذا موقف يتطلب معونة الرجال ، ولكن بصره وا أسفاه ارتد إليه خائباً ، فلقد أبى سوء طالعه ، أو على الأصح سوء طالع فرنسا إلا أن تحرم من خبرة الرجل الوحيد الذى كان يستطيع خدمتها ، إذ أحيط بالريبة من جميع الجهات . تطلع إلى الملكة وكان يقول : « إنها الرجل الوحيد فى حاشية الملك » ، ولكن الملكة لم تر فيه سوى صعلوك يتكلف خلال العظماء على حساب الظروف ، وتطلع صوب الملك ، ولكن الملك ما وثق به يوماً وما كان يرى فيه إلا خصماً يظهر عكس ما يبطن ، ولذلك اتقى شره فاشتراه بماله واحتمى خلفه . كتب شاتوبريان بعد الثورة يقول : « كانت المأساة الحقيقية أن الملك فى أحرج أيامه لم يثق فى هذا الرجل ، وما كان يضره أن جاء ذلك متأخراً . وما كان يضره أن يعمل بنصائحه أو أن يتقبلها قبولاً حسناً ولو فى ظاهر الأمر ، وأى مأساة لعمرى أفظع من أن تهيئ الأقدار رجلاً مثل هذا ، وفى مثل هاتيك الظروف فلا ينتفع به ؟ ! على أنه وقد أعوزه الرجال قد اهتدى إلى رجل واحد ، وذلك هو شخصه ، هو نفسه ، فأطلع الملك على جلية الأمر ذاكراً له أن الهرب معناه التنازل عن العرش وضياع حقه فيه ، وما على مولاه سوى أن يخرج فى جيشه إلى مدينة غير باريس فيتجه كم إلى شعبه طالباً إنصافه ومعونته معلناً رضاءه عن مبادىء الحرية والمساواة ، ولو فعل لا نتصف له الشعب ، ولكنه لم يفعل وما كان مثله ليستطيع ذلك ، وليس من يفكر فى الهرب بقادر على أن يواجه الحقائق

ولكن هل يدنو اليأس من ميرابو ؟ كلا . فما كان ليزداد على الشدة إلا مضاء وعزماً ، فوقف كالطود يتأتى عن البلاد السهام ويطرد عنها شبح الحرب ، ويجد فى انقاذها من الجوع ، ويسعى فى التقريب بين الملك والثورة ، يواصل العمل طيلة يومه وشطرا من ليله حتى لقد قال عنه كاى ديمولان : « لقد كان يوم هذا الرجل بعشرة أيام من عمر غيره »

ولكن الموقف ازداد سوءا على سوء حين وقفت الجمعية موقفها من رجال الدين وأعلنت الدستور المدنى للكنيسة بحيث صار منصب الأكليروس بالانتخاب على أن تدفع لهم الحكومة أجرا وتستولى على أراضى الكنيسة وعشورها مما أغضب البابا وأزعج الملك فأعلن اعتراضه على قرارات الجمعية ، ولكن أنى للجمعية أن تفرض له اليوم وجودا ؟ لقد أجابت على عمله بأن من لا يقسم اليمين على احترام ذلك الدستور جزاؤه الطرد

أدر الدفة ياربانها ! لكن الأيدى تتكالب اليوم عليها والريح جائحة عاتية . والربان يغالب المرض ويتحامل على أعصابه ، بل ويستمهل الموت . ما باله يدخل الجمعية فى مارس سنة ١٧٩١ مصفوراً مضموناً على خلاف عادته ، ما باله يكتنز كل يوم وما بال بريق عينيه يتضاءل لولا ما يشع فيهما من يقين وعزيمة ؟ ترفق

أيها الموت بالربان ! إنه رجل أمة بل إنه أمة فى رجل !

يالقسوة القدر ! ولكن أنى لجسم مهما كانت قوته أن يطيق مثل ذلك النصب ؟ وحسبك أن تعلم أنه خر مغشياً عليه فى أواخر مارس وهو فى طريقه إلى الجمعية ولكنه على الرغم من ذلك وصل إليها وألقى خطاباً مطولا . لا . إنه يسر إلى صديق من أصدقائه أنه يموت !

وفى أوائل ابريل فى أشد ما تكون الحاجة اليه يرقد هذا الطود الأشم ، ويحيط الناس بمنزله من جميع الطبقات والهيئات ، والأطباء يصدرون تقاريرهم مرة كل ثلاث ساعات ، والملك يستفسر فى السر مرات وفى العلن مرات ، والأندية تستنبئ عنه بلا انقطاع ، والشعب يلفظ أنفاسه فى انتظار ما يطمئنه وقد غشيه من الهم ما غشيه

والرجل عظيم فى الموت كما كان عظيما فى الحياة ، يقول لصديق يسند له رأسه : « ليتنى أعيرك هذا الرأس » ويسمع صوت المدفع فيقول : « أهكذا يحتفى بدفنى كأخيل » ويتذكر الملكية فيقول والأسف يمزق نياط قلبه : « إنى أحمل معى الملكية إلى القبر » ويفيق الناس من غشيتهم على الخبر الفاجع ، فتفيض عيون وتدمى قلوب ، ويخرج شعب بأسره يشيع جثمان رجله ، وتقضى العاصمة أياماً فى حدادها ، ويجهش أشداء الرجال بالبكاء فى طرقات الجمعية وفى ردهات البلاط ، ثم ... ثم تسير السفينة بلا ربان !

إنه فرد ينقص من البلاد ، ولكن فرنسا يزعجها ويهولها ما ترك وراءه من فراغ ، ولم تلبث الكوارث أن داهمتها من كل صوب ، فلقد فر الملك وألقى القبض عليه عند الحدود ، ثم وقف عن عمله ، واندفعت فرنسا فى طريقها إلى الحرب ، ثم إلى إعدام الملك ، ثم إلى المذابح الأهلية وعهد الأرهاب !

ولو عاش ميرابو عاماً واحداً لتغير تاريخها ، بل وتاريخ العالم ؟ ولكن للقدر أحكاما مباغتة هى التى تصنع التاريخ !

الخفيف

٢ـ التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

أظهرت فى المقال السابق الوجوه التى تربط بين التعليم والحالة الاجتماعية ، وعددت كثيراً من التأملات التاريخية التى قد يكون لها اتصال كبير أو صغير بالحالات الجديدة التى تكتنفنا ، غير أن الاقتصار على تعديد وجوه الارتباط بين التعليم والحالة الاجتماعية ، والقول بأن التعليم يجب أن يتجه اتجاهاً اجتماعيا ، أمر يجب أن يعزز باظهار المخاطر الشديدة التى يتعرض اليها كياننا الاجتماعى من جراء الفصل بين سياسة التعليم ، وبين ملابساتها الاجتماعية

ولقد ظهر فى العهد الأخير أن القائمين بأمر التعليم قد اضطروا فى مواقف عديدة أن يتجهوا إلى معالجة بعض الأمور علاجاً قائماً بعض الشىء على طبيعة الحالات الاجتماعية . وانى لآسف إذ أقول إنهم لم ينجحوا فيما قصدوا إليه . وليس السبب راجع إلى قصور منهم ، أو تقصير عن أداء واجباتهم كاملة ، وإنما يرجع فى الحقيقة إلى أن سياسة التعليم الحاضرة لا تواتيهم بكل الأسباب الضرورية التى تمكنهم من تنفيذ برامج تتفق وما تتطلب الحالة الاجتماعية من صنوف العلاج . ولا أريد أن أعدد هنا حالات بذاتها ، وإنما أريد أن أبحث فى مجمل الظواهر التى تترتب على الفصل بين سياسة التعليم والملابسات الاجتماعية ، قدر ما تتيح لى تجاربى القليلة

***

كتب الفيلسوف هربرت سبنسر فى أواخر القرن الفارط مقالاً عنوانه « الكائن الاجتماعى » شبه فيه بنية الاجتماع الانسانى بكائن متعضن ، وأخذ يقيس الظواهر المتقابلة فيهما ويوازن بين حالات خاصة فى جسم الفرد وجسم المجتمع . ولا شك فى أن هذا الفيلسوف الكبير قد غفل عن أمر ذى بال جعل بحثه هذا محتاجاً الى كثير من التحوير ، بل لا نبالغ إذا قلنا إن غفلته عن ذلك الأمر قد أثرت فى النتائج التى حاول الوصول اليها فجاءت مفككة غير موصولة ولا مؤدية إلى فكرة محدودة ينتهى إليها البحث . ذلك بأن بين الحى والكائن الاجتماعى فروقاً رئيسية تميز بينهما تمييزاً لا يقف عند حد الظواهر ، وإنما يتعدى إلى التكوين الوظيفى فيهما . وقد يعلم الذين يدرسون علوم الأحياء أن الحى يتكون من خلايا دقيقة هى وحدات بسيطة التركيب تحتوى على نواة هى سر الحياة فيها . ولكن اجتماع هذه الوحدات البسيطة التركيب ينتج حياً عويص التركيب معقد التكوين جهد ما تتخيل . ذلك فى حين أن الكائن الاجتماعى إنما هو كل بسيط التكوين يتركب من وحدات غاية فى التعقيد وعلى معرفتك هذا الفرق الوظيفى ، يتوقف وصولك إلى النتائج الصحيحة . فالخلايا لا قوام لها ولا حياة بغير اندماجها فى بنية الشكل الحى . أما الوحدات (الذوات العاقلة) التى يتركب منها الكائن الاجتماعى ، فكلما كانت أكثر استقلالا عن ذلك الكائن برز أثرها وتميزت وظيفتها واستبانت قيمتها ورجح فرعها وأصبحت قوة قادرة على التأثير فى الكائن الاجتماعى بما يحفظ عليه حياته الاجتماعية ويحركه نحو الرقى الاجتماعى ويبث فيه روح التطلع إلى الارتقاء المدنى ، وبالجملة على جملة كائناً اجتماعياً ممتازاً بأثره العملى فى الحياة ذلك على الضد مما لو اندمجت هذه الوحدات العاقلة فى بنية الكائن الاجتماعى . فانها إذ ذاك تفقد استقلالها وقوتها على التأثير بالعمل على رقى الجماعة ، لأن اندماجها هذا إنما يسلبها القدرة على التفكير والتأمل فى حقائق الأشياء ، ويفقدها أخلاقها الشخصية ، وبوجه عام يدمجها فيما يسميه الاجتماعيون « عقلية الجماهير »

هذه حقيقة أولية ، على ما فيها من تعقيد وحاجة إلى الفهم ، من الضرورى أن نعيها وأن نجعلها نصب أعيننا كلما فكرنا فى وظيفة التعليم باعتباره عاملاً من عوامل استقرار الحالات الاجتماعية فى كل أمة من الأمم . أما وقد وعيناها فانا نتساءل : أيرمى التعليم عندنا باخراج رجال فيهم من الاستقلال الخلقى والعلمى ما يجعلهم فى المستقبل قوى مؤثرة فى الكائن الاجتماعى ، أم على العكس من ذلك يخرج رجالاً قُصَّاً يكتفون من الحياة بالاندماج فى جسم الكائن الاجتماعى ، فيظلون طوال أعمارهم مغمورين

فى عقلية الجماهير ؟ وإنى لآسف إذ أقول إن تعليمنا بعيد عن أن يخرج رجالاً مستقلين على النمط الذى تتطلبه طبيعة الحالات الاجتماعية الجديدة التى أخذت تشعرنا بأنا مقدمون على انقلابات فكرية خطيرة .

إذن فواجب التعليم ينبغى أن ينحصر فى إخراج رجال مستقلين بعيدين عن التأثر بروح الجماهير . وتكوين استقلال الفرد يجب أن يكون بداءة التعليم ونهايته . أما العمل على شحن العقول بشتى المعلومات العلمية وتكوين ملكات خاصة فى الأدب والفن ، فلن يكون لها من أثر فى الحياة ، ولن تقوم من عوج الكائن الاجتماعى مالم يسبقها الاستقلال الذاتى وتدريب الملكات الخاصة على مماشاة ما تتطلبه مقتضيات ذلك الاستقلال

ولقد أظهرنا فى المقال السابق أن ابن الفلاح أكثر استقلالا من الناحية العملية من المتعلم الذى فقد استقلاله الذاتى بحكم الظروف التى نشأ محاطاً بها . غير أن استقلال الفلاح العامل استقلال ناقص ، إذ هو استقلال أشبه بالاستقلال الحيوانى منه بالاستقلال الانسانى ، ذلك بأن عدته فى هذا الاستقلال تقوم على قوة عضلاته وعلى صبره واحتماله ورضاه بمحيطه الذى يعيش مكتنفاً به . وعامة ذا ليس فيه شىء من مؤهلات الاستقلال الانسانى ، وإنما هو استقلال يشارك فيه الفلاح كثيراً من الحيوانات . وعلى ذلك نجد أن ما عندنا من مكملات الاستقلال الفردى عند الفلاح تنقصه الناحية الثقافية التى تمكنه من أن يصبح ذا أثر عملى فى تكييف حالات الكائن الاجتماعى . ولكن هذا الاستقلال مهما كان فيه من ضروب النقص فهو استقلال على كل حال . أما المتعلم المتعطل فحالته تناقض هذه الحال . فان تعليمه لم يمكنه من أن يكون مستقلا من ناحية الثقافة ، فى حين أن نشأته ومحيطه قد سلباه ناحية الاستقلال الأخرى

أما الأسلوب الذى يجب أن ينتحى فى التعليم حتى يكون أداة صالحة لتخريج رجال مستقلين ذوى أثر فى تكييف حالات الكائن الاجتماعى ، فسنفرد له بحثاً خاصاً . وسنقصر كلامنا الآن على المخاطر التى يتعرض لها كياننا الاجتماعى من وجود فلاحين استقلوا حيوانياً ، ومتعلمين فقدوا كل ضروب الاستقلال

على الرغم من أن الأخطار التى يتعرض لها مجتمع تناحرت عليه كل هذه الظواهر كثيرة متعددة ، فان أعظم هذه الأخطار وأشدها أثراً فى مستقبله ، إنما ينحصر فى حدوث ما يدعوه الاجتماعيون « التطفل الاجتماعى » . والتطفل الاجتماعى حالة ترهق فيها طبقات غير عاملة طبقات عاملة بمطلوبات حياتها . ولهذا التطفل مظاهر عديدة أخبثها أن تكون الطبقة المتطفلة هى بذاتها صاحبة السلطة العليا فى المجتمع ، كما حدث فى أوروبا فى خلال القرون الوسطى ، وكما هى الحال فى كثير من ممالك الشرق فى حالته الحاضرة . والويل لمجتمع تسود فيه هذه الحال

***

التطفل حالة طبيعية لا سبيل إلى نكرانها . فهنالك حيوانات تتطفل على نباتات ، ونباتات تتطفل على حيوانات . وقد يتطفل حيوان على حيوان ، أو نبات على نبات . فهو ظاهرة تكاد تشتمل كل نواحى العالم الحى ، وتحتكم فى الكثير من مظاهره الجلى . غير أن نظرة واحدة فى هذه الحقيقة الطبيعية تظهرك على أن التطفل حيثما كان وأنى كانت وسائله ومظاهره ، لن ينتج إلا هدماً فى الحياة ، ولن يبرز إلا فسادا ، ولن يؤدى إلا إلى إرهاق شامل فى القوى الحيوية تختلف درجاته ومظاهره ونتائجه باختلاف الظروف . وقلما يستطيع عالم طبيعى أن يخص تلك الظروف التى يتجلى فيها فعل التطفل فى عالم الأحياء ، فان ذلك من الأشياء التى يستعصى على العلم تحديد مظاهرها عامة وخاصة ، وفعل كل متطفل فى مختلف الظروف ، على كل متطفل عليه فى متباين الحالات . وإنما يستطيع الاحيائى أن يدرس ظواهر التطفل فى حالات يقف عليها ، وأن يدرس أثر الحى المتطفل فى بنية الحى المتطفل عليه ، محصياً فى كثير من الحالات أوجه العلاقة بينهما وتأثير دورة حياة الحى المتطفل فى حاضنه

ولن يعدو العالم الاجتماعى هذه الحال عينها . فليس فى مستطاعه أن يحصى أوجه التطفل الاجتماعى فى مجتمع بعينه ، ولا يدرس الحالات درس توفر على دقائقها وتدرجاتها التى تكفل له الوصول إلى نتائج مقطوع بصحتها قطعاً تاماً . والعالم الاجتماعى أضعف وسائل من العالم الطبيعى . فان هذا بين جدران معمله ، يستطيع أن يحصر الحالات ويحدد الظواهر ، فى حين أن زميله الاجتماعى إنما يتأمل من حالات عامة غير محصورة ولا محددة

تحديداً يحمل الحكم القاطع على أصولها وظواهرها أمراً سهلا هيناً . غير أن هذا كله لن يحول بين الباحث الاجتماعي وبين تبين الحالات الكلية التي يتخذ درس مظاهر التطفل الاجتماعي وسيلة إلى اكتناهها .

من الحالات الكلية في التطفل الاجتماعي ، بل ومن أظهر تلك الحالات أثراً في الجماعات الحديثة عامة ، وفي مصر خاصة ، تسلط غير ذوي الكفايات ، وإن شئت فقل المتعطلين ، على موارد ما تنتج الأيدي العاملة من ناحية ، وعلى إنتاجها نفسه من ناحية أخرى ، من غير أن يكون لهؤلاء المستغلين أي ضلع في تكوين المورد أو في الانتاج . من هنا تحدث حالة من حالات التطفل الاجتماعي تستنفد فيها أيد متعطلة ثمرات الجهود التي تبذلها أيد عاملة ، بغير أن تنال الأيدي العاملة من ثمرات جهودها ما يكفي لحفظ حيويتها أو قدرتها على العمل والانتاج . فان من شأن المتطفل أن يجتهد في استغلال حاضنه بكل صور الاستغلال ، وأن يبلغ من الانتفاع بحيويته جهد ما يستطيع ، وكلما قلت قوى المقاومة في الحاضن ازداد المتطفل شرة وبأساً ، حتى ينتهي الأمر بحدوث ما يسميه الاجتماعيون « بالتنكس الاجتماعي » وهي حالة تتساوى فيها طبقات المجتمع لا من حيث الكفايات العليا ولكن من حيث العجز عن العمل المنتج . وما لهذا الأمر من نتيجة إلا الفوضى القاصرة ، ولا ينكر أحد أن في مجتمعنا هذه الظاهرة الخبيثة . فالأيدي العاملة لا تنال من منتوج عملها ما يكفي للاحتفاظ بحيويتها ، والأيدي المتعطلة تبدد ثمرات تلك الجهود . وعلم ما يترتب على ذلك عند الله .

ومن تلك الحالات هجر الريف والعيش في المدن . ولقد بحث هذه الظاهرة كثير من الكتاب منهم : أدمون ديمولاند الفرنسي ، والأستاذ استن فريمان الأنجليزي ، في بحوث مستفيضة عالجوا فيها الحالات التي نشأت في فرنسا وانجلترا وعطفوا ببعض الشيء على حالات نشأت في غيرهما من بلدان أوربا . ولا جرم أن هذه الحالات تتشابه . فالأسباب التي تدعو الفرنسي أو الأنجليزي إلى هجر الريف والاقامة في المدن ، أو بالأحرى حب التحضر (بمعنى المعيشة في الحواضر) تكاد تكون نفس الأسباب التي تحمل المصري على أن يفعل ذلك . غير أن النتائج تختلف باختلاف البلدان على مقتضى ما في كل شعب من الاستعداد والصفات ، وفي الأكثر على مقتضى الثقافة التقليدية التي يختص بها كل شعب من الشعوب

ولسوف نبين في مقال آت فكرتنا في أثر الثقافة التقليدية في الكيان الاجتماعي بكل أمة من الأمم . ونكتفي الآن بأن نقول إن شعبا كالشعب المصري الزراعة ثقافته التقليدية منذ أبعد عصور التاريخ ، لابد من أن يتأثر بزيادة الميل إلى التحضر تأثراً عظيما لا يحسه شعب آخر ثقافته التقليدية غير زراعية . بل على الضد من ذلك أعتقد أن الشعوب التي تكون ثقافتها التقليدية صناعيـة أو تجارية ، يجب أن تحتمي بحياة التحضر صيانة لمصالحها العامة . أما تحضُّر شعب ثقافته التقليدية الزراعة ، فتلك هي الطامة الكبرى على كيانه الاجتماعي ؛ وتلك هي الطفرة المظيمة إلى أبشع صور التطفل الاجتماعي

ونحن نعلم علم اليقين بأن مدننا المصرية مدن غير صناعية بالمعنى المفهوم من ذلك في أوربا . بل أعتقد وأظن أنني أعتقد بحق ، أن مدننا ليست إلا أسواقاً تستهلك فيها منتوجات الريف ؛ وهذه الحقيقة وحدها كافية لأن تظهرنا على أن ميلنا إلى التحضر ، مع التعطل عن العمل يرهق المنتج ويرهق السوق المستهلكة ؛ لأن المتعطل في الواقع عبء على الجمعية ؛ ذلك بأنه قوة مستنفدة لا قوة منتجة من ناحية ، ولأن الحاجات التي يستنفدها لا ينتج ما يقابلها لصالح الجمعية من ناحية أخرى . وبذلك يصبح المتعطل عبئاً على الحاضرة التي يسكنها ، وعبئاً على العناصر المنتجة معاً . وهنا يتضاعف تطفله ، إذ يصبح متطفلاً باعتبارين : الأول أنه يزاحم أهل المدن ويشاركهم أرزاقهم من غير إنتاج من ناحية ، والثاني أنه يرهق العناصر العاملة في الريف بأن يستهلك ولا ينتج ، وبالأحرى بأن يأخذ ولا يعطي

ومن تلك الحالات ما يسميه الاجتماعيون « الجشع الاجتماعي » Pleonexia ؛ ولا أريد هنا أن أطنب في تعريف « الجشع الاجتماعي » ولا أن أناقش في مختلف التعاريف التي وضعها المؤلفون الذين أتيح لي الاطلاع على مؤلفاتهم ، وإنما اقتصر على ذكر حالات يستطيع القارىء أن يدرك منها ، مطبقة على حالات تقوم بين ظهرانينا ، ما يقصد بالجشع الاجتماعي

وعندى أن أخبث مايؤدى إليه الجشع الاجتماعى من تكييف عقلية طبقات خاصة فى مجتمع ما بمقتضياته ، إنما ينحصر فى أن تتطفل جماعات ، لا أفراد ، على جسم الـكائن الاجتماعى . وقد تلبس الجماعات التى تنتابها سورة الجشع الاجتماعى صوراً مختلفة ، فمن اتحادات تجارية إلى اتحادات صناعيـة إلى جمعيات علمية أو اقتصادية أو سياسية ، تتخذ التأثير فى عقلية الجماهير بمختلف الوسائل طريقاً تسلكه إلى غرضها الذى ترمى إليه ، والذى يجعلها جديرة بأن تنعت بأنها جماعات مصابة بجنون الجشع الاجتماعى . أما ذلك الغرض فينحصر فى أن تنال من الجمعية أقصى ما يمكن أن تصل إليـه من الربح المالى أو النفوذ أو السلطة أو الجاه أو الحكم بأقل جهد ممكن أن يبذل أو تضحية من ناحيتها

وفى مثل هذه الحالات تتضاعف خباثة التطفل الاجتماعى بأن يصير تطفلاً « مركباً » لا تطفلا بسيطا . ونعنى بالتطفل « المركب » أن هـذه الجماعات المصابة بجنون الجشع الاجتماعى يكون فيها عنصر خاص يعيش متطفلاً على جسم الجماعة نفسها . ذلك العنصر هو عنصر انتهازى لن تسلم منه جماعة أصيبت بذلك المرض الخبيث . فكما أن الجماعة تتطفل على جسم المجتمع ، يتطفل ذلك العنصر الذى هو « واجب الوجود » فيها بمقتضى تكوينها النفسى ، على بقية عناصرها

وتسير قافلة المتطفلين ، ولـكن إلى البوار الصرف . مثلها كمثل حُبَيْبَات زرعت على مادة هلاميـة فى زجاجة اختبار فى معمل من المعامل . فانها تتكاثر ثم تتكاثر ، حتى إذا ملىء فراغ الزجاجة واستحالت المادة الهلامية أجساماً حية انتكس الأمر وبدأت الأحياء تنحدر إلى الهلاك المحتوم

هذه إلمامات موجزة فى حالات نشاهدها قائمة من حولنا . فهل يمكن أن نتخذ التعليم أداة اصـلاح نتق بها بعض ما يكتنفنا من شرور وخبائث ؟ وهل يمكن للتعليم أن يؤدى إلى الأجيال المقبلة رسالة إصلاح عملى يرفع عن كاهلهم بعض ما نتوقع لهم من متاعب ؟ أظن أننا نستطيع أن نجيب بالايجاب ، وموعدنا البحوث الآتية

اسماعيل مظهر

ذكرى ساقيـــة !

للأستاذ على الطنطاوى

« ... ... كل ما فى الوجود يولد ويحيا ويموت :
ألا تمر بالدار ألف مرة فلا تلتفت اليها ، ولا تحس بها .
ثم ترى فيها انساناً يتصل قلبك بقلبـه ، أو يمتلىء فؤادك بحبه ، فاذا هذه الدار « تولد » فى فـكرك و « تنمو » وتزداد لهذا الانسان حباً ، فتزداد الدار عندك حياة ؛ ثم ينزح الحبيب عن الدار ، فاذا هى « تموت » وإذا أنت تألم لموتها ، وتبكى فيها ذكريات لك عزيزة ، وماضياً لك حلواً ؛ ثم تمحو الأيام هذه الذكر ، وتنسيك هذا الماضى ، فاذا الدار قد عادت إلى العدم ، كما بدأت من العدم ، وإذا أنت تمر بها من بعد ألف مرة ، فلا تلتفت اليها ، ولا تحس بها ؟ ... »

من مقالة لى قديمة « على »

هى ساقية صغيرة عرفتها من يوم عرفت الدنيا ، تجرى فى رحبة (الدَّحداح) ، فى ظاهر دمشق ، فـكنت أزورها دائماً ، وأجلس اليها راضياً وساخطاً ، مسروراً ومكتئباً ، شجىّ النفس وخلىّ البال ، فأحدثها حديث سرورى ورضاى ، وأبثها شجوى واكتئابى ، فأجـد فيها الصديق الوفىّ ، حين عزّ فى الناس الصديق ، والأخ المخلص حين ارتفع من الأرض الاخلاص ؛ وكنت أفرّ اليها كلما نابتنى من الأيام نائبة ، أو نالنى الدهر بمكروه ، فأجد فيها عزائى وأنسى ، وراحة نفسى . . . فررت اليها أمس كما كنت أفرّ ، فاذا الأرض غير الأرض ، وإذا الساقية قد عدا عليها الزمان فمحاها ، وأقام ذار البستانى على رفاتها . . .

فجلست على حافتها الجافة ، أودّع هذه البقعة الحبيبة إلىّ ، قبل أن تبتلعها المدينة الضاجة الصاخبة التى ابتلعت ما كان حولها من حقول واسعة ، ورياض وجنات ، وأشيع حياة لى فى هذه الساقية كلها سعادة واطمئنان ، عشتها كما تعيش الضفادع ، غير أن الضفادع تسبح فى ماء الساقية ، وتنام على كنفها ، وأنا أسبح فى ذكرياتى التى أودعتها حافتيها ، وآمالى التى رأيتها من خلال أمواهها . . . وهل يعيش ابن آدم إلا فى الساقية والطريق ، والقمر والمئذنة ؟ أليس فى كلّ ساقية يجلس اليها ، وكل طريق يسلـكها ، وفى القمر الذى يتأمل صفحته فى الليالى البيضاء ، والمئذنة التى يرى هلالها من شباك غرفته ، أليس فى كل ذلك

— أثر من نفسه — وقطعة من حياته ؟ . .

* * *

رحمة لك أيتها الساقية . . . منذ كم أنت تجرين وتسرعين ، أفبلغت غايتك بعد جرى القرون ، أم قطعك عنها عدو جبار ، أم أدركك عجز الشيخوخة وضعف الهرم ، فجف ماء حياتك ، كما تجف الحياة في عروق الشيخ القحم ، وفروع الشجرة النخرة ، وجدر البيت الخاوي ؟

وهل كنت تجرين يوماً واحداً لو عرفت أن غايتك الفناء وأنك إنما تسعين إلى أجلك برجلك ؟ وهل كان يبني الباني ، ويزرع الزارع ، ويعمل العامل ، لو عرف أن أجله أدنى إليه من أمله ، فبينما هو ينتظر إشراق الفجر ، إذ احتوته ظلمة القبر ، وبينما هو يحلم بالسراب ، إذ واراه التراب ؟

وهل كان يطمع في الحياة طامع لو عرف أن كل يوم يزيد من حياته إنما ينقص من حياته ، فاذا بلغ كمال الحياة فقد صار إلى الموت ؟

إن الانسان يأمل أن يملك الدنيا ويعيش إلى الأبد ، وأنت تأملين أن تصيري نهراً ثم تصبحي بحراً ، والله يريد أن تتم حكمته في الحياة فيسعى كل ساع إلى الفناء ، يدعوه الأجل ، ويحدوه الأمل . . . ولا رادّ لما أراده الله !

* * *

وهل كنت تذكرين أيتها الساقية أصدقاءك وأحباءك وتحنين إلى ذكراهم ، وتبكين عهدهم ؟ أم قد أمات حسك تقلب الأيام وغدر الزمان ، فأقبلت تجرين ، لا تذكرين ماضياً ولا تحفلين حاضراً ولا تنتظرين آتياً ؟

وهل تذكرين يوم فررنا اليك من شيخ الكتاب القاسي ، وعصاه الطويلة التي كان ينال بها رؤوسنا وهو على سرير ملكه ، في هذه الغرفة الضيقة ، المثقبة الجدران المسدودة النوافذ ، الفاسدة الهواء ؟ لقد مللنا البقاء في هذا السجن الرهيب ، فشكونا إلى أهلينا فما وجدنا مشكياً فتجاوزنا (البحرة الدفاقة[1]) وتخطينا هذا السياج ، ولجأنا اليك فما وجدنا منك إلا الكرم والعطف والاحسان ؟ آمنت خوفنا ، وبدلتنا بمدرسة الشيخ وعصاه ، هذه الدنيا الفسيحة وهذه الحقول التي لا تنتهي ، فطابت أنفسنا بجمال الكون ، وانجلت أبصارنا بمرأى البساتين ، ونظرنا من هنا فاذا قبة النسر ومآذن الأموي تشرف علينا جليلة عظيمة ، فاستشعرنا جلال الدين وعظمته ، ونظرنا من هناك فاذا قاسيون يطل علينا مشمخراً عالياً ، تقوم عليه الدور البيضاء ، والقصور الحمراء ، فأحسسنا جمال الدنيا ، وسموّ المجد ، وعزة الغنى ... وأدركنا بعقولنا الصغيرة أن الشيخ كان على ضلال ، وأن أهلنا كانوا على خطأ ، وأن العلم قد يحصل في الدنيا الواسعة ، والبقاع الجميلة ، أكثر مما يحصل في السجون والكتاتيب ، وأن جمال الحقل ، أبلغ في التهذيب من عصا الشيخ

في تلك الساعة عرفتك أيتها الساقية ، فمنحتك الودّ والاخلاص ، وجعلتك صديقي إذ لم أجد في بيتي ومدرستي صديقاً ، وكنت أرى طيفك في أحلامي ، فأهش لك وأنا غارق في منامي ، وأتخيل صفاءك وعطفك ، وأنا بين يدي الشيخ الجبار ، يقرع رأسي بالعصا ، ويصرخ في وجهي بصوته الأجش الخشن :

ـ يا ولد يا خبيث . . . والله إن عدت الى الهرب كسرت ساقيك ، فلا أرد عليه ، وإنما أستر وجهي بكفي ، وأضحك بصوت غريب ، فيظنني أبكي ، فيدعني ... وينصرف الى غيري فأنظر من بين أصابعي ، حتى إذا رأيته قد غفل عني قفزت إلى الشارع ، فاختبأت في (جامع التوبة) أو أخذت طريقي اليك ، فآكل من الثمار التي حولك ، وأشرب من مائك ، وأصافحك بيديّ شاكراً ، وأمسح بكفيك وجهي . . . هل تذكرين ذلك أيتها الساقية ؟ . . .

هل تذكرين كيف جئناك بعد ذلك ، وقد تخلصنا من الشيخ ودخلنا المدرسة ، فوجدنا ساحة رحبة ومعلمين كثيرين ، وحصصاً قصيرة ، ولكنا لم نجد عطفاً ولا ابتساماً ؛ كان معلم الحساب يحبب الينا شيخ الكتاب ، حتى نراه إلى جنبه نعيماً ، كنا نرى طيفه أمامنا حيثما سرنا بشاربيه الكبيرين ، وتقطيبه الدائم ، ونظاراته التي يحدرها أبداً إلى أرنبة أنفه ، وصوته الذي يشبه صوت من يتكلم من وسط برميل ، فكنا نرجف من خياله ، ونخشاه أبداً ، إلا إذا أصبحنا في حماك ، فاننا نأمن ، ونطلق أنفسنا على سجيتها ، فنسخر من المعلم ، ونقلد الشيخ ، ونمرح ونعدو ، ثم نعود إلى الدار ونحن ممتلئون قوة ونشاطاً ، فاذا سألنا الأهل : أين كنتم ؟ قلنا : كنا في المدرسة ، وإذا سألنا المعلم قلنا : كنا في البيت ! فيصدقوننا جميعاً . . . أوليسوا قد حملونا على الكذب حملا حين كرّهوا الينا العلم ، ودفعونا إلى الفرار ، وعاقبونا على الصدق ، ولم ينتبهوا إلى الكذب ؟

(١) كانت يومئذ آخر حدود الشام من جهة العقيبة

وهل تذكرين يوم جاءت دمشق أولُ سيارة ، وكنا جالسين حولك نتحدث حديث الحرب وما يمكن أن يصل الينا من أخبارها ، فما راعنا إلا عربة غريبة الشكل ، تسير من غير أن يجرّها حصان ، فطار الفزع بألبابنا ، وفررنا نحسب أن الجن تسيرها ، ثم سمعناهم يدعوننا ، ورأينا ضباطاً تلمع الأوسمة على صدورهم والسيوف على جنوبهم ، فأمرونا أن نلقى الأحجار فيك أيتها الساقية ليمر عليها « الأطنبيل » فأطعنا وفعلنا مكرهين ؟ ومن كان يستطيع أن يخالف أمر ضابط من ضباط جمال باشا ؟ . . .

فلما صرت هرعنا إلى دورنا نخبر أهلنا أن عربة تمشي من غير أن يجرها حصان ... فتنبرى لى عمتى ، وتكذبنى وتسبنى :

— اخرس يا كلب ، يا كذاب ... إن هذا مستحيل

ولكن عمتى التى أبت أن تصدق أن فى الدنيا سيارة تمشى بنفسها ، قد عاشت حتى رأت الكهرباء .... والتلفون .... والراديو .... ورأت الدبابة والمصفحة والتراليوز ... ثم رأت أثر الحضارة فى أنقاض دمشق ... فصارت متهيئة لتصدق كل شيء !

وهل تذكرين كيف عدنا اليك أيتها الساقية فاذا أنت حردة غضبى ، قد وقفت عن سيرك ، وضللت طريقك ، فتطلعت الى اليمين والشمال ، والأحجار قائمة تسد عليك سبيلك فمالجناك واعتذرنا اليك ، وطيبنا قلبك ، وفسحنا لك السبيل ، فجريت مضطربة ، متغيرة الوجه ، تبكين أيامك الماضية ، وتخافين ما يأتى به الزمان ؟

وهل تذكرين يوم كنا حولك ونحن آمنون مطمئنون ، فاذا الأرض قد ارتجت ، وإذا الجيش التركى الذى كنا نخافه ونخشاه قد ذلّ بعد عزّ ، وضعف بعد قوة ، وفر متفرقاً حائراً لا يدرى أين يقصد ، ومن ورائه العرب والانكليز ، يدخلون الشام ظافرين ، فسررنا وفرحنا ، وصفّقنا وهتفنا . ولكنك جريت واجمة حزينة ، لأن حياتك الطويلة وما رأيت من دولة الدول ، وهلاك الملوك ، علمتك أن من يؤمن لمن لم يتبع دينه ، كمن يدخل النار ويرجو ألا تحرقه النار ؟ ثم حققت الأيام ظنك ، وصدقت حدسك ، فقلنا : ياليت ! « وهل تنفع شيئاً ليت ؟! »

وهل تذكرين يوم كنا جالسين اليك ، وحولنا هذه الحقول تمتد آمنة الى ما لا يدركه البصر ، وإذا بعدو جبار ، يأتى من وراء الحقول الآمنة ، فيشقها شقاً منكراً ، ويثغر فيها ثغرة هائلة حتى إذا بلغك ألقى عليك نظرة ازدراء واحتقار ، ثم سار فى طريقه حتى بلغ سفح الجبل ، فتمطى ثم تمدد ثم نام نومة الأبد ؛ وإن رأسه لفى الصالحية ، وإن رجليه لفى حىّ النصارى ... فلما رآه أحبابك وأصحابك آثروه عليك ، فلم يعد أحد يستطيب الجلوس إلى ساقية صغيرة ، بعد أن فتح (شارع بغداد) ليجول فيه الشبان كل يوم (بين حى النصارى والصالحية) مرجلة شعورهم ، مصقولة وجوههم ، يسيرون مائلين مميلين ... فصبرت وتجلدت ، ورجعت تجرين كما كنت منذ ثلاثة آلاف سنة .... كأنك لا تحفلين شيئاً ؟

***

لقد عشت عزيزة مكرمة ، منذ وطئت هذه الأرض أول مرة ، فلم ينتهك حرماتك أحد ، ولم يعث فى حرمك الآمن عائث ، رغم الحوادث والأرزاء ، أفانتهى بك الأمر أن يقتلك بستانى ؟ ... لقد سقيت هذا البستانى وأباه وجدّه ومن قبلهم إلى أربعة آلاف جد ، أفكانت عاقبة هذا الاحسان أنه لم يبن بيته إلاّ على رفاتك ، ولم يكن أساس منزله إلاّ قبرك ؟ لا بأس أيتها الساقية ، فان الانسان مذ كان منكر للمعروف جاحد للاحسان ...

لابأس ، فان ملكاً لن يدوم ، ولقد رأيت الترك والروم واليونان ، فهل رأيت ملكاً يبقى ، أرأيت الدنيا دامت على أحد ؟ أما كانت دولة الترك عظيمة ؟ أما جلّت دولة الرومان ؟ أبقى من هذا كله شيء ؟ لا ، يا أيتها الساقية إنه لا يبقى إلا الاسلام ، لأنه من ملك الله الباقى ...

***

رحمة لك أيتها الساقية ، وسلام على تلك الأيام الجميلة التى عشت فيها إلى جنبك ، لا أعرف هم الدنيا ولا نكد الحياة ، لقد كنت أفرّ اليك من عصا الشيخ ، وعقاب المعلم ، فتؤويني وتحميني ، فلمن أفر اليوم من حياتى التى ضاقت على ، ونفسى التى برمت بها ؟

لقد ضعتُ كما ضعتِ أيتها الساقية ، وجفّت آمالى كما جففت ، وانتهى بى المطاف أن أكون شيخ كتاب ! ولكن لا بأس أيتها الساقية . . . فان الدنيا لا تدوم على حال . فرحمة لك ، وعلى ذكراك السلام !

على الطنطاوى

أندلسيات :

٤ - ابن بسام صاحب الذخيرة والشاعر ابو مروان الطُّبنى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

أما كتاب الذخيرة فليس أصدق فى التعريف به مما جاء فى تصديره أو مقدمته أو مدخله أو خطبته ، وإذ أن خطبة هذا الكتاب طويلة فلنجتزىء بذكر ما يهمنا منها ، وهنا ننبه القارىء الى أن مستهل هذا الكتاب الموجود فى النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية هو غير مستهل الخطبة الحقيق . وإليك هذا المستهل كما هو فى النسخ المذكورة :

« الحمد لله الذى أبرز قمر الآداب فى سماء الكمال ، وجعل لها أهلا كالنجوم يقتدى بهم ويهتدى مدى الأيام والليال ، وصلاةً وسلاما على السيد السند الرسول المفضال ، وأصحابه وأزواجه والآل ، ما صدح هزار الفصاحة على أغصان فنن البلبال ، وبعد : فيقول صاحب العزلة والانفراد أبو عبد الله عبد الملك بن المنصور بن عبد البر بن عدى بن هشام بن أحمد بن بسام : أنى كلِفتُ منذ زمان بأن أعد محاسن أهل جزيرة الأندلس ، ورأيت العزلة والانفراد عن هذا العالم فى هذا الزمان ، واجبةً بحسب الامكان ، وأردت قطع التردد عن مجالسة الرجال ، لاسيما والفكر مشغول فى بحر التفكر فيما كلفت به واد كرته بعد أمة . ولا أدعى أنى اخترعته ولكنى لعلى أحسنت حيث ابتعت ، وانتقيت ما جمعت ، وتألفت على الشارد ، واغتنيت عن الغائب بالشاهد ... الخ الخ » وهذا كلام كما ترى غث بارد مفسول لا يصدر عن مثل ابن بسام ، ولعله من تلفيق حَمْقَى النساخين ، يضاف الى ذلك أنه ورد فيه اسم ابن بسام خطأ فليس اسم ابن بسام عبد الملك ابن المنصور ... وإنما اسمه علىّ وكنيته أبو الحسن لا أبو عبد الله ... إذن هذا كلام مفتعل . ومستهلُّ الخطبة الحقيق هو كما ورد فى نفح الطيب [1] ما يأتى :

(١) ج ١ ص ٨٠٠ طبع أوربة

« أما بعد » حمداً لله ولى الحمد وأهله ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله ، فان ثمرة هذا الأدب ، العالى الرتب ، رسالة تنثر وترسل ، وأبيات تنظم وتفصل ، تنثال تلك انثيال القطار ، على صفحات الأزهار ، وتتصل هذه اتصال القلائد ، على نحور الخرائد ، وما زال فى أفقنا هذا الأندلسى القصى إلى وقتنا هذا من فرسان الفنَّين ، وأئمة النوعين ، قوم هم ما هم طيبَ مكاسر ، وصفاء جواهر ، وعذوبة موارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكلام المشقَّق ، لعب الدجن بجفون المؤرق ، وجدّوا بفنون السِحْر المنمّق ، جد الأعشى ببنات المحلق ، فصبوا على قوالب النجوم ، غرائب المنثور والمنظوم ، وباهوا غرر الضحى والأصائل ، بعجائب الأشعار والرسائل ، نثر لو رآه البديع لنسى اسمه ، أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ، ونظم لو سمعه كُثيّر ما نسب ولا مدح ، وتتبعه جَرول [1] ما عوى ولا نبح ، إلا أن أهل هذا الأفق ، أبوا إلا متابعة أهل الشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المعادة ، رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتاباً محكما ، وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة ، مرمى القصيه ، ومناخ الرديه ، لا يعمر بها جنان ولا خلد ، ولا يصرف فيها لسان ولا يد ، فغاظنى منهم ذلك ، وأنفت مما هنالك ، وأخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات دهرى ، وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى ، غَيرةً لهذا الأفق الغريب أن تعود بدُورُهُ أهلَّة ، وتصبح بحورُهُ ثماداً مضمحلة ، مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه ، وقديماً ضيعوا العلم وأهله ، ويارب محسن مات إحسانه قبله ، وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان ، وخص أهل الشرق بالاحسان ، وقد كتبت لأرباب هذا الشان ، من أهل الوقت والزمان ، محاسن تبهر الألباب ، وتسحر الشعراء والكتاب ، ولم أعرض لشىء من أشعار الدولة المروانية [2] ، ولا المدائح العامرية [3] ، إذ كان ابن فرج الجيانى [4] قد رأى رأيى فى النصفه ، وذهب مذهبى من الأنفه ،

(١) هو الحطيئة
(٢) دولة بنى أمية بالأندلس
(٣) نسبة للمنصور بن أبى عامر
(٤) سنترجم له

فأملى فى محاسن أهل زمانه ، كتاب الحدائق معارضاً لكتاب الزهرة للأصفهانى ، فأضربت أنا عما ألّف ، ولم أعرض لشىء مما صنّف ، ولا تعدّيت أهل عصرى ممن شاهدته بعمرى ، أو لحقه أهل دهرى ، إذ كل مردّد ثقيل ، وكل متكرر مملول ، وقد مجّت الأسماع « يادار ميّة بالعلياء فالسّند » إلى أن قال بعد ذكره أنه يسوق جملة من المشارقة مثل الشريف الرضى والقاضى عبد الوهاب والوزير ابن المغربى ، وغيرهم ممن يطول ماسوقه ... وإنما ذكرت هؤلاء ائتساء بأبى منصور ، فى تأليفه المشهور ، المترجم بيتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر ...

هذا هو كل ما أورده المقرى من خطبة الذخيرة ، ومن هذا الموضع تبتدئ بقية الخطبة المثبتة فى النسخ الموجودة فى دار الكتب ، فاذا أردت أن تجمع أطراف خطبة الذخيرة فهذا الذى أوردناه هنا هو الشطر الأول منها ، لا ما هو مذكور فى النسخ التى بين أيدينا حتى إذا وصلت إلى هذا الموضع وهو : - وإنما ذكرت هؤلاء ائتساء بأبى منصور فى تأليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر - وهذا هو ما أورده المقرى واقتصر عليه - فارجع الى هذا الموضع فى خطبة الذخيرة الملفقة وامض منه الى نهايتها وبذلك تجتمع لك الخطبة وتكمل ، وهى خطبة على طولها بارعة جميلة ، فارجع اليها فى الذخيرة إن شئت ؛ وما حفزنا الى القول عليها وإيراد ما أوردناه منها إلا هذا التخليط الذى اعتور النسخ التى بأيدينا . . .

* * *

هذا وقد كسر ابن بسام هذا الكتاب على أربعة أقسام : القسم الأول لأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من موسطة بلاد الأندلس ، وهذا يشتمل من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء على جماعة . . . الخ الخ ، والقسم الثانى لأهل الجانب الغربى من الأندلس وذكر حضرة اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومى وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب جملة موفورة . . . الخ الخ ، والقسم الثالث ذكر فيه أهل الجانب الشرقى من الأندلس ومن نجم من كواكب العصر فى أفق ذلك الثغر الأعلى الى منتهى كلمة الاسلام هنالك ... الخ الخ ، والقسم الرابع أفرده لمن طرأ على هذه الجزيرة من أديب شاعر وكاتب ماهر ووصل بهم ذكر طائفة من مشهورى المشارقة ممن نجم فى عصره ... الخ الخ

« وبعد » فانا نضرع إلى الله سبحانه أن يوفق جماعة المستشرقين الذين أزمعوا طبع هذا الأثر النفيس حتى يخرجوه سليما معافى بارئاً مما ألمّ به من التحريف الذى شوه محاسنه ، وكاد يطمس معالمه إنه سميع الدعاء

عبد الرحمن البرقوقى

منشىء مجلة البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب



الهاربون من القضاء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

أتظل موهون الجنانِ مروَّعاً … قلقاً من الآفات والأقدار
تخشى الحياة ولست تخشى ميتة … هبها نصيب الموت فى الإصغار
قلقاً تُطلُّ على الحياة كأنما … منها وقفت على الشفير الهارى
تخشى الحياة وكذبها وسَفالها … وصيا لها فى قسوة الغدَّار
والحى يأكل من حياة مثيله … لحس الضوارى للدم المدرار
وتطاول المغمور ينحو نابها … كتطاول الغرقان فى التيار
متشبثاً منه بعِطفَىْ سابح … ليجره لمهالك وبوار
كل يخال الدهر إن هو عاقه … خطب الجميع بقاصم الأعمار
والموت يعصف بالدهور وأهلها … فكأنها صور الخيال السارى
فعلام تخضع للتناكص والأسى … وتخاف حكم الله فى المقدار
والقلب يلمسه الأسى فيهزه … وكأنه وتر من الأوتار
وعلام ترتقب الزمان وصرفه … والغيب وهو مُحجَّبٌ متوارى
عمرى لوان الغيب عاجل وانقضى … لقرأته خبراً من الأخبار
فمتى ترى صور الحياة صحائفا … وكأنها سِفرٌ من الأسفار
لا إنها أمر تزاول صرفه … وتظل تعدو منه فى مضمار
أو تقتدى بين الأنام مغامراً … تسعى على سَنن لهم وشعار
فاذا أسيت أسيت طرفة ناظر … وإذا نسيت نسيت كل عثار
وكذبت ما كذب الأنام ولم تجد … فى قسوة من خسة وشنار
ونسيت ما جلب الزمان لأهله … من محنة أو مهلك ودمار
فتقول للقلب المَروع إذا نزا … حذر الحياة وصولة الأشرار:
يا هارباً من صولة المقدار … أتراك تفلت من يد الأقدار
اهرب إذا ما اسطعْتَ فى أزل الدُّنَى
أو فى مدى الآباد والأدهار
أو فى الممات وما تلاقى خلفه … بين الفناء ومعقل الأسرار
تعدو ويدركك الذى خلَّفته … كالليل ليس يفر منه السارى
كلٌّ من العيش المروِّعِ هارب … لو فاز خلْقٌ فى الدنى بفرار
بالفن أو بالعلم أو بمجانة … أو بالسطا والجند والأنصار
فاذا القضاء مآلهم ونفاذه … لحصاد كل وسائل المختار
سل صفحة التاريخ كم قوم به … أجراه مجرى الدهر فى مضمار
أقوام أدهار مضت بعض لها … ذكرى وبعض مالها من دارى
قد أبدلوا طبع السَّفال بأنفس … من طبعها المتصاعد السوَّار
صاروا إذا غضبوا وإن سُرُّوا وإن
درجوا لأمرٍ ثالثٍ بمدار
يتمرَّغون مجانة فنفوسهم … وجسومهم كمزابل الأقذار
وصموا الشباب ولم يكن من طبعه … خلق اللئيم العاجز الغدَّار
إن الشباب مروءة وسذاجة … وترفع ينبو عن الأوضار
تخذوا السَّفالَ مِجَنَّهم ليصونهم … من صولة الغلاَّب والمغوار
فغدا السَّفالُ سعادةً ومسرة … عبث الخنا ومجانة الفجار
نبذوا الحياء وكيف ترجو أمة … للنائبات مجانة العُهار
قد خِيلَ فى فقد الحياء رجولة … فقد الحياء رجولة الدُّعار
طبع المجانة عم حتى خلته … كيداً يحاك عليهمُ بِسرَّارِ
أم ورَّثوه عن الجدود غنيمة … يطفو الذليل بها على الأقدار
ويُذِلُّ من عنت الحياة وضيمها … بسعادة المجانِ والفجار
وتكايدوا كيد العبيد ولم يكن … كتنابُذ بطبائع الأحرار
واستمرأوا مرعى الغباوة والخنا … إلف السجون لطول عهد إسار
هزموا الدهور الغازيات بهزلهم … فمضت وظلوا رهن عُقْرِ الدار
فاذا الدهور جديدة قهَّارة … وإذا اللئام فريسة الأدهار
درجوا على دَرَج الحياة إلى الردى … من بعد جهلٍ راقهم وصَغارِ

من الشعر الرمزى

رمز الخريف

مهداة إلى الشاعر « أنور العطار » صاحب مقطوعة الخريف المنشورة فى العدد ١٣٨ من الرسالة

للأستاذ خليل هنداوى

خلّ عنك النحيبَ ، فالعيش ثغر ضاحك ، والحياةُ حلم نضير
لا أرى فى الخريف خطباً نكيراً إن. تمت الخريف خطاب نكير
هل رأت فى الخريف عيناك إلا وحشة كالتى حوتها القبور
هل رأيت العش إلا خراباً « هجرتها على الليالى الطيور »
هل رأيت الحياة إلا سراباً كل ما حوله أسى وغرور ؟
لا تقل : يهمد الثرى ! فهو حى إنما للحياة فيه فتور
إن فى باطن الخريف ربيعاً فيه من روعة الربيع الكثير
قد تمشت فيه الحياة بصمت واستفاقت تحت التراب الجذور
ورويداً ! كل المسارب تخفُرُ ، وتهتز فى المروج زهور
وإذا بالحياة تضحك ضحكا لخفيف ، ونغمة ، وخرير
كل شىء — فيه — يغير ثوباً وجمال الطبيعة التغيير
ما عليها لو بدلتنا قشوراً بقشور ، هل الحياة قشور ؟
لم تزل فى عشاشه بهجات وأزانيم فى الفضاء تطير
حيث يروى العصفور لحناً ويصغى لصداه ، فيجفلُ العصفور
إن فى صفرة الخريف فناء فيه رمز إلى البقاء يشير
لا تمثل سماء كونك بالنعش عليه من الغيوم ستور
إن كوناً تنكّب الفن عنه هو كون مستقبح مهجور
فاتخذ عالماً تطوف الشعاعات عليه والنور فيه يمور
وعصافيره على الدهر تشدو وأزاهيره يفوح منها العبير
عالماً فيه روعة ورواء وفضاء يشع فيه الحبور
عالماً واسعاً تضيق به الآفاق ، فيه الرضا وفيه السرور
لا تخف سطوة الخريف إذا انقض على دوحك الشجير يغير
قل له : نق تربتى من هشيم ماله فى الحياة إلا صرير
قل له : عرّ دوحتى من بقايا طرحتها لكى تعيش زهور
قل له : عرّ خاطرى من تقاليد أباها عقلى وعاف الضمير
فمن الشجو والخريف حياة ومن الحب والربيع قبور
ما على اللحن أن يكون جميلا وهو لحن — كما ذكرت — قصير
كن جديداً على الحياة فنى الجدة يهتز كونك المسحور
لست أبغى قيثارة تتشكى لحنها الدمع والأسى والشعور
أعطها للخريف ، وانحت سواها ذات لحن تهوى عليه الصدور
هات قيثارة تسيل غناء لا يرى منفذاً اليها الدثور
هات قيثارة لها نغمات « هى روح الحياة والإكسير »
هى فوق الأفراح حين تغنى وهى فوق الأحزان حين تثور
هى روح ترى الظلام وتزهو بضياء الحياة حيث ينير
هى نور يكسو الطبيعة لوناً حين يخبو من الطبيعة نور
هى لحن يطغى على كل لحن حيث لا معزف ولا مزمور
هى طيب يبث فى الوهد عطراً حين لا يغمر الوهاد عطور
هى فن يجلب الكون بالحسن إذا ما طغت عليه الشرور

(دير الزور) خليل هنداوى

أغلال تتحطم !

وثاروا فجن جنون الرياح وزلزلت الأرض زلزالها
وأهيب ما كان بأس الشعوب اذا سلح الحق أعزالها
« شوقى »

ما اغترابى عن الحمى وابتعادى كبدى فى اللهيب أخت فؤادى!
نبأ هزّنى وهاج شجونى رائح بالشجون بالدمع غادِ
ما ترانى إذا سجا الليلُ أسوا ن لهيفَ الفؤاد نِضو سُهاد
أسألُ النجمَ همسةً عن عرين فتك الظلم فيه بالآساد
وأناجى الرياح ماذا لديها عن رفاق الصبى وعن أندادى
إعصفى يا رياحُ ما شئتِ هوجاً كلُّ نفسى عواصف وعَواد
اللظى فى الحشا وتحت جفونى وعلى مَفرشى وفوق وسادى
إن أنم ساعة يقلّبنىَ الحُلم على جمره وفوق قتادى
أألذ الكَرى وطرفى دام وخَفوقى فى لهفة واتّقاد
وبلادى تئن من عَبَثِ الجوْرِ وترغى كالليثِ فى الأصفاد
تمهرُ المجد أسدها ثم تجرى للمعالى على رؤوس الصّعاد

***

حطِّموا أيها الرعاة المزامير وكفكِفْ دمع الهوى ياحادى
ثم سيروا خلف القطيع خشوعاً موكباً من جلالة واتّئادِ
أيُّها البلبلُ الطروبُ دع الأغصان تبكى ، واسكتْ عن الإنشاد
طِرْ إلى حيث وُسِّدت شهداءُ في بطاح العُلى ، طوالُ النِّجاد
فاشد في مربِضِ الضحايا وغرِّد فوق أشلائها الظِّماءِ الصوادى
واتلُ فوق الرؤوس أعذبَ لحنٍ فلحونُ الطيور خير ضماد
الوفاء الوفاء يا بلبلَ الأيك ! أنشدو وليس في الشام شادِ ؟
بل أقِم أيها الرفيقُ وزَمّر وتنقَّلْ بين الرُّبى والبوادى
وأنشد ما شئت عند مُنبلج النور ، طروباً ، وفي مثارِ السواد
ربما كنت ها هنا أيها البلبلُ تبكى على شهيدٍ جوادِ ...
أيها الزهرُ في الرُّبى ! أغمِضِ الأجفان حزناً واذبُلْ على الأعواد
أو فيمِّمْ رَوْضَ الضحايا ورفرِفْ فوق أعراسها وفي الأعياد
كيف تزهو والزهر في التُّرب السالكِ والورد في الشام صاد ؟ !
بل تفتَّحْ هنا وزُفَّ نديّاً وانشرِ العطرَ منك في كل واد
ربما كنت أيها الزهرُ تُروى من دِماءٍ جاءتك مثل العِهاد ...
يا ثرى موطنى تباركت ترباً أنتَ من أدمُعٍ ومن أكباد
حيثما التفتّ فثمَّ ضريحٌ لشهيد أو ساحة لجلاد
كم شهيد كأنه بسمةُ المجدِ وريحانة العُلى والجهاد
خرَّ في حومةِ النِّضال ينادى : موطِني موطنى ! بلادى بلادى
مات واسمُ الحمى على شفتيهِ كالندى فوق ذابلِ الأوراد
أو هو اسمُ الحبيب طوَّف معسولاً بثغر المحبِّ عند الرُّقادِ

* * *

أيها الشرق هبَّـةً للمعالى طال لُبثُ السيوف في الأغماد
إنما العيشُ صرخةٌ في جهادٍ والرَّدى في تذلُّل وانقياد
صرخة أيها الأسيرُ تفرى لصداها حبائلُ الصياد
تجفِلُ العادىَ المغيرَ وتهوى صاعقاتٍ على رؤوسِ الأعادى
أيها الشرق إنما أنت مَجلَى النورِ والكونُ في ثياب الحِداد
إنما أنت مهبِطُ الوحى والأجيالُ تلهو بها أكفُّ الجَداد
درَجَ الأنبياءُ فوق روابيكَ ، وشعت منائرُ الإرشاد
علَّموا الكون رحمة العبدِ للعبد ونبذ الذحول والأحقاد
وهدوه سُبْلَ المحبة والخيرِ ونقَّوه من شرورِ الفساد
فاهتدى بعد حيرة وضلال وصفا بعد حلكة واربداد
أيهاذا الغرب المدِلُّ رُويداً والنُّهى ـ لو علمتَ ـ في الإرواد
شَدَّ ما ترهق الضعيف عذاباً تتداعى له على الأطواد
فكأن الأيامَ ليست تَوالىَ وكأن الزمان ليس يعادى
إيه ياغرب ، والحديث شجون والدُّنى بين هدأةٍ ولداد
ما جنينا حتى صببت علينا مُرهِقاتِ الأذى والاستعباد
كيف تنسى أيام كنا نجوماً ساطعاتٍ في كلِّ صقع وناد
يوم كنا تاجاً على مفرق الأرض وشمساً من حكمة ورشاد
والزمان الحرونُ بين يدينا مُستذلُّ العتُرِ سهلُ القياد
فملأنا السماء والأرضَ نوراً وأفضنا عليك أفضل زاد
وملكنا بالعدل ناصية الكونِ زماناً ، أغوارِه والنِّجاد
ثم جار الزمان وانقلب الدهرُ فنامت على الغصون الشوادى
وخبا للخلود أعذب لحن وكبا للرُّقى خيرُ جواد

* * *

يا جمال الحياة ، يا بهجة الكونِ وإرث الأجداد للأحفاد
يا دموع الأسير ، يا غضبة الليثِ على القدِّ ، يا رجاء العباد
يا ضياء النفوس ، ياشمس ياحرِّيةَ الغابِ ، يا ابنة الآباد ! ...
نحن زهرٌ وأنتِ أعذب طلٍّ نحن عمى وأنتِ أرحمُ هاد
قد مهرناك من دماءٍ غوالٍ وفرشنا الطريق من أجسادِ
فاخطرى فوقها وتيهى دلالاً واسحبى الذيل في الرُّبى والبوادى
وطئى أعيناً ودُوسى قلوباً كلها من تمرُّدٍ وعنادِ
وامرحى فوق أرؤسٍ لك ذلت لا لباغٍ مضرج الناب عاد
حلقى فوقنـا وزُفى لنحيا قد سئمنا الحياة في الأقياد
واسطعى في القلوب نوراً من الله ونورى بأنفس المجادِ
صدى القدفى الأكف وفي الأقدام ، والغُلُّ حزَّ في الأجياد

* * *

أيها الغرب قد أنفنا من النوم وضقنا بالذل والاصفاد
فوثبنا إلى النضال أسودا مثل آبائنا العلى الأمجاد
وخضبنا دغالنا بالدم الحرِّ وضاق الفضاء بالأجناد
أرهق الشرقَ ذِلَّةً وأذقه كل ما شئتَ من أذى واضطهاد
نحنُ نبغى الحياةَ ، والسيفُ لن يغمدَ يا غربُ قبلَ نيلِ المرادِ

(ابن دمشق)

القصص

دراسة من اسخيلوس

محاكمة أورست

أو

ربات العذاب

(الدرامة الثالثة من الأورستية)

The Eumenides (١)

أول كوميدية إلهية مسرحية عرفها التاريخ

للأستاذ دريني خشبه

خلاصة الدرامتين الأولين

« ذهب أجممنون ملك آرجوس لفتح طروادة ولكن الريح العاصف حالت دون قيام الأسطول فضحى بابنته أفجينا ليهدأ ثائر البحر وأغضب ذلك زوجه كليتمنسترا التي انتهزت فرصة غيابه واتصلت بألد أعدائه إيجستوس اتصالا شائنا ونفت ولدها أورست حتى لا يعكر عليها صفو غرامها — ويعود أجممنون بعد عشر سنوات فتقتله زوجته وعاشقها... وتمضي عشر سنوات أخرى فيكون أورست قد شب واشتد عوده فيعود ليثأر لأبيه من أمه، فيلاقي أخته عند قبر والده تصب عليه خمراً مرسلة من الملكة بسبب رؤيا مفزعة خلاصتها أنها رأت نفسها تلد أفعى وتضمها الى صدرها فتنفث فيه سمها ويتعارف الأخ الى أخته ويتفقان على الخطة ويطرق أورست باب القصر الملكي متنكراً فتلقاه الملكة ولا تعرفه مع أنه ابنها فيدعى أنه قادم من لدن الأمير الذي كانت قد نفت ولدها عنده وأن ولدها قد مات . . . ! وهكذا تجوز الحيلة على الملكة فترسل في طلب ايجستوس لتهنئ اليه الخبر ولكن أورست يلقاه منفرداً ويقتله ، فلما تجيء الملكة وتشهد مقتل حبيبها تعرف كل شيء وتعرف أن القاتل ولدها لا غيره ... ثم ينقض أورست على أمه فيقتلها بعد جدل طويل

ولكن أورست يكون قد ارتكب أكبر جريمة تعاقب عليها الآلهة وهي قتل الوالدين فتتمثل له هامة أمه وتفزعه وتروعه حتى يجن جنونه فينطلق الى معبد أبوللو يتوسل اليه أن يحميه لأنه هو الذي أمره بانفاذ هذه الجريمة ...
ومن هنا تبدأ الدرامة الثالثة »

— ١ —

المنظر : « في الأديتون (١) — صومعة أبوللو — في دلفي »

نحن في الأديتون . . . في مثوى أبوللو الخاص ! . . وقد قامت بيثونة الاله الكبير ، سيد الشمس ، ورب القوس ، وصاحب السهام الذهبية . . . تصلى للأرض المباركة ، ولابنتها ذعيس ، ولاحدى بنات التيتان . . . فوبيه . . . التي تشبه باسمها فوبوس . . . الذي هو أبوللو . . .

والبيثونة ، كاهنة أبوللو ، ذات لسان رطب ، وهي لا تكل من أن تستطيل صلاتها ، فتذكر ميترفا وما روى الناس من أساطير عن ميترفا . . . و . . . تنتهي بعد لأي صلواتها . . .

وندخل معها إلى مثوى أبوللو ؛ ولكنا نخرج مذعورين وجلين ، كما تخرج هي وجلة مذعورة ... لأننا نرى أورست المسكين راكعاً بين يدي تمثال الاله يبكي ... ويصلي ... ويضرع إلى أبوللو أن يحميه من ربات العذاب...الزبانيات الضاريات... اللائي رحن يطاردنه في كل حدب ، ويأخذن عليه سبيله في كل صوب ... ويوددن لو تمكن منه فهرأن لحمه ، وحطمن عظامه ، ثم دفنه في حميم فليجتون ، بما قتل أمه وأغضب الآلهة

وتذعر البيثونة لأنها ترى إلى إحدى يدي أورست ملطخة بالدم الذي سفحه ، وترى إلى يده الأخرى تحمل غصناً غضاً نضيراً . . . هو غصن الزيتون ؟ ! وكيف يجتمع الدم المسفوك ، وغصن الزيتون ؟

مسكين أورست ! لقد ركع بين يدي التمثال يصلي ويبكي ، ومن حوله الزبانيات الضواري يتربصن به ... هؤلاء الجرجون السفاحات ... اللائي تتحوى الأفاعي في رؤوسهن ، ويغلي السم في أنيابهن ، ويضطرب الموت الأسود في أظفارهن ! !

---

(١) أو Furies وهن اخوات ثلاث منهن واحدة اسمها ديريه والأخريان ايرنيس ويعرفن بهذه الأسماء كذلك (ألكتو — تيسيفونه — ماجيارا) وهن موكلات بتعذيب الأرواح الشريرة الآثمة وايصالها الى نهر فليجتون الملتهب بالحمم ويكون هنا خورس الرواية — ويشبهن الغول عندنا في الميثولوجيا المصرية

(١) Adyton وبالاغريقية Adytnm

ويسقط في يد اليثونة ، ولكنها تدعو لمولاها أبوللو أن يحمي بيته من هؤلاء المتمردات

— ٢ —

وينفتح باب الصومعة على مصراعيه ، فنرى أبوللو نفسه ، ونرى أورست المذنب مايبرح يبكي ويصلي ، ونرى إلى الجرجون من حوله يكدن يبطشن به ، ولكن أبوللو بكامه ويحتفي به ويذهب عنه الروع الذي يضنيه

— « ليفرخ روعك يا أورست فأنا ربك وحارسك وسأظل آخر الدهر معك ... قريباً منك أو بعيداً عنك ... تراني أو لا تراني ... دائماً معك ... دائماً ... وسأكون أعدى أعداء من عاداك ... حتى ولو كان من أعدائك هؤلاء الجرجون اللائي ترى ... فانه لن يصل اليك منهن ضر ، ولن يصيبك منهن أذى ... فاني قد ألقيت عليهن غفوة ، وأسكرت مقلهن بخمرة الكرى ، فهن في سبات عميق حتى تكون بنجوة منهن ... الشريرات عدوات الآلهة والناس أجمعين ... »

ويهدأ أورست قليلا ، لأنه ينظر فيرى إلى الجرجون ساكنات نائمات كما أخبر الاله ، ويصل أبوللو حديثه فيقول :

« ... وليس عليك إلا أن تنطلق من فورك هذا فلا تلوي على شيء حتى تكون في معبد مينرڤا فاسجد تحت قدميها سجدة تستجمع فيها نفسك وقلبك وآلامك . ثم تبثها شكواك وتتوسل إليها أن تأذن فتحكم بينك وبين الزبانيات ، ربات الذعر ، هذه الجرجون ؛ ولا تخش عقدة في لسانك فسأكون إلى جانبك ، وسأنافح عنك وأشد أزرك ، ولن يؤدني أن أضع عنك هذا الوزر الذي ينقلك ، مادمت أنا الذي أمرتك أن تقتل أمك الفاسقة ... وستنطلق الجرجون في إثرك ، فاذا أدركنك فلا يروعنك أن يأخذنك فيلبيننك تلبيبا ، ثم لا يروعنك أن يتواثبن بك فوق الآكام ويسحبنك فوق النؤى ويطوحن بك فوق البحر اللجي ... فانك واصل باذني ، وعلى عيني إلى حيث ألقاك في معبد مينرڤا »

فيكفكف أورست عبرته ويقول : « تباركت ياسيد الشمس وتقدست أسماؤك ، ولاغفلت عينك الساهرة عن عبدك المنيب ... ولا زلت تدركني برحمتك يا أرحم الراحمين ! »

فيجيبه أبوللو : « ولا زلت أوصيك بالتجمل والصبر ، فلا تقذفن بالروع في قلبك ، ولا تدع للذعر إلى روحك سبيلا ، وسأوصي بك أخي هرمز ، حامل الأرواح إلى ظلال هيدز ، عهد لك ، ويوطئ سبيلك حتى تكون في مُتَوجَّهك »

ثم يرف أبوللو فيكون في السماء ... ويخرج أورست

— ٣ —

وتنعقد سحابة في جو الصومعة ، ثم تنكشف عن شبح قاتم سادر ، هو شبح كليتمنسترا . وكأن نوم الجورجون يشدهه فيقول :

— « ياهياه ! ياهياه ! هَياً ! هَياً ! جورجون ! غطيط تنانين وأذرع الظلمات مفضوحة عن قتلي ! إنهضن ياربات ! إنهم يصرخون في وجهي : مجرمة ! آثمة ! أما ؟ أنا مجرمة وقد قتلني ابني الذي حملته وغذوته ؟ ... ما شغلكن إذن إذا نمتن عن هذا الوزر ؟ ألم أكن أقرب لكن القرابين وأضحي الأضحيات من خمر كلما غَوّل في دجنّة الليل ؟ ! أهكذا تضيع إضحياتي عندكن وينجو قاتلي دون أن تمكن به ؟ إنهضن ! إنهضن لحسبكن ما ألم بكن من كرى ! إنهضن فقد لاذ بالفرار قاتلي غير مبالٍ بكن ؟ أنا كليتمنسترا ؟ أهتف بكن ياربات الظلمات ! أنا ... القتيلة التي يسبح ظلها في مملكة الأحلام ! »

— « خيخ ! ... خيخ ... ! خخ ... ! خخ ... ! »

— « خيخ ؟ ... ما هذا الفخيخ[1] ياربات ؟ إنه يضطرب في حلوقكن فيكون شخيرا ، ثم يرتد في أنوفكن فيكون نخيراً ! هَياً ! لقد أفلت قاتلي ! ولدي ! لقد كلانه قدرة سماوية بينا أنا مهجورة هنا ! »

— « غيط ... خيخ ... ! . . غيـ ... »

— « غيط ! ما هذا الغطيط وقد انفتل قاتلي ! ما أنتن هنا ؟ أورست ابني .. أطلق ساقيه المرح يا ربات ، فمن غيركن يأخذه بقتلتي ؟ »

— « أو ... ه ... »

— « أوه ؟ هيا ! البدارَ البدار ! يا للضني ! »

— « أو ... ه ... »

— « حتى النوم والتعب يشدان أزر المتآمرين ! »

— « خـ ... خ ... (وتستيقظ الجورجون) أمسكن !

(١) صوت النائم

أمسكن ! من هنا ! من هناك ! حذار ! »

— « آى ! أنتن تتصيدن المجرم فى شبكة من أحلامكن ! وما تبرحن متثائبات ! يا للعار ؟ إنهضن يا ربات ولا تستسلمن لهذا الخمول ! بحسب قلوبكن وخزة من ضمير حى لو يستيقظ ! هيا هيا ! أقصصن أثره ! وليتزع شواه زفير من جحيم أنفاسكن هيا هيا !! »

(ويغيب الشبح)

— ٤ —

وتنهض الجورجون فيروعهن ألا تجدن أورست وقد طاردنه طويلا ، وكدن يبطشن به لولا احتماؤه بصومعة أبوللو ... ويبرمن ويتسخطن ... ويشتد غضبهن على أبوللو نفسه ، لأنهن يفطن إلى أنه هو الذى ألقى عليهن هذا النعاس الذى صرفهن عن واجبهن ... « غير مبال أن تخرق قانون الآلهة ، ولا مبال أن يتلطخ وحيدك بالإثم والدم ، كأنك تتحدى ربات المقادر[1] ... ولكن هيهات ! هيهات أن تستطيع حماية هذا الآثم الذى يلوذ بك . . . فانك ستشهده بعينيك يتلظى فى حر جهنم ... وستضاعف حمايتك العمياء له عذابه ... ... »

وما يكدن يفرغن من برمهن ، ويمسكن عن قولة السوء التى أرسلنها ، حتى يبدو طيف أبوللو :

— « .... أغربن أغربن ! آمركن ألا تبقين فى صومعتى ! هلا ! وإلا فستبيدكن نفثات الثعبان الذى يتحوى فى قوسى ! الأرقم ! أتجهلنه ؟ أغربن يا سبب شقاء الناس ونافثات السم فى جراح البرايا ! لا تنتهكن هذا الحرم المقدس الأطهر بظلالكن البشعة ، النكراء ! أغربن من هنا ، وتبشرن بالموت والأرزاء فى سبل الشباب الذى تذوين ، والحيوات التى تشتفين والأنفاس البريئة التى تحشرجن فى صدور الأطفال ...! بحسبكن أنين الموتى ، وجؤار القتلى ، وسكرة الموت ؟ تخضن الفجوعين والمفئودين ! أغربن من هنا .... وليكن مأواكن فى مغارة ذئب أو كهف سبع ينهش فريسته التى ما تزال تئن وتتوجع ... فصومعتى أطهر من أن تدنسها أدرانكن ! أغربن قات لكن ، فما انفكت لعنة السماء عليكن وغضب الآلهة والناس أجمعين ! هيا ... هيا ... يا هناه ! »

[1] Fates الربات ثلاث كلوتو ولاخسيز ، وأتروبوس اللائى يكتبن على الناس كل ما يقع لهم فى الحياة

— « أيها الإله أبوللو ! إصغ إلينا وع ! أنت لم تكن شريك هذا الجرم الذى جنيت فى وزره فقط (حين قتل أمه) ولكنك كنت الآمر الموحى ؛ فعليك يقع الجرم كله ... »

— « وما برهانكن ؟ هراء ... هراء .... »

— « نبوءتك التى أوحيت بها .... تقضى أن يقتل الغلام أمه !! »

« لقد صرحت ، غير متردد ، لا بد أن يثأر الفتى لأبيه ! »

— « وها قد تقبلت الغلام ، وما انفك الدم يقطر من يديه ! »

— « لا .... ولكنى أمرته أن يستغفر لذنبه هنا ! »

— « ولكنه لم يأت ليستغفر ، بل أتى يلوم ويعتب ويهذل ... يعتب عليك ويهذلك يا حاميه ! ؟ »

— « وأنتن ؟ ماذا جاء بكن وأنتن غير جديرات بأن تقربن قدسى !! »

— وظيفتنا يا سيد الشمس ! هذا عملنا الذى ارتضينا يوم اقتسم الآلهة شؤون الحياة ! »

— « ماذا ؟ عملكن ؟ وما عملكن يا ربات الذعر ؟ »

— « أن نقتص آثار قتلة الآباء وننفيهم من الأرض ! »

— وماذا تصنعن بمن يقتلن أزواجهن من النساء ؟ »

— « هذا دم لا يعنينا لأنه من دماء ذوى القربى ، فلا شأن لنا به !! »

— « بعدتن عن الشرف والنبل اذن ، وعن العدالة كذلك ! ان ذلك ينافى القداسة الزوجية التى تقر بها حيرا لزوجها زيوس سيد الأولب ، وينافى ماقضت به ربة الحب[1] من وجوب الوفاق والمحبة بين الزوجين ... إن الصلة بين الزوج وزوجه أكبر من أن تكون قسما أقسماه ! فاذا حدث أن قتل أحدهما الآخر ولم يثر ثائركن لهذا القتل فمن يأخذ المجرم بجرمه ؟ وماذا تكون الحياة إذا لم يكن فيها قصاص ؟ ! إنكن إذن تطاردن أورست ظالمات ! ! فبينا تأخذن بالشدة والعنف مجرما لا تقع عليه — فى الحق — جريرة ماصنع ، اذا أنتن تغضين عن مجرمين ضجت الدنيا بآثامهم وتلطخت الفضيلة بأوزارهم ، فلكن كيف تقضين ؟ ! وليكن الأمر مايكون ، فسيعرض الأمر كله على منيرفا لترى فيه رأيها ! »

[1] لا ندرى أى ربة حب عنى أسخيلوس ؟ فاذا كان يعنى فينوس فذلك يتعارض وحياتها المتنكة بالفسق ضد زوجها فلكان !!

صانعة الكراسى

Le rempailleuse

للكاتب الفرنسى « جى دى موباسان »

ترجمة السيد فؤاد نور الدين

أقام المركيز دى برتران حفلة شائقة على نخب صيد العام الجديد. فدعا أصحابه من أهل البلد. فالتف حول المائدة عشرة رجال تصحبهم ثمانى نساء من ذوات الحسن والدلال ؛ وكان الخوان موقراً بصنوف الزهر الزكى ، وضروب الثمر الشهى ؛ وقد ألقت مصابيح الكهرباء أنوارها المتلألئة على هذه الأنواع المختلفة من الزهر والثمر والطعام ، فماجت تحتها موجاناً يستفز الشهية ويستقطر اللعاب

جلس فى صدر المائدة على مقربة من المركيزة طبيب البلدة ، وهو رجل متقدم السن ، وقور الهيئة ، يبدو على وجهه طابع الفطنة والذكاء

كانوا جميعاً يتجاذبون ألواناً ممتعة من الحديث اللذيذ والكلام الرقيق ، فلما انتقلوا إلى حوار الحب ، وماهية الحب ، انبعثت بينهم تلك المناقشة الخالدة التى يراد منها أن يفهم : هل الحب المحض يحرك قلب المرء مرة فى حياته أو أكثر ؟

فكانت تورد أمثلة لأناس تيم قلوبهم الحب الصحيح مرة فحسب ، وكانت تورد أمثلة لأناس آخرين أحبوا بعنف وقوة وهيام أكثر من مرة

كان الرجال بنوع عام يشبهون العشق بالأمراض ، فكما أن هذه تعتور جسم الانسان دوماً ، فالعشق أيضاً يصيب فؤاده كثيرا ويكون فى كل مرة من العنف والقوة والهياج بحيث يؤثر العاشقُ الموت إذا مااعترضت سبيله علة من العلل

أما النسوة فكان رأيهن يستند أكثر ما يستند على الخيال والشعر ، وينأى عن النظر والفكر . فكن يثبتن فى حماس واندفاع أن الحب المحض ، الحب العظيم لا يمكن أن ينبعث فى القلب إلا مرة فحسب ، حتى إذا تمكن منه ألهاه عن كل أمر ، فأحرقه وألهبه ، وكان فعله فيه فعل الصاعقة فى الشجر والنبت ، فكما أن هذه تحبس عنهما النمو والنشوء الجديدين ، فهذا الحب أيضاً — يجعل القلب قفراً فارغاً لا يمكن أن تنشأ فيه أحلام تشبه أحلامه الأولى ولا أن تنبت فيه مشاعر تشبه مشاعر هيامه الماضى وعهده السالف

كان المركيز يدحض هذا الاعتقاد بكل ما أوتى من ذلاقة لسان ، ومن حجة وبيان

كان يقول :

— أؤكد لكم يا سادتى أن الانسان فى مقدوره أن يعشق أكثر من مرة بكل جوارحه وبكل قواه . إنكم تعددون لى أمثلة أناس انتحروا من أجل الحب كأنهم عاجزون عن أن يعيشوا ليعشقوا ثانية . غير أنى أجيبكم : إن هؤلاء الناس لو أهملوا الانتحار وتحاشوا هذا الحمق المجنون ، لألفوا فى الحياة ما يثير الحب جديداً فى قلوبهم الجريحة ويحيى موات الأمل فى نفوسهم اليائسة ، لأن من هام عاد إلى الهيام ، ومن احتسى أولى الكؤوس عاد إلى سواها . تلك طبيعة المرء لا منصرف عنها ولا محيد

— « مهما حاولت فلن نعفى القاتل من أن يلقى جزاء ما جنت يداه ! »

— « أقصصن أثره إذن واقفلن ما بدا لكن ! ! »

— « ولكن لا تستهزئ بحقنا المقدس فى ثنايا كلك ! »

— « أنا لا يعنينى حقكن المقدس ولا أبالى به أو بكن ! ؟ »

— « . . . . . . إن رائحة الدم المسفوك . . . دم الأم المذبوحة . . . قد أتى بنا الى هنا ، ولا بد لنا من أن نقتحم هذا المأوى ونقبض على المجرم ! »

وسأحمى هذا اللائذ بى الى النهاية ! سأناضل عنه مادامت المهابة تغطش أبصاركن ! اننى اذا تخليت عنه ، وتركته لبطشكن ، غير مثاب ولا ناقم فستضج السماء والأرض ، وتزلزل الجبال ... وتنقم الآلهة ... ويسخط الأولمب ... أغربن ... أغربن ! هيا ... يا ربات الذعر ... زادتكن السماء مسخاً ! »

(وتنطلق الجورجون ... ويغيب أبوللو)

دريني خشبة

(البقية فى العدد القادم)

لما أتم المركيز خطابه وأعلن رأيه ، انحدرت الأنظار إلى الطبيب تنتظر منه الحكم الأخير . قال :

— أنا لا أخالف المركيز في رأيه ، فالهوى تتمدد فصوله وتتابع طوارئه على الفؤاد . غير أني عرفت فيما عرفت هوى دام خمساً وخمسين سنة ، وما خمدت ناره ولا انطفأ أواره إلا بالموت

قال المركيز وهو يفرك يديه :

— ترى أهذا الحب محمود ؟ وما وراءه من أمان وأحلام ؟ وأي سعادة في أن يعيش المرء خمساً وخمسين سنة على غرام واحد ؟

فابتسم الطبيب ابتسامة خفيفة وهو ينظر الى المركيزة :

— ان الشخص الذي أتاح له القدر أن يكون معشوقاً طوال هذه المدة كان رجلا وأنتم تعرفونه جميعاً ، هو السيد شوكه صيدلي الناحية . أما المرأة العاشقة فلستم تجهلونها أيضاً ، هي صانعة الكراسي العجوز التي كانت تفد أحياناً إلى القصر ها هنا :

بدت على وجوه النسوة ملامح الدهش ودلائل الاشمئزاز ، كأنما الحب لا ينبغي أن يصيب فيما يصيب إلا المخلوقات المترفة المتميزة التي تستحق وحدها أن يبدي الناس لها عطفا واهتماماً

قال الطبيب :

— منذ ثلاثة شهور دعيت إلى جانب هذه العجوز وهي على فراش الموت ، وكانت قدمت في عربتها التي اتخذتها مسكناً لها وآلة ركوب تطوف البلدان عليها . يجر هذه العربة فرس مهزول ناحل لاشك أنكم رأيتموه . ويصحب العجوز كلبان أسودان هما صديقاها وحارساها . كانت دعت القسيس أيضاً لنكشف لنا عن رغباتها الأخيرة فنكون منفذين لوصيتها . فقصت علينا جميع أطوار حياتها . الحق انني لم أسمع قصة أشد تأثيراً في النفس وأكثر غرابة في الأذن من قصتها . كانت حرفة والديها صنع الكراسي . ولم يكن لها سكن خاص في أرض معينة ، فانها طفلة كانت تطوف البلدان ممزقة الثياب ممتلئة الجسم يثير منظرها نفوراً واشمئزازاً . وكان أبواها كلما بلغا إحدى القرى وقفا عند مدخلها وأنشآ يصلحان الكراسي العتيقة والمقاعد القديمة تحت ظل الأشجار وهي تتدحرج لاعبة ضاحكة خلال أعواد العشب الشرقية . فاذا ابتعدت قليلا عنهما أو أخذت في الحوار مع الصبية ، فانها لا تلبث أن تسمع صوت أبيها المغضب يقول لها : « ارجعي ياوسخة » . فكانت هذه الجملة ، الجملة الوحيدة التي تسمعها من أبيها

ولما ترعرعت بعض الشيء أرسلاها تلتقط أو تبتاع ما فسد من المقاعد . فكانت في تنقلها من مكان إلى مكان تتعرف إلى الصبيان وتأنس إلى الحديث اليهم . على أن ذويهم كثيراً ماصدوهم عنها وهم ينتهرونهم أشد الانتهار ، ومنهم من كان يقول لولده : « ألا اقطمن الكلام مع هذه الشريدة الحافية الأقدام »

أما الفتية الصغار فما أكثر ما قذفوها بالحجارة من غير أن ينبس فوها بكلام ! وكان بعض النسوة أعطينها قليلا من دراهم ، فاحتفظت بها وحرصت عليها

وبينما كانت تجوز هذا البلد في أحد الأيام وقد بلغت الخامسة عشر ربيعاً من عمرها ، إذ صادفت خلف المقبرة شوكه الصغير وهو يبكي أحر البكاء ، لأن رفيقاً له سرقه درهمين . فآلمها وهي البنت المسكينة ، أن ترى طفلاً حضرياً يذرف دموعاً سخينة من حيث لا مواسي له ولا صديق . فدنت منه وما كادت تقف على سر بكائه حتى وضعت في يديه تلك الدراهم القليلة التي احتفظت بها . وكان طبيعياً أن يبتهج الطفل بالدراهم وأخذها ومسح دموعه . وكان منها أن جنت فرحاً بعمله ، فأنشأت تعانقه وتضمه إلى صدرها وتقبله تقبيلاً حاراً دون أن يمانع الولد أو يصدها عنه لأنه كان لاهياً بفحص النقود

ثم انصرفت عنه وقد فاض قلبها محبة لهذا الطفل

ولم يكن أحد يعلم ماذا جال في رأس هذه التاعسة من خواطر وأحلام ، أتعلقت به لأنها ضحت في سبيله بثروتها المتجمعة من التشرد والانتقال ، أم لأنها منحته أول قبلة وثب قلبها لها ؟ خفي ذلك على الصغار والكبار

وظلت أشهراً تتمثل في خاطرها زاوية المقبرة التي شهدت فيها هذا الغلام وشرعت تسرق أبويها ما تصل إليه يدها من دراهم أملاً في لقائه ومصادفته . وكان في يدها آخر الأمر فرنكان . على أنها هذه المرة بدلاً من أن تلمح فتاها في محل منزل ، رأته خلف قضبان حانوت أبيه : بهي الطلعة نظيف الثياب ، والقناني

الحمراء والخضراء والصفراء تحيط به من كل جانب . فازدادت له حباً وبه كلفاً ، وبهرها ما ألفت لديه من مجد بادٍ في هذه المياه المصبوغة ، ومن جلال ظاهر في هذه الزجاجات البراقة

فاحتفظ خاطرها بذكراه مدة ، حتى صادفته في السنة التالية خلف المدرسة يلعب مع رفاقه ، فهجمت عليه وقائته تقبيلاً عنيفاً ريع له الولد وأخذ في الصراخ . لكنها سرعان ما وضعت في يده ثلاثة فرنكات هش لها الغلام وطرب ، وحاق في وجهها في دهش وتعجب تاركا نفسه لها تداعبه ما رغبت في المداعبة ، تعانقه ما اشتهت من عناق

وظلت أربع سنوات تقدم اليه ما تجمعه فيأخذه منها مقدماً اليها القبلات عن رضى وسرور . أعطته مرة فرنكين ومرة خمسة فرنكات ، وهي قطعة كبيرة جملته يضحك لها ويرقص طربا

لم تكن تفكر إلا فيه ؛ أما هو فكان ينتظر عودتها ويرقب شخوصها اليه بصبر فارغ وشوق لجوج ، حتى إذا أبصرها ، جرى اليها مسلماً خده لقبلاتها ، ويده لدراهمها . وما أشد خفقان قلبها عند ذاك !

وتوارى الغلام حقبة من الزمن عن عيانها لأنه انتقل الى مدرسة أخرى . وعرفت هي انتقاله بمهارة وحذق ، فأبلت في السياسة بلاء حسناً حتى حملت أبويها على المرور من هنا في الصيف . وكان مضى عليها سنتان دون أن تراه . فلما أبصرته كادت لا تعرفه . لأنها رأت أمامها بدلا من طفل الأمس فتى تفتحت ورود الصبا في وجهه ، وابتسمت زهور اليفاعة في قده

نظرت اليه نظرة شوق ولهف . وكان منه أن تظاهر بعدم رؤيتها ، ثم خطا أمامها ببزته الأنيقة ذات الأزرار الذهبية يملأ صدره زهو وافتخار ، ويعلو رأسه أنفة واستكبار

وانصرفت عنه والدموع تسح من عينيها والزفرات تتصاعد من قلبها . وأصبحت بعد ذاك المهد أليفة أحزان ، وصديقة آلام

وانطوت الأعوام متوارية خلف حجاب الفناء ، وفتاتنا لا تنقطع عن الشخوص كل عام إلى بلده لتراه دون أن تجرؤ هي على تحيته ، ودون أن يتنازل هو بالقاء نظرة عليها

كانت تهواه بكل جوارحها ، وها كم ما أسرته لي « إن هذا الرجل يا سيدي الطبيب ، الرجلُ الوحيد الذي رأته عيناي ، وما علمتُ بعد ذاك إذا كان يعيش في العالم سواه »

ومات أبواها واستمرت في حرفتهما ، وقد صحبت من بعدها بدلا من كلب واحد ، كلبين هائلين يُخشى الدنو منهما

وكان يوم دخلت فيه هـذا البلد ، فرأت امرأة في نضارة الصبا وربيع الحياة تصحب شوكه حبيبها ، وقد تأبطت ذراعه وهما يخرجان من الحانوت معا

لقد تزوج إذن شوكه !

وفي مساء اليوم ألقت نفسها في الغدير القائم خلف المحكمة . واتفق أن رجلا كان يمر هناك ، فأنقذها وقادها إلى منزل شوكه ، فنزل هذا لملاجها ، ودلك بيديه مكان الألم من جسمها دون أن يتظاهر بعرفانها . ثم ما لبث أن قال لها بصوت جاف : « أأنت مجنونة ؟ لا ينبغي أن تكوني هكذا حيوانا »

هذه الجملة وحدها بعثت فيها البرء والشفاء . ألم يتكلم اليها ؟ حسبها ذلك ! وظلت هانئة مغتبطة أمداً طويلا

قضت كل حياتها تذكر شوكه ولا تفكر في غيره . وكانت تلمحه في سنيها خلف الزجاج ، وما أكثر ما ابتاعت عقاقيره وأدويته لاتبغى من شرائها إلا رؤيته والحديث اليه

وكما ذكرت لكم بديئا ، ماتت هذا الربيع وقد رجتني بعد أن قصت عليّ قصتها أن أحمل الى هذا الذي أحبته حب العابد لمعبوده ، جميع ما ادخرته من مال . لأنها كما اعترفت لم تشتغل إلا لأجله ، تجوع أحياناً لتدخر له بعض المال . فإنْ ذكرها بعد وفاتها مرة واحدة فستشعر في قبرها بالسعادة والهناءة

أعطتني عشرين وثلاثمائة وألفين من الفرنكات . فقدمت العشرين فرنكا الى القسيس لأجل دفنها ، وأخذت الباقي لما فاضت روحها ، وقصدت منزل شوكه ، فلما دخلت كان وزوجه يتناولان طعام الغداء وقد جلس الواحد أمام رفيقه ، والاحمرار يكسو وجهيهما ، والسعادة تسبل عليهما ظلها الوارف وبشرها الطافح . طلبا إليّ الجلوس فجلست ، وقدما لي كوبا من مشروب (الكيرسك)[1] فتناولته شاكراً وبدأت أنقل لهما القصة بصوت مضطرب حزين ، لأني زعمت أنهما سيبكيان ويحزنان .

على أن شوكه ما كاد يفهم أن هذه الأفاقة الشريدة تضمر له حباً

---

(١) Kirsck يصنع هذا المشروب من عصير الكرز

وولاء حتى جن جنونه وثارت ثائرته وشرع يثب من السخط والغضب كأنما سلبته السكينة من المجد والشهرة ، ومن العزة والشرف شيئاً كثيرا . أما زوجه فكانت تصيح والغيظ علؤها « يالها من نذلة ! يالها من نذلة ! »

ثم نهض شوكه وألقى بقبعته على الوسادة وأخذ يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً كأنه أحد المجاذيب وكان يتمتم : « أو يمكن هذا يا دكتور ؟ إن ذا الشيء فظيع ! ما العمل ؟ يا ليتني عرفت الأمر في حياتها ! فلكنت أسوقها سوقاً إلى السجن بقوة الدرك »

فلبثت أنا كالشدوه مما سمعته أذناي ورأته عيناي لا أدرى ماينبغي لي من قول ومن عمل . على أنني عقبت كلماتي : « سيدى إنها أوعزت إلىّ أن أحمل اليك ما تركته من نقود ، وقدرها ثلثمائة وألفان من الفرنكات . ولما كان ما نقلته لك من حديثها قد أثار فيك سخطاً وسوءاً ، فلعل من الخير أن نهب النقود بعض الفقراء والمساكين »

نظرا وقد أفقدتهما الحيرة كل حركة !

فأخرجت المال من محفظتي ، هذا المال التجمع من بلدان عديدة والمدّخر منَ جميع النقود من ذهب وفضة وغيرهما . وسألته قائلا : « ماذا عزمت ؟ »

قالت السيدة شوكه : « ما دامت رغبة المحتضرة الأخيرة تقضي بذلك . فأرى من الصعوبة رفض إرادتها »

وقال الزوج واحرار الخجل باد عليه : « إن هذا المال ينفعنا في اقتناء بعض الحاجات لأطفالنا »

قلت عند ذلك بصوت جاف : « كما تشاء »

قال : « هاته ما دامت أوعزت اليك ذلك . فلن تعوزنا الوسيلة في إنفاقه إنفاقاً جميلا »

فقدمت اليهما الدراهم وصافحتهما وانصرفت

وجاءني شوكه في غد اليوم ، وابتدرني قائلا : « هذه المرأة تركت عربتها ، ماذا فعلت بها ؟ » . قلت :

— لا شيء ، خذها إذا أردت . قال :

— إنها تنفعني ؛ سأجعل منها كوخاً لحديقتي

وهم بالانصراف فناديته قائلا : « إنها تركت أيضاً فرسها وكلبيها ، ألا تريدها ؟ فوقف مندهشاً وقال : « آه ! كلا ، لا حاجة بي اليها ، ما أصنع بها ؟ خذها أنت . » وأخذ يضحك ومد يده إلىّ فصافحته بمودة ، إذ لا ينبغي للطبيب والصيدلي أن يكونا عدوين .

احتفظت بالكلبين ، أما الفرس فقدمته إلى القسيس ، وأفاد شوكه من العربة كوخاً لحديقته ، وابتاع بالنقود خمسة أسهم في الخط الحديدي

هذا هو يا سادتي الحب العميق المحض الذي صادفته في حياتي وصمت الطبيب

فأخرجت المركيزة من صدرها آهة حبيسة ، وقالت والدموع تتلألأ في عينيها :

« الحق أن النساء وحدهن يعرفن الحب ! »

(حلب) فؤاد نور الدين



الأرحام المبلولة

أنكر علينا الدكتور زكى مبارك فى (البلاغ) قولنا فى افتتاحية العدد ١٣٩ من الرسالة : « وأيبست الأرحام المبلولة » ، وظن أن الذى ورطنا فى وصف هذا الموصوف بهذه الصفة إنما هو حرصنا على هذه السجعة التافهة ! ومعاذ الله أن نكره كلمة على غير موضعها طمعاً فى زينة لفظية نعتقد أن خصيصة الجمال فيها جريانها مع الطبع والصدق

لعل إنكار الأستاذ أن يكون آتياً من إحدى جهتين : إما استعمال اللغة وإما مراعاة الذوق . فأما اللغة فحسبنا أن نورد هنا ما ذكره (لسان العرب) ولا نزيد عليه . قال فى مادة (بلل) « . . . وبل رحمه يبلها بلا وبلالا : وصلها . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : بلوا أرحامكم ولو بالسلام ، أى ندّوها بالصلة . قال ابن الأثير : وهم يطلقون النداوة على الصلة كما يطلقون اليبس على القطيعة ، لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالنداوة ، ويحصل بينها التجافى والتفرق باليبس ، استعاروا البل لمعنى الوصل ، واليبس لمعنى القطيعة ، ومنه الحديث : فان لكم رحماً سأبلها ببلالها : أى أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئاً . . . أبو عمرو وغيره : بلت رحمى أبلها بلا وبلالا : وصلتها ونديتها . قال الأعشى :

أما لطالب نعمة تممتها   ووصال رحْم قد بردت بلالها

وقال الشاعر :

والرحم فابللها بخير البُلان   فانها اشتقت من اسم الرحمن

وأما الذوق فهناك ذوقان : ذوق أبناء العرب ، وذوق (أبناء البلد) ، فأما ذوق أبناء العرب فقد رأيت حكمه فى هذا الاستعمال من وروده فى الحديث والشعر ، وتسجيله فى معاجم اللغة وكتب الأدب ؛ وأما ذوق (أبناء البلد) فقد يجد فيه شيئاً ، ولكنه الشىء الذى يجده العامى فى مثل قول الله تعالى : (آتونى زبر الحديد) أو فى مثل قول الشاعر : « ومن يك » ومثل هذا الذوق العابث ينبغى أن نراعيه إلى حد ما ؛ وإلا ذهب كلام الناس كله هزؤاً بين (نكتة) و (قافية)

كلمة قصيرة اختلستها من المرض اللازم يا دكتور فمعذرة

الزيات

الحركة الأدبية

حفلت القاهرة فى الأيام الأخيرة بمجالس العلم والأدب ، فكأنها سوق من أسواق الكلام التاريخية فى أزهى عهوده وأحفل أيامه ، فأنت لا تنفك آخر النهار وأول الليل تسمع أبلغ الخطب وأجود القصائد وأنفس المحاضرات فى حفلات الترحيب وموائد التكريم وقاعات الثقافة ، وقد كان لوفود اخواننا الفلسطينيين والعراقيين أثر قوى فى هذه الحركة . ولقد قام (أسبوع المتنبى) الذى أعدته الجامعة المصرية فى المكان والأزمان التى أعلناها من قبل ، وكان ما سمعناه إلى اليوم من المحاضرات التى ألقيت فيه فخراً لكلية الآداب تستحق عليه التهنئة ؛ وعسى أن يساعدنا التوفيق فنثبت شيئاً منها فى أعدادنا المقبلة

مديرية أسوان

قرأت فى عدد الرسالة ١٣٩ نقدا على بعض ما جاء فى مقالى عن مديرية أسوان يدور

(١) على أن بلاد (بنت) هى فى آسيا من بلاد الفينيقيين . وهذا خطأ ، والصواب أنها كما ذكرت فى أفريقيا ، وموضعها الآن المنطقة المعروفة بالصومال الفرنسى والأريترية ؛ وقد بينها الأستاذ برستد على الخريطة فى كتابه aneieut times صفحة ١٠٢

(٢) اعترض على كلمة (اثيوبيا) اعتراضاً غير وجيه ، فان اثيوبيا كلمة يقصد بها الأراضى الواقعة جنوب مصر ، وهى كلمة يونانية استعملها هيرودوت ، واراتستين ، وبطليموس ، وبينوها

على خرائطهم . (انظر كتاب الأستاذ كاتى Keltie المسمى Partition of Afriea الفصل الأول وعنوانه The Africa of the ancient

(٣) ذكر أن تسمية الهيكل الموجود بجهة كلابشه منذ عهد رمسيس الثانى باسم بيت الولى خطأ وأن الصواب الوالى ، وقولنا هو الأصح لأن الغرض من الولى هو القديس لاعتبارات تتعلق بتاريخ مصر القديم لايجهلها أحد . والمهم أن يذكر الناقد النص الذى يعتمد عليه ، والمرجع الذى يرجع عليه ، حتى يكون على كلامه مسحة من الثقة . ذلك ما عنانا أن نرد عليه من النقد ، أما ما عدا ذلك فلا قيمة له

رشوان أحمد صادق

ذكرى مأساة غرامية شهيرة

تعنى الأوساط الأدبية الفرنسية دائماً بتتبع الحوادث والذكريات الأدبية ، ومن ذلك ما نوهت به بعض الصحف الأدبية أخيراً من مرور مائة عام كاملة على صدور كتاب لمؤلفه مكانة خاصة فى الأدب الفرنسى . وذلك هو كتاب « اعتراف طفل من أبناء العصر » La Confession d' un enfant du Siécle ؛ لمؤلفه الشاعر الغنائى الأشهر الفرد دى موسيه . وفى هذا الكتاب يعرض الشاعر فصلاً ساحراً محزناً معاً من حياته المنيفة المضطربة ، ذلك هو قصة غرامه مع الكاتبة القصصية الشهيرة جورج ساند ؛ وقد كانت هذه الكاتبة التى تضطرم شغفاً وجوى تهيم فى غمر الحب بلا انقطاع ، وتتقلب تباعاً بين أذرع عشاقها المتوالين ؛ وكان جلهم من كتاب العصر ومفكريه ؛ وكانت قبل هيامها بالشاعر خليلة لجول ساندو الكاتب ، ثم هامت من بعده بالشاعر ميرميه ، ولكن حبهما لم يكن سوى مأساة قصيرة المدى . وفى ذات يوم من أيام ابريل سنة ١٨٣٣ ، كانت جورج ساند تتناول طعام العشاء فى حفل راق ، وكان جارها فتى أنيقاً يحدثها بحرارة عن بعض قصصها ؛ ولم يكن هـذا الفتى الأنيق سوى الفرد دى موسيه ؛ وفى نفس المساء هامت جورج ساند بالشاعر الفتى ، وبث اليها جوى يضطرم ؛ ولم تمض أسابيع قلائل حتى غدت صاحبته ، وغدت باريس بأسرها تتحدث بهذا الغرام الجديد ؛ وبعد بضعة أشهر سافر العاشقان إلى البندقية ؛ ثم تسربت بعد ذلك عوامل الوهن إلى غرامهما ، وانتهت قصتهما الغرامية المشجية بعد أربعة عشر شهراً فى آلام ومعاناة ، وأوحت هذه المأساة الغرامية إلى الشاعر موضوع كتابه الأشهر « اعتراف طفل من أبناء العصر » . ولم يخطئ أهل العصر فى فهم ما قصد اليه الشاعر وما يعنيه بطريقة مستورة ؛ ولم تحاول جورج ساند يومئذ أن ترد عليه أو تثير حول الموضوع أية مناقشة ، خصوصاً وأن رواية دى موسيه كانت على ما يظهر تصور الحقيقة كما هى ، ولهذا اعتبرت يومئذ هى القول الفصل

ولكن الشاعر لما توفى بعد ذلك فى سنة ١٨٥٠ ، رأت جورج ساند أن تقول كلمتها فى مأساة غرامها ؛ فكتبت كتابها المسمى « هى وهو » Elle et Lui تصحح فيه بعض الوقائع والتفاصيل ، فأثار كتابها يومئذ فضيحة أدبية واجتماعية ؛ ورد عليها بول دى موسيه ولد الشاعر فى كتاب عنوانه « هو وهى » Lni et Elle

ومن ذلك الحين ظهرت عشرات الكتب والقصص عن علائق العاشقين الشهيرين ؛ وأشهر هذه الكتب وأقيمها هو بلا ريب كتاب شارل موراس الكاتب الكبير ومحرر جريدة « لا كسيون فرانسيز » وعنوانه « عشاق البندقية » Les Amants de Venise ؛ ومع ذلك فلم يكن هو الكتاب الفصل فى أمر هذه العلائق الدقيقة بين شخصيتين من أعظم شخصيات القرن التاسع عشر ؛ فقد ظهرت بعد ذلك مكاتبات ووثائق لم تنشر من قبل وفيها حقائق وتفاصيل جديدة تلقى ضياء جديداً على تلك المأساة الغرامية الشهيرة .

بيد أنه مما يلفت النظر أن هذه المكاتبات والوثائق الجديدة تؤيد رواية دى موسيه فى مجموعها ، وأن جورج ساند قد عمدت قصداً إلى تغيير بعض الحقائق والتفاصيل فى كتابها « هى وهو »

مؤسس الأدب اليهودى الشعبى

تحتفل الدوائر اليهودية الأدبية بذكرى أديب يهودى كبير هو منديل سفوريم مؤسس الأدب اليهودى الشعبى (Yidfish) وقد ولد هذا الأديب فى إحدى بلاد لتوانيا منذ مائة عام كاملة فى سنة ١٨٣٦ ؛ واسمه الحقيقى هو شولم يعقوب ابراموفتش ؛ ودرس الأدب والعلوم قراءة لأنه لم يظفر بتربية مدرسية منظمة ؛

وكان الشعب اليهودى يعيش يومئذ فى روسيا فى ظل طغيان مطبق ويعانى أمر ضروب الاضطهاد والزراية والفاقة ؛ وكانت قد ألفت فى ذلك الوقت جمعية من الشباب اليهودى المتنور تسمى « مسكليم » أعنى الطلائع المثقفة وغرضها أن تعمل لادخال الأفكار والمدنية الغربية الى طوائف الشعب اليهودى التى مازالت تعيش فى ظل تقاليدها العتيقة ؛ فانضم منديل سفوريم إليهم ؛ وكان الكتاب اليهود يكتبون يومئذ إما بالروسية وإما بالعبرية ، فسار منديل فى أثرهم وأصدر أول كتبه بالعبرية ، ولكنه لاحظ أن سواد الشعب اليهودى يتحدث باللغة اليهودية (Yiffish) ، وهى مزيج شعبى من الألمانية المحرفة وعناصر أخرى عبرية وروسية وغيرها ، ورأى أن غزو أذهان هذا الشعب لا يكون إلا بمخاطبته بلغته الأصيلة ؛ عندئذ فكر منديل فى الكتابة باليهودية ؛ وكان عملا شاقا لأن هذه اللغة لم تكن لها أصول نحوية أو لغوية ، وإنما كانت لغة الحديث الطائر . ولكن منديل كان فنانا ذا مواهب ممتازة ، فاستطاع أن يخرج من هذه اللغة الشعبية لغة أدبية تصلح للكتابة والقراءة ؛ وكتب فعلا باليهودية لأول مرة ؛ ووصف للشعب اليهودى حياته المظلمة العتيقة ، وذلته الخالدة ، وبؤسه المطبق ؛ وأخذ يبث اليه روح النهوض والتحرر ، وذلك فى روايات شعبية جذابة . ولم يستطع كاتب يهودى غير منديل أن يصف نقائص أمته بمثل قوته وجرأته ودقته ، فقد وصف طوائف الشعب اليهودى ، الأغنياء والفقراء ورجال الدين والمفكرين وصفا قويا ، ولم يخف نقيصة أو مأخذا ، بل كان شديد الوطأة عليهم جميعاً ، لا يذلله ويستدر شفقته سوى بؤس الشعب اليهودى

ولمنديل سفوريم عدة قصص شهيرة منها « الفرس » « رحلة بنيامين » « تروا » « خاتم السعادة » وفيها يصف المجتمع اليهودى فى خلال القرن التاسع عشر فى مختلف صوره ؛ وفى قوة وصراحة لم تعرفا من قبل ؛ ومن الغريب أنه استطاع أن يجعل من هذه اللغة اليهودية المبعثرة أداة قوية فصيحة للتعبير الحى ؛ وأن يقود الطريق لجعلها لغة أدب يهودى جديد ؛ وقد سار فى أثره عدة من أكابر الكتاب اليهود فى القرن التاسع عشر فكتبوا باليهودية ، التى غدت فى يومنا لغة أدب يهودى جديد

وتوفى منديل سفوريم فى سنة ١٩١٧ وقد أربى على الثمانين بعد أن توطدت دعائم الأدب اليهودى الجديد الذى كان أول من وضع دعامته الأولى

وداع الحرية

يجد المؤرخ والقصصى معاً مادة بديعة فى مصرع يوليوس قيصر ؛ فقد كان حادثاً من أنبل وأعظم حوادث التاريخ ، وكان بأدواره وتفاصيله قصة ساحرة . وقد صدرت أخيرا بالانكليزية قصة عنوانها « وداع الحرية Freefon Farewell » للكاتبة الانكليزية فيليس بنتلى ، وهى قصة تاريخية رائعة ، تستعرض فيها المؤلفة حياة قيصر ومجده الباذخ ومصرعه المفجع . وتصف لنا مس بنتلى خلال قصتها طائفة من الشخصيات الرومانية الشهيرة التى عاشت حول قيصر ، وصادقته أو ناهضت مجده مثل بومبى ، وكاتو ، وكراسوس ، ثم بروتوس قاتل قيصر . ولم تجد الكاتبة أمامها كبير مجال للتوغل فى ميدان الخيال ، ذلك أنها إنما تعرض عصرا بحوادثه وأطواره ، وتجد مادة غزيرة فى التفاصيل التاريخية الكثيرة التى تقدمها الينا الروايات المعاصرة والتواريخ القديمة . بيد أنها تجد أمامها مادة للحديث عن الأتوقراطية ، والديموقراطية ؛ وهى تحمل ما استطاعت على الأوتوقراطية وجميع مظاهرها وتمجد الحرية والديموقراطية ؛ على أنها لا تجد ما تقوله فى مديح تلك الديموقراطية الرومانية التى مات فى سبيلها قيصر واتخذ امتهانها ذريعة لاغتياله . ونحن نذكر أن بروتوس وزملاءه المؤتمرين بحياة قيصر كانوا يعملون باسم الديمقراطية ، ويتخذون من بعض مظاهر قيصر وتصرفاته حجة عليه بأنه يجنح الى الامبراطورية والحكم المطلق . وقصة مس بنتلى حسنة السبك من هذه الناحية ، بيد أنه يمكن من جهة أخرى أن يقال إنها لم تقدم الينا جديداً فى الاستعراض أو الوصف ، لأنها إنما تقتصر على الشخصيات والحوادث التاريخية الجافة . وهذا عيب نلمسه أحياناً فى كثير من القصص التاريخية . ولكن مس بنتلى تقدم الينا على أى حال قصة ممتعة تسحر بروعة أسلوبها

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٢ — ٢٣ مارس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 142. — Lundi-23-3-1936



بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة — « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٢٣ مارس سنة ١٩٣٦ » — العـــدد ١٤٢

فهرس العـــدد

صفحة		
٤٤١	إلى أخى الزيات	: الأستاذ أحمد أمين ... ...
٤٤٣	دعاية إبليس	: الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٤٤٦	من فرساى إلى لوكارنو	: باحث دبلوماسى كبير ... ...
٤٤٩	التعليم والحالة الاجتماعية فى مصر	: الأستاذ اسماعيل مظهر ... ...
٤٥٣	فلاسفة الاسلام	: الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
٤٥٦	فى تاريخ الفقه الاسلامى	: الدكتور يوسف شخت ... ...
٤٦٢	الحجر المؤابى	: جريس القسوس ... ...
٤٦٤	فى ميدان الاجتهاد ...	: الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٤٦٧	تقى الدين السبكى	: محمد طه الحاجرى ... ...
٤٦٩	صديق البلاء (قصيدة)	: الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٤٦٩	فاجعة الروض »	: أمجد الطرابلسى ... ...
٤٧١	فى الأدب الايطالى الحديث	: محمد أمين حسونه ... ...
٤٧٤	محاكمة أورست (قصة)	: الأستاذ دريني خشبة ... ...
٤٧٨	رجائى ورجاء الزيات ...	: الأستاذ محمود مصطفى ... ...
٤٧٩	السخاوى	: محمود عساف أبو الشباب ...
٤٧٩	الأدب الألمانى فى المنفى	
٤٨٠	بعض عناوين وأسماء	

إلى أخى الزيات *

للأستاذ أحمد أمين

سمعت أمس لعزائك ، فى « رجائى » و « رجائك » ، فرأيتك واجماً ساهماً ، مولهاً مدلهاً ، فانعقد لسانى ، وتخلف ذهنى ، وفاض دمعى

وكيف أستطيع عزاءك وما استطعت أن أعزى نفسى ؟ أو كيف أستطيع أن أخفف ما بك وما استطعت أن أخفف حزنى ؟

رأيت بك كمداً باطناً ، وحزناً مكتمناً ، فعلمت أنك تتجرع غصص الهم ، وتختزن برحاء الكرب ، فتمنيت أن تخفف عنك بصرخة ، وتنفس عن نفسك بدمعة ، ولكن عز الصبر ، وعز الدمع ، فما هى إلا زفرات تذيب لفائف القلوب وتنفطر لها المرائر

وارحمتاه لك ! لقد كان « رجاء » قبلة رجائك ، ومعقد

* احتسب الأستاذ الزيات صاحب « الرسالة » ابنه « رجاء » فى مستهل عامه الخامس يوم الأربعاء ١٨ مارس فى الساعة السادسة مساء ، رحمة الله عليه

٦ ، ٢٩

آمالك ، وحديث أحلامك ، وملء سمعك و بصرك ، تشوفتــه حياتك ، وترقبته مطلعَ شبابك ، حتى جاد به الزمان البخيل ، فربطت أسبابك بأسبابه ، وتعلقت بأهدابه ، فلما شمت مخايله ، ورقبت منه النجح ، عدا عليــه الدهر الذى لا يرعى ميثاقاً ، ولا يثبت على عهد ، فأخلف ظنك ، ونقض أملك ، فإذا الدنيا أضغاث أحلام ، ووساوس أطماع

ولـكن يا أخى — ما الجزع مما لابد منه ، وما الهلع مما قدر ، ومثلك من يعرف مقدار الحياة وهوانها ، أفليست إلا مرسحاً تمثل عليه أدوار مختلفة ، مرة مهزلة ، ومرة مأساة ، ونحن فى حين ممثلون ، وفى حين ناظرون . وليس لنا أن نبالغ فى الألم ، ونغلو فى الجزع ، فقد كان يكون لذلك وجه من الحق لو ذهب من ذهب أبداً ، وعشنا بعده أبداً ، و إنمـا الأمر دور يعقب دوراً ، ولا حق منا إثر سابق ، و إنا لله و إنا إليه راجعون

وأية سعادة نجدها فى هذه الحياة حتى نحزن على الراحل ، ونبكى على الميت ، ونود أن لو بقى ليستمتع بها ، و يتذوق طيباتها ، إنما هى سلسلة عناء ، وضروب شقاء ، تنوعت ألوانها ، واتحدت حقيقتها ، ولو أنصفنا لغبطنا من مات ، وأشفقنا على من بقى ، ومن مات فى صباه فقد اختصر الحياة واختصر همومها وأحزانها ، ووفر على نفسه عبئاً ثقيلا ينتهى مختصره بما ينتهى به مطوله ، وخير للزهرة أن تذهب وهى ناضرة تعجب الناس ، من أن تذهب وهى ذابلة يعافها الناس

فخذ الحياة كما هى ، ليــل ينقضى فى أثر ليل ، وقوم فى أثر قوم ، وحادث يستذرف الدمع يعقبه حادث يخفف الهم ، وقل كما قالت الخنساء :

فلولا كثرة البا كين حولى
على إخوانهــم لقتلت نفسى
وما يبكون مثــــل أخى ولـكن
أعزى النفس عنـــــــه بالتأسى

وليس الوفاء للميت بالإفراط فى الحزن ، والإمعان فى البكاء ، إنما الوفاء بمقابلة دواعى الحزن بدواعى الصبر ، وليست الحكمة فى إضعاف الحى من أجل الميت ، إنمـا هى فى أحياء الحى من أجل الحى والميت

وقد أخطأ الناس فغلوا فى استفظاع الموت والاحتفاء به ، وهولوا فى الاستكثار من مظاهره ، ولو عقلوا لقابلوه كما يقابل كل قانون طبيعى فى هذا العالم ، زهرة تنضر وتذبل ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجم يتألق و يأفل ، وسماء تصحو وتغيم — ولو عقلوا أيضاً لرددوا هذا المعنى فى نفوسهم ، واطمأنت له عقولهم ؛ فإذا كان فهو ما تخيلوه ، و إذا حدث فهو ما توقعوه ، و إذن لخف الألم وانقطع الجزع

أى أخى — ليكن ما أراده الله ، ولنلوّن حياتنا بلون من ألوان التصوف ، رضاء بالقــدر ، واستخفاف بالعالم وما فيــه ، وطمأنينة إلى قوانينه ، وإيمان بعظمة الله وسلطانه ، والتجاء إليه أن يتولاك برحمته و يظلك بإحسانه

أى أخى — لقد أصبحت منسرق القوة ، ضعيف البنية ، مرهف الحس ، رقيق الصحة — ولئن كان الانتحار جريمة لا تغتفر ، ويأساً لا يرضاه الله ، فليس هو — فحسبُ — فى إطلاق عيار نارى ، أو إلقاء النفس فى اليم ، أو ما عهدت من ضروب إزهاق الروح ، ولـكن من ضروبه أيضاً الاستسلام للحزن والتسمم بالغم ، والاسترسال فى أسباب الـكرب ، فهو انتحار بطىء ولـكنه شر من الانتحار العاجل أعيذك بالله منه ، وأربأ بنفسك عنه

فهوّن على نفسك ، و إن خاب رجاؤك فى « رجاء » لحقق الله أملك فى « علاء » وعش له ولنفسك وللناس

أحسن الله عزاءك ، وأجمل صبرك ، وأجزل أجرك

أحمد أمين

دُعابة إبليس (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما إني سأقصُّ هذه الحكايةَ كما اتفقتْ ، لا أزيّنها بخيال ، ولا أتزيّدُ فيها بخبر ، ولا أولّد لها معني ؛ فانما هي حكايةُ خبث الخبيث فيها حذقُه ودهاؤه ، ورقتها غلظتُه وشره ، ومعانيها بلاؤه ومحنته ؛ وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم والله المستعان

لما فكرتُ في وضع مقالة (إبليس) من أحاديث (ابن مسكين) وأدرتُ رأيي في نهجها وحدودها ومعانيها ، جعل فكري يتقطع في ذلك ، يذهب ويجيء كأن بيني وبينه منازعة ، أو كأن في نفسي شيئاً يثنيني ويقطعني عن العزم ؛ وخيّل إليّ حينئذ أن (إبليس) هذا منفعةٌ من المنافع . . . وأنه هو قانون الطبيعة الذي نصُّ مادته الأولى : ما أعجبك فهو لك ، ونصُّ مادته الأخيرة : ما احتجتَ اليه فثمنُه أن تقدرَ على أخذه . . .

وهجَس في نفسي هاجسٌ أن (إبليس) قائم في لفظ الحرية كما هو قائم في لفظ الاثم ، وأنه إن يكن في قلوب الفُساق فهو أيضاً في أدمغة الفلاسفة ؛ ولئن كان في سقوط أهل الرذيلة إلى الرذيلة ، فهو كذلك في سموّ أهل الفن إلى الفن . . . قال الهاجس : وإن (إبليس) أيضاً هو صاحب الفضيلة العملية في هذا العصر المادي ، فهو من ثمّ حقيقٌ أن يلقبوه صاحب الفضيلة . . .

ولكني لم أحفل بهذه الوساوس ولم أعُجْ على شيء منها ، واستعنتُ الله وأمضيتُ نيتي على الكتابة ، وأخذتُ أقلّب الموضوع ، وأنبّه فكري له ، وأستشرفُ لما يؤدّي اليه النظر ، وأتطلّع لما يجيء به الخاطر ، وألتمس ما أبني عليه الكلام كما هي عادتي ؛ فلم يقع لي شيء ألبتة كأنما ذهب أولُ ابتداءِ الموضوع فلا أولَ له ولا سبيل إلى اقتحامه ، وكأنه من وراء العلم فلا يُبلغ اليه ، وكأنه من التعذّر كمحاولة تصوير حماقة الحياة كلها في كلمة

* * *

ومن عادتي في كتابة هذه الفصول التي تنشرها (الرسالة) أن أدع الفصلَ منها تقلّبه الخواطر في ذهني أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأترك أمره للقوة التي في نفسي فتتولد المعاني من كل ما أرى وما أقرأ وتنثال من ههنا وههنا ، ويكون الكلام كأنه شيء حيٌّ أريدَ له الوجودُ فوُجد

ثم أكتب نهار الجمعة ومن ورائه ليلُ السبت وليلُ الأحد كالمدد من وراء الجيش إذا نالتني فترة أو كنت على سفر أو قطعني عن الكتابة شيء مما يعرض

وفي أسبوع (إبليس) لعنه الله مرت الأيام الثلاثة وفيها ثلاثة ألوان : ضجَرٌ لا رَوْحَ فيه ، وكسلٌ لا نشاط معه ، واضطراب لا مِساك له . وأطلتُ التفكير يوم الخميس فكانت تعتريني خواطر مضحكة ، فيعرض لي مرة أن أصور إبليس امرأة ليكون إبليس الجميل . . . وتارة أتوهم أن إبليس يريد أن يكون شيخاً كبعض رجال الدين الذين لا تزال تطلع على خائنةٍ منهم ، ليقال إبليس التقي المصلي . . . وحينا أظن أنه يريد أن يكون كاتباً مؤلفاً شهيراً ليقال إبليس المفكر المصلح . . . وخطر لي أخيراً أنه يريد أن يكون حاكما ملحداً شيوعياً فاجراً ليكون إبليس التام لا إبليس الناقص . . .

* * *

ولما ذهبت الأيام الثلاثةُ باطلاً خيّل إليّ أن ابليس أخزاه الله يسألني عن المقالة : إلى أي شيء انقلبتْ . . . ؟ فشقّ ذلك عليّ واغتممتُ به ، غير أني اطمأننت إلى يوم الجمعة وأن وراءه ليلتين . وكانت قد غربت شمسُ الخميس فقلت فلأخرجْ لأتفرّج مما بي ، وعسى أن أجم نفسي للتفكير إذا جلستُ في الندىّ ، ولعله يقع ما أستوحيه أو ينفتح لي بابٌ في القراءة

وخرجتُ فلم أجاوز الدار حتى ابتدرني من هبط عليه الخبر من القاهرة أن نسيباً لنا من العظماء توفي أخوه اليوم . فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ ضاع يوم الجمعة إذ لا بد من السفر لتشييع الجنازة وحضور المأتم ، ثم قلت : لعل في هذا السفر

(١) الدعابة المزاح واللعب ، وكل ما سيرد في هذه المقالة فهو صحيح لم نخترع منه شيئاً

استجماماً ونشاطا فأستدركَ الأسبوع كلّه فى يومين ، وإنما الاستكثارُ بالقوة لا بالزمن ، ولا يدَ لابليس فى الموت والحياة ، فليس إلا اطِّراحُه وقلةُ المبالاة به ، وإنما هى خطرات من وساوسه

وأصبحتُ فى القاهرة ومشيت فى الجنازة قبل الظهر مسيرة ساعة كاملة ؛ وكانت الشمس ساطعةً تتلألأ وأنا مُثقلٌ بثياب الشتاء ، وكنت أتوقع أن يكون اليوم من أيام الريح المجنونة . فلما انتهينا إلى الصحراء هبّت الريحُ هبوبا لينا ثم زَفّت ْ فكانت إلى الشدة ما هى ، ولكنها ماضية تَسْفى الرملَ فى الأعين فيأخذ فى أجفانى أُكالٌ وتهييج ، وليس معى شيء أتّقيها به . غير أنى شغلت فكرى برؤية المقابر وجعلتها فى نفسى كالمقالة المكتوبة سطراً وراء سطر ؛ وقلت : ههنا الحقيقة فى أول تفسيرها ، وغير المفهوم فى الحياة يُفهم هنا

ثم رجعت مُنَدّى الجسم بالعرق وعلىّ نَضْحٌ منه ، وكان القميص من الصوف ، وبصدري أثر من النزلة الشُّعبية ؛ وإذا تندّى الصوف وجب نزعه وإلا فهى العلةُ مامنها بد

ثم لم تكن غير ساعة حتى انخرقت الريح وجعلت تمصف وبَرَدَ الجو فأيقنتُ أنه الزكام ، وقلت فى نفسى : هذا بابٌ على حِدَة ، والمقالة ذاهبة لا محالة فسيتخلّف الذهن ويتبلّد ؛ والشيطانُ كريم فى الشر يعطى من غير أن يُسأل . . . .

وثقل ذلك علىّ فكان الغم به علةً جديدة ، بيد أنى لم أزل أرجو الفرصة فى أحد اليومين السبت والأحد . وقلت : إن من البلاء الفكرَ فى البلاء ، ولعل من السلامة الثقة بالسلامة ؛ فاذا نبهتُ العزيمة رجوتُ أن يتغلغل أثرها فى البدن كله فيكون علاجاً فى الدم يحدث به النشاط ويُرهَفُ منه الطبع وتجمُّ عليه النفس . وفى قوة العصب كهربائية لها عملها فى الجسم إذا أحسن المرءُ بعثَها فى نفسه وأحكم إفاضتها وتصريفَها على طريقة رياضية ؛ ولهى الدواء حين يعجز الدواء وهى القوة حين تخذل القوة

فاعتزمتُ وصمّمتُ واحتلتُ على الارادة وتكاثرتُ من أسباب الثقة ورَصّدتُ لها السوانح العقلية التى تسنح فى النفس وقلت لابليس : اجهد جهدك فما تذهب مذهباً إلا كان لى مذهب ؛ ولكن اللعين أخطر فى ذهنى قول القائل يسخر بذلك الكاتب البغدادى [1]

لو قيل : كم خمسٌ وخمسٌ لاغتدى
يوماً وليلتَه يَعُدُّ ويَحْسُبُ
ويقول : مُعْضِلةٌ عجيبٌ أمرُها
ولئن فهمتُ لها ، لأمرِىَ أعجبُ
خمسٌ وخمسٌ ستةٌ أو سبعة
قولان قالهما الخليلُ وثعلبُ

***

ثم أجمعتُ الرجوعَ من يومى إلى (طنطا) لأتقى البردَ بعلاجه إن نالنى أثره ، وكان علىّ وقتٌ إلى أن يقوم القطار ، فذهبتُ فقضيت واجباً من زيارة بعض الأقارب فى ضاحية (الجيزة) ، ثم ركبت الترام الذى أعلم أنه ذاهب إلى محطة سكة الحديد

وجلست أفكر فى إبليس ومقالته ، والترام ينبعث فى طريقه نحو ثلث الساعة ، حتى بلغ الموضع الذى ينعرج منه إلى المحطة ، وهو بحيال (جمعية الاسعاف) ، حيث تنشعب طرق أخرى ؛ وكنت منصرفاً إلى التفكير مستغرقاً فيه ، طائف النظرات على الجو ، فما راعنى إلا اختلافُ منظر الطريق ؛ وأنتبه فاذا الترام يَمْرُق مروق السهم فى تلك السبيل الصاعدة إلى (الجيزة) .... من حيث جئت

فلعنت الشيطان وتلبثتُ حتى وقف هذا الترام فغادرته ورجعت مهرولا إلى ذلك المنشعب ، فصادفت تراماً آخر ، فوثبت اليه كأنى أحمل اليه حملا ، ودفعت الأجرة ، وانطلق فاذا هو منصبٌ فى تلك الطريق عينها الذاهبة إلى الجيزة من حيث جئت . . . ولا أستطيع الانحدار منه وهو منطلق ، فتسخّطت ولعنت الشيطان مرة أخرى ، ورأيت أن عبثه قد تَرادَفَ ، فلما سكن الترام رجعت مهرولا إلى ذلك المنشعب ولم يبق من الوقت غير قليل

وأنظرُ ثمّ فاذا ترامٌ وراء ترام ، وإذا قد وقعت حادثة

---

(١) قيل هذا الشعر فى وصف ديوان الكاتب وهو رجل من بغداد وكان كاتبا على الخراج فسخر منه الشاعر بهذا الأسلوب البديع

لاحدى السيارات واجتمع الناس وسُدَّت الطريق .... لجملت أغلى من الغيظ ، ولعنت هذا الدّعّابة الخبيث ، وأذكرنى اللعين نادرة الأعرابى الذى عضه ثعلب ، فأتى راقياً ، فقال له الراق : ماعضك ؟ فاستحى أن يقول ثعلب ، وقال : كلب ، فلما ابتدأ الرجل برقية الكلب قال له الأعرابى : واخلط بها شيئاً من رقية الثعالب .....

* * *

ثم إنى لم أر بداً من بلوغ المحطة على قدمى لأتمّ على عزيمتى فى مراغمة اللعين ، فأسرعت أطوى الأرض وكأنما أخوض فى أحشائه ، وكان بصدرى النهابٌ فهاج بى ، غير أنى تجلدت واتسعتُ لاحتماله وبلغت حيث أردت

ثم ذهبت ألتمس فى القطار عربة خاصة أعرفها ، كانت من عربات الدرجة الأولى لجعلوها فى الثانية يرفهون بها بعض الترفيه على طائفة من المسافرين ؛ وأصبت فيها مكاناً خالياً كأنما كان مهيأ لى بخاصة ... فانحططتُ فيه إلى جانب رجل أوربى أحسبه ألمانياً لتفاوت خَلْقِه وعُنْجُهيّته ؛ وجلست أنفس عن صدرى ثم أقبلت أسخر من إبليس ونكايته ، وجعلتُ أتعجب مما اتفق من هذا التدبير

وتحرك القطار وانبعث وكان الأوربى إلى جانبى مما يلى النافذة وقد تركها مفتوحة فأحسستُ الهواء ينصب منها كالماء البارد وأنا متندٍّ بالعرق ؛ وترقبت أن يغلقها الرجل فلم يفعل ، فصابرتُه قليلاً فاذا هو ساكن مطمئن يتروَّحُ بالهواء وكأنما يشربه ، وتأملته فاذا شيخٌ فى حدود الستين أو فوقها غير أنه على بقية من قوة مصارع فى اكتناز عضله واجتماع قوته ووثاقة تركيبه ، فأيقنت أن الهواء من حاجته ، وهممتُ أن أنبهه أو أقوم أنا فأغلق النافذة ، ولو شئت أن أفعل ذلك فعلت ، غير أن الشيطان أخزاه الله وسوس لى أن هـذا رجل أجنبى غربى وأنت مصرى شرقى فلا يحسن بك أن تُعلمه وتعلم الحاضرين أمامكما أنك أنت الأضعف على حين أنه هو الأسنّ ، وكيف لا تقوم لما يقوم له وقد كنتَ تُباكِرُ الماء البارد فى صميم الشتاء ، وكنت لا تلبس فى أشد أيام البرد غير ثياب الصيف ، وكنت تحمل كذا وكذا ثقلاً وتُمانى كذا وكذا من ضروب القوة ، وكنت تلوى بيديك عود الحديد وكنت وكنت

فتذممتُ والله مما خطر لى ؛ وأنفتُ أن أنبه الرجل ، ورأيت عملى ضعفاً وفسولة ، ولم أعبأ بالهواء ولا بالعرق ولا بالنزلة الشُعبية ولا بالزكام ، وتركت الأوربى وشأنه ، وأقبلت على كتاب كان فى يدى وتناسيت أن هذه النافذةَ جهةٌ من تدبير إبليس ؛ وكان القطار مزدحماً بالراجعين من المعرض الزراعى الصناعى وبعض الناس وقوف فلا مطمع فى مكان آخر . . .

ولبثتُ ساعة ونصف ساعة فى تيار من هواء فبراير ينصبُّ انصباباً ويعصف عصفاً وكأنى أسبح منه فى نهر تحت ظلمة الليل الماطر ، والناس معجبون بى وبالأوربى ، وهذا الأوربى معجب بى أكثر منهم وقد رأى مكانى وعرف موضعى ؛ وكان إلى يمينى مجلس بقى خالياً ولم يقدم أحد على أن يجلس فيه خوفاً من الهواء ومن الرجل الأوربى . . .

ثم تراءتْ أنوار محطة (طنطا) ولم يبق من هذه المحنة غير دقيقتين ؛ فوالله الذى لا يُحلفُ بغير اسمه عز وجل ، لقد كان إبليس رقيماً جلفاً بارداً ثقيل المزاح إذ لم أكد أتهيأ للقيام حتى رأيت الرجل الأوربى قد مدَّ يده فأغلق النافذة . . .

* * *

ورجعت إلى دارى وأنا أقول : ثم ماذا يا إبليس ؛ ثم ماذا أيها الدُّعْبب[1] ؟ وحاولت بجهدى أن أكتب أو أقرأ فلم أتحرك لشىء من ذلك ، وكانت الساعة العاشرة ليلاً فصليت وأويتُ إلى مضجعى

ثم أصبحت يوم السبت فاذا كتاب من الأستاذ صاحب (الرسالة) أنه سيطبع عددين مماً فيريد لهما مقالتين إذ تغلق المطبعة فى أيام عيد الأضحى ، وكان أملى فى المقالة الواحدة مخذولاً مما قاسيت فكيف لى باثنتين ؟

واختلط فى نفسى همٌّ بهمٍّ وما يفسد علىَّ أمرى شىء مثلُ الضيق فاذا تضايقتُ كنتُ غير من كنت ؛ ولكنى تيقظت وتنبهت وأملتُ العافية بما أجده من ثَقْلة البرد وضعفته ، وأحدثتُ طمعاً فى النشاط إذا جلست للكتابة فى الليل فانى بالنهار أعمل للحكومة

---

(١) الدعبب والدعاب والدعابة (بتشديد العين) كلها بمعنى

فلما كان الليلُ لم أجد أمري على ما أحب ، وجلستُ متفترا معتلاً وثقُل رأسي من ضربة النافذة وتسلّط على ظنٌ المرض والعجز عن الكتابة ، وانتقض الأمر كله فرأيتُني أشقٌ على نفسي بلا طائل ، فكان من صواب التدبير عندى أن استجمّ بالنوم ثم أنهض فى السَّحَر للكتابة . فأوصيت من يوقظنى وحررنا الساعةَ المنبهة على تمام الثانية بعد منتصف الليل

وأحسست أنى جائع وأن معدتى مشحوذة ونسيت كل ما أعرف من الطب ؛ وجاءونى بشواء وحلوى وما بينهما ، فخلطتُ فيه ولففتُ الآخر بالأول ، ثم قمت أريد النوم فاذا الطعام كان أشد على من نافذة القطار ، وكان الذى فى الفكر من المقالة أثقلَ من الذى فى المعدة من الطعام ، وساء الهضم فى الدماغ والبطن جميعاً

وجعلت أتناوم وأرخى أعضائى وأتوهم الكرى وأستدنيه بكل ما أعرف من وسيلة ثم لا أزداد على ذلك إلا أرقاً ، وتمرّد الفكر وأحسست رأسى يكاد ينفجر وصرتُ أتَمَلْمَل ولا أتقارٌ ، وتوهمتُ أن لو كان لى عقلان ما استطعتُ كتابة المقالة عن إبليس لعنه الله . وأذكرنى الخبيث نادرة مضحكة : أن رجلا كان يركب حماراً ضعيفاً وكان يمشه فلا ينبعث ، فجعل يضربه فقيل له : ارفق به . فقال إذا لم يقدر يمشى فَلِم صار حماراً ....؟

***

وقذفت بنفسى من الفراش ونظرت فى الساعة فاذا هى موشِكَةٌ أن تبلغ الثانية ولم أحسّ الرقاد بعد ، فأسرعت إلى المنبّهة وحرّتها على تمام الساعة الرابعة صباحا ؛ وأيقنت أن الشيطان يُرهقني طغياناً وكيداً فطفقتُ ألعنه وما أحسبه إلا قد رأى اللعن مدحاً فهو يستزيدنى . . .

ثم رجعت أحاول النوم فما كان هذا الليل إلا شيئاً واحداً أوله آخره إلى أن طلع الفجر

وجاء يوم الأحد وهو يوم عُطلة الأوربيين فما أشد عجبى إذ تركنى فيه ابليس كأنهم لا يَدَّعون له وقتاً فى هذا اليوم .....

والآن يزيّن لى الخبيث أن أختم هذه المقالة بـ ... بـ ....
ولكن لا . لا ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

أوربا على المنحدر

١ – من فرساى إلى لوكارنو

مسألة الرين وسلام أوربا

بقلم باحث دبلوماسى كبير

وقع فى السابع من مارس الجارى حدث عظيم فى السياسة الدولية لا زالت أصداؤه تدوى فى أرجاء أوربا ، ولا زالت آثاره ونتائجه موضع البحث الخطير فى دوائر السياسة العليا . ذلك هو إقدام الحكومة الألمانية على إلغاء ميثاق لوكارنو الخاص بتأمين السلام على ضفاف الرين ، واقدامها فى نفس الوقت على إلغاء آخر التعهدات والقيود العسكرية التى فرضتها عليها معاهدة الصلح ، ووضع فرنسا وأوربا أمام الأمر الواقع باحتلال منطقة الرين الشرقية التى قضت معاهدة الصلح بتجريدها من السلاح ومن كل وسائل الدفاع العسكرية

ولم يكن عمل ألمانيا مفاجأة مطلقة ، فقد كان معروفاً منذ أسابيع أنها تفكر فى انتهاج مثل هذه الخطة ، وأنها تترقب الفرصة لتنفيذها ؛ ومنذ أسابيع تتحدث الصحافة الألمانية عن منطقة الرين ووجوب تسليحها استكمالاً لحقوق السيادة الألمانية وصوناً لشرف ألمانيا وكرامتها ، ومنذ أسابيع تتحدث الصحافة الفرنسية عن نيات ألمانيا ، وما يجب على فرنسا أن تتخذه إذا أقدمت ألمانيا على تنفيذها

وقد نفذت ألمانيا خطتها ، واحتلت منطقة الرين الحرام فصائل من الريخسفر (الجيش الألمانى) فى نفس الوقت الذى ألقى فيه الهر هتلر من منبر الريخستاج الذى عقد خصيصاً لهذا الغرض خطابه القوى الجامع عن موقف ألمانيا تجاه السياسة الأوربية ، وتجاه فرنسا ، وأعلن فيه إنكار ألمانيا لنصوص ميثاق لوكارنو ، واعادة حقوق السيادة الألمانية كاملة على منطقة الرين

ويجب لكى نفهم حقيقة هذا الحدث السياسى والعسكرى

الخطير ، وحقيقة البواعث التى حملت ألمانيا على انتهاجه ، ومدى تأثيره فى السياسة الأوربية ، أن نستعرض أولا نصوص معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) الخاصة بمنطقة الرين ، ثم نصوص ميثاق لوكارنو الخاص بتأمين السلام على ضفاف الرين ، وأن نتتبع تطورات السياسة الأوربية الأخيرة التى مهدت إلى هذا الطور الخطير الحاسم

معاهدة فرساى ومنطقة الرين

كان ضمن الشروط والأغلال الفادحة التى فرضتها معاهدة الصلح على ألمانيا أن تجرد مناطق الرين الألمانية من سلاحها سواء ما كان منها غرب هذا النهر ملاصقاً للحدود الفرنسية والبلجيكية أو ما كان منها شرق هذا النهر على بعد خمسين كيلومترا داخل ألمانيا ذاتها . وقد أدمج تجريد منطقة الرين الألمانية من السلاح فى المواد ٤٢ و٤٣ و ٤٤ من معاهدة فرساى ، وهذا نصها :

يحظر على ألمانيا أن تستبقى أو تنشىء تحصينات سواء فى الضفة اليسرى من الرين ، أو فى الضفة اليمنى غرباً على مدى خط طوله خمسون ميلا شرق النهر (٤٢)

يحظر أيضا أن يستبقى أو يحشد فى المنطقة السابقة قوات مسلحة سواء بصورة دائمة أو بصورة مؤقتة ، وكذلك يحظر إجراء أية تمرينات عسكرية مهما كان نوعها ، أو الاحتفاظ بأية إجراءات مادية لتسهيل التعبئة (٤٣)

إذا خالفت ألمانيا بأى صورة ما نصوص المادتين ٤٢ و٤٣ ، فانها تعتبر أنها قد ارتكبت عملا عدائيا ضد الدول الموقعة على هذه المعاهدة ، وأنها تحاول تعكير السلام العالمى (٤٤)

فهذه المواد الثلاث تجعل من ولايات الرين الألمانية منطقة محرمة من الوجهة العسكرية على ألمانيا ؛ والغرض من وضعها تحت هذا النظام واضح ، وهو أن تبقى أبواب ألمانيا الغربية مفتوحة أمام الجيوش الفرنسية والبلجيكية المرابطة على الحدود بحيث تستطيع فى حالة وقوع حرب أو أعمال عدائية أن تقتحم الأراضى الألمانية فى الحال قبل أن تستطيع الجيوش الألمانية تحتل المنطقة الحرام ومواجهة الغزاة

وكان هذا الشرط الفادح الى جانب تجريد ألمانيا من السلاح وانزال جيشها إلى مائة ألف ، وتقييدها بأشد القيود فيما يتعلق بالمنشآت البحرية والجوية وصنع الذخائر ، أشد ما يحز فى نفس ألمانيا ويصدم عزتها كدولة عظمى لها ماض عسكرى مجيد بين دول القارة العظمى ، ولكن ألمانيا استطاعت بعد كفاح طويل شاق أن تحطم نصوص معاهدة فرساى وأن تتحرر منها تباعا ؛ وكان آخر ظفر لها فى هذا الميدان فى شهر مارس من العام الماضى حينما أعلنت على لسان زعيمها هير هتلر بطلان النصوص العسكرية فى معاهدة فرساى وتقرير حريتها المطلقة فى اتخاذ أى إجراءات تراها للدفاع عن نفسها ، وتقرير الخدمة العسكرية الاجبارية ؛ وذلك ردا على ما قررته فرنسا يومئذ من إطالة الخدمة العسكرية ؛ ولم يكن باقياً من القيود العسكرية التى فرضت على ألمانيا سوى تجريد منطقة الرين وتحريمها كما تقدم ، وكان هذا النظام التى رتبته معاهدة الصلح قد تأيد بعهد جديد عقد بين ألمانيا وأعدائها السابقين لتأمين السلام على ضفاف الرين ، ونعنى به ميثاق لوكارنو ؛ ولكن ألمانيا رأت أخيرا فى عقد الميثاق الفرنسى الروسى الجديد ما يحملها على اعتبار ميثاق لوكارنو باطلا منقوضاً ؛ ومن ثم فقد أعلنت على لسان زعيمها فى السابع من الشهر الجارى بطلان ميثاق لوكارنو ، وبطلان نصوص معاهدة الصلح الخاصة بتحريم منطقة الرين ، التى تحتلها الآن قوات عظيمة من الريخسفر (الجيش الألمانى) وبذلك أتمت ألمانيا تحطيم آخر الأغلال العسكرية التى فرضت عليها فى فرساى

ميثاق لوكارنو

وهكذا نرى أهمية الصلة المباشرة بين تجريد منطقة الرين وبين ميثاق لوكارنو ؛ فميثاق لوكارنو يؤيد النظام الذى قررته معاهدة الصلح لمنطقة الرين . وقد عقد ميثاق لوكارنو فى سنة ١٩٢٥ ؛ وكانت ألمانيا فى الواقع أول من سعى إلى عقده . ذلك أن السياسة الألمانية كانت تقوم فى ذلك الحين على فكرة التوفيق والتفاهم والتعاون ؛ وكان عميدها يومئذ الدكتور شترزمان يرى أن ألمانيا تكسب بالتفاهم مع فرنسا أكثر مما تكسب بالخصومة والمقاومة ، وعرضت ألمانيا يومئذ أن تعقد مواثيق بتأمين السلامة المتبادلة وعدم الاعتداء والتحكيم ؛ وعقد مؤتمر لوكارنو على أثر ذلك وشهده ممثلو الدول ذات الشأن وفى مقدمتها ألمانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى ، وأسفر المؤتمر عن عقد ميثاق بالضمان المتبادل بين ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا العظمى وإيطاليا ، وعن اتفاقات بالتحكيم بين ألمانيا وبلجيكا وألمانيا

وفرنسا ، وألمانيا وبولونيا ، وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا . وكانت فكرة ألمانيا ترمى إلى قصر الميثاق على منطقة الرين ، أعنى حدود ألمانيا الغربية ، ولكن فرنسا أصرت على أن يشمل الضمان الحدود الشرقية ، وأن يسمح لفرنسا بمعاونة بولونيا فى حالة خرق معاهدة التحكيم الألمانية البولونية ؛ وأصرت انكلترا من جانبها على أن يقصر تعهدها بالضمان على منطقة الرين . وكان أهم نتائج مؤتمر لوكارنو بالطبع هو ميثاق السلامة الشهير الذى سمى بهذا الاسم ، والذى عقد فى ١٦ اكتوبر سنة ١٩٢٥

وقد أدمج هذا الميثاق الشهير فى الملحق (ا) من معاهدات لوكارنو ، متضمناً لخمس مواد ؛ ونص فى ديباجته على أن الدول الموقعة عليه وهى ألمانيا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، وبريطانيا العظمى ، وإيطاليا تقوم بعقد هذا الميثاق سعياً إلى تحقيق رغبة الشعوب التى عانت ويلات الحرب الكبرى فى السلامة والحماية

وتنص المادة الأولى من الميثاق على أن هذه الدول المتعاقدة تضمن ضماناً مشتركا جامعاً بقاء الحدود والأوضاع الأرضية القائمة بين ألمانيا وبلجيكا ، وبين ألمانيا وفرنسا ، وعدم انتهاك هذه الحدود والأوضاع التى قررتها معاهدة الصلح المعقودة فى ٢٨ يونية سنة ١٩١٩ ، وكذلك تضمن مراعاة نص المادتين ٤٢ و٤٣ من المعاهدة المذكورة وهما الخاصتان بالمنطقة المجردة

وتنص المادة الثانية على أن ألمانيا وبلجيكا ، وكذلك ألمانيا وفرنسا تتعهد كل منهما إزاء الأخرى ألا تعتدى عليها بأى حال أو تغزوها أو تلجأ إلى محاربتها مع استثناء الأحوال الآتية : (١) استعمال حق الدفاع الشرعى أعنى مقاومة انتهاك العهود المشار اليها أو انتهاك نص المادتين ٤٢ و٤٣ من معاهدة الصلح إذا اتخذ هذا الانتهاك صفة عمل أو اعتداء لا مبرر له ، واقتضى حشد القوات المسلحة فى المنطقة المجرد اتخاذ الاجراءات السريعة (٢) اتخاذ الاجراءات التى تنص عليها المادة ١٦ من عهد عصبة الأمم (وهى الخاصة بتوقيع العقوبات الاجماعية على الدولة المعتدية) (٣) العمل تنفيذاً لقرار تتخذه الجمعية العمومية للعصبة أو مجلسها طبقاً لنص المادة ١٥ فقرة ٧ من ميثاق العصبة (وهى الخاصة باجراءات التوفيق والتسوية عند وقوع الخلاف)

وتنص المادة الثالثة على أنه بناء على التعهد المدون فى المادة الثانية تتعهد ألمانيا وبلجيكا ، وألمانيا وفرنسا ، بأن تعمل كل منهما على تسوية أى خلاف يقع بينهما مهما كان نوعه بالوسائل السلمية وطبقاً للاجراءات المبينة بعد ، إذا لم يمكن تسويته بالوسائل الدبلوماسية المعتادة وأن كل خلاف يقع بين الفريقين خاصاً بحقوقهما المتبادلة يعرض للتحكيم القضائى ويتعهد الفريقان بالخضوع لقراراته ؛ وتعرض المسائل الأخرى على لجنة للمصالحة ، فاذا لم يقبل الطرفان حكمها أحيلت المسألة على مجلس عصبة الأمم ويتبع المجلس فى شأنها نص المادة ١٥ من ميثاق العصبة

وتنص المادة الرابعة على أنه إذا ادعى أحد المتعاقدين بأنه وقع انتهاك لنص المادة الثانية من هذه المعاهدة أو نص المادتين ٤٢ و٤٣ من معاهدة فرساى ، فانه يعرض الأمر على مجلس العصبة ؛ وأنه إذا اقتنع المجلس بوقوع هذا الانتهاك فانه يدعو الدول الموقعة على هذه المعاهدة حالاً ، وهى تتفق فيما بينها بالاجماع على معاونة الدولة التى وقعت ضدها المخالفة ؛ وأنه إذا وقع انتهاك المادة الثانية من هذه المعاهدة أو المادتين ٤٢ و ٤٣ من معاهدة الصلح ، فان باقى الدول الموقعة تتعهد بمعاونة الدولة التى وقع ضدها الانتهاك حالما يثبت أن الاعتداء وقع دون مبرر ، سواء كان ذلك بعبور الحدود ، أو وقوع الأعمال العدائية أو حشد القوات المسلحة فى المنطقة المجردة ؛ هذا ويصدر مجلس العصبة قراراته فى الموضوع الذى يرفع اليه طبقاً للفقرة الأولى ، وتتعهد الدول الموقعة أن تتبع توصياته بشرط أن يوافق عليها بالاجماع من جميع الأعضاء ماعدا ممثلى الفريق الذى ارتكب الاعتداء

وتنص المادة الخامسة والأخيرة على أن الدول الموقعة تضمن تنفيذ نصوص المادة الثالثة من هذه المعاهدة . . . الخ

* * *

هذه خلاصة وافية لميثاق لوكارنو ؛ ونلاحظ أن الميثاق يرمى قبل كل شيء إلى تأمين السلام بين فرنسا وألمانيا عن طريق تأمين سلامة الحدود الألمانية الفرنسية ، وأنه يؤيد معاهدة الصلح بقوة فيما أوردته خاصاً بتجريد منطقة الرين من وسائل الدفاع ، وأنه ينوه بصفة خاصة بالأهمية التى تعلقها فرنسا على استبقاء هذه المنطقة بحالتها التى قررتها معاهدة الصلح ؛ ونلاحظ من جهة أخرى أهمية الميثاق فيما يتعلق بتسليم ألمانيا نهائياً بالأوضاع والحدود التى قررتها معاهدة الصلح على ضفاف الرين ، وفيما ينطوى عليه ذلك من نبذها نهائياً فكرة المطالبة بتعديل حدودها

٣ـ التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

أرى واجباً عليّ قبل المضى فى موضوع هذا المقال أن أبدأ باستدراك لا بد منه . فقد عاب عليّ بعض أصدقائى من المفكرين أنى أنكرت فيما كتبت ناحية ذات شأن من نواحى الحياة فى مصر ولم أعرها التفاتاً . ويعتقد هؤلاء الأصدقاء أن لتلك الناحية خطرها فى صبغ الحالة الاجتماعية فى مصر بصبغة خاصة . ولو أنهم عنوا بتلك الناحية شيئاً غير الأزهر إذن لكان لما يعيبون به عليّ من الوزن قدر غير يسير ؛ أما وأنهم يعنون الأزهر ويقولون بانه معسكر ثالث من معسكرات العوامل المؤثرة فى الحالة الاجتماعية فى مصر، ينبغى لنا أن نحسب حسابه ، وأن نتناوله بالتحليل والنقد ، وأن نزن أثره فى تكييف الحالات الاجتماعية ، فأكبر ظنى أنى لن أسلم برأيهم مهما ساقوا فى سبيل اثباته من بينات . ذلك بأن بينة واحدة تكفى لهدم جميع ما يقيمون من دلائل ، فان القوى التى تؤثر فى حالة اجتماعية بعينها ، إنما هى القوى الموجبة لا القوى السالبة ، والأزهر ، ولا شبهة ، قوة سالبة . قوة اتجهت بكل ما فيها من عوامل الحياة إلى الأخرويات لا إلى الدنيويات

وأنت ترى فى كل الأطوار التى تقلبت فيها الأمم منذ بداءة العصر الانتاجى الحديث أن القوى السالبة فيها انحصرت فى فئتين : الأولى رجال الدين ، والثانية رجال الحكومة ، وهما بما فيهما من صفات السلب والمحافظة كانتا فى كل الحالات دريئة طالما حمت جسم المجتمع من كثير من الهزات المنيفة والانقلابات الخطيرة التى يجنح اليها الغـلاة من المصلحين أو السياسين ، وإن لهذا الموضوع لظرفاً آخر غير هذا الظرف قد يتاح لنا فيه أن نبحثه بحثاً أوفى

***

فرغنا فى مقالنا الثانى من الكلام فى التطفل الاجتماعى وأحطنا ببعض ظواهره ، وأثبتنا أن هذه الظاهرة تنخر فى عظام مجتمعنا كما ينخر السوس الحب . واليوم ننتقل إلى ظاهرة اجتماعية أخرى ، لا تقل عن ظاهرة التطفل الاجتماعى فعلاً وأثراً ، تلك ما أسميه ظاهرة « الرجعية » ، ولا أعنى بها رجعية فكرية أو سياسية أو غير ذلك ، فلو أنها كانت من هذا الطابع لهان الخطب ، ولما أعرتها كبير اهتمام . ذلك بأنى أعتقد أن بعض ظواهر الرجعية ، كالرجعية الفكرية أو السياسية ، وما يجرى مجراها ، تحمل فى تضاعيفها أسباباً تولد قوى ارتقائية ، وإنما أعنى بها الرجعية الاجتماعية ، وأكبر ظواهرها عزوفنا عن التفقه بفقه ثقافتنا التقليدية

ولا مرية فى أننا نحتاج الى تعريف هـذه النظرية الجديدة التى نسوقها اليوم لتكون أساساً فى علاج حالات اجتماعية بعينها . بل نقول إن بعدنا عن درس هذه النظرية كان سببا من الأسباب الرئيسية التى هيأت المقتضيات الأولية للشعور بأننا قد أقدمنا على أزمات اجتماعية قد تكون فى المستقبل بالغة منتهى الخطورة

أما ما نعنى « بالثقافة التقليـدية » فمجموعة الحـالات والملابسات التى ينشأ شعب من الشعوب مكتنفا بها من حيث

الغربية واستعادة ولايتى الالزاس واللورين

ونستطيع أيضاً أن نقدر أهمية النتائج الخطيرة التى تترتب اليوم على إنكار ألمانيا لنصوص معاهدة الصلح ، ونصوص ميثاق لوكارنو ؛ فهى تحطم اليوم آخر أغلال فرساى العسكرية وتحقق سيادتها العسكرية كاملة فى منطقة الرين ، وتواجه خصيمتها القوية (فرنسا) فيما يتعلق بوسائل الدفاع عن حدودها وجهاً لوجـه ؛ ثم هى تعلن ضمناً أنها لا تقبل الأوضاع والحدود المقررة لحدودها الغربيـة ، وأنها فى حل من أن تعود غداً إلى المطالبة بالالزاس واللورين

هذا وسنعرض فى فصل آخر إلى البواعث والأسباب التى تذرعت بها ألمانيا لتحقيق غايتها وإلى الآثار الدوليـة التى يمكن أن تترتب على تصرفها

(للبحث بقية) (***)

طبيعة الأرض والاقليم ، وما يتطلب ذلك من العكوف على فن خاص من فنون الحياة . وبمعنى أوسع تدل الثقافة التقليدية على العناصر التي ورثها شعب من الشعوب على مدى الأزمان من طريق التأثر الطبيعي بالبيئة والمحيط ، كما تدل على مجمل ما ثبت في عقليته بالإلقاح السُّلالي من عادات وأساطير وعلوم وآداب ، نشأت بنشأته في مرباه الأصيل . وعلى الجملة نقول إن الثقافة التقليدية لشعب من الشعوب إنما هي في الواقع جماع ما يرث من صفات حيوية ومعتقدات وفنون عن أسلافه الأولين

وما كان لشعب من الشعوب أن يحاول الافلات من أقطار ثقافته التقليدية إلاّ وباء بالفشل المحقق فيما يحاول . ذلك بأن الثقافة التقليدية هي الأصل الذي يرتكز عليه الطبع الماثل في أخلاق الأمم وطرق سلوكها في الحياة . وما قولك في ثقافة يرتشفها الطفل مع ما يرتشف من لبن أمه وهو رضيع ويشب مكتنفاً بها إذا يفع ، ويفتتن بفنونها إذا تفتّق ، ويغرم بها إذا اكتهل ، ويموت وهي مرتسمة في تصوراته جميعاً إذا هَرِم . لا مرية في أنها تصبح جزءا من طبعه وركناً من أركان نفسه ، بل إن شئت فقل إنها الركن الأصيل في حياته النفسية والعقلية ، وما عداها توابع لها ولواحق بها . وإنما تتأثر التوابع بالأصل ، وتتكيف اللواحق بالأرومة ، فما من ثقافة حديثة تضاف الى ثقافة تقليدية إلاّ وتكيف الدخيل تكيفاً يتابع فيه ما يحتاج اليه الأصيل من ملابسات . مثل ذلك أن الطبع المصري ، وإن شئت فقل « المصرية » ، لن تنسخ منها الأوروبية شيئاً إن هي احتكت بها ، وإنما تتكيف « الأوروبية » بعوامل « المصرية » إن هما تنافستا في ميدان واحد . وليس في ذلك أي خطر على كياننا التقليدي . ولكن الخطر كل الخطر في أن نضعف من مصريتنا بالبعد عن ثقافتنا التقليدية فتكمن في تضاعيف النفس ولا تظهر إلاّ ضعيفة منهوكة ، ونقوى من « الأوروبية » فنأخذها غير مكيفة بمقتضيات ثقافتنا التقليدية . ناهيك بأننا لسنا أوروبيين بالدم والتقاليد ، فلا نستطيع أن نفهم من روح الأوروبية على ما يفهمها الأوروبي إلاّ ظواهرها الكاذبة ، فنصبح وقد قمعنا مصريتنا من ناحية ، ولحقنا عقولنا «بالأوروبية» من جهة أخرى . وما كل هذا إلاّ طلاء خادع ومن ورائه تختفي الحقيقة التي يجب علينا جميعاً أن نفطن اليها ، وأن ندرسها أوفر الدرس ، وأن نكب على تفهم روحها أقوم فهم ، حتى نستطيع أن نهيء للأجيال الآتية سبيل التكيف بروح العصر تكيفاً مطابقاً لثقافتنا التقليدية ، فنخطو بثبات نحو حالات اجتماعية أثبت من حالاتنا الحاضرة . وفيما تقدم من شرح مجمل ما نعني « بالرجعية الاجتماعية » : فهي قمع لمقتضيات التكيف بثقافتنا التقليدية من طريق الفصل بين هذه الثقافة الموروثة وفنون الحياة في العصر الحديث

تتصل ثقافة الشعوب التقليدية اتصالاً وثيقاً بحالاتها الماشية أولاً ، فاذا استكملت هذه الثقافة الأسس الماشية التي تعين الشعوب على البقاء ، أثرت هذه الثقافة تأثيراً آخر في مزاج الشعب ، نهايته أن تتكيف فيه أشياء ثلاثة هي في الواقع ظواهر هذه الثقافة . الدين واللغة والفن ، وفي هذه الأشياء جماع ما يتجلى لناظريك في الأمم من الخصائص الأخرى كالخلق والحالات النفسية والشعورية إلى غير ذلك

ولا بد لنا من أن نضرب بعض الأمثال لتفصح بعض الشيء عن حقيقة هذه النظرية . فالبداوة مثلاً ثقافة تقليدية لكل القبائل التي تعيش متبدية ، وجميع ما يتصل بالبداوة أس من الأسس التي تقوم عليها ناحية من نواحي الحياة في أهل البدو ، والبداوة لأهل البادية بداية الحياة ، لأن فيها تتجلى روح القبيلة التي بها تحتفظ الجمعية ببقائها وتصون كيانها ، ومن مجموع التصورات والادراكات التي تتمثل لأهل البادية تنشأ الفكرة الدينية ثم تنشأ اللغة ثم ينشأ الفن ، ومن بعد ذلك تتحور الأخلاق فتأخذ طابعاً خاصاً ، ومن ثم يتكون قانون العرف البدائي ، وهلم جرّا . فهل من المستطاع مثلاً أن تنفك جمعية طبيعتها البداوة عن كل ما توارثته على مدى الأجيال ، وتنسلخ عن كل ما انتقل اليها عن أسلافها الأقدمين ، فتلبس من الأخلاق ثوباً جديداً وتتبدل من التصورات والأفكار والأخيلة والعقائد واللغة والفن غيرها مما لا علاقة له بثقافتها التقليدية ، ثم تستطيع بعد ذلك أن تحتفظ بكيانها الأصيل من غير أن يهز ذلك التغير الطارىء أعماق وجودها هزاً عنيفاً شديداً ؟

كذلك الحال في أمة أخرى ثقافتها التقليدية صناعية كانجلترا

أو فرنسا مثلاً . فان انفكاك أمة منهما عن الصناعة معناه تحطيم لروحها الموروث ، بل ولكل ما تقوم عليه حياتها أدبية ومادية من القواعد الأصيلة فى نفسيتها وغرائزها . وأظن أن المصريين لا يخرجون عن مقتضى هذه القاعدة . فان لمصر ثقافة تقليدية هى الثقافة الزراعية التى ورثناها بحكم وجودنا على ضفاف النيل . وواجبنا كأمة رشيدة أن نقيم كياننا أصلاً على أساس هذه الثقافة الموروثة ثم نكملها بمقتضيات ما يتطلب هذا العصر من ضروب الثقافات الأخرى . أما عكس هذه الآية ، وذلك ما ننتحيه الآن مع الأسف ، فنهايته الخراب العاجل والدمار الشامل

إن ما يزرع من أرض هذا الوادى الخصيب فى هذا الزمن جزء قليل مما يمكن استغلاله ، ولكنه على قلته لا يستغل الاستغلال الوافى ، ولهذا أسباب يطول بنا شرحها ، وإنما نذكر ذلك لنقول بأن كل عاطلى هذا الزمان إنما هم عاطلون بحكم الثقافة التى تلقوها وبحكم الظروف التعليمية التى نشأوا محوطين بها ، وإن بلاداً كمصر تستطيع أن تمضد من السكان ضعف ما تعضد الآن ، من العجيب أن تقوم فيها مشكلة تعرف بمشكلة البطالة ، وان تؤلف فى سبيلها اللجان ، وتعصر الأفكار ، وتسهر الأعين الليالى الطوال ، ونصف الأرض المزروع فيها يكاد يكون بوراً ، والنصف المزروع لا يغل أكثر من نصف ما يجب أن يغل إذا أحسن القيام عليه بالطرق العلمية الحديثة ، وأكبر ظنى أن السبب المباشر فى قيام هذه الحال إنما يرجع إلى أننا نسينا أن لنا ثقافة تقليدية يجب أن تكون أساس الحياة فى هذا الوادى . وإذن يجب أن تقوم سياسة التعليم أول شىء على فكرة الاتصال بثقافتنا التقليدية

لقد مضينا حتى الآن نقيم قواعد التعليم على النظريات ، لا على طبيعة بلادنا . لهذا نرى أن كل النتائج قد اتجهت اتجاهاً سلبياً ، لا اتجاهاً إيجابياً وعكس ذلك ما نطلب أن يكون

جدت فى مصر مشكلة عرفت بمشكلة العاطلين من المتعلمين ، وما من سبب لهذه المشكلة فى الواقع إلا السياسة التى جرى عليها التعليم فى بلادنا بالفصل بين ثقافة أولادنا التى يتلقونها بين جدران المدارس وثقافة آبائنا الأقدمين . وحدث فى مصر أن انشقت معسكرين لا اتصال لأحدهما بالآخر ، معسكر المتعلمين العاطلين الذين لا اتصال لهم بثقافة بلادهم التقليدية ، ومعسكر الفلاحين الذين اتصلوا كل الاتصال بثقافة بلادهم الأصلية ، من غير أن يلقحوا بشىء من مقتضيات الحياة فى العصر الحديث . وبدأت فى مصر روح التبرم بالحياة المصرية ، تتلق كل يوم ألواناً مما ينتج على يد المتعلمين الذين إن لم تعوزهم الهمة إلى العمل فقد يعوزهم المجال الذى يعملون فيه بقدر ما هيأهم التعليم النظرى الذى عكفوا عليه . ولسوف نتقدم خطوة بعد أخرى متمادين فى العمل على زيادة عدد معسكر العاطلين ما دمنا نمكف على تعليم أولادنا على أساس النظريات لا على اساس العمليات ، وما دمنا نخرج رجالاً لا يعرفون عن طبيعة بلادهم شيئاً . ولن أكون مبالغاً إذا قلت إن ابن الفلاح الذى يتخرج فى كلية من الكليات العليا ليس بأكثر علماً بطبيعة بلاده من زميله ابن المدينة الذى يتخرج وإياه فى معهد واحد . فاذا لم يجدا لهما مرتزقاً أصبحا صنوى بطالة ، ولم يمتز ابن الفلاح على ابن المتحضر بشىء مما امتاز به جدودهما من أهل الريف من قدرة على الانتاج والعيش بما تغل سواعدهم من ثمرات الأرض

ويخيل إلىّ ، وربما كنت على كثير من الحق فيما أتخيل ، أن الخطأ الذى نلحظه فى سياسة التعليم فى بلادنا غير قاصر على قمع ثقافتنا التقليدية عن أن يكون لها أثر فى تكويننا العقلى والخلقى ، بل إننا أضفنا إلى هذه الخطيئة خطيئة أخرى هى أننا عملنا دائماً على تضخيم المعلومات التى يتلقاها الطلبة فى مدارسنا الثانوية والكليات . فقد يخرج المتعلم إلى ميدان الحياة العملية بعد حياة أمضاها فى جو من النظريات الصرفة ، وهو يعتقد أنه قد ملئ علماً بالحياة ، ثم لا يلبث أن ينكشف له الحق وإذا به يرى أن كل ما يعرفه من نظريات العلم والأدب والفن لا يكفيه رزق يومه ولا يغنيه عن الاكباب على ناحية أخرى من نواحى الحياة العملية يدرسها لتكون له فى الحياة عوناً على تحصيل الرزق . ولا شك أن ذلك يحدث ارتجاجاً عظيماً فى حياة شاب ملأه الأمل فى الحياة والزهو بما تجمع فى رأسه فى المعلومات . وما من ريبة فى أن هذه الصدمة المعنوية لها أثرها البالغ فى سلوك الشاب وتفكيره ربما لازمه طوال حياته

يعكف الشاب المصرى بين جدران معهده على ناحية نظرية

من العلوم البعيدة عن تجارب الحياة ويتلقى أنواع المعارف المختلفة ويمضى مكباً عليها عمراً حتى يكون له نظرة خاصة ويتجه بفكره وقلبه اتجاهاً معيناً وينشئ فى عقليته قيما للأشياء وفناً ينظر من طريقه فى الحقائق . وعلى الجملة يتكون منه طريق معارفه تكويناً يهيئه لأن يكون وحدة مستقلة فى جسم اجتماعى . فاذا استبان له الواقع وواجه الحياة بما استجمع من معارف فعلم أن للحياة طريقا آخر غير الطريق الذى صرف فيه عمره وأن لها قيماً أخرى غير القيم التى يؤمن بها . وأن لها فناً غير فنه الذي ينظر من طريقه فى حقائق الوجود ، انقلب على الماضى ثائراً ومن المستقبل يائساً ، وخيل إليه أن المجتمع جنى عليه فسلبه سلاح العمل وجرده من عدة الهجوم والدفاع فى ميدان المنافسة الاجتماعية . وما بالك بهذا الشاب نفسه إذا هو أراد أن يرتد إلى مصريته فيصبح فلاحا كأبيه وأن يتصل مرة أخرى بثقافة بلاده التقليدية ، فيتضح له أن علمه بطبيعة بلاده ضئيل ، وأن معرفته بطريقة الحياة فيها لا تواتيه بالعدة الكافية للحياة فى وسط مصرى أصيل ، الفلاح سداه والفلاحة لحمته ؟

من الأخطاء التى لا ينبغى لنا أن نتغفل عن وزنها وزناً صحيحاً أن تعليمنا الأدبى فى الكليات ينقل إلى الأذهان صوراً من الأخلاق وفنوناً من السلوك ومذاهب من الفلسفة النفسية تختلط فى عقليتنا اختلاطاً عظيما حتى لنكوّن منها مقاييس جديدة بعيدة جد البعد عن المقاييس الخلقية والسلوكية التى يؤمن بها الفلاح الساذج . فان عصور الظلم والاستبداد التى عانى فلاح مصر فى خلالها الأمرين ، وتوالى الدول فى الحكم على ضفاف النيل قد طبعت الخلق المصرى بطابع خاص وصبغته بصبغة خاصة ، ويجب أن يعنى بدرسها المصرى المتعلم أوفى الدرس وأن يكب على تفهمها كل اكباب ، قبل أن يظن أنه قادر على أن يعايش ذلك الفلاح الخشن الجاهل ، وأن يعلم فى أول ما يجب عليه أن يعلمه أن جهل الفلاح من جهة العلم بالنظريات قد عوضته عنه الطبيعة ذكاء حاداً وقدرة على التحايل وفطنة فى إدراك الحقائق ، وأيقظت فيه قوى العقل الباطن إيقاظاً شديداً حتى يكاد يكون عند بعضهم إلهاماً فى توقع الأشياء وحدوثها . أضف إلى ذلك أن طبيعة البلاد قد ثقفته بثقافة ورثها على مدى العصور . ثقافة أحيت فيه روح اليقظة يتلقى بها الأحداث مكتمل الهمة ثابت القلب قوى الجنان عظيم الثقة بنفسه . فان بلاداً تتوالى فيها دورات الزراعة كبلادنا ، ويفيض فيها النيل فى مواعيد محدودة ، قد غرست فى نفسه بالتجربة أن الحياة فرص يجب انتهازها ، وعلمته أن اهمال ساعة أو يوم قد يفوت عليه رزق عام . هذا الفلاح الذى اكتملت ثقافته العملية من هذه النواحى وأمثالها ، وهى كثيرة متعددة ، هو بذاته موضوع درس عميق لا يستغنى عن معرفته مصرى يريد أن يعيش من فوق أرض مصر وعلى ضفاف نيلها مرتزقاً بغلاتها مفتناً فى إحياء خيراتها . ولا شك فى أن هذه الناحية الضخمة من نواحى ثقافتنا التقليدية مهملة فى معاهدنا كل الاهمال ، فالمصريون مع الأسف أجهل الناس بتاريخ بلادهم ، ذلك فى حين أن تاريخ كل شعب جزء لا يتجزأ من ثقافته التقليدية

فالشاب المتعلم الذى يدرس مذاهب اليونان الفلسفية وتاريخ روما واليونان ومذاهب الأدب ومقدمة القوانين إلى غير ذلك مما يتلقى الشباب بين جدران معاهدنا ، من غير أن يتصل بثقافة بلاده التقليدية ، شاب مصرى بالاسم لا بالروح ولا بالتقاليد . هو يجهل طبيعة بلاده وخلق أهله وتاريخ العصور التى توالت على وطنه وشكل الحكومات التى تناوبت الحكم فيه ، والميراث الذى ورثه عن أجداده الأقدمين . ولا ريبة فى أن شاباً هذا شأنه إنما يخرج من معاهد العلم متعلماً جاهلاً ، وإن شئت فقل يخرج متعلماً مشحون الذهن بالكثير من المعلومات التى من شأنها أن تفصله عن طبيعة بلاده وتصيره فى محيطه غريباً ، كأنه غلطة جديدة فى طبيعة شىء قديم . ومن هنا يكون عجزه عن الكفاح فى الحياة وعن الاتصال بالأرض التى أنشأته وأنشأت السلالة التى انحدر منها منذ أقدم عصور التاريخ

والمحصل أننا مشرفون على أزمات اجتماعية أساسها الظاهر الآن كثرة العاطلين من المتعلمين الذين فصل التعليم بينهم وبين ثقافة بلادهم التقليدية فأصبحوا فيها غرباء ، وسنعالج فى المقال التالى مجمل ما صورنا حتى الآن من نقائص حياتنا الاجتماعية من حيث علاقتها بالتعليم

(يتبع) اسماعيل مظهر

٢ - فلاسفة الاسلام

والتوفيق بين الفلسفة والدين

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

لاحظنا فيما سبق أن الفارابى وابن سينا وقفا موقفاً وسطاً بين الآراء الفلسفية والتعاليم الدينية فيما يتعلق بالصلة بين الله والعالم . أما مشكلة الروح وخلودها فقد فارقا فيها أرسطو تمام المفارقة ، ذلك لأن الذى ينكر هذا الخلود يهدم المسئولية من أساسها ، ويقضى على غاية الأخلاق والقوانين والشرائع ، ونحن نعلم أن أرسطو ينقد نظريات الفيثاغوريين والأفلاطونيين الذين يقولون إن النفس جوهر روحى متميز من الجسم تمام التميز ، ويعلن أن النفس صورة الجسم ؛ ويقرر بجانب هذا أن الصورة لا تستطيع البقاء بدون المادة ، وإذن فمنطق مذهبه يؤدى إلى النتيجة المحتمة ، وهى أن فناء الجسم يستلزم فناء صورته وهى النفس ، وعلى الجملة فأرسطو لا يتكلم عن مشكلة الخلود إلا عرضاً ، وليته حين تعرض لها جاء بشىء مقبول ، بل أفكاره فيها متناقضة متهافتة ، على العكس من هذا نجد رأى الاسلام فى هذه النقطة واضحاً وضوحاً لا يقل عن النقطتين السابقتين ، فان تعاليمه تقضى ببقاء الروح وخلودها وإلا لم يكن للثواب والعقاب معنى ، وهذا هو الرأى الذى أخذ به الفارابى بعد تردد ، وانتصر له ابن سينا انتصارا عظيما ودافع عنه دفاعا مجيدا ، يقول : « إذا حصلتَ ما أصَّلْتهُ لك علمت أن كل شىء ما من شأنه أن يصير صورة معقولة وهو قائم الذات ، فانه من شأنه أن يعقل فيلزم من ذلك أن يكون من شأنه أن يعقِل ذاته . . . وكل ما يكون من هذا القبيل ، فغير جائز عليه التغيير والتبديل [1] » وفى كتاب النجاة بحث طويل عنوانه « فصل فى أن النفس لا تموت بموت البدن [2] » . وفى هذا الفصل يحاول ابن سينا من طريق عميق ومضن اثبات خلود النفس

هنا تنتهى أيها السادة الشعبة الأولى من شعب التوفيق بين الفلسفة والدين . وقد رأيتم انه كلما اصطدم رأى أرسطو بأصل دينى مال الفلاسفة المسلمون نحو تعاليم الدين أو فسروها تفسيراً ينطبق مع ما ذهب اليه فيلسوف الاغريق . ونحن لا ننكر أن الفارابى وابن سينا كونا نظرية كلامية جديدة متعلقة بالألوهية وصفاته . وهذه النظرية تقربهما من مبادئ الاسلام بقدر ما تبعدهما عن أستاذهما أرسطو . إلا أنها فى الوقت نفسه متعارضة فى لفظها وروحها مع كثير من النصوص الدينية . لذلك كانت مثار اعتراض وموضع أخذ ورد لدى مختلف الطوائف والفرق الاسلامية . ونستطيع أن نقول إن المدرسة الفلسفية العربية إذا كانت قد نجحت فى أن تلفت الأنظار نحوها فذاك راجع الى أبحاثها الدينية ، غير أنها لقيت كذلك حتفها من هذا الطريق . وفكرة الخلق أو « الفيض » التى قال بها الفارابى وابن سينا لا تقنع رجل الدين فى شىء كثير ، وليس لها من الخلق إلا اسمه وصورته دون حقيقته ومعناه . وهذا بالدقة ما أخذه عليها الغزالى وحمل عليه حملة عنيفة سنعرض لها بعد قليل

***

والآن ننتقل الى الشعبة الثانية حيث نفسر بعض الأمور الدينية تفسيراً علميا . وأول هذه الأمور النبوة التى هى عماد الدين وأساسه . فان قيمة الاسلام وكل دين سماوى موقوفة على التسليم بالوحى وقبوله عقلا . وأن من ينكر الوحى أو يستبعد حصوله يطعن الدين فى ركنه الأول وأساسه المتين . لهذا لجأ الفلاسفة المسلمون الى إدعام النبوة على قواعد فلسفية وسيكولوجية . وأثبتوا أن الالهامات الخفية التى يصل اليها الأنبياء ليست إلا ضربا ساميا من المعلومات الانسانية . وسنعرض لهذه النظرية بوجه خاص بعدُ

وأخيراً لم يبق أمامنا إلا السمعيات ، وهى كما تعلمون تلك الحقائق الدينية التى أخذت عن الكتاب والسنة واعتمد فيها على السمع وحده كالرسل ومعجزاتهم والملائكة وصفاتهم واليوم الآخر وما فيه من سعادة وأهوال ، وسنكتفى بذكر أمثلة من هذه السمعيات لنتبين كيف حملها الفارابى وابن سينا على محمل فلسفى . قد يكون من الفضول أن أنقل اليكم رأى المتكلمين

(١) ابن سينا ، « الاشارات » ص ١٣٤

(٢) ابن سينا ، « النجاة » ص ٣٠٢ — ٣٠٩

وأهل السنة خاصة فى الملائكة والعرش واللوح والقلم والحشر والنشر . فهم يذهبون إلى أن الملائكة كائنات نورانيــة لطيفة قابلة للتشكل بمختلف الأشكال ، لا تأكل ولا تشرب ولا تعصى الله أبداً ، ويفهم بعضهم العرش واللوح والقلم على حقيقتها الحسية ، ويعتقدون أن الحشر والنشر لن يكونا للأرواح فقط ، بل سترد الينا أجسامنا ونعاد سيرتنا الأولى . أما الفارابى فيرى أن الملائكة ليست شيئاً آخر سوى تلك العقول التى تحرك الأفلاك المختلفة والتى حدثتكم عنها من قبل . واللوح والقلم لا يقبلان تفسيراً آخر غير هذا التفسير المعنوى الروحى . وهاهو ذا الفارابى يعبر عن رأيه قائلا : « لا تظن أن القلم آلة جمادية واللوح بساط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحانى واللوح ملك روحانى والكتابة تصوير الحقائق . فالقلم يتلقى ما فى الأمر من المعانى ويستودعه اللوح بالكتابة الروحانية فينبعث القضاء من القلم والتقدير من اللوح . أما القضاء فيشتمل على مضمون أمر الواحد والتقدير يشتمل على مضمون التنزيل بقدر معلوم ، ومنها يسبح إلى الملائكة التى فى السموات ثم يُقبض إلى الملائكة التى فى الأرض ثم يحصل القدر فى الوجود (١) » . والحشر والنشر والثواب والعقاب منصبة كذلك على الروح فهى التى تسعد وتنعم أو تشقى وتألم . فليس هناك صراط ولا ميزان حسيان ، بل تلك أمثلة وتصورات يراد بها التعبير عن الحقيقة الروحية ، وقد سار ابن سينا على طريقــة الفارابى ففسر العرش تفسيراً فلكياً عقلياً ، وصور الجنة والنار بصور روحيــة تناسب نعيم النفس وشقاءها

هــذه هى محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين التى قام بهــا الفارابى وابن سينا . وإذا ما تتبعنا تاريخ الفلسفة وجدنا أن الاغريق من قديم احتفظوا بمكان للدين فى مذاهبهم الفلسفية . وقد عنيت مدرســة الاسكندرية بهذه المسألة عناية خاصة ، وكثيراً ما أثبت أفلوطين أن الأفكار الدينية لا تتعارض مع الآراء الفلسفية . إلا أن المسلمين قد برهنوا فى هــذا المضمار على مقدرة وكفاءة لم يسبقوا إليهما . ولئن كان رجال الكنيسة قبلهم قد أدخلوا بعض المبادئ الرواقية والأرسطية فى تعاليمهم فانهم لم يوفقوا فى أن يكونوا من ذلك مزيجاً صالحاً متناسق الأجزاء

(١) الفارابى « الثمرة المرضية » ص ٧٧

بيد أن محاولة التوفيق التى قام بها الفارابى وابن سينا وإن تكن محكمة وممتازة على سابقاتها لم ترق لدى الغزالى كما قلت لكم من قبل . وقد ألف كتابه تهافت الفلاســفة ليناقش فيه آراء الفلاسفة وينقضها جميعاً ، ويحتوى هذا الكتاب على عشرين مسألة ، ثمان منها تتعلق بالبارى، وصفاته ، وأكبر مأخذ يأخذه الغزالى فى هذا الجزء على فلاسفة الاسلام هو أنهم ألغوا الصفات وأنكروا علم الله بالجزئيات ، وقد تهكم عليهم تهكما شنيعاً فى هذا الصدد قائلا : « وليتعجب العاقل من طائفة يتعمقون فى المعقولات بزعمهم ، ثم ينتهى آخر نظرهم إلى أن رب الأرباب ومسبب الأسباب لا علم له أصلا بما يجرى فى العالم ، وأى فرق بينه وبين الميت إلا فى علمه بنفســه ؟ وأى كمال فى علمه بنفسه مع جهله بغيره ؟ وهــذا مذهب تغنى صورته فى الافتضاح عن الأطناب والايضاح (١) » ، وفى ثمانى مسائل أخرى يرد على فكرة الخلق التى ذهب إليها الفلاســفة مبيناً أنها ترمى إلى خلق صورى لا يكاد يبدو له أثر فى الوجود . ثم ينتقل بعد هذا إلى خلود الروح فيبين فى مسألتين أخريين أن الفلاسفة لم يستطيعوا البرهنة على هذه النقطة فى وضوح . ولا يقبل الغزالى كذلك التفسير النفسى السيكلوجى للنبوة ويرفض رأى الفلاسفة فيــه . وأخيراً يهاجم حجة الاســلام الفلاسفة هجوماً عنيفاً فيما يتعلق بالحشر والنشر ويأخذ عليهم أنهم ينكرون أصلا ثابتاً من أصول الدين . وفى نهاية هذه القضية الطويلة يعلن حكمه ويعد الفلاسفة السابقين مبتدعين فى سبع عشرة نقطة وكفاراً فى ثلاث هى قولهم بأن الله يعلم الكليات لا الجزئيات وادعاؤهم قدم العالم وأبديته وانكارهم لحشر الأجساد

لسنا بصدد أن نستأنف فى هذه الجلسة حكم الغزالى السابق ، لا سيما وقد صادف عين الحقيقة فى مواطن كثيرة . إلا أنا نلاحظ أن صاحبه متحد أحياناً ومبالغ فى نقده . ولا أدل على هذا من أنه اعتنق بعض الآراء التى نقدها والتى قال بها الفلاسفة فهو يفسر مثلا علم الله تفسيراً يشبه كل الشبه تفسير الفلاسفة ويعتقد بخلود الروح ويعــده مبدأ ثابتاً من مبادىء الاســلام . وموقف الغزالى هنا ضعيف فى الحقيقة للغاية ، فان صوفياً ومتكلما يرد على أشخاص يثبتون خلود الروح بناقض نفسه تمام المناقضة . وفكرة النبوة الفلسفية التى يرفضها الغزالى فى تهافته يقول بها

(١) الغزالى « تهافت الفلاسفة » ص ٤٤

فى كتابه المنقذ من الضلال [١]

أمام هــذا التناقض لم يتردد ابن رشد فى أن يرفض ما قاله الغزالى وأن يثبت « تهافت التهافت » . وقد بذل عناية كبيرة فى الدفاع عن أرسطو وإخوانه الفلاسفة المسلمين . ذلك لأنه كان يرى مثلهم ضرورة التوفيق بين الدين والفلسفة وترك كل واحد منهما آمناً بجانب الآخر . ويعلن أن شبه الخلاف بين هــذين الطرفين راجعة إلى الخرافات التى ألحقت بالدين ، أو إلى الادعاءات الفلسفية التى يدعيها من يزعمون أنهم حكماء وليس لهم من الحكمة نصيب . وهذه الأباطيل جنت على الدين والفلسفة وباعدت بينهما ؛ « فان الأذية من الصديق هى أشد أذية من العدو ، أعنى أن الحكمة هى صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة فالأذية ممن ينسب إليها أشد الأذية مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة [٢] » . غير أن ابن رشد سلك إلى التوفيق بين الفلسفة والدين سبيلا أخرى غير تلك التى سلكها الفارابى وابن سينا . فانه كان يعتقد أن سلامة الدين والفلسفة أن يعزل كل واحد منهما عن الآخر ، فلا تضاف عناصر فلسفية إلى تعاليم الدين ، ولا تصبغ الفلسفة بصبغة دينية . لأن لغة رجال الدين يجب أن تختلف عن لغة الفلاسفة ما دام الدين للشعب والفلسفة للخاصة . وكم عاب فيلسوف الأندلس على صاحب تهافت الفلاسفة تقديمه للجمهور بعض المشاكل العويصة التى لا يستطيع فهمها ولا استساغتها [٣]

بيد أن هجوم الغزالى كان فيما يظهر عنيفاً ، وصدمة الفلسفة على يديه كانت قوية . لهذا لم يفلح فيها علاج ابن رشد ولم يرفع من شأنها انتصار فيلسوف قرطبة لها ، وبقيت مهملة منظورا اليها نظرة ازدراء واحتقار أو توجس وخيفة طوال السبعة قرون الأخيرة . وكأن حملة الغزالى صادفت هوى فى تلك العقول الضعيفة التى لا تقوى على البحث والنظر ، فرأت أن أيسر سبيل لديها أن تهجر الفلسفة وشؤونها وتحاربها بكل الوسائل ولست فى حاجة لأن أذكركم بتلك السنة التى سار عليها مؤلفو هذه القرون المظلمة من التساؤل عن حكم الدين فى كل فن من الفنون ، هل دراسته واجبة أو مسنونة أو مستحبة أو مكروهة أو محرمة . وكثير منكم يذكر هذه الأبيات المشهورة التى صدرت بها حواشى الكتب فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر :

إن مبادى كل فن عشرة ... الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبة والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

فباسم الشرع حرمت علوم وأبيحت أخرى ، وتحت تأثير هذه الرقابة أهملت أجزاء الفلسفة المختلفة ، ولم يدرس منها إلا المنطق الذى كان نفسه موضع تحريم أو تحليل واستحباب أو إباحة . وقد عقد الأخضرى أحد مناطقة القرن العاشر الهجرى فى سُلَّمه فصلا عنوانه . « فى جواز الاشتغال به » وتحت هذا العنوان يبين حكم الشرع فى دراسة المنطق وآراء الباحثين فى هذا الصدد ، ويوضح ذلك فى أبيات طريفة يلذ لى أن أسردها عليكم

والخلف فى جواز الاشتغال ... به على ثلاثة أقوال
فابن الصلاح والنواوى حرما ... وقال قوم ينبغى أن يعلما
والقولة المشهورة الصحيحه ... جوازه لكامل القريحه
ممارس السنة والكتاب ... ليهتدى به الى الصواب [١]

والباحثون الأول ما كانوا يقفون عند نقطة كهذه ، ولا يرون غضاضة عليهم فى أن يدرسوا أية مادة كيفما كان نوعها . والغزالى بوجه خاص زج بنفسه فى المدارس والفرق الاسلامية المختلفة . فدرس العلوم الكلامية على اتساعها ، واتصل بالباطنية وتعرف أسرارها ، ولم يخش بأساً من قراءة الكتب الفلسفية واعتناق الطرق الصوفية . ومعرفته بدقائق الفلسفة وجزئياتها لا تقل عن الفلاسفة المختصين أمثال ابن سينا وابن رشد . وما كان يضير أحداً فى ذاك الزمان أن يقرأ شيئاً ويتفهمه ، فان ارتضاه قبله وإلا نبذه ، ولم يخطر ببالهم أن مادة ما تستطيع أن تهدم الدين أو تنتقص أصوله . فلما قصر الجهد وعجز الناس عن الدراسة والبحث لجأوا إلى حماية أنفسهم بوسائل سلبية واستتروا وراء حجاب واه من حرمة الدين أو كراهيته فجنوا على أنفسهم ودينهم فى آن واحد . وهكذا شأن كل عقيدة لا يرجع تدهورها غالباً إلى نقص فى طبيعتها ، بل إلى ضعف معتنقيها وفساد عقولهم وعجزهم عن مسايرة الزمن

يجدر بنا ، أيها السادة ، وقد أتممنا هذه النظرة التاريخية المجلى أن نستخلص منها درساً ينفع للحاضر . فان الماضى

(١) الغزالى « المنقذ من الضلال » ص ٣٣
(٢) ابن رشد « فصل المقال » ص ٢٥ — ٢٦
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ — ١٨

(١) الأخضرى « السلم » وعليه حاشية « الباجورى » ص ٢٢ — ٢٤

لا يدرس الماضي فقط ، بل لما عليه من نصائح وعبر مفيدة في الحاضر والمستقبل ، ونصيحة الليلة أن نفسح المجال للدراسة والبحث أيا كان نوعهما دون أن نخشى على الدين بأساً . لندع العلم يقرر قضاياه ويوضح نظرياته ، فهو إن لم ينصر الدين فلن يخذله ، وإن لم يؤيده فلن يقوى على هدمه . والعلماء الذين يبدو عليهم أنهم تجردوا عن تقاليد الأديان هم أكثر الناس اصطداماً بالمشاكل الدينية . ولئن كان القرن الثامن عشر قد دفع بعض المفكرين ، تحت تأثير النهضات العلمية ، إلى التشبث بأهداب المذهب العقلي واطراح كثير من الحقائق الروحية والنقلية ، لقد جاء القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحاضر مؤيدة للدين وواضعة إياه على أساس القوانين العلمية والنظم الاجتماعية . فأنصار مذهب البرجاتزم وعلى رأسهم جيمس ينادون بأن الحقيقة الدينية هي عماد الحقيقة العلمية ، ذلك لأن الأولى نتيجة التجربة النفسية والوحي المباشر . وأصحاب المدرسة الاجتماعية الحديثة قد أثبتوا في جلاء أن جل النظم الاجتماعية ، إن لم يكن كلها ، نشأ في حجر الدين وتحت كنفه . فالعلم والدين متضافران إذن ، أو على الأقل لا يستطيع واحد منهما أن يعدو على مكان الآخر . ومن الغريب أنه ما تجاهل باحث المبدأ الديني الا واضطر للتسليم به أخيراً ؛ ولا حارب رجال الدين علما إلا وانتهوا الى دراسته بعد قليل . فأرسطو الذي لم يفكر مبدئيا الا في الطبيعة وعللها والأفلاك ومحركاتها سيق في آخر الأمر الى اثبات محرك أكبر تتجه نحوه كل القوى وتشتاق اليه . و « كانت » الذي أنكر فكرة الآله في الدائرة الميتافزيقية عاد فأثبتها في أبحاثه الخلقية ، وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي حاربت الكنيسة الفلسفة الأرسطية وأحرقت كتبها ، وحكمت بأقسى العقوبات على قرائها . ولكنها لم تلبث أن عادت فاعتنقت هذه الفلسفة وأضحى أرسطو أستاذ اللاهوت المسيحي الوحيد . وفي القرن السابع عشر حوكم جاليليو من جراء قوله بحركة الأرض ، واليوم لا ترى الكنيسة ضيرا في اعتناق هذه النظرية . فاذا كان لنا أن نستفيد من هذه التجارب فواجبنا أن نترفع عن الخصومات الباطلة والنزاع الفاسد بين العلم والدين ، وإذا كنا نريد أن نؤسس نهضتنا على أسس متينة فعلينا أن نفسح المجال للدراسة والبحث وأن نسير وراء الحقيقة كيفما كان مصدرها ؛ والحكمة ضالة المؤمن يطلبها أنى وجدها

إبراهيم مدكور

في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت

الأستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والأستاذ بالجامعة المصرية

— ١ —

إن الغرض من المحاضرات الثلاث التي أتشرف بالقائها عليكم هو أن أتحدث اليكم عن الطريقة التي يجري عليها العلم الأوربي في درس الشرع الاسلامي ، وعن بعض النتائج الهامة التي أسفر عنها هذا الدرس . وقد بدا لي أن هذا الموضوع خليق بأن يثير اهتمامكم من أكثر من وجهة واحدة ، فان مصر كبلد اسلامي حديث لا يمكن الا أن تهتم ببحوث علمية ترمي إلى إظهار خاصة من خصائص الاسلام ، والعلم الأوربي من جانبه ينبغي ألا يهمل الاتصال بالعلم الاسلامي المعني بهذا الموضوع . ورغم اختلاف المبادئ والطرق والمصالح التي تفصل هاتين المدرستين احداهما عن الأخرى ، فقد ألفت بين بحثيهما في الشرع الاسلامي آصرة مشتركة جوهرية ، هي روح البحث العلمي الذي يحدو المستشرقين الأوربيين اليوم ، كما كان يحدو علماء الاسلام من عهد القرون الوسطى . هذا المتاد المشترك يبعث على أشد التفاؤل بتعاون مثمر قائم على الاحترام المتبادل بين العلماء الشرقيين والغربيين في هذا الباب ، تعاون لا يوهن في تعلق فريق منهما بالتقاليد واستمساك الفريق الآخر بأساليبه العلمية ، وإني لأرجو أن يكون في مقدوري المساعدة على تنمية التفاهم بين الفريقين ؛

وليس في نيتي أن أعرض صورة عامة للشرع الاسلامي ، وأن أكرر كثيراً من الأشياء المعلومة لكثرتكم بلا شك ، بل أتكلم عن مسائل خاصة في تاريخ هذا الشرع تناولها علماء أوربة متوخيا عرضها عليكم في صورة قد تثير اهتمام حتى غير الاختصاصيين منكم

ولنبدأ بالمسألة العامة — مسألة تاريخ الشرع الاسلامي ؛ فهذه المسألة تمكنني من اطلاعكم على ما بين وجهتي النظر من اتفاق تام ، فعلماء الاسلام يرون في الشريعة تعبيراً عن الارادة

الالـهية التى لا تبدل فيها ؛ وقد كان مع هذا المبدأ من المسلم به دائماً أن تعبير الفقه عن هذا القانون الالـهى مرّ بدور تاريخى حتى أن بعض المؤلفين المسلمين عنونوا مؤلفاتهم « بتاريخ التشريع الاسلامى » ؛ وقد جهد علماء أوربة ببحث هذا التطور دون أن يكون لهم بمسائل العقائد شغل ، وتناولوا بهذا الروح تاريخ الشريعة ، والعلماء المسلمون أنفسهم ، على الرغم من اعتقادهم بقدسية الشريعة وصبغتها الالـهية ، يسلمون بأن أحكاماً من أحكامها كانت موجودة فعلا فى شرائع أخرى قبل أن يقرها التشريع الاسلامى ؛ ولنضرب لذلك مثلا واحداً هو القصاص ، فان مبادئه التى عدلها وأكدها القرآن والسنة ترجع إلى القوانين العرفية عند العرب قبل الاسلام . فالعلم الأوربى يبحث فيما يسمى بالعلاقات بين الشريعة والشرائع التى سبقتها بهذا المعنى التاريخى المحض — ذلك المعنى الذى لا يضير ما فى علم أصول الفقه الاسلامى من الحقائق ، ومعلوم جيداً أن العلماء المسلمين أنفسهم يطبقون على الأسانيد قواعد نقدية ، وهذا النقد الذى وسّع النقاد من علماء أوربة دائرته ، وذهبوا فيه بعيداً ، قد بات أداة للعمل لا يستغنى عنها العلم الأوربى — أداة ليست سلبية محضة ، بل قد أعانتنا على تقرير صحة الكثير من الأحاديث . فى هذا كله يمكن أن يوجد ، بل يوجد فعلا اختلاف كبير فى الأساليب والنتائج بين علماء الشرق والغرب ، ولكن لا وجود لخلاف جوهرى ، لأن مبادئ عقائد الاسلام لا تؤثر فى دراستنا التاريخية للشرع الاسلامى . هذه المدرسة الأوربية لا تقف عند حدود الشريعة ، التى تلتزم غايتها الأساسية بطبيعة الحال ، بل تتجاوزها أبحاثها إلى وجهات عدة ، فتتناول القوانين الأخرى المتصلة بالشرع الاسلامى اتصالا مباشراً ، سواء أكان ذلك باندماج سنن تلك القوانين فى الشريعة الاسلامية بالمعنى الذى أسلفنا بيانه ، أم كان بتأثير الشريعة فى تلك القوانين والسنن ، والمقصود بذلك قوانين العرب أيام الجاهلية من جهة ، وقوانين الشعوب التى دخلت فى دولة الاسلام من جهة أخرى ؛ مثال ذلك هو التشريع الخاص بالأسبان المسيحيين الذين يتكلمون العربية وهم المسمون بالمستعربين . ويتناول الدرس أيضاً موضوعاً واسماً ، هو العرف القائم بين الشعوب الاسلامية نفسها . اننا نعلم أن هذا العرف الذى يطلق عليه أسماء مختلفة كالعادة والقانون والدستور الخ قد نشأ إلى حد ما فى كافة بلاد الاسلام تقريباً ، إلى جانب الفقه المعترف به رسمياً ؛ وشرح تاريخ هذا العرف وبيان علاقته بالشريعة أمر لا غنى عنه فى تفهم جملة الحياة التشريعية عند الامم الاسلامية تفهماً صحيحاً ؛ وقد شهدنا فى خلال السنوات الأخيرة تطوّراً جديداً فى العلاقات القائمة بين الشريعة والقانون بتلك التعديلات التى أدخلتها مصر على الأحوال الشخصية . وأخيراً فالعلماء الأوربيون يعنون بالمظهر الاجتماعى للشرع الاسلامى ، لأن الشريعة الاسلامية أحسن مثال وأهم مظهر لما يسمّى « بالقوانين المقدسة » . وبهذا لا نريد مطلقاً أن نضع الشريعة فى مستوى واحد مع سائر الشرائع ، بل نحرص كل الحرص على اظهار خواصها الفردية ابتغاء الوصول الى تقدير مركزها الفريد بين الشرائع والقوانين الأخرى . فاذا كان علمنا يضع الشريعة فى أفق أبعد زاعماً أن تلك الشريعة ليست حقيقة شاذّة لا علاقة لها بما حولها ، فانما نفعل هذا لكى ندرسها أوفى درس ممكن من كل جهاتها . كذلك لا يهمل العلماء فى أوربا درس الشرع الاسلامى على طريقته التقليديّة الخاصّة ، فان هذه الدراسة شرط لازم يمهّد لكل بحث تاريخى . ولعل فى هذه الملاحظات التمهيدية ما ينيلكم فكرة عامة من هذه الوجهة الهامّة من بحوثنا وغاياتنا

وقبل المضى فى التفاصيل قد يحسن أن أقول كلمة عن تاريخ هذه الدراسة فى أوربا . فوجودها يرجع الى عهد قريب لأنها مدينة بأصلها للنهضة العظيمة التى تناولتها البحوث الاسلاميّة فى أوربا فى النصف الثانى من القرن الماضى . والمشجّعان الكبيران على البحوث الاسلامية العامة هما فى نفس الوقت واضعا أساس البحث العلمى فى الشرع الاسلامى ، وأعنى بهما الأستاذ المجرى الكبير Goldziher (توفى فى سنة ألف وتسعمائة وواحد وعشرين) والأستاذ الهولندى المحترم Snouck Hurgronje الذى بلغ أخيراً الثامنة والسبعين من عمره ، والى اسمى هذين الصديقين الجليلين يجب أن نضيف اسم عالم ألمانى قضى قبل الأوان فى سنة ألف وتسعمائة وثلاث وثلاثين فى الخامسة والأربعين من عمره ، وأعنى به المرحوم المأسوف عليه الأستاذ Bergstraesser

وإني لأعتبر نفسي تلميذاً لـ Bergstraesser و Suouk Hurgronje,
وأنا شاعر بجميلهما أعمق الشعور ، فخور بهما حق الفخر

إن أولى المسائل الخاصة التي سأعالجها هنا تتعلق بالقانون العرفي عند العرب في زمن الجاهلية ، وهو كالأرض التي كانت تنمو عليها شجرة الشريعة العظيمة ، ولهذا السبب فإنه يدخل في نطاق أبحاثنا كما ألمنا آنفاً . هنالك رأي سائد إلى اليوم يعتبر الحياة القانونية في جزيرة العرب قبل الاسلام مما لا يمكن درسه لانتفاء المصادر المباشرة ، ويزعم أن تلك الحياة كانت فطرية بسيطة بحتة . ولقد مكنتنا أبحاث السنوات الأخيرة القائمة على الانتفاع بمصادر غير مباشرة من تصحيح هذا الرأي . فلم يكن فطرياً سوى أحوال البدو ، يشهد بذلك الشعر القديم وأخبار القبائل ويؤيده ما يصادفه المرء عند البدو اليوم . أما المدن ومنها مكة التي كانت مركزاً تجارياً ذا صلة باليمن وسورية البيزنطية والعراق الساساني ، والمدينة التي كانت مركز زراعة النخيل مركزاً يضم جالية كبيرة من اليهود — نقول : أما المدن ، ومنها ما ذكرناه ، فكان لها بلا ريب قانون أكثر نمواً لم يمكن إلا أن يتأثر بالعوامل الخارجية التي ذكرناها ، ويمكننا أن ننسب بالتفصيل إلى الأصل البدوي أشياء منها النظام الاجتماعي وأحكام العائلات والمواريث وقانون القصاص — وكل هذا بقي سارياً على أهل المدن أيضاً — ويمكننا أن ننسب إلى التطور المدني الموافقة على قواعد مفصلة تطبق على العقود ووضع أشكال معينة للشركات واستعمال وثائق مكتوبة — كل هذا في مكة — ومعاملة بعض العقود الزراعية في المدينة . فكل هذه العناصر لم تبق بمعزل بل اتسع تداخلها بتأثير العلاقات التجارية التي تساعد على نموها الأشهر الحرم والأسواق الكبرى ، حتى أن بلاد العرب كانت في القرن السادس بعد الميلاد محكومة بقانون عرفي متشعب الأطراف ، وهذا يطرح مسألة تحليل هذا القانون تحليلاً مفصلاً سأقدم لكم مثالاً منه

الحالة في الشرع الاسلامي هي أن العنصر الجوهري في كافة العقود يتألف من الايجاب والقبول اللذين يعبران عن تراضي المتعاقدين ، وهذا التركيب القانوني للعقود من إيجاب وقبول تجمع مذاهب الفقه على التسليم به كأنه أمر طبيعي دون أن يتناقض بعضها مع بعض ، وهو لا بد أن يكون سابقاً لتلك المذاهب فضلا عن أنه لا صلة له بالمبادىء الاسلامية المحضة كمنع الربا ومنع الغرر التي تبنى عليها كافة الأبواب المتعلقة بأحكام العقود من الشريعة . وهذا كله ودلائل أخرى تحمل على الاعتقاد بأن تلك العبارة القانونية عن طبيعة العقود ترجع إلى القوانين العرفية فيما قبل الاسلام . أجل إن هذه الفكرة القانونية تكاد تكون شاذة شذوذاً تاماً في تاريخ القوانين القديمة . فإن الأمر المعني هنا ليس بذلك الدور الطبيعي الواضح الذي كان للايجاب والقبول دائماً في الحياة الاقتصادية باعتبار أنهما مقدمة العقود المتواضع عليها بمحض التراضي ؛ ولكن النقطة الحاسمة هي أن الايجاب والقبول يعتبرهما النظر القانوني عنصراً جوهرياً في العقود ، وأولئك الذين درسوا الشرع الاسلامي أو القوانين الحديثة فقط يمكن أن يلوح لهم هذا ضرورياً ، بيد أن التاريخ يدلنا على أن الأمر ليس كذلك ؛ لأن مثل هذا التركيب القانوني للعقود لم تعرفه القوانين القديمة اللهم إلا الشرع الاسلامي والقانون البابلي الحديث . فإن هذا القانون يعطي نمطاً من صيغة تعاقد يتفق تماماً ونظرية العقود التي أسلفنا بيانها ، بحيث أن نفس العقود البابلية الحديثة لو تُرجمت إلى العربية يمكن أن تبدو بين الوثائق الاسلامية القديمة المبنية على النحو الآتي : « هذا ما اشترى فلان من فلان . . . وباع هو إياه . . . بتراض منهما . . . » . هذه الحقيقة الواقعة تحدو بنا إلى التساؤل : أتوجد علاقة تاريخية بين هاتين الظاهرتين ؟ إن الفارق الزمني ليس بكبير مهما يظهر منه عند اللحظة الأولى ، فإن الوثائق البابلية الحديثة تبتدىء من أواخر القرن الثامن قبل الميلاد وتستمر إلى نهاية الآداب البابلية حول الميلاد ، والقانون العرفي العربي كان قد اكتمل تطوره في القرن السادس بعد الميلاد . بيد أن بعض خواصه قد يرجع إلى ما قبل ذلك . وليس يدعو إلى العجب أن تبقى صيغة وثائق جدت خلال سبعة قرون لكافة الأعاصير السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق — نقول : ليس عجيباً أن تبقى مثل تلك الصيغة التعاقدية بعد ذلك زماناً ، وإن كنا لا نستطيع الجزم بهذا لأننا لا نعلم شيئاً عن تلك الفترة . على أن الاستمرار التاريخي للبيئة مؤكد على الأقل ؛ ذلك أن العراق كان يسكنه

منذ القرن الثامن قبل الميلاد وعلى الرغم من تبدل الأسر الحاكمة أولئك السكان الآراميون الذين لم يزالوا يسكنونه فى خلال الفتح العربى والذين سماهم العرب بالنبطيين . أما القانون العرفى العربى فان التأثر الذى يمكن أن يكون تناوله من جانب العراق ليس أقل احتمالا من التأثير الذى أصابه من ناحية سورية ، وهذا مؤكد لأن التجارة العربية كانت تتجه نحو القطرين على السواء. وصفوة القول أنه من الراجح رجحاناً كافياً أن صيغة العقود ذات الجانبين أى الايجاب والقبول قد تووُرثت من القانون البابلى الحديث . وقد ألمنا إلى أن تلك الفكرة القانونية فى انعقاد العقود ليست بالوحيدة الامكان ، فان هنالك فكرة أخرى منتشرة انتشارا واسعاً فى القوانين القديمة تعتبر العنصر الجوهرى للعقود موجوداً فى تصرف واحد من المتعاقدين . مثال ذلك أن ينعقد البيع بنزول البائع عن حقه فى الشيء المبيع للمشترى فى مقابل ثمن معين . ويظهر من الاصطلاحات العربية أن القانون العرفى قبل الاسلام كان قد عرف هذه الفكرة فى طبقة سابقة لدخول الصيغة التبادلية فى العقود ، وهذه الاصطلاحات ترجع بلا شك إلى الزمن الجاهلى أيضاً . فبينما الاصطلاح الفنى القبول يعبر رأساً عن معنى العقل الذى يقع عليه فان الاصطلاح الخاص بالعرض – وهو الايجاب – يتناقض تناقضاً ظاهراً مع الدور المخصص لفعله لو اعتبر العقد ، كما هو الواقع ، آتياً من الجانبين . فهو يصف العرض الذى هو فعل البائع فى مثالنا السابق كأنه يجعل العقد واجباً نهائياً مختوماً عليه لا رجوع فيه ، بدليل معنى كلمة الوجوب فى شواهد كثيرة ؛ منها حديث مشهور إذ يقول النبى عن رجل أسلم ثم استشهد على الأثر : وجبت له الجنة . وعلى النقيض من ذلك فان العقد ذا الجانبين لا يصير واجباً إلا بقبول عرض سابق ، بينما التصرف من جانب واحد على نحو ما أسلفنا يطابقه ذلك الاصطلاح تماماً . إن هذا العصر الجاهلى يكشف لنا عن أرض عذرية واسعة خصيبة لأبحاث مستقبلة

والمسألة الثانية التى أود أن أتناولها تتصل بعصر هو أحسم من غيره فى تاريخ الشرع الاسلامى أعنى عصر فقهاء المدينة السبعة . وقد كان الاعتقاد إلى الآن أن عمل هؤلاء الفقهاء الأولين للاسلام كان وضع نظام للفقه يطابق حاجات عصورهم المختلفة . ولكن الأبحاث التى جعلتنا أكثر معرفة بحالة القانون العربى فى العصر السابق للاسلام هى نفسها التى علمتنا أن نقدر عمل هذا العصر الآخر بأدق مما كنا نفعل ، فهذا العمل قبل كل شيء إدخال المبادئ الاسلامية فى قانون كان قد نما إذ ذاك نمواً كافياً . وأصحاب الفضل الأكبر فى إدخال المبادئ الاسلامية فى القانون العرفى الجاهلى كانت تضمهم دوائر الأصحاب والتابعين وتابعيهم فى المدينة . كانوا يعملون على نفاذ الحياة بأسرها ومنها الحياة التشريعية بقواعد دينية أخلاقية ، وهذه القواعد كانوا يستمدونها ويستنتجونها قبل كل شيء من الآيات القرآنية الشرعية ثم من الأحاديث . فالأحاديث التى كانوا يأخذون بها ترجع بلا شك إلى عصر قديم جداً . ومن الجدير بالذكر أن الأبحاث الحديثة أفضت بالعلم الأوربى إلى تعديل تشككه فى صحة بعض الأحاديث — ذلك التشكك الذى كان يغالى فيه أحياناً . فكثير من تلك الأحاديث لا يذكر أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله التى كانت تصير قواعد جديدة ، بل يذكر أن النبى قرر وأجاز عادات أصحابه باستصوابها صريحا أو ضمنياً دون أن يستنكرها . وهذا هو البرهان المباشر لما نسميه استمرار السنن القانونية السابقة فى الشرع الاسلامى . ولقد كان من نتائج هذا التطبيق المحتوم المنظم لأعمال القرآن والسنة أن اشتمل نظام من « الأوامر والنواهى » على جميع أبواب الحياة القانونية حتى التى لم ينص القرآن عليها صراحة . وروح هذه « الشريعة المقدسة » تختلف أصلاً عن روح القوانين المدنية كالقانون الرومانى مثلا . فان أمثال هذا القانون تتناول قبل كل شيء الحقوق المشتقة من أفعال معينة ذات قيمة قانونية ، على حين أن الشرائع المقدسة تعنى الحكم على الأفعال من حيث أنها مباحة أو محظورة . وهذا بيّن من الاصطلاحات الفنية : إن التدرج العام لأعمال الانسان من واجبة أو مفروضة ومندوبة ومباحة أو جائزة ومكروهة ومحظورة تعبر عن صفاتها الدينية والأخلاقية . ولكن كلمة الواجب لم تدل فى الاصطلاح الجاهلى — كما رأينا — على المفروض بل دلت على الصحيح وقد تستعمل فى هذا المعنى أحياناً فى كتب الفقه أيضاً : ونحن نشهد حقيقة على تراجع للعنصر

القانونى المحض بتأثير القواعد الاخلاقية . حتى نفس نظام المصطلحات الدالة رأساً على أنواع الصفات القانونيـــة وهى مشروع وصحيح ومكروه وفاسد وباطل إلى غير هذا ، تأثرت بتلك النظرية الدينية : فالصفة العامة وهى المشروعية ، مشروعية البيع مثلاً ، تشتمل حكما من هذا النوع الدينى الاخلاقى ؛ ثم إننا نجد صفة الكراهة تطلق على أفعال قانونيـة مشروعة صحيحة يليها شىء من النهى عنه . ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هـذا النظام المدرج الثانى أقل تفصيلاً من التدرج الأول ، وأن بعض المصطلحات الدالة على الصفات القانونية المحضة كاللازم والنافذ والبات قد بقى بلا تحديد حاسم دقيق . وأخيراً فان اصطلاح « الجائز » أصبح مترادفاً لاصطلاح « الصحيح » ويدل على أن الأفعال التى يطلق عليها لا بأس بها من حيث التقدير الدينى الأخلاقى فهى بهذه الثابة صحيحة . وإذا قيل إن أمان المسلم الواحد مثلاً جائز فمعنى ذلك من جهة أنه غير آثم فى منحه هذا الأمان ، ومن جانب آخر أنه لا اعتراض على هذا الفعل ، وأنه من أجل ذلك يعتبر صحيحاً . ومن هذا كله يتضح ما للتقدير الدينى الأخلاق للأعمال من أهمية ومن أولوية على الصفات القانونية المحضة فى الشرع الاسلامى . وليس هذا بأقل وضوحاً فى نظام الأحكام الشرعية نفسها . فان الجانب الأكبر من أحكام المعاقدات مثلا يتسلط عليه الميل إلى استخلاص كل النتائج من تحريم الربا والميسر ؛ أما أحكام العقوبات فانها لا تتناول إلا جانباً بسيطاً من الأفعال المحرمة ، بحيث يكون للأوامر والنواهى صبغة أدنى إلى أن تكون أخلاقية منها إلى الصبغة القانونيـة . إن مصدراً من مصادرنا الكبرى فيما يتعلق بهذا العصر هو على الرغم من تاريخه الأحدث قليلاً كتاب الموطأ لمالك بن أنس . إنه جدير بالذكر أن أقوال الفقهاء السابقين يتلو بعضها بعضاً فى أبوابه التى تتصل بالأوامر الأخلاقية وبكافة الأحوال الشخصية والمواريث ـ تلك الأحكام التى ترى صبغتها الدينيـة بادية ظاهرة ـ فى حين أن هذه الأقوال نادرة فى كثير من الأبواب المتصلة بالقانون التجارى الذى كان بعيـداً عن دائرة الأخلاق قليل الاكتراث له لا يثير مناقشات أهل الدين . فهذه الأبواب من جهتها تمتاز بتغلب مصطلحين فيها وهما السنة والاجماع . فمعنى السنة فى كتاب الموطأ هو العرف والعادة المسنونة فى المدينة ، لا سنة رسول الله فقط ، والفرق بينهما من جهة الاصطلاح ظاهر . أما الاجماع فمقتضاه فى كتاب الموطأ غالباً أن سنة من السنن القانونية لم يستنكرها واحد من الأئمة لأسباب دينية أخلاقية . ويجب أن نذكر إلى جانب كتاب الموطأ لمالك بن أنس مصدراً آخر هاماً لذلك الدور من تاريخ الشرع الاسلامى ، وهو كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبرى ، فهو على الرغم من القليل الذى انتهى الينا منه ؛ أكثر دلالة من الكتاب الأول . مثال ذلك أن الطبرى يعلمنا أنه كانت هنالك عشرة اختلافات أساسية بين مذهب سعيد بن المسيب (أشهر فقهاء المدينـة السبعة) وإجماع مذاهب الأجيال التالية ، وهو شىء لا يظهر من المواضع العديدة التى أورد مالك فيها من هذا المرجع تأييداً لآرائه الشخصية . وثمة مصدر ثالث رئيسى لدراسة هذا العصر ، هو كتاب أخبار القضاة لأبى بكر وكيع القاضى (توفى سنة ثلثمائة وست) فهو جامع لأخبار قضاة الأمصار الكبرى فى الدولة الاسلامية طائفة طائفة على الترتيب الزمنى من الابتداء إلى عصر المؤلف مبيناً ظروف توليتهم وعزلهم مفصلاً الحوادث التى وقعت طوال ولايتهم مورداً قضاياهم الهامة وأحاديثهم وشعرهم إلى غير ذلك من المعلومات . ويفيدنا هـذا الكتاب عن مظهر آخر للحياة التشريعية وهو تطور الشرع بالعمل القضائى ، فان قضايا هؤلاء القضاة الأقدمين وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين قد ساهمت مساهمة كبيرة فى نمو الفقه . ولندع جانباً موادّ أخرى لم يتناولها البحث إلى الآن كتلك الموادّ التى يشتمل عليها تفسير ابن جرير الطبرى الكبير ، وننتقل إلى المصدر الهامّ الرابع لأبحاثنا عن ذلك العصر ، ونعنى به المعلومات الواردة فى كتب الأحاديث وما يتعلّق بها . فقد أسلفنا القول بأن الفقهاء الأقدمين كانوا يأخذون القواعد التى كانوا يطبقونها على القانون العرفى من القرآن والأحاديث التى كانوا يرونها صحيحة فلذلك ليس من العجب أن نجد إلى جانب الأحاديث كثيراً من القضايا والأحكام تتعلق بها لاسيما فى الجامع الصحيح للبخارى . فان صاحبه فى تراجم الكتب والأبواب كثيراً ما يذكر آراء الفقهاء التى تدخل فى موضوعه حتى ولو لم تتفق والأحاديث المذكورة أو اعوزت الأحاديث كل الاعواز . وإن لنا الحق فى أن نفترض أن كل حديث ذى صلة بمسائل الفقه كان يلازمه أصلا رأى فقهى مطابق له حق

ولو كان هذا الرأى قد اختفى . والأحاديث – سواء أ كانت صحيحة أم مطعونا فيها – هى فى الواقع مصدر من الدرجة الأولى لفهم هذا التطور القديم للفقه ، وعلى الباحثين أن يطابقوا بين الآراء الفقهيّة التى تعبّر عنها الأحاديث وحالة الأشياء الحاصلة بعد استكمال الفقه على صورته النهائية . وأود أن أورد لكم بضعة أمثلة لهذه الطريقة – طريقة المطابقة بين الأحاديث الشرعيّة والفقه

فالنص الأساسى للّعان ، وهو مثالنا الأول ، هو الآية الآتية : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . والخامسة أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين » هذا النص لا يفصل فى مسألة النكاح : أيقتضى اللعان فسخه ضرورة أم لا . فجميع مذاهب الفقه تقول بالايجاب ، وتستند فى ذلك الى أحاديث . ولكن تلك الأحاديث تثبت هذا الرأى بصورة جازمة قوية حتى أن الرأى العكسى لابد أن يكون قد ُوجد قبل تأليف المذاهب . ويقال إن مصعب بن الزبير قد أخذ بهذا الرأى الآخر ، لكن هذا القول لا أصل له ؛ ولكن الخبر المنفرد عن عثمان البَتّى أنه كان يرى ذلك فيؤكده متن الأحاديث نفسه . فأما فسخ النكاح عند اللعان فقد يحتمل أن يكون على ثلاثة وجوه : أن يفسخ النكاح بالطلاق الذى يجب أن يصدر عن الزوج ، أو أن يفسخه القاضى المشرف على أداء اللعان ، أو أن ينفسخ بوقوع اللعان نفسه . والرأى الأول يطابق بلا ريب المعنى الواضح لطائفة كبيرة من الأحاديث ، بينما لم يبقَ له أثر ما فى الأقوال المروية عن الفقهاء الأقدمين ما عدا جدال منفرد ضدّه ؛ ولابد أن يكون قد اندثر من زمن بعيد ، وقد فسّرت تلك الأحاديث على أنها مؤيدة للرأى الثانى ، وهذا الرأى تشهد به أحاديث أخرى كثيرة ، ويصفه الزهرى بأنه سنّة ، وهو مذهب الحنفية ؛ ومن الراجح على الظن أن مالك بن أنس قد أخذ به شخصياً فى حين أن المالكية قد آثروا عليه الرأى الثالث . وهذا قد أخذ به الشافعى ومن بعده الشافعية أيضا ؛ لكننا لا نجد أحاديث تؤيده . وهكذا يظهر من مقارنتنا للأحاديث بالمذاهب الفقهية تطوّر بيّن يتجه اتجاها معينا

فأحكام القصاص – وهو مثالنا الثانى – مبنية على آيات عديدة ، منها الآية التالية : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص فى القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن ُعفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان » . وقد فسرت هذه الآية تفسيرات مختلفة . منها تفسير يلوح أنه مطابق لمعناه الظاهر ، يفيد فى الواقع أن رجلا حراً لا يمكن أن ُيقتل إلا فى رجل حر وفى المرأة امرأة فقط ، وانه فى الحالات الأخرى يجب أداء الدية بدلا من القصاص . ويزعم أصحاب ذلك التفسير فى نفس الوقت أن هذه الآية قد نسختها آية أخرى تنص على القصاص العام وهى الآية الآتية : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » . كذلك أجمعت المذاهب الآن على أن الرجل ُيقتصّ منه بالمرأة . وقد فسرت الآية الأولى أيضا بهذا المعنى استناداً إلى حديث لاشك فى صحته مؤدّاه أن النبى أمر بقتل رجل فى امرأة . ومع هذا كله فقد ُوجد الرأى القائل بأنه لا ينبغى أن ُيقتل رجل فى امرأة ، ويُذكر من أصحاب هذا الرأى عمر بن عبدالعزيز والحسن البصرى وعطاء وعكرمة ، ولكن لا يكاد يوجد حديث يؤيد هذا الرأى ، وهذا المثال يفيدنا علماً بأنه – ولو أن كل حديث يطابق قولاً فقهياً – فالعكس ليس كذلك وأن بعض الآراء الفقهية يمكن أن يكون مستقلا عن الأحاديث . ومثل هذا ُيقال فى مسألة العلم بهل يقتل كثيرون فى شخص واحد إذا اشتركوا فى قتله ؟ ولما كان أصحاب هذا القول الذى أخذت به مذاهب أبى حنيفة ومالك والشافعى يعوزهم حديث لا مطعن فيه ، فقد كانوا مضطرّين أن يستندوا إما إلى حديث لم يكن دليلا قاطعاً وإما إلى آراء بعض القدماء ، وهو مما أثار انتقادات خصومهم

ولعل هذا يكفى فى وصف ذلك العصر الخصيب من تاريخ الفقه الاسلامى . وحسبنا أن نلاحظ ختاماً لهذه المسألة أنه يمكننا بالانتفاع بالمصادر الميسورة اليوم أن نفهم فهماً دقيقاً تلك الوظيفة التشريعية التى قامت بها شخصيّة قديمة كشخصية ابراهيم النخعى . وبهذه الاشارة إلى ميدان واسع لأبحاث مستقبلة عظيمة الشأن نختم هذا الحديث الأول

يوسف شخت

الحجر المؤابي

« Moabite Stone »

بقلم جريس القسوس

اكتشف الحجر المؤابي في قرية ديبون القديمة (ذيبان) الواقعة ما بين نهر أرنون القديم (أو الموجب الحالي) ومادبا في أقصى شمال مؤاب (الكرك اليوم) ، وتبعد ذيبان عن نهر أرنون نحو أربعة أميال إلى الشمال ؛ وقد كانت قديماً قاعدة ملوك مؤاب في عصورهم الذهبية ، أي التي سيطروا فيها على مؤاب الشمالية ، ومؤاب الجنوبية . وفي سنة ١٨٦٨ راد قس ألماني اسمه ف . كلاين Rer. F. Kleim القسم الشمالي من مؤاب ، ومر في طريقه بذيبان ، فعثر فيها على حجر مسنود إلى جانب سور المدينة القديم ، منقوش على أحد جوانبه كتابة باللغة العبرانية القديمة ، ويظن ترسترام [1] أن الرومان استعملوه في بناء سور المدينة ، غير أنه زحزح من مكانه الأصلي بسبب طارئ طبيعي ربما كان زلزلة . ويعتقد ترسترام أيضاً أن الحجر دحرج من مكانه بسبب الزلزلة التي حدثت سنة ١٨٣٧ ، ولا يرى أن هذا الحادث متقدم عن ذلك التاريخ ، إذ أن الكتابة لا تزال ظاهرة للعيان رغم تعرضها الطويل للشمس والهواء والمطر ، وإذا اعتبرنا قوله هذا صحيحاً ، تكون الكتابة قد ظلت معرضة للحوادث الطبيعية والتغيرات الجوية مدة إحدى وثلاثين سنة فقط

أدرك ذاك القس الألماني قيمة هذا الأثر ، وأراد أن يبتاعه مبدئياً ، آملا أن يبعث به إلى متحف برلين ، إلا أنه لم يوفق في مهمته هذه ، إذ ما كاد بدو بني حميده ، القاطنين في تلك الديار يدركون قيمة هذا الحجر حتى ثار النزاع بينهم فانقسموا فريقين ، كل فريق يرغب في اغتصابه واحتكار عنه . غير أن أحد الفريقين أدلج إليه مع سوّاح فرنسيين : ولما لم يتمكنوا من نقله لثقله ، خففوا من كثافته بفؤوسهم ، وأخيراً حطّموه إلى عدة أقسام ، حملوها على بغال وقطعوا بها نهر الأردن ، فتمكن بذلك السوّاح الفرنسيون من شرائه ونقله إلى متحف اللوفر بباريس ، ولا زال هناك إلى اليوم . وقد أخذ عنه قالب من الجبس لكي يحفظ في المتحف البريطاني . [1] ولا صحة لما أورده المؤلف هرمان هلبرخت [2] من أن الحمايدة حطموا هذا الحجر ، آملين أن يعثروا في داخله على كنز . ولقد جمت قطع هذا الحجر ، وعددها ثمان عشرة . وصُفّت صفا فنياً ، وشُدّ بعضها إلى بعض بقوالب حديدية متينة . حتى استطاعوا أخيراً قراءة كل ما هو منقوش عليه

أما طول هذا الحجر فنحو ثلاثة أقدام ونصف قدم ، وعرضه قدمان [3] . وهو شبيه في مظهره الخارجي بمواميد أسر حدون الأشوري الحجرية الموجودة في متحف برلين . ولقد نقش عليه مئتان وستّون كلمة في أربعة وثلاثين سطراً ، وذلك بالخط العبراني القديم [4]

وللكتابة على هذا الأثر فضلٌ كبيرٌ على تاريخ الحضارة ، لأنه حفظ لنا أنموذجاً من النحو والانشاء العبراني القديم ، ليس هذا فحسب ، بل من الخط العبراني القديم أيضاً . فمن هذا الأنموذج يتّضح لنا شكل الحروف الهجائية السامية القديمة ، هذا عدا أنه يساعد على دراسة تطور الخط الأغريقي

أما فحوى هذه الكتابة فهو مكمّل لما ورد في سفر الملوك الثاني (الاصحاح الثالث) من التوارة ، من الحوادث عن مؤاب في القرن التاسع قبل الميلاد وذلك في عهد ميشاع ملك مؤاب الذي كان معاصراً لأحازيا ويهورام ملكي اسرائيل ، ويهوشافاط ملك يهوذا . فبينما تورد التوراة قصة اتحاد يهوشافاط ويهورام واتفاقهما على إخضاع مؤاب في عهد ميشاع ، ترى ميشاع يخط لنا على هذا الأثر الخالد الأسباب التي أفضت إلى هذه الحروب ، وكيف أن عُمْري ملك إسرائيل وابنه آحاب أخضعا الكرك ، وامتلكا أرض مادبا ؛ وكيف أن ميشاع تمكن بمعونة إلهه كيموش من استرجاع هذه البلاد ، واغتنامه من الاسرائيليين مدينتي عطاروث ونبو وغيرهما من المدن الحصينة ؛ وكيف أنه أعمل السيف في رقاب بني إسرائيل القاطنين عطاروث تخليداً لاسم كيموش ، وفيه يحدث ميشاع أيضاً عن اعتزامه على تحصين مدن مؤاب ، وبناء قصر له في الكرك الحالية ، وحفر آبار ماء فيها . أما عبادة

(1) H. B. Tnistram's The Land of Moad. P. 148

(1) G. st. Clair's Rui-eol cities — Bible countries P. 194

(2) H. Hilperecht-s Explorantione in Bliele Lands P.611

(3) Tristram,s Land of Moad P. 148

(٤) الموسوعة اليهودية (موآب)

مؤاب فى عهد ميشاع ، كما يظهر من هذا الأثر ، فوثنية ؛ إذ أن كيموش عندهم يقابل يهوه عند إسرائيل (سفر العدد ص ٢١ : ٢٩) (والقضاة ١١ : ٢٤) . والديانة عند ملكهم أساس الوطنية والقومية الصحيحة ؛ كما أن الملك أقرب فرد فى الشعب إلى الآلهة . أما ماعدا كيموش فهناك (دودة Daudeh) ، وقد ورد اسمه فى الكتابة على الحجر المؤابى ، وإليك ترجمة ما كتب على هذا الحجر الأثرى نقلا عن الكتاب الانكليزى Rev. G. A. Cooke's North Semitic Inscriptions »

« أنا ميشاع بن كيموش . . . . . . ملك مواب الديبونى كان والدى ملكا على مواب مدة ثلاثين سنة ، وأنا ملكت بعد والدى

وأنا الذى شيدت هذا المكان العالى لكيموش فى QQHH[1] مع ...... (مكان الخلاص العالى) حيث أنه أنقذنى من ...... (مهاجمىّ)

ولأنه جعلنى أحقق كل ما أردت وأملت أن أنعله عن كرهونى

ولقد أنزل عمرى Omri ملك إسرائيل كلّ بلية بمواب أياماً عديدة ، لأن كيموش كان ناقماً على وطنه ، ولقد خلفه ابنه على العرش ، وهذا بدوره رأى أن يسحق مواب ، وفى عهده رأى .... (هذا) وأنا حققت ما كنت أؤمل أن يحل به وببيته ، وهكذا هلك إسرائيل على بكرة أبيه إلى الأبد . لقد احتل عمرى أرض ميدبا وسكنها طيلة حياته ، ونصف حياة بنيه أى مدة أربعين سنة ، لكن كيموش استردها فى أيامى

وأنا الذى بنيت بعلميمون[2] ، وأنا الذى حضرت هناك سدّ الماء وبنيت قرياثان . ولقد سكن أبناء جاد فى أرض عطاروث منذ القدم . وبنى ملك إسرائيل مدينة عطاروث لنفسه وأنا حاربت هذه المدينة وامتلكتها ، وفتكت بجميع أهلها

. . . . . . هذه المدينة مطمح أنظار كيموش ومواب . وأنا الذى جلبت الى ذلك المكان موقد مذبح (دوده) Daudeh . وجررته أمام كيموش فى قيرايوث . وأنا الذى جعلت SRM[3] ورجال Mhrth[4] أيضا يسكنون هناك

(١) ربما كان هذا الكرك الحالية كما هو ظاهر من وصف سورها وآبارها وغير ذلك مما جاء على الحجر (٢) قرية ماعين قرب ماديا

ملاحظة : يدل مكان النقط فى الترجمة على كلمات لم تظهر على الحجر بسبب تعرضه للحوادث الطبيعية ، أما الكلمات الموضوعة بين قوسين بعد النقط فعلى من نسخة ثانية فى الموسوعة اليهودية تحت مادة (مواب)

(٣) و (٤) كلمات فى الأصل الانكليزى لا معنى ظاهر لها

ولقد قال لى كيموش « إذهب وخذ نبو[1] من إسرائيل عنوة . فذهبت عشاء وحاربتها من مطلع الفجر حتى مطلع القمر مساء وأخذتها ، وذبحت أهلها ، سبعمائة رجل و... (ولد) وامرأة و ... (جارية) وفتاة ، وكرّست المكان لعشتار كيموش . ثم أخذت ... (عبيد) يهوه وجررتهم أمام أعين كيموش

ولقد بنى ملك اسرائيل ياحاص حيث أقام فى حين مقاومته لى ؛ لكن كيموش دفعه أمامى . ولقد أخذت من مواب مائتى رجل ، وكل الشيوخ هناك ، وقدتهم ضد ياحاص فامتلكتها واضفتها لذيبان

لقد بنيت QRHH وسور يمارم ، وسور موند ؛ وجعلت لها أبواباً ، وأقمت فيها حصونا ، وشيدت دار الملك . ولقد حفرت مجارى لجمع المياه وسط المدينة . ولما لم تكن بئر وسط المدينة (QRHH) أمرت السكان أن يحفر كلّ واحد منهم بئراً داخل بيته

وأنا الذى حفرت الحفرة فى (QRHH) بمساعدة أسرى إسرائيل الذين كانوا فى قبضتى

أنا الذى بنيت عراعر[2] ، وفتحت الطريق العامّة الى أرنون . وأنا الذى بنيت بيت باموث وقد كانت خراباً . وأنا الذى بنيت بصيره Beser التى كانت مهدمة ... أما ... ذيبان فقد كان خمسين لأن ذيبان كانت تحت طاعتى . ولقد صرت ملكا ... مائة ، فى المدن التى أضفتها إلى مملكتى . وأنا الذى بنيت ... ميدبا وبنيت دبلاثان . أما بيت بعلميمون فقد قدت اليها . . . غنم الأرض . أما فيما يخص حورنايم فقد سكنها ... و ... وأمرنى كيموش أن أنحدر وأحارب حورنايم ؛ فانحدرت . . . كيموش فى أيامى و .... من هناك ...... وأنا ...... » اهـ

جريس القسوس
الجامعة الأمريكية
بيروت

مصادر هذا المقال

(1) H. V. Hilperecht's Explorations in Bible Lands
(2) H. B. Tristram's Land of Moad
(3) Cooke's North Semitic Inscriptions
(4) The Jewish Encyclepedia (Moad)
(5) Cyelopedia of Religion Ethics

(١) جبل واقع غربى ماديا فى شرق الاردن
(٢) قرية صغيرة لا تزال آثارها القديمة باقية ، وتقع شمالى الكرك الحالية فى شرق الأردن

في ميدان الاجتهاد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٣ —

أصول الاجتهاد

إن أول شيء يجب أن ينظر اليه في ذلك هو ما يقوم عليه الاجتهاد من الأصول التي يرجع اليها فيه ، فان هذه الأصول إذا تركت على حالها كان ما نرجوه من فتح باب الاجتهاد قليل الثمرة ، ضئيل الفائدة ، ولا يؤدي إلى ما نطمح اليه من التمهيد لتشريع فقهي يجتمع فيه المسلمون على اختلاف مذاهبهم ، ويتضافرون على استنباط الأحكام التي لا أثر فيها لتعصب مذهبي ، ولا لحقد سياسي ؛ كما تأثر بذلك اجتهادهم في الأزمان الماضية ، فعمل فيه كل فريق وحده ، وأخذ في ذلك بالطريق الذي يوافق هواه ومذهبه ، حتى تباعدت مذاهبنا الفقهية ، وأصبح الجمع بينها عسيراً مع بقاء هذه الأصول على أشكالها الحاضرة ، فالسني لا يعمل إلا باجماع أهل السنة ، ولا يثق إلا بالأحاديث التي رويت في صحيح البخاري وغيره من الكتب المعتمدة عنده ، والشيعي لا يعمل إلا باجماع أهل الشيعة ، ولا يثق إلا بالأحاديث التي رواها أئمته ، ولا يذعن لما روى في صحيح البخاري ونحوه ، كما لا يذعن السني لما يذعن له ، وهكذا غير السني والشيعي ، حتى أصبح كل فريق لا ينظر فيما عند الفريق الآخر من الأحاديث والأحكام ، وتقطعت بهذا بيننا الأسباب ، وبقيت الأحقاد القديمة تعمل إلى الآن عملها فينا مع زوال أسبابها ، وذهاب عواملها

وهذا إلى أن هذه المذاهب التي نعاديها قد يكون فيها أحكام أحسن من أحكامنا ، فاذا نظرنا فيها استفدنا ذلك منها ، مع ما نجنيه من جمع الكلمة ، والتقريب بين فرق المسلمين في هذه الأيام العصيبة

والأصول التي يرجع في الاجتهاد اليها أربعة أصول :

(١) الكتاب ، وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم منجما من ليلة اليوم السابع عشر من شهر رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده إلى تاسع ذي الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة ، حيث أوحى اليه بآخر آية نزلت عليه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

(٢) السنة : وهي ما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وقد جاءت السنة مبينة للقرآن ، ومفصلة له ، كما قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فكان يبين ما أراد القرآن أحياناً بالقول وحده ، وأحياناً بالفعل وحده ، وأحياناً بهما معاً ، كما صلى وقال (صلوا كما رأيتموني أصلي) وقد أمر الله في القرآن باتباعه فقال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

(٣) الاجماع . وهو اتفاق المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور على حكم من الأحكام الشرعية

(٤) القياس : وهو إلحاق مالم يرد فيه نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما ورد فيه ذلك بناء على وجود مشابهة بينهما

فأما القرآن الكريم فهو أصل هذه الأصول الأربعة ، وقد حفظه الله تعالى لهذه الأمة الكريمة سالماً من التغيير والتبديل ، وقد كان له كتاب يكتبونه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل إنهم كانوا ستة وعشرين ، وقيل إنهم كانوا اثنين وأربعين ، وكان ما يكتب منه يوضع في بيت النبوة ، وكان بعض هؤلاء الكتاب يكتبون منه صورة لأنفسهم ، وكان بعض الصحابة يحفظه جميعه ، وبعضهم كان يحفظ كثيراً منه ، وقد هيأت هذه الأسباب كلها حفظه بين المسلمين الى يومنا هذا ، واتفاقهم على ألفاظه ونصوصه ، وهم لا يختلفون إلا في فهم بعض هذه النصوص ، ومن السهل جمعهم عليها ، أو تقريب مسافة الخلاف بينهم فيها

وأما السنة فكانت لا تكتب في عهد رسول الله لئلا يؤثر أمرها في القرآن الكريم ، ولم يكن يكتبها على عهده إلا نفر قليل ، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب أراد أن يكتبها فلبث شهرا يستشير ويستخير ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له ، فجمع الناس وقال لهم : إني كنت ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم ، ثم تذكرت فاذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء

فمكث أمر السنة على هذه الحال مدة طويلة تبلغ نحو مائة سنة بعد الهجرة ، وهي في هذه المدة كلها لا تؤخذ إلا بالرواية ، ولا تحفظ إلا في الصدور ، فلما جاء عهد عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الثانية من الهجرة ، بدأ الاهتمام بتدوين السنة خوفاً عليها من الضياع ، أو أن يدخل فيها ما ليس منها ، وكان هذا الملك الصالح أول من اهتم بذلك ، فكتب إلى عامله بالمدينة وهي مجمع رجال السنة ، وكان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء

ولكن هذا التدوين جاء متأخراً عن أوانه ، ولم يحصل إلا بعد تشعب الأحاديث النبوية واختلافها اختلافاً كبيراً يرجع بعضه إلى اختلاف الأمصار ، وانقطاع بعضها عن بعض في تلك العصور فسار إلى كل مصر بمن نزل فيه من الصحابة من تلك الأحاديث ما لم يسر إلى المصر الآخر ، وقد كان منها ما يحفظ بلفظه ، ومنها ما يروى بمعناه على حسب ما فهمه السامع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأفهام تختلف في ذلك ، بل قد يختلف فيه السمع نفسه ؛ كما روى مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرة بنت عبد الرحمن أخبرته أنها سمعت عائشة تقول — وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول إن الميت ليعذب ببكاء الحي — فقالت عائشة : يغفر الله لأبي عبد الرحمن . أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودية يبكي عليها أهلها ، فقال : إنكم لتبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها

ويرجع بعض ذلك الاختلاف أيضاً إلى ما حصل من انقسام المسلمين ذلك الانقسام السياسي – إلى جماعية وشيعة وخوارج – واستفحال أمر تلك الخصومة السياسية فعمل ذلك في التبعيد بين أفهام المسلمين ما لم يعمله اختلاف الأمصار فيها

وقد كان الخير كل الخير تدوين السنة في الزمن الذي جمع فيه القرآن الكريم ، ولم يكن هناك خوف بعد جمع القرآن أن تلتبس به السنة النبوية ، أو أن نقع من ذلك فيما وقع فيه أهل الكتاب من قبلنا . لأن أهل الكتاب لم يكتبوا كتاب الله كما كتبناه ؛ وإنما كتبوا تلك الكتب وأكبوا عليها ، فالفرق في ذلك كبير بيننا وبينهم ، فلو أن السنة النبوية دونت في ذلك العهد لكان لنا منها سنة متفق عليها ، أو تقرب على الأقل مسافة الخلف بيننا فيها

وإذا كنا قد فاتنا من هذه الغاية الحميدة ما فاتنا ، فقد يكون في هذا الخلاف في السنة النبوية خير كبير لنا ، وقد عد هذا الخلاف فعلاً رحمة بالناس ؛ وقيل إن اختلاف الأئمة رحمة وتوسعة ، ولكن هذا القول لا يؤخذ على إطلاقه ، بل تقف تلك الخصومة السياسية دونه ، وتجعل في هذا الخلاف ما لا يكون معه رحمة خالصة ، وتوسعة عامة

وإنه ليمكننا الآن بعد ذهاب تلك الخصومة أن نعتبر من اجتهاد أئمة الشيعة والخوارج ما نعتبره من اجتهاد أئمة أهل السنة ، ولا يقوم ما يحول دون ذلك إلا تغالينا في علم الجرح والتعديل الذي وضعناه بجانب علم الحديث ، مع أن هذا العلم لا يعتمد إلا على ظواهر الرجال ، وغاية ما يفيده الظن دون اليقين ولا يوجد ما يمنعنا بعد التخفيف من ذلك التغالي من أن نعتمد من رجال كل من أهل السنة والشيعة والخوارج من اعتمدوه ، ونرفض منهم من رفضوه ، وكذلك لا يوجد ما يمنعنا بعد التخفيف من ذلك التغالي أيضاً من الانتفاع بالحديث الضعيف في التشريع ، والأخذ به عند الحاجة إليه ، فلا نرفض من الأحاديث إلا ما ثبت أنه موضوع بيقين ، ولا نتهم من رجال الحديث إلا من ثبت عليه الكذب قطعاً ، ورب حديث ضعيف يكون هو الصحيح ، ورب رجل متهم يكون هو الرجل الثقة

وأما الاجماع فقد اختلف في أمره ، حتى قال فيه أحمد بن حنبل رضي الله عنه : (من ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل الناس قد اختلفوا ، ولكن يقول لا نعلم الناس اختلفوا إذا لم يبلغه) ؛ وقد حمل بعض فقهاء الحنابلة ذلك على غير إجماع الصحابة ، أما إجماعهم فحجة معلوم تصوره ، لكون المجمعين ثمة في قلة ، أما بعدهم فإنهم في انتشار وكثرة ، وكذلك نقل عن الشافعي ما يفيد أنه لا يقول بوجوده إلا في الفرض الذي لا يسع أحداً جهله ، من الصلوات والزكوات وتحريم الحرام ، وأما علم الخاصة الذي لا يضير العوام جهله ، فيقول فيه نحو ما قاله أحمد بن حنبل

وقد اتفقوا جميعاً على أنه لا بد من استناد الاجماع إلى نص من كتاب أو سنة ، وإذا كان هذا شأنه معهما فلا يكون لعده من أصول الاجتهاد شأن كبير بعدهما ، على أنا إذا أبقيناه الآن بين هذه الأصول ، وأردنا أن نرجع إليه فيما نروم من فتح باب الاجتهاد ، فسنجد أنفسنا أمام إجماع لأهل السنة ، وأمام إجماع

ثان يغايره للشيعة ، وأمام إجماع ثالث يغايرها للخوارج ، وهلم جرا ، وإنى أوثر أن نقف وجهاً لوجه أمام النصوص التى لا بد من استناد الاجماع إليها ، على أن نقف جامدين أمام هذه الاجماعات المتعددة ، فمن الممكن معالجة هذه النصوص بتأويل أو غيره ، ومن الممكن الجمع بينها بوجه من الوجوه التى تتفق فيها الكلمة ، أما الاجماع فانه لا يقبل تأويلاً ولا جمعاً ، ولهذا أرى أن نحذف هذا الأصل من الأصول التى يرجع اليها فى الاجتهاد ، وأن نرجع مباشرة إلى النصوص التى لابد من استناده إليها ، فقد يفتح الله علينا فيها بفهم جديد غير ما فهموه منها ، وقد نصل بذلك إلى حل كثير من مشاكلنا الفقهية ، ولا يوجد أمامنا من هذا الأصل عقبة تقف فى سبيلنا

وأما القياس فهو الأصل الذى بقى لنا من أصل الرأى الذى كان يأخذ به بعض كبار الصحابة مثل عمر وعثمان وغيرهما ، وكان يعرف به قوم من الفقهاء يلقبون بأهل الرأى ، وهو أتم من القياس شمولا ، وأكمل منه اتساعاً [1] ، إذ كان على ما يظهر من فتاويهم عبارة عن الحكم الذى يبنى على القواعد العامة للدين كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » وقوله : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ولم يكونوا يهتمون بأصل معين يشبهون محله الحادثة التى يفتون فيها ، كما يجب ذلك فى القياس ، ومن هذا إسقاط عمر سهم المؤلفة قلوبهم مع أن القرآن عدهم من المستحقين ، وإسقاطه الحد عن السارق عام المجاعة ، وتركه التغريب فى الزنا بعد أن لحق أحد المغربين بالروم وتنصر ، وجعله الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاثا بعد أن كان واحدة على عهد رسول الله وعهد أبى بكر وصدر من إمارته ، وله من ذلك كثير

وقد حدث بعد هذا أن أخذ قوم يذمون هذا الرأى ، وكان ذلك بعد ظهور العناية بجمع السنة وتدوينها ، وقيام فئة من العلماء بذلك عرفوا بأهل الحديث ، فشنوا غارة شعواء على أهل الرأى ، وأخذوا يقولون إن الشريعة أجل وأرفع من أن تكون مجالا لآراء أهل الرأى من العباد ، لأنها من الله كتاباً كانت أم سنة ، وما كان كذلك يكون أبعد من الخطأ والاختلاف ، والرأى من الانسان ، وهو عرضة لأن يخطىء وأن يصيب ، وهنا يكون الاختلاف والفرقة ، وقد نهينا عنهما — إلى غير هذا من أقوالهم فى التشنيع على أهل الرأى

وهى كما ترى أقوال فيها كثير من الغلو ، لأن الرأى إذا كان مبنياً على القواعد العامة للدين فهو من الله أيضا ، وهذه الفرقة التى يخشونها منه حاصلة بدونه كما ترى ، وليست كل فرقة مذمومة فى الدين ، إنما المذموم فيه الفرقة المؤدية إلى التنابذ والتخاصم ، والاختلاف فى الرأى لا يصح أن يؤدى إلى شىء من هذا ، مادام يكون رائدنا فيه الاخلاص وصدق النية

وقد وجدت هذه الأقوال فى ذم الرأى آذاناً صاغية من الجمهور ، وكان لهذا أثره فى نفوس أنصاره ، فأخذوا يتقربون إلى أهل الحديث ، ويتركون الاعتماد على هذه القواعد العامة الثابتة فى الدين باليقين ، إلى أن صاروا من هذا الأصل الجليل الى قاعدة القياس التى لابد فيها من الاعتماد على أصل معين من الحديث الثابت بالظن

وإنى أرى فى هذا الأصل أيضا أن نرجع فيه الى ما كان عليه فى عهده الأول من الشمول والاتساع ، ولا نقتصر فيه على إلحاق الشبيه بالشبيه ، ولا يخفى أن السنة قد اختلفت رواياتها اختلافا كبيرا ولابد من تحكيم الرأى فيها تحكيما مطلقا ، ولست أدرى معنى لتحرجنا الآن من تحكيم الرأى فى علم الفقه وهو من الفروع بعد أن صرنا أخيرا إلى تحكيمه فى علم الكلام وهو من الأصول ، وقلنا فيه عند تعارض دليل العقل ودليل النقل أن نرجح دليل العقل على دليل النقل ، ويكون هذا بتأويل دليل النقل أو ترك أمره الى الله تعالى

وهذا هو ما أراه فى هذه الأصول الأربعة التى يقوم عليها الاجتهاد فى الاسلام ، وقد اقترحت فى مقالى الثانى فى هذا الموضوع عقد مؤتمر اسلامى من جميع المذاهب الاسلامية الباقية لفتح باب الاجتهاد فتحاً صريحا ، وتنظيم أمره تنظيما يقضى على ما يساور نفوس أنصار التقليد من الخوف على الدين من فتحه

وهناك أمر خطير له أثره فى تسهيل أمر الاجتهاد علينا ، وفى القضاء على هذه العزلة فى الاجتهاد بيننا وبين باقى الطوائف الاسلامية ، وذلك هو تأليف كتاب فى الفقه على جميع المذاهب الاسلامية ، تجمع فيه أقوال الأئمة من سائر المذاهب المعمول بها الآن وغيرها ، وتبين فيه مآخذها التى اعتمدوا عليها فيها ، وهذا هو العمل الخطير الذى يجب أن نعهد به لفتح باب الاجتهاد من يدعون الآن إلى فتح بابه ، وهذا هو باب المجد مفتوح على مصراعيه للرجل الذى نريد منه البدء بالعمل قبل أن تفوت

(١) تاريخ التشريع الاسلامى ص ٢١١ « الطبعة الرابعة »

صورة من الحياة العلمية فى مصر

تقى الدين السبكى

بقلم محمد طه الحاجرى

لا أحسب أن مصر قد ظفرت فى عصر من عصورها الاسلامية بما ظفرت به فى عصر المماليك من مظهر علمى سابغ ، وأثر فى تاريخ الفكر العربى خالد ، وصوت طائر صرنان فى أنحاء الامبراطورية المصرية بما لعلمائها من نفاذ فى البصيرة ، وعمق فى التفكير ، وقوة فى المناظرة ، وشمول فى المعرفة ، وإحاطة مدهشة بآثار السلف ، وابداع فى شتى نواحى العلوم النظرية والشرعية ، فمقدار ما وسم به هذا العصر من سطحية فى أدبه ، وتفاهة فى الصور الشعرية المنبعثة عنه ، وضعف فى الأسلوب الأدبى المتعارف فيه ؛ كان عجيباً جهد ما يبلغه العجب فى ذلك الجو العلمى السائد به ، والروح العلمية الحق المهيمنة على رجاله ، على ما كان يفهم من مدلول العلم إذ ذاك . ولا نحسبنا بحاجة إلى الاستشهاد لذلك المظهر الرائع ، فان نظرة عامة الى كتب الطبقات المصنفة فى ذلك العهد مثل الدرر الكامنة ، والضوء اللامع وغيرهما تشهد لهذا القول شهادة قاطعة لا تحتمل شبهة ولا يحتاج إلى مراجعة . وبمقدار ما كان يسود هذا العصر من اضطرابات سياسية مترادفة ، وفتن فى بلاد الأمراء متعددة ، حتى لتعد سبعة عشر سلطاناً تولوا أمر البلاد مدة حياة رجل واحد كهذا الذى نترجم له ، ثم ما يستتبع ذلك من فوضى فى الحياة العامة لا يحدها حد ولا يضبطها ضابط ؛ كانت النهضة الفكرية مطردة فى سبيلها ، والحياة العلمية تقدم للناس أحسن مثلها ، والعلماء يقومون على مذهبهم فى الحياة بالرعاية والتقدير ، لا يكاد يلفتهم عنه ما تعتلج به البلاد من الفتن ، وما تموج به من الاضطراب

ولسنا الآن بصدد التعليل التاريخى لهذه الظاهرة التى لا نزاع فى حقيقتها ، وإنما سبيلنا أن نسجلها هنا لنلفت أنظار بعض القراء عندنا إلى أن التاريخ الفكرى شىء غير التاريخ السياسى ، وأنه لا ينبغى أن يصرفنا انكار أحدهما عن الاعجاب بالآخر ، وإنا لنرجو أن يتجه البحث العلمى اتجاهاً جدياً دائباً إلى إثارة دفائن هذا العصر العلمى المجيد فى تاريخ مصر ، وأن يعنى القوم عناية بليغة بكشف آثاره وتنوير أسراره ، فإن فى ذلك متاعاً للروح العلمية التى تتمشى فى نفوسنا ، وقياماً بحق مصر الكريمة علينا ، وتغذية للروح القومية التى نحاول بكل سبيل تقويتها وتعزيزها فى قلوبنا

وإذا كانت الصورة المقيتة التى تركها التاريخ السياسى والدرس المقتضب لهذا العصر فى أذهاننا ، قد صرفتنا عنه إنكاراً له ، حتى ليود بعض الناس لو لم تكن هذه الفترة فى تاريخ مصر ؛ فان الصورة الجميلة الرائعة التى تركها التاريخ الفكرى لمصر عن هذا العهد جديرة أن تصرفنا اليه وتحببنا فيه ، وتجعل منه مفخرة لنا تخفق لها قلوبنا ، ومثلا عالياً لطلابنا ورجال العلم عندنا ؛ حينما يستطيع البحث العلمى أن ينفض التراب عن هذه الصورة ، ويجلوها للناس كريمة رائعة

وإنه ليغبطنا أن نقدم اليوم وجهاً من وجوه هذه الصورة ، فى شخص رجل من رجال ذلك العهد ، لا نخطىء إذا قلنا إنه من خير ما يمثل هذا العصر تمثيلا يملأ قلوبنا روعة وإكباراً ، ويهز مشاعرنا حباً وإعجاباً ، وإن كنا نأسف لأن أسباب البحث لم تهيأ لنا كما ينبغى لعرض هذه الشخصية فى أكمل مجاليها : ذلكم هو العلامة الشيخ تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى

عليه فرصته ، ويكون للتاريخ بعد ذلك حكمه فيه ، وقد بلغت اللهم فاشهد

اللهم إنى لا أدعى العصمة فيما قلت ، وفيما سأقول فى هذا الموضوع ، وإنما أريد أن أعرض رأيى فيه على صفحات مجلة «الرسالة» الغراء ، فان كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمن نفسى ، وإنى حينما أعرض رأيى فى ذلك على صفحات هذه المجلة ، فانه سيصبح فى يوم ظهورها مقروءاً لألوف الألوف من علماء الدين وغيرهم ، فتشترك فيه الآراء ، وتمحصه البحوث ، وهذه وسيلة لتمحيص الرأى لم تكن متوفرة لأهل الاجتهاد الأول ، وستكون لنا عوضاً مما قد يمتازون به علينا من سعة الاطلاع والعلم

عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

ولد تقى الدين فى شهر صفر سنة ٦٨٣ هـ (أغسطس سنة ١٢٨٤ م) ، فى أسرة شريفة النسب ، كريمة الحسب ، تنتمى إلى قبيلة الخزرج الانصارية من بطن منها يقال لها أسلم ، كما أثبت ذلك النسابة المصرى شرف الدين الدمياطى ، وقد أشار إلى هذا النسب الشاعر المصرى ابن نباتة فى مدائحه للشيخ عبد الكافى السبكى أبى تقى الدين :

وبيت فضل صحيح الوزن قد رجحت
به مفاخر آباء وأبنـــاء
قامت لنصرة خير الأنبياء ظبا أنصارهم واستماضوا خير أنباء
أهل الصريحين من نطق ولحن ظبا
أهل الربيحين من نصر وإيواء

كما ذكره أيضاً القاضى صلاح الدين الصفدى فى كتابه « أعيان العصر » . وقال ابن فضل الله العمرى فى كتابه « مسالك الأبصار » فى ثنايا كلامه عن الشيخ تقى الدين : « جواد جرى على أعراقه ، وجاء على أثر سباقه . من عصابة الأنصار حيث يعرف فى الحسب التليد ، ويدخر شرف النسب المواليد . . . . نزع من مطالع الصحابة رضى الله عنهم ، ونزع به عرقه الى التابعين لهم باحسان . وهو مثلهم إن لم يكن منهم »

ويظهر أن قبيلة « أسلم » التى ينتسب اليها تقى الدين لم تظل متميزة فى مصر كما كان بعض القبائل الأخرى ، بل اندمجت فى المصريين وذهبت فيهم ، ولعله لهذا السبب لم يذكرها المقريزى فى رسالته « البيان والاعراب » بين القبائل التى بنى عليها رسالته . وإنما بقى نسب بيت السبكى معروفاً لمكانته الاجتماعية التى سنشير اليها . والحق أن ذلك البيت كان بيتاً مصرياً صميماً انطبع بالروح المصرية وسرت فيه ، كما ظهر ذلك جلياً فى المقدمة الجميلة التى كتبها أحد أفراد هذا البيت : بهاء الدين أبو حامد أحمد بن تقى الدين السبكى لشرحه على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى . فقد كتب فيها فصلا عن مصر وطبيعتها ومزاجها وأثرها فى أهلها . كما يبدو ذلك فى عاطفة الشيخ تقى الدين نحوها حينما كان يتولى قضاء القضاة فى الشام ، فقد كان يتمنى أن يأتيه أجله فى مصر : أمنية من ثلاث

أما مكانة هذا البيت الاجتماعية فيظهر أن منصب الوزارة كان فيه ، فقد قرن اسم جد تقى الدين الثانى كما جاء فى سلسلة النسب الذى أثبته شرف الدين الدمياطى ، بلقب الوزير . كما أشار الى ذلك ابن فضل الله العمرى فيما كتب عن الشيخ تقى الدين . فقال :

« . . . ثم خرج من بيت الوزارة حيث تتقاصر النجوم ، وتتناصر ثم تتناصف الخصوم »

وهكذا نرى أنه قد أتيح لشيخنا الجليل عرق فى الشرف راسخ ، ومكان فى المجد باذخ ، وأنه قد أمدته فى حياته وراثة نبيلة ، وأعانته من قومه مكانة جليلة . إلى بيئة علمية خالصة ترى فى العلم وحده المثل الأعلى والغاية المثلى ، فقد كان أبوه زين الدين عبد الكافى السبكى من علماء العصر وفضلائه ، وكان قد أدرك الامام الكبير تقى الدين ابن دقيق العيد وصحبه وأخذ عنه وتأثر به ؛ وكان ذلك الامام آية عصره فى سعة العلم ونفاذ البصيرة وقوة الخلق ، حتى يقول تاج الدين السبكى فى طبقاته : « ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار اليـه فى الحديث المصطفوى النبوى » وقد عرض عليه قضاء القضاة فى مصر ، وناهيـك به منصبا ، فتأبى وتمنع واستعصم بخلقـه القوى وإيمانه المتين . ولكنهم ما زالوا به حتى قبل ، وإذ صار قاضى القضاة كان لا بد له فى دينه وورعه أن يتحرى جهده فى تعيين نوابه على الأقاليم من صفوة العلماء . فكان زين الدين السبكى من أعيان نوابه كما كان من أعيان أصحابه : ولاه قضاء الشرقية والغربية

(يتبع) محمد طه الحاجرى

صديق البلاء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يغدر الناس فى الشقاء ولكن … غدره فى الرخاء لا فى الشقاء
إنْ تَنَلْ نعمةٌ علىّ تَلَظَّى … حسداً لى وكان من أعدائى
فإذا الدهر مال بى كان بَكَّا … ء على محنتى وطول بلائى
الْمُواسِى فى الحزن حتى إذا ما … كنتُ فى غبطة سطا بالعداء
فى سقامى حلو الحديث شَهِىٌّ … وهو يرجو أن لو يُخَلَّدَ دائى
فإذا ما صححت عاود بغضى … وَيْله لو أُعَدُّ فى الأقوياء
لدهاه الأسى وطال عليه الـ … ـهم حتى يموت بالبرحاء
إنْ هجانى العدو أحسنَ قولا … دافعاً فِرْيَةَ العِدَى بالثناء
فإذا ما مُدِحْتُ هَمَّ بقتلى … ورمانى بقذعه والهجاء
ياصديق البلاء عطفك فى النحـ … ـس رياء أبغِضْ به من رياء
إيهِ يا قلب ما دهاك من الخـ … ـلان أدهى من صولة الأعداء
خِلْتَ أن الصديق مثل نسيم … نافع لازم قليل العناء
لا تنال الحياة إنْ لم تَنَلْهُ … بره كالإخاء خير غذاء
إنْ تقدمتَ لا يعوقك منه … عائق فى منادح الأرجاء
ويعى ما تقوله ثم لا يلـ … ـبث حتى يذيع فى الأنحاء
مِنْ مديح تُطْرى به مجدك الأمـ … ـجد أو لبك السَّنِىّ الذكاء
إنْ تُرِدْهُ تَجِدْهُ أو لم تُرِدْهُ … لم تَخَفْ منه زورة الثقلاء
ما اختفى فى دَخِيلَةٍ منه إلا … ما بدا ظافراً به كل رائى
وَيْكَ إن النسيم قد يُرْمِدُ الطر … ف بسافى التراب والأقذار
وهو مثل الصديق حراً وبرداً … فى اختلاف الحالات والأجواء
وَلَهُ غدرة إذا اعتكر الجـ … ـو وأنحى بالصرصر الهوجاء
وعلى غِرَّةٍ يبلك بالمطـ … ـرة مِنْ بعد رونق وصفاء
وهوَ خِدْنُ الممات واسطة العد … وى رسول الوباء والأدواء

عبد الرحمن شكرى

فاجعة الروض

بقلم أمجد الطرابلسى

مالى أرى الروضَ بدا واجماً … كاثاكِلِ المفؤودِ فى لَوْعَتِهْ
والطيرَ فى أفيائهِ ساهِماً … يَشرَقُ بالأدْمُعِ من حسرتِهْ

—

من حَطَّم الكأسَ وَقَدَّ الوَتَرْ … وأبدلَ العُرْسَ تُرى مأتما ؟
من أخرسَ الطيرَ وأردى الزَّهَرْ … وهذه الأفنانَ من هَشَّما ؟

—

قلتُ له : يا روضُ ماذا دَهاكْ … ومنْ كسا بِشْرَكَ هذا الوُجومْ
قالَ : سَمومٌ أَوْرَدَتْنى الهَلاكْ … وكيفَ أسطيعُ نِضالَ السَّمومْ !

—

دَكَّتْ على البُلْبُلِ أوطانَهُ … وطَوَّحَتْ بالزَّهْرِ فَوْقَ الرَّغامْ
وحَطمَتْ دوحى وأفنانَهُ … ثُمَّ مضتْ تَضْحَكُ وَسْطَ الظلامْ

—

فقُلْتُ يا خالِقَ هذى الرِّحابْ … الرَّوْضُ لا يَعْرِفُ مَعْنى الأذى
فلِمَ سَلَّطْتَ عليهِ العذابْ … حتى قضى الزَّهْرُ وماتَ الشَّذا

—

ألم يكُنْ أمسِ ندِىَّ الظِّلالْ … مُوَرَّفَ الآصالِ عَذْبَ البُكَرْ
يَشدو بنعماكَ وهذا الجَلالْ … ما غَرَّدَ الطَّيْرُ وَرَفَّ الزَّهَرْ

—

ربّاه إن الرَّوْضَ عَذْبٌ هَنِىء … وليسَ فيه شِرَّةُ الزَّوْبَعَهْ
وأنتَ لا ترضى عذابَ البرىءْ … كلا ولا يُرْضيكَ أن تَفْجَعَهْ

—

رحماكَ لا تجعلْ نيوبَ الذئابْ … تَفْتَرِسُ الشاةَ وَلَمْ تُذْنِبِ
أو فامنحِ الشاةَ سِلاحَ الغِلابْ … وأعطِها النّابَ مَعَ الِمخْلَبِ

—

الظلم يُضْوِى وَيَمُضّ النفوس … فاحطم أيا ربِّ يَدَ الظالم
لا تبسم الأكوانُ بعدَ العُبوس … أو تَصْرِف الجوْرَ عَن العالم

—

أمسِ سمِعْتُ الحمَلَ الوادِعا … وَهُوَ من السكينِ يأبى العذابْ
يقولُ : إن الِمبْضَعَ القاطِعا … أرضى لنفسى من شَماتِ الذئاب

إطبع على العدل قلوبَ البشر   أوْ فليَكُنْ كلُّ الورى مُجرما
لا تنبتِ الأشواكُ بين الزَّهَرْ   فالشَّوكُ لا يُحْسِنُ أن يرحما

كم حرَمَ الشاعِرُ طيبَ الكرى   وآفةُ الانسانِ فَرْطُ الشعورْ
فَصُغْ مِنَ العطفِ قلوبَ الورى   يا خالقي أو قُدَّها من صخورْ

مَنحتَني يا ربِّ هذا الفؤادْ   فكانَ لي كلُّ الأسى والشقاءْ
يا ليتَ هذا القلبَ كانَ الجمادْ !   وليت هذا العقلَ كانَ الغباءْ !

أيندُبُ البُلبُلُ أخدانَهُ   ليَطرَبَ الرَوضُ وأفنانُهُ !
وَيُنشِدُ الشاعِرُ أشجانَهُ   لتُطرِبَ العالَمَ ألحانُهُ !

رَبِّ حَرامٌ أن تقيمَ السَّماءْ   عُرساً إذا لفَّ البِطاحَ الدُّجى
وأنْ يُشادَ المَجدُ فوقَ الدِّماءْ   وَيَشرَبَ الزَّهرُ دموعَ النَّدى !

رَبِّ خَنقتَ الزَّهرَ غضَّ الإهابْ   عذَّبتَ حتى بُؤذيهِ لَفحَ الرِّياحْ
فابعثْ إلهي النَّسَماتِ العِذابْ   تُداعِبُ الوَرْدَ وتُحيي الأقاحْ

النَّرْجِسُ ارْفافُ يا خاتَمي   كيفَ يُطيقُ الذُّلَّ والعاصِفَهْ ؟
ارْحَمْهُ رَبَّاهُ ولا تُزْهِقِ   فإنَّهُ في رِقَّةِ العاطِفَهْ !

والبلبلُ المِسكين ماذا جنَى ؟   هل يُحسِنُ البُلبلُ غيرَ اللُّحونْ
لِمْ هَدَّمَ الإعصارُ ما قد بَنَى ؟   لِزُغْبِهِ بَيْنَ حَنايا الغُصونْ

ها هُوَذا يَستَصرِخُ الظالِما   لكنَّما الظالِمُ لا يَسمَعُ
وَيلكِ كُفْكِفِي دمعكِ الساجِما   فالكونُ لا تعطِفُهُ الأدمُعُ !

خَلِّ البُكى والبثَّ يا بُلبُلُ   لا يُطرِبِ الإنسانَ هذا النُّواحْ
تَندُبُ بينا يضحَكُ الجَدوَلُ
فاحجُبْ عَنِ الأبصارِ هذي الجِراحْ

دمشق   أمجد الطرابلسي

دراسات أدبية

فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

إن العبقرية القصصية الممثلة اليوم فى أعمال طائفة من الأدباء الايطاليين ، لم يعن بها مع الأسف واحد من النقدة أو المشتغلين بالآداب العربية ، ومعظم الذين تحدثوا عن نهضة القصة وقفت معلوماتهم عنـد جبرائيل دانتزيو شاعر بسكارا ؛ مع أن الفن الروائى الحقيقى يبدأ بعد عصر دانتزيو ، بل إن الفضل فى تقدم القصة الايطالية يعود إلى نأى العناصر عن الجو الشعرى الحالم ، وانتفاء روح المرح ، وفى التحدث عن الذات ، وهى الصفات التى يرتكز عليها فن دانتزيو الأدبى

وليس هذا معناه أننا نغمط دانتزيو حقه ، بل الواقع الذى يجب الاعتراف به أن زعماء الصفوف الذين سبقوا دانتزيو ، كانوا إما شعراء أو نقـدة أو كتاب مسرحيات أو تراجم ، ولم يتمخض الجيـل الأدبى عن عبقريات أو مواهب قصصية مطلقا ، لأن العصر كان فوضى ، لا مقاييس تحده ، ولا معالم يعرف بها ، وقد شـبه النقادة ريشارد جارنت هذا العصر — فى كتابه Alla Scoperti dei Letterati — بأنه يحاكى المدرسة الفلسفية الأغريقيـة ، التى وقعت تحت سيطرة الامبراطورية الرومانية الفكرية

على أن الفضل فى تفتح أذهان الأدباء الايطاليين إلى الفن القصصى ، إنما يعود إلى جيته وفيكتور هيجو وبلزاك وموباسان فهم فى الواقع أساتذة المدرسـة الأدبية الحديثة فى ايطاليا ، وفى مؤلفاتهم تتلمـذ جيل الأدباء فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين ، وهى ظاهرة غريبة ، فان الأرض التى أنجبت فى القرن الثالث عشر أستاذ الأقصوصة جيوفانى بوكاتشو ، ظلت مجدبة زهاء ستة قرون إلى أن بزغ نجم دانتزيو فى سمائها

وقبل التحدث عن شاعرية دانتزيو وفنه ، نرى من الخير ألا نهمل الأثر البارز الذى غرسه أستاذه كاردوتشى (١) فى نفسه . والواقع أن كاردوتشى مؤسس مدرسة أدبية عظيمة لا نعرف لها مثيلا فى الآداب الايطالية . اللهم إلا تلك الجهود القيمة التى سجلها دانتى ، وفى مدرسة كاردوتشى تتلمذ بتزينى وجراسيا ديلايدا وبيراندللو وجيوفانى بابينى وغيرهم من أعـلام الأدب الحديث ولـكاردوتشى يرجع الفضل فى تحويل الأدب الايطالى من الصبغة القومية الخالصة إلى النزعة الانسانية والخروج برسالته من الحيز المحلى الضـيق الى المحيط العالمى وبث روح الاخاء المشتركة ، وهى التى أملت عليه ملاحم : الربيع ، والأم ، وترنيمة الشيطان ، وصقلية تحت سيوف العرب الخ ...

ولقد خدم كاردوتشى الأدب الايطالى كنقادة أكثر مما خدمه كشاعر ، ومن هنا استطاع دانتزيو أن يحمل تقاليد أستاذه مع محافظته على الطابع الخاص به . ويتمثل هذا الطابع فى غمر قصصه بعناصر الاستمتاع وصبغها بألوان من الشهوة الصارخة المتأججة ، فهو كفنان رجل عابد للجمال ، متأمل للحياة من خلال أحاسيسه ، يخضع الفن لسـلطان العاطفة أكثر مما يخضعه لسيادة العقل . ومعظم أبطاله شهوانيون ، لا تطيب الحياة لهم الا فى جو من القبلات والعناق ، يقدرون معايير الجمال عن طريق الشهوة ، وينبذون الفكر والتأمل لخيالهم داعرة متهتكة

والذين يعرفون شاعرية دانتزيو فى رواياته الرائعة ، كانتصار الموت Il trinfo della morte والفرح Il piacere والنار Il fiuco يستطيعون أن يستشفوا من خلال سـطورها روحه الهائمة ، التواقة الى عبادة الجمال والتمرغ فى أحضان الفن الشهوانى وأوكار الحب المبتذل الرخيص

على أن دانتزيو استطاع عن طريق نزعته الى المجد ، أن يعيد الى الأدب الايطالى جو الوطنية الصارخ ، وأن يضع لجيوش بلاده أناشيدها الحماسية التى رتلها فى ساحات الوغى والقتال

ولم يكن استيلاؤه على فيومى إلا نوعاً من الأساليب الشعرية ،

---

(١) جوزيه كاردوتشى Giosué Carducci أول من ظفر بجائزة نوبل الأدبية من الايطاليين . بدأ حياته بالتدريس فى جامعات بولونيا تاريخ الأدب وتوفى عام ١٩٠٧ بعد أن ترك ثروة فكرية هائلة أهمها فى الشعر والنقد وتاريخ صقلية

فبعد أن خرق معاهدات الصلح وسير أساطيله لاحتلال هذه المنطقة الحرة أذاع بياناً على العالم قال فيه : « أستحلف فرنسا التي أنجبت هيجو وأمريكا التي خرج منها لنكولن وانجلترا التي خلقت ملتون أن تكن شاهدات عدل على ما أتيته . أنا ابن الوطن الجندي المتطوع الذي دفعته الغريزة الانسانية الى أن يضم الرضيعة فيومى الى أمها ايطاليا »

وفي قصيدته الحماسية الرائعة التي خاطب بها كبلنج شاعر الاستعمار البريطاني بمناسبة حرب الحبشة ، تبدو أمامنا قوة شاعريته الظامئة نحو المجد إذ قال : « إن الرياح الافريقية القائظة التي تسفع وجوهنا اللاتينية الجميلة لا تعادل جزءاً من قوة إعصار البطولة التي تهب على قريحتي كلما فتحت دواوينك لأترنم بأناشيدك الاستعمارية في الهند وإفريقيا . فأراني في كهولتي عاجزاً عن أن أقود جيش بلادي إلى « فيومى » أخرى ، فهيا يا أبنائي إلى النصر ... لأن مصير مجد الانسانيـــة الجديد متوقف على انتصار « الرومانية » ضد « البربرية » وحلفاء البربرية ... إن الحرب ضرورة عالية لخلق جيل جديد وإعادة شباب الانسانية وتطهير الأجسام والأرواح وإنماش بطولة التاريخ »

ومن رأى دانتزيو أن إيطاليا الفاشستية ترى في اسم قيصر رمزاً أبدياً لأعظم ضروب مجدها الوطني وأن غاية ما يتمناه اليوم استعادة مجد روما القديم الذي تألق في عصر قيصر

بنزيني

وعلى الضد من دانتزيو ، نرى زميله جيوفاني بنزيني ينحو في فنه منحى جديداً ، ويؤدي رسالة أستاذه كاردوتشي عن سبيل آخر هي معالجة مشكلات العصر في ضوء من الانتقاد المر اللاذع

وعلى الرغم من أن بنزيني ولد في نفس العام الذي ولد فيه دانتزيو فان اسمه كأديب وقاص لم يعرف إلا في السنوات الأخيرة للحرب العظمى . أي في الوقت الذي بدأ الايطاليون يتمردون فيه على أساليب دانتزيو الشعرية وفنه الأناني . وقد استطاع بنزيني أن يقضي تماما على نفوذ زميله عن طريق الحملة المدبرة التي تولى قيادتها أدباء الشباب في فلورنسا وغيرهم من الملتفين حول جريدة « الصوت »

ولا يخفى ما لبنزيني من النفوذ القوي في دوائر الصحافة الأدبية فهو يماونها بين وقت وآخر بالمساعدات المادية والأدبية

وأكثر ما نلمحه في فن بنزيني الروائي خلوه من الأساليب المعقدة والنزوع إلى حياة الطبيعة الهادئة والرجوع بالانسانية إلى طفولتها الأولى كما في روايته « العالم يدور » وتعرضه لمتاعب الحياة المادية في شيء من السخرية اللاذعة والنقد المر ممتزجاً بمسحة من روح الفكاهة والمرح البريء . وقد استطاع في روايتيه الرائعتين « ارمندا التعسة » و « مصباح ديوجين » أن يحلق بنا في جو تمور فيه الأشباح المعذبة من جراء المشكلات الاخلاقية في العصر الحديث

جراسيا ديلليدا

ولعل جراسيا ديلليدا Grazia dellcdda هي القصصية الوحيدة التي تبتعد بفنها الروائي عن الجو العالي لتعيش في دائرة جزيرتها الضيقة « سردينيا » بين القرويين ورعاة الأغنام لتصور حياتهم أروع تصوير في مؤلفاتها التي تحمل طابعي السذاجة والبراءة والدعوة إلى التمسك بأهداب الفضيلة

وعلى الرغم من أن هذه القصصية المجيدة أحرزت جائزة نوبل في الأدب ، وانتخبت عضواً في أكاديمية روما وفي مجمع الخالدين الذي أسسه موسوليني عام ١٩٢٦ ، وعلى أنها محور الحياة الأدبية في ايطاليا ، فهي عزوف عن الشهرة ، وتتحاشى جهدها الظهور في المحافل والأندية ، أو بث الدعاية لفنها في الصحف والمجلات

وقد تجلت موهبة ديلليدا القصصية في روايتها « الأم » التي ظفرت من أجلها بجائزة نوبل ، وهي عبارة عن مأساة قسيس شاب نفذ الحب الى أعماق قلبه فقهره واستولى على لبه حتى غلب على أمره وأصبح خاضعاً لسلطانه بحيث أفسد عليه وظيفته الروحية المقدسة

ولكن ليس هذا كل ما في الأمر ، « فالأم » التي خصصت حياتها لمحبة ابنها ووهبته للكنيسة وخدمة مجد الله حتى غدا قسيسا يصل بينها وبين السموات المشرقة ، هذه الأم قدمت من الريف يوما تطلب ابنها فاذا بهذا الذي أودعته ذرات حياتها وتفكيرها ، وعلقت عليه آمالها في الحياة الأخرى ، تأمره امرأة

فى يوم الأربعاء أول ابريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحاً بالعقب والأيام التالية سيباع علنا عنزه سوده سن ٤ وجدى أسود بمجار سن ٤ شهور ونعجه سوده سن ٤ وعنزه سن ٢ ملك محمد سليمان أحمد من نجع يوسف عبد الله بالعقب نفاذا للحكم نمرة ٣٠١٣ سنة ١٩٣٥ وفاء لمبلغ ١٨٠ قرش صاغ والبيع كطلب محمود آدم سعيد من العقب فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الثلاثاء ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحاً وما بعدها بشارع باب النصر نمرة ١٤ قسم الجمالية سيباع علناً ٢ كنبه خشب وعدد ٢ دولاب خشب وأشياء أخرى مبينه بمحضر الحجز تعلق الست سيده على سراج القيمه بالجهة نفاذاً للحكم نمرة ٩٥٧ سنة ١٩٣٢ جزئى مصر وفاء لمبلغ ١٣ جنيه ٣٩٥ مليم بخلاف مايستجد وأجرة النشر والبيع كطلب الحاج عبد الحميد حمزه التاجر ومقيم بحارة القبوه نمرة ٥٤ بشارع المطوف قسم الجمالية بمصر

فعلى راغب الشراء الحضور

محكمة المنيا الجزئية الأهلية

إعلان بيع فى القضية المدنية نمرة ٢٩١٠ سنة ١٩٣٣

نشرة أولى

إنه فى يوم الأحد ١٩ ابريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ افرنكى صباحا بأودة المزايدات بسراى محكمة المنيا الجزئية الأهلية

سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد ملك ورثة المرحوم محمد حسين عبد العال وهم هلالية بنت احمد حسين عن نفسها وبصفتها وصية على يوسف محمد حسين القاصر ـ ومحمد محمد حسين الشنال بطرف الدكتور أنطونيادس حكيم الأسنان ـ وزينب بنت محمد حسين الجميم مقيمين بناحية كفر المنصورة مركز المنيا وهذا بيان العقار

عدد ١ منزل كائن بزمام ناحية كفر المنصورة القبلى مركز ومديرية المنيا مبنى دور واحد بالطوب الأخضر وبه دكان مسطحه ٧٨ م و٣٠ ديسى بحوض نايل نمرة ١٩ ضمن ٢٢ حده البحرى عبد المطلب سيد وآخرين ضمن ٢٢ وطوله ١٠م و ٨٠ س والشرق ورثة أبو الجود بدوى ضمن ٢٤ وطوله ٧م و٢٥ س والقبلى شارع وفيه الباب يفتح وطوله ١٠م و ٨٠ س ضمن ٢٢ والغربى شارع ضمن ٢٢ بحوضه وطوله ٧م و٢٥ س

العدد واحد لا غير م؟

وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٣٣ ومسجل بقلم كتاب محكمة المنيا الكلية فى ٩ ابريل سنة ١٩٣٣ تحت نمرة ٣٩٠ القاضى هذا الحكم بنزع ملكية المرحوم محمد حسين عبد العال من العقار المذكور وبيعه بالمزاد العلنى وبالقوة الجبرية بثمن أساسى قدره ١٠ ج وفاء لمبلغ ٢٥ ج و٢٥٠ م بخلاف جميع المصاريف وما يستجد

وهذا البيع بناء على طلب يوسف افندى عبد الملاك حنا التاجر بالمنيا ومحله المختار بها مكتب حضرة الأستاذ فهيم افندى الضعيف المحامى

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة والمشترى وشروط البيع وباقى الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة المذكورة لمن يريد الاطلاع عليها م؟

كاتب البيوع

فى يوم الاثنين ٦ أبريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية القرافرة والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علنا زراعة ٥ قراريط مزروعة فول نتج منهم ٦ كيلات فول ملك ستهم محمد خاطر وعبد الرحمن عثمان السونى وستهم محمد السونى من القرافرة مركز منيا القمح وفاء لمبلغ ١٢٠ قرش صاغ بخلاف أجرة النشر وما يستجد فى القضية المدنية نمرة ٧٠٥ سنة ١٩٣٥ والبيع كطلب الست بنت عثمان السونى من القرافرة مركز منيا القمح

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الاثنين ٣٠ مارس سنة ٩٣٦ الساعه ٨ صباحا بطنطا بشارع طه الحكيم وحارة محمد شرف سيباع علنا منقولات وبضايع محل تجارة ملك محمود حسين الخياط التاجر بطنطا بدكانه بالجهة المذكورة نفاذا للحكم رقم ٩٩٢ / ١٩٣٦ بندر طنطا وفاء لمبلغ ١٢٩٦ قرش صاغ بخلاف رسم هذا التنفيذ وأجرة النشر والبيع كطلب أحمد افندى حسين الخياط القاول بطنطا

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الثلاثاء ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ الساعه ٨ صباحا بعزبة بنيامين تبع معصرة سمالوط وان لم يتم يكون بسوق سمالوط فى ٧ أبريل سنة ١٩٣٦ سيباع علنا طشت نحاس ٢٠ ط وحله نحاس ٥ ط ملك قزمان فالى وأيضا عجل بقر أصفر سن شهرين ومعزه سمرا سن ٢ تقريبا وربعيه سمرا سن شهرين وعدد ٢ جديين سمر كل منهم سن شهرين تقريبا ملك على محمود خضر الجميع مقيمين بعزبة بنيامين أفندى ميخائيل تبع معصرة سمالوط نفاذا للحكم نمرة ١٧٨٠ سنة ١٩٣٥ مدنى سمالوط وفاء لمبلغ ٢٤٠ قرش صاغ خلاف رسم هذا وما يستجد والبيع كطالب حرز ميخائيل الترزى بمعصرة سمالوط فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأربعاء أول أبريل سنة ١٩٣٦ من الساعة ٦ صباحا وما بعدها بناحية محلة نصر مركز شبراخيت وفى يوم ٨ أبريل سنة ٩٣٦ بسوق لقانة الأسبوعى سيباع علنا جمل ملك عبد الرؤوف عبد الرحمن عفيشه من محلة نصر والبيع كطلب الشيخ محمد محمد المنفوخ التاجر بشبراخيت مركزها نفاذا للحكم نمرة ٢٣١ سنة ٩٣٦ شبراخيت وفاء لمبلغ ٤٤٢ قرش صاغ بخلاف أجرة النشر

فعلى من له رغبة فى المشترى الحضور

فيصغى لنداء القلب ، ويهجر مركزه الكنسى كى يتفرغ لشؤون الحب والحياة

وفى الساعة التى تذهب فيها الأم الى الكنيسة لتضرع إلى الله واجفة القلب ، دامعة العين أن يحرس وحيدها ويلهمه الرشد ، إذا بالابن يتقدم فى خطى ثابتة نحو المحراب الذى تصلى الأم على مقربة منه ليتجرد من ملابسه الدينية ويخرج من الكنيسة ، فتصعق الأم وتفيض روحها الى جانب المحراب

وقد أصبح « الام » عنوانا مألوفا فى ايطاليا ، فان ملحمة كاردوتشى الشعرية التى ظفر من أجلها بجائزة نوبل كانت موسومة باسم الأم ، ومعهد الأمومة الدولى الذى أسس بسردينيا أطلق عليه اسم « الأم »

وقد ذكر النقادة الايطالى ستانيس روبناس محرر صحيفة التربيونا ، فى دراسة أدبية عن قصص ديلليدا : « ان فنها الروائى يدور حول التفاؤل بالخير لأنها تؤمن بأن الله دائماً ضد الشر . وهى صانعة ماهرة أكثر منها فنانة مبدعة ، وبالنسبة لتصوير عادات بلدها مثلة ذات ضمير حى ، أما رسم العواطف الخارجة عن محيطها فى سذاجة فطرية بسيطة »

ولم تشذ عن هذه القاعدة الا فى رواية واحدة هى الانابة Nostalgia فهى مصبوغة بعاطفة انسانية عميقة ، وقد كتبتها بعد زواجها ونزوحها عن جزيرتها الى روما حيث كان أثر انعكاس الحياة الجديدة قوياً فى نفسها

أما قصتها الرائعة « السيدة الصامتة ذات الشعر الفضى » La Donna silenziosa dei capelli d'argento فهى عبارة عن تاريخ حياتها وقد كتبته بأسلوب بسيط جذاب ، فقصت نشأتها فى قرية نورو بسردينيا وتفوقها فى الآداب وهى لا تزال طالبة بالمدرسة الثانوية حتى ظفرت بجائزة قدرها خمسون ليرة كانت احدى المجلات قد رصدتها لأحسن قصة تقدم اليها

وتحدثت عن زواجها وعن الفضائل الشائعة فى بلدها وتعلقها بجبال سردينيا وبحارها وأشجارها ، وهى فى هذا تقول : « أهلها هم أهلى ، أرضها ووديانها شطر من كيانى ، فلماذا أفتش عن موضوعات قصصية وراء الأفق ، ما دمنا نستطيع أن نفتح أعيننا على مآس وفواجع تقع فى كل ساعة بين أيدينا ؟ إنه لمن العار ألا نكون فى جانب الصدق . ألا نرسم الحياة التى نعيش فى داخل نطاقها ، ولو كانت ضئيلة تافهة . أما التعبير عن الاحساسات الخارجة عن دائرة شعورنا الحقيقى فسقوط فنى بشع ، إننى أكتب لنفسى اليوم ، وبحكم شعورى الخاص ، أما توقع النجاح فأتركه للمستقبل »

وبالاجمال فان ديلليدا تمكنت من أن تقدم للعالم صورا واضحة من حياة أهل الجزيرة الصخرية النائية التى لم تصل الحضارة الأوربية الى بعض أطرافها وأن تصف عاداتهم القديمة وأساليبهم فى العيش حيث يؤمن الناس بمبدأ المساواة بين الجنسين واعدام المرأة إذا ثبتت عليها جريمة الزنا

(يتبع) محمد أمين حسونه





دراما من اسخيلوس

٢ ـ محاكمة أورست

The Eumenides

(الدرامة الثالثة من الأورستية)

المنظر : « فى الأكروبوليس بأثينا »
الزمن : « بعد فرار أورست من الأديتون بحقبة غير قصيرة(١) »
« يدخل أورست »

للأستاذ دريني خشبه

— ٦ —

— « مينرڤا ياربة العدالة !

هاهو ذا أورست ، المنبوذ الطريد ، يلجأ اليك بعد لُغوب وأين ، وكد وعناء ، يستظل بظلك الوارف ، ويلتمس الانصاف فى جوارك ، والعدل فى حماك ، طاوياً إليك القفار من لدن أبوللو ، إلهى الكريم الذى أنفذنى إليك غير مدنس بوزر ولا مُضرَّج اليدين بدم ، بعد إذ نشأت ربيب غربة وحلف آلام ... أصلى لك يامينرڤا وأبتهل ! وألوذ بك وأتوسل ، أن تتأذنى فتنظرى فى أمرى ، وتشدى بعدالتك أزرى ، وتفصلى فى الحادث الجلل الذى انتدبنى أبوللو له ... فكان شجنى ... وكان حَزَنى ! »

وما يكاد أورست يفرغ من صلاته وبثه حتى تدخل ربات الذعر (٢) فيروعهن أن يرينه متحنثاً فى معبد مينرڤا

— « هيا !! إنه هو بعينــه ! وإن الدم ما ينفك يقطر من يديه الآثمتين ! إنه هنا ، وقد ذرعنا الأرض باحثات عنه ! وإنما لنشم رائحة الدم تنتشر عنه ! لنحط به ؟ لن يفلت هذه المرة هذا القاتل ! لقد اختبأ من قبل فى صومعة أبوللو ، وهو اليوم يأوى إلى الأكروبوليس ويسجد بين يدى صورة ! صورة الخالدة مينرڤا ! يحسب أنها تضع عنه وزره ! تعال تعال ! لنمزق لحمك الغض الطرى ، ولنقتذ بشبابك البض الفينان ! ولنقذف بك فى حميم الجحيم ! إنك لن ترى هناك مظلوما ... بل هم جميعاً مثلك ... قتلة ... آثمون ... عتوا على أنفسهم وعلى الآلهة وعلى الناس ! كل باق جزاءه ثمة ! فلتسجل عليك هيدز كما سجلت عليهم ! »

معاذ الحق يا ربات الذعر ! لقد نقفت الحكمة فى معاهد الشقاء ! وسترين أننى أدفع عن نفسى تلك التهمة الباطلة ، لأن سلطاناً علويا يحل عقدة لسانى ! هاهى ذى يدى نقية بريئة طاهرة لا أثر للجريمة فيها ! لقد اطهرت من الدم الذى ترين أن تأخذننى به ، لأن أبوللو ، تبارك وتقدس ، قد صب عليها شؤبوب رحمته ! أنا لم أكن يوماً مجرماً ولا قاتلاً ياربات ؟ ! ولقد عشت فى قوم غرباء سنين عددا ، فلم أكن مجرماً وقاتلاً اليوم ! ؟ لم لم أسئ إلى أحد قبل هذه المرة إن كنت آثماً شريراً مجرماً ولا على إيذاء الغير ؟ ستمر الأيام ، والزمن وحده زعيم باظهار براءتى ! وهأنذا أدعو مينرڤا بفم نقى وشفتين طاهرتين ، ولسان خير مُعبِّر! أن تسمع إلى نجواى ، وتستجيب لندائى ، وتكون الفيصل الحق بينى وبينكم ؛ فقد كنت ، وكل مواطنى ، عبادها الأمناء ... وهى لا بد مصيخة إلى صرختى ... مهما تكن بعيدة الآن فى بعض شأنها . »

— « لا يقرن فى نفسك أبدا أن يحميك أبوللو ، أو تدفع عنك مينرڤا! ما قدر عليك أن تلقاه جزاء على ما اجترحت وفاقا!! ستذهب على وجهك فى أرض كلها حسك ، وفى سبيل موحشة إلا من الهموم والحسرات ! خَسِرْت ! يا قاتل أمه ! سنمزق لحمك الذى يتدفق فيه دم خطاياك ، وسنأكلك حياً لتكون قرباناً للبطن الذى حملك ، فبقرته جزاء له ! ! ويل لك ... ويل لك ! إصغ إذن لأنشودة موتك ، قبل أن نبطش بك ! »

(١) يلاحظ أن أسخيلوس لم يتقيد لا بوحدة الزمان ولا بوحدة المكان فى هذه الدرامة (٢) ذكرنا آنفاً أنهن خورس الدرامة وربتهن هى دائماً التى توجه الخطاب .

— ٧ —

وتعزف موسيقى الجحيم ! !

فاستمع لها تماماً من الرعد ، وبوقاً مفزعاً من أبواق الدار الآخرة ، ولساناً كله ذعر من ألسن هيدز ! ! لقد طفقت ربات العذاب يرقصن ويغنين ، وينفخن فى مزامير الموت ، فأنكرن من أبوللو حمايته للمجرم الذى سفك دم أمه ، ووقوفه فى سبيلهن من بعد يمنعهن حقهن فى تعذيب القاتل ، وتشكين من زيوس الذى يمقتهن بغير الحق ، مع ما خصهن ربات القضاء من فضل على الآلهة ... وتوعدن أورست بالويل والثبور ، وعظائم الأمور وبالطامة الفاشية التى تتردى فيها روحه بعد أن يبطشن به

وفيما هن يتغنين أغنيتهن المنكرة ، إذا مينرفا تقبل . . . فيصمتن ! !

— « أوه ! لقد تردد فى أذنى دعاؤكم يا صحب ، إذ أنا أجول فى الأرض المفتوحة باسمى على شطئان الهلسبنت ، فرأيت أن أعود اليكم ، حانة المطى التى تمرج فى السموات ، حاملة درعى إجيس ، فما هى إلا أن خفقت خفقة أو خفقتين ، حتى آبت الى معبدى ! ما بالكم ؟ من هذا المسكين الراكع عند قدمى المحرم ؟ وأنتن ! المياذ بالأولب ؟ إنكن لا تشبهن أحداً من الناس ، ولا أحداً من الآلهة ؟ يا للنكر ؟ ! ولكن ... معذرة ! ...

— « تباركت يا ابنة زيوس سيد الأولب وكبير الآلهة ! نحن بنات الليل الدجوجى ... ساحرات السفل ... موطننا الأعماق من هذه الأرض ! »

— « أعلم ذلك كله ... أسماء كن ومثوا كن »

— « وتعلمين ما انتدبنا له القدر . . . صيد القتلة وتطهير الأرض من المجرمين ! »

— « والى أين ينتهى بالقاتل ، سافك الدماء ، مطافه فى هذه الدنيا ؟ »

— « الى حيث لا فسحة لأمل ، ولا مهلة لسراه ! »

— « إذن أنتن تحاصرنه هنا الآن ؟ »

— « ما دام قد رضى لنفسه أن يكون قاتل أمه ، ومهرق الدماء ! »

— « أعن رضى ؟ أم قسره على ذلك شجن لم يكن له به يدان ! ؟ »

— « وأى شجن يقسر على قتل الوالدين ؟ »

— « لقد سمعت طرفاً واحداً ... فلأسمع من الطرف الآخر »

— « إن المتهم ليعجز عن الحلف ، ومن يدرى ؟ فقد يقسم حانثا ؟ ؟ »

— « يبدو لى أنكن تؤثرن مظهر العدالة على العدالة نفسها ؟ ! »

— « وكيف يا ربة الحكمة الزاخرة ؟ خبرينا ! »

— « إى وأرباب الأولب ! لا تأبهن بنصر يأتى عن يمين كاذبة ! »

— « إذن سليه ! واحكى بيننا بالحق ! »

— « وهل تقبلن أن يكون قرارى القرار الفصل ؟ »

— « أجل ! إقراراً لما لك من فضل ! ولآبائك من قبل »

— « إذن ، أجب أيها البائس بدورك ! ولكن ، اذكر لنا أولاً : ما أنت ؟ وما موطنك ؟ وأى غم يلم بك ؟ ثم ادفع التهمة عن نفسك إن تكن باطلة ، واذكر إن كنت على حق إن صح أنك قتلتها ... إنى لأراك تلوذ بوثنى ، وتستجير بقدسى ، قل ... أجب ... تكلم ... قل الحق ... والحق الصراح »

وكفكف أورست عبراته ، وقال :

— « إلهتى ربة العدالة »

لو كنت مجرماً سفاك دماء ماجسرت أن ألوذ بك ، ولما قويت على اقتحام قدسك وتدنيس بساطك والتعلق بوثنك ، وإن سفاكا مجبولا على الشر لن يستطيع أن ينبس بدعوى كاذبة فى حضرة مينرفا ربة العدالة التى تستشف الأسرار وتدرك خافية القلوب وخائنة الأعين بلمحة طائرة من عينها الصائبة ... ولقد وقفت أمام آلهة أخرى من قبل ، فما كنت أجسر على قولة أرساها إلا أن تكون حقاً .... إذن ، أنا مواطن من آرجوس ، وأبى ، ياويح له من أب ، أحد عبادك الحالمين ؟ إن لم يكن أحبهم اليك ... أجامنون يا ربة العدالة ! أجممنون قائد جندك وأمير أسطولك ، الذى أعنته على أعدائك ، فانتصر على بريام وقهر إليوم ، وعاد ليسبح بحمدك ويشكر لك ... ولكن ! ياللهول ! لقد دبرت له زوجته الآثمة ... أمى ... أمى التى خانت عهد زوجها ، وداست عرض مملكتها ، وفتحت قلبها لغير رجلها ... أمى هذه يا ربة العدالة قد دبرت لرئيس جندك ، وأخلص عبادك قتلة غادرة ، تكتنفها الظلمات ، وتضرب من حولها الأسرار ، فذبحته يوم عودته من الجهاد فى

سبيلك والذود عن اسمك ، غير راعية فيه إلاً ولا مبقية على عهد ... ...

ثم لم تبال أن تعترف ، وجثته بين يديها ، أنها قتلته ... وأنها صاحبة دمه ... ... وكانت قد قذفت بى ، إذ أنا طفل أحوج ما يكون الى حضن أم وفؤاد أب ، الى أعماق منفى سحيق مقفر ، أعانى الذل وأدرج فى حجر النخاسة ، فلما شببت وبلغت الحلم ، كان أول واجب على فى الحياة أن أثأر لأبى المظلوم ، من أمى الآثمة ، فمددت الى آرجوس وقتلتها ... أجل ... قتلتها ... قتلت المرأة التى قتلت أبى ... أقر ... أعترف ... قتلت أنعس الأمهات ، فهل سمعتن يا ربات العذاب وزبانيات جهنم ! ؟ ... ... ذلك إذن وزرى ، إن كان فى مثل هذا العمل وزر ... وقد شاركنى فيه أبوللو ... أوحى إلى أن اقتل أمك ... فقتلتها ... ولو لم تكن آثمة من قبل ما أرقت قطرة واحدة من دمها ...

هذه يا ربة العدالة قضيتى فرىَ رأيك فيها وأنا قابله . . . وسأخضع له . . . »

وأجهش أورست بالبكاء . . . فبدا التأثر الشديد على وجه إلهة العدالة . . .

— « قضية معضلة ، وكان حرى بكم يابنى الموتى ألا تضطلعوا بها . . . بل أنا نفسى أكاد أجاوز حدودى حين أقيم من نفسى فيصلاً فيها بينكم ! وَىْ ! لقد أقدمت على عجل إلى أثينا . . . مقدمى وطوباىْ ... فيالك من لاجىء مهيض الجناح ، مبلبل الروح ... فى حين تبدو صحيفتك غراء ناصعة ! ... ولكن ! ... إسمع إلى يا أورست ! لقد كدت أدعوك مواطناً ... لولا ما ينبغى لك من إيضاح براءتك ، وتمهيد طريقك ، ورأب الصدع الذى تلج منه إلى اتهامك ربات الذعر ... اللائى يأبين إلا أخذ المجرم بجرمه ... لأنه عملهن ، ولا محيص من أدائه لهن ... فجَلِّ برهانك ، وأعد حجتك ، وأيد حقك بيقين يقشع الشك ... حتى أعود بالحلفين العدول من أثينا ، لأشركهم فى هذه الحكومة الشائكة ، والقضية المربكة ... »

(تخرج ميزفا)

— ٨ —

ويستولى طائف من الشك على ربات الذعر ، وتروعهن من ميزفا هـذه النعومة التى لقيت بها أورست ، فيزجن بنشيد طويل من موسيقى الجحيم ، كله قصف وكله رعد ، وكله ودق يخرج من هذه الأفواه الشائهة ، والألسن التى تتلوى كألسن النيران ... ويبتمين على الانسانية ما يعصف بها من ظلم إذا انتصرت الجريمة ، ولم يقف فى سبيلها قصاص ... « هنالك تنقلب الدنيا فتصبح مباءةً للاثم ، وهنالك يغدو الناس شراذم من اللصوص وقطاع الطرق والفاكين ، وهنالك لا يأمن والد على نفسه من ولده ، ولا أم هى مطمئنة على حياتها من أبنائها ... ويومئذ تعم الشرور وتطغى الويلات ... حتى لا يكون شبر من الأرض فيه أمان لآمن ، مادمنا نحن نائين عن المجرمين لا نأخذهم بآثامهم ، ومادام هؤلاء الأرباب يضربون سلطانهم علينا ، ويتدخلون فى شؤوننا ، من غير حق ولا برهان مبين ... ... »

وتدخل ميزفا ، فتهتف بسادن المعبد قائلة :

— « أذِّن فى عبادى بالصمت أيها السادن ، أو انفخ فى صورك حتى تتردد أصداؤه فى السموات معلنة انعقاد محكمة العدل ، فلا ينبس أحد ممن بالمدينة الخالدة بكلمة ، ليعوا شريعتى ، ولينقشوها فى صفحات صدورهم ، ولتخلد ثمة إلى ما أشاء ! »

(ويظهر أبوللو فجأة فتقول ربات الذعر :)

— « أيها الإله أبوللو ! فيم أقبلت ؟ ألتشارك فى قضية ليس لك فيها شأن ؟ »

— « لقد أقبلت لأبرهن على براءة هـذا الضارع البائس الذى لاذ بى ، وصلى لى ، وسألنى معونتى لأضع عنه الوزر الذى تأخذنه به . . . وأقبلت كذلك لأدافع عن نفسى فيما يخصنى من هذه القضية ، لأنى شريك فى مقترفها كلية...... أيتها الربة العادلة ميزفا ! خذى فى سؤالنا عما يبدو لك ... فانا منصتون !! »

فتقول ميزفا : « إذن نبدأ القضية ، ولقد سمعت حديث الاتهام من أفواه هؤلاء فكانت حجتهن دامغة وبرهانهن ساطعاً . »

فيشيع البشر فى أوجـه ربات الذعر وتخاطب رئيستهن أورست قائلة :

— « ها قد سمعت ... وسمعت من قبل كلماتنا القلائل حينما اتهمناك وأقمنا عليك البينة ، فلم فتحدث ، ولتتحدث باختصار كما تحدثنا نحن من قبل ، ولتجب عن هذا السؤال أولاً : أولم تذبح أمك يا أورست ؟ ! »

— « أنا لا أنكر أننى ذبحتها يا ربات ! »

— « قُضى الأمر ! ها قد فرغنا من ثلث المعركة ! »

— « تهيَّن ماشئتن ؛ فانكن لم تصرعننى بعد ! »

— « ها ! ... بقى عليك أن تخبرنا كيف ذبحتها ؟ »

— « بأبيض ذى شفرتين ! أرسلته فوق رقبتها ، وخوضت به فى صدرها ، فقطعت وتينها ! »

— « وهل حرضك على هذه الجريمة أحد ؟ »

— « بأمر أبوللو كما يشهد هو بذاك ! »

— « أمرك الآله ، سيد الشمس ، أن ترتكب جريمة قتل الأم ؟ »

— « أمرنى بها ، وأنا مؤمن بما فعلت ، مطمئن إليه ! »

— « ها . ها . سرعان ما تتغير لهجتك حينما يمسك القضاء العادل ! »

— « سينتفض أبى فى رمسه فيحل محلى ! أنا لا أخشى شيئاً ! ! »

— « آى ! وهكذا تعتمد على الموتى عدك به الموتى ! ياقاتل أمه ! »

— « إن هذه الأم تحمل وزراً مضاعفاً وإنما أنكر من إثمى ، إن يكن لى إثم ! »

— وكيف ؟ قص على المحكمة ! »

— « أجل ! فلقد ذبحت بعلها ... وذبحت أبى ! ! »

— « لقد خلصت من أوزارها بالموت ! »

— « خلصت من أوزارها بالموت ؟ ! ها . ها ... عجيب أمركن ! مالكن كيف تحكمن ؟ لقد قتلت زوجها ... وقتلت أبى ... وعاشت سنوات عشراً ... فأين كنتن ؟ ! لم لم تقصصن أثرها كما تقصصن أثرى ! »

— « ذلك لأن رحماً لا تصلها بمن قتلت ! ولا رابطة من دم ! »

— « إى ! وأنا ؟ أى رابطة من الدم تصلنى بمن قتلت ؟ ألمجرد حملها بى وأنها ولدتنى ؟ »

— « أكبر رابطة أيها اللعين ! لقد غذتك إذ أنت فى أحشائها ، واحتملت كثيراً من أجلك ! »

— ٩ —

وكأنما ضاق أورست ذرعاً بربات الذعر فهتف بأبوللو يقول :

— « والآن ياإلهى أبوللو أد شهادتك ، وليفض بالحق لسانك ! هل كنت على حق حين قتلت أمى ؟ ! إنى لا أنكر مما صنعت شيئاً ، ولكنى جد محتاج إلى دفاعك ... فقط ... لتجلو الحقيقة لهذا المجلس الموقر ، ولكل الحاضرين هنا ! ! »

فينهض أبوللو ، ويرسل حديثه فى جلالة ووقار :

— « أسارحكم القول يا جميع من حفل بهم هذا المعبد القدس ، ولا أحسب أحداً منكم يساوره الشك فيما أقول ... أننى أبداً ما أوحيت بشىء إلى رجل أو امرأة ، إذ أنا متربع على عرشى فى السموات العلى ، إلا عن أمر يصدره لى أبى بصدد هذا الشىء ! ! وهذا ما كان فيما نحن بصدده الآن ... أرجو ألا تلغطوا ... بل آمركم بالأصالة عن أبى ! ! ! »

فتضطرب ربات الذعر وتقول كبيرتهن :

— « وتقول إن أباك — زيوس سيد الأولمب — هو الذى أذنك أن توحى إلى أورست فيثأر لمقتل أبيه ، فى حين لا يبالى بمقتل أمه ؟ ! »

— « وبم يبالى ؟ ! وماذا يقدس فيها ، حين يعود رجل له وقاره وتدينه ، وإيمانه الذى لا يحد بربه زيوس ، ظافراً من ساحة الحرب ، فتذبحه زوجته الآثمة بعد أن تنصب له الأحابيل فى كل شبر من قصره ؟ ! أى زوجة هذه التى تعبث بشرف زوجها ، وتمزق عرضها ، وتنفى ولدها ، وتذل ابنتها ، وتدوس الشرائع والحرمات ! ؟ »

— « إذن هو أبوك زيوس الذى يرثى لهذا الأب المسكين الذى قتلته زوجته ! أمرك عجيب ياسيد الشمس ! أبوك زيوس ينصر أورست لأنه يثأر لأبيه ! إذن لم وضع زيوس نفسه الأغلال فى عنق أبيه كرونوس [1] وسجنه آخر الدهر ؟ أليس هذا نقيض ذاك ؟ أجب ! تكلم ! وأنت يا ربة العدالة ! وأنتم أيها المحلفون ! أعيروه أذناً صاغية ! »

— « إخسأن أيتها المولات ! شاهت وجوهكن ! ياعدوات السماء ! إن مولاكن قد صنع ما صنع بأبيه ليكفى العالم شره — وهو مع ذاك لم يرق دمه ! »

— « إذن كيف تدافع عن هذا الطريد الذى هراق دم أمه ؟ وكيف تخول له أن يتربع على عرش آرجوس ؟ وكيف يتسنى له أن يقدم قرباناً عن فعلته ؟ وهل قربان إلا هو ؟ ! »

— « آه ! إنكن تزعمن دائماً أنه ابن كليتمنسترا ! ! وليس بعد هذا ضلال ! إنه ليس من أهلها ، لأنها حمل غير

(١) يشير اسخيلوس إلى الأسطورة القديمة التى تقول إن ساترن (كرونوس) قتل أباه أورانوس لأنه كان يقتل أبناءه لكثرتهم فلما ولد لساترن ابنه زيوس أراد أن يبتلعه ليتخلص منه ، لكثرة أبنائه كذلك ، غير أن أمه تحايلت حتى أنقذته ، فلما شب أعلن الحرب على أبيه واستطاع هو وإخوته أن يسجنوه أبد الدهر (الأستاذ توماس بلفنش)



رجائى ورجاء الزيات

كان لى ابن لم يكن يعدّ الثامنة من عمره ، وفى مثل هذه الأيام من العام الماضى أطاقته — على رغمى — بين أفياء الجنة بتعجل نعيمها . وبقيت أتجرع غصص هذه الدنيا ، لموته حيناً ولحياتى أحياناً

جرى علىّ هذا الفراق الأبدى فحزنت وتكاءدنى وصف هذا الحزن فأنا إلى اليوم أجد مسّه ، ولا أستطيع بثه . ولقد كذبت الشعراء حين جعلوا الحزن ناراً تتقد ، وتصطلى حرها الكبد . وحين زعموه حسرة تقطع النفوس ، ولا تشقى منها الكؤوس . وحين تصوروه أسفاً قاتلا ، وموتاً نازلا . وحين شبهوا زفراته بشواظ النار ، ودموعه بالسحاب المدرار

والحق أن اللفظ يعيا بوصف حزنى كما عى قلبى باحتماله . وماعيينا بوصف النعمة زائلة ، إلا حين عجزنا عن فهمها ماثلة . وكيف نتصور وجوداً كانت روائح الجنـة فى رياه ، والسلام أولى دعواه وأخراه

سميت فقيدى « رجاء » وما شغلت نفسى حين اخترت له هذا الاسم أن أكون فيه مقلداً تابعاً ، وإنما ارتجلته من قلبى يوم عقدت الرجاء برجاء ، وأملت أن يكون خاتمة الشقاء ، وبداية الصفاء

* * *

يعلم الله يا أخى أن نعيك لرجائك قـد أعاد حزنى جذعاً ، كما كان يوم صادفني وفىّ بقية من الأسر أقوى بها على بعض الأمر ، فأما اليوم وقد انهـدت قواى بما أخـذ منى الأسف وما أبقى ، فانى أراك قد نعيت إلىّ نفسى بهذا النعى ، وما قصدتَ بذلك بغياً علىّ . ولـكنى أنا الذى أعددت نفسى لرمسى ، بين يومى وأمسى

عرفتك أديباً متفقاً خدمت الأدب أستاذاً ومؤلفاً ومترجماً وناقداً ، ثم رأيتك منذ أعوام تجمع هذه المزايا فى صحيفتك الخالدة « الرسالة » . وكان من حق مثلك على الأيام أن ترفه عنه وتعفيه من معضلات رزاياها حتى يفرغ لواجبه وينهض بعبئه

عرفتك وادع النفس ، هادىء الخلق ، حليما لا تثار ، ولا تُغلب على الوقار . وكان من حق مثلك على الأيام ألا تخرجه عن وقاره . ولا تضجره بحلمه . بل تتركه لهذه الوداعة وتلك الطمانينة ، يرتع الاخوان فى بحبوحتها ويفيئون الى ظلها كلما لفحهم هجير الرعونة ، وآذاهم لهب الشغب . ولـكن الأيام لم تمسّك بهذا الخطب الجليل إلا بعـد أن عجمت عودك فوجـدته صُلبا ، وقرعت صفاتَك فوجدتك صَلدا ، ذلك هو ظن إخوانك الذين عرفوا إيمانك بالله قوياً ، وعرفوك للفضيلة وفياً ، فلتكن بثواب الصبر حريّا

دريني خشبة

صالح ! ! إن أورست ابن أجاممنون فحسب ! لأن أجاممنون هو الذى غرس بذرته ، وإن يكن قد غرسها فى أرض حمِئة ذات أوباء ! ولو شاءت السماء لغرست البذرة فى أرض أخرى — فى أرض حقيقية — فى حديقة — ثم لنشأ أورست عوداً فيناناً من غير أم ... ... يا ربة العدالة ! مينرفا يا ابنة زيوس العظيم ! لقد أرسلت أورست ليرفل فى ظل رحمتك النامى ، وليحظى بحمايتك ، وليسـجد تحت قدميك ، هو وشعب الأرجيف الـكريم ! أعيـــدى اليه وقاره وطمأنينته إذن ، فهو جدير بهما ! ليعد الى شعبه الباسل ليظلوا الى الأبد عبادك المخلصين ! إنه برئ ! إنه برئ ! »

فتقول مينرفا :

— « كفى ! كفى ! حسبنا ما سمعنا ! والآن ، أعطونى موثقكم أيها المحلفون ! عاهـدونى على أن تؤدوا الشهادة غير متحرفين ! ليكن الحق وحده رائدكم حين تدلون بآرائكم ! »

(البقية فى العدد القادم)

وبعد ، فاقبل عزاء رجل أشبه أمره أمرك ، وأدرك - إن ضقت بالدنيا - عذرك . فساق ماضيه وحاضره سلوى تتحدث بلسان الواقع ولا تلجأ إلى خيال الواعظ

ومن عرف الأيام معرفتك لقى حوادثها فى درع من الصبر مضاعفة ، وشهر على الجزع مشرفيات مرهفة .

أنت يافوق أن تعزّى عن الأحم باب فوق الذى يعزيك عقلا وبألفاظك اهتدى فاذا عـزّاك قال الذى له قلت قبلا

قسيمك فى الحزن

محمود مصطفى

مدرس الأدب للمتخصصين فى مادته بالجامعة الأزهرية

السخاوى

طالعنا الأستاذ الباحث المحقق مؤرخ المصر محمد عبد الله عنان على صفحات الرسالة القراء بنتائج تحقيقاته .... وقد أفاض إفاضة عظيمة فيها للامام العالم أبى الفضل محمد السخاوى ولما لموسوعته الضوء اللامع من قيمة أدبية وأثر تاريخى عظيم

وقد ذكر الأستاذ عنان فى إحدى مقالاته بالرسالة أن للسخاوى أثرين من نوع خاص ولهما أهمية خاصة إلى أن قال : (وقد انتهى كلاهما إلينا . أولهما كتاب تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات) الخ . . . وقد سارت دار الكتب الملكية فى فهرستها على غرار الأستاذ عنان فنسبت الأثرين فى فهرستها إلى الامام السخاوى

وقد أتيت على ترجمة الامام السخاوى قراءة وقتلتها بحثاً فلم أظفر بين مؤلفات السخاوى بهذين الأثرين اللذين نسبهما الأستاذ عنان للسخاوى كما نسبتهما دار الكتب

وليست هناك حجة تقوم بازالة هذا اللبس أصدق مما خطه الامام السخاوى فى ترجمته لنفسه بالضوء اللامع

وأما الأثر الذى عناه الأستاذ عنان (الخطط والمزارات) فهو للعالم الجليل محمد بن أحمد الحنفى السخاوى وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٥٦ هـ وكان حياً سنة ٩٦٠ هـ وقد عده ابن مخلوف فى طبقات المالكية

أما الامام السخاوى صاحب الضوء اللامع والمؤلفات العديدة التى عدها فى ترجمته فقد توفى سنة ٩٠٢ هـ

فاحقاقاً للحقيقة وصوناً لمعالم التاريخ نأمل أن يجزم رجال التاريخ أن الأثرين اللذين عناهما الأستاذ عنان ليسا للامام السخاوى صاحب الضوء اللامع . . كما نتقدم بالرجاء إلى العالم المثقف محمد أسعد براده مدير دار الكتب أن يصحح ذلك فى فهارس الدار

والسلام على من عمل الخير أو سعى اليه ؟

(جرجا) **محمود عساف أبو الشباب**

الأدب الألمانى فى المنفى

لم تقتصر الثورة الاشتراكية الوطنية الألمانية على تحطيم النظم والأوضاع السياسية لألمانيا الجمهورية والديموقراطية ، ولكنها حطمت صرح الحياة الألمانية القديم كله ، وشملت آثارها كل نواحى الحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية ؛ وكان من آثارها الظاهرة تدهور العلوم والفنون والآداب فى ظل النظم الطاغية الجديدة ؛ وكان قيام الحكومة الهتلرية محنة حقيقية للأدب الألمانى ؛ فغادر ألمانيا عدة كبيرة من أقطاب الكتاب والمفكرين ، فراراً من يد المطاردة والاستبداد الفكرى ؛ وكان الكتاب والعلماء اليهود فى مقدمة من هرعوا إلى المنفى ، ولكن الأمر لم يقتصر على هؤلاء ، فقد غادر الوطن القديم جمهرة من أكابر الكتاب الألمان (الآريين) لأنهم لم يطيقوا الحياة فى ذلك الجو المضطرم بشهوة الانتقام السياسى ، وكان فى مقدمة هؤلاء عميد الأدب الألمانى المعاصر توماس مان حامل إجازة نوبل ، وأخوه هينريخ مان ، ونشأ منذ ثلاثة أعوام ، أى مذ قامت الحكومة الهتلرية فى المنفى أدب مستقل يتمتع فى الخارج بكامل حريته ، وإن يكن يعانى صعاب المنفى ومتاعبه . ذلك لأن الحكومة الهتلرية لم تقتصر على مطاردة زعماء الأدب الألمانى ، بل عمدت أيضاً إلى محاربتهم فى أرزاقهم المستقبلة ، فخظرت على الناشرين الألمان أن يعاملوهم ، ومنعت كتبهم من دخول ألمانيا ، ولكن ذلك لم يفت فى عزم أولئك الكتاب الأحرار ، فقد لقوا ضيافة حسنة فى انكلترا وفى فرنسا وفى سويسرة ، ورحبت دور النشر فى هذه البلاد بالتراجم الانكليزية والفرنسية لكتبهم الجديدة ، وأخذ الأدب الألمانى الرفيع ينمو ويزدهر فى المنفى

وقد نشأ الأدب الألمانى فى المنفى سامياً بطبيعة الظروف التى

أحاطت به ، وكان طابع الكفاح والعرض السياسي ومقارعة الفكرة والعاطفة يغلب عليه أولا ؛ ومن هذا النوع كتاب هينريخ مان « البغضاء » Der Haab ، وهو كتاب تاريخي رائع ، وقصة سياسية بقلم ليو فويختفانجر عنوانها « أخوة أو بهايم » ظهرت فى أمريكا سنة ١٩٣٣ ؛ وأخرى بقلم بالدر أولدن وعنوانها « قصة نازى » وقد ظهرت فى انكلترا .

ولم يفقد الأدب الألمانى عبقريته فى المنفى ، فقد دلل على أنه مازال يحتفظ بهذه العبقرية فى سلسلة من الكتب والقصص القوية المختلفة فى نوعها وفنها ؛ ونستطيع أن نذكر منها «هندنبورج » بقلم رودلف أولدن ؛ و«شباب هنرى الرابع Die Jugend des Kònigs Henri لهينريخ مان ، وآخر الدنيين Der Letzte Zivitist لارنست جليزر ، « والمائة يوم » Die Hundert Tage ليوسف روت ، و«النغم المؤسى» بقلم كلاوزه مان ؛ ويوجد الآن تحت الطبع عدة كتب وتراجم هامة منها : ترجمة لبطرس الأكبر ، وأخرى لهتلر . ويلاحظ مع ذلك أن الصبغة التاريخية والسياسية ما زالت تغلب على معظم الكتب الممتازة بين تراث الأدب الألمانى فى المنفى . مثال ذلك كتاب « هـندنبورج » لرودلف أولدن ؛ وقد كان أولدن محامياً كبيراً ومحرراً فى جريدة « البرلينر تاجبلاط » ؛ وكتابه ينم عن قوة فى العرض ودقة فى التمحيص والتصوير ؛ وفى رأيه أن الماريشال الراحل ، عميد الجمهورية الألمانية ورمز ألمانيا مدى أعوام طويلة ، لم يكن سوى بروسيا ؛ وأنه لم يكن رجل سياسة وتفكير قط ، وإنما كان جندياً يؤمن بسيادة الطبقات ، وأن سيادة الطبقة البروسية هى مصدر قوة ألمانيا وعظمتها ، وعما قليل أيضاً يصـدر كتاب « هتلر » لاميل لودفيج والمنتظر أنه كباقى تراجمه سيكون قطعة رائعة من التصوير النفسى

وكذلك كتب القصص ، فان يوسف روت يصور لنا فى قصته « المائة يوم » صورة الطاغية « نابليون » الذى يكفر فى العزلة والمنفى عن جرائمه وزلاته ، ويتدبر الآلام والمظالم التى أنزلها بالأمة والشعب والوطن ، ثم هو يقضى وحيداً ، ويغمر أعوامه الأخيرة فراغ هائل ، ويرقب العالم الخارجى فشله وسقوطه ؛ ويكتب يوسف روت بأسلوب ساحر ، ونزعة غنائية مؤثرة حتى ليخيل اليك أنه يمزج الشعر بالنثر . ويقدم الينا أرنست جليزر أيضاً فى « آخر الدنيين » قصة سياسية هى تاريخ ألمانى هاجر الى أمريكا منـذ نصف قرن وعاش فى العالم الجديد بأمل العودة الى وطنـه ، ولـكنه لم يعد إلا قبيل قيام الحكومة الهتلرية ، ويصف لنا المؤلف حياة المجتمع الألمانى فى الريف عقب الحرب ، وروعة الهزيمة ، ونكبة التضخم المالى ، واعتقاد الشعب أن الذنب فى ذلك كله يرجع الى « البروسيين » وكيف أن الشعب لم ينضم الى الحركة الهتلرية إلا باعتقاد أنها كفاح ضد السيادة البروسية . ثم يصف لنا بعـد ذلك روعة اليأس الذى استحوذ على بطله حينما رأى ألمانيا الديموقراطية قد حطمت وغاضت ، فغاضت معها آماله ثم حياته

ويرى النقـدة أن أبدع كتب الموسم كتاب هينريخ مان « شباب هنرى الرابع » ؛ ويرد المؤلف فى كتابه على الملاحظة التى تلاحظ فى أدب المنفى ، وهو أنه أدب تاريخ ، ويقول لنا ، أجل إن الأدب الألمانى فى المنفى يجب أن يكون تاريخياً ، ومن التاريخ تستخرج العظات والعبر ، ويستمد الأمل فى المستقبل . ويصف لنا المؤلف حياة هنرى الرابع ملك فرنسا ومحقق وحدتها فى أسلوب بديع هادىء ، وفى عرض قصصى ساحر مؤثر

وهكذا ينشأ خارج ألمانيا ، وفى ظلال المنفى ، أدب ألمانى جديد ، قوى حر ، تميز باستقلاله وحياته الجديدة فى ظلال حرية غاضت من أرضه ومهاده ، وهو يتجه بأمله إلى المستقبل القريب

بعض عناوين وأسماء

بعث الينا أديب يستفهم عن عناوين بعض الكتب الحديثة التى تستعرضها (الرسالة) بلغاتها الأصلية ، ويرجو أن تكتب الرسالة دائماً عناوينها الأصلية وأسماء مؤلفيها بالافرنجية . وهذا ما تفعله الرسالة فى الواقع فى معظم الأحوال ، وإذا كنا نكتب أسماء المؤلفين أحياناً باللغة العربية فقط ، فذلك اعتماداً منا على شهرة أولئك المؤلفين وعلى فطنـة القارىء . وفيما يلى بعض العناوين والأسماء التى استفهم عنها الأديب المذكور فى كتابه :

Tom Sawyer by nark Twain
Léfe and Letters of Gajsworthiy by H. narrott.
A léfe of Kier Hardy by H. Fytte.
Aneur Life of Ibrahim Pasha by. B. Carabités
Abyseinia and Italy by Emile Burus.

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٣ — ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 143.

Lundi-30-3-1936

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة — « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٥٥ — ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦ » — العــــدد ١٤٣

فهرس العــــدد

صفحة

٤٨١ الخيال العاقل ... ... : الدكتور طه حسين بك . ...

٤٨٣ فلسفة قصـــة . ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

٤٨٦ من فرنسـاى إلى لوكارنو : باحث دبلوماسى كبير ... ...

٤٨٩ خواطر فى الحياة والموت . : الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى

٤٩٠ التعليم والحالة الاجتماعيـة فى مصر ... ... : الأستاذ اسماعيل مظهر ... ...

٤٩٥ فى تاريخ الفقه الاسلامى : الدكتور يوسف شخت .. ...

٤٩٨ بين شكسبير وابن الرومى : الأستاذ عبد الرحمن شكرى ..

٥٠٠ الامبراطورية الأسيوية .. : جورج حداد ... ...

٥٠٢ ساعة فى متحف (طوب قبو) : الأستاذ كمال ابراهيم ... ...

٥٠٤ الحركة الفكرية فى السودان : حيدر موسى ... ...

٥٠٦ تقى الدين السبكى ... ... : محمد طه الحاجرى ... ...

٥٠٨ الطالب (قصيدة) ... : الأستاذ أحمد رامى ... ...

٥٠٨ صوت المتنبى « ... : على احمد باكثير . ...

٥١٠ خيبة رجاء « ... : الأستاذ محمود غنيم ... ...

٥١١ فى الأدب الايطالى الحديث : محمد أمين حسونه ... ...

٥١٣ محاكمة أورست (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٥١٨ فى ترجمة السخاوى أيضا : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...

٥١٨ كتاب جديد عن هتلر ... ...

٥١٩ المباراة الصحفية الأدبية ... ...

٥٢٠ حول المباراة الأدبيـة ... ...

الى أخى الزيات

الخيـــــال العاقل

تحية صديق مشارك فى الحزن آمل فى العزاء

للدكتور طه حسين بك

أعرفت قط خيالاً عاقلاً أيها الأخ العزيز ؟ أما أنا فقد عرفته أمس ، ولم أتكلف فى معرفته مشقة ولا جهدا ، ولم أنفق فى البحث عنه قوة ولا وقتاً ، بل لم أبحث عنه وإنما سعى إلى ، أو قل هممت أن أدعوه فاستجاب لى قبل الدعاء ، ولكنى لم أدعه لأعرفه ، فان عهدى به بعيد ، بعيد جدا لا أكاد أذكر أوله ، وإنما أعلم أنه رفيقى منذ بدأت أفكر ، بل منذ استقبلت الحياة ، ما أكثر ما زين لى الأشياء حتى كلفت بها ورغبت فيها ، وما أكثر ما بغض إلىّ الأشياء حتى نفرت منها وضقت بها ، وما أسرع ما اخترع لى أشياء لم أكن أعرفها ولا أقدرها ، فاذا هى تملأ قلبى أملا ورجاء ، وتدفعنى إلى العمل والنشاط ، وإذا هى تملأ قلبى يأساً وقنوطاً ، وتدفعني إلى الفتور والخمود والانزواء

لقد خلق لى عالماً كاملا بعيد الآماد ، متنائى الأرجاء

مختلف الألوان ، قضيت فيه أيام الصبى وما أكثر ما تمنيت أن أعود اليه ، ثم خلق لى عالماً آخر ليس أقل من ذلك العالم سعة وتنوعاً واختلافاً ، ولكنه مزاج من الجمال والقبح ، ومن اللذة والألم ، ومن اليأس والأمل ، قضيت فيه أيام الشباب ومازلت أتمنى أن أعود اليه ، ثم هو يرافقني الآن فيزين لى الحياة قليلا ، ويقبحها فى نفسى كثيراً ، ويحاول أن يخلق لى ما يسر ، ويحاول أن يخلق لى ما يسوء ، فأطيعه حيناً ، وأعصيه أحياناً ، ولكنه وفى لى دائماً كلما أردت استعانته على الكتابة والانشاء ؛

وأعترف أيها الأخ العزيز بأنى كنت مقتصداً أشد الاقتصاد فى الالتجاء اليه والاستعانة به ، لأنى أعرفه جريئاً مسرفاً فى الجراءة ، نشيطاً غالياً فى النشاط ، يخترع من الصور وفنون المعانى ما لا أطيق أن أعرضه على بيئاتنا الاجتماعية التى تقتصد فى الاطمئنان إلى وحى الخيال

عرفته وفياً نشيطاً متأهباً دائماً للمعونة كلما دعوته أو فزعت اليه ، مقدماً من هذه المعونة أكثر مما أسأله ، وأعظم جداً مما أقترح عليه . وقد دعوته أمس فاستجاب لى مسرعاً غير مبطئ ولا متثاقل ، بل أشهد لقد كان يكاد يتموزح نشاطا ومرحاً ، ولقد كنت أتهيأ للكبح من جماحه والرد من نشاطه ، وأخذه بكثير جداً من الأناة والقصد كما تعودت دائماً ، ولكنى لم أكد أعرض عليه ما كنت أريد أن يعينني على الأخذ فيه حتى كفكف من نشاطه ، واتأد فى غلوائه ، وابتسم ابتسامة الهادئ المطمئن ، وقال فى صوت الراضى الرزين فى غير عجز مؤلم ، ولا قصور مؤنس : « اليك عنى فلست مما تريد فى شىء » . ذلك أنى كنت أريده على أن يمدنى بما أصور به فصلاً من حياة النبى الكريم فى هذه الأيام التى يذكر فيها المسلمون أكبر حدث من أحداثهم ، وأعظم عبرة من عبرهم ، والتى يعود فيها المسلمون قروناً طوالا من الزمان ليشهدوا ذلك اليوم العظيم الذى خرج فيه النبى وصديقه الصديق من مكة مهاجرين إلى الله بآمال سيفنى الزمان قبل أن تفنى ، وإيمان سيزول هذا العالم قبل أن يدركه ضعف ويسعى اليه فتور ، وثقة بنصر الله عاشت عليها الأجيال التى لا تحصى ، وستعيش عليها الأجيال التى لا تحصى ، وسيستمد المسلمون منها أبدا قوة على الجد والكد . واستقبال الحياة بما فيها من خير وشر ، ومن حلو ومر ، ومن محنة ونعمة

ثم دعوته أيها الأخ العزيز إلى أن يلهمنى بعض ما تعود أن يوحى إلى من الصور فأعرض فى غير غضب ، وامتنع فى غير بخل ، وألح فى الأعراض والامتناع ، فلما ألححت عليه تبينت منه الاستحياء وإيثار العافية ، والضن بنفسه على ما لا يحسن ، وتجنيبها ما لا يطيق . وإذا هو يقول لى فى لهجة الهادئ المطمئن : استعنى فيما شئت ، فقد عرفت قدرتى على الاختراع والابتكار ، وحسن بلائى فى لبس الحق بالباطل حتى يصبح زينة كله ، ولكن من الحق ما هو أرفع من أن أسمو إليه مهما أكن قوى الجناح ، وأوضح من أن أجليه مهما أكن قوى النور ، وأسطع من أن أوضحه مهما أكن نافذاً بعيد الهم ، وأنصع من أن أزينه مهما أكن ماهراً فى اختراع الزينة وابتكار الجمال

ولئن حدثتك عن هذا الرجل الكامل لأحدثنك حديث العقل ، أستغفر الله ، فما يستطيع العقل أن يحدثك عنه كما يجب ، لأنه أكرم وأرفع وأرق من أن يبلغه العقل ، كما أنه أكرم وأرفع وأرق من أن يبلغه الخيال . اجتهد فى أن تتمثل ما أتيح للناس أن يعرفوا من حياته ، ثم انظر فيه واستمد منه فلست محتاجاً مع ذلك إلى معونة عقل أو خيال

انظر إلى الناحية الحزينة من حياته ، واقصص على نفسك أطرافاً منها ، فان لم تملأ قلبك عبرة وعظمة وجمالاً وحباً وإكباراً دون استعانة بعقل أو خيال ، فلست إنساناً ولست من الانسانية فى شىء

***

انظر إلى هذا الذى ذاق اليتم جنيناً إن كان الأجنة أن يذوقوا المعانى والآلام ، ثم لم يكد يستقبل الحياة ويتقدم فى الصبى حتى ذاق اليتم مرة أخرى ، ففقد أمه بعد أن فقد أباه ، ثم لم يكد يتقدم خطوات أخرى فى الصبى حتى ذاق اليتم مرة ثالثة ففقد جده بعد أن فقد أبويه ، ثم ألحت عليه حياة فيها شدة وجهد ، وفيها حرمان وفقر ، وفيها ضيق وضنك ، ثم تظاهرت هذه الآلام كلها على نفسه الكريمة الناشئة فلم تستطع أن تبلغها ولا أن تنال منها ، لأن الله قد قطع الأسباب بين هذه النفس الصفاة وبين البؤس والشقاء . ثم امض معه خارجاً من الصبى داخلاً فى الشباب متقدماً فيه ، فاذا الحياة كما هى شديدة شاقة ثقيلة ضيقة ، ولكنه مبتسم الشباب كما كان مبتسم الصبى ، وادع النفس

(البقية على صفحة ٥١٧)

فلسفة قصـــة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

هلكت خديجةُ زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم وهلك عمه أبو طالب في عام واحد في السنة العاشرة من النبوة ، فعظمت المصيبة فيهما عليه ، إذ كان عمه هذا يمنعه من أذى قريش ، ويقوم دونه فلا يخلصون اليه بمكروه ؛ وكان أبو طالب من قريش كالعقيدة السياسية ، هي بطبيعتها قوة نافذة على قوة القبيلة ، فمن ثم كان هو وحده المشكلة النفسية المعقدة التي تعمل قريش جاهدة في حلها ، وقامت المعركة الاسلامية الأولى بين ارادتهم وارادته ، وهم أمة تحكمهم الكلمةُ الاجتماعية التي تسير عنهم في القبائل وتاريخهم ما يقال في الألسنة من معاني المدح والذم ، فيخشون المقالة أكثر مما يخشون الغارة ، وقد لا يبالون بالقتلى والجرحى منهم ، ولكنهم يبالون بالكلمات المجروحة

فكان من لطيف صنع الله للاسلام ، وعجيب تدبيره في حماية نبيه صلى الله عليه وسلم ـ وضع هذه القوة النفسية في أول تاريخ النبوة ، تشتغل بها سخافات قريش ، وتكون عملا لفراغهم الروحي ، وتثير فيهم الاشكال السياسي الذي يعطل قانونهم الوحشي إلى أن يتم عملُ الأسباب الخفية التي تكسر هذا القانون ؛ فان المصنع الالهي لا يخرج أعماله التامة العظيمة إلا من أجزاء دقيقة

أما خديجة زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت في هذه المحنة قلباً مع قلبه العظيم ، وكانت لنفسه كقول (نعم) للكلمة الصادقة التي يقول لها كل الناس (لا) ، وما زالت المرأة الكاملة المحبوبة المحبة هي التي تعطي الرجل ما نقص من معاني الحياة ، وتلد له المسرات من عواطفها كما تلد من أحشائها ، فالوجودُ يعمل بها عملين عظيمين أحدهما زيادةُ الحياة في الأجسام والآخر إتمام نقصها في المعاني

***

وبموت أبي طالب وخديجة أُفرد النبي صلى الله عليه وسلم بجسمه وقلبه ليتجرد من الحالة التي يغلب فيها الحس إلى الحالة التي تغلب فيها الارادة ، ثم ليخرج من أيام الاستقرار في أرضه إلى الأيام المتحركة به في هجرته ، ثم لينتهي بذلك إلى غاية قوميته الصغيرة المحدودة فيتصل من ذلك بأول عالميته الكبرى

وأراد الله تعالى أن يبدأ هذا الجليل العظيم من أسمى خلال الجلال والعظمة ليكون أولُ أمره شهادةً بكماله ، فكانت الحسنةُ فيه بشهادة السيئة من قومه ، خلقُه بشهادة رُعونتهم ، وأناته بدليل طيشهم ، وحكمته ببرهان سفاهتهم ، وبذلك ظهر الروحاني روحانياً في المادة

قالوا فنالت منه قريش ، ووصلوا من أذاهُ إلى ما لم يكونوا يصلون اليه في حياة عمه ، حتى نثر بعضهم التراب على رأسه ، كأنما يعلمونه أنه أهون عليهم من أن يكون حراً فضلا عن أن يكون عزيزاً فضلا عن أن يكون نبياً ؛ قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي

كانت تبكي إذ لا تعلم أن هذا التراب على رأس النبي العظيم هو شذوذ الحياة الأرضية الدنيئة في مقابلة إنسانها الشاذ المنفرد . هذه القبضة من التراب الأرضي قبضة سفيهة تحاول رد الممالك الاسلامية العظيمة أن تنشأ نشأتها وتعملَ عملَها في التاريخ ؛ فهي في مقدارها وسخافتها ومحاولتها كعقل قريش حينئـــذ في مقداره وسخافته ومحاولته

أما النبي صلى الله عليه وسلم فقال لبنته : يابنية لا تبكي فان الله مانعٌ أباك . حسبتْ ذلك هواناً وضيْمةً فأعلمها أن قبضةً من التراب لا تطمرُ النجم ، وأن هذه الجفوة الترابية لا تسمى معركة أثارتها الخيل فجاءت بنتيجة ، وأن ساعة من الحزن في يوم لا يحكم بها على الزمن كله ، وأن هذه النزوة التي تحركت الآن هي حمقُ الغباوة قوتها نهايتها

« يابنية لا تبكي فان الله مانع أباك » . أي ليس للنبي كبرياء ينالها الناس أو يَغُضون عنها فيأتي الدمعُ مترجماً عن المعنى الانساني الناقص مثبتاً أنه ناقص ؛ إنما هي النبوةُ قانونها غيرُ

ما اعتادت النفس من أفراح وأحزان ، وهى النبوة تجعل المختار لها غير محدود بجسده الضعيف ، بل حدوده الحقائق التى فيها قوتها ؛ فهو فى منَعَة الواقع الذى لا بد أن يقع ، فلو أمكن أن يحذف يوم من الزمن أو يؤخر عن وقته أمكن أن يؤخر النبى أو يحذف

« يا بنيـة لا تبكى فان الله مانعٌ أباك » . لا والله ما يقول هذه الكلمة إلا نبىٌّ وسع التاريخ فى نفسه الكبيرة قبل أن يوجد هذا التاريخ فى الدنيا ، فكلمته هى الايمان والثقة إذ يتكلم عن موجود

ترابٌ ينثره سفيه على رأس النبى . ويحك يا حقارةَ المادة إن ارتفاعك لمنة ، إن ارتفاعك لمنة

* * *

قالوا : وخرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه : فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادتهم وأشرافهم فجلس اليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته والقيام معه فى الاسلام على من خالفه من قومه ، فلم يفعلوا وأغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط (١) لعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه . ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد صلى الله عليه وسلم إلى ظل حُبْلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقى من السفهاء

فلما اطمأن صلى الله عليـه وسلم فى مجلسه قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؛ إلى بعيد يتجهَّمنى أو إلى عدو ملكته أمرى ؛ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولـكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك ، لك العُتْبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك

* * *

ألا ما أكمل هذه الانسانيـة التى تثبت أن قوة الخلق هى درجة أرفع من الخلق نفسه ؛ فهذا فنُّ الصبر لا الصبر فقط ، وفن الحلم لا الحلم وحده

قوة الخلق هى التى تجعل الرجل العظيم ثابتاً فى مركز تاريخه لا متقلقلاً فى تواريخ الناس ، محدوداً بعظائم شخصيته الخالدة لا بمصالح شخصه الفانى ، ناظراً فى الحياة إلى الوضع الثابت للحقيقة لا إلى الوضع المتغير المنفعة

وما كان أولئك الأشرافُ وسفهاؤهم وعبيدهم إلا معانى الظلم والشر والضعف تقول للنبى العظيم الذى جاء يمحوها ويُديل منها : إننا أشياء ثابتة فى البشرية

لم يكن منهم الأشراف والسفهاء والعبيـد ، بل كان منهم المسفُ والرِّق والطيش ، تسخر ثلاثتها من نبى العدل والحرية والعقل فما تسخر إلا من نفسها

صغائر الحياة قد أحاطت بمجد الحياة لتثبت الصغائر أنها الصغائر وليثبت المجد أنه المجد . كان الفريقان هما الفكرتين المتعاديتين أبداً على الأرض : إحداهما عش لتأكل وتستمتع وإن أهلكت ؛ والأخرى عش لتعمل وتنفعَ الناسَ وإن هلكت

كانت الأقدار تنادى هـذا الروحَ الواسعَ بذلك الروح الضيق لينطلق الواسعُ من مكانه ويستقبلَ الدنيا التى عليـه أن ينشئها . فأولئك الأشراف والسفهاءُ والعبيد إن هم إلا الضيقُ والركودُ وذلُّ العيش ، حول السـمة الروحية والسموّ وطهارة الحياة

وقف المعنى السماوىُّ بين معانى الأرض ؛ ولكن نور الشمس ينبسط على التراب فلا يعفِّره التراب ، وما هو بنور يضىء أكثر مما هو قوة تعمل بالعناصر التى من طبيعتها أن تحوّل فى العناصر التى من شأنها أن تتحول

وكان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أولئك المستهزئين قوةٌ أخرى هى القدرة التى تعمل بهذا النبى للعالم كله ، وبهـذه القدرة لم ينظر النبى إلى قريش وصولتهم عليـه إلا كما ينظر إلى شىء انقضى ، فـكان الوجود الذى يحيط به غير موجود وكانت حقيقةُ الزمن الآتى تجعل الزمنَ الحاضر بلا حقيقة

وإلى هذه القدرة توجه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء

---

(١) الحائط البستان وجمعه حوائط

الخالد يشكو أنه إنسان فيه الضعف وقلةُ الحيلة ، فينطق الانسانيُّ فيه بالشطر الأول من الدعاء يذكر انفراده وآثارَ انفراده ويتوجع لما بينه وبين انسانية قومه ؛ ثم ينطق الروحانيُّ فيه بعد ذلك إلى آخر الدعاء متوجهاً إلى مصدره الآلهى قائلاً أولَ ما يقول : إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالى

ولعمرى لو نطقت الشمس تدعو الله لما خرجت عن هذا المعنى ولا زادت على قوله أعوذ بنور وجهك ، تلتمس من مصدر النور الأزلى حياطةَ وجودها الكامل

***

ولقد هزأوا من قبل بالمسيح عليه السلام فقال للساخرين منه : ليس نبي بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته ، وبهذا رد عليهم ردَّ من انسلخ منهم ، وقال لهم قول من ليس له حكم فيهم ، وأخذهم بالشريعة الأدبية لا العملية ؛ إذ كان عليه السلام كالحكمة الطائفة ليست لكل قلب ولا لكل عقل ، ولكنها لمن أُعِدَّ لها ، وشريعته أكثرُها فى التعبير وأقلُّها فى العمل ، ولم يجىء بالقوة العاملة فلم يكن بدٌّ من أن تضع الموعظةَ فى مكان السيف ، وأن تكون قائمة على النهى أكثر مما هى قائمة على الأمر ، وأن تكون كشمس الشتاء الجميلة لا تغلى بها الأرض وإنما عملها أن تمهّد هذه الأرض لفصل آخر

أما نبينا صلى الله عليه وسلم فلم يجب المستهزئين إذ كانت القوة الكامنة فى بلاد العرب كلها كامنة فيه ، وكان صدرُه العظيم يحمل للدنيا كلمة جديدة لا تقبل الدنيا أن تعامله عليها إلا بطريقتها الحربية ؛ فلم يردّ ردَّ الشاعر الذى يريد من الكلمة معناها البليغ ولكنه سكت سكوت المشترع الذى لا يريد من الكلمة إلا عملها حين يتكلم . وكان فى سكوته كلام كثير فى فلسفة الارادة والحرية والتطور وأن لا بد أن يتحول القوم وأن لا بد أن يتفطّر هذا الشجرُ الأجردُ عن ورق جديدٍ أخضرَ ينمو بالحياة

لم يتسخط ولم يقل شيئاً وكان كالصانع الذى لا يردّ على خطأ الآلة بسخط ولا يأس بل بارسال يده فى إصلاحها

***

قالوا : ورأى ابنا ربيعة عتبة وشيبة ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم من السفهاء فتحركت له رَحِمُهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قِطْفاً من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما وضع يده قال : بسم الله ، ثم أكل ؛ فنظر عداس إلى وجهه ثم قال : والله إن هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلدة

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس وما دينك ؟

قال : أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نِينَوَى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس ابن متى . قال : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى كان نبياً وأنا نبى

فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه ورجليه

***

يا عجباً لرموز القدر فى هذه القصة

لقد أسرع الخير والكرامة والاجلال فأقبلت تعتذر عن الشر والسفاهة والطيش ، وجاءت القبلات بعد كلمات المداوة

وكان ابنا ربيعة من ألد أعداء الاسلام ، وممن مشوا إلى أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم من أشراف قريش يسألونه أن يكفّه عنهم أو يخلىَ بينهم وبينه ، أو ينازلوه وإياه حتى يهلك أحد الفريقين ، فانقلبت الغريزة الوحشية إلى معناها الانسانى الذى جاء به الدين لأن المستقبل الدينى للفكر لا للغريزة

وجاءت النصرانية تعانق الاسلام وتعزُّه إذ الدين الصحيح من الدين الصحيح كالأخ من أخيه ، غير أن نسب الاخوة الدمُ ونسب الأديان العقل

ثم أتم القدر رمزه فى هذه القصة ، بقِطف العنب سائغاً عذباً ثلوه حلاوة ؛ فباسم الله كان قطفُ العنب رمزا لهذا العنقود الاسلامى العظيم الذى امتلأ حَبًّا كلُّ حبة فيه مملكة

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

أوربا على المنحدر

٢ – من فرساى إلى لوكارنو
مسألة الرين وسلام أوربا
بقلم باحث دبلوماسى كبير

لماذا أقدمت ألمانيا على تصرفها الجرىء فأعلنت إلغاء ميثاق لوكارنو واحتلت منطقة الرين المجردة فى هـذا الظرف العصيب الذى تجوزه أوربا ؟ لقد شرحت ألمانيا وجهة نظرها وبسطت البواعث التى أملت بتصرفها فى مذكرتها التى قدمتها إلى الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو فى السابع من مارس ؛ وكذلك على لسان زعيمها الهر هتلر فى الخطاب الذى ألقاه فى نفس اليوم فى مجلس الريخستاج ؛ وتؤكد ألمانيا فى الوثيقتين أن السبب المباشر لتصرفها هو عقد الميثاق الفرنسى الروسى الذى أبرم أخيراً ، فألمانيا ترى فى عقـد هذا الميثاق خطراً يهدد سلامتها ، ونقضاً من جانب فرنسا لميثاق لوكارنو يبرر تصرفها ، وهى تشرح وجهة نظرها فى مذكرتها فيما يلى :

« إن ألمانيا منذ عقد الميثاق الفرنسى الروسى فى ٢ مايو سنة ١٩٣٥ ، قد لفتت نظر الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو أكثر من مرة . إلى أن العهود التى قطعتها فرنسا على نفسها فى الميثاق الجديد لا تتفق مع العهود التى قطعتها على نفسها فى لوكارنو ؛ وإنه لا ريب فى أن الميثاق الفرنسى الروسى موجه إلى ألمانيا وحدها وبالذات ، وأن فرنسا ارتبطت فيه إزاء روسيا بعهود خاصة فى حالة وقوع حرب بين ألمانيا وروسيا ، وهذه العهود تنافى عهد عصبة الأمم والتزامات ميثاق الرين (ميثاق لوكارنو) المؤسسة عليه ؛ وتحالف فرنسا على هذا النحو مع دولة مدججة بالسلاح ضد ألمانيا يخلق حالة جديدة ، ويقضى على نظام السلام فى الرين بأكمله ، ويجعل ألمانيا فى حل من تعهداتها السابقة الخ . . . . . »

وإلى جانب هذا السبب المادى المباشر الذى تتقدم به ألمانيا لتبرير تصرفها ، يقدم الينا هير هتلر فى خطابه عدة أسباب قومية معنوية تتصل بشرف ألمانيا وكرامتها وحقها فى الحياة سيدة حرة ، فألمانيا تريد أن تعيش فى سلام ، ولا تفكر مطلقاً فى الاعتداء على أحد ، ولكنها تريد أن تعيش مع باقى الدول على قدم المساواة ، وأن تتمتع بنفس الحقوق والمزايا التى تتمتع بها جميع الدول الأخرى ، وأن تحتل المكان اللائق بعظمتها ؛ وهى لا تستطيع أن تحقق هذه الآمال المشروعة إذا لبثت مصفدة بأغلال معاهدة الصلح ونصوص ميثاق لوكارنو الذى يحرمها من السيادة على منطقة الرين ، وهى نحو خمس ألمانيا

الميثاق الفرنسى السوفيتى

ويكرر الهير هتلر فى خطابه أن السبب المباشر الذى حمل بهذا الموقف على ألمانيا هو عقد الميثاق الفرنسى السوفيتى ؛ ذلك أن فرنسا تتعهد بمقتضى هذا الميثاق عند وقوع حرب بين روسيا وألمانيا بالتزامات عسكرية تنافى عهد عصبة الأمم وميثاق لوكارنو ، وأنها تغدو عندئذ مضطرة إلى مهاجمة ألمانيا ؛ وإذاً فعقد فرنسا لمثل هذا الميثاق مع دولة مسلحة من الرأس إلى القدم كروسيا موجه بلا ريب إلى ألمانيا ، وإلى ألمانيا وحدها ، وهى بذلك تخلق موقفاً جديداً يتنافى مع تعهدات ميثاق لوكارنو

وقد عقد الميثاق الفرنسى السوفيتى فى الثانى من مايو الماضى بعد مفاوضات طويلة بين فرنسا وروسيا ، واعتجت ألمانيا على عقده يومئذ لدى الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو ؛ ثم أبرم هذا الميثاق أخيراً وأصبح بذلك وثيقة نهائية لها خطرها فى سير السلام الأوربى

ويتألف الميثاق المذكور من خمس مواد وبروتوكول تفسيرى . وتنص المادة الأولى منه على وجوب التشاور السريع بين الدولتين تطبيقاً للمادة ١٠ من ميثاق العصبة إذا وقع على إحداها اعتداء لا مبرر له (والمادة العاشرة من الميثاق هى الخاصة بمقاومة كل اعتداء على استقلال أى عضو من أعضائها) وتنص المادة الثانية على وجوب تقديم المساعدة السريعة للفريق المعتدى عليه طبقاً للمادة ١٥ فقرة ٧ من ميثاق العصبة إذا لم يتخذ مجلس العصبة فى الأمر قراراً سريعاً . والمادة الثالثة تقرر التعهد بالمساعدة

والمعاونة فى حالة الاعتداء الذى لا مبرر له طبقاً لنص المادتين ١٧ و١٦ فقرة ٣ من ميثاق العصبة . وتنص المادة الرابعة على أن هذه التعهدات لا تمنع الطرفين بأى حال من القيام بالتعهدات التى يفرضها الميثاق . وتنص المادة الخامسة على مدة الميثاق ، وعلى أن المعاونة المشار إليها فيه قاصرة على أوربا ؛ ولا يطالب تنفيذ التعهد الخاص بالمعاونة إذا لم يكن الاعتداء واقعاً على أرض الطرفين المتعاقدين ذاتها . ويتضمن الميثاق أيضاً تحفظات خاصة باحترام المواثيق والعهود السابقة ولا سيما ميثاق لوكارنو ، وينص أيضاً على امكان عقد ميثاق محلى شرقى ، وعلى أنه يتسنى لأى دولة يهمها أمر السلامة العامة أن تشترك فيه

هذه هى خلاصة الميثاق الفرنسى السوفيتى الذى اتخذت ألمانيا من عقده ثم إبرامه ذريعة لموقفها الأخير ، وقد بدأت ألمانيا بالفعل على أثر عقد الميثاق بنحو ثلاثة أسابيع (فى ٢٥ مايو سنة ١٩٣٥) بتقديم احتجاجها على عقده إلى فرنسا وإلى باقى الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو

بيد أنه يلاحظ أن تذرع السياسة الألمانية بالميثاق الفرنسى السوفيتى ليس إلا وسيلة ظاهرة أو مباشرة لتبرير تصرفها فى استعادة سيادتها على الرين ؛ ويلوح لنا أن هذه الخطوة الجديدة التى اتخذتها ألمانيا الهتلرية لتحطيم البقية الباقية من الأغلال العسكرية التى فرضتها معاهدة الصلح إنما هى حلقة جديدة فى برنامج مقرر ترى ألمانيا تنفيذه ضرورياً لاستعادة مركزها العسكرى القديم ، وهيبتها القديمة كدولة عظمى ؛ وقد رأيناها تتخذ فى العام الماضى من تقرير فرنسا إطالة الخدمة العسكرية ذريعة سريعة لالغاء نصوص معاهدة الصلح الخاصة بتحديد تسليحات ألمانيا ، وتقرير الخدمة العسكرية الاجبارية ، وإبلاغ الجيش الألمانى إلى ستمائة ألف ؛ وليس إلغاء ألمانيا لنصوص معاهدة الصلح الخاصة بتحريم منطقة الرين ونصوص ميثاق لوكارنو إلا تتمة لهذه السياسة التى ترمى إلى تحرير ألمانيا تحريراً شاملاً من كل الأغلال التى صفدت بها معاهدة فرساى سيادتها السياسية أو العسكرية ؛ وقد رأينا أن ميثاق لوكارنو لم يكن إلا تأييداً لنصوص معاهدة الصلح الخاصة بمنطقة الرين

ماذا ترتب على موقف ألمانيا

ماذا ترتب على الخطوة الجريئة المزدوجة التى اتخذتها ألمانيا فى السابع من مارس ؟ إن دوائر السياسة العليا فى أوربا كلها مازالت تشتغل منذ ثلاثة أسابيع بما قد يفضى اليه تصرف ألمانيا من العواقب الخطيرة ؛ وقد كانت الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو وفى مقدمتها فرنسا أشد الدول اهتماماً بالموقف الجديد الذى خلقته ألمانيا بتصرفها ؛ ففرنسا ترى أن ألمانيا قد انتهكت عهودها مرة أخرى وأن هذا الانتهاك الجديد خطر على سلامتها ، وتؤيدها بلجيكا فى رأيها واعتقادها

وقد رأينا أن ميثاق لوكارنو ينص على الاجراءات التى تتبع فى حالة مخالفة نصوصه أو نصوص معاهدة الصلح الخاصة بمنطقة الرين ضد الدولة التى ترتكب المخالفة ؛ وهذه الاجراءات هى التى اتبعت فى الحال عقب تصرف ألمانيا ؛ فقد اجتمعت دول لوكارنو وهى فرنسا وبريطانيا العظمى وبلجيكا وإيطاليا فى مؤتمر عقد أولا فى باريس ثم نقل إلى لندن ، واستدعى فى الحال مجلس عصبة الأمم إلى دورة خاصة تعقد فى لندن أيضاً لبحث الموضوع طبقاً لنصوص ميثاق العصبة التى يحيل اليها ميثاق لوكارنو ؛ وكان المفروض أولا أن مؤتمر لوكارنو لم يجتمع إلا ليسجل انتهاك ألمانيا لمعاهدة الصلح والميثاق وأن مجلس عصبة الأمم لم يجتمع إلا ليسجل مثل هذا الانتهاك وليتخذ مايقضى به ميثاق العصبة من إنصاف الدولة المعتدى عليها وتقرير العقوبات الاقتصادية على الدولة المعتدية ، إذا هى لم تذعن للتسوية الودية ؛ وكانت هذه هى أول وجهة للسياسة الفرنسية ، وكانت فرنسا أشد دول لوكارنو غضباً وتشدداً باعتبارها هدف « الاعتداء » الألمانى ، وكانت ترجو أن تحمل باقى الدول الموقعة معها ، ولا سيما بريطانيا على اتخاذ سياسة الشدة والارغام وحمل ألمانيا على سحب جنودها من الرين قبل التفاهم معها على أية تسوية جديدة ؛ ولكن ظهر منذ المقابلات والمباحثات الأولى أن الاتفاق لم يكن تاما بين دول لوكارنو ، وأن فرنسا تكاد تقف وحيدة فى تشددها لا يؤيدها سوى بلجيكا إلى حد ما . ذلك أن انكلترا لا تنظر إلى تصرف ألمانيا بنفس العين ، وترى أنه قد حان الوقت منذ بعيد لأن تفوز ألمانيا بحقها فى المساواة فى التسليح والضمانات السلمية ، وأنه ليس من العدالة ولا من

٦٠٣٢

الممكن أن ترغم أبد الدهر على قبول هذا الارغام والاجحاف ، وأنه خير للسلام الأوربي أن يسمح لألمانيا بالتعاون مع باقي الدول العظمى على قدم المساواة والتفاهم ؛ هذا ومن جهة أخرى فقد رأت انكلترا الفرصة سانحة لأن تلقي على فرنسا درساً في قيمة التعاون البريطاني ، وأن تؤاخذها بطريقة عملية فعالة على موقفها في المسألة الحبشية وعلى ما أبدته من التلون والمخادعة والمداورة في مؤازرة إيطاليا وتفويت غرض السياسة البريطانية من الضغط على إيطاليا وفرض العقوبات الاقتصادية عليها عن طريق عصبة الأمم ؛ أما إيطاليا فقد رأت أيضاً فرصة سانحة للمساومة والمطالبة بالغاء العقوبات المفروضة عليها إذا أريد أن تقوم بنصيبها من العهود المفروضة في لوكارنو

لهذا كان تصدع جبهة ميثاق لوكارنو ظاهراً ؛ وكانت ألمانيا من جهة أخرى قد وضعت الدول أمام الأمر الواقع بمقترحاتها السلمية التي سجلها هتلر في خطابه ، وخلاصتها أن ألمانيا على أهبة لأن تعقد ميثاقاً بعدم الاعتداء مع فرنسا وبلجيكا لمدة خمس وعشرين سنة لكي تضمن سلامة الحدود بين ألمانيا وبينهما وأن تعنى انجلترا وإيطاليا من ضمان هذا الميثاق ، وأن تعقد ألمانيا بينها وبين الدول الغربية ميثاقاً جوياً بعدم الاعتداء ؛ وأنها أي ألمانيا على أهبة للعودة الى عصبة الأمم بعد أن تقرر حقها كاملاً في المساواة وأعيدت سيادتها كاملة وزال بذلك سبب خروجها من العصبة ؛ وأنها تؤمل أن توضع تسوية معقولة لمسألة المستعمرات ، وأن يفصل عهد عصبة الأمم من معاهدة فرساي ؛ فهذه الاقتراحات الايجابية كانت أيضاً عاملاً آخر في شل سياسة العنف والمقاومة وتمهيد الطريق الى محاولة أوربية جديدة في سبيل التفاهم وعقد المواثيق الجديدة

ولا حاجة بنا لأن نتتبع هنا تلك المباحثات والمفاوضات المشعبة التي تدور في لندن منذ أكثر من أسبوعين ؛ ويكفي أن نقرر أن السياسة الانكليزية فازت بتحقيق الشطر الأول من برنامجها فحالت دون الصدام الخطر الذي كانت تثيره سياسة العنف حتماً ، وحملت فرنسا على التزام جانب الاعتدال والتروي ، واتخذت لنفسها مرة أخرى دور الوساطة والتوفيق ؛ ومهدت السبيل لاشتراك ألمانيا في المفاوضات الدائرة لتصفية الموقف وعقد تسوية جديدة على الأسس التي تقترحها انكلترا بالاتفاق مع دول لوكارنو . وقد تمت المرحلة الأولى من هذه المفاوضات بعقد اتفاق تمهيدي بين دول لوكارنو وهي انكلترا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا خلاصته أن تتعاون هيئات أركان حرب هذه الدول في وضع الخطط اللازمة لرد الاعتداء المدبر ، وأن يرفع الميثاق الفرنسي السوفيتي الى محكمة لاهاي لتقرير ما إذا كان مخالفاً لميثاق لوكارنو أم لا ؛ وفي أثناء ذلك يجب أن تسحب ألمانيا جنودها من منطقة الرين ، إلى مسافة عشرين كيلومتراً داخل حدودها الغربية وتحتل هذه المنطقة قوة رمزية من الجنود الدولية حتى تتم التسوية النهائية ، ولا تزيد ألمانيا جنودها في منطقة الرين عما هي عليه ، ولا ترسل اليها مواد حربية ، ولا تنشئ فيها مطارات أو تحصينات ، وتتولى الاشراف على تنفيذ هذه الشروط لجنة دولية محايدة ؛ وتتعهد فرنسا وبلجيكا من جانبهما بالمحافظة على الحالة الراهنة عند الحدود ، وهذا مع تعهد دول لوكارنو بالمحافظة على تعهداتها تأميناً لسلامة فرنسا ، فاذا وافقت ألمانيا على هذه التسوية التمهيدية فانها تدعى للاشتراك في مفاوضات عامة تجرى على أسس مقترحات هتلر ، وحل مسألة الرين ، وعقد ميثاق جديد بالضمان المتبادل يحل مكان ميثاق لوكارنو . وإذا رفضت ألمانيا هذه التسوية فان دول لوكارنو تعيد النظر في الموقف كله ؛ وإلى كتابة هذه السطور لم تكن ألمانيا قد قالت كلمتها . على أنه يلاحظ أن الاتفاق التمهيدي مع ميله نحو الوفاق ينافي مبدأ المساواة الذي تصر ألمانيا على تطبيقه ، ولهذا يرجح أن ترفضه ألمانيا أو أن تدخل عليه من التعديلات ما يحقق في نظرها مبدأ المساواة الحقة ، وعلى أي حال فانه لا بد من مفاوضات ومراجعات طويلة أخرى قبل أن تحظى مسألة الرين بحل يستقر معه سلام أوربا مدى حين

وليس من ريب في أن ألمانيا قد قطعت بتصرفها الجريء خطوة حاسمة في سبيل استكمال سيادتها وهيبتها كدولة عظمى وفي أنها ستخرج ظافرة من هذا النضال السياسي ، ذلك أن الدول الغربية ، وأوربا كلها ، ترتعد كلما لاح لها شبح الحرب ؛ بيد أن تصرف ألمانيا في مسألة الرين سيغدو أيضاً نذيراً جديداً لفرنسا يحملها على مضاعفة حذرها وأهبتها للمعركة القادمة الكبرى

(***)

خـــــواطر
فى الحياة والموت
للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كلما فكرت فى أمر الموت ازددت حيرة ، وكنت أظن أن إطالة الفكرة فيه رياضة حسنة عليه . وأن ذلك جدير بأن يصغر الدنيا فى عينى ، ويجعلنى بالحياة أقل احتفالا ، فاذا الأمر على خلاف ذلك ، والحال على نقيضه . وما أظن بغيرى إلا أنه مثلى ، وقد أقول لنفسى حين أخلو بها - وقلما أفعل هذا الآن - إن كون المرء يحيا ليموت ليس بالغاية أو النهاية التى يسكن اليها الحى ويطيب بها نفسا ، وما أشبه ما يفعل بنا هذا القدر الجارى علينا بما نصنعه نحن بخراف العيد - نسمنها لنذبحها آخر الأمر ، وفرق ما بيننا وبين الخراف أن هذه تزداد لحما وشحما وأنا نزداد علما وفهما ؛ ولا أدرى من الذى قال إن الحياة مدرسة ، ولـكن الذى أدريه أنها أعجب المدارس وأخفاها - ولا أقول أقلها - حكمة ، ذلك أن التعلم فيها يستمر إلى نهاية العمر ، ولا سبيل إلى اختصار الأمر أو الاجتزاء ببعض العلم عن بعضه ، لانتفاء الارادة الشخصية ، ولأن المدرسة هى الدنيا كلها ، فلا خروج منها إلا بالخروج من عالم الأحياء ، والعالم والجاهل سيان ، واللبيب كالغبى ، والساعى فى وزن القاعد ، والمصير واحد ، والمآل لا يختلف ، وكل من فى هذه المدرسة العجيبة يتلقى علومه الخاصة التى لا تشبه دروس غيره ، ولا ترى أحداً يسأله هل حذق الدرس أم أهمله ونسيه ؟ وكل واحد عالم وجاهل فى آن معاً ، يعرف ما أتيح له أن يعرف ، ويجهل ما عدا ذلك أجمعه . وقل أن ينتفع أحد بما تعلم فى حياته لأنه يدفن معه فى قبره ، ويلف عليه وعلى تجاربه ومعارفه كفن واحد . وكم تساءلت - وأنا أتدبر هذا كله - عن الحكمة فى تضييع ما أفاد الانسان فى حياته من العلم والخبرة ؟ ؟ ذلك أن كل ما حصل فى حياته يموت معه ، ولا سبيل إلى استنقاذ التجاريب والمعارف والانتفاع بها بعد أن يقضى صاحبها نحبه ويستوفى أجله . فهل هذه يا ترى خسارة تصيب الانسانية كلما مات منها فرد ، أم لا خسارة هناك عليها ولا ضير ؟ ؟ من يدرى ؟

وسهل أن يفهم المرء أن يخلق ليحيا ، ولـكن العسير أن نجمله يفهم أنه يخلق للمات . فلماذا يكون هذا هكذا ؟ وإذا صح أن الحياة مدرسة ، أفلا يكون الأصدق والأشبه بالواقع أن نقول إن غايتها تدريب الأحياء على الموت وإعدادهم له ؛ ذلك أن الانسان يموت منه كل يوم شىء ، وشجرته لا تزال تتساقط ورقاتها وزهراتها واحدة فى إثر أخرى ، حتى تصوح وتحطب ، وانظر ما يفعل الزمن بآمالنا ورغائبنا ومساعينا وبأجسامنا ونفوسنا ؟ ؟ والآمال يدركها الحين ، والشباب يذهب ، والصباحة يغيض مؤها ، والنشاط ينضب معينه ، والشعر الأسود يبيض ، والقوة تسترق ، والقناة المعتدلة تتقوس ، والسمع يثقل ، والنظر يضعف ، والشهوات تفتر ، والعجز يدب دبيبه شيئاً فشيئاً . حتى يوافى الأجل فيكون كل هذا تمهيداً له تتدرب به النفوس على السكون إلى الموت . حتى كر الأيام ايذان مستمر بالموت الزاحف ، وليس يسع الانسان حين يتأمل ذلك إلا أن يشعر أن كل يوم يعيشه ، هو يوم يموته ، والواقع أن الانسان فى يومه غير ما كان فى أمسه ، لأن الحياة قائمة على التحول ، أو هى دائرة على الموت إذا شئت ، ولا سبيل فيها الى بقاء شىء أو ركود حال ، وكل ساعة تمضى علينا تمضى بشىء منا ، أو على الأصح بصورة من صور وجودنا ، وحالة من حالات نفوسنا وأجسامنا ، وكون المرء يتغير معناه أنه يذهب ويجىء غيره ، ويموت ثم يخلق خلقاً آخر ، ولكن سرعة التعاقب فى الخلق تجعل الصورة الجديدة مولدة من القديمة الفانية وشبيهة بها شبها يخفى وجوه الاختلاط : والذى يديم النظر فى المرآة لا يفطن إلى التغير الذى حدث ، ولـكن الذى يبعد عهده بالمرايا لا يسعه إلا أن يرى أن صورته قد تغيرت ، وحالت عما كان يعرف

فالموت يعيث فينا نهارا وليلا . وصباحا ومساء ، وكل إحساس أو رأى أو اعتقاد لنا يتغير ، هو ضرب من الموت يدركنا ، والشيخوخة والأمراض وما يصيبنا من خيبة فى آمالنا أو اخفاق فى مساعينا — رياضة لنا على ما نحن صائرون إليه من المآل . وقد أتساءل أحياناً عن معنى حياة مجهولة

للموت ودائرة عليه ومتسربة فيه — فى كل حالة ومظهر ؟؟ ولا جواب هناك أعرفه لسؤالى ، وقد يئست من امكان الاهتداء ، حتى لم أعد أحفل لا الحياة ولا الموت ، أو أبالى كيف أكون فى يومى ، وماذا يكون من أمرى فى غدى . وهل الانسان إلا مقبرة متحركة ؟ ؟ بل أنا أبالى — كما قدمت فى مستهل هذه الكلمة — ولكنى أغالط نفسى ، وأصرفها عن النظر إلى هذا الجانب الأسود ، وألهيها وأسليها بما أستطيع أن أريقه على جوانب العيش من ضوء يردها مشرقة ضاحكة . ومن هنا نشدانى للفكاهة وحرصى على الوقوع عليها . ومتى تساوى الحزن والفرح ، وتعادل الغضب والرضى ، وكان الاهتداء فى وزن الحيرة والضلال ، وصار البكاء والضحك سيين ، فالضحك أولى اذا قدرت عليه ؛ والدنيا مأتم ، فما أحقنا بأن نسر الناس ، أو نسرى عنهم ، أو نذهلهم لحظات عن تنغيص حياة مبطنة بالموت ، وذلك يتطلب الارادة ، ولكن الارادة تكتسب

ابراهيم عبد القادر المازنى

٤ـ التعليم والحالة الاجتماعية

فى مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

أظهرت فى مقالى السابق أن لكل أمة من الأمم ثقافة تقليدية ترثها عن أسلافها ، وأبنت أن هذه الثقافة تصبح بالوراثة قطعة من غريزتها وجزءاً من فطرتها ، لا تنفك عنه أمة من الأمم أو تكون قد انفكت عن أخص مميزاتها وأعظم مظاهرها الاجتماعية . وعقبت على ذلك كله بمجمل العلاقات التى تربط كل أمة بثقافتها التقليدية إظهاراً لوجهة نظرى فى هذه المسألة الحيوية

على أن ما أحطت به فى مقالى السابق قد قصر على بيان العلاقة التى تربط الثقافة التقليدية فى كل أمة بمظاهرها الاجتماعية من حيث أنها مظاهر اقتصادية لا غير . والآن أريد قبل أن أختم هذه البحوث أن أظهر أن لنظريتى فى الثقافة التقليدية أثراً فى تكوين العقلية الفردية وتكييف العقلية الجماعية ، مُنْشَأة فى كل أمة من الأمم بمقتضى الظروف والحالات التى لابستها منذ أقدم عصورها التاريخية

ومن أجل أن نبين عن حقيقة ما نقصد إليه نقصر الكلام على أخص الظواهر التى ثارت من حولها عجاجة النقد وكثر فيها الجدل حتى أصبحت من عقلية الجمهور المتعلم جزءاً لا يتجزأ

ولا ريبة أن فى حياتنا الحاضرة مظاهر ، هى بحكم العصر الذى نعيش فيه والحالات التى تكتنفنا ، أجلى من غيرها وأبين فى تكييف عقليتنا من كل الظواهر الأخرى ، وأقصد بذلك الأدب من ناحية ، والوطنية من ناحية أخرى

وأول ما يبدر إلى ذهن الباحث فى هذا المقام أن يسأل : أمن علاقة بين الثقافة التقليدية والأدب ؟ أهنالك من صلة بين هذه الثقافة والوطنية ؟ أيكون لماضى الأمم أثر فى تكوين أدبها وصبغ وطنيتها بصبغة خاصة ، وهل من رابطة تربط بين تصورات ومشاعر وعواطف درجت عليها القرون ، وبين أبناء جيل يخيل إليهم أنهم نفضوا أيديهم من الماضى وأزلوا عن كواهلهم تراب الأزمان الغابرة ، فأصبحوا خلقاً جديداً ، وأمة مستحدثة من عناصر لا تمت إلى القديم بسبب من الأسباب ؟

وما كان لباحث أن يسأل هذا السؤال ، وما كان لهذا السؤال أن يدور فى مخيلة مفكر ، لو أن لنا بثقافتنا التقليدية صلة أو كان لهذه الثقافة علاقة بأدبنا ، أو صلة بوطنيتنا . وإنما يدور هذا السؤال فى مخيلة كل مفكر بحكم أننا قطعنا صِلتنا بالماضى ، وفرطنا عقد رابطتنا بعصر القديمة ، وبالأحرى حللنا العقدة التى تصل بين حبل حياتنا الحاضرة والخيوط التى تتكون منها شبكة حياتنا الماضية ، ولا شك فى أن الفرد ثمرة الماضى ، قبل أن يكون ابن الحاضر ، وصلته بذلك الماضى صلة وراثة . أما صلته بالحاضر فصلة ضرورة

ولا مرية فى أن هذا السؤال غير طبيعى فى أمة أحكمت صلتها بماضيها ، ووثقت روابطها بثقافة آبائها الأولين . فهو بمثابة أن تسأل مثلاً : أمن علاقة بين دمى الذى يجرى فى عروقى ودم جدى أو جد جدى ؟ وهل من صلة بين تصوراتى ومشاعرى وميولى ، وبين طبيعة الأرض التى تغذينى والهواء الذى ينعشنى والسماء التى تظلنى ؟ ذلك بأن الأمم متى أحكمت صلتها بماضيها

ونشأت دائماً عبير الروح الذى سرى فى كيانها منذ أبعد العصور لن تشعر يوماً بأنها فى محيط غير محيطها الطبيعى ، أو أنها فى بيئة غير بيئتها الفطرية ، فيظهر أثر ذلك كله ممكوساً فى جماع مظاهرها وبخاصة فى آدابها وفى وطنيتها . أما ونحن نشعر الآن بأن أدبنا أدب مصنوع لا أدب فطرى ، وأن وطنيتنا وطنية ظاهرية لا وطنية حقيقية ، فانه من الطبيعى أن نسائل أنفسنا عن سبب ذلك ، ومن الطبيعى أن نجد الجواب فى النظرية التى أدلينا بها من قبل فى العلاقة التى تقوم بين المظاهر الاجتماعية والثقافة التقليدية التى تختص بها كل أمة من الأمم ، وتختص مصر بصورة منها

* * *

قرأت منذ سنوات قصيدة فى مجلة « أبولو » عنوانها « قبرة شيلى » ، وعكفت كمادتى فى كل ما أقرأ من التراجم على مقابلتها بالأصل ، فألفيت أن الشاعر المترجم قد أجاد فى المحافظة على المعانى الأصلية قدر ما تهيء أوزان الشعر وقوافيه ومفردات اللغة العربية لمترجم أن ينقل شعراً من الانجليزية إلى العربية ، ولقد أحسن الشاعر المترجم سبك المعانى فى قالب عربى يلائم روح التجديد مع المحافظة على جرس الأسلوب العربى ، فأكبرت القصيدة وأعدت تلاوتها مرات مبالغة فى الوقوف على ما فيها من أوجه النقد ووزنها على مقتضى المعايير التى أومن بها فى تقييم الشعر ، ولم ألبث أن أحللتها بين ما أعتقد أنه من جيد الشعر الحديث ، غير أنى بعد كل هذا كنت أشعر بأن فى القصيدة ماهية أخرى تبعدها عن طبعى ، وتقصيها عن تصوراتى وتجاربى ، وتلقى فى روعى أنى غريب عن الجو الذى تخلقه من حولى . فلا الجو الذى وضعه « شيلى » وغشاه بالسحاب القاتم الشديد السواد هو الجو الذى أعرفه ، ولا الغناء القوى الحنون الذى ترسله قبرته هو نفس الغناء الذى أعهده فى قبراتنا ، ولا لونها الأصفر الزرنيخى الذى يجملها تظهر تحت السحب السوداء كأنها شرارة من لهب ، هو لون القبرة المغبرة السفعاء التى آنسها فى حقولى . كذلك رأيت فى ذكر السيول والأمطار الغامرة التى ترسلها سماء انجلترا شيئاً جديداً لا علاقة له بمحيطى ولا صلة له ببيئتى ، وعلى الجملة شعرت بأنى أقرأ خيالاً انجليزياً فى شعر عربى . خيال يجذبنى من ناحيته إلى ثقافة غير ثقافتى التقليدية بل يقصينى عن تجاربى ومشاهداتى ، وأن كل ما تهيىء لى القصيدة من قدرة على التصور هو ما تحمل ألفاظها العربية من معان أتخيلها تخيلاً وأصورها تصوير الحدس والوهم ، وأن آلة الاداء ، وهى اللغة العربية هى الناحية الوحيدة التى تقربنى بعض التقريب من الجو الشعرى الذى تكيف به القصيدة مشاعرى ، ولا شك فى أن الشعر شىء ، وآلة أدائه شىء آخر ، وإنما يكون الشعر متصلاً بطبع الانسان متى استمد عناصره من ثقافة تقليدية لا يعنت التصور إدراكها ، ولا يتعب الخيال تصورها ، فيشتمل على نواحى النفس ويخاطب الروح بديئة قبل أن يخاطب العقل

عقبت على هذا بقراءة قصة مترجمة عن كاتب روسى مشهور ، فآنست فيها شططاً فى الوصف ومغالاة فى التقدير ، وتحليلات نفسية معقدة غاية التعقيد ، بعيدة كل البعد عن بساطة الروح المصرى الذى آنسه فى الفلاح الساذج الذى نشأت محوطاً بثقافته التقليدية ، ولا أريد أن أبحث شخصيات هذه الرواية لأحكم أنه كان فى الدنيا شخصيات حقيقية تقابل الشخصيات التى وضعها الكاتب وحلل نفسياتها ، وإنما أريد أن أقول إن محايل ذلك الكاتب مهما كان فيه من حق وبعد عن المغالاة ، وسواء أكانت الصفات التى أضفاها على شخصياته تلك صفات يمكن لنفس بشرية أن تنطوى عليها ، أم إنها شخصيات خيالية لا تقوم لها حقائق فى الخارج ، فجل ما أرمى اليه أن أقول إنها شخصيات لا تربطنى بها رابطة ولا تصلنى بها صلة ، وأن محيطى الذى أعيش فيه ينكر وجودها وينفى حقيقتها ، بالرغم من أن شخصاً آخر فى محيط آخر قد يرى أنها شخصيات طبيعية ، بل قد يجسمها خياله على مقتضى تجاربه التى يشهدها فى حياته

ولا أقصد بذلك أن مثل هذا الأدب غير مفيد فى توسيع مجال الخيال ، وتنويع الصور المتخيلة وتوطيد قواعد الأدب المصرى من حيث صلته بالآداب الأخرى . وإنما أقول إنه مهما كان فيه من المميزات فهو أدب دخيل لا أدب أصيل . أدب لا علاقة له بثقافتنا التقليدية ، فهو من طبع غير طبعنا وفطرة خلاف فطرتنا . إنما هو أدب تصورى لا أدب حقيقى ، مقيسة معاييره بمقياس حياتنا الخاصة ومحيطنا الخاص . أدب لا تهضم منه فطرتنا إلا القليل النادر . هذا على اعتبار أن العلم بالأدب شىء وهضمه وتمثيله فى الروح شىء آخر ، ولن يكون للأدب من أثر

فى الحياة إلا بأن تمثله الروح فيصبح جزءاً منها ، فتسترشد بِمُثُلِه ، وتتعظ بِمَثُلاته ، وتدرك منه الحقائق إدراك استيعاب لا إدراك علم بها دون الايمان بما فيها من حق وواقع

وما أريد أن أستطرد فى ضرب الأمثال فان فيما أوردت منها غنى عن ذكر غيرها . ذلك بأن كثيراً مما نقرأ فى الصحف والمجلات وكثير من المؤلفات يجرى هذا المجرى ويسيل هذا السيل ، حتى لقد أصبح أدبنا الحديث لكثرة ما فيه من الرقع والرتوق ، ولكثرة ما فيه من صور الأمم الأوربية كأنه « عصبة أمم » أخرى ، ولكن فى صحف سطرت بكلمات عربية

فى وسط هذه الصور العجيبة المتنافرة ، وفى غمرة تلك الفوضى السائدة فى الأدب على مختلف ألوانه ، وعلى متضارب وجوهه ، ومتباين ضروبه ، أنقع على الأدب المصرى الصحيح الذى يمثل الروح المصرية ؟ بكلمة واحدة أقول « لا » ؛ وبودى لو يتسنى لى أن أكتب كلمة « لا » فى صحيفة وحدها وبأكبر قطع تعرفه المطابع العربية

يشعر كل المشتغلين بالأدب ، أدباء كانوا أو طلاب أدب ، نقاداً كانوا أو قارئين ، بأن بين الأدب الذى يعكفون على درسه أو قراءته وبين نفوسهم بوناً شاسعاً ، وأن بينه وبين أرواحهم المثلة فى أخيلتهم ومشاعرهم وعواطفهم وأمزجتهم صدعاً متنائيا . وقد يأخذهم القلق حيناً ، وقد تتملكهم الريبة أحياناً فى أحقية ذلك الأدب بالبقاء فى بيئة لا تعرفه ولا يعرفها ، ولكن قلقهم لا يلبث أن يهدأ ، وريبتهم لا تنى إلا قليلا حتى تزول ، إذ يرون أن ذلك الأدب أدب الساعة لا أدب العمر ، مستدلين على ذلك بأن الآثار الأدبية التى ظهرت فى العشرين عاماً الماضية لم يفلح جماعها فى تكوين مذهب واحد ثابت الدعائم قوى الأركان محدود الغايات بيِّن المثل ، فماش ولم يمت . أما السبب فى أن كل انتاجنا الأدبى إنما هو للفناء فراجع إلى أنه أدب مسروق أوعلى الأقل أدب مسلوب من آداب الأمم الأخرى وليس فيه من أثر المصرية إلا أنه مكتوب بلغة عربية ، ولكن بأساليب أصبحت بدورها أضعف من أن تحسن أداء رسالة الأدب

ولقد سمعت بعض المشتغلين بالأدب يقولون إن نقل الآداب الأوربية إنما هو بمثابة دم جديد يغذى أدبنا بالحياة ، ويمده بأسباب البقاء . غير أن هذا الرأى على ما فى ظاهره من حق ، فانه أشبه بحق يراد به باطل . ووجه الباطل فيه أنهم يفرضون أن لنا أدباً يغذيه الأدب الأوربى ، وذلك ما لم يقم عليه أقل دليل حتى الآن . فأين الشعر المصرى الحقيق بأن يدعى شعراً مصرياً ؟ وأين القصة المصرية التى تصور حياة مصر تصويراً صحيحاً مقتطعاً من الطبع المصرى ومن الثقافة المصرية الصحيحة ؟ بل أين الأديب الذى عكف على درس العقلية المصرية وقصر جهده على تفهم الروح التى تنطوى عليها ضلوع ذلك الفلاح الساذج الذى هو لغز الألغاز وسر الأسرار ؟ أين الأديب الذى أحاط بتاريخ مصر منذ أبعد عصورها وكون من ذلك التاريخ صوراً تظهر معكوسة فى أدبه شعراً أو نثرا ، وأين الأدب الذى يصور ما نزل بنا من نوائب الدهر وبلايا الأيام ، وما حاق بنا من مظالم يصرخ بها تاريخنا ، بل أين الأدب الذى يرينا كيف ابتلع الفلاح الساذج الهادئ الطبع اللين الجانب بما فيه من قوة المقاومة السلبية ، الفرس والروم والرومان والعرب والمماليك والأتراك ، ولا يزال مستعدا لابتلاع خمسين قيصرية من أمثال هذه القيصريات العظام وهو قابع فى عقر حقله الصغير وفى كسر بيته الطينى ، تاركا دورات الحظ تدور بالسعد حيناً وبالنحس حينا آخر ، وما يهمه فى الحياة من شىء إلا أن يضحك ساخراً من الأمم والأقدار

على أن الاطناب فى مثل هذه الأشياء تحصيل حاصل ، والاستطراد فى ذكر الشواهد عبث ، لأننا نشعر شعوراً كاملا بأن الأدب المصرى اسم على غير مسمى ، وإن شئت فقل إنه فرض لا حقيقة له . وإنما أقصد بالأدب المصرى الأدب المقتطع من حياتنا ومن أنفسنا ومن أخيلتنا . الأدب الذى إذا قرأته تبينت فيه مصر وأرض ومصر وسماء مصر وتاريخ مصر ، وعلى الجملة كل ما توحى به مصر من الموحيات الدفينة فى نفوسنا ، الرسيسة فى طبعنا ، الحائرة فى أرواحنا

أما السبب فى كل هذا فهو أننا بعدنا عن ثقافتنا التقليدية ، بل إننا قطعنا صلتنا بالماضى وهمنا فى فلوات لا نعرف فيها طريقاً يسلك ، لا الى الأمام لنصير أوربيين صرناً ، ولا إلى الوراء لنعود إلى مصريتنا مرة أخرى . وإذن فنحن فى التيه ، ولكنه التيه الذى سوف لا نخرج من ظلماته مادمنا غير قادرين على تقييم حقائق وجودنا تقيما صحيحاً ، وما دمنا عاجزين عن أن ندرك تلك الحقيقة الأولية ، حقيقة أن ثقافتنا التقليدية هى الملجأ

الأخير الذى يوقظ فينا « الروح المصرية » التى من طريقها نكوّن الأدب المصرى . الأدب المصرى الذى ينبغى أن يكون من حياتنا الأدبية بمثابة الجهاز الهضمى فى الحيوان ، فيه تهضم الآداب الأخرى ، ثم تتمثل أدباً جديداً ملائماً لآدابنا ومشاعرنا وأخيلتنا ، وفى الوقت ذاته تطرد النفايات . تلك النفايات التى تسمم أدبنا الآن وتفسده ، لأن أدبنا الجديد أضعف من أن يفرزها الى خارج جسمه المتهدم الضئيل

* * *

هذا من حيث الأدب . أما الوطنية المصرية ووصفها بأنها وطنية ظاهرية ، فلا يرجع الى حب الاغراب ، ولا الى حب النقد بغير دليل يقام أوحجة مقبولة . لهذا نقسم الوطنية قسمين : قسما يمثله الشباب المتعلم وعلى رأسه الأحزاب ، وقسما يمثله الفلاح الساذج

على أنه ينبغى لنا قبل الاستطراد فى شرح مزايا القسمين أن نتعرف كيف نشأت الوطنية ، ومن أى نبع تستمد تصوراتها .

وما من شك فى أن الوطنية المصرية إنما استمدت أولى خطواتها من آداب الثورة الفرنسية الكبرى التى قلبت نظام الحياة فى أوربا فى أواخر القرن الثامن عشر . والدليل القاطع على هذا أنه منذ عصر عرابى الى اليوم ترى أثر القسمين واضحاً جلياً فى كل ما أدت الوطنية المصرية من الخدم الجسام لمستقبل مصر الحديثة . فالقسم الأول يأتم بالنظريات التى ذاعت فى فرنسا فى عصر ثورتها ، وظل مؤتماً بها حتى بدء الحرب العظمى ، والقسم الثانى ظل مستمسكا بتصوراته القديمة التى عكف عليها طوال العصور التى ظلت فيها مصر ميداناً لتطاحن الأمم والقيصريات

أما الفئة الأولى ، وهى الفئة التى عكفت على النظريات الأوربية تستمد منها تصورات الوطنية ، فكانت فى كل الأدوار التاريخية منذ ستة عقود من الأزمان ذات الأثر الواضح فى تكييف الظروف التى لابست كياننا السياسى . فهى التى بثت الروح الجديدة ، وساقتها فى طريق أجبر مقاوميها على أن يعدلوا من موقفهم إزاءها تدريجيا على مقتضى قوتها أو ضعفها حتى أصبحنا اليوم وفى حياتنا السياسية عنصر جديد لم تعرفه مصر منذ عشرين قرناً من الأزمان . غير أنه مهما قيل فى هذه الوطنية فان مظاهرها قاصرة على تصورات فئة قليلة العدد مقيسة بتبعية الذين يؤمنون بالوطنية مسبوكة فى القالب الذى صوره الفلاح المصرى ليكون حداً لوطنيته . وأن كلامنا إنما ينصب على وطنية هذا الفلاح دون غيرها

قد تعجب ويشتد بك العجب إذا أنا قررت هنا أن الفلاح المصرى شديد الوطنية مغال فيها ، بل متطرف فى وطنيته أشد تطرف ، ولكنك بجانب هذا تسأل أين الآثار التى تتجلى فيها هذه الوطنية ، فأجيبك بأنها تظهر كل يوم على صفحات جرائدنا الاخبارية ، وتشغل بها الحكومة فى أكثر أيام السنة ، ألا تقرأ كل يوم أن فلاحاً حز رقبة أخيه لأنه اعتدى على حقله فهد جزءا من حدوده ؟ ألا تسمع أن أسرة شهرت السلاح فى وجه أخرى لأن أحد أفرادها أراد أن يأخذ نصيب آخر من الماء ، وأن الموقعة انجلت عن قتيل وجرحى وأسرى هم رهن التحقيق ؟ إذن فاعرف أن هذه هى الآثار التى تترتب على وطنية الفلاح المصرى . أما الوطنية نفسها فتنطوى على حب الحقل والدفاع عنه بالمال وبالولد وبالروح ، ، ذلك بأن الفلاح الذى فقد حقوقه المدنية والسياسية طوال عصور قلما تعيها الذكريات ، ونزل به من الفادحات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، لم يصبح عنده فى الدنيا من شىء ذى قيمة إلاّ ذلك الحقل بحدوده الأربعة ، وإلاّ ذلك النزر من الماء الذى يجود عليه بالرزق الحلال

أما السبب فى أن تنضمر الوطنية المصرية حتى تصبح فى نظر الفلاح الذى هو أهم عناصر مصر الحيوية ، محوية فى داخل هذه الحدود الضيقة ، فراجع إلى أسباب تاريخية . فانه منذ غزو الاسكندر المقدونى ، ومن قبله بعشر سنين ، أى منذ أن طرد الفرس آخر ملوك الفراعنة واسمه « نقطانيبو » لم يسد المصريون فى بلادهم يوماً واحداً ، وظل المصريون بين الحقول يزرعونها ليعولوا أنفسهم ويعولوا أسيادهم الذين يتسلطون عليهم من أية أمة كانوا وبأى دين دانوا ، فلقد استطاع المصريون قبل الغزو الفارسى الأخير أن يستردوا حريتهم المرة بعد المرة ، عقيب كل غزو دهمتهم به أمة أجنبية كالهكسوس وغيرهم ، وأن يقيموا على عرش بلادهم أسراً من الفراعنة تحيي تقاليد الحكم والثقافة واللغة ، تلك التقاليد التى نشأت وربت فى مدى عصور لا تعيها الذكريات . ولكن تلك الغزوة كانت آخر عهد ملوك الفراعنة الذين تجرى فى عروقهم الدماء الوطنية بالحكم على ضفاف النيل وإلى آخر الدهور . فمنذ فتح الاسكندر خضعت مصر ألف سنة لحكام هلّينيي الحضارة من مقدونيين ورومان ، وفى نهايتها صارت مصر جزءاً من جسم الاسلام ، فبدلت تبديلاً ، وأصبحت

لها لغة أخرى ، ونظام اجتماعي لا عهد لها به ، ودين جديد ، ونبذ الآلهة الذين عبدوا في مصر على أنهم آلهتها الخواص الآلاف من السنين نبذاً أبدياً ، ثم دفنوا في ثراها

ومنذ ذلك التاريخ لم يفز مصرى أصيل بالحكم على شطآن النيل ، بل لقد مرت عصور طويلة كعصر البطالسة مثلا ، لم يكن في الحكومة كلها من مصرى شغل مركزاً أكبر من مركز صرّاف يجبي الأموال . بل رأى المصريون معابدهم المقدسة تستباح فيتخذها المقدونيون موضعاً للهوهم وعبثهم وسكرهم وعربدتهم ورأوا الفرس يذبحون عجلهم المقدس من قبل ذلك

ولقد كان لهذه الملابسات التاريخية آثار كيّفَتْ الوطنية المصرية فحدتها بحدود الحقل المقدس ، وإنما صار الحقل مقدساً في عين المصرى لأنه كان الملجأ الوحيد الذى لجأ اليه فحماه من الانقراض التام . ولولا ذلك الحقل إذن لأصبحت مصر اليوم إما رومية وإما لاتينية . ولكن الحقل قام سداً بين الغزاة وبين المصريين أين منه سد يأجوج ومأجوج . ذلك بأن ثرى مصر لا يزرعه إلا المصرى ولن يقوى عليه غير المصرى . لهذا عبده المصريون بعد « أبيس » ، وقدسوه في الأعصر الحديثة تقديسا ليس فوقه عندهم من شيء إلا خشية الله . ففي الحقل رزقه وقوته وفي طرف منه قطعة سويت لا تزيد مساحتها عن بضعة أقدام مربعة فرشت بنبات الحلفاء هي مُصَلّاه . فالحقل للفلاح عالم صغير مقدس يذود عنه بالروح ويبذل في سبيله الدم ، لأنه ملجؤه الأخير وملاذه ومبتغاه

فلا عجب إذن في أن تنحصر الوطنية المصرية ، وإنما نعني به وطنية السواد من أهل مصر ، في حدود ذلك الحقل ولا تتعداه . وكيف تتعداه وقد آنست فيه الحياة آلاف السنين واستقرت في تربته الأجيال ثم الأجيال ؟

وكما أننا عجزنا عن أن نكون أدباً مصرياً صحيحاً قوى الروح والأخيلة ، بأن بعدنا عن ثقافتنا التقليدية ، فكذلك عجزنا عن أن نخرج ، لهذا السبب عينه ، وطنيتنا من حدود الحقل إلى حدود مصر ، وليس هذا وحده السبب في أن وطنيتنا ظاهرية ، بل إن هنالك سبباً آخر يتجلى في أن الفريق الأول من وطنيينا ، وهم الذين يستمدون تصوراتهم الوطنية منقولة من أوربا ، لم يتغلغلوا في صميم مصر ليفهموا حقيقة السبب في ضعف الوطنية المصرية ، وإنما يجب علينا أن نعكف على ثقافة تقليدية ننتزعها من صميم مصر لتكون عوننا في بناء صرح المجد كاملا اقتصاداً وأدباً ووطنية

أما فشلنا في هذا حتى الآن فالى أى شيء نعزوه ؟ إلى السياسة التي جرى عليها التعليم في بلادنا بغير جدال . وسننظر في البحث التالي ، جهد مستطاعنا ، كيف ننجو بثقافة تقليدية مستحدثة تنقذنا من البوار المحتوم

اسماعيل مظهر

(الرسالة) تخالف الأستاذ الكاتب في بعض ما جاء في مقاله وخاصة في وطنية الفلاح واقتصارها على الحقل ، وقد نشرناه عملا بحرية الرأى

فى تاريخ الفقه الاسلامى

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت

الأستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والأستاذ بالجامعة المصرية

— ٢ —

قدمنا فى محاضرتنا الأولى بضع ملاحظات على الطريقتين الشرقية والغربية لدرس تاريخ الفقه الاسلامى ، وأبدينا الكلام عن بعض مسائل متعلقة بعصرين هامين من تاريخ الشريعة : العصر التمهيدى وهو ما قبل الاسلام ، والعصر الأساسى وهو زمن فقهاء المدينة السبعة . وتتناول محاضرتنا هذه دوراً ثالثاً : الدور الذى تكونت فيه المذاهب . فأول من أسس مدرسة فى تاريخ الشرع الأسلامى هو — كما نعلم الآن — محمد بن إدريس الشافعى . وكونه المؤسس لعلم حقيق فى الفقه أمر يظهر بجلاء من كتابه الموسوم بالرسالة فى أصول الفقه الذى بحث فيه عن طريقة هذا العلم ، كما يبدو من النظام الباهر الذى وضع عليه الشريعة فى كتابه الكبير المسمى « بالأم » وفضله هو أنه بعث اليقظة فى الفكرة الفقهية الاسلامية ، وأنه لا يبرهن عند الحاجة إلى الدلائل وابتغاء الوصول إلى نتائج عملية فقط ، بل يبرهن دائماً ومبدئياً ، وأنه يبحث أيضاً عن شروط الاحتجاج التشريعى وطرقه بوجه عام . وكتابه العظيم يتيح لنا إدراك طبيعة فكرته الفقهية وعناصرها إدراكا تاماً ويمكننا من مقابلتها بآرائه فى طريقة علم الفقه المعروضة فى كتاب الرسالة ، وخاصتها البارزة هى الدقة والجلاء اللذان يحملانه على مخالفة كثير مما كان مسلماً به قبله دون أن يضيق بهذا أفق تفكيره ، ودون أن يحصر نفسه فى دائرة مخصوصة ، فان اجتهاد الشافعى ليتجه على الأخص إلى تنظيم الفقه ؛ وتراه يعمل بلا انقطاع على إيجاد تماسك بين الأحكام المنفردة وعلى التحاشى عن أى تناقض بين نتائجها الأخيرة ؛ ومهما يكن من أمر السابقين واللاحقين فى هذا الشأن فان الشافعى كان له أعمق الأثر فى تنشئة طريقة القياس التى ظلت من مميزات علم الفقه ؛ ونقصان التعريفات والتحديدات القانونية الفنية فى الشرع الاسلامى يتصل مباشرة بالدور الحاسم الذى يقوم به القياس . من الطبيعى جدا أن ذلك النجاح العظيم الذى لم يسبق له مثيل ، والذى افتتح فى تاريخ الشرع الاسلامى عصراً جديداً قد أحدث ضجة واسعة ، وأفضى إلى تأسيس المذهب الشافعى . ولكن كل هذا لا ينطبق على المذاهب التى سبقته : وعلى الأخص المذهبين الحنفى والمالكى ؛ والأرجح أنها نزعات عامة كانت قد بدت فى نواح مختلفة ، وما بينها من الخلاف يرجع قبل كل شىء إلى أسباب جغرافية ومدنية عامة : إما بتنوع القوانين العرفية المندمجة فى الفقه ؛ وإما باتحاد العمل والعلم فى نواح متماسكة ؛ أما اختلاف الأساليب والطرق الفقهية فليس له إلا المقام الثانى ، كذلك مذهب الحجاز لم يكن تقليدياً من حيث المبدأ بل من حيث أنه يمثل السنة الدنية ؛ ومذهب العراق لم يكن أوسع حرية من ذلك بل كل ما هنالك أنه متفق وتطور حياة العراق المادية والفكرية التى تعرضت لكثير من التأثيرات الخارجية ، وامتزجت بكثير من العناصر الأجنبية . كان هذان المذهبان فى مرحلتهما القديمة يحتاجان إلى تنظيم محكم ، فهما لم يرتبا صفوف أتباعهما إلا بتأثير المذهب الشافعى وعلى غراره ، فاختار كل واحد منهما شخصاً ممتازاً ينتسب اليه ، جديراً بتمثيله ، والأدلة كثيرة على هذه الطريقة من النظر فى نشأة المذاهب الفقهية : فلقد ظلت التسميتان الأصليتان من « أهل العراق » و « أهل الحجاز » تطلقان على أصحاب هذين المذهبين حتى بعد عصر مؤسسيهما المزعومين أبى حنيفة ومالك ، فى حين أن أصحاب الشافعى كانوا ينعتون بهذا الاسم منذ أول الأمر ؛ وأنه لا يزال موضع شك فى عدد كبير من الفقهاء أن يعتبروا أعضاء المذهب المالكى ، وخصوصاً المذهب الحنفى أو يعتبروا فقهاء مستقلين ، على حين أن مسئلة كهذه لا تلحق الشافعية . أما مالك فان الشهرة الشخصية العظيمة التى ظل يستمتع بها طول حياته لا بد أن تكون قد ساعدت على اختياره رئيساً ناسباً لمذهب الحجاز ؛ بيد أن هذه الشهرة قد عزتها اليه المصادر المتناهية فى القدم لنقده الدقيق للأحاديث ولرجالها لا لاجتهاده التشريعى

البحث . وكون الشافعى قد ميزه بين أهل المدينة بأن ألف كتابا صغيراً فيما خالف فيه مالكا من المسائل ليس بعجيب لأن الشافعى أخذ العلم منه . ونفس النجاح المظيم الذى لقيه الكتاب الموطأ لمالك وحده بين عدد من الكتب المماثلة له يمكن أن يملى أبسط تعليل إذا لم نعده كتاباً مبتكراً ذا آراء شخصية بل عددناه كتابا يعبر عن اجماع المدنيين فى عصر المؤلف ملتزماً الطريقة الوسطى مجتنباً التطرف فى المسائل المختلف فيها . ولدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن مالكا قد توخى هذا الغرض وهو شاعر بذلك كل الشعور . أما فى المذهب العراقى فواضح أن أبا حنيفة يشغل من حيث تطوّر آرائه مكاناً أقل شأناً بكثير من مكانة أصحابه أبى يوسف وزفر ومحمد بن الحسن الشيبانى . وإنما يرد ذكرهم كثيراً على هذا الترتيب فى الكتب الأقدم عهداً ؛ وانمحاء ذكر زفر وثبوت ثالوث أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد ، وكذلك وضع قواعد للايثار عند الاختيار بين آرائهم المختلفة ـ كل هذا يرجع تاريخه الى عهد متأخر نسبياً . وليس لأبى حنيفة فيما عدا الفقه الأكبر ـ وهو عقيدة وجيزة ذات روايات مختلفة بعضها موضوعة ولكن واحدة منها صحيحة ـ ليس له فيما عدا ذلك كتاب صحيح من تأليفه ؛ لأن مسانيد أبى حنيفة قد جمعت فيما بعد من أحاديث وردت فى كتب أصحابه ؛ والأقوال الواردة عنه فى مؤلفات تلاميذه لا يتجاوز غالبها المراجعات العامة ، يسندون بها اليه آراءهم الشخصية ، وهذا يحمل على افتراض أنه لا يرجع الى اجتهاد أبى حنيفة الشخصى من تفاصيل المذهب الحنفى إلا شىء قليل

وعلى الرغم من ذلك فان المصادفة السعيدة قد مكنتنا من أن ندرك على الأقل ناحية من شخصيته التشريعية . فقد حكى محمد ابن الحسن الشيبانى فى كتابه المسمى بالمخارج فى الحيل ما يأتى : « سئل أبو حنيفة عن أخوين تزوجا أختين فزفت كل واحدة منهما الى زوج أختها ولم يعلموا حتى أصبحوا فذكر ذلك لأبى حنيفة وطلبوا الحيلة فيه فقال أبو حنيفة (ليطلق كل واحد من الأخوين امرأته تطليقة ثم يتزوج كل واحد منهما المرأة التى دخل بها مكانها فيكون ذلك جائزاً لأنها منه فى عدة ولا عدة عليها من الزوج الأول) . قال محمد وقد جاء فى هذا حديث عيبناه » . ولا يسع أحداً أن يزعم أن هذه الحكاية ليست إلا افتراء موضوعا أريد به تعظيم حكمة أبى حنيفة ، لأن عين ذلك الجواب موجود أيضا فى كتاب الآثار لنفس المؤلف مروياً عن أبى حنيفة عن حماد عن ابراهيم النخعى . وأما الحديث الآخر الذى عابه الشيبانى نفسه فقد احتفظ به شمس الأئمة السرخسى فى كتاب المبسوط قال فيه « ذكر لهذه المسألة حكاية أنها وقعت لبعض الأشراف بالكوفة ، وكان قد جمع الفقهاء رحمهم الله لوليمته وفيهم أبو حنيفة رحمه الله وكان فى عداد الشبان يومئذ ، فكانوا جالسين على المائدة إذ سمعوا ولولة النساء ، فقيل ماذا أصابهن ، فذكروا أنهم غلطوا فأدخلوا امرأة كل واحد منهما على صاحبه ودخل كل واحد منهما بالتى أدخلت عليه ، فقالوا إن العلماء على مائدتكم فسلوهم عن ذلك فسألوا ، فقال سفيان الثورى رحمه الله : فيها قضى علىّ رضى الله عنه : على كل واحد من الزوجين المهر وعلى كل واحدة منهما العدّة فاذا انقضت عدّتها دخل بها زوجها ، وأبو حنيفة رحمه الله ينكت بأصبعه على طرف المائدة كالمفكر فى شىء ، فقال من الى جنبه أبرز ما عندك ، هل عندك شىء آخر ، فغضب سفيان الثورى رحمه الله ، فقال ماذا يكون عنده بعد قضاء علىّ رضى الله عنه ، يعنى فى الوطء بالشبهة . فقال أبو حنيفة رحمه الله : علىّ بالزوجين ، فأتى بهما فسأل كل واحد منهما : هل تعجبك المرأة التى دخلت بها ؟ قال نعم ، ثم قال لكل واحد منهما طلّق امرأتك تطليقة فطلّقها ، ثم زوّج من كل واحد منهما المرأة التى دخل بها ، وقال قوما إلى أهلكما على بركة الله تعالى . فقال سفيان رحمه الله : ما هذا الذى صنعت . فقال : أحسن الوجوه وأقربها إلى الألفة وأبعدها عن العداوة ، أرأيت لو صبر كل واحد منهما حتى تنقضى العدّة أما كان يبقى فى قلب كل واحد منهما شىء بدخول أخيه بزوجته ... فعجبوا من فطنة أبى حنيفة رحمه الله وحسن تأمله » . والفرق بين المسألة الفقهية فى الأولى والقصة الروائية فى الثانية واضح . ومن المهم أن نعرف أن مثل هذه الحكايات الرامية الى تعظيم أبى حنيفة قد استطاع معاصرو الشيبانى من إذاعتها حتى يعيبها هو . وليست هذه الحكاية بالوحيدة من نوعها ، بل توجد أخرى تشبهها كل الشبه . فالشيبانى يروى فى كتابه المذكور ما يلى :

« حدثنى حفص بن عمر أن رجلا أتى أبا حنيفة ليلا فقال

إنى كنت مع امرأتى ... إذ تغضبت على ... فأبت أن تكلمنى فقلت لها أنت طالق لئن لم تكلمينى الليلة ... فأبت أن تكلمنى ... وأخاف أن يطلع الفجر ولم تكلمنى فتذهب منى . فقال أبو حنيفة ما أجد لك من حيلة إلا فى خصلة واحدة . . . اذهب فقل لها تذ كرين أنك عربية وأنى إنما خرجت الساعة فسألت عن أبويك فاذا أمك نبطية . فأتاها فقال : يا عدوة الله الخ . فقالت : كذبت والله . » وها هو ذا السرخسى أيضاً يورد لهذه الحكاية صورة روائية محضة : « أنه قال للرجل ارجع إلى بيتك حتى آتى بيتك فأتشفع لك فرجع الرجل إلى بيته وجاء أبو حنيفة رحمه الله فى أثره وصعد مئذنة محلته وأذن فظنت المرأة أن الفجر قد طلع . فقالت : الحمد لله الذى نجانى منك . فجاء أبو حنيفة رحمه الله إلى الباب وقال قدبرت يمينك وأنا الذى أذنت أذان بلال رضى الله عنه فى نصف الليل » . ولا يسعنا أن نشك فى أن الصيغة الأولى لهذه القصة تاريخية والأخرى خيالية . والمغزى أن أبا حنيفة كان فقيهاً عملياً كثير الحيل حتى أن الجيل الذى تلاه بالغ فى وصفه بتلك الصفة التى لا بد أن تكون بدت له من خصائص أبى حنيفة الشخصية بالحكايات الموضوعة : ومن الغريب أن نلاحظ أنه فى زمن متأخر صار أبو يوسف هو الذى اشتهر عند القصاص بأنه مثال الفقيه المبتكر للحيل العملية

والشيبانى أحرى من أصحابه بأن يشغل بين الحنفية مكاناً يشبه المكان الذى يشغله مالك بين المالكيـة . ومن سوء الحظ أنه ليس بين أيدى الجمهور إلى الآن من كافة كتب الشيبانى إلا موجزان وهما كتاب الجامع الصغير المطبوع فى بولاق و كتاب المخارج فى الحيل السالف الذكر الذى نشرناه نحن (وطبعات مؤلفين من مؤلفاته الأخرى طبعت فى الهند نادرة جداً فهى كأنها غير موجودة) وليس كتاب المخارج فى الحيل إلا فى موضوع محدود ، وبناء الجامع الصغير على مسائل منفردة — وهو ترتيب تطرف فيه الشيبانى فى هذا الكتاب تسهيلا للحفظ — لا يسمح لنا باستخراج المبادئ التى تقوم عليها الأحكام إلا من طريق الاستنتاج غير المأمون . ومؤلفات الشيبانى الرئيسية موجودة مع ذلك فى مخطوطات قديمة صحيحة موجود منها قسم عظيم جداً فى مكاتب استانبول . أتيح لى أنا شخصياً أن أنشر فى مؤلف ذى ثلاثة أجزاء فهرستاً لتلك المخطوطات ولغيرها تهم مؤرخى الفقه ، وتسمح هذه الفهارس لمن أراد ، أن يطلع عليها بسهولة ويتولى طبعها . والحاجة قبل كل شىء إلى تعريف كتاب الأصل الذى هو أوسع مؤلفات الشيبانى وكتاب الجامع الكبير . ومع كل منهما يوجد عدد كبير من شروح وتلخيصات وحواش الخ تسهل دراستهما . ويكاد لا يقل عن هذين الكتابين أهمية كتاب الزيادات وقد شرح أيضاً مراراً كثيرة ، وكتاب زيادة الزيادات ، يدل عنوانهما على غرضهما أى اتمام ما فى المؤلفين الكبيرين ، ثم كتاب الآثار ، ثم كتاب الحجج . وهذا الكتاب ، ومعه مسانيد أبى حنيفة التى لا يزال أقدم رواياتها غير مطبوعة أيضاً ، يعلمنا الأساس السنى لا للمذهب الحنفى فحسب ، بل للمذهب العراقى فى العصر السابق له أيضاً . وكتاب الحجج هو أول مثال لما ألف فى اختلاف المذاهب ، وصاحبه يعنى بوجه خاص بأنواع الخلافيات بين أهل الكوفة وأهل المدينة ، فانه يسمى الحنفية والمالكية على هذا النحو . ولكى نقدر أصول المذهب الحنفى حق القدر ينبغى أن نطلع على نصوص هذه الكتب بعينها . ذلك أن مذاهب الفقه المختلفة لا تميزها مبادئ أحكامها فحسب بل تميزها أيضاً قائمة المسائل التى تدرس فى كل واحد منها ، مع طبيعة هذه المسائل . ففى باب الغصب مثلا يتناول مالك بالبحث قبل كل شىء الحالات التى يكون فيها الشىء المغصوب مثلياً ، فيحمله هذا على الميل إلى مصلحة الغاصب حتى لا يكون عليه إلا أن يعوض من الشىء المغصوب كمية مماثلة . أما الشافعى فعلى النقيض من ذلك يعنى بالحالات التى يدخل فيها الغاصب تعديلا على الشىء المغصوب ، فيميل بذلك إلى تحميله التبعة عن كل ضرر قد ينشأ عن ذلك التعديل بحيث يصبح موقعه عند الشافعى أسوأ بكثير مما هو عند مالك . أما مبادئ مذهب الشيبانى فنحن عاجزون عن الحكم عليها إلى الآن لانتفاء النصوص . وطبع هذه النصوص لازم أيضاً باعتبار أنها المبدأ للبحث عن تطور الأحكام داخل المذهب الحنفى ، والقاعدة العامة هى أن المسائل التى قررتها الكتب السابقـة تنضم صراحة أو على الأقل اضماراً إلى الكتب اللاحقة التى تكون من جنسها ، فالمسائل

التى ترد فى كتاب لأول مرة تمثل على وجه الاجمال النتائج التى استحدثتها الباحثات وتطور الأقوال بين هذا الكتاب والكتب التى سبقته . وهذه الطريقة التى تنطبق بطبيعة الحال على كافة المذاهب الفقهية ستسمح لنا بأن نتتبع عن كثب تاريخ أحكامها وأقوالها

ونحن إلى الآن لم نذكر المذهب الحنبلى . وكثير من الفقهاء المسلمين وفى جملتهم ابن جرير الطبرى قد آخذوا أحمد بن حنبل الذى يعتبره الجمهور مؤسساً لهذا المذهب بأنه محدث فقط وليس بفقيه ، ولم يكن من الميسور لنا إلى الآن أن نقرر ألهذا الرأى ما يبرره أم لا . ولكن كتاب المسائل الموجود منه ثلاث روايات لم يطبع منها إلا واحدة طبعة خاصة يصعب الحصول عليها ـ أقول إن كتاب المسائل هذا الذى يشتمل على أجوبة الامام أحمد بن حنبل على المسائل التى وجهت اليه فى كافة أبواب الفقه كما يشتمل كتاب المدونة الكبرى على أجوبة مالك ابن أنس يسمح لنا بأن نؤكد أن الامام أحمد نفسه أراد أن يكون فقيهاً لأنه كان يعلم مذهباً فقهياً مفصلا لا يقتصر على شرح الأحاديث . ولهذا ينبغى ألا نعتبر مجموع أحاديثه الكبير المشهور بالمسند كأنه مؤلف قائم بذاته فحسب ، بل نعتبره أيضاً كتاباً يضع الامام أحمد فيه الأساس لمذهبه الفقهى . ولا يعنى هذا أنه أسس المذهب السنى السلفى فى الفقه بنفس المعنى الذى أسس الشافعى مذهبه على مقتضاه ، لأننا نجد قبله وبعده فقهاء عديدين ذوى صبغة سنية سلفية ، ومذهبهم مستقل عن مذهب الامام أحمد . ويلوح مع ذلك أن دائرة تلاميذه بمذهبهم كانت الوحيدة التى بقيت من تلك الطريقة السنية السلفية المصبوغة بالأخذ بالأحاديث قبل كل شىء فى الشرع الاسلامى

وانى لأختتم هذه المحاضرة الثانية متمنياً أن تنشر الكتب الحنفية العظيمة الشأن التى أسلفنا الاشارة اليها أقرب ما يمكن ، فان هذا الميدان ميدان خصب للتعاون بين العلماء الشرقيين والأوربيين ، ذلك التعاون الذى ألمعت اليه فى بدء حديثى الأول ، فان فقهاء اليوم باشتراكهم فى تحقيق هذا الغرض سوف يعودون بفضل احياء ماضى علمهم كما قد فعلوا بطبع كتاب الأم للامام الشافعى

يوسف شخت

بين شكسبير وابن الرومى

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

ليست هذه المقالة موازنة بين شاعرين ، وإنما هى صلة بين قصيدتين لتقارب موضوعهما ، وأعنى قصيدة رثاء مارك أنطونيوس ليوليوس قيصر ، وحث الجمهور على الأخذ بثأره ، وقصيدة ابن الرومى فى رثاء أهل البصرة عندما دخلها صاحب الزنج وفتك بأهلها وسبى نساءهم ومثل بهم أشنع تمثيل ، وفى هذه القصيدة يحث ابن الرومى جمهور المسلمين عامة وأصحاب الشأن فى الدولة العباسية تعريضاً على الأخذ بثأر أهل البصرة والنفير لقتال صاحب الزنج ، وتقاربت القصيدتان فى نظرى أيضاً لمهارة ما أرى فيهما من الأسلوب الخطابى والقدرة على السيطرة على الجماهير بمختلف الأساليب الخطابية ، فينتقل القائل فيهما من باعث للشعور إلى باعث ، ومن عاطفة إلى عاطفة ، ومن حيلة فى إثارة النفوس إلى حيلة أخرى ، ومن حجة إلى حجة ، ومن ترغيب إلى إرهاب ، ومن حنان إلى استفظاع ، ومن رقة الذكرى الماضية إلى هول الكارثة ، وتقرأ القصيدة منهما فتحس كأنها قطعة موسيقية توقع على مختلف الأوتار والآلات والأصوات لتعبر عن مختلف الأحاسيس ، وتمتاز قصيدة شكسبير فى أنها أبرع ما قرأت فى شعر الغربيين من هذا النوع من التأثير الخطابى ، كما تمتاز قصيدة ابن الرومى فى أنها أروع ما فى اللغة العربية من هذا التأثير الخطابى وأكثره تنويعاً لأساليب التأثير ، ولا يقتصر تأثير القصيدة على كثرة وسائل إثارة النفس كما ذكرت ، ولكن الشاعر فيها يستخدم تكرار بعض الأساليب والعبارات تكراراً يراد به زيادة التأثير الخطابى ، والقصيدة لا تمتاز فى ألفاظ أو عبارات منمقة فخمة ، ولكنها تشعر القارئ كأنها قيلت ارتجالا أو أن إحساس الشاعر كان أسرع من أن يدع له مجالاً للاغراب فى اللفظ والتنميق الصناعى ، ففخامتها فخامة الشعور المتدفق ، وعندى أن القصيدة خطبة أكثر منها قصيدة تقرأ فى دعة وسكون ، فيكون أثرها أتم وأعم إذا تخيل القارئ كارثة البصرة وما حل بها ، وشارك الشاعر فى شعوره وفى رغبته فى إثارة أهل بغداد . ثم إذا هو قالها على

أسلوب الخطباء متتبعاً اختلاف أساليب الشاعر فى إثارة النفس مثيراً من صوته ولهجته فى إلقائها حسب تغير تلك الأساليب ، فانه يجد فيها روعة لا مثيل لها فى نوعها فى اللغة العربية

وقصيدة شكسبير تختلف من أجل أن الخطيب كان مضطراً أن يداهن الذين يريد إثارة الرومان عليهم ، فحمدهم على أن سمحوا له برثاء يوليوس قيصر ، ونفى عن نفسه العداء لهم كما نفى عن نفسه القدرة تمهيداً لاظهار قدرته ، وكى يظن السامعون أن أثر المأساة هو الذى أثارهم لا قدرته الخطابية . ثم جعل يمدح قتلة يوليوس قيصر ومزج مدحه إياهم بالسخر الخفى ، ثم ذكر فضل يوليوس قيصر على الرومان وكشف لهم عن جثته وأراهم جروحه الدامية وجعل يستدرجهم من طريق الرحمة والاقرار بفضل المقتول إلى النقمة على القتلة ومجاهرتهم بالعداء والتشنيع ، وابن الرومى لم يكن فى حاجة إلى مداهنة صاحب الزنج فكان يسميه اللعين من أول الأمر ، ويكيل له الهجاء صاعا بعد صاع ، ولكن انظر كيف يتدرج من التوجع لما حل بالبصرة إلى وصف دقيق لما أصابها من الزنج ، ويبدأ وصفه بدخول الزنج المدينة فيقول :

دخلوها كأنهم قطع الليـ ... ل إذا راح مدلهم الظلام

ثم يذكر كل ما حدث من قتل وذبح وهتك الأعراض وسبي وإحراق وتخريب وتمثيل حتى يأخذ الفزع بالقارىء مأخذه ثم يلتفت إلى الذكرى فيتذكر رخاء أهلها ونعيمهم وعمار المدنية وبهجتها ، ثم يتوجع ويظهر الحياء من خذلانهم ، ويذكر الناس بمحاسبة الله ومخاصمة النبي إياهم

ثم يلوح للناس بالعار اللاحق بهم ويحضهم على الأخذ بثأر أهل البصرة . والقصيدة طويلة تقع فى أكثر من ثمانين بيتاً ، ولما كان أثرها الخطابي يزداد من تراكم قول على قول وإثارة على إثارة لا من بيت القصيد أو من قطع ممتازة . فكل اقتطاف منها لا ينصفها ، ولا سيما أن أسلوبها ليس بالأسلوب الذى يقرأ فى دعة لديباجته بل يقال جهراً مع تنويع الصوت حسب مرمى الشاعر الخطيب

ويخيل لى أن حافظ ابراهيم كان متأثراً بروح هذه القصيدة عند ما نظم قصيدته فى رثاء قصر الجزيرة وقصيدته فى زلزال مسينا

ومن تكرار ابن الرومى المطرب المؤثر ترديده اللهف فى قوله :

لهف نفسي عليك أيتها البصـ ... رة لهفاً كمثل لهب الضرام

لهف نفسي عليك يا فرضة البلـ ... دان لهفاً يبقى على الأعوام

لهف نفسي لجمعك المتفانى ... لهف نفسي لعزك المستضام

أو ترديد كم فى قوله :

كم ضنين بنفسه رام منجى ... فتلقوا جبينه بالحسام

كم أخ قد رأى أخاه قتيلا ... تَرِبَ الخد بين صرعى كرام

كم رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطام

أو ترديد من فى قوله :

من رآهن فى المساق سبايا ... داميات الوجوه للأقدام

من رآهن فى المقاسم وسط الـ ... زنج يقسمن بينهم بالسهام

من رآهن يتخذن إماء ... بعد ملك الاماء والخدّام

أو ترديد أين فى قوله :

أين ضوضاء ذلك الخلق فيها ... أين أسواقها ذوات الزحام

أين فلك فيها وفلك إليها ... منشئات فى البحر كالأعلام

أو ترديد أفعال الأمر فى أخريات القصيدة ، وهذا الترديد ما هو إلا ناحية من نواحى أسلوبها الخطابي ومثل من أمثلته وطريقة من طرقه المؤثرة ، والأسلوب الخطابي نفسه ما هو إلا ناحية من نواحى الاجادة الشعرية التى تتعدد وسائلها فى القصيدة ، وفى القصيدة ناحية تزيد ألمها فى النفس وهى إعادة الشاعر عرض فظائع القتل والتخريب والتمثيل بعد أن ينتقل بالقارىء أو السامع فى هدوء إلى ذكرى نعيمها الزائل ، وبعد أن يهدىء من روعه بعرض مناظر أمنها وسعادتها ودعة أهلها الماضية فكأنه ينكأ القرح بعد أن يضمده ، ويضرب القلب بعد أن ربت عليه ، ويجذب الأعصاب بعد أن تسكن

عبد الرحمن شكرى

الأمبراطورية الأسيوية

هل تصبح حقيقة تاريخية

بقلم جورج حداد

لقد مرت على القارة الاسيوية قرون ازدهرت فيها أمبراطوريات عديدة ، ووحدت قسماً غير يسير من هذه القطعة من الأرض ، ولا نقتصر فى ذكر هذه الأمبراطوريات على ما قام منها فى العالم القديم . كأمبراطورية البابليين ، والأشوريين ، والفرس ، وإنما هنالك دول أمبراطورية واسعة نشأت فى العصور الوسطى بعد سقوط دولة الرومان وأهمها الأمبراطورية العربية التى سيطرت على آسيا الغربية والوسطى ، وامتدت إلى حدود الصين ، وهكذا كانت القارة الأسيوية إذ ذاك تحكمها أمبراطوريتان كبيرتان أمبراطورية أبناء ماء السماء (الصين) فى الشرق ، وامبراطورية أبناء يعرب فى معظم القسم الباقى . انقرضت بعد ذلك أمبراطورية العرب وضعفت أمبراطورية الصين وتغيرت حالها وبدأت العصور الحديثة تحدثنا عن قيام أمبراطورية يابانية كانت قليلة الشأن حتى منتصف القرن الماضى ، ومن ثم أخذت تزدهر وتنمو حتى ليخال المطلع على شؤونها أنها ستبقى أمبراطورية أسيوية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً

إن حكاية تقدم اليابان والحق يقال حكاية عجيبة وأعجب ما فيها تلك السرعة التى قضت فيها على نظامها القديم منذ ثورة ١٨٦٨ الدستورية ، وأنشأت لنفسها قوة حربية فى البر والبحر حتى أصبحت تضاهى أعظم دول الأرض ، وكذلك يدهشك نجاحها فى إنشاء قوة صناعية لا تقل عن قوى أهم دول أوربا وأمريكا الصناعية اليوم . ثم نجاحها فى مناوأة جارتيها الكبيرتين الصين والروسيا ، واكتساحها قسما من ممتلكاتهما . فروسيا القيصرية والصين الأمبراطورية قد عجزتا بين أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر عن صد هجوم اليابان فأعطتها الأولى نصف جزيرة سخالين وبور آرثر ، وأعطتها الثانية جزيرة فورموزه مع منحها شبه جزيرة كوريا الاستقلال ، وكان استقلال كوريا خطوة نحو استيلاء اليابان عليها . فلم تأت سنة ١٩١٠ إلا وكانت حكومة الميكادو صاحبة الأمر فيها ، ولم تنته الحرب العالمية وتوقع معاهدة فرساى إلا وكانت اليابان قد وضعت يدها على بعض مستعمرات الألمان السابقة فى المحيط الهادى وأصبحت من الدول الكبرى التى يحسب لها حساب فى السياسة العالمية وخصوصاً فى المحيط الهادى

لم تقف مطامع اليابان فى القارة الأسيوية عند حد الاستيلاء على كوريا وبعض الجزر فهى عدا شعورها الوطنى المتين وعزتها القومية تشعر بحاجة إلى التوسع ، وحالتها تشبه حالة انكلترا وجميع الدول الصناعية الكبرى . فمساحة جزرها تبلغ تقريباً مساحة الجزر البريطانية ، وعدد سكانها يزيد على عدد سكان بلاد الانكليز ، وما تنتجه اليابان من المواد الغذائية لا يكفيها ، كما أنه ليس فيها من المواد الأولية ما يكفى حاجات صناعتها . فكوريا هى مركز تصدير الأرز إلى اليابان ، ومنشوريا التى كانت من ملحقات الصين منذ ثلاث سنوات غنية بالمعادن ، وهذه حوادث السنوات الأخيرة قد أرتنا كيف اهتمت حكومة الميكادو بمنشوريا ، وأرسلت جيوشها إليها وتمكنت من فصلها تماماً عن الصين ، وإقامة حكومة مستقلة فيها تحت نفوذها ، وهكذا أتيح لها أن تسيطر على خمسين مليونا من النفوس فى منشوريا وكوريا ، بينهم قسم من رعاياها اليابانيين ، والمواصلات سريعة والعلاقات متينة بين هذه الملحقات البرية وجزر اليابان

واليوم هل وقفت مطامع اليابان عند هذا الحد؟ إن حوادث هذه الأيام تجيبنا بالنفى ، وماذا يريد اليابانيون إذاً ؟ إنهم يريدون انفصال المقاطعات الخمس فى شمال الصين عن حكومة نانكين فتقيم حكومة مستقلة كما حصل فى منشوريا وتقبل مراقبتهم ونفوذهم ، وأخيراً قد تطلب هذه المقاطعات الحكومة الملكية فتقبل حكم أمبراطور منشوريا الحالى الذى كان أمبراطور الصين كلها فى عام ١٩١١ . عندئذ يتم تشكيل أمبراطورية كبرى من منشوريا والمقاطعات الخمس يبلغ عدد سكانها ١٢٠ مليوناً من النفوس ، وتحميها الدولة اليابانية ، وبعد مدة قد يذكر أمبراطور منشوريا حكومة نانكين الجمهورية بأن الصين كانت موحدة فى العصور السابقة فيزحف بجيوش منظمة تعضدها حكومة اليابان على نانكين ، فيتم وضع أيدى اليابان على بلاد الصين كلها ، ولا يغرب عن الذهن أن الصين كانت قديماً تحكم تركستان الصينية والتيبت وتحمى عدا منشوريا وكوريا ومنغوليا الهند

الصينية أيضاً ، فهل تفكر اليابان فى ضم هذه كلها إلى أمبراطوريتها الواسعة ؟ إنها بدون أن تضم هذه المقاطعات تكون بعد أن يتم استيلاؤها على ما يعرف بالصين الأصلية قد حكمت أمبراطورية يزيد عدد سكانها عن ربع سكان العالم ، وتكون أمبراطوريتها فى قارة واحدة غير مجزأة منتشرة أقسامها فى جميع القارات كالأمبراطورية البريطانية

إن سياسة اليابان سوف لا تتغير . فقد أرادت منذ ١٩١٥ أن تفرض حمايتها الاقتصادية والسياسية على الصين ، ولكنها فشلت . إلا أنها واصلت جهودها فتوصلت فى السنوات الثلاث الأخيرة إلى نتيجة باهرة ، وقد تتوصل إلى أكثر من ذلك بعد بضعة شهور . إن ماطلبه زعماء المقاطعات الخمس فى شمالى الصين هو تشكيل هيئة تسمى المجلس السياسى الشمالى للجمهورية الصينية له استقلاله الادارى ويشبه مجلس منغوليا المستقل ، ويكاد يتم انفصال هذه المقاطعات عن الصين وعلى هذا المبدأ ، ولكن تحت سيطرة حكومة طوكيو اليابانية . ومهما يكن فان اليابان مستعدة أن تبذل جهوداً جبارة لتحقيق برنامجها فى الصين . غير أن الولايات المتحدة ذات قوات كبرى فى المحيط الهادى وجيوش روسيا السوفيتيـة بالمرصاد على نهر الآمور وأسطولها رابض شرق فلاديفستك

هذا وقد لوحظ مؤخراً شىء من التطور فى العلاقات بين بريطانيا العظمى وروسيا نظراً لمصالحهما المشتركة فى الشرق الأقصى ، وهذا التقارب بين الدولتين الكبيرتين يعد من أشد الحوادث بروزاً فى السياسة الدولية . فاليوم قد تبدلت الحال بين الدولتين وزال ذلك التنافر فى مصالحهما ان كان فى جهات بحر البلطيق أو فى جنوب شرق أوربا ، وفى الشرق الأدنى والهند والشرق الأقصى . فقد كادت مطامع روسيا القيصرية فى الماضى تؤدى الى الحرب مع انكلترا نظراً لاحتكاك مصالحهما أكثر من مرة فى تركيا وفارس وافغانستان وعلى حدود الهند ، ولكن الخطر الألمانى الذى كان يهدد الدولتين هو الذى أجبرهما على تناسى العداوة وحملهما قبل الحرب الكبرى على الاتفاق سويا ضد حكومة برلين . وعادت العلاقات بعد الحرب الكبرى فساءت بين الدولتين لأن خطر الشيوعية الآتى من موسكو هال بريطانيا العظمى ، ولأنه كان من رأى روسيا إعادة النظر فى معاهدات ١٩١٩ ، غير أن روسيا تحققت بأن قلب تلك المعاهدات لا يأتى إلا بعد حرب لا تعلم إذا كانت تسفر عن نتائج أحسن من نتائج الحرب الماضية . فهى اليوم تريد السلم وهذا ما تريده انكلترا أيضا . وقد أصبحت مدفوعة بسياسة اليابان الهجومية إلى التفتيش عن صداقة دول ذات مصالح فى الشرق الأقصى . والتعاون بين بريطانيا العظمى وروسيا بنى بمصالح الدولتين خصوصاً لأن تلك المصالح لا تصطدم اليوم على طول الخط الممتد من البلطيق إلى الشرق الأقصى . فقد انقضى عهد مطامع القياصرة فى القسطنطينية وأجزاء الدولة العثمانية وزال النزاع بين انكلترا وروسيا فى خليج فارس وأفغانستان . وليس لروسيا مطامع فى الهند اليوم لأنه ليس لها أسواق تجارية فيها إن كان فى الصادر أو فى الوارد ، وكذلك ليس لها رؤوس أموال تثمرها هناك . والروسيا تهتم بانهاض قواها فى الداخل قبل كل شىء ولذلك تحتاج إلى السلم . وأما فى الشرق الأقصى فانها تريد ضمان وحدة الصين ، وسياستها هناك تشبه سياسة انكلترا فى الدولة العثمانية فى القرن الماضى . فهى تنظر بعين الحسد كما تنظر انكلترا أيضاً - إلى توسع اليابان على حساب الصين

إن وزارة الخارجية الانكليزية اليوم تريد أن تعوض عن خطيئاتها فى سياستها نحو الروسيا منذ عشر سنوات . فالخطر اليابانى الذى لم تشأ حكومات انكلترا السابقة أن تراه والخوف الذى يهدد مستعمرات انكلترا لم يعد مجرد خرافة . إن اليابان اليوم تتسلط على ثلث الامبراطورية الصينية السابقة وعما قريب ستبدأ الحرب الحقيقية بين انكلترا واليابان فى آسيا الوسطى حيث تدافع اليابان عن استقلال الأمة الصينية وتطالب انكلترا باعطاء الصين ما أخذته منها . وسوف لا تقف عند هذا الحد ، بل ربما وضعت أساساً لسياستها هذه العبارة التى بدأ رجال السياسة فى اليابان يرددونها وهى « آسيا للأسيويين » كما وضع الرئيس منرو منذ أكثر من قرن خلا مبدأ لسياسة حكومة الولايات المتحدة « أمريكا للأمريكيين » واليابانيون ماضون فى تنفيذ برنامجهم وعند ما يصبحون على أبواب « كاشغار » فى تركستان الصينية ، لا يصعب عليهم الهجوم على الهند

ومن المحقق أن انكلترا لا تقف مكتوفة اليدين أمام هذه الأخطار ، فهى تقوم بتحصين سنغافورة ، وستدفع ثمن ذلك

على شواطئ الآستانة

ساعة في متحف (طوب قبو)

للأستاذ كمال ابراهيم

وقصدت إلى دار السلطان، ومنازل الخلائف من آل عثمان، وقد أصبحت بما فيها متحف الزائر، ومُجتلَى الناظر، ومطاف المتفرج، بعد ما كانت تطاول السماء في رفعتها، وتُصاول النُّعم في منعتها، وكانت في حمَى كبطون القلاع، ومن يحم حولها يوشك أن يقع في شراك الموت

أجل، وكانت هذه المغاني التي نطيف بها اليوم، تفيض بالنعيم، وتختال في جلال الملك، وتزدهي بابهة السلطان، وكان الزمان قد بسم لها بسمة الاقبال، ثم أغفى عنها حيناً، ولكنها إغفاءة اليقظان، فما لبث بعدها حتى اهتاجت هوائجه، وانباجت بالشر بوائجه، فأحال حالها، وأهلك أهلها، وأباد سلطانها، وتركها عبرة للمعتبر، وعظةً للناظر:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

وكانت كجنة الخلد، موشيّة الأديم، رفّافة النسيم، دانية الظلال، زهراء ناضرة، وعرائس القصر في مقاصيرهن، يصورن مباهج الحياة، واشراق السعادة، وفتنة الوجود، فاذا ماخطرن في مطارف وشيهن، وسرن متثاقلات بحَلْيهن وحُلاهن، خلت السعادة حيث كُنّ، تقيم إذا أقمن، وترحل حيث يرحلن

من الهيف لو أن الخلاخل صُيِّرت لها وُشُحاً جالت عليها الخلاخل

مها الوحش إلا أن هاتا أوانسٌ قنا الخط، إلا أن تلك ذوابل

وجنبات القصر موّاجة بالحشم والعبيد، والأبواب قائمةٌ بالحجاب، والجميع ناكسة أبصارهم، عانية رقابهم، لعزة الملك، ورب الصولجان، وظل الله على الأرض..

واليوم، واهاً لها اليوم، قد أقفرت من ذويها، وثكلت ساكنيها، وأصبحت خبراً يروى، وكتاباً يقرأ ويطوى

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

دخلت إلى تلك القصور المعروفة بـ (طوب قپو) وقد باتت متحف المتفرجين، وملهى الزائرين، يرودون الأبصار في آثار السلطنة الماضية، ويطوفون بين الأركان الباقية، ويتقلبون فيما خلفه الخلفاء، من عروض ومتاع، وحلل ونفائس، يقابل الداخل عن شماله، غرفة السلطان تصاقبها أخرى لمجلس وزرائه، وقد أبقيتا على ما كانتا عليه، وفي أعلى المجلس روشنٌ أعدّ لجلالته، يُشرف منه على جلسائه، فاذا خرجت منه أفضى بك الطريق إلى قصور متفرقة جمع في كل منها صنف من العروض والأثاث، واللباس والحلل، والحلى والشارات، مما كان في بيوت السلاطين، وقد نسقت في معارضها أبدع تنسيق، ونمقتها يد الفن أجمل تنميق، وماهي غير نفائس العصور، وتحف الحياة ومعجزات الصناعة، وبواكير البراعة، التي أنفق حذقة الصناع فيها حياتهم، وحبسوا في عنمتها جهودهم وأوقاتهم، فجاءت تخطف الأبصار بروائها، وتذهل الألباب بأناقتها وزخرفها..

ينتهي الطائف بعد هذا الى بيوت السلاطين، وقد أبقى كل

باهظاً ـ نحو ٣٠ مليون جنيه. غير أن هذه القاعدة الحربية ليست كافية أمام أمة تستعد لفتح آسيا كلها. وانكلترا وحدها لا يمكنها الوقوف في وجه هذا الخطر الأصفر، وهي لذلك تسعى للحصول على مساعدة الدول الأخرى، ويظهر أنه لا بد للوقوف في وجه الخطر الياباني من اتفاق بين الدول الأربع: الروسيا وانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة. ويقول أحد الصحفيين الروس بهذه المناسبة إن نظام الضمانات المشتركة لأجل السلام لا يجب أن يكون كمظلة يمكن وضعها في مخزن الحبوب لكي تأكلها الفيران ثم إخراجها لاستعمالها ضد حرارة الشمس، لأن هذه المظلة متى ما أكلت قماشها الفيران لا يمكن استعمالها للوقاية من حرارة الشمس. والصحفي يؤكد أن روسيا مستعدة للتضحية في سبيل توطيد السلم ولتأييد الدول في نزاعها ضد الذين وضعوا مبدأ لهم سياسة الهجوم. وهكذا فان أساس الاتفاق موجود بين انكلترا وروسيا. وسيظهر التاريخ إلى أين تؤدي سياسة التوسع اليابانى وفي أي مرحلة من سيرها نحو بناء امبراطوريتها الآسيوية ستقفها دول أوربا وأمريكا

(حلب) جورج حداد

منها على ما كان عليه في عهد من عاش فيه ، وهى متصلة متداخلة ، يفضى بك بعضها إلى بعض ، ويسلمك منها مجاز إلى مجاز ، حتى تضلك السبل ، وتنفذ معك الحيل في تعرف الوالج والخارج ، ولولا دليل معنا خرّيت لعمى علينا القصد ، وأنفقنا الزمن في أخذ ورد

مررت في هذه القصور ، وصور الماضين تمر من أمامى صامتة ناطقة ، فصرت أقيم في كل ركن مشهداً ، ومن كل حجر معبداً ، وفي كل لوح منظراً مخلداً ، حتى توزعتني الصور والرسوم ، وغشيتني الأشباح والطيوف ؛ وازدحمت في خاطرى الأخيلة والذكريات ؛ هاهى ذى الآثار الصامتات قد انتصبت لناظرى حزينة تتوارى كأشباح الموتى ، وهذه قواعد البيت كأنها بعض قواعد الأهرام ، تفيض بعبر الدهر ، وتنطق بغوائل الزمن وفجاءات القدر كل يوم ، ومن يدرى ما تخبئ لها الأيام بعد حين ، وقد أصبحت بين عشية وضحاها كما تراها

عمرت للسرور دهرا فصارت للتعزى رباعهم والتأسى
فلها أن أعينها بدموع موقفات على الصبابة حبس
ذاك مني وليست الدار دارى في اقتراب منهم ولا الجنس جنسى

أجل مررت في تلك القصور ، وكأنى بمواكب السلاطين الحافلة ، غادية رائحة في أيام الجمع والأعياد ، وكأنى بخليفة المسلمين قد خرج من قصره ، في طلعة الخلافة ، وأبهة الملك محفوفا ببطانته ، مزفوفا من رعيته ، تستره عن الناظرين ، صفوف الحجاب ، وهيا كل الحرس ، وقامات الشرطة بملابسهم المفوفة ، وأوسمتهم المزخرفة ، ومن ورائهم جماهير الشعب المحتشدة على طوارى الدرب الكبير متدافعة ، وقد استطالت الأعناق إلى اجتلاء تلك الطلعة المباركة ، وأنفاس المصلين تملأ سماء الجامع القديم « أيا صوفيا » بالدعوات الصالحات ، والكلمات الطيبات والابتهال إليه تعالى ، أن يمد في حياة خليفة المسلمين ، وينصره على القوم الكافرين

وبعقاب تلك القصور إلى شط البحر ، جنة لفاء ، ودوحاء زهراء ، يخترقها درب عريض ، قامت على جانبيه أشجار فينانة ، وارفة غيدانة ، مبسوطة الأماليد ، ملتفة المساليج ، وقد عقدت فروعها من فوقها سماء من الأوراق ، تزرى بزرقة السماء ، حجبت شمسها إلا خيوطاً منها ، فكانت كما قالت بنت زياد في وصف واد :

حللنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
تصد الشمس أنى واجهتنا فتحجبها وتأذن للنسيم

وذكرت حين مررت هناك غريب اللسان ، قول أبي الطيب في شعب بوان :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

مررت في ذلك الدرب الظليل ، ونواسم البحر الندية تجوس خلال أدواحه ، وتتقلب بين أزهاره وأوراقه ، فعبق شذاها ، وطاب رياها ، تلامس الوجه ، فيتفتح لها الصدر ، وتخلص لها الروح ، أفضى بي السير إلى مسالك تنشعب من ذلك الدرب ، تكتنفها ملاعب وميادين ، ودارات ورحب ، فاذا أمعن السائر في السير بدا له البحر متسع الأفق ، وتراءت الآستانة لناظريه متمالية على ضفاف البسفور ، وقد احتضنت الماء ، وعانقت السماء ، فكانت فتنة العالم ، وسحر الوجود . فاذا ما بلغ شط البحر ، وقد شطت بخياله تلك الصور والذكر ، لاح له ذلك التمثال الفخم ، وسط رحبة من الأرض ، لرجل (تركيا) اليوم ، فيعود به هذا المشهد الحديث ، إلى الحقيقة بعد خيال ، وإلى الحاضر بعد غياب ، وإلى الساعة التي هو فيها بعد استغراق طويل

كمال ابراهيم
المدرس في دار المعلمين ببغداد

الحركة الفكرية فى السودان

بقلم حيدر موسى

طريف جداً أن نسمع أحاديث أبناء العروبة عن الحركات الأدبية فى بلاد الشرق المختلفة ، وجميل جداً أن تكون (الرسالة) الفيحاء ميداناً رحباً نرى فيه تلك الأقلام القوية تصول وتجول فنعجب بها وتمتلىء نفوسنا بشتى الاحساسات الحلوة التى لا تتعدى حب أبناء الضاد لبعضهم ، وقد عزمت حين قرأت تلك المقالات الطلية أن أرفع صوتى الضعيف بين تلك الأصوات الداوية العالية وأرسل ضوءاً على الحركة الفكرية فى وطنى السودان ، ليعرف إخوانى أبناء أسفل الوادى شيئاً قليلا عن النهضة القلمية فى أعلى الوادى ، فلعل حديثى يقع فى نفوسهم الكريمة موقعاً حسناً ولعله لا يكون ممجوجاً

إن أدب السودان يسير وراء الأدب المصرى ويتبعه خطوة خطوة ، نظراً للجوار وانشابه الأخلاق والعادات وغير ذلك من الأوصاف التى فرغ رجال التاريخ من سردها ووفقوا فى ذلك توفيقاً عظيما . ولذلك أود ألا أكرر لأن التكرار تمجه الأذواق السليمة

أجل إننا نسير وراءكم ونحاكيكم كما يحاكى الطفل أخاه الأكبر ، لكن سيرنا ببطء وبخطوات متزنة لأننا نخشى الكبوة ولنأمن سوء العاقبة . إن صحفكم على اختلاف أنواعها ومذاهبها مقروءة لدى كل الطبقات فى المدن الكبيرة ويطالعها المتعلمون فى القرى ، وللصحف الأدبية الراقية التى تبعث بها الينا مطابعكم المحل الأول ، فترى الشبان كانوا يتأبطون (السياسة الاسبوعية) فى ابان حياتها ، وعندما اختفت وظهرت (الرسالة) وسدت الثغرة تهافتوا عليها وخطبوا ودها فاذا أنت تراها بأيديهم فى النوادى والمجالس والمنازل ثم فى عربات الترام أيضاً حتى صارت قراءتها محتمة على كل أديب ومتأدب ، وسل الأستاذ الزيات يحدثك بالأرقام عن مبلغ ذلك الذيوع والانتشار الواسع الذى قل أن تحظى به غير الرسالة ، وصدقونى يا أحبائى القراء فلست أقول هذا القول تقربا من الأستاذ . بل أقول الحق كأى رجل حر

الشباب السودانى متطلع دائماً إلى العلياء ، وخصص جهده ووقته – فى الوقت الحاضر – للالمام بمختلف الآداب والفنون ، وللموظفين وهم خيرة المتعلمين النصيب الأوفر فى هذا الميدان رغم ضيق وقتهم وقلة مالهم ، فترى النوادى بها جمعيات أدبية تقوم بتنظيم المحاضرات والمناظرات جهد المستطاع ، حتى النوادى الرياضية لم تهمل الأدب بجانب اشتغالها بترقية الروح الرياضية .

كذلك تعنى النوادى المختلفة باقامة حفلات تمثيلية تعرض فيها الروايات العربية والمصرية ، ويسرنى كل السرور أن القصة السودانية قد صار لها شأن فى عالم التمثيل السودانى ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنها اكتسحت أو كادت تكتسح الروايات غير الوطنية ، وكل هذه الروايات البلدية موضوعة بالشعر الشعبى المسمى (الدوبيت) وهو كالغناء يقع فى نفوس السامعين موقعاً حسناً وبنغمة حلوة تثير الحماسة ؛ ودعنى أعرفك بأسماء هذه الروايات فمنها (مصرع تاجوج ومحلق) وهى معروفة لدى المصريين ، وقد نشر ملخصها فى بعض المجلات المصرية ثم رواية (خراب سوبا) ورواية (فتاة المستقبل) ورواية (البتول) وغيرها وقد أعيد تمثيل هذه الروايات كثيراً نظراً للاقبال العظيم الذى قوبلت به من الجمهور المتعطش لكل ما هو سودانى أصيل ، وهذا شعور طيب بالقومية يسرنى أن أنوه عنه فى هذا المقام ليعرف أبناء العروبة أى شعب نبيل فى أعلى الوادى ، وإن كنا نخجل أن نشيد بأعمالنا وهذه عادتنا ولا سبيل إلى الخلاص منها .

فينا الشعراء والأدباء ، وفينا المجددون والمحافظون ، لكن التجديد غالب ، والفضل للشباب الذى هو الحركة والنشاط . أما حركة التأليف فضعيفة لغلاء أجرة المطابع ولعدم وجود ناشرين يتولون إخراج الكتب ، ويوجد الآن أدباء وشعراء يملكون كتبا ودواوين شعرية وهم حائرون لا يعرفون كيف يخرجون هذه الآثار الأدبية التى هى فخر للسودان ، والحقيقة أن هذه المشكلة مسألة المسائل ويتألم لها الأدباء ولا يدرون لها حلا ، ولذلك لا تجد كتاباً قيماً أخرج للآن فى السودان لا لعقم فى القرائح . كلا : بل للعذر الذى بيناه

أما الصحافة فحدث عنها ولا حرج ، فلدينا الآن جريدة حضارة السودان ، وجريدة السودان ، وتصدران فى الأسبوع مرتين ، وجريدة النيل اليومية وملحقها الأدبى الأسبوعى ، ومجلة الفجر وهى نصف شهرية ، كذلك لكلية غردون مجلة خاصة لا تقف فائدتها على الطلاب فحسب ، بل لا تخلو من فائدة ، وللجمعية

الكشافة مجلة أيضاً تتناول أحياناً بعض الموضوعات الأدبية ، وقد اختفت بعض المجلات كمجلة النهضة السودانية ، ومجلة مرآة السودان نظراً لقلة المال وفداحة أجرة المطابع ، وقد كان لاختفائهما أثر سيء في القلوب ، وفي نظرى أن صحفنا السودانية لو وجدت الاقبال الذى هى أهل له فى البلاد العربية وخاصة فى مصر لما تعثرت ولما اختفت أو شكت من قلة الاقبال والمال ، ولأدت خدمات مضاعفة لوطننا الناشيء المحتاج للدعاية الواسعة ، ليرتفع صوتنا فى الأصقاع البعيدة ، وليصير لنا شأن غير شأننا الحاضر

إننا نتسابق فى اقتناء الكتب المصرية والصحف المصرية ، وقد استفدنا كل الفائدة من ذلك ، فتفتحت عيوننا ، وتذوقنا الأدب ، وعرفنا الحياة ، أفليس من المستحسن أن تساعدونا بقراءة صحفنا والتعليق على انتاجنا الأدبى ، لتنيروا لنا الطريق بصائب نصائحكم وتجاربكم ؟ وفى رأيى أن (الرسالة) خير من يقوم بهذه المهمة نظراً لانتشارها العظيم فى السودان ، ولوجود فطاحل الأساتذة فى أسرتها

إننا شرحنا حالنا لأبناء العمومة فى مصر أكثر من مرة ، وقلنا إننا نعرف كل شيء يجرى تحت سماء مصر ، ونتألم إن ألمت بها ملمة ، ونفرح إذا نالت ما تصبو اليه من رفعة وحرية ، وليس غريباً إذن إن طلبنا منهم أن يعاملونا بالمثل . نعم إننا أقل منهم علماً وثقافة وعمومتهم يمكننا أن نسير نحو النور وصوب الثقافة الحقة التى هى أمنية كل سودانى ، حتى الجهلاء من السنين قد بدأوا يتعلمون القراءة وعرفوا فائدتها أخيراً ، فتطوع الشباب وانبرى للقيام بهذا الواجب والنتائج تدعو للتفاؤل الشديد

كثر الجدل بين الشباب السودانى عن الأدب القوى الذى دعا إليه الأستاذ الجليل أحمد أمين ، فاشتد النقاش بين مؤيد ومعارض ولم تعرف النتيجة بعد

لعل من الطريف أن نذكر أن بعض الصحف السودانية تعارض فى نشر القصائد الغزلية على صفحاتها ، وحجتها فى ذلك غير مقبولة لأن الغزل معروف من قديم الزمان ، ولكننا نحاول التوفيق بين آرائها وآرائنا فعسى أن نوفق

هأنا قد تحدثت عن بعض النواحى ، فعلى اخوانى أدباء السودان أن يتمموا ما بدأت

عبده موسى



صورة من الحياة العلمية فى مصر

٢ — تقى الدين السبكى

بقلم محمد طه الحاجرى

وفى أثناء هذه الولاية ولد له تقى الدين ، وفى هـذا البيت الـكريم الذى ترفرف عليه روح العلم والورع نشأ نشأة مباركة بين ابيه وعمه الشيخ صدر الدين [1] أحد أفاضل العلماء ، يرعيانه ويتوليان أمره . وينشئانه أحسن تنشـئة وأكرمها ؛ فقد رأيا فيه من ملامح النجابة والذكاء والاقبال على العلم والجلد عليه ، والانصراف عن اللهو ولذائذ الحياة ، ما جعلهما يتنوران من خلاله أنه سيكون إماماً من أئمة العلم ورجلاً من رجال الخلق والفضل . فقد حكى عنه ابنـه تاج الدين « أنه كان يخرج من البيت صلاة الصبح فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قريب الظهر ، فيجد أهل البيت قد عملوا له فروجا ، فيأكل ؛ ويعود إلى الاشتغال إلى المغرب ؛ فيأكل شيئاً حلوا لطيفاً ، ثم يشتغل بالليل ؛ وهكذا لا يعرف غير ذلك . . . . . وكأن الله قـد أقام والده ووالدته للقيام بأمره ، فلا يعرف شيئاً من حال نفسه . »

لقد كانت طفولة عجيبة ، تلك الطفولة الجادة العاملة الوقور المنصرفة عن اللهو واللعب ومنازع الصبيان ، ولقد عجب أبوه نفسه مرة من هذه الظاهرة ، ورأى فى انصراف ابنه عن عبث الأطفال ، والنيل من لذائذ الطعام أمرا لا يتفق مع سنه الصغير فأشار على أمه أن تعطيه درهما أو درهمين علّه أن يرى فى السوق شيئا يشتهيه فيشتريه ، فعقدت له أمه منديلا على نصف درهم ، وهو يروح به ويغدو ، إلى أن ضاق بحمله ، فألقاه إلى أمه ، وقال لها ما شأنى بهذا ، وما أصنع به ؟ . . .

وإن هذه الأحاديث التى يرويها تاج الدين عن أبيه جديرة بأن تكون صحيحـة ، وهى ترسم لنا صورة لتقى الدين الطفل ، تتسـق كل الاتساق مع صورة تقى الدين الرجل الـكهل ؛ فكأنما كان ثمت روح من عند الله أخذت توجهه منـذ مولده إلى غايته المقدورة ، وترسم له السبيل اليها ، وتحوطه أن ينحرف عنها . ولسنا نشك فى أنه كان ثمرة كريمـة مباركة لـكل الظروف التى قدمنا ذكرها

وكان الأب [1] مايفتأ يذهب إلى مصر ليلتقى بها قاضى القضاة فـكان يستصحب معه ابنه ليزيره معاهد العلم ، ويشهده ربوع الفضل ، فمرة يزور به مدرسة الحديث الـكاملية [2] ويدخل به على شيخ الاسلام تقى الدين ابن دقيق العيد . ومرة يذهب به إلى ابن بنت الأعز ، وأخرى إلى غيره من علماء العصر ، وهو فرح به مستبشر ، والولد يرى هذا السمت وهذه الهيبة وذلك الوقار وتلك المثل العليا لما انطوت عليه نفسه . فيتوثب قلبه ، ويمتلىء صدره بهجة وطموحا

ثم عزم الأب أن يقيمه فى القاهرة بين أولئك الأعلام ، وفى ذلك الجو العلمى ؛ وكان قد تفقه وحفظ كتاب التنبيه ؛ ولـكنه حين عرض الأمر على ابن دقيق العيد عارض فيه وكأنما استصغر سنه ، وأشفق عليه من الغربة . فقال لأبيه : عد به إلى « البر » حتى يصير فاضلا . فعاد به ، وفاته ماكان يحرص عليه أبوه ، فيما يظهر ، من التتلمذ على شيخ الاسلام والأخذ عنه ، والتشبع بعبادته ؛ فانه لم يعد إلى القاهرة إلا بعد وفاة ابن دقيق العيد أى نحو سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م)

— ٢ —

جاء تقى الدين إلى القاهرة ولم يكد يبلغ العشرين من عمره ، وهو يتوثب رغبة إلى إرواء غليله العلمى فى هذه البيئة العلمية الخالصة التى تتجاوب فيها أصداء العلم المختلفة ، وتقوم بها المناظرات بين الآراء المتباينة ، وكان بها طائفة من الأئمة الأعلام فى مختلف الفنون :

كان بها ابن الرفعة [3] شيخ الشافعية ، وإمام الفقهاء ، وبه تفقه السبكى

وكان بها فى الأصول والمعقولات الامام النظار علاء الدين الباجى [5] ، وكان رجلا واسع الباع فى المناظرة ، مستقل الرأى فى الاستنباط ، « لايفتى فى مسألة حتى يقوم عنده الدليل عليها ،

(١) تولى فى آخر حياته التدريس بالمدرسة السيفية إلى أن مات سنة ٧٢٥

(١) يظهر أن مقر عمله كان مدينة المحلة « وبها مات سنة ٧٣٥ » انظر صبح الأعشى (ج ٣ . ص ٤١٠)

(٢) أنشأها السلطان الملك الـكامل الأيوبى بخط « بين القصرين » سنة ٦٢٢ ، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية (المقريزى) (٣) توفى سنة ٧١٠

(٥) توفى سنة ٧١٤

فإن لم ينهض عنده قال : مذهب الشافعي كذا ، والأصح عند الأصحاب كذا ، ولا يجزم » كما يقول عنه صاحب طبقات الشافعية ؛ وما نشك في أنه كان قوى الأثر في تقي الدين ، عظيم اليد على قوته في الجدل ، مشجعاً له على الاستقلال في الرأى ، حتى ليعدون له مسائل كثيرة من فروع الفقه انفرد بالرأى فيها دون إمامه الشافعي وأصحابه وخلفائه ؛ وإذا كان مرجع هذا في أول الأمر إلى فطرته السليمة ، وبصيرته السديدة ، وإدراكه القوى ؛ فإن لمثل ذلك الامام فضل التسديد وتقوية تلك النزعة الفطرية ، وحمايتها من عوامل الضعف

وكان بها في فن الحديث العلامة الكبير الحافظ شرف الدين الدمياطي إمام أهل الحديث ، وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب ، وكان صديقاً لأبي تقي الدين مكبراً له ، فاختص الابن بأكبر الرعاية ، وأقبل تقي الدين على درسه بالمدرسة المنصورية [1] وأكثر من صحبته والملازمة له والأخذ عنه بتلك الحافظة المدهشة التي يقولون عنها : إنه كان ما يكاد يسمع شيئاً حتى يحفظه ، ولا يحفظ شيئاً فينساه وإن طال عليه الأمد وبعد به العهد ، حتى صار آية في فن الحديث ومعرفة الرجال والجرح والتعديل ، ولكنه لم يدرك شرف الدين إلا وهو شيخ هم كبير في عشرة التسعين [2] فكان شديد الحرص على صحبته وملازمته حتى لا يكاد يتركه ، ثم لم يلبث شرف الدين أن مات فجأة عقب مفارقته له في ١٥ ذي القعدة سنة ٧٠٥ ، ولم يكن قد أشبع رغبته من فن الحديث بعد ، فلازم بعده كبير أهل الفن في عصره ، الحافظ سعد الدين الحارثي

وكان بها في علوم العربية أبو حيان الأندلسي [3] وكان عليه طابع المدرسة الأندلسية من الحفظ والتوسع في رواية الشعر واللغة والقراءات ، والتبحر في معرفة قواعد النحو ومذاهبه ، وأثر من المدرسة المصرية من النظر والمقابلة والمراجعة وروح النقد والتحليل ، فتتلمذ تقي الدين له ، وقرأ عليه كثيراً من كتب النحو مثل كتاب سيبويه وكتاب ابن عصفور وغيرهما ، وكان أبو حيان عرن تلاميذه على صناعة النظم ، فيقترح عليهم عروضاً خاصاً وبحراً معيناً ينظمون عليه ، واتقى الدين قصيدة على حرف الزاي جاءت من هذه السبيل ، ولعلها خير ماصنع من الشعر ، فلم يكن له في هذا الباب سابقة ، وقد غلب عليه المذهب الفكرى النقدى ، فجاء شعره نازلا ركيكا ، وسنعرض شيئاً منه في هذا البحث متى عرضت المناسبة

ثم لا ننسى من شيوخه الذين تركوا فيه أثرا بليغاً ، وان لم يكن من الناحية العلمية المحضة ، تاج الدين بن عطاء الله السكندرى ، وكان من حسن حظه أنه ترك الاسكندرية ؛ واستوطن القاهرة ، وبقي بها يعظ الناس ويرشدهم ، ويحدث تلاميذه ويبصرهم الى أن مات سنة ٧٠٩ وكان امام أهل التصوف ، جميل السياق ، صافى الأسلوب ، ساحر العبارة ، فنال في الناس مكانة عالية ، ومال اليه تقي الدين وصحبه ، وانعقد بينهما حب قوى وعلاقة مؤكدة . وظل أثر الروح الصوفية التي كانت على أخلص ما يكون في ابن عطاء الله ظاهرا قوياً في تلميذه تقي الدين في شتى أدوار حياته ، وكثير من أقواله وتصرفاته

وكان من شيوخه كذلك الشيخ تقي الدين ابن الصائغ في القراءات ، والشيخ شرف الدين البغدادى في المنطق والخلاف ، والشيخ علم الدين العراقى في التفسير ، والشيخ عبد الله الغمارى المالكي في الفرائض

وقد رحل الى الاسكندرية وسمع من رجال الحديث فيها ، وكان بها طائفة منهم يرحل اليهم طلاب الحديث مثل أبي الحسين الصواف

وإلى ذلك الحين كان قد نضج وامتلأ وصلب عوده ، ورأى فيه شيوخه رجلاً يناظرهم كلا في فنه ، فجلوا يملؤن المجالس بذكره والثناء عليه والاعجاب به ، حتى استطار أمره ، وامتلأت أندية القاهرة بالحديث عنه . ولم يبق إلا أن يرحل إلى الشام ليسمع من محدثيها فتتم له الغاية في فن الحديث

وكذلك رحل إلى الشام رحلته الأولى في سنة ٧٠٦ (١٣٠٦ م) وسمع من رجالها أمثال الذهبي والمزى والبرزالي وابن الوازيني وابن مشرف ، وعقد بها المجالس للمناظرة ، فتجلت هناك عبقريته ، وسمت في نظر القوم منزلته ، وامتلأ علماؤها إعجاباً به ، ومكث بها عاماً يسمع ويناظر ، حتى أصبح حديث الناس في الشام كما كان حديثهم في مصر ؛ وبذلك أشرف على الغاية في بعد الشهرة وذيوع الصيت

(يتبع)

محمد طه الحاجرى

---

(١) أنشأها الملك المنصور قلاوون الألفي (٦٧٨ — ٦٨٩) ورتب بها دورساً أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة ، ودرساً للطب ، ورتب بالقبة درساً للحديث النبوى ودرساً لتفسير القرآن الكريم وميعادا (المقريزى)

(٢) ولد سنة ٦١٣ (٣) مات سنة ٧٤٥ عن تسعين عاما

الطالب ...

للشاعر الوجدانى احمد رامى

مشرق كالضحى مع الصبح غاد   فى إهاب من الشباب النادى
يطلب العلم من معاهده الغـر   ويروى من نجعة الورّاد
طلعت شمسه على الدار فازدا   ن ضحاها باليمن والإسـعاد
وعلى ثغره ابتسامة بشر   بعثتها هشاشة فى الفؤاد

***

هو فى البيت حبّة القلب والعيـ   ـن مناط الآمال قصد المراد
فرح الأهل يوم أشرق فيهم   كوكباً لاح فى سماء الوادى
شبَّ فيهم طفلاً صبيح المحيّا   كابتسام النوّار فى الأعـواد
ومشى الطفل فى الربوع صبيّاً   يقبس المجد من سنا الأجداد
ثم أضحى فتى يتوق إلى الفهـ   ـم ويمضى إلى سبيل الرشاد
مازه فوق سنه خلة الفطـ   ـنة فى الرأى والذكا الوقاد
لا تراه إلا يجيل سـؤالا   دقّ فى كنهه طريق السداد
أو تراه إلا يقول جـوابا   يترك الرأى واضح الاعتقاد
نعمة أسبغت عليه من الله   وفضل من السميع الهادى

***

أيها الطالب الطموح إلى المجـ   ـد تقدّم دنياك دار الجهاد
قف أمام الكتاب واقرأ كلام الله   يهدى إلى صلاح العباد
واستملّ الحديث ينطق بالحق   ويدعو إلى كريم الوداد
وتمعن فيما أفاض أولو الا   لباب من حكمة ومن ارشاد
وانظر السابقين فى حلبة المجـ   ـد وطوّف بكعبة القصّاد
قد عقدنا عليك كل الأمانى   منذ نادى البشير بالميلاد

صوت المتنبى

مهداة الى الجامعة المصرية بمناسبة (أسبوع المتنبى) فيها

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

من اللأ العلْوى ، من عالم الخلد   أهلُّ عليكم بالتحيات والحمد !
تقحمت حُجب الغيب حتى أتيتكم
لأجزيكم عن بعض إحسانكم عندى
قطعتُ حدودَ (الأين (١)) فى متطاولٍ
مِن اللوح يفنى البعدُ فيه من البعد !
كأن الفضاء اللانهائى سائرٌ   على كُرَةٍ لاحد فيها سوى حدى
إذا ماركضت السير فى فلواته   تشابه ماقبلى علىَّ وما بعدى !
إلى أن تجاوزت النـجوم جواذباً
إليهنّ عِطفى ، غير أن لسن من قصدى !
يناشدننى ـ والنور ثمّ لسانها ـ   لأنشدها شعرى ، وأصفيها ودى
ولو لم تكن (مصرٌ) و (جلّقُ) الهوى
و (بغداد) لم أبخل عليها بما عندى
معانٍ قضى فيها الشباب مآربى   وسلّت بها كبرى العزائم إفرندى
وأمليتُ فيها الدهرغرّ قصائدى   فغنى بها الأجيال فى السهل والنجد

***

قطعت حدود (الأين) حتى أتيتكم   فمن (لمتى) ما بيننا قام كالسدّ ؟ (٢)
أجل ! ألف عام حال بينى و بينكم   فلولا سبقتم ، أو تأخر بى عهدى !
سعدتُ بلقياكم وفزتم برؤيتى   لو ان يد المقدار ألفته فى المدّ !
ألا فتزحزح يا زمان ! لشاعر   يريد فلا تقوى الجبال على صدى (٣)
أغرك أنّ الأرض قد شربت دمى ؟
وأنّ عيون الشّهب قد شهدت لحدى ؟
رويدك ! قد خلدتُ فى الشعر محضَهُ
ولم يبق منه للتراب سوى الدُّردى ! (٤)
فها هو فى الأجيـال ينساب صافيا
إلى ابنٍ .. إلى ابنٍ .. من أبيه .. من ابنه

(١و٥) الأين : اسم من أين يراد به المكان ، ومتى يراد به الزمان
(٢) فيه التفات من الغيبة إلى التكلم   (٤) الكدر الراسب منه

يزيد على الأيام كالخمر سورةً   لو انَّ حُميَّا الخمر تهدى كما يَهدى
أنا الخالد السارى بأعصاب شعبه   وما شعبه بالنزْر أو ضَرِعِ الخدّ

* * *

بنى مصر! أنفاس الخلود عليكم !   ونشرُ الخزامى والرياحين والورد !
سبقتم إلى تكريم ذكراى غيركم   وقِدماً سبقتم للمكارم والمجد !
رأيت (بلاد الضاد) عقداً منظما   ولكنّ (مصراً) فيه واسطةُ العقد
قضيت لمصر بالأمامة بينها   وهل لقضاء شئته أنا من ردّ ؟!
ومَن غيركم أهدى إلى (الضاد) شاعراً
(كشوقى) ومنطيقاً كجباركم (سعد) ؟
أحبهما ؛ لا بل أقدّس فيهما
مشابه من عزمى وأصداء من وجدى !
أعدتم إلى (الفصحى) الحياة فزحزحت
بأيديكمُ كابوس نُبّتَ والصُّغْدِ !
هى الضاد لن يذوى على الدهر عودها
وقد خصّها (الذكر) المقدّس بالخُلد !
ستبدأ من حيث انتهت سائر اللغى   خُطاها إلى حدّ يجل عن الحدّ
ولا تعتبوها فهى بعدُ صغيرةٌ   ولم يتنفّس صدرها بعدُ عن نَهد !
على أنّها بالرغم من صُغْر سنها   لناعسة الجفنين ميّاسة القدّ !
يكاد يصيح الحب بين شفاهها :
(أنا الحب ! ما أُخفيه فوق الذى أُبدى !)

* * *

(تمنّ يلذ المستهام بمثله   وإن كان لايغنى فتيلا ولا يجدى)
(وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا   ولكنه غيظ الأسير على القِدّ)
فلو عشتُ فى هذا الزمان وأهله
لغيّرتُ من نهجى وضاعفتُ من جُهدى !
وكنت تنكبت الملوك ومدحها   فليسوا بأكفائى وإن نالهم حمدى
(وأتعس خلق الله من زاد همه   وقصّر عما تشتهى النفس فى الوُجْد)

* * *

يقول أناس إننى قد هجوتكم   فاما أرادوا الشر أو جهلوا قصدى
ولم أهجُ إلا حالةً غاظنى بها   وقوف بنى الأحرار بين يدَىْ عبد
ولستُ أبالى مادحاً لى وهاجيا
فقد رويتْ نفسى من الصّيت والمجد

ولى منهما ما لم يَنَله مملّكٌ   ولا شاعر قبلى ولا شاعر بعدى
ولكننى أصبحت رمزاً لمجدكم   يضمكم روضى ويجمعكم وِرْدى
فمن نالنى بالسوء نالكمُ به
لذاك ، ويعوى ضدكم مَن عوى ضدى
أبى الله إلا أنْ مجدىَ مجدُكم
وإنْ رغم الشانى ، ومجدُكم مجدى !
أبوكم أبى يوم التفاخر (يعرب) !
وجدُّكم (فرعون) أضحى بكم جدى ! !
تألّه ، و(التاريخ) طفلٌ ومُلكه
تَبَسُّمُ ذاك الطفل نُوغىَ فى المهد ! !
تُكلّلُ بالريحان هاماتُ ضيفه   وتُنضَحُ أبهاء النِّدام بماوَرْدِ
وقد أعلنت فيها المجامر وَجْدها   فصعّدن أنفاسا من العود والندّ
تقوم عليهم فى شفوف رقيقة   جوار كمثل اللؤلؤ النثر والنّضْد
يطفن عليهم بابنة الكرم حُرّةً   وبالنُّقْل بعد اللحم والزُّبد والشّهد
فلا غرو فى دعوى النبوة مثله   وليس له فوق البسيطة من ند !
ويعجبنى الجبّار ! إذ هو قوّة   يهيم بها قلبى وأعبدها جُهدى !
كذا فلتكن فتيان يعرب إنْ تُرد   حياةً لها ما بين أعدائها اللُّدّ !
حرام عليكم أن يقوموا وتقعدوا   وأن تهزلوا والقومُ ماضون فى الجد
كثيرٌ عليهم بعدُ أن تَقِفُوهمُ   بنى اللؤم منكم موقف الند للند
فكيف بأن يعلوا عليكم ويضربوا
على العُرب دون العزّ سدًّا على سدّ !

* * *

رفعتم شباب النيل أمس لواءها !   فغنّيتمُ كربى وبرّدتم وجدى
وثرتم على الحامى العتيد وصحتمُ :
(نعيش كراماً أو نغيّب فى اللحد !)
بنفسى دماء أهرقت فى جهادكم
تحنّ إلى أسلافها قبل فى (أحد !)
جريرتها أن كُلّفتْ حملَ قيدها   وما خُلقتْ إلا قضاء على القيد!
أضاء سناها (بالشآم) فروّعتْ   عِداها وردّتها إلى خُطّة قَصْد
أرى الحق فى الدنيا يُرَدُّ لقاهر   ولم أره يوماً يرد لمستجد !
(فإن لم تنلكم نصف قومٍ مودّةً
أنال القنا . والخوف خير من الود)

ولن تبلغ الأعداء من مصر مطمعاً
وقد زأرت فيها اللبوء مع الآساد ! [1]

***

تناهت سلالات الجبابرة الأولى بنو هيكل الدنيا إلى هيكل فرد
تقوم عليه أمة عربيّة رسالتها هدى الشعوب إلى الرشد
على كاهل الدنيا استقلت بموطنٍ
من (المغرب الأقصى) إلى (الشط [2]) ممتد
إذا هتفت (مصر) بلحن جهادها
تعالى صداه فى (العراق) وفى (نجد)
وخفّ له فى (حضرموت) مهلّلٌ وجلجل فى آفاق (تونس) كالرعد
رأيت (بلاد الضاد) عقداً منظما ولكنّ (مصراً) فيه واسطة العقد
قضيت (لمصر) بالأمامة بينها وما لقضاء شئته أنا من رد !

على أحمد با كثير

(١) اللبوء : جمع لبوءة أنثى الاسد (٢) شط العرب

خيبة رجاء

الى الوالد الواجد الأستاذ أحمد حسن الزيات

للأستاذ محمود غنيم

راح كأن لم يوجد ياليتـه لم يولد
ما اليُتْم فقْـد والد اليُتم فقـد الولد
يا غرة الفرقـد هـلّا عشت عمر الفرقد
عيـد الربيع قد أتى ما لك لم تعيّـد
مالك لم تبسم له عن لؤلؤ منضد
ما فعلت نسـمته بخـدك المورد
يأيها العصـفور قم بين الطيور غرد
قم املأ البيت نشا طاً بين لهوٍ وَدَدِ
البيت ما لم تأوه كالدير أو كالمسجد
أعزز على أبيـك أن تصمت صمت الأبد
ما أبعـد الصبر على فقـد الصبى الأملد
صادٍ أصاب مَنهلاً لكنه لم يَرِد
وإنما أطفال ه ذا اليوم أبطال الغد
ويح البنين ويحهم فى الموت أو فى المولد
هم عودوا قلبي الأسى وقبلهم لم أعتد
لسقمهم وموتهم حزازة فى الكبد
تخطفهم يد الردى ونحن مكتوفو اليد
ليت الذى يسلبهم يسـعد بالتجلد
ليت لنا أفئدة منحوتة من جلمد
كم عاقر بدونهم يعيش عيش المفرد
ووالد من همهم يشيب قبل الموعد

***

أحمد يا خير أب خطبك خطب البلد
ربعَ الشَّرى بأسره إذ مات شبل الأسد
الخطب غير هيّن والصبر غير مسـعد
والشـعر غير طيّع ماذا أقول سيدى
ما المُصاب أحمد غيرُ يراع أحمد

(كوم حماده) **محمود غنيم**

دراسات أدبية

فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٢ —

البيراندلية الحديثة

ويكاد لويجى بيراندللو يعد ألمع شخصية فى الأدب الايطالى الحديث، كما أنه أعظم كاتب مسرحى فى هذا العصر. وهو من الأدباء الذين تأثروا إلى مدى بعيد بنظريات العلامة النفسانى سيجموند فرويد، وقد استطاع أن يجسم تضاعيف هذه النظريات فى رواياته التى تدور حول رسم وتصوير العواطف الخفية التى تسبح فى العقل الباطن، وتظهر الآونة بعد الأخرى على سطح العقل الواعى فتصطدم بالتقاليد والنواميس الطبيعية

على أن أشد ما يؤسف له هو أننا لم نفهم بيراندللو إلا من حيث أنه كاتب مسرحى فقط، أما من وجهة أنه قاص عبقرى فلا يزال مجهولا رغم ما أنتجه من القصص الممتازة التى تدل على قوة الملاحظة وخلق الشخصيات الناضجة التى تطابق الواقع وما امتاز به من تحليل الشخصية ورد العناصر الى أصولها

وبيراندللو — فى عرف بعض النقدة — رمز للعالم الحديث فهو يشعر شعوراً عميقاً بالزمن الحاضر المضطرب بسبب الحوادث والماديات اللاصقة به. ونحن إذا شاهدنا مسرحياته لنقارنها بقصصه شعرنا باضطراب وعدم استقرار. بل لما وجدنا شيئاً نتعلق به لننجو بأنفسنا، فكأننا فى بحر مضطرب ثائر لا يهدأ، وكل بطل من أبطاله ليس فى الواقع إلا « حملت جديد » لا يعرف معنى للاستقرار. وكلما تعمق فى الحياة ازداد اضطرابا، فهو أمام الحياة فى حالة ذعر وخوف

وشخصية بيراندللو نفسها تعد مثالا حياً للمضطربين الذين لا ينشدون الراحة إلا فى حالة ثورة فكرية، وقد أطلق عليه دانييل روبس فى كتابه Carte d'Euraqe لقب « البلشفيكى العقلى »، أى أنه صاحب مذهب شيوعى متطرف بالنسبة للفكر الانسانى، على أننا لا نقر هذه التسمية الخاطئة، لأن الشيوعية المتطرفة تفكر فى إعادة البناء بعد الهدم، على حين أن بيراندللو يهدم ولا يبنى

ويدور فن بيراندللو الروائى حول الشعور بالحياة، ويؤدى إلى فكرة مبهمة عامة، فاذا ما تطورت برزت أمامها عقبات لصدها عن اتخاذ طريقها الطبيعى، وأهم هذه العقبات ما يتعلق بالدين والأخلاق والقوانين، وما يجرى للانسان فى حياته المادية

أما أدبه فيرتكز على نظريات فلسفية يعبر عنها بلسان أبطاله، وليس الأدب فى نظره سوى وسيلة للحياة فى الخيال وللفرار من المتاعب المادية. فاذا فكر فى موضوع رواية مسرحية أو قصة استسلم اليها وأحس أنه بعيد عن وسطه الحقيقى ليحلق فى الجو المصطنع الذى يبتكره خياله. وهو فى هذا يقول: « لا سيادة لنا مطلقا على أفكارنا وعواطفنا ورغباتنا، وأننا لسنا سادة بشخصياتنا، بل إن هذه الشخصية تخضع غالباً لأحكام الكون ولجميع ضروب التأثيرات النفسية. وأنه ليس لنا كيان شخصى معين بل إن شخصيتنا تتبع أعمال الغير، فنحن نلعب الدور الذى تفرضه البيئة ويفرضه المجتمع. وأننا سوف ننتهى إلى حيث لا نعرف »

ويخيل إلىّ أن بيراندللو يشبه من ناحيته الفلسفية عمر الخيام الذى كان ينادى بالقضاء والقدر، وإلى أن أساس الكون ومحور نظامه ليس إلا الاضطرار والجبر. فالقدر فى نظر كل منهما أزلى والقضاء أعمى، ولسنا سوى آلات فى يد الدهر، يحركنا كما تحرك الريح الشجر، فليس لنا من إرادة ولا فى وسعنا أن نستقل بآرائنا إنما نحن « رخاخ » فى رقعة شطرنج

***

يعارض النقادة الايطالى النابه فردريك ناردللى فى كتابه المسمى (حياة ومتاعب بيراندللو L'umo Segretto—Vita e croci di Pirandello) الرأى القائل بوجوب فصل حياة الفنان الخاصة عن فنه كيما يتسنى الحكم عليه أو فى صالحه، فيصف لنا فى أمانة وبساطة المصائب التى لاقاها بيراندللو فى كافة أدوار حياته وارتباطها بفنه، فقد ولد بيراندللو وشب فى جزيرة صقلية، ولذا فمن السهل أن نجد ظل الحياة الصقلية واضحاً عميقاً فى رواياته ونجد أيضاً رسم التقاليد والعادات والحياة الاجتماعية الصقلية فى عصر النهضة، والاشارة عن طريق خفى فى إحدى مسرحياته عما وقع لأمه فى بدء شبابها. فقد ظل والده بعد العام الأول من

زواجه يباشر ابنة عمته الأرملة ، لحمات منه بما أدى الى أن يمنحها هبة مالية بمثابة بائنة تساعدها على الزواج فى بلد آخر

ففى رواية بيرانداللو المسماة اكساء العارين Vêtir ceux que sont nus. يرسم لنا بطلته وهى أرملة تسمى أرزيليا حاولت أن تحمل الناس على الاعتقاد بأن محاولتها الانتحار كانت بسبب هجر خطيبها ، ولكن الواقع أنها هى التى خدعته . وقد حاولت الانتحار لأنها ضبطت فى حالة مريبة مع رب الأسرة الذى تعمل مربية لأولاده . وفى خلال ذلك مات الطفل الذى عهد إليها بتربيته تحت تأثير حادث خفى ، وقد أنقذت أرزيليا من الانتحار بأعجوبة . فتألب الصحفيون حولها وأخذوا يمطرونها بوابل من الأسئلة ، لأن الرأى العام يهتم بمسألتها ، ولكن بعد فوات زمن طويل جعل الناس يستوضحونها الأسباب التى حملتها على الانتحار ، فلم يسعها أمام إلحاحهم سوى الاعتراف بالحقيقة والبوح بالسر ، وعندئذ سقط القناع ، وأمام حرج موقفها وتبكيت الضمير عاودت الانتحار وفى هذه المرة نجحت

فتأثير الحادث الذى سمعه بيرانداللو وهو فى حداثته من أبيه كان لا يزال لاصقاً بذهنه ، فلم يجد بدا من أن يصوغه فى قالب روائى وأن يخلع عليه طريقته فى تأليف مسرحياته واضعاً أشخاصه فى حالة ابهام وغموض وتجلد أمام الآلام ، مسدلا القناع على وجوههم ، ولكن هذا القناع لا يلبث أن يمزقه بعد حين ليعيد إليهم شخصياتهم الحقيقية

أما فى روايته « المرحوم ماثياس باسكال » ففيها لأول مرة يعالج الخيال والواقع والحياة والموت والجنون والحكمة ، وهى تدور حول تحليل شخصية رجل فقير يدعى ماثياس باسكال هرب من زوجه وحماته لشراسة طبعهما ، قاصداً الهجرة إلى أمريكا ، غير أنه وقف فى طريقه بمونت كارلو ليجرب حظه على مائدة الروليت فأسعفه الحظ وربح أرباحا طائلة ، وحدث فى اليوم التالى لاختفائه أن وجدت جثة غريق مجهول فى النهر فزعم أهل قريته أنها جثة ماثياس ودفن على هذا الزعم وتسربت الحادثة الى ماثياس عن طريق الصحف وهو فى مونت كارلو فقرر أن يعيش مختفيا وأن يتجرد من شخصيته الحقيقية ليعيش متحررا من الروابط الاجتماعية ، لكنه بعد أن يتعرى من شخصيته يفقد توازنه بدليل أنه يقول : « إن الشىء الوحيد الذى أؤكده هو أننى كنت أدعى ماثياس باسكال » . بل ربما نسى أنه كان يدعى بهذا الاسم !

وكثيراً ما يعيب النقدة على بيرانداللو أنه يغرق فى الخيال وفى عمق التفكير ، ولكن فى مؤلفات هذا الكاتب المتدفق الثائر نجد أن فنه سبق الحياة فى الكشف عن حقائق ملموسة . وعلى الرغم من أنه ابتكر شخصية ماثياس باسكال فقد طابق خياله منطق الحقيقة مطابقة تامة إلى حد أن حادث ماثياس باسكال وقع بالفعل فى إيطاليا بعد تأليفه هذه الرواية بعشرين عاماً !

وهناك روايته الأخرى الموسومة بعنوان « ايف ولين » وخلاصتها أن شاباً من رجال الأعمال تزوج من فتاة اسمها ايفلين وعاشا عيشة اللهو والحب ، ووقع الزوج فى عجز وضيق مالى فلجأ إلى التزوير فى حسابات عملائه ، وقبل أن يفتضح أمره فر من وجه العدالة تاركا امرأته الشابة وطفلا له منها ، وعطف عليهما محامى الزوج وآواهما فى بيته وأصبحت المرأة فى حكم زوجته وأنجبت منه طفلة وقد مر على حياتهما الهادئة المطمئنة أحد عشر عاماً ، عاد بعدها الزوج الهارب كأشد ما يكون حباً وهياماً بامرأته . وهنا يظهر لنا ازدواج الشخصية كأوضح ما يكون جلاء ، فقد حارت المرأة بين زوجها القديم وزوجها الجديد ، وإنها لتذكر حياتها القديمة بما فيها من ألوان زاهية مرحة كلها الهوى والشباب وتقابل بينها وبين الحياة التى تحياها ، فطابعها الوقار والرصانة والركود والانصراف إلى الواجبات . وأن لها من زوجها الأول طفلا هو اليوم شاب قوى جميل ، ومن زوجها الثانى طفلة تحبها حباً يعادل حبها لولدها الشاب . وكلاهما يمثل ناحية خاصة من حياته بألوانها وصورها المتباينة . وإنها لتحن إلى حياتها الأولى المفعمة بالنشاط والهوى والشباب ولكنها تؤثر حياتها الراهنة بما يحوطها من وقار واذعان وانصراف عن اللهو إلى الجد الصارم . وهى فى حياتها الأولى يدعوها زوجها متحبباً إليها « ايف » وزوجها الثانى متحببا أيضا « لين » . وكل شطرة من هذا الاسم تثير فى نفسها صورا ومعانى وألوانا مختلفة لا سبيل إلى التوفيق والملاءمة بينها وتنتهى الرواية بأن ترضى بحياتها الراهنة وأن يذهب ابنها الشاب ليعيش مع أبيه ولكنها مع ذلك ما تزال تحب زوجها الأول وتحن إلى حياتها القديمة وتشتهيها ، وإنما هى قنعت بحياتها الراهنة لظروف لا تستطيع أن تتحداها



دراما من اسخيلوس

٣ـ محاكمة أورست

The Eumenides

(الدراما الثالثة من الأورستيه)

تتمة

للأستاذ دريني خشبه

— ١٠ —

واهتزت مينرفا فوق عرشها الممرد، وتوجهت بالقول إلى المحلفين العدول من الأثينيين:

— « أيها الأثينيون! أنتم يا من اجتمعتم للنظر مي في قضية هذا الدم المسفوك لأول مرة في تاريخ الانسانية! اصغوا وعوا! إن شعب ايجيوس[1] العظيم ليتلفت في أقصى الأرض ينظر هل ما يزال هذا البيت الذي أسس على التقوى وشيدت دعائمه على العدل، عند حسن ظنهم به، ورجائهم فيه!؟ إن بحسنب الأكروبوليس فخرا أن أقامته الأمازون تقديساً لمجد إبرس الخالد، إذ كن يقتفين أثر ثيذيوس، فنسين ذحلهن، واطرحن إحنهن، لأنه لاذ بهذا الجبل ... فهل كثير أن تنسوا أضغانكم، قبل أن تمطوني موثقكم، فلا تميلوا ولا تحيدوا، ولا تعدلوا عن سبيل الحق، حين تعطون أصواتكم، إما لأورست، وإما عليه!! إنكم هنا لا تخشون عنتا ولا ترهبون رهقا، وإنكم لرضيون مخلصون، وإنكم لتتفجر قلوبكم حنانا ورحمة! وإني هنا لأباركـكم، وأنزل شآبيب رحمتي عليكم، مادمتم خابتين خاشعين، تصدعون من خشيتي! وإني أبدا ساهرة عليكم، أوليكم معروف، وأرزقكم بركتي فأنتم دائماً شعبي، وأنتم آخر الدهر أمتي. هلموا إذن فاكتبوا أصواتكم، ونقوا سرائركم، وبروا أيمانكم، ألا تميلوا ولا تأثموا ... وحسبكم ما قدمت لكم!! »

وهومت ربات الذعر تهويمة ثم قالت:

— « على أننا نرجو ألا يحتقرنا الملأ، وألا تعدى وجود في أرضك تدنيساً لها!! »

فينهض أبوللو ويقول: « بيد أنني أحذركن يا ربات، ألا تجعلن نبوءاتي عبثاً، فان أبي سيد الأولب يؤيدني فيها جميعا »

— « نبوءاتك عن آثام الفجرة الكفرة، التي ستلطخ الانسانية منذ اليوم!! »

— « وأين كنتن يا ربات يوم أن قتل إكسيون[2] أبا

(١) إيجيوس ملك أثينا وابنه ثيذيوس الذي قتل المينوطور وقد نشرنا أسطورته في الرسالة (السنة الثالثة)

(٢) زوج إكسيون ملك لابيثا ابنة رجل على أن ينقده مبلغاً كبيرا من المال، فلما تم الزواج أبى أن يدفع شيئاً وطفق الرجل يطالبه فلما

وقد ظن البعض أن هذه الرواية وليدة الخيال فمن المحال أن يقع في الحياة ما يشابهها، ولكن الحوادث أثبتت أن في الحياة مشكلات لا تقل في غرابتها عن فن بيراندللو، فقد وقعت في بودابست أخيراً حادثة تزوير، ارتكبها شاب يدعى فرادلبير، وفر إلى بلاد أخرى تاركا زوجه وطفلة، فاقترنت المرأة بعد أن يئست من عودة الزوج وأنجبت من زوجها الجديد طفلا، وقد رجع الزوج الأول بعد مرور أربعة عشر عاما ووصل إلى علمه زواج امرأته! وشغلت القضية أذهان الجمهور زمناً وأصبحت حديث الأندية والمجتمعات إلى أن مثلت مسرحية بيراندللو هناك فظن أكثر الناس أن المؤلف إنما يشير الى هذه الحادثة بينما هو كتب مسرحيته قبل الحادثة بثمان سنوات!

(يتبع) محمد أمين حسونة

زوجته ؟ أليس أبي قد اقتص منه بيده ؟ »

— « إهرف يا أبولّو بما شئت ! ولكن ثق أننا لن نبرح هذه الأرض مادمت أنت فيها تحرض على القتل ، وتحرض على الجريمة وتغوى الناس على الفساد ! »

— « ولن تبرح الآلهة ، كباراً وصغاراً ، تحمى عبادها من شرور كن ! »

— « كما تحمى عبدك الآن وقد ارتكب أشنع الجرائم ، وكما تحمى عبادك دائماً ؟ »

— « وإذا لم تحم الآلهة عبادها وتدركها بالرحمة وقت الشدة فمتى تصنع هذا ؟ »

— « ولم يبق إلا أن ترشوا صغيرات الآلهة بقدح من الخمر فيضللن ضلالك ، وتنعكس الشرائع ! ؟ »

— « وليتنى أستطيع إضلالكن فلا تجرعن البرايا سمومكن ! »

— « هيه ! ! لقد عيل صبرنا ! ! ألا متى تنتهى من هذه القضية فنترك لك هذه الأرض بمن فيها ! ! »

(وحين يفرغان من هذا الحوار يكون المحلفون قد فرغوا من وضع الأوراق التى تشمل أصواتهم فى صندوق الاقتراع ... ...)

ثم تقول مينرڤا : « وعلى الآن أن أبدى رأيى حراً بحيث لا يتأثر به أحد منكم !

أنا فى صف أورست ! ! أجل أنا فى صف أورست ! ! أنا مينرڤا ، التى لم تلدنى أم [1] ، لا أبالى كثيراً بأم قتلت لأنها خانت بعلها ، وذبحته ، وخربت بيتها من معانى الأبوة والأمومة طوبى لك يا أورست ! إذا تساوت الأصوات لك وعليك فان صوتى يرجح حقك ، ويؤزر براءتك !! طوبى لك يا أورست ! »

فينتشى أورست من رهبة وفرح ويقول ، مخاطباً أبولّو « يا إلهى أبولّو ! النتيجة يا إلهى ! ! لى أم علىّ ؟ ! »

وتلحظ ربات الذعر ما ترمقها به الأنظار المستهزئة فتخاطب مينرڤا قائلة : « أيتها الربة مينرڤا ! أترين إليهم كيف يلمزوننى ؟! »

فيقول أورست : « إن ساعة خلاصى أو نجاتى تقترب حثيثة ! ! »

فتقول ربات الذعر : « وإن ساعة إثبات حقوقنا أو تجريدنا منها لتقترب حثيثة أيضاً !

ويهتف أبولّو بمن يفرزون الأصوات قائلاً : رويدكم أيها الفرازون ! دققوا جهدكم فى فرز الأصوات ! وإياكم أن تخطئوا فى واحد منها ، فرب زلة من أحدكم تقلب الحق زوراً ، وترسل البرىء إلى سواء الجحيم ! ! »

ويسر رئيس الفرازين كلاماً إلى مينرڤا فيملو البشر أسارير وجهها وتقول : « بشراك يا أورست ! لقد وضع عنك وزرك واطهرت من هذا الدم ! ! الأصوات متساوية لك وعليك ، وصوتى يبرئك ويرجح حقك ! فالبشرى لك ! »

ويستولى على أورست طائف من الذهول ، فيسجد بين يدى مينرڤا ويقول :

— « مينرڤا ! إلهة العدالة ! تباركت وتقدست ! اليوم فقط صرت خليقاً بأن أكون مواطناً من آرجوليس ! لقد نشأت فى دار غربة ، نضوهم وخليف آلام ، ولم أكن أفكر إلا فى الخلاص من حياتى المرة المترعة بالمتاعب ، فتردين لى أنت اعتبارى وطمأنينتى وميراثى فى عرش آبائى . . . فى لحظة عادلة تحت بيتك المكرم ! ! تقدست وتباركت يا مينرڤا ! يا ابنة زيوس سيد الأولمب المعظم ! زيوس حارسى الأمين ، الساهر على رعاياه من ذروة جبل إيدا ! سلام إلى الأبد يا مينرڤا المباركة سلام الى الأبد بين آرجوليس وبين أثينا الخالدة التى تباركينها وتحرسينها ؟ لن تكون بينهما حرب ما عشت ، فاذا قضيت فلن تكون حرب بينهما كذلك ! فاذا حدثت أميراً من أمراء آرجوس نفسه بأن تكون هذه الحرب ، فسأنتفض تحت ركامى لأجعل حياته شقوة لا تحتمل ، وأروعه بأطياف من الذعر تأخذ عليه

الحنف عليه قتله إكسيون فثار الأولمب لأنها كانت جريمة القتل الأولى فى حياة الانسانية وجيء بالقاتل أمام زيوس فاستطاع أن يفتنه بما عمل وكاد زيوس يعفو عنه لولا ما لحظ من نظرات إكسيون الشهوانية إلى زوجة الربة حيرا فأمر به فربطه فى عجلة مشتعلة وجعل يطوف بها السموات

(١) جاء فى الثيولوجية أن ميتيس — إحدى زوجات زيوس — تنبأت له أنها ستضع ولداً يغتصب الملك من أبيه كما صنع هو بأبيه من قبل فاضطرب زيوس وآلى ألا يكون من ذلك شىء فابتلع زوجه هذه ليتخلص من شر نبوءاتها ولكن آلاماً مبرحة انتابته ثم شعر فى رأسه بدوى ورجاء فأس فلكان أن يشجه بيلطه الكبير ، فلما فعل خرجت مينرڤا من الرأس وذلك قولها إنها لم تلدها أم — ومن هنا أنها كانت إلهة الحكمة والعدالة

سبيله أنى توجه ، وتصير أيامه ظلمة ، وأضـواء الحياة فى قلبه وعينيه مرارة ودبجورا ! هذا موثقى وتلك أقسامى يا ربة العدالة ! أما إذا حافظ شعبى على السلام بين بلادينا ، فسأرفرف عليه بالمحبة وأسلى من أجله فى أعماق هيدز ! وداعاً ياميترفا ! وداعاً ياحارس أثينا الأمين ! زيدى فى مجدها وامنحيها البركة والخلود ! »

(ويسجد سجدتين ويغادر الأكروبوليس)

— ١١ —

أماربات الذعر فتأخذهن الحنقة ، وتضطرم نفوسهن بالغضب وتنقلب كل منهن بركانا يقذف بالحمم ؛ ويطفقن يتوعدن ويزمجرن ويتغنين نشيداً من أناشيد الجحيم جرسه رعد ، ونغمه شواظ من نحاس يتردد فى أفواههن ، ويتحشرج فى حلوقهن ، ثم ينذرن ألا يذرن على أرض ميترفا مسبحاً باسمها ولا دياراً ؛ ويبهين نشيدهن بالبكاء على مجدهن الضائع ، والرثاء لحقهن المغصوب . فتهتف ميترفا بهن :

— « على رسـلـكن يا ربات ! فيم هذا الغضب ، وهذه الضجة لِمَهْ ؟ ! لقـد رضيتن بى حكما فيما اختلفتن فيه ، ولقد أخذ العدل مجراه ، وسارت القضية بكل أمانة وكل احسان ... ولقد كانت براءة أورست ناصعة بحيث يكون من الظلم لو أننا أخذناه بما أردتن أخذه به ... فلنفىء جميعاً الى الحق ، فهو دائما أبلج . . . . . علام هـذا النذير يا ربات ؟ ما لأثينا الخالدة الآمنة النائمة فى رعايتى ، القارة فى كنفى ، وما لهذا الضغن الذى يغلى فى قلوبكن ؟ ! قمن بكن ألا تكن حربا على هذا الشعب الذى يسبح باسمى ويولى وجهه شطر معبدى ، وأنا أضمن لـكن محبته ، وأضمن لـكن اجلاله ، وأضمن لـكن أن يقيم الهيا كل باسمكن ، ويطنّب المعابد لـكن . . .

— ١٢ —

ولـكن ربات العذاب تغلو فى النذير غلوا لا يليق بالآلهة ، وتعود إلى ترديد النشيد الممقوت ، نشيد جهنم الذى كله قصف وكله رعد ، فترى ميترفا أن تأخذهن هـذه المرة بالحزم ، إشفاقا منها على أثينا الخالدة أن يصيبها مكر ربات العذاب

— « إذن ... فأنتن تعرفن أننى وحـدى أملك مفاتح زيوس ... أبى ... سيد الأولمب ! أجل ... أنا صاحبتها ... وهى مسخرة لى وحدى ، من دون الآلهة أجمعين ... مفاتح زيوس ، مفاتح نقمته ... نقمته ... هل سمعتن ؟ ! المفاتح التى إن أردت حركتها فأرسلت علـيكن صواعق السماء وشهبها الرواصد ! وهنالك ، وهنالك فقط ، تندمن على مافرطتن فى حقى ، وهنالك تلقين السَّـلَم راغمات يا ربات ، وهنالك أيضاً تسلم أثينا من شرور كن ؛ وتسلم جناتها من خطكن ، وقصورها من خرابكن

هل هذا خير ؟ أم خير أن تقاسمننى محبة هذا الشعب البرىء فيسبح لـكن ويقدم الضحايا لـكن ، فتقطفن لأول مرة فى حياتكن أول ثمرة شهية من أولياء مخلصين ؟ ! »

— « ويلاه ! يا لسوء حظوظنا ، ويا لشؤم منقلبنا ؟ ! لقد رضينا بالقسمة الضيزى إذ تقسّم الآلهة الشماءُ فى أول الأزل ، ورضينا بهذا المأوى المظلم الدجوجى فى أعماق السفل ، ورضينا بسخط الناس ومقت الأرباب لما اضطلعنا به من تعذيب المجرمين وأخذ الآثمين بآثامهم ... أفما كان بحسبنا كل أولئك حتى تجردنا صغار الآلهة حتى من هـذا الحق المهضوم ؟ ! ويلاه ! أدركينا يا أمنا الأرض ! الغوث الغوث يا آلهة الظلمة ... ! »

وتلحظ ميترفا أن تهديدها قد فل من غرب ربات الذعر ، فقللن من غلوائهن ، وخففن من خيلائهن ، فرأت أن تلين معهن ، وذلك من حسن سياسة ربة الحكمة :

— « أما لم أمتهن بحال ربة الأرض ، مولاتكن المقدسة ، ولم أمتهن كذلك آلهة الظلام ، فهم جميعاً أكبر منى سنا ، وأكثر تجربة ، ولـكنى والحمد لأبى سيد الأولمب ، قد رزقت من الحكمة والحصافة قدراً أتيه به على جميع الآلهة ، وأفاخر به كل الأرباب . على أننى أعرض عليكن أن تقمن معى فى هذا المعبد المبارك راضيات ، تتقبلن صلوات الشعب وأضحياته ، على أن توقينه غضبكن ، وتجنبنه أرزاءكن ،

وحسبكن أن تقاسمنني ما هو حق خالص لى »

— « نقاسمك ؟! وأى نصيب يخلص لنا فى معبدك يامينرفا ؟؟»

— « نصيب لا يصيبكن فيه غضب من الناس ولا من الآلهة ، فلا تأبينه ! »

— « أفإن قبلنا غرضك . أفتكون لنا حقوق ثمة ؟ »

— « حقوق وأى حقوق ! لن تكون سعادة فى بيت إلا بمشيئتكن ! »

— « وهل تضمنين لنا هذا ؟ »

— بحيث تبارکن عبادکن یاربات ، فلا تنزلن بهم رزایا کن ؟ ! »

— « وتؤكدين لنا هذا الحق طوال الأبد ؟ »

— ولماذا أعد ، وأنا فى الحالين لن أخسر شيئاً ؟ »

— « قديرة يامينرفا ! لقد أسكنت غضبنا ! »

— « أقمن معى إذن ، وا كسبن محبة شعبى ! »

— « وهل لنا أن نتغنى أناشيدنا هنا ؟ (وأنتم تمقتونها يا آلهة ؟ !) »

— « تغنين ما شئتن (إلا أناشيد الجحيم) ، تغنين أناشيد الجمال والشمس المشرقة ، تغنين أناشيد القمر البازغ والطبيعة المتبرجة ، تغنين أناشيد اليمن والاقبال يا ربات ! تغنين أناشيد الاسعاد تمزجنها بموسيقى السماء ، وإنى أباركها جميعا ، وقد أتغنى بها ممكن ! »

— « إذن رضينا بما أشرت يا مينرفا ! »

— « وإذن ، فانى أعاهدكن على الحق تارة أخرى ، وأن نحكم بالعدل بين ذوى الخطايا والأوزار ، فكل من تأكد لنا إجرامه ، فلكن أن تفتكن به ، وتؤاخذنه بما كسبت يداه »

— « ولك إذن ألا نضار أحدا ، وألا نمس حقلا ولا غيضة ولا بستاناً بأذى ... فليكثر الخير ! ولتمتلئ الأرض الخضرة قطاناً ؟ ولتمطر السماء منا وسلوى »

— « سجلوا أيها الأثينيون ! أيها المحلفون سجلوا ! سجلوا يا سادة أثينا ، واعلموا أن الشر إذا نزل بأهله فحسب ، فهو خير للجميع ! واعلموا كذلك أن من الخير ما ينبت من شر محض ، وأن لكم أن تأمنوا ربات العذاب ما دمتم مخلصين مطهرين ...

— « لتكن أرضهم منضورة بأفواف الزهر ، ولتبعد عنهم رزايا الزمان ؛ وليأمنوا غدرات الأيام ، وليرفرف عليهم فئ من اليمن ، ولتباركهم السماء دائماً ! »

— « إذن تمت نعماؤنا يا ربات ، فليتم الى الأبد السلام ! »

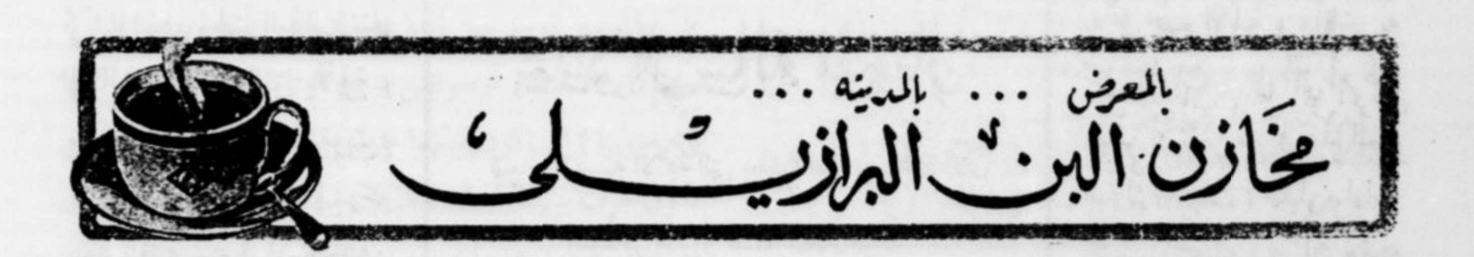
وتأمر مينرفا فيقام حفل ضخم ينشد فيه الجميع نشيد السلام ، ويضمخ المعبد بخور المسك والمنبر والند ؛ ثم ينادى المنادى فيصمت الجميع لحظة ، وإذا هرمز الكريم يبدو من عليائه ؛ ويهبط قليلا قليلا ...

ويتقدم إلى ربات الذعر فيقودهن إلى مملكة السفل ... إلى عالم الظلمات .... إلى أعماق الأرض ، حيث مقرهن ، وحيث مستودعهن ! .....

***

وهكذا تكتفى أثينا شرهن بفضل مينرفا الحازمة ... وهكذا يقرن القصاص ولو من الآباء . . وهكذا يسود العدل ويعم الاحسان

دريني خشبة



الخيال العاقل

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٢)

رجلاً كما كان وادع النفس طفلاً . إنه يجد ويعمل ، إنه يكد ويكدح ، إن الحياة تبسم له أحياناً ، إن الناس من حوله يحبونه ويقدرونه ويكبرونه ويثقون به ، ويطمئنون إليه ويلتمسون به العافية والسلم ، ويحكمونه فيما يشجر بينهم من خلاف ، فلا يعرضه ذلك لبطر ولا لأشر ، لأن الله قد قطع الأسباب بين نفسه الصفاة وبين ما يشوب حياة الناس من الأشر والبطر والغرور . ثم انظر إليه وقد اختاره الله لخير ما يؤثر به عبداً من عباده ، وحمله أثقل أمانة حملها أحداً من خلقه ، فاذا هو يلقى هذا العبء الثقيل جلداً له ، صبوراً عليه ، ناهضاً به ماضياً فيه ، لا يعرف كلالاً ولا ملالاً ولا فتوراً ، لأن الله قطع الأسباب بين نفسه الصفاة وبين ما يشوه حياة الناس من الكلال والملال والفتور

ثم انظر إليه يذوق الثكل بعد أن ذاق اليتم ، ويمتحن في نفسه وسمعته ، ويمتحن في صحبه وأولى نصره ، ويمتحن في بنيه ، ثم يمتحن في زوجه التي جعلها الله له رحمة يسكن إليها ويعتز بها ، ثم يمتحن في دينه ، ثم يمتحن في كل شيء ، ثم يمتحن في كل إنسان ، فاذا هو كما هو ، باسم الكهولة كما كان باسم الشباب وكما كان باسم الصبي ، لا يعرف الضعف ولا اليأس ولا هذا الاكتئاب المقيم إليه سبيلاً ، لأن الله قطع الأسباب بين نفسه الصفاة وبين الضعف واليأس والاكتئاب المقيم

ثم انظر إليه وقد أنكره قومه وأنكره قومه ، وقد ضاقت به مكة وضاق به ما حول مكة ، وقد لقى المحن التي لا تحتمل والمكروه الذي لا يطاق ، فلم يدركه نكول ولا استسلام ، وإنما فتحت له أبواب الأمل ، وفرج عنه تأييد الله لما تضايق من الأمر ، فاذا هو يهاجر إلى يثرب ، أفتراه اطمأن فيها إلى الدعة ونعم فيها بالخفض واللين ؟ كلا ، ما هذه الحروب التي لا تنقضي ، والتي يمتحنه الله فيها بالنصر حيناً وبغير النصر حيناً آخر . ما هذا الجهد الذي لا ينقضي ؟ ما هذا الضيق الذي يضطره أحياناً إلى الجوع ؟ ما هذه الخيانات تأتيه من المنافقين ؟ ما هذه الخيانات تأتيه من حلفائه من يهود ؟ ما هذا الموت يتخطف أعز أصحابه عليه وآثرهم عنده ؟ أفتراه ييئس لذلك أو ضعف عن احتماله ، أو اضطره شيء من ذلك إلى أن يحيد عن طريقه المستقيمة قيد شعرة ؟ كلا ! لأن الله جعل نفسه الكريمة مضاء كلها ، وإباء كلها ، وصبراً كلها ، وثقة بالله كلها .

ثم انظر إليه وقد تقدمت به السن ، ولم يبق له من بنيه وبناته الا فاطمة رحمها الله ، وإذا الأيام تبسم له ، وإذا الأمل يشرق أمامه وإذا البشرات ينبئه بأن الله قد رزقه غلاماً فيسميه باسم أبيه ابراهيم ، وإذا قلبه مسرور محبور ، وإذا هو يشرك المسلمين معه في سروره وحبوره فيبشرهم بما بشر به ، ويجد المسلمون أن عينه قد قرت فتقر عيونهم ، وأن نفسه قد طابت فتطيب نفوسهم ، وأن قلبه الكريم يتفتح للأمل فتتفتح قلوبهم للآمال ، ولكن الله يأبى ألا أن يمتحنه شيخاً كما امتحنه صبياً وشاباً وكهلاً وإذا ابراهيم ينزع منه ولما يتم الرضاع . أفتراه جزع لذلك أو أدركه ما يدرك الشيوخ من وهن وضعف . كلا . إن الله قد قطع الأسباب بين نفسه الصفاة وبين الوهن والضعف . لم يتم ابراهيم رضاعه في الدنيا فسيتمه في الجنة . وانظر إلى أبيه وإنه ليسعى في جنازته محزوناً ، ولكن حزن الكرام لا حزن اليائسين ولا حزن القانطين ، وإنه ليقوم على قبره وإنه ليعنى بتسوية القبر وترويته وصب الماء عليه ، وإنه لينصح المسلمين إذا عملوا عملا أن يتموه وإن لم يكن لذلك غناء ظاهر ، لأن من كمال العقل أن يحسن الرجل ما يعمل . ثم انظر إليه يعلن إلى ربه أنه راض بقضائه ، مذعن لأمره مؤمن بحكمته ، ويعلن إلى ابنه أنه محزون لفقده . ثم انظر إليه إن عينيه الكريمتين لتدمعان . وما يمنعه أن يبكي وإن البكاء ليتم مروءة الرجل أحياناً ؟ ولكن انظر إليه ، أترى شيئاً من حياته قد تغير ؟ أترى شيئاً من رأيه في الحياة قد تغير ؟ كلا . ما كان للاحداث في هذه الدنيا أن تغير نفساً هي أكبر من الدنيا ؟

قلت لهذا الخيال ما رأيت كاليوم خيالا عاقلاً رشيداً . إن في حديثك لعبرة لمن أراد أن يعتبر . قال وأى غرابة في أن يعقل الخيال ويرشد إذا تحدث عن محمد ، وإن كان من طبعه الطموح والجموح ؟ . قلت لأنقلن حديثك هذا إلى صديق محزون جزع . قال : انقله راشدا إلى صديقك والى كل محزون جزع ، فما أرى أن مسلما يتمثل حياة محمد من هذه الناحية من نواحيها ثم يعرف اليأس أو الجزع إلى قلبه سبيلا ؟

طه حسين



في ترجمة السخاوي أيضاً

نشرت الرسالة في عددها الماضي (العدد ١٤٢) كلمة للأديب محمود عساف أبو الشباب يشير فيها إلى نقطة وردت في بحث كنت نشرته في الرسالة منذ أشهر عن الحافظ شمس الدين السخاوي في العددين ١٠٣ و ١٠٤ الصادرين في شهر يونية الماضي

ومن الغريب أن نفس الأديب كان قد نشر نفس الكلمة في الرسالة في العدد ١٠٧ الصادر في ٢٢ يولية الماضي، وهو يعيد نشرها الآن بعد عشرة أشهر مع تحوير يسير فيها

أما الملاحظة التي يلح الأديب في إثباتها وتكرارها فهي أني قد ذكرت في الفصل الذي كتبته عن تراث السخاوي أنه ترك ضمن آثاره أثرين هما « تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات » و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » وأن في نسبة هذين الأثرين للسخاوي خطأ محققاً يجب تصحيحه، وأنه أي صاحب الملاحظة، قد درس ترجمة السخاوي وقتلها بحثاً فلم يظفر بين مؤلفاته بذكر لهذين الأثرين

وجوابي على هذه الملاحظة هو أن في نسبة الأثر الأول أي « تحفة الأحباب » للسخاوي شك لم يتسع وقتي لتحقيقه واستجلائه، وفي نسبته لسمي السخاوي الآخر أيضاً شك لا أستطيع القطع معه بصحة هذه النسبة وذلك رغم ما ورد في شأنها في بعض الكتب المتأخرة؛ وهذا الشك في نسبة « تحفة الأحباب » للسخاوي معروف في البيئات التي تعني بدراسته، بيد أن البحث لم ينته في ذلك إلى رأي حاسم

وأما نسبة الأثر الثاني أعني كتاب « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » إلى الحافظ السخاوي فليس فيها ذرة من الريب. فالسخاوي يذكره في ترجمته لنفسه بين مصنفاته في التاريخ بعنوان « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التواريخ » (راجع الضوء اللامع في مخطوط دار الكتب المصور المجلد الرابع القسم الأول ص ٧٥ و ٧٦) ويذكر السخاوي أيضاً في نهاية كتابه أنه أتمه بمكة سنة ٨٩٧ هـ؛ وقد طبع هذا الأثر أخيراً فعلى الأديب أن يراجعه ليتحقق

وأما كون السخاوي لم يذكر أثراً معيناً من آثاره في ترجمته، فيكون دليلا على أنه لم يكتبه، فتدليل خاطئ؛ ذلك لأن السخاوي يقف في ترجمة نفسه في الضوء اللامع حتى سنة ٨٩٧ هـ أو أوائل سنة ٨٩٨ هـ أي قبل وفاته بنحو خمسة أعوام، (وقد توفي بمكة سنة ٩٠٢ هـ) وقد كتب السخاوي في تلك الفترة التي تقدمت وفاته عدة كتب ورسائل أخرى لم يشر إليها في الضوء اللامع

وأخيراً أرجو أن يعتقد الكاتب الأديب أن القول الفصل في مثل هذه الدراسات لا يمكن أن يكتفى فيه بالقول المرسل أو الاستناد إلى بعض الروايات الضعيفة، وما زال الأمر فيما يتعلق بالأثر الأول في حاجة إلى استكمال البحث، وهو بحث أرجو أن يتسع وقتي لاجرائه متى توفرت مواده ومصادره الوثيقة

محمد عبد الله عنان

كتاب جديد عن هتلر

صدر أخيراً كتاب جديد عن هير هتلر، وقد صدرت في الأعوام الثلاثة الأخيرة كتب عديدة عن زعيم ألمانيا الجديدة منها ما يرتفع به إلى السماكين كزعيم ومصلح، ومنها ما يصوره زعيما عادياً لم ترفعه إلى مركزه أية عبقرية أو مواهب خاصة، وإنما رفعته إليه ظروف خاصة. ولكن الكتاب الجديد يمتاز بالتمحيص المادي والتصوير الدقيق؛ وهو من قلم كاتب وسياسي فرنسي كبير هو مسيو فرانسوا دي تسان Tessan وعنوانه: « ها أدولف هتلر » Voici Adolf Hitler . وقد كان مؤلف الكتاب مدى أعوام طويلة وكيلا لوزارة الخارجية، وهو من الكتاب الساسة

الذين توفروا على دراسة الشؤون الدولية دراسة عميقة متزنة . وكتابه عن هتلر أكثر من ترجمة لهذا الزعيم ، فهو في الواقع تاريخ كامل للحركة الاشتراكية الوطنية في الأعوام الثلاثة الأخيرة ، وفى سائر وجوهها ومناحيها

ويحاول مسيو تسان أن يعرض حديثه عن هتلر وعن الاشتراكية الوطنية عرضاً محايداً مجرداً عن الشهوات والنزعات الخاصة . وهو يحاول حتى فى سرد الحوادث الدامية المروعة التى اقترنت بقيام حكم النازى أن يبتعد عن التفاصيل والتعليقات المثيرة ، ويكتفى بالاشارة الطائرة إلى كثير من ضروب الاضطهاد والفظائع التى نزلت بالأحزاب المعارضة وباليهود . بيد أنه لا يسعه إلا أن يقدم إلينا ألمانيا على ضوء هذه الحوادث المثيرة مشبعة بروح العصور الوسطى ، متشحة بثوب ظاهر من الهمجية ، مستندة إلى القوة الغاشمة وحدها فى فهم القانون والحق . ويستعرض المؤلف الحوادث المتعاقبة منذ قيام الحكم الهتلرى حتى وفاة هندنبورج واتشاح هتلر بثوب « الزعامة » ، ويفصل لنا حادثة إحراق الريخستاج ، وحوادث ٣٠ يونية الدامية ، ويشرح لنا النظم والأساليب النازية الجديدة التى أدت إلى توحيد ألمانيا وسحق النظم الاتحادية القديمة ، وإقامة أمة موثقة العرى فى قبضة طاغية هو فى نفس الوقت رئيس حكومة ورئيس دولة .

ويبين لنا مسيو تسان آثار النظام الجديد فى تعبئة الشباب وسحق الآراء الشيوعية ، وتحطيم اليهودية ، وإخراج اليهود من حظيرة القانون ، وإضعاف شوكة الكثلكة ، وعلى الجملة فى إنشاء « الدولة الشاملة التى تغذيها تخيلات زعيم متصوف ، والتى تعتمد على قوة عسكرية تزيد كل يوم ، وما زالت وجهة استخدامها فى المستقبل لغزاً لحضارتنا وللعالم » . كذلك يشرح لنا مسيو تسان آثار الاجراءات الدامية التى اتخذها الزعيم بيديه فى ٣٠ يونيه ، وكيف أنها وقعت تحت تأثير « الريخسفر » (الجيش) وسحقت نفوذ ذوى الأقمصة السمراء ، واستبعدت من الحركة عناصر المغامرين ، ووضعت حداً لمنافسة فرق الهجوم للجيش ؛ وكيف انتهى تعاون الريخسفر مع هتلر إلى إلغاء النصوص العسكرية فى معاهدة الصلح ، وإقامة جيش ألمانى جديد قوامه ستمائة ألف

ولم يكن ميسوراً أن تقع هذه الانقلابات الشاملة دون تعبئة الرأى العام وتوجيهه ، ومن ثم فقد لجأت الحركة النازية إلى أشد أساليب الدعوة ، واتخذت الفكرة الجنسية والجرمانية أساساً لدعوتها ، ونظمت هذه الدعوة بشتى الوسائل ، بالمسرح والسينما والراديو والكتابة . كذلك حشدت الجامعات والمدارس والحركة التعليمية كلها لتأييد المبادىء النازية ، وأنشىء معهد لصوغ التاريخ القومى طبقاً للنظريات النازية ، وأضحت الحركة العسكرية كلها أداة نافذة فى يد النظام الجديد تهيىء بها النشء والشباب للخضوع المطبق

ويشرح لنا المؤلف أدوار الحركة التى نظمت لسحق اليهودية منذ بدايتها وكيف أنها انتهت إلى وضع اليهودية من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية فى نوع من العزلة المطبقة التى تشبه نظام « الجيتو » فى العصور الوسطى

ويتناول المؤلف تطورات السياسة الألمانية الجديدة فى هذه الفترة وموقف ألمانيا من المعاهدات ومشاريع السلام ، ودعاواها فى المستعمرات ، وكل مايتعلق بهذه الشؤون ، وما أحرزته فى هذا الميدان من النتائج

وقد كتب الكتاب بأسلوب قوى متزن تطبعه نزعة السياسى الهادىء والمؤرخ المحقق

المباراة الصحفية الأدبية

بيان من ادارة المطبوعات

إلحاقاً بمشروع حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية الأدبية تتشرف إدارة المطبوعات بأن تذيع على حضرات الصحفيين والكاتبين بأن اختيار دولته قد وقع على حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة الآتية أسماؤهم بعد رؤساء للجان التحكيم كل فى الموضوع الذى يخصه وترك لكل من حضراتهم حرية اختيار زملائه أعضاء لجنته ، وستذيع الادارة قريباً أسماء الجميع كما أنها ستذيع ما قد يتراءى لهذه اللجان من توجيهات وإرشادات وقواعد وأسس

وقد تفضل دولة الوزير فأمر بامتداد مدة تقديم الموضوعات إلى أمد نهايته ١٠ إبريل سنة ١٩٣٦ فى غير تحديد لحجم ما يكتب وفى مطلق الحرية للكاتب فيما يريد إبداءه من آراء ومقترحات

وأن التفضيل يكون للرسالة العملية النتائج ، وليس ثمت من حاجة إلى التطويل فيما هو ظاهر جلىّ ، وأن العبرة كل العبرة فى حسن التصوير ودقته ، والالمام الصحيح بشتى نواحى الموضوع العملية الانتاجية . كما أن دولته قد أشار بترك الحرية المطلقة لحضرات المتقدمين من الصحفيين والكاتبين فى أن يرجئوا نشر رسائلهم إلى ما بعد ظهور نتائج المباراة أو أن ينشروها من الآن فيما يختارون من صحف ومجلات

كذلك أمر دولته أن تطبع الرسائل الفائزة فى كتاب خاص رغبة فى إذاعتها والاستفادة من وجاهتها ونشر للثقافة وحسن الافادة ، وأن يذاع منها من محطة الاذاعة الحكومية اللاسلكية ما تشير به لجان التحكيم تعميما للفائدة بأوسع ما يكون

وترجو إدارة المطبوعات — رغبة منها فى عدم إضاعة الوقت — أن يتكرم حضرات الراغبين فى دخول هذه المباراة بارسال خمس صور مما يكتبون فى الموضوع الذى يختارونه إلى حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة رؤساء اللجان كل فيما يخصه وهم حضرات :

الموضوع الأول : رسالة الأزهر فى القرن العشرين

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الشريف والمعاهد الدينية

الموضوع الثانى : اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

رئيس لجنة التحكيم : سعادة الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة المصرية

الموضوع الثالث : أثر الحافز الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام

رئيس لجنة التحكيم : الأستاذ الكبير مكرم عبيد نقيب المحامين

الموضوع الرابع : البطالة ووسائل علاجها . والتعليم الاقليمى وأثره فى علاج البطالة

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية

الموضوع الخامس : التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الأمة

رئيس لجنة التحكيم : الأستاذ الكبير محمود فهمى النقراشى

الموضوع السادس : عدة النجاح لرجل القرن العشرين

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا

الموضوع السابع : تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب العزة الدكتور بهى الدين بركات بك

الموضوع الثامن : ترقية الفلاح اجتماعياً

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا

الموضوع التاسع : استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة على الشمسى باشا

الموضوع العاشر : وضع نشيد وطنى قومى

رئيس لجنة التحكيم : الأستاذ الكبير الدكتور أحمد ماهر

حول المباراة الأدبية

ورد الينا من إدارة المطبوعات ما يأتى . . .

الحاقاً لمشروع حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية الأدبية وموضوعاتها العشرة السابق إذاعتها

تتشرف إدارة المطبوعات بأن تذيع أيضاً أن دولته قد أمر باضافة الموضوعين الآتيين ليكونا ضمن موضوعات المباراة المتقدمة وهما :

١ — سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون

٢ — البوليس — وهو من حراس القانون — صديق الشعب — ووجوب مساعدة الشعب له فى أداء واجباته

وستذيع الادارة قريباً أسماء حضرات رئيس وأعضاء لجنتى التحكيم فى هذين الموضوعين الذين سيتفضلون بقبول المساهمة فى هذه الخدمة الثقافية العامة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٤ — ٦ ابريل سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 144.

Lundi 6 4 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٤٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ محرم سنة ١٣٥٥ — ٦ أبريل سنة ١٩٣٦» السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة
٥٢١ ولدى ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٥٢٣ رسالة الأزهر فى القرن العشرين : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٥٢٦ النهضات القومية العامة : الدكتور عبد الرزاق السنهورى
٥٢٩ جاكومو كازانوفا ... ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٥٣٢ عشر كلمات ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٥٣٤ التعليم والحالة الاجتماعية فى مصر ... ... : الأستاذ اسماعيل مظهر ... ...
٥٣٨ قصة المكروب ... ... : الدكتور أحمد زكى ... ...
٥٤٠ الحياة الأدبية فى لبنان ... : سامى الشقيفى ... ...
٥٤٢ فى تاريخ الفقه الاسلامى : الدكتور يوسف شخت ... ...
٥٤٧ تقى الدين السبكى ... ... : محمد طه الحاجرى ... ...
٥٤٩ عند بحر مويس شتاء (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
لحن على الماء « : العوضى الوكيل ... ...
٥٥٠ أمنية تبعث « : الأستاذ أمجد الطرابلسى ......
٥٥٢ المضرعات (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥٥٦ أخى الأستاذ الزيات ... : الأستاذ خليل هنداوى ...
٥٥٦ حول رأى الأندلس المجهول
٥٥٧ حول ذخيرة ابن بسام أيضاً : الأستاذ محمد حصار ...
عبرات حرار ... ...
كتاب هام عن المسألة الفلسطينية ... ...
٥٥٨ قصص فلسطينية . طريقة المجمع اللغوى فى كتابة الأعلام الأعجمية
٥٦٠ حول كتاب الذخيرة أيضاً : ادريس الكتانى ... ...

ولـــدى !!

يا قارئى أنت صـديق فدعنى أُرِق على يديك هـذه العبرات الباقية ! هـذا ولدى كما ترى ، رُزِقتُه على حال عابسة كاليأس ، وكهولة بائسة كالهرم ، وحياة باردة كالموت ، فأشرق فى نفسى إشراق الأمل ، وأورق فى عودى إيراق الربيع ، وولّد فى حياتى المقيمة معانى الجِدّة والاستمرار والخلود !



كنت فى طريق الحياة كالشارد الهيمان ، أنشد الراحـة ولا أجد الظل ، وأفيض المحبة ولا أجد الحبيب ، وألبس الناس ولا

أجد الأنس ، وأكسب المال ولا أجد السعادة ، وأعالج العيش ولا أدرك الغاية !! كنت كالصوت الأصم لا يُرجّعه صدى ، والروح الحائر لا يُقرّه هدى ، والمعنى المبهم لا يحدده خاطر ! ! كنت كالآلة تنتجها آلةٌ واستهلكها عمل ، فهي تخدم غيرها بالتسخير ، وتميت نفسها بالدءوب ، ولا تحفظ نوعها بالولادة ؛ فكان يصلني بالماضي أبي ، ويمسكني بالحاضر أجلي ، ثم لا يربطني بالمستقبل رابط من أمل أو ولد . فلما جاءني (رجاء) وجدتُني أولد فيه من جديد ؛ فأنا أنظر إلى الدنيا بعين الخيال ، وأبسم إلى الوجود بثغر الاطفال ، وأضطرب في الحياة اضطراب الحي الكامل يدفعه من ورائه طمع ، ويجذبه من أمامه طموح ! شعرت بالدم الحار يتدفق نشيطاً في جسمي ، وبالأمل القوي ينبعث جديداً في نفسي ، وبالمرح الفتيّ يضج لاهياً في حياتي ، وبالعيش الكئيب تتراقص على حواشيه الخضر عرائس المنى ! فأنا ألعب مع رجاء بلُعبه ، وأتحدث إلى رجاء بلغته ، وأتبع عقلي هوى رجاء فأدخل معه دخول البراءة في كل ملهى ، وأطير به طيران الفراشة في كل روض ثم لم يعد العمل الذي أعمله جديراً بعزمي ، ولا الجهد الذي أبذله كفاء لغايتي ، فضاعفت السعي ، وتجاهلت النصَب ، وتناسيت المرض ، وطلبت النجاح في كل وجه ! ذلك لأن الصبي الذكي الجميل أطال حياتي بحياته ، ووسّع وجودي بوجوده ، فكان عمري يغوص في طوايا العدم قليلاً قليلا ليمد عمره بالبقاء ، كما يغوص أصل الشجرة في الأرض ليمد فروعها بالغذاء

شغل رجاء فراغي كله ، وملأ وجودي كله ، حتى أصبح شغلي ووجودي ! فهو صغيراً أنا ، وأنا كبيراً هو ؛ يأكل فأشبع ، ويشرب فأرتوي ، وينام فأستريح ، ويحلم فتسبح روحي وروحه في اشراق سماوي من الغبطة لا يوصف ولا يحد !!

ما هذا الضياء الذي يشع في نظراتي ؟ ما هذا الرجاء الذي يشيع في بسماتي ؟ ما هذا الرضا الذي يغمر نفسي ؟ ما هذا النعيم الذي يملأ شعوري ؟ ذلك كله انعكاس حياة على حياة ، وتدفق روح في روح ، وتأثير ولد في والد ! ؟

***

ثم انقضت تلك السنون الأربع ! فصوّحت الواحة وأوحش القفر ، وانطفأت الومضة وأغطش الليل ، وتبدد الحلم وتجهم الواقع ، وأخفق الطب ومات رجاء ! !

ياجبار السموات والأرض رُحماك !! أفي مثل خفقة الوسنان تبدّل الدنيا غير الدنيا ، فيعود النعيم شقاء والملاء خلاء والأمل ذكرى ؟! أفي مثل تحية العجلان يصمت الروض الغَرِد ، ويسكن البيت اللاعب ، ويقبح الوجود الجميل ؟ ! حنانيك يا لطيف ! ما هذا اللهيب الغريب الذي يهب على غشاء الصدر ومَراق البطن فيرمض الحشا ويذيب لفائف القلب ؟ اللهم هذا القضاء فأين اللطف ؟ وهذا البلاء فأين الصبر ؟ وهذا العدل فأين الرحمة ؟

إن قلبي ينزف من عيني عبرات بعضها صامت وبعضها مُعول ! فهل لبيان الدمع ترجمان ، ولعويل الثاكل ألحان ؟ إن اللغة كونٌ محدود فهل تترجم اللانهاية ؟ وإن الآلة عصب مكدود فهل تعزف الضرم الواري ؟ إن من يعرف حالي قبل رجاء وحالي معه يعرف حالي بعده ! أشهد لقد جزعت عليه جزعا لم يغن فيه عزاء ولا عظة ! كنت أنفر ممن يعزيني عنه لانه يهينه ، وأسكن الى من يباكيني عليه لأنه يُكْبِره ، وأستريح إلى النادبات يندبن الكبد الذي مات والأمل الذي فات والملك الذي رُفع !

لم يكن رجاء طفلا عاديا حتى أملك الصبر عنه وأطيع السلوان فيه ؛ إنما كان صورة الخيال الشاعر ورغبة القلب المشوق ! كان وهو في سنه التي تراها يعرف أوضاع الأدب ، ويدرك أسرار الجمال ، ويفهم شؤون الأسرة ، ويؤلف لي (الحواديت) كلما ضمني وإياه مجلس السمر ! كان يجعل نفسه دائما بطل (الحدوتة) فهو يصرع الأسود التي هاجمت الناس من حديقة الحيوانات ، ويدفع (العساكر) عن التلاميذ في أيام المظاهرات ، ويجمع مساكين الحي في فناء الدار ليوزع عليهم ماصاده ببندقيته الصغيرة من مختلف الطير !

والهف نفسي عليه يوم تسلل إليه الحِمام الراصد في وعكة قال الطبيب إنها (البرد) ، ثم أعلن بعد ثلاثة أيام أنها (الدفتريا) ! لقد عبث الداء الوبيل بجسمه النضر كما تعبث الريح السموم بالزهرة الغضة ! ولكن ذكاءه وجماله ولطفه ما برحت قوية ناصعة ، تصارع العدم بحيوية الطفولة ، وتحاجُّ القدَر في حكمة الحياة والموت ! !

والهف نفسي عليه ساعة أخذته غصة الموت ، وأدركته شهقة الروح ، فصاح بملء فمه الجميل : (بابا ! بابا !) كأنما ظن أباه يدفع عنه مالا يدفع عن نفسه !

لنا الله من قبلك ومن بعدك يا رجاء ، وللذين تطولوا بالمواساة فيك السلامة والبقاء !

احمد حسن الزيات

تجديد الإسلام

رسالة الأزهر فى القرن العشرين (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

(الأزهر) ، هذه هى الكلمةُ التى لا يقابلها فى خيال الأمة المصرية إلا كلمةُ (الهرم) . وفى كلتا اللفظتين يكمن سرٌّ خفىٌّ من أسرار التاريخ التى تجعل بعضَ الكلمات ميراثاً عقلياً للأمة ، يُنْسِيى مادة اللغة فيها ، ولا يُبقى منها إلا مادةَ النفس ، إذ تكون هذه الكلمات تعبيراً عن شىء ثابت ثبات الفكرة التى لا تتغير ، مستقرٍ فى الروح القومية استقرارَه فى الزمن ، متجسم من معناه كأن الطبيعة قد أفردته بعادته دون ما يشاركه فى هذه المادة ؛ فالحجرُ فى الهرم الأكبر يكاد يكون فى العقل زماناً لا حجراً ، وفناً لا جسما ؛ والمكانُ فى الأزهر يغيب فيه معنى المكان ، وينقلب إلى قوة عقلية ساحرة ، توجد فى المنظور غير المنظور

وعندى أن الأزهر فى زمننا هذا يكاد يكون تفسيراً جديداً للحديث : « مصر كنانة الله فى أرضه » ، فملؤه اليوم أسهم نافذة من أسهم الله يرمى بها من أراد دينَه بالسوء فيُمسكها للهيبة ويرمى بها للنصر ، ويجب أن يكون هذا المعنى أولَ معانيهم فى هذا القرن العشرين الذى ابتلى بعلماء عشرين قرناً من الجرأة على الأديان وإهمالها والالحاد فيها

أول شىء فى رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، أن يكون أهلُه قوة إلهية معدَّة للنصر ، مهيأة للنضال ، مسددة للاصابة ، مقدرة فى طبيعتها أحسن تقدير ؛ تُشعر الناس بالاطمئنان إلى عملها ، وتوحى إلى كل من يراها الايمانَ الثابتَ عمناها ؛ ولن يأتى لهم هذا إلا إذا انقلبوا إلى طبيعتهم الصحيحة ، فلا يكون العلم تحرفاً ولا مهنة ولا مكسبة ، ولا يكون فى أوراق الكتب خيال (أوراق البنك) . . . . بل تظهر فيهم العظمة الروحانية آمرة ناهية فى المادة لا مأمورة منهية بها ، ويرتفع كل منهم بنفسه ، فيكون مقررُ خُلُق فى الحياة قبل أن يكون معلم علم فى الحياة ، لينبث منهم مغناطيسُ النبوّة يجتذب النفوس بهم أقوى مما تجذبها ضلالات العصر ؛ فما يحتاج الناس فى هذا الزمن إلى العالم — وإن الكتب والعلوم لتملأ الدنيا — وإنما يحتاجون إلى ضمير العالم

وقد عجزت المدنية أن توجد هذا الضمير ، مع أن الاسلام فى حقيقته ليس شيئاً إلا قانون هذا الضمير ، إذ هو دين قائم على أن الله لا ينظر من الانسان إلى صورته ولكن إلى عمله ؛ فأول ما ينبغى أن يحمله الأزهر من رسالته ضمائر أهله

والناسُ خاضعون للمادة بقانون حياتهم ، وبقانون آخر هو قانون القرن العشرين ... فهم من ثمَّ فى أشد الحاجة إلى أن يجدوا بينهم المتسلط على المادة بقانون حياته ليروا بأعينهم القوى الدنيئة مغلوبة ، ثم ليجدوا فى هذا الانسان أساس القدوة والاحتذاء فيتصلوا منه بقوتين : قوة التعليم وقوة التحويل . هذا هو سر الاسلام الأول الذى نفذ به من أمة الى أمة ولم يقم له شىء يصده اذ كان ينفذ فى الطبيعة الانسانية نفسها

***

ومن أخص واجبات الأزهر فى هذا القرن العشرين أن يعمل أول شىء لاقرار معنى الاسلام الصحيح فى المسلمين أنفسهم ، فان أكثرهم اليوم قد أصبحوا مسلمين بالنَّسب لا غير . . . وما منهم إلا من هو فى حاجة إلى تجديد الاسلام . والحكومات الاسلامية عاجزة فى هذا بل هى من أسباب هذا الشر ، لأن لها وجوداً سياسياً ووجوداً مدنياً . أما الأزهر فهو وحده الذى يصلح لاتمام نقص الحكومة فى هذا الباب ؛ وهو وحده الذى يسمه ما تعجز عنه ؛ وأسبابُ نجاحه مهيأة ثابتة إذ كان له بقوة التاريخ حكم الزَّعامة الاسلامية ، وكانت فيه عند المسلمين بقيةُ الوحى على الأرض ، ثم كان هو صورة المزاج النفسى الاسلامى المحض . بَيْدَ أنه فرَّط فى واجب هذه الزعامة وفقد القوة التى كان يحكم بها وهى قوة المثل الأعلى التى كانت تجعل الرجلَ من علمائه كما قلنا مرة : إنساناً تتخيَّره المعانى السامية تظهر فيه بأسلوب عملى فيكون فى قومه ضرباً من التربية والتعليم بقاعدة مُنتزَعة من مثالها مشروحة بهذا المثال نفسِه . والعقيدةُ فى سواد الناس بغير هذا المثل الأعلى

---

(١) لم نتكلم فى هذه المقالة عن الفقه والأدب وتفصيل علوم الأزهر لأن هذه هى مادة الأزهر . لا رسالته الجديدة فى رأينا

هي أول مغلوب في صراع قوى الحياة

لقد اعتاد المسلمون من قديم أن يجعلوا أبصارهم إلى علماء الأزهر فيتّبعونهم ويتأسّون بهم ويمنحونهم الطاعة وينزلون على حكمهم ويلتمسون في سيرتهم التفسير لمشكلات النفس، ويعرفون بهم معنى صغر الدنيا ومعنى كبر الأعمال العظيمة؛ وكان غنى العالم الديني شيئاً غير المال بل شيئاً أعظم من المال إذ كان — يجد حقيقة الغنى في إجلال الناس لفقره كأنه مُلك لا فقر. وكان زُهده قوة حاكمة فيها الصلابةُ والشدةُ والهيبةُ والسموُّ وفيها كلُّ سلطان الخير والشر لأن فيها كلَّ النزَعات الاستقلالية؛ ويكاد الزهدُ الصحيح يكون هو وحده القوة التي تجعل علماء الدين حقائق مؤثرة عاملة في حياة الناس أغنيائهم وفقرائهم، لا حقائق متروكة لنفسها يوحِش الناسَ منها أنها متروكة لنفسها

***

وعلماء الأزهر في الحقيقة هم قوانين نفسية نافذة على الشعب، وعملهم أردُّ على الناس من قوانين الحكومة، بل هم التصحيح لهذه القوانين إذا جرت الأمور على عِللها وأسبابها؛ فيجب عليهم أن يحققوا وجودهم وأن يتناولوا الأمة من ناحيـة قلوبها وأرواحها، وأن يُعدّوا تلاميذهم في الأزهر كما يُعدون القوانين الدقيقة لا طلاباً يرتزقون بالعلم

أين صوتُ الأزهر وعملُه في هذه الحياة المائجة بما في السطح وما في القاع... وأين وحيُ هـذه القوة التي ميراثها أن تحملَ النبوّة كأنها شيء واقع في الحياة المصرية لا خبرٌ تاريخي فيهـا؟

لقـد أصبح إيمانُ المسلمين كأنه عادةُ الايمان لا الايمان نفسُه، ورجع الاسلامُ في كتبه الفقهية وكأنه أديان مختلفة متناقضة لا دين واحد. فرسالة الأزهر أن يجدد عمل النبوة في الشعب، وأن ينفي عمل التاريخ في الكتب، وأن يبطل عمل الوثنية في العادات، وأن يعطي الأمةَ دينها الواضح السمح الميسر وقانونها العملي الذي فيه سعادتُها وقوّتها

ولا وسيلة إلى ذلك إلا أن يكون الأزهر جريئاً في قيادة الحركة الروحية الاسلامية، جريئاً في عمله لهذه القيادة، آخذا بأسباب هذا العمل، ملحاً في طلب هـذه الأسباب، مصراً على هذا الطلب. وكل هذا يكون عبثاً إن لم يكن رجال الأزهر وطلبته أمثلةً من الأمثلة القوية في الدين والخلُق والصلابة لتبدأ الحالة النفسيةُ فيهم، فانها إن بدأت لا تقف؛ والمثل الأعلى حاكم بطبيعته على الانسانية، مطاعٌ بحكمه فيها، محبوبٌ بطاعتها له

والمادة المطهِّرة للدين والأخلاق لا تجدها الأمة إلا في الأزهر، فعلى الأزهر أن يثبت أن فيه تلك المادة باظهار عملها لا بالصاق الورقة المكتوب فيها الاسم على الزجاجة...

ومن ثم يكون واجب الأزهر أن يطلب الاشراف على التعليم الاسلامي في المدارس وأن يدفع الحركة الدينيـة دفعاً بوسائل مختلفة؛ أولها أن يحمل وزارة المعارف على إقامة فرض الصلاة في جميع مدارسها، من مدرسة حرية الفكر.. فنازلاً؛ والأمة الاسلامية كلها تشدُّ رأي الأزهر في هـذا. وإذا نحن استخرجنا التفسير العملي لهذه الآية الكريمة: «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» دلّتنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل، فما الحكمة هنا إلا السياسة الاجتماعية في العمل، وليست الموعظة الحسنة إلا الطريقة النفسية في الدعوة

العلماء ورثة الأنبياء؛ وليس النبي من الأنبياء إلا تاريخ شدائد ومحن، ومجاهدة في هداية الناس، ومراغمة للوجود الفاسد، ومكابدة التصحيح للحالة النفسية للأمة. فهذا كله هو الذي يورث عن الأنبياء لا العلم وتعليمه فقط

***

وإذا قامت رسالة الأزهر على هذه الحقائق، وأصبح وجوده هو المعنى المتمم للحكومة المعاونُ لها في ضبط الحياة النفسية للشعب وحياطتها وأمنها ورفاهتها واستقرارها — اتجهت طبيعتُه الى أداء رسالته الكبرى للقرن العشرين بعد أن يكون قد حقق الذرائع الى هذه الرسالة من فتح باب الاجتهاد وتنقية التاريخ الفقهي وتهذيب الروح الاسلامي والسموّ به عن المعاني الكلامية الجدَلية السخيفة، ثم استخراج أسرار القرآن الكريم المكتنَّة فيه لهذه العصور العلمية الأخيرة؛ وبعد أن يكون قد اجتمعت فيه القوة التي تمسك الاسلام على سنته بين القديم والجديد، لا ينكره هذا ولا يغيره ذاك؛ وبعد أن يكون الأزهر قد استفاض على العالم العربي بكتبه ودعاته ومبعوثيه من حاملي علمه ورسل إلهامه

أما تلك الرسالة الكبرى فهي بث الدعوة الاسلامية في أوربا وأمريكا واليابان ، بلغات الأوربيين والأمريكيين واليابانيين في ألسنة أزهرية مرهفة مصقولة لها بيانُ الأدب ودقةُ العلم واحاطةُ الفلسفة ، وإلهامُ الشعر ، وبصيرةُ الحكمة ، وقدرةُ السياسة ؛ ألسنة أزهرية لا يوجد الآن منها لسانٌ واحد في الأزهر ، ولكنها لن توجد إلا في الأزهر ؛ ولا قيمة لرسالته في القرن العشرين إذا هو لم يوجدها فتكون المتكلمة عنه والحاملة لرسالته . وما هذه البعثات التي قرر الأزهر ابتعاثها إلى أوربا إلا أول تاريخ تلك الألسنة

إن الوسيلة التي نشرت الاسلام من قبل لم تكن أجنحة الملائكة ولا كانت قوة من جهنم ؛ ولا تزال هي هي التي تنشره ، فليس مستحيلا ولا متعذرا أن يغزو هذا الدين أوربا وأمريكا واليابان كما غزا العالم القديم . ولم يكن السلاح من قبل إلا طريقة لإيجاد الاسلام في الأمة الغريبة عنه حتى إذا وُجد تولَّى هو الدعوةَ لنفسه بقوة الناموس الطبيعي القائم على أن الأصلح هو الأبقى ، وانحازت اليه الانسانية لأنه قانونُ طبيعتها السليمة ، ودين فطرتها القوية ، وقد ظل الاسلام ينتشر ولم يكن يحمله إلا التاجر كما كان ينتشر وحاملهُ الجيش ؛ فليس علينا إلا تغيير السلاح في هذا العصر وجعله سلاحا من فلسفة الدين وأسرار حكمته . فهذا الدين كما قلنا في بعض كلامنا أعمالٌ مفصَّلة على النفس أدق تفصيل وأوفاه بمصلحتها ، فهو يعطى الحياة في كل عصر عقلَها العَمَلي الثابت المستقر تنظَّم به أحوال النفس على ميزة وبصيرة ، ويدعُ للحياة عقلها العمليَّ المتجدد المتغير تنظم به أحوال الطبيعة على قصد وهدى . وهذه هي حقيقة الاسلام في أخص معانيه لا يغنى عنه في ذلك دين آخر ولا يؤدى تأديته في هذه الحاجة أدبٌ ولا علم ولا فلسفة كأنما هو نبْع في الأرض لمعاني النور بازاء الشمس نبع النور في السماء

ليس على الأزهر إلا أن يوجد من الاسلام في تلك الأمم ما يستمر ، ثم الاستمرار هو يوجد ما يثبت ، والثبات يوجد ما يدوم . وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى هذا في قوله: نضَّر الله امرءا سمع مني شيئاً فبلَّغه كما سمعه ، فربَّ مُبلَّغ أوعى له من سامع

أما والله إن هذا المبلَّغ الذي هو أوعى له من السامع لن يكون في التاريخ بأدق المعنى إلا أوربا وأمريكا في هذا الزمن العلمي إذا نحن عرفنا كيف نبلغ

أنا مستيقن أن فيلسوف الاسلام الذي سينتشر الدين على يده في أوربا وأمريكا لن يخرج إلا من الأزهر ، وما كان الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله إلا أول التطور المنتهى إلى هذه الغاية ، وسيكون عمل فلاسفة الأزهر استخراج قانون السعادة لتلك الأمم من آداب الاسلام وأعماله ثم مخاطبة الأمم بأفكارها وعواطفها والافضاء من ذلك إلى ضميرها الاجتماعي فان أول الدين هناك أسلوبُه الذي يظهر به

* * *

هذه هي رسالة الأزهر في القرن العشرين ويجب أن يتحقق بوسائلها من الآن ؛ ومن وسائلها أن يُعالن بها لتكون مؤتنفاً عليه . ويحسن بالأزهر في سبيل ذلك أن يضم إليه كل مفكر إسلامي ذي إلهام أو بحث دقيق أو إحاطة شاملة ؛ فتكون له ألقاب علمية يمنحهم إياها وإن لم يتخرجوا فيه ثم يستعين بعلمهم وإلهامهم وآرائهم . وبهذه الألقاب يمتد الأزهر إلى حدود فكرية بعيدة ويصبح أوسع في أثره على الحياة الاسلامية ويحقق لنفسه المعنى الجامعي

وفي تلك السبيل يجب على الأزهر أن يختار أياماً في كل سنة يجمع فيها من المسلمين (قرش الاسلام) ليجد مادة النفقة الواسعة في نشر دين الله . وليس على الأرض مسلم ولا مسلمة لا يبسط يده ، فما يحتاج هذا التدبير لأكثر من إقراره وتنظيمه وإعلانه في الأمم الاسلامية ومواسمها الكبرى وخاصة موسم الحج . وهذا العمل هو نفسه وسيلة من أقوى الوسائل في تنبيه الشعور الاسلامي وتحقيق المعاونة في نشر الدين وحياطته ، وعسى أن تكون له نتائج اجتماعية لا موضع لتفصيلها ، وعسى أن يكون (قرش الاسلام) مادة لأعمال إسلامية ذات بال وهو على أي الأحوال صلة روحية تجعل الأزهر كأنه معطيه لكل مسلم لا آخذه .

والخلاصة أن أول رسالة الأزهر في القرن العشرين اهتداء الأزهر إلى حقيقة موضعه في القرن العشرين « وجاءك في هذه الحق وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين » .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

النهضات القومية العامة*

فى أوربا وفى الشرق

للدكتور عبد الرزاق السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

تمهيد:

دعتنى لجنة الثقافة بدار المعلمين لالقاء محاضرات عامة ، فترددت فى اختيار موضوع هذه المحاضرات ، ذلك أنى رجل أشتغل بالقانون ، والناس لا يرحبون كثيراً لا بالقانون ولا برجال القانون ، وكيف يستسيغ الناس القانون ، وهو جاف لا طلاوة فيه ، أو ترحب برجال القانون ، وهم رجال صناعتهم الخوض فى المنازعات ، فان لم توجد خلقوها خلقا ؟ هذه هى سمعة رجال القانون عند الجمهور ، ولا أحاول أن أدافع عنهم ، وإن كنت منهم ، فانى أخشى أن ينازعونى حق النيابة عنهم والتحدث باسمهم . لذلك آثرت أن أتجرد الليلة عن هذه الصفة ، وأن أتقدم اليكم بموضوع لا شأن له بالقانون ، واخترت أن يكون موضوعى عن النهضات القومية فى أوربا وفى الشرق

ولست أزعم أننى توفرت على دراسة موضوعى دراسة دقيقة ، فان الدراسة الحق لهذا الموضوع تقتضى الخوض فى فلسفة التاريخ والاجتماع ، مما أعفيكم منه ، كما أعفيكم من سماع الأحاديث القانونية الجافة . لذلك ستروننى هذه الليلة أمس موضوعى مساً خفيفاً ، فى رفق وهوادة ، محاذرا أن أثقل عليكم أو أن أثقل على نفسى ، راجياً العذر إذا قصرت فى التعمق ، فان الغرض الأول الذى توخيته من هذه المحاضرات ، ليس هو الغرض العلمى . بل هى الرغبة فى استخلاص بعض الدروس للشعوب الشرقية فى نهضاتها الحديثة ، فى ضوء التجارب التى مرت بها الأمم الغربية

وما دمت سأتكلم فى النهضات القومية ، وما دامت النهضة تقوم على روابط ، فانى أبدأ بتحديد معنى الرابطة ، تمهيداً للكلام فى النهضات القومية

الرابطة وحدة تجمع طائفة من الناس ، وتقرب ما بينهم ، وتميزهم من الطوائف الأخرى ، فلرابطة إذن لها وجهان : وجه إيجابى ، هو ذلك التقريب ، وكلما توثقت أواصره كان فى ذلك الخير كله . ووجه سلبى ، هو ذلك التنافر والتباعد ما بين طائفة وأخرى ، وكلما أغرق فيه كان تعصباً ، والتعصب كريه مذموم

ولا بد من وجود الروابط فى الجمعيات البشرية ، وتفرق الناس شيعاً وأحزاباً . نعم لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ، ولكانت هناك رابطة واحدة تربط الناس جميعاً ، هى رابطة الانسانية ، ولكن ذلك المثل العالى لم يتحقق حتى الآن ، وقد لا يتحقق إلى مدة طويلة ، بل قد لا يتحقق أبداً ، لذلك يجب أن نواجه الأمر الواقع ، وأن ننظر على أى أساس يتميز الناس أمماً وشعوباً

ولنبدأ باستعراض التاريخ استعراضاً سريعاً ، لنستخلص منه الروابط المتعاقبة التى ربطت الجمعيات البشرية فى أوربا ، منذ العصور الوسطى إلى الآن . إن المستعرض لتاريخ الغرب يستطيع أن يقرر أن الجمعيات البشرية قد تقاربت وتباعدت ، على أسس اختلفت باختلاف مراحل التاريخ . ففى العصور الوسطى كان الأساس هو الدين ، إذ تجمعت الشعوب الغربية وقامت وحدتها على الدين المسيحى ، ثم أخذت رابطة الدين تنحل شيئاً فشيئاً ، وأخذت تحل محلها رابطة الوطن ، وما زالت أواصر الوطنية تتماسك ، ثم تتوثق ، حتى قوى التعصب لها ، وحتى قامت الحروب ما بين الشعوب المختلفة فى الوطن وان اتحدت فى الجنس ، وبقى الأمر كذلك حتى مستهل القرن التاسع عشر ، إذ قويت رابطة الوطن بعد نشوب الثورة الفرنسية وحروب نابليون ، ثم أخذت رابطة أخرى فى الظهور ، رابطة تقوم لا على فكرة الوطن ولا على فكرة الجنس ، بل على فكرة الكفاح ما بين الطبقات ، ووجوب سيادة طبقة العمال ، وبهذه الرابطة نادى الاشتراكيون ، وأخذ أمر الاشتراكية يقوى شيئاً فشيئاً ، ومذاهبها تتنوع وتتشعب ، حتى الحرب الكبرى ، إذ استفحل شأن الاشتراكية بارتماء الروسيا فى أحضان البلشفية .

* المحاضرة الاولى من سلسلة المحاضرات التى ألقاها الأستاذ السنهورى فى مدينة بغداد فى بهو أمانة العاصمة فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٦

على أن رابطة الوطن ، وقد وقفت إلى جانبها رابطة أخرى مقاربة لها هي رابطة الجنس ، لم يفتر نشاطها ، بل نزلت إلى ميدان النضال . وها نحن اليوم نشهد عراكا عنيفاً ما بين رابطتى الوطن والجنس من جهة ، ورابطة الطبقات من جهة أخرى

هذا بيان اجمالى عن الروابط التى تعاقبت على أوربا منذ العصور الوسطى إلى اليوم : من رابطة الدين ، إلى رابطة الوطن ، إلى رابطة الجنس ، إلى رابطة الطبقات ، ونحن نفصل الآن ما أجملناه

١ — العصور الوسطى : رابطة الدين

قلت إن الشعوب الأوربية كانت تجمعها فى العصور الوسطى جامعة الدين ، وكانت الدولة لا تقوم على القومية أو الوطنية فى تلك العصور ، بل كانت الدولة والقومية منفصلتين إحداهما عن الأخرى منذ العصور القديمة ، فقد كانت اليونان قومية واحدة تتنازعها دول متعددة ، وكانت الرومان قوميات متعددة تندمج فى دولة واحدة . ولما جاءت العصور الوسطى تجمعت الشعوب الأوربية فى ظل الدين المسيحى ، يقود زمامها سلطتان : سلطة روحية هى سلطة البابا ، وسلطة زمنية هى سلطة الأمبراطور . واستندت الكنيسة إلى السلطة الزمنية دهوراً طوالا ، فان المسيحية كان قد اشتد كاهلها فى ظل الامبراطورية الرومانية ، إذ بعد أن ناوأتها هذه الامبراطورية زمناً طويلا ، واضطهدت معتنقيها ، وسامتهم الخسف والعذاب ، تغلبت قوة الايمان ، وانتصرت المسيحية ، واتخذتها الأمبراطورية الشرقية ديناً رسمياً للدولة

ولما سقطت الأمبراطورية الرومانية شعرت الكنيسة بحاجتها إلى سلطة زمنية تستند اليها ، و فى المثل الأعلى للشعوب الغربية هو أن تتجمع فى ظل الكنيسة . وقد تحققت هذه الأمنية إلى حد كبير فى آخر القرن الثامن ، وقام بتحقيقها شارلمان ، فقد وحد غرب أوربا بعد أن أخضعها لسلطانه ، وتوجه البابا ليو الثالث فى سنة ٨٠٠ فى كنيسة القديس بطرس ، امبراطورا على العالم المسيحى ، وخليفة للقياصرة من الرومان ، وأعاد الأمبراطور أوتو الجرمانى وحدة العالم المسيحى مرة أخرى فى القرن العاشر ، أما الكنيسة نفسها فقد كان ظلها ينبسط على العالم المسيحى ، يحقق وحدة هذا العالم ، وقد كان لها أعوان منبثون فى كل قطر وبلد ، يؤيدون سلطانها ، وينفذون ارادتها ، وسلاح الكنيسة إذ ذاك هو الغفران والحرمان ، تغفر لمن تشاء ، وتحرم من تشاء ، فكلمتها نافذة مطاعة ، والعالم المسيحى ينظر اليها رمزاً لوحدته

وبقيت الرابطة الدينية قوية متينة دهوراً طوالا ، ثم أخذت فى الانحلال ، ويرجع السبب فى انحلالها إلى الحروب الطويلة التى نشبت ما بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية ، وإلى اتصال العالم المسيحى بالعالم الاسلامى بعد انقضاء الحروب الصليبية ، مما خفف من حدة التعصب الدينى ، وإلى الاصلاح الدينى الذى كان من شأنه أن يشق العالم المسيحى إلى كثلكة وبروتستانتية ، وأخيراً ، وبنوع خاص إلى عصر النهضة فى العلوم والفلسفة ، تلك النهضة التى افتتحت بها العصور الحديثة فى أوربا ، فبدد نور العلم ما كان قد تلبد من غياهب التعصب ، وانقشعت ظلمات الجهالة ، وميز الناس بين الروابط الدنيية والروابط الدينية ، فحكموا فى الأولى عقولهم ، وفى الأخرى ضمائرهم ، وأعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

٢ — العصور الحديثة : رابطة الوطن ورابطة الجنس

وننتقل الآن من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية ، من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، وقد بدأت هذه العصور فى أوربا منذ القرن السادس عشر ، وبدأت معها رابطة الوطن تحل محل رابطة الدين ، وقد كان يمنع من توثق رابطة الوطن فى الماضى أمران : (الأمر الأول) رابطة الدين وقد رأينا كيف تفككت هذه الرابطة . (الأمر الثانى) شيوع النظام الاقطاعى فى الشعوب الأوروبية ، وقد كان من شأن هذا النظام أن يفكك سلطان الدولة ، وأن يوزعه بين النبلاء ، فلم تكن تقوم للدولة ولا للقومية قائمة فى ظل هذا النظام . ثم أخذ يزول شيئاً فشيئاً ، ويرجع السبب فى ذلك إلى تقدم التجارة والصناعة ؛ مما جعل طبقة التجار والصناع وهى الطبقة الوسطى ذات شأن كبير . فأضعفت من سلطان الأرستقراطية والنبلاء ، وحلت البرجوازية التجارية والصناعية محل الأرستقراطية النبيلة ، واستندت اليها

السلطة المركزية ، واستعانت بها في توطيد سلطانها وهدم سلطان النبلاء

وغرس تقدم التجارة والصناعة عند الأمم الغربية حب الاستعمار سعياً وراء أسواق جديدة للتجارة ، أو جرياً وراء الحصول على المواد الأولى للصناعة ، وقويت نزعة الاستعمار عند الدول الغربية الكبرى ، وتنافست ، فقامت الحروب بينها ، وزادت كل أمة شعوراً بقوميتها ، وهكذا نرى أن الاستعمار كان من شأنه أن يقوي الوطنية ، وأن يذكي نار التعصب للقومية

وقد بلغت رابطة الوطنية أوجها من القوة بعد نشوب الثورة الفرنسية وحروب نابليون ، وبقيت قوية عنيفة طوال القرن التاسع عشر ، رغماً عن حركة الرجعية التي رفع لواءها مؤتمر فينا . وأخذت القوميات التي لم تستكمل استقلالها تكافح في سبيل هذا الاستقلال ، وخرجت منتصرة من هذا الكفاح . فانفصلت اليونان عن الدولة العثمانية ، والبلجيك عن هولندا ، وإيطاليا عن النمسا ، وأخفقت بولونيا والمجر ، ولم يقدر لهما النجاح إلا بعد الحرب الكبرى ، واستقلت بعض ولايات البلقان ، وتكونت الأمبراطورية الألمانية ، بعد أن اصطدمت القومية الألمانية بالقومية الفرنسية ، وجر هذا الاصطدام إلى حروب دامية وأهوال

على أن تقدم الصناعة بنوع خاص ، لاسيما في القرن التاسع عشر ، كان له أثران خطيران غير تقوية روح الوطنية والنزعة الاستعمارية . (الأثر الأول) تقويته روح الديمقراطية ، التي بدأ غرسها الثورة الانجليزية ، وأنبتتها الثورتان الأمريكية والفرنسية . وللديمقراطية حديث طويل ، يصح أن يكون موضوعاً مستقلاً لسلسلة أخرى من المحاضرات . (الأثر الثاني) غرسه روح الاشتراكية ، وهنا نرى عجباً . فان الصناعة ، التي قوت رابطة الوطنية ، أوجدت إلى جانبها رابطة أخرى مناقضة لها كل المناقضة ، هي رابطة الطبقات . إذ قويت طبقة العمال بفضل تقدم الصناعة الكبير ، وأخذت تشعر بقوتها ، وتجمعت كتلاً كتلاً ، وسرى روح التفاهم ما بين العمال من جميع القوميات ، وصاح فيهم ماركس صيحته المشهورة : « أيها العمال من جميع أنحاء العالم ، هلموا إلى رفع لواء الاتحاد » ، وعارضت روح الطبقات روح الوطنية ، وبدأت الاشتراكية تدخل في دور عملي ، ولم يعد بد للأمم الأوربية من أن تواجه هذه الحركة الجديدة

وقبل أن ننتقل من الوطنية إلى الاشتراكية ، نقف قليلا ، لنعرف معنى الوطنية التي أكثرنا من الاشارة اليها ، فقد تحاشينا تعريفها حتى الآن ، إذ ليس من السهل تحديد هذا المعنى الدقيق ، فالوطنية جامعة تقوم على روابط طبيعية وأخرى صناعية ، وأول الروابط الطبيعية هو وحدة الجنس والدم ، ويلي هذا وحدة الأقليم الجغرافي . ثم وحدة اللغة ، ويترتب على هذه الوحدات المختلفة وحدة التاريخ ووحدة التقاليد ، هذه هي الروابط الطبيعية التي تجمع ما بين أبناء شعب واحد ، وتجعل من هذا الشعب وطناً يشعر بذاته . فاذا اقترنت بهذه الروابط الطبيعية رابطة أخرى صناعية ، هي وحدة النظام السياسي ، فقد استكملت الوطنية ذاتيتها ، واستجمعت مقوماتها ومشخصاتها ، وإذا انضم إلى كل هذه الروابط وحدة الدين ، فقد بلغت الوطنية الأوج من عنفوانها وقوتها . على أن اجتماع كل هذه الروابط ليس ضرورياً لتكوين الوطن ، فوجود بعضها يكفي . والمهم أن يتوحد المكان الجغرافي والنظام السياسي ، ويتبع ذلك وحدة التاريخ ووحدة التقاليد . فقد تضم رقعة جغرافية قوماً مختلفي الجنس ، ولكن يتحد تاريخهم وتقاليدهم ، فاذا انضموا إلى نظام سياسي واحد كونوا وطناً ، وقد يتفرق أبناء الجنس الواحد بين أوطان متعددة ، كل وطن له مقوماته الذاتية من لغة وتاريخ وتقاليد ، وقد يتجمع القوم متحدين جنساً مختلفين ديناً ، ولا يمنع اختلاف الدين من تكون الوطن ، ومن هنا نرى أن رابطة الوطن لا تتفق تماماً مع رابطة الجنس والدم . فالرابطة الأولى فيها شيء من العوامل الصناعية تعززها وتقويها ، والرابطة الثانية ، رابطة الدم ، تقوم على الطبيعة ذاتها ، ولا تعارض بين رابطة الوطن ورابطة الجنس والدم ، حتى لو ضم الوطن الواحد أجناساً مختلفة . إلا إذا أسيء فهم الوطنية ، وأخذت لا على أنها صلة حب وتآلف بين هذه الأجناس ، بل صلة كراهية ومقت لكل قومية أخرى

(يتبع) عبد الرزاق السنهوري

صور من القرن الثامن عشر

جاكومو كازانوفا

جوّاب مجتمع ومغامر مرح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان القرن الثامن عشر فى أوربا عصر الخفاء والدعوات السرية ، والثورات الفكرية والاجتماعية ؛ وكان أيضاً عصر المغامرات الشائقة ، والحياة المرسلة الناعمة ، والعيش الخفض ، وازدراء التبعات ، عصر المرح والطرب الميسور

وليس معنى ذلك أن القرن الثامن عشر كان عصرا ذهبيا يزهو فيه المجتمع ويزدهر ؛ فقد كان فى الواقع عصر الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتوالية ؛ ولكنه كان عصر تطور فكرى عميق يبلغ المجتمع فيه ذروة أزمته الروحية والنفسية ، ويصل الى نوع من اليأس والاستهتار ، ويلتمس فى حياة النسيان والعيش المرح عزاء ومتنفسا

وقد تناولنا فى مقال سابق شخصية من أعجب شخصيات هذا القرن وداعية من أغرب دعاته ، ونعنى يعقوب فرنك أو البارون فون أوفنباخ [1] ورأينا كيف كان القرن الثامن عشر مهبط الدعاة والمغامرين من كل ضرب ، وكيف كان الخفاء يغمرهم ويثير من حولهم كثيرا من الدهشة والروع ، وكيف كان أولئك الدعاة المغامرون يخلبون ألباب مجتمعات هذا العصر بروائع شخصياتهم ومظاهرهم ، وظرف خلالهم وشمائلهم ، وسحر مزاعمهم وأقوالهم ، وخفاء غاياتهم ووسائلهم

والآن نتناول شخصية أخرى من أعجب شخصيات هذا القرن أيضا ، ولكن من طراز آخر ، هى شخصية جاكومو كازانوفا

كازانوفا : مغامر جرىء يخلق لنفسه من العدم شخصية باهرة ، ويدخل الحياة من باب ذهبى ، ويستقبلها بابتسامة خالدة ؛ ويفتتح المجتمع الرفيع بذكائه ودهائه وخبثه ، وظرف خلاله وشمائله ؛ ويرتفع فى ميدان المغامرة الى الذروة ، ويهبط الى الدرك الأسفل ؛ ويستمرىء أمتع المسرات والملاذ ، كما يتذوق أمر ضروب السقوط والفاقة ؛ وينحدر من فتوة باهرة ظافرة برفاهة العيش الساطع المرح ، الى كهولة حافلة بصنوف الخيبة واليأس ، ثم الى شيخوخة مظلمة مغمورة بائسة ، ثم الى عالم العدم فى قبر ناء مجهول

لم يكن كازانوفا شخصية عظيمة تجدر بالخلود فى صحف التاريخ ؛ ولكنه كان شخصية من نوع خاص تنحرف بطرافتها وغريب أطوارها عن سلك المجتمع الوديع الهادىء ، ولكن تنفث فى نفس الوقت بقوتها واضطرام خلالها أينما حلت فى جوانب هذا المجتمع كثيرا من الفضول والسحر ، وتغزو عرحها وأمانيها قلوب أولئك الذين يعبدون الجمال والظرف مهما اتخذوا من أثواب خلابة طائرة ؛ وقد كان كازانوفا يتشح بأثواب خلابة طائرة ، ولكن مؤثرة ساحرة ، ولم يكن يهمه فى الحياة سوى النجاح مهما كان خلبا ، والظفر بتحقيق أهوائه مهما كانت ومهما كانت الوسائل والصور ؛ وقد ترك لنا فوق ذلك عن حياته الغريبة الحافلة مذكرات طلية شائقة ما زالت تعتبر الى يومنا تحفة ادبية فنية لها قيمتها ولها سحرها

ولهذا يظفر كازانوفا من التاريخ بالذكر والتدوين ، وتغدو سيرته العجيبة سجلا حافلا لخلال عصره ، وتغدو موضوعا ومستقى لأقلام بارعة تخرج عنها المؤلفات الحافلة

* * *

ولد جاكومو كازانوفا فى الثانى من شهر أبريل سنة ١٧٢٥ بمدينة البندقية ؛ وكان أبوه جايتانو ممثلا متواضعا أتى به الى البندقية والى المسرح قدر غريب ، ذلك أنه هام فى صباه بممثلة حسناء تدعى لافراجوليتا ، وترك من أجلها أسرته وموطنه بارما ، واحترف الرقص والتمثيل ؛ ثم فترهواها بعد ذلك وتركته الممثلة لتجرى وراء مغامرات أخرى ، فاستقى من بعدها حرفته ، والتحق للعمل بأحد مسارح البندقية ؛ وكان يقيم فى المنزل المواجه لمسكنه صانع أحذية يدعى فاروزى وزوجته مارسيا وابنتهما الحسناء جوفانا أو زانيتا ، فنشأت بين جايتانو وزانيتا

(1) راجع العدد ١٤١ من الرسالة

علائق غرامية ، ثم فر العاشقان ذات يوم وعقدا زواجهما فى فبراير سنة ١٧٢٤ ، وبعد عام ولد ابنهما جا كومو

ولم تلبث زانيتا أن حملها تيار المسرح ، فظهرت الى جانب زوجها ، وانفق الزوجان بضعة أعوام فى التجول من مدينة الى أخرى ومن مسرح الى آخر ؛ ثم أصيب الزوج أثناء وجودهما بالبندقية بمرض خطير أودى بحياته فى أواخر سنة ١٧٣٣

وكان جايتانو كازانوفا فتى وديعا حسن الخلال ، يؤثر الانزواء والعزلة ؛ أما زانيتا فقد كانت بالعكس فتاة ذكية ماكرة مضطرمة النفس والأهواء ؛ وكانت ممثلة بارعة تتمتع بكثير من الظرف والسحر ؛ وكانت دائمة التجول فى عواصم القارة ، من لندن الى بطرسبرج ، تحرز النجاح والظفر أينما حلت ؛ وكان مستقرها الأخير فى مدينة درسدن حيث عينها مختار سكسونية ممثلة مدى الحياة ، وهنالك أنفقت بقية حياتها حتى توفيت سنة ١٧٧٦

وكانت زانيتا قد رزقت غير جا كومو بثلاثة أبناء آخرين وابنتين ، وتركتهم جميعاً بالبندقية لدى والدتها مارسيا فاروزى ؛ وكانت مارسيا امرأة بسيطة جاهلة ولكن ذكية مخلصة ، فكرست كل نشاطها وعنايتها لتربية أحفادها ولاسيما كبيرهم جا كومو ؛ ويشير كازانوفا فى مذكراته إلى ذلك الحرمان من عطف أبويه ، ويقول لنا إنهما لم يكلماه قط ، ويشير أيضاً الى عطف جدته ورعايتها ويقول لنا إنه كان طوال حياته يذكرها بالحب والعرفان والاجلال

ونشأ جا كومو ضعيفاً سقيما ، ولكن تبدو عليه أمارات الذكاء والنجابة ؛ وكان للأسرة صديق من أعيان المدينة يدعى جورجو بافو ، فاهتم بأمر الصبي العليل ؛ وكان بافو جوادا طيب القلب ، ولكن فاسد الخلال والسيرة ؛ وكان شاعرا ، ولكن شعره يفيض تهتكا وفجورا ؛ فنصح بارسال الصبي الى بادوا ليتعلم فى معاهدها ويستفيد من هوائها ؛ وكانت زانيتا والدة جا كومو يومئذ فى البندقية ، فنزلت عند هذا النصح ، وحملت جا كومو الى بادوا ، ورتبت مقامه هنالك ؛ وأقام جا كومو مدى حين عند امرأة سلافية ، ولكنه ما لبث أن عاف المكث لديها لسوء المعاملة ورداءة المسكن والطعام ، ثم نقل على أثر ذلك الى منزل معلمه الأب جوزى ، فارتاحت نفسه لمقامه الجديد ، وأقام لدى أستاذه منعما مكرما

وقضى كازانوفا بضعة أعوام عند معلمه ، ودرس قليلا من اللاتينية واليونانية والنحو . وكان تقدمه سريعاً حتى أن الأب جوزى ما لبث أن اختاره لمعاونته فى التدريس ؛ وكان كازانوفا قد ناهز يومئذ الخامسة عشرة ، وأخذت تبدو عليه أمارات الاضطرام الكامنة فى جوانحه والتى ورثها عن والديه ، فبدأ يقرأ الكتب المثيرة ، ويزعج معلمه بمختلف الأسئلة المحرجة ، ويحدج أخت معلمه بتينا — وهى فتاة فى نحو العشرين من عمرها — بنظرات ملتهبة . ولما انتهت دراسته الابتدائية ، دخل مدرسة الحقوق فى جامعة بادوا الشهيرة ، وأطلق لنفسه عنان الحرية ، وأخذ يغشى دور اللهو والميسر ، فانزعج معلمه ، وانزعجت جدته وبادرت إلى بادوا وصحبته معها إلى البندقية ، وهنالك استأنف دراسته

وفى البندقية تفتحت غرائزه وأهواؤه ، وانكب على صنوف اللهو ؛ ولكنه مع ذلك كان يتذوق دراسته وحياته العلمية ، وكان ذلك الفتى اليافع الذى يضطرم ظمأ إلى اللهو والمرح ، يضطرم فى نفس الوقت ظمأ إلى العرفان والدرس ؛ وكان فى الثامنة عشرة يأخذ بقسط حسن من الأدب والفلسفة والمبادئ العلمية ، ولم يكن خلال عبثه ولهوه ليغفى عن التفكير فى مستقبله ؛ فلم يمض سوى قليل على عوده إلى البندقية حتى استطاع أن ينتظم فى سلك رجال الدين وأن يحصل على وظيفة دينية صغيرة . أجل استهل كازانوفا حياته العملية قساً ، وهو الذى خاض فيما بعد غماراً من اللهو والفجور قلما يخوضها بشر ! ولم يكن ذلك منه ورعاً أو رغبة فى خدمة الدين ، ولكن الانضواء تحت لواء الكنيسة كان يومئذ وسيلة فريدة لأبناء الشعب الذين يطمحون إلى مستقبل ما ؛ وكان ذلك المنصب المتواضع الذى لا يحتم عليه الارتباط بعهد الكنيسة ، يفتح له كثيراً من الأبواب المغلقة ، ويحقق له كثيراً من المزايا التى تعاونه على التقدم فى سبيل الحياة

ولم يمض سوى قليل حتى استطاع كازانوفا أن يجوز إلى المجتمع الرفيع وأن يتعرف بكثير من الكبراء والنبلاء ؛ وكان بين هؤلاء ، غير صديقه وحاميه القديم بافو ، سيد يدعى ماليبرو وهو شيخ سابق ، وثرى منعم ، يعيش فى قصر فخم ، ويجمع حوله جمهرة من الخلان الظرفاء ، يتسامرون ويتحدثون عن اللهو

والنساء والحب ، كما يتحدثون عن السياسة والمسرح ؛ وألفى مالبيرو في القس الفتى رفيقاً ، وأنساً فاصطفاه واتخذه سميره وخله الحميم ومعاونه على تنظيم حفلاته الأنيقة ؛ وكان كازانوفا في الواقع يتمتع في هذا الميدان بكثير من حسن الذوق والشمائل الرقيقة ، فيتقدم لخدمة السيدات برشاقة ويخلب الألباب بظرفه ، ويسبغ بحركاته وأحاديثه على الحفل كله مسحة من البهجة والرواء

وكانت البندقية يومئذ – في منتصف القرن الثامن عشر – منزل اللهو والمرح ، تموج في الليل بالمسارح ودور اللهو ، وتغمرها لمحة ساطعة من بهائها السابق ؛ وكان الحب يرفرف على أرجائها وتنساب القوارب النحيلة (1) في شوارعها المائية تحمل أزواج المحبين تحت جنح الظلام وأضواء القمر ، وتقرع كؤوس الهوى في كل ناحية ، ويسود الحبور والبهجة ؛ وكان كازانوفا يخوض هذه الغمار المرحة سعيداً منعماً ، ويستمرئ هذه المناظر البديعة التي تقدمها إليه المدينة التالدة ، في ظل الرعاية التي يشمله بها صديقه وحاميه السيد مالبيرو

بيد أنه لم يلبث أن فقد هذه الرعاية . ذلك أنه كان للسيد مالبيرو صاحبة فتية حسناء تدعى تيريز ، وكان كازانوفا يرنو إليها ويحوم حولها ، ففي ذات يوم استطاع أن ينفرد بها في أحد المخادع ، وبينا هو يبثها جواه ، إذ فاجأهما مالبيرو فانهال عليه ضرباً بعصاه ، وطرده من منزله شر طرد ، وفقد كازانوفا بذلك أكبر عضد ، وأقصي عن ذلك المجتمع الساطع الذي كان يغشاه ؛ وتولته على أثر ذلك نوبة من اليأس والكمد ؛ وكانت جدته قد توفيت قبل ذلك بقليل ، فأخذ يتصرف في مقتنيات المنزل ويبددها ، واضطر الوصي على اخوته إلى التدخل ، ووصل الأمر إلى القضاء فقبض عليه وأودع السجن ؛ وفقد أثناء ذلك منصبه الديني وأخرج من حظيرة الكنيسة ؛ ولما أطلق سراحه بعد ذلك بقليل ، شعر أن البندقية تضيق به وبمشاريعه وأنه لم يبق له فيها أمل أو مقام

وكانت أمه قد كتبت إليه توصيه بالسفر إلى أسقف كالابريا فهو صديق لها وفي وسعه أن يعاونه وأن يوصي به ؛ فعول عندئذ على السفر إلى رومه ، ولكن الأسقف كان قد غادرها إلى مقر وظيفته في الجنوب ؛ وكانت نقوده القليلة قد نفدت ، وساءت حاله ، واضطر أن يلتمس العيش بأخس الوسائل ؛ وتعرف أثناء الطريق بتاجر يوناني يتاجر في الزئبق ، واتفق معه على طريقة لغش الزئبق وتحصيل ثمنه مضاعفاً ، واستطاع بهذه الوسيلة أن يكسب قدراً من المال ؛ ووصل أخيراً إلى مارتيرانو مقر الأسقف ، ولكنه شعر بآماله تتحطم حينما رأى حالة الأسقف الزرية من منزل قفر متهدم ، وبؤس ظاهر ، وعزلة قاتلة ؛ فارتد أدراجه إلى نابولي ومعه بقية من المال ؛ وهنالك بسم له الحظ ، وقضى بضعة أيام سعيدة ، تعرف خلالها بامرأة حسناء تدعى لوكريزيا وتوثقت علائقه معها بسرعة ، وكانت في الواقع أول صاحبة حقيقية خضعت لسلطان هواه

ثم نراه بعد ذلك في رومه يطرق الأبواب ويحاول أن يشق طريقه ؛ وقد كان عندئذ موفقاً إذ استطاع أن يلتحق بوظيفة في حاشية الكردينال اكوافيفا ؛ وقضى حيناً في رومه يستزيد من الدرس وينعم بصحبة لوكريزيا ، ويهيء لنفسه جواً من الرعاية والعطف بذكائه وذلاقته ورقة شمائله

على أن هذه الحياة الهادئة المستقرة لم تكن لتروق فتى مضطرم الجوانح مثل كازانوفا ، فقد كانت نفسه الوثابة الظمأى إلى المغامرة تحمله إلى آفاق أخرى ؛ وكان شبح المرأة يثيره ويلهبه أينما وجد ؛ وسرعان ما لفت الأنظار بفضائحه ودسائسه الغرامية وتفاقم الأمر حينما اتهم باغراء سيدة تمت إلى بعض الأحبار بصلات وثيقة ؛ ففقد وظيفته ومركزه مرة أخرى ، ورأى نفسه مرغماً على مغادرة رومه فغادرها إلى قسطنطينية يحدوه دائماً ظمأ المغامرة وتدفعه طلعة التجول

ثم عاد إلى البندقية ولكن عاد إليها في ثياب ضابط . ذلك أنه مر في طريقه بالمعسكرات النمسوية والأسبانية ، وحصل على ترخيص بالانتظام في سلك الجيش ، وقدر أنه يستطيع أن يخلق له في ظل هذا الثوب حياة جديدة ، ولكنه لم يحرز ترقية نظراً لسوء سلوكه ، فخلع ثوبه العسكري واشتغل مدى حين كاتباً في مكتب محام ، ولكنه لم يكن طويلا إلى هذا المنصب الوضيع ؛ وأخيرا ذكر أنه يستطيع العزف على القيثارة مذ كان صبياً

(1) هي القوارب المعروفة بالجوندولا وهي وسيلة النقل الوحيدة داخل المدينة

عشر كلمات

مهداة إلى « الأستاذ الزيات »

للأستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

قال الله تعالى : « يا أيها الذينَ آمنوا اصبروا وصابروا » « ولنَبْلُوَنكم بشيء من الخوفِ والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّر الصابرين » . « ولنبْلُونكم حتى نعلَم المجاهدين منكم والصابرين » . « واستعينوا بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصابرين » . « إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب »

— ٢ —

قال أبو سنان : دفنت ابني سناناً ، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر ، فلما فرغت قال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى . قال : حدثني أبو موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مات ولد العبد قال الله للملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد

وعن أنس قال : اشتكى ابن لأبي طلحة فمات وأبو طلحة خارج ولم يعلمه ، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيّأت شيئاً ونحّته في جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة ، قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ؛ فظنّ أبو طلحة أنها صادقة ، ثم قرّبت له العشاء ، ووطّأت له الفراش ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته بموت الغلام ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخبره ، فقال : لعلّه أن يبارك لكما في ليلتكما ، فجاءها تسعة أولاد كلهم قرأوا القرآن

— ٣ —

قال محمد بن خلف : كان لابراهيم الحربي ابن ، وكان له إحدى عشرة سنة ، قد حفظ القرآن ، ولقنه من الفقه شيئاً كثيراً ، فمات ، فجئت أعزيه ، فقال لي : كنت اشتهي موته . قلت : يا أبا إسحق ، أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبيّ قد أنجب ، ولقنته الحديث والفقه ؟ قال : نعم ، رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت ، وكأن صبياناً بأيديهم القلال فيها الماء ، يستقبلون الناس يسقونهم ، وكأن اليوم حار شديد حره ، فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء ، فنظر إليّ فقال : لا ، ليس أنت أبي ، فقلت : فأيش أنتم ؟ قال : نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا ، وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، فلهذا تمنيت موته

— ٤ —

كتب سعيد بن حميد إلى محمد بن عبد الله : ليس المعزّى على سلوك السبيل التي سلكها الناس من قبله ، والمقفيّ على السنة التي سنها صالحو السلف له ، وقد بلغني ما حدث من قضاء الله في أم الأمير ، فنالني من ألم الرزية ، وفاجع المصيبة ما ينال خدمه الذين يخصهم ما خصه من النعم ، ويتصرفون معه فيما تناوله الله به من المحن ، فأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له المثوبة والذخر ، ولا أراه في نعمة عنده نقصاً ، ووفقه عند النعم للشكر الموجب للمزيد ، وعند المحن للصبر المحرز للثواب ، إنه هو الكريم

بدرس في بادوا ، فانتظم عازفاً في إحدى الفرق المتواضعة ؛ وفي ذات ليلة تعرف بسيد كبير وشيخ سابق يدعى براجادين في حفلة كان يعزف فيها ، وقدر أن أصيب هذا الشيخ في نفس الليلة بنوبة صرع ، وكان كازانوفا إلى جانبه في قاربه ، فهرع إلى غوثه واستدعى له طبيباً ، ولبث يعني به حتى شفي ، فعرف له براجادين هذه اليد ، وقربه إليه وأنزله بقصره الفخم وأجرى عليه النفقة الواسعة ، واستطاع كازانوفا في نفس الوقت أن يؤثر في مضيفه بمزاعمه في معرفة الغيب وضروب السحر ، وأن يكسب ثقته ، وأن يعود بفضل رعايته فيغزو ذلك المجتمع الرفيع الذي أقصي عنه مدى حين

« للبحث بقية » — محمد عبد الله عنان

الوهاب ، ورحم الله الماضية رحمة من رضى سعيه ، وجازاه بأحسن عمله ، ولو كانت السبل إلى الشخوص إلى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجلّ الأميرَ عن أن يعزيه مثلى بالرسول دون اللقاء ، وبالكتاب دون الشفاه ؛ ولكن الكتاب لقاء من لا سبيل له إلى الحركة ، وقبول العذر عمن حيل بينه وبين الواجب

— ٥ —

لما حضرت الاسكندر الوفاة كتب إلى أمه أن اصنعى طعاماً ويحضره الناس ، ثم تقدمى اليهم ألا يأكل منه محزون ، ففعلت ، فلم يبسط أحد اليه يده ، فقالت : ما لكم لا تأكلون ؟ فقالوا : انك تقدمت الينا ألا يأكل منه محزون ، وليس منا إلا من أصيب بحميم أو قريب . فقالت : مات والله ابنى ، وما أوصى إلىّ بهذا إلا ليعزينى

— ٦ —

كتب ابن السماك إلى الرشيد يعزيه عن ابن له : أما بعد ، فان استطعت أن يكون شكرك لله حين قبضه ، أكثر من شكرك له حين وهبه فافعل ، فانه حين قبضه أحرز لك هبته ، ولو سلم لم تسلم من فتنته ، أرأيت حزنك على ذهابه ، وتلهفك لفراقه ؟ أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك ؟ أما هو فقد خلص من الكدر ، وبقيت أنت معلقاً بالخطر ؛ واعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعت ، وإنما هى واحدة إن صبرت ، فلا تجمع الأمرين على نفسك

— ٧ —

قدم رجل من عبس ، ضرير محطوم الوجه على الوليد ، فسأله عن سبب ضرّه ، فقال بت ليلة فى بطن واد ولا أعلم على الأرض عبسياً يزيد ماله على مالى ، فطرقنا سيل فأذهب ما كان لى من أهل ومال وولد ، إلا صبياً رضيعاً ، وبعيراً صعباً ، فندّ البعير والصبي معى ، فوضعته واتبعت البعير لأحبسه ، فما جاوزت إلا ورأس الذئب فى بطنه قد أكله ، فتركته واتبعت البعير فاستدار ورمحنى رمحة حطم بها وجهى ، وأذهب عينى . فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد

فقال الوليد : إذهبوا به إلى عروة ليعلم أن فى الناس من هو أعظم بلاء منه ، وكان عروة بن الزبير أصيب بابن له وأصابه الداء الخبيث فى إحدى رجليه فقطعها ، فكان يقول : كانوا أربعة ـ يعنى بنيه ـ فأبقيت ثلاثة وأخذت واحداً ، وكن أربعاً ـ يعنى يديه ورجليه ـ فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً ؛ أحمدك ، لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت أبقيت لقد عافيت . وشخص إلى المدينة فأتاه الناس يبكون ويتوجعون ، فقال : إن كنتم تعدوننى للسباق والصراع فقد أودى ، وإن كنتم تعدوننى للسان والجاه فقد أبقى الله خيراً كثيراً .

— ٨ —

وعزى موسى بن المهدى سليمان بن أبى جعفر عن ابن له فقال : أيسرك وهو بلية وفتنة ، ويحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزّى سهل بن هارون فقال : التهنئة على آجل الثواب ، أولى من التعزية على ما حلّ من المصيبة

وقال عبد الله بن الأهتم : مات لى ابن وأنا بمكة ، فجزعت عليه جزعاً شديداً ، فدخل علىّ ابن جُريج يعزينى ، فقال يا أبا محمد ، اسلُ صبرا واحتساباً ، قبل أن تسلو غفلة ونسياناً

وعزّى علىّ كرم الله وجهه الأشعث عن ابنه ، فقال : إن تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحم ، وإن تصبر فان فى الله خلفاً من كل هالك ، مع أنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت آثم

— ٩ —

جزع رجل على ابن له فشكى ذلك إلى الحسن ، فقال له : هل كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم ، كان مغيبه عنى أكثر من حضوره . قال : فاتركه غائباً ، فانه لم يغب عنك غيبة الأجر لك فيها أعظم من هذه الغيبة

— ١٠ —

وكتب بعض الكتاب معزياً : لو كان ما عمك من أذى يشترى أو يفتدى ، رجوت أن أكون غير باخل بما تضن به النفوس ، وأن أكون ستراً بينك وبين كل ملم ومحذور ، فأعظم الله أجرك ، وأجزل ذخرك ، ولا خذل صبرك ، ولا جعل للشيطان حظا فيك ولا سبيلا عليك

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

على الطنطاوى

٥ – التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

لقد بلغنا من البحث ذلك البلغ الذي يهيئ لنا أن نخلص إلى النتائج ، فقد شرحنا الأسباب التي أفضت بنا إلى تخريج متعلمين عاطلين لا عمل لهم ، ولا بيئة يمكن أن ينتفع فيها بما تعلموا ، وصورنا مجمل النتائج الاجتماعية التي تترتب على هذه الحال ، وطبقنا النظريات الاجتماعية فاستنبطنا منها صورة لما سوف يكون عليه مجتمعنا في المستقبل القريب والنتائج السيئة التي ستظهر آثارها جلية واضحة في عجزنا عن الاحتفاظ بحالة اجتماعية ثابتة قوية الأركان ، وعطفنا من ثم على وصف صورة من أدبنا ووطنيتنا ، وعزونا كل النقائص إلى نظرية جديدة محصلها أن الانفصال عن ثقافتنا التقليدية كان سبباً في أن نصبح ككائن حي لا معدة له ، يأكل ولا يهضم ، فتراكمت في كيانه كل النفايات التي لا تلائم طبعه ولا تتفق ومزاجه ، وأن ذلك كان سبباً في ألا تظهر له شخصية خاصة به ، وأصبح كَلاًّ على غيره بأن فقد استقلاله الذاتي في الحياة

ويجدر بنا بعد ذلك أن نعين مم تتكون الثقافة التقليدية ، ليتيسر لنا أن نحدد البحث تحديداً منطقياً مقبولا ، فإن لكل ثقافة تقليدية اختصت بها أمة من الأمم مكونات تنتهي إلى أصول بعينها ؛ وعندي أن للثقافة التقليدية عنصرين : الأول عنصر عقلي ، والثاني عنصر معاشي ، وكلاهما موروث ؛ فالأول يتكون وراثة من اللغة والدين والتاريخ والأدب والفنون الخ ، والثاني يتكون وراثة من كل ما يتعلق بالأحوال المعاشية ، وهي في مصر الزراعة وما يتعلق بها من المنتجات ، ومن أجل أن يكمل استقلال الفرد استقلالا عملياً في الحياة ، ينبغي أن يتجه تنشيئه إلى أصل أساسي ، وبالأحرى إلى سياسة عملية ترمي إلى وصله بالعنصرين وصلا وثيقاً ، حتى يستطيع أن يمثل جميع ما يلقح به من مقتضيات الثقافة الحديثة ، فيكيفها على حسب ما تتطلبه حاجات ثقافته التقليدية ، وأن ينفي عن جسمه كل ما هو غير ملائم له ، فيظل سليما ؛ شأن كائن حي اتصف بكل ما تعده به حيوية مكتملة من الصفات الضرورية للحياة ، وتتكافأ في كيانه كل الأعمال المنظمة التي ترجع الى قدرة أعضائه على تنظيم وظائفها المتبادلة تنظيما دقيقاً يساعد الطبيعة على أن تفسح له في الحياة مركزاً جديراً بما يتصف به من صفات ، وبما له من مقدرة على الاستقلال بذاته

تتصل مصر بثقافتين من أمجد الثقافات التي خلفها النوع الانساني : ثقافة العرب : ديناً ولغة ؛ وثقافة المصريين : فناً وحياة ؛ ولا شك في أن الثقافتين تمتزجان الآن في المصريين امتزاجاً عظيما ، حتى ليتعين علينا أن نقول إن ما نعني بالثقافة التقليدية ينحصر فيما ينتج مزج الثقافتين القديمتين من حالات تشعر بأن ماضينا مكون منها ، وأن دمنا ملقح بها ، وأن تصوراتنا وأخيلتنا ومشاعرنا وجماع ما فينا من صفات إنما تنعكس عنها وتنبعث منها . وكذلك إذا قلنا « المصرية » فإنا لا نعني بها شيئاً إلا مزيج تينك الثقافتين المجيدتين اللتين كونتا لنا على مر العصور تراثاً قوياً نستند اليه ، ودعامة مثلى لمجد ينتظرنا إذا نحن استوحيناهما واسترشدنا بوحيهما ، واتخذناهما أساسا نقيم عليه لمستقبلنا ، ولم نعزف عنهما شأننا الآن

وإذن يكون لنا من ثقافتنا التقليدية ناحيتان : الأولى ثقافة تزودنا بها اللغة العربية والدين الاسلامي ؛ وهذه الناحية تكون أكثر ما فينا من نزعات الأدب والعلم ؛ والثانية ثقافة تزودنا بها مصر القديمة ؛ وهذه بدورها تكون متجهنا الفني والمعاشي ، ومنهما معا يتكون ذلك التراث الخالد الذي ندعوه ثقافة المصريين التقليدية

ولن يكون هذا البحث كاملا إلا إذا عرفنا قيمة اتصالنا بهذه الثقافة ومقدار ما نحتاج اليها في تكوين نهضتنا الحديثة تكوينا نضمن معه الثمرة العملية التي ترجى من جيل جديد قادر على الكفاح في الحياة ، والعمل المنتج الذي يعيننا على اقرار الحالات الاجتماعية على أساس ثابت ، وآمل أن أكون قد أفلحت بعض الشيء في تصوير ذلك في سياق هذا البحث

***

لا ريبة في أن التعليم العام هو الأداة التي تمهد لنا سبيل

الاتصال بثقافتنا التقليدية ، ولقد وضح لنا حتى الآن أن السياسة التي جرى عليها التعليم في بلادنا قد اضعفت من وسائل هذه الأداة اضعافاً ظهر أثره جلياً في كل مرافقنا ، بل وفي كل نواحي حياتنا عقلية ومادية

عمد الأوربيون منذ عصر النهضة الأدبية الحديثة إلى الاتصال بثقافتين أوربيتين كانتا المهاد الأول والسنادة المظلى في تلك النهضة . عمدوا إلى ثقافة اليونان وثقافة الرومان ، حتى لقد غالوا في ذلك باتخاذ اللغة اللاتينية لغة رسمية في العلم وفي الأدب وفي الفن ، فأحيوا بذلك ثقافتين لم يكن لهم مناص من احيائهما لتكونا الوصلة بينهم وبين ماض صبغ ثقافته حوض البحر المتوسط قروناً بصبغة خاصة ولون خاص ؛ ولا تزال جامعات أوربا حتى اليوم تعنى العناية كلها بتلقيح عقول الناشئين بتراث الثقافتين معاً ، بل وتجعل درس اللغتين اليونانية واللاتينية أصلا من أصول التثقيف العالي ، فلم كان ذلك ؟ ولأي من الأسباب الحيوية التي شعر بها الأوربيون في بدء نهضتهم ترجع هذه الظاهرة ؟ إنها ترجع كما قلنا إلى أن الثقافة التقليدية هي الأصل الذي يجب أن يظل ثابتا في بناء الأمم الأدبي والاجتماعي ، ليكون ملقحا للآراء والنظريات وضروب الثقافات الدخيلة ، احتفاظا بالطابع الأصيل في الأمة ، ذلك الطابع الذي هو جزء من كيانها وقطعة من وجودها ، وليكون في الوقت ذاته العدة في تمثيل ما يتصل بثقافة الأمة من الثقافات المنتحلة غير الأصيلة ، وتكييفها تكييفا يتفق ونزعاتها ومشاعرها وأخيلتها ، وعلى الجملة يتفق وثقافتها التقليدية . فهل انبعنا في نهضتنا هذا السبيل القويم ؟ وهل كفل لنا التعليم الوصول إلى هذه الغايات العليا ؟

كلا . لم يكفل لنا التعليم شيئاً من هذا . وأقصد به التعليم بناحيتيه : الناحية التي تمثل وراثتنا عن العرب لغة وديناً ، وأعني بها الأزهر ، فانه لم يلقح بشيء من الثقافات الحديثة التي يجب أن يلقح بها لتكون له بمثابة الدم الجديد يجري في العروق القديمة . وكذلك لم تعن الناحية التي تمثل ثقافتنا الدخيلة : أي الثقافة الأوربية وأعني بها ناحية التعليم الزمني ، بأن تكون فينا تلك الفطرة التي تصلنا بثقافتنا التقليدية لتكون معملا حديثاً يتحلل فيه ما يصلنا عن أوربا ، ويخرج منها مصبوغاً بصبغة مصرية أصيلة . ومثل الأزهر في ذلك كمثل كائن حي هضم ولم يأكل ، ومثل التعليم الزمني كمثل كائن حي أكل ولم يهضم . فناحية جائعة وناحية متخومة

لقد ظل اتصال الأزهر بذلك الجزء الذي يمثله من ثقافتنا التقليدية غير مكيف بمقتضيات العصور والحالات التي قامت خلالها وهو أقل تكيفاً بمقتضيات هذا العصر منه بمقتضيات كل عصر مضى . أما إذا كانت كلمة الثقافة تدل على تكييف الذهن تكييفاً تاريخياً أول شيء — ونقصد بالتكييف التاريخي خلق تصورات جديدة من تاريخ الأمم القديمة — فما من شك إذن في أن الأزهر لم يتصل بالثقافة التقليدية من ناحيتها التي تخلق هذا التصور ، وإنما اتصل بناحية من الثقافة التقليدية صدت التصورات عن الابتعاث في سبيل الابتكار . وكذلك ظل تعليمنا الزمني بعيداً عن الاتصال بثقافتنا التقليدية من جميع نواحيها تقريباً . ومن هنا ذلك الصدع التنائي الذي نلحظه قائما بين الناحيتين

ولقد يخيل إلى أن ما مضينا فيه من بحث هذه الناحية كاف للبيان عما نقصده من ضرورة الاتصال بثقافتنا التقليدية من الوجهة العقلية . أما الوجهة الفنية الماشية ، وهي الناحية التي لها الأثر الأكبر في علاج الحالات الاجتماعية التي قامت حفافينا من الناحية الاقتصادية ، فتلك ما سوف أصور كيفية الاتصال بها تصوراً عملياً لأن ذلك هو الغرض الأول من بحثنا هذا

* * *

إذا كان ما قلنا صحيحاً من أن البطالة في مصر والتعليم أمران متصلان أشد الاتصال ، باعتبار أن أحدهما مرض والثاني علاج ، فالواجب يقضي علينا بعد أن أظهرنا أوجه الاتصال أن نبين عن الطريق العملي الذي يجعل العلاج ناجماً في القضاء على الداء . ولما كانت ثقافتنا التقليدية من الوجهة الماشية هي الزراعة تحتم علينا بحكم الضرورة أن ننقل درجتي التعليم الأوليين ، أي الابتدائي والثانوي ، وهما الدرجتان التكوينيتان في مراحل التعليم ، من المدن الى القرى ، وأن نقيمهما على سياسة تختلف اختلافاً تاماً عن السياسة التي يجريان عليها الآن

تجري سياسة التعليم الآن في هاتين المرحلتين على أساس نظري بعيد عن أن يجعل لنا أي اتصال بثقافتنا التقليدية ، من

وجهتيها العقلية والماشية . وإني لا أكون مغالياً إذا قلت إن هذه السياسة لا تصلنا بثقافة أوربا أيضاً بحيث تجعلنا قادرين على فهم ما ننقل منها فهماً صحيحاً مفيداً . وما قولك في شاب يخرج من التعليم الثانوي جاهلاً بلغته العربية وأصولها وآدابها غير متصل بآداب دينه ، غير عارف بشيء من تاريخ بلاده ، وبالأحرى من تاريخ العرب أو تاريخ مصر ، عاجز عن التعبير تعبيراً صحيحاً بأي من اللغتين الأوربيتين اللتين يتلقاهما في مراحل ذلك التعليم ؟

أضف إلى ذلك أنه بجانب هذا يخرج من التعليم الثانوي غير متصل بشيء من ثقافة بلاده التقليدية من الوجهة الماشية ، غير متصل بطبيعة الأرض التي أنشأته أو بطرق استغلالها مشحون الذهن بنظريات وأوهام يتعذر معها أن يعايش الفلاح وأن يدرك شيئاً من سر حياته وتقاليده وخطراته ونفسيته . فكأننا بهذا التعليم نخلق من حوله جواً مصطنعاً وبيئة عقلية غريبة عن طبعه ؛ فيصبح بذلك أداة عاطلة في جسم الاجتماع وبزرة حية للتبرم من الحالات القائمة من حوله في مرباه ، بل ومنشأ للقلق ومرتعاً لغرس الافكار المتطرفة الخاطئة ؛ وعلى الجملة يكون موضعاً خصباً لغرس بذور الشر والفساد ، والعمل على قلب النظم الاجتماعية طمعاً في الحصول على نظم تلائم كفاياته وتتفق ومؤهلاته التي أهله لها التعليم . ذلك بأن كل عقلية لها تكوين خاص تنشد من طريقه دائماً البيئة التي ترضيها ، وعجز المتعلم العاطل عن الانتاج إنما يحمله بمقتضى موحيات عقله الباطن على أن يعمل على تكوين البيئة التي تلائمه متخذاً من النظم الاجتماعية التي نشأ فيها مادة يجرب فيها مقدار ما في نفسه من قوة التحليل ، لا من قوة التشييد ، على خلق البيئة التي ترضيه ، والنظم التي توائم عقليته وكفاياته

إن الخطوة الأولى التي ندعو إليها وهي نقل درجتي التعليم الأولين من المدن إلى القرى ، لخطوة ضرورية في علاج سياسة التعليم ، وهي الخطوة الأساسية في وصل التعليم بثقافة البلاد التقليدية من الوجهة الماشية . أما الخطوة الثانية فتنحصر في إقامة مدارس الحقول ، فتشيد المدرسة على أرض فسيحة تكفي لأن تكون ميداناً يتعلم فيه الطلاب طرق الزراعة العلمية على القواعد الحديثة ، ويجب مع هذا أن تلغى الشهادة الابتدائية ويكتفى بشهادة التعليم الثانوي ، وأن يبدأ الطالب حياته التعليمية من الثامنة ، ويفرغ من تعليمه الثانوي بعد عشرين سنة ، فيخرج من المدرسة وله من العمر ثماني عشرة سنة أو عشرون سنة . فاذا أراد أن يتخصص بعد ذلك في التعليم العالي فله ذلك ولكن بعد أن يكون قد اتصل بثقافة بلاده التقليدية ، وقامت معلوماته على أساس عملي رشيد ، يكون إليه مرد رزقه إذا تخصص وعجز عن كسب رزقه الحلال .

هذا هيكل من الرأي يحتاج إلى شرح وجيز . فإننا لا نعني أن تعليم الطلاب في تلك المدارس الزراعة العملية يجب ألا يصل الطالب بالناحية النظرية ، وإنما نعني أن يكون أساس التعليم فيها الزراعة العملية وما يتصل بها من العلوم ، وبجانب ذلك تعليم نظري قائم في أول الأمر على الاتصال بثقافة المصريين التقليدية من الوجهة العقلية ، مع العناية بأمهات اللغات الأوربية عناية كبرى حتى يتيسر لنا الاتصال بثقافة العصر اتصالاً وثيقاً صحيحاً

أضف الى ذلك أن الطالب ينبغي أن يلقن كل ما يتصل بالانتاج الصناعي من الوجهة الزراعية ، فيخرج ملماً بطائفة من الصناعات المتصلة بمحصولات بلاده الزراعية عارفاً بسرها ووجهة الانتفاع بها . وإني لن أغالي إذا قلت إن كثيراً من الذين يتخرجون من أهل أوربا في بلادنا أكثر اتصالا بثقافة بلادنا التقليدية من الوجهة الماشية من الطالب المتخرج في كلية عليا من كلياتنا . وفي هذا سر نجاحه العملي وسر عطل شبابنا عن العمل . ولهذا يتحتم علينا أن ندعو الى نشر الصناعات ، ولكن الصناعات التي تتصل أول شيء بمنتوجاتنا الزراعية ، وأن نصدف عن غيرها لأنها لا تفيدنا شيئاً في حياتنا الماشية أو تثبيت حالاتنا الاجتماعية المرتجة الشاذة . وبخاصة إذا وعينا أن دور التعليم على اختلاف نواحيها تخرج كل عام عدداً من المتعلمين تعليما غير عملي زائداً عن حاجة البلاد .

وإنما يجب أن يتجه التعليم في الحقول إلى غاية أخلاقية ، محصلها أن يغرس في طبيعة المتعلمين تصور جديد في شرف المهنة التقليدية التي ورثناها عن أسلافنا ، ألا وهي الزراعة . فإن التلميذ يجب أن يضع يده في كل عمل يمكن أن يؤديه الفلاح بنفسه ، وأن يتصل من طريق عضلاته بكل ما تتطلب مهنة الزراعة من أعمال جسمانية ، وأنه لا يرى في

ذلك شيئاً خادشاً لعزته أو مذلا لنفسه

أورثنا الحكم التركي المشؤوم عادة احتقار الفلاح ، لأن كلمة « فلاح » كانت توازي عند التركي أحط ألفاظ الشتم وأشنع كلمات السباب . ولطول الأمد الذي اعتدنا أن نسمع فيه هذه الكلمة مؤدية ذلك المعنى غرس في طبيعة المصريين أنفسهم ، بطريق التكرار ومستوعيات العقل الباطن ، ميل إلى احتقار الفلاح واحتقار مهنته ، والاعتقاد بأن العمل اليدوي في الزراعة إنما هو عقاب نفسي مرهق للنفس خادش للذة . وأنت ترى أن الأعراب في مصر قد انتحلوا هذه العادة . فانك إذا سألت أعرابياً أفلاح أنت ؟ أجابك على الفور : « كلا ! أنا عربي ! » ولكن بنبرات تدل على أنه يعتبر الكلمة اعتداء على مكانته السامية ، وقد يكون من خشاش الناس ومن ذؤبان العرب ، مهامل الثياب قذر المنظر والمخبر .

ولم يقف الأمر عند هذا ، بل إنك تجد أن الفلاح إذا قضى خدمته العسكرية وسرح من الجيش أنف أن يعود إلى الحقل أو أن يحمل المحراث أو يقود الماشية ؛ فاذا عجز عن أن يكون شرطياً ، قضى وقته في القرية عاطلا أو محترفاً حرفة أخرى غير الزراعة ، فتجده نجاراً أو حداداً لا يملك قوت يومه . وقد يتطرف بعضهم في احتقار مهنة آبائه فيغشى المجالس عازماً على قيثارة ، لأنه كان في موسيقى الجيش ، مستجدياً بها ، كأنما هو يعتقد أن الاستجداء بالعزف على قيثارة أشرف من العمل في الحقول . ولا شك في أن هذه الظاهرة قد أورثت نقصا نفسياً يمكن تحليله علمياً ، ولكن ليس هنا مكان إيضاحه . ولكن ذلك لا يحول دون القول بأن هذه الظاهرة من السهل علاجها بأن نعود أولادنا الاعتقاد بشرف المهنة التي تربي جسومهم ، وعليها قامت مدنيتهم منذ أقدم العصور ، على أن نفهمهم أولاً أن لهم مدنية وماضيا جديرين بالاحترام

والمحصل أننا لن نخلص من نتائج البطالة إلا بالاتجاه إلى إقامة سياسة التعليم على قواعد جديدة أساسها الأول الرجوع إلى ثقافتنا التقليدية ، فنخرج رجالا مستقلين بأنفسهم يعرفون كيف يرجعون إلى حضن أمهم الأولى « مصر » إذا أرادوا الحياة سعيدة هنية . ومن أجل أن نصل إلى هذه النتيجة ينبغي لنا أن ننتحي أسلوباً معيناً ينحصر في تنفيذ الآتي :

أولا — جعل مدة التعليمين الابتدائي والثانوي عشر سنوات يمتزج فيها التعليم النظري بالتعليم العملي الزراعي ، وأن يغرس في الطلاب روح الاعتقاد بشرف مهنة آبائهم التقليدية ، وأن يقترن هذا التعليم بتلقين الصناعات الزراعية وبخاصة ما يتعلق بالزراعة العملية منها

ثانياً — درس تاريخ العرب والمصريين درساً تحليلياً وافياً

ثالثاً — درس مبادئ العلوم والآداب العامة ، وهي الجهة التي تلفح بها عقولنا من الثقافة الحديثة

رابعاً — درس آداب العرب ومبادئ الدين العليا .

خامساً — درس عقائد المصريين القدماء وطرق معيشتهم وآثارهم وأعيادهم ، وعلى الجملة كل ما يتعلق بحياة الجماعة في مصر القديمة

وهنالك بجانب هذا أشياء يجب أن يهيأ الناشئ بمعرفتها ولكنها جميعاً تفاريع عمل هذه الأصول فلا محل لذكرها

فاذا تخرج الطالب وله من العمر ثماني عشرة سنة أو عشرون أصبح على الحكومة له واجباً تؤديه ، هو أن تمنحه قطعة من أرضها المملوكة لها يؤدي لها فيها ثمناً قليلاً على أقساط طويلة ، وأن تمده برأس مال إن احتاج اليه يسدد مع ثمن الأرض ليكون عونه على إعداد عدته لحياة العمل والكفاح

هذا طريق الخلاص ، وهو وحده طريق القضاء على البطالة ، وإخراج جيل جديد منشأ على طرق عملية ، جيل مكافح عامل خال من آثار الأمراض الاجتماعية ، جيل يشعر بأنه مستقل في الحياة وأن له عزة الرجولة وشرف الانتساب إلى مصر الخالدة ، جيل ، هو جيل الاستقلال الحقيقي والعمل المجد النبيل

اسماعيل مظهر

قصة المكروب
كيف كشفه رجاله
ترجمة الدكتور أحمد زكى
وكيل كلية العلوم

الدفتريا

بين واحد سمها الفرنسى ، وكاشف ترياقها الألمانى

— ١ —

فى عام ١٨٨٨ ألقى بستور من كفه المشارط والأنابيب ، ونفض يده من الأبحاث ، فقام تلميذه أميل رو Emile Roux فالتقط الذى ألقاه أستاذه ، وغمر يده فى الذى ترك سيده ، واتخذ لنفسه بحثاً مستقلاً . فلم يمض قليل من الزمن حتى اكتشف سمّاً غريباً يتحلب من بُشيلات الدفتريا سمّاً تقتل الأوقية المركزة منه خمسة وسبعين ألف كلب كبير

وبعد هذا بسنوات قليلة ، بينما كوخ يخفض من رأسه تحت وابل الشتائم واللعنات التى صبها عليه من كانوا آمنوا بعلاج سله المزعوم ثم خُدِعوا فيه وجَنَوا منه الثكل والأحزان ، قام أحد تلاميذه ، وكان شاعراً ، فخفف من إخفاق أستاذه كوخ بأن كشف فى دم الخنازير الغينية عن مادة غريبة إذا هى التقت بسم الدفتيريا ذهبت بشره وجعلته بَرداً على الناس وسلاما ، وكان اسم هذا الشاعر العالم أميل بارنج Emil Behring

اكتشف أميل الفرنسى سمّ هذا الداء ، واكتشف أميل الألمانى ترياقه ، فأحيا الأميلان الأمل فى أنفس الناس بعد أن أضاعه كوخ بنكبته الكبرى ؛ فعادوا ولو إلى حين يرجون أن تصبح المكروبات أصدقاء الانسان بعد أن كانت أعداءه ، وأن تصير لُعَبات لا تضر ، يَتلهّى بها البُحّاث ويتسلون من سأم وعناء

قام هذان الشابان بتجاربَ أى تجاربٍ لاستقصاء هذا الداء ؛ قاما بها فى هامٍ مجنونٍ ليخلّصوا أرواح البرايا . شقا طريقهما إلى غايتهما فى مجزرة لم تسمع الدنيا بمثلها . جزرا فيها عدداً لا يحصى من الخنازير الغينية ، جزراها ليخلّصا من الموت عدداً أكبر لا يحصى من الأطفال المساكين . ففى الأمساء كانت مماثلهم كميادين القتال فى الأزمان الخوالى ، حين كان الجند تُبقَر بطونهم وتقطّع أوداجهم بالحراب تارة والنبال تارة أخرى . ضرب رو Roux بأظفاره كالغول فى أطحلة الموتى من الأطفال ، ودار بارنج بين الدماء فى ظلام من الجهل دامس حتى اصطدم أنفه بباب انفتح له عن حقائق وضّاءة باهرة ما كانت لتخطر على بال الآلهة

ولكنهما دفعا عن كل تجربة ناجحة ثمناً غالياً : ألفَ تجربة فاشلة ، ولكن مع هذا ، وبرغم هذا ، قد اكتشفا الترياق

وما كان لهما أن يكتشفاه لولا أن سبقهما كشفٌ متواضع قام به فريدريك لُفلار Frederick Loeffler ، صياد المكروب الذى حمل على شفته شارباً ألمانيا حربيا علا واستطال حتى حجب بصره ، فكان إذا نظر فى المجهر نحّاه عن عينه ؛ وكان يعمل لُفلار إلى جنب أستاذه كوخ فى زمن البطولة الأولى حين كان يتصيد مكروب السل . ففى أوائل ذلك العقد التاسع من القرن الغابر كانت وطأة الدفتيريا شديدة جداً ، والدفتريا داء تشتد وطأته وتلين فى القرن الواحد مراراً . وامتلأت فى المستشفيات عنابر الأطفال بالرضى ، وعلت أصوات أهليهم بنحيب لا فائدةَ منه تعود ولا نفع يُرجى ، وخرجت من تلك الحلوق الصغيرة سعلة تصحبها قرقرة تنذر بأن الاختناق قريب ، وتراءت وجوههم الصغيرة الزرقاء فى وساداتهم البيضاء وقد ازرقّت من فعل اليد الخفية التى عصرت حلوقهم وضغطت على رقابهم . ومشى الأطباء فى هذه الأروقة يسترون يأس القلوب ببشاشة الوجوه ، وساروا من سرير إلى سرير لاحول لهم ولا قوّة إلا أن يدسّوا فى حلق طفل يختنق أنبوبة فى هذا الغشاء الذى يسد عليه منفذ الهواء يحاولون بذلك أن يفتحوا له منفذاً إلى رئتيه

وقذفت خمسة أسرة من كل عشرة بأحمالها إلى رواق الأموات . وكان فى أسفل الدار ، وكان به لُفلار يعمل بجدٍّ لا يفتر ، وهمة لا تضعف . كان يغلى مشارط ، ويحمى فى النار أسلاك البلاتين ، ويدخلها الى هذه الحلوق الجامدة من تلك الأجسام الهامدة التى أخفق الأطباء فى طلب الحياة لها ، ثم يخرجها منها وقد حملت مادة شهباء ، فاما أن يدخلها فى أنابيب رفيعة يسدّها بنُتافات من القطن بيضاء ، وإما أن يضع عليها الأصباغ ثم ينظرها بالمجهر فيرى بُشيلّات غريبة منتفخة الأطراف ، وقد تنقّطت وتخططت بصبغته الجميلة الزرقاء ،

وكشف عن هذه البشلة فى الحلوق جميعها ، وأسرع يطلع أستاذه كوخ عليها

لا شك أن كوخ أخذ بيد لفلار أخذا وهو يكشف عن هذه البشلة . وكأنى بك تسمع كوخ يقول له : « لا فائدة من النط إلى استنتاجات غير ناضجة ، يجب عليك أول شىء أن تُربّى هذا المكروب نقيا ، ثم عليك بعد ذلك أن تحقنه فى حيوانات ، فاذا هى اصيبت بمرض يشبه دفتريا الانسان تماما ، إذن .... »

كيف كان يضل لفلار والى جانبه هذا المتحذلق الشديد فى حذلقته ، هذا الحِذر الغالى فى حذره ، طَلاّبُ الحقيقة وسيد قنّاص المكروب ؟ كيف كان يضل لفلار والى جانبه هذا الداهية ينظر اليه ازورارا من نظّارته التى ما كانت تفارق عينيه أبدا ؟

وامتحن لفلار جثة طفل بعد أخرى ، وفتّش فى كل جزء من أجزائها وهى طريحة تبعث الأسى فى القلوب ، وصبغ مائة صليخة مختلفة من كل عضو من أعضائها ، ثم حاول أن يربّى هذه البشلات المخطّطة نقيّة ، وأفلح فى ذلك سريعا ، ولكنه لم يجد هذه البشلات حيثما بحث فى الأجساد إلا فى الغشاء الذى بحلوقها ، ودائما فى هذه الحلوق ، إلا طفلا أو طفلين ، كان يقع على هذه البشلات المنتفخة الأطراف ، فتفكّر لفلار : « كيف تأتّى لهذه المكروبات القلائل التى لا تحلّ من الجسم إلا فى الحلق ، كيف تأتّى لها وهى لا تفارق مكانها أن تقتل الطفل بمثل هذه السرعة ؟ ولكن لعل الأولى بى أن أتبع ما قال السيد كوخ » . وبدأ يحقن زريعاته من البشلات النقية فى الأرانب فى قصباتها الهوائية ، وفى الخنازير الغينية تحت جلودها . وما أسرع ما ماتت هذه الحيوانات . ماتت فى يومين أو ثلاثة كما يموت الطفل أو كانت أسبق إلى الموت . ثم أخذ يبحث عن المكروبات فى أجسام هذه الحيوانات فلم يجدها إلا حيث دخلت الحقنة فحسب . . . . . . وأحيانا أعوزه وجودها حتى هنالك ، إلا أن تكون وحدات منها قليلة ضعيفة لا تقوى على الاضرار ببرغوث صغير .

وتساءل لفلار : كيف أن قليلا من بشلات تحل من الجسم فى ركن قصِىٍّ منه ، كيف أنها فى قلتها وعزلتها تستطيع أن تصرع هذا الجسم وهو فى عظمه أكبر منها ملايين المرات

وكان لُفلار باحثاً أميناً لا يفوقه فى أمانته من البُحّاث أحد . وكان دقيقاً بطبعه فكانت توانيه الدقة بغير عناء . وكان أقل الرجال حظا من الخيال الجامح فلم يتدخل شىء منه فى نتائجه الدقيقة يزيّنها — أم هو يفسدها — بالذى ليس منها . وجلس يوما إلى مكتبه وكتب رسالة علمية تتضمن خلاصة بحثه ، فكانت مقالة متواضعة ، باردة ، لا تؤول قارئها فى شىء ، ولا تحمسه لأمر . كانت على نقيض ما يكتب الحماون . وجادل فيها أمر هذه البشلات ، أهى سبب الدفتريا وجرثومتها أم هى غير ذلك . ذكر كل الحقائق التى قد تؤدى الى أنها جرثومتها حقا ، وذكر كل الحقائق التى قد تؤدى إلى نقيض ذلك . تشبث بالأمانة تشبثا كبيراً ، وكتب كل ما قد ينفى أن تكون هذه البشلة سبب الداء : وكأنى بك تسمعه إذ يحدث نفسه وهو يكتب فيقولُ : « قد تكون هذه المكروبة هى السبب ، ولكنى فى عدد قليل من جثث الأطفال لم أستطع أن أجدها ... والحيوانات التى حقنتها لم يصبها شلل كالذى يصيب الأطفال ... والحقيقة التى هى أشد مناقضة لى هى أنى وجدت نفس هذه المكروبة — وهى تقتل الأرنب والخنزير الغينى — فى حلق طفل ليس عليه من أعراض الدفتريا شىء »

وغالى فى أمانته فلم يقدر بحثه الجليل الذى أتاه حق قدره ، ولكنه فى آخر رسالته كتب فقرة أوحى فيها بحل المعضل وفك المشكل وإيضاح السبيل إلى سر هذا الداء ، إيضاح السبيل إلى غيره لا إلى نفسه ، إلى الفرنسى رو Roux وإلى الألمانى بارنج Behring اللذين جاءا من بعده وكانا أشد منه خيالاً وأنفذ به فى المشكلات المعضلات بصــيرة . غريب أمر لفلار ! عرف السبيل الذى يسلكه لبلوغ الغاية ، ولكن بدل أن يتحرك هو ويقوم على قدميه فيسلكها ، إذا به يدل غيره فيفوز سواه بالحمد دونه . قال لفلار : « إن هذه البشلّة تبقى على رقعة قليلة لا تخرج عنها فى غشاءٍ ميّت فى حلق الطفل المريض . وتبقى كذلك فى مساحة ضيقة لا تعدوها تحت جلد الخنزير الغينى بعد حقنه . فهى لا تتكاثر فتصير ملايين وتعم الجسم كما نتوقع ولكنها مع ذلك تقتل حيث هى من مكانها ! فكيف يكون هذا ؟ لا بد أنها تصنع سمّا يخرج عنها فيسير وحده فى الجسم حتى يصل إلى موضع منه قتّال . فلا بد من التفتيش عن هذا السمّ ولا بد من وجوده . فتشوا عنه فى جثث الأطفال . أو فتشوا عنه فى أجسام الخنازير الغينية التى قتلها الداء . نعم .

الحياة الأدبية فى لبنان

بقلم سامى الشقيفى

كتب الأستاذ على الطنطاوى فى عدد سلف من « الرسالة » عن الحياة الأدبية فى دمشق ، وفى عدد آخر تكلم الأستاذ عبد الوهاب الأمين عن الحياة الأدبية فى العراق ، فكان من الانصاف لاتمام الفائدة أن نتكلم عن الحياة الأدبية فى لبنان

ظواهر الحركة الأدبية فى لبنان راكدة كما فى سورية والعراق . فالصحافة الأدبية تكاد تكون معدومة ، أما التأليف والنشر فتمر الأسابيع والأشهر دون أن تخرج المطابع كتابا نفيسا ؛ وجمهور الشباب معرض عن المنتوجات الأدبية العربية — الواقع أن إقبال الشباب فى الأقطار العربية على الثقافة الأجنبية (وان يكن نفخ روحاً جديداً فى الأدب العربى) قد أضر كثيرا بالحركة الأدبية خصوصاً فى لبنان . فشبابنا المثقف حائر بين الأدب الغربى (العالى حقاً) والأدب العربى الناقص بازائه . يقبل على الأول لأنه يرضى ذوقه وثقافته ، ويجذبه الى الأدب العربى نوع من الشعور الوطنى . فى مصر والعراق وسوريا — وهى بلدان مسلمة — يتعلم الشبان القرآن منذ صغرهم فينشأون وفى نفوسهم ملكة عربية لا تستطيع الآداب الأجنبية أن تطغى عليها . وليس الأمر كذلك فى لبنان . ولولا البكالورية اللبنانية التى توجب على الطلاب درس الأدب العربى لأهمله هذا النشء الجديد دون ما تبكيت

وقد كانت الحركة الأدبية عندنا فى لبنان الى الأمس القريب تنجلى بقصيدة رثاء أو مدح أو مقالة شكوى أو كتاب لا يتعدى موضوعه المبتذل الفارغ ؛ ولكن من الانصاف أن نقول إن البعض من أدبائنا نشروا كتباً لا بأس بها وإن كان لا يرضى عنها الذوق الأدبى السائد اليوم ، ومن هؤلاء الأدباء أمين الريحانى صاحب (ملوك العرب — ابن سعود — فيصل الأول — قلب العراق) ، وعمر الفاخورى صاحب (غاندى — أناتول فرانس) ، ولبيب الرياشى وجبرائيل بيهم ، وميخائيل نعيمه مؤلف (المراحل — جبران) ، وسلمى صائغ كاتبة (النسمات) ونظيره زين الدين مؤلفة (السفور والحجاب)

وقد أثر على النشاط الأدبى عندنا المجتمعات التى كانت تعقدها سيدات على جانب وافر من العلم والذكاء ، وهذه المجتمعات تشبه فى أكثر النواحى صالونات أديبات فرنسا فى القرن التاسع عشر . ومن أشهر سيداتنا الأديبات سلمى صائغ وحبوبة حداد ومارى ينى وجوليا طعمه . أما الصحافة التى يتجلى فيها النشاط الأدبى فقد كانت المجلات النسائية العديدة كالمرأة الجديدة والحياة الجديدة ومينرفا والخدر — وكان الاعتقاد السائد بين الأدباء أن المثل الأعلى فى الأدب هو أدب القرن السابع عشر الفرنسى (وإن كانوا لم يطلعوا عليه) ؛ والمتطرفون منهم كانوا يقتبسون من العصر الرومانتيكى — أما اليوم وقد نضج هذا الفوج من الأدباء الذين ذكرناهم ولا يرجى منهم أفضل مما أنتجوا ، فقد هدمت حركتهم الأدبية وتوقفت مجلاتهم وأفسحوا المجال لغيرهم . فعندنا الآن فوج من الأدباء الشبان « لا يزالون زغب الحواصل لم يطيروا بعد فى الأجواء » كما قال أحد الكتاب ، إلا أنهم أثروا على الأدب فى لبنان . منهم عصبة العشرة التى بثت روحاً جديداً فى الأدب ووجهت خطواته على غرار الأدب الغربى الحديث ؛ ولكن حركتها ما عتمت أن سكنت ولما تؤد رسالتها على الوجه الأكمل الذى كانت ترجوه . وقامت أخيراً ندوة الاثنى عشر تضم عددا من الشبان المثقفين ثقافة عالية يجتهدون للنهوض بالأدب فى لبنان نهضة صحيحة من كل نواحيه ؛ والأدب فى لبنان يتجه نحو القصة لأنها تتحمل الدروس النفسانية ولأنها من أرقى صور الأدب ؛ ومن أبرز الذين يعنون بالقصة خليل تقى الدين وتوفيق عواد ورئيف الخورى ، وقد تطورت عقلية النشء الجديد من الأدباء على نحو الأدب الفرنسى الحديث حتى أن عندنا ما يدعونه الأدب العارى يبشر به فؤاد حبيش ؛ وعندنا الأدب الشعبى ينشره توفيق عواد ورئيف الخورى ؛ وهم يرون أن الأدب يجب أن يستمد مواده من كل مظاهر الحياة لا من خفايا النفس وعواطفها فقط

أما النقد الأدبى على الأساليب العلمية الحديثة فحامل لوائه فى لبنان فؤاد البستانى الذى كان له الفضل الكبير فى توجيه

نعم . أو فتشوا عنه فى الحساء الذى تنمو فيه البشلة وتربو ... إن الرجل الذى يكشف عن هذا السم سيثبت ما عجزت أنا عن إثباته »

هذا هو الحلم الذى ارتآه افلار ؛ هذه هى الرجية التى ارتجاها ؛ هذا هو المفتاح الذى وضعه لُفلار فى كف رو ، والذى فتح به رو ما استغلق على لفلار

فى العدد القادم : كيف اكتشف رو سم الدفتريا

أحمد زكى

الشبان نحو الثقافة العربية بنشره سلسلة « الروائع » ، وهو الآن يعد كتاباً عن عوامل الأدب يبحث في تأثير المحيط على الأدب . فلكي يفهمنا الأدب العباسي ويطلعنا عليه يصف لنا بيئته في بغداد ؛ وفضل فؤاد البستاني الأكبر أنه دون سواه من الأدباء يشجع من يرى فيه سمات الأديب فيحثه على التأليف والنشر ويعضده بنفوذه الأدبي الكبير . وثمة نقادة آخر يمكننا أن نقارنه في كثير من النواحي بالأستاذ أحمد أمين ، هو جبرائيل جبور الذي ينشر الآن كتاباً ضخماً عن عمر بن أبي ربيعة « دون جوان » العرب

وأما في الشعر فقد ساد أول الأمر محافظون ينظمون في الرثاء والمدح والغزل والفخر أيضاً لا يحيدون كثيراً عن أمراء الشعر في الأعصر الماضية ، إنما كان يلمع في شعرهم وميض من التجدد وتسمع في أبياتهم رنة موسيقية عذبة . ومن أشهر الذين أجادوا أمين تقي الدين وبشاره الخوري . ثم جاء الشاعر الياس أبو شبكه فتطور معه الشعر بما حمله اليه من نفس صادق وبخروجه عن أدب المناسبات والمواضيع الجوفاء ؛ وخطا يوسف غصوب بالشعر خطوة واسعة موفقة بديوانه (القفص المهجور) . وكان المرحوم أديب مظهر أول من أدخل إلى الشعر العربي نظرية الشعر الرمزي التي يعتنقها اليوم شعراء يجيدون حقاً كصلاح لبكي وأمين نخله وسعيد عقل الذي نشر مسرحية شعرية موفقة جداً « بنت يفتاح » . لن أسهب في الكلام عن الشعر الحديث في لبنان ولكن أكتفي بالقول أنه من أرقى ما عرفته الآداب العربية . وثمة شعر لبناني محض يمثل فرعاً لنفسه هو الشعر العامي ، وقد ارتقى جداً وزعيمه الأول رشيد نخله ؛ ولقد تطور هذا النوع من الشعر على غرار الشعر الحديث ؛ وحدث هذا التطور ميشيل طراد فهو أيضاً ينهج نهج الشعراء « الرمزيين » ، والشعر اللبناني هذا يمتاز بشدة تأثيره على النفس

وكان من إقبال اللبنانيين على الآداب الأجنبية أنهم أضحوا يؤلفون بهذه اللغات . وكتب الريحاني وجبران بالانكليزية مثلاً مشهورة ؛ وهنالك كتب في السياسة والحقوق باللغة الفرنسية . وآخر ما أنتجه اللبنانيون من دواوين شعر فرنسي كان له دوي بعيد في فرنسا ونال لأجله بعضهم الجوائز من محافل الأدب العالية كشارل قرم الذي نال جائزة ادجاربو في فرنسا لديوانه الجبل الملهم ، وغيره أيضاً

وينشط اللبنانيون جداً للتأليف باللغات الأجنبية ، ولعل أفضل مؤلفاتهم العربية إلى الفرنسية ليطلعوا الغرب على ثقافتهم (وهي مظهر رقيهم) ويأخذوا مكانهم في الأدب العالي

والخلاصة أننا لسنا متشائمين من حال الأدب عندنا . بل ما نراه حولنا من مظاهر النشاط الكامن يبشرنا بمستقبل زاهر وبأن الحركة الأدبية في لبنان ستخطو خطوات بعيدة جداً

سامي الشقيفي

فى تاريخ الفقه الاسلامى

المحاضرة الثالثة

للدكتور يوسف شخت

الأستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والأستاذ بالجامعة المصرية

تكلمنا فى المحاضرتين السابقتين عن مسائل تتعلق بثلاثة أدوار قديمة من تاريخ الشرع الاسلامى ، وهى العصر الجاهلى — وليسمح لى بادخاله فى هذا النطاق الواسع — وعصر فقهاء المدينة السبعة ، والعصر الذى تكونت فيه المذاهب الكبرى . فالآن ، ونحن مستمرون على السير بموجب الترتيب الزمنى ، ننتهى إلى دور تندر مصادره ؛ فمن العجب أن نلاحظ أنه لم يبلغنا إلا القليل جداً من مؤلفات الزمن بين بدايات المذاهب (التى توجد لها مصادر معاصرة ولو لم تطبع كلها) والنهضة العظيمة التى بلغها علم الفقه فى القرن الخامس للهجرة ، ونتيجة هذا الدور لا بد أن تكون ذلك التنظيم والتنسيق للفقه الذى نشاهد أكمل مظاهره عند المذاهب الثلاثة فى وقت واحد تقريبا : للحنفية على يد القدورى ، وللشافعية على يد الغزالى ، وللمالكية على يد سيدى خليل . ويلوح أنه ليس مستحيلاً أن نتمكن من اكتشاف وثائق أكثر تبيانا لهذا الدور الغامض ، إذا ما وجدنا أن بعض مؤلفات أبى جعفر الطحاوى الفقيه المصرى المشهور وبعض الكتب الأخرى التابعة لذلك العصر قد كانت حليفة البقاء . وقبل أن يتحقق هذا الأمل علينا أن نقتبس معلوماتنا من الكتب التى تعالج اختلاف الفقهاء ، وهى كتب هدتنا المصادفة الغريبة إلى عدد غير قليل منها راجع إلى القرن الرابع الذى نبحث عنه ، وهذا مما يبرر بضع ملاحظات على هذا النوع من كتب الفقه على العموم . فقد ذكرنا فى محاضرتنا السابقة أول كتاب وضع فى هذا الفن وهو كتاب الحجج لمحمد بن الحسن الشيبانى . فهذا الكتاب يشترك مع بضع رسائل للشافعى فى غرض يحتمل أنه أحدث هذا الفن كله ، وهو مجادلة المعارضين التى تستلزم بطبيعة الحال إبداء آرائهم . وأما كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبرى الذى ذكرناه أيضاً قبلاً فيحل فيه محل هذا الغرض شىء آخر ، هو المقارنة والموازنة بين أقوال المتقدمين تأسيساً لمذهب المؤلف نفسه ؛ وأن هذا الكتاب أولى أن ينسب إلى القرن الثالث وإن كان مؤلفه قد مات فى سنة ثلثمائة وعشر . وهذان النوعان من كتب الاختلاف ظلا قائمين إلى القرن الرابع ، وإلى جانبهما قد نشأ نوع آخر ، وهو نوع الكتب التى تُثبت الآراء المتنافسة لغرض علمى محض . وأحياناً نجد المؤلف الواحد قد ألف فى الاختلاف أكثر من كتاب واحد . من ذلك أن الطحاوى الذى اسلفنا ذكره ألف كتاب شرح معانى الآثار ، وغرضه الراجح هو المجادلة بحيث أنه لا يذكر حتى أسماء خصومه ، ولكن له أيضاً كتاب اختلاف الفقهاء الذى يدلى فيه برأيه الشخصى على أثر عرض الآراء المختلفة والأدلة الدالة عليها . وقد ألف معاصره محمد بن ابراهيم بن منذر النيسابورى كتاب الاختلاف الذى يمثل هذا النوع الثانى ، كما ألف أيضاً كتابين من النوع الثالث وهما كتاب الاشراف على مذاهب أهل العلم ، والكتاب الأوسط فى السنن والاجماع والاختلاف ؛ وهذا الاهتمام العلمى المحض قد حمله أيضاً على أن يجمع فى كتاب الاجماع المسائل التى لا اختلاف فيها . أما المسائل المختلف فيها ضمن المذهب الحنفى فلدينا الروايات الثلاث لكتاب مختلف الرواية لأبى الليث السمرقندى ، وهو أيضاً من النوع الثالث العلمى المحض . وقد ذكرت كل تلك الكتب تفصيلا لأنها على العموم غير معروفة إلا للقلائل برغم أهميتها ، ولأنها لم تطبع بعد إلا شرح معانى الآثار للطحاوى . وأما أكثر الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع فى زمن متأخر فى القرن الخامس وما بعده ، فلا يمكننا أن نوازى بينها وبين تلك المصادر القديمة ، ولا ينبغى أن نعتبرها وسيلة يعتمد عليها فى الحصول على معلومات جلية ، لأن تلك الكتب كثيراً ما تناقض نفسها وتناقض حقيقة الأمر ، أى أقوال المذاهب المشهورة . وذلك لأنها ليست قائمة على معلومات مباشرة بل يتوقف بعضها على بعض . كذلك كتاب الميزان للشعرانى ليس إلا تغييراً لكتاب « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » للدمشقى ، وهذا بدوره مختصر لكتاب الاشراف على مذاهب

الاشراف لابن هبيرة إلى حدّ أن جميع الأغلاط الموجودة فى ذلك الكتاب تتكرر فى هذين . وينبغى ألا نؤاخذ ابن هبيرة بشدّة بهذه الأغلاط لأن كتاب الاشراف ليس إلا رواية مستقلة لفصل من كتابه الكبير المسمى بالافصاح عن معانى الصحاح ، وهو شرح مفصل للأحاديث الصحيحة ، ومضمون كتاب الاشراف كله وارد فى كتاب الافصاح شرحاً للحديث النبوى المشهور : اختلاف أمتى رحمة

إن أخبار المتأخرين من المؤلفين عن مبادئ مذاهبهم وأقوال الفقهاء الأقدمين يجب أن تقابَل على العموم بتحفظ شبيه بالتحفظ الذى ينبغى أن تقابل به كتب الاختلاف الأحدث عهداً ، حتى ولو كان أولئك المؤلفون من أصحاب المذهب الذى يتحدثون عن أئمته . فانا نشاهد فى المذاهب ابتداء من القرن الخامس افتقاراً للروايات فيما يتعلق بأقوال أصحابها الأولين ، وهو مما يجعل دراسة مؤلفاتهم الأصلية أحرى وأوجب . وإنى لأستمدّ أمثلتى من كتاب المخارج فى الحيل لمحمد بن الحسن الشيبانى السالف الذكر الذى لاريب فى صحته مقارناً له بشرح السرخسى المتأخر لأقوال محمد بن الحسن المروية فى كتاب المبسوط . فالشيبانى يقول فى مسألة معينة على وجه الاجمال : « لا آمن أن يبرئه بعض الفقهاء . » ولكن السرخسى يعترف بأنه لا علم له بمن قال بهذا القول . والشيبانى يقول فى التحليل : « إذا قال واحد منهم هذه المقالة (أى لو قالت الزوجة تزوجنى فحللنى ، أو قال الزوج الأول تزوج هذه المرأة فحللها لى ، أو قال الزوج الثانى أتزوجك فأحلك لزوجك الأول) لم تحلّ للزوج بهذا النكاح الثانى » ؛ فالسرخسى فى تعليقاته على هذا الكلام يقول : إن النكاح الثانى عند الشيبانى صحيح ، لكن التحليل فى هذه الظروف لا يحصل ، فى حين أن النكاح الثانى عند أبى يوسف فاسد غير صحيح ؛ ولكن السرخسى فى موضع آخر ينسب القول الأول إلى أبى يوسف ، والقول الثانى إلى محمد بن الحسن الشيبانى . ويقول السرخسى فى مسألة أخرى إنه يُنسَب إلى أبى يوسف قولان متناقضان دون أن يستطاع اعتبار أحدهما سابقاً ، والآخر متأخراً ، فهو مع ذلك يجهد نفسه فى التوفيق بين القولين بوجه محتمل . ويقول السرخسى فى الحيل المستعملة لمنع الشفعة : « وعند محمد رحمه الله هو مكروه أشد الكراهة »

وهذا ليس صحيحاً لأن الشيبانى قد جمع أمثال تلك الحيل فى باب طويل من كتابه المتقدم ذكره نقرأ فيه كلاماً كهذا : « أرأيت رجلا يريد أن يشترى داراً ، ويخاف أن يأخذها جارها بالشفعة فكره أن يمنعه من ذلك فيظلمه ، وكره أن يعطيه الدار فيدخل عليه ما يُكرَه . هل عندك فى ذلك حيلة ؟ قال : نعم الخ » . وإليكم مسألة تدل على أن رأياً نُسب خطأ إلى أبى حنيفة قد ظفر بأن يصبح مسلماً به فى المذهب كله : فنقرأ فى الفتاوى المالكيرية : « فاعلم بأن الوقف على قول أبى حنيفة رحمه الله لا يصح مضافاً إلى ما بعد الموت بطريق الوصية ، هكذا ذكر الخصاف رحمه الله ، ومحفوظنا أن الوقف عند أبى حنيفة رحمه الله صحيح إذا كان مضافا إلى ما بعد الموت أو كان موصى به » ومع ذلك فالخبر الذى ذكره الخصاف هو الصحيح ، لأن هذا يظهر من قول الشيبانى نفسه فى كتاب المخارج فى الحيل . وقد أمكن أيضاً أن تتسرب أخبار ملفقة إلى حواشى كتب الشيبانى حتى فى زمن قديم جداً ، وينبغى لهذا كله أن يتحاشى المرء قبول شهادة كتب أحدث عهداً فى أقوال الأئمة الأقدمين من دون تمحيص . وسبب تلك الأغلاط يرجع قبل كل شىء إلى تضاؤل الاهتمام بآراء فقدت اهميتها العملية بعد التدوين النهائى للأحكام فى المذاهب ، ويرجع أيضاً إلى الظن الطبيعى أن تلك الأحكام المدونة هى عين الآراء الشخصية للأئمة الأقدمين ، ويرجع أخيراً إلى استبدال عبارات مثل « فى قياس قول أبى حنيفة » بعبارات أخرى مثل « فى قول أبى حنيفة » فحسب ، وهو شىء نراه حتى فى الكتب القديمة جداً

وأخرى المسائل التى سنبحث عنها هى مسألة القانون العرفى فى بلاد الاسلام ، فبينا أن العلاقة بين الأحكام الشرعية والأحكام العرفية — كما رأينا — وجهة مركزية من تطور الفقه نفسه فى الأدوار الأقدم عهداً فان هذه العلاقة تصبح بعد ذلك عندما استقر الفقه فى صورته النهائية مطلباً مستقلاً . ومن بينات القوة الروحية العظيمة التى استمتعت بها الشريعة أنها بلغت حد فرض نفسها على القانون العرفى ؛ وإن كان هذا القانون قد بلغ من ناحيته أو كاد يبلغ حد احتكار العمل القانونى من الوجهة المادية ؛ وهذا بادٍ من أن الناس تحققوا وجود قانون عرفى يعارض كثيراً من الأحكام الشرعية ، وأنهم فسروا هذا من الوجهة

التاريخية بأن الأجيال المتأخرة لم تبلغ شأن السلف الصالح ، ومن الوجهة الاخلاقية بمبدأ الضرورة التي أغنت عن العمل بالاحكام الشرعيــــة . وعلى هذا النسق الفكرى أوجد عالم مصرى معاصر فيما يتعلق بالخلافة التي تتنافى تاريخها أصلا عن قواعد الشرع ، قواعدَ ثانوية موجهة إلى التطبيق العملى ولكنها مع ذلك مصنوعة على طراز تلك القواعد الشرعية . فأما مايتعلق بالفقه فقد رأى أهله أن يوفقوا بينه وبين العرف على قدر المستطاع مما أفضى فى التطور المتأخر للمذهب المالكى المغربى خصوصاً إلى أن يجيزوا عدة تصرفات عرفية لم تكن تعرفها الشريعة من قبل . أما العمل العرفى فكثيراً ماحاول أصحابه أن يحتفظوا بمظاهر المطابقة للشريعة على الأقل ، فى حين أن حقائق الأمور كانت بعيدة عنها بعداً شاسعاً ؛ وهكذا أقاموا فى حالة أخذ السارق والسكران عند ارتكاب الجريمة حدود السرقة والشرب رأساً معتقدين اعتقاداً صميما أنهم يطبقون الشريعة ولكن دون أن يعنوا بالاجراءات الدقيقة التى فرضتها الشريعة ، وهكذا ذهب بعضهم إلى حد ذبح مجرم يستحق الموت وفاقاً لقواعد ذبح الضحايا . وأنظمة المحتسب وناظر المظالم لا يراد بها إلا اجتياز الهوة التى تباعدت شقتها بين منطقة الشريعة ومنطقة الحياة القانونية العرفية ، فلهذا ليست من الشريعة المحضة ؛ ومنذ الزمن القديم كانت حاجة الشريعة محسوسة إلى أن يندمج فيها العرف القانونى وأن تتيح لمن يهمهم الأمرُ الوسائلَ لعقد تصرفات تقتضيها العادة مع مراعاة أحكام الشريعة الآلهية التى تجمع بين المخارج البسيطة والطرق الفقهية الأريبة . فبهذه الحيل يصل المرء من طريق تصرفات شرعيــة إلى نتائج تطابق الحاجات العملية ، ولكن لا تسلّم بها قواعد الفقه رأساً ، فهى من جهة الفقه مخارج ومواضعات ، ومن جهة العرف جهود فى جعل العرف مقبولاً موافقاً للشرع

وقد أنشأ الحنفية هذا الفن من الفقه وتعهدوه ، ونجد أن أبا يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى على رأس سلسلة طويلة من الفقهاء قد ألفوا فى الحيل ؛ وقد انتهى الينا كتاب محمد بن الحسن كاملا ، (وهو المسمى بكتاب المخارج فى الحيل الذى ذكرناه مراراً) ، ويشتمل على مسائل عديدة نقلها صاحبه من كتاب أبى يوسف . أما المذاهب الأخرى فالحيل فيها أقل شأناً منها عند الحنفية ، حتى أن الشافعى والبخارى الذى كان نفسه شافعياً وغيرهما قد حاربوا الحيل حرباً عواناً . ولم يمنع هذا أن المتأخرين من الشافعية قد أحسوا بالحاجة إلى تأليف كتب فى الحيل على مثال كتب الحنفية وأن ينسبوا إلى الشافعى نفسه من المخارج العملية ما قد ورد فى كتاب محمد بن الحسن الشيبانى ؛ وقد أفرد الحنبلى الكبير ابن قيم الجوزية للحيل بحثاً طويلاً ، وبرغم مناهضته للمكر ومنعه للفرار من أحكام الشريعة وصل فى بحثه إلى اعتبار كثير من تلك المخارج مشروعاً خاصة فى دائرة التصرفات التجارية . وأشهر كتاب فى هذا الباب هو كتاب الحيل والمخارج المنسوب خطأً إلى أبى بكر أحمد بن عمرو الخصاف الحنفى ، فالواقع أن كتابه الحقيقى ليس إلا رواية لكتاب المخارج فى الحيل للشيبانى ، وقد عنى الخصاف بأن يستبعد منها كل إشارة قد تدل على مؤلفه الأصلى ؛ والكتاب الذى اشتهر به هو تأليف عظيم الشأن لمؤلف مجهول عاش فى حوالى سنة أربعمائة ، وهو مصدر فريد فى بابه لمعرفة القانون العرفى الذى كان يعمل به فى ذلك الزمن فى العراق (كما نظن) يكشف لنا عن مستواه العالى واصطلاحاته الراقية ، وهذا القانون العرفى يميزه الدور الهام الذى يقوم به الاقرار ، فانه لا سبيل إلى الرجوع فيه ، ولهذا يصلح جيداً لأن يكون مبيناً للنتائج القانونية المقصودة ، كما يميزه دور العدول الأمناء الذين يثق بهم المتعاقدان يقومون بالتوسط بينهما فى علاقاتهما التعاقدية ، وكما تميزه أيضاً كثرة استعمال الوثائق المكتوبة ، فكل هذه الخصائص توجد مجتمعة فى كتب « المواضعة » ، وهى وثائق يكتبها المتعاقدان وليست لها قيمة قانونية مباشرة ، لكنها تصلح لاثبات حقيقة الأمر فيما بين المتعاقدين من العلاقات التى لا يكشف عنها بل يسترها عادةً عدد من التصرفات والاقرارات الموضوعة ؛ وتحفظ هذه الوثائق — أى كتب المواضعة — مع الوثائق الفقهية الحقيقية التى توضح وظيفتها عند عدل أمين يثق به المتعاقدان ويعمل هو بمقتضاها فيما بينهما ابتغاء معاملتهما بالعدل والانصاف ومنع أى منهما عن أن ينتفع بتصرف أو اقرار منفرد لما فيه ضرر لمصلحة الآخر . واليكم مثالاً قد يوضح كل هذا إيضاحاً تاماً : « قلت : رجل له على رجل مال ، فوكل رجلاً أن يتقاضى هذا المال ويستخرجه على أن له نصفه أو ثلثه ، هل

يجوز هذا ؟ قال : لا ، وإن وكله على هذا الشرط فاقتضى المال كان له أجرة مثله لا يجاوز بها ما جعل له ... قلت : فهل فى هذا من حيلة ؟ قال : نعم ، الحيلة فى ذلك أن يقر الذى باسمه المال لابن هذا الوكيل أو لرجل يختاره الوكيل بثلث المال بحق عرفه له ويوكله بقبضه . . . ثم يوكل الذى باسمه المال والمقر له بالثلث هذا الوكيل باستيفاء المال واستخلاصه فان خرج المال كان للمقر له الثلث من ذلك . . . . قلت : فان قال صاحب المال : أرأيت إن أقررت بثلث المال لمن يريد الوكيل فاذا وقعت الشهادة على ذلك لم يقم هذا الوكيل باستيفاء المال أو أحدث حدثاً تبطل به الوكالة فقد صار هذا الرجل شريكا لى فى المال بثلثه ، فما الحيلة ؟ قال : يعدلون كتاب الاقرار على يدى من يثقون به ويكتبون مواضعة بينهم تكون على يدى العدل يعمل بما فيها ويحملهم عليها ، فان خرج هذا المال بتقاضى الوكيل وقيامه كان لهذا الرجل الثلث ... وإن لم يخرج من المال شىء أو لم يقم بذلك أو أحدث حدثاً تبطل الوكالة به لم يكن للرجل المقر له بثلث المال شىء ورد العدل منهم الكتب على من يجب ردها عليه ، ويحكون فى المواضعة أمرهم كله ليعمل العدل بينهم بذلك »

والمصدر الثانى الرئيسى لمعرفة القانون العرفى فى بلاد الاسلام هو الشروط والوثائق . ويوجد الى جانب الدور الهام الذى تؤديه الوثائق المكتوبة فى باب الحيل كتب كثيرة فى الشروط عند الحنفية كما هى موجودة عند المالكية والشافعية . وجدير بالذكر أن أكثر المؤلفين لكتب الحيل من الحنفية ألفوا أيضاً فى الشروط ، وأنهم من جانب آخر قد اشتغلوا غالبا بالوصايا والأوقاف أيضاً بصورة تجعل من الممكن أن يستبين المرء فى الكتب الحنفية على مرور القرون ميلا ظاهرا إلى البحث عن الموضوعات ذات الأهمية العملية ، وتلك الأهمية العملية لكتب الشروط ناتجة عن نفس وجودها ، ذلك أن الفقه لا يقبل إلا الشهادة الشفوية ولا يستلزم وثائق مكتوبة ، وذلك العلم وحده لم يفلح فى جعل الشروط فى ذلك المركز العظيم الذى هى فيه من عمل الفقه . وترجع عادة تحرير التصرفات إلى العصر الجاهلى ، فقد ظهر أن الوثائق فى ذلك الزمن لم تكن محض مذكرات يستعين بها الشهود (كما هى الحال فى علم الفقه) بل كانت وثائق مستقلة تنطق بمضمونها لا ريب أنها لم تزدوج بالشهادة الشفوية إلا فى مرحلة ثانوية ؛ وقد أقر القرآن هذه الحالة فى نوع من العقود فى الآية التالية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ، وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر احداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم . وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فان أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم . » وفى آية أخرى ذكر القرآن الوثائق المكتوبة فى اعتاق الرقيق على أنها شىء معروف : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً . » حتى الاصطلاح الخاص بالاعتاق التعاقدى فى مصطلح الفقه ، وهو الكتابة ، يدل على أن ذلك كان مكتوباً فى الغالب على الأقل ؛ والأمر السابق الذكر وهو أن الشروط والوثائق تقوم فى تطبيق الشريعة العملى بدور أهم بكثير مما يعينه لها علم الفقه — ذلك الأمر لا نفهمه إلا ببقاء عادة ثابتة قديمة تقتضى تحرير العقود بالكتابة ؛ ومن الراجح أن تلك المادة الموجودة فى القانون العرفى العربى الجاهلى كانت قد تأثرت بنفوذ التمدن العراقى ، فان العراق مشهور بالدور الهام الذى قامت به الوثائق المكتوبة فى حياته القانونية والأدبية منذ زمن قديم جداً . أما الوثائق التى تبينها وتوضحها كتب الشروط ، وكذلك الوثائق الأصلية التى احتفظ بها فهى تتفق بطبيعة الحال فى مضمونها المادى مع أحكام الشريعة الاسلامية بحسب الظروف والامكان ، وخصائصها البارزة لا تظهر إلا فى صيغها التى تغيرت تغيراً كبيراً على كر القرون ، لكنها كانت

دائماً خاضعة لقواعد فنية صارمة . وإليكم خاصة جديرة بالذكر تشترك فيها كتب الشروط القديمة بأجمعها : قد تلونا آنفاً آية قرآنية تنص على أن « الذى عليه الحق » يكتب ويمل ؛ وأما فى كتب الشروط القديمة فالقاعدة الأساسية هى أن يملى الكتاب المدين (أو من يقوم مقامه من المتعاقدين) على المدون (أو القائم مقامه) وأن يقرّ هذا بصحة الوثيقة ويُشهد على ذلك الشاهدين

وثمة مصدر ثالث لدراسة القانون العرفى ، وهو التشريع المدنى الدنيوى فى بلاد الاسلام . ومن الحق أن الشريعة الاسلامية لا تعترف بتشريع مستقل يقوم إلى جانبها ، وتلك التشريعات المدنية حتى فى أوائل العصور الحديثة لم تزعم أكثر من أن تكون ملحقات بالشريعة فى الدائرة التى سمحت لها بها ؛ والواقع أن تلك التشريعات كثيراً ما جاوزت هذه الحدود . وأشهر مثال لمثل تلك التشريعات هو ما يسمى (بالقانوننامات العثمانية) ، فانه بينما كانت أكثرها تتصل بمسائل إدارية ، قد ردتها الشريعة إلى اختصاص الدولة ، فان أول قانون من هذه القوانين وهو (قانوننامه) السلطان محمد الفاتح ينظم العقوبات أيضاً والأحكام الشرعية فى الواقع لم تنفذ فى تلك المنطقة أحياناً كثيرة ، وتفترض هذه القانوننامه أن القصاص يمكن إجراؤه بخلاف الحدود ، وقد وضعت بدلا منها قانوناً جنائياً كاملا يختلف أصلا عن أحكام الشريعة ، وإن كان يذكرها فى مواضع عديدة ويستعير منها بعض القواعد الأساسية ؛ ويمتاز هذا القانون الجنائى بالدور الهام الذى تؤديه الغرامات المالية المختلفة المبالغ تبعاً لثروة المذنب . حتى الزانى بشرط أن يثبت عليه البينة وفاقاً لقواعد الشريعة يعاقب عليه بغرامات مختلفة القدر على حسب كونه متزوجاً أو غير متزوج (ويهمنا ملاحظة التعديل الذى أدخل بهذا على فكرة الاحصان فى الشريعة) والأرقاء لا يدفعون إلا نصف المبلغ المفروض على الأحرار ، والسكر أيضاً (وهو يقوم مقام الشرب فى الشريعة) لا يعاقب عليه إلا بالتعزير ؛ وهو يُترك فى الشريعة لتقدير القاضى ، وأما فى هذه القانوننامه فالتعزير دائماً ضربات بعصا مقرونة بغرامة مالية ، ويطبق نفس هذا التدبير على السرقة ولا يقام الحد إلا فى سرقة الخيل ؛ ويكون فى هذه الحالة إما قطع اليد وإما غرامة باهظة جداً ، ولا بد من أن هذه الجريمة كانت تعتبر خطيرة بصفة خاصة ؛ وحتى أن هذا القانون الجنائى يراد به أن يحل محل القسم المطابق له من الفقه تماماً لا إكماله فقط ، لكنهم على كل حال يتحاشون أن يقولوا بهذا صراحة ويطلقون عبارات من قبيل « السياسة فى مقابلة الجنايات » أو « بدل السياسة » على إبدال الحدود بالغرامات المالية ؛ وقد اتخذت هذه القانوننامه أنموذجاً للقوانين العثمانية التى تعالج نفس الموضوع

وعلاقة أخرى بين الشريعة الاسلامية والتشريع المدنى ، تخالف كل ما تقدم مخالفة تامة ، توجد فى الدور الأخير من تاريخ الشرع وهو دور تطوره المعاصر ، وحسبنا أن نذكركم بالتعديلات التى أدخلت منذ سنة ألف وتسعمائة وعشرين على الأحوال الشخصية فى مصر ؛ ولسنا نريد أن نبحث الآن عن تلك الظاهرة المهمة للحياة القانونية المصرية لأن الوقت الذى خلكه قد انتهى . وإنما نستشهد بها هنا كدليل على أن العلم الأوربى الذى يشتغل بتاريخ الفقه الاسلامى لا يتناول الأزمان الماضية فقط ، بل يجهد فى استيعاب الحياة الحاضرة أيضاً ، وأن موضوعه الواسع ليس ميتاً جامداً بل لا يزال قوياً متطوراً .

فان كنت قد وُفقت إلى إطلاعكم على شىء من الروح العلمية الخالصة المهيمنة على دراساتنا هذه فقد حققت بعض الغرض من هذه الأحاديث كل التحقيق

يوسف شخت

صورة من الحياة العلمية في مصر

٣ - تقى الدين السبكى

بقلم محمد طه الحاجرى

- ٣ -

وبعد أن قضى من الشام حاجته عاد إلى مصر سنة سبع ، فاستوطن القاهرة ، وانقطع فيها لتصنيف الرسائل والكتب ، وتعليق الشروح ، والجلوس للطلاب . وقد ألقيت اليه رياسة الشافعية ، فجاءت الأسئلة والاستفتاءات ترد عليه من أنحاء الشرق العربى كثيرة متلاحقة ، وهو يجيب عليها ويفتى فيها . وكان من عادته — كما ذكر ابنه تاج الدين — أن يشرك فى بحثها ومناقشتها أبناءه وتلاميذه ، إلا أن تكون متعلقة بأحوال المتصوفة وأهل الباطن فيكتم أمرها وأسماء أصحابها وما رآه فيها . إذ كان ذلك خارجا عن حدود النظر العقلى والاستدلال المنطقى

وقد لبث على ذلك — منذ عودته من السماع بالشام إلى رجوعه إليها قاضى قضاتها — اثنين وعشرين عاماً ، حج فى أثنائها ثم ذهب إلى المدينة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك سنة ٧١٦ هـ

ولم يل تقى الدين فى هذه الفترة عملاً يتصل بالسلطان ، أو أمراً من أمور الدولة ، على كفايته ومقدرته ، فقد كانت تنقصه المرونة الخلقية التى تقضى بالتزلف والتودد ، ثم بالمصانعة والمداهنة والاغماض فى الحق أحيانا ؛ ولهذا كانت مادة عيشه تافهة ضيقة مهددة بما تقضى به شهوات الأمراء وغايات المزدلفين ؛ فكل ما نعرف من هذا انه تولى مشيخة جامع ابن طولون فترة من الزمن ، وكان يأتيه منها رزق زهيد مما وقفه عليه الملك المنصور حسام الدين لاجين[1] (٦٩٦ — ٦٩٨ هـ ١٢٩٦ — ١٢٩٨ م) ولكن هذه المشيخة لم تلبث أن طارت من يده وأخذت منه سنة ٧١٩ (١٣١٩ م) . وله فى هذا المقام شعر نورد شيئا منه ، لأنه — مع ركاكته — يدل على روحه العلمية الخالصة التى تضع العلم فوق كل اعتبار :

كمال الفتى بالعلم لا بالمناصب	ورتبة أهل العلم أسنى المراتب
.. فلا تعدلن بالعلم مالاً ورفعة	وسمر القنا أو مرهفات القواضب
وهب أدبرت دنياك عنك فلا تبل	فعنها الغد عوضت صفو المشارب
فما قدر ذى الدنيا؟ وما قدر أهلها؟	وما اللهو بالأولاد أو بالكواعب؟

اذا قست ما بين العلوم وبينها
بعقل صحيح ، صادق الفكر ، صائب
فما لذة تبسق ، ولا عيش يقتنى
سوى العلم أعلى من جميع المكاسب

وهكذا كانت روحه العلمية الفلاتية التى كان يتعزى بها عما فاته من متاع الدنيا . وقد ظلت هذه الوظيفة محتجزة دونه حتى عام ٧٢٧ (١٣٢٧) فعادت إليه وبقيت فى يده إلى سنة ٧٣٩ هـ حينما اختير لقضاء الشام

وسبب آخر من أسباب الحياة المحدودة كان فى يده ، ولم يخل كذلك من شهوات العابثين فى انتزاعه : ذلك هو وظيفة التدريس بالمدرسة المنصورية ، وكانت مسندة أول الأمر إلى قاضى القضاة جمال الدين الزرعى ، ثم عين قاضى قضاة الشام ٧٢٣ (١٣٢٣ م) فحل تقى الدين السبكى محله ، وكان جديراً بذلك . ولكن الزرعى لم يطل فى قضاء الشام مقامه ، فلم يلبث عاماً حتى عزل عنه . وكان صديقاً لأرغون[1] نائب المملكة المصرية فى ذلك الحين ، فبلغه ذلك وهو بالحجاز ، فشق عليه أن يحرم صديقه مكانه فى مصر والشام ؛ واستشاط غيظاً وحنقا على تقى الدين ، وأقسم ليزيلنه عن مكانه ، وبعيدن إليه صاحبه ، متى عاد إلى مصر ؛ وترامت بذلك الأخبار إلى الشيخ ، ولم يكن له ما يكفل رزقه غير هذه الوظيفة ، وكاد يصبح ضحية شهوة جامحة ، لولا أن أرغون ما كاد يصل إلى مصر حتى قبض عليه فى بعض ما كان يسود ذلك العهد ؛ ففل بذلك من حده ، ووقى الشيخ شر نزوته وكيده

هذا كله والعهد عهد الملك الناصر ابن قلاوون ، وهو خير

(١) انظر ما كتبه المقريزى عن تجديد جامع ابن طولون وعمارته (ج : ٢ ص : ٢٦٩ ط بولاق)

(١) هو أرغون ، الناصرى غير الكاملى الذى سيجيء ذكره . وقد تولى نيابة المملكة المصرية من سنة ٧١٢ إلى سنة ٧٤١ . انظر ابن إياس

عهود ذلك العصر ، وأثقلها خضوعا للنزوات الطائشة

وقبل أن ندع هذا الدور من حياة تقي الدين السبكي ، نرى أن لابد من الاشارة إلى مجهود من مجهوداته العلمية الموفقة ، قام به في تلك الفترة ، وقد رفع كثيراً من شأنه ، وكان له أثر غير صغير في حياته ، فيما نحسب ، ذلك هو رده على أبي العباس ابن تيمية في مسألة الطلاق ومسألة الزيارة . وقد كتب رده على كل من المسألتين في كتابين : أحدهما موجز مجمل ، والآخر كبير مفصل ؛ ويظهر أنه قد أبدى في رده مقدرة فائقة في النقد والبيان ، وابان عن سعة اطلاع وحضور بديهة ، كما بعد عن الشطط والتجريح ، والتزم جانب الانصاف والمدلة ، مما دعا إلى إعجاب الأشاعرة به ، وا كبار ابن تيمية نفسه له ، وثنائه عليه فيما كتبه دفعا لنقده

وأحسبني لا أبعد عن الصواب إذا زعمت أن هذا الرد كان السبب في توجه نظر السلطان إليه ، واختياره لقضاء الشام ، بعد أن لبث ذلك المنصب لعبة للأهواء منذ مات جلال الدين القزويني سنة ٧١٩ (١٣١٩ م) حتى سنة ٧٣٩ هـ . وإصراره على ذلك أصراراً ذهبت معه كل محاولات الطويلة في التملص من هذا التقليد ، ووهن معه كل ما تذرع به لقاء هذا الأمر الذي يقدر عاقبته ، ويعرف حق المعرفة خطورته

ذلك أنه وإن كان قد ذهب في رده مذهباً علمياً خالصا فقد تناول به مسألة تمس أولي الأمر كما تمس العلماء ، فان ظهور ابن تيمية في الشام بمذهبه الذي ينقض مذهب الأشاعرة ، وانتصاره له بكل ما أوتي من قوة في البيان والمناظرة ، فرق أهل الشام فرقتين ، واجتذب إليه طائفة غير قليلة من أعيان العلماء أمثال المزي والذهبي والبرزالي : خرجوا على الأشعرية وهي المذهب الرسمي للدولة منذ كان الأيوبيون إلى ذلك العصر ، بعضهم في صراحة وجلاء ، وبعضهم في تنكر واستخفاء ، وسنرى فيما يلي بعض الظواهر في هذا مما يؤيد ما نذهب إليه من أن اختيار السبكي لقضاء الشام كان منظوراً فيه إلى هذه الحالة ، مرجواً منه القضاء على هذه الفتنة .

— ٤ —

وهكذا تولى السبكي قضاء الشام في ١٩ جمادى الآخرة سنة ٧٣٩ (٢ يناير سنة ١٣٣٩) ، فغادر مصر إليها ، وانتقل بذلك من حياته البسيطة الساذجة ، إلى حياة مركبة معقدة ، وترك بيئته الهادئة الوادعة التي ترفرف عليها روح العلم ، وتسري فيها نفحات الأبوة الكريمة ، إلى ذلك المضطرب الواسع الذي يموج بشتى النزعات ومختلف النزوات ؛ وتسوده روح خبيثة في مذاهب يزعمون لها صفة الدين تقتتل ، وشهوات باسم الحكم تفرض وتنفذ ، وأين يذهب السبكي في مثل هذا الجو ؟ وهو المطبوع على الصراحة في الحق ، والصلابة في الخلق ، والاستقامة في الرأي ، إلا أن يصبح غرضا للمعاندة والمشاجرة والشهوات الخبيثة الفاجرة ؛ ولهذا نجد ابنه تاج الدين يقول في هذا الصدد بلهجة مريرة : « فقبل الولاية يا لها غلطة أف لها ، وورطة ليته صمم ولا فعلها » وسنرى فيما يلي صوراً مختلفة لهذه الحالة

وإنما نعرض الآن حياته العلمية في الشام عرضا موجزاً ، فنلاحظ أن أغلب مصنفاته كتبها في الفترة التي قضاها بمصر كما نص على ذلك ابنه ، ولا ريب أن هذه الحياة الجديدة بما تفرضه من تكاليف ومشاق قد شغلته عن العلم بعض الشيء ؛ هذا إلى كبر سنه ، فقد تولى قضاء الشام وهو في حدود الستين ، فكانت دواعي التأليف قد فترت في نفسه ، حتى انبراه في أواخر حياته يميل إلى التأمل ، ويجنح إلى « المراقبة » ، ويزهد فيما كان مشغوفا به من قبل من المناظرة العلمية على قواعدها المقررة

على أنه قد كتب في الشام أبحاثا جليلة يتجلى فيها عمق التفكير ونفاذ البصيرة والاحاطة ، ونجد بعضا منها في ثنايا كتب ابنيه : بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي السبكي ، وتاج الدين عبد الوهاب صاحب الطبقات

ثم إنه ما كاد يصل إلى الشام حتى جلس للتحديث في « الكلاسة » وسمع منه أئمة الحديث في عصره كالمزي والذهبي والبرزالي ، وقرأ عليه جميع معجمه ابن ابن عمه الحافظ محمد بن عبد اللطيف السبكي . ثم تولى سنة ٧٤٢ (١٣٤١ م) مشيخة دار الحديث الأشرفية خلفا للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي ، وفي سنة ٧٤٥ (١٣٤٤ م) تولى التدريس في « الشامية البرانية » خلفا لأستاذها شمس الدين ابن النقيب ، كما تولى خطابة الجامع الأموي وباشرها مدة لطيفة

(يتبع) محمد طه الحاجري

عند بحر مويس شتاء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كم خشع العابر من قبلنا   على ضفاف النهر وقت الأصيلْ
أو فى مساء إذ ترى ظلمة
قد عشّشت فى الدوح دوحا كفيل
وربما كنا الأولى قد مضوا   وإن نأى الظن وعز الدليل
وما الذى ينأى بنا عنهمُ   من منظر أو خاطر أو ميول
كم منظر تحسب إمّا بدا   من أخذة الفكر ووهم الذهول
انك — والقلب خبير به —   أجَلْتَ قِدْماً فيه لحظ المجيل
الدوح كالمفكِر فى هدأة   إذ سكن الجو سكون الكهول
أو ثاكلات طال ثكل بها   فَسَكَنَّ من شجوها والعويل
أو صمتت من طول ما عُمِّرَت   كصمتة الشيخ الوقور الجليل
والنهر كالزئبق فى لمعة   وركدة ما إنْ بها من مسيل
عهدته فى صيفه لؤلؤا   لو أن للؤلؤ سيلا يسيل
والسحب كالأشجار قد عرشت   فى الأفق تبدو مثل ظل ظليل
أو قطع من حلم غامض   أو كنثار النقع أو كالطلول
والجو قد روّع من قره   كأنه قر ممات يصول
أنفاس ثغر الموت فى قره   تخرج من ثغر لجسم نَحِيل
والأرض غبراء سوى ما بدا   من عشبها منتثرا كالفلول
كأنما الدجن غدا تربها   وتربها الجهم كدجن سديل
تشابهت فى اللون عهدى بها   فى صيفها واللون غير القليل
عهدى بها كالخود فى عرسها   زاهية الأصباغ شتى الذيول
خِبلَ حدادا إذ دجا لونها   وهو كعقب العرس حتم البديل
خلاعة للصيف خلابة   وفى الشتاء الحسن جم الفصول
تباين الحسنان فى روقة   لكنه زاد جلال الجميل
كم متعة جاءت بها رهبة   كرهبة البرق وعادى السيول

لحن على المـــاء

بقلم العوضى الوكيل

ركبت زورقاً على النيل ، ومعى ثلاثة من أصدقائى ، وهب الله أحدهم نعمة حسن الصوت وقد غنى صاحبنا فأجاد ، وما منا إلا من طرب له واستعاد ....

وهذه القصيدة صدى هذا الغناء :

تَغَنَّ ، فما أحلى أغانيك فى الماء   لها فى نواحيه هواتفُ أصداء
تغن بألحان تواكَبْنَ فى النُّهى   قديماً ولا تمهل سكونى واصغائى
تغن فان الماء حولك ظامئ   إليك ، فبلل بالغناء صدى الماء
ترقرق كالنسم الوديع هنيهةً   وغضّن منه السطح فى غير اغضاء
كأن له نفسا اليك مشوقةً   وروحاً يُنديه اللحن منها بأعضاء
ينازع فى الأنغام جوا مُشَعْشَعاً   بها ، لم تخالطه نواشز ضوضاء

***

ألا غننا .... وابسط أغانيك كلها
بصوت كنفح الزهر ، أو طلعة البدر
حماداك أن نصغى اليك بمهجةٍ   تفيض بآلام شداد بدا الدهر
تثير بها ما لم ترج مثاره   وتحيى بها ما لم يَدُرْ لك فى فكر
وتبعث فيها ماضيا قد نسيته   ولكنه لم ينس عهدى وما أدرى
تعيد بها من دارس العمر حقبة
تصورها الأوهام ... ليست من العمر
ألا غننا ... حسبى من اللحن نغمة
تفيض على الأرواح كالنهل الغمر

***

نعم ... وامزج الماء الصفى بلحنك الـ
صفى فان اللحن فى الماء ذائبُ
فان نحن أومأنا اليه برشفةٍ   فبالنور صرفاً قد تمتع شارب
وموجان من ماء ولحن تواكبا
ويا حبذا فى الحس هذا التواكب

* من ديوان « تحية الحياة » الذى يصدر قريباً

أُمَيَّةُ تُبْعَث

جزاكم ذو الجلال بنى دمشق
وعز الشرق أوله دمشق
(شوقى)

للأستاذ أمجد الطرابلسى

شِعْرى أردتُ له عُلىً وخلودا   فنظمتُهُ لبنى الشآمِ عقودا
وجعلتُه لحناً يفيضُ بحبِّهم   وَيَرِنُّ فى سمعِ الزمانِ نشيدا
آليتُ لا أنفكُّ أهتفُ باسمِهم   طرباً وأُغْنِى فضلهم تغريدا
وأهزُّ منهم فى السلامِ بلابلاً   تشدو الحياةَ، وفى الصدامِ أسودا
وأصوغُ من يوم الجهادِ ملاحماً   تُرْوَى، وأُنطِقُها الرُّبى والبيدا
حتى أرى وطنى تحرَّرَ وانبرى   يطوى الشعوبَ إلى السماءِ صعودا

* * *

أدمشقُ يا مهوى رؤاىَ، وما أرى   إلا بمغناكِ المقامَ رغيدا
هلا أبيحُكِ خافقى ولحونَه   وأخصُّكِ التبجيلَ والتمجيدا
من فيض سحركِ قد قبستُ قصائدى   فوقفتُها لكِ نُدْفةً وقصيدا
سأحوكها تحكى شذاكِ لطافةً   وأصوغها تحكى رُباكِ ورودا
وأنا المحبُّ، وما سواكِ حبيبةٌ   أشدو بحُسنكِ يا شآمُ عميدا

* * *

يا غضبة أمويةً من جِلَّقٍ   حطمتْ سلاسلَ صُلْبةً وقيودا
ضجَّت لها كل الشعوب؛ أما ترى   كيف استفاضت فى الدُّنى ترديدا
ألمت دمشقُ من الخنوع فزمجرت   أنفاً وطبقتِ الفضاء رعودا
وقفت تناضل كاللُّباةِ جراءةً   لا شِرَّةً حفلتْ ولا تهديدا
لم تسمع الدنيا بمثلِ ثباتها   درساً يهيج المرهق المصفودا
خمسون يوماً فى الجهادِ مجيدةٌ   كانت فخاراً للشآم مجيدا
حشدتْ جحافلها لُبىً وضياغماً   صُبراً تعافُ مذلةً وسجودا
رضىَ الإباءُ عن الشبابِ فإنه   أضحى لنهضتنا لواءً وعمودا
ضحى الأمانىَّ العذابَ كخُلْقه   ومضى يخفُّ للمكارم عيدا
رضىَ الإله عن اللباةِ فإنها   شادت بناءً للفخار عتيدا
مهرت حماها والعلى أكبادها   ومشت يهيج نضالُها الرعديدا
رَوْضٌ تجهَّزَ للجهاد فلم يدع   دوحاً ولا زهراً ولا أملودا
لو كنتَ شاهدَه غداة كفاحِه   لرأيتَ جيشاً للنضالِ حشيدا
أو كنت ثمة شاهداً أطفاله   لرأيتَ جُنداً عُدَّةً وعديدا
صبروا على مُرِّ الطوى وتحملوا   فقراً على غير الأباة شديدا
حفُّوا بألوية الجهاد وأقسموا   ألا يكونوا للقوىِّ عبيدا
كلٌّ يسيرُ إلى الأمامِ مشمِّراً   وقد استعد لأن يعود شهيدا
وعتادُه قطعُ الصفا لكن فى   إيمانه ما يصدعُ الجلمودا
وفؤادُه بين الأضالع شعلةٌ   حرى تشعُّ عزيمةً ووقودا
سقطوا أمام بيوتهم، وسط الحمى   صرعى فما حفلوا لظى وحديدا
شهداء مثلُ الزهرِ فى أكمامه   كانوا على ظلم القوىِّ شهودا

* * *

يا ابنَ الحضارة، هل علمت حضارةً   تروى دماً ومدامعاً وكبودا
ركزتْ على الدمِ والجماجمِ عرشها   ثم ارتدت زُوَرَ الطلاء برودا
لبست بياضاً ناصعاً لكنها   أخفت قلوباً كالضغائن سودا
يا منقذ الحرية الزهراء فى   زمنٍ غدوْتَ لِنَيْلِه فرقودا
أعلنتَ للإنسانِ حقاً أقدساً   وأدَتْهُ طاغيةُ العروش عهودا
درسٌ غدوْتَ به الشعوبَ جميعها   فكسرتَ أغلالاً ومِجتَ هجودا
أتلومُ شعباً هبَّ يبعثُ مجدهُ   ويُعيد فخراً كالخلود تليدا
يمشى على لهبِ اللظى لحقوقِه   ويخوضُ لاستقلاله (البارودا)
قالوا: حقودٌ! قلتُ طاشَ خيالُكم   ففتى العروبةِ لا يكونُ حقودا
هو يطلبُ استقلالَه بدمائه   لا يجتدى كرماً ويسألُ جودا
رُدُّوا له الحقَّ السليبَ مسلماً   تجدوه إلفاً صادقاً وودودا
الشرقُ سمحٌ منذ كانَ وإنما   مُلئت حضارتُكم قذى وحقودا

يا جيرةً ضمدوا جراحة جِلِّق ... إذ جُرْحها يتلمَّسُ التضميدا

لله نصرتُكم أخاكم إنَّها ... قد أصبحتْ مثلاً يسير شرودا

كانتْ على القربى اللحمَة آية ... جُلى ، ورَمزاً ساطِعاً مشهودا

قُلْ لِلغويِّ يرى العروبةَ أنهراً ... لا تلتقي ويرى الوفاقَ بعيدا

إن العروبة في المواطِن كلها ... ضمِنَتْ لهـا آلامها التوحيـدا

جسدٌ يئنُّ إذا اشتكى عضو به ... من ذا رأى شِلواً يعيش وحيدا

***

يا يومَ عادَ المصطفونَ إلى الحمى ... ضَمِن الزمانُ لمجدكَ التخليدا

في جيد هذا الشرق كنت قُلادة ... وأراك في عمر الجهاد فريدا

ما مرَّ يوم أو مررت بخاطري ... إلا سطعت لناظريَّ جديدا

يا يوم عادوا والجلالُ يحفُّهم ... لا السِّجن قد هابوا ولا التشريدا

طلعوا علينا كالكواكب رفعة ... وهفوا على هام الرِّجالِ بُنودا

سل مُقلتي لما بدت رُكبانُهم ... هل بُدِّدت عبراتُها تبديدا

واسأل فؤادي هل أهلَّ مصفقاً ... أو هل شدا في رَكبهمْ غِرِّيدا

زَحَفَتْ دمشق نحوهم بقلوبها ... وُلداً وأشياخاً تدبُّ وغيدا

تتزاحَمُ العَبرَاتُ في آماقِهِم ... فرحاً فتنثرُ لؤلؤاً منضودا

كدُّوا الحناجِرَ فرحةً بإيابهم ... وتدافعوا مثل الأتيِّ وُفودا

أرأيتَ كيف طغى العُبابُ على الثرى ... أو كيف تحتضِنُ الرؤومُ وليدا

***

يا من رأى المأسورَ عاد مكرَّماً ... والآسِرَ المأفون فرَّ طَريدا

يطوي البحارَ السود يطلب ملجأً ... وَحِمىً وَيضربُ في البلاد شريدا

أنَّى تحوَّلَ فالسماء صواعق ... والأرضُ فاغِرةٌ هُوى ولحودا

وأمامه أنَّى تقلبَ نِسوةٌ ... يخمشن أجياداً زَهَتْ وخدودا

. . . .

ذُقْ ما يذُوقُ الظالمون ! ومن يُهِنْ ... أنَفَ الشعوبِ يهُنْ وَيقض كَيدا

***

وفد الشآم ويا رسول جهادها ... أنَّى حللتَ تَرَ القلوب مهودا

الله والشعب المبارك عزمه ... قد أولياك النصر والتأييدا

فاسحب من الحب الثمين سوابغاً ... واصحب من العطف العميم جنودا

واهبط رباعاً من (فرَنْسَةَ) خُضِّبت ... بدَمِ الأباةِ سباسباً ونجودا

دكَّت حصونَ الظالمين سيوفُهم ... والظلم تذروه السيوف بديدا

جئْهُمْ فَبَثّهم السلام وقل لهم : ... « يا من نشرتم لِلحقوق بنودا

يا موقدين لهيب أروع ثورةٍ ... تركت عروش المالكين حصيدا

والمرسلين على الظلوم صواعقاً ... والباذلين مع الضعيف جُهودا

لا تكتبوا بشبا السِّنان عهودكم ... فالحبُّ أصدق موثقاً وعهودا

ضنوا بهذا الشعب يوماً أن يهي ... إعجابه بنضالكم ويبيدا »

***

يا وَفدُ سر يحمى الاله وحِفظه ... واستنجز للأول والموعودا

وارجع إلينا بالحياةِ مظفَّراً ... واسطع بشائرَ في الحمى وسعودا

أمجد الطرابلسي



درامة من اسخيلوس

المتضـــــرعات

The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبه

مقدمة :

كتب إسخيلوس هذه الثلاثية الرائعة وهو شاب فى مقتبل حياته ، ولم يبق منها ، وا أسفاه ، غير الدرامة الأولى ، أما الثانية والثالثة فما تزالان مفقودتين . وقد استطاع العلماء الجهابذة من الألمان الحصول على مغزاهما ، وبذا تمت لنا الثلاثية بموضوعها وإن لم تتم بمبناها . والدرامة تنبع من أسطورة يو التى نشرتها الرســالة آنفا والتى تتلخص فى أن زيوس كبير أرباب الأولمب أحب الفتاة يو حباً مبرحا فكان يختلف إليها سراً مخافة أن تضبطه وإياها زوجه حيرا فيحدث ما لا تحمد عقباه ... ولـكن ... وقع ما خافه زيوس ... فبينما كان يلهو بحبيبته مرة إذ لمح زوجه مقبلة ... فأسقط فى يده .. وسحر يو بقرة بيضاء ... وراح يدعى أنه يرعاها ... ولـكن الحيلة لم تنطل على حيرا فسألته أن يمنحها البقرة علامة على حبه لها ، فأجابها ... وناطت بها حيرا خادمها الفظيع آرجس ، ذا المائة عين يحرسها ويلحظها أنى سارت وأيان توجهت .. وذاقت يو الأمرين من هذه الحال حتى لقيت أباها رب أحد الأنهار مرة فتحدثت إليه بما كان من أمرها مع زيوس .. ولم يطق سيد الأولمب صبراً ، فأنفذ ولده الصناع هرمز إلى آرجس ليحتال عليه ويقتله وينقذ يو من شره ... وأفلح هرمز فى مهمته ، ولـكن حيرا نقمت على البقرة وسلطت عليها ذبابا ساماً ماتئ يقرصها ويعضها حتى تصالح زيوس وحيرا ، ورجاها أن تطلق سراح يو مقابل ، على شريطة أن تنطلق من هيلاس كلها !! وقبل زيوس ، وأعاد إلى يو صورتها ... وأنفذها إلى ... شطئان مصر ... حيث تزوجت بفرعونها العظيم ... وكان من نسلها هؤلاء النسوة المتضرعات ، اللائى يتحدث إسخيلوس عنهن فى هـــذه الثلاثية

ونحن نعتمد فى تلخيص الدرامة الأولى الباقية على ترجمة لويس كامبل (طبعة إكسفورد) الشعرية . أما الدرامتان الأخريان المفقودتان (مصلحات فراش النوم) و (دانايديز) كما ذكرها الأســـتاذ جلبرت موري فى تاريخه عن الأدب الاغريقى (طبعة أبلتون ص ٢١٧) فسنلخصهما معاً معتمدين فى ذلك على الأستاذ هـ . أ . جربر ص ١٤٢

— ١ —

يرجع بنا إسخيلوس إلى عصر موغل فى القدم ، حتى ليكاد أن يكون عصرا خرافيا

ذلك هو العصر الذى كان فيـه إيجبتوس أميراً على مصر السفلى ... إيجبتوس الذى لا يعرفه التاريخ ...

وكان لهذا الأمير خمسون ابناً ، وكان لأخيه دانوس خمسون ابنة ، فأراد إيجبتوس أن يزوج أبناءه الخمسين من بنات أخيه الخمسين ، برغم ما فى هـذا الزواج من مخالفة لشرائع الدين فى مصر فى هذا الزمان ، ذلك أن هذا الدين الذى كان يبيح زواج الأخ من أخته ، كان مع ذلك يحرم زواج ابن العم من بنت العم ، ويعتبره ـ لو تم ـ نوعاً من الزنى

— ٢ —

لذلك صمم دانوس ، التقى الورع المتعبد ، المتفانى فى طاعة الآلهة ، ألا يتم هذا الزواج

وسبب آخر جعـل دانوس يغلو فى تصميمه ، ويتشبث به ، برغم ما يجره عليه عداوة أخيه ، أمير مصر العظيم ، من بلاء وأرزاء

ذلك أنه كان لا ينوى تزويج واحدة من بناته الخمسين قبل أن يودع الحياة ، وقبل أن يجيئه الموت ، وقبل أن يجرع كأس المنون حتف أنفه ! وكيف ؟

لقد ذكر دانوس ، حين كلمه أخوه الأمير فى بناته الخمسين ، تلك الرؤيا المفزعة التى أريها إذ هو شاب فى غضارة الشباب ، فأقضت مضجعه ، وطمست مباهج الحياة فى قلبه ، وتركته لا يفكر إلا فى هذه النهاية المريرة التى تدحرجه إلى شفاها الأيام ، ويقذف به فى هاويتها الزمان الغدار ! !

رأى دانوس ، إذ هو نائم فوق ضفاف النيل السندسية المعشوشبة ، فى ليلة مقمرة من ليالى الصيف الجميل الغفى ، أن

زوجاً من أزواج بناته يقتله ، ويغمد خنجره ذا القبضة الذهبية في أحشائه ، ثم يقذف بجثته الممزقة بعد ذلك في النيل ، فتحملها أواذيه الى اليم المصطخب ، الى حيث لا يدرك لها قرار ! !

« إذن لن أزوج واحدة من بناتي ! ! »

وذهب في الأرض على وجهه يأتي الكهان وسدنة الآلهة ليفسروا له الرؤيا ، فما زاده لغوهم إلا ترويعاً ، لأنهم جميعاً أكدوها له ... وإذن ... « فلن أزوج واحدة من بناتي ! ! »

— ٣ —

وألح ايجبتوس على أخيه ، ولكن دانوس ظل بمطاله .. وعطاله وأعد دانوس مركباً كبيراً حمل فيه بناته ... وأبحر في ظلام الليل ... إلى مملكة جدته ... جدته يو ... حبيبة زيوس سيد الأولمب وكبير الآلهة .... ليبارك ذراريها ، ويسهر على أحفادها !

وقد ضرب في البحر ، ولعبت بمركبه الأنواء ، وطفق يلقى من مور اليم وتناحر الموج ما أرخص له الموت . . . لولا أن استوى على شاطئ آرجوس ، فنزل وقد بلغ منه الأين ، وحطمه النصب

— ٤ —

وسار ببناته حتى بعد قليلا عن الشاطئ ، وحتى كان في البقعة المباركة المطهرة ، التي جعلتها آرجوس حرماً للآلهة ، وأقامت فيها التماثيل لأربابها . فوقف دانوس يعرّف بناته بسادة الأولمب ، وانطلق البنات [1] يغنين لآلهة هيلاس ، ويقرئنهن السلام من آلهة النيل ، وطفقن يهزجن بنشيد طويل حلو ، تنضحه الدموع وتصهره حرق في الضلوع ، ويفيض منه الموجمان الشجو والشكو ! !

وإنهن لفي صلاتهن وتغنيهن ، وإذا رجل طوال سامق ، بادي الهيبة موفور الوقار يخرج إليهن فجأة من الأدغال القريبة ، فيقف لحظة يرنو إليهن ، ثم يتقدم فيسألهن :

— « مَن النِّسوةُ المهاجرات في هذا الزي الغريب ! منظر عجب وآلهة الأولمب ! الشاكيات الباكيات في ثياب بربرية ، لا أرجيفية ولا إغريقية ؟ ! منْ ؟ ما هذه الأفنان الناضرة ؟ أمن الزيتون هي ! وفيم وضعتُنها عند أقدام التماثيل يا مهاجرات ؟ تماثيل آلهتنا ، وأوثان أربابنا المباركة ؟ »

وتتقدم اليه كبراهن فتسائله :

— « إن يكن قد بدهك زينا فمن أنت ! أمواطن من آرجوليس ؟ أم موكل بهذا الحرم تحرسه وتقوم عليه ؟ أم عظيم من آرجوس ونابه من حكامها ؟ هل للسيد أن يجيب ؟ ! »

وهش الرجل وبش ، وتبسم ضاحكا من قول الفتاة ، ثم تلطف فذكر له أن بيلاسجوس بن باليختون ، ملك آرجوس وحامي ذمارها ؛ وأوضح فذكر شعبه وأملاكه ومدائنه ، وهذا السهل وذاك الجبل وتلك الوهاد . . . وهاتيك البطاح

واهتزت الفتاة من رهبة وقالت : « إذن . . . فنحن نمت إلى آرجوس بوشائج القربى ، نحن يا مولاي من نسل البقرة الشردة على حفافي النيل ... هرعنا إلى آرجوس نلتمس الحمى ! »

— « من نسل البقرة الشردة ؟ وتمُتنّ إلى آرجوس بوشائج القربى ؟ عجيب وآلهة الأولمب ! إن ملامحكن لا تدل على أصل إغريقي ألبتة ! ! وربما كنتن من هذه القبائل الضاربة في أباطح إفريقيا ... من مصر ... أو من أثيوبيا يا بنات ! أو عسى أن تكن هنديات من اللائي يضربن أكباد الابل هنا وهناك في جنبات آسيا ... آه ! لا لا ، بل عسى أن تكن أمازونات يا فتيات ! ! أمازونات لا يعرفن الرجال قط ... يغتذين باللحم النيء ! ... خبرنني بحق الآلهة عليكن ... إن كنتن تمتن بوشيجة إلى آرجوس فكيف كان ذلك ؟ ... »

— « قد يعرف الملك ما كان بين سيد الأولمب وبين يو من علائق ! »

— « أجل ، أعرف ... أعرف . . . ولكن ماذا كانت عاقبة يو ؟ »

— « لقد سحرتها حيرا بقرة [1] ... »

— « وزيوس ؟ ! ... »

— « سحر نفسه عجلا جسدا له خوار ! »

— « ثم ... ... »

— « ثم لم تبال به حيرا ، بل وكلت بيقرتها حارساً غليظاً ذا مائة عين ! »

(١) بنات دانوس هن خورس هذه الدرامة

(١) الأثور غير ما ذكر إسخيلوس ، فزيوس هو الذي سحرها

— « مائة عين ؟ حارس ذو مائة عين من أجل بقرة واحدة ؟ يالله من راع ! »

— « أجل ... آرجس أيها الملك ، الذى قتله هرمز »

— « ولما قتله هرمز ، هل أطلق سراح البقرة ؟ »

— « لا ، ولكنها أرسلت عليها الذبابة السامة تمضها ، وتنغص حياتها ، وتزيدها شقاء على شقاء »

— « وأين انتهى بها المطاف يا فتاة ! »

— « خاضت البحر اللجى حتى كانت عند شواطئ مصر حيث تتدفق أمواه النيل . وثمة أعاد إليها زيوس شبابها وعنفوانها وأولدها إبافوس . . . منشئ ممفيس [1] »

— « وهلا تذكرن لها أطفالاً آخرين ؟ »

— « بلى . ولدها « بل » وقد أنجب بل ولدين كريمين ، أبانا هذا الشيخ . . . و . . . »

— « أباكم ؟ ما اسمه ؟ . . . »

— « دانوس أيها الملك ونحن بناته الخمسون . . . »

— « وأخوه ؟ ما اسم أخيه ؟ »

— « إيجبتوس أمير مصر وملكها . . . والآن ! هل تأكدت من صدق منشئنا ؟ »

— « لا ريب ! حصحص الحق ! ولكن اذكرى لى ! فيم هاجرتن من بلادكن ؟ »

— « أوه !! إنه لأمر يهيج أشجاننا أيها الملك ! ؟ يا للدنيا التى تكظها الآلام . . . »

— « إن لكن لشكاة يا فتيات ، فلا تخشين أن تبحن بها ، إنكن بحضرة ملك آرجوس وإن هذه الأفنان التى وضعتنها عند أقدام آلهتنا لتتكلم عن شكاتكن ! . . . »

— « إن كان لا بد أن تعرف ، فقد رفضنا أن نكون خولا لعمنا إيجبتوس ! لقد أرادنا على أن نكون متعة لأبنائه الخمسين فرفضنا ، لأن شرائعنا تأبى ذلك ... وها قد لجأنا إليك لتحمينا فلا تسلمنا لعمنا أبداً ! »

— « يا للهول ! ! إنى لألمح لهب الحرب يومض فى ظلماء المستقبل ! »

— « ولكن زيوس سيكون إلى جانبك ! »

— « أواه ! قد أجر الخراب على آرجوس ! من يستطيع أن يمنع إيجبتوس حقه فيكن ؟ »

— « الآلهة تستطيع ذلك إذا أيدت قضيتنا وآزرتنا أيها الملك . . . الآلهة تنصر الفضيلة دائماً »

— « على كل . . . أنا لا أستطيع أن أبرم فى ذلك أمراً دون أن أستشير شعبى ورجال دولتى ! »

— « أنت الحكومة وأنت الشعب وأنت الدولة ! »

— « كلا يا فتيات ! أنا ملك آرجوس فحسب ! لا بد من الشورى ! »

— « إذن ! . . . »

— « إذن ماذا يا فتيات ! »

— « إذن ... وحق آلهتك ... لنشنقن أنفسنا فى جذوع هذه التماثيل ! ولتكونن مأساتنا خزياً أبدياً فى شرف آرجوس لا تمحوه الأيام ! ! »

— « واحربا ! على رسلكن يا فتيات ! لا تسئن الظن بشرف آرجوس وشجاعة ملكها . . . ولكننا هنا قلب واحد ينبض بأحاسيس واحدة ! بيد أننى أدلكن على مخرج من هذا المأزق الحرج ... ليذهب أبوكن – هذا الشيخ – بهذه الأفنان الناضرة ، فليلقها لدى أقدام الآلهة فى معبد المدينة حيث يعكف الشعب على أربابه يبتهل إليها ويصلى لها ... فاذا سأله فى ذلك أحد ، فليبث شكواه ، وليذرف دموعه ، وليكسب إلى جانبه الجماهير الحاشدة التى نحكم باسمها ونستمد منها سلطاننا ! فهنالك ، وهنالك فقط ، يستطيع ملك آرجوس أن يؤيدكن ، وأن يحميكن ... أما أن أعدكن بالحماية من غير أن أرجع إلى شعبى... ف ... فأنا أخشى أن يقولوا إنى أذهبت ريحهم وهرقت دماءهم فيما لم يكونوا منه بسبيل ! ! »

— ٥ —

ويُنفذ الملك مرشداً مع دانوس يدله على الطريق إلى معبد آرجوس الجامع ، ويودع البنات لينطلق بدوره ، فيؤيد قضيتهن بين وزرائه ، وليرقق قلوب الشعب من أجلهن ، وليضمن لهن مؤازرة آرجوس كلها

(١) هكذا تزعم أساطير اليونان عن نشأة مدائن مصر القديمة ويرحم الله مينا !!

ويأخذ الفتيات فى صلاة طويلة كلها آمال وكلها أمانى ، وكلها ضراعة وكلها ابتهال ، وكلها تذكير للآلهة بما حاق بذرية يو التعساء ، ثم ثناء على أرباب الأولب لا ينتهى !

— ٦ —

وفيما هن يصلين هذه الصلاة الطويلة ، إذا أبوهن ، دانوس الشيخ ، يدخل عليهن فجأة ، حاملاً إليهن البشرى

— « ليهنكن يا فتيات !! ليهنكن ! لقد ضمنا أصوات الشعب وتأييد آرجوس ! »

— « أبانا ! بوركت ! بالبشرى ! ولكن ... قص علينا كيف تم ذلك بحق الآلهة عليك ! »

— « ما كدت أجوس خلال آرجوس حتى تكبكب الشعب حولى ، مأخوذاً بغرابة زئى وعجيب هيئتى ... وزادهم إجلالاً أنى ظهرت فيهم كضيف للملك وصديق لآرجوليس ؛ فلما نثرت الأفنان عند أقدام الآلهة ، وصليت وبكيت ، وبثثت شكواى ، رثى الأرجيف الكرماء لى ، فناشدتهم أن يؤازرونى ، ويشددوا عضدى ، ضد عدوى الغاشم الذى أراد أن يفضحنى فيكن ، ويجر الخزى عليكن . فهتفوا لى ، وحيونى تحية الأبناء الأمناء ، وأعطونى موثقهم على افتدائى بأزكى الدماء ... وعاهدونى على أن يذودوا الظالمين دونى ... ثم هالنى أن أرى السماء ترسل أضواءها فتملأ أركان المعبد بهاءً وتكسبها رونقاً ورواء ... وأقبل الملك فهتف الشعب له ، والتفوا حوله ، فخطبهم فى شأنى وحذرهم أن يغضبوا زيوس ربهم إذا لم يؤازرونى ، وينصرونى ، ويؤيدوا حق على باطل عدوى . فهتفوا بلسان واحد أن كيف لا ينصرون لاجئاً إلى قدس زيوس ، مستجيرا به ، مستشفعاً بآرجوس يرجو حماها ! ثم عرضوا آخر الأمر أن أنيم بين ظهرانيهم كواحد منهم ، وأن تكون لكن من الحقوق ما للأرجيفيات ، غير خائفات ولا مروعات ... هذه يابنتى قصتى ، وهذه أقضية السماء فاشكرن لها وتبتلن »

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

البريد الأدبي

أخي الأستاذ الزيات

لا أقدر أن أعلل المصادفة التي جعلتني أكتب قبيل شهر هذه المقطوعة « الاتصال » :

« لم تخلق الحياة جزءا يستطيع أن يعيش متصلا ،
حتى الأموات الذين أعوا دوراتهم يبقى اتصالهم بأرواحنا ،
والأحياء أنفسهم هل يستطيعون أن يعيشوا بغير أموات ؟
هم في يقظاتهم يمشون وراء خواطرهم وأفكارهم
وهم في أحلامهم يعيشون في جزائرهم النائية . . . »

ثم قدمت لي المصادفة كتاب « المرملة » لماترلك ، فلمست بدهشة وتأثير «صوفيته العميقة» وإحساسه بالموتى الذين لا يموتون « لنكن مطمئنين فالموت لا يحفظ لنا شيئاً أكثر تجهماً من الحياة ، وما الموت إلا حياة لا ينفذ إليها نصب ولا حزن ولا شقاء ! حيثما يقيم فالربح مقيم ولا شيء يضيع »

« لا نصلّ من أجل الموتى ! ولكن لنأتهم مبتهلين فان ما يملكونه لتقدمه الينا أكثر مما نملكه لنقدمه اليهم »

ثم جاءت كلمة الأستاذ أحمد أمين تحمل اليك التعزية في الرجاء الذاهب والكوكب الغارب !

يقول بوذا : « لا تقيد نفسك بالمحسوسات ، فالتقيد بها يشقيك . . . عش متجردا من كل حب محسوس وعلاقة محسوسة » وقد أجد في هذه الكلمة كل الشفاء لو تستقر في النفس . ولكن النفس التي تؤلف كل هذا المحسوس وترتبط به في كل لحظة وتعيش معه في كل مكان ، كيف ينزع منها ولا تجد لنزعه مرارة ؟ وكيف لا تحس به النفس وهي تغذيه كل يوم بدموع !

جميل أن أعيش بعيداً عن المحسوس ، وأجمل منه هذا المقل الذي يغرس في قلبي هذا الايمان المجرد ؛ وهل أستطيع أن أبلغ الايمان المجرد إلا بعد أن تجردني الحادثات وتنثر أوراقي كالشجرة التي لا تلمس نفسها وتحس وجودها إلا بعد أن تتجرد من أوراقها وأزهارها . ولا يأتي التجرد من غير ثمن !

ثمن هذا التجرد شقاء نتحمله ، وألوان من العذاب نتذوقها ، وقطع من أكبادنا تمشي على الأرض إلى الأرض !

لا أستطيع أن أقول لك : « تمز يا أخي بالتجرد ! » وهذا التجرد نفسه يحتاج إلى تعزية ! ولا أن أقول : « انفض يديك من الصغير المفقود » فانه جر الى التراب قطعة من كبدك معه . ولكن دع هذه القطعة فيها حركة وفيها حياة ... تحيا تحت التراب كما تحيا فوقه . . . ومتى رأيت أن الحياة تعمل هناك كما تعمل هنا ، وأبصرت أن الحياة التي تتمشى في جذور الأرض هي التي تتمشى في مطالع أزهارها ، كان لك من هذا عزاء ، لأنك تأمن على هذه القطعة التي ساخت منك . وفي الذكرى المتصلة حياة ، وفي الرجاء المتصل الذي لا ينقطع ألف حياة ؟

خليل هنداوي

حول رائي الأندلسي المجهول

يرجع الفضل في العودة الى اثارة البحث عن صاحب القصيدة التي نشرها ، للمرة الأولى ، الدكتور صوالح محمد بالجزائر سنة ١٩١٩ ، الى صديقي السيد عبد الرحمن حجي ، مدرس اللغة العربية بمدرسة أبناء الأعيان بسلا . واتخذ ميدانه « الرسالة » (عدد ١٣١ — ٦/١/٣٦) وطلب من المشتغلين بالأدب الأندلسي أن يعلنوا عن صاحبها إذا عرفوه ، فلم يجبه أحد سوى السيد محمد عبد الله عنان الذي حاول في مقالة نشرتها له « الرسالة » أيضاً عدد (١٣٣ — ٢٠ / ١ / ٣٦) تحقيق فترة الدهر التي يرجع اليها قرض القصيدة تسهيلا في البحث عن صاحبها وعصره . وقال السيد حجي إنه عرض القصيدة على المؤرخ المغربي السيد محمد بن علي الدكالي السلوي فذكر له أن صاحبها كما يفهم من القصيدة من المرية ، ولعله أبو جعفر بن خاتمة ، وقد تكون مذكورة

فى كتابه « مزية المرية » الذى فى دير الأسكوريال نسخة منه . وقال السيد حجى أيضا إن الدكتور صوالح قال فى كتابه إن هذه القصيدة من جملة القصائد التى بعثها مسلمو الأندلس يستغيثون بها السلطان العثمانى بايزيد الثانى . ولم نعثر نحن على هذا القول فى الكتاب المذكور

أما نسبتها إلى أبى جعفر أحمد بن خاتمة فهو غلط تاريخى ، فقد مات هذا فى اليوم السابع من شهر شعبان سنة ٧٧٠ (فهرست أبى عبد الحضرامى السبتى ، التى ألفها له الخطيب بن مرزوق (النفح ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ ، ط القاهرة)

وابن خاتمة من معاصرى لسان الدين بن الخطيب المشهورين وله معه مكاتبات . وله أيضا فى الوزير قصائد (النفح ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ ط القاهرة) . ومن جهة أخرى ، فقد ترجم الوزير فى الاحاطة لابن خاتمة وعدّه من أصدقائه (الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٧٤ ، ط القاهرة ١٣١٩)

فليست القصيدة إذاً لابن خاتمة الذى مات ، على الأقل ، منذ ٨٠ سنة قبل الفترة التاريخية التى قيلت فيها والمستنتجة منها ، كما لا يمكن أن تجىء فى كتابه « مزية المرية »

وجاء البيت ٧٧ من القصيدة هكذا :

تَرى فى الأمى أعلامَها وهى خُشَّع ومِنْبرها مُستَعبِرٌ وسَريرُها

سقطت « فى » من صدره فى الأصل وفى « الرسالة » ، إلا أن ناشر الأصل نبّه عن ذلك فى آخر الكتاب فى جدول التصحيح . ولعل صديق حجى أغفل النظر الى الجدول

حول ذخيرة ابن بسام أيضا

واهتبل الكتابة الى « الرسالة » التى مضى لها الكلام حول ذخيرة ابن بسام (عدد ١١٥) لأزيد أن النسختين المعروفتين اليوم بالمغرب الأقصى من هذا التأليف هما :

١ — نسخة ينقصها الجزء الرابع فى خزانة السيد عباس بن ابراهيم ، أحد قضاة مدينة مراكش الحاليين

٢ — نسخة أخرى ينقصها الجزء الرابع أيضا ، كانت لأوقاف مدينة تطوان بمنطقة النفوذ الأسبانى بالمغرب ، ولكن شخصا توصل الى اقتنائها وحملها الى الرباط بمنطقة النفوذ الفرنسى . وقد اقتنتها منه الحكومة المغربية لخزانة الرباط العمومية . وقد دخلتها فعلا ، وقيدت برقم (١٣٢٤) بدفتر المخطوطات العربية الثانى . ولم يقتنها السيد ليفى بروفنسال لنفسه كما شاع ذلك بالمغرب . وقد استعارها أخيراً السيد ليفى بروفنسال الأستاذ بجامعة الجزائر بواسطة خزانة مدينة الجزائر الأهلية . ولعله لينشرها أو ليقارنها بأخرى . ومما لا شك فيه أن بخزائن المغرب نسخاً أخرى لا تزال مجهولة

عبرات حرار

ولتسمح لى « الرسالة » مرة أخرى ، لأنتهز هذه الفرصة أيضاً لأوجّه هذا السؤال الى السيد عبد القادر المغربى رئيس المجمع العربى بدمشق سابقاً

سيدى :

قلتَ فى « مجلة مجمع اللغة العربية الملكى » (عدد ١ صفحة ٣٣٨) :

« إن العرب إن لم يصفوا الدموع بلفظ الحَرارة فأنهم وصفوها بمرادف الحرارة ، أعنى « السخونة والاحراق » . . .

« والفرق بين العربى والأفرنجى : أن الأولين ينسبون السُّخونة الى العين نفسها ، والافرنج ينسبون الحرارة الى دموعها

فما رأيك يا سيدى فى قول الخنساء :

مَنْ كان يوماً باكِياً سَيِّداً فليبكه بالعَبَرات الحِرار

محمد مصطفى
(سلا — المغرب الأقصى)

كتاب هام عن المسألة الفلسطينية

أثارت المسألة الفلسطينية فى العهد الأخير كثيراً من الاهتمام وصدرت عنها وعن تطوراتها كتب كثيرة ، ولكن معظم هذه الكتب يميل إلى الناحية اليهودية وإلى تأييد السياسة البريطانية وإنشاء الوطن القومى اليهودى ، وقلما ينصف العرب أو يقدر مطالبهم وحقوقهم قدرها ؛ بيد أنه ظهر أخيرا كتاب بالانكليزية عن المسألة الفلسطينية عنوانه « فلسطين العربية » Palestine of the Arabs بقلم السيدة بياتريس ستيوارت إرسكين B. S. Eraskins يؤثر الناحية العربية بكثير من الشرح والتفصيل ، ويميل إلى إنصاف العرب وتصوير وجهة النظر العربية تصويراً عادلاً .

وتمهد المؤلفة لبحثها باستعراض تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور حتى الحرب الكبرى، ثم تاريخ المسألة الصهيونية منذ فاتحة القرن الماضي حتى سعي اليهودية إلى عرض تأييدها ونفوذها على الحكومة الانكليزية مقابل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وصدور عهد بلفور الشهير بانشاء الوطن القومي، ثم قيام الانتداب البريطاني على فلسطين

وتشير المؤلفة إلى إغفال رأي العرب فتقول إن منح فلسطين لتكون وطناً قومياً لم يرجع فيه إلى رأي السكان «الفقراء» الذين كانوا حلفاءنا. كذلك لم تقدر فيه عواقب تدفق الهجرة إلى بلد صغير محدود الموارد، ولم تكن هناك سياسة ثابتة لمعالجة الموقف الذي ينشأ عن ذلك، وهي سياسة كان يجب أن تقوم على استشارة ذوي الشأن جميعاً، وأن يراعى فيها تنفيذ الشطر الثاني من تصريح بلفور الخاص بأنه «لن يعمل شيء يمكن أن يضر بالحقوق المدنية أو الدينية للطوائف غير اليهودية من سكان فلسطين»، ولا ريب أن تعيين هذه الحقوق الدينية والمدنية كان من شأنه أن يقي كثيراً من سوء التفاهم، وأن يحمل العرب على الثقة بالدولة المنتدبة، وأن يزيد في احتمال التعاون بين مختلف العناصر

وقد هرع اليهود إلى البلاد لا كمهاجرين بل كفاتحين، وشعر العرب بأنهم حرموا كل نصيب في النفوذ والحكم؛ وكان المندوب السامي الأول يهودياً، فكان تعيينه ضربة للعرب. وتعاقب المندوبون الساميون وتعاقبت الوزارات البريطانية ولم يجد العرب إنصافاً، وألفت السلطات يدها مغلولة بنصوص الانتداب، واستمر الاحتكاك بين العرب واليهود؛ وزادت المنازعات الدينية الأمور تعقيداً، وكانت تنتهي أحياناً بسفك الدماء. بيد أن اليهود لم يكتفوا بما بلغه الوطن القومي من التوطد والتقدم، فهنالك «حزب الاعادة» الذي يتزعمه فلاديمير جابوتنسكي، وهو يطالب باطلاق الهجرة اليهودية من كل قيد، وحماية المستعمرين بمنحهم حقوقاً ومزايا خاصة، وغير ذلك من المطالب المتطرفة

ولا ريب أن العرب يقابلون كل هذه المطالب والدعاوى بالانكار والمقاومة؛ ومن المستحيل أن تعاون الأحوال القائمة على وضع أي حل مرض للمسألة الفلسطينية

وتقترح المؤلفة من عندها حلا يقوم على التوزيع الجغرافي، وترى أن تقسم فلسطين إلى قسمين يكون كل منهما دولة خاصة، فتكون إحدى الدولتين عربية وعاصمتها بيت المقدس وثغرها يافا؛ وتكون الأخرى يهودية وعاصمتها وثغرها تل أبيب، وتنضم الدولتان إلى عصبة الأمم؛ وتعتبر بيت المقدس وحبرون وطبرية وصفد وبيت لحم مدناً دينية تخضع لنظام والقوانين التي تضعها عصبة الأمم، وتبقى حيفا ثغراً حراً، وتنضم شرق الأردن إلى فلسطين العربية

والخلاصة أن المؤلفة تبدي كثيرا من الاعتدال في عرض المسألة الفلسطينية وتخص الناحية العربية بكثير من الانصاف والعطف، وتبدي شجاعة في عرض القضية العربية يندر أن يبديها قلم أجنبي. ومن ثم فان كتابها خليق باهتمام العرب، وهو بلا ريب وثيقة مفيدة في عرض القضية العربية في انكلترا وفي أوربا

قصص فلسطينية

صدرت أخيرا ترجمة انكليزية عبرية من القصص الفلسطينية عنوانها Palestine Caravan أعني «قافلة فلسطين» بقلم الكاتب اليهودي موشي سميلانسكي M. Smilansky وهذا الكاتب القاص معروف بين مواطنيه بقوة تصويره وطرافة خياله. ويحتوي كتابه المذكور على إحدى عشرة قصة فلسطينية، عن اليهود والفلاحين والبدو، ويميل سميلانسكي بنوع خاص إلى تصوير الحياة الريفية، ويجيد هذا النوع من الصور. وبين القصص المذكورة عدة تمتاز بحسن السبك والمفاجآت المدهشة، وبينها عدد يمتاز بحسن التصوير والدراسة الطبيعية والنفسية العميقة ولا سيما فيما يتعلق بدسائس القرية، ووصف الحياة الريفية ذاتها وحياة الفلاحين وأعمالهم في الحقل والمنزل، ومما يلاحظ أن الكاتب حتى في دراساته الوصفية يجانب الأسهاب الممل، ويقتصر في الوصف واللفظ على ما لا بد منه لاظهار الصور والمعاني

طريقة المجمع اللغوي في كتابة الأعلام الأعجمية

وافق مجمع اللغة العربية الملكي على القواعد الآتية في كتابة الأعلام الأعجمية وهي:

١ — أن يكتب العلم الأفرنجي بحسب نطقه في اللغة الأفرنجية ومعه اللفظ الأفرنجي بحروف لاتينية بين قوسين في البحوث والكتب العلمية على حسب ما يقرره المجمع في شأن كتابة الأصوات اللاتينية التي لا نظير لها في العربية

٢ — تكتب أسماء الأعلام بحسب النطق بها في لغتها الأصلية أي كما ينطق بها أهلها وليس كما تكتب. مع مراعاة ما يأتي :

٣ — جميع المعربات القديمة من أسماء البلدان والممالك والأشخاص المشهورين في التاريخ التي ذكرت في كتب العرب يحافظ عليها كما نطق بها قديماً، ويجوز أن نذكر الأسماء الحديثة التي شاعت بين قوسين، وإذا اختلف العرب في نطقين رجح أوثقهما

٤ — أسماء البلدان والأعلام الأجنبية التي اشتهرت حديثاً بنطق خاص وصيغة خاصة مثل باريس وانجلترا والنمسا وفرنسا وغير ذلك تبقى كما اشتهرت نطقاً وكتابة

٥ — الأعلام القديمة يونانية ولاتينية ينظر في وضع قواعد خاصة بها

٦ — الأعلام السامية القديمة التي تكتب بحروف الهجاء الخاصة بها توضع لها قواعد خاصة بها

٧ — اللغات التي لا تزال تكتب بالحروف العربية، ولكن فيها أصواتاً ليس لها حروف عربية، ولهذه الأصوات في لغاتها حروف خاصة اصطلح عليها كالفارسية والملاوية والهندستانية والتركية في الحكم العثماني، ترى اللجنة بشأنها أن تدرس هذه الأصوات الخاصة وتتخذ لها الحروف التي وضعها لها أهلها

٨ — بعض القبائل والبلاد الاسلامية لها لغة خاصة لا يستعملونها غالباً في الكتابة، وإنما يكتبون باللغة العربية، ولكن لها أعلاماً بعض أصواتها لا يطابق الحروف العربية، وقد وضعوا لها إشارات لتأدية هذا النطق، وفي بعض الأحيان تكون هذه الاشارات متعددة للصوت الواحد — ترى اللجنة بعد البحث أن يختار أحد الاصطلاحات في كتابة هذه الأعلام

وانتهى المجمع من المناقشة في هذا القرار بوضع الحرف — جاف — ويكتب كافا على شرطتها ثلاث نقط

٩ — الأسماء الأجنبية النصرانية تكتب كما عربها نصارى الشرق. فمثلا يقال بطرس في Peter وبقطر في Victor وبولس في Paul ويعقوب في Jacob وأيوب في Job وهكذا

١٠ — قبلت اللجنة إدخال الحروف (P) ورسمته باء تحتها ثلاث نقط و (تش ch) ورسمته جيما تحتها ثلاث نقط، و (J) ورسمته زايا فوقها ثلاث نقط، و (G) ورسمته كافاً فوقها ثلاث نقط وهو حرف الجاف، وقد أرادت اللجنة من إدخال هذه الحروف للاشارة بها إلى بعض الأصوات التي لا توجد في العربية واختارت هذه العلامات لتداولها في اللغات الفارسية والتركية والهندية والملايوية

١١ — قبلت اللجنة أن يكتب الحرف (V) واوا بثلاث نقط فوقها وقد عدلت اللجنة عن كتابة (ف) بثلاث نقط لأن هذا الحرف مستعمل في بلاد المغرب إشارة إلى الحرف (جاف) أي الكاف المعقودة، وفي الملايو إشارة إلى الحرف (P) لتعيين بعض الأصوات في الأعلام الافرنجية

١ — اللغات التي لا تزال تكتب بالحروف العربية ولكن فيها أصواتاً تخالف أصوات الحروف العربية ولهذه الأصوات في لغاتها حروف خاصة اصطلح عليها كالفارسية والملايوية والهندوستانية، ترى اللجنة بشأنها أن تدرس هذه الأصوات الخاصة وتتخذ لها الحروف التي وضعها لها أهلها

وقد درست اللجنة هذه الأصوات الخاصة المشار اليها ووضعت فيها ثلاثة قرارات :

(ا) الحرف (انج) في لغة الملايو. يرسم نون وجاف وهو يرسم في لغة الملايو غينا فوقها ثلاث نقط

(ب) الحروف الهندية المرسومة راء ذات أربع نقط، وتنطق بين الراء والضاد، وكذلك الراء التي فوقها طاء يكتفى بكتابتها راء عربية. وكذلك الدال التي فوقها أربعة نقط يكتفى بكتابتها دالا عربية

(ح) بعض أسماء البلاد في جزائر الهند الشرقية ومقاطعة موريتانيا وما يليها تنتهي بحسب نطق أهلها بفتحة مثل ولات ومندر وبعضهم يكتب بعد الحرف الأخير المفتوح تاء مربوطة، وترى اللجنة أن تختم كل الأعلام التي من هذا القبيل بتاء مربوطة وقد اتبع ابن بطوطة هذه القاعدة

٢ — حرف ـ a ـ بالانجليزية يكتب ألفا . وإذا كان فى أول الكلمة كتب ألفاً عليها همزة . والحروف الانجليزية (y,u,e) وكل ما أشبهها فى النطق تكتب بالعربية ياء . وإذا كان الحرف ممالا فى اللغة الأجنبية ، وضعت ألف قصيرة قبل الياء لتدل على أنه ممال كالمدة (٨) للدلالة على الاشمام مثل كوته والحرف الأول هو حرف الجاف

٣ — تكتب الأعلام التركية كما كتبها الترك بالحروف العربية حسب الاصطلاحات المتداولة عندهم ، قبل اتخاذ الحروف اللاتينية وما جد بعد ذلك فحكمه حكم اللغات الافرنجية

٤ — الأعلام الأجنبية المنتهيـة فى نطقها الأصلى بألف تكتب بالألف إلا فيما عربه العرب بالتاء المربوطة ، كبخارى وبصرى وكسرى وعيسى وموسى

٥ — الامالة :

رأت اللجنة أن توضع علامة أشبه بالمدة الرأسية للدلالة على هذا الصوت كما فى ـ Jaipur ـ مثلا فتكتب هكذا جيبور مع وضع مدة رأسية فوق الياء ولذلك يكتب حرف (J) كما ينطق به أهل كل لغة ، لأنه فى الألمانية ينطق (ى) وفى الاسبانية (خ) كما هو فى موخاكار (Mojacar) وكذلك رأت اللجنـة أن تضع علامتين للدلالة على حرف (u) وحرف (o) المخفف والمثـل على الأولى Jeande Luz فتكتب فى العربيـة « زان ده لوز » بوضع ثلاث نقط فوق الزاى وعلى اللام علامة رقم (٧) للدلالة على هذا الصوت والثانية كما فى Geothe فتكتب فى العربيـة كوته وعلى الجاف علامة تشبه رقم (٨) كما سبق ذلك

حول كتاب الذخيرة أيضاً

للمرة الثانية نرى فى سيدة الصحف العربيـة « الرسالة » الغراء التنويه التام بالعلامة المستشرق الفرنسى الاستاذ ليفى بروفنسال إذ كان السبب الوحيـد فى اكتشاف أثر حافل عن تاريخ الأندلس هو نسخة كاملة من كتاب « الذخيرة » لابن بسام ، وساعده على ذلك أنه كان مديراً لمعهد المباحث العالية المغربية برباط الفتح ، فقد نوهت به للمرة الأولى فى العدد (١١٥) بقولها « ... لبث يبحث وينقب أعواماً طويلة فى خبايا المكاتب المغربية حتى ظفر بنسخة حسنة كاملة من كتاب : (الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة) وقالت مثل ذلك فى العـدد (١٤٠)

على أن الحقيقة ونفس الأمر خلاف ما كتبته الصحف الأوروبية وخلاف مانقلته الرسالة . والحقيقة التى لا يشوبها شئ هى أن كتاب الذخيرة كان فى خزانة القائد الأكبر السيد اليزيد ابن الصالح الغمارى (القاطن بغمارة من أعمال تطوان) من جملة الآثار النفيسة الموجودة بخزانته القيمة التى خلفها أسلافه الكرام حبوساً على عائلته أولاد صالح . وفى ذات يوم أتاه بعض أصدقائه وطلب منه إعارة الذخيرة على أن يلتزم بطبعها والربع بقسمه بينهما ، فاستحيا منـه القائد ومكنه منها ، فذهب تواً إلى خزانة المخزن الـكبرى بالرباط وطلب من رئيسها شراءها منه فأخذها وأجله لغد، وفى الغد ذهب للخزانة فأعطاه الرئيس (٣٠٠٠) فرنك ثمن الذخيرة ، فأبى من البيع ، فلم يرض الرئيس بردها له قائلاً : إن المخزن الشريف أرادها فخذ الثمن أو اذهب ؟ فلم ينفعه إلا أن أخذ الثمن وذهب لسبيله . تلك حقيقة قصة كتاب (الذخيرة) واكتشافها

ونحن لا ننكر فضل الأستاذ ليفى بروفنسال فهو كما ذكرت (الرسالة) الغراء وزيادة ، وإن ننس فلا ننس جهوده التى بذلها نحو الكتب الاسلامية ، وإنما نحب إظهار الحقيقة ليس إلا . ومن الكتب التى اعتنى بنشرها هذا الأستاذ ولم تذكرها الرسالة : المجلد الأول من (الجامع الصحيح) للأمام أبى عبد الله البخارى المكتوب بخط ورواية أبى عمران موسى بن سعادة الأندلسى ، نقل منه نسخاً عديدة بالتصوير الشمسى ومما كتاب (التنويه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة) للعلامة المحدث الشهير صاحب الفضيلة السيد محمد عبد الحى الكتانى ، والقسم الثانى من (الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام) لذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، وكتاب (مفاخر البربر) مجهول المؤلف ، و(نخبة تاريخية) جامعة لأخبار المغرب الأقصى جمعها من كتب شتى ، و(نبذ تاريخية) فى أخبار البربر فى القرون الوسطى انتخبها من كتاب مفاخر البربر المتقدم وغيرها من الـكتب

(فاس — المغرب الأقصى) ادريس الكتانى

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٥ — ١٣ ابريل سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 145.

Lundi-13-4-1936


بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة — « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٥٥ — ١٣ أبريل سنة ١٩٣٦ » — العـــدد ١٤٥

فهرس العـــدد

صفحة		
٥٦١	اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال	: الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٥٦٤	النهضات القومية العامة	: الدكتور عبد الرزاق السنهورى
٥٦٨	جاكومو كازانوفا	: الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٥٧١	الخصيات	: الدكتور مأمون عبد السلام ...
٥٧٣	قصة المكروب	: الدكتور أحمد زكى ... ...
٥٧٧	نشأة مقاييس الذكاء ...	: الأستاذ على محمد فهمى ... ...
٥٨١	استثمار نهضة المرأة ...	: الآنسة فتحية عزمى ... ...
٥٨٣	إنى أرى فى المنام	: الأستاذ محمد سعيد الزاهرى
٥٨٦	الحياة الأدبية فى الحجاز	: عبد المجيد شبكشى ... ...
٥٨٧	تقى الدين السبكى	: محمد طه الحاجرى ... ...
٥٩٠	قرب للوتى (قصيدة)	: الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٥٩٠	زهرتى المختارة «	: الياس قنصل ... ...
٥٩١	الليلة الثانية عشرة «	: الأستاذ على أحمد باكثير ...
٥٩٢	فى الأدب الايطالى الحديث	: محمد أمين حسونه ... ...
٥٩٤	المتضرعات (قصة)	: الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥٩٧	تاريخ جديد لليهود	
٥٩٨	كتاب عن بونابرت فى مصر	
٥٩٨	رسائل الشاعر الروسى بوشكين	
٥٩٩	وفاة كاتب ألمانى كبير	
٥٩٩	كتاب جديد لميترلنك	
٥٩٩	حول ترجمة السخاوى أيضاً	: قارئ ... ...
٦٠٠	« « « « «	: الآنسة فردوس عبد العزيز
٦٠٠	بعثة الجامعة المصرية إلى اليمن	

اللغة والدين والعادات

باعتبارها من مقومات الاستقلال

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

ليست حقيقةُ الأمة فى هذا الظاهرِ الذى يبدو من شعبٍ مجتمع محكوم بقوانينه وأوضاعه ؛ ولكن تلك الحقيقة هى الكائنُ الروحىُّ المكتنُّ فى الشعب ، الخالصُ له من طبيعته ، المقصورُ عليه فى تركيبه ؛ كمصير الشجرة لا يُرى عملُه والشجرةُ كلُّها هى عملُه

وهذا الكائن الروحى هو الصورةُ الكبرى للنسب فى ذوى الوشيجة من الأفراد ، بيد أنه يحقق فى الشعب قرابة الصفات بعضها من بعض ؛ فيجعل للأمة شأن الأسرة ، ويخلق فى الوطن معنى الدار ، ويوجد فى الاختلاف نزعة التشابه ، ويردُّ المتعددَ إلى طبيعة الوحدة ، ويدع للأمة شخصيتها المتميزة ، ويوجب لهذه الشخصية بازاء غيرها قانونَ التناصر والحميّة ؛ إذ يجعل الخواطر مشتركة ، والدواعى مستوية ، والنوازع متآزرة ، فتجتمع الأمة كلها على الرأى : تتساند له بقواها ، ويشد بعضها بعضاً فيه . وبهذا كله يكون روح الأمة قد وضع فى كلمة الأمة معناها

والخلق القومي الذي ينشئه للأمة كائنُها الروحي ، هو المبادئ المنتزعة من أثر الدين واللغة والعادات ، وهو قانون نافذ يستمد قوته من نفسه ، إذ يعمل في الحيّز الباطن من وراء الشعور ، متسلطا على الفكر ، مصرّفاً لبواعث النفس ؛ فهو وحده الذي يملأ الحي بنوع حياته ، وهو طابع الزمن على الأمم ، وكأنه على التحقيق وضعُ الأجداد علامتَهم الخاصة على ذريتهم

* * *

أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ، وجودا متميزا قائماً بخصائصه ؛ فهي قومية الفكر ، تتحد بها الأمة في صور التفكير وأساليبِ أخذ المعنى من المادة . والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها ؛ وعمقها هو عمق الروح ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل ؛ وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها ، فان روح الاستعباد ضيق لا يتسع ، ودأبه في المستعبَدين لزومُ الكلمة والكلمات القليلة

وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة ، وكانت أمتها حريصة عليها ، ناهضة بها ، متسعة فيها ، مكبرة شأنها ، فما يأتي ذلك إلا من روح التسلط في شعبها ، والمطابقةِ بين طبيعته وعملِ طبيعته ، وكونِه سيد أمره ، ومحقق وجوده ، ومستعمل قوته ، والآخذ بحقه . فأما إذا كان منه التراخي والاهمال ، وترك اللغة للطبيعة السوقية ، وإصغار أمرها ، وتهوين خطرها ، وإيثار غيرها بالحب والاكبار ؛ فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابعٌ لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه ، مجتزِئٌ ببعض حقه ، مكتفٍ بضرورات العيش ، يوضع لحكمه القانون الذي أكثره للحرمان وأقله للفائدة التي هي كالحرمان

لا جرم كانت لغةُ الأمة هي الهدَف الأول للمستعمرين ؛ فإن يتحول الشعب أوّلَ ما يتحولُ إلا من لغته ؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله ، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسبِ ماضيه ، ورجعت قوميتُه صورة محفوظة في التاريخ ، لا صورة محقّقة في وجوده . فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ؛ حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة ، ونشأ الثاني على أخرى ، والثالث على لغة ثالثة ، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء

وما ذلّت لغةُ شعب إلا ذلّ ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار . ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغتَه فرضاً على الأمة المستعمرة ، ويركبهم بها ، ويُشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقُهم من ناحيتها ؛ فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد : أما الأول فحبسُ لغتهم في لغته سجناً مؤبداً ؛ وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً ؛ وأما الثالث فتقييدُ مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها ؛ فأمرهم من بعدها لأمره تَبَع

والذين يتعلّقون اللغاتِ الأجنبية ينزعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية مستحكمة من قِبَل الدين أو القومية . فتراهم إذا وهنَت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم ، ويتبرأون من سلفهم ، وينسلخون من تاريخهم ، وتقوم بأنفسهم الكراهةُ للغتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم وأشياء قومهم ؛ فلا يستطيع وطنهم أن يوحي إليهم أسرار روحه ؛ إذ لا يوافق منهم استجابةً في الطبيعة ، وينقادون بالحب لغيره فيتجاوزونه وهم فيه ، ويرثون دماءَهم من أهلهم ثم تكون العواطف في هذه الدماء للأجنبي ؛ ومن ثمّ تصبح عندهم قيمةُ الأشياء بمصدرها لا بنفسها ، وبالخيال المتوهَّم فيها لا بالحقيقة التي تحملها ، فيكون شيء الأجنبي في مذهبهم أجلَّ وأعن لأن إليه الميلَ وفيه الاكبارُ والاعظام ، وقد يكون الوطني مثلَه أو أجل منه بيد أنه فقد الميلَ ، فضعفت صلتُه بالنفس ، فمادت كل مميّزاته لا تميّزه

وأعجبُ من هذا في أمرهم ، أن أشياء الأجنبي لا تحمل معانيها الساحرةَ في نفوسهم إلا إذا بقيت حاملةً أسماءها الأجنبية ، فإن سمّى الأجنبيُّ بلغتهم القوميّة نقص معناه عندهم وتصاغر وظهرت فيه ذلة . . . وما ذاك إلا لِصِغَر نفوسهم وذلّها ، إذ لا ينتخون لقوميتهم فلا يلهمهم الحرفُ من لغتهم ما يُلهمهم الحرف الأجنبي

والشرق مبتلى بهذه العلة ، ومنها جاءت مشاكله أو أكثرها ؛ وليس في العالم أمةٌ عزيزةُ الجانب تقدم لغة غيرها على لغة

نفسها ، وبهذا لا يعرفون للأشياء الأجنبية موضعاً إلا من وراء حدود الأشياء الوطنية ؛ ولو أخذنا نحن الشرقيين بهذا ، لكان هذا وحده علاجاً حاسماً لأكثر مشاكلنا

فاللغات تتنازع القومية ، ولَهِيَ والله احتلال عقلي في الشعوب التي ضعفت عصبيتها ؛ وإذا هانت اللغة القومية على أهلها ، أثَّرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثِّر الجوُّ الأجنبي في الجسم الذي انتقل اليه وأقام فيه

أما إذا قويت العصبية ، وعزَّت اللغة ، وثارت لها الحَمِيَّة ؛ فلن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمةً يُرتَفَق بها ، ويرجع شِبر الأجنبي شبرا لا متراً . . . . وتكون تلك العصبيةُ للغة القومية مادةً وعوناً لكل ماهو قومي ؛ فيصبح كل شيء أجنبي قد خضع لقوة قاهرة غالبة ، هي قوة الايمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن ؛ ومتى تعيَّن الأولُ أنه الأولُ ، فكل قُوى الوجود لا تجعل الذي بعده شيئاً إلا أنه الثاني

* * *

والدينُ هو حقيقةُ الخُلق الاجتماعي في الأمة ، وهو الذي يجعل القلوب كلها طبقةً واحدةً على اختلاف المظاهر الاجتماعية عاليةً ونازلة وما بينهما ، فهو بذلك الضمير القانوني للشعب ، وبه لا بغيره ثباتُ الأمة على فضائلها النفسية ، وفيه لا في سواه معنى إنسانية القلب

ولهذا كان الدينُ من أقوى الوسائل التي يُعوَّل عليها في إيقاظ ضمير الأمة ، وتنبيهِ روحها ، واهتياج خيالها ؛ إذ فيه أعظمُ السُّلطة التي لها وحدها قوة الغلبة على الماديات . فسلطان الدين هو سلطان كل فرد على ذاته وطبيعته ؛ ومتى قوي هذا السلطان في شعب ، كان حَمِيّاً أبيّاً ، لا تُرغمه قوة ، ولا يعنو للقهر

ولولا التديّن بالشريعة ، لما استقامت الطاعة للقانون في النفس ؛ ولولا الطاعة النفسية للقوانين ، لما انتظمت أمة ؛ فليس عمل الدين إلا تحديد مكان الحي في فضائل الحياة ، وتعيينَ قيمته في حقوقها وواجباتها ، وجعْلَ ذلك كلِّه نظاماً مستقراً فيه لا يتغير ، ودفعَ الانسان بهذا النظام نحو الأكمل ، ودائماً نحو الأكمل

وكل أمة ضعف الدينُ فيها ، اختلَّت هندستها الاجتماعية ، وماج بعضها في بعض ؛ فان من دقيق الحكمة في هذا الدين أنه لم يجعل الغايةَ الأخيرةَ من الحياة في هذه الأرض ؛ وذلك لتنتظم الغايات الأرضية في الناس ؛ فلا يأكل بعضهم بعضا ، فيغتني الغنيُّ وهو آمن ، ويفتقر الفقير وهو قانع ، ويكون ثوابُ الأعلى في أن يعود على الأسفل بالبرَّة ، وثوابُ الأسفل في أن يصبر على ترك الأعلى في منزلته ؛ ثم ينصرف الجميع بفضائلهم الى تحقيق الغاية الالهية الواحدة ، التي لا يكبر عليها الكبير ، ولا يصغر عنها الصغير ؛ وهي الحق ، والصلاح ، والخير ، والتعاون على البر والتقوى

ومادام عملُ الدين هو تكوين الخلق الثابت الدائب في عمله ، المعتز بقوته ، المطمئن الى صبره ، النافر من الضعف ، الأبيّ على الذل ، الكافر بالاستعباد ، المؤمن بالموت في المدافعة عن حَوزته ، المجْزِيّ بتساميه وبَذْله وعطفه وإيثاره ومفاداته ، العامل في مصلحة الجماعة ، المقيَّد في منافعه بواجباته نحو الناس — ما دام عمل الدين هو تكوين هذا الخلق — فيكون الدين في حقيقته هو جعْل الحس بالشريعة أقوى من الحس بالمادة ؛ ولعمري ما يجد الاستقلال قوةً هي أقوى له وأردُّ عليه من هذا المعنى إذا تقرَّر في نفوس الأمة وانطبعت عليه

وهذه الأمة الدينية التي يكون واجبها أن تَشرُف وتسود وتعتز ، يكون واجب هذا الواجب فيها ألاّ تسقط ولا تخضع ولا تذل

وبتلك الأصول العظيمة التي ينشئها الدين الصحيح القوي في النفس ، يتهيأ النجاح السياسي للشعب المحافظ عليه المنتصر له ؛ إذ يكون من الخلال الطبيعية في زعمائه ورجاله ، الثباتُ على النزعة السياسية ، والصلابة في الحق ، والايمان بمجد العمل ، وتغليب ذلك على الأحوال المادية التي تعترض ذا الرأي لتفتنه عن رأيه ومذهبه : من مال ، أو جاه ، أو منصب ، أو موافقة الهوى ، أو خشية النقمة ، أو خوف الوعيد ، إلى غيرها من كل ما يستميل به الباطلُ أو يُرهب به الظلم

ولا يذهبن عنك أن الرجل المؤمن ، القوي الايمان ، الممتلىء ثقة ويقيناً ووفاءً وصدقاً وعزماً وإصراراً على فضيلته وثباتاً على ما يلاقي في سبيلها — لا يكون رجلاً كالناس ؛ بل هو رجل الاستقلال الذي واجبه جزء من طبيعته وغايته السامية لا تنفصل عنه ، هو رجلُ صِدقِ المبدإ ، وصدقِ الكلمة ، وصدقِ الأمل ، وصدقِ

النزعة ؛ وهو الرجل الذى ينفجر فى التاريخ كلما احتاجت الحياة الوطنية الى إطلاق قنابلها للنصر

* * *

والعادات هى الماضى الذى يعيش فى الحاضر ، وهى وحدة تاريخية فى الشعب ؛ تجمعه كما يجمعه الأصل الواحد ؛ ثم هى كالدين فى قيامها على أساس أدبى فى النفس ، وفى اشتمالها على التحريم والتحليل ؛ وتكاد عادات الشعب تكون ديناً ضيقاً خاصاً به ، يحصره فى قبيله ووطنه ، ويحقق فى أفراده الألفة والتشابك ، ويأخذهم جميعاً بمذهب واحد : هو إجلال الماضى

وإجلال الماضى فى كل شعب تاريخى ، هو الوسيلة الروحية التى يستوحى بها الشعب أبطاله ، وفلاسفته ، وعلماءه ، وأدباءه ، وأهل الفن منه ؛ فيوحون اليه وحتى عظائمهم التى لم يغلبها الموت ؛ وبهذا تكون صورهم العظيمة حية فى تاريخه ، وحية فى آماله وأعصابه

والعادات هى وحدها التى تجعل الوطن شيئاً نفسياً حقيقياً ؛ حتى ليشعر الانسان أن لأرضه أمومة الأم التى ولدته ، ولقومه أبوة الأب الذى جاء به إلى الحياة . وليس يعرف هذا إلا من اغترب عن وطنه ، وخالط غير قومه ، واستوحش من غير عاداته ؛ فهنالك هنالك يثبت الوطن نفسه بعظمة وجبروت كأنه وحده هو الدنيا

وهذه الطبيعة الناشئة فى النفس من أثر العادات هى التى تنبه فى الوطنى روح التميز عن الأجنبى ، وتوحش نفسه منه كأنها حاسة الأرض تنبه أهلها وتنذرهم الخطر

ومتى صدقت الوطنية فى النفس ، أقرت كل شىء أجنبى فى حقيقته الأجنبية ؛ فكان هذا هو أول مظاهر الاستقلال ، وكان أقوى الذرائع إلى المجد الوطنى

* * *

وباللغة والدين والعادات ، ينحصر الشعب فى ذاته السامية بخصائصها ومقوماتها ؛ فلا يسهل انتزاعه منها ولا انتساقه من تاريخه ؛ وإذا ألجئ إلى حال من القهر ، لم ينخذل ولم يتضعضع ، واستمر يعمل ما تعمله الشوكة الحادة : إن لم تترك لنفسها ، لم تمط من نفسها إلا الوخز . . . .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

٢ ـ النهضات القومية العامة *

فى أوربا وفى الشرق

للدكتور عبد الرزاق السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

وإذا كانت حركة الرابطة الوطنية بقيت قوية عنيفة فى أوروبا طوال القرن التاسع عشر كما قدمنا ، فان هذه الحركة قد اقترنت بها حركة رابطة الجنس ، ولم تتعارض الحركتان . فان الوطن الفرنسى والوطن الايطالى والوطن الاسبانى ، وغير هذه من الأوطان اللاتينية ترعرعت واشتدت ولم تتعارض مع الجامعة اللاتينية ؛ على أن اتفاق رابطة الوطن مع رابطة الجنس يظهر دائماً أخاذاً إذا انتقلنا إلى الشعوب الجرمانية ؛ فكل شعب له وطنه ؛ وكثيراً ما حاربت بروسيا فى الماضى دولاً أخرى جرمانية ؛ وكثيراً ما حاربت النمسا وانتصرت عليها ، ومع كل ذلك فان الشعوب الجرمانية لا ينسيها الاغراق فى وطنيتها أنها تنتسب جميعاً إلى جنس واحد ، وأن دماً واحداً يجرى فى عروق الجميع

على أن ائتلاف رابطة الوطن مع رابطة الجنس يختلف قوة وضعفاً . فالرابطتان أضعف ما تكونان ائتلافاً إذا كانت رابطة الوطن قوية متماسكة ، تستطيع القيام على رجليها دون حاجة إلى معين ؛ والمثل لذلك الوطن الفرنسى والوطن الايطالى ، والرابطتان أقوى ما تكونان ائتلافاً إذا ضعف وطن ، فيستمسك بوطن آخر قوى من جنسه ، كما هو الحال بين النمسا وألمانيا ، وكذلك إذا كان كل وطن ضعيفاً بذاته قوياً باجتماعه مع الأوطان الأخرى من جنسه ، كما هو الحال بين الأقطار العربية ؛ وأخيراً إذا اندمجت جنسيات متعددة فى أمبراطورية واحدة ، ثم أخذت هذه الأمبراطورية المصطنعة فى الانحلال ، فان حركة الجنسيات تقوى فى هذه الحالة ، وتتمخض عن حركات استقلالية ، كما وقع هذا الأمر للأمبراطورية النمسوية وللأمبراطورية العثمانية

* بقية المحاضرة الأولى من سلسلة المحاضرات التى ألقاها الأستاذ السنهورى فى مدينة بغداد فى بهو أمانة العاصمة فى ٢٣ مارس سنة ٩٣٦

وقد آن لنا أن ننتقل إلى المرحلة الثالثة فى النهضات القومية الأوروبية ، وهى المرحلة الحاضرة ، وقد بدأت منـذ فجر القرن العشرين ، وبنوع خاص بعد الحرب الـكبرى

٣ — الوقت الحاضر : رابطة الوطن والجنس ورابطة الطبقات

نشهد فى الوقت الحاضر فى أوروبا صراعاً عنيفاً ما بين رابطتين ، وكفاحاً مستمراً ما بين نظامين من نظم الحـكم . أما الرابطتان فاحداها رابطة الوطن وتعززها رابطة الجنس ، والثانية رابطة الطبقات أو الحركة الاشتراكية . وأما النظامان فأحدها هو النظام الديمقراطى ، والآخر هو النظام الدكتاتورى

وما بنا أن نعنى بحركة ضعيفة ولدت عرجاء بعد أن تمخضت عنها آلام الانسانية من أهوال الحرب الـكبرى ، وتلك هى رابطة البشرية ، تنتظم بنى البشر كافة فى جامعة واحدة ، يسمونها اليوم بعصبة الأمم . فان رابطة البشرية هـذه لا تزال وليداً بين الحياة والموت ، فلندع لها بالبقاء ولنتركها جانباً

ولنستعرض الـكفاح الذى نشهده الآن فى أوروبا بين رابطة الوطن ورابطة الطبقات

ليس هذا الـكفاح وليد القرن العشرين ، بل هو قد بدأ منذ القرن التاسع عشر ، وقد تعقبنا أصوله فى لمحة سريعة عند ما كنا نتكلم فى تقدم الصناعات الـكبرى الذى قوى هاتين الرابطتين المتناقضتين . والآن نعرض لهذا الـكفاح فى شىء من التفصيل ، فنتكلم فى الاشتراكية وقد قامت على رابطة الطبقات ، ثم نتكلم فى الفاشـية والنازية ، وقد قامت الأولى على رابطة الوطن والأخرى على رابطة الجنس

١ — الاشتراكية

بدأت الاشتراكية تتأصـل جذورها فى أوروبا منذ القرن التاسع عشر . وقد نبتت فى تلك التربة الصناعية التى سبق لنا ذكرها ، إذ كثر عدد الطبقات العاملة ، واستغلهم أصحاب رؤوس الأموال استغلالاً تأباه الانسانية . فوجدت الاشتراكية جواً صالحاً تترعرع فيه وتزدهر . على أن المذهب الاشتراكى لم يكن وليد القرن التاسع عشر ، فهو مذهب قديم ، يمكن أن نرجع أصوله إلى أفلاطون الفيلسوف اليونانى المعروف ، وقد كان يقول بالشيوعية فى الملـكيـة وفى الأسرة ، ووضع كتابه «الجمهورية» يؤيد فيه هذا المذهب . وقام فى أوائل القرن السادس عشر توماس مورا يقول بالشيوعية فى المال دون الأسرة ، فى كتابه « جزيرة أتوپيا » . ولـكن الاشتراكيـة لم تأخذ شكلاً علمياً منظماً إلا بقلم زعيمها الأكبر كارل ماركس نبى الاشتراكية فى أواسط القرن التاسع عشر

وللاشتراكية فلسفة علمية ولها خطط عملية . أما فلسفتها فنظرة مادية إلى وقائع التاريخ ، وتفسـير هذه الوقائع تفسيراً اقتصادياً محضا . وهذا ما يسمى عادة بالمادية التاريخية أو بالتفسير الاقتصادى للتاريخ . أما خططها العمليـة فقد انقسم أنصارها بالنسـبة لها إلى فريقين : فريق معتدل يقول بالعمل فى الدائرة الدستورية ، والوصول إلى الحـكم من طريق النظم النيابيـة المشروعة ، أى اتخاذ الديمقراطية وسـيلة لتحقيق الحـكومة الاشتراكية . وفريق متطرف يقول بعدم الجدوى من كل هذه الخطط ، ولا بد من الثورة والانتقاض على الديمقراطية الرأسمالية وهد أركان النظام النيابى ، والاستيلاء على الحـكم بالقوة ، حتى تتحقق الحـكومة الاشتراكية . وكان كارل ماركس قد أسس الدولية الأولى فى سنة ١٨٦٤ فى لندن ، حتى يجمع شتات العمال من جميع أطراف العالم . ثم لما انقسم أشـياعه إلى الفريقين المتقدمى الذكر ، أسس الفريق المعتدل الدولية الثانية ، وأسس الفريق المتطرف الدولية الثالثة ، وهى دولية موسكو المعروفة

وأقول لـكم كلة موجزة عن المادية التاريخيـة أو التفسير الاقتصادى للتاريخ ، حتى نتفهم المذهب الاشتراكى من ناحيته الفلسفية . تتلخص هذه المادية التاريخيـة فى فكرة جوهرية ، هى أن الحاجات المادية للانسان والعوامل الاقتصادية التى تحيط به هى التى تسيّر التاريخ وتكيّـف الحوادث . وكل حوادث التاريخ ومراحله المتعاقبة لا يمكن تفسيرها إلا تفسيراً اقتصادياً ؛ وليس للانسانية إلا تاريخ واحد ، هو تاريخها الاقتصادى المادى ؛ أما الدين ، وأما الأخلاق ، وأما المثـــل العليا ، وأما العظمة والبطولة ، فكل هذا شىء مرده إلى المادة ، تحكمه وتسيطر عليه . فالمذهب الاشتراكى ينظر إلى الحياة كوحدة لا تقبل التجزئة وهى وحدة المادة لحمتها وسداها

وإلى جانب فكرة الوحدة المادية للحياة توجد فكرة الحتمية، فالعالم مسير لا مخير؛ وكل ما يقع فى العالم من حوادث هو من عمل الانسان، ولكنه عمل دفعته اليه الظروف دفعاً، فلا اختيار له فيه ولا إرادة. ويقول لنا انجلز شريك ماركس فى تأسيس المذهب الاشتراكى الحديث: لا تظنوا أن الحركات الفكرية الكبرى التى تظهر من وقت لآخر هى وليدة أفكارنا، بل هى وليدة الظروف الاقتصادية الملابسة، كان لا بد من وجودها فوجدت، وسخر لها أناس يقولون بها. ولو أن مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية لم يوجد لوجد لوثر آخر يدعو إلى ما دعا اليه لوثر الأول. وماركس نفسه، إذا كان قد قال بالمادية التاريخية فذلك لأنها فكرة ولدتها ظروف البيئة الاقتصادية، وكان حتماً أن يقول بها رجل أراد القدر أن يكون ماركس. وأبطال التاريخ يولدون كما تولد الحركات الفكرية الكبرى، تنشئهم الظروف الاقتصادية؛ فنابليون وكرومويل وقيصر وغيرهم من عظماء التاريخ جاءوا فى الساعة التى كانوا لا بد أن يجيئوا فيها، ولولم يجيئوا هم بالذات لجاء غيرهم، فيتغير الاسم ويبقى الرجل. وكل عصر له أبطاله، إذا لم يجدهم عفواً فانه يخلقهم خلقاً. وإذا لم توجد البطولة الحق فى الرجل الزعيم، فان حاجات الوقت المادية والمصالح الاقتصادية تنفخ فيه روح بطولة مصطنعة وتجعل منه رجل الساعة. هذا هو رأى انجلز فى البطولة والأبطال

فالعظمة ليست إذن إلا صنع الجيل وبنت البيئة. أما العوامل الحقيقية التى تصنع التاريخ صنعاً، فليست هى بطولة العظماء، إنما هى القوات الاقتصادية، تبدأ فى تغيير الفكر البشرى، ثم تدفعه إلى الأمام. وهكذا يرتبط الفكر بالعمل، ويسوق ذاك إلى هذا. ومصدر كل من الفكر والعمل إنما هو العامل الاقتصادى، مثل ذلك تقدم الصناعات الكبرى وتكدس رؤوس الأموال. هذا هو العامل الاقتصادى الذى يحكم العالم فى العصر الحاضر. وقد أوجد هذا العامل طبقة أصحاب رؤوس الأموال، أو البورجوازية، قوية مسيطرة على أقدار العالم. ولكن هذا العامل الاقتصادى نفسه أوجد أيضاً طبقة العمال تستغلهم البورجوازية وتسلبهم ثمرة جهودهم. هذا الوضع الاقتصادى هو الذى أوجد حركة فكرية عند طبقة العمال، وقد شعروا بالظلم يحيق بهم. وهذه الحركة الفكرية هى التى تدفعهم إلى العمل. فالعامل الاقتصادى هو الذى أوجد البورجوازية، والبورجوازية هى التى أوجدت العمال، والعمال هم الذين سيهدمون البورجوازية. وقد كتب كارل ماركس فى منشوره المشهور إلى الحزب الاشتراكى سنة ١٨٤٨: «إن البورجوازية لم يقتصروا على صنع الأسلحة التى ستقتلهم، بل هم هيأوا أيضاً الرجال الذين سيضربون بهذه الأسلحة»

فقيام البورجوازية وسيطرتهم على العالم الاقتصادى، وسقوطهم بعد ذلك على يد العمال، كل هذه حوادث تدفع اليها الانسانية دفعاً من طريق العوامل الاقتصادية؛ فالرجال إذن مسخرون، علموا أو لم يعلموا، لخدمة حاجات اقتصادية اقتضتها البيئة التى يعيشون فيها، وهم يظنون أنهم يعملون لأغراض مادية. فلوثر مثلاً كان يعتقد أنه يعمل لمجد المسيح، والواقع من الأمر أن ثورته لم تكن إلا سداً لحاجة البورجوازية الألمانية التى كانت تستغلها الكنيسة الرومانية. وليس الرجال فى نشاطهم بوجه عام إلا ممثلين لطبقات اقتصادية، يجيبون نداءها، ويسدون حاجتها. اسمعوا ما يقوله كارل ماركس فى كتابه «بؤس الفلسفة» رداً على ما كتبه برودون فى كتابه «فلسفة البؤس»: «إن الروابط الاجتماعية متصلة اتصالاً وثيقاً بقوات الانتاج، فالناس إذا حصلوا على قوات منتجة جديدة يغيرون طرق الانتاج، وإذا غيروا طرق الانتاج وغيروا كذلك نظام كسبهم للعيش فقد غيروا فى جميع روابطهم الاجتماعية. هذه هى طاحونة الهواء تنبت وسطاً أقطاعياً يسوده النبلاء. أما الطاحونة التى تدور بالبخار، فتنبت وسطاً صناعياً يسوده أصحاب رؤوس الأموال. ونفس الرجال الذين يقيمون روابطهم الاجتماعية على مقتضى الطرق المادية للانتاج هم الذين يصوغون أيضاً المبادئ والأفكار والحدود وفقاً لروابطهم الاجتماعية»

فالعوامل الاقتصادية التى تصنع التاريخ فى رأى ماركس وانجلز هى وسائل الانتاج، يضاف اليها وسائل النقل وتداول الثروة والبيئة الجغرافية التى تقوم فيها هذه العوامل الاقتصادية

وكل هذه العوامل الاقتصادية تدور حول نقطة واحدة، هى الكفاح ما بين الطبقات. فالكفاح ما بين الطبقات يسود جميع النظم الاجتماعية: يسود النظام السياسى، وما تاريخ الحكومة إلا تاريخ نضال مستمر ما بين طبقة وأخرى تتداول

السيادة والسلطان ؛ يسود النظام القانوني ، وما القانون إلا صورة منعكسة من وسائل الانتاج الاقتصادي ، وهو لم يوجد إلا لحماية المصالح الاقتصادية ، أي حماية مصالح الطبقة السائدة ؛ يسود الدين والفلسفة والأدب والأخلاق ، وإذا لم يكن الأصل في هذا كله عاملاً اقتصادياً فان هذه العوامل الأدبية تتطور بعد نشوئها وفقاً للحاجات الاقتصادية ولمصالح التغلب من الطبقات

ثم ينتقل ماركس وانجلز من بسط النظرية إلى تطبيقها على الحوادث التاريخية . فعندهما أن النظام الأقطاعي هو الذي خلق العصور الوسطى تسود فيها طبقة النبلاء ، وأن نظام الصناعة الكبرى هو الذي خلق العصور الحديثة تسود فيها طبقة البورجوازية ، وأن الكارثة لا بد واقعة : والكارثة لفظ له مدلوله في إنجيل الاشتراكية ، فالاشتراكيون يتربصون الدوائر بالبورجوازية ، ويترقبون الوقت الذي سيحين لانتقال محتم إلى عصر جديد تحل فيه الكارثة بالبورجوازية على يد العمال

فماركس يستغل إذن نظريته في المادية التاريخية ليخدم بها مذهبه الاشتراكي ، فينادي بالكفاح ما بين الطبقات ، ويحاول أن يوحد العمال في جميع أنحاء العالم ، ويشعلها حرباً زبوناً بين بني الانسانية جمعاء ، حرباً تقوم لا بين وطن ووطن ، ولا بين جنس وجنس ، بل بين طبقة وطبقة : بين البورجوازية والعمال ، فتسقط البورجوازية ويسود العمال

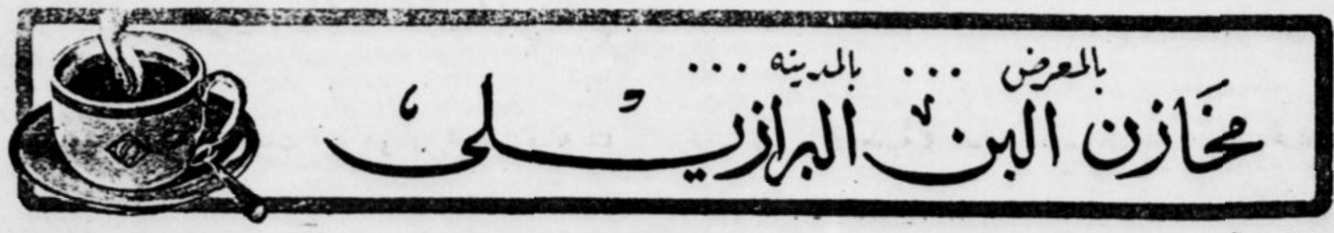
ونحن لا نعرض بنقد أو بتحبيذ للمذهب الاشتراكي ونقتصر على أن نستخلص مما قدمناه أن هناك نزعة في أوروبا وجدت منذ القرن التاسع عشر وقالت برابطة الطبقات ، وعارضت الروابط المبنية على الوطن والجنس ، واعتبرت العمال في جميع الأوطان ومن جميع الأجناس إخواناً متآلفين . وهم جميعاً خصوم للبورجوازية في جميع الأوطان ومن جميع الأجناس . وقد أخذت هذه النزعة تشتد شيئاً فشيئاً طوال القرن التاسع عشر ، ثم دخلت في دور عملي حاسم أثناء الحرب الكبرى ، حيث قامت البلشفية في الروسيا ، وأصبحت الاشتراكية مذهباً عملياً لنظام قائم من الحكم ، أقامه لينين على أنقاض القيصرية ، بعد أن اقتلعها واجتذها من أصولها . وأوجد انقلاب سنة ١٩١٧ النظام السوفييتي في الروسيا في ظروف معروفة ، ولا يزال هذا النظام قائماً في الروسيا حتى الآن

ويذكرنا القرن العشرون ، بالنسبة لقيام الاشتراكية وانتشارها في العالم برغم مقاومة الحكومات لها بالقرن التاسع عشر ، بالنسبة لقيام الحركات الوطنية وانتشارها في أوروبا برغم مقاومة الحكومات الرجعية لها . والشبه غريب بين الحرب الكبرى وحروب نابليون ، وبين مؤتمر فرسايل المحافظ ومؤتمر فيينا الرجعي

على أننا نريد أن نبسط الحقائق كاملة ، فليس من الدقة في شيء أن نقول إن الاشتراكية بقيت وحدها في الميدان ، بل يجب أن نفتح أعيننا على ما يجري الآن أمامنا من صراع عنيف بين الاشتراكية والوطنية . فان الحركات القائمة على رابطة الوطن ورابطة الجنس لم تخمد جذوتها في أوروبا ، بل هي قد زادت اشتعالاً . وكأن حرب الطبقات التي شهرتها البلشفية في وجه العالم ، تلك الحروب الشعواء التي أذكى نارها العمال ثم صاروا لها وقوداً ، وهم يريدون من ورائها أن يبسطوا سلطانهم ، وأن يحكموا بالسيف والنار ، تلك الحرب العنيفة القاسية قد استفزت دعاة الوطنية في أوروبا وألبتهم فوقفوا صفوفاً متراصة أمام هذا العدو المشترك . ووقعت الواقعة ، ونشب عراك دموي بين دعاة الاشتراكية ودعاة الوطنية ، وانضوى دعاة الوطنية في أقوى مظهر من جهادهم تحت لواء حركتين مشهورتين : هما الفاشية الايطالية تحت قيادة موسوليني ، والنازية الألمانية تحت قيادة هتلر . ووقف كل من هاتين الحركتين سداً منيعاً أمام تيار البلشفية الجارف ، ووقف كل منهما يريد أن يبسط سلطانه .

ونرجيء الكلام فيهما إلى المحاضرة القادمة

عبد الرزاق السنهوري



صور من القرن الثامن عشر

٢ ـ جاكومو كازانوفا

جوّاب مجتمع ومغامر مرح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قضى كازانوفا صباه وفتوته الأولى محروماً من عطف والديه ، يجوز حياة مضطربة ، ويتقلب بين شظف العيش ورفاهته ، ويلقى بنفسه المضطرمة إلى غمار من اللهو والادمان والخلاعة ، ويلتمس متاع الحياة بأى الوسائل . وكان يرى الحياة لهواً ولعباً ، ولكن الحياة الناعمة تتطلب الرزق الوفير ، ولا بد أن يجد كازانوفا لنفسه وسائل الارتزاق . وكانت المقامرة يومئذ رذيلة المجتمع الرفيع ، ولكنها كانت أيضاً ملاذ المقامرين من كل ضرب ، يلتمسون بها الرزق والثراء ؛ وكازانوفا مقامر بارع ، فلم لا ينزل إلى هذا الميدان ؟ وبسم له الحظ في المقامرة ، وانتظم في سلك المقامرين المحترفين الذين يستحلون كل الوسائل للكسب أو للسرقة المستترة ؛ ورأى فوق ذلك أن يتشح بثوب الخفاء ، وأن يحترف الشعوذة وكشف الأسرار ؛ وكانت الأذهان يومئذ تشغف بالخفى والمجهول ، وكان كازانوفا يجيد هذا الضرب من الشعوذة ، وقد رأيناه يتخذه سبيلا لتمكين نفوذه لدى صديقه وحاميه الجديد السيد براجادين .

وهكذا نزل كازانوفا إلى ميدان المقامرة مسلحاً بأسلحة العصر ، يلتمس الرزق من طريق المقامرة ، ويلتمس النفوذ من طريق الشعوذة ، ومن ورائه عصبة من الأصدقاء الأقوياء الذين يخلبهم بروائه وظرفه وشعوذته ؛ وكانت هذه الحياة فى نظر المغامر هى المثلى ، وكان يرى المجتمع من حوله موبوءاً يموج رذيلة وفساداً ، ويرى الشرف والكرامة والنزاهة وكل ما إليها كلمات جوفاء لا يتحلى بها أرفع من يسودون المجتمع من امراء وأحبار وسادة ، فكيف يطلب اليه هو أن يخضع حياته لمثل هذه الأباطيل ؟

وكان كازانوفا ينزل يومئذ عند السيد براجادين كما رأينا ، ويعيش منعما مرفهاً ، يقضى أيامه فى لهو ولعب ونزه وغزل لا ينقطع ، يجوب شوارع البندقية المائية فى قاربه الوثير ، ويتسقط مواعيد الحب كل مساء . وكانت المرأة عنده غاية الغايات ، وكان الحب فنه ومهنته التى كأنه فطر عليها بطبيعته وخلاله وعواطفه ، وكان مسلحاً لهذه الغاية بأخص الصفات التى تذلل له غزو القلوب ، فقد كان بديع القد والتكوين ، وسيم الطلعة ، ذا سمرة جذابة ؛ وكانت عيناه الواسعتان تشمان سحرا وذكاء وشهوة ؛ وكان ذا شخصية جذابة ، حلو الحديث والشمائل ، جواداً ، جم الأدب والظرف ، يضطرم حباً وجوى ؛ وكانت له فراسة خاصة فى تفهم عقلية المرأة وميولها ؛ وكان ظفره المتوالى فى الحب يذكى عزائمه ورغباته ، ويدفعه دائماً إلى البحث عن غزوات جديدة ؛ وكان يشعر شيئاً فشيئاً أن البندقية لم يبق فيها ما يمكن أن يغزو وأن يستمرئ ، وأن ايطاليا كلها قد غدت تضيق بجولاته ومغامراته ؛ وكانت فرنسا تجذبه يومئذ بشهرتها وروعة الحياة الساطعة التى يحياها المجتمع الرفيع فيها ؛ وسرعان ما سنحت له الفرصة لتحقيق أمنيته ، فسافر إلى باريس ليخوض غمار هذه الحياة الساطعة ، وكان يومئذ فى نحو السادسة والعشرين

وكان المجتمع الفرنسى ، ينحدر يومئذ ، فى عهد لويس الخامس عشر ، إلى نوع من الخمول الباهر ، ويستمرئ حياة عاطلة من المثل المعنوية الرفيعة ، فياضة بالرغبات والشهوات الوضيعة ؛ وكانت دولة الغانيات ، من أمثال دوبارى وبومبادور هى صاحبة الحول والسلطان يومئذ ؛ وكان يلتف حول هذا الملك الخليع بلاط وضيع الخلال ، يضرب بتهتكه وانحلاله للمجتمع الرفيع أسوأ المثل ؛ وكانت حياة هذا المجتمع — مجتمع النبلاء والسادة — كلها لهو ولعب وحب وغزل وفساد ورياء ؛ فالى هذا المجتمع الباهر الخامل معاً هبط كازانوفا يبحث عن طالعه فى عالم الحب ؛ وهنالك تعرف منذ مقدمه بمواطنه الممثل الشهير ماريو باليتى وزوجته سلفيا ، وكانا يومئذ من أعلام مسرح « الكوميديا الايطالية » ؛ فعلمه شيئاً من اللغة الفرنسية ، وعرفه بكثير من الشخصيات البارزة من رجال ونساء ؛ واندفع كازانوفا

إلى هذا العالم الجديد يتذوق مسراته ، ويتابع غزواته النسائية بين الممثلات والراقصات وسيدات المجتمع الرفيع ؛ وهو يذكر لنا فى مذكراته التى نشير اليها فيما بعد ، طائفة من أسماء هؤلاء اللائى ظفر بهن فى تلك الفترة مثل ميمى ابنة السيدة التى نزل عندها ، والآنسة فزيان وهى فتاة أجنبية زائرة ، ولوبزون مورفى الشهيرة التى أدخلت « حريم » لويس الخامس عشر فيما بعد ، والآنسة سنت هيلير ، وسيلفيا زوجة صديقه ، وغيرهن ؛ واستطاع كازانوفا فى نفس الوقت أن يتذوق طرفاً من الحياة الأدبية ، وأن يتصل ببعض كبار الأدباء والكتاب مثل فونتنيل ودلامبير والأب فوازنون ومدام دى بوكاج ، وأن ينظم بعض القصائد ، وأن يترجم بعض القطع والرسائل

وعاد كازانوفا إلى البندقية (سنة ١٧٥٣) وقد فاضت نفسه غبطة وزهوا بما تذوق من صنوف اللهو الرفيع ، وما حقق لنفسه من ظفر فى ميدان الحب ، وبدت له البندقية عندئذ ضيقة متواضعة ، بالنسبة لما رأى وشهد فى باريس ؛ وذكت أطماعه وأمانيه ، وزاد غروراً وترفعاً واستهتاراً ، وأخذ ينظر إلى هذا المجتمع البندقى من عل ، ويتصل بالكبراء والسفراء ولا سيما سفير فرنسا الأب دى برنى ؛ ولم يكن كازانوفا متحفظاً فى أقواله أو أعماله . فكان يطلق العنان لآرائه المتطرفة ، ويزاول الشعوذة علناً ، وكان يثير على نفسه السخط فى كل ناحية ، وكانت علائقه الغرامية موضع الحديث ومثار النقمة ؛ وكان ثمة جماعة من النبلاء والكبراء الذين يضايقهم بلسانه ومنافساته الغرامية يتربصون الفرص لسحقه ؛ وكان من هؤلاء كبير من كبراء الدولة هو « الشيخ » كوندلر النائب العام ؛ وكان لهذا الشيخ القوى صاحبة تدعى مدام زورزى سطا عليها كازانوفا وانتزعها منه ، فاعتزم التنكيل به ، وأطلق فى أثره جواسيس الشرطة يقدمون عنه التقارير القاذفة ، وفيها أنه يتصل بالسفراء الأجانب بعلائق مريبة ، ويخدع البسطاء بمزاعمه السحرية ، ويعيش على نفقة الغير ، ويغوى البنات والنساء المتزوجات ، ويسخر من الدين ، وينتمى إلى البناء الحر (الماسونية) ، وغير ذلك من التهم الخطيرة التى تكفى لادانته وإهلاكه

وعلى أثر ذلك قررت محكمة التحقيق (التفتيش) اعتقال المتهم ، وفى فجر ٢٦ يوليه سنة ١٧٥٥ ذهب مدير الشرطة مع ثلة من رجاله الى منزل كازانوفا واعتقله ، وأخذه مصفداً الى قصر الدوجات ؛ وهنالك ألقى به الى السجن المواجه فى غرفة لا هواء فيها ولا نور تعمرها الجرذان والحشرات المختلفة ، وتكاد لانخفاضها تقصر عن ايواء قامته المديدة ؛ وفى الحادى والعشرين من أغسطس قضت محكمة التفتيش بادانته فى التهم التى نسبت اليه ولا سيما الطعن فى الدين ، وقضت بسجنه خمسة أعوام فى سجن « الرصاص » الشهير (بيومبى) وهو الذى اعتقل فيه . وقضى كازانوفا أيامه الأولى فى السجن فى ذهول ويأس يكاد يمزقه الغيظ والكمد ، وكان منقطع الصلة بالعالم الخارجى ، لا يعرف شيئاً عن سبب اعتقاله أو مداه ؛ وكان يؤمل بادىء ذى بدء أن يسترد حريته بسرعة بمؤازرة بعض أصدقائه الأقوياء ، ولكن الشهور تعاقبت عليه دون أن ينفذ الى وكره المظلم شعاع من الأمل ، وأعقب الصيف الخريف ثم تعاقبت الفصول ، عندئذ ترك اليأس جانباً ، واستمد عزمه وقوة نفسه ، وعول على الفرار ؛ ومازال يعمل فى خفاء وصمت ، ويغالب الصعاب والرقابة الصارمة حتى نضج مشروعه . وفى ليل اليوم الأول من نوفمبر ، فر كازانوفا مع شريكه وجاره فى السجن الأب بالبى ، وذلك بأن خرقا عرش الغرفة الرصاصى ، واستطاعا بعد مجهود عنيف مروع أن ينحدرا من جدران القصر الى ميدان القديس مرقص ، واستقلا زورقاً حملهما فى جوف الظلام بعيداً عن مواطن الخطر ؛ ولم يأمن كازانوفا على نفسه حتى جاز حدود البندقية الى أرض بورجو دى فالزجانو المجاورة ، وبذلك أمن شر مطارديه واستطاع أن يتنفس نسيم الحرية مرة أخرى

* * *

وتركت تلك المحنة فى نفس كازانوفا أعمق الأثر ، وكان قد جاوز الثلاثين يومئذ ، واستحالت لديه نزعات الحداثة الى نوع من التفكير المتزن ، وأخذت الأطماع والأمانى تغلب على نفسه ، وتخضع لديه نزواته المضطرمة ؛ وكان همه دائماً أن يغزو المجتمع الرفيع ، ولكن غزو المجتمع الرفيع يقتضى مالا ومغامرة ؛ وكان المجتمع الباريزى الذى عرفه حيناً وتذوق فيه لذة الظفر والأمل يجذبه دائماً ويلوح له بأعظم الأمانى ؛ ولهذا نراه فى باريس فى يناير

سنة ١٧٥٧ يبحث عن طالعه كرة أخرى ؛ وكان صديقه وحاميه القديم السيد براجادين يعده بمرتب حسن ، وكان صديقه الأب دي برني سفير فرنسا السابق في البندقية قد عاد الى فرنسا ، وتولى وزارة الخارجية ، فتقدم اليه يطلب عونه ، فأوصى به بعض كبراء الدولة ؛ وكانت المشكلة المالية أهم ما يشغل فرنسا يومئذ وفي سبيل حلها تقدم أغرب المشاريع والاقتراحات . وكان من بين المشاريع التي وضعت لايجاد بعض المال أن تصدر الدولة « أوراق يانصيب » يغطى إيرادها نفقات المدرسة الحربية التي أنشئت يومئذ لتخريج ضباط للجيش الفرنسي ؛ وكان يضطلع بالمشروع اخوان ايطاليان يدعوان كالسابيجي ، فاتصل كازانوفا بذوي النفوذ والمشرفين على العمل ، وكان يتمتع في ذلك الميدان ببعض الخبرة ويقدم عن المشروع آراءه وملاحظاته ، فرؤي أن يعين مديرا للمشروع بمرتب ضخم وعمولة حسنة ، وصدر بالمشروع قرار وزاري في أكتوبر سنة ١٧٥٧

وهكذا تبوأ كازانوفا منصباً خطيراً مربحا يحقق له تلك الحياة الناعمة المستقلة التي طالما طمح اليها ، واتخذ له مسكناً فخماً في ضاحية سان دني يموج بالنعم والحشم . وأقبل الناس على شراء أوراق اليانصيب الحكومية إقبالاً حسنا ؛ ووقع السحب الأول في ابريل من العام التالي وأسفر عن نتائج مرضية ؛ ثم وقع مراراً خلال العامين التاليين ، وظفرت المدرسة الحربية بكل النفقات اللازمة ؛ وحقق كازانوفا لنفسه ربحاً وفيراً يقال إنه بلغ مائة ألف في العام ، هذا عدا ما كان يربحه من أعمال التنجيم والشعوذة التي لم ينقطع عن مزاولتها ؛ وعهد اليه أثناء ذلك ببعض المهام الرسمية السرية فأداها بنجاح ؛ وعهد اليه أيضاً بمهمة مالية في هولنده فأسفرت عن نتائج مرضية ؛ وهكذا ذاع اسمه وتوطد مركزه ، وزاد ثراؤه ، وشعر لأول مرة في حياته بأنه غدا الرجل الذي طمح أن يغدو ، ينثر الذهب من حوله بلاحساب ، ويحقق لنفسه أعز الرغبات والأهواء والأماني

واتخذ كازانوفا لنفسه خارج باريس مسكناً آخر غير مسكنه الباريسي أنيقاً وثيراً به حاشية باهرة ، وخيل مطهمة ، وهنالك كان يقضي معظم أوقاته في متاع ومرح ، يطلق لنفسه عنان الهوى والحب ، ويستمرئ غزواته النسائية بلا انقطاع ؛ وكان كازانوفا يعشق الحياة الفخمة ، ويتملق بمظاهر العظمة والأناقة ، ولكنه لبث دائماً ذلك المحب النهم الذي تغلب لديه الغرائز الوضيعة ، والذي يسعى إلى إرضاء شهواته المضطرمة بأي الوسائل ، وفي أي الظروف والمناسبات

وانفق كازانوفا في باريس بضعة أعوام في عيش طروب خفض يغزو جميع القلوب ، وينعم بوصل السيدات والغانيات من كل ضرب ويزاول التنجيم والشعوذة ؛ وكان يتسمى عندئذ بالشفاليه دي سنجال ، أو الشفالييه سنجال دي فاروزي ، ويبهر الناس بروعة مظاهره وأساليبه ، ويتقرب من الأكابر ، وينعم بالجاه والنفوذ والثراء . بيد أن هذه الحياة الباهرة كانت تنضح دائماً عن جوانب وثغرات مريبة ؛ ذلك أن كازانوفا لم يكن متحوطاً في مغامراته وعبثه ؛ ولم يكن يحجم عن أي الوسائل لاستلاب المال أو القلوب ؛ ومن ذلك أنه اشترك في حادث تزوير أوراق مالية ، وأغرى عددا من أكابر السيدات ، ومنهن المركيزه دورفي التي خدعها واستحوذ على قلبها ومالها بشعوذته ؛ وسطا على كثير من الأزواج والآباء ، فاستلب منهم زوجاتهم أو بناتهم ، واتصل بجماعة خطرة من الأفاقين ولصوص المجتمع الرفيع يدبر معها الخطط والمشاريع المريبة ؛ وذاعت هذه الوقائع والفضائح المزرية ، وكادت تدفع بالمغامر الجرىء إلى غمار لا تحمد عواقبها ، ولكنه آثر الهجرة مرة أخرى ، ويمم عندئذ شطر هولندة مزوداً ببقية من المال والجاه وتوصيات ببعض الأكابر

ونزل كازانوفا في لاهاي سنة ١٧٥٩ ؛ واستأنف هنالك حياة البذخ والطرب ، يعيد سيرته التي جازها في كل المواطن ، عاشقاً مضطرماً تحمله شهواته حيثما يحمله ظفره ، وتسقط فرائسه بين أذرعه تباعا ، ويبتز المال من هنا وهنالك بكل الوسائل والحيل ، ويستمرئ حياة الخديعة والشعوذة والغواية إلى الذروة ، ويثير حوله بعد حين نفس الشكوك والريب التي يثيرها أينما حل ؛ وإذ يشعر بأن وسائله وحيله ومظاهره كلها قد نفقت ، وأن الجو يتجهم من حوله ، يعتزم الرحيل والنقلة . وهكذا غادر كازانوفا لاهاي كما غادر باريس من قبل مثقلاً بالريب والفضائح ، وهبط إلى لندن في خريف سنة ١٧٦٣ تحدوه آمال وأماني أخرى

(للبحث بقية)

محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع)

الخصيان

أصل العادة وتاريخها وانتشارها

للدكتور مأمون عبد السلام

هوت الغيرة الجنسية بالانسان إلى دركة ما دون الوحوش ، فوسوس اليه الشيطان أن ينتزع الرجولة من الأرقاء ليتخذهم خداماً يأتمنهم على عرض نسائه وحفظة لطهارتهن . هذا هو الأصل فى اتخاذ الخصيان . وهى عادة لجأ إليها الصينيون والهنود والبابليون والفرس من عصور خالية ، فقد أخبرنا هيرودوت بما كان للخصيان من السطوة فى دولة الفرس فى عهده

وقد عرفهم العرب من قديم فقالوا : خصى بعى ومخصى ، وتقول العامة طواشى ، وهى كلمة مولدة ليست من كلام العرب . فقد كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يخصوا أسراهم كما كان يفعل قدماء المصريين ؛ ونجد ذلك مصوراً على جدران مدينة حابو ، وكما يفعل الأحباش الآن . وهذه العادة قديمة فى مصر ، فقد عثروا فى هرم أوناس على مخطوط عرف منه أن حوريس سل خصيتى سيت . وقد اتخذ الفراعنة الخصيان فى قصورهم فبلغوا من النفوذ والسطوة ما حدا بهم إلى قتل أمانيميس وهو الفرعون الثانى من العائلة الثانية عشرة

ونظراً للاعتقاد السائد بأمانة الخصيان فقد أطلق اسم الخصى على أمناء فرعون وملوك بنى اسرائيل ، فقد جاء فى سفر التكوين (٣٩ : ١) : (وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط) وكلنا يعلم أن فوطيفار وهو العزيز كان متزوجاً وقد راودت زوجه يوسف عليه السلام عن نفسه فأبى واستعصم

وقد اتخذ بنو اسرائيل الخصيان كما ذكر فى الكتاب المقدس (الملوك الثانى ٩ : ٣٢ — ٣٣ و ٢٤ : ١٥ وأخبار الأيام الأول ٢٨ : ١ وإستير ٦ : ١ — ٢) وقد حرمت التوراة اتخاذ الخصيان وخصاء الحيوان ، فقد جاء فى سفر التثنية (٢٣ : ١) : لا يدخل مخصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب . وجاء فى سفر اللاويين : ومرضوض الخصية ومسحوقها ومنزوعها ومقطوعها لا تقربوا للرب

وقد أخذ الاغريق هذه العادة عن الشعوب الأسيوية التى غزاها الاسكندر المقدونى فانتشرت بينهم بعد موته ؛ واسم الخصى عندهم يونوقوس eunochos (ومنها الكلمة الافرنجية يونوق eunoch (واشتقاقها من يونو euné بمعنى الفراش وايقيون ekheim بمعنى الحارس أى حارس فراش الزوجية

وقد أدخل هذه العادة هليو جابال إلى رومه فى عهد الامبراطورية أى فى نهاية القرن الثالث وتفشت بعد ذلك فى الدولة البيزنطية

وقد حتمت بعض العبادات الخصاء على اتباعها ليتفرغوا للتعبد كما كان يفعل كهنة الهيا كل الوثنية السورية القديمة

وقد جاء ذكر الخصيان فى انجيل متى (١٩ : ١٢) : « لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل » وقد اعتمد بعض المسيحيين المتقدمين على هذه الآية وخصوا أنفسهم ليتحرروا من الوقوع فى الخطيئة . وأول من فعل ذلك أوريجانوس الاسكندرى المولود سنة ١٨٥ أو سنة ١٨٦ ميلادية ، وقد أحسن أبوه تهذيبه فتاق العلم على أكابر علماء المسيحية أمثال بانطينوس وكليمان فى المدارس الكانيدرائية وهى مدارس دينية كانوا يتلقون فيها الفقه المسيحى والعلوم الأغريقية (على نحو الجامعة الأزهرية فى الاسلام) ؛ وقد خصى نفسه زهداً منه فى الحياة الدنيا ورغبة فى تلقين النساء العلم . وقد قضى ثمانية وعشرين عاماً بالاسكندرية رحل خلالها إلى رومه وانطاكية وبلاد العرب خدمة للدين والعلم

وقد اقتدى الكثير من المسيحيين بأوريجانوس فظهرت فى القرن الثالث المسيحى فرقة الفليسيين نسبة إلى فليسيوس العربى رئيسهم الذى قال إن الخلاص لا يتم إلا بالخصاء ؛ فكانوا يخصون أنفسهم ومن يقع فى أيديهم تقرباً إلى الله تعالى . وقد ثبت المجمع النيقادى الذى عقده الامبراطور قسطنطين الخصاء فى قوانينه فاستمرت العادة بين بعض الطوائف المسيحية حتى

حرمها البابا ليو الثالث عشر

ورغماً عن ذلك فقد استمر بعض الروسيين إلى أول الثورة الشيوعية على اتباعها ، فقد كان منهم فرقة من الخصيان المتعبدين اسمها سكوبسى Skopsi أى الخصيان

وكان من عادة الطليان أن يخصوا الأولاد قبل البلوغ ليحافظوا على نعومة أصواتهم وحدتها للغناء فى الكنائس والمسارح إذ كانوا يمنعون النساء من مزاولة ذلك . فحرم هذه العادة البابا اكليمنس الرابع عشر ولكنه لم يتمكن من ابطالها حتى فى رومه عقر داره

ويحرم الدين الاسلامى الخصاء فى الانسان والحيوان ، وورد فى ذلك أحاديث ؛ وقد اعتبر أبو العباس رضى الله عنه الخصاء عملية شيطانية يحرمها المولى

وقد دفعت أبهة الملك معاوية بن أبى سفيان لمجاراة ملوك الروم فى اتخاذ الخصيان فكان أول من اتخذهم فى الاسلام كما ذكر المسعودى . ومن ثم تفشت هذه العادة فى الدول الاسلامية وخاصة عند بنى عثمان وعنهم أخذنا كلمة (أغا) للخصى ، وأصل الكلمة أقا بالفارسية بمعنى السيد ؛ ويعنى بها العثمانيون الأخ الأكبر وصف الضابط ورئيس فرقة الانكشارية ، ثم أطلقت على الخصى ، وقد انتشر هذا الاسم فى ممتلكات آل عثمان كالشام ومصر والجزائر وغيرها

وكان جميع خصيان مصر وشمال إفريقيا وبلاد العرب والشام وتركيا من السود والحبشان ، وأصلهم من الرقيق يخصونهم فى بلدة باجرمى بالسودان

وقد تكلم عن الرقيق بمصر بورخهاردت وهو رحالة سويسرى كان فى خدمة الانجليز جاء إلى مصر وقام فى ٢٢ فبراير سنة ١٨١٣ من أسوان إلى بلاد النوبة ، وكان يحكمها إذ ذاك أولاد حسن كاشف الثلاثة ، فذكر أن بورغو غرب دارفور كانت مكان خصاء الرقيق ومنها كانوا يحملون إلى سواكن ومكة والمدينة ومصر ، ولكن السواد الأعظم من الخصيان الذين يرسلون إلى أوروبا وتركيا كانوا من الرقيق الذى كان يصل إلى أسيوط ، وكانوا يخصون فى قرية تسمى زاوية الدير قرب أسيوط ، وكان يقوم بهذه العملية راهبان من أهلها حازا شهرة كبيرة فى ذلك . وكانا محط ازدراء المصريين جميعاً ؛ ولكنهما كانا يقومان بهذه العملية تحت حماية الحكومة مقابل ضريبة سنوية يدفعونها

ونسبة الوفيات من الخصاء منخفضة بعكس ما قد يعتقد ، فقد مات من جرائها اثنان من ستين ولدا خصوا فى خريف سنة ١٨١٣ ، ولا تزيد النسبة فى العادة على اثنين فى المائة . وكانت عادتهم أن يقوموا بهذه العملية حال وصول القافلة من دارفور أوسنار ويختار لها الأولاد من سن الثامنة إلى الثانية عشرة الذين يمتازون بقوتهم وتناسق أعضائهم وذكائهم

وكانت أجرة العملية ستين قرشا . وقد بلغ متوسط ما كان يخصى بأسيوط مائة وخمسين خصياً فى السنة ، وكان ثمن الخصى بأسيوط فى هذا العهد ألف قرش

ويقول بورخهاردت إنه فى سنة ١٨١١ أمر محمد على باشا أن يخصى مائتا عبد دارفورى ليرسلهم هدية سنية إلى السلطان الأعظم بالأستانة . وقد روى أن الخصيان البيض قليلون بتركيا ، وأنه رأى بالحجاز عدداً من الخصيان الهنود خصوا فى بلاد الهند وأرسلوا هدية إلى الحجاز

وقد رجع بعض العرب إبان الحرب الوهابية الأولى إلى عادتهم فى الجاهلية وهى خصاء الأسرى ، وذلك أن الشريف غالب أمير مكة أسر أربعين رجلا من قبيلة يمنية وهى قبيلة تدين بالمذهب الوهابى ، وكان فى حرب معهم فأمر بأن يخصوا ثم يفك أسرهم فماتوا من جراء ذلك سوى اثنين رجعا إلى قبيلتهما بعد أن التأمت جراحهما ؛ وقد امتلأ قلباهما بالحقد والضغينة فقتل أحدهما ابن عم الشريف غالب فى إحدى المعارك ، وأما الآخر فقتل وهو يحاول اقتحام خيل الشريف ليقتله بنفسه

وينجم عن الخصاء أن يبطل فعل الغدد الجنسية وخاصة إفرازاتها الداخلية التى لها تأثير كبير فى التوازن الفسيولوجى والجنسى ؛ ويكون التأثير على أشده فى الصغار ويقل كلما كبر سن من يراد خصاؤه ، فينمو الصبى الخصى كالأنثى فلا ينبت شعر وجهه ، ويكون صوته رفيعاً وعظامه كعظام النساء وعضلاته لينة ويتضخم عجزه ، ويصبح أكثر ميلاً إلى الدس والايقاع . ويكون التأثير فى البالغ أقل ظهوراً فيضعف شعر الذقن أو قد يختفى ، ويتغير الصوت . ويتعرض الرجل بعد الخصى لاضطرابات

عصبية شديدة ولأفكار سوداوية تنشأ عن جمود العاطفة الجنسية ، أما إن خصى الرجل وهو كهل فالتغير لا يكون ملموساً

وقد يتسرب إلى الذهن أن الخصاء يضعف من حدة العقل والشجاعة وهـذا خطأ محض ، ففي التاريخ أدلة تثبت ما كان للخصيان من القوة والبأس والتبحر فى العلوم وعلو الباع فى سياسة الأمم وقيادة الجيوش . فمن الخصيان الذين خلد التاريخ أسماءهم باغوص الفارسي الملقب بصانع الملوك ، وفافورينوس الفيلسوف صديق بلوطارخ ، وأرسطو نيقوس القائد البطليموسى ، وفوطين وزير بطليموس ، وأيوتروب وزير اركاديوس

وكان للخصيان شأن عظيم فى عهود كثيرة من التاريخ الاسلامى وخاصة بمصر فكان أظهرهم الأستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى الذى انتزع الملك لنفسه وخطب باسمه على المنابر ، ثم الطواشى محسن الصالحى ، والطواشى صبيح فى آخر عهد الدولة الأيوبية . وقد أشار اليهما المرحوم ميخائيل بك شاروبيم فى كتابه (الكافى) عند كلامه عن أسر المصريين لملك فرنسا فقال إنه لما اشتد الأمر على الفرنسيس وقلت عندهم الأقوات وصعب لذلك عليهم المقام قبالة المسلمين رحلوا يريدون دمياط فالتقى المسلمون أثرهم فانحاز الملك لويز عن معه من الملوك والأمراء إلى بلد هناك وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشى محسن الصالحى ثم غدر بهم وأحضرهم أسرى إلى المنصورة فقيد الملك لويز وجعله فى دار كان ينزلها كاتب الانشاء فخر الدين بن لقمان وآثارها لا تزال باقيـة إلى الآن وقد تهدم أكثرها ووكل به الطواشى صبيح المعظمى ، وفى ذلك يقول الشاعر مهدداً الفرنسيس :

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صبيح

وليس أمر خليل أغا وما كان له من السطوة فى عهد اسماعيل عنا ببعيد .

مأمون عبد السلام

قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

الدفتريا

بين واحد سمها الفرنسى ، وكاشف ترياقها الألمانى

ومضت أربع سنوات تحققت بعدها نبوءة لفلار ، وبم تحققت ؟ بتجربة تظهر لك غاية فى السخافة ، والحقيقة التى لا شبهة فيها أنها تجربة أوغلت فى الخيال وتفانينه بقدر ما بعدت عن دائرة الحقيقة واليقين . تجربة ما كان يحسب حاسب إلا أنها تنتهى بقتل الخنزير الغينى الذى استُخدم فيها غرقاً ؛ ولم تكن هذه التجربة بدعاً فى الذى أوحاه هذا العصر من تجارب ، فبحث المكروب فى باريس كان عندئذ على أشده حدّة وعنفاً ، يصدر عن قلوب هائجة محمومة لا عن عقول هادئة باردة ، ففى هذا العصر كان بستور خائر القوى ، منهدم الكيان ، بعد نُصرته التى كانت من كشفه فكسين الكلَب ، فقنع بأن يشرف فى ضعفه على بناء المعهد ذى اللبون فرنك الذى كان يقام فى شارع ديتو Rue Dutot[1] وكان فى باريس فى هذه الفترة متشنيكوف Metchnikoff[2] ، وكان رجلا جموحا احترف البحث فى المكروب فسلك فيـه سبيلا وسطاً بين العلم والشعوذة ، وكان جاء باريس من أوديسا الروسـية ليجشأ فيها بنظريات غريبة تتحدث عن بلع كرات الدم البيضاء للجراثيم ؛ وأخذ فى هذا العصر أشياع بستور يحزمون مجاهرهم فى عيابهم ويسافرون إلى سيجون Saigon فى الهند الصينية وإلى أستراليا ، يقصدون إلى كشف مكروبات لأدواء عجيبة لم يكن لها وجود أبداً . وفزعت أمهات كثيرات إلى بستور ، والأمل يملأ قلوبهن ، يرجونه فى كتب لا عدّ لها أن يُنجى أولادهن من أمراض

(١) يقصد معهد بستور
(٢) أحد بحاث المكروب المعروفين وستأتى ترجمته

شنيعة عديدة ، ولكن بستور كان رجلا مجهودا منهوكا

كتبت اليه احداهن تقول : « إنك لو شئت لوجدت دواء لهذا الداء اللعين الذى يدعى بالدفتريا ، انك لو فعلت لأعطيت الحياة لأطفالنا وكان لك ثواب ذلك ، اننا نذكرك لهم ، ونحفظ اسمك إيام بأنك رب خير للانسانية كبير عميم

ولكن بستور كان قدغاض معينه ، فلم يبق فيه إلا ذَماء ، فقام عنه رو يحاول محو الدفتريا من على ظهر الأرض ، وأعانه فى هذا يرسين Yersin ، وهو رجل لا يهاب الموت ، كان من نصيبه بعد ذلك أن اكتشف جرثومة الموت الأسود فنال بها مجداً كبيرا ، ولم يكن الذى أتاه رو من ذلك علما ، إنما كان جهادا وحرباً . كانت تحدوه عاطفة قوية فاقتحم السُّبُل إلى غايته اقتحاماً ، فلم يترّيث كما يتريث المكتشفون لاختطاط الخطة ومصابرة الفرصة فى دهاء وافتنان . ولست أقول إن (رو) بدأ بحثه من أجل هذا الكتاب الذى كتبته تلك البائسة تسترحم فيه بستور ، ولكنى أريد أن أقرر أن رو بدأ بحثه وأكبرُ همّه تخليص الأرواح لا علم الحقائق ، فهذا البيت فى شارع ديتو ما كان يضم إلا رجالا انسانيين همّهم خلاص البشرية وتخفيف ويلاتها ، يستوى فى ذلك ربّه الشيخ المشلول ، وغاسل القنانى الخامل الحقير . كلهم كانوا يعملون لخلاص الناس ، وهذا طيب جيل ، ولكنهم حادوا من أجله أحياناً عن السبيل الذى الذى لا بد من سلوكه لبلوغ الحقيقة . . . . ومع هذا ، وبرغم هذا ، فقد كشف رو كشفاً رائعاً مجيداً

كانت الدفتريا تفتك بباريس فتكاد ذريعاً . فذهب رو ويرسين الى مستشفى الأطفال فوجدا هناك نفس البشلّة التى كان وجدها لُفلار . فربّوها فى حساء بقارورة ، وترمّا الخُطَى المعروفة ، فحقنا مقادير كبيرة من هذا الحساء فى كثير من طيور وحيوانات منحوسة الطالع فماتت ضحية العلم ، دون أن تعلم عما ضحّت ، فترضى وتطيب نفساً عن نصيبها . ولم يكن هذا الذى بدءا فيه بحثاً كثير النفع كثير الانتاج مستنيراً ، ولكنهما لم يلبثا أن وقعا وشيكا على الدليل الذى أعوز لُفلارَ ، فان الحساء شلّ الأرانب . ذهب مفعوله فى أوردتها فلم تمض إلا أيام قلائل حتى سارت تجر أرجلها الخلفية وراءها عرجا . فسر أصحاب التجربة سروراً كبيراً . وزحف الشلل إلى أجسامها حتى بلغ أكتافها وأرجلها الأمامية ثم ماتت فى شللها وبلاها وراحتها شرَّ ميتة

قال رو وقد ملأته رغبة شديدة فى الايمان بالذى يقول : « إن هذه البشلة تقتل الأرانب على نحو ما تقتل الأطفال . . . . لابد إذن أنها هى سبب الدفتريا الذى لاشك فيه ، ولابد أنى واجد الآن هذه الجرثومة فى هذه الأرانب . واستخرج عدداً كبيراً من الأنسجة من كل ركن من بضعة جثث من هذه الأرانب ، واستخرج أطحلتها وقلوبها ، وزرع منها زَريعات كثيرة ، ولكنه لم يجد بها بشلة واحدة . انها أيام قلائل فقط مضت منذ حقن بلايين من البشلات فى كل أرنب منها . ولكن ها هى ذى ملقاة أمامه ، قد انتزع أحشاءها ، وقطّع أوصالها ، وفتّش فيها مبتدئاً بأنوفها الحمراء منتهياً بما تحت ذيولها البيضاء ، ولكنه لم يعثر بها على بشلة واحدة . إذن فما الذى قتلها ؟ !

فجاءت نبوءة لُفلار تمر سريعة كالبرق بخاطره . فتفكّر وقال : « لابد أن هذه البشلات تصنع سماً وهى فى الحساء ، ولابد أن هذا السم هو الذى يَشلّ ويقتل

وانبعث فيه روح البحث الصحيح ، روح المعرفة للمعرفة ، فنسى الأطفال وبلواهم ، وأكبَّ على الخنازير الغينية والأرانب يثخنها قتلا وجزرا ، فقد وجب عليه أن يثبت أن هذه البشلات تعصر سماً من أجسامها الدِّقاق .

وبدأ هو ويرسين يدوران يتحسسان فى الظلام عن تجارب تهديهم إلى اثبات ما يبغيان إثباته . وطال تحسسهما ، وبعدت طرائقهما عن طرائق العلم . ولهما العذر فى ذلك ، فلم يكن لديهما فى هذا الباب طرائق معروفة ، ولم يكن سبقهما فيه سابق فيترسمون خطاه على هدى وبصيرة . ولم يسمع أحد قبلهما بأن باحثاً فصل سماً من أجسام الكروبات ، إلا بستور فقدكان حاول شيئاً لم يستتمه من هذا . كانا وحدهما فى ظلمة هذه الجهالة . ولكنهما استطاعا أن يقدحا عود كبريت . . . قالا : « إن البشلة لابد تصب سمّها فى الحساء ، كما تصب سمّها فى دم الطفل وهى مقيمة على غشاء حلقه » . بالطبع هما لم يثبتا هذا

ووقف رو حجاجه النظرى ، وسئم الدوران منه فى دائرة

لا تنتهى ، واعتزم حل المُعْضل فى المعمل بيديه . وجد أن التلمّس فى هذا السّماء لا يجديه نفعا . وجد أنه كرجل اختل محرّك سيارته فتعطلت ، فأراد أن يصلحه وهو لا يدرى من عمل المحركات شيئاً . فكان الأولى به أن يتعلم كيف تعمل المحرّكات أولا . فقام الى قارورات من الزجاج كبيرة ، ووضع فيها أحسية خالية من المكروب طاهرة ، ثم بذر فيها بشلات نقية من الدفتيريا ، ثم أودعها فى الدافىء لتربىّ . فلما بقيت فيها أربعة أيام وتم نضجها قال رو : « والآن فعلينا فصل الحساء من المكروب » . وجهّز الاثنان لذلك جهازا غريبا ، مُرشّحاً له شكل الشمعة الا أنه أجوف ، صنعاه من مادة صينية دقيقة اكتنزت حباتها وضاقت مسامّها فأذنت بنفاذ الحساء ورفضت ذرات المكروب فيها . ونصبا هذه الشمعات الجوفاء فى مخابير من الزجاج لامعة صقيلة ، وقاما بصبان الأحسية فيها على حذر شديد مخافة أن يصيبهما رشاش قاتل منها ، ولكنها أبت أن تنفذ من الشموع إلى المخابير ، وأخيراً استطاعا أن يُنفذاها بهواء مضغوط ضغطا شديدا ، فلما تم لهما ذلك تنفّسا الصُّعَداء وهما يصفّقان على المنضدة ، ذلك الراشح الرائق قد تراءى فى قواريره الصغيرة أصفر كالكهرمان [1] ولم تكن به جرثومة واحدة

وغمغم رو لنفسه : « هذا السائل لا شك يحتوى السم . نعم لقد حبست الشموع ما كان به من جراثيم ، ولكنه مع هذا لابد أنه يقتل الحيوانات ، وهرج المعمل ومرج بالساعدين وهم يحضرون الخنازير والأرانب ، فلما حضرت ذهبت إبر المحاقن فى بطونها بهذا السائل الذهبى ، ضربتها فيها يد رو ، وهى يد خفيفة بارعة

وانقلب رو فصار فتاكا سفاحاً ، وملأ قلبه حب القتل ، فلم يجىء إلى معمله يوماً إلا وفى نفسه رغبة كرغبة المجنون أن يجد حيواناته قتيلة صريعة . وكأنى بك تسمعه يصيح إلى يرسين : « إن السم لا بد فاعل فعله الآن فيها ، لا بد أنه ضارب بنابه الآن فى مقاتلها » ، ثم هما ينظران معاً فلا يجدان مايشفى غليلهما ويؤمن على نبوءتهما ، فلا الشعور انتفشت ، ولا الأرجل الخلفية شلت فتجرجرت ، ولا الأجسام ارتمشت وانتفضت

كان وقع ذلك شديداً عليهما . بعد كل هذا التعب ، وكل هذا التجريب والتفنين فى دقة وحذر ، تظل هذه الحيوانات تقرض بقولها فى أقفاصها قرضاً ، وتثب فيها وثبا ، وتتنازل ذكورها وإناثها وتتهارش هذا الهراش السخيف الذى لابد منه لايجاد النسل وتواصل الجنس . . . إنها تملأ أمعدتها وتشبع شهوتها ولا تأبه لشىء . أما هؤلاء الآدمى المردة الطوال الذين أحسنوا غذاءها هذا الاحسان فليحقنوا فى أوردتها أو فى بطونها من ذاك الحساء ماشاءوا . أيدعونه سما ؟ لقد طال بهم الخيال ، وكذب الخال . إن يكن سما فهو لا يزيدها إلا هناءة وطيب حال

وحاول رو مرة أخرى حقن مقادير أكبر من حسائه فى طائفة حيواناته ، ثم فى أخرى ، ثم فى أخرى ، ولكن من غير جدوى . لم يكن فى الحساء سم

لو أن رو رجل عاقل عادى لكفاه الذى جرى ، واقتنع بأن الحساء الذى أودعه الدفأ أياماً ثم رشحه لم يكن به سم قط . ألم يكفه هذا العدد العديد من الحيوانات التى ضاعت سدى ؟ ولكن رو — ولتحمده الأمهات والأطفال المساكين ، ولترعه الملائكة التى تحفظ البحاث الجانين — ولكن رو كان فى تلك الساعة مجنونا . أصابه مس كالذى كان يصيب أستاذه بستور فيجعله يرى الصواب فى الذى يراه الناس أجمع خطأ ، ويقدح ذهنه فتخرج منه التجربة المستحيلة الناجحة . كأنى بك تسمع هذا الرجل الملول ذا وجه الصقر يصيح لنفسه : « هنا ، فى هذا الحساء سم لا محالة » . وكأنى بك تراه يدور فى معمله يصيح هذه الصيحة إلى القوارير المصففة على الأرفف التربة ، وإلى الأرانب والخنازير الغبينة ، وهى لو استطاعت لضحكت من هذا المجهود الخائب الذى بذله ويبذله رجاء قتلها . « لابد من سم فى هذا الحساء الذى نمت فيه بشلات الدفتريا ، وإلا فكيف ماتت الأرانب إذن ؟ »

وأخيراً ، بعد أن قضى الأسابيع يحقن أحسيته فى الحيوانات ويزيد مقدار ما يحقن فيها كل مرة ، أخيراً عزم على أن يحقن فى الخنزير ثلاثين مقداراً من الحساء دفعة واحدة ، ففعل وكاد يغرق الخنزير بحسائه . كان مثله فى ذلك مثل المقامر الذى سئم الخسارة ، فلما يئس جازف فوضع على الرقعة كل ماله . حتى بستور ما كان ليجسر هذه الجسارة فيحقن الخنزير الغبنى الصغير تحت جلده بخمسة وثلاثين سنتيمتراً من الحساء كما فعل

(١) أو إن شئت فالكهرباء

رو . أليس فى هذا المقدار لو أنه ماء نقى ما يقتل الخنزير بمجرد حجمه . وهو إذا مات فأى نتيجة تستخرج من هذا عن وجود السم فى الحساء . . . . ولكن رو لم يأبه لذلك ، فدفع بهذا المقدار من الحساء وهو كالبحر فى بطن الخنزير . ودفع بمقدار مثله فى وريد بأذن أرنب ، فكان كمن صب جردل ماء فى أوردة إنسان متوسط الجرم

ولكن بهذا الأسلوب الغريب كتب رو اسمه فى لوحة المجد ، فعلى الناس أن يخلّدوها على الدهر ويحفظوها من البلى ما بقى على ظهر هذه البسيطة إنسىّ . احتمل الأرنب والخنزير تلك الشربة الهائلة وصمدا لجرمها الكبير ، وهَنِئا بالسلامة ونعما بالعيش يوماً أو يومين بعد هذا ، ولكن لم يمض على ذلك غير ثمان وأربعين ساعة حتى انتصب شعراهما على ظهريهما ، وأخذا يتنفسان اختلاجا . وماتا بعد خمسة أيام ، وظهرت عليهما نفس الأعراض التى ظهرت على الحيوانات الأخرى التى ماتت عقب حقنها بمكروب الدفتريا نفسه لا بحسائه المرشّح . وبهذا اكتشف رو سم الدفتريا . . .

لو أن الأمر اقتصر على هذه التجربة ، وما تضمنته من جرعة هائلة من حساء ضعيف السم ، إذن لضحك قُنّاص المكروب منها ومن صاحبها رو ، ولتخذوا منها فكاهة فضحة : «إن تكن قارورة كبيرة من مكروب الدفتريا لا تخرج إلا هذا السم القليل حتى ليحتاج إلى أكثر هذه القارورة لقتل خنزير غينىّ صغير ، فأنى لبشلات قليلة تحل فى زور الطفل أن تصنع من هذا السم ما يكفى للقضاء على جرمه الكبير ! هذا حمق أى حمق ! »

ومع هذا فرو حلّ بذلك العقدة الأولى . وبهذه التجربة السخيفة قدح أول قدحة وأطار أول شرر شعّ فى ظلمة الطريق فعرف به إلى أى ناحية يتجه وعلى أى جنبيه يميل . فأخذ يتحسس طريقه بين الأحراج ويشق سبيله بين الأدغال بطائفة من التجارب الدقيقة حتى انفتح له السبيل بغتة عن أرض عراء فعرف مكانه واستوثق مما هو فيه . واستغرق فى ذلك شهرين عرف بعدهما السبب فى ضعف السم بحسائه . واتضح له أنه لم يكن ترك الحساء ببشلاته فى المِدفأ مدة كافية ، فلم تتمكن البشلات من العمل فلم تصنع من السم ما تعودت أن تصنعه . وعلى هذا صنع حساء جديداً ووضع فيه بشلات جديدة أودعها المدفأ وأبقاها هناك فى حرارة كحرارة الجسم مدة اثنين وأربعين يوماً . فلما أخرجها أخرج سماً كأقوى ما تكون السموم ، وحقن القليل منـــه فى حيواناته فصنع بها ما لا يُصنع . وأخذ فى تقليل مقدار ما يحقن فيها عسى أن يقال فتكه بهذه الحيوانات ولكنه حاول عبثاً ، وظلّ ينظر بعين واسعة وقلب مغتبط تياه إلى القطرات القليلة من هذا السم تذهب بالأرانب وتقتل الشياه وتاتى بالكلاب صريعة . ثم أخذ يتناهى بهذا السائل الفتّاك ، فجففه ، وأراد دراسة كيميائه فأخفق . ثم ركّزه تركيزاً كبيراً ، ووزن ما ركّز ، ثم عكف يجرى عمليات حسابية طويلة فوجد أن الأوقية منه تقتل ٦٠٠٠٠٠ خنزير غينى ، أو ٧٥٠٠٠ كلب كبير . ووجد أن الخنزير الغينى الذى يناله من هذا السم جزء من ٦٠٠٠٠٠ جزء من الأوقية تتحول أنسجة جسمه فتكون كأنسجة جسم الطفل الذى يموت بالدفتريا

هكذا أوّل رو حلم لفلار وحقق نبوءته ؛ وعلى هذا النحو كشف عن رسول الموت السائل الذى يتحلّب من أجسام هذه البشلات الصغيرة الحقيرة كشف رو لنا عن الطريقة التى تقتل بها هذه البشلات الأطفال ، ولكنه لم يكشف لنا عن طريقة تدفع بها شرها ، والكتاب الذى بعثته تلك الأم البائسة لبستور تسأل فيه دواء لهذا الداء بقى على المكتب لا يجد له جواباً ، ومع هذا فعمل رو بلغ أمره الأطباء فتعلموا كيف يربون تلك البشلات من حلوق المرضى من الأطفال ، وأثمر عدة اقتراحات بغرغرات نافعة يغسلون حلوقهم بها ، ولكن رو لم يكن له صبر بستور ولا حيلته

في العدد القادم : بارنج يكتشف ترياق الدفتريا

أحمد زكى

نشأة مقاييس الذكاء

للأستاذ على محمد فهمى

مدرس التربية التجريبية المساعد بمعهد التربية للبنين

ليس علم النفس بالعلم الحديث ، بل هو قديم من أيام أرسطاطاليس ، ولكنه لم يثمر إلا فى القرن العشرين ومن ثم صار علماء علم النفس يبحثون بجد فى العقل وكنهه ، وفى الذكاء وأصله ، فاستفادت التربية من قياس ذكاء الأطفال . وقد قامت الأبحاث فى محاولة قياس الذكاء عدة مراحل أهمها أربع :

المرحلة الأولى

فى هذه المرحلة لاحظ الباحثون بادئ الأمر أن هناك تبايناً بين الأفراد فى الفهم والتفكير والتذكر والقدرة على التعلم وان هذا التفاوت يختلف باختلاف الجنس والعمر والبيئة ، وكانت الجهود كلها موجهة إلى محاولة تعيين مقدرة المرء العقلية بواسطة شكل جسمه وخاصة الرأس والعاهات الخلقية التى فى الانسان ، فأول ما نشأت فكرة إيجاد مقاييس الذكاء كانت عبارة عن مجرد فحص الحالة الجسمية

وكان أول من تناولها بالبحث والكتابة فيها الأستاذ لافاتير Lavater سنة ١٧٧٢ فقد نشر فى هذه السنة بحثاً عن معرفة صفات الانسان العقلية والنفسية من ملامح الوجه

ثم نشر جول Gall صاحب نظرية الجمجمة كتابا عن معرفة صفات الناس من أشكال رءوسهم وقياس عظامهم الجمجمية فعمل خريطة للعقل وقسمه إلى ملكات وكانت الملكة تكبر أو تصغر بحسب قوتها وضعفها ويسمى هذا العلم بعلم الفراسة Phrenology

ثم تبعه فى بحثه الدكتور بل سنة ١٨٠٦ ثم داروين سنة ١٨٧٢ وكانا يعتبران أن صفات الشخص العقلية تعرف من حالة عضلاته ، فالخائف مثلا تظهر عليه علامات كأن تفتح عيناه وترتعش ركبتاه وغير ذلك من علامات الخوف ؛ فاذا كان الخوف مستمراً فانه يترك فى وجه الشخص طابعا يدل عليه ، ولكن ثبت خطأ هذه النظرية إذ قد توجد علامات مشتركة بين حالات مختلفة فلا يمكن مثلا التمييز بين علامات الضحك من السرور وعلامات الضحك من الاستغراب والاستهزاء

قام بعد ذلك الأستاذ لمبروزو Lombroso الاخصائى فى علم الأجرام بمباحثه وأتى بفكرة جديدة وهى الحكم على صفات الناس العقلية والنفسية من العلامات التشريحية Anatomical Stigma فهو يقول بأن هناك وصمات Stigma وتشويهات معينة فى الجسم يدل وجودها فيه على ميل فطرى للاجرام ، فمثلا كبر الرأس وشكله وعدم مساواة نصفيه وعرض الجبهة وضيقها والأنف العريض والمقلوب والفرطح وسقف الحلق الضيق والمرتفع – ويكون عادة على شكل ٨ – والآذان عديمة الحلمة والمشوهة والكبيرة الحجم ، كل هذه العلامات أو العاهات كما يقول الأستاذ لومبروزو هى علامات صحيحة للاجرام موجودة مع الطفل من يوم ولادته . وعلى ذلك فهو يرى أن الشذوذ فى الخلقة يرجع إلى شذوذ فى النفس والعقل . وقد نشرت ملاحظات هذا العالم ومجاربه هو ومساعدوه فى أواخر القرن التاسع عشر ، ولكن على توالى الزمن اقتنع العلماء بأن الحكم على العقل أو النفس بمجرد مشاهدة الخلقة حكم لا قيمة له بل يجب اختبار الصفات العقلية والنفسية باختبارات عقلية سيكولوجية

هدأت الأفكار بعد ذلك نوعا ما وتحولت عن نظرية لمبروزو وعلاقتها بالاجرام : هنالك نشط الباحثون واستنفدوا جهدهم فى البحث فوصلوا إلى أن كبر حجم الجمجمة دليل على كبر حجم المخ ، وكبر حجم المخ دليل على الذكاء والعكس ، غير أنه فاتهم للأسف أن الذكاء لا يقدر بكبر حجم المخ . ولا بصغره وإنما يقدر بسمك المادة السنجابية وكثرة تلافيف المخ الخ . وقد نشط الأستاذ بيرسون فى بحث هذا الرأى فأجرى تجاربه على ٥٠٠ طالب من جامعة كولومبيا بأمريكا فوجد أن العلاقة بين حجم المخ والذكاء تكاد تكون معدومة

المرحلة الثانية

بعد ذلك ظهرت فى أوروبا فى القرن التاسع عشر ثلاث حركات علمية مهدت السبيل لظهور المقاييس العقلية وهى :

أولا : ظهور علم النفس التجريبى فى ألمانيا على يد ويبر Weber

الذى اهتم بدراسة الاحساسات وحاول أن يطبق عليها روح القرن التاسع عشر وهى الروح العلمية التجريبية ، وتبعه عالم ألمانى اسمه فخنر Fechner ثم تبعهما سلسلة علماء حتى جاء وندت Wundt وأنشأ أول معمل لعلم النفس فى ليبزج سنة ١٨٧٩ ، وكان متجهاً لدراسة الاحساسات لوجود فلسفة الترابط فى انجلترا Association فى ذلك الوقت ، وفلسفة الترابط هذه تقول إن أصل كل حياة فكرية هى الاحساسات ، وإذن فالاحساسات هى أساس نشوء الحياة العقلية ، ولذلك عمد وندت Wundt لدراسة زمن الرجع Reaction وهو الزمن الذى ينقضى بين وصول المؤثر وبين حصول الرد عليه ، لأنه دليل على سرعة العمليات العقلية ، وكان يساعده فى أبحاثه الأمريكى كاتل Cattell الذى لاحظ أن الأشخاص يختلف بعضهم عن بعض فى زمن الرجع ، وكانت أبحاثه ضد رغبة استاذه وإن كانت تعتبر الآن من الينابيع التى غذت المقاييس العقلية

ثانياً : دراسة الوراثة فى انجلترا : وأول من بدأ بدراستها هو فرنسيس جالتون Francis Galton وهو أحد أقارب داروين واشترك معه فى أبحاثه فى نظرية النشوء والارتقاء ، ولكن داروين كان كل همه دراسة وراثة الانسان من وجهة الجسم فقط فاهتم جالتون بدراسة وراثة الصفات العقلية ، وقد نشر سنة ١٨٨٣ كتابه « أبحاث فى القوى العقلية » وبه عدة أبحاث خاصة بالخيال ومحاولات بسيطة لقياس الصفات العقلية ، ثم فتح فى لندن معملا للقياس العقلى والجسمى ، وسماها مقاييس انتروبولوجية (خاصة بدراسة البشر)

على أن بحث السير جالتون هذا وإن كان خلوا من الملاحظات والنتائج إلا أنه يعد أول عالم فكر فى موضوع الذكاء وقياسه

ثالثاً : حركة علم النفس العلاجى فى فرنسا : أخذ علم النفس يتجه اتجاها عمليا فى فرنسا وذلك لأن الفرنسيين مهتمون بالطب ، ولأن علم النفس يتصل بالطب اتصالا تاما ، ومن الموضوعات التى كان لها أثر فى القياس العقلى ظهور مسألة قياس ضعفاء العقول Mental defectives فأخذ الناس فى القرن الثامن عشر يهتمون بهم ويتفهمون حالهم ويحاولون علاجهم . ساعد على ذلك عثور صياد فى غابة Caune بفرنسا فى يوم على طفل فى حالة همجية ، فأخذه إلى باريس وخدمه الأطباء وعهدوا بتربيته إلى فيلسوف طبيب اسمه إتار Itard وكان طبيبا فى معهد الصم والبكم ، فجرب على الطفل الطرق الحسية ليرى تأثيرها على تعليمه وتحوله من الهمجية ، وبعد مضى مدة وجد أن التقدم فى حالة الطفل بطىء فأرسله إلى معهد خيرى ، حيث كان يشتغل طبيب اسمه سيجان Séguin وكان تلميذاً لأتار Itard فلم ييأس هذا من استعمال الطرق الحسية مع الولد حتى نجحت وتقدم الولد تقدما ملموسا

ذلك الى إنشاء مدرسة التربية ضعفاء العقول على طريقة Séguin وشاع استعمال هذه المدارس ثم جدت مشكلة الحكم على عقل الطفل فحمل ذلك وزارة المعارف فى فرنسا على انشاء لجنة لدراسة هذه المشكلة ، وكان من بين أعضائها بينيه Binet الذى عمل أول مقياس عملى للذكاء سنة ١٩٠٤

المرحلة الثالثة

ذكرنا أن كاتل كان يبحث مع وندت فى ألمانيا وزار جالتون فى لندن ، ولما عاد إلى أمريكا عين مدرساً لعلم النفس فنشر سنة ١٨٩٠ برنامجاً للقياس العقلى اقترح فيه أن تطبق مقاييس خاصة على طلبة مدرسته ، وكانت المقاييس بسيطة تقاس بها القوى الحركية والتمييز الحسى ومظاهر أولية للذاكرة والحكم

نشر كاتل هذه الاختبارات فى مجلة انكليزية ذيلها جالتون بالتعضيد فأثر نشرها فى أوربا وأمريكا وطبقها علماء النفس حتى أنه فى سنة ١٨٩٦ استأجر جاسترو Jastrow مكانا فى معرض شيكاغو وأخذ يختبر ذكاء الأشخاص نظير أجر ، ثم أخذ كاتل فى تطبيق هذه الاختبارات على الطلبة فى جامعة كولومبيا نشرت نتائجها سنة ١٩٠١ وقارن جلبرت Gilbsrt نتائج هذه الاختبارات التى عملت على الطلبة بنتائج حكم المدرسين على الطلبة أنفسهم ، فوجد أن الاتفاق بين الاثنين ضعيف جدا

ومن ذلك نرى أن هذه المقاييس لم تكن مضبوطة ، ولم تدل على الذكاء تماما ، لأنها تقيس قوى فردية ليس بينها وبين القوة العقلية العامة علاقة متينة ، وقد أدى هذا النقص إلى التحول عن هذه المقاييس وأصبحت جامعة كولومبيا تحت رئاسة Thorndike مركزا للبحث فى هذه المقاييس ، وبالتدريج تغلبت الروح العلمية فأخذ علم النفس صبغة طبية فى فرنسا ، وابتدأ

وزارة المعارف العمومية

اعلان

ظهر الجزء الثانى من مجلة مجمع اللغة العربية الملكى وثمنه ٨٠ مليماً وأجرة البريد ٢٠ مليما ويمكن الحصول عليه من المخزن العامة للوزارة بدرب الجماميز بالقاهرة ومن مخازنها الفرعية بالإسكندرية وطنطا والزقازيق وبنى سويف وأسيوط ويخصم ١/٣ من الثمن عند شراء خمسين نسخة فأكثر .

إنه فى يوم السبت ١٨ أبريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بشارع أنجه هانم منزل نمرة ٧ بشبرا بمصر سيباع علنا بالمزاد العلنى طقم جلوس وراديو ملك رزق أفندى جرجس المدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا تنفيذاً للحكم نمرة ٢١٩ سنة ١٩٣٥ كلى الزقازيق وفاء لسداد مبلغ ٧ ج و ١٠٠ م لغاية أجرة النشر منه ٦ ج و ٣٠٠ م لطالبة البيع و٨٠٠ م لخزينة المحكمة بخلاف ما يستجد

وهذا البيع بناء على طلب الست شفيقة عوض الله المقيمة ببندر شبين القناطر ومنتدب للدفاع عنها حضرة الأستاذ ناشد أفندى عبد المسيح المحامى بالزقازيق . فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم السبت ١٨ أبريل سنة ٩٣٦ من الساعة ٦ صباحا لغاية المساء واليوم التالى إذا لزم الحال بناحية بنى موسى تبع اشنا مركز بنى سويف وفى يوم الأحد ٢٩ منه بسوق بلفيا مركز بنى سويف من الساعة ٧ صباحا لغاية المساء سيباع علنا المنقولات وخلايات النحل وعدة نول النسيج الواضح كل هذا بمحضر الحجز ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ تملك عبد الوهاب متولى النساج من الناحية المذكورة نفاذا للحكم نمرة ٦٤١٠ جزئى بنى سويف سنة ٩٣٥ وفاء لمبلغ ٢٤٦ قرش صاغ كطلب جاد أحمد سالم من عزبة أبو القاسم تبع الكوم الأحمر مركز بنى سويف فعلى راغب الشراء الحضور.

محكمة كفر الشيخ الأهلية

اعلان بيع نشرة ثالثة فى القضية

نمرة ١٢٧٣ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الثلاثاء ٥ مايو سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بسراى المحكمة سيصير إشهار مزاد العقار الآتى بيانه بعد ملك محمد ابرهيم المنوفى المعلن فى مواجهة النيابة وفاء لمطلوب السيدتين نفوسه هانم نجيب وأمينه هانم نجيب من مصر ومحلهما المختار مكتب حضرة الأستاذ ناشد أفندى عبد المسيح المحامى وفاء لمبلغ وقدره ٤٥١ ج و٢٩٥م بخلاف ما يستجد وذلك بناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة ومسجل بمحكمة طنطا الأهلية نمرة ٧٦٠ فى ١٨ مايو سنة ١٩٣٥ صحيفة ٢٨٨ و ٢٨٩ جزء ثان سنة ٩٣٥ بثمن أساسى قدره ٢٠٤٨ قرشا بعد تنقيص الخمس بجلسة ١٧ مارس سنة ١٩٣٦

١٥ ط أطيان زراعية ملكه ميراثا عن والده المرحوم ابراهيم سليمان المنوفى مشاعا فى ٥ ف مشاعا فى ١٠ ف بناحية الكوم الطويل مركز كفر الشيخ بحوض الهمة الغربى نمرة ٥٠ ص نمرة ١ مكلفه نمرة ٢٧٦ سنة ١٩٣٤ من بحرى أطيان بدوى محمد وشرقى أطيان محمود ابراهيم خليل وغربى السيد أفندى سليمان وقبلى أطيان بدوى محمد بك

٣ ط من ٢٤ ط فى منزل كائن بناحية أبو بدوى مساحته ١٣ ر ٤٢٨ متر مبنى بالطوب الأخضر يحتوى على عشر أود وثلاث صالات كامل الأبواب والشبابيك والسقوف من بحرى شارع عمومى وبه باب للمنزل وغربى داير الناحية العمومى وفضاء تابع للمنزل وشرقى شارع عمومى وبه باب المنزل وباب محل تجارة وقبلى بدوى بك محمد وآخرين والناحية تابعة لناحية الكوم الطويل مركز كفر الشيخ غربية على أن يباع بسائر الشروط وجميع الأوراق مودعة بدوسية القضية لمن يريد الاطلاع عليها

فعلى راغب الشراء الحضور

كاتب البيوع

فى يوم الثلاثاء ٢١ ابريل سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا إلى ما بعدها بناحية المطيعه مركز أسيوط والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علنا محصول زراعة ١٢ ط و ١ ف مزروعة فول ملك فراج عمار فراج بناحية المطيعه وفاء لمبلغ ٨٣٣ قرش صاغ بخلاف رسم هذا وأجرة النشر نفاذا للحكم ن ٥٦٠٦ سنة ١٩٣٢ مدنى جزئى أسيوط كطلب محمد أحمد محمد من الشغبه مركز أسيوط فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأربعاء ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا وما بعدها بناحية قراقص مركز دمنهور وفى يوم الاثنين ٢٧ ابريل سنة ١٩٣٦ بميدان التوبة بدمنهور سيباع علنا عدد ١٥ قطعة منقولات مبينة بمحضر الحجز ١١ مارس سنة ١٩٣٦ نفاذا للحكم ن ١٠٢٢ سنة ٩٣٦ مدنى دمنهور وهى تملك حنفى محمد مكرم المقيم بالناحية المذكورة وفاء لمبلغ ٦٥٦ قرش صاغ بخلاف مايستجد كطلب مصطفى مصطفى الشرقاوى وعائشة عامر دعلوية المقيمين بقراقص

فعلى راغب الشراء الحضور

الفرنسيون يهتمون بقياس العمليات العقلية ذات الأهمية الظاهرة في الحياة، وفي سنة ١٨٩٦ ظهر مقال للعلامة بينيه في مجلة السنة النفسانية التي اتخذها مسرحاً لنشر أبحاثه المختلفة، وكان يحرر الجزء الأعظم منها بنفسه باذلا في ذلك مجهودا كبيرا ومهتماً من البداية بمسألة الذكاء وقياسه معالجا إياها من نواح عدة، وقد لخص بينيه الأبحاث التي عملت قبل ذلك وحمل على الاختبارات الموجودة حملة شديدة إذ كانت تقيس قوى عقلية بسيطة ليست مهمة في الحياة، فكانت حسية وحركية، ولكن الناس لايتميزون في الذكاء بقوة الاحساس والحركة وانما يتميزون بقوة الحكم والخيال والذاكرة. وذكر بينيه أيضا في مقاله أنه لا بد لقياس الذكاء من ترك المقاييس القديمة والبحث عن أخرى لقياس القوى العقلية العليا، فكان لهذا المقال أثر كبير نقل مقاييس الذكاء من نظريات الى معامل، وأبطل استعمال الأجهزة النحاسية التي كانت تستعمل، ومن ذلك الحين تدفقت الاختبارات العقلية التي قام بها فريق كبير من العلماء، على أننا لا يمكننا تتبع كل هذه الاختبارات وانما نتكلم على أهمها وهو اختبار بينيه

ولد الفرد بينيه بمدينة نيس من أعمال فرنسا سنة ١٨٥٧ وحصل على أجازة الحقوق سنة ١٨٧٨ ثم عكف على دراسة الطب وتتلمذ للعالمين الشهورين وقتئذ فيريه Feré وشاركوه Charcot ولا سيما الثاني منهما فقد بث فيه روح الاهتمام بدراسة نفسيات الشواذ من الناس. ثم تعاون بينيه مع آخرين على إنشاء معمل للأبحاث النفسية في السربون ثم أصبح هو مديراً لهذا المعمل وكان أحد أعضاء اللجنة التي شكلتها وزارة المعارف الفرنسية لاختيار ضعاف العقول فخطر له أن يدعم عمله في هذه اللجنة ببحث قيم يتخذ أساساً وعوناً لبقية البحوث في المستقبل؛ وبدأ عمله بالبحث في ماهية ضعف العقل، ومن هو ضعيف العقل من الأولاد الذي يحتاج إلى تعليم خاص، وقد خصص جهوده كلها ومواهبه العلمية لانجاز هذا العمل وعكف عليه زمناً طويلا لا يقل عن سبع سنوات وفق فيها إلى غرضه وأخرج مقياساً علمياً عملياً حقاً، وظهرت له سلسلة أبحاث في المقاييس العقلية. وقد رأى أن الانتباه الارادي والذكاء مرتبطان لدرجة أنه يمكن اتخاذ مقاييس الانتباه دليلا على الذكاء فوضع اختبارات عديدة منها زمن الرجع وإعادة

بعض أعداد والسرعة في عد دقات الكرونومتر.

وقام عالم ألماني آخر اسمه ايبنجوس Ebbinghaus سنة ١٨٩٧ وعمل اختباراً سماه طريقة التركيب Combination Method ويسمى الآن طريقة التكميل فدلت الاختبارات التكميلية على أنها من أحسن الاختبارات الذكاء، والأساس الذي بني عليه هو اعتقاده أن الذكاء لا يتجلى في إدراك المؤثرات متفرقة وإنما يتجلى في ضم المؤثرات بعضها إلى بعض لتركيب وحدة كلية، ففي الجملة الواحدة مثلا لا يتجلى الذكاء في فهم كل كلمة على حدة بل في فهم الجملة كلها وهي فكرة وجيهة جداً، وقد استمر البحث حتى سنة ١٩٠٥ حين ظهر أول مقياس كامل للذكاء من عمل بينيه Binet ومساعده سيمون ثم عدلاه في سنة ١٩٠٨ وفي سنة ١٩١١ وترجم مقياس سنة ١٩٠٨ إلى لغات عدة فأحدث أثراً كبيراً في العالم وجرب في بلاد كثيرة وقد سخر بعض الناس من مقياس بينيه وقالوا إنه ليس له فائدة عملية، ولكن أكثر العلماء رأوا فائدته وكان بينيه مشبعاً بالروح العلمية الحديثة، وظل يدخل اصلاحات عدة في مقياسه ومات سنة ١٩١٢

وقد كان من نتيجة تجربة مقياس بينيه في بلاد كثيرة أن نجمت الحاجة إلى تعديله بما يلائم حالة كل بلد منها، ولذلك ظهرت له تنقيحات عديدة منها خمسة أو ستة في أمريكا وتعديل أو اثنان في ألمانيا وانجلترا، وأهم هذه التنقيحات تنقيح الأستاذ تيرمان Terman الأمريكي وكان أستاذاً بجامعة استانفورد وسمى التنقيح باسم الجامعة The Stanford Revision of the Binet Simon Tests of Intillegence.

وكان ترمان مهتما بمسألة القياس العقلي حتى قبل ظهور مقياس بينيه، فقد ألف بحثاً في العبقرية geniuty والغباوة Stupidity حاول به أن يوجد أسئلة تميز بين الأذكياء والأغبياء وقد نشر أبحاثه هذه في سنة ١٩٠٦ ولما نشر مقياس بينيه اهتم به اهتماماً كبيراً وابتدأ بمساعدة شايلد Child في تعديل هذا القياس بأن ضم إليه عدداً من اختباراته وأوجد مقياساً منقحاً ولكن أهم من ذلك أنه أدخل في تنقيحه فكرة جديدة ليست من عنده ولكنها من عند عالم ألماني يدعى استرن Stern وهي فكرة نسبة الذكاء، وقد كان بينيه يعتمد في مقياسه على تأخر أو تقدم العمر العقلي عن العمر الزمني؛ ولكن التجربة دلت على أن هذه

الطريقة ليست دقيقة ، فمثلا إذا فرضنا أن ولداً عمره العقلى ٧ سنوات والزمنى ٥ سنوات فان تقدمه العقلى على حساب بينيه يكون مماثلا لولد عمره العقلى ١٢ سنة وعمره الزمنى ١٠ سنوات

أما استرن Stern فيقول إن ذكاء الأول أكبر من الثانى لأن نسبة الذكاء فى الأول أكبر منها فى الثانى ، فنسبة ذكاء الأول $\frac{٧}{٥}$=١,٤ بينما فى الثانى $\frac{١٢}{١٠}$=١,٢ — أخذ ترمان هـذه الفكرة نفسها وأضافها إلى مقياسه المنقح إلا أنه ضرب هذه النسبة فى ١٠٠ لكى يتلافى الكسور فتكون نسبة ذكاء الأول ١٤٠ والثانى ١٢٠ وقد نقل الأستاذ القبانى اختبار ستنفرد بينيه هـذا إلى العربية بعد أن أدخل كثيراً من التعديلات الضرورية عليه لجعله ملاءماً للبيئة المصرية

المرحلة الرابعة

كل المقاييس التى ذكرت لفظية Verbal وقد اعترض على هذا النوع من المقاييس :—

(١) لأن الطالب الذى تكون ظروف بيئته لا تساعده على التعبير يظلم فى هذه البيئة ، ولذا فالتلميذ الذى من وسط اجتماعى راق يكون أذكى من تلميذ من وسط اجتماعى فقير ، لأن الأول يسمع مناقشات ويشترك فيها بينما لا يقابل الثانى من أبيه أو أمه إلا بالزجر والضرب

(٢) وهناك أطفال لا تتوفر عندهم ملكة الكلام أو غير متمكنين من اللغة الموضوع بها الاختبار

(٣) وهناك أطفال من ذوى العاهات كفاقدى السمع والنطق يصعب اختبارهم بهذه المقاييس اللفظية

(٤) فى بعض البـلاد تختلف اللغة الدارجة التى يتعلمها الطفل عن لغة الاختبار كمصر مثلا

كل ما تقدم أدى الى البحث عن اختبارات أخرى تصلح لهذه الحالات كلها ولذا عملت اختبارات عملية Perfor mance Tests بمعنى أن المطلوب فيها سؤال لا يجاوب عليه باللفظ ، ولـكن يكلف المفحوص بالقيام بعمل يعمـله أمام المختبر ، ومن أمثلتها لوحة الأشكال Form-Board وبها أشكال مختلفة مجوفة يعطى للطالب أجسام مماثلة لها بحيث يضع كل جسم فى الشكل المجوف المماثل له ، وهناك لوحات سهلة التركيب وأخرى صعبة التركيب يمكن فى مثل هذه اللوحات احتساب عدد تغيير القطع حتى يجد الولد القطعة المطلوبة وحساب الزمن الذى يستغرقه المختبر فى اتمام تركيب اللوحة

وهناك نوع آخر من هذه الاختبارات يسمى اختبار التواهات Maze Tests مثل بيت جحا ولـكنها مرسومة على ورق فيدخل الطالب من باب ويخرج من آخر

وهناك نوع ثالث وهو لوحة الصور يلصق عليها صورة مقطوع منها أجزاء ، وهذه الأجزاء تعطى للتلميـذ ويطلب منه تكميل الصورة

كل هـذه الاختبارات فردية تعطى لـكل فرد على حدة فتطبيقها يحتاج الى وقت كبير ولذا فنحن فى حاجة الى اختبارات لا تحتاج الى وقت كبير فاخترعت اختبارات جمعية .Group Tests إذ فـكر Otis من تلاميـذ Terman فى عمل اختبار جمى ، وقام علماء النفس بأمريكا بعمل اختبارات جمعية ، فألفوا مقاييس الجيش ، وأطلقوا على الأول منها مقياس Alpeha وهو من النوع اللفظى على الثانى Beta وهو اختبار عملى جمعى تستعمل فيه الصور ، وقد ارتاح رجال الجيش الى نتيجة هذه الاختبارات فانتشرت من أمريكا الى بقية العالم

علي محمد فهمي

في المباراة الأدبية

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

للآنسة فتحية عزمي

كانت نهضة المرأة في مصر إحدى ثمار الفورة الوطنية المباركة التي انبجست من قلوب أبنائها البررة عام ١٩١٩ ؛ وإذا كانت الثورات التي حدثنا عنها التاريخ قد أفادت العالم من كل نواحيه ، وخلقت روحاً جديداً من التطور في كل مرافقه ، فان مصر هي الأخرى قد جنت من وراء ثورتها الفتية نهضة مباركة بدأ أثرها جليا في السنين الأخيرة في الأدب والفنون والعلوم والاقتصاد والسياسة . وكان من أبرز هذه المظاهر وأروعها خروج المرأة المصرية من معقل التقاليد العتيقة المرذولة الى الحياة العملية الصحيحة بعد الجهل المخيم والخمود الطويل ...

لقد مضى على المرأة المصرية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً حتى نفخ الزعيم الخالد « سعد » العظيم في صور الثورة فلبت مع الملبين ، وترامت في ميدان الجهاد مع المترامين ، فرأينا كيف يجتذب صوت الداعي الأخاذ النفاذ خدور العذارى والسيدات إلى حيث النداء والتضحية ، وكيف أن المرأة المصرية الحيية الساذجة قد ألقت عنها خمارها لتجابه بوجهها الحديد والنار في جانب الرجل ، تشد عضده بظهرها الحماسي الجريء ، وتبعث في نفسه روح البسالة والاقدام ، فيسارع الى الموت باسماً لا ينكص ولا يتزعزع ، وهكذا سجل التاريخ للمصرية في ذياك العام المجيد صفحة فخار ستبقى خالدة مادامت مصر وما دامت الوطنية والحرية ، كما سجل للمرأة البدوية وراء الأجيال السحيقة يوم تبعت رجالها في الحروب تؤازره وتشجعه وتنشد خلفه أناشيد الحماسة والنصر فيشتد ساعده ويثبت جنانه فلا يتجلجل ولا يتحلحل إلا إلى نصر محقق حيث يعود إليها مزهواً باكليل الظفر ، أو إلى قبر في الفلاة موحش حيث الشرف كل الشرف والخلود كل الخلود . . .

فنهضة المرأة الحق في مصر لم تكن إلا وليدة الثورة ، وكل ما قام قبل هذا التاريخ لترقية مستواها لم يكن إلا محاولات ضئيلة لا تكاد تذكر الى جانب تلك الطفرة الهائلة التي قذفتها اليها الثورة ، وهنا يحق لنا أن نحني الرأس في هذا المقام اجلالا لذكرى زعيمنا الخالد الذي تفجر من فيض وطنيته ما ننعم فيه الآن من نهضات عمت مرافقنا الحيوية ، ثم نحيي في جثمانه الهامد الوطنية الصحيحة والوجدان الحي والتضحية الفادحة والعمل الخالد المقيم . . .

وأخذت بعد ذلك نهضة المرأة المصرية تسير سيرها الحثيث نحو التقدم المنشود فتفتحت أمامها موارد العلم تغترف ما شاءت حتى صارت إلى ما هي عليه الآن من رقي وثقافة يكادان أن يضعاها في مستوى زميلتها الغربية ، ولكن هل آتت هذه النهضة أكلها حقا ؟ وماذا كان أثر هذه النهضة في الحياة العامة ؟ ؟

لا يسع كل منصف إلا أن يحكم معنا أن تعليم المرأة لدينا قد بلغ شوطاً بعيداً وخاصة في الأعوام القلائل الأخيرة ، فمنا الآن الأديبات والطبيبات والحقوقيات وغيرهن ممن نلن من الثقافة العالية نصيباً وافرا ، ولكن العمل الرئيسي الذي خلقت له المرأة يؤول اليوم تدريجيا الى الاهمال ، فالشؤون المنزلية وتربية الأولاد واعدادهم للحياة الصحيحة ثم تفهم الحياة الزوجية ودرسها درسا وافيا ، كل ذلك أضحى في نظر سيداتنا وخاصة المثقفات منهن شيئا ثانويا أولى منه اتقان أدوات الزينة والجري وراء الأزياء الحديثة حتى أصبحنا في خشية من انطباق قول الآنسة دي سكودراي علينا : « ان فتاة تنسى النظر الى السماء لا تحسن شيئا على الأرض ! ! »

« إن النساء أنين العالم لعمل الحساء وإنسال الأولاد وماعدا هذا فانهن يظهرن بمظهر مزعج » كلمة مريرة قالها موليير عن المرأة ، وهي وإن كانت تهكما لاذعا كاد صاحبها يخرج بها إلى حد المغالاة ، أو جاوزها فعلا ، إلا أن فيه إشارة الى الوظيفة الأولى للمرأة التي أشرنا اليها من قبل . وانه لخليق بالمرأة المصرية وقد ضربت في الثقافة العامة بسهم وافر أن تضع نصب عينيها الرسالة التي أوجدتها الطبيعة من أجلها وتؤديها على أنها خالصة في سبيل الله والواجب ، ومن ثم تضرب في خضم الحياة العملية ما شاء لها الفكر الوقاد على ضوء الخبرة والمعرفة . أما أن

تعنى بالأمور الفرعية دون تقويم الأساس وتمكينه فهذا ما لا يقره منطق سليم ولا تبيحه نفس الطبيعة التى فطرت كل شىء لغرض معين وهيأته لرسالة محدودة

فى يقينى أن خير استثمار المرأة المصرية للخير العام ينحصر فى شىء واحد وهو : تشييد صرح حياتنا الاجتماعية على أساس مكين ونظام متقن ؛ وإذا كانت نهضة المرأة عندنا قد قامت على تعليمها فأحرِ بنا أن نستغل هذا التعليم لتمهيد سبل السعادة لأزواجنا ومعاونتهم على العيش ، ثم تدبير بيوتنا وتثقيف أولادنا ثقافة أخلاقية وعلمية ووطنية ليشبوا رجالا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى سام جليل ؛ ومتى تركزت حياتنا الاجتماعية على هذه الأسس الوطيدة صلحت حياتنا العامة وأعددنا للوطن أشبالا نغذوا بلبان الوطنية واهتدوا بهدى العلم الى سواء السبيل

صدقونى أنا لسنا بحاجة إلى المرأة المثقفة العالية بقدر حاجتنا الى الأم الصالحة أو « المدرسة الأولى » كما نعتها الكتاب والشعراء قديما ، وهاهى ذى البلاد تئن من أقصاها الى أقصاها من كابوس البطالة الذى يجثم على أنفاسها ويزداد هولا يوماً بعد يوم باطراد زيادة عدد المتعلمين الذين تلفظهم المدارس كل عام لمواجهة الحياة العملية حتى ضاقت بهم سبلها وغصت بهم على رحبها ، وهذا الجيش الجرار من شباب الأمة المتعلم العاطل أولى منا نحن معشر النساء المثقفات بالعمل ، فماذا يمكن إذاً استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام ؟ ؟

ليس هناك سوى رد واحد على هذا السؤال ، هو ما قلته ، وهو أن خير طريقة لهذا الاستثمار هو الاستثمار الاجتماعى المعنوى الذى ذكرت لا الاستثمار المادى كما يمكن أن يفهم من كلمة « الاستثمار » وذلك لأن هذا الاستثمار المادى الأخير نحن فى غنى عنه عما لدينا من أيد عاطلة عديدة أحق بالتشغيل من جهة ، وعدا ذلك فان استثمار نهضة المرأة المصرية اجتماعيا يركز حياتنا العامة ويسيرها فى طريق التطور المرجو غير بطيئة ولا وجلة

ويبدو لنا من أخبار الغرب التى يحملها الينا البريد الأوربى الأخير من أن العالم قد بدأ يحس مدى خطئه فى قصر تعليم المرأة على ثقافتها فحسب دون العناية بالغرض الأساسى الذى خلقت له ؛ فهذى الآن فرنسا تحارب فكرة إعطاء الحقوق السياسية للنساء ومساواتهن بالرجال ؛ وها نحن أولاء نرى ألمانيا وإيطاليا تضعان فى جملة أنظمتها الجديدة أن تعود المرأة إلى سالف عصرها من التزام البيوت والقيام على تربية الأطفال ، ومنعهن ما أمكن من تعاطى أعمال الرجال . وقد قرأ لنا الأستاذ محمد كرد على ملخصاً لكتاب ظهر أخيراً فى فرنسا حول هذا الصدد للدكتور رو برتوش بدأه بكلام لثلاثة من مشاهير الكتاب أحدهم تيودور جوران قال : « إن رفعة المرأة بلية صدرت الينا من البلاد الأجنبية ولاسيما من أمريكا وجرمانيا وبلاد الشمال ، وكان هذا النفوذ المتألف من كل غريب يكفى أن يكون منه نتاج قد يتلاءم كثيراً مع تركيبنا الفرنسى » وقال روبر كبيو : « من السهل الدلالة على أن دعوى رفع شأن المرأة كانت أبداً وليدة المذهب الاشتراكى فما زلنا نسقط فيها على أفكار اشتراكية بعينها ، وعلى معان لهم وتعبيرات ، وعلى كلمات ما برح الاشتراكيون يرددونها مع سفسطات كانت ولا تزال مألوفة لهم ، وما المرأة إلا أعدى عدو لرفعة شأنها ، فهى موقنة بأنها تخسر من نفوذها الخاص أربعة أضعاف ما تربحه من نفوذها العام ، ولا يتأتى مما ترمى اليه إدخال أدنى إصلاح على النظام الاجتماعى » وقال الثالث تيناير « إن حقوق النساء وتحريرهن الأدبى هذا حسن وجميل ، ولكن يا سيداتى حررن أنفسكن أولاً من الخياطة ، فان لم تكن لكن هذه الشجاعة فلا تطالبن إلى أن تحصلن على ما بقى » وقد استعرض المؤلف فى كتابه نهضة المرأة منذ نشأتها إلى اليوم وحللها تحليلاً دقيقاً عاب عليها اعتناءها بثقافتها دون الغرض الرئيسى الذى هيأها له الطبيعة . من هنا نرى أن أعرق الأمم الغربية فى النهضة النسوية قد بدأت تحس مدى خطئها فى توجيه المرأة إلى غير ما خلقت له ولم يمد بين هاته الدول من أخذتها هذه المدنية الطاغية عن جادة الطريق سوى تركيا الحديثة التى خالت أنه لم يبق بينها وبين مساواة العالم المتمدين سوى هذه الغلطة الاجتماعية النسائية وأبت إلا أن تشرب الكأس حتى الثمالة ، وما أشك أنها ستجنى ثمرة هذا التقليد الأعمى علقما وصابا كما جنته براقش

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا جبلاً عن غرة زلجا

ولنتدبر نحن فى المستقبل قبل أن نخطو اليه ، ولنتبين من أى طريق تسوق المدنية المغرور ، ولنستمع صوت الطبيعة النضى تصرخ فى وجوهنا : لقد خلقت المرأة لتكون نظام الأسرة وتكمل الشطر الثانى من حياة الرجل ، وتقدم له وللعالم كأس السعادة مترعة هنية ، فلا يخلبنكم بريق المدنية الخادع الكاذب

فتعبثوا بنظمي وتقلبوها رأساً على عقب ، لا يصيبكم ما أصاب من قبلكم من المتمنتين المستكبرين ...

***

وبعد ... فهذا رأيي في استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام أدلي به راجية أن أكون بذلك قد أرضيت الواجب والضمير ، وإن كنت قد عرضت نفسي للوم البعض من سيداتي المثقفات ممن يرين في الحياة غير رأيي ، ولا يفوتني هنا أن أهمس في آذان هؤلاء أنه خير للمرأة من حياة زوجية سعيدة يحفها البنون وترف عليها الهناءة من مجد عريض بكلل هامتها ووسام نبيل تحمله . ذلك لأن المرأة خلقت للرجل والرجل خلق للعمل ، وأن مجد المرأة حداد ظاهر على إسعادها كما قالت مدام دي استال ، فلا تغامروا بالمرأة في تجربة قد أدرك العالم المتمدين خطأها ولا تستثمروها في غير ما خلقت له وإلا تكونوا كطالب الماء من الصخر ، أو مستنبت الزرع في المهمه القفر

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار !!

فهمية عزمي

صورة من المجتمع الجزائري

إني أرى في المنام !

للأستاذ محمد سعيد الزاهري

عضو جمعية العلماء الجزائريين

خرج من السوق خائباً مكتئباً ، ملامحه عليها غبرة ترهقها قترة ، تدل على ما يأكل نفسه من الهم القاتل ، والحزن العميق ، يحمل في إحدى يديه « قفة » فارغة لا شيء فيها ، وفي الأخرى « سبحة » غليظة جداً ، وهو يقول بصوت واضح مسموع : « هذا ما يريد لي فلان ، وهذا ما يريد لي فلان ... » وذكر ناساً بأسمائهم من رجال الاصلاح الاسلامي في الجزائر ، ومضى يردد ما يقول الى مسافة بعيدة من السوق

هو « شيخ » لاحدى الطرق الصوفية في هذه البلاد . قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً ، تراه فترى وجهاً كالحاً مسنوناً ، ولحية قذرة صفراء كأن دخاناً كثيفاً لا يزال يتعهدها ويغشاها من حين الى حين . كان يمتنق طريقة صوفية ، فلما لم يجد فيها معاشاً تحول عنها الى طريقة أخرى يعيش فيها حبولة على أحبابها ومعتنقيها ، فلا يدع وليمة ولا جنازة لأحدهم إلا هرول اليها متعرضاً لما قد يكون فيها من صدقات أو نفحات . ولقد مرد على هذا الأسلوب من التكسب فأتقنه وتفنن فيه ، فهو يبث العيون والأرصاد يتنسمون له أخبار الأفراح والأتراح ، ويرسل في المدائن حاشرين يأتونه بالزوار والمريدين يرجون مغفرته ويلتمسون منه البركة والخير ! ويرتكب هؤلاء الدعاة الذين يدعون الناس اليه ضروباً من الترغيب والترهيب ، فينحلونه المناقب والصالحات ، والخوارق والمعجزات ! فيزعمون « أن من يطيع الشيخ فقد أطاع الله » وأن الرسول (ص) لا يفارق الشيخ طرفة عين ، وأن من اتبع الشيخ فجزاؤهم عند ربهم جنات عدن يدخلونها ، وأن من خالفه مأواهم النار وبئس المصير

وقفوا ذات يوم على فاكهي وقالوا له : إن شيخنا يقرئك السلام ويقول لك يا بني إني أرى في المنام كأنك تتخبط في ضحضاح من النار وأنت تستغيث فلا تغاث حتى استغثت بي ، وذكرتني باسمي فأخذت بيدك ، وانقذتك من الهلاك . وتعبير هذه الرؤيا هو أنك رجل قد غرق في ذنوبه وخطاياه ، ولا خلاص لك إلا بأيدينا ... ثم لا يزال هؤلاء بالرجل يزينون اليه الشيخ ، ويحثون على زيارته ، حتى يقع في الفخ ، ويزور الشيخ ويأخذ عنه « الوسيلة » . وهنا يصير مريداً ممن يرزقون الشيخ ، ويؤدون اليه كل ما هو في حاجة اليه من طعام وشراب ومن نقود ومتاع

ولقد مد الشيخ أحبولته مرة أخرى فاصطاد رجلاً مخلصاً بسيطاً ، طيب القلب . يقال له « علال » ، وكان هذا عاملاً مجداً يدر عليه عمله كسباً وفيراً ، وخيراً كثيراً . وكان سمحاً كريماً ، فكان يرزق الشيخ ويقوت عيال الشيخ ، ويجزل له العطايا والهبات . فلم يكن يشتري لنفسه شيئاً إلا اشترى مثله للشيخ ، ولا قضى لنفسه حاجة إلا قضى للشيخ حاجة مثلها ، فان اشترى لنفسه رطلاً من البن أو العنب اشترى للشيخ من

ذلك رطلا أو رطلين اثنين ، أو فصل لنفسه عباءة فصل للشيخ عباءة أحسن منها وأغلى وهلم جرا

واتفق أن صاحباً لعلال قدم من الحج فأهدى إليه عمامة حجازية من الحرير الغالى ، فأهداها بدوره إلى شيخه ، وأن صاحباً له آخر قدم من فاس فأهدى اليه « جلابة » من القماش الرفيع الذى يلائم مرح الشباب ، ولا يصلح للشيخ الفانى ، وأراد الرجل أن يرتديها فتذكر الشيخ فاشترى له « جلابة » تناسب الشيخوخة ووقارها بقيمة تفوق قيمة « جلابته » الأولى ، وارتداها فى يوم جمعة ، وما هى إلا أن رآها الشيخ عليه حتى أرسل إليه من يحثونه على أن يهديها إليه ، فانتزعها لفوره من على ظهره ووهبه إياها ، فأرسل الشيخ بالعمامة و « الجلابة » إلى السوق فباعهما ببعض ثمنهما ؛ وشهد « علال » صفقة البيع ، وظن أنهما سرقتا من الشيخ فسأل الدلال عنهما فأخبره بالواقع ، فكبر عليه أن تباع « هديته » وهو يسمع ويرى ، فاشتراهما للمرة الثانية ، وجعل يحدث نفسه ويقول :

ترى أبلغ من هوانى على الشيخ أن يبيع ما أهديه إليه ؟ وما هو مصير « هداياى » الأخرى ؟ أم بلغ من هوان الشيخ على نفسه أن يتاجر بما يهدى إليه الناس ؟ وعلى أية حال فأنا لا أرضى لنفسى هذا المصير . وأحس الشيخ أن الرجل قد بدا يتنكر له ويجفوه ، فخشى أن يفلت من يديه ، ويولى عنه مدبراً . فعزم فى نفسه أمراً ، وعزم أن يلعب آخر دور فى الرواية ، وكان يعلم أن عقيلة علال تملك حلياً ومصوغاً ومبلغاً من المال ، فدبر للاستيلاء على ذلك حيلة من عمل الشيطان ، فبلغ بها ما أراد . وذلك بأن أرسل إليها نساء ماكرات من اللائى قد أعدهن لمثل هذا الأمر ، فقلن لها : إن سيدنا يقرئك السلام ، ويقول لك يا بنيتى إنى أرى فى المنام أنك كنت مضطجعة نائمة ، فجاءت امرأة أخرى فاختطفت منك غطاءك الذى يغطيك وكان من الحرير الأبيض بياض الثلج ، فوثبت أنت من سريرك فزعة مذعورة تستغيثين وتملئين الدنيا ولولة وصياحاً : « غطائى ! سترى ! غطائى ! سترى ! » فاجتمع عليك خلق كثير ، فكان اجتماعهم هذا ضغثاً على إبالة ، وزاد فى مصابك ولوعتك أن أحداً منهم لم يتقدم لاغاثتك ، حتى جئت أنا وانتزعت من الناصية غطاءك ورددته عليك . ثم قلن لها إن تعبير هذه الرؤيا هو أن امرأة أخرى ستأخذ منك زوجك ولا يرده عليك سوى سيدنا ، وهو يستطيع أن يدفع عنك هذا البلاء سلفاً من الآن ، بشرط أن تدفعى إليه ثلاثة آلاف فرنك مقدماً . فرجعت السيدة إلى نفسها تبحث حياتها الزوجية فلم تعثر على أدنى شىء ينبئ بصدق هذه الرؤيا فلم تطاوعها نفسها أن تتهم زوجها ظلماً بغير حق أو أن تظن به الظنون ، وهى ما علمت عليه من سوء . فلم تكترث لهذه الرؤيا ، وقالت إنها أضغاث أحلام . ولكن الشيخ كان جاداً غير هازل ، فدس إلى فتاة من الفتيات اللائى ينتمين إليه من أوهمها أن الشيخ قد دعا الله لها أن يرزقها زوجاً كريماً ، وأن الله قد استجاب له فيها ، وقال : إنى أرى فى المنام أن فلانة قد زُفت إلى علال فى احتفال رائع مهيب . وكانت هذه من الآنسات المانسات ، ففرحت وأعطت الشيخ من العطاء الجزيل ما أرضاه ، وجعلت منذ ذلك اليوم تعرض لعلال ، وتبدى له من زينتها تفتنه وتغريه حتى وقعت من نفسه ، ومال إليها ، وشرع الشيخ يمهد لها الطريق ، فدس إلى علال من يهدمون عليه أسرته الهانئة السعيدة ، ويعاونون معه بما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هى إلا أن وقع بين الزوجين خلاف بسيط حتى أخرج علال أم ولده من دارها وأطلق سراحها . وسرعان ما التف به أعوان الشيخ وأحكموا الصلة بينه وبين الفتاة المانسة ، وعقدوا له عليها من ليلته عقدة النكاح

وأتى على المطلقة حين من الدهر تجرعت فيه طعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ، وذاقت من مصائب الدهر وأرزائه ما لا يعلمه إلا الله ، فلقد خسرت زوجها على حين غفلة ، وهى أشد ما تكون حباً له واطمئناناً اليه ، واخلاصاً له وحدباً عليه . وهى تخشى أن ينتزع وحيدها من بين أحضانها ، وهى لا تطيق أن تتحطم سعادتها وهناءتها ليتم هناء عدوتها ؛ ولقد فكرت فى الانتحار ، وهمت به مراراً لولا إبقاؤها على وحيدها ، ولكنها التجأت أخيراً إلى الشيخ مذعنة طائعة ، قد أسلمت له وجهها ، وفوضت اليه أمرها ، ترجوه أن يعيد اليها زوجها ، وله بعد ذلك ما يشاء ويختار ، فرفع القيمة هذه المرة ، وجعلها عشرة آلاف فرنك تدفعها اليه نقداً . وبعد توسلات ومساومات

رَضِيَ فتسلمَ منها خمسة آلاف نقدته إياها ، وباعت فيها بعض ماتملك من حلى ومصوغ . وقعدت فى دارها تنتظر النتيجة على أحر من الجمر

وطفق الشيخ يتودد إلى « علال » ويلاطفه حتى نسى الماضى القديم ، وأحلّه من نفسه محلّ الثقة والرضى . وما استيقن الشيخُ ذلك من الرجل حتى قال له ذات يوم — وهما على انفراد — : يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنك لستَ بخير فى أهلك هذه التى لم تنعم بكونها قضتْ زهرة أيامها عانسةً بائرة ، فقد حادت عن طريق الشرف والاستقامة من غير أن تحفظ لك غيباً أو تعترف لك بجميل . وأنما كما تعلم إذا رأيتُ الرؤيا جاءت كفَلَق الصبح . وكان الشيخ قد أوعز إلى بعض أعوانه فأخبروا علالا بأن عِرْضه أصبح مضغة فى الأفواه ، تلوكه ألسنةُ السوء ، وأن النساء فى الحمامات وفى الولائم والمناحات يسلقْنَ أهله بألسنة حِداد . فما كذب الرجل فيما سمع ، وأسرع إلى « خيْرةَ » ففك عصمتها وأعلنها بطلاقها ، وهى ما تزال بعدُ عروساً فى خدرها ، ولم ينصل خضابها . وغدا عليه الشيخ فى وجوه من أعوانه وشركائه «يتوسل اليه» أن يراجع زوجته الأولى ، ويقول له : يابنى إنى أرى فى المنام أن جبريل عليه السلام قد زوّجكها من فوق السموات العلى ، فأذعن الرجل ، ولم يكد ينقضى يومه ذاك حتى كانت قد جُليَتْ عليه مرة أخرى

لقد اطمأنت « خيرةُ » إلى الأيام ، وحسبت أن زواجها هذا قد جعل حداً لوحدتها وشقائها ، وظنت أنها بهذا الزواج مقبلة على حياة منزلية هانئة سعيدة لا حُزْنَ فيها ولا عناء فاذا بها تتاقى هذه الصدمة العنيفة القاسية الأليمة التى لا رحمة فيها ، فتملأ نفسها حيرة واضطراباً ، وتعاوُها ظلمة ويأساً ، فلم تطق الصبر ولا الاحتمال ، فتحنق وتثور انتقاماً لنفسها ، فاذا هى تنتقم من نفسها ، وقد ضلت السبيل ، واندفعت فى التى وسقطت فى الهوة التى لا قرار لها

وأراد الشيخ أن يحج إلى بيت الله الحرام لا إيماناً واحتساباً لأنه ممن يزعمون أن زيارة الضريح الفلانى تعدل عند الله ثواب حجة وعمرة معاً ؛ ولكنه يريد التكسب والارتزاق ، فطاف على الناس يستعينهم على الحج ، فيزعم لهذا أنه سيدعو له الله تعالى عند البيت الحرام ، ويزعم للآخر أنه سيستغفر له عند مقام ابراهيم ، ويتناول على ذلك أجره سلفاً . أما الذين يستلمُ منهم سلفاً أثمان « الأردية » و « العمائم » و « السبحات » وما إلى ذلك مما سيحمله لهم معه من الحجاز فهم كثيرون جداً ، لا يكاد يأخذهم إحصاء . وانتهى به المطاف إلى ضحيته « خيرة » فدخل عليها وهى فى منزلها ، وقد أثرَتْ من حياتها الجديدة الماجنة وأصبحت ذات مال تخجلت لمرآه وأدركها الحياء ، غير أنه أخذ يزين لها ما هى فيه ، ويزعم لها أن الله قد غفرلها جميع ما اكتسبت من الخطيئة والأثم . وقال لها : يا بنيتى إنى أرى فى المنام أن سيد الوجود (ص) يقول لكِ : طوفى بالبيت العتيق وزورى قبرى تخرجى من ذنوبك كيوم ولدتْكِ أمك ، فان لم تستطيعى إلى الحج سبيلاً ، فليحُجّ عنك هذا الرجل الصالح (يعنى الشيخ نفسه) . ولم يزل بها حتى آمنت له ، ودفعت إليه سائر النفقات ليحج عنها . فلما آب جاءها يبعض الهدايا مكتوباً عليها : « إلى الحاجة خيْرة » !

كان الناس فى بحبوحة من اليسْر والرخاء تملأ أيديهم الدراهم والدنانير فكان الشيخ فى نعيم وعيش رخيم ، يأتيه رزقه رغداً من كلّ مكان : هذا يعطيه رطلاً من اللحم ويجعله له راتباً يومياً ، وذاك يعطيه شيئاً من الخضر والفواكه ، ويجعله له عطاء غير مجذوذ ، وذلك يُهدى اليه قنطاراً من السميذ ، ويجعلها له جراية شهرية وهكذا الخ الخ ، فكان إذا دخل السوق خرج منها و« قفته » ملآى ـ مجاناً ـ بكل ما هو فى حاجة اليه . فلما أعسر الناسُ ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم من شدة ما يعانون من ضنك وضيق نضبت موارد الشيخ ، وانقطعت عنه الرواتب والعطايا ، ولم يعد يملأ « قفته » بالمجان ، ولم يعد يلتمس لنفسه صدقة جارية عند أحد الباعة إلاّ وجدها قد بطلت . وقطعت الأزْمَة دابرَها ، فالأزمة إذن هى السبب الأول فى مُصاب هذا الشيخ ، وزملائه من الأشياخ ، فان كان لا بُدّ لهم أن يلوموا فليلوموا هذه الأزمة الخانقةَ ، وليلوموا بعدها هذه اليَقْظة الشاملة التى شملت الدنيا كلها ، ثم يأتى بعد ذلك دَوْر هؤلاء المصلحين

(وهران) محمد السعيد الزاهرى

الحياة الأدبية فى الحجاز

بقلم عبد المجيد شبكشى

كان الأدب العربى مثال الكمال والروعة والازدهار والانتشار فى دولة الأمويين وفى صدر الدولة العباسية . وكان نصيب الحجاز من هذا الازدهار طيباً مرموقا ، واقتضى خلوه من الأحداث السياسيه أن يحيا مغموراً حتى تجرد من العلم والثقافة وصفر من من الرجال الممتازين ، وعملت الهجرة على محو مقوماته ومميزاته

ثم بدرت بادرة من بوادر النهوض ونسمة من نسمات الحياة بعد فنفخت فى الحجاز روح اليقظة الفكرية فأخذ يسترجع ماضيه بفضل جهود البعض من أبنائه المخلصين الذين جرى فى عروقهم الدم الحجازى الحر فتأثروا لتدهوره تأثراً قوياً جعل قلوبهم تتقطع أسفاً وحزناً على الماضى العزيز الذى ذهب هباء منثوراً وغرق الحجاز بعده فى الجهالة وأضاع تراثه المجيد

مرت اليقظة فى أفكار بعض شباب الحجاز وأحسوا بالواجب الوطنى وتنبهوا إلى فضل الأدب فى نهضات الشعوب فتأسست لجان للاجتماع ، ونواد للأدب حيث قاموا فمثلوا حركة أدبية لا تشوبها شائبة بالنسبة إلى تلك الحالة وبالنسبة أيضاً لعدم وجود مؤهلات كافية لدرس الأدب ، حتى المدارس كانت إذ ذاك بسيطة جداً يتخرج منها التلميذ وهو لا يعرف من مواضيع الحياة شيئا

ثم جاء دور التكوين للنهضة الفكرية وكان ذلك قبل عشرة أعوام تقريباً نظم فى خلالها أدباء الحجاز الشعر وكتبوا النثر ونشروا نماذج منه وأعلنوا عن أفكارهم وسجلوا آراءهم ، فشعر الحجاز حينذاك بدبيب الحياة يتمشى فيه ، وأحس بجمال الأدب والفن معاً ، وحينذاك قام أحد أدباء الحجاز البارزين[1] وأصدر كتاباً أدبياً يضم بين دفتيه مختارات لأدباء الحجاز فأثبت للأمة أن هناك أدباً راقياً يدعى الأدب الحجازى . وقد تجد فى هذه المجموعة روح الحجاز الأدبية ممثلة من حيث صحة النزعة وبساطة التفكير وجماله ، فكان عمل هذا الأديب بشير يقظة فكرية منظمة ،

وقد كان الأدب الحجازى فى ذلك العهد بسيطاً شأن كل شىء فى بدايته . ولكن الأفكار كانت سائرة مع الحياة متأثرة باتجاهها فلم يمض وقت طويل حتى نضجت تلك الأفكار ، وازدهر الأدب بعض الازدهار ، ولولا ما نشأ بعد من عوائق شتى وقفت بالحركة الفكرية بعض الشىء لاضطرد تقدمها . ونستطيع أن نقول بحق إن الموفقين من شباب الحجاز فى الناحية الأدبية قليلو العدد جداً ، والكتاب البارزين فى الحجاز لا يزيدون على عشرة ، ولكن أقلامهم الممتازة هى التى صورت مبلغ تأثر الحجاز باليقظة الفكرية ومدى إدراكه . أما قراء الأدب فكثيرون وهم ممن أنجبتهم المدارس الحالية ، وهؤلاء بلا شك يرجى لهم مستقبل طيب مرموق

والحجاز اليوم بفضل الله ثم بفضل جهود أبنائه المخلصين متقدم بخطوات واسعة الى الامام ، وميال الى احتذاء أدب مصر ونزعاتها الفكرية ، ولا غرابة إذا شابه البعض من أدباء الحجاز بعض أدباء مصر فى روحهم الأدبية وسار يكد ويجتهد فى الحصول على ما يريده فوق ذلك من المثل الأعلى حتى يدرك المرمى الذى يقصده !

والأدب الحجازى اليوم رمز لما فى أفئدة الحجازيين من عواطف واحساس وحب وولاء ، ولما فى نفوسهم من شعور وكرم أخلاق ، ولما فى ضمائرهم من مبدأ واستقامة وغرام عميق بالحرية . وتختلف الأوساط الأدبية اليوم باختلاف قوتها ومداركها وتطورها وتجددها وعما يستتبعه هذا الاختلاف من تأثر بأساليب النقد البرىء والتأمل الممتع والبحث الناضج ، أو النقد المتهافت والنظرات الجوفاء والبحث الضعيف الخ ، وهذا الاختلاف يعطينا صورة واضحة للتطور والتجدد فى الأفكار تتحد مع نواميس الكون فى نشوئه وتطوره . وليس غريباً على الحجاز أو الحجازيين أن يتأثروا بمؤثرات هذا العصر الحديث وفنونه ونزعاته ، وأن تكون حياتهم ميالة الى اقتباس أساليب جديدة فى الحياة والأدب ، فان ذلك من بوادر النجاح وأسبابه ، وهو دليل اليقظة ، ونؤمل أن ينال الحجاز نصيبه من التقدم والشهرة والحرية التى هى من مبادىء الحياة الصحيحة فى هذا العصر . على أن هذا الروح الأدبى السامى المتمثل اليوم فى

(١) هو الأستاذ محمد سرور الصبان مدير إدارة وزارة المالية

صورة من الحياة العلمية فى مصر

٤ – تقى الدين السبكى

بقلم محمد طه الحاجرى

تتمة

ولقد خلفت له هذه الولايات متاعب غير قليلة ، وأثارت عليه دفائن من الحقد وسخائم القلوب ، فقد نقم عليه ولايته قضاء الشام قوم من أهلها كانوا يطمعون فيها ؛ وأخص هؤلاء أسرة جلال الدين القزوينى قاضى قضاة الشام من قبل ، وطبيعى أن يأخذ ذلك الحقد سبيله من السعاية والوشاية والتحريض عليه والتنفير منه ؛ ثم كانت ولايته لخطابة الجامع الأموى مما زاد الأمر ضغثاً على إبالة ؛ فقد كانت تلك الخطابة فى بيت القزوينى كذلك ، ويقول زين الدين عمر بن الوردى فى تاريخه : « لما توفى الخطيب بدر الدين محمد بن القاضى جلال الدين القزوينى خطيب دمشق تولى السبكى الخطابة ، وجرى بينه وبين تاج الدين عبد الرحيم أخى الخطيب المتوفى وقائع ، وفى آخر الأمر تعصبت الدماشقة مع تاج الدين ، فاستمر خطيبا » . وكذلك أغضبت ولايته مشيخة دار الحديث الأشرفية قوما من أهل الشام كانوا يرشحون لها شمس الدين بن النقيب ، ولقد سيقت اليه هذه الولاية وهو كاره ، إذ كان قد رأى أن الذهبى هو الأحق بها ، وقد عينه لها ، لولا سلطان الشهوات كما سنرى ذلك

هذا وجه من وجوه الحالة فى الشام ، وقبيل مما كان يسبب له المتاعب والآلام ؛ وهناك وجه آخر يتعلق بما أشرنا اليه من قبل عما أوجده مذهب ابن تيمية من تفريق وخروج على المذهب الرسمى السائد

وقد رأينا أن اختياره كان منظورا فيه إلى تلك الحالة من السلطان ، ونقول الآن إن القوم فى دمشق كانوا يرون فيه ذلك أيضا ، وكانوا يأملون أن يخلصهم من آثار « الحنابلة » وما أثاره زعيمهم القوى الجديد ؛ ولعل المطامع الشخصية حسبت فى ذلك سلما يمكن أن ترتقيه وتصل به إلى أغراضها فى مظهر دينى سابغ ؛ ولكن تقى الدين كان أحكم من أن ينخدع بمثل هذا ، كما كان أكبر من أن يخلط فى تقدير الأمور ؛ فأغضب الطامعين ولم يرض جماعة المتشددين المتكلفين

وهنا يحسن بنا أن ننقل نص ما حكاه التاج السبكى عن أبيه فى أثناء ترجمته للحافظ أبى الحجاج المزى ، ففيه صورة دقيقة حية لما نحن بصدده ، قال :

« . . . . وحكى لى ، فيما يحكيه من تسكين فتن أهل الشام ، أنه عقب دخوله دمشق بليلة واحدة حضر اليه الشيخ صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكى — وكان الشيخ الامام يحبه — قال دخل الى وقت العشاء الآخرة ، وقال أمورا يريد بها تعريفى بأهل دمشق ، قال : فذكر لى البرزالى وملازمته لى ، ثم انتهى الى المزى فقال : وينبغى لك عزله عن مدرسة دار الحديث الأشرفية ، قال الشيخ الامام : فاقشعر جلدى ، وغاب فكرى ، وقلت فى نفسى : هذا امام المحدثين ! والله لو عاش الدارقطنى لاستحيا أن يدرس مكانه ! قال : وسكت ، ثم منعت الناس من الدخول على ليلا ، فقلت هذه بلدة كثيرة الفتن ؛ فقلت أنا للشيخ الامام : إن صدر الدين المالكى لا ينكر رتبة المزى فى الحديث ، ولكن كأنه لاحظ ما هو شرط واقفها من أن شيخها لا بد أن يكون أشعرى العقيدة ، والمزى وإن كان حين ولى كتب بخطه أنه أشعرى ، إلا أن الناس لا يصدقونه فى ذلك فقال : أعرف أن هذا هو الذى لاحظه صدر الدين ، ولكن من ذا الذى يتجاسر أن يقول : المزى لا يصلح لدار الحديث ؟ والله ركنى ! ما يحتمل هذا الكلام !

الحجاز حسب ما هو مشاهد وملموس هو بلا شك نأثر صحيح ومعقول ، وهو المأمول أيضاً لبلاد لها ماض أدبى حافل

وأدباؤنا يشعرون ويتأثرون بعوامل الحياة الفكرية ويجيدون التصرف فى فنون القول ويبدعون فى سبك العبارات ووضعها فى قالب من الحكمة والذوق ليحوزوا قصب السبق فى معترك الحياة الأدبية وليرفعوا اسم بلادهم عالياً ، وهذا ما يرجوه ويناصره كل أديب حجازى وهب موهبة الاحساس والشعور بالحياة وفرائضها — وليس ولله الحمد ثمة ركود ولا فتور فى النفوس والأفكار

(مكة) عبد الحميد شبكشى

فأنت ترى أن أول ما ووجه به السبكي في الشام هو الانكار على البرزالي والمزي وأضرابهما ، ممن يتهمون بالميل مع ابن تيمية وأن أول ما تقدم به اليه فقهاؤها هو « اعلان الحرب » على هؤلاء ، وموقف السبكي من هذا موقف نبيل مجيد ، فقد رأى الأمر فتنة لا ينبغي أن يفتتن فيها مع المفتونين ، فركن الى دينه وضميره ، وترك بنيات السبل ، ولم يعبأ بهذه الصغائر وما تنطوى عليه من انذار وتهديد ، ولبث مصاحبا للبرزالي ملازما له ، الى أن خرج إلى الحج وقضى نحبه ، ثم ما فتئ يذكره ويثنى عليه أطيب الثناء ، وأقر المزي في مكانه بدار الحديث الى أن مات سنة ٧٤٢ هـ ، وكان يكبره غاية الاكبار ، ويحث ابنه على ملازمته والانتفاع به ، لا يصرفه عن ذلك تقولات المتقولين ولا ازورار المزورين

ولما مات المزي كان ثمت مظهر آخر من مظاهر هذه الفتنة في تعيين خلف له ، فقد كان الذهبي هو وحده البقية الباقية من رجال الحديث الجديرين بتولى مشيخة « دار الحديث » ولكنه كان متهماً بممالأة الحنابلة شيعة ابن تيمية ، فمال عنه القوم لذلك ، ورشحوا شمس الدين بن النقيب ، ودعوا له ولجوا في الدعوة . أما السبكي – واليه حق التعيين – فلم يغلبه الهوى على الحق ، ولم تأخذه في سبيل العلم عصبية ، ولم يبال بصياح الصائحين ، فعين الذهبي في ذلك المنصب . وهنا اشتدت ثورة القوم وعلا صخبهم ، وهو مصر على رأيه حتى لم يبق بد من حضور نائب الشام وكان في ذلك الحين « الطنبغا » ، فلم يستطع التوفيق . وأخيراً رأى شيخ الحنفية أن تحل الأزمة بأن يتولى المشيخة السبكي نفسه ، ووافق الأمير على هذا الرأى وهو يقول : « أعلم الناس بهذا العلم الذهبي وقاضي القضاة ، وقاضي القضاة أشعرى قطعا ، وقطع الشك باليقين أولى . » وانتهى الأمر على ذلك بعد أن كاد يفضى إلى فتنة لا يعرف مداها

فموقف السبكي هذا من شيعة ابن تيمية وإغضاؤه عن العصبية المذهبية هذا الاغضاء وعدم مسايرته الأشاعرة في كل ما يشتهون أفسح المجال أمام المتخرصين ، ومكن الحقد من أن يجد سبيله معبدا بين جمهور الناس وفي مجالس الخاصة ، ولا سيما في مجالس الأمير نائب دمشق ، ففسدت الصلات بين الشيخ وبين أغلب الذين تولوا نيابة الشام ، وكثيراً ما قامت الحرب بينه وبينهم ، وما كان يطفئها إلا ما كان ولاة ذلك العهد معرضين له من العزل الوشيك أو القتل المفاجئ

على أن السبب الأول في توتر العلائق بينه وبين النواب يرجع – في حقيقة الأمر – إلى صلابته في الحق ، وصراحته في تقريره ، وتقديره لقدر منصبه ، واعتباره إياه حرماً لا ينبغي لأحد أن يتطاول اليه أو ينال منه ؛ فهو الحفيظ على الحق الذى جاء الشرع ببيانه ؛ فكل تفريط فيه ، أو تمريض له ، أو ملاينة في تنفيذه فانما مردها إلى هذا الشرع الذى يقدسه ، وحاشاه ! وكان الولاة من ناحية أخرى ، قوماً عجما ، ادعياء في الدين ، لا يتعدى إيمانهم مظاهرهم ، ولا يعرفون الحق إلا أمراً ينفذ ، وشهوة تقضى ، وعتواً واستكباراً في الأرض ، إلا قليلاً منهم . ثم كان يزيد اضطراماً ما كان يلقيه فيها من السعايات والنمائم من كانوا يداخلونهم من أهل الشام ، ومنهم بعض العلماء مثل شهاب الدين العمرى الذى كان يقع فيه في مجلس الأمير ايدغمش [1] ومما يدل على دسائس القوم عند الولاة أن أحد هؤلاء الأمراء ، واسمه فيما يورده صاحب الطبقات (طغره تمر) [2] كان فيما يقول من أصحب الناس له في مصر ، فلما جاء إلى الشام غيّره عليه الشاميون ، وأعانهم عليه امتناعه من امتثال أوامره

ولقد هم السبكي مرة أن يستقيل من منصبه ، وكان ذلك في ولاية ايدغمش سنة ٧٤٣ [3] ، وكان قد بلغ في معاندته وإيذائه مبلغا كبيرا . ولكنه يظهر أنه رأى في هذه الاستقالة تحقيقا لشهوته ، وتخليا عن واجبه ، فعدل عنها واستمر في مجاهدته . وأراد ايدغمش أن يتخلص منه ، وأن يلتجئ إلى دعوى الدين في محاربته ، فجعل يجمع الفقهاء للفتوى عليه — وما كانت تعوزهم مقدمات الافتاء — وكاد الأمر يتم للنائب لولا أن جاء « البريدى » الى الشيخ يطلبه الى باب السلطان في أمر من الأمور ، فذهب الى مصر ، وهناك أوجد أزمة غير هينة الحل ؛ فقد أصرّ على

(١) الأمير علاء الدين ايدغمش الناصرى ، وقد كتب المقريزى ترجمة لحياته عند كلامه عن خوخة إيدغمش (ج٢ — ص٣٥ — ط بولاق)

(٢) هكذا يقرأ اسمه في نسخة الطبقات المطبوعة ، ولعله طغز دمر كما يتردد كثيراً في ابن إياس والمقريزى ، وتولى نيابة دمشق سنة ٧٤٥ ومات أول جمادى الآخرة سنة ٧٤٦

(٣) هكذا يحدد التاريخ التاج السبكي ، وفيه نظر ، فان مدة نيابة ايدغمش ، كانت كما يقول المقريزى : من ٢٠ صفر سنة ٧٤٣ إلى ٣ جمادى الآخرة من هذه السنة

ألا يعود الى الشام وفيها ايدغمش ، وليس من اليسير عزل نائب من أجل قاض مهماعلت منزلته . ولكن القدر كان أسرع إلى حل هذا الأزمة وأقضى فيها من كل تدبير وقضاء ، فقدجاء الخبر بموت ايدغمش موت الفجاءة ، وعاد الشيخ الى دمشق يعيد سيرة الحق المجاهد الظافر

وممن آذاه واضجره نائب اسمه « أرغون شاه » ، تولى نيابة الشام سنة ٧٤٨ ، ويروى أن الشيخ كان يمسك بطرزه ويقول له : « يا أمير : أنا أموت وأنت تموت ! » وتأمل أنت في هذا قوة الايمان والجرأة في الحق . وقد ظل ذلك الرجل في نيابة الشام سنتين ثم قتل

كان آخر هؤلاء النواب أرغون الكاملي (١) ، وكان رجلا فظا غليظ القلب . وقد حكى تاج الدين أن أباه « حكم مرة في واقعة جرت وصمم فيها ، وعانده أرغون الكاملي نائب الشام وكاد الأمر يطلخمّ شاما ومصر ، فقد ذكر القاضي صلاح الدين الصفدي أنه عبر اليه وقال : يا مولانا ! لقد أعذرت ، ووفيت ما عليك ؛ وهؤلاء مايعملون الحق ؛ فلم تلق بنفسك الى التهلكة وتماديهم ؟ فتأمل ملياً ثم قال :

فليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

ويا عجبا لتلك الشيخوخة التي لاتزيدها الأيام إلا صلابة وقوة ، وذلك الايمان الذي لا تزيده مظاهر القوة إلا غلبة واستعلاء

وهكذا كانت حياة تقي الدين السبكي في الشام : ملجأ للحق يلوذ به ويعتصم ، ومثالا للخلق القوي الذي لا يتثلم ، وآية من آيات الله على قوة الروح الانسانية متى خلصت من الرعونات والترهات فلا يغلبها غالب

ولقد كان الحنين الى الوطن يهز ذلك الشيخ هزا ، فذهب الى مصر ، وخلع عليه سلطانها ، ثم عاد منها الى دمشق سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م)

وفي ذي القعدة سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤) نال منه الضعف وأدركه المرض ؛ ولما اشتد عليه استخلف على قضاء الشام ابنه تاج الدين ، فتقلده . وكان في أثناء مرضه شديد اللهف على العودة الى وطنه عظيم الحرص على أن يدركه فيها أجله ؛ فسافر الى مصر

(١) هو الأمير سيف الدين تولى نيابة دمشق في ١١ شعبان سنة ٧٥٢ وقد أورد المقريزي ترجمة لحياته بمناسبة كلامه عن دار أرغون (ج ٢ ص ٧٣ ط بولاق)

ولبث فيها أياماً يكابد العلة ، حتى أدركته الوفاة ليلة الاثنين ٣ جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ (١٠ سبتمبر سنة ١٣٥٤ م) وخلف ميراثا جليلا ضخما (١) مما صنفه في كثير من الفنون ، وميراثا آخر أجل وأضخم في ابنيه الملامتين : بهاء الدين وتاج الدين . ولعل الله يوفقنا لدراسة حياتيهما ، ورسم صورة لهما

محمد طه الحاجري

كلية الآداب

(١) قال ابن العماد في شذرات الذهب إنه « صنف نحو ١٥٠ كتابا مطولا ، ومختصر المختصر منها يشتمل على ما لا يوجد في غيره من تحرير وتدقيق وقاعدة واستنباط »

قرب الموتى

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يا روح إنك أليف الموت والحُفَر
قومى اسألى عن أليف الهم والسهرِ
أو فابعثى هاتفاً بالليل يؤنسنى
لو كان لِلمَيْتِ من شوق ومن ذِكَرِ

وحَلِّقى فوق قوم كنتِ زينتهم كالطير تهبط فوق الوكر فى الشجر
فإن نورك نور النجم يرشدنا ورحلة العيش تحكى رحلة السفر
أو كالملائك تهدى وهى خافية
وتُشعِرُ النفس طُهْراً ليس فى السِّيَرِ

عجز عن الشر لم أبصره فى نفر يا شر ما خَلَّفَ الأحباب من نفر
غرارة ربما لو عشتِ ما بقيت إذ أعداك الردى عن مهبط البشر
هل تلك طبع الصبا أودى الحياة به لا بل غرار فؤادٍ غير ذى نُكُر
فصانك الله فى أمن وفى كَنَفٍ وقُدْسِ طُهْرٍ كصون المرء للذُخُر
كأنما أنتِ ذُخْرٌ لا يجود به على الدُّنَى وهى من ضَيْرٍ ومن أشر
ما أقرب الميت من حى وإن بعدت مكانة بين هذا الوِرْدِ والصَّدَرِ
إن الأولى خلفونا بعدهم ومضوا ما خلفونا وإن غابوا عن النظر
هم فى الأمانىّ والأرواح والذِكَرِ منا وفى القلب والأشجان والفِكَر
فكيف نجزع من فقدٍ وما انتقلوا إلا إلى النفس حرزا رَيْمِ مِن غِيَرِ
يا قرب دارهمُ من واصل لهمُ بالنفس إن لم يكن بالعين والأثر
ووحشة النفس من حىٍّ يغايرها أشد من وحشة فى السمع والبصر
من حاضرين وإن ماتوا وإن بعدوا
وإن غدوا كحديث الركب والسمر
ورب ذكرى تعيد المَيْتَ فى شبح يكاد يُلمَسُ لولا رادع الحذر
ماض من الدهر والأقوام يخبرنا أن لا مسافة بين المهد والحُفَر

عبد الرحمن شكرى

زهرتى المختارة

بقلم الياس قنصل

يازهرتى العاطرة الناضرهْ هل شوَّهتْ كفُّ البلى حسنَكِ؟
جنتكِ فى الليل يدٌ جائره لو أنها تمثلتْ حزنكِ
لفرقتى ، ما سبَّبتْ بينَكِ

يا زهرتى جمالكِ المبدعُ لتبدعى البهجةَ فى روضتى
ورصَّعتْ ذاك البها أدمعُ من الندى الباكى بلا مقلةِ
لتسكبى العزاء فى مهجتى

يازهرتى عنكِ سينأى الفتونْ وقد نأيت عن حمى الشاعر
وبعد أن كنتِ مقرَّ العيونْ ستستحين من فتى ناظر
يعرضُ عن جمالك الفاترِ

أما أنا يا زهرتى ، فالأسى أنشبَ فى جوانحى مخلبَهْ
أبعدكِ الدهرُ وقلبى احتسى من المرار أكؤساً مصئبَهْ
أربتْ على أناته المرعبَهْ

يازهرتى كيف أعزى الزهور إذا رأين عرشك الخاويا
تطوف حوله بقايا العبيرْ هامسة : ولىّ القضا نائيا
بها ، وغادر السنا باكيا ...

والطيرُ إن تسألْ ، فماذا يكون لها جوابى عند تغريدها
كم رفرفت فوقك بين الغصون وأسمعتكِ من أناشيدها
نجوى ، جلالها بترديدها

يازهــرتى ليهنأ السارقُ بما حبته روضتى من أريجْ
وليفتتن نضرتكِ الرامقُ وليسكر النفسَ بحسن بهيج
ففى ثناياكِ بهاه يموجْ

يا زهرتى كذا أرادَ القضاءْ بحكمه ، فحزننا لا يفيدْ
ويأسنا يبعدُ عنا العزاءْ ويجعل العيشَ بهذا الوجودْ
حشرجةً ، فيها العناء الشديدْ...

(عاصمة الأرجنتين) **الياس قنصل**

الليلة الثانية عشرة

Twelfth Night

— ٢ —

المشهد الثانى : على ساحل البحر

« تظهر ڤيولا والقبطان والبحارة »

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

ڤيولا : أىّ بلادهذه ؟ رفقتى !

القبطان : إيليريا !

أخى بِالّيسيومُ !

بجنة يخلـــد سكانها ويكمل الأنس بها والنعيم

مالى و إيليريا !.. مَهٍ !.. علّه مثلى نجا ؛ هل مستحيلاً أروم ؟

مُعجزةٌ للحظّ أن تسلمى ! بمثلها الحظ لصِنوى كريم !

ڤيولا :

القبطان :

صدقتِ ياسيدتى ، إننى أعضُد رَجْواكِ ، وربى عليم

لما طغى الماء على فلكنا وزاغ منكم عن حِجاه الحليم

وَأَدْئِمَ الزورقَ حتى لقد كاد من الكظّة ألا يعوم[1]

رأيته يسبح فى لجــةٍ تهوى به حيناً وحينا تقوم

رجاؤه شدّ بأعضـــاده وأنه ذاك الشـــجاع العزوم

فشـــد كفّيه إلى قائم فى البحر ضمّ الطفلِ صدر الرؤوم

كأنه (أريان) مستمسكا بظهر ذاكِ الحيوان المظيم

والهائجُ الحَنِق من حوله قد راضــه فهو ولىّ حميم !

راقبته ما اسطعتُ حتى اختفى عن ناظرى تحت ظلال الغيوم !

ڤيولا :

شكراً لما طَمْأَنْتَ ، علّ السما تجمع قلبين بقلب رحيم !

سلامتى أوحت — وأيّدتَ ما أوحته لى — أن ابن أمّى سليم

أتعرف هذى البلاد ؟

القبطان : أجل بلادىَ أعرفها جيّـــدا

ثلاثٌ من السّاع تكفى لتو صِلَنا منشأى ثمّ والمولدا

ڤيولا : ومن يَتّلى حكمها ؟

القبطان : سيّد زكا خُلقاً ، وسما محتدا

ڤيولا : وماذا اسمه ؟

القبطان : أُرسِنُو

ڤيولا : أُرسِنُو ؟ أبى كان سمّاه لى مُحْمِدًا[1]

وأعزبَ كان !

القبطان : وأعزبَ لَمْ يَزَلْ ؛ فقريباً تَوشّى الصّدى[2]

بإغرامِه بأوليڤيا الجميلة

ڤيولا : ما هى ؟

القبطان : عذراء مثل النــــدىَ !

أبوها شريف قضى منذ عامٍ وأوصى بها نجله الأوحدا

أخاها الحبيبَ إليها الذى به بعد ذلك ثنىّ الردى

فآلت أمّى لا ترى أو تما شِر مِن بعده رجلا أبدا (؟)

ڤيولا :

ويحهَا مِن مسكينة ! آه لو أخْ دمُها ! ربما أسرّى أساها

ربما أستطع أن أنصرَ الحبّ والتى بذوره فى رُباها

وأريها صوابَها فى هوى الدو ق ، وأنشى دنياه فى دنياها

ريثما تستقرّ حالى ، ويُدرَى مَنْ أنا

القبطان : خطةٌ مُحالا أراها

إنّها حرّمت على رُسُل الخطّا ب طرّاً أن يَقربوا من حِماها

لن ترى وجه طارق منهم قط ولا الدوق نفسه إنْ أتاها

ڤيولا :

لك ياسيدى شمائل غُرٌّ لا تراها عينٌ فلا تَهواها

غيّبت فيك باطناً من معانيـ ـها ، وحلّتك ظاهراً من حِلاها

لا تَلُمْ إن قلتُ : الطبيعة حابَتْ ـكَ ، وقل لى هل أنت ممن رَشاها ؟

ليس هذا من دأبها ؛ فهى تكسو حيّة الروض لينها وبَهاها

و إليك اطمأن قلبى ، وما أحـ ـسب نفسى تضِلُّ فيك هداها

كن عادى فى خطة ربّما تصـ ـعب ، لكن لاشك فى جدواها

(١) أدئم : أثقله

(١) أحمدت الرجل : رضيت فعله وتصرفه

(٢) يراد بالصدى الاشاعة وتوشى : انتشر

دراسات أدبية

فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٣ —

تألق نجم بيراندللو بعد النجاح العظيم الذى أحرزته روايته « المرحوم ماتياس باسكال » ، وكسفت شمسه أسماء الروائيين المعاصرين ، وبدأ النقدة يتحدثون عن فنه ويولونه اهتمامهم ، ثم اختير ليشغل كرسى أستاذ الأدب الايطالى بالجامعة وانتعشت حالته المالية بما أمكن أن يمحو من سجل حياته بعض المتاعب المادية ، وأن يسدل عليها ستار النسيان

ولكى نعطى صورة واضحة من حياة هذا الكاتب وارتباطها بفنه ، نقول إن التغلب على المتاعب المادية لم يكن كل شىء ، إذ هبت فى بيته عاصفة عكرت الجو مرة أخرى ، فأعصاب زوجته تحطمت ، ونوباتها العصبية تزداد بسبب غيرتها العمياء من تلميذات زوجها فى الجامعة ، وقد حاول بيراندللو كثيرا أن يزيل شكوكها وأوهامها ، فسمح لها بألا تمحيه من راتبه بالا بما يسمح له بابتياع سجائر أو أجر ترام ، غير أن هذه المحاولات فشلت ، وأخذ هذا الحيوان السام الذى يدعونه الغيرة يمتص من شبابها ودمها بعد أن قدم اليها أسلحة جديدة من الشكوك والأوهام ، ولم يكن لرأى زوجها أية قيمة عندها ولا أى تأثير فى نفسها . وعلى حين فجأة ذبل جمالها وانطفأ بريق عينيها ، وأصبحت تعتقد أنها مراقبة ومكروهة حتى من أولادها ، وأنهم جميعاً قد اتفقوا على أن يدسوا لها السم فى الدسم . ولما اشتد بها الداء فكر إخوتها فى ادخالها إحدى مصحات الأمراض العقلية

وكانت الحرب العظمى قد شبت واختير ابنه البكر ليخوض غمارها ، وفى غضون ذلك وقع أسيرا ، أما ابنه الأصغر فكانت تجرى له عملية جراحية باحدى مستشفيات روما حتى إذا اجتاز دور النقاهة أرسل فورا الى خطوط النار

وكانت ابنة بيراندللو تتأذى من سوء معاملة الأم لها ؛ ولما فقدت الأمل فى ازالة الشكوك نحوها حاولت الانتحار ، غير أنها نجت ، ففكرت فى الهرب ودخلت أحد الأديرة لتقضى بقية حياتها بين جدرانه

وكان ستيفانو — والد بيراندللو — قد وصل من صقلية ، بعد أن صمد دهرا فى وجه المصائب ، فمن موت زوجه ، إلى افلاس تجارته وضياع ثروته ، الى غير ذلك من الآلام والمتاعب التى انتهت بفقد بصره

ولما كان بيراندللو مشغولا فى خلال هذه الفترة بمصير ولديه اللذين ذهبا الى الحرب ، ومضطراً الى أن يقضى يومه بين زوجة مأفونة ، ووالد عاجز ضرير ، وابنـــة وضمنه بميسم العار ، كان لا بد من أن تخرج هذه الأشباح المعذبة التى تسكن ذهنه ، وأن يقدمها للناس فى ثوب درامى عنيف يجمع بين روح الواقع وبين الخيال

وهكذا غصت المقاعد فى مسرح سكالا بميلانو ليشهد الجمهور مسرحية بيراندللو الجديدة « ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف Sei persone alla ricerca d'un autore » التى ابتدع فيها فنا جديدا وعالما يموج بالصور والأشباح والشخصيات المجزأة

***

والواقع أن فترة المتاعب والآلام التى اجتازها هذا المؤلف

وسأجزيك ماتطيب به نفـ ... سك مما يناتى من جَنَاها
زُرْ بى الدوق فى كساء وصفٍ ... عارضاً خدمتى لكى يرضاها
فكأنى وقد تسربت كالما ... ء جرى بين نفسه و لِحاَها (١)
واصطفانى لنفسه ، وشكانى ... مطمئناً من همّهِ ماعَناها
وسرت فى أعماقها رُوحُ ألحا ... نى فهزَّت أوتارَ موسيقاها
واطَّبته فصاحتى كرَحول ... نحو اولِيڤيا يُذيب صفَاها
كنْ لِسرِّى قبرا ؛ وأترك حالى ... لليالى تختارُ لى عُقباها

القبطان :

نفِّذيها ؛ وفى قرارة نفسى الـ ... ـسر لن ينتهى إلى أدناها
إن أُحرِّك به لسانى فلا التذّ ... ت عيونى بنُورها وكَرَاها !

فيولا : لكَ شكرى ، هيَّابنا !

القبطان : ربِّ سَدِّدْ ... مِن خُطاهُ ! ولاأقول: خُطاها !

علي أحمد باكثير

(١) اللحاء قشر العود أو الشجر

الثائر فى كافة أطوار حياته هى التى دفعتــه إلى أن يقول بلسان إحدى بطلاته : « ليست الأعمال إلا حقائب خاوية تملؤها أذهاننا »

وهى التى أدت به إلى أن يكره العقل ، لا لأن العقل سجن ، بل لأنه صدفة فارغة لا تملؤها سوى الغريزة العمياء . فالحوادث مثلها مثل الأكياس لا يمكنها الوقوف وهى فارغة . كذلك إذا أريد أن يظل الحادث حياً فى الذاكرة ، منتصباً بين ظلال الوعى وجب أن يكون له معنى واضح وأن تستقصى الأسباب والبواعث التى أدت اليه

حتى نظريات بيراندللو ليست سوى إنذار بهدم المنطق وإفلاس العقل وتفوق الخيال على الحقيقة . وعنده أن للأرواح لغة خاصة تتفاهم بها ووسائل تدفعها من وقت لآخر للقيام بأعمال باهرة على حين أن الشخصيات المادية لا تتجاوز فى علاقاتها غير الحديث العادى

ومما يحملنا على الاعتقاد بأن نظريات بيراندللو البيسكولوجية لا تصل به إلى تفسير الناس ، أنه يلجأ شخصياً إلى هؤلاء الناس لتفسير ألغازه . ولولا روح المرح والفكاهة التى تخلع على مؤلفاته ظلاً هائماً ومسحة خاصة لتباعد بينها وبين مركز الألم لكان فنه الروائى هو الجحيم والانسانية المعذبة

لقد درس كل من إدجار ألن بو وستيفنسن نظرية ازدواج الشخصيــة وفوضاها فى الانسان . أما بيراندللو فهو يقسم الشخصية فى فنه الروائى إلى عشرة أو مائة أو ألف أو أكثر . فالفرد عنده مكون من شخصيات متناقضة كالحيوان الخرافى الذى تتحدث عنه أساطير الاغريق . وهو لا يعرف الأخلاق والعادات ولا يقدر الارادة أو الشهوة الغالبــة لأن جميع مشاعره قابلة للتحول والتغير والتأثر

على أن أهم ما يرتكز عليه فنه ظواهر التحليلات النفسـية وتعدد النازعات . فكل شىء فى نظره مرجعه إلى التفسير ، بل قد يجوز أن يتخذ شخص ما صورة معينـة فى نظر أحد محللى نفس الشخصية . وقد قال بيراندللو بلسان إحدى بطلاته فى روايته « شهوة الشرف » : « لاشك أن مدام أنيتا هى امرأة أخرى ، وليس هذا كل ما أقوله ، بل هى أخرى وأخرى وأخرى أيضاً ، بعدد الأشخاص الذين تعرفهم والذين يعرفونها »

وفى عام ١٩٢٢ ترك بيراندللو منصبه فى الجامعــة ليتفرغ للأدب والمسرح فوضع روايات : حصان فى القمر ، ومهزلة الموت والفخ ، وأنت تضحك ، وزوجها ، وهنرى الرابع . وسافر برفقة فرقة تمثيلية ألفها إلى عواصم أوربا ومدنها ، وبمرور الزمن تراكمت عليه الأعمال بسبب إخراج رواياته على مسارح باريس وبرلين ولندن ونيويورك وبونس ايرس وموسكو ، وكان لا بد من أن يسافر إلى جميع هذه العواصم ليشرف بنفسه على إخراج رواياته

يقول ادريانو تلجر فى كتاب نشره عن فن بيراندللو المسرحى Studi sul teatro contemporaneo انه لم يتأثر فى فنه بالمؤثرات اللاتينية بل يدل أدبه على أنه تأثر بأدب الشمال » . وليس ذلك بغريب من كتاب الجنوب واللاتين ، والكثيرون منهم أمثال دانتزيو وجوزيف جيا كوزا قد تأثروا الى مدى بعيد بأدب ابسن وطريقته فى تحليل المشكلات الاجتماعية . والواقع أن ابسن سبق أن أقام فترة طويلة فى ايطاليا وكان له الفضل الأكبر فى تكوين مدرسة روائية مسرحية تمت الى فنه بأقوى الصلات

أضف الى ذلك أن بيراندللو برع فى رسم مآسى الحياة وفواجع المجتمع براعة قلما أتيحت لكاتب يعاصره . وهو يتلاعب بألفاظه تلاعبا يخلع عليها وعلى أسلوبه مسحة تتفق ونظرياته الفلسفية فى الانسان والروح . وليست دراماته سوى سرد ماضيه وتصوير نفسيته ، فهو من هذه الناحية لا ينحت الخيال ولا يتكلف التصوير ، ولكنه ممن يروحون عن أنفسهم بهذه الزفرات الموجعة

على أن الشىء الوحيد الذى يوجهه نقدة المسرح فى أوربا الى فن بيراندللو يتلخص فى نقطة واحـدة ، هى أنه يجزىء شخصياته بما يؤدى الى هدم أساس الحياة والجنس البشرى ، فبعض الشخصيات التى يضعها وسط الخيال تؤدى إلى ضياع الفكرة التى ينشدها الفن المسرحى لاسيما وهو يعد الخيال حقيقة . لا خطأ . ولو اعتبرنا الخيال واقعيــاً لوجب علينا بطريق الاستنتاج أن نعتبر الخيال والواقع متساويين من حيث الحقيقة ، ومع كل فبيراندللو هو أكثر الكتاب الروائيين والمسرحيين انتاجاً على الرغم من عدم تحوله عن نظريته التى يخضع لها فى كل ما يكتب

(يتبع) محمد أمين حسونه



دراسة من اسخيلوس

٢ - المتضرعات

The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبه

— ٧ —

وصمت الأب دانوس ، وغمرت الفتيات موجة أثيرية من الفرح ، وتقدمن نحو الآلهة يصلين ويهزجن ، وينظمن الشكران عقودا من جمان دموعهن فيجعلنه قلائد على جيد آرجوس ، ويدعون للملك بالمجد ، ولمدينته الخالدة بالنصر والعز والتأييد

وما يكدن يفرغن من صلاتهن وانشادهن ، حتى يثب أبوهن الشيخ المتهالك وثبة قوية ... ويقف على شرف من حرم الآلهة المقدس ، ثم يرسل فى اليم المضطرب نظرات حائرة من عينيه الغائرتين ... كمن ينظر فى كتاب الغيب ! !

— يا الهول ! أصمتن يا فتيات . . . أصمتن ! إن الزمن يسوق اليكن أحداثه فوق أعراف الثبج ... أنظرن ! ؟ إنها تقترب منا رويدا رويدا ! واحربا يا بناتى البائسات ؟ ! سفينة مصرية لا ريب فى ذلك ! آه ! إنها من سفائن اللعين إيجبتوس ! لاشك ! لا شك ! ها هى ذى قلاعها وشراعها ! كابية كوجهه ، كاسفة كقلبه ... وى ! لقد طوى الملاحون الشراع ، وأعملوا سواعدهم فى المجاديف ! إنها ما تفتأ تقترب ! ولكن ! لا عليكن يا فتيات ! لا عليكن أبدا ! إن لكن من هؤلاء الآلهة ذادة ، وإن لكن منهم حماة أباة ! ويل لمن يستهزئ بأرباب الأولمب وأى ويل ؟ إن له لساعة تشيب من هولها النواصى ! لقد قدم الأوغاد يطلبونكن لتمة الوحوش الذين لا يخشون الآلهة ولا يرعون حدود السماء ... لا .. لن يكون هذا أبداً ... »

فترتعد فرائص الفتيات ، وتقول كبراهن :

— « أبتاه ! إنا لنذوب من فَرَق يا أبتاه ! يا للفزع الأكبر ! ماذا أفاد سفرنا الطويل ، وغربتنا النازحة ؟ لطالما انتعلنا الدماء ، وضربنا غوارب الماء لنكون بنجوة ، فأين النجاء ! أبتاه ! إنا نذوب من فرق ... »

— « لتطمئن قلوبكن يا بناتى ، فلقد صمم الأرجيف البواسل أن يحاربوا إلى آخر قطرة من دمائهم من أجل قضيتكن ... » إهدأن ! اهدأن فهذه الآلهة تحميكن ! »

— « وهل يصبر الأرجيف المترفون على شياطين ايجبتوس يا أبتاه ؟ انظر ! لقد جمعوا الهاذم من محاربى مصر .... فمن لنا ! من لنا ! ؟ »

— « إنكن لن تلبثن أن ترين الأبطال المقرنين فى الحديد ، المقنعين فى الزرد ، فلا تهلعن ! »

— « ولكن ... لتقف معنا يا أبتاه ! لا تتركنا ! فنحن أضعف من أن نشهد المعركة ! إن هؤلاء القادمين فى السفينة الغبراء وحوش يحملون قلوباً خرساء ... ولن يثنيهم أن يشهدوا هذه الآلهة ، إذهم ضوارى ليبيا ، لا يعرفون قرباناً ولا مذبحاً ولا شريعة ، ولا يرهبون آلهة ولا يوقرون أوثاناً ! »

(يهم دانوس أن يغادر بناته ، فتقول كبراهن :)

— « أبتاه ! الى أين ؟ لن تغادرنا ... لن تغادرنا يا أبتاه »

— « تلبثن يا فتيات ولا ترهبن شيئاً ! إنهم لا بد لهم من وقت طويل حتى ترسو سفينتهم ، وينزلوا الى البر ويربطوا أمراسها فى صخرة أو جذع . . . وقد لا يجدون مرفأ هنا فيقلعون الى مكان بعيد ... اهدأن ... لا تفزعن هكذا ! ماهذا الفرق ! تلبثن هنا حتى أعود بجيش الأرجيف أو بعدد من بيلاسجوس ! لقد وعد ! لقد وعد أن يحمينا ، وأيده الشعب كله فى ذلك ..... تلبثن ..... لا تفزعن ..... ولا تذهب قلوبكن شعاعا ! »

(يخرج دانوس)

— ٨ —

وتهلع الفتيات ويتفزعن ، ويتضرعن الى الآلهة أن تنقذهن من ذلك البلاء المنتظر ، ويرسلن أنشودة طويلة حزينة ...

والسفينة تقترب !

وهي كلما اقتربت وجفت نفوسهن ، وخفقت قلوبهن ، وتبلبلت أفكارهن ، وتعلقن بالدمى المرمرية التي ... تناجت حتى ما تحس ... وتحجرت حتى ما تمي ...

وغابت السفينة عن الأنظار فجأة .. ولكنها غابت لترسو .. وطفق الفتيات يهزجن ... ويصلين ... ويبكين ...

— ٩ —

(يدخل القائد المصري)

— « سو ... ش ... اصغين يا فتيات ! حذار ألا تطعن ! هلم الى سيف البحر ، فاركبن في السفينة معنا ! أسرعن ، لا تقاومن ، وإلا حملناكن بالقوة ! أسرعن ، وى ! أنتن لا تتحركن ! أسرعن يافتيات ! إن لم تسرعن فستحل بكن نقمة ! سنشدكن من شعوركن ونجركن على الرُّبى والأحجار حتى تدمى جسومكن ! الى البحر ... الى البحر ! »

(وينقض الجنود فيدفعون الفتيات فتقول كبراهن :)

— « ويل لكم أيها الضواري وويل لأميركم ! ليت هذا الخضم ابتلعكم قبل أن تصلوا إلى هنا ! »

— « أنصح لكم يا فتيات ألا تقاومن ! إنكن ضعيفات ، وللقوة أن تصنع ماتشاء بكن ! دعن هذه المجالس حول هذه الآلهة التي لابد أنها تسخر منكن ! ستحملكن السفينة إلى أوطانكن فالحذار من المقاومة ! »

— « كلا ! لن نعود إلى جنة الأرض وجحيم القلوب ! الفردوس الذي يفيض كل سنة دماً يصهر العاطفة ويحرق الضلوع ... ... »

— « وبعد ، إنني مرغم إذن على استعمال القوة المطلقة التي يخوليها الأمر الذي بيدي ! سأنتزعكن من مقاعدكن في هذا الحرم ! سنجركن من شعوركن وخموركن ، ونبحر بكن برغمكن ! »

— « أنت تهرف كأن عيون السماء مغمضة عنك ! كأنك إذا كنت وسط اللجة لم تخش شيئاً ! أيها الكافر بالآلهة ! »

— « ولولن ماشئتن ! إدعين آلهتكن ، وسنرى هل تهرع لعونتكن !! أبداً لن تهربن من يدى إيجيبتوس أبدا ! إنه كالهواء مدرككن أنى وجهتن ! فولولن واصخبن ! وأعولن وابكين تماستكن ! »

— « ثم ماذا ؟ زدنا من وقاحتك ياابن النيل ! بذاء ! أيها المسخ ! ياربيب التماسيح ! ليتها تطعمت بك ، أو خللت ثناياها بلحمك قبل أن تجيء إلى هنا ! »

— « سو ... ش ... كفى ! حسبكن صراخاً ! إن لم ترضخن ... فشعوركن تحكم بيننا وبينكن ! سنجركن منها إلى السفينة يافتيات ! »

(يهم الجند أن يجروهن !)

— « أبانا ! أين أنت ياأبانا ! الغوث الغوث ! هذه المناكب المتلاطمة ! يا أمنا الأرض ! يا أبانا زيوس ! عونك يا آلهة ! ياسيد الأولمب ! نحن حفيدات يو !! أدركنا ! إدفع عنا هذه الضواري ! »

— « عبثاً تستصرخن آلهتكن يافتيات ؟ هي ليست لنا بآلهة ! فنحن لا نرهبها ولا نخشاها ! إنها لم تنشئنا ، ولم تختلط بقلوبنا ... نحن لا نباليها ! »

(يجرها من شعورها)

— ويلك أيها اللئيم ! يا أفعوان النيل ذا الأنياب ! أغرب فلست أفعى مثلك أيها الأرقم ! الموز العوز ياسيد الأولمب ! زيوس يا إلهي ! أدركني أستلحامك بأمك ربة هذه الأرض ! »

— « أسرعن إلى السفينة إذن ! وإلا ! فستندك عظامكن فوق هذه الآطام ! أطعن يافتيات فهو خير لكن ! »

— « يا سادة آرجوس ! أدركنا ياأرجيف ! أيها الأوفياء ! »

— « بل سادة مصر ! أبناء إيجبتوس الكرماء ستلاقيهم وشيكا ياعذارى ! »

« يا ملك آرجوس الكريم ! الغوث ! لقد وعدتنا ! بيلاسجوس ! »

— « طالما تأبيتن ، فشعوركن تطيعنا ، وهي أطوع لنا منكن ! »

(يجرونهن على الحجارة بشدة فيدخل الملك)

— ١٠ —

— « وَىْ ! من أولاء ! من الجائسون خلال مملكة بيلاسجوس ، العائثون في جنبات آرجوس ، غير المبالين بحرم الأرباب ! من أنتم ياهؤلاء ؟ هل هانت عليكم آرجوس فأنتم

تأدكون في ساحاتها غير هيابين ! مالكم ولأولئك النسوة ! مالكم تحركون ألسنتكم بالفحش ، وتسلقونهن بالهُجْر ! ؟ إن هنالك لعدالة تحميهن أيها الحمق ! »

— « أى هجر وأى فحش ، ماذا صنعنا بهن ! »

يا للآلهة ! أنت أجنبي وقد نزلت بلاداً غير بلادك ، فكيف ضللت سبيل الحسنى ؟ ! »

— « أجل : ولكنني أجنبي قد عثر بضالته المنشودة ، ورجيته المفقودة

— « وأية قوة هنا تملك ، فتسندك ! »

— « أنا أحتكم إلى هرمز ، حامي الغرباء ! »

— هرمز ؟ ! أمرك عجب وحق هرمز ؟ لقد دنست حرم الآلهة جميعا ! »

— « بل أنا أدين للنيل ... حابي ! ... [1] وأعبد آلهة النيل ! »

— « إذن فلا اعتبار لآلهة آرجوس عندك ؟ »

— « اذا كان منها ما يحول بيني وبين ضالتي ... وإلا ... فسأمضي بصيدي »

— « ارفع يدك عن الفتيات ... والا ... فسرعان ما تندم ولات حين مندم »

— « كأني بك تشيع الكرم في عباراتك ! »

— « لا كرامة ولا بشاشة لمن دنس الحرم المقدس ! »

— « قل ما شئت ، فالجلة الأسراء من أبناء ايجبتوس ... آ ... أجل ... سأذكر لهم كل شيء »

— « لا يعنيني أن تنقل اليهم أى حديث عني ! »

— « عجبا ! وكيف ؟ إذن نبئني ماذا أقول له كرسول منه اليك ! يبدو لي أن مارس [2] وحده سيحكم بيننا وبينك ، وعندها ، يعرفنا أينا من يندم ولات حين مندم ! هؤلاء بنات عمهن ، وقد جئت من أجلهن ، فكيف أعود بدونهن ! لم نسمح للغضب أن يروى دماءنا ! يا للأرواح البريئة ! ثم . من أنت ؟ »

— « غداً تعرف من أنا ، أنت والعصبة من رفاقك ! ولكن ... لن نسمح لك أن يصطحبك أولئك الفتيات إلا إذا رضين عن ذلك ... فلن يذهبن معك برغمهن ... إن مملكتنا كلها تؤيدهن وتؤازر حقهن ، ولن تسلمهن لقوة مهما عتت أو لجبروت مهما طغى ! إن لنا لقانونا أقدس ، لم ينقش في صخر ، ولم يسطر في بردى ، فاسمعه من فمي ، واغرب من أمامي ! »

— « وي ! لقد ضمنت كلمتك اعلان الحرب علينا ! فمن لك برجال يضمنون لك النصر ؟ ! »

— « غدا يملأ الرجال السهل والجبل وشطئان هذا الخضم رجال ... مذاويد ... لم يدنسوا أفواههم بمجة الشعير ولا بنبيذ التمر ... أغرب يا أحمق ! » [1]

(ينسحب المصريون)

— ١١ —

« وأما أنتن يا عذارى فلا ترهبن شيئاً في الوجود ما دمتن معنا وبين ظهرانينا ! إن آرجوليس كلها ستحميكن وستكافح عنكن ، فهلم الى قلعتها العتيدة ، إن لكل منكن فيها حصناً أمنع من النجم ، وآمن من السماء ! فقَرْن في غرفاتكن ثمة ، فهي أخلق بكن ، وأطيب إلى نفوسكن ، وأروح عليكن ... على الرحب والسعة يا عذارى ! إني وشعبي نفتديكن ، فقرن عينا وطبن نفسا ... »

— « بوركت يا خدن الأرباب ، جزاك سيد الأولمب هنا خيرا ، وكتب لك ولمملكتك السلامة ، وجملك وجعلها بنجوة من غدرات الأيام ، وبدوات الزمان ! ... أيها الملك ! لقد غمرنا احسانك فنحن ندين لك بهذه الأرواح المفزعة ، والنفوس المروعة ، التي أذهبت عنها الشجو وجلوت ما بها من حزن ! أبانا أيها الملك ! إنه رجل شيخ حطمته الآلام ، وناءت على صدره الخطوب ... إيذن له يصحبنا الى منازلنا ، ويهيء لنا جوارنا ، ويتخير لنا أولياءنا ذلك أدنى الا يأسى أو يحزن ! (ويوجهن القول الى وصيفات الملك) أما أنتن أيها الوصيفات فرشّدننا إلى حيث يدلكن أبونا ... وابشرن ! فسيهب كلا منكن أَمَةً جزاء ما خدمتننا وسهرتن علينا »

— ١٢ —

(يدخل داناوس)

— « أحمدن الملك ، وصلين للآلهة يابناتي ! القرابين والضحيات الحمر ، إنا ندين للأراجيف البواسل بأرواحنا ما في ذلك من شك ، فقربن لآلهتهن القرابين ، وقدمن الضحيات ! الثناء لهذا الملك الكريم يا فتيات ، فلقد أنقذنا من الذبح ونجانا من الفضيحة ... حمداً له ، حمداً له وشكراً ! !

(1) إله النيل (2) إله الحرب

(1) هذا حديث يدل على ما كان لمصر من ذكر وصولة في هذا الزمان !!

البريد الأدبي

تاريخ جديد لليهود

تثير المسألة اليهودية اليوم كثيراً من الاهتمام، ولهذا يصدر اليوم كثير من الكتب التي تتعلق بالمسألة اليهودية أو تاريخ اليهود سواء بأقلام كتاب اليهودية أو غيرهم من الباحثين من مختلف الأمم. وقد صدر أخيراً تاريخ جديد لليهودية بقلم مؤرخ يهودي كبير هو الدكتور سيسيل روث C. Roth، وعنوانه « تاريخ اليهود »، ويقع الكتاب في مجلد واحد، ومع ذلك يقدم الينا صورة شاملة واضحة من تاريخ اليهودية منذ أقدم العصور إلى يومنا، وقد صدر من قبل كثير من التواريخ الجامعة عن اليهودية، مثل كتاب إيفالد وكتاب بيتر بير المؤرخين الألمانيين، وكتاب ميلمان المؤرخ الانكليزي، ولكن هذه المصنفات القوية الجامعة ينقصها اليوم طابع الجدة الذي يطبع الكتب المعاصرة، ذلك أن المسألة اليهودية قد جازت منذ منتصف القرن الماضي إلى يومنا أطوارا كثيرة هامة؛ وكتاب الدكتور روث يمتاز بهذا الطابع المحدث، والدكتور روث أستاذ موضوعه، فهو من أكابر مؤرخي اليهودية وكتابها، وقد كتب عدة مباحث عن تاريخ اليهودية في العصور الوسطى في السلسلة التي أصدرتها جامعة كامبردج عن تاريخ العصور الوسطى، وفي دائرة المعارف اليهودية؛ وكتب أيضاً تاريخ اليهود المتنصرين في اسبانيا وتاريخ اليهود في البندقية وعدة كتب ومباحث أخرى

ويقدم الينا الدكتور روث صورة واضحة جامعة من تاريخ الشعب اليهودي؛ ويوضح لنا كيف أن اليهودي خلق منذ أقدم العصور « جوالا » يضرب في الآفاق، وأنه يصح أن يسمى بحق « اليهودي التائه »؛ ويرى الدكتور روث أن اضطهاد اليهودية منذ تفرقها يتخذ في جميع العصور وفي جميع الأمم أشكالاً وضروباً متماثلة؛ ففي ظل الدول البربرية والنصرانية والاسلامية، وفي الشرق والغرب، نرى نفس الاجراءات والأساليب تتخذ لمطاردة اليهودية: القتل والتشريد والمصادرة، وإلى يومنا نرى نفس الصورة المروعة، وقد تزدهر اليهودية أحياناً في فترات قليلة نادرة ويتبوأ رجالها مناصب ممتازة في السياسة والمالية وفي العلوم والآداب، ولكن يد المطاردة لا تلبث أن تسحقها، ويحاول الدكتور روث أن يوضح لنا كيف أن اليهودية حصرت معظم اهتمامها في الشؤون المالية، وكيف أن اليهودي انتهى بفعل الزمن إلى التخصص في الاتجار بالمال والربا، ذلك أن اليهودي كان محروماً طوال العصور الوسطى من مزاولة أية مهنة أو حرفة أخرى، ولم يترك له سوى احتراف المتاجرة بالمال والربا المقوت؛ ومن ثم كانت نشأة اليهودية المالية وتقدمها بمضي الزمن في هذا الميدان؛ وقد كانت اليهودية منذ العصور الوسطى ملاذ المعاملات المالية والصيرفية

ومما يلفت النظر في كتاب الدكتور روث رأيه في صلب المسيح، وكيف أن المسئول عن توقيع هذه العقوبة عليه هم الرومانيون لا اليهود؛ وكيف أن اليهود كانوا يودون إطلاقه؛

أما أنتن، فخذن أهبتكن ... الى قلعة المدينة وذؤابة شرف آرجوس! ولي عنكن وصاة أرجو ألا تخيب، تلك أن تضربن بخمركن على جيوبكن، ولا تبدين من معالم فتونكن، ما تشغلن به قلوب الرجال، وتبلبلن بعضه أفئدة الناس، ولا تنسين أننا في كنفهم وارفون في ظلالهم ... فالشرف الشرف يا بناتي! والعصمة العصمة!! حتى نجتاز شوارع آرجوس، فاغضضن من أبصاركن إذا ساورتكن الجماهير، وأحدقت بكن الجماعات؛ ولا تبادلن أحدا نظرة ... لا تدرى إلا الآلهة ما بعدها ... »

ويلتف العذارى بأبيهن يعطينه موثقهن، ثم يأخذن في انشادهن الحلو، وتغنيهن الجميل، وقد انقسمن الى جماعتين، هذه تغني ... وهذه ترجع .. وتمتلىء الأرجاء شدوا و... شجوا ... وموسيقى

دريني خشبة

(البقية — وهي خلاصة الدرامتين المفقودتين — في العدد القادم)

وهذا الرأى يخالف ما اصطلح عليه معظم مؤرخى النصرانية من أن اليهود هم الذين شددوا فى صلبه فى حين أن الرومانيين كانوا يؤثرون إطلاقه

ويتتبع الدكتور روث تاريخ اليهودية ومسائلها حتى يومنا. وكتابه قيم جداً من الوجهة العلمية ؛ وأسلوبه قوى واضح ؛ ولا ريب أنه سيثير اهتمام كل مشتغل بالمسألة اليهودية أو تاريخ الشعب اليهودى

كتاب عن بونابرت فى مصر

يعتبر مسيو فرانسوا شارل رو السفير الفرنسى السابق من خاصة الباحثين فى تاريخ نابليون وفى تحليل شخصيته ومواهبه ؛ وقد خص الحملة الفرنسية المصرية بكثير من مباحثه وتحقيقاته ، وآخر ما كتب فى هذا الموضوع كتاباً عنوانه « بونابرت حاكم مصر » Bonaparte Gouverneur d'Egypte ، وفيه يحلل شخصية بونابرت ونفسيته حين إعداد الحملة الفرنسية ؛ ويرى مسيو شارل رو أن نابليون لم يكن يومئذ الجندى العظيم فقط ، ولكنه كان أيضاً أديباً وصحفياً ، يقدر ما للدعوة والرأى العام من قوة ، ولذلك لم يكتف بأن يزود جيشه بالمدافع والذخائر ، بل رأى فوق ذلك أن يزوده بطائفة كبيرة من العلماء والفنيين وأن يحمل معه مطبعة كاملة . وفى ذلك ما يدل على أن نابليون كان يتمتع بعقلية عصرية لا تقل فى حداثتها وابتكارها عن عقلية عصرنا

ويقول مسيو شارل رو ان نابليون كان يقصد الهند عن طريق مصر . وانه كان يقدر للذهاب والاياب إلى فرنسا ستة أعوام . وكان يقول ان عمرى تسعة وعشرون عاما فقط ، وهذا ليس بعمر ؛ وسيكون عمرى عند العودة خمسة وثلاثين » ولم يكن نابليون تحدوه حين قدم إلى مصر أية عواطف دينية . أجل جاء الفرنسيون إلى مصر أيام الحروب الصليبية ليقاتلوا الهلال ويسحقوا الاسلام ، ولكن نابليون جاء إلى مصر ليحقق مشروعاً سياسيا واستعماريا ضخما ، ولم يفته عند مقدمه أن يصدر (عن طريق مطبعته) منشوراً إلى المصريين يقول فيه انه وجنده مثلهم يعبدون الله ، وانه عاقب البابا ونهب مالطه وفرسانها المتعصبين ، وانه لم يأت ليسحق الاسلام وإنما أتى بالعكس ليعيد إليه مجده ؛ وكان نابليون طول إقامته بمصر يتظاهر دائماً باحترام الشعائر والعادات الدينية وتكريم العلماء ومصادقتهم

بيد أن هذا الحلم الجميل قد انهار بسرعة ، ولم يلبث بونابرت أن غادر مصر شبه هارب ؛ وقد عاد إلى فرنسا بعد أن حنكته تجارب عديدة ؛ ولم يكن عدوه شعبا أو مجتمعا وإنما كان عدوه التعصب ؛ وقد القى مصر ، أم العلوم والفنون منذ العصور الغابرة فى سبات عميق ، وألفاها فريسة للترك ، ولم يبق فى واديها النضر غير أرض مجدبة ينتهبها من استطاع . بيد أنه إذا كانت الحملة العسكرية قد أخفقت فى تحقيق أغراضها ، فان الحملة العلمية قد حققت أعظم الثمار ؛ وقد درس العلماء الفرنسيون كل ما فى مصر من طبيعة ومن حيوان ونبات ، ودرسوا أحوالها الاجتماعية وأمراضها المتوطنة ، وأنشأوا المجمع العلمى بالقاهرة ؛ وكان نابليون يرهق علماءه بمختلف الأسئلة : هل يمكن زرع القطن فى مصر ؟ وهل يمكن غرس الكروم ؟ وهل تقام طواحين الهواء ؟ وهل يمكن تحسين خبز الفلاح ؟

كل ذلك يعرضه مسيو شارل رو فى كتابه الجديد بأسلوب ساحر يجمع بين دقة البحث واتزان الحكم ، ومتاع العرض . ومن المحقق أن كتابه يعتبر ثروة جديدة فى مكتبة الحملة الفرنسية

رسائل الشاعر الروسى بوشكين

تستعد دوائر الشعر والأدب للاحتفال فى العام القادم بالعيد المئوى لوفاة الشاعر الروسى الكبير « بوشكين » وقد كان بوشكين من أعظم شعراء القرن التاسع عشر ، وكانت الروح الأوربية اللاتينية تغلب لديه على الروح الاسيوية الروسية ؛ بيد أنه لم يترجم كثيراً إلى اللغات الغربية وبخاصة إلى الفرنسية كمواطنيه ومعاصريه الأكابر مثل جوجول وتورجنيف ودستويفسكى . ويرجع ذلك إلى قوة شعره التى يصعب اخراجها بلغة أخرى . وأعظم مؤلفات بوشكين هى بلا ريب قصته الشعرية « أوجين أونجين » ، وهى دراسة بديعة للعادات والأخلاق الروسية فى القرن التاسع عشر

وكان بوشكين رجلا غريب الأطوار والنزعات ، يضطرم بعواطف غريبة . ومما يذكر أنه حينما اعتزم الزواج فى سنة ١٨٢٦ ، خطب فتيات عدة قبل أن يلتقى بالحسناء ناتالى جونتشاروف ؛ وكانت تلك الفترة أكثر فترات حياته اضطرابا

ويعتزم الكاتب الروسى سرج ليفار بهذه المناسبة أن ينشر رسائل الشاعر بوشكين إلى حبيبته ناتالى بنصها الأصلى ، وأن

يعلق عليها وأن يوضح ما غمض منها ؛ وهـذه الخطابات تصور لنا حياة الشاعر في هذه الفترة أحسن تصوير ، وهي فترة حافلة بمختلف الحوادث والمفاجآت وضروب السعادة الغرامية . بيد أن هذا الزواج السعيد لم يلبث أن انتهى بفاجعة مؤلمة . ذلك ان بوشكين قتل مدافعاً عن شرف زوجه ناتاليا في مبارزة أصيب فيها بجراح مميتة . وسيضم هـذا المجلد الذي يحتوي على رسائل بوشكين ترجمة وافية لحياة ناتاليا بقلم المسيو هوفمان ، وهي ترجمة مؤثرة شائقة

وفاة كاتب ألماني كبير

من أنباء برلين أن الشاعر والكاتب الألماني الكبير إدوارد شـتوكن E. Stuchen قد توفي في الحادية والسبعين من عمره ، وقد كان شتوكن شاعراً من الجيل القديم أعني من شعراء الأمبراطورية ، وله شعر كثير يمتاز بقوته ورصانته ، وكان أيضاً باحثاً كبيراً يؤثر القصة العلمية والتاريخية باهتمامه ، واشتهر شتوكن بنوع خاص بالابداع في القصة التاريخية ، وأشهر قصصه من ذلك الطراز « الفاتحون » Die Eroberer ، وهي قصة تاريخية رائعة في مجلدين كبيرين ، وتدور حوادثها حول فتح المكسيك على يد الاسبان في أوائل القرن السادس عشر ؛ وبطل القصة البارز هو فاتح المكسيك هرناندو كورتيز ، وبطلتها هي دونا ماورينا الفتاة الهندية الشهيرة التي غدت خليلة الفاتح ومهدت للاسبان كثيراً من مصاعب الفتح ، ويصف شتوكن حوادث هذا الفتح الشهير وصفاً قوياً شائقاً ، ويستعرض أحوال الهنود الحمر ومدنيتهم وعاداتهم في فصـول ممتعة تقوم على الحقائق التاريخية والعلمية الثابتة ؛ ويبدع بنوع خاص في وصف الوقائع الدموية التي جرت بين الهنود والاسبان ، ومناظر الضحايا البشرية التي كان ينظمها الهنود للتقرب من الآلهة ؛ ويمزج شتوكن هذه الحوادث والمناظر التاريخية المروعة بلمحات من الخيال الساحر والعرض الشائق

وقد أحرز شتوكن برواية « الفاتحون » شهرة عظيمة ، ومازالت تعتبر من أعظم ما أخرجت القصة الألمانية المعاصرة ، ولشتوكن عدة قصص وكتب نقدية أخرى

وكان شـتوكن مدى أعوام طويلة عضواً في الأكاديمية الألمانية للأدب القصصي

كتاب جديد لميترلنك

صـــدر أخيراً كتاب جديد للكاتب البلجيكي الكبير ميترلنك عنوانه « الرملة » Le Sablier ؛ ومن الصعب أن يحدد موضوع الكتاب ؛ بيـد أنه كمعظم كتب ميترلنك مزيج من الاستعراض والنقد والفلسفة ، ويكتب ميترلنك عادة بروح ثورية ، ولكنه يبدو في كتابه الأخير أكثر هدوءاً ؛ وهو يحمل في الفصل الذي يخصصه لأحزان الأسرة الملوكية البلجيكية على القدر الجائر ، ولكنه يثور في وقار ؛ ويحدثنا ميترلنك عن ضعف الآثار المترتبة على التعليم الديني ، ويرى في فلسفة باسكال ضعفاً ولا سيما في نظريته الخاصة « بالأسطورة التي لا تقارن » إشارة إلى النصرانية ، ثم يحدثنا بعد ذلك عن الموت ، ويرى أنه ليس عدواً للانسانية بالقدر الذي تصوره روعته وآثاره المحزنة . وذلك أن الموت هو قانون الانسانية كلها ، وهذا التضامن في تلقي محنة الموت من البشر جميعاً يسبغ على الموت صورة محبوبة . وربما استطاع الانسان أن يوفر على نفسه كثيراً من ضروب الألم والحزن إذا هو نبذ الحلم المستحيل « بأنه ذاهب لن يكون له ذهاب » . وما زال الانسان من حيث التضامن أقل شأناً من بعض الحشرات كالنمل مثلا ، فلو أن الانسان أدرك عاطفة التضامن على حقيقتها ، لغدا كل إنسان « إنسانية بأسرها »

حول ترجمة السخاوي أيضا

نشرت الرسالة في العدد ١٤٣ ، وفي هذا المكان رد الأستاذ عنان على ما لاحظه أديب من قراء الرسالة على ما ورد في ترجمته للحافظ السخاوي بخصوص كتابي « تحفـــة الأحباب » و « الاعلان بالتوبيخ » ، وقد تلقينا في هذا الموضوع الكلمتين الآتيتين :

— ١ —

اطلعت في العدد ١٤٢ من « الرسالة » القراء على ما كتبه الأديب الفاضل السيد محمود عساف أبو الشباب مصححاً نسبة كتاب (تحفة الأحباب في الخطط والمزارات) إلى محمد بن أحمد الحنفي السخاوي الذي فرغ من تأليفه عام ٩٥٦ ، لا إلى محمد ابن عبد الرحمن السخاوي الشافعي المتوفى سنة ٩٠٢ مستدلا بما ذكره صاحب طبقات المالكية ، وبمدم عد السخاوي (محمد

ابن عبد الرحمن المتوفى سـنة ٩٠٢) ذلك الكتاب فى جريدة مؤلفاته التى سردها بالتفصيل مرتبة مبوبة فى ترجمته لنفسه من (الضوء اللامع ـ الجزء الثامن) ، ويمكن أن يستدل لذلك بعدم احالة السخاوى فى تراجم (الضوء اللامع) على كتاب له فى المزارات مع كثرة احالته على مؤلفاته فى أكثر التراجم

ولكن الأديب أبا الشباب تسرع فى نقل عبارة الأستاذ المؤرخ السيد محمد عبد الله عنان ، فقال فى ختام كلمته : (فاحقاقا للحقيقة ، وصونا لمعالم التاريخ نأمل أن يجزم رجال التاريخ أن الأثرين اللذين عناهما الأستاذ عنان ليسا للامام السخاوى صاحب الضوء اللامع) ...

لأن عبارة الأستاذ عنان فى العدد ١٠٤ هى : (ونجد أخيراً فى تراث السخاوى أثرين من نوع خاص ولهما أهمية خاصة ، أولهما كتاب تحفة الأحباب . . . . وأما الثانى فهو كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ...)

وليس من شك فى أن (الأثر الثانى) هو من مؤلفات السخاوى إذ ذكره فى صدر مؤلفاته التاريخية ، والمؤرخون مجمعون على ذلك ، بل الكتاب نفسه ينادى بذلك فى كل باب من أبوابه ، فالأستاذ عنان أضاف الى مؤلفات السخاوى صاحب الضوء كتاباً لم يكن من تصنيفه (وله سلف فى هذه النسبة الخاطئة) ، والأديب أبو الشـباب نفى من جريدة مؤلفات السخاوى كتاباً أجمعوا على أنه من تأليفه (وليس له سلف فى ذلك) جزى الله الجميع خيراً .

من قراء الرسالة

— ٢ —

قرأت فى عدد الرسالة الأسبق كلمة الأستاذ محمود عساف أبو الشباب — عن السخاوى مؤلف الضوء اللامع والسخاوى الآخر مؤلف تحفة الأحباب فى المزارات ، ولهذه المناسبة أذكر أن كتاب تحفة الأحباب الذى طبع على هامش كتاب نفح الطيب — طبعة سقيمة — ليس للسخاوى الحافظ حقيقـة ، بل هو لسخاوى آخر كان معاصراً له وتأخر موته عنـه ، وثمة دلائل كثيرة تؤيد هذه النظرية ، وقد لا يتسع المقام لسردها فى هذه المجالة ، بيد أنى أقول — إن الأستاذ حسن قاسم « مؤلف كتاب المزارات المصرية والآثار الاسلامية فى مصر والقاهرة المعزية ، الذى يطبع الآن فى القاهرة — والذى لى حظ الشرف بالاشتراك فيه — قد أعلن أنه وفى هذا الموضوع حقه وأعطاه من العناية ما يستحق ، وقد تلمست من ترددى على دار الكتب المصرية — أن كثيراً من موظفيها يعلم ذلك ، وقد يكون قسم التعبير العربى أو قسم الفهارس قام بتصحيح ذلك لخدمة التاريخ ، وأذكر مما قاله الأستاذ قاسم عن السخاوى مؤلف التحفة ، أنه على نور الدين حنفى المذهب ، ألف هذا الكتاب من الكواكب السيارة لابن الزيات — الذى طبع فى دار الكتب — ومن مصباح الدياجى لمجد الدين بن الناسخ المعروف بابن عين الفضلاء المحفوظ منه نسخة بدار الكتب وأصلها لعلى مبارك باشا ، وقد رأيناه كثيراً ما ينقل عنها فى خططه — ومنها نسـخة — فى لجنة حفظ الآثار العربية

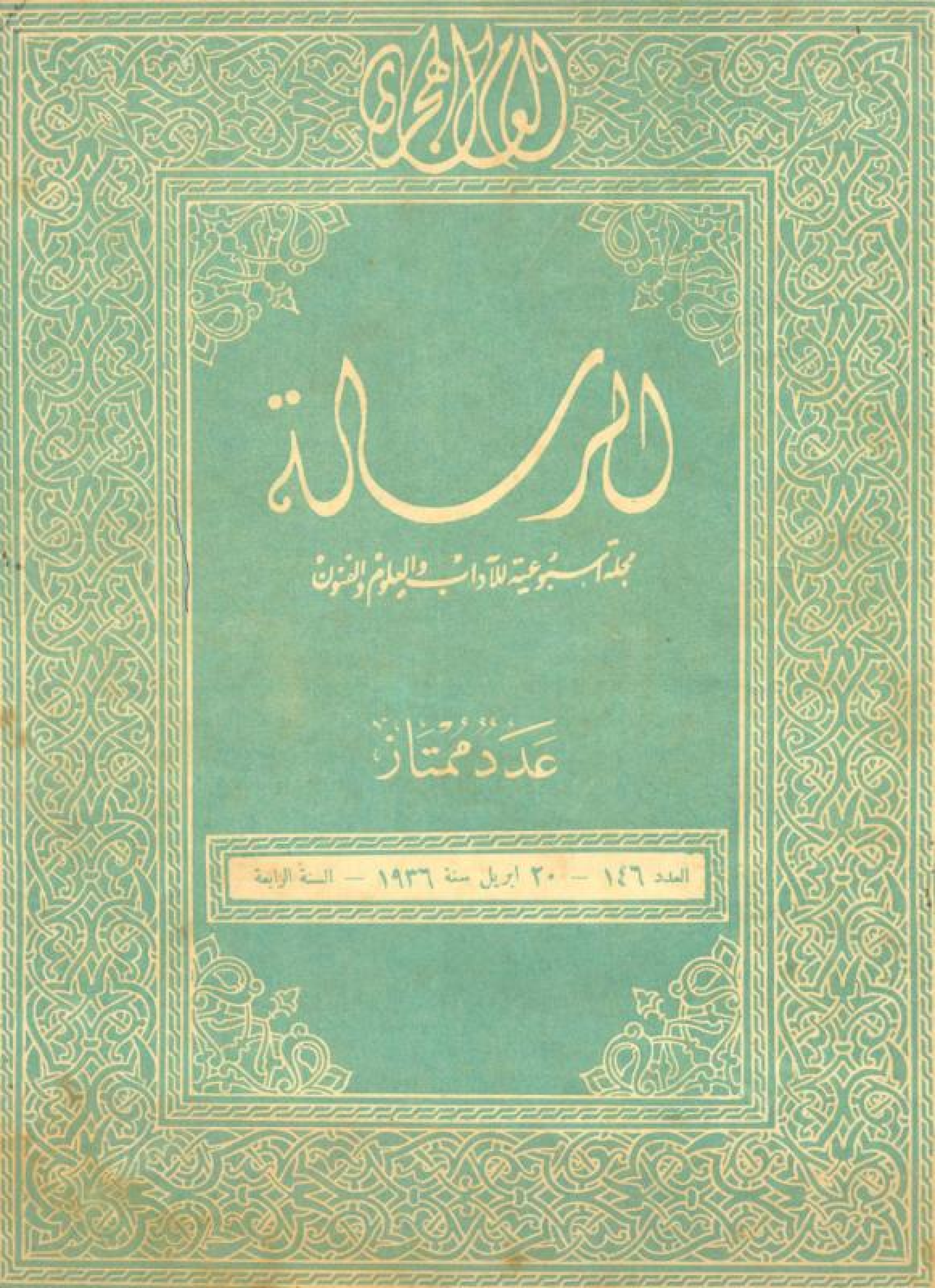
ويذكر أيضاً أن الأجهورى اقتبس كتابه هذا فى مؤلف له « سماه مزارات الأشراف المدفونين بمصر » وترجم له فى خاتمته ، وهذا المصدر محفوظ منه نسخته الخطية بمكتبة الأستاذ قاسم ..

الآنسة فردوس عبد العزيز مظهر

بعثة الجامعة المصرية الى اليمن

غادر القاهرة إلى اليمن بعثة الجامعة المصرية ، وهى مؤلفة من الدكتور سليمان حزين وسيقوم بدراسة حفائر ما قبل التاريخ ، والأستاذ خليـل يحيى نامى ويبحث فى النقوش والمخطوطات واللهجات الخاصة باليمن ، وهما من أعضاء هيئة التدريس لكلية الآداب ، والأستاذ مصرى شكرى وسيقوم بأبحاث فى الجيولوجيا ، والأستاذ محمد توفيق العربى ويبحث فى الحشرات بتلك البلاد ، وهما من أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم

وتستغرق مدة إقامة البعثة باليمن ستة أشهر . وقد قررت الجامعة منح حضراتهـم مكافأة قدرها ١٨٠٠ ج تلقاء أبحاثهم ودراساتهم وقد تزاد تلك المكافأة ٢٠٠ جنيه


الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
عدد ممتاز
العدد ١٤٦ — ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 146. — Lundi - 20 - 4 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــــدد ١٤٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٥٥ — ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العدد الممتاز

صفحة		
٦٠١	محمد الوالد...	أحمد حسن الزيات ... ...
٦٠٣	حديث عداس...	الدكتور طه حسين بك ... ...
٦٠٦	منطقة الايمان	الأستاذ توفيق الحكيم ... ...
٦٠٨	الاسلام كعامل في المدنية ...	الأستاذ أحمد أمين ... ...
٦١٢	منذ ألف عام	الأستاذ على عبد الرازق ... ...
٦١٣	مصرع الحسين...	الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٦١٦	أم المؤمنين خديجة بنت خويلد	الأستاذ عبد الحميد العبادى ...
٦٢٠	عقبة على شاطىء المحيط ...	الدكتور عبد الوهاب عزام ...
٦٢٢	صداقة تدين التاريخ	الأستاذ أمين الخولى ... ...
٦٢٤	درس من النبوة	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ...
٦٢٧	عظة الهجرة	الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...
٦٢٩	مصر تحمى الاسلام والمدنية في عين جالوت	الأستاذ محمد فريد أبو حديد ...
٦٣٣	آمال وآلام (قصيدة) ...	الأستاذ محمود غنيم ... ...
٦٣٤	هجرة الرسل	الأستاذ عبد الوهاب النجار ...
٦٣٨	الأزهر والحياة الفكرية في العصر الفاطمى	الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٦٤١	الفتوح الاسلامية وأثرها في تقدم المدنية	الدكتور حسن إبراهيم حسن ...
٦٤٣	أم سلمة	ناجى الطنطاوى ... ...
٦٤٧	الاسلام والمدنية والعلم ...	الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ...
٦٥٠	العقيدة	الدكتور إبراهيم بيومى مدكور
٦٥٢	سمو الانسانية في قلب الرسول الأعظم	الأستاذ خليل هنداوى ... ...
٦٥٤	ذكريات يجليها محرم (قصيدة)	الأستاذ عبد الله عبد الرحمن ...
٦٥٦	نظر محمد إلى الأديان	الأستاذ مصطفى عبد الرازق ...
٦٥٨	زوجة وفت	الأستاذ محمد سعيد العريان ...
٦٦١	ثنية الوداع...	الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٦٦٥	علم الخيل عند العرب... ...	الأستاذ قدرى حافظ طوقان ...
٦٦٨	ذكرى الهجرة (قصيدة)	عبد الحكيم عابدين ... ...
٦٦٩	سفائن الصحراء...	الدكتور أحمد زكى ... ...
٦٧٢	الساعات العربية	السيد أحمد دهمان ... ...
٦٧٦	عبرات جوار لا حرائر ...	الأستاذ عبد القادر المغربى ...
٦٧٧	المكتبة العربية في الأسكوريال	
٦٧٨	نفسية الرسول العربى (كتاب)	الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى...
٦٨٠	نظام الطلاق في الاسلام «	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ...

من عبر السيرة

محمـــــد الوالد

إن في حزن القوى عزاء لجزع الضعيف

تخطفت المنايا السود فلذات الرسول بنات بعد بنين ، فلم يبق إلا فاطمة قرة لعينه وعزاء لنفسه . وكانت جراحات القلب العظيم لا تجد لمسها الممض فراغاً بين آلام الرسالة فتندمل في سكون وصمت . فلما عنت سورة الشرك في مكة ، وعلت كلمة الله في الجزيرة ، وتحققت وحدة العرب في الوجود ، وأخذت نفحات السلام الالهى تنضح الجو المشتعل بالنار ، وتطهر الثرى المخضوب بالدم ، تنبهت في الانسان الأعلى مشاعر الطبيعة ، وتجددت في العربى الرسول عواطف الأبوة ، وحزّ في نفس محمد أن يرى أمهات المؤمنين يعقمن عشرة أعوام متتابعة ، فبيوتهن التسعة حول المسجد المهلل الذاكر غرق في السكون الرهيب والصمت الموحش ، لا يؤنس حجراتها غناء المهد ، ولا يبهج أفنيتها مرح الطفولة

لا ريب أن أسرة محمد الرسول شملت جزيرة العرب كلها ، وستشمل عالم الاسلام أجمع ؛ ولكن أسرة محمد الرجل لا تزال ألماً من آلام العبقرية ، ومحنة من محن البطولة . تدرع باسم الله وبرز وحده لشياطين الأرض ، فجاهد الوثنية حتى أقر الحق ، وعالج الانسانية حتى أعلن الخير ، وشذب الطبيعة حتى أنمى الجمال ، وبلغ الرسالة حتى لم يبق لرضى الله غاية لم تدرك ، ولا

لصلاح الناس سبيل لم تشترع . ولكنه هدفَ للستين فى جهاد الشرك والجهل والهوى ، ولا يزال يجد فى جوانب نفسه الكبيرة عاطفة لم تُرضَ ، وحاجة لم تُقضَ ، ورسالة لم تتم ! تلك هى عاطفة القلب للولد ، وحاجة النفس إلى التجدد ، ورسالة الحياة إلى الحياة

***

بين ظلال النخل والكرْم ، وفى بيته المصرى على العالية من ضواحى المدينة ، أتم الله نعمته على رسوله فوهب له على الكبر ابراهيم ! يومئذ تنفس الصبح بأنفاس الفردوس ، وضاحكت الشمس خمائل يثرب من خلال الأجنحة النيرة ، ومست يد الربيع المخصبة دوحة النبوة ، وغرقت نفوس المؤمنين فى مثل صفاء الخلد ، وأقبل المهاجرون والأنصار على المسجد المستبشر يهنئون النبى بالخليفة الوليد والأمل الجديد والعوض المبارك ؛ ونهض الرسول الوالد إلى بيت مارية القبطية ليرى نعمة ربه ، وبضعة كبده ، فوجد فى طلعة ابراهيم الأنس الذى يعوزه ، والرضى الذى يرجوه ، والخلف الذى يتمثله ؛ ففاضت غبطته لله حمداً ، وعلى المؤمنين بركة ، وفى الفقراء صدقة . رفع أمه إلى مقام أزواجه ، ونفح مرضعته بسبع من المعزى سمان يحلبن عليها وعليه ، ثم عقّ له بكبشين أملحين ، وتصدق بزنة شعره فضة ؛ وتعوّد كل صباح أن يزور أم ولده فيحمله منها ليضمه ويشمه ، ويتذوق طعم السعادة الأرضية فى ريحه ، ويطالع نفسه العائدة فى نفسه ، ثم يدخل به على الأمهات اللائى ولدن جميع المسلمين ولم يلدن ، فيباهى بحسنه ، ويغتبط بنموه ، ويحتمل راضياً فى سبيل ذلك كله غيرة حُميرائه وكيد نسائه

***

ولكن أنبياء الله موضع بلائه وسر حكمته ! دعوتهم الحق والحق ثقيل ، وعدتهم الصبر والصبر كليل ، وبرهانهم الألم والألم قاتل ! غرباء فى الأرض لأنهم من السماء ، وأغراض لسهام القدر لأنهم ضحايا ، وأمثلة لبؤس العيش لأنهم عِبر ! هذا ابراهيم حبة قلب أبيه وسواد عين أمه مسبوتاً على فراش المرض تحت النخيل ! تذوى نضارته على وهج الحمى ، وتذوب حشاشته على عَرك الموت ، وأمه وخالته قاعدتان على سريره تشهدان منظراً يهون فى جانبه على الوالدين الجنون والكفر والعَدم ! وهذا أبو ابراهيم يضعضعه النبأ المروع فيتحامل على عبد الرحمن بن عوف ، ويمشى ثقيل الخطى لهيف الفؤاد ، إلى الصغير المحتضر ! لو كان لمتاع العيش غناء لتقلب فيه المؤمن ، ولو كان لقانون الموت استثناء لأفلت منه المصلح ، ولو كان فى قلب الثاكل المحزون شبهة لجلتها محنة الله لرسوله !

أخذ النبى ابراهيم من حجر أمه فوضعه فى حجره ، ثم نظر من خلال الدمع إلى قسماته المشرقة تغشاها ظلال الموت ، وقال بصوت متهدج وفؤاد متأجج واستسلام مطمئن : « إنا يا ابراهيم لا نغنى عنك من الله شيئاً »

يا لله لقلوب الوالدين ! إن النبى الذى وُلد فى مهد اليُتم ، ودرج فى حجر العُدم ، وتقسمت عمره عوادى الخطوب ، فكابد أذى قريش وحقد المنافقين وكيد اليهود ، وعالج مكاره الدعوة من القلة والذلة والهزيمة والفتنة ، قد احتمل كل ذلك بصبر المجاهد ويقين المؤمن وعزم الرسول ، ويصيبه الله فى إبراهيم وهو رضيع فيرفضّ عنه الصبر ، ويتملكه الجزع ، ويقف من الثكل الأليم موقف كل والد يرى جزءه الجديد يبلى ، ورجاءه الناشئ يخيب ، ثم يقول : « إن العين لتدمع ، وإن القلب ليجزع ، وإنا بعدك يا إبراهيم لمحزونون : أما والله لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق بأولنا ، لحزنّا عليك بأشد من هذا ! » . وينال من الصحابة حزن الرسول فيتقدمون إليه يذكرونه ما نهى عنه فيقول : « ما عن الحزن نهيت ! وإنما نهيت عن العويل . وإن ما ترون بى أثرُ ما بالقلب من محبة ورحمة . ومن لم يُبد الرحمة لا يبدى غيره عليه الرحمة »

على أن حزن الرسل لا يكون إلا بمقدار ما فيهم من ضعف الانسان . لذلك لم يلبث الرسول أن عاد إلى نفسه فصلى على ولده ، وسوى عليه القبر بيده ، ثم رش فوقه الماء وأعلم عليه علامة وقال : « إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكنها تقر عين الحى ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه »

***

تعزيت يا رسول الله لأن الألم سبيل من سبل دعوتك ، والعزاء أصل من أصول دينك ، والأرض وما عليها أهون من دمعك ، والسماء وما فيها ثواب لصبرك ، ولكن ماذا يصنع البائس المحزون إذا فقد الرجاء ، وليس له فى يومه صبر ولا فى غده عزاء ؟

احمد حسن الزيات

على هامش السيرة

حديث عـــداس

للدكتور طه حسين بك



قال عتبة بن ربيعة لأخيه شيبة : أنظر الى هذا الرجل المقبل على حائطنا ومن ورائه السفهاء والعبيد قد أغروا به وسلطوا عليه . فهم يؤذونه بألسنتهم . وهم يؤذونه بما يحصبونه به من الحصى والأحجار ! ألا تثبته ؟

قال شيبة وقد نظر فأطال : بلى ! والله إنى لأعرفه كما تعرفه ، وإن قلبي ليرق له كما يرق له قلبك ، وإن نفسى لتثور غضباً له كما تثور نفسك . ولقد هممت وما زلت أنازع نفسى أن أفزع إلى نصره وجواره وحمايته من حلماء ثقيف وسفهائها ، لولا ما بينه وبين قومنا ، ولولا أنى أعلم أننا إن فعلنا كان لنا مع قومنا أمر عظيم وخطب جليل . قال عتبة : وارحمتاه لابن عمنا من قومه ! ثم وارحمتاه لقومنا من أنفسهم : ما كنت أحسب أن يبلغ الأمر بقريش أن يذل عزيزها ونحن شاهدان ، وأن يجترئ حى من أحياء العرب وإن كانوا ثقيفاً ، على أن يسوءوا رجلاً من قريش وإن كان مستضعفاً مهيناً . فكيف بابن عبد المطلب وابن أخى حمزة والعباس ؟ وكان هذان الرجلان من أشراف قريش قد ذهبا إلى بستان لهما فى الطائف يصلحان من أمره وأمرها ، ويهيئان لتجارتهما : يجمعان ما تنفذه ثقيف مع تجار قريش إلى اليمن فى رحلتها إلى اليمن ، وإلى الشام فى رحلتها الى الشام . وكانا قد أقاما فى الطائف أياماً . وأقبل فى أثناء ذلك النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على ثقيف يلتمس عندهم النصر والعون والجوار بعد أن تنكرت له مكة بطاحها وظواهرها ، وبعد أن تنكر له الناس حتى أقربهم اليه وأدناهم منه . وبعد أن فقد عمه الذى كان يمنعه ويقوم دونه . وبعد أن فقد زوجه التى كانت ترعاه وتكلؤه وتحوطه بالرحمة والحب والحنان . وكان قد لزم داره بعد هاتين الكارثتين لا يكاد يبرحها خائفاً محزوناً حتى أقبل عليه عمه أبو لهب فأمنه وأعلن اليه أنه يقوم من حمايته بما كان يقوم به أبو طالب . فسرى عن النبى الكريم شيئاً واستأنف الخروج من داره والذهاب إلى المسجد . والاضطراب فى مكة . ولكن قوماً من قريش ألحوا على أبى لهب حتى غيروه على ابن أخيه فسترد جواره وحمايته ، وعاد من حرب النبى وعداوته إلى مثل ما كان عليه قبل أن تموت أبو طالب . فلما ضاقت مكة بخير أبنائها خرج إلى الطائف يلتمس جوار ثقيف . فأقام فيهم ما شاء الله أن يقيم . يسعى عند هذا ويتلطف لذاك . وكلهم يرده وكلهم يمتنع عليه . وكان مقامه فيهم قد أخافهم وثقل عليهم وأثار فى نفوسهم إشفاقاً أن يصيب مدينتهم ما أصاب مكة من اضطراب الأمر ، وانتقاض الضعفاء على الأقوياء واستجابة قوم لهذا الرجل الذى أنكره قومه ولم تره مدينته إلا ما يكره . فتقدموا اليه فى الرحيل عنهم ، ولم يكد يفعل حتى أغروا به سفلة الناس وسفهاءهم فتبعوه يؤذونه بالقول والفعل حتى ألجأوه ضعيفاً مكدوداً وكئيباً محزوناً الى حائط هذين القرشيين ، وأقبل النبى وقوراً هادىء الخطى مطمئن النفس ، تظهر على وجهه الكريم آيات الضعف ، وآيات القوة ، وآيات الحزن ، وآيات الرجاء . ضعف مصدره الجهد والعناء ، وقوة مصدرها الحزم والعزم ، وحزن مصدره الرحمة لهؤلاء الذين يدعوهم إلى الخير فيبغونه بالسوء ، ويرشدهم الى النجح فيريدونه بالمكروه ؛ ورجاء مصدره الثقة لأن الله لم يختره لرسالته ليخذله قبل أن يتم أمره . ويعلى كلمته ، ويظهر دينه على الدين كله ، وبأن الله لا يصيبه بما يصيبه به من المكروه إلا امتحاناً لقلبه وابتلاء لنفسه وتمحيصاً لطبعه

أقبل هادئاً والناس من ورائه مضطربون ، مستأنياً والناس من ورائه مسرعون ، حتى انتهى الى ظل من ظلال البستان فجلس متعباً مكدوداً ، والقرشيان ينظران اليه ويرقان له ويعطفان عليه ، وينازعان نفسيهما الى نصره ومعونته ، وقد كادا يفعلان لولا أن ذكرا قريشاً ، ولولا أن ذكر عتبة بن ربيعة صهره أباسفيان وقدر ما يلقاه وما يلقاه أخوه من قريش إن منح محمداً معونة أو نصراً ؛ ولكنهما رأيا

ابن عمهما يأوى إلى ظلالها مكروباً محزوناً . فلم تملكا أن تمنعا عن أن يناله بأيسر الخير وأهون البر . فيدعوان عداساً عبداً من عبيدهم ويأمرانه أن يحمل إلى هـذا الرجل الضعيف المكدود شيئاً من عنب البستان ليصيب منه ، ويمضى العبد منفذاً أمرهما ، ولكنهما لا يستطيعان أن ينصرفا عن مكانهما ولا أن يحولا بصرهم عن ابن عمهما . وقد أهينت فيه قريش كلها ، لولا أن قريشاً قد احتفظت بأحلامها فهما ينظران ويرثيان . ويعمل الأسى فى قلبيهما والعبد يسعى بالطبق الى هذا الرجل المحزون ، حتى إذا انتهى إليه وضع الطبق بين يديه . وأقبل الرجل على العنب يريد أن يصيب منه . والعبد قائم منه غير بعيد . ولكن القرشيين ينظران فيريان عجباً : يريان كأن حديثاً قصيراً قد دار بين الرجل وبين هذا العبد ؛ ثم يريان العبد وقد أكب على هذا الرجل الحزين يقبل رأسه ويديه ورجليه باكياً مستعبراً ، مندفعاً فى حديث لا يكاد ينقضى . مظهراً من التكرمة والاجلال لهذا الرجل ما لم يتعود أن يظهر لأحد من سيديه . فيقول أحد القرشيين : ويحك لقد أفسد علينا ابن عمنا هذا العبد ! وما أرى إلا أن ثقيفاً معذرين إن خافوا منه على عبيدهم وضعفائهم وأقويائهم أيضاً ما خفنا نحن منــه على العبيد والضعفاء والأقوياء ؛ وهـذا الرجل قد نهض وقوراً هادئاً ، ومضى أمامه وقوراً هادئاً ، ومضى العبد معه شيئاً من الطريق . ثم وقف يشيعه بطرفه حتى غاب عن طرفه وعن طرف القرشيين

هنالك عاد العبد الى سيديه ، وفى وجهه آيات الكآبة والحزن . وفى وجهه مع ذلك آيات الطمأنينة والرضى ، ودموع تجرى من عينيه لم يدريا أكانت دموع حزن وابتئاس ، أم كانت دموع غبطة وابتهاج

يقول عتبة بن ربيعة للعبد رفيقاً به عطوفاً عليـه : ويحك يا عداس ! إن لك مع هذا الرجل لشأناً ، فاقصص علينا بدء حديثك فقد رأيناك حفياً به متلطفاً له ، مكباً عليه تقبله باكياً مواسياً ، ثم مرافقاً له تشيعه بشخصك ثم بطرفك . قال العبد : نعم يا مولاى إن لى مع هذا الرجل لشأناً وحديثاً عجباً ، وأحب الى أن أقص عليكما حديثى ؛ ولكن أى حديثى تريدان ؟ أتريدان حديثى منذ اليوم ، أم تريدان حديثى القديم الذى مضت عليه أعوام طوال . والذى دفعنى إلى بلادكم هذه ، والذى اضطرنى إلى ما أنا فيه من رق . أعمل لكما بيدى فى هذا البستان . وما عملت لأحد قبلكما بيدى ، وما عملت لنفسى بيدى . وإن كان الناس ليعملون لى كما أعمل لكما الآن ؟ قال عتبة وقد ثارت فى نفسه طبيعة العربى الذى أترف وفيه فضل من بداوة ، فهو مشغوف بالقصص ، كلف بغريب الحديث . قال عتبـة : وإن لك لحديثاً قديماً بينه وبين حديثك هذا الجديد سبباً . قال عداس : نعم . قال عتبة : فاقصص علينا حديثك . وأخذ القرشيان مجلسهما استعداداً لسماع الحديث . وهم العبد أن يبدأ حديثـه قائماً ، ولكنهما أذنا له فى الجلوس فجلس وأطرق وأغرق فى صمت غير طويل ، ولكنه كان عميقاً . ثم قال : لقد انتهيت الى هذا الرجل منـذ حين فسمعته يقول كلاماً ما أعرف أن الناس يقولونه أو يقولون مثله فى هذه الأرض . فلما سألته عن ذلك حدثنى بحديث ما يعرفه إلا نبى . وكأن حديثه هذا منى على ميعاد ، أو كنت أنا من حديثه هذا على ميعاد . لقد سألنى سؤالاً لم يسألنه أحد منذ وطئت هذه البلاد . سألنى عن موطنى الذى نزحت منـه ، فأنبأته بما لا تعلمان وبما يحسن أن تعلماه الآن ، وهو أنى رجل من أهل نينوى ، نشأت فى بيت من بيوت الأحرار الذين إن لم يتح لهم الملك والامارة . فقد أتيحت لهم الثروة والغنى ؛ وكنت موفور الحظ من النعمة وحسن الحال ، فارغاً لما يفرغ له أمثالى فى تلك البلاد من تقسيم الوقت بين لذة الجسم ولذة العقل ؛ ألهو ما وسعنى اللهو ، ثم أقرأ وأختلف إلى مجالس العلماء والفلاسـفة من القسس والرهبان فأسمع منهم وأتحدث إليهم ، وآخذ معهم فى ألوان من الجدل حول ما يختلف الناس فيه عندنا من أصول الدين والعلم ، وأنتما لا تعلمان من أمرنا فى تلك البلاد إلا قليلاً . إنما تعنيان ويعنى قومكما بما تحملون إلينا من تجارة ، وما تصـــدرون به عنا من مال . وما تصيبون فى بلادنا من هذه اللذات اليسيرة . فأما ما دون ذلك فليس لكم به علم ، وليس لكم عنه سؤال ؛ ولو قد دخلتم فى حياتنا وعرفتم دقائق أمرنا ، لرأيتم أن فى نفوسنا اضطراباً شديداً ، وغلياناً متصلاً ، وضيقاً بالسلطان ، وتمرداً على النظام ، وإنكاراً لما ورثنا من عادة ، وشكا فيما تلقينا من دين . ساءت فينا سيرة السلطان فنقمنا من نظام الحكم ، وساءت فينا سيرة القسس فشككنا فى الدين ؛ فأما العاجزون فقد أعطوا طاعة ظاهرة وأضمروا عصياناً خفياً ، وعكفوا

على اللذات يستعينون بها على احتمال الحياة ؛ وأما الأقوياء وأولو العزم فقد فكروا وقدروا وجدوا فى التفكير والتقدير يلتمسون فرجاً من حرج ومخرجاً من ضيق ؟ وكنت فيما رأيت من هؤلاء . فلما ضقت بالحياة فى مدينتى ولم أجد عند علمائها وقسسها شيئاً خرجت مسافراً إلى الشام ألتمس فى السياحة تسلية وعلماً ، وأبتغى فيها ظفراً بالخير ، ولست أقص عليكما رحلتى إلى الشام ومنازلى فى طريقى إليها ، واضطرابى فى مدنها وقراها ، ويأسى من قسسها وعلمائها ، وضيق بسادتها وحكامها ، ولكنى انتهيت بعد كثير من الاضطراب إلى دير من الأديرة يقوم فى آخر العمران وأول الصحراء مما يلى بلادكم هذه . وأقمت فى هذا الدير دهراً راضياً عن حياته الهادئة المطمئنة راضياً عن حياة أهله الآمنين الوادعين الأخيار ، ناعم النفس بعشرتهم مستمتعاً بأحاديثهم ، ولكننى سمعت من أحاديثهم عجباً : رأيت لهم فيما بينهم أمراً يتحدثون عنه بالرمز . ويومئون اليه بالاشارة ، ورأيت حديثهم هذا الرمزى يكثر ويشتد إمعانهم فيه كلما مرت بديرهم قافلة من قوافلكم هذه التى تتردد على بلاد الروم . رأيتهم يعرفون أنباء هذه القوافل قبل أن تصل إليهم فيتهيأون لها ويستقبلونها ويكثرون من سؤالها ، ويظهرون الحفاوة بها . ثم يخلو بعضهم الى بعض ، فيتبادلون بينهم أحاديث الرمز والاشارة والايماء ، ويقول بعضهم لبعض : لم يأت النبأ بعد ؛ أو يقول بعضهم لبعض : لقد انقطع النبأ بعد أن جاءت بشائره . فلما كثر على منهم ذلك أزمعت أن أعلم علمه ، فتلطفت لهم وتوسلت اليهم حتى عرفت أنهم ينتظرون إصلاحاً دينياً ذا بال ، وأنهم قرأوا فى كتبهم أن هذا الاصلاح يأتيهم من قبل هذه البلاد ، وأنهم حسبوا وقدروا ورأوا أن زمان هذا الاصلاح قد أظل الناس ، وأن أنباء قد انتهت إليهم وأحاديث قد نقلت لهم ، وكلها يدل على أن أوان هذا الاصلاح قد آن . ثم قصوا على من هذه الأنباء والبشائر أطرافاً ، فلم أملك أن كلفت بالرحلة الى بلادكم ، وقلت ما يمنعنى إن أبعدنى السفر ؟ وما يمنعنى أن أتصل بقافلة من قوافلكم هذه فأبلغ معها هذه الأرض ، فأعلم من علمها ، وأصيب من تجارتها ؟ ولعلى أظفر بما يتحرق إليه هؤلاء الرهبان شوقاً ؛ وأنتما تعلمان كيف كان الاتفاق بينى وبين تلك القافلة التى أمنتنى على نفسى ومالى ، وضمنت لى أن أبلغ بلادكم هذه موفوراً فأصيب من تجارتها وأعود معها من قابل إلى الشام ، حتى إذا بعدنا عن بلاد الروم وانقطعت أسبابى من أسباب قيصر عدا أهل هذه القافلة على مالى فاحتجزوه ثم عدوا على فاتخذونى بضاعة وباعونى من صاحبكما ذاك الذى اشتريتمانى منه قريباً من يثرب

فهذا بدء حديثى أيها السيدان ، وقد عملت فى بستانكما أعواماً ، وكان الناس يتحدثون من حولى بهذه الأحداث التى تحدث فى مكة ويتناقلون من حولى أنباء هذا الرجل الذى ينكر الأوثان ويدعو الى التوحيد ، ويريد أن ينصف المظلوم من الظالم ، والعبد من السيد ، ويسوى بين الضعيف والقوى ؛ وكان الناس يتحدثون من حولى بما يلقى هذا الرجل فى بلده من شر . وما يمتحن به أصحابه من ألوان الفتنة ، وكنت كلما سمعت هذه الأحاديث هششت لها ، وطابت بها نفسى . وأحسست أن النبأ الأعظم قريب ؛ وكنت أقدر أن صاحب هذا النبأ يجب أن يكون كاخوانه الذين سبقوه عالماً بدين الله ، داعياً اليه . مخبراً من أنباء الأولين بما لا يخبر به الناس ، وكم وددت لو أتيح لى أن أتحدر الى مكتكما هذه فأسأل صاحبكما وأسمع منه . ولكن الرق فى بلادكما شديد . فنحن أرأف منكم بالرقيق ، وأعطف منكم عليه . وقد لبثت فى بستانكما هذا أسمع الأنباء ، وألتمسها وأتحرق شوقاً إلى مصدرها حتى أقبل صاحبكما هذا منذ حين ؛ ولقد رثيت له حين رأيته وأوشاب الناس من حوله يؤذونه بألسنتهم وأيديهم . ولقد هممت أن أفزع لنصره والذود عنه ، وما كنت أعلم من أمره شيئاً ، ولكنها الرحمة عطفتنى عليه ؛ ولقد هممت أن أستأذنكما فى إيوائه وإيثاره بشىء من القرى . ولكنى رأيتكما تنظران وتتحدثان ولا تنشطان ؛ ثم أمرتمانى بالسعى اليه ، فلما بلغته سمعت منه كلاماً ما سمعت مثله فى هذه الأرض . فلما سألته عن ذلك سألنى عن موطنى . فلما أنبأته به قال هذا موطن يونس نبى الله . فما شككت فى أنه صاحبى الذى أقبلت ألتمس أنباءه .

قال عتبة ويحك يا عداس إن حديثك هذا لعجب ، ولكنا نخشى أن يفسد عليك صاحبنا دينك . وإن دينك لخير مما يدعو إليه .

قال عداس : مهلاً ياسيدى ! إن الذى يقول ما سمعت لايدعو إلى شر ولا يغرى بفساد ، ولا يأمر إلا بمعروف ، ولا يقول إلا حقاً .

قال شيبة : ويحك يا عداس لقد سحرك صاحبنا فيمن سحر ، فماذا

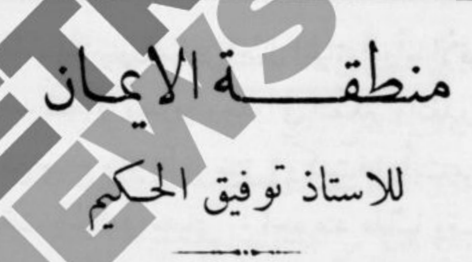
سمعت منه ؟ قال عداس : بل قل لقد هداني فيمن هدى ، ولقد سمعته يناجي ربه بحديث ما سمعت أعذب منه . لقد حفظت حديثه ، وإنك لتعلم ما أنا بالعربي ، وما حفظ أحاديثكم على بيسير .

قال عتبة : فهات أعد علينا ما سمعت . قال سمعته يقول : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

ولم يفرغ العبد من هذا الحديث حتى أغرق في بكاء هادئ ، وأغرق سيداه في وجوم عميق . ثم ثاب القوم جميعاً إلى أنفسهم ونظر القرشيان أحدهما الى بعض نظرة المستخذي الأسف . ثم قال عتبة لعداس : أنت وما تشاء يا عداس من حب صاحبك وطاعته ، ولكن لا تنسَ أن لنا عليك حقاً وطاعة ، وأنا حريصان على ألا تظهر من أمرك شيئاً فتضطرنا فيك الى ما نكره ، وتضطر قومنا فينا الى ما نكره

ومضت أعوام وحدثت أحداث ، ونظر العبد الشيخ ذات يوم فاذا محمد صلى الله عليه وسلم قد ضرب عسكره حول الطائف يحاصر فيها ثقيفاً ؛ وكان عداس قد انتقل من ملك ابني ربيعة بعد موتهما الى الثقفيين ، وإذا نفسه تنازعه الى صاحبه ، وإذا هو يحرض الرقيق ويبث فيهم الدعوة الى الخروج على سادتهم واللحاق بجيش المحاصرين ، وإذا نفر من الرقيق يجتمعون اليه ، وإذا هم يقتحمون الأسوار ويهبطون الى العسكر مسرعين وترميهم مقاتلة ثقيف بالنبل فتصرع منهم جماعة فيهم عداس قد مات قبل أن يبلغ صاحبه العظيم ، ويخلص سائرهم إلى النبي فيهديهم الى الاسلام ويردهم الى الحرية ، وينصرف عن حصار الطائف حتى إذا أسلمت ثقيف تكلمت في رقيقها أولئك وأرادت ردهم الى الطاعة ، فيقول النبي الكريم : كلا ! هؤلاء عتقاء الله

طه حسين



منطقــــة الايمان

للاستاذ توفيق الحكيم



حينما كنت وكيلاً للنائب العام كنت أرى عجباً في قاعات المحاكم وجلسات التحقيـــق ؛ وكنت أفكر كثيراً في أمر ذلك الشرير الذي طالعت صحيفة حياته فاذا آثام ودماء تسيل منها . ومع ذلك يقف أمامي متطلعاً الى السماء ، ويأبى أن يقسم بالمصحف كذبا . هـذا الآدمي قد انطلقت غرائزه الدنيا لا يقوم لها شيء ، لكن بقيت برغم هذا في نفسه منطقة عذراء لم يتطرق اليها فساد : منطقة العقيدة ! أهناك إذن حد فاصل بين العقيـدة والغريزة ؟ كذلك كان يدهشني أمر صديق من خيرة القضاة ، كثير الورع ، حريص على العبادة والصلاة ؛ ومع ذلك بقي عقله حراً من كل قيد . ما يدور بيننا حديث في الخالق والخليقة حتى يذهب هو في التدليل والمنطق كل مذهب الى أن يقع في الالحاد وإنكار الجنة والنار . وينادي المؤذن بالصلاة فاذا القاضي يسرع مخلصاً الى ذلك الدين الذي قال فيه منذ لحظة قولاً عظما . أهناك إذن حد فاصل بين العقيدة والعقل ؟

إذا قلنا مع القائلين إن العقل والقلب والغريزة ملكات ثلاث منفصلة إحداها عن الأخرى ، فان هذا القول يؤدي حتما الى نتائج غريبة قد تعدل من نظرتنا الى الأشياء . ولعل أول ما يفهم من هذا الاستقلال بين الملكات تباين ألوان الحقيقة لدى كل منها ؛ فما يصدق عند القلب ، قد لا يصدق عند العقل . بل إن كل ملكة من تلك الملكات تسيطر على عالم مختلف جد الاختلاف عن عالم الأخرى . يقابل ذلك في المحسوسات تلك الحدود والحواجز بين

الحواس ، فعالم البصر منفصل عن عالم السمع ، والحقيقة البصرية غير الحقيقة السمعية ، وما يعتبر موجوداً فى منطقة العين لا يعتبر موجوداً فى منطقة الأذن ، فهذا الحجر الساكن حقيقة تراها العين المبصرة ، ولكن الأذن لا تدرك ولن تدرك هذه الحقيقة ، ولن تعرف مطلقاً ما هو الحجر وما شكله ، لأن عالمها وهو عالم الأصوات لا يخطر له على بال أن فى الوجود عالما يسمى عالم المرئيات . فالعقل لا يدرك إلا ما يلائم وظيفته وما يخضع لمقاييسه . والحقيقة العقلية ليست الحقيقة المطلقة ، وليست الحقيقة كلها . ولكنها الحقيقة التى يستطيع العقل أن يراها من زاويته . فاذا كانت العقيدة مرجعها القلب ، فان العقل لن يرى منها إلا الشطر الذى يستطيع أن يراه ، ويظل محجوبا عنه الشطر الواقع فى دائرة القلب . فوجود الخالق الجبار المنتقم الرحمن اللطيف لا شك فيه عنه القلب ؛ أما العقل فان استطاع بالمنطق أن يتصور وجود الخالق ، فانه قد يرتاب فى صحة تلك الصفات المنسوبة اليه ؛ وقد يراها فى منطقة صفات آدمية أسبغها البشر على خالقهم إجلالاً له ، لأنهم وهم بشر لا يملكون غير تلك الصفات التى هى فى عرفهم مرادف الاكبار والتقدير . أما حقيقة الخالق فأمر بعيد عن مقدرة العقل ، وهل يستطيع الجزء أن يرى الكل ؟ هل تستطيع الكبد فى جسم الانسان مثلاً أن تحيط إدراكا بحقيقة شكل الانسان الخارجى وهى جزء منه داخل فيه ؟ إن كل ما تدركه الكبد هو وجود تلك المواد التى تمر بها كل يوم فتحولها الى إفرازات دون أن تدرى من أين جاءت ، ولا الى أين تذهب . العقل أيضاً يرى الأحياء كل يوم تدور دورتها دون أن يدرى من أين جاءت ولا الى أين تذهب . فالحقيقة العقلية أو العلمية لا يتجاوز علمها الكائنات التى تمر بالحواس ؛ ومن يحمل العقل أكثر من قدرته فهو إنما يريد منه المستحيل ، كمن يطلب الى الكبد مضغ الطعام . فالحقيقة العقلية أو العلمية شىء ، والحقيقة الاحساسية أو الدينية شىء آخر ؛ وإن رجال الدين يقعون دائماً فى الخطأ ، إذ يبسمون بسمة الظفر كلما قال رجال العلم قولاً يتفق مع الدين ، ويقطبون تقطيب الغضب كلما نقض رجال العلم أسس الدين . وما أحراهم فى كلتا الحالين أن يبسموا غير مكترثين بسمة الصفاء واليقين ، وأن يعتقدوا تمام الاعتقاد أن العلم فى كلا الحالين كاذب عندهم وإن صدق ، وأن لا شأن للعلم بهم ، وأن الحقيقة الدينية بعيدة عن وسائل العلم ودائرة بحثه ، وأن العقل يستطيع أن يهدم الدين كما يشاء دون أن يسمع القلب طرقة واحدة من طرقات معوله ؛ وأن أولئك الملحدين الذين سخروا عقولهم الكبيرة لتفنيد الدين وهدم أصوله والشك والتشكيك فى جوهره ووجوده ، لم يستطيعوا لحظة واحدة أن يسكتوا صرخات القلب الحارة الصاعدة إلى ذلك الموجود الاسمى الذى بيده نفوسهم . إن عقولهم كانت ترغى وتزبد بالكلام المعقول والمنقول ، وقلوبهم فى معزل عن كل هذا الصخب ، لا تشعر ولا تدرى شيئاً عن المعركة الحامية القائمة فى تلك الرؤوس . فالتوفيق بين العلم والدين ضرب من العبث . على أن اجتهاد المجتهدين فى هذا السبيل لم يتعد ذلك الجانب من الدين الخاضع بطبيعته لحكم العقل ، وهو الجانب الاجتماعى المبنى على الأخلاق وما يتفرع عنه من فكرة الفضيلة والرذيلة ...

وهنا يتساءل الناس دائماً : ما الدين ؟ أهو شىء مفيد للبشر فى أمر حياتهم ومعاشهم ؟ أم إنه طريق لحل اللغز الأكبر وسبيل للنفوذ إلى المجهول ؟ . فى الواقع أن كل دين من الأديان المعروفة يتكون من هذين الوجهين . فالدين كقانون اجتماعى ينظم الغرائز ويحفظ التوازن بين الخير والشر ، هو أمر متعلق بذات الانسان ، متصل إذن بعقله وعلمه . على أن عنصر « الأخلاق » فى الأديان ليس كل جوهرها . فان بعض البلاد قد استطاعت أن تجد فى « الأخلاق » غنى لها عن « الأديان » ؛ إنما قوة الدين وحقيقته فى العقيدة والايمان « بالذات الأزلية » . هنا لا سبيل إلى الدنو من تلك « الذات » إلا عن طريق يقصر عنه العلم الانسانى ، بل يقصر عنه كل علم ، لأن العلم معناه الاحاطة ، والذات الأبدية لا تمكن أن يحيط بها محيط ، لأنها غير متناهية الوجود . فالاتصال بها عن طريق العلم المحدود مستحيل . هاهنا يبدو عمل الدين ضرورة للبشر . إنى ما كتبت هذه الكلمة اليوم إلا لألفت نظر رجال الدين الى وجوب التسامح والهدوء كلما قام باحث يتكلم فى الدين عن طريق العقل ، فان الشرق اليوم مقبل على حياة علمية واسعة مهادها المعاهد والجامعات ؛ ولا بد لنماء ملكة العقل من التفكير الحر الطليق ، كما لا بد لحياة ملكة القلب من

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

الاسلام كعامل فى المدنية *

للاستاذ أحمد أمين



نعمل أهم تراث الاسلام وأثره فى المدنية أمران : (الأول) العقيدة الاسلامية ، لأنى أرى أن كل ما نشأ عن الاسلام من فتح وعلم وادارة وفن وغيرها أثر من آثارها ، فالعربى قبيل الاسلام كان هو العربى بعيده ، فى جسمه وجوهر عقله ومعدنه ، ولم يجعله يتجه الى الفتح ويرى نفسه جديراً بأن يقف فى المستوى الذى تقف فيه أرقى الأمم فى عصره — وهما الفرس والروم — بل يرى نفسه أرقى منهما ، وأجدر بأن يحكمهما ويوجههما وجهة خيراً من وجهتهما ويدخل التعديل على مدنيتهما — الا عقيدته ؛ فهى — وحدها — الشىء الجديد فى حياة العربى المسلم . لم يأت الاسلام فى أول دعوته بنظريات هندسية ، ولم يخترع آلات حربية ، ولا فنوناً جديدة ، ولا نوعاً من الادارة جديداً ، لأن هذه كلها أمور ثانوية بجانب العقيدة ؛ فالعقيدة اذا صلحت أصلحت كل فاسد ، ونشأ عنها كل أسباب التقدم ولو كان صاحبها فقيراً جاهلاً ، حتى ولو كان فى بلد جدب وأرض قفر ، ولو لم ينشأ فى مدنية ولو لم يرث حضارة . والعقيدة اذا فسدت أضاعت الثروة الموروثة ولم ينفع معها علم ولم يفد غنى ، كلا ولا تنفع أرض خصبة ولا مدنيـة فخمة ، ففيلة الفرس لم تثبت أمام بعير البدوى ، ولا الدروع المضاعفة الرومانيـة استطاعت أن تصمد أمام نبال العربى وقوسه الساذجة ، لأن بعير البدوى كان يحمل على ظهره قلباً مؤمناً ، وفيل الفارسى كان يحمل فؤادا هواء ؛ والقوس العربيـة كانت تصدر عن عقيدة صحيحة قوية ملتهبة ، ودروع الرومانى كانت تتضمن قلباً لا عقيدة فيه . كل همه شهوة ينالها ومتاع زائل يأمل أن يلتذ به . فان فقـد العربى حياته فى القتال فلا بأس فانمـا يعجل ذلك قربه من الله . واذا فقـد الفارسى أو الرومانى نفسه فيالها من خسارة ، فقد حرم الخمر وحرم النساء وحرم متع الحيـاة ؛ فاذا قاتل العربى قدم حياته فحفظت حياته . واذا قاتل الآخر قدم عدده وادخر حياته فخسر عدده وحياته . لم يتغير شىء فى حياة العربى عند ظهور الاسلام إلا عقيدته ، وكل شىء تغير غيرها فبسببها . وقد كنت أود أن أقتصر على الكلام فيهـا لولا أن هناك ناحية أخرى تهمنا كأثر قوى فى بنـاء المدنية وهى « أثر الثقافة الاسلامية فى المدنية » ، فهى من جهة أكبر أثر للعقيدة ، ومن جهـة أخرى أقوى مركز ترتكز عليه المدنية . لهذا سنحصر قولنا فى هاتين الناحيتين وفيهما الغناء

العقيدة الاسلامية — كان العرب فى جاهليتهم يعبدون الأصنام ، قد اتخذت كل قبيلة إلهاً من صنم أو وثن ، وقدمت اليه القرابين وجعلته الآمر الناهى ، وهو طور تـكاد تـكون الأمم كلها قد مرت عليـه وان اختلفت أسماء أصنامها باختلاف بيئاتها ؛ ذلك لأن فى طبيعة الناس الايمـان بقوة فوق قوتهم تدفع عنهم الشر وتجلب لهم الخير ، وتحيي وتميت ، وتخلق وتفنى ؛ واذا كان العقل قاصراً ركز هذه القوة فى شىء من المـادة خلع عليه هـذه الصفات ، فأحياناً يكون صنما ، وأحياناً يكون الشمس والنجوم ، وأحياناً يكون شجراً ، وأحياناً يكون حيواناً ، وأحياناً يكون نهراً أو بحراً ، فـكل هذه الـكوائن عبدت عند الأمم المختلفة ، لأنها أحست أن فى أعماق نفسها عقيدة بقوة فوق قواها . تساوت الأمم فى هذا ، ولـكنها اختلفت فى الشكل الذى تجسد فيه هذه القوة فتعبده ، بحسب قوتها العقلية والخيالية ومواضعها الجغرافية وبيئتها الاجتماعية

* ملخص المحاضرة التى ألقاها الأستاذ فى جمعية الشبان المسيحيين بيت المقدس

الشعور الحار العميق . فليترك رجال الدين المفكرين يفكرون كما يشاؤون ، ويثرثرون كما يريدون ، ويعرضون بضاعتهم الـكلامية التى هى كل بهرجهم الأدبى الأجوف ، فان كل هذا الضجيج العقلى لن يصل خبره إلى القلب الذى لا يفتر لحظة عن التسبيح رغماً عنهم بالعقيدة التى ركبت عليها حياته النابضة ...

توفيق الحكيم

وكانت هـذه هى الحالة الساذجة للعبادة عند الأمم يعترفون باله أو آلهة ، ويشكلونها فى شىء محسوس يقدمون لهـا صنوف التعظيم والتمجيد — فـكرة حق ولـكنها اتخذت مظاهر خرافية كالطفلة فى غريزتها الأمومة ، وفى طبيعتها الاشراف على تنظيم الحيـاة البيتية ، فهى تتخذ لها لعباً من عرائس تجعلها أبناءها وبناتها وتمنحها عطفها ، وتنفذ عليها أوامرها اجابة لداعى الغريزة الـكامنة وارهاصاً لـما يكون منها بعد نموها

وأحياناً يحاول أن يتخلص من المـادة فيعبد أرواحاً جناً أو ملائـكة أو نحو ذلك ، ولـكن سرعان ما ينتكس ثانية فيسبغ عليها أوصاف المادة فيجعلها ذكوراً وإناثاً ، ويجعل لها أجنحة تطير بها ، ويجعل لها قروناً وذيولاً لأنه لم يرق حتى يستطيع أن يتحرر من عبادة المادة بتاتاً

كذلك كان العرب بل كان أكثرهم فى حالة منحطة من عبادة المادة ، يعبدون الحجر لا النجوم ولا الأرواح ، ويأتمرون بأمرها فى زعمهم فى اقامة ورحيل ، واقدام واحجام ، وزواج وطلاق

وعبادة الأصنام كائنـة ما كانت — تشل حركة العقل ، وتضعف قوة النفس ، وتحط الحياة الاجتماعية ، وتجعلها حياة خرافية وضيعة . مثل هـذه العقيدة تعوق العـلم ، لأن العلم لا يلائمها ، وتعوق التفـكير الصحيح لأنه ليس من طبيعتها ؛ وتعوق التقدم الاجتماعى لأنه أساس اطلاق الفـكر من قيوده . والفـكر مشلول بعبادة الأصنام

ومن أجل هذا كان أهم ما أتت به سلسلة الأنبياء محاربة هذه العقيدة ، وتخليص الفـكر من قيوده التى قيدته بها العقيدة فى الحجر والشجر ، والنجوم والبحار والأنهار ؛ وكان نجاحهم فى أول الأمر قليلا قليلا ، لأنه لم يكن يقوى على احتمال تجريد الاله عن المـادة الا القليل من الناس ، وحتى فى العصور الحديثة لا تزال النزعة الى مادية الاله تتسرب فى أشكال مختلفة ، مع رقى العقل البشرى ونموه ونضوجه

وقد بدأت هذه الدعوة الى التجديد فى الأمم السامية من عهد ابراهيم ، واستمرت بين الظهور والخفاء ، وكلما تقدم الناس كانوا أكثر لها استعدادا وأقرب قبولا ، حتى أتى محمد (ص) فدعا دعوته الجريئة الصريحة الى كسر الأصـنام وتحطيم الأوثان وتخليص العقيدة من كل شرك ، وتجريد الله عن كل مادية ؛ وكان شعار عقيدته « لا إله إلا الله » ، ومدار عقيدته « ليس كمثله شىء » ؛ فالأصنام ليست تصلح لشىء الا للمعاول ، والنجوم هو الذى خلقها ونظم حركاتها ، والبحار والأنهار هو الذى خلقها وأجرى ماءها ، والملائـكة هو الذى خلقهم « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرن » ، لا شىء يشاركه فى ألوهيته من مادة أو روح — هو حقيقة واضحة معقولة لا فى شكل — غيبت عن العقول حقيقته ، وظهرت لهم صفاته ، فهو الخالق لـكل هذه الظواهر ، وهو الذى يسيرها ، وهو غرضها الأسمى ؛ هو وحدة لا تعـدد فيها بأى حال — تنزه عن المـادة وتنزه عن الشريك

سلك القرآن فى الدعوة الى الايمان مسلـكا خاصا ، فبعد أن أبان للانسان أن الله خالق كل شىء ، وأنه رب العالمين ، طلب اليه أن ينظر الى كل شىء فى العالم من صغير وكبير ، فسيرى فيه مظهراً من مظاهر الألوهية ، ودليلا على عظمة الله وقدرته

لم ينهج القرآن منهج الفلاسـفة فى دوران العقل حول نفسه ليستخرج منها نظريات مجردة ، ومقـدمات ونتائج منطقية ، انمـا طلب أن تمتزج النفس بالعالم ، وأن ينفذ العقل الى رب العالم عن طريق العالم ، لأن هذه الطريقة أكثر إحياء للشعور ، ومبعثاً لحياة القلوب ؛ والايمان ليس يعتمد على العقل وحده ، بل هو يعتمد على القلب أكثر من اعتماده على العقل . من أجل هذا طلب القرآن النظر الى كل شىء فى العالم من الذباب والنحل والعنكبوت ، الى الفيل والجمل ، الى البحر والنهر ، الى السماء والأرض ، الى السحاب المسخر بين السماء والأرض ، الى الشمس والقمر ، الى الليل والنهار . والقرآن مملوء بالآيات التى تصل الانسان بالعالم ، وتصل العالم بالقلب ، وتبعث حرارة الايمان بالله ، وتملأ القلب حياة وحماسـة . وهذا هو الذى ملأ صـدر الصدر الأول من المسلمين بالعقيدة ، وجعلهم يبيعون أنفسهم فى سبيل الله عن سـخاء . وهذا بعينه هو الذى شجع المسلمين على البحث العلمى ، فقد اتجهوا الى العالم يستدلون به على خالقه فدفعهم ذلك الى العالم يتعرفون طبيعته وقوانينه ، وهذا هو العلم . لم يطلب اليهم الاسلام أن يعيشوا فى صوامع يديرون طاحونة العقل على

هواء ، بل طلب اليهم أن يتصلوا بالعالم يدرسونه وينظرون فيه خالقه وخالقهم ، فكان ذلك داعية للعلم والمدنية معاً . لم يتطلب الاسلام من صاحبه أن يعيش عيشة روحية مطلقة مجردة عن المادة ، بل طلب اليه أن يمزج الحياة الروحية بالحياة المادية ، وأن يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته ، وأن يتزوج ويصلى ، وأن ينعم بالحياة فلا يحرم على نفسه زينة الدنيا وطيبات الرزق كما ينعم بالنظر وبالتفكير فى ملكوت الله ، وبعبارة أخرى لم يتطلب الاسلام من الانسان أن يكون ملكا ، وانما طلب اليه أن يكون انساناً كاملا ، يعيش وفق ما خلق ، فقد خلق جسما وروحا ، فلجسمه عليه حق ، ولروحه عليه حق ؛ فلا عجب بعدُ أن رأينا المسلم يساهم فى بناء المدنية لأنها واجبه ، وفى بناء الروحية لأنها مطلبه

لم ينح الاسلام منحى العلم ، يقرر القوانين جافة جامدة كما تفعل العلوم الرياضية والطبيعية ، وكما تفعل الميتافيزيقا اليونانية فهذا هو العلم ؛ ولكنه سلك مسلكا سماه « الحكمة » وقال : « ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب » ؛ وما الفرق بين العلم والحكمة ؟ العلم هو هذا النوع من المعرفة التى تأتى من طريق الحواس وما تألف منها ؛ فاذا نظمت هذه المعارف ووضعت كل طائفة منها فى مجموعة سميت علماً . أما الحكمة فمزج الروح والنفس بالعالم ، والعلم يغذى العقل وحده ؛ أما الحكمة فتغذى العقل والمشاعر ، وهذه المشاعر هى التى عبر عنها الدين بالقلب والفؤاد . اذا كان العلم ينظر الى الانسان فيقسمه الى أجناس ، والى أمم ، والى ذكور وأناث ، فالحكمة تنظر الى الانسانية فى الانسان والى الانسانية التى من ورائها الله يسيرها وينظمها ويمنحها الوجود ويمدها بروح منه . واذا كان العلم يقسم النبات الى فصائل ، ويميز اختصاص كل فصيلة ، فالحكمة ترى فى اختلاف أنواع النبات دليلا على القدرة الالهية . وهكذا ينا فى العلم تمد الطبيعة رباطا بينها وبين العقل ، تمد الحكمة رباطين أولهما وأولاهما بينها وبين القلب ، وثانيهما بينها وبين العقل

ومن أجل هذا عنى القرآن بمظاهر الاختلاف بين القوانين الطبيعية أكثر مما عنى بتقرير القوانين الطبيعية الجزئية ، فهو يلفت النظر الى الانسان ، كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ، ثم كان من المضغة عظام ، ثم كسا العظام لحما ، ثم كان من ذلك انسان

ولفت النظر الى اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الشمس والقمر ، واسترعى النظر الى السحاب يسير باذن الله ، ثم يمطر ماء فتكون منه زروع وجنات يأكل منها الانسان والأنعام ، والى الانسان واختلاف ألوانه واختلاف ألسنته ، والى حركة الماء فى البحار والأنهار وتلاقيهما . وهكذا عُنى القرآن بهذه المناظر المتغيرة ، وبهذه الحركة الدائمة لأنها أمس بالشعور وأقرب الى الحكمة وأدل على المحرك والخالق والمدبر . فكانت بذلك مبعث ايمان صادق حار لا يفتر

وقد غفل علماء الكلام من المسلمين عن الفرق بين العلم والحكمة ، وبين الفلسفة والدين ، وبين منهج القرآن ومنهج اليونان ، فحولوا — وعلى رأسهم المعتزلة — الدين من القلب الى العقل البحت ، وألفوا العقائد فى شكل قضايا منطقية ، فتحجر الدين ، وانقلب جسما جامدا لا روح فيه ، فخمدت حرارته ، وضعفت شعلته ، وقل نوره وضياؤه

بهذه العقيدة التى ألممنا بها نقل الاسلام العرب من أفق خرافى ضيق كسم الخياط ينحصر فى تقديس الحجر والرجوع اليه فى أهم الأحداث ، الى أفق فسيح لا حد لسعته ، يطالع فيه جميع المخلوقات فى الأرض والسماء ، ويسبح بعقله وشعوره فيها ، ويمتزج بها ، بل هو لا يقف عند ذلك ، ويتعداه الى إله مجرد عن المادة ، ومنزه عن شبه المادة ، يحكم العالم ويسيطر عليه ، وينظمه ويسيره ، وهو وحده لا شريك له رب العالمين

وضع الاسلام فى يد العرب الذين كانوا يدينون بالأصنام معاول يكسرون بها الأصنام ، وهم اذ كانوا يكسرونها حسياً كانوا يعلنون بعلمهم أنهم تحرروا من رق الخرافة ، وسموا عن تقديس حجر ، وارتفعوا بتفكيرهم وشعورهم الى ما فوق المادة ، واتصلوا باله الكون يستمدون منه القوة ، ونظروا من طيارة الى من حولهم من الناس يرثون لحالهم ، اذ رأوهم بائسين ، كما كانوا هم بالأمس ، من فرس مجوس يعبدون ناراً ، وما النار إلا مخلوق ضعيف تشبه فى ضعفها الأحجار التى كانوا يعبدونها أيام جاهليتهم ، ومن رومان

تركوا وراءهم دينهم الصحيح وأخذوا يعبدون شهواتهم فعبدوا الخمر وعبدوا النساء وعبدوا المـال وعبدوا الجاه ، وما كل ذلك إلا أصنام كأصنامهم التى حطموها بالأمس ، وما هى إلا ضرب آخر من ضروب النار التى يعبدها المجوس تشب بين جوانحهم . هؤلاء الفرس وهؤلاء الرومان الذين كانوا بالأمس القريب ، المثل الأعلى للعرب ، والذين كانوا يرون فى أعماق نفوسهم أنهم أنفسهم عبيد ، وأن الفرس والروم سادتهم ، وأنهم سوقة والفرس والروم ملوكهم ، وأنهم أذلة والفرس والروم أعزة ، وأنهم فقراء وأمل الآمل منهم أن ينال من متاجرته مع الفرس والروم شيئاً من فتاتهم ومما تناثر من أيديهم ؛ هؤلاء الفرس والروم أصبحوا فى نظر العربى المسلم أسرى عقائد فاسدة ، وأسرى شهوات وضيعة ، وأن ملكهم وجاههم وعدتهم وزينتهم لا تساوى شيئاً بجانب صحة عقيدتهم هم ، لقد كانوا ينظرون اليهم من غواصة فيحسدونهم على استنشاق الهواء على ظهر الأرض ، فأصبحوا ينظرون اليهم من طيارة عالية جداً فيرونهم حشرات حقيرة تتقاتل على متع دنيئة ، ويرونهم المثل الأدنى للانسانية . وقد كانوا المثل الأعلى ، وأنهم أحق بالعطف عليهم والأخذ بيدهم ، وقد كانوا من قبل يستجدونهم ويستذلون لهم ويخطبون ودهم . لم يقلب هذا الوضع عند العرب الا العقيدة ، وكفى بها ثورة : ثورة فى العقـل وفى القلب وفى والخلق جعلتهم كأنهم خلق آخر

هذه العقيدة بما أضاءت وبما بعثت من حكمة جعلتهم فوق العلم . ان شئت فانظر الى عمر بن الخطاب ، وأبى عبيدة ، وسعد ابن أبى وقاص وأمثالهم — ماذا كانت ثقافتهم العلمية بالمعنى الذى نفهمه الآن ؟ كانت لا شىء ، أو كانت ضعيفة كل الضعف ، فليسوا على علم واسع بقوانين الحساب والهندسة ، ولا بالجغرافية ، ولا بشىء من فروع العـلم ، ولـكن أضاءت الحـكمة أذهانهم وقلوبهم ففاقت العـلم ؛ والا فـكيف استطاع عمر بن الخطاب — مثلاً — أن يدير هو وأعوانه مملـكة الفرس والروم ، وقد بلغتا فى الحضارة شأواً بعيـداً ، يعرف أهلهما الجغرافية معرفة واسعة ، ويؤسسون المملـكة على نظم ادارية وحربية دقيقة ، وعندهم علم وأدب وفن . لو عهد بأقليم من أقاليم الفرس والروم الى عمر فى الجاهلية لحار فى إدارته وارتبك ، ولساسه كما يرعى الشاء والابل ، ولـكنه الاسـلام وما بعث من حكمة غير نظره الى الأشياء ، وجعله ينفذ ببصيرته الى نظم الفرس والروم فيدرك منها الصالح وغير الصالح ، ويعدل فى ادارتها وشؤونها الاجتماعية تعديلاً لا يستطيعه العالم المـاهر الذى تنتجه ، حتى حضارة اليوم . فهو يغير من نظام الضرائب ، وتوزيع الأراضى ، وتدوين الدواوين . ويستطيع وهو فى مكة أن يرسم خطة السير لحـكومة تسوس العراق ومدن الفرس ، كما تسوس الشام ومدن الروم ! انها احدى العجائب الـكبرى أن يصل بدوى الى ذلك ، وعهدنا بالبـدوى الهمجى يخرب ولا يعمر ، واذا غزا وانتصر فـكل مطمعه فى الغنيمة . فما بال عمر وأمثال عمر يدخل التحسينات على الحضارة ، ويقترح فيما يزيد العمران ، ويبث فى الحضارة القديمة روح العدل والاحسان ؟ لا شىء غير العقيدة الاسلامية محصت نفسه ، وطهرت قلبـه ، وجعلت نظره ينفذ الى بواطن الأمور ، يعدل على الذين لا يرون الا الظواهر ، ولا يهمهم إلا بهرجة الدنيا ، والزخرف الظاهرى

فان نحن عددنا العقيدة الاسلامية — بالشرح القليل الذى شرحنا — أثمن ما قدمه الاسلام الى المدنية لم نـكن مبالغين

هـذه العقيدة لا تقر بعظمة إلا عظمة الله ، ولا تقر بتقديس ملك ولا بامتياز لرجال دين ، ولا تعترف بوساطة أحد بين الانسان وربه ، ولا بأى نوع من أنواع الأرستقراطية : لا أرستقراطية المال ولا أرستقراطية العلم ولا أرستقراطية رجال الدين . كل الناس سواء . الناس من تراب وإلى التراب يعودون . ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . وخير الناس أنفعهم للناس

(البقية فى العدد القادم) **أحمد أمين**

منـــــذ ألف عام

للاستاذ على عبد الرازق

يوجد بين حياة الشرق فى العصر الحاضر ، وبين حياته منذ ألف عام مضت ، نوع من التشابه يستوقف النظر . وقد يكون فى دراسة هذا التشابه واستقصاء البحث فيه لذة ومتاع للنفس ؛ وقد يكون فيه مع ذلك فائدة للعلم

وما ندعى أننا نستطيع الآن أن نستوفى جوانب هذا البحث أو نلم به المـامة واسعة ، وانما نريد أن نفتح هذا الباب للباحثين لعلهم يجدون فيه خيرا كثيرا من أنواع المتاع وفنون العلم

وفى الحق انه يوجد دائما نوع من التشابه بين صور هذه الحياة الدنيا ماضيها وحاضرها وقديمها وحديثها ؛ وما دام الناس هم الناس فى جميع العصور ، وما دامت كواكب السماء تروح وتغدو فى دورة منتظمة لا تبديل فيها منذ وجدت كواكب السماء ، وما دامت الأرض هى بعينها الأرض فى الماضى والحاضر، فمن الطبيعى أن تتشابه الى حدّ ما صور الحياة وأن يحاكى بعض الحوادث بعضا

والذى يقارن بين أى جزء من أجزاء التاريخ وبين أى جزء آخر منـه لا يعجز عن أن يتبين بينهما مظاهر من التشابه والتماثل ؛ ولـكن التشابه الذى يجده الناظر بين حياتنا الحاضرة وبين الحياة من ألف عام ليس هو من هذا النوع الذى يلحظ بين جميع أجزاء الحياة وجميع مظاهرها . وليس هو من القلة بحيث لا يستلفت النظر ولا يثير رغبة البحث . فالتشابه هنا ظاهر وقوى يكاد يجعلهما صورة واحدة لعصر واحد

على أنه مع ظهوره وقوته لا يبلغ أن يكون دليـلا على تماثل العصرين من جميع الوجوه ، ولا على اتفاق العصرين فى جميع الصفات والخصائص ؛ وهو لذلك لا يبلغ أن يكون دليلاً قطعاً على صحة مايذهب اليه بعض الباحثين من أن التاريخ يعود بنفسه

منذ عام توفى المرحوم أحمد شوقى أمير الشعراء ؛ ومنذ ألف عام توفى أبو الطيب المتنبى ؛ وبين الرجلين من التماثل ما يشبه أن يكون مثلاً صادقاً لرجعة التاريخ ، فقـد يمكن القول بأن متنبى القرن الرابع كان شوقى القرن الرابع عشر ، وبأن شوقى القرن الرابع عشر كان هو متنبى القرن الرابع !

دع عنك ديباجة الشعر وما بين الشاعرين فى ذلك من توافق جد قريب ؛ وانظر الى ما أحاط بالرجلين من ظروف وملابسات ؛ فقد كان عصر المتنبى عصراً داوياً بالشـعر زاهياً بالـكثير من الشعراء ، ولـكن شعر المتنبى قد غطى على أكثر تلك الأصوات الداوية ؛ وقد غمر اسم المتنبى أكثر تلك الأسماء فـكان كما قال عن نفسه :

أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

وكذلك كان شوقى فى عصر يدوى بالشعر ويزخر بالشعراء فغلج عليهم شوقى باسمه وبشعره ، وجاءه الشعراء من كل صوب يبايعونه بأمارة الشعر

وقد كان المتنبى شاعراً مداحاً وكذلك كان شوقى ؛ والمتنبى كان يتنقل بمدائحه من جناب الى جناب ، ومن بلد الى بلد ، وكذلك فعل شوقى

ولقد أخلص المتنبى فى مديح سيف الدولة فأفاض عليه من مدائحه الخالدة خلوداً لا يبلى ؛ وما كان سيف الدولة لولا المتنبى الا ملـكا كسائر الملوك

وكذلك أخلص شـوقى فى مديح سمو الخديو عباس الثانى ، فأفاض عليه من مدائحه الخالدة خلوداً لا يبلى ، وسجل اسمه مشرقاً وضاء فى سماء المجد حيث لا يلمع كثير من الأسماء الطنانة

اننـا لنأسف اذ لا نجد بين أيدينا صورة مفصلة لجوانب الحياة الاجتماعية فى مصر منذ ألف عام لنستطيع أن نقارن بينها وبين جوانب حياتنا الاجتماعيـة الحاضرة لنستخلص ما يكون بين الحياتين من تماثل قريب أو بعيد

على أن ذلك لا يمنعنا من أن ندرك ما بين الحياتين اجمالاً من تشابه قوى الى حد يثير العجب ؛ فلقـد ترك المتنبى وصفا واضحا وان كان مجملاً للحياة فى مصر أيام عرفها المتنبى واتصل فيها بنعمة كافور الأخشيدى . ولعمرى لا يزال أكثر ما قاله المتنبى فى ذلك أو كله ينطبق على حياتنا الحاضرة ويصفها وصفا صادقاً :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد

وكم ذا بمصر من المضحكات ولـكنه ضحك كالبكا

مصرع الحسين

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى



كان لنا ، قبل الحرب ، صديق معمر . من بنى الفرس — أو من أجدادهم الأولين على الأصح — فقد كان عمره فوق المائة ، وكنا نحاسبه فيكون تارة مائة وعشرين . وأخرى مائة وبضع سنوات ، فأضحك وأقول : « يجب أن نقيد هذه الأرقام الرواغة » . وأتناول القلم . وأقيم سنه على الورقة ، وأنظر اليه ، وأقول : « تفضل ! قبل أن يغرق الطوفان الأرض كنت سعادتك سفيرا لدولتك عند روسيا . ولما صعق موسى عند دك الجبل ، كنت .... » فيتكلف الغضب . وينهرنا عن هذا العبث ويقول : « اختش يا ولد ! »

وكان على عظم ارتفاع سنه قوى البنية ، متين الأسر . وكنا نسأله عن سر ذلك . فيقول إنه لم يتزوج قط ، فأضحك وأقول : « هات سبباً آخر . فإن هذا معلوم ، مفهوم بالبداهة ! » فيرفع عصاه الغليظة ، ويلوح بها كأنما يهم بضربى ، فينقلب ضحكنا قهقهة عالية مجلجلة ، ويسره سرورنا فيفيء الى الرضى

ويقول لنا أحياناً : « تعالوا نتمشى » ، فنسأله : « أين ؟ والى أين ؟ » . فيقول : « فى طريق الجيزة » ؛ وكان بيته فى « باب الخلق » . فنخرج معه ، إلى الزمالك ويقف بنا على جسره هنيهة ، يحدثنا ويروى لنا أخبار القرون الأولى ، أو يرتجل شعراً فكاهياً يجيزه . أو نشطر قصيدة لواحد من شعارير ذلك الزمان تشطيراً يخرج بها إلى الهزل الصريح والمجانة الشديدة ، وأذكر من مطالع قصائده المرتجلة :

« قفى حدثينى عند كوبرى الزمالك
وروى غليل القلب يا أم مالك »

ثم نستأنف السير بعد أن نميل إلى طريق الجيزة ، حتى نفتر ونكل ، وتخذلنا أرجلنا ، وهو لا يزال كما بدأ ، فيسخر منا ، ويوسعنا تقريعاً وتعييراً ، فلا نبالى ، ونقعد على الأرض من شدة التعب . ويتفق أن تمر بنا سيارة ، تخطف ، فيشير اليها ويقول مازحا : « خذونا ، أخذكم الله ! »

ولم يكن هزالا ، وانما كان يوسع لنا صدره ، ويتقبلنا على علاتنا ، ويأنس بنا كأنسنا به ، وكانت الدنيا كلها أصدقاء له ، ولكنا نحن كنا نلازمه بعد أن نفرغ من أعمالنا ، وكان بيته نادينا . وفيه تعقد حلقتنا الأدبية الخاصة . وما أكثر ما كنا نقول له : « نريد أن نأكل أرزاً فارسياً » فيمضى بنا الى المطبخ لنساعده ، فهذا يقشر بصلا . وذاك يغسل آنية ، وثالث يضرم النار . وهكذا ، حتى يطبخ الأرز ويغرف فى الصحون ، ثم نحف به — أعنى بالأرز — ونقبل عليه فنلتهمه

وكان لنا خيراً من الأب ، وأخلص من الصديق وأوفى ، وكان ربما رأى أحدنا ساهما أو واجماً ، فيسأله عن سبب ما يبدو عليه ، فيفتح له صدره ، ويبثه ما فيه ، ويقول له بشجوه ، حباً كان ذلك أو هما ، أو غير ذلك ، فيشير عليه بالرأى الناضج ،

انا لفى زمن ترك القبيح به من أكثر الناس احسان واجمال
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أنى بما أنا شاك منه محسود

ولما صار ود الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمى أنه بعض الأنام

الخ الخ

***

منذ ألف عام كانت الخلافة الاسلامية فى بنى العباس تشارف النهاية وتلفظ الأنفاس الأخيرة من حياتها

وكان العالم الاسلامى فى جملته يضطرم ثورة . ويتأجج بالمنازعات السياسية ناراً

على أن ذلك الاضطراب السياسى لم يمنع من سير الحياة الاجتماعية والعلمية فى بلاد العالم الاسلامى سيراً مطرداً الى الأمام

وعصرنا الحاضر يشهد تلك المشاهد نفسها أو قريبا منها ، كما شهدها أجدادنا منذ ألف عام

ألا ليت شعرى هل صحيح أن للتاريخ رجعة ؟ واذا كان ذلك حقا فهل يرجع التاريخ كل ألف عام ؟ على عبد الرازق

ويخلص له النصح ، ويقوى ضعفه ويشجعه ، ولا يزال به حتى تعود اليه البشاشة

وقال لنا يوماً : « خـذوا » وناولنا بطاقات فيها دعوة إلى ما كان يسمى « زفة الحسين » ، وما هى بزفة ، وإنما هى مأتم ، ولـكنها هكذا كانت تدعى على ألسنة العامة . فذهبنا فى الموعد المضروب الى بيت رحيب فى زقاق ضيق ، فوجدنا هناك كثيرين من رجال مصر المعروفين ، أجلسنا معهم ، ثم دعينا الى مائدة مثقلة بألوان الآكال الشهية ، وكان الأستاذ البرقوقى الى جانبى ، فظمئ على الطعـام ، وأسر الى بذلك — لا أدرى لماذا — فأومأت الى الخادم ، فناوله كوباً رفعه الى فمه ، وما كاد يفعل حتى رده عنه ، وقال : « بففف ! » ، ذلك أنه كان سكراً مذاباً لا ماء . فعجبنا واتقينا أن نشرب

وانحدرنا الى صحن الدار ، وكان فيها منبر ، ارتقى اليه شيخ فارسى ، وانطلق يقول كلاماً لم نفهمه ، ولـكن صوته كان يتهدج وكانت الدموع تتسايل على خديه ، وتبل لحيته الكثة ، وقيل لنا إنه يرثى الحسين ويندب مصرعه ، وكان الذين يفهمون كلامه من بنى جنسه يبكون ، بل يعولون ، ومنهم من كانت تهيج حرقته فيلطم ، أو يضرب صدره أو ظهره العارى بسلسلة غليظة من الحديد ، أو يضرب جبينه بطن سيف مسلول ، أو بكله — أى قفاه الذى ليس بحاد — ولـكن أحـــدهم اضطرب وهو يفعل ذلك فأصاب حد السيف جبينه فانفجر الدم كأنه من نافورة ، وقد خفوا اليه ، وضمدوا جرحه ، وعصبوا له رأسه ؛ وهال أحدنا منظر الدم ، وظن أن الرجل لا محالة هالك ، فأغمى عليه ، وسقط على الأرض كما تسقط الخشبة ، فأنشقوه شيئاً فى زجاجة أنعشه ورد اليه روحه

ولا أحتاج أن أقول شيئاً فى وصف الموكب الذى يخرجون به ويطوفون بالشوارع وهم يدقون صـدورهم العارية أو يضربونها بالسلاسل ، أو يخبطون وجوههم أو عواتقهم يطون السيوف ، فان ذلك كله معروف مألوف ، وإن كان قد انقطع ، والأكثر من الناس قد رآه فى زمانه ، ولـكنى أقول إنى بعد بضعة أيام من شهود هذه « الزفة » وقعت على مقال فى مجلة انجليزية لكاتب انجليزى أو ألمانى — لا أذكر . فان العهد بها بعيد ، وقد فقدتها على الرغم من حرصى عليها وتحفظى بها — وفى هذا المقال يذهب الكاتب — والأرجح أنه ألمانى — إلى أن الحسين بن على رضى الله عنهما ، تعمد أن يضحى بنفسه ؛ وأذكر أنه قال إن الحسين لم يكن أبله . فقد حاول أمراً عرف مبلغ استحالته ، ومع ذلك أصر على الزحف . وليس معه إلا النساء والأطفال وحفنة صغيرة من الرجال ، مضى بهم وبنفسه معهم إلى بوار محقق

وقد دارت فى نفسى هذه المقالة ، فذهبت بها إلى صديقنا الفارسى ، فقد كان عالما واسع الاطلاع ، غزير المعرفة ، وترجمتها له ، وسألته عن رأيه فيها ، فلم يتردد فى الموافقة عليها . وقد فكرت بعد ذلك فى أمر الحسين وفى مغامرته العجيبة ، فلم يزدنى ذلك إلا اقتناعاً برأى هذا المستشرق الألمانى ، وبغير ذلك لا أدرى كيف يستطيع المرء أن يفسر اقدامه على طلب الخلافة وسعيه لانتزاعها من بنى أمية . فقد عرض نفسه على كثير من القبائل فما وجد منها إلا اعراضاً وانصرافاً ، أو على الأقل فتورا شديدا عن نصرته ، من حقه أن يثبط ، وليس من شأنه أن يشجع ؛ ولم يكن حوله من الرجال من يطمع أن يديل بهم من بنى أمية ، وحمل معه النساء حتى لـكن أكثر من الرجال ، ولم تصده عن السير خيبة مساعيه عند القبائل ، ووضوح خذلانها له ؛ والتقى برجال بنى أمية فعرضوا عليه ما لا يمكن أن يحلم بالفوز به بجهوده ، فأباه وأصر على المغامرة ، فوقعت الواقعة ، وكانت هذه المجزرة الخالدة التى لا يزال أثرها باقياً الى اليوم

ولم يكن الحسين مجنوناً ، ولا طياشاً ، ولا عرف عنه ما يحمل على سوء الظن بعقله ونظره ، فكيف هم بأمر كان من استحالته على يقين جازم ؟ ؟ وهبه كان مخدوعا فى اول الأمر فقد رأى من الاعراض عنه والخذلان له ، والزهد فى الانتقاض على بنى أمية ، والخوف من بطشهم وانتقامهم . ما يدفع إلى اليأس ويغرى بالقعود ؛ ولا يمكن أن يقال إنه كان يرجو فلاحا ، فما كان معه فى زحفه إلا النساء وإلا عشرات لا تغنى ، ولا يعقل أن تصبر على قتال دولة ذات بأس وصولة ، وما رأى أحدا استجاب لدعوته ، أو أبدى استعدادا للحاق به ، حتى يقال إنه كان ينتظر نجدة ومددا ، وهؤلاء النسوة من آل بيته لم أصر على حملهن معه وزحفه بهن ، وقد كان خليقاً بعد أن رأى كيف خذلته القبائل أن يشفق عليهن ويردهن ليقيهن أن يصرن الى ما هو صائر اليه لا محالة . ألا يعذر من يذهب إلى أن استصحابه لهن إلى المذبحة ، إنما كان مقصودا

به أن يخف المصرع الذى مضى اليه عامدا بكل عوامل الاستفزاز وعناصر الايلام المثير ؟ ؟ لقد ألقى بهن معه على القتل أو الاذلال والتحقير والهوان . وهن آل بيت الرسول صاحب هذا الدين . فلولا أنه تعمد أن يضحى بهن معه ليقيم القيامة على بنى أمية . لكان أيسر التفكير كافياً لحمله على اقصائهن عما سعى اليه ووطن نفسه عليه ؛ ولكنه نظر فرأى أن استرداد الدولة من بنى أمية مطلب لا سبيل اليه ولا مطمع فيه . فيئس من إمكان ذلك بالوسائل المألوفة ، فقال أنسف الدولة الأموية من قواعدها ، وأكون أنا اللغم الذى ينفجر تحتها ، فيزلزلها ويدك بنيانها ، ويطير أنقاضها . ويجعل عاليها سافلها ؛ ولا بد لذلك من أن تكون التضحية تامة . وعلى أبشع صورة من الصور . وأرغم بنى أمية على أن يقتلونى أقبح القتل ، وأن يمثلوا وينكلوا بى وبأهلى أشنع التمثيل والتنكيل ؛ فيستفظع المسلمون منهم ذلك — على قرب العهد بالرسول — وتضطرم نفوسهم بالموجدة والنقمة عليهم ، وينقلب العالم الاسلامى بركاناً يظل يفور ويغلى فى جوفه الحقد والبغض ، ثم ينفجر ، فلا يبقى ولا يذر ؛ وإنى لميت ميت ، طال الأجل أم قصر ، والخير من أن أموت حتف أنفى . أن أجعل ميتتى تكلف بنى أمية ملكهم كله ودولتهم أجمعها ؛ ولقد خرج الأمر من أيدينا وصرنا رعية لبنى أمية . فإذا رضينا وقنعنا من الحياة بالطعام والشراب . وقعدنا ننتظر الأجل فى أوانه . ثبتت الدولة ورسخت قواعدها . وإنى لأعلم أنه ليس لى حول ولا قوة ، ولكن فى وسعى أن أملأ نفوس المسلمين قيحاً وصديدا من كره بنى أمية ، إذا بذلت دمى . ومادمى ؟ وهو سيجمد فى عروقى يوما ما ، فأولى أن يخضب الأرض فلا تلبث أن تنقلب جحيما عليهم ؛ وما خير أن أكون سبط الرسول إذا أنا لم أرج الدنيا بذلك ؟ وإن الأمر لراجع الينا لا محالة إذا أنا جعلت من نفسى ومن أهلى ضحايا لبنى أمية ، ويجب أن يكون قتلنا استشهادا مروعا لتكون الدية هذه الدولة كلها

لهذا أصر على المغامرة ، وهو على يقين من نهايتها ، وأعرض عن ذكر العواقب التى كان يعرفها معرفتها ، ولم يكترث بخذلان من دعاهم الى نصرته ، بل اغتبط بذلك ، وحمل أهل بيته معه ليحيق بهن كل مكروه من الأذى والهوان ، وليكون ما يصيبهن أبلغ فى إشعار العرب هول الفجيعة ، وأبى أن يجعل أذنه الى الذين أشفقوا عليه أو سعوا عنده ليترضوه ويحملوه على العدول . أو وعدوه ما شاء غير الخلافة ؛ ولم يكن يخفى عليه أنه يعاند ويكابر ويتحدى الأقدار . ولكنه كان يدرك أن هول المصرع الذى يسير اليه مصمما عليه سيطوى كل ذكر لما عداه . فلا يبقى إلا أن بنى أمية قتلوا سبط الرسول وآله . ومثلوا بهم أقبح التمثيل . وكان يعرف أن بنى أمية لا بد أن يعدلوا عن مجاسنته إلى المخاشنة لشدة ما يرون من عناده وصلابته . إذ كان لا يسعهم أن يتركوه يحرض الناس على الخروج عليهم . بلا كابح . وقد عرضوا عليه كل ما دون الخلافة فزدراه . فلم يبق مفر من رده بالقوة ، كما شاء هو ؛ وكان هو يعول فى سياسته هذه على احراجهم وإكراههم على البطش به ، ويعتمد على ما تدفعهم اليه الحاجة فى استفزازه لهم ، فتطيش حلومهم ، فتكون الطامة عليهم بعد أن تدور الدائرة عليه . وقد جرى كل شىء على ما قدر ورسم ، وحدث ما كان ينشد ، فأسرف الامويون فى القتل والتمثيل والتنكيل ، كما كان يتوقع ، وصدقت فراسته القوية فى رجال الدولة على عهده ، ولم يخب له ظن أو رأى فيهم . فريعت الدنيا ، وهالها الأمر على ما كان قدر ، وصارت كل قطرة من دمه ، وحرف من اسمه ، وهاتف من ذكراه . لغما فى أساس الدولة الأموية

وقد ذهبت الدولة الأموية فى سبيل من غبر ، وجاءت بعدها دول أخرى لحقت بها ، ومضى أربع وخمسون وثلثمائة وألف سنة ، ولا تزال لذكرى مصرع الحسين هزتها الأولى فى كثير من البلاد الاسلامية ؛ ومأتمه يقام كل عام فى كربلا كأنما هو لم يقتل إلا الساعة ؛ ويموت الشيعى فى بغداد أو سواها فيحمل منها إلى النجف ليدفن هناك . وأحب آل البيت إلى النفوس وأعزهم عليها هو الحسين . ولا تزال العيون تغرورق بالدمع . والقلوب تخفق ، والصدور تعلو وتهبط لحكاية هذا المصرع . فمن كان يصدق أن الحسين فعلها عن طيش أو سوء تقدير ، أو تورط ، فإنى لا أصدق إلا أنه أقدم عليها متعمدا لها . ولو أن ميتاً استطاع أن يضحك ساخراً لضحك الحسين ورأسه بين أيدى قتلته البلهاء

ولست أعرف ميتة أخرى أبلغ أثراً فى حياة الناس ، ومستقبل الدول والأمم . ولا أطول منها — مع عمق الأثر — عمر ذكرى

ابرهيم عبد القادر المازنى

صور من التاريخ الاسلامى

أم المؤمنـــين
خديجة بنت خويلد
للاستاذ عبد الحميد العبادى



كم يود صاحب هذا المقال لو كان شاعراً وثاب الخيال، مطلق العاطفة، جزل الألفاظ، سرى المعانى؛ إذاً لاستطاع أن يصوغ للقراء من سيرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد قصيدة عصماء يضمنها مناقب تلك السيدة الجليلة، وما مناقبها إلا مناقب المرأة الكاملة من جمال، وطهر، وعفاف، وزوجية بارة، وأمومة صحيحة، ومواساة فى أشرف معانيها

ولكن صاحب هذا المقال، وا أسفاه! ليس شيئاً من ذلك الشاعر الذى يتمنى أن يكونه. إن هو إلا مؤرخ يعرض لوقائع الحياة العامة من ناحيتها الوضعية جهد طاقته، ويشد خياله الراكد إلى تلك الوقائع، فلا يأذن له ولا بمحاولة التطاير والتحليق، ويكتم عاطفته حتى لا يطغى عليه سلطانها فيتنكب سبيل المؤرخ الذى همه البحث والتحقيق، ثم العرض البسيط للأشياء؛ فليقنع القارئ الكريم بالصورة المجملة التى أرسمها فى هذا المقال، حتى يتأذن الله بظهور شاعر عظيم ينظم الالياذة العربية، فيطالع فيها إذ ذاك فصلا عن تلك السيدة يكون من أبلغ ما خطه يراع شاعر وأروعه

***

كانت جزيرة العرب فى القرن السادس الميلادى قد أخذت تتهيأ للأحداث الجسام التى تمخض عنها القرن السابع، وقد بدا ذلك التهيؤ فى جميع مناحى الحياة العربية العامة. سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية. ونحن انما تهمنا فى هذا المقام الناحية الاجتماعية، ويهمنا منها بصفة خاصة نظام الأسرة. كان نظام الأسرة قد أخذ يتحول فى حواضر الحجاز عامة ومكة خاصة الى النحو الذى أقره فى جملته الاسلام فيما بعد. فأخذت تتلاشى ضروب الازدواج القديمة التى اعتبرها الاسلام سفاحا، ويحل محلها نظام الزواج القائم على التراضى والتعاقد. وصاحب هذا التطور الخطير فى بناء الأسرة تطور خطير مثله فى مكانة المرأة الاجتماعية؛ فبعد أن كانت المرأة العربية ليس لها حق التملك ولا حق الأرث، بل بعد أن كانت هى نفسها تملك وتورث فى بعض الحالات، أصبحت تستمتع بحق الملكية وحق الميراث وحق التصرف فى مالها، وحق مفارقة الزوج عند اللزوم، هذه الحرية المستحدثة جعلت المرأة العربية عاملا فعالا فى الحياة المكية العامة قبيل الاسلام وفى عصر النبوة

***

ولدت خديجة بمكة حوالى منتصف القرن السادس المذكور، وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وكان خويلد ممن قاد قريشا فى حرب الفجار، ثم هى ابنة فاطمة بنت زائدة بن الأصم من بنى عامر بن لؤى، ولا نعرف عن فاطمة شيئا، غير أن الذهبى يقول فى جدها عمرو بن خنتر المزنى أنه كان من أبطال الجاهلية. فنسب خديجة لأبيها وأمها يدل على أنها تنتمى الى بيت من أعز بيوت قريش هو بيت عبد العزى ابن قصى، والى قبيلة من أعز قبائل مضر هى عامر بن لؤى؛ واكتنفت عمود هذا النسب الجليل فروع وحواش زاهية زاهرة، نعد منها عم خديجة عمرو بن أسد وكان سيدا من سادات قريش، وأبناء عمومتها حكيم بن حزام، وورقة بن نوفل وأخته قتيلة بنت نوفل، فأما حكيم فكان صاحب مروءة وعاطفة طيبة تتجلى فى صنيعه لبنى هاشم والمطلب عندما حصرتهم قريش فى الشعب، وأما ورقة بن نوفل فكان معدودا فى تلك العصبة المستنيرة التى يعرف آحادها باسم (المتحنفين) قد ترك الوثنية، وتنصر وقرأ التوارة والانجيل، وكتب العبرانية، وشاركته أخته قتيلة فى ميوله الأدبية والدينية، فكانت «ممن ينظر فى الكتب» على حد تعبير القدماء؛ ومن هذه الفروع أخو خديجة العوام بن خويلد، وكان من رجالات قريش، وهو والد

الزبير بن العوام حوارى رسول الله

فخديجة من أوسط نساء قريش نسباً ، كما يقول مؤرخو العرب ، واذا جاز للمؤرخ أن يلحظ عمل الوراثة فى هذا المقام ، فانا نقول انها ورثت عن أبويها مزايا السؤدد العربى ، من نبل وكرم خلق ووفاء وشجاعة ؛ كما لقفت عن عمومتها تلك الاستنارة العقلية ، وذلك السمو الروحانى الذى أعدها لتقـدير الدعوة الاسلامية وقبولها عن طيب نفس وطواعية خاطر

***

تزوجت خـديجة مرتين فى مقتبـل حياتها وقبل تزوجها من محمد بن عبد الله . تزوجت للمرة الأولى من عتيق بن عائذ بن عبد الله بن مخزوم ، ثم مات عنها عتيق فتزوجت بعـده أبا هالة هند بن زرارة التميمى . ثم توفى أبو هالة فغدت أيما . وقد ورثت على ما يظهر عن أبويها وزوجيها ميراثاً فيما رأت أن تقوم على استغلاله فى التجارة التى كانت مرتزق قريش فى ذلك الزمان . فـكانت كما يحدثنا الرواة تستأجر الرجال فى الاتجار لها بمالها لقاء نصيب تسهمه لهم من الربح

لـكن خديجة الحسيبة النسيبة ، الثرية الوسيمة ، لم تزل بعد نصفاً فى النساء ، عواناً بين الشباب والـكهولة ، قد شارفت الأربعين ولـما تعدها ، وهى سن لها عنـد بعض النساء جمال وروعة ، وملاحة وأخذة ، وكان غير واحد من كبار قريش حريصاً على خطبتها ، ولـكن خديجة كانت تتأبى على الخطاب ، لا رغبة منها فى العزوبة ، فهى أعمر قلباً وأنضر شباباً من أن ترغب فيها ، ولـكن لأن الأيدى التى كانت تمتـد لخطبتها ليست من الطراز الذى يعجبها . لقد نضج عقلها ، وكبر قلبها ، وأصبح كل منهما ينشد الـكفء والمثيل ، ومن لها بالعقل الراجح ، والقلب الـكبير فى مجتمع خشن ، كثيف ، غليظ ؟ أصبحت لا يروقها ذلك السؤدد العربى الجاهلى بما ينطوى عليـه فى واقع الأمر من بداوة وأعرابية ، لا يمكن أن تنىء منهما إلى ظل ظليل

وبينا خديجة تروض النفس على احتمال الحيـاة الجديدة اذا بقلبها قد أخذت تنطبع عليه شيئاً فشيئاً صورة نجم شارق فى أفق المجتمع المكى ، ويوشك أن يتكشف عن كوكب وقاد يملأ الـكون نوراً هادياً . وحرارة تبعث فيـه الحياة قوية بعد أن لم يبق له منها الا الذماء . لقد كانت تلك الصورة منتزعة من الحقيقة لا من الوهم ولا الخيال . انها كانت صورة فتى لا يزال مغمورا ، ولـكن كل مخايله كانت تؤذن فى نظر خديجة بأنه سوف يأخذ بزمام العالم ويوجهه وجهة جديدة . ذلك الفتى هو محمد بن عبد الله

كان محمد اذ ذاك شاباً قد ناهز الخامسة والعشرين من عمره ، سوى الخلقة ، مشرق الطلعة ، نبيل المظهر ، كريم المخبر ، وكان يحيا حيـاة لعله لم يكن يحياها بمكة أحد غيره . كان زاهداً فى الناس ، عزوفاً عنهم ، إلا ما اقتضته ضرورة المعايشة والمساكنة ، نزوعاً الى التفكير ، محباً للعزلة ، قدعاً للشهوة رادعاً للنفس . فأوشك بذلك أن يستغنى بنفسـه عن غيره . وغدا أنسه فى وحشته وانبسـاطه فى انقباضه ، وغناه فى اقلاله . قد حد ما بينه وبين الناس بحد واضح المعالم . ثم لم يأذن لعلاقته بهم أن تتجاوز هـذا الحد فتنغص عليه نعمة باله ، وتفسد عليه هدوء سربه

لقد كان قلب خديجة يخفق خفقاناً شديداً عنـد ما كانت تلمح هـذا الفتى العجيب ، يروح لطيته ويغـدو فى طرق مكة وأسواقها وأنديتها ، وأدركت من فورها أنه حاجة قلبها ومهوى فؤادها . ولـكن كيف تفضى اليه بدخيـلة نفسها ، وتبثه لاعج حبها ؟ إن الحسب ، والنسب ، والخفر والحياء ، كل ذلك كان يمنعها أن تكون هى التى تخطو فى الأمر الخطوة الأولى وتقول فيه الكلمة الأولى . لقد كان الموقف دقيقاً كل الدقة ، حرجاً كل الحرج . فلتسر فى الأمر بحذر واحتياط محافظة على نسبها وحسبها ، وتوفيراً لخفرها وقنية لحيائها

إنها كانت تستأجر الرجال فى الاتجار لهـا بمالها وتساهمهم بنصيب مسمى من الربح ، فلم لا تستأجر محمداً وتضاعف له الجعل الذى كانت تجعله لغيره ؟ وأنشأت من فورها تجيب عن هـذا السؤال ؛ فوسطت الى محمد من عرض عليه رغبتها . فقبل محمد ما عرض عليه ، وسافر الى الشام فى صيف عام ٥٩٤ متجراً فى مال السيدة ، وسافر معه ميسرة غلام خديجة ليرقبه عن كثب وينهى الى السيدة عند عودته جملة حاله فى السفر ، فتلم بجملة حاله فى السفر والحضر . وباع محمد ، واشترى ، ولقى الرهبان ببادية الشام ، وتحدث اليهم ، وتحدثوا اليـه ، ثم عاد وقد ربحت التجارة ربحاً وفيراً ، وقص ميسرة على السيدة ما رأى من محمد فى السفر من رقة الشمائل ، وسهولة الخلق ، وصدق المعاملة ؛ فعلمت السيدة عند ذلك أن قلبها لم يكذبها ؛ فقطعت كل تردد ؛ وأجمعت أن تخطو

هي الخطوة الأولى ، وتقول هي الكلمة الأولى . وكانت لها صديقة تثق بها اسمها نفيسة بنت منبه . فدستها الى محمد تتوجه له بالأمر وتعلم رأيه فيه :

نفيسة — يا محمد ! ما يمنعك أن تزوج ؟

محمد — ما بيدي ما أتزوج به !

نفيسة — فإن كفيت ذلك ودعيت الى الجمال ، والمال ، والشرف ، والكفاءة ، ألا تجيب ؟

محمد — فمن هي ؟

نفيسة — خديجة !

محمد — وكيف لي بذلك ؟

نفيسة — علي !

محمد — فأنا أفعل !

لا شك أن محمداً لم يقل مقالته الأخيرة الا بعد أن أصبح يشعر نحو السيدة خديجة بمثل شعورها نحوه . وبعد أن أصبح يبادلها عطفا بعطف ، وتقديراً بتقدير . نعم انها أسن منه ، ولكن ذلك ليس شيئاً بالقياس الى محاسنها وفضائلها الكثيرة التي جعلته يرى فيها رغبة نفسه وطلبة قلبه . وعرض محمد الأمر على عمومته كما عرضته خديجة على عمها ، فكل وافق . وبنى محمد بها بعد أن أصدقها عشرين بكرة كما يروون .

***

كان هذا الزواج لمحمد وخديجة فاتحة حياة زوجية هادئة وادعة هنيئة ، كأهدأ ما تكون حياة زوجية وأروعها وأهنئها ولم لا تكون كذلك ؟ وكانت تقوم على الكثير المتبادل من الحب والاخلاص والتقدير . كانت خديجة تقدر في محمد كرم الخلق ورقة القلب . وروحانية النفس . وكان هو يقدر فيها رجاحة العقل وكثرة العطف عليه ، والاعجاب به ، والتوفير لأسباب راحته في منزله ، ومطابقته فيما يحب وما لا يحب . ولا ننس أن محمداً لم يكن كسائر الرجال يعيش كيفما اتفق . فهو رجل كثير العناية بأمر نفسه ، ليس كل الطعام يطعم . ولا كل الشراب يشرب . ولا كل الملبس يلبس . ولا بكل الزينة يزدان . ثم هو ميال بطبعه الى العزلة ، مؤثر للصمت . مطيل للفكر . فعلى جليسه وعشيره أن يعرف فيه كل ذلك ويرعاه له . وقد عرفت خديجة ذلك ورعته له أتم رعاية ؛ فلا شك أنها كانت تعد له ما يستطيبه من الدباء والعسل . والتمر المنقوع في اللبن أو المخلوط بالقثاء أحياناً . ولا شك أنها كانت تقل في طعامه من البصل والثوم اللذين كانت تعاف كثرتهما نفسه ، كما كانت تعنى بنظافة ثوبه وأدوات طيبه وأدهانه . فقد كان محمد يحب أن يبرز للناس عطر الجسم . نظيف الملبس ، ولا شك أنها كانت توفر له الهدوء في المنزل . واذا جنح الى الخلوة أو التحنث في الغار لم تقطع عليه سكونه ؛ بل أعانته على ذلك بأعداد الزاد الذي يحتاج اليه ، فإذا طالت غيبته افتقدته في غير إزعاج له ، ولا تكدير لصفو نفسه

وكما كانت خديجة مثال الزوجة الحفية بزوجها . فإنها كانت مثال الأم المعنية بأولادها . لقد رزق محمد منها كل أولاده غير ابراهيم . رزق منها القاسم وبه كان يكنى . ثم ولدت له زينب ورقية . وفاطمة وأم كلثوم . وكل هؤلاء ولدوا قبل النبوة . ثم ولد له في الاسلام عبد الله الذي عرف بالطيب والطاهر . وقد مات الغلامان صغيرين ، أما البنات فكلهن أدركن الاسلام وتزوجن وهاجرن ، وقد انضم الى هؤلاء علي بن أبي طالب ، ضمه النبي الى أولاده تخفيفاً عن عمه أبي طالب الذي كان فقيراً كثير العيال ، وليس بأيدينا مع الأسف نصوص نعرف منها كيف كانت خديجة تعول أولادها وتنشئهم ؛ غير أن ما ورد من الأخبار على قلته لا يخلو من الفائدة فيما نحن بصدده . روى ابن سعد عن الواقدي قال : « وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب تقبل خديجة في ولادها ، وكانت تعق عن كل غلام بشاتين ، وعن الجارية بشاة ، وكان بين كل ولدين لها سنة ، وكانت تسترضع لهم ، وتعد ذلك قبل ولادها » . وكما كانت خديجة تعنى بولادة أولادها ، ورضاعتهم ، وتنشئتهم ، فقد كانت تتخير الأزواج لبناتها . فهي التي أشارت على النبي بأن يزوج سعد بن الربيع من بنتها زينب ؛ فلما زفت اليه أهدتها خديجة قلادة كان لها شأن بعد سيرد ذكره . ثم إن كل من أصهر الى محمد سعد بزواجه ، فسعد بن الربيع أبى أن يفارق زينب عندما أرادت قريش حمله على طلاقها نكاية في محمد مع أن سعداً لم يكن قد أسلم بعد ، وقد تزوج عثمان بن عفان رقية ، فلما توفيت ورآه النبي حزيناً مهموماً لهفان زوجه اختها أم كلثوم ، وكانت فاطمة عند زوجها علي بن أبي طالب بالمحل الرفيع ، والمكان الممتاز

***

لـكن فضل خديجة الأكبر ، وفخرها الخالد خلود الزمن : إنما هو فى موقفها من زوجها عند ما نبئ ، ومن الدعوة الاسلامية التى أخذ يدعو اليها ، بعد خمس عشرة سنة من زواجه منها

لقد أصبح محمد بعـد تزوجه من خديجة هادئ السرب ، ناعم البال ، وأصبح له منزل وأهل يسكن اليهما فانصرف الى ما كانت تصبو اليه نفسه من الخلوة وإطالة الفـكر ، فـكانت خديجة تعينه على ذلك دون أى ترى فى مسلـكه بأساً . فلما فجئ الوحى محمداً ، وأصابه ما أصابه أول الأمر من الذهول والحيرة ، ورجع الى منزله رعباً حائراً وقال لها : « لقد خشيت أن يكون بى جنن ! » لم يكن منها إلا أن ثبتت فؤاده ، وسكنت خاطره بقولتها المشهورة « والله لا يخزيك الله أبداً ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الـكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . الخ » ثم إنها انطلقت من فورها الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وقصت عليه خبر زوجها ، فبشرها ورقة بأن الذى رآه محمد انما هو النـاموس الأكبر الذى نزل على عيسى وموسى ، وقد أثلجت تلك المقالة فؤادها وغدت من ذلك الوقت مؤمنة بدعوة زوجها ، فـكانت بذلك أول من صدقه وآمن به ، روى الطبرى باسـناده الى عفيف الـكندى أنه قال : « كنت امرأ تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العباس ، فبينا نحن عنده اذ خرج رجل يصلى ؛ فقام تجاه الـكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلى ، وخرج غلام فقام يصلى معه . فقلت : ياعباس ما هذا الدين ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله به ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمـه على بن أبى طالب آمن به . قال عفيف : فليتنى كنت آمنت يومئذ ، فـكنت أكون ثالثاً »

ولم يزدد إيمان خديجة مع الزمن إلا رسوخاً ، ولا يقينها إلا قوة ، ولا تعلقها بزوجها الا شدة ، فـكانت فى السنوات العشر الأولى للبعثة ، وهى السنوات التى توالت فيها الأرزاء والمحن على محمد وأصحابه ، واضطهدت فيها الدعوة أيما اضطهاد ، كانت خديجة فى تلك السنوات الى جانب زوجها تريش بتأييدها جناحه ، وتأسو بعطفها جراحه ، روى ابن الأثير باسناده فقال : « وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء به ، فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه الا فرج الله عنه بها ، اذا رجع اليها تثبته ، وتخفف عنه وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس »

ولم تتردد خديجة عند ما جـد الجد ، أن تشرك زوجها فى محنته ، وتقاسمه مر العيش كما قسمته حلوه ، وتعمل لنصرة دعوته صابرة محتسبة . فعند ما اشتدت قريش على بنى هاشم والمطلب وحصرتهم فى الشعب ومنعتهم حتى الماء والزاد ، كانت خديجة فى الشعب تقاسى ما يقاســـيه زوجها وأقرباؤه على كبر سنها واضمحلال بنيتها . فلما فاءت قريش الى صوابها وخلت سبيل أولئك المجاهدين المجهودين ، كان طول الحصار قد أضر بخديجة واخترم الرض جثمانها فلم تعش الا قليلا . وقضت لعشر خلون من رمضان من العام العاشر للبعثة ، بالغة من العمر خمسة وستين عاماً ، وقد دفنها الرسول بالحجون ، وسوى عليها التراب بعـد أن نزل قبرها وألقى عليها النظرة الأخيرة

وقضى الله أن يفقد الرسول بعد خديجة وفى نفس العام عمه أبا طالب ، وهو الذى كان ينافح دونه ويتولى حمايته من عدوان أعدائه . فاجتمع على محمد فى وقت واحد خطبان فادحان ، ورزآن بالغان ، ولـكن لا شك فى أن داخل رزئيه كان الأفدح ، وباطن جرحيه كان الأدمى ؛ لقد تهدم صرح سـعادته المنزلية ، وغدت الحياة مشغلة له فى الداخل والخارج ، على كثرة ما أعطاه الله فى الداخل والخارج

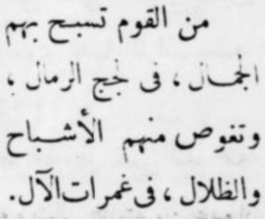
* * *

كان محمد أكبر من أن ينسى لمحسن احسانه ، وأكرم من ألا يفى لحبيب صدقه الحب ، وأصفاه الود ، ولو باعدت بينه وبينه أطباق الثرى ، وكذلك كان شأنه مع خديجة بنت خويلد ، لقد وفى لها فى حالى الحياة والموت ، أحبها ولم يتزوج عليها فى حياتها ، فلمـا لحقت بربها لم تبرح صورتها خاطره ، ولا فارق تذكرها لسانه ، وهم يروون فى ثنائه عليها ودوام تذكره لها أخباراً كثيرة . يرون أنه فضلها هى ومريم بنت عمران على نساء العالمين ، وأنه بشرها ببيت فى الجنة من قصب ، لاصخب فيه ولا نصب ، وأنه عند ما أرسلت اليه ابنته زينب بقلادة قلدتها اياها خديجة ، لتفتدى بها زوجها سعد بن الربيع وكان قد أسر ببدر ، رق النبى لذلك رقة شديدة ، وطلب الى أصحابه أن يطلقوا لزينب أسيرها وما لها ففعلوا ، وأنه كان اذا ذبح شاة تتبع صديقات خديجة يهدى

(البقية فى أسفل الصفحة التالية)

عُقْبة على شاطئ المحيط

للدكتور عبد الوهاب عزام



— ١ —

مَن القوم أوغلوا فى البيداء ، يجوبون سيناء ، قد أغذوا السير ، وأقلوا المَير ؟

من القوم تسبح بهم الجمال ، فى لجج الرمال ، وتغوص منهم الأشباح والظلال ، فى غمرات الآل . تسيل بهم الهضاب إلى الوهاد ، وتفيض بهم الوهاد إلى الهضاب ، لا يألون تأويباً وإدلاجا ، ولا يشكون نصباً ولا كلالا ؟

من القوم ترمى عزائمهم الغايات ، وتطوى هممهم السبل ، سيان عندهم البعيد والقريب ، والعسير واليسير ؟

من القوم تضىء بالايمان قلوبهم ، وتقر على اليقين نفوسهم ، حداهم القرآن ، وغناؤهم الأذان ، رحالهم معابد ، ومنازلهم[1] مساجد ، قد شروا لله أنفسهم ، وأرخصوا فى مرضاته أرواحهم ، ورضوا بما قسم لهم . وقد سايروا الشمس مغربين ، لا تصدهم الأهوال ، ولا تستردهم الأوطان ، كأنهم نجوم فى حبك الأرض ، تسير بقدر إلى قدر ؟

***

العرب المسلمون يقودهم عمرو ، يتوجهون تلقاء مصر . رموا الباطل فى جانب وسددوا إلى جانب ، وصرعوه فى ميدان وهرعوا إلى ميدان : وهدموا سلطان الروم والشام وصمدوا لسلطان الروم فى مصر وأفريقية

بالأمس زحموا الصرح فانهار ، ونفخوا زخرف قيصر فطار ، وأشاروا إلى الصنم فسجد ، وخلى جبروته إلى الأبد . وضعوا سلطان هرقل ورفعوا سلطان الله ، وأقاموا الحرية فى مصارع العبودية ، وشادوا العدل على مقاتل الجور

واليوم يتبعون الباطل المهزوم ، ويشردون الزور المذود . إنهم يؤمون مصر . ومصر أكرم على الله من أن تكون مباءة الباطل ومثوى الجبروت . إنهم يسرعون إلى مصر . فعفاء على الروم وسلطانهم ، وويل للباطل يدمغه الحق ، والظلم يصمِّد له العدل ، والاستعباد تثور به الحرية ، وويل للروم يسير إليهم العرب

— ٢ —

أترى البحر المائج ، واللج الهائج ؟ أترى السفن على الثبج راجفة ، والجموع فوقها واجفة ؟ أترى الموج يتلاطم ، والسفين يتصادم ، والجيوش ملتحمة ، والخناجر والسيوف مختصمة ؟ أترى جنداً يلوذون من حر الضراب الى برد الماء ، ومن ذل الاسار الى عار الفرار ، وجنداً ثبته اليقين فثبت ، وآثر الموت على العار فظفر ؟

واعجبا ! قد أصبح فرسان الصحراء أبطال الدأماء ، وصار حداة الابل أمراء السفن ، جاوزوا الكثبان البيض إلى اللجج

(١) منازل الطريق

البهن منها ، وأنه كان لايكاد يخرج من منزله حتى يذكر خديجة ويثنى عليها ، والحق أن دوام تذكره لها هاج غيرة عائشة وهى بعد آثر نسائه لديه ، وأجملهن ، وأصغرهن سناً . روى ابن الأثير باسناده الى عائشة أنها قالت : « كان رسول الله (ص) لايكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها . فذكرها يوماً من الأيام ، فأدركتنى الغيرة ، فقلت : هل كانت الا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها . فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها ، آمنت إذ كفر الناس ، وصدقتنى وكذبنى الناس ، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها أولاداً اذ حرمنى أولاد النساء ، قالت عائشة : فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيئة أبداً »

***

تلك بالاختصار سيرة أول امرأة مسلمة ، وخير امرأة مسلمة يعرف فيها القارئ المثل الأعلى للمرأة زوجة ، وأما ، وعونا على جلائل الأمور فى غير خروج على طبيعة الجنس ومواضعات الناس منذ صار الانسان إنسانا ؟

عبد الحميد العبادى

الخضر ، فاتخذوا السفين جياداً والبحر مراداً . وهل الابل الا سفن الصحراء ، وهل السفن إلا أفراس الماء ؟ فما استبدل هؤلاء إلا سفينة بسفينة وفرساً بفرس

وانها ، على ذلك ، لأحدى العبر : أبناء البادية ينازلون الروم فى الأساطيل . معاوية وابن أبى سرح يقاتلان قسطنطين ابن هرقل ، وقد جاءهم فى ستمائة سفينة تحمل جند الروم وتاريخ الروم ، وثارات الروم . وأعجب العجب أن يغلب الأسطول الرضيع الأسطول المكتهل ، أن يغلب ابن أبى سفيان ابن هرقل ، أن يغلب العرب الروم فى بحر الروم[1]

— ٣ —

ماجزيرة العرب ، وفارس ، والشام ومصر ، وما الهند والصين ، والمشرق والمغرب فى همة هـذه الشمس الوهاجة ، وعزيمة تلك الكواكب السيارة . قد استقر سلطان القوم فى مصر فلم يقنعوا، وهاهم قد غزوا برقة ورجعوا . أتحسب الأمد تطاول عليهم ، والشقة بعدت بهم فلوا أو خاروا ؟ تلبث قليلاً ثم انظر جيش العبادلة[2] يزحف الى افريقية فيظفر ثم يصالح . وما وراء الحرب والسلم الا المسير لاعلاء كلمة الله ، وبلوغ الغاية مما أرادوا فى سبيل الله

ويقف القوم سنين . وما هو الا الجمام للسير ، والتحفز للوثوب ، والاعداد للجهاد ، والتريث للتثبت . وعما قليل يطوون المغرب لا تعوقهم الفيافى المترامية ، ولا تصدهم الجيوش الجرارة . تنظر الغد . فما بلغ القوم الأمل الموعود ، ولاقاربوا الغاية المقدورة

— ٤ —

عشرة آلاف تطوى الأوطان والقطان فى سبيلها ، وتطأ الأهوال والأبطال الى غايتها ! عشرة آلاف وفى الناس واحد كألف

تجمعت فى فؤاده همم ملء فؤاد الزمان احداها

عشرة آلاف قائدهم عقبة بن نافع قد عزموا ألا ينثنوا ، وصمموا ألا يهزموا ، وآلوا ألا يرجعوا ما اتسع الفتح لعزائمهم ، وامتدت الأرض لأقدامهم

ها هو ذا عقبة يبنى مدينة القيروان ، فعل الغازى المعمر والفاتح المقيم . وسيجعلها مبدأ السير وأول الفتح ، كأنهم ماقطعوا المهامه اليها ، ولا ساروا عن ديارهم قبلها

فى كل فج عزمهم سيار
الى الوغى تهافتوا وطاروا
جماعــة ليس لهم ديار
الا ظهور الخيـل والغبار

أرض الله ، وعباد الله : أينما توجهوا فهى أرضهم ، وحيثما حلوا فهى ديارهم . لا بعد عندهم ولا قرب ، ولا شرق ولا غرب « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله »

ولكن عشرات آلاف من الروم والأفريق قد ساروا اليهم . لقد أعد الروم لهم ، وأزمعوا أن يحطموهم . فوارحمتاه للأمجاد القليلين ، والغرباء النازحين !

كلا لا خوف ولا حزن ، ولا قلة ولا كثرة . انظرهم يديرونها على عدوهم حرباً طاحنة ، ويلجئون الروم وأعوانهم من لظى النار الى سلاسل الأسار — ألوف من الروم مصفدون

أترى الكثرة أغنت ، أم ترى القلة قلت ؟ ذلك آخر عهد الروم بافريقية

— ٥ —

أين الجنود البواسل ، والعباد الغزاة ، والبداة الذين خرجوا ينشدون الحق ويردون الجبارين الى العدل ؟ انهم ليسوا فى برقة ولا افريقية . . . . ها هم فى أقصى المغرب ! هم اليوم فى طنجة ! بل هم فى إيسوس . لقد انتهوا الى الساحل ، لقد انتهت الأرض وأسفا للجواد المتمطر لا يجد مجالاً ، والعزم المحضير لا يجد مضطرباً . قد بلغوا البحر فكيف السير ؟ وفتحوا ما بين المدينة المنورة ، وبحر الظلمات فانى الفتح ؟

انظر عقبة تضيق بعزمه الأرض ، وتصغر فى عينه الأقطار ، فيدفع جواده فى البحر ويصيح :

« والله لو علمت وراءه أرضاً لسرت غازياً فى سبيل الله »[1]

(بغداد) عبد الوهاب عزام

(١) إشارة إلى موقعة السوارى سنة ٣١ هـ

(٢) جيش غزا إفريقية وفيه أبناء أبى بكر وعمر وعمرو والزبير وأبو ذؤيب الشاعر

(١) روى بعض المؤرخين أن عقبة فعل هذا حينما بلغ شاطىء المحيط الأطلسى

صداقة تدين التاريخ

« ألا إن لنا قلوبا »

للاستاذ أمين الخولى

— ١ —



فى واد مشرق السماء ، جهم الأديم ، تضطجع بين الجبال ، على سيف الصحراء ، تلك العذراء المنمعة « مكة » ؛ تكاد تنال باحدى يديها مياه « القلزم » ؛ حين تنسم عن بعد نسيم الشرق ببراقه وفرسه ، تلتفت يمنة الى بلاد العرب السعيدة ، بدفء شتائها وأسباب حياتها ؛ وترنو يسرة الى مشارف الشام بوارف ظلالها ، وفتون حضارتها

فى واد غير ذى زرع حول البيت المحرم ، منذ بضعة عشر قرناً كانت تخفق القلوب وجلة ، وتختلج النفوس متطلعة ، ويشيع فى أولى الألباب تشوف وتلهف ، استحال اضطراباً اجتماعياً ، وثوراناً روحياً ، على قديم لا يرضى العقل ، ولا يسعد القلب ، حتى هب نشاط أناسى منهم الى انتجاع ذلك الجديد بالرحلة اليه ، والنقلة فى سبيله ، مثلما تلتمس أسباب الرفاهة الحيوية ، من أعراض التجارة وحطام الدنيا

— ٢ —

فى ذلك العهد الحائر ، كان سيدان من سادات قريش ، قد اكتملت لهما بسطة من الجسم والحلم ، وظفرا بوفر من الحسب والكرم ، حين سعدا بأخلاق تشابهت فى السمو ، حتى تلاقت فيهما نعوت الواصفين : لا يعيشان لأنفسهما ، ولا يفكران فى ذواتهما . انما هم أحدهم ظلم يرفع ، وحاجة تدفع ، ومعونة على الدهر ، أو اضطلاع باصلاح اذا كثر الشر

كانا فى سن متقاربة ، لا تقول هما لدان ، ولكنهما متقاربان ، سبق أكبرهما صاحبه الى هذه الدنيا بعامين وشىء من الأيام كانا يضربان فى حياة تشابهت ودياتها ، وإن تخالفت ألوانها ، الكبير تاجر يصرف الدراهم والدنانير ، حين كان الأكبر يرعى الشاء ويدبر البعير ، على هينة فى ذلك وقلة عناية

توثقت بينهما صداقة عريقة ، حين كان الأكبر يشارف الأربعين ، قد بقى له من عدها عام ، والكبير يبعد عنها بخطوات ثلاث وعدة أيام ؛ فلهما الشباب المكتمل ، والعقل المتزن . وما كانت بينهما هذه الصداقة الا عن تآلف نفس ، وتمازج روح ؛ والا ففيم يتقاربان ، والكبير يعرف من سبل الكسب وطرق الثراء ، ما وراء أفق البادية الجديب ، ويختلف الى اليمن والشام يثرى ويربح ، على حين ينصرف الأكبر عن المال والنشب ، قليل الكد فى سبيلهما ، زاهدا فى أسبابهما ؛ يعتزل الناس فريدا ويتحنث وحيداً ، يسائل الشمس والقمر ، ويستنطق الريح والصخر ، أى شىء هذا ؟ وفيم العناء ؟ وإلام المسير ؟ وأين الثواء ؟ هذه حالها حين ربطت بينهما تلك الصداقة ؛ فما إن نشك فى أن هذا الصديق كان يشاطر صديقه هذا التساؤل ، ويبادله ذلك التفهم ؛ وان وقف فى ذلك دونه ، لا يتكشف له من الآفاق ما يستشرف له الأكبر ، ويطالعه فى قوة روح آلف لهذا وأقدر

— ٣ —

تعارفا وتآلفا ؛ وما هو الا عام حتى ظهر النور الأنضر ، وجاء الفتح الأكبر . . وأسر الصديق الى صديقه أنه قد همس فى أذنه ، وألقى فى روعه ، وتفتحت له جنبات السماء ، وانه لمحدثه عنها حديث الرائى المشاهد . فاذا الكبير على الفه ؛ يرى بعين الأكبر ، يستشف مافى روحه ، ويجد فى قلبه صورة ما تنطوى عليه جوانحه ، فيؤمن معه أو يؤمن به ؛ واذا حياتهما قد صارت إيماناً ، حار الأنفاس ، ملتهب الاحساس ، متصل الأسباب بالحق الأعظم ، فزاد ما بينهما قرباً أو اتحادا ، وصارت صداقتهما على ما اشتهى الواثقون بطهر الانسانية ومعنوية الحياة ؛ اذا ما قال الأكبر أنت أحب الرجال الى ، قال الكبير أنت الى أحب الناس

— ٤ —

اضطلع الأكبر ببعثه أمام الدهر ؛ وخرج يدفع الانسانية دفعاً ، ويدير الحياة فى غير مدارها ، ويخط مستقبل التاريخ ، وما أشق وأهول !

اذا ما أقبل النهار ، وارتفعت الشمس ، خرج يرى لنفسه ، ويتلطف لأمره ، بين بدو همل هائمين ، وعتاة فيهم مأفونين ، يناديهم أنه قد حل اللغز الأعقد ؟ وظفر بالمجد الأوحد ، اتصل من الله بسبب ، ووقف من السماء بمنال ، ويهجو آلهتهم ، ويسفه أحلامهم . . فأى سخرية يلقى ، وأى عناء يواجه ، وبأى نقيصة يعترف ... هو كاهن ، وساحر ، وشاعر ، ومجنون ، وممسوس ، وكذاب و و . . .

فاذا ما كاد يبخع نفسه أن لم يؤمنوا ؛ واذا ما ذهبت نفسه حسرات عليهم ، تلفت فاذا صورة نفسه قائم الى جانبه ، يواسيه ويرفه عنه ، يمسح عن قلبه أوضار الألم ، وقذائف التهم ، حين يطب لجروح قد أسالتها أحجار المغترين وقذائف السفهاء المحمولين عليه ، وما يزال كذلك حتى يسلمه فى الليل الى تلك الزوجة الأمينة الرزينة ، التى فهمت عنه حين جهله الناس . واطمأنت اليه حين أنكره الناس . . فهو منهما فى ألفة وطمأنينة . والنفس بالصديق ، آنس منها بالعشيق . .

وكانت احن ومحن طالت بضعة عشر عاماً ، فقد فيها الأكبر تلك الزوج ، فكان نهاره وليله لصديقه الصدوق ، وعنده انتهت مؤانسته ، حين كان الهم يزداد والعناء يشتد

وخشى القوم خطر تلك الدعوة الدائبة ، وهاتيك المهاجة الصابرة ، فزادوها قسوة وتنكيلا ، وأشبعوا من نصرها ألماً وتعذيبا ، فاذا الصديق يفى لأنصار صديقه وفاءه له : يجد فى انقاذهم ، ويسعى فى تحريرهم ، باذلاً فى ذلك ما ادخر وأثل ؛ فاذا عتقاؤه منهم سبعة نفر . . . ولقد أدركت ولا مراء ، أنه لن يكون الا الأعز . . . أبا بكر

— ٥ —

هذان هما ، قد نبا بهما المقر ، وأجمع الناس كيدهم ، فهو الموت والدم بدد ، والثأر ضائع ؛ لكن الصديق أبداً مخلص ، هو ظله حيث سار وردؤه فيما يرى لنفسه ؛ وعفاء على الأهل والمال والولد والوطن ، يخليها جميعاً ويخرج من الدنيا بصديقه . . . الى التيه ، الى الشرود ، الى المغامرات ، الى الكهوف والغيران ، الى الجوع والعذاب ، الى الدرك والمحاق ، الى الموت ، الى كل كريهة ؛ ماهى الا المحببة حين يريدها الصديق . وما أجله وأنبله حين أنزله الغار فلم يخف ، وحسبك أنه انما يقول له : « لا تحزن ان الله معنا » ؛ وما ظنك باثنين الله ثالثهما . أجل لقد كانا كذلك انفراداً فى الغار ، كما كانا انفراداً فى صداقة وولاء ووفاء

— ٦ —

رافقه الى مأمنه ؛ ولازمه فى مهاجره ، وتنفست الدنيا ، وانبلج صبح الفوز ، فظل له كما كان يوم عرفه قبل مبعثه ، يبذل له قواه وروحه ، كما يبذل له اخلاصه وبره ؛ يحمل اليه فلذة كبده ، يضعها فى حجره ، فتكون رسالة من قلب الى قلب . وتمسى فى النساء قرة عينه كما كان فى الرجال أبوهاله ؛ يبذل له ماله ، وما المال فى ذلك كله ؟ وأى شىء أربعون ألف درهم خرج من دنياه لا يعرف منها مكان درهم ؟ يلازمه فى حربه وسلمه ، وصحته ومرضه ، حتى تأذن الله له بالنصر ، وأتم الرسول عليه السلام ما ندب له من حادث فى مسير الدنيا ، ومستقبل الكون ، فاذا ذلك كله فى التاريخ يعرف بد تلك الصداقة

— ٧ —

وخرج الرسول عليه السلام من دنياه ، فتصدع الأساس . وانشعب الأمر ؛ ارتدت الجزيرة ، واضطرب الباقون فى قمع الخارجين . . . لكن الصديق النبيل الجليل قائم ، يصل من وراء القبر روح صديقه ، ويحسه قائماً الى جانبه ، فاذا هو جيش وحده ، وإذا هو أمة وحده ، واذا هو الاسلام كله حين يقول لهم جميعاً : أيها الناس ! لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم فى الله حق جهاده ، حتى أبلغ من نفسى عذرا أو أقتل مقتلاً . . . فسارع الكل وظفر الاسلام

قرت الدولة ، وانبسط السلطان ، وأينعت الحضارة ، وسعدت الانسانية ، وشهد التاريخ ، فاذا ذلك كله يعرف ولا غرو بدين تلك الصداقة

— ٨ —

بنى الشرق ! ان السيوف قد استحالت فى أيدينا خشبا . والمدافع قد أمست مواقيت للطعام وتلاهى للأعياد ، والجو من فوقنا ، والأرض من تحتنا ، والبحر من حولنا ، ليس من ذلك شىء لنا ، لكنا ولا غرو نحتاز نفوسا ، ونملك قلوباً موصولة السبب بتلك القلوب ، فلو عرفت الايمان لعشقت المجد ، ولو أحست الوفاء لنالت أسباب السماء ، ولو وجدت مس تلك الصداقة لنصرت دينا ، وبنت دولة ، ودانت التاريخ . . .

فهل تذكرون ؟

أمين الخولى

درس من النبوة

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي



قالوا : إنه لما نصر الله تعالى رسولَه وردَّ عنه الأحزاب وفتح عليه قُرَيْظَة والنَّضير [1] ظن أزواجُه صلى الله عليه وسلم أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم وكنَّ تسعَ نسوة : عائشة ، وحَفصة ، وأم حبيبة ، وسَوْدة ، وأم سَلَمة ، وصــفية ، وميمونة ، وزينب وجُوَيْرية ؛ فقعدن حوله وقلن : يا رسول الله ، بناتُ كسرى وقيصر فى الحَلْى والحُلَل والإماء والخَوَل ، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق . وآلَمْنَ قلبَه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما تعامل به الملوكُ وأبناء الدنيا أزواجَهم ؛ فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل فى أمرهن من تخييرهن فى فراقه ، وذلك قولُه تعالى : « يا أيها النبيُّ قل لأزواجك إن كنتن تُردن الحياةَ الدنيا وزينتَها فتعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسرِّحْكن سَراحاً جميلا [2] . وإن كنتن تردن اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ فإن الله أعدَّ للمحسنات منكن أجراً عظيما »

قالوا : وبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة (وهى أحبهن إليه) فقال لها : إنى ذاكرٌ لك أمراً ما أُحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك . قالت : ما هو ؟ فتلا عليها الآية . قالت : أفيك أستأمر أبوىَّ ؟ بل أختارُ اللهَ تعالى ورسوله

ثم تتابعن كلُّهن على ذلك ، فسمّاهن الله « أمهاتِ المؤمنين » تعظيما لحقهن وتأكيداً لحرمتهن وتفضيلاً لهن على سائر النساء.

* * *

هذه هى القصة كما تُقرأ فى التاريخ وكما ظهرت فى الزمان والمكان ، فلنقرأها نحن كما هى فى معانى الحكمة ، وكما ظهرت فى الإنسانية العالية ، فسنجد لها غَوْراً بعيداً ونعرف فيها دلالةً سامية ، ونتبين تحقيقاً فلسفياً دقيقاً للأوهام والحقائق . وهى قبل كل هذا ومع كل هذا تنطوى على حكمة رائعة لم يتنبه لها أحد ، ومن أجلها ذكرت فى القرآن الكريم ، لتكون نصًّا تاريخياً قاطعاً يدافع به التاريخ عن هذا النبى العظيم فى أمر من أمر العقل والغريزة ؛ فإن جهلةَ المبشرين فى زمننا هذا وكثيراً من أهل الزيغ والإلحاد وطائفةً من قصار النظر فى التحقيق يزعمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما استكثر من النساء لأهواء نفسية محضة وشهوات كالشهوات ؛ ويتطرّقون من هذا الزعم إلى الشبهة ، ومن الشبهة إلى سوء الظن ، ومن سوء الظن إلى قبح الرأى ، وكلهم غبى جاهل ؛ فلو كان الأمر على ذلك أو على قريب منه أو نحو من قريبه ، لما كانت هذه القصة التى أساسُها نفى الزينة وتجريد نسائه جميعاً منها ، وتصحيحُ النيّة بينه وبينهن على حياة لا تحيا فيها معانى المرأة ، وتحت جوّ لا يكون أبداً جوَّ الزهر . . . وأمرُه من قِبَل ربه أن يخيرهنّ جميعاً بين سَراحهن فيكنَّ كالنساء ويجدن ماشئن من دنيا المرأة ، وبين إمساكهن فلا يكنَّ معه إلا فى طبيعة أخرى تبدأ من حيث تنتهى الدنيا وزينتُها

فالقصة نفسها ردٌّ على زعم الشهوات ، إذ ليست هذه لغةَ الشهوة ولا سياسةَ معانيها ولا أسلوبَ غضبها أو رضاها . وما هٰهنا تمليقٌ ولا إطراء ولا نعومةٌ ولا حرصٌ على لذة ولا تعبير بلغة الحاسة ؛ والقصةُ بعدُ مكشوفة صريحة ليس فيها معنى ولا شبهُ معنى من حرارة القلب ، ولا أثر ولا بقيةُ أثر من ميل النفس ، ولا حرف أو صوت حرف من لغة الدم . وهى على منطق آخر غير المنطق الذى تُستمال به المرأة ؛ فلم تقتصر على نفى الدنيا وزينة

(١) هما حيان من أحياء اليهود بالمدينة ، وكان ذلك فى أواخر سنة خمس للهجرة

(٢) السراح : الطلاق ومتعة الطلاق ما تعطاه المطلقة — وهو مختلف حسب السعة والاقتار

الدنيا عنهن ، بل نفت الأمل فى ذلك أيضاً إلى آخر الدهر وأماتت معناه فى نفوسهن بقصر الإرادة منهن على هذه الثلاثة : الله فى أمره ونهيه ، والرسول فى شدائده ومكابدته ، والدار الآخرة فى تكاليفها ومكارهها . فليس هنا ظرف ولا رقة ولا عاطفة ولا سياسة لطبيعة المرأة ، ولا اعتبار لمزاجها ولا زُلفى لأنوثتها ؛ ثم هو تخيير صريح بين ضدين لا تتوَّن بينهما حالةٌ تكون منهما معاً ، ثم هو عام لجميع زوجاته لا يستثنى منهن واحدة ولا أكثر

والحريص على المرأة والاستمتاع بها لا يأتى بشىء من هذا ، بل يخاطب فى المرأة خيالها أولَ ما يخاطب ، ويُشبعه مبالغةً وتأكيداً ويُوسعه رجاء وأملا ، ويقرب له الزمن البعيد حتى لو كان فى أول الليل ، وكان الخلاف على الوقت لحقق له أن الظهر بعد ساعة .

***

وبرهان آخر وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج نساءه لمتاع مما يمتّع الخيالُ به ، فلو كان وضعُ الأمر على ذلك لما استقام ذلك إلاّ بالزينة وبالفن الناعم فى الثوب والحلية والتشكُّل كما نرى فى الطبيعة الفنية ، فإن الممثلة لا تمثل الرواية إلا فى المسرح المهيأ بمناظره وجوّه . . . وقد كان نساؤه صلى الله عليه وسلم أعرف به ؛ وها هو ذا ينفى الزينة عنهن ويخيرهن الطلاق إذا أصررن عليها . فهل ترى فى هذا صورة فكر من أفكار الشهوة ؟ وهل ترى إلا الكمال المحض ؟ وهل كانت متابَعةُ الزوجات التسع إلاّ تسعةَ برهانات على هذا الكمال ؟

وكأن النبى صلى الله عليه وسلم يلقى بهذه القصة درساً مستفيضاً فى فلسفة الخيال وسوء أثره على المرأة فى أنوثتها ، وعلى الرجل فى رجولته ، وأن ذلك تعقيد فى الشهوات يقابله تعقيد فى الطبع ، وكذبٌ فى الحقيقة ينشأ عنه كذب الخلُق ، وأنه صرفٌ للمرأة إلى حياة الأحلام والأمانى والطيش والبطر والفراغ ، وتعويدُها عاداتٍ تفسد عاطفتها وتُضيف إليها التصنع فتُضعف قوتَها النفسيةَ القائمة على إبداع الجمال من حقيقتها لا من مظهرها ، وتحقيق الفائدة من عملها لا من شكلها

وكل محاسن المرأة هى خيالُ متخيل ولا حقيقة لشىء منها فى الطبيعة ، وإنما حقيقتها فى العين الناظرة إليها فلا تكون امرأةٌ فاتنةً إلا للمفتون بها ليس غير . ولو ردّت الطبيعة على من يُشَبِّب بامرأة جميلة فيقول لها : هذه محاسنك وهذه فتنتك وهذا سحرك وهذا وهذا ؛ لقالت له الطبيعة : بل هذه كلها شهواتك أنت[1] . . . .

وبهذا يختلف الجمال عند فقد النظر فلا يفتنه جمال الصورة ولا سحر الشكل ولا فراهة المنظر ، وإنما يفتنه صوت المرأة ومَجَسَّتُها ورائحتها . فلا حقيقة فى المرأة إلا المرأةُ نفسُها ؛ ولو أُخذتْ كل امرأة على حقيقتها هذه لما فسد رجل ولا شقيت امرأة ، ولانتظمت حياة كل زوجين بأسبابها التى فيها . وذلك هو المثل المضروب فى القصة

يريد النبى صلى الله عليه وسلم ليعلم أمته أن حَيْفَ الغريزة على العقل إفسادٌ لهذا العقل ، وأنه متى أُخذت المرأة لحظ الغريزة واختيارها كانت حياتها استجابةً لجنون الرجل ، وملأتها معانى التزيد والتصنُّع ، فيوشك أن ينقلها هذا عن طبيعتها السامية التى أكثرها فى الحرمان والإيثار والصبر والاحتمال ، ويردَّها إلى أضداد هذه الصفات فيقوم أمرها بعدُ على الأثَرة والمصلحة والتفادى والضجر والتبرم والإلحاح والإزعاج ، ويضعف معنى السلب الراسخ فى نفسها من أصل الفطرة فيتبدل حياؤها وفى الحياء ردها عن أشياء ، ويقل إخلاصها وفى الإخلاص رد لها عن أشياء أخرى ، ويكثر طمعها وفى قناعتها مُحاجَزَةٌ بينها وبين الشر

وبهذا ونحوه يفسد ما بين الرجل والمرأة المتصنعة ؛ فإذا كثر المتصنعات لا يكون من النساء مشاكل فقط ، بل تكون من حُلول المشاكل معهن مشاكلُ أخرى . . . .

***

ولُبابُ هذه القصة أن النبى صلى الله عليه وسلم يجعل نفسه فى الزواج المثلَ الشعبى الأكمل كما هو دأبه فى كل صفاته الشريفة ،

(١) بسطنا هـذا المعنى فى كثير مما كتبناه وخاصة فى كتاب : (السحاب الأحمر)

فهو يريد أن تكون زوجاته جميعاً كنساء فقراء المسلمين ليكون منهن المثل الأعلى للمرأة المؤمنة العاملة الشريفة التى تبرع البراعة كلها فى الصبر والمجاهدة والإخلاص والعفة والصراحة والقناعة ، فلا تكون المرأة زينةً تطلب زينة لتتم بها فى الخيال ، ولكن إنسانية تطلب كمالها الإنسانى لتتم به فى الواقع

وهذه الزينة التى تتصنع بها المرأة تكاد تكون صورة المكر والخداع والتقُّمد ، وكلما أسرفت فى هذه أسرفت فى تلك ، بل الزينة لوجه المرأة وجسمها سلاح من أسلحة المعانى كالأظافر والمخلب والأنياب ، غير أن هذه لوحشية الطبيعة الحية المفترسة ، وتلك لوحشية الغريزة الحية التى تريد أن تفترس . ولا تنكر المرأة نفسها أن الزينة على جسمها ثرثرة طويلة تقول وتقول وتقول .

* * *

وإنما يكون أساسُ الكمال الإنسانى فى الإنسان العامل المجاهد لا يحصر نفسه فى شىء يسمى متاعاً أو زينة ، ولا يقدر نفسه بما يجمع لها أو بما يجمع حولها ، ولا يعتدُّ ما يكون من ذلك إلا كالتعبير من عمل الشهوات عن الشهوات . ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الغاية فى هذا . دخل عليه مرة عمر بن الخطاب فاذا هو على حصير وعليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر فى جنبه . قال عمر : وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، وإذا إهابٌ معلق [1] ، فابتدرتْ عيناى ، فقال مايبكيك يا ابن الخطاب ؟ قال عمر : يا نبى الله ومالى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر فى جنبك ، وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والأنهار وأنت نبى الله وصفوته وهذه خزائنك [2] ؟

وجاء مرة من سفر فدخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها فرأى على بابها ستراً وفى يديها قُلْبين من فضة [3] فرجع ، فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى فأخبرته برجوع أبيها ، فسأله فى ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : من أجل الستر والسوارين

فلما أخبرها أبو رافع هتكت الستر [1] ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقتُ به فضعه حيث ترى . فقال لبلال : إذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصُّفة [2] . فباع القُلبين بدرهمين ونصف (نحو ثلاثة عشر قرشاً) وتصدق به عليهم

يا بنت النبى العظيم ! وأنت أيضاً لا يرضى لك أبوك حلية بدرهمين ونصف وإنَّ فى المسلمين فقراء

أى رجل شعبى على الأرض كمحمد صلى الله عليه وسلم فيه للأمة كلها غريزةُ الأب ، وفيه على كل أحواله اليقينُ الذى لا يتحول ، وفيه الطبيعةُ التامة التى يكون بها الحقيقُ هو الحقيقى

يا بنت النبى العظيم ! إن زينةً بدرهمين ونصف لا تكون زينة فى رأى الحق إذا أمكن أن تكون صدقةً بدرهمين ونصف . إن فيها حينئذ معنى غير معناها ؛ فيها حقُّ النفس غالباً على حق الجماعة ؛ وفيها الإيمان بالمنفعة حاكماً على الايمان بالخير ؛ وفيها ما ليس بضرورى قد جار على ما هو الضرورى ؛ وفيها خطأ من الكمال إن صح فى حساب الحلال والحرام لم يصح فى حساب الثواب والرحمة

تعالوا أيها الاشتراكيون فاعرفوا نبيكم الأعظم . إن مذهبكم ما لم تُحيِه فضائلُ الإسلام وشرائعه ، إن مذهبكم لكالشجرة الذابلة تعلقون عليها الأثمار تشدونها بالخيط . . . كل يوم تحلون وكل يوم تربطون ولا ثمرة فى الطبيعة

* * *

ليست قصة التخيير هذه مسئلةً من مسائل الغنى والفقر فى معانى المادة ، ولكنها مسئلة من مسائل الكمال والنقص

(١) كيس من جلد كالذى يتخذه العرب وعاء

(٢) الروايات من مثل هذا كثيرة عنه صلى الله عليه وسلم وقد بسطنا فلسفة هذه المعانى فى مقال (سمو الفقر) من مقالاتنا فى الرسالة

(٣) القلب بالضم سوار من الفضة غير ملوى هو الذى يقال له اليوم (النويشة) وهو خفيف

(١) أى مزقته ؛ وكذلك رأى مرة ستراً على باب عائشة رضى الله عنها فهتكه وقال : كلما رأيته ذكرت الدنيا . أرسلى به إلى آل فلان

(٢) الصفة الغرفة وأهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه

فى معانى الروح ؛ فهى صريحة فى أن النبى صلى الله عليه وسلم أستاذ الإنسانية كلها ، واجبه أن يكون فضيلة حية فى كل حياة ، وأن يكون عزاء فى كل فقر ، وأن يكون تهذيباً فى كل غنى . ومن ثم فهو فى شخصه وسيرته القانون الأدبى للجميع

وكأنه صلى الله عليه وسلم يريد ليعلّم الأمة بهذه القصة أن الجماعات لا تصلح بالقوانين والشرائع والأمر والنهى ، ولكن بعمل عظمائها فى الأمر والنهى ، وأن الحاكم على الناس لا ينبغى أن يحكم إلا إذا كان فى نفسه وطبيعته يحس فتنة الدنيا إحساسَ المتسلط لا الخاضع ، ليكون أول استقلاله استقلال داخله

فليس ذلك فقراً ولا زهداً كما ترى فى ظاهر القصة ، ولكنها جراءةُ النفس العظمى فى تقرير حقائقها العملية

* * *

وتنتهى القصة فى عبارة القرآن الكريم بتسمية زوجاته صلى الله عليه وسلم « أمهات المؤمنين » بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة . وعلماء التفسير يقولون إن الله تعالى كافأهن بهذه التسمية ؛ وليس ذلك بشىء ولا فيه كبير معنى ، وإنما تُشعر هذه التسمية بمعنى دقيق هو آية من آيات الاعجاز ، فإن الزوجة الكاملة لا تكمل فى الحياة ولا تكمل الحياة بها إلا إذا كان وصفُها مع رجلها كوصف الأم ترى ابنها بالقلب ومعانيه لا بالغريزة وحظوظها . فكل حياة حينئذ ممكنةُ السعادة لهذه الزوجة ، وكل شقاء محتملٌ بصبر ، وكل جهاد فيه لذتُه الطبيعية ، إذ يقوم البيت على الحب الذى هو الحب الخالص لا المنفعة ، وتكون زينة الحياة وجود الحى نفسه لا وجود المادة ، وتبنى النفس على الوفاء الطبيعى كوفاء الأم ، وذلك خلُق لا يعسر عليه فى سبيل حقيقته أن يتغلب على الدنيا وزينتها

وآخر ما نستخرج من القصة فى درس النبوة هذه الحكمة :

بِحَسْبِ المؤمن إذا دخل داره أن يجد حقيقةَ نفسه الطيبة وإن لم يجد حقيقةَ كسرى ولا قيصر ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

عظـــة الهجرة

للاستاذ عبد الرحمن شكرى



يتخذ الناس من عبر الحوادث مثلاً للكمال فى الخلق وشعاراً يذكر بما ينبغى أن يسلكوه وما يجب التنزه عنه من عمل أوقول ، ويكون لهم كاللواء يجمعون أمرهم حوله ، وكالحكمة يسترشدون بهداها ورشدها ، وكالحداء للركب يعينهم فى قافلة الحياة ، وكالرمز يرجعون الى مدلوله فى كل أمر حازب ، وكالعماد يعتمدون على قوته وعونه ، وكالامام يأتمون به

وقد لا يستطيع المرء فى كل حال من أحوال الحياة ألا يزايل شعاره ، فقد تخونه نفسه أو تخونه الحوادث فيسلك مسلكاً لا يشاكل شعاره ، ولكن المرء بخير اذا لم يمزق شعاره يأساً من أجل عجز عارض لا يلبث أن يزول ؛ والمرء بخير أيضاً مهما تعددت سقطاته عن شعاره ومثله ما دام له مثل يأتم به فى فعله وقوله ؛ واذا كان اتباعه له فى القول أكثر من اتباعه له فى الفعل ، فهذا أيضاً خير من ألا يكون له مثل يقدسه ، وله فى نفسه أثر قل أو كثر

وفى الهجرة النبوية لنا مثل وشعار ورمز اذا اعتبرنا بأسبابها وحوادثها ؛ وهو رمز ذو معنيين : معنى فيما ينبغى أن نتجنبه من مشابهة المشركين فى اضطهاد الحق والعقيدة النفسية والفكرة التى تنبعث منها ، ومعنى فيما ينبغى أن نتخلق به من الائتمام بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اباته مزايلة الحق وصونه ، وفى نصرته بالرغم من اضطهاد وضيق ، وفى الاعتماد على الله فى الشدة

ولكل من المعنيين فى الحياة شواهد وأمثلة وأمور تستدعى

ذكرى الهجرة النبوية وذكرى حوادثها الجليلة

ولو استطعنا أن نذكرها فى كل أمر من أمور الحياة كان ذكرها خيراً من ذكرها فى تاريخ واحد معين، على ما فى ذكرها فى هذا التاريخ الواحد المعين من خير وفضل وحمد

أى الناس لا يضطهد الحق فى أمور كثيرة من الأمور اليومية إذا كان فى اضطهاده اياه كسباً ورزقاً، أو ثناء وحمداً، أو راحة ودعة، أو ارضاء عزيز، أو زلفى لدى كبير مسيطر محكم عليه؛ وحتى عند تخيل نيل الكسب غير المحقق نيله، وعند الأمل فى الزلفى التى قد تخيب، يضطهد الناس الحق فى أمور الحياة وروحهم روح المشركين ولفظهم لفظ المؤمنين. ثم هم قد يعدمون حتى لفظ المؤمنين فلا يكون لهم من الايمان إلا اسمه. هؤلاء لم يتعظوا بعظة الهجرة، ولم يتنزهوا عن الروح التى اضطهد المشركون بها النبى صلى الله عليه وسلم. وأمثال هؤلاء لا ينتفعون باحياء ذكرى الهجرة النبوية مهما اشتغلت أبدانهم باحيائها من غير أن تشتغل قلوبهم بعظتها، ومن غير أن تتنزه نفوسهم عن مشابهة المشركين فى اضطهاد الحق

يقول المسيحيون: إن كل من يضطهد الحق فى أمر من أمور الحياة يضطهد عيسى عليه السلام، ويعين أعداءه عليه، ويعادى روح الحق الذى جاء به؛ ونحن نقول مثل هذا القول عند ذكرى الهجرة النبوية وهى ذكرى اضطهاد المشركين للحق الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم، فكل من يضطهد الحق فى أمر من أمور الحياة يضطهد روح الحق الذى جاء به النبى الكريم سواء أكان اضطهاد الحق فى أمر من أمور الحياة طمعاً فى مغنم أو فى دعة أو صداقة أو زلفى

وخير شعائر الدين ومواسمه وأعياده وذكره وتواريخه الجليلة مثل تاريخ الهجرة هو فى أن تحول بين المرء وبين عادته فى قلب الفروض الخلقية الى مسميات يحسب ترددها على لسانه عقيدة وايماناً، وماهو بايمان اذا كان لا يجتنبها، واذا كان يشارك المشركين ويشابههم فى اضطهاد الحق طمعاً فى مغنم أو دعة أو صداقة أو زلفى، فيعادى الصدق فى القول والعمل والعدل فيهما أيضاً، ويعادى الوفاء ومكارم الأخلاق، وهو اذا عاداها كان معادياً للحق الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم، وهذا هو المعنى الأول الذى نعتبر به فى احياء ذكرى الهجرة النبوية؛ والمعنى الثانى متصل به وهو قوة وعماد نصر، وهو الاعتماد على الله كما فى الآية الكريمة التى وردت فى حديث الهجرة: (ان الله معنا)

كنت فى بعض الأحايين أزور صديقاً لى من عادته اذا اتخذ شعاراً أن يكتبه فى لوح كبير ويضعه أمامه ويذكر نفسه به، وكنت أرى على جدران منزله هذه الآية الكريمة مكتوبة بخط جميل فى لوح كبير، وكان كلما دهمه أمر وكربه خطب وأحس أنه لا يكاد يقوى على احتماله ينظر الى هذه الآية الكريمة فيقوى بها على المصائب، وكانت له عوناً كبيراً فى الحياة؛ وهذا من فضل احياء ذكرى الهجرة النبوية، ومن فضل الائتمام بالنبى صلى الله عليه وسلم، وطوبى لمن يستطيع مهما نالت منه المصائب أن يقول: (إن الله معنا)، وطوبى لمن روض نفسه على الحق والعدل والصدق فى القول والعمل، وتنزه عن روح الاشراك ومعناه كما يتنزه عن لفظه واسمه، وجعل عظات الهجرة شعاراً له فى كل أمر من أمور الحياة؛ بل طوبى للانسانية لو أن كل انسان أخذ بروح من تلك العظات ولم يجعل الغيرة على الحق والعدل حبائل كسب لا حقيقة لها فى نفسه، ولم يجعل الفروض الخلقية مسميات يتباهى بترديدها. لقد حدثت نفسى فقلت ماذا كان يكون لو أن النبى صلى الله عليه وسلم قد رجع الى هذه الحياة الدنيا كى يرى روح الحق الذى جاء به، ولكى يقيم الحجة على الناس. هب أنه لم يذكر لهم اسمه وشاء أن يعرف كيف يلقون الحق فى شخصه من غير أن يعرفهم بنفسه. إنهم كانوا يرون رجلاً دأبه الحق والصدق والقصد والعدل فى القول والعمل، وأنهم كانوا يرون رجلاً يطلب منهم كل هذه الصفات فى أمور حياتهم وهو مطلب يثقل على نفوس الناس، وهم دنيويون يريدون من الصفات ما شابهها فى المظهر وخالفها فى الحقيقة، ويريدون المكسب والجاه من أى وجه وبأية وسيلة، فماذا كانوا يصنعون لو أنهم لم يعرفوا أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى يريد منهم روح الحق. أكبر الظن أن مأساة اضطهاد الأولين له كانت تتجدد، وأكبر الظن أننا كنا نرى هجرة ثانية مثل الهجرة الأولى، ولكنها ليست هجرة على التخصيص من مكة الى يثرب

عبد الرحمن شكرى

مصر تحمى الاسلام والمدنية

فى عين جالوت

للاستاذ محمد فريد أبو حديد



استهل القرن السابع الهجرى (وذلك فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى) وقد ترامى الى القاهرة نبأ النضال الدموى الذى ثار فى الشرق فيما بين نهرى سيحون وجيحون بين جنود التتار وبين جنود الملك محمد خوارزم شاه ؛ وكان المسلمون الى ذلك العهد لا يعرفون للتتار دولة ذات خطر ، فانهم انما كانوا يعرفون قوماً من البدو يعيشون فى فيافى الشرق التى تمتد الى اكناف الصين طالما حاربتهم جيوش المسلمين فلم يجدوا فى بلادهم مطمعاً ، اذ كان هؤلاء الحفاة كلما أوقع بهم جند الاسلام وقعة لاذوا بكبد الصحراء يضربون فيها ويبعدون فلا يجد قواد المسلمين لهم مدنا ولا ريفاً ، ولا يستطيعون أن يقبضوا منهم على ناصية . فاذا القرن السابع الهجرى يحمل معه اجتماعا عجيباً لهؤلاء التتار لم يسبق له مثيل الا فى أحوال نادرة ، اذ قد نبغ من بينهم الزعيم الداهية (تيموجين) الذى يعرفه التاريخ باسم (جنكيزخان) ، فوحد لهم دولة وأقام لهم ملكا بعد احداث يطول بنا وصفها لو تعرضنا لذكرها . وما كان لهذا الحدث أن يكون له ذلك الأثر البالغ فى تاريخ الاسـلام والمدينة لولا ما لابسه من ظروف العصر وما كانت عليه حال الدولة الاسلامية المتاخمة للتتار . فلو كانت الدولة الاسلامية فى عصمة هارون أو المأمون ، أو لو كانت فى قيادة المعتصم أو المتوكل ، لما زاد الأمر على قيام دولة تترية تلمع حيناً كما يلمع الشهاب ثم يندثر ، فكانت تجتمع لهم كلمة وينبسط لهم سلطان على من فى فيافى التركستان وما يليها من الكرج والديلم ، ثم تمضى تلك الدولة الناشئة بعد حين كأن لم تكن ، ويسدل عليها التاريخ ستاراً كثيفاً . وتحجب ذكراها وراء الكثبان المترامية البعيدة

غير أن مجرى التاريخ فى هذه المرة قد اتجه اتجاهاً لا يزال ماثلا فى أذهان الانسانية ؛ وما زالت اصداء اجتماع التتار على زعامة جنكيز تتردد الى اليوم فى الأقطار جميعها شرقيها وغربيها ؛ ومازالت آثار ذلك العهد تنعب فوق أطلال بخارى وسمرقند ومرو . بل ما زالت جاثمة فوق بغداد العظيمة يشهد العالم منها الى اليوم كيف يقوض التخريب أسس المدنية التليدة ، وكيف تذهب كنوز القرون ومخلفات الاجيال على يد الهمجية بين عشية وضحاها .

وما اتخذ التاريخ ذلك المجرى الا لسبب واحد . قد يبدو صغيرا ضئيلا لا خطر له . غير أن أجل حوادث التاريخ طالما نبعت من أمثال هذا السبب الصغير

كان الجزء الشرقى من العالم الاسلامى يئن من حكم طائفة من الأمراء قد وثبوا الى الحكم وهم أشبه شىء بقطاع الطرق يثبون على غنيمة آمنة فى قافلة عزلاء غريرة . وانك اذا تدبرت الأمر كله فى تاريخ الاسلام لم تجد نكبة أصابت المسلمين الا كانت آتية من مثل هؤلاء الأمراء المفسدين . تراهم وقد حكموا البلاد لكى يبتزوا ثروتها لا لكى يقوموا بواجب الحكم فيها ، وتراهم يبطشون بالناس بطش الأسد بالصيد لا يعاقبون أحداً لأنه أساء ، بل لأنه تنفس بكلمة حق ، أو فرج عن نفسه بأنة مصدور . وتراهم قد أحاطوا أنفسهم بشراذم من جنود مرتزقة ، لاهم لها الا أن تشترك فى الغنيمة ، فهى تساعد الطغيان على أن يطغى ، وتشترك معه بأن تستعلى فى الأرض وتطغى ، وهؤلاء الملوك وأولئك الجنود لاحد لاستعلائهم مادامت مسألة الحكم مقصورة على ضبط الرعية العزلاء ؛ فاذا ما جد الجد ، واحتاج الأمر الى الحماة كانوا أحرص الناس على الحياة ، وأخوفهم من التعرض لبلاء الجهاد ومحنة الجلاد

ولقد كان محمد شاه خوارزم أحد هؤلاء الطغاة المستكبرين الضعفاء . فلقد كان أشد الناس بطشاً وأحدهم شوكة فى سيرته

٦٠٤١

مع الأفراد والضعفاء . وكان من أحرص الأمراء على الثروة والسلطان ما دام لا يعابه الا شعبه المسكين . فقد سلط عليه طوائف أعوانه فكسروا أنوفه ، وخضدوا شوكته . وأذلوا نفوسه ؛ وقد أراد القضاء أن يتعدى أذاه الى طائفة من تجار التتار كانوا قد جاءوا الى بلاده مسالمين فى تجارة فأوقع بهم ونهب متاعهم . فاستجار هؤلاء بصاحبهم ، وكان عند ذلك (جنكيز) ، فرأى من واجبه أن ينصرهم ، فبدأ من ذلك الاصطدام الذى أعقب الدمار والبلاء ببلاد المسلمين

لم يشهد التاريخ مثل ذلك الصراع الذى بدأ عند ذاك بين التتار والمسلمين . فتيار أتى من جموع الهمج يصدم هيكل الدولة القديمة المبجلة . فاذا بذلك الهيكل يتصدع عند اللمس وينهار بعد قليل . حتى أن التتار أنفسهم ترددوا حيناً ووقفوا مبهوتين لا يكادون يصدقون أنهم قد هدموا ذلك الهيكل الهائل ، ولكن الهيكل لم يكن سوى جدار أجوف قد نخره الظلم واستل منه الحياة

لم يثبت الأمراء الطغاة الا مقدار لطمة قصيرة المدة ثم عرفوا أنهم لا يستطيعون أن يرعبوا عدوهم كما كانوا يرعبون رعيتهم ، ولن يقدروا على تحطيمه كما كانوا يحطمون أهل بلادهم ، ومنذ تحققوا ذلك طارت نفوسهم خوفاً ، وغلب الحرص كل غرائزهم فقلبوا الفكر فى مصيرهم ؛ وعرضوا ما كان منهم وما يكون . أتذهب عنهم أموالهم ، ويضيع سلطانهم ، ويضطرون الى مقاساة الأهوال فى الدفاع والنضال ؟ أيقاسمون اليوم رعيتهم ضيق الحياة وضنك العيش فى القتال ؟ أينزلون عن السعة والعزة والمنعة فى سبيل دفع المستميت ؟ أيمدون أيديهم الى الرعية أن هلمى الى صف واحد نبذل فيه الحياة معاً فنحيا كراماً أو نموت وقد أعذرنا ؟ ثم جالت بخيالهم ذكريات ما سبق لهم أن أجرموا ، وما كان لهم فى الحكم من سيئات . وعادوا الى أنفسهم يسائلونها : أيستطيعون اليوم أن يقفوا مع الرعية كتفاً الى كتف ؟ وهل يجدون من أنفسهم الجرأة على أن يخاطبوها خطاب الأنداد الأكفاء ؟ أيستطيعون أن يستنهضوها لبذل المال والنفس فى سبيل الخلاص من العدو المخيف ؟ وهل يستطيعون أن يخيفوا الناس من عدوهم المقبل وقد كانوا بالأمس لا يجندون الجنود الا لكى يحكموهم بالقسر والعسف ؟ جالت هذه الأفكار فى رؤوسهم وهم مترددون بين الثبات والانهزام . وبين النضال والهرب فخذلتهم قلوبهم اذ رأوا أن الرعية التى آذوها بالأمس لن تجيب نداءهم لو نادوا . ولن تخلص لهم اليوم بعد ما نالها من شرهم وطغيانهم ؛ ولئن أجابت الرعية وتناست كل ما كان . أبقيت فيها بقية للنضال ؟ ان ظلم القرون اذا أفلح فى ازالة القلوب الحرة الأدبية التى تنفر من الظلم ، وتأبى الاستعباد ، فقد أفلح كذلك فى اماتة الرجولة والنخوة ، وأحال الناس الى أشباح مرتعدة خوارة لا تستطيع شيئاً فى الدفاع ولا تغنى غناء فى النضال . فلن يستطيع شعب أذهب الطغيان إباءه وعصف بنخوته أن يصمد فى نضال البقاء فى الحياة

ولم يستطع محمد شاه خوارزم عند ذلك الا أن يعمد للهروب بما استطاع استخلاصه من أمواله وذخائره التى استلبها من دماء رعاياه وابتزها من عرق كدهم ، ودموع أعينهم ، ورجفة العراة منهم والجائعين ، وبقى الناس بعد أن هرب ذلك الطاغى وهم كالغنم المبعثرة اذا دهمتها الذئاب ، وقد هرب عنها الرعاة الجبناء . فلنسدل الستار عن نضال غير متعادل بين الشاة والذئب ، ولنغمض العين عن منظر شعب من شيوخ أهل علم ، وشبان أهل تجارة ، وكهول أهل صناعة ، ومن عمال فقراء لا يملكون ما يسدون به الرمق وزراع لا دراية لهم بشىء بعد المحراث والفأس . . وهم يخرجون ألوفاً الى خارج المدن والقرى ، لا يدرون كيف يفعلون ، ولا أنى يتجهون ، فلا تكون الا ساعات حتى يحصدهم العدو حصداً ، أو يحصد بعضهم بعضاً فى فزع حرب لا عهد لهم بها . لا بل إنهم كانوا يستسلمون كما يستسلم الدجاج ليذبح واحدة بعد واحدة ، وهى تستسلم للهلاك خوفاً من رهبة الدفاع عن أنفسها

لقد سلبهم الطغاة ما كان فيهم من رجولة بالعسف المتواصل جيلاً بعد جيل ، وبالخنوع والاذلال يتوارثونه ابناً عن أب عن جد . ألا فليحمل الطغاة وزر هذه المخازى ، ولتلطخ ذكراهم بأثم هذه المجازر لا براءة لأحد منهم منذ بدأ الحجاج جريمته فى تذليل الأمة الاسلامية لحكم الطغيان . وترامت أنباء هذه المجازر الى مصر فلم تجد من نفسها فراغاً الى أن تملأ آذانها بها اذ كانت

تناضل نضال الأبطال فى دفاع الصليبيين عن أرضها . اذ بينا كانت مذابح التتار تفتك بالمسلمين فيما بين نهرى سيحون وجيحون ، كان الصليبيون يفدون ألوفاً مؤلفة الى شواطئ مصر يريدون أن يرموا بفتحها قلب دولة الاسلام . وكان بمصر بقية الدولة الأيوبية ، فكان ملوكها يردون من ذلك الفتح موجة بعد موجة ، فالملك الكامل يدفع حملة دمياط الأولى ، والملك الصالح يقف لجيش فرنسا وحلفائها ويموت وهو فى ميدان الحرب فيخلفه ابنه الملك طوران شاه فيقضى على جيش لويس التاسع ، ويتم الفتح بأسر الملك الصليبى المتحمس . وهكذا علمت مصر دول أوربا أنها لن تكون هينة فى النضال اذا شاءوا نضالاً

ولما تنفست مصر من حملات الصليبيين راعها ما سمعت من دوى التخريب فى مدن الشرق ، وكان قد علا وصار مرعباً فظيعا . وكان أعلى ذلك الدوى ما جاء من بغداد اذ فتح هولا كو عاصمة الخلافة وألحقها بالخراب الذى خلفه جده بين سيحون وجيحون ، وسمع من بمصر أن خزائن العلم وآثار المدنيـة فى دار السلام قد صارت كلها أثراً بعـد عين ، وأن دولة الاسلام العظيمة قد تحطمت وانهارت كأنها لم تكن من قبل ملاذ الحضارة والفن والعز منذ قرون . فاختلط فى نفسها الحزن على مجد الاسلام الضائع والخوف من أن ينالها من ذلك التيار المدمر ما نال سائر معاقل الاسلام

واندفع التيار المدمر بعد اجتياح بغـداد فسار فى سبيله الى الغرب حتى بلغ الشام ، وكانت قلاعها عند ذلك عواصم الحدود للدولة المصرية الكبرى التى ورثت دولة بنى أيوب وهى دولة الأتراك المماليك

وكان صدى أنباء تلك الغارة فى مصر غير صداها فى سائر الأقطار ، فان صوت التتار الذى أفزع العـالم الاسلامى فأخرجه عن رشده وأفقده ارادته وجعل أهله يستسلمون للموت لا يكادون يحركون يداً ، لم يزد على أنه أثار حفيظة أهل مصر ، وحملهم على الاستعداد للنضال . وذلك أن مصر لم تكن كسائر البلاد الاسلامية فانها لم تفقد كرامتها ولا رجولتها . ولم تنس معنى العزة والاباء . حقا لقد كان يحكمها أمراء من الترك ، وكان قبل ذلك يحكمها بنو أيوب والفاطميون وغيرهم ، ولكن هؤلاء لم يكونوا فى يوم من الأيام الا حكاما يقومون بخدمة الجماعة . ولم تزل مصر على توالى المحن عليها سيدة أمرها والمسيطرة على قانونها وحقوقها . ولو كان الأمر عنـد ذلك أمر جيش وسلطان لانتهى النضال على ما انتهى اليه نضال ملوك الشرق وجيوشهم ؛ فنضال مصر مع التتار كان نضال أمة بأسرها محسة بوجودها ، شاعرة بما يجب عليها أن تبذله وأن تدبره ؛ وان شئت مصـداق ذلك فها هو ذا وصف مجلس حربى اجتمع عند ذلك لينظر فى أمر التتار والاستعداد للاقاتهم

كان فى ذلك المجلس ممثلو الشعب المصرى وأهل الرأى فيه من مشايخ العلماء، وأئمة القانون . كما كان فيه كبار الامراء والحكام والأعيان . وكان سلطان الوقت شابا غرا جاهلا وهو على بن معز الدين أيبك . فتذاكر المجلس غارة العدو وما تحتاج اليه البلاد من وسائل الدفاع من مال وجند . وما لا بد من بذله من مجهود جامع شامل . فكان أول ما نظروا فيه أن تساءلوا : هل السلطان للبلاد أم هى البلاد التى للسلطان ؟ وهل يليق بنا فى مثل هذا الوقت أن نقيم شابا غراً جاهلاً يتصرف فى شـؤون الدولة لا لشىء الا لأنه ابن للسلطان الذى حكم من قبل ؟ ولم تطل بهم المناقشة فى ذلك فاختاروا رجلاً من أكبر قواد العصر فأقاموه سلطانا بدل ذلك الصبى الصغيرودلوا بذلك على أن نظر مصر انما هو لمصالح الدولة ، وأنها انما تختار حكامها ليقوموا بواجبهم لها لا ليكونوا سادة متحكمين فيها . ثم نظروا بعد ذلك فيما يجب جمعه من المال للاستعداد للحرب ، فلنسمع الآن قول أحد مشايخ مصر وهو الشيخ عز الدين ابن عبد السلام لنعلم منه كيف كان يخاطب نواب المصريين قادة الحرب فى بلادهم ، وهل كانوا يرونهم سادة أم خداما : قام ذلك الشيخ الجليل عند ذلك فقال شيئا مثل هذا : « لقد جئتم أيها القواد والأمراء من بلادكم جنوداً صغاراً لا تملكون شيئاً . بل كنتم مملوكين أرقاء . ولقد صارت لكم أموال وعقارات . وأصبحت فى أيديكم النعم الجزيلة والخيول المطهمة ، والجواهر والحلى التى لا يستطاع تقدير قيمتها . فهلمو فابذلوا كل ما عندكم من تلك الأموال حتى اذا ما صرتم كالناس لا تملكون الا ما يملكه أوساطهم ، كان الواجب على الأمة أن تبذل كل ما تملك فى سبيل الجهاد من ورائكم . وليست العامة تعزل عن الحرب

ولا هي مترددة في خوض غمـاره . فهلموا ! اسألوا سهول فارسكور عن الألوف من أهل الريف الذين حاربوا الفرنج ، وأبلوا في حربهم أحسن البلاء . وهلموا فنادوا أن النفير عام تجدوا الناس جميعا عند ندائكم مسارعين الى الجهاد والنضال »

ولقد انفض ذلك المجلس على اتفاق وثيق ، فخلع السلطان على ونودى بالسلطان الجديد : الملك المظفر قطز . ونودى على الناس جميعا أن النفير عام الى الغزو في سبيل الله

وهكذا كانت الحركة حركة مصر ، والجهـــاد جهادها لا جهاد أمرائها

وخرج السلطان بموكبه في أواخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وبلغ الشام في رمضان ونزل على جانب الأردن في أواخر شهر الصيام

وكان الى جانب وهدة الأردن واد من الوديان الكثيرة التي تهبط من جبال فلسطين أو تلالها ، تخرج فيه عين من مرتفع لا يزيد علوه على مائتي متر وتسمى عين جالوت ، وذلك الوادي على مقربة من بيسان التي اشتهرت بابنها النجيب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني . وقد اجتمع جند مصر عند ذلك الوادي ، آتيا من علايات فلسطين . وكان جند التتار قد توافوا في وهدته آتين من دمشق بعد أن جروا عليها ذيل تخريبهم وتدميرهم

وجال التتار في السهل وهم يتضاحكون ويمرحون ، ينظرون الى جنـود مصر بلباسهم الزاهي ، وسلاحهم الثمين ، وحليتهم الرائعة ، ولعلهم كانوا اذ ذاك يقول بعضهم لبعض : ها هي ذي غنيمة لم يسبق لنا عهد بمثلها ، ولا عجب فهي كنوز مصر

واجتمع جنـد مصر من أتراك وعرب ، وبرزوا على عادتهم صفوفا من الفرسان لا تكاد ترى فيها ميلا ولا عوجا ، كل فارس منهم على فرسه كالجبل الراسي اذا تحرك ، فكأنما ارادة واحدة تتحرك . فالفرسان اذا تحركت فهي خيل مقبلة ، والخيل اذا أقبلت فهي فرسان مهاجمة . وانتظم السلك فاذا الجيش سلسلة تطوق جوانب الوادي . أعلاها نحاس براق وحديد صقيل ، وأسفلها حوافر الخيل المتوثبة تضرب الأرض وهي قلقة الى النضال ؛ ثم دقت الكؤوس ، وأمر القائد بالهجوم ، فاذا بهذه السلسلة المستوية تنحدر الى الوادي صاخبة داوية راعدة ، ولكنها مع ذلك متماسكة مستوية حتى بلغت الجانب الآخر من الوادي ، وكانت جموع التتار عنده تنتظر الهجوم لتجد عنده النصر الذي اعتادته في مصافها ؛ واهتزت صفوف السلسلة المستوية عند الاصطدام كما تهتز الاسطوانة الطاحنة اذا صدمها حجر صلد ؛ غير أنها لم تقف وأبطأ سيرها وخفت جريتها ؛ ولكنها لم تتشعب ولم ترتد

وعلت قعقعة الحديد . واختلطت ضجة الأصوات ، وارتمى البعض عن البعض ، وتدحرجت الأجزاء عن الأجزاء

وكانت ساعة تشيب لهولها الولدان ؛ ثم ازدادت سرعة السلسلة كأنها قد اجتاحت العقبة التي عاقت سبيلها ؛ واندفع جيش مصر مرة أخرى وراء فلول منهزمة من التتار تجري فزعة في غير نظام نحو بيسان في أسفل الوادي

فلقد حطمت الجيوش المصرية جموع التتار المخيفة لأول مرة في تاريخها منذ خرجت على العالم تذيقه العذاب والوبال ؛ وكانت وقفة مصر في عين جالوت حماية للاسلام والمدنية والانسانية

محمد فريد أبو حديد



تحية العام الجديد :

آمال وآلام

للاستاذ محمود غنيم



شُقَّ الفضاء بنورك المُتجدِّدِ ... يا ليت شِعرى ما تخبّئه فى غد

ولقد مضى عامٌ عرفتُ صروفَه ... وعَيِيتُ بالغيب الذى لم يُوجَد

رَصَدُوا النجومَ ورحتُ أرصُد شيخها ... شيخَ النجوم الزهرِ علّك مُرشِدى

يا ابن الظلام أما تعبتَ من السُّرى ... أبداً تروحُ على الأنام وتغتدى

شيبتَ ناصيةَ القرونِ ولم تزل ... طفلاً تُطالعُنا بوجهٍ أمردِ

تمضى الحياةُ فلا تعودُ إذا مضت ... وأراك تختتم الحياة وتبتدى

حتّامَ تضربُ فى الدياجى هائماً ... تهدى الأنامَ ولا إخالُكَ تهتدى

رَقَدَ الأنامُ خليُّهم وشجيُّهم ... وظللتَ وحدك ساهراً لم ترقد

ولقد حسبتُكَ بالسلام مبشّراً ... فبرزتَ مثل الخنجر المتجرّد

الشرق مُضطرمُ الجوانح ثائرٌ ... والغربُ يهدِر كالخضمّ المزبد

إنى أرى ناراً أُعِدَّ هشيمُها ... وثقابُها لكنها لم تُوقَد

* * *

عامٌ وآخرُ مقبلٌ ومودّعٌ ... شيّعتُ نعشاً واحتفلتُ بمولِد

ولىَّ القديمُ فما ظفرتُ بطائلٍ ... وأتى الجديدُ فهل ترى هو مُسعدى

ولقد تشابهت السنونَ كأنني ... ما عشتُ عمرى غيرَ عامٍ مفرد

قالوا عجبنا ما لشعرك نائحاً ... فى العيد ما هذا بشدوِ مُعيِّد

ما حيلة العصفور قصّوا ريشه ... ورَمَوْه فى قفصٍ وقالوا غرِّد

* * *

يا ليت شعرى يا هلالُ أعائدٌ ... للمسلمين بنصر دين محمد

أتعيدُ للجُمُعات سابقَ عهدها ... أتعيدُ للاسلام مجد المسجد

أدركتَ عهدَ الراشدين «بيثرب» ... وحسدتَها بين النجوم الحسَّد

وشهدتَ دولة «عبد شمس» حينما ... بلغ «الوليدُ» بها عنان الفرقد

ولقد طلعتَ على بنى العبّاس إذْ ... جلس «الرشيدُ» مع السُّها فى مقعد

لهفى عليها دولةً قد أوشكت ... تمتدُّ حتى ساحلِ المتجمِّد

للشرق ماضٍ كلّما عرضت له ... ذكراه يزفر زفرةَ المتنهِّد

الشرق يأمُل أن تحلّ وثاقه ... جرت الشعوب وسار سير المُقعد

لهفى عليه منسَّباً لم يُجْدِهِ ... طيبُ النجار ولا كريمُ المحتد

بتنا نعيش على حساب جدودنا ... هيهات ليس الحرُّ كالمستعبَد

أين الجبالُ من التلال أو الربى ... أين القوىُّ من الضعيفِ المُقعَد

لا القوم منّى لا ولا أنا منهمُو ... إن لم أفقْهُمْ فى العلا والسؤدد

كان الجدودُ لهم شرًى يأوونه ... ولنا وكورٌ من يَرِدْها يُصطَد

كانوا مغاورَ يعتدون على الورى ... فإذا بنوهم عرضةٌ للمعتدى

صالوا برمحٍ ذابلٍ ومهنّدٍ ... عضْبٍ ونعجز أن نصولَ بمِبْرد

أين الذى نظم الجيوش ؟ من الذى ... نظمَ الكلامَ قلائداً من عسجد

قد كان همهم الفتوحُ وهمنا ... أن نغتذىْ أو نرتوىْ أو نرتدى

إرثٌ على يدنا تبدّد شمله ... يا ليت هذا الإرثَ لم يتبدّد

يا من رأى أرضاً أُبيحَ حرامُها ... بالأمس كانت فى قداسةِ مَعْبَد

أُمٌّ تباعُ وتُشترى فى السوق مِنْ ... يدِ سيّدٍ تمضى إلى يد سيد

الحرب حولَ الشرقِ شبَّ أُوارُها ... والشرق يرقبُ من يَقُدْهُ ينقد

مالى أرى الشرقَ المهيضَ جناحُه ... رغم اتحاد الهم غيرَ موحَّد

وإذا تفرقت الشعوب مواقعاً ... وتقاربت غاياتها لم تبعد

ولقد تهان أمامنا جاراتُنا ... وشكاتُهنّ تُذيب قلبَ الجلمد

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

هجرة الرســـل

للاستاذ عبد الوهاب النجار

لقد قتل الناس مسألة الهجرة النبوية بحثاً وغاصوا فى أعماقها ، ولم يتركوا زاوية من زواياها الا أخرجوا خباياها ؛ فأنا لا أريد أن أكتب على غرار ما كتب من قبل فأعيد ما بدأه غيرى وأنا مولع بمعاداة المعادات والذى أريد أن أكتب هو هجرة الأنبياء الذين عبروا قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس بدعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام

أول الرسل الكرام هجرة هو نوح عليه السلام فكانت هجرته حياة له وهلاكا لأعدائه

دعا نوح قومه الى عبادة الله تعالى وترك عبادة غيره من الأصنام والأوثان وصار يغاديهم بالنصح ويراوحهم بالعظات ألف سنة الا خمسين . وهم لا يزدادون منه الا بعداً ونفوراً الى أن ضاق صدره بما يلاقى منهم . ولم يجد باباً لهدايتهم الا طرقه ، ولا منفذاً لنصحهم الا قصده . ولم يجد قومه باباً للنكاية به الا ولجوه ، ولا منفذاً لأغاظته الا سلكوه . فتراهم يقولون له : (ما نراك الا بشراً مثلنا ؛ وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ؛ وما نرى لكم علينا من فضل ؛ بل نظنكم كاذبين) فهم يرون أن الرسالة لا تكون للبشر بل للملائكة ، والهداية لا يمكن أن ينالها الفقراء وذوو الأعواز ، ولكنها وقف على ذوى الوجاهة والقوة . وأن الذى يريد الله أن يصطفيه إنما يكون من أهل الثراء والغنى . ولقد رد عليهم نوح بقوله : إنه لا يسألهم على الهداية التى يزفها اليهم أجراً . فهو لا يجر بذلك لنفسه نفعاً ولا يحوز مالاً ، وانما يريد أجره من الله ، ولم يقل لهم إن عنده خزائن الله ليس عنده شىء من علم الغيب ، ولم يقل لهم إنه ملك ، ولا يقول للذين تزدرى أعينهم من أتباعه لن يؤتيهم الله خيراً وهو الهدى والاستقامة على الجادة ، وأن علم ما فى أنفسهم عند الله لا عنده الى أن ضاق بالقوم وضاقوا به . فقالوا له ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . ودعا نوح عليهم فقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً » فأنبأه الله أن العذاب سيحل بهم ، وأمره ألا يخاطبه فيهم وأنهم مغرقون . وأوحى اليه أن يصنع الفلك لينجو بها من العذاب النازل بهم وليهاجر بها عنهم

صنع نوح الفلك وكان قومه يسخرون منه وهو يسخر منهم لغفلتهم عن أنفسهم وتفريطهم فى حياتهم وغيرهم بعدم اتباعه الى أن جاء أمر الله وفار التنور ، وتفجرت ينابيع الأرض ، وحلت عزاليها السماء ، وجاء الطوفان وأبادهم بعد أن نزل نوح والذين آمنوا معه فى السفينة . وسلك فيها زوجين اثنين من كل ذى حياة ، وانتهت هجرته من الأرض بعد سنة وعشرة أيام بعد أن استقرت السفينة على الجودى . فكانت هجرته ميمونة عليه وعلى من معه فى السفينة وهلاكا لأعدائه

فترى ونسمعُ صامتين كأننا ... لم نستمعْ وكأننا لم نشهد

فإذا تحمسنا مددْنا نحوهمْ ... كفَّ الدعاء وغيرها لم نَمْدُد

عذرا بنى أعمامنا ! أغلالنا ... قعدتْ بنا عن نجدة المستنجد

أعْزِزْ علينا أن نرى جيراننَا ... يتَخَطَّفون ونحن مكتوفو اليد

* * *

من لى بجيل مستجدٍّ لم يرثْ ... إلا عن الجدِّ القديم الأبعد

يرثُ «ابنَ هندٍ» فى أصالة رأيه ... أو « خالداً » فى عزمه المتوقّد

لم يعتد الضيمَ الذى نعتادُهُ ... أهْونْ بكلِّ أذًى على المتعوِّد

إن قام يثبت حقَّه فدليله ... قصفُ المدافع أو صليلُ مهنَّد

لا خير فى حقٍّ يقالُ ومنطقٍ ... عذبٍ بحدِّ السيف غيرِ مؤيَّد

جيلٌ إذا سِيمَ الهوانَ أبى وإن ... يطلبْ إليه البذلُ لم يتردَّد

يهوى الحياة طليقةً ويعافُها ... ذلاً ويُدعى للفداء فيفتدى

محمود غنيم

كوم حماده

لوط عليه السلام

آمن بعمه ابراهيم واستجاب الى عبادة الله تعالى وهاجر مع عمه ابراهيم كما قال تعالى : « فآمن له لوط وقال إنى مهاجر الى ربى » وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عن عثمان حين هاجر الى الحبشة ومعه زوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول مهاجر الى الله بأهله بعد لوط عثمان بن عفان

يعقوب عليه السلام

كان بينه وبين أخيه عيسو شيء من الخلاف ، فهاجر الى بلاد ما بين النهرين عند خاله لابان ، ومكث عند خاله يرعى عليه غنمه ، وتزوج من ابنتيه ليئة وراحيل ، ومن جاريتهما زلفى وبلها ، ورزق منهن أولاده جميعاً . وكانت هجرته خيراً وبركة عليه ، فقد صار رب أسرة عظيمة كثيرة العدد ، وأموال وماشية كثيرة وعاد الى فلسطين بعد ذلك ، وولد له فى هجرته جميع أولاده الا بنيامين

يوسف عليه السلام

هاجر مرغماً حين ألقاه اخوته فى غيابة الجب ، ثم التقطه بعض السيارة وأسروه بضاعة وباعوه فى مصر بثمن بخس ، واشتراه عزيز مصر أو رئيس الشرطة بعاصمة الديار المصرية ، وهى مدينة صان فى الشرقية ، ثم امتحن بامرأة العزيز التى راودته عن نفسه فاستعصم ، ثم بهتته فى وجهه واتهمته بأنه راودها عن نفسه « وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال » العزيز لها : « انه من كيدكن ؛ ان كيدكن عظيم » ، والتفت الى يوسف وقال له : « يوسف أعرض عن هذا » ، والتفت الى زوجه وقال : « استغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين — الى أن بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » ، وفى السجن ظهرت آيات فضله ، وفسر لساقى الملك وخبازه مناميهما ، وأوصى الذى ظن أنه ناج منهما أن يذكره عند ربه الملك فأنساه الشيطان ذكر ربه ، فلبث فى السجن بضع سنين الى أن رأى الملك سبع بقرات سمان حسان يأكلهن سبع بقرات عجاف مهزولة ، وسبع سنبلات خضر غلبتهن سبع سنابل يابسات . وحار العلماء والسحرة والعرافون فى تفسير ذلك المنام فذكر الذى نجا من الفتيين شأن يوسف وتفسيره للمنام ؛ فاستأذن الملك وأتى الى يوسف واستفتاه فيما رآه الملك . ففسر له الرؤيا على وجهها . وجاء الساقى وقص القصص على الملك ، وكان ما كان ، الى أن اصطفاه الملك لنفسه ، وجعله على خزائن الأرض ، ودبر أمر مصر الى أن جاء سبع سنوات مخصبة خزن فيها مازاد على الحاجة ؛ ثم جاء السنين المجدبة ففتح مخازن الادخار ، وأطعم الناس ، وجاء اخوته فداعبهم ودبر عليهم تدبيراً حتى جاءوه بأخيه بنيامين ، ثم عرفهم بنفسه وقال : « ائتونى بأهلكم أجمعين » فكانت هجرته القسرية وتغربه خيراً عليه وعلى أهله وعلى الناس أجمعين ؛ ولولا تدبير الله له وتدبيره لأمر الأغذية لهلك الناس

موسى عليه السلام — وهجرته

لا نريد أن نتكلم عن أولية موسى عليه السلام . وانما نقول إنه نشأ فى بيت فرعون عزيز الجانب ؛ ولما بلغ مبلغ الرجال لم يخف عليه أنه دخيل فى ذلك البيت وأنه من العنصر العبرانى ؛ وعرف العبرانيون ذلك فاستعزوا به وانتفعوا بجاهه

وسار فى المدينة يوماً على حين غفلة من أهلها فوجد رجلين يقتتلان أحدهما عبرانى من شيعة موسى والثانى قبطى من عدوه ، فاستغاثه العبرانى على القبطى ، فأغاثه موسى وعمد الى القبطى فوكزه فقضى عليه ، وهو لم يرد قتله ، وانما أراد كف عاديته عن العبرانى ، ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها

لم يشاهد أحد هذه الحادثة سوى العبرانى . وعاد موسى باللائمة على نفسه وقطع على نفسه عهداً ألا يكون ظهيراً للمجرمين

ظهر أمر القبطى ولم يعلم قاتله . فلما كان اليوم الثانى خرج موسى فى مثل ذلك الوقت فوجد ذلك العبرانى بنفسه فى معركة مع قبطى آخر يريد أن يسخره وهو يأبى ، فاستغاثه كما استغاثه بالأمس فقال له موسى انك لغوى مبين . وأراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما ويكف عاديته عنه . فظن العبرانى أنه اياه أراد . فقال له : ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ان تريد

إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ، وصالح القبطى واتخذ موسى خصما

حينئذ ظهر قاتل القبطى وهو موسى وانتهى الخبر الى فرعون فاجتمع ملأ فرعون وقومه على قتل موسى . فجاء اليه رجل من آل فرعون من أقصى المدينة يسعى وقال له إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك . ونصح له بالخروج لينجو بنفسه فخرج من المدينة خائفاً يترقب قائلاً رب نجنى من القوم الظالمين

ولى وجهه شطر مَدْين على خليج العقبة . ولعلها كانت أقرب بلاد يجد فيها مأمنه لخروجها عن قبضة الحكومة المصرية — ولما كان خروجه على عجل لم يترو فى الأمر ولم يأخذ معه زاداً ولا ما يساعده على قطع المسافة من مطية ولا رفقة له فى هذا السفر الشاق ولا دليل لأنه انما يريد أن ينجو بخيط رقبته . فلما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل . فحقق الله تعالى أمنيته وبلغ ماء مدين بعد الجهد الشديد والجوع المضنى فوجد على الماء أمة من الناس يسقون ووجد امرأتين تذودان غنمهما عن الحوض ، فلم يعجبه أن يتقدم أولو القوة ويتأخر المرأتان فسألهما عن شأنهما . فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لأننا ليس بنا قوة على التقدم والمزاحمة ، وأبونا شيخ كبير لا يقدر على رعى ماشيته ولا سقياها . فنحى الرعاء بما بقى له من فضل قوة وسقى لهما ثم تولى الى الظل يشكو الى الله حاجته الى القوت وما به من مخمصة قائلاً : (رب إنى لما أنزلت الى من خير فقير)

أراد الله أن يكافئ موسى جزاء توكله عليه وفعله الخير ابتغاء وجه ربه فلم يلبث أن جاءته احدى المرأتين تمشى على استحياء حتى وقفت عليه وقالت له فى خفر : (إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)

لبى موسى الدعوة ؛ وجاء الى أبيها الشيخ وقص عليه قصصه . فقال له الشيخ لا تخف نجوت من القوم الظالمين

أرادت احدى بنتى الشيخ أن يقوم موسى عنهما برعى الماشية لأنه أقدر على ذلك لما رأته من قوته فى النزع بالدلو وأمانته اذ أخرها وقال لها اسعى ورائى وانعتى لى الطريق ؛ فقالت لأبيها (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين)

نشط الشيخ لما أشارت به ابنته ، وطلب الى موسى أن يستأجره ثمانى حجج على أن يزوجه من احدى ابنتيه ؛ فاذا رضى أن يتم الثمانى عشرا كان ذلك على أن يكون بالخيار فى قضاء أحد الأجلين

تقول التوراة إنه بقى عنده الى أن كانت سنه ثمانين سنة ؛ والقرآن الكريم ليس فيه تحديد قاطع فى المدة التى أقامها

والمهم فى الأمر أنه لما قضى الأجل وصار حرا صادفه أن أبعد فى الرعى وضل الطريق فى ليلة مظلمة باردة ؛ وحاول أن يقدح نارا فصلد زنده ولم يور نارا ؛ وبعد لأى (آنس من جانب الطور نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو أجد على النار هدى) . فلما جاء الى النار نودى (يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ؛ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) وبعد حوار أرسله الله نذيرا الى فرعون وملئه لاخراج بنى اسرائيل ؛ فكان ما كان مما قصه القرآن من شأنه مع فرعون وشأنه مع بنى اسرائيل ؛ فكانت هجرته خيرا وبركة عليه وعلى بنى اسرائيل ؛ كما أجاب فرعون بقوله (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين)

هجرة داود عليه السلام

هو داود بن يسى من سبط يهوذا . كان له إخوة يحاربون الفلسطينيين مع طالوت الذى هو شاول أول ملك من ملوك بنى اسرائيل . وكان فى الفلسطينيين جندى جبار اسمه جالوت قد هابته الأبطال وتحامت الشجعان لقاءه خوف الهلاك

وكان لداود إخوة فى الحرب ؛ فأرسله أبوه بطعام لاخوته ولينظر حالهم ويعود الى أبيه بما يطمئنه عليهم . فبينا هو سائر الى اخوته نظر فى البرية الى أحجار ملس راقته فوضعها فى كنفه (الكنف كيس الراعى) ولما ذهب الى اخوته والحرب على قدم وساق نظر الى الفلسطينى وهو يعير بنى اسرائيل احجامهم عنه ، فاستشاط الفتى داود غضبا وسأل ما الذى يناله من قتل هذا الأغلف الفلسطينى . فأجيب بأن الملك يغنيه ويغدق عليه ويزوجه ابنته ويجعل بيته أكبر بيت فى اسرائيل . فذهب الى الملك واستأذنه فى لقاء جالوت فضن به الملك أن يقتل فى غير فائدة وهو صغير السن لا يقوى عليه . فقال له داود : إن عبدك

(يعني نفسه) قتل أسدا تعرض لغنم أبي وقتل دبا أيضا . فأذن له وأعطاه لأمة حربه فلم يحسن داود المشي فيها فخلعها وذهب الى جالوت بمقلاعه وأحجاره . وقد هزأ منه جالوت ونصحه أن يعود من حيث أتى فلم يفعل ، ووقف قبالته ووضع حجرا من تلك الأحجار في المقلاع رماه به فارتز الحجر في جبهة جالوت وخر لليدين وللفم ، فأخذ داود سيف جالوت وفصل رأسه به وجاء به الى الملك وانهزم الفلسطينيون شر هزيمة

ولكن طالوت ضن على داود بابنته التي وعد أن يزوجها من قتل جالوت وزوجه من ابنة له أخرى وقدمه على رؤساء جنده

تغير بعد ذلك طالوت لداود وعمل على اهلاكه بيد الأعداء، خوفا من أن يوليه بنو اسرائيل الملك ، فكان يكلفه بالقدوم الى الحرب وكان داود يظفر دائما . فعمد الى اهلاكه بنفسه ، ونجا داود منه مرات وهو يتبعه في كل مكان ، وتمكن داود من قتل الملك مرات ولكنه لم يفعل ويخبره بتمكنه من قتله وأنه أبقى عليه ، فيندم الملك ثم يعاوده خوفه على الملك فيطارده الى أن خرج داود من ملك اسرائيل وأقام مع الفلسطينيين برضاء ملكهم الى أن قتل طالوت وابنه . فجاء الى قرية أربع وهي مدينة الخليل وبويع فيها بالملك . وكان لطالوت ولد بويع بالملك أيضا الى أن قتل ابن طالوت الملك وانفرد داود بالملك واشترى قلعة صهيون التي عند باب الخليل وسماها مدينة داود ، ثم اشترى جبل الموريا الذي عليه الحرم القدسي ومدينة أورشليم القديمة المعلومة اليوم بأسوارها وحدودها

وفي أواخر أيام داود نزا على الملك ولده ابشالوم وبايعه العدد العظيم من بني اسرائيل . ورحل داود الى شرق الأردن وجلس ابشالوم على كرسي الملك وحارب أباه فقتل أبشالوم وعاد داود الى مقر ملكه . فهاتان هجرتان لداود وكانت العاقبة له على خصومه فيهما

هجرة المسيح عليه السلام

أما المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فله هجرة ليست كهجرة سائر الأنبياء الذين هاجروا من بلادهم

ذلك أنه لما ولد كان هناك مملك من قبل الرومان أخبر أن ملك اليهود ولد في بيت لحم ، فجد في قتل الأولاد الذين ولدوا في بيت لحم في تلك الأيام . فأمرت مريم بأن تهاجر بابنها ومعها خطيبها يوسف النجار فذهبت الى مصر وأقامت فيها مدة قيل إنها كانت سبع سنين أو أقل ، الى أن أمرت بالرجوع الى فلسطين ، لأن الذي كان يطلب نفس ولدها قد هلك ، فعادت

وهــــذه الهجرة نص عليها في انجيل متى وانجيل برنابا ولا وجود لها في سائر الأناجيل الثلاثة الأخرى المعروفة ؛ فهجرة المسيح كانت تابعة لهجرة أمه خوفاً عليه ولم تكن بارادته

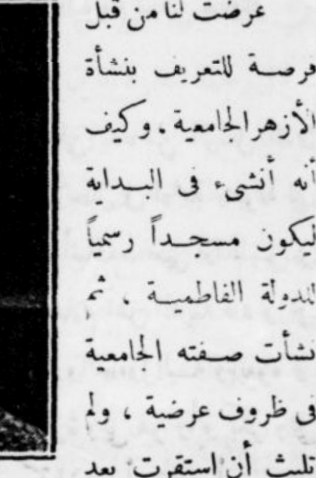
محمد عليه السلام

من ذلك كله نرى أن محمداً لم يكن بدعا من الرسل الذين هاجروا من قبل ، فقد جاهد جهاد الأبطال في اذاعة دعوته بين الناس ، وقد أوذي في الله تعالى هو وأتباعه . حتى اذا لم يبق في قوس تصبرهم منزع سهل الله تعالى اسلام أهل المدينة فأقبلوا على الدين بمحض اختيارهم ، حتى اذا كثروا جاءوا اليه وبايعوه على النصرة ، فأذن لأصحابه في الهجرة وبقي هو وأبو بكر وعلى والمستضعفون . فلما مكر به كفار مكة ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه وصحت منهم العزيمة على ما بيتوا ، أمره الله تعالى بالهجرة (وكان أبو بكر يعد لها العدة) فامتثل الرسول أمر ربه وآذن أبا بكر بذلك ففرح وحاول أن يدعو صهيب بن سنان للسير معهما فلم يقدر له ذلك ، وخرجا الى غار ثور فأقاما به ثلاثا . وقد جهد كفار قريش في العثور عليهما فصرفهم الله عن ذلك ، وقد كانا منهم قاب قوسين أو أدنى ؛ ثم ذهبا الى المدينة بعد أن هدأ الطلب يدل بهما عبد الله بن اريقط وهو على شركه الى أن وردا قباء ثم المدينة هاربين بدينهما . فبدل الله خوف رسول الله والمؤمنين أمنا ، ومكن لهم في الأرض ، وأرى كفار قريش منهم ما كانوا يحذرون ، وأتم الله نعمته على أهل الاسلام ، مكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم الى أن مضى رسول الله لسبيله ، وقام خلفاؤه من بعده يحملون عبء تبليغ الرسالة والتمكين للدين ؛ وانتشر الاسلام شرقا وغربا ؛ وكانت الهجرة على رسول الله وعلى أمته خيرا وبركة كما كانت هجرة الأنبياء خيرا وبركة عليهم من قبل ، ولله عاقبة الأمور ؛ لا مبدل لكلماته ، ولا معقب لحكمه : وهو العزيز الحكيم

عبد الوهاب النجار

الأزهر والحياة الفكرية في العصر الفاطمي

للاستاذ محمد عبد الله عنان



عرضت لنا من قبل فرصة للتعريف بنشأة الأزهر الجامعية. وكيف أنه أنشئ في البداية ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية، ثم نشأت صفته الجامعية في ظروف عرضية، ولم تلبث أن استقرت بعد ذلك وتأثلت؛ وذكرنا ما كان للوزير ابن كلس من كبير أثر في اسباغ هذه الصفة العلمية الجليلة على الأزهر، وكيف أنه يعتبر منشئ الجامعة الأزهرية في معنى من المعاني

والآن نذكر طرفا من الآثار الفكرية التي ترتبت على قيام هذه الجامعة الاسلامية الكبرى في عصرها الأول، أعني في العصر الفاطمي، ونذكر أيضاً بعض أعلام التفكير في هذا العصر ممن تولوا التدريس في هذا المعهد الجليل أو تخرجوا فيه أو اتصلوا به وبحلقاته اتصالاً كان له أثر في تكوينهم الفكري والعلمي

لم تبلغ العلوم والآداب في ظل الدولة الفاطمية من التقدم والازدهار ما كان خليقا أن تبلغه في ظل هذه الدولة القوية الباذخة؛ ذلك أن الدولة الفاطمية كانت لظروفها الدينية والسياسية ترمي الى الانشاء في كل شيء، ولم ترد أن تقوم على تراث الماضي أو أن تستأنف السير به؛ ولم يعد لها في عهد الانشاء الفتي، فلم يأت منتصف القرن الخامس حتى سرت اليها عوامل الانحلال والوهن

وقد كان هذا شأن الحركة الفكرية، فانها لم تلبث طويلاً في قوتها وازدهارها. وكان الأزهر، وهو يومئذ الى جانب دار الحكمة والمسجد الجامع، من صروح الحركة الفكرية، يتبع مصاير هذه الحركة من قوة وضعف. فلم يبلغ في هذا العصر - عصر الانشاء والنمو - ما بلغه في العصور التالية من التقدم والأخذ بزمام الحركة الفكرية؛ ومن ثم فانا لا نستطيع أن نحصي في هذه المرحلة من تاريخ الجامع الأزهر كثيراً من الأعلام الذين تخرجوا في حلقاته أو درسوا فيها. والواقع أنه من الصعب أن نعين بالتحقيق من تخرج في الأزهر من أعلام التفكير والأدب في هذا العصر، وإن كنا نستطيع أن نعين بعض الأساتذة الذين تولوا التدريس في حلقاته؛ ذلك أن الأزهر لم يكن ينفرد يومئذ بتنظيم الدراسة العالية، بل كان إلى جانبه دار الحكمة تنافسه وتتفوق عليه أحياناً، والمسجد الجامع يحتفظ دائماً بحلقاته القديمة؛ ومن المرجح أن معظم العلماء والأدباء الذين ظهروا في هذا العصر كانوا ينتفعون بالدرس في المعاهد الثلاثة. ومن المرجح أيضاً أن الأزهر كان له في تخريج أولئك العلماء والأدباء أوفر نصيب، لأن دار الحكمة لم تتمتع دائماً بكثير من الثبات والاستقرار، وقد أغلقت فيما بعد؛ ولم يكن المسجد الجامع معهداً منتظماً للدرس، وكان الأزهر أكثر المعاهد الثلاثة انتظاماً واستقرارا

كان في مقدمة الأساتذة الذين تولوا التدريس والاقراء بالأزهر منذ إنشائه بنو النعمان قضاة مصر؛ فكان القاضي أبو الحسن علي بن النعمان أول من درس بالأزهر، فعقد أول حلقاته في صفر سنة ٣٦٥ هـ وقرأ فيها مختصر أبيه في فقه آل البيت، وكان فوق تضلعه في فقه آل البيت أديباً شاعراً، وتوفي سنة ٣٧٤ هـ؛ ودرس بالأزهر أيضاً أخوه القاضي محمد بن النعمان المتوفى سنة ٣٨٩ هـ، ثم ولده الحسين بن النعمان قاضي الحاكم بأمر الله[1]؛ ومن المرجح أن فقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاق (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ) كان بين الذين تولوا الدرس بالأزهر يومئذ، فقد كان صديق المعز لدين الله ومؤرخ سيرته، ثم صديق ولده العزيز؛ ومن المعقول أن يقع الاختيار عليه للتدريس بالمعهد الفاطمي الجديد

ويجب ألا ننسى أن الوزير ابن كلس نفسه كان في مقدمة العلماء الذين تولوا التدريس في الأزهر. وقد رأينا في بحثنا السابق كيف كان هذا الوزير العلامة أيام العزيز بالله يعقد حلقاته الدراسية

(١) ابن خلكان - ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢٣، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٨ - وذيل القضاة (ملحق كتاب الكندي) ص ٥٨٩ و ٦١٠ و ٦١١

أحياناً بالأزهر وأحياناً بداره ، ويقرأ فيهـا محاضراته فى الفقه الشيعى ولا سيما رسالته الشهيرة المعروفة « بالرسالة الوزيرية » وقد كانت من أقدم كتب الدراسة التى درست بالأزهر

ونستطيع أن نذكر من أعلام التفكير والأدب فى هذا العصر عدة ، وهم بلا ريب ممن كان للأزهر فى تكوينهم العلمى أثر كبير ؛ فنهم المسبحى الكاتب والمؤرخ الأشهر ، وهو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحرانى ، ولد بمصر سنة ٣٦٦ هـ وتوفى سنة ٤٢٠ ؛ وكان من أقطاب الأمراء ورجال الدولة الفاطمية ؛ تولى الوزارة للحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه ؛ وأخذ بقسط وافر فى مختلف علوم عصره ، وشغف بتـدوين التاريخ ، وألف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى « أخبار مصر » وهو تاريخ مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية ، وذكر نيلها وخواصها ومجتمعاتها حتى فاتحة القرن الخامس الهجرى . ولم يصلنا هذا الأثر الضخم الذى يلقى بلا ريب أعظم الضيـاء على تاريخ الدولة الفاطمية فى عصرها الأول ، ولكن الشذور التى وصلتنا منه على يد المقريزى وغيره من المؤرخين المتأخرين ، تنوه بقيمة هذا الأثر ونفاسته ؛ وكتب المسبحى كتباً أخرى فى التاريخ والأدب والفلك ولكنا لم نتلق شيئاً منها[١]

ومنهم ، القضاعى الفقيه والمحدث والمؤرخ ؛ وهو أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى ؛ ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع ، وتوفى بها سنة ٤٥٤ هـ : كان من أقطاب الحديث والفقه الشافعى ؛ تولى القضاء وغيره من مهام الدولة فى عهـد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، وأوفده المستنصر سـفيراً إلى تيودورا امبراطورة قسطنطينية سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) ليحاول عقـد الصلح بينها وبين مصر ، وكتب عدة مصنفات فى الحديث والفقه والتاريخ منها « الشهاب » و « مسند الصحاب » وهما فى الحديث وكتاب « مناقب الامام الشافعى » ، و « أنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء » ، و « عيون المعارف » وهما مختصران فى التاريخ ، وكتاب « المختار فى ذكر الخطط والآثار » وهو تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره[١]

ومنهم الحوفى النحوى اللغوى ، وهو أبو الحسن على بن ابراهيم ابن سعيد كان من أئمة اللغة فى عصره ، واشتغل أعواماً طويلة بالتدريس فى مصر والقاهرة ، وألف كتباً كثيرة فى النحو والأدب منها كتاب « إعراب القرآن » وكانت وفاته سنة ٤٣٠ هـ

ومنهم أبو العباس أحمد بن على بن هاشم المصرى ، وقد كان من كبار المحدثين والمقرئين ، واشتهر حيناً بتدريس علم القراءات وتوفى سنة ٤٤٥ هـ

ومنهم ابن بابشاذ النحوى الشهير ، وهو أبو الحسن طاهر ابن أحمد المصرى المعروف بابن بابشاذ ، كان إمام عصره فى اللغة والنحو ، وألف فيهما عدة تصانيف ضخمة ، واشتغل حيناً بديوان الانشاء فى عهد المستنصر بالله ، وتوفى سنة ٤٦٩ هـ

ومنهم أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى ، تلميذ القضاعى . كان أيضاً من أئمة اللغة والنحو ، وتوفى سنة ٥٢٠ هـ

ومنهم الفقيه العلامة الحسن بن الخطير الفارسى ، كان من أقطاب الفقه الحنفى والتفسير ، وكان أيضاً عارفاً بالرياضة والطب وعلوم اللغـة والتاريخ ، وله عدة مصنفات فى التفسير والفقه . واشتغل زمناً طويلاً بالتدريس بالأزهر ، وتوفى سنة ٥٩٨ هـ

* * *

هذا وأما أعلام الوافدين على القاهرة وأزهرها فى ذلك العصر فنستطيع أن نذكر منهم عدة أيضاً . فنهم العلامة الأندلسى أمية ابن عبـد العزيز بن أبى الصلت ، وفد على مصر فى أوائل القرن السادس أيام الأفضل شاهنشاه ، وأقام حيناً بالقاهرة يتصل بمعاهدها وعلمائها وأدبائها ؛ وكان ماهراً فى الرياضة والفلك والموسيقى والعلوم الطبيعية ، وكان أيضاً أديباً شاعراً بديع النثر والنظم ؛ ألف كثيراً من الكتب فى مختلف العلوم ، ووضع رسالة عن علماء مصر وأدبائها فى هذا العصر[٢] ، وتوفى سنة ٥٢٨ هـ

(١) راجع فى ترجمة المسبحى وذكر مؤلفاته ابن خلكان — ج ١ ص٦٥٣ — وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥

(١) راجع فى ترجمة القضاعى (ابن خلكان ج ١ ص ٥٨٥ — والسبكى طبقات الشافعية — ج ٣ ص ٦٣ — وأخبار مصر لابن ميسر فى حوادث سنة ٤٤٧ — وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٨

(٢) انتهت إلينا قطعة من رسالة ابن أبى الصلت هـذه ، وهى ضمن كتاب مخطوط لابن زولاق (كتاب أخبار سيبويه المصرى) محفوظ بدار الكتب المصرية

ومنهم العلامة المقرئ الشهير أبو القاسم الرعيني الشاطبي الضرير، ولد بشاطبة من أعمال الأندلس في سنة ٥٣٨ هـ، وبرز في علوم القرآن، واشتهر بالأخص بالتضلع في علم القراءات، وقدم إلى مصر عقب سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية (سنة ٥٧٢ هـ) يسبقه صيته، وتصدر للأقراء والدرس بالقاهرة يدرس القرآن وعلوم اللغة، فهرع إليه الطلاب من كل صوب، وكان أمام القراءات في عصره. ووضع في علم القراءات قصيدته الشهيرة المسماة «حرز الأماني ووجه التهاني»، وأنشأ بمصر مدرسة حقة للقراءات؛ وتوفي سنة ٥٩٠ هـ

ومن الشعراء الذين وفدوا على مصر أيام الدولة الفاطميـة، واتصلوا بعاهدها وأدبائها، أبو حامد أحمد بن محمد الانطاكي المعروف بأبي الرقعمق الشاعر المتفنن الماجن، وفد على مصر في أوائل الدولة ومدح المعز لدين الله وولده العزيز والوزير ابن كلس وتوفي سنة ٣٩٩ هـ؛ وأبو الحسن علي بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الدلا، قدم الى مصر أيام الحاكم بأمر الله ومدحه، وتوفي سنة ٤١٢ هـ وهو صاحب المقصورة الهزلية الشهيرة التي يعارض فيها مقصورة ابن دريد؛ ومنهم الشاعر الأشهر عمارة اليمني، وهو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن، قدم إلى مصر سنة ٥٥٠ هـ في خلافة الفائز بن الظافر، وكان فقيهاً أديباً شاعراً فائق النثر والنظم، شهد سقوط الدولة الفاطمية ورثاها، واتهم بالتآمر مع آخرين على السلطان صلاح الدين، وأعدم سنة ٥٦٩ هـ، ومن آثاره كتاب أخبار اليمن، وكتاب النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية

ومن الرحل الذين وفدوا على مصر في ذلك العصر، الرحالة الفارسي ناصري خسرو، قدم اليها سنة ٤٣٩ هـ في خلافة المستنصر بالله، وشهد أزهرها، وأشار اليه خلال وصفه لمدينة القاهرة(١)

***

كان للأزهر بلا ريب أثره في توجيه الحركة الفكرية المصرية في هذا العصر، فقد كان مذ بدأت مهمته الجامعية موضع الرعاية الرسمية. كان يشترك في عقد حلقاته الدراسية أقطاب العلماء من رجال الدولة، كبني النعمان قضاة مصر، والوزير ابن كلس، ودواعي الدعاة؛ وكانت هذه العناية تسبغ على حلقاته ودروسه أهمية خاصة؛ بيد أن هذا الأثر كان محدوداً، خصوصاً منذ قيام دار الحكمة، جامعة الدولة الرسمية، وتبوئها مقام الزعامة في توجيه الحركة الفكرية؛ وقد كان أثر الأزهر أقوى وأشد ظهوراً في نشر العلوم الدينية، وتخريج علماء الدين، لأنه كما قلنا كان موئل الثقافة الدينية، بينما كانت دار الحكمة موئل الثقافة المدنية؛ وعلى أي حال فان مؤرخ الآداب العربية لا يسعه الا أن ينوه بما كان للأزهر من أثر في سير الحركة العلمية والأدبية أيام الدولة الفاطمية، وان كان هذا الأثر لم يبلغ يومئذ ما بلغه فيما بعد من الأهمية والخطورة

ونلاحظ من جهة أخرى أن أثر الأزهر في توجيه الحياة العامة في تلك المرحلة الأولى من حياته لم يكن عظيما. ذلك أن الدولة الفاطمية كانت تحرص على سلطانها السياسي أشد الحرص وتمعن في التمسك بعصبيتها، ولا تفسح كبير مجال لنفوذ العلماء ورجال الدين، ولم تكن عنايتها بنشر دعوتها الدينية الا توطيداً لدعوتها السياسية، ولم يكن للدعاة من العلماء ورجال الدين من النفوذ المستقل الا ما يتجه نحو هذه الغاية ويخضع لسياسة الدولة العامة. كذلك لم يكن للفقهاء والمشترعين المستقلين كبير أثر في سير التشريع في ذلك العصر، لأن الدولة الفاطمية كانت تهتدي في صوغ شرائعها بمبادئها المذهبية الخاصة، ومن ثم فاننا لا نستطيع أن نلمس أثراً يذكر لرجال العلم والدين في توجيه الحياة والشؤون العامة في العصر الفاطمي

محمد عبد الله عنان

(١) راجع الترجمة الفرنسية لرحلة ناصري خسرو

الفتوح الاسلامية
وأثرها فى تقدم المدنية

للدكتور حسن ابراهيم حسن

إذا حاولنا أن نذكر فى هذه الكلمة ما كان للحكومات الاسلامية من أثر فى تقدم المدنية ، لم يكن ذلك إلا تكراراً لأمر قد فرغ منه منصفو المؤرخين شرقيين وغربيين

اتسعت رقعة الاسلام حتى زادت فى السعة على الأمبراطورية الرومانية . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام أول من وضع أساس السياسة الخارجية للعرب ، فأرسل الكتب والبعوث إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى توحيد الله والايمان برسالته ، وغزا بلاد الروم وحارب الغساسنة على حدود الشام لما سخروا من دعوته واعتدوا على رسله وقتلوا أصحابه . وقد جهز قبل وفاته حملة لغزو أطراف الشام . غير أن وفاته قد حالت دون إنفاذها . ولما ولى أبو بكر الخلافة شرع فى إتمام هذا الفتح ؛ وجاء بعده عمر فعمل على توسيع رقعة الدولة الاسلامية . وإذا ماتتبعنا ماقام به الرسول من الغزوات والسرايا ، وما قام به الخلفاء من بعده من الفتوح ، وجدنا أنه كان لهذه الغزوات والفتوح أثر كبير فى نهضة بلاد العرب من النواحى الاجتماعيــة والسياسية والأدبية وغيرها ، كما كان لها الفضل الأكبر فى نشر الاسـلام فى أرجاء الجزيرة العربية ، ووضع الأسس والمبادىء العامة فى تنظيم المعاملات بين أفراد الجماعة الاسلامية . ذلك أن الاسلام قد حرص على أواصر القرابة من أن تعبث بها الغيرة ، كما سوى بين المرأة والرجل فى جميع الحقوق تقريباً ، وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية ، وحث على التمسك بالفضائل ، وعنى بأسرى الحروب أيما عناية ، وحاطهم بسياج من عدله ورحمتـه . ولم يذكر لنا التاريخ أن إماما من أئمة المسلمين أمر بقتل الأسرى ، اللهم إلا من كان يخشى خطره على المسلمين . ولا غرو فان الاسلام قد سوى بين الناس على اختلاف أجناسهم ؛ فسوى بين الأبيض والأسود ، والبدوى والمتحضر ، والحاكم والمحكوم ، وبين الرجال والنساء .

انظر الى المسلمين وهم فى مسجد يؤدون فريضة الصلاة ، أو فى مكة يحجون البيت الحرام ، أو فى المحاكم الشرعية فى صدر الاسلام ، أفتجد فيهم من فاضل ومفضول ؟ وقد ساعد الرسول على توحيد كلمة العرب تلك الديمقراطية التى جاء بها الاسلام ، والتى تلاشت أمامها هذه الفوارق الجنسية التى طالما مزقت شمل العرب ، وليس أدل على تلك الديمقراطية من قوله تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عنـد الله أتقاكم) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى »

ولقد وضع الاسلام من الأصول والنواميس ما هو كفيل بالقضاء على الاسترقاق ، لولا أن الأمم العربية وغيرها كانت إذ ذاك — على ما نعلم — من شدة التمسك بهذا النظام . وبديهى أنه لا يستطيع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يزيل أمرا ألفته النفوس واستولى عليها ذلك الاستيلاء ، على أن هذا الاستيلاء لم يغفل تعبيد الطريق لألغاء الاسترقاق ، فما فتئ الرسول يرغب الناس فى العتق . وقد أبقى عليه الصلاة والسلام الرق لسببين :

أولهما : حفظ التوازن بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول كالفرس والروم ، حتى يستفيد العرب من أسرى الأمم . كما استفادت هذه الأمم من أسرى العرب

وثانيهما : لحماية الضعفاء من نساء أكلت الحرب رجالهم . ولو تركن وشأنهن لكن عالة على المجتمع ومصدرا للشرور

على أن الاسلام ، وان لم يجد بداً من اباحة الرق ، فانه لم يترك الارقاء هملا ، فقد نظم شؤونهم ، وأخذ بأيديهم فى طريق الحرية . وقد وصف أحد الفرنجة معاملة الاسلام للرقيق بقوله : « لقد وضع للرقيق فى الاسلام قواعد كثيرة تدل على ما كان ينطوى عليه محمد وأتباعه نحوهم من الشعور الانسانى النبيل ، ففيها تجد من محامد الاسلام ما يناقض كل المناقضة الأساليب التى كانت تتخذها الى عهد قريب شعوب تدعى أنها تمشى فى طليعة الحضارة . نعم ! ان الاسلام لم يلغ الرق الذى كان شائعاً فى العالم ، ولكنه عمل كثيرا على تحسين حال الرقيق ، وأبقى الأسر ، ولكنه أمر بالرفق بالأسير . ومما يدل على صحة هـذا القول أنه لما جىء بالأسرى بعد غزوة بدر الكبرى فرقهم

الرسول على أصحابه وقال لهم استوصوا بهم خيرا »

وعندما بسط الاسلام ظلاله خارج الجزيرة وجدنا أهل هذه البلاد المفتوحة يرحبون به بل ويحثون على اعتناقه لما فيه من الحرية والمساواة ؛ فكان العرب أثناء حكمهم بلاد فارس والشام ومصر وغيرها من البلاد يقومون بجباية أهلها مقابل مبلغ معين ، يدفع عن كل فرد قادر على القتال يسمى الجزية ، وهى ضريبة شخصية يدفعها أهل الذمة مقابل اعفائهم من خدمة الجيش ؛ وكانوا يعفون من تلك الجزية إذا اعتنقوا الاسلام ؛ وكانت الأرض ملكا للفاتحين ، غير أن العرب كانوا يتركونها للأهالى يزرعونها على أن يؤدوا جزءا من غلتها ضريبة عقارية تسمى خراجا

ولما استولى العرب على بلاد فارس والشام ومصر اتخذوا لأنفسهم طرازا للعمارة خاصاً بهم ، يتناسب وطبيعتهم وحالة معيشتهم ؛ وقد فاق هذا الطراز طراز الفن البيزنطى والفارسى من حيث الرقى وجمال التنسيق والاتقان . والعرب — كما لا يخفى — مولعون بالتقليد ، كما أنهم معروفون بالابتكار المبنى على هذا التقليد ؛ وهم فى ذلك أشبه بالأمة الانجليزية . كذلك عنى العرب بتخطيط المدن وشق المجارى لتوصيل الماء الصالح للشرب اليها . فشرعوا على أثر انتصارهم فى موقعة القادسية (١٥ هـ) فى تخطيط مدينتى البصرة والكوفة ، كما أسسوا على أثر فتحهم مصر مدينة الفسطاط

وكان لاختلاط العرب بالأمم التى تغلبوا عليها أثر كبير فى تقدم المدنية . فقد بلغت النهضة العلمية أوجها فى صدر الدولة العباسية بفضل تشجيع المنصور والرشيد والمأمون . فكانوا يبعثون البعوث للتنقيب عن الكتب القديمة فى الكنائس والأديرة ، وأرسل المأمون بعثات علمية إلى الهند والقسطنطينية لنقل الكتب النفيسة ، ونشطت حركة الترجمة فى ذلك العصر نشاطاً عظيما . فنقلت الكتب الفارسية والهندية والأغريقية إلى العربية ، من بينها فلسفة أرسطو وهندسة أقليدس وجغرافية بطليموس ، وغير ذلك من الكتب فى الطب والفلك ، وكان من أشهر المترجمين حنين بن اسحق ، ويعقوب بن اسحق الكندى . وقد نهج الفاطميون والأيوبيون فى مصر ، وأمراء بلاد الأندلس فى الغرب نهج العباسيين . كذلك اهتم العرب اهتماماً كبيراً بدور الكتب العامة حتى بلغ عدد المجلدات فى مكتبة القاهرة فى عهد الفاطميين خمسمائة ألف مجلد ، وفى مكتبة قرطبة أكثر من أربعمائة ألف مجلد

ولم تقتصر علوم العرب على ما نقلوه عن غيرهم . فقد فاقوا أساتذتهم من الفرس والأغريق ، ولا غرو فقد شجع اتساع رقعة الدولة الاسلامية وانتشار التجارة فيها على رقى علم الجغرافية . ولا عجب فالعرب بدو رحل بطبيعتهم . ومن أشهر الرحالة من العرب المسعودى وابن جبير وابن بطوطة الذين طافوا الأقطار ووصفوا الجهات المختلفة وصفاً دقيقاً مبنياً على المشاهدات ومهدوا بذلك سبيل الكشف الجغرافى . كذلك اهتم العرب بعلم التاريخ فوضعوا فيه المؤلفات القيمة ، كما نبغوا فى الشعر والأدب . ولا غرو فقد أثرت فيهم بلاغة القرآن ، وساعدت مظاهر الحضارة المادية وجمال المناظر الطبيعية ، وبخاصة فى بلاد الأندلس على رقى الخيال ورقة الشعر ، كما برع العرب فى فن الغناء والعزف على الآلات الموسيقية ، وممن نبغ منهم فى الموسيقى والغناء اسحق الموصلى ببغداد ، وتلميذه زرياب بقرطبة ، حيث أسس مدرسة للموسيقى تخرج فيها كثير من مشاهير الموسيقيين

كانت الدول الاسلامية فى الشرق ومصر وبلاد الأندلس مركز الفنون والصناعات ، ومنار العلوم والآداب ، فى الوقت الذى كانت فيه أوربا غارقة فى بحار الجهل . وقد اتصل الأوربيون بالعرب واقتبسوا من علومهم واستفادوا من حضارتهم عن طريق مصر والشام أثناء الحروب الصليبية التى قامت فى القرن الحادى عشر الميلادى

فقد نزح الى بلاد الأندلس طلاب العلم من أنحاء أوربا ، فالتحقوا بمدارسها وجامعاتها ، وانتفعوا بدور الكتب الكثيرة بها . فلما عادوا الى بلادهم نشروا فيها علوم العرب . وبلغ من اهتمام الغربيين بالعلوم العربية أن أنشأوا فى باريس فى القرن الثانى عشر الميلادى مدرسة لتعليم اللغات الشرقية ، وقد ظهر من الأوربيين علماء تشبعوا بعلوم العرب وطرق أبحاثهم . نخص بالذكر منهم العالم الانجليزى رودجر بيكون (Roger Bacon) الذى دعا الناس الى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية والاعتماد على التجارب للوصول الى الحقائق العلمية ، فبدأ الأوربيون يبحثون العلوم بحثاً علمياً كان له أثر عظيم فى قيام النهضة العلمية فى أوربا ورقى الحضارة العربية . وقد نقل الأوربيون العلوم الطبية عن

ابن زهر وابن البيطار ، وعرفوا بصفة خاصة طرق معالجة الجدرى والحصبة . وطالما كان يستدعى ملوك أوربا وأمراؤها الأطباء من العرب لمعالجتهم . وأسس الفرنسيون مدرسة للطب فى مدينة مونبلييه (Montpellier) قام بالتدريس فيها أساتذة من بلاد الأندلس ؛ كذلك استفاد الأوربيون من نبوغ العرب فى الكيمياء . ولا تزال بعض المركبات الكيميائية ، كالكحول (Alcohol) والكافور (Camphor) والقلويات(Alkali) والأشربة (Syrops) تدل على أصلها العربى

وقد أخذ الأوربيون عن المسلمين كثيراً من أنواع النبات . كالأرز ، وقصب السكر ، والخرشوف ، والمشمش ، والبرتقال والزعفران ، وأنواع الورد والياسمين ؛ كما أخذوا عنهم الطواحين الهوائية لطحن الغلال ، ورفع الماء ، وأقاموا أول طاحونة منها فى مقاطعة نرمندية سنة ١١٠٥ م ، كما أقاموا غيرها فى هولنده . ولا تزال سهول بلنسية فى اسبانيا تروى إلى الآن بطرق الرى الفنية التى ابتكرها العرب . وقد نقل الأوربيون عن العرب كثيراً من الصناعات كصناعة السكر والحرير والورق كما عرفوا عنهم البوصلة التى كان لاستعمالها فضل كبير فى توسيع نطاق الملاحة وتشجيع الكشف الجغرافى . وقد نبغ العرب فى الفنون الحربية وصناعة السفن حتى أصبحوا أساتذة أوربا فى ذلك المضمار . فكانت أساطيل الدول الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط نماذج تحتذيها البلاد المسيحية فى صنع أساطيلها . ولا يزال كثير من الاصطلاحات العربية البحرية شائعاً على ألسنة البحارة فى جنوه حتى اليوم . من ذلك كلمة Cable المحرفة عن لفظ حبل ، وكلمة (Darsonal) الايطالية المحرفة عن لفظ دار الصناعة

ولم تقتصر استفادة الأوربيين من العرب على العلوم والصناعات ، فقد تأثر طلاب العلم من الأوربيين بالأدب فى اسبانيا ، وبخاصة الشعر والموسيقى ، فنقلوا إلى بلادهم أشعار العرب وأناشيدهم وأغانيهم مما كان له أثر كبير فى الآداب الأوربية . ولا عجب فقد كان العرب حلقة اتصال بين المدنية القديمة والمدنية الأوربية الحديثة

حسن إبراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب بالجامعة المصرية
وكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية

من مناظر الهجرة

أم سـلَمة*

بقلم ناجى الطنطاوى

— ١ —

(فى البادية ، قبل الفجر ، أم سلمة ممتطية بعيراً وابنها فى حضنها وأبو سلمة آخذ بخطام البعير يسوقه ، فى طريقهم إلى المدينة مهاجرين)

أم سلمة

« أبا سلم » حث المطى فإننى ... أخاف من القوم الكيدة والغدرا
إذا أدركونا اليوم كان نصيبنا الرّ ... دى وغدت هذى الرمال لنا قبرا
وإنىَ لا أخشى على نفسىَ الردى
ولا أرهب الموت الزؤام ولا الأسرا
ولكن طفلى سوف يصبح إن أمت
يتيماً ، ويمسى طعم عيشته مرا

(•) هى هند بنت سهيل القرشية المخزومية أم المؤمنين ، كانت زوج ابن عمها أبى سلمة بن عبد الأسد ، فلما مات عنها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة سنة أربع . وكانت ممن أسلم قديماً هو وزوجها وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة ، ثم قدما مكة ، وهاجرا إلى المدينة ، وفيها ولدت له عمر ودرة وزينب وقيل إنها أول امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة وأول ظعينة دخلت المدينة

وحين بعث إليها النبى صلى الله عليه وسلم يخطبها بعد سنتين من الهجرة حين مات زوجها وانقضت عدتها ، اعتذرت بكبر السن والأولاد وكونها غيوراً ، فذكر النبى صلى الله عليه وسلم أنه كبير أيضاً وذو أولاد ، ثم قال : وأما الغيرة فأدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك ، فكان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يتحاكمن إليها لعلمهن ببراءتها من الغيرة . وكانت موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأى الصائب ، وهى صاحبة المشورة المباركة يوم الحديبيــة . توفيت على الأكثر فى آخر سنة ٦١ وهى آخر أمهات المؤمنين موتاً

أما زوجها أبو سلمة ، فهو عبد الله بن عبد الأسد المخزومى من السابقين الأولين إلى الاسلام ، أسلم بعد عشرة أنفس ، وكان أخا النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته ، وروى ابن أبى عاصم من حديث ابن عباس : أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد ، وأول من يعطى كتابه بشماله أخوه سفيان بن عبد الأسد

شهد بدراً . وتوفى فى سنة أربع من الهجرة بعد منصرفه من أحد ، انتقض به جرح كان أصابه بأحد فمات منه

إذا صاح «أمى» لم يجد من يجيبه — فتذرى أحر الدمع مقلته الشكرى

لنسرع فانى قد شعرت بوحشة — وذعر

أبو سلمة — دعى يا أم سلمة ذا الذعرا

ألم تعلمى أن القدر كائن — إذا عاندته النفس أعقبها خسرا

سننجو معاً إن يكتب الله نجوة — ويلحقنا ضر إذا كتب الضرا

ألا فى سبيل الله كل مصيبة — إذا نزلت فينا ادّرعنا لها الصبرا

تق أن ما نلق من البؤس والضنى — سيجعل رب العرش فيه لنا أجرا

دعانا إلى الدين القويم محمد — فقلنا له لبيك رمت بنا خيرا

أطعنا وآمنا بك العمر كله — فرنا فانا قد بذلنا لك العمرا

وقفنا على نصر النبى نفوسنا — وأرواحنا لا نبتغى الحمد والشكرا

سلام على عهد بمكة سالف — لهونا به لم نعرف الحزن والضيرا

مهاجر من أرض غذانا تبرها — لو انا استطعنا ما نوينا لها هجرا

فهل يكتب الله المؤمّل عودة — لنا أم ستبقى فى خيالتنا ذكرى

أم سلمة : أرى الطفل قد أغفى

أبو سلمة : لينعم بنومه — ولا توقظيه ربما نقطع القفرا

أما ذاق طعم النوم بالأمس ؟

لا

اذن — دعيه ينم ماشاء ولنرقب الفجرا

(يتطلعان إلى السماء لرؤية الفجر ، وبعد لحظة يسمعان جلبة وصوت حوافر خيل ، وتعلو أصوات من حولهما قائلة :)

قفا

استسلما

اياكما أن تقدما

سيقتل حالاً من عصى الأمر أوفرا

أبو سلمة — وقفنا فمن أنتم ؟

مطاعين من بنى ا ! — مغيرة قد سقنا لكم عسكراً مجْراً

«أبا سلم» دع حفظ نفسك اننا — غلبنا عليها ما استطعنا لها قهرا[1]

وضم الينا أم سلمة مرغماً — والا فانا سوف نستصرخ السمرا

(يقف أبو سلمة حائراً ، واثقاً أنه إذا أراد المقاومة ، قتل هو وزوجته وابنه جميعاً بينما يتقدم القوم فينزعون خطام البعير من يده ويأخذون أم سلمة)

(١) نص العبارة . « هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه على م نتركك تسير بها فى البلاد ؟ »

أم سلمة —

الى أين ؟ يا رباه ! ماذا يراد بى ؟

أيتركنا زوجى بأيدى العدا أسرى ؟

أأفصل عنه وهو دونى ماثل — يرانى ولا يبدى حراكا ولا أمرا ؟

(يسحبونها ويسيرون بها)

دعونى يا رهط اللصوص فليس لى — من العزم ما أرجو به لكم دحرا

شجاعتكم جبن اذا هى أعلنت — على امرأة مثلى مولهة حرى

أباداتكم بالشر أول مرة ؟ — أأضمرت طول العمر يومالكم شرا ؟

سألتكم بالله الا عطفتم — علىّ لعل الله يجزيكم خيرا

(يسخرون منها ويضحكون)

أقالت لعل اللات ؟

انى سمعتها — تقول لعل الله

أبلغ بذا كفرا !

لقد صبأت

لا بد من قتلها اذن

أوافق

لا ، فالسجن قبل بها أحرى

ستسجن حينا ثم تردى قتيلة

أم سلمة — حنانيكم يا قوم . . !

لا تطلبى غفرا

(يمرون فى طريقهم على بنى عبد الأسد رهط أبى سلمة ، فلا يكاد هؤلاء يعرفون الخبر حتى يهجموا عليهم قائلين :)

على رسلكم يا عصبة الشر

مالكم ؟

ألم تأخذوا بالأمس صاحبنا قسرا ؟

كذبتم لقد أمسى طليقاً

ولم ينل بسوء

إذن خلوا لنا طفله حرا

وما شأنكم بالطفل ؟

ما شأننا به ؟ وهل ينتمى إلا إلى أمه الكبرى[1] ؟

(يهجمون عليهم ، ويتجاذبون سلمة حتى يأخذوه بعد أن تخلع يده ويذهبون به)

(١) كناية عن القبيلة

أم سلمه (تصيح) —

أغثنىَ يا ربى وهب لى مخرجا

من البؤس وارفع عنى السوء والضرا

(يغمى عليها)

— ٢ —

(بعد عام كامل ، أم سلمة جالسة وحدها بالأبطح (١) فى حى بنى المغيرة تبكى وتقول)

أم سلمة —

— سقى الله عهداً غاله الدهر لم يكن

سوى حلم عذب شهى بنا مرا

شربنا به كأس المسرة والصفا ورفرف طير الحب من فوقنا دهرا

ولم نك ندرى فيه مالوعة النوى

وما حرقة الحزن التى تقصم الظهرا

أحن الى أهلى حنين موله وقد ينقضى يوم فأحسبه عشرا

ألا هل أرى زوجى وطفلى قبلما أموت وألقى فى الثرى جسداً قرا

لقد نفد الدمع الذى كان سلوتى فمن لى بدمع يذهب الشجن المرا

أقول لقلبى والأسى يتبع الأسى

هداديك[٢] قد أفنيت شطراً فدع شطرا

« أبا سلم » اذ كرنى فانى مقيمة

على العهد لا أنساك صبحا ولا عصرا

أعندك أنى منذ عام سجينة أقاسى من الآلام مايصدع الصخرا

وأنى لا أدرى إلام يطول بى عذابى ، أيوما بعد عامى أم شهرا

الى الله أشكو ما ألاقى من الأسى

ومنه أرجى العون والغوث والنصرا

(يدخل عليها رجل من بنى عمها ، وهو أحد بنى المغيرة ، كان قد عرف حالها ، وكلم قومه فى أمرها ، فرضوا باطلاق سراحها ، ويكون قد سمع شكواها)

— أقلى من الشكوى ، ولا تكثرى البكا

— ومن أنت ؟

— واستبق الجلادة والأزرا

— ومن أنت ؟

— لا تخشى فديتك زائرا أتاك على وهن به يحمل البشرى

(١) بين مكة ومنى ، وهو مسيل وادى مكة

(٢) تمهل

— وأية بشرى ؟

— أبشرى بالخلاص من اسارك

— دع عنك التهزؤ والسخرا

— لقد قلت حقا ، ماالتهزؤ شيمتى ولا أعرف المين المعيب ولا الهذرا

— أأصبحت أسطيع الخروج الى . . .

(يدخل نفر من القوم ، ويصيحون بها قائلين)

— أخرجى ، فانا عفونا عنك

— شكراً لكم شكرا !

(تخرج من الأسر وهى تقول فى نفسها)

— أيارب حمدا لا انتهاء لحده ويارب شكرا لا أطيق له حصرا

(تذهب فى طريقها سائرة وحدها إلى المدينة) .

— ٣ —

(تمر فى طريقها على بنى عبد الأسد ، فيراها القوم فيسألونها عن خبرها فتخبرهم بما وقع لها من الخلاص من الأسر ، وانها ذاهبة إلى زوجها فيواسونها ويردون عليها سلمة ، فتأخذه وتذهب فى طريقها مسرورة تضمه وتقبله وتقول له :)

— حبيبى أحقا عدت لى اليوم بعد ما

فقدتك عاما ما عرفت به البشرا

أسائل عنك الريح عند هبوبها

وأستنطق الأفلاك والسحب والبدرا

وكم كنت أخشى أن تمد يد الردى

اليك شبا كا تقنص الليث والنسرا

فسل مقلتى هل داعب النوم جفنها

وسل قلبى الولهان هل نسى الذكرا

أحقا تراك العين يا من سلبتها لذيذ الكرى ، أم ذاك وهم بها قرا

لحا الله من أقصاك عنى ، انه

— ولم يدر — أقصى عنى الأمل النضرا

لقد خلعوا يمناك شلت يمينهم فياليتها اليمنى بجسمى واليسرى

وياليت ما قاسيت من ألم سرى الى وحملت الأسى عنك والبهرا[١]

قضى الله أن نشقى فكان الذى قضى

فهل كتب الله السعادة واليسرا ؟

(١) الاهانة والنكبة

(تتابع سيرها دون أن ترى أحداً فى طريقها ، ثم تصل إلى التنعيم[١] ، فتلمح عن بعد رجلا قادماً نحوها . لا تكاد تقرب منه حتى تنظر إليه فتعرفه وإذا هو عثمان بن طلحة[٢] أخو بنى عبد الدار)

عثمان — الى أين ؟

— قصدى أرض يثرب

— منذ كم تسيرين ؟

— لى يومان أضرب فى الصحرا

— تسيرين فى الصحراء وحدك ؟

— ما معى سوى الله وابنى ذا ، وأنعم به ذخرا

— فمالك يا أختاه والله مترك ولابد لى من أن أبلغك الوكرا[٣]

(يعود معها إلى المدينة ، فتذكر له ما جرى لها . ويتابعان السير حتى يصلا إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء (قرب المدينة) فيدخلانها ، ويعلمان من أهلها أن أبا سلمة فيها ، فيذهبان إليه)

— ٤ —

(أمام داره ، تطرق أم سلمة الباب)

أم سلمة — أأدخل ؟

— من ذا يطرق الباب ؟

عثمان — زائر

— على الرحب يا من جاءنا يبتنى زورا

— تفضل إذا شئت

(يدخل عثمان ووراءه أم سلمة متلثمة ، وولدها معه لا يظهر إلا وجهه)

عثمان — السلام عليكم

عليكم سلام الله منهملاً ثراً

فقدناك دهراً يا ابن طلح فما الذى عناك ؟

— نضالى العيش والجوع والفقرا

— عذرت ، وقاك الله كل مصيبة وأذهب عنك السوء والضيق والعسرا

(يلتفت إلى أم سلمة ويقول له :)

— ومن هذه ؟

— أختى

(ينظر إلى الطفل طويلا ، ولا يدرى أهو ابنه أم لا)

— ألست ترى ابنها ؟

— بلى

— إن لى ابنا مثله كان بى مغرى

— وما زال ؟

— لا أدرى فانى فقدته وأما له من خيرة الناس

— هل فرا ؟

— يفران ؟ كلا ، بل أحاط بنا بنو المغيرة واستاقوهما معهم قهراً

— متى كان هذا ؟

— منذ عام تفتتت به كبدى ، والدمع سال به نهرا

أبيت فلا يعتاد مقلتى الكرى وأصبح لا أستطيع نطقا ولا سيرا

أم سلمة — (بصوت متكلف)

— ولم لم تدافع عنهما حين أقبلوا

— أيستطيع غرقى البحر أن يدفعوا البحرا

أم سلمة — أتعرفنى يا عم ؟

— (بدهشة) انك أخته

— (ترفع اللثام) أتعرفنى ؟

— ماذا ؟ أأنت التى أقرى[١] ؟

(يقوم إليها ويعانقها طويلا ويضم ابنه ويقبله)

أبو سلمة — لك الحمد يامن ليس يحمد غيره جمعت شتيت الشمل فى الأنفس الحيرى

بلوت فكان الصبر أكبرهمنا فشكرا على عفو غمرتنا به غمرا

(دمشق) **ناجى الطنطاوى**

---

(١) موضع بمكة فى الحل وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، سمى بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم ، وآخر عن شماله يقال له ناعم ، والوادى نعمان

(٢) هو عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى من بنى عبد الدار ، حاجب البيت ، أمه أم سعيد بن الأوس . أسلم مع خالد بن الوليد فى هدنة الحديبية ، وهاجر معه ، وشهد الفتح مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه مفتاح الكعبة ، وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة ، ودخل معه بلال وعثمان بن طلحة وأسامة ابن زيد ، توفى بمكة نحو سنة ٤٢

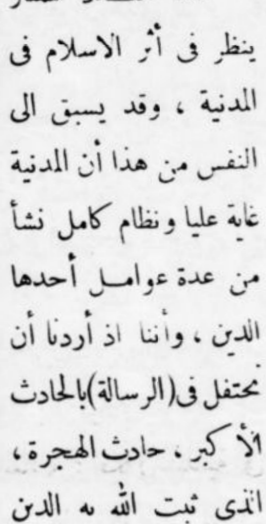
(٣) نص العبارة : (هل معك أحد ؟ فقلت لا والله إلا الله وابنى هذا ، فقال والله مالك من مترك)

(١) أبحث وأفتش . (حاشية) : قالت أم سلمة : والله ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابها ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة

الاسلام والمدنية والعلم

للاستاذ محمد أحمد الغمراوى

— ١ —



هذا العدد الممتاز ينظر فى أثر الاسلام فى المدنية ، وقد يسبق الى النفس من هذا أن المدنية غاية عليا ونظام كامل نشأ من عدة عوامل أحدها الدين ، وأننا اذ أردنا أن نحتفل فى (الرسالة) بالحادث الأكبر ، حادث الهجرة ، الذى ثبت الله به الدين الكامل ، أحببنا أن نثنى على الاسلام بالاشادة بنصيبه فى تشييد صرح المدنية التى هى أعم وأشمل ، وقد يقال أكمل ، من الاسلام ؛ ولو كان هذا هو المراد ، أو كان هذا ينتج من الاحتفال بالهجرة على هذا النحو ، لكان احتفالنا احتفالا معكوسا ، ولكانت اشادتنا بما نريد أن نشيد به ذما له وانتقاصا . لكن ليس الغرض من الاحتفال بالهجرة على هذا النحو هو الاشادة بالمدنية ثم بالاسلام بالتبع ، انما الغرض هو شبه دراسة اجتماعية مرماها إن أمكن تحديد الصلة بين هذه المدنية القائمة وبين الاسلام ، أو بالأحرى تحديد ما هنالك من توافق وتفاوت بين المدنية الواقعة كما نراها اليوم والمدنية الغائية كما جاء بها الاسلام

وفى الحق أن هذه المدنية بعيدة جدا عن أن تكون مثلا أعلى للمدنيات قد جاد بتحقيقه الزمان ، فان المدنية الكاملة يجب أن يكون بينها وبين الفطرة من الاتفاق ما يجعلها فى الواقع جزءا من الفطرة التى فطر الله عليها الكون ، وآية ذلك أن يكون فيها ما فى سائر النظم الكونية من الاتساق والانسجام والتوافق والتماسك والاتزان والهدوء ، وهذا لا يتحقق لأية مدنية من المدنيات الا اذا قامت على الحق فى جميع نواحيها ، وكانت نظمها النافذة منطبقة على قوانين الفطرة التى فطر الله عليها الناس أفرادا وجماعات

وشيوع الخلل والاضطراب فى النواحى الاجتماعية من هذه المدنية هو دليل شيوع الباطل فى هذه النواحى ، ودليل بعد هذه النواحى عن الفطرة . لكن اذا كان الباطل قد شاع فى أكثر نواحى هذه المدنية فان هنالك ناحية واحدة قد عزت على الباطل أن يكون له فيها مقام ، ودانت للحق فهو فيها الحاكم المطاع . تلك هى الناحية العلمية التى أثمرت للمدنية هذه القوى المادية التى فتن بها الناس فظنوا هذه المدنية أفضل المدنيات حين قدرت على ما لم تقدر عليه المدنيات قبلها من طيران فى الهواء ، وغوص فى الماء ، وتسخير للبحار والكهرباء ؛ وغفلوا عن أن تفاضل المدنيات ليس أساسه القوة ، ولكن إحسان استعمال القوة فى سبيل الحق : سبيل الله ، والا انقلبت تلك القوى على المدنية المغترة فزلزلتها وصيرتها الى ما يصير اليه الباطل من الزوال

هذه الناحية العلمية هى فخر هذه المدنية الحديثة ، بها ستذكر فى المدنيات اذا ذكرت المدنيات بأنبل ما فيها وأفضله وأصدقه ، بعد أن تصبح كما أصبحت المدنيات قبلها أحاديث . ثم هى الناحية الواحدة التى اتحدت فيها هذه المدنية بالفطرة ، واذ كان الاسلام دين الفطرة فهى الناحية الواحدة التى تم فيها الاتصال بين المدنية الحديثة وبين الاسلام

هذه دعوى قد تحتاج عند بعض الناس الى تفصيل وتحديد : أو — ان شئت — الى دليل وبرهان مادام الناس ليسوا كلهم قد درسوا العلم ، وما دام من درسوا العلم ليسوا كلهم يعرفون شدة الصلة بينه وبين الاسلام

أما إن الاسلام يؤيد العلم عامة ويحض عليه ويكبر منه فأمر يعرفه كل من له إلمام ولو ببعض الآيات والأحاديث الواردة فى العلم . فالذى يقرأ من الحديث الصحيح مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقوله : « اطلبوا العلم ولو بالصين » وقوله : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع » ، والذى يعرف ما فعله الرسول صلوات الله عليه بعد بدر من جعله فداء بعض فقراء الأسرى تعليم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة ، يعرف من غير شك أن الاسلام هو دين العلم والتعلم . فاذا تلا من كتاب الله مع ذلك مثل قوله تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (شهد الله

أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ، والآيات الكثيرة التي جعل الله سبحانه العلم فيها حكماً بين النبي ومجادليه مثل قوله تعالى على لسان نبيه : (إيتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) — إذا تدبر الانسان هذه الآيات الكريمة وأمثالها بعد تلك الأحاديث أدرك أن العلم على اطلاقه لم يُكبَر في دين من الأديان كما أكبر في الاسلام ، وأن ديناً لم يلزم أهله بالعلم والتعلم كما ألزم الاسلام المسلمين

هذا التأييد التام للعلم على إطلاقه يشمل طبعاً التأييد التام للعلم بمعناه الخاص : معناه الطبيعي المستعمل فيه اللفظ اليوم ؛ لكن ليس هناك من حاجة الى مثل هذه الحجة على قوتها في اثبات أن العلم بمعناه الحديث مطلوب مأمور به في الاسلام ، فان الآيات القرآنية الكثيرة الواردة في الحض على تطلب آيات الله في الكون وتعرف أسرار الخلق هي في الواقع توجيه للعقل الى مجالات العلم الذي يسميه الناس بالعلم الطبيعي ، بل هي أوامر من الله بطلبه ، لأن آيات الله في الكون التي ندبت تلك الآياتُ القرآنية الكريمة إلى طلبها ليست بأكثر ولا أقل من أسرار الفطرة التي هي مطمح العلم ومرماه . فأنت إذا قرأت مثل قوله تعالى : (وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يُغشى الليلَ النهارَ ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرعٌ ونخيل صنوانٌ وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجومُ مسخرات بأمره ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلقَ) (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) — إذا قرأت هذا وأمثاله في القرآن لم تشك في أن العلم الحديث قرآني في موضوعه ، إذ هذه العلوم الطبيعية إنما تبحث عن أسرار هذه الظواهر الكونية التي نبه اليها وأمر بالبحث فيها القرآن

فاذا أنت استقريت الآيات القرآنية الكونية لترى هل ورد في بعضها مادة (علم) اللغوية ، وجدت أن هناك أكثر من آية وردت فيها هذه المادة إن لم يكن في صيغة المصدر ففي صيغة مشتقاته ، مثل قوله تعالى من سورة الأنعام (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، إن في ذلك لآيات لقوم يعلمون) وقوله سبحانه من سورة الروم : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين) وإذن فهذا العلم الطبيعي ليس فقط قرآنيا بموضوعه بل هو قرآني باسمه ، واذا كان الناس قد اصطلحوا اليوم على تلقيبه بالحديث فقد آن لهم أن يتذكروا أن فاطر الفطرة سبحانه قد أمر به الانسان لما أنزل القرآن هدى للناس كافة منذ نيف وأربعة عشر قرنا من الزمان .

وفي الحق أن الانسان ليأخذه العجب من كثرة ما لقيت هذه الناحية من التوكيد في القرآن ، ثم من تراخي المسلمين برغم ذلك في طلب هذا العلم ، ولو للانتفاع به في تفسير ذلك الجزء من القرآن . إن الآيات الواردة لتلفت الانسان إلى أسرار الفطرة وتحثه على تفقهها ، لا تكاد تقل إن قلت عن خُمس آيات القرآن ، ولم تلق ناحية من نواحي المدنية مثل هذا التوكيد في الاسلام إلا ناحية الأخذ بالعدل والاحسان في المعاملة ؛ فكأن المدنية في الاسلام شطران : شطر يقوم على العلم وشطر يقوم على العدل ، ومن وراء ذلك كله مخافة الله ومحبته ، لا غنى لأهل المدنية عن هذين إن أرادوا لها البقاء . وعلى كل حال فان حث الانسان في نحو خمس القرآن على دراسة الفطرة أريد به على الأخص حثه على عبادة الله عن طريق تلك الدراسة وعن طريق شكره سبحانه على ما ستثمر تلك الدراسة من ثمرات . وهذا لا يقلل شيئاً من شأن العلم في الاسلام بل يزيده ، ثم هو أبلغ في الدلالة على أن العلم في الاسلام جزء من الدين .

على أن أمر التوافق بين العلم والاسلام قد جاوز الاجمال الى التفاصيل : جاوز قرآنية الموضوع والاسم الى قرآنية الروح والطريقة . فروح العلم وطريقته منطبقة تماما على ما جاء به القرآن

فأما روح العلم التي هي في صميمها التجرد للحق والصدق فيه والاستمساك به والتعاون عليه ، فهي من روح الاسلام من غير شك ، إذ الاسلام كله ليس إلا أمرا بالحق وتجردا له وجهادا فيه ، وما لقيه الحق من الاكبار في العلم لا يزيد شيئا عما لقيه الحق من الاكبار في القرآن

وإذا كان هناك فرق بين الاثنين فهو لا يتعلق بذاتيهما ولكن بامتداد سلطانهما ؛ فروح العلم مقصورة طبعا على الميادين التجريبية

التى قصر العلم عليها نفسه ؛ لكن روح الاسلام تشمل بسلطانها كل ميادين حياة الانسان العلمى منها والاجتماعى ، ما يمكن اخضاعه لتجارب العلمية منها وما لا يمكن

وأما طريقة العلم فى طلب الحق فاليها يرجع فضل العلم فى هذا العصر على مثله فى سابق العصور . لقد كان من بين علماء تلك العصور من يحبون الحق ، ويعملون له ، ويحرصون عليه . كما يحبه ويعمل له ويحرص عليه علماء اليوم ، لكنهم لم يوفقوا الى نظام علمى شامل يضمن الوصول الى الحق ويضمن على الأخص عدم قبول باطل على أنه حق . فهذا النظام الذى يحسن التمييز بين الحق والباطل ، ويضمن من نفسه أن ينفى الباطل ويثبت الحق . هو الفارق المميز بين العلم الحاضر والعلم الماضى ، وهو المفخرة الحقيقية للعلم الحديث

هذا النظام لم يضعه شخص ولم تضعه هيئة ، ولكن نشأ بالتدريج بنشأة العلم الحديث حين أخذ العلماء يجعلون وجهتهم ابتغاء الحقيقة لا ابتغاء المنفعة ، وحين أرادوا فى تلمسهم سنن الفطرة أن يتجنبوا مناشىء الخطأ فى العلم القديم ، ويصححوا الوجهة فى العصر الذى ظهر تطور العلم فيه

وللمقارنة بين الأصول التى قام عليها هذا النظام والأصول التى تناظرها فيما جاء به الدين يحسن تقسيم أصول النظام العلمى إلى قسمين : قسم يتعلق بنفس الفطرة التى ستكون موضوع العلم . وقسم يتعلق بطريقة النظر والبحث عن أسرار تلك الفطرة

فأما ما تعلق بنفس الفطرة فقد وجد العلماء أنفسهم مضطرين إلى القول بأصول ثلاثة : أصل استقلال الفطرة . وأصل اطراد الفطرة . وأصل انسجام الفطرة أو استحالة الخلاف بين جزئياتها . فأصل استقلال الفطرة يعلن استقلال الفطرة عن الانسان ، فلا يستطيع ساحر ولا كاهن أن يغير من مجراها أو يعدل من قوانينها ، ولا تتغير هى تأثراً بما يجرى لأى إنسان ؛ وأصل اطراد الفطرة يعلن استقلال الفطرة عن الزمان ، فما يثبت من سننها فى وقت فلابد أن يكون موجوداً من قبل ، وسيظل موجوداً فى المستقبل ، لا يلحقه تبديل ولا تغيير ؛ وأصل انسجام الفطرة يعلن استحالة التناقض بين الحقائق ، فلا يمكن أن ينقض حق حقاً أينما كان وكيفما ظهر ، فى الأرض أو فى السماء ، وما يناقض حقاً إذن فهو باطل يجب أن ينبذ ولا ينظر اليه

فأما الأصل الأول فكان ضرورياً لصيانة العلم وتحرير العقل من دجل الدجالين ، وإعداده لطلب الحق وتلقيه ، وهو أصل ليس هناك اليوم من يجادل فيه . وأما الأصلان الآخران فهما كما ترى ضروريان لوجود العلم واطراد نموه ، لا يمكن بدونهما نظر ولا بحث ولا استقراء ولا استدلال . لكن من العجيب أن العلم عاجز عن إثباتهما . إذ أقصى ما يستطيع أن يقوله هو أنه اعتمد عليهما قروناً معدودة فبررت النتائج الباهرة التى وصل اليها ذلك الاعتماد ، فهو لذلك سيستمر معتمداً عليهما إذ ليس هنالك ما يدعو إلى الشك فيهما فيما يتعلق بالمستقبل أو الماضى . لكن الفلسفة لا تقنع من العلم بهذا الجواب ، وتواجهه بما فيه من ضعف ، وتزعم له أن نجاح الاعتماد على ذينك الأصلين قروناً لا يثبت صحتهما إلا فى تلك القرون . وأما فيما قبل ذلك وما بعد ذلك فلا يستطيع العلم أن يجزم بصحتهما ، وإذن فلا يحق له أن يطمئن كل الاطمئنان اليهما . لكن العلم يمضى فى اطمئنانه لا يبالى بما توجه الفلسفة إلى أصليه هذين من نقد وتشكيك ، لأنه من ناحية لا يرى فائدة عملية فى الاصغاء إلى هذا النقد ، ولأنه من ناحية أخرى يرى وجوده ذاته منوطاً بصحة هذين الأصلين ، لو شك فيهما لحكم على نفسه بالفناء .

ومن البديهى أن الحكم بين العلم والفلسفة فى هذه القضية لا يستطيعه إلا الذى بيده أمر الماضى والمستقبل . فاطر الفطرة وخالق الخلق سبحانه ، وقد حكم سبحانه للعلم منذ أنزل القرآن

هذان الأصلان وما يتعلق بهما يقررهما القرآن فى غير تردد ولا ابهام ؛ ومبدأ هذين الأصلين أصل آخر لم يقرره العلم إلا ضمناً . ولو قرره لما سلمته له الفلسفة . لأنه أصعب اثباتاً حتى من ذينك الأصلين : ذلك هو أن هذا الكون قائم كله على الحق . فإنه لا بد من تقرير ذلك ولو لحظة حتى يمكن بعد هذا أن يقال إن كان الكون سيستمر على ذلك أو لا يستمر ؛ وأنى للعلم أو الفلسفة تقرير ذلك بغير الافتراض والظن الذى لا يستند إلى برهان . لكن الله فاطر الكون قرر للانسان الحق فيما لا يستطيع أن يثبته الانسان ، قرر فى غير ما آية أن الكون قائم على الحق (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) . (خلق السموات والأرض بالحق ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى ، ألا هو العزيز

الغفار) . وقرر سبحانه أنه لا تبديل لسننه فى الخلق ولا تحويل (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبـديل لخلق الله) ، (فهل ينظرون إلا سـنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) ، (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) . وهذا المبدأ ، مبدأ ثبوت الفطرة من غير تبديل ، الذى أعلنه الله سبحانه للناس فى القرآن ، مبدأ عام يشمل جميع ميادين الفطرة ، ما تطاول العلم الى بحثه فى ميدان المـادة ، وما لم يتطاول إلى بحثه فى ميدان الاجتماع ، كما هو مقتضى سياق تلك الآيات فى القرآن

أما أصل انسجام الفطرة فقد قرره الله سبحانه حين قال جل وعلا : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) . وارتفاع التفاوت يستلزم حتما ارتفاع التناقض الذى هو أكبر التفاوت ؛ وقد تقرر نفس الأصل فى صورته الأخرى : صورة انتفاء الباطل بالحق فى قوله تعالى : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغـه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون) . فالاسلام يؤيد العلم تأييدا تاماً حين تخون العلم قدرته ، وتضعف حجته . ويستطيع العلم فى يقين المسلم أن يمضى فى سبيله مطمئناً على وجوده ، غير مبال باعتراض الفلسفة ، اعتمادا على ما أعلنه رب الفطرة للناس فى القرآن .

أما أصل استقلال الفطرة عن الانسان فقد أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم للناس يوم مات ابنه ابراهيم وكسفت الشمس فتحدث الناس أنها كسفت لموت ابراهيم ، فخطبهم صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى خطبة قال فيها : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحـد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا » ؛ ثم زاد القرآن الـكريم ذلك الأصل تقريرا وتوضيحاً فى قوله تعالى : (أم يقولون به جنة ، بل جاءهم بالحق ، وأكثرهم للحق كارهون ، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) . فأنت فيما يتعلق بأصول الفطرة ترى تمام الاتحاد بين ما قام عليه العلم وما قرره الاسلام

(يتبع) **محمد أحمد الغمراوى**

العقيـــدة

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور



غذاء القلب وطمأنينة الروح ، ملجأ الضعيف وسلاح القوى . هى حقيقة امتزجت بحلاوة الخيال ، أو خيال لبس أحياناً ثوب الحقيقة . وما هذا الخيال وتلك الحقيقة إلا صرح كثيراً ما شدناه بأنفسنا لأنفسنا كى نكمل ما فى عالم الواقع من نقص ، ونحقق بعض ما نصبو إليه من ميول وآمال . فان ما فينا من قلب خافق وعواطف متأججة ، ينزع الى أمانى ورغبات لا حصر لها . ولذتنا فى تصور هـذه الأمانى وسعادتنا فى السير وراءها . فان لم نجد السبيل الى تحقيقها حيث نرى ونسمع رسمنا لها مملكة سامية فوق مملكة الحس والمشاهدات ، وآمنا بهـا إيماناً لا يقل عن إيماننا بالمرئيات والملموسات . على أن ما فينا من عقـل يحلل ويبرهن ويعلل يدفعنا الى الاعتقاد والاستمساك بآراء نتعصب لها وندين بها . فالعقيدة حاجة إنسانية وأثر من آثار قوى النفس على اختلافها . وهى فوق هذا ضرورة اجتماعية وركن هام من أركان التعاون والارتباط . ولا يمكن أن نتصور جمعية بشرية لا يخضع أفرادها لمبدأ واحد وعقيدة مشتركة . واتحاد الدين والعقيدة من أول الخصائص التى يتميز بها الشعب والأمة . وليست العقيدة المتحدة مجرد رمز وشارة للأمة فحسب ، بل هى مصدر تأثير كبير وقوة لا نهائيـة . هى مبعث حرارة تدفئ القلوب فتدفعها الى الأمام وتملؤها بالأمل والرجاء . ومستودع كهربائية عظمى يرسل فى الأفراد ما يرسل من موجات سالبة وموجبة فيتجاذبون ويأتلفون ، ويلتقون عند غاية واحدة وغرض أسمى . وإنا لنسير فى الحياة غالباً بدافع من عقائد مختلفـة بين دينية ووطنية وعلمية

وفلسفية . والعقيدة كالأمل الحلو إن لم تبلغك الغاية فقد آنستك ونعمت بهـا زمناً . على أنها فى ساعة الفشل خير عزاء ، وعند اشتداد الخطب أقوى ركن تطمئن إليه إن وهنت الأركان كلها . وإذن فالعقيـــدة للفرد عون ونصير ، وللجمعية باعث ومثير وهاد ومرشد

ومن حسن حظ الانسانية أن المرء ميال الى الاعتقاد بفطرته ، ومدفوع إليه بغريزته ؛ فالتسليم أصلى والشك عرضى ، ولا أدل على هذا من أن حيـاة الانسان الأول كانت سلسلة من العقائد يرتبط بعضها ببعض ، وقد توارثها الخلف عن السلف وأذعنوا لها دون بحث وتعليل . والطفل وهو صورة مصغرة للانسانية فى أول نشـأتها يسلم بكل شىء يلقى إليه ، ويعتقـد فى السحرة والمشعوذين والجن والشـياطين . ولا تبدأ حيرة الشك لديه إلا حين يصطدم عالم الفكر بعالم الواقع ، ويتعارض أمامه أمران كان يؤمن من قبل بثبوتهما . فترتاب نفسه وتشعر بشىء من الخيبة لم تكن تتوقعه . ويظهر أن الشك كان فى أول أمره ظاهرة عاطفية قبل أن يكون مناقشة عقلية وحساباً منطقياً . وليس الشك شراً كله ، بل قدر منه مدعاة البحث ومفتاح الحقيقة ، وقديما قالوا : الشك مبدأ الحـكمة ومدرسة الحقيقة . وقد استطاع سقراط بين الاغريق بشىء من الشـك التهكمى أن يستخرج المعارف من نفوس محدثيه ومناقشيه . ثم جاء ديكارت فى التاريخ الحـديث فاتخذ من الشك طريقة فلسفية ومبدأ علمياً . للشك حكمته ومنفعته ، فهو ينبه الفلسفة إلى أخطائها ويقف العقل عند حده ويرشده إلى نقصه . غير أن قيمة الشك فى طريقة استعماله ووضعه فى موضعه . فالشك فى كل شىء قضاء على المعرفة من أساسها وهدم للحقائق على اختلافها . وقبول المعلومات من غير بحث وتمحيص انقياد أعمى واستسلام مرذول وضعف فى التفكير . وغنى عن البيان أن الشك ضرب من الحرية واستقلال الرأى . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الشكاك القدامى والمحدثين لفتوا نظر الانسانية إلى أخطائها الشائعة وكشفوا الغطاء عن كثير من أباطيلها المسلمة . وكل ما يؤخذ عليهم أنهم أرسلوا للشك العنان ، وجالوا به فى كل ميدان ، فقضوا على ما كان فيهم من عبقرية ، وأصبح شكهم داء بدل أن يكون دواء ، وهدموا بالشمال ما بنوه باليمين . وليس فى الشك المقبول امتهان للحقيقة أو اعتداء عليها ، بل هو اعتداد بها وتقدير لها وجد فى طلبها . حقاً إن الشك حيرة وحمى قد تخشى على النفس مغبتها ؛ بيد أنه قل أن يقـدر اليقين قدره من لم يغرق فى بحار الشك قليلاً . والضال إذا وجد الطريق كان له بهذا فرحة تملأ العين والقلب

اليقين كلمة عذبة الجرس حلوة الرنين سامية المعنى رفيعة المدلول ؛ تطرب الأذن لسماعها ، وتتوق النفس دائماً إلى أن تحظى بحقيقتها . ينشده العالم فى بحثه . ويرمى إليه الفيلسوف فى درسه ، كلاهما يبنى أن يصل إلى الحقيقة الثابتة التى يذعن لها الجميع فى مختلف الظروف والأمكنة . وإذا كان الشك اضطراباً وحيرة فاليقين هدوء وطمأنينة . هدوء لأنه راحة بعـد عناء ، ووصول بعد مجهود . وطمأنينة لأنه حصن حصين . وركن أمين ؛ وكيف لا وهو قوة تستمد سلطانها من نور الحقيقة ، وحال يشعر المرء فيهـا بأنه لا يسمع إلا صوت الحق ولا يصغى إلا لندائه . ولو تأملنا لوجدنا أنا فى مرحلة اليقين أقوياء ضعفاء : أقوياء لأنا نحس بأنا نفذنا إلى قلب الأشياء ووصلنا إلى قمة العـالم وتجردنا من قيود المادة والزمن واتصلنا بكل ما هو باق أزلى ، وضعفاء لأن جلال الحقيقة التى نعتنقها أسكت كل صوت فينا ، فألغى هواجسنا وخواطرنا ، وقضى على ميولنا وأهوائنا ، وأضعف شـخصيتنا أو محاها بحيث نصبح ولغة العالم والانسانية جماء ديدننا وشعارنا

هذا هو اليقين فى ظواهره وأثره وشدته وبأسه . فهو إذن العقيدة فى أكمل صورها والايمـان فى أسمى أشكاله . وكثيراً ما حاول بعض الباحثين فصل اليقين من العقيدة ، والباعدة بين العلم والدين ، ووضع حاجز بين العقل والعاطفة ؛ إلا أن اليقين لا يتحقق إلا بعـد عقيدة سابقة ، والعقيدة إن سمت وكملت أضحت يقيناً . والعلم برهن غير مرة على أن له نطاقاً لا يتعداه وحدوداً لا يستطيع أن يتجاوزها ؛ فليدع الدين يتكلم فيما أعد له ويتصرف فى دائرته . والانسان عقل وقلب وتفكير وعاطفة ؛ ومن العبث أن يهمل أحد هـذين الجانبين أو يلغى ، فان ذلك خروج على الطبيعة وعكس لنظام الأشـياء . وليس من عار أن يكون فى الأديان قدر كبير يرضى العواطف الانسانية ، بل العار كله أن تخلو من ذلك .

ابراهيم بيومى مدكور

سمو الانسانية

فى قلب الرسول الأعظم

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)
« قرآن كريم »

للاستاذ خليل هنداوى

« لا يحسبن قارىء المقال أننا أردنا أن نعطل حدود الشرائع بدرسنا للعاطفة الانسانية السامية فى قلب الرسول ، وإنما هو بحث جرى على القلم جواباً لمن يزعم أن تعاليم الاسلام تعاليم صارمة قاهرة لا تفيض – كالشريعة المسيحية – رحمة ومحبة وحناناً »

« خ . هـ »

لا تزال علة الآثمين الخارجين على حدود الشرائع علة مستحكمة ، لا يبت فيها فريق حتى يهب إلى نقضها فريق . وكلا الفريقين له الحجة الساطعة . فمن الشرائع ما يرى فى الأثيم العدو للانسانية ، والمريض الذى يخشى انتقال جراثيمه إلى غيره ، لأن الأمراض النفسية حكم أكثرها كحكم الأمراض السارية تعصف بالأجساد عصفاً . وهذا المريض – فى حكمها – لا يرجى شفاؤه ، وإن فكرة الاجهاز عليه هى خير فكرة تتق بها منه !

وقد تفننت الشرائع الحديثة فى تعيين هؤلاء الآثمين والمجرمين وفى عزلهم عن طبقات الناس . ومن الشرائع ما تنظر إلى هؤلاء بعطف ورحمة . لا تنظر إلى الأثم – كالكل فى الأثم – وإنما تنظر إلى الظروف التى صاحبته ، والعوامل التى ساعدت على خلقه . وهى بعد هذا كله لا ترى فى الآثم إلا إنساناً ، جبل على طينة الانسان ، يخطىء ويصيب ، ويفعل الشر ويصنع الخير . هذه الشرائع التى غلبت العاطفة الانسانية على كل عاطفة ، واستمسكت بالمبدأ الانسانى الذى يعلو على مصطلحات الخير والشر . وهذه فكرة تطير بجناحين من السمو والعلو . ولكن علماء القانون لا يعتقدون بهذه الفكرة المجنحة لأنها تطهر بغير حدود ، وتنتشر على أبعاد دونها أبعاد الفضاء . وهم يريدون أن يحددوا لكل موقف شأنه ، فاذا سرق السارق فما عسى يكون جزاؤه ؟ وإذا زنى الزانى فما عسى يعامل به ؟

مثل هذه الفكرة الانسانية قد تجلت فى موقف السيد المسيح حين قدموا له زانية ليرى فيها حكم الشريعة – وما كان حكم الشريعة إلا الرجم – وما كان للمسيح أن يعطل هذا الحكم ، وهو لم يجىء لنقض نواميس الأنبياء ؛ ولكنه تسامى فى هذه المرة ما شاء له التسامى ، فأمر بأن يحفروا لها حفيرة ووقف قائلاً :

– ليرمها كل من لم ترتكب نفسه خطيئة بحجر !

فوقف الجمع ولم يرموا ، وغادروا المرأة وشأنها . ولكن هذه الفكرة تظل جميلة ما ظلت منطلقة حرة من غير قيود ، فاذا شئنا حصرها وإخضاعها للعمل ضاع رونقها وفشت الشرور بحجة أن كل نفس فيها من طينة الشر شىء . ولذلك لم يقدر المسيح نفسه على القول بالعفو عن كل زانية وزان وسارقة وسارق ، ولم يقدر غيره على القول بذلك . ولكن المسيح أراد بضرب هذا المثل أن يحفظ للآثمين هذه الانسانية التى تربطهم بغير الآثمين ، ويقرر بعد ذلك أن هؤلاء الذين يحكمون على الآثمين هم ملوثون مثلهم ، حتى تكون العاطفة الانسانية عندهم هى العاطفة الغالبة على كل عاطفة

نظرت الشريعة الاسلامية إلى هؤلاء الآثمين كما نظر غيرها ، وفرضت القصاص وفى القصاص حياة ، وقام الشارع بأحكام ما تنزل ، ورأى أن دفع القتل بالقتل أنفى للقتل . وهذه الشريعة هى شريعة من جاء قبله ، وهى الشريعة التى يحض عليها العقل ويبعث اليها الانصاف

ولكن الرسول – برغم لوثة هؤلاء الآثمين – قد ارتفع معهم فى كثير من المواقف بعاطفة الانسانية فوق حدود الشريعة ، ونظر إلى هؤلاء المرضى نظرة ملؤها الرأفة والاشفاق ، وعطف على كل نفس ضالة – لأن الهدى والضلال على بعدهما متقاربان متلاصقان – وأن إهمال درس هذه العاطفة الانسانية عند الرسول مما يترك ناحية العواطف الأخرى قاسية صارمة . وأن على أرباب الفقه أن يرتبوا العقود والحدود كما رتبوها أبواباً أبواباً ، وأن على آخرين أن يحللوا هذه العاطفة التى تجعل من الرسول قلباً نقياً وعاطفة إنسانية متسامحة

ما عسى تبلغ اليه هذه العاطفة الانسانية فى صدر الرسول ؟ أذكر عبارة تلوتها فيما كتب « رينان » عن المسيح « إن

المسيح هو أول من سلك فى تفهم الله مسلكا جديدا ، إذ جعل علاقة الله مع الناس كعلاقة الأب مع أبنائه ، علاقة كلها رأفة ومحبة وحنان » وبهذه الرحمة الشاملة تفهم الرسول معنى الألوهية فقال : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً . فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ! »

وإنى لأجد الرسول فى الصلاة ، ومن ورائه أعرابى يدعو فى صلاته : « اللهم ارحمنى وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً » . فقال له الرسول : « لقد حجرت واسعاً » وكأنه أراد أن يقول له : « قل اللهم ارحمنى وارحم جميع الكائنات ، لأن رحمة الله أوسع من جميع آثامهم وذنوبهم »

وإنى لأراه وهو يفكر فى هذه الرحمة التى يرجو أن تشمله ، وهى الرحمة التى ملكت عليه مشاعره . أراه « وقد وجد امرأة من السبى تحلب ثديها تسق ، إذا وجدت صبياً فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فالتفت إلى أصحابه وقال :

— أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟

فقالوا : لا . وهى تقدر على ألا تطرحه ؟

فقال : — وقد طفت على قلبه هذه الرحمة الشاملة :

— الله أرحم بعباده من هذه بولدها »

ولقد تمثل هذه الرحمة فى كل جزء فيه ، حتى ليحسب أن الكائنات كلها قد اندمجت وأحاطت بها رحمة الله ... « فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة » وهو لا يفسر الرحمة تفسيراً ضيقاً يمنحها أناساً ويحرمها على أناس لأن الرحمة الشاملة إذا دخلت فى قلب غيرت فيه كل الأساليب الموروثة فى تفهم الوجود ، وجعلته ينظر إلى الوجود كشىء كلى ممتزج فقير إلى هذا البلسم ! وجردته من كل الأهواء ليتحد مع الكائنات اتحاداً تاماً بكل شىء فيه ، لا يهدأ قلبه ما دام يتعذب هنالك إنسان ! وهو لا يفسر الرحمة تفسيراً رمزيا ، وإنما يرى مختلف الأمثلة إلى تمثيل هذه الرحمة تمثيلاً واضحاً تكاد تتبينه العين وتتقراه اليد باللمس ! وقد أثر هذا الفهم فى نفسه تأثيراً واضحاً ؛ فهو تنهمل عيناه إشفاقاً على قومه ، وهو يتحمل بلاءهم بقلب صابر ولسان شاكر ويقول : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » وهو يستمهل الله فيهم عند ما نودى : « إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك » . فقال : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً »

وقد ملك عليه شعور الرحمة حتى كاد يغلب على كل عاطفة فيه .

« يرى الرجل الاسرائيلى الذى قتل تسعة وتسعين رجلاً ثم خرج يسأل ، فأتى راهباً فسأله فقال له : « هل من توبة ؟ » فقال : « لا » فقتله ، فجعل يسأل ، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا ، فأدركه الموت ، فناء بصدره نحوها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فاوحى الله إلى هذه أن تقربى ، وأوحى الى هذه أن تباعدى . وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجده إلى هذه أقرب بشبر فغفر له . » وهل غفرت لهذا الفاتك إثمه إلا عاطفة الرسول الانسانية التى قدرت فيه قلبه النادم ونيته الساعية وراء التوبة ؟ وقلب الرسول مفعم رحمة وشفقة على هؤلاء — مع قوله فى معاقبتهم — ولا يستطيع الفكر أن يوفق بين الاثم الكبير البالغ تمحوه حسنة صغيرة ! فمن ذلك « امرأة مومس مرت بكلب على رأس ركى يلهث قد كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها ، فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك ! » ذلك أن قلب الرسول يحاول أن ينقذ هذه الكائنة الشقية ، ويلقى فى النفس معنى الاحسان إلى الحيوان « وإن لنا فى كل كبد رطبة أجرا »

وقد تسمو نفس الرسول فى النظر إلى هؤلاء الآثمين ، فهو لا يفر منهم ولا يزور عنهم لأنه يطمع فى صلاحهم

« قال رجل : لأتصدقن بصدقة ؛ فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : « تصدق على سارق » ! فقال : « اللهم لك الحمد ! » لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية . فأصبحوا يتحدثون : « تُصدق الليلة على زانية ! » . فقال : « اللهم لك الحمد ! » على زانية ! لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى ، فأصبحوا يتحدثون : « تصدق على غنى ! » فقال « اللهم لك الحمد ! » على سارق وعلى زانية وعلى غنى ! ولقد يظن المرء لأول وهلة أن هذه الصدقات باطلة لأنها لم تقع فى مواضعها ، ولكن الرسول حلها من الناحية الانسانية ، فأتى فقيل له : « أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما الزانية فلعلها أن

تستعف عن زناها ، وأما الغنى فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله »

فلم يمنع الرسول الرفق بهؤلاء الآثمين ولم يجعل التصدق عليهم حراما . وإذا كان السيد المسيح أطلق الزانية لأنه لم يجد من يأخذ على نفسه معاقبتها فالرسول أطلقها وأطلق السارق وأطلق الصدقة عليهما ليستعفا . . . وبهذا أشفق على المريض وحارب جراثيم مرضه ! وهو خلال ذلك ينتظر أن يغمرهم نور التوبة ويصرفهم عما فيه وازعُ الضمير

وقد يعجب المرء من هذه العاطفة التي لو أخذنا بها لعطلت الحدود . إذ كيف نتصدق على سارق أوجب الشرع قطع يده ، أو على زانية أوجب رجمها ؟ ذلك أن الرسول يدرك أن الغاية من الشريعة الهدى والرحمة ، وأن القصاص سبيل يسلكه الشارع إذا عز الوصول إلى الهدى إلا به

فهو بهذا دل على إنسانية سامية تفهم الوجود رحمة ومحبة ، وإن روحه لتتصل بالمذنب اتصالها بالبريء ، وأنه يحب الناس مهما فعلوا ، وأنه يجد في نفسه ميلا إلى الرفق بالآثمين ، وهذا الميل جعله يسلك السبل المتعددة ليدفع عنهم آثامهم ويطهرهم من أرجاسهم . ونرى بعد هذا كله — هذه الكتلة من الرحمة والمحبة تقف أمام الرحمة الشاملة تدعو ربها :

« اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب

اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس

اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد »

أليست هذه الانسانية بأسرها تتمثل في شخص الرسول تطلب إلى الله أن يشملها برحمته ؛ ويغسل خطاياها برأفته حيث تغسل الأوزار وتضيع حدود العقاب في عالم تعمره الرحمة وتسكنه المحبة ، لا نهايات له ولا حدود ؟

(دير الزور) **خليل هنداوي**

ذكريات يجتليها محرم

لشاعر السودان الاستاذ عبد الله عبد الرحمن

هو الشوق في أحشائنا يتضرم   الى ذكريات يجتليها محرم

الى ذكريات هن بعث ويقظة   وهن لآلام الجراحات مرهم

بني الشرق ، والاسلام في كل موطن ،   يحييكمو مني على النأى مسلم

تعالوا نجدد من عهود تصرمت   وما الشأن في عهد الكرام التصرم

تعالوا نجمع من نفوس تفرقت   شعاعاً ولا نمضي كما نتوهم

ونطَّرح الواشين تنفث بيننا   سموماً – وفي الواشين أربد أرقم

ونفزعْ الى التنزيل نبني نفوسنا   فليس لما يبني الكتاب مهدم

***

وفي الهجرة الزهراء قربى قريبة   تمت بأسباب الحنيف إليكمُ

فان نحيها نحي الزمان تقدمت   أوائلنا أهليه وهو لهم فم

وإن نحيها نحي النفوس كبيرة   وإن جعلت في أرضها اليوم تهضم

وإن نحيها نحي المروءة والندى   وبأساً من الفولاذ أمضى وأصرم

ألا ليت شعري ما دهى العرب إنني   أرى الجو في آفاقها يتسمم

أكل بناء غيرهم متساند   وكل قبيل غيرهم متقدم

أجل كل قوم فرطوا في لغاتهم   غدوا وصروف الدهر فيهم تحكم

***

أرى الغرب يعني باللغات رجاله   ونمشي الى أعلامها نتعلم

هم يكبرون من رجال توفروا   عليها إلى أن أكبر الناس منهمُ

وفي كل يوم يخرجون مؤلفاً   نفيساً وبحثاً ينشر الفضل عنهمُ

ولا يهجرون للجديد قديمهم   وذلك خلق عن رقي يترجم

وما ذاك إلا أن حباً يهزهم   الى وطن هاموا به وترنموا

***

أرى أم الشرق استفاقت من الهوى   وعاودها سلطانها المتقدم

فجدت وهمت للحياة طموحة ... وحطمت الأغلال فيما تحطم
رعى الله فى أرض العراقين نهضة ... أبت لهمُ أن يستذلوا ويهضموا
بنوا دولة أما حماها فمانع ... لحوزتها والمستقلّ بها همُ
على العلم والخلق المتين توطدت ... دعائمها والعلم بالخلق يدعم
وقامت فلسطين ترد حقوقها ... ومافى طلاب الحر للحق مأثم
وحرك من سورية العسف فانبرت ... تغالبه والشر بالشر يصدم
فان لم تنل ما قد أرادت نواله ... فمن كَسْبِها منها النجاح المحتم
وهاجت بنا الذكرى لخضراء تونس ... فأبصرت ثكلى نال منها التأيم
وفى مصر أخذ بالذى هو واقع ... وروح وفاق للحقيقة تألم
وغيرة لاوانٍ ولا متخشع ... ونشء الى سود النوائب يبسم

***

هوت أنجم بالأمس كن ثواقبا ... إلى ضوئها يعشو الجهول فيعلم
حسين بن والى قد أقض مماته ... مضاجع فى السودان فهى تألمُ
هو المرء أدى للعروبة واجباً ... وعاش لوجه الله يشقى وينعم
وأودى المطيعى حجة الله فى الورى ... فغاب به كنز من العلم قيم
قضى ملأ الدنيا علوماً وحكمة ... فويلى على ركن الهدى يتهدم
وأودى رشيد ذو المنار مدافعاً ... جريئاً على رد الضلالة يقدم
وبات الأديب الكاظمى وانه ... لرزء من الابداع فى الشعر يثلم
وبغداد من بعد الزهاوى أصبحت ... خلاء وكانت من قوافيه ترحم
مضوا وقرنا بالترحم ذكرهم ... وليس بمجدينا عليهم ترحم

***

بنى وطنى ان قمت للضاد داعياً ... فانىَ أدعو للتى هى أقوم
لقد وثق الله الروابط بينكم ... فلا تنقضوا بالله ما الله مبرم
أرى الضاد فى السودان أضحت غريبة ... وأبناؤها أضحت لها تتجهم
تولت وما دمعٌ عليها بفائض ... وما أحد منهم لها يتألم
وساءت مقاماً فهى ثكلى حزينة ... وعيّت جواباً فهى لا تتكلم
وذلك يفضى لانقراض وذلة ... ويفضى إلى أن فى سوى العرب ندغم
عزيز علينا أن تلين قناتها ... وأبناؤها فى ضحوة العمر تهرم
عزيز علينا أن نراها هزيلة ... وجاراتها فينا تزيد وتعظم
كفانا هوانا أن ريباً يحوطنا ... وانا إذا رمنا الحديث نجمجم
وانا برغم العلم فى كل بلدة ... يحيط بنا هذا الظلام المخيم
تبدلت الأحوال حتى لقائل ... يقول على قدر التدلى التقدم
ونبئت فى السودان قوماً تآمروا ... على اللغة الفصحى فساءوا وأجرموا
وبالأدب القومى قالوا سفاهة ... وما لمحوا حقاً ولكن توهموا
الا نحن عرب قبل أن لعبت بنا ... صروف الليالى والجهول الغشمشم
أما والليالى العشر والفجر طالعاً ... وما الفجر فى الاسلام إلا بمجرم
إذا لم تحسوا داءها وهو فاتك ... تهونوا وفى غير العروبة تدغموا
فعضوا عليها بالنواجذ إنها ... صلاحكم ان تخلعوه هزمتمُ
سلام عليكم إن عدمتم بيانها ... سلام على الفصحى سلام عليكم
عليك رسول الله نلقى رجاءنا ... فقد جعلت منا الحوادث تهدم
ونستنزل الارشاد من روحك التى ... على كل من يلقى السلام تحوّم
أصلى عليه ثم أذكركم بما ... يقربكم منه فصلوا وسلموا
(لحب ابن عبد الله أولى فانه ... به يبدأ الذكر الجميل ويختم)

(الخرطوم) **عبد الله عبد الرحمن**

نظر محمد إلى الأديان

للاستاذ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

كان ما تسرب إلى بلاد العرب من اليهودية والنصرانية قبل الإسلام قد نضحت عليه الوثنية الضاربة هنك يومئذ أطنابها ، ولم يكن المجوس والصابئة أهل توحيد خالص وإن ألحقوا بأهل الكتاب

قال الشافعي : بعثه والناس صنفان :

أحدهما أهل كتاب بدلوا من أحكامه وكفروا بالله فافتعلوا كذباً صاغوه بألسنتهم فخلطوه بحق الله الذي أنزل إليهم . فذكر تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من كفرهم فقال :

« وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »[1]

ثم قال عز ذكره :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »[2]

وقال تبارك وتعالى :

« وقالتْ اليهودُ عزيرٌ ابنُ اللهِ ، وقالتْ النصارَى المسيحُ ابنُ اللهِ ، ذلكَ قولهمْ بأفواههمْ يضاهئونَ قولَ الذينَ كفرُوا منْ قبلُ قاتلهمْ اللهُ أنَّى يؤفكونَ ؛ اتخذُوا أحبارهمْ ورهبانهمْ أرباباً منْ دونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مريمَ وما أُمرُوا إلاَّ ليعبدُوا إلهاً واحداً لا إلهَ إلاَّ هوَ سبحانهُ عمَّا يشركونَ »[3] . وقال تبارك وتعالى :

« ألمْ ترَ إلى الذينَ أوتُوا نصيباً منَ الكتابِ يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوتِ ويقولونَ للذينَ كفرُوا : هؤلاءِ أهدَى منَ الذينَ آمنُوا سبيلاً ، أولئكَ الذينَ لعنهمْ اللهُ ومنْ يلعنِ اللهُ فلن تجدَ له نصيراً »[1]

وصنف كفروا بالله فابتدعوا ما لم يأذن به الله ونصبوا بأيديهم حجارة وخشباً وصوراً استحسنوها ، ونبزوا أسماء افتعلوها ودعوها آلهة عبدوها ، فإذا استحسنوا غير ما عبدوا منها ألقوه ، ونصبوا بأيديهم غيره فعبدوه ، فأولئك « العرب »

وسلكت طائفة من العجم سبيلهم في هذا وفي عبادة ما استحسنوا من حوت ودابة ونجم ونار وغيره ، فذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم جواباً من جواب بعض من عبد غيره من هذا الصنف فحكى جل ثناؤه عنهم قولهم : « إنَّا وجدنَا آباءنا على أمةٍ وإنَّا على آثارهمْ مقتدونَ[2] » وحكى تبارك وتعالى عنهم أنهم قالوا : « لا تذرُنَّ آلهتكمْ ولاَ تذرنَّ ودًّا ولا سواعا ، ولا يغوثَ ويعوقَ ونسراً وقد أضلُّوا كثيرا[3] » (كتاب الرسالة ص ٢ — ٣)

ويبين من كلام الشافعي أن الأديان التي كانت تظل بلاد العرب وما والاها عند ظهور الاسلام كانت ما بين دين وثني يقوم على الشرك من أساسه ، وما بين أديان تقوم على الوحي الذي لا يأتي بغير التوحيد ، لكنها انحرفت عن سبيل الوحي فأصابها شوب من الشرك

وكان محمد صلوات الله وسلامه عليه يدعو الناس كافة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، لا يميز في هذه الدعوة بين مشركين وأهل كتاب

وإذا كان القرآن ينادي :

« قل يا أهلَ الكتابِ تعالَوْا إلَى كلمةٍ سواء بيننا وبينكمْ ألاَّ نعبدَ إلاَّ اللهَ ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنَا بعضاً أرباباً

(١) سورة ٣ آل عمران مدنية آية ٧٨
(٢) سورة ٢ البقرة مدنية آية ٧٩
(٣) سورة ٩ التوبة مدنية آية ٣٠ — ٣١

(١) سورة ٤ النساء مدنية آية ٥١ — ٥٢
(٢) سورة ٤٣ الزخرف مكية آية ٢٣
(٣) سورة ٧١ نوح مكية آية ٢٣

مِنْ دونِ الله ، فإن تولَّوْا فقولُوا اُشهدُوا بأنّا مسلمونَ (١) »

فإن القرآن يقول أيضاً :

« إنَّ الذينَ آمنوا والذين هادُوا والنصارَى والصابئِينَ مَنْ آمنَ بالله واليوم الآخرِ وعملَ صالحاً فلهمْ أجرُهمْ عندَ ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا همْ يحزنونَ (٢) »

لا تختلف دعوة محمد حين توجه إلى أهل الشرك الصراح من وثنيّي العرب ، أو إلى أهل الكتاب بلا نزاع من اليهود والنصارى ، أو إلى من يشتبه أمرهم ويختلط الرأى فيهم من الصابئة والمجوس

دعوة محمد إلى كل أولئك هى الدعوة إلى الدين الحق الواحد الذى لا يتغير بتغير الأنبياء والذى هو هدى أبداً

ولما كان دين الحق واحداً أوحاه الله إلى جميع أنبيائه وبينه فى كل كتبه المنزلة فقد كان من الطبيعى أن يعتبر محمد أتباع الوحى ممن لهم كتاب أو شبهة كتاب أدنى إلى دعوته وإن حرفوا فى دينهم ، وأرجى أن يثوبوا إلى ما فى أصول مللهم من اخلاص العقيدة لله وحده

من أجل هذا اختلف حكم الاسلام فى بعض المعاملات بين المشركين وأهل الكتاب ، فالمشركون لا تؤكل ذبائحهم ولا يتزوج لمسلم منهم ، وإذا غلبهم المسلمون فى الجهاد لم يأخذوا منهم جزية ولم يكن لهم سبيل إلا أن يخرجوا من شركهم الى حظيرة التوحيد

أما أهل الكتاب فتؤكل ذبائحهم ويتزوج المسلمون منهم ، وإذا هزموا فى الحرب واستولى المسلمون على ديارهم فللمسلمين أن يأخذوا منهم الجزية ليحموهم مما يحمون منه أنفسهم وأموالهم ثم يتركوهم فى دينهم أحرارا

ولا خلاف بين المسلمين فى أن اليهود والنصارى أهل كتاب ، وأن وثنيّ العرب فى الجاهلية مشركون

واختلفت الروايات والأقاويل فى حكم الصابئة والمجوس هل يلحقون بأهل الكتاب أم يلحقون بالمشركين

ولا شك أن ما عرف من أديان البشر بعد ذلك مما لم يكن معروفاً للعرب ، فيه للرأى والاجتهاد مجال من جهة إلحاقه بالشرك أو بأديان أهل الكتاب

وجملة القول أن محمداً يرى التوحيد دين الله الحق ، وفطرة الله التى فطر الناس عليها ، فالمشركون عبدة الأوثان منحرفون عن فطرة الله ، ضلون عن صراطه المستقيم ، ومن عداهم قريبون من الإسلام الذى جمع الرسول صلوات الله وسلامه عليه جوهره فى قوله لمن سأله عنه : « قل آمنت بالله ثم استقم »

مصطفى عبد الرازق

(١) سورة ٣ آل عمران مدنية آية ٦٤
(٢) سورة ٢ البقرة مدنية آية ٦٢

زوجـة وفت !..

للاستاذ محمد سعيد العريان



همَّ الفتى (أبو العاص ابن الربيع . . . . : ابن عبد شمس) ينصرف من مجلس خالته (خديجـة بنت خويلد) رائحاً إلى داره، وإن فى نفسه لحديثاً ما ان يحاول بيانه ولا طاقة له بأن يكتمه.. ونظرت خديجةُ فى وجه الفتى الذى اتخذته ولداً، وقد ثكلت الولد، فأنكرته وما تَنكرتْ حديث عينيه؛ ثم عادت تنظر إلى ابنتها (زينب) فتطيل النظر، فما لبثت أن ألهمت الرأى مما نظرت فى وجه الفتى والفتاة ...

وسعت خديجة الى زوجها تستعينه وتشير عليه: «يا محمد! أرأيت الى ابن أختى (هالة) — أبى العاص بن الربيع — إنه لذو جاه ومال وأمانة، وهو منا ومنك حيث علمت، نعم الفتى القرشىّ... أفترى أن تتخذه ختَناً وولداً فتزوجه زينب... ؟»

وافتر ثغر النبىّ الكريم عن ابتسامة الرضى، فما كان ليخالف خديجة فى رأى تراه؛ ولها فى نفسه ما لها من الحب والاعزاز، وهى فى نفسها مَن هى فى أصالة الرأى وحسن التقدير . . .

وزفت زينب بنت محمد، الى أبى العاص بن الربيع ..

ومضت خديجة الى الزوجين المتحابين تبارك لهما وتدعو، أطيب ما تكون نفساً وأهنأ فكراً ... ومدت يمناها الى طوقها تخلع قلادتها لتجعلها فى عنق زينب، هديةَ عروس ..

ونعم الزوجان بالسعادة حيناً فى دنيا من الحب والوفاء والايثار ...

***

وأشرقت الأرض بنور ربها، وانبثق الفجر من غار حراء، يسعى محمدٌ فى نوره داعياً الى دين الله والى نبذ الشرك وعبادة الأوثان؛ فصدّق من صدّق واتبعه على هدى وبصيرة، ولجّ من لج فى الطغيان والعناد، وآمنت زينب فيمن آمن، ولكن أبا العاص لم يَهُن عليه أن يخلع دينه ... وضرب الزمن ضربته بين القلبين المتحابين فباعد بينهما الى حين

أسفت زينب، ونال منها اصرار أبى العاص على الكفر أى منال، وأسف أبو العاص، ونال منه اسلامُ زوجته مثلَ ما نال منها كفره؛ وشعر كلا الزوجين أن قوة أكبر من الحب تحاول أن تفصم عروته وتحلّ وثاقه: أما أحدهما فأعلن التمرد والعصيان، وقال لصاحبته: «لن ينال مما بيننا يا زينب أن تكونى على دينك وأثبت على دينى، فلن أسلمك للفراق .... !»؛ وأما هى فقالت: «قليلا يا صاحبى، لست حِلاً لك وأنت على ذاك الدين، فأسلمنى لربى أو أسلم معى.. لن تكون زينب لك بعد اليوم إلا أن تؤمن بما آمنت!»

واصطرعت فى نفس الزوج المحب قوتان تتجاذبانه: حفاظه على ذلك الدين الذى أورثه آباؤه، وذلك الحب الطاغى المستبد الذى يحاول أن ينتزع امرأة مسلمة من دينها الذى آمنت به .. وأطرق الزوجان ساعة، ثم التقى النظران ... وفرق الدين بينهما جسدين، وظل قلباهما مؤمنين بالحب؛ وعاشا يظلهما سقف واحد ولا يلتقيان إلا نظرات ... وتصرمت سنون ..

***

ودعت قريش الى النفير العام: «يا أهل مكة، الى بدر، الى بدر؛ إن محمداً وأصحابه قد وقفوا لتجارتكم على الطريق بين الشام ومكة، فرُدوا عليهم كيدهم ... !»

وخرج أبو العاص فيمن خرج من المشركين إلى لقاء محمد وأصحابه فى بدر، ليُجازوهم بما اعتدوا؛ وظلّت زينب فى دارها تنتظر . . . إن هنالك قوتين تصطرعان، وموجتين تتدافعان،

ما تدرى لأيهما تتمنى الغلبة ، بلى ؛ إنها لتدرى ، فهنالك أبوها محمد ، لو لم تحببه وتتمنّ له النصر لأنه أبوها ، لأحبته وتمنت لأنه رسول الله ، لأنه قائد جيش الاسلام ، لأن إلى جانبه فى الصف إخوتها فى الله . . . ولكن . . . ولكن زوجها . . . وجلست تدعو الله : اللهم اجعل الدائرة على المشركين ، ولكن نج أبا العاص . . . !

وعاد الركب المنهزمون ينبئونها : « يا زينب ، لقد دارت علينا الدائرة ، ونال منا المسلمون كلّ منال ، يا زينب ، ولكن أبا العاص فى الأسرى ، لا ندرى ماذا سيفعل بهم أصحاب محمد . . . ! »

فما توانت الزوجة الوفية هنيهة ؛ لقد كان لديها من مال زوجها ما تفتديه به ، لديها المال والنعم ، ولكنها نظرت أمراً . . ورفعت يدها إلى صدرها فخلعت قلادتها ، ثم شيعت بها الرسول يفتدى بعقد خديجة ابن أخت خديجة وختَنَ محمد . . . وجعلت هدية عرسها من أمها مهر الحرية للزوج الذى فقدته مرتين . . .

وذهب رسول زينب يسعى عن أمرها حتى وقف على محمد : « يا محمد ، هذا مال من مال أبى العاص ، وهذه قلادة خديجة بنت خويلد ، بعثتنى بهما زينب فى فداء أبى العاص . . . ! »

ونظر رسول الله إلى القلادة نظرةً جمعت له الزمان كله فى لحظة فكر ، واحتشدت صور الماضى أمام عينيه من خلل حبات العقد الغالى ، ورفّت فى ذهنه صورٌ حبيبة اليه ، فكأنما نشرت خديجة من موت ، وكأنما انطوت البيداءُ بزينب ، فاجتمعتا اليه تسألان العفو عن هذا الأسير . . . ونظر محمد فى أصحابه فقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا . . ! »

وعاد أبو العاص إلى مكة ، وفى نفسه صورة أكثر إشراقاً لهذه الزوجة البرة الكريمة ، ولكنه عاد لا ليشكر لها ما منّت عليه ، بل ليقول : « عودى إلى أبيك يا زينب ! » وفاء بما أخذ عليه رسول الله من عهد بأن يطلقها تسير إليه . . . وخنقته العبرة فما استطاع أن يتمالك ولا أن يشيعها إلى طرف البادية ؛ ومن أين له أن يجد فى نفسه القدرة على توديع من يحب ، وإنه ليعلم أنه الوداع الأخير ما دام سلطان هذا الدين قائماً بين القلبين . . . :

ومضى يقول لأخيه كنانة ابن الربيع : « يا أخى ، إنك لتعلم موضعها من نفسى ، فما أحب أن لى بها امرأة من قريش ؛ وإنك لتعلم أن لا طاقة لى بأن أفارقها ، فاصحبها عنى إلى طرف البادية ، حيث ينتظرها رسولا محمد (بطن يأجج) ، وارفق بها فى السفر . وارعها رعاية الحرمات ولو نثرت دونها كنانتك ، لا يدنو منها رجل حتى تبلغ . . . ! »

وافترق الزوجان فلا سبيل إلى لقاء ؛ وأقام أبو العاص بمكة لا يعيش فى أيامه ، وأقامت زينب عند رسول الله بالمدينة معتلّة البدن واهنة القلب ، لولا الايمان والتقى يشدان من عزمها ويربطان على قلبها لأعجلها الموت ولم تظفر بلقاء . . .

* * *

ومضت سنوات وسنوات ؛ وخرج أبو العاص فى تجارة الى الشام ، يحمل من أموال قريش وبضاعتها فوق ما يحمل من ماله وبضاعته ، وبلغ حيث أراد ، فباع واشترى وتعوض ، ثم قفل راجعاً بمال كثير وربح جم ؛ وفيما هو على الطريق إذ لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معه وأعجزهم هارباً ؛ وآب المسلمون إلى المدينة فرحين بما أفاء الله عليهم ، ووقف أبو العاص على رأس شاهقة يتلفّت صِفر اليدين ، فما وجد إلا الصحراء تبرق بالحصى ، ومد النظر إلى بعيد ، فما عرف له طريقاً يسلك ، وخُيّل اليه أن وراء كل ثنيةٍ فارساً معلماً يتربص به لقد فقد ماله ومال الناس ، ولا سبيل إلى أن يرد الأمانات إلى أصحابها ، وإنه لوشك أن يفقد حياته بعد ما فقد ماله وأمانته ؛ واجتمع عليه الهم فما درى أين النجاة لنفسه ولعرضه مما عرض له . إن النحس ليلاحقه فى كل مسير . . . وعادت اليه الذكرى . ورجع الزمانُ القهقرى أمام عينيه ، كما يجتمع التاريخ بزمانه ودنياه فى لحظة ومكانٍ لعينَى محتضر ؛ وتذكر من قريب تلك الحبيبة التى أحيته مرتين : حين وهبت له الشعور بالحياة فى الحب ، ثم حين وهبت له الحياة نفسها وافتدته عند أبيها بقلادة خديجة . . . وخُيل إليه أنه يراها ، وأنه يحدثها فتستمع اليه ، فهمس : « أتهبين لى الحياة ثالثةً يا زينب . . . ! »

وأقبل أبو العاص إلى المدينة تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ؛ فاستجارها وطلب إليها أن تعينه على رد ماله ، فأجارته . . .

وأصبح الناس يسعون إلى المسجد ، وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر الناس معه ؛ وإذا صوت يهتف من وراء جدار : « أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . . . فهو في حمايتي وأمني ! » وكانت زينب هي التي تهتف . . .

وفرغ النبي من صلاته فأقبل على الناس فقال : « أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ . . . أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم . انه يجير على المسلمين أدناهم . . . ! » ثم دخل على ابنته فحدثها وحدثته . وأكبر محمد أن يرى في ابنته هذا الوفاء لزوجها الذي فارقته لأمر الله . وامتنعت عليه لأمر الله ، وقطعت ما بينه وبينها من شهوات النفس لأمر الله ؛ ثم ما برحت مع كل أولئك تمنحه البر والوفاء والمعونة ؛ برّ المسلمة ، ووفاء الصديقة ، ومعونة الانسان . . . ونال من نفس النبي ما سمع وما علم ، فأضمر في نفسه رجاء الى الله . . .

ثم بعث الى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال : « ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ؛ فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك ؛ وان أبيتم ، فهو فيء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . . . » قالوا : « بل نرده عليه . . . » . وقال نفر منهم : « يا أبا العاص ، هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ؟ فانها أموال المشركين . . . » فقال الرجل : « بئس ما أبدأ به اسلامي أن أخون أمانتي . . . ! » واستعلنت كبرياؤه وأمانته وهو بين ذلة المستجير وأسر الفقر ، وأطلت نفسه المؤمنة بفطرتها من وراء ظلمات الشرك الذي يجهر به ، مستكبراً أن يبيع دينه بالمال . . . !

وردوا اليه ماله ، كرامة لرسول الله واكباراً لزينب ، وعاد الرجل الى مكة بماله ومال الناس ، ونفسه تفيض بمعان شتى ، وبين عينيه صورة لا تفارقه ، وفي قلبه وجيب لا يهدأ ، وعلى طرف لسانه كلام . . . فلما بلغ أدى الى كل ذي مال ماله ، ثم قال : « يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال ؟ »

قالوا : « لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً . »

قال : « فأنا أشهد أن لا آله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . والله ما منعني من الاسلام عنده الا تخوف أن يظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت . . . »

***

وخرج أبو العاص بن الربيع الى المدينة يهديه نوران في قلبه وأمام عينيه ، وسار في مثل موكب العروس تتدافعه المنى على رمال الصحراء ، الى حيث يجد نور اليقين وأنس الحبيب ، في حديث محمد وفي وجه زينب ، وتلاقى الزوجان المتحابان مرة ثانية ، بعد فراق طويل مر من دونه سنوات وسنوات وسنوات ، ولكن الزوجة الوفية كانت قد أدت واجبها وفرغت من دنياها حين هدت الرجل الذي أحبته ووفت له بمقدار ما أحبها ووفى ؛ فما مضى زمان بعد هذا اللقاء استكمل فيه الرجل أسباب دينه ، حتى كانت هي قد استوفت أنفاسها على الأرض ؛ وماتت زينب ولكنها خلفت ذكرى أطيب الذكرى ، وضربت المثل أبلغ المثل ، في وفاء الزوجة ، واخلاص المحبة ، وصدق الايمان

محمد سعيد العريان

على أبواب المدينة

ثنيــة الوداع*

للاستاذ على الطنطاوى

مضت ساعة كاملة، ونحن نعالج السيارة لنخرجها من الرمل، نرفعها طوراً بالآلة الرافعة وطوراً بأيدينا، ونزيح الرمال من طريقها، ثم نمدّ لها ألواح الخشب لتمشى عليها، ونجرّها بالحبال، وندفعها بالأيدى حتى إذا سال منا العرق، ونال منا التعب مشت على الألواح، حتى إذا وصلت إلى نهايتها، عادت فغاصت فى الرمل الى الأبواب ... ...

فأيسنا وبلغ منا الجهد، وهدّنا الجوع والتعب والحرّ والعطش، فألقينا بأنفسنا على الرمل صامتين مطرقين. حيارى قانطين

وتلفتّ فلم أر إلاّ الرمال المحرقة، تمتد الى حيث لا يدرك البصر، متشابهة المناظر، متماثلة المشاهد ...

فى مَهمهٍ تشابهت أرجاؤه، كأن لون أرضه سماؤه، فرحت أفكر فى هذه السبعة عشر يوماً، وماقاسينا فيها من الجزع والتعب والجوع والعطش، وأتصور الغد الرهيب الذى ينفد فيه ماؤنا وزادنا، ويلفحنا فيه سموم الحجاز وشمسه المحرقة، فأرتجف من الرعب وجعلت أحدّ النظر فى هذا الأفق الرحيب، لعلى أرى قرية أو خياماً، فلا أرى إلاّ لمع السراب، ولا أبصر إلاّ هذه الجبال التى طلعت علينا أمس فاستبشرنا بها وابتهجنا وظنناها قريبة منا، فسرنا مائة وعشرين كيلاً وهى قيد أبصارنا، تلوح لنا من بعيد كأنها بحر معلّق حيال الأفق ضائع بين السماء والأرض... لم تضح ولم تقترب

فشققت هذا السكون وصحت بالدليل (محمد المَطَوى)

— يا محمد! إيش تكون هذه الجبال؟

— فقال: هذه يا خوى جبال المدينة، وحَنّا (ونحن) إن شا الله الظهر فيها

— قلت: ما تقول؟

ووثبت وثبة تطاير منها اليأس والخمول عن عاتق، وأحسست كأن قد صبّ فى أعصابى عزم أمة، وقوة جيش، وظننت أنى لو أردت السحاب لنلته، ولو غالبت الأسد لغلبتها، ولو قبضت على الصخر لفتّته، وجعلت أقفز وأصرخ، لا أعى ما أنا فاعل. فقد استخفنى الفرح، وسرّنى من هذه الكلمة أكثر ما يسرّنى أن يقال لى: أنت أمير المؤمنين

وصحت بأصحابى فقاموا كالأسود

***

عالجنا السيارات حتى أخرجناها من الرمل، وملنا بها عن هذه الكثبان حتى ألقيناها عن ايماننا، وانتهينا الى أرض شديدة درجت عليها السيارات، فاستندت الى النافذة، وأطلقت نفسى تطير فى سماء الأمانى، فلم أدع صورة للمدينة إلاّ تصورتها، وأقمتها أمام عينىّ، وأفضت عليها ما أستطيع من الجمال والجلال، فلا أطمئن إليها، ولا أجدها إلاّ دون مافى نفسى ... ولم يكن يربطنى بالأرض إلا صوت الدليل، وهو يهتف بالسائق:

— سر يميناً، مل شمالاً، لج بين هذين التلّين، دع هذه القارة على اليمين، احترس من هذا الشعب، تنكب هذه الرملة.. ثم يعود السكون

سرنا أربعين كيلاً أخرى، ولا تزال هذه الجبال تلوح فى الأفق كأنها خيال حلم بعيد، يشعّ منها نور غريب، يومض من وراء القفر، كما يومض الأمل المشرق فى ظلمة اليأس، وكنا قد شارفنا سكة الحديد فتخطيناها مستعبرين، ودخلنا فى أودية ما لها آخر غابت عنا فيها الجبال التى كنا نراها، فنتستأنس بمرآها وقاسينا فيها الشدائد من التواء الأرض وكثرة الأحجار وتشابه المسالك، ولم يكن فينا من ينبس، الاّ أن يعرض لنا جبل أو شعب فأسأل الدليل عن اسمه لأكتبه فى دفترى الذى سُرق منى فى آخر الرحلة ... ثم أرجع الى صمتى الطويل

(*) انظر مقالينا (فى طريق المدينة) الرسالة ٩٧ والرسالة ١٢٨

فلما زال النهار ، صاح بى الدليل :

— هيه . انت يالْ كاتب . اكتب : هذا أحد :

— فصحت : اذن قد وصلنا

— فقال : ما قلت لك الظهر ، هذا أحد ، بقى نصف ساعة .

لم يكن يدرى الدليـل الاعرابى أىّ ذكريات انبعثت فى نفسى حين قال : هذا أحد ! وأىّ عالم تجلى لعينىّ ، فرأيت المعركة قائمة والمسلمين ظافرين ، قد منحهم الله أكتاف العدوّ ، ورأيت الرّماة اذ يزلون عن أماكنهم ، يبتدرون الغنائم ، وخالداً حين يرتد بخيله على هؤلاء الذين عصوا أمر الرسول وغرّتهم الدنيا ، ورأيت النبىّ صلى الله عليـه وسلم ثابتاً مثل أحد ، وحوله صحابته الغرّ الميامين ، يذبون عن الدين ، ويحمون حمى النبوة ، ثم أبصرت هنداً قائمة على جثة البطل السميذع ، سيد الشهداء ، وكان قد أكل فى بدر كبدها ، فأرادت أن تأكل كبده ، فشقت عنها فاستخرجتها فلاكتها ، فلما وجدت بفيها صلادة الصوان لفظتها

وأبصرت النبى صلى الله عليـه وسلم واقفاً عليه يبكى ، فلما رأى ما مثل به شهق ، ولم يكن منظر أوجع لقلبه منه ، ثم قال :

رحمك الله ياعم ، فلقد كنت وصولاً للرحم ،فعولاً للخيرات ، فوالله لئن أظفرنى الله بالقوم لأمثلن بسـبعين منهم ، فما برح حتى هبط عليه الوحى ، فقام يتلو قول الله جل وعزّ :

« وإن عاقَبتم فَعَاقِبُوا بمثل ماعُوقبتم بهِ » فانصرف وقد عفا

ورنّ فى أذنى صوت أبى سفيان : أعل هبل ، فتلفت ، فما رأيت هبل ، ولا شيعة هبل ، وإذا هو قد درج مع من درج ، لم يبق إلاّ الله الأعلى الأجل ، ثم سمعت صوت أبى سفيان يرنّ فى أذنى مرة ثانية ، يخرج من هناك من أرض الشام ، التى فتحها لهم سيد العـالم ، قوياً شديداً ، ينادى فى المعركة الحمراء ، بصوت سمعه كل من فى اليرموك :

يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات ، يامعشر المسلمين . فثبتوا وجاءهم النصر وملـكوا سورية من أقصاها إلى أقصاها فهى لهم ولأبنائهم الى يوم القيامة ، ورأيت مئات من مثل هذه الصور ، فأحسست كأنما انتقلت الى العهد الأول ، أشهد هبوط الوحى ، وأرى جلال النبوة وعزة الاسلام . . .

ونظرت ، فاذا أحد لا يزال بعيداً ، يعترض هذا الوادى الذى نسير فيه مشرقاً بهياً ، تومض عروقه المختلفة الألوان من الأخضر البهىّ ، إلى الأحمر المشرق ، الى الأزرق اللامع ، فتمتزج هذه الألوان وتختلط ، فيكون لها فى العين أبهى منظر ، وفى القلب أسمى شعور ، فازداد بى الشوق ، فأقبلت أحثث السائق وأستعجله ، أود لو تطوى له الأرض طياً أو يطير بنا الى المدينة طيراناً ، فلا أرى السـيارة تريم مكانها ، وأجد أحداً لا يزال بعيداً ، فأعود فأستحث السائق . . . ومالى لا أسرع إلى أحد وأحبه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحد جبل يحبنا ونحبه . ومالى لا أزداد شوقاً الى المدينة ، وليس بينى وبينها إلاّ ربع ساعة ؟

وأعظم مايكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

* * *

ولـما خرجنا من الوادى ، وانتهينا الى الفضاء الرحب ، رأينا وجه أحد وعلى سفحه النخيل والبساتين ، ورأينا سلعاً وهو جبل أسود عال ، يقوم حيال أحد فيحجب المدينة وراءه ، فلا يبدو منها إلاّ جانب الحرة ، وطرف النخيل ، فذكرت قول محمد بن عبد الملك وقد ورد بغداد فحنّ إلى المدينة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بسلع ولم تغلق علىّ دروب
وهل أحد بادٍ لنـا وكأنه حصان امام المقربات جنيب
يخب السراب الضحل بينى وبينه فيبدو لعينى تارة ويغيب
فان شفائى نظرة ان نظرتها الى أحُدٍ والحرتان قريب
وانى لأرعى النجم حتى كأننى على كل نجم فى السماء رقيب
وأشتاق للبرق اليمانى إن بدا وأزداد شوقاً أن تهب جنوب

* * *

وكان علينا أرطال من الغبار والأوساخ ، فاستحيينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ندخل مدينته ونسلم عليـه ، ونحن على مثل هـذه الحال ؛ وكانت البساتين والحيطان قريبة منا ، فسرنا اليها ، نخب فى الرمل ، فلما دنونا من أحدها ، سمعت غناء موقعاً على ناى ، كأشجى وأطرب ما سمعت من الغناء فتعجبت ، ثم ذكرت أن أهل المدينـة مذ كانوا أطرب الناس وأبصرهم بالغناء ، وهممت بالدخول ، ثم أحجمت وقلت :

لعل المغنى امرأة ، فلقـد كان الذى سمعت صوتاً طرباً رقيقاً لا يكون إلاّ لامرأة أو غلام ، ثم حانت منى التفاتة ، من فرجة

الباب ، فاذا المغنى عبد أسود كالليل ، واذا الذى حسبته ناياً ناعورة يديرها جمل ، لها مثل صوت النواعير فى حماه لكن صوتها أرق وأحلى ، واذا هذا السوو الذى تلطمه الصحراء برمالها كما تضرب الأواذىّ صخرة الشاطئ ، قد عرش على جانبه الآخر الياسمين ، وأزهر عليه الفلّ ، وظللته الأشجار وحنا عليه النخل ، ورأينا الماء يهبط على الساقية ، كأنه ذوب اللجين ، ثم يجرى فيها صافياً عذباً متكسراً ، فجننا برؤية المـاء الجارى ، ولم نكن قد رأيناه منذ سبعة عشر يوماً ، الا مرة واحدة فى العلا ، واقتحمنا الباب ، وأقبلنا على الماء نغمس فيه أيدينا ، وأرجلنا ، ونضرب به وجوهنا ، ثم لا نشبع منه ولا ننصرف عنه ، حتى أرحنا رائحة الحياة ، فاستلقينا على الأرض ننظر الى الصحراء الهائلة ، التى أفلتنا منها وضرب بيننا وبينها بسـور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب

* * *

اغتسلنا ولبسنا ثياباً بيضاء نظيفة ، وتطيبنا ، ثم ركبنا فى السيارات الى المدينة ، فلم نقطع سلعاً حتى بدت لنا المدينـة كصفحة الـكف ، يحف بها النخيل ، وتـكتنفها الحرار ، وتقوم فى وسطها القبة الخضراء ، تشق بنورها عنان السماء ، وتـكشفت لنا دنيا كلها خير وحقيقة وجمال ، وعالم كله مجد وفضيلة وجلال

من هنا خرج جنـد الله الثلثمائة الى بدر ، فدكوا صرح الاستبداد والجهالة ، ورفعوا منار الحرية والعلم ، أقاموه على جماجم الشهداء ، وسـقوه هاتيك الدماء ، فأضاء نوره الجزيرة كلها ، ثم قطع الرمل ، فأضاء الشام والعراق ، ثم قطع البحر فأضاء الهند واسبانية ، فاهتدى به الناس الى طريق الـكمال الانسانىّ

من هنا خرج الأبطال الذين هدموا وبنوا وعلموا : هدموا الدول المتفسخة الجاهلة التى وقفت فى طريق الحضارة ، فلا هى تتقدم بها ولا هى تدعها تمشى فى طريقها . وبنوا الدولة التى ألفت بين فلسفة يونان وحضارة فارس وحكمة الهند ، وجعلتها جميعاً سِفرا واحداً فاتحته القرآن ، وروحه الاسلام ، ثم جلسوا على منابر التدريس فى جامعات بغداد ومصر وقرطبة ليعلموا العالم ، فـكان من تلاميذهم ملوك أوروبا وباباواتها ...

من هنا خرج أبو بكر وعمر ، وعبد الملك والمنصور والرشيد وعبد الرحمن الناصر وصلاح الدين وسليمان القانونى

من هنا خرج أبو حنيفة ومالك وسفيان والنووى والغزالى والفارابى وابن سينا وابن رشد

من هنا خرج خالد وسعد وقتيبة وطارق وسيف الدولة والغافقى

من هنا خرج حسان والفرزدق وجرير وأبو تمام والمتنبى والمعرى

من هنا خرج الجاحظ وأبو حيان وابن حزم

من هنا خرج الف ألف عظيم وعظيم

تقدست أيتها المدينة ... أم المدن ، وظئر العظماء ؟

* * *

وكنا قد بلغنا هذا المضيق الصخرى ، بين هضبتى سلع ، فنظرت فى خريطة للمدينة كانت معى ، وقلت للدليل : أما هذا ذِبِب ؟ قال : بلى والله فمايدريك أنت ؟

قلت : أما هذا مسجد الراية ؟ قال : بلى . قلت : هذه هى ثنية الوداع ، وخفق قلبى خفقاناً شديدا ، وخالطنى شعور بالهيبة من دخول المدينـة ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فى نفسى من الفرح والسرور ، وجعلت أتأمل المدينة ، وقد دنونا منها ، حتى لقد كدنا نصير بين البيوت ، وأحدّق فى القبة الخضراء التى يثوى تحتها أفضـل من مشى على الأرض وقد شخص بصرى وكدت لا أرى ما كان حولى لفرط ما أحس من جيشان العواطف فى نفسى ... حتى غامت المشاهد فى عينىّ ، وتداخلت كأنها صورة يضطرب بها المـاء ، وأحسست كأنى قد خرجت من نفسى ، وانفصلت من حاضرى وذهبت أعيش فى عالم طلق لا أثر فيه لقيود الزمان والمكان ، فسمعت أصواتاً آتية من بعيد ... من بعيد ، وسمعتها تزداد وتقوى ، حتى تبينت فيها قرع الطبل ، ووعيت أصوات الولائد ، يضربن بالدفوف وينشدن :

طلع البـدر علينا من « ثنيات الوداع »

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ورأيت المدينة قد سالت بأهلها ، فملأ الناس الحرّة وسدّوا الطرق ، وغطى النساء الأسطحة ، ولم يبق فى المدينة أحد إلا خرج لاستقبال سيد العالم ، وهو قادم ليس معه صلى الله عليه وسلم إلا الصديق الأعظم ، لا يلمع على جبينه التاج المرصع ، ولا يحمل فى يده صولجـان الملك ، ولا تسير وراءه العساكر والجنود ، ولـكن يضيء على جبينـه نور النبوة ، ويحمل فى يده هدى القرآن ، وتسير وراءه الأجيال ، ويتبعه المستقبل ، وتحف به الملائكة ، ويؤيده الله !

ثم سار وسارت وراءه هذه الجموع إلى القرية التي لبثت قروناً ضائعة بين رمال الصحراء ، لا يدرى بها التاريخ ، ولم تسمع بها القسطنطينية ، ولم تعلم بوجودها روما ، فجاء هذا الرجل ليهزها وينفخ فيها روح الحياة ويجعلها أم الدنيا وعاصمة الأرض

إلى المعشر اليمانين الذين جعلوا بأسهم بينهم ، فلم تمتد عيونهم إلى أبعد من هذه الحرار ، ولم يطمعوا من المجد بأكثر من أن يسحق بعضهم بعضاً ، لينشئهم بالقرآن خلقاً آخر ، ويسلمهم مفاتيح الأرض ، ويضع في أيديهم القلم الذين يكتبون به أعظم تاريخ للبطولة والعلم والعدالة ، فأطاعوا ولبوا ، ثم مشوا إلى القادسية واليرموك ، ثم أصبحوا سادة العالم ، ورأيت الأنصار يستبقون إلى إنزاله صلى الله عليه وسلم والتشرف به ويصيحون به :

هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة ، فيقول : خلوا سبيلها فانها مأمورة ، ويدعها تمشى وقد أرخى لها زمامها ما يحركها وهى تنظر يميناً وشمالاً ، حتى أتت دار بنى مالك النجار فبركت عند باب المسجد ، ثم ثارت وبركت في مبركها الأول

فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال : ههنا المنزل إن شاء الله ، وكان المسجد مربداً لغلامين يتيمين في المدينة ، فاشتراه صلى الله عليه وسلم وانطلق يحمل الأحجار بيده الكريمة ليضع أسس أكبر جامعة بثت الهدى في الأرض !

* * *

ونظرت فاذا السيارات أمام باب السلام ، فاشرأبت الأعناق وبرقت الأبصار ، ودمعت العيون ، وخفقت القلوب ، وتعالى الهتاف ، وكانت حال لا سبيل الى وصفها قط

فنزلنا ودخلنا المسجد نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ...

علي الطنطاوي

علم الحيل عند العرب

للأستاذ قدري حافظ طوقان

لقد أصبح علم الطبيعة من العلوم التي لها اتصال وثيق بالحياة. وشأن عظيم في تقدم المدنية الحديثة القائمة على الاختراع والاكتشاف، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن علم الطبيعة هو الأس الذي شيد عليه صرح الحضارة الحالية. وهو لم يتقدم تقدماً محسوساً إلا حينما أشرف القرن التاسع عشر للميلاد على ختامه. وفي هذا القرن — القرن العشرين — دبت إليه عوامل التحوّل واعتنى به علماء عصرنا عناية فائقة، فأنشأوا المختبرات وأنفقوا عليها المبالغ الطائلة، وبلغوا في إتقانها درجة كبيرة استطاعوا بواسطتها أن يحلوا بعض المشاكل العلمية، وأن يجيبوا على مسائل كثيرة غامضة؛ وظهرت من ذلك عجائب الكون بصورة أوضح وأتم، واستخدم الانسان ما اكتشفه من نواميس الطبيعة والحياة فيما يعود عليه بالتقدم والرقي، فلولا بعض هذه النواميس ولولا فهمه إياها فهماً مكنه من الاستفادة منها لما كانت السابحات في السماء والعائمات على الماء، ولما كان في الامكان الغوص إلى أعماق البحار وجعل المولدات والمحركات الكهربائية في متناول الانسان، ولما استطاع أن يطوّق القارات بالأسلاك الكهربائية، وأن يملأ الجو بعجيج الأمواج اللاسلكية، وقد حملت على أجنحتها الأنباء والأخبار والحوادث . . . ولما نمت الصناعة هذا النمو الغريب. وازدهرت هذا الازدهار العجيب. وعلى كل حال يمكن القول إنه بفضل البحث العلمي وبفضل ما اكتشفه الانسان من القوانين الطبيعية وعلاقاتها مع بعضها سيطر الانسان على عناصر الطبيعة هذه السيطرة القوية، سيطرة جعلته يعمل من المستنبطات قوى يستخدمها في قضاء مآربه المتنوعة المتعددة، ويخضعها لتقوم بأعمال المدنية الحديثة المختلفة المعقدة، سيطرة أحدثت انقلاباً بعيد الأثر خطير الشأن في الحياة والحضارة . . . إن علم الطبيعة وهذا شأنه وتأثيره وهذه خطورته لجدير بنا أن نهتم به وأن نتعرف عليه ونقف على تطوره وتاريخه وأثر الأمم في تقدمه، ويهمنا بصورة خاصة أن نعرف مآثر أسلافنا وما أحدثوا فيه من النظريات والآراء. وسنتناول في هذا المقال المجهود العربي في علم الحيل — أي علم الميكانيكا — محاولين تبيان فضلهم عليه وما قدموه من جليل الخدمات في هذا الميدان

. . . إن علم الطبيعة من العلوم التي اعتنى بها الأقدمون فقد كان معروفاً عند علماء اليونان، وإليهم يرجع الفضل في اكتشاف كثير من مبادئه الأولية ولهم مؤلفات عديدة ترجم العرب أكثرها. ولم يكتف العرب بنقلها بل توسعوا فيها وأضافوا إليها إضافات هامة تعتبر أساساً لبعض المباحث الطبيعية. وهم الذين وضعوا أساس البحث العلمي الحديث وقد قويت عندهم الملاحظة وحب الاستطلاع، ورغبوا في التجربة والاختبار فأنشأوا (المعمل) ليحققوا نظرياتهم وليتأكدوا من صحتها. ومن الفروع التي أصابها شيء من اعتناء العرب واهتمامهم بحوث الميكانيكا أو علم الحيل، ومع أنهم لم يبدعوا فيه إبداعهم في البصريات إلا أنهم استنبطوا فيه بعضاً من المبادئ والقوانين الأساسية التي كانت من العوامل التي ساعدت على تقدمه ووصوله إلى درجته الحالية. لقد ترجم العرب كتب اليونان في الميكانيكا ككتاب الفيزيكس لأرسطوطاليس، وكتاب الحيل الروحانية، وكتاب رفع الأثقال لايرن، وكتاب الآلات المصوتة على بعد ستين ميلاً لمورطس، وكتب هيرون الصغير في الآلات الحربية، وقطزنيوس وهيرون الأسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه وغيرها. اطلع العرب على هذه المؤلفات ودرسوها ووقفوا على محتوياتها ثم أخذوها وأدخلوا تغييرات بسيطة على بعضها وتوسعوا في البعض الآخر، واستطاعوا بعد ذلك أن يزيدوا عليها زيادات تعتبر أساساً لبحوث علم الطبيعة المتنوعة. وليس في الامكان أن نجول كثيراً في هذا العجالة حول مآثر العرب في الميكانيكا، ولكن سنأتي على ذكر شيء من مجهوداتهم فيه وما قدموه من الخدمات لهذا الفرع من المعرفة، وما كان لهذه المجهودات ولتلك الخدمات من أثر بيّن في تقدمه ورقيه.

لقد كتب العرب في الحيل، وأشهر من كتب في هذا البحث محمد وأحمد وحسن أبناء موسى بن شاكر «ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد..»[1]

وهي — أي الحيل — شريفة الأغراض، عظيمة الفائدة،

(١) ابن خلكان — كتاب وفيات الأعيان — ج ٢ ص ٧٩

مشهورة عند الناس [١] ويحتوى هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكي عشرون منها ذات قيمة عملية [٢] . وكان علماء العرب يقسمون علم الحيل الى قسمين : الأول منهما يبحث فى جر الأثقال بالقوة اليسيرة وآلاته . والثانى فى آلات الحركات وصنعة الأوانى العجيبة . وألّف العرب فى علم مراكز الأثقال ، وهو « علم يتعرف منه ثقل الجسم المحمول ، والمراد بمركز الثقل حد فى الجسم يتعادل بالنسبة الى الحامل » [٣] ، ومن الذين ألفوا فيه أبو سهل الكوهى ، وابن الهيثم ، وبنو موسى

وكذلك للعرب فضل فى علم السوائل ، فلأبى الريحانى البيرونى فى كتابه الآثار الباقية شروح وتطبيقات لبعض الظواهر التى تتعلق بضغط السوائل وتوازنها ، ووضعوا فى هذا كله مؤلفات قيمة . وقد استنبطوا طرقاً واخترعوا آلات تمكنوا بواسطتها من حساب الوزن النوعى وكان لهم فيه ميل خاص ، وقد يكون ذلك آتياً من رغبتهم الشديدة فى معرفة الوزن النوعى للأحجار الكريمة وبعض المعادن ، وهم أول من عمل فيه الجداول الدقيقة فقد حسبوا كثافة الرصاص مثلا فوجدوها ١١,٣٣ بينما هى ١١,٣٥ والفرق بين المقدارين ضئيل

وفى كتاب عيون المسائل من أعيان المسائل لعبد القادر الطبرى جداول فيها الأثقال النوعية للذهب والزئبق والرصاص والفضـة والنحاس ، والصفر ، والحديد ، ولبن البقر ، والجبن والزيت ، والياقوت ، والياقوت الأحمر ، والزمرد واللازورد والعقيق ، والماء والبلخش والزجاج ؛ واستطاعوا أن يحسبوا أثقال هذه المواد النوعية بدقة أثارت اعجاب العلماء . وعمل البيرونى تجربة لحساب الوزن النوعى ، واستعمل لذلك وعاء مصبه متجه الى أسفل ، ومن وزن الجسم بالهواء وبالماء تمكن من معرفة المقدار المزاح ، ومن هذا الأخير ووزن الجسم بالهواء حسب الوزن النوعى . وقد وجد الوزن النوعى لثمانية عشر عنصراً ومركباً من الأحجار الكريمة والمعادن ، ويعترف سارطون بدقة تجارب البيرونى فى ذلك

واخترع الخازن آلة لمعرفة الوزن النوعى لأى سائل ، واستعمل بعض علماء العرب قانون أرخميدس فى معرفة مقدار

(١) القفطى — كتاب إخبار العلماء بأنباء الحكماء — ص ٢٠٨
(٢) كتاب تراث الاسلام — ص ٣٢١
(٣) الانصارى — ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد — ص ١١٠

الذهب والفضة فى سبيكة ممزوجة منهما من غير حلها . وعلى كل حال فالذين كتبوا فى الوزن النوعى كثيرون ، منهم سند بن على والرازى وابن سينا والخيام والخازن وغيرهم ، وكانت كتاباتهم مبنية على التجربة والاختبار ، واستعمل البعض موازين خاصة يستعينون بها فى ايجاد الكثافة ، فقد استعمل الرازى ميزاناً سماه الميزان الطبيعى [١] وله فى ذلك كتاب محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعى . وللخازن كتاب ميزان الحكمة كتبه سنة ١١٣٧ م وفيه وصف دقيق مفصل للموازين التى كان يستعملها العرب فى تجاربهم ، وفيه أيضا وصف لميزان غريب التركيب لوزن الأجسام بالهواء والماء [٢] ، ونجد فيه جداول الأوزان النوعية لكثير من المعادن والسوائل [٣] والأجسام الصلبة التى تذوب فى الماء [٤] وهذه الجداول دقيقة جداً ومستخرجة بطرق متنوعة . ويقول سارطون إن ابن سينا والخيام أوجدا طرقا عديدة لايجاد الوزن النوعى . وكتاب ميزان الحكمة المذكور من الكتب الرئيسية المعتبرة جدا فى علم الطبيعة إذ هو أكثر الكتب استيفاء لبحوث الميكانيكا ، وقد يكون الكتاب الوحيد الذى ظهر من نوعه فى القرون الوسطى . واعترف بلتن فى خطاب ألقاه فى أكاديمية العلوم الأمريكية بأهمية هذا الكتاب . ومن هذا الكتاب يستدل على أنه كان لدى الخازن آلات مخصوصة لحساب الأوزان النوعية ولقياس حرارة السوائل [٥] . وفى الكتاب نفسه بحث فى الجاذبية [٦] وبأن هناك علاقة بين سرعة الجسم الساقط والبعد الذى يقطعه والزمن الذى يستغرقه ، وبأن قوى التثاقل تتجه دائماً الى مركز الأرض [٧]

ولم ينفرد الخازن ببحوثه فى الجاذبية ، فقد بحث غيره من قبله ومن بعده من علماء العرب فيها وفى الأجسام الساقطة ، ووضعوا قوانين لذلك ، وقد كنا وفّينا هذا الموضوع بعض حقه فى مقال لنا فى (الرسالة عدد ٧٢ عنوانه « الممهدون للاكتشاف

(١) ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ١ ص ٣١٧
(٢) كاجورى — تاريخ الفيزياء — ص ٢٣
(٣) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — مج ٢ ص ٢٦
(٤) مجلة المقتطف — مج ١ ص ١٦٤
(٥) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — مج ٢ ص ٢١٦
(٦) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — مج ٢ ص ١٢٨
(٧) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — مج ٢ ص ٢١٦

والاختراع » ، ولا نرى الآن ضرورة لاعادة ما كتبناه فى هذا الموضوع . ويحتوى الكتاب المذكور على بحث فى الضغط الجوى وبذلك يكون العرب قد سبقوا اتورشيللى فى هذا البحث . ويحتوى أيضاً على المبدأ القائل إن الهواء كالماء يحدث ضغطاً من أسفل الى أعلى على أى جسم مغمور فيه ، ومن هذا استنتج أن وزن الجسم فى الهواء ينقص عن وزنه الحقيق [1] وكل هذه المبادئ والحقائق هى كما لا يخفى الأسس التى عليها بنى (فيما بعد) بعض الاختراعات كالبارومتر ومفرغات الهواء

وللعرب بحوث فى الروافع وقد أجادوا فى ذلك كثيراً ؛ وكان لديهم عدد غير قليل من آلات الرفع وكلها مبنية على قواعد ميكانيكية تمكنهم من جر الأثقال بقوى يسيرة ، فمن هذه الآلات التى استعملوها المحيطة والمخل والبيرم وآلة الكثيرة الرفع والأسفين واللولب والأسقاطولى وغيرها ، وقد يطول المطال إذا أردنا أن نبين ماهية كل منها ، ويمكن لمن يريد الوقوف على ذلك أن يرجع إلى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى ففيه بعض التفصيل . ومن الطريف أن العرب عند بحثهم فى خواص النسبة أشاروا إلى أن عمل القبان هو من عجائب النسبة ، فقد جاء أن : — « من عجائب خاصية النسـبة ما يظهر فى الابعاد والأثقال من المنافع . من ذلك ما يظهر فى القرسطون أعنى القبان ، وذلك أن أحد رأسى عمود القرسطون طويل بعيد من المعلاق والآخر قصير قريب منه ، فاذا علق على رأسه الطويل ثقل قليل ، وعلى رأسه القصير ثقل كثير ، تساويا وتوازنا متى كانت نسبة الثقل القليل إلى الكثير كنسـبة بعد رأس القصير إلى بعد رأس الطويل من المعلاق ... » [2] والمقصود من المعلاق هنا نقطة الارتكاز

واستعمل العرب موازين دقيقة للغاية وثبت أن فرق الخطأ فى الوزن كان أقل من أربعة أجزاء من ألف جزء من الجرام . وكان لديهم موازين أدق من ذلك ، فقد وزن الأستاذ فلندرس بترى ثلاثة نقود عربية قديمة ، فوجد أن الفرق بين أوزانها جزء من ثلاثة آلاف جزء من الجرام ، ويقول الأستاذ المذكور تعليقا على هذه الدقة : « إنه لا يمكن الوصول إلى هذه الدقة فى الوزن إلا باستعمال أدق الموازين الكيميائية الموضوعة فى صناديق من الزجاج (حتى لا تؤثر فيها تموجات الهواء) وبتكرار الوزن مراراً حتى لا يبقى فرق ظاهر فى رجحان أحد الموازين على الآخر . ولذلك فالوصول الى هذه الدقة لما يفوق التصور ، ولا يعلم أن أحداً وصل إلى دقة فى الوزن مثل هذه الدقة ... » [1] ومن هنا يظهر أن العرب درسوا مسألة الميزان دراسة دقيقة ؛ وقد ألفوا فى ذلك مؤلفات قيمة جداً ، فثابت بن قرة ألف كتابين فى ذلك : أحدهما فى صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك ؛ والثانى فى القرسطون ، ولا تزال من هـذا الكتاب الأخير نسخة فى برلين وأخرى فى وكالة الهند بلنـدن . ومن الذين كتبوا فى الموازين والأوزان نظرياً وعملياً الكوهى والفارابى وابن سينا وقسطا بن لوقا البعلبكى وابن الهيثم والخازن والجلدكى وغيرهم ... وعلى ذكر الجلدكى نقول إن هذا النابغ حلق فى الكيمياء ووصل فيها درجة لم يصلها أحد من معاصريه ، وهو الذى يقول إن العناصر يفعل بعضها ببعض على نسب محدودة ؛ فكأنه اتصل الى المبدأ الجوهرى قبل دلتون [2] . واستعمل العرب لموازينهم أوزاناً متنوعة ، وأحسن كتاب فى هـذا البحث الكتاب الذى وضعه عبدالرحمن بن نصر المصرى للمراقب (المحتسب) العام لأحوال الأسواق التجارية فى أيام صلاح الدين الأيوبى . وتوجد كتب أخرى تبحث فى هذا الموضوع ككتاب ابن جامع وغيره

وفوق ذلك فقد كتب العرب فى الأنابيب الشعرية ومبادئها وتعليل ارتفاع الموائع وانخفاضها فيها ، وهذا طبعاً قادهم إلى البحث فى التوتر السطحى (Surface Tension) وأسبابه وبحث فى هذا كله الخازن . . . وقد يجهل كثيرون أن ابن يونس هو الذى اخترع بندول الساعة (الرقاص) واعترف بذلك سيديو وشيدويك وبيكر وتايلر وغيرهم . وكان عندهم (أى العرب) أيضاً فكرة عن قانون الرقاص . يقول سمث : «ومع أن قانون الرقاص هو من وضع غاليلو إلا أن كمال الدين لاحظه وسبقه فى معرفة شىء عنه . وكان الفلكيون يستعملون البندول لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد ... » [3] وسبق لنا أن كتبنا شيئاً من هذا فى (الرسالة) عدد (٥٧)

. . . هذا مجمل ما عمله العرب فى علم الحيل أو الميكانيكا وهو يدل كما قلنا — فى أول المقال — على أنهم أخذوا ماعرفه اليونان وغيرهم فى هذا الفرع الجليل وتوسعوا فيه ثم زادوا عليه زيادات هامة يعد بعضها أساساً لبعض البحوث والمواضيع والنظريات فى علم الطبيعة

قدرى حافظ طوقان
(نابلس — فلسطين)

(١) كاجورى — تاريخ الفيزياء — ص ٢٣
(٢) رسائل اخوان الصفاء — ج ١ ص ١٩٣

(١) مجلة المقتطف — مج ٦٨ ص ٣٠٣
(٢) مجلة المقتطف — مج ٦٧ ص ٣٠٤
(٣) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ٢ ص ٦٧٣

ذكرى الهجرة

بقلم عبد الحكيم عابدين

على هامة الدنيا وقد فقتها قدرا … وفى ذمة التاريخ، أيتها الذكرى
أطلّى على رأس الليالى منارةً … وفى غسق الأجداث شعّى لنا فجرا
وقومى على الإسلام تاجاً يزينه … وسيفاً يردّى من يُريد به الضرا
وأحيى عزاء القلب عما أصابه … لما دهم الإسلام من محن كبرى
أعيدى، ولو طيفاً، من الغابر الذى … تموت عليه النفس والهةً حسرى
وقصّى على سمعى ولو فى رؤى الدجى … أحاديث يَعيى الدهر ترديدُها بهرا
يُجشّم داء أخدعيـه مُعادُها … كأن بأذنيه إذا تُليت وقرا
أحاديث عن طه وحسبىَ ذكره … بلا لقب إذ ضقت عن قدره ذكرا
وصحب أباةٍ ما رأى المجد مثلهم … ولم يرضَ إلا بين أنفسهم وكرا
غطاريفَ بُلج لا يجوز عديدُهم
لدى أرهبو الدنيا، أصابعك اليسرى
ومن قلّد الإيمان درعاً ومغفرا
فلا غرو أن أعيا — وحيداً — به الدهرا

رُويدكِ يا ذكرى. لكم تُضرمين بى
مشاعرَ كاد الدهر يُغرى بها القهرا
وآمالَ نفس أوشكت حادثاته … إلى اليأس أن تُدنى نواهضها قسرا
طلعتِ على الدنيا فأذكرت آلها … مواقف للإسلام ما برحت غُرّا
وما الهجرة البلجاء إلا صحيفةٌ … تُتوّج من دين الهدى ذلك السِّفرا
سُرًى فى سبيل الله والخطب كالح
وللبيض لمعٌ فى حواشى الدجى افترّا
بأيدٍ تلظّى للدماء تعطشـا … وترقب أن تُسقى دم المصطفى هدرا
فما هاله أن الأسـنة شُرّعٌ … تبارى لكى يرجعن من دمه حُمرا
سَرى بين صحب تسقط الشُّم سجّدا
لإيمانهم. لو أن منـه لنا نزرا!
عقائدُ تدعو المستحيل توهماً … ولا ترتضى إلا لخالقها أمرا
جوارف للأطواد إن رُمن صدها … قوانع بالأشواك أن تكسوَ السيرا
تساومُ بالأرواح كل مهنـد … على عزّة الإسلام تعلو بها الشعرى

ليثرب شدو الرحل يسعى يقينهم … سنا بين أيديهم إذا افتقدوا البدرا
لهم منه عزم الأسد فى لمة القنا … وحسب الفتى السارى بمثلهما ذخرا
يُذلّل وعثاء الطريق كأنما … يرون صياخيد الفلا بُسُطاً خضرا
إلى حيث شاء الله للحق رفعة … وآثر للإسلام فى صُبحه نشرا
فلا يحسبن مرضى القلوب رحيلهم … توقِّىَ شرك كان يمطرهم شرا
ولا وهناً عن دعوة الله. إنما … مضاءٌ بأمر الله أن هاجروا سرا
مضوا ليعودوا فاتحين أعزة … كراماً كإقعاء الهزبر إذا استشرى
وكان. فلم يبعد بمكة عهدهم … من العمر حتى عاودوا فتحها قهرا
وحطمت الأصـنامُ دون هوادة
وصال الأذان العذب فى الكعبة الزهرا
ونودى فيها «الله أكبر» بعدما
شكت جهل قوم كبّروا بينها الصخرا

وما فتئ الإسـلام تعلو بنوده
ويأتيه طوعَ السيف من لم يجئْ حرا
ودانت له أرض الجزيرة. لم يدع … بها معهداً إلا استقلَّ به نصرا
ولم تلبث الأعوامُ أن بهرت به … علا قيصر واستنصرته على كسرى
فدالا ودالت عنهما دولتاهما … وعمّ الهدى فاستخلص البر والبحرا

فمالى أراه اليوم — واحسرتا — هوى … وأشمتَ فيه ذلُّ أبنائه الكفرا
وأُطمِع فيه كل أحمقَ لم يكن … ليحلم يوماً أن يُطيق له ذكرا
وماباله — والخطب — ذلت شعوبه … وحكّم فيها ضعفها الأهوجَ الغرا

متى أشهد الإسلام يَرجع مجده … وتُرفع راياتٌ له طُويت قسرا
ألا ألمعىٌّ من سلالة (أحمدٍ) … يقلّده الفاروق من رُوحه الشُّمرا
فيبعث للإسلام ماضىَ صولة … شأت فى شباب الدهر أنجمه الزُّهرا

ويامعشر الإسلام، والحق قوة، … ألا قومة للحق يحيا بها حُرّا
فما الحق إن لم تمنع البيض حوضه … بأخلق أن يُعطى الحياة ولا أحرى
وأكفلُ منه للسيادة باطلٌ … تقوم عليه السمهرية لا يفرى

بنى وطنى، والشرق أجمع موطنى … ومثلىَ — ممّن لا يدين بذا — برا
تعالوا افهموا الإسلام فالناس إخوة
منى آمنوا، لا الشام ندرى ولا مصرا
وما أمم الإسـلام إلا كتيبة … وقائدها القرآن عزّت به دهرا

لجنة التأليف والترجمة والنشر

اعتزمت اللجنة إحياء رسائل قيمة من الأدب القديم وقد بدأت ذلك بنشر رسالة (نسب عدنان وقحطان لأبى العباس المبرد) وهى رسالة لطيفة الحجم تبحث فى أنساب العرب وتبين تسلسلهم ، وقف على نشرها الأستاذ عبد العزيز الميمنى وثمنها قرشان صاغا عدا أجرة البريد وتطلب من اللجنة بدارها رقم ٩ شارع الكرداسى بعابدين ومن المكاتب الشهيرة

وزارة المعارف العمومية

اعلان

ظهر الجزء الثانى من مجلة مجمع اللغة العربيـة الملكى وثمنه ٨٠ مليما وأجرة البريد ٢٠ مليما ويمكن الحصول عليه من المخازن العامة للوزارة بدرب الجماميز بالقاهرة ومن مخازنها الفرعية بالاسكندرية وطنطا والزقازيق وبنى سويف وأسيوط ويخصم ٢٣ ٪ من الثمن عند شراء خمسين نسخة فأكثر .

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أتمت لجنة التأليف طبع « الجزء الثانى » من كتاب « الاسلام والحضارة العربية » للأستاذ محمد كرد على ، وهو يحث فى العلوم والمذاهب والادارة والسياسة فى الاسلام

وقد طبع فى مطبعة دار الكتب الأميرية ، ويقع فى نحو ستمائة صفحة من القطع الكبير ، وثمنه عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

الرجل الذى يحصل على المرتب الكبير
والفتاة الجميلة

من الذى يتقدم فى عمله ؟ ذلك القصير النحيف ؟ أو البدين الضعيف الذى لا يثير فى النفس ميلاً ولا اعجاباً . كلا . بل هو الرجل الذى تتوفر فيه كل صفات الرجولة .. الرجل ذو العضلات الفولاذية والأعصاب الحديدية والشخصية القوية الجذابة هذا هو الرجل الذى يحصل على الفتاة الجميلة ، ولكن كيف يمكن أن تكون هذا الرجل ؟

لا يوجد الا جواب واحد عرفه وعمل به كل الأقوياء الكاملى الجسم والشخصية والذين تراهم فلا تمالك نفسك من الاعجاب بهم تماماً كما تعجب الفتيات . أن السر هو التربية البدنية والعقلية المبنية على الأسس العلمية الصحيحة . فلا تقعد حيث أنت ملوماً محسوراً . بل اطلب الآن كتاب (الانسان الكامل) يريك فى ١٠٠ صفحة كبيرة ماذا أستطيع أن أفعله لك فى جسمك وشخصيتك لست أريد نقوداً . فقط املأ هذا الكوبون

معهد الجوهرى للتربية البدنية والعقلية

أرجوا أن ترسلوا لى نسخة من كتابكم المجانى الانسان الكامل فى تحسين الصحة وتقوية الجسم والشخصية وعلاج الأمراض المزمنة والعيوب الجسدية والنفسية بالطرق الطبيعية ، وقد وضعت سطراً تحت ما يهمنى مما يلى . النحافة . السمنة . قصر القامة . ضعف الأعصاب . الضعف التناسلى . العادة السرية . الاحتلام . الأرق . الهم والكآبة . الخجل . ضعف الذاكرة . الارادة . شرود الذهن . الثقة بالنفس الامساك . الصداع . القلب . الرئتين . الكبد . الشعر . النظر . الجلد . الدفاع عن النفس . عيوب الوجه

الاسم ———— السن ———— الصناعة ————

العنوان ———————— (الرسالة)

أكتب باسم محمد فائق الجوهرى ١٠ شارع قنطرة غمرة مصر تليفون ٥٠٣٥٩

مصلحة التنظيم

تقبل عطاءات لغاية ظهر يوم الخميس ١٤ مايو سنة ١٩٣٦ عن توريد الآتى إلى شوارع مختلفة بمدينة القاهرة وضواحيها .

١) ٢٠٠٠٠ عشرون ألف متر طولى بردوره بازلت

٢) ١٩٠٠٠ تسعة عشر ألف متر طولى بردوره من محاجر الهرم

٣) ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف متر طولى بردوره بيضاء

٤) ٢٠٠٠ وكذا ألفين متر طولى بردوره بيضاء الى شوارع مختلفة بمصر الجديدة وثمن شروط المناقصة ١٣٠ مليا بخلاف ٣٠ مليما أجرة البريد

محكمة فوه الجزئية الأهلية

إعلان بيع

فى القضية المدنية نمرة ١٨٦٨ سنة ٩٣٤

نشرة ثانية

فى يوم السبت ١٦ مايو سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ أفرنكى صباحاً بسراى المحكمة بقاعة المزايدات سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد المملوك الى الحرمه زينب سعد زلهف من منية الأشراف مركز فوه وهذا البيع بناء على طلب الحرمه حافظه ابراهيم بدوى من بندر فوه ومحلها المختار مكتب الأستاذ مأمون أفندى الفوال المحامى بفوه

وهذا البيع بناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤ ومسجل بمحكمة طنطا الابتدائية الأهلية فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٤ تحت نمرة ١٣٤٠ صحيفة ٩٢و٩٤ جزء سادس سنة ١٩٣٤

وهذا بيان العقار

١/٢ ١ قيراط ونصف من أربعة وعشرين قيراطا مشاعا فى ماكينة طحن غلال ودرب الأرز كائنة بزمام منية الأشراف مركز فوه غربية بما فيها العدد والآلات للطحن ودرب الأرز مكلفه نمرة ٢٢١ سنة ١٩٣٤ ومسطح هذه القطعة الموجود فيها الماكينة المذكورة هو ١ ط و ١٨ س من ضمن القطعة نمرة ١٧ بحوض غرب الترعة نمرة ٢ بحدود أربع البحرى القطعة نمرة ١٦ ملك أسعد عوض ومخائيل سعد وطوله ٤ قصبه والغربى القطعة نمرة ١٦ ملك أسعد عوض ومخائيل سعد وتمامه نمرة ١٧ وطوله ٦ قصبه والقبلى باقى القطعة نمرة ١٧ بحوضه ملك عبد الحميد أبو بكر والورثه وطوله ٤ قصبة والشرقى جسر ترعة القضابه عمومية وطوله ٦ قصبه

وهذا البيع وفاء لمبلغ ٢٦ ج و ٩١٠ مليم ستة وعشرين جنيهاً وتسعمائة وعشرة مليم خلاف المصاريف والثمن الأساسى الذى يبنى عليه المزايدة مبلغ ٢ ج و ٥٠٠ مليم اثنين جنيه وخمسمائة مليم خلاف المصاريف التى سيعلن عنها بالجلسة

وشروط البيع وحكم نزع الملكية وكافة الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها وهذا العقار هو الجزء الباقى بعد ما حكم به فى دعوى الاستحقاق ن ١٩٢٧ سنة ٩٣٥ فوه

فعلى من له رغبة فى الشراء الحضور فى اليوم والساعة والمكان المحددين بعاليه للمزايدة قانونا ومن يرسى عليه آخر عطاء يدفع عشر الثمن وكامل المصاريف فوراً وان تأخر يعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق

كاتب البيوع

فى يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩٣٦ من الساعة ٧ صباحا والأيام التالية له بناحية بندر طنطا مركز طنطا سيباع علنا الخردوات الموضحة بمحضر الحجز ١٧ مارس سنة ١٩٣٦ ملك رياض جورجى من بندر طنطا نفاذا للحكم ن ١٧٥٨ سنة ١٩٣٦ طنطا وفاء لمبلغ ٤٦٥ قرشا صاغا كطلب دهيس محمد فرغل التاجر بطنطا فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأربع ٢٢ أبريل سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا بزاوية جروان مركز منوف وفى يوم الاثنين الذى يليه من الساعة ٨ صباحا بسوق كفر الناجور سيباع ماكينة خياطة ماركة سنجر تدار بالرجل ن ٨٦٢٩١٠٣ ملك امام عبد الواحد الدهشورى ومحمد حسن منتصر من الناحية نفاذا للحكم ن ١٠٤٧ سنة ١٩٣٦ وفاء لمبلغ ٢١٣٢ قرش صاغ بخلاف رسم هذا وما يستجد والبيع كطلب البير رودريخ التاجر بطنطا فعلى راغب الشراء الحضور

سفائن الصـــــحراء

للدكتور أحمد زكى

هَلَا ، هلا ، هيّا إطوى الفَلَا طيّاً وقرّبى الحيّــا للنازح الصبّ
هلا،هلا ، سيرى وامضى بتيسيرى طيرى بنا طيرى للماء والعشب
« شوقى »

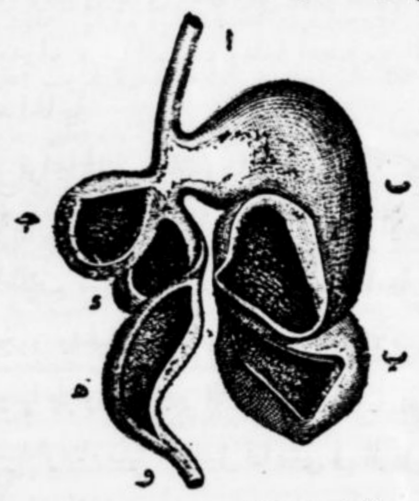


الجمـــل سـفينة الصـحراء ، اذا أنت ذكرت الصحراء ذكرته ، واذا ذكرته ذكـرت الصحراء ، وما وجوده فى غير الصحراء إلا عبث ودعابة ، يزيدحسك بهما كلمـا تأملت خَلقه ، ودرست خُلقه، وقرنت ما تجد من ذلك بطبيعة السواد من الأرض الذى يخرج اليه الجمل أحياناً ، أو بطبيعة المدن التى يضلّ اليها بحكم المصادفة الخاطئة والتوجيه الجائر ؛

فكما قد ينبو فى نظر الرجل العادى مرأى العمامة فى متحف اللوفر ، ومظهر القبعة فى الأزهر . كذلك قد تضيق نفس عالم الأحياء بمنظر الخفّ على زلق المدينة . ورؤية السنام يسير بين الوفير الـكثير من طعامها

فى الصحراء معنى الجوع ، ومعنى الحر ، ومعنى المشقة والصبر ، وفيها معنى الجدب والقحط والجفاف . وفى الجمـــل تركزت كل هذه المعانى

أول ما يصفه الحيوانىّ ، يصفه بأن يضعه لك فى قائمة الحيوانات ، فتجده فى خانة المجترات ، وأميز ما تمتاز به هـذه الحيوانات أن أمعدتها تنقسم الى أربعة أقسام ، أو ان شئت تتركب من أربعة أكياس



أقسام المعدة الأربعة فى الحيوانات المجترة

الـكيس الأول وهو أكبرها ويسمى الـكرِش . واليه ينزل الطعام من المرىء (ا) بعد أن يكون قطّعه الحيوان بأسنانه تقطيعاً هيّناً هو دون المضغ بكثير ؛ والـكيس الثانى ويسمى بالقلنسوة (ح) وبغشائه المخاطى تَـثَنٍّ من خلايا ذات أضلاع عدة ، والى هذه القلنسوة يخرج الطعام من الـكرش تدرّجاً ، وفيها يتكوّر الى كرات ليست بصغيرة الحجم تندفع الى أعلى فى مرىء الحيوان الى فمه فيأخذ فى مضغها حتى تصير عجينة لينة ؛ وحركة اندفاع الطعام هكذا حركة طبيعية لا كحركة القىء . فإذا تم المضغ بلعـه الحيوان فذهب الطعام هـذه المرة الى الـكيس الثالث ويسمى بذى اللفائف (د) ذلك لأن حائطه به ثنيات مستطيلة تشبه أوراق الـكتاب وهو مفتوح ، ومن ذى اللفائف يخرج الطعام الى الـكيس الرابع واسمه الانفحة (ه) وفيها يحدث الهضم الحق

(٩)

ولن تستعيد الأمر إلا بوحدة تقرب نائيهم وتنسيهم الإصرا
لعمرىَ ما أزرى بنا غير جهانا

حقيقـة هذا الدين أو روحه الـكبرى

وإكبارنا منه القشور وهجرنا لبابا وروحا ما أساغا لنا هجرا
لعمرىَ ما الاسلام إرسال لحيةٍ ولا صلواتٍ تُنتضَى للريا سِترا
ولـكنما الإسلام مجدٌ وعزةٌ تباعُ الدماءِ الفيحَ والأنفسَ الغرّا
فدونكمُ القرآنَ دستورَ مجدكم تصولوا على الدنيا بعزته كِبرا
تربوا به واسقوا العقائد روحه وربوا عليه النش،وابغوا به النصرا
صِلوا بين أرواح الشباب وبينه ولا يكُ حظ القارئ الطىَّ والنشرا
إذن يعلموا أن الجهاد فريضةٌ وأن سنام الأمر أن تفدىَ الأمرا
وأن أخا الإسلام ليس بمسـلم إذا ملكَ الأعداء من أرضه شبرا

(الجامعة المصرية) عبد الحكيم عابدين الفيومى

على وجهه المألوف فى الحيوانات الأخرى ؛ فى الانفحة تنفرز العصارات الهضمية ، وهى التى تستخدم فى تجبين اللبن على ما هو معروف

فانك تجد فى تركيب معدة المجترّات ، ومنها الجمل ، ان صانعها خلقها وَفقاً لحاجتها وملاءمة لطور معيشتها ، فالكرش الكبير الذى يملأ جانباً عظيماً من البطن يقذف اليه الحيوان بالطعام الأخضر الذى يقتطفه من الشجر قذفاً ، اما على عجل لأنه يخشى أن ينزل عليه عدو من أعدائه المفترسة ، أو اختزاناً له كى يعود اليه عند حاجته لطعام . فاذا هو ذهب الى أمنه ، أو جاءته شهية الطعام عمد الى هذا المخزون فأكله من جديد . والأكل أوله المضغ

أما الماء فانك واجد فى معدة الجمل خلايا عديدة كالجيوب ، واقعة فى جدرانه ، بها الماء ، وعليها أغطية من العضل تنسد وتنفتح عند الحاجة

وتنتهى قوائم الجمل : رجلاه ويداه ، بأصبعين ككل المجترات ، كالمعز والأبقار والوعل والغزلان . الا أن هذه الأصابع تنتهى فى هذه بأظلاف تساعدها الآن أو ساعدت آباءها بالأمس على تسلق الصخور والجبال . أما فى الجمل فينتهى الأصبعان بوسادة بها رخاوة وبها طراوة هى خير الأحذية للسير السريع الهين فوق الرمال لا سيما الوعثاء منها . والفيل اذا مشى فى الرمل فقد حيلته فيه ، والحصان لا يلبث أن تُنهك قواه . كذلك حال ربيب المدينة اذا هو خرج بحذاء ذى كعب عال (أو الأولى ربيبتها) . والسيارات تغوص فى الرمال ، ثم تدور عجلاتها وتدور فلا تزيد فيها الا غوصاً . إلا اذا هى شابهت الجمال فاحتذت أخفافاً ، وتلك بالونات جديدة صنعت حديثاً قطرها تسع بوصات وضغط هوائها تسعة أهواء، فهى عريضة رخوة . وقطر البالونات العادية نصف هذا القطر ، وضغطها ضعف هذا الضغط أو ثلاثة أمثاله

والجمل يحمل غذاءه فوق ظهره ، حملته الطبيعة إياه ، واختزنته تحت جلده حيث لا يصل اليه سواه : هذا سنامه ، وهو كتلة كبيرة من الدهن تجىء بمجىء المطر والعشب وتذهب بذهابهما ، وهى تزيد ويمتلىء بها ظهره وتتخذ شكلاً أقرب ما يكون إلى الهرم الرباعى ، والجمل معشب مرتوٍ هانىء ؛ فاذا خرج الى الصحراء على سفر طويل مجهد ، فأعوزته الخضرة والماء ، رجع الى ما على ظهره ، يحرق منه لغذائه ، ويصمد به لغَيلة الجوع حتى يذهب كله ويخلو منه جلده . ولكنه لا يلبث أن يعود من سفره حتى يأخذ فى الادخار من يوم النعيم والوفرة ليومه العبوس الآخر ، فيثقل بالدهن ظهره ، ويشتد عليه جلده . والأعرابى قبل الترحل الطويل يمتحن سنام راحلته كما ينظر ذو السيارة فى خزان بنزينه ؛ والحيوانات الثديية الأخرى تدخر الدهن ، ولكنه يتوزع على كل جسمها . كذلك تدخره الحيوانات التى تنام طول شتائها ، وتصحو فى الربيع لتأخذ مع الأحياء نصيبها من العيش وطيب الحياة ، وتدخر من الدهن لحين تنام مرة أخرى

والجمل له جسم ضخم ليس فيه جمال كثير ، تحمله قوائم طويلة تتراءى كأنها تعجز عن حمله ، ولكنها غاية فى الصلابة . وعظام هذه القوائم فوق متانتها بيضاء ناصعة حتى ليستعيض بها الهنود فى شمال الهند عن سن الفيل فى تلقيم بعض مصنوعاتهم . وطال الجمل لينال الشجر فبعد عن الأرض ، فكان لا بد له من طى قوائمه لينالها . وهو حين يبرك على الأرض يبرك على كتل خمس متصلبة فى جسمه يقال لها الثَّفِنات ، واحدة فى صدره واسمها السَّعدانة ، واثنتان فى ركبتيه ، واثنتان فى أصول فخذيه . والثفنات تولد مع الجسم ليستتم به خلقه كالأذن والعين

وللجمل رقبة حنواء طويلة تحمل فى أعلاها رأساً صغيراً ، لا يحمل القرون التى هى من خصائص المجترات ، وله عينان نجلاوان ناعستان .وله أنفان يغلقهما إذا شاء ويفتحهما



رأس جمل

إذا شاء ، وفضل هــذا ظاهر فى الريح السافية ؛ وفتحتا أنفه بعيدتان بعداً كبيراً عما بداخلهما من غشاء وغدد مخاطية ، فهى لا تتحلب مخاطا كالبقر وسائر المجترات . كذلك تطول شفته العليا وتتدلى على شفته السفلى فتحجبها أو تكاد . وشفته العليا مشقوقة شقين كالأرنب يحركهما أو يحرك أحدهما على هواه وهو يأكل حتى كأنهما يدان

وغذاء الجمل فى مواطنه الأولى أفرع الشجر وأوراقها ، وهو يأكل الشوك ولا يبالى ، ويأكله دون أن تدمى شفتاه . وهو يأكل الحب والتمر ، ولـكنه لايستغنى عن الأخضر من الطعام . وله صبر على الجوع والظمأ ، فهو يقضى أياماً قد تطول إلى العشرة دون طعام ولا شراب . وقد يقضيها حاملاً المعهود من أثقاله . وقد يحدث كثيراً أن يفرغ المــاء من القافلة فتعقر الجمال طلباً للمــاء الذى فى أكراشها . وللابل إحساس غريب بالمــاء تشمه من بعيد ؛ كثيراً ما نجّت القوافل بسببه ، وقد يحدث أن يأبى على الناقة صاحبها فلا يفهم معنى تشبّثها باتجاه خاص فى الصحراء فتقطع الرسن وتركب رأسها ، فاذا بلغت المــاء كرعت منه لأمسها ويومها وغدها



(الجمل فى الحرب)

والأعراب تشرب من الأبل لبنها ، وهو بالغ فى دسمه ، وتأكل لحمها ، وتلبس من وبرها . ولـكن الخدمة الـكبرى التى أداها الجمل للانسانية من قديم هى وصله لأقطار فصلت بينها قفار كالمحيطات ما كان لغير الجمل أن يجتازها . فأثره فى تجارة الأمم العتيقة كبير . وقد كان وحده وصلة ما بين الشرق والغرب

والجمل إن كان فى جسمه القدرة على الحمل ، ففى خلقه الأناة والصبر . يكتسبهما ولادة وبالمران . وهو برغم نفعه من أغبى الحيوانات . أو لعله لغبائه كان نافماً ذلولاً صبوراً ، وإنك لتجد هذا فى الناس . وهو لا يألف صاحبه ألفة الحصان والكلب . وهو كالبدو يكره البحر . وأكثر الثدييات إذا ألقاها الرجل فى الماء وجد لديها من طبيعتها فهماً للعوم أو بعض فهم . أما الجمل فاذا غُصب على السير فى ماء غير ضحل كالنهر ففقدت رجلاه الأرض لم يحاول أن يعوم ، وإنما يدور جسمه ويسلم نفسه للغرق

والجمل على صبره ذو غضبة منكرة ، وهو حقود ذكور . حكوا أن جملاً كان يساق فى إدارة عصارة للزيت فضربه سائقه ضرباً موجعاً . ومضت أشهر بعد ذلك ، فظهر كأن الأساءة انتُسيت . وفى ليلة قمراء جاء الجمل يتلصص الى حيث يرقد السائق فوجد ما يشبهه وهو نائم فانقض عليه بكلكله وأخذ فى الثياب تمزيقاً يحسب الرجل فيها ، فلما فرغ تحدث اليه الرجل من بعيد ، فاغتاظ الجمل اغتياظاً شديداً ، وغضب لخيبته غضبة نكراء ضرب فيها الحائط برأسه ضربة أردته قتيلاً

أحمد زكى

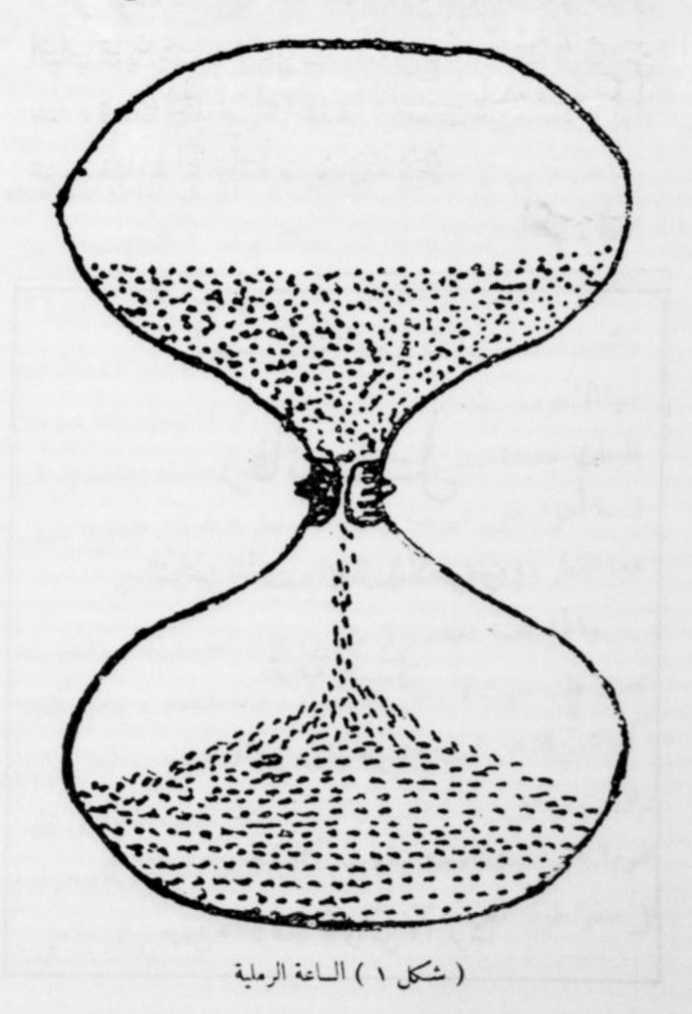
الساعات العربية

بقلم السيد أحمد دهمان

لما شعر الأقدمون بحاجتهم الماسّة الى معرفة الأوقات ، اهتدوا بعد التأمل والتفكير الى اختراع الساعة الرملية ، وهى ساعة بسيطة التركيب . تتركب من قرورتين قد ألصقت فوهة احداهما بفوهة الأخرى بواسطة الشمع . وملئت العليا رملاً ، فينزل الرمل بالتدريج الى السفلى من ممر بينهما صنع بنسبة مقدرة ، وتقلب الساعة عند ما تفرغ العليا من الرمل ، وهكذا دواليك

فاذا أرادوا معرفة الوقت نظروا الى مقدار الرمل الباقى فى العليا ، أو الى مقدار ما نزل منه الى السفلى

ولبثت هذه الساعة شائعة الاستعمال عند بعض قرويى دمشق حتى قبيل الحرب العامة . وقد أدركنا أحد الشيوخ المسنّين يصنعها ويبيعها فى حانوت له خارج باب دمشق الغربى « فى سوق المسكية »



(شكل ١) الساعة الرملية

أما الساعة المائية التى شاعت عند الكلدان والهنود فهى كالساعة الرملية . بابدال الرمل بالماء . وكانت أقل دقة منها ، لأن اختلاف الجو برداً وقيظاً كان ينقص مقدار الماء

وكان ألفرد الكبير عاهل الانكليز يأمر باتخاذ شمع طول الواحدة منه اثنتا عشرة أصبعاً ، مقسمة بعلامات خاصة الى أربعة وعشرين قسما ، عدد ساعات الليل والنهار . وكانت توقد ليلاً ونهاراً ، ويجعل أمامها جسم شفاف وقاية لها من الريح

أما العرب فقد تفننوا فى صنع الساعات مستندين الى فن الهندسة ، واخترعوا لها آلات عجيبة أصبحت فيما بعد أساساً للساعات التى نراها اليوم

وقد بدأ شيوع استعمال الساعات فى البلاد العربية منذ القرن السادس للهجرة وبقى حتى الثامن ، فكان فى مراكش وتلمسان والأندلس ومصر وبغـــداد ودمشق عدة ساعات تنصب فى الأماكن العامة لمعرفة الأوقات ، وسنأتى على ذكرها مفصلاً

مهندسو الساعات

اشتهر فى تلك العصور كثير من المهندسين العرب الذين تخصصوا فى صنع الساعات ، وكانوا يديرون آلاتها بواسطة الماء ، الى أن جاء ابن الشاطر المهندس الدمشقى فسعى فى ترقيتها وتوصل لجعلها صغيرة الحجم بالنسبة لغيرها من الساعات [٢] ، وأصبحت تعلق على الجدران ولا تحتاج آلاتها الى الماء ، فكانت أقرب ما تكون الى الساعات المستعملة اليوم . واليك تراجم أشهر من اشتغل بصنع الساعات :

محمد رستم الساعاتى — أصله من خراسان قدم دمشق وأقام بها ، وكان أوحد أهل زمانه فى علم الفلك وصنع الساعات . قال ابن أبى أصيبعة : وهو الذى صنع الساعات التى عند باب الجامع بدمشق ، صنعها فى زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ، وكان له الانعام الكثير والجامكية والجراية لملازمته صنع الساعات الى أن توفى — ولم يذكر سنة وفاته

أبو عبد الله بن القيسرانى — هو محمد بن نصر بن صُغَير ، ولد بعكا سنة ٤٨٧ أديب شاعر ، كان بينه وبين ابن منير الشاعر

الطرابلسي المشهور مكاتبات وأجوبة ومهاجاة ، ومع ذلك فقد كان بارعاً في العلوم الرياضية من حساب وفلك وهندسة ، تولى ادارة الساعات بدمشق ، ثم رحل الى حلب ، ثم رجع الى دمشق وتوفي بها في ١١ شعبان سنة ٥٠٨

محمد بن عبد الكريم الحارثي — لقبه مؤيد الدين ، وكنيته أبو الفضل ، كان معروفاً بالمهندس ، ولد ونشأ بدمشق ، وكانت حياته نادرة من نوادر الدهر تجلى فيها النبوغ الشرقي ، فقد كان في أول أمره نحاتاً ينحت الحجارة ، ثم صار نجاراً فبرّز على النجّارين في حسن الصنعة ؛ وأبواب البيمارستان النوري بدمشق من صنعه ؛ ثم تعلم الهندسة لتزداد براعته في التّجارة . وقد وصف المدرسة التي تعلم فيها الهندسة بقوله : « كنت أشتغل في مسجد خاتون الذي تحت المنيبع[1] غربي دمشق . وكنت لا أصل الى المسجد الا وقد حفظت شيئاً من كتاب أقليدس وحللت بعضاً من مسائله الى أن أتممته حفظاً وفهماً » . ثم قرأ المجسطي وحلّ مسائله أيضاً ، وانصرف الى الهندسة انصرافاً تاماً ، حتى اشتهر بعد ذلك بالمهندس

وقدم دمشق الشرف الطوسي وكان إماماً في العلوم الرياضية فقرأ عليه ما نقصه من الحساب والهندسة والفلك

وقرأ بعد ذلك علم الطب على أبي المجد محمد بن أبي الحكم ؛ الى أن برع فيه . وتعين طبيباً في البيمارستان النوري ، مهندساً لساعات المسجد الأموي وكان يتقاضى مخصصات منهما

وفي زمنه تخربت ساعات المسجد الأموي فأصلحها أحسن تصليح : من مؤلفاته . رسالة في معرفة رسم التقويم ، مقالة في رؤية الهلال ، اختصار كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، عشرة أجزاء وقفها في المسجد الأموي بدمشق وجعلها في مشهد عروة ، كتاب الحروب السياسية ، كتاب في الأدوية المفردة مرتبة على حروف الهجاء ، توفي بدمشق سنة ٥٩٩

ابن الشاطر — هو أبو الحسن علاء الدين ، علي بن ابراهيم ابن حسان الأنصاري الدمشقي ، نشأ يتيما فتعلم صنعة تطعيم العاج من زوج خالته ، ثم تعلم العلوم الرياضية والفلكية ، فلقب بالمطعم وبالفلكي

رحل الى مصر والاسكندرية ليأخذ العلوم الرياضية عن أربابها وكان صاحب ثروة . ويقول ابن العماد ان داره من أحسن الدور وضعاً وغرابة . ويقول الصلاح الصفدي : « دخلت منزله في شهر رمضان سنة ٧٤٣ لرؤية الاسطرلاب الذي أبدع وضعه فوجدته قد وضعه في قائم حائط في منزله داخل باب الفراديس بدرب الطيار ، ورأيت هذا الاسطرلاب فأنشأ لي طرباً ، وجدد لي في المعارف رأياً ، وقلت ان من تقدمه من الأفاضل عند جبل علمه الراسخ هباء ... » الى أن قال : « وصورة هذا الاسطرلاب المذكور قنطرة نصف أو ثلث ذراع تقريباً يدور أبداً على الدوام في اليوم والليلة من غير ماء وعلى حركات الفلك . لكنه قد رتبها على أوضاع مخصوصة تعلم منها الساعات المستوية والساعات الزمانية . »

ومما ذكره الصفدي وسماه اسطرلاباً يعلم أن ابن الشاطر أول مخترع لساعات الجدران وأن ما سماه اسطرلاباً ليس بالاسطرلاب المشهور ، لأن اختراع الاسطرلاب المعروف قديم جداً ، وإنما هو اختراع جديد من وضع ابن الشاطر

ومن أعمال ابن الشاطر البسيط الذي وضعه في منارة العروس احدى منارات المسجد الأموي ؛ وقد زينت دمشق يوم وضعه وبقي فيها الى سنة ١٢٩٣ فاختل وضعه من مرور السنين عليه ومال أحد جوانبه ، ولما أريد اصلاحه انكسر فصنع بدلا منه العلامة المرحوم الشيخ محمد الطنطاوي ، جدّ بني الطنطاوي بدمشق ، وجعل حسابه على الأفق الحقيقي ، وزاد فيه قوس الباقي للفجر ، فجاء في غاية الضبط والاتقان ، جزاه الله خير الجزاء . وقد قال الشيخ عبد المجيد الخاني من قصيدة مؤرخاً له :

ما قال أهل الشام في تاريخه تم البسيط بنفحة القدوس

ولابن الشاطر المذكور اختراعات عديدة من آلات فلكية وهندسية ، وله آراء ونظريات في الحساب والجبر والهندسة والفلك ، أضحت مصباحاً مشرقاً لمن جاء بعده . وتولى في المسجد الأموي وظيفة التوقيت ورياسة المؤذنين ، وله مؤلفات عديدة ذكر أكثرها في كشف الظنون . توفي سنة ٧٧٧

علي بن ثعلب الساعاتي : — هو نور الدين علي بن ثعلب الساعاتي ، تولى تدبير ساعات المدرسة المستنصرية في بغداد ؛

(١) محلة كانت عامرة قرب التكنة الحميدية في منتصف طريق الربوة

وكان مولده سنة ٦٠١ وتوفى سنة ٦٦٣

* * *

واليك بعد هـذه التراجم بعض ما وقفت عليه من وصف تلك الساعات

١ – ساعة هارون الرشيد

ذكر فولتير وغيره من المؤرخين الفرنسيين أن أول ساعة عرفت فى أوروبا هى الساعة التى أهداها أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا سنة ٨٠٧ وكانت بدعاً فى ذلك العصر ، حتى أنها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا ؛ كان لها اثنا عشر باباً صغيراً بعدد الساعات ، فكلما مضت ساعة فتح باب وخرجت منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات ، وتبقى الأبواب مفتوحة ، وحينئذ تخرج صور اثنى عشر فارساً على خيل تدور على صفحة الساعة . ولم نقف لهذه الساعة على ذكر فيما اطلعنا عليه من الكتب العربية

٢ – ساعة مسجد مراكش

ذكرها القلقشندى فى صبح الأعشى فقال : وبمراكش جامع جليل يعرف بالكتبيين ، طوله مائة وعشر أذرع ، وعلى بابه ساعات مرتفعة فى الهواء خمسين ذراعا ، كان يرمى فيها عند انقضاء كل ساعة صنجة زنتها مائة درهم تتحرك لنزولها أجراس تسمع على بعد

٣ – ساعة الملك الكامل

ذكرها القليوبى فى نوادره فقال : ان السلطان الكامل كان عنده شمعدان فيه أبواب ، فكلما مضت ساعة يخرج من باب منها شخص يقف فى خدمته الى مضى ساعة ، وهكذا الى تمام الأبواب اثنتى عشرة ساعة ، فاذا تم الليل خرج شخص فوق الشمعدان ويقول : أصبح السلطان ؛ فيعلم أن الفجر قد طلع فيتأهب للصلاة . وهذه الساعة مصرية لأن اقامة الملك الكامل كانت فى مصر

٤ – ساعة المدرسة المستنصرية ببغداد

جاء فى مجلة – الزهراء – السنة الثالثة – ص ٢٥٤ ما نصه « من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة جزء قديم (فى كتب التاريخ رقم ١٣٨٣) من كتاب مجهول الاسم والمؤلف . رتبه مؤلفه على السنين . وما فى هذا الجزء من سنة ٦٢٦ الى ٧٠٠ وقد جاء فى حوادث سنة ٦٣٣ منه وصف للساعة التى وضعها أمير المؤمنين المستنصر فى مدرسة الطب والمستشفى التابعين لمدرسته العظمى المعروفة باسم « المستنصرية » وقد أدخل العلامة أحمد تيمور باشا وصف هذه الساعة فى كتابه (التصوير عند العرب) الذى لم يطبع بعد . فآثرنا التعجيل بنقل ذلك الى قراء الزهراء :

« وفيها – أى فى سنة ٦٣٣ هـ – تكامل بناء الايوان الذى أنشىء مقابل (المدرسة المستنصرية) وعُمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب ، وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم

وبنى فى حائط هذه الصفة دائرة . وصوّرت فيها صورة الفَلك ، وجعلت فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة : وفى الدائرة بازان [1] من ذهب ، فى طاسين من ذهب . ووراءهما بندقتان من شبَه لا يدركهما الناظر

فعندمضى كل ساعة ينفتح فما البازين ، وتقع منهما البندقيتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات ، والباب مذهب فيصير حينئذ مفضضاً . واذا وقعت البندقتان فى الطاسين تذهبان الى موضعهما . ثم تطلع أقمار من ذهب فى سماء لازوردية فى ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دورانها وتغيب مع غيوبتها ، فاذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها ، كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء فى دائرة القمر ، ثم يبتدىء فى الدائرة الأخرى الى إنقضاء الليل وطلوع الشمس . فتعلم بذلك أوقات الصلوات »

ثم أورد صاحب هذا التاريخ المخطوط أبياتاً لشاعر من شعراء ذلك العصر الذهبى يذكر بها هذه الساعة :

« يا أيها المنصور يا مالكاً ... برأيه صعب الليالى يهون
شـيدت لله ورضـوانه ... أشرف بنيان يروق العيون
ايوان حسن وضعه مدهش ... يحار فى منظره الناظرون
صور فيــه فلك دائر ... والشمس تجرى مالها من سكون
دائرة من لازورد حكت [2] ... نقطة تبر فيــه سرّ مصون
فتلك فى الشكل وهذى معاً ... كمثل هاء ركبت وسط نون »

وجاء فى حوادث سنة ٦٠٣ من هذا المخطوط أن نور الدين

(١) تثنية بازى الطائر المعروف
(٢) يظن سعادة الأستاذ تيمور باشا أن صواب هذه اللفظة « حوت »

على بن ثعلب الساعاتي توفي في تلك السنة ، وكان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية ، وأن مولده كان سنة ٦٠١ هـ

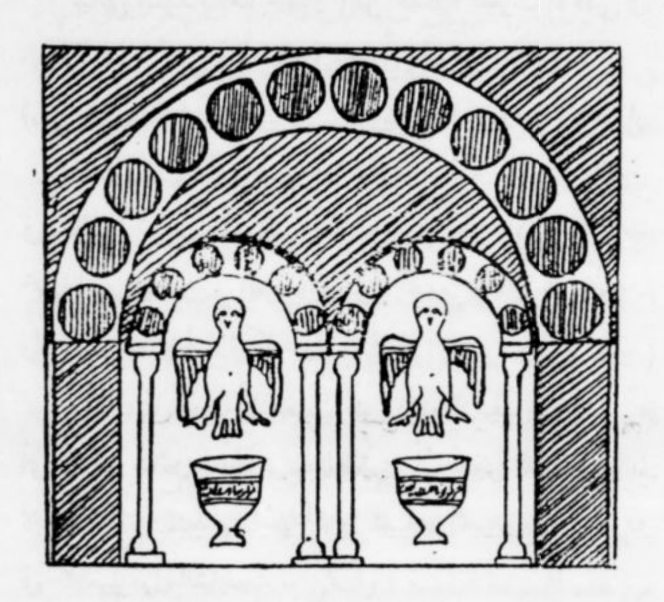
٥ — ساعة المدرسة القيمرية بدمشق

نسبة لمنشئها الأمير سيف الدين على بن يوسف القمرى ، أنشأها فى نصف القرن السابع الهجرى ، ثم نسبت المحلة التى فيها المدرسة للمدرسة ، فقيل حى القمرية ، والقمرى نسبة لقيمر قلعة بين الموصل وخلاط . وكان سيف الدين القيمرى أميرا كبيرا وشجاعاً باسلا ، وهو الذى أسر « لويس التاسع » امبراطور فرنسا سنة ٦٤٨ بين المنصورة ودمياط . وله فى دمشق أعمال خيرية ، فقد بنى فيها مارستاناً عظيما ومسجدا ومدرسة تسمى القيمرية الكبرى ، وتعرف الآن بمدرسة القطاط ، وكان على باب هذه المدرسة ساعة مهمة بلغت مصاريفها كما يقول العلموى أكثر من أربعين ألف درهم . وهذه الساعة وان لم نطلع على وصف لها، فانا نستفيد من نص العلموى مقدار المصروف عليها

٦ — ساعة باب جامع دمشق الشرقى

يعرف هذا الباب بباب جيرون ، وقد شاهدها ابن جبير الرحالة المشهور فوصفها بقوله : « وعن يمين الخارج من باب جيرون فى جدار البلاط الذى أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صُفر قد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ، ودبرت تدبيراً هندسياً ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صِفر من فمى بازين مصورين من صفر (نحاس) قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما . أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب ، والثانى تحت آخرها ، والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار إلى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحراً ، وعند وقوع البندقتين فى الطاستين يسمع لهما دوىّ وينغلق باب تلك الساعة للحين بلوح من الصفر ، ولا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضى الساعات ثم تعود إلى حالها الأول

ولها بالليل تدبير آخر ، وذلك أن فى القوس المنعطف على تلك الطبقات المذكورة اثنتى عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض فى كل دائرة زجاجة من داخل الجدار فى الغرفة مدبر ذلك كله خلف الطبقات المذكورة ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة ، فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للأبصار دائرة محمرة ، ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضى ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها ، وقد وكل بها فى الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها بعيد فتح الأبواب وصرف الصنج إلى موضعها »



(شكل ٢) ساعة باب جيرون

وهناك ساعة ثانية على باب جامع دمشق القبلى ويعرف هذا الباب بباب الزيارة ، ويقول النعيمى إن مكانها فى العنبرانية — المشهورة فى عصرنا بالممرانية ، ويقول ابن كنان إنها من عمل أبى الفضل الحارثى الدمشقى المهندس ، وقد تقدمت ترجمته — وصفة هذه الساعة هى : بيكار (لعله بنكام) عليها عصافير من نحاس ، وحية من نحاس ، وغراب من نحاس .

فاذا تمت الساعة خرجت الحية ، وصفرت العصافير ، وصاح الغراب ، وسقطت حصاة فى الطست

٧ — ساعة ابن الشاطر

تقدم ذكرها فى ترجمته ، ويمكن القول بأن ساعة ابن الشاطر آخر طراز وصلت اليه الساعة العربية ، وقد أخذ الغربيون هذا الطراز عنها فى ساعات الجدران ، وقد اطلعت على ساعة قديمة أوروبية ترجع فى تاريخ صنعها الى ما قبل ثمانين سنة ، اذا مضت ساعة من الوقت يخرج عصفور من باب فى أعلاها ويصيح

دمشق **أحمد وهمان**



عبرات جوار لا حرار

سألنى السيد (محمد حصار) من فضلاء المغرب الأقصى فى العدد (١٤٤) من (الرسالة) عن رأيى فى قول الخنساء :

(من كان يوماً باكياً سيدا فليبكه بالعَبرات الحِرار

فقد وصفت الخنساء دموعها بالحرار مع أنه سبق منى القول فى مقالتى (تعريب الأساليب) المنشورة فى الجزء الأول من مجلة مجمعنا المصرى أن العرب يصفون الدمع والعين بالسخونة ، ولا يصفونهما بالحرارة كما يفعل الأفرنج

وأنا انما أردت أن العرب ليس ذلك الوصف من شأنهم ، أى أنه غير شائع فى أساليب بلاغتهم : أن يصفوا الدمع بالحرارة لا أنه لا يقع ذلك منهم أحياناً ، والشاهد الصحيح على وقوعه فى كلامهم قول الشاعر

بدمع ذى حرارات على الخدين ذى هيدب

راجع ذلك فى اللسان والتاج مادة (حرّ) وهيدب السحاب ما تراه كأنه خيوط عند انصباب مطره

أما ماذكره المعترض الفاضل من شعر الخنساء فلا يصلح شاهدا لسببين :

(الأول) أن (حرارا) لا تكون جمعاً لحارة حتى يصح أن نقول فى (عبرة حارة) عبرات حرار ، ولم ينقل هذا الجمع أحد من أرباب المعاجم ، ولم يذكروه فى جملة ماشذ من الجموع ، وانما صرحوا أن (حرار) تكون

جمعاً للحَرّة : وهى الأرض ذات الحجارة السود

وجمعاً للحَرّان : وهو الشديد العطش

وجمعاً للحر : وهو ضد العبد (وهذا الجمع حكاه ابن جنى يعنى يكون شاذاً

(ثانياً) لا يجوز أن يقال : ان أرباب المعاجم قد يهملون ذكر كلمات لغوية فصيحة وردت فى أشعار العرب : من ذلك فعل (تبدى) فى قول عمرو بن معدى كرب

(وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى)

فليكن جمع (حارة) على (حرار) من هذا القبيل ويكون الشاهد عليه قول الخنساء المذكور وكفى بها حجة

لا يقال ذلك لأنه يجب قبل كل شىء الاستيثاق والتثبت من صحة ألفاظ الشاهد ، وأول طرق هذا الاستيثاق عدم احتمال تحريف كلماته

فكلمة (الحرار) تحتمل احتمالا قريباً جداً أن تكون محرفة عن (الجوار) بفتح الجيم وبعدها واو أى (العبرات الجوارى) جمع « جارية » اسم فاعل مؤنث من فعل (جَرى) الدمع اذا سال على الخدين

ووصف الدموع بالجوارى صحيح من حيث قواعد العربية ، فصيح من حيث شيوع استعماله فى كلام البلغاء

أما كلمة (الحرار) فليست بهذه المثابة : لامن حيث القواعد ولا من حيث شيوع الاستعمال

ونسخة ديوان الخنساء التى بين أيدينا انما هى منْ طبعة الأب لويس شيخو اليسوعى وهو — رحمه الله — لم يشتهر بالدقة فى ضبط نصوص ما ينشره من الآثار الأدبيــة ، ولا فى تحقيق كلماتها اللغوية

فلعل الفاضل (محمد حصار) وقعت اليه مثل هذه المطبوعة أو مخطوطة قديمة أخرى يسرع الى مثلها هذا التحريف

وفى مكتبتى نسخة شرح مخطوط على ديوان الخنساء كتبت سنة ١١٤٥ هـ لمؤلف مجهول ؛ ومالى لا أقول إن هذا الشرح لثعلب كما تمكن استنتاجه من خاتمة المخطوطة ؟ وقد سقط منها بعض أوراق فلم أجد قصيدة (العبرات الحرار) فيها . فلعل القصيدة برمتها غير موجودة فى رواية تلك النسخة أو هى فى ضمن الأوراق الساقطة

وتوجد نسخة من هذا الشرح نفسه فى دار الكتب المصرية كتبت سنة (٦٢٠ هـ) كما يفهم من الفهرس العام (جزء ٣ نمرة ٢٠٣)

فلعل أحداً من قراء (الرسالة) ممن تهمهم أمثال هذه البحوث وهم كثيرون — يزور دار الكتب المصرية ويراجع لنا بيت الخنساء ويتثبت من قافيته : أهى (الحرار) أو (الجوار)

أو يراجع ما هو أوثق من ذلك كله وهو نسخة ديوان الخنساء بخط اللغوى الكبير المحقق العلامة الشنقيطى التركزى رحمه الله ، وإن له على نسخته هذه تقييدات كالشرح لها . وهذه النسخة أيضاً من نفائس ما حوته دار الكتب المصرية . راجع فهرسها العام (جزء ٣ ص ١٢٨)

(دمشق) عبد القادر المغربى

المكتبة العربية فى الاسكوريال

تشتمل المجموعة العربية بمكتبة الاسكوريال بمدريد على مجموعة نفيسة جدا من الكتب العربية والاسلامية فى مختلف العلوم والفنون ، يبلغ عددها ١٩٥٢ مجلداً ، ومعظمها كتب أندلسية هى التراث الأخير لآداب اسبانيا المسلمة ؛ ولم ينشر الى اليوم من هذه المجموعة سوى بضع عشرات من الكتب قام على إخراجها جماعة من المستشرقين ، ومنها المكتبة الأندلسية التى تضم عدة مجلدات ، وأخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر ، والحلة السيراء لابن الآبار ، وبضعة كتب أخرى ؛ وكان آخر ما نشر من هذه المجموعة النفيسة مجلد من تاريخ الأندلس لابن حيان ، أخرجه الدون انتونيو مدير مكتبة الاسكوريال وهو يتناول قسماً من عصر بنى أمية بالأندلس

وقد لفتنا الأنظار غير مرة الى هذه المجموعة النفيسة ، وتمنينا على دار الكتب المصرية أن تبذل وسعها لتصوير أو نسخ أكبر عدد من هذه المجموعة ، ولكنها لم توفق حتى اليوم الى تحقيق هذه الغاية بصورة مرضية ؛ وكل ما استطاعت أن تحصل عليه حتى اليوم هو صور لخمسة كتب فقط من مجموعة الاسكوريال ، هى كتاب البديع لابن المعتز ، ومختصر طبقات الشعراء له أيضاً ، وطيف الخيال للشريف الرضى ، وكتاب الفلاحة لابن العوام ، ومجموعة فلسفية فى شرح بعض كتب الفارابى ؛ وتسعى دار الكتب منذ حين فى الحصول على صور أو نسخ لعدة كتب أخرى من هذه المجموعة ، ولكن الظاهر أنها تجد فى ذلك السبيل عقبات مالية لا تستطيع تذليلها

وفى ذلك ما يبعث الى أشد الأسف ، ذلك أن مجموعة الاسكوريال هى بلا ريب من أنفس المجموعات العربية المعروفة ، هذا فضلاً عن أن لها فوق نفاستها العلمية صفة خاصة ، فهى فى الواقع بقية التراث الاسلامى فى الأندلس ، وتكاد تحظى فى نظر العالم الاسلامى بنوع من القدسية المؤثرة

ويوجد بين محتويات هذه المجموعة عدة كتب فريدة فى بابها ، فى السياسة والفلسفة والأخلاق والطب ، مثل كتاب آداب الفلاسفة (رقم ٧٦٠ من المجموعة) وكتاب عن سياسة الأمراء وولاة الجنود (رقم ٧١٩) وكتاب فى السفارات النبوية عنوانه المصباح المضىء (رقم ١٧٤٢) ؛ هذا الى عدة كتب من تأليف أكابر العلماء المصريين مثل كتاب الشهاب القضاعى (رقم ٧٥٢) وكتاب القول التام فى فضل الرمى بالسهام ، للسخاوى (رقم ٧٦٥) وكتاب فى تاريخ المعز لدين الله (رقم ١٧٦١) ، وكتب نفيسة أخرى يضيق المقام عن ذكرها

وقد حصلت الجامعة المصرية على صور عدة كتب أخرى من هذه المجموعة النفيسة ، ولكن ما حصلت مصر عليه حتى الآن لا يعتبر شيئاً مذكوراً

ولهذا نعود فنتمنى على دار الكتب المصرية وعلى مكتبة الجامعة ، وعلى ولاة الأمر جميعا أن يشملوا هذه المجموعة الفريدة بكثير من عنايتهم وألا يدخروا فى سبيل الحصول على نفائسها جهداً أو مالا



نفسية الرسول العربى

محمد بن عبد الله

السوبرمان الأول العالمى

تأليف السيد لبيب الرياشى

بقلم الاستاذ عبد الفتاح السرنجاوى

هذا هو العنوان الذى جعله الأستاذ « لبيب الرياشى » لسلسلة من الرسائل فى فلسفة الاسلام . أخرج منها الرسالة الأولى التى نقدمها الآن لقراء « الرسالة » . والأستاذ الرياشى كاتب مسيحى له مكانته بين أدباء سورية الشقيقة . ثم هو فوق ذلك نخور بعربيته متحرر من قيود التعصب ؛ ولعل هذه الميزات هى التى تجعل من الرياشى وصحبه مدرسة جديدة هى (مدرسة المتجردين المتطهرين) التى تعلى للحق منبرا تدأب على حمايته ورعايته . وانك لتلمس سمو هذه المدرسة ونبلها فى مقالة الرياشى فى كشافة الكتاب الأول ، إذ يقول :

« لنتجرد .... ولنتطهر .... لنتجرد ولنتطهر أيها الانسى من جذام التعصب وأثرة الجنسية »

والرجل بهذا ينسى كل شىء سوى أنه من طلاب اليقين ، وليس من شك فى أن هذه الدراسة البريئة للسيرة النبوية الشريفة هى التى حفزت الرياشى على تحليل نفسية الرسول الكريم ، وجملته يعترف فوق ذلك بفضائل هذه الدراسة إذ يقول :

« ما ندمت على شىء فى حياتى ندماً عصبياً ساحقا مثل ندمى على جهلى نفسية الرسول العربى والامام الأعظم العالى محمد ابن عبد الله » . ذلك مايقوله رجل تمثل الأقلية الدينية المندمجة فى ذلك الشرق العربى ، الذى ترفرف فوق ربوعه راية التسامح فى الدين وتسوده روح الأخاء فى القومية العربية العزيزة ، والرياشى يصف محمداً بأنه (السوبرمان الأول العالمى) مستعيرا كلمة (السوبرمان) من الفيلسوف (نيتشه) وهذا الأخير أطلقها على الانسان الأكمل الذى يجمع إلى مشاركة البشر فى خصائص الجسم سمو العقل والروح إلى حد يجعله حلقة الاتصال بين الله والناس ، ويعمد الكاتب الفاضل إلى الموازنة بين عظمة محمد وغيره من قدة الانسانية ، فهو يقرر فى مستهل بحثه أن العظماء سرعان ما يفقدون هيبتهم إذا هم خالطوا الناس طويلاً ، أما محمد فلم تكن مخالطته للناس وتبسطه فى معاملتهم إلا عاملاً على رفع مكانته وإعلاء شأنه بينهم . وينتقل المؤلف إلى ما كان من توسط أبى طالب بين قريش ومحمد فى أن يسودوه عليهم ويزوجوه أحسن بناتهم على أن يترك تسفيه دياناتهم والدعوة إلى الله ، ويحلل جرأة محمد فى رده التاريخى الخالد ، ويقارن بينها وبين جرأة ميرابو خطيب الثورة الفرنسية ولوثر زعيم الاصلاح الدينى وأبى بكر وعمر ، والرياشى فى ذلك التحليل موفق أحسن التوفيق ، فهو يوضح أن جرأة بعض الزعماء والمصلحين تستند إلى قوة الجماهير وصولة الجماعات ؛ بينما ترتكز جرأة البعض الآخر على جلال الامارة وهيبة السلطان ، أما محمد ابن عبد الله فلم يتح له من ذلك شىء ، فجرأته لا تقاس بها جرأة . وإقدامه لا يعدله فى التاريخ إقدام

وبرغم ذلك التوفيق الجلى لاحظت أن الأستاذ وهو يعالج بعض النواحى يجتهد فى ضرب من التحليل أرى أنه ليس من التاريخ ولا من فلسفة التاريخ فى شىء ، فهو يتساءل عن السر فى خرس الجماهير مرات وسنوات إزاء الرسالة المحمدية ، وعن السر فى عدم إراقتهم دماء فى هذا السبيل ، ويقرر أن ذلك وقع برغم صياح أبى لهب وضجيجه ، وان ذلك كان لمعجزة ، وأن هذه المعجزة هى أن شخصية النبى أحلت فى نفوس القوم إيماناً جعلهم « يحترمون ويهابون ويؤمنون » . ليس ذلك يا سيدى هو الواقع ،

وإنما الواقع الذى لا يقبل الجدل هو أن العرب حين جهر النبى بدعوته آذوه واستغربوا فى إيذائه حتى أخرجوه من عشه مهاجراً إلى المدينة ، وأنهم كانوا فى ذلك معاندين مكابرين لا يحترمون ولا يهابون ولا يؤمنون ، وأن شخصية النبى لم تغن من ذلك الايذاء شيئاً . وليسمح لى الأستاذ الجليل أن أؤكد له أننا لو ذهبنا مذهبه من أن الرسول جهر بدعوته فاستجابت له الجماهير لأن تأثيره على محدثيه ومعاشريه تأثير المنوم المغنطيسى فى المنوَّم كما يقول : لو صح يا سيدى أن ننسب ذلك لمحمد لهيأنا للمعترضين فرصة للطمن فى دعوته فيقولون إن هذه القوة لا شك تبهر العرب بالباطل كما تبهرهم بالحق ، والواقع يا سيدى أن العرب سخرت من محمد ومن دعوة محمد وليس يخفى خبر المستهزئين بالرسالة من قريش أمثال أبى جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى وأبى لهب بن عبد المطلب وعقبة بن أبى معيط والوليد بن المغيرة عم أبى جهل والعاصى بن وائل القرشى والد عمرو بن العاص والنضر بن الحارث العبدرى وغيرهم ممن روى البخارى أخبارهم وحفلت بها بطون التواريخ

* * *

وفى موضع آخر من الرسالة يتناول المؤلف الكلام عن عدل الرسول الكريم فيسوق بعض الحوادث التاريخية التى تشهد بحبه للحق وانتصافه للناس حتى من نفسه . ثم يجاوز هذا الى تحليل صفة العفو والغفران فى نفس محمد ، وهنا يمحو تلك المعجزة التى كان قد أثبتها للنبى ، ويقرر بما ناله من الأذى على يد قريش إذ يقول :

« أباحوا دمه ودمهم ، وعلقوا فى ذلك الحصار وتلك الاباحة صحيفة فى جوف الكعبة طمأنة للمقتدرين على الأذية ، وزادوا بأن أجازوا المعتدى بثروة » (ص ٩١)

ويجيد الأستاذ فى تحليل ما كان من شأن الرسول الكريم مع قريش بعد فتح مكة من تسامح وغفران عظيمين ، ويوازن بقوة بين هذا التسامح وذلك الغفران وبين ما أتاه برنوس قائد الغال بعد دخول روما وما صنعه بونابرت بعد دخول بولونيا ، فيبدع فى تحليل نفسية الرسول ويثبت سموه على غيره من قادة البشر وعظماء الانسانية ، ولعل أجمل ما ساقه فى ذلك الموضع تصويره الرسول غالباً ظافراً يقف من المغلوبين فيضرب للتاريخ أعظم أمثلة التسامح والديموقراطية إذ يردد قول الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »

ثم يجاوز ذلك إلى مخاطبة الخائفين من المغلوبين بقوله :

« إذهبوا فأنتم الطلقاء »

هذه لمحة سريعة لذلك الكتيب الذى يقول مؤلفه الفاضل إنه الأول من الثلاثين التى يعتزم إخراجها فى فلسفة الاسلام . ونحن نهنئ الكاتب بجهده الجميل الذى يعد نوعاً جديداً فى أدب السيرة المحمدية الشريفة ، ونرجو للمؤلف التوفيق فى إخراج بقية الأجزاء

السنجارى

نظام الطلاق فى الاسلام

تأليف الأستاذ الشيخ محمد شاكر

للاستاذ عبد المتعال الصعيدى

رأت وزارة الحقانية فى هذه الأيام أن تسير فى إصلاح أحكام الأصول الشخصية ، فنشرت على رجال القضاء الشرعى وغيرهم كتاباً فى ١٣ نوفبر سنة ١٩٣٥ م تدعو من شاء منهم أن يقترح ما يراه من أحكام المذاهب الأخرى سبباً للتخفيف عن الناس ، ورفع الحرج عنهم

فكان الأستاذ الجليل ، والعالم المجتهد ، الشيخ احمد محمد شاكر القاضى الشرعى ، وأبو الأشبال أيضاً ، حفظه الله لهم وحفظهم له ، أول من بادر إلى إجابة هذه الدعوة ، ولا غرو فالولد سر أبيه ، ونشاطه من نشاطه ، وإذا كان فى الأزهر والمعاهد الدينية الآن شىء من النشاط ، فهى مدينة فيه لوالد الأستاذ أبى الأشبال الأستاذ الكبير الشيخ محمد شاكر شيخ معهد الاسكندرية ووكيل الجامع الأزهر ، والعضو الآن فى هيئة كبار العلماء ، فهو منشئ النظام الحاضر بالمعاهد ، وهو باعث هذا النشاط الموجود الآن فيها

وإذا قلت عن الأستاذ أبى الأشبال « العالم المجتهد » فذلك هو ما يستحقه بطريقته فى تأليف هذا الكتاب ، إذ سار فيه على طريق السلف الصالح من الرجوع فى استنباط الأحكام إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يعول فى ذلك على أقوال أئمة المذاهب كما يعول عليها غيره ، ولا يتعداها إلى النظر الصائب الخالى عن التعصب فى كتاب أو سنة

وهو مرة يأخذ بأحد أقوال الأئمة الأربعة إذا وجده متفقاً مع كتاب الله وسنة رسوله ، ومرة يأخذ بقول الشيعة أو غيرهم إذا كان متفقاً عنده مع ذلك ، كما ذهب إلى الأخذ بقول الشيعة فى وجوب الاشهاد على الطلاق لقوله تعالى : (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله) فالظاهر من سياق الآية أن قوله (وأشهدوا) راجع إلى الطلاق وإلى الرجعة معاً ، وهو قول ابن عباس ، فقد روى عنه الطبرى فى التفسير : إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضى عدتها أشهد رجلين كما قال الله (وأشهدوا ذوى عدل منكم) عند الطلاق وعند المراجعة ، وهو قول عطاء أيضاً . فقد روى عبد الرازق وعبد بن حُمَيد قال : النكاح بالشهود والطلاق بالشهود ، والمراجعة بالشهود ، نقله السيوطى فى الدر المنثور

وقد اختار الأستاذ أبو الأشبال بطلان الرجعة إذا قصد بها الرجل المضارة ، لقوله تعالى : (وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحا) وقوله (ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا) وإذا كان للمرأة أن تطلب الطلاق للمضارة ، فأولى أن يكون لها الحق فى طلب الحكم بابطال الرجعة للمضارة أيضاً

ولكنه كما ترى ترك ذلك لنظر المحاكم ، ولا يخفى أن هذا يجر إلى منازعات لا طائل تحتها ، والأولى من هذا أن تكون الرجعة برضا المرأة ، لأنها إذا لم تكن برضاها فالمضارة حاصلة قطعاً ؛ وإذا كانت تستأمر فى النكاح ، فلتستأمر فى الرجعة أيضاً

ومما ذهب اليه الأستاذ أبو الأشبال أن الطلاق الثلاث الذى اختلف فى أنه يقع ثلاثاً أو طلقة واحدة إنما هو أن يطلق الرجل امرأته مرة ، ثم يطلقها مرة ثانية فى عدتها ، ثم يطلقها مرة ثالثة فيها ، سواء أكان ذلك فى مجلس واحد أم فى مجالس متعددة ، أما الطلاق بلفظ الثلاث فليس هو محل ذلك الخلاف ، وإنما يقع واحدة قطعاً ، لأن قول القائل « أنت طالق » يوجد به حين القول حقيقة معنوية واقعية هى الطلاق ، ووصفه بعد ذلك هذا الفعل بالعدد (مرتين أو ثلاثاً) وصف باطل غير صحيح ، لأن الذى تحقق بقوله (أنت طالق) مرة واحدة لا مرتان ولا ثلاث ، ولا يتحقق ذلك إلا بنطق ثان أو ثالث كسابقهما

وهذا مذهب له خطورته لولا أن العمل الآن على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة ، فلندع ذلك الماضى إلى رحمة الله ، ولنفكر فى حاضرنا وحده

هذا وكتاب الأستاذ أبى الأشبال جدير باقبال المسلمين عامة ، وطلاب العلوم الدينية خاصة ، لينتفعوا بما فيه من فقه صحيح ، واجتهاد نافع ، واطلاع واسع

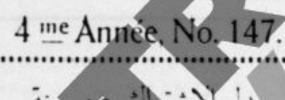
عبد المتعال الصعيدى

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٧ — ٢٧ ابريل سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 147. — Lundi - 27 - 4 - 1936



بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٧ — « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ صفر سنة ١٣٥٥ — ٢٧ أبريل سنة ١٩٣٦ » — السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة
٦٨١ ترجمة معانى القرآن ... ...
٦٨٣ الربيع ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٦٨٤ الاسلام كعامل فى المدنية : الأستاذ أحمد أمين ... ...
٦٨٨ النهضات القومية العامة فى أوربا وفى الشرق ... : الأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى
٦٩١ جاكومو كازانوفا ... ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٦٩٤ ليلة وداع ... ... : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٦٩٦ قصة المكروب ... ... : الدكتور أحمد زكى ... ...
٧٠٠ حيل الضمير ... ... : الأستاذ عبد الرحمن شكرى
٧٠١ النيـــل ... ... : لكاتب فرنسى ... ...
٧٠٣ بعد الزهاوى ... ... : عبد الوهاب الأمين ... ...
٧٠٥ الحياة الأدبية فى فلسطين : السيد محمد تقى الدين النبهانى ...
٧٠٧ وداع ... ... : «ع» ... ...
٧١٠ الألم (قصيدة) : الأستاذ أنور العطار ... ...
٧١٠ جميل صدقى الزهاوى « : عبد السلام رستم ... ...
٧١١ الشاعر والربيع « : محمد رشاد راضى ... ...
٧١٢ ليلة فى الفردوس (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٧١٦ العبرات الحرار ... ... : برهان الدين محمد الداغستانى ...
٧١٧ المعجم الوسيط . ترجمة معانى القرآن ... ...
٧١٨ الشعر القبطى القديم ... ...
معاهدة ثقافية . وفاة علامة كبير ... ...
٧١٩ نابليون : المائة يوم (كتاب) : الأستاذ محمد فريد أبو حديد ...
٧٢٠ مكتبة القراءة والثقافة الأدبية : (س) ... ...

ترجمة معانى القرآن

رأى صاحب السعادة الأستاذ محمد على علوبه باشا وزير المعارف فى رحلته إلى الشرق الأقصى قوماً من اليابان ينظرون فى الأديان ليختاروا من بينها طريقهم إلى الله ، وهم لذلك يتلمسون الوسائل لفهم القرآن فلا يجدون إلا ما كتب المستشرقون والمبشرون وأولو العِلاَّت من الجهل والغرض . وكل ما فى أيديهم من ذلك ترجمتان : ترجمة أوربية لم تصدر عن معرفة ، وترجمة (أحمدية) لم تصدر عن عقيدة ؛ فالأولى تشويه من زور العلم ، والأخرى تمويه من خداع السياسة . والدعوة الدينية اليوم فضلاً عن آثارها الروحية وسيلة من وسائل الاستعمار فى الأمم الضعيفة ، ونوع من أنواع التحالف فى الأمم القوية

رأى الأستاذ ذلك وسمع أمثال ذلك فكان من أمانيه أن تصدر عن مصر كنانةِ الله وموطن الأزهر ومعقل العربية ، ترجمة رسمية لمعانى القرآن تكون فى الترجمات كما كان مصحف عثمان فى المصاحف . فلما تولى وزارة المعارف كان من أول ما أمضى النية عليه أن طلب إلى مجلس الوزراء « ترجمة معانى القرآن ترجمة رسمية

بحسب ترتيب سوره وآياته ، وبأسلوب موجز واضح يمكن المترجم من نقله إلى اللغة الأجنبية بالتدقيق الواجب توخيه فى ترجمة رسمية ؛ على أن يبدأ بترجمة القرآن إلى اللغة الانجليزية بمعرفة لجنة أحد عنصريها جماعة من المستشرقين أو غيرهم من الأجانب ، يراجع عليها كاتبان أحدهما مصرى والآخر انجليزى ، يراجعان الترجمة مراجعة نهائية » . وجعل الغرض لهذه الترجمة : « نشر هداية الاسلام بين الأمم التى لا تتكلم العربية ، والقضاء على الأثر السيئ الذى أحدثته الترجمة الخاطئة » . فعرض هذا الأمر صاحبُ الدولة رئيس الحكومة على صاحب الفضيلة رئيس الأزهر ، فاستفتى فيه جماعة كبار العلماء فأفتوا بجوازه ، وعلى ذلك أقره مجلس الوزراء وانقطع القول فيه

* * *

ما كان لنا إذن بعد أن أفتى كبار العلماء وأقر مجلس الوزراء أن نتكلم فيما فرغ الناس منه وتبين الحق فيه ، ولكن « الرسالة » من واجبها أن تلاحظ ومن حقها أن تسجل . والجدل الذى قام على هذا المشروع المفهوم بالضرورة ، بين من أيّد وبين من فند ، إنما دل على مغمزين فى بعض رجال الدين لا يتجدد بهما حبل الاسلام ولا تبلغ عليهما رسالة الأزهر . دل على أن فى العلماء من لا يزالون يعتقدون أن من سنة الدين إلغاء العقل بالغاء الرأى . فهم فيما يوردون وفيما يصدرون عبيد للنقل ، لا يفتون إلا بقول قيل ، ولا يحكمون إلا بنص كتب ، وقد لا يكون من الفروق بينهم وبين صاحب هذا القول أو كاتب هذا النص إلا أنه سبقهم إلى الوجود بقرن أو أكثر !

صفحوا أوراق الأسفار الضخمة لعلهم يقعون على نص فقهى يحظر أو يبيح ترجمة المعانى القرآنية إلى اللغة الانكليزية ، فلما أعياهم المحال بالطبع تقارعوا بالنصوص الحمالة ، وتراشقوا بالنقول المبهمة ، وفاتهم حين فاتوا الاجتهاد أن دعوة الاسلام عامة ، ومن مقتضيات هذا العموم أن يترجم كتابها إلى كل لغة ، وأن الداعى الأعظم (ص) الذى كان يجيب كل وفد بلحنه ، ويخاطب كل إنسان على قدر عقله ، ويهوّن على الفارسى فيكلمه ببعض لسانه ، ويسهّل على قارئ القرآن بأن يقرأه بلهجته ، ويوافق سلمان على ترجمته الفاتحة لقومه ، لو نسأ الله فى أجله حتى تُفتح

الفرس وتُغلب الروم لأمر فى أغلب الظن أن ينقل كلام الله إلى كلام الناس ليتصلوا به من غير حجاب ، ويتفقهوا فيه من غير وساطة

إن فى جعل بعضهم تعلم العربية شرطاً فى فهم القرآن واعتناق الاسلام صداً عن سبيل الله وإبطالاً لدعوته . وإن إغفال الترجمة الاسلامية لآيات الله لم يحمل الفرس والترك والهنود على أن يتعربوا ، وإنما ظلوا إلى اليوم يكابدون اختلاق الدعاة وتضليل الجهلة ، وما تعرب منهم من تعرب إلا ابتغاء الرزق أو الجاه أو العلم فى دولة العرب . وعدم الترجمة فى مصر لم يحل دون وجودها فى غير مصر ؛ فان الناس فى الشرق والغرب يقرأون القرآن فى أكثر اللغات بأسلوب مفكك وبيان قاصر ، وواجب العلماء أن يغيروا هذا المنكر بالمحو وهو محال ، أو بالتصحيح وهو ممكن . وليس فى ترجمة معانى التنزيل استحالة ما أمكنت القدرة . والقول بأن المسلمين ما برحوا عاجزين عن فهم القرآن قول بأن الاسلام يقوم على أساس غير واضح . ولعل ترجمة المفهوم من لفظ القرآن أسلم من ترجمة المراد من معناه ؛ فان الأولى تفسير لغوى للنص ، والثانية تقييد رسمى للرأى . وفى ذلك وشبهه مجال لعقل الفقيه اذا خلص من قيود التقليد لحظة

* * *

كذلك دل هذا الجدل على أن فى العلماء من يلبسون الدين بالهوى ابتغاء لعرض الدنيا أو استشفاء من مرض القلب ، فقد تحدث الناس عن رجلين معروفين بمرونة الرأى قاما يحاربان المشروع بنية مدخولة ، حتى بلغ الأمر بأحدهما أن أهاب بدافعى الضرائب أن يحولوا بين الحكومة وبين الانفاق على هذا العمل الباطل ! !

يا ورثة الأنبياء فيم ورثتموهم ولم يتركوا ضياعا ولا قصورا ولا مراكب ؟ ؟ إنكم ورثتموهم فى الدعوة إلى الله فلا تبطلوها ، وفى تنفيذ الشريعة فلا تعطلوها ، وفى نشر الفضيلة فلا تطووها طى المتاع الكاسد

لقد شعر المصلحون بأن الدين جوهر كل إصلاح ، فساعدوهم على كشف الطريق بنور الحق ، وبلوغ الغاية بهدى الله ، وإلا فليس على الدين مسيطر ، ولا على الناس لله وكيل !

الربيــــع

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

خرجتُ أشهدُ الطبيعةَ كيف تُصبح كالمعشوق الجميل ، لا يقدّم لعاشقه إلا أسبابَ حبه :

وكيف تكون كالحبيب ، يزيد فى الجسم حاسةَ لمس المعانى الجميلة :

وكنت كالقلب المهجور الحزين ، وجد السماء والأرض ، ولم يجد فيهما سماءه وأرضه

ألا كم من آلاف السنين وآلافها قد مضت منذ أخرج آدم من الجنة !

ومع ذلك فالتاريخ يعيد نفسه فى القلب ؛ لا يحزن هذا القلب إلا شعر كأنه طُرد من الجنة لساعته

* * *

يقف الشاعر بإزاء جمال الطبيعة فلا يملك إلا أن يتدفّق ويهتزّ ويطرب

لأن السرّ الذى انبثق هنا فى الأرض ، يريد أن ينبثق هناك فى النفس

والشاعرُ نبى هـذه الديانة الرقيقة التى من شريعتها إصلاحُ الناس بالجمال والخير

وكلُ حُسن يلتمس النظرةَ الحيةَ التى تراه جميلاً لتعطيه معناه

وبهذا تقف الطبيعة محتفلة أمام الشاعر ، كوقوف المرأة الحسناء أمام المصور

* * *

لاحت لى الأزهارُ كأنها ألفاظُ حب رقيقة مُنَشَّاة باستعارات ومجازات

والنسيمُ حولها كثوب الحسناء على الحسناء ، فيه تعبيرٌ من لابِسَتِه

وكل زهرة كابتسامة تحتها أسرارٌ وأسرارٌ من معانى القلب المعقّدة

أهى لغة الضوء الملوّن من الشمس ذاتِ الألوان السبعة ؟

أم لغةُ الضوء الملوّن من الخد ، والشفة ، والصدر ، والنحر والديباج والحلى ؟

* * *

وماذا يفهم العشاقُ من رموز الطبيعة فى هذه الأزاهر الجميلة ؟

أتشير لهم بالزهر إلى أن عمر اللذة قصير ، كأنها تقول : على مقدار هذا ؟

أتعلمهم أن الفرق بين جميل وجميل كالفرق بين اللون واللون وبين الرائحة والرائحة ؟

أتناجيهم بأن أيام الحب صُوَرُ أيام لا حقائق أيام ؟

أم تقول الطبيعة : إن كل هـذا لأنك أيتها الحشرات لا تنخدعين إلا بمثل هذا [1] .... ؟

* * *

فى الربيع تظهر ألوانُ الأرض على الأرض ، وتظهر ألوان النفس على النفس

ويصنع الماءُ صُنعَه فى الطبيعة فتُخرج تهاويلَ النبات ، ويصنع الدم صنعه فيخرج تهاويلَ الأحلام

ويكون الهواءُ كأنه من شفاهٍ متحابّة يتنفس بعضُها على بعض

ويعود كل شىء يلتمع لأن الحياة كلَّها ينبض فيها عرقُ النور

ويرجع كل حى يغنى لأن الحب يريد أن يرفع صوته

* * *

وفى الربيع لا يضىءُ النورُ فى الأعين وحدها ، ولكن فى القلوب أيضاً

ولا ينفذُ الهواءُ إلى الصدور فقط ولكن إلى عواطفها كذلك

ويكون للشمس حرارتان إحداهما فى الدم

ويطغَى فيضانُ الجمال كأنما يراد من الربيع تجربةُ منظر من مناظر الجنة فى الأرض

والحيوان الأعجم نفسُه تكون له لفَتَاتٌ عقلية فيها إدراكُ فلسفة السرور والمرح

* * *

(١) ثبت أن ألوان الأزهار وعطرها وما فى ظاهرها وباطنها كل ذلك لاجتذاب الحشرات إليها كى تنقل اللقاح من زهرة إلى زهرة

وكانت الشمسُ في الشتاء كأنها صورةٌ معلقة في السحاب

وكان النهارُ كأنه يضيء بالقمر لا بالشمس

وكان الهواءُ مع المطر كأنه مطرٌ غير سائل

وكانت الحياة تضع في أشياءَ كثيرة معنى عبوس الجوّ

فلما جاء الربيع كان فرحُ جميع الأحياء بالشمس كفرح الأطفال رجعت أمهم من السفر

***

وينظر الشباب فتظهر له الأرض شابة

ويشعر أنه في معاني الذات أكثر مما هو في معاني العالم

وتمتلئ له الدنيا بالأزهار، ومعاني الأزهار، ووحي الأزهار

وتخرج له أشعةُ الشمس ربيعاً وأشعةُ قلبه ربيعاً آخر

ولا تنسى الحياةُ عجائزها، فيبعثهم ضوءُ الشمس . . .

***

ما أعجب سر الحياة: كل شجرة في الربيع جمال هندسي مستقل

ومهما قطعت منها وغيرت من شكلها أبرزتها الحياة في جمال هندسي جديد كأنك أصلحتها

ولو لم يبق منها إلا جذر حيّ أسرعت الحياة فجعلت له شكلا من غصون وأوراق

الحياة الحياة. إذا أنت لم تفسدها جاءتك دائماً هداياها

وإذا آمنت لم تعد بمقدار نفسك ولكن بمقدار القوة التي أنت بها مؤمن

***

« فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها »

وانظر كيف يخلق في الطبيعة هذه المعاني التي تبهج كل حي، بالطريقة التي يفهمها كل حي

وانظر كيف يجعل في الأرض معنى السرور، وفي الجو معنى السعادة

وانظر إلى الحشرة الصغيرة كيف تؤمن بالحياة التي تملأها وتطمئن؟

انظر انظر: أليس كل ذلك رداً على اليأس بكلمة: لا

طنطا مصطفى صادق الرافعي

الإسلام كعامل في المدنية

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

للأستاذ أحمد أمين

والمسألة الثانية هي « الثقافة الإسلامية » وأثرها في المدنية وأريد أن أكرر هنا ما أشرت اليه من أن الثقافة الاسلامية كانت أثراً من آثار العقيدة الاسلامية التي ألمت بها. فالقرآن رفع مستوى العقل الى درجة يستطيع فيها التفكير الصحيح بما حارب من خرافات وأوهام، وعبادة أصنام، وبما حث على النظر في الكون ومراقبة تغيراته، واختلاف مظاهره، ودوام حركاته، وبتوجيه العقل الى أن وراء كل المظاهر المختلفة وحدة. فالناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم يرجعون الى أصل واحد هو آدم وحواء، والبحار والأنهار المختلفة كلها ترجع الى ما أنزل من السماء من ماء، والعالم كله يرجع الى وحدة الخالق « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ». فهذه الوحدة في العالم تحمل على التفكير الصحيح والثقافة العميقة والنظر الفلسفي الروحي. فالقرآن من ناحية فك قيود العقل، وهذا هو العامل السلبي؛ ومن ناحية أخرى أخذ بيده ليشرف على العالم من مرقب عال، وهذا هو العامل الايجابي

من أجل هذا كانت الثقافة الاسلامية نتيجة العقيدة الاسلامية لا نتيجة شيء آخر، فان هي اتجهت الى الاستعانة بالفلسفة اليونانية والثقافة الفارسية والهندية، فلأن الدين حملها على ذلك وطلب منها أن تتطلب العلم حيث كان ومن أي كائن كان

وقد بذر الاسلام في نفوس أصحابه بذوراً تأصلت فيهم فكانوا إذا اقتبسوا من الفلسفة اليونانية أو أية ثقافة أخرى لم يكونوا مقلدين تقليدا صرفاً، إنما كانوا دائماً يُعملون العقل فيما نقلوا، ويعملون العقيدة الدينية فيما قرأوا. فاذا نظرنا الى ما كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد رأيناهم لم يقفوا موقف التلميذ فحسب، بل نقدوا وزادوا ووفقوا بين الفلسفة والدين وأمدوا كل شيء أخذوه بروح من عندهم، فكان لثقافتهم طابع خاص وشارة تعرف بها — حتى هذا المنطق اليوناني الذي دانت له كل الأمم زاد الغزالي في بعض كتبه فصولاً عن القرآن؛ وابن تيمية وابن حزم وغيرهما نقدوا منطق اليونان وعدوه منطق شكل لا منطق مادة. وكان

شأنهم فى كل فرع هذا الشأن تقريباً . فدعوى أن المسلمين فى ثقافتهم كانوا حفظة للثقافة اليونانية أكثر منهم مبتكرين لثقافة خاصة دعوى أملاها عدم الدراسة للثقافة الاسلامية دراسة وافية

والحق أن فضلهم على المدنية الحديثة كان من الناحيتين جميعاً : من ناحية حفظهم لثقافة غيرهم من الأمم ولولاهم لضاع كثير منها ، ومن ناحية ما أنشأوا وابتكروا وبثوا من روح فى الثقافات القديمة . وقد بدأ علماء أوروبا يبحثون نواحى تأثير الثقافة الاسلامية فى الثقافة الأوروبية ؛ وكان من آخر ما أظهروا فى هذا الباب كتاب ما خلفه الاسلام Legacy of Islam تناولوا فيه أثر الثقافة الاسلامية فى الجغرافيا والتجارة ، وفى القانون والاجتماع والفن والعمارة وفى الأدب ، وفى التصوف وفى الفلسفة واللاهوت ، وفى العلم والطب ، وفى الهيئة والرياضيات . وهذا البحث وإن كان آخر ما ألفوا فهو أول ما كتشفوا من طريق يشرف على آثار قيمة ضخمة لا تزال تنتظر مكتشفين أبعد مدى ، وأقوى على تحمل مشاق الطريق

ولعلنا لكى نقرب من موضوعنا نسأل هذا السؤال : هل كان العالم يستطيع أن يقف على درجة السلم التى يقف عليها الآن لولم تكن مدنية الاسلام ؟ هل لولم يكن فى الوجود مدنية بغداد ومدنية قرطبة والحروب الصليبية كانت المدنية الحديثة تبلغ ما بلغت الآن ؟ هل كانت النهضة الأوربية الحديثة تحدث فى الزمن الذى حدثت فيه لولم ترتكز على المدنية الاسلامية ؟

هذا سؤال واحد فى أوضاع مختلفة والاجابة عنه يسيرة ، وهى إجابة بالنفى القاطع . ولا يعلم إلا الله كم كانت تتأخر المدنية الحديثة لولم ترتكز على المدنية الاسلامية وتطير من على عاتقها ، فالمتتبع لتاريخ المدنيات يرى أنه حلقات يسلم بعضها إلى بعض ، ويستفيد لاحقها بما وصل إليه سابقها . وقد كانت المدنية الاسلامية هى التى فى الذروة قبيل المدنية الحديثة ، ولم يكن يضارع بغداد وقرطبة مدينة أخرى فى العالم فى مدنيتهما وثقافتهما وصناعتهما ، ونظمهما الادارية والحربية . ولتوضيح ذلك ننظر فى أسس المدنية الحديثة ونبين علاقة هذه الأسس بالمدنية الاسلامية

لقد بنيت النهضة الحديثة فى الثقافة على أساسين وهما الشك والتجربة — كانت الثقافة فى القرون الوسطى تعتمد كل الاعتماد على آراء اليونان وتقدس ما قال أفلاطون وأرسطو كل التقديس . فاذا قال أرسطو قولاً فلا يمكن إلا أن يكون صحيحاً ، وإذا كان الحس يدل على غير ما يقول وجب أن نعتبر الحس خداعاً ، والحقيقة ما قال أرسطو . لقد قال أرسطو إن الجسم إذا كان أثقل كان إلى الأرض أسرع ، ولكن صعد بعضهم من مكان عال ورمى فى وقت واحد حديدتين وزن إحداهما ضعف الأخرى فوصلا إلى الأرض معاً ، ومع هذا قالوا إن الحق ما قال أرسطو ، ويجب أن يؤول الواقع وهكذا . وكانوا يعتمدون كل الاعتماد على القياس المنطق وحده يؤيدون به المذاهب والآراء ، والقياس المنطق وحده وسيلة عقيمة لأنه يجعلك تسلم بالمقدمات تسليما أعمى وتعنى فيه بالشكل . فجاءت النهضة الحديثة تشك فى هذه المقدمات العامة وتمتحنها وتجرى التجارب عليها ولا تؤمن بشىء حتى تدل التجارب على صحته ، وكان هذا دعامة النهضة الحديثة . والحق أن هذه طريقة لم تكن بعيدة عن المسلمين ولا خفيت عليهم ؛ فالتاريخ يحدثنا أن النظّام ألف فى نقد آراء أرسطو ، وأن تلميذه الجاحظ فى كتابه الحيوان يطلع اطلاعاً واسعاً على أقوال أرسطو ثم لا يمنحها هذا التقديس ؛ بل ينقدها نقداً جريئاً ويقول قد جرّبنا قول أرسطو فلم نجده صحيحاً . ويقول : « إن قوله هذا غريب » ، و « هو قول لا يجيزه العقل » إلى كثير من أمثال ذلك ، وربما فضّل على قوله قولاً آخر قاله عربى جاهلى فى بيت من الشعر ، لأنه أقرب إلى العقل . فهو بهذا قد جعل عقله حكماً على أرسطو ، على حين أن فلاسفة القرون الوسطى فى أوروبا جعلوا أرسطو حكما على العقل ، والبيرونى يحكم عقله فى الرياضيات ، ويقارن بين نظريات اليونان ونظريات الهند ، ويفضل هذه حيناً وهذه حيناً فى كتابه الآثار الباقية ، وحيناً لا يقبل هذه ولا تلك ويعتمد على عقله الصرف ، ويقف الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » الموقف الذى وقفه بعدُ ديكارت فيقول : « إنه رأى صبيان النصارى ينشأون على النصرانية ، وصبيان اليهود على اليهودية ، وصبيان المسلمين على الاسلام ، وأنه لم يقنع بهذا الدين التقليدى التلقينى ، وطلب أن يعلم حقائق الأمور وأن يبنى دينه على يقين ، وقال إنه بدأ بالشك فى كل ذلك حتى يقوم البرهان على صحته ، ولم يسمح لنفسه باعتقاد حتى يتأكد من صحته » وقال : « كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين .

فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني » ، وابن خلدون نظر إلى المجتمع الانسانى هذا النظر الحر الطليق فاستفاد مما قال أرسطو وغيره ولكنه لم يتقيد به ، ونظر فى مجتمعات لم يصل إليها علم أرسطو وهى القبائل العربية والدول الاسلامية ، واستنتج من ذلك كله نظرياته التى كانت ولا تزال محل تقدير علماء الاجتماع والتاريخ من الأوروبيين وإعجابهم

وعلى الجملة فهذه الأسس التى بنيت عليها النهضة الحديثة فى أوروبا من تحرير العقل من قيود الأوهام ، ومن عبادة العظماء أمثال أرسطو ، ومن وضع القوانين بعد الملاحظة والتجربة ، وبعد الشك فيما اتخذه الأقدمون قضايا مسلمة ، كله كان منبثاً فى الثقافة الاسلامية فى عصورها الزاهيـة . وكل ما فى الأمر أن الذين بنوا على هذه الأسس القيمة هم الأوروبيون لا المسلمون ، وأن من سوء حظ المسلمين أن وضعت فى سبيلهم عقبات ليس منشؤها دينهم حالت بينهم وبين أن يتموا ما بدأوا ، وأن يشيدوا فوق ما أسسوا . ولكن من الحق أنا إذا أردنا أن نقوّم بناء لا نكون سطحيين فنقوم ظاهره ، ولا نقوم باطنه ؛ ونقوم أعلاه ، ولا نقوم أساسه

ووجه آخر بجانب هذا ، وهو أن ثقافة المسلمين لم تكن جميعها متجهة اتجاه الفلسفة اليونانية والعلوم اليونانية ؛ فقد كانت لهم مناح فى الثقافة خاصة بهم لم يعتمدوا فيها على غيرهم إلا اعتماداً ضعيفاً غير مباشر ؛ فما أنشأوا من علوم لغتهم كالنحو والصرف والبلاغة وأدبهم الذى رقوا به أدب جاهليتهم وساروا به على منهج خاص بهم ، لا على المنهج اليونانى ، ولا على المنهج الفارسى ؛ والعلوم الغزيرة التى أنشأوها حول دينهم من تفسير للقرآن والحديث ، ومن فقه قابلوا به قضاياهم ونظامهم وحياتهم الاجتماعية الخاصة ، وما أسسوا له من « أصول الفقه » الذى لم يجروا فيه على منوال سبق — كل هذه وأمثالها كانت مظهراً من مظاهر الاختراع العقلى للمسلمين ، وكل هذه كانت عوامل فى بناء المدنية الاسلامية التى بنيت عليها المدنية الحديثة

وقد حفظ لنا التاريخ بعض الصلات التى ربطت بين المدنية الاسلامية والمدنية الأوروبية ، وأبان لنا كيف استمدت الثانية من الأولى ، وكشف لنا عن بعض الجداول التى كانت تتسرب من المدن الاسلامية تصب فى المدن الأوروبية ، وإن كان بعضها لم يزل مطموراً إلى اليوم ولم يستكشف بعد

فقد اتصل الأوربيون بالمسلمين فى الأندلس اتصالاً وثيقاً ، واتخذ علماؤهم فلاسفة المسلمين أساتذة يتعلمون منهم ويدرسون عليهم ، ونشطت حركة واسعة النطاق لنقل أهم المؤلفات العربية الى اللغة اللاتينية ، وهى لغة الأدباء والعلماء فى القرون الوسطى ، حتى أن كثيرا مما بقى من مؤلفات ابن رشد حفظت الى الآن باللغة اللاتينية ولا نجد أصلها بالعربية ، وكان من أشهر من قام بهذه الحركة « ريموند » Raymond الذى كان مطراناً لطليطلة من سنة ١١٣٠ — سنة ١١٥٠ ، فقد أسس جمعية لنقل أهم الكتب الفلسفية والعلمية العربية الى اللغة اللاتينية ، فنقلوا من العربية أهم كتب أرسطو وما علقه عليها العرب من شروح ، كما نقلوا أهم كتب الفارابى وابن سينا ، وكان من أثر هذه الجمعية أن رأينا منطق أرسطو المترجم من العربية الى اللاتينية يقرأ فى باريس بعد ثلاثين سنة من عمل هذه الجمعية . وقد مرت حركة استفادة الأوربيين من الثقافة اليونانية فى ثلاثة أدوار ، الدور الأول : نقل الفلسفة اليونانية والكتب العلمية من العربية الى اللاتينية ، والدور الثانى : النقل من اليونانية مباشرة بعد سقوط القسطنطينية . والثالث : نقل الشروح العربية الى اللاتينية

وجاء فردريك الثانى سنة ١٢١٥ ، واتصل بالمسلمين اتصالاً وثيقاً فى صقلية وفى الشام فى حروبه الصليبية ، واقتبس كثيراً من آرائهم وعاداتهم وعقائدهم ، وقد وصفه المؤرخون بأنه كان يعجب بفلاسفة المسلمين ، وكان يعرف اللغة العربية ويستطيع أن يقرأ بها الكتب الفلسفية فى مصادرها الأصلية . وأنشأ سنة ١٢٢٤ مجمعاً فى نابلى لنقل العلوم العربية والفلسفة العربية الى اللاتينية والعبرية لنشرها فى أوربا . وبفضل فردريك ذهب « ميكائيل سكوت » الى طليطلة وترجم شروح ابن رشد على أرسطو ، وقبل ذلك كانت قد نقلت الى اللاتينية جمهرة من كتب ابن سينا واستعملت فى باريس حول سنة ١٢٠٠ م

وفى القرن الثالث عشر كانت كل كتب ابن رشد تقريباً قد ترجمت الى اللاتينية ما عدا كتباً قليلة ، منها كتاب تهافت التهافت الذى رد به على تهافت الفلاسفة للغزالى ، فقد ترجمت فى القرن الرابع عشر

وكان أهم مركز لتعاليم ابن رشـد فى جامعة بولونيا وجامعة

بادوا Padua فى ايطاليا ومنها انتشرت هذه الثقافة فى ايطاليا الشمالية الشرقية الى القرن السابع عشر ، واستمرت كتب ابن سينا فى الطب سائدة الى ما بعد هذا العصر

ورجال النهضة الحديثة الذين قاموا بحركة الثورة الفكرية كانوا يدرسون على هذه الكتب ، أو يتتلمذون لمن درسوا عليها ، فروجر بيكون الذى سبق أهل زمنه فى معارفه وطريقة بحثه أخذ ثقافته العلمية من الأندلس ، ودرس فلسفة ابن رشد ، والقسم الخامس من كتابه فى البصريات Optics مستمد ومساير لكتاب ابن الهيثم فى هذا الموضوع نفسه

وطالما ارتفعت شكوى رجال الدين فى الأندلس من أن المسيحيين يدرسون علم العرب المسلمين ، وعابوا مطران أشبيلية لأنه يدرس فى جد فلسفة الكافرين ، يعنون المسلمين

وعلى كل حال فجملة الأمر فى مدنية المسلمين كما لخصها الأستاذ لكى Lecky خير تلخيص إذ قال :

« لم تبدأ النهضة الفكرية فى أوربا إلا بعد أن انتقل التعليم من الأديرة الى الجامعات ، وإلا بعد أن حطمت العلوم الاسلامية ، والأفكار اليونانيـــة ، والاستقلال الصناعى ، سلطان الكنيسة »

***

هذا هو موقف المسلمين أمس من المدنية ، ولا بد أن نلقى نظرة على موقفهم اليوم من المدنية الحديثة . ومما يؤسف له حقاً أن نقول إن المسلمين لا يشتركون اليوم فى بناء صرح المدنية اشتراكا كبيرا ، لأن حديثهم هو تقليد للمدنية الحديثة ، وقديمهم هو مدنية القرون الوسطى ، فهم فى الصناعات والمخترعات ونظم الحكومات والادارات ، وفى كتبهم التى تؤلف فى العلوم الحديثة من جغرافيا وتاريخ وطبيعة وكيمياء وما اليهما ، ونظام مدارسهم الحديثة ومحاكمهم وقوانينهم ؛ كل هذا يقلدون فيه المدنية الغربية . وكلما زاد التقليد فيها عدت أقرب الى الكمال ؛ وقديمهم من مثل دراسات علومهم كالنحو والصرف والفلسفة الاسلامية ، ومن مثل قضائهم فى المحاكم الشرعية ، ومن مثل مدارسهم الدينية ، ونحو ذلك ، كلها على نمط مدنية القرون الوسطى . فهم — فى ظاهر الأمر — لا يضعون أحجاراً كبيرة فى بناء المدنية الحديثة ، ولا يلونونها بلون خاص . ولكن هل الذنب فى ذلك ذنب الاسلام والمسلمين ؟ اذا عرضت نفسك لتبنى فمنعك صاحب البناء بالقوة فالذنب ذنب من منع لا من مُنع ، وهكذا الشأن فى موقف المسلمين . لقد سبقهم الغربيون باستخدام العلم فى قوة تسلحهم الى أقصى حد يمكن فيه استخدام العلم ، فوجهوا هذه القوى الهائلة الى الشرق ، ولم يكن قد صحا بعدُ من سباته الذى سببه ما فسد من عقيدته ، وما فسد من سياسته ، وما فسد من شؤونه الاجتماعية ، فسلط عليه الغرب كل قوته ، فانتبه مذعورا ؛ ونظر اليه الغرب نظرة استغلال ، فساعده على كل ما يفيد الاستغلال ، ومنعه عن عمل كل شىء يفيد الاستقلال ، فهو اذا أراد أن يتثقف كما يشاء ، أو يرقى شؤونه الاجتماعية كما يشاء ، أو أن يحكم نفسه كما يشاء ، أو أن يرقى أخلاقه كما يشاء ، منعه الغرب من ذلك حرصا على فائدته فى هذا الاستغلال ، والشرق لا يستطيع أن يقاوم إلا بالقوة ، والقوة محرمة عليه . فهل بعد ذلك هو الذى يتحمل تبعة عدم اشتراكه فى البناء

إنى لأرجو أن الزمن ورقى الأفكار السياسية التى تخطو فى هذه الأيام خطوات سريعة تجعل الغربى ينظر الى الشرق نظرة تعاون ، فيدرك أن طريقة الاستغلال ليست أصلح الطرق حتى من الناحية الاقتصادية ، وأن رقى الشرق والسماح له بالبناء يزيد فى صرح المدنية ويرفع بناءها ، ويسرع فى علو شأنها . وكما تبين للناس أن نظام الأقطاع وتسخير الملاك للعبيد لم يكن فى مصلحة الملاك ولا العبيد ، فحطموا هذا النظام من أساسه ، وأسسوه من جديد على تحرير العبيـد وتعاون الملوك والمستأجرين ، وأرباب الأموال والعمال ، فكذلك سيكون الشأن مع الحاكمين والمحكومين يتعاونون ولا يتقاتلون ، ويتفاهمون ولا يتنازعون ، ويتحاكمون إلى الرأى والعقـل لا إلى القوة والسلاح . وأرجو ألا يكون ذلك بعيداً

على أن من العدل أن نقول إن التبعة فى ذلك كله لا تقع على الغربيين وحدهم ، فان هناك عوامل فى المسلمين أنفسهم جعلتهم فى هذا الموقف الحرج . فهناك علماء جامدون ضيقوا العقل ، وقفوا موقفاً مزرياً فى تاريخ المسلمين ، وعاقوا رقيهم وتقدمهم ، فكان كلما حاول الاصلاح محاول ثاروا عليه باسم الدين ، إن أراد إصلاح المحاكم ثاروا عليه ورموه بالمروق ، وإن أراد تنظيم الادارة الحكومية قالوا لا عهد لنا بهذا ، ويجب أن نتتبع آباءنا وإنا على آثارهم مقتدون .

وإن أراد تعليم المرأة قالوا ما بهذا أتى الدين ! وهكذا كانوا حجر عثرة فى سبيل كل مصلح حتى عظم الخطب ، واشتد الكرب ، وأولو الأمر فى المسلمين إذ ذاك لم يكن يهمهم إلا شهواتهم وتفخختهم الكاذبة ، ومظاهرهم الخادعة . أما الاتجاه الصحيح إلى ترقية رعيتهم وتثقيفهم ، وتنوير أذهانهم ، ونشر العدل بينهم فكانوا قلما يأبهون له . فهؤلاء وأولئك كانوا السبب فى أن يقف المسلمون هذا الموقف الذين شكونا منه من قبل

ومع هذا فتنبه المسلمين اليوم ، وسير حركات الاصلاح بينهم سيراً حثيثاً ، يدعونا أن نؤمل قرب اليوم الذى يتبوأون فيه مكانتهم اللائقة بهم . فاذا قارنت هذه النهضة الداخلية فى رقى الفكر السياسى عند الغربيين ، وتعديل نظرتهم نحو المسلمين كان من وراء ذلك كله نهضة جدية يبنى فيها المسلمون فى المدنية بناء صالحاً مصبوغاً بعقيدتهم وأفكارهم ، فترى إذ ذاك فلسفة خاصة وثقافة خاصة ، وروحانية خاصة ، قد تلون المدنية الحديثة عامة بلون خاص غير لونها الحالى

أحمد أمين

النهضات القومية العامة

فى أوروبا وفى الشرق

للأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

المحاضرة الثانية*

الفاشية :

رأينا فى المحاضرة السابقة كيف قامت الفاشية والنازية سداً منيعاً أمام تيار البلشفية الجارف . ونقول فى هذه المحاضرة كلمة عن هاتين الحركتين ؛ وقد كتب الشىء الكثير عنهما ، ونحن لا نحاول الأحاطة بكل ما كتب ، بل نتوخى الايجاز الذى يقتضيه هذا المقام

يمكن أن نصف الفاشية بأنها رد فعل عنيف للحركة الاشتراكية التى قامت فى إيطاليا عقب الحرب الكبرى ، وهددت مرافق الحياة فى هذه البلاد بالشلل والنضوب ، حتى أصبحت إيطاليا فى حالة لا تحسد عليها ، وحتى كادت وحدتها الوطنية تتفكك . فقام مؤسس الفاشية ، وكان اشتراكياً فى مبدإ أمره ، فوفق بين مبدئه الاشتراكى ونزعته الوطنية ، وأسس الحكم الفاشى قائماً على فكرة الوطنية ، معارضاً لفكرة الطبقات . وهكذا انتكصت الاشتراكية فى ايطاليا ، ورجع مبدأ الوطنية للانتصار

فالفاشية ، كنظام من نظم الحكم ، ليست إلا مقاومة عنيفة للبلشفية . وهى ليست مقصورة على ايطاليا ، بل امتدت منها الى غيرها من البلاد ؛ فهى تسمى فى ايطاليا بالفاشية أو الموسولينية ، وتسمى فى ألمانيا بالنازية أو الهتلرية ، وتسمى فى تركيا بالكمالية وهكذا . وهى ، أين تسود ، تقف سداً منيعاً دون تفشى البلشفية .

ولما كانت الفاشية قد نشأت فى أول أمرها وترعرعت فى ايطاليا ، فنحن نبدأ بالفاشية الايطالية ، لننظر كيف نشأت ، ثم نستعرض المبادىء التى قامت عليها ، والوسائل التى تذرعت بها فى العمل ، والطرق التى اتبعتها فى التنظيم

نشأتها :

أما كيف نشأت الفاشية فى ايطاليا ، فلأجل أن نعرف ذلك يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء ، لنستعرض ايطاليا فى مبدإ الحرب الكبرى ، وهى مترددة هل تدخل الحرب الى جانب ألمانيا أو الى جانب الحلفاء . ثم تدخل الى جانب الحلفاء ، فتكاد تكتسحها الدول الوسطى ، وتعانى من أهوال الحرب ورزاياها ما يكاد ينوء بها . ثم يبسم الحظ للحلفاء ، فينتصرون وتنتصر معهم ايطاليا . ولكنها تخرج من الحرب فى حالة من الفوضى الاقتصادية والاضطراب المادى ، هى شر من الحرب . فالبلشفية قد تفشت فيها ، والعمال أخذوا يثيرون القلاقل والفتن ، والشعب ساخط غاضب على حكومته ، يتهمها بالضعف والعجز ، فهى لم تنل فى مؤتمر فرسايل من الأسلاب والغنائم ما يتفق مع الجهود والتضحيات التى اعتقدت ايطاليا أنها بذلتها أثناء الحرب ، ولا ما يتفق بنوع خاص مع طموح ايطاليا الفتاة ومطامعها الاستعمارية . فاذا أضفنا الى هذا كله أن النظم الدستورية والنيابية لم تكن قد تأصلت فى الحكومة الايطالية ، وأن روح الديمقراطية لم تكن قد استقرت فى الشعب الايطالى فى المدة القصيرة التى

* ألقيت فى بهو أمانة العاصمة ببغداد يوم ٨ أبريل سنة ١٩٣٦

مرت عليه منذ استقلاله ، وأن هـذه البلاد لم تنس بعدُ عهد الجمعيات السرية ولا المؤامرات التي تدبر في الخفاء ، واذا عـدنا للاشـارة مرة أخرى الى ما انتشر من الفوضى والاضطراب في البلاد بسبب تفشي البلشفية ، نستطيع بعد كل ذلك أن نتصور لو أن رجلاً جريئاً مغامراً ، ذا إرادة صلبـة ، وعزيمة قوية ، وطموح بعيد ، يقود طائفة من الفتيان تدفعهم حماسة الشباب ، وحمية الوطنية ، وأحلام المجد والعظمة ، والايمان العميق بمستقبل الوطن ؛ نستطيع أن نتصور ، لو أن رجلاً بهذا الوصف ، ومن ورائه الشـباب المتوقد عزيمة وقوة ، برز الى الميدان ، وتقدم الى شعب من الشـعوب ، لينقذه من حالة الفوضى والاضطراب ، ويعيد إليه مجده القديم ، ويسـوقه إلى ساحات العظمة والمجد ، فينال حظه من كل ذلك ، بعد أن أنكره عليه حلفاؤه بالأمس . فان هذا الرجـل لابد أن يقابل بالترحيب ، ثم بالاعجاب ، ثم بالتحمس . وأنه لا بد واجد من هذا الشعب جنوداً يبذلون نفوسهم في سبيل تحقيق هذه الغايات الوطنية الشريفة . وقد كان الشعب ، وكان الرجل . أما الشعب فهذه الأمة الايطالية الشابة الفتية ، الحساسـة المسرفة في الحساسية ؛ وأما الرجـل فهو موسوليني ، بطل الفاشية وزعيمها الأكبر

وقد بدأت الفاشية ، بعد زحف موسوليني على روما وقبضه على ناصية الحكم بالقوة ، حكماً تجريبياً ، ليست له خطة مرسومة ولا مذهب مقرر . وكان موسوليني في مبدإ أمره اشـتراكياً متحمساً ، ثم انقلب جندياً باسلاً ، ورجع وطنياً غيوراً . وصار من اعتنق الاشتراكية وآمن بمبادئهـا ، نقمة الاشـتراكية وخصمها الألد . وتقدم موسوليني الى الحكم وليست له خطة مرسومـة كما قدمنا ، إلا اذا كانت الرغبة الملحة في الاصـلاح وإعادة مجد الوطن يصح أن تسمى خطة . فالفاشية بدأت تجريبية شعارها العمل ، والعمل الايجابي العنيف في سبيل الاصـلاح الوطني . لذلك اشتهرت الفاشـية بصبغتها العملية ، وباقدام رجالها ، واقتحامهم أشد الأخطار هولاً ، دون تردد ولا هوادة . فالقضية عندهم هي بعث الأمة الايطالية من جديد . أما المبادىء والنظريات فقد كان موسوليني يسخر منها ، ويرى أنها سـلاح خطر ، قد يرتد الى صاحبه فيرديه . فالبلشفية قد بدأت إذن عملاً لا مبـدأ ، وحركة لا فـكرة . ولم يكن لديه منهج مرسوم يريد تحقيقه . ويوم ارتقى موسوليني منصة الحكم لم يكن لديه الا ارادة وعزيمة ، فأكب على العمل بهذه الارادة وهذه العزيمة ، واضعاً نصب عينيه مجد الأمة الايطالية وعظمتها

ثم أخذت الفاشية تمر بمراحل متعاقبة من التجارب العملية زهاء عشر سـنوات . تهذبها الأحداث ، وتنضجها الأيام . وتطورها مقتضيات الضرورة ، حتى استنار طريقهـا ووضحت معـالمه . وارتسمت الفاشـية مبادىء ينتظمها مذهب معروف مقرر . وصارت نظاماً عالمياً له نظرياته وقواعده . وسرت مبادئها من بلد الى بلد . ودخلت في دور علمي فلسـفي ، تقرر نظرية للدولة ، ونظرية لعلاقة الفرد بالمجموع ، ونظرية لأثر العوامل الاقتصادية في الحالة السياسية ، ونظرية لعلاقة المسائل الروحية بالمسائل المادية ، ونظرية للتربيـة والتعليم . ولـكن الفاشية بقيت محتفظة بصبغتها العملية الأولى ، فهي تبدأ بالوقائع تبحثها وتحللها ، ثم تصوغها بعد ذلك نظريات سياسية واقتصادية ، بخلاف البلشفية فانها تبدأ ببسط النظريات ، ثم تطبقها بعد ذلك على الوقائع

ولننظر إلى الفاشية كمبدأ علمي فلسفي ، وكنظام عملي من نظم الحـكم القائمة . فالفاشية بهـذا الوصف لها مبادىء تقوم عليها ، ووسائل للعمل ، وطرق للتنظيم

مبادئها :

أما المبادىء التي تقوم عليها فتتلخص في عبارة واحدة هي « مجد الوطن وعظمته » . فالفاشية حركة تقوم على القومية ، وتعادي كل نزعة من شأنها أن تكسر حدة الوطنية . أما الجامعات الدولية كالبلشفية فتحاول أن تحقق اتحاد العمال في جميع أنحاء العالم ، وكعصبة الأمم تحاول أن تدمج القوميات في جامعة واحدة ، فالفاشية تعادي بعضها ، وتنظر إلى البعض الآخر نظرة المرتاب ، فالوطن ، والوطن وحده ، هو الذي تخصص له الفاشية جهودها

فهي حركة وطنية تقوم في وجه البلشفية ؛ أي أن الرابطة التي تقوم على فـكرة الوطن لا تزال تجاهد في أوروبا جهاد المستميت ، وهي في كفاح عنيف مع الرابطة التي تقوم على فـكرة الطبقات

وسائلها في العمل :

وللفاشية وسائل للعمل . وتتلخص هـذه الوسائل في قيام أقلية صالحة باعباء الحـكم . فهناك هيئتان : الهيئة الحاكمة ،

والهيئة المحكومة . ويجب أن تتضامن هاتان الهيئتان تضامن أعضاء الجسم الواحد . أما المساواة الديمقراطية فلا تعترف بها الفاشية . إذ الناس فى الواقع من الأمر غير متساوين ، وهم يتفاوتون فى القوة والكفاية والصلاحية ، ولا عبرة بالمساواة النظرية ما دامت المساواة الفعلية غير متحققة . وقد رفع الله الناس درجات بعضهم فوق بعض ، فيجب الاعتراف بهذه الحقيقة والأذعان لها . وتستخلص الفاشية من ذلك أن فى الأمة أقلية صالحة للحكم ؛ ومعيار الصلاحية الكفاية وتغليب المصلحة العامة والقدرة على تحقيقها . وهذه الأقلية هى التى يجب أن تحكم . وهى لا تستمد سلطانها من انتخاب الهيئة المحكومة لها ، ولا من ثقة هذه الهيئة بها ، بل تستمده من كفايتها وقدرتها على القيام بأعباء الحكم . وترتب الفاشية نتيجة خطيرة على ما تقدم ، فهى تبيح الثورة على الحكومة العاجزة ، إذ المبرر لبقاء الحكومة فى الحكم إنما هو كفايتها ، فاذا انعدمت هذه الكفاية ، انعدم حقها فى البقاء ؛ فاذا بقيت بالرغم من ذلك ، وجب الانتقاض عليها ، ونزعها من كراسيها . وقد طبقت الفاشية هذا المبدأ عملياً ، قبل أن يتقرر مبدأ نظرياً ، عندما زحفت على روما ، وقبضت على ناصية الحكم بالقوة

على أن هذه الأقلية الحاكمة التى تتميز بالكفاية ، تتدرج هى الأخرى فى السلطان حسب درجة كفايتها . فالكفاية هى الكرسى الذى يتركز عليه الحكم . وتعلو طبقة فوق طبقة . وتخضع الطبقة الدنيا للطبقة العليا ، حتى ينتهى الأمر كله إلى زعيم واحد ، تلقى فى يده أزمة الحكم ، وترجع إليه كل الأمور ، فيفرض ارادته على أفراد الهيئة الحاكمة ، كما تفرض الهيئة الحاكمة إرادتها على أفراد الهيئة المحكومة . وبذلك يقوم ركن الدولة على أسس متينة ، وترجع الأمور كلها إلى رأى واحد ثابت لا يضطرب ، ويتوطد سلطان يخضع له الجميع ويذعنون لارادته . فالفاشية ، كما قال بعض الكتاب ، تبدأ بتغليب الجماعة على الفرد ، ولكن الجماعة تندمج فى الأمة ، والأمة تندمج فى الدولة ، والدولة تندمج فى الحكومة ، والحكومة تندمج فى الزعيم

ومن هنا ندرك أن الفاشية هى من أشد ضروب الدكتاتوريات تركيزاً للسلطة ، وأبعدها عن النظام الديمقراطى ، فالديمقراطية تقوم على سلطان الأمة ، وعلى الحرية والمساواة ما بين الأفراد . أما الفاشية فتنكر سلطان الأمة ، وتقيد من الحرية ، ولا تعترف بالمساواة ما بين الأفراد . ولا يعبأ موسولينى ، وهو قابض على ناصية الحكم ، أوثق به الشعب الايطالى أم لم يثق ، فهو لا يستند إلى هذه الثقة ، ولا يستمد سلطانه من سلطان الأمة ، وإنما يستمده من كفايته للحكم وقدرته على تحقيق المصلحة العامة . وسواء عليه لو أن الاثنى عشر مليوناً من الناخبين أعطوه أصواتهم أم لم يعطوه شيئاً . وقد صرح السكرتير العام للحزب الفاشى بهذه الحقيقة فى عبارة جارحة ، إذ يقول : « لو أن الاثنى عشر مليوناً الذين قالوا نعم تحولوا إلى أربعة وعشرين مليوناً قالوا لا ، لما غير هذا من الأمر شيئاً ، ولبقى موسولينى فى قصر فينيسا ، ولبقيت ثورة القمصان سائرة فى طريقها . . . ولو قدر أن يصوت أربعة وعشرون مليوناً ضد الفاشية ، لكان هذا معناه أن جمهور الناخبين قد أصيبوا بالجنون ، وأن البلاد الايطالية قد أصبحت مستشفى لهؤلاء المجانين ، ولكان هذا سبباً أدعى لأن يبقى العقلاء فى أماكنهم »

وتختلف الديمقراطية عن الفاشية أيضاً فى أنها تركز السلطان فى الأمة ، وتقيم الدولة على سلطان الأمة ؛ فالأمة هى التى تنشىء الدولة . أما الفاشية فتذهب الى العكس من ذلك . وعندها أن الدولة هى التى تنشىء الأمة ، وأن الأمة ليس لها أى سلطان ، بل ليس لها وجود قانونى ، والسلطان كله للدولة . وقد كتب موسولينى فى هذا المعنى فى دائرة المعارف الكبرى الايطالية التى أمر بوضعها ، يقول : « ليست الأمة هى التى تخلق الدولة ، بل الدولة هى التى تخلق الأمة ، وتعطى للشعب الذى يشعر بوحدته الأدبية ، ارادة فوجوداً قانونياً » . وتقضى المادة الأولى من دستور العمل الفاشى بأن الأمة ، وهى وحدة أدبية وسياسية واقتصادية ، تتحقق فى الدولة

فالفاشية تقوم إذن على تقديس السلطة ، وعبادة الدولة ، أى الهيئة الحاكمة وشعارها فى الحكم : العمل الايجابى . فهى لا تقنع للدولة بموقف سلبى ، يقر الأمور دون أن يسيرها ، بل يجب على الهيئة الحاكمة أن تدفع الأمور دفعاً إيجابياً عنيفاً ، فى غير رفق ولا هوادة . وهنا تظهر نزعة الشباب والفتوة التى تميز الحركة الفاشية ، فقد كان أكثر القائمين بها شباناً عندهم طموح وهمة ، وفيهم اندفاع وتوثب

صور من القرن الثامن عشر

٣ـ جاكومو كازانوفا

جوّاب مجتمع ومغامر مرح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

هبط كازانوفا لندن يبحث وراء طالعه، ويلتمس الوسائل لخوض مغامرات ومشاريع جديدة، ولكنه ما لبث أن شعر بأن المجتمع الانكليزي الرصين لا يغزى بسهولة، وأن الأفق لا يتسع لمزاعمه المريبة، وأن محاولاته الغرامية تلقى مهادا صلبة؛ وشعر بالأخص بأن تلك الخلال والمؤثرات السحرية التي اجتذبت اليه من قبل عشرات الحسان لم يبق لها قوة لي التأثير والاغراء. وهو يشير في مذكراته إلى ذلك الفشل في حزن ومرارة: «لقد سجلت هذا التاريخ — سبتمبر سنة ١٧٦٣ — باعتباره لعنة من لعنات حياتي، ولقد شعرت من بدء بأن تيار الكهولة يحملني مع أنني كنت في الثامنة والثلاثين». وهكذا اضطر كازانوفا بعد بضعة أشهر ارتكب خلالها كالعادة عدة محاولات وأعمال مريبة، أن يغادر لندن مثقلا بأعباء الخيبة والفشل

وأم كازانوفا برلين، واستطاع أن يقابل ملك بروسيا — فردريك الأكبر — ولكنه استقبله ببرود وتحفظ، ولم يظفر منه بطائل

عندئذ قصد إلى روسيا حيث تروج سوق المغامرة، وهنالك تعرف بالأمير كارل فون كورلاند، وهو أمير مرح فاسد السيرة ينغمس في مجالي اللهو والخلاعة، ويلتمس اكتساب المال بأي الوسائل، فتفاهما وتوثقت بينهما عرى الصداقة، واستطاع كازانوفا أن يجوز بواسطته إلى المجتمعات الرفيعة في ريغا وبطرسبرج وموسكو، وأن يستعيد فيها شطراً من حياة السرور والبهجة. ثم ذهب إلى بولونيا، وهنالك في وارسو خاض نفس الغمار المرحة المريبة معاً، ولفت اليه أنظار البلاط والسلطات بمشاريعه في عالم النساء والمقامرة، ومزاعمه في التأثير والشعوذة، واضطر غير بعيد إلى مغادرة وارسو؛ فتركها إلى فينا، ولكنه لم يستطع مكثاً بها، لأن عين الشرطة كانت ترقبه؛ فذهب الى باريس كرة أخرى، ولكن العاصمة الفرنسية كانت تعرفه حق المعرفة، وترغب عن قبوله وإيوائه؛ فغادرها إلى اسبانيا، فلقي فيها نفس الرفض والمطاردة؛ وكان صيته المشين قد غمر يومئذ جميع العواصم الأوربية، فلم يبق أمامه سوى الرجوع إلى ايطاليا

فعاد اليها يتجول فيها من مدينة إلى مدينة، والنحس يسايره أينما حل، والفاقة تفت في عزمه وفي آماله وأمانيه، وشبح الجوع يزعجه، ونذير الكهولة يروعه؛ لقد كان يومئذ فوق الأربعين، وقد خمدت جذوة اضطرامه، ولم يبق من ذلك الفتى المرح، والمغامر الجرئ، سوى طلل متهدم؛ يقول لنا كازانوفا في مذكراته مشيرا إلى ذلك العهد: «لقد فكرت يومئذ، وربما لأول مرة في حياتي، في أيامي الخالية، ورثيت مسلكي، ولعنت الخمسين التي شارفت بلوغها، والتي قضت على جميع أحلامي، وحز في نفسي ألا أرى أمامي سوى بؤس الشيخوخة، والعطلة والفاقة، وألا تغذيني سوى شهرة مريبة، وحسرات عقيمة». أجل كان كازانوفا يومئذ كهلا، تغلق في وجهه جميع الأبواب وترغب عنه النساء! وكان أشد ما يحز في نفسه المكلومة أن يرى تلك المخلوقات الساحرة التي اعتاد أن يجذبها بروائه وسحره وذلاقته، تفر من كهولته الى أحضان الشباب النضر!

ولما بلغ به اليأس مبلغه فكر في العودة الى البندقية وطنه ومسقط رأسه؛ فسعى في استصدار العفو اللازم، ولم يدخر

والفناء في الدولة والوطن هو الظاهرة البارزة في الفاشية. ولهذا الفناء مظهران: مظهر سياسي يتمثل وطنية، ومظهر اقتصادي يتمثل تعاوناً. أما الوطنية فتتركز في تربية الفرد تربية فاشية، أي تربية وطنية؛ وتغرس في الطفل حب الوطن، حتى ينشأ على ذلك، موفقاً ما بين الحرية والنظام، فهو حر ليستكمل شخصيته، وهو خاضع لنظام يكفل التضامن. أما التعاون فيقوم على تنظيم اقتصادي دقيق، أساسه النقابات، فالنقابات في إيطاليا الفاشية منتشرة انتشاراً واسع النطاق، وسنعود إلى ذلك بعد قليل

(البقية في العدد القادم) عبد الرزاق أحمد السنهوري

وسماً فى التقرب إلى السلطات والتضرع اليها ، وعاونه على ذلك رسالة كتبها ردا على تاريخ للبندقية ظهر من قبل بالفرنسية بقلم « املو دى لاهوسى » وفيه مطاعن شـديدة ضد الجمهورية ونظمها ، وهى مطاعن يفندها كازانوفا فى رسالته بحماسة ؛ وكان لرسالته وقع حسن لدى السلطات ، فاستمعت أخيرا لتضرعه ومنحته جوازا أميناً بالعودة إلى وطنه فى أوائل سبتمبر سنة ٧٧٤

* * *

ولـكنه عاد شيخاً يجرجر أذيال البؤس والخيبة ، ويلفظه المجتمع الرفيع ؛ وكان صديقه وحاميه القديم السـيد براجادين قد توفى ، ولم يبق له عون ولا عضد ، فلبث مدى حين يعانى مضض الفاقة ؛ وبعد جهد جهيد عطفت عليه محكمة التحقيق وعينته مخبرا سرياً بمكافآت تتناسب مع عمله وتقاريره ، ثم منحته مرتباً شهرياً قدره خمس عشرة دوقة ، فاطمأن نوعا إلى هذا المركز المتواضع ، واستطاع أن يغشى بعض الحفلات والمسارح ، وكان لا يزال يثير حوله بعض العطف بذكائه وظرفه ، وتعرف عندئذ بامرأة تدعى فرنشيسكا بوشينى ، وعاش معها فى نوع من الهدوء والاستقرار

بيد أنه كان يلعن تلك الحرفة الوضيعـة التى ألجئ إلى احترافها ؛ أجل لقد كان كازانوفا جاسوسا زرياً لمحكمة التحقيق التى يمقتها من صميم قلبه ، وكان بحكم عمله مكلفا بالتحرى عن المسائل السياسية والجرائم الأخلاقية والدينية ، التى طالما أمعن فى ارتكابها ؛ وكانت تغمر البندقية يومئذ موجة من الالحاد والانحلال الخلقى ، فـكان من سخرية القدر أن يسهر كازانوفا على مراقبة الفساق والملحدين ؛ وكان يمضى تقاريره بامضاء مستعار وهو مع ذلك يضطرم سخطاً لذلك الدرك الأسفل الذى هبط اليه . وفى أواخر سنة ١٧٨١ رأت محكمة التحقيق أن تستغنى عن خدماته وقطعت مرتبه ، فتولاه يأس قاتل ، ورأى شبح الجوع ماثلا أمامه ، ورفع يومئـذ إلى محكمة التحقيق ذلك الالتماس المؤثر الذى يدل على ذلاقته وحسن بيانه :

« إلى حضرات العظماء الأجلاء سادتى القضاة المحققين :

« أتقدم اليكم ، أنا جاكومو كازانوفا ، وقد غمرتنى الحيرة ، وسحقنى البؤس والندم ، معترفاً بأننى لست أهلا على الاطلاق لأن أرفع اليكم التماسى المتواضع ، أتقدم جاثياً بطلب الرأفة من الدولة ، وأسألها أن تمنحنى بطريق العطف والجود مالا تستطيع بعد التأمل أن تأباه على بطريق الانصاف

وانى لأضرع الى الجود العـالى أن يقوم بمونى حتى أستطيع الحياة ، وأستطيع فى المستقبل أن أقوم بالخدمات التى درجت عليها

وان حكمتـكم لتأنس فى هذا التضرع الجليل صـادق اهبتى ونياتى »

ولـكن محـكمة التحقيق لم تصغ الى تضرعه ؛ فزاد يأساً وبؤساً ، وعول على الرحيل معتصما بما بقى له من جلد وعزم ، فسافر الى فينا ووصلها فى يناير سـنة ١٧٨٣ فى حال مؤلمة من الاعياء والفاقة ؛ ولبث يتجول حيناً فى فينا وباريس وهولندة فى ظروف نكدة مثيرة ؛ ومع ذلك فانا نراه أحياناً يحلم بمشاريع مدهشة فيفكر وهو فى باريس فى شق قنال أو اصدار جريدة ؛ بيد أنها كانت أحلام يائس مخرف ؛ وأخيراً استقر به المطاف فى فينا . وهنالك تعرف بسفير البندقية السنيور فوسكارينى فعطف عليه وعينه سكرتيراً له ؛ واستعاد الطريد البائس شيئاً من بهجة الحيـاة ، واتصل مدى حين بالمجتمع الرفيـع ، وظهر فى المآدب والمراقص ؛ ولـكن فوسكارينى لم يلبث أن توفى ، فتولاه اليأس القاتل مرة أخرى

وأقام مدى حين فى تبلتز فى شرحال حتى ساقته المقادير إلى التعرف بالـكونت فون فالدشتاين ، فتأثر لفقره ويأسه ، وأعجب بذكائه وخلاله فعينه أميناً لمـكتبة قصره فى « دوكس » من أعمال بوهميا بمرتب حسن ؛ وكانت الـكونت فتى طروباً طيب القلب يعشق حيـاة اللهو والخلاعة ويجوب أنحاء أوربا فى طلب المسرة والمتاع ؛ وكانت خلاله مزيجاً من الشجاعة والضعف ، والـكبرياء والخجل ، والبذخ والجود ، فأغدق عطفه على المحب الشيخ الذى خاض غمار حيـاة باهرة مؤثرة وألفى نفسه بعد طول التجوال فريسة البؤس واليأس

* * *

وكان قصر دوكس مقاماً بديعاً فخماً ينبئ بما لآله من النبل التالد والغنى الباذخ ، وكانت مكتبته الشاسعة المنيرة تضم أربعين

ألف مجلد فخم فى مختلف العلوم والفنون ؛ فكان ذلك المقام النائى الذى يجد فيه المفكر الفيلسوف ضالتـه ، هو المستقر والمثوى الأخير لذلك الذى ضاق به وطنه ، وضاقت به عواصم أوروبا

ولـكن كازانوفا لم يلق الهدوء الذى ينشد ؛ ذلك أنه أثار سخط الحشم والخدم بكبريائه وصلفه وجفائه ، فكانوا يعكرون صـفاءه بخبثهم ودسهم ، وكانت نفسه تفيض مرارة من ذلك الصراع الوضيع الذى يجعله مع الخدم على قدم واحدة . وكان كلما شـكا أمره الى الـكونت أجابه بابتسامة رقيقة ، فاذا شـكا الى الـكونتة والدته هدأت روعه وصرفته بأطيب الوعود

وكان يخفف من وقع ذلك الجدل النكد على نفسه ما كان يغمره به الـكونت من العطف ؛ ذلك أنه كان حين مقامه بالقصر يدعوه دائماً الى مائدته ، والى مختلف الحفلات والمآدب . وعندئذ يستطيع كازانوفا أن يمتع نفسه بقسط من الترف الناعم ، ويبدى ما كمن من خلاله ومواهبه الساحرة ، ويشعر بشىء من السعادة والغبطة

وكان الدرس أشد ما يؤنسه ويملأ فراغه . ذلك أن كازانوفا كان مفكراً واسع الاطلاع ، وكان يعشق القراءة والدرس ، ولـكن تجواله المتواصل كان يحول دون أمنيته ؛ فلمـا استقر فى هذا المثوى الهادئ الحافل بصنوف الآثار الممتعة ، ألفى فرصته ، وانكب على القراءة يترع من مناهلها ؛ ويدون ما عن له من زبدها . ومنذ سنة ١٧٨٦ يتحفنا كازانوفا بطائفة من الـكتب والرسائل الممتعة منها . « مناجاة مفكر » Soliloque d,un penseur (سنة ١٧٨٦) ، و « قصة ادوار والزابيث » et Elizebeth Hist. A'Eoouard (سنة ١٧٨٨) ، وهى مزيج عزيب من الفلسفة والمغامرة والدين والتهكم . وفى سنة ١٧٨٨ ، أخرج كازانوفا كتاباً ممتعاً عن سجنه وفراره الشهير عنوانه « قصة فرارى من سجون جمهورية البندقية المسماة بالرصاص » L'Hist. de ma Fuite des Prisons deala Répuplique de Vcniae ete ؛ وفى سنة ١٧٩٠ نشر رسالتين فى مسائل رياضية ؛ وفى سنة ١٨٩٧ نشر رسالة فلسفية أخلاقية عنوانها « خطاب الى ليونار سنتلاج » Lettre à Léonard Snetlage ، هذا الى رسائل أخرى ما زالت مخطوطة محفوظة الى يومنا فى مكتبة « دوكس » الشهيرة

بيد أن أعظم أثر شغل فراغ كازانوفا ، وخلد اسمه فيما بعد ، هو مذكراته الشهيرة التى بدأ كتابتها منذ سنة ١٧٩١ ، والتى نرجئ الـكلام عليها الى الفصل القادم

وكان مما يعتز به أيضاً ويؤنس أعوامه الأخيرة اشتغاله بمكاتبة بعض العظماء الذين عرفهم مثل الـكونت دى لانبرج ، والأمير دى لينى ، والأميرة كلارى ، والأمير بيلوزولسكى سـفير روسيا فى درسدن ، والـكونت كينج ، والأميرة لوبكوفتز ، والأب ديلا لينا ، وغيرهم ؛ وكذلك بعض صـديقاته الذين عرفهم فى أواخر حياته مثل فرنشيسكا بوشينى آخر صاحباته فى البندقية ، وسسليا روجندورف ، والبزافون در ريكى وغيرهن ؛ وكان يزور مكتبة « دوكس » كثير من العظماء والـكبراء من كل فج ، فيسر بلقائهم ومحادثتهم ؛ وكان كازانوفا يثير بذكائه ووفرة عرفانه حوله كثيراً من الاعجاب والعطف ؛ وقد أعجب به كثير من كبراء عصره ، وقدروا مواهبه وتنوع معارفه وطرافة تفكيره ، وبثوه اعجابهم وتقديرهم شفاها وكتابة ؛ وكان ذلك يغمره سعادة وغبطة ورضى

بل لقد كان كازانوفا فى تلك الأعوام الأخيرة الهادئة من حياته الحافلة ، يتصور حول نفسه أفقاً من العظمة والشهرة ؛ وكان أيام تجواله قد زار الفيلسوف الأكبر فولتـير فى قصره ومستقره المنعزل فى فرنى ، وأعجب بحياته الهادئة وشـيخوخته الجليلة ، فكان يتصور نفسه فى أيامه الأخيرة ، فى نفس الأفق والظروف التى شهد فيها فولتير ، فتغريه تلك المقارنة الخلابة ، وتثير فى نفسه الهائمة طائفة من الأحلام اللذيذة الرائعة

وفى أوائل سنة ١٧٩٨ مرض كازانوفا وتفاقم مرضه بسرعة وشعر باقتراب أجله ؛ فتوالت عليه زيارات الأصدقاء والمحبين يغمرونه بعطفهم وعنايتهم ويرسلون إليه الأطباء والهدايا ؛ وفى الرابع من يونية قضى نحبه واختتم حياته العجيبة فى جو من العطف الذى طالمـا حرم منه أيام حياته ؛ ودفن على الأغلب فى مقبرة قصر « دوكس » ؛ بيد أن قبره لبث مجهولاً لم يكشف عنه البحث

(الخاتمة تأتى) **محمد عبد الله عنانه**

النقل ممنوع

ليـــلة وداع

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

قال لى صاحب : « أين نقضى سهرتنا الليلة ؟ »

قلت : « سهرتنا ؟ ؟ فهل كتب علينا أن نسهر الليلة ؟ »

فقال برقة ابليسية الاغراء : « انه آخر أيام المعرض ، أفلا يحسن أن نودع مدينة الملاهى ؟ »

فقلت : « من ذا تودع فيها يا شيخ ، وقد ودعت شبابك ؟ »

فلم ينهزم وقال : « نودع من خلقهن الله فى أحسن تقويم »

فقلت : ولكن فيهنّ من خُلقن على صور الأبقار والجواميس ، فهل نحتفل بوداع هؤلاء أيضاً ؟ »

فلم يصدّه حتى هــذا ، فلم يبق إلا أن نتوكل على الله ونستودعه نفوسنا ونذهب إلى مدينة الملاهى كما أراد ، وحسناً فعلنا ، فما كان يمكن أن نرى حشدا أعظم من هذا فى مكان أضيق من تلك التى سموها مدينة الملاهى ؛ وكانت النساء أكثر من الرجال ، وهن وحدهن معرض كامل ، فما يخطر للمرأة صورةٌ من صور الخلق فى المرأة إلا وهى موجودة ، وكانت الكثرة من العذارى الخود ، والخرّد الحسان ، اللواتى يترقرق الماء فى وجوههن من نضرة النعيم ، ويتثنين من اللين فى غير استرخاء ، أما القلة فكانت من الخِدلَّجات الممتلئات الأذرع والسيقان ، العظيمات الأوراك والبطون ، المترجرجات اللحم ، المستديرات كأنهن البراميـــل ، فلو أرقدتهن على جنوبهن ودفعتهن لتدحرجن بلا توقف

وكنت كلما رأيت واحدة من هؤلاء وقفت كالجندى ، ورفعت يدى إلى جبينى بالتحية العسكرية ! فيسألنى صاحبى عما أفعل ؟ فأقول : « هذه تحية العظمة ياسيدى ! ! إلى متى نظل نبخس الناس أشياءهم ونغمطهم فى مصر ؟ ؟ لقد آن جدا أن نقر لكل انسان بحقه ومزيته »

والتقينا بأصحاب لنا ، فصرنا جماعة ومضينا نتنقل من مكان إلى مكان ، وإذا بى أرى قريباً لى ومعه صديقة له ، ما رآنى قط مقبلا عليه وهى معه إلا نهض بها زاعماً أن عليه أن يفعل كيت وكيت ، أو أن يقابل فلاناً أو علاناً من خلق الله الذين يتحرى أن ينتقى لهم أسماء لا أعرفها لانها مخترعة لا وجود لها ، فأكاد أتميز من الغيظ ، ولكن ماذا أصنع ؟ غير أنى فى هذه المرة أدركته قبل أن يقوم — أعنى قبل أن يرانى ، وكان جالساً معها — كما لا أحتاج أن أقول ، فحملت كرسياً إلى حيث هما ، ووضعته وقعدت عليه أمامهما ، ثم حييتهما أحسن تحية وأرقها — تحية تلين الصخر ، لا بل تذيبه — ولكنّ قريبى ، وقاك الله ، أصلب من الصخر والحديد ، فما كاد يرانى أصافحها حتى قال لها وهو يجذبها من ذراعها : « تفضلى فقد تأخرنا جدا »

فابتسمت — وهل كان يسعها إلا ذلك وهى ترى هذا منه فى كل لقاء ؟ — فتشجعت وقلت : « يا أخى حرام عليك ! ! ما هــذا العنف ؟ — هذا ذراع غض بض ياسيدى ، وليس بعصا شرطى ... »

فابتسمت مرة أخرى ، فقلت فى سرى هذه علامة الرضى ، وإنها والله لراغبــة فى البقاء ، وتذكرت قول زميلنا القديم : « وفاز بالطيبات الفاتك اللهج » فقلت لها : « العجلة من الشيطان يا مولاتنا . . ومازلنا فى أول الليل ، ومايدريك ويدرينى أنها ليست مشتاقة أن تركب معى واحداً من هــذه القطر التى تشبه الترام وتجرى بالكهرباء وتتـدافع وتتصادم فتتعالى الصيحات والصرخات وتجلجل الضحكات ، وتنشرح الصدور . . . قومى ياستى معى أركبك واحداً منها »

فصاح بى وهو يدفع ذراعه أمامها ليمنعها أن تقوم : « معك ؟ تقول معك ؟ . معك انت ؟ . ياخبر اسود ! . إنتَ مجنون ؟ »

فلم تفزعنى هذه الثورة ، لأنى أعرف سببها وباعثها ، وقلت له وأنا أبتسم : « صحتك . . صحتك . . لا تهج هكذا فانى أخاف على قلبك . . ألم ينصحك الطبيب بالابتعاد عن كل ما يهيج أعصابك ؟ . أقعد . . أقعد ساكناً واشرب ماء بارداً حتى نعود اليك . . لن يطول غيابنا عنك . . قومى ياسيدتى . . لا تقلقى عليه . . إنه بخير ما اجتنب ما يورثه اضطرابَ الأعصاب »

فنهض هو بدلاً منها وقال بلهجة المغيظ المحنق : « أعصاب ؟. قلب ؟ . طبيب ؟ . عن أى شىء تتكلم ؟ . كيف تسمح لنفسك أن تقول إنى مريض بقلبى ؟ . »

فضحكت وقلت : « لا مؤاخذة ! . لقد نسيت أن عقلك لا قلبك هو المريض . . على كل حال . . عقلك . . قلبك . . سيان . . والخطأ مردود . . والآن وقد انتهى الخلاف وحسمنا

النزاع فيحسن أن ندعك وحدك قليلاً حتى تثوب اليك نفسك الوديعـة الرقيقة الـكريمة الجمة المروءة الـ . . . الـ . . ماذا أيضاً يا بارد يا أنانى ! ؟ »

فأرسلتها الفتاةُ ضحكة مجلجلة تجاوبت نفسى بأصـدائها ، فصار رنينها فى قلبى لا فى الفضاء . ولـكنه قطع عليها الضحك بيمين أقسمها ألا تقوم معى ، فوجمتْ وشعرتُ بقلبى يبكى لها ، فقد كان من الواضح أنها تشتهى أن تركب هذا الترام ، وقريبى يأباه عليها لأنه يؤثر الاحتشام والتلفع بالوقار ، ثم قلت لها : « لا بأس . . لا بأس . . ما لا يدرك كله لا يُترك كله . . أنظرى إلى وأنا أركب وسأترك مكانك إلى جانبى فيها خالياً ، فنى وسعك أن تتصورى نفسك جالسة فيـه كما سأفعل تماماً . . وإلى اللقاء القريب ، وعسى أن تتمتَّعى بهذه اللعبة التى ألعبها إكراماً لسواد عينيك . . أم تراها زرقاوين ؟ ؟ أرنيهما بالله قبل الركوب حتى لا يغلط خيالى . . »

فقال قريبى على سبيل التوديع : « اذهب ، اذهب ولا تعد ! »

فقلت : « يا شيخ حرام عليك ! أنا شاب . . »

وركبت وحدى احتفاظاً لها بمكانها ، وكان يكفى أن أصون لها مكانها فى قلبى ، ولـكن الوفاء — صانك الله — داءٌ مكتسبٌ . وكان الميدان هادئاً ، والراكبون يتحاورون ، ويهرب بعضهم من بعض ، ويتّقون التصادم ، وإن كان لا خوف منه ، فجريت أنا على نقيض ذلك ، وجعلت وكْدى أن أصـدم الذى يروقنى ، وكنت كلمـا أقبلت بسيارتى على أخرى لأصدمها أصيح براكبها — وأنا أدفع بقبضة يدى فى الهواء — بُمْمم ! فعلا الصخب — كما ينبغى أن يحـدث — وكثر الضحك واللغط والصياح والصراخ ، وانتهى الدور فنسيت صاحبتى التى تركتها مع قريبى ، وشغلنى ما أنا فيه عنها ، وألهانى عن ذكرها كما هى عادتى ، فإن اللحظة الحاضرة تذهلنى عن كل ما مضى وكل ما عسى أن يجىء ، ولعبت دوراً آخر ، ثم غيره ، وغيره ، حتى أضنانى الجهد المتواصـل ، وابتلت ثيابى من كثرة العرق المتصبب ، فتذكرت قريبى وصديقته ، وقلت أجلس معهما برهة أستريح فيها وعسى أن يهديه الله ويرقق قلبه القاسى ، وعدت إلى حيث تركتهما فاذا بهما قد ذهبا . .

أى والله يا ناس ! ! خطفها قريبى — قريبى لا أحد الغرباء — وطار بها وخلفنى أتلهف عليها وأسخط عليه ، وأذم الغدر والخيانة والأنانيـة والأثرة وألعن أمثاله من الأقرباء الذين يعمر قلوبهم الحسدُ والحقدُ لا الحب والاخلاص والتعاون على البر والتقوى

ولمحت صديقنا الدكتور م . فقلت أسلم عليه ، وكان حوله سربٌ من الناعمات اللينات ، المسترسلات الأعطاف ، المستغنيات بالجمال عن الزينة ، المُبتَّلاتِ الحسن على الأعضاء فلا ترى لشىء فى أجسامهن الحلوة أوفر من حظه أو أقلّ ، فدنوت من إحداهن — وكانت طويلة العنق مسمورةً لا رخوةً ولا مترهّلة — وقلت لها : « ماذا يقول لـكن دكتورنا الساحر ؟ . هل لك فى رهانى ؟ . »

قالت : « على أى شىء ؟ »

قلت : « على أن عينه زائغةٌ وأنه يريد أن يتزوجكن جملة وإن كنتن سبعاً ؟ »

فضحكت وقالت : « صدقت »

قلت : « هاتى إذاً ، وليعوضك الله خيراً . . واحذرى أن تراهنينى مرة أخرى »

قالت : « ولـكنى لم أفعل »

قلت : « بلى .. هاتى !. ما هذه المماطلة ؟. إنه خلقٌ لا يليق بمثل هذا الجمال المشرق »

قالت : « أما إن هذا لغريبٌ . . والله ما راهنتك »

قلت : « لا فائدة . . تفضلى معى إلى هـذا الترام واركبيه بجانبى ، فإن ركوبه موصوف لابراء الذمة »

فضحكت وسألتنى : « ولـكن من أنت . . »

قلت : « أنا صاحب الدكتور الذى يريد أن يتزوجك على كل هذه الضرائر ... تعالى واكسبى صداقتى تفوزى به وحدك »

ولحنى الدكتور وأنا أمضى بها فصاح : « اللص .. اللص .. أدركوه . خطف البنت .. الحقونا يا ناس »

وخفت أن يصدق بعض البلهاء فأقع فى مأزق ، فجعلت أصيح مثله : « اللص .... أدركوه .... خطف البنية .... اجروا وراءه »

وانحدرنا الى الملعب ونحن نكاد نسقط على الأرض من كثرة الضحك . وقبل أن يبدأ اللعب وتدور السيارات تآمرت مع زميلتى على الدكتور واتفقنا أن نركبه سيارة وأن نوسعه بعد

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

الدفتريا

بين واجد سمها الفرنسى ، وكاشف ترياقها الألمانى

وصل الفائت

اكتشف لفلار مكروب الدفتريا ، ووجده فى حلوق الأطفال ، ولم يجده فى أى جزء آخر من أجسامهم . فتعجب كيف أن المكروب لا يفارق هذه الحلوق ؟ ومع هـذا يسرى بالموت فى الأجسام . فتراءى له أن المكروب لابد يفرز سماً هو الذى يدور فى الجسم فيميت . فجاء أميل رو بعـد ذلك فحقق رؤيا لفلار فكشف عن هذا السم ، واستخلص وعرف خواصه ، وأن الأوقية منه تقتل ٧٥٠٠٠ كلب

— ٣ —

ولـكن كان فى مكان آخر بعيد عن باريس أميل آخر قائمٌ فى مثل هذا العمل ناصبٌ فيه . هـذا أميل أغسطس بارنج Emil August Behring . كان يشتغل فى معمل كوخ ببرلين ، فى ذلك البناء المهدّم الذى يسمى المثلث Triangel فى شارع شومان . ففى هـذا البناء أخذت الحوادث تتمخض عن أمور جليلة ، وكان به كوخ ، ولم يكن الآن دكتور القرية الصغير الخامل ، بل كان السيد الأستاذ ، ومستشاراً من مستشارى الدولة صاحبَ جاه وربَّ ذكر ، ولـكن برغم هذا لم تضق قبعته برأسه وكان ينظر على عادته من خلال نظارته المعهودة ولا يتكلم إلا قليلاً ، وكان نصيبه من احترام الناس كبيراً هائلاً ، وكان عندئذ مشغولاً بأمر علاج للسلّ خال أنه اكتشفه . فـكان يحاول أن يقنع نفسه على الرغم منها بأنه علاج صادق ، وكان هذا بسبب إلحاح السلطات عليه فيه ، (والعلماء يلعنون السلطات بحق أحياناً على الرغم مما يكون من جودهم وسابغ كرمهم) ، أو على الأقل بهذا يتحدث اليوم شـيوخ صيادى المكروب الذين حضروا ذلك العصر ولا يزالون يذكرون أحداثه المجيدة

« لقد أسبغنا عليك الشارات ، وأعطيناك المكرسكوبات والخنازير الغينية وما إليها ، فلا أقل من أن تردّ الجميل فتكشف لنـا عن علاج كبير يدوى خبره فى الآفاق ، فيبنى للوطن الألمانى مجداً كالذى بناه بستور لوطنه الفرنسى » . هذا ما كان يسمعه بستور كل يوم . هذا صوت الغواية الذى يطرق أذنه كل حين ، وإلى هذا الصوت استجاب كوخ أخيراً ، ومن ذا الّذى يلومه ؟ وأى إنسان يقوى على الثبات على طريق العلم السوىّ ، وإلزام نفسه أسلوبَ البحث الحق ، والحكومات إلى يمينه تصيح به أن يجد لها مكانة فى السماء ، والأمهات إلى يساره تصرخ له عسى أن يجـد لأولادهن الهالـكين مكاناً بين الأحياء . نعم إلى هذا الصوت استجاب كوخ ، فـكشف عن حتفه بظِلْفه ، وأعلن للدنيا اكتشافه التوبركولين Tuberculin علاجاً للسل ورحمة للمسلولين ، فـكان من إخفاقه الذى كان ، ولـكن ما لبث كوخ أن قام يكفّـر عن هذا باعانة الشبان من أعوانه فى الـكشوفات البـارعة التى كانوا فيها ، ومن هؤلاء الشبان أميل بارنج ، وكان باحثاً شاعراً أعانه كوخ بقريحته النقّـادة الباردة ، صوّب ضوء مصباحها الهائل على أعماله ، فاستعرف بارنج فى نورها الساطع على

ذلك صـدما وخبطاً ، فانا نعرفه يخاف الرجات ويشفق من عواقبها — لا ندرى لـماذا — وقد كان . حاولنا اقناعه بالحسنى أولاً فلم يقتنع ، فلم يبق إلا أن نحمله قسراً على الركوب ، فجرته أربع فتيات فظل يقاومهن حتى قلت له : « أظنك استحليت هذا الجرّ ... تفضل يا ... »

فـكف عن المقاومة استحياء ، وقال لى وهو يركب السيارة : « الله يلعنك يا شيخ ... أخجلتنى والله !

قلت : « لا عليك يا مولانا ... تفضل وأرنا همتك »

وصدمته صدمتين ، ثم تركته لمن هن أولى بذلك ، فلما خرج نظر الىّ وقال : « وصلتنا منك زقات يا سيدى .. نشكرك »

فقالت له احـدى الفتيات : « لو كنتَ ركبتَ معى يا دكتور ؟ ؟ ... »

فقاطعها وقال : « إذن لـكانت الزقات قد كثرت يا ستى .. كلا ! الخيرة فى الواقع »

وهكذا ودعنا مدينـة الملاهى ..... فليتها تعود لنودعها مرة أخرى ....

ابراهيم عبد القادر المازنى

ما يأخذ به ، واستعرف فيه على ما يَدَع

أى بيت لصيادة المكروب كان بيت « المثلّث » هذا . كان قذراً معتماً كالقبر ، ولكن اجتمع فيه رجال كوخ الشباب فبثوا فيه الحياة بتجاربهم المتواصلة ، وهزوا جدرانه هزاً بصراخهم وحجاجهم فيه ، وكان من بينهم بول إرليش Paul Ehrilch ، يُعقب السيجارةَ أختَها ، ويلوث يديه وثيابه حتى وجهه بكل صبغة من كل لون من ألوان الطيف ، وكان قائماً بتجارب طموح ، يحاول بها أن يعرف كيف ترث أطفال الفئران عن أمهاتها الحصانة من بعض سموم النبات .. وكان من بينهم كيتاساتو Kitasato ، وكان يابانياً ذا وجه أقور كالدائرة ، وكان قائماً يحقن بَشِلاّت كُزاز الفك فى ذيول الفئران ، ثم هو يصبر حتى تصبّ البشلات سمها فى الفأر ، ثم يقط ذيولها الوبيئة ليرى هل يقتلها السم وحده وهى بتراء .... وكان من بين من كانوا فى هذا البيت رجال آخرون ، بعضهم ذهب الزمن باسمهم ، وبعضهم اشتهروا وخلد ذكرهم ، واختصاراً قامت هذه العصابة الألمانية تبنى هزيمة الفرنسيين تحت وابل من التجارب هائل ، وتريد أن تسبقهم إلى تخليص بنى الانسان من أرزاء دنياهم

والآن نريد أن نخص بالذكر من بين هؤلاء أميل بارنج . كان شاباً عدا الثلاثين من عمره ، وكان طبيباً فى الجيش ، وكانت له لحية آتى من لحية كوخ ، ولكنها كانت أقل دلالة على فتق الحيلة وابتكارها ؛ مع هذا وبرغم أسلوب لحيته المُرسل ، كانت له رأس الشاعر ؛ وبرغم حبه للفصاحة وإغرامه بفنون البلاغة ، لَزِم خوان معمله بقدر مالزمه أى باحث آخر . وبينا هو يكشف فى دم الفئران عن مادة تقتل بشلة الجمرة ، كان يصف كشف أستاذه كوخ لبَشلة السل بأنه فى المجد مثل قمة جبله الحبيب بين جبال الألب ، وهى فى بياض الثلج ولون الورد ، ولزمته فكرتان ما فتئتا تطوفان برأسه . فكرتان علميتان ومع ذلك تَمُتّان إلى الشعر بنسب قريب . إحداهما أن الدم أبدع سائل يدور فى جسم حىّ ، والثانية أنه لابد من وجود مواد كيميائية تقتل فتمسح المكروبات من أجسام الانسان والحيوان مسحاً دون أن تضرّ بها وهذه الفكرة الأخيرة سبقه آخرون إليها

قال « سأجد مادة كيميائية تُبرئ من الدفتريا ! » ، وحقن طوائف عديدة من الخنازير الغينية بزريعات قتالة من مكروب الدفتريا . فلما مرضت ، وازدادت مرضاً ، حقن فيها كثيراً من المركبات الكيميائية . فجرّب فيها أملاح الذهب ، وهى أملاح غالية ، وجرّب النفتيل أمين Naphthylamine ، وحقنها بما يزيد على عشرين مادة بعضها عادىّ مألوف ، وبعضها غريب نادر . عرف أن هذه المواد تقتل المكروب فى أنبوبة الاختبار دون أن تضرّ بزجاجها ، فآمن فى سذاجة أنها لا بد تقتل هذا المكروب تحت جلد الخنزير الغينى دون أن تضرّ به ، ولكن خاب إيمانه وا أسفاه . وامتلأ معمله بالخنازير الميّتة والتى هى فى سبيل الموت فكان كبيت الجزارة ، وكان فى ذلك مايكفى ليقنعه بأن الفرق بين عقاقيره والمكروب فى الأذى غير كبير ، وأن كليهما يفتك بالخنازير ، وزادت أكوام الجثث حوله ، ومع هذا لم ينقص إيمانه بأن هذا العُقّار العجيب الذى سيَشفى من الدفتريا لا يزال مختبئاً بين صفوف المواد الكيميائية ، وهى ألوف فى الوجود ، وأخيراً وقع من بحثه الذى أفرغ فيه كل عزمه وخبط فيه على غير هدى ، وقع على مادة ثالث كلورور اليود

ضرب بمحقنه جرعات عدة من بشلة الدفتريا تحت جلود بضعة من الخنازير ، وكانت جرعات تكفى لقتلها . ومضت ساعات قليلة فأخذ المكروب يفعل فعله ، فتورم الجلد حيث ضرب المحقن ، وأخذت الحيوانات تميل برءوسها : فلما مضت ست ساعات حقن بارنج فيها كلورور اليود . وانتظر ما يحدث لها فقل رجاؤه فيها وظن أن الاخفاق جاءه مرة أخرى . ومضى النهار ولم تتحسّن الحال . وجاء الغد فبدأت الخنازير تخور . فأخذها وأرقدها على ظهرها ثم أخذ يَخِزُها باصبعه ليرى هل تعود فتقف على أرجلها . قال لأعوانه وهم فى دهشة مما يسمعون : « إذا أنتم وخزتم الخنزير وهو على ظهره فاستطاع القيام ، علمتم أن الرجاء لم ينقطع فيه بعد» هذا هو محك الأمل عنده ! هذا هو مقياس الرجاء ! مقياس تعوزه الدقة إعوازاً شديداً ، وينقصه التهذيب نقصاً كبيراً . تخيّل ما يكون الحال لو أن طبيباً اتخذه وسيلة يعلم بها أيطيب مريضه أم يموت . وقلّت حياة الخنازير المحقونة بالكلور فقلّت حركتها عند الوخز حتى انقطع منها الرجاء

وذات صباح جاء بارنج معمله فوجد الخنازير واقفة على أرجلها !

كانت لا تكاد تستقر عليها ، وكانت نحيفة غاية فى النحف ، ولكنها كانت آخذةَ فى الشفاء ! نعم آخذة فعلاً فى الشفاء من الدفتريا بعد أن هلك قبلها من رفقائها ما هلك

وهمس بارنج لنفسه ! « لقد شَفَيتُ من الدفتريا ! »

وتملكته رغبة حادّة أن يشفى بهذه المادة اليودية خنازير أخرى . فكانت هذه الحيوانات المسكينة تموت أحيانا من المكروب ، وأحيانا كان يقتلها هذا الدواء . وفى القليل النادر كان يُشفى خنزير أو اثنان فيقومان من المرض على حال كالموت . لم يكن فى هذا العلاج الفظيع يقين ، ولم يكن فيه منطق ولاتوافق وانسجام . والخنازير التى اشتفت به لاشك ودّت أنها ما اشتفت ، ذلك لأن الكلورور بينما كان يُبرِئُها مما بها ، كان كذلك يحرق جلودها فتتخرّق خروقا تظل متقرّحة لا تلتئم ، فلا تلبث أن تصطدم بشىء حتى تَصِيت هـذه الحيوانات المسكينة من ألمها الشديد . تلك حال مفجعة لا ترضاها القلوب

ومع هذا فالحقيقة الواقعة أن بارنج كان بين يديه قليل من تلك الخنازير لولا هذا اليود لقتلها الدفتريا ، لولاه ما سعت بين يديه كما تسعى . إنى أفكّر كثيراً فى أمر هذه القوة الخفية الدفاعة التى لا تفتأ تغرى بارنج وأمثال بارنج بعلاج الأمراض . فبارنج وأمثاله لم يجروا فيما صنعوا وراء الحقيقة ، ولم يدأبوا مادأبوا ليجتنوا المعرفة ، بل هم انما مارسوا التجربة طلباً للعلاج ، وتسلّط عليهم طلب العلاج فطلبوه جنونا ، فأجازوا قتل الحيوان حتى الانسان بداء ليخلّصوه من داء آخر .... لم يقفوا عند حدّ ، ولم تنهم عما طلبوا مخافات .... من ذلك أن بارنج قام يجرب هذا الكلورور النفّاط الكاوى فى الأطفال المرضى بالدفتريا وليس لديه من دليل على صلاحه غير تلك الخنازير القليلة النحيلة الهشيمة

وعاد من تجربته يقول : « لقد جربت كلورور اليود فى أطفال مرضى بالدفتريا ، واتبعت فى ذلك الحذر والحيطة ما استطعت ، فخرجت على نتائج لا تُشجّع أبدا ... »

ولكن تلك الفئران الضعيفة التى نجت من الدفتريا بفعل هذه المادة كانت لا تزال بين يديه ، كانت لا تزال تقع عليها عيناه فتعلّق بارنج من أجلها بوهمه القديم ، أنه لابد خارج من هذه المجازر ببعض غايته . وتعطّفت عليه المقادير ، فأخذ يتفكّر ، وإذا به يخرج من الفكر فيتساءل : أتكون هـذه الفئران قد تحصّنت الآن من الدفتريا بعد الذى جرى لها . وما لبث أن جاء بها وحقن فيها جرعات هائلة من بشلة الدفتريا — فاحتملتها ! نعم احتملتها فلم تستقم شعرة واحدة على جلودها برغم هذه الملايين من المكروبات وهى كفيلة بقتل عشرة منها . إنها حصينة كما خال !

وكانت عندئذ ثقته فى المواد الكيميائية ضاعت ، فلم يعد يطلب من بينها علاجاً للدفتريا . وكيف لا تضيع بعد هذا العدد الهائل من جثث الحيوانات الذى أرسله إلى أسفل البناء ليقوم الخدم باحراقه . أضاع أمله فى الكيميائيات ، ولكنه تمسك برأيه القديم عن الدم ، فكان لا يزال يرى أنه أبدع سائل يدور فى جسم حىّ . أعجِب به حتى عبده . واتقد خياله فارتأى له فضائل لا تُرَى وخصائص غريبة لم تُسمع . فقام إلى فئرانه العاجزة الضعيفة التى برئت من الداء فمص شيئاً من دمها ، مصّه بمحقنه من شريان فى رقبتها ، ثم أودع هذا الدم أنابيب من الزجاج ، ثم ترك هذه الأنابيب حتى انفصل من الدم مصله الرائق الأصفر ، فصعد مخلّفاً فى أسفل الأنبوبة قطعه الحمراء ؛ ثم مصّ هذا المصل فى أنبوبة صغيرة ، ثم خلطه ببشلات الدفتريا الفاتكة

وتفكّر بارنج : « لا شك أن دم الفئران به شىء يحصّنها من الدفتريا . لا شك أن به شيئاً يقتل بَشِلّات الدفتريا ... »

ثم نظر إليها فى هـذا المصل من خلَل مجهره وهو يؤمّل أن يراها تنضر ثم تموت ، فلما حدّق فيها وجدها ترقص وتزيد ، إذن هى لا تموت بل تزيد وتربو ، أو على حد قوله الأسيف فى بعض ما كتب « تتكاثر فى وفرة عظيمة » . ولكن مع هـذا فالدم سائل عجيب بديع . ولابد إليه ترجع حصانة هذه الخنازير . وهتف فى نفسه هاتف يقول : « وعلى كل حال ألم يثبت هـذا الفرنسىّ رو Roux أن البشلات لا تقتل بل الذى يقتل هو السم الذى تصنعه ؟ ألم يثبت أن سم الدفتريا لا بشلاتها هو الذى يقتل الأطفال والحيوانات ؟ . . . إذن فلعل هـذه الخنازير الغينية التى شفاها الكلورور قد تحصّنت من سم الدفتريا ! »

وأخذ فى التجربة . وبعد زمجرة وأفأفة ، وبعد تبلّل وتقذّر قمينين بكل شاعر عالم ، جهّز بارنج حساء احتوى سم الدفتريا وخلا من مكروبها . وأخذ من هذا الحساء لحقن جرعات هائلة تحت

جلود خنازيره الحصينة وكان قد تناقص عددها . فاذا بها حصينة تجاه السم . وأخذت قروحها الماضيـة تلتئم ، وأخذت تكبر سِمَنا . هذا أمر لا شك جديد فى علم المكروب . أمرٌ ربما كان ارتآه رو ولكنه لم يتحقق على يديه . حمى بستور الشياه من داء الجمرة ، وحمى الأطفال وحصّنها من عضة الكلاب المسعورة ، ولكن هذا الذى أتاه بارنج غير هـذا وذاك . هذا أمر طريف يقف العقول حيرى . بارنج يصيب الخنازير بالدفتريا ، ثم هو يشفيها منها بعلاج فظيع كاد يوردها الموت ، ثم هو بذلك يحصّنها من سم الدفتريا الفتاك ، من ذلك السم الذى تقتل الأوقية منه ٧٥٠٠٠ كلب

« صاح بارنج : « فى هـذا الدم لا شك يوجد الترياق الذى يحمى هذه الخلائق ، وفيه لابد أنا واجده ! »

وكان لا بد له من الحصول على شيء من هذا الدم ، ولكن لم يبق لديه من هـذه الخنازير الحصينة شيء ، أو لم يكد يبق منها شيء ، فعمد إلى خنزير قديم منها كان استنزف دمه مراراً ، فشق رقبته يبحث عن الشريان الذى يمص منـه الدم فوجده انعدم ؛ أو كاد من كثرة ما عاوده . فأخذ ينكش حتى حصل على بقية قليلة من الدم جاء بها من شريان فى رجل هذا الحيوان . لله من حيوان جدير بنا أن نذكره بالحسنى . لقد قاسى بارنج فى أيام هذه التجارب ألماً نفسياً كبيراً ، كما قاست حيواناته ألماً جثمانياً كبيراً . فلو أن رحمتنا تُقسّم بينهما ، بين بارنج وحيواناته ، ما درينا أيهما أحق بأكثرها . كان يستيقظ كل يوم فيذهب توّاً إلى معمله وهو متوتّر الأعصاب ليطمئن على حياة هذه الخنازير الحصينة ، هذه الخنازير القليلة المتناقصة التى لا تُشترى بمال .... وعلى كل حال حصل أخيراً على قطرات قليلة من مصل حصين . فمزجها فى أنبوبة من الزجاج بمقدار كبير من حساء كان ربّى فيه مكروب الدفتريا لكى يبث فيه من سمه . ورشح الحساء قبل مزجه بالمصل ليخلص من المكروب

وحقن من هذا الحساء الخليط فى خنازير غينية جديدة غير محصّنة — فاذا بها لا تموت

صاح بارنج : « صدق جوتيه Goethe الشاعر العظيم حين قال : « إن الدم عصير غريب »

وأخذ يستعد بعد ذلك لتجربته الخاتمة الشهيرة ، وعين كوخ الامام الأكبر لا تبرح تنظر اليه ، وتجمعت حوله تلك العصابة الصغيرة المجنونة من رفقائه فى ذلك المعمل ، وازدحموا وقد انحبست أنفاسهم فى انتظار ما قد تتمخض عنه هذه التجربة الكبرى ، فخلط سم الدفتريا بمصل أتى به من دم خنزير سليم لم تصبه الدفتريا يوما ، ولم يتحصن منها أبدا . ثم حقن هذا السم الخليط فى خنازير جديدة ، ففعل فعله المنتظر فيها . ولم يعقه عن ذلك المصل الذى خالطه ، فساء حالها بعـد ثلاثة أيام وسرى فيها برد الموت . ووضعها على أظهرها ووكزها ولكنها لم تبد حراكا ، ولم تمض ساعات حتى لفظ آخر أنفاسها وذهبت إلى حيث يذهب الأموات

فصاح بارنج : « إن مصل الخنازير الحصينة — مصل الخنازير التى أصابتها الدفتريا ثم اشتفت منها — هذا المصل وحده هو الذى يقدر على محو سمّها . وكأنى بك تسمعه يتمتم لنفسه وهو المداوى الكبير : « والآن فلعلى قادر على تحصين حيوانات أكبر ، فاستخراج مقادير أكبر من هـذا المصل الذاهب بسم الدفتريا ، وعندئذ آخذ فى تجربته فى الأطفال المصابين ..... إن الذى يشفى الخنازير الغينية لا بد أن يشفى الأطفال »

في العدد القادم : بارنج يجرب مصل الدفتريا فى الأطفال — أحمد زكى

حِيَلُ الضمير

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

الضمير عند بعض الناس ترس الخائف الذى يحتمى بجنه ، وهو عند غيرهم سلاح الصائل ، وعند آخرين آلة نصب واحتيال ، وعند غيرهم بمنزلة الثياب الجدد التى يلبسونها أيام الأعياد والمواسم والصلوات ويخزنونها فى الأيام الأخرى وهو تارة كالمصباح المنير

وترى كثيراً من الناس يكثرون من ذكر ضمائرهم أو يفعلون ما هو أدهى من ذلك فيكثرون من ذكر العدل والحق ، وهى لقيمات يطربها كل منهم ويود أن يضعها فى فم غيره ، وهى أحمال وأثقال يمدحون الاضطلاع بها وكل يود أن يضعها على كتف غيره أو على عنقه ، وما ذلك إلا لأن الناس ينشدون السعادة ، والسعادة لا تكون إلا إذا اصطلح شر الحياة وضمير الانسان ، وإذا اصطلح المثل الأعلى ومثل الحياة الدنيا ، وقد يكون فكر المرء وقوله خيراً من خلقه وفعله ، لأن أعمال المرء رهينة باحساسه لا بفكره وقوله ، وقد يكون فكره نبيلاً وقوله جليلاً ولكن إحساسه يدفعه إلى سبيل غير سبيل هذا النبل والجلال فى القول والفكر

ولما كانت الرذيلة أحوج الأشياء إلى مظاهر الفضيلة عم الكذب والرياء بين الناس انتفاعاً بمظاهر الفضيلة وحقيقة الرذيلة من كسب أو متعة . وهذه المظاهر تجوز على الناس ويحسبونها فضيلة أو هم يدعون الانخداع لها رغبة فى التقرب إلى صاحبها والانتفاع برضائه عن انخداعهم بظواهر نفسه ، وهذا منشأ انقلاب أوضاع الحياة ، وهم يطلبون منه أن يدعى الانخداع بظواهر نفوسهم كما ادعوا الانخداع بظواهر نفسه ، والمسألة كلها مسألة كسب يتبادل فيتعاونون على الحياة بتزكية كل منهم الآخر

وللضمير وسائل أخرى لتزكية النفس كأن يخلع صاحبه عيوب نفسه على غيره ، ويلج فى معاداته كى يبرئ نفسه فتكون لجاجته فى خلع عيوبه على غيره دليلاً على عيوبه كما تكون لجاجة الأجرب فى الحك دليلاً على موضع الجرب منه فى نظر الطبيب

وكثيراً ما يتمحل الضمير الأعذار من أجل رغبة صاحبه فى الأذى ولذته فى الاساءة إلى الناس ، وعوامل الشر فى نفس المسىء قد لا تكون فى حاجة لمسوغ يثيرها ولكنها تكون فى حاجة إلى فرصة تستخدمها حتى ولو لم يكن لها مسوغ ، فان مسوغ الاساءة فى كثير من الأحايين فى نفس المسىء لا فى عمل من أسىء إليه لأن كثيراً من النفوس بها شهوة إلى الأذى إذا أرضتها أحست راحة وسعادة فى إرضائها ، غير أن بعض شهوات الأذى لا يرضيها إلا ما أرضى نفوس قدماء الرومان عند رؤية الوحوش تفتك بالأجسام ، وبعض شهوات الأذى تكتفى بالغيبة والنميمة والكذب ، وعواقب هذه قد لا تقل عن عواقب تلك جرماً وجناية وإن كان صاحبها لا ينعت بالمجرم الجانى وإن كان ضميرها أهنأ الضمائر بالاً وأروحها خاطراً

والضمير كثيراً ما يكون فى الحياة كالسفينة الصغيرة فى البحر المحيط الذى هاجته الأعاصير فقد لا تغرق السفينة كما لا يغرق الضمير ولكنها تضطر أن تسير فى مهب الأعصار كما يسير الضمير فى مهب أعاصير الميول النفسية وما تقتضيه من كذب ونفاق

والكسب والجاه والصداقة والغرور هى العقاقير التى تخدر الضمائر بها ، وهى البلسم الذى تداوى به آثار وخزاتها ، وهى المادة اللزجة التى تطلى بها الضمائر كى يصطاد بها أصحابها طيور السعادة واللذات والمكاسب كما تطلى الغصون بتلك المادة اللزجة التى تلتصق بها العصافير على غصون الأشجار ثم يأتى الصائد فيجمعها أو هى المادة اللزجة الأخرى التى يطرد بها الذباب اللاذع المسمى بخواطر التأنيب والوخزات

ومن أجل ذلك كثيراً ما ترى ضمير المرء عوناً للجانى الذى يرجى نفعه أو جاهه أو وده أو يرجى منه ارضاء غرور صاحب الضمير الناصر له . والناس فى سرائرهم يعرفون أن ضمائرهم ليست دائماً مصباح الهداية الذى يدعونه ، والانسان يتجنب فحص نفسه والبحث عنها ، وإذا كلف أو دفع إلى ذلك حاول التخلص من فحص نفسه فيقلب فحصها إلى حديث فيحدث نفسه أو تحدثه ويمنيها أو تمنيه ، ثم يعود فيقول إنه فحص نفسه وهو قلما يفعل ذلك إلا إذا دهمته مصيبة تجعله يشك فى نفسه فيفحصها فاذا لم تدهمه مصيبة تجنب فحص نفسه إلا إذا كان مريضاً بداء الخوض فى النفس وفحصها وقد يكون مرضاً إذا استفحل وعم وتطلب منه كل وقته ، ولكن مرض البحث فى النفس هذا مرض نادر فى الناس وأكثرهم لا يبلغ به البحث فى نفسه منزلة صغيرة

أو كبيرة ولو أن هذا البحث فى النفس أصبح عادة لقل شرهم من غير أن يمنعهم بحثهم من الاقدام فى الحياة إلا إذا استفحل وهو قلما يستفحل فيدعوهم استفحاله، إلى الشك والتردد والاحجام واتهام النفس فى كل أمر

ولولا أن الناس يعلمون عن عيوب ضمائرهم وضمائر النــاس الشيء الكثير الذى يحاولون إخفاءه ما كثر سوء ظنهم بالنفس الانسانية ، ومن العجيب أنهم يحاولون جعل حسن الظن بالنفس الانسانية مبدأ عاماً وهم فى سريرتهم يسيئون الظن بكل نفس من نفوس الناس ، وهذا الاختلاف بين المبادىء النظرية والمعتقدات العملية أمر تشوق دراسته ، والقصد من تلك المبادىء النظرية حمل الناس عليها للانتفاع بهــا لأن كل إنسان يود أن يحسن غيره به الظن وأن يسيء هو الظن بغيره ، ومن عجائب الضمائر أنها قد تغرى أصحابها بأن يعتقدوا إذا حلت بأعدائهم مصيبة أن المصيبة حلت بهم لأنهم أعداؤهم

والخبرة بالضمائر ينبغى أن تحذر المرء إذا رأى متخاصمين فلا يقول إن أحدهما فاضل ذو حق والآخر ناقص ذو باطل ، فقد يكون كل منهما على حق أو على شيء من الحق أو على باطل ، وقد يكون الأكثر حقاً هو الأكثر حظاً من الفضيلة ، أو بالعكس قد يكون الأكثر حقاً هو أقلهما حظاً من الفضيلة ، وقد يكون الناصر للحق والفضيلة بشعوره وعواطفه وبيانه هو أقلهما حظاً من الفضيلة ، ولـكن النفوس قلما تتقصى كل هــذه الأمور ولا أهون عنــدها من أن تحكم بغير علم وأن تورط ضمائرها فيما حكمت فيه بغير علم ، ومع هــذا التورط فان الناس قد يعرفون أن جليسهم غدار مغتاب بذيء اللسان فلا يمنعهم يقينهم وعرفانهم من مؤاخاته ، وتتغابى ضمائرهم وتتعامى عن عيوبه وعن شره وقبح نفسه مادام مرجو النفع ، فضمائرهم تتورط فى الحكم بغير علم وتمتنع عن الحكم على علم

وفى الخليقة صنف آخر من الضمائر تكون أسقاماً عنــد أصحابها وتعظم عيوبهم فى أعينهم ، وهذا مرض نادر مثل مرض إيغال المرء فى فحص نفسه

وضمير صاحب الشعور النبيل له أن يطالب بألا يعاقب على نبل شعوره ولـكن ليس له أن يطلب جزاء أو شكوراً ، اذا كان جزاؤه فى نبل شعوره واذا كانت مسرته فيه وشقاؤه فى غيره

عبد الرحمن شكرى

النيـــــل

أبرز « شخصية » فى العالم

عن مجلة « أمال » الفرنسية

إن المشكلة الحبشيــة مهما يكن حلها هى فى الحقيقة وليدة معضلة النيل وذيولها الخفية

سُئل مرة الكولونيل لورنس : « أية شخصيــة فى العالم أكبر نفوذاً وأعظم شأناً ؟ » فأجاب هــذا الرجل الغريب الذى يعد أكبر مخاطر فى عصرنا بكلمة واحدة هى : النيل

إن فى جواب لورنس ما يدعو لأول وهلة إلى الاستغراب لأنه أنزل النهر منزلة العاقلين وجعل منه « شخصية » بارزة ، ولـكنه لم يخرج بتحديده وتعريفه عن اعتقاد قدماء المصريين فى النيل ، فضلاً عن أن للكونيل لورنس ولـكل انكليزى سبباً يحمله على مجاراة الأقدمين فى اعتقادهم . وهذه الرواية التى تمثلها إيطاليا وانكلترا ويخشى أن تنتهى بمأساة عالمية ، أليس بطلها هذا النيل ، بل هذه الشخصية المقدسة التى عبدها الانسان قديماً ولا يزال يعبدها إلى اليوم ؟

ما فتئت بريطانيا العظمى منــــذ أنشأت امبراطوريتها الاستعمارية تطمع فى السيادة على البحار ، وفى التسلط على أهم المعابر البحرية حتى تم لها ذلك ؛ ففى قبضتها الآن كل المغاليق التى تؤمن مواصلاتها بتلك الامبراطورية المترامية الأطراف ، وأخصها الهند كبرى مستعمراتها وأغناها وأصعبها مراسا

أدركت انكلترا منذ حملة بونابرت على مصر أن تأمين طريق الهند يقضى ببسط نفوذها على بلاد الفراعنــة دون أن يشاركها فيه أحد . ثم جاء فتح قنال السويس باعثاً آخر على تشبثها بهذا النفوذ . ومن تدبر سياسة انكلترا فى خلال قرن كامل رآها تدور كلها على محور واحد ، هو سلامة طريق الهند . فكل شبح تتخيل فيه ما يمس هــذه السلامة عاجلاً أو آجلاً حاذرته وسعت إلى طمسه . هكذا فعلت وكذا تفعل الآن فى موقفها السلبي تجاه الغزوة الايطالية

إن الانكليز الذين يقبضون فى السويس وعدن على مغلاق

البحر الأحمر لم يزعجهم وجود إيطاليا فى اريتريا ، ولكنهم وجفوا إذ رأوا موسوليني طامعاً فى البلاد التى ينبثق منها النيل الأزرق ، ولذلك نراهم يلجأون الى كل الوسائل لاحباط مساعى الرجل الذى يحلم باعادة الامبراطورية الرومانية

النيل واهب الخيرات

النيل اذن شخصية كبيرة كما عرفه الكولونيل لورنس ، وقد يكون أكبر شخصية فى تاريخ الشعوب التى عمرت شواطئ البحر المتوسط . قال هيرودوت قديماً : « مصر هبة من هبات النيل » وهذه حقيقة لأن مصر قيمتها بنيلها ، ولولاه لكانت مفازة قاحلة لاشأن لها ، فهى شقة من الأرض تمتد من النوبة الى الدلتا ويجرى فيها خط طويل دائم الاخضرار ، ولولا هذا المجرى الحيوى الذى ينساب فى أحشائها ويروى غليلها لما كان للانسان والنبات والحيوان حياة فيها ، لأنها لا تعرف المطر إلا نادراً

فى شهر يونيه ترتفع مياه النيل فتفيض على الأراضى ناشرة عليها طبقة من الغرين الذى يعد من أحسن أنواع السماد . ويبلغ معظم فيضانه فى أول أسبوع من شهر أغسطس ، فترتفع مياهه إلى ستة أمتار ، ثم تتناقص تدريجاً فيأتى الفلاح ويشق وجه الأرض بسكته التاريخية التى تشابه سكة سلفه منذ ألوف السنين ويستغل خيراتها فى شهرى ابريل ويونيه

جعل النيل من مصر بلداً خصباً غنيا ، فلا غرو أن سبق المصريون الأقدمون شعوب الأرض فى ميادين الحضارة والثقافة . كانت مصر موطناً لثمانى عشرة سلالة من الفراعنة قبل ظهور موسى ، وكانت مسرحاً للحوادث التاريخية الكبيرة قبل أن تظهر للوجود أشور والفرس واليونان . ثم كانت مقصداً لطلاب العلم والفلسفة والثقافة من جميع الأنحاء ، فهى إذن كانت مهذبة الانسانية وحاملة نبراس المدنية فى العصور القديمة

ولكن الى أى شىء يعزى تفوقها فى تلك العصور التى كانت شعوبها فى حالة البربرية ؟ كلمة واحدة تجيب على هذا السؤال ، وهى : النيل

لقد تعلم المصرى القديم كل شىء من نيله ، ولأجل نيله استنبط علم الفلك لكى يحدد أوقات الفيضان ، واخترع التقويم والحساب ، وعلم الهندسة والمساحة ، وانشاء السدود وشق الترع ، لكى يستثمر النيل وينتفع بخيراته . واننا لنجد ذكر النيل ورسومه فى أساطير مصر وفى كتب دياناتها ، وفى كل شأن من شؤونها ، فهو من مصر كالروح من الجسد

منبع النيل :

أين منبع هذا النهر العجيب واهب الخيرات ؟

كان فى اعتقاد الأقدمين أن مخرج النيل من جبال القمر ، وهذا الاعتقاد الذى يظهر لأول وهلة أنه وليد الخرافات مبنى على حقيقة عرفت يوم اكتشف منبعه الأصلى ، وهى أن أصول النيل تخرج من أعالى « أوجاموازى » ، وهذه اللفظة معناها « بلاد القمر » . وقد ظلت هذه الأصول مجهولة حتى أواسط القرن الماضى ؛ وحاول كثيرون من الرحالة أن يهتدوا الى منبع النيل فلم يظفروا بطائل ؛ فمحمد على أوفد ثلاث بعثات بين سنتى ١٨٤٠ و ١٨٤٢ ، فكان نصيبها الاخفاق ؛ والفرنسى دارنو لم يصل الى أبعد من الدرجة ٤٢ من العرض الشمالى ؛ والايطاليان ميانى ودبونو ، والانكليزى بتريك ، والفرنسى لاجان ، لم يجاوزوا الدرجة الثلاثين . وظل منبع النيل سرا مجهولاً الى أن اكتشف الرحالة الانكليزى سبيك بحيرة تانجانيقا بين سنتى ١٨٥٧ و ١٨٥٩ فاذا هى مصدر النيل . وفى سنة ١٨٦٠ عاد يرافقه جرانت لحدد بتدقيق مخرجه . فمنبع النيل الأبيض اذن هو بحيرة تانجانيقا العظيمة التى تزيد مساحتها على ٧٠ ألف كيلو متر مربع ، وموقعها يعلو عن سطح البحر نحو ١٣٠٠ متر

يتألف النيل الأبيض من شلالات ريبون ، ويسير قاطعاً المستنقعات والقفار والبحيرات ، وضاما اليه بعض الأنهر الصغيرة حتى يصل أرض الفراعنة ، فينساب بين سهولها وحيدا لا يعترضه شىء الى أن يصب فى البحر المتوسط . وطوله من منبعه الى مصبه ٦٢٨٠ كيلو مترا ، وهو أعرض من نهر الأمازون فى البرازيل ، وأطول من المسيسبى فى الولايات المتحدة

أما النيل الأزرق فمصدره بحيرة تانا فى الحبشة ، ويتصل بأخيه النيل الأبيض عند الخرطوم عاصمة السودان . وهو غزير المياه ولا سيما فى فصل الأمطار فى الحبشة . ومدته من يونيه الى أواخر أغسطس . ولولا النيل الأزرق لما أروى النيل الأبيض وحده أراضى السودان ومصر ، فهو اذن عامل كبير فى حياة تلك

البلاد الواسعة ؛ ولا تمكننا أن نتصور مبلغ نكبة مصر بفقدانها هذا المجرى الحيوى

الحبشة والنيل الأزرق

إن بلداً كمصر يتوقف عمرانها بل حياتها على نهر ، لا بدع أن يهتم أولو أمره قديماً وحديثاً بالموضع الذى يخرج منه هذا النهر ويراقبوه بعين يقظى . وكما يشغل اليوم بال الانكليز خطر تحويل مجرى النيل الأزرق إذا ما استولت على الحبشة دولة قوية ، كذلك كان يشغل أفكار الفراعنة منذ ألوف السنين مثل هذا الخطر ، فكانوا يحاولون دائماً التسلط على الحبشة التى كانوا يدعونها بلاد كوش لكى يأمنوه . ولم يكن الأحباش أنفسهم غافلين عن هذه الفكرة ولكنهم لم يستطيعوا إخراجها إلى حيز العمل الكبير لافتقارهم الى الأدوات اللازمة ، وحتى اليوم لا يزال ضعف الامبراطورية الحبشية وتأخرها فى مجالى الحضارة ضمانة لسلامة مجرى النيل الأزرق . أما إذا استولت على الحبشة دولة أوربية صناعية مثل ايطاليا ، فما يمنعها غداً إذا أرادت أن تستثمر — كما تشاء — الثروات الطبيعية فى بلاد مساحتها نحو ضعفى مساحة فرنسا أن تحول النيل الى غير مجراه الحالى ؟

إن هذه الفكرة وحدها كافية لأن ترعب انكلترا التى ترى فى تحقيقها خراب السودان ومصر ، ولا عجب إذا رأيناها فى موقف الجد والحزم ازاء المشكلة الحبشية التى هى فى الحقيقة معضلة النيل وذيولها الخفية ؟

(ترجمة العصبة)

بعض ما يذكر

بعـــد الزهاوى !

بقلم عبد الوهاب الأمين

أصبح « الزهاوى » الآن فى رحمة التاريخ الذى لا يرحم ! ودخلت « كان » الخالدة عليه ، فليس يشار اليه الا بها . وذهب فى عالم الشعر والخيال ، بعد أن كان بشعره مرآة للحوادث المهمة فى حياته وحياة عصره

ولقد كان فى حياته — وما أشد وقع « كان » هذه ! — يتمتع بعطف شديد من طبقة الأدباء ، بقدر ما كان مغضوباً عليه من الطبقات المتعصبة ، ولقد يكون من المناسب أن أذكر الآن أننى كنت ممن نقدوا شعر « الزهاوى » بشدة ، وقد ساقنى الى ذلك وقتئذ اختلاف عصرى عن عصره بطبيعة الحال وبعد شقة التفاهم بين عاطفة شيخ من أدباء القرن التاسع عشر وميول شاب فى القرن العشرين لم يطمئنه ويرضه أدب لا يعبر عن ميوله ؛ وكنت فى ذلك الحين أرقب التشجيعين المعنوى والأدبى بنقدى ذاك ، فما راعنى الا ذلك اللوم والعتاب الذى فجأنى من جماعة كثيرين كانوا مجمعين على أحقية النقد ، غير أن ذلك لم يمنعهم من أن يقابلوه بشىء غير قليل من التذمر ! حتى لقد بلغنى أن أحد من كان بيدهم الأمر حينئذ أشار الى رئيس تحرير الجريدة التى كنت أشتغل بها أن يطلب منى الكف عن نقد « الزهاوى » ! وكنت فى ذلك الوقت اشتغل بالصحافة ، فلم يسعنى الا النزول على ذلك الطلب ، وكففت عن الكتابة فى تلك الجريدة ، غير أنى تابعت نقده فى غيرها !

* * *

لقد أوخذ « الزهاوى » على بعض عقائد له جاهر بها فى حياته ، وعرف له فيها كثير من الاغراق والتطرف ، كما أنه كان يجد على تطرفه هذا كثيراً من المشجعين . وفى رأيى أن المؤرخ الذى سيكتب تاريخ حياة «الزهاوى» جدير به أن ينظر فى هذا الأمر بدقة عند كتابته حياة الفقيد ، فعلى فهم هذه الناحية من

حياة « الزهاوى » يتوقف تقدير أدبه ومدى تأثيره . وما له وما عليه ، فلقد كان فقيدنا متطرفاً بالرغم منه . إذ أن ما اعتوره من الأمراض العصبية والأمراض الجسدية المزمنة ، جعله كذلك ؛ ومن هنا يدرك القارئ أن رأيه فى « اللذة والألم » الذى ناقشه فيه الأستاذ العقاد قبل سنين ، لم يكن مجرد اغراق منه كان يقصده للظهور بمظهر المخالف ، بل كان فى الحقيقة يمثل حالته النفسية والعصبية ، فقد كان يرى أن الألم فى الحياة أمر قائم بذاته ، وأن اللذة هى انعدام الألم ، وذلك طبيعى بالنسبة له ؛ فما كان يشعر باللذة فى حياته إلا فى الوقت الذى ينصرف فيه الألم الجسدى عنه !

وقد تنبه الأستاذ العقاد الى هذه الناحية عند التعقيب على تلك المناقشة [1] فأشار الى أنه لا ينكر أن « الزهاوى » يكابد من حياته ما له دخل كبير فى تمكين هذه العقيدة من نفسه

فالتطرف اذن هو الظاهرة التى تتركب عليها نفسية الزهاوى فى حياته الشخصية وحياته الأدبية ؛ واذا أدرك الناقد أو المؤرخ علة ذلك فى تكوينه وفى أعصابه ، فسيدرك بطبيعة الحال أن الاغراق والتطرف فى شعره قد يؤديان فى بعض الأحيان الى ظهوره بمظهر المنقلب على نفسه ، وعلى ذلك فليس فى شعر « الزهاوى » تناقض أو رجوع ، بل هى حالات نفسية جارفة تقلبت عليه فى وقتها فأنطقته بما خيل اليه أنه لا يتعارض وآراءه السابقة ، أو للتخلص من الضيق الذى سببته له بعض آرائه الجريئة ، كان يريد به تخفيف وطأة الطبقات المتعصبة عليه ؛ وفى هذه الناحية كان يبدو على شعره الشىء الكثير من التعمل الظاهر فيه حمله على نفسه ، وهنا لا يصح اعتبار مثل هذه الحالات ميزاناً للحكم على آثاره الأدبية والشعرية

***

يخطىء أشد الخطأ من يفاضل بين الزهاوى ومعاصريه من شعراء العراق ، فانه فضلاً عن سخافة فكرة المفاضلة لن تتوفر فيها الشروط الأساسية المطلوبة ، فانهم ليسوا « معاصريه » حقاً ولا يمتون اليه بصلة العصر . بل كان عمره المديد الملىء بخدمة الشعر والمساهمة فيه مثار الأشكال فى فهم شعره وحياته . فهو

(١) راجع فصل « اللذة والألم » فى كتاب مطالعات فى الكتب والحياة للأستاذ عباس محمود العقاد

من بقايا القرن التاسع عشر ، وليس من رجال القرن العشرين ، وما كان بوسعه أن يخرج على نفسه فى هذا الأمر طيلة حياته

واذا كانت خطوات البشرية فى عصورها السابقة للقرن التاسع عشر قريبة المدى من بعضها ، واذا كان التشابه والتقارب بين تلك العصور موجودين فهما فى هذا العصر قد بلغا آخر درجات التباعد . وقد مرت مئات السنين على البشرية فى «عصور الظلام » فما كان لتلك السنين المديدة أن تؤثر تأثير بضع سنوات فى نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العشرين ، فيكاد هذان العصران يمثلان « سن الرشد » للبشرية والدهر ، ففيهما استيقظ الانسان وأحس وأدرك ، وظل كذلك يخطو بسرعة فائقة فى تقدمه حتى لقد كاد أن يكون من المشكل التفاهم بين الولد وأبيه ، كأن بضعة السنين التى بينهما قد أقامت بين تفاهمهما حواجز العصور :

من هنا يدرك القارئ السبب فى وجود هذا البعد الكبير بين نفسية « الزهاوى » وبين نفسية شباب اليوم [1] وسبب نقمتهم على أدبه ، ومع كل ذلك فقد أرضى « الزهاوى » كثيرا من نزعات الشباب وأفكاره ، ودافع عن تلك الرغبات دفاعاً شغل حياته الطويلة ووسمها بسمات لا يستطيع مؤرخه اهمالها ، فقد كان من مناصرى المرأة والسفور والتجدد ، وظل كذلك الى آخر حياته ، برغم ما جرته عليه هذه الأفكار من المتاعب له ، ومن هنا أيضاً تتضح لنا أهمية الرجل فى العصرين اللذين كان له نصيب الحياة فيهما ، ومدى تأثيره فى كليهما

***

وبعد فهل يحق لنا أن نتفاءل بهذه الحركة التى قام بها بعض المعجبين بأدب الزهاوى ؟ وهل لنا أن ننتظر منهم غير ما تعودنا انتظاره فى مثل هذه الحال من دراسة منتظمة لعصره وحياته وآثاره ، أم لا تزيد هذه الهيجة على نصب تمثال له فقط ؟

على كل حال ، اننا ننتظر ونأمل أن تتشكل لجنة من المعجبين بشعره من الأدباء لتدوين تاريخ حياته ، لأنه والحق يقال ، قد كون فى حياته فصلا كاملاً لحياة العراق فى ملتقى عصرين مهمين من حياة البشرية

(بغداد) عبد الوهاب الامين

(١) فى هذا الكلام نظر ؛ فان الزهاوى كان حريصاً على أن يساير شعره باطراد نزعات العصر . وقد جرؤ على أن يقول ما لم يقله شيخ ولا شاب . وللرسالة رأى فيه ستنشره عما قليل (الرسالة)

الحياة الأدبية فى فلسطين

للسيد محمد تقى الدين النبهانى

مدارس الأدب فى فلسطين مدرستان . مدرسة الشيوخ ومدرسة الشباب . ولا تستطيع وإن أجهدت نفسك أن تعثر بثالثة اللهم الا أثفية سفعاء . وهذا التقسيم قد يكون طبعياً بل قد يكون عاما لا يمتاز بهقطر ولاتستأثر به بلد ؛ غير أنه فىفلسطين غيره فى سواها ؛ فأدب الشيوخ فى أكثر الأقطار مطبوع بطابع المحافظة على القديم حتى لدى المجددين منهم ، وأدب الشباب كلف بالجديد حتى لدى المعتدلين من هؤلاء . واليك مصر زعيمة الأدب العربى تكاد تخضع لهذا المبدأ بالقوة إن لم يكن بالفعل ؛ فالزيات وطه حسين وهما من دعاة التجديد لا تقرأ لهما لغة ولا تمر بفكرة حتى تقرأ ما بين السطور المحافظة على التراث القديم . أما فلسطين فأدباؤها الشيوخ مشتجرون وأدباؤها الشباب منشقون ، ولا تستطيع أن تلمس فرجة تتاح لك منها فرصة التوفيق ، وإنه ليهون عليك أن تجد بعض الجامع بين الشيوخ والشباب ويعتاص عليك التوفيق بين رأى الشيوخ أو رأى الشباب . ولعل ذلك ناجم عن جرثومة هذا الأدب وأن نهضته أسست على التقليد من غير أن تكون ملكة الاستقلال والنقد بارزة تميز صائب الرأى وتنفث خطله

ترى طائفة من الشيوخ أن الأدب فى رفض هـذا النحو المألوف لدى العرب فى دراسة الأدب من إلمام بالقواعد ودراسة لجيد النثر ورصين الشعر ، وتذهب إلى أن كتب النحو وأسفار البلاغة من أمثال كتب الجرجانى والقزوينى حتى اليازجى وأسفار ابن هشام وابن مالك حتى الشرتونى والجارم يجب أن تحرق وينبغى أن تمحى ، وأن هذا الشعر وتلك الخطب التى قرضها أمثال حبيب ودبجها زملاء زياد لا يجوز أن نجعلها ثقاف أدب لعقول الأدباء ، وان لغة الصحف والكلام العادى الذى يكتب بعيداً عن الفن نائياً عن مقياس الأدب القديم هو التأدب الحق فكفى المرء أدباً أن يقرأ حتى لو أخطأ رفع المبتدأ ونصب الحال ما دام هو أو السامع قد فقه مغزى ما يريد . ويرضى من الكاتب أن يخط حروف الهجاء بكلمات تبين عن المعنى ولو مجملا حتى يضحى بعد مدة كل عربى قادراً أن يفهم الأدب اذا ما قدر أن يتلو الكلمة بعد معرفته ربط الحروف . وهذا رأى ينادى على نفسه بالخطل ويجعل القارىء فى شك من عقل صاحبه أو حسن نيته . ومن المؤسف أن نقول إن من القائلين به مفتشين فى المعارف وطائفة فى أيديها أمر اللغة العربية فى المدارس ، ولا نود ذكر الأسماء لأنا نخشى أن يظن ذلك منا هجاء

وتزعم طائفة أخرى أن الأدب فى التضلع من غرائب الكلم من مثل مبرنشق ومصمئل ، وأن من لم يحط علماً بذلك ويستوى على شعر تأبط شراً وذى الرمة ويستظهر خطب المأمون الحارثى ومقامات الحريرى لا يسمى أديبا

هذان رأيان من آراء الشيوخ وهما متناقضان ، فى أحدهما الهدم ، وفى الآخر الجمود ، لاتقوم بهما نهضة ، ولا يؤمل منهما إصلاح ، لولا أن هناك طائفة ترى وجوب السير فى نهج القديم والاستضاءة بضوء الحديث كرأى جمهرة الأدباء الذين أخذوا على عاتقهم حمل مشعل الأدب . وهذه الطائفة لها أثرها ولهـا أنصارها ، منهـا ذوو الطرابيش وأصحاب العمائم . غير أنه على غبطتنا بالطائفة الأخيرة ومقتنا للطائفة الأولى نقول : إن هذه الطائفة المتــدلة تقصر عملها وتحصر نهضتها فى غرف الدرس وحلقات السمر ، لم تخرج بعد ثمرة ولم تقم بمجهود ، وأن الاكثار انمـا هو لأولئك الهدامين ، يكتبون ويتحدثون عما يرون بمـا لا يكاد يصح أن يسمى لغة عربية ، ولا يكادون يقيمون لسانهم لحناً اذا ما تحدثوا دقيقة أو دقيقتين ، ولـكنهم على ذلك مكثرون وعاملون ما سمحت لهم المقادير

وطائفة الغريب منتجة غير أنه قليل ، وعلى قلته لا يجد رواجا ولا ينفق الا فى سوق الراسخين

أما الشباب ففرقتان : فرقة كان موطن ثقافتها مصر ، وفرقة رضعت لبان الأدب فى فلسطين ولبنان ، وبذلك تباينت عقليتهما وانشقت آراؤهما

فالذين تثقفوا فى مصر يرون أن خير طريق لانهاض الأدب هى الطريق التى تسير فيها جمهرة أدباء مصر ، وهى أن تربية ملـكة

الأدب فى دراسة نصوصه ونقد هذه النصوص وبحثها على المقياس الذى وضعه أولئك العلماء الذين أشفقوا على اللغــة أن تضيع وخشوا فسادها على ضوء ما يجد من الآراء الصائبــة وما يشرق من طرق البحث الأدبى القويمة . ولذلك تجد هؤلاء يتقلبون بين صفحات الأسفار ويأرقون لتحبير الرسائل والكلمات وينتقون بين المدن والدساكر ، يستملحون البيت من الشعر ، ويهشون للفقرة من النثر ، ويهتزون طرباً لرؤية كتاب حديث يلتهمونه التهاماً ، ثم يوسعونه نقداً، وينتقون ما يصح من رأى حصيف . وهؤلاء هم الذين يجاهدون فى النهضة ويضمون أنفسهم حراس الأدب . يحيطون علماً بسيره فى سائر الأقطار ويستلئمون لرد غارة دعى ، وصد هجمة متطفل على الأدب يكيد له . ومهما لاقوا من عنت ووجدوا من قسوة ، لا يأبهوا لما يكون حتى من أشد الشظف ، ويؤيدهم فى ذلك جمهرة من إخوانهم الذين تثقفوا فى لبنان ، وإن كان يكون بينهم نزر الخلاف

أما الفرقة الأخرى فهى تقصر الأدب على رقيق الغزل وبارع الخيال فى الكلم ، وما يبدع من مقالات الصحف السيارة . حتى ليعدون رئيس تحرير جريدة أديباً إذا ما أنشأ كلمة فى علاج شؤون البلاد ؛ وهؤلاء يريحون أنفسهم من عناء الدرس ، اللهم إلا فى كتاب حديث أو جريدة يومية ، أو مجلة فكاهية ، وجل مجهودهم قصيدة غزلية أومقالةاجتماعية ينشرونها فى نهر جريدة ما . وهؤلاء لا نشك فى عقاهم ولا نرتاب فى نيتهم ، وإنما نفند رأيهم وندعى أن الميل الى الراحة ومتابعة الأهواء والجرى وراء غرائزهم هو الذى حدا بهم أن يسيروا فى هذا النحو ، وأن يعتنقوا هذا المبدأ ، ولعلهم بعد يؤوبون إلى الحق أثناء سيرهم فى قافلة النهضة السائرة ، وانه وان كثر أنصارهم باتخاذهم أصحاب الصحف أصدقاء ، وباهتبالهم فرصة هذه الصداقة لجعلها بوقاً لهم يرضون به غريزتهم وينشرون رأيهم ؛ فهم أمام قوة الأدب الصحيح يضعفون ويضمحل معين أدبهم فانه سينضب ، وحينذاك يعلمون حق العلم انهم كانوا فى وادى الضلال يعمهون ، ومن ملح أجاج كانوا يشربون ويسقون

ولا يعجبن القارىء من عرض هذه الصورة ولا يدهش لهذا الاضطراب فى الحياة الأدبية فان المقادير تضافرت على خلق هذا الاضطراب ، وإن اختلاف السياسة خلق هذا التباين . ففلسطين كان أدبها معدوماً وكان أدباؤها غير مخلوقين قبل سنين ، فالأتراك كانوا يتآمرون على الأدب العربى حتى فى مصر ، فما بالكم فى فلسطين ؟ والأزهر كان حرباً على الأدب ذاك الوقت وخاصة مع الأغراب ، وجامعات مصر كانت تقفل أمام الفلسطينيين ، والحرب العامة كان لهـا أكبر الأثر ففتحت البلاد عينها على بقية من القـدماء وجمهرة من الدخلاء ثم أصبحت فلسطين منتدباً عليها أومستعمرة ، وقام على شؤون التأديب غرباء عن الأدب ، فكان ذلك الركود ووجد ذاك السكون فى أوائل العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجرى إلى أن فتحت جامعات مصر على مصراعيها لأبناء فلسطين واتجه الأزهر يعنى بالأدب ليتاح له تأدية رسالته ، وحضنت لبنان أبناء هذا البلد فرجعت جمهرة من الشباب اصطدمت بالقدماء واصطدم بعضهم ببعض فكان هذا الاضطراب وكانت هذه الحياة الأدبية المضطربة التى أظهرنا لك صورة مصغرة ذاتية من الحقيقة وإن كانت المقادير لم تسمح بأن تكون هذه الصورة أقرب إلى الحقيقة وأوضح مما قدمنا

. . . بيد أن هذا الاضطراب والاحتكاك يلمع ببرق أمل فى النهضة الأدبية ويبشر بانتظام حياة أدبية يجهد الشباب لإيجادها ويستميلون معتدلى الشيوخ وأنضجهم آراء ، وما هى إلا لمحة حتى تتغير الحياة غير الحياة وتزهر رياض الأدب فى هذه البلاد العربية وتؤتى أكلها ثمراً شهياً

(حيفا) **محمد تقى الدين النبهانى**

شكوى الى الله

وداع ...

هذه خطبة معلم فرقوا بينه وبين أولاده فودعهم بها وودعهم وبكاهم ، وإنى لآسف أن يكون فى صاحبنا المعلم الأديب هذا الضعف وهو يدعو إلى أدب القوة ، ولكن ما ذا يصنع ؟ أليس له قلب ؟ أليس بإنسان ؟ . . .

أولادى !

انتظروا ! لا تخرجوا كتبكم ، ولا تفتحوا دفاتركم ، فما جئت لألقى عليكم درساً ، وإنما جئت لأودعكم . إن الوداع صعب يا أولادى لأنه أول الفراق . وما آلام الدنيا كلها إلا ألوان من الفراق : فالموت فراق الحياة . والثكل فراق الولد ، والغربة فراق الوطن ، والفقر فراق المال ، والمرض فراق الصحة . . .

إن الوداع صعب ولو الى الغد ، فكيف إن كان المودَّع صديقاً عزيزاً ، فكيف إن كان ولداً ، فكيف إن كانوا أولاداً ؟

أنتم أولادى ، أولادى حقيقة لا أقولها مجاملة ولا رياء ، ولا أسوقها كأنها كلمة تقال . ولكن تنطق بها كل جارحة فى ، وأحسها من أعماق قلبى :

ولِمَ لا ؟ ألستم تحبوننى وأحبكم ؟ ألم أفكر فيكم دائماً وأخاف عليكم ؟ ألم ترونى آلم إذا تألم أحدكم ، وأثور إذا تعدى أحد عليكم ؟ ألم أفتح لكم قلبى حتى اطمأننتم إلى وأنستم بى ، وخرقتم حجاب الخوف الذى كان بينى وبينكم ، كما يكون بين كل معلم وتلاميذه ، وغدوتم تدعوننى لأشارككم فى ألعابكم ، وتقصون على أخباركم وتبثوننى أحزانكم ، وتنبئوننى بأسراركم ، وتشكون الى ما يصيبكم من آبائكم وأهليكم ؟ فأى صلة بين الآباء والأبناء أوثق من هذه الصلة ، وأى سبب أقوى من هذا السبب ؟

أنتم أولادى . فهل رأيتم أباً يودِّع أولاده الوداع الأخير ثم يملك نفسه أن تسيل من عينيه ؟ لقد شغلتم نفسى زماناً ، وأخذتم علىّ مسالكى فى الحياة ، فلا أرى غيركم ولا أفكر إلا فيكم ، وأقنع بصداقتكم هذه الخالصة المتعبة المرهقة ، عن الصداقة الكاذبة ، والود المدخول

فكيف أقدر أن أملك نفسى وأنا أقوم بينكم لألقى عليكم كلماتى الأخيرة ، ثم أمضى لطيتى لا أدرى أأراكم بعد اليوم أم لا أراكم بعد أبداً ؟ . . .

أما أنتم فاملكوا أنفسكم — لا تحزنوا ولا تأسفوا ولا تبكوا لأنى علمتكم كيف تكونون فى طفولتكم أكثر منا فى شبابنا رجولة وصبرا — ونشأتكم على القوة التى فقدناها ، والبعد عن العاطفة التى وبينا عليها ، وانكار الألم الذى لا نزال نهرب منه ، والمغامرة التى نكرهها ونجهلها لأرى صبركم فى مثل هذا اليوم

انكم الآن تجتمعون حولى ، ولكنكم ستتفرقون فى المستقبل ، وستنثرون على درجات السلم الاجتماعى نثراً ، وسيكون منكم الغنى والفقير ، والكبير والصغير ، والتاجر والصانع ، والموظف الكبير ، والمدير والوزير . ولكن قلبى سيتبعكم . وحياتى ستمتد فيكم ، ومبادئى ستبقى فى قلوبكم ، لا تستطيعون أن تتناسوها ، وكلماتى سترن فى آذانكم لا تقدرون أن تتغافلوا عنها ، وستسمعونها تدعوكم باسم الواجب فى ساعات الهوى ، وباسم الحق فى جولة الباطل ، وباسم الفضيلة فى غمار اللذة . فطوبى لمن لبّى وسمع واستجاب ، وويل لمن نسى وأنكر وأعرض واستكبر !

إننى لقنتكم مبادئ الحق والفضيلة ولكنكم ستجدون فى تطبيقها عناء كبيراً ؛ ستجدون أول خصومها معلميكم فى المدرسة وأهلكم فى البيت ورفاقكم فى الطريق ، فالسعيد السعيد من ثبت على الحق ، وأوذى فى سبيله ؛ والبطل من درأ بصدره السهام عن أمته ، وأطفأ بدمه النار التى تحرق وطنه . ان فى إمتكم طاعوناً أخلاقياً مروعا أصيبت به منذ خمسمائة سنة فذلت واستكانت ، وفقدت عزتها وصبرها وقوتها ، وقد جاء الوقت الذى تبرأ فيه الأمة . انها لن تبرأ إلا على أيديكم . . .

لقد دللتكم على الطريق ، ووضعت فى أيديكم مفتاح النجاح ، فعلمتكم فضائلى كلها مع ما عرفت من فضائل ، وجنبتكم نقائصى كلها مع ما عرفت من نقائص ، فاحترمتكم لتحترمونى ، وأخطأت أمامكم لتردونى ، ورجعت عن خطئى لتتعلموا منى ، وأنصفتكم من نفسى لتنصفوا الناس من نفوسكم ، وعلمتكم معارضتى إذا جرت لتتعلموا المعارضة لكل جائر ، ولم آت

فى ذلك بدعا . فهذه مبادئ الاسلام الذى علمتكم اتباع سبيله ، والوقوف عند أمره ونهيه والفخر به ، والجهر باتباع شعائره ، وربيتكم على الطاعة فى غير ذل ، والعزة فى غير كبر ، والتعاون على الخير ، والثبات على الحق ، والقوة فى غير ظلم ، والنظام الكامل من غير أن يفقدكم النظام شخصياتكم واستقلالكم

كنت أذكر ما كنت أستاء منه فى المدرسة مما كان يصنع معنا معلمنا ، فلا أصنع معكم منه شيئا : كنا نفر من المدرسة لأننا لا نجد فيها إلا جباراً عاتيا ، عبوس الوجه ، قوى الصوت ، بذىء الكلمات ، فجعلتكم تحبون المدرسة لأنكم تلقون فيها أباً باسماً شفيقاً يحبكم ويشفق عليكم ، ويحرص على رضاكم كما يحرص على نفعكم

وكنا نكره الدرس لأننا نجده شيئاً غريبا ، وطلاسم لا نفهمها ولا ندرك صلتها بالحياة ، ونعاقب على إهماله ، ونجازى على الخطأ فيه ، فجعلتكم تحبون الدرس لأنكم ترونه سهلاً سائغا ، تدركون صلته بحياتكم ، وفائدته لكم ، وتحفظونه لأنه لازم ومفيد لا خوفاً من العقاب ولا هرباً من الجزاء

وكنا ننتظر المساء لننجو من المدرسة ، لأننا نسجن فيها سجنا ، لا نستطيع أن نميل أو نتلفت أو نتكلم ، ولا نسمع من الأستاذ إلا عبارة الدرس المبهمة وألفاظ الشتائم المؤلمة . فجعلتكم تكرهون المساء لأنه يفصلكم عن المدرسة التى تقولون فيها ما شئتم من طيب القول ، وتفعلون ما أردتم من صالح العمل ، وتقرأون مازلتم نشيطين للقراءة ، فاذا مللتم من الدرس سمعتم قصة لطيفة ، ونكتة حلوة ، هى أيضاً درس من الدروس ، ووجدتمونى أحادثكم كما أحادث الرجال لا الأطفال . كنا نشعر بأننا أذلاء فى المدرسة لأننا لا نقدر أن ندافع عن حقنا ، أو نطالب بما لنا ، وإذا قلنا كلمة فالعصا نازلة على رءوسنا ، أو رددنا على المعلم لفظة ، فالبلاء مستقر على عواتقنا ، فجعلتكم أعزة أحرارا ، تدافعون عن حقكم ، وتطالبون بما لكم ، ولكن بأدب واحترام ، واتباع لقوانين المجتمع وأنظمة المدرسة ...

***

أتذكرون يوم جئتكم كيف كان أكثركم يأتى إلى المدرسة بادية أفخاذه ، مرجلاً شعره ، فى جيبه مشطه ومرآته ، وكمته (بيريه) على رأسه . تفخرون برقتكم ، وتعتزون بجمالكم ، وتتخلعون فى مشيتكم ، ولا تجدون من معلميكم إلا إقرار ما تفعلون ، واستحسان ما تأتون ، لا تربطكم بالاسلام إلا رابطة الاسم ، ولا بالعروبة إلا صلة الجنسية ، ولا تعرفون من تاريخكم ما تعرفون من تاريخ الحثيين والآراميين الذى قرأتموه مفصلاً قبل أن تدرسوا سيرة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن تعلموا من هو أبو بكر ، وقبل أن تسمعوا باسم معاوية . فعلمتكم أن فخر الرجل بقوته وعلمه ، واعتزازه بدينه ولغته . فاشتدت أعصابكم ، وقويت نفوسكم ، وتنبهت عزائمكم وصرتم تمشون كالأسود ، وتلعبون كالعفاريت . وتطالعون كالعلماء وتفكرون كالفلاسفة ، وتراقبون الله كالصديقين ، وصرتم وأنتم فى هذه السن تهيئون محاضرة فى عشرين صفحة عن عمرو بن العاص ، أو عبد الملك ، أو عبد الرحمن الناصر ، وسمعتم أن فى الدنيا علوماً اسلامية ، واستقر فى نفوسكم أن هذه العلوم وهذه الحضارة وهذا المجد ، لا بد لها من بعث كالبعث الأوربى (الرينسانس)

ولكنكم لا تستطيعون يا أولادى أن تفهموا التضحية التى قدمتها من أجلكم . لأنكم لم تعرفوا قبلى هذا الطراز من المعلمين ، فحسبى أن أخبركم أننى أشتغل بالأدب . أعنى أن لى نفساً تشعر وتحس ، وتألم وتسر ، وتغضب وترضى ، وتثور وتهدأ ، وتأمل وتقنط ، وأن لى غاية فى الحياة أكبر من هذه الوظيفة . وأننى أهم بأشياء غير صفارة المناوب ، وعصا التأديب ، وحفظ النكات الباردة لتقطيع الوقت بها ، ولف رجل على رجل فى عظمة جوفاء لانتظار الدرس . . .

ذلك أننى أغدو إلى المدرسة كل يوم وفى نفسى عشرات من الصور والأفكار ، أبنى منها هيا كل فخمة لآثارى الأدبية القيمة التى لم أكتب منها شيئاً بعد فاذا بلغت المدرسة ونشقت هذا الهواء الملىء بجراثيم البلادة والخمول ، طار من رأسى كل شىء ، وأحسست أنى غدوت حقيقة معلماً أوليّاً

أجل . لقد ضحيت من أجلكم بفكرى ونفسى . . خسرتهما من أجلكم ، وهأنذا أخسركم أنتم أيضاً

إنكم لا تعلمون أىّ فراغ سيدع فى نفسى فراقكم ،

وتحسبون معلمكم واحداً من هؤلاء البشر الآليين الذين يذهبون ويجيئون ويعملون ويتركون ، ولكن بلا قلوب . فسأقصّ عليكم قصة وقعت لي منذ أسبوع :

كان اليوم عطلة وكنت أرقبه من زمن بعيد لأستريح فيه من هذا العناء الذي هدّني هدّاً وطمس بصيرتي ، وبلغ بي إلى الحضيض الفكري ، فلما أصبحت عمدت إلى المطالعة فلم أفهم شيئاً ، ووجدت شيئاً يدفعني إلى الخروج . فارتديت ثيابي وأنا لا أدري أين أقصد ، فاذا أنا أمشي في الطرقات التي أمشي فيها كل يوم . وإذا رجلاي تقودانني إلى المرجة حيث ركبت السيارة إلى حيّ السفح (المهاجرين)[1] إلى باب المدرسة . هنالك انتبهت ، وعدت إلى نفسي ، فاذا أنا لم أقدر أن أعيش يوماً واحداً بعيداً عنكم ، وإذا صوركم وبسماتكم الحلوة ، وشيطنتكم البريئة . وصداقتكم الخالصة ، وأصابعكم الممدودة للسؤال قيد بصري حيثما ذهبت !

ولكن لا عليكم مني يا أبنائي ، لا تفكروا فيّ ولا تحملوا همّي ، بل فكروا دائماً في مبادئ علمتكم إياها ، واذكروا في المستقبل أني كنت أستاذكم ، وأنكم أحببتموني وأحببتكم ، ولا تحقدوا عليّ أني كنت أحياناً أقسو عليكم أو أعاقبكم ، فانما كان ذلك لفائدتكم

وبعد . فقوموا يا أولادي ، ودّعوا أباكم الذي لن تلقوه بعد اليوم ....

***

وخرج صاحبي من المدرسة ، مهدود الجسم ، خائر القوى ، فألقى عليها النظرة الأخيرة . فرآها من خلال دموعه ، مشرقة بهية ، كأنها ماسة تلمع في شعاع الشمس ، ثم ولّى ... يفكر تفكيراً مضطرباً

***

هذه هي حياة المعلم ؛ يغرس غصون الحب في قلبه فتمزقه بجذورها ، فاذا أزهرت جاءوا فنزعوها من قلبه ، فمزقوه مرة ثانية بنزعها : يأخذ المعلم أولاداً لا يعرفهم ولا يعرفونه ، فلا يزال يجهد فيهم ، ليفهم طبائعهم ، ويألفهم ويحبهم ، ويقوّم اعوجاجهم ويصلح فاسدهم ، حتى إذا أثمر الحب الفائدة وأتى العطف بالمنفعة ، جاء ولاة الأمور فقطعوا بجرّة قلم واحدة هذه الأسباب كلها . وفرقوا بنقطة من حبر بين الأب وأولاده ، لا لشيء ، بل لوشاية سافلة أو مؤامرة دنيئة . أو لاخلاء مكانه ليتبوأه بعض الملتمسين من ذوي الوساطات

وانطلق صاحبنا يهمس في أذن نفسه :

إني أشعر بالانحطاط والضعف ، وأحسّ كأنني شمعة قد انطفأت ، لم يكف أنهم أضاعوني وألقوني في هذا الطرق حتى جعلوني أسبح فيه ، ثم أغوص إلى أعماقه ، بينما يمرح الأدعياء واللصوص بالعيون الصافية ويقطفون وردها وزهرها !

لم يبق لي أمل ... لقد سقطت في المعركة قبل أن أنال ظفراً ، لقد بعت نفسي ومستقبلي وآمالي بتسعة جنيهات في الشهر ثمناً لخبز عيالي ... أفكان حراماً أن أجدها من غير هذا الطريق ، ألم يكن بد من أن أموت لأعيش ؟ ..

استغفرك اللهم . فلا اعتراض ولا انتقاد ، ولكنها هي شكوى . أيخسر المرء ماله فيشكو ، ويفقد حبيبه فيبكي ، ويرى آماله تنهار أمام عينيه ونفسه تذوب وحياته تنضب ومواهبه تذوى ولا يقول شيئاً ؟

إنني أشكو ، ولكن إلى الله ؛ فليس في الناس من يشكى اليه !

(دمشق) (ع)

(1) كذلك كانت تسمى الصالحية قديماً

الألم ...

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

لست أستطيع أن أغير طبعى
يخلق الطبع مكرهاً يوم تخلق

أنا فى عزلتى يطيف بى الرعـ ... ـب فأبكى من طول شجوى وأفرق
تعتريني الهموم فالطرف حيرا ... ن مندى من الدموع مؤرق
وجنانى ولهان يرمضه الحـ ... ـب ويذكو به الجوى إن تشوق
تتراءى لى الحياة قتاما ... ما بها مسرب يبين فيطرق
ويلوح الوجود قفرا يبابا ... عج فى ساحه العفاء وأطبق
صور من كآبتى ليس تمحى ... أنا منها مشتت النفس مصعق
من شجونى أنى أرى الوهم يحيا ... ولقد صاغه خيالى ونمق
لى عذاب اثنتين نفسى التى تشـ ... ـقى ونفسى التى أحب وأعشق
عشت من طول حسرتى أتشكى ... مثلما يشتكى الحمام المطوق
ضاع عمرى كما تضيع الينابيـ ... ـع وتخفى أمواهها وتغلق
وانطوى مثلما تمر الصبابا ... ت ويفنى خيالها ويمزق

* * *

أيها اللائمى أتلحو المقاديـ ... ـر وتهجو الدهر الذى ليس يرفق
هو جرحى عرفت كيف أداريـ ... ـه وأحنو عليه عمرى وأشفق
لست أستطيع أن أغير طبعى ... يخلق الطبع مكرها يوم تخلق
أنا قيثارة تنوح على الدهـ ... ـر ودمع على المدى يترقرق
أنا لحن مضرج بالمآسى ... كادت النفس من تشكيه تزهق
هو فى الصدر لاعج يتنزى ... وهو فى الفكر جدول يتدفق

* * *

يا رجائى يا بسمة الزهر النضـ ... ـر ويا روعة النشيد المرقق
أنت دنياى أستريح إليها ... كلما طاف بى الشقاء وأحدق
طيفك الحلو زارنى فى ذهولى ... فارتوت مهجتى وعمرى أورق
وتطلعت للخلود أناجى ... ملكا فى معارج الغيب حلق
الأسى دمعة الحنان على الأر ... ض وكنز من المراحم مطلق
تتسامى الأرواح فيه إلى اللـ ... ـه وتندى من الطيوب وتعبق
البلاغات سطعة من سناه ... والفصاحات نفحة منه تنشق
والغمامات رجفة من رؤاه ... والخضمات قطرة منه تهرق
نهر للبكاء سال على السحـ ... ـب ووشى الأفق البعيد وزوق
تستحم النفوس فيه من الإثـ ... ـم وتنقى من العيوب وتألق
يدرج الحب فى حماه عنيفا ... ناصعا كالضياء إن هو أشرق
كل عهد لم ينتظمه مضاع ... كل ود لم يعتمده مفرق

أنور العطار

عبرة الموت

جميل صدقى الزهاوى

بقلم عبد السلام رستم

يأيها المسلوب من أنسه ... مصفد الجسم الى رمسه
وتارك الدنيـا على حالها ... لم تصدق العائف[1] فى حدسه
فى الموت لو فكر مستعبر ... فيما يصيب الحى من مسه
تشابه النـاعم فى لهوه ... بالعابد الطواف فى حبسه
وبات من يجمع أمواله ... كالمعدم المحروم فى بؤسه
تلاحق الآتى عن قبله ... وتابع اليوم خطى أمسه
فما ينال المرء من حظه ... الا بريق النور من شمسه
يشب مشغوفا باغراسه ... وليس يدرى منتهى غرسه
ويخطب الدنيا ، وقد شاقه ... ما يفتن الناظر من عرسه
ويرشف الكأس على نهله ... والموت — لو يعلم — فى كأسه

* * *

يا شاعرا ظل مدى عمره ... فى حيرة الشدوه أو يأسه
يسائل المجهول عن أمره ... وينظم الشعر صدى نفسه
ما ذا أفاد الحس فى عالم ... لا يدرك المعنى من حسه
الكون ما انفك بأوزاره ... يفترف الأحياء من رجسه

(١) العائف : المتكهن بالطير

قد غلب الطبع على خلقهم   ومرجع الشىء إلى جنسه
وكلهم فى عيشه ناسج   ثوباً يقيم الدهر فى لبسه
والموت من خلفهم دائب   يسدد النبل الى نكسه
كم عجز الباحث عن كنهه   وإن أطال الفكر فى درسه
فدونك الحق الذى تبتغى   وخل عنك الروح فى قدسه

(القاهرة)   عبد السلام رستم

سهرة ابريل

الشاعر والربيع

بقلم محمد رشاد راضي

الشاعر :

طير الربيع أعدت ذكرى بلبلى
أتراه فى فرح الربيع المقبل

قذف الحسام فكان مقبضه على   شفتى وآخر حدّه فى مقتلى
ومضى كما يمضى السحاب كأنه   ظِلُّ الغريب وهدأة المتأمل
أجتاز أنواء العواصف تائها   ويروح يرفل فى الغلائل والحلى
الأرجوان العذب فى وجناته   ظللته بخيالىَ المتهلل
رقرقت فى عينيه بارق أنجم   يهدى فكان لحيرتى كمضلل
حلو كما احلولت طفولة ناهد   طلق طلاقة بسمة لمقبل
شرب السماء جميعها بعيونه   ورمى بقيّتها لماء الجدول
يمشى فيخضرُّ الثرى من خطوه   وتذوب أحجار الجديب الممحل

الربيع :

نهب الكون ابتسامى   إنه فى كل ثغر
ونجومى البيض رفّت   فى الثنايا مثل درّ
وكراكىّ وطيرى   رفرفت فى كل صدر
الصبا الصارخ يسرى   فى الدم القانى ويجرى

* * *

إن وردى يا أميرى   صِبغةٌ من شفتيها
وغديرى عبرات   هربت من مقلتيها
وحياة الحب والفتنة   رسم من يديها
أوحت الدنيا إلى اللـه فأهداها اليها ...!

* * *

هى حلم لا يراه ا   مرء حتى فى السكرى
هى كأس دون خمر   هى خمر قد جرى
هى أحيتنى لجئتَ ا   يوم كى أحيي الورى
إن نور الشمس من أع   ينها السود سرى

* * *

جمع الخالق حسن الأ   رض فيها يا هزارْ
فلك الدنيا تراه   كلما دارت يُدار
هى فى النور ظلام   وهى فى الليل نهار
هى ماء أيها الشا   عر كم يحرق نار !

* * *

أرسلتنى اليوم يا صدً   احٍ كى آتى إليكا
أرسلتنى بدَلا من   ها لأروى شفتيكا
كلما ترنو إلى مر   آتها أبدو لديكا ... !!
إنّنى لوحتها تع   رضها اليوم عليكا
إرسم اللوحة واحفر   ها على لوح الخلودْ
هأنا صورتها العذ   راء أنوار الوجود
خذ من الصورة أعلى ا   فن والحسن الفريد
وأتم الرسم منها   فهى يوماً ستعود ... !

الشاعر :

كلما سرت يا ربيع النور   أتهادى من جدول لغدير
كخيال يطوف بين القبور   خلت أن الشذى ومرج الزهور
هو للكون ليس لى أنا وحدى
هو ظلٌّ منها يزيد شجونى   إن كأس السراب لا تروينى
ولهذا يلجُّ عصف جنونى   أنا أبنى الدنيا وإن تك دونى
لا بساطا يناله كل فرد ......!
أنا أبنى عيناً ترى بعيونى   أنا أبنى قلباً يدين بدينى
أنا أبنى بلهفة وجنون   أن تكون الحياة ملك يمينى
ما انتفاعى بالطيف والطيف عندى ..؟!

استدراك

ذكر سهواً فى مقال الأستاذ عبد الحميد العبادى المنشور بالعدد الممتاز أن زوج زينب بنت النبى (ص) هو سعد بن الربيع ، والصحيح أنه « أبو العاص بن الربيع »



درامتان من اسخيلوس

ليلة فى الفردوس [1]

« وإلى الأبد فى جهنم ! »

آخرة المتضرعات

للأستاذ دريني خشبة

خلاصة الدرامة الأولى

كان لأيجبتوس ، أمير مصر السفلى ، خمسون ابناً ، وكان لأخيه دانوس خمسون ابنة ، وكان الزواج من بنات العم فى ذلك الزمن محرما بل كان يعد نوعاً من الزنى ؛ وبالرغم من هذا أراد إيجبتوس أن يزوج أبناءه من بنات أخيه ، وكان هذا الأخ ، دانوس ، قد رأى فى منامه أن أحد أزواج بناته يذبحه ، فلما ذهب إلى الكهنة يستفتيهم فى هذا أكدوا له صحة الرؤيا ، ولذلك رفض تزويج بناته ، وهرب بهن على فلك إلى آرجوس ، وهناك ، فى حرم الآلهة ، لقى بيلاسجوس ملك آرجوس ، وتقدمت كبرى بناته إلى الملك تحدثه عن منشئها وما تمت به من وشائج القربى إلى آرجوس عن طريق يو حبيبة سيد الأولب وصفيته ، وتضرعت إلى الملك أن يحميها واخواتها وأباها من ملك مصر ، وألا يردهم عليه أبداً ؛ ولم يستطع الملك أن يعدها حتى يستشير شعبه ، فهددت بأن تشنق نفسها ، هى وأخواتها فى جذوع الآلهة إن لم يفعل — وذهب الملك يحتال ليكسب أصوات شعبه وتأييده لقضيتهن — ولكن ظهرت سفينة فى البحر فى هذه الآونة ، فاذا هى مركب مصرى ، وإذا فيه جند وقائد أتوا يستردون البنات وأباهم قسراً ... وانقض الجنود على البنات ، وطفقوا يجرونهن من شعورهن لينزلوهن إلى السفينة ، وكادوا يفعلون ، لولا عودة ملك آرجوس فى آخر لحظة ، فحماهن من القائد المصرى ، واحتدم الجدال بين الملك والقائد ، حتى عد القائد أن ملك آرجوس ، بمخاشنته التى أبداها قد أعلن الحرب على مصر ... فعاد أدراجه إلى السفينة ليبلغ مولاه ...... أما البنات فنزلن فى حصن آرجوس مكرمات آمنات

(١) ليس هذا عنوان الدرامتين ولا عنوان إحداهما ، ولكنا آثرناه لأن أحداً لا يجزم بصحة اسميهما ، ومؤرخو الأدب اليونانى على أن اسم الدرامة الثانية هو (مصلحات فراش النوم) أو الايجبتيون — وهى لا تعنى المصريين — والثالثة (الدانايديز)

— ١ —

فى فجر يوم من أيام الصيف ، انشق الأبيض المتوسط عند ساحل آرجوس ، عن أسطول لجب ما عتم أن انتشرت سفائنه فوق الماء كأنها الدّبى ، وخَشْخَشَتْ خلال أواذيه كأنها الأساود ، ثم نفثت سمومها فوق الشاطئ جنوداً من شياطين فرعون ، مستلئمين فى الدروع ، مقنعين فى الحديد ، يلاعبون السمهريات ، ويرهفون الرقاق البيض ؛

وكانت آرجوس الخالدة نائمة حالمة ، غارة فى غفوة الفجر ؛ وكان الأرجيف الأشقياء غارّين كذلك ، تداعب أجفانهم الوسنى أطياف الآلهة ، وتمرح فى قلوبهم ومضات من السعادة يكاد الأولب يمضى بها ... حين ينبلج الصباح اللماح عن فوهة بركان ... ما تلبث حتى تكون وهدة من وهاد جهنم ! ...

— ٢ —

وأطل الحراس فى شعاف الجبل ، فبهتوا ! ! وزاغت أبصارهم ! ... وأوقدوا النيران ! ... واستيقظت آرجوس عجلى ، تنظر الى الموت الفاجئ يتربص بها ، ويكاد ينقض عليها ! ......

« المصريون ! المصريون ! المصريون ! .... »

وذهبت الصيحة فى أرجاء المدينة تهز قلوب الأبطال ، وتداعب ألباب الصناديد ، وتزلزل فرائص دانوس وبيلاسجوس ! وهرعت الجماهير إلى هيكل الآلهة تصلى وتبتهل ؛ وجمع الملك مجلس شوراه ليروا فى ذلك الحدَث المدلهم رأيهم ، فأجمعوا على وجوب الدفاع عن المدينة ، وعدم تسليم ضيفهم الشيخ وعذاراه اللاجئات مهما كلفهم الذود عنهم من جهد ، ومهما طال حصار المصريين :

— « أفهذا رأيكم إذن ؟ »

— « أجل أيها الملك ! ولا رأى لنا غيره ! إن شرف آرجوس وكرامة الأرجيف معلقان بما نصنعه من أجل هؤلاء

العذارى ! لِنَتَفْنَيْنَ جميعاً دونهن ، ولا يقولن أحد فى هيلاس إننا منعناهن أولاً ، ثم أسلمناهن أخيراً ! »

— « إذن لتكن حرب ! ولندفع عن شرف آرجوليس ! »

— ٣ —

وكانت الحرب الزبون التى شابت من هولها نواصى الأرجيف ، والتى أوقفتهم هيجاؤها حيارى فى أبراجهم كاظمين ! ثم ... ... سقطت آرجوس !

وجاست خلالها شياطين فرعون ! وانطلق أبناء إيجبتوس فى عرصاتها تحف بهم أعلام النصر ، وترف فوق هاماتهم أكاليل المجد ، حتى كانوا فى هيكل المدينة الخالدة ، حيث تماثيل السادة النجب من آلهة الأولمب ... ف ... صلوا لآلهة النيل ، وشكروا لرع ... وأثنوا على أمون ، وعقروا القرابين لآزوريس ! !

ويمموا شطر الحصن المنيف فوق رُبى آرجوس فاقتحموه على دانوس وبنات دانوس ؛ وكان أبوهن قد نصح لهن بالانصياع لما أراد القضاء : « ... فلا راد لما قُدِّر ، ولا دافع لما وقع فى صحيفة المرء ... ولنبحر يا بناتى البائسات إلى مصر ، وليكن لنا ثمة شأن غير هذا الشأن ، ولتتم المأساة ، ولتندلع النيران ، وليكن أبناء أخى أول ما تأكل من حطب ، وخير ما يلقى فيها من حصب ، وتغتذى به من أشلاء ! ! »

وظهر القادة الخمسون ، أبناء إيجبتوس ، ومن حولهم الجند شاكى السلاح ، فأسقط فى يد دانوس وأرتج عليه . واسودت الدنيا المشرقة فى عيون بناته ، وظلن متناثرات هنا وهناك فى ردهة الحصن ، ضافية عليهن جلاليبهن السود ، وأرديتهن الحزينة السادرة تزيدهن جمالاً على جمالهن ، وتجعل منهن ربرباً من الفاتن بدا فى هذا المرمر المترقرق فى أكفهن ووجوههن ، وأجيادهن وثديهن ، وفى هذه السيقان الناعمة التى كان يحسبها أن ترد عادية الجيش المغير ... وإن كانت الجن من ورائه ظهيراً ! !

— ٤ —

ذهل أبناء إيجبتوس ! وانقدح شرر الهوى فى قلوبهم ، وتدفق الدم العاشق فى عروقهم حاراً ... ثم انهمرت أرواحهم الوامقة من عيونهم دموعاً سخينة ... فسجد كل منهم عند قدمى واحدة من بنات عمه ... ولبثوا لحظة لا ينبسون ! ...

وحملق دانوس فى بناته وفى أبناء أخيه قليلاً ثم قال : « قِفْن لأبناء عمكن يا فتيات ! قفن للأبطال المذاويد أبناء إيجبتوس ! رباه ! لم نجم هذا الشر بيننا ؟ ! لقد كنت أحب أخى ، وكان أخى يحبنى . فأى شيطان أغرى هذه العداوة بيننا ؟ ! قضاء ! ... أجل ... قضاء ... قضاء ... »

وما كاد أبناء أخيه يسمعون هذه الكلمة المصنوعة من فم عمهم ، حتى تقاطروا اليه يقبلونه ويتمسحون به ويترضونه ... وظل هو يتلطف بهم ، ويهش لهم ، ويربت فوق أكتافهم ، وكأن شيئاً من الأحقاد التى أكلت الأفئدة ، وأراقت الدماء لم يكن ! ...

— ٥ —

وفُزِّع عن قلوب العذارى ، ونهضن فتلقين أبناء عمهن بالبشاشة والبشر ، ثم تلطفت كبراهن فشفعت لبيلاسجوس الملك الكريم المأسور فأطلق سراحه ورد عليه عرشه وألبس تاجه ، وعقد مع الأرجيف صلح نبيل دل على جود المصريين وسماحهم

وأقلع الأسطول ، وهمت انفلك واحتواها الماء ، وانتثر فى أذيالها وشى رجراج من الثبج ، وغابت آرجوس عن الأنظار قليلاً قليلا ، حتى إذا طوى الأفق آخر شاهق من أبراجها ، أوى الأبناء الخمسون إلى البنات الخمسين يباسطونهن ويسامرونهن ويسرون عنهن آثار ما نزغ الشيطان بينهم وبينهن

وأقبل الليل وانجاب ، وبزغت ذكاء وتوارت بالحجاب ... وكرت أيام ... ثم بدا الشاطىء المصرى ، وهبت نسمات الوطن وتبسمت الشمس فوق الأرض البنفسجية تحيى أبناءها الغزاة المنتصرين ، وأطل من قرصها الكبير ، رَعْ الكبير ، يبارك أبطاله ويغدق عليهم نفحاته . وخرج الشعب العظيم يهتف للجيش الظافر ، ويردد هذا النداء المحبب القديم : « المجد لمصر ! »

— ٦ —

وأقبل إيجبتوس على دانوس يلاومه ، ثم غفر له : « هذه النزغة التى أشمتت بنا الأعداء ، وأغضبت علينا أرباب السماء ، وسممت ما بيننا من محبة وصفاء ... » واتفقا على العرس ... وذهب كل يعد له عدته !

وخلا دانوس إلى شيطانه فقال إنى معك ! !

ثم جمع إليه بناته فخطبهن خطبة طويلة نضحها بالدمع ، وصهرها بنار الفؤاد ، وأودعها أحزانه وأشجانه . وذكرهن

بشرائع السماء ، ونواهى الآلهة ، والزنى البغيض الذى يستتر فى هذا الزواج القهرى ، لا عن نحلة ، ولا عن رضى ، ولا سلطان مبين ! ...

وذكر لهن أمهن المتوفاة وما كان بينها وبين زوجة عمهن من إحن وبغضاء ، فحرك فيهن هذا الماضى الأسود بجميع سخائمه ، وأثار فى قلوبهن الرطبة أشجانهن القدامى ... حتى إذا آنس فيهن الطاعة له والائتمار بأمره . أخرج لكل منهن سكيناً مسنونة مرهفة الحدين ، تقطر المنايا من أشفارها فيردها غمدها الذهبى المرصع بأغلى الجواهر واليواقيت

— « فاذا حان الحين يافتيات ، ونامت أعين الرقباء فاذكرن شقاء كن الذى لا شقاء مثله ، واذكرن كيف قضت أمكن بغصة العداوة بينها وبين زوجة عمكن ، ثم اذكرن أباكم هذا الشيخ الفانى المتهالك كيف ذل ، وكيف وضع أنفه الأشم فى الرغام ... واذكرن أخيراً أنكن تحمين شرائع السماء من هذا الاعتداء ... فالآلهة معكن ، وستضرب بأيمانكن ، وستغمد هذه الخناجر فى أحشاء أعدائها بوساطتكن ... بورك فيكن وكانت السماء فى عونكن ! »

— ٧ —

وأخذتْ ممفيس زُخرفها وازّينت ، وتبرجت عمائرها الفرعونية فى حُلل من النُّور والنَّوار وأفواف الزهر ، وضفائر الورد والرياحين ؛ وانطلق كهنتها يرسلون فى جميع الأرجاء ألسُن الند ، وفَغمة العنبر ، وشذى الكافور والصندل ، من مجامرهم الفضية المقدسة ، واجتمعت أسراب الحسان فى ساحاتها وباحاتها بسيقانهن المصرية الفرعونية يتلاعبْن ويتطرن ، ويتغنيْن ويتناشدْن ، ويهزأن بعرائس المـاء التى خالها قريحة هيلاس ؛ وسار ربهن يخطر فى كل حنية ، ويميس فى كل ميدان ، وينساب فى كل فردوس ، حتى كُن عند قصر الملك ، منزل العز ومناط المجد ، ونحر مصر وقلبها الخفاق ، فرقصن رقصات ما كان أشبهها بنبضاته ، وتغنين الأغانى كأنها تخرج من فمه ، وتنبعث من جوانحه وتجلجل موسيقاها عن حناياه ... ثم شارك الشعب فى الأفراح الملكية ، فعج النيل المقدس المعبود بالطوّافات والحراقات ، وهرعت عند حفافيه أمة بأسرها تفرح كما يفرح الملك ، وتسعد كما يسعد التاج ،وتنتشى بنشوة العرسين

وأقبل الليل ، وأسفر خونسو [١]

ورقصت ممفيس فى لجة من خمر ، ورفرف حوريس [٢] فوق المسلات الشاخصة فى الميادين ، ولم يعلم أحد أنه كان يرى غير ما ينظر الناس ، وأن عينه كانت تذرع الوادى الوادع السعيد وتكاد تضج مما أجن هذا الليل الرهيب ... لا ... بل كان الناس ينهلون أفاويق الحبور فى صحراء ممفيس ... فى ليبيا العجيبة ... ليبيا التى تصفر فيها الرياح . وتتكلم فوق كثبانها ألسن الألغاز والأسرار ! : ...

— ٨ —

وغرق القصر الملكى فى أثير الموسيقى ، وفى فيض من النور الذى يشبه الفجر الكاذب ؛ ثم أخذت الركبان تنصرف والولدان تتفرق إلى مخادع اللهو ، وأخذ الكرى يعقد أجفان ممفيس الصاخبة ، التى كانت منـذ هنيهة تعج بالألوف ، وتضج بالجماهير

وعادت آية الليل ... رهيبة كشأنها منذ الأزل ...

وافتر خونسو مرة أخرى عن ابتسامة هى إلى العبوسة أدنى ، وإلى السخرية أقرب !! يا لرهبة الأقضية ! ويا لصرامة المقادير !

لقد أوى أبناء إيجبتوس كل إلى مخدعه ، بعد إسراف طويل ، ولذات لم يكن يخطر على بال أحد أنها تنتهى ، وبعد قصف أيما قصف ، وخلاعات ليست كمثلها خلاعات ... فما كادت رؤوسهم تمس ديباج الطنافس حتى غطوا فى سبات عميق ، وحتى انطلقت أبالسة الشر من أغماد خناجر دانوس ، التى بدت أظمأ ما تكون إلى الدماء الحارة الشابة ، تجرى فى عروق أبناء إيجبتوس

— ٩ —

ولقد كان أبوهن قد اتفق معهن على هذه الغدرة الصفراء ، وجعل لكل منهن علامة حين تأفد سـاعة النفاذ ، أن تطفىء السُّرُجَ إلا واحداً تدعه مطلاً من إحدى الكوى التى تواجه قاعته ، إذ كان فى هذه الليلة الليلاء ضيفاً على أخيه ، وشريكه فى مخدعه ، ومنتوياً هو الآخر إنفاذ الغدرة الوحشية فى شقيقه ، ليخلوَ له وجه مصر ! ...

واضحكى أيتها الأقدار !! ...

---

(١) إله القمر عند المصريين القدماء

(٢) ابن آزوريس وكان المصريون يحبونه حباً جماً وكانوا يرمزون له بالبازى الأشهب

— ١٠ —

وأخذت السُّرُج تومض ثم تنطفىء ، وأخذ دانوس يلحظ الكُوى ويعد : « واحد ... اثنان ... ثلاثة ... أربعة ... خمسة ... » حتى عد تسعة وأربعين ... ووقف العد ... وأبطأ الحساب ، وتلكأ الجلاد ! ...

— « ماذا ؟ لقد ذبح الجميع أزواجهن إلا واحدة ! ... ماالذى منعها ؟ لعله لم ينم الخبيث ... ! ويلاه ! انطفئى أيتها السرج ... ولتنطفىء حياته فى إثركن ! ... »

وذكر هو أنه لم ينفذ غدرته ، فهب الى سرير أخيه ، وأغمد خنجره فى صدره ! ... وغادر إيجپتوس يتشحط فى دمه ... وراح يحلم بالتاج والعرش والصولجان ! . .

حلم قصير جميل ... ولكنه نظر الى الكوة الخمسين فوجد أضواءها تتألق ... ورأى إلى نورها يكاد يضىء ممفيس كلها ... فكاد حنقه يقضى عليه ...

— « هلمى يا غبية ! البدار الى دمه البدار ! »

ولكن السرج تتألق وتتألق ... ولا تنطفىء منها شعلة واحدة !

— ١١ —

وقفت الفتاة الجميلة تلقاء الفتى الجميل تقبله ، بعد أن كادت تقتله ... !

أجل ...! وقفت هيپرمنسترا[1] تلقاء ابن عمها لنسيوس[2] تعبده ، وقد شغفها الشاب الجميل النائم حباً ...

— « يا لأهدابه المراشة ، ويا لجبينه المشرق ، ويا لمنكبيه الجبارين ، ويا لوجهه البرىء ! أأطيع أبى ... هذا الشيخ القاسى المتحجر ... الذى لا قلب له ... الذى فرغت مآربه من الشباب ومن الحياة جميعاً ... وأسطو بخنجرى على هذا الشباب الذى أخلد إلى ... ونام ملء عينيه بين يدى ... وحملنى أمانته كلها ... لا وأرباب الأولمب ! لا يكون هذا أبداً ! ... إن قبلة واحدة على جبينه المتبلج خير من جنة أبى ، ومن الدنيا والآخرة جميعاً ... نم يا لنسيوس ! نم يا حبيبى ! إنى سأقف عند سريرك طول الليل أحرسك ، وسأغمد خنجرى فى صدر من تحدثه نفسه باغتيالك ولو كان أبى ! ... »

(١) Hypermnestra (٢) Lynceus

— ١٢ —

ولبث دانوس يحرق الأرَّم ويلحظ السرج ... ولكنها باقية كما هى ... لا تنطفىء ...

وانبلج الفجر ... ثم تنفس الصبح ... وأشرقت ذكاء ... وهب لنسيوس من نومه فما راعه إلا فتاته الجميلة واقفة إلى جانبه ضعيفة واهية ... تبكى ... وبيدها السكين المشحوذ يتلمظ ... ويتلمظ ... !

— « ماذا ؟ هيپرمنسترا ؟! مابك واقفةً هكذا ياحبيبتى ؟! »

— « لا شىء ... أنا أحرسك ... فقط أحرسك ! ... »

— « تحرسيننى ؟ ... يا للهول ! وِمَ يا ابنة العم ؟ ... »

— « من ... لنسيوس ؟! من أبى يا أعز الناس علىّ ! ... »

— « ماذا ؟ تحرسيننى من أبيك ؟ من عمى ؟ ... »

— « أجل ... أحرسك من الغادر الذى قتل إخوتك ! ... إنهض يا لنسيوس ! خذ عليه طريقه ... أحسبه قد قتل أباك أيضاً ... البدار البدار ! ... ... ويلاه ... وى ... »

وسقطت الفتاة لا تعى ...

— ١٣ —

وانطلق لنسيوس كالمجنون فى غرفات القصر المشيد ... ونفذ إلى مخادع إخوته ... فلم ترد عليه جثثهم ... صرعى فوق ديباج العرس ... مضرجة بدم الشباب الحار ... البارد كزمهرير الموت ! ...

وصعد الدم إلى رأسه ، فهرول إلى غرفة أبيه ؛ فما راعه إلا أن رآه قد لقى حتفه كما لقى إخوته حتوفهم ... وما راعه إلا أن رأى دانوس الجبار يحملق فى الكوة ... التى ما فتئت أضواؤها تنبعث منها ، برغم الفيض الذى ترسله الشمس ، مركب رع ... فى العالمين ...

وانقض عليه وذبحه

وجلس فوق أريكة يبكى ...

وهكذا قتل دانوس أحدُ أزواج بناته ، وصدقت الرؤيا ... لأن الآلهة لا تكذب ! !

— ١٤ —

واضطرب الأولمب[1] من هول الفاجعة ، واجتمع الأرباب

(١) لا ندرى لم لم يترك إسخيلوس عقوبة بنات دانوس لآلهة النيل ؟ ألأنهن لا يؤمن إلا بآلهة الأولمب ؟

البريد الأدبي

العبرات الحرار

رجا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع اللغوي الملكي بالقاهرة من قراء الرسالة الغراء في (العدد ١٤٦) الرجوع إلى نسخة شرح ديوان الخنساء المكتوبة سنة ٦٢٠ هـ المحفوظة في دار الكتب المصرية، لعلها تكون أوفى من نسخة مكتبته الخاصة المكتوبة سنة ١١٤٥ هـ لأن نسخته لم تذكر قصيدة « العبرات الحرار » وربما تكون ساقطة من نسخته من الشرح المذكور. ثم رجا الرجوع إلى نسخة الديوان المكتوبة بقلم العلامة اللغوي الكبير الشنقيطي التركزي وذلك للاستيثاق من صحة رواية البيت:

من كان يوماً باكياً سيداً فليبكه بالعبرات الحرار

لأنه يحتمل احتمالاً قوياً أن يد التحريف عملت في البيت عملها فغيرت « الجوار » إلى « الحرار » . وإجابة لرجاء شيخنا المغربي رجعت إلى نسخة الشرح التي في دار الكتب المصرية (« ٥٧٠ » آداب اللغة العربية) فوجدتها لا تشتمل على قصيدة « ياعين جودي بالدموع الغزار » التي منها بيت « العبرات الحرار » والظاهر أن نسخة دار الكتب من هذا الشرح هي أصل نسخة الأستاذ المغربي وأن قصيدة « العبرات الحرار » ليست في رواية الشرح

ورجعت إلى نسخة الشنقيطي من الديوان (« ٤٠ ش » آدب اللغة العربية) وهي — بحق — نسخة نفيسة مكتوبة بقلم العلامة التركزي بالخط المغربي الدقيق مع ضبط أكثر قوافيها والكلمات الغريبة منها بالقلم مع تقييدات على الحاشية لأكثر الأبيات فوجدت البيت هكذا:

من كان يوماً باكياً سيداً فليبكه بالعَـبَرَات الِحرار [1]

بضبط الحاء من الحرار مكسورة مما يقطع بأن الرواية « الحرار » لا « الجوار » ونسخة الديوان هذه كتبها الشنقيطي في مكة سنة ١٢٨٨ وفي دار الكتب المصرية نسخة ثانية من ديوان الخنساء (« ٥٣٦ » آداب اللغة العربية) كتبت سنة ١٢٨٩ هـ بمكة أيضاً بقلم أحمد بن محمد الخضراوي بخط عادي واضح ورد فيها عجز البيت «العبرات الِحرار» بكسر الحاء أيضاً. ويغلب على الظن أن نسخة الخضراوي منقولة عن نسخة الشنقيطي السابقة وإن لم يصرح ناسخها بذلك فانه اقتصر على القول بأنه كتب نسخته من الديوان عن نسخة بالخط المغربي الرديء الذي يصعب على المشارقة قراءته

والذي يؤيد هذا الظن أن الشنقيطي كتب نسخته بمكة سنة ١٢٨٨ هـ والخضراوي كتب بعده بسنة بمكة أيضاً وأن نسخة الخضراوي تشتمل على جميع التقييدات التي على نسخة الشنقيطي بنصها كما يلاحظ الاتفاق التام بين النسختين في ضبط بعض الكلمات فما كان مضبوطاً من هذه فلابد وأن يكون مضبوطاً في تلك بنفس الشكل

وأظن أن ما تقدم كاف في الاستيثاق من صحة رواية «العبرات الحرار» وأستاذنا المغربي عليم بأن عدم ذكر الحرار جمعاً لحارة في المعاجم التي بين أيدينا لا يدل على عدم وروده

برهان الدين محمد الداغستاني

(١) في الوجه الثاني من الورقة ٤٣ من الديوان

في ذروة جبل إيدا ، وقر رأيهم على أن يذهب هرمز فيأتي ببنات دانوس ، إلا زوج لنسيوس ، ثم يذهب بهن إلى الدغل ... الى هيدز ... إلى أعماق الجحيم ... حيث يكلفن بملء جرار مثقبة من نهر شيرون ، لا تمسك المهل ... إلا كما تمسك الماء الغرابيل ... فاذا جد بهن السير ، ونال منهن النصب ، وجلسن على عدوة النهر يستجممن ... أمطرتهن السماء ناراً ... فهرولن إلى النهر ليأخذن في ملء الجرار ... ولن تمتلئ الجرار ولو صب فيها أشيرون كله ...

دريني خشبة

المعجم الوسيط

تأليف الهيئة الرسمية لوضعه

وقع حضرة صاحب السعادة محمد علي علوبه باشا وزير المعارف العمومية قراراً وزارياً بتأليف الهيئة التي يعهد إليها بوضع معجم في اللغة العربية، وهي تتألف من لجنتين تمثل إحداهما وزارة المعارف والثانية المجمع الملكي للغة العربية

وهذا نص القرار:

بعد الاطلاع على القرار الذي أصدره المجمع الملكي للغة العربية بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ وبناء على الاتفاق الذي تم مع معالي رئيس المجمع على اختيار لجنتين تمثل إحداهما وزارة المعارف وتتكون الأخرى ممن ندبهم المجمع لتعمل اللجنتان معاً على وضع (المعجم الوسيط) في اللغة العربية

قرر: —

المادة الأولى: تؤلف الهيئة التي يعهد اليها بوضع معجم في اللغة العربية يسمى (المعجم الوسيط) على الوجه الآتي:

أولاً — أعضاء اختارتهم وزارة المعارف العمومية:

الدكتور طه حسين بك — الأستاذ بكلية الآداب

الأستاذ خليل مطران

الدكتور أحمد عيسى بك

الدكتور محمد والى — الأستاذ بكلية العلوم

ثانياً — أعضاء ندبهم المجمع الملكي للغة العربية

أحمد العوامري بك

الأستاذ أحمد علي الاسكندري

علي الجارم بك

المادة الثانية — يراعى في وضع هذا المعجم ما يأتي: —

١ — أن يكون ترتيبه على خير نمط بحيث لا يقل نظامه عن أحدث المعجمات الأجنبية وبحيث تسهل فيه المراجعة على الطلاب الذين لم يعتادوا المراجعة في المعجمات القديمة. ويتبع في ترتيب مواده طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة

٢ — وأن يتبع في شرح ألفاظه أسلوب واضح جلي يلائم العقلية الحديثة ويؤدي إلى تصوير المعنى على أدق وضع وأسهله

٣ — وأن تحقق فيه أسماء النباتات والحيوانات وغيرها بقدر الامكان مع الاستعانة بالخبراء في هذه العلوم عند ما تدعو الحاجة

٤ — وأن تصور فيه الأشياء أو أجزاؤها مما يحتاج شرحه إلى تصوير ولا يكفي الوصف البياني في إيضاح حقيقته

٥ — وأن يؤتى فيه بأمثلة غزيرة من أفصح الكلام وأبلغه من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والتراكيب العربية البليغة والشعر العربي. وذلك عند كل مناسبة لتوضيح استعمال اللفظ مع الاشارة بقدر الامكان إلى عصور ما استشهد به

٦ — وأن يفصل فيه بقدر الامكان بين المعاني الحقيقية والمجازية في المادة مع تقديم الحقيقة على المجاز

٧ — وأن يشار فيه أحياناً إلى التقلبات التاريخية التي انتابت بعض الكلمات فغيرت من معانيها بتغيير العصور

٨ — وأن يختار من الكلمات التي أقرها المجمع في الشؤون العامة والعلمية ما يتفق أعضاء الهيئة على ملاءمته لما يتسع له هذا المعجم

٩ — وأن تكون مواد المعجم من الألفاظ العربية الصحيحة أو مما عربته العرب

١٠ — وأن يشتمل على ملحق بالمشهور من أعلام الأشخاص والأماكن مع مراعاة ما أقره المجمع في هذا الشأن

١١ — وأن يشتمل على اصطلاحات العلوم والفنون والآداب عند العرب

١٢ — وأن يترك فيه الغريب المهجور إذا أغنى عنه مرادفه الصحيح

١٣ — وأن يضبط ضبطاً دقيقاً لا محل فيه للبس

المادة الثالثة — تبدأ هذه الهيئة عملها اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٣٦ على أن تتمه في ثلاث سنوات على الأكثر ويمنح أعضاؤها مكافأة نظير قيامهم بهذه المهمة

ترجمة معاني القرآن

قرر مجلس الوزراء بالموافقة على ترجمة معاني القرآن الكريم: ونص قراره:

بعد الاطلاع على كتاب فضيلة شيخ الأزهر وكتاب سعادة وزير المعارف العمومية بشأن ترجمة معاني القرآن الكريم

ومع تقدير مجلس الوزراء لمشقة هذا العمل وصعوبته ومنعاً لاضرار التراجم المنتشرة الآن رأى بجلسته المنعقدة في ١٦ ابريل

سنة ١٩٣٦ الموافقة على ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر بمساعدة وزارة المعارف العمومية وذلك وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء وأساتذة كلية الشريعة

الشعر القبطى القديم

ألقى الدكتور هرمن بونكر مدير معهد الآثار بالجامعة المصرية ومدير المعهد الألمانى للآثار المصرية محاضرة فى « الشعر القبطى القديم » هذه خلاصتها :

يرجع الشعر القبطى الى القرن التاسع بعد الميلاد ، وهو شعر شعبي وطنى لا أثر له فى الكتب الثمينة والدواوين الأدبية ، بل يوجد فى كراسات متفرقة من الورق ، وهو يمثل روح الشعب وعقليته ، وتظهر فيه جلياً الروابط التى تربطه بشعر العصور الفرعونية كما تظهر علاقته بألحان الشعب فى العصر الحاضر

ويؤلف الشعر القبطى من قصص للعامة مثل أغانى الفلاحين وهم يؤدون أعمالهم ، وأناشيد تتلى فى أيام الأعياد . وهو على مثال الشعر الفرعونى لم يتقيد بقاعدة القوافى ؛ وأبياته لم تراع فيها قواعد الوزن المتبعة فى الشعر العربى أو اللاتينى فهو غناء نسق روعى فى كل بيت منه انسجام خاص فى الكلمات والتوقيع يوصل إلى نغمة موسيقية ، وهذه الطريقة نفسها المتبعة فى شعر مصر القديمة

وكانت الأشعار القبطية تلقى بطريقة موسيقية على ألحان متعددة لكل لحن اسم ، وكان هذا الاسم مكوناً من الكلمات الافتتاحية لأغنية مشهورة (مثلا : الباب ، الحديقة ، سمعت السر المقدس ... انظر إلى فوق ...) كما تلقى اليوم أغانى العامة على وزن موال كذا وكذا

وكانت الأغانى فى أغلب الأحوال مؤلفة من دورين فى كل دور أربعة أبيات ، وكانت بين الدورين رابطة معنوية ، فكان الدور الثانى مثلاً يحوى ردا على سؤال ورد فى الدور الأول ، وتوجد أيضاً قصائد تمثيلية تشتمل على مقدمة ثم نشيد للمغنى ، وبعد ذلك دور غنائى غير موزون ، يليه رد الجمهور ، وكانت تكرر هذه السلسلة مرة أو أكثر على حسب موضوع القصيدة

وفى أحوال أخرى توجد قصائد تشبه كل الشبه الروايات التمثيلية الغنائية فيلقى كل ممثل فى دوره دورا غنائياً كما يرى فى رواية « اركليتيس ووالدته »

معاهدة ثقافية

عقدت أخيراً بين فرنسا والنمسا معاهدة ثقافية لتقوية الروابط والصلات الثقافية والفنية والاجتماعية بين الأمتين ، خلاصتها أن تتبادل الحكومتان الآثار العلميــة والفنية ، وأن تتبادلا إقامة المعارض الفنية وتنظيم الحفلات الموسيقيــة والتمثيلية كل فى بلد الآخر ؛ وقد نص أيضاً على أن المعهد الفرنسى الفنى الذى أنشىء منذ حين فى مدينــة فينا يجب توسعته وتنظيمه ، بينما تنشىء النمسا معهداً نمسوياً مماثلاً فى باريس ؛ كذلك نص على أن تتبادل الحكومتان انتداب العلمــاء والأساتذة كل فى النواحى التى تحتاج فيها إلى معاونة علمية من الطرف الآخر ، وأن تنظم كلتاهما كل فى بلد الآخر رحلات علمية ورياضية لطلبة المدارس الثانوية ، هذا إلى تفاصــيل أخرى ترمى كلها إلى تقوية الصلات العلمية والاجتماعية بين البلدين

هذا ومن المعروف أن النمسا قد عقدت مثل هــذه المعاهدة الثقافية من قبل مع المجر وإيطاليا ؛ وهى تبغى من وراء ذلك الى كسب المعاونة الخارجية للاحتفاظ بمستوى ثقافتها ؛ وهى تبذل فى ذلك السبيل جهوداً عظيمة داخلية وخارجية

وفاة علامة كبير

من أنباء السويد أن الطبيب والعلامة المجرى الشهير الدكتور روبرت بارنى قد توفى فى أوبسالا فى الستين من عمره ، وكان مولده فى المجر سنة ١٨٧٥ ؛ ودرس الطب فى فينا ، ثم زاول مهنته فيها أعواماً طويلة ، واشتهر بالأخص بالتخصص فى أمراض الأذن وجراحتها ، وفى أثناء الحرب الكبرى انتظم فى سلك الجيش ، وحارب فى الميدان الشرقى ، ووقع فى أسر الروس ، وأمضى فى الأسر حيناً فى روسيا . ولكن حكومة السويد تدخلت فى أمره تقديراً منها لكفاياته العلمية ، وسعت لدى روسيــا حتى أطلق سراحه ، وانتدبته الحكومة السويدية للتدريس فى جامعة أوبسالا ؛ وفى أثناء الحرب أيضاً منح الدكتور بارنى جائزة نوبل للطب ، وأضحى علم الأعلام فى طب الأذن ؛ وله فى هــذا الميدان بحوث علمية شهيرة ؛ وقد أنفق حياته منذ إطلاقه من الأسر كلها فى السويد حتى توفى فيها



نابليون : المائة يوم

للسنيور موسوليني والسنيور فورزانو

نقلها إلى العربية الأديب يوسف تادرس

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

ما زال عظماء الرجال موضع تفكير الانسانية وبحثها ، ومهما كتب الكتاب فى عظيم لم يستوعبوا أسراره بل تبقى فى نواح منه مواضع فسيحة للأجيال المقبلة وبحثها ، ولقد كان نابليون أعظم من ظهر فى الانسانية فى تلك القرون الأخيرة من رجال الحرب والسياسة ، ولئن نفس عليه الأدباء عظمته وأبوا عليه الزعامة فيهم ، فلن يستطيعوا أن ينكروا أنه قد كان أديباً ، وأنه كان شاعراً ، لا بأنه كتب الكتب وألف القصائد ، بل لأنه كان له فن الكاتب وخيال الشاعر . ولقد حاول أن يجول فى ميادين الأدب الخالص كما حاول من قبله قيصر ، فلم تترك له مشاغل المعمعة ومشا كل السياسة فراغاً لذلك

وقلما نجد لغة من اللغات الحية ليس فيها ذكر لذلك الرجل العظيم ، ولم تكن القصة مقصرة فى ذلك عن التاريخ ، فان كتاب القصص وجدوا فى حياته مواطن كثيرة يخرجون منها إلى خيال رائع أو تحليل بديع . فقد كان نابليون على شهرته وتطلع العيون اليه محاطاً بجو من الغموض يجعل فى حياته مسارح لقناص الرواية وصيادى الحكاية

وقد اختلفت نظرات الناس فى نابليون اختلافاً لا ينم عن شىء نميمته عن عظمته واتساع شخصيته . ولكن لم يكن فى مقدور البشرية أن يدرك شخص كنه شخص آخر . فما زال تقدير الناس لنابليون تقديراً يقرب بهم الى الحقيقة ولا يلمسها . فكل من كتب فيه قارب ولم يصب ، ودنا ولم يصل . غير أن بعض الواصفين أقدر من بعض على قصد المرمى وبلوغ المدى ، وذلك أن يكون الواصف فيه شىء من طباع الرجل وخلقه وآرائه . فاذا تحقق ذلك كان الوصف أدنى ما يكون من الحقيقة

وقد كتب هذه القصة التى بين يدينا الآن رجل عظيم تدنيه من نابليون علاقات كثيرة ومشابهات متعددة وذلك هو موسوليني ، فكلاهما إيطالى ، وكلاهما رجل حرب ، وكلاهما رجل سياسة ، وكلاهما فيه هذه المغناطيسية العجيبة التى تخلق الأصدقاء المخلصين والأعداء المتحمسين ، وكلاهما انحنت له هامات كبيرة وعقول حصيفة . فاذا كتب موسوليني قصة عن نابليون ، كان أليق الناس أن يصف نبضات قلبه وخلجات صدره . وها هى هذه القصة تدل على ذلك أكبر الدلالة

يظهر نابليون فى هذه القصة عقب أسره الأول وارساله الى جزيرة « البا » ويظهر فيها فى فترة المائة يوم إلى أسره الأخير وإرساله إلى « سنت هيلانة » ولعمرى لهى أيام القصة من حياة نابليون . هى الأيام التى تتجلى فيها مأساة بشرية رائعة :

دسائس ثائرة حوله ، ومجهودات جبارة تحاول صد تيار أتىّ فتصرع دونه ، وأصدقاء يفر بعضهم ويثبت أقلهم ، ثم أنانية لا تنظر إلا إلى النفس ونفعها أو خلاصها ، والرجل العظيم فى وسط ذلك كله تنعكس فيه كل تلك العيوب وتشع منه كل تلك البواعث

صور موسوليني نظام الحكم وأسسه ، ونطق عن لسان نابليون فى تصوير عيوب الديمقراطية واحتقارها فقال :

نابليون — « . . . . . عند ما أبرح باريس إلى الميدان ، لا أريد أن يهاجمنى البروسيون والانجليز فى وجهى بينما يطعننى مجلس النواب الفرنسى من خلف »

فوشيه — « مولاى إن المجلس هو الأمة »

نابليون — « (ترتفع نبرات صوته) لا ... ليس هو الأمة (يبحث فى مكتبه كالمحموم) إن صانع البنادق فى مارسيليا الذى وهب لنا مائة بندقية ، وصانع السروج الفقير فى بولون سيرمار الذى قدم ثمانين سرجاً للفرسان ، وعمال فيسول

وفلاحى أرجون الذين حفروا الخنادق وأبوا أن يتناولوا أجرا ، وجنود الفرقة التاسعة والسبعين الذين رفضوا الرشوة لأنهم عقدوا العزم على أن يتبعونى ... وكل امرأة كنت أنتظر منها رسالة استجداء فاذا بى أتسلم بدلاً من ذلك رسالة تقدم فيها ما ادخرته من مال . (يريهم لفة مربوطة بشريط وسام جوقة الشرف) هذه هى الأمة يا مسيو فوشيه ، وليس الخمسمائة من المحامين الذين يستطيع أربعة من رجال حرسى أن يفرقوهم بمؤخرة بنادقهم »

وصور موسولينى شخص نابليون فلم يترك دقيقة لم يصورها : رجل ينام فى أى وقت شاء ، ويدرك فى دقيقة ما يفوت الافهام فى ساعات . فاذا عزم فانما عزيمة البرق ، وذلك حتى بعد أن فل حده وترهل جسده وضعفت عزيمته بعض الضعف . ثم صوره والدا تغلبه العاطفة وزوجا يذكر حبه الأول ويحنق على زوجة خائنة حنقاً مكتوماً وإنساناً يتعذب ولكنه يحتمل العذاب والاحقاد احتمال الجبار

ثم صور موسولينى الموقعة الأخيرة ، فكان فى وصفه القائد الواقف على نشز من الأرض يرقب جنوده من منظاره ، ويحرك الفيالق عن علم ودراية ، حتى لكأننا ننظر من ثنايا وصفه ميدان « كاتربرا » و « واترلو » . ونسمع أصوات القواد والساسة فى مفاوضاتهم بعد النصر الأخير

فالقصة مثل رائع من أمثلة التأليف القصصى التاريخى ، يكاد الانسان لا يبصر فيها موضع القصص لصدقها التاريخى ، ويكاد لا يلمح التاريخ لصدق تصويرها القصصى

وقد أحسن حضرة الأديب يوسف أفندى تادرس الناقد المسرحى لجريدة السياسة الغراء ، فى إخراج هذه القصة الى اللغة العربية التى ما كان لها أن تفقد قصة موضوعها نابليون ومؤلفها موسولينى . وقد نقلها عن الترجمة الانجليزية للشاعر الانجليزى المعروف « جون درنكووتر »

وقد قرأت التعريب كما قرأت الترجمة الانجليزية التى عربها المعرب ، فاذا بى حيال قصة عربية سلسة حلوة الأسلوب سهلة اللفظ ، قد أبرز المعرب روحها إبرازاً لم يدع فيها موضعا لغموض مع الصحة والدقة

فعلينا أن نشكر لحضرة المعرب الأديب مجهوده العظيم الذى أضاف به كنزاً كهذا إلى اللغة العربية المجيدة

محمد فريد أبو حديد

مكتبة القراءة والثقافة الادبية

بقلم الدكتور أحمد فريد رفاعى
مدير ادارة المطبوعات

لا حاجة بنا أن نقدم إلى القراء الدكتور أحمد فريد رفاعى فهو ذو الشهرة الطائرة والصوت البعيد فى عالم الأدب ، وفى طليعة الجمهرة المستنيرة المثقفة فى مصر ، يجمع إلى نشاطه الوثاب عزيمة لا تفتر وهمة لا تكل ، وهو جد معنى بأن يظهر أبناء العربية على طريف البحوث وشائق التآليف فى مختلف مناحى الثقافة العربية ، فقد أصدر منذ سنوات قليلة مؤلفه الكبير « عصر المأمون » ونال ما يستحقه من الرضا والاقبال ، كما أصدر سلسلة « الشخصيات البارزة » ؛ وها هو ذا الآن لا يشغله منصبه الرسمى الكبير عن أن يتحف أبناء العربية بسلسلة جديدة فى أربعة أجزاء تشمل دراسة موضوعات مختلفة فى الثقافة العربية أصدرتها مطبعة المعارف فى حجم لطيف وهى « المقدمة ، والتعقيب ، والتذييل ، والتعليق » وهى تشمل بحوثاً مستفيضة فى نواح مختلفة تلذ حقاً وتنفع حقاً ، فمن حديث عن حاجة العربية الى التجديد ، الى كلام عن فن القراءة ، الى درس البرامج الدراسية العربية والأفرنجية ، الى مطلب عن القراءة ، الى حديث عن موقف المؤلف بين العربية والانكليزية ، الى فذلكات عن ابن الجوزى والبغدادى وياقوت الحموى والفارابى وابن سينا وقيس بن رفاعة والزجاج وابن مسكويه وعمر بن الخطاب وأبى موسى الأشعرى وأبى عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل وأبى حيان والأشتر النخعى والبصرى والمهدى وطاهر بن الحسين وابن طيفور والصابى وابن زيدون والأسكافى وابن سعيد المغربى وابن صخر الهذلى ، الى غير ذلك من الأحاديث الشيقة والدراسات الممتعة

وقد صدره المؤلف الفاضل بمقدمة بليغة ، شرح فيها غرضه من تأليفه وهو حرصه على توجيه الشباب توجيهاً نافعاً إلى الطريق الأقوم . فعسى أن يكون اقبال القراء عليه مكافئاً لجهده ومحققاً لقصده

(س)

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٨ — ٤ مايو سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 148.

Lundi - 4 - 5 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٥٥ — ٤ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة		
٧٢١	الملك العالم فؤاد الأول ...	: أحمد حسن الزيات ... ...
٧٢٣	مقياس الشباب	: الأستاذ أحمد أمين ... ...
٧٢٥	النهضات القومية العامة في أوربا وفى الشرق ...	: الأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى
٧٢٨	جاكومو كازانوفا	: الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٧٣١	قصة المكروب	: الدكتور أحمد زكى ... ...
٧٣٣	الاسلام والمدنية والعلم ...	: الاستاذ محمد أحمد الغمراوى ...
٧٣٦	محمد بن شهاب الزهرى	: السيد ناجى الطنطاوى ... ...
٧٤٠	رسالة الأزهر في القرن العشرين	: الأستاذ لبيب الرياشى ... ...
٧٤٣	الحياة الأدبية فى المغرب ...	: محمد عبد المجيد بن جلون ...
٧٤٥	نهاية المجد الانسانى : لدانيال ديفوا	— ترجمة محمد حسن ظاظا
٧٤٦	لامرتين ورينه جارد ...	: السيد اسكندر كرباج ... ...
٧٤٩	نحن والزمن (قصيدة)	: الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...
٧٥٠	مواجع شاعر »	: الأستاذ زكى المحاسنى ... ...
٧٥٠	الى النسيم »	: العوضى الوكيل ... ...
٧٥٠	غـــيرة »	: السيد الياس قنصل ... ...
٧٥١	الشفاء (قصة)	: سعيد عبد الاله الشهابى ...
٧٥٣	اعتـــذار »	: حسين شوقى ... ...
٧٥٤	المعجم الوسيط	
٧٥٤	ديوان بشار موجود ...	: السيد أحمد صقر ... ...
٧٥٥	«عودة الروح» فى اللغة الروسية . تطور نظم التربية الألمانية	
٧٥٦	ميشيل آنجلو . وفاة مؤلف موسيقى شهير	
٧٥٧	السيد (رواية مسرحية)	: يوسف تادرس ... ...
٧٥٩	العصر الحديث (رواية سينمائية)	: » » ... ...

الملك العالم فؤاد الأول



سبحانك اللهم مالك الملك ! تدبِّر أمرك فى سمو على مدارك العقل ، وتنفذ حكمك فى استقلال عن هوى الناس ! فلا حرص الوالد على وحيده يلطِّف قضاءك فيه . ولا حاجة الشعب إلى مليكه تردّ بأسك عنه . حكمة ضلّت فيها الفطنة ضلال الأفن ، وقوة ضاعت فيها القدرة ضياع العجز ، وسلطان خضع له المَلِك خضوع السُّوقة !

كان الملك فؤاد رحمه الله مظهراً من مظاهر القدَر فى الأرض . يجلس على عرش من أعرق العروش نسباً فى الملك ؛ ثم يأمر

فيطيع شعب ، ويقول فيسمع عصر . ويعمل فيسجل تاريخ . ويضع حكمه فى الأمور موضع الإرادة السماوية فيكون شريعة لا تخالف . وعقيدة لا تنكر . وتلك طريقة المُلك بمعناه الشرقى الموروث . تصلح ما دام لها من هدى الله دليل ومن رَوْح العدالة سند ؛ وشبل إسماعيل كان ملكاً بنشأته ومصلحاً بطبعه : رُبى تربية ملكية ، ونُشِّىء تنشئة عسكرية ، وثُقِّف ثقافة حديثة ؛ ثم تقلب بين ملكية رومة ، وخلافة الآستانة ، وخديوية القاهرة . فارتسم على صفحة ذهنه صور من كلٍّ . ولكن عبقريته الفنية وعقليته العلمية ورجولته العملية ، جعلت منه ملكاً فيه خصائص المُلك ، وليس فيه نقائص الملوك . وإذا قلت إن الشرق لم ير قبل فؤاد ملكاً واسع الإحاطة شامل الثقافة قوى الإدراك لا تبعد عن الصدق

كانت مواهب الأمير فؤاد تأبى عليه إلا أن يكون كخالد ابن يزيد رجلَ علم إن لم يكن رجل مُلك . لذلك لم يصبر طويلاً على أن يكون حاشية للسلطان فى سراى عبد الحميد أو قصر عباس . فعاد فاتبع إحدى سبيلى المجد ؛ وأقبل يذكى النهضة المصرية بالعلم النافع والعمل المنتج والقوة المحركة ؛ فكان رئيساً لتسع عشرة جمعية أو مؤسسة ما بين علمية واقتصادية وخيرية ، كلها من اقتراح رأيه أو من ثمرة سعيه . فلما بوّأه الله عرش مصر فى ساعة مضطربة وحالة مبهمة ، كان يرى لطول ما خبر الشعب ، وكثرة ما عالج الأمور ، ووفرة ما عرف من الوسائل ، وكفاية ما تزود للإصلاح ، وقوة ما ضمن لتوزيع العدل ، أنه أول الناس وأولى الناس بقيادة أمته فى أشد مراحلها تعرضاً للضلال والخطر ؛ وهذه القيادة نوع من أنواع الحكم المطلق ، يعتمد على وحى العقيدة وإخلاص الرأى كالخلافة ، أكثر مما يعتمد على استبداد الزعامة وقوة الجهور كالدكتاتورية ؛ ومن ذلك كان منشأ النزاع الثلاثى الذى قام بين العرش والاحتلال والدستور حيناً على حين ؛ ومن طبيعة هذا النزاع أن يتجاذب أطراف الأعنة الثلاثة فتنبسط لتنقبض ، وتتسع لتضيق ، ولكن القوة التى كان الملك يستمدها من صبره وحكمته وجرأته وخبرته وذكائه كانت فى الكثير الغالب تشد الطرف الراجح إلى يده ، فيسير فى الإصلاح بالقدر الذى يبقى على هذا التجاذب من الإمكان والقدرة . ومع ذلك كان التقدم فى عهده على محافظته وأناته محسوس الأثر : فلقد تعهد منابت الثقافة فغذاها بعونه ، وتفقد منابع الثروة فرفدها بعنايته ، وبسط رعايته على كل أمر من أمور الدولة وكل شأن من شئون الأمة حتى لا تجد عملاً من الأعمال العامة إلا كان فيه بسطة من لسانه أو يده

ولعل أشرق وجوه الإصلاح فى عهد المليك الراحل ما اتصل منها بالجمعيات الاقتصادية والمؤسسات العلمية والمؤتمرات الدولية والمتاحف الأثرية والمرافق العامة ؛ أما الأعمال الفردية والجهود الأدبية فكان نصيبها من حكمه السعيد كنصيبها من حكم جده الأعلى محمد على . على أن عناية المليك العظيم بهما قد بدت بواكيرها المرجوّة فى مثل بنك التسليف ومجمع اللغة ؛ فلو مد الله فى عمره الحافل المبارك حتى تنضج لكان عصره أشبه بعصر لويس الرابع عشر

كان الملك فؤاد بالرغم من عوامل نشأته ، وعلى النقيض من ميول أبيه ، شديد التعلق بدينه ، قوى الحرص على شرقيته ؛ يكره أن يجعل من مصر قطعة من أوربا ، ويحب أن تظل دولة إسلامية شرقية لها تقاليدها الخاصة ، وأسانيدها المتصلة ، وسماتها المميّزة ، فساعد الحجاب ، وأيد الطربوش ، وعضّد الدين فى كل خلاف بينه وبين التطرف ؛ وكان من ذلك شىء من التصادم المكبوت بين الرغائب الوثابة الشابة ، وبين هذه الأناة الملكية الحكيمة

إن من العسير على المنطق النزيه أن يحكم اليوم على أعمال مليكنا العالم العامل الكفء ، فإنها إنما بدت للناس على ألسنة رجال البلاط ، وعلى أيدى رجال الحكومة ؛ والبلاط قد يتأثر بشهوات الناس ، والحكومة قد تتأثر بنزوات الساسة . ومهما يقل التاريخ فى العصر الفؤادى فسيسجل بالخط البارز أنه عصر الرخاء للنيل ، وعهد الاستقلال للأمة ، وفجر النهضة فى مصر

عز الله مصر عن ملكها العظيم الفقيد ، وبارك الله لمصر فى ملكها العزيز الجديد

احمد حسن الزيات

مقياس الشــبــاب

للأستاذ أحمد أمين

أما الأطباء وعلماء الأحصاء فيقدرون الشباب بالسن ، فمن بلغت سنه العشرين أو قبل ذلك قليلا أو بعد ذلك بسنين فشاب وإلا فلا ؛ فتحديد السن هو مقياس الشباب ، كما هو مقياس الطفولة والهرم ، فان شئت أن تعرف المخلوق أطفل هو أم شاب أم شيخ فأغمض عينك وعدّ السنين ، ولا تنظر إلى قوة أو ضعف ، ولا إلى صحة أو مرض

وسار على هذا النمط علماء اللغة ، فقالوا : ما دام الانسان فى الرحم فهو جنين . فاذا ولد فهو وليد ، ثم ما دام يرضع فهو رضيع ، ثم إذا قطع عن اللبن فهو فطيم ، فاذا كاد يجاوز العشر سنين أو جاوزها فهو ناشئ ، فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق ، ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ، ثم هو كهل إلى الستين

ولكن هناك شاعرا أراد أن يخرج على هذه التقاليد ، وأراد أن يقيس الشباب والفتوة بالمعنى لا بالمبنى ، وبالقوة لا بالسن ، فقال :

يا عزُّ هل لكِ فى شيخ فتًى أبدا وقد يكون شبابٌ غيرُ فِتْيَانِ ؟

فهو لا يريد أن يعترف بأقوال الأحصائيين ، ولا أقوال اللغويين ، فقد يسمى الشيخ شاباً متى حاز صفات الشباب ، وقد يسمى الشاب شيخاً إذا حاز صفات الشيوخ ، فالعبرة عنده فى التسمية الصفة لا السن ، وهى من غير شك نظرة جريئة ومذهب جديد ينظر فيه إلى الكيف لا إلى الكم ، وإلى النتائج لا إلى المقدمات ، وإلى الغاية لا إلى الوسيلة ؛ فاذا عرضْتَ عليه رجلا قد ناهز الستين أو جاوزها ، قد لبس فى حياته العمائم الثلاث : السوداء ثم الشمطاء ثم البيضاء ؛ وعرضت بجانبه من يسمونه شاباً ، لم يلبس فى حياته إلا العمامة الأولى . ثم سألت صاحب هذا المذهب : ما قولك دام فضلك فى هذين ؟ هذا أربى على الستين ، وهذا فى سن العشرين . فأيهما الشاب ، وأيهما الشيخ ؟ لم يستخف سؤالك ، ولم يعده بديهية من البديهيات ، بل عده مجالاً للنظر الطويل والتفكير العميق ، وقال : ليس الأمر بالسن أيها السائل ، فمن رأيته منهما متهدماً قد نضب ماؤه ، وذهب رواؤه ، وذوى عودُه ، وخَوَى عمودُه ، ورق جلده ، وانخرع متنه ، وحطمته اللذات ، وأنهكت قوته الشهوات ، حتى صار لا يحمل بعضه بعضاً ، فهو الشيخ وإن كان ابن العشرين ؛ ومن امتلأ قوة ، وبلغ كمال البنية ، واستوت قامته ، واعتدل غصنه ، وحفظت جدته ، وأحكمت مِرّته ، وتجلت رجولته ، واكتمل نشاطه ، فهو الشاب ولو جاوز الستين . إنما يلجأ إلى السن فى تحديد الشباب والشيخوخة من قصُرَ نظره ، وضعفت قوة حكمه ، وأراد أن يعالج الأمر من أسهل طرقه ، وأقرب مسالكه ، وذلك شأن الغر الأبله ، لا الفيلسوف الحكيم ، ولمَ كنا إذا قسنا العلم وقسنا الكفاية ، وقسنا الخلق والصلاحية للأعمال لم نرجع فى شىء من ذلك إلى السن ، وإذا قسنا الشباب والشيخوخة رجعنا إلى السن ؟ ليست السن مقياس الشباب ، وإنما أحسن أحوالها أن تكون علامة الشباب ، وقد تتخلف العلامة كحكمنا على الرجل بالعلم لأن لديه شهادة الليسانس فى الآداب أو الليسانس فى الحقوق ، وقد يكون معه الليسانس أو الدكتوراه وليس بعالم ، كما يكون فى سن العشرين وليس بشاب . إن الشباب أو الشيخوخة معنى لا مادة ، وقد علمتنا قوانين الحياة أن المادة تقاس بمادة ، والمعنى يقاس بمعنى . فنحن نقيس الحجرة المادية بالمتر المادى ، ونكيل القمح المادى بكيلة مادية ، ونزن التفاح المادى برطل مادى ، ولكن من السخف بمكان أن تقيس الفضيلة أو الجمال أو القبح بمتر أو رطل أو قدح ، فلم نقيس الشباب وهو معنى بالسن وهى مادة ؟

بل لو تعمقنا أكثر من ذلك لوجدنا أن حسن الرواء وجمال المنظر ومرح النشاط ليست هى المقياس الصحيح للشباب ، إنما الشباب مزاج ، هو محصّل لمجموع قوى نفسية ، هو حاصل جمع لصفات خلقية ، إن شئت فقل هو الارادة قوية تعزم العزم لا رجوع فيه ، وتزمع الأمر لا محيد عنه ، وترمى الى الغرض لاسبيل إلا اليه ، تعترض الصعابُ فلا تأبه لها ، وتخر السماء على الأرض فلا تتحوّل عنه ؛ قد تعترف بأن هناك عقبة ، ولكن لا تعترف بعقبة كؤود ؛ وقد تقر بصعوبة الامر ، ولكن لا تقر

باستحالته — والشباب هو العاطفة القوية المتحمسة الصحيحة ، ومظاهر صحتها أنها ثابتة فليست « قشاً » تشتعل سريعاً وتخمد سريعاً ، وليست مضطربة تذهب مرة يمينا ومرة يسارا من غير غرض يحدد اتجاهها ، وليست مائعة تحب فتذوب فى الحب ، وتغضب فتجن فى الغضب ، إنما ألجمها بعض الالجام العقل والمصلحة والغرض — والشباب هو الخيال الخصب الواسع الأفق المترامى الأطراف الذى يرسم الأمل ويبعث على الطموح ، ويحمل المرء على أن يتطلب لنفسه ولأمته حياة خيرا من حياتها الواقعية — هذا المزاج الذى يتجمع من إرادة قوية وعاطفة حية وخيال خصب هو الشباب ، وبمقدار قوتها وتلاؤمها تكون قوة الشباب ، وبمقدار نقصها تكون الشيخوخة ، فالشباب موجب والشيخوخة سالبة ، والشباب اقدام والشيخوخة احجام . والشباب نصرة والشيخوخة هزيمة

وإذا كان الناس قد اعتادوا أن يصطلحوا على علامات للشيب والشباب حسب تفسيرهم الباطل فان لنا علامات أخرى على تفسيرنا الصحيح

لقد جعلوا الرأس موضع أهم الأمارات ، فسواد الشباب وبياض الشيب أكثر ما دار عليه القول فى الشيخوخة والشباب ، وهو مركز القول فى ذلك عند الأدباء والشعراء ، حتى ألفوا فى ذلك الكتب الخاصة من أشهرها كتاب « الشهاب فى الشيب والشباب » جمع فيه الشريف المرتضى تسعة وثلاثين بيتاً فى الشيب لأبى تمام ، ومائة وأربعين للبحترى ، وثلثمائة وأربعة عشر للشريف الرضى ، وأربعمائة وثلاثة وستين للمرتضى ، وستة وأربعين لابن الرومى . وقد التفت مؤلف هذا الكتاب فى مقدمته إلى فكرة جليلة ، ولكنه لم يحسن تعليلها ، قال : « إن الاغراق فى وصف الشيب والاكثار فى معانيه ، واستيفاء القول فيه ، لا يكاد يوجد فى الشعر القديم ، وربما ورد لهم فيه الفقرة بعد الفقرة ، فكانت مما لا نظير له ، وإنما أطنب فى أوصافه واستخراج دفائنه والولوج إلى شعابه الشعراء المحدثون »

وعلة ذلك فى نظرى أن الحياة فى الجاهلية وصدر الاسلام لم تكن غالية ، كانت تتطلب المجد وتسترخص الموت ، غير أن المجد فى الجاهلية كان مجد الذكر وحسن الأحدوثة والخوف من العار واتباع التقاليد ، وكان فى الاسلام ذلك ، وعند بعضهم الاستشهاد فى سبيل الدعوة وبيع النفوس لله برضاه وجنته ، فليست الحياة تستحق البكاء الطويل عليها . أما فى العصر العباسى فكانت أشبه بحياة الرومانيين ؛ من أهم أغراضها اللهو واللعب ، ومن أهم أغراضها القرب إلى النساء ، والتحبب اليهن ، وذلك يستدعى حب الحياة ؛ فنـذير الموت وهو الشيب بغيض إلى النفس ، والنساء يكرهن الشيب فيجب أن يكره ، ويعيرن به فيجب أن يبكى . ويمدحن الشباب ويحببنه فيجب أن يرثى . لهذا كثر القول فى الشيب فى العصر العباسى وما بعده ، وقل فيما قبله

أما علامات الشباب والشيخوخة فى نظريتنا : فليس موضعها الرأس ، إنما موضعها القلب ، فاليائس شيخ لأن اليأس ضعف فى الارادة وضيق فى الخيال ، وبرودة فى العاطفة ، والشيب شيب القلب لا شيب الرأس ، فمن لم ينفعل لمواضع الانفعال ، ولم يعجب لمواضع الاعجاب ، ولم يستكره فى مواضع الاستكراه ، ولم ينازل فى مواضع الكفاح ، ولم يطرب للموسيقى الجميلة والمنظر الجميل ، ولم يهتج للأحـداث ، ولم يأمل ولم يطمح ، فهو شيخ أى شيخ ، شاب قلبه ، وإن كان أسود الرأس حالكه

إن أردت أن تعرف أشيخ أنت أم شاب ، فسائل قلبك لا رأسك ، هل ينبض بالحب : حب الجمال ، وحب الطبيعة ، وحب الفضيلة ، وحب الانسانية ، وهل ينفعل لذلك انفعالاً قوياً فيهيم ويغار ويدافع ويضحى ؟ هل يتصل قلبه بالعالم فيتلقى أمواجه الأثيرية من الناس ، ومن الأرض ، ومن البحر ، ومن الجبل ، ومن السماء . ثم يلقى بأشعته — كما تلقى — على كل من حوله ، فينفعل ويفعل ، ويتأثر ويؤثر ؛ فهو كالقمر يتلقى من الشمس ضياء وهاجا ويعكسه على الأرض نوراً وضاء ؟ هل يبادل من حوله حباً بحب ، وعاطفة بعاطفة ، وخيراً بخير ، وأحياناً شراً بشر ؟ وهل يترك العالم خيراً مما تسلمه ؟ أو أن قلبه بارد كالثلج ، جامد كالصخر ، لا طعم له كالماء ، ميت كالجماد ، مغلف كالخرشوف ؟

إن كان الثانى فشيخ ، وإن كان الأول فشاب

قالت كَبِرْتَ وشِبْتَ قُلْتُ لها
هـــذا غُبَارُ وقائع الدَّهرِ

أحمد أمين

النهضات القومية العامة

فى أوروبا وفى الشرق

للأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

بقية المحاضرة الثانية

طرقها فى التنظيم :

وللفاشية طرق للتنظيم . والحكومة الفاشية تتألف من الملك والمجلس الأعلى والوزراء ومجلس الشيوخ ومجلس النواب والمجلس الوطنى للنقابات . ومن وراء هذا الحزب الفاشى على درجة عليا من التنظيم ، وهو القيم على الحكومة الفاشية كما أن الحزب الشيوعى هو القيم على الحكومة البلشفية . ومن وراء هذا وذاك الزعيم . وهو رئيس الحزب الفاشى ، ورئيس المجلس الأعلى ، ورئيس الوزراء ، ورئيس المجلس الوطنى للنقابات . وفى يده تتركز كل السلطات

والجديد فى هذا التنظيم أمران :

الأمر الأول هو أن أعضاء مجلس الشيوخ والنواب لا يأتون بطريق الانتخاب كما فى الدول الديمقراطية ، بل يأتون بطريق التعيين . فأعضاء مجلس الشيوخ يعينهم الملك بناء على ترشيح الحكومة . وأعضاء مجلس النواب يعينهم المجلس الأعلى ، ويصدق على التعيين الناخبون بطريق القائمة . والناخب يصوت لا كفرد سياسى ، بل كشخص اقتصادى ، فيفرق بين أصحاب الأعمال والعمال والقائمين بالأعمال الفكرية

والأمر الثانى هو أن هـذه الهيئات المختلفة التى تتألف منها الحكومة الفاشية فيها هيئتان جديدتان لا نظير لهما فى الدول الديمقراطية : المجلس الأعلى والمجلس الوطنى للنقابات . أما المجلس الأعلى فهو اللجنة التنفيذية للحزب الفاشى نجح موسولينى فى إدماجها فى الحكومة الايطالية . ويتألف هـذا المجلس من نحو عشرين عضواً يرأسهم الزعيم . وفيهم أعضاء معينون لمدة غير محدودة ، وأعضاء لمدة محدودة ، وأعضاء بحكم وظائفهم . ويختص هذا المجلس بالنظر فى المسائل التشريعية الكبرى ، كسن القوانين الدستورية . وهو الذى تتركز فيه السلطة التنفيذية بعد الزعيم ويعين أعضاء الهيئات التى تتألف منها الحكومة الفاشية والحزب الفاشى . أما المجلس الوطنى للنقابات فيتألف من ممثلين لأصحاب رؤوس الأموال وممثلين للعمال ويرأسه الزعيم . وهو ينقسم إلى فروع تتمشى مع النواحى المختلفة للنشاط الاقتصادى . فتمثل فيه الصناعة الكبرى ، والصناعة الصغرى ، والزراعة ، والتجارة ، والنقل ، والمصارف وغيرها . ذلك أن أصحاب رؤوس الأموال والعمال فى كل ناحية من هذه النواحى منتظمون فى نقابات متدرجة من محلية إلى إقليمية إلى مركزية إلى هذا المجلس الوطنى للنقابات ويتناول اختصاصه بنوع خاص توجيه النشاط الاقتصادى فى البلاد

ومن هذا نرى أن الفاشية ، بحكم المبادئ التى تقوم عليها ، والوسائل التى تتذرع بها فى العمل ، والطرق التى تتبعها فى التنظيم ، خصم للاشتراكية من جهة ، وللفردية من جهة أخرى ؛ فوقفها بالنسبة للفرد موقف وسط ، لا تدمجه فى الدولة كما تفعل الاشتراكية ، ولا تطلق له الحرية كما تفعل الفردية

النازية :

وإذ فرغنا من التحدث عن الفاشية فى إيطاليا نقول كلمة موجزة عن النازية فى ألمانيا . وحتى نختصر الطريق نكتفى فى الكلام على النازية بأن نقارن بينها وبين الفاشية ، فالحركتان تتفقان فى المبادئ ووسائل العمل . ذلك لأن النازية تقدس القومية ، ولكن القومية عندها لا تقوم على رابطة الوطن كما فى الفاشية ، بل تقوم على رابطة الجنس . فالجنس الجرمانى كله ، لا الأمة الألمانية وحدها ، هو الذى يجب أن يتحد . والنازية كالفاشية توفق ما بين المبادئ الاشتراكية والنزعة الوطنية ، فهى وطنية اشتراكية ذات صبغة عملية . والنازية كالفاشية لا تؤمن بالجامعات الدولية ، فهى ترى عصبة الأمم جامعة خيالية ، وتقيم حرباً عواناً على البلشفية . وقد انتظم هتلر الشيئين فى خطبته التى ألقاها منذ شهر عقب الحوادث السياسية الأخيرة ، فهو يقول : « إن الأمم كانت فريسة للخيالات والأوهام عند ما آمنت بعصبة الأمم ،

وإن السلام الذى كان يجب أن يكون حجراً يقفل به ضريح الحرب إلى الأبد أصبح مباءة تنمو فيها بذور ارتباكات جديدة ، وإن الثورة الشيوعية لم تقتصر على وضع طابعها على امبراطورية من أعظم الامبراطوريات فى العالم ، بل اتجهت أيضاً إلى الشعوب المجاورة . فهناك جيوش مؤلفة من ملايين من الرجال تذهب إلى الحرب لاشعال ثورات عاليـة من أجل الشيوعية ، وتجند هذه الملايين بدعوى السعى إلى إبطال الحروب . . »

والنازية كالفاشية تجعل الحكم للأقليـة الصالحة ، ويقول هتلر فى هذا المعنى : « نريد رجالاً قليلين من الطبقة الحاكمة الجديدة ، هم الذين يؤمنون بأن لهم الحق فى أن يحكموا لتفوقهم ، ويبسطون سلطانهم دون تردد على السواد من الجماهير » . على أن هذه الأقلية الحاكمة تدين كلها بالخضوع والولاء للزعيم الأكبر

والنازية كالفاشـية فى نزعتها الاستعمارية العسكرية . فهى تذهب إلى أن العلم الحديث يولد إيماناً لا يتزعزع فى القيمة الخلقية العليا للحرب . ويقول الدكتور جوبلز : « إذا حاولت أن تقمع الحرب ، فانك تكون كمن يحاول أن يقمع حركات الطبيعة »

والنازية كالفاشية فى الظروف التى نشأت فيها . فقد قامت النازية عقب خروج ألمـانيا من الحرب مهزومة . وكان للاضطرابات التى أحدثها الاشتراكيون الألمـان ، والاضرابات التى نظموها ، أثر حاسم فى هـذه الهزيمة . وقد سام الحلفاء المنتصرون ألمانيا المهزومة فى شروط الصلح خسفا جرح كبرياءها ، وفى وسط هذه الغيوم المتلبدة سطع نجم مؤسس النازية ، بعـد أن أقام حركته لمقاومة البلشـفية ، ولانقاذ الوطن الجرمانى ، وبعثه من جديد

والنازية كالفاشـية أخيراً فى شخص الزعيم . فنى إيطاليا موسولينى القائد المحرك (Duce) ، وفى ألمانيا هتلر القائد المرشد (Tührer) ، هـذا وراءه النازى فرقاً منظمة وهم ذوو القمصان السمراء ، وذاك وراءه الفاشستى أى فرق الـكفاح ، ذوو القمصان السوداء . وقد لجأ الرجلان إلى أساليب واحدة فى تنظيم معسكريهما : خضوع مطلق لسلطان الزعيم ، ونظام عسكرى دقيق ، وروح وطنية حربية ، وشبان يحتشدون بالألوف ، ويدخلون أفواجاً فى هذا الدين الجديد . وكل من الفاشـية والنازية دين ينطوى على إيمان عميق . ولهـذا الدين فرائضه ومناسكه ، تتمثل أوضاعاً ورسوما ، فمن حركات عسكرية ، إلى أعلام خفاقة ، إلى إشارات رمزية ، إلى شارات موضوعة ، إلى أناشـــيد محفوظة ، إلى لباس خاص

والرجلان قد رزقا موهبة الخطابة وقوة البيان ، والقدرة على اجتذاب شعور الجماهير . وهما إنما يبشران بدين وإيمان ، وقوة الايمان يغذيها سحر البيان . والرجلان من رجال العمـل لا من رجال الفكر ، فهما لا يترددان ولا يتمهلان ، بل يسيران قُدُماً إلى الأمام

والرجلان يتشابهان نشأة وتربيـة وقوة وسطوع نجم . نشآ فى التربة والمسـغبة ، موسولينى أبوه حداد ، وهتلر أبوه مستخدم صغير فى الجمارك النمساوية . وعاش الاثنان عيشة الـكفاف ثم هجرا بلديهما ، فذهب موسولينى إلى جنيف ، حيث اشتغل عاملاً فبناء ؛ وذهب هتلر إلى ڤينا ، حيث اشتغل عاملاً فرساما . وقد تربى كل منهما فى مدرسة واحدة ، هى مدرسة البؤس والشقاء ، تلك المدرسة التى كثيراً ما تنبت عظماء الرجال . فتعلما فيها صلابة العود ، وقوة العزمة ، ومجالدة الفاقة ، ومنازلة الأخطار ، وتخرج كل منهما قوى الشكيمة شديد المراس . وأتما تربيتهما معاً فى مدرسة أخرى ، هى مدرسة الحرب الـكبرى ، إذ تقدم كل منهما إلى هذه الحرب ، فخاض غمارها ، واصطلى بنارها ، وعانى أهوالها ، وجرح فى معاركها ، وأبلى فيها بلاء حسـنا ، وخرج منها وقد استكمل النضوج ، واستوفى الرجولة ، وسار إلى ما هيأته له الأقدار

وأسس موسولينى أول فرقة للـكفاح (fascio di combattimento) فى ميلان سـنة ١٩١٩ من مائة وأربعين رجلاً ، وتزايدت فرق الـكفاح ، ونظمت تنظيماً عسكرياً دقيقاً ، فأمكنه أن يحشد بعد ثلاث سنوات مائتى ألف من الرجال ، استولوا على إيطاليا الوسطى وسبعين ألفاً زحفوا على روما ، وقبضوا على ناصية الحكم بالقوة . وهو الآن فى قصر ڤينيسيا يصرف أقدار أمة كبيرة ويحكمها حكماً دكتاتورياً . وذهب هتلر بعد الحرب إلى مونيخ ، وهناك انضم إلى حزب صغير غير معروف ، فأخذ يقويه ، وينفخ فيه من روحه حتى حشد فيـه الآلاف من الرجال . وسجن عقب إخفاقه فى

ثورة أراد بها قلب الحكم فى باناريا ، وكتب فى السجن كتابه الذى أسماه : « جهادى Mein Kampf » ولما أطلق سراحه ، جمع شتات حزبه وكان قد تفرق . وعاد إلى الجهاد ؛ ثم أخذ يستولى على مشاعر الأمة الألمانية شيئاً فشيئاً ، حتى ضمها تحت لوائه ، وأصبح الآن هو المسيطر على سبعين مليوناً من البشر من أعظم الشعوب وأرقاها ، يخضعون لاشارته ، ويدينون له بالولاء

بقى أن نقول إن الفاشية والنازية تنازلان البلشفية بنفس سلاحها . فهما كالبلشفية تحكمان حكما دكتاتورياً ، وهما كالبلشفية أيضاً تخضعان النظام السياسى للنظام الاقتصادى . والمعركة قائمة بينهما وبين البلشفية ، فأى المعسكرين يكتب له الانتصار ؟ هذا هو السر المخبوء فى عالم القدر . على أن الحوادث السياسية الأخيرة وبنوع خاص تلك المحالفة التى عقدتها فرنسا مع روسيا البلشفية والتى أثارت سخط خصوم البلشفية حتى بين الفرنسيين أنفسهم ، قد تعجل بالمعركة الفاصلة ، وقد تغرق أوروبا من جديد فى بحار من الدماء

على أنه سواء تغلبت البلشفية فى المعركة القادمة ، أو انتصرت الفاشية والنازية ، فالواقع من الأمر أن كلا الخصمين مشبع بروح الدكتاتورية البالغة فى التطرف ، وأن الصريع بينهما هى الدمقراطية على كل حال . وقد صار واجبا على الديمقراطيين أن يراجعوا أصول الديمقراطية من جديد ، حتى تتمشى مع ما يقتضيه هذا التطور السريع

***

والآن وقد انتهينا من استعراض الحركتين الفاشية والنازية وانتهينا بذلك من استعراض النهضات القومية فى أوروبا منذ العصور الوسطى إلى الآن ، نختتم هذه المحاضرة بإيراد بعض النتائج العامة التى نستخلصها من تطور هذه النهضات ، ونكتفى منها بثلاث :

النتيجة الأولى : هى أن رابطة الدين التى كانت تسود فى العصور الوسطى قد زال سلطانها فى العصور الحديثة . وقد انفصلت الكنيسة عن الدولة . ولا نعنى بذلك أن سلطان الدين قد زال من القلوب ، فان الانسانية لا غناء لها عن الدين مهما بلغ حظها من التقدم . ولكن عرش الدين مكانه القلوب والضمائر . أما الروابط الاجتماعية فتتصل بالدين من جانبه الاجتماعى ، لا من جانبه الاعتقادى

والنتيجة الثانية هى أن الفرد فى أوروبا لم يتحرر إلا بعد أن تحرر المجموع . والديمقراطية التى حررت الفرد لم تقم إلا بعد أن تدعمت الوطنية التى حررت الأمم . وليس فى هذه النتيجة العملية خروج على المنطق ، ولا انحراف عن طبيعة الأشياء ، فالفرد جزء من المجموع ، فكيف يكون الجزء حراً إذا كان المجموع مقيداً فى ربقة الأسر ؟

والنتيجة الثالثة والأخيرة هى أن القوميات فى أوروبا عندما تكونت أسرفت فى التعصب ، وتطرفت فى الاستئثار . وتقهقر الجانب الايجابى من الوطنية ، وهو حب الانسان لوطنه أمام الجانب السلبى وهو بغضه للأوطان الأخرى ، وحل التعصب للدين ، فكان من ذلك أن هزت الحروب أركان أوروبا ، واندلعت نيران التعصب للوطن بعد أن نشأت الوطنية وترعرت ضيقة هوجاء ، وأصبحت لا تتسع للاندماج فى روابط الجنس والدم . وتعانى أوروبا الآن من تقطع وشائج القرابة ما بين الأمم الأوروبية ما تقف أمامه عصبة الأمم عاجزة دون حول . فما كان أولى برابطة الوطن أن تتوثق فى ظل رابطة الجنس ! وما كان أولى برابطة الجنس أن تتوثق فى ظل رابطة أوسع ! وهكذا تدعم كل رابطة أختها ، فتحقن الدماء ويسود السلام ؟

عبد الرزاق احمد السنهورى

صور من القرن الثامن عشر

٤ – جاكومو كازانوفا

جوّاب مجتمع ومغامر مرح

خاتمـــة البحث

للأستاذ محمد عبد الله عنان

والآن وقد استعرضنا سيرة ذلك الجوّاب المرح والمغامر الجرىء ، نحاول أن نستعرض جوانب شخصيته ومناحى نفسه ، وأن نقرأ فى حوادث حياته لمحة من خلال العصر الذى عاش فيه :

كان القرن الثامن عشر عصر تطور فكرى واجتماعى عميق ، وكان أيضاً عصر انحلال فكرى واجتماعى ، وكان المجتمع الأوربى القديم ينحدر يومئـذ إلى نوع من الخمول والدعة ، ويجنح إلى تذوق متاع الحياة المـادى بكل ما وسع من رغبة وهوى ؛ وكان كازانوفا يمثل روح عصره وخواص عصره ، بل كان يمثل رذائل عصره أتم تمثيل وأصدقه ؛ وكان يمثل بالأخص الجانب المـادى من هذه الخواص والرذائل ، فكانت خلاله مزيجاً من الاستهتار والمرح ، والجرأة والطموح ، والعزم والخمول ؛ وكانت غاية الحياة عنده هى الحياة ذاتها بما فيها من متاع ولذائذ وترف . كان كازانوفا يحب الحياة حباً جما ، وهو يصفها فى مذكراته « بأنها هى الشىء الوحيد الذى يملكه الانسان حقا » ، ويشبهها « بغانيـة حسناء يعشقها الانسان ، ويهبها ما شاءت ما دامت باقية عليه » ؛ وهذه الفلسفة المـادية المحضة هى التى تغمر حياة كازانوفا وتوجهها

وهذه النظرة المـادية إلى الحياة ، وهذه الفلسـفة المستهترة المرحة ، وهذه الخواص السقيمة المنحلة ، تقدمها إلينا مذكرات كازانوفا بصورة بارزة ؛ والواقع أن هذه المذكرات الشهيرة التى تشغل عدة مجـلدات كبيرة ، إنمـا هى صورة قوية جامعة لمجتمع القرن الثامن عشر وخواصه وفضائله ورذائله ؛ وهى ليست قصة كازانوفا فقط ، ولـكنها قصة جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية فى هذا العصر ؛ ففيها نرى حياة المغامر الجرىء ، والمشعوذ الأفاق ، والعاشق المضطرم ، والسيد المنعم ، والشريد البائس ؛ وقد كان كازانوفا كل أولئـك ، وكان له كل خلالهم ورذائلهم ، وهؤلاء جميعاً يملأون فراغ حياته

وهـذه المذكرات الشهيرة هى أسطع ما فى حياة كازانوفا ، وهى التى خلدت ذكره . ذلك أن كازانوفا لم يكن فى ذاته شخصية هامة ولم يكن من رجال التاريخ ، ولـكن حياته العجيبة تقدم إلينا مزيجاً مدهشاً من الفلسفة المـادية والاجتماعيـة يستحق الدرس لذاته ؛ وقد عنى فى أواخر أيام حياته أن يدون سيرته بكل ما فيها من حوادث مدهشة ، وفلسفة مرحة ، وفضائح مزرية ، وكل ما فيها من شذوذ وخبائث . وقد رأيناه فى أواخر حياته يستقر فى قصر دوكس ، فى ذلك المقام النائى المنعزل ، ويقطع أوقاته بالقراءة والـكتابة ؛ وكان كازانوفا أديباً مفكراً ، حسن البيان والأسلوب ؛ وكان تدوين سيرة حياته أعظم عزاء له فى شيخوخته ؛ فقـد كانت هذه الصحف الممتعة تحمله من ذلك القصر النائى ، ومن غمار الشيخوخة والعزلة والبؤس ، إلى المـاضى الباهر ؛ إلى الأيام الخالية بكل ما فيها من متاع وترف ، إلى أمسية الحبور والمرح ، إلى المدن والمجتمعات التى جابها ، وإلى مختلف النساء اللائى ظفر بهن . وكان أثناء حياته الحافلة قد جمع كثيراً من المذكرات والمواد لـكتابه ، ومنها رسائل من أصدقائه وصاحباته ، ومذكرات كان يدونها على الأثر ، هذا إلى ما تعيه ذاكرته القوية من الحوادث والتفاصيل

وقد بدأ كازانوفا كتابة مذكراته فى سنة ١٧٩١ ، واستمر فى كتابتها عدة أعوام ، ولبث يستعيدها ويهذبها حتى سنة ١٧٩٨ ، قبيل وفاته بأشهر قليلة ؛ وكان يكتبها بشغف وتأثر ، إذ كان يرى تلك الحياة الساطعة الذاهبة تمر أمام عينيه وتبعث إليه ذكريات المجد والصبا ؛ وكان يعتزم إصدار الجزء الأول منها منذ سنة ١٧٩٧ ، ولـكن الموت عاجله ، ولم يتح له تنفيذ أمنيته

ولم تظهر مذكرات كازانوفا الا بعد وفاته بحين ؛ وكان ظهورها حادثاً أدبياً كبيراً . ذلك أنها لم تكن فياضة بالسير العجيبة

فقط ، ولـكنها كانت أيضاً قطعة فنية بديعة تنعكس عليها جميع أحوال العصر الذى عاش فيه صاحبها ، أعنى القرن الثامن عشر ، وجميع صوره وأحوال مجتمعه . وتشغل هذه المذكرات الممتعة عدة مجلدات كبيرة ، وهى عمدتنا الأولى فى سيرة كازانوڤا وفى تفهم نفسيته وخلاله ، وفيها يقص حياته منذ مولده بافاضة ، ويستعرض جميع وقائعه ومغامراته الغرامية مع نساء العصر من كل الطبقات ، ويصف رحلاته المديدة إلى مختلف البلاد ، ويصف لنا مجتمعات العصر وأحواله وأخلاقه وعاداته ؛ كل ذلك بقوة وإفاضة وبيان شائق ؛ وقد كان كازانوڤا فى الواقع رحالة عظيما ، وكان يتمتع بمواهب بديعة فى الملاحظة والدرس والوصف وفى تفهم عقليه الأفراد والطبقات ؛ هذا إلى خيال خصب يسبغ على قصته كلها طابعاً من السحر ؛ وقد يطبع بعض أقواله ومزاعمه أحيانا طابع من المبالغة ، ولـكن ذلك لا ينتقص من متاع قصته وسحرها.

وقد لفتت مذكرات كازانوڤا منذ ظهورها فى أوائل القرن التاسع عشر أنظار النقد الأدبى ، فنوه بعض النقدة بقيمتها الأدبية ، وحمل عليها البعض الآخر ؛ وأبدى سانت بيف أستاذ النقد نفسه عطفه عليها وعلى مؤلفها ذلك المحب الأمثل الذى لم يسمح قط للمرأة بأن تسوده ؛ ولـكن چول چانان وهو ناقد آخر يحمل عليها ولا يرى فى مؤلفها سوى دعى أفاق تحدوه شهوات مضطرمة ؛ وكذلك يرى فرانسوا ماسون فى كتابه عن « الأب برنى » أن هذه الذكرات ليست سوى مزيج من الأكاذيب المزرية ؛ بيد أن النقد المعاصر يرى فى مذكرات كازانوڤا أثراً جديرا بالتقدير ، ويرى فى صاحبها شخصية جديرة بالعطف رغم عيوبها ومثالبها ؛ ومن ذلك ما يعلق به مسيو أوكتاف أوزان على الذكرات فى فصل نقدى كتبه فى هذا الموضوع : « لـماذا ننحى باللوم على ذلك المحب المعاصر للويس الخامس عشر ، لأنه أرانا وعرض علينا خلال عصره المنحل ، وهى خلال كانت تعتنقها أعظم الشخصيات التى كتب عنها ؟ وهل يحق لنا أن نمعن فى الانتقاص من ذلك السرور الذى يتحفنا به عنـد قراءة « الذكرات » ، وأن نحمل على تلك الأخلاق الفردية المثيرة ؟ ... إن كازانوڤا لم يكن أفضل ولم يكن أسوأ من أعظم الشخصيات التى ظهرت على مسرح العالم فى القرن الثامن عشر » [1]

* * *

وتقدم الينا هذه الذكرات الحافلة الممتعة كازانوڤا فى جميع صوره ومناحيه ؛ فى صورة المحب المضطرم الذى يطارد المرأة بكل ما وسع من شغف وجوى ، ويأسرها بظرفه وسحره ، ويظفر بها فى كل المواطن ؛ وصورة المغامر الجرئ الذى يتسلح بذكائه وخبثه ومزاعمه ليغزو المجتمع ويعيش على هامشه بأى الوسائل ؛ وصورة السائح المتجول الذى يجوب أوربا من أقصاها إلى أقصاها باحثاً عن المـال والمتاع أنى استطاع ؛ وصورة السيد الذى ينعم بالمـال والثراء ، أو صورة الشريد الذى لا يملك قوت يومه ؛ وأخيرا صورة المفـكر الأديب الذى يلتمس النسيان فى القراءة وتسطير المـاضى

وتبذ صورة المحب المضطرم فى شخصية كازانوڤا كل صوره الأخرى ، وهى بلا ريب أبرز صور حياته كما هى أبرز الصور فى مذكراته . أجل كان كازانوڤا محباً شغوفا ملتهب الجوانح ، وكانت المرأة عنده غاية الغايات ، وقد حبته الطبيعة كما أسلفنا بكل ما ينبغى أن يتسلح به المحب الظافر من خلال وصفات خلابة ، ويندر أن نجد بين غزاة المرأة من غص بالظفر فى هذا الميدان كما غص به كازانوڤا ، وما زال اسم كازانوڤا إلى يومنا لقب المحب الظافر ؛ ولقد كان كازانوڤا مادياً فى حبه كما كان فى سائر وجهات حياته ، ولم تـكن العاطفة عنده شيئاً مذكورا ، وكان قلباً فى الحب لا يكاد يظفر بغزو حتى يسعى إلى غزو آخر ، وكان يرتفع فى طموحه إلى أرفع البيئات والشخصيات ، وينحط إلى أسفل البيئات والمواطن ، فتراه يظفر بطائفة من أكابر السيدات فى جميع المجتمعات التى تقلب فيها من نبيلات ونسوة متزوجات وممثلات ومغنيات وغيرهن ، وتراه يهبط أحياناً إلى مجتمع الشعب المتواضع فيغزو عاملة أو خادمة ؛ واليك مثلاً مما يقصه علينا فى مذكراته مما يوضح فلسفته فى الحب ، ففى ذات يوم كان ينتظر جياداً لمركبته فى طريق رومه ، فمرت به عربة تحمل مغنية حسناء ذائعة الصيت يومئذ ، وكان كازانوڤا يعشق المغنيات والممثلات بنوع خاص ، ولـكنه يقول لنا : « ومع أنها كانت فتية وكانت

(١) وقد ترجمت مذكرات كازانوڤا من الايطالية الى معظم اللغات الأوربية

حسناء ، فانها لم تثر فى نفسى رغبة ما ، ذلك أنها كانت حسناء جداً ، بادنة جداً . ولكن خادمتها كانت بالعكس فتاة سمراء ساحرة ذات قد ممشوق وعينين وضاءتين ، فوقعت فى حبها على الأثر »

ويذكر لنا كازانوفا فى مذكراته عشرات وعشرات من النساء اللائى ظفر بهن خلال حياته الغرامية الحافلة . وهو تعداد لا يتسع له المقام هنا ، وقد ذكرنا فيما تقدم طائفة من الأسماء التى غزاها ابان ازدهار مغامراته ؛ والظاهر أن كازانوفا لم يتأثر فى حياته بحب امرأة وسحرها قدر ما تأثر بحب راهبة حسناء من « ميران » يرمز لها فى مذكراته بحرفى « م . م » ؛ وهو يصف لنا روعة قوامها وروعة جمالها بحماسة مؤثرة ؛ وقد كانت م . م فى الواقع امرأة ساحرة الخلال تضطرم شغفاً وجوى ، وكانت تخفى تحت ثيابها الكهنوتية نفساً ناعمة نواقة ملتهبة ، وكانت تقتحم أروع الأخطار لتحيا تلك الحياة المزدوجة ؛ حياة التقشف فى الدير ، وحياة اللهو والقصف خارج الدير ؛ وبينما ترى بالنهار فى ثياب راهبة محتشمة ، إذا بها تسطع بالليل كالحلية فى مرقص أو منتدى وتبذ بفائق حسنها وأناقتها كل حسناء أخرى ؛ وقد كانت تطلق العنان لشهواتها المضطرمة ماشاءت ، ولكنها كانت قوية النفس تضبط هواها متى وجب ؛ ويصورها كازانوفا بأنها المحبوبة المثلى فى حسنها وفى خلالها وسحرها ؛ وقد ترك هواها فى نفسه بلا ريب أعمق الآثار وأبقاها

ثم يأتى بعد صورة المحب ، صورة السائح ؛ وقد كان كازانوفا سائحاً عظيماً يجوب أرجاء القارة بلا انقطاع ؛ وكان يعشق التجوال فى عصر كان السفر فيه مشقة حقيقية ؛ وقد رأيناه يجوب أرجاء القارة مراراً ؛ وكان كازانوفا يجد فى السفر لذة عظيمة ، ويتخذ أثناء تجواله مظاهر السيد العظيم فيستأجر أفخر المركبات والجياد ، وينزل فى أفخم الفنادق ، وينثر المال والعطاء من حوله ، ولكنه كان فى رحلاته مغامراً ، لا تغريه سوى رغباته وأمانيه ، ولا تغريه مشاهد الطبيعة الرائعة ؛ ولهذا نراه فى مذكراته يعنى بسرد مغامراته أثناء الطريق ، وسرد ملاحظاته عن الأشخاص والحياة والنساء بنوع خاص ؛ وقلما نراه يعنى بوصف البلاد أو مشاهد الطبيعة ؛ بيد أنه يبدى فيما يصف من أحوال المجتمعات والأشخاص دقة تدلى بقوة ملاحظته وحسن أدائه

ويقدم كازانوفا إلينا خلال حياته صورتين قويتين متباينتين ؛ فنراه إما سيداً كبيراً ينعم بالجاه والثراء ، وإما شريداً بائساً يتخبط بين براثن الفاقة ؛ وفى الحالة الأولى نراه يقتحم المجتمع الرفيع ، وينعم بكل ما فى الحياة من متاع وبذخ ، ويصل الى مجالسة الملوك والأمراء والعظماء من كل ضرب ؛ ألم يجالس لويس الخامس عشر وفردريك الأكبر ، والامبراطورة كاترين ، والبابا ، وفولتير ، وغيرهم من أكابر العصر ؟ ثم نراه فى كهولته شريداً بائساً يتقبل فى سبيل القوت مضض المهانة والذلة ؛ بيد أنه فى الحالين يحتفظ بقوة نفسه ، وأثرته ، وأمانيه ؛ ذلك أن كازانوفا كان فيلسوفاً يقصد إلى الحياة بأى الوسائل ، ولا يروعه أن يحقق متاعها بأى السبل ، ولم يكن المال فى نظره إلا وسيلة من وسائلها

وقد كان كازانوفا منذ نشأته رجلاً مثقفاً واسع المعرفة بالنسبة لمجتمع عصره ؛ وكان فى أواخر حياته يعتز بمواهبه العلمية والأدبية ويأنس سعادة عظيمة فى اطلاق العنان لقلمه ؛ ولم تكن المذكرات كل ما يكتب ، فقد كان يتصل بالمكاتبة بجماعة من أعلام عصره ، وكانت له آراؤه الخاصة فى أحوال العصر وأحداثه ؛ وكان يسخط على الثورة الفرنسية ويعتبرها حركة جنونية وقد كتب برأيه الى روبسبيير فى رسالة مستفيضة

والخلاصة أن كازانوفا ، كان رغم رذائله ، شخصية عجيبة ؛ وكانت حياته صورة صادقة للعصر الذى عاش فيه ، وهى من هذه الناحية تستحق التحليل والدرس ؛ ولقد كانّ لهذا المغامر المرح أصدق سلف وشبيه فى مواطنه بنفونوتو تشلليني ؛ فقد خاض كلاهما حياة مماثلة ، واشتركا فى كثير من الخلال والخواص النفسية ، وسطر كل منهما حياته بقلمه ؛ ولكن تشلليني كان علماً من أعلام الأحياء ، وبطلاً من أبطال الفن ؛ أما كازانوفا فلم يعش إلا لنفسه ، ولم يتبوأ فى مجتمع عصره سوى مكان ثانوى وكانت حياته مزيجاً من الأهواء الجامحة ، والأثرة العميقة ، والشهوات المادية ، والمرح العقيم [1] ؟

(تم البحث — النقل ممنوع) **محمد عبد الله عنانه**

---

(١) نرى أن نشير هنا إلى أننا انتفعنا فى كثير من نواحى هذا البحث بالأثر القيم الضخم الذى وضعه عن كازانوفا الكاتب الفرنسى الكبير مسيو Joseph Le gras وعنوانه :

L'Extravagante Parsonalité de Jaeques Casanova

قصـــة المكروب
كيف كشفه رجاله
ترجمة الدكتور أحمد زكى

الدفتريا

بين واحد سمها الفرنسي ، وكاشف ترياقها الألماني

وصل الفائت : وجد لفلار مكروب الدفتريا ، ووجد رو أن هذا المكروب يحتل زور الطفل ، ولا يخرج عنه ، وإنما يفرز سما يدور فى الجسم فيقتل ، وحقن بارنج مادة كيميائية هى كلورور اليود فى خنازير غينية . ثم حقن مكروب الداء فيها فصمدت له . فأخذ من مصل دم هذه الخنازير المحصنة وحقن به خنازير أخرى حقنها بعد ذلك بالمكروب فصمدت له . فعرف أن هذا المصل الحصين يحتوى ترياقاً . فاتجه إلى الشياه يفعل بها ما فعل فى الأرانب ليحضر مقادير كبيرة من المصل الواقى بترياقه

بهذا بلغ بارنج من بحثه حداً لا ينفع فيه التثبيط . فقد كان كأمير الجند غزا الأعداء فسفك وهزم ، فلأنه فتوحاته الأولى ثقة بنفسه . فلم يعد يثنيه عن بغيته شىء . فأخذ يضرب بمحاقنه فى الأرانب والشياه والكلاب ، وهى مليئة بمكروب الدفتريا تارة ، وبسمها تارة ، وبكلورور اليود تارة أخرى ، وحاول أن يتخذ من أجسام هذه الحيوانات وهى حيّة مصانع تصنع له هذا المصل الواق ، هذا المصل الذى يقتل سم الدفتريا ، وأسماه الأنْتيتُكْسين Anti-toxin ، ولْنسمّه نحن الترياق ، ونجح فى الذى حاوله ، ولكن بعد أن قتّل من هذه الحيوانات ما شاء ، وقطّع من أوصالها ما أراد ، وبعد أخطاء أتاها كثيرة هى دائماً مقدّمات النجاح ، ولم يمض طويل من الزمن حتى نجح فى تحصين الشياه تحصيناً قوياً ، واستدرّ منها دماً كثيراً واستخلص منه مصله ، ثم قال : « لا شك أن الترياق الذى بهذا المصل يق من الدفتريا » ، ولم يكن يعلم عن حقيقة هذا الترياق ، ولا عن كيميائه شيئاً

وحقن مقادير صغيرة من هذا المصل فى عدد من الخنازير الغينية ، وفى اليوم الثانى حقن فيها بشلة الدفتريا ، وهى حية قاتلة ، فما كان أجمل مرأى هذه الخنازير بعد ذلك وهى تنط وتلعب ولا أثر للداء فيها ، كذلك كان مرأى صويحباتها الأخريات التى حُقنت بالبشلة دون المصل ، وهى تموت بعد الحقنة بيومين أو ثلاثة ، فموت هذه الأخيرة هو الذى أقنع بأن المصل فيه الوقاية وفيه الحصانة ، وأجرى بارنج مئات من هذه التجارب الجميلة . وكان الآن يحذق التجريب فلم يكن فى يده تذبذب واضطراب كالذى كان بها قديماً . وتساءل أعوانه فى قنوط متى يفرغ سيدهم من هذه المجزرة المتكررة ، متى يفرغ من تحصين طائفة من الخنازير ثم اعطائها الداء ، ثم من قتل طائفة أخرى ليثبت بها حقاً أنه خلّص بمصله الطائفة الأولى ، ولكن بارنج لم تعوزه العلة يفسر لنا بها كثرة ما قتل من هذه الخنازير . قال فى أحد تقاريره الأولى : « لقد جربنا من هذه التجارب عدداً كبيراً لنثبت لكوخ ، وهو المحقق المدقق القليل التصديق ، إلى أى حدّ بلغ بنا الايمان بحصانة هذه الحيوانات »

نجح بارنج فيما أراد إلا أمراً واحداً أفسد عليه طعم الثمرة التى اجتناها . ذلك أن حصانة الخنازير لم تدم طويلاً ، فالخنازير لم تكن تَصْمُد للحقنة الكبيرة من سم الدفتريا من بعد تحصينها إلا أياماً معدودات ، فاذا مضى على التحصين أسبوع أو أسبوعان لم تَعُدْ تصمد لها ، وكلما استطال الزمن أخذت حصانتها تقل تدريجا ، وأخذ مقدار السم الذى يكفى لقتلها يصغر تدريجا . وعمد بارنج إلى لحيته يشد شعراتها وهو يتمتم لنفسه : « ليس هذا من العملىّ الممكن فى شىء ، فليس بالمستطاع الطواف بكل أطفال ألمانيا لحقنهم بمصل الشياه كل أسبوعين أو ثلاثة » . ومما يؤسف له أنه نفض يده بعد ذلك من البحث الجميل الذى هو فيه ، وترك المطلب الاسمى الذى كان يطلب به طريقة لمنع داء الدفتريا أن يحدث واستئصاله فلا يكون ، واستعاض عنه بطلب دواء له اذا هو كان ، فنزل بنفسه منزلة دنيا رجاء أن يأتى بأمر جليل تفتح له السلطات من الدهش أعينها واسعة

قال : « إن هذا الكلورور اليودىّ له أثر سىء فى الخنازير

الغينية لا ينقص كثيراً عن أثر المكروب ذاته . ولكن هـذا المصل الواق ليس له أثر سيء فيها ، فهو لا يلهب جلدها ولا يحدث خُرّاجات فيه ... وأنا على يقين أنه لا يؤذيها ... وأعلم غير هذا أنه يحصنها فيقتل فيها سم الدفتريا إذا هو جاءها بعد التحصين ... فليت شعرى أيقتلها كذلك إذا هو جاءها قبله ؟ ... واختصاراً أيكون فى هذا المصل شفاء من الداء بعد كينونته ؟ »

وجاء بارنج بطائفة كبيرة من الخنازير الغينية وحقن بثلات الدفتريا فيها . فلما كان الغد وجد المرض قد دبّ فيها ، وأصبح الصباح التالى فاذا بها ملقاة على أظهرها فى همود منذر وهى تتنفس جاهدة . عندئذ قام بارنج فحقن فى بطونها مقادير وافية من مصل الشياه الحصينة . فوقعت المعجزة الكبرى ، فأخذت الخنازير ، إلا القليل الأقل منها ، تسترجع أنفاسها بعد برهة قصيرة . ولما جاء الغد أرقدها بارنج على ظهرها ، فاذا بها تنط فتقوم على أرجلها ، وعلى أرجلها ثبتت . وفى اليوم الرابع تمت سلامتها فكأن الداء لم يصبها أبدا . أما الأخريات التى حقنت بالمكروب دون المصل فحملها الخادم هامدة باردة إلى حيث تحمل الميّتات .

إذن لقد شَفَى المصل من الدفتريا !

وزاط المعمل العتيق من أجل هذا الفتح الجديد التى أتاه بارنج العالم الشاعر ، الخاطىء الصائب ، العاثر الناهض . وملأ الأمل القلوب بأنه لابد سيشفى الأطفال من بعد هذا . وأخذ يعدّ أول مصل يحقنه فى طفل على وشك الموت بالداء . وبينا هو يتجهز لهذه التجربة الخطيرة جلس يكتب تقريره الشهير ويصف فيه كيف تأتى له أن يخلص حيواناته من الموت بحقنها بمادة جديدة عجيبة غريبة اصطنعها لها فى أجسام أخوات لها جازفت بحياتها فى سبيل ذلك من أجلها . كتب بارنج : « ليس لدينا طريقة مؤكدة لتحصين الحيوانات » . وكتب « وهذه التجارب التى قيدتها لا تتضمن مجهوداتى الناجحة وحدها » . وصدق فى هذا ، فهو قد أثبت فيها مجهوداته الفاشلة وأظانينه الخاطئة إلى جانب ما حباه به الحظ من توفيقات صائبة نال بها هذا النصر الدموىّ العظيم

لشد ما أعجب كيف استطاع هذا الشاعر أن يسبق الى كشف ترياق الدفتريا ، وأن يفوز بهذا المجد الخالد! ولكنى أفكر فأجده انما تحسس فاهتدى كما تحسس من قبله واهتدى رجال قدماء ، لا نعرف لهم اليوم أسماء ، اخترعوا الأشرعة التى تحمل السفائن عَبْرَ البحر فى سرعة البرق الخاطف . هؤلاء الرجال الأبطال المجهولون ، كم منهم من انقلب به السفين ، وكم من جثثهم ما أشبع البحار ! أليست هذه دائما هى سبيل الكشوفات جميعها ؟

وفى أواخر عام ١٨٩١ كان فى شارع إبريك Brick ببرلين دار للتمريض تدعى دار برجمان Bergmann . وكان بها أطفال فعلت الدفتريا بهم فعلها فهم ينتظرون الموت القريب . وكانت الليلة ليلة عيد الميلاد . فى هذه الليلة دخلت إبرة صغيرة لحقن ملء بالمصل لأول مرة فى جلد طفل لم يعد له فى الشفاء رجاء . فصرخ الطفل ورفس برجله قليلا

ما أبهر النتائج التى جاءت من هذه الحقنة الأولى ومن أخوات تَبِعَتْها ! نعم بعض الأطفال مات . ونعم كذلك مات طفل كان ابن طبيب شهير فى برلين ميتة غريبة غير منتظرة عقب الحقنة مباشرة فحصل من جراء ذلك أخذ ورد وجلبة كبيرة . ولكن لم تمض الأيام حتى قامت مصانع كيميائية كبيرة بألمانيا تصنع هذا المصل فى قطعان كثيرة من الشياه . ولم تمض ثلاث سنوات حتى بلغ الأطفال الذين حقنوا بهذا الترياق عشرين ألفا . وسار الخبر سريعاً كالشاعة فى الناس . وكان بِجْز Biggs مدير الصحة الأمريكى الشهير فى أوروبا ، فلما اطلع على أمر الترياق ، هزّه ما وجد منه فبعث البرقية الآتية وهو متأثر ثائر الى الدكتور بَرْك Park بنيويورك :

« ترياق الدفتريا ناجح . ابدأ بصنعه »

وكان كوخ أساء إلى ناس كثيرين بسبب علاجه الفاشل القاتل للسل ، وبسبب الأرواح الكثيرة التى ضاعت من جرائه . وكانت أقوام كثيرة لا تزال فى حزن قريب بسبب من فقدوا . ولكن كشف بارنج أنساهم ماهم فيه ، فغفروا لكوخ الشيخ زلته لأنه أنجب هذا الصبىّ البارع

(يتبع) أحمد زكى

الاسلام والمدنية والعلم

طريقة النظر في العلم وفي الاسلام

بقية ما نشر في العدد الممتاز

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

بقى أن نقارن بين طريقة العلم فى دراسة الفطرة والطريقة التى شرعها الاسلام للانسان فى النظر لنرى إن كان بينهما من التطابق مثل الذى تبين فى المقال السابق أنه موجود بين العلم والاسلام

والأصل الأول عند العلم فى النظر هو العقل ، وكذلك هو فى الاسلام . إن القرآن الكريم كله ينطق بأن الاسلام قام على العقل، وحاكم إلى العقل ، وأمر باتباع العقل ، بمختلف أساليب البيان ؛ فتارة يتلطف ويرغب فى استعمال العقل والفكر : (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) ، (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) . وتارة يظهر التعجب الشديد والتأفف من تعطيل العقل : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) ، (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عُمُرا من قبله ، أفلا تعقلون) . وتارة يمدح أهل العقل ويخصهم بالخطاب : (وما يذّكر إلا أولو الألباب) ، (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) ، (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) ؛ ثم تارة يسلك سبيل الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ، (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) وفى هذا ما فيه من توكيد ناحية العقل وتنبيه الانسان إلى أن من أخص خصائصه التفكير والتدبر والفهم والتعقل ، فلا ينبغى له التنزل عن أخص خصائصه بتعطيل عقله وإلا فقد تنزل عن انسانيته وصار فى الأنعام أو شرا من الأنعام

ولقد بلغ من إكبار الاسلام العقل وتوكيده واتخاذه أصلاً ومرجعاً أن أباح للمسلم إذا تعارض العقل والنص أن يؤول النص إلى ما يقضى به العقل . والعقل هنا طبعاً ليس هو عقل الفرد ، ولكن عقل المجموع ؛ ليس هو العقل الخاص الذى يجوز عليه الخطأ ، وكثيراً ما يخطئ ، ولكن هو العقل العام الذى يستحيل عليه الخطأ ، والذى لا يقتنع بشىء إنه الحق إلا إذا قام عليه الدليل القاطع . فتشريع الدين تأويل النص إلى ما يوجبه العقل أو بالأحرى إلى ما يطابق ما ثبت عند العقل بالدليل القاطع ، هو التنفيذ العملى فى الاسلام لمبدأ استحالة التناقض بين الحقائق ولمبدأ وجوب الأخذ بالحق كيفما ظهر وأينما كان . فالحق فى العلم وفى الاسلام أحق أن يتبع لذاته لا لغيره ، وفى سبيل الحق يجب أن يجاهد الناس ، وعلى الوصول اليه يجب أن يتعاونوا ، وبه إذا وصلوا اليه يجب أن يستمسكوا . هـذا هو أخص خصائص الروح العلمية فى ميدانها ، وهو فى الوقت نفسه أخص خصائص المؤمن حتى فى المعاملة . فان الصفات التى ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلم بها الجنة إذا هو ضمنها من نفسه فى الحديث الكريم : « اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنـة ؛ إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا ائتمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف : غضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم » هـذه الصفات ليست فى صميمها إلا أخذاً بالحق فى أعم صوره ، واحتراماً له ووقوفاً عنده

لكن فخر العلم الحديث ليس هو جعله العقل أصل الأصول فى النظر ، ولكن هو ضبطه طريق النظر العقلى ، حتى صار العقل به فى مأمن من الضلال . إن قدماء العلماء والفلاسفة كانوا أيضاً يكبرون العقل ويتحاكمون اليه ، وهذا المنطق القياسى الذى يعين الطريق الذى يجب أن يسلكه العقل فى الاستنتاج ليكون بمأمن من الخطأ ، هو من وضع أولئك القدماء . فليس للعلم الحديث على العلم القديم فى هذا فضل ، بل الفضل فى توضيح طريق الاصابة فى الاستنتاج ، هو للعلم القديم أو للفلسفة القديمة كما تشاء أن تقول . لكن الذى غفل عنـه القدماء ؛ وانتبه اليه المحدثون ، هو وجوب الاستيثاق من صحة المقدمات قبل القول

بصحة النتائج ، ولو صحت طريقة الاستنتاج . كان القدماء يعنون كل العناية بالاحتياط من الخطأ فى الاستنتاج ، ولو أنهم عنوا بصحة المقدمات عشر معشار تلك العناية لتغير تاريخ العلم ، ولتغير تاريخ العالم بالتبع ، ولما تأخر الرقى العلمى كل تلك القرون ، لكن أكثر القدماء كانوا فيما يظهر يتغالون فى الاعتماد على العقل وحده حتى جعلوه كل شىء ، وجعلوه مستغنياً عن كل شىء . فالعالم أو الفيلسوف كان يرى كافياً فى طلب الحقيقة أن يجلس ويفكر ، ثم يفكر ، كأن الحقائق كلها موجودة كامنة فى النفس أو الروح ، وكأن ليس على الانسان إلا أن يستثيرها بالتفكير . من أجل ذلك لم تعش الفلسفة القديمة أو العلم القديم إلا بصحة التفكير على الأخص ، وهى العناية التى أدت به إلى اكتشاف قوانين التفكير ووضع علم المنطق القياسى . أما المقدمات فكان العالم أو الفيلسوف يكتفى من الاستيثاق منها بالاقتناع النفسى والرجوع بها إلى ما يبدو له أنه بديهى لا يحتاج إلى برهان . ومن هنا دخل فى العلم القديم أو الفلسفة القديمة الشىء الكثير من الباطل ، أو على الأقل مما هو غير ثابت ؛ دخل فيها على أنه حق لا شك فيه ، فكان عبئاً ثقيلاً على العقل عاقه عن التقدم الحقيق طوال تلك القرون

ولقد جعلت تلك الطريقة أمر تمييز الحق من الباطل فى العلم القديم من الوجهة العملية بيد المصادفة لا بيد العقل ، فكان الانسان إذا صادف الصحة فى مقدماته الأولى أو بديهياته التى يُرجع اليها مقدماته نجا من الخطأ بعد ذلك لاجتماع ركنى الاصابة لديه : صحة المقدمات وصحة التفكير . ومن هنا كانت علومه الرياضية أصح تراث منه وصل الينا . أما إذا أخطأه التوفيق فى المقدمات فلا تسل عن العجائب والغرائب التى كان يؤدى به اليها قياسه الصحيح من مقدماته العليلة . أنظر اليه وهو يحكم على شكل العالم أنه كرى لأن شكل الكرة أكمل الأشكال ، أو يحكم على العالَم أنه حى عاقل لأن ما هو حى وعاقل خير مما ليس بحى ولا عاقل . وتأمل ما جر اليه القول بحياة العالم وعقله من القول بأفلاك ذات نفوس وعقول كل فلك منها نشأت نفسه وعقله عن نفس الفلك الذى فوقه وعقله ، وأشباه هذا مما يعجب له العلم اليوم كيف أمكن أن يتورط فيه العلم بالأمس ، إذ العلم والفلسفة كانا شيئاً واحداً فى العصر القديم

هذا النوع من التفكير الوهمى قد سد العلم الحديث بابه ، وقطع أسبابه بايجابه أولا عدم قبول شىء على أنه حق حتى يقوم عليه البرهان القاطع ، وبرجوعه ثانيا الى التجربة والمشاهدة فى تمحيص المقدمات . هذان هما المبدآن اللذان قامت عليهما الطريقة العلمية الحديثة ، واللذان يرجع الى التزامها والتشدد فى تطبيقهما كل ما وصل اليه الانسان من تقدم فى ميادين العلم الحديث

فأما المبدأ الأول مبدأ اشتراط قيام الدليل القاطع على صحة القضية قبل ادخالها فى دائرة الحق فهو مبدأ سلبى ، ولكنه فى غاية الخطورة لأنه حال دون الخلط بين الحق والباطل ، وميز دائرة الشك من دائرة اليقين ، وجعل العلم على بينة من أمره فصار يعرف تماما أين هو من الحق ومن الباطل : صار يعرف أى القضايا هو فوق الشك وأيها فى حاجة الى التمحيص

لكن هذه المعرفة لم تكن لتغنى عنه كثيرا لو لم يجد العلم وسيلة صادقة لتمحيص ما هو منه فى شك ، فيزيد باطراد فى دائرة الحق المعلوم ، ويُنقص باطراد من دائرة المجهول . لكنه وجد هذه الوسيلة فى مبدئه الثانى مبدأ التجربة والمشاهدة . وهو كما ترى مبدأ إيجابى يقوم بجوار مبدئه السلبى الأول : يحرس الأول منطقة الحق أن يدخلها باطل ، ويوسع الثانى حدود المنطقة باستمرار . ولقد اقتضى هذا أن يقصر العلم نفسه من ميادين البحث على ما يمكن الاحتكام فيه الى التجربة والمشاهدة ، أو كما عبر بعض العلماء فأحسن التعبير على الميادين التى يستطيع أن يسأل فيها الانسان الفطرة فتجيب . والفطرة على حد تعبير عالم آخر دائماً تجيب إذا أحسن الانسان سؤالها . وأكبر الفرق من الناحية العملية بين العلم القديم والعلم الحديث أن هذا عرف كيف يحسن استجواب الفطرة ، وأن ذاك فى الأوقات القليلة التى خطر له أن يسترشد بالفطرة لم يعرف كيف يحسن سؤالها باجراء التجارب المنظمة ، وإن عرف أحياناً كيف يسمع لها بمشاهدة بعض ما يجرى حوله . وبالجملة فان أكبر ما يميز العلم فى عصره الحديث عن مثله فى العصر القديم هو اجماع أهله على

اتباع ذينك الأصلين : أصل التفرقة التامة بين اليقيني وغير اليقيني ، وأصل تمحيص غير اليقيني بعرضه على التجربة والاختبار

هـذان الأصلان اللذان هما قوام الطريقة العلمية ، واللذان اليهما يرجع كل ما أدرك العلم فى ميدانه من تقدم ، ما شأنهما فى الاسلام كما يتجلى فى القرآن ؟

إن الذى أنزل القرآن روحاً من أمره وهدى يهدى به الانسانية سبل الحياة شاءت رحمته بعد أن جعـل العقل أصل الأصول فى النظر ألا يكل الانسان إلى عقـله من غير أن يبين له معالم الطريق ويحذره مهاوى الخطأ والضلال . فهو أولاً يوجب على الانسان فى القرآن ألا يُدخل فى الحق إلا ما قام عليه البرهان والدليل أنه من الحق (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) . (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) وفى هـذه الآية الكريمة نرى كيف ينبه الله الانسان إلى أن الظن والتخمين ليسا من العلم والبرهان فى شىء ، وهو معنى لقى توكيداً عظيما فى القرآن بوروده صريحاً فى أكثر من آية . (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ، وما لهم به من علم ، إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً) . (وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً . إن الله عليم بما يفعلون) ، وهـذا بالضبط هو ما اهتدى اليه العلم الحديث وشدد من أجله فى وجوب التفرقة بين الثابت الذى لا شك فيه ، وغير الثابت الذى هو فى حاجة إلى التمحيص ، ومن هنا ترى أن التطابق تام فى هـذه الناحية أيضاً بين العلم وبين الاسلام

على أن هذا ليس هو كل ما وضح به القرآن سبيل الحق أمام الانسان ، فانه كما حذره من الخلط بين الحق والباطل ، ومن إنزال الظن والتخمين منزلة البرهان واليقين ، دله على الطريق العملى الذى يتبين به وجه الحق فيما هو منه فى شك : طريق استعمال العقل لا السمع والبصر . ومن العجيب أنك لا تكاد تجد فى القرآن ذكراً للسمع والبصر إلا والعقل مقرون بهما مذكور معهما كأنما يريد الله أن ينبه الانسان إلى ما بينهما وبين العقل من ترابط ، فالعقل لا يتم إلا بأثرهما وهما لا ينفعان نفعهما إلا إذا كان العقل من ورائهما يوجههما وينظم عملهما ، أو كأنما يريد الله سبحانه أن ينبـه الانسان إلى أن ما يكسب من علم أو معرفة راجع فى صميمه إلى هذه الثلاثة ، وأن عليه إذن أن يحسن استعمالها ويحذر إهمالها . على أن الانسان لم يترك فى هـذا إلى مجرد الاستنتاج . فقد أنبأه الله صراحة فى القرآن فى معرض المن عليـه أن علم الانسان مصدره السمع والبصر والعقل كما ترى فى آية النحل : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ، وأوجب عليه فى آيات كثيرة أن يحسن استعمال سمعه وبصره وعقله ، نذكر منها آية واحدة هى فصل الخطاب فى هـذا الباب ألا وهى قوله تعالى من سورة الأعراف : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) فانه ليس هناك أكثر حضاً على إحسان استعمال العقل وأدواته من هذه الآية الكريمة التى لم تكتف بتسوية الانسان بالبهيمة أو جعله شراً منها إذا هو أهمل عقله وسمعه وبصره ، بل أنذرته أبلغ إنذار أنه إن فعـل ذلك فقد هلك إلى الأبد وحشر نفسه فى زمرة أهل النار

فهذا أصل التجربة والمشاهدة قد لقى فى صميمه من التوكيد فى الاسلام ما يصغر بجانبه ما لقى من التوكيد فى العلم وإن كان هو قوام العلم الحديث . والسر فى هذا أن العلم لا يزال فى الدور الذى يدرس فيه الفطرة ابتغاء الوقوف على أسرارها فحسب ، أما الدين فيأمر باستكناه أسرار الفطرة ليزداد الانسان بها هدى إلى رب الفطرة الذى فطرها وفطره ، والانسان إن لم يهتد إلى ربه فانه لا محالة من الهالكين . ومهما يكن من اختلاف الغاية بين الدين والعلم فان كل غاية العلم هى بعض غاية الدين ، والطريق الذى يسلكه العلم إلى غايته هو جزء من الطريق الذى يأمر بسلوكه الاسلام

على أننا نحب أن نزيد هذا التطابق بين الطريقين توكيداً بالتنبيه إلى آية واحدة فى القرآن جمعت للانسان أصول النظر العلمى وأثبتتها من الدين مجتمعة بعد أن أثبتتها من الدين متفرقة ، تلك هى قوله تعالى من سورة الأسراء : (ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) فانها

من ناحيــة تأمر الانسان بالوقوف عند حد ما يعلم (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومن ناحيــة أخرى تدله على طريق استبانة الحق فيما لا يعلم ، والاستمساك بما يتبين له من الحق عن ذلك الطريق ، طريق إحسان استعمال السمع والبصر والعقل (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) وفى قوله سبحانه (كل أولئك كان عنــه مسئولاً) فى موقعها من الآية تقرير مسئولية الانسان عند ربه عن حواسه وعقله كيف لم يستعملهن عند الشك حتى يتبين وجه اليقين ، وكيف حين استعملهن لم يحسن استعمالهن ، أم كيف وقد أحسن استعمالهن لم يستمسك بما وصل اليه من الحق عن طريقهن حتى صار هو ومن أهملهن سواء . ولو حاول العلم أن يزيد فى توكيد أصوله على هــذا ما استطاع ، ثم هو ليس ببالغ شأو الدين فى هذا التوكيد لأنه لا يملك لمهمل أصوله حساباً ولا عقاباً

***

وبعد ، فلعلنا نكون قد وفينا هذا الموضوع الخطير بعض حقه من البحث ، وبلغنا الغرض الذى بدأنا هــذا البحث من أجله، وأثبتنا أن العلم الحديث بينه وبين الاسلام كل ما بين الجزء والكل من تطابق ما دام قد ثبت أنه قرآنى الموضوع والاسم والروح والطريقة ؛ فهو بجملته وتفصيله قطعة من الاسلام ، حتى فروضه العلمية ونظرياته التى يتلمس بها سنن الفطرة لها فى الاسلام متسع ، لأنها ليست الا ضربا من الاجتهاد الذى يثبت الله عليه المجتهد ، أخطأ أم أصاب . وهــذا التطابق العجيب بين العلم والاسلام هو الذى كان متوقعاً ما دام الاسلام هو دين الفطرة ، وما دام العلم قد أصاب الفطرة وإن فى بعض نواحيها . وليس يمنع العلم أن يصيب الفطرة فى بعضها الآخر المتعلق بحياة الانسان الاجتماعية . الا أن هذه الحياة خارج نطاقه ، وستظل كذلك لامتناع إخضاع الفرد بله الجماعة للتجربة العلمية والاختبار . فليس هناك للانسانية إذن أى أمل فى أن تصيب سنن الفطرة فى الاجتماع عن طريق العلم ، فهى لن تزال فى مدنيتها بعيدة عن سنن الفطرة وعن سبل السلام حتى تقيم وجهها للدين حنيفاً (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله)

محمد أحمد الغمراوى

أعلام الاسلام

محمد بن شهاب الزهرى

بقلم السيد ناجى الطنطاوى

محمد بن شهاب الزهرى ، علم من أعلام التابعين ، وامام جليل من أئمة المسلمين ، روى الحديث عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبناء أصحابه . وكان نادرة فى الذكاء وقوة الحافظة والصبر على طلب العلم ، ثقة ، أميناً فى الاسناد شهد له الخلفاء والعلماء بالتفوق والفضل حتى قال ابن تيمية : حفظ الزهرى الاسلام نحواً من سبعين سنة ، وكان مع ذلك سخياً كريماً يبذل ماله فى سبيل العلم

اسمه ونسبه ومولده

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة[1] ، أبو بكر القرشى الزهرى . سمى بالزهرى نسبة الى زهرة بن كلاب ، كان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرا ، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحُد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلنّه أو ليقتلنّ دونه . وقد سئل الزهرى مرة : هل شهد جدك بدرا ؟ قال نعم ، ولكن من ذلك الجانب؟ أى من جانب قريش

وانتسب الزهرى مرة أمام هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : ان كان أبوك لنفّارا فى الفتن ، فقال : يا أمير المؤمنين عفا الله عما سلف

وقال : نشأت وأنا غلام ، ولا مال لى ، منقطع الديوان ، فكنت أتعلم نسب قومى من عبد الله بن ثعلبة ، وكان عالماً بنسبهم وهو ابن أختهم وحليفهم

وقال ابن حيويل : لم يكن له كتاب الا كتاب فيه نسب قومه ، أما سنه وولادته فلم تعلم على وجه الصحة لاختلاف

---

(١) مرة أبو قبيلة كبيرة من قريش ، منها آمنة بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وسلم

المؤرخين فيها فهي إما سنة ٥٠ أو سنة ٥١ أو سنة ٥٢ ، وقيل بل سنة ٥٨

صفته :

قال سفيان[١] : رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية ، وفي حمرتها انكفاء[٢] قليل ، كأنه يجعل فيها كَتَماً[٣] ، وكان أعيمشاً[٤] وعليه جُمَيحة[٥] وكان رجلا قصيرا ، قليل اللحية ، له شعرات طوال ، خفيف العارضين

طلبه العلم

دخل مرة على عبد الملك بن مروان ، فذاكره عبد الملك ، فرأى فيه نباهة فوصله ، وأمر له بشراء دار قطيعة بالمدينة ، وبرزق يجري عليه ، وأعطاه خادماً وقال له : اذهب فاطلب العلم ، فاني أرى لك عينا حافظة ، وقلبا ذكياً ، وائت الأنصار في منازلهم . قال : فأتيت المدينة ، فاذا عند الأنصار علم جمّ ، فأخذته عنهم

وقال ابراهيم[٦] بن سعد : ما سبقنا الزهري بشيء من العلم إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد ، وكنا تمنعنا الحداثة

وقال أبو الزناد : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس بعد أن كنا نطوف نحن وإياه معنا الألواح والصحف ونحن نضحك به ، وكان يكتب الحديث فيحفظه ثم يمحوه

وقال صالح بن كيسان : كنت أطلب العلم أنا والزهري فقال : تعال نكتب السنن فكتبناها ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت

قوة حافظته

كان يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ، وكان يكره أكل التفاح وسؤر الفأر ويقول إنه ينسي ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكر . وقال : كتب عبد الملك الى أهل المدينة كتاباً في طومارين يعاتبهم به ، فقرىء على الناس عند المنبر ، ولم يكن سعيد بن المسيب حاضرا ، فلما انفض الجمع قال سعيد لجلسائه : ما كان في ذلك الكتاب ؟ ليت أنا وجدنا من يعرف لنا ما فيه ، فلم يتكلم أحد . فقلت له : أتحب أن تسمع كل ما فيه ؟ قال نعم قال : فقرأته له من أوله الى آخره لم أنس منه كلمة

وقال : ما استفهمت عالماً قط ، ولا رددت شيئاً على عالم قط يعني أنه كان يحفظ ويفهم من أول مرة

وقال الامام مالك : حدثني الزهري بحديث طويل فلم أحفظه فسألته عنه مرة ثانية فقال لي : أليس قد حدثنا كم به ؟ فقلت : بلى ، فأردت أن أستخرجه ، فقلت له : أما كنت تكتب ما تسمع ؟ فقال : لا فقلت : أما كنت تستعيد ؟ فقال : لا

وقال مالك حدثنا الزهري بمائة حديث ، ثم التفت إليّ وقال : كم حفظت يا مالك ؟ فقلت : أربعين حديثا ، فوضع يده على جبهته ثم قال : إنا لله ، كيف نقص الحفظ ؟

وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل هشام بن عبد الملك الزهري أن يملي على بعض ولده ، فدعا بكاتب فأملى عليه أربعمائة حديث ثم إن هشاماً قال له : ان ذلك الكتاب قد ضاع ، فدعا الكاتب فأملاها عليه ، ثم قابله هشام بالكتاب الأول فما غادر حرفاً

منزلته عند الخلفاء

كان عمر بن عبد العزيز يقول : عليكم بابن شهاب ، فانكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . قال معمر وإن الحسن وضرباءه لأحياء يومئذ . وقال عمر بن عبد العزيز أيضاً : ما ساق الحديث مثل الزهري ، وما أتاك به الزهريّ بسنده فاشدد يدك عليه

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي . محدث الحرم كان حافظاً ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور وحج سبعين سنة . ولد بالكوفة وتوفي بمكة سنة ١٩٨

(٢) الانكفاء : تغير اللون

(٣) الكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر

(٤) العمش : ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها

(٥) تصغير جمه وهي ما سقط على المنكبين من شعر الرأس

(٦) هو ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، أبو اسحاق الزهري ، من أهل المدينة ، نزل بغداد وأقام بها إلى حين وفاته ، وأكرمه الرشيد وأظهر بره . كان محدثاً ثقة ، وكان من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه ، وكان أبوه على قضاء المدينة من جلة المسلمين ، توفي سنة ١٨٣

وقد تقدم قول عبد الملك بن مروان له : إنى أرى لك عيناً حافظة وقلباً ذكياً

وقال : لما توفى عبد الملك لزمت الوليد [١] ، ثم لزمت هشاماً بعده وحججت معه سنة ١٠٦ فكنت مع ولده أعلمهم وأفقههم وأحدثهم ولم أفارقهم حتى مات هشام بالمدينة

منزلته عند العلماء

قالوا : كان الزهرى ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهاً جامعاً وقال الليث عن جعفر بن ربيعة : قلت لعراك بن مالك من أفقه أهل المدينة ، فذكر سعيد بن المسيب ، وعروة [٢] وعبد الله بن عبد الله ، قال عراك : وأعلمهم عندى جميعاً ابن شهاب لأنه جمع علمهم إلى علمه

وقال مكحول [٣] : ما بقى على ظهرها أعلم بسنة باقية من الزهرى وقال أيوب [٤] : ما رأيت أحداً أعلم من الزهرى . فقال له صخر بن جويرية : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أعلم من الزهرى وقال عمرو بن دينار : مثل هذا القرشى ما رأيت قط ، وقال سعيد ابن عبد الرحمن بن جنبل : لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن ، وقال سفيان بن عيينة : جالست الحسن وغيره ، فما رأيت مثل الزهرى وقال الامام مالك : بقى ابن شهاب ، وماله فى الناس نظير ، وكان إذا دخل المدينة ، لم يحدث بها أحد حتى يخرج منها . وقد اتفق الأئمة على أن الزهرى مات يوم مات وهو أعلم الناس بالسنة ، واتفقوا على أنه كان أفقه من الحكم وحماد وقتاده وقال السمعانى [١] : كان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، وكان فقيهاً فاضلاً

قال ابن عيينة : ما رأيت أنص للحديث من الزهرى

سعة علمه

قال على بن المدينى : له نحو ألفى حديث . وقال أبو داود [٢] : جميع حديث الزهرى ألفا حديث ومائتا حديث نصفها مسند

وقال مالك : لقد أدركنا فى مسجد المدينة سبعين ممن يروى الحديث وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أميناً ، فما أخذت منهم شيئاً ، لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، وقدم علينا الزهرى وهو شاب فازدحمنا على بابه

وقدم أحمد [٣] بن صالح العراق من مصر ليرى أحمد ابن حنبل [٤] ، فاستأذن اليه فأذن له ، وقام اليه ورحب به وقربه وقال له : بلغنى أنك جمعت حديث الزهرى ، فتعال حتى نذكر ما روى الزهرى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر حتى فرغا ، قال الراوى : وما رأيت أحسن من مذاكرتهما . ثم قال أحمد بن حنبل لأحمد ابن صالح : تعال حتى نذكر ما روى الزهرى عن أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر ، الى أن قال أحمد بن حنبل : عن الزهرى عن محمد بن جبير ابن مطعم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما يسرنى أن لى حمر النعم ، وأن لى حلف المطيبين . فقال أحمد بن صالح سألتك بالله إلا أمليته علىّ . وقال : لو لم أستفد

---

(١) ذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء أن الزهرى كان يقدح أبدا عند هشام فى الوليد ويعيبه ، ويقول ما يحل لك إلا خلعه فما يستطيع هشام ، وأنه لو بقى الزهرى إلى أن يملك الوليد لفتك به

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالماً بالدين ، صالحا كريماً ، لم يدخل فى شىء من الفتن ، وقدم مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفى فيها ، وبئر «عروة» بالمدينة منسوبة اليه ، توفى سنة ٩٣

(٣) هو مكحول بن شهراب (وقيل ابن عبد الله) بن شاذل ، فقيه الشام فى عصره ، من حفاظ الحديث ، كان مولى لامرأة من هذيل ، وأعتق فسكن دمشق ، وتوفى بها سنة ١١٢ ، قال عنه الزهرى : لم يكن فى زمنه أبصر منه بالفتيا

(٤) هو أبو بكر أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى ، سيد فقهاء عصره ، تابعى ، من حفاظ الحديث ، كان ثبتاً ثقة ، توفى سنة ١٣١

(١) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعانى التميمى أبو المظفر ، مفسر من العلماء بالحديث ، من أهل مرو توفى سنة ٤٨٩

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدى السجستانى إمام أهل الحديث فى زمانه ، أصله من سجستان ، ورحل رحلة كبيرة ، وتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥

(٣) هو أحمد بن صالح ، أبو جعفر المصرى ، كان حافظاً للأثر ، عالماً بعلل الحديث ، ثقة ؛ ورد بغداد ثم رجع إلى مصر وأقام بها حتى توفى سنة ٢٤٨

(٤) هو أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة ؛ ولد فى بغداد ونشأ مكباً على طلب العلم ، وسافر فى سبيله أسفارا كثيرة ، وسجنه المعتصم ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن ثم أطلقه ، ولم يصبه شر فى زمن الواثق ، ولما تولى المتوكل أكرمه وقدمه ومكث مدة لا يولى أحدا إلا بمشورته ، توفى فى زمن المتوكل سنة ٢٤١

بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيراً

وقال الليث بن سعد : ما رأيت عالماً قط أجمع للعلم من ابن شهاب . لو سمعته يحدث فى الترغيب ، لقلت ما يحسن إلا هذا ؛ وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتب ، لقلت ذلك ؛ وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت ما يحسن إلا هذا . قال ابن إسحاق [1] : سألت الزهرى عن شىء ، فقال ما بقى أحد فيما بين المشرق والمغرب أعلم بهذا منى

وكان يقول : مكثت خمسا وأربعين سنة أنقل أحاديث أهل الشام إلى الحجاز ، وأحاديث أهل الحجاز إلى الشام ، فما أجد أحدا يطرفنى بحديث لم أسمعه

سخاؤه

قال الليث : وكان من أسخى الناس ، كان يعطى كل من جاءه وسأله ، حتى كان يقترض من عبيده ولا يرى بذلك بأساً ، فقيض الله له على قدر صبره واحتماله : إما رجلاً يهدى له ما يسع السائلين ، وإما رجلاً يبيعه بنظرة ، وكان يطعم الناس الثريد فى الخصب وغيره ويسقيهم العسل ، وكان يسمر مع أصحابه على العسل

ونزل بماء من المياه مرة ، فقال له أهل الماء : إن لنا ثمانى عشرة امرأة مسنة ليس لهن خادم ، فاستسلف ثمانية عشر ألفاً فأخدم كل واحدة منهن خادماً بألف ، وقضى عنه هشام سبعة آلاف دينار وقال له لا تعد لمثلها تدان ، فقال الزهرى يا أمير المؤمنين حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين

وأخدم الزهرى فى ليلة واحدة خمس عشرة امرأة من بنى زهرة خمس عشرة وليدة ، اشترى كل وليدة بثلاثين ديناراً

وقيل له إن الناس لا يعيبون عليك إلا كثرة الدين ، فقال : وكم دينى ؟ إنما دينى عشرون ألف دينار ، وليس يرثنى إلا ابن أخى هذا ، وما أبالى ألا يرث عنى شيئاً

وكان يقول : وجدنا السخاء لا تنفعه التجارب

وقال الامام مالك : كان الزهرى من أسخى الناس ، فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت مامر عليك من الضيق والشدة ، فانظر كيف تكون وأمسك عليك مالك . فقال له : ويحك ، إنى لم أر الكريم تحنكه التجارب فقال الحسين بن عبد الله الكاتب فى هذا المعنى :

له سحائب جود فى أنامله ... أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول فى العسر إن أيسرت ثانية ... أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى إذا عاد أيام اليسار له ... رأيت أمواله فى الناس تنتهب

ومرّ به رجل من التجار وهو فى قريته ، والرجل يريد الحج ، فابتاع منه بزاً بأربعمائة دينار الى أن يرجع من حجه ، فلم يبرح عنه الرجل حتى فرّقه . . . فعرف الزهرى فى وجه الرجل ما كره . فلما رجع من حجه قضاه ذلك وأمر له بثلاثين ديناراً ينفقها فى سفره . فقال له الزهرى كأنى رأيتك يومئذ ساء ظنك فقال : أجل . فقال : والله لم أفعل ذلك إلا للتجارة : أعطى القليل فأعطى الكثير !

وكان يخرج الى الأعراب يفقههم ويعطيهم فجاءه رجل وقد نفد ما فى يده ، فمد الزهرى يده إلى عمامة عقيل فنزعها وأعطاها الرجل ، وقال لعقيل : أعطيك خيراً منها .

وقال له زياد بن أسعد : إن حديثك ليعجبنى ، ولكن ليست معى نفقة فأتبعك . فقال له : اتبعنى أحدثك وأنفق عليك !

وفاته

كان له ضيعة فى شَغْب : وهى أول عمل فى فلسطين ، وآخر عمل الحجاز ، توفى فيها فى رمضان سنة ١٢٤ على أصح الروايات ودفن فى نشز من الأرض ، وقبره قائم على الطريق ليدعو له كل من مرّ عليه . قال الأوزاعى : رأيت قبره هناك مسنماً مجصصاً مبيضاً فقلت : يا قبر كم فيك من حلم وعلم ؟

(١) هو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبى المدنى ، أبو بكر ، من أهل المدينة ، زار الاسكندرية وسكن بغداد فمات فيها سنة ١٥١ قال ابن حبان لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن اسحاق فى علمه أو يوازيه فى جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقاً للاخبار

رســـالة الأزهر

فى القرن العشرين

للأستاذ المسيحى لبيب الرياشى

مؤلف كتاب « نفسية الرسول العربى »

رسالة الأزهر فى هذا القرن ، القرن العشرين المسيحى : .. أم القرن الرابع عشر المحمدى ؟ — هى تصير رسالة الرسول العربى العالمى المقدسة فى القرن الأول المحمدى منذ ألف عام وثلثمائة عام وستين عاما وثمانية أعوام « ١٣٦٨ »

أجل هى تصير رسالته مذ تحنث وتعبد فتجرد الى أن غطه الوحى فعلم ، الى أن حمى التنزيل وتتابع — فجاهد وعلم وأنذر وبشر — فبلغ بشر بالحكمة والموعظة الحسنة الناس جميعاً « قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعاً »

أنذر وبشر وعلم — بفؤاد وادع وقلب سليم وسريرة طاهرة — فبلغ : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » الى أن أكمل جهوده وأتم رسالته واستودعها الفرقان الحكيم . وجعل قيمين على تنفيذها سراة صحابته وتضحية المؤمنين بنبوءته ليعملوا بما أوحى اليه وأنزل عليه ويجاهدوا وينيروا

يجاهدوا وينيروا — البشر جميعاً بدين الفطرة ، والأخاء ، والشورى ، والمساواة ، والعدل ، والعلم ، والحكمة ، والحجة ، والضمير ، والحرية ، والجرأة ، والصراحة ، والاستقلال ، وقرة أعين فى الدنيا « ورضوان من الله أكبر » فى الآخرة

إذن على أسس هـذا الواجب العادل ، وهذا التمثل الحق ، يرفع هيكل مجيد لرسالة الأزهر فى القرن الرابع عشر المحمدى أو القرن العشرين كما أسمته وزارة المعارف المصرية الجليلة

إذن يرفع هيكل رسالة الأزهر فى هذا القرن كما رفع هيكل الانسانية الالـهى فى القرن الأول المحمدى — فيقابل الدور الأول دور التحنث والتعبد والتجرد والعلم ، بتحنث وتعبد ودراسة من ينتخبهم الأزهر أم يتجندون للعلم فى الأزهر على أن ينتخب الأزهر طلابا من أولى الشعور الخصب وأولى العزم والذكاء العميق ، والتحسس الضميرى ، عشاق التضحية وعشاق الحق ويثقفهم ثقافة كاملة شاملة

ينتخب الأزهر طلابه من الشبان ممن اكتملت صفاتهم تلك ليتعلموا مع علم الدين وشرعة الرسول وسنته وسيرته واللغة العربية اللغات الحية العالمية ، ويدرسوا الأديان العالمية وتاريخها وفلسفتها وأساطيرها

كل فريق يتخصص للغة حـية ، ويتخصص لفرع من فروع العلوم ليعلموا عن كل علم جوهره الحق فيكون علمهم علما حقا « وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا »

قلت ينتخب الأزهر طلابه من الذكور والأناث فلا يحتكر العلم والتبشير الذكور عملاً بالآية الـكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . . . » ولأن واجبهم فى التبشير العالمى واجب الذكور والأناث على سواء

وقلت ينتخب الأزهر طـلابه من ذوى الشعور الخصب والذكاء العميق والتحسس الضميرى وعشاق التضحية والحق لـكى لا يقوّلوا الله ما لم يقل فى كتابتهم سيرة الرسول ، ويعمّلوا الرسول ما لم يعمل فى تبيان حياته ، ويضعوا فى فمه ألفاظا تطهر منها فمه

فيقولون مثلاً « غزوة » لـكل واقعة انتصافية ، أو تهذيبية ، أو تبشيرية

إن الغزوة كتبت بعقلية من كتب بعد مائتى سنة من وفاة الرسول مع ما فى الغزو من ظاهرة السلب وحب القتال غير المعقول وغير الحق

إن المفهوم والمعقول من الآيات المنزلة عند ما أذن الرسول بالقتال كانت للانتصاف والتهـذيب والتبشير لا للغزو (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب المعتدين) فهل يحب الغزاة الناهبين ؟

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)

(الذين إن مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور)

(وقاتلوا حتى لا تكون فتنة)

تلك هي الآيات الحكيمة المنصفة التي نزلت على الرسول ، فمن أين جاء كتاب السيرة ومن تابعهم بالغزو ... وبالغزوات

ولكي لا يقول الرسول هكذا : تذهب الكثرة من المؤرخين إلى أنهم – أي الصحابة – فكروا وفكر محمد (ص) على رأيهم في الانتقام من قريش لأنفسهم ومباداتهم بالعداوة والحرب

ولكي لا يقولوه الطعن والشتم والسباب ، بقولهم : طعن آلهة قريش ، شتمها ، سبها ، ولكي ، ولكي

إن الرسول لم يكن منتقما ، وقد حذر الانتقام ، ولم يكن سباباً ، والحديث الصحيح والقرآن الحكيم ينفيان عنه حب الانتقام والشتم والسباب ؛ فمن أي مصدر قرآني ، أو حديث صحيح وضعوا في صدر الرسول الانتقام وفي فمه السباب ؟ ؟ ...

إن الرسول فكر في الانتصاف من أعداء الله وأعدائه . فكر في حرية التبشير ، فكر في تعليمهم الحق ، وعلم بما فكر . فلما لم يذعنوا بالحسنى بعد ثلاثة عشر عاما أذن له في القتال الانتصافي ، ولم يسب آلهة قريش ، بل عابها . لم يسبها لأن حديثه مشهور : لا تكن سبابا

« ليس المسلم بالسباب ولا بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء »

« إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً »

للأسباب المتقدمة التي صهرناها صهراً ننادي الأزهر بيت العلم المحمدي الأول ، ونقول : إن واجب رسالته الواجب . الواجب كتابة سيرة للرسول تتفق والقرآن الحكيم ؛ وعقلية الرسول البريئة وأعماله الحقة . وقلنا على طلاب الأزهر أن يثقفوا ثقافة جامعة شاملة ، لكي لا يرموا قلب الحق بما رماه به كاتب مشهور تعلم في الأزهر ، واتصل بالشيخ محمد عبده اتصالاً وثيقاً ، وكان من المؤمنين برسالة الرسول ونبوة الرسول !

لكي لا يرموا قلب الحق وإن تعريباً وإن نقلا بقولهم في تأبين من اشتهر بالبخل وحب المال اشتهاره بالذكاء والدهاء

لكي لا يرموا قلب الحق بقولهم

« في مثل هذا اليوم منذ مائة سنة مات الرجل العظيم . مات الرجل الخالد . مات ڤولتر . ما مات ڤولتر حتى احدودب ظهره تحت أثقال السنين الطوال وأثقال جلائل الأعمال وأثقال الأمانة العظيمة التي عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها وحده ، ألا وهي تهذيب السريرة الانسانية فهذبها فاستنارت فاستقام أمرها . . »

وڤولتر هذا الذي هذب السريرة الانسانية فاستقام أمرها ، ڤولتر هذا الذي عظمه مسلم مؤمن وسكب عظمته في صدر كل عربي مسلم . ڤولتر هذا هو كاتب القصة التمثيلية بعنوان « محمد » ولقد أهداها إلى البابا بنوا الرابع عشر بهذه العبارات « فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس اعجاباً بالفضيلة إذا تجرأ فقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية . والى مَنْ غير وكيل رب السلام ، والحقيقة أستطيع أن توجه بنقدي فسق نبي كاذب وأغلاطه ؟ فلتأذن لي قداستك في أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة وإني مع الاجلال العميق أجثو وأقبل قدميك القديستين

في ١٧ أغسطس سنة ١٧٤٥ « ڤولتر »

ترى لو كان المعرب الذي استعار بلاغة القرآن تثقف الثقافة الحقة الجامعة الشاملة وفهم نفسية من كتب عنه وأعماله وأقواله

ترى لو كان مثقفاً ثقافة صحيحة أكان يقول عن ڤولتر قوله سواء أكان يقول إن ڤولتر هذب السريرة البشرية فاستنارت فاستقام أمرها ، وإن أمانة هذا التهذيب عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها وحده ؟ ويكون تهذيبه للبشر بهذا الشكل الفاسق غفر الله لمن عرب ولمن ثقف هذه الثقافة

إذن لتكن رسالة الأزهر تعليم اللغات الحية ولتكن رسالته الثقافة الجامعة الشاملة ليطلع طلابه على أهم المسائل فيظهروا الحق حقاً والباطل باطلاً

لتكن رسالة الثقافة الشاملة ، فلا يصاب طلاب الحق بأمثال من ذكرت ، وبأمثال عالم كتب حياة محمد (ص) وعند ما شاء أن يصور كيف خشيت قريش البعث ورعبت من جهنم قال : « أما الجنة التي أعدت للمتقين ، وجهنم التي أعدت للظالمين . أما ذلك كله فلم يكن يدور بخاطرها ، وذلك كله قد سمعوا به في دين اليهود ، وفي دين النصارى » . وقال في صفحة ثانية : « والموسوية والعيسوية تصفان حياة الخلد ورضا الله »

لا أعلم أين قرأ المؤلف وصف الخلد ، ووصف الجنة وجهنم في الدين الموسوى !

لا جنة ولا جهنم أيها المؤلف الفاضل فى الدين الموسوى ولم يرد وصفهما لموسى . إن التوراة اكتفت بقولها : (إن الله له منتقم يفتقد ذنوب الآباء فى البنين الى الجيل الرابع ، ومن ثمة يفتقد خطايا الخاطىء وذنوبه بجسمه ونسله وأنعامه ومواشيه فحسب)

مثل هذا القصور فى الثقافة لا يليق بمن يكتب حياة أعظم من سار على قدمين من بنى البشر — حياة الرسول — لذا ترى أن أول واجبات رسالة الأزهر توسيع دائرة المعارف وتثقيف الطلاب ثقافة جامعة شاملة قبل أن يكتبوا عن الرسول وقبل أن يحللوا الحكمة السامية التى تجسدت فى شخص محمد ، والأدب الرفيع الذى جلل أقواله وأعماله

جهلت قومه عليه فاغضى وأخو الحلم دأبه الأغضاء

وقلنا بالتخصص ليخرج من طلابه نوابغ فى أى فرع من فروع العلوم ، فاذا تخصصوا ونبغوا حق لهم أن يفسروا القرآن الحكيم لأنهم يومئذ ، ويومئـذ فقط ، يفهمون الآيات الطبيـة والتشريعية العالمية الدوليـة والنفسية البشرية ، وعـلوم الفلك والطبيعيات وو . . . . إن فى القرآن مجموعة العلوم البشرية فأنى لغير مجمع كبير على اخصائى فى أى العلوم يفهمه ويفسره ؟ فاذا تخصصت كل فئة لفرع أجادت فهم القرآن وأجادت تفسيره

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر »

هذه الأطوار الستة وردت فى القرآن الحكيم منذ أربعـة عشر قرناً أثبتتها الاكتشافات الحديثة أمس « واتخذها الفلاسفة الطبيعيون حجة على أطوار خلق الجنين توافق الأطوار التى نشأت فيها أصول الحيوانات فى الأزمنة العريقة فى القـدم قبل خلق الانسان بادهار طويلة ، وذلك لأن الانسان يكون فى الطور الأول من إنشائه نطفة أشبه بالحيوانات السافلة المسماة بذوات الجوف ، ثم يستحيل إلى علقة فيصير أشبه بالسمك ، ثم ينسلخ مضغة فيكون شبيهاً بالحيوانات المائية البرية ذوات العمرين ، وبعـــد ذلك يتحول إلى مشابهة أدنى مراتب الحيوانات اللبون وهو حينئـذ فى بدء الطور الذى ينمو فيه خلقاً سوياً متميزا بخصائصه النوعية »

أنى لغير الطبيب الحكيم أن يفهم عظمة القرآن وعلوم القرآن إذا مرت أمامه الآية الطبية تلك وأمثالها وأنى له أن يفسرها ؟

وأنى لغير المشترع أن يعلن بسرعة أن أعظم لجنـة ألفتها جمعية الأمم فى القرن العشرين مؤلفة من أكبر مشترعى العالم منذ أشهر معدودة لتحكم بين دولتين هما من أعضاء جامعة الأمم

لقد قالت اللجنة التشريعية : مادام أن مجلس الثلاثة عشر قال إن إيطاليا هى المعتدية على الحبشة ، ولما كان كلاهما عضوا فى جامعة الأمم فعلى جامعة الأمم أن تناصر المعتدى عليها

ذلك كان حكمها . فلنسمع حكم القرآن فى مثل هذا الموقف ولنعتبر ولنحترم

لنسمع للحكم السامى الرفيع الذى جاء به الفرقان منذ أربعة عشر قرناً ، الحكم الجامع الشامل ، الحكم الذى عجز عن الأتيان بمثله أعظم علماء الشرع فى القرن العشرين :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . فان بغت إحداهما على الأخـرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين »

* * *

فاذا اكتملت الثقافة واكتمل التخصص وتعلم اللغات فقد ابتدأ دور الجهاد فأصبحت رسالة الأزهر الثانيـة والثالثة . أما الدور الرابع فالترجمة وإرسال الوفود تحت كل كوكب للتعليم والانذار والتبشير بالحكمة والموعظة الحسنة بفؤاد وادع وقلب سليم

وأن يكون من جهاد الأزهر طبع المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن القرآن وعمن نصروا الرسول متشرفين بحكمة امامته العظمى ، وليكن من جهاده نشرها

حسب الأزهر أن يقوم بما تقـدم لينقل للانسانية رسـالة سامية تطمئن الأصفرين وتسعد فى الدارين

الخلاصة عن رسالة الازهر

١ — أن ينتخب طلابه من ذوى الشعور الخصب وعشاق الحق ليتعلموا مع العلوم الشرعية الأزهرية كلها تاريخ الأديان وفلسفة تلك الأديان وأساطيرها

٢ — ليتعلموا اللغات الحية

٣ — وأن يكونوا فئات فى التخصص كل فريق يتخصص

الحياة الادبية بالمغرب

بقلم محمد عبد المجيد بن جلون

لقد حان أن نتكلم نحن أيضاً عن الحياة الأدبية فى بلادنا ، فا(لرسالة) سائرة تتحدث عن الأدب فى الأقطار العربية ، التى — وإن بدّدتها الأطماع السياسية — ستظل تجمعها لغة الضاد إلى ماشاء الله . ونعنى بالمغرب المغرب الأقصى ، وبالأدب الأدبَ الحديث ؛ أما الأدب القديم فنود أن نرجع إليه فى مناسبة أخرى لما شاع فى المشرق من أن المغرب قطر لم يساهم فى الأدب العربى ، وتلك حقيقة اكتشفها مؤلفا كتاب : «المطرب فى تاريخ الأندلس والمغرب» محمد عجاج ، وعلى سعد ؛ ومصدر ذلك هو الجهلُ بالمغرب وتاريخه . والمؤلفان معذوران — إلى حد ما — لأن تاريخ المغرب — والأدبى منه بنوع خاص — لا يزال فى ظلمات المكاتب ، إلا قليلاً ؛ على أن هذا القليل نفسه لا يسمح لنا أن نحكم بأن المغرب ليس له أدب قديم ؛ وما نريد أن نزيدها على ما كتب فى هذا الموضوع أستاذنا محمد علال الفاسى (المغرب الجديد — عدد ٣ — السنة الأولى)

وبعد ، فما هى حالة الأدب العربى بالمغرب اليوم ؟ لقد أجهدت نفسى فى أن أصل إلى جواب أطمئن إليه عن هـذا السؤال ، فما وجـدتُ الحقيقة إلا فى أنها حالة ضعيفة ؛ فما هى الكتب الأدبية — بالمعنى الصحيح — التى يصدرها المغرب ؟ . . . . . أعفنى بربك أيها القارىء ، فالحقيقة مرة ، وقلبى يضطرب عند ذكرها اضطراباً

وإذ عَدِمنا الكتب فلْنتساءل عن الصحف . إن كل ما يصدره المغرب مجلتان أدبيتان : الأولى « مجلة المغرب » للأستاذ محمد الصالح ميسة برباط الفتح ، والثانية « المغرب الجديد » للأستاذ محمد المكىّ الناصرى بتطوان ، اجتازت الأولى مرحلة أربع سنوات ، والثانية أتمت سنتها الأولى منذ قريب . فما قيمة ما تنشر هاتان المجلتان ؟ ذلك ما نريد أن نتحدث عنه الآن باختصار

فأولاً يجب أن تعلم أن المجلات المصرية — يا للمجلات المصرية ! — طغت عليهما إلى درجة أن إحداهما لا تباع فى فاس ، لأنها فقدت المشترى بالمرة وهما معاً تصدران شهرياً ، فلننظر الآن ما فى هاته المجموعات

أما ما يسمى بالبحث الأدبى ففيها الكثير ، خصوصاً حول الأدب العربى فى المغرب قديماً ، فهـذا البحث الذى يتابع نشره الأستاذ محمد علال الفاسى على الطريقة الحديثة ، عن أبى على اليوسى ، وبحثه القيم يبهر القارىء ؛ وهو يكتب الآن بحثاً عن أثر شعر المتنبى فى المغرب بمناسبة ذكراه الألفية ، وموضوع كهذا ، فى وقت بالمغرب كهذا ، يصدر بهذا العنوان الخطير ، يكاد لا يصدقه العقـل ، وأحكم على البحث بالبراعة والالمام بالموضوع لأننى اطلعت على جزء منه

وأما إذا بحثت عما يسمى بالانتاج الأدبى ، فذلك ما لا تعثر عليه ، فليس يدور بخلد المغربى أن يعالج القصة ، بل القصة عنده لهوٌ وعبث يجب أن يضنّ عليه بوقته الثمين . . . وهناك شعرٌ قليل ولـكنه نظم ليس إلا ، ذلك أن المغاربة يجهلون الشعر تماماً ، اللهم إلا قواعد جافة لا تسمن ولا تغنى من جوع . والذين يزعمون أنهم شعراء يزعمون كذلك أنهم أعلى من أن يحدثهم طه حسين مثلاً عن فن الشعر . يقلدون القدماء ويقفون ويستوقفون ، مما كان سائغاً فى العصور الغابرة أيام الناقة والجمل ، أما اليوم فـكل هـذا محاكاة لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، وليست من الشعر فى شىء . كذلك يفقدون المثل الأعلى ، وإنما هو هذيان يجرى إلى

لعلم من العلوم حتى يجيـدوا فهم القرآن الحكيم الجامع لكل العلوم ويجيدوا تفسيره

٤ — أن يترجم الأزهر خيرة المؤلفات العربية ذات العلاقة بالدين الاسلامى والرسول العربى الى اللغات الحية

٥ — أن يبعث ارساليات تبشيرية تحت كل كوكب تبشر بالحكمة والموعظة الحسنة للناس جميعا

٦ — أن يكتب سيرة الرسول العظيم كتابة تتفق مع ماورد فى الفرقان الحكيم والأحاديث الصحيحة ، ورأى المؤرخين السياسيين المنصفين

٧ — أن يترجم تلك السيرة ، أم الحياة ، الى اللغات الحية جميعها وأن يطبع ما صُنف من المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن الدين

لبيب الرياشى
(دمشق)

غير غاية ، وممان مفككة ، وهم ضعفاء الخيال ، والحقيقة أن حالة المغرب الاجتماعية لها الأثر الفعال فى هاته الناحية ، وهنا أستثنى شاعر شبابنا الأستاذ محمد علال العباسى فاسمع هاته النغمات الحلوة يرسلها قلب عليم قد امتلأ حباً لهذا الوطن العزيز :

وإذا متُّ عليــه فأنا مطمئن لرضاه المثمن
فاغسلوا بالمـاء منه بدنى واجعلوا نسج بنيه كفنى
وادفنونى فى ثراه وضعوا فوق قبرى منه زهر السوسن
وا كتبوا فوق ضريحى بدمى هاهنا قبر شهيد الوطن

واذا تصورت الشاعر منفياً عن مهد صباه ، بعيداً عن الأهل والوطن ، فى باريس ، طلبت منه أن تعيد النظر فى هاته الأبيات ؛ وهو لا زال لم ينشر ديوانه « روض الملك » بعد ؛ وله قصائد رائعة — عند ما كان فى باريس تجدها فى مجلة السلام ، يوم كانت مجلة السلام !

وأ كثر ما ينشر ويذاع من قصائد للمغاربة ردئ سقيم ، أشفق على قارئه وسامعه أ كثر مما أشفق على قائله . . .

والآفة التى تستولى على المغاربة هى الكسل ، وماذا يتطلب قول الشعر . . . هل يحتاج الى اطلاع فى التاريخ أو تحصيل شىء من الفنون . . . هكذا يظنون ، فينشأ الكسل

والنهضة المغربية تقوم على أ كتاف الشباب الناشىء ، فهناك شباب يكتبون لأنفسهم ، ويقولون الشعر لها أيضاً ، وربما أطلعوا بعض أصدقائهم على ذلك ، ويعد هـذا فالى ظلمات الدرج ، حيث يعلم الله وحده ماذا يكون بها ، وكاتب السطور يعرف جماعة من هؤلاء فى فاس اطّلع لهم على قصص لا بأس به ، وشعر له حظه من الجودة يبشران بمستقبل حافل . اذن فالأمل فى الشباب الناشىء الذى يقرأ بنهم ما يكتبه أفذاذ الشرق ، فاعتدلت بذلك أفكاره نوعاً من الاعتدال ، ويوشك ان هو استمر على اجتهاده أن يكون منـه ادباء ، يبذرون فى الأرض المغربية الخصبة بذور الأدب الصحيح ، بل إنى أؤكد أن هؤلاء الناشئين لابد أن يكون لهم شأن ، فما كانت هاته الجهود لتضيع هباء

بهذه اللمحة الموجزة تستطيع أن تتبين ما فى المغرب من أدب ، وأن تستنتج أنه فى الحالة الحاضرة ضعيف الأدب ، وأنه وإن لم يكن ميتاً فهو قريب من ذلك ، وأن حالة الناشئة تبشر بمستقبل زاهر قريب ، لما لهذا الشباب الطموح من عزيمة

والعقلية المغربية أقرب الى العلم منها إلى أى شىء آخر ، ولو كنا نتحدث عن الحالة العلمية لطال بنا الحديث ، خصوصاً ما يلقى فى جامعة القرويين من دروس جامعة مع اعترافنا بما فيها من نقص وما تحتاج اليه من تهذيب

ولعله استرعى نظرك أننا ما ذكرنا غير الأستاذ محمد علال العباسى فليس معنى ذلك أنه ليس فى المغرب غيره ، ولكن معناه ، أنه — فى نظرى — أعدل إخوانه الأدباء رأياً ، وأقربهم إلى الصواب ، فهو أديب حقاً ، وله نفسية الأديب ، ويحيا حياته ، وكل من يعرف وداعتـه وأخلاقه يطمئن إلى ما نقول ، بيد أنه لا يصرف كل أوقاته — ولا جلّها — فى الأدب ، بل اشتغاله به محدود ضيق الدائرة ، ولو كان يفعل لكان أديباً جباراً فما خُلق إلا ليكون أديباً

بقى أن نقول إن القرويين والمدارس القوميـة والحكومية كلها تحمد وتعاب ، غير أن أفضل معهد للدرس هو القرويين ، ولو كان أبناء « الكولج ومولاى ادريس » يشتغلون بالعربية ، لكانوا أنجب من أبناء القرويين ، ولكن كل همهم فى الأدب الفرنسى والتفرنج ، وهم زيادة على ذلك يعيشون فى ظلام لا يستطيعون السير فيه وحدهم

وهنا ننوّه بما (للرسالة) الغراء على أبناء المغرب من فضل ، فاليها يرجع طموح الناشـئة ، على هداها يسيرون ، وبنورها يهتدون ؛ فشكراً لك (يا رسالة) الحياة ، ولك أنت يا مصر الشقيقة ، فلن تجدى فى المغرب نكراناً للجميل

فاس — محمد عبد المجيد بن جلون

نهاية المجد الانسانى

لدانيل ديفوا Daniel Defoé

(١٦٦١ — ١٧٣١)

رسالة كتبها لاحدى الصحف بمناسبة موت الدوق مارلبرو

سيدى :

لقد أكببت أخيراً على درس التاريخ ، وطالعت حياة عظماء القرون الماضية كالاسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وأوغسطس العظيم ، وكثيرين غير هؤلاء وهؤلاء ممن تواردوا بعدهم حتى لويس الرابع عشر الكبير ، بل وحتى أعظمهم وأكبرهم « جون دوق مارلبرو.» ! ! ، ولقد مررت فى طريق بتيمورلنك حصاد الرؤوس ، وبتمور نبيجوس المصرى ، وبسليمان الكبير ، ثم بغير هؤلاء من سلاطين آل عثمان ، فاذا قد كتب عنهم جيعاً الواحد تلو الآخر بعد الآثار العظيمة التى خلفوها : « ثم مات » ! ! ! ؛ جيعاً أموات ! ؛ أموات ! ؛ أموات ! ؛ ؛ و «الموت» هو نهاية كل منهم ! ! فالبعض يرقد فى مهد الشرف ! والبعض على سرير الخضوع الذليل ! هـذا قد مات شجاعاً فى ساحة الشرف ! وذاك قد تردى فى هوة المجـد أثناء عاصفة الهجوم .! البعض هنا والبعض هنـاك ! تختلط عظام الشجاع الصنديد منهم بعظام الجبان الرعديد ! وبقايا البطل الجرىء يبقايا النكرة الدنىء ! يرقدون هناك فى أكفان النسيان تحت أنقاض الثرى ؛ لا يتميز واحد من الآخر ولايباينون التراب فى شىء ! »

« ترقد هذه الساعة الدقاقة الفاخرة مختلطة بالأقذار ؛ وهى التى كانت « عظيمة » فظنت نفسهـا عارفة مقتـدرة ! »

كم آلاف من الأبطال يرقدون فى هذا العالم أكواماً متناثرة ؟ كم يجرف الريفيون عظامهم بمحاريثهم وكم يسحقها العمال بفؤوسهم ؟ بل لكم تحول الأرض أنبـل وأسمى أعضائهم إلى ما يستعمل فى أحط المنافع ! لكم مزجنا رماد الأبطال بطلاء منازلنا ؟ ؟ ولكم خلطنا رماد قائد رومانى بملاط حظيرة للخنازير ! أين رفات (قيصر) ؟ أين بقايا (بومبى) وانقاض (سيبيو) و (هنيبال) ؟ ؟ كلهم قد تلاشوا ! ! اندثر رمادهم ولم يعد مكانهم يعرفهم ! لست تراهم إلا فى الكتب الباقية لشعرائهم ومؤرخيهم ؟ والرسائل الكثيرة لمداهنيهم ومتملقيهم الذين صوروا لنا الأشخاص لا كما كانوا حقاً ! بل كما كان يحلو لهم أن يصوروهم ! ! ! . . .

***

وما يقع لأعظم الناس يقع لأطولهم عمراً ! فقوم نوح انتهوا جيعاً بشىء واحد ؛ عاش منهم (متوشالح) تسعمائة سنة وتسعا وستين ! وأعقب أبناء كثيرين وبنات كثيرات ! ثم ماذا كان ؟ كان أن مات . . ! « الحياة حلم ، والموت نهر طام يجرفنا »

***

نحتفل الآن بجناز مارلبرو « العظيم » ! ! فـكل انتصاراته ، وكل مفاخره ، وكل خططه الحربية التى دبرها ، وكل فتوحاته المتسلسلة المطردة ، كل ذلك الذى يخصونه به كما لو كان وحده قد حارب وانتصر ، وفاز وكسب ، دون أن عده الكثيرون بأرواحهم ودمائهم ! كله قد انتهى حيث ينتهى آخرون ! بل حيث ينتهى الناس جيعاً ! إنه مات ! ! فلا ثروته الضخمـة ، ولا أسلابه من أعدائه ، ولاسخاء حبيبته البارة وكرمها ، ولا الكنوز المتراكمة فى الحرب وفى السلم ، ولا كل هاته الكتلة العظيمة من الذهب التى لا أعنى بتعيين ضخامتها كما قد يعنى البعض ! ! شىء من ذلك لم يستطع أن يهبه الحياة ؛ ولا أن يطيل له أمدها لحظة ؛ لقد انتهى وكفى . . . !

لا ، بل يقول البعض إن الكنز العظيم الذى امتلكه فى هذا العالم ذو خاصية غريبـة عالقة به كانت تكون جد منفعة لصاحبه لو اعتنى بالتفكير فيها قليلاً ! وهى أنه لايستطيع أن يأخذ شيئاً منه الى قبره ... !!!

لم يبق لنا شىء من ذلك « العظيم » نتحدث عنه غير تاريخه وتمثاله ؛ لقد عُدّ الآن فى الماضيات ، وأصبحت صور جنازته ومعاركه جديرة بأن تتزين بها منازلنا كسائر القطع الفنية التى

تعادلها زهواً وبهاء ، وتساويها فى النظر اليها بسرور وارتياح !!!

***

هكذا نهاية المجد الانسانى ! وقليلاً ما تستطيع الدنيا القيام به لأعظم من يلجونها ! بل ولأعظم قدر يصل اليه هؤلاء الرجال . . ! !

فما وظيفة الحياة إذاً ؟ وما أثر العظماء الذين يمرون على مسرح الدنيا فى حلل النصر كهؤلاء الذين ندعوهم « أبطالاً » ؟ ؟ أهو أن يكبروا وينفخوا فى بوق الشهرة ويشغلوا صفحات كثيرة من التاريخ ؟ ؟ واأسفاه ! ! ليس هذا بأكثر من وضع قصة يقرأها الخلف فيما بعـد ويصورها خرافة ورواية ! ! أم هو أن يقدموا للشعراء موضوعا يعيشون به فى أشعارهم الخالدة كما يدعون ؟ ؟ وذاك أيضاً سيؤول بهم إلى قصة شعرية يتلوها العجائز لأسكات الأطفال ، أو لجمع مساعـدة للفقراء والمساكين على قارعة الطريق . . !

أم أن أثرهم هو أن يضيفوا الفضيلة والتقوى لمجدهم ؛ وهما العنصران اللذان يأخـــذان بهم إلى النعيم ويجعلانهم حقاً خالدين ؟ ؟ وما المجد من غير فضيلة ؟ ؟

ليس العظيم من غير تقوى بأكثر من دابة ضخمة من غير نفس !

ثم ما الشرف بغير قدر واستحقاق ؟ ؟

وماذا يمكن أن يدعى قدراً حقيقياً غير ما يجعل الشخص تقياً كما هو عظيم ؟ ؟

إنا إذا كنا نؤمن بحـالة مستقبلة للحياة ، بمكان يكافأ فيه الفضلاء ، ويعاقب بين جدرانه السفلة ، فكم من الرؤوس المتوجة سيلبس تاج السعادة والخلد ؟ ؟

لا يحسدن أحـد « العظماء وذوى المجد » كما نسميهم ! !

فانا إذا استطعنا الآن أن نراهم وجدنا أكثرهم يستحق الرثاء لا التهنئة ! ! ؟

هذه الخطرات القليلة أبعثها اليك ياسيدى لتهيء عقول قرائك قبل أن يذهبوا لمشاهدة الجنـــاز الفخم للطيب الذكر « دوق مارلبرو » . . . . ؟

ترجمة محمد حسن ظاظا

الأدب بين الخاصة والعامة

لامرتين ورينه جارد

للسيد اسكندر كرباج

فى عام ١٨٤٦ قصـد الشاعر الفرنسى لامرتين إلى مرسيليا لقضاء بضعة أسابيع فى أحد أحيائها الهادئة ، بعيداً عن متاعب السياسة وضوضائها ، وكان لامرتين وقتئذ فى أوج مجده الأدبى وعظمته السياسية ؛ فاحتفت به أندية العلم والاجتماع فى تلك المدينـة البحرية ، وأكرمه الأدباء والشعراء ، ونظموا فيه القصائد البليغة

وفى ذات يوم ذهب لامرتين وزوجه للنزهة على ساحل البحر ، فلما عاد مساء قيل له إن فى الرواق المطل على الحديقة امرأة وضيعة الهيئة بسيطة الهندام تنتظر رجوعه منذ الصباح . فتوجه لامرتين إلى الرواق المذكور ليرى تلك المرأة الغريبة ويقف على حقيقة أمرها ؛ وبعد أن يشاهدها ويحدثها ويصف ملامحها ونظراتها واشاراتها بتلك الرقة الساحرة وذاك البيان الخلاب الذى اشتهر به مؤلف رواية غرازيلا ورفائيل يسألها عن الغرض من قدومها لزيارته ، فتجيبه أنها خياطة فى اكس ، وقد قرأت رواياته ومنظوماته ، وأعجبت بجمال تعابيره ورقة شعوره وسمو خياله ، فلما اطلعت فى الصحف على خبر قدومه إلى مرسيليا واحتفاء دوائرها الأدبية به تولَّدت فى نفسها رغبة التعرُّف به والتحدث اليه ، وانها على الرغم من فقرها وخمولها تجرأت على ترك عملها والقدوم سرا الى مرسيليا تحقيقا لرغبتها

فيتودد اليها لامرتين ويلاطفها ويقول لها انه يشك فى أنها تركت عملها وتحملت مشاق السفر يومين كاملين ، وقضت معظم النهار فى انتظار رجوعه من نزهته لكى تراه وتحدثه وتتعرف اليه فقط ؛ بل يجب أن يكون هنالك سبب آخر لقدومها لا تريد ذكره ، أو إنها لا تجرؤ على التصريح به ، ولذلك فهو يسألها أن تخاطبه بحرية وتبوح له بما فى قلبها من غير تكلف

فتفقد هى إذ ذاك شيئاً من خجلها واضطرابها ، وتخبره أن فى إكس أسرة كريمة تعرف شدة ميلها إلى المطالعة وعجزها عن شراء الكتب فتعيرها ما تقتنيه منها ، فاستطاعت بذلك أن تطالع

عددا كبيراً من الروايات النفيسة والمنظومات الرقيمة ولاسيما رواياته ومنظوماته التى تطرب المسامع ، وتحرك القلوب ، وتستذرف الدموع

فيقاطعها لامرتين مبتسما : عرفتُ الآن ! إنك شاعرة كالنسمات التى تهبُّ بين أشجار الزيتون ، أو كالندى الذى يبلل أثمار التين !

فتجيبه : لستُ شيئاً من ذلك ياسيدى ؛ إنى خياطة وضيعة لا أبرح غرفة عملى إلا نادرا ، وسلوتى الوحيدة الدرس والمطالعة ، وليس يؤنسنى فى وحشتى وانفرادى إلا عصفور غرِّيد ، ولكن هذا كله لا يهمك أمره ، لقد سألتنى عن سبب قدومى إلى مرسيليا وكيف عرفت بقدومك اليها ، فأجيبك أنى قرأت منذ أيام فى صحف هذه المدينة أبياتاً من الشعر الرقيق ليوسف أوتران فى مدح لامرتين والترحيب به ، فشوقتنى هذه الأبيات إلى رؤية الشخص الذى أوحى إلى شاعر مقاطعتنا نظم تلك الأبيات الجميلة ، وبتُّ لا أستطيع صبراً على ذلك . وبعد وثوق من وجودك هنا قدمتُ لزيارتك دون أن أهتم بملبسى أو بغيره مما يجعلنى أهلا للمثول فى حضرة رجل مثلك ؛ وهأنا أمامك الآن لا أدرى ماذ أقول ولا ماذا أفعل ، وربما حملتك حالتى هذه على الاعتقاد بأنى امرأة جسور مغامرة أتت تخدعك وتدعى ما ليس فيها ، مع أن الحقيقة هى ما أوردته لك بالتمام ، وبعد أن شاهدتك وعرفتك وحدثتك وحظوت منك بهذا الاستقبال اللطيف سأعود إلى قريتى حاملة أجمل ذكرى لهذه الزيارة

فيقول لها لامرتين : خفنى عنكِ أيتها الآنسة ! لم يمر فى خاطرى قط أنكِ لست كما تذكرين ، فملامحكِ أنصع دليل على صدقكِ وسلامة طويتك ، وإذا كانت الألسنة تخدع أحياناً فالعيون لا تضلّل أبداً ؛ ففى عينيك بريق يشفُّ عن براءة ونقاوة لا يمكن أن تكونا برقعاً لامرأة كاذبة نمامة . إن الطبيعة لم تخلق الملامح كذوبة ، فأنا أثق بكِ كما لو كنت أعرفك منذ الصغر ، ولذلك لا أسمح لكِ بالانصراف ما لم تحدثينى طويلاً وتشاركينا فى العشاء ؛ لقد ذهبت زوجتى لتغيير ثوبها ولا تلبث أن تأتى لاستقبالك والقيام بواجب الضيافة نحوك . وقبل أن يحين وقت العشاء أخبرينى كيف تولد فيكِ هذا الميل إلى المطالعة ، وهذا الهيام الشديد بالشعر والشعراء ، والتعرف إلى الأدباء الذين طالعتِ رواياتهم

فتروى له قصتها قائلة : إسمى رينه جارد ، وقد وُلدت فى قرية قريبة من إكس ، ودخلتُ صغيرة فى خدمة السيدة ... ورافقت نشوء الأولاد ، ونعمت بعطف الأبوين وصداقة الصبايا ، وكنت أصغى إلى ما يتعلمنه على الأساتذة وأطالع كتبهن فى أوقات الفراغ ، فتوصلتُ بهذه الواسطة إلى تحصيل بعض العلوم ومعرفة القراءة والكتابة والخياطة والغسل والكىّ وغيرها مما تحتاج إليه الفتاة ويكلفها تعلمه نفقات كبيرة . وكنت أتولى خياطة ثيابهنّ ، وأعدهن لحضور الحفلات فى إكس ، وأنتظر رجوعهن من المراقص حتى الساعة الثانية والثالثة بعد نصف الليل ، ومكافأة لى على ذلك كن يدفعن إلى كتاباً أو رواية لكى أطالعها فى غيابهن ؛ فكنت أجلس بها إلى جانب الموقد وآخذ فى مطالعتها مرتين وثلاثاً ولا أتركها من يدى إلا بعد أن أكون قد استوعيت معانيها جيداً ؛ وهكذا طالعتُ قصة المسكينة لورانس فى رواياتك الشعرية جوسلين ، وقد قلت لنفسي وقتئذٍ : هل يسعدنى الحظ برؤية كاتبها ومحادثته ؟ لا ريب أنك تعرف أنشودة البحرى التى مطلعها : من هو ناظم النشيد ؟

فيجيبها لامرتين : نعم أعرف تلك الأنشودة التى يضع ناظمها اسمه تحت آخر بيت منها كما كان فيدياس يضع اسمه على قاعدة تماثيله ، وڤانديك فى ذيل رسومه لكى يخلد بخلودها . ولكن أخبرينى كيف انفصلت عن تلك الأسرة الكريمة ، وأى عمل تمارسين الآن ؟

فتقول له رينه : بعد أن تزوج البنات وتوفيت الأم لم يعد من حاجة إلى بقائى فى البيت ، فغادرته على ألا أدخل فى خدمة غيره ؛ وقد ساعدنى الأب بمبلغ من المال على تدبير أمورى ، وقال لى البنات : اطمئنى فلن نحوجك إلى الاستجداء

وكنت محبوبة معتبرة فى بيئتى ، فاستأجرت حانوتاً تعلوه غرفة صغيرة للنوم ، وانصرفت إلى احتراف الخياطة ، ولكثرة الاقبال علىّ كدت لا أستطيع تلبية الجميع ؛ وأنا أعيش اليوم من إبرتى ، وما يفيض عن نفقاتى أختزنه ليوم الضيق أو لأيام شيخوختى . وكانت لى عصفورة تسلينى فى وحدتى ففقدتها وحزنت عليها كثيرا ، وأنا أخصص أيام الآحاد والأعياد للمطالعة . وفى المدينة أشخاص من الطبقة العالية مثلك ، وعلماء وأدباء حتى وبعض أعضاء المجمع العلمى يعرفون ميلى إلى المطالعة والنظم فى بعض الحفلات ، فلا يخجلون من دخول مصنى ومحادثتى واعارتى بعض الكتب

فيقول لها لامرتين مبتسما : أتنظمين الشعر أيضاً يا رينه ؟ كدت استشف ذلك من عينيك الحالمتين ، إذ لا سماء بدون غيوم ، والأحـلام والنظم هى غيوم تينك العينين الجميلتين ؛ ولـكن هلمى بنا ، لقد هجرت أنا النظم ، ولـكنى لم أزل أحن إلى سماع رناته والاستمتاع بروائع صوره ومعانيه . فما أجمل زمن النظم ! وما أشد شوقنا اليه ! هل تتذكرين يا رينه شيئاً من نظمك فتسمعينى إياه ؟ انظرى ما أبدع هذا المكان وألطفه لانشاد الشعر ! فالشمس على وشك المغيب ، والبحر يحمل إلى مسمعنا هدير أمواجه وخشخشة أصـدافه التى هى أشبه بغناء صغيرة تضرب على الصـنج ، والنسيم يداعب أشجار الليمون وينثر أزهارها العذرية على شعرك الأسود ، وأنا ، هذا الغريب الذى كان شاعرا فيما غبر من الأيام ويجلس وحيـداً أمامك ليسمعكِ وقد أعجب بنبرات صوتك ، ألا يساوى كل هذا فى نظرك جمهوراً من السامعين حتى ولو كانوا من أعضاء المجمع العلمى ؟

فتجيبه رينه : لا جرأة لى على ذلك ياسيدى ، ولـكننى أحتفظ بمقاطيع من الشعر كنت قد نظمتها فى إحـدى ساعات كآبتى ، فأفضل أن تقرأها أنت من أن ألقيها أنا على مسامعك . ثم تخرج من جيبها بضع أوراق وتدفعها اليه

فيأخذها لامرتين ويقرأها لنفسه ، وكانت هى فى أثناء ذلك تمسح وجهها بمحزمها وتحول نظرها عن وجه لامرتين مخافة أن تقرأ فيه ما يدل على استهجانه

ثم يصف لامرتين تأثير تلك القراءة فى نفسه فيقول له :

لقـد أعجبت وتأثرت جداً بما قرأت ، انه التعبير الساذج اللطيف المؤثر بكل قوته ومعانيه ، بل خلجات قلبٍ هادئة تصل الى السامع بصورة شجية متناسقة ، بل صورة ملامحها المتواضعة التقية اللطيفة بكل خطوطها وعلاماتها ؛ وبكلمة واحـدة ، انه شـعر حقيقى لامرأة تحاول التعبير عن عواطفها بالضرب على أوتار آلة تجهلها

لم تـكن الأبيات التى طالعتها شديدة أو رنانة كشعر راول ، ولا حماسية وهاجة ، أو ندية فضفاضة كالياسمين ، بل كانت هى نفسها : نغمة مملة كئيبة تنشدها عاملة فقيرة لنفسها وهى تحرك أناملها أمام نافذة غرفتها لـكى تخفف تعبها من عمل الابرة

كان فى الأبيات نغمات حادة تجرح القلب ، وأخرى لا تحتوى إلا نبرات غامضة لا تلفظ كأن التنفس وقف فى منتصف الاستنشاق ، غير ان هذا كان قوياً وتاماً ومتغلغلاً حتى القلب وحتى السماء ؛ وكان التأثر فيها يفوق الاعجاب . وعلى الجملة أنها الشعر فى حالة التكوين ، الشعر الذهبى كما هو فى كل مكان حيث يبتدئ فى الشعب ولو خلا من صوت الفن ، ان نغمة واحدة مملة كئيبة ، وقصة تتألف من حادث أو حادثين ، وسبع أو ثمانى صور كافية للتعبير عن اللانهاية !

ثم يرجع لها الأوراق قائلاً : إن فى منظوماتها أشياء خلابة وأن الله منحها موهبتين سـاميتين : الشعور بدقة ، والتعبير بظرف ؛ وهما موهبتا المواهب ، أو موهبة الدموع فى الصوت ، ولـكنه أبعد من أن يشير عليها بنشر تلك المنظومات التى هى مثل المياه لا تستعذب الا اذا نهلت من ينبوعها

فتجيبه رينه : ماذا تقول يا سيدى ؟ انى لم أفـكر قط فى أمر كهذا ، إن اقدامى على نشر الـكتب يحمل حتى ملاكى الحارس على السخرية بى . لقد نظمت ما قرأته الآن يوم الأحد الأخير على سبيل التسلية فقط ، ولا أحد يعلم به فى اكس . ومتى كان الانسان يعيش وحيداً مثلى يضطر الى التكلم عالياً كى يستوثق من وجوده ، فالمنظومات التى قرأتها هى مناجاتى لنفسى

(العصبة) **اسكندر كرباج**

من العصبة الأندلسية

نحن والزمن

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقـــدمة :

الزمن كما يفهمه الانسان فكرة من أفكاره ، ونسبة ومقياس من صنعه ، فهو يقيسه باحساسه بأمور نفســه وبالمرئيات والمحسوسات وما يعتريها من تحول ؛ وفكرة الزمن هذه أمر نسبي شأنها شأن الاحساس بالحرارة والبرودة ، أو بالابعاد والحجوم والألوان والأشكال ، ومن المستطاع أن يتصور العقل مخلوقاً آخر غير الانسان يختلف فى حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور فى نظره عنها فى نظر الانسان ، وهى أيضاً قد تختلف فى نظر الانسان فى حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة أو مرض أو صحة . والعجيب أن الانسان فى خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه ، فيصوره كأنه شيخ مفن فى يده منجل يحصد به الناس والخليقة جيلا بعد جيل ، والدهر خليق أن يمثل بفتى فى ريعان الشباب . فالانسان يهرم والدول تشيخ وتفنى ، والأجيال تنقرض ، والدهر هو الدهر ، ومن أجل ذلك تصور بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لاماضى فيه ولامستقبل ، وأما الماضى والمستقبل فنى الناس ، والحقيقة أن هذه الفكرة فى كنه الزمن لا تختلف عن الأولى مادام الزمن نسبة يقيسها الانسان باحساسه ، وإذا كان الزمن كذلك فمعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم ، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هى نسبة الظلم إلى أنفسهم (الناظم)

القصيدة : —

يَنْشِدُ البَحْرُ خَرِيرَ الحِقَب ... أم خفوقُ القلب نبضُ الزمنِ [1]

أم ترى الأفلاكَ فى دوراتها ... رَتَّلَتْ منـــه خَفِيَّ اللَّحَنِ

فَرَش الناسُ له منهم وُجُوهاً ... خَدَّدَ الدهر بها ما خَدَّدَا

أثرٌ فى سيره مِنْ قدم ... جَعَّدَتْ ما كان بَضًّا أمردا [2]

زعم الناس إذا أمضاهمُ الـ ... ـدهر أنْ أمضوا من الدهر سنينْ

يستطيع البذل من يقوى على ... خَزْنِهِ هيهات ذا من هالِكين

كم ملوك ودهم لو تُشْتَرَى ... منه عند الموت بالذخر التليدْ

سَنَةٌ أو ســاعة أو طرفة ... فإذا الدهر قضاء لا يحيدْ

إيه يادهر لقـد شاطرك الـ ... ـحُكْمَ فى الناس قضاء لا يحول [3]

أرْدِهِ يا دهر واعقـد غيره ... إنما القِرْنُ على القِرْنِ يصول

كم شــقىٍّ أبطأ الموت له ... ودهُ أن لو يدنِ الأسرعا

سَلَّمَ الدهر عليــه مثقلاً ... ثم ما أبطأ حتى هـرعا

وسعيد يجتنى من عيشه ... زَهَرًا يرجو لو الدهر تأنى

فسواء مُتْعَسٌ أو مُسْعَدٌ ... أين مَنْ يحمد خَطْوَ الدهر أيْنا

نحن نبغى من زمان فسحة ... هل ربحنا من زمان وقد قضى [1]

لو يعود الدهر مردود الخُطَى ... لفعلنا فعلنا فيما مَضَى [2]

وصفوا الدهر بشيخ حاصد ... أشيب فى يده كالمنجـل

وهموا فى شيب دهر يافع ... ذى فَتَاءٍ خالدٍ لم يَنْضُبِل

يسرق الدهر بهاء رائعاً ... ويعير النُّؤْىَ حُسْناً أروعا

فهو كالرسام يمحو صورة ... ثم يســتنبط رسماً أبدعا

وتَرَى الدَّهْرَ مُغيراً آسيا ... يده تأسو وأخرى تجرح

والذى فى القوم بالرزء يصول ... يمنح السلوان فيما يمنح

ولعل المُضْمَرَ المخبوء من ... مصرع الدهر يُرَى بالأعين

مصرع الدهر ممات للدُّنَى ... كيف يبغيه الورى بالإحَنِ

موته موت لمن قد قاســه ... باتصال الفكر أو خفق القلوب

عجباً نحن خلقناه فما ... نسبة الظلم إليه والعيوب [3]

عبد الرحمن شكرى

(الرسالة) ربما كان للعروضيين فى بعض أبيات القصيدة رأى لا يتفق مع حرية الناظم

---

(١) فى البيت تشبيه للدهر بالبحر ، وكأن له خريراً من تعاقب أجياله كخرير البحر من تعاقب أمواجه ، وكأن الدهر أيضاً قلب نبضاته كدقات الساعة التى يقاس بها الزمن ، أو كنبضات قلب الإنسان الذى يقاس الزمن باحساسه

(٢) كأن أخاديد التجعد فى وجه الانسان آثار قدم الدهر وهى كآثار قدم الانسان فى الرمال

(٣) القضاء لا يحول عما يراد بالخليقة

(١) فسحة من الزمن : أى زيادة منه ، وقضى : أى مات واندثر ومضى

(٢) كثيراً ما يمنى الانسان نفسه بأنه لو عاد إليه ماضى عمره لفعل به غير ما فعل ، وهذا وهم ولا يغير أفعاله إلا إذا تغيرت نفسه

(٣) خلقناه بمعنى أنه فكرة نسبية يتخذ الانسان لها مقياساً من حواسه وهى ليست كل ما يمكن أن يكون من الحواس

مواجِعُ شاعر

[مهداة إلى رفيقي الأستاذ أنور العطار]

للأستاذ زكي المحاسني

إن أشعارك المآتم فيها
كل بيت بصيب الدمع يشرق

إن حياة صفت فأنتَ مُوَفَّقْ … تترك الحزن والبكاء وتَعْشَق
والشكاة التي تدوم ملالٌ … رُبَّ قَلْبٍ لا يَشْتكي يتمزَّق
هل حلفتَ اليمين أنك في النَّوْ … حِ ستغدو مثل الحمام المُطَوَّق
إنَّ أشعارك المآتمُ فيها … كل بيتٍ بصيِّبِ الدمعِ يَشْرَق
أنا أدرى بسرِّ نفسك في الهَـ … ـمِّ وعندي لك الدواء المُفَوَّق
أقْتُلِ الهَمَّ بالسلوِّ لتحيا … خالص النفس كالذي اليوم يُخْلَق
واهدم البيت واتْرُكْهُ يباباً … في يَدِ الريح عنده البوم يَنْعق
وابْنِ في نفسكَ الجديدة بيْتاً … بالأمانيِّ والسرور تَزَوَّقْ
كيف تحنو على الذي ليس يحنو … ويَنَام الدُّجى وأنت مُؤَرَّق
الهَوَى بالبديلِ . وهو شقاءٌ … إنْ عَلِقْنا الذي بنا ما تَعَلَّق

يا حبيبي يا من فديتك أبصِرْ … ني مَلِيًّا وفي فؤادي تَعَمَّق
رُبَّما قد شَمَمْتُ زهرك في عُنْـ … ـفٍ ويا ليتني به أترَفَّق
أنتَ نَغَّصْتَ بالفتون حياتي … فإذا لاحَ لي جمالُكَ أَشْهَق
كم تأمَّلْتُ في بهائكَ حتى … ضِعْتُ عني وكادت العين تُزْهَق

يا رفيقي الذي ألومك إنّي … في شجوني بلوم نفسيَ أخْلَق
فيمَ لا أستطيع أكتبُ شعراً … عن دماء في مطاب الحقِّ تُهْرَق
أنا طيْرٌ خلقتُ في القفصِ الحلْـ … ـوِ وموتي يجيئني حين أُطْلَق
لي عذابٌ متى تفكرت فيه . … صار دمعي في مقلتي يترقرق
إنْ أتاحَ الزمانُ تغييرَ حالي … سِرْتُ مِنْ هِمَّة الزمان بفيلَقْ
وتعاليتُ في عظيم المعالي … مثل نسرٍ في قُبَّة الجوِّ حلّق

دونك الوجد فابكِ ما اسطعت شعراً … فصفاتُ الأزهار أن تتفتَّقْ
يُشْبه الشاعرُ البخورَ فلا ينْـ … ـشُرُ طيباً حتى على النار يُحْرَق

إلى النسيم ... (*)

بقلم العوضي الوكيل

هُبَّ وافتح مغالق النفس فتحا … وامسِ في مهجتي مساء وصبحا ..
وتهامس إليَّ ؛ ياما أحيلى … لغةً منك في المسامع فصحى !
وتحمل من البحار قطاراً … وتحمَّلْ من الأزاهرِ نَفْحا

***

واشمل الكون يا نسيمُ وجىءْ قلـ … ـبي ، فخدُّ المَطافِ قلبٌ بصيرُ
مُقلتايَ اللتان لا تريان الـ … ـكَوْنَ إلاَّ كما يراهُ كثيرُ
لا تُمَدَّان خاطري نعمانٍ … لذَّ فيها الأسى ، ورقَّ السرورُ
ليس بالكونِ ما تراه عيوني … إنما الكونُ ما يراه الشعورُ !

***

مُرَّ بي عابساً ، ومُرَّ ضحوكاً … وأتني بائساً ، وجئني سعيدا
رُبَّ شاكٍ نقلت شكواه عندي … فتهادتْ بين الضلوع نشيدا ..
وأخي صبوةٍ يبثُّ حنيناً … بتُّ أشدو بما يحنُّ قصيدا !
إنَّ قلبي كمرصد ترسم الأنـ … ـسامُ فيه على الشغافِ الوجودا

***

أيهذا النسيم ، وانقل سلاماً … من حبيبٍ إلى حبيبٍ ناءِ ..
إن أسرَّا إليك يوماً بأمرٍ … فإلى الكتم .. لا إلى الإفشاءِ ..
ونعِمَّا النسيم في الصيف يهفو … لفؤادي الحزين كلَّ مساءِ ..

العوضي الوكيل

(*) من ديوان « تحية الحياة » يصدر بعد ثلاثة أسابيع . . .

غيرة

بقلم السيد الياس قنصل

أيَّ معنى فيك من سرِّ الهوى … بث في نفسيَ أطياف الألم
فغـدا حبيبي منها ظمئاً … لا لحاً ليسَ يروّيه قَسَمْ ؟
إنني أعرفُ ما تورثه … فيكِ نجوايَ من الدل الثمين ؟
فإذا كان حديث الحبِّ من … فم غيري ، فلماذا تشعرين ؟



قصة عراقية واقعية

الشفاء ..

بقلم سعيد عبد الاله الشهابى

جلست على أريكة فى سهوم أخاذ تطالع عيناها كتاباً بقى مفتوحاً على مائدة صغيرة أمامها زهاء الساعة دون أن تتلو حرفاً أو تقلب صفحة . كانت عيناها السوداوان الساجيتان العميقتا المعنى تنظران وتطيلان النظر فى لا شىء كمن يريد أن يستشف ما وراء حجب المادة . وتناولت سيكارة صغيرة مذهبة من علبة جميلة من العاج حمراء ، وتنهدت عميقاً كمن ازاح عن صدره ثقل ، وراحت تنفث الدخان ذاهلة ، وربما ظنت أن الغرفة لا تضم سواها

تلك كانت حالها منذ حلت هذا البيت .. بيت كبرى اختيها ، وكانت هذه متزوجة برجل من ذوى القربى الأبعدين ، وهو من موظفى الدرجات المتوسطة فى الحكومة

***

تقدمت منها خادم تحمل فى صينية قدحاً من البلور الصافى صغيراً فيه شاى كانت تفضل الشرب منه ، ووضعته أمامها على المائدة الصغيرة وانسحبت بهدوء

بقيت زهاء ربع ساعة ساهمة كالحالة ثابت بعده إلى نفسها والتفتت إلى جليساتها ، وهن من صديقات اختها الحميات وبعض قريباتها ، وكن يتحادثن بصوت خفيض حرصاً على تركها فى تفكيرها إذ كانت إلى نفوسهن أقرب وإلى قلوبهن أحب .. فلقد وجدن فيها شابة مكلومة الفؤاد خائبة الأمل .. والمرأة بطبيعتها تعطف على المرأة

***

أحبت فتى من ذوى قرباها لم تعرف سواه . يوم لم تكن سنها تتجاوز السادسة عشرة . بادلها الحب فأخلصت له وأحبته بأقصى ما تستطيع المرأة أن تحب .. حتى إذا أوشكا على الزواج عافها وولاها ظهره .. واختص نفسه بواحدة سواها .. كانت صديقة لها . ربما كان له بعض الحق فيما فعل لولم يبادلها الحب فى أول الأمر ، لكنه انغمر وإياها فى لج بحره الطامى جنباً إلى جنب ، حتى إذا بعدا عن شاطئه فأضناها التعب وأضحت مكدودة تخشى الغرق فى قاعه عاد وتركها لينجو بنفسه .. وقد مرت على ذلك سنتان ؛ فيا للقسوة ويا للظلم !

لم تعد تستطيع العيش حيث نكبت فى قلبها ، فما لبثت أن حزمت متاعها وزمت حقائبها واستقلت القطار السريع من البصرة مسقط رأسها .. إلى بغداد حيث أختها . فلقيت حنواً وعطفاً لا مزيد عليهما

***

شربت قدح الشاى بأسلوب خاص ورشاقة فذة .. ثم شرعت فى محادثة جليساتها بصوت موسيقى رخيم تخللته ضحكات صافية الرنين لكنها قصيرة يختفى تحتها ألم مكبوت وهم دفين

وجذبت نفساً طويلاً من سيكارتها ، والقت على متكأ

كلما افترَّ محيَّاكِ انجلى ... كلُّ مافى الحسن من شكل وفنّ

أفتبقى هذه الفتنةُ فى ... هذه البسمةِ ان أبعدتِ عنى ؟

ويظلّ السحرُ فى عينيك إن ... كان غيرى فى مرامى نظراتك

وإذا حدّثتِ ، مثلى يجتنى ... متعاً رائعة من كلماتك ؟

إنّ للغيرةِ فى صدرى يداً ... جعلته مذبحاً للشُعلِ

خبرينى كيف أدرى ان بدا ... لكِ فكر أو خيال ليس لى ..

(عاصمة الأرجنتين) **الياس قنصل**

الأريكة برأسها الجميل فبدت تقاطيع وجهها الرائع الفتان وجيدها الأتلع ، وتناثرت خصل شعرها الكستنائي السبط فبان جبينها الأسمر العاجي الوسيع . . ونفثت الدخان ناظرة إلى السقف ، كان صدرها يعلو ويهبط باتزان ، وكانت عيناها الجميلتان تشعان شعاعاً ينم عن ذكاء متقد وحس دقيق وعاطفة فياضة متوثبة وروح حزين وثقة بالنفس نادرة عند النساء . لم يكن شأن من شؤون الحيـاة ، غير ذكرى حبها ، ليشغل بالها . فليس سبب قلة كلامها وطول تفكيرها وإيجازها ان تحدثت إلا تلك الذكرى ، فموارد عيشها كانت وفيرة برغم كثرة مصاريفها ، فهي فى حرز ومأمن من هذه الوجهة . فلقد كان ماتدره عليها أملا كها الموروثة عن الجدود ما يفيض عليها النعمة

* * *

ودار بخاطرها طائف من الشك : لمـاذا هجرها حبيبها ؟ أهي غير جميلة ؟ وبدا لها أن تخرج من الغرفة ، فاستأذنت عجلى ودخلت غرفتها وأغلقت الباب بالمفتاح وأقبلت على المرآة الـكبيرة فى خزانة الملابس وراحت تحدق فيها . فاطمأنت وزال شكها وأخذها شبه غرور . لـكنها سرعان ما أحست بألم يرمض فؤادها وبنار تحرق وجهها ورأسها ، وتخاذلت تخاذل المرأة المطعونة فى كرامتها ، وألقت نفسها على السرير قبالة المرآة ، وراحت تناجي نفسها : إيه أيتها الطبيعة ! هل أوجدت هذا الجمال الفتان ليقاسي هذا العذاب ؟ فهل مثل هذا الشباب الغض يستحق هذا العقاب ؟ وهل مثل هذه الروح الفتية تستحق خيبة الأمل ، وتابعت محادثة نفسها ، وهي تنظر إلى صورة لأفروديت كان الحبيب الغادر أهداها لها ، وأنت يا آلهة الحب . ربطت روابطك قلبي بقلبه فأخاصت وخان . . ولبيت نداءك وصم هو أذنيه . . فما بالك أيتها القاسية تعاقبين المخلص وتتركين الخائن . أفما كنت ترحمين المخلصة بأن تحليها من العقود التي ربطتها بها . أنظرى إلى هذا القد الأهيف المياس ما أشد نحوله . أنظرى إلى هـذه الصفرة التي ليست من ظاهرات الشباب الحي . . أفيكفي أن يكون الوجه ساحراً والعينان فتا كتين لتكون دليل الحيوية والنشاط . إن هذا السحر العظيم فى تقاطيع هذا الوجه ، وهذا المعنى البليغ العميق فى هاتين العينين ، ليسا إلا ظواهر الحب الدفين ، فجردها منه تجدى شبحاً من الأشباح

* * *

دق باب غرفتها فأذنت ودخلت (فيروز) وهي مربيتها وخادمتها الخاصة ... تدعوها فعادت معها إلى حيث كانت أختها والرفيقات . . لقد خشين عليها الوحدة فدعونها . . لـكن نفسها كانت تزخر بشتى العوامل . . الحب ، البغض ، الغـــيرة . . ولـكن كرامتها أخذت تتيقظ فتعمل على اخماد هذه العوامل . . ودعـت (فيروز) وطلبت منها أن تغني الأغنيـة التي تحبها . فاتخذت هذه وضع من يريد الغناء وشرعت فى الأغنية الشعبية العراقية المعروفة :

جَلْبَـكْ صَخَرْ جلمود ما حَنْ عَلَيَّـهْ
وأنت بِطْرب وبكيف والْبِيَّـــــهْ بِيَّـهْ

وما أتت فيروز على الأغنية حتى شرعت تبكي . . وشاركتها الجليسات . وفيما هن فى ذلك دق الباب الخارجي . . فهرعت اليه فيروز وعادت تحمـل رسالة حمراء اللون عرفت من لونها أنهـا رسالة برقيـة وكانت باسمها . كانت البصرة مصدرها . . من البصرة . . . يا لله . . فضتها بيد مرتجفة وقرأت :

« ماتت زوجتي بالتيفوئيد منـذ أسبوع . أسفت كثيراً على ما فعلت . . إني قادم اليكم بعد يومين . . » .

تغيرت سحنتها تماماً بعد تلاوة (البرقية) وتألقت عيناها بعزم ثابت ونظرت باحتقار إلى البرقية التي كانت لا تزال مفتوحة ومزقتها قطعاً صغيرة وألقتها فى الموقد الذي كان بالقرب منها . وقالت تتمتم :

ماتت زوجته ! . إنه قادم بعد يومين ! . ما أسخفه وما أقل عقله ! ماذا حسبني ؟ هل يظن أني سأبقى محبة له بعد الآن ؟ . . إن هذه البرقية خاتمة آلامي . . فلأسعد ولتمد الى الحياة . . ألا تباً له من رجل جبان . . يريد أن يسلو بي زوجته . فيا للذلة ! ويا لسخرية القدر ! ليذهب وليلحق بها . . فما عدت أراه إلا خنزيراً فى عيني

واشتدت ثورة نفسها وعظم سخطها فجاءت برزمة من الخطابات وبعض الصور مربوطة بأنشوطة حريرية حمراء وألقتها كما هي فى نار الموقد . وناولت البرقية لأختها ورفيقاتها مجيبة بها على نظراتهن المتسائلة

(بغداد — ضاحية الأعظمية) سعيد عبد الاله الشهابي

اعتـــذار !

للأديب حسين شوقى

عزيزتى :

أبادر بتقديم اعتذارى الحار من مشهد الغيرة السخيف الذى مثلته أمامك أمس ! . . وما زلت أشعر بخجل شديد كلما فكرت فيه . . فى الواقع لم يكن الذنب ذنبى ، بل هو ذنب قلبى الضعيف ؛ ولقد عاقبته على فعلتـــه إذ عنّفته تعنيفاً شديداً ، ولكن هذا القلب قد يستحق أيضاً عطفك وحنانك ، إذ هو آلة ليس غير فى يد تلك القوة الجبّارة القاهرة ، قوة الحب ! مسكين قلبى ! إنه مطارد دائماً بنار حامية تدفعه إلى خلق مثل هذه الريب والظنون ، ولكنها فى الوقت نفسه نار طاهرة مثل نار المجوس ، لأنها نار الحب المقـدّس ! كم كنتُ غبيّاً فى غيرتى تلك ! فما الضرر فى أنك تحدّثتِ إلى س . ! ألا تتحدثين إلى مئات من أمثاله كل يوم أثناء عملك ؟ كذلك كان يجب علىّ أن أراجع نفسى فأقول إنه لا يهمك لأنك تبغضين مثل هذا النوع من الرجال المغرورين بجمالهم . فكم كانت ثقيلة متكلفة تلك الابتسامة التى علت شفتيه أثناء تحدّثه إليك !

عزيزتى إذا كان قد أزعجك قليلاً ما بدر منى بالأمس ، فان ما حدث لى أنا فيه العقاب الكافى على فعلتى ، إذ رأيت الهول ليلة أمس فى حلم فظيع . .

شاهدتك فى غابة عظيمة ، لعلها من غابات الهند ، لضخامة أشجارها وكثافة أدغالها . كنت تتنزهين فيها مع شاب لم أتبيّن شخصيته ، لأنه لم يلتفت وراءه قط أثناء السير ؛ أما أنت ! فقد عرفتك من فورى يا عزيزتى ، من شعرك الذهبي الرائع ، من مشيتك الأنيقة التى تفردت بها دون نساء العالم أجمع ! . . ولكن الغابة كانت أثناء هذا تحترق ، والدخان الكثيف يتصاعد من كل مكان . . بادرتُ إلى مناداتك لتخرجى من الغابة ، ولكنك التفت إلىّ دون أن تجيبينى ، كأنك لا تأبهين بالخطر المحدق ، بل تؤثرين التنزّه مع ذلك الشاب وتفضلينه على كل شىء ! . .

أردتُ أن أعدو نحوك لانقاذك بالقوة ، ولكن ساقىّ اللعونتين أبتا علىّ ذلك كأنهما تحجّرتا . . .

أما النار فقد أخذت تزداد عنفاً حتى اضطرت الوحوش إلى الهرب من الغابة ، والمدهش فى هذا الحريق أن ألسنة النار المنبعثة من الأدغال اتخذت أشكالاً مروعة ، بعضها كان على صورة الثعبان والبعض اتخذ شكل التنين . . على رغم هذا كله ، كنت تتابعين نزهتك فى اطمئنان مع ذلك الشاب الذى تأبط ذراعك اليسرى فى حرارة واشتياق . . . أخذت أناديك مراراً ولكن بلا جدوى ! إذ كنتِ تلتفتين إلىّ ثم تستأنفين حديثك الشائق مع صديقك ! ولكن هذه الحال المؤلمة لم تدم طويلاً ولله الحمد ! إذ سقطت إحدى لوحات سريرى الخشبية من تحتى فأيقظتنى من النوم ، وخلصتنى من هذا الكابوس !

هنا . . أشعلت سيجارة وخرجت إلى النافذة لأستنشق الهواء لأنى كنت متعباً من هذا الحلم كأن ما حدث لى وقع فعلاً . . . وكنت فى الوقت نفسه شديد الرغبة فى استئناف النوم للعودة إلى هذا الحلم برغم بشاعته لمعرفة شخصية ذلك الشاب السخيف المستهتر الذى كان يدعوك إلى النزهة فى وسط النار !

عزيزتى ! هذا هو حلمى المروع ، ألا ترين أننى عوقبت به عقاباً كافياً ؟ ألا تصفحين الآن ؟

الرد

عزيزى :

وصلتنى رسالتك ، ولقد تولّتنى الدهشة لكل هذه الضجة التى أثرتها لتتبين شخصية رفيقى فى نزهة الغابة . لقد كان فى امكانك الاتصال بى وقتها بالتليفون لأخبرك باسمه ، فأوفر عليك مجهودك .. أتريد أن تعرف من هو ؟ اعلم أن هذا الشاب هو (س) بعينه الذى تمت خطوبتى اليه ليلة أمس على أثر المشادة التى وقعت بيننا ، لأنى آسفة أيها العزيز على أنى لا أستطيع التزوج من مجنون مثلك !

(كرمة ابن هانئ) حسين شوقى

البريد الأدبي

المعجم الوسيط

أصدر صاحب السعادة وزير المعارف العمومية قراراً بتعيين الأستاذ أحمد أمين عضواً في لجنة تأليف المعجم الوسيط وقد قرأت في العدد الماضي ممن تتألف ؛ ولكن الأستاذ رفع إلى معالي الوزير استقالته منها ، والسبب المباشر لهذه الاستقالة أنه جعل ساعات فراغه من عمله الرسمي على ما بقى من سلسلة كتابيه (فجر الاسلام) و (ضحى الاسلام) وهو يخشى إذا أرهق نفسه بالعمل أن يعيا عن إخراجه ، ولكن معالي الوزير ما زال بالأستاذ يحاوره ويداوره حتى أقنعه بسحب الاستقالة

بشرى لعشاق الأدب — ديوان بشار موجود

أحس بشار بحسن اختراعه ، وجميل ابتداعه وغزارة بحره ، ففتن ببنات فكره ، وأعجب بثمرات لبه وذهب يخايل ويفاخر حتى قال : إن لي اثني عشر ألف قصيدة لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت فرد

ولو فرضنا أن الاثني عشر ألف قصيدة هي كل ما لبشار من شعر ، وفرضنا أن كل قصيدة عدتها سبعة أبيات فقط — وهو حد القصيدة الأدنى عند العروضيين — وحسبنا ذلك لكان مجموع شعره أربعة وثمانين ألف بيت ! وهذا مقدار لم يك لشاعر في القديم ولا في الحديث . ولكن أين هذه الثروة الضخمة ؟ لقد ذهب بها الزمان فيما ذهب به من روائع الآثار وجميل الأشعار ، ولم يبق منها إلا نتف مبعثرة في الكتب جهد الأدباء في جمعها وزفها إلى جمهور القراء المتعطشين لشعر بشار . وأول مجموعة ظهرت هي مجموعة الأستاذ « أحمد حسنين القرني » التي سماها « بشار ابن برد — شعره وأخباره ، طبعت عام ١٩٢٥ م ، وقفاه الأستاذ « حسين منصور » بكتابه : « بشار بين الجد والمجون » الذي طبعه عام ١٩٣٠ م ، وفي العام الماضي ١٩٣٥ طبعت لجنة التأليف والترجمة والنشر مجموعة هامة من شعره باسم « المختار من شعر بشار اختارها من مختار الخالديين شارحها الأستاذ « اسماعيل القيرواني » أحد علماء القرن الخامس ، وكان القائم بنشر هذا الكتاب الأستاذ « بدر الدين العلوي » المدرس في كلية عليكرة بالهند ، وقد أثار طبع هذا الكتاب الصغير كوامن الأشواق إلى شعر بشار ، وتساءل الناس بحسرة ولهفة عن ديوانه وكثرت حوله الأقاويل وأجمع الناس أو كادوا على أنه انسلك في سلك الفناء

وقد أخبرني فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو مجمع اللغة الملكي أن جزءاً كبيراً من ديوان بشار موجود في تونس عند صديقه الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي ، وأطلعني على الخطاب الذي ورد اليه حديثاً من صديقه يخبره فيه بوجود الديوان عنده ، وأنه ورثه عن جده المرحوم الشيخ محمد عبد العزيز أبو عتور . وهو يشتمل على سبعة آلاف وثلثمائة بيت مرتبة على حروف المعجم مكتوبة بخط مصري جميل . وذكر الأستاذ ابن عاشور أنه عنى بشرح غريب ألفاظه ، وتبيان دقائق معانيه ، وذيله بمجموعة من شعر بشار لم ترد فيه وعددها ثمانمائة بيت معزوة إلى مواضعها من كتب العلم والأدب وأنبأ أنه عازم على طبعه في مصر طبعة أنيقة تليق بما لبشار من المكانة السامية في الأدب العربي . وقد استخبر الأستاذ من صديقه عن شؤون تتعلق بالطبع فأخبره مستنجزا ...

ويا حبذا لو عنيت لجنة التأليف وعلى رأسها الأستاذ أحمد أمين بأمر هذا الديوان ، وتولت هي طبعه بمعونة الأستاذ أو وحدها . إنها لو فعلت لأسدت إلى الأدب العربي خدمة جليلة تكون قلادة فخار لها

ولا ريب في أن نشر هذا الجزء الكبير سيلقى كثيراً من الضوء على تاريخ بشار وشعره وشاعريته . ولا ريب في أنه سيغير من أحكام التاريخ عنه ، ويقلب تلك الآراء الظنية الشائعة رأساً على عقب . وسيكون ظهوره — وأرجو أن يكون قريباً — فتحاً جديداً في تاريخ الأدب العربي

السيد احمد صقر

« عودة الروح » في اللغة الروسية

من الأنباء التي تقع من مصر الأدبية موقع الرضا والغبطة أن الكاتب الروسي النابه « ميشيل سالير » نقل إلى الروسية قصة « عودة الروح » للقصصي المصري النابغ توفيق الحكيم، ثم نشرها في لينتجراد عاصمة روسيا، وجعل ثمن النسخة منها خمسة روبلات وخمسين كوبك، وذلك يساوي ستين قرشاً مصرياً

ولا شك أن اختيار الكاتب لهذه القصة من غير تعرف لمؤلفها ولا استئذان منه، انما يدل على تقديره الفن فيها لذاته، وقياسه إياها بمقياس عالمي يرفعها الى مستوى الأعمال الأدبية العظيمة. وستكون عودة الروح وأمثالها الوحدات الأولى التي يساهم بها الأدب العربي في الجهاد العالمي المشترك لنشر الوئام والسلام والخير من طريق الثقافة القصصية

تطور نظم التربية الألمانية

تتطور نظم الحياة والحضارة كما تتطور أساليب التفكير والتعليم والتربية في ألمانيا في ظل النظام الهتلري بسرعة مدهشة؛ والمحور الأساسي الذي يقوم عليه هذا التطور في جميع مناحي الحياة الألمانية هو صبغ هذه الحياة بالصبغة الجرمانية المحضة وتحريرها من جميع المؤثرات الأجنبية؛ ويجري في ميدان التعليم والتربية تطور حاسم أيضاً يقوم على تكوين الجسم الألماني تكويناً صحيحاً وتنمية القوى الجسمية الى جانب القوى العقلية. والانجيل الذي تطبق تعاليمه اليوم على الشعب الألماني هو كتاب هتلر المعروف « كفاحي »؛ ففي هذا الكتاب يتحدث هتلر عن التربية ويحمل بشدة على تفضيل تنمية الذكاء في الفرد، ويقول إن النظام القديم يرمي إلى خلق عقول وأفراد فقط؛ ولكننا نريد أن نخلق قبل كل شيء أجساماً قوية وإرادات ثابتة. ويكفي أن نخصص في الأسبوع ساعتين فقط للرياضة البدنية. ومذ تولى هتلر الحكم وهو يعمل لانشاء هذا النظام الرياضي؛ ففي سنة ١٩٣٣ صدر قانون « تحسين النشء »، ومبناه اتخاذ جميع الاجراءات التي يحسن اتخاذها لتقويم صحة الشباب وعقله وتفكيره؛ ثم صدر بعد ذلك قانون « السنة الخلوية » وهو يحتم على التلاميذ تمضية عام في الريف والحقول عقب انهاء الدراسة الابتدائية؛ وهنالك أيضاً نظام « الخدمة العامة » الذي يحتم على كل رجل أعزب وامرأة عزباء الاقامة ستة أشهر مع أبناء أو بنات الشعب في معسكر ريفي في العراء؛ ثم تنتقل مدارس المعلمين في القرى أو المدن الصغيرة؛ وكذلك انتقال أساتذة المدارس الابتدائية بين حين وآخر الى الريف للاشتغال ببعض الأعمال القروية. والقصد من ذلك كله هو أن يعد الشباب والنشء روح العزم، وضبط النفس، واحتمال الشاق. وللفتاة الألمانية أيضاً نصيبها الوافر من التعليم الرياضي الذي يهيء لها الجسم الصحيح ويعدها أماً صالحة للشعب الألماني

وكذلك يتجه النظام الجديد إلى تجنب الثقافة الجنسية التي يعدها عاملاً في إفساد الفتى والفتاة؛ فليس بين برامج التعليم الحاضر شيء من مسائل الثقافة الجنسية التي كانت تلقى بكثرة في ظل النظام القديم؛ وعلى الآباء والأمهات أن يلقنوا أبناءهم وبناتهم ما يحسن تلقينه من المسائل الجنسية المحتشمة، كذلك يرغب النظام الجديد عن نظام اختلاط الفتى والفتاة في ميدان التعليم ويعتبره تقليداً ضارا بمستقبل النشء

ولم تبق الجامعة في نظر النظام الجديد مكانا تحشد فيه المعلومات في الرءوس، ولا موطناً يعد الشباب للكسب الفردي؛ فالفرد إنما يجب أن يعمل للمجموع، وأن يستخدم في ذلك السبيل أي موهبة أو كفاية؛ ولا يريد النظام الجديد بعد شباباً ذابلاً تملأ رأسه المعلومات المختلفة، فذلك الضرب من الشباب يجب أن يختفي

وقد أدخلت تعديلات كثيرة على نظم القبول في المدارس والجامعات، وأضحى العامل العقلي والتعليمي أقل شأناً مما كان من قبل، وأضحى العامل الجسمي والخلقي في مقدمة العوامل التي تؤهل الطالب للقبول

وقد اتخذ تعليم التاريخ وسيلة لتكوين العقلية الألمانية الجديدة؛ فلم يعد يلقن الشباب تلك التفاصيل التاريخية المسهبة، وإنما يلقن التاريخ موجزاً من الناحية العامة، وتخص الناحية الجرمانية بكل عناية؛ وتتخذ نظرية السلالة الألمانية أهمية خاصة: سلالة الجنس الشمالي وتطورها ونقاؤها والأخطار التي تتعرض لها. هذا أهم ما يلقن الشباب الألماني، وهذا ما يشير اليه هتلر في كتابه بقوله إن غاية التربية الأخيرة هو أنه يجب أن يغرس في عقل النشء أن الجنس الجرماني هو أرفع أجناس الخليقة

وهكذا تغيض جميع نظريات التربية الألمانية القديمة التي عمل العلماء الألمان لاستخدامها على ضوء التجارب والأصول

العلمية المقررة ، وتحل مكانها نظريات جديدة جل غايتها أن تقوى الفكرة العسكرية فى الشباب الألمانى تحت ستار التربية الرياضية وأن تخلق من الشعب الألمانى قبل كل شيء شعباً عسكرياً يعتز بقواه وكفاياته المادية

ميشيل آنجلو

ميشيل آنجلو بطل من أعظم أبطال الفن ، وعلم من أعظم أعلام عصر الأحياء ؛ وقد كتب عنه مدى العصور عشرات من أكابر الكتاب فى كل أمة وكل عصر ؛ ولكن العبقرية الساطعة تبقى أبداً مثاراً للبحث والتقدير . وقد صدر أخيراً كتاب جديد بالانكليزية عن ميشيل آنجلو عنوانه « ميشيل آنجلو الراحل » Michel Angels The nax بقلم الدكتور دونالد فنليسون D. Finlayson ؛ وهو علامة أمريكى يحاول أن يبحث هذا العبقرى من نواح جديدة وعلى ضوء جديد ؛ وهو يمهد لبحثه بتصوير إيطاليا فى عصر الأحياء ، ذلك العصر الذى كانت تموج فيه العبقريات من كل ضرب ، ولاسيما فى التفكير والفنون . ذلك أن ميشيل آنجلو قد عاش فى نفس العصر الذى عاش فيه أعلام مثل ليوناردو دافنشى ، وبوتشللى ؛ وسافوناورلا ، ومكيافيالى ، ورافائيل سانزيو ، ولى تسيان ، وبنفونو توتشللينى ، وجورجو فسارى وغيرهم ، وكان عصراً ذهبياً من أروع ما عرف التاريخ

ولقد كانت ايطاليا تضطرم يومئذ بثلاث قوى سياسية متجاذبة . قوة آل مديتشى فى فلورنس ، وهم يحاولون حكم المدينة الجمهورية بنظام طغيانى مستتير ، وقوة البابوات ، وهم يحاولون تقوية نفوذهم المدنى والدينى ، ودفع أطماع ملوك فرنسا ؛ وقوة الدولة الرومانية المقدسة ، وكانت قوة البابوات أبرز هذه القوى ؛ وكان البابوات يومئذ مزيجاً مدهشاً ، فمن اسكندر السادس الحبر الفاجر ، ولكن الطاغية القوى ، إلى جوليوس الثانى البطل المحارب ، الى بولس الثالث نصير الفنون والآداب . وفى هذا الأفق المضطرم بمختلف القوى والاتجاهات ولد ميشيل آنجلو فى كابرزا سنة ١٤٧٥ وتوفى فى رومه فى التاسعة والثمانين من عمره ، ولكنه عاش طوال حياته نقياً منزهاً عن مثالب عصره ، بعيداً عن ضروب الملق والزلفى التى ألفها البابوات وأمراء العصر ، بعيداً عن صنوف الفساد والخلاعة التى كانت خاصة المجتمع فى هذا العصر ؛ ولم يكن للمرأة أثر فى حياته إلا حينما بلغ الكهولة ، وعندئذ عرف الحب الرفيع وتعلق بأجمل وأنجب سيدة فى هذا العصر ، وهى فتوريا كولونا مركيزة بسكارا ، ونظم لها مقطوعات من الشعر البديع ، وكتب لها رسائل ممتعة ؛ وفيما عدا هذه العاطفة الرقيقة كان ميشيل آنجلو مثل الرجل الأعلى ، باراً بأهله ، مترفعاً عن الدنايا ، معتدلاً فى أهوائه ورغباته

وكانت عبقرية ميشيل آنجلو تتفتح فى نواح عدة ، فقد كان مثالاً من أروع ما عرف التاريخ ، وكان مصوراً ، وكان مهندساً وكان شاعراً ؛ وفى هذه الميادين كلها يترك لنا ميشيل آنجلو آثاراً خالدة ؛ وقد قام بعد أن أربى على الثمانين بأعظم أعماله الهندسية ، فوضع تصميم قبة كنيسة القديس بطرس بطرس أعظم آثار النصرانية وأشرف على صنعها بنفسه ، وأنفق أعواماً فى نقش جدران المصلى السكستونى ، وهو أروع ما فى الفاتيكان من آيات الفن ؛ وتوفى بعد أن ترك للفن ما لم يتركه بشر ، سواء فى الروعة أو المقدار

ولميشيل انجلو ناحية لم يلق عليها كبير ضوء هى ناحيته الشعرية ، ذلك أنه كان شاعراً رقيقا ، ينظم مقطوعات بديعة تحمل كلها طابع العظمة ؛ ولكن ينقصها التنوع وبروز الغاية

وقد أنفق الدكتور فنليسون أعواما طويلة فى البحث والدرس واستطاع أن يجد لمؤلفه مادة بديعة ، وأن يضع أمام القارئ صورة واضحة من شخصية ميشيل انجلو فى جميع نواحيها ؛ وقد زين الكتاب بطائفة من الصور البديعة

وفاة مؤلف موسيقى شهير

توفى أخيراً فى باريس المؤلف الموسيقى الروسى الذائع الصيت اسكندر جلازونوف ؛ وكان مولده فى بطرسبرج سنة ١٨٦٥ ؛ وفى سن الثامنة عشرة وضع أول قطعة موسيقية من تأليفه فأحرزت نجاحاً عظيما وذاعت على أثرها شهرته . ثم رحل إلى ألمانيا حيث التقى هناك بالموسيقى النمسوى الأشهر لزت وتلقى عليه وتخصص بارشاده فى التأليف الموسيقى . وفى سنة ١٨٨٩ ظهرت مقطوعته الشهيرة « ستنكا رازين » ، ووضع من بعدها تباعاً طائفة كبيرة من المقطوعات والأناشيد والأغانى والقطع الراقصة ، وأحرز بتآليفه العديدة مكانة عظيمة فى دوائر الموسيقى الرفيعة . ومن بين قطعه الراقصة الشهيرة « ريموند » « الفصول » « حيلة غرامية » . ولما نشبت الثورة البلشفية آثر الهجرة إلى فرنسا ، وعاش فى باريس أعواماً طويلة ، وتوفى هنالك فى دار الغربة بين جماعة المهاجرين البيض فى سن الحادية والسبعين

العالم المسرحي والسينمائي

على مسرح الأوبرا

السيد Le Sîd

تأليف كورني وتعريب مطران

ملاحظات لفنانين ارلنديين على الاخراج والتمثيل

لناقد «الرسالة» الفنى

هى مأساة رائعة خلدت على الدهر، ألفها زعيم المسرح الفرنسى وخالق المأساة الحديثة الشاعر كورني ، وقد كان لظهورها ضجة كبيرة ، ذلك أنها وإن خالفت قاعدة الوحدات الثلاث فقد نجحت نجاحاً باهراً وظفرت من النظارة بإعجاب عجيب

وقد كان لنجاح هذه المأساة أثر سيء فى نفس الوزير الفرنسى الخطير الكاردينال ريشليو . وكان هذا الوزير من هواة التأليف المسرحى ، وقد مثلت له قصتان فلم تنجح منهما واحدة ، فى حين أن « السيد » كانت تلقى النجاح بعد النجاح والفوز تلو الفوز . ولقد كظم الوزير غيظه — رغم أن القصة كانت تشيد بالمبارزة التى حرمها هو — ولكنه حرك رجاله فى الخفاء ينقدون القصة نقداً عنيفاً ، وكان يريد بذلك أن يحط من قدر كورني ، فقامت من أجل ذلك خصومة أدبية شديدة انتهى أمرها إلى تحكيم المجمع الفرنسى فى القصة . ولم يصدر الحكم فى جانب المؤلف لأن الوزير تدخل بنفوذه ، ولكن القصة رغم ذلك خلدت ، وها هى ذى تنقل الى العربية للمرة الثانية بقلم شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران فى ترجمة عربية بديعة ارتفع أسلوبها الى الأصل الشعرى الذى كتبت به ، وها هى ذى الفرقة القومية تختارها بين ما اختارت من روائع الأدب الغربى لتقدمها إلى الشعب المصرى

ملخص القصة

ليست القصة جديدة على قراء الأدب العربى ، فقد سبق أن ترجمها المرحوم الشيخ نجيب الحداد ومثلت باسم « السيد ، غرام وانتقام » ، وسبق للأستاذ الزيات أن لخصها فى « الرسالة » ونشر هذا الملخص فى كتابه « فى أصول الأدب » ، فمن أراد الاطلاع عليه فليرجع اليه

الاخراج

كنا نظن أن الفرق التمثيلية الأوربية التى تزور مصر وتمثل على مسرح الأوبرا تترك بعض الأثر فى نفوس الفنانين المصريين ، ولكن يبدو أن الأمر على العكس ، فهذه الفرق تأتى وتعود دون أن نحاول أن نأخذ عنها شيئاً

زارت مصر فى الشهر الماضى فرقة « دبلن جيت » الايرلندية وأخرجت عدة قصص لشكسبير وغيره ، فكان الاخراج أهم ظاهرة لهذه الفرقة ، وقد أبدى جميع المخرجين المصريين اعجابهم بعظمة هذا الاخراج ، فالمستر هيلتن ادواردز مخرجها يعمد الى الطريقة الايحائية ويستخدم منظراً واحداً لجميع فصول القصة ، ويستعين بالاضاءة وستار صغير فى تبديل المناظر مع تباينها

وأخرج الأستاذ زكى طليمات قصة السيد وكنا نظنه سيقتبس طريقة تلك الفرقة ، ولكنه لم يحاول بذل أى جهد ، وعمد إلى الطريقة التى ألفناها منذ سنوات طويلة ، واستخدم المناظر المتعددة والستائر الكثيرة . والحق أن هذا الاخراج إذا قيس إلى إخراج الفرقة الايرلندية بدا هزيلاً ضئيلاً

يرى النقاد أن الوحدة إذا توفرت فى العمل الفنى كان ذلك من دواعى الكمال والنجاح ، ولكن رجالنا لا يرون هذا الرأى ، وإلا لما كانت طريقة الالقاء متباينة . فحسين رياض وزينب صدقى وعزيزه أمير وزكى رستم يلقون إلقاء شعرياً Poetical ،

ومنسى فهمى وفردوس حسن وغيرهما يلقون إلقاء عادياً ، وهذا التباين مما ينفر النظارة ، والمخرج فى رأيى مسؤول عن هذا الخلط والاضاءة عادية ، ولكننا فى منظر قاعة العرش كنا نرى الضوء يسقط على جدار القصر من يمين النظارة إلى اليسار فى حين نرى الضوء يسقط على وجوه الممثلين من يسار النظارة إلى اليمين ، وهذا مما لا يرضى الفن ولا الأستاذ المخرج

وفى المنظر الثانى من الفصل الثالث نرى والد ردريج حائراً يبحث عن ولده ويقول : « فى هذا الظلام الدامس » بينما ضوء القمر يغمر وجه الممثل وينير الأرض حواليه . ولا يفوتنى أن أبدى إعجابى بالاضاءة فى الموقف بين شيمين وردريج فى النصف الأول من الفصل الثانى ، فقد كان الضوء ملائماً للحوار ، وكان له أثر ووقع كبيرين فى نفوس النظارة

والملابس فاخرة تنطبق على روح العصر ، ولكن الذى حيرنى أن شيمين عند ما بلغها خبر موت والدها سارت إلى قصر الملك فى ثياب الحداد بينما وصيفتها تتبعها فى ملابس زاهية ؟ ! كما أن ملابس الملكين الأسيرين لا تصلح لرجال أسروا فى موقعة

التمثيل

قبل أن أتحدث عن التمثيل أبدى أسفى الشديد لاهمال الممثلين استظهار أدوارهم مما جعل صوت الملقن يرتفع فيفسد على النظارة خيالهم

مثلت السيدة زينب صدقى دور شيمين ، وقد نجحت كثيراً فى أداء هذه الشخصية ، وأذكر لها مع الاعجاب موقفها مع ردريج فى الفصل الثالث ثم مع وصيفتها وهى تبدى الجزع خيفة أن يقتل حبيبها ، ولكنى آخذ عليها الالقاء الخافت فى بعض المواقف مما جعل الألفاظ غامضة على السامع

ومثل حسين رياض دور ردريج ، فكان القاؤه شعرياً ونجح فى دوره إلى حد غير قليل ، وموقفه مع شيمين بديع . أما موقفه مع الملك وهو يصف المعركة فيحتاج إلى عناية أكثر ؛ وأرجو أن يعنى « بالمكياج » ، وأن يختار لوجهه لوناً خمرياً يكون قريباً إلى البشرة الأندلسية

ومثل زكى رستم دور والد شيمين فأخرجه على خير ما يكون : كان الرجل المتكبر فى إشاراته وإلقائه مما طابق الشخصية

ومثل منسى فهمى دور الملك فكان ناجحاً ؛ ولكنه لم يحاول أن يسمو بهذا الدور كمهدى به فى أدواره السابقة

أما السيدة عزيزة أمير فلم تنجح كثيراً فى أداء شخصية ابنة الملك ؛ وكان القاؤها على نسق واحد دون تلوين أو تعبير عما فى نفسها من إحساسات ؛ ويبدو لى أن اللغة الرصينة مما يصعب عليها أداؤها

ومثلت نجمة ابراهيم دور وصيفة شيمين فوفقت ، وفى رأيى أنها أصلح لدور ابنة الملك من غيرها من فتيات الفرقة

ومثل سراج منير دون سانش ، فكان حديثه مع الملك هو نفسه حديثه مع شيمين التى يهواها

ملاحظات لفنانين ايرلنديين

شهد هذه الرواية فى الليلة الأولى لتمثيلها بعض أعضاء فرقة « دبلن جيت » الايرلندية ؛ وقد أبدى مخرج الفرقة المستر هيلتن ادواردز وممثلها الأول المستر ميكائيل ماك ليمور إعجابهم بتمثيل السيدة زينب صدقى وحسين رياض وزكى رستم ، كما أبديا بعض الملاحظات على الأخراج . وسننشر حديثهما كاملاً فى العدد القادم

يوسف

في السينما

العصر الجديث

فيلم شارلي شابلن الجديد

أما إن شارلي شابلن عبقري وفيلسوف فهذا ما لا شك فيه، وأما إن فلمه الجديد « العصر الحديث » عظيم فمسألة فيها نظر

فنحن إذا نظرنا اليه على أنه عمل رجل عبقري لا تنطبق عليه القواعد المألوفة والمقاييس المعروفة وجدنا عملاً عظيما حقا يحس الانسان أثناء عرضه بسرور ولذة، ويستمتع بأفكار شارلي وطريقته الفكهة في عرض هذه الأفكار، ولكننا إذا حاولنا تطبيق المقاييس الفنية الدقيقة نجده لا يسمو على غيره من الأفلام التي تعرض بين حين وآخر، بل ربما تنقصه بعض العوامل الفنية التي تتوفر في تلك الأفلام

والفكرة الرئيسية التي يقوم عليها الفلم جليلة، فهو ينقد العصر الحديث، ويسخر من سيطرة الآلات على الانسان ويبين أنها لا تسعد الانسانية، بل تستعبد البشرية؛ وقد أفلح شارلي في مزج الفلسفة بالقصة. ولكن الفلم طويل في غير حاجة الى الطول، وإن الناقد ليحس أن هناك فصولاً Sequences جيء بها لتسد فراغ الوقت حتى لا ينتهي العرض في زمن قصير

بدأ شارلي فلمه بمنظر قطيع من الغنم يسير إلى الحقول، وأعقبه بمنظر العمال يتدافعون الى المصنع، وكأنه يرمى بهذا إلى أن العمال قطيع من الغنم يقودهم الرأسماليون

ويظهر لنا شارلي تلك الشخصية الانسانية، أو قل الرمزية التي تعيش بأسلوبها الخاص في مشيتها وملابسها وقبعتها وعصاها، هذه الأشياء التي أصبحت جزءاً متماً للشخصية — تعمل في مصنع كبير — تؤدي عملا، وكأنها جزء من تلك الآلة، يرهقها العمل المضني المتشابه الذي يبعث السأم، ويؤدي بها إلى نوع من الهستيريا. وترسل إلى مستشفى الأمراض العقلية حيث يعاودها الهدوء والسكينة. وعند ما يسمح الطبيب لها بمغادرة المستشفى نراه ينصح بالابتعاد عن كل ما يثير الأعصاب؛

ولكن لا تكاد تتصل بالحياة حتى نرى تيارها الزاخر الصاخب، وحركات المرور، وكل ما هو وليد المدنية والعصر الآلي

ثم يصور شارلي بؤس العامل العاطل، وكيف تقسو الحياة على أطفاله، فيغدون لصوصا وما هم بلصوص، وإنما هم طلاب قوت. ونرى المظاهرات ومقاومة رجال الشرطة للعمال واقتيادهم إلى السجن، وحيث يقدم اليهم الطعام والشراب. وهنا تبدو سخرية شارلي من النظم الاجتماعية، فان العامل يأسف على مغادرة السجن ويود لو بقي فيه، فالطعام والشراب خير لديه من الحرية التي يتغنى بها الناس !!

وتتصل أسباب الصداقة بين شارلي وابنة أحد العمال الذين قتلوا في مصادمة مع رجال الشرطة، ونرى شارلي جالساً يحدثها ويعرض على الشاشة حلم اليقظة، فنراهما يعيشان معاً في كوخ جميل، وشارلي على مقعد يمد يده دون جهد فيتناول حبات العنب من عناقيدها المدلاة، ويمد يداً ثانية فيتناول فاكهة أخرى، ثم يسير إلى بقرة ويضع تحت ثديها آنية فتدر اللبن وحدها دون أن يبذل هو أي جهد في حلبها. وإنما يرمى شارلي بهذه الصور جميعاً إلى أن العامل لا يحلم إلا بالراحة؛ فهو في حلمه لا يريد حتى أن يبذل أي جهد، وينقضي الحلم ونراهما في اليقظة بعد أسابيع قليلة في كوخ متداع حقير، لا يصلح مأوى لأحقر الحيوانات، ومع ذلك فهما سعيدان معا. فالعاطفة التي بينهما كافية لأن تبعث السعادة في نفسيهما وتعوضهما عن كل شيء آخر

هذه الآراء التي صورها شارلي والتي جئنا على ذكرها خير ما في الفلم، ولو أنه اقتصر عليها وأحكم الرابط بين أجزائها لجاء الفلم قوياً. فالبقية ليست إلا حشواً وتكراراً

فهو في عمله كحارس ليلي يلبس النعل ذا العجلات Scating Shoe ويتزلج معصوب العينين يلهو ويمرح، لم يفلح في بعث السرور إلى النفس، وهؤلاء العمال الذين تسللوا في الظلام إلى حيث يجدون الطعام ترديد لفكرة سبق أن صورها، وكذلك هو مع رئيسه في المصنع الجديد يصلح الآلة، ثم وهو في مصنع السفن انما يعرض حالة لا ترتبط بسياق القصة الرئيسية كبير ارتباط والفلسفة كانت أكثر مما يحتمل الفلم، ففي النهاية نجد

شارلى يعمــل خادماً فى مطعم كبير وراءه يحمل الطعام مخترقاً الراقصين ، وعنــد ما يصل إلى المكان المقصود يجرفه تيار الراقصين ويسير به إلى حيث بدأ ، وأخيراً وبعد الجهد يصل ولــكن يجد الطعام قد سقط منه ! ! وكذلك بعد أن ألقى قطعته الغنائية وتقبل تهانى مدير المطعم ووعدا بالعمل المستمر وأحس بأن السعادة مقبلة ، نرى القدر يعاكسه إذ يرسل اليه رجال الشرطة يطلبون فتاته فيهرب معها تاركا السعادة بعد أن كانت بين يديه . فهذا الامعان فى الفلسفة فيه بعض الارهاق لرواد السينما ، وهؤلاء قد يضحكون من الحركات ولــكنهم لا يفهمون ما يرمى اليه المؤلف والمخرج . وفى رأيى أن واجب رجل السينما تبسيط الآراء ما استطاع

والناحية الفكهة فى الفلم لا بأس بها ، ولــكنها ليست قوية إلى الدرجة التى كنا نتوقعها ونرجوها ؛ وخير ما أذكر له جلسته أمام الآلة التى تناول الطعام ، لا سيما وهو يحاول أكل الذرة ثم وهو يقفز إلى المــاء ليغوص ، فاذا بالمكان الذى يسقط فيه ضحل فيتألم ويعود أدراجه دون أن يتم الاستحمام

يبدو لى أن جهود شارلى الموزعة هى السبب الأول فى ضعف الفلم . وقد تحدثنا عن ضعف الرابطة بين كل جزء وآخر ، وعن الحشو والتكرار ، وهذا ما جعلنى أنظر الى هذا الفلم كأنه نوع من الاستعراض ، فليس هو بفكرة واحدة متسقة تعالج علاجا فنيا والتصوير بدائى Primitive وليس هذا الذى شاهدناه بالمستوى الذى يليق بفلم كبير كهذا ، فلم تكن هناك مهارة فى اختيار زوايا التصوير ، كما أن شارلى قد عمد فى جميع الصور المتتابعة إلى التقاط الصور المتوسطة Medium Shots وكأنه ليس فى التصوير السينمائى غيرها

وحاول أن يرسم صورا متباينة Contrast لحالة العمال والرأسماليين فجعل فتاته الجائعة المحرومة تقف ذاهلة ثم تنقض على الفطائر ثم تنتقــل إلى قسم الأزياء وتختار معطفاً ثمينا من الفرو الأبيض فترتديه وترقد على فراش وثير ، ولــكن الصورة ضعيفة وأثرها فى النفس غير عميق

والتمثيل عادى ، ولقد مثلت بوليت جودار دور الفتاة فلم تبد تلك المهارة والمقدرة التى تحدثت صحف السينما عنها وهى لا تزال ممثلة مبتدئة

والصورة الأخيرة التى يظهر فيها شارلى وفتاته يسيران فى طريق مجهول يتهيئان لــكفاح جديد من أحسن الصور وأوقعها أثراً ، ولقد فــكرت كثيراً ثم قلت لنفسى ، ألم يكن من الخير أن يسمى هذا الفلم . . . « الأمل » ؟ !

والفيلم فى مجموعه مقبول وفيه جمال ، ولــكنه يقل كثيراً عن فيلم شارلى الســابق « أنوار المدينة » وان اختلف موضوع كل منهما ، الا أن « أنوار المدينة » كعمل فنى ترجح كفته على كفة الفلم الجديد ؟

يوسف نادرس

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٩ — ١١ مايو سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 149. Lundi - 11 - 5 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٤٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ صفر سنة ١٣٥٥ — ١١ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة		
٧٦١	صاحب الجلالة فاروق الأول	: أحمد حسن الزيات ... ...
٧٦٣	الملك فؤاد	: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٧٦٥	في ليلة مقرورة	: الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
٧٦٧	المسألة الحبشية	: بقلم باحث دبلوماسي كبير ...
٧٧٠	قصة المكروب	: الدكتور أحمد زكي ... ...
٧٧٣	التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الأمة ...	: الأستاذ محمد عبد الباري ...
٧٧٥	الملك أحمد فؤاد الأول ...	: الأستاذ عبد الله مخلص ... ...
٧٧٧	أسبانيا العربية	: مستشرق أسباني ... ...
٧٧٩	لامرتين وربنه جارد ...	: الأستاذ اسكندر كرباج ... ...
٧٨٢	ديمقراطية الموت	: الأستاذ محمود غنيم ... ...
٧٨٤	الحياة الأدبية في الحجاز ...	: الأستاذ عبد القدوس الأنصاري
٧٨٥	أبو الفضل بن شرف ...	: الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي ...
٧٨٧	الطفل (قصيدة)	: الأستاذ عبد الرحمن شكري ...
٧٨٧	دمعة على الصورة »	: الأستاذ أبو السمح الفقيه ...
٧٨٨	الى الأستاذ أنور العطار »	: محمد علي الشاق ... ...
٧٨٨	الليلة الأخيرة »	: السيد الياس قنصل ... ...
٧٨٩	جاسوسة (قصة)	: هنري بردو ... ... ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندي
٧٩٢	الفرس »	: الأستاذ دريني خشبة ...
٧٩٤	سجموند فرويد في تمام الثمانين	: دريني ... ...
٧٩٥	المعجم اللغوي الوسيط	
٧٩٦	كتاب عن مكيافللي	
٧٩٧	آراء فنانين أرلنديين ...	: ناقد الرسالة الفني ... ...
٧٩٨	في السينما	: يوسف تادرس وظريف زكي
٧٩٩	الخطرات (كتاب)	: الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوي
٨٠٠	القياس في اللغة العربية »	: الأديب سيد أحمد صقر ... ...
٨٠٠	سلسلة القصص التهذيبية . تاريخ الكشف في مصر والعالم ...	

صاحب الجلالة فاروق الأول



لم تر مصر في أرجح الظن قبل احتفالها بتقدم فاروق، قلبها يخفق بالحب عن إخلاص، ونفسها تفيض بالإجلال عن حقيقة، ولسانها يجأر بالدعاء عن عقيدة، وسوادها يتسابق إلى الاحتفال عن طواعية؛ فقد كان ملكها الشاب منذ عودته من دار علمه إلى دار حكمه مهوى أفئدتها ونجوى ضمائرها ومجمع أمانيها وموضع إعجابها، لا تصدر في ذلك عن رياء، ولا تنقل عن تقليد، ولا تعمل عن تكلف؛ إنما الطرقات والشرفات والنوافذ كانت مسايل روحية تزخر

بعواطفها الكريمة لملك نشأته على طبعها وحسها . وأعدته لعرشها بنفسها ، وعقدت على تاجه المصرى الخالص أمانيها فى السلطان الحر والحياة العزيزة

أرأيت إلى الشعب الشكور كيف وقف صفين من رأس التين إلى قصر عابدين ، ومن سراى القبة إلى مسجد الحسين ، يلقى على مليكه المحبوب الولاء مبثوثاً فى النظر ، والرجاء مكنوناً فى الهتاف ، والإعجاب معلناً فى التصفيق ، فيلتقى شعوره بشعوره ، ويمتزج هواه بهواه ، فيصبح الشعب جسما رأسه فاروق ، ويصبح فاروق رمزاً مدلوله الشعب ؟

أرأيت إلى الشعب الفخور كيف احتشد مساء الجمعة حول آلات الراديو فى الدور والأندية والمقاهى يستمع إلى مليكه الجديد وهو يقرأ فاتحة مُلكه السعيد بلغة عربية مبينة ، ولهجة مصرية فصيحة ، فانفعل بحزن الملك البار ، و بكى من هذا الانفعال ، وتأثر بشعبية الملك الحر ، وابتهج من هذا التأثر ، وأحس وهو يحييه أن روحاً قدسية تبعث فى هيكله الواهن القوة والفتوة والأمل

والحق أن تحية فاروق للوطن على هذا النحو الجميل ، وصلاته لله فى هذا المظهر المتواضع ، ورسالته إلى الشعب على هذه الصورة الصريحة ، ونزوله عن ثلث مخصصاته للأمة الشاكرة ، كانت أبرع استهلال لعهده الموموق الخصيب

* * *

إذا كان من الحق أن بعض الأسماء ينزل من السماء ، فإن اسم فاروق وضعه القدر وضعاً لهذه الساعة المشهودة من تاريخ مصر . ولعلها أشبه بالساعة التى لقب فيها الرسول (ص) عمر بالفاروق : فقد كان الإسلام قبل عمر ذليلاً فعزّ ، وقليلاً فكثر ، ومستخفياً فاستعلن . وهذه مصر تُرَنِّقُ على ثراها الأحداث من كل جانب : فالاحتلال الغاصب ينقص ببغيه سيادتها فى التملك ، وعدتها للدفاع ، وحريتها فى التصرف ؛ والاستعمار الجشع يرصد الأُهَب على حدودها بالعين الخؤون والمنطق المسلح : والناس من إلحاح الذل و إفراط الظلم وامتياز الدخيل وقصور القانون فى حال من الخمود لا ينفع فيها تذكير ولا تبلغ عليها دعوة ؛ وسياسة البلاد تسير فى تيه من الأرض فتضطرب، لتنقلب وتعود لتبدأ .

فلما أراد الله لطريقها أن تتضح ، ولقافلتها أن تسير ، ألقى بأزمتها فى أيدى الشباب : والشباب يسيرون بهداية الله ، ويجاهدون بقوة الإيمان ، و يباهون بكرم التضحية : فأعادوا للأمة حياتها الدستورية خالصة من الخداع والكذب ؛ ثم جعل الله على الأمة ملكاً من الشباب تتساير أهواؤهم إلى هواه ، وتتلاقى آراؤهم عند رأيه ، فيقول لهم فى منطق فصيح صريح : « إننى أستقبل حياتى الجديدة بعزم وثاب و إرادة قوية ، وأعاهدكم عهداً وثيقاً على أننى سأقف حياتى على العمل لنفعكم ، وموالاة السعى فى سبيل إسعادكم . لقد رأيت عن كَثَب حبكم لى ، وتعلقكم بى ؛ لذلك أرى لزاماً علىّ أن أعلن ما اعتزمته من التضامن معكم فى سبيل مصر العزيزة ، فإنى أومن بأن مجد الملك من مجد شعبه »

* * *

ذلك هو ملكنا العظيم بعقيدته السليمة ونفسيته الكريمة وخطته الواضحة ؛ وهذا هو دستورنا القديم أعادته إرادة رشيدة ، وأعدته وزارة نزيهة ، وجمعته انتخابات حرة ؛ وأولئك هم شبابنا الخلص تمردوا على حياة الجمود وعقدوا نيتهم على أن يعيشوا كراماً أو يموتوا أعزة . فمن أين إذن تُؤتَى النهضة المصرية ؟ لا تؤتَى النهضة المصرية إلا من جهتين كانتا فى كل زمان ومكان مصدر الشرور للأمة : جهة الفساد فى الحاشية ، وجهة الخلاف فى الزعامة . فأما الفساد فى الحاشية — ومعاذ الله أن يكون — فو باله أن يزيف فى البلاط حقيقة الأمة بميوله ، أو يشوه فى الأمة صورة الحكومة بفضوله . وفى ذلك ما فيه من انفراج الحال بين الشعب وملاذه الأعلى . وأما الخلاف فى الزعامة فبلاؤه تمزيق الوحدة وتفريق الكلمة وتوزيع الجهد وتغليب الشهوة وتمليك الخصم . وما فتّ فى أعضائنا وهدّ من قوانا إلا هذا الخلاف الباغى لا يراد به إلا اقتناص المال أو الجاه أو الحكم . على أن فى الحب الأصيل المتبادل بين الملك الديمقراطى البر و بين شعبه الوفى المخلص ، ضمانا برفع الحجب المسدولة ، ويمنع الوساطة المدخولة ، ويديم جُمعةَ ما بين النفوس الزعيمة .

ثبت الله عرشه بالسلام ونضر عهده بالوئام وجمل حكمه بالاستقلال والمشورة

احمد حسن الزيات

الملك فـــؤاد(١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

مات الملكُ العظيم ، فرأى الناسُ من ذهولهم كأنمـا زيدت في الموت زيادة

وكأن يوماً ليس من الدنيا وقع فى الدنيا فترك الحياة في غير معناها

وكأن العيونَ انفتحت لجأةً على شكل محزن من هذا الوجود .

وكأن حادثاً عظيما انتهى من التاريخ المصرىّ إلى نقطة انقلاب ؛

ورأى الناسُ كأن غيمـةً فوق مصر تجتمع من حزن ستة عشر مليون قلب !

***

مات فؤاد العظيم ، فعرفت مصرُ أن معجزةً فارقتها

وأنه لم ينقض رجل ؛ ولـكن ذهب قَـدَرٌ كان فى خدمة حوادثها المضطربة

ولم ينته عمر ؛ ولـكن انتهت سعادةٌ كانت من حظ أيامها ؛

ولم ينطو تاريخ ؛ ولـكن انطوت قوة كانت تعمل فى حل مشاكلها

فارقت معجزة ، وذهب قدَر ، وانتهت سعادة ، وانطوت قوة . ما أفدح خطبك يا مصر !

***

وكيف لا يكون معجزةً من خُلقت مواهبُـه على قدر أمة تنال به التاجَ بعد أن فقدته ألفى سنة ؟

وكيف لا يكون قَـدَرا من بُعثت عزيمتُـه لحـل الزمن السياسى المعقَّـدِ منذ دهور ودهور ؟

وكيف لا يكون سعادةً هذا الذى مرّت آثارُه على فقر التاريخ مرورَ الغنى ؟

وكيف لا يكون قوةً وإرادته الجبارة كانت مظهر السر الذى يعمل وينتصر ؟

أيتها الحقيقة العظيمة ! هل كانت النبوّة فى شكل سياسى ؟

***

مرض الملك رحمـه الله ، فـكانت أخبارُ مرضه روايةَ أحزان الشعب

وعرف كل مصرى أن هذا الملك هو الوطن فى صورة رجل ،

واتجهت العاطفة الوطنية فى البلاد كلها إلى رمزها الحى ،

وأثبت الشعبُ فى سمو أخلاقه أن ملـكه العظيم هو الذى ارتقى به إلى هذا السمو

وأصلحت غلطةٌ كانت السياسة الأجنبية تسميها التفرق ..

***

ومات الملك رحمه الله ، فأتمّ موتُه عمَـل حياته العظيمة

جمع الأمةَ كلها على أسمى أخلاقها من الحب والوفاء والاتحاد ؛

وأظهرها حوله كأنها فى صلاة تتدفق منها الروحانية العظمى ؛

وراع بها العالم السياسى كأنه يقول للدنيا : هـذه مصر كما أنشأتُها

وترك لأمته الدرسَ الأخير فى هذه الصورة كأنه يقول : هكذا عيشوا

***

وبكاه الشعبُ من كل عين ، حتى لو كان يبكى من نهر لبكى ؛

وأصبحت القلوبُ من الحزن كأن كل قلب اجتمعت فيه أمواته ذلك اليوم

وبرزت لجأة من النسيان همومٌ وهمومٌ وهموم

ودنت الآخرة حتى لا يذكر الناسُ غيرها ، كأن الخلد يتسلم الراحلَ من أيدى الشعب

وحكم الملكُ يومَ موته حكما آخر كما تحكم على الناس جميعاً طبيعةُ الخير

***

(١) [الرسالة] : لجلالة الملك فؤاد رحمه الله فضل عظيم على الأستاذ الرافعى ، وقد رفع الأستاذ إلى سدته العالية أكثر من ألف بيت من الشعر ، وكان جلالته يعجب به وبكبر أدبه ، وقد أمر بطبع كتابه اعجاز القرآن على نفقته الخاصة

« فى ذمة الله يا فؤاد » . هـذا هو صوتُ الشعب يوم وفاة الملك

صوتُ الفطرة على سجيّتها مع نفسها ؛ لا من سياسةٍ ولا رياءٍ ولا مجاملة

صوت الايمان على طبيعته مع القلب ، لا من غرضٍ ولا تصنّع ولا خديعة

صوت الوطنية على عقيدتها مع الحب ، لا من خوفٍ ولا كذب ولا اضطرار

وما عسى أن يقول من فقد أباه العزيز ، إلا أن يقول : فى ذمة الله يا أبى ؟

* * *

فى ذمة الله ذلك الملكُ الذى كان كالأنبياء محصوراً فى واجبه ورسالته

ولم يكن بين فكره وعمله أحلامٌ تفسد الفكر أو تضعف العمل

وكان يقول : « ليس شيئاً يذكر أن يكون المرء أميراً ؛ ولكن الشيء الجدير بالذكر أن يكون نافعاً »

ومن أجل ذلك استمر يعمل كأنه مؤتمر ملوك لا ملك واحد ؛

وتألفت مدةَ حكمه اثنتان وعشرون وزارة ، فكانت له على مصر بركةُ اثنين وعشرين ملكا

* * *

وكان بنشأته واختباره وعلمه ودينه تصحيحاً لأغلاط من سبقوه فى الملك

وبذكائه وبصيرته كان يسوسُ رعيتين فى مصر : إحداهما الحقائق

وكان موفقاً بقـدر ماهو قوى ؛ نخدم الشعبَ عقله وحظّه

تراه دائماً بحكمته وحزمه فى عمله للحاضر ، ودائماً ببصره وإيمانه فى عمله للمستقبل

هو ملك الصبر والايمان [١] ؛ وبهاتين القوتين كم من مرةٍ جعل ما لا يمكن يمكن

* * *

وكان من أكبر همه أن يألف العالم اسم مصر وأن تعرف ممالكُ الدنيا جِدَّتها

فحرّك اسم مصر فى كل أمة لأنه وحده الاسم الذى يخاطب كل تمدن بلغة خياله

إن المجد المصرى إذا انبعث كان قوة من قوى الجلال فى الدنيا ؛

إن السحر المصرى إذا عرف كان قوة من قوى الحب فى العالم ؛

إن فن الاعجاب بمصر ليخرجُ من درس آثارها كما يخرج علم الفلك من درس النجوم

* * *

فى ذمة الله يا فؤاد ، وعزاءً يا مصر :

لقد أعطاك من الفاروق المحبوب أكبر حسناته :

أعطاك فيه أسرار عظمته تتجلى بادئة بنشاطها

غابت الشمس ليبدأ الفجر الجديد

مات الملك ؛ يحيا الملك

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

(١) كان شعار الملك فؤاد (الصبر) وكانت هـذه الـكلمة مكتوبة بخط جميل منوطة إلى المصباح الذى فوق مكتبه



فى ليـــلة مقرورة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« انفخى النار أو أذكيها فانى بردان ، ولست أجد حرّها »

وكان الوقت شتاء ، والبرد قارساً ، والرياح متداركة الهبوب تقشر الحصى عن وجه الأرض ، وتهيج بالغبار نحو السماء كالعمود . ولكن الغرفة كانت دافئة ، والنار فى مواقدها تتسعر ، فعجبت الزوجة ، ونظرت من زوجها إلى الموقد ، وقالت : « بردان ؟ بردان والغرفة كجهنم ؟ لقد ألقيت عليها منذ دقائق خشباً كثيراً لا يزال يفرقع من شدة التلهّب ، فكيف لا تحسها ولا تسمعها ؟ مالك ؟ أبك شىء ؟ »

فهز الرجل رأسه هزة خفيفـــة ، وقال وهو يمد يده : « لا ..، !! خذى أشعلى لى هذه »

وناولها سيجارة كان يقلبها بين أصابعه ، فوضعت طرفها على النار ونفخت فيه حتى صار كالجمرة المتلظية ، ووضعتها بين أصابعه وهى تقول : « سأعود اليك قبل أن تفرغ منها »

وخرجت وردت الباب وراءها ، فتنهّد الرجل وأطرق . وفرغت السيجارة ، وشعر بحرّها على أصابعه ، فأراد أن يطفئها أو يرمى بها ، فمد يده الفارغة يتحسس حتى لمست أصابعه حرف منضدة صغيرة ، فأجرى راحته عليها ، حتى التقت أنامله المرتعشة بشىء فرفعها اليه يريد أن يتبينه ، فانقلب وتحطم ، فرد يده بسرعة ، وقد تجهم وجهه ؛ ثم تنهد ، ورفع قدمه وانحنى على الأرض ، ووضع السيجارة تحت حذائه

وكان الذى يراه وهو جالس على الكرسى ، ورأسه مثنىٌّ على صدره ، خليقاً أن يتوهمه نائماً من فرط السكون . ولكنه لم يكن نائماً ولا ذاهلا ؛ وإنما كان مُرهفاً أذنه لحركة الاقدام فى غرفة ابنته ، ولما عسى أن يتأدى اليه من الأصوات غير ذلك على الرغم من الباب الموصد عليه . وكانت زوجته لا تزال تعود اليه كل بضع دقائق لتطمئن عليه على زعمها ، فقد أقلقها عليه قوله إنه بردان فى هذه الغرفة التى يُشتكى حرُّها ؛ ولا يُعقل أن يشتكى بردها فكان يبتسم ويقول لها : « لا تخافى على فانى بخير ، ولكن طمئنينى على فردوس ، كيف هى الآن ؟ ألا أصعد معك اليها ؟ »

وكان يعلم أنها أبت ذلك عليه من قبل مرات ، فهو على يأس كبير ، ولم تكن لجاجته فى الطلب كلما دخلت عليه إلا ليرى كيف يكون جوابها فى كل مرة ؛ وكان يؤكد أنه سيدخل على أطراف أصابعه ، ثم لا يتكلم ولا يتحرك ولا يمد يده ليلمس الفتاة ، فضاق صدرها بهذا الالحاح ، وقالت له : « إذن لماذا تريد أن تصعد اليها ؟ ؟ أكل مرادك أن تزعجها والسلام ؟ »

وأسفت لأنها احتدت فانقلبت تعتذر اليه بما تكابده من العناء ، وتوزع القلب والجهد بينه وبين ابنتهما ، فقبل اعتذارها ، أو لعل الأصح أنه لم يجعل باله إلى ما بدر منها . وما ظنت أنه ساءه من حدة اللهجة وقال :

« لا تشغلى نفسك بى ، واذا احتجت إلى شىء فان فى وسع الخادمة أن تقضيه لى . أليست الممرضة مع فردوس ؟ إذن دعى لى الخادمة فهى حسبى إلى أوان النوم »

فأبت عليه حتى الخادمة ، وقالت : إن فردوس لا تستغنى عنها ، وأن فى وسعه أن يصفق إذا أراد شيئاً فتجىء هى — زوجته — اليه . فترك الالحاح ، وعاد إلى جلسته وإطراقه وسهومه وكفّ حتى عن أن يرفع رأسه — على عادته — حين تدخل زوجته عليه ، كأنما لم تعد به حاجة إلى سؤال ، أو كأنما لم يعد يعنيـه من الأمر كله شىء ، وكانت زوجته تقف حياله هنيهة ، ثم لا تأنس منه استعدادا لكلام ، أو تتوهمه أغفى فتنسلل راجعة من حيث جاءت . وكأنما اطمأنت أو خشيت أن تزعجه أو توقظه ، فصارت تترك الباب مواربا ، ولا تكلف نفسها عناء إيصاده — كما كانت تفعل — من قبل اتقاء لما يحدثه ذلك من الصوت

ومضت ساعة وبعض ساعة ، والدنيا أتم ما يكون سكوناً ، لو لا الرياح العواصف ؛ وإذا بالباب يدق دقاً مزعجا ، وإذا بالخادمة تنحدر على السلم ، كأنما هى فى سباق ، أو كأنما وراءها الذى تهرب منه وتمضى إلى الباب فتفتحه ثم تغلقه ، وإذا بالبيت يملأه بكاء وليد يصيح : « واء واء واء » ولا تمضى دقائق حتى يكون كل من فى البيت قد أحاط به ما خلا فردوس المريضة التى لا تستطيع أن تبرح سريرها أو تنهض عنه ، ويدخل هذا الجم الحافل ـ سيدة

البيت والمرضة والخادمة ورجل غريب يحمل بين يديه طفلاً ملفوفاً فى أشياء كثيرة وعلى وجهه شف أرجوانى رقيق جداً ـ وتتقدم الزوجة من بعلها وتقول : « ماذا تظن ؟ لقد وجد هذا الرجل طفلاً ملقى على مقربة من عتبة البيت ! مسكين إنه وليد ! ابن ساعة أو ساعتين على الأكثر ! ماذا ينبغى يا ترى أن نصنع به ؟ لا نستطيع أن نرده إلى حيث كان ... ولا أحسبنا نستطيع أن نستبقيه ... كلا ! هذا أيضاً عسير علينا . ما رأيك ؟ أشر كيف نصنع ؟ »

فيرفع وجهه إلى الناحية التى يجىء منها صوتها ويقول : « المهم الآن إرضاع الطفل ـ والوقت بعد ذلك فيه متسع للتفكير فى مصيره ، فانظرى من ترضعه ، إبعثى فى طلب واحدة ... إصنعى شيئاً ... لا تقفى هكذا »

ولم يكن ثم ما يدعوه أن ينهرها على هذا الوجه ، فما كانت قصرت أو تلكأت ، ولا كان مضى على دخولها عليه بالطفل إلا مسافة ما ألقت عليه خبر العثور عليه ، ولكنه كان ضيق الصدر بما أجن لا بما حدث من التباطؤ ، وكان يثقل عليه وجود الرجل ولا يرتاح الى الحديث على مسمع منه فى أمر هذا الوليد . ورأت زوجته منه هذا النفور ، وأحست له سبباً باطناً غير ظاهره . فقالت صحيح . أين نجد مرضعة يا فاطمة ؟ (الخادمة) أتعرفين واحدة قريبة من هنا أو جارة نستعين بها الليلة حتى نهتدى الى مرضعة صالحة ؟ (ونظرت الى زوجها الذى لا يراها وقالت بسرعة كالمستدركة) أو نرى لنا فى الطفل رأيا آخر

فقال الرجل بلهجة السأمان « أرضعيه أولا . . اذهبى ، فما ندرى كم ساعة له وهو ملق ، وإن كان الذى يبدو لى من سكونه أنه لا يشكو شيئاً وأنه على الأرجح — كما قلتِ أنتِ — حديث عهد بالولادة .. على كل حال يحسن أن تعنى به الليلة كعناية الأم »

فانصرفوا عنه ، ومضت الليلة بسلام ، وجاءوا فى الصباح بمرضعة للطفل ، فقد أصر الرجل على اتخاذه وتبنيه ، وكانت زوجته حين رأت منه هذا الاصرار قد راحت تنكر عليه هذا العزم ، وتخوفه ما لابد أن يعانى من جراء وجوده فى البيت ، وتنذره الضجات والضوضاء وغير ذلك ، فان الأطفال فى سن الرضاع لا يوقرون كبيراً ، ولا يعنون براحة أحد ، ولا يبالون ما يكون منهم ، ولكن هذا لم يثنه عما صح عليه عزمه

ومضى عام ثم آخر ، وحبا الطفل ومشى ، ولم يفتر حنو الرجل عليه ، بل صار هو سلوته ، فكان يخرج به كل يوم ساعة فى الصباح وأخرى فى المساء . ولم يكن يبعد عن البيت لأنه مكفوف ، فكان يتمشى فى الحديقة الواسعة والطفل أمامه فى مركبته الصغيرة ، فاذا غادر البيت اكتفى بالطواف حول السور ، وكان كلما التقى بفردوس والطفل معه ، يتركه لها وينصرف عنها ، ولا يبقى معهما فى مكان ، وكان ذلك يسر فردوس فى أول الأمر لأنه يسمح لها بأن ترسل نفسها على سجيتها مع الغلام ، ولكنه لما تكرر من أبيها ، أزعجتها منه دلالة العمد فيه ، ولكن ماذا تقول أو تفعل

وكانت زوجته كثيرا ما تشير فى حديثها معه الى فردوس وأنه لا يبدو لها خاطب بين الأقرباء والأصدقاء العديدين ، فلا يقول الرجل شيئا ، ولكنها أضجرته مرة فقال لها « دعيها ، ولا تقلقى عليها ، فانى أحسب الطفل سلوة كافية لها » فسألته زوجته بلهفة « ماذا تعنى ؟ كيف يمكن ؟ »

فابتسم الرجل وقال « أعنى أن فى وسعها أن تفيض عليه من أمومتها الكامنة ؛ وكفى بهذا الطفل عزاء وسلوة مادام لا بعل لها »

وطال الأمر ، وشق على الزوجة أن الحبائل الكثيرة التى ألقتها لم تقنص أحداً ، ونفد صبرها وعجزت عن الكتمان فقالت بشجوها لزوجها ، وكان هو أيضا قد مل هذه الأحاديث التى لا تنتهى فسألها « هل يسمعنا أحد . . انهضى وانظرى » .

ففعلت وعادت فطمأنته فقال « إذن اسمعى — لقد كنت أوثر أن أظل ساكتاً لا أتكلم ، ولكنك اكرهتنى على الكلام . وإنى لضرير ولكن رأسى لم يعطله شىء ، فهل تذكرين كيف سافرت ابنتنا وقضت شهورا عند خالها فى ضيعته ؟ إنى ما زلت أذكر ذلك لأنى أعلم أنها لم تكن عنده ولا عند أحد غيره من أقرباء أبيها أو أمها ، وإن كنت أجهل أين أقامت كل هذا الزمن . . انتظرى . فلست ألومك ، بل أنا على العكس أثنى على حكمتك ، وحسناً صنعتِ ، وقد عادت بعد ذلك فجأة وأوت الى فراشها ساعة وصولها ، وظلت مريضة حتى كانت الليلة التى دق علينا فيها الباب ، وجاءنا الرجل بهذا الطفل . ومن حسن الحظ أن

الرجل لا يعرف شيئا — ولست أدرى كيف دبرتِ الأمر، ولـكنك على كل حال أحسنت التدبير، ولولا هذه القابلة التى زعمتِها ممرضة لاطمأن قلبى، وأمنت الافتضاح، ولـكنها على ما يظهر استطاعت أن تكتم السر فالحمد لله. والآن وقد أحوجتنى الى الكلام أفلا يحسن بعد ذلك أن تعفينى من حديث الزواج التى لا تملينه ؟ »

فلمْ تقل شيئا حتى سمعته يحدث نفسه ويقول « مسكينة. مسكينة »

فنهضت وسألته « أتعطف عليها »

فأشار بيده إشارة من يريد أن تذهب عنه وهو يقول « بلهاء »

ولم يدر بينهما بعد ذلك كلام فى الموضوع

ابراهيم عبد القادر المازنى

المسألة الحبشـــية

بين ايطاليا وانكلترا

بقلم باحث دبلوماسى كبير

يجزع الـكثيرون من خصوم الاستعمار وأبناء الامم المغلوبة لمـا أصابت ايطاليا بوسائل العنف الشائن من ظفر وتقدم فى غزو الحبشة، وما أصاب الحبشـة من خذلان وتضعضع فى مقاومتها للمعتدين على حرياتها ؛ ويجزع الـكثيرون من أنصار السلام لمـا ينذر به ظفر ايطاليا على هذا النحو، وما تنذر به المشكلة الحبشية كلها من خطر داهم على السلام

وقد يلوح لأول وهلة أن الفريقين على حق فى هذا الجزع ؛ ذلك أن ما أبدته ايطاليا الفاشستية من إقدام وجرأة فى انتهاك العهود والمواثيق، وما ارتكبته فى سبيل مشروعها الاستعمارى من ضروب السفك والعنف، وما لجأت اليه لسحق الأحباش من وسائل مجرمة مثيرة كاستعمال الغازات وغيرها، ينذر بالويل كل أمة ضعيفة لا تقوى على مقاومة الاعتداء بمثله، ويبعث اليأس فى نفوس الأمم المغلوبة، لأنها ترى الاسـتعمار يثبت أقدامه، ويزيد جرأة وعدواناً وعنفاً ؛ ولأن ما تثيره المشكلة الحبشية من خلاف بين بريطانيا العظمى وايطاليا، وما يثيره فوز ايطاليا فى شرق افريقية من مخاوف على مصالح الامبراطورية البريطانية ومستقبلها، ينذر بانفجار قد لا تقف عواقبه عند الخصومة الانـكليزية الايطالية، بل قد يؤدى إلى حرب أوربية عامة ينكب العالم كله بويلاتها وعواقبها

بيد أنه يجب ألا نبالغ فى تقدير الموقف بهذا المعيار القاتم، فهنالك ظروف واعتبارات كثيرة يجب تقديرها إلى جانب هذه الظواهر المزعجة. ولنبدأ ببحث الموقف فى الحبشة ؛ فقد تقدم الايطاليون داخل الحبشة فى الأسابيع الأخيرة، واستولوا على ولاية تجرى كلها، وهى التى تقع فيها بحيرة تانا والنيل الأزرق، وتقدموا أيضاً فى الجنوب، وأصابوا الجيوش الحبشية بعدة هزائم شديدة، وهم يزحفون بسرعة نحو العاصمة الحبشية، وقد تسقط فى أيديهم قبل أن يظهر هذا العدد من (الرسالة) ؛ وفى الأخبار الأخيرة أن النجاشى قد غادر الحبشة مع أسرته إلى فلسطين على بارجة انكليزية بعد أن فقد كل أمل فى الدفاع والمقاومة، ولـكن هل يعنى ذلك كله أن قوى الحبشة الدفاعية قد أبيدت نهائياً كما يزعم الايطاليون، وأن ايطاليا قد حققت ظفرها كاملاً شاملاً، وأنه لم يبق عليها إلا أن تملى شروطها على الحبشة وعلى عصبة الأمم ؟ إن نظرة إلى خريطة الحبشة تنقض هذا الزعم، فان التقدم الايطالى لم يجاوز حتى الآن المناطق الأمهرية، ولم يتوغل الايطاليون فى الحبشـة الأصلية بعد، ولا زالت أمامهم دون الاستيلاء عليها مناطق وعرة ؛ والجيوش الحبشية لم تسحق كلها ولم تبد، ولـكنها اضطرت أن تتراجع أمام الغازات الخانقة وغيرها من الوسائل الفتاكة التى لم يحجم الايطاليون عن الالتجاء اليها خلافاً لـكل قانون وميثاق حينما رأوا عجزهم عن التقدم بوسائل الحرب المشروعة، وهى ما زالت تصمد للايطاليين فى الجنوب وحيثما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ؛ وإذا قارنا ما استولت عليه ايطاليا حتى الآن من أراضى الحبشة بما كان مقترحا أن يعطى لها فى مشروع « لافال — هور » ألفينا أنها رغم انتصاراتها المتوالية لم تحقق بعد كل ما كان يراد أن يعطى لها بمقتضى هذا المشروع غنيمة باردة ؛ والفرق بين الحالتين أنها تدفع اليوم لتقدمها ثمناً فادحا من المـال والرجال

هـذا ومن الخطأ أن نعتقد أن مجرد استيلاء الايطاليين على الأراضى الحبشية يكفل تحقيق الأمانى الايطاليـة ، ويعتبر حلاً نهائياً للمسألة الحبشية ؛ ذلك أنه يجب على إيطاليا إذا أرادت أن تستغل ثمار ظفرها ، أن تحتفظ بما استولت عليه من الأراضى ، وأن تسحق كل مقاومة من جانب الأحباش ؛ ولكن المعروف أن دون هذه الغاية صعاباً جمة ، وأن إيطاليا ستلقى مدى حين مقاومة مستمرة من الأحباش ، وستضطر إلى أن تتكبد فى هذا السبيل جهوداً ونفقات قد تعجز عن الاستمرار فيها إذا طالت مقاومة الأحباش ؛ بل يرى بعض الثقات اليوم أن إيطاليا قد استنفدت بالفعل فى هذه الحروب الاستعمارية العنيفة كل موازدها القائمة ، وأنه إذا بدأ فصل الأمطار فى الحبشة قبـل أن تسحق مقاومة الأحباش بصورة حاسمة ، فإن مركزها وخططها فى الحبشة تعرض لأشد الأخطار

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك عاملاً حاسماً آخر ، وهو موقف انكلترا من المسألة الحبشية ومن إيطاليا ، وهو موقف ستكشف الأيام القريبة عن حقيقته

* * *

وعصبة الأمم ماذا كان موقفها إزاء هـذا الاعتداء الشائن ؟ لقد بدأت العصبة بداية حسنة ، فأسندت تبعة الاعتداء إلى ايطاليا ، وقررت تطبيق العقوبات الاقتصادية ضـدها ؛ وكان للسياسة البريطانية أكبر نصيب فى تنظيم هـذه الحركة الدولية الخطيرة ؛ ولـكن فرنسا التى تربطها بإيطاليا معاهدة صداقة خاصة واتفاقات سرية ذاع أمرها فيما بعد ، قاومت سياسة العقوبات رغم موافقتها نظرياً على تقريرها ، ووقفت الى جانب ايطاليا موقفاً كان له أكبر الأثر فى شل سياسة العقوبات ، وعجز عصبة الأمم عن تقرير عقوبات أخرى كانت تزمع فرضها كتحريم اصدار الزيت والحـديد الى ايطاليا ؛ هذا ولم يبق سرا أن فرنسا تشد أزر ايطاليا فى هذه الحرب الاسـتعمارية بصفة إيجابية ، وانها تعاونها بالقروض السرية ؛ وهى من جهة أخرى تعرقل تصدير السلاح الى الحبشة من طريق جيبوتى ، خلافا للاتفاقات المعقودة فتزيد بذلك فى اضعاف المقاومة الحبشية وتمهيد السـبيل لتفوق الجيوش المعتدية

ولقد كان موقف العصبة إزاء هاتين السياستين المتناقضتين يدعو الى الرثاء ، فلا هى استطاعت رغم تأييد السياسة البريطانية أن تسير فى تطبيق العقوبات الاقتصادية على ايطاليا بالحزم الواجب تأييداً لمبدأ السلامة الاجماعية الذى تعمل باسمه ، ولا هى استطاعت بأية وسيلة أن تحمل ايطاليا على وقف اعتدائها الصارخ ، أو قبول الصلح فى الحدود التى رسمتها منذ بداية الاعتداء ؛ بل ولا استطاعت أن تحمل ايطاليا على احـترام أبسط قواعد الحرب الشرعية ، والعدول عن الالتجاء الى الوسائل الهمجية الفتاكة من غازات قاتلة ومحرقة وغـيرها ضد شعب يكاد يكون أعزل إزاء وسائل التسليح الحـديثة ؛ وما زالت عصبة الأمم منـذ أشهر تجتمع وتسوف على غـير طائل ، وايطاليا تمضى فى اعتداء هو أشبه بالقرصنة المجرمـة منه بالحرب المشروعة ، فتمزق الأحبـاش محاربين ومسالمين بغازاتها وطياراتها ، وعصبة الأمم لا تكاد تجد ما تقوله إزاء هذه النذالة التى تثير استنكار العالم المتمدن بأسره ، إذا استثنينا بعض الجهات الاستعمارية الجشعة التى ترى فوز ايطاليا عاملاً فى تثبيت أقدام الاستعمار فى أفريقية

* * *

على أن ظفر ايطاليا الحربى فى الحبشة لا يكفى لتسوية المسألة الحبشية مهما كان مدى هذا الظفر ؛ فى وسع ايطاليا أن تستولى عسكريا على الحبشة كلها ، ولـكن الاحتلال العسكرى لا يمكن أن يعتبر مستقرا أو نهائيا ، ولا يمكن بأى حال أن يعتبر خاتمة المشكل ، ولا بد أن تحسب ايطاليا أعظم حساب لموقف السياسة البريطانية ؛ ذلك أن بريطانيا العظمى ترى فى اسـتيلاء ايطاليا على الحبشة وتوسع الاستعمار الايطالى فى شمال افريقيه خطرا عظيما على سيادتها ونفوذها فى وادى النيل وشرق أفريقيه ، وترى فى نهوض ايطاليا الاسـتعمارية وفى اضطرام الروح الفاشستية بالأطماع والمشاريع الاستعمارية خطرا أعظم على سيادتها فى البحر الأبيض والبحر الأحمر وعلى مواصلاتها الاسـتعمارية التى تسهر على حمايتها بيقظة متناهية ، فالمسألة الحبشية فى ذاتها تحتل فى نظر بريطانيا مكانا ثانوياً ، ولـكن المسـألة الجوهرية هى ما يترتب على فوز ايطاليا واعتزاز الروح العسكرية الفاشستية بهذا الفوز ، وهى روح اعتدائية أخذ يبدو خطرها فى البحر الأبيض ظاهرا ملموسا ؛

والسياسة البريطانية تعمل منذ بدء المشكلة الحبشية وراء عصبة الأمم ووراء مبدأ السلامة الاجماعية ؛ وقد كانت تتوقع عند فوزها بتقرير سياسة العقوبات الاقتصادية أن هـذه العقوبات ستحدث أثرها فى أهبة إيطاليا وفى مواردها بسرعة ، فتقبل الصلح على الأسس التى وضعتها عصبة الأمم ؛ ولـكن السياسة الفرنسية المذبذبة التى تعمل من وراء الستار لشد أزر إيطاليا حالت كما رأينا دون تحقيق هذه الغاية ، واستطاعت إيطاليا أن تحرز بوسائلها العسكرية المجرمة فى الحبشة انتصارات خطيرة ؛ فالسياسة البريطانية تجد الآن نفسها بعد فشل سياسة العقوبات ، وانهيار المقاومة الحبشية ، فى موقف حرج ؛ وإذا كانت خطتها التالية لم تتضح بعد ، فانه مما لا ريب فيه أن وجهة نظرها إلى الموقف لم تتغير بل ربما كان اهتمامها اليوم بقمع الخطر الايطالى على مصالحها ومواصلاتها أشد منه فى أى وقت آخر

ومن المحقق أن السياسة البريطانية تؤثر العمل بوسائل لا تدفعها إلى الحرب ؛ والظاهر من تصريحات مستر إيدن وزير الخارجية البريطانية فى جنيف ، وتصريحات مستر بلدوين رئيس الوزارة ، وأقوال الصحف البريطانية ذات الرأى ، أن انكلترا ما زالت ترى المضى فى سياسة العقوبات الدولية ، مستظلة بعصبة الأمم ومبدأ السلامة المشتركة ، وأنها ستقوم بمحاولة أخرى فى هذا السبيل قبل أن تفكر فى الالتجاء إلى وسيلة أخرى ؛ والظاهر أيضاً أن أنصار هذه السياسة يرون أن الانتصارات الايطالية الأخيرة فى الحبشة لا تقوم على أسس مستقرة ؛ وأن إيطاليا لا تستطيع المضى طويلاً فى الاضطلاع بهذه الاعباء والتضحيات الفادحة التى تضطلع بها ، وأن أحوالها الاقتصادية الداخلية بلغت مأزقا خطراً ، فاذا استطاع الأحباش أن يصمدوا فى الجنوب وأن يحتفظوا بنوع من المقاومة بضعة أسابيع أخرى حتى يبدأ فصل الأمطار ، وإذا ظفرت انكلترا أثناء ذلك بحمل عصبة الأمم على تقرير عقوبات جديدة أخصها حظر الزيت ، فان الخبراء يرون أن خطط ايطاليا العسكرية تعرض فى هذه الفترة الى أشد الأخطار ، فقد يستطيع الأحباش فى فترة الأمطار أن ينظموا قواهم مرة أخرى ، وتكون موارد ايطاليا قد نفدت أو أوشكت على النفاد فتضطر الى وقف الحرب وقبول الصلح ؛ وتؤمل السياسة البريطانية أن تسنح الفرصة لتقرير العقوبات الجديدة عقب الانتخابات الفرنسية الجديدة ، فقد ظهر منها أن فرنسا تميل هذه المرة الى أحزاب اليسار ، وأحزاب اليسار تؤثر تأييد عصبة الأمم ومبدأ السلامة المشتركة ، وترى أن هـذه السياسة أقرب الى تحقيق السلام من سياسة التلون والمذبذبة التى جرت عليها فرنسا إزاء المشكلة الحبشية ، وهى سياسة دفعت ثمنها غالياً فى مسألة الرين ونقض ألمانيا لمعاهدة لوكارنو ، حيث خذلتها انكلترا فى هذا المأزق ، وألقت عليها درسا عميق الأثر

ويرى بعض أقطاب السياسة البريطانية فوق ذلك أنه يجب على إنكلترا إذا اقتضى الأمر أن تلجأ إلى إجراءات الحصار العسكرية ، فتغلق قناة السويس بموافقة عصبة الأمم ، وتقطع بذلك مواصلات إيطاليا مع شرق إفريقية ، وهذا إجراء قد يؤدى إلى نشوب الحرب بين إيطاليا وانكلترا ، لأن موسولينى ما فتىء يهدد بانه يعتبر إغلاق قناة السويس إجراء عدائياً عسكريا يجيب عنه بالمثل ، ولـكن أصحاب هذا الرأى يرون أنه خير أن تضطلع انـكلترا بعبء حرب محلية فى البحر الأبيض من أن تترك الفاشستية تمضى فى تهديدها للسلام حتى تنشب حرب أوربيـة أو عالمية ؛ ويقولون إنه ليس لايطاليا أن تحتج بخرق المعاهدات الدولية فى مسألة اغلاق القناة بعد أن خرقت هى كل العهود والمواثيق الدولية ، وهذه النظرية تلقى اليوم كثيرا من التأييد فى انكلترا ، بيد أنه يلوح لنا أن السياسة الانكليزية الرسمية مازالت بعيدة عن الأخذ بها

إن السياسة الانكليزية تعتمد كثيراً على الزمن وعلى تطور الحوادث والظروف ؛ وإذا كانت الظروف لم تحقق إلى اليوم تقديراتها وأمانيها ، فليس من ريب فى أن استطالة الحرب الحبشية تستنفد قوى ايطاليا ومواردها ، وتضعف مركزها فى أوربا ؛ وقد حققت الحرب الاستعمارية الطاحنة التى تدور فى الحبشة منذ سبعة أشهر كثيرا من دواعى هذا الانهاك ؛ ولا عبرة بمظاهر النصر الخلابة التى تهول ايطاليا بها ، فانها تدفع فى سبيلها أفدح الأثمان ؛ وما زال الزمن عاملاً حاسما فى اخماد الجذوة الاستعمارية الفاشستية وردها إلى الصواب

***

قصــة المـكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

الدفتريا

بين واجد سمها الفرنسيّ ، وكاشف ترياقها الألمانيّ

وصل القارئ : بعد أن أثبت بارنج أن المصل المأخوذ من دم الشياه الناقهة من الدفتريا يقى الحيوانات من هذا الداء إذا هو حقن فيها ، حقنه فى الحيوانات المريضة فعلا لعله يشفيها فشفاها . ففعل مثل ذلك فى الأطفال المرضى فكان النجاح باهراً . وبدأت المصانع تصنع هذا المصل والأطباء يستخدمونه وذاع أمره واهتز الناس له

— ٤ —

ومع هذا النجاح فقد صدرت من الناس شَكيّات ، وقد صدرت منهم انتقادات . وهذا أمر طبيعى ، فالعلاج الجديد لم تكن مؤكدة نتائجه كل التأكيد . فهو لم يَشْفِ من الأطفال المائةَ مائةً عدًّا . وكيف يُرجَى منه ذلك وهو لم يكن شفى من مائة الخنازير الغينية مائة كاملة . وكان كذلك لبعض علماء الأطباء رأى نقّاد فيه ، فقد ذكروا أن الذى يحدث من الداء تحت جلد الخنزير ليس بحكم الضرورة واللزوم هو عينه الذى يحدث منه فى حلوق الأطفال . وشاع أمر الحقنة ، وجرى المصل فى دماء الألوف من الأطفال ، ولكن برغم ذلك مات بعض الأطفال من الداء شرَّ ميتة . (ولو أن عددهم ربما كان دون الذى كان يموت قبلا) . وأخذ الأطباء يتساءلون عن السبب . وفقدت آباء وأمهات آمالاً كبيرة تفتّتت بفقدها أكبادهم

وهنا عاد أميل رو إلى العمل ، عاد إلى ساحة القتال يحتل مكانه فى صدرها . فاكتشف اكتشافاً مجيداً : طريقة سهلة هينة يحصّن بها الخيل من سمّ الدفتريا ؛ طريقةً لا يموت فيها حصان ولا يطفح على جلده منها خُرّاجات أليمة ذميمة ؛ وخيرٌ من هذا أنها طريقة تأتى بالكثير الوفير من ذلك المصل الحصين وبه ذلك الترياق الغالى الثمين . وكان مصلاً قويّ المفعول يذهب القليل منه بالسم الكثير الذى يقتل عدّة من كلاب كبيرة

وآمن رو بأن هذا الترياق سيشفى الأطفال لا محالة . وآمن به قبل أن يجهزه إيماناً كايمان بارنج أو أشدّ منه تأكداً . تركّز فكره على علاج الداء ، واجتمع مقصده على شفائه ، فلم يفكر قط فى منعه . ونسى ما كان وَصفَ من غرغرات . وظل يتردّد على عجل بين معمله ومَربط خيله ، تارة ضارباً محاقنه فى أعناقها وهى صابرة ، وتارة حاملاً قوارير عظيمة البطون ملأى من دمائها وفى هذه الفترة كان نوع من الدفتريا شديد الخبث (هكذا ظن رو) يكتسح بيوت باريس . وفى « مستشفى الأطفال » كان يُحمل خمسون فى المائة من مرضاه إلى بهو الأموات زُرْق الوجوه (أو هكذا أثبت الاحصاء) . وفى مستشفى تروسو Trousean كان يموت ستون فى المائة (ولو أن السجلات لم تذكر فى جلاء أن الأطباء استيقنوا أن الذين ماتوا إنما ماتوا من الدفتريا لا من غيرها) . وفى الأول من فبراير عام ١٨٩٤ جاء رو إلى « مستشفى الأطفال » بوجهه المسنوف وأنفه الأقنى وصدره الضيّق وقلنسوته السوداء ، فدخل إلى رواق الأطفال المرضى بالدفتريا وهو يحمل قوارير ملأى بهذا السائل الأصفر المعجز من المصل

وفى هذه الساعة ، فى المعهد الشهير بشارع ديتو ، فى حجرة المكتب هنالك كان يجلس رجل شيخ مشلول ينتظر خبراً ساراً يأتيه من رو . . . . وكان هذا الشيخ تبرق فى عينيه بوارق الأمل فينسى أحبابه وأعزاؤه أن الموت انتقاه وأعلمه ثم تركه وعن قريب يعود فى طلب المتروك تاركه . . . . . هذا بستور جلس فى غرفة مكتبه من ذلك البيت العتيق لا يود أن يبرحها ويُسْلِم للفناء زمامه حتى يأتيه الخبر اليقين بأن تلميذاً من تلاميذه تمكن من محو داء آخر من الأدواء الخبيثة بهذه الحياة الدنيا

وغير بستور كان حول رو أمهات باريس وآباؤها يرجونه الاسراع فى تجهيز علاجه رحمة بأولادهم من مرضى ومريضات — فقد كانوا سمعوا بذلك العلاج العجيب الذى ابتدعه الدكتور بارنج . وقالت طائفة منهم أنه يكاد يحيي الموتى ويستخلص

الأطفال من براثن هذا الداء بعد أن تنقطع فيهم الآمال . وكان رو يتلفت حوله فيستطيع أن يرى الناس رافعة أيديها إليه تطلب الرحمة والغياث

جهّز رو محاقنه وقواريره بذلك الهدوء وذلك البرود اللذان أثارا اعجاب الفلاحين فى تلك الأيام الخوالى حين قام رو فى حقولهم يضرب لقاح الجمرة فى بهائمهم فى قرية پويبى لوفرت . وقام عوناه مرتان Martin وكايو Chaillou فأشعلا مصباح الكحول وأسرعا اليه فى لهفٍ وتأهب لاجابة الأمر تنفتح عنه شفتاه ، ونظر كوخ إلى الأطباء وهم فى حَيْصَ بَيص لايدرون ماذا يصنعون . ونظر إلى الوجوه الصغيرة وهى فى زرقة الرصاص ، وإلى الأيدى الرقيقة وهى تنبش فى ألحفة الصوف ، وإلى الأجسام وهى تتلوّى فى الفراش تطلب أنفاساً قليلة من ذلك الهواء الغالى فلا تكاد تجدها . ثم نظر إلى محاقنه ممعناً وسأل نفسه : أحقاً فى هذا المصل خلاص هذه الأرواح ؟ فما أسرع ما انشطرت نفسه شطرين عند هذا السؤال ، فكان منها نفسان : النفس الأولى نفس الانسان الحنّان ، والنفس الأخرى نفس العالم البحاث

قالت الأولى تجيبه بقوة : « نعم ، نعم فيه خلاصها »

وقالت الثانية فى همس وخفوت : « لا أدرى ، والحكم للتجربة ، فهيّا بنا اليها »

قالت النفس الحنون ، وقال معها الآباء القانطون وكلهم يتوسلون ويرجون : « لا تفعل ! لا تفعل ! فان التجربة تقضى باعطاء المصل لبعض الأطفال وحبسه عن بعضهم ، وهذا فى شرعة القلب حرام »

قالت النفس الباحثة : « نعم إنه عمل غير هيّن وقساوة تنلذع منها القلوب . ولكن ما الذى أنا صانعته ؟ ! إن هذا المصل شفى الأرانب فما الذى يدرينى أنه يشفى الأطفال والانسان ؟ لا بد إذن من العلم ، لا بد من كشف الحقيقة ، والحقيقة لا تكشف إلا إذا نحن حقنا به نصف الأطفال المرضى وأعفينا النصف الآخر ، ثم قارنا عدد من يموت فى النصف الأول بعدد من يموت فى النصف الثانى ؛ بهذا ، وبهذا وحده ، نستطيع أن نعلم الأثر الحق الذى للمصل فى شفاء هذا الداء »

قالت النفس الحنون : « ولكن هبْ أنك وجدت المصل يشفى ، فانظر ما تكون مسؤوليتك عن مئات الأطفال الذين يموتون لأنك حبست عنهم هذا المصل ، هذا الترياق »

إنه تخيير مؤلم لاشك بين خُطتين صعبتين . على أن رو ذا العقل الصرف فاتته حجة ما كان أولاه بإيرادها فى هذه المناظرة بينه وبين رو ذو العاطفة الصرف ؛ لقد كان فى استطاعته أن يقول : « إننا إذا لم نتبع طريقة العلم ، طريقة التجربة ، إذاً لانخدع الناس فظنوا أنهم وقعوا من هذا المصل على علاج كامل للدفتريا ، وإذن لكفّ البُحّاث عن طلب علاج جديد لها ، ثم تتوالى السنون يموت ألوف من الأطفال بسبب هذا العلاج المزعوم ، ألوف كان فى الامكان اعفاؤها من الموت لو أننا اتبعنا طريقة البحث الصحيح على ما بها من قساوة . . . »

إن فى هذا الحجة جواب العلم الدامغ لكل ذى رأى يقوده قلب . ولكن رو لم يُصغ إليها ، ومن ذا الذى يلوم هذا القلب أن يتنكّب الطريق القاسية التى تؤدى وحدها الى علم الحقيقة . وتجهّزت المحاقن ، وجرى مصلها اندفاعا تحت جلود الأطفال فانتفخت به ، بدأ رو فى أداء رسالة الرحمة ، ولعلها رسالة الخلاص كذلك ، فحقن فى المستشفى فى الخمسة الأشهر التالية من الأطفال المهدّدين بالموت زيادة على ٣٠٠ طفل . ثم ظهرت النتائج ! ألا حمداً لله فقد كانت نصراً لرو ذى القلب الانسانى الرحيم ، فما انتهت تجاربه فى هذا الصيف حتى قام فى مؤتمر جمع نوابغ الأطباء وخيرة العلماء من أصقاع الدنيا فقال لهم : « إن حالة الأطفال إذا حُقِنوا بالمصل تتحسن سريعاً . . . فلا يكاد يقع الناظر فى عنابر المستشفى على وجه فاقد اللون أزرق كالرصاص . . . بل على النقيض يجد الأطفال فى نشاط وابتهاج »

واستمر يصف فى بودابست للمؤتمرين كيف يذهب المصل بهذا الغشاء المخاطىّ الرمادىّ الذى يتكون فى حلوق الأطفال وعليه تتكاثر بشلة الداء ومن فوق بساطه ترمى بسمها القاتل ، ووصف لهم كيف يذهب هذا المصل بحُمّاهم كذلك : كان كنسمة باردة هبّت من بحيرة شمالية على مدينة جنوبية فمرّت على أفاريزها وهى تتقد ناراً . فهتف له هذا المؤتمر الوقور ، وقام له أطباؤه الأشهرون على أرجلهم إكباراً له وإعجاباً بالذى أتاه

ومع هذا — ومع كل هذا — وبرغم هذا المصل العجيب ،

فقد مات من مرضى رو ستة وعشرون فى كل مائة ! !

ولكن اعلمْ أن ذلك العصر كان عصراً تغلب فيه العاطفة . واذ كرْ أن هـذا المؤتمر لم يجتمع ، ورو لم يذهب إليه ، لخدمة الحقيقة وإنما ليحتفلوا بخلاص الأرواح وليناقشوه ويختطوا له الخطط ، وكان الناس عندئذ قليلى الاهتمام بالأرقام ، وكانوا أقل اهتماماً بالنُّقـاد الثقلاء الذين يُلحون فى طلب مقارنتها ، وكانوا فى تأثر شديد عند ما استمعوا لرو وهو يصف لهم ما كان من تبريد المصل لجباه الأطفال بعد اشتعالها . على أن رو كان فى مقدوره الرد على نقّاده بين تصفيق العظماء النابهين من سُماعه بأن يقول لهم : « وما ستة وعشرون يموتون فى المـائة ! يجب أن تذكروا أنه قبل هذا العلاج كان يموت خمسون فى المـائة »

ومع هـذا أيضاً فأنا أقول — أنا الذى أودّ أن أومن بهذا الترياق وبحسن أثره فى علاج الدفتريا — أقول بعد أن مضى على ذلك الزمان بضعة عقود : إن الدفتريا داء غريب ، يزيد خبثه أحياناً ، ويقل أحياناً . فنى بعض الأحقاب يبلغ الموت فى مرضاه ستين فى المـائة ، ثم هو يحل به أمر خفىّ غريب يُضعف من مكروبه فاذا بالستين تنزل إلى عشرة ، وهكذا كان الحال فى عصر البطولة الفائتة ، عصر رو وبارنج . فنى هـذا العصر فى بعض مستشفيات انجلترا نزل معدّل الموت من أربعين إلى اثنين وعشرين فى المـائة — وهذا بالتحقيق قبل أن يُستخدم المصل !

ولكن الأطباء الكبراء لم يأذنوا للأرقام أن تدخل فى تفكيرهم ، وحملوا خبر الترياق إلى أركان الأرض الأربعة ، فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى استقر المصل فى الأدوية علاجاً للدفتريا . واليوم لن تجد طبيباً فى الألف لا يحلف لك بأنه علاج بديع . والدفتريا اليوم ليست على خبثها الذى كان لها فى العقد التاسع من القرن الماضى ، والأطباء لا يفتأون يعطون المصل لكل طفل تناله تلك البشلات الفاترة الجارية الآن حاسبين أن به الشفاء... والطبيب الذى يمتنع عن إعطاء المصل يُعَدّ بحق مذنباً اعتماداً على القدر الذى نعلم من أمر هذا العلاج اليوم . وأنا نفسى لو أن طفلاً لى أصابه هذا الداء لكنت أول مسرع إلى الطبيب ليحقنه بهذه الحقنة نفسها . ولم لا ؟ فلعل الصبى يشفى حقاً . أنا لا أدرى أنه لا يشفى ، ولا يدرى غيرى أنه لا يشفى ، وقد فات الأوان لاثبات أنه يشفى أو لا يشفى ، فالدنيا الآن تؤمن به ، فلا يوجد فى الرجال رجل تبلغ به قسوة القلب ، أو جرأة النفس أن يقوم بالتجربة التى يتطلبها العلم لاثبات اليقين

واليوم يؤمن البحاث بالذى آمن به رو من أمر هذا المصل ، فهم فى شغل شاغل بمباحث أخرى . وكل الذى أرجوه أن يكون رو صادقاً فى الذى آمن به ، حتى إذا هبّت على العالم هبّة من وافدة خبيثة من الدفتريا ، وافدة فى خبث تلك التى كانت فى العقد التاسع من القرن المـاضى ، يكون للناس من هذا المصل وقاء صادق يدفعون به شرها غير مخدوعين فيه

على أنه حتى إذا لم يكن فى هذا المصل شفاء الدفتريا ـ ولو أن الأرجح فيـه الشفاء ـ فالتجارب التى قام بها رو وبارنج لم تضع سدى على ما نعلم اليوم . بالطبع قصة ذلك لا تزال حديثة ، لا تزال تلوكها الجرائد كثيراً ، فلم تتهيأ بعد لتبوىء مكانها فى التاريخ ، ولكن مع هذا ففى نيويورك ، وفى كل أمريكا ، وفى ألمـانيا مئات الألوف من الأطفال وتلاميذ المدارس تتخذ أجسامهم مصانع يُصنع فيها هـذا الترياق فى حذق كبير وأمْن بالغ كى لا تأتيهم الدفتريا أبدا . وذلك بحقن هؤلاء الصغار تحت جلودهم بمقادير قليلة من سمها يكفى المقدار منها لقتل عدة كلاب كبيرة -- ولكن بعد تدويره وتحويره وتغييره تغييرا عجيبا حتى لا يتأذى منـه الطفل يُحقن به بعد أسبوع من ولادته

والأمل اليوم كبير فى مغالبة الدفتريا حتى لا يكون منها ذلك الداء الفتّاك الذى دوّخ الأجيال ، وذلك بأن تقتنع الأمهات والآباء فيرضون بأن تُرشق بناتهم وأبناؤهم ثلاث رشقات من من إبرة محقن . إذن لحمدنا العاقبة وشكرنا للفلار ورو وبارنج أبحاثهم الأولى وإن فاتها التهذيب والتمام

(تمت الدفتريا) أحمد زكى

التربية الوطنية الاستقلالية
وأثرها فى بناء الأمة

للأستاذ محمد عبد البارى

عماد الامة

عماد الأمة أفرادها . ومتى كانت مواد البناء متينة التكوين سليمة الوضع كان البناء قوياً على احتمال تصاريف الأيام ، والتغلب على صدمات الحادثات . وما مادة البناء فى الجماعة سوى الفرد . فكيف يكون قوياً لتقوى به الأمة ؟

مشاهدات الحاضر

يلوح لى أن استعراض الوقائع لاستخراج الحقائق أقرب سبيلاً إلى صحة الحكم ، وآمن عاقبة من التحليل النظرى المجرد . وأخذا بهذا فانى أضرب بالانجليز مثلاً للأمة القوية . وأحاول باستعراض بعض الظواهر للوصول إلى سر هذه القوة . وإنى إذ أفعل هذا لست مأخوذاً بقوة المسيطر ، ولكنى إنما أتعرف سر قوة الغير لنحتذى مثاله ، ومن قبل احتكت اليابان من نحو خمسة وثمانين عاماً بالغرب ، وآنست منه قوة لاقبل لها بها فداورته ، ثم حرصت على تعرف سر قوته واتخذت سبيله . فلما أحست من نفسها القوة تحررت مما فرض عليها الغرب من قيود ، ثم صارت موضع خشيته ورهبته . والقوى يتقى دائماً التصادم بالقوى .

من أشهر حوادث التاريخ الدستورى ما يسميه الانجليز بالعهد الأعظم ؛ وهو مجموعة قواعد غير منمقة ؛ هى فى الواقع شروط يتقيد بها الحاكم ، وهى تنبئ عن روح استقلالية أصيلة ، ودرجة حرص القوم على المحافظة على ذلك العهد تؤكد أنه وضع عن عقيدة ، وأنه يعبر عن شعور الأمة بحقها وكرامتها وقوتها . فلما هوجم دافعت عنه الأمة عن عقيدة راسخة فانتصرت . حدث أن أحد ملوك انجلترا ، وكان متشبعاً بتعاليم الفيلسوف الانجليزى « هوبز » نقض ذلك العهد باصدار أوامر تخالفه . غير ان أحد الكافة أبى أن يعترف بحق الملك فى المخالفة ، فامتنع عن تنفيذ الأمر . فلما أوذى المعترض ثارت الأمة ، وتخلصت من ناقضى عهدها استمساكا بدستورها ومحافظة على كرامتها

والمعترض لم يصدر إلا عن عقيدة . وكان مستقل الرأى أبى النفس شجاعا بدليل أنه لم يرهب جسامة ما أقدم عليه . ولم يك بالشاذ فى بلده بدليل أن سواد الشعب جاراه وانتصر للحق إلى النهاية . وهذا العمل الخطير لا يمكن أن تأتيه جماعة إلا إذا كانت الروح الاستقلالية قوية فيها ، وكان الشعور بكرامة الانسان غالباً فى أفرادها والاعتداد بالنفس صفة غالبة فى بنيها . كان الفيلسوف « هوبز » ينادى بحق الملك المقدس فى الحكم طبقاً لمشيئته لا استنادا إلى إرادة الأمة . وكان مربياً للملك المشار اليه ، ولكن النفسية الانجليزية لم تهضم هذه التعاليم ؛ وكان يعجبها ما قرره الفيلسوف « لوك » ؛ وهو أن الأمة مصدر السلطات ، وأن الملك يستمد سلطته منها ، وليس صاحب حق مقدس يحكمها طبقاً لهذا الحق المقدس فلا يتقيد بارادتها . فلما تعارضت الفكرتان عملا كانت الغلبة لما يدين به سواد الانجليز ، لأن تربيتهم الاستقلالية أبت عليهم الخضوع لما لا يتفق مع الكرامة الانسانية ، فثاروا دفاعاً عنها وانتصروا لأنهم عملوا عن إيمان راسخ

التربية الاستقلالية مصدر الشجاعة الأدبية والاقدام والشجاعة توحى للمرء بأن يقول « لا » كلما وجب أن يقولها ، و « نعم » كلما وجب أن يقولها ، سواء أكان مخاطباً نفسه أم غيره . والاقدام يدفع المرء الى العمل بما يعتقد مهما كانت النتيجة وقد دلت التجارب على أن العامل عن عقيدة قلما يخفق لأن الايمان الراسخ فى ذاته قوة يعز التغلب عليها

لو لم تكن روح الاستقلال متغلغلة فى نفوس الانجليز لرسخت فيها تعاليم « هوبز » دون تعاليم « لوك » ، ولو نقض العهد وهو الدستور كأنه حادث عادى ، ولاعتاد الحكام التصرف طبقاً لمشيئتهم ، ولكانت الجماعة عرضة من حين لآخر ، للاحتكاك بين أنصار الطغيان وأعوان الحرية ، ولبطؤ سيرها الى الأمام

لكن النفوس كانت متشبعة بالحرية والاستقلال فدافعت عما وضعته من شروط لتولى حكمها . وأظهرت وجودها المستقل

بعملها التاريخي . وعرف الحكام منها ذلك فلم يحاولوا نقض العهد وعاشت وعاشوا في هدوء . فاستطاعت الأمة التمتع ببركة الهدوء في ظل الحرية ، وانصرفت بكل قواها الى ترقية شؤونها ورفع مستوى الفرد فبلغت قمة المجد ، وكانت عزيزة الجانب بوجه عام حتى اليوم . تلك حادثة من أبلغ حوادث التاريخ الانجليزي في الدلالة على أن قوة الأمة في تغلغل روح الاستقلال بين الأفراد وفيما ينشأ عن التربية الاستقلالية من شجاعة واقدام

وانا أورد مثلا آخر أدلل به على ما تربح الأمة من تشبع الفرد بروح الاستقلال . ففي الحادث المتقدم كان العمل شعبياً ، وفي الحادث التالي كان العمل فرديا

في سنة ١٨٣٩ نجحت انجلترا في تأليب قوى أوروبا على مصر لتأمن الخطر الذي توهمته من قيام جماعة قوية على ساحلي البحرين الأحمر والأبيض المتوسط . انتهزت الفرصة السانحة بتهديد الجيوش المصرية الآستانة نفسها فأقنعت طائفة من قوى دول أوربا بالاشتراك معها في حمل « محمد علي » على قبول شروط فرضتها عليه ، وهو الغالب تحد من قوته ، ونجحت بهذا وببث الثورة في سوريا ضد المصريين في الاستيلاء على عكا وفي ضرب الجيوش المصرية بسوريا ضربة حاسمة

فلما تم ذلك بعث القائد العام وهو انجليزي ضابطاً بحرياً انجليزياً لاستطلاع قوة المصريين بالاسكندرية ، وأبحر الضابط فاقتنع عند ما وصل المياه المصرية أن من السهل ضرب الاسكندرية ، ولكنه في نفس الوقت علم من ثقة أن البر يموج بقوة مسلحة تسلحاً عظيما ، وفكر أن الاشتباك مع محمد علي بمصر قد يجر إلى مثل موقعة رشيد سنة ١٨٠٧ ورأى أنه من الممكن التفاهم مع محمد علي على الشروط التي فرضها المتألبون ورفضها محمد علي ، إذا ضمن له الضابط جعل حكومة مصر وراثية ، لما أستوثق من ذلك دخل رأساً في مفاوضات مع محمد علي واتفق الطرفان . ولما أنبأ القائد العام بذلك احتج عليه وأرسل إلى حكومته يحتج ، ولكن الضابط استمسك بوجهة نظره لأنه أيقن بأنه خدم بلاده ودافع عن هذا الرأي لدى الحكومة الانجليزية رأساً وانتصر له وزير الخارجية الانجليزية وأبرم الاتفاق الذي وضع أساسه هو فكان معاهدة لندن سنة ١٨٤٠

والحادث يدل على أن الضابط البحري لم يفهم أنه مجرد أداة بل فهم أنه عنصر فعال في بناء مجد أمته . فلما رأى الفرصة سانحة انتهزها بالرغم من مخالفة هذا التصرف للواجبات العسكرية ؛ فلما لم يرض رئيسه عن هذا لم يرهبه سخط الرئيس ولم ينس غرضه ولم يتقهقر وتغلب رأيه أخيراً

نظر الضابط الصغير كما نظرت حكومته إلى جوهر الموضوع لا إلى شكله ، والحادث بالنسبة للحكومة الانجليزية وبالنسبة للضابط البحري دليل على تأصل الروح الاستقلالية وعلى عظم أثر هذا التأصل في صحة الحكم على الأشياء

تلك الروح الانجليزية التي استعرضنا بعض مظاهر عظمتها هي التي أبت عليهم الخضوع لتهديد اسبانيا ، فلم يخرجهم هول قوة الأرمادا « اسم الأسطول الاسباني » عن رباطة جأشهم وكانت الغلبة لهم ، وهي نفسها التي أبت عليهم الخضوع لنابليون ، وهي التي تلهمهم قبول حكومة المحافظين تارة وقبول حكومة العمال تارة أخرى مع ما بين مبادئ الحزبين من تفاوت ، وهي التي جعلت القاضي الانجليزي مضرب المثل للقاضي الصالح ؛ وهي بالاختصار التي وضعت الانجليز للآن هذا الوضع الممتاز في التاريخ العصري

عبر التاريخ

ضربت المثل بالانجليز عامدا لأنا نخاطب القوم اليوم في تحديد علاقاتنا بهم . وأضرب المثل بالعرب لأني أكتب هذه الكلمة يوم الاحتفال بمستهل العام الهجري

نشأ العرب على الحرية والاستقلال لا يشوبهما إلا خضوعهم لأوهام باطلة وعادات مرذولة ؛ فلما تطهرت نفوسهم باعتناق الدين الحنيف تحرروا من قيود العادات والأوهام التي لا تتفق والكرامة الانسانية

إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم من أروع أمثلة التاريخ في استقلال الرأي والصلابة في الحق ؛ ولكنه نبي يعمل في حدود رسالته بما يوحى به الله ، بيد أنه بث في أصحابه تعاليمه المطهرة للنفس ، والملهمة لروح الاستقلال ، فكان هذا مع نشأة العرب الحرة السبب في سرعة تقدمهم بعد اعتناق الاسلام

في أولى غزوات النبي ارتأى وهو في مركز القائد الحربي أن ينزل بقوته في نقطة معينة ، ولكن أحد أتباعه اعترض

على هـــذا فى أدب وكياسة ، فلما تبين للرسول صواب رأى نصيره أخذ به

إن الروح التى أملت على التابع المتفانى فى حب نبيه اعتراض رأى هذا النبى ، والتى دعت النبى إلى قبول رأى أحد أتباعه ، هى روح استقلالية ، فلا خشية فى الحق من جانب الصحابى ولا تعصب للذات من جانب النبى

لما قبض النبى لم يتحيز أتباعه لأهل بيته ويختاروا أحدهم خليفة ، بل اختاروا أبا بكر لأنهم رأوا صلاح الجماعة فى ذلك الاختيار ، والروح التى أملت هذا إنما هى روح الاستقلال والحرية

خطب أعظم خلفاء محمد فى الناس فدعاهم جهرة إلى تقويم اعوجاجه إذا رأوه أعوج ، فرد أحد الحاضرين بقوله : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيوف »

رأى عمرو بن العاص أن تفتح مصر ، ولم يكن الخليفة عمر ابن الخطاب يرى رأيه . ولكن القائد أقنع الخليفة بصواب الفتح فزوده بالرجال ليمضى فى تنفيذ مشروعه ، ولكنه تخوف ثانية ، وبعث له يسترجعه ، وقدر عمرو ما فى الرسالة ، فلم يفضها ، ومضى فى سبيله حتى نزل أرض مصر . وأصبح مضيه أمراً لابد منه

والحادث يدل على عدم الاستبداد من جهة الخليفة ، وعلى الاستقلال والاعتماد على النفس والثقة بها من جانب القائد

ويطول بنا القول إذا ما حاولنا تقصى الحوادث التى من هذا النوع . فلنكتف بهذه الأمثلة للدلالة على أن نشأة العرب المستقلة ، وتعاليم الدين الحاضة على الحرية والمساواة والاعتماد على النفس ، جمعت فى العرب الاستعداد الفطرى بحكم النشأة الأولى والتعليم الرشيد ، والايمان القوى بالعقيدة الاسلامية ، وحسن تفهمها ؛ فسادوا العالم فى سرعة أدهشت المؤرخين ، ونشأت أمة عربية ، قوية الأركان ، شامخة البناء

وفى كل عصر ، وفى كل بيئة تنجح الجماعة إذا سادت الحرية فى تصرفاتنا مع الغير وفى تناول ذواتنا ، أعنى حرية الجهر بالرأى والانطلاق من قيود التعصب للذات . بهاتين الصفتين نجح العرب وتقدموا وسادوا ، وبهما تقدم الانكليز وقويت شوكتهم وسادوا ، وبالاستمساك بهما نقوى ونسود ؛ فالتاريخ القديم والحديث مزدحمان بالأدلة على أن التربيـة الاستقلالية هى أقوى دعائم الأمم ، وإذا كان هذا أمرها فما سبيلها ؟

« يتبع » **محمد عبد البارى**

الملك أحمد فؤاد الاول

كمسلم وعالم

للأستاذ عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمى العربى

لما نعى الناعى المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول عاهل مصر العظيم ملك الحزن على مشاعرى وأخذ اليأس من نفسى كل مأخذ ، لا لأنى من الذين تربطهم به أو بمملكته رابطة شخصية فيريد أن يفى بعض حقهما عليه ، ولا لأنى أبتغى من وراء اصطناع الأسى أجراً أو شكوراً ، بل لأنى من أولئك المسلمين الذين يقدرون مصر الاسلاميـة حق قدرها ويعتبرونها اليوم أم البلاد وقبة الاسلام ومنبثق النور وبلد العلم فى العالم العربى ، وأن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها مدينون لها ولمسجدها الأزهر منذ ألف عام فهم يستنيرون بنورها ويستهدون بهديهما ، ولذلك يرون لزاماً عليهم أن يعنوا بشؤون مصر ومصيرها وأن يشاركوها فى سرائها وضرائها ، ولأنى بدافع من هذه الدوافع الكثيرة من الذين سمعوا وعرفوا من خلال الملك الراحل وخصاله الغر الميامين ما يستحق الاجلال والاكبار من الناحيتين الاسلامية والعلمية فلم أتمالك عن كتب هذه السطور التى هى نفثة مصدور فأقول :

الملك أحمد فؤاد كمسلم

منذ نصف قرن ونيف والاسلام تتجاذبه عوامل الأخذ والرد بسبب هذه الثقافة الجديدة التى يظن حملتها أن لا بأس من ادخال التطور فى جميع مناحى الحياة حتى فيما يتعلق بالعقائد والأديان والعرف والعادة حتى رأينا من بعض الأمم الاسلاميـة بعض الشذوذ تحت ستار التمدين فصار الالحاد مدنية ونبذ العقيدة رقياً ، وأخذنا نسمع بما لم نألفه من نظريات علمية هدامة تنكر الله والرسل وسارت بعض الأمم شوطاً فى هذا المضمار الشائك الذى سينتهى بها حتما إلى الهاوية وبئس المصير

فى مثل هـذه الحوائل اعتلى عرش مصر الملك المرحوم فلم

تبطره بهرجة الملك ، ولم تؤثر على عقيدته تلك النزعات والنزغات بل ظلّ على اسلامه الصحيح وعقله الرجيح

وإذا اعتبرنا أنه رحمه الله تعالى قضى أيام شبابه فى بيئةٍ أجنبية أيام دراسته فى معاهد الغرب الكبرى التى لا تمت إلى الاسلام بصلة فان بقاءه مستمسكاً بعروة دينه محتفظاً بيقينه كان من نعم الله عليه وحجته على قوة إرادته

وإن ننسَ فلن ننسى له المحافظة على زيه الشرقى فى عواصم الغرب بينا نرى بعض ملوك المسلمين وأقيالهم يقلدون الغربيين تقليداً أعمى حتى بلغ من بعض ملكاتهم النسج على منوال الملكات الغربيات والظهور بمظهر المدنيات الراقيات ، وليس فى ذلك من رقىٍّ ولا مدنية ، بل فيه خروج على التقاليد واللياقة وطعن فى صميم الكرامة وتبذّل غير محمود

فالملك فؤاد اقتعد الذروة فى هذا الخلق الاسلامى الكريم وضرب مثلاً أعلى للمسلمين ملوكهم وسوقتهم

الملك أحمد فؤاد كعالم

لو أننا تركنا جميع مآثر الملك المرحوم العلمية جانباً واقتصرنا فقط على أثره الخالد وهو لا يزال فى الامارة نعنى به الجامعة المصرية التى كان أول العاملين لها والحادبين عليها لكفاه شرفاً ونبلاً

فهذه الجامعة التى ترأسها وتعهّدها وصرف من قوى نفسه ونفيسه على نموّها وازدهارها هى مفخرة المفاخر بما قدّمته لمصر من الخدم العلمية الجلىّ . وها نحن أولاء نرى ثمارها دانية القطوف على أيدى أساتذة جهابذة يخرجون لنا فى كل عام مئات من الناشئين يملأون أرض الكنانة وبلاد العرب علماً وحكمة

والحق أن الجيل المصرى الذى عاصر أيام حياة الملك المرحوم كان سعيد الحظ بما وجد أمامه من المسهلات والمشوقات والمرغبات العلمية الكثيرة

وأنا كرجلٍ يُعنى بالتاريخ الاسلامى أذكر للمليك الراحل عمله المشكور فى تدوين تاريخ رسمى للدولة المصريّة ، فقد أمر رحمه الله تعالى بتأليف لجنة لهذا الغرض ووضع تاريخ يستخرج من الدفاتر والوثائق الرسميّة ، وكان صديقى المرحوم أحمد تيمور باشا من أعضاء هذه اللجنة ، وهو الذى أعلمنى بذلك فى حينه

وكان من دواعى الغبطة للمؤرخين الاسلاميين ظهور مجموعة عزيزة المنال ، تتضمن الأوامر الصادرة من حكام مصر إلى عامل الواحات من زمن الفاطميين إلى زمن الخديو اسماعيل رحمه الله تعالى ، وهى الأوامر نفسها لا صورها

يقول المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه لى : « ولا أظنّ نظيراً لهذه المجموعة فى الدنيا ، وقد بحثت عن سبب حفظ هذه الأوامر جميعها كل هذه المدة فى تلك الجهة النائية ، فأخبرت أن العادة فيها من القديم أن يُحفظ كل ما يصدر من الحكام إلى عاملها فى مكان خاص بالمحكمة الشرعية ، وبهذا تيسر حفظها . وقد رأيت بها من توقيعات الملوك كالغورى وغيره الشيء الكثير ، وكذلك توقيعات حكام الفرنسيس مدة احتلالهم لمصر وهى بالأفرنجية ، ولكن الأوامر بالعربية ، ولا أخفى عليكم أنى متلهف إلى الآن إلى صورة شمسية من هذه المجموعة ، ولكن « فيا دارها بالخيف » . اه

إن من حسن توفيق الله ظهور هذه الوثائق الاسلامية على يدى المرحوم الملك ، فلولا تفكيره فى تدوين تاريخ رسمى للدولة المصرية لما استطعنا الوصول اليها ، ولا الوقوف على تفكير أول قاض شرعى وضع الأساس فى جمع هذه الوثائق والمستندات القيمة فى تلك البلاد النائية البعيدة عن العمران المزورّة عن مدنية هذه الأيام

وأظن أن المساعى المتواصلة التى بذلت فى شأن هذا التاريخ قد أنتجت نشر أجزائه الأولى باللغة الفرنسية وستتبعها النسخ التركية والانكليزية والعربية طبعاً

إن مثل هذا الملك القوى العقيدة ، الراسخ الايمان ، العالم العامل البعيد مدى التفكير ، مما يُبكى عليه ، ويُحزن لفقده . ولكن فى خليفته وخلفه جلالة فاروق الأول خير عوض ، وأحسن عزاء لنا ، ورحم الله الشاعر العربى الذى قال فى حالة تشبه حالتنا هذه :

هَناءٌ محا ذاك العزاء المقدما ... فالبث المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام فى ثغور مدامع ... شبيهان لا ينفكّ ذا الشبه منهما

عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمى العربى

ملخص محاضرة

اسبانيا العربيـــة

ألقى الدكتور استانسلاو كيروخا اى دى اباركا استاذ الآداب الاسبانية فى جامعة صوفيا محاضرة قيمة باللغة الاسبانية فى مدرج الجامعة السورية بدمشق عنوانها « أسبانيا العربية » وقد لخصها الأستاذ لبيب الرياشى فيما يلى :

***

قسم المحاضر الكريم المنصف بحثه هكذا :

١ — نظرة عامة فى الفتوح العربية العالمية
٢ — افتتاح اسبانيا وتكوين مملكة عربية اسبانية
٣ — العلوم العربية والعمران ونوابغ العرب فى العلوم
٤ — سقوط الدولة العربية وأسبابه
٥ — الآثار الثمينة التى تركها العرب فى أسبانيا

المدنية العربية

إن اسبانيا بعد مرور خمسة قرون لا تزال عربية بدم سكانها وآدابهم وموسيقاهم ورقصهم وميولهم وحضارتهم

***

والمدنية العربية فى أسبانيا لا تزال إلى اليوم أسمى مدنية بريئة عرفها العالم

والكوكب الذى استنارت منه هذه المدنية أشعتها السامية هو « القرآن » وسيرة الرسول العربى

الفتوحات فى الاسلام

الخليفة فى الاسلام هو بمثابة قائد الجيوش العام ، والملك ، والبابا ؛ ورسالة الاسلام للعالم هى التبشير باله واحد ؛ ولما كان المسلمون يعتقدون أن من مات مجاهداً فى سبيل الله وهدى العالم يكون جزاؤه الخلد ، كانت الجنود الاسلامية تضحى دون ماخوف ولا رهبة ، فتقاتل قتال البطل الباسل ، وبهذا افتتحوا سورية سنة ٦٣٨ ، ومصر سنة ٦٤٠ ، وتغلبوا على امبراطور القسطنطينية وافتتحوا الدولة الفارسية سنة ٦٤٢

كما افتتحوا قسماً كبيراً من الهند سنة ٧٠٧ ، واكتسحوا الغرب وتونس والأرخبيل ومراكش ، ومن ثمة دخلوا اسبانيا منتصرين سنة ٧١١

ولم يذكر التاريخ أن امبراطورية بلغت من السمة فى الملك والكبر والمجد ما بلغته هذه الدولة الفتية

فتوح اسبانيا

لنبحث عن اسبانيا الآن : بعد أن افتتح العرب اسبانيا سنة ٧١١ على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد « ٩٢ هـ » بقيت مقاطعة أو إمارة تأتمر بأمر الخليفة ، ولكن فى عام ٧٥٦ استقلت المملكة العربية الاسبانية عن الخليفة الكبير

واتخذت هذه المملكة المستقلة « قرطبة » عاصمة لها فأصبحت أغنى عاصمة فى العالم وأوفر مكانة بعناية مؤسس هذه المملكة « عبد الرحمن الأول » ، وبرغم الثورات الكثيرة والاضطرابات العديدة ظلت هذه المملكة وطيدة الأركان من القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر

وفى اسبانيا هذه كان يعيش قسم كبير من المسيحيين ترك لهم الاسلام حرية معتقداتهم وعاداتهم وحافظ على كنائسهم

ملوك اسبانيا

ويعد أفضل من حكم اسبانيا العربية الملوك الثلاثة :

« عبد الرحمن الأول ، وقد أسس قرطبة الجميلة المجيدة

عبد الرحمن الثانى ، وقد مهد الطرقات وشاد الأبنية العمومية الفخمة وأسال الأمواه فى المجارى الهندسية حيث لم يكن فى أوربا شىء من هذا

عبد الرحمن الثالث ٩١٢ — ٩١٦ عرف أنه كان أفضل ملك مثقف يحب العلم ويعمل على نشره ، وأقوى من جميع الملوك الذين عاصروه ، فقد نال انتصارات باهرة على الملوك المسيحيين الذين تحرشوا به حتى كان عدد كبير من الملوك الذين عاصروه يلتجئون اليه ويحتمون به

والحكم الثانى امتاز بحب العلم ونشر الثقافة ، ولقد أنشأ فى قرطبة مكتبة تحتوى أكثر من أربعمائة ألف مصنف

وفى عهد الخليفة هشام الثانى الضعيف الارادة تمكن المنصور وزيره الأول من محاربة الامارات المسيحية الثائرة

وسنة ١٠٠٢ اجتمع ملوك كاستجاليون وفقارا وباجتماعهم وتضامنهم تغلبوا على هذا القائد الجبار فى واقعة « كلا ثانياسير » عاصمة شوريا وهكذا لم يبق للعرب سنة ١٠٣١ سوى إمارات صغيرة أشهرها سافيجا وتولوزا

العلم والعمران

لم يشتهر العرب بالبطولة الحربية فحسب ، ولكنهم اشتهروا بالعلم والشعر والاقتصاد ، وعرفوا بتنشيط العلوم ونشر الثقافة

اقتبس العرب جذوة من علوم اليونان والفرس — فأشعلوا من تلك الجذوة منارة مضيئة

أسسوا مدارس علمية في بغداد ودمشق ، أما في اسبانيا فقد أنشأوا كلية « سالرنو » في قرطبة ، وهي الكلية التي كانت لغتها عربية ، وعلومها عربية ، وأخلاقها عربية ، وكل ما فيها عربي ، وهي أقدم مدرسة طبية في أوربة كلها

وهكذا ابتدأ العرب يشتغلون في الكيمياء فاستكشفوا الكحول ، وأسسوا قصورا ومساجد وجنائن ، وجعلوا الأرياف بساتين زاهرة زاهية ، جروا اليها المياه في أقنية هندسية ؛ لذا نقول بحق إن العرب كانوا أكثر مدنية في القرون الوسطى من أوربا كلها

وإني لأقول بحق إن المدنية العربية الاسبانية ، نعم المدنية العربية ، كانت جوهرة ثمينة في ثقافتها وعلومها الاجتماعية وعمران مدنها وازدهارها في جميع نواحي الحياة ، حتى إن مدنية باريس ولندن في هذا العصر لم تمتازا عن حضارة العرب في تلك العصور

إن قرطبة كانت تحتوي على مائتي ألف منزل ذي بناء شاهق وفن متقن ، وعلى ٦٠٠ مسجد ومستشفى وقصور فخمة ، وعلى ٩٠٠ حمام وجنائن هندسية زاهرة ، وأكثر من نصف مليون من السكان ، ولقد أسس ملوكها مدارس في كل مزرعة وقرية ومدينة ، وعلموا الذكور والأناث القراءة والكتابة حتى لم يبق في أسبانيا العربية أمي واحد

ولقد كان في قرطبة جامعة رئيسية ؛ والى هذه الجامعة كان يقصد عشاق العلم وطلابه ، ومن مفاخر هذه الرسالة العربية أن النساء كن يثقفن ثقافة كاملة شاملة

نعم النساء المخدرات كن يجدن القراءة ويعرفن التاريخ والفلك و . . .

وهكذا كان العرب الاسبانيون يشتغلون في كل العلوم ، وعن العرب الاسبانيين صدرت شعلة الكيمياء والرياضيات

وأكثر الفنون التي أجادها العرب الاسبانيون : الهندسة والموسيقى والشعر . ومن الأبنية الكبرى التاريخية مسجد قرطبة وقصر غرناطة ، وتميز كل منهما بأقواسه وأعمدته وزخرفه

من النسل العربي هذا نحن أبناء اسبانيا ، نحن الذين لا نزال نستعمل حتى اليوم الطبل والغناء والموسيقى العربية والرقص العربي

الزراعة والصناعة :

وعناية العرب في الزراعة كانت بالغة الحد الأقصى والعناية التامة ، فهم الذين زرعوا النخل ، والرز ، وقصب السكر ، والقطن ، الخ ...

أما الصناعة فقد تفوقوا فيها ، وأسسوا معامل للجلد في قرطبة ، والورق في البندقية ، وهذه المعامل كانت أول معامل من نوعها في العالم

وفي عهد المنصور شعت المدنية العربية فأنارت أشعتها العالم . أما الأسس التي ارتكزت عليها هذه المدنية ، أما القطب الذي كونها وأدارها وعززها فهو « القرآن » وسيرة الرسول العربي ليصلوا الى أمنيتهم السامية في تكوين حضارة صحيحة

وهنا عدد المحاضر أسماء عشرات من نوابغ العرب في أسبانيا ونابغات العرب في العلوم والفنون

ثم تطرق بعد ذكرهم إلى تغلب النصرانية عليهم بسبب تفرقهم وتخاذلهم وتضامن الأمراء المسيحيين واتحادهم سنة ١٤٩٢

ولقد عرض مشاهد القصور والمساجد والجنائن بالفانوس السحري ، فاذا هي من الروائع التي تخلب الألباب ، وقال :

نور الدين الاسلامي

المادة الأصلية في المدنية الاسلامية العربية الاسبانية هي نور الدين الاسلامي ، الدين الذي يجاري المدنية والحضارة في أرقى وأسمى معانيهما

وأستطيع أن أصارحكم مؤكداً أن المدنية العربية هي في الجوهر مدنية شعب يستوحي من الله

(قل هو الله أحد ، الله الصمد)

على أسس هذه العقيدة رفعت أمجاد الجامعة العربية الاسلامية ؛ إنها عقيدة دينية ، نعم ، ولكنها في نفس الوقت أسمى قوة اجتماعية

وختم المحاضرة قائلاً :

انتهى الحكم العربي في أسبانيا منذ خمسة قرون ، أجل :

الأدب بين الخاصة والعامة

لامرتين ورينه جارد

للسيد اسكندر كرباج

تابع لما نشر فى العدد الماضى

فيسأل لامرتين ضيفته : هل أصابكِ فى حياتكِ ما أحزنكِ يصدع قلبك ؟ فتجيبه : مراراً قليلة ياسيدى لأنى خالية البال من حمد الله . غير أن لكلٍّ أتراحه على هذه الأرض ، ولا سيما إذا كان فتاة مثلى لا أسرة لها ولا أقارب ولا زوج ولا بنين ، تنام وحيدة وتستيقظ وحيدة لا تسمع فى داخل غرفتها إلا سقسقة عصفورتها فى القفص . ولكن شاء القدر أن يحرمنى هذه الرفيقة اللطيفة بعد أن ألفتها فلقيتها صباح يوم ميتة وقد ضمَّت قائمتيها وفتحت منقارها وأطبقت أجفانها ، وبموتها حلَّت الكآبة فى الغرفة فلا سقسقة ولا فرح ولا صداقة ، فما أحزن هذه الحالة ياسيدى . ثم تجفف دمعتين كانتا تترقرقان فى محاجرها وتزيد على قولها :

إذا لم يكن للانسان مَن يحبه ويعطف عليه من أبناء جنسه فانه يميل الى الحيوانات وعشرتها . كانت عصفورتى تحبنى ، وكثيرا ما داعبتها وتحدثت اليها كأنها تنطق وتعقل . يقولون ليس للحيوانات أرواح ، ولكن لو لم يكن لعصفورتى روح فماذا كانت تحبنى ؟ أبريشها وقوائمها ؟ وسمعت أيضا أن فى الفردوس أشجاراً تتفيؤها الأطيار . فأنا لا أرى أقل بدعة فى هذا القول ، أيمكن أن يكون الله مع صلاحه وعدله مختالاً ؟

فيسألها لامرتين : هل كتبتِ شيئاً فى موضوع حزنك ؟

فتجيبه : نعم كتبت لما نظرت القفص فارغاً والنبتة جافة على شباك النافذة ؛ طفر الدمع فى عينى ، فجلست الى المنضدة ونظمتُ قصيدة ناجيت بها تلك العصفورة الرقيقة كأنها لا تزال حية تسمعنى ، ولكننى لم أستطع تكملتها لفرط حزنى

فيقول لها لامرتين : أسمعينى هذه القصيدة أو ما تتذكرينه من أبياتها ، ولا بأس إذا جاءت متقطعة فبغيتى أن أقف على مبلغ ما فيها من الشعور لا على تناسق قوافيها

فتعمل فكرتها قليلاً ، ثم تنشد بصوت رقيق ولهجة مؤثرة أبياتاً من الشعر فى وصف عصفورتها وما كان بينهما من الصداقة والألفة

فيشكرها لامرتين على ثقتها به واظهارها له مكنونات قلبها . ثم تأتى زوجته ، وبعد أن تستقبل رينه بشىء من تلك الدالة ، وذاك العطف الذى يفقد الغريب بعض حيائه وارتباكه تدعوها إلى العشاء تحت شجرة تداعب أغصانها نسمات البحر محدثة فيها حفيفاً لطيفاً ، كان يذكر رينه بحفيف جناحى عصفورتها

ثم يقصدون إلى شاطئ البحر القريب ، ويجلسون على مقاعد زورق ، ويعودون إلى التحدُّث ، فتقول زوجة لامرتين لرينه : يظهر لى أنك ولوع بالمطالعة ، وهى التى جعلتك تتكلمين اللغة الوطنية بهذه البراعة ، والتعبير عن عواطفك بمثل هذا الشعر الشجى

فتجيبها رينه : نعم ياسيدتى ، إن المطالعة من أكبر أسباب غبطتى ؛ فبعد اشتغالى النهار كله ، وقيامى بواجب الصلاة لله ، لا أجد لذة إلا فيها ، فمن ينهض باكراً ويخيط حتى المساء يضطر إلى راحة أنامله وتسلية نفسه . إن علاقاتنا مع الجيران لا تتعدى تبادل التحية ، لأن النساء ينصرفن إلى إعداد الطعام ، أو إرضاع الأطفال ؛ والرجال بعضهم يرقد سريعاً لينهض باكراً إلى مواصلة عمله ، وبعضهم يصرف وقته وماله وصداقته فى الملاهى والمقاهى ؛ فماذا تفعل الفتاة المحتشمة مثلى لتمضية الليالى ، ولا سيما ليالى الشتاء الطويلة ؟ فاما أن تطالع ، أو أن تقف جامدة كالصنم

ولكن أسبانيا لا تزال عربية ، حتى فى القرن العشرين لا تزال شرقية ، لا فى جوامعها وأبنيتها وجنائنها فحسب ، بل وفى أخلاقها وعاداتها وموسيقاها ، ورقصها وشعرها ، وفى تهذيبها ومشروعاتها

ولهذا السبب تعلمون الآن أنى عندما شاهدت دمشق شعرت أننى أشاهد أسبانيا ، وإذا ذهبتم لمشاهدة أسبانيا شعرتم أنكم فى دمشق

من هذا تعلمون أيها العرب أننا إخوة : العرب والاسبان إخوة ، نعم إخوة لأن سلالتهم سلالة واحدة ، ودمهم دم واحد ، وهم من نفس واحدة تكونوا ، وثقافتهم ثقافة واحدة وتاريخهم تاريخ واحد ، وحضارتهم حضارة واحدة

تنظر إلى جدران الغرفة ، أو الى ارتفاع دخان الموقد

فتقول لها زوجة لامرتين : ولكن ما هى الكتب التى يمكن مطالعتها ؟

فتجيبها رينه : هنا البلية يا سيدتى ، نريد المطالعة ولكن لا ندرى ماذا نطالع . لقد وضعت الكتب للذين من غير طبقتنا فاذا استثنينا الانجيلين وكاتب تقليد المسيح لا نجد بين المؤلفين والمنشئين من فكر فينا وجعل قسماً من أدبه لنفعنا . من الطبيعى أن يفتكر الانسان فى الذين من طبقته ، فواضعو الروايات والمآسى والمهازل ، وناظمو القصائد والملحمات ، هم من طبقة أعلى من طبقتنا ، أو بالحرى خرجوا من بيئتنا الخاملة العاملة ودخلوا فى بيئات الملوك والأمراء والأشراف والأغنياء والسعداء وغيرهم من الذين يصرفون أوقاتهم عبثاً وأموالهم على الأباطيل

فيقاطعها لامرتين : لا لوم عليهم إذا هم نسوا الطبقة التى خرجوا منها ، أو تركوها جانباً ، وانصرفوا إلى ارضاء أهل البيئة التى دخلوها ، فمثلوا أفكارهم ، وتكلموا لغتهم ، وصوروا عاداتهم وأذواقهم ، فهذا الذكاء وهذه المعرفة وهذا الذوق المكتمل الدقيق الأنيق فى الطبقات العالية ، وهذه اللغة والعادات لا يمكن أن تكون كلغة وعادات الطبقات الفقيرة قبل أن تسمو بالتربية إلى ادراك كنه هذه الأشياء الجميلة . كان للقدماء كتّاب وفلاسفة وشعراء عبيد كابيكاتاتو واسابو وتارنسيو ، ولكنهم لم يخصصوا أدبهم بالعبيد ؛ وكان لهم سقراط ، ولكن أفلاطون اضطر الى شرحه لهم كما اضطر تلاميذ هذا ، وهم أكثر منه معرفة الى تفسيره . وكان لهم شيشرون ولكنه خصص معظم أدبه بأفراد أسرة السيبيون ؛ ثم فرجيلوس الذى كان ينشد قصائده الرعائية فى حضرة أميرات بلاط أوغسطس قيصر ، ولكن الرعاة الحقيقين لم يتفهموه ؛ ثم هوراسيو وقد كان ينشد الخمرة والحب المباح بقصائد من الشعر الحافل بالمعانى الملتبسة والصور المأخوذة عن اليونان والتاريخ ، غير أن شعوب عصره لم تكن تنشدها وتدركها

فتقول له رينه : هذا حق يا سيدى إذا استثنينا روبنصن وحياة القديسين فما هى الكتب التى وضعت لنا ؟ ؟ نعم إن لدينا كتابين آخرين هما « تلماك » و « بول وفرجينى » ، ولكن الأول كتب لتهذيب حفيد الملك ، وهو مما لا يهمنا أمره لأننا لسنا من أحفاد الملوك ، والثانى يحرك قلوب الجميع ، لأنه يصف لنا جمال الحب وروعته فى قلبى حبيبين رفيقين لا يستطيعان الحياة منفردين ، وكيف أن مطامع أهليهما حالت دون اتحادهما واكتمال سعادتهما . إن فرجينى ابنة جنرال ، وكان لها عمّة نبيلة أرادت أن تجعلها سيدة راقية ممتازة فأدخلتها الدير . إنها حوادث عجيبة ومشاهدات رائعة ، ولكنها حوادث لم تجر فى منازلنا وبين أفرادنا ، ومشاهد لم تقع عليها أبصارنا . فمن يكتب لنا الروايات والقصائد ؟ لا أحد ! أنا لا أدخل فى عداد الكتاب والشعراء والمؤلفين ، أولئك الذين يجمعون تقاويم تحمل بين ثناياها سخافات الأعوام الغابرة ونكاتها ، ويضعون روايات لا تستطيع العذراء مطالعتها إلا خلسة عن أمها ، وينظمون أناشيد تترفع الشفاه النقية عن التلفظ بها ، ولا أستثنى من هؤلاء إلا بيرانجر الذى أظهر آخراً جمال روحه فى رباعياته البديعة . فمتى يكون للفقراء مكتبة ؟ من يشفق علينا ويؤلف لنا كتاباً ؟

أبدت رينه نظريتها تلك برزانة تفوق معارفها ، وبلهجة تشف عن اعتقادها بفقر طبقتها الأدبى مما حمل لامرتين على الافتكار قليلا فى حقيقة ملحوظاتها وأهميتها . وبعد قليل قال لها لامرتين : لقد افتكرت فى كل ذلك يا رينه ، أما الآن فقد تغيرت أفكارى بعد أن سمعت أقوالك . حقاً إن الشعب الذى يريد التعلم بالدرس والتسلية بالمطالعة والانتفاع بالخيال والتأثر بالشعور والارتفاع بالفكر ، إما أن يموت جوعا وإما أن يشمل بالفساد إذا لم ينتبه لنفسه . لذلك وجب أن تهتم الهيئة ، أو أن يخلق الله للشعب هوميروس عاملاً وميلتون مزارعا وطاسين جندياً ودانتى صناعياً وفنلون كوخياً وكورنيل وراسين وبوفون من رجال العامل لكى يضعوا له ما لا تريد الهيئة الأثرة الكسول وضعه : أى أدبا يمثل عاداته ويعبر عن شعوره . إنى أعرض بالفكر ما فى المكاتب من المؤلفات النفيسة لأشهر الكتاب وأختار مجموعة صغيرة منها تمكن لأسرة نزيهة من المزارعين والعمال والخدم رجالاً ونساء كهولاً وشباناً أن تغتذى بها حياتها الروحية ، وأن تتركها على الخوان بغير خوف ، وأن تطالع ليلاً وفى أيام الآحاد دون أن يعوزها مترجم أو مفسر ، فماذا وجدت ؟ وجدت التوراة كتاباً بديعاً حافلاً بالحكايات الشعبية كطفولة النوع البشرى ولكنها ملتحفة بالأسرار والعادات الشائنة والغيرة

والشرور وغيرها مما يفسد الروح والقلب والعادات فيما لو وضعت في يدي ولد أو تحت نظر الشعب الجاهل دون أن يوجـد من يفسر معانيها ويهذب ألفاظها . ثم وجدتُ هوميروس وأفلاطون وسوفـكلس وأسكيلوس ، ولـكنهم عاشوا في عصر غير عصرنا ، وكتبوا بلغة غير لغتنا ، ووصفوا عادات غير عاداتنا ؛ ثم وجدتُ فرجيلوس وهوراسيو وشيشرون وجوفنال وتاسيت ، ولـكنهم كتبوا باللاتينية والشعب لا يعرفها ؛ ثم وجدتُ ميلتون وشكسبير وبوبي ودرايدن وبيرون وكرابله ، غير أنهم من الانكليز ؛ ثم تاسو ودانتي وبترارکا ، وهم ثالوث الشعر الايطالي ؛ ثم شيلر وجيته وڤيلند وجزنر ، ففي كتبهم صفحات بديعة للشعب لأن الشعر الألمـاني ينزل الى درجة الشعب والشـعب يرتفع اليه ولـكنها بالألمانية ؛ ثم سرفنتس وكالديرون ولوبس فيفا ، غير أن كتاباتهم هي من النوع الحماسي الذي لا يمكن تجديده الآن ؛ ثم الشعر الشرقي السامي بحكمه ومعانيه من هندي وفارسي وعربي ، إنها كنوز مستورة من الخيال البشري ، ولـكن هذه الـكنوز الثمينة هي باللغات السنسكريتية والفارسية والعربيـة ، ولا يوجد من يكتشفها وينقلها الينا

ثم وجدت شعراءنا الفرنسـيين القدماء وجل منتوجهم من النوع الروائي الحماسي ، وفي المقامات الغراميـة الوقحة والقوافي الأنيقة ، وكلها في وصف حوادث البلاط والطبقات العالية . هذا بسكال ، فكتاباته إما مناظرات اكليريكية حول جوهر العقيدة لا يفهمها البسطاء ، وإما أفكار عميقة لا يسبر غورها إلا القليلون . وهـذا بوسويه ، فقد اشتهر ببلاغة تعابيره وقوة عارضته في الخطابة ، وكان يسرّه أن يرعد ويبرق فوق الرؤوس المتوَّجة وفي قاعات البلاط ، ولـكن بروقه لم تـكن تصعق إلا الشعب الذي كان يستسلم روحا وجسدا إلى سيروس العصر ، فهو مجموعة روامز في اللغة والخطابة لا أكثر . وهذا أيضاً فنيلون ، ففي كتابه « تلماك » وفي المراسلات كثير من الأفـكار السامية والمبادئ القويمة كالنفس المتدينـة والفلسفة الانسانية والظرف والعطف وروح الفضـيلة ، ولـكنها صفحات بسيطة لا كتاب للشعب . ثم كورنيي فهو سياسي مختصر ، وقد وقف في مستوى لا يبلغه القلب البشري ، وأدبه كناية عن عدة مشاهد وأمثال واندفاعات شعرية لا ترضي الشعب الذي يريد الحياة

بالاسهاب في شرح العواطف لا باختصارها ، والنفس في نظره هي العبقرية ، ونفس كورنيي كانت في الـكلام كنفس تاسيت . ثم راسين ، فهذا ولد ليكون شاعر الشعب ؛ غير أن شعب عصره لم يكن خليقاً به لسوء الحظ ، لأن البلاط الذي اجتذبه اليه احتفظ به ضد الشعب ، ولا يوافق هذا من أدبه إلا مأساتاه : « أستير » و « ثماليا » بالنظر إلى صبغتهما الدينية ، وماعداها يخص الأبهاء . ثم ڤولتير وهو روح جبارة استوعبت كل المعارف والعـلوم ، ولـكن لم يخرج عن كونه مزيجاً من روح وعقـل ونور ونقد ونعومة وخشونة وهزء وجـدل وأحياناً وقاحة . إنه لم يكن قط نفساً وحناناً وحباً وعطفاً وشـفقة على البائسين ؛ كان فيلسوف السعداء ونبيل الأذكياء وشاعراً ضئيل النور لا يتبينه جداً بسطاء القلوب ، بضيء في المـكاتب ليخبو في الحقل أو في مسكن الفقير

وإذا نظرنا إلى مؤرخينا لا نجد بينهم من كتب للشعب ، فونتيسكيو كثير العلو ، ورولين صالح ولـكنه شديد الأمانة في ترجمة المـاضي فلا يستطيع مطالعته من كانت ساعاته محدودة

وكذلك روائيونا فانهم اتخذوا أشـخاص رواياتهم من الطبقات العالية وعبروا عن العواطف بلغة الأبهاء المنمقة لا بلغة الطبيعة الساذجة . فلا يصلح منها شيء للشعب

ثم فلاسفتنا كديكارت وملبرنش وكوندياك وكل الحديثين ، فمهما أعيد طبع مؤلفاتهم فلا أعتقد أن الشعب يقبل على مطالعتها ، لأن فلسفة الشعب هي في الشعور لا في الادراك ، فمنطقه غريزته ، وبرهانه تأثره ، واستنتاجه دموعه . ومن مؤلفات جان جاك روسو لا يصلح للشعب إلا الصفحات المائة الأولى من كتابه « خوري سافويا » وبعض فصول من « الاعتراف » ؛ وكذلك شاتوبريان لا يقرأ من مؤلفاته إلا « رينه » و « أتالا » حيث امتزجت الفلسفة بالدموع ، والحنان بالحب

أما مسارحنا فلا يمثَّل عليها إلا ما كتب للملوك أو الطبقات المتأدبة بدليل انصراف الشـعب عنها الى تمثيل الروايات الغنائية التي اخترعها لنفسه . وكذلك علماؤنا فقد كتبوا في الجبر بلغة واصطلاحات تجعل العـــلوم الطبيعية في حالة الغموض لمن لم يتمرَّن عليها ، فالذي يجب أن يعبر عن العلوم بلغة الشعب البسيطة لم يخلق بعد . إنه خلق ولـكن في انكلترا ؛ هو ابن هرسكل

لعبرة فى وفاة الملك

ديمقراطية الموت

للأستاذ محمود غنيم

الموت آية ، ولـكن موت الملوك آية كبرى ؛ والموت عظة ، ولـكن موت الملوك عظة بالغة

بالأمس تهجم الموت على ذلك الحرم المقدس ، واقتحم أسوار هذا الحصن المنيع الذى تغضى العيون حيـاء من مهابته ، ولا تلجه الشمس إلا بعد استئذان ؛ اقتحم الموت بلاط ابن اسماعيل ، وحفيد ابراهيم ، والجالس على عرش فرعون ، فلم يحدِّد للزيارة ميعاداً ، أو لم يحـدَّد له ميعادٌ ، ولم يلزم الباب حتى يُسمح له بالدخول كما تقضى المراسيم عند زيارة الملوك ، ثم مد يده فى أناة ورفق ، بل فى عنف وقسوة ، فسل روح الملك من جسمه ، كما تُسل كل روح من كل جسم ، ثم انصرف هادئاً مطمئناً ، كأن لم يفعل شيئاً ، فاذا الحرس واجم ، والسـلاح كليل ، والطب يطرق حياء ، وجبين العلم يتصبب عرقاً ، وإذا الشرارة تنطلق فى القصر ، فيندلع لهيبها فى مصر ، ويسمع دويُّها فى الخافقين !

يالله ! أيمرض فؤاد كما يمرض أى فرد ممن يظلهم عرش فؤاد ؟ كنا نظن عرشه حمى تتحاماه الأسد ، وتتقيه عوادى الدهر ، فما بال جراثيم المرض تنفـذ إلى ذلك الحمى ، وما بال ميكروباته تتسرب إليه ، وما بال أهون خلق الله شأناً يفتك بأعظم خلقه شأناً ؟ حقاً إنه الموت ! ديموقراطى ، لا يميز بين الملوك والسوقة ، ولا يدين بالفروق بين الطبقات

يمرض الفقير ، فيرمى أهـله بالتقصير ؛ يقولون : تهاونوا فاستفحل الداء ، أو أساءوا اختيار الأطباء ، فما بال الملوك يتقلبون على فراش المرض ، ويقاسون ألم النزع ، ويتجرعون كأس الحمام ؟

أيها البرق. توعكمزاج الملك فطير الأنباء . أيتها الطيارات ، احملى من مختلف الأصقاع نطس الأطباء . أيها العلم هات أحدث ما تمخضت عنـه معامل الـكيمياء . وأنت أيها الموت مالك جامداً فى مكانك لا تريم ، هازا كتفيك استخفافاً ، مفتر الثغر عن ابتسامة مروعة ، تسرح طرفك بين هؤلاء وهؤلاء ، فى سخرية واستهزاء ؟

أهكذا يُفعل بالملوك ؟ لك العزاء والسلوة أيها الفقير ! ليس المرض وقفاً عليك ، وليس الموت وقفاً عليك . إنك لا تتعذب وحدك أيها المسكين ، ولـكن الملوك أيضاً يتعذبون ! الملوك الذين تنظر اليهم نظرة التقديس ، وتخلع عليهم ثوب الألوهية ، وتغبطهم فى يقظتك ، وتحـلم بنعيمهم فى منامك ، والذين تعتبرهم مثلك الأعلى ، وتعتقد أن الخطوب لا ترق إليهم ، وأن لهم عيشاً أنعم من الحرير وألين من المـاء : هؤلاء يمرضون أيضاً ويموتون ، ولعلهم فى عيشهم محسودون بما هم منه باكون !

هذا هو ابن اسماعيل ، وحفيد ابراهيم ، تُستأصل نواجذه بلا مخدر ، فيحتمل راضياً أو كارهاً تعلقا بالحياة ؛ وتُشق لثته ثم تخاط بلا مخـدر ، فيحتمل راضيـاً أو كارها تعلقا بالحياة ؛ ويُحرَّم عليه الأسرة ، فينطرح على كرسيه ثم ينام أو لا ينام ، فيحتمل راضياً أو كارها تعلقا بالحياة ؛ وأخيرا ها هى ذى الحياة ، تتدلل تدلل الهيفاء ، وتجفو فتسرف فى الجفاء . وها هو ذا شبح الموت يقتحم البلاط ، رغم كل احتياط !

ماذا تقول النشرات الطبية ؟ — القيح ! التعفن ! التسمم : أسماء تتـداولها ألسنة العامة ، وكأننا كنا نخالها وقفاً على أبدانهم ، وما كنا نظن أنها تعرف الطريق الى ذوات الملوك ، ذوات الملوك المصونين عن العبث ، الموضوعين فوق القوانين ، الذين لا تنالهم الألسن إلا بالهتاف ، ولا الأفواه إلا باللثم ، ولا تطأ الشفاهَ أسماؤهم إلا همسا ، ولا تنالهم الأيدى إلا بالسلام ايماءً من بعيد ؛ فى هذه الذوات المقدسة تسرى سموم الموت ، وينشب أظفاره الموت ، والموت ديمقراطى لا يميز بين الملوك والسوقة ، ولا يدين بالفروق بين الطبقات

« لا أريد أن أموت » هكذا يقول الملك ؛ والملك إذا قال

فمن كل ما كتب بالفرنسية لا توجـد إلا خمسة أو ستة كتب تصلح للطبقات الجاهلة فى المدن والقرى

يعلّمون الشعب القراءة ، ولـكنهم لا يضعون له الـكتب اللائقة به ، فهم إما أنهم يقـدمّون له مؤلفات كتبت لغيره أو أوراقاً محشوة بالنقائص والوقاحة كمن يقدّم سلاحا لطفل ليجرح به نفسه

« العصبة » يتبع

اسكندر كرباج
من العصبة الأندلسية

فكلمته مرسوم نافذ ، واذا أشار فاشارته قانون محترم ، وإذا أومأ فايماءته أمر واجب الطاعة ، ولكن الموت — قاتل الله الموت — لا يحسن الخضوع للمراسيم ، ولا يعرف كيف ينفذ القانون ، ولا ينحني أمام أوامر الملوك

مات الملك في الشرق وكان ابنه في الغرب ، وقد فصل القضاء بين الاثنين بحر وبرين ، أليس من حق الراحل أن تكتحل رؤية ابنه عيناه قبل أن يفارق الحياة ؟ أمنية يظفر بها المغمور الصعلوك ، بله الأمراء والملوك ؛ أمنية يظفر بها المحكوم عليه وهو من حبل المشنقة قاب قوسين ، ولكن الملوك يتمنونها فلا يجدون اليها سبيلاً . إيه أيها الموت ! هلا تريثت قليلا حتى يؤوب الغائب ؟ إيه يا جنود سليمان ! هلا حملت النازح البعيد على أجنحتك التي حملت عرش بلقيس ؟ لا هذا ولا ذاك ، إذن فليتعز الراحل العظيم ، بكتاب ابنه الكريم ، ولكن كتاب الولد البار لا يكاد يصل الى الوالد الواقف على حافة الأبدية حتى يضن الموت أخيرا كما ضن أولا ، وحتى ترتعش اليد رعشة الموت ، فيتدحرج الخطاب ، وينسدل بين البصر وبينه حجاب ، ويلفظ القارىء نفسه الأخير ، ويكون آخر ما قبضت عليه يمينه كتاب ابنه المحبوب ، وآخر ما فاه به اسم ابنه المحبوب ، وآخر ما انطبع في مخيلته صورة ابنه المحبوب

ها هو ذا الملك مسجى على سرير من ذهب لا يرد اليه الحياة ، مغطى بأكفان من الحرير لا تخفف من خشونة الموت شيئاً ؛ أمامه مباخر من عنبر لا تنفس من سكرة الردى ! النعش هو النعش ، حملته الأعناق ، أم جرته الخيول العتاق ؛ والقبر هو القبر من طين وماء ، أو من مرمر ورخام ، في صحراء جرداء ، أو في جوف هرم من الاهرام . أطلقوا المدافع ، ونظموا المواكب ، وأعلنوا الحداد ، ونكسوا الأعلام ، فلن تغيروا من حقيقة الموت شيئا . الموت هو هو ، ديموقراطي لا يميز بين الملوك والسوقة ، ولا يدين بالفروق بين الطبقات

مات الملك فورث ولي عهده تاجا وصولجانا ، ونهراً عذبا ، ومملكة فيحاء ، وأمة مطيعة مخلصة ، ولكنه بجانب ذلك فقد عطف الأب البار ، وحنان الوالد الرحيم ؛ فليت شعري أخاسرة تلك الصفقة أم رابحة ؟ وأية الكفتين هي الراجحة ؟ ، لست أدري ، ولكن الذي لاشك فيه أن كل شيء يمضي ويعود ، حتى العروش والتيجان ، ولكن الميت لا يعود ، وأن الملك الجديد لو بذل عرشه في سبيل نظرة من أبيه أو كلمة يسمعها من فيه ما سمح الموت ، لأن الموت ديموقراطي لا يميز بين الملوك والسوقة ولا يدين بالفروق بين الطبقات

هكذا تتساوى الرؤوس عند الموت بالرؤوس ، أو تتساوى الرؤوس بالأذناب ، كما تساوت الرؤوس بالرؤوس ، أو الرؤوس بالأذناب عند انحدارها من الأصلاب . الكل من التراب ، والكل إلى التراب . ومالي لا أذهب إلى أبعد من ذلك ، فأزعم لك أن الناس كما يستوون في طرفي الحياة ، يستوون في الحياة ؛ وأزعم أن في الحياة نصيباً مشتركا من السعادة ، وآخر من الشقاء ، كل الناس فيهما سواء . وما دام كل إنسان لا يقنع بما هو فيه ، بل يمتد نظره إلى أبعد منه ، ويتمنى على دهره الأماني ، فيبسط له الدهر إحدى يديه ، ويقبض الأخرى ، فلا يقنع الانسان عند البسط ، ولا ييأس عند القبض ، فهو أبدا آمل ، كادح ، مخفق ، ناجح ؛ أقول مادام أنه لا سبيل إلى الكمال المطلق ، إما لأنه غير موجود ، أو لاستحالة الوصول اليه ، فالناس في الحقيقة سواء ، وما اختلافهم في الجاه والمال والمراكز الاجتماعية إلا أمور اعتبارية

لا أستطيع أن أعرف السعادة ما هي ، غير أن الذي لا أشك فيه أنها ليست المال وحده ، وليست الجاه وحده ، وليست الجمال وحده ، قد تكون مزيجاً من ذلك كله ، وقد تكون غير ذلك كله ، وقد يكون الألم جزءاً من ماهية السعادة ، أو شرطا من شروطها ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تستطيع أن تضع الفوارق بين السعادة والشقاء ، أو تومئ بأصبعك إلى شخص معين فتقول : هذا شقي ، وإلى سواه ، فتقول : هذا سعيد

أيها الراحل العظيم ، لقد تبوأت سرير الملك
في ساعة يذر الأسرة نحسها   مثل النجوم طوالعاً وأفولا

ولقد خلفت سرير الملك ، وما تزال الجدود عاثرة ، والأسرة متناثرة ؛ ولكنك عشت ملكا ، ومت ملكا . والآن قر في مضجعك ، فلا قرار مع الحياة ؛ والتمس في باطن الأرض الراحة التي خانتك على ظهرها . إن للملك لهما ، وإن للشعوب من الأحمال الثقال ، ما تنوء بحمله ظهور الرجال ؛ وإن لك في جوار ربك لعوضاً أي عوض . أحسن الله عزاءنا فيك ، وبارك لنا في خلفك المحبوب

كوم حمادة   محمود غنيم

الحياة الأدبية فى الحجاز

للأستاذ عبد القدوس الأنصارى

نشر الأساتذة : على الطنطاوى وعبد الوهاب الأمين وسامى الشقيفى وغيرهم فى مجلة (الرسالة) الغراء بحوثاً ممتعة عن الحياة الأدبية فى أوطانهم ، فأجادوا وأفادوا ، وجلوا لنا بأقلامهم المرهفة حقيقة هذه الحياة

ولما كانت هذه البحوث عبارة عن جزئيات يتألف من مجموعها موضوع كلىٌّ عام ، هو الهدف الاسمى ألا وهو (تصوير الحياة الأدبيــة فى البلاد العربية) رأيت — والحالة ما ذكر — أن أدلى بدلوى وأقول كلمتى عن الحياة الأدبية فى الحجاز ، استكمالاً لحلقات البحث ، ووفاء بحق هذا القطر الذى هو مهد الأدب العربى الأول

كانت الحياة الأدبية عندنا فيما قبل الحرب العامة الماضية تجرى على سنن أدباء القرون الوسطى جريا تقليدياً محضــا ، ميكانيكياً خالصا ؛ قصائد غزل ورثاء ، ومدح وهجاء ، وتطريز وتشجير ، ورسائل معذرة وإطراء ، وعتاب وتواصل وتقاطع ... وكانت كل هــذه الرسائل وهاتيك القصائد منهوكة القوى المعنوية بما تحمّله دواماً من أغلال السجع المرهقة ، وأثقال المحسنات البديعية الجافة ... للألفاظ فى الأدب عامةً المقام الأول : أما المعانى فهى فى الدرجة الثالثة أو الرابعة فى الأهمية . بقدر اقتدار الأديب ناثراً أو شاعراً على تنميق الألفاظ يقاس أدبه ، وبموجبه يصدر له أو عليه الحكم

هكذا كان الجو الأدبى هنا محاطاً بسياج من الجمود ... فلما وضعت الحرب العامة أوزارها استيقظ فى نفر من ناشئة الحجاز المتعلمين روح النهوض ، وشعروا أن أدبهم قد أخنى عليه التقليد وأفسده داء الجمود ، فتركه هيكلاً عظمياً نخراً باليا ، نائياً عن الحياة ، بعيداً عن مطالبها ، فاقداً روح الحياة ، فاشمأزوا من هذه الحالة المزرية . وهنا ابتدأ دور العمل فى الانقاذ ، ومن هنا ابتدأ عصر التجديد

إلى أين نتجه ؟ كيف نجدد هذا الأدب الرث البالى ؟ أين الطريق ؟ وأين الدليل ؟

هنا شاهدنا سبيين ممدودين الينا من أقطار العروبة الناهضة ، وكل منهما له مغرياته ، هذا الأدب المصرى يجذبنا بنصاعة أسلوبه وقوة تركيبه ، وهــذا الأدب المهجرى يسحرنا بمرونة أسلوبه وسهولة تعبيره . كان طبعيا — والحالة كذلك أن يحصل انقسام فى اتجاه حياتنا الأدبية . فنى المدينة كان منا إجماع على اعتناق الأدب المصرى أسلوبا وتفكيرا ، وفى مكة وجدنا تمسكت طائفة بذيول الأدب الهجرى ، وأخرى اعتنقت الأدب المصرى . وكل سار فى اتجاهه يكتب ويفكر ، ويفكر ويكتب ، حتى كان تفاعل فكرىّ فى الآونة الأخيرة أنتج « توحيــــد » مناهج الأدب الحجازى فى انتهاج سبيــل الأدب المصرى وحده . ومن هنا وبسبب تضافر الجهود وقوة الاتحاد رأينا الأدب الحجازى يخطو إلى الأمام خطوات سريعة تشف عن استعداد عظيم

على أن حياتنا الأدبية بسبب حداثة عهدها ولكونها نتيجة ثقافة محدودة فانها ما تزال بحاجة الى الاصلاح والتغذية ، وإلى التنظيم والنضوج . فالاضطراب الفكرى والارتجاج الكتابى ، ظاهرتان ما تزالان تلازمانها فيما تنتجه من ثمار . ومع كل هذا فاننا لعلى اعتقاد أكيد باضمحلال هاتين الظاهرتين متى تضافرت الجهود فى سبيل الاصلاح

وحياتنا الأدبية انما تستمد كيانها وعناصرها من الأدب العربى الاسلامى القديم ، كمؤلفات الجاحظ وقصائد المتنبى ، ومن نتائج قرائح أدباء مصر المعاصرين ؛ وقلما تأخذ أية فائدة أو تستمد أية فــكرة عن الأدب الغربى رأساً لعدم المام الأكثرية الساحقة من القائمين بها باللغات الأجنبية الماماً يؤهلهم للافادة والاستفادة

ولقد خطت حياتنا الأدبية خطوات مباركة فى سبيل النشر والتأليف ، فمع وجود كثير من العقبات والحوائل قد ظهر فى عالم المطبوعات كتب أدب حجازية منها : كتاب أدب الحجاز ، وكتاب آثار المدينة المنورة ، ورواية التوأمان ، واصلاحات فى لغة الكتابة والأدب ، والتحفة الشماء فى تاريخ العين الزرقاء ، وحياة سيد العرب ، والانتقام الطبعى

وفى الحجاز اليوم صحيفة أدبية هى الأولى من نوعها ، وهى

أندلسيات :

أبو الفضل بن شرف
الشاعر الفيلسوف
للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

« الناظم الناثر، الكثير المعالى والمآثر، الذى لا يدرك باعه، ولا يترك اقتفاؤه واتباعه ؛ إن نثر رأيت بحراً يزخر، وإن نظم قلد الأجياد دُرًّا تباهى به وتفخر، وإن تكلم فى علوم الأوائل بهرج الأذهان والألباب، وولج منها فى كل باب ؛ وقد كان أول ما نجم بالأندلس وظهر، وعُرف بِحَوْكِ القريض واشتهر. تُسدّد اليه السهام، وتنتقده الخواطر والأوهام، فلا يصاب له غرض، ولا يوجد فى جوهر احسانه عرض ؛ وهو اليوم بدر هذه الآفاق، وموقف الاختلاف والاتفاق، مع جرى فى ميدان الطب الى منتهاه، وتصرف بين سماكه وسهاه، وتصانيف فى الحكم ألف منها ما ألف، وتقدم فيها وما تخلف، فمنها كتابه المسمى يسر البر، ومنها الكتاب الملقب بنجح النصح وسواها، من تصانيف اشتمل عليها الأوان وحواها » ... هذا هو كل ما قاله الفتح بن خاقان فى ترجمته لهذا الأديب الشاعر، الفيلسوف النطاسى [1] أبى الفضل بن شرف. وقد جرى الفتح فى هذه الترجمة على شنشنته فى سائر تراجمه، فلم يذكر اسم المترجم له، ولا اسم أبيه ولا منشئه، فضلاً عن أنه أغفل تاريخ مولده ووفاته .. وكذلك لم نر لغير الفتح ترجمة لهذا الأديب الكبير يصح أن تسمى ترجمة يعول عليها [1] ... ولكننا مع هذا أردنا لا نعرض لترجمة أمثال هذا الأديب البارع المتفنن الذى نبغ منه شعر شاعر وحكمة بالغة وكان إلى ذلك نطاسياً عظيما، كما يؤخذ من كلام الفتح، ومن ثم يعد بحق من مفاخر الأندلس ؟ وما قيمة عملنا إذا نحن ضربنا الذكر صفحاً عن مغمورى أفاضل الأندلس أولئك الذين لم يوف المؤرخون تراجمهم حقها . . ؟ وإياك والظن أنا نعنى بقولنا مغمورين أنهم لم يكونوا مشهورين فى عصورهم، وإنما نعنى أنهم مغمورون فى نظر أدباء هذه الأجيال. وقليل لعمرى من سمع منا بهذا أبى الفضل بن شرف سماعه مثلاً بابن هانئ وابن خفاجة وابن زيدون وابن عمار وابن وهبون وابن عبدون وأمثالهم ممن اضطرب ذكرهم وكانوا من المشهورين

« وأما بعد » فهل تدرى من هو أبو الفضل بن شرف هذا ؟ أظنك لا تجهل أديب القيروان وكاتبها وشاعرها أبا عبد الله محمد ابن أحمد بن شرف الجذامى القيروانى قرين ابن رشيق ومنافسه فى خدمة المعز بن باديس ومنادمته والمتوفى سنة ٤٦٠ هـ ؛ إذن فلتعلمن أن المترجم له هو ابن هذا الأديب القيروانى العظيم واسمه جعفر بن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن شرف المذكور . . دخل الأندلس مع أبيه، وهو ابن سبع سنين، وقيل إنه ولد فى الأندلس بعد أن نهد اليها أبوه وأقام بقرية من قراها تسمى بَرْجَه [2] ومن ثم يقال للمترجم أبو الفضل بن شرف البرْجى . وللمترجم ابن فيلسوف شاعر مثله هو أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المذكور — وهو القائل :

وكريم أجازنى من زمان ... لم يكن من خطوبه لى بُد
منشد كلما أقول تناهى ... ما لمن يبتغى المكارم حد

هكذا يحدثنا المقرى عند إيراده قفية المترجم التى يمدح بها المعتصم بن صمادح أحد ملوك الطوائف والتى ستمر بك قريباً . ومن هذا ومن قول الفتح فى كلمته التى صدرنا بها هذه الترجمة، « وهو اليوم بدر هذه الآفاق » يستنتج أن المترجم أبا الفضل بن شرف هذا أدرك ملوك الطوائف ودولة المرابطين، أى أنه عاش فى أواخر

(١) الطبيب

(١) ويؤخذ من خطبة الذخيرة أن ابن بسام ترجم له، ولكن ترجته إنما هى فى الأجزاء المفقودة

(٢) مدينة من أعمال ألبيرة

(صوت الحجاز) التى تصدر بمكة، وهذه الصحيفة هى المنبر الوحيد الذى يتبارى من فوقه حملة الأقلام فى الحجاز، وفى نية بعض اخواننا من أدباء المدينة وشبابها انشاء صحيفة فى المدينة كصوت الحجاز، ونرجو لهم التوفيق، لأن الصحافة كما أنها عنوان رقى البلاد فانها الباعث الوحيد لانهاضها وانعاشها فى هذا العصر

وخلاصة القول أن فى الحجاز اليوم حياة أدبية، واحساساً أدبياً، زاخرين بالآمال فى مستقبل أدبى مجيد رائع لهذه البلاد. والآمال هى مصابيح الحياة ؛ وما دامت حياتنا الأدبية تحمل بين يديها هذه المصابيح، فانها ولا ريب بالغة قمة النجاح

(المدينة المنورة — الحجاز) **عبد القدوس الأنصارى**

القرن الخامس وأوائل القرن السادس

وقد حدثنا الفتح فى كلمته بأنه شاعر وأنه فيلسوف وأنه طبيب . أما أنه طبيب فلم نقف له على أثر فى الطب ويبدو أنه كان يحترف الطب ويتكسب به وإن لم يؤلف فيه ، وربما ألف وضاعت تواليفه فيما ضاع من شتى التواليف . وكذلك الحكم فى أنه فيلسوف إذ لم يذكر لنا المؤرخون شيئاً من آثاره فى الفلسفة ، ولعلهم يعنون بفلسفته ما أثر عنه من الحكم مثل هذه الكلم الجوامع ، والحكم الروائع التى أثرت عنه وهى : « العالم مع العلم كالناظر للبحر ، يستعظم منه ما يرى وما غاب عنه أكثر . الفاضل فى الزمن السوء كالمصباح فى البراح ، قد كان يضيء لو تركته الرياح . لتكن بالحال المتزايدة أغبط منك بالحال المتناهية ، فالقمر آخر ابداره ، أول إدباره . لتكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك ، فان الحى برجليه وهى ثنتان ، أقوى من الميت على أقدام الحملة وهى ثمان . المتلبس بمال السلطان كالسفينة فى البحر إن أدخلت بعضه فى جوفها أدخل جميعها فى جوفه . التعليم فلاحة الأذهان ، وليست كل أرض منبتة . الحازم من شك فروّى ، وأيقن فبادر . قول الحق من كرم العنصر كالمرآة كلما كرم حديدها أرت حقائق الصفات . ليس المحروم من سأل فلم يعط ، وإنما المحروم من أعطى فلم يأخذ . يا ابن آدم ! تذم أهل زمانك وأنت منهم ، كأنك وحدك البرىء ، وجميعهم الجرىء ، كلا بل جنيت وجنى عليك ، فذكرت ما لديهم ونسيت ما لديك . اعلم أن الفاضل الذكى لا يرتفع أمره أو يظهر قدره ، كالسراج لا تظهر أنواره أو يرفع مناره ، والناقص الدنىء لا يبلغ لنفعه إلا بوضعه ، كهوجل السفينة لا ينتفع بضبطه ، إلا بعد الغاية فى حطه » . . . . إلى أمثال هذه الكلمات البديعة الحكيمة الشاعرة الناصعة البيان ، المنيرة البرهان ، التى لا تصدر إلا عن حكيم جهبذ من الراسخين ، وأديب بارع من ذوى القرائح المطبوعين . ويشبه هذه الكلمات من شعر المترجم له قوله :

إذا ما عدوك يوماً سما ... إلى رتبة لم تطق نقضها
فقبل – ولا تأنفن – كفه ... إذا أنت لم تستطع عضها

وإذ قد وصلنا إلى شعر هذا الشاعر الفيلسوف كما يطلق عليه الأندلسيون فلنذكر أن شعره الذى وقع الينا ينم على أنه شاعر متفنن رفيع الطبقة رصين الشعر ، دقيق الفكر ، لطيف التمثيل . ومن قصائده الفائقة قصيدته القافية التى أنشدها المعتصم بن صمادح أحد ملوك الطوائف ، وكان قد قصر أمداحه عليه ، وكان يفد عليه فى الأعياد وأوقات الفرج والفتوحات . ولما وفد عليه وأنشده هذه القصيدة كان فى زى تظهر عليه البداوة بالنسبة إلى أهل حضرة الملكة (١) واليك هذه القصيدة :

مطل الليل بوعد الفلق ... وتشكى النجم طول الأرق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى ... فاستفاد الروض طيب العبق
وألاح الفجر خدا خجلا ... جال من رشح الندى فى عرق
جاوز الليل إلى أنجمه ... فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة ... أيقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك السنا عن حلك ... وانمحى ذاك الدجى عن شفق
بأبى بعد الكرى طيف سرى ... طارقا عن سكن لم يطرق
زارنى والليل ناع سدفه ... وهو مطلوب بباقى الرمق
ودموع الطل تمريها الصبا ... وجفون الروض غرقى الحدق
فتأنى فى إزار ثابت ... وتثنى فى وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره ... فتجلى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته ... فحبا الخد ببعض الشفق
سلبت عيناه حدى سيفه ... وتحلى خده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب ... يلثم الغبراء إن لم يعتق
أشوس الطرف علته نخوة ... يتهادى كالغزال الخرق
لو تمطى بين أسراب المها ... نازعته فى الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة ... كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست اعطافه ثوب الدجى ... وتحلى خده باليقق
وانبرى تحسبه أجفل عن ... لسعة او جنة أو أولق
مدركا بالمهل ما لا ينتهى ... لاحقا بالرفق ما لم يلحق
ذو رضى مستتر فى غضب ... ذو وقار منطو فى خرق
وعلى خد كعضب ابيض ... أذن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستمعاً ... بدت الشهب الى مسترق
حاذرت منه شبا خطية ... لا يجيد الخط ما لم يمشق
كلما شامت عذارى خده ... خفقت خفق فؤاد فرق
فى ذرى ظمآن فيه هيف ... لم يدعه للقضيب المورق
يتلقانى بكعب مصقع ... يقتنى شأو عذار مفلق
إن يدر دورة طرف يلتمح ... أو يجل جول لسان ينطق

(١) عاصمتها وكانت عاصمة مملكة المعتصم بن صمادح مدينة المرية

الطفل

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مِنْ عالمِ الروح وهو الخلد والقِدَمُ ... وكان بالأمس يطوى جسمه العَدَمُ

سِرُّ الحياةِ وسر الموت ما برحت ... تطويه عن فِكَرٍ هَمَّتْ به الظُّلَمُ

يُطِلُّ من عينـه معنى يزاوله ... معنى التَّفَهُّم لم ترْصَدْ به كَلِمُ

وحـيرة هى بعض اللب يبرزها ... صفو من العين لا خِب فتنكتِمُ

صفو الغرارة أبهى ما رأى بَشَرٌ ... ما رَنَّقَ العـينَ لا شر ولا ندم

ولم تَشِبْهُ تجاريب الحياة بما ... يدجوله اللحظ والأفكار والشِّيَمُ

ضعف الوليد وهل فى القلب مُبْتَعِثٌ

نَبْعَ الحنان كضعف ليس يُتَّهَمُ

لِأَيِّ أمرٍ بدا يَفْتَرُّ مبسمه ... وما حباهُ بِزَعْمِ الأشيبِ الفَهِم

وكلما بدرت للشر بادرة ... قلبُ المُسِنِّ لها حيرانُ يضطرم

يود كل رجيح العقل مكتهل ... أن لو يعود وليداً أمره أَمَمُ

وليس يبصر أن الشر مُقْتَبَلٌ ... يعود منه إليـه الهم والهرمُ

لـكنها مهلة للقلب يَنْشُدُها ... حيث الصفاء وعيش ماؤه شَبِمُ

فلا عداء ولا مكر ولا حِيَلٌ ... ولا حقودٌ ولا غدر ولا جُرُمُ

حيث الحياة كبيت الله طاهرة ... لدى الطفولة وهى المَعْبَدُ الحَرَمُ

أو جنة الخلد لا إثمٌ لساكنها ... وما تجاوَرَ ذو عجـز ومُحْتَرَمُ

إنَّ الأزاهر والأطفال ما اجتمعا ... صنوان والحسن فيها طُهْرُهُ عَمَمُ

مرأى يُطَهِّرُ ما بالنفس مِنْ دَنَسٍ ... حتى يعود بها والخير مُغْتَنَمُ

كم ناقم سَلَّ منه الطفل عادية ... من الضغائن إذ يرنو وَيَبْتَسِمُ

قد يَحْزِنُ الزهر إذ يذوى أَمِنْ شَبَهٍ

بمصرع الطفل رائيـه له بجِمُ

ما أعظم الفقد لو أن الورى خُلِقوا ... خلق الرجال وكالأطفال ما وُسِموا

لما تَمَلَّى أُناسٌ طُهْرَ ما فقدوا ... ولا أحبوا ولا حنوا ولا رحموا

عبد الرحمن شكرى

دمعة على الصورة..!

للأستاذ أبى السمح الفقيه

أغلاماً أرى هنا أم ملاكا ... وجد العيش فى سوى الخلد عجزا؟

فمضى للنعيم غضاً غريرا ... مسـتبداً بروحه مستعزا!

نظرات بريئـة وصفات ... فاق أترابه بهن وبزّا

وفؤاد يسـيل فى كلمات ... لك فيـه هزت فؤادىَ هزا!

لا أعزيك لا أقول تصبر ... مثل هـذا بفقده لا يُعَزَّى!

لا أعزيك فيـه إلا بدمعى ... وبحزن يئز فى الصدر أزا!

لهف قلبى عليه وهو ينادى ... مستغيثاً أباه والغوث عزا!

قد رضينا له ربى الخلد مغنى ... ولو أن الفراق فى الوصل حزا!

كنت بالرزء مستهيناً فلما ... شاهدته العيون ظلت تنزى!

عجبى يضحك الخلى ويلهو ... والمنايا تجز فى الناس جزا!

يبتلى المؤمنون مثلك فيما ... وهبوه فيسلبون الأعزا!

مكة المكرمة

عبد اللطيف ابو السمح الفقيه

أستاذ اللغة العربية بدار الحديث

عصفت ريح على أنبوبه ... وجرت أكعبه فى زئبق

كلما قلبـه باعد عن ... متن ملساء كمثل البرق

جمع الصرد قوى أزرارها ... فتآخـذن بعهد موثق

أوجبت فى الحرب فى وخز القنا ... فتوارت حلقا فى حلق

كلما دارت بها أبصارها ... صورت منها مثال الحـدق

زل عنه متن مصقول القوى ... يرتمى فى مائهـا بالحرق

لو نضا وهو عليـه ثوبه ... لتعرى عن شواظ محرق

أكهب من هبوات أخضر ... من فرند أحمر من علق

وارتوت صفحاه حتى خلتـه ... بحيا من لكفيك سقى

يا بنى معن لقـد ظلت بكم ... شـجر لولا كم لم تورق

لو سقى حسان إحسانكم ... ما بكى ندمانه فى جلـق

أودنا الطائىُّ من حيكم ... ما حدا البرق لربع الأبرق

أبدعوا فى الفضل حتى كلفوا ... كاهـل الأيام ما لم يطق

« يتبع » عبد الرحمن البرقوقى

منشىء البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب

إلى الأستاذ أنور العطار

بقلم على محمد الشلق

أيها الشاعر الذى سال حزناً وجرى ذائباً ولم يتـدفق
أنت همسٌ ورقةٌ وهباء ليت هذا القريض عطر فيعبق

***

يا شباب الشآم أنت فخار الدهـر لا بل أعزُّ منه وأعرق
يا شباب الشآم يا وثبة الشر ق ويا بسمة الرجاء المحقق
ما ترجى بالله من أدب با كٍ حزين واهى الأمانى مُمزق ؟
ليت شعرى ماذا دهاك لتبكى ؟ فى شباب ضافى الذيول مُنمّق
ليت شعرى ماذا دهاك لتذوى؟ فى رياض الحياة، والعيش أورق
شاعر الدمع خل عنك قريضاً جاء نوعاً من الكلام المرقّق

***

قد كفى الشرق ما بكى من دموع كاد لولا الرجاء بالدمع يغرق
قد كفى الشرق وقع تلك المآسى غمرت عيشـه بنوم مؤرَّق

***

ألاسى خطةُ الضعيف على الأر ض وسجن على الذليل مُغلّق
« ليس دمعاً من الحنان على الأر ض وكنزاً من المراحم مطلق »

***

أين عهد « الأعشى » بغرّ طوال ؟ ترفع المجد فوق هام « المحلق »
أين عنا شعر ابن شداد ؟ مالا ن ، وما كان بالضعيف المزوّق

***

نحن نبكى على الهباء وهذا الغرْ بُ ، نشوانُ بالنجوم تعلّق
« نحن لحن مضرّجٌ بالمآسى » وهو لحن يولى الخلود فيُعشق
نحن نحبو مع الخشاش ثقالاً وهو فوق السماء بالعلم حلّق

***

يا رجال القريض أين القوافى ؟ تتلظّى من الشعور فتحرق
يا شباب الحياة ، هاتوا قريضاً كجبين الصباح إن ذرَّ أشرق
وابعثوها شعواء تزجى الأمانى ساميات على الكواكب تخفق
أيقظوا الشرق من سبات عميق أدلج الركبُ وهو بالذل مُوثق
ما عهدناك أيها الشرق خوّا راً ، وما كنت فى الميادين تُسبق
هُب فالصبح لاح والطير شادٍ صفّق الروضُ ، والضياء تألّق

كلية اللغة العربية — على محمد الشلق

القبـلة الاخيرة

للسيد اليـاس قنصل

و إذ أدركتْ أن المنام رَحينُه وأن القضا أفتى ببعـد فتاها
أ كبّتْ عليه وهو حيران واجم وأدّتْ معانى حبّها شفتاها
وعادتْ لتشكو دهرها بدموعها وتجلو بالآهاتِ بعض شقاها ..
أُهنّيك من قلبى وأحسدُ برهةً وددتُ لها أختاً وروحى فداها
فقد أبعدتْ عنى البحارُ حبيبتى ولم أستطعْ يوم النوى أن أراها

***

الآلام

لا تعنُ للشكوى ولا تحزنْ إذ جارتْ عليك بصرفها الأيامُ
فالمرء يلبث طينـة مجبولةً حتى تشرف نفسَـه الآلامُ

عاصمة الأرجنتين — الياس قنصل

تنبيـه

نرجو التفضل بتصحيح نص الآية الواردة فى مقالة الاسلام والمدنية والعلم فى العدد الممتاز ص ٦٤٨ عمود ٢ بوضع [قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون] بدلاً من [إن فى ذلك لآيات لقوم يعلمون] كما إنه وقع فى المقال الثانى فى العدد الماضى بعض أخطاء مطبعية نوردها مع تصحيحها :

ص ٧٣٤ سطر ١٠ عمود ١ : لم تعش — لم تعن
ص ٧٣٥ « ٥ من أسفل : العقل لا السمع — العقل والسمع
ص ٧٣٥ « ٣ « : بعد أن أثبتها — بعد أن أثبتناها
ص ٧٣٦ « ١١ « : يثبت الله عليـه — يثبته الله عليه



جاسوسة !

« Elle est de la police »

لمدير الأكاديمية الفرنسية هنري بردو

ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى

لم يبق لمدام (سرمزل) أمل فى أن تُحَب ، فأصبحت لا تطيق أن ترى قلبين يتناجيان

***

فلقد ودعت السكينة جمالها إثر حادث سيارة ، وعمل الجراح فى وجنتيها خير ما هيأت له عبقرية الطب ، ورمم أنفها الدقيق رسمه الأنيق السابق ، لكن الفن والطب معاً قصرا عن أن يمسحا من صفحة وجهها تلك الشيات الهينة التى ما برحت تشير إلى الحادث . . فعينها التى لم يجسر الطبيب على أن يدنو منها قد اتسعت بعض الانساع فصارت نظراتها مما يتجمد له الدم فى العروق . . وعشيقها الذى حنا عليها فى محنتها وسربلها بصنيعه لم يستطع تلقاء هذا (البعث الناقص) إلا أن يطلب نقله إلى وظيفة نائية ! . . . ولا يصبر على القبح الجسمانى إلا رجل سمت به فضيلته إلى أرفع ذروة ، أو رجل يغمر الايمان فؤاده . . والصديق العزيز لم يكن إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء . . .

كانت ما تزال تدعى إلى الأوساط التى كانت تغشاها من قبل ، لما عرف عنها من الملاحظة اللاذعة والروح المبتكر . . وفى ابان هذه الدعوات شهدت — وهى تكاد تُجن — ميلاً يدبه المسيو (ريانس) إلى (المدام دى نيج) وكان الداعون والداعيات يفطنون الى هذا الهوى الناشئ فيجعلون كرسى كل منهما إلى كرسى الآخر . . وهكذا فى كنف تلك التقاليد التى تواضعت عليها الارستقراطية المعاصرة (!) تآمرت كل الظروف على أن يترعرع هواهما الوليد فى هوائها الطلق الصافى

كانت مدام دى نيج مشغولة بزخرفها مشغوفة بنجاحها فى ذلك الوسط الرفيع الذى كانت تتأرجح كالقمرى الغريد فوق أفنانه ، وكان زوجها منكباً على وجهه فى عالم السياسة لا يجد الساعات التى يمنحها فيها الحنان أو يهبها فيها الحب . أما المسيو (ريانس) فقد وفد حديثاً من الريف . . ومعه ثروة الأقاليم وملاحة التبسط وقسمات بديعة كلها اغراء ، لكنه كان يضيف إلى تلك المؤهلات جهلاً تاماً بفن (الرجال مع النساء)

وذات يوم وقع خطأ فى (بطاقة الاسم) فجاء كرسى مدام سرمزل بدلاً من كرسى مدام دى نيج بجوار المسيو ريانس . فقنعت الصديقة بمجلسها النائى وأخذت تبعث الى صديقها من أقصى المائدة شعاعاً كله الكهرباء . . . فتطلعت (سرمزل) فوقع بصرها على ذلك التيار الذى يروح ويجىء بين القلبين فهمست فى أذن جارها تقول :

— حقاً إنها جميلة . . وسكت ريانس ، فعادت تقول :

— ولكن يا للخسارة ! قال أى خسارة ؟ قالت ألا تعرف ؟ قال أى شىء أعرف ؟

قالت إنها « فى خدمة البوليس » ! ! قال : « إنك تمزحين يا مدام » قالت كيف أمزح ؟ أو لم تقرأ كتاب (فوشيه) الذى قبلته الأكاديمية أخيراً ؟ وحسبها قد أخذت بطرف من الحديث جديد ، فقال كلا لم أقرأه ، فاستطردت الجارة تقول : (هو مؤلف من جزءين ، وإن المرء ليتعلم منه أشياء كثيرة وفيه تفاصيل عن نظام الجاسوسية فى عهد الامبراطور ... كان فى خدمتها سيدات من الطبقة الراقية . . جوزفين نفسها كانت جاسوسة فى عهد الديركتوار (حكومة الادارة) !!! وفى العصر الحاضر سيدات كثيرات من ذلك الطراز تجرى عليهن الوزارة أجوراً ليطلعنها على فضائح المعارضة كما تخضع المعارضة للوزراء . . .)

— ولكن كيف عرفت هذا يا مدام ؟

— لا . لا . . . لن أبوح لك بمصادرى . . وحسبك أننى أخبرتك

— إذن فهل تسمحين لى بألا أصدق ؟

— ولِمَ لا أسمح لك ؛ ليس المرء مكلفاً بأن يصدق كل ما يُلقى اليه ، لكن عليه — على الأقل — أن يفتح عينيه

وتنقلا فى شجون شتى وشؤون متشابهة ، حتى إذا فرغ الطاعمون ونهضوا انتبذ من القاعة مكاناً قصياً وبقى فيه . . . . فلم يكن بد من أن تسعى اليه مدام دنيج تسأله ما ذا دهاه ؟ فأجابها : لا شىء ، وأراد أن يُبدى لها بعضاً مما كان يُبدى من تحاياه أو من فيوض هواه . . . فكانت دعابته شوهاء ، وحديثه بلا روح

وتعاقبت الأيام وهبط البارومتر ، وهدأ التيار ، وعملت مدام دى نيج جاهدة لتظهر عدم الاكتراث بما يظهره هو من عدم الاكتراث ، ثم جمعت كل ما منحتها السماء من فتون الانوثة وخلاعة الاغراء ووجهتهما عليه جميعاً كالتيار الدافق . فلم يلق اليها بالاً . . . ولما غلبها بأسه غلبها يأسها ، فشاهت فى وجهها الحياة

لكن الاعجاب الذى مال بكل منهما إلى الآخر ، والذى تنضح به غريزة كامنة فى أعماقنا جميعاً — غريزة تلك الميول المستعدة لأن تصبح حباً جارفاً عندما تقاوم — هذا الاعجاب جعلهما أوثق اتصالاً كلما حاولا الانفصال . فأخذ الرجل يسائل نفسه : ما علة هذا الجفاء ، وكيف يؤمن بالسيدة سرمزل مع أن الملأ طراً قد وصموها بأن الحقد يفرى كبدها من سعادة السعداء ؛ وتملكه الريب فيما ألقت اليه ... لكن الكلام كان كالسهم قد نفذ فاستقر فى أعماقه ... وإذن فليس يمكن أن يعلق فؤاده بغرام جاسوسة ... وشرع يزين لنفسه أشياء ويقبح أشياء ... وأخذ يقول لنفسه ما يقوله كل ريفى هبط حديثاً إلى العاصمة : « لا ، لا يمكن أن تستغفلنى باريس ! » . بلى : فمن أين لها هذه الفراء الفارهة ، وهذه اليوافيت ، وكل تلك الأعلاق : وراح يحقق أثمان ما يقتنيه الحسان من نفائس ومجوهرات ؛ فلما أدركه التعب أخذ يقول لنفسه : « أو لست أنا الذى أصبحت جاسوساً ؟ ! »

وغدا المسكين نهباً مقسما بين الشك والقلق المساور ، وغاض من كيانه معين الشباب ومرح الفتوة اللذان إذا أحدقا بغانية سدا فى وجهها الأفق ولم يتركا لها منهما منفذا إلا كما تترك خروق (الشبكة) الضيقة للفراش الرشيق

أما هى فقد ذهبت جهودها كلها بددا ، فعكفت على قلبها تتسمع خفقاته وتستعذب فيه لذع الحريق

وذات يوم سمعته يخبر الأصدقاء بأنه مسافر ، فلم تمالك نفسها وسألته : الى أين ؟ فأجابها بتحفظ : (عندى)

— أين عندك ؟

— فى چكس

— قريباً من جنيف ؟ فأجابها فى سخرية لاذعة :

— هنيئاً للجغرافيا بكعبك العالى يامدام ! . وأنت الى أين ؟ قالت إننى لم أعتزم بعد أمرا . . وهذا يتوقف عندى على أشياء كثيرة

فكرّ على عقبيه ورجع يقول لنفسه : أشياء كثيرة ! طبعا .. طبعا ! ومن يدرى فهى (مأموريات كثيرة) من يدرى أيضاً ... لا . لا . يجب أن أغادر الديار وأفلت من قبضتها . . . . وظل يأتمر بها مع نفسه وانتهى بأن قال (ستحسبنى رحلت فلأراقبها إذن ... لأراقبها أنا)

***

وتلمذ حينا من الدهر على (شرلوك هولمز) وأتاحت له الظروف فرصاً باهرة . . .

ما هذا : إنها فى السيارة والسيارة تنهب الأرض نهباً إلى (المحافظة) ! . . . الله ! الله ! . . . إن السيارة تطير بها إلى الوزارة ! . . وزارة الداخلية ! ! الله أكبر ! ما كان أصدقك يا مدام سر مزل ! ! . . ما هذا أيضاً : إن السيدة لم تنتظر فى غرفة الانتظار . بل انفتح لها رتاج الوزير فور الساعة ! ! . . . لا . لا ، إنها ذات عهد بتلك المعاهد بلا مراء . . يالله ! . . ماذا كان مصيره لو هوى فى ذلك الشرك . . ولو لم توح السماء إلى الناس فيخطئوا مرةً واحدةً ويضعوا بجانبه (المنقذة سر مزل)

وهكذا بعد أن اطلع عليها ولى فراراً وملىء منها رعباً

وكان قصره فى الريف يشرف على عتبات جنيف ! وكان اتصال البلد الذى هو فيه بالبلد الذى فيه عصبة الأمم يُسبغ عليه من جو الدبلوماسية ومن مراسيمها ، وكانت أول دعوة وجهت اليه دعوة المركيزة « دى بريل » وهناك . . . هناك . . ماذا . . ! هنا ألفى نفسه وجهاً لوجه أمام من ؟ أمام المدام دى نيبج نفسها . . ملى ، إنها هنالك تقتنى آثاره فيمن تقتنى آثارهم ، ما فى ذلك ريب ، ولم يكن بد من أن يتحدثا فتحادثا

— أنت هنا يا مدام ؟ أية مصادفة ! أية مصادفة ! . فحدقت فى عينيه ، وكان جَلدها قد وهى ، بل كان قد انتهى ، وقالت :

— لا ليست مصادفة . ألم تقل لى إنك قادم إلى چكس ؟ قال :

— كم أنت ظريفة يا مدام ! وأظنك لهذا جئت إلى جنيف ؟ وشرع يتهكم فجذبته بقوة وقالت :

— لا تسخر منى وقل لى هنا . . هنا على الأقل . . لماذا كنت تتخلص منى ؟ وحارت الدموع فى مآقيها كالسحاب عند ما يتجمع فى زوايا السماء الصافيـة . فجرؤ صاحبنا وتشجع وقال : بل أجيبى أنت

س : ماذا كنت تصنعين فى المحافظة فى ١٠ يوليو ؟

ج : فى ١٠ يوليو ؟ . . دعنى قليلاً أفكر . . فى ١٠ يوليو ذهبت إلى المحافظة أبحث عن جواز سفر إلى جنيف . . لأحضر إلى هنا . . قريباً منك

س : وفى نفس اليوم بوزارة الداخلية ؟

ج : كنت أعرف الوزير فقصدت إليه أطلب تصريحاً بزيارة عصبة الأمم . وقالت « لكأنك قد تجسست على » ... « إنك إذن من رجال البوليس »

قال : كلا ياسيدتى ، لست أنا ... ومسح جبينه وهو يتفصد عرقاً ، وأضاف : ولا أنت أيضا

— إذن هل قال لك أحد شيئاً ؟ أوَ صدقت الذى قيل ؟

ولم يكن يقيله من عثرته إلا أن يقول ـ كالشهود ـ الحق ، وكل الحق ، قال : (مدام بِيرْ مِزِلْ) فتنهدت الحسناء وقالت : « أفتصدق تلك الفرية فتلوث هذه التى كنتَ ... التى كنتَ . »

— التى كنت أحبها ، ومازلت أحبها كثيرا ، كثيراً جدا ، جدا ، أما هى فلن يتفتح لى قلبها أبدا ...

***

أفرَخ روع المدام دى نيبج ، وشاعت فى وجهها نضرة النعيم ، وتمشيا معاً فى ممر يعطره أرج الربيع ، لكأنهما الفكرة البديعة تروح وتغدو فى خيال الشاعر . قلت : أرأيت إلى هذا الكمّ الذى لم يتفتح بعدُ عن الزهرة : انظر ماذا فعلت بى ... لقد لوثتنى ؛ فهل أهبك بعد هذا قلبى ؟ خذ هذا الكم ذكرى من ذكرياتى ... لقد وقع ولكن أثره ما يزال

فأخذ الكم بقوة كأنه ينزعه وقل : « وإذا أنا طهرته بفمى من هذا الأثر أفتغفرين لى ؟ » ثم قضم بأسنانه لفائفه فبدا الطلع من ثناياها وضيئاً مشرقاً . قال : « أما الزهرة يا سيدتى فلم تمس بسوء . فهلا تغفرين ؟ » وازدحم الدمع فى موقيه كطفل غرير ، وتطلع اليها كأنه يلتمس منها أن تهبه الحياة ، فأطرقت فى دلّ وخفَر وقالت : « أما الزهرة فانها لك » ثم عادت لتقول : « لكن عليك أن تغسل شفتيك قبل أن تقبلنى »

هنرى بردو

دراسة من إسخيلوس

الفـــــرس (١)

Persae

للأستاذ دريني خشبة

اشترك إسخيلوس فى الحروب الدامية التى نشبت بين فارس وهيلاس ، وكان ميدانها وطنه والبحار المحيطة به ، وقد اشترك كذلك فى موقعة سلاميس البحرية التى تحطم فيها أسطول إجزرسيس ثم ظل متصلا بالجيش اليونانى إلى ما بعد انتصاره فى بلاتيه وميكالى ؛ ولذلك تعتبر هذه الدرامة مصدراً هاماً من مصادر هذه الحروب ، ويعدها مؤرخو الأدب اليونانى أصدق مما ورد فى تاريخ هيرودوتس بصدد الحرب الفارسية . ذلك لأن إسخيلوس كان شاهد عيان لوقائع هذه الحرب بينما كان المؤرخ اليونانى ما يزال طفلا لا يزيد عمره على خمس سنوات . وقد مثلت الدرامة بعد موقعة بلاتيه بسبع سنوات

— ١ —

ينقلنا إسخيلوس إلى فارس سيدة الأرض ، ويطوف بنا دارات عاصمتها « سوس » حتى نقف عند القصر الملكى المنيف ، مقر الأكاسرة ، وقلب الأمبراطورية النابض . فنحن إذن بعيدون عن ميادين القتال فى البر والبحر ، لا نشهد الطعن والضرب ، ولا نرى إلى فتك الحراقات اليونانية بأساطيل الأعداء ، ولا تهولنا هرولة الكتائب الفارسية فوق تلك القنطرة الضخمة من السفن المتراصة بين عُدْوَتَى الهلسبنت تنساب فوق بطائح هيلاس كأنها سيل العرم . . . ثم لا يبهرنا عاهل العجم البائس وقد وقف فوق أكمة تشرف على أبيدوس وما يجاورها من شطئان الهلسبنت ، يطل على جيوشه الجرارة تعبر البحر الزاخر . . . ويبكى . . . فإذا سأله وزيره : « فيم بكاؤك أيها الملك ؟ » شهق شهقة عميقة وقال : « أنظر أيها الوزير : هذه طروادة : وهؤلاء جندى ! ويبكينى ألا يكون أحد من هذه الألوف عائشاً بعد حقبة واحدة من الزمان ! أليست هذه طروادة ؟ ؟ »

لن نرى إلى شيء من ذلك ، ولكن نرى عصبة عتيدة من مشايخ فارس وساداتها النُّجُب يتناجون فى حديقة القصر ، متلهفين إلى خبر يذهب بهذا القلق العظيم الذى يساورهم من جراء انقطاع أخبار الجيش . . . وهم يذكرون دارا الأول ، والد الأمبراطور ، بخير ما يذكر به ملك شاد دعائم ملكه على العدل ، وقاد جيوش بلاده إلى النصر ، ورتع فى ظله رعاياه فى بحبوحة من العز وبلهنية من النعيم . . . وهم (١) كذلك يصفون لنا أبهة جيش أجزرسيس وعظمة جحافله ، وهذه الآلاف المؤلفة من الفرسان والمشاة والكماة والرماة ، من مشارق الأمبراطورية الكسروية ومغاربها . . . من حفافى السند إلى ضفاف النيل ، ومن أعالى دجلة والفرات إلى أسافل النوبة وإثيوبيا . . .

وهم لا يخفون ما يساورهم من قلق ، ويخامر قلوبهم من شك فى مصير هذا الجيش العرمرم الذى قذفت به آسيا ليهلك فى ربوع أوروبا ، ويجوع ويعرى فى مشارق جبالها ، وتلتقمه الأسماك فى بطون البحر المضطرب . . . لا سيما ومنهم من نصح للأمبراطور ألا يجازف بهذا العدد العديد ضد هيلاس ، فكان جوابه أن أقام إلى جانبه رجلا من أمنائه يقول له فى كل لحظة : « مولاى ! لا تنس الأثينيين . . . مولاى : لا تنس الأثينيين (٢) »

— ٢ —

وبينا هم فى تناجيهم إذ تقبل آتوسا — الأمبراطورة الأرمل — زوجة دارا ، وأم إجزرسيس ، والتى قست عليها المقادير فناءت على قلبها بأحزان امبراطورية بأسرها ! !

تقبل آتوسا فيصمت القوم ، ويهرعون اليها يسائلونها عما آل اليه أمر الجيش ، وهل أفاءت عليه الآلهة بالنصر المرجو والغَلَب المنشود ؟

فتقول أتوسا : « مواطنىّ الأعزاء ، وأبنائى الأوفياء ! تسائلوننى عما أقبلت فيه ، وهرعت اليكم من أجله . . . فوالله لقد ضقت بغرفات هذا القصر على سعتها ، وخلتها جحيما على أنها جنة نعيم ، أليس فيها كنت أحلم بالخلد فى حضن دارا ، وأجيل الطرف من شرفاتها معه على أمة سعيدة هادئة ناعمة ، عيشها مخفرج ، وجانبها

(١) الدرامة الباقية من ثلاثية رائعة ما يزال جزآها الأول Phineus والأخير Glaucus of Potniae مفقودين وتعتبر هذه الثلاثية أول قطعة رومانتيكية فى التاريخ إذ لا تستند إلى شيء من الأساطير كما لاحظنا فى درامات إسخيلوس

(١) هؤلاء الأشياخ هم خورس الدرامة

(٢) هذه النبذة غير موجودة فى الدرامة وقد استعرناها من هيرودوتس

عزيز ، وسلطانها قوى ، وظلها ممدود ، وسؤددها يطوى السهل والجبل ، وثروتها زاخرة وافرة ؟ ! فماذا أرى اليوم ؟ أليس ابنى قد جمع خير كل ذلك ، ومضى لِطيّته التى لا يعلم ما وراءها أحد ؟ ها هى ذى الرياح تصفر فى هذا القصر الذى نأى عنه سيده ، فكأنه خراب على رغم خزه وديباجه ، وشتى تماثيله وتصاويره ... ويحى ! لقد جئت اليكم يا سادات فارس ألقى اليكم بعبء الوساوس التى تجثم على صدرى ، وتثقل كاهلى ، فهل أجد لديكم السكن الأمين ، والمشير الوفى ، والناصح الذى إذا نصح أخلص النصح ؟ »

— « أيتها الملكة ؟ ... نحن عبيدك وبعض رعاياك .. ولك فى أعناقنا الولاء والوفاء ... تكلمى بما تشائين وثقى من اخلاصنا ومحض نصحنا »

— « إذن فما هـذه الأحلام المروعة والرُّؤى المفزعة التى تجتاحنى كل ليلة حين آوى إلى الفراش ، منـذ أن انطلق ابنى بهذا الجيش اللجب ليغزو بلاد اليونان ؟ على أن رؤيا أمس لم تـكن مثلها رؤيا قط . ذلك أنها كانت واضحة بينة حتى ما تكاد تحتاج إلى تفسـير أو تفتقر إلى تأويل ... رأيت فتاتين هيفاوين ممشوقتى القد ، احداها دورية[1] ناهدة تميس فى حلى وفى حلل ؛ والأخرى فارسية سمهرية ، تختال فى برد ووشى وأفواف ... رأيتهما تقبلان إحداهما على الأخرى ، ثم تأخـذان بتلابيب بعضهما البعض ، ويكون شجار بينهما ، لأن إحداهما بغت على أختها ، وحاولت الاستئثار بدارها من دونها . ورأيت ابنى إجزرسيس مشرفاً عليهما من مرتقى صعب ؛ فلما استحر القتال بينهما نزل إلى حيث حاول أن يجعل نيره فى عنقيهما معاً ... وذلت إحداهما واستكانت ، ولـكن الأخرى ، ولـكن الدورية أبت وأنفت ، ودفعت النير بكل ما أوتيت من قوة ، فغاصت الفارسية فى لجة من دم ، وتحطمت عربة ولدى الأمبراطور فوقف حيث كان قبل أن يتدخل بينهما ، وأخذ يبكى وينشج ، ويشق الأردان ويمزق الجيوب ... وهنا وقف إلى جانبه أبوه ... الأمبراطور البكى ، دارا ، وطفق يرثى له ويهون عليه

هذه رؤياى يا سادات فارس النجب ... ولـكن ... ما تزال بقية ... فانى حينما هببت من نومى ، عسيت أن تكون رؤياى أضغاث أحلام ، فقلت أتوجه إلى مذبح الآلهة مانعة الضر ، أقرب لها وأضحى ، عسى أن تنفعنا ، وما كدت أغمس يدى فى النبع المقدس ، وأنثر بخور الند فى المجمرة ، حتى لمحت نسراً مهيض الجناح لائذاً بقدس أبوللو[1] ... ثم ينقض عليه باز باشق ، فما يزال به يوسعه ضرباً وتجريحاً حتى ينتفض النسر ويلوذ بالفرار ... ويلاه ! إن الرؤيين ... فى النام وفى اليقظة ، تفسر إحـداهما الأخرى ، فياترى ؟ هل هما نبوءتان على إجزرسيس ؟ وهل أعيش حتى أرى ولدى إن كان ما يزال حياً يرزق ؟ ! »

— ٣ —

وشده سادات فارس ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم أشاروا على الملـكة المحزونة أن تذهب إلى قدس الآلهة فتقرب لها وتضحى ثم تسأل عن رؤياها ، وتتضرع أن تتلطف الأرباب بابنهـا وجنوده ومملـكته ، إن كانت الرؤيا حقاً ... وإلا ... فلترق الخمر باسم دارا العظيم الذى زارهـا فى رؤيا أمس حين وقف إلى إجزرسيس يرثى له ويهون عليه ، فاذا بدا طيفه لها فلتسأله أن يبارك ابنه ، ويغدق البركات على فارس كذلك

ويتحول مجرى الحديث فجأة ، فتسأل الملـكة عن هذه الحرب ما سببها ؟ ويجيب السادات أن الأمبراطور أراد أن تخضع له أثينا

— « فاذا خضعت له أثينا ؟ »

— « خضعت له هيلاس كلها ! ! »

— « وهل هيلاس من القوة بحيث تحشد لمحاربتها كل تلك الجحافل ؟ »

— « وكيف لا وهى أقوى دولة فى العـالم بعد فارس ؟ وهل نسينا أنها دمرت جيش دارا ؟ »

— « أو غنية هى ؟ »

— « غنية جدا ، وفى بطنها ثروة من الفضة لا تقدر بثمن »

(لها بقية) دريني خشبة

(١) من إحدى القبائل اليونانية

(١) هكذا بالأصل (فوبوس) ولا ندرى لم يخلط اسخيلوس هذا الخلط فالمعروف أن الفرس كانوا يدينون بألهين اثنين : إله الشر وإله الخير ولم يعرفوا الآلهة اليونانية

البريد الأدبي

سجموند فرويد في تمام الثمانين

يحتفل العالم هذا الأسبوع بالعالم السيكولوجي الكبير سجموند فرويد لبلوغه الثمانين . . . وقد يبتسم القارئ حين يذكر بيت شاعرنا العربي الخالد (إن الثمانين وبُلّغتها ... ...) لا سيما إذا علم أن فرويد المحتفل به ، والذي يعتبر واحداً من أعظم علماء العصور الحديثة إن لم يكن أعظمهم جميعاً ، هو رجل ضعيف البنية هزيل الجسم ، قد تحالفت عليه الأمراض . ولكنه بالرغم من ذلك يملك عقلاً جباراً لا يكل من التفكير ، ولا يفتر نشاطه أمام ما ينتاب بدنه من الأوصاب

ولد فرويد في مايو سنة ١٨٥٦ من أبوين يهوديين في مدينة فريبرج من أعمال موراڤيا ، والامبراطورية النمسوية إذ ذاك في عنفوان مجدها . وبعد أربعة أعوام ذهب به أبوه إلى ڤينا حيث تعلم في مدارسها وقضى صدر شبابه في ربوعها ؛ ولما بلغ من العمر التاسعة والعشرين غادرها إلى باريس (١٨٨٥) بقصد التزود من الثقافة العالية التي كانت باريس مثابتها في هذه الآونة — ولكنه — لأمر ما — لم يلبث في باريس غير سنة واحدة عاد أدراجه بعدها إلى ڤينا

وكانت نفسه تجيش بآمال كبار ، وكان ينظر إلى أساليب التفكير السائدة في أوروبا في ذلك الوقت كأنها أصبحت أساليب عتيقة لا تليق برقي الانسانية التي تتيه بعصرها الحديث على جميع العصور القديمة والوسطى . وكانت عوامل الثورة في نفس فرويد الشاب تنفجر في الفينة بعد الفينة ، ولكنها كانت تكبت بقوة وقسوة تلقاء التيار الرجعي الجارف الذي كان يكتسح النمسا في ذلك الوقت . فلقد حدث أنه ألقى أولى محاضراته بعد أن عاد من باريس عن الهستريا ومسبباتها النفسية الباطنية ، وكان ذلك في جمعية الأطباء بڤينا ، فما كاد ينتهي من محاضرته حتى ثارت في الصالة عاصفة هوجاء من الضحك منه والسخرية به وبآرائه ، وحتى انصرف العلماء الأفاضل يتهكمون به ويلمزون آراءه لمزاً شديداً قاسياً ! ولقد كان لهذه الصدمة صداها الشديد في نفسه ، فآثر أن يعتزل هذا الجمهور الفظ من العلماء الجهلة — إن صح هذا التعبير — وأن يعمل للعلم وحده بعيداً عن ضجيج هؤلاء الأصنام ، وبمعزل من صخبهم . بيد أنه لم يسلم ، برغم هذه العزلة من خصومة ولدد يثيرهما عليه كثير من الدوائر العلميـة وغير العلمية لا بحجة آرائه المتطرفة فيما هو بسبيله من مباحث ونظريات فقط ، ولكن بسبب يهوديته أيضاً

ولم يثر أحد من العلماء حوله من الخصومة مثل ما أثار فرويد ، ولكنه ألح بآرائه على خصومه الحاحاً عجيباً حتى سحرهم بها وحتى جعلهم من أشد المعجبين بها والمتحمسين لها . وبحسبك أن تعلم أنه ما من قصة حديثة أو درامة يقدمها كاتب إلى مسرح من المسارح إلا ولفرويد أثر كبير في صاحبها . فليس في العالم الآن كاتب لم يدرس نظريات فرويد في العقل الباطن ، وليس في العالم الآن باحث سيكولوجي أو مرب لم يهتد في أبحاثه أو فنه بمجهودات فرويد وتحليلاته العجيبة لهذه النفس الانسانية التي لم نكن قبله نعرف منها إلا جانباً قليلاً :

ولقد كتب فرويد — هذا الأسبوع — بمناسبة بلوغه الثمانين — كلمة جاء فيها :

« العقل الانساني في نظري عبارة عن جبل من الجليد طاف في الماء ، لا يبرز منه فوق السطح غير سبعه فقط ، أما الأسباع الستة الأخرى فهي دائماً تحت السطح . . . » وكأنه يريد أن يقول إننا لا نعرف من العقل إلا سبعه فقط ، أما ستة أسباعه الأخرى — وهو ما يسميه العقل الباطن — فمضمرة ، لا نعرف منها إلا القليل . وفرويد على حق في هذا التشبيه الغريب للعقل لأنه هو قد أثبت أن العقل الباطن إن هو إلا خزانة عجيبة اختبأت فيها غرائز الانسانيـة الأولى وميولها الفطرية التي هي تراث

الأحقاب والآباد والتى تطفو على السطح فتكون ذات أثر بليغ فى عقلنا الواعى

وبالرغم مما لهذا الباحث العبقرى من آراء ونظريات فى الأيحاء والأحلام والاستهواء والمركبات والعُقد النفسانية فانه ينفى عن نفسه فى كلمته التى أشرنا الينا أنه صاحب نظرية أومذهب أو أنه استحدث علماً جديداً ... فهو يقول : « يخطئ من يزعم أننى صوفى أعطف على الانسانية أو أحب الخير للبشر ، أو أننى عالم صاحب نظريات استحدثها بعد أن كانت خافية على الناس .. لا .. لست شيئاً من ذلك .. بل أنا أدع الناس يحلمون أحلامهم وقد أتركهم يستغرقون أنفسهم فى مستقبلهم ... ثم أقف منهم عن كثب ألاحظ وأشاهد وأتفرج ... ثم أقيد ملاحظاتى ، وأقارن وأعلل وأؤلف : »

وعلى ما بلغه فرويد من الثقافة العالية فانه ما يزال يهزأ من مدارك الانسان ويدعوها قشورا لا غناء فيها ... أو فيها غناء قليل : « ما ثقافتنا هذه ؟ ماذا عرفنا من النفس الانسانية ؟ ماذا كشفنا من سر هذه الحياة ؟ »

والعجيب أن فرويد ما يزال مؤمناً بالانسانية إلى حد كبير ، وهو يتشوف لها عن مستقبل باهر برغم تلك المجازر التى تلطخ وجه الأرض بالدماء من أجل أطماع وضيعة . وهو يقول إن الحرب ستعجل بهذا المستقبل الجميل ، لأنها وحدها ستثير الكراهية فى نفوس الناس منها فيمقتونها الى الأبد ، ويعدونها كلما فكروا فيها نكسة منهم الى الوحشية

ولقد عاش فرويد مخلصاً لأبحاثه اخلاصاً مدهشاً ، فكان يكب عليها إكباباً يذيب الصبر الجميل ، وكان يمقت كل من يصرفه عنها إلى غيرها ، وكان كثيراً ما يتمثل بما كان يقوله أناطول فرانس إذا حدثه أحد بهراء لا شأن لأبحاثه به :

« Ce n'est pas dans ma vitrinei ? »

ولعل أحسن مكافأة لهذا الرجل العالم أن تجتمع لجنة لتكريمه مؤلفة من بعض خصومه بالأمس ، وأشد المعجبين والمتأثرين به اليوم ، نذكر منهم الكاتب العالمى الأشهر هـ . ج . ولز ، ورومان رولان ، وستيفن زديج ، وجول رومان ، وتوماس مان . . وغيرهم وغيرهم . . . ولا ندرى هل تشترك كل من روسيا وأمريكا فى تكريمه ؟ فهو معجب بروسيا وقد تأثر إلى حد كبير بتحليلات دستويفسكى واضرابه . أما أمريكا فما نحسبها تشترك فى هذا التكريم ، فهو قد هجا مدنيتها كثيراً ، ولم يفته أن يلذعها فى كلمته الأخيرة من طرف خفى

ويقال إن لجنة تكريمه ستقترح على لجنة جائزة نوبل أن تمنحه جائزتها عن هذا العام لمناسبة بلوغه الثمانين . ونحن نشك فى أن تستجيب لجنة نوبل لهذا الرجاء ، فقد عرف أعضاؤها بكراهية فرويد ، وهذا هو محل الدهشة

دريني

المعجم اللغوى الوسيط

اجتمعت بمكتب صاحب السعادة وزير المعارف لجنة المعجم اللغوى الوسيط للمرة الأولى وقد رحب بالأعضاء سعادة الوزير وألقى فيهم الكلمة الآتية : —

أحييكم أطيب تحية ، وأشكر لكم تلبية دعوتى للاشتراك فى عمل المعجم اللغوى الوسيط ، وقد أردت ان أنتهز فرصة الاجتماع الأول لأبين لحضراتكم مبلغ عناية الوزارة وحرصها على هذا العمل الجليل ، ولأتشرف بالتعرف إلى من لم يسبق لى رؤيته من حضراتكم

وإنه لحظ سعيد لى فوق كونه حظا عاما أن يشرع فى هذا العمل وأنا وزير المعارف ، فقد عنيت بهذا الموضوع من سنوات ، وكنت أنادى بضرورة وضع هذا المعجم ، فهو واجب وطنى يفرضه الاخلاص للغة والعلم والدين

ومما يزيدنى سرورا أن يكون فى تنفيذ هذا المشروع استجابة لقرار المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى سنة ١٩٣٠ ، وتحقيقاً لرغبة العالم العربى أجمع . وإنه ليحق لمصر أن تفخر بتلبيتها نداء العالم العربى فوق ما فيه من فائدة خاصة لها

وإنى لأعد هذا العمل من أجل الأعمال وأخلدها ، بل اعتقد أنه لا فرق بين خلود هذا العمل الجليل وخلود الاهرام إن لم ير بعض حضراتكم أنه أعظم ، ففى تحقيقه احتفاظ بهذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن وتهذيبها من الدخيل ، وتحقيق لوحدة الأمم العربية بهذه الوسيلة وهى المعجم

وقد ساعدت العناية الالـهية مركز مصر الجغرافى أن تكون

مصر زعيمة الثقافة الاسلامية فى العالم العربى ، وقد رضيت لها الأمم العربية هذه الزعامة وأقرتها

وإن المشروع الذى أريد أن نبدأ به هو هذا المعجم الوسيط مترسمين فى وضعه المنهاج الذى ذكر فى قرار تأليف اللجنة حتى يسد حاجة طلاب اللغة ورجال الثقافة من أمثال خريجى دار العلوم ومن فى طبقتهم ، فاذا ما وفقكم الله وأتممتم المعجم الوسيط شرعتم فى وضع معجم مدرسى للجيب يسد حاجة الطلاب المبتدئين ، وبعده تفرغون لمعجم بسيط يجمع شوارد اللغة ويسد حاجة الأدباء والعلماء . ثم تأتى بعد هذا مرحلة أخرى هى وضع موسوعة عربية تكون مرجعاً عاماً يتناول الفنون والعلوم والآداب وغيرها ، فاذا وفقنا إلى إنجاز هذا كله حق لنا أن نفخر بأن مصر أصبحت بحق عضواً نافعاً فى الهيئة الاجتماعية ، وأنها قد أدت رسالتها كاملة عن اللغة العربية

هذا هو برنامج وزارة المعارف الذى أرجو أن يكون برنامجاً قومياً يأخذ كل وزير فيه بنصيب ، وهذا هو اعتقادى وأملى الذى أرجو أن يتحقق على أيديكم وبفضل معونتكم الصادقة حتى يكون لكم شرف وضعه وإتمامه ، ولى بعدكم الثواب من الله على مثل هذا العمل الجليل

وإن الوزارة حريصة على أن تيسر لكم مهمتكم وهذا هو صديقى وكل وزارة المعارف خير ضمان لتنفيذ ما تطلبون فان لى فيه الأمل الكبير والثقة العظيمة

كتاب عن مكيافيللى

صدر أخيراً كتاب جديد عن مكيافيللى وعصره - Machiavelli and his times بقلم الدكتور ارسكين مور E. muir . وقد صدرت كتب كثيرة عن مكيافيللى وعصره ، أهمها وأشهرها المؤلف الجامع الذى وضعه المؤرخ الايطالى فيلارى عن « حياة مكيافيللى وعصره » ولكن شخصية مكيافيللى وآراءه السياسية والاجتماعية مازالت تشغل البحث فى عصرنا ؛ بل إن فكرته فى الدولة وفى الحكم تتبوأ مكانة هامة . ذلك أن فكرة الدولة تغدو فى أوربا مسألة اليوم ، ولاسيما الدولة التى تتجسم فى شخص طاغية كما هو الشأن فى ألمانيا وايطاليا . ومن المعروف أن الفكرة الفردية قد قضى عليها اليوم فى ظل النظم الطاغية الجديدة كالهتلرية والفاشستية ، وأن فكرة الدولة تسود كل شىء فى هذه النظم ، وأن الدولة وكل مرافقها وقواها هى أداة فى الأيدى الطاغية التى تشرف على النظام وتحركه ؛ ونحن نلمس فى فلسفة مكيافيللى أصول هذه النظريات الطاغية ، فالكتابة عنها اليوم مسألة لها خطرها . ومما يذكر فى ذلك أن موسولينى طاغية ايطاليا درس فى شبابه كتاب مكيافيللى (الأمير) دراسة عميقة ، وأنه ما زال يردد اليوم « أن مكيافيللى يعيش اليوم أكثر مما كان يعيش منذ أربعة قرون »

ومن أقوال مكيافيللى المأثورة فى كتابه السالف قوله : « إذا كان الحكام جميعاً من الطراز الصالح فعليك أن تفى بعهودك ؛ أما وهم خونة لا يفون بعهدهم فعليك من جانبك ألا تفى لهم بعهد » ، وهذه النظرية تشتد وطأتها اليوم فى أوربا

والواقع أن مكيافيللى أراد فى كتابه أن يحلل نفسية أبناء وطنه فى عصره وأن يحاول بملاحظاته الدقيقة أن يجد ذلك الطراز من الطغاة الذى يستطيع أن يجمع الكلمة ، وأن يسبغ على الوطن نعمة الحكم المستنير ؛ ولكن الآراء والمبادىء الجافة الخطرة التى تتخلل مباحث مكيافيللى قد طبعت عقيدته فى الحكم بطابع أسود ، وجعلتها مضرب الأمثال للسياسة الفادحة الخطرة ؛ على أن بعض الباحثين يرون أن هذه النزعة ترجع الى حكم مكيافيللى على مجتمعات عصره ، والى اعتقاده بأن الانسانية تقوم على مبادىء وضيعة ، وهو اعتقاد لم يشاركه فيه كثير من أعلام عصره ولاسيما المؤرخ والسياسى الكبير جيشاردينى

ويستعرض الأستاذ موير فى كتابه آراء السياسى الفيلسوف فى الدولة والحكم ويقارنها بآراء جيشاردينى ؛ ثم يورد كثيراً من آراء مكيافيللى فى خطبه ورسائله التى تلت كتابه « الأمير » ، ويستخلص من المقارنة أن مكيافيللى قد عدل فى أواخر حياته كثيراً من آرائه ، وأنه كتب الأمير فى وقت نقمة وبأس ، وأن هذه الروح أملت عليه كثيراً من الآراء المتطرفة التى عدلها فيما بعد

العالم المسرحي والسينمائي

آراء فنانين ارلنديين
في الممثل والمخرج المصري
لناقد « الرسالة » الفني

« أوه يا صديقي ! إنني سعيد حقاً إذ أقضي ليلة في مصر أشهد فيها الممثلين المصريين يقومون بتمثيل رواية معروفة كان من حظي أن أقرأها وأن أشهد تمثيلها قبل ذلك في باريس في الهواء الطلق . »

هذا ما نطق به المستر هيلتن ادواردز مخرج فرقة « دبلن جيت » الأرلندية التي عملت على مسرح الأوبرا الملكية خلال شهر مارس الماضي بعد أن صافحني في فترة الاستراحة الأخيرة من رواية السيد التي أخرجتها الفرقة القومية المصرية في الأسبوع الماضي . ولقد بادرته بالسؤال : « وما رأيك في تمثيل المصريين ؟ »

فأجاب بحرارة « اسمح لي يا صديقي أن أقول لك إن المصريين يتمتعون بميزة طيبة ، هي جمال الصوت ، وإنه ليخيل إلي أن اللغة العربية من أصلح اللغات للمسرح . إني أطرب لها ؛ ولكم وددت لو أعرف العربية حتى يكون استمتاعي بالتمثيل أكثر منه الساعة »

« إن بين الأفراد الذين يعملون أمامي مجموعة قوية ، مما يدل على أن في المصريين استعداداً قوياً للتمثيل ، فلقد علمت أن ليس في مصر معهداً للتمثيل ، بل إن نبوغ هؤلاء الأفراد نتيجة جهد شخصي ، واستعداد فطري ، وهذا فخر كبير لهم . ولقد قرأت هذه الرواية وشهدتها قبل ذلك تمثل ، ولكن لم أدرسها ومع ذلك أستطيع أن أقول إني مرتاح جداً إلى قدرة الممثلين المصريين »

قلت : هل لك أن تدلي برأيك في أداء الممثلين الذين يعملون أمامك الآن ، وعن ملاحظاتك ؟ إنهم يرحبون بكل ملاحظة تبديها وكذلك قرائي يودون أن يعرفوا رأيك

فابتسم المستر ادواردز وقال : « قلت لك إنني لا أعرف العربية فحكمي لن يكون صادقاً . على أنني أستطيع أن أقول إنني كثير الاعجاب بالسيدة التي تقوم بدور شيمين حبيبة السيد (زينب صدقي) إنها ممثلة قديرة ويبدو لي أنها تفهم دورها تمام الفهم ، وهي تجيد مواقف الكبرياء ، وأرجو أن تبلغها إعجابي »

« وإنني كذلك معجب بالملك (منسى فهمي) وأعتقد أنه ممثل قدير ، وكذلك أنا معجب بالسيد (حسين رياض) ، ومع جهلي باللغة العربية أحس أنه يجيد الالقاء ، وأنا مرتاح الى تمثيله . والدون جوميز (زكي رستم) أدى دوره الذي يحتاج الى الصلف والكبرياء أحسن أداء ، وهو يليق لهذه الشخصية »

قلت وما رأيك في السيدة التي تمثل دور ابنة الملك (عزيزه أمير) ؟ فأجاب « إنها لا تليق لهذا الدور ، وإنها تبدو في مستوى أقل كثيراً من مستوى الممثلة التي قمت به في باريس حتى ليخيل إلي أنها لم تفهم دورها »

ثم سألته عن رأيه في الاخراج فأجاب « هل من الضروري أن أجيب عن هذا السؤال ؟ » فقلت أجل ، إنه يهمنا كثيراً أن نعرف رأيك .. إن إخراجك قد حاز إعجاب جميع رجال الفن والأدباء من المصريين ، وإن من دواعي السرور أن تفصح لنا عن رأيك

أطرق المستر ادواردز قليلا ثم رفع وجهه وقال : « لقد حدثتك من قبل عن رأيي في طريقة الاخراج التي أفضلها . لقد جعلت السينما أي جهد في اخراج الروايات بطريقة نقل الطبيعة ومحاكاتها Realism عبثاً ، لأن مجال المسرح محدود ؛ والأمر على العكس من ذلك في السينما ، ولهذا وجب علينا ألا نعنى بالأشياء الحقيرة والتفاصيل العادية The Vulgarity of Detail فهي مجال السينما ، ولهذا فأنا غير مرتاح الى اتباع طريقة الريالزم ؛ وأفضل الطريقة الايحائية Suggestive لأنها تجعل رواد المسرح يشتركون

مع الممثل والمخرج فى نجاح الرواية والاهتمام بحوادثها . بدل أن تعرض عليهم عرضاً سهلا يبعث النوم الى جفونهم ، ولذلك لم يعجبنى اخراج هذه الرواية »

« إن المسرح الحديث يعتمد أكثر ما يعتمد على الاضاءة ؛ ولقد رأيت كيف عاونتنى فى اخراج هملت ، وروميو وجوليت وغيرهما ، ولكننى أرى مخرجكم (زكى طليمات) لم يقصد من الاضاءة إلا أن يكشف المناظر والممثلين للنظارة ، ولم يستخدم الاضاءة فى غرض أو فكرة خاصة ، واستخدامه للضوء يظهر فى موقف واحد فقط بين السيد وحبيبته »

« وقد يكون استعمال المناظر المتعددة والستائر الكثيرة مما يلجأ اليه المخرجون الفرنسيون ، ولكننى أرى أن ما يصلح لفرنسا يجب ألا يفرض على مصر أو غيرها ، بل يجب على المخرج أن تكون له شخصية تبرز فى اخراجه وتعبر عن نفسيته ، وتكون رجع الصدى للبيئة والقومية التى هو منها ؛ ويبدو لى جلياً أن مخرج هذه الرواية لم يهتم بدراستها دراسة اخراج »

***

وكان أول ما صرح به المستر ميكائيل ماك لمور الممثل الأول لفرقة « دبلن جيت » وواضع تصميم مناظر الروايات ، إعجابه بممثل شخصية الملك (منسى فهمى) فهو فى رأيه ممثل قدير ، وقد أبدى إعجابه أيضاً بالسيدة زينب صدقى فى دور شيمين ، وهو يتفق مع زميله فى أن للمصريين صوتاً جميلاً وأن طريقتهم فى الالقاء الشعرى بديعة

وقد سألته عن رأيه فى الاخراج فأجاب « إن هذا اختصاص زميلى المستر ادواردز فهو يستطيع أن يحدثك عنه حديثاً طيباً ، ولكن أقول لك انه يجب على الفرقة أن تعنى باختيار المناظر وعملها فتضع تصميماً لكل منظر تختاره بحيث تسود المناظر روح واحدة وطريقة واحدة . وانتهاج مثل هذا السبيل يعاون المخرج والممثلين على الوصول إلى غور نفوس النظارة . »

« إن فرقتنا قبل أن تخرج أى رواية تعهد بها إلىّ وإلى المستر ادواردز فنقوم بدراستها ونضع الفكرة الاساسية التى سيقوم عليها الاخراج وبعدئذ أفكر فى وضع تصميم مناظرها » ولو لجأت الفرقة المصرية إلى هذه الطريقة لما رأينا أسلوب تصوير منظر Style يختلف عن أسلوب المنظر الآخر

فن السينما

بقلم يوسف تادرس وظريف زكى

مقدمة

لا حاجة بنا إلى التنويه بانتشار فن السينما حتى طغى على المسرح ، ولا بانشغال الناس به ، من نظارة يقبلون على ارتياد دوره ، إلى ممثلين يعرضون أنفسهم للظهور على شاشته البيضاء ، إلى أدباء ينشئون له القصص والروايات

ذلك على حين أن فن السينما لا يزال فى مهده لم يشتد عوده ، وأن قواعده لم تخرج إلا بقدر من طور مجرد الاحساس بماهيتها إلى طور الاستقرار والتحديد

على أن ذلك القليل من قواعده الذى استقر وتحدد ، لا يزال جمهور النظارة يجهله كل الجهل ، ولا يزال الأدباء بعيدين عن درسه وهضمه . ولو عرفه الجمهور ولو بعض المعرفة لزاد استمتاعه بمشاهدة آثاره ، ولو درسه الأدباء وهضموه لأفادوا منه الغنى ونباهة الذكر

ونحن إذ نكتب هذا الكلام نمثل أمام أعيننا المشاق التى لابد أن تكابدها الآن شركة مصر للسينما فى مراجعة الروايات التى قدمت إليها فى المباراة التى عقدتها ؛ ونتصور الجهد الجهيد الذى يبذله رجالها فى درس تلك الروايات وتنسيقها واعدادها

لذلك وطدنا النفس وعولنا على بيان قواعد فن السينما والتعليق عليها بالشرح والتمثيل على صفحات « الرسالة » الغراء . متوخين الموضوع قبل كل شىء ، نابذين المعقد الجاف من اصطلاحاتها ، ساعين وراء فائدة أوفر عدد من الجمهور

وقد وقع اختيارنا على كتاب « ف . ا . بودوفكين » عن حرفية الفلم واتخذناه نبراساً نهتدى به فى بحثنا ، وكنزاً نغترف منه ونجود به على غيرنا

بودوفكين

وإذا اخترنا كتاب بودوفكين ، فلأنه — على وضوح معناه وسهولة عبارته — قد فتح به فتحاً هز أرجاء القارتين الأوربية والأمريكية ، ولا غرو فقد تضافرت جميع العوامل لتنصيب بودوفكين مشترعاً للفن السينمائى



الخطرات

كتاب فى الأدب والأخلاق والاجتماع

تأليف السيدة وداد سكاكيني

السيدة وداد سكاكيني مربية سورية لها فى ميدان الأدب والاصلاح الاجتماعى جولات موفقة ، وهذه الخطرات التى خطرت لها فى مرافق المجتمع العربى عامة والسورى خاصة لا ريب تشهد أنها شاعرة متألمة لا تملك غير قلمها وسيلة لاظهار ما تشعر به ، وهذا القلم يبدو من خلال هـذه الخطرات بليغاً صريحاً حكيما عزيزاً ، ومن بين الموضوعات الكثيرة التى حفلت بها هـذه الخطرات (الفن القصصى) وفيه تبين الكاتبة مقدار اهتمام الغربيين بذلك النوع من الأدب ، وتعيب على القصة المعربة أنها لا تتمشى مع تقاليدنا ، ولا تصف طرق معايشنا ، ولا تتناسب مع أخلاقنا ؛ وتهيب بأدباء العربيـة أن يكتبوا عن بيئاتهم قصصاً يحللون فيها ما يعتور ظواهر الاجتماع من التطور والانقلاب

وتفرغ الكاتبة عواطفها فى مقال جميل عن ذكرى النبى الكريم ، تنوه فيـه بجهوده كنبى وشارع ومثل أعلى لمكارم الخلق ؛ وهى ترى أن ما اعتاده المسلمون من الاحتفال بذكرى مولده بقراءة القصة المعهودة لا يفى بالغاية من الاحتفال والتكريم ، بل يجب أن يعنى بتلاوة سيرة من طراز يناسب العصر الحديث ، توصف فيها الأخلاق المحمدية والتعاليم الاسلامية وما أحدثته من الانقلاب الخطير فى تاريخ الانسانية

أما إصلاح المرأة فترجعـه الكاتبة إلى أحوال المدرسة ، فهى تصرح بأن الفوضى فى مناهج الدراسة تجعل المدرسة عاجزة عن بث روح النشاط والهمة والتهذيب والثقافة فى نفوس النشء ، بل تجعل التلميذات « يدخلنها صباحاً بقلوب واجفـة وأقدام تصطك خوفاً ورعباً ، ويخرجن منها مساءً كالعصافير وجدت بعد طول الأسر حريتها المسلوبة » هـذا ما تقوله فى وصف المدرسة ، ولعلها بهذه الصراحة قد وفقت إلى لفت أنظار القائمين بشؤون التعليم إلى أن الاتجاهات الحديثة فى التربية تعنى قبل كل شىء بأن تكون المدرسة مكاناً يحبه التلاميذ ويجدون فيه مجالاً فسيحاً لارضاء غرائزهم وإظهار مواهبهم وتنظيم رغباتهم فى جو يسوده المرح والاطمئنان

وهكذا وبتلك هذه الروح الطيبة تعالج الكاتبة كثيراً من الموضوعات التى أهمها الأدب العربى ، والتجديد فى الشرق ، والجرأة الأدبية ، وشاعرية الخنساء . ونحن نهنىء الكاتبة الفاضلة بذلك الجهد الموفق ، ونرجو أن يستجيب المصلحون إلى ذلك النداء الصادق البرىء

عبد الفتاح السرنجاوى

فانه ولد ويعيش فى روسيا ، وكانت روسيا ولا سيما فى السنين الأولى التى تلت الثورة السوفيتية ، محرومة من الاتصال بالعالم المتمدن ؛ وكانت فقيرة فى المواد الأولية التى تغذى بها الصحف والمجلات السينمائية ، فانكب رجال الفن هناك على البحث النظرى وعلى التجارب ، فأتوا فى هذين الميدانين بالمعجب العجاب

وبودوفكين يجرى فى عروقه الدم الروسى ، ممتزجاً بالدم التترى ، فكأننا به قد جمع إلى المزاج السلافى الذى يفنى فى الفن الخالص ، ذلك الجموح وتلك الجرأة اللذين قد وسم بهما الجنس التترى

وهو متزوج من ممثلة سينمائية ، سعيد فى حياته ، مستريح البال مطمئن الخاطر . يستنشق فى منزله نسيم الفن الذى جعل حياته له . ناهيك من عقل جبار ، واحساس مرهف ، وقدرة على تبسيط العلوم الجافة مما لا يجتمع إلا للأفذاذ أمثال بودوفكين وقليل ما هم

(يتبع)

القياس فى اللغة العربية *

للأستاذ محمد الخضر حسين
عضو مجمع اللغة العربية الملكى

للأديب سيد أحمد صقر

القياس فن واسع الأطراف ، متشعب المسالك ، يمت الى كل باب من أبواب اللغة بصلة ، ويكاد يجرى ذكره عند كل مسألة ، ولولاه لضاقت الفصحى على أبنائها ، وقعدت بهم عن مسايرة ركب الحياة . لم يؤلف فيه — على ما أعلم — غير هذا الكتاب . وسبب تأليفه أن مؤلفه البحاثة الأستاذ محمد الخضر حسين كان يمر أثناء دراسته لعلوم العربية على أحكام تختلف فيها آراء العلماء فيقصرها بعضهم على السماع ، ويراها آخرون من مواطن القياس ، وقد يحكى بعضهم المذهبين دون أن يذكر الأصول التى قام عليها ذلك الاختلاف . فرأى فضيلته أن التمسك بمثل هذه الأقوال من المتابعة التى لا ترتاح إليها نفس العالم الحر — ولاسيما أن الكتب التى اعتمد عليها أصحاب هذه الأقوال قد أصبحت فى متناول أيدينا — فأخذ يوجه نظره الثاقب الى الأصول العالية التى راعوها فى أحكام القياس والسماع حتى ظفر بقواعد صريحة أضاف اليها غيرها مما استنبطه أو ابتدعه فكان من ذلك (كتاب القياس) . شرح الأستاذ فى هذا الكتاب حقيقة القياس ، وفصل شروطه ، وجمع أصوله وضم أشتاتها ، وأبرزها فى ثوب قشيب ، سهلة القطاف للراغبين ، وقدم له بمقدمة رائعة فى فضل اللغة العربية ونشأتها ومسايرتها للعلوم المدنية ، وحاجتها الى المجتمع ، وتأثيرها فى الفكر ، وتأثير الفكر فيها ، الى غير ذلك من الأبحاث الموجزة الشائقة ، ثم تكلم عن القياس ووجه الحاجة اليه ، وذكر أقسامه وخص منها بالبحث القياس الأصلى وقياس التمثيل ، وتكلم عن الأمور المشتركة بينهما كالقياس فى الاتصال ، والترتيب والحذف والفصل إلى آخر تلك المباحث التى طبق فيها المؤلف مفاصل السداد ، وأصاب شوا كل المراد ، ودل بها على تبحره فى علوم اللغة ، وتمكنه من ناصيتها . بيد أنى كنت أحب أن يطلق الأستاذ لبراعته العنان ، ويبسط القول بعض البسط ، ويكثر من المثل والشواهد لتكون الفائدة بكتابه أعم وأعظم . وإن كان للأستاذ العذر فيما ذهب اليه من الايجاز

السيد أحمد صقر

* هذا الكتاب مطبوع فى المطبعة السلفية ويقع فى ١١٥ صفحة من القطع المتوسط وثمنه أربعة قروش

سلسلة القصص التهذيبية

عنى الأستاذ أحمد فؤاد الصحن بوضع هذه القصص التهذيبية وأخرج منها حلقتين : الأولى (قصة البخيل) ، والثانية (قصة الصياد الصغير والسلحفاة) ، وفى ختام الحلقة الثانية قصة قصيرة وحكاية مصورة وبعض مشاهدات فى مبادئ الطبيعة ومسائل حسابية ومسابقة لطيفة للأطفال ، وهذه كلها قصد بها الأستاذ تسلية الأطفال وتزويدهم بطائفة من المعلومات العامة فى قالب سهل ؛ والكتابة للأطفال لا ريب تحتاج إلى جهد عظيم وعناية فائقة ، ثم هى تقيد الكاتب بكثير من القيود ، ولعل هذا هو السر فى أن الأطفال فى مصر ظلوا طويلا محرومين من الكتب التى تناسب مداركهم . وليس من شك فى أن الأستاذ بكتابة هذه الحكايات قد أضاف إلى مكتبة الأطفال آثاراً لها قيمتها فى تهذيبهم وتثقيفهم وتوسيع مداركهم وتقوية الخيال فيهم . ورجاؤنا أن يعنى الأستاذ فى الحلقات القادمة بالاكثار من الصور وجعلها أكثر وضوحاً وأقرب إلى النوع الذى يحاول الأطفال أن يرسموه بأيديهم ، فان ذلك له أثره فى تقريب الحكايات وجعلها جميلة سائغة

تاريخ الكشف فى مصر والعالم

وضع هذه الرسالة الصغيرة الأديب مصطفى أفندى محمد حسين الرفيق الأكبر لرهط جوالة مدرسة بورسعيد الثانوية ، وقد بدأها بترجمة موجزة لحياة (بادن باول) الكشاف الأعظم ، ثم تناول الكلام عن تاريخ الكشف مستعرضاً الأنظمة الشبيهة به فى التاريخ القديم ، فهو يصف فى ايجاز شديد النظام الأسبرطى ، ثم ينتقل إلى القرون الوسطى ، فيصف الفروسية عند العرب والأوربيين ؛ ثم يجاوز هذا إلى حركة الكشف الجغرافى فى بداية التاريخ الحديث ، ويوازن بين أنظمة الكشف القديمة والحديثة ، وأخيرا يعرض للكشافة فى مصر ، وينقد الفرق الأهلية والكشافات المدرسية ؛ ويختم رسالته بفصل عن المعسكرات الكشفية العالمية ؛ وبرغم ما فى هذه الرسالة من الأخطاء اللغوية الكثيرة فانها جهد يشكر عليه صاحبه (ع)

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٠ — ١٨ مايو سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 150. Lundi - 18 - 5 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ صفر سنة ١٣٥٥ — ١٨ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة
٨٠١ النقـــد المزيف ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٨٠٣ إنسان ناجح ... ... : الأستاذ أحمد أمين ... ...
٨٠٥ العجوزان ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٨٠٨ قصص الأيام العشرة ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٨١٠ أدبنا الجديد ... ... : الأستاذ اسماعيل مظهر ... ...
٨١٣ الشيخ محمد النجار ... : الأستاذ عبد الوهاب النجار ...
٨١٥ اليوم السابع من مارس : الدكتور يوسف هيكل ... ...
٨١٩ التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الأمة : الأستاذ محمد عبد الباري ... ...
٨٢٢ ترجمة معاني القرآن الكريم : الدكتور عبد الكريم جرمانوس
٨٢٤ استثمار نهضة المرأة المصرية لخير البـلاد : السيدة إحسان أحمد القوصي ...
٨٢٧ لامرتين ورينيه جارد ... : السيد اسكندر كرباج ... ...
٨٢٩ الأناشيد القومية المصرية : محمود صادق ، الرافعي ، الهراوي
٨٣٠ إلى الحلم (قصيدة) : العوضي الوكيل ... ...
٨٣١ هواجس (قصة) : حبيب الزحلاوي ... ...
٨٣٤ الفرس ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٨٣٦ كتاب البديع لابن المعتز . ذكرى أدبية شائقة ... ...
٨٣٧ عميد كلية العلوم ... ...
٨٣٧ تعليقات أدبية : درامات شو في مصر
٨٣٧ جيمس جويس والأدب الجنسي ... : : « د . خ »
٨٣٨ نتيجة المباراة الأدبية الرسمية ... ...
٨٣٩ فن السينما ... ... : يوسف تادرس وظريف زكي
٨٤٠ الفرقة القومية المصرية والمسرح المحلي ... : ناقد (الرسالة) الفني ... ...

النقـــد المزيف

كاد الأدباء الناشئون في مصر وفي غير مصر ينصرفون عن الانشاء إلى النقد . وأريد بالنقد هنا معناه العامي أو مدلوله الأعم ؛ فان النقد المنطقي بمعناه الأخص إنما هو ملكة فنية أصيلة ، وتربية أدبية طويلة ، وثقافة علمية شاملة . والناقد بهذا الاعتبار يشارك المشترع في صدق التمييز ، والفيلسوف في دقة الملاحظة ، والقاضي في قوة الحكم . ومن ثم كان نوابغ النقد في العالم أندر من نوابغ الشعر والكتابة . وهذا الذي تقرأه في الصحف العربية من حين إلى حين لا يدخل في هـذا الباب إلا كما يدخل المجون في نطاق الجد ، أو العبث في سياق المنطق ؛ كالرجل يقعد به العجز عن اللحاق بالقادرين ، فيقف نفسه موقف القائد الحصيف ، يلمز هذا ، ويتنادر على ذاك ، ويزعم أنه وحده المسيطر على ثمرات الذهن ، فيحكم بذوقه الخاص على هذه بالقبح ، وعلى تلك بالفجاجة ؛ وأمره كله لا يخرج عن مألوف الطباع الساخرة الفكهة : تصور الحق بلون الباطل لتُضحك ، وتبرز الجميل في مظهر القبيح لتسيء .

وعيب الناس طبيعـة في بعض الناس ، لا يكلفهم إلا تحريك اللسان إذا لقوا سامعاً ، أو تحرير القلم إذا وجدوا صحيفة

هـذا طالب فى ثانويات القاهرة على خطةً فى الكتابة عن الجامعة ؛ وذاك معلم فى ابتدائيات بيروت يلقى درساً فى الصحافة على القاهرة ؛ وذلك صحفى فى مطارح الهجرة يقضى بالموت على الأدب العربى كله !

علام اعتمدت يا بنى فى إنشاء خطتك ؟ وإلام رجعت يا أخىَ فى إعداد درسك ؟ وبم اتخذت يا زميلى أسباب حكمك ؟ وهل تظفر من هؤلاء بجواب ما دمت فى الزمن الذى ترى فيه الناظم ينظم ولا يعلم العروض ، والكاتب يكتب ولا يدرس النحو ، والمجادل يجادل ولا يفقه الأصول ؟ إنها فوضى تتولد فى عصور الانتقال وتفشو فى ابتداء اليقظة ، حين لا يسكن أمر إلى قرار ، ولا يطمئن نظام على وجه ، ولا يخلص رأى من حيرة ، ولا يصدر حكم عن اختصاص !

* * *

إن هـذا الضرب من النقد إما أن ينبعث من مكامن الحقد فيرمى إلى التجريح ، وإما أن ينطلق من مواضع الغرور فيسعى إلى الهدم . كان منذ قريب يعمد إلى الكتاب القيم فى الفلسـفة أو التاريخ أو القانون قد ألفه مؤلفه من دمه وعصبه وعقله وعمره وماله ، فيقف منه موقف الحاسد الأحمق ينقد فى بعض صفحاته فعلا تعدى بغير حرفه ، أو اسماً جمع على غير قياسه ، وقد يكون لكل منهما وجه ، ثم يحكم على الكتاب كله بأنه سخيف لا يقرأ ، وضعيف لا يعيش ! . ثم أصبح اليوم يعرض للموضوع فيقول : هذا قديم لأنه يدور على بحث فى تاريخ الشرق ، أو على معنى من معانى الدين ، أو على أثر من آثار البلاغة ؛ وهذا جـديد لأنه يقوم على حادثة من حوادث الغرب ، أو على رجـل من رجال الأكاديمية ، أو على غانية من غوانى المسرح ؛ هـذا مقلد لأن أسلوبه شريف ممتنع ، وهذا مجدد لأن أسلوبه مبتذل ممكن ! ثم تعصف بأقلامهم اللينة نخوة الحفاظ وحماسة الفتوة فيصيحون :

أميتوا أدب العاطفة وأحيوا أدب القوة !

أبيدوا أدب الخاصة وأوجدوا أدب الشعب !

انبذوا أدب المقالة والزموا أدب القصة !

صيحة قرارها حق ومقامها باطل ! فان إجماع الناس واقع على أن خلو الأدب الحديث من أدب القوة وأدب الشعب وأدب القصة خلل لا بد أن يسد ، ونقص لا بد أن يكمل ؛ ولكن من الذى يقول ويعنى ما يقول : إن وجود هذه الأنواع يقتضى عدم الأخرى ؟ إن لكل فن من الأدب طبقة من الناس تتذوقه ، فاذا منعتها إياه طلبته . والناقص لا يكمل برفع نقص ووضع نقص ؛ والبناء لا يتم بهدم ركن وإقامة ركن

أرأيتك[1] إذا كان الأدب كله قوياً يخشن الصدور ، وحماسياً يورّث الحفائظ ، أفما كنت تقول : أين الأدب الذى يصور ألوان الحياة المريرة ، ويترجم أشجان القلوب الكسيرة ، ويرقق حواشى الأنفس الجافية ؟

أرأيتك إذا كان الأدب كله شعبياً يعبر بألسنة السوقة ، وينقل عن عواطف العامة ، أفما كنت تقول : أين الأدب الذى يرضى أذواق الخاصة فيجمع بين سمو الفكرة ونبل العاطفة وقوة الأسلوب فى صورة من الفن الرفيع تسمو بالنفوس إلى المثل الأعلى ، وتغمر الشعور بالجمال الخالد ؟

الأدب صورة النفس فلا بد أن ترتسم فيـه مشاعر الفرد ؛ والأدب مرآة الحيـاة فلا بد أن تنعكس فيه ألوان المجتمع . وما دام فى الناس الحساس والبليد ، والخوار والجليد ؛ وفى الدنيا التفاوت الذى يوجد التمايز ، والألم الذى يفجر الدموع ، واللذة التى تبعث المسرة ، والمدنية التى تخلق التنوع ، فلا بد أن يكون الأدب الصحيح صدى لكل ذلك

ليست وظيفة النقد أن يهدم أو يميت أو يشـترع . تلك وظيفة الطبيعة التى تطور كل شىء ، وتغير كل نظام ، وتسد كل عوز ، وفق قانون ثابت . انما وظيفة الناقد أن ينظم الوجود وينبه الأذهان إلى الفاقد . أمَّا أن يحاول تغيير الطباع بقانون ، وقلب الأوضاع بمقالة ، ومحو الثابت بنكتة ، فذلك عبث لا يخلق بكرامة إنسان ، وتهريج لا يذكر بضمير فنّان !

* * *

أما بعد فلعل فى هذا الاجمال يا صديق (نجيب) بعض الجواب عن مقالك (فوضى النقد) ، ولعلك تكتفى منى بذكره عن نشره ؛ فانك سميت أشخاصاً وعينت كتباً وحددت حوادث ، وفى بعض ما قلتَ مشابهُ مما يقول هؤلاء ! ومن خُلق الرسالة كما تعلم أن تكتفى بالتلميح وتتأبّى عن التجريح وتعوذ بنطنة قرائها من شر ذلك .

احمد حسن الزيات

(١) أرأيتك اسم فعل بمعنى أخبرنى

إنســـــان ناجح

للأستاذ أحمد أمين

صخرى الوجه ، صُلب الجبين ، لم يعرف يوماً حمرة الخجل ، ولا برقع الحياء ، لا يتوقى شيئاً ، ولا يبالى ما يقول

إن كان لكل الناس وجه ولون ولسان ، فلهذا المخلوق أوجه وألسنة وألوان

هو صديقك وعدوك حسب الظروف الخارجية ، لا حسب ما يصدر منك ، وهو مادحك وذامك حسب ما يدور فى المجلس ، لا حسب رأيه ، وهو عابس لك يوماً باسم يوماً حسب ما يقدر هو أنه فى مصلحته ، لا حسب ما تستحق أنت منه

له حاسة زائدة عن حواس الناس الخمس هى سر نجاحه ، ولهذه الحاسة خصائص : فهو يدرك بها أى نوع من الوزارات ستتولى الحكم ليحول نفسه على وفقها ، وليتجهم لاعدائها ، ويتقرب من أحبابها ؛ ويشم بها مواطن المال فى كل ظرف ، ويرى بها من يجلب له النفع ، ويؤقلم وفق ذلك نفسه ، فيتشكل بأشكال فى منتهى الظرف والطلاوة ، فاذا عدوه اللدود بالأمس صديقه الحميم اليوم

ويعرف بها — فى مهارة عجيبة — موضع الضعف من كل انسان يهمه ، فان كان يعبد النساء حدثه أعذب الحديث فى النساء والجمال وحسن الشكل ، وبدع المحاسن ، وجمال الملامح ، واستعرض نساء البلد ونساء الفرنج ، وأية حوراء العينين ، كحلاء الجفون ، ساجية الطرف ، فاترة اللحظ ، وأية أسيلة الخد ، ممشوقة القد ، وأية بيضاء اللون ، شقراء الشعر ، زرقاء العين . وأية سوداء العين ، سمراء اللون سوداء الشعر . وأية ممتلئة البدن ، ضخمة الخلق ، شبعى الوشاح ، وأية دقيقة الشبح نحيلة الظل مرهفة الجسم ، وتفنن فى ذلك ما شاء أن يتفنن حتى يملك لبه ، ويستعبد عقله ، فاذا هو طوع بنانه ومستودع أسراره

وإن كان سكيراً حدثه الحديث الممتع فى الشرب والشراب ، والكؤوس والأكواب وآداب النديم ، وروى له أحسن الشعر فى الخمر وحدثه عما يمزج وما لا يمزج ، وخير الخمور ومواردها وتواريخها وما يلذ صبوحا وما يلذ غبوقا — وتعرف ما يستحسنه صاحبه فأفرط فى مدحه وادعى الاعجاب به ، وأنه لا يفضل عليه غيره ، وأن ذوقه من ذوقه وشرابه من شرابه ومزاجه من مزاجه ، وأسكره من حديثه كما أسكره من كأسه ، فاذا هما صديقان وثقت بينهما الكاس والطاس

وان كان شرها فى المال حدثه عن الضياع ومحاسن الأراضى وكيفية استغلالها ، والعمارات وجباياتها ، ووازن بين أنواع العقار وكم فى المائة يمكن أن تغل ، وأعانه فى مشاكله وبذل له كل أنواع معونته ، فوجد فيه صديقه النافع وخليله المواتى

وهدته حاسته هذه أن يعمد إلى عدد من الرؤوس الكبار ذوى النفوذ فينصب لهم حبالته ، ويوقعهم فى شبكته ، بما يبذر من حب ذى أشكال وألوان ، فاذا تم له ذلك خضع له الصغار من تلقاء أنفسهم وطوع ارادتهم ، وضرب لهم مثلاً بقضاء حوائج لبعضهم ما كانت تقضى من غيره ، فهو مقصد جميعهم ومحط آمالهم وموضع الرجاء منهم ، يعملون كلهم فى خدمته على أمل أن ينالوا شيئاً من جاهه ، فاذا هو سيد على الصغار والكبار ، وإذا هو عظيم حيث كان ، يقابل بالاجلال والاعظام ، ويملق من أتباعه وإخوانه ، ويحسب حسابه فى دائرته وأوسع من دائرته

الى جانب هذه الحقائق القليلة قدر كبير من التهويش ، فهو يزعم أنه فى كل ليلة جليس الكبراء والوزراء ، كم يتغزلون فيه ويطلبون القرب منه وهو يتأبى عليهم ، ويبتعد عنهم ، وهو لو شاء لكفت إشارة منه لأن يرفع من شاء فى أعلى عليين ، ويخفض من شاء الى أسفل سافلين — الوزارات فى يده ، ومصالح الحكومة فى أصبعه — والانجليز يخشون بأسه ، والفرنسيون يقضون مصالحهم على يده — وبريده كل يوم من خارج القطر ينوء السعاة بحمله ، ثم لا أدرى كيف اتصل بالجرائد فهى تشيد دائماً بذكره ، فاذا تحرك حركة أعلنتها على الناس كما تذاع حركات الملوك ، فهو مسافر الى الأسكندرية ، وقادم من الاسكندرية ، ومبحر الى أوربا ، ومتنقل فى عواصم البلدان ، وعائد الى مصر بعد أن رفع شأنها ، وأعلى مكانها ، حتى لم يبق إلا أن تخبرنا ماذا أفطر ، وكيف أفطر ، وفى أى ساعة تناول غداءه ، وماذا كانت

أصنافه ، وهل غفا قليلا بعد الغداء أو تحدث قليلا الى زوجه وأولاده

وهو يستغل هذا كله فى قضاء مصالحه ، فطلباته ناجزة نافذة ، والمستحيل لغيره جائز له ، والأموال تكال له كيلا ، والهدايا تنهال عليه انهيالا ، وهو مع كل ذلك لا يشبع ، كلما نال مطلبا تفتحت له مطالب ، فهو فى طلب دائم ، ومن يدم الأمور فى إجابة دائمة ، حتى ليوشك — إذ لم يتعود الرفض — أن يطلب النجوم تزين غرفته ، والسحاب يمطر فى الصيف حديقته ، والحر والبرد يتأدبان فى حضرته ، والشمس تكسف لطلعته

ومن غريب أمر الناس فيه أنهم يكرهونه من أعماق نفوسهم ، ويمقتونه من صميم قلوبهم ، ويرون فيه السخافة مركزة ، واللؤم مجمعاً ، فاذا لقوه فترحيب وتهليل ، واعظام وملق ، يبسطون ألسنتهم فيه بالسوء غائبا ، ويطنبون فى مدحه حاضرا ، فهو معذور إذ يشعر أن الناس مجمعة على حبه ، حتى ليخشى عليهم أن يموتوا به غراما أو يُجَنُّوا به هياما ، شهدته مرة وقد أتى عملا شنيعا حتى كان مضغة الأفواه ومعرة القوم ، وظننت الناس إن رأوه ازدروه — على الأقل — بعيونهم ، وكلوه ببعض شفاههم ، واستهانوا بمقدمه ، وأقل ما يفعلونه ألا يحفلوا به ، ولا يأبهوا بمقدمه ، فما كان أشد عجبى أن رأيتهم — إذ حضر — قد انتفضوا من أماكنهم ، وأفسحوا له مجالسهم ، وأجلّوا شأنه ، وأعظموا قدره ورفعوا منزلته فوق من يقدرون فضله ويجلون خلقه

فهو — حتى فى هذا — ينتفع بأعظامهم وإجلالهم ، ولا يضره كرههم الذى لا يعدو قلوبهم — فكرههم لأنفسهم ، وإعظامهم له ، وماذا يضره كرهٌ محتقن وخير منه حب مصطنع ، وماذا يضيره سب صادق فى إسرار ، وخير منه مدح كاذب فى إعلان ؟ لا شك أنه فى كل ذلك ناجح حتى فى الكره والذم

* * *

قال صاحبى : وهل تعد ذلك نجاحا ؟ لو كان النجاح بقضاء المصالح والأغراض والحصول على المال فحسب ، لعددنا السارق يجيد السرقة ويفلت من العقوبة ناجحاً ، ولعددنا الذى يتاجر بشرفه وعرضه ناجحاً ، ولكان أنجح الناس من حصل على المال من أقرب الوجوه ولو كان من أخسها — إن هذا الذى ذكرت قد كسب المال وخسر الشرف ، حييت مطامعه ومات ضميره ، وخدم من يظلهم كبراء أو عظماء بضعة نفسه وموت حسه ، بأى مقياس أخلاقى قسته لم تجده شيئاً ، إن قسته بمقياس الفضيلة البانة الحاسمة لم تجده فاضلاً ، وإن قسته بمقياس السعادة لم تجده سعيداً ، إنه يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام ، فان كان الحمار أو الخنزير سعيداً فهذا سعيد ، وأين منه لذة ذى الضمير الحى ينعم بعواقف الشرف والنبل ، ويلذهما لذة لا تعدلها ما ذكرت من مال وجاه ؛ إن الرجل الفاضل سعيد حتى فى آلامه لأنها آلام لذيذة خصبة ، هى كالنار تنضج النفس ولا تحرقها ، أما لذة صاحبك فسم فى دسم ، ونار تحرق ولا تنضج — وبعد قليل من حياته يفقد حتى لذة المال والجاه ، وتصبح لذتهما كلذة من يتناول الحلوى صباح مساء ، تتهوّعُ نفسه وتنقبض شهيته — فان اللذة الباقية الدائمة هى لذة الروح لا الجسم ، ومن عجيب أمر الروح أن لذتها لذة صافية ، وألمها ألم مشوب بلذة ، ثم لذة هذا المخلوق لذة مشروطة بشروط ، فهو يعتقد أن لذته مرتبطة ببقاء صاحبه فى الوزارة ، وصديقه فى الوكالة ، وحميه فى منصبه ، لأن قيمته مستمدة منهم وليست مستمدة من نفسه ، إذ ليست له قيمة ذاتية ، ونجاح مثل هذا فى أمة عنوان فشلها وسوء تقديرها ، وضعف الرأى العام فيها — وهو مثل سىء يشجع البذور السيئة على النماء والبذور الصالحة على الخفاء — قد يكون هذا المثل فى كل أمة ، ولكنه فى الأمة الصالحة نادر ، ويحتاج فى نجاحه إلى كثير من الطلاء حتى يخدع الناس ويوهمهم بصلاحه . أما أن يجرؤ ويظهر بمظهره الحقيقى ثم ينجح فذلك فساد الأمة وسبة الدهر

قلت : ربما كان ما تقول صحيحاً فدعنى أفكر

أحمد أمين

العجوزان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدثي : التقى هذان الشيخان بعد فراق أربعين سنة ، وكانت مثابتهما [١] ذلك المكانَ القائم على شاطئ البحر في اسكندرية في جهة كذا . وهما صديقان كانا في صدر أيامهما — حين كانت لهما أيام ... — رَجُلَي حكومة يعملان في ديوان واحد ، وكانا في عيشهما أَخَوَيْ جد وهزل وفضائل ورذائل ، يجتمعان دائماً اجتماع السؤال والجواب ، فلا تنقطع وسيلةُ أحدهما من الآخر ؛ وكأن بينهما في الحياة قرابة الابتسامة من الابتسامة ، والدمعة من الدمعة

ولبثا كذلك ما شاء الله ثم تبددا ، وأخذتهما الآفاقُ كدأب (الموظفين) ينتظمون وينتثرون ، ولا يزال أحدهم ترفعه أرض وتخفضه أخرى ، وكأن «الموظف» من تفسير قوله تعالى : « وما تدرى نفسٌ بأى أرض تموت »

وافترق الصديقان على مضض ، وكثيراً ما يكون أمر الحكومة بنقل بعض (موظفيها) — هو أمرها بتمزيق بعضهم من بعض ؛ ثم تصرَّفت بهما الدنيا فذهبا على طرفى طريق لا يلتقيان ، وأصبح كلاهما من الآخر كيومه الذى مضى ، يُحفظ ولا يُرى

***

قال المحدِّث : وكنت مع الأستاذ (م) ، وهو رجل في السبعين من عمره ، غير أنه يقول عن نفسه إنه شابٌّ لم يبلغ من العمر إلا سبعين سنة ... ويزعم أن في جسمه الناموسَ الأخضر الذى يحيى الشجرة حياة واحدةً إلى الآخر

رجل فارهٌ ، متأنق ، فاخر البزَّة ، جميلُ السَّمْت ، فارعُ الشَّطاط [٢] كالمصبوب في قالب لا عوج فيه ولا انحناء ، مجتمع كله لم يذهب منه شيء ، قد حفظته أساليبُ القوة التى يعانيها في رياضته اليومية . وهو منذ كان في آنِفَتِه وشبابه لا يمشى إلا مستأخر الصدر [١] ، مشدود الظهر ، مرتفع العنق ، مسندا قفاه إلى طوقه ؛ وبذلك شب وشاب على استواء واحد ، وكلما سئل عن سر قامته وعوده لم يزد على قوله : إن هذا من عمل إسناد القفا [٢] ....

وهودائماً عَطِرٌ عبق ، ثم لا يمسُّ إلا عطرا واحدا لا يغيره ، يرى أن هذا الطيب يحفظ خيال الصبى ، وأنه يبقى للأيام رائحتها

وله فلسفة من حسِّه لا من عقله ، ولفلسفته قواعدِ وأصول ثابتة لا تتغير ؛ ومن بعض قواعدها الزهر ، ومن بعضها الموسيقى ، ومن بعضها الصلاة أيضاً . وكل تلك هى عنده قواعد لحفظ الشباب . ومن فلسفته أن مبادئ الشباب وعاداته إذا هى لم تتغير اتصل الشبابُ فيها واطَّرد في الروح ، فتكون من ذلك قوة تحرس قوة اللحم والدم ، وتمسك على الجسم حالته النفسية الأولى

وهو يزيد في حكمة الصلاة فكرةً رياضيةً عملية لم ينتبه إليها أحد ، هى رياضة البطن والأمعاء بالركوع والسجود والقيام ؛ ويقول إن ثروة الصلاة تُكْنَز في صندوقين : أحدهما الروح لما بعد الموت ، والآخر البطن لما قبل الموت . ويرى أن الاسلام لم يفرض صلاة الصبح قبل الشمس إلا ليجعل الفجر ينصبُّ في الروح كل يوم

***

قال المحدِّث : وبينما نحن جالسان مرَّ بنا شيخٌ أعجفُ مهزولُ موهونٌ في جسمه ، يدْلُفُ متقاصِرَ الخطوْ كأن حمل السنين على ظهره ، مُرْعَشٌ من الكِبَر ، مستقدِمُ الصدر منحنٍ يتوكأ على عصا ، ويدل انحناؤه على أن عمره قد اعوجَّ أيضاً . وهو يبدو في ضُعفه وهُزاله كأن ثيابه ملئت عظاماً لا انساناً ، وكأنها ما خيطت إلا لتمسك عظما على عظم . . .

قال : فحملق اليه (م) ثم صاح : رِينا ، رِينا . فالتفت العجوز ، وما كاد يأخذنا بصره حتى انفتل الينا وأقبل ضاحكا يقول : أوه رِيت ، رِيت

ونهض (م) فاحتضنه وتلازما طويلا ، وجعل رأساهما

---

(١) أى المكان الذى اجتمعا فيه بعد التفرق (٢) ممتد الطول

(١) يقال مستقدم الصدر للهرم المحنى الظهر ، فأخذنا منها مستأخر الصدر ، وذلك بروزه حين يكون مشدودا ، فيكون أعلاه إلى الوراء

(٢) هذه حقيقة رياضية ، وهنا أقوى الأثر في شد الجسم وانتصاب القامة إذا اعتادها الانسان . والمراد بالطوق البنيقة (الياقة)

بدوران ويتطوّحان ، وكلاهما يقبل صاحبه قبلاً ظامئة لا عهد لى بمثلها فى صديقين ، حتى لخيّل إلىّ أنهما لا يتعانقان ولا يتلاثمان ولكن بينهما فكرة يعتنقانها ويقبلانها معاً . . .

وقلت : ما هذا أيها العجوزان ؟

فضحك (م) وقال : هذا صديقى القديم (ن) تركته منذ أربعين سنة معجزةً من معجزات الشباب ، فها هو ذا معجزة أخرى من معجزات الهرم ، ولم يبق منه كاملاً إلا اسمُه . . .

ثم التفت اليه وقال : كيف أنت يا رِينا ؟

قال العجوز (ن) : لقد أصبحت كما ترى ؛ زاد العمر فى رجلىَّ رجلاً من هذه العصا ، ورجع مصدرُ الحياة فىَّ مصدراً للآلام والأوجاع ، ودخلت فى طبيعتىَ عادة رابعـــة من تعاطى الدواء

فضحك (م) وقال : قبح الله هذه الدخيلة ، فما هى العادات الثلاث الأصلية ؟

قال العجوز : هى الأكل والشرب والنوم . . . ثم أنت يا رِيت كيف تقرأ الصحف الآن ؟

قال (م) : أقرؤها كما يقرؤها الناس ، فما سؤالك عن هذا ؟ وهل تقرأ الصحف يوما غير ما تقرأ فى يوم ؟

قال : آه ! إن أول شىء أقرأ فى الصحف أخبارُ الوَفَيات لأرى بقايا الدنيا ، ثم (اعلانات الأدوية) . . . ولكن كيف أنت ياريت ؟ إنى لأراك ما تزال من وراء أربعين سنةً فى ذلك العيش الرَّخِىّ ، وأراك تحمل شيخوختك بقوة كأن الدهر لم يحزُمْك من هنا ولا من هنا ، وكأنه يلمسك بأصابعه لا بمساميره ، فهل أصبت معجزة من معجزات العلم الحديث ؟

قال : نعم

قال : ناشدتك الله ، أفى معجزات العلم الحديث معجزةٌ لعظمى ؟

قال (م) : ويحك يا رينا . إنك على العهد لم تبرح كما كنتَ مزبلة أفكار . . . ماذا يصنع فيك العلم الحديث وأنت كما أرى بمنزلة بين العظم والخشب . . . ؟

***

قال المحدث : وضحكنا جميعاً ثم قلت للأستاذ (م) : ولكن ما (رينا وريت) وما هذه اللغة ؟ وفى أى معجمٍ تفسيرُها ؟

قال : فتغـامَزَ الشيخان ، ثم قال (م) : يا بنى هـذه لغة ماتت معانيها وبقيت ألفاظها ، فهى كتلك الألفاظ الأثرية الباقية من الجاهلية الأولى

قلت : ولكن الجاهلية الأولى لم تنقض إلا فيكما . . . ولا يزال كل شاب فى هذه الجاهلية الأولى ، وما أحسب (رينا ، وريت) فى لغتكما القـديمة إلا بمعنى (سوسو ، وزوزو) فى اللغة الحديثة ؟

فقال (م) : اسمع يا بنى . إن رجل سنة ١٩٣٥[1] متى سأل فىَّ رجل سنة ١٨٩٥ : ما معنى رينا وريت ؟ فرد عليه : إن (رينا) معناها (كاترينا) ؛ وكان (ن) بها صباً مغرماً ، وكان مُقْتَتَـلاً قتله حبها . أما (ريت) فهو لا يعرف معناها

فامتعض العجوز (ن) وقال : سبحان الله ، اسمع يا بنى : إن رجل سنة ١٨٩٥ فى يقول لك : إن (ريت) معناها (مرغريت) وكانت الجوى الباطنَ ، وكانت اللوعةَ والحريق الذى لا ينطفىء فى قلب الأستاذ (م)

قلت : فأنتما أيها العجوزان من عشاق سنة ١٨٩٥ فـكيف تريان الحب الآن ؟

قال العجوز (ن) : يا بنى إن أواخر العمر كالمنفى . . . ونحن نتكلم بالألفاظ التى تتكلم بها أنت وأنتما وأنتم ... غير أن المعانى تختلف اختلافاً بعيداً

قلت : واضربْ لهم مثلاً

قال : واضرب لهم مثلاً كلمة (الأكل) فلها عنـدنا ثلاثة معان : الأكل ، وسوءُ الهضم ، ووجع المعدة ... وكلمة (المشى) فلها أيضاً ثلاثة معان : المشىُ ، والتعب ، وغمزاتُ العظم . . . وكلمة (النسيم) ، النسيم العليل يا بنى ؛ يزيد لنا فى معناها تحرك (الروماتزم) . . .

فضحك (م) وقال : يا « شيخ » . . .

قال العجوز : وتلك الزيادة يا بنى لا تجىء إلا من نقص ، فهنا بقيةٌ من يدين ، وبقية من رجلين ، وبقية من بطن ، وبقية من ومن ومن ، ومجموع كل ذلك بقية من انسان

قال الأستاذ (م) : والبقية فى حياتك . . .

(١) كانت هذه القصة فى صيف سنة ١٩٣٥ فى اسكندرية

قال (ن) : و بالجملة يا بنى فان حركة الحياة فى الرجل الهرم تكون حول ذاتها لا حول الأشياء ؛ وما أعجب أن تكون أقصر حركتى الأرض حول نفسها كذلك ، وإذا قال الشاب فى مغامرته : ليمض الزمن ولتتصرم الأيام ، فان الأيام هى التى تتصرم والزمن هو الذى يمر . أما الشيوخ فلن يتمنوه أبداً . فمن قال منهم : ليمض الزمن فكأنما قال فلأمض أنا . . .

فصاح (م) : يا شيخ يا شيخ . . .

ثم قال العجوز : واعلم يا بنى أن العلم نفسه يهرم مع الرجل الهرم فيصبح مثله ضعيفاً لا غناء عنده ولا حيلة له ، وكل مصانع لنكشير ومصانع بنك مصر واليابان والأمريكتين ، وما بقى من مصانع الدنيا ، لا فائدة من جميعها فهى عاجزة أن تكسو عظامى . .

***

قال المحدث : فقهقه الاستاذ (م) وقال : كدتُ والله أتخشب من هذا الكلام ، وكادت معانى العظم تخرج من عظامى . لقد كان المتوحشون حكماء فى أمر شيوخهم ، فاذا علت السنُّ بجماعة منهم لم يتركوهم أحياء إلا بامتحان ، فهم يجمعونهم ويلجئونهم الى شجرة غضة لينة الهزة فيكرهونهم أن يصعدوا فيها ثم يتدلوا منها وقد علقت أيديهم بأغصانها ؛ فاذا صاروا على هذه الهيئة اجتمع الأشداء من فتيان القبيلة فيأخذون بجذع الشجرة يرجونها وينفضونها ساعة من نهار ؛ فمن ضعفت يداه من أولئك الشيوخ أو كلت حوامل ذراعيه فأفلت الغصن الذى يتعلق به فوقع ، أخذوه فأكلوه . ومن استمسك أنزلوه فأمهلوه الى حين

فاقشعر العجوز (ن) وقال : أعوذ بالله هذه شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، ولعنها الله من حكمة ، فانما يطبخونهم فى الشجرة قبل الأكل ، أو هم يجعلونهم كذلك ليتوهموهم طيورا فيكون لحمهم أطيب وألذ ، ويتساقطون عليهم من الشجرة حمائم وعصافير

قال (م) : إن كان فى الوحشية منطق فليس فى هذا المنطق « باب لِمَ » ، ولا (باب كيف) ، ولو كان بهم أن يأكلوهم لأكلوهم ، غير أنها تربية الطبيعة لأهل الطبيعة ؛ فان رؤية الرجل هذه الشجرة وهزها وعاقبتها يبعد عنه الضعف والتخلخل ، ويدفعه الى معاناة القوة ، ويزيد نفسه انتشارا على الحياة وطمعاً فيها وتنشطا لأسبابها ، فيكون ساعدُه آخر شىء يهرم ، ولا يزال فى الحِدّة والنشاط والوثبان ، فلا يعجز قبل يومه الطبيعى ، ويكون المتوحشون بهذا قد احتالوا على الطبيعة البشرية فاضطروها الى مجهودها ، وأكرهوها على أن تبذل من القوة آخر ما يسع الجسم

قال (ن) : فَنَـم إذَنْ ، ولعن الله معانى الضعف . كدت والله أظن أنى لم أكن يوماً شاباً ، وما أراك إلا متوحشا تخاف أن تؤكل فتظل شيخاً رجلا لاشيخا طفلا ، وترى العمر كما يرى البخيل ذهبه مهما يبلغ فكثرته غير كثيرة

***

قال المحدث : وأضجرنى حوارهما إذ لم يعد فيه إلا أن جسم هذا يرد على جسم هذا ؛ وإنما الشيخ من أمثال هؤلاء زمان يتكلم ويقص ويعظ وينتقد ، ولن يكون الشيخ معك فى حقيقته إن لم ترحل أنت فيه إلى دنيا قديمة . فقلت لهما : أيها العجوزان ! أريد أن أسافر إلى سنة ١٨٩٥ . . .

(طنطا) (لها بقية)

مصطفى صادق الرافعى

إلى م . ش : يا بنى إن الزبال يتزوج ويعيش ويهنأ ما دام فى طبقته وحقيقته ، فاذا خرج من هذه الطبقة وتسامى عن هذه الحقيقة وقال سأنتظر ، بقى طول عمره ينتظر . وكل شاب عزب تراه فهذه علته : زبال يطمع فى بنت أمير ... وهو لا يدرى أنه زبال . ينتظر العصفور حدأة ، أتصغر الحدأة أم يكبر العصفور ...؟ الرافعى

من روائع عصر الإحياء

قصص الأيام العشرة

بقلم جوفانى بوكاشيو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

من آثار عصر الأحياء الخالدة قصص بوكاشيو الشهيرة المسماة « ديكامرونى » . وقد مضى على ظهور هذا الأثر الرائع زهاء ستة قرون ؛ بيد أنه ما زال حتى عصرنا يحتفظ بروعته وسمو خياله وفنه ، وما زال يتبوأ مكانه بين الآثار العالمية الخالدة

وقد أوحت إلى بوكاشيو كتابة أثره حوادث مروعة شهدها وهزت نفسه إلى الأعماق ، فأذكت خياله ، وانتزعت من قلمه تلك القصص الساحرة التى تصور لنا كثيراً من روح العصر وخلاله أصدق تمثيل وأمتعه

كتبها بوكاشيو وأشباح الفناء تحتشد من حوله ، والموت الذريع يقطف أزاهير المجتمع من كل الطبقات والأعمار ؛ والتمس بكتابتها عزاء لنفسه وعزاء لمجتمعه عما نزل به من أهوال الفناء ، ولتكون باعثاً إلى النسيان والمرح . وكان بوكاشيو يومئذ فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، فى ذروة الفتوة والنضج ، فجاءت هذه القصص أروع آثاره ، وعنوان مجده ، واتخذت مكانها بين أعظم آثار عصر الأحياء

ولد چوڤانى بوكاشيو فى سنة ١٣١٣ م فى باريس من أب ايطالى وأم فرنسية ، ونشأ فى فلورنس موطن أسرته ، وتلقى فيها تربيته ، وشغف منذ حداثته بالشعر والأدب ، وتأثر أيما تأثير بشعر ڤرچيل ؛ وكان أول آثاره قصة غرامية عنوانها « فياميتا » وهى فتاة حسناء يظن أنها تمثل فتاة حقيقية هام بها بوكاشيو ، وأظهرها فى شخص فياميتا ، والمظنون أيضاً أنه يصف حبيبته هذه فى شخص بطلة قصته الأخرى « فلسكوبو » . وتجول بوكاشيو فى المدن الايطالية ، وعاش حيناً فى نابل ، فى عهد ملكها روبرتو وملكتها الفتية الحسناء چوفانا (جنه) ، واتصل ببلاطها الساطع المنحل معا ، وكتب فيها بعض قصائده وقصصه ؛ ومنذ سنة ١٣٤٢ نراه يستقر مع أسرته فى فلورنس ، ويحاول أن يفوز بمنصب فى الحكومة أو مركز أدبى يعيش منه ؛ وقد لفتت كفاياته الحكومة غير بعيد ، فأوفدته سفيرا إلى حكومة « رومانيا » فى سنة ١٣٤٦ ، ولكنه اضطر بعد ذلك بنحو عام إلى العودة إلى فلورنس على أثر موت أبيه ليعنى بشؤون أسرته ، واشترى بمعظم ميراثه كتباً لاتينية ويونانية ، وانقطع للكتابة والتأليف

ولم يمض قليل على ذلك حتى نكبت إيطاليا وفلورنس ونكب العالم بأسره بتلك الكارثة العظمى التى تعرف فى الرواية الغربية بالوباء الأكبر ، وفى الرواية الاسلامية باسم مماثل هو « الفناء الكبير » ، ذلك أن الفناء الكبير قد اجتاح أمم الشرق والمغرب معاً ، وحمل منها إلى القبر عشرات الملايين ، وعصف بجميع المجتمعات الزاهرة أيما عصف ؛ وبسط على العالم المتمدن كله ريحاً من الرهبة والروع ؛ وقد شهد بوكاشيو أحداث الوباء فى فلورنس منذ بدئها ، وترك لنا عنها وصفاً مروعاً مؤثراً ؛ واليك ما يقوله فى أصل الوباء وأعراضه :

« إنه فى سنة ١٣٤٨ ميلادية حل الوباء الفاتك بمدينة فلورنس الزاهرة ، أجل المدن الايطالية ، بعد أن لبث قبل ذلك بأعوام يعصف بالمشرق ، إما لتفاعل الكواكب والاجرام ، وإما لغضب الله الحق لما يرتكبه عباده من الخطايا ، ولأنه أرسل اليهم صواعق عقابه ، فعصف بكتل من البشر لا حصر لها ؛ وانتقل الوباء مسرعاً من مكان إلى مكان حتى حل بالغرب يحمل الفزع والروع . . . وكانت أعراضه سواء بالنسبة للرجال أو النساء ، فيظهر أولاً فى شكل أورام تصيب الأبط أو أسفل البطن ثم تنتشر فى جميع أجزاء الجسم ، ثم تتحول إلى بقع سوداء أو ممتقعة تملأ الذراعين والفخذين ، ثم سائر أعضاء الجسم ؛ وكان المصاب يموت عادة فى اليوم الثالث دون حمى ودون مضاعفات أخرى »

واجتاح هذا « الفناء الكبير » أمم الشرق والغرب معاً ، فعاث فى الأمم الاسلامية أيما عيث ؛ وعصف بمجتمعاتها الغنية الآهلة ، وسرى إلى جميع الأمم الأوربيـة ، وبسط عليها رهبة الدمار والموت ، وحمل من سكانها نحو الثلث فى أشهر قلائل ؛ وكان فتكه أشد ظهوراً ، وأعمق أثراً فى مجتمعات إيطاليا ، وبخاصة فى فلورنس التى كانت تتمتع يومئذ بحضارة زاهرة ؛ وهنالك أفنى

جيوشاً برمتها ، وأهلك عدداً كبيراً من الأمراء والعظماء والقادة . ويقول لنا بوكاشيو إنه استطال هنالك من مارس إلى يونيه سنة ١٣٤٨ ، وحمل من فلورنس وحدها مائة ألف إنسان »

ويصف لنا بوكاشيو أهوال الوباء ومناظره المروعة وصفاً ضافياً مؤثرا ، فيقول : « كان الناس يجتنبون بعضهم بعضاً ، وقلما يتزاور الأقارب أو لا يتزاورون أبدا ؛ وألقت الكارثة الرعب فى قلوب الناس جميعاً ، رجالاً ونساء ، حتى أن الأخ كان ينبذ أخاه نبذ النواة ، والأخت أخاها ، والمرأة زوجها ؛ بل أروع وأبعد عن التصديق أن الآباء والأمهات أضربوا عن رؤية الأبناء أو تعهدهم ، كأنما ليسوا من ذويهم »

« بل لقد هجر الناس الجيران والأقارب والخدم حتى اضطروا الى ارتكاب عادات لم يسمع بها ؛ من ذلك أن المرأة مهما كانت من الجمال أو النبل ، إذا أصابها مرض واضطرت الى استخدام رجل ، شيخا كان أو شابا ، فانها تكشف له دون خجل كل أجزاء جسمها إذا اضطرتها ظروف المرض ، وربما كان ذلك هو السبب فى انحلال الحشمة والحياء عند أولئك اللائى نجون »

ثم يقول : « وكان يعنى بدفن الناس بادىء ذى بدء ، فيلقى بهم دون احتفال فى أول مقبرة ؛ فلما اشتد الوباء ، كان الموتى يحملون جماعات ، ويلقون فى الطرق ؛ وقد تموت أسر برمتها فلا يبقى منها انسان ؛ وأزواج وآباء وأبناء معا ، ويلقى الجميع بلا تمييز فى حفر كبيرة »

***

تلك هى الأحداث والمناظر المروعة التى أذكت خيال بوكاشيو ، وأوحت اليه بكتابة أعظم آثاره ، وهيأت له فى نفس الوقت ذلك الأفق المنوى الحر الذى جرى فى ظله قلمه ، ويلخص لنا بوكاشيو غايته من تأليف ذلك الأثر فى قوله : « ولقد رأيت ترويحاً للسيدات العاشقات وتعزيتهن — وتكفى فى ذلك لنبرهن الأبرة والمغزل — أن أقص مائة خرافة أو رواية أو تاريخ أو ما شئت أن تسميها »

ثم يقول : « ومن ذا الذى ينكر أن الأفضل أن نقدم ذلك العزاء للسيدات العاشقات لا للرجال العاشقين ؟ ذلك أن السيدات العاشقات يفضن خجلاً وخوفا ؛ وبرغمن على إخفاء جوى الحب فى صدورهن ، ويحملن رغبات الآباء والأمهات والأخوة والأزواج . وأهواؤهم وأوامرهم ، على أن يقضين معظم أوقاتهن معتقلات فى غرفهن الضيقة ، فيجلسن عاطلات ويستعرضن فى أذهانهن أفكارا مختلفة لا يمكن أن تكون مرحة أو سارة »

وكتب بوكاشيو قصصه الساحر فى ذلك الأفق الذى تعمره أشباح الفناء ، والناس ينظرون الى الحياة كأنها لعب طائر ، ويودعون بعضهم بعضا ، واختار لكتابه هيكلا طريفاً خلاصته ، أنه فى ذات يوم ثلاثاء ، وعصف الوباء فى أشده ، اجتمع فى كنيسة القديسة « ماريا نوفيلا » فى فلورنس ، سبع فتيات هن بامبنيا ، وفياميتا ، وفيلومينا ، وأميليا ، ولوريتا ، ونيفيلى ، وألبزا ؛ وكانت أكبرهن بامبنيا فى الثامنة والعشرين ، وأصغرهن ألبزا فى الثامنة عشرة ، واقترحت بامبنيا أن يغادرن المدينة فراراً من الوباء والموت أسوة بأصدقائهن ؛ فاعترضت فيلومينا ، وقالت إن النساء ينقصهن التفكير السليم ، ويغلب عليهن التقلب والشك والخور ، ولذا وجب عليهن أن يخترن مرشدا ؛ فأيدت قولها ألبزا وقالت إن الرجال هم أصحاب الرشاد والنصح ، واقترحت أن يستدعين بعض رجال يقومون بالارشاد

وفى تلك اللحظة يدخل الكنيسة ثلاثة فتيان ، أصغرهم يناهز الخامسة والعشرين ، وهم بانفيلو ، وفيلوستراتو ، وديونيو ، وكان من غرائب الاتفاق أن كلا منهم كان يعشق إحدى الفتيات السبع ، وأنهم جميعاً أقارب للأربع الباقيات ، فأشارت اليهن بامبنيا ، وقالت إن العناية تحقق أمنيتهن بحضور أولئك الفتية الكرماء الأمناء ، فاعترضت نيفيلى ، وكانت حبيبة أحدهم ، خشية الافتضاح ، وناقشتها فيلومينا مؤيدة بامبنيا ؛ فغلب رأيها واستدعى الفتيان الثلاثة ، واتفق الجميع على ارتياد قصر خاص ، ومعهم الخدم وكل ما يحتاجون اليه ، وهنالك يقيمون حتى ينصرف الوباء ؛ وفى صباح اليوم التالى ذهب الجميع الى هذا المحل المختار ، وهنالك اتخذوا مجلسهم تحت الأشجار الظليلة على أرائك وثيرة ، وأمامهم الاطعمة والأشربة الشهية ، وجعلوا يترددون بين الطعام والسباحة فى بركة صغيرة بالقصر ؛ وهنالك أيضاً بدأوا سرد القصص

وكانت صاحبة الفكرة بامبنيا ، فقد اقترحت أن ينتخب أحدهم حاكما للمجلس كل يوم ، وأن يضطلع فى هذا اليوم بتدبير شؤون الجماعة وتسليتهم ؛ وتولت هى منصب الملكة فى اليوم

الأول ، واقترحت لتسلية الجماعة أن يقص كل منهم قصة ، وأن يختتم واحد منهم بانشاد أنشودة ؛ فوافق الجميع متحمسين ؛ واستثنى الجماعة من أيام الأسبوع اثنين ، يوم الجمعة ، ويوم السبت ، وخصصا للراحة والتجمل والصلاة ؛ وعلى ذلك أصبحت أيام القصص عشرة خلال اسبوعين ، وفى كل يوم تقص عشر قصص ، فالمجموع مائة قصة ؛ هى محتويات مجموعة بوكاشيو الشهيرة ، وهى التى يسميها « ديكامرونى » Decamerone وهى كلة مؤلفة من مقطوعين يونانيين ومعناها « الأيام العشرة »

هذاهو التمهيد الذى يقدم به بوكاشيو لمجموعته ، وهو تمهيد يمتاز ببساطته وطرافته ، ويدلى بكثير من روح العصر ؛ لقد كان المجتمع الذى كتب فيه بوكاشيو قصصه يعيش من يومه إلى غده ؛ وكان بوكاشيو نفسه يجوز هذه الحياة ؛ وكان يملأ هـذا الفراغ المتصدع بالتجوال فى عوالم الخيال الممتع ، وكان يرى أن يقدم ثمرة هذا التجوال إلى إخوانه فى المجتمع ، أولئـك الذين يرون أشباح الفناء ماثلة فى كل آونة وكل مكان

(للبحث بقية)

محمد عبد الله عنان

أدبنا الجـــديد

وحظه من الاتصال بثقافتنا التقليدية

للأستاذ اسماعيل مظهر

ركدت الحركة الأدبية فى مصر ركوداً أشبه بأن يكون سباتاً عميقاً . ولقد حدث هذا الركود إثر نشاط عظيم فى الانتاج والنقد والترجمة ، وإثر شعور قوى بأن الشباب أحق بأن يتزعموا حركة الأدب ، وأن ينتزعوا الزعامة الأدبية من أدباء الشيوخ . ولقد اصطبغت حركة الشباب بألوان مختلفة ، مهما يكن فيها من مظاهر التطرف حيناً ، ومن مظاهر التفريط حيناً آخر ، فانها دلت فى بعض أطوارها على حيوية قوية ، وطموح ، وتطلع إلى إحياء ما قيل إنه أدب جديد . وما من شك فى أن حدوث هذا الركود عقيب ما أبدى الشباب من نشاط ، ظاهرة جديرة بالبحث ، خليقة بأن تدرس من نواح مختلفة ، وأن تحلل فى ضوء الحقائق التى أحاطت بها ، والحقائق التى أحاطت بأدبنا الحديث على وجه عام . ذلك بأن شباباً يعجز عن تـكوين فكرة جديدة فى الأدب ، أو تقعد همته عن خلق تصور جديد فى الفن . انمـا هو شباب ينذرنا من الآن بأن أدبنا سوف يبقى جيلاً آخر فى داخل الحدود التى رسمها للأدب أولئك الذين سماهم الشباب أدباء الشيوخ

وإنى لآمل ألا يتبادر إلى الشيوخ من أدبائنا أنى أعنى بذلك أن أدبهم لم يؤد لأهل هذا الجيل شيئاً جديداً ، أو أن وقوف الأدب عند الحد الذى بلغوا اليه دليل على جمود الأدب ، وانمـا أعنى بذلك أن وقوف حركة الأدب ، وركود التصور الفنى عند حد بلغه شيوخنا من غير أن يعقب عليهم الشباب بأدب جديد له صبغة خاصة وفن له تصورات ذات طابع مسـتقل عن طابع الفن الذى عرفناه ، دليل قاطع على أحد أمرين : إما أن الشباب عاجز عن الابتكار ، وإما أن الأدب الذى روج له الشيوخ أدب غير منتج ؛ وكلا الأمرين يحفزنا إلى أن نبحث الأمر من وجهيه : علاقة أدب الجيل الجديد بأدب الجيل السابق ، وعلاقة الأدبين بالنظرية التى نروج لها : نظرية أن الأدب الثابت والفن الأصيل انما يجب أن يتجه دائماً إلى إحكام الرابطة بين الصور التى يتشكل فيها ، والصور التى قامت عليها ثقافتنا التقليدية

ولقد عبرت عما أعنى بالثقافة التقليدية فى المقالات التى نشرتها لى (الرسالة) بعنوان « التعليم والحالة الاجتماعيـة فى مصر » ، وصورت على قدر ما أتيح لى مجمل ما أدركت من هذه النظرية . ولقد عرفت الثقافة التقليدية بأنها مجموعة الحالات والملابسات التى ينشأ شعب من الشعوب مكتنفاً بها من حيث طبيعة الأرض والاقليم ، وما يتطلب ذلك من العكوف على فن خاص من فنون الحياة ؛ وبمعنى أوسع تدل الثقافة التقليدية على العناصر التى ورثها شعب من الشعوب على مدى الزمان من طريق التأثر الطبيعى بالبيئة والمحيط ، كما تدل على مجمل ما ثبت فى عقليته باللقاح السلالى من عادات وأسـاطير وعلوم وآداب نشأت بنشأته فى مرباه الأصيل . وعلى الجملة نقول إن الثقافة التقليدية لشعب من الشعوب انمـا هى فى الواقع جماع ما يرث من صفات حيوية ، ومعتقدات ، وفنون عن أسلافه الأولين

ولا شـك عندى فى أن ما يبدو على أدبنا الحديث، أعنى الشيوخ صدر أم عن الشباب ، انما يرجع الى ضعف علاقتنا بثقافتنا التقليدية . فان أكثر الذين اتصلوا بهذه الثقافة لم يتصلوا بها اتصال تفهم لروحها ومعناها وأغراضها ومثلها العليا ، وإنما اتصلوا بها اتصال استيعاب لظاهرها دون حقيقتها . وهذا أمر لا سبيل إلى نكرانه . كذلك نلحظ أن هؤلاء ، على أنهم لم يتصلوا بثقافتنا التقليدية إلا اتصالا ظاهرياً ، فانهم عجزوا عن أن يدركوا روح العصر الذى يعيشون فيه ليكون ذلك عوناً لهم على تلوين ما استوعبوا من آثار ثقافتهم القديمة بلون يرضاه أهل هذا الزمن وتقره البيئة التى خلقت من حولها خضوعاً لتطورات العصر نفسه . وهذا أيضاً أمر لا سبيل الى الشك فيه . أضف إلى ذلك أن الذين لم يتصلوا بثقافتهم التقليدية ، وعـكفوا على الأخذ عن الثقافة الأوربية وحـدها ، قد عجزوا عن أن يخلقوا مما أخذوا عن أوربا أدبا جديداً له طابع معين ، بحيث يختلف عن الأدب الأوربى على مقتضى ما فى الثقافة من روح ومعنوية ، ويختلف أيضاً عن الثقافة القـديمة على مقتضى ما تتطلب روح العصر الحديث من فنون وتصورات وأخـيلة . ذلك بأن دعوتنا الى الثقافة التقليـدية لا ينبغى أن يدرك منها أننا نريد الرجوع الى القديم بذاته ، وأن نحييه ثانية بصفاته التى عرفناها والتى واءمت العصر الذى خلقت فيه ، وإنما نعنى بها أن الثقافة التقليدية يجب أن تكون الأصل الذى يلقح بثمار الآداب الحديثة ، حتى تقوى على هضم ما يصل الينا عن أوربا هضما يمكننا من تكييف الآداب الدخيلة تكييفاً يلائم وراثاتنا العديدة . وبعبارة أخرى نقول إن ثقافتنا القديمة هى المزدرع الذى نلقى فيه بذور الأدب الحديث ، فما عاش منه فيـه فذلك ما نكون قد هضمنا ومثّلـنّـا ، ومنه نخرج الأدب الجديد الملائم لطبائعنا وميولها وتصوراتنا وأخيلتنا ، وما مات فى ذلك المزدرع من الآداب الحديثة فذلك ما يبعد عن طبعنا ولا حاجة لنا به . وعلى الجملة نقول إن ثقافتنا التقليدية هى بمثابة حقل التجارب الذى يمتحن فيه المجربون قوة البذور الدخيلة على الأنبات والحياة . وما السبب الصحيح فى كثرة ما نقع عليه فى أدبنا المنقول من الآثار الميتة إلاّ أننا لم نمتحن فيما نقلنا قوة الاستمرار والبقاء فى بيئة جـديدة . تلك البيئة التى يجب أن تتكون من عناصر تستمد من ثقافتنا التقليدية أول شىء

قد ينكر علينا بعض الذين يودون إرضاء ناحية العزة فى أنفسهم شيئاً مما نقرر فى هذا البحث ؛ غير أنى أريد لهؤلاء أن يكونوا أكثر تشاؤماً مما هم ، ذلك بأن بيئاتنا الأدبية قد تولاها منذ أول نشأتها روح رمت بها فى أحضان التشاؤم المرير ، ولم يسعدها الزمن بيوم واحد تفاءلت فيه بحسن المستقبل . ذلك بأن معسكرى الأدب والتفكير لم يتصل أحدهما بالآخر مطلق اتصال خلال كل ذلك الزمن الذى نفخر فيه بأننا كونّـا نهضة جديدة . فالناحية التى اتصلت بالثقافة القديمة متهمة فى عين الناحية الأخرى بالجمود عن ادراك ما فى الآداب الحديثة من تصورات ، والناحية التى لم تتصل بالثقافة التقليدية متهمة فى عين الناحيـة الأخرى بالزيغ عن التراث القـديم . ومن ثَمّ كان التشاؤم . وما لهذا التشاؤم من سبب إلاّ أننا لم ندرك السر فى عدم اتصال الناحيتين

وإنما أدعو هؤلاء لأن يكونوا أكثر تشاؤماً لأنهم بذلك يكونون أدنى الى تفهم الحقيقة كما هى واقعة . ولأضرب لهم مثلا بشرقيين اتصلا بالثقافة الأوربية ، وأوربيين اتصلوا بالثقافة الشرقية ؛ وبالأجرى بالمستأربين منا ، والمستشرقين منهم . لنسأل أى الفريقين استطاع أن يهضم من آداب الآخر أكبر قسط يمكن هضمه ؟

ولنبدأ أولاً بالمستأربين منا ولنتخذ ناحية معينة من نواحى الأدب موضوعاً لبحثنا ، كالقصة أو التاريخ مثلاً . أما القصة فقد يقال بأن آدابنا القديمة لم تعن بها العناية الكافية ، وأننا لذلك إنما ننقل عن أوروبا أدباً جـديداً لا أصل له فى ثقافتنا ؛ وإذن ينبغى لنا أن نتخذ التاريخ محكا للحكم ، وقد ظهر من أوائلنا من كتب فيه أمتع المؤلفات ، سواء أفى التاريخ العام ، أم فى تاريخ الأدب . وأنت تعلم فوق ذلك أن فن كتابة التاريخ ونقد الشواهد التاريخية ومقاييس الحكم فيها وروح التفقه التاريخى ، إنما هى خلق جديد من مخلوقات القرن التاسـع عشر فى أوروبا ؛ وتعلم فوق ذلك أننا اتصلنا بهذا الوجه من الأدب فى مدارسنا وجامعاتنا ، وتعلم فوق هذا وذاك أن الأوروبيين قد كتبوا تاريخنا على أوجه انتحيت فيها نظريات اجتماعية أو اقتصادية أو جنسية ، وبخاصة تاريخ العرب والاسلام . وأنت بعد هذا كله تعلم علم اليقين أن كثيراً ممن أرخ للعرب أو الاسلام قد أخطأوا التقدير أو شطوا فى الأحكام ، أو أن النظرية التى بنوا عليها تواريخهم لم تواتهم بالحقائق التى تلبس ما كتبوا ثوب الاقناع . فهل استطعنا الانتفاع

بهذا الوجه الجديد من أوجه الأدب ؟ هل ألفنا فى تاريخنا كتباً قامت على نظريات جديدة تتصل بالثقافة الحديثة أو بفروع منها بحيث تبين لنا عن الاتجاهات الفكرية والتصويرية التى اختفت وراء الحوادث الظاهرة ، وصححنا بذلك الأخطاء التى وصلها بعض الكتاب بماضينا ؟ كلا وكفى

ولنعد بعد ذلك الى المستشرقين منهم ، ونمتحن فى ضوء العقل والاتزان الآثار التى صدرت عنهم متصلة بثقافتنا القديمة ، ونعنى بالمستشرقين كل من اتصل بالشرق سواء أكان ذلك من طريق اللغة أم من طريق الدرس باللغات التى نقلت إليها آثارنا القديمة . أما إذا اتجهنا ذلك الاتجاه فان أول ما نلحظ فى الآثار التى صدرت عنهم عكوفهم فيها على أسلوب البحث العلمى وهو أسلوب يتلقونه فى معاهدهم وتلازمهم آثاره بعد ذلك . فهم يكتبون التاريخ بأسلوب البحث العلمى ، ويكتبون الأدب بأسلوب البحث العلمى ، ويتكلمون بأسلوب البحث العلمى ؛ وهو أسلوب أخص ما امتازت به ثقافتهم التقليدية . ثم تلحظ بعد ذلك أثر البحث الأكاديمى من حيث الاكباب على الفهم العميق لأشياء قد تلوح أول شىء تافهة غير جديرة بالبحث ولا هى خليقة بالدرس ، ومقارنتها بمجموع الحقائق التى تتعلق بها . وهو أسلوب من البحث عاش بين جدران الأزهر أزماناً ، وكاد الأزهر يفقده الآن مع الأسف ، مع ما فقدنا من تقاليدنا القديمة . وتشهد بعد ذلك فى آثارهم ما تضفى الأناة والصبر والاستقلال فى الرأى على الآثار العلمية من مظاهر الروعة والجلال . هذا الى المظهر العام الذى يلابس ما يؤمنون من جماع هذه الأشياء . وبذلك استطاع هؤلاء المستشرقون أن يهضموا ما أخذوا عن الشرق ليخرج من بين أيديهم لابساً صورة أوربية رسيسة . ولقد يخطئون ، ولقد يشط أكثرهم أكبر الشطط ، ولكنه خطأ واشتطاط تلابسه روح البحث والدرس ، ويحوطه الأسلوب الأكاديمى بروعة البحوث العلمية

وبعد . فما هو السبب فى الفرقة بين مستأرب عاجز عن كتابة تاريخه بروح جديدة ، ومستشرق يكتب تاريخ غيره بروح مستمدة من طبعه ؟ السبب أن الأول بعيد عن ثقافته التقليدية التى يتخذ منها مادة للدرس والبحث والاستنتاج والصياغة ، وأن الثانى يكتب تاريخ غيره مستهدياً بفطرة مستمدة من ثقافته التقليدية . وإنى لواثق أن هذه المقارنة سوف تجعل الذين يجنحون إلى إرضاء ناحية العزة والأنفة فى أنفسهم يخففون شيئاً من غلوائهم ، وتنزع بالذين لا يتشاءمون من أدبنا الحديث بقدر يجعلهم يرون الحقائق كما هى واقعة ، إلى درجة من التشاؤم تنير أمامهم السبيل

* * *

لقد بدأت نهضتنا الأدبية الحديثة باندفاع نحو الآداب العالمية ، واستمداد من وحى أوربا الجديدة ؛ ولو أننا تذرعنا مع الاتجاه الجديد بركيزة تقوم على ثقافتنا التقليدية وورااثاتنا المختلفة ، إذن لكان لنا أن نقول إننا أخذنا نشيد بناء ثابتاً على أساس مستمد من فطرتنا . أما وإننا لم نعن العناية الواجبة بماضينا ، فأهملنا أمر اللغة حتى خرج المتعلمون من أبنائنا وأكثرهم يجهل القواعد الأولية من لغة العرب ؛ ونبذنا آداب العربية ، حتى نشأ الجيل الحاضر بعيداً عن استذواق الأدب العربى والوقوف على أسراره ، فان دفعتنا الأولى نحو التزود من الآداب العالمية الجديدة هى التى أحدثت ذلك الركس الشديد الذى يتجلى الآن فى عجز أدباء الشباب عن خلق صورة من الأدب فيها من قوة الحياة ما يجعلها خليقة بان تصبح عنواناً على روح العصر الذى نعيش فيه

على أننا لا يجب أن ننسى فى هذا البحث أن نشير إلى علاقة الآداب من الناحية العلمية بطبيعة الأرض والاقليم والمناخ من حيث أنهـا بيئة طبيعية ، كما أننا لم ننس أن نشير إلى اللغة والآداب القديمة والتاريخ والأساطير والحالات الاجتماعية من حيث أنها بيئة عقلية . أما العلاقة بين البيئتين فبينة لا سبيل إلى انكارها ، أو نكون قد أنكرنا أخص العلاقات التى تفرضها الطبيعة فرضاً على الأحياء وتصبغ بها طبائعهم وأخلاقهم وميولهم وأخيلتهم ، وعلى الجملة جماع ما فيهم من الصفات العقلية والنفسية . وإلى جانب هذا ينبغى لنا أن نضع فى ميزان الحكم والتقدير عند النظر فى مثل هذه العلاقات أن الآداب التى أنشأتها شعوب قديمة إنما هى بنت البيئة وربيبة الوسط ، بل إنها خلاصة الطبع وعصارة النفس ؛ وإنما تتشكل هذه الآداب بمقتضيات العصور ، وتتكيف بحكم ما يستجمع العقل من مختلف التصورات . أما الروح التى تظهر متجلية فى هذه الآداب ، فذلك ما لا سلطان

لمقتضيات العصور عليه ، ولا أثر لـما يستجمع العقل فيها إلاّ بمقدار ماتظهر ملابسة لآراء جديدة أو تصورات حديثة أو ميول معينة ، تسرى فيها تلك الروح سريان القوة فى الأجسام المادية ، تظهر وهى خفية ، وتتجلى وهى كامنة ، كأنـما هى السيال الذى يخرج من جسم مشع فى أقصى أغوار الـكون ليصل إلى عالم آخر فى صورة أشعة ، هى بذاتها الأشعة التى كان يبعثها ذلك الجسم منذ أبعد الأزمان ، وإنـما ينتفع بها أقوام على الأقوام الأول ، وتستهديها شـعوب غير الشعوب الغابرة ؛ هى فى جوهرها وروحها نفس الأشعة القديمة ، ولـكن تكييفها مرهون بالقدرة على استخدامها أو الحاجة اليها . وإذن ينبغى لنا ألا نقطع الصلة بيننا وبين ذلك السـيال الخالد الذى تصلنا أشعته من ما ضينا ؛ من لغتنا وآدابنا وتاريخنا وأساطيرنا ونظمنا الاجتماعية ، تلك التى جادت علينا بها طبيعة الأرض التى حملتنا والسماء التى أظلتنا منذ أبعد عصور التاريخ الانسانى

اسماعيل مظهر

الشيخ محمد النجار

صاحب الأرغول

للأستاذ عبد الوهاب النجار

لمناسبة ما ذكره الأستاذ حسين شفيق المصرى عن صاحب الأرغول فى محاضرته القيمة فى تطور الصحافة الأسبوعية

الشيخ محمد النجار شخصية غير مجهولة فى عالم الأدب فى غروب القرن الماضى وفجر القرن الحاضر

كان المرحوم طالباً بالأزهر الشريف نابهاً بين إخوانه ، يجمع الطلبة الذين هم أقل منه ويدرس لهم من العلوم الأزهرية ماهم فى حاجة اليه

فلما جاء الشيخ محمد العباسى المهدى شيخاً للأزهر لم يجد به نظاماً يتبع فى إعطاء أجازة التدريس ولا دفتراً يضم أسماء العلماء بالأزهر ، بل كان كل من آنس فى نفسه قوة وأهلية للتدريس أعد نفسه لتدريس أحد الـكتب ودعا الطلبة والعلماء لحضور ابتداء درسه ، فاذا أداه حق الأداء وأجاب على كل الأسئلة التى وجهت اليه والاعتراضات التى اصطدم بها من الطلبة والعلماء عد عالماً ، وذلك بتهنئة العلماء إياه وثنائهم عليه ، وعليه بعد ذلك أن يدعو جلة العلماء والفضلاء إلى مأدبة يعملها لهم شكراً على نجاحه وفلاحه

أما إذا لم يسدد إلى سداد ، ولم يوفق فى درسه إلى صواب ، فان العلماء ينصرفون عنه دون تهنئته ؛ وحينئذ يتبين الجمهور أنه أخفق ولم يوفق

عزم الشيخ العباسى المهدى على أن يسجل أسماء العلماء الذين يدرسون فى الأزهر لذلك العهـد وألا يدخل فى زمرتهم أحد بعد ذلك إلا إذا اجتاز امتحاناً يعقـد لذلك ، وعين العلوم التى على الطالب أن يمر فيها بنجاح فى ذلك الامتحان

كان فى ذلك العهد يوجد عالم بالأزهر قد بلغ من الـكبر عتياً اسمه الشيخ محمد النجار (غير صاحب الأرغول) وقد ذهب ذلك الشيخ إلى بلده ومات بها ولا يعلم بذلك أحد

فلما شرع الشيخ المهدى فى تسجيل أسماء العلماء المدرسين بالأزهر أملى بعض العلماء اسم الشيخ محمد النجار ، وكان الـكبير الذى يحمل ذلك الاسم قد مات قبـل ذلك الوقت بقليل ولا يوجد ممن يدرس للطلبة بهذا الاسم سوى الشيخ محمد النجار (صاحب الأرغول فيما بعد) ، فتلقف هذه الوظيفة النجار الفتى إذ لا يوجد بازاء الوظيفة ما يميز نجاراً من نجار

بهذا أخبرنى العلامة الأديب المرحوم الشيخ محمد أبو راشد إمام المعية فى عهد الخديو السابق عباس حلمى باشا الثانى

عين بعد ذلك الشيخ محمد النجار مدرساً بالمدارس الأميرية مع بقائه مدرساً بالأزهر إلى ان كان مدرساً بمدرسة الفنون والصنائع الأميرية ببولاق

وقد كانت نظارة المعارف فى ذلك العهد ليس بها درجات للمدرسين ولا نظام للعلاوات وإنما كان ينال من العلاوات من يصادفه الجد ويسـعده الحظ . وقد غبر الشيخ النجار على ذلك مدة من الزمن ، وكلما آنس أن العلاوة ستسعده بعدت وأخطأته أو تخطته . فلما كان عهد تولية على مبارك باشا نظارة المعارف عمل له زجلاً يشكو به حاله وقدمه اليـه . وهأنذا أنص ما وعته ذاكرتى منه

الدهر دا دئماً غـــدار　　لـكنو عَ العاقل أ كتر

والسـعد يأتى بالأقدار والرزق مقسومْ ومقدر

الدهر ديمًا مع الاحرار يقول حاورينى يا طيطه
تلقى الردِى بخته طيب والحر لو بخت قليطه
ودا غنى بيتو فشـبرا ودا ازرع فى التبليطه
ودا حمار وراكبلو حمار مبسوط بأنه سى بعجر

الناس خدامتها سهلة وانا خدامتى فى اتعاب
فى كل يوم الصبحيـه أمشى الى بولاق قراب
واللى أبات فيه أصبح فيه رايح وجى من الكُتاب
خوجه وعايز حق حمار ولى ماهيّـه لا تذكر

امتى أفوت مشوار بولاق واعرف أنا الآخر بختى
وأفوت بتوع حياك الله وبتوع حبرتك ياستى
كتب علينا (قل سيروا) فيها مصيَّف ومْشَتى
الشمس فيها زى النار وفى الهوا دايماً تعفر

يا اهل المعارف والأنصاف أنا جرالى معـا كم إيه
تأخـرونى بالمـرة وتقـدموا الغير عنى ليه
البيه يقول روح للباشا والباشا يأمر روح للبيه
وأنا كدا واقف محتار زعلان ومغموم ومكدر

قالوا الديوان عامل ترتيب وبالزيادة لك جـادوا
يا حلم وان صحت الأحلام وطلعت انا فى اللى زادوا
ورحت أرجوسيدى فلان والعبد يترجا اسيـادوا
وضع أمام اسمى أصفار حتى بقى حالى يصـفر

لا نا مساعد فى الساحل ولا قريب الشيخ قفه
ولا صـعيدى بياع دوم خالى حمـد سرق الزلفه
ولا مراكبى لى مركب عويلها مربوط بالدفـه
الاشريف جدى المختار عالم مدرس بالأزهر

فلما قدم هذا الزجل إلى المرحوم على مبارك باشا أعجب به وأمر بنقله إلى مدرسة القربية وزيادة جنيه ونصف على مرتبه، وما كان يحلم أن يصل إلى ذلك فى ثلاث علاوات

وكان رحمه الله راسخ القدم فى فنون الأدب، فكان ينظم المواويل الحمر ويساجل أبطالها

كان يوجد رجل بمديرية المنيا اسمه الشيخ عبد الله لهلبها ينظم المواويل، وقد ذهب المرحوم الشيخ محمد النجار إلى المنيا وبحث عن الشيخ عبد الله فلم يجده

فترك له موالاً عند عبد القادر أفندى ادريس وهو:

والله ما حرق الأحشا ولَهْلِبْها
ولا أذاب مهجتى إلا ولَهْلبها [1]
ونزلت فى أرض لا ناسى ولهلبها [2]

وجيت أدور على مواوى يواويلى
قالوا ما فيش إلا أبو كراع فى بلده ولهلبها

أما ما رد به عبد الله لهلبها على هذا الموال فعند عبد القادر أفندى ادريس

وكان النجار رحمه الله يبتدئ الموال ويتحدى الأدباء يريد منهم تكملته فلا يجد. وربما زاد قسما آخر بعد ذلك فى الموال. فيعيى الأدباء عن ذلك

من هذا قوله:

مغزل حماتك سقط ضاعت تقاقيله

فلما لم يظفر بتكملته زاد عليه:

ما تنظر الديك والفرخة تقاق له

ومن ذلك أيضاً قوله:

مغزل حماتك سقط ضاعت سـنانيره — ثم زاد —:
فضل المدل يعدل فى سنانيره [3]

وكان رحمه الله سريعاً إلى النكتة، حاضر البديهة. فمن ذلك أنه مر بصديق له، فقال له الصديق: يا شيخ محمد، ازاى الأرغول؟ — فأجابه بقوله: (بِنَفَسك ماشى)

ويا حبذا لو أتحف أصدقاؤه وخلانه قراء (الرسالة) بشىء عنه

عبد الوهاب النجار

---

(١) وله لى بها (٢) ولا أهلى بها (٣) فى سنة نيرة

للتاريخ السياسي :

اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية في برلين

للدكتور يوسف هيكل

تمهيد

مما يجدر ذكره أن حكومة برلين تتخذ عادة يوم السبت قرارات هامة ، وتقف العالم أمام حوادث دولية عظيمة . وكانت حكومة القيصر تعمل على هذه السياسة ، وقد سارت عليها جمهورية « ويمر » وتبعتها حكومة الهر هتلر !. وكانت آخر هذه الأعمال الدولية الخطيرة النتائج ، رفض حكومة برلين معاهدة لوكارنو واحتلالها أراضي الرين يوم السبت الموافق ٧ مارس من هذا العام . والمرء يتساءل عن السبب الذي من أجله تختار حكومة برلين يوم السبت لأعمالها الجليلة الخطرة في وقت واحد عليها وعلى السلام

إننا نعتقد أن هناك سببا واحدا ، وهو أن عطلة « نهاية الأسبوع » — Week end — متبعة في بلاد الانكليز وفي جميع دوائرها الرسمية . وفي نهاية كل أسبوع يترك معظم كبار ساسة لندن وأولي الأمر فيها العاصمة لقضاء « نهاية الأسبوع » في الضواحي وعلى شواطئ البحار . وفي هذه الحالة يكون من الصعب جــداً اجتماع الذين في يدهم زمام أمور الحكومة حين حدوث طارئ جلل يوم السبت أو الأحـد . وفي هذه الحالة يتعسر جـداً ، إن لم يكن محالاً ، على حكومة باريس الاتصال بحكومة لنـدن ، لتبحث معها في التدابير التي يجب اتخاذها أمام الخطب السياسي الجديد الذي أحدثته حكومة برلين ، ولإعاقة اجتماعهما وتبادلها الآراء تختار الحكومة الألمانية يوم السبت لايقاف العالم على قرارها الدولي الصبغة ! .

وقبل أن نحاول تحليـل ضربة برلين المسرحية والأزمة التي نجمت عنها يجدر بنا التحـدث أولاً عن معاهدة لوكارنو وإبانة الغرض الذي من أجله عقدت ، والنقط الهامة التي تحتوي عليها ، تسهيـلاً للوقوف على تطور الحوادث الدولية ، وتمييز الصواب من الخطأ . ويتلو ذلك عرض حوادث ٧ مارس وما تبعها في ألمانيا ، وتفنيد ادعاءات حكومة الهر هتلر ضد المعاهدة الفرنسية الروسية ؛ وشرح موقف دول لوكارنو إزاء هذه الحوادث وقرار مجلس عصبة الأمم . وهذه النقط تكون القسم الأول من هذه المقالات

ثم نأتي على عرض الجلسات الهامة لمؤتمر دول لوكارنو وتحليل « اقتراحات لندن » و « منهاج السلام الألمـاني ، أو اقتراحات الهر هتلر » و « المنهاج الفرنسي أو اقتراحات فرنسا السلمية » . وهذه الأمور تـكون القسم الثاني من هذه الدراسة السريعة

وأخيراً نحاول إبانة حقيقة سياسـة الهر هتلر الخارجية ، والهدف الذي يرمي اليه

من لوكارنو إلى ٧ مارس

معاهدة لوكارنو

أظهرت ألمانيا في السنين التي تلت الحرب رغبة في التفاهم مع جاراتها ، وتوطيد السلام في أوروبا الغربية ، فاقترحت عام ١٩٢٢ إيجاد اتفاق بين الدول التي تحد أراضي الرين ، تمنع بموجبه الحرب وتحسن العلاقات الدولية بين ألمـانيا وجاراتها الغربية — فلم يلق هذا الاقتراح أذنا صاغية . . . . . وقد جدد « المستشار كينو Cuno » مثل هذا الاقتراح عام ١٩٢٣ فاعتبره مسيو بوانكاريه دسيسة ألمـانية جديدة . . .

وفـكر اللورد دابرنون D' Apernon سفير بريطانيا في برلين عام ١٩٢٤ في أن الوقت مناسب لعقد مثل هذا الاتفاق ، ففاتح الهر ستريزمان بذلك ؛ وبعد درسهما الموضوع أرسل ستريزمان في ٩ فبراير سنة ١٩٢٥ بواسطة سفيره في باريس الهر هيس Haesch مذكرة إلى الحـكومة الفرنسية مقترحاً على الحـكومات التي تحد الرين عقد اتفاق بموجبه تمنع الحرب خلال أجل مسمى ، وتحل الاختلافات المدنيـة والسياسية بموجب التحكيم ، وتتعهد فيه ألمانيا بعدم تسليح أراضي الرين . حض سفير بريطانيا على عقد مثل هذا الاتفاق ، على رغم أن بريطانيا لا تحب أن تتحمل مسئوليات دولية ، لأن توطيد السلام في أوروبا الغربية يفيد السياسة

البريطانية ، ولأن بريطانيا تريد إرغام فرنسا بوسيلة ما على تخلية أراضى « الرور » . . . . . وتحول دون اجتياز الجنود الفرنسية الحدود الألمانية . . . .

كان مسيو هريو رئيس الوزارة الفرنسية حينئذ ، وبرغم أنه كان على رأى القائلين بسياسة التفاهم مع ألمانيا فقد خشى أن يكون فى مذكرة ستريزمان مكيدة ، ثم دعاه انهماكه فى المشاكل الداخلية والمالية إلى إهمال المذكرة وعدم إعطائها الأهمية التى تستحقها . وفى ذات يوم اطلع عليها مسيو بريان ، وبعد أن قرأها السياسى الكبير ، أبدى رأيه فيها قائلاً : إنها عظيمة الأهمية

فقال رئيس الوزراء : إنها « لمصيدة »

فرد مسيو بريان : إن الثعلب الماهر يأخذ اللحمة ويترك المصيدة

ولما عاد مسيو بريان فى ابريل من العام نفسه الى ال « كى دورسى » أعطى المذكرة أهميتها وأخذ يتحادث مع بريطانيا بشأنها . ولما تمت هذه المحادثات التمهيدية ، قدم السفير الفرنسى فى برلين فى ١٦ يونيه إلى الهر ستريزمان جواب فرنسا وحلفائها ، وكان جواباً ايجابياً . ثم شرع الفنيون فى درس الموضوع ووضع المبادئ العامة . . .

وفى لوكارنو — وهى مدينة سويسرية صغيرة واقعة على بحيرة ليمان — تقابل بريان وستريزمان واستين شمبرلين ؛ وأخذوا يدرسون دقائق المعاهدة ، ووصلوا الى الاتفاق الأخير فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٥ ، ووافقت فرنسا وألمانيا وبلجيكا وبريطانيا وإيطاليا عليها

وتفيد لوكارنو الدول الثلاث الأولى مباشرة ، أما بريطانيا وايطاليا فضامنتان فيها

وتتألف معاهدة لوكارنو من خمس مواد :

ففى المادة الأولى تعترف الدول الموقعة على المعاهدة بالحدود التى وضعتها معاهدة فرساى ، بين ألمانيا وبلجيكا من جهة ، وبين ألمانيا وفرنسا من جهة ثانية . وتعترف هذه الدول أيضا بمحتويات المادتين ٤٢ و ٤٣ من معاهدة فرساى ، أى الأقليم غير المسلح : أراضى الرين

وفى المادة الثانية تتعهد ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا بعدم الألتجاء الى الحرب لحل أى خلاف . على أن هذا التعهد لا يعمل به فى الأحوال الآتية :

(١) فى حالة « الدفاع عن النفس » — Légitime défense — أى عند مخالفة المادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى « مخالفة ظاهرة » — Contravention flagrante — غير محرض عليها ؛ ولسبب تجمع قوى حربية فى الاقليم غير المسلح ، والعمل الفورى ضرورى فى هذه الحالات

(٢) عند القيام بعمل ناجم من المادة ١٦ من صك العصبة

(٣) عند القيام بعمل حسب قرار العصبة أو حسب المادة ١٥ بند ٧ من صكها

ومع اعتبارات محتويات المادة الثانية فان ألمانيا وفرنسا من جهة ، وألمانيا وبلجيكا من جهة ثانية ، تتعهد فى المادة الثالثة بتصفية أى خلاف يحدث بينهما عن طريق سلمى : ففى الخلاف الذى يُرفع القضية الى قاض يعمل الغرماء حسب قراره . وفى أى خلاف آخر يرفع الخلاف الى « لجنة توفيق » ، وإن لم يقبل الغرماء قرار اللجنة يرفع الى مجلس عصبة الأمم

والمادة الرابعة تنص على أنه :

(١) إن اعتقد أحد المتعاهدين بأن تعديا قد وقع على المادة الثانية أو على المادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى رفع دعواه الى العصبة

(٢) وحينما يقرر مجلس العصبة تلك المخالفة يخطر المتعاهدين بقراره ، وعلى كل منها أن تمد يد المساعدة حالا الى الدولة الموجه اليها العمل المحرَّم

(٣) وعند تعدى إحدى الدول المتعاهدة « تعديا ظاهراً » — Violation flagrante — على المادة ٢ من هذه المعاهدة أو « المخالفة الظاهرة » على المادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى ، فان كل دولة من الدول المتعاهدة الأخرى تتعهد من الآن على مد يد المساعدة حالا الى الفريق الذى كانت موجهة ضده المخالفة أو التعدى ، ابتداء من تَيَقُّن تلك الدولة أن التعدى كان عملا عدائياً غير محرض عليه ، أو لسبب اجتياز الحدود ، أو الابتداء بالعداء ، أو جمع قوى حربية فى الاقليم غير المسلح فان العمل الفورى ضرورى . وعلى كل فان مجلس العصبة الذى

استلم الدعوى حسب البند الأول من هذه المادة يعلم نتيجة قراره . والمتعاقدون فى هذه الحالة يتعهدون على العمل بموجب قرار المجلس الذى أخـذ بالاجماع بغض النظر عن أصوات ممثلى المتخاصمين

أما المادة الخامسة فتقول : « إذا رفضت إحدى الدول المذكورة فى المـادة ٣ اتباع الحلول السلمية أو تنفيذ قرار التحكيم أو القرار القضائى واعتدت على المـادة ٢ من هذه المعاهدة أو خالفت المادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى ، فتنفذ ، إذ ذاك محتويات المـادة ٤ من هذه المعاهدة

وفى الحالة التى ترفض فيها الدول المذكورة فى المادة (الثالثة) اتباع الحلول السلمية أو تنفيذ قرار التحكيم أو القرار القضائى ، دون أن تـكون قد اعتدت على المـادة الثانية أو خالفت المـادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى ، فان الفريق الثانى يرفع الدعوى إلى مجلس العصبة الذى يقترح الاجراءات الواجب اتخاذها : وأن المتعاقدين يعملون حسب هذه الاقتراحات

***

قبلت ألمـانيا فى هـذه المعاهدة عدم المساواة فى الحقوق ، ووافقت على الحدود التى بينها وبين بلجيكا وفرنسا ، وتخلت بذلك عن طيب خاطر عن الالزاس واللورين ، ووافقت أيضاً على بقاء الأقليم غير المسلح . وهذه الشروط ليست جديدة ، بل هى مدونة فى معاهدة فرساى . وظن حينئذ أنه من الأنسب قبول ألمـانيا اختيارياً بها ، لأن المعاهدات الموقع عليها عن طيب خاطر لها حرمة أقدس من المعاهدات المرغم عليها ، وهذه المعاهدات تمزقها الأمة التى أرغمت عليها عنـد ما تجد فى نفسها القوة والجرأة الـكافيتين للقيام بذلك . والمعاهدات ، فى الواقع على نوعين : قانونية كفرساى ، وأخلاقيـة — moral — كلوكارنو ، وكان لهذا النوع الأخير من المعاهدات قيمة كبرى من الوجهة العملية قبل ٧ مارس ١٩٣٦

وقد دفعت فرنسا ثمن هـذه المعاهدة باخلائها أقليم كولون وأراضى الرين ، أى أن فرنسا قد تركت سياستها المبنية على الضغط على ألمـانيا للوصول إلى حقوقها ، وأقامت مكانها ثقتها فى ألمـانيا السلمية . وقيل حينئذ إن كانت هذه الثقـة قد وضعت فى غير مكانها فان فرنسا تصبح تحت رحمة جارتها الجبارة ؛ وهذا ما وقع فى السنين الأخيرة

وانتقد كثير من الفرنسيين معاهدة لوكارنو قائلين : ألا يعنى ذلك أن فرنسا قد تركت كل محاولة فى جعـل ألمـانيا عزلاء ، وتركت مراقبة الرين وحقها فى التعويض ؟ أليست هذه المعاهدة إنشاء للتفاهم بين ألمـانيا وبريطانيا ، لا بين ألمـانيا وفرنسا ؟ وقيل أيضاً : هل من الأكيـد أن بريطانيا ستقف مع فرنسا حين هجوم ألمـانيا عليها ؟ ! أوليس من الممكن أن تحابى بريطانيا ألمـانيا وتؤيد عملها ؟ ! ثم لبريطانيا وحدها الحق فى التقرير فيما إذا كان اعتـداء ألمـانيا دون تحريض أم لا ، وعلى ذلك فيمكنها تأويل كل قانون وتفسير كل عمل حسبما تقتضيه سياستها ؛ فمساعدة بريطانيا ليست أمراً واقعاً ... ولقد حاربت بريطانيا النفوذ الألمانى فى أوروبا ، وهى الآن جادة فى محاربة النفوذ الفرنسى فيها . ألا تعيد فى عملها هذا السيطرة الجرمانية على أوروبا ؟

وتـكون هذه الانتقادات فى محلها إن كانت نية ألمـانيا سيئة ، وقيمة الميثاق تتوقف على مقدار انتشار روح التسامح والوئام بين الجارتين وتوثيق العلاقات الودية بينهما ؛ وإن فقدت هذه الروح فى إحدى البلادين فلوكارنو تصبح ورقة بالية

ولتقدير قيمة هذه المعاهدة يجب معرفة عقلية كل من البلادين

مما لا شك فيه أن الفرنسيين محبون للسلم ، فهم يكرهون الحرب دون أن يخافوها ، ولا يفكرون فى الاستيلاء على بلاد أوربية ، غير أنهم يسيئون الظن فى الغير ، ووهم حريصون جدا على حريتهم وسلامة بلادهم . وإن حاول الغير التعدى عليهم أصبحوا كالرجل الواحد ، يدافعون حتى النفس الأخير فى سبيل حريتهم ووطنهم . وهم يودون التفاهم مع ألمـانيا وايجاد سلام أبدى بين البلادين ، غير أنهم يعتقدون اعتقادا راسخاً بأن ألمـانيا تريد غدرهم والايقاع بهم ، وهى تستعد لحرب ثانية وتعمل لهـا ، ونتيجة لهذه الفـكرة المختمرة فى رءوسهم يعملون على تقوية مركزهم الحربى ، ويسعون فى ايجاد حلفاء لهم ضد ألمـانيا ، ونتيجة ذلك حصر ألمـانيا والظهور بمظهر العدو لها ...

والشعب الألمـانى شعب «ديناميكى» يحب الحرب ويصبو إلى الفتح ، ولا يقبل إلا أن يكون له المركز الأول فى أوربا ... وهو ينظر إلى فرنسا كالحاجز الذى يحول بينه وبين غرضه ، فيبغضها ويعمل على كسر هذا الحاجز ؛ ثم إن الشعب الألمـانى فخور ، يأبى العار ويعمل على غسله حتى بالدماء ؛ وهو لن يرضى

عن فرساى بل يبذل جهده فى تمزيقها ...

فلوكارنو لم تحل هذه المعضلات ، ولم تزل أسباب العداء الذى بين الجارتين ؛ فهى لم تؤمن فرنسا على سلامتها ، ولم تمط ألمانيا بعض ما تصبو اليه ، فهى اذن عاجزة عن ايجاد السلام وتوثيق روح الصداقة والوئام بين أكبر عدوين

أما قيمتها الأخلاقية فقد زالت بضربة ٧ مارس ، ووضع الهر هتلر المعاهدات الأخلاقية فى دائرة المعاهدات القانونية التي ترغم الدول على التوقيع عليها ؛ وقال بعدم قانونيتها مادامت تخالف مصالح إحدى الدول التى وقعت عليها

وسنرى فى المقالات التالية أن لا قيمة لكفالة بريطانيا وايطاليا ، وأن هاتين الدولتين لم تقوما بما تفرضه عليهما نصوص معاهدة لوكارنو

***

وعندما دعت ضربة ٧ مارس إلى تطبيق المعاهدة ، اختلف فى تفسيرها ولا سيما البند الثالث من المادة الرابعة

فأخذ فريق من ساسة الانكليز ورجال الحقوق فيها يقول بأن عبارة « تلك الدولة » تعود إلى « الفريق الذى كانت موجهة اليه المخالفة والتعدى » ، لا إلى عبارة « كل دولة من الدول المتعاهدة الأخرى » ، وإن الحكومة البريطانية غير مقيدة بمساعدة فرنسا لمجرد احتلال أراضى الرين ؛ ومساعدتها واجبة فقط عندما يكون هذا الاحتلال على شكل يوجب القيام فورا باجراءات صارمة ، وهو يريد بهذا التفسير أن بريطانيا لم تخالف المعاهدة ، لأن فرنسا لم تعتبر عمل ألمانيا « تعدياً ظاهرا » ، ولم تقم باجراءات عاجلة ... ولأن بريطانيا تعتقد أن عمل ألمانيا لا يوجب القيام باجراءات حربية

ورد فريق آخر على هذا التفسير ، وعلى رأسهم السير استن شمبرلين ، وهو أحد الذين وضعوا المعاهدة بأن عبارة « تلك الدولة » ترجع إلى عبارة « كل دولة من الدول المتعاهدة الأخرى » لا إلى عبارة « الفريق الذى كانت موجهة ضده المخالفة أو التعدى » . وأن لوكارنو تعتبر اجتياز الحدود واشهار الحرب وجمع قوى حربية فى الاقليم غير المسلح عملاً هجومياً يقضى على جميع الموقعين على المعاهدة القيام باجراءات صارمة حتى الحرب لاعادة الستاتيكو إلى ما كان عليه قبل وقوع التعدى ، وأن السبب الذى لم يدع إلى اتخاذ الاجراءات العسكرية فى حالة ٧ مارس يعود إلى الموقف السلمى الذى وقفته فرنسا وبلجيكا

إن تفسير الفريق الأول خطأ ، وهو قائم على دعائم هوائية ، ولا يراد منه إلا التهرب من واجبات المعاهدة . أما تفسير السير استن شمبرلين فصحيح متين :

فلو أن عبارة « تلك الدولة » تعود حقاً إلى عبارة « الفريق الذى كانت موجهة اليه المخالفة أو التعدى » لما قبل السير استن شمبرلين بذلك ؛ ولما وافقت حكومة لندن وبرلمانها على هذه المعاهدة . إذ الحكومة البريطانية أشد الحكومات حرصاً على عدم ارتباطها بمعاهدات ترغمها على دخول الحرب بمجرد إرادة غيرها . ولو أن هذا التفسير صحيح لما رأينا فرنسا تقف واجمة أمام ضربة ٧ مارس ، بل لرأيناها تجتاز الحدود وتحتل أراضى الرين ، إذ كان فى إمكانها أن تقول لبريطانيا : إننى أعتقد بأن عمل ألمانيا عمل عدائى غير محرض عليه ، ولذا يجب عليك أن تتخذى إجراءات عسكرية صارمة ضدها . وواقع الأمر أن فرنسا لم ترغم ألمانيا عسكرياً على سحب قواها الحربية من أراضى الرين إلا لأنها لم تكن واثقة من موقف بريطانيا إزاء ضربة ٧ مارس من جهة ، ولأنها لم ترد تعقيد المعضلة من جهة ثانية

(لندن)

يوسف هيكل

منه الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

التربية الوطنية الاستقلالية
وأثرها في بناء الأمة

للأستاذ محمد عبد الباري

— ٢ —

النشأة الأولى

لست أدخل في مناقشة مسائل التربية وعلم النفس وأنا أحاول كتابة كلمة مفروض أنها للكافة كما هي للخاصة ، ولهذا فاني أستعرض الأدوار التي تمر بنا جميعاً مجرد استعراض قصد توجيه النظر العادي

« من شب على شيء شاب عليه » جملة قصيرة شائعة بين الخاصة والكافة هي جماع ما أريد تقريره

يولد الطفل طليقاً من كل قيد . ومن المستطاع تربيته على الفضائل الاجتماعية منذ نشأته الأولى إذا ما تركناه على سجيته متناولين حركاته بالتقويم الرشيد دون افساد طبيعته

هذا يقتضي بلا ريب أن يكون لدى الأم فكرة عامة ؛ وهذا الادراك الضروري للأم ليس من الأمور الهينة في مثل بيئتنا ، لكن هذا لا بد منه ؛ وما دام لا بد منه فلا سبيل إلى اهماله . أما كيف تصل اليه فلا يتسع له مجال القول هنا ، ويكفي القول بأن الأمر من الأهمية بحيث يرخص في سبيل تحقيقه كل غال ، ويسهل في سبيل الوصول اليه كل صعب . وهل هناك غرض أسمى من بناء الأمة بناء متيناً ؟

أول ما تجب العناية به في أمر الطفل تربية جسمه طبقاً لقواعد الصحة ، والعناية بغذائه وبنظافته ؛ يتلو هذا في الأهمية ويقترن به في التبكير عدم تقديم كل ما يريد بغير تكليفه السعي اليه . يجب أن يربى على السعي لتتكون لديه فكرة الاعتماد على النفس . فاذا أشار إلى شيء ليحصل عليه ، يجب أن يقرب اليه بحيث لا يتسنى له الحصول عليه إلا بمحاولة جسدية . وإذا ما كان في مقدوره أن يحبو فيجب أن يوضع الشيء بحيث يحبو اليه ليصل اليه ؛ فاذا تظاهر بالاعياء فلتغض الطرف عنه ليسعى ثم يسعى . ومن يتأمل ير على الطفل أمارات الارتياح إذا ما وصل إلى غرضه بعد كد وسعي

وإذا ما سقط وهو يمشي فلا نظهر انزعاجنا ونسرع اليه نلتقطه مظهرين الحنو عليه ، بل نتركه ينهض بنفسه . فبهذا وبأمثاله تربى فيه صفة الاعتماد على النفس والثقة بها ، وهما من أقوى عوامل النجاح في الفرد ، وأمتن أسس البناء في الأمة

يلي هذا وذاك في الترتيب ، ويتقدمه في الأهمية ، أمر أعصاب الناشئ . ينبغي عدم الالتجاء بحال إلى تخويف الطفل لحمله على الاذعان برسم صور خيالية مرعبة في مخيلته . هذه الصور الخيالية المرعبة هي شر ما يحطم النفس البشرية ؛ هي الجرثومة الخبيثة لمرض الجبن ، أعصى الأمراض الاجتماعية على العلاج وأشدها فتكا بالجماعات

لست أقول بترك الطفل يعمل بلا تقويم ، ولكني أقول بأنه يجب تقويمه في عناية وبغير افساد خياله « بالمرهبات » . فاذا تقدم في السن فلا بأس باشعاره بسوء عاقبة الخطأ بحرمانه أو بضربه بالقدر الكافي مع الهدوء التام والقصد . ومن الواجب أن نظهر استحساننا واستهجاننا في مناسبات ذلك

بهذا يمكن أن نربي في الطفل قوة الاعتماد على النفس وحكم الأعصاب والشجاعة والمثابرة . وإذا ما ترك المنزل إلى المدرسة أو المصنع على هذا فانه يكون مزوداً بالقدر الكافي للحياة الكريمة

وفي المكتب أو المدرسة وفي المصنع وفي الشركات ومصالح الحكومة ودار العمدة يمكن تناول هذه الصفات بالتقوية . ولكن أقوى الدعائم ما يكتسبه الطفل في المنزل سواء بالتقويم والتعويد ، أو بالمثل والقدوة .

فالأولاد يكسبون كثيراً إذا ما شاع في البيت شعور المحافظة على الكرامة والقيام بالواجب والتمسك بالحق . إذا احترم كل من الزوجين الآخر ، ولم يتحكم الكبير في الصغير ، ولم يستغل ضعف الخدم لارهاقهم وظلمهم ؛ وبالجملة إذا حرص رب الدار على ألا يكون في بيته إرهاب أو إذلال أو استكانة ، ينشأ مع الأولاد شعور بالعدل والعزة ، ونفور من الظلم والعدوان

والنشأة المنزلية الملهمة للحرية والاستقلال تهون ذيوعهما فى الجماعة . فالغالب فيمن لم يألف الاهانة فى صغره عدم قبولها إذا ما كبر . وإذا آنس المعتدى من فريسته المقاومة فكر كثيراً قبل الاعتداء . فاذا ما قوبل الاعتداء بمثله كف المعتدون مع الزمن ، فتشيع فى الجماعة روح الاعتدال نتيجة هذا التفاعل ، ويشع فى جوانبها نور الحرية ويصلب عودها وتقوى ويصعب النيل من حريتها واستقلالها

إيجاد هذه الروح فى الجيل الحاضر وتربيتها فى الجيل الناشىء ليس من الهين فى بلادنا مثلاً . لكن الأمر كما قلت عظيم . فليكن من أغراض دعاة الاصلاح تحقيق هذه الغاية بكل الوسائل . فبناء الأمة قوية مستحيل إذا لم تغلب روح الاستقلال والحرية والاعتماد على النفس والأباء . وكل بذل فى هذا السبيل له ما يبرره

خلاصة ما تقدم أن البذرة الأولى للتربية الاستقلالية فى البيت ، فاذا ما نمت به تعهدت خارج البيت بالمدرسة والمصنع ودواوين الحكومة ومكاتب الشركات والمنشآت الاجتماعية بوجه عام ، وكانت بذرتها القوية فى البيت مما يهون نموها وذيوعها وانتشارها فى الجماعة

حرية الجهر بالرأى

إذا نشأت غالبية أفراد الجماعة على الاعتماد على النفس والأباء ، فان الغالبية تجهر بالرأى فى غير خشية ولا خجل . والرأى يسمع فى غير اشمئزاز ويناقش فى غير تعصب أو تحامل غير طبيعى . وبذا تسير الجماعة فى غير كثير من الاحتكاك

أما إذا لم تكن الشجاعة والاعتماد على النفس والاقدام هى الصفات الغالبة ، فان حرية الجهر بالرأى تعز من جهة ، وقبول النقد النزيه ينـدر من جهة أخرى ، فيكثر العسف وتنتشر الاخطاء وتنحط الجماعة

التربية الاستقلالية ترفض بطبيعتها المداراة . وفى الأوساط الحرة لا تحرج ولا إحراج ، بل يأتى النقد النزيه بالطبع ويقابل كذلك . والحقيقة تظهر بتلاقى الآراء . أما فى الأوساط غير الحرة لانعدام التربية الاستقلالية أو ندرتها ، فالاقدام يندر ويندر معه النقد ومقاومة الظلم ، فيكثر الغرور وتكثر الأخطاء وينحط المستوى الفكرى والخلق تبعاً لذلك ، وتضعف أداة السير إلى الأمام وتهن قوة المقاومة فتفقد الجماعة وجودها المستقل وتمسى خاضعة لمشيئة الغير

علاقة الحكام بالمحكومين

أدوات الحكم مهما اختلفت ألوانه هى — ا — التشريع ب — القضاء — حـ — الادارة

ا — والمثل الأعلى للتشريع ، فى رأيى ، هو أن يكون أقرب ما يمكن الى التعبير عن الارادة المشتركة . وأعنى بالارادة المشتركة فى جماعة ما ملتقى الارادات الجزئية أو الارادات الفردية نتيجة تبادل الآراء وتعـديل بعضها بعضا . وكلما كانت حرية الرأى مكفولة كبر مجال تمحيص الآراء وقربت ارادة الدولة ، مجمع الارادات ، من ارادة الجماعة وصدق تعبيرها عنها . وإذا كان القانون ، وهو ارادة الدولة أساسه هذا ، فانه يسهل تطبيقه كما يسهل تعديله بما يساير تطور الجماعة ، لأنه يعبر تعبيراً صادقاً — بقدر ما تقبله طبيعة الانسان — عن ارادة المجموع

هذا النحو فى التفكير يقودنا إلى تقرير أن الحكم النيابى أقرب أشكال الحكومات المعروفة إلى التعبير عن ارادة الجماعة أصدق تعبير ممكن . وهنا لا بد لى من الاشارة إلى اعتراضين :

قد يتساءل البعض : كيف السبيل الى سيادة الحكم النيابى فى الجماعات المتأخرة ما دام القانون هو ارادة الدولة ، وما دام مثله الأعلى هو أن يكون نتيجة ملتقى الارادات الجزئية ، وكانت الأغلبية جاهلة ؟

وجوابى على هذا أن هناك رغبة مشتركة بين مختلف الطبقات ، أو ارادة مشتركة مهما بعدت النسبة بين درجات التفكير . وأعنى بهذه الارادة المشتركة ارادة توفير أسباب العيش والأمن على النفس والمال . فاذا عملت على ترقية مدارك الفلاح ، ويسرت له سبيل الرى والصرف ، وأمنته على نفسه وعلى ماله ، فانك انما تحقق رغبته أو تنفـذ ارادته . والشرائع التى تؤدى إلى هذا تعبر عن ارادته . وبالعكس إذا صدر قانون باقامة دور فخمة للتمثيل وقاعات للتصوير فى قلب الريف مع شـدة حاجته للمستشفيات العامة والمدارس العامة ، فانك لا تعبر عن رأى سكان القرى بل تخالف ارادتهم . ويقال مثل هذا عند جميع طبقات الأمة . فاذا أبدى نائب رأياً عن جماعة فانه ، طبقاً لما تقدم ، لا تناقض بين فكرة

الارادات الجزئية وبين الحكم النيابي في الجماعات المتأخرة ، ولو لم تظهر الارادة الجزئية مستقلة منفصلة . وبتقابل ارادات الطبقات المختلفة يعدل بعضها بعضاً حتى تلتقي في نقطة تحقق الارادة المشتركة بالقدر العملي اللازم لسير الجماعة إلى الأمام

أما الاعتراض الثاني فنشأ عن وقائع ما بعد الحرب ، تسمعه من أفواه أساتذة الجامعة كما تسمعه ممن يهتم للكلام في الشؤون العامة من بين معلمي المدارس الأولية ، ويتردد صداه بين أوربا وأمريكا وآسيا ، ذلك هو الاعتراض على صلاحية الحكم النيابي بنجاح نظام الحاكم المستبد العادل . يقولون إن المستبد النزيه انتشل ايطاليا من مخالب الفوضى ووضعها في مصاف الدول المرهوبة الجانب في زمن قصير . وفي مثل هـذا الزمن انتزع المستبد النزيه تركيا من أحضان الموت وأوقفها على قدميها يخطب الأقوياء ودها اليوم بعد أن كانوا يتنافسون في اقتسامها بالأمس ، ويقولون عن جماعات أخرى مثل هـذا . ويخرجون من المقارنة بأن الحكم النيابي لم يعد المثل الأعلى لنظم الحكم في وقتنا هذا

غير أن المستبد العادل من خوارق الطبيعة . ولا يصح وضع قاعدة عامة على أساس الشذوذ . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالمستبد لا يقبل معارضة . ولابد أن تفقد الجماعة روح النقد في مثل هـذا الجو . فاذا ما انقضى عهد سحر الزعيم لسبب ما ، سارت الأمة نحو الضعف بأسرع مما سار بها سحر الزعيم المستبد الى القوة

هذا الى أن إحاطة الزعيم بكل شيء أمر مستحيل . ولا بد له من مجلس يرجع اليه ، وإن لم يتقيد بما يبدى فيه من آراء . فاذا لم يكن هناك ، في ذلك الحيز الضيق ، حرية رأى فان الزعيم لا يسمع في الواقع إلا صدى صوته . ولما كانت الاحاطة بكل الأمور متعذرة كان خطأ التصرف هنا أمرا لابد منه في حالات كثيرة . وإذا قدر للحكم النيابي ، بشكله الحالي ، أن يتلاشى ، فلا ينفع الجماعة نظام المستبد العادل . بل ينفعها نظام النقابات (Syndicaliam) . وفي هذا النظام لا بد من استقلال الرأى والحرية لتمحيص الأمور قبل إبرامها

لنعد الآن إلى تناول موضوع التشريع لنقول إن حرية الجهر بالرأى ألزم ما تحتاج اليه أداة التشريع . هذه الحرية لازمة داخل الأحزاب لزومها خارجها . فنقد رأى الزملاء والزعماء في حزبه لا غنى عنه لتقرير أقرب الآراء للسداد وأقلها تعرضاً للسقوط إذا ما هاجمها خصوم الحزب ، والامساك عن النقد مصانعة أو جبناً قد يؤدى إلى قرار خاطىء تسهل معه المهاجمة من الخارج . وهـذه الحرية لازمة كذلك في مجالس التشريع وعلى صفحات الجرائد وفوق المنابر خارج هذه المجالس . وإبداء الرأى في غير مواربة من أقوم سبل تغيير هذه الهيئات برغبات الجماعة وبمواطن الصواب . ولن يكون هـذا ما لم تكن غالبية الجماعة قد نشأت نشأة استقلالية . فلا يجهر برأيه إلا من قويت عنده روح الاستقلال وكانت لديه الشجاعة وفي خلقه الأقدام

ب — والمثل الأعلى للقاضي هو من يتعرف وجه الصواب ويحسن تطبيق روح القانون على حالة الجماعة التي يطبق فيها ، ويدرك حق الادراك رسالة القاضي وأثره في المجتمع فلا يخضع لغير القانون والحق والعدل . هو الذي يتحرر من نزعات نفسه ومن المؤثرات الخارجية في تصرفه كقاض . هو الذي لا يخشى في الحق لومة لائم

والتربية الاستقلالية هي أقوى حصون القاضي ضد نزعات النفس . والكرامة الذاتية والثقة بالنفس هما أقوى دافع يدفعه إلى الدرس المستمر والتفكير غير المنقطع فيما يحيط به ليستطيع إبلاغ رسالتـه على خير وجه . وهما اللتان تلهمانه رفض الايحاء الخارجي مهما كان مصدره

وإذا آنس القاضي المدرك لسمو رسالته ضعفاً في روح الجماعة أو شيوع عوج في خلقها — وهو بحكم مركزه ميزان حساس — عالج النقص في أسباب أحكامه تارة ، وباسداء النصح إلى الماثلين أمامه تارة أخرى . وما أشد وقع النصيحة المقترنة بالعبرة !

وإذا آنس ، بحكم الممارسة ، نقصا في التشريع أو عيباً أو غموضاً جعل من أغراضه ، في قراراته ، اكمال القانون إذا ما اتسعت لذلك النصوص دون ارهاق المعنى . فاذا لم يكن هذا مستطاعاً فانه يخاطب الجهات التشريعية لاستكمال القانون ويعمل لتحقيق هذا الغرض بكل ما يستطيع

(يتبع) محمد عبد البارى

ملاحظات متواضعة على مشروع

ترجمة معانى القرآن الكريم

بقلم المستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس

طالعت والغبطة تغمر قلبي المرسوم الصادر بترجمة معانى القرآن الكريم استناداً إلى الفتوى الشرعية المقدمة من هيئة كبار العلماء ، إذ يبدأ العمل بمقتضاها قريباً فى هذا المشروع الخطير الذى يعد أول حادث له قيمته فى تاريخ الاسلام

لقد ترجم مسيحيو القرون الوسطى كتاب الله الكريم إلى عدة لغات أوربية . وكانت أول ترجمة ، على ما أعرف ، هى تلك التى قام بها كلونى الى اللغة اللاتينية فى القرن الثانى عشر . ثم أقبلت طائفة من القسس والرهبان على نقله الى بقية اللغات الحية ، حتى أن بعض الأمم الصغيرة ساهمت فى هذا العمل ، ولا تزال تفتخر بوجود نسخ من هذه التراجم البدائية فى متاحفها . وتوجد فى اللغات الألمانية والانجليزية والفرنسية والايطالية عشرات التراجم ، القديمة والحديثة ، بحيث يمكن للمرء أن يختار منها ما يوافقه . على أن معظم هذه التراجم تكاد تكون حرفية لآيات الذكر الحكيم ، برغم حرص القائمين بترجمتها على وضعها فى قالب صحيح يتفق والمعنى الذى أنزلت به ، لأنه من المعلوم أن فصاحة القرآن وبلاغته أمران لا سبيل إلى انكارهما . وهذا لعمرى مما حارت فيه عقول العلماء والفلاسفة واللغويين . ولو سلمنا جدلاً بأن معظم هذه التراجم خال من الاخطاء — وهذا ما لا يمكن الجزم بصحته — فالتفسير لا يكون مؤدياً تماماً لنصوص الذكر الحكيم . ومن المتيسر أن يصل المترجم الى الأصل الذى يخلع على كتاب الله جلالة وروعة . فمعجزة القرآن فى أسلوبه وبلاغته ، مما لا يجعل الأجانب يفقهون معناه أو يشعرون بلذة عند تلاوته ، نظراً لأن بعض المترجمين أطلقوا لأنفسهم العنان فى ترجمته

ويلوح لى أن هذه التراجم أشبه ما تكون بالصور القاتمة التى تمثل الطبيعة الحية ، فالنشوة الروحية العميقة التى يحس بها المسلم لدى تلاوة القرآن ، يكاد أمرها يكون معدوما لدى طائفة من الأفرنج وهم يطالعونه فى لغاتهم . فمن هذه الناحية نرى أن القرآن الكريم غير قابل للترجمة ، ولا يمكن أن يصل كاتب مهما بلغت عبقريته الى مثل هذا السمو . والتاريخ على ما فيه من الحوادث الجسام والعظات البالغات ، كذلك الفن فى أنبل وأسمى معانيه ، لا يمكن مقارنة أحدهما بآية واحدة من آيات الكتاب المنزل الحكيم

وكيف لا يكون الأمر كذلك وهو كلام الله القديم الأزلى ؛ وهو معجزة ليس من السهل تفسيرها فى ضوء الحوادث ، أو شرحها بمنطق التدليل ، والمفروض أن الانسان يؤمن به حسب نزوله

إن فلسفة التاريخ بمناهجها الصحيحة ، حاولت عبثاً أن تحلل تفاصيله وتواريخه وترده إلى أصوله ، ولكنها برغم الجهود الجاهدة التى بذلتها أجبرت على الخضوع لأحكامه ، ورضيت من الغنيمة بالاياب ، وأيقنت أنه أمر ليس فى طاقة البشر أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ففى وسط ظلام الأنسانية الحالك ، انبثق ذلك القبس الآلهى ، وأضاء الكون ليمهد للانسانية طريق الهداية والرشد ، مما أدى الى وضع الأصول الاجتماعية والقوانين والشرائع وتحديد علاقة الناس بعضهم ببعض . بل أصبح القرآن قاعدة موطدة لثقافات علمية واسعة النطاق ، وحلقة كونية لم يظهر لها نظير فى كل أحقاب التاريخ

ولقد كان طبيعياً أن يكون القرآن باعثاً على خلق الوحدة العربية والاخوة الاسلامية ، سواء فى اللغة أو فى الفكر والعاطفة ، وبتأثيره امتدت حضارة الاسلام من قلب الجزيرة العربية إلى أطراف العالم ؛ وكان امتداد هذه الحضارة مما لم تشهده مدنية من المدنيات الانسانية العظيمة الأخرى . فاقامة الصلاة يرن صداها اليوم من مراكش إلى اليابان حول قارات ثلاث . كذلك كان القرآن سبباً فى احكام رابطة الوحدة بين ثلثمائة مليون مسلم ، سلاحهم التقوى ومخافة الله ، ودينهم مستمد من القانون السماوى المقدس الذى رفعهم إلى السمو الروحى . ولقد طغى القرآن على الفوارق المادية التى بين المسلمين ، حتى أصبحوا بفضله إخواناً ، وأزال البغضاء والنقائص من نفوسهم ،

ونى عن قلوبهم الأدران والعوامل الشعوبية واللغوية والجغرافية حتى صاروا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً .

* * *

إن تفشى النزعة المادية كانْ من أقوى البواعث لزعزعة العقائد الدينية فى عالم الغرب . وهذه الظاهرة بدت ماثلة قوية الأثر فى القارة الأوربية عند ما حاولت أن تشيد لها صرحا فوق أنقاض الدولة الرومانية ، هنالك بدأت حركة الاصلاح التى قام بها مارتن لوثر ، وكان من أقوى عواملها ترجمة الأنجيل ، فكانت ترجمة هذا الكتاب المقدس سبباً فى تقدم الحضارة الجرمانية ، وسبيلاً الى إدماج لهجات ولغات متباينة بعضها فى بعض ، حتى غدت منها لغة واحدة هى الآن لسان للأدب الألمانى الكبير

من ذلك ترى أن ترجمة الانجيل من اللاتينية أحدثت فى الحضارة الأوربية بعض الأثر الذى أحدثه القرآن الكريم فى تكوين حضارة اسلامية راقية مؤسسة على قواعد ونظم ثابتة . أضف الى ذلك أن اختراع الطباعة جاء فى نفس الوقت الذى سارعت فيه الأمم والشعوب الجرمانية لتلم شعثها . فاخضعت الطباعة للغة والفكر والدين ، وازدهر الأدب الجرمانى وانتشرت ضروب الثقافات ، وبفضل ترجمة الانجيل اندثرت اللغات واللهجات ، ومحيت الفوارق السياسية التى كانت إحدى نتائج الجهل المؤدى الى العبودية

فى ذلك الوقت كانت طائفة صغيرة من العلماء فى الشرق الاسلامى ، قد احتكرت علوم القرآن وتفسيره ، وأصبحت اللغة الفصحى على وشك التدهور والانهيار ، وتفشت الأمية والجهل الى حد مخيف ، وأصبح المسلمون الذين كانوا قادة الأمم فى العلوم والآداب فى حالة تأخر وانحطاط بالنسبة لأسلافهم . أما الكتاب الكريم ، ينبوع الحضارة الاسلامية الزاهرة ، فكان غير مفهوم لأكثر من الناس

فى هذه العصور المظلمة كانت طائفة العلماء فى عزلة تامة عن الشعب ، يحتكرون القرآن فى صدورهم ، فانتشرت الجهالة وعمت الفوضى ؛ على أنه من توفيق الله ، كان لا يزال ألوف من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يحفظون القرآن وان لم يفقهوا معانيه . فالاسلام فى حد ذاته هو التشبع بالمبادىء الروحية السامية المركزة على طهارة النفس ونقاوتها مما يشوبها . فهل يمكننا فى هذه الحالة أن نعترف بأن الالهام السماوى ، مهما بلغ من التقديس ، يؤثر فى نفوس من لا يفقهون معناه ؟ إن الاسلام ليس سحراً ولا طلسما ، ولكنه دين الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وإذا اعتقدنا بأنه صالح لكل زمان ومكان ، فيجب علينا إذن أن نعمل جهدنا لشرحه وترجمة معناه وجعله فى أيدى ألوف الناس الذين يتحرقون شوقاً للدخول فيه أفواجاً وأفواجاً

نحن لا نحارب فى هذا العصر مثلا بنفس الأسلحة التى كان آباؤنا يلجأون إليها للدفاع عن أنفسهم — من أقواس ونبال ورماح — بل نقاتل بالدبابات والطيارات وسائر الآلات الحديثة ، كذلك يجب علينا فى هذا العصر ألا ندخر وسعاً فى الالتجاء إلى كافة الوسائل الأدبية والروحية لاظهار فضائل الدين الحنيف والتبشير به فى أرجاء الأرض

لقد كان القرآن محصوراً فى بدايته فى بضع نسخ خطية ، فلما انتشرت المطابع الحجرية استخدمت لنشره وجعله فى متناول أيدى ألوف المسلمين . كذلك كان الأمر فى المطابع الرحوية والحديثة ؛ وهو الآن يذاع فى الراديو ويفسر على موجات الأثير . أما الذين يحفظون كتاب الله ولا يفقهون معناه ، فهؤلاء شأنهم شأن غريق يلتمس النجاة ، محاولاً التعلق بحزمة من القش . وليس فى وسعهم أن يفقهوا الشطر الروحانى منه الذى يؤهلنا للرشد والتقدم والتسلح بأسلحة من العلم واستقامة الفهم

إن العالم الاسلامى الذى يقف اليوم فى مفترق الطرق ، فيه أكثر من ثمانين فى المائة يحفظون القرآن عن ظهر قلب ولا يفقهون معناه ، فالى هؤلاء الملايين نوجه الأسئلة الآتية :

١ — هل تميلون إلى حفظ القرآن فى صورته الحاضرة دون أن تفقهوا معناه فتظل نفوسكم ظامئة إلى هذا الشراب الروحى ؟

٢ — هل تريدون أن يكون وقفاً على طائفة من العلماء يحتكرون معانيه فى صدورهم مع أن الله عز وجل أرسله الى كافة البشر ؟

٣ — ماذا يكون لو أن الكتاب الكريم نقل الى لغاتكم حتى ترتوى منه النفوس الظامئة التى تتلهف عليه كينبوع تفجر من الألوهية العظيمة ؟

(البقية فى العدد القادم)

(بودابست)

عبد الكريم جرمانوس

من الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

استثمار نهضة المرأة لخير البلاد

للسيدة إحسان أحمد القوصي

لما قام المرحوم قاسم أمين منذ ربع قرن ونيف يطالب بتعليم المرأة وتحريرها من أسر عادات بالية، وقيود تقاليد عتيقة شلت نصف الأمة، وحالت دون انتفاع البلاد بجهودها... لم يكن يحلم أشد أنصار المرأة تفاؤلا أن المصرية ستخطو هذه الخطوات المباركة في تلك الفترة القصيرة، وتسير سيرها الحثيث، لتحتل المكانة التي سمت إليها من آلاف السنين في حضارة مصر القديمة، وأيام ازدهار مجد العرب. وإذا كنا اليوم نغتبط بما نلمسه من دلائل نهضتنا الرائعة، وما تقوم به المشتغلات بالحركة النسوية من نواحي الاصلاح وجلائل الأعمال، فوق ما رفعن به شأن بلادهن في شتى بلاد العالم، ومختلف المؤتمرات النسوية الدولية... فذلك لما تبعثه فينا هذه النهضة من قوة الأمل وكبير الرجاء؛ في مستقبل زاهر تستكمل فيه المصرية نهضتها، ويظهر أثر ذلك الكمال في نهضة البلاد

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

وإذا كان بيننا اليوم المحامية والطبيبة والصحفية والكاتبة والمعلمة والممرضة، والكثيرات من حاملات الشهادات وكاتبات المقالات، فليس معنى ذلك أننا بلغنا غايتنا، واستوفينا نهضتنا، فما زالت الأغلبية الساحقة من نسائنا يخيم عليهن ظلام الجهل، وما زالت الألوف المؤلفة من أطفالنا تقع فريسة للأمراض، وتقضي ضحية الجهالة؛ وما زالت بلادنا تفوق بلاد العالم في نسبة العمى، وما زالت سوق الخرافات رائجة، وما زال الكثير من عاداتنا في حاجة إلى التهذيب والاصلاح. ويطول بي الشرح لو أردت أن أستوعب أمراض المجتمع التي تستطيع المرأة أن تساهم في علاجها بنصيب كبير إذا مهد لها الطريق فتكون المتعلمة قد أدت حينئذ رسالتها، وقامت بواجبها من خدمة لبلادها. نعم إن طريق الاصلاح شاقة وعرة، والعقبات جمة، والمصاعب كثيرة؛ ولكن كل صعب يهون أمام صدق العزائم، وشحذ الهمم، وتضافر الجهود، وتوحيد قوى المتعلمات ليهذبن ويدبرن ويصلحن شأن أمتهن، وينهضن على الأخص بأخواتهن من مختلف الطبقات صحياً وخلقياً وأدبياً، فيكن قد عالجن الداء من أساسه، فالمرأة ليست نصف الأمة فحسب، بل هي مربية النصف الآخر منها كذلك. ومما يزيدنا تفاؤلاً أن في البلاد اليوم روحا تفعل في نفوس الأفراد والجمعيات فعل الخير، متجهة بها من الوحدات الجزئيـة إلى وحدات كلية مما يساعد على استثمار نهضة المرأة

واستثمار نهضة المرأة يقوم على تعاون ثلاث قوى: جمهور المتعلمات، والحكومة، والشعب

أما واجب المتعلمات فالمبادرة بالاستعداد لعقد مؤتمر نسائي تمهيدي تشمله الحكومة برعايتها، تشترك فيه كافة الجمعيات النسائية على اختلاف مذاهبها وغاياتها، ويدعى إليه أكبر عدد ممكن من فضليات السيدات والآنسات المتعلمات، ليكون واسطة للتعارف وتوحيد الجهود، ووضع الأسس لخطة عملية منتجة بعد المناقشة والبحث في خير الوسائل لمعالجة نواحي الضعف التي توكل كل منها إلى لجنـة تقتلها بحثاً ودرساً، ثم تقرر الوسائل الكفيلة بعلاجها. فتؤلف لجنـة مثلاً لبحث خير الذرائع لرفع مستوى أخلاق النشء، ولجنـة ثانية لتحسين الصحة العامة، وثالثة لمحاربة الخرافات والعادات الذميمة، ورابعة لتنظيم الاحسان وتخفيف ويلات البؤس، وخامسة لتوفير السعادة العائلية وإصلاح حال الأسرة، وسادسة للعناية بالولد صحياً وخلقياً، طفلاً ويافعاً، وسابعة للشؤون القومية والاقتصادية، وثامنة لنشر الثقافة والفنون بين المتعلمات، إلى آخر ما يراه المؤتمر من الموضوعات جديراً بتأليف لجنة لبحثه، وبعد أن تنتهي اللجان من أبحاثها الدقيقة وتكون قد دعمتها بالأدلة والاحصاءات كلما أمكن، واستعانت على استيفاء ما ينقصها من المعلومات باستقائها من مصادرها في مختلف مصالح الحكومة والمؤسسات الوطنيـة والأجنبية التي تشتغل بالشؤون الاجتماعية في مصر أو في الخارج، تكون قراراتها بمثابة الخطة الحكيمة لقيادة جيوش المتطوعات إلى حرب صامتـة في مظهرها، مصلحة طموح في جوهرها، عدتها التعاون والهمة، وسلاحها الايثار والتضحية، ثم يبدأ زحف كتائب المتطوعات على الأحياء الفقيرة في العواصم، ثم يتقدمن بزحفهن إلى البنادر، ثم إلى الريف، لنشر الدعاية الصحية والتهذيبية، وإرشاد الفقيرات وتعليمهن النظافة والعناية بالأولاد الخ

ولما كانت الاطالة فى شرح أعمال تلك اللجان واستيعاب النقط التى تدخل فى لجنة كل منها تتطلب إفاضة لا يتسع لها مقال كهذا، كما أنه يكون استباقاً للحوادث وإحلالاً لرأيى الفردى محل رأى سيكون ثمرة شورى الجماعات التى تنصرف إلى بحث كل نقطة، وتتفرغ لدراستها على ضوء ما يتوفر لها من الأدلة والبيانات، لهذا أكتفى بإيراد النقط التى تدخل فى بحث لجنة أو اثنتين على سبيل المثال تنويراً للأذهان وتوخياً للاختصار: فاللجنة التى يوكل اليها رفع مستوى الأخلاق مثلاً يصح أن تتناول الأمور الآتية:

١ — أفعل الوسائل فى بث روح الفضيلة فى النشء وتعويدهم العادات الحسنة

٢ — محاربة الرذائل والعادات الذميمة كالبغاء والمخدرات وجرائم اللسان والخلاعة والاستهتار

٣ — توجيه الشباب للقيام بالخدمة الاجتماعية

٤ — الأماكن التى يصح أن يرتادها الشباب، والكتب التى يجب أن يقرأها

٥ — مقاومة مساوىء المدنية، والمحافظة على الحسن من تقاليدنا وعاداتنا

٦ — توفير أسباب اللهو البرىء ليقضى الشباب وقت الفراغ فى المسلى المفيد

٧ — مساعدة المتعطلات على الارتزاق حفظا لهن من السقوط

واللجنة التى تتخصص فى تخفيف وطأة البؤس يصح أن يتناول بحثها النقط الآتية:

١ — تنظيم الاحسان

٢ — توفير وسائل العلاج للمرضى من الفقراء

٣ — تعليم الفقيرات صناعات تزيد فى رزقهن

٤ — تحديد نسل الفقراء

٥ — الاكثار من ملاجىء للأطفال المتشردين

٦ — العناية بذوى العاهات

٧ — التأمين للعمال

٨ — النسج على منوال ألمانيا فى الاكتفاء بغذاء رخيص يوماً فى الشهر وتأدية الفرق للفقراء

٩ — إيجاد أماكن صحية للناقهين والضعفاء بأجور زهيدة

هذه أمثلة من المواضيع التى يمكن أن تتناولها اللجان العاملة بأبحاثها، وربما تشعبها وترابطها مدى أهميتها، وأثر تحقيقها فى مداواة أمراض المجتمع

أما الحكومة فيقع عليها النصيب الأكبر من هذا الواجب، واجب الأخذ بيد العاملات على تنفيذ البرامج الاصلاحية التى رسمتها بعد الدرس والتمحيص، لأنها المسئولة عن صالح المجتمع بصفتها الهيئة الحاكمة، ولأنها تملك سلطة التشريع وفى قدرتها تدبير الأموال، ولها من وسائل التنفيذ ما لا يتوفر لغيرها من الهيئات، ولهذا يكون اشتراكها وإشرافها ضروريين لضمان نجاح العمل وتحقيق الاصلاح، لا سيما وهو فى مرحلة التأسيس والانشاء. فلابد من تعيين بعض الموظفات الى جانب المتطوعات لينتظم العمل ويطرد سيره فى سبيل النجاح، كما لا بد من مساعدة الحكومة للعاملات لخير المجتمع مادياً وأدبياً، فتمدهن بعونها ونفوذها بسن القوانين الكفيلة بالاصلاح، وتسهل لهن سبل العمل، كأن تخول لعدد من المتطوعات السفر بالسكة الحديدية مجانا، وتسمح بمبيتهن فى مدارسها فى مختلف البلاد، وتسهل لهن زيارة المؤسسات الاجتماعية من ملاجىء وإصلاحيات ومستشفيات الخ، إلى غير ذلك من وسائل المساعدة. وهذه أمثلة بسيطة ذكرتها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر والتحديد

ومن أهم ما يجب على الحكومة لاستثمار نهضة المرأة، المبادرة الى تعديل مناهج تعليم البنات، وإرسال بعثات للتخصص فى الخدمة العامة فى كلية سيمونز Simmons College ببسطن Boston، وهى أهم معهد بالولايات المتحدة لدراسة الخدمة العامة الطبية والسيكولوجية الخ، أو فى مدرسة الخدمة العامة بشيكاغو أو كلية سمث Smith بمساشوستس أو غيرها، حتى إذا عادت البعثات ساعدت المدارس على تربية روح الخدمة العامة فى الناشئة، وجندت منها فرقاً للعمل تحت إشرافها، وأفادت المشتغلات بالشؤون الاجتماعية وتوجيههن الى أنجع الوسائل وخير الطرق لتحقيق الغايات التى يسعين اليها. وغريب أن الحكومة لم تفكر حتى الآن فى هذا النوع من البعثات، مع وفرة عدد البعثات التى أوفدتها وتنوعها، ومع شدة حاجة بلادنا اليها

أما تعليم البنات فواجب الحكومة أن تستغل رغبة الآباء فى

تعليم بناتهم وإقبال البنات على التعليم بمختلف مراحله ، لتجعل من تلك الآلاف المؤلفة زوجات فاضلات يحسن تدبير البيوت ويملأنها بهجة وسرورا ، وأمهات صالحات ينشئن رجالاً صحيحي الأجسام ، قويي الأخلاق ، كريمي النفوس ، وذلك بتعديل البرامج ، لأن البرامج الحالية قاصرة جداً عن تحقيق هذه الغاية . ومن المسلم به أن غاية التربية الصحيحة أن تعد المرء للحياة ، وتسلحه بما يكفل له النجاح فى كفاحها ، وتؤهله للدور الذى ينتظره وتنتظره الانسانية منه . والمدارس التى تعلم الطبيب كيف يحارب العلل وينقذ المرضى ، وتعلم التاجر كيف يروج بضاعته ويزيد ربحه ، والزارع كيف يجود حاصلاته وتسلم من الآفات ، والصانع كيف يتقن صناعته ويرقى بفنه ، فتعد كلا منهم لمركزه الخاص . . . جدير بها أن تعد الفتاة (ووظيفتها تختلف عن وظيفة الرجل) للقيام بدورها الخطير . فما لا شك فيه أن الفتاة أحوج إلى درس نفسية الأطفال فى مراحل نموهم ومعرفة طرق العناية بهم جسمياً وخلقياً منها الى دروس الميكانيكا ، وهى أحوج إلى علم الاقتصاد منها الى حساب المثلثات ، وهى أحوج الى تدبير المنزل والحياكة والتفصيل منها الى الهندسة الفراغية ، وهى أحوج الى علم الصحة والموسيقى منها الى الكثير مما تدرسه الآن .

لست ضد ثقافة المرأة ، ولا أريد الحد من حرية الراغبات فى الدراسة العالية ، ولكنى أريد أن يميز التعليم بين حاجة الجنسين ، وأن يفرق بين من تتعلم لتحترف الطب أو المحاماة مثلا وبين الأغلبية من سواد الشعب اللواتى ينتظرهن البيت المصرى جنوداً يعملن على حمايته ورفع مستواه ، وأن يعنى بالمواد النسوية عناية كافية تستفيد منها المرأة فى حياتها العملية ، وإلا ضاع معظم جهدها وما ينفق على تعليمها فيما لا طائل تحته ، وصدق علينا قول الشاعر :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ونظرة نافذة ترينا أننا فى حاجة ماسة تبلغ حد الظمأ إلى تحسين نوع تعليم البنات منا إلى إكثار المدارس لهن . فما أكثر حاملات الشهادات ، ولكن ما أكثر الصدف وما أقل الدر فيه ، وما أكثر الزهر وما أقل العطر منه ، وإن يوماً تعدل فيه مناهج تعليم البنات تعديلاً يهيىء لهن الدراسة التى تتفق مع وظيفتهن ، وتوضع القيود والضمانات لقصر عدد من يدرسن مناهج البنين على الراغبات فعلاً فى الدراسة العالية حتى لا تتحول الأغلبية أليها . . . لهو اليوم الذى نكون فيه قد وجهنا التعليم النسوى وجهته المنتجة ، وخدمنا البلاد أجل خدمة

هذا واجب الحكومة مجملاً : أما واجب الجمهور فأن يساعد العاملات مادياً وأدبياً ، ويشد أزرهن بعطفه وتشجيعه ، فيناصرهن الغنى بماله والكاتب بقلمه ، والخطيب بلسانه ، والمصور بريشته ، والفقير بتطوعه للعمل ، والمعلمون والآباء بما يبثونه من المبادىء الطيبة فى نفوس الصغار ؛ لأن المرأة فى حاجة ، حاجة ماسة ، إلى تعضيد الرجل لها فى نهضتها ، والرجل والمرأة يجب أن يكونا فرسى رهان فى ميدان الاصلاح يندفعان جنباً إلى جنب فى سيرهما لترقية المجموع وخدمة الانسانية دون أن يعترض أحدهما سبيل الآخر فى عدوه ، وأن يبادر كل منهما لعون الآخر فى جهوده النافعة ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، ويا سعد يوم يتم لنا فيه التآزر الكامل على العمل الصالح . إننا لا شك بالغون فيه غايتنا باذن الله

احسان أحمد القوصى

الأدب بين الخاصة والعامة

لامرتين ورينيه جارد

للسيد اسكندر كرباج

تابع لما نشر فى العدد الماضى

يأسف لامرتين إذ يرى اليأس مخيماً على وجه رينيه ، والأسى يغمر نفسها التوَّاقة الى إرواء هـذا الظمأ الطبيعى فى الناس من ينابيع الحبّ والمعرفة . ثم يقول لها : هل وجدت يا رينيه بين كل ما ذكرت لك من الـكتب ما يوافق الطبقات العاملة مثلك ؟

فتجيبه : صفحات قليلة يا سيدى ، لأن كل ما فى لغتنا كُتب لـكم ، لذلك يجب أن يخلق الله من يكتب لنـا

فيقول : لقـد حان الوقت الذى يجب أن يُكتب فيه لـكم يا رينيه ، لأن ارتقاء عقليَّـة الشعب وشدَّة ميله إلى المطالعـة سيحملان الـكثيرين من الأدباء عَلَى تخصيص الوقت الذى يصرفونه فى أماكن اللهو لوضع الـكتب الشعبية . وفضلاً عن ذلك فالارتياح العام إلى اشتداد حركة الصناعة والعمل فى البلاد سيدفع الحكومة إلى التوسُّع فى نشر الاصلاح ودعوة كل من أفراد الأمة إلى القيام بقسطه من خدمتها . وهذا يضاعف عمل الفكر فى كل الطبقات الاجتماعية ؛ وبما أن الـكتب هى أدوات هذا العمل فسيوضع منها للعمَّال ما يوافق أيديهم

وقد ازداد عدد الـكتَّاب على ما كان عليه فى الماضى زيادة كبرى ، لأن قسماً كبيراً من النفوس الهاجعة استيقظ بعد الثورة واندفع إلى ساحة العمل والانتاج ، ولأن خريجى المدارس العالية تحوَّلوا عن خدمة الامبراطورية والدين إلى التوظُّف فى دوائر الحكومة والاشتغال بالأدب ، فـكثر عدد الـكتَّاب وأصبح ما ينشر فى السياسـة والشعر والأدب والاجتماع يومياً كافياً لوضع المجلدات الضخمة ، وتزاحمُ هذا العدد الـكبير من الأدباء على أبواب الشهرة يحول دون معرفة العباقرة الحقيقيين

لم يعمل رأس الانسان وقلبه فيما غبر من عصور الانسانية ما يعملانه فى هذا العصر ، فهما كناية عن معملين للأدب دائمى الحركة ، وهذا العمل المتواصل يبحث عن وجهة ينصرف إليها فلا يجد ، لذلك نراه قلقاً مضطرباً . غير أن الطبيعة التى أوجدت التبادل بين الأعمال والحاجات ستوجد لهذا العمل حاجته ، وهذه الحاجة هى وضع الـكتب للجمهور

ثق يا رينيه أن عهد الأدب الشعبى قد دنا ، وأعنى بالأدب الشعبى الأدب السليم المـكتمل ، لأنى أفهم من كلمة شعب ما يفهمه الله والفلسفة ، أى القسم الأكبر والأهم من البشرية لا ما يفهمه المتطرفون ؛ وإذا لم يطرأ على الأنظمة الحديثة فى هذه السنوات العشر ما يعرقل سيرها ، أو يحولها الى طغيان مؤقت ، فسيكون للشعب مكتبته وعلومه وفلسفته وروايته وشعره وأدبه وتاريخه وفنه

فتسأله رينيه دَهِشة : ومن يضع لنا كل ذلك ؟

فيجيبها : الـكبار بين العلماء والشـعراء ، فكما أن تربية الأمراء والتحدث إلى الملوك والتقرب من رجال البلاط كانت إلى الأمس القريب تعدُّ شرفاً كبيراً فان تثقيف الصغار والتحدُّث إلى الوضعاء وخدمة الطبقات العاملة ستعد فى الغد القريب لا شرفاً كبيراً فحسب ، بل فضيلة عظمى ، وهكذا يتحول مجد الـكتَّاب من القصور الى الأكواخ ومن العواصم الى القرى .

وبما أن العبقرية تتجه بطبيعتها نحو المجـد ، فالمجد سيكون ترديد اسم الـكاتب فى أفواه الملايين من النساء والرجال صغاراً وكباراً . لماذا يؤلف الأديب ويكتب وينظم ؟ ليُقرأ ويُدرك ويُشارك فى شـعوره وتأثره ، ويُحب ويُـكرم ويُطرى ، أفليس الأفضل للشاعر أن تنقش منظوماته على صفحات قلوب أربعين مليوناً من أن تُصفّ على رفوف ستة آلاف مكتبة ؟ أو لا يفضل الـكاتب أن ينتسب الى هذه الأسرة الـكبرى المؤلفة من أربعين مليوناً ، يعيش فى أفكارها وتذكاراتها ويقاسمها عواطفها وميولها ، من أن يكون عضواً فى مجمع علمى لا يجاوز عدد أعضائه الأربعين ؟ فما هو رأيكِ يا رينيه ؟ ماذا تؤثرين : أن تتردّد منظوماتك فى أفواه الملايين من الصغار ، ينشدونها فى نهاية كل صلاة أو فى أحضان أمهاتهم ، أو أن تطبع وتجلّد بدقّة وجمال ، وتوضع فى مكتبة بعض هواة الشعر ؟

فتجيبه : آه يا سـيدى ! أوثر أن تردد فى أفواه الصغار والوضعاء لأنها تـكون طبعة شـعبية تختلج بالحياة ، فالمجد الذى لا يدعمه الود هو حبة لا تنبت ، ونور لا يدفىء

وأراد لامرتين أن يذهب الى أبعد من ذلك فى معرفة حقيقة ذوق الشعب وميله الأدبى بواسـطة هذه الفتاة التى نشأت بين

الخدم وتعيش مع العمال فاستأنف قائلاً : أنت يا ربنيه تعرفين أصناف الكتب التى توافق أهل طبقتك وتنطبق على عاداتهم وميولهم ، فما هو الكتاب الذى يجب أن يؤلف أولاً للذين لم يقرأوا شيئاً أو أنهم قرأوا قليلاً ؟

فتجيبه : لا رأى لى فى ذلك إذ لا يتـذوق الأدب إلا من كان ثقيفاً

— ولكن لا بأس أن تجاوبى عن نفسك ، أى نوع من الأدب كان بامكانه أن يستهويكِ ويؤثر فى نفسك قبل أن تتيسر لك المطالعة ؟ أهو الفلسفة الدينية والوجدانيـة التى تصلح لأن تكون دستوراً لأفكار البشر وانجيلاً يعبر بأمثال قصيرة سامية وجلية كأشعة الشمس ، عن مبادئ العلوم الانسانية الكبرى وفضائلها المكملة بالذكاء والمعرفة على ممر العصور ؟

— هذا لا بأس به ، غير أن برودة الأمثال لا توافق حرارة قلوبنا ، فهى كناية عن أفكار تشع فيما نقرأه ، ولكنها فوق مستوانا العقلى

— هل يرضيك تاريخ عام جلىّ العبارة ، رائق الأسلوب ، ذو فروع عديدة كأغصان هذه الشجرة التى تسمعنا ، تخرج فيها الأصول من الأرض ، والجذع من الأصول ، والأوراق من الأغصان ، بحيث تستطيعين أن ترافقى بنظرك نشوء كل هذه الأسرة البشرية الكبرى من أقدم الأزمنة إلى اليوم بما رافقها من ارتقاء وانحطاط ، ومن سلالات ظهرت ثم انقرضت مع أفكارها وأديانها وأنظمتها وفنونها وأعمالها ؟

— هذا لا يرضى إلا الشبان المتعلمين والشيوخ الميالين الى أشياء الماضى ، أما سواهم من النساء والعذارى والأولاد فلا يميلون إلى مثل هذا الموضوع لارتفاعه عنهم ، فهو يمر أمامنا كالسيل العظيم يبهر عيوننا ويغرق أرواحنا ، لذلك نفضّل عليه وشلة من ينبوع قريب . ان العظيم عظيم ، ولكنـه غامض كالسماء لا يرى فيها سوى النجوم

— ما قولكِ فى كتاب يفسر كل العلوم والفنون بطريقة سهلة بسـيطة تقفك على كل ما اكتشفه الانسان واخترعه وتصوره وحسّنه فى كل أنواع الحرف والصناعات وغير ذلك مما يريك الحقيقة ويهدم كل ما قام حول العجائب الطبيعية والاصطناعية المنسوبة الى الراقيات من الأفكار الكاذبة ؟

— لا نزال فى مكاننا يا سيدى ، فهذا الموضوع لا يهم إلا المثقفين وما أقلهم بيننا وأقصر وقتهم لمطالعته ، وعدا ذلك فماذا يبقى فى النفس بعد مطالعة كل ذلك ؟ غيمة من الألفاظ والخطوط والأشـياء والحوادث والأدوات وغيرها مما يبلبل أرواحنا ! يكفينا ما نعرفه من أسرار حرفنا فلا حاجة بنا الى معرفة أسرار حرف الغير !

— وما رأيك فى القصائد والملاحم ، كقصائد وملاحم هوميروس وفرجيـليوس وطاسو تصف مواكب الأبطـال وفتوحات الشعوب وما قامت بها من الحضارات ودكتـه من الحصون وأحرقته من المدن وأفنته من الجيوش ؟

— لقد مضت نشوة تلك الأيام ياسـيدى . أيام اليونان والرومان حيث لم يكن للأمم غير فكرة الاقتتال والتطاحن والاعتقاد بكل أشكال الخرافات وبآلهـة ومخلوقات تنزل من السماء وتحارب مع هؤلاء ضد أولئـك ، فالشعب اليوم لا يثق كثيراً بخيال الشعراء ، ويريد منهم أن ينشـدوا له الحقيقة والفضيلة والصلاح وإلا تخلّف عن سماعهم ومطالعة منظوماتهم

— وفى رواية لطيفة رقيقة تتضمّن وصف حوادث رجال ونساء يتحابون ويتخاطبون ويتراسلون ويتواشون ويتخاصمون ثم يعودون فيتصالحون ويتشاكون ، وبعد كثير من المغامرات يتزاوجون ليعيشوا أغنياء سعداء فى أحد فنادق لندن أو باريس ؟

— نـكون كمن يقرأ بالصينية أو اليابانية لجهلنا معانى هـذه الحوادث وأسرارها ، إننا لا نقرأ إلا روايات الخادمات والخائطات إذا روعيت فى كتابتها شروط الحشمة والأدب كى لا تضطر ربات الأولاد إلى نزعها من جيوب البنين والبنات وطرحها فى النار

— ما قولك فى هـذه القصص الحقيقية البسيطة التى تصف بيوت الشعب وعاداته واصطلاحاته وميوله وأخلاقه وصدقه وبؤسه وسعادته وحوادث أفراده بلغة سهلة كلغته وتعابير ساذجة كتعابيره

— فى اعتقادى يا سيدى أن هذه هى الكتب التى تستهوى العمال ولاسيما زوجاتهم وبناتهم ، لأن المرأة تمثل كل شعور الأسرة فمتى قرأت ربة البيت أو ابنته كتاباً ما ، فكأن الأب والأخوة قرأوه أيضاً ، فنحن أرواح المسكن ، فما نحبه تحبه حتى الجدران ، إن النفس تهذّب فى البيت أما العقل فيثقف فى المدرسة

— يجب أن تكون حوادث هـذه القصص حقيقية ، أليس كذلك ؟

— نعم لأننا نحيا الحياة الحقيقية ، والحقيقة هى شعرنا

الأناشيد القومية المصرية

التى نالت الجوائز فى المباراة الأدبية

[ننشرها على ترتيب لجنة التحكيم]

نشيد الأستاذ محمود محمد صادق

بلادى بلادى فداك دمى ... وهبت حياتى فدى فاسلمى
غرامك أول مافى الفؤاد ... ونجـواك آخر مافى فمى
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

غرامك يا مصر لو تعلمين ... قصارى شعورىَ دنيا ودين
فمنك حياتى وفيك مماتى ... وحبك آخرتى واليقين
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

حياتك يا مصر فوق الحياةِ ... وصوتك يا مصر وحى الإله
تعاليت يا مصر من موطن ... على الدهر يبقى وتفنى عداه
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

لك المجـد معجزة الأولين ... ومازال تاجك فوق الجبين
فتيهى بمجدك فوق الوجود ... ومدى اللواء على العالمين
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

مآثر مجدك تحت الثرى ... تشيد بذكرك بين الورى
وهذى فتوحك فى المشرقين ... تعالت بمجدك فوق الذرى
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

أيا مصر هـذا لواء الهرم ... على النيل يخفق منـذ القدم
تمر عليه جيوش الزمان . ... تحيى اللواء تحيى العلم
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

لك الشرق ألقى زمام القياد ... فنعم الزعامة بين البلاد
فيومًا حملت لواء الفنون ... ويومًا حملت لواء الجهاد
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

يظلك عرش المليك الكريم ... وترعاك عين العلى العظيم
ألست الكنانة فى أرضه ... وموعود جنته والنعيم
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

بلادى بلادى إذا اليوم جاء ... ودوّى النداء وحق الفداء
فحيى فتاك شهيد هواك ... وقولى سلامًا على الأوفياء
سأهتف باسمك ما قد حييت .
تعيش بلادى ويحيا الوطن

نشيد الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

حُماةَ الحِمى ، يا حُماةَ الحِمى ... هَلُمّوا ، هَلُمّوا لِمَجْدِ الزَمَنْ
فقد صرخَتْ فى العُروقِ الدِّمَا : ... نموتُ ، نموتُ ، ويَحْيَا الوطن
هَلُمّوا ، هَلُمّوا

لِتَدْوِ السماواتُ فى رَعْـدِهَا ... لِتَرْمِ الصواعِقُ نِيرانَها
إلى عِزِّ مِصْرٍ ، إلى مَجْدِهَا ... رجالَ البلادِ وَفِتْيانَها
فلا عاشَ مَنْ لَيْسَ مِنْ جُنْدِها ... ولا عاش فى مِصْرَ مَنْ خانَها
نموتُ ونَحْيَا عَلَى عَهْدِها ... حياةَ الكِرامِ وموتَ الكِرام
حُماةَ الحِمى ، يا حُماةَ الحِمى ... ...

* * *

— وأن تكتب بلغة نثرية ؟

— نعم لأنها أسهل علينا ونحن لا نحب إلا الذين يتكلمون مثلنا ، يجب أن ينظم الشعر للطبقات العالية فقط لأنها أقدر على تفهم معانيه وحل رموزه ، أو فى الذكريات والحنين كما أفعل أنا ، لأن الشعر لا يتكلم عن حوادثنا ولا يقصها ، بل هو ينشد لأنه صوت لا يخرج من النفس الا فى أشد حالات التأثر

(العصبة) ... اسكندر كرباج

بلادى احكمى واملكى واسعدى ... ولا عاش من لم يعش سيّدا
بحرٌّ دمى ، وبما فى يدى ... أنا لبلادى وعرشى فدا
لك المجدُ يا مصرُ ، فاستمجدى ... بعزّة شعبك طول المدى
ونحن أسود الوغى ، فاشهدى ... وثوب أسودك يوم الصدام
حماة الحمى ، يا حماة الحمى ... ...

***

ورثنا سواعد بانى الهرم ... صخورًا ، صخورًا كهذا البنا
سواعد يعتز فيها العلم ... نباهى به ، ويباهى بنا
وفيها كفاء العلى والهمم ... وفيها ضمان لنيل المنى
وفيها لأعداء مصر النقم ... وفيها لمن سالمونا السلام

***

حماة الحمى ، يا حماة الحمى ... هلموا ، هلموا ، لمجد الزمن
فقد صرخت فى العروق الدما : ... نموت ، نموت ، ويحيا الوطن
هلموا ، هلموا

نشيد الأستاذ محمد الهراوى

دعت مصرُ ، فلبّينا كراما ... ومصرُ لنا ، فلا ندع الزماما
قيامًا تحت رايتها ، قياما ... أمامكم العلا ، فامضوا أماما

هناك المجدُ يدعوكم فهبّوا ... وليس يروعكم فى المجد خطبُ
لعمرُ المجد ما فى المجد صعبُ ... تردّى الذلّ من يخشى الحماما

فنحن أولو المآثر فى العصور ... وبين يدى أبى الهول الهصور
وفى الأهرام ، أو فوق الصخور ... ترى آثار أيدينا جساما

لنا مجدٌ على الدنيا تعالى ... « بناه الله يوم بنى الجبالا »
رسمنـــــاه برايتنا هلالا ... وننشرها على الدنيا سلاما

لنا التاريخ ، فيّاض المعانى ... لنا الأسرار ، معجزة البيان
لنا علم الأوائل فى الزمان ... لنا الأخلاق ، نرعاها ذماما

لنا ذكرٌ مع الماضى ، مجيدُ ... لنا أملٌ ، يجدّ بنا ، بعيدُ
كذلك مثلما سدنا نسودُ ... ونرفع فوق هام النجم هاما

فيا وادى الكنانة لن تزولا ... وفيك النيل يجرى سلسبيلا
يطوف بمائه عرضًا وطولا ... ويبسط فيضه عامًا فعاما

بساطك سندسٌ ، وثراك تبرُ ... وجوّك مشرقٌ ، وشذاك عطرُ
ونهرك كوثرٌ ، وبنوك غرُّ ... أبوا فى الله والوطن انقساما

فإن لم نستعزّ بمصر حولا ... ونبسط ظلّها صولًا وطولا
وإن لم نحمها فالموت أولى ... نعم : فالموت ، أو نحيا كراما

نعزّ ضيوفنا ، ونقرّ عينا ... فلا نعدو ، ولا يعدى علينا
فإمّا مسّنا ضيمٌ ، أبينا ... وندكيها على العادى ضراما

فيا ابن النيل ، هزّ لواء مصرا ... وهيّئ فى النجوم له مقرّا
وأطلع بالهلال عليه فجرا ... وعش فى ظلّه العالى إماما

أغنية . .

إلى الحلم (*) . .

بقلم العوضى الوكيل

إذا خدرت عينىّ من طول ما أرنو ... وأتعب هذا الجفن إمعان إيماء . .
إذا ما استبانى فى مطالعك الفنُّ ... وبتُّ لديه ساهرًا دون إغفاء . .
إذا ظمئت روحى فأغرقها دنُّ ... من الحسن ممزوجٌ سناه بأعضائى .
إذا ما عرانى من مطالعتى وهنُ ... وبات كيانى ، من عياء ، كأشلاء
فدعنى أحلم لحظةً بك فى نفسى !

إذا ماجت الدنيا ، وجن جنونها ... وثارت براكين ، وهاجت كواكب
وغال جميع الناس فيها منونها ... ولاحت بقاع الأرض وهى خرائب
وصوّحت الدنيا ، وبادت فنونها ... فلا شىء إلا وهو فى الرمس غائبُ
فدعنى أحلم لحظةً بك فى رمسى !

دار العلوم العالية : ... العوضى الوكيل

(*) من ديوان تحية الحياة ، يصدر اليوم



هواجس

بقلم حبيب الزحلاوى

قلت لصديق : لك الله من رجل غريب الأطوار ! لقد أضفتنا الليلة ودعوتنا الى تناول العشاء معك ، فأين المطعم وأصناف الطعام المطبوخ من هذه الحانة والزجاجات والأقداح « والمزات » آليت على نفسك مخالفة المألوف واتباع هوى النفس وبداواتها فى كل شىء ؟ ؟

— : خل عنك ياصاح الملاحظات والمعارضات لأننا فى ليلة خمر وانتهاب لذة ، هيا أيها الرفاق الى الأقداح الدهاق نقرعها ، والى الزجاجات نفرغها فى أجوافنا ، فتمشى فينا الحميا ، فتدور رؤوسنا فتسابق الدورات الزمنية ، وبذلك نطوى الصفحة القاتمة من تاريخ الحزن الماضى وعقابيله المؤلمة ، ونستقبل حياة جديدة بنفس مشعشعة وفرحة وضاءة

— أى حزن تعنى ؟ لأن أحزان هذا العصر تشملنا من كل صوب وتغمزنا كل مغمز ! !

على رسلكم أيها السادة ، جئنا لنشرب ونطرب لا لنتزمت ونتفلسف ، لندع عنا تقعرات صاحبنا هذا الذى يود مسابقة الدورة الزمنية ليطوى الحزن وعقابيله ! ! أما أنا فوالله العظيم لا أعرف كلمة عقابيل هذه ولا سمعت بها ، انما أعرف ماركات زجاجات الوسكى كلها ، وأتذوق شرابها وأميزه ، وأحسن الفتك بأفراخ الحمام والدجاج ، ولا أتورع عن البطش بهذا الديك الرومى نكاية بفنزيلوس

وقال آخر : اشربوا واطربوا أيها الرفاق ، فوالله ما عرفت سر عجيبة السيد المسيح الأولى وقد حول الماء الى خمر ، إلا وقد صرت أنكر قول الحكيم سليمان : « قليل من الخمر يفرح قلب الانسان »

— ليس الحق فى جانب سليمان الحكيم ، لأن القليل من الخمر يفرح القلب الضعيف . أما الكثير منه والعبّ الوفير من ذوبه الذهبى فيحيى العقل والقلب والروح ! ! !

— راعوا أيها الاخوان حرمة وسدانة الحانة التى أنتم فيها وصونوا ألسنتكم عن الاستشهاد بالآيات وذكر العجائب فى مكان آيته الكبرى خمرته البكر وعجيبته الغادرة ، دعوة صاحبنا اليه ، وأنا الذى تعرفنى حانات المدينة كلها ، ولا تجهلنى إلا هذه البؤرة التى لا يسكنها سوى شيطان مثله ليتوارى عن أعين الناس

— صه أيها الخبيث ولا تحاول نبش أسرار الناس ، فقد يقودك الحظ الى هذه الحانة فترى الهناء يبسط أجنحته عليك وحدك ، عليك وحدك ، أفهمت أيها الخبير الفنى بحقوق الاتصال؟؟

كلا لم أفهم بعد ! ! إنما يبدو لى أن مفتاح سر تعاطيك المسكر والتدخين فى شهر معلوم ثم انقطاعك عنهما ، انما هو مدفون فى هذه الحانة التى لا يعرفها سوى الراسخين فى علم التستر والتخفى

ضحك الرفاق لهذه المداعبة الظريفة وسأل أحدهم الداعى قائلاً : ما معنى أنك لا تشرب الوسكى إلا من ماركة « كناديان » ولا تدخن السجاير إلا من ماركة « لكى ستريك » ؟ وسأل الثانى : لماذا تندّ الليلة عن الشرعة الشاذة التى اشترعتها لنفسك فى الخمر والتدخين وموعد تعاطيك إياهما لم يئن بعد ؟ وقال الثالث : أحسب أن دعوة الليلة إنما هى لتوديع الشباب والكهولة وقد ذبل ويبس منها الورد والثمر والغصون

فصاح صائح : اسكتوا اسمعوا ، لنشرب هذه الكأس على ذكر داعينا وقد ودع الخمسين من عمره السعيد منذ عشر سنوات خلت . . . فقاطعه آخر وقد انتصب على الكرسى قائلاً : بل نشرب نخبه وقد عاد إلى العاشرة من عمره لأن التقدم بعد الخمسين إنما هو نكوص وتراجع ! ! ! وهكذا كان الرفاق بين ضاحك وناقد وظريف لطّف دبيب الخمرة ذوقه ، وبين صامت يشتف ما فى الكأس روية ، ومالئها مترعة ، هذا يشرب بلا انقطاع ،

وذاك يهمش اللقمة ويمضغها ويضحك ، وذلك يفتك باللحم يلته بالتوابل ويزدرده ، وواحد غمه الطعام والشراب فثقلت معدته وجاشت نفسه فانتحى الزاوية ولبد ، والظريف فى هذا الحفل أنهم كانوا يتكلمون جملة ، ويضحكون ويقهقهون بجرس واحد ، ولا يستمعون إلا إذا صاح بهم صائح جاف ، وهكذا أنصتوا للقائل بصوت أجش

لكم الله من ضيوف كثيرى الجلبة واللغط ، اشربوا واطربوا فخير الشراب ما كان كغناء المغنى يعبر عن حزن دفين وإن كان يبدو أنه يعرب عن الطرب والسرور

وقعت العبارة فى نفوس الشاربين موقع الجمرة فى الماء ، تنطفىء ولكنها تترك أثرها ، وتصعد بخارها ، وتئن أنة الموجع

كاد السكوت يسود المجلس ، ويعترى المتنادمين فتور السكير وكظة الآكل لو لم يقل أحدهم : حقاً إن الغناء يجاوب وجدانى لحزن دفين وذكريات مؤلمة كانت فى الأصل نتيجة لوقائع خاصة أو طوارىء مفاجئة طرأت على الانسان فغيرت سير حياته فجعلته رهين قيود وأسير أوهام لم يقو على التخلص منها والافلات من إسارها وعبوديتها ! !

هل وراء هذه المقدمة حديث غرام ؟

بلى يا صديقى ، حادث غرام قديم ، عبثاً حاولت الانعتاق منه وكنت إذاءه كفراشة تفتش عن طريقها فى نور المصباح وهى تجهل أنها صائرة إلى الاحتراق

ليكن حديث الليلة إذن عن الوقائع الغرامية وطوارئها ذات الأثر فى النفس ، وأحسب أن طبيعة اجتماعنا ومفاجأة صديقنا إيانا بالشراب ، ودعوتنا إلى الاشتراك معه ، على حد قوله ، فى طى تاريخ الحزن ونشر أعلام حياة جديدة على أضواء الخمرة المتلألئة مهيئة لحكاية غريبة نادرة يقصها علينا ، وقد تكون حكاية تعاطيه الخمر والدخان فى شهرين فقط من شهور السنة ، أليس حدسى صادقاً يا صاحبى ؟

سكت صاحبنا ولم يشر بحركة تدل على النفى أو الاثبات

قال أحدنا : من منا لم تصدمه حادثة غرام حولت سير حياته وبدلت نظامها المألوف ؟ انما لبعض صدمات الحب قوى عجيبة ودوافع غريبة تنتقل بالمرء من حال الى عكسه ، وبتوقف ذلك على نحيزة الانسان لا على طبيعة الصدمة

موضوع لذيذ ، إى والله إنه لموضوع مستحب ، يجانس طبيعة نفوسنا الدافئة بنار الخمر ، إنى لأقترح عليكم أيها الرفاق ، وكلكم لوى عنقه عن الشباب ، وطوى كشحه عن .. الكهولة عفواً عفواً ، أريد أن أقول كلكم فتى القلب ، شاب الروح و.. صه يا ثرثار ، ودع عنك اللغو فليس وقته الآن

سكت ، وأنصت الجميع للراوى الأول حكاية مغامراته فى شبابه وهى تحمل نطفة الموت مع جرثومة الحياة كذكور النحل ، وأنصتوا للمتكلم الثانى ، وقد أظهر وقائع بطولته فى الاغراء وانتصاراته على المرأة بالخداع ، وتكلم الثالث عن غرامياته وقد أوحت اليه نظم الشعر وتأليف الحكايات

وقص الرابع والخامس قصصاً فردية كسابقتها لا صلة لها بصميم الحياة ومشاكلها ، فلما انتهى الأمر الى صاحب الدعوة قال : أقص عليكم قصة طريفة نادرة ، فيها درس وقد لا تخلو من لذة

« يسرنى أيها الأصدقاء ، وقد دعوتكم الى الاشتراك معى بفرح وحزن لا شأن لكم بهما ، أن أطلعكم على سرهما وقد لازمانى خمس عشرة سنة ، ولأن فى الأفراح كما فى الأحزان انبثاقات من نور تهدى الانسان الى سمت الوجود ، وتجعل الحياة نفسها عذبة مشتهاة ، فاصغوا إلى قصتى واعلموا أن الحياة هى الحياة فى الفتى والشاب والكهل والشيخ ، إنما الفارق هو فى قوة الشعور وخصائص الوعى ، قد يحب الكهل بقوة وحرارة تماثلان حب الشاب ، وقد يعشق الشيخ ببراءة وسذاجة عشقاً يضارع عشق الفتى ، انما الرجل من يحتفظ بتوازنه ، فلا يشتط فى أطوار الحب وهى مرافقته ولا بد حتى اللاحد ، ومن يستضىء بنور نفسه لا يضل السبيل ، وبذلك تسعده شاعريته ويفرحه روحه وينعم بلذة وجوده الانسانى »

المقدمة بارعة ، والاستهلال حسن ؛ فهات القصة فكلنا لك سامعون

« رن جرس التلفون ، تناولت السماعة وأثبتها على أذنى ، وإذا بى أسمع صوت امرأة تنادينى باسمى وتقول إنها قادمة من أمريكا لزيارة الشرق واستعادة ذكريات طفولتها فيه ، وإن اسمى فى مقدمة أسماء من وطدت الأمر على مقابلتهم ، وانها ستكون سعيدة إذ ترانى يوم الاثنين بعد غد فى القاهرة ، فقلت لها : انه يسعدنى لقياها الليلة فى الاسكندرية لأنى أسافر فى قطار مساء اليوم ، فأقضى نهار الأحد فيها كعادتى فى فصل الصيف ، وسألتها

عن اسمها فأجابت : ستعرف اسمى قريباً ، وقالت : إن لقياك بى فى الاسكندرية تعطل على خطة الريادة ؛ وتفسد طريقة الاستكشاف التى رسمتها لنفسى . فقطعت عليها الكلام وقلت مازحا : إنى لست واحة فى صحراء مجهولة ، وإنك لست « روزتا فوربس » تقتحم الصحارى تنصف الحياة فيها تحت أطناب الخيام ومضارب الأعراب الأشداء ، فأجابت قائلة : أرجوك الاحتفاظ بهذه الاعتراضات إلى حين اللقاء فى القاهرة ، وألا تزاحم المرأة فى فضولها وبداواتها ، وودعت فانحبس الكلام

أرجعت السماعة إلى مكانها ، وأخذت أستعيد فى ذا كرتى وخيالاتى نبرات الأصوات ، وصور النساء اللواتى عرفتهن ، فلم أهتد الى واحدة يوائم صوتها صوت المرأة المجهولة التى حدثتنى

امرأة من أمريكا تعود الى الشرق لاشك أنها سورية ، ولقد هاجرت من سورية منذ نيف وعشرين سنة ولما أبلغ العشرين بعد ، ولم يكن لى فيها علاقة غرام بسوى فتاة حالت الحوائل دون استمرارها وديمومتها ، وأنها تزوجت برجل تقيم معه فى سلام ووئام فى لبنان ، فمن هى هذه السيدة المتأمركة يا ترى ؟

أف للمرأة المشغلة المعطلة ، لم لا أركب قطار الظهر الى الاسكندرية فأشبع ناظرى برؤية البرية الخضراء المنبسطة ، وأبهج نفسى بمشهد الشمس حين المغيب ، تخضب الزاخر من موج البحر بدمها المسفوك وذهبها الذاب ونارها المتقدة ؟ ! لم الذهاب الى رئيس عملى أقف بين يديه وقفة المستجدى ، وقد يستجيب رجائى بعد أن يغمرنى بفيض من المنة أو يرفض ويتأبه ويتعالى ، ألأجل كلمات سمعتها بالتلفون من امرأة مجهولة قد تكون من المغامرات وقد تكون شيئاً آخر لا أملك وصفه أو الحكم عليه ؟ ! أمن أجل هذه المرأة أنقض قانون العمل وأعرض نفسى لما لا قبل لها على احتماله من الرؤساء ، أبلبل ذهنى وأضنى أعصابى بتفكير سخيف ، وشهوة باطلة ، وأوهام أنسج خيوطها من اللاشىء تحقيقاً لبداوات امرأة لا أعرفها وأجهل مقرها ، وقد رفضت أن تتلقانى فى الاسكندرية « كى لا أعطل عليها خطة الريادة وأفسد طريقة الاستكشاف التى رسمتها لنبش قبر « توت عنخ آمون » حى هوانا ؟ ؟ ! !

لا لا . . . سأواصل عملى حتى موعد الانصراف ثم أسافر الى الاسكندرية أقضى راحتى الأسبوعية فيها كالعادة

***

امرأة ممشوقة العود ، عريضة الجبين ، عسلية العينين ، هدباء وادعة النظرات ، آثار صباها بادية واضحة ، وقفت هذه المرأة تجاهى فى محل عملى المكتظ دائماً بعشرات بل بمئات السيدات من كل جنس ولون ومدت لى كفاً ناعمة الملمس ، طويلة الأصابع وقالت بصوت كسير لين أغن بعد أن تعملت ابتسامة رقيقة بدت فى ركنى فمها دلالة تحرك النفس « جود مورنن » ، وضغطت على كفى بكل ما فى وسع المرأة التعبير عن المودة بالمصافحة

مرحبا بك ياسيدتى الأمريكانية وأهلا بهذه الطلعة البهية ، قد رأيت صبحها منذ زمن بعيد . . . ولكن أين كان ذلك ؟ فى مصر ، فى الشام ، فى الطريق ، فى الكنيسة ، أوه أ كاد أقول لا أدرى ، هل لك أن تحرضى ذا كرتى على التذكر ؟ ؟ !

أحسب أن من كان مثلك فى محل عملك هذا المتألق بأنماط من أنواع الجمال الخليط قد تضيق ذا كرته ، فتهمل الأسماء والكنى مكتفية بالملامح والصور ، وإنى لعاذرتك على نسيانك إياى وقد افترقنا بالفعل منذ زمن بعيد

— كان افتراقنا قبل ثلاثين سنة أو أزيد . أليس كذلك يا سيدتى ؟

— لا تعرف السيدات أعداد السنين التى تحصى أعمارهن بالضبط

— عفواً يا سيدتى ما الى هذا رميت ، انما لأتذكر ، ولكن أين كان افتراقنا ؟

قالت : أتذكر فلاناً . . . (وقد ذكرت اسمه) وقد كنت معه فى مدرسة النهضة الأولية فى دمشق ؟

قلت : نعم أذكر ذلك

قالت : هل نسيت أخته سلمى وقد كانت تمزق لك أوراق « المزامير » فتضطرك الى استحفاظ « المزمور » غيباً عن كتاب أخيها وكنت تتظاهر أمام معلم الكتّاب أنك تقرأ فى الكتاب لا عن ظهر قلبك ؟

قلت : إنى لذا كر ذلك ، وأحسب أنك ابنة خالتها وقد كنتما سوية فى المدرسة السكوبية

قالت : كنت أخالك قوى الذا كرة قديراً على استعادة ماطبعته الطفولة فى لوحة حوادثها النقية ، ولفظت عبارتها هذه برزانة وتأمل

شاعت أحاسيس مضطربة مؤلمة فى جوانب نفسى فشعرت بضنى الخيبة والفشل ، وفجأة تيقظت فىّ عوامل الانتباه بعد إذ توجه شعورى وتمركز فأصبح الخاطر الغامض واضحاً جلياً لدىّ ، فقلت بعد أن مررت بأطراف أصابعى على جبهتى الندية فى صياح :

درامة من اسخيلوس

٢ ـ الفـــرس

Persae

للأستاذ دريني خشبة

— ٤ —

وتبدى الملكة مخاوفها على ابنها حينما تذكر اندحار جنود زوجها فى حربه مع هيلاس ، ثم يصمت الجميع حينما يلمحون فى ظلام البعد فارساً أعجمياً يطوى الأفق ، مقبلاً من الغرب ، وهو مقبل لا شك من ميدان القتال ...

(يدخل الرسول)

— « السلام على كرام سوس و ... و ... بلاط الأ... »

— « ماذا بك أيها الرسول ؟ ! تكلم ... ما وراءك ؟ ؟ »

— « ... يا لشؤمى ! ... أشأم من الشؤم نقل أخبار الشؤم يا سادة ! ... »

— « أى شؤم أيها الرسول ؟ ... تكلم ... تكلم ... »

— « الجيش ... ! »

— « الجيش ؟ ما للجيش ! »

— « تبدد ! ... استؤصلت شأفته ... وشالت نعامته ! »

— « يا للكارثة ! ... أسعدى يا دموع الفرس ! يا للجد العاثر ، والمجد الغابر ، والسلطان المهيض ! »

— « طاشت الآمال ، وخابت الأمانى ... والتهمت النيران عزة فارس ! »

— « يا ويح لنا ! ! يا رحمة لك يا دارا ؟ أهكذا خلقتنا لنشيخ مع الزمان ، وليبرزخ مشيبنا تحت هذا الضغث من الأشجان ؟ ... يا للهم المفاجئ ، والضربة اللازبة ! »

— « لقد رأيت كل شىء ! وخضت المعمعة مع الخائضين .. يا للشجو ... يا للشجو ! »

— « الجيش ؟ تحطمت قوة فارس ! ويلاه ! ألهذا الدمار حشدت زهرة بنينا ؟ ... الحول والطول ، والقوة والجبروت ، والعَدد والعُدَد ... طاشت جميعاً ؟ ... »

— « لقد طفت جثثهم فى اللجة الدامية عند سلاميس ! ولم تنفعنا الجحافل ذات العَدد والعُدد ! ما أبغض هذا الاسم ! سلاميس ... سلاميس ! وآثينا ! يا للذكريات السود ! »

وعيل صبر أتوسا ، فسألت الرسول أن يقص الخبر كاملاً كما وقع ، فانطلق يروى المأساة ، ويصور الهزيمة ، رغم تفوق الفرس على اليونانيين فى العدد ، ورغم أن لهم أسطولاً ينيف على ألف سفينة كاملة العدة ، فى حين لم يكن لهيلاس كلها غير ثلثمائة .... « ... ثم انقضت سفنهم على أسطولنا الضخم فأوقعت به وأعملت النيران فيه ، وكنا ننظر فى الأرض فنجد جندا ، وفى البحر فنجد جندا ، وفى السماء فنجد جندا ... وأنا لا أقول إلا أن آلهة أثينا كانت تدافع عن أوطانها مع الأثينيين ... وهكذا تمت هزيمتنا ... وقتل كل قادتنا ، ولاذت الفلول القليلة التى أفلتها القتل بالفرار ... » ... وكان الرسول بارعاً أيما براعة حينما ذكر هتاف اليونانيين بجنودهم فوق الشاطئ : « أيها اليونانيون هلموا ... ! أنقذوا هيلاس ، وخلصوا أطفالكم ونساءكم ، واحفظوا قبور آبائكم ، واحموا هيا كل أربابكم ،

الآن تذكرت ، الآن تذكرت ، أنت الفتاة اللعوب أنيسة .. وكنا جيرانكم فى بيت واحد وقد قبضت عليك مرة متلبسة بسرقة رمانتى وقد استبدلتها بتفاحة من عندك ، وفى مرة أخرى رأيتك تدسين فى محفظة كتبى قلماً رصاصياً وصورة بديعة للعذراء مريم

تضاغطت شفتاها فكتمتا ابتسامة حلوة وقالت : نعم أنا هى أنيسة وقد كنت لا تنفك تتحداها بتلاوة الكلمات الفرنسوية وتركيب جمل منها

أوه يا أنيسة كم أنت طيبة القلب فقد وضعت اسمى فى مقدمة الأسماء التى أزمعت على مقابلة أصحابها بعد الغياب الطويل ، أما أنا فقد نسيتك لتقادم العهد وجور السنين ، وقد طوحت بنا فى قطرين متباعدين . . . . . وكدت أخب فى الحديث معها وفى استعادة ذكريات الطفولة ، لولا نظرة مستسرة غامضة لمحتها فى عينى صاحب العمل وقد مربنا فى هذه الفترة فطويت الكلام واختزلت الحديث ورجوتها أن تدلنى على الفندق لأقابلها فى المساء لنتعشى معاً

أدركت موقفى فمدت يدها للوداع قائلة : أنتظرك على شرفة « الكونتنتال » وقد قرأت على قسمات وجهها أمارات عاطفة رقيقة حلوة فيها هدوء النفس المطمئنة وخلوص السريرة »

(البقية فى العدد القادم)

حبيب الزحلاوى

وأقداس آلهتكم ... من العبودية ! ! قاتلوا ! وفى سبيل الوطن من استشهد منكم ! ! »

— ٥ —

وكان الرسول لم ينته من سرد قصته بعد ، حين صرخت أتوسا المرزّأة ، وحين تناوح المشائخ النجب من هول ما سمعوا

قال الرسول : « وليس هذا فقط يا سادة ، بل هناك مصيبة المصائب لما يجيء ذكرها بعد . . . »

— « وأية مصيبة أهول مما سمعنا أيها الرسول ! . . . قل ، تكلم ! »

— « ذؤابة الجيش . . . النبلاء . . . مجلس شـورى الأمبرطور ... لقد كانوا يشرفون على المعركة من ربوة فى جزيرة عند سلاميس . . . وما كادت النهاية المحزنة تتم حتى أحدق بهم اليونانيون من كل فج ، فمزقوهم إرْباً إرْباً ، وساروا برؤوسهم فوق أسنة الرماح يتغنون وينشدون ويهتفون . . .

— « والأمبراطور ! »

— « لاذ بالفرار يا سادة ، فى بعض الكواكب التى نجت قبيل النهاية ! »

— « وفلول الجيش ! »

— « من لم يذق كأس الردى فى المعركة ، تشرد فى آفاق هيلاس ، ومات من جوع ومن ظمأ . . . لقد كانت الفصائل تهيم على وجهها فى برية موحشة ، فاذا بلغت إحدى مدائن اليونان أبى أهلها أن يطعموها . . . فتموت جوعاً ! »

— « ثم ؟ . . . »

— « ثم عبرت البقية الباقية المنهوكة مياه الهلسبنت ، على أن الأكثرين ماتوا ثمة غرقاً . . . لأن آلهة الأولمب أرسلت العاصفة على قنطرة السفن الضخمة فغاصت عن عليها فى الأعماق . . . »

وتكون الأمبراطورة المحزونة قد بلغ بها الجهد ونال منها الأسى ، فتذهب لتقرب للآلهة وتصلى لأربابها عسى أن تخفف من أثر الفاجعة ، وتوصى ، إذا وصل ابنها الأمبراطور قبل أن تعود أدراجها ، أن يتلقوه بالبشاشة ، وأن يهونوا عليه قدر ما يستطيعون

— ٦ —

ويفتأ المنشدون ـ السادة الأشياخ النجب ـ يبكون حظ فارس العاثر ، وينعون على أجزرسيس سوقه زهرة شبابهم إلى المهالك ، ويذكرون بالخير والأسف امبراطورهم الراحل ـ دارا ، الذى صان البلاد ووقاها هذه العاقبة السوداء ، التى ردّاها فى أغوارها ولده من بعده ... الأمبراطور الطائش الذى ذهب على وجهه بعد الهزيمة ميمما شطر الهلسبنت ليهرأه البرد ، ويعصره شتاء أبيدوس القارس . : . ثم يستهولون العاقبة التى تتبع الهزيمة المروعة من غير ريب ... وإنها لابد آتية ... فسينتقض الناس على عرش فارس وستثور الولايات . . . وتستقل مصر . . . وتخلع ليديا نير الأعاجم ... وتنتثر حبات العقد . . . وقد تتحطم الواسطة نفسها

وفيما هم يتناجون ويتباكون ، إذ تقبل آتوسا البائسة ! وهى تقبل هذه المرة لتذرف دموعها كرة أخرى . . . وهى تقبل مترجلة . . . لا تحملها عربتها الملكية المسرجة . . . ولا تجرها الخيول الفارسية المطهمة . . . « لأنه لا أبهة لهذا البلاط بعد اليوم ، ولا صولة ولا صولجان . . . إن المخاوف تحدق بى . . . والوساوس تصرخ فى وجهى ، وتملأ صيحاتها المنكرة أذنى ... وقد حملت الضحية لروح زوجى ، وقرباناً من اللبن الأبيض ، وشهداً اشتاره نحل آذار . . . وخمراً . . . عتقتها أحداث المجد التالد ... وزيتاً من تلك الزيتونة الشرقية الوارفة ... التى يا طالما تفيأ ظلالها دارا . . . ووروداً ورياحين ، ومن كل ما تنبت الأرض . . . »

— ٧ —

ويصلى الجميع على روح دارا . . .

وينشدون نشيداً طويلا كله ثناء وكله حمد ... ويبتهلون الى روح عاهلهم الراحل أن تطلع عليهم من عليائها لتخفف من أحزانهم ، وترفه عنهم من أشجانهم

— « هلم ! هلم يا مولانا العظيم الينا ! إن ظلمات الأسى تغشى قلوبنا فاقشعها بسنى فضلك وضياء حكمتك ! هلم فقد أودى شبابنا فى العاصفة الهوجاء ! هلم ! إننا نركع أمام قبرك ، فابدُ لنا ، وأدرك امبراطوريتك ! » (يبدو شبح دارا)

(لها بقية)

دريني خشبة

البريد الأدبي

كتاب البديع لابن المعتز

كانت دار الكتب المصرية قد حصلت فى العهد الأخير على نسخة فتوغرافية من كتاب « البديع » لعبد الله بن المعتز الخليفة والشاعر العباسى الأشهر ، وذلك نقلاً عن النسخة الوحيدة الموجودة من هذا الكتاب والمحفوظة بمكتبة الأسكوريال بمدريد تحت رقم (٣٢٨ أدب) (فهرس الغزيرى — وفهرس درنبور) وحصلت أيضاً على نسخة فتوغرافية لأثر آخر من آثار ابن المعتز وهو كتاب مختصر طبقات الشعراء المحفوظ أيضاً بمكتبة الأسكوريال رقم (٢٧٩ . أدب) (من الفهرسين المذكورين)

وقد ظهر الأثر الأول أى كتاب البديع أخيراً مطبوعاً عن نسخته الوحيدة المذكورة ، وقام باخراجه المستشرق الروسى الكبير الأستاذ اجناس كراتشكوفسكى عضو أكاديمية العلوم فى لننجراد ، ومهد له بمقدمة بالانكليزية ، وصححه وعلق عليه ، وذيله فى طبعة بديعة ، وقامت باصداره « لجنة تذكار جب » ، الانكليزية الشهيرة ، وهو المجلد الثالث والعشرون من مجموعة جب . وقد قامت لجنة جب حتى اليوم على اخراج طائفة نفيسة من الآثار العربية المخطوطة ، نذكر منها بالأخص كتاب أخبار مصر وفتوحها لعبد الرحمن بن عبد الحكم المصرى ، (ومهد له وعلق عليه المستشرق تشارلس تورى) ، وكتابين لأبى عمر الكندى ، هما : أخبار أمراء مصر ، وأخبار قضاة مصر (ومهد لهما وعلق عليهما المستشرق جست) مع مختارات من كتاب رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى

وكتاب البـديع لابن المعتز يعد من أمهات الكتب فى موضوعه ، وهو أيضاً من أشهر وأنفس آثار ابن المعتز

وعسى أن نسمع قريباً بأن هنالك من يعنى باخراج كتاب « مختصر طبقات الشعراء » فتصبح بين أيدينا مجموعة قيمة متنوعة من آثار ابن المعتز

ذكرى أدبية شائقة

للانكليز ولع شديد باحياء بعض الذكريات القومية الغريبة ، وقد احتفل أخيراً فى لندن باحياء إحدى هذه الذكريات الشائقة ، وهى ليست ذكرى عظيم أو حادثة شهيرة ، وإنما هى الذكرى المئوية لصدور كتاب ما زال يتمتع بين آثار الأدب الانكليزى بشهرة واسـعة ، ذلك هو كتاب « أوراق نادى بكويك » The Pickwick Papers بقلم الكاتب الشهير تشارلس دكنز

فى مارس سنة ١٨٣٦ صدر القسم الأول من هـذا الأثر الأدبى الخالد ؛ وكان تشارلس دكنز فى ذلك الحين ما يزال فتى مغموراً فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، وكان قد بدأ حياته الصحفية وأحرز شيئاً من النجاح برسائل كان ينشرها فى « المجلة الشهرية » Monthly Magazine بعنوان « صور » بقلم بوز Sketches by Boz يصف فيها خلال العصر وعاداته بأسـلوب طريف ، وكان من الظواهر الأدبيـة فى ذلك العصر أن تصدر دور النشر قصصاً رياضية مصورة بأسلوب فكاهى ، وكان هذا النوع من القصص ذائعاً جداً . فتقدمت دار النشر المعروفة باسم « تشابمان وهول » إلى الكاتب الفتى تشارلس دكنز بأن يضع لها قصة من هذا النوع تتعلق ببعض المغامرات الرياضية ، ولكن دكنز اعتذر بعدم خبرته فى الشؤون الرياضية وبأنه لا يستطيع أن يضع أية قصة من هذا النوع فعدل عن هـذه الفكرة وتركت الصفة الرياضية ، واتفق على وضع مذكرات قصصية شائقة تمثل الحياة اللندنية الصميمة ، وأن يشترك فى تصوير مناظرها الرسام الشهير « فيز » ، وهكذا صدرت النشرة الأولى من أوراق نادى بكويك ومعها مقدمة بقلم سام ويلر ؛ وتصور هذه القصة الشائقة شخصية مدهشة غريبـة الأطوار هى شخصية « بكويك » ، وتصور حياة المجتمع الانـكليزى المتوسط فى هذا العصر وبخاصة حياة المجتمع اللندنى تصويراً بديعاً شائقاً ، ويقدم إلينا دكنز مستر

بكويك فى ألوان طريفة مضحكة جداً ؛ وقد اشتهر أمر هـذه السلسلة منـذ ظهورها ، وكان القراء ينتظرونها بفارغ الصبر ؛ وكانت فى الواقع فاتحة مجد دكنز ، وفى سنة ١٨٣٧ طبعت هذه السلسلة لأول مرة فى مجلد واحد ؛ وذاعت ذيوعاً عظيما

وقد احتفلت أخيراً فى لنـدن جماعة تشارلس دكنز باحياء هذه الذكرى الشائقة ونظمت موكباً تاريخياً استعادت فيه شخصية مستر بكويك وصحبـه ، وارتدوا ثياب ذلك العصر ، وركبوا مركبات مما كان يستعمل فى ذلك العصر ، وشقوا شوارع لندن ؛ فـكان احتفالاً ظريفاً شائقاً

عميد كلية العلوم

اجتمع مجلس كلية العـلوم بالجامعة المصرية فى الأسبوع المـاضى لانتخاب عميد الـكلية ، فحصل صديقنا الدكتور احمد زكى أستاذ الـكيمياء ووكيل الـكلية على تسعة أصوات ، وهى أصوات جميع الأساتذة — مصريين وأجانب — وحصل الأستاذ حسن أفلاطون بك على ستة أصوات ، والدكتور على مصطفى مشرفة على خمسة أصوات

وستعرض هذه النتيجة على حضرة صاحب المعـالى وزير المعارف لاختيار أحد هؤلاء الثلاثة لعمادة الـكلية

وممـا يجمل ذكره أن الدكتور أحمد زكى كان أول مصرى يجمع أساتذة الـكلية المصريون والأجانب على انتخابه عميداً للـكلية منذ انشائها ، وكان قد انتخب للعمادة منذ ثلاث سنوات إلا أن وزارة المعارف فى ذلك العهد البغيض حالت دون اقرار الانتخاب

تعليقات أدبية : درامات شو فى مصر

تمثل الفرقة الأرلنـدية التى تزور مصر هذه الأيام نخبة من الدرامات العالمية ومنها بعض درامات شو ، ونحن نتساءل : هل تنجح درامات شو إذا نقلت الى العربيـة وأديت على المسرح المصرى ؟ وللاجابة على ذلك نضع بين يدى القارئ هذه الملاحظات التى أخذناها على الـكاتب الأرلندى الـكبير :

١ — يتبع برنرد شو فى حواره أسلوباً فلسفياً قد يستطيل حتى يغمض ، والحوار الفلسفى الممل يقضى على الحياة فوق المسرح ويجعلها مملولة الى حد ما ، إن لم يكن كل الملال . ولهذا قد يكون من الخير أن تقرأ شـو لا أن تراه على المسرح . ويكفى أن تلقى نظرة على دراماته Misalliance ، والأسلحة والانسان ، وقيصر وكليوبطره ، ثم على ملهاته The Philonderer ليتأ كد لك ما نقول

٢ — يتقمص شو الفيلسوف جميع شخصيات دراماته فينطقهم بكلام فلسفى ، ويرهقهم بألوان من التفكير لا تحسب أن مثلها يصح أن يدور فى خلد أحـد منهم . وهذا تعسف لا يطيقه المسرح ولا سيما فى مصر . ودرامته The Lhewing up fo Blanco Posnet دليل واضح على ذلك . ففى هذه الدرامة القديمة التى كتبها منذ ٢٥ سنة تسمع الفكرة السامية المعقدة من لسان (عربجى) كما تسمعها من لسان (المتشرد) كما تسمعها من لسان رجل الدين — وفى فم كل من هؤلاء تسمع صوت جورج برنرد شو وتلقى فـكرته

٣ — كثيراً ما يعرض شو بالدين ويستهزئ برجاله وإن كان من رأيه أن التدين ضرورة من ضرورات الحياة لا غنى للبشر عنها ، وفى روايته (بلانكو بوسنت) التى هاج بها الرأى العام عليه منذ نحو ربع قرن والتى استدعى من أجلها لمناقشته أمام مجلس العموم البريطانى بعد احراقه الأعداد المطبوعة شاهد على ذلك . وهو يبدو متعسفاً فى كثير من مآخذه على الأديان والمتدينين

٤ — يتبع برنردشو فى أكثر دراماته طريقة الـكاتب النرويجى الـكبير هنريك إبسن وهى (الهدم ولا بناء — وتشخيص الداء ... ولا دواء) وهى طريقة وعرة تثير التشكك فى أذهان النظارة وتتركهم حيارى على غير هدى . على أن ابسن يفضل شو فى بيانه السلس وطريقته السهلة وعدم حشو دراماته بنتف لا لزوم لها

جيمس جويس والأدب الجنسى

كان الـكاتب الانجليزى الشهير د . ه . لورانس زعيم الأدب الجنسى إلى ما قبل بضع سنين فى انجلترا ، فلما مات تربع جيمس جويس على عرشه ، وإن كان الـكاتب الروائى ألدوس هوكسلى يرنو الى هذا العرش وهو فى نظرنا أشرف من أن يتربع عليه

ولقد أمعن كل من لورانس وجيمس جويس فى نشدان اللذة وتحبيبها إلى الشباب والتمتع بكل ما فى الحياة من نعيم جسمى والاستهانة بأوضاع الدين وتقاليده ، فلورانس فى روايته الوضيعة (عشيق لادى شاترلى) يبيح للزوج الأشل أن يسمح لزوجته أن تأتى لهما بولد من رجل آخر ... وهكذا تنتصر الدعارة على الزوجية ، وينقض المنزل السعيد الهانئ على من فيه

وقد كتب جويس قصته الأخيرة (أولسس) وجرى فيها

على شرعة لورانس ومنهاجه ، فهو يتناول العورات المستورة وما خلقها الله له بأفحش أسلوب ، وأخس تصوير ، وكل من لورانس وچويس يثيران فى نفس القارئ أحط ضروب الشهوات ؛ ولذا كان مذهبهما فى الأدب لوناً من الدعارة المكشوفة وقفت له الحكومة البريطانية بالمرصاد ، فلم تسمح بطبع كتبهما فى المطابع الانجليزية ، ولم تبح تداول هذه الكتب فى انجلترا ، وخيرا فعلت

أما نحن ... فنقرأ لورانس وچويس فى مصر ... ولا رقيب على شبابنا من الحكومة !

د . خ

نتيجة المباراة الأدبية الرسمية

انتهت ثمانى لجان من لجان الحكم فى المباراة الأدبية الرسمية من الفصل فى ثمانية موضوعات ومنحت المكافآت للفائزين فيها ، وبقيت ثلاث لجان لم تفصل اللجان المختصة فيها وهى :

١ — أثر الحافز الشخصى

٢ — عدة النجاح لرجل القرن العشرين

٣ — علاج مشكلة البطالة

وننشر فيما يلى أسماء الناجحين فى الموضوعات الثمانية التى فصلت اللجان فيها وقيمة الجوائز التى منحت لكل منهم :

الموضوع الأول — رسالة الأزهر فى القرن العشرين

الفائزون : الأساتذة : أحمد خاكى المدرس بمدرسة الأمير فاروق ومنح ثمانين جنيهاً ، وأحمد توفيق عياد ومنح عشرين جنيهاً ، والأساتذة مصطفى صادق الرافعى ، وعبد الله عفيفى ، ومحمد الهمياوى ومحمد عرفه ، وقد منح كل منهم مكافأة قدرها خمسة عشر جنيهاً . وبلغ مجموع الجوائز فى هذا الموضوع مائتى جنيه

الموضوع الثانى — اللغة والدين والعادات

الفائزون فى هذا الموضوع ثلاثة منح كل منهم ٢٥ جنيهاً وهم الأساتذة : أحمد وفيق ، وزكى مبارك ، ويوسف محمد

الموضوع الخامس — التربية الوطنية الاستقلالية

الفائزون فى هذه المباراة أربعة وقد منح كل منهم ٢٥ جنيهاً وهم الأساتذة : محمود مسعود ، ومحمد جلال ، ومحمد عبد البارى ، والآنسة إيريس حبيب المصرى

الموضوع السابع — تدعيم الحياة الدستورية : قالت لجنة التحكيم فى هذا الموضوع ورئيسها سعادة بهى الدين بركات بك إنه لم يتقدم اليها أية رسالة تستحق أية جائزة

الموضوع الثامن — ترقية الفلاح اجتماعياً : والفائزون فيه أربعة وهم الآنسة ابنة الشاطىء ومنحت الجائزة الثانية وقدرها ٥٠ جنيهاً ، ومنح الثلاثة الآخرون كل منهم ٢٥ جنيها وهم الأساتذة عزيز خانكى بك المحامى ، وعبد الوارث كبير الصحفى ، ويوسف فهمى حلمى

الموضوع التاسع — استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام الفائزات فيه أربعة :

١ — الآنسة سيزا نبراوى وقد فازت بالجائزة الأولى وقدرها ١٠٠ جنيه

٢ — الآنسة نور الهدى الحكيم وقد فازت بالجائزة الثانية وقدرها ٥٠ جنيها

٣ — السيدة إحسان القوصى وقد فازت بالجائزة الثالثة وقدرها ٢٥ جنيها

٤ — الآنسة إيفا حبيب المصرى وقد فازت بالجائزة الرابعة وقدرها ٢٥ جنيها

الموضوع العاشر — النشيد القومى : فاز بالجائزة الأولى وقدرها مائة جنيه الأستاذ محمود محمد صادق ، ومنح الجائزة الثانية وقدرها ٥٠ جنيها حضرة الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، ومنح الجائزتين الثالثة والرابعة وقيمة كل منهما ٢٥ جنيها الأستاذ محمد الهراوى والأستاذ محمد فضل اسماعيل

وقد لاحظت اللجنة فى تقريرها أن أجود الأناشيد التى عرضت عليها لم تخل عن أبيات أو فقرات ضعيفة الى جانب أبيات أو فقرات جيدة ، ولهذا أخذت كل نشيد بمجموعه لا يبعض أجزائه . ثم قالت اللجنة « إنها لم تر حرمان المتبارين من الجوائز بالترتيب الذى وضعته ، لأن المباراة تستلزم بطبيعتها إعطاء الجوائز المقررة للمتفوقين من المتبارين سواء أدركوا الغرض كله أو لم يدركوا إلا بعضاً منه » وقد خالفت بذلك أكثر اللجان

الموضوع الحادى عشر — سلامة الدولة فى حفظ النظام :

فاز فى هذه المباراة اثنان ، ومنح كل منهما ٢٥ جنيها وهما الصاغ على حلمى أحد مأمورى المراكز ، والأستاذ محمود كامل المحامى

العالم المسرحي والسينمائي

٢ – فن السينما

بقلم يوسف تادرس وظريف زكى

فن السينما وفن المسرح

هذا الفن الحديث ما شكله ؟ ما هى الفوارق بينه وبين غيره من الفنون ؟ وما هى أوجه الشبه ؟

إنه يشبه المسرح أكثر مما يشبه أى فن آخر ، فهذا وذاك يؤديان رسالتهما عن طريق ابراز المناظر وتمثيل الممثلين

وقد ذهب بعضهم الى تعداد الفوارق الآتية بينهما وهى :

أولاً – إن التمثيل السينمائى أقرب إلى الطبيعة ، وأبعد عن التكلف

ثانياً – إنه ليس فيه فترات « استراحة » بالمعنى الصحيح تفصل بين منظر ومنظر ، وتتيح للمخرج اعداد المنظر اللاحق

ثالثاً – إنه أقل حاجة إلى الحيل التى يتوسل بها لايهام الناظر ، وأقل لجوءاً إلى المبالغة فى الحركات وفى تغيير ملامح الوجه للتعبير عن مختلف الاحاسيس

رابعاً – انه فى مكنته أن يريك وأنت جالس فى كرسيك المنظر الواحد من نواح مختلفة ومن أبعاد متباينة

خامساً – انه لا يقيده حد من الزمن والمكان

سادساً – المسرح يعتمد على التحليل النفسى والحوار

على أن جميع هذه الفوارق على صحتها لا تعدل فى نظرنا الفارق الأساسى بين الفنين وما اختص كل منهما به ، فان بين ممثل المسرح والنظارة تجاوباً فى الاحساس وتبادلاً فى التأثير ، لا تجد لها شبيها على الشاشة البيضاء

وإذا كان ممثل المسرح كثيراً ما يرضى لنفسه الاكتفاء بأن يسرد عليك فى حديث مع زميله بعض الحوادث التى تقوم عليها القصة ، فان المدير الفنى فى السينما يريك تلك الحوادث متحركة أمام عينيك ؛ وهذا الفارق لا زال صحيحاً حتى الآن وقد نطق الفلم

الكتابة للسينما

لاحظ (بودوفكين) أن كتاب السينما قد اعتادوا أن يحصروا عنايتهم فى سرد الحوادث وأن يلبسوها ثوباً قشيباً من الأسلوب الجميل مستعينين بالوسائل المعهودة فى كتابة الأدب ، غافلين عن امكان تطبيقها على السينما

هذا على حين أن لكل فن وسائله وأصوله ، وأن معالجة الموضوع بحيث يكون صالحاً للاخراج السينمائى أمر من الأهمية بمكان عظيم

زعم بعض الناس أن الكاتب للسينما ما عليه إلا أن يخط مجملاً عن الحادث ، أما التحوير والتبديل فيما خطه بقلمه ، أما جعله صالحاً للسينما ، فمن شأن المدير الفنى وحده ومن واجباته هو دون سواه

ما أبعد هذا الزعم عن الصواب

ومتى جاز أن يقطع العمل الفنى تقطيعاً ! ! وأن يفصل بين مرحلة ومرحلة ! وأن يجعل كل وحدة مستقلة عن الأخرى ، لا تمت اليها بسبب ! !

ألست وأنت تقدم على تناول موضوع بالكتابة تفكر فى نفس الوقت – ولو تفكيراً سريعاً غير واضح – فى كيفية معالجتك له وعن سيرك فيه ؟ بل إن مجرد عقد نيتك على العمل يفرض فيه اتجاه ذهنك نحو بعض خصائصه وتفاصيله

لا نقول إنه يتعين على من يكتب للسينما أن يرشد المدير الفنى عن كيفية التصوير والطبع ، وأن يأمره بما يصور وما يطبع ، إنما لا بد له من معرفة أولية يستطيع معها أن يأتى بموضوع يصلح للاخراج ، وأن يتجنب عوائق قد لا يتيسر تذليلها

ولعله يعثر على مثل تلك المعرفة الأولية فيما ننشر على صفحات « الرسالة » الغراء

(يتبع) يوسف تادرس – ظريف زكى

الفرقة القومية المصرية والمسرح المحلى

لناقد « الرسالة » الفنى

باعد المسرح ما بينه وبين الأدب والأدباء ، لأن أصحاب الفرق التمثيلية — فيما مضى — جعلوا مثلهم العليا الروايات الثائرة العنيفة التى لا تمت إلى الفن الرفيع بسبب ، وكانوا بصفتهم ممثلين ومخرجين يوجهون الفن حسب أهوائهم ، حتى إنه كان لبعضهم مؤلفون من نوع خاص ، وهـذه السياسة التى ساروا عليها جعلت النظارة من المثقفين الذين يطلبون الفن ينفضون عن دور التمثيل ، مفضلين السينما ، وكانت هذه الجناية من أكبر الأسباب التى قعدت بالمسرح وأتت عليه

ومدت الحكومة يدها إلى المسرح لتقيله من عثرته ، وتكونت الفرقة القوميـة المصرية ، وعملت موسماً متقطعاً على مسرح الأوبرا عرضت خلاله عدة روايات من روائع الأدب الغربى

على أن ما عرضته وإن كان جديراً بالتقدير ، لن يؤدى إلى الغاية المقصودة ، فان المسرح إذا عنى بالترجمة والنقل فقط ، لن يكون إلا صدى للمسارح الغربيـة ، والحياة المصرية على تقدمها لن تشبه ولن تبلغ الحياة الغربية ومجتمعاتها وعاداتها

حقاً إن الروايات المسرحية فى كل الأمم غربية أو شرقيـة ترمى إلى بذر الخير فى النفوس واقتلاع الشر من الرؤوس وتغذية القلوب بالعواطف النبيلة بتصوير المثل العليا وتمجيدها وتقويم المعوج من الأخلاق والعادات ، كما تعنى بدقائق الحياة الداخلية ومشاكلها الاجتماعية والتجديد للمستقبل وتوجيـه التطور إلى الناحيـة التى تجدى على الشعب والانسانية ، إلا أن التباين فى العادات يضعف أثر التمثيل فى نفوس النظارة ، ولهذا فان ما تبذله الحكومة من جهد ومال لن يكون له الأثر المنشود مادامت الفرقة تعرض الروايات الغربية

نحن لا ننكر أن اللغة والأدب قد اكتسبا الكثير من نقل هذه الروايات إلى العربيـة ، ولكن المسرح المحلى والاهتمام بتكوينه ليعالج مشاكلنا الاجتماعية ، أهم لدينا من كل ما عداه ، فالمسرح وهو فن من فنون الاجتماع ، يجب أن يؤدى رسالته مستعيناً بالأدب ، لا أن يكون أداة للغة فحسب

والمسرح وهو وسيلة من وسائل الاصلاح يجب ألا ترتفع لغته كثيرا حتى يمكن الشعب أن يتفهمها ، فالمسرح ليس للمثقفين وإنما هو للشعب أولا ، ولذلك فان أكثر الروايات التى أخرجتها الفرقة القومية كانت عويصة على الجمهور مما أدى الى عدم الاقبال المنتظر على حفلات الفرقة

ورب قائل يقول إن الفرقة لم تجد الروايات المحلية التى تتوفر فيها الشروط الفنية حتى تعرضها ، ومعنى هذا أننا سنبقى الأعوام الطويلة ننقل عن الغرب روايات لا تتفق مع عاداتنا وأخلاقنا حتى يبعث الله لنا مؤلفاً عبقرياً موهوباً يقـدم للفرقة الروايات المحلية ، ويومئذ ، ويومئذ فقط ، تقام دعائم المسرح المحلى ! ! !

لا أظن أحدا يرى هذا الرأى أو يقره

إن واجب اللجنة التى تشرف على الفرقة القومية أن تشجع الأدباء والكتاب المسرحيين ، فتدرس رواياتهم وتنبههم الى المآخذ لكى يعملوا على تلافيها ، وإلى مواضع الضعف لكى يعملوا على تقويتها ، ثم تخرج هذه الروايات بعد ذلك على المسرح . ويجب أن يكون لدى هذه اللجنة من الشجاعة ما يجعلها تغامر باخراج الروايات العصرية ما دامت لها بعض المزايا الخاصة

وإن التشجيع المادى والأدبى والمران من بين الأسباب التى تدفع الكتاب المسرحيين إلى أن يشقوا طريقهم نحو الكمال ، وبهذا تكون الفرقة قد أدت رسالتها نحو خلق المسرح المحلى والأدب المصرى الحديث

فهل تعنى اللجنة والفرقة بهذا الاقتراح ؟

سنحاول فى كلمة أخرى التحدث عن الروايات التاريخية والروايات العصرية من حيث التأليف ، ونرجو أن يتسع صدر « الرسالة » الغراء لهذا البحث الصغير ، فقد يكون فيه بعض الفائدة لمن يحاول الكتابة للمسرح

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

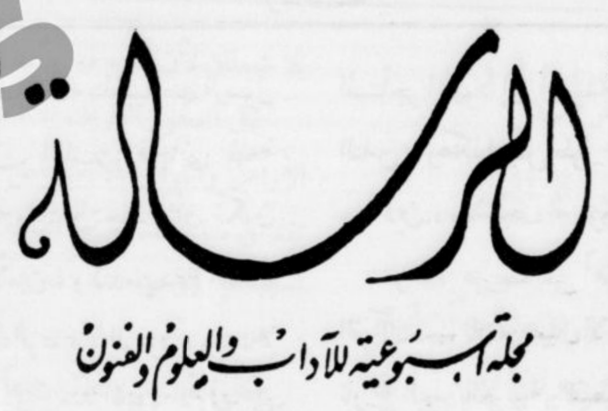
العدد ١٥١ — ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 151.

Lundi - 25 - 5 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique



بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

السنة الرابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ » العـــدد ١٥١

فهرس العــــــدد

صفحة			
٨٤١	أ كل هذا يصنع البرلمان ؟	:	أحمد حسن الزيات ... .
٨٤٣	العجوزان	:	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٨٤٥	تجربة	:	الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى
٨٤٨	قصص الأيام العشرة ...	:	الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٨٥١	عالم الايحاء	:	الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...
٨٥٣	التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الامة	:	الأستاذ محمد عبد البارى ... ...
٨٥٥	عين جالوت	:	الأستاذ عبد الله مخلص ... ...
٨٥٧	اقتراح القريح واجتراح الجريح	:	الأديب السيد أحمد صقر ...
٨٥٩	اليوم السابع من مارس ...	:	الدكتور يوسف هيكل... ...
٨٦٢	ترجمة معانى القرآن الكريم	:	الدكتور عبد الكريم جرمانوس
٨٦٣	أبو الفضل بن شرف ...	:	الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى ...
٨٦٥	الحياة الأدبية فى شرق الأردن	:	السيد جريس القسوس ... ...
٨٦٧	فضيحة القرن العشرين ...	:	الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٨٦٩	سأجىء هذى الدار (قصيدة)	:	الأستاذ فخرى أبو السعود ...
٨٦٩	نشـــيد	:	الأستاذ محمد فضل اسماعيل ...
٨٧٠	نشـــيد	:	الأستاذ محمد الأسمر ... ...
٨٧٠	منظر النيل الأزرق فى بعض بلاد السودان (قصيدة)	:	الأستاذ عبد الله عبد الرحمن ...
٨٧١	هواجس (قصة)	:	حبيب الزحلاوى ... ...
٨٧٣	المثل والمخرج المصرى ...	:	الأستاذ زكى طليمات ... ...
٨٧٧	زجموند فرويد أيضا		
٨٧٨	الأستاذ هنرى روبير . توفيق الحكيم فى الفرنسية		
٨٧٨	وفاة مارمدوك بكتال		
٨٧٩	كنهام جراهام . مباراة أدبية دولية		
٨٨٠	كتاب جديد عن مصر القديمة . ذكرى أمير عالم		

أكُلُّ هذا يصنع البرلمان ؟

قلت للشيخين صالح وعلى وقد لقيتهما فى هوادى الليل يتبختران بميدان إبراهيم فى الحرير الشاهى والجوخ المصقول : آلآن تتركان القرية والقطن يريد العزْق ، والدودة تطلب المراقبة ؟ فتسابقا إلى الجواب كأنما حضَّراه من قبل واتفقا عليه ، فكان كلمة من هذا وكلمة من ذاك . قالا :

جئنا نجتلى طلعة المليك ، ونهنئ وزارة الشعب ، ونشهد برلمان الأمة . ثم قال الشيخ صالح وحده : وجئنا كذلك نبلغ نائبنا المحترم ... رغائب الناخبين ومطالب الدائرة

فلت بهما إلى قهوة من قهوات الميدان تعج بأمثالها من الشيوخ والنواب والتوابع ؛ وبعد شىء من نوافل الحديث كالسؤال عن العشيرة والزرع ، عطفت على جوابهما المشترك بالتعقيب قلت : أما اجتلاء طلعة المليك فجلاء الهم ونعيم الروح وسرور النفس المؤمنة ؛ وأما تهنئة الوزارة فشعيرة الحب المتبادل ، وإعلان الثقة المؤيدة ، وإهلال الرجاء المحقق . وأما تبليغ النائب مطالب الدائرة يا صديقى صالح فما لك تعجل به ، والبرلمان لما

ينعقد ، والنائب مفروض عليه أن يصل نفسه بناخبيه صلة الرسول بالمرسل والوكيل بالموكل واللسان بالقلب ؟ فأجابني بلهجة حاول باتزان إشارته واطمئنان صوته واعتدال جلسته أن تكون مقنعة ، قال : إنا من جنود الوفد الأمين ، وكنا من دعاة النائب المحترم ، توسطنا بينه وبين الناس ، فوعدناهم الوعود ، ومنيناهم المنى ، وبشرناهم النَّصفة ؛ والفلاح درج منذ العهود الأولى على أن يفهم من لفظ (الحكومة) جباية المال وتسخير الرجال وتجنيد الشباب وتغريم المتخاصمين المبطل منهم والمحق . فلم يكد يفهم أن حكومة الوفد هي حكومة الفلاح : ترجع إليه وتعطف عليه وتعمل له ، حتى انثالت علينا شكاويه وأمانيه بالبريد واللسان واليد

قال هـذا وألقى على منضدة رخامية لا تأخذ منها هبَّة الريح ولا مسَّة الكف ، إضبارةً بطينة من العرائض والرسائل ، ثم قال لي : انظر ! فابتدرتها يدى قبل الاستئذان إطاعة لحكم الصنعة ، ثم أخذت أصَفِّحها مع الوسيطين ورقة ورقة

هذه عريضة من أهل قرية طفت على جنباتها الأربع البرك المنتنة ، فأصبحت كالجزيرة الملعونة فى غِسْلين جهنم !

صاحب البرك هو مالك الأطيان ومن أعضاء البرلمان ؛ ورجال الإدارة يرجونه أو يخشونه ، فلا يذكرونه القانون إلا بالتي هي أحسن ؛ والتي هي أحسن لا تساوى عجلاً فى دوار الباشا ! وأهل القرية وبعوض الملاريا فى رأيه سواء ، فلماذا يقتل البعوض ويبقون هم فى الأحياء ؟

وهـذه عريضة من أهل قرية يسكنون المسكن القذر ، ويشربون المشرب الكدِر ، ففشت فى دمائهم جراثيم الانكلستوما والبلهارسيا ، ففزعوا منها إلى مستشفى الحكومة بالبندر ، فكان ما كابدوه من عنت الممرضين والأطباء ، أضعاف ما كابدوه من عنت الأدواء ، ففر الموسر من العلاج بالمجان إلى العلاج بالأجر ، ولاذ المعسر من تعب الإنسان إلى راحة القبر ! !

وهـــذه عريضة من أهل قرية يملك أرضها مُثْرٍ يملك اثنى عشر ألف فدان ، ولكنه منهوم لا يشبع ، وطماع لا يقنع ، وقاس لا يلين ، فهو يشتط عليهم فى أجرة الأرض حتى يأخذ القطن فلا يفى ، ويغتصب أكثر القمح والذرة والأرز ولا يكتفى ، فيضطر المستأجر المجهود إلى أن يدفع الجوع عن أسرته بالعمل أجيراً عند الناس . وهكذا يظل طول عمره دائب العمل ، دائم الفقر ، لا يخف عنه دين ، ولا يجف له عرق .

وهذه عريضة من أهل قرية ليس فيهم كاتب ، وحفاظ القرآن منهم ثلاثة عميان لا يحسبون إلا (النجم) ولا يعرفون إلا تاريخ اليوم بالعربية والقبطية ؛ فاذا اضطرتهم الحال إلى تحرير عرض أو كتابة خطاب سافروا إلى الكتاب العموميين فى عاصمة المركز . فهم يطلبون إلى (البرلمان) أن ينشئ لهم كتابا يحفظهم القرآن ويعلمهم الخط !

ومن خلال هذه العرائض المنطقية الرزينة كان يقع فى يدى أنماط شتى من رسائل الالتماس عليها طابع السذاجة والحاجة ؛ فهذا والد تلميذ فقير يطلب حق ابنه فى المجانية ؛ وهذه أم حنون ترجو إخراج ولدها من الجندية ؛ وهذا تلميذ سابق يريد أن يكون موظفا فى وزارة ؛ وهذا عسكرى قديم يحب أن يكون حاجبا فى محكمة ؛ وهذا تاجر جوال لا تقع قريتـه على الطريق العام يحتم أن تمر بها السيارات العامة ؛ وهذا فلاح يقترح على (البرلمـان) أن يأمر التجار أن يشتروا القطن غاليا ، ما دامت الحكومة لا تأمر الملاك أن يؤجروا الأرض رخيصة .

* * *

كَلَّ النظر من طول القراءة ، وألِمَ الشعور من تناقض الأثر ، والاضبارة الشعبيـة لا تزال وارمة ! فطويتها بعناية ورفق ، ثم قلت لحاملها الأمين الوفى : شكر الله مسعاك ، وأعانك النائب الكريم على إبراء ذمتك . فقال الشيخ على وقد خفق على وجهه الأبلج ظل رقيق من الشك : ولكن بالله قل لى : أكل هذا يصنع البرلمان ؟ فقلت له : ولم لا ؟ إن علماء الدستور قالوا فى برلمـان إنجلترا : « إنه يقدر على كل شيء ، إلا على تحويل الرجل امرأة » وبرلماننا صديقه اليوم وحليفه غدا ، فلم لا يجوز على أحد الحليفين ما جاز على الآخر ؟ فضحك الصديقان وهما ينصرفان . ولا أدرى أكان ضحكهما من سخف القياس ، أم من سخف الناس .

احمد حسن الزيات

٢ - العـجوزان [1]

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدِّثى : ولما لحقت لها أيها العجوزان : أريد أن أسافر إلى سنة ١٨٩٥ ؛ نظر إلىَّ العجوز الظريف (ن) وقال : يا بنىَّ أحسبُ رؤيتك إياى قد دنت بك من الآخرة ... فتريد أن تلوذَ بأخبار شبابنا لتنظر الينا وفينا روحُ الدنيا

قال الأستاذ (م) : وكيف لا تريه الآخرة وأ كثرك الآن فى « المجهول » ؟

قال : ويحك يا (م) لا تزال على وجهك مسحة من الشيطان هنا وهنا ؛ كأن الشيطان هو الذى يُصلح فى داخلك ما اختلَّ من قوانين الطبيعة ، فلا تَستَبِينُ فيك السنُّ وقد نيَّفتَ على السبعين ، وما أحسب الشيطان فى تنظيفك إلا كالذى يكنس بيته ....

قال (م) : فأنت أيها العجوز الصالح بيتٌ قد تركه الشيطان وعلَّق عليه كلمة (للايجار) ....

فضحك (ن) وقال : تالله إن الهرم لهو إعادة درس الدنيا ، وفهمها مرة أخرى فهماً لا خطأ فيه ، إذ ينظر الشيخ بالعين الطاهرة ، ويسمع بالأذن الطاهرة ، ويلمس باليد الطاهرة ... وتالله إن الشيطان لا معنى له إلا أنه وقاحةُ الأعصاب

قال (م) : فأنت أيها العجوز الصالح انما أصبحت بلا شيطان لأن الهرم قد أدَّب أعصابك ...

قال العجوز الظريف : وعند من غيرنا نحن الشيوخ تطاع الأوامرُ والنواهى الأدبية حقَّ طاعتها ؟ عند من غير الشيوخ تقدَّس مثلُ هذه الحكم العالية : لا تعتد على أحد ... لا تفسد امرأة على زوجها ...

* * *

قال المحدث : وضحكنا جميعاً ، وكان العجوز (ن) من الآيات فى الظرف والنكتة ، فقال : تظننى يا بنى فى السبعين ، فوالله ما أنا بجملتى فى السبعين ، والله والله

قال (م) : لقد أهتر الشيخ [1] يا بنى فان هذا من خَرفه فلا تصدقه

قال (ن) : والله ما خَرِفت وما قلت إلا حقاً ، فههنا ما عمره خمس سنوات فقط وهو أسنانى ...

قلت : « وربنا وربت » وسنة ١٨٩٥ ؟

قال الأستاذ (م) : أنت يا بنى من المجددين ، فما هواك فى القديم وما شأنك به ؟

وما كاد العجوز (ن) يسمع هذا حتى طَرَفَ بعينيه [2] وحدَّد بصره الى وقال : أئنَّك لأنت هو ؟ لعمرى إن فى عينيك لضجيجاً وكذباً وجدالاً واحتيالاً وزعماً ودعوى وكفراً والحاداً ؛ ولعمرى . . .

فقطعت عليه وقلت : « لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون » ، لقد وقع التجديد فى كل شىء إلا فى الشيوخ أجساماً والشيوخ عقولاً ؛ فهؤلاء وهؤلاء عند النهاية ، وغير مستنكر من ضعفهم أن يدينوا بالماضى فان حياتهم لا تلمس الحاضر إلا بضعف

قال العجوز : رحم الله الشيخ (ع) . كان هذا يا بنى رجلاً ينسخ للعلماء فى زمننا القديم ، وكان يأخذ عشرة قروش أجراً على الكراسة الواحدة ، وهو ردىء الخط ، فاذا ورَّق لأديب ولم يعجبه خطه فكامه فى ذلك تعلَّق الشيخ به وطالبه بعشرين قرشاً عن الكراسة ، منها عشرة للكتابة وعشرة غرامة لاهانة الكتابة . . .

نعم يا بنى إن للماضى فى قلوبنا مواقع ينزل فيها فيتمكن ،

---

(١) الجمهور من أهل اللغة على أن (العجوز) وصف خاص بالمرأة إذا شاخت وهرمت ، ولكن جاء فى اللسان : « ويقال للرجل عجوز » ونقله صاحب التاج عن الصاغانى . ونحن على هذا الرأى ، ولو لم يأت فيه نص عن العرب لابتدعناه وزدناه فى اللغة ؛ ووجهه عندنا أن الرجل والمرأة إذا بلغا الهرم فقدا خصائص الذكورة والأنوثة فلم يعودا رجلا وامرأة ، فاستويا فى العجز فكان الرجل قميناً أن يشارك المرأة فى وصفها ، فيقع اللفظ عليهما جميعاً .

وإنما امتنع العرب أن يقولوا للرجل (عجوز) وخصوا ذلك بالمرأة تعسفاً وظلماً وطغياناً كدأبهم مع النساء . فاذا شاخت المرأة فقد بطلت أنوثتها عندهم وعجزت عن حاجة الرجل وعجزت فى كثير ونقتها الطبيعة وبرأت منها ، أما الرجل فبالخلاف لأنه رجل وإذا شاخ وبطل وعجز ولم يستطع أن يكابر فى المعنى — كابر فى اللفظ ... وابى أن يقال إنه (عجوز) وزعم أن ذلك خاص بالمرأة . . .

ألا إن هذا تزوير فى اللغة ، وإن كان للرجال عليهن درجة فذلك فى أوصاف القدرة لا فى أوصاف العجز

(١) أى أخطأ فى الرأى من تأثير الكبر

(٢) أى حرك أجفانهما

ولكن قاعدة (اثنان واثنان أربعة) لا تعد فى الماضى ولا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، والحقيقة بنفسها لا باسمها ، وليست تحتاج النار إلى ثوب المرأة إلا فى رأى المغفل

قال الأستاذ (م) وكيف ذلك ؟

قال العجوز : زعموا أن مغفلاً كان يرى امرأته تضرم الحطب فتنفخ فيه حتى يشتعل ، فاحتاج يوماً فى بعض شأنه إلى نار ولم تكن امرأته فى دارها ، فجاء بالحطب وأضرم فيه وجعل ينفخ ، وكان الحطب رطباً فدخَّن ولم يشتعل . ففكر المغفل قليلاً ثم ذهب فلَبس ثوبَ امرأته وعاد إلى النار ، وكان الحطب قد جف فلم يكد ينفخ حتى اشتعل وتضرَّم . فأيقن المغفل أن النار تخاف امرأته . . . وأنها لا تتضرم إلا إذا رأت ثوبها

* * *

قال الأستاذ (م) : إن الكلام فى القديم والجديد أصبح عندنا كفنون الحرب تُبدع ما تبدع لتغيير ما لا يتغير فى ذات نفسه ، وعلى ما بلغت وسائلُ الموت فى القديم والجديد فانها لم تستطع أن تميت أحداً مرتين

لقد قرأت يا بنى كثيراً فلم أر إلى الآن من آثار المجددين عندنا شيئاً ذا قيمة . ما كان من هُراء وتقليد زائف فهو من عندهم ، وما كان جيداً فهو كالنفائس فى ملك اللص لها اعتباران إن كان أحدها عند مقتنيها . . . فالآخر عند القاضى (1)

كلا أيها اللص لن تسمى مالكاً بهذا الأسلوب ؛ إنما هى كلمة تسخر بها من الناس ومن الحق ومن نفسك

يقولون : العلم والفن والغريزة والشهوة والعاطفة والمرأة وحرية الفكر واستقلال الرأى ونبذ التقاليد وكسر القيود إلى آخره وإلى آخرها . . . فهذا كله حسن مقبول سائغ فى الورق إن كان فى مقالة أو قصة ، وهو سائغ كذلك حين ينحصر فى حدوده التى تصلح له من ثياب الممثلين أو من بعض النفوس التى تمثل بها القدر فصوله الساخرة أو فصوله المبكية ، ولكنهم حين يخرجون هذا كله للحياة على أنه من قوتها الموجبة ، تردُّه الحياة عليهم بالقوة السالبة ، إذ لا تزال تخلق خلقها وتعمل أعمالها بهم وبغيرهم ، وإذا كان فى الانسانية هذا القانون الذى يجعل الفكر المريض حين يهدم من صاحبه — يهدم فى الكون بصاحبه ؛ ففيها أيضاً القانون الآخر الذى يجعل الفكر الصحيح السامى حين يبنى من أهله — يبنى فى الكون بأهله

* * *

قال العجوز (ن) : زعموا أن أحد سلكى الكهرباء كان فيلسوفاً مجدِّداً فقال للآخر : ما أراك إلا رجعياً ، إذ كنت لا تتبعنى أبداً ولا تتصل بى ولا تجرى فى طريقتى ؛ ولن تفلح أبدا إلا أن تأخذ مأخذى وتترك مذهبك الى مذهبى . فقال له صاحبه : أيها الفيلسوف العظيم ، لو أنى اتبعتك لبطلنا معاً فما أذهب فيك ولا تذهب فىّ ؛ وما عَلِمتك تشتمنى فى رأيك إلا بما تمدحنى به فى رأيى

قال العجوز : وهذا هو جوابنا إذا كنا رجعيين عندهم من أجل الدين أو الفضيلة أو الحياء أو العفة الى آخرها والى آخره .. ونحن لا نرى هؤلاء المجددين عند التحقيق إلا ضرورات من مذاهب الحياة وشهواتها وحماقاتها تلبَّست بعضَ العقول كما يتلبس أمثالها بعضَ الطباع فتزيغ بها . وللحياة فى لغتها العملية مترادفاتٌ كالمترادفات اللفظية تكون الكلمتان والكلمات بمعنى واحد ، فالمخرِّب والمخرِّف والمجدِّد بمعنى

كل مجدد يريد أن يضع فى كل شىء قاعدةَ نفسه هو ، فلو أطعناهم لم تبق لشىء قاعدة

قال الأستاذ (م) إن هذه الحياة الواحدة على هذه الأرض يجب أن تكون على سنَّتها وما تصلح به من الضبط والاحكام ، والجلب لها والدفع عنها والمحافظة عليها بوسائلها الدقيقة الموزونة المقدَّرة ، والسهلة فى عملها الصعبة فى تدبيرها . فعلى نحوٍ مما كانت الحياة فى بطن الأم يجب أن نعيش فى بطن الكون بحدود مرسومة وقواعد مهيأة وحيِّز معروف ؛ وإلا بقيت حركاتُ هذا الانسان فى معناها كحركات الجنين ، يرتكضُ ليخرج عن قانونه . فان استمر عمله ألقى به مَسْخاً مشوَّهاً من جسد كان يعمل فى تنظيمه ، أو قَذَفَ به ميتاً من جسم كان كل ما فيه يعمل لحياته وصيانته

هذا الجسم كلّه يَشرَع للجنين مادام فيه ، وهذا الاجتماع كله يشرع للفرد ما دام فيه ؛ فكيف يكون أمرٌ من أمر إذا كان الجنينُ مجدداً لا يعجبه مثلا وضعُ القلب ولا يرضيه عمل

(1) فى كتابنا (تحت راية القرآن) كلام كثير عن التجديد والمجددين وما نراه من ذلك حقاً وما نراه باطلاً

الأم ، ولا يريد أن يكون مقيداً لأنه حرّ ؟

أنظر الى هذا الشرطى فى هذا الشارع يضرب مقبلاً ليدبر ومدبراً ليقبل ، وقد ألبسته الحكومة ثياباً يتميز بها ، وهى تتكلم لغة غير لغة الثياب وكأنها تقول : أيها الناس إن ههنا الانسان الذى هو قانون دائماً ، والذى هو قوة أبداً ، والذى هو سجن حيناً ، والذى هو الموت إذا اقتضى الحال

أتحسب يا بنى هذا الشرطى قائماً فى هذا الشارع لجدران هذه المنازل ؟ كلا يا بنى . إنه واقف أيضاً فى الارادة الانسانية وفى الحس البشرى وفى العاطفة الحية . فكيف لا يمحوه المجددون مع أنه فى ذاته ارغام بمعنى ، وإكراه بمعنى غيره ، وقيد فى حالة ، وبلاء فى حالة أخرى ؟

لكنه ارغام ليقع به التيسير ، واكراه لتنطلق به الرغبة ، وقيد لتتمجد به الحرية ؛ وكان هو نفسه بلاء من ناحية ليكون هو نفسه عصمة من الناحية التى تقابلها

يابنى ! كل دين صالح ، وكل فضيلة كريمة ، وكل خلق طيب ؛ كل شىء من ذلك إنما هو على طريق المصالح الانسانية كهذا الشرطى بعينه ؛ فاما تخريب العالم أيها المجددون وإما تخريب مذهبكم . . . .

* * *

قال العجوز (ن) : أنبحث عما نتسلط به أم نبحث عما يتسلط علينا . وهل نريد أن تكون غرائزنا أقوى منا وأشد ، أو نكون نحن أشد منها وأقوى ؟ هذه هى المسئلة لا مسئلة الجديد والقديم

فان لم يكن هناك المثل الأعلى الذى يعظم بنا ونعظم به ، فسد الحس وفسدت الحياة . وكل الأديان الصحيحة والأخلاق الفاضلة إن هى إلا وسائل هذا المثل الأعلى للسمو بالحياة فى آمالها وغاياتها عن الحياة نفسها فى وقائعها ومعانيها

* * *

قال المحدث : ورأيتنى بين العجوزين كأنى بين نابين ؛ ولم أكن مجدداً على مذهب ابليس الذى ردّ على الله والملائكة وظن لحمقه أن قوة المنطق تغير ما لا يتغير . فسكتّ حتى إذا فرغا من هذه الفلسفة قلت : والرحلة إلى سنة ١٨٩٥ ؟

(لها بقية — طنطا) مصطفى صادق الرافعى

تجـــربة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

ماذا ترى يصنع رجل يعشق للمرة الأولى فى حياة صاخبة مضطربة ، ولكنها على كثرة ماجرب فيها خلت من الحب ونجت من زلازلته للنفس ؟ ؟

عن هذا كان يسأل « ميم » — وحسبنا من اسمه حرف واحد — وهو جالس إلى مكتبه ، والفتاة التى يحبها قبالته على الشرفة . والجديد من الأمر يتطلب جديداً من التصرف والتدبير ، ولو كانت له خبرة بالحب ، أو سبق له به عهد ، لقاس حاضره على ماضيه ، وأجراه فى مجاريه . وغريب أن يتقضى شبابه وهو فارغ القلب ، وأن يدركه الحب ويعمر فؤاده بعد أن شارف الكهولة ووقف على بابها ، وأخذ الأبيض يختلط بالأسود ، وبدأ الزمن يرسم خطوطه ! ! وإن كان هو لا يحس شيئاً من ذلك ولا يباليه ، ولا يعرف إلا أنه ما زال فى عنفوان الفتوة

وألقى القلم واضطجع وقال يناجى نفسه ، وهو يضحك ساخراً : « هل أصنع كما يصنعون فى هذه الروايات الكثيرة التى قرأتها ؟ وعلى ذكر ذلك — ماذا ترى أبطال هذه الروايات يصنعون فى حالات كهذه ؟ لقد نسيت والله : فكأنى ما قرأتها ولا وقعت عينى عليها . . . وهبنى كنت أذكر ذلك فهل يصح فى دنيا الحقيقة ما يصف الخيال ؟ »

واستطرد من هذا إلى القول بأن الروايات ليست — ولا يمكن أن تكون — خيالاً بحتاً ، وشيئاً يخلقه الانسان من لا شىء ، ولا يحور فيه إلى أصل من حقائق الحياة ، وأنكر قدرة الانسان على هذا الخلق ، وذهب إلى أن كل ما يسعه هو أن يلفق القصة من جملة ما شهد وجرب وسمع ، وأن يكوّن الشخصيات من أشتات ما عرف ، فليست القصص خيالاً ، ولا ما تصفه محالاً ، وإذن يكون تقليدها ميسوراً . . . أودع كونه ميسوراً أو غير ميسور ، وقل إنه لا يكون شططاً

« ولكن القصص يعنى فيها واضعها بترتيب الأحوال والمواقف على النحو الذى يؤثره هو ، والذى يراه أوفق لغايته ، ومن عسى يرتب لى دنياى كما يرتب مؤلف القصة دنيا أبطاله ؟ ؟

أم أستشير صديقاً مجرباً ؟ ؟ ؟ ولكن هذا مخجل ! ! ثم إن العبرة بنوع استجابة الفرد لوقع الحياة فى نفسه ؛ والاستجابة تختلف باختلاف الأفراد . والذى يفعله إنسان ما ، فى موقف ما ، ليس من الحتم — ولا من المعقول — أن يفعله كل إنسان فى الموقف عينه

فالاستشارات عبث ولا خير فيها ، ولا جدوى منها إلا الفضيحة . . . الفضيحة ؟؟ . نعم . أليس فضيحة أن تفتح قلبك لمخلوق غيرك ، وأن تبيحه سرك ، وتكشف له عن ضعفك ، وتدع عينه ترى مقاتلك ؟ ؟ ولكن هل معنى هذا أن الحب ضعف ؟ ؟ نعم . لأن فيه إفناء شخصية فى أخرى — الى حد ما على الأقل — ولم أكن هكذا قبل أن أبتلى بهذا الحب . وانى الآن لأرى حياتى كلها رهناً بمخلوق آخر لا أعرفه ولا يعرفنى ... فكيف لا يكون هذا ضعفاً ؟ ؟

وعلى ذكر ذلك من تكون هذه المحبوبة التى غيرتنى وأورثتنى هذه الهواجس والوساوس ؟ ؟ . وجعلت من نفسها المجهولة قطباً تدور عليه خواطرى جميعاً فى اليقظة والمنام ؟ . . .

واستغرب من نفسه أنه لا يعرفها ، وأنه مع ذلك لا يعنى بسواها ، فى حى يعرف من إحصاء البوليس أن فيه مائتى قهوة ومائة وعشرين ألف نفس ، أى دائرتين انتخابيتين . « ولو مات أهل الحى لما حزن عليهم ، ولا أسى لهم ، ولا أحس نقصاً أو خسارة ، ولا أسف إلا على خلو الحى وخرابه وقعوده هو فيه وحده على تله ! ولكنه لو علم أن هذه الفتاة جرح أصبعها أو أصابها زكام ، أو وعك ، لبات مسهد القلب كاسف البال ، بل لاسودت الدنيا فى وجهه — ومع ذلك لا يعرفها : ! لا اسمها . . ولا دينها . . ولا شيئاً عن قومها . . . وكل ما يعرف هو أنه يراها من نافذة غرفته وهو جالس الى مكتبه يقرأ أو يكتب . . . وأنه ألف أن يبصرها ، وصار على الأيام يطيل النظر إليها وهى واقفة على الشرفة العالية ، حتى اعتاد أن يراها على الأيام ، وحتى صارت نفسه تستوحش إذا دخلت أو غابت . وجعل يلاحظها بعد ذلك فادهشه منها أنها لا تكاد تغادر بيتها ، فما رآها خارجة إلا مرة واحدة فى شهور طويلة — مع أمها فقد كانت تلك أمها بلا شك — وهى مع ذلك من السافرات ! ! وزاد دهشته أنه كان يراها فى الأغلب جالسة فى الشرفة وفى يدها كتاب ... كتاب لا مجلة !! . ترى أى كتاب أو كتب تقرأ ؟؟ . لا شك أنها روايات .. وهل للفتيات صبر على غير ذلك ؟ ؟ . وللسن حكمها ... وسنها الصغيرة تغريها ولا شك بإيثار القصص والروايات لأن حياتها جديدة فهى تروم أن تعرفها معرفتها ؛ وتظن أن الروايات أخصر الطرق وأوجزها الى هذه المعرفة . . . ثم إن الروايات تصف كل هو ما هو حبيب الى الشباب وقريب من هواه

وصار يأنس بمنظرها ، ويرتاح إذا بدت لناظره ، ويشعر بالفراغ حوله — وفى نفسه — إذا خلا مكانها ، أو لم تظهر على الشرفة أو من النافذة . وأدهى من ذلك أنه صار يحس من نفسه العجز عن العمل والتفكير إذا لم تأخذها عينه فى محلها المألوف من الشرفة

واستحيا أن يسأل عنها جارا ، أو خادما ، أو أحداً من الناس — وماذا عسى أن يقول لهؤلاء ؟ ... وبأى شىء يسوغ السؤال ؟ ؟

وفرك عينيه بأصابعه ، وهو يدير هذا كله فى نفسه ، ثم أطبق جفونه وراح يحاول أن يحضرها لذهنه ، كما تبدو له من النافذة أو الشرفة المألوفة ، . . فلم يجد عناء فى ذلك ، فقد كانت الصورة مطبوعة على صدره ... وذكر قول العقاد فى قصيدة مرقصة له :

ذهبىّ الشعر ساجى الـ طرف حلو اللفتات

فأما أنها ذهبية الشعر فنعم ! وأما أنها ساجية الطرف فلا .. فان فى نظرتها — حتى على هذا البعد — لقوة ، وإن كان لم ير أحلى من نظرتها ولا أسحر للب حين تبتسم ، ويشرق وجهها الواضح الصبيح ، وإنه ليراها الآن كما كانت يوم ضحكت وتثنت ، وكانت معها أختها — لابد أن تكون هذه أختها الكبرى فان فيها منها مشابه . والأرجح أنها متزوجة فانها لا تزور هذا البيت إلا غبّا — وتالله ما كان أحلاها يومئذ ! ! لقد كانت فى ثوب وردى اللون محبوك ، مفصل على قدها تفصيلاً يجلو محاسنها كلها ويعرض مفاتنها جميعا . . . وكان نحرها يضىء — وثدياها الناهدان يبدوان من تحت الثوب بارزىْ الحلمتين ... إيه ما أعظم فتنة هذا الجسم الغض الجديد الذى لم تبتذله السن ، ولم يرهله الزواج ... وكان شعرها الوحف الأثيث الناعم اللامع مرخى ... وكان الضوء المراق عليه يخيل للناظر أن فيه نجوماً زهرا ، أبهى وأسنى من نجوم السماء . . . وكان وجهها الدقيق المعارف . . . (يا ويلى من هذا الفم الذى لم يعرف الأصباغ ، وهو مع ذلك يبدو لى كأنما غذته الورودُ) متهللا . وقد لانت نظرتها القوية ، وفقدت

حدتها المألوفة ، واعتاضت منها الرقة ، وبدا خداها كأنهما غلالتا ورد . . . آه . . ماذا يقول هذا الشاعر مهيار ؟ ؟

آه على الرقة فى خـدودها ، لو أنها تسرى إلى فؤادها !!

صحيح . . . . . وليت من يدرى كيف فؤاد هـذه الفتاة الرائعة الرقيقة الخدين اللينة النظرة حين يسرّها شىء . . . . . أرقيق هو يا ترى تكديها ؟ ؟ أم . . . كلا ! ! لا يمكن أن يكون إلا رقيقاً ! . ولـكن لماذا ؟ ؟ . على كل حال لا يزال أوان السؤال بعيداً . . أوه بعيداً جداً . . وما حاجتى إلى الاطمئنان من هذه الناحية ، ولا صلة هناك ، ولا كلام ، ولا حتى إشارة ؟ ؟ .

وقام يتمشى فى الغرفة الواسعة المكظوظة بالرفوف والمقاعد وغير ذلك ، وحدثته نفسه — وهى تعابثه — أن يركب الحياة بما يركبها به الشباب ، فضحك وقال . . لم يكن باقياً إلا هذا . . أمسح لهـا شعرى بكفى . . . . أو أعبث على مرأى منها بوردة أرجوانية « كتفاح خدها الارجوانى » كما يقول البحترى ! ! . أو أبعث إليها مع النسيم بقبلة . . . . أو هو هو هو ! ! .

وقهقه وهو يتخيل نفسه فاعلاً ما يفعل الشبان والاحداث . ثم أشعل سيجارة وارتمى على مقعد وثير وسأل نفسـه : « أتراني أحتقر الشبان وأسخر مما يصنعون ؟ ؟ . وماذا أرى الحـكمة والاتزان والوقار والاحتشام أجدانى ؟ . . أو يمكن أن يجدينى ؟ . . هه ؟ . ومع ذلك لم لا أفعل كما يفعل الشبان . . أتراني هرمت ! . كلا ! . فمـا جاوزت السابعة والثلاثين ، وإن كان الـكثير من شعرى قـد حال لونه ، وإنى لأقوى وأعظم جلدا على الحياة والـكفاح من ابن عشرين . . . . ولـكنها عادة الاحتشام — قبحها الله !

ولم يرقه أن يقطع نفسه حسرات هكذا ، فقال . . لـماذا أرخى لنفسى الطِـوَلَ . . . وهى ؟ ؟ أكبر الظن أنها لا تراني ، ولا تعبأ بى إذا رأتنى ، ولا يرد ذكرى على بالها ، وإن كنت أراها أول ما يجرى بخاطرى فى الصباح ، وآخر شىء يجريه خاطرى بالليل .. أفلا يحسن أن أكبح نفسى عن هوى عقيم ؟؟ ولـكن لماذا أدع العاطفة تستنفد نفسها . . لا مانع فيما أرى ، لو أن من الممكن أن تستنفد نفسها . . . وهيها يمكن أن تفعل ، فانى أخشى أن تورثنى حسرات كثيرة . . . ولهفات ثقيلة . . الأرجح مع ذلك أن تعمق العاطفة مجراها فى النفس وإن كان لا مدد لها من المحبوب . فان فيها — بمجردها — للذة تترك المرء كالجمل حين يجتر ما فى جوفه ويعيد مضغه مرة وأخرى . . وهل قتل المجنون وأمثاله من صرعى الهوى إلا هـذه اللذة التى كانوا يجدونها فى حبهم والتى كانت تغريهم بأن يحملوا لها غذاء ومدداً من نفوسهم ؟ . . .

وابتسم وهو يقول . . لست أحب أن أكون أحد هؤلاء المجانين الذين أتلفهم الحب وقتلهم العشق . . . فقد كانوا حقيقة مجانين ... ولـكن ليتنى أعرف حيلة !! والبلاء أن حياة المجتمع ما زالت كما كانت ، وإن كان النساء قد سفرن ! ومن النادر جداً على الرغم من هذا السفور أن يتيسر التعارف فى مجتمعات مختلطة . إذن لهان الأمر وأمكن السعى

وقال وهو يضحك « لم يبق إلا السحر » ثم عبس ونهض وقال لنفسه إن التعبير بالسحر فيه تجوز كثير ، ولـكن فى الوسع تغليب إرادة على إرادة ، وأداء رسالة من نفس إلى نفس أخرى .. أعنى أن الايحاء حقيقـة ثابتة لا شك فيها — نعم لا يشك فيها إلا جاهل — وفى مقـدورى ولا ريب أن أوحى إلى هذه الفتاة العاطفة التى تخامر نفسى ، وأن أبلّغها رسالة قلبى ، وأن أوقد فى صدرها ناراً كالتى تتسعر فى قلبى . . . أفعل كل ذلك بعينى . . . ألست قد أنمت مرة خادماً كان عندى وأمرته ألا يستيقظ إلا بعد صلاة الجمعة ؟؟. ألست قد جربت فعل نظرتى فى نساء كثيرات ؟. ألم تصح إحداهن وقد أطلت التحديق فى عينيها « حوّل عينك عنى ، فانى لا أطيق نظرتها وأحس أن رأسى يدور » ألم تصرخ إحدى قريباتى دون أن تحول عينيها عنى ، لأنى كنت أحدق فى عينيها على غير قصد ؟ ؟ . فهذه قوة مجرّبة ... قوة نفسية لاشك فيها . . وما أظن إلا أنى قادر على أن أوحى اليها الحبَّ . . وكل شىء بعد ذلك يهون . . نعم إن بيننا لبعداً . . . ولـكن ما قيمة هذا ؟ ؟ . إنها موجة نفسية أرسلها اليها ، لا شرارة قصيرة ... ولـماذا يمكن إرسال موجة من آخر الدنيا ، ولا يسهل إرسالها مسافة ثلاثين أو أربعين متراً ؟ ؟

واقتنع بأن ذلك ميسور ، فانشرح صدره ، وأشرق وجهه ، واعتزم أن يجرى هذه التجربة

وسأبلغ القارىء ما يكون — إذا كان شىء

ابراهيم عبد القادر المازنى

من روائع عصر الإحياء

٢ـ قصص الأيام العشرة

بقلم جوفانى بوكاشيو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بقية ما نشر فى العدد الماضى

يستطيع أولئك الذين قرأوا قصص بوكاشيو وألف ليلة وليلة ، أن يجدوا بعض نواحى الشبه بين الأثرين ، سواء فى المادة أو الروح ؛ ذلك أن قصص الأيام العشرة تفيض كقصص ألف ليلة وليلة بروح مادية قوامها السرور والمرح ، والتوفر على استمراء متاع هذه الحياة بأى الوسائل ؛ وتفيض أيضا كألف ليلة وليلة بالمواقف الغرامية المدهشة المثيرة ، أو المبتذلة أحياناً ؛ ثم إن كلا الأثرين يرمى إلى غاية واحدة تقريباً . وهى مجالدة النوائب والنسيان والسلوى ؛ ففى ألف ليلة وليلة نجد ملكا نكب بخيانة زوجه ، وانقلب إلى بغض النساء ، يتسرى فى كل ليلة بكرا ثم يقتلها فى صباح اليوم الثانى ، إلى أن يبعث اليه وزيره بابنته « شهر زاد » ، فتحتال لتسلية الملك وتحويله عن فكرة الثأر من النساء ، وانقاذ نفسها وبنات جنسها ، بأن تقص عليه فى كل ليلة طرفاً من القصص الشائق حتى ألف ليلة وليلة ؛ وفى الأيام العشرة نجد عشر سيدات وسادة يجتمعون أثناء الوباء الروع للترويح عن أنفسهم وتناسى ويلات الفناء والموت ، بتبادل القصص الممتع

ولا نعنى بذلك أن جوفانى بوكاشيو قد تأثر فى كتابة قصصه بألف ليلة وليلة ؛ ذلك أن هـذه القصص الشهيرة لم تكن قد عرفت فى الغرب فى عصره ؛ ولكنا نريد أن نقول فقط إنه يوجد بين الأثرين تماثل فى الروح والطابع والغاية يرجع إلى تماثل فى روح العصور الوسطى وفى روح مجتمعاتها

على أنه إذا كانت قصص ألف ليلة تمتاز أحياناً بخيالها البدع ، وفنها الممتع ، وصورها الوصفية والاجتماعية الشائقة ، فان قصص الأيام العشرة تفوقها من الناحية الفنية فى مواطن كثيرة ، وتمتاز بالأخص بعبرها ومغازيها الدقيقة ، وصورها الفكهة اللاذعة ، ومع أنها تمتاز أيضاً بكثير من التنوع والتباين فى التصوير والوصف ، فانها تمتاز فى نفس الوقت بطابع من التناسق الممتع فى الروح والأسلوب والتعبير

وقد رجع بوكاشيو فى كتابة قصصه إلى مادة غزيرة من القصص القديم وقصص العصور الوسطى ، وإلى بعض الحوادث الواقعية التى شهدها ، وإلى بعض حوادث حياته ذاتها ؛ ويرى بعض النقدة أن الفتيان الثلاثة الذين اتخذهم بوكاشيو أبطالاً لثلاثة من الأيام العشرة ، انما يمثلون ثلاث مراحل مختلفة من حياة بوكاشيو نفسه ، وأن فى قصصهم كثيراً مما اشتق من حياة بوكاشيو ذاتها

وبدأ بوكاشيو كتابة قصصه كما قدمنا ، أيام عصف الوباء بمدينة فلورنس فى ربيع سنة ١٣٤٨ ، وأنجز الثلاثة أيام الأولى منها فى مايو سنة ١٣٤٩ ، وهو يومئذ بنابل ، كما يستدل من خطاب الاهداء الذى يوجهه عن هذا القسم إلى صديقه الساندرو دى باردى التاجر الفلورنسى ، وكان يقيم يومئذ فى جايتا ؛ وانتهى من كتابة مؤلفه فى سنة ١٣٥٣ ، أعنى لخمسة أعوام من البدء فيه ؛ وظهرت الطبعة الأولى من هذه المجموعة الخالدة فى سنة ١٤٩٢

***

وقصص الأيام العشرة تجرى حوادثها فى جميع المدن الأيطالية وفى بلاد بعيدة أخرى مثل البرتغال أو انكلترا والاسكندرية وآسيا الصغرى ؛ وقد اختصت فلورنس موطن المؤلف ، وكذلك نابل حيث عاش بوكاشيو مدى حين ، بكثير منها ؛ وفى كثير منها نجد صورا ممتعة لمحاسن الطبيعة فى تلك الأرجاء ، ووصفاً شائقاً فكهاً لمجتمعات هذه العصور وخلالها ومثالبها

كذلك تقـدم الينا هذه القصص أبطالاً من كل صنف وضرب ؛ فهنالك مجتمع العصور الوسطى بكل طوائفه وشخصياته ، من سادة وفرسان وأحبار وقسس ، وشعراء وفنانين ، وصناع وعمال ولصوص ، ونساء من كل ضرب ؛ وهنالك شخصيات الطبقة العليا من ملوك وأمراء ، وسادة وملكات وأميرات وسيدات

أنيقات من كل الطبقات . وهنالك طائفة كبيرة من ملوك وأمراء معينين معاصرين وغير معاصرين

ونجد مثل هذا التباين فى موضوعات القصص ؛ ونلاحظ أولا أن القصص كلها بعيدة عن الاسهاب الممل ، وقد صيغت فى أحجام متقاربة ، من خمس صفحات الى عشرين ؛ بيد أن هذا الايجاز فى الحجم لم يحل دون حسن السبك ، ففى كل قصة فكرة طريفة ، وفى كل نادرة فكهة ، وحادثة مطربة . وهنالك تنوع ظريف فى الحوادث والفكر ؛ بيد أنه يلاحظ أن القصص الغرامية تشغل أكبر حيز وتفوز بأكبر نصيب ، وربما كانت تسعة أعشار المجموعة كلها . وهنا تبدو براعة بوكاشيو وفنه بصورة بارزة ؛ فهذه المجموعة الغرامية الحافلة بعيدة عن التماثل الممل ، وفى كل منها نجد مأساة أو مهزلة غرامية طريفة ؛ وربما صيغ بعضها فى أثواب مغرقة ، وتضمنت فكرا أو مواقف مستحيلة ، ولكنها على العموم تنفث نفثش السحر والمتاع

وهذا الأفق الغرامى الساحر هو الذى يسود قصص الأيام العشرة ؛ وهنا يبدو بوكاشيو فى ذروة فنه وسحره ؛ فالحب هو قوام المجتمع ، وهو متاع الحياة ، والحب عند المرأة والرجل معا بكثير من البراعة والعزم والخيانة والشجاعة والكرم ، والاقدام والغدر ؛ وفى أحيان كثيرة يمزج بوكاشيو المأساة بالهزل والفكاهة ؛ فهنا زوجة خؤون تدبر أن يضرب زوجها فى نفس حديقته من يد حبيبها ، وتحمله على منازلته كمنوان على الاخلاص والحب ؛ وهنا طالب عاشق يسير طول الليل فوق الجليد جيئة وذهابا ، بينا تحدجه الحسناء وحبيبها باسمين من وراء النافذة ؛ وهذا قس ساذج تستخدمه زوجة عاشقة دون أن يدرى فى توثيق علائقها بحبيبها المنشود وتدبير وسائل التمتع بوصله ؛ وهذه زوجة خبيثة تدبر لحبيبها الوصل فى منزلها وفى فراشها ، بينا زوجها يضرع الى ربه مستغفرا عن ذنوبه فى مكان آخر من الدار ؛ وهذا قس خبيث يفترس فتاة ساذجة تحت ستار الوعظ والهداية ؛ وهذه راهبة مضطرمة تحتال لاقتناص جنان الدير حتى توقعه فى شرك وصالها ، وغير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره

ومما يلاحظ بنوع خاص أن بوكاشيو يحمل على الأحبار والقسس بشدة ، وينوه فى كثير من المواطن بأخلاقهم الفاسدة وشهواتهم الوضيعة ، يستروها تحت ثيابهم ومظاهر ورعهم الغادرة ؛ واليك كيف يعرض بوكاشيو نظريته فى خبث رجال الدين على لسان بانفيلو أحد الفتيان الثلاثة إذ يقول :

« سيداتى الحسان ، لقد خطر لى أن أقص عليكم حديثاً ضد أولئك الذين يسيئون إلينا دائماً ، دون أن نستطيع نحن الانتقام منهم ؛ وأعنى بذلك رجال الدين الذين أعلنوا حرباً صليبية على زوجاتنا ، والذين إذا ظفروا بواحدة منهن ، تصوروا أنهم قدغنموا غفران الذنب والعقوبة ؛ وفى ذلك يعجز الدنيون عن مقابلتهم بالمثل ، وإن كانوا يصبون جام انتقامهم على أمهات القسس وأخواتهم ، وخليلاتهم ، وبناتهم ، ويطاردونهن بمثل الحماسة التى يطارد بها القسس أزواجهم »

فيجيب زميله فيلوستراتو : « إن الحياة الفاسقة الدنسة التى يحياها رجال الدين ، وهى فى كثير من نواحيها عنوان دائم للخبث ، تقدم بكل سهولة فرصة لذوى العقول ليحملوا عليها ويجرحوها »

ويقدم الينا بوكاشيو مجموعة متباينة من القسس الذين فاضت نفوسهم بأروع صنوف الاجتراء والاثم ، ويصور لنا خبائثهم ودسائسهم وتحيلهم على استباحة الأعراض بكل الوسائل ، واستتارهم فى ذلك باسم الدين ؛ كذلك يقدم الينا طائفة من الراهبات اللائى يضطرمن وراء جدران الدير توقاً وجوى ، ويلتمسن تحقيق شهواتهن بأخس الوسائل ؛ وفى هذه القصص الكنسية يبدو بوكاشيو فى ذروة فنه وسخريته اللاذعة ، ومع أنه يشتد فى حملته على الكنيسة وأحبارها ، فانه يحيط هذه الصورة الخبيثة بكثير من الدعابة والمرح

وقد أثارت هذه القصص المثيرة سخط الكنيسة الكاثوليكية على الكتاب ومؤلفه ، فوضعته فيما بعد فى قائمة الكتب المحظورة ؛ ولكنها لما رأت بعد ذلك أن هذا الحظر لم يحل دون ذيوع الكتاب ، سمحت بظهوره فى القرن السادس عشر فى ثوب مهذب رفع منه القسس والراهبات واستبدلوا فى صلب القصص الأصلية بسيدات وسادة

***

وقد كتب بوكاشيو قصصه بكثير من الحرية والبساطة ؛

وإذ كان معظمها يتحدث عن الحب والوصل ، فان مؤلفها لم يحاول تحفظاً فى وصف المناظر والصور ، ولم يحاول تكلفاً فى اللفظ أو التعبير ؛ وعلى ذلك فقد يبدو لنا أن قصص الأيام العشرة تخرج فى كثير من المواطن عن حدود الحياء والحشمة ؛ والواقع أن بوكاشيو يحدثنا عن الحب وعن الوصل ، وعن العلائق والشهوات الجنسية فى كثير من البساطة والصراحة ، ويقدم إلينا هذه الصور الغرامية المضطرمة عارية لا يسترها لفظ أو تحشم ؛ ولكن هل يجوز لنا مع ذلك أن نعتبر قصص بوكاشيو أثراً خليعاً ينبو عن معيار الحياء والحشمة والخلق الرفيع ؟ لقد وجهت هذه التهمة إلى قصص بوكاشيو منذ ظهورها ، ومازالت توجه إليها فى عصرنا ؛ واضطر بوكاشيو نفسه أن يجيب عنها فى خاتمة مجموعته ، وأن يبرىء نفسه من قصد العبث والاسفاف

يقول النقدة ، لقد تحدث بوكاشيو كثيراً عن الحب ، وأسرف فى ملق النساء واسترضائهن ؛ ويجيب بوكاشيو ، ولماذا لا ؟ لقد ملق النساء أذهان عظام مثل جيدو كافالكانتى ودانتى الجييرى ، وألفوا فى استرضائهن متعة وشرفاً

ويقولون إن بوكاشيو استباح لنفسه وصف المناظر الجنسية المثيرة ، واستعمل ألفاظاً تنبو عن الحياء والحشمة ؛ ويقول بوكاشيو إنه ينكر هذه التهمة ، « لأنه لا يوجد ثمة شىء قبيح يحظر على إنسان ما ، إذا استطاع أن يخرجه فى صيغ مقبولة ، وهذا ما يلوح أنه قد فعل بصورة مرضية »

ويقولون إن هذه القصص تثير فساداً وتحدث ضرراً ؛ ويقول بوكاشيو ، إن كل شىء فى الوجود يمكن أن يحدث الخير والشر ؛ فمن ذا الذى لا يعرف أن النبيذ وهو من أفضل مقومات الصحة ، مضر بالمحمومين ؟ وهل لنا أن نقول إنه ضار لأنه يؤذى المحمومين ؟ ومن ذا الذى لا يعرف أن النار مفيدة بل ضرورية للانسان ؟ وهل لنا أن نقول إنها شر لأنها تحرق الدور والقرى والمدن ؟ كذلك تكفل الأسلحة سعادة أولئك الذين يريدون العيش فى سلام ؛ ولكن الأسلحة كثيرا ما تودى بحياة الناس ، لا لخبث فى ذاتها ، ولكن لخبث أولئك الذين يستعملونها . ثم يقول بوكاشيو : فاذا كان ثمة فى الأيام العشرة قصص مثيرة أو خارجة ، فانه لا ضير من وجودها ، ولم يكن فى وسعى أن أكتب غير ما سمعت ؛ ولا عصمة لانسان ؛ وفى الحقل النضر تنمو الأعشاب الضارة ؛ ولما كنت أقصد أن أحدث فتيات الشعب ، فانه لم يكن ثمة داع للتكلف والبحث عن الصيغ والعبارات المنمقة

هكذا يعتذر بوكاشيو عما عسى أن يبدو فى قصصه من خروج على حدود الحياء والحشمة ؛ بيد أنه مهما كانت الملاحظات التى تبدى فى هذا الشأن ، فانه لا ريب أن قصص بوكاشيو ، تعتبر من أقيم الآثار العالمية وأبدعها وأمتعها

وقد كان لمجموعة الأيام العشرة أعظم الأثر فى تطور النثر الايطالى ، وتطور فن القصص الأوربى بوجه عام ؛ وما زالت آثار بوكاشيو تعتبر الى جانب آثار دانتى وبترارك ، قوام الأحياء الأوربى ، والصرح الأول فى بعثه وازدهاره

(تم البحث — النقل ممنوع) **محمد عبد الله عنان**

عالم الايحاء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إذا مُجِّد المنطق أمام الانسان فى الحياة نشأ على احترام المنطق إلى حد كبير، حتى ليعد العقل كأنه طاحونة منطق، وحتى يظن أن وسائل التأثير مقصورة على مقتضيات المنطق وأن لا اقناع إلا الاقناع المنطقى، ويخفى عنه أثر الايحاء الذى يتخذ قوى النفس وميولها ونزعاتها وعواطفها وإحساسها وسائل يستخدمها بطرق تعجز أحياناً تتبع المنطق وتقصيه . وإذا اعتقد الانسان أن الحياة مؤسسة على أسس من المنطق فحسب، وفاجأته بعكس هذا الاعتقاد إذا اختبرها، صعب وقع تلك الخبرة فى نفسه . فان تجاريب المرء فى الحياة تعلمه أن الحياة ليست مؤسسة على الاقناع المنطقى فحسب، وإن المنطق نفسه يستخدم لكل غرض حتى غرض الايحاء، وإن المنطق خليق أن يشبه بالخادم الذى يعمل فى بعض البيوت فيغسل أماكن دورات المياه تارة، وتارة يطهى ويقدم الطعام للأسرة والزوار . والحقيقة هى أن للايحاء أثراً كبيراً فى الحياة حتى إنه ليسيطر على المنطق فى بعض الأحايين ويستخدمه لأغراضه، وفى بعض الأحايين يغرى المرء بعكس ما يغرى به الاقناع المنطقى

وقد يعتمد المرء على مقتضيات المنطق لنيل العدل بين الناس فى الحياة أو ما يراه عدلاً؛ فاذا لم ينله انهارت دنياه ودهش إذا لم يكن عالما أن وراء حياة المنطق حياة أخرى تدين للايحاء، وان عليه أن يحدد موقفه فى عالم الايحاء هذا، وأن يتخذ عدته له وأن يبحث مخبآته وأسراره، فان قيمة الناس والقضايا فى ذلك العالم ليست إلا بقدر ما تستطيع أن تستخدمه من وسائل الايحاء ومؤثراته، ولا يخلو أحد فى الحياة من الخضوع لعوامل الايحاء والتأثر بها سواء فى ذلك التاجر والموظف

يحكى أن أشعب الثقفى قد أولع الغلمان بما كسته يوماً فقال لهم ليصرفهم عنه : إن فى شارع كيت وكيت أفراح عرس تنثر فيها الدنانير على الجمهور؛ فصدق الغلمان قوله وتركوه وجروا إلى المكان الذى وصفه فى قوله، فلما رأى أشعب تصديق الغلمان أغراه ذلك وجرى خلفهم إلى المكان الذى وصفه فى قصته التى لفقها كى يصرف الغلمان عنه . والناس فى الحياة على شاكلة أشعب فيما يشيعون من الخير والشر عن أنفسهم أو عن غيرهم، يقولون ما ليس بحق ثم يصدقونه إذا رأوا تصديق الناس له، وهذا بسبب تأثير الايحاء فى أنفسهم . ولا يستطيع المرء أن يفهم الناس إلا إذا فهم هذا الايحاء، وإلا إذا فهم أن النفس قد تجمع بين النقيضين فى وقت واحد، فتجمع مثلاً بين أثر الايحاء وبين الدليل المنطقى الذى ينقضه

خذ مثلاً آخر : يقول لك على إن أحمد قد هجاك، وأنت تعرف أن علياً كاذب فيما نقل عن أحمد، ولكن من المستطاع أن تجمع فى نفسك بين تكذيب على وبين الامتعاض من أحمد الذى تعرف براءته، والامتعاض هذا من أثر الايحاء

والانسان يستطيع أن ينقل الكلام المحكى من عالم المنقول إلى عالم المدرك بالحسِّ بسبب أثر الايحاء أيضاً، حتى إنه لو قيل لجماعة إن انساناً ينظر اليهم شزراً لم تعدم بينهم من يرى ذلك أو يظن أنه يرى ذلك وإن لم يحدث؛ وبعض الناس أكثر تأثراً بالايحاء من غيرهم . وقد حكى أن بعض فقراء الهنود يرمون بحبل إلى السماء فيظل ممدداً حتى يستطيع غلام أن يصعد الى طرفه الأعلى؛ وفسر بعض الكتاب هذه القصة بأنها من أثر الايحاء فى نفوس بعض النظارة، وبسبب أن المرء ينقل الكلام المنقول المحكى إلى عالم حسه فتنشأ دعوى المشاهدة . وهذه الصفة فى الانسان كثيراً ما تخدعه ويخدع بها غيره من الناس فى أمور كثيرة من أمور الحياة . وقد ينخدع بها ويصدقها وهو يعرف أنها وهم؛ وقد يجمع بين تصديقها وتكذيبها فى نفسه فى وقت واحد

ويعتقد كثيرون أن الايحاء يؤثر فى الحيوان أثره فى الانسان . ومن المشاهد أن احساسات الانسان من ذعر أو حب أو فرح أوخوف قد تنتقل الى الكلاب مثلاً عن طريق الايحاء . وقد بالغ بعض الناس فادعى أن أثر الايحاء قد ينتقل الى الجماد أيضاً . وعلل إسقاط كهنة زنوج أواسط افريقية الأمطار بهذا الأثر . والعلم لله فى هذا الأمر

وترى الجهال فى الحياة يستخدمون وسائل الايحاء لمنفعة

النفس أو منفعة الصديق ومضرة العدو بطرق منظمة تحسبها نتيجة دراسة الايحاء والبحث فى علم النفس، وما هى بنتيجة دراسة وعلم، ولكنها السليقة التى تبصر الانسان بوسائل الايحاء. ولو علم الصائلون بإيحائهم المقتدرون به الجالبون لأنفسهم ولأودائهم به الخير أن بين العامة من لا يقل قدرة عن الخاصة فى استخدام الايحاء ما افتخروا بمهارتهم فى استخدام وسائل الايحاء ولا عدوها من دلائل العقل والحكمة، ولا حسبوا أنهم فازوا فى الحياة بهما. ولو علم العقلاء الحكماء أن وسائل الايحاء أقرب الى النجاح من وسائل العقل، وأن الايحاء يستمد من السليقة ما غالوا بعقلهم وحكمتهم كل المغالاة، ولا حزنوا إذا أبصروا انخذال وسائل العقل وانهزامها أمام وسائل الايحاء

والتأثر بالايحاء من صفات القطعان، سواء القطعان البهيمية والقطعان البشرية؛ فاذا أحدثت بهيمة فى قطيع صوتاً أو اتخذت طريقاً تابعتها بهائم القطيع. وهذا هو ما يحدث أيضاً فى القطيع الانسانى بسبب أثر الايحاء والمحاكاة التى هى من أثر الايحاء. والقطيع البشرى أكثر تأثراً به بسبب إحساسه وخياله النامين. والايحاء قد يكون فى النوم أو فى اليقظة، وكثيراً ما كان يعتمد السحرة على الايحاء وأثره فى النفس، وتأثر الجسم بما تعتقده النفس

وقد تتذبذب وتتحول نفوس الناس ساعة بعد ساعة، أو يوما بعد يوم تذبذباً لا حد له فى الأمور اليومية والاحساسات المتغيرة العارضة بسبب اختلاف أنواع الايحاء ومراميه، حتى ليشبه تذبذبهم تذبذب السراب أو ذرات الهباء فى أشعة الشمس، ولكنهم لا تأخذهم الدهشة من أنفسهم لأنهم لا يفكرون فى أنفسهم ولسرعة التذبذب كما لا تحس دورة الأرض، ولأنهم ثابتون على بعض عقائد ومبادئ عامة لا مناص لهم من الثبات عليها، فتلهيهم عن تذبذبهم المستمر بسبب اختلاف نزعات الايحاء، والتذبذب النفسانى ينشأ عنه تذبذب جثمانى لاختلاف حركات الوجه والجسم حسب الأهواء والميول والنزعات النفسية. والبيع يشبه الاحتيال من ناحية الاعتماد على الايحاء إلى حد كبير، وإن اختلفا فيما عدا ذلك. ويسمى الناس وسائل البيع والاحتيال التى تعتمد على الايحاء الطريقة الأمريكية فى البيع، والطريقة الأمريكية فى الاحتيال والنصب، وهى طريقة شائعة فى النفوس عامة وفى كل أمر من أمور الحياة من تجارة أو مهنة أو صداقة أو محبة أو عداوة، وإنما تختلف باختلاف النفوس ولا تمنع من اقترانها بنصيب من الفضيلة أو الصدق أو النزاهة أيضاً، لأن النفس تجمع بين النقيضين. ويستخدم الايحاء كثيراً فى الاعلانات عن العقاقير والكتب والمؤلفات وغيرها

ومما يزيد الايحاء قوة أن المتأثر به الذى نقل أثر الايحاء إلى عالم حسه ومشاهداته كما أوضحنا يصبح شاهداً يستشهد به صاحب الايحاء كأن شهادته ليست نتيجة أثر ايحائه، إذ المتأثر بالايحاء بعد أن ينقله إلى عالم حسه ويدعى أنه من أثر مشاهدته ومن أثر اقتناع حواسه ينأى بنفسه ويترفع عن أن يكون ذنباً لصاحب الايحاء تابعاً له، فيدعى الاستقلال فى الرأى والمشاهدة، حتى لقد يخدع صاحب الايحاء، فيتأثر به صاحب الايحاء، ويتناسى أن رأيه من أثر ايحائه

وقد أتقنت وسائل الايحاء للاعلان عن ممثلى وممثلات الصور المتحركة، كما أتقنت وسائل الايحاء عند ما تنشر دولة الدعوة العالمية ضد دولة تعاديها أو تحاربها

والايحاء قد يطرد فى شكل سلسلة من الحلقات من انسان إلى ثان ثم إلى ثالث ورابع الخ، حتى يختفى مصدر الايحاء وأوله ومنشؤه. وإذا كان ايحاء المرء لغيره سهلاً ميسوراً فايحاؤه لنفسه أسهل وأيسر، لأنه أملك لها؛ وقد يفطن إلى أن ايحاءه لنفسه مغالطة، ولكنه يقدس تلك المغالطة كما يقدسها لو كانت من أثر النطق والاقناع المنطقى، بل قد يقدسها أكثر من تقديس ذلك الاقناع، فترى أن وراء هذا العالم المادى الظاهر، ووراء ما يبحثه به الباحث من منطق يوجد عالم آخر حقيق أن يسمى عالم الايحاء

عبد الرحمن شكرى

من الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

التربية الوطنية الاستقلالية

وأثرها في بناء الأمة

للأستاذ محمد عبد البارى

— ٣ —

ومع أنى لست من القائلين بالفصل التام بين السلطات ، فانى لا أجد فى سلوك القاضى هذا مأخذاً حتى ممن يقولون بالفصل التام . فتصرف القاضى على النحو الذى ذكرت يمكن حمله على حق إبداء الرأى بكافة الوسائل باعتباره عضواً ممتازاً ، بنوع ثقافته وبخبرته ، من أعضاء الجماعة التى يعمل فيها ولها ، وبهذا الوصف لا يكون تصرفه تدخلاً من السلطة القضائيـة فى شؤون السلطة التشريعية

ومن أدق عمل القاضى حكمه فيما يختص بعلاقة الحكام بالمحكومين . فى هذا المجال بخاصة تظهر قيمة الاستقلال والاقدام والكياسة . وبديهى أن القاضى المقدر لمركزه لا يتردد فى القضاء بما تمليه روح القانون والعدالة . لا يعمل بغير الواجب إذا كان حراً مستقلاً . فالكل أمامه سواء . إن القاضى النزيه المقدام يبعث فى الجماعة الشعور بأن الكل فى حماية القانون ، وهذا الشعور ، يدعمه الواقع ، يعين كثيراً على حرية إبداء الرأى وحرية التصرف ومن ثم يؤدى إلى خير المجموع

حـ — وليست التربية الاستقلالية أقل أثراً فى الشؤون الادارية . فى البيئات الحرة المستقلة يعمل الصغير والكبير بما تقتضيه المصلحة العامة ويوحى به الضمير الحر . يقترن الاحساس بالكرامة باستشعار المسؤوليـة فلا يخشى المرؤوس أن يبت فى الأمر أو يلق بالرأى ، ولا يشمئز الرئيس من قبول ملاحظات المرؤوس والعمل بها إذا ما تبين وجه الصواب فيها . المستقل لا يصطنع الرياء والملق ؛ ومهما صغر مركزه الاجتماعى فهو فى نفسه كبير ؛ والواثق من نفسه يبرم الأمور ما دامت فى متناول يده ولا يؤجل ولا يتهرب . هذا إذا كان مرؤوساً ، وإذا كان رئيساً فانه لا يرى فى مرؤوسه الحر شذوذاً أو غروراً فيغضى عنه . بل يرى فيه كفاية وإقداماً فيقبل عليه . يقومه إذا أخطأ ويشجعه إذا أصاب ، ويقدره إذا أجاد . بذا تسير أداة الحكومة بلا إبطاء أو عوج ، وتقضى مصالح الناس بلا إرجاء أو إهمال ، لأن كلاً يحتمل نصيبه ويقوم بواجبه

على أنه مما يقوم سبل الادارة ويوجهها جادة الحق سلوك أصحاب الحاجة أنفسهم . فى البيئات الحرة يستمسك المرء بحقه ، ولا يرى فى عمال الادارة طبقة مميزة عليه ، ولا يعتبر الالتجاء اليهم لقضاء مصالحه استجداء أو استعانة لم يؤد ثمنها . بل يرى أن من حقه طلب ما يطلب فى حدود القانون ، ومن واجب عمال الادارة خدمة الناس خاصتهم وعامتهم فى هـذه الحدود ، قياماً بواجبهم وأداء لحقوق الغير عليهم . أما استخذاء الشعب واستكانته إزاء تصرف غير كريم من أحـد عمال الادارة فانه يغرى من وهنت أخلاقهم بظلمه وإهمال شؤونه من جهة ويشجعهم على التوانى والعدوان بصفة عامة من جهة أخرى

التربية الاستقلالية كما قلت تنمى فى الفرد صفتى الثقة بالنفس والاقدام . ولهما أهميتهما العظمى فى الوسط الادارى . فالادارة لا تستمد قوتها واستقامتها من النظم الموضوعة فقط ، بل من شخصية منفذى القوانين والنظم . فهم يطبقونها ويفسرونها للخير وللشر ، كبيرهم وصغيرهم كل بنسبة نفوذه وقوة شخصيته . والمقدام لا يتهيب طلب الاصلاح وان صغر مركزه وضاق نطاق مسؤوليته . ولـكنه يقدم غير هياب ولا وجل فيكون أكثر انتاجاً وأعظم للجماعة خدمة

وهنا لا أجد مندوحة ، اتباعاً لمنهاجى فى البحث ، عن ضرب مثل برجل الادارة ذى الشخصية والاقدام والاحساس بالواجب

صدر قانون محاكم الأخطاط سنة ١٩١٢ ، ولاحظ أحد كتاب المحاكم الجزئية الأهليـة بينما كان يفتش أعمال بعض محاكم الاخطاط سنة ١٩٢٢ ، أن بمحكمة خط العطف قضايا مدنية عظيمة القيمة تحكم فيها المحكمة حكماً نهائياً . وهاله كثرة القضايا ، وخشى أن يكون فى الأمر غبناً على الفلاح بحرمانه حق الطعن فى الحكم ، وغبناً على الخزانة العامة بتحصيلها رسماً مخفضاً .

ولما ناقش الكاتب المختص أجابه هذا بأنه يتبع نص القانون القاضى بأن محكمة الخط تختص بالحكم نهائياً فى المنازعات التى يتفق طرفا الخصومة على أن تنظرها

وفاتح رئيسه القاضى الجزئى فنصحه بأن يلزم حدوده فهذا بحث لا يدخل ضمن عمله الكتابى . لكن الفتى كان حساساً بواجبه فلم يقنع بهذا . وبحث فهداه البحث إلى مخرج وهو أن الاتفاق فى مثل الحالة التى كان يعالجها ضد النظام العام ، فهو باطل لهذا السبب . ذلك أن المدعى فى تلك القضايا كان مقيماً بالقاهرة ومن كبار تجارها . وفعلاً كتب مذكرة برأيه هذا وأبلغه رأساً لرياسة محكمة الاسكندرية ، وهذه بدورها أبلغته لوزارة الحقانية . وما كان أشد سرور صاحبنا لما وصلته بعد قليل من الزمن تعليمات عامة أرسلت بها وزارة الحقانية لمحاكم تقضى بأن مثل الاتفاق المشار اليه باطل . وهكذا انتج احساس كاتب بسيط تعديلاً فى سير المحاكم فى مسألة فيها شىء من الخطورة ، بعد أن سارت عشر سنين على عكس ما ينبغى أن تسير فى هذه النقطة

ذاك الموظف عينه التحق بمصلحة أخرى وكانت الجهة التى يعمل بها تتاقى تعليماتها من وزارة الداخلية . وحدث أن أرسلت الوزارة تعليمات فيما يتعلق بمحاكمة أكبر طائفة من موظفى مصلحته . ورأى هو أن التعليمات لا تتفق مع صريح نص اللائحة المعمول بها . وأنها فوق ذلك تحرم طائفة كبيرة من ضمان هام . فاعترض فى لطف بأنه مع وجود النص الصريح كيف تطبق تعليمات الوزارة بغير أن تعدل اللائحة طبقاً للقانون . ولكن الوزارة لم تأخذ برأيه . فترقب فرصة ملائمة ، لاعتقاده أنه يصعب أن تعدل الوزارة عن رأى بناء على ملاحظات موظف بسيط خارج الوزارة ؛ ثم كتب اقتراحاً بصورة أخرى وأبلغه الوزارة فشجعها على تعديل التعليمات بما يطابق اللائحة دون أن يكون فى ذلك حرج . وفعلاً عدلت الوزارة التعليمات

ولكن من الحق أن نذكر أن هذا الموظف لا يجد عمله هينا دائما ، بل كثيرا ما أوذى لتمسكه برأيه وعدم تقيده بحرف التعليمات دون روحها . بل أحياناً يتعرض للجزاء بسبب رفضه التقيد بلفظ التعليمات المالية إذا كان تنفيذ روحها يحقق مصلحة مالية للهيئة التى يعمل بها ويتمشى مع المنطق ، ولا تتعرض معه المصلحة لنتائج اجراء غير عادل

هاتان واقعتان من الأمور البسيطة . ومن الممكن تصور حالات يؤدى استمساك أحد عمال الادارة برايه فيها الى تلافى قرار ضار أو الى توفير أموال طائلة ، أو اتقاء عمل يحمل الجماعة مسؤليات جساما

لكن جل صغار موظفى الادارة عندنا ، بل كبارهم ، لا يكتفون بموافقة رئيسهم على ما يقول أو يطلب ، وإن خالف القانون والمصلحة ، بل يكادون يسبقون رؤساءهم الى ما يظنون أنه يرضيهم غير مبالين بالقانون أو الحق أو العدل ، وفاتهم أن الرئيس إذا عرف الأمور كما ينبغى ، قد لا يتمسك بالرأى . وغاب عنهم أن للجماعة الذين يعملون لحسابها حقوقاً يجب رعايتها ، وأن لأنفسهم حقوقا تقضى بعدم امتهانها بترويق الباطل وتحويلها الى أداة تصدع بما تؤمر ولا إرادة لها

هذه الظاهرة المحزنة دليل على ضعف التربية الاستقلالية . فمن واجب جميع المصلحين أن يعملوا على القضاء عليها بعدم تشجيع المرائين والمتملقين ، وبتقدير العاملين المخلصين للواجب وللحق والعدل . أما أبناء اليوم رجال المستقبل فيجب عدم ادخار شىء فى سبيل انشائهم على حرية الرأى واستقلال الفكر والاقدام والشجاعة من جهة ، وعلى بغض الطغيان والصلف والتعصب للذات من جهة أخرى

(البقية فى العدد القادم)

محمد عبد البارى

عين جالوت

للأستاذ عبد الله مخلص

أذكرنا الأستاذ الألمعي محمد فريد أبوحديد بوقعة عين جالوت بين المصريين والتتار ، ووقفة الأولين فيها موقف الذائدين عن حياض الاسلام الذابين عن كيانه [1]

وما كان الاسلام لينسى لمصر ذلك اليوم الأغرّ المحجل الذى دفعت فيه ذلك السيل المتدافع من التتار وردتهم على أعقابهم يتعثرون فى أذيال الهزيمة والخسران ، ورفعت فيه نير التتار عن أعناق المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان لسنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)

موقف المسلمين الأول فى عين جالوت

وللمسلمين فى عين جالوت مثل هـذا الموقف المشرّف سبق موقفهم الثانى بنحو ثمانين سنة ، فقد بلغ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اجتماع الفرنجة فى قرية صفورية ورحيلهم إلى قرية الفولة فسار اليهم يطلب حربهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، بينا كانوا ينضم بعضهم الى بعض يحمى راجلهم فارسهم ، وساروا حتى جاءوا عين جالوت ونزلوا عليها ، ونزل السلطان حولهم ، والقتل والجرح يعمل فيهم ليخرجوا إلى المصاف فلم يفعلوا خوفاً من المسلمين ؛ وكان ذلك أيضاً فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ هـ ١١٨٣ م كأنّ الله اختص تلك الليلة الغراء واليوم الأزهر بالنصر

عين جالوت فى التوراة

وعين جالوت هذه هى المذكورة فى التوراة فى سفر صموئيل الأول فى الاصحاح ٢٩ : ١ باسم عين يزرعيل التى نزل عليها شاول بجيشه فى الحرب التى قامت سوقها بين الفلسطينين والاسرائيلين وأسفرت عن انتحار شاول المذكور بالقاء نفسه على سيفه والقضاء بهذه الصورة على حياته . ومات معه فى هذه الحرب بنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله

(١) الرسالة العدد ١٤٦ الصفحة ٦٢٩

وهى أيضا عين حرود المذكورة فى سفر القضاة فى الاصحاح ٧ : ١ — ٨ ومنها شرب جيش جدعون بن يُوآش المعروف أيضاً باسم يربّعل عند نزوله لحرب المديانيين . وللتوفيق بين رواية القرآن المجيد عن هذه الموقعة أنقل للقارىء الكريم قبل ذكرها رواية التوراة فى الاصحاح المذكور وهذه هى :

« وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه حدّه ، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب . وكان عدد الذين ولغوا بيدهم الى فمهم ثلثمائة رجل . وأما باقى الشعب جميعاً فجثوا على رُكبهم لشرب الماء . فقال الربّ لجدعون بالثلثمائة الرجل الذين ولغوا أخلّصكم وادفع المديانيين ليدك . وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه »

الى آخر ما جاء فى الاصحاح المذكور الذى ينتهى بخبر انتصار جيش جدعون وفرار المديانيين ومتابعة الأسرائيليين لهم ومطاردتهم

جالوت فى القرآن المجيد

وهذه آيات بينات من الذكر الحكيم عن جالوت من سورة البقرة :

« فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى ، إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَطَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (آية ٢٤٩)

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ ، وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ، وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ، وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

قرية جالوت

ولنذكر صفة قرية عين جالوت فى القديم والحديث : قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : « عين الجالوت اسم أعجمى لا ينصرف ، وهى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين كان الروم قد استولت عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة ٥٧٩ »

قلنا وقد غشيتُ عين الجالوت غير مرة مع نفر من موظفى الحكومة العثمانية فى قضاء جينين من أعمال نابلس حين كنت فى عدادهم ، وكنا نذهب اليها أحياناً للنزهة وقضاء يوم العطلة ، وكان الماء يتفجر أمامنا من سفح الجبل فيحيط بالمصطبة التى جلسنا عليها من جميع جوانبها ثم ينساب فى منحدر يصل إلى مدينة بيسان ويسقى فى طريقه الغلال والبقول

وليست عين الجالوت من العيون الصغيرة ، بل هى نهر صغير يقال له نهر الجالوت ؛ يحاذى سفح جبل قامت عليه بعض القرى والمزارع مثل زرعين[1] ونورس وغيرها ؛ ويقال لهذا الجبل جبل الدحى[2] وبين هذا الجبل وجبل الطور المقابل له فى الناحية الشمالية مرج ابن عامر المعروف بوادى يزرعيل كما يعرف جبل الطور بجبل تابور فى التوراة

أما اليوم فان هذه القرية قد أصبحت ملكا لليهود يتصرفون فيها كيف يشاؤون ، فقد انتقلت ملكيتها من أصحابها الأصليين العرب اليهم فى السنين الأخيرة بعد أن وعدتهم الحكومة البريطانية بلسان وزيرها بلفور المشهور بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ومكنت لهم فى أرضها ، وهم كل يوم يقتنصون « بليدة لطيفة » من بلدان فلسطين فيشردون أهلها تحت كل كوكب ، ويبنون وطنهم العتيد على انقاض الاسلام وتراثه الخالد فيغيرون معالم البلاد ويردونها الى أصولها

هذه عين جالوت التى حمت فيها مصر الاسلام والمدنية والانسانية قبل سبعة قرون — كما قال الأستاذ أبو حديد — تعود فتتسمى باسمها العبرى القديم عين حرود ، ويسكنها شذاذ الآفاق من اليهود

وفيها اليوم بحسب آخر احصاء لحكومة فلسطين ٤٨٣ نسمة يشغلون ١٣٥ بيتاً

ويا ليت أن المصيبة اقتصرت على ضياع عين الجالوت فقط من العرب ، بل إنها تعدتها إلى أكثر القرى الآهلة فى ذلك الوادى الممرع ، وأصبح الباقى القليل عرضة للضياع والانتقال ، إلا إذا أراد الله بالمسلمين والعرب خيرا ، ودفع بالحكومات الاسلامية والشعوب العربية إلى الدفاع عن هذه الأرض المقدسة التى أسرى الله بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام اليها ، وجعلها قبل ذلك موطن أخيه عيسى بن مريم عليه السلام ، إذ ولد بها ودعا إلى عبادة الله فى أرجائها وأنحائها ، ورُفع إلى الله منها

قلنا ليس لمعضلة فلسطين ووقعتها من دون الله كاشفة . أما الدول الاسلامية فمن واجبها أن تحمى المقدسات فى بلاد فيها أولى القبلتين ، وثانى البيتين ، وثالث الحرمين . أما الشعوب العربية فمن مصلحتها أن تستملك وتتاجر وتسكن وتتوالد فى بلاد هى همزة الوصل بين الغرب والشرق ، وخط الاتصال بين آسيا وافريقية ، وباب جزيرة العرب التى أخذ قطانها يحبون كما يحبو الطفل الرضيع ويحاولون الوقوف على أرجلهم

فهل تتحقق الأحلام ، وتنقلب الآلام إلى آمال قبل استفحال الغزوة اليهودية المحكمة بين سمع الدولة البريطانية وبصرها ، بل تحت حرابها وبنادقها ورشاشاتها التى جعلتها حزباً لليهود وحرباً على العرب ؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد

(حيفا) **عبد الله مخلص**

---

(١) اسم هذه القرية فى التوراة يزرعيل وهى من قواعد المدن ومواقع الأحداث فى زمن الاسرائيليين

(٢) اسم هذا الجبل فى التوراة حرمون الصغير وفى قمته مقام يقال إنه لدحية الكلبى

من أدبنا المجهول — شاعر رثى ولده بديوان

اقتراح القريح واجتراح الجريح

لأبى الحسن على الحصرى

بقلم الأديب السيد أحمد صقر

(للأستاذ الزيات عزاء وسلوة)

من أغرب الظواهر فى الأدب العربى — إن لم يكن فى الغربى — أن يرثى شاعر ولده الصغير بديوان كبير ، ثم يظل مجهولاً طيلة ثمانية قرون ونصف قرن ، لم يحاول أحد خلالها نشره أو التعريف به

وما زالت خزائن الأدب العربى ملآى بالآثار الرائعة التى خلفها لنا الأجداد تجاذب الأحداث أسباب البقاء ، حتى إذا ما صرعها الزمن وقفنا على أطلالها نندبها ونبكيها ، ونقول كان لنا وكان . . .

من تلك النفائس المشرفة على الفناء ديوان فذ فى بابه ، غريب فى اسمه وموضوعه ، نظمه أبو الحسن الحصرى صاحب القصيدة المشهورة : يا ليل الصب متى غده ؟ سماه اقتراح القريح واجتراح الجريح وكل قصائده فى رثاء ابنه الوحيد عبد الغنى ؛ رزقه وقد بلغ من الكبر عتياً ، ورزئه وقد أتم التاسعة من عمره

وكان موته بالنزيف : فسالت حشاشة نفسه من أنفه ، وفى ذلك قوله :

لست أنسى مقامه ومقامى وكلانا مثل القتيل خضيبا

أنفه ينثر العقيق وعينى تنثر الدمع بالعقيق مشوبا

ليس للحصرى غير هـذا الديوان على كثرة شعره ، ووفرة أدبه ، يدلنا على ذلك قوله فى مقدمة الكتاب : « والقرآن شعارى ، ولذلك لم أجمع أشعارى ، سحرت بها العقول فجذبتها ، ووراء ظهرى نبذتها ، تركتها لمن يعيها ، فيسرقها أو يدعيها ، يرثى بغير نسب ، ويملكها بغير نشب ، حاشا ما فى كتابى هذا »

لم يطبع هـذا الكتاب ولم يشتهر أمره بين الأدباء ، ولم يجر ذكره على أسلات أقلام المؤرخين ، وامـل ذلك راجع إلى ندرة وجوده ، وقلة ذيوعه . . .

فى دار الكتب المصرية نسخة فريدة من هذا الديوان النفيس مخطوطة بخط معتاد فرغ ناسخها من نسخها فى سادس ربيع الأول سنة سبع وستمائة ، عدد صفحاتها ٢٦٢ من القطع الكبير . بها خروم وخروق ، وآثار عرق لا تمكن القارئ من متابعة قراءته

قدم الناظم بين يدى ديوانه ثلاث خطب ، أولاها مهملة الحروف ، قد بدأها بقوله : « الحمد لله مالك الملك ولا أمد ، وممسك السماء ولا عمد ، سمكها فأطلع مهلها ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ووعد لأعمال الطاعة ، وواعد لأهوال الساعة ، لا أمر إلا أحكمه ، ولا مراد إلا حكمه ، لا إله إلا هو إله واحد لا ولد له ولا والد ، أحمده لآلاء أولاها ، وأدعوه ملك الأملاك ومولاها» الخ وهى تملأ عشر صفحات ، وقد عقبها بقوله : « نثرت فأبلغت ، ونظمت فتفننت . وهذه الخطبة على بلاغتها ، وإبداع صياغتها حليتها من بدر بحرى ملقوط ، وأخليتها من كل حرف منقوط ، وأردت أن أشفعها بأخرى منقوطة الحروف ، فوجدتنى أخرج فيها عن الرسم المعروف ، إذ استفتاح الخطب بحمد الله والثناء عليه ، وذلك فى المنقوطة لا سبيل اليه ؛ غير أنى اختصرت فأثبت منها ملحا فى لمح ، ورب دليل فى قليل ، ورب عثار فى إكثار » . ويلى هذا التعقيب الخطبة الثانية وأولها : بثثت بثى الخ وهى تقع فى ثلاث صفحات . وبعدها الخطبة الثالثة وهى أهمها من الوجهة التاريخية والأدبية . وهى فى ٢٩ صفحة . وقد أحببت أن أنقل لك منها شذرات لتعرف قصة الرجل وعقله وتفكيره وأسلوبه فى النثر

قال بعد كلام طويل لا وحدة تجمعه ، ولا سبب يربطه : « ولما أنقض ظهرى ، ما وزرت فى سرى وجهرى ، وهدم الموت فى ابنى ، ما كنت من الأمل أبنى ، سألت الله له الانتجاب ، فقال لا بد أن تجاب ، وأنجبه طفلاً ، وأتانى به كفلاً ، فنمى مهذباً فى مهده ، وما زال ينمى بعهده ، حتى أكمل تسعة ، ورامت سعيه الكبار فلم تسعه . كان يروق هلالاً ، ويشوق زلالاً ، فقالوا يافعك نافعك ، وقال الله بل هو شافعك . أعطانيه بفضله ،

وأخذه بعدله ، فجرحتنى أنياب النوائب ، وقرحتنى أوصاب المصائب ، نثرت شا كياً ما اجترحت الى فاطرى ، ونظمت با كياً ما اقترحت على خاطرى ، وقلت عسى الله أن يرحم الناظم الناثر ، فيسلى المحزون ويقيل العاثر ، وسميت هذا الكتاب : اقتراح القريح ، واجتراح الجريح . وضمنته قصائد على حروف المعجم ، وإن كنت من الأحزان كالملجم ، ومقطعات تقفو كل قصيدة فى قافيتها ، على أنها مثيرة الأحزان غير شافيتها ، ونظمت من فصول المنثور ، مقطعات فى الزهد المأثور . على أن خطبى جليل ، وخطابى كليل . فتنزهت فى حديقتين زهراوين أنيقتين ، وبحث بما كان مكتما ، ونحت مفتتحاً ومختتما ، وأنا أستغفر الله من تشحطى فى تسخطى ، ومن عارى الأشعار الكاسدة الأسعار وصفت فيها المقبوحين بالجمال والمنقوصين بالكمال . . . . وكنت نظمت هذه الأشعار إذ قلبى مشتعل ، ثم أخرتها خمس سنين إذ لى مشتغل ، وفكرت فى صرعة الموت ، وفى سرعة الفوت ، فبادرت الآن إملاء هذا الكتاب إذ رغب إلى فيه بعض الكتاب ، رجوت به الترحم على من كل من يقرؤه ؛ وعسى الله ان استحققت العذاب يعفو عنى ويدرؤه » . . . .

* * *

« ابنى متى أبنى مجدا هدمه الدهر يوم مصابك ؟ ومتى أخصب فى ربع أمحله الدمع غب غيابك ؟ تركتنى فى الأظلام نهاراً ، وأجريت دمعى أنهاراً ، فأى مرثية فيك أسلو بها ، وإن أعجب الناس بأسلوبها ، وأى عيشة بعدك ألهو بها ، وحسرتك لا يُطفأ حرّ ألهوبها ؟ أستغفر الله قد سلوت بعض السلو ، بأم العلو ، أتتنى بعدك على الكبر ، فحمدت الله وعددتها من الحسنات الكبر ثم قلت بديهاً :

يهب الله لمن شا ء إناثاً وذكورا
فاذا أعطاك بنتـاً فكن الراضى الشكورا
واسأل الله — لك الخيـر رواحاً وبكورا
وأقم فى العسر واليسـر وذَرْ عَنساً وكورا
فعلى الأفراخ حُباً تألف الطير الوكورا

وما أتت إلا ورزتها معها ، أما أقنط نفس المرء وأطمعها ، ساعة أفرح بها فأسلو ، وساعة بالحزن فيك وفيها أخلو ، وطورا أمر أخلاقاً وطوراً أحلو ، إذا ذكرت الموت اشتغل بال أمها بل بالى ، وان نظرت محاسنك فيها اهتاج بلبالى ، فترحتى أكثر من فرحتى ، وسبيل الدنيا هذى السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

حببت ابنتى وابنى فقد عاشت ابنتى
لهمى ومات ابنى ولم يمت الحب
وما ذكر يشفى كأنثى تهمنى
ولكننى راض بما صنع الرب

وبهذا البيت تنتهى الخطبة الثالثة . ويليها شعر الديوان مرتباً على حروف المعجم فى ١٨٢ صفحة ، ويليه مندمجاً فيه مجموعة صغيرة من الشعر فى نفس الموضوع التزم فيها لزوم مالا يلزم ، مرتبة على حروف المعجم كل حرف فيه ١٥ بيتا . وتقع فى ٣٨ صفحة وبانتهائها ينتهى الديوان

الآن وقد قصصت عليك بإيجاز قصة اقتراح القريح المجهولة ، أرى لزاماً على أن أقص عليك قصة ناظمه الحصرى المجهول . وموعدنا العدد القادم ان شاء الله ؟

السيد أحمد صقر



للتاريخ السياسي :

٢ - اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية في برلين

للدكتور يوسف هيكل

في ٢٨ فبراير نشرت جريدة « باري ميدي » حديثاً لمراسلها في برلين مع الهر هتلر ، مبيناً فيه أن زعيم ألمانيا يود إزالة كل خلاف بين الجارتين وتوليد علاقات الود والألفة بين أعظم شعبين في أوروبا . وفي اليوم التالي ، أي يوم السبت الموافق ٢٩ فبراير ، أرسلت حكومة باريس تعاليم إلى سفيرها في برلين ، طالبة منه الاسراع في طلب مواجهة « المستشار الألماني » ورجائه في إبانة الطرق التي يعتقد أنها تزيل كل خلاف بين الشعبين الألماني والفرنسي ، وإعلامه بأن حكومة باريس حريصة على إيجاد التفاهم بين الحكومتين

قام مسيو « فرنسوا بونسيه » بما عهد إليه . فقابله « المستشار هتلر » بحضور « فون نيرات » وزير الخارجية ، وأجابه بأن الحكومة الألمانية باذلة جهدها في درس الموضوع بدقة ، وقريباً تسلم إلى الحكومة الفرنسية اقتراحاتها . وقد طلب الهر هتلر بقاء هذه المحادثات سرية ، تسهيلاً للوصول إلى الغاية ، فقبلت حكومة باريس ما طلب ، وظلت منتظرة خبراً من برلين ، ولقد جاءها الخبر يوم السبت الموافق ٧ مارس ، وعندها أذاعت هذه المحادثات [1]

وفي مساء الجمعة الموافق ٦ مارس أمر الهر هتلر باجتماع « الريشتاك » اجتماعاً فوق العادة ؛ وفي الساعة ١٢ (في ألمانيا) من اليوم التالي وبحضور الوزراء وقف على منبر الخطابة وألقى خطاباً طويلاً ثم تلاه بقراءة المذكرة — mémarandum — التي سلمها فون نيرات إلى كل من سفراء بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا قبل القاء الهر هتلر خطابه بساعة ، وقبل أن يترك منبر الخطابة أعلن أنه يحل « الريشتاك » ليتمكن الشعب الألماني من إبداء حكمه في أعماله وزملائه خلال السنوات الثلاث الأخيرة ؛ وقد قرأ الجنرال « كيرنك » أمر الحل ، وتعيين موعد الانتخابات في ٢٩ منه

وكان صوت زعيم ألمانيا قوياً وواضحاً ، ولكن وجهه كان شاحباً ، ودالاً على خطورة القرار الذي اتخذه ، كما أن وجوه الوزراء الصامتة والمفكرة ، إذ ذاك ، تفكيراً عميقاً وقلقاً ، تظهر جلياً خطر الساعة وتخوفهم من العاقبة

وفحوى خطابه أن ألمانيا بلاد سلمية ، تريد العيش بسلام مع جاراتها ، غير أنها لا تقبل ألا تكون متساوية وإياهم في الحقوق ، وهي تريد نيل هذه المساواة والعمل مع الدول الأخرى على تقوية السلام ، وإن حكومة برلين قد بذلت جهدها في التفاهم مع الدول الأوروبية ، ولا سيما مع فرنسا ؛ غير أن جهودها لم تقابل بحسن نية ، بل قوبلت بالعمل ضد ألمانيا وحصرها ، وكان آخر هذه الأعمال المعاهدة الفرنسية الروسية التي هي موجهة ضد ألمانيا ، وقال :

« إنها لمأساة مروعة أن نرى في نهاية السنة التي بذلنا جهوداً شريفة خلالها لنيل ثقة الشعب الفرنسي ، انعقاد تحالف حربي نعلم ابتداءه ولكن لا يمكن التنبؤ عن نهايته

« ان المحالفة الفرنسية الروسية لا تتفق مع معاهدة لوكارنو ؛ وإن تلك المعاهدة تمكن أمبراطورية حربية عظيمة من تهديد أوروبا الوسطى عن طريق « التشكوسلوفاكيا » التي عقدت مع الروسيا معاهدة مماثلة للمعاهدة الروسية الفرنسية

« إن روسيا السوفيتية دولة قائمة على مبادىء فلسفية ثورية ، وإن ادخال هذه القوى الحربية الهائلة الى أواسط أوروبا يهدم التوازن الدولي الاوروبي . . . »

ولم يذكر الهر هتلر مشكلة المستعمرات إلا عرضاً ، وأبان بأن حلها سيكون عن طريق المفاوضات الودية ، كي لا يثير الرأي العام البريطاني عليه ، وقد بذل في سبيل نيل عطفه جهوداً أنتجت الثمر الذي يريده

وبينما كان الهر هتلر يلقي خطابه التاريخي ، كانت الجيوش الألمانية تعبر أراضي الرين وتحتل في كولون ، دسلدورف

(١) انظر خطاب مسيو سارو إلى الشعب الفرنسي في ٨ مارس (الطان ١٠ مارس)

— Dussoldorf — وميتز وغيرها من مدن أراضى الرين

وقد اختلف فى عدد هذه الجيوش ، فهى ثلاثون ألفا حسب التقرير الألمانى ، وتسعون ألفا حسب التقرير الفرنسى ، وما يقرب من ستين ألفاً حسب الرأى الانكليزى

وجدير بالذكر أنه عند ما أعلم الهر هتلر صباح السابع من شهر مارس ، مسيو فرنسوا بونسيه بعزمه ، أضاف باعتناء بأن احتلال أراضى الرين ما هو إلا رمزى . ولما ثار الرأى العام ولا سيما فى فرنسا على التناقض الجلى بين قول زعيم ألمانيا وبين الواقع ، أرسلت حكومة برلين ، فى ١٤ مارس الى لندن وباريس تصريحاً تقول فيه بأنه لا يوجد فى أراضى الرين إلا (٣٦,٥٠٠) ستة وثلاثون ألفا وخمسمائة جندى ... وإذا عُلم بأن عدد سكان هذا الأقليم يبلغ خمس عدد سكان ألمانيا أى أربعة عشر مليونا ونصف مليون ، ومساحته ثمن مساحة المانيا ، وفيه مدن كبيرة يظهر من عدد الجنود التى فيه بأن احتلاله لم يكن إلا رمزيا

وأعلنت ألمانيا فى المذكرة التى قدمتها الى دول لوكارنو الأربع بأنها غير مرتبطة بمعاهدة لوكارنو . وذكرت فى صدرها الأسباب التى دعتها الى اتخاذ هذا القرار وكلها مبنية على مناقضة المعاهدة الفرنسية الروســية للوكارنو ، وتقول الحكومة النازية بأنه :

(١) لا جدال فى أن المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة خصيصاً ضد المانيا

(٢) لا خلاف فى أن فرنسا أخذت على عاتقها واجبات ، فى حالة حدوث اختلاف بين المانيا والروسيا تفوق الواجبات التى تضعها على عاتقها عصبة الأمم ، وأنها — أى الواجبات — ترغم فرنسا على اشهار السلاح ضد ألمانيا ، حتى فى الحالة التى لا تستطيع فيها نيل موافقة عصبة الأمم أو قرار بذلك

(٣) فى مثل هذه الحالة تدعى فرنسا الحق فى أن تقرر وحدها وحسب إرادتها من هو المعتدى — Agresseur —

(٤) لا جدال فى أن فرنسا قد أخذت على عاتقها واجبات نحو الروسيا توجب عليها العمل فى بعض الظروف ، كما لو كان ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة لوكارنو ، التى تستند على ذلك الميثاق غير موجودين

وتدعى المذكرة أن المعاهدة الفرنسية الروسية أوجدت حالة دولية جديدة ، وأزالت النظام السياسى لمعاهدة لوكارنو فى حرفه وفى معناه و « بالتالى فقدت لوكارنو السبب الذى من أجله أنشئت ، وعمليا زال وجودها . ولذلك ترى المانيا أنها غير مرتبطة بهذه المعاهدة الملغاة »

وتنتهى هذه المذكرة بتقديم حكومة برلين الى دول لوكارنو نظاماً سياسياً جديداً ليحل مكان معاهدة لوكارنو وليزيل الاضطرابات السياسية الدولية ، ويولد — فى رأى حكومة برلين — الثقة الدولية التى بدونها لا تتقدم المدنية ولا يستمر السلام . وأهم نقطه :

« أن الحكومة الألمانية تصرح بأنها مستعدة للتفاوض مع فرنسا وبلجيكا لانشاء اقليم مشترك غير مسلح ، وأنها توافق من الآن على مقدار امتداده ومساحته ، على شرط المساواة القطعية فى ذلك . والحكومة الألمانية تقترح إيجاد معاهدة عدم الاعتداء Non Agression بينها وبين فرنسا وبلجيكا لمدة ٢٥ سنة ، وأن تكون بريطانيا وايطاليا كفيلتين على ذلك

والحكومة الألمانية مستعدة لامضاء معاهدة تمنع الهجوم الجوى الفجائى ، ومعاهدة عدم الاعتداء مع جاراتها فى الشرق كالمعاهدة التى عقدتها مع بولونيا

وبما أن حكومة برلين قد نالت المساواة فى الحقوق وأقامت سيادتها القومية فى البلاد الألمانية أجمع ، فهى مستعدة للاشتراك فى عصبة الأمم ، وتأمل الوصول فى وقت قريب ، عن طريق المفاوضات الودية الى المساواة فى المستعمرات وفصل عصبة الأمم عن معاهدة فرساى »

وقد صرح مستر ايدن فى مجلس العموم فى ٩ مارس أن السفير الألمانى أعلمه بأن حكومته ما عرضت اشترا كها فى عصبة الأمم إلا لتسر الأنكليز وترضى الرأى العام البريطانى !

***

تبع الضربة المسرحية فى برلين اضطراب شديد فى الدوائر السياسية . . . وكانت برلين فى قلق شديد ، تارة ترى أن عملها يذهب الثقة بعلاقاتها الدولية ، وأن حوادث ٧ مارس ستقرب فرنسا من بريطانيا . وتكون نتيجة ذلك الحصر الكامل لحكومة

برلين والضربة القاضية على سياسة هتلر الخارجية ؛ وتارة ترى أن الفرج قريب إذ لندن غير موافقة على اقتراحات باريس في تطبيق « العقوبات » عليها وإرغامها على سحب قواها الحربية من أراضي الرين . وقد أخذ رجال الحكومة النازية في إلقاء الخطب وتدبيج المقالات ، وبعضها موجه الى الشعب البريطاني للتقرب اليه ونيل عطفه . والبعض الآخر يهدد فرنسا إن هي لم تقبل منهاج هتلر وتسير عليه

وكان الهر هتلر في جميع خطبه يتودد إلى « الرأي العام » وخصوصاً البريطاني ؛ وكان يوجه نداءه إلى « رجل الشارع » ويصرح بأنه يريد التفاهم الخالص مع فرنسا ... وبأنه لا غاية لألمانيا إلا العيش بسلام مع جيرانها ، وأن العمل الذي قمت به ما كان إلا لتحقيق سياسة دولية عملية مبنية على المساواة في الحقوق وعلى السلام في أوروبا ، وانعاش الاقتصاديات الدولية ..

ولما قمت الصحف الباريسية باظهار سوء النية المطوى في منهاج الهر هتلر وفي أنه يريد السلام مع دول ، والحرب مع دول أخرى ... ولما سأل السير أوستن شمبرلين في مجلس العموم عما إذا كانت النمسا في الدول التي يريد الهر هتلر عقد محالفات « عدم الهجوم » معها . اضطر الهر هتلر الى التصريح لمراسل جريدة لندنية بأنه مستعد لعقد معاهدات « عدم الهجوم » مع النمسا وكذلك مع تشيكوسلوفاكيا ...

أما الجنرال كيرنك فكان يحمل علم التهديد ، وقال في خطابه الذي ألقاه في فرنكفور في ١٧ مارس : ربما أثر التهديد « بالعقوبات » في ألمانيا عام ١٩٣٢ ، ولكنه لا يؤثر على الشعب الذي تدرب طيلة السنوات الثلاث الأخيرة في مدرسة النازي ، وإن استعمل الضغط الاقتصادي ضد ألمانيا فانها تدعو الحزب النازي إلى المعركة القاسية التي تولد حماسة مقدسة وتشد عزم الشعب الألماني وتزيد قواه ، وإن تهديد ألمانيا حربياً لا يثبط عزيمتها ، بل هي تجيب على ذلك : « إنكم كنتم نياما . أما ألمانيا فلم تكن نائمة » إنها قد تسلحت وأصبحت جد قوية ، وهي لا تهاب شيئاً ... وإن الذي يود تهديدها والاعتداء عليها سيدفع ألوفاً من الأرواح بدل كل « بوصة » من الأراضي الألمانية . . . ولا يحق لأحد غير الشعب الألماني أن يحكم فيما إذا كان عمل ألمانيا قانونياً أم لا (!!) . إن ألمانيا قدمت خدمات جليلة للسلام ، غير أن هناك أموراً لا يمكنها عملها : يجب أن تبقى الجيوش الألمانية في أراضي الرين

وكان الدكتور كبلس يساعده على رفع ذلك العلم . فحاول في الخطاب الذي ألقاه في ١٠ مارس في برلين مجيباً مسيو سارو الذي قال بأنه لا يمكن الاعتماد على المعاهدات التي تعقد مع ألمانيا ، اقناع الرأي العام بأن ألمانيا تحترم امضاءها وتحافظ على حرمة المعاهدات التي توقعها ، ودليله على ذلك بأن ألمانيا محترمة معاهدتها مع بولونيا (!) . وقال بأنه يجب على فرنسا أن تعتبر بدقة الحالة الراهنة ، لا بالتشبث ببنود معاهدة لا يمكن للشعب الألماني احتمالها (!!)

ولقد خرج في كلامه عن اللياقة الدبلوماسية حين قال في خطابه الذي ألقاه في فرنكفور في ٢٣ مارس : « إن ألمانيا ترفض العمل ضمن الدائرة السياسية القديمة . سياسة القطة التي تسير حول الحليب الساخن . إن الجيوش الألمانية قد احتلت أراضي الرين ، فيجب أن تبقى هناك برمتها دون أن يسحب منها جندي واحد ... وسترغم الأمم على المفاوضة مع ألمانيا حسب « اقتراحات الهر هتلر » خلال الأشهر القادمة ، أرادت ذلك أو لم ترده ......

(لندن) (يتبع) **يوسف هيكل**
دكتور في الحقوق

ملاحظات متواضعة على مشروع

ترجمة معانى القرآن الكريم

بقلم المستشرق المجرى

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

وليس من شك فى أن الله عز وجل حين أنزل القرآن الكريم شاء أن يعم نشره بين الملأ ، لا ليجعله وقفاً على أولئك الذين يحتكرون معانيه فى صدورهم ، ولا يعملون على ترجمته ونشره بين الذين هم أقل مكانة منهم فى المعرفة . ألم يقل النبى الكريم : بلغوا عنى ولو آية ؟ وكيف يكون التبليغ إلا إذا كان بنقل القرآن الى لغات الأمم والشعوب ؟ وقديماً اعتبرت التفاسير ترجمة لمعانى كتاب الله وتحليله وشرحه حتى يكون فى متناول أذهان الأمم قاطبة

إن الاسلام دين الأذهان المستنيرة ، وإن أصحاب العقول البارعة يجدون فيه متعة روحية شهية ، وسوف يكون هذا الدين بفضل ترجمة كتاب الله معتقد الطبقات الرفيعة فى العالم . وأنا أعرف فى بلادى وفى أوربا عامة رجالا مستنيرين فى أرفع الأسر يحترمون الاسلام لمجرد أنهم قرأوا ترجمة كتاب الله الكريم ، وهم يوشكون أن يتخذوه دينا ولو فى سرائرهم . ومنذ خمس سنوات أسلم فى ڤينا رجل من أعرق الأسر الرفيعة ، هو البارون آرن فلس وسمى نفسه عمر . وأسلم مجرى آخر كبير هو فيلكس فاى . وهذا دليل على سمو الاسلام الروحى والذهنى لأنه دين صحيح يستولى على رجال الفكر ويقنعهم بصحة آرائه . إن الاسلام لايدعو الى الأنانية والتعصب ، بل إلى الأخوة والحضارة الجديدة ونشر ألوان العلم والعرفان ، وترجمة القرآن هى أول خطوة فى سبيل قبر التعصب والجهل

من ذلك أرى أنه لزام على العلماء أن يظهروا للناس كتاب الله ، ولا يجعلوه وقفاً على من يعرفون العربية وحدها . بل يجب عليهم أن يترجموا معانيه ويقبلوا على تفسيرها ولا يخشوا فى الحق لومة لائم

فلا العلوم الحديثة ، ولا المعارف ، ولا فلسفة الغرب تستطيع أن تطفىء نورانيته وعظمته ، فهو كالشمس إذا سطعت حجبت ذبالات الشموع الخافتة . ولتأخذ هذه التراجم صفة الشروح والتفاسير بدلاً من أن يطلق عليها فى اللغات الأخرى اسم «القرآن»

أجل فلنقاوم الجهل والتعصب ، ولننشر كتاب الله الكريم لا فى الانجليزية وحدها ، بل فى لغات الملايو والهندستانية والمغولية ، وليكن نشر هذا الكتاب بنفس أسلحة القرن العشرين . فالفاصل الذى يفصلنا اليوم عن المعرفة الحديثة شاسع جداً الى حد يجعل اعتمادنا على ما فى أيدينا من تراث الأجيال ، من الأسلحة العتيقة التى لا يمكننا بها مقاومة الموجات التى تجرفنا من عالم الغرب

ومن رأيى أن ترجمة معانى القرآن ستنتج عنها مسائل هامة . فبعض الناس عارضوا هذه الفكرة بحجة أنها ستكون سببا فى فصم عرى الوحدة العربية ، وستحدث تقاطعاً بين الاخوان المسلمين فى أنحاء العالم ، ولكن بالعكس ، فالترجمة ستكون سبباً فى اشعال الحماس الدينى عند ملايين ممن لا يفقهون كتاب الله الكريم ، وستساعدهم هذه الترجمة على تفهم اللغة العربية وازدهار عصر التبشير الاسلامى

* * *

وإذا ما أتيح لنا أن نستقصى البواعث التى أدت الى انحطاط بعض الطوائف الاسلامية وجب أن نسلم بأن سببها أن حكامهم كانوا يتكلمون لغة لا يفقهها العامة . وعلى الرغم من تعاليم الاسلام السامية ظلت هذه الطوائف ترسف فى العبودية والجهالة والفقر ، حتى نتج من ذلك وقوعها فى كثير من الأضاليل والبدع التى لا أصل ولا وجود لها فى التعاليم المحمدية النقية . حتى أجبرت هذه الطوائف على الخنوع وألزمت أن تحنى رؤوسها احتراما أمام الجبروت الطاغى . هنالك وجدت سلوتها فى الشعوذة الدينية ، وأصبحت على عيون أهلها غشاوة تحجب عنها حقيقة الدين الحنيف . وانحط مستوى اللغة العربية الى حد تفشت فيه الامية وانتشرت العامية بين الأوساط الراقية .. ومما أذكره

أمرلسيات

أبو الفضل بن شرف
الشاعر الفيلسوف
للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

[بقية ما نشر فى العدد ١٤٩]

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر ، وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم . فقال له : من أى البوادى أنت ، قال أنا من الشرق فى الدرجة العالية ، وإن كانت البادية على بادية ، ولا أنكر خالى ، ولا أعرف بحالى . فمات ابن أخت غانم خجلاً ، وشمت به كل من حضر . وهذا ابن أخت غانم العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن فى علوم شتى إلا أن الغالب عليه علم اللغة . وكان قد رحل من مالقة إلى المرية فحل عند ملكها المعتصم ابن صمادح ، وله تآليف منها شرح كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى فى ستين مجلدا . قال ابن اليسع فى مغربه إنه حدثه بداره بمالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام ٥٢٤ ... وغانم خاله الذى يعرف به هو الامام العالم الأديب أبو محمد غانم بن الوليد المخزومى نسب اليه لشهرة ذكره وعلو قدره . ومن شعر الامام أبى محمد غانم هذا قوله — وقد دخل يوما على باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال بديها :

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة ... سم الخياط مجال للمحبيْنِ
ولا تسامح بغيضاً فى معاشرة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقوله :

الصبر أولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله ... كان على أيامه بالخيار

وقوله فى نكبة المعتمد بن عباد :

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى ... وضياؤها باقٍ على الآفاق

وقوله :

ثلاثة يجهل مقدارها ... الأمن والصحة والقُوتُ
فلا تثق بالمال من غيرها ... لو أنه دُرٌ وياقوت

وكل ذلك من الحديث النبوى الشريف : من أصبح آمناً فى سربه معافى فى بدنه ، معه قوت يومه ، فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها . ومن بديع قول أبى الفضل بن شرف المترجم من قصيدة يمدح بها المعتصم بن صمادح :

لم يبق للجور فى أيامكم أثر ... غير الذى فى عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة :

قامت تجر ذيول العصب والحبر ... ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

ومن هذه القصيدة فى وصف السيف :

إن قلت ناراً أنتدى النار منهبة ... أوقلت ماء أيرى الماء بالشرر

ومنها فى وصف الدرع :

من كل ماذية أنثى فيا عجبا ... كيف استهانت بوقع الصارم الذكر[1]

(١) راجع القصيدة فى القلائد

والأسى يقطر من فؤادى ، أننى لما زرت القاهرة لأول مرة كان الناس يدهشون إذ يرون رجلاً أجنبياً يتكلم العربية الفصحى ، مع أنه أمر مألوف فى الأوساط الألمانية والانجليزية ، ويندر أن تجد واحداً يتلفظ بكلمة واحدة دارجة

فليكن فى ترجمة القرآن إذن ، رفع لقدر اللغة العربية ، وليكن رفعها الى مستوى الكتاب ، فالقرآن هو مصدر الثقافة الاسلامية وسبب انتشارها فى الشرق والغرب ، وهو السلاح الماضى الذى يحسم الداء

لقد كان انجيل لوثر سبباً فى رفع شأن اللغة الألمانية ، وسبيلا الى ادماج لهجات القبائل المختلفة بعضها فى بعض ، فيجب أن تكون ترجمة القرآن الكريم سبباً فى رفع العربية ، وليرع الأزهر هذه الحركة الجديدة بكل ما فيه من عزيمة وقوة حتى تخرج الى حيز العمل . فقد كان القرآن كلمة الله فى البداية ، ومنها انبعث كل ما فى الاسلام من محبة واخوة وسلام

(بودابست) عبد الكريم جرمانوس

وكان قد وفد على المعتصم مرة يشكو عاملاً ناقشه فى قرية يحرث فيها وأنشده الرائية المذكورة . ولما بلغ قوله : لم يبق للجور فى أيامكم أثر . قال له المعتصم : كم فى القرية التى تحرث فيها ؟ فقال : فيها نحو خمسين بيتاً ، فقال : أنا أسوغك جميعها لهذا البيت الواحد ، وعزل عنها نظر كل وال ... ومن شعر أبى الفضل بن شرف : —

يا من حكى البيدق فى شكله   أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه   ورأسه أصغر ما فيه

وقال : —

لعمرك ما حصلت على خطير   من الدنيا ولا أدركت شيًّا
وها أنا خارج منها سليبا   أقلب نادماً كلتا يديا
وأبكى ثم أعلم أن مبكا   ى لا يجدى فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن   بكيت لقلة الباكى عليّا
وإن الدهر لم يعلم مكانى   ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا   إذا أنا بالحمام طويت طيّا
أسر بأننى سأعيش ميتا   به ويسوءنى إن مت حيا

ويروى له : —

ألحاظكم تجرحنا فى الحشا   ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا   فما الذى أوجب جرح الصدود

وأرسل اليه الشاعر ابن اللبانة بأبيات يواسيه بها ويحثه على النهوض وهى : —

يا روضة أضحى النسيم لسانها   يصف الذى تهديه من أرجائها
ومن اغتدى ثم اهتدى لطريقة   ما ضل من يسعى على منهاجها
طافت بكعبتك المعالى اذ رأت   أن النجوم الزهر من حُجاجها
شغلت قضيتك النفوس فأصبحت   مرضى وفى كفيك سر علاجها
هلا كتبت إلى الوزير برقعة   تصبو معاطفه إلى ديباجها
تجد السبيل لهم ولا تك للمنى   وينير سعيهم بنور سراجها
أنت السماء فما بها لك رفعة   طلعت عليه الشهب من أبراجها
وضحت مفارق كل فضل عنده   فاجعل قريضك درة فى تاجها

فكتب اليه المترجم :

يا منجدى والدهر يبعث حربه   شعثاء قد لبست رداء عجاجها
لله درك إذ بسطت إلى الرضا   نفساً تمادى الدهر فى إحراجها
وأرقت ماء الود فى نار الأسى   كالراح يُكسر حدُّها بمزاجها
فيأتينى تلك الغمام فبرّدت   من غلة كالنار فى إنضاجها
فأويت تحت ظلالها ووجدت بر   د نسيمها وكرعت فى ثجاجها
قل كيف تنعش بعد طول عثارها   أم كيف تفتح بعد سد رتاجها
لأزيد فى أمرى وضوحا بعد ما   قامت براهين على منهاجها
فأكون إن زدت الصباح أدلة   خرقاء تمشى فى الضحى بسراجها
دعنى أبرد بالقناعة غلة   يأس النفوس أحق فى اثلاجها
بكر بخلت على الأنام بوجهها   ومنعتها من ليس من أزواجها
وصرفتها محجوبة بصوانها   مثل السلوك تصان فى أدراجها
كالنور فى أكمامها والبيض فى   أغمادها والغيد فى أحداجها
فالنفس إن ثبتت على أخلاقها   أعيا على النصاح طول لجاجها

وإنك لترى للمترجم له مع ذلك رسائل[1] بديعة أنيقة الوشى حسنة التحبير ، تنم على دقة حسه البيانى ، وذوقه الفنى ، وتفننه فى جميع فنون المراسلات والمراجعات ، وأنه مُحْسن فى جميع فنون الأدب إحسانه فى الطب والحكم ، فهو شاعر كاتب حكيم طبيب ، ولا جرم أنه انحدر من صلب ذلك الأديب العبقرى ابن شرف القيروانى الذى غَمرَ ابنه هذا وأخمله حتى نحله مؤرخو الأدب العربى فى عصرنا أكثر شعر ابنه

عبد الرحمن البرقوقى

---

(١) راجع هذه الرسائل فى القلائد

٣٠

الحياة الأدبية فى شرق الأردن

بقلم السيد جريس القسوس

ما كنت أرغب فى التعرض لهذا الموضوع ، لو لم تنشر (الرسالة) الغراء بحوثاً ممتعة لمختلف الكتاب عن الحياة الأدبية فى بلدانهم . لهذا رأيت من واجبى ، وأنا بعيد عن شرق الأردن ، أن أقدم للقراء الكرام صورة صادقة بقدر الامكان عن الحياة الأدبية فى شرق الأردن . أقول هذا وأنا أشعر بحروجة الموقف ودقته ، إذ لا يخلو مثل هذا البحث من بعض الخطأ مهما توخى الباحث العدل والصدق فى بحثه

لم تكن بلاد ما وراء الأردن ، منذ خمسة عشر عاما ، إلا جزءاً من سورية لاينفصل ، فهى لذلك بلاد فتية فى تكوينها السياسى وفى نهضتها الأدبية والاجتماعية . أما والمقصود من هذا المقال النهضة الأدبية ، فلنقتصر على هذه ، تاركين البحث فى السياسة والاجتماع لعلمائهما

دبت فى شرق الأردن حياة أدبية جديدة ، لم يكن لنا عهد بها قبل بزوغ فجر الأمارة . فكان أول عمل قامت به الحكومة فتح المدارس الأميرية ، من قروية وابتدائية وثانوية ، وتحسين برامج التعليم ، وتوحيدها إلى حد ما ، فى مختلف المدارس الطائفية وغير الطائفية ، حتى أصبحت تنهج جميعاً نهجاً واحداً سوياً نحو ايقاظ الروح العربية الكامنة ، والتوفيق بينها وبين التيارات الجارفة التى بدأت تطغى على هذه البلاد من الغرب .

كانت شرق الأردن بحكم الوضع السياسى والجغرافى ، قبل الحرب العظمى ، بلداً مجهولاً ، ولانزوائه وانقطاعه عن البلدان العربية المجاورة لم يتسنَّ لأهله الأحتكاك بأهل الأقطار الأخرى كل الاحتكاك ، فتمتزج بذلك الثقافات ، ولو كانت شبه متجانسة ، فتتفاعل ويتولد عن ذلك روح ويقظة جديدتان .

كانت الحياة الأدبيــة قبل ذلك راكدة ، والنفوس فاترة ، والمواهب كامنة ؛ فلم تنبعث إلا بتأليف حكومة سمو الأمير المعظم ؛ عندئذ دخلت البلاد فئة راقية من أدباء الأقطار المجاورة ، وخاصة سورية ؛ فكان دخول هذه الفئة البلاد باعثاً كبيراً على أحياء الأدب العربى ، واحداث نهضة فكرية مباركة لا نكون مبالغين إذا سميناها بالرنسانس ؛ فكان مثلاً لقصائد الشيخ فؤاد باشا الخطيب [1] شاعر الثورة ، والأستاذ محمد الشريقى [2] وغيرهم من الأدباء الذين رافقوا الثورة العربية ، وطوحت بهم الأقدار إلى هذا القطر الجديد ، أثر لا يستهان به فى احياء الآمال فى نفوس الأحداث ، وقد كانت ميتة آنئذ ، وفى ايقاظ الروح الأدبية الكامنة ، وتوجيهها فى السبل القويمة

ولقد نشطت الحكومة ، بعد استقرار الوضع السياسى فى البلاد ، إلى ارسال البعثات العلمية سنوياً إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت وغيرها من المعاهد الراقية فى سورية وفلسطين ، وتنبه الشعب الأردنى الى فضل العلم والأدب فى نهضات الشعوب ، فبادروا الى ارسال أبنائهم على نفقتهم الخاصة الى بيروت والجامعة السورية فى دمشق ، والى المدارس الثانوية فى فلسطين ، ولكثرة الطلاب كثر الاقبال على مطالعة الأدب المصرى منه والسورى ؛ فكان أثره فى ايقاظ الحركة الفكرية وبجديد الحياة الأدبية غير يسير

كل ذلك كان يحدث ، بينا الصحافة المصرية تغذى نفوس الأحداث بأدبها الراقى وعلمها الصحيح . ولا أبالغ إذا قلت إنه كان « للرسالة » أثر ملموس فى إحياء النهضة الفكرية ، وتشجيع الحياة الأدبية فى البلاد . فقد كان اقبال الطلاب خاصة على مطالعتها شديداً . وإننى أذكر — على سبيل المثال — أنه كان يباع منها فى حين نحو ثمانين عدداً أو أكثر فى بلد صغير كالسلط . «فالرسالة» وغيرها من المجلات والصحف العربية كانت ولا تزال ، تسد عوز البلاد وافتقارها الى صحافة حرة تعمل على تشجيع الانتاج الأدبى ، «وتحيى فى النشء أساليب البلاغة العربية»

بيد أنه ، وان لم يقم فى شرق الأردن إلى الآن مؤلف بالمعنى الصحيح ، أو أديب منتج يستمد مادته وموضوعه من الحياة ، إلا أننا نرى طلائع نتائج هذه العوامل المختلفة فى تكوين النهضة الأدبية الحديثة فى قيام فئة قليلة من حملة الأقلام النثرية كأديب عباسى ، والدكتور محمد أبوغنيمة ، وبشير الشريق ، وعبد الحليم عباس ، والبدوى الملثم وغيرهم ؛ والشعرية أمثال مصطفى وهبى التل شاعر النوَر ، وصاحب ديوان « عشيات وادى اليابس » . وحسنى فريز ، والشيخ رشيد زيد ، وحنا الشوارب وغيرهم من الأدباء الأحداث

---

(١) مستشار سمو الأمير الخاص (٢) مفتش المعارف الحالى

لكن شرق الأردن تمتاز عن الأقطار العربيـة الأخرى ، وخاصة الساحلية ، بنوع خاص من الأدب ، أعنى به الشعر البدوى . وهو ، وان قل ، من حيث الكمية والنوع عما قبل ، فانه لايخلو من عناصر حية تميزه عن غيره من الشعر الراقى المعروف فى شرق الأردن وفى كثير من البلدان العربية . والشاعر البدوى شاعران : شاعر راوية ، يحفظ ، على أميّته كمية وافرة من القصائد المختلفة ، قديمة كانت أم حديثة ، ويلقيها فى شتى المناسبات كمجالس الشيوخ والأفراح المختلفة من مولد وختان وعرس ؛ وشاعر منشىء مبتكر ، وعدد الفئة الأخيرة يسير جداً إذا قيس بالفئة الأولى . وأ كثر ما يكون الشعراء المنشئون فى مضارب البدو على سيف الصحراء . أما أشهر أبواب الشعر البدوى فالمدح والحماسة والغزل والعتاب والرثاء . ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نتبسط فى وصف هذا الشعر ، وفى معالجة شتى أبوابه باسهاب ؛ لكننا نقتصر على ذكر فريق من الشعراء البدو المخضرمين — أى الذين نشأوا فى أواخر القرن التاسع عشر ولحقوا العشرين — ونخص منهم بالذكر نمر العدوان ؛ وقصيدته فى رثاء زوجه فصحاء مشهورة ، تتناقلها الألسنة فى كل مكان . وهو يستهلها بمخاطبة ابنه عقاب قائلاً : —[1]

البارحة ياعقابْ يومَ القمرْ غابْ بليلة العيد السـعيد الجديد

إلى أن يقول ، واصفاً نفسه بعد ما ألم بها من حزن لفقد زوجه :

كل ما غشيت امراحْ أو جئتْ مرقابْ
لَجَوح جوحَ الذيب وعضَ بيدّى
أنهفْ ونوحَ واقطر الدمعْ سكّابْ
على صويحبي ِ الى راح ما هو من ايدّى
يا قلبى تقولْ سفوتٌ حديد شبّاب
يامهجتى ِ لوانّه حجرْ ِكن صار شيد
من لامنى يا عقابْ يبلى بارقط ناب
من جنّة الوهاب ما يستفيد

ومعنى هذه الأبيات « أننى كلما مررت بربع ، أو صعدت جبلا ، عويت كالذئب ، وقضمت كفى حزناً ، ونحت وسكبت الدمع مدراراً على صاحبى المفقود ؛ وأن بقلبى ناراً تضطرم اضطراماً يكاد منها ذلك القلب لو كان حجراً ، أن يصير كلسا . ألا فليبتل يا عقاب من لامنى فى ذلك بحية تميته ميتة لا يدخل بعدها الجنة »

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً أبو الكبار من قبيلة الشرارات ، وهو مشهور بالشعر الحماسى ، ووصف الغزوات والمعارك . وقصيدته فى مدح عودة أبى تايه[1] وقد تحاربت قبيلته مع أهل الكرك . وفى هذه القصيدة يقول ، بعد أن يستهلها بذكر الله وطلب عفوه وغفرانه ، شأن غيره من شعراء البدو :

قُمْ يا على نُشْرفْ على كلّ طايلْ
شـدّيتْ عوصا تقطعْ الدوّ حايلْ

أى انهض يا على (وهو بطل الطليعة) وأعدّ فرسك ، لنقطع الفلاة ، ونشرف على مواقع الأعداء .

إلى أن يقول واصفاً مرابع عودة أبى تايه :

تلقى بيوتاً بنوا بى نزيله — تلقى حميل دلالهم عن نفيله
ألبن بالهيوان تسمع صهيله — عزام لوجوه المسايير زافات
تلقى شايباً عندهم مستعدٌ — الحرّ الىّ باللازم يسدّ
عنه بحوض الخيـل يوماً يهد
عن حرب أبو تايه الىّ لَهْ الفعل عاداتِ

(أى تلقى منـازلهم مضروبة فى أعلى الروابى دلالة على شجاعتهم ، وعدم خشيتهم العدو ؛ وفى مطارح النار تلقى حثالة البن دلالة الجود . وفى تلك الخيم تسمع صوت الهاون ؛ إذ يدق فيه البن ، فيكون بصوته ذاك داعياً للخير والضيافة ؛ تجد شيخاً حراً مضيافاً ، وفارساً مغواراً تتجنب الفوارس بطشه ، وترتعـد له الفرائص عند الحرب ، هو عودة أبو تايه »

ومن الشعراء الداحين سالم المرعى وعلى القزيبى وغيرهم ، وأنا أعرف من الشعراء الأحياء الذين يجيدون قرض الشعر البدوى فى شتى الأحوال ومختلف الظروف : محمد بن هلال ، وسعود المجالى فى الكرك . وقد يكون غير هؤلاء فى مضارب البدو فى الشمال وفى الداخل ، لكن دراسة هذا النوع من الشعر دراسة عميقة ، وتدوين هذه الأشعار قبل أن تعبث بها أيدى البلى يحتاج الى مشقة كبيرة من تنقل بين مضاربهم وتعرف الى أماكنهم وأحوالهم ، وطرق عيشهم

(١) اعتمدنا فى ذلك على كتاب (خمسة أعوام فى شرق الأردن) للمطران بولس سلمان

(١) هو عودة أبو تايه شيخ قبيلة الحويطات الأردنية ، رافق الأمير فيصل فى الثورة ، وأتى من الفروسية المدهشة بالعجاب مما حدا لورنس إلى تخليده فى كتابه « عواميد الحكمة السبعة » ملقباً إياه بروبنهد البدو « The Bedouin Ropinhood »

بعد احتلال أديس أبابا

فضيحة القرن العشرين !

[قطعة مهداة إلى جلالة الأمبراطور العظيم
« نزيل فلسطين »]

للأستاذ على الطنطاوى

... حق صريح يصان فى عصور الظلام ، وأمة آمنة تسلم فى قرون الجهل ، أفيُعبث بهذا الحق فى القرن العشرين ، قرن العلم والنور ... ويُعتدى فيه على هذه الأمة ، فتُسرق أرضها وحريتها وسعادتها ؟

يا لفضيحة القرن العشرين ! ... يا لضيعة المبادئ الانسانية ! يا لخيبة العلماء والأدباء والأحرار !.. يا لافلاس الحضارة الغربية .. يا للعار على الفكر البشرى !

أتبنى المدارس ، وتفتح المعاهد ، وتنشأ المحاكم ، لتبث مبادئ الحق والخير والفضيلة ، وتعمل على ذلك دهوراً ، فيأتى طاغية من طغاة الغرب فيهدمها كلها بطلقة واحدة من مدافعه ، ويرجع بالعالم إلى الوراء عشرين قرناً ، ولا يجد من يأخذ على يده ، وينصف الانسانية منه ؟

أيهزأ طاغية روما بكل المبادئ التى يقدسها البشر ، ويدوسها بقدميه وأقدام جنوده ، ويستعبد أمة بكاملها لم تستعبد منذ فجر التاريخ ؛ ثم يمضى هؤلاء (الممثلون) فى طريقهم إلى (مسرح جنيف) ليمثلوا عليه بقية المهزلة ... هذه المهزلة الدامية التى كان أول ضحاياها عظمة الفكر البشرى ، وجمال الحضارة الحاضرة ، ومبادئ جمعية الأمم ؟

ارجعوا يا هؤلاء ، ارجعوا إلى بلادكم ، قد تمزق الستار وبدت من خلاله الوجوه المصطنعة واللحى المستعارة والسيوف الخشبية ؛ ورأى الثقلان أن (جبار جنيف) لم يكن إلا صنما من أعواد ، أقامه الأقوياء ليخدعوا به عباد الأصنام من الأمم الضعيفة ، عن حريتها وحقها ومالها

ارجعوا فأظهروا أنيابكم التى سترتموها ، وأظافركم التى أخفيتموها ... ما أنتم أيضاً إلا ذئاب

* * *

أما أنت أيها الأمبراطور الحبشى العظيم ، أيها الجندى المجاهد الشريف ، فتعزّ واصبر وارتقب ، فليس مع خصمك إلا الحديد والنار ، ولكن العالم كله معك ، والقلوب كلها تخفق بحبك ، وبغض عدوك . إن الحبّ والبغض هما أقوى سلاح فى الوجود ، وانهما إذا لم يقوما اليوم للمدفع والطيارة ، فلن يقوم لهما غدا طيارة ولا مدفع ، وإن خصمك يستطيع اليوم أن يخطب فيصيح ويفخر ويهدّد ، ويستطيع أن يجرّد الجيوش ، ويسير الأساطيل ، ويطلق المدافع ؛ ولكنه لا يستطيع أن يصنع المسمار الذى يسمر به الفلك ، فيقفه عن الدوران ، ولو جمع له كل حديد الأرض . إن الفلك يدور أبدا ، فيقوى الضعيف ، ويضعف القوى ، ويشب الطفل ، ويهرم الشاب ، ويرتفع من كان فى الحضيض ، ويهبط من كان فى الأوج ؛ فاصبر وارتقب

إنك لم تجبن ولم تفرّ ، وقد أعذرت إلى أمتك ونفسك وإلى التاريخ ، فما ألوت فى الجهاد جهداً ، ولا ادخرت عنه أبداً ، وكأنى أنظر اليك الآن وقد فى كنت دارة عرشك ، وقرارة

ولقد فاتنى أن أذكر أن الشيخ رشيد زيد الذى مرّ ذكره مع طبقة الشعراء المجيدين فى الفصحى ، ليحسن نظم الشعر البدوى . وقد أتيح لى أن أسمع له قصائد رائعة ، وعالية النفَس فى هذا النوع من الشعر ، يعارض فى بعضها قصائد مشهورة كاليتيمة وغيرها

والخلاصة أن الحياة الأدبية فى شرق الأردن ضئيلة ضعيفة اذا ما قورنت بغيرها من الأقطار العربية ، على أن سيرها فى مضامير النشوء والتطور على هذا الشكل المدهش ليدعو الى التفاؤل الشديد . وأنا لا أشك فى أنه سيأتى يوم تصبح فيه شرق الأردن بفضل هـذه العوامل المختلفة التى بسطناها ، وبفضل غيرها ، حية بأدبها ، وغنية بأدبائها . ولا بد قبل الختام من الاعتراف بما لقصر رغدان من فضل كبير فى تنشيط هذه الحياة الأدبية ؛ فقد كان ولا يزال يحدب على الأدب ، ويؤازر الأدباء ، ويشرق على نفوس الشباب بالنور والحياة

(بيروت — الجامعة الأمريكية) حبيب القسوس

مالكك ، وموطن شعبك ؛ وكنت آمناً مطمئناً ، تتعهد بلدك بالاصلاح ، وأمتك بالتهذيب والتعليم ، فما راعك إلا صوت الصريخ تدوى به أروقة القصر ، فهببت مذعوراً — وما كنت بالذى يذعر أو يضطرب — واستخبرت الخبر ، فعلمت أنه الموت قد حمله المتمدنون إلى بلادك ألواناً ، فخففت إلى هؤلاء المعتدين تسألهم ماذا يريدون ؟

— قالوا : نريد بلادك فاخرج منها ، أو فابق فيها عبداً لنا وخادماً !

— قلت : وأى ثأر لكم عندى ، وأى عداوة بينى وبينكم ؟ أهى أن جاء قوم منكم منذ حين يريدون قتلنا ، فرددناهم عنا ؟ أليس لنا أن ندافع عن أنفسنا ؟

— قالوا : صه ! أنت متوحش .... أنت متأخر .... وقد جئنا لنعلمك ونعلم شعبك ، ونحمل اليهم حضارتنا ومدنيتنا ، فاذا أنت لم تسمع وتطع كلمناك بلسان البارود والغاز الخانق والنار والحديد .....

فثار فى عروقك الدم العزيز الذى لم يذلّ منذ ألفى سنة ، فاهبت بجمعية الأمم ، وناديت حماة السلام . فلما لم تجد منهم مجيباً ، صرخت فى شعبك أن خذوا السلاح وتأهبوا للموت ، فان فى الديار لصوصاً متمدنين ، من أحفاد كافور وغاريبالدى ودانتى ورفائيل . . . يريدون أن يسرقوا حياتكم وحريتكم وبلادكم !

فهبوا للنضال . . . ولكنهم سقطوا شهداء ، أمام وحشية المدنية ، وجهالة العلم ، وذئبية الانسان !

* * *

لا ! إنك لم تنهزم ولم تغلب ، ولكن غلبت المبادىء يا أيها الأمبراطور العظيم ، وانهزمت الفضيلة ، وديس الحق ، وأفلست مدنية القرن العشرين !

إنك لم تنهزم ، وإن الطليان لم يتملكوا أرض الحبشة ، لأن العصر عصر الأمم لا عصر الملوك ، وقد استسلمت أنت مرغماً للقضاء ، ولكن استسلامك للقضاء ، وتركك أرضك للأعداء ، لا يسلم أمتك إلى الفناء . إن هذا الشعب الذى عاش حراً عشرين قرناً ، لا يستسيغ الاستعباد فى عشرين شهراً ، ولا فى عشرين سنة ، وإنه سيجاهد ويناضل ويقاوم ويقاتل ، ما بقى فيه شخص واحد يمشى على أرض الحبشة ، ويسمع صراخ الأجداد من أعماق الثرى . . . وأعالى السماء . . . تدعوه إلى إنقاذ رفاتهم من نعل الأجنبى الغاصب أن يطأها ويعبث بها ؛ وإن الغالبين قد يملكون اليوم الدساكر والقرى ، وينشئون القلاع والحصون ، ولكنهم لن يمتلكوا القلوب ، ولن ينشئوا فيها الحب ، وها هى ذى طرابلس . بل هذه هى الأندلس :

ألم تسمع أيها الأمبراطور باسم الملك الطريد أبى عبد الله الصغير ، ذلك الذى كان ملك الأندلس ، وسيد غرناطة ، وصاحب الحمراء ، سليل الملوك الذين جعلوا الأندلس جنة الدنيا ، ومدرسة العالم ، ومشرق أنوار الحضارة ؟ لقد خدعوه كما خدعوك ، فأعطوه العهود والمواثيق ، وأقسم عليها ملوكهم وسادتهم ، وشهد بها أعاظمهم وأشرافهم . وصدق عليها البابا أمين دينهم وسيدهم على أن يدعوا له قصوره ودوره وأمواله وجواهره ، وحكمه وسيادته ، وعلى أن يتركوا قومه أحراراً فى عبادتهم وبيوتهم ومعاملاتهم وتجاراتهم ، وأن يكفلوا لهم راحتهم وهناءتهم وأموالهم وأمتعتهم ؛ فلما ملكوا أخرجوا الملك من أرضه وبلاده ، فرأى لآخر مرة شرف الحمراء ، وجنان العريف ، وجبل شلير ، ثم مضى تتغلغل به السفينة فى أمواج البحر ، وصورة الأندلس تنأى وتبتعد ، حتى توارت وراء الأفق ، فخرجت من حيز الواقع لتدخل فى حيز الذكرى ، ولتكون أمنية فى نفس كل مسلم ، يوصى بها السلف الخلف . ويأخذ منه العهد على استرجاع « الفردوس الاسلامى المفقود » ، وعمدوا إلى مسلمى الأندلس ، فأخذوا مساجدهم ، وأحرقوا مكاتبهم ، وفيها ثمرة العقول البشرية منذ مطلع التاريخ إلى ذلك العهد ، ليتلهوا بلهيبها فى ليالى انتصارهم ، وأنشأوا لهم محاكم التفتيش لتدخلهم فى النصرانية قسراً ، وتحرقهم أحياء ، وتعذبهم عذاباً لا يتخيله إنسان . . .

وها هم أولاء الأندلسيون بعد أربعمائة وخمسين سنة ، وبعد احتمال أهوال لا يحتملها بشر ، وبعد أن تنصروا جميعاً ، لا يزالون ذاكرين عربيتهم معتزين بها ، ولا يزالون يحاولون الرجوع إلى الأم العربية الكبرى ؟

أفتلين الحبشة التى لم تزل عزيزة ، وتندمج فى الطليان فى أيام معدودات ؟

* * *

ساجيء هذي الدار

للأستاذ فخري أبو السعود

البدر فضَّ غياهب الديجور   وأذابَ لجــة بحره المسجور
أضْفى على وادى المنية روعةً   من صَوْبِ ضوء سال كالبِلُّور
فازدادت الأجداث فيه مهابة   لما أُنجابَتْ فى نوره المنثور
قرَّتْ ، وقرَّتْ سامقاتٌ حولها   عُطِّلْنَ من نَسَمٍ وسَجْعِ طيور
فـكأنها فى صمتها ومُثولهـا   أشـباحُ وادٍ نازحٍ مسحور
وأوَى الظلامُ إلى خرائب منزل   خلف القبور مهـدَّم مهجور
مُقْوٍ من الأحياء والمَوْتَى فلا   هوفى القبور يُرَى ولا فى الدور

وأتيتُ متَئِدَ الخُطَى متأنياً   أنْسَلُّ بين حفائر وقبور
أجتازُ فى وادى المنون مُطَهَّرًا   للنفس فيــه أيَّما تطهير
متذ كِّرًا فيــه وكم مِنْ عِبرة   لمِنِ ابتغَى فيـه ومن تذكير
حيثُ الصعيدُ جماجمٌ ومعاصمٌ   وجِباهُ صُـيَّابٍ وأعيُنُ حُور
حيث انطوتْ سِيَرٌ خَوالٍ وانتهتْ   أشغالُ أجيالٍ وحربُ عصور
وخَبتْ معارك لم يكفكِفْها سوى   حملاتِ جيش للحِمام مغير
وخبَا ضِرامُ محبَّـةٍ وعداوةٍ   وهمومُ أفئـدة وداء صدور
أَستَخبِرُ الأجداثَ عما استُودِعَتْ   من كلِّ منخوبٍ بها منخور
ماذا صنعن بفاتنٍ ومنعَّم   وجليل شَيْبٍ جاهها وصغير ؟
كم غَيَّبَتْ من كان مَطمَحَ مُهجةٍ   ومناطَ آمالٍ وعقْــدَ أُمور
طَوَتِ الأليفَ فإذْ بَـكاهُ إلْفُهُ   ثُنِّتْ برَبِّ المدمع المنثور

سأجيء هذى الدَّار يوماً لاحقاً   مَن غادَرُوا بالقلب بَرْحَ سعير
ومُخَلِّفاً بعدى حزيناً موجعًا   يبكى بدمعٍ للفراق غزير
يبكى وما عبراتُه فى أَوْبتى   بالشافعاتِ ولا الرَّدَى بعذير
وتقَرُّ فى تلك الغيابة أعْظُمى   من بعْدِ كَدٍّ دائبٍ مكرور
يَسْلُو بهـا قلبى قديمَ مآربٍ   كانت وينزع عن أسى وحبور
غفلان عن سالٍ لذكرى جامدٍ   أوْ جائدٍ بفؤاده المفطور
ويُطل ذاك البدرُ فوقى زاهياً   يجلو سـناه غياهبَ الديجور

فخري أبو السعود

نشيد الأستاذ محمد فضل إسماعيل

وهو الرابع الذى نال إحدى الجوائز

مَهِّدُوا لِلْمُلْكِ أبْرَاجَ السَّماءْ   وارفعوا فى ساحةِ المَجْدِ اللِّوَاءْ
واسْمَعُوا من جانب النيلِ النِّدَاءْ   مصْرُ للمصريِّ قلبٌ وجَنَانْ

نحن أبناء الأُولَى   طاوَلوا مُلْكَ الشُّهُبْ
قد خطَوْنَا للعُلا   فوق أعناقِ الحُقَبْ

مجدُها باقٍ عَلَى مَرِّ الدهورْ   خَلَّدَتْه فى حناياها العصـورْ
فى جلالٍ ناطقٍ بين الصُّخورْ   حَيَّرَ الدنيا على مَرِّ الزمانْ

نحن أبناء الأُولَى   . . . .

لاَ نَهابُ الموتَ فانظر يا قدَرْ   كيف لا نهتَزُّ يوماً للغِيَرْ
نحن شَعْبٌ مِلْءُ واديه الخطَرْ   خاضَ للعَلْياء لُجَّ الغَمْغَمانْ

نحن أبناء الأُولَى   . . . .

قد تآلَفْنا على حبِّ البلادْ   فانْطَلَقْنا فى ميادينِ الجهادْ
نُشْهِدُ الأرْضِينَ والسَّبْعَ الشِّدادْ   أنَّ الأهْرامَ عِزًّا لاَ يُهانْ

نحن أبناء الأُولَى   . . . .

دِينُنا فى مصرَ مَوْفُورُ الجلالْ   ليس معناهُ صليبٌ أو هلالْ
إنما معناه مُتْ يومَ النِّضالْ   بِئْسَ مَنْ يَحْيَا كما يَحْيَا الجبانْ

نحن أبناء الأُولَى   طاوَلوا مُلْكَ الشُّهُبْ
قد خطَوْنا للعُلا   فوق أعناقِ الحُقَبْ

أجل أيها الأمبراطور ! إن الحبشة لم تنهزم ، ولـكن انهزمت جمعية الأمم ، وذبحت مبادئها فى الحبشة ، كما انهزمت الحضارة ومحيت أعلامها فى الأندلس !

إن جمعية الأمم لم تـكن أوثق عهداً من البابا ، وإن موسولينى لم يكن أرق من فرديناند ، وإن الطليان ليسوا خيراً من الاسبان ، وإن القرن الخامس عشر ليس شراً من القرن العشرين . . .

***

أما أنتم يا كتاب التاريخ فسجلوا :

« لقد كانت حادثة الحبشة فضيحة القرن العشرين ! »

(دمشق)   **علي الطنطاوي**

صوتَ مَنْفِيسٍ يُدَوِّى كالرُّعودْ   هَيِّئوا للنيـلِ مَجْدًا فى الخلود
فابْتَنَيْنَا مثلَ بُنْيَانِ الجُدُودْ   كَعْبَةً للنُّبْلِ فى أعلَى مكانْ
نحن أبناءُ الأُولَى   . . . .

فاجرِ يا نيلُ بوادِيكَ الأمينْ   إنَّهُ وحْىٌ منَ السِّحْرِ المبينْ
تاجُهُ فى الدَّهْرِ وضَّاحُ الجبينْ   ينحنى فى جانبيه النَّيِّرانْ
نحن أبناءُ الأُولَى   . . . .

واسقِنا يا نيلُ من نَبْعِ الحياهْ   أنْتَ للأوطان جاهٌ أىُّ جاهْ
يَسْتَميتُ الشَّعْبُ حُبًّا فى عُلَاهْ   من شبابٍ أو كهولٍ أو حِسَانْ
نحن أبناءُ الأُولَى   . . . .

حولك الغُرُّ المَيَامِينُ السِّماحْ   يدفعونَ الضيمَ من كلِّ النَّوَاحْ
فاجرِ يانيلُ وفِضْ بين البِطاحْ   أنْتَ والكوثَرُ فيها توْأمَانْ
نحن أبناءُ الأُولَى   . . . .

قد وقَفْنَا فى ثباتٍ كالجبالْ   فى صُفُوفٍ صَدْعُها صَعْبُ المنالْ
صوتُنا يملأُ آذانَ الليالْ   مصرُ للمصرىِّ عاشتْ فى أمانْ

نشيد الأستاذ محمد الأسمر

هيَّــا بنا إلى الأمامْ   هيـا بنا هيـا بنا
المجد فى الدنيـا زحامْ   فزاحموا نحـــو المنى
واسعَوْا إلى خير الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملك . يحيا الوطن

نحن الحيـاةُ للبلادْ   ونحن فى مصر العلَمْ
إذا دعا داعى الجهادْ   كنا بهـا أسد الأجمْ
نذود عن أرض الوطنْ
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملكْ . يحيا الوطن

يا مصر يا كنز الوجود   نحن على الكنز أسودْ
ونحن أمثالُ الجدود   نفنى ونعطيك الخلودْ
يا مصر يا خير وطن
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملك . يحيا الوطن

هيا بنا إلى الأمامْ   هيا إلى الذكر الحسن
فنحن من بين الأنام   تاجٌ على رأس الزمن
ونحن روح للوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملك . يحيا الوطن

هيا بنا ، هيا بنا   نبنى الخلود والبقاء
نبنى ونرفع البنا
المجد فى الدنيا لنا   لما بنى الله السماء
بنى لنا مجد الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن   يحيا الملك . يحيا الوطن

منظر النيـــل الأزرق
فى بعض بلاد السودان
للأستاذ عبد الله عبد الرحمن

أىّ حسن تراه لم يحرز النيـ   ـل وأى الجمـــال إلاّ لديه
رفّ فيـه النبات حتى كأنى   من وراء النبات أرنو إليـه
وكأنّ المياه صفحة خدّ   وكأنّ الظلال شامٌ عليه
وكأن الدخان من جانب الـ   ـشطّ مشيب يلوح فى عارضيه
يتلقى الأديب منـه قوافى الـ   ـشـعر رقراقة على حافتيه

وعلى متنه كهارب قامت   تبهر الناظرين والليـل قاتم
كسيوف مجردات على المـا   ء مواضٍ له من البرّ قائم

نازعتنى أقول فيـه القوافى   نفس حر إلى الجمال نزوعه
فتمشيت والهواء عليـــل   غير ما ناقل خطى السريعـه
وظلال الجميز والطلح والسد   ر ترامى على المروج الوسيعه
ووجوه النبات تحلو وتبـدى   صوراً للحياة كانت بديعـه
ليس أدعى إلى السرور كروض   خلعت حسنها عليـه الطبيعه

فاذا ما دنا المغيب تدانت   من صنوف الطيور شبه الغمائم
رائحات إلى الوكور ولـكن   هل تقيها الوكور كيد ابن آدم

(الخرطوم)   عبد الله عبد الرحمن



هواجس

بقلم حبيب الزحلاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

أكثر ليالى الصيف فى مصر مقتطعة من فراديس النعيم لعشاق اللهو والاستمتاع يا لله !! كم ليلة قضيناها على شواطىء النيل نستمتع بانسياب أمواهه الهادئة ، نشاهد مثاوى الأشباح تحت ظلال النخيل ، نراقب أنوار المدينة ونجوم السماء تتناقص وتنطفىء وتتلاشى على بساط الفجر وإشعاع الشمس

يا لله ! كم ليلة سمعنا فيها أغانى أم كلثوم وصوتها العذب الحنون ! وكم أصغينا إلى نشيج محمد عبد الوهاب وأنغامه المسترخية المستلينة ، وكم لمسنا فيها تفاعل الاغماء والتماوت ، لقد شهدنا على المسارح تمثيل القردة المقلدين واسترعى انتباهنا ممثل هزلى بارع ، إحساسه فى وجهه ، وعقله فى نظرات عينيه ، وبراعة فنه فى إيمآته وسكونه ، هو ذا نجيب الريحانى المطبوع على الفن

كم ليلة جسنا فيها حلقات الأدب ، ومجالس العلماء ، و(بعكوكة) الظرفاء ، وصالات المتأدبات ، لقد كانت الرغبات هى كل شىء فى عرف صديقتى أنيسة تدفعها إلى معرفة كل شىء ، وكانت تقول : « متى انقطعت الرغبات انقطع حبل الحياة معها ، وتجزم بأن من يتعمل قتل رغبات نفسه كان كمن يحاول الانتحار » كانت تعرف الرغبات الجوالة فى صدور الساسة « بأنها تقدر لما تحتاج إليه النفس الانسانية الكبيرة » وتقول : « لا خير فى جهود تبذل إذا كان رجل السياسة يعجز عن إدراك رغبات مواطنيه وحاجاتهم » وقالت عن المصريين : « إنهم كشعب ، يعرف جيداً كيف يفرح ويحقد ، ولكنه لا يعرف أبداً كيف يغضب وينتقم » لقد قالت لى صديقتى عن مجالس النساء والرجال قولاً ظريفاً فيه مداعبة ومفاكهة ، ولذعات وسخرية قالت : « إنه قد يعسر عليها إيجاد رجل واحد خليق بأن يسمى رجلاً بين مائة ممن لقيتهم من الأدباء والعلماء والكتاب والسياسيين ، وإن المرأة المصرية ليست إلا أنثى » ، وكانت تضحك من الشبان المتكرشين والصبايا المترهلات وتقول : « إن الرياضة تعلم الشباب الاعتداد بالذات »

شيطان صديقتى شيطان ذكر ، نبت فى الشرق وتمرد فى أمريكا فصير صاحبته كعصير العنب المستقطر بالبيانسون فائدته فى قتله بالماء ، وهكذا متى عادت صديقتى إلى أمريكا سيتذوق الأمريكان خمرة معارفها ويستوعبون عمق وعيها وإدراكها وواسع اطلاعها ، وقد مزجت ثقافتها الأمريكية بروح شرق خاصته الالهام والفيض

لقد عرفت نفسية صاحبتى تصغى إلى كل نأمة ، تستوعب الكلمة والغرض ، تلمح البادرة الخاطفة ، تدرك مرامى النكتة ، تقيد شوارد الفكرة وهمسات الفؤاد وسبحات الأحلام ، تسمع ولا تتكلم كغالب السوريين ، ولكنها متكلمة يطيب لها الحديث تحلل فيه ما سمعت وتنقد ما رأت ، على ضوء كأس من الوسكى « كناديان » وسيجارة أمريكانية لا تنطفىء من ماركة « لكى ستريك »

علقت الوسكى وأدمنت التدخين ، فكانت تصدنى عن الأول لو حاولت شرب كأس قبل الطعام ، ولا تسمح به إلا بعيد منتصف الليل ، لأنه يعاون الجسد على الاستغراق فى النوم ، وتستكثرنى من التدخين ، لأنه يجلى البصيرة على رقصات الدخان وتلاعب تموجاته

شهران من شهور الصيف كانت لياليهما لنا ريادة استكشفنا بها أشياء كثيرة ، منها أغانى الرمال وأنغامها فى الصحراء متى داعبها النسيم أو عصف الريح ، جثوم أبى الهول عند أقدام الأهرام ، هدير النيل فى الشلال وعظمته فى القناطر الخيرية ، فى غابات النخيل المتكاثفة فى كثبان الرمل ، وقد رأينا أشياء كثيرة فى النهار من معالم مصر كقبور الفراعنة ومخلفاتهم الباقية على الدهر ، والجوامع والأديرة والمدافن وسواها مما لم يحفزنى حافز من قبل الى مشاهدته

شهران كانا لى رياضة نفسية عجيبة كنت أتمرن فى خلالها

على الاستنباط من لوحة ذكريات الطفولة ، صوراً بزيئة أعرضها على مجهر خيالى وقد استفاق على المعرفة ، والبحث عن المعلوم والمجهول . يالله من اصطدام الطفولة البريئة بالرجولة المحنكة ، من قوة العقل تكبح جماح طفرة النفس ، من صعوبة سيادة الملكات الانسانية المكتسبة على نزوات الطبيعة الوحشية ، من همهمات ملائكة الضمير على وسوسة الشيطان الرجيم . . . . ! !

... ...

* * *

وقفت قبالة عربة القطار المقل لصديقتى أنيسة عبر حدود مصر وقفة سهوم وفتور ، بل وقفة الكلف الولوع المكتوى الفؤاد ، أخاف الفراق وأفرق منه لأنى سأصبح مضطرب الخيال ، فريسة الوحشة ، يتيم الروح . ولما هم القطار متثاقلاً فى حركته ، كان الألم المكبوت يوشك على الانفجار ، ولكنه تحول دموعاً انهمرت سخينة على يد صديقتى وقد قبلتها لأول وهلة

رفعت ذراعى ولوحت بها فى الفضاء ، غير أن الصور اختلطت على وغاب القطار

من لى بمن يعبر عما كان يتجاوب فى صدرها من حنان وحب ؟ من لى بمن يعبر عن نظراتها هل كان يغشاها طيف حزين ، أو هى فاترة ساهمة ؟ من لى بأفاك يضحك منى فأصدق تقوله إنها استسلمت للأسى والمرارة كما استسلمت أنا ، وأن أحلام سعادتها قد انتعشت من جديد كما انتعشت أحلام سعادتى بأمل ورجاء ؟ !

لا . . . . لم يعد بى حاجة الى متقول يضحك منى إرضاء لضعف الطارىء المستحب ، لم تعد لى بالاستهواء الذاتى فائدة لأنى قدرت ، بعد انقضاء أيام من الألم المضنى ، أن البرزخ الفاصل بيننا متعذر العبور ، ولكن شيئاً جديداً أعاد إلىّ رجائى ، أحيا فىّ أملى ، لقد أخذت كتب صديقتى تصلنى تباعاً كل أسبوع ، فى كل شهر ، فيها التوضيح والتبسيط لكل خلجات عواطف المرأة التى تعرف كيف تعبر عنها تعبيراً صحيحاً فى حالة الانغماس فيها أو فى حالة القدرة على وصفها بالكتابة ، أما الفصول القيمة التى كانت تنشرها فى المجلة الأمريكية ففيها من التفصيل الدقيق لذاتية الأديب الفنان الذى يتخذ من المشاهدات الواقعية والذاتية ومن الخلجات العاطفية أداة للخلق والابتداع

صارت خطاباتها على مر السنين مصدر وحى لى فياض بخصائص الحياة وعناصر الرغبة فيها ، كنت أستلهم سطورها أدق المعانى وأبرع التصورات ، وأشعر بسحرها يغشانى فتشرق نفسى لأنه كان كنغمات بعيدة عميقة لصوت حالم طروب حملها الأثير من جوف وادى الظلام ! ! إلا أنه حدث ما لم أكن أتوقعه ، حدث أن جاءنى كتاب منها تقول فيه أن أكف عن مراسلتها كما أنها ستنقطع عنها ريثما تعالج من مرض ألم بها فى إحدى المصحات وتدعونى الى الصلاة لأجلها ، أو أبكيها بدمعة واحدة إذا استنزف الداء حيويتها ! !

عام طويل أجوف كأنه دهر من العدم حاق بى من كل جانب كنت فيه كالمشلول خولط فى عقله ، لا هو من الأحياء فينفع ولا هو بميت فيدفن . أما الآن فحمداً لله ، فقد كتبت لى صديقتى تقول إنها استعادت عافيتها وبرئت من علتها فتخلصت أنا من التأرجح بين العدم والوجود ، وشفيت من تقلبات النفس وانفعالاتها العكسية . . .

وانتصب واقفاً وقال : لقد دعوتكم الليلة يا رفاق صباى وعشراء كهولتى لأفضى اليكم بما كان بى من هواجس ، وأعترف لكم اعتراف المثقل بالفرح ، فهيا نشرب كأساً من الشمبانيا تبرد اليد التقدة الممسكة بقلبى منذ عام ، وقد أفلت من مقابضها اليوم

لم يتقدم واحد للشراب بل قال قائل : هل لمثلك وقد جاوزت الخمسين من عمرك أن يستغرقك الحب ويرديك فى مهاويه ؟ وقال آخر : ليس ما كان بك هو الحب ، انما هو أنانية اشعلت نارها امرأة مكبوتة حساسة عاشت على الحنين الى الماضى فى بيئة غريبة عنها . وقال الثالث : ان ما كان بك يا عزيزى هو حرمان أخرس حلت الفرحة الفاجئة عقلة لسانه فصرخ صرخة الوداع ! !

وقال الرابع : لقد أنطقتك الخمر بما كان يجب السكوت عليه ، وتبخرت اعترافاتك هذه نشوة سوف لاتلقاها بعد الآن .

وعاد الأول فقال : لقد كان الخيال البعيد يشعرك بالذكرى المفقودة فكنت تتعمد إثبات وجودها بكأس كنت تشربها فى وقت معين ، وبسيجارة كانت تصور لك مرائى الماضى الضائع ، وتخيلات تلك الليالى الهاربة من أجواء أحلام الشعراء ، أما الليلة فقد بددت كل شىء ، بددت كنز وجدانك ، لأن رجل الحياة هو الذى يحب ويتعذب ويموت فلا يشتكى ولايبكى ، وقال آخر وهو يلوح بيديه ويلوى عنقه وشفته : ما هو الحب ؟ أليس هو . . . أليس هو ؟ ؟ ؟

لا . لا يا أصدقائى ، ليس الأمر كما تتوهمون ، ليس الحب

العالم المسرحي والسينمائي

الممثل والمخرج المصري

كما يراه بعض الفنانين الايرلنديين

(رد على حديث لمجلة الرسالة)

للأستاذ زكي طليمات

تفضل ناقد « الرسالة » الفني فنقل في أحد الأعداد الماضية حديثاً عن المستر هيلتن ادواردز مخرج فرقة (دبلن جيت) الأرلندية التي عملت بمسرح الأوبرا الملكية في نهاية هذا الموسم ، حديثاً تناول فيه الممثل المصري والمخرج المصري بما تراءى له بعد أن شهد رواية (السيد) التي مثلتها أخيراً الفرقة القوميـــة المصرية بدار الأوبرا

فعن الثناء والنقد الذي خص به هذا النفر من الممثلين والممثلات أقدم للمستر ادواردز شكري الخالص ؛ وكنت بدوري أود لو أتيحت لي فرصة التمثيل أمامه لأسمع رأيه فيما أقدمه ، وأتعرف مواطن الأستاذية أو الضعف في فني ، إذ لكل مفتن ، مهما بلغ شأنه في فنه ، نواح لا تخلو من المآخذ

أما عن المخرج المصري ، وقد خصني المستر ادواردز بالذات ، فأرى لزاماً عليّ أن أتقدم إليه ببضع كلمات إقراراً للحقيقة التي ننشدها جميعاً ، وكشفاً لبعض بواطن الأمور التي أصدر فيها المخرج الارلنـدي حكمه على مظاهرها دون اضطلاع بالظروف والملابسات التي أحاطت باخراج رواية (السيد)

المذهب الواقعي والمذهب الايحائي

كان أبين ما أخـذه عليّ المستر ادواردز أنني أتبع طريقة المذهب الواقعي Le Realisme في إخراج الرواية ورسم مناظرها وأستارها . وهذا المذهب يحتم بقدر المستطاع نقل مظاهر الحياة كما هي بتفاصيلها العادية وتفاهاتها الحقيرة ، ونعى على أنني لا آخـذ فيما أعمل بالمذهب الايحائي Suggestion ، وهو

ما تقول أنت ياصديق ، وأشار الى المتكلم الأخير ، إنما هو شعور بالحياة ووسيلة فعالة تصقل المدارك فتجعلها تتبصر وتتفقه المعاني لجمال الحياة ، لابد للرجل الحي من شعور سام بالحياة ، فالحياة نفسها تسعد بالحب السامي . إن ما تمنحه المرأة للرجل عفو النزوة الطارئة أو الرغبة الطائشة أو المتعة الخاطفة إنمـا هي منحة متبذل بضع احترامه تحت أقدام الرجل . الحرمان لرجل الشهوة شواظ كومة قش مشتعلة ، والمرأة المسؤولة حنان مدفون لذيذ وعطف دائم ، مستحب . الحرمان للرجل المثقف إنما هو مراء ومشاهد ، وأنغام وألحان ، أطياف وظلال لخيالات المثل العليا التي تتخيلها روحه العظيمة وشاعريته الحساسة التي تلد وتنجب وتخلق وتبتكر

إن حقيقة بواعث ذلك الحب انما هي بذرة الغريزة ألقتها الطفولة البريئة اعتباطاً عند ما استبدلت الرمانة بتفاحة ودست صورة العذراء في محفظة الـكتب ، وقد أنتجت على كر السنين تقارباً يضارع انحدار الـكهل في سلم الحياة ليلاقي الطفولة من طرفه الآخر ، وهذا الانحدار يشبه طرفي قوس يتقابلان ، ولا يتقاربان ويتماسان إلا إذا انكسرت القوس ! ! ؟

انطلقت حنجرة أحد السامعين بضحكة كبيرة وقهقهة عالية كأنها صوت حجر الطاحون وقال : فلسفة مخمورة وهواجس سكرى هي ما تقوله أيها الصديق . ولله إني لأعجب من تخبطكم جميعاً في الحب وتـكلفكم ابتداع صور له تشوه وجهه الحقيق ، الحب أيها السكارى نداء جنسي . الحب أيها المتفلسفون تجاوب غريزي لنـداء الجنس . وإن كل ما تختلقه خيالاتـكم وتبتدعه عقولـكم انما هو وصف مبرقع لحقيقة العلاقة الجنسية التي تأنف من البراقع

حبيب الزحلاوي

الذهب الذى ساد فنون الرسم والنحت والتصوير جاعلاً من مظاهرها فناً مركزاً ينبو عن محاكاة الطبيعة كما تراها العين المجردة أو عدسة الكاميرا ، على حين أنه يجمع من الأشياء خصائصها الرئيسية التى توحى بالجزئيات والتفاصيل ، وتبعث مخيلة الرائى على استكمال ما أنقصته عمداً يد المفتن

ثم ساد هذا المذهب أيضاً فن الاخراج المسرحى فجعل من مظاهره المادية (وهى الأستار والملابس والاضاءة) ، ثم من مظاهره النفسية (وهى إلقاء الممثل وإشاراته) ، فناً يجنح الى البساطة الموحية الغنية ، ويميل الى التركيز بل يهوى أحياناً إلى مقاربة الفن الرمزى Le Symbolisme من حيث المغالاة فى التفسير بالرئيسيات عن الجزئيات والدقائق

وكانت هذه النقلة من جراء تقدم فن الفوتوغرافيا ثم فن السينما الذى جعل كل محاولة من جانب المخرج المسرحى فى نقل الطبيعة ومحاكاتها على المسرح ضرباً من السخف ولوناً من الهزل الفنى الذى يجب أن يترفع عن إتيانه كل متفنن يتأثر بروح العصر ومزاجه العام

وغالى بعض المخرجين فى توليد هـذا المذهب ، ولا سيما بعد أن نزلت بفن المسرح كارثته الأخيرة ، وكسبت السينما النصر فى استمالة الجمهور ، فجعلوا من المناظر المتعددة فى رواية واحدة منظراً واحـداً يشيد بحال يمكن المخرج من تمثيل كافة مشاهد الرواية فى أقسامه المختلفة مع إضاءة القسم الذى يجرى فيه تمثيل المشهد وإبقاء الأقسام الباقية فى الظلام ؛ هذا مع الاستعانة ببعض الأستار الجزئية أو الأثاث والمهمات ، حتى لا يتصدع ما يصح أن (تعقله) عين الجمهور la vraissemblance ، وحتى لا تصطدم مخيلة النظارة بما يخرج على المنطق الايحائى الذى هو الباعث الأساسى لشهوة الجمهور المثقف على تذوق هذه اللذة الفنية ، لذة الايحاء واستساغتها

وقد عمد المخرجون ، ولا سيما الانجليز منهم والألمان ، إلى هـذا الاتجاه الفنى ، وهو ليس بالفن الجديد لأنه عرف على حالة أولية فى مسارح القرون الوسطى بأوروبا وفى المسرح الانجليزى فى عهد شاكسبير والملكة اليصابات ؛ عمدوا إلى ذلك بعد أن أفلس المذهب الواقعى الذى عمدته Antoine فى فرنسا ، و Stanislavsky فى الروسيا ، فى محاولة إنقاذ المسرح بعد أن اكتسحته (الكاميرا) مستشعرين قصور ميكانيكية المسرح على تقدمها الأخير عن بلوغ الشأو الذى قطعه فن السينما فى إيراد مناظر لا حد لها ولا نهاية بأيسر الوسائل وأقل التكاليف

وأرادوا بهذا أيضاً ، وهو الصميم ، أن يقدموا للنظارة لذة ذهنية جديدة غير تلك التى يقـدمها فن السينما القائم على تعدد المناظر والعرض الواسع ومحاكاة الطبيعة فى أدق مظاهرها ، لذة أساسها التخيل واستثارة الخاطر وإشعار النظارة لذة التوليد مما هو مركز ، وجمال الكشف عما هو مغلق أو يكاد . وأصابوا التوفيق لدى الجمهور المثقف المشحوذ الخاطر ، ولا سيما الجمهور الانكليزى الذى يحمل فى آدابه تقاليد المسرح الشاكسبيرى

وقد أطلق المخرجون الفرنسيون على هذا النوع من المنظر المركز اسم Simultané

وليعـذرنى المستر ادواردز إذا أنا لم أسهب أكثر من ذلك لضيق المقام ، ولأن الأكثرية الغالبة من القراء لا يأبهون ولا يتذوقون الكلام فى هذه الفنون الغريبـة عن آدابهم القديمة والحديثة ، ولكننى أذكر له أننى قرأت ما كتبه المخرج الانجليزى الفقيه (جوردن كريج) ، والألمانى (رينهارت) ، والفرنسيان العبقريان (كوبو) و (جيميه) ، والأخير هو أستاذى فى مسرح الأودبون ، وقد شاهدت مآثر فنهم واتجاهاتهم الحديثة فى الروايات التى رأيتها فى لندن وبرلين وباريس

بعد هذا أعترف بأننى لم أعمد إلى المذهب الايحائى المبالغ فيه simultané وهو المذهب الذى تبعته الفرقة الارلندية فى اخراج روايتى (هملت) و (روميو وجوليت) على مسرح الأوبرا ، لأننى أعلم ، وأنا مصرى وأعمل للمسرح منذ خمسة عشر عاماً ، أن الجمهور المصرى ، بحكم مزاجه العام ، لا يتذوق هذا الاتجاه الفنى ، بل ولا يستطيع أن يفهمه ، بل إنه ليرى فيه ضرباً مما يخالف المعقول ، وذلك بحكم أنه جمهور غير مثقف فى أغلبيته تثقيفاً فنياً كاملاً ، ولأنه جمهور (لاتينى) من حيث ثقافته

وإذا كان المخرجون الانكليز والألمان أكثروا من استعمال هذا الصنف من المناظر فلأن ثقافتهم من (الشمال) ، وثقافة (الشمال) يملوها الضباب والسحاب ، وليس فيها وضوح الثقافة

اللاتينية التي قامت فى بلاد البحر الأبيض المتوسط ، حيث وهج النهار يكشف عن دقائق المرئيات . وإذا كان الجمهور الانكليزى يرتاح إلى مشاهدة هذا النوع من الاخراج فلأنه جمهور شكسبير وجمهور المسرح الثابت الستار الذى تجرى فى ساحته الواحدة معارك القتال ومعارك الغرام وغيرها ؛ ويكفى أن يرمز لكل منها بلوحة مكتوبة حتى يستقيم المنطق لدى النظارة وحتى ينزو كل خاطر من كمينه

وفوق هذا ، وعلى اعتبار أن الجمهور المصرى يفهم ويستسيغ هذا النوع من الاخراج ، فانني ما كنت لأخرج رواية (السيد) وفاقا لما يراه المستر ادواردز ويعتبر أنه قطرة العطر المختارة فى سائر وسائل الاخراج ، لأنها رواية من صميم الأدب الكلاسيكى ، ولأنها من الأدب اللاتينى القائم على الوضوح والبساطة ، ولأنها رواية أساسها (الكلم) le verbe لا العرض le spectacle ، والمستر ادواردز يعرف حق المعرفة أن المخرج الحق ، المخرج الذى لا يقدم الشيء الغريب ليعرف بالغرابة ، مقيد بروح الرواية وبنوعها الأدبى ، ومن هذا المصدر يستوحى الاتجاه الفنى ويتخير وسائله فى الاخراج ، ولا سيما فيما هو خاص بالاطار المادى الذى تبرز فيه الرواية la mise en scène picturale ، وأعنى به فيما أعنى مناظر الرواية وأستارها

إذن فليسمح لى المستر ادواردز بأن أقول إنه تسرع فى حكمه قبل أن يتعرف ذوق الجمهور المصرى ، وأنه من أولئك النفر من المخرجين الذين يريدون أن يجعلوا من فن الاخراج فناً قائماً بذاته لا يحفل بروح الرواية ولا يحترم إرادة مؤلفها ولا يأبه بمكانها من الاتجاهات الأدبية ؛ وإننى أربأ به عن هذا النفر ذى السمعة المعروفة ، وأقول ، محسناً الظن بنقده ، إنه أخذ علىّ فى الاخراج وسيلة لا يميل اليها شخصياً

أما إننى خرجت على المذهب الايحائى البسيط الذى يستطيع أن يتذوقه الجمهور المصرى ، والذى يماشى روح الرواية ، فأمر لا يقره الواقع ؛ فالمستر ادواردز قد شاهد بعينيه أننى ركزت على جانبى مقدمة المسرح عمودين من النمط الذى كان شائعاً فى القرن الحادى عشر ، وهو عصر الرواية فى اسبانيا L'art roman ، عمودين يجمع بينهما (قبو) لا يرى النظارة منه سوى بدايته فوق كل عمود ، على حين أننى لم أكمل الباقى وأسدلت ستاراً من العلاء يغطى ما تعمدت اخفاءه ، وذلك بقصد الايحاء ، عمودين لا يحملان فى قطعهما وتصويرهما جزئيات الحقيقة ، بل يبدوان وعليهما أهم مميزات النمط ، وذلك نزولاً على مبدأ المذهب الايحائى الذى أنا أول من قدمه فى مصر ، ولا سيما فى روايتى (تاجر البندقية) و (أهل الكهف)

وبذلك أحييت الصبغة الزمنية والمحلية بأسهل الوسائل

كذلك عمدت الى الأستار المخملية ذات اللون الواحد لتمثيل حجرة ابنة الملك وحجرة (شيمان) ؛ ستاران أحدهما رمادى والآخر بنى اللون ، يهبطان الواحد خلف الآخر وراء العمودين ، واستعنت بالأثاث للتنبيه على الايحاء فى احياء الصبغة المحلية ، فكان أثاث حجرة شيمان من الفن الأسبانى فى القرن الحادى عشر ، وكان أثاث حجرة ابنة الملك من الفن العربى باعتبار أنها من الأسلاب التى غنمها الأسبان من العرب بعد أن أكرهوهم على الجلاء عن قصورهم

ثم كان المنظر الذى يمثل ساحة أو ربوة بجوار المدينة حيث يتبارز الكونت والدوق دياج ؛ هذا المنظر قد رسم وفاقا لصميم المذهب الايحائى المتطرف ، بل لقد أمرت المصور الذى رسمه بألا يتبع قواعد المنظور فى رسمه ؛ وكل هذا بقصد استثارة مخيلة النظارة ودفعهم إلى توليد لذة ذهنية تطالعهم بعد التفكير والامعان

ولكن حدث بعد ذلك أن شاهد المستر ادواردز منظر ساحة العرش فى قصر الملك ، وهو منظر يمت بحق إلى (المذهب الواقعى) ويحطم بحق أيضاً الوحدة المسرحية Unité scènique التى يجب أن تسود سائر مناظر الرواية ، وكان أن صاح المستر ماك ليمور زميل المخرج الأرلندى النابه بأن المخرج قد أخطأ !!!

نعم لقد أخطأت ... ولكن ليس عن جهل بأيسر وبأولى قواعد فن الاخراج . وهنا أستطيع أن أروى ما قد يرسم ابتسامة الاشفاق على شفاه الزميلين العزيزين ...

المسألة وما فيها أن مصور المناظر لرواية (السيد) لم يتمكن من انجاز هذا المنظر فى الوقت المناسب ، فاضطررت — أقول اضطررت — على الرغم منى ، وعلى الرغم مما يعمر رأسى من فنون الاخراج ، أن أستعير منظرا من مناظر دار الأوبرا الملكية

حتى لا يتأخر تمثيل الرواية ، وكان هذا الظرف المحرج الذى لم ينفع فيه علمى ، ويصح أن أقول للزميلين إن مناظر الأوبرا لم تعرف بعد المذهب الايحائى ؛ وقد ضحك منى رئيس الميكانيستية حينما وضعت ستار المؤخرة فى رواية (أهل الكهف) من القطيفة ، على حين أن بقية أجزاء المنظر كانت من الاطارات المرسومة الملونة

إذن ليعذرنى الزميلان ، وكان يجدر بهما — وهذا ما آخذه عليهما — أن يتريثا فى الحكم على زميل ، وألا يصدرا هـذا الحكم بعـد مشاهدة رواية واحدة خذلت برغمى فى الاحتفاظ بوحدتها المسرحية

وليعذرنى أيضاً الزميـلان إذ أن مصورى المناظر فى مصر — ومن بينهم الأجانب — لا يعرفون شيئاً عن المذهب الايحائى ولم يسمعوا بعد عن سائر الاتجاهات الحديثة من symbolique و expressionniste, و Cubiste ، وإننى أجاهد معهم متعبا و ...

وإن البعض من الممثلين بل والنقاد ، عدوا المناظر التى قدمتها فى رواية تاجر البندقية وكلها ايحائية محضة ، نوعاً من التمرين الأولى فى فن التصوير والرسم مما يقدمه طالب بالمدارس الأولية

الإضاءة

يقول المستر ادواردز « إننى لم أقصـد من الاضاءة إلا أن أكشف المناظر والممثلين للنظارة ، وإننى لم أستخدم الاضاءة لغرض أو فكرة خاصة إلا فى موقف واحد فقط بين (السيد) وحبيبته » ومجمل هذا الاتهام يناقض بعضه بعضاً ، فهو يعترف أننى استخدمت الاضاءة لفكرة وغرض فى أحد المواقف ، ولكننى أهملتها فى مواقف أخرى ، أعنى أنه يعترف بانى أدرى أن الاضاءة المسرحية ليس الغرض منها فقط انارة المناظر والممثلين بل احياء الصبغة النفسية لأهم عاطفة تجتاح المشهد ، هذا مع خضوعها للمعقول وما يحتمه الزمان والمكان . وتكفينى هذه الشهادة ، ويرفه عنى هذا التناقض ، لأن من يعلم أن ١ + ١ = ٢ لا يرجع فيعطى نتيجة غير هذه ! ! ! . يعلم المستر ادواردز وقد شاهد الرواية — ولا أعرف ما إذا كان قرأها — أن كافة المناظر تجرى فى رابعة النهار ماعدا مشهدين أولها فى وسط الليل وثانيهما — وهو الذى أشار اليه — فى أول هبوطه ، وقد اعترف بدقة الاضاءة فيه

ماذا كان يريدنى أن أعمل للاضاءة المطلوبة فى باقى مناظر الرواية ، وكلها تجرى فى النهار ، أكثر من الانارة التامة للمسرح ؛ ثم غمر الأقسام الرئيسية التى يجرى فيها أهم مشاهد المنظر بأشعة ناصعة تصبها مركزات للنور (بروجكتور) على جانبى المسرح ، وذلك بقصد اجتذاب أنظار الجمهور إلى أهم النقط التى يجرى فيها التمثيل ! ! !

أقول للمستر ادواردز إننى من المعجبين بتصوير المصور رامبراند Ramprandt وأعرف أننا معشر المخرجين الحديثين نستقى من طريقته فى توزيع النور فى لوحاته الخالدة ، نستوحى أساليبنا فى اضاءة المسرح ، وفى هذا ما يكفى ليعلم أننى أعتقد فى الاضاءة المسرحية وأراها مصدراً غنياً فى الالهام يستوحى منه المخرج ، وأن الاضاءة المسرحية قد أخذت مكان المناظر فى إحياء الصبغة النفسية ، بل والمكانية أحياناً

بعد هذا أصرح أن ما قرأته فى (الرسالة) عن لسان المستر إدواردز لا يخلو من قسوة ومن تحرج لا أظن أن نفسية مفتن من طرازه تنطوى عليهما ! !

ولكن أحقاً قال ذلك المستر إدواردز وزميله ؟ أم أن ناقل الحديث هو الذى قسا وتحرج ! ! !

لا يهمنى كثيراً . . . وأشكر لصاحبى الحديث ولناقله هذه الفرصة الغالية التى أتاحت لى أن أناقش وأحاور فى فن أحبه كثيراً ، وأود أن أتلمس مواطن الضعف منى فى تأدية رسالته

زكى طليمات
خريج مسرح الأوديون بباريس
وعضو جمعية المسارح الدولية

أؤكد للأستاذ زكى أنى كنت أميناً فى نقل الحديث بما فيه من رقة وقسوة

يوسف نادرس



زجموند فرويد أيضاً[1]

قرأنا فى الصحف النمسوية الأخيرة طائفة من البحوث والنبذ الممتعة عن العلامة النمسوى الكبير زجموند فُرويِدْ ، فهو اليوم فى الثمانين من عمره ، وقد احتفلت الدوائر الرسمية والعلمية النمسوية بهذه المناسبة العلمية ، وأقيمت للعلامة الشيخ عدة حفلات تكريمية ، وحفلت الصحف النمسوية ، وصحف العالم كلها بمختلف البحوث والمقالات عن حياته وعن مباحثه ونظرياته . وقد غدا فرويد منذ بعيد أستاذا ومفكرا عالياً يوجه بجهوده وبحوثه سير العلوم والمباحث النفسية والعصبية فى العالم كله ، وهو يعتبر اليوم إمام هذا الفن وحجته ؛ ومن الصعب أن نتحدث عن حياة فرويد ومباحثه فى مثل هذا المقام الضيق ؛ وإنما نذكر بهذه المناسبة عنه نبذة خبرية فقط هى التى يتسع لها هذا المقام

فقد ولد فرويد من أبوين يهوديين فى مايو سنة ١٨٥٦ ، فى فريبورج من أعمال مورافيا النمسوية ، ودرس فى فينا وباريس ؛ ودرس القانون أولاً ، ولكنه تحول عنه إلى العلوم الطبيعية ، ودرس على الأستاذ « بريكه » علامة عصره ؛ واشتغل فى سنة ١٨٨٤ طبيباً مساعدا فى أحد المستشفيات الكبرى ، وفى العام التالى درس مع الأستاذ شاركو العلامة الفرنسى فى علم الأعصاب ، وتلق عنه بعض نظرياته فى « الهستريا » ؛ ثم عاد إلى فينا وبدأ مباحثه النفسية . وفى سنة ١٨٩٥ أخرج فرويد مع الأستاذ بروير ثمرة مباحثه الأولى فى كتاب عنوانه «مباحث عن الهستريا » Studien ueber Hysterie وفيه يشرح آراءه فى أصل الهستريا وفى علاجها ؛ واستمر فرويد فى مباحثه النفسية والعصبية ، وطلع على العالم فى هذا الباب بآراء ومباحث مدهشة تمتاز بقوتها ومتانتها العلمية ؛ وفى سنة ١٩٠٠ نشر كتابه الشهير « تفسير الأحلام » Die Traumdeutung ؛ ثم أعقبه بكتابه «التحليل النفسى والباتولوجى للحياة اليومية » Psyeho-pathologie des Alltagslebens ؛ ثم بكتاب « ثلاثة مباحث عن النظرية الجنسية » Drie Abhandlungen Zur Sexueltheorie . وقد فتح فرويد بكتابه عن الأحلام فتحاً جديداً مدهشاً ؛ وخلاصة نظريته أن تفسير الأحلام عامل هام فى التحليل النفسى ، وأن الأجزاء التى يتذكرها الذهن من الأحلام ، انما هى اعراض لنشاط العقل الباطن أثناء النوم ، حينما تفقد الارادة تأثيرها ، ويقف سير الضابط الحسى . وقد أثار فرويد بادئ بدء بنظرياته ولا سيما فى باب التحليل النفسى والباتولوجى كثيراً من الخصومات العلمية ، بل أثار سخرية بعض الدوائر ؛ ولكنه صمد لهذه الخصومات ، وصمدت نظرياته وبحوثه للحملات والآراء الخصيمة .

ومن أشهر نظريات فرويد أيضاً أن الغريزة الجنسية تبدأ فى الانسان بمولده ، وليس فقط عند البلوغ ؛ وأن ما يعانيه الطفل من خلل فى نموه الجنسى هو سبب الضعف العقلى ، وأن النزعات الجنسية يمكن اخضاعها بشىء من التوجيه الحسن ، وقد تغدو عندئذ قوى تبعث إلى أشرف النزعات

وفى سنة ١٩٠٣ أنشأ فرويد « جمعية التحليل النفسى » فى فينا ، ولم يمض بعيد حتى ذاعت فروعها فى جميع أوربا ؛ وعقد أول مؤتمر دولى للمباحث النفسية فى سالزبورج فى سنة ١٩٠٨ ومنذ بدء هذا القرن يشتد نفوذ فرويد ونفوذ نظرياته ومباحثه فى جميع أنحاء العالم

ويشغل فرويد منذ حقبة طويلة كرسى « العلوم العصبية » فى جامعة فينا إلى يومنا

ونستطيع أن نلاحظ بهذه المناسبة أن التفكير اليهودى ما زال يحدث أثره القوى فى سير التفكير العالمى ؛ فاذا كان فرويد يقبض على ناصية التفكير النفسى ، فان الفيلسوف الفرنسى برجسون (وهو يهودى أيضاً) يقبض على ناصية التفكير الفلسفى ، ويوجه العلامة اينشتاين سير المباحث الرياضية العالمية ؛ وإذا تتبعنا تاريخ التفكير الحديث وجدنا لليهودية مثل هذا الأثر البعيد فى سيره وفى تطوره

(١) انظر البريد الأدبى فى العدد ١٤٩ من الرسالة

الأستاذ هنرى روبير

نعت الينا الأنباء الأخيرة علماً من أعلام الكتابة والبيان الرائع هو الأستاذ هنرى روبير المحامى الفرنسى الأشهر ، وعضو الأكاديمية الفرنسية ، توفى فى الثالثة والسبعين من عمره بعد حياة باهرة فى عالمى المحاماة والأدب . وكان مولده سنة ١٨٦٣ فى باريس ، حيث تلقى تربيته ودراسته ؛ وفى سنة ١٨٨٥ قيد فى جدول المحاماة ، وبدأ حياته العملية ، ولم يلبث أن لفت اليه الأنظار بحسن استعداده وكفايته ؛ وقدر الأستاذ دوربيه نقيب المحامين يومئذ مواهبه وألحقه بمكتبه ، فلقى هنالك فرصة لدراسة القضايا الكبرى ؛ وظهر لأول مرة فى قضية « شامبيج » الشهيرة أمام محكمة الجزائر ، حيث اشترك مع استاذه دوربيه فى الدفاع عن « شامبيج » المتهم بقتل خليلته ؛ وكان دفاعه الرائع فى تلك القضية مثار الاعجاب من كل صوب ، وكان فاتحة مجده ؛ وأوحت حوادث هذه القضية الشهيرة إلى الكاتب الشهير بول بورجيه موضوع قصته « التلميذ » ، ومن ذلك الحين توالى ظهور هنرى روبير فى كثير من القضايا الجنائية الرنانة التى شغلت الرأى العام فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر

وتبوأ هنرى روبير مقامه الرفيع كعلم من أعلام البيان والفصاحة القضائية بسرعة ؛ وفى سنة ١٩١٣ انتخب نقيباً للمحامين فى دائرة باريس مكان الأستاذ لابورى ، وظل فى هذا المنصب حتى سنة ١٩١٩ ؛ وما زال محتفظاً بزعامته ومكانته الرفيعة فى عالم المحاماة والدفاع حتى خاتمة حياته

وكان الأستاذ هنرى روبير إلى جانب مواهبه القضائية والدفاعية كاتباً عظيما ، يمتاز أسلوبه بقوة وصفاء رائعين . ومن مؤلفاته رسالة قيمة ساحرة عن « المحامى » ، وكتاب « قضايا التاريخ العظمى » الذى بدأه فى سنة ١٩٢٣ ، وظل يعمل فيه حتى العام الماضى ، حيث صدر منه الجزء العاشر ؛ وفى هذه الأجزاء العشرة يعالج هنرى روبير طائفة من قضايا التاريخ الكبرى ، ولا سيما ما تعلق منها بالتاريخ الفرنسى ؛ ويعرضها بأسلوب بديع ساحر ، يجمع بين دقة الشرح القضائى ، وروعة البيان الأدبى

وفى سنة ١٩٢٣ انتخب هنرى روبير عضوا بالأكاديمية الفرنسية فى الكرسى الذى خلا بوفاة الوزير ريبو

وكان هنرى روبير محامياً عظيما يمتاز بصفات باهرة ؛ فقد كان عالماً نفسياً ينفذ أحياناً إلى أعماق السرائر ؛ وكان خطيباً رائعاً يبهر بيانه ؛ وكانت مرافعاته فى القضايا الكبرى أياماً مشهودة فى ساحات القضاء . وقد بلغ الذروة فى أواخر حياته من قوة التأثير والسحر ، حتى كان المحلفون فى بعض الدوائر يخشون تأثيره ، ويقاومون هذا التأثير بشىء من عدم الثقة . وكان هنرى روبير موجزا فى العادة خلافا لكثير من زملائه الأعلام ، ولكنه كان فى ايجازه دائماً قوياً مؤثراً

توفيق الحكيم فى الفرنسية

نقل الأستاذان (ا. خضرى) و (موريك برن) إلى الفرنسية رواية شهرزاد للأستاذ توفيق الحكيم ثم طبعاها ونشراها فى باريس . وقد حافظا على روحها الشعرى الشرقى حتى سمياها « قصيدة درامية فى سبعة مناظر » وقد صدرها بمقدمة بليغة الكاتب الفرنسى الكبير (جورج لوكنت) أحد أعضاء الأكاديمية الفرنسية حلل فيها الفكرة التى قامت عليها الرواية ثم قال : « كان لا بد من شاعر يُقدِم على معالجة إحدى درامتى[1] الانسانية العظيمتين فى مثل هذا الاطار الضيق . ولكن كان لا بد من شاعر شرقى رقيق الحس خصب القريحة كالأستاذ توفيق الحكيم يحل العقدة فى مثل هذا العمل بلباقة من الفن العربى البارع الذى ينال دائماً ذهننا الديكارتى بالدهشة قبل أن يرميه بالفتنة

« وكيف لا نحمد كذلك المسيو (ا. خضرى) والمسيو (موريك برن) على أن ترجما إلى الفرنسية لغة خلقت لتعبر قبل كل شىء عن العطر والشعر والسر ؟ »

وفاة مارمدوك بكثال

توفى المستر مارمدوك وليم بكتال القصصى المعروف بتضلعه فى العلوم الاسلامية ، ولد فى ٧ ابريل سنة ١٨٧٥ فى شلورد بمقاطعة سفولك ، وكان أبوه قسيساً بها ؛ ثم تلقى دروسه فى هارو وفى أوربا ، ثم قضى ثلاث سنين فى الشرق الأدنى ، درس خلالها العربية ، وفقه العلوم الاسلامية ؛ وقضى وقتاً طويلا فى لبنان وفى مصر ، ثم دخل فى الاسلام وتسمى محمدا ، واتصل بسمو

(١) يريد بالدرامتين : تجدد الأمل ، وتبدد الوهم . والثانى هو موضوع شهرزاد

نظام حيدر أباد ، فتولى ادارة (كلية حيدر أباد) ورأس تحرير مجلة (الثقافة الاسلامية) التى تصدر هناك باللغة الانجليزية

وفى سنة ١٩٣٠ ترجم القرآن الكريم ترجمة توخى فيها الدقة وطبعها بمعونة الأمير بعد أن راجعها الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، وجعل عنوانها (ترجمة معانى القرآن المجيد) . وقد أرسل نسخاً منها إلى مصر ، وكان الشيخ الظواهرى يومئذ شيخاً للأزهر ، فنبهه بعضهم إلى أن فى الترجمة خطأ ، فطلب من الداخلية أن تصادرها فصودرت . وله غير ذلك مؤلفات قصصية وغير قصصية ، منها (سعيد الصياد) و (عنيد) و (بيت الاسلام) و (حكايات عن الأرض المقدسة) و (أبناء النيل) و (وادى الملوك) و (النساء المحجبات) و (الترك فى الحرب) و (فرسان عرابى) وغير ذلك

كنهام جراهام

نعت الينا الأنباء الأخيرة الكاتب الانكليزى الكبير روبرت كنهام جراهام ؛ توفى فى مدينة بيونوس ايريس عاصمة الجمهورية الفضية (أمريكا الجنوبية) ، حيث كان يعيش منذ أعوام طويلة ؛ وهو اسكتلندى الأصل ، ولد سنة ١٨٥٢ ، وتخرج فى كلية هارو الشهيرة ؛ وكان منذ حداثته يشغف بالسياسة وغمارها ، ويجنح للمبادئ الاشتراكية ؛ وفى سنة ١٨٨٦ تحققت آماله السياسية الأولى بدخوله مجلس النواب نائباً عن لانكشير ؛ وظهر فى البرلمان بذلاقته وحملاته العنيفة ، واستمر نائباً حتى سنة ١٨٩٢ . وفى ذلك الحين كان جراهام قد خاض غمار الكتابة أيضاً ؛ وكان جوالة كثير الأسفار ، واستهوته اسبانيا وأمريكا الجنوبية فدرس شؤونهما ، واتصل بالبلاط الاسبانى وكتب كثيرا عن اسبانيا وتاريخها وعظمائها ، وأنعم عليه ملك أسبانيا بمرتبة فى النبل (جراندى) ؛ ومنذ سنة ١٨٩٨ يخرج لنا جراهام بالانكليزية كتباً عن الشؤون والصور الاسبانية وعن تاريخ أمريكا اللاتينية . ومن أشهر مؤلفاته Aurora la Cujini « ابنة عمى صبح » (سنة ١٨٩٨) و « المغرب الأقصى » (فى نفس العام) « إركاديا الذاهبة » A Vanished Arcabea (سنة ١٩٠١) « والنجاح » Success (سنة ١٩٠٢) و « ترجمة هرناندو دى سوتو » (سنة ١٩٠٣) و الصدقة Charity (سنة ١٩١٢) و « قرطاجنة وشواطئ سينو » Cartagena and Banks of Sinu (سنة ١٩٢٠) و « أعمال بطولة » Doughty Deeds (سنة ١٩٢٥) و « بيدرو دى فالديفيا فاتح شيلى » P. de Valdivia conquerer of Chili (سنة ١٩٢٩) وخوزى انتونيو بيز Jose Antonio Piez (سنة ١٩٢٩) وغيرها ؛ ومعظمها عن أمريكا اللاتينية

وتجول جراهام كثيراً فى مدن أمريكا الجنوبية وثغورها ، ودرس كثيراً من شؤونها وأحوالها ، وأقام كثيراً فى بيونوس ايريس ؛ وكان أثناء الحرب العالمية يشتغل بتجارة الخيل وتوريدها لجيوش الحلفاء ؛ وهو يعتبر فى الواقع من كتاب أمريكا اللاتينية أكثر مما يعتبر من كتاب انكلترا ، وشأنه فى ذلك شأن المؤرخ الانكليزى جورج فنلى الذى خصص حياته لليونان وتاريخها وآدابها ؛ وتوفى جراهام فى نحو الثمانين من عمره

مباراة أدبية دولية

نشر مكتب الصحافة الدولية السويدية بيانا عن مباراة أدبية دولية رصدت لها بعض دور النشر السكندنافية جائزة حسنة ، ووضعت لها موضوعا وشروطا خلاصتها :

أما الموضوع فهو : « هل يمكن أن يوضع معيار أدبى موضوعى فى العصر الحاضر ؟ وإذا كان الجواب نعم ، فعلى أى أساس يمكن أن يقام ؟ »

ويجب ألا تزيد ما يكتب فى الموضوع على ست عشرة صفحة من القطع المتوسط ، ويجب أن يكتب بوضوح وترتيب ؛ وقد ألفت لفحص الرسائل لجنة مؤلفة من الدكتور لانكوست أستاذ الفلسفة السويدى (ممثلا للسويد) والدكتور ونسنس النرويجى (ممثلاً للنرويج) والدكتور رون أستاذ الفلسفة الفنلندى (ممثلا لفنلنده) ؛ وستقوم هذه اللجنة بمهمتها مستقلة ، وتقبل دور النشر المذكورة أحكامها دون مناقشة

وستخصص للفائزين ثلاث جوائز ، الأولى قيمتها (٢٠٠٠) كرون سويدى ، والثانية قيمتها (١٠٠٠) كرون ، والثالثة (٥٠٠) ؛ ويدفع للفائزين فوق ذلك نسبة من أرباح نشر رسالاتهم ؛ وإذا لم يوجد من بين الرسائل المقدمة رسالة تستحق المكافأة ، فانه لا تمنح جوائز ما ، ويحتفظ الناشرون أيضاً بحقهم فى نشر رسائل لم تنل شيئا من الجوائز

ويمكن كتابة الرسائل باللغات السويدية والدانماركية والانكليزية والألمانية ؛ ويجب أن تذيل بامضاء مستعار ، ومعها

غلاف به هذا الاسم المستعار مقرونا باسم صاحبه ؛ ويمكن الدخول في المباراة حتى أول يناير سنة ١٩٣٧ ، وتنتهي لجنة التحكيم من أعمالها في أول أبريل ، وتعلن النتيجة في خريف سنة ١٩٣٧ ، وترسل الرسائل الى إحدى دور النشر المشتركة في وضع المباراة ، وهي محلات :

Natur och Kulbur, Stockholm. Johan Graunt Tauun, Oslo Soderstron et—Co., Helsingfors

كتاب جديد عن مصر القديمة

ظهر أخيراً بالانكليزية كتاب عنوانه « بحث في مصر الخفية » A Search in Secret Egypt بقلم المستر بول برنتون P. Brunton . واسم الكتاب يدل على موضوعه . بيد أن مؤلفه ينحو في كتابته منحى غريباً لم يسبقه إليه أحد ، فهو لا يريد أن يتقيد في بحثه بما كتبه علماء الآثار المصرية أو استنتجوه من قراءة النقوش القديمة ، بل يؤثر أن يعتمد على مباحثه الشخصية وعلى وحي نفسه في فهم ما تدلي به الهياكل والرموز من المقاصد والمعاني . وقد زار المستر برنتون مصر في العام الماضي وقضى بها بضعة أشهر يتجول بين آثارها وينقب ويبحث ويجمع لنفسه مواد كتابه ؛ وهو كاتب شاب واسع المعرفة متزن مستنير في آرائه وشروحه

ويرى مستر برنتون أن الحضارة المصرية القديمة قد نشأت في القارة المفقودة « الاتلانتس » ، ويستشهد على رأيه بحلم رآه في ذلك ووحي نفذ الى نفسه ذات ليلة قضاها الى جانب أبي الهول ، وذات ليلة أخرى قضاها مع الأرواح بجانب الهرم الأكبر ، وثالثة قضاها في معبد الكرنك ؛ ويحاول فوق ذلك أن يدعم رأيه بمشاهدات أثرية شاهدها في أبيدوس ودندرة والأقصر

ويحمل مستر برنتون على مباحث علماء الآثار ، ويقول انهم لم يصلوا الى لباب الحقائق ، وأن الأرواح الشريرة والمضللة تنطلق كل مرة يجرى فيها الحفر في مقبرة أو معبد ، وأنه خير أن يوضع حد لاطلاق هذه الأرواح الخطرة التي كثر عديدها

ويرى فيما يتعلق باللغة المصرية القديمة أن علماء الآثار لم يتوصلوا إلا الى معرفة المعاني التي كانت مستعملة على لسان الرجل العادي . أما المعاني والرموز الخفية التي كانت تجرى على ألسنة الكبراء والخاصة فما زالت سراً من الأسرار

ويسير الكاتب في عرض آرائه عن شؤون مصر القديمة وأسرارها على هذا النحو الخيالي . بيد أنه مما لا ريب فيه أنه يذهب بعيداً في تصوراته ، وأن كتابه لا يمكن أن يعتبر من النوع العلمي الذي يعتمد على شروحه ؛ أما إذا اعتبرناه قطعة من الخيال المجرد ، فانه يستحق القراءة على هذا الأساس ، ويغدو قطعة ممتعة من الأدب الروائي

ذكرى أمير عالم

احتفل أخيرا في ڤينا بذكرى البرنس أوجين دي سافوى ، لمناسبة مرور مائتي عام على وفاته ، وقد كان هذا الأمير الشهير قائدا عظيما ، وكان فرنسي الأصل والمولد ، وكان مولده في باريس سنة ١٦٦٣ ولكنه هجر فرنسا وطنه ، لأن لويس الرابع عشر أبى عليه تحقيق بعض أمانيه ، والتحق بخدمة امبراطور النمسا ليوبولد الأول . وغنم ضد الترك عدة مواقع رفعت اسمه ومنزلته ، وانتهى بسحق الترك في المجر في معركة زنتا الشهيرة ، وحارب أيضاً ضد لويس الرابع عشر وهزم جيوشه في عدة مواقع ، وذاع اسمه في أوربا ، واعتبر أعظم قائد في عصره

بيد أن الذي يهم هنا هو أن هذا القائد الشهير كان فيلسوفا وكان عالماً ، وكان شغوفاً بالتفكير والآداب ؛ وله صلات أدبية وثيقة بأقطاب التفكير في عصره مثل الفيلسوف الألماني ليبنتز ، والفيلسوف الفرنسي ڤولتير ، وغيرهما من أقطاب الفلاسفة والمفكرين ، وكانت له مكتبة عظيمة تغص بآلاف الكتب النفيسة ؛ ومع أنه كان في معظم أوقاته مشغولاً بأعمال الحرب والسياسة ، فانه لم يكن يترك فرصة للقراءة إلا انتهزها ؛ وكان واسع الاطلاع والمعرفة إلى حدود مدهشة ؛ وكان نصيرا للآداب والفنون يدعو أقطاب الكتابة والفن إلى البلاط النمسوي ويغدق عليهم عطفه ورعايته ؛ وما زالت مكتبته ومجموعاته الفنية تكون قسما عظيما من المكتبة النمسوية الوطنية ؛ وقد شمل الاحتفال بذكراه أخيرا في ڤينا عدة مناظر عسكرية وفنية ، فنظم استعراض عسكري فخم ، وأقيم احتفال تذكاري في القصر الذي توفي فيه (سنة ١٧٣٦) في شارع « همل بفورت » ، ويوجد في قصر بلفيدير الشهير حيث كان يقيم هذا الأمير العالم أثناء حياته معرض دائم يضم كثيرا من التحف والصور والتماثيل التي استطاع أن يجمعها طوال حياته

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٢ — أول يونيه سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 152.

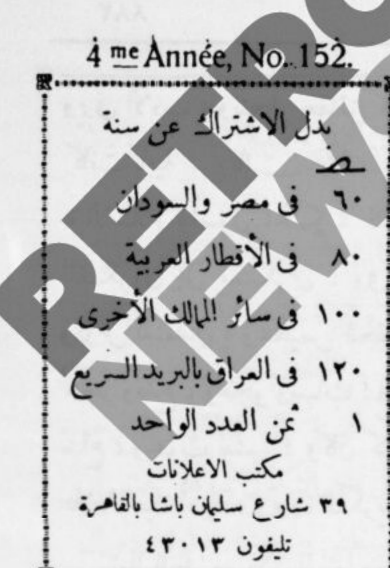
Lundi - 1 - 6 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — أول يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة
٨٨١ النقد أيضاً ... ... : الأستاذ أحمد أمين ... ...
٨٨٤ العجوزان ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٨٨٧ الخطر الفاشستى ... ... : باحث دبلوماسى كبير ... ...
٨٨٩ امتزاج الأحاسيس ... : الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...
٨٩١ فى حضرة الأمير فؤاد ... : الأستاذ عبد القادر المغربى ...
٨٩٣ النقد الأدبى ... ... : السيد عبد القادر صالح ... ...
٨٩٤ التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الامة : الأستاذ محمد عبد البارى ... ...
٨٩٦ اقتراح القريح واجتراح الجريح : الأديب السيد أحمد صقر ...
٨٩٩ لامرتين ورينيه جارد ... : السيد اسكندر كرباج ... ...
٩٠٠ اليوم السابع من مارس ... : الدكتور يوسف هيكل ... ...
٩٠٣ صرعى الأغراض (قصيدة) : الأستاذ أحمد الزين ... ...
٩٠٤ حرب العلم » : الأستاذ فخرى أبو السعود ...
٩٠٤ يوم الرسالة » : الأستاذ رفيق فاخورى ...
٩٠٥ انتظرى بغضى » : الأستاذ محمود محمد شاكر ...
٩٠٦ الضحيـــة (قصة) : الأستاذ كامل محمود حبيب ...
٩٠٩ الفـــرس » : الأستاذ درينى خشبة ... ...
٩١٢ هنرى دى رينيه . حياة لايدى هستر العجيبة ... ...
٩١٣ العلم والدين . الحفريات الأثرية فى فلسطين ... ...
٩١٤ الاسلام فى المجر . معهد فنى للجنايات ... ...
٩١٥ اكتشاف طبى خطير فى علاج البلهارسيا ... ...
٩١٦ من العلم إلى الأدب . جوركى وروسيا السوفيتية ... ...
٩١٧ أدب التراجم .. اللغة العربية منذ مائة عام ... ...
٩١٨ صمويل بطلر والأسرة الانكليزية . صيغة الفلاح ... ...
٩١٩ شهرزاد فى اللغة الفرنسية (كتاب) : عبد الرحمن صدقى ...
٩٢٠ فى مدى استعمال الحقوق الزوجية : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

النقـــد أيضا

للأستاذ أحمد أمين

أثار ما كتبه أخى الزيات فى موضوع « النقـد » معانى أخرى فى نفسى تتصل بتاريخ النقـد العربى فى السنين الأخيرة

ذلك أنى أوازن بين النقـد من نحو عشرين عاما والنقد الآن ، فأجده ليس خاضعاً لسنة النشوء والارتقاء ، بل لسنة التدهور والانحطاط ، حتى وصل إلى حالة من العجز يرثى لها

فقد كان الكِتَاب إذا ظهر هبت الصحف والمجلات لعرضه ونقده ؛ فاللغوى ينقده نقداً لغوياً ، والمؤرخ ينقده نقداً تاريخياً ، والأديب ينقده نقداً أدبياً ؛ وتثور معركة حامية بين أنصار الكتاب وأعداء الكتاب ، وتظهر فى التأييد والتفنيد مقالات ضافية ، وبحوث عميقة شائقة . ولست أنسى ما كان يقوم به الأستاذ ابراهيم اليازجى من نقد « لمجانى الأدب » و « أقرب الموارد » ونحوهما من الكتب ، كما لست أنسى ما نُقد به كتاب « التمدن الاسلامى » والأخذ والرد اللذين قاما حوله ؛ وكان شوقى أو حافظ يقول القصيدة ، فيقوم ناقد معترض يبين معايبها ، ومادح مفرط يبين محاسنها ؛ ومن هذا وذاك يستفيد الأديب ،

ويرقى الأدب ، وتتجلى حقائق كانت خافية ، وتتهذب أذواق كانت نابية . وكان يؤلف الكتاب الديني مثل كتاب « الاسلام وأصول الحكم » فتنشب معارك حامية ، وينقسم المفكرون إلى معسكرين ، وفي كل معركة شحذ للأذهان ، ودرس للمتعلمين ، وتمحيص للحقائق . قد كان في نقدهم أحياناً هجر وقذع ، وهجو وسباب ؛ ولكن كان بجانب ذلك حقائق تذاع ، وبحوث تنشر ؛ وكان كل من السباب والنقد العفيف علامة حياة أدبية ، وثورة فكرية ، وعقل باحث ، وقلم نشيط

تعال فانظر معي الآن إلى ما وصلنا اليه ! لقد كثرت الكتب يخرجها المؤلفون ، وأصبح الانتاج الأدبي أضعاف ما كان ، في كل ناحية من نواحي الأدب ، من قصص وقصائد وموضوعات اجتماعية ، وكتب تاريخية ؛ وكثر الكلام في الأدب ، وخصصت أكثر الصحف صفحات للمقالات الأدبية ، وكان معقولاً أن يساير النقد هذه الحركة فيرقى معها ، ويتسع باتساعها ، وتتعدد نواحيه بتعددها ، ولكن كان من الغريب أن تحدث هذه الظاهرة ، وهي رقي الأدب وانحطاط النقد

نعم ، أعتقد أن الأدب العربي ارتقى عما كان عليه منذ عشرين سنة في جملته لا في كل ناحية من نواحيه ، فقد يجوز أننا لم نجد من يخلف « شوقي » و « حافظاً » في ناحيتهما الشعرية ، ولكن الأدب — بمعناه العام — أصبح خيراً مما كان ، فغزرت معانيه بعد أن كان لفظياً ، وعمق بعد أن كان سطحياً ، وجادت القصة فيه نوعاً ما ، واتسع أفقه وموضوعاته قدراً ما ، وتأثر الأدبَ الغربي وقلده في مناحي رقيه . أما النقد فانكمش وانكمش حتى ضمر وذبل وأشفى على الهلاك

وحسبك دليلاً أن ترى أشهر الكتاب في العالم العربي يخرجون الكتاب تلو الكتاب فلا تكاد تجد ناقداً يعتد به ، وتقرأ ما يكتب عن ذلك في أشهر الصحف والمجلات فلا تجد إلا سراباً يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ؛ وأكثرها يكتفي باسم الكتاب وعرض موضوعه والاستعانة على ذلك بفهرسه ومقدمته ثم صيغة محفوظة متداولة من المدح والتقريظ . فان كان نقد فمظهر لا مخبر ، هو نتاج فقر عقلي وجمود ذهني ، ثم ينتهي الأمر ويغلق الباب . فلا معارك ولا مساجلات ولا بحوث حول الكتاب ، ولا أخذ ولا رد ، ولا مظهر من مظاهر الحياة الأدبية . لا يشعر الناقد أن عليه واجباً يؤديه للقراء ، وأن منصبه يتطلب منه قراءة عميقة ، وآراء صريحة ، وتقديراً دقيقاً ، وأن ذمته لا تبرأ إلا ببحث شامل واف ثم إبداء لرأيه في غير تحيز ولا مواربة ، ولكن كل ما يشعر به أن المؤلف أهدى اليه الكتاب فهو يلقي عن عاتقه العبء بكتابة كلمة خاملة ، ووصف فاتر ، ونقد سطحي

ليس النقد مجرد استحسان الناقد أو استهجانه . فكل ما كان مبنياً على ذوق الناقد وحده ، ومجرد ادعائه أن هذا بليغ وهذا ليس ببليغ وهذا راق وهذا غير راق لأنه يتذوقه أو لا يتذوقه ، وا كتفاؤه أحياناً بأن يصوغ عبارته في الاستحسان أو الاستهجان في قالب جميل ، كل ذلك ليس من النقد في شيء . إنما النقد ما عُلّل وبينت فيه أسباب الحسن والقبح ، وأسس على قضايا ثابتة . فبهذا يستفيد المنقود ، ويرقى الأدب ، ويسمو الذوق ؛ وبهذا وحده لا يكون النقد فتاتاً لموائد الأدب ، ولا متطفلاً على نتاجه ، إنما يكون هادياً للأديب ومرشداً للجمهور وموجهاً للأدب نحو الكمال

ولكن ما علة هذه الظاهرة في الأدب العربي ، وليس من الطبيعي في الأمم أن الأدب إذا رقى ضعف النقد ، فاننا نرى الظاهرة في الأدب الغربي أن يرقى الأدب فيرقى النقد ويؤثر كلاهما في الآخر تأثيراً محموداً — فيجب أن تكون علة ضعف النقد العربي علة محلية لا علة طبيعية

يظهر لي أن هذا الضعف في النقد يرجع الى أسباب عدة :

أهمها أن النقد الصريح الصحيح يحتاج الى شجاعة أدبية قوية من الناقد ، ورحابة صدر من المنقود . وقد حدث في تاريخ مصر الحديث أن جماعة تسلحوا بالشجاعة الأدبية فأظهروا آراءهم في صراحة تامة ولم يبالوا الرأي العام سواء في ذلك بحوثهم ونقدهم ؛ وكانت هذه البذرة الأولى للشجاعة الأدبية في مصر ، فألفوا كتباً عبروا فيها عن آرائهم في جلاء ووضوح ، وكتبوا مقالات تعبر عما يختلج في نفوسهم وإن لم تكن على هوى الجمهور ، ونقدوا أدب الأدباء وإن بلغوا القمة في نظر الناس ، فكان صراع بين القديم والحديث ، وبين التفكير الحر والتقاليد ، وبين

الأدب الناشىء والأدب الموروث . ولكن هذا الصراع انتهى بهزيمة هذه الطليعة من المفكرين ، وتعرضوا للخطر فى مناصبهم وأرزاقهم ، ونالوا من العسف والعنت ما ليس فى طاقتهم . وهذا يحدث مثله فى كل أمة من الأمم الأوربيــة ، ولكن كان هناك فرق كبير بيننا وبينهم : ذلك أن أصحاب الرأى الجديد فى البلاد الراقية إذا أوذوا فى العصر الحديث رأينا من مقلديهم وأتباعهم فى الرأى من يمدونهم بالمال وبالمعونة . وكم رأينا من المـال يجمع ليستعين به من نكب فى منصبه بسبب رأيه أو بسبب سياسته ، يتبرع به أغنياء اعتقدوا صحة رأيه أو وجاهة سياسته ، فعطفوا عليه ، وتحول عطفهم الى اتخاذ وسائل لدرء الخطر عنه ، فاستمر فى خطر شجاعته ، وشعر بأن تضحيته يقابلها عطف ، وأنه إن ضحى بالكماليات لا يُصاب فى الضروريات ؛ بل وإن أصيب فى الضروريات وبلغ ذلك فقدان القوت فقد ضربت له أمثلة عدة أيام الثورة الفرنسية وقبلها وبعدها ، فتأصلت الشجاعة الأدبية ، ونمت بذرتها وأصبحت غير قابلة للفناء . أما فى مصر فكانت بذرتها هى البذرة الأولى ، وشعر القائمون بهذه الحركة الجديدة أنهم أصيبوا فى سمعتهم وفى منصبهم وفى مالهم ، ثم رأوا أن أتباعهم تخلوا عنهم فى أوقات الضيق ؛ ومن عطف عليهم منهم فعطف أفلاطونى ، عطف يتبخر ، عطف لا يمكن أن يتحول الى مال أو مجهود . وكان الرأى العام قوياً مسلحاً فتغلب وانتقم وأصبحت له السلطة التامة ، وانهزم أمامه فريق المفكرين الصرحاء هزيمة منكرة ؛ ولم تكن له أمثلة كثيرة فى تاريخه القريب فاضطر الى التسليم ، بل وفى بعض الأحيان رجع عن رأيه الى آرائهم ، وعن منهجه الى منهجهم ، وتعود المجاراة بدل المقاومة ، والمداراة مكان الصراحة ، فلم يعــد هناك معسكران ولم يعد صراع ، إنما هو معسكر واحد ولا قتال .. وتعلم الجيل اللاحق من الجيل السابق فاختط خطته ونهج منهجه وأخذ الدرس عن أخيه الأكبر ففضل السلامة . وبذلك اختنق النقد الأدبى فى مهده ، وأصبح الأدب مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافاً طفيفاً ، فى العرض لا فى الجوهر . لامدارس متعددة تتناحر وتتعاون ، وتتعادى وتتصادق ، وفى عداوتها وصداقتها الخير ؛ ولا أمل فى عودة النقد الصريح إلا ببذرة جديدة وروح جديد على شرط أن تكون البذرة صلبة تتحمل حوادث الدهر وعوادى الأيام

ويتصل بهذا أن الأدباء عندنا صنفان : صنف نضج وتكوّن واستوى على عرش الأدب ، وهؤلاء هم القادة ، وهم أفراد معدودون تسالموا وتهادنوا وحرمنا ما بينهم من خصومة أدبيــة وعلمية ، وأصبح كل منهم كالعُشَراء لا تميـل إلى النطاح ولا ترجو إلا السلامة . وصنف ناشئ هو فى طور التكون ، وهو يخشى أن يتعرض لمن استوى على العرش فيبطش به بطشة جبارة ترده إلى أسفل ، فلما جامل الكبراء بعضهم بعضاً وخاف الناشئون من الكبراء ، ضاع النقد بين هؤلاء وهؤلاء

ولعل من أسباب ضعف النقد أيضاً السياسة قاتلها الله ، فقد تدخلت أولاً فنصرت الجمهور على القادة ، وعاونت الرأى العام على المفكرين ؛ وما كان الجمهور والرأى العام ينتصران هذا النصر لو وقفت السياسة على الحياد ، ولو فعلت لكان الحرب سجالاً ، ولظل المعسكران فى قتال ؛ وفى هذا تمحيص كبير للآراء ، فيصد الرأىُ العام المتطرفين ، ويدفع القادةُ غلاة المحافظين ، والأمة من هذا وذاك فى استفادة دائمة . أما أن تدخل السياسة فتبيد معسكراً بأكمله ، فكان الضرر كل الضرر . ثم إن السياسة — ثانياً — دخلت فى الأدب وقومت الأديب بلونه السياسى ، ولم يستطع الناس التفرقة بين موازين الأدب وموازين السياسة ، فأفسد ذلك الأدب والنقد معاً . قد تقول إن السياسة تلعب هـذا اللعب فى الأمم المدنة ولم يكن لها هذا الأثر ، ولكنا نقول إن الأمم الناشئة تتضرر من تدخل السياسة أكثر مما تتضرر الأمم العتيدة ، وأكبر مظهر فى ذلك أنه ليس بين أحزابها تنافر كالذى بين أحزابنا ، ولا ينكل حزب بالأحزاب الأخرى كما يحدث بيننا ، فالخصومة السياسية عندهم لا تفقد الصداقة فى أغلب الأحيان ، وكذلك الشأن فى الخصومات الأدبيــة . أما الأمم الناشئة فلا تفهم من الخصومة السياسية والأدبية والعلمية إلا العداء العنيف ، وفى العداء العنيف قتل للحرية

وهناك أسباب أخرى غير ما ذكرت لعل الكُتّاب يعرضون لها فيكشفون عن أسباب هذا الداء الخطير ويصفون له ما يتطلب من دواء ناجع !

أحمد أمين

٦ ، ٥٧

٣ ـ العجوزان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال المحدِّث : وتبين فى العجوز (ن) أثرُ التعب فتوجع وأخذ يئنُّ كأن بعضه قد مات لوقته ... أو وقع فيه اختلالٌ جديد أو نالته ضربةُ اليوم ؛ والشيخ متى دخل فى الهرم دخل فى المعركة الفاصلة بينه وبين أيامه

ثم تأفف وتململ وقال : إن أولَ ما يظهر على من شاخ وهرم ، هو أن الطبيعة قد غيرت القانون الذى كانت تحكمه به

قال الأستاذ (م) : إن صاحبنا كان قاضياً يحكم فى المحاكم ، وأرى المحاكم قد حكمت عليه بهذه الشيخوخة (مُطَبِّقةً فيها) بعضَ المواد من قانون العقوبات ، فما خرج من المحكمة إلا إلى الحبس الثالث

فضحك (ن) وقال : قد عرفنا « الحبس البسيط » و« الحبس مع الشغل » فما هو هذا الحبس الثالث ؟

قال : هو « الحبس مع المرض » ...

قال (ن) : صدقتَ لعمرى فان آخر أجسامنا لا يكون إلا بحساب من صنعة أعمالنا ؛ وكأن كرسى الوظيفة الحكومية قد عرف أنه كرسيُّ الحكومة ، فهو يضرب الضرائب على عظام الموظفين ... أتدرى معنى قوله تعالى : « ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العُمُر » ولِمَ سماه الأرذل ؟

قلنا : فلم سماه كذلك ؟

قال : لأنه خَلْطُ الانسان بعضه ببعض ، ومسخُه من أوله إلى آخره ، فلا هو رجلٌ ولا شاب ولا طفل ، فهو أردأ وأرذل ما فى البضاعة ...

فاستضحك الأستاذ (م) وقال : أما أنا فقد كنت شيخاً حين كنت فى الثلاثين من عمرى ، وهذا هو الذى جعلنى فتًى حين بلغت السبعين

قال (ن) : كأن الحياة تصحح نفسها فيك

قال : بل أنا أكرهتها أن تصحح نفسها ؛ فقد عرفتُ من قبل أن سَعَةَ الانفاق فى الشباب هى ضائقة الافلاس فى الهرم ، وأيقنتُ أن للطبيعة (عدَّادا) لا يخطئ الحساب ، فاذا أنا اقتصدت عدَّت لى ، وإذا أسرفتُ عدَّت علىَّ ؛ ولن تعطينى الدنيا بعد الشباب إلا مما فى جسمى ، إذ لا يعطى الكون حياً أراد أن ينتهى منه ، فكنت أجمل نفسى كالشيخ الذى تقول له الملذات الكثيرة : لستُ لك ، ومن ثم كانت لذاتى كلها فى قيود الشريعتين : شريعة الدين وشريعة الحياة

قال : وعرفت أن ما يسميه الناس وَهَنَ الشيخوخة لا يكون من الشيخوخة ولكن من الشباب ؛ فما هو إلا عملُ الانسان فى تسميم جسمه ثلاثين أو أربعين سنة بالطعام والشراب والاغفال والارهاق والسرور والحزن واللذة والألم ؛ فكنت مع الجسم فى شبابه ليكون مى بعد شبابه ، ولم أبرح أتعاهدُه كما يتعاهد الرجلُ داره ، يزيد محاسنها وينفى عيوبها ، ويحفظ قوَّتها ويتقى ضعفها ، ويجعلها دائماً باله وهمه ، وينظر فى يومها القريب لغدها البعيد ، فلا ينقطع حسابُ آخرها وإن بعُدَ هذا الآخر ، ولا يزال أبداً يحتاط لما يخشى وقوعه وإن لم يقع

قال العجوز (ن) : صدقت والله فما أفلح إلا من اغتنم الامكان ؛ وما نوع الشيخوخة إلا من نوع الشباب . وهذا الجسم الانسانى كالدينة الكبيرة فيها (مجلسها البلدىُّ) القائم على صيانتها ونظامها وتقويتها ، ورئيس هذا المجلس الارادة ، وقانونه كله واجبات ثقيلة ، وهو كغيره من القوانين إذا لم ينفذ من الأول لم يُغن فى الآخر

قال الأستاذ (م) : وكل جهاز فى الجسم هو عضو من أعضاء ذلك (المجلس البلدى) ؛ فجهاز التنفس وجهاز الهضم والجهاز العضلى والجهاز العصبى والدورة الدموية ، هذه كلها يجب أن تترك على حريتها الطبيعية وأن تعان على سنتها ، فلا يحال بينها وبين أعمالها برشوة من لذة أو مفسدة من زينة أو مطمعة فى رفاهية أو دعوة إلى مدنية أو شىء مما يفسد حكمها أو يعطل عملها أو يضعف طبيعتها

والقاعدة فى العمر أنه إذا كان الشبابُ هو الطفولة الثانية فى براءته وطهارته ، كانت الشيخوخة هى الشباب الثانى فى قوتها ونشاطها . وما رأيت كالدين وسيلة تجعل الطفولة ممتدة بحقائقها

إلى آخر العمر فى هذا الانسان ؛ فسرُّ الطفولة إنما هو فى قوتها على حذف الفضول والزوائد من هذه الحياة ، فلا يُطغيها الغنى ، ولا يكسرها الفقر ، ولا تذلها الشهوة ، ولا يُفزعها الطمع ، ولا يهولها الاخفاق ، ولا يتعاظمها الضر ، ولا يخيفها الموت . ثم لا تملُّ وهى الصابرة ، ولا تبالغ وهى الراضية ، ولا تشك وهى الموقنة ، ولا تسرف وهى القانعة ، ولا تتبلد وهى العاملة ، ولا تجمد وهى المتجولة . ثم هى لا تكلف الانسانية إلا العطف والحب والبشاشة وطبائع الخير التى يملكها كل قلب ؛ ولا توجب شريعتها فى المعاملة إلا قاعدة الرحمة ، ولا تقرر فلسفتها للحياة إلا طهارة النظر ؛ ثم تهكم بالدنيا أكثر مما تهتمُّ لها ، وتستغنى فيها أكثر مما تحتاج ، وتستخرج السعادة لنفسها دائماً مما أمكن ؛ قلَّ أو كثر

وبكل هذا تعمل الطفولة فى حراسة الحياة الغضة واستمرارها ونموها ؛ ولولا ذلك لما زها طفل ولا شبَّ غلام ولا رأت العيون بين هموم الدنيا ذلك الرُّواء وذلك النظر على وجوه الأطفال يثبتان أن البراءة فى النفس أقوى من الطبيعة

وكل ذلك هو أيضاً من خصائص الدين وبه يعمل الدينُ فى تهذيب الحياة واطّرادها على أصولها القوية السليمة ، ومتى قوى هذا الدين فى إنسان لم تكن مفاسد الدنيا إلا من وراء حدوده ، حتى كأنه فى أرض وهى فى أرض أخرى ؛ وأصبحت البراءة فى نفسه أقوى من الطبيعة

ثم قال : والعجيب أن اعتقاد المساواة بين الناس لا يتحقق أبداً بأحسن معانيه وأكملها إلا فى قلبين : قلب الطفل لأنه طفل ، وقلب المؤمن لأنه مؤمن

فقال العجوز (ن) : إنه لكما قلت ، ولعنة الله على هذه الشهوات الآدمية الباطلة . فان الشهوة الواحدة فى ألف نفس لتجعل الحقيقة الواحدة كأنها ألف حقيقة متعادية متنازعة . والطامعان فى امرأة واحدة قد تكون شهوة أحدهما هى الشهوة وهى القتل . ولعنة الله على الملحدين وإلحادهم ، يزْرون على الأديان بأنها تكاليف وقيود وصناعة للحياة ، ثم لا يعلمون أن كل ذلك لصناعة الآلة النفسية التى تستطيع أن تحرك المختلفين حركة واحدة ، فما ابتليت الانسانية بشىء كما ابتليت بهذا الخلاف الذى يفتح من كل نفس على كل نفس أبواب التجنى ، ويجعل النَّفرةَ وسوء الظن أقرب إلى الطبيعة البشرية من الألفة والثقة

لقد جاء العلم بالمعجزات ولكن فيما بين الانسان والطبيعة ؛ وبين الانسان ومنافعه ، وبين الانسان وشهواته ؛ فهل غير الدين يجىء بالمعجزات العملية فيما بين النفس والنفس ، وبين النفس وهمومها ، وبين ما هو حق وما هو واجب ؟

* * *

قال المحدِّث : ثم نظر الىَّ العجوز (ن) وقال : صِلْ عمك يا بنى بالحديث الذى مضى ، فأين بلغنا آنفاً من أمر التجديد والمجددين وماذا قلنا وما ذا قلت ؟ أما إن الحماقة الجديدة والرذيلة الجديدة والخطأ الجديد ، كل ذلك إن كان جديداً من صاحبه فهو قديم فى الدنيا ؛ وليس عندنا أبداً من جديد إلا اطلاق الحرية فى استعمال كل أديب حقه فى الوقاحة والجهل والخطأ والغرور والمكابرة

قال الأستاذ (م) : وليس الظاهر بما يظهر لك منه ولكن بالباطن الذى هو فيه ؛ فمستشفى المجاذيب قصر من القصور فى ظاهره ولكن المجاذيب هم حقيقته لا البناء . وكل مجدد عندنا يزعم لك أنه قصر عظيم وهو فى الحقيقة مستشفى مجانين ، غير أن المجانين فيه طباع وشهوات ونزَوات . وعلى هذا ما الذى يمنع الفجور المتوقح أن يسمى نفسه الأدب المكشوف ؟

قال (ن) : وإذا أنت ذهبت تعترض على هذه التسمية زعموا لك أن للفن وقاحة مقدسة .... وأن (لاأدبية) رجل الفن هى (اللا أخلاقية العالية) . . . .

قال الأستاذ (م) : فوقاحة الشهوة إذا استعلنت بين أهل الحياء وأهل الفضيلة ودعت الى مذهبها ، كانت تجديداً ما فى ذلك ريب . ولكن هذا المذهب هو أقدم ما فى الأرض إذ هو بعينه مذهب كل زوجين اجتمعا من البهائم منذ خلق الله البهائم . . .

قال (ن) : وقل مثل ذلك فى متسخِّط على الله وعلى الناس يخرج من كفره بين أهل الأديان أدباً جديداً ، وفى مغرور يتغفل الناس ، وفى لص آراء ، وفى مقلد تقليداً أعور ؛ كل واحد من هؤلاء ، وأشباههم مبتلى بعلة ، فمذهبه رسالة علته ؛ وأكثرهم

لا يكون ثباته على الرأى الفاسد إلا من ثبات العلة فيه

***

قال المحدِّث : وكنتُ من المجددين فأرمضني ذلك ، وقلت للعجوزين : إن هذا نصف الصحيح ؛ أما النصف الآخر فهو فى كثير من هؤلاء الذين ينتحلون الدفاع عن الدين والفضيلة . نعم إنهم لا يستعملون حقهم فى الوقاحة ، ولكن القروش تستعمل حقها . . .

فضحك العجوز (ن) وقال : يا بنى إن الجديد فى كل حمار هو أن يزعم أن نهيقه موسيقى ... فالحمار والنهيق والموسيقى كل ذلك لا جديد فيه ، ولكن التسمية وحدها هى الجديدة . ولو كان البرهان فى حلق الحمار لصح هـذا الجديد ، غير أن التصديق والتكذيب هنا فى آذان الموسيقيين لا فى حلق حمارنا المحترم . . .

قال (م) : وزعموا أن رجلا نصب فخا لصيد العصافير ، فجاء عصفور فنظر من هذا الفخ الى شىء جـديد فقال : يا هذا ! مالك مطمورا فى التراب ؟ قال الفخ : ذلك من التواضع لخلق الله . قال : فمَّ كان انحناؤك ؟ قال الفخ : ذلك من طول عبادتى لله . قال : فما هـذه الحبة عنـدك ؟ قال الفخ : أعددتها لطيور الله الصائمين يفطرون عليها . قال العصفور : فتُبيحها لى ؟ قال : نعم

فتقدم المسكين اليها ، فلما التقطها وقع الفخ فى عنقه ، فقال وهو يختنق : إن كان العُبّاد يخنقون مثل هذا الخنق فقد خلق ابليس جديد

قال (ن) : فالحقيقـة أن إبليس هو الذى تجدد ليَصلح لزمن الآلات والمخترعات والعلوم والفنون وعصر السرعة والتحول . وما دام الرقى مطردا وهذا العقل الانسانى لا يقف عنـد غاية فى تسخير الطبيعة ، فسينتهى الأمر بتسخير إبليس نفسـه مع الطبيعة .. لاستخراج كل ما فيه من الشر

قال (م) : ولكن العجب من ابليس هـذا . أتراه انقلب أوربيًّا للأوربيين ؟ وإلا فما بالُه يخرج فيهم مجددين من جبابرة العقل والخيال ثم لا يؤتينا نحن إلا مجـددين من جبابرة التقليد والحماقة ؟

قال المحدث : فقلت لهما : أيها العجوزان القديمان ، سأنشر قولكما هذا ليقرأه المجددون

قال الأستاذ (م) : وانشر يابنى أن الربيع صاحب الامام الشافعى مرَّ يوماً فى أزقة مصر فنثرت على رأسه إجانة[1] مملوءة رمادا ، فنزل عن دابته وأخذ ينفض ثيابه ورأسه فقيل له : ألا تزجرهم ؟ قال : من اسـتحق النار وصولح بالرماد فليس له أن يغضب . . .

***

ثم قال محدثنا : واستولى علىَّ العجوزان ورأيت قولهما يعلو قولى وكنت فى السابعة والعشرين وهى سن الحِـدَّة العقلية فما حسبتُنى معهما إلا ثُلث عجوز . . . . مما أثرا على ، وانقلبت لا أرى فى المجددين الا كل سقيم فاسد ، واعتبرتُ كل واحد منهم بعلته ، فاذا القول ماقال الشيخان وإذا تحت كل رأى مريض مرضٌ ، ووراء كل اتجاه ابرة مغناطيسية طرفها إلى الشيطان ...

وفرغنا من هذا فقلت للشيخين : لقد حان وقت نزولكما من بين الغيوم أيها الفيلسوفان ؛ أما كنتما فى سنة ١٨٩٥ من الجنس البشرى . . ؟

(لها بقية — طنطا) مصطفى صادق الرافعى

(١) قصعة

بعد انهيار الحبشة

الخطر الفاشستي

والصراع بين الفاشستية والامبراطورية البريطانية

لباحث دبلوماسي كبير

انتهت أعمال القرصنة الايطالية فى الحبشة إلى نتيجة لم يتوقعها كثيرون من رجال الحرب والسياسة ؛ فقد انتهت بانهيار قوى الحبشة بسرعة ، وسقوط قواعدها فى يد العدو المغير بلا مقاومة ، ومثول عاهلها الأمبراطور إلى الخارج ، تاركا ملكه ووطنه وأمته إلى مصاير مجهولة . واستطاع موسوليني زعيم الفاشستية المعتدية أن يعلن خلال مناظر مسرحية ضم الحبشة لايطاليا وتعيين ملك ايطاليا امبراطوراً للحبشة

ومن العبث أن نحاول التحدث هنا عن أسباب انهيار المقاومة الحبشية بتلك السرعة المدهشة بعد أن استطاعت أن تصمد فى وجه العدو أشهراً ، وأن تقف زحفه سواء فى الشمال أو الجنوب حتى شهر مارس الماضي ؛ ولكن المحقق أن هذا التطور الفجائي فى أقدار الحرب يرجع قبل كل شيء إلى التجاء الايطاليين ، بعد أن عجزوا عن التغلب بوسائل الحرب المشروعة إلى استعمال وسائل الحرب المحرمة كالغازات القاتلة وغيرها ؛ وهكذا استطاعوا بتلك الوسائل المجرمة أن يمزقوا صفوف الأحباش ، وأن يلقوا الروع فى نفس الشعب الحبشي بأسره ، هذا إلى ما يذاع من أنهم استطاعوا أن يبثوا بالرشوة والاغراء كثيرا من أسباب الشقاق بين مختلف الرؤوس والزعماء

على أن هذا النصر المثير الملوث بأدران الجريمة ، والذى يعتبر بحق قرصنة استعمارية محضة ، لم يمنع الفاشستية الايطالية من أن تزفه إلى العالم نصرا رومانياً للحضارة والمسيحية المتمدنة ، على بلاد همجية تتوق إلى الانضواء تحت السيادة الايطالية الظليلة ، والأخذ بأسباب الحضارة الايطالية الزاهرة ! ولم يمنع زعيم الفاشستية من أن ينوه بأسلوبه المسرحي بعظمة هذا النصر الفاشستي ، وبأنه عنوان ساطع لقوة ايطاليا الفتية ، وأن يتوعد أوربا والعالم كله بأنه على استعداد لأن يسحق أية قوة أو دولة تحاول أن تقف فى سبيله أو تحاول أن تحرمه من ثمار ظفره

ولو عيد موسوليني مغزاه ؛ ذلك أن إيطاليا تستقر الآن فى الحبشة بقوة الفتح فقط ، ولكن هذه الحقيقة الواقعة لا يمكن أن تعتبر حلاً نهائياً للمسألة الحبشية ، وإنما تنتقل المسألة الحبشية الآن من ميدان الحرب إلى ميدان الحوادث الدولية والصراع الاستعماري . ولنذكر دائماً أن ما أبدته عصبة الأمم من إقدام فى الحكم على إيطاليا بالاعتداء وتوقيع العقوبات الاقتصادية عليها يرجع قبل كل شيء إلى تدخل انكلترا ونفوذها ؛ وانكلترا لم تتدخل ولم تعمل لتنظيم هذه الحركة الدولية تأييداً لميثاق العصبة ومبدأ السلامة المشتركة فقط ، ولكن لأن الانتصار الفاشستي فى الحبشة يهدد صرح الامبراطورية البريطانية ومصالحها الحيوية بأعظم الأخطار

وقد عقدت الآمال من قبل على تدخل العصبة وجهودها ؛ وما زالت العصبة على موقفها من استنكار عمل ايطاليا وتأييد العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ؛ وربما اتخذت اجراءات أخرى فى هذا السبيل فى اجتماعها الذى سيعقد فى الخامس عشر من يونيه ؛ ولكننا نستطيع منذ الآن أن نضرب صفحاً عن الدور الذى يمكن أن تؤديه العصبة فى حل المشكلة الحبشية بعد أن انهار تدخلها ، ولم تستطع أن تنفذ كل ما يقضى به ميثاقها للتوسل إلى ارغام المعتدى على وقف الاعتداء

والآن ينكشف النضال واضحاً عن معركة دولية ذات وجهين : أحدهما قد اتخذ حتى اليوم ستاراً للآخر ؛ فأما الوجه الأول فهو مبدأ السلامة المشتركة طبقاً لميثاق عصبة الأمم ، وهو المبدأ الذى انتهكته إيطاليا بغزو الحبشة ، وحاولت العصبة تأييده بفرض العقوبات ؛ فالدول الصغرى من أعضاء العصبة تتساءل اليوم ، هل فى وسعها أن تعتمد فى سلامتها الخاصة على تطبيق هذا المبدأ بعد الفشل الذى لحق العصبة فى وقف الاعتداء الايطالي ؟ أم هل يجب عليها أن تبحث عن وسائل عملية أخرى كعقد المواثيق المحلية لتأمين سلامتها ؟ إن ما ارتكبته إيطاليا فى الحبشة يمكن أن ترتكبه غداً فى تركيا ، أو فى اليونان ، ويمكن أن ترتكبه ألمانيا فى النمسا أو هولنده أو لتوانيا ، ويمكن على وجه العموم أن ترتكبه أية دولة قوية ضد أية دولة ضعيفة دون أن تجد وازعاً كافياً لوقف

عدوانها ؛ فأنصار عصبة الأمم يرون فى هذا الطور الحاسم من تاريخ العصبة أن لا أمل فى نجاح مبدأ السلامة المشتركة ما لم يعدل دستور العصبة فى هذا الشأن تعديلاً وافياً ، وتنظم العقوبات الاقتصادية والعسكرية التى تطبقها العصبة على المعتدى تنظيما يكفل أثرها فى وقف الاعتداء المسلح بسرعة ؛ وخصوم العصبة يرون أن التجربة الحبشية كانت حاسمة ، فعلى عصبة الأمم أن تعلن افلاسها ، وعلى الدول أن تعتمد على وسائلها الخاصة للدفاع عن نفسها ؛ وتقف الدول الصغرى فيما بين ذلك حيرى ، ولكنها تعمل من جهة أخرى على تنظيم وسائل الدفاع عن نفسها جهد المستطاع

وأما الوجه الثانى من هذه المعركة الدولية ، فهو نشوب النضال بين قوة عسكرية جديدة طامحة ، هى الفاشستية الايطالية ، وبين امبراطورية استعمارية عتيدة ، هى الامبراطورية البريطانية ؛ ولم يكن خافياً منذ البداية أن نشاط السياسة البريطانية فى توجيه عصبة الأمم إنما هو مرحلة فقط من مراحل النضال الحقيق ؛ والآن وقد انتهت هذه المرحلة بظفر العسكرية الفاشستية ، وهزيمة السياسة البريطانية ، فان النضال يوشك أن يدخل طوره الثانى ؛ وقد أدركت بريطانيا العظمى منذ البداية ما تهدد به تلك الفاشستية المضطرمة الطامحة ، سيادتها فى البحر الأبيض ، وما يهدد به ظفرها فى الحبشة سيادتها فى وادى النيل وشرق أفريقية ؛ وسيادة الامبراطورية البريطانية ومواصلاتها ، صرح لا يتجزأ ، فأى صدع يصيبها يعرض البناء كله للخطر ؛ ولم تخف الفاشستية ولا سيما منذ ظفرها فى الحبشة ، أنها تداعب حلماً امبراطورياً ضخما ، وما فتىء زعيمها يتحدث عن احياء الامبراطورية الرومانية ؛ وليس من ريب فى أن السياسة البريطانية ترى فى هذه العسكرية الطامحة المتجنية ، المعتدة بقوتها ، المعتزة بظفرها ، خطراً عظيماً على كيان صرحها الامبراطورى ، تزمع سحقه بأى الوسائل

— ٢ —

وليست انكلترا وحدها هى التى تستشعر ذلك الخطر العسكرى الجديد الذى تهب ريحه على أمم البحر الأبيض بنوع خاص ، بل إن أمم أوربا كلها تستشعر به وتخشى تفاقمه ؛ وإذا كانت ثمت دول مثل فرنسا وألمانيا والنمسا تنظر إلى نهوض الفاشستية بعين الاغضاء ، وربما بعين الرضى ، فذلك لظروف خاصة مؤقتة لا تلبث أن تزول فتشعر هذه الأمم بنفس الشعور الذى يثيره ظهور عسكرية جديدة جامحة تحتقر العهود والمواثيق الدولية وتجعل شعارها القوة الغاشمة دون غيرها

وأمامنا التاريخ الأوربى الحديث ، يعيد نفسه دائماً ؛ وفى رأينا أنه سيعيد نفسه فى القريب العاجل مرة أخرى

ذلك أن أوربا ، وانكلترا بنوع خاص ، لم تتسامح قط فى أمر العسكريات القوية المعتدية ؛ ولم تنهض فى أوربا أية عسكرية قوية طامحة ، خلال القرون الأربعة الأخيرة ، إلا اجتمعت أوربا على مقاومتها وسحقها

وقد كانت العسكرية البروسية آخر عسكرية من هذا النوع ، لقيت مصرعها فى الحرب الكبرى

ومنذ القرن السادس عشر يعيد التاريخ الأوربى الحديث نفسه فى هذا الميدان بصورة واضحة ؛ ففى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كانت العسكرية التركية تجول ظافرة فى جنوب شرق أوربا وأواسطها حتى حدود بولونيا ، وقد اجتاحت حوض الدانوب حتى أسوار فينا ، وحاصرت العاصمة النمسوية مرتين ، فما زالت أوربا حتى حطمت هذه النهضة العسكرية الخطرة فى البر والبحر ، وردتها الى ما وراء الدانوب ، وحرمتها من كل ثمار ظفرها ؛ وفى القرن السابع عشر ، قام لويس الرابع عشر يهدد سلام أوربا الغربية بأطماعه ومغامراته العسكرية ، فما زالت الدول الخصيمة وفى مقدمتها انكلترا والنمسا حتى سحقت قواه العسكرية ، بعد سلسلة من الحروب الطاحنة ؛ وفى أوائل القرن الثامن عشر كان كارل الثانى عشر ملك السويد يجتاح بجيوشه ضفاف البلطيق وغرب روسيا ، ويهدد التوازن الأوربى فى شرق أوربا ، فما زالت روسيا حتى سحقت مشاريعه وقواه

وربما كان أعظم مثل فى التاريخ الحديث لذلك الصراع الخالد فى سبيل التوازن الأوربى ، وسحق العسكريات الجامحة ، مثل نابليون بونابارت ؛ فقد ظل هذا الجندى العظيم الطامح يقود جيوشه الظافرة فى جنبات أوربا مدى عشرين عاما ، ويبسط سيادته على معظم الدول الغربية والوسطى ، ويعمل بكل ما وسع لتحطيم سيادة انكلترا فى البحر الأبيض ؛ ولكن انكلترا لبثت تطاوله وتصارعه وتؤلب عليه الدول الخصيمة ، حتى انتهت بسحقه وتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الشامل الذى بسطته

الامبراطورية على أوربا زهاء عشرة أعوام

وقد رأينا كيف اجتمعت أوربا الغربيــة ، وفى مقدمتها انكلترا ، أثناء الحرب الكبرى ، لتحطيم العسكرية البروسية ، التى وثبت تهدد العالم بأطماعها الجائشة فى السيادة والاستعمار ، وكيف لقيت مصرعها بعد حرب كانت أروع ما شهد التاريخ

والآن يبدو الخطر الفاشستى فى الأفق ، وتنذر العسكرية الفاشستية الجامحة بتحطيم التوازن الأوربى فى شرق أوربا وفى وسطها ، وتتحدى بالأخص سيادة انكلترا البحرية فى البحر الأبيض ؛ وقد زادها انتصارها فى الحبشة زهوا وتحديا ، فهل تصبر أوربا ، وهل تصبر انكلترا بنوع خاص حتى يتفاقم الخطر الفاشستى كما تفاقم الخطر البروسى قبيل الحرب ؟ هذا ما لا نعتقد ، وفى يقيننا أن الامبراطورية البريطانية تتأهب لخوض ذلك الصراع التقليدى الذى حرصت دائماً على خوضه لتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الجديد الذى يهدد سيادتها ومصالحها الحيوية فى البحر الأبيض وفى شرق أفريقية ، وإذا كانت السيـاسة البريطانية ما زالت تبدى بعض الفتور والتردد فى العمل الحاسم فذلك لأن مصاير الحرب والتسليحات الحديثة قد اتخذت وجهة جديدة ، ولم تعد السيادة البحرية وحدها كافية لأن تملى بريطانيا كلمها ؛ ومن تقاليد بريطانيا المأثورة أنها لا تتعجل الحوادث ، ولا تسارع الى قبول التحـدى الطائش ؛ وبريطانيا تزن اليوم أقدار الحرب والنضال بميزان جديد لم تستقر عوامله بعد ؛ وقد يمضى وقت آخر قبل أن تنزل بريطانيا الى ميدان العمل الحاسم

قد تستطيع الفاشستية الجامحة فى نشوة ظفرها المزعوم ، أن تزعج أوربا وانكلترا ، مدى حين بمشاريعها ووعيدها ؛ ولكن الفاشستية تخطىء بلا ريب إذا هى اعتقدت أن الظفر ميسور فى ميادين أخرى غير الحبشة ، وأنها تستـطيع فى مكان آخر من أوربا ، أو افريقية ، أن تستعمل وسائلها العسكرية المجرمة فى تحقيق أحلامها الرومانية ، دون عقاب أو وازع ؛ وهنالك حقيقة لا ريب فيها ، وهى أن الفاشستية قد بثت بمسلكها وغرورها ووعيدها مخاوف ما كان اغناها عن بثها ، وأنها سترغم بلا ريب ، فى القريب العاجل ، على خوض الصراع الحاسم ؛ وليس من ريب فى أنها ستسحق فى هذا الصراع ، كما سحقت كل عسكرية أوربية جامحة من قبلها

***

امتزاج الاحاسيس

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال المتنبى :

والذل يظهر فى الذليل مودة   وأود منـــه لمن يود الأرقم

وأحسب أن المتنبى إنما أراد أن يصف الذليل المداجى الذى يظهر المودة ويخفى الضغينة والعداء ، فيتودد ويتذلل حتى ينـال من خصمه . وهذه صفة شائعة فى ذوى الكيد والمكر والدهاء . ولكن هناك صفة أخرى فى النفس الانسانية تشبه هذه الصفة بعض الشبه ، وهى صفة المحبة والمودة التى يحسها الخائف إحساساً حقيقياً لا مداجاة فيه إذا عجز عمن يخاف منه وألف الخوف فأزالت ألفة الخوف غلواءه ، وأزالت الرغبة فى التخلص منه ، وأبعدت هى والعجز أمل الانتقام من أجله ، فتحول ارادة المحافظة على الحياة ذلك الخوف المألوف محبة أو مودة تحاول بها نيل الزلفى لدى الانسان المخوف من طريق الاحساس الصادق بالمحبة أو المودة ، وتحاول أن تسل بها من قدرة المخوف حمة البغض وسم الضغينة ، لأن ارادة المحافظة على الحياة تعلم أن مودة الرياء ومحبة النفاق قد لا تقنع ، وقد تنكشف ويشف ثوب الرياء عما تحته فينال الخائف المرائى شراً إذا انكشفت مداجاته وعرفت مداهنته ، ومن أجل ذلك تبالغ إرادة المحافظة على الحياة فى الحيطة والحذر ، فتحول الخوف من الانسان المخوف الى حب له أو مودة كى تقنعه وتتقى بوادر شره ، وهى أيضاً تحاول أن تقنع بتلك المودة نفس من يحسها ، وتفهمها أن لا داعى لليأس من الحيـاة كى لا يرهقها الخوف واليأس ؛ وهذا أمر مشـاهد إذا قرأ الانسان سفر الحياة وتقصى البحث فى تكوين النفوس

وهذه المحبة قد تزول وقد تبقى بعد زوال أسباب الخوف ، وقد تقوى أواصرها بعد الرهبة ولا سيما إذا حلت الرغبة مكان الرهبة ، ووجدت النفس منفعة دنيوية أو نفسية لها عند من زالت أسباب الخوف منه ؛ وقد تنقلب تلك المحبة إذا زالت أسباب الخوف مقتاً ورغبة فى الانتقام ، فيحسبها الباحث أنها لم تكن إلا مداهنة ونفاقا ، وهى قد تكون ذلك ، وقد تكون كما شرحنا محض المودة والشعور الصادق بها ؛ لأن احساسات

النفس تمتزج وتتحول وتتشكل أشكالاً وتتلون ألواناً فى السرائر ، فكأن فى النفس البشرية سر الكيمياء الذى حاول الكيميائيون فى القرون الوسطى معرفته كى يتمكنوا من تحويل معدن إلى معدن ، فهذا التحول الذى وصفناه من كيمياء النفوس فى معامل السريرة الخفية

وكما أن امتزاج الخوف والمحبة يشاهد فى الأضداد البعداء من قوى مسيطر وضعيف ذليل ، إذا تهيأت للأول أسباب القوة من جاه أو مال أو صحة ، وخذلت تلك الأسباب الذليل الضعيف وقهرته على أن يعتمد على صاحب المال أو الجاه ، فذلك الامتزاج يشاهد أيضاً فى نفوس الأصدقاء والأوداء والأحباء والأقرباء . فكم من امرأة تحب زوجها حباً صادقاً أساسه الخوف منه ؛ وكم من رجل يحب زوجه حباً صادقاً يخالطه الخوف ؛ وكم من قريب يود قريباً ، وصديق يود صديقاً وداً تمازجه الرهبة أو الخشية

وإذا تقصينا البحث وجدنا ماهو أعجب من ذلك ، فقد يمتزج البغض والحب فى النفوس ، فقد يبلغ العاشق منزلة من العشق تشرف على البغض والمقت لمن يعشق ، وقد تتذبذب نفس العاشق بين الحب والبغض أو قد تجمعهما فى وقت واحد ، فهى تارة تريد الخير لمن تحب ، وتارة تريد الشر ، وتارة تجمع بين إرادة الخير وإرادة الشر — ويمتزج الأخاء والجفاء فى نفوس الأصحاب ، ويمتزج الاحترام والاحتقار فى نفوس الجلساء والمتعاشرين ، كما يمتزج الحب والبغض فى نفوس العشاق ، أو كما يمتزج الخوف والود فى نفوس الضعفاء ، فترى الصاحب أو الجليس يبالغ تارة فى إخائه لصاحبه وجليسه ومعاشره ويكثر من إكرامه وإجلاله ، وتارة يظهر له الجفاء وقلة الاكتراث أو العبث به أو الحط منه ، وتارة يجمع فى مجلسه بين النقيضين

وكل إنسان يشتكى هذه الصفة فى النفوس ، ولكن إنسان نصيب منها قل أو كثر وإنما يفطن إلى ما فى نفوس الناس ولا يفطن إلى نصيب نفسه منها . وينقسم الناس فى تدبر هذه الصفات ثلاثة أقسام : أناس يأبون الرضاء بها فيعتزلون الناس ما استطاعوا إلى العزلة سبيلاً ؛ وأناس ينقدونها ويودون لو تكون النفوس على حال واحدة ، ولكنهم يعرفون استحالة هذه الودادة فيقنعون بما هو مستطاع من النفس والحياة ، وأناس لا يرون إعنات أنفسهم بالسخط على هذه الصفات النفسية ، ومنهم من يرى فى تلون نفوس الناس وتقلبها وجمعها بين النقيضين رحمة أو تفكهة أو اراحة وترفيهاً ، ويمقتون من لا يعاشرهم على هذه الخلال ، وربما كان فى قولهم شىء من الحق والصواب ، وربما كنا نزهد فى الحياة لو كانت نفوس الناس على حال واحدة لا تتغير ، فان الحال التى لا تتغير مدعاة السأم والملل كسأم الذى يعيش فى مكان قفر موحش لا يرى منه إلا مظهرا واحداً لا يتغير فى أرضه أو سمائه

ولعل من أشد العقوبات وأقساها أن يحكم على انسان ألا يأكل طول حياته غير السُّكَّر ، فهو قد يشتهيه فى أول الأمر ، فاذا طال به العهد اعتراه السأم والملل ؛ وكذلك ربما كان الجفاء مدعاة إلى التمتع بالأخاء ، وقلة الاكتراث مدعاة إلى التنعم بالاكرام ، والبغض حافزا إلى استمراء الحب ، كما أن اللذة لا يحسها إلا من يستطيع الاحساس بالألم . وهذه فلسفة لا شك فيها ، ولكن الكثير من أمزجة النفوس تأباها ، إما لأنها مرهفة الحس فلا تنسيها اللذة الألم والأخاء الجفاء ، وإما لأنها إذا أحست ألماً أو عانت جفاء أو قاست عداء لا تطمئن إلى زواله ، وقد تستبطىء زواله فيدركها اليأس والحزن

والحزن من تقلب النفوس وتلونها واختلافها نفساً عن نفس وحالا عن حال كثيراً ما يدرك الشاب القليل الخبرة بالحياة والنفس الانسانية ، فهو لغرارته يحسب أن الحياة على مثل واحد يرتضيه ، وأن النفس على خلة واحدة يحمدها ، فاذا فطن إلى تقلب النفوس وتذبذبها وقلة استقرارها وجمعها بين الاضداد ، وإذا راعه كل ذلك بسبب غدر صديق أو جفاء جليس أو عيث عشير أو شر رفيق أو كيد أليف أو بغض حبيب كاد ينفطر قلبه أو كادت تنهار دنياه ، ولكن أكثر الشبان يستطيعون إذا طال بهم العمر ومد لهم فيه أن يوفقوا بين الحياة وبين مثلهم الأعلى ، أو تطغى الحياة وما تدعو اليه على مثلهم الأعلى فتمحوه ويصير كل منهم فى مودته مثل مقياس الحرارة (الترمومتر) ، فتارة ترتفع مودته إلى درجة الغليان ، وتارة تنخفض إلى ماهو تحت الصفر من درجات البرودة . وقس على المودة غيرها من الاحساسات

وإنما تصلح الحياة وترق وتحلو إذا لم يمح تذبذب النفوس المُثُل العليا منها . وخير خطة للمرء ألا يحزنه تقلب النفوس واختلاط خلال النفس ، وألا يدع هذا الاختلاط والتذبذب يطغيان على كل شعور نبيل ، فيجمع بين الاطمئنان ونشدان المُثُل العليا إذا استطاع ذلك

عبد الرحمن شكرى

فى حضرة الأمير فؤاد

جلالة الملك الراحل

للأستاذ عبد القادر المغربى

عضو مجمع اللغة العربية الملكى

لم يتح لى شرف المثول بين يدى جلالة الملك فؤاد الأول وأنا عضو فى مجمع اللغة العربية الملكى ، وإنما أتيح لى ذلك وهو أمير وأنا محرر فى جريدة (المؤيد) سنة ١٩٠٧ م

كتبتُ فى هذه السنة عدّة مقالاتٍ فى الدين والأدب والأخلاق والاجتماع الاسلامى ؛ وكان مما كتبته سلسلة مقالات بعنوان (حمامة الأزهر) ، فكنتُ أروى عن تلك الحمامة — مستمداً من وداعتها ونزاهتها — وصفاً دقيقاً لأحوال الأزهر وأخلاق علمائه ومشارب طلابه وما يقع فيه يوماً فيوماً من خير يمتدح أو شر يجتنب

واتفق يومئذ حدوث ما حدث بين السّيد على المرصفى ومشيخة الأزهر . وكان السيد يقرأ من كتب الأدب (كاملَ المبرد) . وللحجاج فيه كلمة نابية لا تكاد تذكر حتى يتبرأ منها المسلم . فَنَقَلَ بعض الوُشاة إلى المشيخة خَبَرَ ورود هذه الكلمة فى درس الأستاذ (المرصفى) . فأكبرتْ أمرها . ودعت الأستاذ إليها وناقشته فى اختياره لهذا الكتاب من بين كُتُب الأدب الكثيرة ، وفيه تلك الكلمة . ثم أبَتْ المشيخة عليه إلا أن يقرأ مقامات الحريرى ، وأبى هو إلا أن يهجر الأزهر ويعكف على القراءة فى داره فى باب الشعرية ، وهكذا وقع

على أثر ذلك زارنى فى إدارة تحرير (المؤيد) ثلاثة من مجاورى الأزهر الذين لم ينفضوا من حول شيخهم المرصفى . وقد ألفت بينهم حرّية فى الفكر ، وصراحة فى الرأى ، ونفوس وثابة إلى التجديد : فكانوا فى تاريخنا الحديث أشبه بجمعية إخوان الصفا فى تاريخنا القديم

وهم الأساتذة : طه حسين ، والزيات (صاحب هذه الرسالة) ، والزناتى

فأنستُ بهم وسررت بزيارتهم

وقد وصف لى الأستاذ طه حادثة أستاذهم المرصفى مع مشيخة الأزهر وعجّبنى أشدّ العجب من موقف المشيخة إزاء هذا الحادث . ثم رغب إلىَّ أن أستنطق (حمامة الأزهر) فهى تملى علىَّ الخبر بأتمّ مما أملاه هو وأن أنشر ما تقوله فى (المؤيد)

فقلت له — وأنا آسف واجم : إن الشيخ على يوسف دعانى اليه بالأمس وقال لى : إن سمو الخديو (عباساً) قال له : قل للشيخ المغربى ليدع (حمامة الأزهر) وشأنها ، ولا يرو منْ بعد الآن فى (المؤيد) خبراً عنها

ولما أردت أن أناقش صاحب المؤيد فى ذلك قطع على حبل المناقشة بلهجة البات الجازم . وقد بين السبب فى هذا البت بأن الخديو قال له : إن شيوخ الأزهر أنفسهم كلموه فى هذه القضية فوعدهم خيراً ، فلم يبق مناص من امتثال أمره

ثم قلت للاخوان الثلاثة : هذا ما جرى ، وكنت أحب أن يصلنى خبر حادثتكم هذه قبل ما بلغت من أمر الخديو فيكون للحمامة إذ ذاك شأن فى وصف الحادثة والتعليق عليها . وما يدرينا أن يكون الشيوخ الذين كلموا الخديو فى الأمر إنما حسبوا حساب (الحمامة) التى اشتهرت بصدق روايتها ، وإخلاصها فى نصيحتها ، فلجأوا إلى الخديو . وبهذه الصورة قطعوا عليها طريق الكلام فى الحادثة

ثم أفضتُ مع (إخوان الصفا) فى أحاديث أخر . حتى وصلنا إلى ذكر ما أنشره فى (المؤيد) من مقالات (أمالى أدب) فأنشدنى الأستاذ طه القصيدة التى اشتهرت باسم (اليتيمة) ومطلعها :

(هل بالطلول لسائلٍ ردُّ أم هل لها بتكلمٍ عهدُ)

وكنت نشرت فى (أمالىَّ) أبياتاً من تلك القصيدة . فقال الأستاذ (طه) إن معظم القصيدة موجود فى مجموعة رسائل مخطوطة فى دار الكتب المصرية . وفى ثانى يوم أرسلها إلى بخط

بعض إخوانه ، وبقيت عندى حتى غلبنى عليها أحد الأصدقاء قبل بضع سنين

وفى تلك الأثناء زارنى صديق الأستاذ (محمد الهراوى) وقال لى : يحسن أن نزور معالى (حسين رشدى باشا) . وكان مديراً للأوقاف العمومية فى ذلك العهد . ولم أكن اجتمعت به من قبل ، أما الهراوى فقد كان على اتصال به

فزرناه فى دار سكنه فى (المنيرة) وهى الدار التى آلت ملكيتها بعد ذلك إلى الشيخ على يوسف

ولما دنونا من بابها رأينا عربة فخمة يقودها فرسان مطهمان . فقال لى رفيق : يظهر أن أحد أمراء العائلة الخديوية فى زيارة الباشا

وهكذا كان : فاننا لم نكد نطأ البساط حتى خاطبنا الباشا مشيراً إلى صدر المجلس حيث زائره الكريم — قائلاً :

سمو البرنس فؤاد

فدنونا وسلمنا . ولم نكد نأخذ مجالسنا حتى التفت الباشا إلى الأمير وجعل يكلمه بالفرنسية . وكان فى خلال الحديث يلتفت إلى ، فعلمت أنه إنما يقدمنى إلى سموه ، وبالطبع يكون قد قال له : إننى عالم سورى وأننى أحرر فى (المؤيد) رسائل حمامة الأزهر . وأننى أسلك فى نقد العادات والأخلاق وطرائق التعليم الدينية الأزهرية مسلك المرحوم الشيخ محمد عبده . عرفت هذا من قول صاحب السمو للباشا بالفرنسية :

سل الشيخ ما هو رأيه فى الكرة الأرضية ؟ هل هى حقيقة محمولة على قرن ثور كما يقولون ؟

فكان لهذا السؤال وميض من الابتسام على شفاهنا جميعاً وشعرنا بشىء من الأنس والانبساط أفاضته علينا كلمة صاحب السمو بعد انقباض الاحتشام الذى غشينا من مهابته

فقلت للباشا قل لأميرنا المحبوب : إنه لولا الثور (أبيس) وبقية ثيران الدنيا التى كان يمثلها ذلك الثور فى هيا كل مصر — لما وجد فى الدنيا إنتاج زراعى ، ولما قام عمران فى العالم . فلا جرم أن كانت الدنيا القديمة محمولة على قرن الثور وحده وأن يكون أهلها عيالاً عليه : فهو الذى (يحمل) عبء الاهتمام بأمرهم ، والسعى فى تموينهم ، وتدبير الأقوات لهم

ففكرة حمل الدنيا على قرن الثور إذن فكرة شعرية خيالية سرت إلينا من المصريين القدماء بشكل جدىّ واقعى

فبرقت أسارير صاحب السمو من هذا الجواب . ثم أبدى أسفه الشديد لكثرة ما تسرب إلى الدين الاسلامى من تقاليد الأمم القديمة ومزاعمها ، حتى أصبحت تلك المزاعم كأنها جزء من تعاليم الاسلام . ثم ذكر لنا سموه أمراً استغربه جداً : وهو أن بعض علماء مراكش وَفَدَ على القاهرة فسأله بعض من سلَّم عليه من زملائه عما إذا كان سفره من المغرب الأقصى إلى القطر المصرى كان بطريق البر أو البحر . وقال سموه : إن العزلة التى تجعل صاحبها يجهل أبسط شأن من شؤون عصره لهى عزلة ضارة تجب مقاومتها والخروج من ظلمتها

وقد كان كلام سموّه يشفُّ عن مبلغ غيرته على الاسلام ، وحرصه على تصفية علومه ، وعلى الأزهر وحرصه على ترقية شؤونه

رحم الله فقيدنا العظيم رحمة واسعة ، وجعل لنا من ابنه جلالة (فاروق الأول) خليفةً صالحا يكشف الغمّة ويجمع كلمة الأمّة

(دمشق) المغربى

النقد الأدبي

بقلم السيد عبد القادر صالح

بحث صاحب « الرسالة » الغراء في عددها الأسبق تهافت الأدباء الناشئين على النقد الأدبي ولما يأخذوا له عدته

ولم يَعْدُ الحق فيما سرده من العلل لتلك الظاهرة القوية بين كثير من ناشئتنا ، لأن منزلة الناقد الحق منزلة رفيعة تحتاج إلى سعة أطلاع ، وسلامة ذوق ، وصراحة من غير ما قسوة أو غرض

ذكرني مقال الأستاذ في « النقد المزيف » بقصيدة مشهورة لشاعر انكليزي نقادة اسمه (پوب) عاش في القرن الثامن عشر . ويتبوأ هذا الشاعر في الأدب الانكليزي مكانة « أبي الطيب المتنبي » في الأدب العربي من بعض الوجوه . كلاهما كان أمير الشعر في عصره ، وكلاهما كان يعتز برفعة نفسه وعدم امتهانها ، وكلاهما كان متين الأسلوب ، وأشعار كل منهما أصبحت أمثالاً سائرة

وتلك القصيدة التي أشرت اليها آنفاً ، والتي سأحاول أن أنقل لقراء « الرسالة » الذين لم يدرسوا پوب بعض آراء هذا الشاعر الواردة فيها ، هي : « مقال في النقد » نشرت والشاعر في الثالثة والعشرين من عمره ؛ ويظن أنه نظمها قبل نشرها بسنتين ، يستهلها بقوله :

« يتعذر على المرء أن يقول : أي الرجلين تنقصه المهارة أكثر : السيء النقد أم السيء الكتابة ؟ على أن ما يستنفد صبرك أقل خطراً مما يضلك

أحكامنا كساعاتنا ، قل أن يتفق منها اثنان . غير أن كلاً منا يعتقد أن رأيه هو الأصوب

يندر وجود العبقرية الحق في الشعراء ، كما يندر وجود الذوق السليم في الناقد . كل من الناقد والشاعر يجب أن يكون مطبوعاً . هذا خلق ليكون ناقداً وذاك ليكون شاعراً

قلة معارف البعض تفسد مؤهلاتهم البسيطة . فاذا ما أخفقوا في الكتابة انقلبوا نقدة ليدرأوا عن أنفسهم أثر الخيبة

العلم الناقص شديد الخطر ، فاما أن تتبحر في العلم وإما ألا ترد مناهله . لأن الاغتراف البسيط يسكر ، ولا يعيد الرشد إلا الامعان في الطلب

قبل أن تتعرض للنقد يجب أن تتأكد من نفسك أولاً ، وأن تعرف مدى ما لديك من المعرفة والعبقرية والذوق السليم

الكبرياء من أقوى الأسباب التي تحول بين المرء ورؤية الحقائق . ومن شأن الطبيعة أن تزيد في كبرياء المرء بمقدار ما ينقصه من المقدرة

في البدء يخيل إلى الشاب المتحمس أنه بمعلوماته البسيطة بلغ ذروة الفن ، ولكنه كلما أمعن في طلب العلم بدا له نقص أوضح . كالصعد في جبال الالب يتراءى له في بدء تصعيده أنه يدنو من الذروة العليا ، فاذا ما استمر في تصعيده بدت لعينيه ذرى تعلوها ذرى

الناقد الكامل يقرأ الكتاب بنفس الروح التي كتب بها المؤلف . ينظر للكتاب ككل ، فلا يجعل همه اكتشاف الغلطات التافهة . وهل يُحكم على جمال شخص بجمال العين أو الشفة على انفراد ؟

بعض النقدة همهم اللغة . يعجبهم من الكتب ما يعجب النساء من الرجال : حسن الثياب

سلامة الاسلوب ليست وليدة المصادفة ، وإنما هي ثمرة الفن . جرس الكلمة يجب أن يكون صدى لمعناها

بعض النقدة ينتقد أسماء المؤلفين لا مؤلفاتهم ، فيمتدح أو يذم الشخص لا كتابه . والبعض الآخر يمتدح القديم لأنه قديم ، أو الجديد لأنه جديد . فلا تكن أول من يجرب الجديد ولا آخر من يتخلى عن القديم

وهنالك من يمتدح في أول النهار ما يذمه في آخره ؛ وإذا سألته عن السبب أجابك : « أنا الآن أعقل مني في الصباح . » ولا ريب أنه سيكون في الغد أعقل منه الآن

والبعض إنما يقدر من كان من رأيه أو حزبه ، فيتخذ من نفسه مقياساً للنقد عاماً

لا يكفي أن يجتمع في الناقد الذوق والمعرفة وإصابة الرأي . بل يجب أن ينضم إلى هذه الصفات الحق والصراحة

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

من الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

التربية الوطنية الاستقلالية

وأثرها في بناء الأمة

للأستاذ محمد عبد الباري

تتمة

وجملة القول هنا أنه لا بد من الشجاعة والاقدام للنجاح في هذه الحياة، لأنهما يأبيان على المتحلي بهما الاعتماد على الغير، ويقودانه الى الطموح والسعي والابتكار. وصفتا الشجاعة والاقدام لا تتأصلان إلا بالتربية الاستقلالية التي تبدأ من الطفولة الأولى، وتنمو في الوسط الحر المستقل وتغذى بالقدوة والمثل

وفي البيئات الحرة المستقلة يقل اعتماد الفرد على الجماعة فتخف أعباؤها. وفيها يشعر كل فرد بحقه وواجبه فيعمل الواجب، ويطالب بالحق، ويكره الضيم ولا ينام للظلم. وبهذا يفكر الظالمون والمتعسفون كثيرا قبل أن يقترفوا الظلم والعسف، فيقل الاحتكاك وتسرع الجماعة في طريق البشرية لتحقيق مثل الانسان الأعلى، دون فقدان كثير من قواها في احتكاك داخلي يوهن عزيمتها، ويفت في عضدها

ولا شك أن أعمال الحكومة تؤدي كثيراً إلى تدعيم روح الحرية والاستقلال بمراعاة ما ذكر في النظم والقوانين، وفي كيفية تطبيق رجال القضاء والادارة لهذه القوانين والنظم

فكفالة حرية الرأي تساعد كثيراً على نضوج الفكر ومن ثم على نضوج الحرية الاجتماعية وتقضي على الفوضى، ومن الواجب مراعاة هذا لدى التقنين

واختيار القضاة ممن عرفوا بالصلابة في الحق، والتمكن من القانون، واستنارة الفكر، تعاون الجماعة على ضمان سير العدالة؛ وبذا يشعر الناس بأن لا ضير عليهم ما قاموا بواجبهم في حدود القانون، فيعظم نشاطهم ويكثر انتاجهم

وتحلي رجال الادارة كبارهم وصغارهم بصفات الاستقلال والحرية والشجاعة والاقدام يعمل كثيراً على سير أداة الحكم بلا عوج ولا غرض، فتشيع في الناس صفات الاباء والشمم، ويعمل الجميع بلا خشية ولا رهبة ولا احتكاك ولا شقاق، ويقضي على النفرة بين الحكام والمحكومين، ويشعر الجميع بأن بينهم غرضاً مشتركا يقوم كل بواجبه لتحقيقه، فيسهل الوصول إلى الغاية المشتركة بالتعاون والتضافر

الوطنية:

لا بد في الحياة الاجتماعية أن تقترن التربية الوطنية بالتربية الاستقلالية منذ الحداثة الأولى. نعم حب الوطن طبيعة يستشعرها الانسان منذ فجر التاريخ بغير تلقين ولا درس، ولكنها مع ذلك من المشاعر التي يجب تعهدها بالترسيخ والتقوية، وحمايتها مما يفسدها من المؤثرات الصناعية

لا عزة في وطن ذليل؛ ولا قيمة للجاه الفردي والغنى الفردي في جماعة تخضع لارادة خارجية؛ والاستقلال الفردي لا يثمر في أرض تسخر فيها ارادة الأفراد لغير مصلحة بلادهم

ففي مهد الطفولة يمكن تنمية شعور الوطنية بقص قصص الوطنيين الأبرار وتمجيد أعمالهم وإثارة الاعجاب بها. وفي المكتب أو المدرسة يتغنى الأطفال بحب الوطن ومجده والتفاني في خدمته، وإذا لم تكن العقول الصغيرة غير المتفتحة تدرك المعاني حق إدراكها فان الذاكرة تختزن الألفاظ لتفيض معاني ملهمة عندما يتسع الادراك وتأتي المناسبات؛ وخيال الطفل القوي

عليك بالصمت التام عندما تكون غير واثق تمام الثقة من صحة رأي. وعليك أن تتواضع إذا كنت متمكناً من رأي، وأن تعترف بأغلاطك

لا يكفي أن يكون نقدك حقاً تقصد به الارشاد، إذ كثر ما سببت الحقائق الجافة أضراراً أبلغ من الأخطاء، لأن الناس يحبون أن يعلَّموا وهم لا يشعرون أنهم يعلمون، وأن تُذكر لهم الأشياء التي يجهلونها كأنها منسية لا مجهولة

لا تقس في نقدك ولا تكثر منه. ولكن يجب ألا يسوقك التسامح لاهمال العدل. ولكن أين الرجل الذي يستطيع أن يقدم النصح خالصاً حباً في الارشاد لا رغبة في إظهار المعلومات؟ »

(نابلس — فلسطين) عبد القادر صالح

يخلق من أبطال قصص والديه تماثيل ذهنية ناطقة تصاحبه ما عاش وتناديه وتناجيه ، تزجره إذا ما حاول العقوق ، وتدفعه إذا ما اعتزم العمل ، وتتوج هامه بأكاليل الفخار إذا ما أجاد شاباً وكهلاً . وما أعجب فعل العقيدة عن إيمان ! !

هـذه الصور الخيالية تحفظ الشعور قويا وثابا . فاذا ما نضج الشخص بالتربية العقلية والجسمية والخلقية امتزج العقل بالعاطفة وكان فى الفرد الوطنية الحية الرشيدة ، أقوى أسس الحياة الاجتماعية

دراســة التاريخ بصفة خاصة من أقوى العوامل على تنمية الشعور الفطرى بحب الوطن وتثبيته . فالصور الخيالية التى لزمت الطفل من البيت إلى المدرسة تزداد ثباتاً بدرس التاريخ كما ينبغى . التاريخ القديم والحديث حافلان بأعمال البطولة والشرف ، وفيهما أمثلة لأعمال الدناءة والخيانة . فمن واجب الأبوين والمعلمين عرض صور الشخصيات التاريخية البارزة عرضاً أخاذاً وتمجيد أعمال البر بالوطن والتفانى فى خدمته وتحقير أعمال الخيانة والنذالة والجبن بذا ينشأ الوطنى طموحا إلى المجد ، مشمئزاً من الدناءة ، منكراً لذاته فى سبيل رفعة وطنه

ولا شك فى أن للمثل الصالح هنا كذلك قيمته العظيمة . فسلوك الأبوين والأقارب والمعلمين يفعل فى نفس الطفل العجائب ، بل إن هذا السلوك يؤثر فى الفتيان تأثيراً يخلق النفوس خلقاً آخر . فقيام كل من هؤلاء بواجبه كوطنى يبث فى الناشئين روحا وطنية بلا تلقين أو وعظ ، ويشبون على أن العمل لمجد الوطن واجب الجميع يؤديه الكل سجية . فاذا ما توانوا فيه أو تخاذلوا دونه كان ذلك شذوذاً معيباً وسلوكاً ممقوتاً

للكتب والقصص ، تمثيلية وغير تمثيلية ، قيمة كبيرة فى هذه الناحية من نواحى تربية الفرد . فالتلقين الحكيم الذى يزود به الكاتب قراءه أو مشاهدى روايته لا يقل كثيراً عن المثل والقدوة . يجب أن يكون فى الكتب والقصص ما يكفى للايحاء إلى القراء والنظارة بأن كلا منهم يستطيع أداء حق وطنه عليه باعداد نفسه الاعداد الذى تحتمله ظروفه وطبيعته والذى تمكنه من أداء عمله ، مهما كان نوعه باخلاص وإتقان . وبأنه إذا قام كل فرد باداء عمله كما ينبغى فان الوطن يتقدم ويعتز . وبأن الانسان خلق حراً ، ولكن لا سبيل إلى الاحتفاظ بهذه الحرية إلا إذا كان الوطن قويا بحيث يستطيع رد من يحاول التسلط عليه وفرض إرادته على أبنائه

ومن خير وسائل إعداد الشبان قرن الثقافة ببث روح الطموح فى الشبان وإثارتها فى كل مناسبة ، بل بخلق مناسبات لاثارتها . فالطموح المحب لوطنه يخصص حياته لتحقيق أمثلة عليا فى الحياة تعود حتماً بالخير على بلده . فما الأمة إلا أبناؤها . فاذا كانوا خاملين وقف تقدم البلاد بل تتدهور . وإذا كانوا ذوى أمثلة عليا تقدمت البلاد وعز جانبها

ومن سبل ترسيخ الروح الوطنية الاحتفال بالأعياد القومية وانتهاز ما تتيح من فرص لتمجيد أعمال البر بالوطن والتفانى فى خدمته ، وفى كل الطبقات يجب أن تنشأ جماعات يجتمع أعضاؤها يتباحثون ويتناجون فيما يعود على جماعتهم بالخير . وينبغى أن تنشد الأناشيد الوطنية فى مبدأ الاجتماع وفى نهايته لتحية الوطن وإعلان الاخلاص له والتضحية فى سبيله

وهكذا يذكر الوطن فى المنزل وفى المكتب والمدرسة ، وفى الاحتفال بالأعياد القومية ، وفى الاجتماع المتعلق بالشؤون الطائفية . فترسخ فى الجماعة عقيدة « الوطن فوق كل شىء » ويرخص كل شىء فى سبيل الوطن ، يرخص المال والولد ، بل ترخص النفس كلما تطلب مجد الوطن بذلاً فى الحرب والسلم على السواء

وإذا ما غلبت فى جماعة ما روح التربية الاستقلالية ونما فى الأفراد وقوى وثبت الشعور الفطرى بحب الوطن ، وأعد الجميع إعداداً صالحاً ليقوم كل بواجبه على خير وجه ، فلا بد أن تنجح هذه الجماعة فى شق طريقها الى الحياة الانسانية الكريمة ، حياة العزة والشرف ممتعة بنعيم الحرية وبركة الاستقلال الصحيح .

(شبين الكوم) محمد عبد البارى

تصويب

ورد فى المقال الثانى من هذا البحث المنشور فى العدد ١٥٠ ما يأتى :
جـ. فى آخر العمود الثانى من صفحة ٨٢٠ (عند) وصوابها عن
« « « الأول حرف a بدل s فى كلمة Syndicalism
« « « الثانى كلمة تغير بدل تبصير

من أدبنا المجهول — شاعر برى ولده بربواه

اقتراح القريح واجتراح الجريح

لأبى الحسن على الحصرى

[للأستاذ الزيات عزاء وسلوة]

للأديب السيد أحمد صقر

— ٢ —

الحصرى المجهول : هناك بين طيات القرون الغابرة ، ثبت ضخم حافل بكثير من نوابغ الأدباء ، وعباقرة الشعراء ذوى الجد العاثر والطالع النكد ، الذين جار عليهم الزمان فطوى ذكرهم وطمر تراثهم . ولو عنى الناس بأمر هؤلاء المحدودين ، وبعثوهم من مراقدهم ونشروا آثارهم ، لكان للأدب من ذلك ثروة طائلة

من هؤلاء الشعراء المجهولين أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى الحصرى القيروانى الضرير ، صاحب كتاب « اقتراح القريح واجتراح الجريح » . والحصرى — بضم الحاء وإسكان الصاد — نسبة إلى عمل الحصر أو بيعها

ويشترك مع أبى الحسن هذا فى لقبه شاعر معاصر آخر ، كانت بينه وبينه وشيجة نسب ، أعنى به ابن خالته الأستاذ « ابراهيم الحصرى » صاحب كتاب « زهر الآداب » المتوفى سنة ٤٥٣ من الهجرة (١٠٦١ م)

وقد اشتبه أمرها على كثير من الناس فحسبوا ذاك هذا ، ونسبوا آثار هــذا لذاك ؛ وأرخوا لأحدها بتأريخ الآخر ، ولكن الأمر لم يشتبه على الراسخين فى العلم ، فوضعوا الحق فى نصابه

اكتنف الغموض حياة أبى الحسن الحصرى من كل ناحية ، فلسنا نعرف نشأته ولا ثقافته ، وليس فيما بين أيدينا من المصادر ترجمة دقيقة شاملة نعتمد عليها فى تأريخنا له ، وكل ما وجدناه نتف متشابهة ، وشذرات مقتضبة ، لا تجدى نفعاً ؛ وقد أحببت أن أنقلها للقراء علها تلقى شيئاً — ولو ضئيلاً — من الضياء على حياة ذلك الشاعر العبقرى ، وترسم صورة — ولو شاحبة — لذلك الأديب المجهول

١ — ذكره ابن بسام فى ذخيرته ، فقال : « كان بحر براعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طرأ على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدب يومئذ بأفقنا نافق السوق ، معمور الطريق ، فتهادته ملوك طوائفها تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الدار فى الأنس بالمقيم ؛ على أنه كان فيما بلغنى ضيق العطن ، مشهور اللسن ، يتلفت إلى الهجاء ، تلفت الظمآن إلى الماء ، ولكنه طُوِى على غَرِّه ، واحتمل بين زمانه وبُعْدَ قطره ، ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا ، اشتملت عليه مدينة طنجة ، وقد ضاق ذرعه وتراجع طبعه ... »(١)

٢ — وذكره ابن بشكوال فى الصلة فقال : « على بن عبد الغنى الفهرى المقرئ الحصرى القيروانى يكنى أبا الحسن ، ذكره الحميدى وقال : شاعر أديب ، رخيم الشعر ، دخل الأندلس ولقى ملوكها ، وشعره كثير ، وأدبه موفور ، وكان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن بسبتة وغيرها . أخبرنا عنه أبو القاسم بن صواب بقصيدته التى نظمها فى قراءة نافع ، وهى مائتا بيت وتسعة أبيات قال لقيه بمرسية سنة ٤٨١ هـ وتوفى بطنجة سنة ٤٨٨ هـ »(٢) الموافقة لسنة (١٠٩٥) ميلادية

٣ — وذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، فأورد قول ابن بسام ثم قال : « قلت وهذا أبو الحسن ابن خالة أبى اسحاق الحصرى صاحب زهر الآداب » ونقل كلام ابن بشكوال والحميدى ثم قال : « وله ديوان شعر . فمن قصائده السائرة قصيدته التى أولها :

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده ؟
رقد السمار وأرقه أسف للبين يردده

إلى أن قال : وحكى تاج العلاء أبو زيد المعروف بالنسابة قال : حدثنى أبو أصبغ نباتة بن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثى عن جده زيد بن محمد قال : بعث المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية إلى أبى العرب الزبيدى خمسمائة دينار وأمره بأن يتجهز بها ويتوجه اليه

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٢
(٢) صفحة ٤٢٥ من المجلد الثانى طبع مجريط ١٨٨٣ م

وكان بجزيرة صقلية ، وبعث مثلها الى أبى الحسن الحصرى وهو بالقيروان فكتب اليه أبو العرب :

لا تعجبن لرأسى كيف شاب لمى
واعجب لأسود عينى كيف لم يشب
البحر للروم لا يجرى السفين به
إلا على غرر والبر للعرب

وكتب اليه الحصرى :

أمرتنى بركوب البحر أقطعه
غيرى - لك الخير - فاخصصه بذا الداء
ما أنت نوح فتنجينى سفينته
ولا المسيح أنا أمشى على الماء

ثم دخل الأندلس بعد ذلك وامتدح المعتمد وغيره ، وتوفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بطنجة رحمه الله تعالى[1]

٤ — وذكره ابن العماد الحنبلى فى كتاب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب عند كلامه على حوادث سنة ٤٨٨ هـ فقال : فيها أبو الحسن الحصرى المقرىء الشاعر نزيل سبتة - على بن عبد الغنى الفهرى . كان مقرئاً محققا ، وشاعراً مفلقاً ، مدح ملوكا ووزراء ، وكان ضريرا . ثم نقل قول ابن بسام المتقدم وعقبه بقول ابن خلكان ، ثم قال وله أيضاً :

أقول له وقد حيا بكأس
لها من مسك ريقته ختام
أمن خديك تعصر ؟ قال كلا
متى عصرت من الورد المدام[2]

ولما كان بمدينة طنجة أرسل غلامه الى المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية - واسمها فى بلادهم حمص - فأبطأ عنه وبلغه أنه ما احتفل به فقال :

نبه الركب الهجوعا
ولم الدهر الفجوعا
حمص الجنة قالت
لغلامى لا رجوعا
رحم الله غلامى
مات فى الجنة جوعا

وقد التزم فى هذه الأبيات لزوم مالا يلزم رحمه الله تعالى[3]

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٣

(٢) يذكرنى هذا البيت بقول المرحوم حافظ بك ابراهيم فى وصف الصهباء :

خمرة قيل إنهم عصروها من خدود الملاح فى يوم عرس

(٣) شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٥

٥ — وذكره الصلاح الصفدى فى كتابه نكت الهميان وكل ما أتى به منقول عن ابن خلكان وابن بشكوال ، وزاد عليهما فذكر البيتين اللذين ذكرهما ابن العماد . أقول له وقد حيا بكأس[1]

٦ — وذكره ابن الجزرى فى كتابه غاية النهاية فقال : « على ابن عبد الغنى أبو الحسن الفهرى القيروانى الحصرى أستاذ ماهر ، أديب حاذق ، صاحب القصيدة الرائية فى قراءة نافع ، وناظم السؤال الدالى ملغزا : سألتكم يا مقرئى الغرب كله

وهى فى سواءت أجابه عنه الشاطبى ومن بعده

قرأ على « عبد العزيز بن محمد » صاحب أبى سفيان ، وعلى « أبى على بن حمدون الجلولى[2] » والشيخ « أبى بكر القصرى » وروى عنه « أبو القاسم بن الصواف » قصيدته ، وأقرأ الناس بسبتة وغيرها . توفى بطنجة سنة ثمان وستين وأربعمائة . ثم نقل قول ابن خلكان فى وفيات الأعيان[3] » ، وقول ابن الجزرى إن الحصرى الأعمى توفى سنة ٤٦٨ هـ قول لم يشاركه فيه غيره من المؤرخين ، ولعله وهم أو تحريف من الناسخين

٧ — وذكره العماد الكاتب فى كتاب خريدة القصر . وجريدة أهل العصر ، فقال : الحصرى الأعمى الربنى : هو أبو الحسن على بن عبد الغنى من الأندلس (!) صاحب تصنيفات واحسان فى النظم ، قال فى غلام اسمه هارون :

يا غزالا فتن . النا
س بعينيه فتونا
أنت هاروت ولكن
صحفوا تاءك نونا

وقال يهجو أبا العرب الصقلى :

معجب كالمتنبى
وهو لا يحسن شيا
إن هذا يحيوى
أوتى العلم صبيا

وقال :

كم من أخ قد كان عندى شهدة
حتى بلوت المر من أخلاقه
كالملح يحسب سكراً فى لونه
ومجسه ويحول عند مذاقه

(١) انظر نكت الهميان فى نكت العميان ص ٢١٣

(٢) هو محمد بن حمدون أبو الحسن الواسطى الحذاء ، وهم فيه صاحب التجريد فسماه علياً ، ووهم فيه الهذلى فسماه عبدالله . كان من أهل الثقة والأتقان والضبط توفى سنة عشر وثلثمائة أو فى التى بعدها ...

(٣) راجع غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٥٥١

وقال يرثى المعتضد أبا المعتمد :

مات عباد ولكن بقى الفرع الكريم
فكأن الميت حى غير أن الضاد ميم

وقال : أقول له وقد حيا الخ البيتين

وقال :

وشاعر من شعراء الزمان يفخر عندى بالمعانى الحسان
وإنما أطيب أشعاره نصف خراسان والقيروان (؟)

وقال :

إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب

وقال :

مما يبغضنى فى أرض أندلس سماع معتصم فيها ومعتضد
أسماء مملكة فى غير موضعها
كالهر يحكى انتفاخاً صولة الأسد[1]

وقوله اذا كان البياض الخ ذكره المقرى فى نفح الطيب وزاد عليه قوله :

ألم ترنى لبست بياض شيبى لأنى قد حزنت على شبابى

وذكر أيضاً أن من عادة أهل الأندلس لبس البياض فى الحزن بخلاف أهل المشرق . وذكر لبعضهم أبياتاً فى ذلك[2]

ألا يا أهل أندلس فطنتم بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضاً فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن ولا حزن أشد من المشيب

٨ — وذكره المراكشى عرضاً عند كلامه على نزول المعتمد مدينة طنجة قال : « فأقام بها أياماً ولقيه الحصرى الشاعر فجرى معه على سوء عادته من قبح الكدية ، وإفراط الإلحاف ، فرفع إليه أشعاراً قديمة كان مدحه بها ، وأضاف الى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله اليه ، ولم يكن عند المعتمد فى ذلك اليوم مما زود به — فيما بلغنى — أكثر من ستة وثلاثين مثقالا ، فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها ، سقطت من حفظى ، ووجه بها اليه فلم يجاوبه عن القطعة على سهولة الشعر على خاطره ، وخفته عليه . وكان هذا الرجل — أعنى الحصرى

(١) أنظر الخريدة ص ٢٣ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب

(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ٩٠٦ طبع بولاق .

الأعمى — أسرع الناس فى الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحركه المعتمد على الله على الجواب بقطعة أولها :

قل لمن قد جمع العلـ ـم وما أحصى صوابه
كان فى الصرة شعر فتنظرنا جوابه
قد أثبناك فهلا جلب الشعر ثوابه

ولما اتصل بزعانفة الشعراء، وملحفى أهل الكدية ما صنع المعتمد — رحمه الله — مع الحصرى تعرضوا له بكل طريق ، وقصدوه من كل فج عميق ، فقال فى ذلك رحمه الله :

شعراء طنجة كلهم والمغرب ذهبوا من الأغراب أبعد مذهب
سألوا العسير من الأسير وإنه بسؤالهم لأحق فاعجب واعجب
لولا الحياء وعزة لخمية طى الحشا ساواهم فى المطلب[1]

هذه هى كل النتف والشذرات التى عثرت عليها فى كتب التراجم لذلك العهد السحيق . وكل هذه التراجم — إن صحت تسميتها بذلك — لا تكشف لنا عن حياة الشاعر ، ولا تبين مقدار قوة شاعريته أو ضعفها ، ولا توضح أثره فى الأدب ، ولا تتناول أدبه بالنقد والتحليل . والذى يستوقفنى منها بصفة خاصة قول المراكشى : « كان هذا الرجل أسرع الناس خاطراً فى الشعر » وقول ابن بشكوال نقلا عن الحميدى « إن شعره كثير ، وأدبه موفور » ، فأين ذلك الأدب الموفور والشعر الكثير الذى واتاه به طبعه الدافق فى يسر وسهولة ؟ أين قصائده فى الهجاء الذى « كان يتلفت اليه تلفت الظمآن الى الماء ؟ » أين قلائده التى قلد بها ملوك الطوائف حتى تهادته تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار فى الأنس بالمقيم ؟ أين خرائده فى الوزراء الذين أغدقوا عليه النعم ؟ أين أين ذلك الشعر الرخيم ؟ ؟ لقد غمره طوفان الفناء فيما غمر ، ولم يبق له جرس ولا أثر ، والمسؤول عن ذلك هو الحصرى نفسه فهو الذى أهمل ولم يحسب لذلك الطوفان حساباً ، ولم يدون من شعره غير كتاب اقتراح القريح واجتراح الجريح . ولدينا مجموعة صغيرة من شعره فى الغزل والنسيب اسمها « معشرات الحصرى » سنتكلم عنها بعد أن نروى لك كثيراً من شعره فى اقتراح القريح . . .

أحمد صقر

(١) انظر المعجب ص ٧٧ طبع مصر

الأدب بين الخاصة والعامة:

لامرتين ورينيه جارد

للسيد اسكندر كرباج

(تتمة)

ثم يقول لامرتين : نبّه فيّ هذا الحوار فكرة وضع قصص شعبية إجابة لرغبة تلك الفتاة الكريمة . لقد عشت طويلاً في الأكواخ والحقول والثكنات وعلى ظهر البواخر وفي أعالي الجبال ، وعاشرت العمّال والمزارعين والجنود والنوتية والرعاة والخدم الذين يؤلفون قسماً من عيالنا ؛ وتحدثت إلى هذه العقليات الساذجة الصالحة ، وخبرت عاداتها وميولها ولغاتها أكثر مما خبرت عادات رجال المجالس وميولهم ولغاتهم ؛ وكنت شاهداً بل أميناً لأسرار حياة ثماني شخصيات خاملة ولكنها حافلة بنوب وآلام خفية إذا دوّنت بسذاجة كما رُويت كانت قصائد حقيقية طافحة بالشعور والاحساس ؛ وأعرف الأماكن والحوادث والأشخاص معرفة تامة ، فسأحاول كتابة هذه القصص ونشرها أجزاء متتابعة دون أقلّ اهتمام بفخامة الطبع والورق أو طرافة الأسلوب وإناقة الجمل وشحذ القريحة وكدّ الذهن ، لأن الطبيعة هي روح هذا النوع من الأدب ، والطبقات الوضيعة أقدر على إدراكها والاستلهام بها من الطبقات العالية ؛ فاذا وجدتها في هذه الرسوم العارية من زخارف الفنّ استراقتها واستزادت منها . عندئذٍ تتقدّم أيدٍ أجد من يديّ وأبرع لوضعها بصورة أفضل ، لأن الأدب الشعبي لا يكتمل إلاّ بالمؤلفات العاطفية التي هي من مميزات الطبقات الجاهلة ، وإنجيل العاطفة كانجيل الدين يجب أن يُبشّر به أولاً بين البسطاء بلغة سليمة كقلب الطفل

وأراد لامرتين أن يطلع رينيه على آرائه فيما يتعلّق بكتابة التاريخ الشعبي فقال لها : لا يزال رجال السلطة عائثون الشعب ويتوددون اليه لاعتقادهم أنه مصدر القوة التي يجب أن يعتمدوها في اسقاط الحكومات وابتلاع الوطنيات ، فيستغوونه بشتى الوسائل ، ويشملونه بقولهم إن قوته تولد الحق ، وارادته العدل ، ومجده يكتسب عفو التاريخ ، وانتصار قضيته يبرر كل الوسائط ، حتى الجرائم تخف أمام عظمة النتائج ، فيؤمن بهم ويتبعهم ويساعدهم بقواه المادية ، وبعد أن يتوصلوا بقوة سواعده وإهدار دمه وارتكاب جرائمه إلى اسقاط الطغاة واثارة أوربا يصرفونه ويأمرونه بالعمل والصمت !

هذه هي الطريقة التي سلكوها إلى الآن في معاملة الشعب وكانت سبباً لانتشار شوائب البلاط بينه واستلذاذه التملق .

ليس هذا ما نريده للشعب ؛ نريد أن يقابلنا واقفاً ، ويخاطبنا وجهاً لوجه ، فهو كسائر عناصر الأمة لا يقل قيمة عنها ولا يزيد ؛ وإذا كان قد تعوّد الكذب والمالأة ، ففيه خلتان كبيرتان لا يجوز نسيانهما ، هما الصراحة والجرأة . لذلك هو يعرف أن يحترم مقاوميه ويحتقر متخوفيه . ففي الحيوانات مالا يفترس إلا من يهرب من أمامه ، والشعب كالأسد يجب ألا يجابه إلا من الأمام

يقوم التاريخ الشعبي على واحدة من هذه القواعد الأساسية الثلاث : المجد ، والوطنية ، والمدنية . فالمجد لا يرضى إلا أمة حربية تبهرها القوة فتعمى عن رؤية الحق ؛ والوطنيـة تضرم نار الحمية في الشعب فيطوح بنفسه في مهاوي الأثرة والطموح

أما المدنية المستدعة فهي الأصلح لقيادة الفكر البشري بين شعاب الشك وبلبلة الآراء والأهواء والأثرة الفردية أو الوطنية ، ولافهامه أن المجد والوطنية لا ينفعان الأمة والنوع البشري إذا فصلا عن الأدب العام ، لأن المجد لا يقاوم الصلاح ، والوطنية ليست عدوّة الانسانية ، والفوز لا يمكن أن يكون خصما للعدالة ، وأن التاريخ ليس هذا المزيج من الأفراد والأشياء المشوشة ، بل هو خطوة إلى الأمام في طريق الدهور ، إذ لكل أمة شأنها وعملها العظيم ، ولكل طبقة اجتماعية أهميتها في نظر الله . وفضلاً عن ذلك فقيام التاريخ على هذه القاعدة يعلم الشعب أن يحترم نفسه ، ويعرف مقـدار قوته ونفعه ، وأنه فوق الأمبراطورية والسلطة ، وأن هذه تكون كما يريد ، فاذا وجد شعباً يشكو من حكومته فهو دليل على أنه لا يستحق غيرها ، هكذا كان تاسيت يفتكر في زمانه ، ولا تزال فكرته تجري مجرى الأمثال إلى اليوم

واعتزامي كتابة التاريخ على هذه القاعدة نبّه فيّ فكرة قديمة كنت عرضتها على الحكومة فلم تصادف القبول ، لأنها ليست آلة للحرب والتدمير بل للسلم والبناء . وهذه الفكرة هي أن حرية الصحافة وديموقراطية الحكومة وحركة الصناعة وانتشار التعليم في كل قرى البلاد وبين كل طبقات الشعب أثار الأذهان ورغب في المطالعة ، وبعد أن أوجدوا في الشعب هذا الميل إلى القراءة فما هي المؤلفات التي وضعوها له ؟ لا شيء !

إن لأبناء الطبقات الغنيّة كثيراً من المدارس العالية حيث يسمعون شروح كبار الأساتذة في كل أنواع العلوم والفنون .

وإذا لم تكفهم المدارس فعندهم المكاتب الكبيرة والصحف التى تحمل بين دفاتها ما يغذى العقل والفكر والروح من المواضيع الشائقة . أما أبناء الطبقات الفقيرة العاملة ومنهم الجيوش والبحارة والرعاة والشيوخ والنساء والأولاد فكل ما عندهم لتثقيف عقولهم وتسلية نفوسهم فى أوقات الفراغ هو التعليم المسيحى وبعض الأناشيد المشوهة والقصص السخيفة ، فمن هذه الكتب القليلة التافهة تتألف مكتبة الشعب ومتحفه وفنه !

فأردتُ ملء هذا الفراغ فى حياة الشعب الأدبية والعقلية بكتاب لا يقرأ إلا مرة واحدة ، ولكن لا أول له ولا آخر ، وأعنى به صحيفة يومية كبرى يتولى تحريرها نخبة من كبار علماء العصر وكتابه وشعرائه ، بلغة سهلة بسيطة ، وتعابير قريبة من أفهامه تطلعه على أهم أخبار الكون اليومية وسياسته وفلسفته وعلومه وفنونه . وتحقيق هذه الفكرة لا يكلف أكثر من مليون فرنك سنوياً يكفى لجمعها أن يكتتب مليون شخص بفرنك واحد فى السنة ؛ وإذا كنت لم أحقق هذه الفكرة فلأنى لست وحدى هذا المليون ، ولأنه لا توجد فى فرنسا حالاً فكرة تساوى فلساً واحداً !

هذه هى فكرتى يا رينيه فيما يختص بالتاريخ والأدب والشعر والعلوم والفنون التى يجب أن تكتب للشعب ؛ ولا أحب إلى الطبقات الفقيرة ولا أجل وأبلغ من تحقيق هذه الفكرة . ولو أن لى ذكاء الكتاب المعاصرين وشبابهم واندفاعهم لقمت بأعمال عظيمة فى عالم الفكر والثقافة ، فأمامنا عالم جديد للاكتشاف لا يتطلب عبور المحيط ككولومبوس ، هو احساس الطبقات العاملة وعقلياتها ، فجغرافية العالم الأدبية لا تكتمل إلا متى اكتشفت هذه القارة الشعبية وملئت بمبادئ بحارة الفكر

فتقول له رينيه : لقد فهمت كل أفكارك يا سيدى على رغم سموها وجمالها

فيجيبها : لم أخاطبك إلا كشاعرة ، والشعب شاعر أيضاً لأنه طفل الطبيعة الفطيم ، والطبيعة كخالقها لا تتكلم إلا بلغة الصور . . .

ثم تودعه رينيه وتودع زوجته شاكرة لهما حسن الضيافة ، وتسافر إلى إكس فى مركبة المساء ، وقبل أن تصعد إلى المركبة يقول لها لامرتين : « إذا وضعت بعض القصص الشعبية فاسمحى لى أن أصدر أولاها باسمك »

اسكندر كرباج
من العصبة الأندلسية

للتاريخ السياسى :

٣ - اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

المعاهدة الفرنسية الروسية ولوكارنو

رأينا كيف أن حكومة برلين قد اتخذت المعاهدة الفرنسية الروسية سبباً لرفضها معاهدة لوكارنو واتخاذها قرار ٧ مارس . فهل النظرية الألمانية صحيحة من الوجهة الحقوقية ؟ أى هل المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ؟ . وقبل الاجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نعرض بايجاز المحادثات الديبلوماسية التى أدت إلى عقد هذه المعاهدة :

لم يكن هدف فرنسا بادئ ذى بدء ، إيجاد هذه المعاهدة ، بل كانت الديبلوماسية الفرنسية ترمى الى إيجاد « ميثاق شرقى » - لوكارنو الشرقية - بين بولونيا والروسيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ودول البلطيق وفينلاندا . ولقد تم الاتفاق على هذه الخطة بين فرنسا وانكلترا أثناء المحادثات السياسية التى دارت بينهما خلال ١١ و ١٢ من يوليه ١٩٣٤ . وزيادة على ذلك قررت الدولتان أن تتحمل الروسيا واجبات معاهدة لوكارنو ازاء فرنسا وألمانيا ، وأن تتعهد فرنسا نحو ألمانيا والروسيا ، فى حالة اعتداء إحداهما على الأخرى ، بمساعدة المعتدى عليه ، على أن تكون تلك المساعدة ضمن دائرة واجبات عصبة الأمم . وبعبارة أخرى أن تعقد معاهدة ثلاثية دفاعية بين فرنسا وألمانيا والروسيا ، يكون مفعولها سارياً فى حالة تعدى احداهن على دولة ثانية داخلة فى الميثاق ، على أن تكون الواجبات الناشئة عنها متمشية مع واجبات لوكارنو والعصبة . وقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن توصى هذه الدول ولا سيما بولونيا وألمانيا بقبول هذه الاقتراحات . غير أن سعيها قد خاب . وقد أبانت ألمانيا بصراحة بأنها تفضل « المعاهدات الثنائية » - بين اثنين

Pactes bilatéraux — على المعاهدات المشتركة المبنية على « المساعدة المتبادلة » — Assistance mutuelle — وتم الاتفاق فى الاجتماع الفرنسى الانكليزى الذى عقد فى لندن فى ٣ فبراير سنة ١٩٣٥ على انشاء معاهدة لوكارنو الجوية ، وعلى متابعة المفاوضة مع ألمانيا للاتفاق معها على انشاء السلام فى أوروبا بواسطة عقد معاهدات بين دول شرق أوروبا توجب « المساعدة المتبادلة »

ولما زار السير جون سيمون برلين خلال شهر مارس التالى قدم إليه الهر هتلر معلومات عن المعاهدة الشرقيـة التى يحبذها مبنية على معاهدات عدم الهجوم الثنائية ، ومضافا اليها التحكيم والمصالحة وعدم مساعدة المعتـدى . وقد صرح الهر هتلر بأن حكومته لا تنظر بعين الرضى إلى المعاهدات المبنية على « المساعدة المتبادلة » ولا يمكنها بأى وجه من الوجوه الاشتراك فى أى معاهدة من هذا النوع . وقد أعادت حكومة برلين هذا التصريح بوضوح أثناء انعقاد مؤتمر ستريزا . وعند ما وقفت حكومة باريس على هذا التصريح وتيقنت بأن لا نجاح فى إدماج برلين ضمن نظام سلام قائم على المساعدة المتبادلة رأت أن لا سبب هنالك يعوقها عن عقد محالفة بينها وبين روسـيا ، لتساعد كل منهما الأخرى حين تعتدى ألمـانيا على احداهما

وبعد بضعة أيام قابل سـفير بريطانيا فى باريس مسيو لافال وأعلمه أن حكومة جلالتـه ترغب « بألا تمضى فرنسا أى معاهدة يمكن أن ترغمها على محاربة ألمـانيا فى ظروف لا يجيزها البند الثانى من معاهدة لوكارنو » فأجابه مسيو لافال بأن « الحكومة الفرنسية وضعت شرطاً أساسـياً بأن المعاهدة الفرنسية الروسية يجب أن تكون متمشية ليس فقط مع مبادئ العصبة بل مع معاهدة لوكارنو أيضاً » . وعلى هذا الأساس أُمْضِيَت هذه المعاهدة فى ٢ مارس سنة ١٩٣٥ ، وأرسلت إلى البرلمـان الفرنسى فوافق عليها

***

وجاء فى خطاب الهر هتلر الذى القـاه فى ٢١ مايو أن الحكومة الألمانية « ستقوم بجميع الواجبات الناجمة عن معاهدة لوكارنو مادامت الدول الأخرى المشتركة فى المعاهدة تريد القيام بها » . وتبع هذا الخطاب مذكرة ادعت فيها حكومة برلين أن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو

وفى شهر يونيه دحضت الحكومة الفرنسية ادعاءات ألمانيا . وفى خلال شهر يوليه صرح السير صمويل هور وممثلا إيطاليا وبلجيكا بأنهم متفقون مع الحكومة الفرنسية على أن المعاهدة الفرنسية الروسية تماشى مع لوكارنو

ولما رأت حكومـة برلين أن دول لوكارنو على اتفاق تام . لم تستطع القيام إذ ذاك بأى عمل لتمزيق المعاهدة ، بل أجلته إلى حين آخر ، واكتفت بارسال مذكرة إلى السير صمويل هور تقول فيها « بأنه ستكون مناسبات كافية لمناقشة هذه المسألة مع المفاوضات الأخرى المعلقة »

ولمـا وقع الخلاف بين دول لوكارنو من جراء اعتداء إيطاليا على الحبشة ، وانشغلت فرنسا بانتخابات مجلس النواب ؛ رأى الهر هتلر أن الفرصة سانحة ، فأعلن فى ٧ مارس ١٩٣٦ خروجه على لوكارنو واعتبارها لاغية ، وعلل ذلك بأن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع لوكارنو ، ودعم هذا القول بأدلة أربعة ضمنها المذكرة التى أرسلها إلى دول لوكارنو ، وتنحصر فى أن المعاهدة الجديدة : (١) موجهة رأساً ضد ألمـانيا (٢) وأن فرنسا بموجب معاهدتها مع الروسيا ، تعهدت بالقيام بواجبات لا تتفق مع الواجبات التى يلقيها على عاتقها صك العصبة ومعاهدة لوكارنو

فالادعاء الأول وهو أن « المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة رأساً ضد ألمـانيا » صحيح ، ولكن بالمعنى السلبى ، أى الدفاعى إن المعاهدة التى نحن بصددها تقول بأنها تصبح نافذة فى حالة تعدى « دولة أوروبية » على احدى المتعاقدتين ، وأن بروتوكولها يوضح بأن تنفيذ هذه المعاهدة يجب أن يكون فقط ضمن حدود « الاتفاق الثلاثى » الذى رفضت ألمـانيا الموافقة عليه . وهذه النصوص تنفى مفعول المعاهدة فى حالة اعتداء أى دولة غير أوروبية أولاً ، ثم تحصر مفعولها فى حالة اعتداء ألمـانيا فقط على احدى الدولتين المتعاقدتين ؛ فهى إذن موجهة ضد ألمـانيا ، ولكن يجب ألا يغرب عن الذهن بأنها لاتنفذ إلا حين تعدى ألمـانيا على فرنسا أو الروسيا تعدياً غير محرض عليه ؛ ونصها صريح فى ذلك . والذين قاموا بعقدها يصرحون بذلك

تصريحاً كافياً ؛ فهى إذن من الوجهة القانونية والسياسية معاهدة دفاعية محضة ، وبدهى أن لا خطر على ألمانيا من هذه المعاهدة إلا حين تعديها على احدى الدولتين تعدياً غير محرض عليه . ولو كانت ألمانيا لا تفكر فى أى تعد على احديهما لما وجدت فيها تهديداً ولا خطراً عليها ؛ وزد على ذلك بأن نص المعاهدة والبروتوكول يفسحان المجال لدخول ألمانيا فيها فتصبح معاهدة ثلاثية تضمن فيها فرنسا والروسيا الدفاع عن ألمانيا حين تعدى احداهما عليها

ورداً على الادعاء الثانى يمكن القول بأن « المساعدة المتبادلة التى تعهدت بها كل من الدولتين المتعاقدتين لا تصبح نافذة إلا حين وقوع احداهما « ضحية هجوم غير محرض عليه » ، « وبرغم نية البلادين الحسنة فى المحافظة على السلام » . وهذه المساعدة يوجبها أيضاً صك العصبة . أما فى الحالة التى لم تستطع فيها العصبة الوصول إلى قرار بالاجماع فى ابانة الحق من الباطل فى الاختلاف ، فساعدة فرنسا للروسيا والروسيا لفرنسا لا يكون إلا إذا وضح بأن ألمانيا كانت المعتدية تعدياً غير محرض عليه على إحدى الدولتين ؛ وبرغم أن مساعدة فرنسا للروسيا فى هذه الحالة لم تكن نتيجة قرار العصبة ، فان مبدأ العصبة يوجبها ؛ إذ أن البند ٧ من المادة ١٥ ينص على أنه فى الحالات التى لا تتمكن فيها العصبة من اصدار توصيات أو الوصول إلى قرار بالاجماع ، تصبح كل دولة طليقة اليدين ، ويحق لها اتخاذ قرار فردى والعمل منفردة ، ويظهر لنا أن كل ما جاء فى المعاهدة الفرنسية الروسية التى أثارت ثائرة ألمانيا ، ما هو إلا ايضاح وتثبيت لهذا المبدأ .

على أنه فى حالة القرار والعمل الفردى من جهة ، وحين اعتداء ألمانيا على الروسيا من جهة ثانية ، لا يحق للروسيا مطالبة فرنسا بمساعدتها « أتوماتيكيا » بل لفرنسا الحق وحدها فى التقرير فيما إذا كانت المانيا المعتدية الأولى . وهذا الحق يمكن فرنسا من النظر فيما إذا كانت مساعدتها للروسيا مخالفة للمعاهدات التى عقدتها قبلاً وخصوصاً معاهدة لوكارنو . والبند الثانى من هذه المعاهدة ينص على أن « محتويات هذه المعاهدة لا تنفذ فى الحالات التى يكون تنفيذها يوجب وقوع عقاب دولى الصبغة من جراء تضاربها مع واجبات معاهدات ، غير سرية ، عقدتها إحدى الدولتين مع فريق ثالث » . وينتج عن ذلك أنه لا حق لألمانيا (قبل تمزيقها للوكارنو) طلب مساعدة بريطانيا وإيطاليا فيما إذا هاجمتها فرنسا عملاً بمعاهدتها مع الروسيا ، لأن هجوم فرنسا عليها داخل ضمن دائرة المادة ١٦ أو البند ٧ من المادة (١٥) من صك العصبة

ولو فرضنا جدلاً بأن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ، فلا يمكن أن يعد هذا الاختلاف ، بوجه من الوجوه ، سبباً لابطال معاهدة لوكارنو . والمسألة الوحيدة التى يمكن أن تنشأ عن التضارب بين المعاهدتين هى عدم قانونية المعاهدة الجديدة . وفى هذه الحالة لا يحق للحكومة الألمانية إلا الادعاء بعدم قانونية المعاهدة الفرنسية الروسية ، ورفع دعوى بذلك ، وليس اعتبارها غير قانونية حسب رأيها ومشيئتها فحسب ، لأنه لا يحق لأحد أن يكون قاضياً فى دعواه

أما المبدأ الجديد فى العلاقات الدولية الذى تبعه ويبشر به الهر هتلر وحكومته ، فيقول بأن لا قيمة لأى معاهدة دولية مادامت تخالف مصالح إحدى الدول التى وقعت عليها ، وأن لتلك الدولة المتضررة من المعاهدة الحق فى تمزيقها وعدم اتباع موجباتها . وهذا المبدأ الجديد خطأ ومخالف لمبادئ الحقوق الدولية التى سارت عليها الدول حتى الآن ، إذ تصبح الدولة المتضررة الحكم الوحيد فى دعواها . وان انتشر هذا المبدأ وعملت به الدول فمعنى ذلك القضاء على الحقوق والعدالة الدولية ، وإقامة « حق القوة » مكانها فتزول العلاقات الدولية المبنية على قدسية المعاهدات وتحل مكانها الفوضى ، وينتصر إله الحرب

يظهر من كل هذا أن فرنسا لم تأخذ على عاتقها فى معاهدتها مع الروسيا واجبات تنافى الواجبات التى يفرضها عليها صك العصبة ، وأن هذه المعاهدة تتمشى مع مبادئ العصبة ومعاهدة لوكارنو . ويتضح جلياً بأن عمل ألمانيا فى ٧ مارس ينافى الحقوق الدولية ويعتدى على قدسية المعاهدات منافاة تامة واعتداء صارخاً .

(لندن) **يوسف هيكل**
دكتور فى الحقوق

صرعى الأغراض

طرفة من الشعر الاجتماعى تعبر عن الآلام المكظومة للكفايات المظلومة

للشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

يا للعزائم يثنى من مواضيها أنّ الكفايات يُقضى بالهوى فيها
وللمواهب بالأغراض يقتلها من يستمدّ حياةً من أياديها
وللجهود بأعشى الرأى يطفئها ماضٍ على ضوئها سارٍ بهاديها
وللنوابغ يقضى فى مواهبهم بما يشاء هواه غيرُ قاضيها
جادوا بأعمارهم حتى لجاحدهم إن المواهب سِلْم فى أعاديها
كالشمس تقبس منها عين عابدها وترسل النور فى أجفان شانيها
والنفس إن ملئت بالود فاض على نفوس أعدائها بالود صافيها
كالسحب إذ ملئت بالغيث فاض على
جدب البلاد خلوف من هواميها
لا يدّع العدل قوم فى عدالتهم
صرعى الكفايات تشكو ظلم أهليها
ولا المساواةَ والأفهامُ لو وزنت مع الغباوة فيهم لا تساويها
ولا الحضارةَ من تجزى نوابغهم وحشيةٌ تسكن البيداء والتيها
إذا البلاد تخلت عن حياطتها يد النبوغ تداعت من صياصيها
دع الحديث عن القسطاس فى عُصَب
ما سودت بينها إلا مُرائيها
سوق النفاق بهم شتى بضائعها ترجّى لمن يشترى إفكاً وتمويها
أرخصتمو غالىَ الأخلاق فى بلد لم تغلُ قيمته إلا بغاليها
يا رُبّ نفس أضاء الطهر صفحتها أفسدتموها فزلّت فى مهاويها
وكم قلوب كساها الحسن نضرته دنّستموها فعاد الحسن تشويها
أغلقتمو سبل الأرزاق لم تدعوا لفاضِل الخُلق سعياً فى نواحيها
مدارس تغرس الأخلاق فى نَشَأ ومغلق الرزق بعد الغرس يذويها
لا تَلْحَ طالب رزق فى نقائصه
إن الضرورات من أقوى دواعيها

ما أطهر الخُلُق المصرى لو طَهُرت تلك الرياسات من أهواء موحيها
يا آخذين بقتل النفس قاتلها قتلى المواهب لم يُسْمع لشاكيها
كم للنبوغ دماء بينكم سفكت باسم المآرب لا اسم الله مجريها
هلا اقتصصتم لها من ظلم سافكها وقلّ فيما جناه قتل جانيها
أوْلى الورى بقصاص منه ذو غرض
يخشى المواهبَ تخفيه فيخفيها
ملْء المناصب منهومون قد جعلوا
من دونها سد ذى القرنين يحميها
على مناعة ذاك السد تنفذه عصابة تتواصى فى حواشيها
من كل أخرق تنسل الحظوظ به إلى المراتب يسمو فى مراقيها
خابى القوى عبقرى الجهل يثقله
عبء الرياسة إذ يدعوه داعيها
يا حافرين تراب الأرض عن حجر
أو جثة فى ظلام القبر يطويها
ومنفقين من الأموال طائلها فى البحث عن خِرَق لم يغنِ باليها
مستبشرين بما يلقون من تحف للقوم أو خزفات من أوانيها
ورافعين من البنيان شاهقه فيه الذخائر قد صُفّت لرائيها
هلا عرفتم لمصر فضل حاضرها يا عارفين لمصر فضل ماضيها
إن العصور التى جادت بمن سلفوا على الحضارة لم تبخل أياديها
ذُخر المواهب فى أحيائكم تحفٌ بَذّت متاحفكم وصفاً وتشبيها
ما إن يقال لها : لله صانعها لكن يقال : تعالى الله باريها
هبوا النوابغ موتى فاجعلوا لهمُ حظّ النواويس أكرمتم مثاويها
جعلتم الحىَّ يرجو حظ ميتكم لحظ أحيائكم فى مصر يشقيها
أيُحرم النحلُ غضَّ الزهر يلفظه شهداً ، وقد شبعت منه أفاعيها
ويُقتل الروض ذو الأثمار من ظمأ
والماء يروى مواتاً من فيافيها
من يقتل الجهد يقتل فيه أمته وأمة الجهد تحييه فيحييها
إن الشعوب إذا ماتت مواهبها نُقاضة أعوزتها كف بانيها

أحمد الزين

حرب العـــلم

للأستاذ فخرى أبو السعود

لَلجهْلُ أرفقُ فى دُجى أزمانِهِ ... بالمرء إنْ يكُ ذا مَدَى عرفانه

سقياً لعهد الجهــل فى أفيائه ... نَعِمَ الجدودُ وفى رَضِىِّ جنانه

إذْ شِكَّةُ البطلِ المُقاتِلِ لهذمٌ ... يُصمى به الأقرانَ يومَ طِعانه

لم يَبْغِ بالبُرَءاءِ عدواناً ولم ... يخصُصْ بصولته سوى أقرانه

يُولِى المُسالِمَ برَّهُ من بعدما ... أوْلَى مُناجزَهُ شَباةَ سنانه

فاليومَ سَوَّى العلمُ فى فتكاته ... بين الورى طرًّا وفى إثخانه

أمستْ بيوت الخلقِ مِن أهدافِهِ ... وغدَتْ خدورُ الغيد من ميدانه

لا مُرْضِعٌ تنجو ولا مَنْ أرضعتْ ... من كيده يُعْفَى ومِنْ عدوانه

قد كان يحمى الحوضَ أمسِ رجالُه ... من خصمه إن جَدَّ يومُ رهانه

فاليوم أوَّلُ ذائقٍ لِلَظى الوغى ... أطفــالُه ومُنَعَّماتُ حسانه

والشيخُ منحنياً على عكّازه ... والحَبْرُ مبتهلاً إلى رحمانه

العلمُ ليس بقانعٍ من خصمه ... بالمُقْدِمِ المغوارِ من فرسانه

يسعَى إلى الساعين فى أرزاقهم ... والآمِنِ المأمونِ فى جدرانه

يا وَيْحَ إقليمٍ أتاه العــلم فى ... أجناده يسعَى وفى أعوانه

ينتابُه بســمومه ورجومه ... ويلفُّه فى ناره ودخانه

تطغى جحافله على أمواهه ... وفضــائِه وسهوله وقنانه

بِسَوابحٍ تحت العباب وفوقه ... ومحلِّقات فى طِباق عنانه

وزواحفٍ فوق الأديم شتيمةٍ ... تطوى رَوَابِيَهُ إلى وديانه

حيــوانُه وزروعُه وديارُه ... وقُراهُ والآلافُ من سكانه

بعضُ الهشيم إذا أتاه العلم فى ... آلاتهِ ليهــدَّ من أركانه

هيهات يَعصِم مِنْ أذى غازاته ... حِرزٌ ويحمى مِنْ لَظَى نيرانه

مَنْ فرَّ مِنْ غيلانه فإلى حِمَى ... حيَّاته وإلى رَدَى عقبانه

هذا جحيم العلم يُصليه الورى ... إن هاجت الأطماعُ مِن شيطانه

لم يعتصمْ شعبٌ أبىٌّ باسل ... بهضابه منــه ولا قيعانه

لمّا رماه بناره وحديده ... ومشى يقدُّ الصَّلْدَ من صوانه

حَرَمُ السيادةِ رَدَّ قِدْماً دونه ... أعداءه وأعْتزَّ فى شجعانه

قد فَضَّهُ العلمُ الخئون بغدره ... وزها بما قد دكَّ من بنيانه

قد بات يَخشى الكونُ يوماً مقبلاً ... فيــه يلجُّ العــلمُ فى ثورانه

يَئِدُ الصروحَ الشُّمَّ فى زلزاله ... ويقوِّض الأمصار فى بركانه

ويَرُدُّ قفرًا موحشاً ما شادَ من ... زاهى حضارته ومن عمرانه

فخرى أبو السعود

يوم الرســـالة

للأستاذ رفيق فاخورى

شدَّ ما برَّحت بى ! هل من رجاء ... أيها الشوق على الصبر العفاء

غلب المضنى على مجهوده ... وحماه راحة النفس العناء

وتعايا فى جراح فى الحشا ... قتل البين ! أساها فأساء

قل لمن أسرف فى تعنيفه ... سبق الداء ولم يُغْنِ الدواء

ويحه يقضى فلولا نفعت ... رحمة منك وآثرت الوفاء

يا أحباى دموعى بعدكم ... أعين تجرى وأشجانى ظماء

وحنينى لو علمتم جذوة ... فى الحنايا بلظاها يستضاء

جددوا عهد التصافى إنه ... نعمة عشنا بها قبل التّناء

وخذوا قلبى بما أعطيتمُ ... فدية العانى وجودوا باللقاء

وبروحى من إذا مرت على ... خاطرى ذكراه كانت لى شفاء

عَــلَمٌ من هاشم منبته ... كرم الآل الهداة السمحاء

ذروة السؤدد جيران السها ... لهمُ صيغت تجاويد الثناء

مجدهم ينسخ لألاء الضحى ... وعلاهم لا يدانيها علاء

***

سيد الخلق ونبراس الهدى ... وضياء بجلاء الشك جاء

وعظيما من بنى الدنيا ارتقى ... بجلال الروح أسباب السماء

وعماد الملة الغــراء ما ... جاورت قلبًا فجافاه الرجاء

ومنار الهائمين التبسوا ... بالدجى فى مجهل الأرض الفضاء

يومك المشهور فى طلعته ... كجبين الشمس حسنا وبهاء

مفرد يزهو على الأيام ما ... نصلت من صبغة الليل ذُكاء

طبّق الآفاق ميمون الخطا وعلى الدهر تمشّى الخيلاء
وأعاد الكون بالبشرى فتى رائع الغرة لماح الرواء

***

صبّح الهادين سعداً شاملاً ورمى العادين بالخطب العياء
زلزل الشرك على أنصاره فاستوى الحق عليها فأضاء
يومك المشهود يا خير الورى غرة التاريخ عيد الحنفاء
لم يظل الناس يوماً قبله ملأ الأفواه حمداً وثناء
وجرى كل لسان مقول فيه شوطاً وتبارى الخطباء
جاءنا يحمل فى أطوائه سيرة المختار زين الأنبياء
فمشت فى كل روع هزة جلّ من فجّر ذياك الضياء
يا أبا الزهراء ما مثلى وقد خانه المنطق يجزى الكبراء
آية الله تعالى قدرها تفحم الشعر وتعيي الفصحاء
لك فى كل جنان هيبة ألفت بين قلوب الأتقياء
أنت من أسرار ذى العرش التى لا يواريها مدى الدهر الخفاء

***

ربّ إنى واسلٌ بالمصطفى فتقبل من مرجيك الدعاء
هيّئ الغوث لقوم أسرفوا فى الخطايا واهتدوا بالأشقياء
إن قومى ظلموا أنفسهم وتظنوا فى الأضاليل النجاء
جعلوا دينك ظهرياً ولم يسمعوا من جانب الحق النداء
رغبوا عن سنة الهادى فهم إن علا صوت المنادى غرباء
وهمُ فى كل أرض وحمى مركب للذل ما فيهم غناء
خذلوا الأخلاق وانهالوا على زخرف الدنيا فعاشوا ضعفاء
أيها القوم اذكروا تاريخكم إن فيه عبرة للبصراء
أين ماشاد لنا آباؤنا ؟ أين ما قد خلفته الخلفاء ؟
أين آثار الميامين الأولى ينسب العز إليهم والسناء ؟
أين للاسلام ملك باذخ كالرواسى حصنته الكبرياء ؟
درج الدهر على أعيانه فانطوى إثرهمُ ذاك اللواء
وبقينا خالفاً فى أرضهم أحمدوا السلوان واختاروا الثواء
ضل قوم ضيعوا الميراث أو سدلوا جهلا على الماضى غطاء

(حمص) رفيق فاخورى

انتظرى بغضى ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

حَبَبْتُكِ ، والأوهام فِكْرِى وحُجَّتى
تؤوِّبُ بَغْضِى — فى هواك — على بغضى
إذا ما نقضْتُ الرأىَ بالرأى ، رَدَّنِى
— إلى خطرات الوهم — مضٌّ على مضّ
أصارعُ أهوالاً من الغيظ والرِّضَى وما يتولّى الغيظَ فوق الذى يُرْضى
عجبتُ لمنْ راضَ النِّساءَ ورُضْنَه ويقضين من إيلامه دون ما يقضى
ويَرْمِينه بالسَّهم ليس بضائرٍ ،
ويَرْمى بما يَحْمى الجفون عن الغمض
فكيف به قد ذَلَّ وَهُو مُكَرَّمٌ
وأَغْضَى ولو قَدْ ناصبَ الدهرَ لم يُغْضِ !
كفى بك ذُلاًّ أن تبيتَ على جَوًى
وتُصبِحُ فى ذكرى ، وتُمْسِى على رَمْضِ
كأنكَ لم تُخْلَقْ لِدُنْيا تَجُوبُها !
وما أضيقَ الدنيا من الحَدَقِ المَرْضِ !
فهُنَّ اللواتى زِدْنَ فى العيشِ لذَّةً فأقصَيْنَ لذَّاتٍ من الفرحِ المَحْضِ

شككتُ ، وقد تُنْجِى من الشَّرِّ ريبةٌ
وتُبْدِلُ مُسْوَدَّ الخطوطِ بمُبْيَضِّ
لقد كنت أمضى طائعاً غير جامحٍ وأرضَى بإطراقٍ على الرِّيَبِ أو غضى
ويفضحُنى فيك اقتحامى وغيْرتى
وطرفى وما جَسَّ الأطباء من نبضى
ويأكلُ قلبى ما أُكتِّمُ راضياً . .
فما بكتِ العينُ الشبابَ الذى يمضى . !
وأنتِ . . ! لعمرى فى سرور وغبطة
يَسُرُّكِ بسطى فى الحوادث أو قبضى
أأُنثى ووحشٌ ؟ جلَّ خالقُ خلقه !
وسبحان كاسى الوحش من رونق غَض !



من الحياة

الضحية...

للأستاذ كامل محمود حبيب

انحسر الليل عن جبين الفجر ، والفتى لا يزال فى مجلسه يشهد ليلة تنطوى ، وفجراً يبزغ ؛ وكأن الليلة لم تكن فى فكره إلا ساعة ، وكأنه وقد جلس يرقب سير الكواكب فى أفلاكها كان ينتظر أن يقرأ فيها تتمة الرسالة التى قرأ أول كلمة منها أول الليل ، فوجد فيها ما وجد من لذة ونشوة وسحر . لم ير فى صفحة الكواكب السيارة ، ولا فى العالم الهادىء النائم المطمئن ، إلا شيئاً كان فى خياله هو وفى خواطره . جلس لا ليقرأ حظه فى كتاب السماء ، ولكن ليؤلف كتاباً من نفسه الطروب المرحة

وأعجبُ منه لَذَّتى ومَسَرَّتى على حين نَهشى فى المخالبِ أونقضى
فيا سوء ما أبقيتِ فى الدَّم من نَظًى
وفى الفكر من كَلْمٍ وفى القلب من عضً
أخافك فى سرى وجهرى ، ومشهدى
لديك وغَيْبى ، خوفَ أرقط مُنْقَضً

لقد كنتِ أحلامى — إذا الليل ضمَّنى ،
وكنتِ إذا ما الفجر ايقظنى — روضى
يناجيك طير فى الضلوع بلحنه
لقد عاش فى سحر ، وقدعشت فى خفض
وكنتِ على ورد الخمائل زينةً وكان بشيرَ الفجر فى الفنن الغض
فأصبحتِ ... لا خيراً فيُرْجى ، ولا تَقى
فيُلقى . ولستِ من سمائى ولا أرضى

تصامَمْتِ عن قلبى ورُمتِ مساءتى وتنتظر ين الحب ! انتظرى بُغضى

. . . . وذهب الى عمله وهو نشاط يشتعل ؛ فهو يجىء ويذهب ، ويقرأ ويكتب ، ويتكلم فيبين ، وكأنَّ شيئاً فيه قد خلقه من جديد ليكون شخصا غير الذى يعرفه فى نفسه ، ويكون إنساناً سوى ذلك الذى عرفه صحابته ورفاقه . ودخل الى صديق يحدثه ، يريد أن يفضى اليه ببعض ما يفور فى نفسه ، ولكنه عاد فرأى أن ذلك الشىء الذى بعثه من جديد لم يكن إلاّ فى نفسه لنفسه ، فهو سره هو ، وهو له وحده . . . ثم رجع الى بيته ليطيل النظر الى نفسه فى المرآة يأمل أن تريه مرآته الشابَّ الذى فى قلبه ، فلم ير إلاّ ما تريه المرآة كل يوم ، ولكن هندسة عقله الجديدة قد بدت على هندامه وزيّه فكان جديداً حتى فى هندامه وزيّه . أكلّ ذلك لأنه رآها أمس وجلس اليها وقال لها وقالت له . . . ؟

ومضى الفتى على طريقه ، وفتاته أمامه تنير له ما أظلم ، وتفتح له ما استغلق ، وقلبه ماضٍ على أثرها ، وهو من وراء الاثنين : قلبه وفتاته ، طيّع منقاد

وأبعد فى السير ، فباعد بين الفتى الجديد والفتى الذى كان ، وعاد لا ينظر الى الوراء إلاّ ليرى ذاك العريش الذى جلسا تحته لأول ما قال لها وقالت له . . . وكأن عمره قد اختُصِر فى هذه الأشهر القليلة ، ولكنه كان عمراً طويلاً

وخيّل الى الفتى حين اجتلى النور من وجه صاحبته ، وحين حاطه الشعاع الآسر من روحها ومن عينيها ، وحين رأى الأمل يترقرق على شفتيها من ابتسامة رقيقة ، خُيّل اليه حينذاك أنه عاش ما عاش من العمر أعمى لا يرى الحياة إلاّ مادة ؛ أما الآن فهى عنده روح من الروح ، وهى عنده شعاع يسطع فى قلبه ، فلا يزال يذكى روحه ، ويرهف حسّه ، ويشعره معنى الحياة الجميلة ، ويحبّب اليه أن يعيش عَيْشَه مغموراً فى هذا النور الآلهى الذى ولده السالب والموجب من قلبها ومن قلبه وتلاقيا على ميعاد . ونظر ونظرت ، فاذا عصفوران يتساقيان

الهوى على فنن ؛ فقال فى نفسه : « ما أتعس الانسان ! يقيد نفسه بأغلال المادة والتقاليد ، ثم يزعم أنه طليق . ليتنا مثل هذين...! » وقل لها وقالت له . وكان كلاماً لا تلفظه الشفاه : من ذا يفهم لغة الطير ، أو يسمع نجوى العاشقين عينا الى عين ؟ إن هذين الطائرين يفهمان من فلسفة الحياة أكثر مما استوعبت عقول البشر . إنهما يملكان الحرية ، وفى أيدينا وأرجلنا قيود ذهبية...!

ومالت على زهرة نضرة من أزهار الحديقة تقطفها ، ونظر الفتى فما بدت لعينيه زهرة ، بل رمزاً من شفةٍ ، وخدٍ ، وعطر ، وخطرة دلال . وأسرع الى صاحبته : رويدك يا فتاتى ، إن هذه الأنامل الجميلة ما خُلقت إلا لتتملّى هذا الجمال وترعاه !

ولما همّا ليفترقا لم يقل لها : يا فتاتى التى أحب . بل قال لها : يا من حبتنى الخلود وأشعرتنى لذة السعادة على الأرض

***

ما أعجب ما يرى الانسان فى الحياة ! وهل يرى كل ما فيها إلا على ما رُكِّبتْ عليه طبيعته المادية الجامدة ؟ حتى إذا ما لمست فتاة قلبه حالت كل مادة على الأرض شيئاً إلهياً نورانياً ، يتلألأ كما انفلق الاصباح عن ليل طويل دامس . وماذا فى الشباب إن لم يكن هذا الشباب فى القلب قبل أن يكون فى نضرة الوجه وتكتّل العضل ؟ حتى الشيخ يرده الحب فتياً ! تلك حكمة الله فى الأرض

***

سار الفتى على سننه ؛ وذهبت نفسه وراء فتاته ، وهى من عقلها لا تخمد العاطفة بارصى الدائم ، ولا تبعث فى نفسه السأم بالغضب المستمر . وهو من كبريائه لا يندفع اندفاع الطيش ، ولا يُقْصر اقصار الملل . نفسان عُقّـدَتا ؛ ولكنهما عقدتا ليكون الحب فيهما عقدة ثالثة . فهى تفور ، وهو يتنزّى ولكنهما هما . أراد أن يكون صريحاً فتعقدت له ، فلما أرادت أن تكون صريحة وجدته قد تعقد

ضَلَّ من يقول إن العقل والكبرياء كلاهما يذهبان برونق الهوى ، ويطفئان شعلة الحب . إنهما يجعلان من الهوى هوى مركباً لا ترقى اليه العقول الصغيرة ، ومن الحب حباً معقداً لا تبلغه العاطفة السقيمة

ثم انطلقا . . . والفتى سعيد بفتاته ، والفتاة سعيدة بفتاها فما يفترقان إلا على ميعاد ، وهما بين الميعادين كالظمآن يذكر آخر قطرة تذوقها ويرى فيها الحياة ، وينتظر أول قطرة ثانية ليرى منها النور

على ضفة النهر ، وبين الخمائل ، وتحت ظلال الشجر ، وفى ضياء البدر ، فى صمت الطبيعة وجمالها ، طائران أغمض الدهر عنهما جفنيه ليرشفا من رحيق الحياة كأساً صافية ، ما كدّرها تخاصم ، ولا لوّثها عبث . عام انطوى ، فكان العمر ، وكان جمال العمر ، والصفحة البيضاء فى كتاب حياة الشاب والشابة . فما يكون جزاء هذا الحب إلا رباطاً لا تنفصم عروته ؟ وتلألأت الفكرة ، وتضاعفت سعادة العاشقين بهذا الأمل الجديد

والفتى والفتاة من أسرتين ترسفان من التقاليد فى أغلال ، وويل للحب إذا اعترضت سبيله التقاليد !

***

وكانت فكرة ، ثم استحالت الفكرة فاذا هى كلام ، وحار الكلام فاذا هو خطوات إلى غاية ؛ ولكن ... ولكن ما أحوج هذا السالك إلى من يرود له الطريق ! هؤلاء أهلها ، ماذا يعرفون من أمره ؟ وكيف يخطبها اليهم وماله عندهم اسم ولا رسم ؟ وهؤلاء أهله ، ماذا يعرفون من أمر فتاته ، وما حاول من قبل مرة أن يفض لهم أغلاق قلبه أو يقرأ عليهم سطراً من شبابه ؟ وهذا أبوه ، شيخ لا يؤمن بالحب ، ولا ينقاد لنزوات العاطفة ؛ وهو رباه ونشأه واختار له فيما اختار فتاة من ذوى قرباه ، فما ينتظر له زوجاً غيرها ولا لها زوجاً غيره . فمن ذا يشفع له عنده ؟ وهذا عمه ، وإنه لرجل جد وكفاح لا يرى الحياة إلا من الناحية الصلبة الجافة ، فما اليه مشتكى ، ولا فيه شفاعة ! ولقد تلقى الفتى من أبيه — فيما تلقى — دروساً فى الشجاعة والصراحة معاً ، فكيف تخذله شجاعته ، وكيف يلتوى لسانه وهو يطلب الحياة لنفسه ؟ وفى قلب الفتى نار لو لفحتْ الشجر الأخضر لتركته هشيما ، وفى رأسه شعلة لو نفخت على السائل لتركته يغلى ويفور . وابتدأ الفيلسوف الذى فى رأسه يفرض الفروض ، ويأتى بالمقدمات ، ولكن إلى غير نتيجة

لقد ملك اللذة وأراد أن ينعم بها ، ولمس السعادة وأمل أن يحتويها ، ولكن فكرتى اللذة والسعادة هما اللتان ذهبتا بشجاعته وصراحته

ماذا فى السعادة غير اطمئنان الخاطر ، وهدوء الضمير ، وإشراق الحياة ، وابتهاج النفس ، والرضى بكل ما يجىء به القدر ؟ ذلك هو الايمان ، والشعور به هو اللذة . فلا تنشدهما من غير هذا السبيل

* * *

ونفخ الحب فى عزم الفتى ، ونفث من سحره فى لسانه ، فمضى بين الرجاء واليأس ينفض أمام أبيه جملة حاله . وكان أبوه قد قدّر حين رأى فى ابنه الذهول والصمت حيناً ، والانكباب على المطالعة حيناً آخر ، أن به شيئاً . وقالت له ذكريات شبابه : « ويحك أيها الشيخ ! إن فتاة قد سلبتك فتاك ، لأنه فقد النوع ، وإنه لشاب به من ثورة الفتاء ما بالمرجل يوقد تحتــه بنار من حجارة ، فأمسك عليك ولدك بزوج تربطه بها وتربطها به ... ! »

ووعى الشيخ ما سمع . فلما أذن للفتى أن يكشف لأبيه عن صدره ، قال له : « يا بنى ! إن حكمة الشيوخ غير طيش الشباب . يا بنى ! إنه أنا الذى رباك وأنا الذى يريد أن يعيش فى تاريخك جيلاً آخر . عقلك أولاً ثم عاطفتك ، وغداً تهدأ هذه الثورة ...! » ولكن الثورة لم تهدأ بل زادت ضراماً ، وعاد الفتى إلى عمه يستعينه على رأى أبيه ، فما الأخ إلا صورة من أخيه ، ولما أرسل إلى أهلها قالوا : « حتى يرضى أهله »

وضاقت نفس الفتى بما رأى وسمع ، وما لبثت الفتاة أن سميت على غيره ، فأصبح الفتى يتوزعه الحب وقد أخفق فيه وصفرت منه يداه ، والكبرياء التى لا تطاوعه على أن ينقاد ، فصار همه همين ؛ وعض الحزن على قلبه فاستلبه من أيامه ، وخلفه يمشى بين الناس جسداً بلا روح . . . :

وأحس الأب بمقدار قسوته على ولده ، على حين لم يكن يريد له إلا السعادة ، فانطلق يلتمس له الشفاء من أله ، ولكن أين له ما يريد وقد سميت الفتاة على غيره فخطبت ؟ . . .

وكان الأب فى انطلاقه يفتش عن السعادة لابنه ، قد ترك وراءه شبحاً يجلس إلى مدفئه فى زاوية من الحجرة وقد نشر أمامه ورقة لا يكاد يتبين من سطورها إلا سطراً أسود يضطرب أمام عينيه ، وكأنه لم يكن ينظر كلاماً مكتوباً بل شريطاً عريضاً أسود يمثل له حظه فى الحب . لقد وعاه من طول ما كرره ، ولكنه ما يزال يقرأ ، ويعيد ما يقرأ ، كأن ألفاظه تمسح ببياضها هذا السواد الماثل أمامه : « لقد تخليت عنى فى وقت أنا أحوج فيه اليك ، وقد كان بيننا ما كان . تخليت عنى ليعبث أهلى — بما لهم على من حق — فى مستقبلى . لقد أرغمونى حين ردوك »

ولما ارتد الأب خائباً ، وجد الابن قد أكلته الخيبة والتهمه اليأس ، فعاد يهمس بينه وبين نفسه : « ويلى ! لقد جنيت ! » ثم ابتدأ يلتمس لولده العزاء مما جنى عليه ، فقدر له أن يمضى أياما على شاطئ البحر ، عند الربيع الأزرق . هناك حيث يخلع الانسان همومه إذ يخلع ملابسه ، ويتحلل من أثقال المدنية وتقاليد الناس حين يرى نفسه كآدم وحواء قبل اتخاذ الثياب . وكان الفتى واسع الخيال دقيق الحس ، فآلمه أن يرى هذا الناس قد اجتمعوا ليقتسموا الصحة والعافية ، واللذة والسعادة ، وهو وحده يعيش فى جو بعيد عن كل ذلك ، هو جو قلبه ، وانصرم الصيف ، وما أفاد إلا هما على هم ، ووحشة كانت فى قلبه فعادت فى حسه وفى نفسه

وجلس الابن يقرأ — ذات ليلة — كتاباً فى تاريخ قدماء المصريين والأب ينصت ، وهو يتبين فى صوته رنين الأسى والحزن . فقال : إن لنا فى الشتاء لرحلة كما لنا فى الصيف رحلة . زيارة آثار أجدادنا القدماء . وطرب الشاب لهذه الفكرة الطارئة

* * *

وطوّفا ما طوفا والفتى فى نهاره رفيق أبيه ، وفى الليــل صديق همومه

وجلس الفتى إلى نضد ، وقد مضى الليل إلا أقله يكتب إلى التى أحبها : « ذهب عقلى واستقر هواك . وهأنذا أطوف فى بلاد وقرى لم أنزل بها من قبل ، ولم يزرها أبى من قبل أيضاً . يظن أبى أننى أفرج عن نفسى ، وأرانى شريداً لأننى أرغم على ذلك إرغاماً . يؤمر ليطيع كالانسان الصناعى لا يدرى ماذا يقال ، ولا ماذا يُفعل ؛ وهم يسخرون من الانسانية إذ يسمونه الانسان . أبى يرى فى كل ذلك لذة ، أما أنا فلا أرى هنا ما يلذنى لأننى بعيد عنك . والآن وقد بلغنا أسوان بقى على أن أصف لك الخزان العظيم الذى يترك لأرض مصر جميعها فضلة ما يمسك . إنه فى رأسى الآن يجيش ويضطرب ، وغداً كيف أراه أمام عينى ؟ سأذكرك هناك ، يا فتاتى ، وأذكرك . . . »

وعند انبثاق الفجر انفلت من الفندق ليضع بعض قلبه فى صندوق البريد .

***

وعلى خزان اسوان سار مطمئناً ، وهو يعجب بما يرى ؛ عن يمينه طود من الماء ، وعن يساره رشاش الماء المنسكب ، أمواجاً تتلاطم ، كأنهما فى مضمار ، أيهما يبلغ الغاية أولاً ؟ وعلى سور الخزان المبنى من حجر الجرانيت ، وقف يتكئ على حاجز قصير هناك يطل منه على الماء يتدفق من فتحات الخزان حياة ، والخواطر تتدفق فى أعماقه شجواً حزيناً يبعث الألم . وأخذت الفتى روعة ما رأى وأحس كأن الماء الذى يعترك فى أسفل يجذبه ليحمله إلى من يحب . ورأى الرشاش المتطاير تنعكس عليه أشعة الشمس فترسم عليه قوساً ذات ألوان جميلة ، كأن عروساً فى ثوب زفاف تتراءى له بين مرآتين ، ولكنه لم يرَ فيها إلا العروس التى فقد ، تبتعد بها الأقدار فى صحبة رجل غريب . ورأى الماء يتسرب من بين الصخور كما يتسلل القدر فى تاريخ إنسان ليضع فيه مأساة أو يصنع حادثة

ومضى الفتى يتخيل فيمعن فى الخيال ، والماء تحت عينيه يموج ويضطرب ويزأر متدفقاً مكتسحاً فى بطش وعنفوان ؛ فما يرى الفتى بين الموج والزبد إلاّ صورة واحدة : صورة الفتاة التى بعد بها عنه عنف القدر وسلطان التقاليد

ورجع الأب ليصحب ولده فيمودا ، ولكنه انطلق يعدو حين رأى ابنه يوشك أن يتردّى . فما بلغ إلاّ ليشهد آخر مأساة للشاب تتلقفه الأمواج

يا يد الشيخ أنت التى دفعتِه الى هذه الهوة فما كان لك أن تنقذيه . . . !

يا تجارب الشيخوخة كم أنت قاسية ! لقد أردتِ أن تزرعى السعادة فجنيت الشقاء . لقد كنت كبيرة فلم تفهمى لغة الشباب ، وكنت مادية فلم تفهمى حديث الروح ، وكنت صلبة فلم تعقلى كلمات القلب . هل أنت يا تجارب الشيخوخة إلاّ خرف الهرَم ونكسة الانسانية . . ؟

ألا ليت الشباب وليت الهـرَم . . . ولكن ماذا يجدى ، ماذا يجدى ؟ ليت شعرى هل قُدِّر للانسانية ألا تبلغُ سعادتَها إلا على جسر من الضحايا ؟ فياويح الشباب وياويح الهرم !

كامل محمود حبيب

دراما من اسخيلوس

٣ ـ الفُرْس

Persae

للأستاذ دريني خشبة

تتمة

— ٧ —

« يظهر شبح دارا ويخاطب الجماعة »

— «أوه ! أنتم هنا يارفاق الصبى ولِدَات الشباب ! مرحى! لقد ابيضت نواصيكم ، وجلل هاماتكم وقار المشيب ! ماذا ؟ ! مالكم واجمين هكذا ؟ أى شجو يعقد أساريركم ياسادات فارس ؟ ماذا أسمع ؟ هناك ! هناك فى جميع آفاق المملكة ؟ الجماهير العزيزة تئن وتبكى ! ويح لكم يا رعاياى ؟ أية كارثة ؟ ! تكلموا ! إن قربان الخمر الذى أسقيتم ثرى رمسى قد روّى أعظمى وانتشت بِحُمَيّاه نفسى ؟ لشد ما أيقظتنى أناشيدكم وأذْكاركم تتغنونها على هذا القبر يا سادات ، وتتغنناها معكم مليكتى ! ! تكلموا ! تكلموا إذن ! فيم جُوَارُكم بى ، وصلاتكم من أجلى ، لأطوِىَ الرحب إليكم من عالم الأشباح ؟ ! إن الآلهة ترنو إلىّ من بعد ، وإنها تكاد تتخطّفنى ... لماذا تصمتون هكذا ؟ تكلموا وإلا فالويل لى من أرباب الظلمات ! ... »

— « لشد ما تفرق قلوبنا إذ نرى إلى هذه الهامة ! كيف السبيل إلى الكلام ؟ أى فزع يذوب كالموت فى فرائصنا ؟ »

— « ليفرخ روعكم ! إن صلاتكم الطيبة هى التى سعت بى اليكم ! فيم هذا الجزع الذى يسيطر عليكم ؟ وهذا الحزن لِمَهْ ؟ تكلموا ! البدار ، أختصروا ما استطعتم فانى عجلان ، والآلهة تحدجنى من أعماق الدار الآخرة ! »

— « نفْرَق أن تنبس أفواهنا بكلمة عما حاق بأعز الناس ! إن حبنا له ، وجزعنا عليه يمنعنا من أن نقول كلمة ! ... »

— « هذا دأبكم دائماً ... طالما كنتم تخافون من لا شىء إذن ، فتكلمى أنت يا من كنت شريكتى فى أهنأ حياة ؟ وأرجو أن توجزى ما استطعت . ! ما هذه الصيحات التى ترتفع من رعاياى فى البر والبحر ؟ ما لهم يبكون فى كل صوب ! »

— « مولاى دارا ! ؟ مليكى ! يا من أقمت مجد الوطن ،

وكنت مُحَسَّداً من أندادك للأبهة التى شادت دعائمها يداك...
كم أنت اليوم مُحَسَّد كذلك للراحة التى تنعم بها فى جوار آلهتك ... ؟ قصتنا موجزة ، وتكاد ترويها كلها كلمة واحدة : الأمبراطورية يا مولاى ؛ لقد نسج الزمان عليها عناكب الخراب وليس من يقيل عثرتها ! ! »

— « لِمَهْ ؟ هل طاعون سلطه عليها رب الشر ؟ أم ثورة جعلت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ؟ »

— « لا هذا ولا ذاك ؛ ولكن ... جيشنا ... لقد حطمه القضاء تحت أسوار أثينا ! »

— « جيشنا ؟ ومَن مِن أبنائى هذا التاعس الذى غامر به ثمة ؟ »

— « الطائش إجزرسيس ! لقد أقفرت آسيا من روض شبابها بسبب تَهَوُّره ؟ »

— « فى البر أم فى البحر ، حاقت بهم النكبة النكباء ! »

— « فيهما معاً يا مولاى ! »

— « وكيف تم لهذا العسكر المجْر عبور البَحر إلى هيلاس ؟ »

— « مهندسوه يا مولاى أقاموا له جسراً عجيباً ! »

— « وأى جسر هذا الذى يصبر لأمواج البوسفور وأواذيه ؟ »

— « كانت أرواح مخربة تنفخ فى صدره طيلة ذلك اليوم ! »

« وأية ضربة لازب طاحت بجيش فارس وبأسطولها ؟ أكان العدو أكثر عدداً وأعز قوة ! يا لتعسك يا إجزرسيس ! ترى ! كم شرذمة نجت من بطشة هذا القضاء ؟ »

— « ثلة فى البر وثلة فى البحر ... وكان هو ينطلق لا يلوى على شىء ! حتى عبر الى آسيا ! »

— « إيه يا آلهة ! هكذا تديرين رحى الخراب على من يدبرها على نفسه ! إجزرسيس الطائش ! لقد كان شيطانه هواه ، فلم يرحم شبابه ولم يترفق بشباب فارس ! حسب المأفون أنه يسخر بالآلهة ، ليستطيع أن يكتب الأقضية ، ويحول مجرى المقادير .. الا قد حبط مكره ... وحاق به سوء تدبيره ... وبدد فى حماقة كل ماذخرت لفارس من قوة وعتاد ... وجعل خزائن سوس لأعداء الامبراطورية نهباً مُقَسَّماً ... ألا من أضلك يا أتعس الأبناء ! »

— « أضلته نفسه ، وغلب عليه استبداده ، وسَوَّلت له تلك العُصبة من الحمقى والمأفونين »

« تعساً لهم من مُشيرى سَوءٍ ، وإخوان ضلالة ! وتعساً له من أُحَيْمق ، هدم المجد الذى بناه أجداده فرفعوا عماده ، ومهدوا له وأرسوا فى ساحات النصر أوتاده . . . الشقى الذى نسى نصيحتى فوق سرير الموت ، إذْ حذرته من محاربة الهيلانيين ! »

— « والآن يامولاناما ! أنصح لنا نهتد بك فى ظلمات المستقبل »

— « هى نصيحتى أبداً . . . لن تتغير . . . لا تلتحموا فى حرب مرة أخرى مع الهيلانيين ! حتى ولو كان جندكم أكثر من جندهم أضعافا مضاعفة ! إنهم يحاربون من أجل وطنهم المفدى ! أما أنتم . . . ففى سبيل أطماعكم تهرق دماء شبابكم ! هذا إلى هيلاس نفسها ... إنها تحارب بجنود لا ترونها فى جانب أبنائها ! »

— « هيلاس تحارب بجنود لا نراها ؟ وكيف ؟ »

— « أجل ! إنها تحارب المغـيرين بالمجاعات والأين والطواعين ! انظروا ! إن شراذم مبعثرة تهيم فى الآفاق .. لا تلوى على شىء . . . تفر من الميدان ! ويلاه ! إنها فلول أجنادكم ، أصبحت لا تقدر على شىء ! . . . لقد تركها القائد الشقى تقاسى من الجوع والعرى والزمهرير . . . أشباح وسمادير ، يرنق فوقها الموت عند كل أكمة !! إجزرسيس ! يا أتعس الأبناء ! ذق إنك أنت العزيز الكريم ! فيم استباح جنودك معابد الآلهة وأقداس الأرباب ! لقد دنسوا هيا كل القوم ، وسلبوا معابدهم ، وكسروا أوثانهم . . .فليذوقوا إذن وبال أمرهم ، ولترو من دمائهم رماح الأسبرطيين . . . وليؤدوا الدين من خزائن أرواحهم مُهَجاً غالية ! ! يا للآلهة ! ! ما أقساه درساً ألقيته على كبرياء بنى الموتى وخيلائهم ! ! زيوس يا سيد الأولمب ! يا كبير الآلهة ذا الطول ، يا شديد الانتقام ! ما أهول بطشك حين تأزف ساعته . . . وما أبلغ حلمك ! »

أيتها الملكة ! يا أم إجزرسيس ! يا أم ولدى التاعس ! هلمى فالبسى أبهى حلك ذات الأوشية ، وانطلقى فالقَىْ ولدك المحزون ! رفهى عنه وواسيه بكلمة طيبة لن يحتملها إلا منك ، وبلغيه نصائحى . . . »

أما أنتم يا رفاق صباى ! فالسلام عليكم . . . لتثلج صدوركم ولتطب نفوسكم . . . لقد فرغتم من زينة هذه الحياة الدنيا التى لا تسير فى ركاب الموتى الى الدار الآخرة »

« يغيب الشبح » .

— ٨ —

ويرسل الأشياخ الفارسيون للنَّحب زفرة كأنها لفحة من جهنم ، ويعبسون عبوسةً سادرةً حزينة لما يتحيف الوطن من أشجان ، ثم تمضى الملكة لتضفى عليها من أبهى وشى فارس ولؤلؤ بحرها العجيب ، ولتذهب فتاقى ولدها المقهور المنهزم ، الذى عاد من حابة هيلاس يجرر أذيال الخيبة ، ويتهالك على نفسه فى أسمال الخزى والانكسار ... « ولدى إجزرسيس ! الذى لابد له فى هذه المحنة من قلب الأم يضمه ويحنو عليه ، ويقشع عن عينيه ديجور الهم ، ويعيد اليه مسرة الدنيا وحبور الحياة ! »

— ٩ —

أما الخورس — وهم أولئك الأشياخ الوقورون — فيهزجون بنشيد طويل يذرفون فيه دموعهم على مجد الأكاسرة الغابر ، ويبكون على أيام كانت فارس سيدة الأرض ومؤدبة الأمم ، ويذكرون الهزائم التى حاقت بجيوشهم فى البر والبحر . . . « وشبح الخراب الذى ينوء بكلكله على المدائن والقرى ، واليتم والجزع والبكاء التى تغزو كل بيت ، وتمزق صدر كل أم » وإفلات الأيالات الفارسية فى غرب آسيا وشمال هيلاس من قبضة الفرس . . . حتى لو شاء الهيلانيون غزو فارس نفسها لما استعصت عليهم (١)

— ١٠ —

« يدخل إجزرسيس متخاذلا »

— « واشجوى ! »

لقد جل الخطب ، وفدحت قاصمة الظهر ، وامتدت يد الحدثان إلى زهرتك يا فارس ، يا وطنى ، فقضت عليها فى ريعان ، وأذبلت غصنها إذ هو ناضر ريان ، وجعلتها قصة فى كتاب الزمان ! ويحى ! كيف لى أن ألقى ساداتك أيها الوطن وقد خذلت هيلاس قواى ، وخانت تجلدى واصطبارى ! ألا ليتنى لقى بين أشلاء جنودى ، ألا ليت كثيباً مهيلاً طوانى فى ساحة المجد ، فلم أعد اليك يا بلادى ! لقد كان ثمة عزاء لى بين القتلى من صناديدى ! »

— « أهذا أنت يا إجزرسيس ! ويلاه ! من للأبهة والمجد ! من للجيوش الجرارة والجنود المظفرة ! من للكواكب والرايات ! أين أين القادة الصيد ، والأبطال الصناديد والمغاوير المذاويد ؟ لقد انتفضت فارس تبكى أفلاذ أكبادها فأين تركتهم دون ولى ولا نصير ؟ أكانت تعدهم لهذا العبث الذى قذفت بهم فيه وهم زهرتها وذخيرتها وعتادها ؟ ويلاه ! يا للساعة ويا للحساب العسير ؟ لقد كان أجدر لو لم تلقك آسيا أيها الملك كسيرة القلب مهيضة الجناح ، لا حول لها ولا طول ، ولا مجير ولا هاد ! »

— « زه ! زه ! ياسادات فارس ! يا للحظ العاثر والمجد الغابر ! أو هكذا يا رب تخزينى ملء رعيتى وبين جدران بيتى ؟ »

— « بل نحييك بالصراخ والعويل كما كان الماريانديون يحيون موتاهم . . . »

— « إذن ، فهلموا فابكوا ! لتنهمر دموعكم حتى ما تجف ، ولتشق السموات آهاتكم حتى ما تقف ! ألا ما حيلتى ؟ لقد اتحدت علىّ الأقدار ، واسودت فى صحائف غيبى الحظوظ ! »

— « بل نحن نصرخ فى وجهك صرخة فارس التى كلها ألم وشجو . . . »

— « وا أسفاه ! ماذا عسانى كنت صانعاً وقد اتحد فارس وملؤه علىّ ! »

— « بل قل لنا أيها الملك ! أين أين أكابرنا ؟ أين أين السوسيون والفرندسيون والبلاجيون وغيرهم وغيرهم من أشراف القبائل والبطون والأفخاذ ؟

— « غرق من غرق ، وغال الردى فى الميدان من غال فى يم سلاميس وبرية بلاتيه . »

— « بل أجب هذه الدموع وحرق الضلوع ! أين أين المظفر فرنوخوس وأريومادوس الصالح ، وأمير الأمراء سيوالكوس ! وأين أين القنابل ذات الأيد من مازستراس وسيرأبيس وممفيس ! . . .

— « ابتلعهم اليم . . . ثم لفظهم الدأماء ! ودارت عليهم المنايا أغربة سوداً وغرابيب لا تبقى ولا تذر ! . . . فلا فقد اليوم ولا مفقود ! ! »

— « يا للنكبة ! يا للثمن الفادح ! يا لزهرة شبابك يا فارس فى هذا الرزء الذى ليس كمثله رزء ، والمصاب الذى دونه كل مصاب ! ! إذن ماذا بقى للوطن أيها الرجل ؟ »

— « هذه الأسمال التى ترونها لا تكاد تستر جسد مولاكم ::

— « أهى كل ما بقى من الغرق و ... الهزيمة ؟

— « وهذا البيت الخاوى على عروشه ... وكانت اليه خزائن الأرض من قبل ؟ ماذا بقى لنا ؟ لقد تفرق عنى جميع أعوانى أبادد !

(١) صدق تقدير أسخيلوس فلقد غزاها الاسكندر بعد ذلك وخضد شوكتها

البريد الأدبي

هنري دي رينيه

من أنباء باريس الأخيرة أن الشاعر والكاتب القصصي الكبير هنري دى رينيه قد توفى فى الرابع والعشرين من مايو؛ وبذا يكون قد توفى فى أيام قلائل عضوان من أسطع أعضاء الأكاديمية الفرنسية، هما الأستاذ هنرى روبير المحامى الأشهر (وقد ترجمناه فى العدد الماضى) وهنرى رينيه، وخلا بذلك كرسيان فى مجتمع الخالدين. وقد ولد هنرى فرانسوا دى رينيه فى ديسمبر سنة ١٨٦٤ فى هونفلور من أعمال كالفادوس من مقاطعات الحدود؛ وكان أبوه هنرى شارل دى رينيه مفتشاً فى الجمارك، وتلقى الكاتب دراسته فى كلية ستانسلاس، ودرس القانون؛ ولكنه انصرف منذ حداثته الى الأدب؛ وبدأ بقرض الشعر قبل أن يبلغ العشرين، وفى سنة ١٨٨٥، أصدر أول مجموعة شعرية، عنوانها «أيام الغد» Les Lendemains، فأصابت نجاحا وأتبعها بعد ذلك بعدة مجموعات أخرى نذكر منها: «أوسمة دارجيل» Les Mèdailles d'Argiles و«فستيا الملتهبة» Vestigia flamme.

وعالج هنرى دى رينيه كتابة القصص فى نفس الوقت، وظهر منذ أواخر القرن الماضى بقصصه القوية الخصبة؛ ومن أشهر قصصه «عصا جاسب» La Canne de Gasps (سنة ١٨٩٥)، و«المشيقة المزدوجة» La Double Maîtréesse (سنة ١٩٠٠) و«فراغ فتى عاقل» Vacances d'un Jeune Homme Sage (سنة ١٩٠٣)، و«الخوف من الهوى» La peur de L'Amour (سنة ١٩٠٧) و L'Amphisliene (سنة ١٩١٢) و«وهم تيتوباسى» L'illusion Herïque de Tits Bassi (سنة ١٩١٦) و«الخاطئة» La Péchcresse (سنة ١٩٢٠) و«الفرار» L'Escapads، وغيرها

وكان هنرى دى رينيه أيضاً صحفياً من الطراز الأول، يعالج المسائل الاجتماعية والأدبية فى الصحف الكبرى بقوة وبراعة؛

وقد تبوأ كرسيه بين الخالدين فى الأكاديمية الفرنسية منذ أعوام طويلة

حياة لايدى هستر العجيبة

تتفوق حوادث التاريخ أحياناً على القصة فى غرابتها وروعة ظروفها؛ ومن ذلك حياة «لايدى هستر ستانهوب» الانكليزية التى خاضت فى أوائل القرن التاسع عشر غمار رحلات وحوادث مدهشة فى تركيا ومصر وسوريا. وقد صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن هذه السيدة المغامرة عنوانه Lady Hcster Stanhone بقلم السيدة جوان هاسلب J.. Haslip

وقد نشأت اللايدى هستر فى أسرة نبيلة فى أواخر القرن الثامن عشر، وهى ابنة أخت لوليم بيث الوزير الانكليزى الشهير، ولم تكن فتاة حسناء. ولكنها كانت تتمتع بجاذبية

— «ألا ما كان أشجع اليونانيين فى هذه الحرب!

— «ألا ما كان أشجعهم حقاً! أبداً ما رأت عيناى أشجع منهم: لقد ظفروا بنا وأظهرتهم آلهتهم علينا، فلنا الخزى السرمدى، ولهم المجد الأبدى؟

— «ويلاه! إذاً سحقت كل قوة فارس!

— «عن بكرة أبيها! وليس لنا الآن إلا البكاء والنحيب! فرددوا بكائى وأسعِدوا يا سادات

— «أى إسعاد أيها الملك وقد قضت علينا ضربة لازب!
(يبكون . . . ثم يعولون)

— «رددوا آلامى، فما أشجاكم أشجانى!

— «ألا من يرثى لنا ... يا للشجو ... يا للشجو!!

— «وبللوا تلك اللِّحى ... إذرفوا عبراتكم يا رفاق!
(يأخذ الأشياخ فى البكاء، ويشتد عويلهم، ثم يشقون جيوبهم ... ...)

— «غفرانك يا فارس! غفرانك يا دارة المجد، وهالة العظموت! هلموا يا سادة! هلموا إلى الهيكل ... إلى النار المقدسة.»

دريني خشبة

نسوية غريبـــة ؛ ولم تصادف فى بدء حياتها نجاحا فى المجتمع الانكليزى ولا قبولا فى بلاط الملك جورج الثالث ؛ بيد أنها اتصلت صلات غرامية ببعض رجالات العصر ، مثل اللورد جرانفيل لنيفنسون والسير جون مور القائد الشهير ؛ ثم عافت المجتمع الانكليزى ونقمت عليه لما لقيت فيه من اعراض وخصومة ، وغادرت انكلترا فى سنة ١٨١٠ لكى لا تعود اليها الى الأبد . وبعد أن زارت جبل طارق ومالطه ذهبت الى اليونان وهنالك لقيت الشاعر بيرون ؛ ولكنهما لم يتفاهما ؛ فسافرت الى استانبول ، وهناك اتصلت ببلاط السلطان محمود ، وتركت لنا وصفاً شائقاً عن بلاطه وحاشيته وحفلاته . واليك نبذة ظريفة تصف خروج السلطان الى السلاملك فى يوم الجمعة :

« يركض البستانية صائحين « افسحوا لجلالة السلطان أمير المؤمنين » وهم يلوحون بأسواطهم المعقودة ؛ بينما تنتظم فى الشارع فرق من جند الانكشارية ترد الجموع ؛ ويبدأ الموكب بالسقائين يرشون الشارع ، ثم كوكبة من الفرسان ذوى اللحى تحيط بها جماعة زاهية تحمل أدوات القهوة السلطانية وسيف السلطان وشبكه فى أوعية ساطعة »

وبعد أن لبثت لايدى هستر حيناً فى استامبول سافرت الى مصر ، واتصلت فى الحال بمحمد على ، وزارته فى قصره الفخم بالأزبكية فأكرمها ، وأنس بلقائها ؛ ونوهت اللايدى هستر فيما بعد بكرمه وذكرت أنه اعتاد أن يقف للقائها ؛ وفى ذات يوم نظم محمد على عرضاً عسكرياً إكراماً لها ، وعرض فيه الكولونل سيف (سليمان باشا) القوى البدوية ، وبعد نهاية العرض قدم لها محمد على جوادين هدية منه

بيد أن اللايدى هستر رغم ذلك تصف مصر بأنها مريعة ، بأزقة ضيقة ، وروائح كريهة ، وشوارع متربة

وسافرت لايدى هستر بعد ذلك الى فلسطين ثم الى الشام ، وهنالك تعرفت بالامير الشهابى وتوثقت بينهما أواصر الصداقة ؛ ثم سارت الى تدمر حيث أعلنت نفسها ملكة على بعض قبائل البدو ، وحصنت قصرها فى جبل الياس ، والتف حولها كثير من الدروز والنيصرية ؛ ولما غزا ابراهيم الشام احترم قصرها ولم يهاجمها ، وبلغ حب بعض السوريين لها أن كانوا يعتبرونها شبه قديسة ، بل إن بعض الدروز اليوم يضعونها بين آلهتهم

وتوفيت تلك المرأة العجيبة فى يونيه سنة ١٨٣٩ ، ودفنت هنالك فى روضة بديعة

هذا ملخص الحياة المدهشة التى خاضت غمارها اللايدى هستر ستانهوب ، والتى تصفها لنا المس هاسلب فى كتابها وصفاً بديعاً شائقاً

وتختم المؤلفة كتابها بوصف بطلتها بأنها كانت « خاتمة ذوى الشذوذ والأطوار الغريبة فى القرن الثامن عشر ، وأول الممهدين للحياة الجديدة فى القرن التاسع عشر »

العلم والدين

يقول الأستاذ هكسلى فى فصل نشره فى إحدى المجلات الكبرى إن أصحاب النظريات العقلية فى القرن التاسع عشر كانوا على يقين من أن ما يسمونه « النزاع بين العلم والدين » سينتهى حتما بهزيمة الدين ، ولكن تاريخ العصر الحديث أثبت أن هذه النظرية لا أساس لها . ذلك أن العلم لم يهدم الدين ، ولكنه نقله فقط من ميدان إلى آخر ؛ وقد كان من أخطاء أجدادنا أنهم كانوا يتصورون العلم والدين عدوين يحارب أحدهما الآخر ، وأن العلم أمضى أسلحة من الدين ، وأنه سيودى غير بعيد بالدين حتى يغدو جثة لا روح فيها ؛ وتلك صورة خاطئة . فالعلم والدين ليسا عدوين ، ولكنهما قوتان عظيمتان من قوى الطبيعة

إن الانسان يفكر والله يدبر ؛ ولكن المصلحين لم يظفروا بتحقيق المهمة التى رموا إلى تحقيقها ، وهى القضاء على الأوهام والخرافات التقليدية التى تدخل الدين بغير حق . وقد أحرزوا فى هذا السبيل نجاحا محدودا ؛ ولكنهم هيأوا بجهودهم ميدانا لأنواع أخرى من العادات والتعصب ، ربما كانت أسوأ من الخرافات الأولى ؛ فهنالك اليوم من ضروب العبادة القومية والتعصب القومى والجنسى ما لا يقاس فى حدته وروعته بتلك العواطف الساذجة التى جهد المصلحون للقضاء عليها

الحفريات الأثرية فى فلسطين

تعمل الآن فى فلسطين عدة بعثات علمية فى الحفريات الأثرية ، بعضها يعنى بالعصر اليهودى ، وبعضها بالعصر الرومانى ، والبعض الآخر بعصر المسيح . وقد نشرت مجلة المباحث الأثرية الفلسطينية التى تصدرها مطبعة جامعة اكسفورد فى عددها

الأخير بيانات جامعة عن النتائج الأثرية التى انتهت اليها جهود هذه البعثات ؛ فى بيت لحم ، عثر المنقبون تحت كنيسة المهد على آثار كنيسة أخرى أقدم منها ، ووجدت بعض آثار للفسيفساء القديمة تحت بلاط الكنيسة الحالية ؛ ووجدت أقسام الكنيسة القديمة واضحة ، ولكن لم يبق منها سوى بعض جدران متهدمة ؛ بيد أن ما وجد من البناء والفسيفساء يكفى لتكوين فكرة حسنة عن هندسة هذه الكنيسة القديمة وطرازها

وكشفت الحفريات فى تل حسن بالقرب من أريحا عن كنيسة بيزنطية قديمة قد أزيلت تماما ، ولكن أمكن إعادة معالمها من آثار الفسيفساء التى وجدت ؛ وقد كانت على ما يظهر من طراز البازيليكا القديمة ، ذات فناء متوسط ورواقين فى الجانبين ، تفصلهما حنايا معقودة ؛ وقد كانت الفسيفساء فى حالة حسنة ، وهى تشبه تلك التى وجدت تحت بلاط كنيسة المهد ؛ ويرى المكتشفون أنها ربما كانت الكنيسة التى خصصت للعذراء مريم ، وقام باصلاحها الامبراطور يوستنيان حسبما يذكر المؤرخ بروكوبيوس

ووجد هنا وهنالك كثير من الآنية الخزفية ؛ وقد أثارت هذه الآنية بين العلماء المكتشفين كثيرا من الجدل ، واعتقد بعضهم أنه ظفر من بينها بآنية ترجع الى عصر حرب طروادة الشهيرة التى نظم عنها هوميروس إلياذته الخالدة

ويجرى فى نفس الوقت حفريات متعددة فى جهة الناصرة ، حيث يظن أن المسيح قضى حداثته وشبابه

الاسلام فى المجر

يطوف السيد حسين حلمى مفتى بودابست ببلاد الهند لجمع تبرعات تساعد مسلمى المجر على تشييد مسجد ومدرسة لتعليم أولاد المسلمين . وقد نشرت مجلة « الاسلام » التى تصدر بالانجليزية فى سنغافورة حديثا مع الأستاذ راسوليفتس محمد بك سكرتير الجمعية الاسلامية ببودابست عن حالة المسلمين فى المجر، فكان مما ذكره أن عدد المسلمين يبلغ الآن زهاء ثلاثة آلاف نسمة ومن المحزن أن حالتهم الاجتماعية فى تدهو رغم أن البرلمان المجرى اعترف فى عام ١٩١٦ بالاسلام كدين من أديان الدولة ، وأكثر المسلمين فى حالة فقر مدقع ، وهم فى حاجة ماسة الى عطف العالم الاسلامى واهتمامه بهم . فأولادهم يضطرون الى التعلم فى مدارس المسيحيين والتزوج من بناتهم . ولا يوجد فى كافة بلاد المجر مسجد لاقامة الصلاة مع العلم أنه كان فى بودابست وحدها ٤٠ مسجدا أيام الدولة العثمانية

وتوجد اليوم فى بودابست جمعية اسلامية تأسست فى عام ١٩١٦ باسم « جمعية جول بابا » وقد جعلت مهمتها السعى فى بناء مسجد ببودابست ومدرسة لتعليم أولاد المسلمين وتثقيفهم فى أصول دينهم ، وقد منحتها الحكومة قطعة أرض لتشييد المسجد ، لكنها لا تجد المال الكافى للبناء ، ومن المؤسف حقاً أن المسلمين يجتمعون لصلاة الجمعة فى بهو فندق يستأجرونه خصيصاً لهذه الغاية . أما فى الأعياد والمواسم فهم يجتمعون فى ضريح ولى مسلم مدفون بأطراف بودابست واسمه « جول بابا »

معهد فنى للجنائيات

من أنباء السويد أن معهد الجنائيات الفنى اللحق بجامعة ستوكهلم قد افتتح فى بنائه الجديد المجهز بأحدث الوسائل والمخترعات الفنية ؛ ويقال إنه الآن أحدث معهد جنائى من نوعه إذا استثنينا معهد البوليس البريطانى

وقد كان هذا المعهد حتى اليوم منقسما الى عدة أقسام ؛ ومع ذلك فقد كان يجذب اليه الطلبة والفنيين من كل صوب ليدرسوا فى أقسامه المختلفة التى اشتهرت بدقة أبحاثها الفنية ؛ وكان يؤمه بالأخص رجال البوليس من السويد والنرويج والدانماركة وفنلندة وكذلك بعض رجال البوليس الانكليزى (اسكتلنديارد) لينتفعوا بتجاربه ومعلوماته

ويدرس الآن فى هذا المعهد عدد كبير من المحامين لدى المحاكم الجنائية وضباط البوليس ، وفيه عدا ذلك نحو أربعمائة طالب يدرسون فى أقسامه المختلفة طرق مكافحة الجرائم واستكشافها

كشف طبي خطير في علاج البلهارسيا

الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك أستاذ علم الطفيليات بكلية الطب ، ومدير معهد الابحاث بوزارة الصحة ، قد عرف بأبحاثه واكتشافاته الطبية العديدة ، وامتد الاعتراف بكفاءته إلى الدوائر العلمية الأجنبية ، فسجلت اسمه في قائمة العلماء الباحثين

وقد حدث منذ شهرين أن وفد على معهد الأبحاث طفل في التاسعة من عمره مريض بالبلهارسيا ، وقام المعهد بعلاجه عن طريق الحقن بمركبات الأنتيمون ، وهي الطريقة المتبعة في مثل هذه الحالات ، ولكن الطفل عقب تناوله الحقنة الثامنة توفي بغتة ، واتضح من تقرير الطبيب الشرعي أن حقن الطفل تم على حسب الأصول الفنية

ولقد شغل هذا الحادث ذهن الدكتور خليل بك ، وما زال به اهتمامه وتفكيره حتى اهتدى إلى كشف السر فيه وفي أمثاله من الحوادث ، فدعا جمهرة من الأطباء إلى قاعة المحاضرات بكلية الطب لشرح كشفه والمناقشة فيه

وقد انعقد الاجماع على أن هذا الاكتشاف قد وضع أساساً جديداً لعلاج البلهارسيا ، وسيكون من أثره :

أولاً ـ انقاذ حياة ألفي مصاب بالبلهارسيا يموتون فجأة في كل عام ، وقد كانت وفاتهم مبعث حيرة كبيرة بين الأطباء المعالجين والأطباء الشرعيين

ثانياً ـ ضمان الشفاء لعشرات الآلاف الذين كانوا فيما مضى لا يتمتعون به كاملاً حاسماً في أوجز وقت وبأقل تكاليف

ويقدر عدد المصابين بالبلهارسيا في ريف مصر وصعيدها بعشرة ملايين يتقدم منهم للعلاج سنوياً زهاء مليون ويموت منهم فجأة ألفان تقريباً ، ولم يكن في مقدور العلم أن يتكهن بتلك الوفيات الفجائية التي أشرنا اليها ، ولا كان في مقدوره ضمان القضاء على الداء الوبيل قضاء مبرماً . أما اليوم فقد توصل الدكتور خليل بك الى اكتشاف طريقة بسيطة كيميائية تمكن الممرض أو مساعد الطبيب أن يجريها ؛ وهي طريقة يعرف بها على وجه التحقيق المسائل الآتية :

١ — هل يفرز المريض أكثر الدواء الذي يعطى له ، ولا يمكث في جسمه إلا قليل منه لا يكفي لقتل الديدان المسببة للبلهارسيا ، وعلى ذلك يصعب شفاؤه بالجرعة المعتادة ؟

٢ — هل المريض لا يفرز الدواء مطلقاً ، أو يفرزه بمقادير ضئيلة ، وعلى ذلك يتراكم في جسمه ويسممه ، فيموت فجأة إذا بذل أقل مجهود عضلي ؟

٣ — هل المريض يفرز الدواء بمقادير عادية ، وعلى ذلك يشفى ؟ والأكثرية من المرضى من هذا القبيل

وقد أثبت ذلك الاكتشاف أن تقدير الجرعات في علاج البلهارسيا بمركبات الأنتيمون ومنها الفؤادين كان أساسه خاطئاً . إذ أن الجرعة كانت تقدر حسب السن أو وزن الجسم من غير مراعاة لتفاوت الأشخاص في سرعة إفراز الدواء ومقدار هذا الافراز . وليس مجهولاً أن القيمة الشفائية الفعلية لمثل هذه العقاقير لا تتوقف على مقدار مايدخل الجسم منها فقط ، بل تتوقف أيضاً على مايمكث منها فيه ؛ ومن الطبيعي أنه إذا تفاوت الأشخاص في إفراز هذه العقاقير اختلف تأثيرها تبعاً لذلك ، وهذا ما أثبته الدكتور خليل بك بتجارب كيميائية أجريت أمام الجمعية الطبية المصرية

ويتخلص الكشف الذي اهتدى اليه الدكتور لتعيين نسبة الافراز في كل جسم في أخذ تفسرة من بول المريض قبل الحقن لتعرف هل يحتوي البول على مادة مماثلة المادة التي سيحقن بها أو لا ؛ ثم يحقن المريض وتؤخذ تفسرة أخرى من بوله بعد نصف ساعة تقدر بخمسة سنتيمترات ، ويضاف اليها مثلها من محلول كيميائي مركب من كلور الحديد يضاف اليه نشادر قوي مطهر . فاذا كان في البول إفراز من المادة المحقون بها احمر لونه ، وإذا لم يكن هناك إفراز ظل اللون على حاله الطبيعية ، ثم تؤخذ تفسرة أخرى بعد ثلاث ساعات وتكرر معها التجربة ذاتها

من هنا ومن هناك

من العلم الى الأدب

كثير من العلماء هجروا العلم الى الأدب ولم يستطيعوا الجمع بينهما كما فعل ابن سينا مثلاً حين جمع الأدب الى الطب والحكمة أو كما فعل الكندى والبيرونى

والعصور الحديثة ملآى بأمثلة ذلك

فذلك إبسن الكاتب النرويجى العظيم (١٨٢٨ ـ ١٩٠٦) وواضع الدعامة الأولى للأدب المسرحى الحديث قد نشأ ليكون أول أمره كيميائياً، ولكنه وجد هواه فى كتابة الدرامة، فصبأ من الكيمياء الى الأدب . . . وفرغ له وبرع فيه

وجوته أيضاً كاد يكون عالماً يبحث فى الألوان ويضع الأصول للرسم والنحت ويؤلف فى الأزهار وفلاحة البساتين، فلما تفتح قلبه للحب قذفت به حبيباته الثمانى عشرة الى الأدب فنبغ فيه نبوغاً يكفى لوصفه أن يقول فيه كارليل « إنه أعظم أدباء العالم » ولم يستثن حتى شاكسبير ـ وهذه مبالغة لا شك من صاحب كتاب الأبطال

والكاتب الانجليزى الكبير هـ . ج . ولز هو الآخر، فلقد تعلم الكيمياء فى صغره، ثم هجر المدرسة ليكون تاجراً، ولكنه أحس ميلاً ملحاً الى التعليم، فصارع ظروف الدهر وتصاريفه وانتسب الى جامعة لندن وكد وكدح حتى نال درجة فى العلوم وعين بالفعل أستاذاً لعلم الحياة (بيولوجيا) ولبث فى منصبه لمدة ثلاث سنوات، ثم شعر بشغف شديد الى الصحافة، فاعتزل منصبه واحترفها، ثم أيقن أن الله خلقه ليكون أديباً فهجر الصحافة واحترف الأدب، فها هو اليوم أكبر كاتب اجتماعى فى العالم وكتبه تطبع بالملايين ! !

وكذلك الكاتب الأرلندى المعروف جورج مور، فانه كرس حياته فى فجر شبابه ليكون فناناً، وفتنه الرسم والتصوير، ونال فيهما أعلى الدرجات من جامعات لندن وباريس، ولكنه بعد ذلك كله شعر بسحر الأدب ينفث فى قلبه، وذلك بتأثير ادمانه قراءة الأديب الفرنسى العظيم أميل زولا فشرع يكتب قصصه الخالدة التى ينهج فيها نهج أستاذه

جوركى وروسيا السوفيتية

اشتهر مكسيم جوركى فى جميع أنحاء العالم بأنه أديب الصعاليك، وذلك لأنه يجيد الكتابة عن هذه الفئة اجادة لا يجاريه فيها أحد من الأدباء . وفى الحق أن جوركى يكتب عن الخدم وأوشاب الناس وأبناء الشوارع كأنه واحد منهم، حيَ حياتهم وتخلق بأخلاقهم . وكان الأدب معواناً له على التغلغل فى خبايا نفوسهم، فهو يصف لك خلجات العرابيد وقطاع الطرق والقتلة ومن إليهم، فتحس من وصفه أنك تجالسهم وتنغمس فيهم ! وكل ذلك بأسلوب أخاذ وعبارة رشيقة، تذكر القارئ بمواطنه البائس دستوئفسكى

وقد كانت الحرب الكبرى وبالاً على جوركى، فلقد ذاق طوالها من ضروب الفاقة والعوز ما كان تصديقاً من الزمان الصارم على ما جاء فى كتبه من وصف البؤس وذكر البائسين ! ولما وضعت الحرب أوزارها، وقام فى روسيا هذا النظام البلشفى العنيف اشتد الفتك بالناس هناك، وذاق الأهلون — ولا سيما الأدباء — ألواناً من الفاقة والعوز تنفطر من هولها القلوب ! وذهب أديب انجلترا الكبير هـ . ج . ولز ليجول جولة فى هذه البلاد التاعسة، وحل ضيفاً على صديقه جوركى ! !

وكانت حكومة الاتحاد السوفيتى قد أعدت له قصراً من أفخم قصورها لينزل فيه ... ولكنه آثر القرب من جوركى إعزازاً للصداقة وإيثاراً للأخاء ... فلما ذهب إلى منزله راعه هذا البؤس الذى خيم فى منزل أكبر أدباء العالم، وهاله العوز الشديد الذى كان يعانيه صديقه ... فما كان منه إلا أن تولى هو النفقة على المنزل طيلة وجوده فيه :

وكان جوركى يلبس أسمالاً لفتت أنظار ولز ، فباسطه وسأله إن كان لديه ملابس ؟ فتبسم جوركى وذكر أنه لا يملك غير البذلة الممزقة التى يرى ! وكان معهما الكاتب الروسى الكبير (أمفيتياتروف) فانتهز هذه الفرصة السانحة وسأل ولز أن ينزل له عن (طقم) من ملابسه حين يعتزم العودة إلى انجلترا ! وقد فعل ولز ، فانه أهدى أكثر ملابسه الخارجية إلى جوركى ، وأكثر ملابسه الداخلية إلى (أمفيتياتروف) ! ولم يفت ولز أن يذكر هذه الوقائع فى كتابه عن هذه الرحلة :

(Russian in the Shadows)

ولقد شب جوركى مع البؤس فى مهد واحد ، فلقد ولد سنة ١٨٦٨ ، ثم مات أبوه وهو يحبو على أربع ، وكفلته أمه الفلاحة القروية ، وعمل خادماً على ظهر سفينة من تلك السفن التى تمخر عباب الفلجا ، ثم صار خبازا فحمالاً فبائع تفاح ! وبسم له الحظ فالتحق بوظيفة كتابية فى مكتب محام ... وبرم بالعمل ثمة فهرب إلى جنوب روسيا يذرع الرحب ويطوى الفيافى ... ثم ظهرت مواهبه فجأة سنة ١٨٩٢ حين شرع يكتب أول قصصه ويبعث بها إلى المجلات

والعلاقة أكيدة موثقة بين الأدب الروسى والنظام البلشفى ، وهو يكاد يكون فى صميمه أدب الفقراء ... ومن هنا اعتزاز حكومة السوفييت بجوركى وغمرها إياه بالهبات والأعطيات حتى لقد كادت حياة الترف تتخمه عن أعز ما هيأته له الحياة ، ألا وهو أدب الصعاليك !

والمدهش أن يرضى جوركى عن الطاغية ستالين ، ويؤلف القصص تحبيذا لسياسته التى هى سياسة تخريب العالم ... وهذا ما أفقده عطف أعضاء لجنة نوبل ، فلم يحظ بجائزتها إلى الآن ، مع أنه أحق بها ألف مرة من كثيرين من نكرات الأدباء والأديبات الذين نالوها

وسنفرد قصص جوركى بكلمة خاصة

أدب التراجم

من المؤلم جداً أن يكون التاريخ العربى مليئاً بهذا العدد الوافر من الفلاسفة والعلماء والأدباء ولا تروج كتب التراجم عنهم بيننا ، أولا نجد من أدبائنا من يترجم لواحد منهم مع أن أحدهم جدير بأكثر من كتاب يؤلف عنه

إقرأ هذه الأسماء : الكندى . ابن سينا . ابن رشد . البيرونى . ابن منظور . القلقشندى . الأصمعى . ابن أبى أصيبعة . الجاحظ . النويرى . . . . . الخ . أفنحن قوم يقدرون تراثهم ؟ نحن لا ننكر أن غير واحد من أدبائنا طرق هذا الميدان البكر ، ولكننا إذا استثنينا أبا العلاء والغزالى وابن خلدون ورسالات مقتضبة عن الكندى والبهاء زهير والليث بن سعد وجدنا أننا فقراء جداً إلى كتب التراجم

اللغة العربية منذ مائة عام

لما أنشأ المغفور له محمد على الكبير دار صناعة الاسكندرية لصنع السفن الحربية لم يمض غير قليل حتى صار لمصر أسطول عظيم مرهوب الجانب . وكانت كلما أنزلت احدى القطع من دار الصناعة الى البحر أقيمت الحفلات وتبودلت الخطب على نحو ما يجرى هذه الأيام فى المآتم العظيمة مما نشاهد صوراً منه على الشاشة الفضية فى دور السينما . والآن اسمع هذه الكلمات فى وصف البارجة (الاسكندرية) عند نزولها الى البحر : (الوقائع المصرية عدد ٣٤٠ يناير سنة ١٨٣٢)

« ان الفليون ذا الهيئة السنية ، المجلى باسم الاسكندرية ، تعريف انشاء آلاته البهية ، وعمل أدواته الحربية ، ووصف أبعاده الثلاثية ، قد تقدم ذكره الشائع ، واندرج فى سلك السطور والوقائع . والمراد ذكره الآن قطع حبال تعلقاته من القطر البرى ، ليطير بأجنحة العنقاء فى القطر البحرى ، وقد وافق هذا غرة شعبان المعظم فى الساعة الرابعة من النهار ، حيث تجلت مشاهد الأنوار . وكان ذلك بحضرة جميع الأمراء والعظماء ، وزمرة الصلحاء والعلماء ، وقناصل الدول المستأمنين ، وقاطبة الأهلين ، مع جملة أولادهم الكبار ، وعيالهم الصغار ، وكانوا لدى ساحة الترسانة الواسعة الأرجاء ، منتشرين كنجوم السماء . وأما سعادة أفندينا ولى النعم فانه ركب الفلك بحرا ، وهلم جرا ، واستصحب عميته أحد رجال الدولة العلية .... »

ومسكينة اللغة العربية فى (هلم جرا) التى حشرت هنا حشرا !

والآن ، ما رأى الأستاذ الزيات فى الطفرة التى طفرتها اللغة العربية فى العشرين سنة الأخيرة ؟ ألسنا قد شأونا عصر ابن المقفع وأحمد بن يوسف والهمذانى وعبد الحميد الكاتب ؟

صمويل بطلر والأسرة الانجليزية

كانت الأسرة الانجليزية من قبل العصر الفكتورى إلى أواخر القرن التاسع عشر تشتهر بجمودها وركودها وتقديسها لسلطة الأب تقديساً هو إلى الرجعية أقرب منه إلى الاحترام. فلم تكن لأحد فى المنزل إرادة بجانب إرادته ، وكانت الأم نفسها خادمة لا أكثر ... تكدح طول يومها فى المطبخ أو المغسل ، أو تعد الحطب للمدفأ ، وهى فى كل ذلك لا تألو جهدا فى تلقين الأطفال محبة الوالد ، وكبت غرائزهم الثورية كلما بدرت منهم بوادر التململ أو التبرم بهذا التقديس الخانق لسلطة الأب ... وكان أكبر العبء واقعاً على الفتاة .. فلم يكن يسمح لها بتعرف الحياة ولا تشم نسيم الحرية المنعشة ، وإذا تقدم أحد لخطبتها فما عليها إلا أن تنحنى خاضعة لمشيئته

ولقد كان الأدب فى العصر الفكتورى ، برغم ما فيه من صور حلوة وطرف براقة يساعد على هذا الركود المنزلى ، ويضاعف من سلطة الأب ؛ ولكن حدث مالم يكن فى الحسبان ، فقد ظهر الكاتب النرويجى إبسن فجأة فى الميدان ؛ وإبسن هو أكبر نصير للمرأة فى العصر الحديث ؛ فقد ألف أكثر من عشرين درامة لنصرتها والاكبار من وظائفها المدنية التى تعدو الطبخ والغسل والخياطة وتفريخ الأطفال . وقد تأثر الأدباء الانجليز بإبسن النرويجى وأخذوا ينتهجون منهاجه . وكان الأديبان الكبيران چورج جسنج وصمويل بطلر فى مقدمة المتأثرين به . فقد ألف الأول كتابه New Grub Street سنة ١٨٩١ وألف الثانى The poy of All Flesh سنة ١٩٠٣ على ضوء إبسن

وصمويل بطلر هو أستاذ الكاتب الكبير چورچ برنردشو . وما زال شو يفخر بهذه التلمذة الى اليوم ، بل ما زال يتغنى بمبادئ أستاذه العظيم ويرددها فى جميع قصصه . وأهم هذه المبادئ الثورة الصارمة على جمود الأسرة ومنح أعضائها - غير الأب - كل حرية العمل فى الحياة ؛ فللفتاة أن تتزوج بمن تحب وليس لأبيها أن يحول بينها وبين مثلها العليا ، فاذا شاء أن يقسرها على شىء فلها أن تثور عليه وتضرب بإرادته عرض الأفق ؛ وللولد كذلك أن يستقل بنفسه عن أبيه ، ويعمل وحده ، ويقوى شخصيته . وعلى العموم كان يرى وجوب التحلل من مبادئ الطهريين وإطلاق الحرية للفرد . وغلا بطلر فى ثورته على الآباء فسب أباه وهجاه فأقذع ، وكأنه بذلك أفسح الطريق للشبان فقلبوا الأسرة فى انجلترا رأساً على عقب !

ومع أن نظرية التطور التى بهرت العالم أجمع كانت فى عنفوانها فى القرن التاسع عشر فقد وقف بطلر فى صف المعارضين لها ؛ ولكنه لم يقف فى صف المتدينين دفاعاً عن الدين ، بل وقف يدفع ايمان داروين بهذه المادية البحتة التى يرد اليها كل ما يحدث فى هذا العالم من خلق ورق . وكان يغيظ بطلر ما كان يقول به داروين من تنازع البقاء وبقاء القوى المحتال ، فكان بطلر نصيراً للروحيين من العلماء وفى مقدمتهم العالم الفرنسى الكبير هنرى برغسون ألد أعداء داروين

صيفية الفلاح

أوشك العام المدرسى أن ينتهى ، وسيتبطل التلاميذ أربعة أشهر حتى يعودوا الى مدارسهم ، فلو أنصفوا لصرفوها فى تعليم الفلاحين مبادئ القراءة والكتابة . إن فى مصر شعباً من الأميين لا يقل عن ٨٥٪ من مجموع سكانها ، وليس فى الدنيا عار أشد من الأمية فى هذا العصر الذى نعيش فيه . فلو أن كل تلميذ مصرى أخذ على عاتقه أن يعلم فلاحاً مصرياً أو فلاحين فى الأجازة الصيفية القادمة لانخفضت نسبة الأمية فى وطننا العزيز الى ٨٠ أو ٧٥٪ ونكون قد اقتدينا بالهند التى تحاول أن تصلح من شأن المنبوذين وتنتفع بالبقرة ! ! فهل يفعل التلاميذ ؟

د . خ



شهـــــر زاد

في اللغة الفرنسية

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

نوهت (الرسالة) في عددها الماضي بصدور ترجمة فرنسية لرواية شهر زاد للأستاذ توفيق الحكيم . وهذه شهادة ناصعة على مبلغ ازدهار حركة التجديد في مصر وعلى المستقبل المنتظر للأدب المصري بين آداب الأمم

ولما كانت الترجمة مصدرة بكلمة ليست على طراز المقدمات المألوفة بل هي من قلم عضو المجمع الفرنسي المسيو جورج ليكونت تناول فيها الرواية بالتعقيب فأحسن جلاء فكرتها . فانه ليسرنا أن ننشر تعريب هذه المقدمة فيما يلي :

« شهر زاد ! لا يتطابن القارئ تحت هذا الاسم الحالم تلك المناظر المألوفة المعهودة في ألف ليلة وليلة ، ولا أبهة الشرق كما اصطلح عليه العرف

طريق قفر . منزل منفرد في جنح الظلام . خيال مخدع الملكة متراثياً في حوض من المرمر : رمال الصحراء . وفي وسط هـذه الرسوم الرصينة عن تعمد وقصد تتجلى المأساة الخالدة : مأساة النفس الانسانية في كل زمان ومكان

هنا شهر زاد ، مجردة من بريق عقودها ومن أبرادها المذهبة تتبدى لنـا في جوهرها وكنه ذاتها . وما شأن اسمها وسماتها ؟ فلتكن لها طلعة امرأة أو طلعة الحظ أو العلم أو المجد ، فـما هي بعـد إلا الذروة اللامعة التي يتطلع إليها طماح الانسان ويستنفد جهده نحوها ؛ هي سراب بقيعة يهيج ظمأه ولا ينقع له غلة ؛ هي الملتقى المحتوم يتوانى عنده أبداً تلهف الرجاء وخيبة الأمل على لقاء موجع ووفاء فاجع

« لقد استمتعت بكل شيء ، وزهدت في كل شيء » بهذا يهتف شهريار . لم يفثأ غليـله ولم تطب نفسه بما سفكه من دم العذارى والعبيد ، وما ذاقه من سـحر ألف ليلة وليلة من ليالي الحب والفتنة قضاها بين ذراعي شهرزاد . لقد استنزف كل شيء من حيث المتعة . والذي يضني نفسه الآن إنمـا هو ظمأ جديد : « إني براء من الآدمية . لا أريد أن أشعر . أريد أن أعرف »

ومنذ هـذه الساعة تطمّ المأساة ويعبّ عبابها ، وتنحصر وتستحكم حلقاتها ، إلى أن يصبح شهريار وشهرزاد وجهاً لوجه لا يمثلان غير الصراع المحتدم بين لهفة الانسان وسر الأشياء المطويّ دونه

يسألها شهريار : « من أنت ؟ هل تحسبينني أطيق طويلاً هذا الحجاب المسدل بيني وبينك ؟ »

فتغمغم شهرزاد كالمخاطبة نفسها بهذه الكلمات الخافية المشرقة : « وهل تحسبك — أيها الطفل — لو زال هذا الحجاب تطيق عشرتي لحظة ؟ »

وليس أصدق من قولها هـذا . فان موضع العظمة في قلق الانسان أنه قلق عضال لا دواء له ؛ فضـلاً عن أنه قد يكون ضرورياً للانسان باعتباره مدعاة لاستمراره في البحث والطلب ، وعلة لهذه الغريزة التي تحفز كل جيل — بالرغم من هزائمه — على أن يعهد للجيل اللاحق شعاره وهو الأمل

ولقد كان لا بد من شاعر ليقدم في هـذا الحيز المحدود على إجمال لأحدى المأساتين العظيمتين للانسانية ؛ ولـكنه كان لا بد من شاعر شرقي رقيق الحاشـية دقيق الحس كالأستاذ توفيق الحكيم ليعالج صعوبة العمل بهـذا الافتتان في التعابير المتراصفة النظم البارعة الوشي

ولا يسعنا أيضاً إلا الثناء الجميل على الأسـتاذين خضري وموريك بران ؛ وكيف لا ، وهما قد ترجما الى اللغـة الفرنسية المطبوعة على الوضوح والتعقل عن لغة أخرى جعلت قبـل كل شيء للتعبير عن العطور والأشعار والأسرار

عبد الرحمن صدقي

فى مدى استعمال حقوق الزوجية

وما تتقيد به

فى الشريعة الاسلامية والقانون المصرى الحديث

تأليف الدكتور السعيد مصطفى السعيد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

أهدى الى صديق الدكتور السعيد مصطفى السعيد وكيل النائب العمومى بنيابة الاستئناف كتابه القيم (فى مدى استعمال حقوق الزوجية وما تتقيد به فى الشريعة الاسلامية والقانون المصرى الحديث) وهو رسالته التى نال بها عن جدارة إجازة الدكتوراه فى القانون . وقد اقتضت هذه الرسالة منه أن يراجع فى موضوعها كتب الفقه فى مذاهب أهل السنة ، وأهل الظاهر والشيعة ، وكتب الأصول والتفسير وغيرها مما يتصل بموضوع رسالته ، الى مراجع أخرى باللغتين الفرنسية والانجليزية

وهكذا دفع الدكتور السعيد بفكره المثقف بثقافته العصرية فى متوننا الأزهرية وشروحها وحواشيها لخرج منها بتلك الدرة الغالية التى جمعت بين نبل القديم وجمال الحديث ، فى حسن اجتهاد ، ودقة نظر ، واستيعاب بحث ، وتقليب للمسألة على كل وجوهها حتى يقتلها بحثاً من جميع نواحيها الشرعية والقانونية ، وهذا الى استيفاء ما يجب فى حسن التأليف من انسجام العبارة ومتانة الأسلوب ، وسلامة اللفظ ، وحسن الترتيب والتقسيم

وإنها لقوة ذكاء عجيبة يكفى فى تقديرها شهادة أستاذه الجليل الشيخ احمد ابراهيم وكيل كلية الحقوق فيما قدم به لرسالته ، إذ يقول فى ذلك : « وما أشد ما كان موفقاً لفهم نصوص الفقهاء فى كتب جميع المذاهب المختلفة المطولة مع غرابة تعبيراتها عن أمثاله لعدم إلفه إياها »

ولم يتقيد المؤلف فى رسالته بمذهب معين من المذاهب المتعددة فى الشريعة الاسلامية ، بل بحث موضوعه فى المذاهب المختلفة بقدر ما وسعه جهده ، على اعتبار أن هذه المذاهب وإن اختلف بعضها عن بعض فى شىء من التفاصيل فأساسها واحد ، وغايتها متفقة . وقد كان جهده فى ذلك غاية الجهد ، وما أظن أحداً يتصدى لموضوعه فيأتى بأوفى مما أتى به فيه ، وإنى لا أكاد أملك نفسى من السرور حين أجده تنتهى به دراسته لموضوعه إلى هذه الغاية التى لو عمل فى سبيلها نظراؤه فى كلية الحقوق لكان لنا قضاء مستقل وقانون خاص بنا نباهى به غيرنا من الشعوب . ولندع المؤلف يحدثنا عن هذه الغاية التى وصل اليها فى دراسته ، قال : (وقد تبين لنا أن تقييد الحقوق الفردية فى الشريعة الاسلامية كان أوسع مجالا وأبلغ أثراً مما يحاوله الفقه الحديث بنظرية سوء استعمال الحق ، وإن هذه النظرية الناشئة لم تبلغ مابلغته مثيلتها فى الفقه الاسلامى منذ مئات السنين ؛ وهذا طبيعى ، فان النظرية التى تقرب أحكام القانون لقواعد الأخلاق ـ وكثيراً ما عمل فقهاء القانون الحديث على الفصل بينهما ـ يتسع لها المجال فى تشريع أساسه الدين ، وهو يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)

ثم قال : (ويجدر بنا أن نختم بحثنا بالاشارة الى أننا أغنياء بفقهنا عن أن نستعين بغيره من مستحدثات القوانين . وإن الشريعة الاسلامية التى وسعت العالم الاسلامى فى أزهى عصوره وقضت حاجة بلادنا من التشريع مئات السنين ، لا تقصر عن أن تكون أصلح مصدر للمشرع يأخذ منه أحكام قانون مدنى موحد)

وليعذرنى القراء بعد هذا إذا أنا سلكت فى كتابتى عن هذه الرسالة سبيل التقريظ ، فان مؤلفها على ما بالغ فيها من البسط لم يدع فيها مجالاً للانتقاد ولا محلاً للمؤاخذة ، اللهم إلا ما ذكره فى صفحة ـ ١٤٦ ـ من انتقاد تفسير الأستاذ الامام لقوله تعالى (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ؛ ذلك أدنى ألا تعولوا) أى أقرب من عدم الجور والظلم ، وقد جعل البعد من الجور سبباً فى هذا التشريع ، فانتقده المؤلف بأن تأويل آية التعدد يؤدى إلى اعتبار التعدد مباحا فى الأصل ، ويكون البعد من الجور قيداً لهذا الحق الأصيل ، والقيد لا يكون سبباً فى تشريع الحق الذى يتقيد به ، فانه يمكن أن يحمل كلام الأستاذ الامام على تشريع الاقتصار على واحدة عند خوف الجور ، لا على تشريع التعدد الذى اعتبر البعد من الجور قيداً له

هذا وقد استفدت من قراءة هذه الرسالة أمراً أحب أن أنبه إخواننا الأزهريين اليه ليأخذوا له عدته ، فقد رأيت بعد قراءة هذه الرسالة أنا سائرون الى فتح باب الاجتهاد بخطى سريعة ، وأن الأستاذ الجليل الشيخ أحمد ابراهيم إذا ظفر بعدد من التلاميذ النبهاء مثل ما ظفر بتلميذه النابه المجتهد صاحب هذه الرسالة ، فانه سيسبقنا بتلاميذه الى فتح هذا الباب المغلق . ولا يدرى إلا الله ماذا يكون إذا تم فتح هذا الباب على يد غيرنا ، فلنفكر ولنتدبر ؟

عبد المتعال الصعيدى

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٣ – ٨ يونيه سنة ١٩٣٦ – السنة الرابعة

4 me Année, No. 153.

Lundi - 8 - 6 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ٨ يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة
٩٢١ إلى صديقى أحمد أمين : الدكتور طه حسين بك ... ...
٩٢٣ ذات الثوب الأرجوانى : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
٩٢٦ المغالطة فى الوسائل والغايات : الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...
٩٢٨ المأساة الفلسطينية ... : باحث دبلوماسى كبير ... ...
٩٣٠ قصة المكروب ... ... : ترجمة الدكتور أحمد زكى ...
٩٣٣ اليوم السابع من مارس ... : الدكتور يوسف هيكل ... ...
٩٣٥ المتنبي يعشق ... ... : الأستاذ محمد سعيد العريان ...
٩٣٨ اشتغال العرب بالأدب المقارن : الأستاذ خليل هنداوى ...
٩٤١ العجوزات ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٩٤٤ ذكرى المولد الشريف (قصيدة) : الأستاذ أحمد محرم ... ...
٩٤٦ نشيد وطنى ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...
٩٤٧ محمد الصغير (قصة) : الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٩٥٠ لايوس وأوديب « : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٩٥٢ المباحث المصرية والعلم الحديث . كشف جديد بصحراء الأهرام
٩٥٣ إلى زميلنا صاحب (المكشوف) ... ...
٩٥٣ عدد الطلاب فى الامتحانات العامة ... ...
٩٥٣ أزفالد شبنجلر ... ...
٩٥٤ مصادرة كتاب عن البلاط النمسوى . ذكرى مخترع شهير ...
٩٥٥ أشهر كتب الخلاصات الحديثة
٩٥٦ يكون بين النقص والكمال : د . خ ... ...
٩٥٧ ترجمة القرآن . هافلوك أليس
٩٥٩ بغداد أو المدينة المدورة (كتاب) : الأستاذ ابراهيم الواعظ
٩٦٠ إصلاح خطأ المحدثين « : برهان الدين محمد الداغستانى

فى النقد

إلى صديقى أحمد أمين

للدكتور طه حسين بك

أخى العزيز :

قرأت فصلك الأخير الذى تناولت فيه النقد فصورت ما رأيت من ضعفه ، والتمست له العلل والأسباب . وما أكثر ما يمكن أن يتصل بينك وبينى من الجدل لو أننى وقفت عند هذه القضايا التى أرسلتها ارسالاً ، وحكمت بها على النقد قبل عشرين سنة ، وعلى النقد الآن ؛ وعلى الأدب قبل عشرين سنة ، وعلى الأدب الآن ! ولكن الفصل فصل صيف ، لا يسمح بالجدل الطويل والحوار المتصل ، لأننا مشغولون عن هذا وذاك بما تعلم من أعمالنا اليومية الثقيلة التى يقتضيها آخر النشاط الدراسى وأول هذه الأيام التى يفرغ فيها كل منا لنفسه ودرسه وراحته وراحة من يتصلون به ، فلن أجادلك فى أكثر هذه القضايا التى لا أكاد أقبل رأيك فيها . ولو أنى أرسلت نفسى على سجيتها لما جادلتك فى شىء مما ألممت به فى هذا الفصل ،

ولقرأته كما أقرأ كثيراً مما تكتب مستمتعاً دائماً ، عارفاً أحياناً ، ومنكراً أحياناً ، ومتحدثاً اليك بما أعرف من آرائك وما أنكر

نعم لو أنى أرسلت نفسى على سجيتها لا كتفيت بما كان بينك وبينى من حديث أول أمس ، ولكنى مدفوع هذه المرة الى أن أتجاوز السجية ، وأخرج عن العادة المألوفة ، وأرد بعض الأمر الى نصابه ، لأنك تجاوزت فيه ما ينبغى من الانصاف . وأنا أبرأ اليك من الغرور وأربأ بك عن الجور ، وما أشك فى أن أمثالى من الكتاب الذين عرَّضت بهم أو عرضت لهم فى فصك القيم يبرأون اليك مثلى من الغرور ويربأون بك مثلى عن الجور ، ويرون مثلى أنك عرضت لقضية النقد ولقضيتهم هم فى النقد عرضاً سريعاً ، حظ اللباقة فيه أعظم من حظ التثبت والتدبر والأناة

وأظنك قد عرفت الآن القضية التى أريد أن أجادلك فيها ، والمذهب الذى أود لو أصرفك عنه . فأنت ترى أن جماعة النقاد الذين كانت اليهم قيادة الرأى الأدبى ، أو قيادة الحياة العقلية منذ حين ، قد اصطنعوا الشجاعة أول أمرهم ، وآثروا الصراحة وكانت الصراحة لهم خلقا ، فكتبوا كما كانوا يرون ، وأخذوا بحظوظهم الطبيعية من الحرية ؛ لم يحفلوا بالجمهور ، ولم يخافوا الرأى العام ، ولم يحسبوا لمقاومة المحافظين حساباً . ونشأ عن شجاعتهم تلك ، وعن صراحتهم هذه ، أن بعثوا فى الحياة العقلية نشاطاً لم تألفه مصر ، فكان الصراع العنيف بين القديم والجديد ، وكان الخصام الشديد بين الحرية والرجعية ، وألفت الكتب ونشرت المقالات وأذيعت الفصول ، وانتفع الأدب بهذا كله واستفاد النقد . وكل هذا صحيح عندى لا شك فيه ، ولكنك ترى بعد ذلك أن هؤلاء الكتاب قد أوذوا فى مناصبهم وفى أنفسهم وفى سمعتهم وفى أرزاقهم ، فلم يثبتوا للأذى ، ولم يمضوا فى المقاومة ، ولم يعنهم أتباعهم وأولياؤهم على الثبات ، وإنما عطفوا عليهم عطفا أفلاطونياً لا يشبه ما يجده أمثالهم فى أوربا من الأتباع والأولياء ، فلانوا ودانوا ، وجاروا وداروا ، وآثروا العافية ومضوا مع الجمهور الى حيث أراد الجمهور ، ونشأ الجيل الجديد فاقتدى باخوته الكبار وسار سيرتهم ، وأصبح النقد مصانعة ومتابعة ، وأصبح الأدب تملقا وتقليدا

وهذا أيها الأخ العزيز هو الذى أخالفك فيه أشد الخلاف ، وأنكره عليك أعظم الانكار ، يدفعنى إلى ذلك أمران : أحدهما أن رأيك بعيد كل البعد عن أن يصور الحق ؛ والثانى أن رأيك يمسنى ، وأؤكد لك أنه يحفظنى كل الاحفاظ ويؤذينى كل الايذاء ؛ ولعله يحفظنى ويؤذينى أكثر مما أحفظنى وآذانى كل ما لقيت من ألوان المشقة والاعنات . فهل من الحق أن هؤلاء الكتاب الذين تشير اليهم قد أدركهم الضعف والوهن ، فمالأوا الجمهور ، وصانعوا السلطان ، وآثروا العافية فى أنفسهم وأموالهم ومناصبهم ؟ ومتى كان هذا ؟ أحين عصفت العواصف بمصر فأفسدت أمرها السياسى والعقلى وألغت نظامها الحر إلغاء ، وفرضت عليها نظاماً آخر مصنوعاً ألغيت فيه كرامة الأفراد والجماعات وتجاوز العبث فيه بالحرية كل حد معقول ؟ تعال أيها الأخ العزيز نبحث معاً عن هؤلاء الكتاب أين كانوا فى ذلك الوقت ؟ وماذا صنعوا ؟ والى أى حد جاروا وداروا وآثروا العافية ؟ لست فى حاجة الى أن أسميهم ، فأنت تعرفهم كما يعرفهم الناس جميعاً . لم يكن لأكثرهم منصب فى الدولة ؛ ولعلى كنت من بينهم الوحيد الذى كان يشغل منصباً من المناصب ، فلما عصفت العاصفة أقصيت عن هذا المنصب فأدركت الزملاء ، ووقفت معهم حيث كانوا يقفون ، ومضينا جميعاً الى حيث كان يجب أن نمضى ، واحتملنا جميعاً ما كان ينبغى أن نحتمل من الأثقال . فكنا أيها الأخ العزيز ألسنة الساسة ، وسيوف القادة ، والسفراء بينهم وبين الشعب . وكنا سياطاً فى أيدى الشعب يمزق بها جلود الظالمين تمزيقاً . وكنت ترى وكان غيرك يرى آثارنا فى الظلم والظالمين ، وبلاءنا فى مقاومة العدوان والمعتدين ، وحفاظنا لهذا الشعب الذى لم يكن له قوة إلا قوتنا يومئذ . وكنتم تعجبون منا بذلك وتحمدونه لنا وتؤيدوننا فيه . وكنتم تقومون على الشاطئ وتروننا ونحن نغالب الأمواج ونقاوم العواصف نظهر عليها حيناً وتظهر علينا أحياناً ، فكان بعض الناس يصفق لنا إذا خلا الى نفسه لا إذا رآه الناس ، ويعطف علينا إذا لم يحس السلطان منه هذا العطف . ولست أزعم أنى قد استأثرت بهذا الفضل ، فقد كان نصيبى منه أقل من نصيب كثير من الزملاء . لم أدخل السجن وقد دخله منهم من دخله . أترى أن مواقفنا تلك كانت مواقف المنهزمين ؟ أترى أنا شغلنا عن النقد الأدبى بأنفسنا وأموالنا وإيثارنا للعافية ومجاراتنا

[البقية على صفحة ٩٥٧]

ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

— ١ —

(ملاحظة — الكلام ليس شخصياً وإن كان بلسان المتكلم ، وذات الثوب المذكورة هنا لا وجود لها إلا فى الخيال)

لم يكن الأرجوانى ثوبها الوحيد — وكيف يمكن أن يكون ؟ — ولا كان كل ما تلبس حين تبرز ، ولكنه كان أحلى ما تكتسى وأشبهه بخديها — فى رأى العين ، وفى احساس القلب أيضاً — وقد رأيتها فى ثياب شتى وأردية متنوعة — فى الشفوف والأفواف ، وفى السبائب المضلعة ، والمطارف المربعة ، وفيما عليه من الخطوط كأفاويق السهم ، ومن النقوش كهيئة الطير ، ومن الصور كرسم العيون ، وفى الأبيض والأخضر والأزرق ، ولكنه لم يقع من نفسى شىء من هذا كله كموقع هذا الثوب الأرجوانى الذى لا نقش فيه ولا صور ولا ترابيع ولا تداوير ولا تضاليع ولا خطوط ولا وشى ولا نمنمة . ومن العسير أن يعلل المرء هذا الشعور بوقع ثوب معين ؛ وأحسب أنى لو قلت ما يجول فى خاطرى ساعة أراها بادية فيه — أو مجلوة على الأصح — لظننى القارئ عربيداً مستهتكا ، وما أنا من هذا فى قليل ولا كثير . وليصدق القارئ أو لا يصدق ، فما يعنينى ماذا يظن بى . وقديماً قلت — أيام كنت أقول الشعر — :

قد أفعل الشىء لا أبغى به أملا ولا أبالى الورى ماذا يقولونا
همى ضميرى ـ فان أرضيته فعلى رأى العباد سلام المستخفينا

وما زلت كما كنت يوم قلت هذا ، بل لعلى أسرفت فى قلة المبالاة ، حتى صرت إلى الاستخفاف المطلق

ولأرجع إلى ذات الثوب الأرجوانى ، فانها أحق بالكلام وأولى به منى ، وكم قلت لنفسى وأنا أراعيها : « بأى شىء يا ترى عكن أن تتوسل إلى مثلها ؟ .... لا أنت جميل ولا محتمل .... ولا لك مال ... ولا فى رأسك هذا عقل ... أو ليس لو كنت تعقل أما كنت حرياً بالانصراف عن هذا العبث ؟ .... ماذا ترجو منها ؟ ... فى أى شىء تطمع ؟ ... إنها دونك سناً ، وأنت دونها فى كل شىء ... فلا خير فيك لها أو لمثلها »

ثم أعود فأقول لنفسى : « عن أى شىء تتكلم يا هذا ؟ ... الجمال ؟ .. سبحان الله العظيم ! إن الجمال هو سلاح المرأة ، فحظها منه ينبغى أن يكون موفوراً ، وإلا زهد فيها الرجال ، إذ كان لا مزية لها غير ذلك ... ولكن الرجل شىء آخر ، وسلاحه فى الحياة قوته وقدرته على الكفاح ... لا هذه الأصباغ والألوان التى لا تلبث أن تحول .. فدع الجمال ، فانه شىء يطلب فى المرأة ولا يطلب فى الرجل ... وماذا غيره ؟ ... إنك غير محتمل ؟ ؟ .. لماذا بالله ؟ ؟ لماذا تظلم نفسك وتبخسها هذا البخس ؟ .. ومع ذلك هذا شىء يترك لتقدير الغير ولا يجوز أن تكون أنت الحكم فيه ... يعنى ماذا ؟ ... أترانى أهرب بهذه السفسطة من التقدير ؟ ... لا ... ولكنى ينقصنى أن أعرف الرجل الذى يستحيل أن يهتدى إلى امرأة تحبه ، مهما بلغ من رأى الرجال فيه أو من سوء رأيه هو فى نفسه ... أو لم تسمع بالمثل القائل : « كل فولة لها كيال ؟ » ، ألسنا نقول ذلك كما رأينا رجلا ثقيلاً تحبه امرأة جميلة كانت تستطيع أن تجد ألف عاشق لها غير هذا الجلف أو السمج ، أو ما شئت غير ذلك من الأوصاف التى لا تهون على النفس ؟ ومع ذلك هذه مبالغة ، فما أنا بحيث أحتاج إلى التعزى بأن كل فولة لها كيال ... أعوذ بالله ... بقى المال والعقل ... والكلام فى هذا كلام فارغ ... فليس من الضرورى أن يكون المرء نداً لروتشيلد لكى تحبه المرأة مهما بلغ من جمالها . وليت من يدرى بماذا فاز روتشيلد من حب الجميلات فى حياته ؟ ومتى كان المال يشترى الحب ؟ كذلك ليس من الضرورى أن يكون المرء سقراطا أو غيره من أصحاب العقول الضخمة ليكون محبوباً .. ومع ذلك سل سقراط عن تعذيب امرأته له ، وتنغيصها حياته ، وتسويدها عيشه ! ... ماذا ترى نفعه عقله وفلسفته ؟ ... لا يا سيدى ! الحب شىء لا ضابط له إلا تقدير المرأة للرجل الذى تحس بغريزتها أنه أصلح لها من سواه ؛ وقد تكون مخطئة ، ولكن هذا هو العامل الموجه لها فى اختيارها ... إذن هناك أمل ؟ ... بالطبع ! ... ما هذه الحماقة ! ... إنها ولا شك عادة التفكير الطويل فى كل

أمر ... وهى عادة تضعف الثقة بالنفس ، وتفقدها الشجاعة اللازمة للاقدام »

ودارت فى نفسى كلمة الاقدام بعد أن نطقت بها — فى سرى ، وهل أنا مجنون حتى أتكلم بصوت عال يسمعه من فى البيت فتكون النتيجة أن يخربوا بيتى ؟ — فلم يسعنى إلا أن أسأل نفسى : « الاقدام على أى شىء ؟ . . هذه فتاة أراها — وترانى هى أيضاً فما يسعها إلا أن ترى ، أعنى ترانى — ومن طول ما اعتدت أن أراها صرت أحس أنها أصبحت تشغل مكاناً فى نفسى .. مغالطة !!. كأن كل الذنب فى حبها أنى رأيتها مراراً .. ولولا ذلك لما حفلت نفسى بها ! ؟ ! أهـذا ما أريد أن أقوله أو أدعيه ؟ ؟ . لا يا سيدى ! . . يحسن ما دمت أناجى نفسى أن أكون صريحاً معها ، وإلا فما الفرق بين نجوى النفس ومحادثة الأغراب ؟ ؟ . وأعود إلى الاقدام . . وأسأل على أى شىء ؟ . . على أى شىء ؟ ؟ أو ليس الامر بديهياً ؟ . تشير اليها . . تظهر لها هذا الحب . . كيف بالله تريد منها أن تعرف أنك تحبها وأنك تروم أن تبادلها هذا الحب ؟ ! « تشم على ظهر يدها » كما يقول المثل العامى ؟ ؟ . حسن . . وصحيح هذا بلا شك ، ولكن ألا يمكن أن تعرف من نظرة العين وحـدها ؟ ؟ بلى ! . وإن للمرأة لقدرة على الاحساس بشعور الرجال نحوها ، ولو كان بينهم وبينها ألف سور وسور . . . ما هـذه المبالغة ؟ . مبالغة ؟ ! ألم أسأل امرأة هـذا السؤال فكان جوابها أنى أكون سائرة فى الطريق فأشعر بنوع النظرة التى يرمينى بها من يتفق أن يكون سائراً خلفى ؟ . فاذا أسقطنا المبالغة من هذا الكلام كان مؤداه أن المرأة يسعها أن تدرك أتحبها أولا تحبها من نظرة عينك ؟ . بل هـذا يسع أى انسان لا المرأة وحدها . . . ولكن إذا اكتفينا بالنظر ودلالته ، فماذا يكون بعـد ذلك ؟ ! هل تروم منها أن تبدأك هى بالكلام وتقول لك : « يا سيدى إنى أعرف أنك تحبنى فانا أشكرك على تشريفى بهذا الحب الذى لا أستحقه ، وأؤكد لك أنى لست أهلاً لحب رجل عظيم مثلك ؟ سبحان الله العظيم . . ما هـذا البرود ؟ . إن الرجل حين يحب امرأة يكون معنى هذا أنه يريد أن يستولى عليها — هـذا إذا كان رجلاً عادياً سليماً لا مريضاً — والرغبة فى الاستيلاء تجعل من واجبه هو أن يسعى للتغلب على ما عسى أن يكون هناك من مقاومة ، وليس ثم فرق بين غزو قلب وغزو مدينة ؛ والحقيقة الجوهرية فى كلتا الحالتين واحـدة ، وإن اختلفت المظاهر ؛ وكما أن هناك مدناً لا يكاد الجيش يزحف عليها حتى تسرع الى التسليم ، كذلك نجد قلوباً لا تكاد العين تفوق اليها سهما حتى تذعن وتفتح بابه . غير أن هناك قلوباً لا يسهل إخضاعها ولا بد من الكر عليها ، وليست كل امرأة ككل امرأة ، فالذى يجـدى مع هذه قد لا يجدى مع تلك لتفاوت الأمزجة واختلاف الطباع ؛ وما أظن صاحبتنا ذات الثوب الارجوانى بالعسيرة ، وإن لى لمواناً عليها من شبابها وغرارتها ومن حياة العزلة والحرمان التى تحياها . والشباب هو زمن الفورة والاضطرام فى العواطف ، والحرمان والعزلة يجعلان العواطف الطبيعية أشـد استعداداً للاضطرام السريع والتسـعر لأقل اتصال . وهل طبيعى ألا تعرف الحياة فتاة فى عنفوان صباها إلا من النافذة وإلا من كتاب — أو رواية — تقرأه وهى فى الشرفة ؟ . ماذا تعرف هـذه عن الحياة ؟ . وماذا خبرت من أحوال الناس وأساليبهم ؟ . كيف تستطيع أن تقاوم ما تهدد به ؟ بل كيف تعرف أنهـا مهددة بشىء حتى تفكر فى المقاومة ؟ ؟ . هذه هى فى الشرفة واقفة تنظر من هذا الارتفاع الذى لا يمكن أن تستبين منه شيئاً . . . لمـاذا تلبس هذا الثوب الارجوانى الأنيق الذى يبدى للعين خطوط جسمها جميعاً وانحناءاته كلها ويجلو مفاتنها ولا يحجب شيئاً منها ؟. . أليست تلبسه لتبدو فيه كأجمل ما تكون وفى أفتن صورة ؟ . . تعرض محاسنها هذا العرض البديع ولا تجد فى مكانها العالى هـذا من يقدرها ! ! . والناس لا يشعرون بالحرمان منهـا لأن غيرها فى الدنيا كثيرات . . . ولكن هى . . . هى . . . أليس المعقول — وهى تنظر إلى الرائحين والرائحات والغادين والغاديات — أن تشعر شعوراً حاداً بمـا هو مكتوب عليها من الحرمان ؟ . . ومع هذا الشعور المستمر ماذا تقدر أن تكون النتيجة إذا اتفق أن اتصلت أسبابها أو هى اتصال بأسباب رجل يصفو بوده إليها وتأنس هى منه هذا الميل ؟ . يخفق قلبها على الرغم منها . . وتلفى نفسها معنية بهـذا الرجل الذى يوليها العناية التى حرمتها فى حياتها ، ويظهر لها الحب الذى لا يستطيع أن يظهره لها أخوها

أو أبوها لأنه من نوع آخر ، ولا يغنى عنه حب الأم والأخت ومن إليهما . وتشغل خواطرها بالتفكير فى هذا الانسان الذى لا يفتأ ينظر إليها وفى عينيه نور الحب . . . وقد يكون كاذباً أو مخادعاً ، ولكنها لا تستطيع أن تعرف هذا لأنها غريرة لم تجرب الناس ولم تعرف الحياة إلا من نافذة بيتها . . . فتراها تبدو فى حفل من الزينة — ولم تكن تعنى بأمر زينتها كل هـــذه العناية — وتكون واقفة مع صاحبة لها تحدثها فتتحول عينها إليك وتخالسك النظر ... ويكون الكلام عادياً جداً لا يستدعى كل هذه الحركة ولا يستوجب هذه الضحكات المتوالية التى يميل لها الجسم كل مميل ... ولا تزال وهى تتكلم تهز رأسها وتسوى شعرها بيديها وتخرج وتدخل ولا شىء هنالك تدخل له ، ولكنه الشعور المتقد القلق ، والعواطف المشبوبة لأنها محبوسة تريد أن تنفجر من طول الكبت ... وهذا الدبوس الذى تشيله وتحطه لم يكن قلقاً فى موضعه من شعرها ولكن نفسها هى القلقة ، فيدها لا تهدأ ولا تسكن ولا تستطيع أن تكف عن الحركة ... وهذا الثوب الجديد الذى لم يفصل والذى تنشره فى الشرفة لزائرتها كان فى وسعها أن تعرضه عليها فى الغرفة ولكنها حركة عصبية تشى بالاضطراب النفسى ... وهذا النبات الذى اتصل بعضه ببعض على جانب الشرفة والذى يحجب من فيها عن عيون الجيران هل تظن أنه يحتاج إلى تسوية ؟ . لا . ولكن يدها مع ذلك لا تزال وأنت ناظر إليهـا تعبث بأوراقه النضيرة وقد تنظر إليك عن عرض وهى تفعل ذلك ... ولا تحسب أنها تغازلك فما تفعل شيئاً من ذلك ولكنه لا يسعها إلا أن تنظر إليك خلسة من حين إلى حين ، لأنه يسرها أن تراك ناظراً إليها وأن تعلم أنك مشغول بها حتى ولو أبدت الضجر من ذلك أحياناً . وإذا لم ينظر الرجل إلى المرأة فماذا يكون مصيرها ؟ . وما ذا عسى أن تصنع بنفسها ! . . وهى تغيب عنك وتحتجب — يوماً كاملاً أو ساعات — لظنها أن احتجابها يسعر النار التى فى صدرك ويرق بألسنة اللهيب الى السماء . وهى تقضى على نفسها بهذا الاحتجاب وخواطرها كلها معك وان كانت تكلم أمها وأخاها وأباها كأنما خلت بها الملهيات الحاضرة التافهة عن كل ذكر لك . وليست المرأة بشىء إذا لم تكن قادرة على هذه المخادعة البريئة . والشرفة الأخرى ليست فى جانب غير هذا من البيت ، بل الاثنتان على صف واحد ، وليست إحداهما بأوسع أو آنق أو أحلى ، ولكنها تنتقل من هذه الى تلك لغير حكمة ظاهرة ، إلا أنها تريد أن تفهمك أنها لا تحب أن تراها ولا ترتاح لطول تحديقك فيها . . وليس هذا بصحيح ، ولكن المرأة هكذا أبدا . . . وتجلس فى الشرفة على الكرسى وفى يدها الكتاب وتتعمد أن توليك ظهرها وأن تجعل وجهها الى ناحية أخرى لتوهمك أنها غير راغبة فيما ترميها به من النظرات . . ولا تقرأ شيئاً لأنها لا تقلب الصفحة إذ كان عقلها مشغولاً بك وهل لا تزال واقفاً ؟ . وهل تراك تنظر الى غيرها ؟ . وهل أنت ضاحك أو عابس ؟. وما ذا كان وقع هذا الاعراض فى نفسك ؟. هل آلمك جداً ؟ . هل أغضبك ؟ . أو زادك تعلقاً بها واقبالاً عليها ؟ . وتمد ساقها وتهزها لتلفت نظرك الى جمالها . وتنهض واقفة وتنحنى لتضع الكتاب على الكرسى ثم تخرج من الشرفة — لا لحاجة — بل لتريك خط ظهرها وبراعته وفتنته . . . وترفع رأسها قليـلاً — وعلى مهل — حتى تحاذى عينها حافة الشرفة لتنظر أباق أنت أم مللت وذهبت ؟ ؟ . وتراك تتهيأ للخروج فتختفى وعينها عليك من وراء الأسـتار — وفى ظنها أنك لا تفطن الى ذلك — فاذا انحدرت الى الشارع برزت فى الشرفة لتلقى عليك نظرة أخيرة . . . ويجىء الليل فتجلس فى الظلام وأنت فى النور لتراك ولا تراها . . وإذا جاء وقت النوم أغلقت باب الشرفة بعنف لا تدعو إليـه أى ضرورة سوى أنها تريد أن تؤذنك بذلك

هذه حياة المسكينـة وهذا ما يحوجها اليه ما هى فيه من العزلة والحرمان الدائم . وأى قدرة لمثلها أو عسر يمكن أن يكون فيها الا عسر السجن . . . كان الله فى عونها فانى أرانى أعطف عليها وأرثى لها فى محنتها هذه أكثر مما أرانى أحبها . وسلام عليها

ابراهيم عبد القادر المازنى

المغــــالطة

فى الوسائل والغايات

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كل انسان ظالم فى أمر واحد أو أكثر من أمر واحد من أمور الحياة ، فان المرء قد تميل به رغائب نفســه وحاجاتها وشعورها حتى يحسب غايته الدنيئة ، ومقصده الوضيع ، ورغبته الخسيسة ، غاية عالية ، ومقصداً نبيلاً ، ورغبة شريفة ؛ وأساسها لو فطن له الغرور والاعجاب بالنفس ، أو محاولة اخفاء نقائصها ، أو محاولة كسب الجاه ، أو المنفعة من حساب غيره ؛ ومتى تهيأ له قبول الغاية الدنيئة ، كأنها غاية نبيلة سهل عليه أن يغالط نفسه مغالطة أخرى ، فيزعم أن الغاية النبيلة تزكى الواسطة الدنيئة . ولا تجد بين الناس من لا يغالط نفسه هذه المغالطة أيضاً فى أمر واحد أو أكثر من أمر واحد من أمور الحياة

وهذه المغالطة المزدوجة تجعل المرء يزكى الواسطة الدنيئة بالغاية الدنيئة ، لأنه أولاً غالط نفســه فحسب الغاية الدنيئة غير دنيئة ، ثم غالط نفسه وحسب هذه الغاية تبرر الواسطة الدنيئة ؛ وقد يغالط المرء نفسه مغالطة ثالثة ، فيحسب الواسطة الدنيئة نبيلة ، وهذا من قبيل الاحتياط إذا لم يستطع أن يزكى عمله لدى الناس بمبدأ تبرير الواسطة بالغاية

وهذه المغالطات الثلاث تصل بالمرء إلى حالة نفسية يرى فيها أنه يحاول بلوغ الغاية النبيلة بالوسيلة النبيلة ، وهو إنما يحاول بلوغ الغاية الدنيئة بالوسيلة الدنيئة . وقلما يفطن الناس إلى هذه المغالطات فى أنفسهم ، وقد يعمون عنها فى نفوس معاشريهم ، فالمرء قد يكون مدفوعاً فى سلوكه بما ركب فى نفسه من طبائع الشر ، أو لأنه يمنى نفسه أن فى قوله أو عمله منفعة لنفسه ، أو لأنه يرى فيهما إعلاء لنفسه أو لرغبته فى الظهور بمظهر الغيرة على الخير والحق ومظهر كره الباطل والشر أو لسبب آخر من أسباب عديدة متنوعة ، ولكنه لا يزال يروض نفسه حتى يصرفها عن الأسباب الحقيقية وحتى تعتقد نبل غايتها ومقصدها ، وأن مطلبها الحق أو الفضيلة أو الخير أو الدين ، وقلما تجد فى الناس من يعجز عن أن يقنع نفسه أنه إنما يعادى أو يصادق من أجل هذه المطالب النبيلة الشريفة ، فاذا اقتنعت سهل عليها أن تتخذ الوسائل الدنيئة لمحاربة من ترى فى محاربته ظاهرة انتصار منها لهذه المطالب ، فتتخذ من وسائلها النميمة والكذب واستثارة الأحقاد بالنميمة والغيبة والكذب ، وكل هذه وسائل دنيئة ، وتحيل النفس على المبدأ المعروف الذى يقول أصحابه إن الغاية تبرر الواسطة ، فتكون النفس قد خطت خطوتين فى المغالطة والايهام : الأولى تحويلها الغاية الدنيئة إلى غاية نبيلة ، وهذه خطوة خطتها كى تخطو الخطوة الثانية وهى اعتناق مذهب المبررين للواسطة بنبل الغاية ، ولو أصبح هذا المذهب عقيدة عامة مقدسة لانهارت أركان الديانات وتفككت عن النفوس عرى الفضائل وانحلت قيودها وتسفلت النفوس ، ولكن النفوس تأخذ بهذا المبدأ عملياً وفى خفية أو تنبه بطريق الايحاء وهو من أسباب تحول النفوس عن الخير والفضيلة حتى على خفاء العمل به والاحتيال لتزكيته بوسائل النفوس الجشعة المتعطشة للمكاسب كما هى نفوس أكثر الناس فى أحوال كثيرة

وأحسب أنه لولا المغالطة الأولى أى الوهم الذى يقلب الغاية الوضيعة ويجعلها غاية شريفة لما كثر أخذ الناس بالمبدأ الذى يبرر الواسطة بالغاية النبيلة ، إذ أن تلك المغالطة الأولى هى الأساس الذى يبنى عليه هــذا المبدأ فى كثير من الأحوال والذى يبيح للناس كل وسائل الشر فيواقعونها وهم يحسبون أنهم على خير وإلى خير وفضل

وإذا تتبعت غايات الناس فى مساعيهم المختلفة وجدت أن كلاً منهم مهما سفلت غايته يزكيها ويرفع من شأنها ويلبسها لباس الفضيلة أمام نفسه وأمام الناس ، وهو يفعل ذلك إذا كانت غايته وضيعة أكثر مما يفعل إذا كانت غايته رفيعة ، لأن الغاية الرفيعة ليست فى حاجة إلى كل هذا الجهد ، وعلى قدر شعور المرء بحقارة غايته تكون رغبته فى مغالطة نفسه ، وعلى قدر تسفل تلك الغاية يكون غيظه وحنقه ممن يطلعه أو يطلع الناس على حقيقة غايته وأسبابه التى يخفيها . ومن العجيب أنه يحاول أن يستفيد أيضاً من هــذا الغيظ الذى سببه الأنانية فيظهره بمظهر الغضب للحق أو الفضل أو الخير أو الدين ولا يزال بنفسه حتى يقنعها أن غيظها ليس غيظ الأنانى المحنق الذى اطلع أو كاد أن يطلع أو يخشى أن يطلع النــاس على دناءة غاياته أو وسائله فيوهمها أنه غيظ مقدس نبيل وغضب شريف ، وهى إذا اقتنعت واعتقدت ذلك سهل عليها اقناع الناس بمــا اقتنعت به من باطل ، وهنا

منشأوهم كبير يقع فيه الناس، فانهم إذا أبصروا إنساناً عظيم التأثير فى النــاس تعديهم شدة اعتقاده واقتناعه حكموا أنه على حق، ولا سيما إذا كان الحاكم هذا الحكم قليل الخبرة بالنفس الانسانية، فاذا زادت خبرته بالنفس علم أن شدة اعتقاد الانسان وعظم اقتناعه وما ينشأ عنهما من عدوى تؤدى إلى شدة اعتقاد الناس وعظم اقتناعهم لا يدل على أن هذا الانسان على حق فيما يعتقد وفيما أعدى الناس اقتناعه به، ولـكنها سنة مألوفة لدى الباحث فى النفس وهى أن الاحساس الشديد ينتقل كالعدوى لشدته وكذلك الاقتناع العظيم ينتقل من نفس إلى نفس كالعدوى لعظمه لا لصوابه، ولما كان الاقتناع المؤسس على الحقد أو الأنانية شديداً لأنه مؤسس على إحساس شديد وهو الحقــد أو الأنانية سهل انتقاله إلى نفوس النــاس شأن كل اقتناع مؤسس على إحساس شيء شديد آخر، وأحسب أن الناس معذورون بعض العذر فى هذه المغالطات النفسية وفى بعض هذا الغيظ والحنق إذا كشف كاشف عن تسفل غاياتهم أو وسائلهم لأنه إذا أتيح لأكثر الناس فهم حقارة غاياتهم ووسائلهم والتأثر بهذا الفهم والتألم من أجل تلك الحقارة ضاعت ثقتهم بأنفسهم وضاعت ثقة الناس بهم واعتراهم الضعف فى معالجة أمور الحياة ومعالجة مطالبهم فيها ولا مراء أن بعض هــذه النتائج محمود إذا بلغت بهم منزلة القصــد والعدل والحق ولم تنحدر بهم الى منزلة الضعف والعجز ولم تنل من عزائمهم كل منال، ولـكن الناس يعرفون أن نفوسهم قلما تنتقل من إحساس إلى إحساس إلا من نقيض إلى نقيض مثل رقاص الساعة فمن فعل إلى رد فعل، ومن رأى إلى نقيضه ومن شعور إلى عكسه فتغيرهم النفسى يختلف عن تغير أمور الطبيعة. ومن أجل ذلك ترى أن الناس فى حياتهم وتاريخهم يسبقون سنة التغير فى الطبيعة فيحدث رد فعل ورجعة فى أمورهم كى يرجعوا إلى ما يناسب تغير أمور الطبيعة، وهذا هو سبب كثرة ما يشاهد من فترات الرجعة ورد الفعل فى تاريخ البشر وفى حياتهم

وهــذه الطفرة فى إحساس النفس مشاهدة بصفة خاصة فى العامة والصغار والجهلة والقليلى المدنية أكثر من مشاهدة الباحث لها فى الخاصة والـكبار والمتعلمين والـكثيرى المدنية. ومن أجل تردد النفس بين الاحساس ونقيضه يخشى الناس على عزتهم فى الحياة ويخشون النتائج التى يأتى بهــا اطلاعهم على حقيقة غاياتهم ووسائلهم ويخشون أن يعرفوا ضعتها بعد اعتقادهم نبلها فهذا أمر يفاجئهم مفاجأة قد تحدث هزة فى النفس وهذه الخشية تزيد غيظهم وحنقهم فيدفعون بالغيظ ذعرهم من أن تنأى بهم ضعة غاياتهم عن عزائم النجاح ومساعيه، وهم يخشون الفشل والضيعة، وما قد يكون فيهما من الذل أو فقــدان وسائل الحياة نفسها؛ ولا شيء يدعو إلى القسوة مثل ذعر المرء إذا خشى أن يفقد وسائل الحياة على اختلاف منافعها بفقد اعتقاده نبل غاياته ووسائله حتى ولو كان فقده وسائل الحياة من أجل ذلك بعيد الاحتمال

ولـكن كثيراً ما يحصن المرء ضعة غاياته ووسائله عمــا يعتقد الناس فيــه وما يعتقد هو فى نفسـه من الفضل والجاه والنبل والصدق، ولا تخلو نفس من شيء من هذه الصفات قل أو كثر، وكلمــا كثر نصيب المرء من هــذه الصفات كثرت حصانه غاياته ووسائله. ومن أجل ذلك ترى الرجل الذى يعتقد الناس فيـه هذه الصفات أقدر على مغالطة الناس ومغالطة نفسه فتسهل هذه المغالطة بمــا له عند نفسه وعند الناس من ثقة بنصيبه من هــذه الصفات، وهذا الرجل أشد خطراً على الحق والخير إذا غالط نفسه أو غالط الناس لأنه يسهل تصديقه والاقتداء به ولا يحسب أحد أن له غاية حقيرة أو وسيلة دنيئة بجــانب ما فى نفسه من صفات الفضل والصدق والحق أو بجانب ما اكتسب من جاه وثقة

وكما أنه يسهل أن تحول الغاية الدنيئة غاية رفيعة نبيلة وأن تعتقد أن تلك الغاية التى صارت نبيلة فى نظرها تبرر الواســطة الوضيعة يسهل أيضاً أن تستغنى النفس عن الخطوة الثانية وهى تبرير الواســطة الوضيعة أو تحويلها الى واسطة نبيلة وابرازها للناس كأنها واسطة شريفة سامية بدل تبريرها بالغاية والمقصد، وهذا من شدة احتياط النفس عند من قد يرفض ذلك التبرير ويأبى تلك التزكية، ونظرة من الباحث المتقصى وسائل الناس تدل على أنهم يتعامون عن ضعة وسائلهم ويغالون فى ابرازها فى حلة الوسائل الساميــة وانما الخلاف بينهم فى تزكية كل منهم وسائله واتهام وسائل غيره. وقد يعرض للباحث سؤالان هما هل يتاح للانسان عصر يكثر فيه من بحث نفسه وتقصى حقائقها؟ وهل يرفع هذا التقصى من نفس الانســان؟؟ أحسب أن هذا لا يكون ما دام ذعره خشــية فقدانه وسائل الحياة على اختلاف أنواعها واقعاً محذوراً

عبد الرحمن شكرى

المـأساة الفلسطينية

لباحث دبلوماسى كبير

أجل لم تعد قضية فلسطين مسألة من مسائل الاستعمار والسياسة ، ولكنها تغدو مأساة حقيقية

مضت إلى اليوم عدة أسابيع ، وفلسطين تجوز أحداثاً هائلة : أهوال الاضراب والمقاومة السلبية ، وأهوال القوة الغاشمة تميل عليها وتنكل بها من كل صوب ، وتحاول اخماد أصواتها وأنفاسها بكل وسيلة ، وتعمل على تجريدها من كل وسائل الاعراب والمقاومة ؛ والسياسة المتجنية تشهد آلام شعب بأسره هادئة جامدة ، لا تحركها صرخات الألم ، ولا ازهاق الأنفس واهراق الدماء ، بل تؤكد هادئة أنها لن تحاول بديلا لخطتها ، وأنها ستمضى فيها إلى النهاية غير مكترثة بارادة شعب وحقوقه ، بل بحياته أو موته

والواقع أن فلسطين اليوم تجوز صراع الحياة والموت ؛ وهى تجوز هذا الصراع منذ تسعة عشر عاماً ، أعنى مذ قضت عليها السياسة الانكليزية فى سنة ١٩١٧ ، بأن تغدو وطناً قومياً لليهودية ؛ ولكن خطر الصهيونية على كيان فلسطين لم يبدُ فى أعوامه الأولى كما يبدو اليوم ؛ وكانت الأمة الفلسطينية ما زالت فى هذه الأعوام الأولى تهجس بشىء من الأمل ، أما اليوم فان الخطر الصهيونى يبدو فى ذروة روعته ، خطر فناء لا شك فيه ؛ وتفقد الأمة الفلسطينية كل أمل فى عدالة الاستعمار والعدالة الدولية ، وتدفعها اليوم إلى الكفاح نزعة يأس عميق ؛ وإذا بلغت الأمم حد اليأس ، هانت عليها كل سبل الاقدام والتضحية

وهذا ما يطبع كفاح الأمة الفلسطينية اليوم ، فانها تجوز غمار هذه الأحداث الهائلة التى نشهدها منذ أسابيع ، مقدمة غير مكترثة لبذل النفس والمال ، وتثابر على الكفاح بهمة الجلد المستميت

***

أسفرت الحرب الكبرى عن وقوع فلسطين تحت نير استعمار مزدوج ، فقد فرض عليها الانتداب البريطانى باسم عصبة الأمم ، والانتداب هو حماية أجنبية صريحة ؛ وقضت عليها السياسة البريطانية من جهة أخرى أن تكون وطناً قومياً لليهود ، وأدمج هذا العهد الذى قطعته انجلترا لليهودية فى نص الانتداب الذى أقرته عصبة الأمم ، وغدت فلسطين بذلك أرضاً بريطانية كما غدت ميداناً للاستعمار اليهودى الاقتصادى والاجتماعى

ومنذ سنة ١٩١٧ يتدفق سيل الهجرة اليهودية على فلسطين ، يدعمها تدفق الأموال اليهودية ، والنشاط اليهودى بسائر ألوانه ومناحيه ؛ ولا تدخر السياسة البريطانية من جانبها وسعاً لرعاية هذا الوطن اليهودى الجديد ، وتشجيع نمائه ورخائه ، وتذليل كل صعب فى سبيل الهجرة اليهودية ، وتنظيم الاستعمار اليهودى للبلاد ؛ وتفسح السلطة المنتدبة فى ذلك مجالاً كبيراً لآراء الوكالة التنفيذية اليهودية ، وهى الهيئة اليهودية الرسمية التى تقوم فى فلسطين بجانب سلطات الانتداب طبقاً لصك الانتداب ذاته ، وتتمتع بحق الاقتراح والشورة فى كل ما يتعلق بالوطن القومى اليهودى

ومع أن اليهودية أقبلت من سائر أنحاء العالم على استعمار فلسطين بحماسة شديدة ، وحملت إليها مئات الملايين ، واشترت من أراضيها مساحات عظيمة ، حولتها إلى مستعمرات يهودية غنية ضخمة ، وانشأت مدينة يهودية عظيمة هى مدينة تل أبيب ، وعملت على إحياء اللغة العبرية وجعلها لغة الوطن القومى الجديد ، وانشأت جامعة عبرية كبيرة لتعمل على احياء التفكير اليهودى ؛ مع ذلك كله كانت اليهودية فى أعوامها الأولى تسير الى غايتها متعثرة ، ويزعجها سخط العرب وتبرمهم ؛ وكانت تخشى دائماً أن تميل السياسة البريطانية الى ارضاء الأمانى القومية العربية بوجه من الوجوه ، خصوصاً وأن تصريح بلفور ذاته ينص على احترام حقوق الطوائف غير اليهودية ، المدنية والدينية ؛ بل لقد مر باليهودية قبل بضعة أعوام فقط ساعات يأس حقيقى ، وخيل لها غير مرة ، أن حلم هرتسل [١] فى بعث الدولة اليهودية

(١) تيودور هرتسل الكاتب والصحفى النمسوى (١٨٦٠ — ١٩٠٤) ، وقد كان روح الحركة الصهيونية الحديثة ، وأعظم زعمائها ومنظميها

وإنشاء الوطن القومى اليهودى ، سينهار فى مهده ؛ وكادت الحكومة البريطانية فى سنة ١٩٣٠ بعد أن تبينت عدالة المطالب العربية فيما يتعلق بوقف الهجرة اليهودية ، ووقف بيع أراضى العرب ، وهى مطالب عززها تقرير اللجنة الانكليزية التى انتدبت لبحث هـذه المسائل ، تجنح الى إرضاء بعض الأمانى العربية ، وصدرت فى مجلس العموم البريطانى تصريحات رسمية فى هذا الشأن ؛ ولـكن سرعان ما تغلب نفوذ اليهودية مرة أخرى ، وسحبت الحكومة البريطانية تصريحاتها ووعودها للعرب ، بتصريحات معارضة ألقتها تأييداً لوجهة النظر اليهودية وعهد بلفور

وهكذا استطاعت اليهودية أن تخرج ظافرة من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كادت تزعزع ايمانها فى حلمها وفى مثلها ؛ وذهبت جهود العرب سدى ، ولم يظفروا رغم ثوراتهم واحتجاجاتهم المتكررة بحمل السياسة البريطانية على أن تحيد ذرة عن خطتها

ثم لقيت الحركة الصهيونية ظرفاً جديداً لنشاطها واضطرامها ؛ ذلك أن ألمانيا جاشت بالخصومة السامية عقب قيام النظام الهتلرى ، ونظمت الحكومة الهتلرية لسحق اليهود فى ألمانيا مطاردة عنيفة رائعة ، فتوجست اليهودية فى أنحاء العالم شراً ، وهتفت كلها بأخطار الخصومة السامية ، وألفت الصهيونية الفرصة سانحة لتؤكد لأبناء جنسها كرة أخرى أن الوطن القومى اليهودى هو ملاذ اليهودية وعصمتها من تلك النزعات الخطرة ؛ وهكذا تدفق سيل الهجرة اليهودية على فلسطين بعنف لم تعهده من قبل ، وزاد عدد اليهود فى فلسطين بسرعة حتى أنه بلغ الضعف تقريباً فى نحو ثلاثة أعوام ؛ ولبيان ذلك نقول إن اليهود بلغوا حتى سنة ١٩٣٢ نحو ثلثمائة ألف من مجموع سكان فلسطين وقدره مليون . وقد بلغوا فى سنة ١٩٣٦ حسب آخر إحصاء نحو خمسمائة ألف ، وبلغ السكان العرب من مسلمين ونصارى نحو سبعمائة وخمسين ألفاً ؛ وقد اجتمعت مرافق فلسطين الحيوية فى الأعوام الأخيرة فى يد اليهودية بسرعة ، وأحرزت اليهودية بالشراء السخى معظم أراضى فلسطين الخصبة ، وساعدتها السلطة المنتدبة على تحقيق سيطرتها الاقتصادية بجميع الوسائل التشريعية والادارية ، وما زالت هذه السيطرة تزداد توطدا وتمكيناً

***

والآن وقد رأى العرب أن بلادهم التى استوطنوها منذ الأحقاب ، وأراضيهم ومرافقهم الحيوية ، وتراثهم الدينى والاجتماعى ، كل ذلك يسير سراعا إلى التلاشى والعدم ، والدولة المنتدبة تؤازر اليهودية باستمرار على تمكين غزوها المروع ؛ وخطر الفناء القومى يلوح فى ثنية المستقبل ، فهل نعجب إذا رأيناهم ينفجرون سخطا ويؤثرون السقوط فى ميدان الجهاد الشريف على ذلك الاعدام البطىء المنظم ؟ وهل تعجب الحكومة البريطانية إذا كانت سياستها فى فلسطين قد أدت إلى مثل هذا الانفجار الخطير ، وهو الثالث من نوعه فى نحو عشرة أعوام ؟

إن مؤازرة السياسة البريطانية لليهودية وتعضيدها لانشاء الوطن القومى يرجعان إلى اعتبارات واضحة معروفة ؛ فالسياسة البريطانية تعرف مدى النفوذ اليهودى فى عالم المال والسياسة ، وقد حظيت بريطانيا فى الحرب العظمى بمؤازرة اليهودية ، ومازالت ترمى إلى الاحتفاظ بهذه المؤازرة ؛ وإنشاء الوطن القومى ضمان لاستمرار هـذا التعاون بين السياسة البريطانية وبين اليهودية . بيد أن هنالك اعتبارات أخرى يلوح لنا أن السياسة البريطانية لم تقدرها حق قدرها . ذلك أن فلسطين هى قطعة من العالم العربى تحوطها الأمم العربية من كل صوب ، والأمة الفلسطينية هى عضو فى جماعة الأمم الاسلامية الكبرى ؛ وانكلترا التى تسيطر على عشرات الملايين من المسلمين ، فى افريقية وآسيا يجب عليها أن تحسب حسابا لعواطف المسلمين ومشاعرهم ؛ ومن المحقق أن العالم الاسلامى كله يعطف على فلسطين فى محنتها وكفاحها كل العطف ، ويأخذ على السياسة البريطانية مسلكها نحو فلسطين وأمانيها المشروعة ، ومن المحقق أن إصرارها على هذا المسلك سيكون له أسوأ الأثر فى العالم الاسلامى ، وفى عواطف الشعوب الاسلامية نحو انكلترا

وعلى اليهودية ذاتها أن تفطن لهذا الاعتبار ؛ فالوطن القومى اليهودى يقوم فى قلب العالم العربى والاسلامى ، متحديا عواطف العرب والمسلمين ، وهم من حوله كالبحر الزاخر ؛ ولتعلم اليهودية أن الحوادث قلب ، وأن مصاير التاريخ ليست فى يدها وأن هذا

البحر قد يطغى يوما فيغمر هذا الوطن القومى بمـا فيه ويصبح أثراً بعد عين.

والسياسة البريطانية لا يمكن أن يفوتها مثل هذا الاعتبار الخطير الذى تنوه به الصحف البريطانية ؛ ولـكن الظاهر أن عوامل أخرى تملى على السياسة البريطانية تشددها نحو بحث المسألة الفلسطينية ؛ فنحن نعرف أن السياسة البريطانية قد منيت بالفشل الذريع فى محاولتها إحباط الغزوة الايطالية للحبشة ، وأن ظفر الاستعمار الفاشستى يثير اليوم فى انكلترا مخاوف خطيرة بالنسبة لمستقبل سيادتها فى شرق افريقية ووادى النيل ، وكذلك بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية فى البحر الأبيض المتوسط ؛ وتخشى انكلترا أن تساهلها نحو أمانى فلسطين — وفلسطين تعتبر قاعدة حيوية فى مواصلاتها الامبراطورية — قد يحمل على نوع من الضعف والتسليم ويعرض هيبتها الاستعمارية للانتقاص. وقد رأينا المندوب السامى فى فلسطين يرد على مطالبة العرب بوقف الهجرة الصهيونية باصدار تصريح جديد بمهاجرة أربعة آلاف وخمسمائة عائلة يهودية ، متجاهلاً بذلك أن طغيان الهجرة من أهم أسباب الثورة القائمة . هذا إلى أن نفوذ اليهودية فى انكلترا يعمل عمله ؛ وقد رأينا زعيم الصهيونية الدكتور وزمان يسارع بالعودة من فلسطين إلى انكلترا منذ بدء الثورة الفلسطينية ؛ وقد كان لمساعى هذا الزعيم دائما أثرها فى موقف السياسة البريطانية نحو فلسطين ونحو رعاية الوطن القومى اليهودى

على أن السياسة البريطانية لا يمكن أن تحتفظ طويلاً بهذا الموقف الشاذ ؛ ففلسطين تقف اليوم موقف الحسم ، وتصر على أن تبحث مطالبها وأمانيها بعين الانصاف ، ومن ورائها عطف الأمم العربيـة والاسلامية كلها ؛ وانكلترا تقدر بلا ريب مدى هذا العطف وآثاره ؛ وبحث القضية الفلسطينية بروح الانصاف لا يمكن أن يعتبر ضعفاً أو تسليما كما يريد أن يفسره غلاة الاستعمار ؛ أما الأصرار على تمكين اليهودية من أعناق فلسطين ، ودفع الشعب الفلسطينى إلى منحدر التلاشى والفناء ، والاكتفاء بارسال لجان التحقيق فسياسة خطرة ؛ ولا ريب أنها تعرض مركز انكلترا فى الشرق الأدنى ، وفى العالم الاسلامى كله لأشد الأخطار

* * *

قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

الحصانة واليهودى الأفاق

— ١ —

ما أغرب هذا العلم علمَ المكروبات ، وما أعجب ما كان من أمره فى يوم وُلِد !

بدأ هذا العلمَ رجلٌ قمّاش لم يُثقف ثقافة مذكورة ، ومع ذلك كان أول راءٍ رأى المكروبات ، ثم جاء كيميائى فأوجد للمكروبات مكانة ذات بال فى خريطة الوجود ، وأرعب الناس منها وأرعد . ثم تلاه طبيب قرية ، فجعل من صيادة المكروب شيئاً منظّماً قارب أن يكون علماً صحيحاً . وأراد فرنسى وألمانى أن ينجوا بالأطفال من سم مكروب من أقتل المكروبات ، فجزرا فى سبيل ذلك أعدادا لا تحصى من الخنازير الغينية ومن الأرانب لو تراكمت لبلغت أكواماً كالجبال . إن تاريخ صيد المكروب تاريخ ملىء بالخاطرات الجميلة ، والايحاءات النادرة ؛ ولكن به كذلك كثير من النباوات المدهشة ، والتناقضات المجنونة . ولا يختلف تاريخ علم المكروب فى هذا عن تاريخ علم الحصانة immunity وهو العلم الذى لا يزال ناشئاً ، وبه تتفسر لنا مناعة الانسان من المكروب ، فالذى بدأ هذا العلم ، على نحوٍ ما ، هو رجلٌ باحث كثير الاهتياج ، قليل الاتزان ، ذو جِنّة تعاوده كثيراً

وكان هذا الرجل يهودياً يدعى إيلى متشينيكوف Elie Metchnikoff ، ولد فى جنوب روسيا عام ١٨٤٥ ، وقبل أن يبلغ العشرين قال لنفسه : « إنى ذو غيرة وذو مقدرة ، وقد حبتنى الطبيعة مواهب راجحة ، وأنا أطمح أن أكون بحاثاً كبيراً »

وذهب هذا الشاب إلى جامعة خركوف Kharkoff ، واستعار من بعض أساتذته مجهراً ، وكانت المجاهر عندئذ نادرة ، وأخذ ينظر فيها نظرات لم تكن دائماً بينة واضحة ، ومع هـذا قام على

أثرها فكتب مقالات علمية طويلة ، وذلك قبل أن يعلم ما العلم وما كنهه وما جوهره ، وغاب أشهراً عن فصول الجامعة وعن دروسها ؛ ولم يكن لِلَّعب غاب ولكن للقراءة ؛ ولم تكن قراءة القصص والنوادر ، ولكن قراءة مؤلفات كبيرة في العلم مثل كتاب : « بلورات لأجسام زلالية » ، وغير ذلك كان يقرأ كُتَيِّبات ونشرات لو اطَّلع عليها رجال الأمن لنفوه إلى مناجم سيبريا ؛ وكان يسهر الليالي ، ويكرع جالونات من الشاي ، ويخطب رفقاءه ، وهم أجدادُ بلاشفةِ اليوم ، خُطباً هائجة صاخبة جاحدة تنكر وجود الله حتى لقبوه « لا إله » ، وجاءت خاتمة السنة فقام إلى دروسه التي تراكمت في الأشهر السابقة فحفظها عن ظهر قلب ؛ وكانت له ذاكرة أشبه شيء باسطوانات الفونوغرافات منها بالعقل الانساني ، فجاز الامتحان وظهرت النتيجة فكتب إلى أهله يقول لهم إنه نجح وكان أول الناجحين ، وفوق ذلك نال وساماً من ذهب

وكان متشينيكوف شديد العجلة في أمره نفسه ، يودّ أن يسبق الزمن بها ، ويحملها على أشياء قبل أن يأتي أوانها . بعث بالمقالات العلمية وهو لا يزال في عقده الثاني ، وكان يكتبها في سرعة الهالع بعد ساعات قليلة من تحرير مجهره على بقة أو خنفساء ، ويصبح الصباح فيعود إلى مجهره ليراها مرة أخرى ، فاذا به يرى ما لم يكن رآه بالأمس فيسرع بالكتابة إلى رئيس تحرير المجلة يقول له : « أرجو ألا تنشر مقالة الأمس ، فقد وجدت نفسي مخطئاً . وأحياناً كان يرسل المقالة فلا تنشرها المجلة فيثور ويغضب ويصيح : « إن الدنيا تجهل قدري » ، ويذهب إلى غرفته يتأهب للموت وهو يصفُر صفير اليائس الحزين : « لو كنت في صِفَر الحلَزون ، لطويت جسمي في صدفي »[1]

بكى وناح لأن أساتذته والناس لم يَقْدِروا مواهبه حق قدرها ، ولكن لم يَفتّ ذلك في عضده ولم يستطع أن يضعضع من أمله ، فنسي ما كان انتواه من قتل نفسه ، ونسي ما كان من ضيقه ووجع رأسه ، أنساه إياه حبه المقيم لكل شيء حيّ . ولكنه أفسد على نفسه الفرصة كلما أمكنته من إجراء بحث علمي قيّم متواصل ، ذلك بأنه كان دائماً يشاجر أساتذته وينازع معلميه . وأخيراً كتب إلى أمه ، وكانت تؤمن به وتعطف عليه وتفسده ، فقال لها : « إن أكبر همي أجده في دراسة البروتوبلازم Protoplasm ، في دراسة مادة الجسم الحية . . . ولكن روسيا خالية من العلم والعلماء » . وعلى هذا ذهب مسرعاً إلى جامعة ڤرتزبرج Würzburg بألمانيا ؛ فوجد أنه وصل قبل ابتداء العام الدراسي بستة أسابيع . فأخذ يبحث عن بعض الطلبة الروسيين فوجدهم ، ولكنهم لم يرحبوا به لأنه كان يهودياً ، فضاقت بنفسه مسالك الحياة ، وعاد راجعاً إلى بلده وهو يعتزم الموت . وكان في حقيبته بضعة من الكتب التي اقتناها ، وكان من بينها كتاب أصل الأجناس Origin of Species لصاحبه دارون ، وكان خرج إلى السوق حديثاً ، فقرأه ، وفي جرعة عقلية واحدة بلع كل الذي فيه ، وصار من أنصار نظرية النشوء الشديدين . ومن هذا الوقت دان بهذه النظرية إلى أن تهيأ له الوقت ليصطنع لنفسه من العلم ديانات جديدة يدين بها

نسي ما اختطه لهلاك نفسه ، وبدأ يخطط الخطط لأبحاث في هذه النظرية الجديدة ، ورقد الليل ولكن لم ينمه لأنه أخذ يتخيل الخيالات عن ساحات واسعة قد امتلأت بطوائف الأجناس الحيوانية من الصرصور الصغير إلى الفيل الكبير ، ثم تخيل إلى جانبها حيا بالغ الصغر هو جدها الكبير الأبعد

وكان هذا الانقلاب بدء حياة متشينيكوف الحق ، فانه عندئذ خرج يحاج ويشاجر من معمل إلى معمل ، ومن روسيا إلى ألمانيا إلى إيطاليا ، ومن إيطاليا إلى جزائر هيليجولاند Heligoland وأدام هذا الشجار والحجاج عشر سنوات ، واشتغل في بحث نشأة الديدان ، واتهم لوكارت Leucart عالم الحيوان العلاّمة بسرقة بضاعته ؛ وكانت أصابعه لا تحسن العمل الدقيق ، وكان لا يرجى لها أن تتعلم إحسانه ، فذات مرة جاء بعظاية وضرب فيها بكلتا يديه ضربة المستقتل اليائس يريد أن يكشف في بطنها عن سرّ النشوء ، فلما أعجزه أن يعلم منه شيئاً رمى بالذي تبقّى من الزاحفة عبر المعمل . كان متشينيكوف على نقيض كوخ ولوفن هوك ، فهذان الرجلان العظيمان عرفا كيف يتلطفان إلى الطبيعة فيسألانها عما يريدان وفازا منها بالجواب . أما صاحبنا فقرأ كتباً في نظرية النشوء ، فألهمته وحمسته ، فآمن بها

وأعلن إيمانه مسموعاً عالياً ، ثم جاء بعد ذلك يعالج التجارب لا ليمتحن بها عقيدته الجديدة ، بل ليفرضها على الطبيعة فرضاً ، وليدسّها في حلقها لتبلعها اغتصاباً . ولكن العجيب أنه أصاب

---

(١) هذه أغنية معروفة ، والحلزون دويبة من اللافقريات الرخوة تحمل فوق ظهرها صدفها وفيه تنكمش عندما تريد Snail

فى هذا أحياناً ، وعندئذ كانت إصاباته ذات خطر كبير . ولم يكن عندئذ يعلم شيئاً عن المكروب ، أعنى فى آخر العقد الثامن من القرن الماضى . ولكن الحاحه كالمجنون فى إثبات أن الأصلح هو الأبق ؛ وأن الفاسد للذهاب ، هو الذى ساقه إلى تلك النظرية البديعة الخلابة نظرية الحصانة التى تصف كيف يصدّ الانسان هجمات الفاتكات من المكروب . وهى نظرية صحيح بعضها برغم مظاهرها الخيالىّ الذى لا يدعو إلى التطامن إليها

كانت السنوات الخمس والثلاثون الأولى من حياته كثيرة الاضطراب والصخب أشرف فيها على المهالك ، ولكنه سار من طريقها المخطر على جسر ضيق نفذ به فى آخر الأمر إلى الشهرة الواسعة التى كانت تنتظره على شواطىء صقلية فى البحر الأبيض المتوسط . وتزوج قبل أن يبلغ الثالثة والعشرين لُدْميلا فودورفتشى Ludmilla Feodoavitch وكانت مسلولة حتى كان لابد من حملها فى كرسيّها إلى حيث يعقد زواجها . وتبع هذا الزواجَ أربع سنوات مضت عليهما فى أبأس حال وأكثرها استدراراً للرحمة ، قضياها يجرّ بعضهما بعضاً عَبْر أوربا يبحثان عسى أن يجدا لذات الصدر دواء . وفى أثناء ذلك ، وفى أثناء تمريضه هذه الزوجة العليلة المسكينة تمريض عطوف حنان توتر عصبه وثقل قلبه كان يختطف سويعات يجرى فيها تجارب يدْرس بها تنشّؤ بقّ النبات والأسفنجيات والدود والعقارب ، يريد بذلك أن يقع على اكتشاف يهز الناس فتأتيه من ورائه أستاذيّة تدرّ عليه مالاً كثيراً . وهمس لنفسه وهو يكتب رسالاته العلمية ، وهمس لها وهو يبعث بالرسل ويدفع بالوسائط ويختط الخطط ويحاور ويداور فى طلب الوظيفة ، قل : « إن البقاء ليس للأصلح ؛ وليس هو للأكثر طيبة وخيراً ، وإنما هو للأشد مكراً وللأنكى خبثاً

وماتت لُدْميلا . وكانت قضت أيامها الأخيرة تتخلص من آلامها بالمرفين ، فاقتبس زوجها عادة المرفين منها ، ولما نفض تراب قبرها عن يديه قام عنه هائماً يضرب فى الأرض ، واخترق أسبانيا متوجهاً الى جنيفا وهو يزيد كل يوم مقدار العقار الذى يتعاطاه ، وساءت عيناه أثناء ذلك وآلمته ألماً كبيراً . وما الباحث فى الطبيعة إذا لم يكن له عينان تبصران ؟ وصرخ : « ما الفائدة من هذا العيش ! » ، وأخذ جرعة كبيرة من المرفين أيقن أنها لا بد قاتلته ، ولكنها كانت أكبر مما تحتمله المعدة فقاءها . وصرخ مرة أخرى : « ما نفع هذه الحياة ! » ، واستحم استحمامة ساخنة وخرج منها يتعرض عامداً الى الهواء البارد الطلق عسى أن تصيبه من ذلك نيمونيا فتذهب بحياته ، ولكن يظهر أن الآلهة الحكيمة المزاحة التى تقوم بتجهيز البحاث لهذا الكوكب شاءت له غير الذى شاءه لنفسه ، أبقت عليه لحاجة فى نفسها .

وفى هذه الليلة عينها ساقته رجلاه الى حيث أبصر طائفة من الحشرات كالغيام تدور وتدوّم حول لهب مصباح . فاستوقفه هذا المنظر ووقف يتأمله بتعجب ظاهر وفم مفغور . صاح لنفسه : « إن هذه الحشرات لا تعيش إلا ساعات قليلة ، فليت شعرى كيف يستفاد بها لدرس نظرية بقاء الأصلح ؟ » . وبهذا عاد فوصل من جديد تجاربه المقطوعة

حزن متشينيكوف على زوجه حزناً شديداً ، ووجد عليها وجداً مبرحا ، ولكن الأيام كانت سريعة فى شفاء الوجد ولأم الجرح العميق . وتعين أستاذا فى جامعة أودسّا ، وفى هذه الجامعة علّم نظرية بقاء الأصلح ، وفيها وَضح علمه ، وارتفع قدره ، وزاد فى الناس إجلاله . ولم تمض سنتان على وفاة زوجته الأولى حتى التقى بفتاة فى الخامسة عشرة ، فى وجهها بشاشة ، وفى قلبها ذكاء . وكان اسمها أُولجا ، وكانت ابنة رجل ذى يسار ، ونظرت اليه ، فأسرَت عينها إلى قلبها ، قالت : « إن وجهه كوجه المسيح فى قدسيته ، لونه امتقاع ، وعليه سحابة من كآبة » . ولم يمض طويل من الزمن حتى تزوجها

ومنذ هذا الزواج هدأت حياته كثيرا ، وقلت نداءاته لعزرائيل كثيرا ، وأخذت يداه تتعلمان اجراء التجارب لتلحق بعقله الذى نضج قبل أوانه ، وأصبح العلم له ديناً ، وتعلّق به ايماناً ؛ وأدخله فى كل أمر من أمور عيشه فى تحمس لم يسمع بمثله ، وأخذ بيد أُولجا يُدخلها فى هذا الدين علماً وفناً ، وعلّمها حتى علم الزواج وفنه ! وعبدت فيه ذلك اليقين المغرق الذى أعطاه العلم اياه ، ولو أنها قالت بعد ذلك بسنوات كثيرة : « إن الطريقة العلمية التى طبقها زوجى فى غير هوادة على كل شىء جاز ألا تخلق لنا إلا شراً فى تلك الساعة المخطرة من حياتنا ، والنفس دقيقة الحس فى انتقالها من حال الى حال

(يتبع) أحمد زكى

للتاريخ السياسي :

٤ – اليوم السابع من مارس
ضربة مسرحية فى برلين
للدكتور يوسف هيكل

موقف دول لوكارنو وقرار مجلس العصبة

لنر الآن ماذا كان رد الفعل فى عواصم دول لوكارنو ، وموقف فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا إزاء حوادث ٧ مارس والمذكرة الألمانية :

كان وقع قرار ٧ مارس شديداً على باريس ، ولقد أهاج الدوائر الرسمية والرأى العام ، برغم أن هذه الحوادث كانت فى الحسبان ، وأول عمل احتياطى قامت به حكومة باريس هو إبقاء الجنود الذين كانوا على أهبة الذهاب إلى بيوتهم تحت السلاح إلى أجل غير مسمى ، ثم إرسال جنود وقوى حربية لتحتل القلاع الواقعة على الحدود الألمانية

وفى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأحد الموافق ٨ مارس ألقى مسيو سارو ، رئيس الوزارة الفرنسية ، خطاباً فى الراديو على الشعب الفرنسى ، عرض فيه العلاقات الفرنسية الألمانية منذ الحرب والجهود التى بذلتها فرنسا للتوفيق بين الجارتين . . . وقد صرح بأن الحكومة عازمة على المحافظة على معاهدة لوكارنو التى هى شرط أساسى لسلامة فرنسا . . وأنها ترفض منهاج الهر هتلر لسببين : أولهما أن ألمانيا قدمت مثلين فى تمزيق المعاهدات بقرار منها وحدها خلال سنة واحدة ، وهذا العمل المنافى للحقوق الدولية يدعو إلى نزع الثقة من المعاهدات المقبلة التى تُعقد معها . والسبب الثانى وهو أشد فظاعة ، كون ألمانيا قد أرسلت قوى عسكرية إلى أراضى الرين خلافاً لكل قانون دون أن تعلم الدول بعزمها قبل تنفيذه ، ودون أن تفكر فى المفاوضة مع دول لوكارنو للوصول إلى حل مرض ، بل جابهت هذه الدول « بالأمر الواقع » fait accompli فى أبشع وأفظع صوره . وقال بأن فرنسا سترفع الدعوى إلى مجلس عصبة الأمم ، وأنها ستضع قواها المعنوية والمادية تحت تصرف مؤسسة جنيف . .

وفى يوم الثلاثاء الموافق ١٠ مارس ألقى مسيو سارو « رسالة » الحكومة Message فى مجلس النواب ، ومسيو فلاندان فى مجلس الشيوخ ، وعرضت الحكومة فيها أعمال الحكومة النازية المخالفة للحقوق الدولية ، وتمزيقها المعاهدات المقدسة . . . وأبان بأن عمل الهرهتلر لا يضع على بساط البحث مشكلة الرين ، بل مسألة حرمة المعاهدات والعلاقات الدولية وكيان عصبة الأمم . وقال إنه إن أخذت كل أمة ترفض المعاهدات حسب إرادتها فلا سلام ولا حرمة للقانون ، بل تحل محل الحق القوة المادية . . .

وفى هذا الخطاب هدأت حكومة باريس ثورتها ، ولطفت رفضها البات فى المفاوضات ، وقالت إنها لا ترفض العمل لحل المشاكل الحالية ولتحسين العلاقات الفرنسية الألمانية ، غير أن فرنسا لا تستطيع المفاوضة تحت ضغط القوة التى تمزق المعاهدات الموقع عليها عن طيب خاطر

وأخذت الصحافة تندد بأعمال الهرهتلر وتبين الخطر الذى سيواجه أوربا نتيجة لعدم احترام المعاهدات . . . وتلوم بريطانيا لاتباعها اللين مع ألمانيا ولمسايرتها لها . . .

أما فى لندن ، فقد أخبر مستر ايدن السفير الألمانى عند ما تسلم منه مذكرة بأن حكومة جلالته غير راضية عن انتهاك ألمانيا حرمة المعاهدات . وقال فى خطابه الذى ألقاه فى مجلس العموم فى ٩ مارس بعد أن أبان مخالفة عمل الهر هتلر للحقوق الدولية ، والخطر الذى ينجم عن اتباع مثل هذه السياسة ، إن عمل ألمانيا لا يعد تهديداً ، غير أن الحكومة البريطانية تصرح بأنها ستكون فى صف فرنسا وبلجيكا فيما إذا هاجمت ألمانيا إحداها . . . . .

وغريب أن يقول مستر ايدن بأن عمل ألمانيا لا يعد تهديداً ، ومعاهدة فرساى صريحة العبارة فى قولها (البند ٤٤) بأنه فى الحالة التى تخالف فيها ألمانيا مضمون البندين ٤٢ و ٤٣ « تعتبر قائمة بعمل عدائى نحو الدول الموقعة على هذه المعاهدة ومحاولة تعكير صفو السلام »

ولكى يتثبت مستر بلدوين من أن الأزمة الحالية سوف لا تقود بريطانيا إلى تطبيق سياسة « العقوبات » الاقتصادية على

ألمـانيا أصر على أن يوافق اللورد هاليفاكس مستر ايدن فى جميع اجتماعاته التى لها عـلاقة بحوادث الرين ، واللورد هاليفاكس صديق ألمـانيا الحميم ...

وكان وقع حوادث ٧ مارس فى الدوائر السياسية اللندنية نقيض ما كان عليه فى باريس . وإن كان ساسة لندن غير راضين عن الطريقة التى اتبعها هتلر فى الوصول إلى احتلال أراضى الرين ، غير أنهم وافقوا ضمناً على نتيجة عمله ، حتى أن بعضهم صرح بذلك ، والبعض الآخر أخذ يقول بأن عمل هتلر ما هو إلا فرصة مناسبة لحل المشكلة الأوربية ، وخصوصاً لازالة كل خلاف بين ألمـانيا وفرنسا ! وكانت الصحافة ، وعلى رأسها « التيمس » تقول بهذا الرأى . ولا عجب فى ذلك ، إذ أن الرأى العام فى بريطانيا ناقم على معاهدة لوكارنو ، حتى أنها كانت سبباً فى ضياع شهرة السير استن شمبرلين من جهة ، ولأن حكومة لندن تريد انعاش ألمـانيا وادخالها ضمن حلقة الدول ذات المكانة فى السياسة الدولية . لكى تتخذ منها سنداً ضد فرنسا التى أخذت تعاكس بريطانيا معاكسة ظاهرة فى سياستها الخارجية ، من جهة ثانية ، ولقد رأينا الهر هتلر عرف كيف يستفيد من هذا الشعور البريطانى ويستغله

وموقف بلجيكا يشابه موقف فرنسا : فالرأى فى الدوائر السياسية والرأى العام ضد حوادث ٧ مارس على خط مستقيم . لا سيما وأن بلجيكا لم تكن عضواً فى المعاهدة الروسية الفرنسية ، التى هى ، فى رأى الهر هتلر ، سبب زوال لوكارنو ...

أما إيطاليا فلزمت الصمت ، ولم تبد صحافتها رأياً فى ذلك . على أن ممثل إيطاليا صرح بأن حكومته تحترم لوكارنو ، غير أن ظروفها الحالية ترغمها على التحفظ ...

* * *

رفعت فرنسا وبلجيكا وحدهما الدعوى إلى مجلس عصبة الأمم ، فى حين أن معاهدة لوكارنو توجب ذلك على جميع الموقعين عليها ، إذ هى تعتبر احتـلال أراضى الرين عملا عدائياً نحو كل من المتعاهدين ...

وكان مكان اجتماع مجلس العصبة عاصمة بريطانيا حسب اقتراح مستر إيدن . وعقدت الجلسة الأولى الساعة ١١ من صبـاح يوم السبت التالى لحوادث ٧ مارس ، فى قصر « سنت جيمس » وكانت سرية ، وقال مستر إيدن فى هذه الجلسة إنه يظهر له من المادة ١٧ من صك العصبة وجوب تمثيل ألمانيا فى جلسات مجلس العصبة . وبعد جدال حول هذا التفسير للمادة ١٧ تقرر أن يرسل سكرتير مجلس العصبة برقيـة إلى الهر هتلر يقول فيها بأن « . . . مجلس العصبة يدعو حكومة ألمانيا بصفتها عضواً فى معاهدة لوكارنو لتشترك فى فحص مجلس العصبة للدعوى التى رفعتها حكومتا فرنسا وبلجيكا ... »

ولقد ذهب مساء يوم السبت السير اريك فيبس ، سفير بريطانيا فى برلين لمقابلة بارون فون نيرات وزير خارجية ألمانيا ليعلمه بأن بريطانيا تعلق أهمية كبرى على قبول ألمانيا دعوة مجلس العصبة . وفى صباح الأحد زار السير إريك فيبس « الزعيم » وأوقفه على رأى حكومة لندن

وبعد أن استشار الهر هتلر مستشاريه أرسل إلى سكرتير العصبة يخبره بأن حكومة ألمانيا تقبل الدعوة مبدئياً على شرطين :

أولهما : أن يكون لممثل حكومة ألمانيا حق المساواة مع بقية ممثلى أعضاء المجلس فى المرافعات وقرارات المجلس

وثانيهما : أن تتسلم حكومة ألمانيا تأكيداً قطعياً بأن الدول المعنية — Concerned — مستعدة للدخول حالا — forthwith — فى المفاوضة على « منهاج السلام الألمانى » ؛ الذى يعتبرونه (أى الدول) وإعادة السيادة الألمـانية فى أراضى الرين كخطوة سياسية متحدة ، وجزأين متلازمين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر

واعتبرت بريطانيا الشرط الأول معقولا ومقبولا ، وأن عزم بريطانيا كان ولا يزال أن تكون ألمانيا فى لندن على قدم المساواة مع الدول الأخرى . وأما الشرط الثانى فقد أغضب الدوائر السياسية وأثار الصحافة على حكومة برلين ، وكتبت مقالات رئيسية ناقشت فيها أعمال هتلر وجوابه الأخير ، حتى أن لهجة « التيمس » كانت غير مألوفة . ومما قالته فى عددها الصادر فى ١٠ مارس إنه يجب التذكير وإعادة القول بأن عمل ألمانيا كان مهيناً فى أسلوبه ، و « إن دولة غير شريفة قادرة دائماً وأبداً على أعمال غير شريفة » . . وأنه حجر عثرة محال قبوله ، ولا يمكن لفرنسا احتماله

وفى الواقع لقد أثار جواب الهر هتلر الرأى العام الفرنسى وأخذت الصحافة تهاجمه مهاجمة عنيفة ، واضعة اللوم كله على بريطانيا لمساعدتها ألمانيا وتشجيعها لهـا . ولقد صرح مسيو

فلاندان لمراسلي الصحف بأنه يرفض طلب الهر هتلر لسبب واحد فقط : هو أنه قدم لندن ليسجل الاعتداء على لوكارنو ؛ وهو لا يريد مناقشة أي شيء غير هذا ، حتى وإن كلفه ذلك مغادرة لندن وترك مجلس العصبة

ولما رأى الهر هتلر أن الرأي العام ناقم على جوابه ، خشي خسران عطفه عليه ، فعمل على تخفيف وقع جوابه ، فأرسل إلى حكومة لندن يخبرها بأن خطأ قد حصل في ترجمة جوابه ؛ إذ أن المترجم قد ترجم كلمة « Alsbald » بكلمة « forthwith » أي « حالا » في حين أنه يجب ترجمتها بعبارة « in due course » أي « في أقرب وقت » ...

وتلي تلك الجلسة السرية أول جلسة علنية للدورة (٩١) غير العادية لمجلس العصبة الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ من يوم السبت الموافق ١٤ مارس برياسة مستر بروس Bruce . وجلس عن يمينه مسيو فلاندان وسنيور جراندي ، وعن يساره مستر افينول ومستر إيدن ، والرفيق ليتفينوف وكلونيل بيك ، وبقية الأعضاء على الجانبين

وبعد أن قرأ الرئيس اللائحة التي قدمتها فرنسا وبلجيكا ، قام مستر إيدن ورحب بأعضاء المجلس بالنيابة عن الحكومة البريطانية وقال إنه يترك الكلام إلى ممثلي فرنسا وبلجيكا ، وسيبدي وجهة نظر بريطانيا في وقت آخر

ثم قام مسيو فلاندان وقرأ بيان فرنسا بصوت هادىء وجلي ، وقال بأن الواجب هو الذي دعا فرنسا إلى رفع الدعوى إلى مجلس العصبة لا حقها في ذلك ، لأن لفرنسا الحق في اتخاذ إجراءات مادية وعسكرية لاعادة كل شيء إلى ما كان عليه ، غير أنها فضلت ألا تزيد في تعقيد المشكلة ، بل تريد الوصول إلى حل سلمي ومرضي ؛ وهي تثق في عدالة مجلس العصبة ، وتطلب منه أن يضع قراراً مبينة فيه الاجراءات الفعالة التي يجب اتخاذها لوضع الحق في نصابه ، وقال إن عمل ألمانيا يضع السلام وكيان عصبة الأمم في خطر عظيم ... وأبان بأن معاهدة فرساي تعتبر احتلال أراضي الرين عملا عدائياً ، ومعاهدة لوكارنو تعتبره تعدياً على المعاهدة ؛ وإن فرنسا تطلب تسجيل هذا التعدي في السجل الرسمي ...

(يتبع) **يوسف هيكل**

المتنبي يعشق ...!

للأستاذ محمد سعيد العريان

« كل أدباء العربية على أن المتنبي نشأ نشأة السواد من أهل الكوفة ، وأن حياة الكفاح شغلته وملأت تاريخه ، حتى لم يكن فيها من الفراغ ما يهيئ له أن يتذوق الحب فيترجم عن احساس العاشق

« ولكن صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر يرى رأياً غير ذلك ؛ فيزعم أن المتنبي علوي منكور النسب ، وأنه كانت له في بلاط سيف الدولة قصة غرام بينه وبين خولة أخت الأمير ، كان لها أثر أي أثر في شعره وحياته من بعد[1]

« وهو رأي جديد في تاريخ المتنبي ، أحسب أن طائفة كبيرة من أدبائنا لا تطمئن إليه ولا تأخذ به ، حرصا على التقاليد ... أو حفاظا على القديم وحسب ...

« أما هذا الرأي عندي فهذه قصته ، تجلو غامضه ، وتؤلف غريبه ، وتكشف عنه على ضوء من الفن يهيئ للباحث المنصف أن يجادل أو يقتنع ... »

مضى الفتى العلويُّ الثائر المتوثب (أبو الطيب المتنبي) ، تتقاذفه الفلوات من غربة إلى غربة ، وتترامى الأحداث من بلد إلى بلد ، وتنوشه من كل جانب سهام البغي والشر والحسد ، ويقعد له في كل مرصدٍ كيدٌ يتربص ...

ممَّن أبوك يا فتى ؟ وما بلدك ؟ ... وهل له أن يجيب ؟

أما الأولى فمن دونها سيوفٌ (الأدعياء) تنكر عليه أن يجهر بعلويته ، وما له قبلٌ بأن ينازلهم فيثبت لهم ... !

وأما الأخرى ... وا أسفاه ... ! هذه جدته على الفراش تحتضر ، وَحِيدَةً منقطعة فريدة ، فيأبون عليه أن يدخل (الكوفة) ليتزود منها بالنظر الأخير ... !

* * *

لمن الملك اليوم ؟ إنه للروم والترك والعجم ، ولا سلطان لغير الروم والترك والعجم ... في العراق ، وفي مصر ، وفيما بين العراق ومصر ... في الشرق والغرب يبسط الأعاجم سلطانهم على الدولة العربية ، فأيان يلتفت الشاعر العربي لا يجد إلا الروم . ومن أين لأبي الطيب أن يسكن إلى ذلك أو يستقر اليه ؟ إنه

(١) المقتطف : يناير سنة ١٩٣٦

ليرمى بصره إلى هنا وهناك ، فلا يرى إلا ما يحزنه ويتهاوى بآماله ؛ لقد خرج إلى الدنيا طريداً يتيما ، ينكرون عليه نسبه ، وينكرون عليه طموحه ؛ ثم ها هو ذاك وقد سلخ أربعا وثلاثين يتلفت حواليه فما تزيده النظرة إلا شعورا بالوحــدة واليُتم والغربة ... ولكن فى أعراقه يفور دم العروبة ، وفى أعصابه تنبض أمانى الشباب ، وفى نفسه تهمس ألحان الشعر

« ستكون أميراً يا أبا الطيب ، فاجمع عزيمتك على الجهاد حتى تبلغ ، فتنال منالك من (الشامتين) ، وتديل للعربية من (دولة الخدم) . . . »

وانطلق الشاعر المتوثب يطوى البيداء مطوياً على هم وألم ، وفى نفسه أحقاد تثور ، وأمانى تصطرع . . . حتى انتهى الى بنى حمدان

***

هنا دولة العرب ، وهنا عز العروبة ، وهنا تستقر الأمانى لتستجم للجهاد . واجتمع الشاعر العربى الثائر ، بالمجاهد العربى الظافر ؛ وانعقــدت أواصر الود بين أبى الطيب المتنبى وسيف الدولة بن حمدان . وآثره الأمير وأدناه وفتح له بابه ... فاذا هو منه كبعض أهله ... وتراميا قلباً لقلب ، فما بينهما سر ولا دونهما حجاب ؛ وتكاشفا رأياً لرأى ، فما هما الا فكرة واحدة تسمى إلى هدف ؛ وتَنَــوَّرَا الأملَ المشترك من بعيد ، فاذا هما على الخلوة يتذاكران الرأى ، ويتحايلان للظفر .

وصار شاعرُ الأمير صفيَّــه وخليلَه وصاحب سرّه ، يلقاه أيان يريد بلا إذن ولا ميعاد . . . وعرفه حاجب الأمير وأهله ، وعرفتْــه (خوْلةُ) بنت حمدان ، فعرفتْ رَجُلَـها وعرَف ...

وقال أبو الطيب : « لله أنتِ يا ابنة المجد ! لعينيك كنت أطوى البيد وتتقاذفنى الفلوات ! »

وقالت خولة : « ومن أجلك أنتَ يا أبا الطيب ، كانت تخيَّـل لىَ الأحلام ما ليس من دنياى ! »

وطوت آخر كلماتها فى ابتسامة ، وأطبق الشاعر شفتيه على كلام ؛ وقالت له عيناها . . . وقالت لها عيناه . . .

ودخل الشاعر فى تاريخ جديد . . .

***

وقال المتنبى لسيف الدولة : « أتُراك يا أميرى تعرف من أمرى ما يُقنعك بالرضا ... ؟ » فوعده سيف الدولة أن يُزوّجه خولة ...

وراح الشاعر يحلم ... ثم عاد يحاول أن يلقى صاحبته فيقولَ لها وتقول له ، ولكن الباب كان محكم الغَلَق ؛ فلوَى وجهه عن بابها وفى نفسه شوقٌ وحنين ، ولكنه استمر يحلم ... !

ومضى ينشد أميره من شعره ... أذلك شعر المتنبى الثائر المتكبر ربيبِ الوحشة وطريد الفلوات ؟ أم هو الفنُّ النسوىّ البديع يهيء للشاعر مادته ويصنع له بيانه ... ؟ أسمعْتَ وسوسة القُبَــل ... ؟

وسمع سيفُ الدولة وطرب ، وسمع جلساؤه فعرفوا الجرْس والرنين ؛ وهمس شاعر فى أذن صاحبه ، ومال صديق على من يليه ، وقال الخامس للسادس : « إن شاعر الأمير لعاشق ! » وامتدت للكلام أطراف وأذناب ...

وراح الشاعر ثانيةً يحاول أن يلقى صاحبته ، فاذا من دون الباب بوّاب ... وعاد إلى الأمير يستنجزه الوعد ، فاذا الأمير فى شغل عنه بالروم وحرب الروم ، فهو يستمهله إلى حين ... ورجع إلى نفسه يستلهمها الصبر فلا تلهمه ، ويستعينها على ما يجــد فلا تعينه ... ونظر حواليه فاذا عيون تنظر ، وإذا شفاهٌ تبتسم ، وإذا ألسنة فى أفواه تلجلج بكلام ...

كم يلقى العاشق من نأى الحبيب والدار قريب ... ؟

وقال الرجل لنفسه : « ما أنا والاميرَ وأختَ الأمير : إن كانت لى فما يحول بينى وبينها ؟ وإن كانت عِــدَةً بلا وفاء فما مُقامى ؟ »

وقالت له نفســه : « هوّن عليك يا صاحبى ، لا حبَّ بلا وجد ؛ إلا أن تكون نارٌ بلا احراق ! »

فعاد الشاعر ينتظر ويحلم ، ولكن الأيام لا تنتظر ، ومضى شهر فى أذيال شهر ، وتصرم عام وراء عام ، والشاعر العاشق على صبره يرجو ويتقى ...

وقال (أبو فراس الحمدانى) الشاعر لصاحبه : ما هذا الرجل بينى وبين خَوْلةَ ونحن أولاد عمومة ؟ أما كفاه مجلسه من الامير ؟ أبعدَنا وأدناه ، وحرمنا وأعطاه ، وأسكتنا واستمع

اليه ؟ أيطمع بعد ذلك فى نسب الأمير وصهره ... ؟ »

وجاءت مقالته تسعى إلى المتنبى فنالت منه ... !

« أبو فراس يطمع فى خولة ؟ ولكنها مسماةٌ علىّ ؛ أيقف بين الأمير والوفاء بما وعد أن أبا فراس من عمومته ... ؟ ومن أكون إن كان ذلك موضعى من نفس الأمير ... ؟ »

فعادت نفسه تقول : « بعض هذا يا صاحبى ، إن الحبَّ حيلة الحياة ، فلست تبلغ منه بالكبرياء ما تبلغ منه بالصبر والحيلة ... ! »

ولكن العاشق المتكبر لم يستمع هذه المرة الى نفسه وهواه ؛ لقد غلبته الكبرياء فكفر بالحب ؛ وهل كان للمتنبى أن يخضع للحب أو يتضرع ... ؟

وتوزّعه العشقُ والكبرياء ، وتقاسمته عزةُ الرجل ورقة العاشق ... وغدا على مجلس الأمير ينشده ، فاذا الحب المستور يستعلن ، واذا النفس الثائرة تفور ، واذا (أنت) على لسان الشاعر المادح تعود (أنا) ، واذا هو يفتخر وكان يريد أن يمدح ..

وفهم سيفُ الدولة ما يعنى ، وفهم جلساءُ سيف الدولة ؛ ولكن حرمات الأمير الكريم ردّت الكلام الى الافواه ، فما استطاع أحد منهم أن يقول : إن فى بيت الأمير قصة غرام

ولكن (أبا العشائر الحمدانى) لم يسكت ، فأرسل غلمانه يأخذون على العاشق الجرئ طريقه ... ونجا الشاعر من كيد كان يراد ، ولكنه لم ينتقم ، وشفع للعدو عند الشاعر أنه منتسب الى الحبيب

واستيأس المتنبى ونفد صبره ، فأزمع الرحلة الى بعيد لعله أن ينسى ...

وفارق سيفَ الدولة متكبراً عزيزاً أبياً ، ولكنه خلّف قلبه وراءه ، وخلّف الأمل فى الملك والجاه والسعادة ، وأيقظته الحقيقة بعد حُلم دام تسع سنين ؛ ومضى على غير وجهٍ وقلبُه يتلفّت إلى تلك التى خلّفها وراءه ؛ وعادت تتقاذفه البلاد ، وتترامأه القفار ، يساوم للمجد ، ويجاهد للامارة ، لعله أن يعود إلى من يحب وعلى رأسه تاج ... !

ومضت سنوات ، وقلب العاشق ما ينفكّ ينبض ، وما يبرح يذكر هواه ومن أحَبّ ؛ فما ينشد شعراً إلاّ وفيه لوعة من أثر الفراق ، أو حسرة من وحشة الحبيب النائى ... !

واأسفا لمشتاقٍ بلا أمل ... تمضى لياليه بغير جديد ، وتنقضى أيامه على غير ميعاد ، مغيظاً على بعـده « غيظ الأسير على القدّ ... ! »

ليت شعرى . أ كان هو وحده المعذب الملتاع بهذا الفراق الذى اختاره فراراً بكبريائه ... ؟

ودخل الكوفة يطلب العزاء فى الوطن الذى حرم دخوله منذ الشباب ، تتجاذبه الكبرياء والهوى ، وتتدافعه الأمانى والذكريات ، ويسترجع الماضى ويهتف بالغد . . . ولكن ما استقرت به النوى حتى جاءه النبأ ... ماتت خولة ... !

وتهاوت آمال الشاعر أملاً أملاً فما عاد يستمسك ، ونالت منه الحسرة والتفجع فانصدعت كبـده . وسكت أمير شعراء العربية سنتين لاينشد ، والشعر يترقرق دموعاً فى عينيه ويتصعّد زفرات . . . !

يا عجبا ! إن النفس لا تجيش بأبلغ الشعر إلا حين يتأبى البيان على اللسان ... !

واستنجزه الحب أن يفىَ فما تَلَبَّثَ . وأصابته الطعنة القاتلة بعد عام ثالث ... !

وسكت شاعر العربية الى الأبد ، ولكن الناس ما تزال تتحدث عنه بعد ألف سنة من عمر الزمان ولن تزال ...

وكتب فى تاريخ الأدب قصة غرام عجيبة ، لم يعرفها الناس إلا بعد ألف سنة ، لأن العاشق فيها كان أكبر وأعظم من أن يقول ؛ « أنا أحب .. ! »

وظلت هذه القصة سراً فى ضمير الغيب كل هذا الزمان . لتكون بهذا الكتمان العجيب رمزاً عجيباً لصبر هذا الشاعر العاشق : أبى الطيب المتنبى ...

محمد سعيد العريان

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنج: « littérature comparée »

فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد*

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوى

مقدمة :

إن الانسان لولوع جداً باظهار الحقائق عن طريق المقارنة ، والمقارنة قد تكون مقارنة فرد بفرد أو شعب بشعب . أما الأولى فقد تكاد تكون شائعة فى كل عهد لأنها رأس كل نقد . والأوائل لم يغمروا مثلاً امرأ القيس بما غمروه من فيض عبقريته إلا بعد أن قرنوا شاعرية غيره إلى شاعريته . والانسان مسوق بطبعه الموروث إلى مثل هذه المقارنة التى قد تكون غريزية فى كل كائن يفكر ويشعر . أما المقارنة الثانية فهى حديثة النشأة ، لأن النقد لم يكن ليخطر فى باله أن يقيم الأوزان بين أدباء أمتين مختلفتين ثقافة واتجاهاً وشعوراً . ومن كان يفكر فى المقارنة بين شكسبير وراسين ، ودانتى وميلتون ، وبين ميزات الأدب الألمانى والأدب الفرنسى ؟ وكل واحد منهم يمت بوسائله إلى أمة مستقلة فى تطورها وبيئتها . ولكن الأدب — كما يبدو — له سلطان قاهر ، يرى بالحواجز التى تفصل بين الحدود الصناعية ويقتحم فى عوالم الفكر والخيال دون أن يصد اقتحامه شىء لأنه الأدب . . .

---

* قد وقفنا على مقالات متفرقة من هذا الكتاب النفيس اعتمدنا عليها فى دراستنا هذه . فنرجو الرسالة أن تحيطنا علما بهذا الكتاب وحبذا لو تعمل لجنة التأليف والترجمة والنشر على نشر هذا الأثر الكريم

(الرسالة) تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر لابن رشد طبع فى مدينة فلورنسه سنة ١٨٧٢ ووقف على طبعه (فوسطو لارنيتو) ومنه نسخة فى الخزانة الزكية تحت رقم ١١٠٤

وهكذا نشأت الصلات الأدبية بين الأمم إلا ما شاء ربك ! . . وربطت بين المفكرين ربطا لا يقوم على مصالح سياسية أو مطامع مادية وانما يقوم على رفع منارة الفكر واعلاء كلمة الفكر . فما أطهر هذه الرابطة لو أنها تخرج من هذا العالم غير المحدود الى العالم الذى سودته الحدود ! فتجد الأديب الفرنسى يحلل الأديب الألمانى دون أن تطغى على قلبه سورة الحقد . وتجد الأديب الألمانى يكتب عن الأديب الفرنسى من غير أن تغلب عليه موجدة . ذلك أن عالم الفكر سما بهما فوق عالمهما المحدود الذى غمرته الحزازات وتقطعت بين وشائجه الأسباب . فهما يتفاهمان فى ذلك العالم ويصافح بعضهما بعضاً

هذا هو الأدب بالمقارنة يعمل على درس ميزات أدب كل أمة بمقارنتها مع ميزات غيرها من الأمم . وهو أدب — كما قلت — حديث الخلق ، شجع على نشره شيوع رسالة الأدب الانسانى . ولعل رسالة الفلسفة كانت أسبق من الأدب الى هذه الرسالة . لأنها تنعتق من قيود العاطفة ولا تتخذ مطيتها إلا الفكر . والفكر أصلب عوداً من العاطفة . والفلسفة وحدها كانت أبعد العلوم الفكرية شيوعاً وذيوعاً فى كل عصر ، تكتسبها الأمم الغالبة من الأمم المغلوبة دون أن يلحقها عار الاكتساب ، ودون أن تتحوط له . كما نقل العرب الفلسفة اليونانية بحذافيرها ، وطبقوها على عقائدهم الفكرية والاجتماعية ، حتى غدا اليونان أساتذة العرب فى الفلسفة . أما الأدب اليونانى فلم يكتب له حظ الانتقال فى كثير ولا قليل . ولعل ذلك يعود الى اختلاف الاحساس والتعبير عند الأمتين . ومن عجب الأيام أن يمتزج المنطق اليونانى مع العقل ، ويتبدل حتى يغدو جزءاً من العقل العربى . والأدب اليونانى لا يكتب له إلا الخيبة

ألم يتدارس العرب الأدب اليونانى ، كما تدارسوا الفلسفة اليونانية ؟ قد يُظن أنهم درسوا شيئاً منه وسمعوا ألحان هوميروس فيه ، ولكن ألحانه لم تطب لهم ، لأن هذه الأساطير التى يطفح بها أدبهم جاءت فى العهد الذى كان يسيطر فيه المنطق اليونانى على العقل العربى ، فصموا عن هذه الألحان ولم يعيروها التفاتا . وقد يظن أن الأدب العربى الذى كانت معجزة البلاغة منه كان سيد نفسه ، لا يميل الى اقتباس قواعد البلاغة من غيره ، وما

فوق بلاغة الكتاب بلاغة . وقد يظن — وأرجح هذا — أن العرب طووا الأدب اليوناني — اعتمادا على الظن الثاني — ولم يلجوا فيه ، فلم يتم لهم ذلك الذوق اليوناني الذي يستطيع أن يحس لذة فهم وعبقريتهم كما يحس أهله ! وبذلك طغا العقل اليوناني على العرب . أما أدبه فلم يكن له في الدائرة نصيب

على أن هذا الأدب الذي لم يترك له أثراً في الأدب العربي قد شغل بعض أذهان رجال من العرب ؛ شغلها عن طريق الفلسفة لا عن طريق الأدب . فابن رشد والفارابي قد ناقشا الشعر اليوناني لا بالطريقة الفنية التي ينبغي لصاحبها أن يتبعها ويتخذ لها السبل المختلفة في نفسها ، وإنما ناقشاه بالطريقة التي اتبعها أرسطو . فلولا أرسطو لم يتصد ابن رشد والفارابي للشعر اليوناني ، فهما في ذلك متبعان لا مبتدعان . فاذا أثنى ابن رشد على هوميروس فهو لم يثن بلسان نفسه وفن نفسه ، وإنما يثني لأن أرسطو أثنى عليه . وسبب ذلك واضح ، لأنهما قرآ تحليل أرسطو لهوميروس ولم يقرآ لهوميروس نفسه . وبذلك ظل الأدب اليوناني بعيدا عنهما . وبالرغم من ذلك نرى ابن رشد قد استطاع أن يدرس قواعد شعرهم ويفيد من تلك القواعد ويعمل على تطبيقها في آداب أمته . وعمله هـذا هو ما نريد منه « الأدب بالمقارنة » وهذه المقارنة برغم نقصها الفني جاءت مقارنة حسنة في بابها ، مبتدعة وقتها . ألقت على الأدب العربي ضوء دراسة جديدة . على أن أدباء العرب الذين وقفوا على هذه المقارنة وشعروا بهذا التفاوت لم يجدوا في أنفسهم ما يحملهم على مناقشة هذه القواعد والاستفادة منها ، وقد رأوا ما حل باخوانهم الفلاسفة من الوشايات والمكائد التي كانت تنصب لهم ، وألوان الاضطهاد الذي نزل عليهم . أضف الى ذلك أن الألحان الوصفية والعاطفية في الشعر اليوناني كانت تتمشى في تضاعيفها العقيدة الوثنية والآلهة الكثيرة ، والعرب كانوا شديدي الغيرة على هذا الواحد زهوا به على الأمم ، فصرفتهم الأساطير عن تذوق ما في الأساطير

تذوق هذان الرجلان بعض روائع الأدب اليوناني ولكن طبيعتهما الأدبية لم تكن لتخول لهما أن يكونا زعيمي مدرسة في الأدب جديدة ، فلم يخرج تأثيرهما عما اختصا به . وهيهات أن يصنع الفيلسوف ما يصنعه الأديب في عالم أدبه . فلو أن ابن الرومي مثلاً تذوق هذه الروائع إلى حد بعيد لفعل أكثر مما فعل ، ولخلق للشعر أخيلة أخرى ونماذج أخرى ، ولكن ابن رشد ماعسى يستطيع أن يعمل وهو ليس بزعيم مدرسة أدبية ! إنه يجادل ويحدد ويهدي إلى مناهج ومناهج ولكنه لا يخلق شيئاً

إن فضل ابن رشد على الأدب العربي في هذا الكتاب لفضل عظيم ، لأنه يدل على العربي الأول الذي كتب عن الأدب بطريق المقارنة ، ووفق في هذه المقارنة كثيراً ؛ ويدل بعد ذلك على أن العرب جربوا أن يدرسوا الآداب الأجنبية ليستفيدوا ويفيـدوا من قواعدها ، وإن دراستنا — اليوم — للأدب الأجنبي أكثر ضرورة منها بالأمس ، بعد أن امتزجت عوالم الفكر واتحدت مناهج الأدب ، وأصبح لا يليق بنا أن نترك الأدب العربي محصوراً في عزلته بحجة صيانته ووقايته . وما الذي يخشى عليه ؟ وإنما صيانته ووقايته في تعريضه للهواء والنور لا في حجبه عنهما ، وفي تقريبه من الآداب العالمية حتى يساهم معها في تأدية رسالتها لا في تنفيره منها وتنفيرها منه ، على أن يبقى أدبنا محتفظاً بألوانه ، ويبقى أديبنا عاملاً على ابدائها لا على اخفائها ؛ وبهذا نحقق غاية من غايات الأدب ، ونفتح لنا زاوية في عمارة الأدب ، ونكمل الخطوة الأولى التي خطاها الأوائل ولم يكملوها

غرض الكتاب وغرض الشعر :

وقعت مصادفة على مقالات منثورة من هذا الكتاب ، وهي مقالات لا تكاد تؤلف المصنف كله ، وانما وجدت أنها تعطي فكرة عامة عن الكتاب ومنهج صاحبه ومترجمه فيه . وقد بينت أن المترجم انما عني به لأنه أثر من آثار أرسطو ، ولأن قواعده في الشعر ذهبت قوانين عامة ، لأن أرسطو الجبار الذي أراد أن يفرض سلطان العقل على كل سلطان أراد أن يوحد مملكة الشعر ويمسك على الاحساس كما أمسك على العقل ، جاهلاً أن الفرق بين هاتين المملكتين مملكة الاحساس ومملكة العقل فرق كبير ، ولكن الرجل استدرك وزعم أنه يذكر قوانين عامة للشعر ، وهو لا يخوض في تولد الاحساس وملاءمة التعبير عن الاحساس ، لأن هذا مما يتفاوت فيه العباقرة أنفسهم . فألف هذا الكتاب ليكون له كتاب في الشعر كما ترك كتاباً في الخطابة والموسيقى ،

ولقد انتصر هذا العقل الى حد كبير فى هذه الميادين التى تختلف عن ميدانه الذى خلق له ، والتى لم يكن له مفر منها ليستطيع أن يمثل حق التمثيل ثقافة عصره . ولقـد استطاع الى حد بعيد أن يكسو هذه الأشياء النافرة عنه بأردية عقله وتفكيره ، فتبيت تقرأ الشعر فكراً والتصور تفكيراً . ولم لا ينتصر وقد أدرك بمين التأمل عبقرية هوميروس وأثنى عليه الثناء الجميل ؟ وكيف يوفق الناقد بين رجلين خلدت الطبيعة هذا بعقله وذلك بقلبه ؟

كتب أرسطو كتابه عن الشعر لا كما يريد الشعر لأن أرسطو مكبل بعقله مقتحم بمنطقه . فالأقيسة والاسطقسات والبراهين لا تكاد تفارق ما أراد منه أن يكون قوانين عامة للشعر ، فجاءت قوانينه بذلك قوانين جافة قاسية يغلب عليها الذهن الرياضى ، لو مشى عليهـا الشعر ذاته لجاء ممسوخاً . وجميل أن تدخل الفلسفة الشعر بشرط أن تتنازل كثيراً عن أقيستها حتى يمكنها أن تتذوق الشعر

تناول ابن رشد هذا الكتاب وترجمه[1] وتصرف فيه كثيراً وأحسن فى هذا التصرف كثيراً ، فانه استغنى عن النماذج اليونانية التى يستشهد بها المؤلف وأحل محلها نماذج عربية أحسن انتقاءها واصطفاءها ودلت على ثقافة أدبية عالية فى ابن رشد لا تقل قيمة عن بقية الثقافات التى يتضلع بها الفيلسوف . ولكن عيب الترجمة فى أن ابن رشد طوى كل النماذج اليونانية ، ومن حقه أن يأتى بها ويضع ازاءها ما جاء به من نماذج العرب لتكون الترجمة والمقارنة فى الأمانة سواء ؛ وجاء تقسيمه للمقالات بحسب تقسيم أبواب الشعر عند العرب ، لأنه وقف درسه على هـذه الأبواب ، وقد أضاف اليها دراسات مختلفة فى صناعة الشعر والغاية منهـا ، وفى ألحانه وأوزانه بالنظر الى التوقيع لا الى الأعاريض ، وفى العلل المولدة للشعر ، وفى التخييلات والمعانى ، وفى كيفية التخلص الى ما يراد محاكاته وأنواع المحاكاة المقبولة وغير المقبولة ، وفى صناعة الأشعار القصصية . وكان أكثر توسعاً وتصرفاً فى درس صناعة « المديح وأجزائها » ، لأن هذه الصناعة كانت أروج أبواب الشعر فى ذلك العهـد ، وموضع التفات أكثر الشعراء ، ولسهولة المقارنة فيها ، واستخراج النماذج منها ، وقد غض عن ذكر « الهجاء » لأن قوانينه تنطبق على قوانين المديح . على أن ابن رشد ليلام لوما عنيفاً فى هـذا الباب لاهماله باب الوصف اهمالاً كلياً . ولعل درسه له كان يعمل على خلق جديد فيه . ولا ريب عندى أن أرسطو قد عالج هذا الباب الواسع عندهم معالجته لغيره من الأبواب ، ولكن ابن رشد قد طوى كشحاً عنه كما ضرب صفحاً عن غيره

أما الغرض من هذا الكتاب فهو — كما يقول صاحبه — « تلخيص القوانين الكلية المشتركة لجميع الأمم أو للأكثر فى الشعر ونسبة الموجودة فى كلام العرب أو كلام غيرهم . والشعر عنـده هو أقاويل تحتاج الى وزن ولحن ، ولا يسمى الشعر إلا ما جمع الى الأقاويل التى تسمى شعراً مع الألحان كهوميروس (ولعل هـذا النوع هو ما يدعى الشعر القصصى ، وهو أول ما عرفه اليونان من ضروب الشعر) ، وقد أدخل على الصناعة الشعرية بعض أقيسة منطقية ، دأبها أن تكبل الشعر ، ولكنها تقوّم العقل

(البقية فى العدد القادم) خليل هنداوى

[1] ثبت أن ابن رشد لم يكن يحسن اليونانية وإنما كان ينقلها عن غيره

٤ ـ العجوزان

تتمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدثنا : وكنتُ قد ضِقْتُ بهذه اللجاجة الفلسفية ورأيتُني مُضطَغِناً على الشيخين معاً ؛ فقلت للعجوز (ن) : حدثني (رحمك الله) بشيء من قديمكما فأنتما اختصارٌ لكل ماضٍ من الحياة يُستَدَلُّ به على أصله المطوَّل إلا في الحب … وما زلتما في جِدِّ الحديث تعبثان بي منذُ اليوم ، فقد عَدَلْتُما بي إلى شأنكما ورأيكما في القديم والجديد وبقى أن أميلَ بكما ميلة الى سنة ١٨٩٥ . وقد والله كاد ينتحر قلبي يأساً من خبر (كارينا ومرغريت) ؛ ولكأنك تخشى إذ أعلمتني خبرَ صاحبتك هذه وهي من وراء أربعين سنة — ماتخافه من رجل سيَفْجَؤك معها في الخلْوة على حالٍ من الريبة فيأخذك « متلبِّساً بالجريمة » كما تقولون في لغة المحاكم . . .

قال فضحك العجوزان وقال (ن) : لا والله يا بني ، ولكني أقول ما قال ذلك الحكيم العربي لقومه وقد بلغ مائتي سنة : « قلبي مُضْغةٌ من جسدي ولا أظنه إلا قد نحل كما نحل سائر جسدي[1] واعلم يا بني أنه إذا ذهب الحب عن الشيخ بقي منه الحنان يعمل مثل عمله ؛ فيحب العجوز مكاناً أوشيئاً أو معنى أي ذلك كان ليُعيدَه ذلك إلى الدنيا أو يُبقيه فيها (بقدر الامكان) … »

فضحك الأستاذ (م) وقال : ولعل ثرثرة العجوز (ن) هي الآن معشوقة العجوز (ن)

ثم قال : وكل شيء يرقُّ في قلب الرجل الهرم ويحول وجهه كأنه لا يطيق أن ينظر الى معناه الغليظ ؛ ولا بد أن يخرج العجوز من معاني الدنيا قبل أن يخرج من الدنيا . ولهذا لا يهنأ الشيخ إلا إذا عاش بأفكار جسمه الحاضر وقدَّر الأمور على ماهو فيه لا على ماكان فيه . والعرق بين جسمه الحاضر وبين جسمه الماضي أن هذا الماضي كانت تحمله أعضاؤه فهو مجتمع من أعمالها وشهواتها ماضٍ في تحقيق وجودها ومعانيها . أما الحاضر ؛ أما الجسم الهرم فهو يشعر أنه يحمل أعضاءه كلها وكأنها ملفوفة في ثيابه كمتاع المسافر قبل السفر … وكأن بعضها يسلم على بعض سلام الوداع يقول تفارقني وأفارقك[1]

فتململ الأستاذ (م) وقال : أفٍّ لك ولما تقول ! لا جرمَ أن هذه لغة عظامك التي لا صلابة فيها ، فمن ذلك لا تجيء معانيك في الحياة إلا واهنة ناحلة فقدت أكثرها وبقى من كل شيء منها شيء عند النهاية . أليس في الهرم إلا أن يبقى الجسم ليكون ظاهراً فقط كمُمْشُوش المنقود[2] بعد ذهاب الحب منه يقول كان هنا وكان هنا ؟

ألا فاعلم يا (ن) أن هذه الشيخوخة انما هي غلبةُ روحانية الجسم على بشريته ، فهذا طورٌ من أطوار الحياة لا تدعه الحياة إلا وفيه لذته وسروره كما تصنع بسائر أطوارها ؛ غير أن لذاته بين الروح والجمال ، ومسراته بين العقل والطبيعة ، وكل ما نقص من العمر وجب أن يكون زيادة في ادراك الروح وقوتها وشدتها ونورها . وقد قيل لبعض أهل هذا الشأن وكان في مرض موته : كيف تجد العلة ؟ فقال سلوا العلة عني كيف تجدني ؟

وإنما تثقل الشيخوخة على صاحبها إذا هي انتكستْ فيه وكانت مراغَمةً بينه وبين الحياة ، فيطمع الشيخ فيما مضى ولا يزال يتعلق به ويتسخط على ذهابه ويتصنع له ويتكلف أسبابه ، وقد نسي أن الحياة ردَّته طفلاً كالطفل أكبر سعادته في التوفيق بين نفسه وبين الأشياء الصغيرة البريئة ، وأقوى لذته أن يتفق الجمال الذي في خياله والجمال الذي في الكون ؛ وإنه لكما قلت أنت : لا يهنأ الشيخ إلا إذا عاش بأفكار جسمه الحاضر

وما أصدقَ وأحكم هذا الحديثَ الشريف : « إن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الرَّوْحَ والفرحَ في الرضى واليقين ، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشك والسخط » . فهذه هي قاعدة الحياة ، لا تعاملك الحياة بما تملك من الدنيا ، ولكن بما تملك من نفسك ، وبذلك تكون السعادة في أشياء حقيقية ممكنة موجودة ، بل تكون في كل ما أمكن وكل ما وجد . وإذا كان الرضى هو الاتفاق بين

(١) هو أكثم بن صيفي حكيم العرب قالها لقومه في سفرهم إلى النعمان ابن المنذر كيلا يتكلوا عليه في حيلة ولا منطق . ويقال إنه عاش ثلثمائة وثلاثين سنة ، وفي معنى السنة عند العرب كلام ليس هذا موضعه

(١) في الحديث الشريف : إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض ؛ تقول : عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة .

(٢) هو ما يبقى من العنقود بعد أكل ما فيه من الحب

النفس وصاحبها ، وكان اليقين هو الاتفاق بين النفس وخالقها ، فقد أصبح قانون السعادة شيئاً معنوياً من فضيلة النفس وإيمانها وعقلها ومن الأسرار التى فيها ، لا شيئاً مادياً من أعضائها ومتاعها ودنياها والأخيلة المتقلبة عليها

* * *

فأطرق العجوز (ن) قليلاً ثم قال : « ربِّ إنى وهَنَ العظمُ منى » ، ألا ما أحكم هذه الآية ! فوالله إن قرأت ولا قرأ الناسُ فى تصوير الهرَم الفانى أبدعَ منها ولا أدق ولا أوفى ؛ ألا تحس أن قائلها يكاد يسقط من تَجَنُّفٍ وهُزال وإعياء ، وأنه ليس قائماً فى الحياة قيامَه فيها من قبل ، وأن تناقضَ هذه الحياة قد وقع فى جسمه فأخلَّ به ، وأن معانى التراب قد تعلقت بهذا الجسم تعمل فيه عملها ، فأخذ يتفتَّت كأنما لمس القبر عظامَه وهو حى ، وأنه بهذا كله أوشك أن ينكسر انكسار العظم بلغ المِبرد فيه آخر طبقاته ؟

قال محدثنا : فقلت له : تُرى لو أن نابغةً من نوابغ التصوير فى زمننا هـذا ، تناول بفنّه ذلك المعنى العجيبَ فكتبه صورةً وألواناً ، لا أحرفاً وكلمات ، فكيف تراه كان يصنع ؟

قال : كان يصنع هكذا : يرسم منظر الشتاء فى سماءٍ تعلق سحائبُها كثيفاً متراكباً بعضُه على بعض يخيِّل أن السماء تدنو من الأرض ، وقد سدت السحبُ الآفاقَ وأظلم بها الجو ظلامه تحت النهار المغطَّى ، واستطارت بينها وشائعُ من البرق ، ثم يترك من الشمس جانبَ الأفق لُمعةً كضوء الشمعة فى فَتْق من فُتوق السحاب ؛ ثم يرسل فى الصورة ريحاً باردةً هوجاءَ ، يدل عليها انحناءُ الشجر وتقلب النبات ؛ ثم يرسم رجالاً ونساءً يغلى الشباب فيهم غليانَه من قوة وعافية ، وحب وصبابة ، وتغلى فيهم أفكار أخرى ... وهم جميعاً فى هيئـة المسرعين إلى مرقص ؛ وهم جميعاً من المجددين ...

ثم يرسم يا بنى فى آخرهم (على بُعدٍ منهم) عمك العجوز (ن) ، يرسمه كما تراه ، منحلَّ القوة ، منحنىَ الصُّلب ، مُرْعَشاً مُتزلزلاً متضعضعاً ؛ قد زعزعتْه الريح ، وضربه البرد ، وخنقته السحب ؛ وله وجه عليه ذبولُ الدنيا ، يُنبئ أن دمه قد وُضع من جسمه فى برَّادة ، والكونُ كله من حوله ومن فوقه أسباب روماتزم ...

ثم يصوره وقد وقف هنالك ساهماً كئيباً ، رافعاً رأسـه ينظر إلى السماء

* * *

قال المحدِّث : وضحكنا جميعاً ثم قال الأستاذ (م) : لعمرى إن هذه الحيـاة الآدمية كالآلة صاحبها مهنـدسها ؛ فان صلحت واستقامت فمن علمه بها وحياطته لها ، وان فسدت واختلت فمن عبثه فيها وإهماله إياها ، وليس على الطبيعة فى ذلك سبيل لأئمة . والشيخ الضعيف ليس فى هذه الدنيا إلا الصورة الهزلية لمفاسد شبابه وضعفـه ولينه ودَعَته تُظهرها الدنيا ليسخر من يسخر ويتعظ من يتعظ

قال (ن) : أ كذلك هو يا أستاذ ؟

قال الأستاذ . بل هى الصورة الجدية من هذه الحياة الباطلة التى دأبُها ألا تصرح عن حقيقتها إلا فى الآخر ، فتظهرها الدنيا ليُجلِّ الحقيقةَ من يجُلها . وليس إلا بهذه الطريقة يعرف من خراب الصورة خرابُ المعنى

قال العجوز (ن) : آه من إجلال الشيخوخـة واحترام الناس إياها ! إنهم يرونه احتراماً للشيخ والشيخ لا يراه إلا تعزية . وما الأشياخُ الهَرْمَى إلا جنازات قبل وقتها لا توحى إلى الناس شيئاً غير وحى الجنازة من مهابة وخشوع

قال الأستاذ : إنما أنت دائماً فى حديث نفسك مع نفسك ، ولو كنت نهراً يا مُسْتَنْقَع لـما كان فى لغتك هذه الأحرف من البعوض

قال العجوز الظريف : إن هذا ليس من كلام الفلسفة التى تتنازعها بيننا تردُّ على وأرد عليك ، ولكنه كلام القانون الذى لك وحدك أن تتكلم به أيها القاضى

قال (م) : صرِّح وبَيِّن فما فهمنا شيئاً

قال العجوز : هذا كلام قلتـه قديماً فى حادثة عجيبة . فقد رفعت إلى ذات يوم قضية شيخ هرم كان قد سرق دَجاجة ؛ وتوسَّمتُـه فاذا هو من أذكى الناس ، وإذا هو يجل عن موضعه من التهمة ، ولكن صح عنـدى أنه قد سرق وقامت البيِّنة عليه ووجب الحكم ، فقلت له : أيها الشيخ ما تستحى وأنت شائب أن تكون لصا ؟

قال : ياسيدى القاضى كأنك تقول لى ما تستحى أن تجوع ؟

فَوَرَدَ عليَّ من جوابه ما حيَّرنى فقلت له : واذا جعت أما تستحى أن تسرق ؟

قال ياسيدى القاضى كأنك تقول لى : وإذا جعت أماتستحى أن تأكل ؟

فكانت هذه أشدَّ عليَّ فقلت له : وإذا أكلت أما تأكل إلا حراماً ؟

فقال : يا سيدى القاضى إنك اذا نظرت إلى محتاجاً لا أجد شيئاً ، لم ترنى سارقاً حين وجدت شيئاً

فأفحمنى الرجل على جهله وسذاجته ، وقلت فى نفسى لو سرق أفلاطون لكان مثل هـذا ؟ فتركت الكلام بالفلسفة وتكلمت بالقانون الذى لا يملك الرجل معه قولاً يراجعنى به ، فقلت : ولكنك جئت الى هذه المحكمة بالسرقة فلا تذهب من هذه المحكمة إلا بالحبس سنتين

* * *

قال محدثنا : وأرمضنى هذا العجوز الثرثار وملأ صدرى إذ ما برح يديرنى وأديره عن (كاترينا ومرغريت) ، ورأيت كل شىء قد هرم فيه إلا لسانه ، فحملنى الضجر والطيش على أن قلت له : وهب القضية كانت هى قضية (كاترينا) وقد رفعت إليك متهمة ، أفكنت قائلاً لها : جئتِ إلى المحكمة بالسرقة فلا تذهبين من المحكمة إلا بالحبس سنتين ؟

وجرت الكلمةُ على لسانى وما ألقيت لها بالاً ولا عرفت لها خطرا ؛ فاكفهرَّ القاضى العجوز وتربد وجهه غضباً وقال : يا بغيض ! أحسبتنى كنت قائلاً لها : جئت إلى المحكمة بالسرقة فلا تذهبين من المحكمة إلا بالقاضى ... ؟

وغضب الأستاذ (م) وقال : ويحك أهذا من أدبكم الجديد الذى تأدبتم به على أساتذة منهم الفَجرة الذين يكذبون الأنبياء ولا يؤمنون إلا بدين الغريزة ويسوغونكم مذاهبَ الحمير والبغال فى حرية الدم ... ؟ أما إنى لأعلم أنكم نشأتم على حرية الرأى ولكن الكلمة بين اثنين لا تكون حرةً كلَّ الحرية إلا وهى أحياناً سفيهة كل السفاهة كهذه القولة التى نطقتَ بها

لقد كان الناس فى زمننا الماضى أناساً على حدة ، وكانت الآدابُ حالاتٍ عقليةً ثابتةً لا تتغير ولا يجوز أن تتغير ، وكان الأستاذ الكافر بينه وبين نفسه لا يكون مع تلاميذه إلا كالمومس تجهد أن تربى بنتها على غير طريقتها

قال المحدث : فتلجلجتُ وذهبتُ أعتذر ، ولكن العجوز (ن) قطع عليَّ وأنشأ يقول وقد انفجر غيظه : لقد تمت فى هؤلاء صنعةُ حرية الفكر كما تمت من قبل فى ذلك الواعظ المعلم القديم الذى حدثوا عنه أنه كان يقصُّ على الناس فى المسجد كل أربعاء[1] فيعلمهم أمورَ دينهم ويعظهم ويحذرهم ويذكرهم اللهَ وجنته ونارَه ؛ قالوا فاحتبس عليهم فى بعض الأيام وطال انتظارهم له ، فبينما هم كذلك إذ جاءهم رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا فانى قد أصبحتُ مخمورا ... ...

هذا القاصُّ المخمور هو عند هؤلاء السخفاء إمام فى مذهب حرية الفكر ، وفضيلته عندهم أنه صريح غير منافق ... وكان يكون هـذا قولاً فى إمام المسجد لولا أنه إمام المسجد ؛ غير أن حرية الفكر تبنى دائماً فى كل ما تبنى على غير الأصل ، وعنـدها أن المنطق الذى موضوعه ما يجب ، ليس بالمنطق الصحيح إذ لا يجب شىء ما دام مذهبها الاطلاق والحرية

كل مفتون من هؤلاء يتوهم أن العالم لا بد أن يمر من تفكيره كما مرَّ من إرادة الخالق ، وأنه لا بد له أن يحكم على الأشياء ولو بكلمة سخيفة تجعله يحكم ، ولا بد أن يقول (كن) وإن لم يكن إلا جهله . ومذهبه الأخلاقى : اطلب أنت القوة للمجموع أما أنا فألتمس لنفسى المنفعة واللذة . ويحسبون أنهم يحملون المجتمع ؛ فانهم ليحملونه ولكن على طريقة البراغيث فى جناح النسر

قال (م) : وكيف ذلك ؟

قال : زعموا أن طائفة من البراغيث اتصلت بجناح نسر عظيم واستمرأته ورتَعَتْ فيه ، فصابرها النسر زمناً ثم تأذى بها وأراد أن يرميها عنه فطفق يخفق بجناحيه يريد نفضها ، فقالت له البراغيث : أيها النسر الأحمق ! أماتعلم أننا فى جناحيك لنحملك فى الجو ... ؟

أما أساتذة هذه الحرية الدينية الفكرية الأدبية ، فقد قال الحكماء : إن بَعْرةً من البَعْر كانت معلِّمة فى مدرسة

قال (م) : وكيف ذلك ؟

---

(١) هو أبو كعب القاص ذكره الجاحظ فى كتاب الحيوان وقال إنه كان يقص كل أربعاء فى مسجد عتاب بالبصرة

قال : زعموا أن بعرة كبش كانت معلمة فى مدرسة الحصى ، فألَّفت لتلاميذها كتاباً أحكمته وأطالت له الفكرة ، وبلغت فيه جهدَ ما تقدر عليه لتظهر عبقريتها الجبارة ؛ فكان البابُ الأكبر فيه أن الجبل خرافة من الخرافات ، لا يسوغ فى العقل الحر إلا هذا ، ولا يصح غير هذا فى المنطق . قالت : والبرهانُ على ذلك أنهم يزعمون أن الجبل شىء عظيم ، يكون فى قدر الكبش الكبير ألفَ ألفِ مرة ؛ فاذا كان الجبل فى قدر الكبش ألف ألف مرة فكيف يمكن أن يَبْعَرَه الكبش ... ؟

قال الأستاذ (م) : هذا منطق جديد سديد لولا أنه منطق بعرة

قال (ن) : وكل قديم له عندهم جديد ، فكلمة (رجل) قد تخنثت ، وكلة (شاب) قد تأنثت ، وكلة (عفيفة) قد تدنست ، وكلة (حَياء) قد تنجَّست . والزمن الجديد ألا يعرف الطالب فى هذا العام ماذا تكون أخلاقه فى العام القادم ... والحياة الجديدة أن تتقن الغش أكثر مما تتقن العمل ... والذمة الجديدة أنَّ مال غيرك لا يسمى مالاً إلا حين يصير فى يدك ... والصدق الجديد أن تكذب مائة مرة ، فعسى أن يصدق الناس منها مرة ... ثم الانسان الجديد ، والحب الجديد ، والمرأة الجديدة ، والأدب الجديد ، والدين الجديد ، والأب الجديد ، والابن الجديد ؛ وما أدرى وما لا أدرى

قالوا (السوبرمان) : وتنطَّعوا فى إخراج المخلوق الكامل بغير دينه وأخلاقه ، فسخرت منهم الطبيعة ، فلم تخرج إلا الناقص أخس النقص ، وتركتهم يعملون فى النظرية وعملت هى الحقيقة

* * *

قال محدثنا : ونهض العجوز (ن) وهو يقول : تباركتَ وتعاليت يا خالق هذا الخلق ؛ لو فهموا عنك لفهموا الحكمة فى أنك قد فتحت على العلم الجديد بالغازات السامة ...

قال : ولما انصرف العجوز ، قلت للأستاذ (م) : ولكنْ ما خبر (كاترينا ومرغريت) وسنة ١٨٩٥ ؟

فقال : أيها الأبله ، أما أدركتَ بعدُ أن العجوزين قد سخرا منك بأسلوب جديد .... ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

ذكرى المولد الشريف

للشاعر المطبوع الأستاذ أحمد محرم

مِنْ هيبةٍ يُغضي القريضُ ويُطرق ... ويميل فيك إلى السكوت المنطقُ
إيذن يَفِض هـذا البيانَ فإنه ... مما يُفيضُ بيانكَ المتدفقُ
ما فى النوابغِ من لبيبٍ حاذقٍ ... إلا وأنتَ ألبُّ منه وأحذق
إن يلبس الشعرُ الجمال منوّراً ... عبقاً ، فأنتَ جماله والرونق
والقولُ مُستلَبُ المحاسن عاطلٌ ... حتى يقولَ العبقريُّ المفلق
رُضْتَ الأوابد لى أقودُ صعابها ... وَرَضيتني ، إنى إذاً لموفق
هى مدحتى انطلقت إليكَ مشوقة ... والسُّبْل تسطع ، والمنازلُ تعبَق
أنت المجالُ الرحب تعتصر القوى ... فيـهِ ، وتمتحن العتاقُ السُّبَّق
(حسان) منبهرٌ و(كعب) عاجز ... و (الشاعر الجعديُّ) عانٍ موثق
أطمعتهم فتنازعوا فيـك المدى ... وأبيت فانقلبوا وكلٌّ مُخفق
لى عذرهم ، ما أنت من عدة المنى ... إلا وَراء مخيـلةٍ ما تصدق
أنت احتملت الأمر تنصدع القوى ... مما يشق على النفوس ، وتصعق
وَسننت للمتعسفين سبيلهم ... متبلجاً سمحاً يُضيء ويُشرق
يمشى الهدى فيه على يدك التى ... هى للهـدى عضُدٌ أبرُّ ومرفق
ذُعرت (قريش) هل يبدل دينها ... رجلٌ ضعيف فى العشيرة مُملق ؟
لا المال ينصره ، ولا هو إن دعا ... خفق اللواء له ، وخف الفيلق
ينهى عن الأصنام وهى بموضع ... تمحى حواليه النفوس وتمحق
المـال والعِرض المنَّع سورُه ... والمجد والشرف الصميم المعرق
من وَصْفِه الأسْد الضوارى تدعى ... والخيل تصهل ، والقواضب تبرق

* * *

الحقُّ أقبـل فى لواء (إمامهِ) ... والحقُّ أولى أن يسود وأخلق
يرمى به سودَ الغياهب ساطعاً ... تنجاب حول سناه أو تتشقق
حارَ الظلام ، فما يلوذ بجانبٍ ... إلا يحيط به الضياء ويحدق
الوحى مطردٌ ، وبأس (محمد) ... جارٍ إلى غاياتهِ لا يُلحق
لا الضعف يأخذ من قواه ولا الونى ... بأولئك الهممِ الدوائبِ يَعلق

بغى الاولى خذلوه من أنصاره ... والبغى نصرٌ للهداة مُحقق

زعموا الأذى مما يفلُّ مضاءه ... فمضى البلاء به ، وجد المصدق

يأوى إلى النفر الضعاف وإنهم ... لأشد منهم فى النضال وأوثق

هم فى حمى (الوحى المنزل) صخرة ... تعيى الدُّهاةَ ، وجذوة تتحرق

وهبوا لربهم النفوس كريمة ... لا تُفتدى منه ، ولا هى تعتق

المؤمنون الثابتون على الهدى ... والأرض ترجف ، والشوامخ تخفق

رزقوا اليقين ، فلا ذليلٌ ضارع ... يطوى الجناحَ ، ولا جبانٌ مشفق

جند النبيِّ ، إذا تقدم أقبلوا ... والموتُ يفزع ، والمصارع تفرق

صدعوا بناء الشركِ تحت لوائه ... فهوى ، وطارَ لواؤه يتمزق

* * *

إن الذى جعل الرسالة رحمةً ... لم يرحم الدم فى الغواية يهرَق

بعث الرســولَ معلماً ومهذباً ... يبنى الحياةَ جديدةً يتأنق

يتخير الأخلاق ينظم حسنها ... فى كلِّ ركنٍ قائم ويُنسّق

عفت الرسوم وأخلقت فأقامها ... شماء لا تعفو ولا هى تخلق

قدسية الأرجاء ، ما برحابها ... عنتٌ ، ولا فيها مكان ضيق

تسع الممالك والشعوبَ بأسرها ... وتفيض خيراً ما بقينَ وما بقوا

عرفت لحاجات العصور مكانها ... فلكل عصرٍ سؤلُهُ والمرفق

مَنعت مغالقُها الشرورَ وما بها ... للخير والمعروفِ بابٌ مُغلق

فيها لِدُنياَ العالمين مَثابةٌ ... لولا التباعد والهوى المتفرق

(المصلح الأعلى) أتمّ نظامها ... فانظر أينقضه الغبىُّ الأخرق ؟

أوْفى على الدنيا ، وملءُ فجاجها ... بغى يزلزلها ، وظلم موبق

والناس فوضى فى البلاد يغرهم ... دينٌ من الخبل المضل ملفق

النفس مغلقــةٌ على أوهامها ... والعقل مضطهدٌ يُضامُ ويُرهق

سَجدوا لما صَنعوا ! فأين حلومهم ؟ ... ولمن جباهٌ بالمهانةِ تُلصق ؟

أهىَ التى رَفعوا وظنوا أنهم ... قوم لهم فوق السِّماكِ مُحلَّق ؟ ؟

من يدعى شرفَ الحياةِ لمعشرٍ ... كفروا بمن يَهَب الحياةَ ويخلق ؟

* * *

إن تَنْب (مكةُ) بالرسولِ فما نبا ... عزمٌ تُهَدُّ بِهِ الصعابُ وتُسحق

كذب الطغاة : أيُرجفونَ بقتله ... والوحى سورٌ والملائك خندق ؟؟

وَرَدَ (المدينةَ) زاخراً فجرى بها ... آذِيُّهُ ، وطما العُباب المغرق

بطلٌ توسَّع فى ميادين الوغى ... لما تضايَق عن مداه المأزق

ساسَ الحوادثَ والنفوس ، فتارة ... يَقِصُ الرقاب ، وتارةً يترفق

يدعو إلى الحسنى ، فإن جمح الهوى ... فالسيف مسنون الغرارِ مذلق

يرمى العوان بكلِّ أغلب باسلٍ ... يهفو إلى غمراتها يتشوق

لَمسَ العروش فما يزال يهزها ... ذُعرٌ يطوف بها وهمٌّ مقلق

صدعتْ قُوى الاسلام شامخ عزها ... فاذا المـــــلوك أذلة تتملق

وإذا الممالك ما يهلل مغربٌ ... إلا استجاب له فكبر مشرقٍ

* * *

هـذا تراث المسلمين ، فبعضه ... يُزجى علانيةً ، وبعض يسرق

عجز الحماةُ ، فنائمٌ متقلبٌ ... فوق الحشيَّةِ ، أو مغيظ مُحْنَق

عجزوا ، فلا السلَب المباح كريمه ... يحمى ، ولا العانى المكبل يُطلق

القوم صمٌّ فى السلاح ، وقومنا ... مستصرخٌ يعوى ، وآخرُ ينعق

إن كنت ذا حق فخذه بقوةٍ ... الحق يخذله الضعيف فيزهق

لُغــةُ السيوف تحل كل قضية ... فدع الكلام لجاهل يتشدق

وَكُن اللبيب ، فليس من كلماتها ... شرْع يُداس ، ولا نظامٌ يخرق

الخيل والرهج المثارُ حزوفها ... والنارُ والدمُ والبلاء المطبق

فتشت ما بين السطور فلم أجد ... أن الأسود بصيدها تتصدق

أرأيت أبطالَ الكفاح وماجنى ... أملٌ بأجنحة الرياح معاق ؟

لا يأسَ من نفحاتِ ربك إننى ... لأرى السنا خَللَ الدُّجى يتألق

أحمد محرم

نشـــيد وطنى

للأستاذ محمود الخفيف

مِصْرُ يا أرضَ الفراعين الأُولى موطنَ العِزَّةِ فى فجرِ الزَّمنْ
اسلمى انا نزعنا للعلا مُذْ دعانا للعلا داعى الوطنْ
وَحْيُ ماضينا جلاَ المستقبلاَ
فتبيَّنا المكانَ الأوّلا
وسئمنا فى الحمى طولَ الوسَنْ

دَرَجتْ فى ظِل وادينا الحياه وبماضى عزمنا سارَ المثلْ
قلْ لمن يزْهى بمجدٍ أو بجاه نحنُ أهْلُ السَّبْق فى المجدِ الأوّلْ
نحن أبناء الميامين الغُزاه
قد رفعنا اليومَ فى مِصْرَ الجباه
وتغنينا بألحانِ الاملْ

رُوحُنا أعْيَتْ على الدهر الفناء وطوت فى صمتها طول الحقَبْ
أبداً لن يفقد النيلُ الرجاء أو يرى واديه سوء المنقلبْ
عادت الروحُ وإن طال الخفاء
فتطلَّعنا إلى أوج العلاء
وطلبنا موضعاً فوق الشهبْ

سِرٌّ وادينا وإن طال السكون مستكنٌ فيه باقٍ مُدَّخَرْ
خالدٌ يطفو على غمر القرون نجتليه اليومَ محمودَ الأثرْ
فى غدٍ نُحيي به عَهْدَ الفنونْ
فى حمى النيل كما كُنَّا نكون
نجتنى من غرسنا أحلى الثمرْ

يا وَرِيدَ القلب فى الوادى الخصيب أنت يا من وهَبَ الوادى ثراه
سر، تدفق أيها النهرُ الحبيب يا عباباً يبْهرُ الفكرَ مداه
يا جَدِيداً وَهْوَ للدهرِ ضريبْ
يتجلىَّ فيك لى معنى عجيب
فطن القلبُ إليـــه فوعاه

أنت كالمصرىّ فى نزعته زاخر بالخير فياض المَعين
خالد تحكيه فى فطرته وادع تنساب فى خفض ولين
حالم كابنك فى رقتـــه
ولقــد تحكيه فى غضبته
باعتكار ثم تصفو بعـد حين

إيه يا رمز المعالى والخلود قد شهدت المجد والدهر غلام
وصحبت العزَّ فى كل العهود فى هجير الحرب أو ظلِّ السلام
قِرَّ عيناً أيها النهرُ الودود
قد صحونا بعد أن طال الهجود
وجمعنا بين رأى واعتزام

قد أبينا ذلة المستضعفين فوثبنا وثبةَ الأُسْد الغضابْ
قد كرهنا البحرَ مسلوب السفين وملِلْنا البرَّ موهون الجناب
فتآخينا على ضوء اليقين
وهتفنا نصرةُ الأوطان دين
قد دعت مصرُ فما أحلى العذاب !

لم ينل من عزمنا حرُّ الجهاد لا ولن نخشى مع الحق الردى
قُل لمن أعماه حقدٌ أو عناد نحن بالأرواح أعْزَزْنا الفدى
لازم الجدُّ خطانا والسداد
ولغير الحق لم نُلْقِ القياد
أقبــلَ الدهر علينا أو عدا

جنة الأرض رفعنا ذِكرها وملأنا باسمها سمْعَ الأمم
أوَ لم ننشر لها دُستورَها بالدَّم المسفوح من طىِّ العدم ؟
بُغية النيـل عرفنا مهرَها
فلمحنا بعد حين فجرَها
وغداً نـكشف عن مصرَ الظُلَم

شَيِّع الليلَ فقد لاح الصباحْ لم يَقِف يوماً عن الدأْبِ الفَلَكْ
عَهْدُنا عهدُ جهاد وكفاحْ بهما كلُّ عصىٍّ يُمتلَكْ
فامتــلىء من كبرياء وطماح
واتجِهْ صوبَ السموات الفساح
يا ابن مِصْرٍ فالعـلا والمجد لك

محمود الخفيف

القصص

قصة أندلسية واقعية

محمد الصغير *

للأستاذ علي الطنطاوي

قال :

كنت يومئذ صغيراً ، لا أفقه شيئاً مما كان يجرى فى الخفاء ، ولكنى كنت أجد أبى — رحمه الله — يضطرب ويصفرّ لونه كلما عدت من المدرسة فتلوت عليه ما حفظت من (الكتاب المقدس) ، وأخبرته بما تعلمت من اللغة الاسبانية ، ثم يتركنى ويمضى إلى غرفته التى كانت فى أقصى الدار ، والتى لم يكن يأذن لأحد بالدنو من بابها ، فيلبث فيها ساعات طويلة ، لا أدرى ما يصنع فيها ، ثم يخرج منها محمرّ العينين ، كأنه قد بكى بكاء طويلاً ، ويبقى أياماً ينظر إلىّ بلهفة وحزن ، ويحرك شفتيه فعلَ من يهم بالكلام ، فاذا وقفت مصغياً إليه ولاّنى ظهره ، وانصرف عنى من غير أن يقول شيئاً — وكنت أجد أمى تشيّعنى كلما ذهبت إلى المدرسة حزينة دامعة العين ، وتقبلنى بشوق وحرقة ، ثم لا تشبع منى فتدعونى فتقبلنى مرة ثانية — ولا تفارقنى إلا باكية ، فأحس نهارى كله بحرارة دموعها على خدى ، فأعجب من بكائها ولا أعرف له سبباً ؛ ثم إذا عدت من المدرسة استقبلتنى بلهفة واشتياق ، كأنى كنت غائباً عنها عشرة أعوام — وكنت أرى والدىّ يبتعدان عنى ويتكلمان همساً بلغة غير اللغة الأسبانية ، لا أعرفها ولا أفهمها ، فاذا دنوت منهما قطعا الحديث وحوّلاه ، وأخذا يتكلمان بالاسبانية فأعجب وأتألم وأذهب أظنّ فى نفسى الظنون حتى إنى لأحسب أنى لست ابنهما ، وانى لقيط جاءا به من الطريق فيبرح بى الألم فآوى إلى ركن فى الدار منعزل فأبكى بكاء مراً — وتوالت علىّ الآلام فأورثتنى مزاجاً خاصاً يختلف عن مزاج الأطفال الذين كانوا فى مثل سنى ، فلم أكن أشاركهم فى شىء من لعبهم ولهوهم ، بل أعتزلهم وأذهب ، فأجلس وحيداً أضع رأسى بين كفى ، وأستغرق فى تفكيرى ، أحاول أن أجد حلاً لهذه المشكلات . . . حتى يجذبنى الخورى من قميصى لأذهب إلى الصلاة فى الكنيسة . . .

وولدت أمى مرة ؛ فلما بشرت أبى بأنها قد جاءت بصبى جميل ، لم يبتهج ولم تلحْ على شفتيه ابتسامة ، ولكنه قام يجر رجله حزيناً ملتاعاً ، فذهب إلى الخورى فدعاه ليعمد الطفل ، وأقبل يمشى وراءه وهو مطرق برأسه إلى الأرض وعلى وجهه علائم الحزن المبرح واليأس القاتل ، حتى جاء به إلى الدار ودخل به على أمى . . . فرأيت وجهها يشحب شحوباً هائلاً ، وعينيها تشخصان ، ورأيتها تدفع إليه الطفل خائفة حذرة . . ثم تغمض عينيها ، فحرت فى تعليل هذه الظاهرة ، وازددت ألماً على ألمى . .

حتى إذا كانت ليلة عيد الفصح ، وكانت غرناطة غارقة فى العطر والنور ، والحمراء تتلألأ بالمشاعل والأضواء ، والصلبان تومض على شرفاتها ومآذنها ، دعانى أبى فى جوف الليل ، وأهل الدار كلهم نيام ، فقادنى صامتاً إلى غرفته ، إلى حرمه المقدّس ، فخفق قلبى خفوقاً شديداً ، واضطربت ، لكنى تماسكت وتجلدت ، فلما توسط بى الغرفة أحكم إغلاق الباب ، وراح يبحث عن السراج ، وبقيت واقفاً فى الظلام لحظات كانت أطول علىّ من أعوام ؛ ثم أشعل سراجاً صغيراً كان هناك ، فتلفت حولى فرأيت الغرفة خالية ليس فيها شىء مما كنت أتوقع رؤيته من العجائب ، وما فيها إلا بساط ، وكتاب موضوع على رفّ ،

* أخذنا فكرة هذه القصة من السطور الأولى من مقدمة كتاب (الأنوار النبوية فى آباء خير البرية) لسيدى محمد بن عبد الرفيع الأندلسى المتوفى بالمغرب سنة ١٠٥٢ ، وهو كتاب مخطوط ، وقد قرأنا هذه المقدمة فى الجزء الثانى فى الصفحة (٢٤) من كتاب (حاضر العالم الاسلامى ، طبع مصر ١٣٥٢)

وسيف معلق بالجدار ، فأجلسني على هذا البساط ، ولبث صامتاً ينظر إليّ نظرات غريبة ، اجتمعت عليّ هي ورهبة المكان ، وسكون الليل ، فشعرت كأني انفصلت عن الدنيا التي تركتها وراء هذا الباب ، وانتقلت إلى دنيا أخرى ، لا أستطيع وصف ما أحسست به منها . . . ثم أخذ أبي يديّ بيديه ، بحنو وعطف وقال لي بصوت خافت :

— يا بنيّ : إنك الآن في العاشرة من عمرك ، وقد صرت رجلاً ، وإني سأطلعك على السر الذي طالما كتمته عنك . فهل تستطيع أن تحتفظ به في صدرك ، وتحبسه عن أمك وأهلك وأصحابك والناس أجمعين ؟ إن إشارة منك واحدة إلى هذا السر تعرض جسم أبيك إلى عذاب الجلادين من رجال « ديوان التفتيش »

فلما سمعت اسم ديوان التفتيش ارتجفت من مفرق رأسي الى أخمص قدمي ، وقد كنت صغيراً حقاً ، ولكني أعرف ما هو ديوان التفتيش ، وأرى ضحاياه كل يوم وأنا غاد الى المدرسة ورائح منها — فمن رجال يصلبون أو يحرقون ، ومن نساء يعلقن من شعورهن حتى يمتن ، أو تبقر بطونهن ، فسكت ولم أجب

— فقال لي أبي : مالك لا تجيب ؟ أتستطيع أن تكتم ما سأقوله لك ؟

— قلت له : نعم

— قال : تكتمه حتى عن أمك وأقرب الناس إليك ؟

— قلت : نعم

قال : — فاقترب مني . أرهف سمعك جيداً . فاني لا أقدر أن أرفع صوتي . أخشى أن تكون للحيطان آذان تسمعني فتشي بي الى ديوان التفتيش فيحرقني حياً ...

فاقتربت منه ، وقلت له :

— إني مصغ يا أبت

فأشار الى الكتاب الذي كان على الرف . وقال :

— أتعرف هذا الكتاب يا بني ؟

— قلت لا

— قال هذا كتاب الله

— قلت الكتاب المقدس الذي جاء به يسوع ابن الله ؟

فاضطرب وقال :

— كلا . هذا هو القرآن الذي أنزله الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . على أفضل مخلوقاته وسيد أنبيائه ، سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي صلى الله عليه وسلم

ففتحت عيني من الدهشة . ولم أكد أفهم شيئاً

— قال : هذا كتاب الاسلام ، الاسلام الذي بعث الله به محمداً الى الناس كافة .. فظهر هناك ... وراء البحار والبوادي ... في الصحراء البعيدة القاحلة ... في مكة ، في قوم بداة مختلفين مشركين جاهلين ، فهداهم به الى التوحيد وأعطاهم به الاتحاد والقوة والعلم والحضارة ، فخرجوا يفتحون به المشرق والمغرب ، حتى وصلوا إلى هذه الجزيرة ، الى أسبانيا ، وكان ملكها جباراً عاتياً ، وحكومتها ظالمة غاشمة ، وشعبها مظلوماً فقيراً جاهلاً متأخراً ، فقتلوا الملك الجبار ، وأزالوا الحكومة الظالمة ، وملكوا الأمر في أسبانيا ، فعدلوا بين الناس وأحسنوا اليهم وأمنوهم على أرواحهم وأموالهم ، ولبثوا فيها ثمانمائة سنة . . . ثمانمائة سنة جعلوها فيها أرقى وأجمل بلاد الدنيا

نعم يا بني نحن العرب المسلمين ...

فلم أملك لساني من الدهشة والعجب والخوف ، وصحت به :

— ما ذا ؟ نحن ؟ ... العرب المسلمين

— قال : نعم يابني . هذا هو السر الذي سأفضي به اليك ... نعم . نحن ... نحن أصحاب هذه البلاد ، نحن بنينا هذه القصور التي كانت لنا فصارت لعدونا ؛ نحن رفعنا هذه المآذن التي كان يرن فيها صوت المؤذن ، فصار يقرع فيها الناقوس ؛ نحن أنشأنا هذه المساجد التي كان يقوم فيها المسلمون صفاً بين يدي الله ، وأمامهم الأئمة يتلون في المحاريب كلام الله فصارت كنائس يقوم فيها القسس والرهبان يتلون فيها الانجيل ...

نعم يا بني ... نحن العرب المسلمين ، لنا في كل بقعة من بقاع أسبانيا أثر ، وتحت كل شبر منها رفات جد من أجدادنا ، أو شهيد من شهدائنا . نعم ... نحن بنينا هذه المدن ، نحن أنشأنا هذه الجسور ، نحن مهدنا هذه الطرق ، نحن شققنا هذه الترع ، نحن زرعنا هذه الأشجار ...

ولكن منذ أربعين سنة ... أسامع أنت ؟ منذ أربعين سنة خدع الملك البائس ، أبو عبد الله الصغير آخر ملوكنا في هذه الديار بوعود الاسبان وعهودهم فسلمهم مفاتيح غرناطة ، وأباحهم حمى أمته ومدافن أجداده ، وأخذ طريقه إلى بر المغرب ، ليموت

هناك وحيداً فريداً شريداً طريداً ، وكانوا قد تعهدوا لنا بالحرية والعدل والاستقلال . فلما ملكوا خانوا عهودهم كلها ، فأنشأوا ديوان التفتيش ، فأدخلنا فى النصرانية قسراً ، وأجبرنا على ترك لغتنا إجبارا ، وأخذ منا أولادنا لينشئهم على النصرانية . فذلك سر ما ترى من استخفائنا فى العبادة ، وحزننا على ما نرى من امتهان ديننا ، وتكفير أولادنا

أربعون سنة يا بنى ونحن صابرون على هذا العذاب الذى لا تحمله جلاميد الصخر ننتظر فرج الله . لا نيأس لأن اليأس محرم فى ديننا ، دين القوة والصبر والجهاد

هذا هو السر يابنى فاكتمه واعلم أن حياة أبيك معلقة بشفتيك ؛ ولست والله أخشى الموت ، أو أكره لقاء الله ، ولكنى أحب أن أبقى حتى أعلمك لغتك ودينك ، وأنقذك من ظلام الكفر إلى نور الايمان . فقم الآن الى فراشك يا بنى

* * *

صرت من بعد كلما رأيت شُرَف الحمراء ، أو مآذن غرناطة ، تعرونى هزة عنيفة ، وأحس بالشوق والحزن والبغض والحب يغمر فؤادى ؛ وكثيراً ما ذهلت عن نفسى ساعات طويلة ، فاذا تنبهت رأيتنى أطوف بالحمراء أخاطبها وأعاتبها وأقول لها :

أيتها الحمراء . . . أيتها الحبيبة الهاجرة ، أنسيت بناتك وأصحابك الذين غذوك بأرواحهم ومهجهم ، وسقوك دماءهم ودموعهم ، فتجاهلت عهدهم ، وأنكرت ودهم . أنسيت الملوك الصيد الذين كانوا يجولون فى أبهائك ، ويتكئون على أساطينك ، ويفيضون عليك ما شئت من المجد والجلال والأبهة والجمال ، أولئك الأعزة الكرام الذين إن قالوا أصغت الدنيا ، وإن أمروا لبى الدهر . أألفت النواقيس بعد الأذان ، أرضيت بعد الأئمة بالرهبان !

ثم أخاف أن يسمعنى بعض جواسيس الديوان ، فأسرع الكرّة إلى الدار لأحفظ درس العربية الذى كان يلقيه علىّ أبى ، وكأنى أراه الآن يأمرنى أن أكتب له الحرف الأعجمى فيكتب لى حذاءه الحرف العربى ، ويقول لى : هذه حروفنا ، ويعلمنى النطق بها ورسمها ، ثم يلقى علىّ درس الدين ، ويعلمنى الوضوء والصلاة لأقوم وراءه وهو يصلى خفية فى هذه الغرفة الرهيبة وكان الخوف من أن أزل فأفشى السر ، لا يفارقه أبداً ، وكان يمتحننى فيدس أمى إلىّ فتسألنى :

— ماذا يعلمك أبوك ؟

— فأقول : لا شىء

— فتقول : إن عندى نبأ مما يعلمك ، فلا تكتمه عنى

— فأقول : إنه لا يعلمنى شيئاً

حتى أتقنت العربية ، وفهمت القرآن ، وعرفت قواعد الدين ، فعرّفنى بأخ له فى الله ، فكنا نجتمع نحن الثلاثة على عبادتنا وقرآننا

* * *

واشتدت بعد ذلك قسوة ديوان التفتيش ، وزاد فى تنكيله بالبقية الباقية من العرب ، فلم يكن يمضى يوم لا نرى فيه عشرين أو ثلاثين مصلوباً ، أو محرقاً بالنار حياً ؛ ولا يمضى يوم لا نسمع فيه بالمئات يعذبون أشد العذاب وأفظعه ، فتقلع أظافرهم وهم يرون ذلك بأعينهم ، ويسقون الماء حتى تنقطع أنفاسهم ، وتكوى أرجلهم وجنوبهم بالنار ، وتقطع أصابعهم وتشوى وتوضع فى أفواههم ، ويجلدون حتى يتناثر لحمهم ...

واستمر ذلك مدة طويلة ، فقال لى أبى ذات يوم : إنى أحس يا بنى كأن أجلى قد دنا ، وإنى لأهوى الشهادة على أيدى هؤلاء ، لعل الله يرزقنى الجنة ، فأفوز فوزا عظيما ؛ ولم يبق لى مأرب فى الدنيا بعد أن أخرجتك من ظلمة الكفر وحمّلتك الأمانة الكبرى التى كدت أهوى تحت أثقالها ، فاذا أصابنى أمر فأطع عمك هذا ولا تخالفه فى شىء

* * *

ومرت على ذلك أيام . وكانت ليلة سوداء من ليالى السَّرار ، وإذا بعمى هذا يدعونى ويأمرنى أن أذهب معه ، فقد يسر الله لنا سبيل الفرار إلى عدوة المغرب ، بلد المسلمين ؛ فأقول له : وأبى وأمى ؟ . . .

فيعنف علىّ ويشدّنى من يدى ، ويقول لى : ألم يأمرك أبوك بطاعتى ؟

فأمضى معه صاغراً كارهاً ، حتى إذا ابتعدنا عن المدينة وشملنا الظلام ، قال لى :

— اصبر يا بنىّ . . . فقد كتب الله لوالديك المؤمنين السعادة على يد ديوان التفتيش . . . .

(دمشق) على الطنطاوى

من اسخيلوس

لايوس وأوديب

« درامتان مفقودتان »

للأستاذ دريني خشبة

مقدمة : كانت محنة بيت لايوس ملك طيبة ، من أعمال بووطيه إحدى مقاطعات هيلاس ، مرتعا خصيبا لأخيلة شعراء اليونان ، وقد اتخذوا منها مادة خالدة لمآسيهم ، وكتب فيها إسخيلوس ثلاثا من أروع مآسيه هي لايوس ، أوديبوس ، سبعة ضد طيبة . وقد فقدت الدرامتان الأوليان مع الأسف الشديد ، وبقيت الثالثة التي تنم بأسلوبها الرائع عما كانت عليه أختاها من الكمال والسمو . ومما يعزينا عن فقدتينك الدرامتين ما وصل إلينا من آثار سوفوكليس ؛ فقد ساهم هو الآخر في تخليد تلك المآسي وأبقت غير الأيام على درامتيه القويتين (أوديبوس الملك) و (أوديبوس في كولونوس) ولما كنا لم نسغ تقديم الدرامة الباقية من ثلاثية إسخيلوس وهي (سبعة ضد طيبة) دون التعريف بالدرامتين اللتين تقدمتاها فقد آثرنا تلخيص هاتين الدرامتين عن مصادر محترمة موثوق بها على أن نلخص الدرامة الباقية بعد ذلك

— ١ —

تزوج لايوس ملك طيبة من الأميرة الجميلة جوكاستا ، ومضت سنون والملكة لا تنجب ؛ فكان عقمها يشجي الملك ، ويكدر صفو حياته ؛ وكانت هي أيضاً تحس بما يحس زوجها من مرارة الحياة بلا ولد ، وإقفار القصر من بلبل غَرِدٍ يملؤه موسيقى ويعمر ما أجدب روحي المليكين ، ويربط قلبيهما برباطه المقدس الذي لا ينفصم

فكان الملك وقتاً ما شقيا ، وكانت الملكة وقتا ما شقية

— ٢ —

ثم أخذها المخاض فجأة ، وتحقق الأمل المنشود فوضعته غلاماً زكياً مشرق الوجه مُفْتر الثغر وضاح الجبين . يقبض كفيه الصغيرتين فكأنما يقبض بهما على نواصي المشرقين والمغربين !

وبدا للملك أن يرسل رسله إلى دلفي يستنبئون كهنة أبولو عما سيكون من شأن الغلام ، وما يضمره له الغيب في صفحته

واأسفاه ! لقد عاد الرسل من دلفي بأشأم نبوءة !!

« إذا عاش هذا الغلام فانه يقتل أباه ، ويتزوج من أمه ، ويجر على شعبه شقاء ما ينتهي حتى تفنى ذريته ! ! »

ياللهول ! لقد سمع الملك إلى النبوءة ؛ وكأنما انطفأت في عينيه شمس السعادة المشرقة ، وكأنما ران على قلبه من الهم ما يضنيه ، فما يدري ماذا يصنع ! ؟

أما الملكة ، فيالها من شقية مرزّأة ! لقد أحست ، مذ عرفت النبوءة ، كأنما قد ولدته أفعوانا أرقم ، كهذه التنانين الخرافية التي تمتلئ بها أساطير قومها ! . . .

— ٣ —

وأسقط في يد الملك ، ثم اعتزم أن يُقتل الغلام ، فعسى أن تبدله الآلهة خيراً منه : « إن نبوءات دلفي لا تكذب ولا تطيش ، وما دام هـذا الولد سيقتلني إذا عاش ، فاني قاتله ، ومجنّب أمه الفضيحة ، وشعبي الرزايا والأشجان ! »

ودعا اليه واحداً من خدمه المخلصين فأسر اليه بكلمات . . . واحتمل الخادم الغلام ومضى به إلى البرية ليذبحه ...

ونظر الرجل في وجه الطفل فرأى البراءة والطهارة والنقاء ، ورأى عينين صافيتين تطل منهما السماء بما فيها من آلهة ... كأنما تأمره ألا يفعل ! ...

ورأى شفتين رقيقتين كأنما تكلمانه بلغة علوية في ألفاظ كالنسيم الحلو لا تُبين ، ولكن تغمغم ... ولا تُسمع ولكن تُفهم ... تسترحمانه !

ورأى أذنين ترتعشان كالدينارين ، كأنما تقولان له : « أيها الرجل لقد سمعنا ما أسر إليك الملك فحذار أن تقتل هذا الطفل صاحبنا ! ... »

ثم نظر الرجل في السماء فرأى سحاباً رقيقاً ممزقاً تصبغه الشمس بأرجوان خفيف كالدم المطلول ، فيجفل قلبه ، وتراع نفسه ويقسم ألا يقتل الولد !

ولكن ماذا يقول للملك ؟ إذن : « لأربط الطفل من عقبيه في هذا الفرع الغليظ من تلك الشجرة ، ولأتركه للآلهة تصنع به ما تشاء ... فاذا حق عليه القتل ، سعت اليه وحوش البرية أو عقبان السماء فاغتذت به ... وإلا ، فليحى حياته التي تريدها الآلهة ... وليكن بعد ذلك ما يكون ! »

— ٤ —

وبكى الطفل ، وملأ البرية بصراخه المحزن ، ورددت الآكام ومشارف الجبال عويله المؤلم ، ثم مر به راع كان يفتقد أحد نعاجه الضالة فرنى له ، وتقدم لحل الرباط عن عقبيه ، وشدهه أن يجدهما متورّمين مما ألم بهما ، فسماه (أوديپوس !)[1]

وارتحل به إلى كورنثه ، فرآه معه من نم عنه إلى الملك الذى كانت امرأته عقيما لا تلد ، فحبب إلى پوليبوس أن يرى الطفل عسى أن يتخذه ولداً . فلما أحضر إليه أنس فى عينيه بريقاً عجيبا وفى جبينه لألاء قويا ، وفى روحه الصغيرة روحا كبيرا يكاد يملأ الأكوان ... فقال للملكة : « إن لم يكن هذا الطفل ابن ملك ، فما أحسبه خلق إلا ليكون ملكا ... ألا نتخذه ولى عهد ؟ »

وشب أوديبوس ، أو أوديب ، وأحبه الملك ، وغمرته الملكة باعزازها ، وكان هو يهتف بالملك « أى أبى ! » وبالملكة « يا أمى ! » وهو لا يعرف مما أخفياه عنه شيئا !

— ٥ —

أما لايوس ، ملك طيبة ، فانه تنفس الصعداء لما حسب من قتل الطفل ، وتنفست الملكة الصعداء كذلك ... أما الأقدار ، فما برحت تسخر منهما ، وتضحك ملء أشداقها عليهما ... وما برحت كذلك تعد العدة للمستقبل الرهيب !

— ٦ —

وترعرع أوديپوس ، ونشأ مفتول العضل هرقلى الصدر ، قويم الأخلاق ، فيه نخوة الملك ، ورفعة العرش ، إلى كرم أرومة وطيب محتد

وحُم القضاء ... وأقيم فى القصر الملكى حفل فخم ، دعى إليه سادات طيبة وشبابها ... وقدمت الآكال والأشربات ... وقهقهت أباريق الخمر فى الكؤوس ... وفى الرؤوس ، وذهبت أشوابها بوقار الشباب فتحرش بعضهم بأوديب ، الذى لم يكن ممن تأسر الخمر لبه ، فرده أوديب فى حزم ، وفى أدب ؛ ولكن الشاب خاشن ولى العهد ، ثم لمزه ، وهو لا يدرى ما يقول ، لمزةً نبهت غافل أوديب ؛ ذلك أنه عيره بأصله المجهول ...

(١) معناها فى اليونانية (ذوالقدمين المتورمتين) وفى بعض المصادر أن ملك كورنثه هو الذى سماه هذه التسمية

— ٧ —

« أصلى المجهول ؟ ماذا يقول هذا المعتوه ؟ مجهول كيف ؟ أو لست ابن پوليبوس ملك كورنثه ؟ أو ليست هذه الملكة الجليلة أمى ؟ بلى ؟ ! لقد كنت أحس دائماً أننى لا أستنشق هواء الأبوة فى هذا القصر ! ... ويلاه ! السر العجيب ... السر العجيب ... »

وانطلق المسكين إلى مخدعه يبكى وينتحب ... وانطلقت الملكة فى إثره ترفه عنه وتواسيه ، وتحلف له بالأيمان المغلظة أنه ابنها ... وأنها أمه ... ولكن ... هيهات ! فلم يكن أوديب من البله والغفلة بحيث ينخدع بهذه الأيمان التى لا تصدر عن اخلاص الأم الحقيقية ، ولا يشف عن صدقها حب الأمهات الذى يدل على نفسه ...

« لا ! بل أنا أوديب التاعس ! أنا أوديب المسكين الذى لا يعرف له أماً ، ولا يدرى له أباً ... الوداع أيها القصر المملوء بالخداع ... الوداع أيها الملك الذى أكرمتنى كأننى ابنك ... إغفرى لى أيتها الملكة التى أحببتنى كأننى ابنها ... سأنطلق ... سأهيم على وجهى فى القفار والفلوات ... لا بد أن أعرف ... لا بد أن أعرف من أنا ... من أبى ... من أمى ... الوداع ... الوداع ... »

وانطلق المسكين لا يلوى على شىء ... غير مزود من هذا الملك العريض والسلطان الواسع إلا بسيفه ... حتى إذا بلغ أفق طيبة ، وقف على ربوة عالية يلقى على ملاعب الصبى ومراتع الشباب نظرة باكية ... ثم مضى ...

— ٨ —

كانت الشكوك القاتلة تعصف بنفس أوديب ، وكان يحاول أن ينسى كلمة الشاب المفتون الذى لمزه ... ولكن عبثاً حاول ذلك ... وكان يجهد فيما بينه وبين نفسه أن يفسر تلك النظرات الصارمة التى تبادلها ضيوف القصر بعد أن قال الشاب قالته ، ولكنها كانت تعتاص بالمعانى السود فى نفسه ، وتثير فى أعماقه ألواناً من الرِّيَب تغلى بدمه فى رأسه ...

وذكر أمه — أو الملكة — وهى تحاول أن تنفقله ، وذكر سمات الخداع فى ألفاظها ، فوقر فى نفسه أنه لا بد ابن



المباحث المصرية والعلم الحديث

صدرت نشرة خاصة بمحاضرة ألقاها الأستاذ بلاكمان في جامعة ليفربول عن « قيمة المباحث المصرية في العالم الحديث » ؛ وفيها يبسط التجارب الأولى التي قام بها الحكماء المصريون في الرياضة والفلك ، وينوه بحقيقة تاريخية هامة فطن اليها الفراعنة وهي أنه من الخطر أن يسمح لدولة أجنبية أن تحتل فلسطين .

ويقول الأستاذ في رسالته إن دراسة الاقتصاديات المصرية في عصر البطالسة تفيد العالم الحديث ، وأنه يمكن أن نلاحظ أن مثل هذه الظروف كانت موجودة بعصر منذ الأسرة الثامنة عشرة ، وأن المهندس الحديث يستطيع أن يفيد من دراسة الآثار المصرية القديمة ، ولاسيما الاهرام ، وما تدلى به من نظريات هندسية بارعة في شؤون الزوايا والمخروطات ، وفي شؤون الزخارف البديعة التي تناسب دائماً أبنيتها . وإذا كان الذوق الحديث يتطلب التناسق بين الأبنية والزخارف ، فانه لم تحرز أمة في التاريخ براعة المصريين القدماء في اتقان هذا التناسق

ويرى الأستاذ بلاكمان أيضاً أن المصريين كان لهم أثر كبير في نمو الحضارة الغربية ، وذلك بتأثيرهم المباشر أو غير المباشر على الحضارة اليونانية ، وأن حكمة المصريين كانت ذات أثر قوي في صوغ تعاليم « العهد القديم » بل كانت ذات أثر في صوغ التعاليم النصرانية ذاتها

كشف جديد بصحراء الأهرام

وفق الأستاذ سليم بك حسن الى كشف جديد بصحراء الأهرام ، وهو مقبرة كاهن من كهنة الأسرة الخامسة اسمه « نخت كا » كان رئيسا للمحفوظات الملكية وأمينا على مخازن الملك . وتقع المصطبة التي وجدت بها مقبرته جنوب مصطبة الأمير (جونوم بات) ، وهي مبنية من الحجارة الجيرية ، ولها مدخل يفتح الى جهة الشرق ، ويفضي الى بهو ذي أعمدة من الحجر ؛ وفي الحائط الجنوبي للبهو نافذة يدخل منها الضوء الى المكان

وفي الطرف الجنوبي الغربي مدخل يفضي الى حجرة زينت بنقوش ورسوم تمثل الحياة اليومية حينذاك

وهناك بابان وهميان نقشت عليهما تعاويذ وصيغ معروفة

ومن خلف هذين البابين عثر الكاشف على بئر وجدت بعد تفريغها منتهية الى حجرة صغيرة منحوتة في الصخر ، وفي هذه الحجرة عثر على تابوت من الصخر أيضاً فيه الهيكل العظمي للكاهن « نخت كا » ملفوفاً بالذهب

وقد عثر في هذه المقبرة على ١٥ آنية من النحاس بينها طست وابريق لا يختلفان عما يصنع منهما الآن ، وكذلك عثر على أطباق ومعدات للأكل موضوعة على شكل مائدة استعداداً لتناول الطعام عند ما يبعث صاحب المقبرة ، كما عثر بالقرب من هذه المائدة على عظام الثيران التي نحرت وأعدت للطعام

أين آخرين غير بوليبوس وزوجه

« إذن ... إلى دلفي ! لأذهب إلى دلفي ! لأستوح كهنة أبوللو ، فعندهم الخبر اليقين »

وهام على وجهه حتى كان في دلفي ، وحتى وقف في هيكل أبوللو يبكي ويستنبئ الكهنة !

وساد المعبد صمت رهيب ، وانعقدت في أرجائه سحابة داكنة من بخور العنبر ، ثم انقدحت ثمة شرارة هائلة هي التي تسبق كلمات الالـه دائماً ... وإذا صوت مذبوح يتهدج قائلاً :

« ويح لك يا أوديب ! أهو أنت ؟ إذهب أيها التعس ، فقد قضي أن تقتل أباك ، وتتزوج من أمك ، وتجر التعاسة على شعبك ... »

وصمت الصوت ، ومضى أوديب لطيته ... أو لغير طيته :

(لها بقية) دريني خشبه

وعلى جدران المقبرة نقوش تمثل الحياة المصرية ، فمنها ما يمثل جوقات رقص وموسيقى ، وفى مقدمة الآلات الموسيقية القيثارة والصفارة وإلى جانب هذه النقوش الفنية ما يمثل نوعاً من أنواع التحية عند قدماء المصريين وهى التحية الخاصة بمقدمى القرابين الى الكاهن الأكبر ، فقد كان كل منهم يتقدم نحو الكاهن وهو يجر بيمناه الثور فى حين أنه يلتفت الى المكان ويضع يسراه على صدره بحيث تلمس الأصابع أعلى الكتف

الى زميلنا المهذب صاحب (المكشوف)

شوهت — سامحك الله — فى ذهنى صورة جميلة كانت للمكشوف . فقد اعتقدت — وكنت على وشك أن أعلن هذا الاعتقاد — أن مجلة (العصبة) فى سان باولو ، وجريدة (المكشوف) فى بيروت ، تكتبان اليوم فصلاً قيماً فى تاريخ الأدب العربى الحديث ؛ وأن العصبة الأندلسية الكريمة التى تصدر تلك المجلة فى المهجر ، وعصبة العشرة التى تحرر هذه الجريدة فى الوطن ، إنما تجريان على تقاليد لبنان العربى فتتمان ما بدأ به آل اليازجى وآل البستانى وأضرابهم من رجال الفكر والترجمة والصحافة والتمثيل الذين عاونوا مصر على إحياء هذه النهضة ؛ وأن هؤلاء الأدباء الأوفياء إنما هم حجة العربية والعروبة على هذا الأدب الدخيل الذى يستمد وجوده من فينيقية القديمة وفرنسا الجديدة ثم يزعم للأغرار أنه أدب لبنان !

نعم كنت أعتقد فى المكشوف ما أعتقد فى العصبة حتى قرأت فى عدده الأخير مقالاً وجهته الىَّ فزعزع فى نفسى أساس هذه العقيدة !

ما رأيك فى رجل تكلمه فى موضوع عام فى الأدب فيقول لك : إنك شتمتنى فأنا أشتمك ؟! ان كنت تقول إن هذا الرجل لا يوجد فى الناس فتعال اذن أسألك : كيف فهمت من مقال (النقد المزيف) أنه رد عليك فقلت ما نصه : « رد الأستاذ الزيات فى رسالته علينا ولا يسمينا مخافة أن نرى بالجمود حين يحمل على دعاة الجديد والقائلين بأدب الحياة فيعمد الى اللف والدوران والتلميح . . . » ثم قلت بعد ذلك : « يقول صاحب الرسالة رداً على الحملة التى نحملها على أدب الألفاظ وشعر البكاء المتكلف والرثاء الكاذب . . . (إن هذا النقد إما أن ينبعث من مكامن الحقد فيرمى الى التجريح ، وإما أن ينطلق من مواضع الغرور فيسمى الى الهدم) ثم رتبت على هذا الفهم أو الوهم ما سوغه لك أدبك . إن كنت تقرأ ما فى السطور كما يقرأ الناس فالأمر إذن لمنطق الناس ، وان كنت تقرأ ما بين السطور فالأمر لك وحدك . وما حيلة المنطق فى (دون كيشوت) الذى يريد أن يبنى بطولته على معارك من الوهم ؟ على أننى كنت أحب أن ترعى جانب الأدباء الذين يعاونونك فى تحرير المكشوف فتربأ بهم عن هذا الموضع الذى ارتضيته لنفسك . أما حملتك الهوجاء على الأستاذ الرافعى فهو أقدر الناس على ردها عليك إن شاء

عدد الطلاب الذين تقدموا هذه السنة للامتحانات العامة

بلغ عدد الطلبة والطالبات الذين تقدموا من المدارس المصرية للامتحانات العامة : (البكالوريا ، والابتدائية ، وكفاءة التعليم الأولى ، والمعلمات الراقية) فى السنة المكتبية الحالية ٢٣٫٢٠٨

فالذين تقدموا لامتحان شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان ٥٫٤٤٥ طالباً ، منهم ٢٫١٥٥ بالقسم الأدبى و٣٫٢٩٠ بالقسم العلمى . والذين تقدموا لامتحان شهادة الدراسة الابتدائية قد بلغ عددهم ١٦٫٣٣٩ . وعدد الذين تقدموا لامتحان شهادة كفاءة التعليم الأولى ١٫٣٦٤ منهم ٩٣٥ كفاءة المعلمين و٤٢٩ كفاءة معلمات

وبلغ عدد الطالبات اللائى تقدمن لامتحان شهادة المعلمات الاولية الراقية ٦٠ طالبة منهم ١٥ بالتعليم العام و١٧ بقسم التدبير المنزلى و١٥ بقسم رياض الأطفال والرسم و١٣ بقسم تخصيص تربية العميان

أزفالد شبنجلر

نعت إلينا أنباء ألمانيا الأخيرة الكاتب والفيلسوف الاجتماعى الألمانى أزفالد شبنجلر O. Spengler توفى فجأة فى مدينة ميونيخ بالسكتة القلبية فى السادسة والخمسين من عمره ؛ وكان قبل أن يخوض ميدان الكتابة الحرة أستاذاً فى إحدى المدارس الثانوية ولكنه فى سنة ١٩١١ هجر التعليم ، ونزل ميدان الصحافة والكتابة الحرة وهو فى عنفوان شبابه ، واشتهر بكتاباته فى الموضوعات الاجتماعية والثقافية ، بيد أنه لم يبلغ الذروة فى عالم

الـكتابة يومئذ ؛ وإنما بلغ شبنجلر ذروة الشهرة والنفوذ كمفكر وكاتب مبتكر بعـد الحرب الـكبرى حين أصدر كتابه الشهير : « انحلال الغرب » Untergang des Abendlands ، الذى طبع مرات عديدة فى وقت قصير وترجم إلى معظم اللغات الحية

وقد كان صدور هذا الـكتاب حادثاً أدبياً وفـكرياً عظيما ، بل يعتبر أعظم حادث فـكرى وقع فى ألمـانيا بعد الحرب . وفيه يدرس شبنجلر قوانين النمو والانحلال فى التاريخ ، ويشرح التطورات التاريخية بطريق الدرس المقارن للعلوم الطبيعية وأصول الحيوان والنبات ، ويتناول فى بحثه كل ما يتصل بمصير الانسان وطالعه ، سواء من ناحيـة الدولة أو المجتمع . ويعتقد شبنجلر أنه استطاع بهذا العرض أن يطلع مواطنيه على الحلقة التى يستأنف منها التاريخ سيره ، وعلى واجبات المستقبل . وقد أحرز كتاب شبنجلر من الوجهة الأدبيـة والاجتماعية نجاحاً عظيماً ، ولـكنه اعتبر سقيما من الناحية العلمية ، ذلك أن شبنجلر لم يكن استاذاً فى كل الموضوعات التى تناولها والأصول العلمية التى اعتمد عليها ، وهو مشحون بالأخطاء من هذه الناحية ؛ بيد أنه من ناحية العرض الاجتماعى يعتبر قطعة رائعة من الدعاية القومية ، ويبسط شبنجلر آراءه بقوة وعنف وبساطة ؛ ومن ثم كان النجاح الباهر الذى أحرزه كتابه ، والأثر العظيم الذى أحدثته آراؤه فى الجيل الألمـانى المعاصر

مصادرة كتاب عن البلاط النمسوى

من أنباء النمسا الأخيرة أن الحكومة النمسوية قررت مصادرة كتاب صدر أخيراً بالألمـانية وعنوانه « لمـا كنت أرشيدوقاً » « Als ieh Erzherzog War » ، ومنعه من التـداول فى النمسا ؛ وهـذا الـكتاب عبارة عن مذكرات عن البـلاط النمـوى القيصرى بقلم ليوبولد ڤلفلينج ، وهو الاسم الشعبى للأرشيدوق ليوبولد سالفاتور أحد أمراء آل هبسبرج السابقين ، ومن أبناء عمومة القيصر السابق ، وقد عاش هـذا الأمير حيناً فى البلاط النمـوى ، ولـكنه كان من الأمراء الثائرين عليه وعلى سياسته ورسومه ، فلم يمض غير قليل حتى أبعد عنه ، وخاض مدى حين حياة مغامرات متواصلة ؛ وتوفى فى العام المـاضى فى فينا فقيراً مجهولاً وهو يقص فى كتابه المذكور كثيراً من أحوال البـلاط النمسوى وأسراره وحوادثه مدى ثلاثين عاماً ، وقد سبق أن نشر بعض فصول كتابه فى كبريات الصحف فأثارت يومئذ كثيراً من الاحتجاج والتعليق ، لأن منها ما يتعلق ببعض الشخصيات الحية ، ولهذا رأت الحـكومة أن تمنع تداوله

وقد تـكرر منع الحـكومة النمسوية فى العهد الأخير لمؤلفات ومذكرات تتعلق بالبلاط النمسوى السابق وبأسراره ومثالبـه ؛ وهـذا ما يفسره بعضهم بأن ذلك يرجع إلى ميول الحـكومة الملـكية ، وإلى حرصها على استبقاء سمعة الملوكية النمـوية بعيدة عن التأثر بهذه الذكريات والقصص المثيرة

ذكرى مخترع شهير

احتفل أخيراً فى ألمـانيا بذكرى عالم مخترع هو أوتو فون جريكه ، وهو أول من استطاع أن يطبق نظرية الضغط الهوائى بصورة عملية ؛ وذلك لمناسبة مرور مائة وخمسين عاماً على وفاته وكان مولده سنة ١٦٠٢ فى مجد بورج ؛ ودرس القانون والعلوم الطبيعية دراسة حسنة ، وظهر أثناء الحرب الثلاثينية (حرب الثلاثين عاماً) واشترك فى عقد مفاوضات الصلح ، ثم عين بعد ذلك حاكماً لمدينة مجد بورج ؛ ولـكنه لم ينس طوال حياته أن يشتغل بالعلوم والتجارب الطبيعية ؛ وقد استطاع لأول مرة أن يجرى أول تجارب فى الطبيعة العملية ، وكان ميدان بحثه فى الهواء، وماهيته ومؤثراته ؛ فاستطاع بعد تجارب عديدة أن يصل الى تطبيق نظرية ضغط الهواء ؛ فى سـنة ١٦٥٤ ، نظم فى مدينة ريجنسبرج أمام القيصر فرديناند الثالث تجربة عملية من هـذا النوع ، وخلاصتها أنه أتى بنصفى كرة من النحاس قطر كل منهما ٣٦ سنتيمتراً ، وأطبقهما على بعضهما ، واستخرج منهما الهواء بواسطة مضخة صغيرة ؛ ثم رتب أن يجر كل منهما ثمانيـة من الخيل فى اتجاه معاكس ، فلم تستطع الخيل أن تنتزع نصفى الـكرة من بعضهما ؛ وكانت هذه أول تجربة عملية ناجحة أثبتت بها قوة الضغط الهوائى ، وحاول فون جريكه بعـد ذلك أن يطبق تجاربه على صنع الآلات ولـكنه لم يوفق فى محاولته ، وكان التوفيق فى استخدام ضغط الهواء لصنع الآلات من نصيب مخترع انكليزى يدعى توماس نيوكومن ، وذلك فى أوائل القرن الثامن عشر

من هنا ومن هناك

أشهر كتب الخلاصات الحديثة

كان مؤلفو العرب يعنون عناية فائقة بوضع كتب الخلاصات للعلوم والفنون والآداب ؛ وكانت كتبهم تكبر وتكبر حتى تغدو موسوعات ضخمة تسعف القارئ بما يحتاج اليه من المعارف العامة والنبذ الخاطفة من كل علم وفن ؛ ولعل كتاب الأغانى هو أول موسوعة عربية من نوعها . ومن الموسوعات العربية أيضاً كتاب نهاية الأرب للنويرى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ولسان العرب لابن منظور المصرى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ومسالك الأمصار ، وتاريخ بغداد ... الخ ، وقد اقتبس الغرب هذه الطريقة الموسوعية عن أسلافنا العرب ، فوضع ديدرو موسوعته الفرنسية ، ثم كان للانجليز موسوعتهم كذلك ، ونحسب أن الموسوعة الايطالية الحديثة التى اشترك فى وضعها الطاغية موسولينى هى أكبر موسوعات العالم قاطبة ، وإن تكن لا تفضل الموسوعة البريطانية فى الدقة وتوخى الحقيقة فيما حفلت به من سائر المعارف العالية ، ولكن هذه الموسوعات غالية الثمن غالباً ؛ ولا يستطيع الأفراد إلا الأقلون منهم اقتناءها لهذا السبب ، فثمن الموسوعة البريطانية الرخيصة مثلاً (الطبعة الرابعة عشرة) خمسة وعشرون جنيهاً أو أكثر اذا دفع الثمن على أقساط ؛ وثمن الطبعة الغالية أكثر من خمسة وسبعين جنيهاً مصرياً . وقد وضعت شركة الكتب الانجليزية Everyman دائرة معارف للأعلام على طريقة وفيات الأعيان لابن خلكان وجعلت ثمنها أربعة جنيهات

لذلك راجت كتب الخلاصات Ourlines فى أوربا عامة ، وانجلترا خاصة ، وكان الأديب الانجليزى الكبير هـ . ج . ولز هو المبتدع لهذه الطريقة الطريفة ، وذلك حين وضع كتابه الجليل « خلاصة تاريخ العالم » ، يستعرض فيه تاريخ الحياة فى هذه الدنيا منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، فأنت تقرأ فيه لمحة من كل علم ، وطرفة من كل فن ، وخطفة من كل أدب ، وينتقل ولز من الجيولوجيا إلى الانثروبولوجيا ، إلى البيولوجيا ، إلى التاريخ ، إلى الآداب ، إلى الفنون ، إلى العلوم ، الى الحركات الفعالة التى تناولت الأمم بالهدم والبناء ... وكل ذلك بأسلوب طلى ، وروح وثاب ، وعبارة مشرقة غير مملولة . ولا يكاد القارئ يلتمس شيئاً فى خلاصة ولز هذه إلا وجدها ، وهذه مهارة تحمد للمؤلف ، والخلاصة على نفاستها رخيصة الثمن جدا بحيث يستطيع القارئ العادى اقتناءها دون أن يرهق جيبه

وقد وضع ولز خلاصة ثانية لا تقل فى قيمتها عن خلاصته الأولى ، ولا تزيد فى ثمنها عليها ، تلك هى كتابه القيم (الانسان ، عمله ، ثروته ، سعادته) ، ويعرض فيه لطائفة رائعة من فنون العمل والحياة لا تكمل ثقافة الانسان إلا اذا وعاها

وقد ألف الكاتب الشاعر الانجليزى (جون درنكووتر) خلاصته فى آداب العالم ، وهى برغم ما فيها من الشوائب ، وما يعتور بحوثها من القصور المعيب أحياناً ، خلاصة قيمة بما حفلت به من تاريخ الأدب العالمى منذ فجر التاريخ إلى اليوم فى كل أمة ... إلا ... الشرق ! وإن يكن قد تناول آداب الشرق القديمة بفصول مشوهة مبتورة ، وإن يكن أيضاً قد خص الأدب الانجليزى بأكبر نصيب من خلاصته !

أما الخلاصة الأدبية القيمة حقاً فهى تلك التى كتبها الأديب المؤرخ الأمريكى الشهير برتن راسكو والتى سماها (جبابرة الأدب أو — أعاظم كتاب العالم) ، وقد اختار لها برتن راسكو أربعين أديباً وشاعراً من أكبر أدباء التاريخ وشعرائه ، بدأهم بهوميروس وختمهم بجورج مور ، ثم ختم الخلاصة بلمحة عن الأدب العالمى فى الخمسين سنة الأخيرة . وبرغم هؤلاء الأربعين أديباً ، فانك لا تكاد تذكر أديباً أو كاتباً فى كل عصور التاريخ إلا وجدت المؤلف حام حوله ، وأعطاك لمحة عما يهمك جداً من فنه وطريقته

وأشهر مؤلفاته ، ومع ذلك فثمن كتابه زهيد جداً

لذلك انصرف الناس عن الموسوعات لغلائها ولاشتمالها على موضوعات لا تهم غالبيتهم الى الخلاصات لرخص ثمنها ولتركزها فى باب بعينه كما فى خلاصة الفن وخلاصة الموسيقى

بيكون بين النقص والكمال

يغلو بعض مؤرخى الأدب الانجليزى فيدعى أنه لا يوجد منذ أرسطاطاليس الى فرنسيس بيكون فيلسوف مثل بيكون ! ومع اعترافنا بما كان لهذا الرجل من الأثر الكبير فى الذهن الانجليزى فى عصر النهضة فاننا لا نفضله على كثيرين من أبطالها ولاسيما هارفى وكيلر وغاليليو . وقد اشتهر بيكون بتفضيله التجربة فى العلوم على الاستدلالات المنطقية العقيمة وأكثر المؤرخين على أنه ليس مبتدع تلك النظرية ، فقد سبقه اليها العرب ، ثم اقتبسها عنهم غير بيكون من علماء النهضة . وكان بيكون معروفاً دائماً بالشذوذ الغريب حتى إنه كان يؤلف أحسن كتبه باللاتينية وذلك لعدم إيمانه بالانجليزية فى ذلك العصر ! !

على أن الذى يعنينا فى هذه اللمحة عن بيكون هو خلقه الذى انحدر الى الحضيض الأسفل من اللؤم والضعة . قال بوب « بيكون فيلسوفنا المحترم ! هو أعظم بنى الانسان وأعقلهم ، كما أنه أخسهم وألأمهم ! ! » ولنذالة بيكون قصة مشجية تتلخص فيما يلى :

عند ما عاد بيكون من باريس كان أبوه قد مات ، وكان أخوه الأكبر قد استولى على جميع التركة بحكم التقاليد الانكليزية البالية التى كانت سائدة وقتئذ فى ذلك الشعب المحافظ العتيق . والتحق بيكون بوظيفة فى أحد الفنادق ليعيش ، ثم أكب على دراسة القانون حتى نال اجازة الحقوق فانخرط فى سلك القضاء فأبدى نبوغاً عظيما وعبقرية فذة . وكان اللورد بيرلى يعرف ما لهذا القانونى الشاب من خطر ، فشرع يقيم فى سبيله العراقيل حتى لا يبذ ابنه روبرت سيسيل الذى كانت له مطامح وآمال فى أكبر المناصب القضائية فى انجلترا . فلما شغرت وظيفة (الأفوكاتو العمومى) رشح لها بيكون بعبقريته ورسوخ قدمه فى القانون ، ثم روبرت سيسيل بحسبه ونسبه وضلع أبيه — اللورد بيرلى — فى الحكومة ومنزلته السامية لدى الملكة اليزابيث ، وكانت هذه المؤهلات كلها (!) كفيلة بتعيينه فى المنصب واطراح بيكون

وكان (ايرل اسكس) يعجب ببيكون ويميل الى تعيينه ، فلما ضاعت مجهوداته عبثا عز عليه أن يقتل اليأس نفس الشاب النابغة ، فحدب عليه وواساه مواساة طيبة ، ثم وهب له أرضا واسعة تغل له غلة كبيرة ، وقصرا من أفخم قصور لندن على نهر التاميز ! !

ودار الزمن دورته ، وساءت الأحوال بين الملكة وبين ايرل أسكس ، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ، فانتدبت الملكة أعز أصدقاء الأيرل ، فرنسيس بيكون ليكون عضوا فى الهيئة التى تتولى الدفاع عنها ... فماذا جرى ؟ ! لقد كان بيكون أشد المستشارين حماسة للملكة ضد صديقه الذى حدب عليه ، وأبعد عنه شبح الفاقة ، برغم ما كان يبدو من براءة الأيرل ، وبرغم ما كان يبدو من ميل بقية المستشارين الى تبرئته ... ولم يكتف بيكون بهذا الموقف الشاذ اللئيم ، بل قدم مذكرة مسهبة بادانة صديقه ، ثم طلب فى نهايتها الحكم عليه بالأعدام !

وكافأته الملكة على حماسته ، فرفعته الى أعلى المناصب ، وأغدقت عليه أرفع الألقاب ، حتى غدا (لورد بيكون !)

ولما كتب بيكون كتابه فى الأخلاق (Essays) عقد فيه فصلاً من أحط ما عرفت البشرية عن (الحب والزواج والعزوبة) وذكر فيه أن الحب هو علاقة جنسية خالصة ، وغريزة شهوية وضيعة ، وأن المرأة بذلك إن هى إلا متعة للرجل وأنها مطيته الى اللذة الحيوانية الطارئة ... الخ ... فلما تقدم الى ليدى هاتون يطلب يدها لم تستح هذه المرأة المثقفة أن تصفعه فى وجهه بهذه الكلمة الخالدة « ليذهب الفيلسوف البهيم الى غابة قريبة فلينتق له بهيمة تكون مطيته الى لذة طارئة ثم ليلقنها فلسفته ! »

ودار الزمان دورته مرة ثانية ! وأخذت الألسن تلوك اشاعات مخزية عن رشا يأخذها النائب العمومى (وكان هو بيكون فى هذه الآونة) واضطر مجلس العموم إلى أن يثور طالباً محاكمته أمامه ... فلما مثل الرجل وشرع الأعضاء يقذفونه بالتهمة تلو التهمة ، لم يسعه إلا أن يعترف ، ولم يسعه الا أن يبكى ... والتمس من المجلس أن يعامله برحمة ... وحكم عليه بغرامة هائلة قدرت بأربعين الف جنيه ، ثم بالسجن المؤبد ... ولكنه لم يحبس غير ليلة واحدة ، ثم عفت عنه الملكة ! !

هذه لمحة عن أخلاق الرجل الذى وضع كتاباً فى الأخلاق ذم فيه أخلاق نبينا ! ! !

وهذا هو الرجل الذى يخلط بعض مؤرخى الآداب فيدعى أنه كتب كثيراً من الدراسات التى تعزى الى شا كسبير ! !

ترجمة القرآن

لا ندرى إذا كان على إمارة المسلمين فى زماننا هذا رجل مثل المأمون فماذا عساه كان صانعاً بمن يقولون بعدم جواز ترجمة معانى القرآن بعد ما أقرها أكثر العلماء ؟

ماذا كان يصنع المأمون بالأستاذ محمد سليمان بعد الذى صنعه بالامام الكريم ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن ؟ !

لقد كنت أود لو أن الأستاذ محمد سليمان يجيد اللغة الانجليزية إذن لأرسلت اليه نسخة من ترجمة جورج سيل أو الاسكندر روس أو غيرهما ليقرأ بنفسه ما جاء فيها من الشطط فى ترجمة الآيات . وهو لو علم أن المسلمين ، غير العرب ، فى مشارق الأرض ومغاربها يتلون كتاب الله فى هذه التراجم ، ويكاد يصبأ بعضهم لما يلحظه من الضعف والسخف فيها ، لهتف حضرته مع الهاتفين بضرورة ترجمة معانى القرآن ...

هافلوك أليس

ذكرنا فى العدد الماضى من « الرسالة » كلمة عن إباحيين من إباحيي الأدباء الانجليز هما لورانس وجيمس جويس ، وقد فاتنا أن نشير إلى العلاقة بين مذهبهما ومذهب النحطين من مثل أوسكار وبلد وأضرابه . ونذكر فى هذا العدد العالم الكبير هافلوك أليس لا على أنه إباحى مثل لورانس أو مثل جويس ، وإن دعا هو الآخر إلى التنعم بلذائذ الحياة من ذهنية وحسية وعدم كبت الغرائز والتفريج عنها ... ولكن بالوسائل المشروعة

وهافلوك أليس عالم فى التناسليات ، ولكنه بكل أسف ليس أديباً ، ولكن الأدباء فى انجلترا يصلون بينه وبين جمهورهم لأنهم متأثرون به

ولأليس ضريب آخر هو برتراندرسل سنتكلم عنه فى العدد القادم

(د . غ)

إلى صديقى أحمد أمين

[بقية المنشور على صفحة ٩٢٢]

للسلطان ؟ أم ترى أنا شغلنا عن النقد الأدبى بالدفاع عن قوم لم يكونوا يدافعون عن أنفسهم لأنهم لم يحسنوا هذا الدفاع أو لم يقدروا عليه أو لم يريدوا أن يتورطوا فيه ؟ أليس أول ما يجب على المؤرخ الأدبى وعلى المؤرخ بوجه عام أن يكون منصفاً ؟ أترى من الانصاف أن تزعم أن الذين حفظوا للشعب المصرى مظهر مقاومته للظلم وأدوا اليه رسالة ساسته وقادته ، وأدوا الى ساسته وقادته ما كان يضطرب فى نفسه من الآمال والأمانى . وما كان يثور فى قلبه من العواطف ، كانوا منهزمين يدارون ويجارون ويؤثرون العافية ؟

مهلاً أيها الصديق فقد يفهم من الشعوب قصر الذاكرة ، ولكنه لا يفهم من خاصة الناس وقادة الرأى وحفظة التاريخ . والغريب أن رأيك هذا فى إخوانك الكتاب يظهر أنه قد أعجبك حتى ألهاك عن حقائق ما كان ينبغى أن تلهوعنها . فهؤلاء الكتاب المنهزمون فى رأيك لم تشغلهم هذه السياسة العنيفة المنكرة عن الأدب ولا عن النقد ؛ وإنك لتعلم أنهم جميعاً كانوا يخاصمون فى السياسة وجه النهار ثم يفرغون لأدبهم آخره ؛ وكلهم قد أنتج فى الأدب أثناء المحنة ، وفى الأدب الخالص الذى لا يتصل بالسياسة ولا يمت اليها بسبب ؛ ومنهم من اتخذ السجن وسيلة إلى هذا الانتاج ؛ ومنهم من لم تصرفه ظلمة الحياة العامة وشدة الحياة الخاصة عن أن يجول فى عالم الفن جولات ثم يعود منه ومعه زهرات فى الشعر أو فى النثر يهديها اليكم لتلهوا بها وتستمتعوا بشذاها ، وتستعينوا بذلك على المضى فى أعمالكم الهادئة المطمئنة

مهلاً أيها الصديق فقد يخيل إلى أن هؤلاء الكتاب أنفسهم لم يهملوا النقد نفسه فى ذلك الوقت ولم يقصروا فى العناية به ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فانهم قد نقدوك أنت وتناولوا كتبك بما ينبغى لها من العناية والدرس ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فقد كانوا يفرضون على أنفسهم برغم السياسة وأثقالها وأهوالها ، وبرغم الحياة الشاقة التى كانوا يحيونها ، والتى عرفت منها شيئاً وغابت عنك منها أشياء ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم أن يقرأوا ما يظهر من الكتب والدواوين وأن يقولوا رأيهم فيه ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم صفحة أدبية فى الأسبوع يفرغون لها اليوم أو أكثر

من اليوم ، ويعرضون فيها للنقد كما تحبه وترضاه ، ولست أدرى كيف نسيت أن المقالات التى كانوا يذيعونها فى النقد أثناء هذه الأعوام الأخيرة قد كانت تثير من الخصومات شيئاً كثيراً ، منه ما يثور بينهم هم ، ومنه ما يثور بينهم وبين الأدباء الناشئين . ولعلك لم تنس بعد أن خصومة ثارت بينى وبين هيكل حول ثورة الأدب ، وأخرى بينى وبين العقاد حول اللاتينية والسكسونية ، وثالثة بينى وبين العقاد حول ديوان من دواوينه . فأنت ترى أن إخوانك لم يقصروا ولم يفتروا ، ولم يسالم بعضهم بعضاً . ولم يأمن بعضهم شر بعض . ولعلك لم تنس أنى قد اتخذت الراديو فى بعض الأحيان وسيلة من وسائل النقد ، فكنت أشتد حيناً على الكتاب الذين استمرت مروتهم وتم لهم النضج ، وأرق حيناً آخر للكتاب الذين لم تستقم لهم الأمور بعد ؛ وأنا أفهم أن تطالبنا بالمزيد وألا تكتفى منا بما نعطى ، فنحن نطالب أنفسنا بالمزيد ولا نكتفى من أنفسنا بما ننتج ، ولكن هذا شىء ووصفنا بالمداراة والمجاراة وإيثار العافية شىء آخر

وبعد فليس السبيل على الذين أدوا واجبهم الأدبى كما استطاعوا وما زالوا يؤدونه كما يستطيعون برغم ما يملأ حياتهم من الهموم وما يعترض طريقهم من الشوك ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم الهدوء ويستمتعون بالبال الرخى والحياة المستقيمة المطمئنة ثم لا ينقدون لأنهم لا يقرأون ، أو لا ينقدون لأنهم يقرأون ويشفقون إن أعلنوا آراءهم أن يتنكر لهم الناس وأن يسلقهم أصحاب الكتب بألسنة حداد

إلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تسوق الحديث ، وعلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تصب اللوم صباً

وأخرى لا أريد أن أختم هذا الفصل قبل أن ألم بها إلماماً . فأنت تذكر قوماً قد استووا على عروش الأدب وقد أمن بعضهم بعضاً وخافهم الناشئون ، فأنت إذن تعيد الخصومة بين من يسمون الشيوخ ومن يسمون الشباب جذعة . وأظنك توافقنى على أن التفكير فى هذه الخصومة لا يخلو من بعض الحزن . فقوام هذه الخصومة فيما أعلم أن الأدباء الناشئين ضعاف أغرون عجلون ، يخيل إليهم أن النقد يمحوهم من سجل الأدباء محواً ، مع أن النقد يثبتهم فيه إثباتاً . يريدون أن يبلغوا بالجهد اليسير ما بلغه أسلافهم بالمطاولة والمحاولة واحتمال الأذى وكثرة القراءة والدرس ، ويريدون أن يتم لهم ذلك ما بين طرفة عين وانتباهتها كما يقول القائل ؛ وفيهم كبرياء لا تخلو من سخف ، ومن سخف يذكر بأخلاق الأطفال ؛ فهم إن كتبوا رأوا لأنفسهم العصمة ، ولم ينتظروا من النقاد إلا ثناء وحمداً . فإن أدركهم بعض النقد قالوا : حسد وتكبر واضطهاد وأثرة وتثبيط للهمم . وفيهم غرور يخيل إلى كل واحد منهم أنه ممتاز من أترابه جميعاً . ومهما أنس فلن أنسى كاتباً أضاع مودة وصداقة وحباً وعطفاً لا لشىء إلا لأنى جمعت بينه وبين كاتب من معاصريه فى فصل واحد ، وكان ينبغى أن يمتاز فى رأيه ، وإلا لأنى دعوته إلى أن يستزيد من القراءة فعد هذا اسرافاً واعتداء

أمام هذا الجيل الرخو من الأدباء الناشئين يضيق الناقد المخلص بالنقد ويزهد فيه ويصد عنه صدوداً فى بعض الأحيان ، ولكنه لا يلبث أن يرى حق الأدب عليه فيستقبل من أمره ما استدبر ، ويثنى على قوم وهو يعلم أن ثناءه سيملؤهم غروراً وسيخرجهم عن أطوارهم ، ويعيب قوماً وهو يعلم أن عيبه إياهم سيدفعهم إلى اليأس إن كانوا أخياراً ، وسيدفعهم إلى القحة إن كانوا أشراراً

ونحن برغم هذا بل من أجل هذا نمضى فى طريقنا لا نقف كما يظن بعض الناس ، ولا نرجع كما تظن أنت أيها الصديق ، لأنك فى أكبر الظن قد لا تتابعنا أحياناً ، وقد تطلب منا ما نطلب من أنفسنا وتحول ظروف الحياة بيننا وبينه

أما بعد ، فإنى أحب أن أؤكد لك أنى أنا خاصة ما زلت عند رأيك القديم فى ، صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، جريئاً إلى أقصى حدود الجراءة ، مستعداً فى هذا العام إلى أن أستأنف ما فعلت منذ عشر سنين ، وإلى أن أستأنف ما فعلت منذ أربع سنين . وإنى لشديد الأسف أن كانت ثقة الأستاذ كراتشكوفسكى بى أقوى وأشد من ثقتك أنت ، فإنه لم يتردد فى مقدمة ترجمته للأيام أن يتنبأ بأن ما عرض لى من الخطوب ليس كل شىء ، وأنه ينتظر أن يعرض لى مثله ، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها فلا تتعجل ، فمن يدرى ؟

وأنا أرجو بعد هذا كله أن تتلقى هذا الفصل بصدر رحب ، فإنى أهديه إليك تحية صديق يضمر لك أصدق الحب وأوفاه

طه حسين



بغداد أو المدينة المدورة

فى عهد الخلافة العباسية

للأستاذ ابراهيم الواعظ

كنت فى صيف العام الماضى مصطافاً فى سوريا ولبنان ولم يمنعنى هذا الاصطياف من تتبع أعداد « الرسالة » وقراءتها ، وكنت قرأت فى العدد (١١١) منها مقالة تحت عنوان (أغراض الاستشراق) بتوقيع أحد كتاب الرسالة الأستاذ « محمد روحى فيصل » كان قد كتبها إلى الأستاذ الكبير « محمد كرد على » على أثر كلمة نشرها الثانى فى العدد (١٠٨) من الرسالة بمناسبة نشر كتاب « المقنع فى رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط » لأبى عمر بن عثمان بن سعيد الدانى ، وامتدح بها علماء المشرقيات لعنايتهم بكتب الاسلام ، وأنحى باللائمة على خاصة أهله لأنهم ساهون لاهون ، واستنهض بها هم علماء الأزهر وقادة الثقافة فى الأقطار الاسلامية لأحياء السلف الصالح

وكنت قد هممت أن أكتب كلة ولكنى وجدت فى كلمتى الأستاذ « محمد كرد على » اللتين نشرتا فى العددين ١١٤ و ١١٥ من الرسالة ما يكفينى مؤونة الكتابة والرد

هذا وقد سنحت لى الفرصة الآن بمناسبة كتاب طبع ببغداد فى الآونة الأخيرة لأقول كلة فى هذا الموضوع

إننى أتفق تمام الاتفاق مع الأستاذ « روحى فيصل » فيما كتبه عن علماء المشرقيات من ناحية ، وأختلف معه تمام الاختلاف من ناحية أخرى : أتفق معه على أن بين هؤلاء العلماء من كان قصده من الاستشراق هدم كيان الدين الاسلامى من جهة ، والتبشير بطريقتهم من الجهة الاخرى . ولا جدال أن مثل هذه الفئة من علماء المشرقيات مضرة تمام الضرر ، وجرثومة فتاكة يجدر بكل مسلم أن يسعى لمحقها بشتى الوسائل

على أننا إذا ما صرحنا برأينا فى هذه الفئة لا يسعنا أن نغمط حقوق الفئة الاخرى من هؤلاء العلماء ، لان الغمط فى مثل هذا المقام تجاوز على الحق والحقيقة معاً

إننا مهما حاولنا أن ننكر ما لهذه الفئة من فضل على الاسلام والعرب فالواقع يكذبنا ويدحض هذا الانكار . نظرة بسيطة نرسلها الى الآثار القيمة والأسفار العظيمة التى اعتنت بطبعها واخراجها تلك الفئة تدلنا على أنه لولا الجهود الجبارة التى قام بها هؤلاء العلماء لما أمكننا أن نعلم شيئاً عن الآثار المهمة ككتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، وهو الكتاب الفريد الذى يعد الآن من أكبر أمهات الكتب من جهة ، والمأخذ الوحيد للقضايا الهامة فى التاريخ الاسلامى من جهة أخرى . وقل مثل ذلك عن بقية الآثار العظيمة التى نشروها

هذا كتاب الانساب « للسمعانى » لولا هممهم لما طبع ولأصبح فى زوايا الاهمال ؛ لقد طبع هذا الكتاب فى لندن طبعة شمسية «فوتوغرافية» ولا يخفى ما تكلف هذه الطريقة للنشر من النفقات والجهود . وهناك كتاب « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» للامام الأشعرى . فلولا همة الأستاذ «ريتر» المستشرق الألمانى والمبادرة بطبعه فى الآستانة لكان نصيبه التلف فى الخزانات . ولا ننس ما لمطبعة « ليدن » فى « هولانده » من الفضل الأكبر فى طبع أمهات الكتب التاريخية والأدبية واللغوية وغيرها ، كتاريخ الطبرى ، واليعقوبى ، وتجارب الأمم لابن مسكويه ، وتاريخ الصابى ، والعيون والحدائق ، والمسالك والممالك لابن حوقل ، والاصطخرى ، وكتاب التنبيه والاشراف للمسعودى ، والأعلاق النفيسة لابن رسته ، وكتاب مراصد الاطلاع لعبد المؤمن ، وغيرها من الكتب المهمة التى لم تحضرنى أسماؤها . على أن مطابع لندن وباريس وليبزج وروما وغوتنفن وغريفزولد لا تقل خدمة عن بقية المطابع التى قامت بقسطها من الأعمال الجبارة فى اخراج هذا التراث الثمين الخالد

ولا يفوتنا أن الكثير من هذه الكتب لم تكن مطبوعة فى المطابع العربية إلا النزر القليل منها

إذن لولا هذه الجهود العظيمة الموجهة الى خدمة العلم والأدب خاصة ، لما أمكننا أن نتوصل الى مشاهدة هذه الآثار اللهم إلا إذا تجشمنا مصاعب السفر ومصائبه ، وفتشنا عنها فى زوايا المكاتب فى سائر الأقطار الأوربية والشرقية

لم تقف أعمال هؤلاء العلماء عند حد الاخراج بالطبع ونشر الآثار وإنما انصرف اهتمامهم إلى التحقيق والدرس ، وأخيراً إلى التأليف ؛ ذلك التأليف المنتج والمستند إلى الحقائق التاريخية . فمن هؤلاء الرجال العاملين المستشرق الانكليزى الأستاذ الكبير « ليسترنج » فانه كتب كتاباً عن « بغداد » فى عهد الخلافة العباسية ضمنه معلومات تاريخية منقطعة النظير لم يسبقه اليها سابق ، ولم يلحقه فى تحقيقها لاحق . والذى يجيل طرفه فى قائمة المآخذ والمصادر التى استقى منها المؤلف وألف كتابه يعلم قيمة هذا التأليف ومزيته التاريخية . وهذه حلقة أخرى نسجلها لهذه الفئة الصالحة من علماء المشرقيات

وبعد ، فان الذى حدا بى لكتابة هذه الكلمة هو قيام أحد شبان العراق المخلصين الأستاذ بشير يوسف فرنسيس بترجمة هذا الكتاب ترجمة صالحة قيمة . وإنى بدورى أكبره على اهتمامه ، وأهنئه على هذا العمل الشاق ، وأتوسل — كما توسل من قبلى الأستاذ الكبير « محمد كرد على » — الى ساداتنا العلماء أن يأخذوا باليمين آثار السلف الصالح يحمونها ، ويخدمون بها الأمة الاسلامية خاصة ، والعربية عامة

وأخيراً أتمنى للمترجِم بشير يوسف توفيقاً وللمترجَم رواجاً

(بغداد) ابراهيم الواعظ المحامى

إصلاح خطأ المحدثين (١)

بقلم برهان الدين محمد الداغستانى

ذكرت فى مقال عن أبى سليمان حمد بن محمد الخطابى (عددى الرسالة ٩٨ و ٩٩) أن لأبى سليمان كتاباً باسم « اصلاح غلط المحدثين » ، أورد فيه قرابة مائة وثلاثين حديثاً ، يرويها أكثر المحدثين ملحونة أو محرفة ، أصلحها وبين الصواب فيها ؛ وقلت فى الحاشية إن منه نسخة قيمة فى دار الكتب المصرية مكتوبة بخط محمد محمود التركزى الشنقيطى تحت رقم « ١٥١٠ » حديث ، وقد قام صديق السيد عزت العطار سكرتير لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة بنشر هذا الكتاب فجاء صورة صحيحة لنسخة العلامة الشنقيطى المحفوظة فى دار الكتب المصرية

ولأبى سليمان الخطابى مكانة عظيمة بين رجال الحديث الذين كتبوا فى فقهه أو غريبه ، وتتجلى منزلته فى كلتا الناحيتين فى كتابيه : « معالم السنن فى شرح سنن أبى داود » المطبوع فى حلب و « غريب الحديث » الذى لا يزال حبيس دور الكتب إلى الآن . والظاهر أنه بعد فراغه من كتابيه السالفين أراد أن يجمع فى كتاب على حدة الكلمات التى يغلط فيها المحدثون والرواة ، فجمع هذه الجمل فى كتاب « اصلاح خطأ المحدثين » ، ولكنه لم يضع لهذه المجموعة اسما خاصا ، بل اكتفى بقوله فى المقدمة : « هذه ألفاظ من الحديث يرويها أكثر الناس ملحونة ، أصلحناها وأخبرنا بصوابها ، وفيها حروف تحتمل وجوها اخترنا منها أبينها وأوضحها ، والله الموفق للصواب لا شريك له »

ثم جاء بعد ذلك المؤرخون ، فسماه بعضهم « اصلاح غلط المحدثين » ، وآخرون « اصلاح خطأ المحدثين » ، واقتصر غير هؤلاء وأولئك على تسميته اصلاح الغلط أو اصلاح الخطأ

وجاء دور دار الكتب المصرية ، فسمته فى فهرسها باصلاح الألفاظ الحديثية التى يرويها أكثر الناس ملحونة ومحرفة ، وهذا الاسم مع طوله وخروجه على المألوف فى الأسماء لم أجد من ذكره من المؤرخين . كذلك أحله منظمو الفهارس فيها غير محله ، فوضعوه فى فهرس الحديث وحقه أن يوضع فى فهرس اللغة العربية

فلعل أولى الشأن فى دار الكتب يولون هذه اللاحظات ما تستحق من الاعتبار فيصححون اسم الكتاب ويردونه الى حظيرته فى فهرس اللغة والله سبحانه أسأل السداد والتوفيق

(١) هذا الكتاب مطبوع على ورق أبيض جيل فى نحو ٣٥ صحيفة ويطلب من ناشره عزت العطار شباك بوسطة الأزهر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٤ — ١٥ يونيه سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 154.

Lundi - 15 - 6 - 1936





مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٥٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ١٥ يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٩٦١	أيها المسلمون	الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٩٦٣	إلى أخي طه حسين ...	الأستاذ أحمد أمين ... ...
٩٦٥	شخصية غامضة في التاريخ الأندلسي ...	الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
٩٦٨	الصفات المحسودة	الأستاذ عبد الرحمن شكري ...
٩٧٠	هل الأمريكيون مصريو الأصل ؟ ...	ابراهيم ابراهيم يوسف ... ...
٩٧٣	اليوم السابع من مارس ...	الدكتور يوسف هيكل ... ...
٩٧٥	بعض أبطال النقد	الأستاذ د . خ ... ...
٩٧٨	اشتغال العرب بالأدب المقارن	الأستاذ خليل هنداوي ...
٩٨١	پرسى شلى	خليل جمعة الطوال ... ...
٩٨٤	الحياة الأدبية في المغرب الأقصى	الأستاذ ع . ك ... ...
٩٨٧	في الأدب الايطالي الحديث	محمد أمين حسونه ... ...
٩٨٩	يا ليل (قصيدة)	الأستاذ فخري أبو السعود ...
٩٨٩	يا فلسطين »	أبو سلمى ... ...
٩٩٠	العلم »	عز الدين العطار ... ...
٩٩٠	الرغام »	السيد الياس قنصل ... ...
٩٩١	قصة المفاتيح (قصة)	مكسيم جوركي ... ...
٩٩٤	لايوس وأوديب »	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٩٩٦	مكسيم جوركي	ع ... ...
٩٩٧	جوركي أديب الصعاليك ...	د . خ ... ...
٩٩٨	المباراة الأدبية . بين السياسة والأدب	
٩٩٨	كتاب جديد لمافلوك ألبس	
٩٩٩	فلم بنكنوت	يوسف تادرس ... ...

محنة فلسطين

أيها المسلمون !

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

نهضتْ فلسطين تحلُّ العقدةَ التي عُقدت لها بين السيف ، والمكر ، والذهب

عقدةٌ سياسية خبيثة ، فيها لذلك الشعب الحرّ قتلٌ ، وتخريبٌ ، وفقر

عقدةُ الحكم الذي يحكم بثلاثة أساليب : الوعدِ الكذب ، والفَناء البطيء ، ومطامع اليهود المتوحشة

أيها المسلمون ! ليست هذه محنة فلسطين ، ولكنها محنة الاسلام ؛ يريدون ألاّ يثبت شخصيته العزيزة الحرة

كل قرش يُدفع الآن لفلسطين ، يذهب إلى هناك ليجاهد هو أيضاً

* * *

أولئك اخواننا المجاهدون ؛ ومعنى ذلك أن أخلاقنا هي حُلَفاؤُهم في هذا الجهاد

أولئك اخواننا المنكوبون ؛ ومعنى ذلك أنهم في نكبتهم امتحانٌ لضمائرنا نحن المسلمين جميعاً

أولئك اخواننا المضطَهدون ؛ ومعنى ذلك أن السياسة التي أذلَّتهم تسألنا نحن : هل عندنا اقرارٌ للذل ؟

ماذا تكون نكبةُ الأخ إلا أن تكون اسما آخر لمروءة سائر إخوته أو مَذَلّتهم ؟

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليفرض على السياسة احترام الشعور الاسلامي

***

إبتَلوْهم باليهود يحملون فى دمائهم حقيقتين ثابتتين من ذل الماضي وتشريد الحاضر

ويحملون فى قلوبهم نقمتين طاغيتين : إحداهما من ذهبهم والأخرى من رذائلهم

ويخبأون فى أدمغتهم فكرتين خبيثتين : أن يكون العربُ أقلية ، ثم أن يكونوا بعد ذلك خدمَ اليهود

فى أنفسهم الحقد ، وفى خيالهم الجنون ، وفى عقولهم المكر ، وفى أيديهم الذهب الذى أصبح لثيا لأنه فى أيديهم

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليتكلم كلمة ترد إلى هؤلاء العقل

***

ابتلوْهم باليهود يمرُّون بينهم مرور الدنانير بالربا الفاحش فى أيدى الفقراء

كل مائة يهودى على مذهب القوم يجب أن تكون فى سنة واحدة مائة وسبعين . . .

حساب خبيث يبدأ بشيء من العقل ، ولا ينتهى أبداً وفيه شيء من العقل

والسياسة وراء اليهود ، واليهود وراء خيالهم الدينى ، وخيالهم الدينى هو طرد الحقيقة المسلمة

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليثبِّت الحقيقة التى يريدون طردها

***

يقول اليهود : إنهم شعبٌ مضطهَد فى جميع بلاد العالم ، ويزعمون أن من حقهم أن يعيشوا أحراراً فى فلسطين ، كأنها ليست من جميع بلاد العالم . . .

وقد صنعوا للانجليز أسطولا عظيما لايسبح فى البحار ولكن فى الخزائن . . .

وأراد الانجليز أن يطمئنوا فى فلسطين الى شعب لم يتعود قط أن يقول : أنا

ولكن لماذا كنستكم كلُّ أمة من أرضها بمكنسة أيها اليهود ؟

***

أجهلتم الاسلام ؟ الاسلامُ قوة كتلك التى توجدُ الأنيابَ والمخالبَ فى كل أسد

قوةٌ تخرج سلاحها بنفسها لأن مخلوقها عزيزٌ لم يوجد ليُؤكل ولم يُخلق ليذل

قوةٌ تجعل الصوتَ نفسَه حين يزمجر كأنه يعلن الأسديَّةَ العزيزةَ الى الجهات الأربع

قوةٌ وراءها قلب مشتعل كالبركان تتحول فيه كلُّ قطرة دم ، الى شرارة دم

ولئن كانت الحوافر تهيّىء مخلوقاتِها ليركبها الراكب ، إن المخالبَ والأنيابَ تهيّىء مخلوقاتِها لمعنى آخر

لو سئلت ما الاسلام فى معناه الاجتماعى ؟ لسألتُ : كم عدد المسلمين ؟

فان قيل ثلثمائة مليون ، قلت : فالاسلام هو الفكرة التى يجب أن يكون لها ثلثمائة مليون قوة

أيجوع اخوانكم أيها المسلمون وتشبعون ؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه

والغِنَى اليومَ فى الأغنياء المُمْسِكين عن اخوانهم ، هو وصف الأغنياء باللؤم لا بالغنى

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين يدل دلالات كثيرة ، أقلها سياسة المقاومة

***

كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك ، فافتحوا أنتم أيديكم . . . .

كانوا يرمون بأنفسهم فى سبيل الله غير مكترثين ، فارموا أنتم فى سبيل الحق بالدنانير والدراهم

لماذا كانت القِبلةُ فى الاسلام إلا لتقتاد الوجوه كلها أن تتحول الى الجهة الواحده ؟

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت فى الحق ؟

أيها المسلمون ! كونوا هناك . كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعانى

***

لو صام العالم الاسلامى كله يوماً واحداً وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها

لو صام المسلمون كلهم يوما واحداً لاعانة فلسطين لقال النبي مفاخراً الأنبياء : هذه أمتى !

في النقد الأدبي أيضاً

إلى أخي طه حسين

للأستاذ أحمد أمين

عرضت في مقالي السابق لضعف النقد الأدبي في مصر، وخاصة في السنوات الأخيرة، وذكرت أن رقي النقد لم يساير رقي الأدب، فقد كان الانتاج الأدبي قليلاً، وكان النقد يؤدي مهمته في هذا القليل ويعرّف جمهور القراء به، ويبين مزاياه وعيوبه، وتختلف أنظار النقاد فيه، ويعرضون له من وجوهه المختلفة، وفي كل ذلك فائدة للأدب وتبصرة للقراء؛ ثم كثر الانتاج وارتقى، وقلّ النقد وضعف، واكتفى جمهور النقاد بنقد الكتاب من فهرسه ومقدمته. واليوم أزيد هذا الرأي شرحاً وبياناً، وحجة وبرهاناً

في كل عام يخرج هيكل وطه والعقاد والزيات والمازني وزكي مبارك وغيرهم كتباً عدة، ويخرج الشعراء قصائد كثيرة، ويخرج مؤلفو الروايات روايات تعد بالعشرات، ولكن قلّب الصحف والمجلات لترى نقدها نقدا صحيحاً فقلّ أن تعثر عليه. هذا أقرب كتاب الينا وهو كتاب «محمد» لتوفيق الحكيم. هو من غير شك عمل جديد في بابه من حيث وضعه للسيرة النبوية في قصة؛ ولكن أين النقد الذي قوبل به الكتاب؟ وأين ما كان من البحث حول قيمة ما فيه من فن، وهل هذا العمل في فائدة التاريخ والأدب أم لا؟ وهل من الخير أن نشجعه أم لا؟ ثم هل هو صوّر محمدا (ص) صورة صحيحة أم لا؟ نعم إنه اعتمد في كل ما نقله على عبارات السيرة، ولكنه اختار أجزاء وحذف أجزاء، وألف بين هذه الأجزاء، وهذا التأليفُ بين أجزاء معيّنة وتركُ غيرها يجعل الصورة ذات ألوان خاصة يسأل عنها المؤلف كما يسأل عن كتاب كتبه بنفسه وعبر عنه بعبارته

لم نجد شيئاً كثيرا من ذلك؛ ومرّ الكتاب بسلام. وأظن أنه لو ظهر من نحو عشر سنين لكان له شأن آخر، ولنال من النقد ما يستحقه. وليس يعنينا أن المؤلف يغضب من النقد أو لا يغضب، فالنقد ليس من حق المؤلف وحده، وإنما هو حق الناس جميعاً وحق الأدب والتاريخ

وهل أتاك نبأ ما كان منذ شهرين، إذ نشر شاب في الاسكندرية رسالة في «الحديث»، تعرض فيها للرواية والرواة، ونقد بعض المحدّثين، وطعن في بعض الأسانيد، فاجتمع مجلس الوزراء وقرر مصادرة الرسالة؟ مع أن المعتزلة منذ ألف سنة قد أنكروا أكثر الأحاديث إلا ما أجمع الرواة على صحته، ولم يكفرهم من أجل هذا أحد، ولم يصادر كتبهم من أجل هذا أحد. ومنذ أكثر من ألف سنة حكى الشافعي في كتابه «الأم» حكاية قوم من المسلمين أنكروا حجية الأحاديث بتاتاً، ولم يشنع عليهم أحد، ولم يقل بكفرهم أحد، وجادلهم المجادلون في هدوء وثبات كما يجادل المؤمن المؤمن. ومنذ عشرين سنة على ما أذكر، كان ينشر المرحوم الدكتور صدقي في «مجلة المنار» مقالات ضافية متتابعة يدعو فيها إلى الرجوع إلى القرآن وحده، وينقد الرجوع الى الحديث، ورد عليه جماعة من العلماء، وطال الأخذ والرد والدفاع والهجوم، ولم يجتمع إذ ذاك مجلس الوزراء ويقرر مصادرة المنار كما اجتمع وقرر في هذه الأيام. ألا يدل هذا وأمثاله على أننا أصبحنا أضيق صدراً وأقل حرية؟ ومن الغريب أن أحداً لم يحرك لهذا ساكناً ولم يفه ببنت شفة! ولو وقع هذا الحادث من عشر سنين لقام له الكتاب الأحرار وقعدوا، ودافعوا ونقدوا

وهذه لجنة التأليف تصدر كل حين كتابا بل كتبا، وتهديها الى الأدباء والصحف والمجلات، ثم تنتظر من يقوّمها وينقدها ويبين مزاياها وعيوبها، ويشرح للجنة رأيه في مسلكها وفيما تخرجه من الكتب، ويرشدها إلى وجهة قد تكون خيرا من وجهتها، فلا تجد إلا القليل النادر والنتف القصيرة التي لا تجزئ

لو صام المسلمون جميعاً يوماً واحداً لفلسطين لقال اليهود اليوم ما قاله آباؤهم من قبل: إن فيها قوماً جبارين....

أيها المسلمون! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شيئاً سماوياً

كل قرش يبذله المسلم لفلسطين يتكلم يوم الحساب يقول: يا رب أنا إيمان فلان!

وسبب هذا أننا لا ننظر الى النقد النظر الذى يستحقه من الاجلال والاكبار ؛ فمنا من ينظر الى النقد على أنه اعلان عن الكتاب ؛ ومنا من ينظر اليه على أنه مجاملة لصديق أو تحية لصاحب أو استغلال لموقف ؛ وقليل جدا من ينظر اليه على أنه ميزان دقيق كميزان الذهب يوزن به النتاج الأدبى وزنا محكما فلا يفوته شيء . وقد أجاد العرب كل الاجادة فى تسمية هذا المنحى الأدبى « نقدا » أخذا من نقد الصيرفى الدراهم والدنانير ليعرف جيدها من زائفها

وقد أدى هذا النظر الى أن الصحف والمجلات وكثيرا من الكتّاب عَدّوا هذا العمل عملا ثانويا يضاف الى أعمالهم الأساسية ، فهم معذورون إن أثقلوا بالاعمال وكان نقد الكتب أحدها فلم يولوها العناية اللائقة بها ، ولم يمنحوها ما يجب لها من وقت ودرس وتمحيص . وقد أدركت هذا الواجب الجرائد والمجلات الأجنبية التى تحترم نفسها فاختارت كُتّابا من خيرة الكتاب لا عمل لهم فيها إلا النقد ، ويقرأون الكتب والقصائد والقصص ونحوها ويدرسونها درساً عميقاً ، ثم يظهرون القراء على نتيجة جهدهم ومدى درسهم وقصارى بحثهم

وشيء آخر كان له دخل كبير فى رقى النقد الأوربى وضعف النقد العربى ، وأعنى به « التخصص » ؛ وهذا ظاهر فى المجلات الأوربية وكُتّابها . فأما المجلات فتخصصت ، فمجلة للجغرافيا خاصة ، ومجلة للاجتماع ، ومجلة للأخلاق ، ومجلة للقصص ، ومجلة للسياسة ، ومجلة للثقافة العامة . فاذا ألف كتاب فى الجغرافيا أو الاجتماع أو الأخلاق فالمجلة الخاصة بذلك تنقده ؛ وإذا هى نقدته نقدته عن خبرة تامة بالموضوع وتخصص فيه . وبهذا يفخر المؤلف بأن مجلة كذا مدحت كتابه وأثنت عليه ، لأن المدح صدر من واسع الاطلاع عميق البحث يحترم نفسه وقراءه . وأما الكتّاب فيشعرون هذا الشعور نفسه ، فلا يتعرض ناقد لكتاب ليس من موضوعه الخاص وإن كان مثقفاً فيه ثقافة عامة . فاذا عرض على أديب كتاب فى علم النفس احترم نفسه وقراءه فلم يكتب فيه ، وعد ذلك كأديب ينقد رياضيا ، أو شاعر ينقد فلكيا ، وأنه مهزلة لا يصح أن يقع فيها ، وأن الشأن فى المعارف كالشأن فى الطب ، فكما لا يصح أن يداوى طبيب عيون مرضاً باطنياً ولا طبيب الأذن مرض اللثة ، فكذلك لا ينقد أديب تاريخاً ولا قصصى جغرافيا ؛ إلا إذا تعرض للكتاب من ناحية الأسلوب . بل هم سائرون إلى أكثر من ذلك فيريدون أن يتخصص الأدباء فى فروع الأدب نفسه فلا ينقد قصصى كاتب رسائل ، ولا ناقد الرسائل والمقالات قصصاً

إن شئت فانتقل بمدمى الى الحال عندنا . هل يتعفف أكثر النقاد عن أن ينقدوا ما ليس من اختصاصهم ؟ فالكاتب الأدبى عندنا يرى أنه يستطيع أن ينقد فى يوم واحد كتاباً عن تاريخ نابليون ، وكتاباً عن جزيرة العرب ، وديوان شعر . وهو يرى أنه يستطيع أن ينقد كل شيء فلا يأتى بشيء . ومن أجل هذا قدر الناس أكثر النقد العربى بما يستحقه فقط . فمَدْحُ المجلة والصحيفة للكتاب لا يدل على شيء وراء هذه العبارة ، ولا يدل على أن للكتاب قيمة ذاتية . ولا يستطيع مؤلف عربى أن يتقدم الى هيئة محترمة ببحوثه ليقول إن مجلة كذا العربية قرظتها وقالت فيها كذا ، كما يفعل من يتقدم بمؤلف كتب بلغة أوروبية فيستدل على قيمة عمله بأن مجلة كذا نشرته ، ومجلة كذا قرظته

ثم الناقد الحق قاض عادل . والقاضى العادل لا يقضى حتى يدرس قضيته من جميع نواحيها فلا تفوته جزئية منها ؛ وهو عالم بالقانون وبالمواد التى تتصل بقضيته محيط بها ؛ وهو ماهر فى تطبيق المواد على قضيته محكم تطبيقها ، وكذلك الناقد . والقاضى الذى لا يرجع الى قانون إلا قانون العدالة المطلقة مخطئ ؛ والقاضى الذى يحكم ذوقه وحده مخطئ ؛ والقاضى الذى يدخل الشخصيات فى قضيته مخطئ ؛ وكذلك الناقد . وكل ما هنالك من فرق أن القاضى يحكم وفق قانون موضوع ، والناقد الأدبى يحكم وفق قانون لم توضع كل أحكامه ولم تعرف كل مصادره ؛ وذلك راجع الى الفرق بين طبيعة القوانين العلمية والوضعية وقوانين الذوق ؛ ولكن على كل حال لا يصح للأديب أن يصدر حكمه بناء على أنه يستحسن أو يستهجن فقط ، وإلا كان فى استطاعة كل من أمسك القلم أن ينقد . إن كل فرع من فروع الأدب من قصة وشعر ونثر فنى له قوانين تبين رقيه وانحطاطه ؛ وكل عنصر من عناصر الأدب من خيال وعاطفة ونحوهما له مقاييس تقاس بها درجة قوته وضعفه ؛ وكل ما فى الأمر أن بعض هذه القوانين عرفت واستكشفت ، وبعضها غامض فى دور الاستكشاف . ويجب على الناقد أن يرجع إلى هذه الأسس فى صدور أحكامه كما يرجع

القاضى إلى قانونه ؛ وهذا يسلمنا إلى القول بأن الناقد الحق يجب أن يكون مثقفاً ثقافة واسـعة عميقة ، وأن يبنى حكمه على علل معقولة كما يبنى القاضى حكمه على « حيثيات » واضحة ، ولسنا ننكر أن الأديب يعتمد فى حكمه على ذوقه وشـعوره بالجمال والقبح ، ولـكن لا يعد هذا الذوق راقياً إلا إذا أسس على علم واسع ومعرفة بقوانين الأدب

وهذا ضرب لا يزال ينقصنا منه الشيء الـكثير ؛ فأكثر أحكامنا على النتاج الأدبى أحكام مجردة لا تعلل بعلل مقنعة ، ولا يرجع فيها إلى قوانين ثابتة ، وبذلك تفقد قيمتها ويقل احترامها

***

لقد قال قائلون إنك تعيب النقد العربى ولا تنقد ، وتعيب قلة الجرأة ولا تجرؤ ، وتدعى قلة النقد ولا تبنى فى بنائه الذى تنشده حجراً

قد يكون هذا صحيحاً ؛ ولـكن هل من العيب أن يشرح المريض مرضاً عاماً أصيب به هو وغيره ؟ وهل من الشر أن يرفع صوته بالشكوى من كان هو وغيره سبب الشكوى ؟ وهل يحجر على الانسان أن يقول إن هذا ليس بجميل إلا إذا كان جميـلاً ، وليس بعادل إلا إذا كان عدلاً ، وليس أبيض ولا أسود إلا إذا كان هو أبيض أو أسود ؟ إن مطالبة الانسان ألا ينقد إلا إذا كمل ، وألا يعيب إلا إذا خلا من العيب يحقن فى نفوس الناس آراءهم وقد تكون صالحة ، ويسلبهم الحرية وقد يكون فى حريتهم العلاج . على أن المريض قد يكون أصدق فى وصف المرض من الصحيح ، والجانى قد يصور الجناية بأحسن مما يصورها البرىء

أما بعد ، فقد شرحت وجهة نظرى فى بعض وجوه العيب فى النقد العربى من ناحيتها العامة . فان أراد أخى طه أن يحورها من عمومها إلى شخصياتها ، وينقل المسألة من النقـد الأدبى إلى النقد السياسى ، ويجعل الأمر يدور حول أنا وأنت ونقدتُ ولم تنقد ، وكتبتُ ولم تـكتب ، وبئستُ ونعمتَ ، وشقيتُ وسعدتَ ، لم أجاره فى ذلك ، ووقفت حيث أنا إلا أن يعود إلى أساس النظرية ، ويقرع حجة بحجة ، وبرهاناً ببرهان ؛ فأنى إذن أساجله القول فى ذلك حتى ينجلى الحق ويظهر الصواب .
والسلام عليك من أخ يضمر لك من الحب والوفاء ما تضمر له .

أحمد أمين

شخصـــــية غامضة
فى التاريخ الأندلسى
للأستاذ محمد عبد الله عنان

شخصية غامضة وحادث غامض فى التاريخ الأندلسى ، فى عصر الفتح ، تقدم عنهما الرواية النصرانية كثيراً من التفاصيل الغامضة المتناقضة ، وتمر عليهما الرواية الاسلامية بالصمت ، وما زال البحث الحديث مترددا فى شأنهما

أما هذه الشخصية الغامضة فهى شخصية ذلك الزعيم المسلم أو النصرانى طبقاً لبعض الروايات ، الذى تسميه الرواية الفرنجية « منوزا » أو « مونز » ، والذى كان يتولى حكم بعض الأقاليم الشمالية فى عهـد عبد الرحمن الغافقى أمير الأندلس ؛ وأما الحادث أو الحوادث الغامضة التى ترتبط باسم هذا الزعيم ، فهى محالفته للدوق أودو أمير اكوتين الفرنجى ، وزواجه من ابنته الأميرة لامبجيا التى اشتهرت برائع حسنها ، ومشاريعه الغامضة التى نظمها مع الدوق ، والتى انتهت بخروجه على حكومة الأندلس ، ثم هزيمته ومقتله ، وأسر زوجه الحسناء لامبجيا

وسنحاول فى هذا البحث أن نعرف من هو « منوزا » صاحب هذه الشخصية الغامضة . ولقد كنت أعتقد ، كما يعتقد كثير من الباحثين فى التاريخ الأندلسى أن « منوزا » أو مونز انما هو تحريف لاسم « ابن أبى نسعة » العربى ، وهو عثمان ابن أبى نسعة الخثعمى الذى تولى إمارة الأندلس فى سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) ؛ وقد سرت على هذا الرأى فعلاً فيما كتبته عن تاريخ هذه الفترة فى الفصل الذى خصصته لموقعة بلاط الشهداء فى كتابى « مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام [1] » ؛ ولـكنى اليوم أصبحت أشك فى صحة هذا الرأى ، وفى أن منوزا وابن أبى نسعة هما مسميان لشخص واحد

وتتفق الروايات النصرانية — ومنها الروايات المعاصرة — على هيكل الحوادث التى ترتبط باسم منوزا من تاريخ أسـبانيا

(١) مواقف حاسمة ص ٧؛

المسلمة ؛ ومعظمها على أن منوزا كان زعيما مسلماً . يحكم بعض ولايات البرنيه الغربية وسبتمانيا فيما وراء البرنيه باسم حكومة الأندلس ؛ وكان ذلك حوالى سنة ٧٢٥ — ٧٣٠ م ؛ وكان الدوق أودو أمير ا كوتين الفرنجى فى ذلك الوقت يتلمس كل وسيلة لحماية مملكته من غزوات العرب ؛ وكان العرب قد غزوا أراضيه مراراً قبل ذلك وأثخنوا فيها ؛ وكان جل همه أن يتقرب من حكومة الأندلس أو يجمع الحلفاء من حوله لمقاومتها ، فلما تولى « منوزا » حكم الولايات الشمالية ، وهى التى تجاور إمارة ا كوتين من الشرق والجنوب ، سعى الدوق إلى التفاهم معه ؛ وكان منوزا ، كما تصفه الرواية زعيما قوى المراس ، كثير الأطماع نافذ الهيبة فى هاتيك الوهاد ؛ ولم يكن على اتفاق مع حكومة الأندلس ؛ ذلك لأنه كان من أقطاب البربر الذين عبروا الى الأندلس مع طارق بن زياد[1] ؛ ونحن نعرف أن البربر كانوا على خلاف دائم مع العرب ، يحقدون عليهم لأنهم استأثروا دونهم بمغانم الفتح والرياسة . فاذا صح أن « منوزا » كان زعيما بربرياً كما تصفه الروايات الفرنجية المعاصرة ، فيكون من المشكوك فيه إذاً أن يكون « منوزا » هو عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ، الذى تولى إمارة الأندلس كما قدمنا . ذلك أن عثمان كان زعيما عربياً ، ينتسب إلى خثعم إحدى البطون العربية العريقة[2] هذا إلى أن الرواية العربية تقدم الينا عن مصيره رواية أخرى غير تلك التى تقدمها الينا الرواية النصرانية عن مصير منوزا ، فهى تقول لنا إن أبى نسعة ولى الأندلس فى شعبان سنة ١١٠ (سنة ٧٢٨ م) واستمرت ولايته خمسة أشهر أو ستة ، ثم عزل وانصرف إلى القيروان فمات بها[3] . أما منوز فقد مات محارباً ومات قتيلاً كما سنرى

وعلى أى حال فقد تفاهم أميرا كوتين ومنوزا ؛ وقوت المصاهرة بينهما أواصر الصداقة والتحالف ؛ ذلك أنه كانت للدوق ابنة رائعة الحسن تدعى لامبجيا (أو منينا أو نوميرانا على قول بعض الروايات) فرآها منوزا أثناء رحلاته (أو غاراته) فى ا كوتين وهام بها حباً . تقول الرواية : « وكانت لامبجيا أجمل امرأة فى عصرها ، كما كان منوزا أقبح رجل فى عصره ، وكانت نصرانية متعصبة ، ولكن أطماع الوالد غلبت على كل شئ ، فارتضى مصاهرة الزعيم المسلم » . ويصف جيبون مؤرخ الدولة الرومانية هذا التحالف ، وتلك المصاهرة فى قوله : « ارتضى منوزا الزعيم البربرى محالفة دوق ا كوتين ، وأسلم أودو لباعث المصلحة الخاصة أو العامة ، ابنته الحسناء ، لقبلات الملحد الأفريقى وعناقه »

وتحيط الرواية النصرانية شخصية لامبجيا بكثير من الغموض أيضاً ، وتختلف فى ظروف زواجها من الزعيم المسلم ، فتقول مثلا : إن منوزا أسر لامبجيا فى إحدى غاراته على أراضى أ كوتين ، ثم هام بها حباً وتزوجها ، وحمل بنفوذها وتأثيرها على محالفة أبيها الدوق ، ومناوأة حكومة الأندلس ؛ وأنه تزوجها طوعا كما تقدم ، وتقول أيضا إن ابنة دوق أ كوتين التى تزوجها « منوزا » لم تكن لامبجيا ، وإنما كانت أختها « منينا » التى كانت من قبل زوجة لفرويلا القوطى أمير أوستورياس ، وتقول غير ذلك من الأنباء والتفاصيل التى يقع معظمها فى حيز الأساطير[1]

ونمى أمر هـذا التحالف الى حكومة الأندلس ، فلم تقره ، وارتابت فى أمره ؛ وأبدى منوزا من ضروب التمرد والاستثارة ما حملها على اعتزام تأديبه وتحطيمه ؛ وكان أمير الأندلس يومئذ عبد الرحمن الغافقى أعظم ولاة الأندلس ، فبعث لتأديب الخارج حملة قوية بقيادة ابن زيان ، فامتنع منوزا بمواقعه الجبلية ، وتحصن فى عاصمة اقليمه « مدينـة الباب » الواقعة على منحدر البرنيه ، وكان يظن أنه يستطيع أن يتحدى الجيش الاسلامى ، وأن يعتصم بالصخر كما اعتصم به الزعيم القوطى بلاجيوس ؛ ولكنه كان مخطئاً فى تقديره ؛ فقـد نفذ ابن زيان بجيشه الى مدينة الباب ، وحصر الثائر فى عاصمته ، ففر منها الى شعب الجبال الداخلية ؛ فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة ، حتى أخذ وقتل مدافعاً عن نفسه ؛ وتحطمت أطماعه ومشروعاته (١١٣ هـ — ٧٣١ م) وأسرت زوجه الحسناء لامبجيا ، وأرسل بها أمير الأندلس إلى بلاط دمشق ، فاستقبلها الخليفة (هشام) بحفاوة وإكرام ،

---

(١) هكذا تقول الروايات النصرانية المعاصرة والقديمة — راجع دوزى (الطبعة الجديدة) ج ١ ص ١٦٠ و ج ٢ ص ١٢٩ — والهوامش — وينقل دوزى عن ايزيدور الباجى ، وهو راوية معاصر ؛ وعن سبتيان

(٢) راجع المقرى — نفح الطيب — ج ١ ص ١٣٩

(٣) راجع البيان المغرب لابن عذارى ج ٢ ص ٢٧

(١) راجع خلاصة الروايات الفرنجية فى موسوعة Bayle V. IV والتعليقات

وتزوجت هنالك من أمير مسلم لا تذكر لنا الرواية اسمه

والرواية العربية تمر على هـذه الحوادث كلها بالصمت ، ولا تذكر لنا أى تفصيل أو لمحة تلقى الضياء على شخصية منوزا ؛ بيد أن ابن عذارى المراكشى ينقل الينا نصاً يستوقف النظر فى حديثه عن ولاية أمير الأندلس الهيثم بن عبيـد الكلابى إذ يقول : « وهو الذى غزا منوسة »[1] ، فهل تـكون « منوسة » هى الافرنجيـة المحرفة « منوزا » Munuza ، أو بعبارة أخرى هل تنصرف هذه الكلمة إلى الشخص أو تنصرف إلى المكان ؟ يرى دوزى أنها تنصرف إلى الشخص ، وأن ابن عذارى يقصـد هنا « منوزا » صاحب المأساة التى أتينا عليها[2]

أما نحن فنرى بالعكس أن الكلمة هنا تنصرف إلى المكان ، وأنه لا علاقة بين كلمة « منوسـة » ، وبين الزعيم « منوزا » ، ذلك أن الرواية العربية لم تعتد أن تعبر عن غزو الأشخاص بهذه الصورة ، وإنما تتحدث دائماً عن غزو المكان ، هـذا إلى أن الحديث هنا يتعلق بغزوات معروفة فى الرواية الاسلامية قام بها أمير الأندلس الهيثم بن عبيد الكلابى الذى تولى إمارة الأندلس فى أوائل سنة ١١١ هـ (٧٢٩ م) ؛ فقد عبر الهيثم جبال البرنيه غازياً ؛ واخترق ولاية سبتمانيا ، ثم وادى الرون ، وغزا ليون (لودون) ، وماسون ، وشالون الواقعة على نهر الساؤون ، واستولى على أوتون وبون ، وعاث فى أراضى برجونيه الجنوبية ؛ والمرجح لدينا أن مدينة « ماسون » التى غزاها الهيثم ، إنمـا هى « منوسة » التى يذكرها ابن عذارى ، حرفت بالعربية بطريق التقديم والتأخير فى الأحرف

هذا ، وهنالك رواية نصرانية أوردها ماريانا المؤرخ الاسبانى الـكبير ؛ فقد ذكر أن « منوزا » كان نصرانياً ، اختاره المسلمون لحكم المنطقة الواقعة فى غرب البرنيه ، ولـكنه كان صارماً شديد الوطأة يسوم النصارى سوء الخسف ؛ وأنه كانت للدون بلاجيوس زعيم جليقيـة القوطى أخت بارعة الحسن ، شغف بها منوزا حباً ؛ ولـكن بلاجيوس لم يوافق على زواجها منه ، فاحتال منوزا ، وبعثه فى مهمة إلى قرطبة ؛ وأسر الأميرة أثناء غيبته وتزوج منها قسراً . فأسر بلاجيوس وأخته هـذه الاهانة ، ولبثا يرقبان الفرص ، حتى استطاعت الأميرة فراراً من أسرها ، وسارت مع أخيها إلى جبال جليقية حيث اعتصم بلاجيوس مع أنصاره ، وأعلن الخروج والثورة . فأخطر منوزا حكومة قرطبة ؛ فأرسلت حملة لتأديب الثائر بقيادة « علقمة » ؛ ولـكن بلاجيوس استطاع مع أنصاره القـلائل أن يعتصم بشعب الجبال ، فارتد المسلمون منهزمين ، وقتـل علقة ؛ وارتاع منوزا لفوز خصمه ، وخشى انتقام مواطنيه ، فحاول الفرار إلى الجنوب ، ولـكن وقع فى يد شرذمة من الفلاحين النصارى فقتلته ؛ ويضع ماريانا تاريخ هذه الحوادث فى سنة ٧١٨ م [1]

ولـكن رواية ماريانا هذه ظاهرة الضعف ؛ أولاً لأنه ليس بمعقول أن تعهد حكومة الأندلس المسلمة بحكم ولاية من ولاياتها إلى زعيم نصرانى ؛ وثانياً لأن هـذه الرواية تخالف فى مجموع تفاصيلها كل ما كتبته الرواية المعاصرة عن شخصية منوزا ، وعن مصاهرته لدوق أكوتين ؛ وثالثاً لأن تاريخ هذه الحوادث متأخر عن التاريخ الذى يعينه ماريانا بنحو عشرة أعوام

وعندئذ يبقى أمامنا فرض واحد يمكن التعويل عليه فى تعيين شخصية منوزا . فهو زعيم مسلم بلاريب ؛ ولـكنه شخص آخر غير « ابن أبى نسعة » أمير الأندلس كما أوضحنا . ومن المعـقول جداً ، أن يكون ، كما تصفه الرواية النصرانية المعاصرة ، من زعماء البربر الذين دخـلوا الأندلس وقت الفتح ؛ وقد حرفت الرواية الفرنجية اسمه الى هذا الوضع ؛ وهنالك فى ظروف الأندلس عقب الفتح ، وفى عوامل الخصومة التى نشبت بين العرب والبربر ، وفى تنازعهما المستمر على مناصب الرياسة والحـكم ، ما يؤيد انتماء منوزا إلى البربر ؛ وعلى ضوء هـذا الفرض وحده نستطيع أن نفهم موقف منوزا وتصرفاته فى محالفة دوق أكوتين ومصاهرته وفى محاولته الخروج على حكومة الأندلس ، تحقيقاً لأطماع جاشت بها نفسـه ، ونزولاً على عوامل الخصومة التى يضطرم بها البربر نحو العرب

محمد عبد الله عنان

(١) البيان المغرب — ج ٢ ص ٢٧

(٢) دوزى — ج ٢ ص ١٢٩ (الهامش)

(١) ماريانا — الترجمة الفرنسية — ج ٣ ص ٥ وما بعدها

الصفات المحسودة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال شوبنهور : إن حسد المرء للشيء يكون على قدر يأسه من نيل مثله ؛ وهذا اليأس سبب أساسى من أسباب الحسد ، فقد يُحْسَدُ صاحب الضياع والعمارات والسيارات ، ولكن حاسده قلما يقصده بحسد كحسده لصاحب العقل الرجيح الأصيل الذى يستمد من العبقرية الموروثة صفاتها . فالأول قد يُحْسَد فى فترات غير متصلة ، لأن الحاسد يرجو أن ينال الخير على يديه مما لديه ، أو يرجو الخير من جاهه ووساطته لدى من تنفع شفاعته عنده . فالخير يرجى فى التحبب إلى الغنى والخضوع له والمهابة عند طلعته ؛ وهذه أمور قد تكون ظواهر تستر حسدا ، ولكن المرء إذا روض نفسه عليها واعتادها عاد بعضها حقيقة فى نفسه يخالطها أو لايخالطها النفاق . ومما يعين فى تحويلها إلى حقيقة أن المرء مأخوذ بوسائل الحياة ، مهموم بها من مال وعقار وجاه ، فهو يعدها أسباب الحياة الأولية أكثر مما يعد العبقرية من أسباب الحياة ؛ ولا يجل الناس عقلاً بلا مال قدر ما يجلون مالاً بلا عقل . فالموهوبات المادية لا يحسدها المرء قدر حسد الموهوبات العقلية ، لأنه يرجو الخير عند الأولى بالتحبب إلى صاحبها ، ولأنه يهابها ، والهيبة والاجلال تتغلب على الحسد للمرء المهيب . أما الثانية فاذا كانت استعدادا موروثاً من صفات العبقرية لا يجلبه التعليم ولا تخلقه التربية ، لم يكن للمحروم أمل فى نيلها ؛ وهذا اليأس منها منشأ الغيظ والمقت والحقد والحسد . ولعل النفس تزكى نفسها بأن المرء المحسود لم ينل الاستعداد الموروث بجد واجتهاد وعمل فهو لا فضل له فيه ، وهذه مغالطة ، فان الاجتهاد والجد والعمل صفات منشؤها استعداد موروث آخر

ولا يحسد المرء المال الموروث قدر حسده العقل الموروث ، لأن المال الموروث يوجد مثله فى السوق ، وقد ينال الصعلوك مثله وأكثر منه فيغنى بعد فقر . فالأمل فى كسبه موجود دائماً حتى وإن بعدت وسائل نيله ؛ وإذا وجد الأمل الطف من عدواء الحسد . أما الاستعداد العقلى الموروث فلا يناله أحد بالاجتهاد والعمل كما ينال العلم المكتسب الذى هو شيء آخر ، فليس عند المحروم أمل فى نيل صفات العبقرية الموروثة مهما كان أمله عظيما فى نيل العلم المكتسب ، فتراه يحسد على الاستعداد العقلى الموروث أكثر من حسده على الضياع والعقار ، وأكثر من حسده على العلم المكتسب ؛ وهو لا يحسد على الضياع والعقار والمال إلا إذا يئس من بلوغ الخير عند صاحبها ، أو إذا يئس من بلوغ مثلها بالجد والاجتهاد ، أو بالنصب والاحتيال ؛ وهو لا يحسد على العلم المكتسب إلا إذا حُرم صفات الجلد والمثابرة والقدرة التى ينال بها العلم المكتسب . فاليأس هو أساس الغيظ والحقد والحسد فى كل حالة من الحالات الثلاث

ومما يحير الألباب أن ترى انساناً فقيراً لا حول له يُحْسَد على صفات العبقرية التى هى فيه أو التى يحسبها الحاسد من صفاته أكثر من حسد الحاسد للغنى صاحب المال والجاه ، فيحار الباحث المفكر فى تعليل هذا التفاوت فى الحسد ؛ وكان المعقول فى رأيه أن يكون مقدار الحسد على عكس ما يرى لأن الناس تتقاتل على الذهب والفضة ، ولكن إذا عرف الباحث ما ذكر من نشأة الحسد وسببه زالت حيرته وزال عجبه

ولعل لهذا الانقلاب فى مقادير الحسد الذى يقصد به صاحب المال وصاحب العقل الموروث سببا آخر ، وهو أن وسائل القهر والدفاع والانتقام متوفرة عند صاحب المال وهى أمور يخشاها الحاسد ، والخوف منها يلطف من غلواء حسده لصاحب المال والجاه خشية أن يصيبه من قدرة الغنى أو صاحب الجاه ومن انتقامه وبطشه ما يؤذيه فيردعه الجبن عن الحسد . فترى أن الرهبة من وسائل البطش عند صاحب المال والجاه تعمل أيضاً عمل الرغبة فى الاستفادة من التحبب اليه ، وكلتاهما تضعف الحسد فى نفس الحسود

ومظاهر العقل المكتسب لا ينالها من حسد الحاسد قدر ماينال مظاهر العقل الموروث ، فالعلم الذى ينال بالاجتهاد هو من مظاهر العقل المكتسب الذى يستطيع كل مثابر أن يناله ، أما العبقرية فى شتى مظاهرها فلاينالها المحروم بالجد والاجتهاد ، ويأسه

منها واقع لا محالة ؛ وهذا اليأس هو منشأ غيظ المحروم منها ومنشأ حسده ، ولا يردعه عن كيد الحسد خوف البطش ، لأن العبقرى قلما تتوافر لديه أسباب البطش توافرها عند صاحب الجاه والمال . فالجبن الذى يحذر الحاسد من بطش المحسود إذا كان ذا مال وجاه يتطلب فى نفس الحسود ما يزكيه وما يداوى ألمه وما يغالط النفس عنه كى لا تعتريها الذلة والاحتقار من أجله بأن يتحول الجبن استطالة وكيداً لصاحب العبقرية الذى فقد وسائل البطش أو لمن خيلت فيه صفات العبقرية

ومن أجل ذلك ترى أن المرء قد يؤلف كتاباً فى الجبر أو الحساب أو الهندسة أو غيرها من العلوم فيروج ويقرأ فى شتى المدارس وينشر مؤلفه منه طبعة بعد طبعة حتى يثرى بسببه ويقتنى العقار والضياع ويحصل من أجله على مال كثير فلا يصيبه من حسد الحساد قدر ما يصيب فقيراً من ذوى الفنون أو الفكر الأصيل إذا لمحت فيه مظاهر العبقرية أو خيلت فيه لأن العبقرية استعداد موروث لا أمل للمحروم فى نيله ، واليأس منشأ الغيظ والحسد . أما صاحب العلم المكتسب الذى يؤلف كتاباً يغتنى من أجله فقدرته قدرة مكتسبة يستطيع كل انسان أن ينال مثلها إذا انصرف إلى وسائل نيلها وخصص نفسه لها ، فلا يأس يدعو الى الغيظ والحسد الشديد ؛ وإن كان يصيب صاحب العلم المكتسب حسد عليه فحسد الكسول الذى يستطيع بلوغ العلم المكتسب ولا يتخذ العدة لبلوغه ، وهذا حسد كسول مثل صاحبه الحسود . وإذا كان ذا نقص عقلى يمنع من بلوغ العلم المكتسب فالحسد فى هذه الحالة على العقل الموروث الذى نقص حظه منه

وعلى هذا القياس ترى فى الفنون أستاذ الصنعة الذى حُرِم العبقرية وا كتسب الصنعة بالجد والاجتهاد ، لا يحسد قدر ما يحسد الفنان الذى يرى الناس فيه مظاهر العبقرية ؛ فترى الأول ذا جاه وأصدقاء ومال ولا يحسد على كل هذه النعم قدر ما يحسد الثانى . ومما يزيد الحنق والحقد على ذوى العبقرية فى شتى مظاهرها العلمية والفنية أنهم أناس ذوو نظرات جديدة خاصة ، والناس من أجل كسلهم الفكرى ومن أجل خوفهم من الجديد المجهول غير المألوف يرون صلاح الحياة وضمانها فى الاستمساك بالمألوف ، حتى ترغمهم العدوى شيئاً فشيئاً على الأخذ بما لم يكن مألوفاً لديهم . ومما يزيد فى خوفهم شطط أهل الشطط ؛ وهذه الأسباب إذا عللت جانبا من جوانب الحنق والحقد فإنها لم تعلل كل جانب ، ولم تعلل الحسد الذى ينشأ من الرغبة فى شىء حال اليأس دونه .

وكثيرا ما يختفى الحسد وراء ستار فيحسب شيئاً آخر غير الحسد . وكثيرا ما يحسب فضيلة من الفضائل لأنه يستتر بستار الفضائل ويتخذ لباسها لباساً كى يخفى قبح نفسه ، وكى يكون أبلغ فى الكيد لأنه يبيح كل ضعة . والحسد ليس من صفات المحرومين وحدهم ، فان من الموهوبين من هو شديد الحسد . ومنشأ الحسد فى الموهوبين الرغبة فى التفرد بكل إجادة . والعبقرى الموهوب قد يحسد إذا يئس من حيازة شىء جليل أصيل وإن كان عنده مثله . فالرغبة فى حيازة كل فضل ، واليأس من تحقيق تلك الرغبة ، يُنْشِئان الحسد فى صدره كما ينشأ فى صدر المحروم

وقلما يحسد أشباه العامة ذا العبقرية قدر حسد العلماء أو المتعلمين أو الحفاظ المجتهدين له ، فمن أخذ بنصيب من العلم قل أو كثر أحس فقدانه العقل الموروث إذا كان قد حرم صفاته فيبأس منها مهما غالط نفسه وادعاها لها . فالمغالطة والحنق الناشئ من اليأس قد يتفق وجودهما فى وقت واحد . والعامة إذا أبغضوا ذوى العبقرية كان بغضهم بسبب جلب العبقريين لغير المألوف من المعانى فى بعض الأحايين وبسبب قلة فهم العامة ، وما ينشأ عنها من الغيظ والخوف والمقت ، فيستثمر الحسود المتعلم هذه الصفات فيهم كوسائل لأشباع حسده ؛ وقد يستثمرها كى يصرف نفوسهم عن أن يحسدوه على جاه أو مال أو كى يزكى نفسه بمعاونتهم فيما يحس من ضعف وجبن نشآ من اليأس والعجز عن الأمر المحسود الذى لا يستطاع نيله لأنه استعداد موروث

عبد الرحمن شكرى

هل الأمريكيون مصريو الأصل ؟

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

مصر تكتشف أمريكا — رسالة أهل مصر — أقدم حل لمشكلة العاطلين — أقدم بعثة فى التاريخ — أول جامعة متنقلة — رحلة يتممها أحفاد الأحفاد

تقدم لنا العلوم بين آن وآن حقائق كنا نجهلها كل الجهل عن أثر قدماء المصريين فى بناء المدنيات . ولشد ما كنا نعجب حينما تنبثق من قبور أجـدادنا الأقدمين أشعة من النور تبهر العقول قبل الأبصار ، فترينا أن المـدنيات التى قامت فى العالم مدينة فى كثير أو قليل لمنتجات عقول سكان مصر الأقدمين . واليوم نقف وبقية العالم فى ذهول وحيرة إزاء تلك الاكتشافات العديدة التى قام بها علماء العاديات وغيرهم فى البلاد الأمريكية ، والتى تثبت أن أول من استوطن أمريكا هم المصريون . كذلك ثبت لبعض علماء الأجناس أن المصريين كانوا نواة لبعض فصائل من البشر . ولـما كان بعض هذه الحقائق يستند الى وثائق أثرية وآثار طبيعية يرجع عهد البعض منها الى ما قبل التاريخ ، فعلينا أن نلم إجمالا بالتطورات التى حدت بقدماء المصريين أن يسلكوا ذلك السبيل

يجزم كثير من علماء التاريخ القـديم بأنه كان لمصر مدنية تفوق فى تقدمها وازدهارها وشيوعها كل ما عداها من المدنيات . ومن الطبيعى أن هـذه المدنية لم تكن إلا نتاجا لسابق جهود تمت خلال عشرات المئات من السنين واصل فيها شعب النيل الفكر والعمل مدفوعا بقوة روحانية يستمدها من مثله الأعلى الذى نصبه لنفسه ، والماثل فى تهذيب الطبيعة لتجميل الحياة

ولا عجب أن تكون العظمة طابع تفكيره ، وهو الذى آلى على نفسه أن يهذب الطبيعة ويجمل الحياة ، إذ لا شىء أعظم من الطبيعة أو أشمل للحياة من الحياة . ولو أن هذا الشعب لم يتصدر لأعظم حلم عرفه التاريخ (وستمر بك تفاصيله) ، ولم يبذل جهود الجبابرة لتحقيقه ، ثم لم يظفر ببغيته منه ، لـما كان أهلا لرسالته

وكان المصريون بما لهم من عقول رياضية قد تحققوا أن هنالك بلادا شاسعة غنية بخيراتها ، زاخرة بثروتها الطبيعية ، لا زالت بكرا . فسموا اليها ليؤدوا رسالتهم فيها ؛ وكانت تلك البلاد هى التى أطلق عليها فيما بعد اسم « أمريكا » . وكان العلماء فى مصر قدروا إذ ذاك موضع أمريكا تقديرا لا خطأ فيه ، بدليل أن المصريين فى ترحالهم الى تلك البلاد لم يضلوا الطريق فى الوصول اليها ، ولم تبتلعهم صحارى ومجاهل آسيا . كذلك لم يغوهم بلد كالهند لوثيق معرفتهم أن الثروة الطبيعية فى أمريكا أوفر منها فى الهند وأعظم

وكانت المدنية المصرية وصلت إلى حد عرفت فيه مشكلة البطالة ، وتكاثر فى البلاد عدد العاطلين من العمال والمفكرين . ولم يك ذلك إلا نتاجا لسوء نظام الطبقات السائد إذ ذاك . وخشيت الطبقة الحاكمة أن يتصدى العاطلون لنظام الحكم والنظام الاجتماعى ، فأوعزت إلى العلماء بالدعاية لفكرة استغلال أغنى بقاع العالم : أمريكا . وكان الضيق قد حل بالعاطلين من أبناء مصر فتقبلوا الفكرة ونظموا جموعهم واستقر قرارهم على الرحيل إلى بلاد الأمل والرجاء ، وانتظم فى سلك هذه الرحلة العمال والفلاحون والعلماء والفنانون — كل بعدته وأداته . ولم تكن هذه الحملة قاصرة على جحافل من رجال أشداء ، بل كان الشيوخ والنساء والبنات والبنون ضمن عناصرها . وهذه الحملة أو البعثة الجامعة إلى الدنيا الجديدة كانت أشبه ما تكون بأمة كاملة تحمل فى نفسها كل عوامل الحياة ووسائلها . وليس من المحتمل اليوم أن يجود التاريخ ببعثة تماثلها من حيث التكوين أو العظمة أو الغرض . ولا بد لتنظيم هذه الرحلة والسهر على إنجاحها من عقول راجحة قد يصعب علينا اليوم تصور جبروتها وعتوها . وكان على الجحافل التى تنزح يوميا عن أرض النيل — وكلهم من العاطلين — أن تعمل منذ الساعة الأولى من الرحلة على الانتاج ، كل فيما اختص به . ولم يكن أساس حياتهم الجديدة حب الذات ، كما كان الحال فى مصر ، بل كان التفانى فى التضحية لخدمة المجموع رائد الكل ، فحل تعاون الجماعات محل الاستئثار ، وغلبت الاخوة بين الجميع على فوارق الطبقات ، وتمتع هؤلاء الرحل بحرية لم يعرفوا لها نظيرا على ضفاف النيل . وكان صدق حبهم وخالص نيتهم فى تحقيق حلمهم العظيم يغريهم بالتمـادى فى التضحية . ولا يمكننا اليوم ونحن فى القرن العشرين وطرق المواصلات ميسورة وعديدة

وأغلب البلاد مأهولة وعامرة ، تقدير المشاق التى عاناها أجدادنا فى اجتياز تلك البقاع . ويرجع تذليل كل صعاب انتابتهم إلى الذهن المتقد وقوة الساعد والإيمان بصدق الرسالة . ولا شك أن العزيمة واطمئنان النفس كانت تتملك تلك الجماعات من الناس منذ بدء الرحلة التى قاموا بها ، فاخترقوا صحراء سينا إلى فلسطين فسوريا فتركيا فالعراق فبلاد الكرد فإيران فالتركستان فشمال الهند ، ومنها إلى سهول وصحارى سيبيريا الشاسعة حتى ظهر لهم البحر . ولقد قاومت هذه الجماعات الجوع والعطش والقيظ والبرد والحيوانات المفترسة والطيور الجارحة والمتوحشين من الهمج وتغلبت عليها جميعاً . بل لقد اجتازت مناطق لم يكن للبشرية فيها من أثر . ولما أن وصلوا إلى أبعد نقطة من شرق آسيا أخذوا يصنعون الفلك الذى اجتاز بهم البوغاز المعروف باسم « طريق بيرنج » حتى وصلوا إلى شبه جزيرة السكا

ويقول الأستاذ الدكتور هردليكا مدرس علم الأجناس فى معهد سميث سونيان بأمريكا : « إن الطارقين الأولين للدنيا الجديدة اتخذوا جزيرة كودياك قاعدة لهم وجعلوها مركز اتصال بين من تخلفوا منهم فى آسيا ومن تقدموا منهم فى أمريكا ؛ وهؤلاء اجتازوا السكا ونزحوا إلى كولومبيا البريطانية فولايات واشنجطن وأوريجون وكاليفورنيا الواقعة على المحيط الهادى . ولم يجد المصريون رواد أمريكا آدمياً واحداً أو أثراً لآدمى ، ولكنهم وجدوا حيوانات مَرَدة متوحشة يعلوها الشعر الكثيف المتهدل . ومن هذه الحيوانات الماموت والفيلة العاتية وغيرها مما كان يجتاز الأحراج والبرارى فى تلك الأرض البكر »

ويسلم الباحثون بأن « رواد أمريكا الأول كانوا على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام والمخاطرة » « وأنهم انقسموا إلى فريقين : فالفريق الأول ذهب إلى الشرق ، والفريق الآخر اتخذ طريقه إلى جانب مجرى الأنهار الكبرى حتى وصل هؤلاء المصريون الى المحيط الأطلنطى . وهكذا قطعوا ثلاثة آلاف من الأميال على أقل تقدير » . ويميل العلامة الأستاذ بنيت عضو المعهد الأمريكى للمباحث الخاصة بالهنود الحمر إلى « أن المصريين لم يقفوا عند الشاطئ بل ركبوا البحر حتى بلغوا الجزر المترامية فى المحيط والمعروفة اليوم باسم جزائر الهند الغربية » . ويتفق علماء الآثار الأمريكيون فى القول بأن « الفريق الآخر الذى سار جنوباً اخترق بلاد المكسيك وأواسط أمريكا وأحراج استموس فى بناما . ثم تدرجوا إلى مجاهل أمريكا الجنوبية » . ومن أمد قريب رحل جماعة من علماء الأمريكان إلى بوليفيا لعلهم يقفون على أثر للجماعات الرحل التى تقدمت التاريخ ، « هؤلاء الرحل الذين قدموا من وادى النيل قبل أن يقدم أمريكا بأجيال عدة قبائل الآنكاس » على حد تعبيرهم . وسرعان ما وفقت هذه البعثة فى عملها ، فقد جاء فى تقرير الأستاذ بنيت : « إننا وجدنا حول بحيرات تيتيكاكا فى بوليفيا آثار مدنيات يرجع تاريخها إلى ما قبل عصر الأنكاس » . وجاء فى هذا التقرير « وعلى مقربة من البحيرات وجدنا خرائب متفرقة . ولما أن كشفت عنها الأتربة ظهرت خمسة أبنية كانت على ما يظن معاهد دينية » . ولا زالت هذه البعثة مستمرة فى أبحاثها . والاعتقاد السائد بين أفرادها أنها سوف توفق الى اكتشاف مبان ومدافن أخرى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ

كذلك وفق الأستاذ هردليكا إلى اكتشاف فى كوبا يؤيد وجود اتصال ثقافى ومدنى بين الشعوب القديمة والشعوب الشمالية فى جزيرة كودياك وقبائل ماياس فى أمريكا . ومن المسلم به « أن جميع السكان الشماليين ومن بينهم الاسكيمو هم من سلالات العنصر الذى نزح إلى البلاد الأمريكية عند بدء تعميرها » . ولما أن وجد الدكتور هردليكا جمجمة فى إحدى حفريات جزيرة كودياك مال الى رأيه كثير من العلماء وهو « أن تلك الجمجمة هى صلة الوصل بين جميع هذه الأجناس البشرية التى عمرت أمريكا » . وهى جمجمة لرئيس قبيلة كما يزعم الدكتور هردليكا ، ويضيف إلى زعمه هذا أن أتباع هذا الزعيم اقتطعوا من لحمه حياً والتهموه التهاماً لفرط اعجابهم بكفاءته وفضائله . وهذه العادة كانت متبعة إذ كان يأكل الأتباع سيدهم وهو حى . وكذلك يفعلون مع زعيم أعدائهم اعتقاداً منهم أن ميزاته ومقدرته سوف تتقلص فيهم بعد أكل لحمه . وقد وجدت فى جمجمة هذا الزعيم عين صناعية صنعت من سن الفيل وجعلت الحدقة حجراً كريماً . وكانت قبائل الاستكن والماياس تصنع مثل ذلك إبان ازدهار حضارتهما . وكان الدكتور بنيت أمضى عدة أسابيع

فى أبحاثه بمدينة بيناردل ريو من أعمال جزيرة كوبا فوجد فيما عثر عليه مائتى ملعقة من المحار وكثيرا من المطارق الحجرية والأوانى المنزلية المصنوعة من الخشب وغيرها من الأدوات التى تتمثل فيها البساطة والفطرة . كذلك وجد فى هذه المدينة جمجمة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ . ويرى فيها الدكتور بنيت حلقة الاتصال بين الهنود الحمر الأول وسكان جزائر الأنانيل ، وقد ثبت له كما ثبت لغيره من قبل أن موطن الآباء الأول للهنود الحمر من سكان أمريكا هو وادى النيل

ومما لا شك فيه أن رحلة العاطلين المصريين هذه إلى أمريكا وكوبا وجزائر الهند الغربية دامت بضع مئات من السنين . وأن عدداً من الأطفال ولدوا أثناء السفر وشبوا وعاشوا وماتوا على بعد عشرات المئات من الأميال من الموضع الذى أبصروا فيه لأول مرة نور العالم من دون أن يصلوا إلى أرض الأمل والرجاء ، فورث الأبناء الرسالة وأخذوا على عاتقهم تحقيقها

وليس فى استطاعة أحفاد الأحفاد بناء مدنية فى أمريكا تشبه كل الشبه المدنية التى أقامها المصريون على ضفاف النيل مع أنهم لم يحظوا بالعيش فى مصر يوماً لفز قط ، فقد كان هؤلاء الرحل من بدء ترحالهم إلى الدنيا الجديدة يعدون العدة لتوفير أسباب اتمام المرحلة التالية . فان وجدوا الأرض خصبة والماء ميسوراً زرعوا الغلال والفاكهة والخضر والزهور وحملوا معهم ما أرادوه ميرة لهم فى سفرهم . وكما أن بعضهم كان ينسج الصوف والكتان وغيرهما ملابس وأردية وخياماً ، كان البعض الآخر من أصحاب الحرف يلقن الصبية صناعته . وكانت تعقد قبل مسير كل يوم وفى الصباح من أيام الاقامة حلقات يدرس فيها العلماء علمهم ويقدم فيها الفنانون تجاربهم . وكان لكل علم وفن دراسات وحلقات وفصول أولية وإعدادية وعالية . فكانت كل أنواع الثقافات المعروفة فى ضفاف وادى النيل تقدم دون تمييز إلى كل الأفراد . وهكذا عرفوا كيف يضمنون بين حياة الفطرة وحياة أحفادهم سداً منيعاً . ولما كان لكل فرد فى القافلة حق تلقن العلم ودرس الفن الذى يميل اليه أصبح الجميع أحرار الفكر أحرار العمل ، خاصة وقد تخلصوا من سلطة رجال الدين . وكان على طلبة الأمس أن يعلموا صبية وبنات اليوم . وهكذا احتفظ بمستوى الثقافة

وقد وجه السؤال التالى الى بعض الهيئات :

إذا كان حقاً أن المصريين عرفوا موضع أمريكا الجغرافى وعلموا بتفوق ثروتها الطبيعية ، فلم لم يركبوا البحر اليها مباشرة من شواطىء البحر الأحمر ؟

وما أيسر الجواب على ذلك . إن المسافر فى البحر خاصة فى تلك السفن القديمة العهد ، كان مضطراً الى هجر صناعته وعدم مزاولته لها ولكثير من دعائم الثقافة وأسس المدنية . وكيف يزاول فى السفينة فلاحة الأرض وزراعتها ، ونحن نعلم أن المدنية المصرية كان أساسها الزراعة ؟ وإذا كان هذا حال الفلاح فكيف يكون حال أولاده وأحفاده . كذلك تدريس العلوم والفنون أثناء سفر السفينة بعيد الاحتمال ، فلا يرجى للناشىء أن يقف على مدنية جديدة عليه أن يبنيها من أساسها فى أرض جديدة . والأمر الثانى كيف يجوز لهؤلاء العاطلين وهم جماعات عدة أن يحصلوا على المواد الغذائية لمدد طويلة قد تربو على العام ؟ ولو أن المصريين الأقدمين ركبوا البحر الى أمريكا لما وصلوا إلى الدنيا الجديدة ولما وجدنا هنالك أهراما وتماثيل ومبانى تماثل ما نراه على ضفاف النيل للعهود القديمة . أما وقد أنشأوا مدنية جديدة فى أرض بكر ، وأدوا رسالتهم على الوجه الأكمل فأولى بنا أن نقتبس من روح نظام مجتمعهم الذى مكنهم من تحقيق أكبر حلم عرف فى التاريخ

ابراهيم ابراهيم يوسف

مراجع البحث :

1) Hartman Pieper :
Die Gesetze der Welt geschichte : Aegypten

2) A Gessler :
Die aegypptische Fahrt hach Amerika

للتاريخ السياسى :

٥ – اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

أما مسيو فان زيلاند ، فقد ألقى خطاباً مرتب العبارة أنيق الأسلوب مؤثراً ، وقد مس فى خطابه شعور كل من سمعه . . وقال إنه لا يوجد بلاد فيها الخوف أشد مما هو فى بلجيكا ، وإن هذه البلاد الصغيرة لا تملك ما يطمئنها على سلامتها غير معاهدة لوكارنو . . . وقد اعتدى على حق بلجيكا التى تحترم المعاهدات والجيران اعتداء لا مبرر له . . . فبلجيكا لم تكن عضواً فى المعاهدة الفرنسية الروسية التى اتخذها الهر هتلر حجة لتمزيق لوكارنو . ولا ينبغى أن تتوقف قيمة الامضاء على معاهدة على قيمة قوى الذى وقع على تلك المعاهدة ...

وبعد ظهر يوم الاثنين الموافق ١٦ مارس اجتمع مجلس العصبة اجتماعاً خاصاً ثم اجتماعاً سرياً داما مدى أربع ساعات ، ودام البحث خلال ذلك عن الجواب الواجب ارساله الى الحكومة الألمانية ، وعن الأصول الواجب اتباعها للوصول إلى القرار الذى يصدره المجلس . وبعد نقاش طويل تقرر ارسال برقية إلى الهر هتلر يخبره فيها بأن لألمانيا الحق فى الاشتراك فى مناقشة المجلس لطلب فرنسا وبلجيكا على قدم المساواة مع بقية الدول ؛ ولا اعتبار لأصوات دول لوكارنو الثلاثة فى تقرير التصويت الاجماعى . أما فيما يتعلق بالشرط الثانى فليس من اختصاص المجلس إعطاء التأكيد الذى تطلبه الحكومة الألمانية

وقرأ مسيو فلاندان طلب حكومة فرنسا وبلجيكا الذى تقولان فيه بأن على مجلس العصبة أن يقرر بأن ألمانيا قد اعتدت على ميثاق لوكارنو ومعاهدة فرساى ، وأن يقف فوراً دول لوكارنو على القرار — وبعد نقاش قصير فضت الجلسة

***

وقبل أن تجيب حكومة برلين على برقية مجلس العصبة ، أرسلت صباح الثلاثاء ١٧ مارس الى حكومة لندن ، بواسطة سفيرها فى برلين برقية تقول فيها بأن الحكومة الألمانية تأمل من حكومة جلالته بذل جهودها ، فى الظروف الحالية ، للمفاوضة على المنهاج الألمانى فى الوقت المناسب مع الدول ذات الشأن فيه . فأسرع مستر ايدن فى أخذ رأى ممثلى فرنسا وبلجيكا ثم أجاب حكومة برلين قائلاً : « إن حكومة جلالته باذلة كل جهدها للوصول الى حل سلمى مرض للمشاكل الحالية . وإن الحكومة البريطانية تؤكد بأن (اقتراحات المستشار) ستناقش فى الوقت المناسب كغيرها من اقتراحات الدول ذات الشأن فى الموضوع »

وفى اليوم عينه اجتمع مجلس العصبة فى الساعة الثالثة والنصف وعقد جلسة سرية حسب اقتراح رئيسه ليسمع تصريحاً من ممثل بريطانيا . وقد أطلع مستر ايدن المجلس على برقية حكومة برلين وجوابه عليها . وبعد جدال عنيف حول الموضوع تقرر أن برقية الحكومة الألمانية لا تعد جواباً على برقية المجلس ، وأن على المجلس فتح المناقشة حول طلب فرنسا وبلجيكا . وقد حض ممثلا فرنسا وبلجيكا على النقاش الفورى ، وأخذ مسيو فلاندان يتكلم بحدة عن ضياع الوقت دون الوصول الى نتيجة

وبينا هم كذلك إذ سلمت برقية إلى مستر ايدن ، تفيد بأن الحكومة الألمانية قد قررت ارسال مبعوث الى لندن . وبعد بضع دقائق « تَلْفَنَ » سفير ألمانيا فى لندن الى رئيس المجلس ليقفه على الخبر . وعلى ذلك انفضت الجلسة ليقوم الممثلون باستشاراتهم الخاصة

وفى نفس اليوم عقدت الجلسة ثانية وكانت سرية أيضاً . ودار الحديث حول تأجيل المناقشة العامة حتى وصول ممثل بريطانيا ، فعارض مسيو زيلاند فى ذلك ، وأخبر مسيو فلاندان المجلس بأنه يجب أن يؤخذ القرار صباح الخميس ، لأنه سيغادر لندن إلى باريس فى ذلك التاريخ . وهكذا تقرر أخيراً افتتاح الجلسة العمومية والبحث فى دعوى فرنسا وبلجيكا ، وكان ذلك فى الساعة الخامسة والنصف

وتكلم فى هذا الاجتماع ممثلو تركيا والروسيا وشيلى . وكان أهم ما جاء فى الخطب انتقادات الرفيق لتفينوف الشديدة والصريحة لانتهاك ألمانيا ميثاق لوكارنو . وقرأ جملاً من كتاب

« كفاحى » توضح أن ألمـانيا كانت مصرة على احتلال أراضى الرين عسكرياً وتسليحها لتتمكن من نشر نفوذها على أوروبا جميعها

وتابع مجلس العصبة اجتماعه فى اليوم التالى ، وتـكلم جميع ممثلى الدول عدا الرئيس وممثـل بلاد « الايكوادور » بسبب مرضـه ، وأهم الخطب كانت خطب مستر إيدن والسنيور جراندى والـكلونيل بيك Beck ، أما الهر ريبنتروب فلم يصل فى الوقت المحدد ، ولذلك ألقى خطابه يوم الخميس ١٩ مارس

وبعد أن أبان مستر إيدن أن ألمـانيا هدمت معاهدة لوكارنو بعملها فى ٧ مارس قال : « إن واجباتنا ليست فقط التصريح بأن اعتداء قد حصل ، بل يجب أن نضع نصب أعيننا غايتنا السامية ، ألا وهى الاحتفاظ بالسلام ، وإقامة حسن التفاهم بين أمم أوروبا على أساس متين ودائم . ما ذا كان مقصد لوكارنو ؟ لقد كان لها مقصدان : أولهما الاحتفاظ بالسلام ، وثانيهما خلق ثقة دولية بتأمين السـلام فى غربى أوروبا . وإننى أصرح بأن موضوعنا اليوم هو هاتان النقطتان . . . واستمر يقول بأن الحالة الراهنة التى تولدت عن أعمال ٧ مارس حرجة جداً ، غير أن هذه الحالة تحتوى على شيئين مهمين يجب لفت النظر اليهما :

أولهما : أن تمزيق لوكارنو لم يحمل معه أى تهديد عدائى ، ولا يوجب العمل الفورى الذى توجبـــه معاهدة لوكارنو فى بعض الظروف

ثانيهما : مهما تـكن الحالة خطرة فانها أوجدت فرصة سانحة لتوليد حسن التفاهم وبناء العلاقات الدولية على معاهدات يحترمها الجميع ويود بقاءها . . .

أما الأمر الأول الذى لفت مستر إيدن اليه النظر فيخالف نص معاهدة لوكارنو الذى يقول بأن احتـلال أراضى الرين يعد عملاً عدائياً ، ولدول لوكارنو الحق فى اتخاذ إجراءات عاجلة فعالة . وأما النقطة الثانـية فلا يستطيع مستر إيدن تأكيدها ، إذ هو لا يستطيع ضمان محافظة ألمانيا على المعاهدات التى ستعقد معها . ألا يمكن لحكومة النازى أن تقوم بعد سنين بمثل العمل الذى قامت به فى ٧ مارس بحجة أن المعاهدة التى وقعتها لم تعد تسير مع رغائب الأمة فلا قيمة لها ، وأن الحـكومة الألمانية فى حل منها !

واجتمع مجلس العصبة صباح الخميس الموافق ١٩ مارس لسماع خطاب الهر فون ريبنتروب واتخاذ القرار . وفى بادئ الأمر عقد اجتماع خاص طلب فيـه ممثل الهر هتلر ترك فاصل من الوقت بين نهاية خطابه وأخذ القرار للتفكير . فصرح مسيو فلاندان حالاً ، وبدون تردد ، بأنه يعضد هذا الاقتراح . وفى الساعة العاشرة والنصف عقد الاجتماع العام . وأومأ الرئيس إلى الهر ريبنتروب ، فقام وقرأ خطابه بالألمـانية (مع أن اللغتين الرسميتين فى عصبة الأمم هما الفرنسية والانكليزية) ، وبصوت هادئ ودون إشارة مدة نصف ساعة ، ولم يأت فى دفاعه ببراهين جديدة تبرر أعمال ٧ مارس ، بل كان الدفاع مبنياً على أن حكومة فرنسا اعتدت على لوكارنو بعقدها مع الروسيا ميثاقاً آخر ؛ وأعاد تأكيد الهر هتلر بأن الحـكومة الألمـانية تود السلام

وبعد أن ترجم الخطاب إلى الفرنسية والانكليزية ، انفضت الجلسة ليجيل الأعضاء الفكر فيه

وعندما اجتمع أعضاء المجلس فى الساعة الثالثة والنصف ألقى الرئيس بروسى كلمته كممثل لحكومة استراليا ، وأخبر بأنه سيصوت مع طلب فرنسا وبلجيكا

ثم جرى التصويت على القرار — resolution — وهذا نصه :

« إن مجلس عصبة الأمم ، حسب دعوى فرنسا وبلجيكا ، المقدمة إليه فى ٨ مارس ١٩٣٦ ، يرى بأن الحـكومة الألمانية قد خالفت المـادة ٤٣ من معاهدة فرساى بارسالها فى ٧ مارس سنة ١٩٣٦ قوى حربية إلى الاقليم غير المسلح ، والمنوه عنه فى المـادة ٤٢ والمواد التاليـة من تلك المعاهدة وفى معاهدة لوكارنو ، وإقامتها فيه . انه يخبر السكرتير العام حسب نص البند ٢ من المـادة ٤ من معاهدة لوكارنو لـكى يرسل قرار المجلس هذا حالاً إلى الدول الموقعة على تلك المعاهدة »

وقد أخبر الرئيس بأن لجميع الممثلين حق التصويت ، غير أن أصوات المتخاصمين لا تعد لمعرفة ما إذا كان التصويت بالاجماع

وكان جواب ممثلى الدول إيجابياً « نعم » . أما جواب ممثل الهر هتلر فـكان « لا » . ولم تـكن حكومة اكوادور ممثلة فى هذا الاجتماع ؛ ولقد تغيب عن التصويت ممثل شيلى

وهكذا أخذ القرار بمخالفة أعمال ٧ مارس لمعاهدتى فرساى ولوكارنو بالاجمـاع ؛ وانتهت بذلك الدورة ٩١ غير العادية لمجلس العصبة ...

يوسف هيكل

بعض أبطال النقــــد
وأثرهم فى نهضة الآداب الأوربية

عند ما قرأت مقال الأستاذ صاحب (الرسالة) فى فوضى النقد فى مصر ، ثم قرأت فى الأسبوع التالى مقال الأستاذ أحمد أمين ، بدا لى أن أقدم للقراء طائفة من النقاد الأوربيين كان لهم أكبر الأثر فى نهضة الآداب كل فى مملكته . وقد اشترك هؤلاء فى فضيلة واحدة جعلت لكتاباتهم قيمتها ، تلك الفضيلة هى أنهم لم يقيموا من أنفسهم قضاة يصـدرون أحكامهم على الأدباء ، ولا اتخذوا من أنفسهم شتامين سبابين ، يخرجون عن موضوع النقـد إلى الخوض فى الأعراض وانتقاص الشاعر أو الـكاتب بكل ما يضع من قدره ، ويحط فى أعين القراء من شأنه ... بل هم كانوا يعرضون بضاعة الأدباء على القراء ويعينونهم على تقديرها بالنقد والتحليل ، ويلفتون أنظارهم إلى ما فيها من جمال أو قبح ، ثم يتركونهم يصدرون أحكامهم من تلقاء أنفسهم . وأحسب أن لو اتبعت هذه الطريقة فى مصر لعادت على الأدب والأدباء بأكبر النفع ، ولا سيما إذا لم تقحم السياسة والأحن والتعصب فى المسائل الأدبية التى ينبغى أن تظل بريئة خالصة لوجه الحق والأدب

أما هؤلاء النقاد الأوربيون فهم : لسنج الألمـانى ، وسانت بيف الفرنسى ، وبلنسكى الروسى ، ثم كولردج ، وشارل لامب ، وهازلت ، وأرنولد الانجليز

١ – لسنج

كانت أوربا كلها إلى ما قبـل القرن الثامن عشر تُعيّر ألمـانيا بالافلاس الأدبى ، وكانت ألمـانيا تنظر إلى خصيمتها فرنسا نظرة كلها حسد وكلها غيرة ، وإن كان هذا الحسد وتلك الغيرة لم يمنعاها من أن تـكون التلميذة المؤدبة المعترفة بالجميل لفرنسا ، ذلك لانتشار الأدب الفرنسى بين الألمـان فى ذلك الوقت انتشارا كان يأخذ السبل على كل الآداب الأوربية ، فما يستطيع أحدها النفاذ إلى ألمـانيا ، بما فى ذلك الأدب الانجليزى الذى كان بطبعه أقرب إلى ذوق الألمـان . فلما ولد جوتهولد إفرايم لسنج Lessing سنة ١٧٢٩ دقت البشائر فى ألمـانيا كلها ، وأخذ الـكابوس الذى كان يجثم على صدرها ينظر إلى هذا الطفل ويعد العدة للرحيل !

قضى لسنج أيامه الأولى متنقلاً بين ليبزج وبرلين ؛ وكان أبواه قد نذراه للـكنيسة ، لمـا كان للرهبان فى تلك الآونة من عظيم الشأن فى ألمـانيا ؛ ومن هنا كان الصراع الهائل فى نفس الشاب بين ميوله الأدبية الفطرية وبين التزمت الدينى فى الفـكر الذى يقسر عليه رجال الدين عادة ، فصبأ من تلقاء نفسه ، واحترف الأدب

وكان لسنج يبغض الأدب الفرنسى ويبغض الأدباء الفرنسيين وفى مقدمتهم ڤولتير ؛ وأكبر الظن أنه كان يصـدر عن عصبية وطنية صارخة لما كان بين الدولتين من منافسات وثارات . ولم يبرح يكتب ويكتب ، ولم يبرح المسرح يجتذبه اليه ، فعكف أول الأمر ينقد الدرامات الفرنسية التى كانت تكتسح المسرح الألمانى ، ويظهر الناس على ما فيها من ليونة لا تتفق والقوة التى تنشـدها ألمـانيا . ولم يقف عند حد الـكتابة فى الصحف والمجلات ، بل ألف كتابه القيم (تاريخ المسرح) وأصدره سـنة ١٧٥٠ ، وهو كتاب خطير حسن يلفت فيه لسنج أنظار قومه بشدة إلى روائع المسرح الاغريقى ، ويقفهم به على أحسن ما جادت به قرائح إسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز وأرسطوفان . ثم يدعوهم به إلى الايمان باليونان والـكفر بفرنسا . وكان هذا الـكتاب أول محاولة صادقة لاحياء الدرامة الـكلاسيكية ، وقد هرع اليه أدباء ألمـانيا فتخذوا منه إنجيلا يبشر بأدب جديد ؛ وافتتن به جوته فبشر به ؛ وجعله شيللر ناموسه الأكبر الى أدب المجد والخلود

وكان لسنج يعجب أيما إعجاب بشا كسبير ، فدأب على الدعوة له فى ألمـانيا حتى أفلح أخيراً فى صرف الشباب الألمانى اليه . وقد حفظ له الانجليز هذا الجميل فنقلوا الى لغتهم كل ما كان يكتب ويؤلف

وقد تمت هزيمة الاتجاه الفرنسى فى ألمانيا حينما أصدر لسنج مأساته الخالدة (الآنسة سارة سامبسون) سنة ١٧٥٥ التى كانت بحق أولى ثمار الأدب القوى الألمانى المستقل . وبعد هذه الدرامة

فرغ لسنج للنقد فأرشد ألمانيا كلها لما فيه خيرها ولما فيه صلاح نهضتها

وفى سنة ١٧٦٦ أصدر لسنج قصته البارعة (لاوكون) التى اتفق كل مؤرخى الآداب على أنها أعظم نتاج أدبى صدر فى القرن الثامن عشر بطوله . والقصة تدور على حوادث النبى الطروادى لاوكون الذى وعظ قومه ألا يقربوا الحصان الخشبى وألا يدخلوه الى مدينتهم لأنه سيكون شراً عليهم . وقد لخصت (الرسالة) هذه الحادثة فى باب القصص فى آخر جروب طروادة . ويحسب هذه القصة أن يقول فيها جوته : « يجب أن نرتد طفرة الى ميعة الشباب وحرارته كى ندرك حقيقـة الأثر العميق الذى تركه فينا لسنج بقصته العبقرية (لاوكون) التى انتشلتنا من صفوف المتفرجين التاعسين البلداء الى صفوف المفكرين المنتجين العظماء ! » وقد عرض لسنج فى ثنايا القصـة الى ضروب من النقد الحر المتذل البعيد من الصلف جعلتها قانونا عاما لهذا الفن الذى هب أدباؤنا اليوم يشكون من الشكوى من المتطفلين عليه بغير الحق

٢ — سانت بيف (١٨٠٤ — ١٨٦٩)

لا يستغنى طالب الأدب الفرنسى عن كتاب Causeries du Lundi (أحاديث الاثنين) لسانت بيف ؛ بل لا نبالغ إذا جزمنا أنه لا غناء لمتأدب فى أى أمة عن هذا الكتاب الذى لا يعدله كتاب فى النقد الأدبى فى العالم . ولم يكن لورد مورلى مبالغاً حين قال إن من شاء استيعاب الأدب الفرنسى كله فحسبه أحاديث الاثنين لسانت بيف ، فهى ذوق وذخيرة وعدالة ومفتاح ذهبى لكل من يستغلق عليه شىء من هذا الأدب الحافل

وقد عرض سانت بيف لطائفة كبيرة من الأدباء الأنجليز والاغريق فى أحاديثه ، فحلل آدابهم وعرضهم على قرائه عرضاً علمياً شائقاً شهد بعدالته وسموه كبار النقاد الانجليز أنفسهم ، وإن يكن قد قدح فى طريقة الناقد الانجليزى الكبير صموبل جونسون التى عرض بها لجمهرة من الشعراء فى كتابه (حياة الشعراء Lives of the Poets) . ولم يكن سانت بيف متعسفاً فى هذا القدح ، بل كان صائب الرأى فيه الى حد بعيد ؛ ويكفى أن تعلم أن كتاب جونسون هو مجموعة مقدمات لدواوين الشعراء كان يطلب منه تقـديمها الى القراء بها ، فكان لا يعنى فيها إلا بابراز محاسن الشاعر والا كبار من شأنه غاضاً الطرف عن عيوبه . يكفى أن تعرف هذا لتتفق مع بيف فى إقلاله من شأن جونسون

وكما قدح بيف فى طريقة جونسون فى نقد الآداب ، فكذلك لم ترضه طريقة مواطنه الكبير بوالو Boileau « لأنه كان ينظر الى الأديب نظرة سطحية ، ثم سرعان ما يصدر حكمه عليه ؛ والناقد العادل ينبغى أن يستعرض حياة الأديب وعصره وبيئته وظروفه فيشرحها للقراء شرحاً مسهباً ثم يدعهم يصدرون أحكامهم ؛ فليس من وظيفة الناقد أن يكون قاضياً . . . »

وأحاديث الاثنين فصول ممتعة كان يحررها بيف فى إحدى المجلات الدورية ثم جمعها وأصدرها فى عدة مجلدات وأردفها بكتابه الرائع فى النقـد والأدب والفلسفة Port Royal وقد تناول فيه الحركة الذهنية برمتها فى عهد لويس الرابع عشر

٣ — بلنسكى Belinsky (١٨١١ — ١٨٤٧)

يرجع تاريخ النقد الأدبى فى روسيا إلى عهد الشاعر العظيم بوشكين (١٧٩٩ — ١٨٣٧) وذلك للفصول المتعـة القوية التى كان يوالى نشرها فى المجلة الروسـية (الرسول الأوروبى) ينقد فيها الشعر والشعراء منذ فجر النهضة الروسية إلى زمنه . وقد أثارت هذه الفصول حماسة الشباب ولفتتهم إلى درر الآداب العالمية ، وربت فيهم ذوقاً خالصاً شفافاً يزن بالنظرة الواحدة قيم الأدب بنوعيه فى ذلك العصر من شـعر ونثر . وقد استجاب لفصول بوشكين زعماء الشباب من أدباء روسيا واجتذبت بعض أمراء البيت القيصرى وفى مقـدمتهم الأمير الأديب ڤيازيمسكى الذى نزل الى ميدان النقد بقلمه — على نهج بوشكين — فى مجلة (كارامزين) (١٨٠٨ — ١٨٧٨) — وانتظمت حركة النقد على صدى سانت بيف حين دخل عنصر الاحتراف فى الصحافة الروسية وقطعت شوطاً كبيراً على يد الصحافى القدير بولڤوى Polevoy الذى لفت اليه الأنظار بفصوله الضافية فى نقد الأدب والحياة والتقاليد الروسية ، وإن أغضب الفئة الرجعية التى لا تخلو منها أمة ما . . .

بيد أن هذه الحركة المباركة لم تبلغ أوجها إلا حين تسلمها فتاها الأكبر فخر أدباء روسيا بلنسكى ، الذى وثب من وسط وضيع وأسرة فقيرة وتعليم ناقص مبتور ، فاستطاع أن يتسنم أسمى

ذروة بين مواطنيه ، وأن يرسم الخطط لما ينبغى أن يكون عليه الأدب والاجتماع فى روسيا جميعاً . وكأننا به قد تسلم تراث أسلافه بوشكين ولرمونتوف وجوجول ليغربله ويسقط ما فيه من نفايات ، كيما يخلق منه قادة الأدب العالمى الجديد : جوتنريف وهرزن ودستوئفسكى وتولوستوى وشيخوف وجوركى . ويحسبك أن تعلم أن الأربعة الأول قد تتلمذوا على بلنسكى ، ورضعوا لبانه ودرجوا فى حجره ، وثقفوا عنه فلسفة هجل وجيته ، وطرائف شاكسبير وروائع الأدب الفرنسى ، وآمنوا عن سبيله ، بأن الفن للحياة ، وليس الفن للفن

ولشد ما كانت روسيا تشبه مصر اليوم من الوجهة الأدبية ، فكان فيها معسكران كبيران ينزع أحدهما الى التجديد والأخذ عن الغرب ، وتسموا باسم (الثائرين) وكان على رأسهم بلنسكى يعاونه ويشد أزره الناقد المحاضر الكبير يوسف لوما يستر ، ويساعدهما الأديب الثقة والناقد المحقق هرزن . أما المعسكر الآخر فهم فئة السلافيين Slavophiles ، وكانوا يتعصبون لروسيا القديمة تعصباً أعمى ، وكان أدباؤهم ينقدون معسكر الثائرين نقداً كله شعوذة وكله رمى بالكفر والمروق من الدين والوطنية

وقد أخذ الأستاذ بركنر Brückner الألمانى فى كتابه (تاريخ الآداب الروسية) على بلنسكى وأضرابه من النقاد الروسيين ما كانوا يحيدون به أحياناً عن قوانين النقد التى وضعها سانت بيف ولسنج وأرنولد ، وقال إنهم حين كانوا يفعلون ذلك كان يجىء نقدهم سطحياً قليل الغناء . وقد رد الأستاذ بارنج (Maurice Baring) فى كتابه (خلاصة الأدب الروسى) على هذا المأخذ بأن بلنسكى ومدرسته كانت تنشد قبل كل شىء خلق أدب قومى روسى بكل معنى الكلمة ينافس الآداب الأوروبية التى كانت تطغى على روسيا نفسها فتجذب اليها جمهور القراء الروسيين ... لذلك كان يضطر أحياناً الى منازلة خصومه بأشد من أسلحتهم فى المهاترة والثلب !

٤ — كولردج وشارل لامب

لو أن كولردج (١٧٧٢ — ١٨٣٤) قصر جهوده على النقد دون النظم لأفاد الأدب الانجليزى أكثر مما أفاده بشعره ، وإن يكن له فى هذا الميدان جهده المشكور . ولقد كانت طريقته فى النقد مثل طريقة مواطنه وصديقه شارل لامب (١٧٧٥ — ١٨٣٤) وإن اختص الأول بعرض أدب شاكسبير أكثر من أى شىء آخر . وكل النقاد الحديثين فى انجلترا يحترمون آراءه فى شاعرهم الأكبر ويعتمدون عليها . وشارل لامب هو صاحب النظرية العجيبة فى نقد الآداب والتى تتلخص فى « وجوب اعتماد الناقد على ذوقه كحاسة سادسة لا على عقله فقط فى نقد الأدب ! » وهو يشرك الروح فى النقد ، ويطلب من الشاعر أن يغنى ويصور ، ويبكى ويتألم ، لا أن ينظم حقائق هذه الدنيا فيكون شعره جافا ثقيلاً على القلب . فالروح عند شارل للشعر ، والعقل للعلم . وقد كان لامب يثير شغف القراء وإعجابهم بفصوله التى كان ينشرها فى (London Magazine) بامضاء (إيليا) ؛ ولولا أثرته ومدحه لذاته فى هذه الفصول لرفعته الى أسمى مراتب النقاد

٥ — هازلت (١٧٧٨ — ١٨٣٠)

لا تقل مكانة وليم هازلت فى النقد عن مكانة سانت بيف ؛ ويعده الانجليز واضع أسس النقد الأدبى الحديث فى انجلترا ، وهم يقبلون على قراءته إلى اليوم كما يقبل الفرنسيون على قراءة سانت بيف ، وكما يقبل الألمان على لسنج ، والروس على بلنسكى . ويذكر هازلت أن سبب شغفه بالأدب وبالنقد خاصة هو لقاؤه الأول بكولردج الذى كان صديق أبيه ، وكان يزوره فى منزله كأعز ضيف عليه . ولقد حاول هازلت مرة أن يهجر الأدب إلى الفنون ، وشغف فعلاً بالتصوير والرسم ولكنه فشل ، فحطم ريشته وامتشق يراعته ، وكان ذلك من حسن حظ الأدب

وما كاد هازلت ينشر فصوله الأولى فى النقد فى احدى المجلات حتى استرعى انتباه الدوائر الأدبية العليا ، وحتى دعته مؤسسة رسل لالقاء بضع محاضرات فى « نشوء وترقى الفلسفة الحديثة » ، ثم فى « الشعر والشعراء الانجليز » و « كتاب الكوميدى الانجليز » ، و « عصر إليزابث » . ودعته صحيفة المورننج كرونكل لتحرير قسم النقد المسرحى فيها . وأخذ بعد ذلك ينشر فصوله عن (الدائرة المستديرة) فى صحف التيمس والتشامبيون والأجزامينر ، واتصل بمجلة لندن فنشر فيها حديث المائدة وبحثه القيم عن (روح العصر) ، وغير ذلك من الموضوعات الشائقة . وقد شهد البروفيسير سينتسبرى — ولم يغل — بأن فصول هازلت فى النقد قد فاقت غيرها فى جميع الأمم ، ولم يستثن سانت بيف — ولولا ما كان من اعجاب هازلت بنابليون لعبده الانجليز ولقدسوه تقديساً

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

اشتغال العرب بالأدب المقارَن

أو ما يدعوه الفرنجة « littérature comparée »

في كتاب تلخيص كتاب أرسطو في الشعر

لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد

[تابع المنشور في العدد الماضي]

— تلخيص وتحليـــل —

للأستاذ خليل هنداوي

أما غاية صناعة الشعر فلم تخرج عن غاية الفلسفة لأن المؤلف والترجم فيلسوفان يقيسان كل شيء ، ويقدرانه بحسب فائدته الخلقيـة ، وهما يريدان من الشعر أن يكون عاملاً على تهذيب الأخلاق حاثاً على التخلق بالآداب السامية (وهذا هو الشعر المدرسي قبل أن ينحت الفن أثلته ، وينخر غرسته) لأن الفن قد ضرب بهذه السدود ، وحطمها أي تحطيم . والشعر الفني — عند العرب — في اعتقادي — يغشى على الشعر المدرسي لأن أكثره شعر لا يدل على أن أصحابه كانوا يتورعون فيه . ولعل هذا هو ما دعا أبا نصر الفارابي الى الحملة على هـذا النوع من الشعر الفني بقوله : « إن أكثر شعر العرب في النهم والكريه ؛ وذلك أن النوع الذي يسمونه النسيب انما هو حث على الفسوق ؛ ولذلك ينبغي أن يتجنبه الولدان ويؤدبون من أشعارهم بما يحث فيه على الشجاعة والكرم ، فانه ليس تحث العرب في أشعارها من الفضائل على سوى هاتين الفضيلتين وإن كانت ليس تتكلم فيهما على طريق الحث عليهما ، وانما تتكلم فيهما على طريق الفخر ، لأن أكثر شعرهم من شعر المطابقة الذي يصفون به الجمادات كثيراً والحيوانات والنبات . وأما اليونانيون فلم يكونوا يقولون أكثر ذلك شعراً إلا وهو موجه نحو الفضيلة والكف عن الرذيلة ، وما يفيد أدباً من الآداب أو معرفة من المعارف » وقد بحث في العلل المولدة للشعر ، فكان تعليله الاول إلى الفلسفة أدنى منه إلى الشعر . وقد بنى هـذه العلل على ميل الانسان إلى محاكاة الأشياء . وقد تكون — عندي — هذه المحاكاة علة صادقة مبنية على التحليل النفسي ، لأن الشاعر أقرب الناس إلى فهم الطبيعة والعمل على تحسينها وإكمالها « لأنه يلتذ بالتشبيه للأشياء التي قد أحسها وبالمحاكاة لها ليلتذ باحساسها » فما أصدق هـذا الاحساس وما أبعده في تعليل العلل المولدة للشعر . إن الشاعر يأتي الطبيعة ويستجليها ويستنطقها ويبث فيها الحياة ، ليجعل فيها القدرة على مشاركته في بهجته . وجاء تعليله الثاني تعليلاً طبيعيا ، نشأ في الانسان لالتذاذه بالطبع بالوزن والالحان ... وهو في هذا لا يرى في الوزن والألحان كل الشعر إن لم تنطو هذه الألحان على محاكاة الطبيعة ؛ ثم يذهب في اختلاف طبائع الأمم ، فان الأمم التي تغلب الأخلاق عليها تميل إلى مديح الأفعال الجميلة ، والعكس بالعكس . ولا بد من ملاءمة الأوزان والألحان للمعاني ؛ فرب وزن يناسب غرضاً ولا يناسب غرضاً آخر . وعملهما فيه هو أنها تعد النفس لقبول خيال الشيء الذي يقصد تخييله . وثمت علل كثيرة للشعر ، « وانما المحاكاة هي العمود والأس في هذه الصناعة ، لأن الالتذاذ ليس يكون بذكر الشيء المقصود ذكره دون أن يحاكي . ولذلك

---

٦ — ماثيو أرنولد (١٨٢٢ — ١٨٨٨)

أرنولد من شعراء العصر الفكتوري المجيدين ، ولكنه خدم الأدب الانجليزي بكتابه القيم (فصول في النقد Essays in criticism) أكثر مما خدمه بشعره ؛ ويكاد أرنولد يتفق وهازلت في طريقته في نقد الآداب ، غير أنه يمتاز من هازلت بأنه يخلق من القارئ نفسه ناقداً للموضوع أو الأديب الذي ينقده ، فما يكاد أحد يتلو فصولاً من كتابه حتى يحس من نفسه القدرة على النقد ، كأنما قد تقمصه أرنولد ! وهذا ما أفاض في شرحه الأستاذ هربرت پول في كتابه عن أرنولد ؛ ولولا تشكك أرنولد وكثرة حيرته ، وهما عيبان يبدوان كثيراً في فصوله ، لما قل في مرتبته عن هازلت وعن سانت بيف

وبعد ، فهذه لمحات خاطفة لسادتنا نقاد الآداب عن زملائهم (!) في بعض الأمم الأوربيـة ، نرجو أن يهتموا بدراستهم في المراجع التي أشرنا اليها ثم ينقدوا بعـد ذلك ما يشاؤون

(د . غ)

لا يلتذ الانسان بالنظر إلى صور الأشياء الموجودة أنفسها ، ويلتذ بمحاكاتها وتصورها بالأصباغ والألوان ؛ ولذلك استعمل الانسان صناعة الزواقة والتصوير . وهل كانت غاية المدح مثلاً إلا محاكاة الناس من قبل عاداتهم الجيلة وأمثالهم الحسنة واعتقاداتهم البعيدة ؟ ولعل أرسطو كان أكثر انصافاً لرسالة الشعر منه لرسالة الخطابة « فقد اعترف لها بأنها ليست مبنية على الاحتجاج والمناظرة ، وبخاصة صناعة المديح ، وبذلك ليس يستعمل المديح صناعة النفاق كما تستعملها الخطابة » ، وبهذا أحسن إلى الشعر ؛ وهل المادح يمدح إلا عن اعتقاد . . . . . وأساء إلى الخطابة — ولكن النفاق قد يدخل الشعر كما يدخل الخطابة ، وقد يبرأ الشعر منه كما تبرأ الخطابة منه بحسب قوة الاعتقاد وصدقه عند الشاعر والخطيب

صناعة المديح وأجزاؤها

قد أسهب ابن رشد فى هذا الباب ما شاء له الاسهاب ، لأنه رآه أكثر انطباقاً على محاكاة الأخلاق الفاضلة . والفلسفة تكره المحاكاة لمجرد المحاكاة إلا أن يكون من ورائها غرض أو معنى شريف من معانى التهذيب . وقد تصدى لعلة فى الشعر لا تزال فاشية فى شعرنا ، هى علة « الاستطراد » فى القصيدة الواحدة ، « ويشبه أن يكون جميع الشعراء لا يتحفظون بهذا بل ينتقلون من شىء إلى شىء ، ولا يلزمون غرضاً واحداً بعينه ماعدا (هوميروس) فى اليونان . وأنت تجد هذا كثيراً ما يعرض فى أشعار العرب والمحدثين وبخاصة عند المدح ، أعنى أنه إذا عن لهم شىء ما من أسباب الممدوح مثل سيف أو قوس اشتغلوا بمحاكاته وأضربوا عن ذكر الممدوح . وبالجملة فيجب أن تكون الصناعة تتشبه بالطبيعة ، أعنى أن تكون إنما تفعل جميع ما تفعله من أجل غرض واحد وغاية واحدة ، واذا كان كذلك فواجب أن يكون التشبيه والمحاكاة لواحد ومقصوداً به غرض واحد ، وأن يكون لأجزائه عظم محدود ، وأن يكون فيها مبدأ ووسط وآخر ، وأن يكون الوسط أفضلها

أما تعريفه للمحاكاة من حيث الخلق والابداع فهو تعريف نم عن إحساس عال بالشعر ، فليس الشعر يعتمد على التخييل بدون نظام ، ولا على تصوير الأشياء التى لا تجول فى الذهن . « لأن المحاكاة التى تكون بالأمور المخترعة الكاذبة ليست من أفعال الشاعر — وهى التى تسمى أمثالاً وقصصاً مثل ما فى كتاب كليلة ودمنة . لكن الشاعر إنما يتكلم فى الأمور الموجودة أو الممكنة الوجود ؛ وأما الذين يعملون الأمثال والقصص فان عملهم غير عمل الشعراء وإن كانوا قد يعملون تلك الأمثال والأحاديث المخترعة بكلام موزون . فالفاعل للأمثال المخترعة والقصص إنما يخترع أشخاصاً ليس لها وجود أصلاً ويضع لها أسماء ؛ وأما الشاعر فانما يضع أسماء لأشياء موجودة . . . ولذلك كانت صناعة الشعر أقرب إلى الفلسفة من صناعة اختراع الأمثال »

وقد أبى ذهن أرسطو إلا أن يعطف على الشعر ويجعل رسالته مشتقة من رسالة الفلسفة . وإذا نصر الفيلسوف رسالة الشعر وخصها بفضله ، فقد رام — لقاء هذا الفضل أن يضيق عليها حدودها ، « فهو يرى أن الأشياء غير الموجودة يجب ألا توضع وتخترع لها أسماء فى صناعة المديح ، مثل وصفهم الجود شخصاً ثم يضمون أفعالاً له ويحاكونها ويطنبون فى مدحه . فهذا النوع من التخييل وإن كان قد ينتفع به فليس ينبغى أن يعتمد فى صناعة المديح لأنه ليس مما يوافق جميع الطباع بل قد يضحك منه ويزدريه كثير من الناس . » ، وقد يكون اعتقاده على حق لو كان ينطق عن غير الشعر . لأن الشعر لا منصرف له عن خلقه لكثير من أنواع التخييل ، « ومن جيد ما فى هذا الباب للعرب — وإن لم يكن على طريق الحث على الفضيلة » قول الأعشى :

لعمرى لقد لاحت عيونٌ نواظر ... إلى ضوء نار باليفاع تحرَّق
تُشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلِّق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا ... بأسحمَ داج عوضُ لا نتفرق

وهو يريد من كل هذا أن ينزه رسالة الشعر عن النفاق وكذب التخييل والاختلاق . « إذ لا ينبغى للشاعر أن يأوى إلى ما يدعى نفاقاً فان ذلك إنما يستعمله الموهون من الشعراء ، أعنى الذين يرون أنهم شعراء وليسوا بشعراء ؛ وأما الشعراء بالحقيقة فلا يستعملونه إلا عند ما يريدون أن يقابلوا به استعمال شعراء الزور له ، وأما إذا قابلوا الشعراء المجيدين فلا يستعملونه أصلاً . . على أن كثيراً من الأقاويل الشعرية تكون جودتها فى المحاكاة البسيطة »

وقد تكون المحاكاة بسيطة مجردة ، وقد تكون مركبة تأتى بطريقة المقابلة . إذا أراد مثلاً أن يحاكى السعادة وأهلها ابتدأ أولاً بمحاكاة الشقاوة وأهلها ثم انتقل الى محاكاة أهل السعادة ، والمحاكاة الأولى هى الغالبة على شعر العرب

كقول أبى الطيب :

كم زورة لك فى الأعراب خافية أدهى — وقد رقدوا — من زورة الذيب

فهذا البيت من نوع المحاكاة الأولى

وقوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يُغرى بى

فهذا من نوع المحاكاة الثانية المبنية على طريقة المقابلة

ولقد تكون المحاكاة وليدة الانفعالات النفسية كانفعالات الخوف والرحمة والحزن ، وهى تكون بذكر المصائب والرزايا النازلة بالناس . ويجب على الشاعر أن يلزم فى تخيلاته ومحاكاته الأشياء التى جرت العادة باستعمالها فى التشبيه ، وألا يتعدى فى ذلك طريقة الشعر

أما هذه المحاكاة فهى عنده على أنواع . منها محاكاة لأشياء محسوسة بأشياء محسوسة من شأنها أن توقع الشك لمن ينظر إليها ؛ وكلما كانت هذه التوهمات أقرب الى وقوع الشك كانت أتم تشبيهاً . وجل تشبيهات العرب راجعة الى هذا الوضع . وكلما كانت أبعد من وقوع الشك كانت أنقص تشبيهاً . وهذه هى المحاكاة البعيدة التى يجب أن تطرح كقول امرئ القيس فى الفرس :

« كأنها هراوةُ منوال »

ومنها محاكاة لأمور معنوية بأشياء محسوسة كقولهم فى المنة إنها طوق العنق ، وفى الاحسان إنه قيد . وهذا كثير فى شعر العرب كقول أبى الطيب :

« ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا »

أو قول امرئ القيس :

« بمنجرد قيد الأوابد هيكل »

وما كان من هذه أيضاً غير مناسب ولا شبيه فينبغى أن يطرح ؛ وهذا كثيراً ما يوجد فى أشعار المحدثين وبخاصة فى شعر أبى تمام كقوله : « لا تسقنى ماء الملام » فان الماء غير مناسب للملام . وكما أن البعيد يجب طرحه كذلك ينبغى أن يكون التشبيه بالجنس الموجود مطرحاً أيضاً ، وأن يكون التشبيه بالأشياء الفاضلة

ومنها المحاكاة التى تقع بالتذكر كأن يرى الانسان خط إنسان فيتذكره إن كان حياً أو ميتاً ، وهذا موجود فى أشعار العرب بكثرة كقول متمم بن نويرة :

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى دعونى ! فهذا كله قبر مالك

وكقول المجنون :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

وكقول الخنساء :

يذكرنى طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

وهذا النوع كثير فى شعر العرب ، ومنه تذكر الأحبة بالديار والأطلال . ويقرب من هذا الموضع ما جرت به عادة العرب من تذكر الأحبة بالخيال وإقامته مقام المتخيَّل كما قال شاعرهم :

وانى لأستغشى وما بى نعسة لعل خيالاً منك يلقى خياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى أحدث عنك النفس فى السر خاليا

وتصرف العرب فيه كثير

ومنها الذى يستعمله السوفسطائيون من الشعراء وهو الغلو الكاذب ، وهو كثير فى أشعار العرب والمحدثين كقول النابغة يصف ضربة سيف :

تقُدُّ السلوقيَّ المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وهذا كله كذب

(له بقية) خليل هنداوى

من الأدب الانكليزي

برسى شــلى

Percy - Shelley

بقلم خليل جمعه الطوال

لشلى فكرةٌ متوقدةٌ ، وعاطفــةٌ ذائبةٌ ، بل قلب يجيش بالوجدان الحى ، ونبع يتفجر بالشعور الصادق ، فقد كان شاعراً من أفذاذ الشعراء مشبوب المخيلة ، وكاتباً متضلعاً من الـكتابة ، نظم وكان لا يزال فى غضارة الصبى ، عديدَ القصائد التى ما زلنا نطالعها ، فندرس فيها مثال الحياة الأعلى ، وكال النفس الأسمى ، ونعى كثير المقالات التى ما زالت ، ونحن نتصفحها ، تحدث فى مشاعرنا ضروباً شتى من التأثير والانفعال ، فلا عجب إذا كتب لشعره الخلود والبقاء ، وسجل لاسمه صفحة حافلةً بجليل الأثر فى سجل الزمن وتاريخ الأدباءِ

توفى شلى ، وكان لا يزالُ من العمر فى مُقتبله ، وقد أقبل الأدباءُ على أشعاره يتــــداوسونها، وهرع النقاد الى عيوبه وسقطاته يستقصونها ، فــا كان لأولئك وإن أعياهم الدرس أن يبلغوا شأو غايتــه ، ولا لهؤلاء وإن أعماهم التغرض أن يضعوا من مقدار عظمته . لقد اختلفت فيه المذاهب وتناحرت عليه الآراء ، فنهم من نسيَ أو تناسى وفاته البا كرة وحياته القصيرة ، وراح يبحث فى أشعاره عن آيةِ القدر وأعجوبة الزمن ، فلما لم يجدها تناوله بألسنة حداد ورحضه بشتى الأحكام الجائرة ، بعد أن خضَّـل جدنه بوابل من المثالب الجارفة ، التى يترفع عنها الأدباء وتنبو عن سماعها آذان الحـكماء ، وبعد أن نال من سمعته وحط من مكانته ما شاءت له رغائبه وسولت له أهواؤه

وتُمثل لهذا النفر من الرجال الذين أعماهم التغرضُ المقوت « بوليم هزلت » ولوليم هذا مكانة فى الأدب ، مرموقة بالأنظار ، محفوفة بالاحــترام والوقار ، وخليقة بعدم التحامل الـسـفيه ، وبالأعراض عن التشنيع الـكريه . ومنهم من أسدل على هفواته ـ وجلّ من لا يهفو ـ ستـرَ الجهلِ وقناعَ التجاهل تشيعاً للرجلِ لا للحقِ ، وراح ينشد آياته البينات ، ويتغنى بأشعاره النيرات ، كتوماس أرنولد ، وكان من معاصريه ومناصريه .

وهكذا فقد كانوا فيه جميعاً بين نائلٍ من كرامته لم يسلم من الاسراف والتحذلق ، أو مطنبٍ فى مدحه لم يسلم من آفة الغلو والاغراق

وكم نود لو أنّ لنا من صائب النظرِ فى مهنة النقدِ ما نعمد به الى مؤلفاته ـ وهى خير ما بقى لنا من آثاره التى تترجم عن آرائه ، ونتبينَ بين غثها وسمينها مقدارَ عبقريتهِ ، وحقيقةَ نفسيته ، بعد أن بَقى طِيلة هذه المـدة مجهول الهوية مكتوم الطوية ، ونرجع بذلك فيصل الحكم الى نصابه ، وحسام الحقيقة الى قرابه

أما وليس لنا من قدرة النقــد ما أسلفنا ، فلا أقل من أن نعرض لحياته الطافحة بالألغاز والمبهمات جهد المستطاع وغاية الميسور آملين فيما نقرره أن نبلغ جادة الصواب

مولده وأخلاقه

ولد برسى شـلى فى الرابع من شهر أغسطس لعام ١٧٩٢ ، وقضى طفولته فى لندن تعصف به الهمومُ والأحزانُ ، وتنتاشه مخالب البؤس والأشجان ، وذلك لمـا كان يلقاه من فقر والده ونكد طالعه ، وكان ـ على ما يصـفه لنا السير توماس هوج فى كتابه ـ سرى الخَـلق سوى الخَلق ذا عينين نجلاوين ، هزيل الجسم أزهره ، نانئ المفاصل كبيرها ، جعدى شـعر الرأس قصيره ، وضاءَ البشرة ، جميل الأنف ، مليح الفم ، أمرد باسر الوجه ، تعـلو غضونَ حاجبيه المقطبين مِنْ شدة ما تجرعه من كأس الحياة المريرة سحابةٌ من الحزن ، ولذا كان يكره دور الملاهى وينفر من الحانات . ويروى أنه كان بالغاً من الطول حد التحدب ، ومن الجمال درجة التأنث ، حتى إن منظره ليملك القلب ويستهوى الخاطرَ . وكان دائماً يحدب على المستضعفين ويرفق بالفقراء والمسا كين ، ويصبر على كيد أعدائه الظالمين

شلى والمعرى

جاء شلى فـكأنما كان مجيئه ريحاً هادئة أذكت سعير تلك النار التى قدح المعرى زناده شرارها ، وتعهد بآرائه ضرامها ، والتى لا تزال تحدث ثورة فى الرأى واضطراباً فى العقيـدة .

جاء شلى ، وكان ذلك الصوت الذى أهاب به المعرى فى ربوع بغداد ، وبطاح سورية ، وأرز لبنان — البلاد التى اختلف اليها المعرى فى أسفاره — لما يتلاش ، فرجع فى بلاد الغرب دوى صداه ، الذى امتد من جبال « بنّسين » فى انكلترا ، إلى جبال الألب فى ايطاليا ، والذى انفجر فى « ورنهام » — محل مولد شلى — فسار منها إلى مدينة روما ، ثم تلاشى بين أمواج خليج « بيزا » المصطخبة

لقد كان كلاهما روحاً سابحة فى عالم الخيال ، ونفساً تضطرب بين أنواء الشك واليقين . بل كان كلاهما ثورة شعواء على العرف والعادات والتقاليد ، ومن أشد الناس سخرية بالدين ، وزراية بما اطمأن اليه الخلقُ من إنابة الصالحين

لقد كان شلى ملحداً لا يؤمن بالوحدانية ولا بالحساب ، كما كان المعرى يسخر من وعيد الآخرة والثواب ؛ وهل لغير الشك أن يملى على المعرى قوله

لو جاءَ من أهل البلى مخبر　　سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها ؟ ؟　　وهل ثوى فى النار «نوبخت»

أو قوله :

زعموا أننى سأرجع شرخاً　　كيف بى كيف بى وذاك التماسى
وأزور الجنان أحبر فيها　　بعد طول الهمود فى الأرماس ؟

أم هل كان شلى فى كتابه الذى أرسله إلى « جون جسبورن » من بيزا عام ١٨٢٢ ، والذى جاءت فيه هذه العبارات الآتية (١)

It Scems to be a mere Superstition anol a fallacy That after siscty years, seffering here; we were to be Wasted alive far Sixty millian mare in hell. etc

أى : (إنه لمن الخرافة ومحض السفسطة ، أن نعتقد بأن الانسان الذى يقضى ستين عاما من الحياة المريرة سيذهب (بعد موته) ليقضى ستين مليوناً من السنين وهو يشتوى حياً بنيران جهنم المؤلة) هل هذا إلا صورة عن المعرى فى قوله :

أموتٌ ثم حشر ثم نشر　　حديث خرافة يا أمَّ عمرو ؟

أو عن قوله :

خذ المرآة واستعرض نجوماً　　تمر بعطم الأرى الشور
تدل على الحمام بغير شك　　ولكن لا تدل على النشور

وهل لغير روح أبى العلاء فى قوله :

تحطمنا الأيام حتى كأننا　　زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

لو كان جسمك متروكا بهيئته
— بعد التلاف — طمعنا فى تلافيه

أن تملى على شلى قصيدته الخالدة « Epipsychidion » التى ينكر فى بعض أبياتها لا نشور الأجسام فحسب ، بل بقاء الروح أيضاً . إذ يقول (١) :

« إن روح الانسان تتلاشى داخل قلبه وهو فى القبر كما يخبو نور مصباح طُمر فى باطن الأرض ضمن زجاجته . أما جوهر الخلود الذى ينير بسماتنا بشعاع الأمل ، فانه يتبدد ويتشعث فى عالم الأزلية : واللانهاية . »

ولم نذهب بعيداً فى المقابلة والاستدلال ونظرة واحدة الى رسالة شلى التى نشرها عام ١٨١١ تحت عنوان ضرورة الالحاد The necessity of atheism فطرد من جامعة اكسفورد بسببها ، ترينا بأنها ليست إلا نسخة عن « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ، لا تختلف عنها إلا فى اللغة والأسلوب !

لقد أنكر كلاهما كثيراً من العقائد والمذاهب ، فنالا من مرارة النقد ولاذع التقريع ما لم تكسر الأيام من حدته

أضف الى اشتراكهما فى الرأى والعقيدة ائتلافهما فى المزاج وفى نوع المعيشة الزاهدة الوادعة ، وترفعهما عن إيذاء الغير وإسرافهما فى عمل البر . وكل ما يختلفان فيه — إن صح هذا الادعاء — هو أن المعرى يعترف بالوحدانية وينكر البعث بينا شلى ينكر البعث والوحدانية

شلى وبيرون

لا نكاد نمر بصفحة من حياة شلى إلا ويتردد فيها ذكر اللورد « بيرون » فقد كان رِنْده وصديقه ، ومن الذين شهدوا إحراق جثته على خليج بيزا . فلا ندحة لنا عن أن نعرض

(١) راجع كتاب Shelley prase صفحة ١٧٤

(١) راجع ص ٦٤ من كتاب Shelley poetry مطبعة : كلارندن اكسفورد سنة ١٩٣١

لسيرتهما معاً ولو بشيء من الايجاز

لقد كان كلاهما من شعراء العصر الفكتورى المجيدين ، ومن دعاة الحركة الابتداعية البرزين ، عاشا من الزمن فى فترة واحدة ، الا أنهما لم يجريا فى حلبة واحدة من ميادين الشعر والأدب فيعرف أى الاثنين محرز قصب السبق فيها ؛ فبينا نرى شلى ينزع فى قصائده ، نزعة أبى العلاء المعرى ، ويسير وإياه على غرار واحد فى الحكم والهوى ، وفى التمرد على البيئة والتقاليد ، نرى أن اللورد بيرون فى قصائده يتفق مع امرىء القيس فى أشعاره ولا سيما فى معلقته الشهيرة

فقد كان كلٌ منهما فى جميع ما يكتب إنما يعبر قبل كل شىء عن عواطفه الخاصة ، ويسرد ما كان فى حياته الماجنة من ضروب العبث والاستهتار ، ومن لذعات الغزل الفاحش والافتخار . حتى قيل فى بيرون : « إن حياته كانت محور نظمه ، وقصائده فيها أحسن شعره » فشخصيته كأمير وابن أسرة عريقة فى المجد والحسب تظهر فى أشعاره ، ظهور شخصية امرىء القيس كملك وابن ملك ، وكشاب مسترسل فى الشهوات والملذات فى معلقته

وهناك فرق آخر بين شلى وبيرون : ذلك أن شلى كان يعتمد فى نظمه على التصورات الخيالة : Imagination بينا كان بيرون يعتمد على ذوب عاطفته وادراكه للأمور العقلية Intelectual ولعل ما بينهما من هذه الاختلافات يعزى إلى تباين طريقة معيشتهما ، ناهيك ما للوراثة من كبير الأثر ، فقد نشأ بيرون تحت ظلال النعمة الوارفة ، وهو يتقلب على فراش السعادة والرخاء ، ويرتشف سلاف الخمر ورحيق الهناء . فانكب على الملاهى والمنكرات ، وتمرغ فى حمأة الدعارة والموبقات ؛ حتى لقد كان يقاد من أهوائه بشعرة ، ويلبى لشهواته كل دعوة . وهكذا ترعرع دون أن يصطدم من الأيام بما يفثأ من جذوة جنونه المتوقدة ، أو يفل من شباة نفسه المتحفزة ، حتى ولا وجد من الأهل يداً صارمة حكيمة تقسو عليه وتكبح من جماح شهواته الثائرة ، وحياته الماجنة ، بينما نشأ شلى وهو يقاسى من شظف العيش ألواناً ، ومن الاهل ذلاً وهواناً ، ومن التعس أنواعاً وأشكالا ، ثم اصطدم من الأيام الكاسرة بما تشيب له النواصى وتهتز لهوله الجبال الرواسى . فشحنت المصاعب قلبه بتيار الثورة ، وبذرت المصائب فى صدره بذور التمرد

شعره ودواوينه :

لم يكن شلى بالشاعر الذى يترقب هبوبَ العاطفة الشاعرية فينتضحها فى قالب من السبك اللفظى ، وحسن الأداء ، يذكى بهما الحس ، ويرهف السمع ، ويجعل صدر القارىء أو السامع يجيش بتلك الحماسة التى اعتلج بها فؤاده وانماث لها قلبه ، بل كان كثيراً ما يعتسف النظمَ على غير استعداد من عواطفه ، ويستكره خياله استكراهاً ، على أن يملى عليه قصيدة شعرية توائم رغبته وإرادته ، ولكنها لا تشبع حسه وخياله ، فكانت تجىء ملتوية المعنى ملتاثة التعبير ، لا شىء فيها من ابتكار الفكرة ، وجمال العاطفة . ولقد كان معظم أشعاره التى نظمها فى ميعة الصبى وشرخ الشباب تدور فى جلتها حول محور من الخيال الفسل والمعنى المبتذل ، ولم يبلغ من الشعر درجة تثير كامن العواطف إلا فى ضرب واحد من ضروبه ، أعنى به باب الغناء (Suries) ولئن كان من أبطال هذا الباب وفرسانه ، فانه لم يبلغ ذروة الشاعرية العليا فيه إلا فى قصيدتين غنائيتين فقط ، وهما : ملكة الجنيات • queen mab • وبروميتس غير المحدود Promethus Tunbaund

أما الأولى — ملكة الجنيات — فقد نظمها عام ١٨١٣ وهى تحمل بين أسطرها جراثيم الثورة والتمرد على جميع النظم الدينية والمدنية ، إذ كان لا يراها إلا سداً منيعاً يحول دون تحقيق مثل الحياة الأعلى . وقد تنبأ فيها عن ذلك العصر الذهبى الذى يتكئ على أشرف الفضائل وأسمى المبادئ ، ودعا الناس اليه بقوة ، بعد أن حثهم على أن يهدموا جميع مايعترض طريقهم من التقاليد القديمة والعادات الذميمة

أما الثانية ، بروميتس غير المحدود « Promethus Unbaund فقد وضع لحمتها فى انكلترا ونسج سداها فى روما بعد هجرته اليها بسنوات قلائل . وهى غرة قصائده ؛ وأعملها فى إذكاء الحس ، وصقل العواطف ، واستثارة كامن الشعور

(للبحث بقية) خليل جمعة الطوال

الحياة الأدبيـــة
فى المغرب الأقصى
للأستاذ ع . ك

... أما وقد قرأت فى مجلة (الرسالة) الغراء مقالين : أحدهما عن « الحياة الأدبية فى دمشق » بقلم الأستاذ على الطنطاوى ، والثانى عن الحياة الأدبية فى بغداد بقلم عبدالوهاب الأمين ، ورأيت من صاحبيهما التبرم والتشكى من ضعف الحيـاة الأدبية كل فى بلده ومن تصوير مظاهر الضعف فى هاته الحيـاة التى كادت تزرى بتقدم البـلاد من النواحى الأخرى ؛ أما وقد قرأت هذا فيحسن بى أن أضم صوتى الى أخوى الدمشقى والبغدادى ، فأكتب كلمة عن الحياة الأدبية فى المغرب ليعرف الاخوان والقراء أيضاً أن المغرب قد اغترف غرفة مما غرفت منه دمشق وبغداد ، وأن المغرب شريك القطرين العربيين فى هذا الضعف المزرى بهما

إذا نظرنا الى المغرب الحديث وأنعمنا النظر فى ناحية من نواحيه المهمة ، تلك هى الناحية الفكرية والعلمية ، وأردنا أن نسبر غورها بمسبار لنعرف مدى ما بلغته من الرقى والانحطاط ، من القوة أو الضعف ، من النهوض أو الجمود ، إذا أنعمنا النظر فى هاته الناحية استطعنا أن نخرج بنتيجة لا ترضى . . . تلك النتيجة هى فى — صراحة — أن المغرب الأقصى يتخبط فى ديجور من الجهل قاتم ، وفى بساطة فكر مفرطة ، وفى خمود وجمود لم يسبق لهما مثيل فى عصوره التاريخية . اذا تساءلنا هل هناك حركة فكرية أو علميــة تسود المغرب الأقصى حتى يجنى من ورائها ما يزيح به هاته الظلمة التى تغمره من أقصاه إلى أقصاه وحتى تكون حداً فاصلاً بين هاته « الفترة » وبين الحياة العلمية المترقبة وذهبنا ، نلتمس الجواب عن هذا السؤال بالنظر فى المغرب والبحث عن مظاهر هاته الحركة حتى وصلنا الى مهد حركاته العلميــة فى عصوره السالفــة الى « كلية القرويين » التى انجبت فطاحل علماء المغرب ، استطعنا أن نخرج بالنتيجة الآتية وهى : إن هاته الحركة التى نبتغى البحث عنها وعن مظاهرها هى شىء لم يوجد حتى الآن ، بل هى حلم لذيذ يطرق أفكارنا كطيف الخيال ، غير أن هناك شبح حركة علمية تغذيها كلية القرويين ونظامها الجديد ولـكن . . على حال مشوهة لا ترضى ولن ترضى — إذا بقيت الحال كما نرى — فاذا ما أطلقنا عليها « حركة علمية » فقد عرضنا أنفسنا لظلم الحقيقة والتاريخ

هـذه كلمة مجملة أبنا فيها ضعف الحياة العلمية فى المغرب وقدمناها بين يدى كلتنا عن الحياة الأدبية لنعرف السبب الرئيسى لضعف الحياة الأدبية المغربية والعنصر الوحيد الذى يكون هذا الضعف وعده بسبب منه ... وإذا بحثنا عن الحياة الأدبية المغربية ، أعنى وسط الأديب المغربى لنرى هل هو وسط راق أو منحط . . وهل هناك ما يسمى بالحياة الأدبية حقاً ، لم نجدها أحسن حالاً من الحياة العلمية ، بل نجدها أضعف منها وأحط بكثير ؛ ولم نجد هناك مايطلق عليه هذا الاسم ويسمى بالحياة الأدبية . فهذه ناحية تنقص المغرب من جملة النواحى التى تنقصه وتزرى به وتظهره فى العالم العربى أشل .. ننظر إلى العالم العربى ونقيس المغرب بجانبه فيظهر لنا البون الشاسع بين حياته الأدبية وحياة العالم العربى ، فهذه المطابع الشرقية تظهر علينا من حين لآخر بعشرات الـكتب الجديدة الأدبية والعلمية بأقلام أدباء شرقيين وخاصة فى مصر ، فأين هى آثار المطابع المغربية من ذاك ؟ وأين هى المجهودات الأدبية للأدباء المغاربة أمام مجهود الشرقيين على العموم والمصريين على الخصوص ؟ ! . . وهذا العالم العربى يطلع علينا كل يوم بمئات الصحف والمجلات الأدبية والعلمية ويظهر فيها من المقدرة على البحث الأدبى والانتاج العلمى ما ينبئنا بقوة حياته الأدبية وبلوغها أوج الكمال ، فأين هى الصحف والمجلات المغربية الأدبية ؟ وأين هو انتاج المغاربة الأدبى وبحثهم العلمى ؟ وهذه الأندية الادبية فى الشرق تخرج لنا كل يوم محاضرات قيمة تغـذى بها أفكار الناشئين وتـكون فيهم روحاً أدبية تعينهم على مضاعفة جهودهم حتى يبلغوا المستوى اللائق بأمتهم ، فأين هى الأندية الأدبية المغربية وأين هى آثارها نحو الناشئة المغربية . . ؟

إنا لنبحث عن عوامل تـكوين هاته الحياة الأدبية المنشودة

فى الـكتب والمجلات والأندية فلا نجد أثراً لهذه العوامل نفسها ، فما هو سبب هذا الضعف فى حياتنا الأدبية . . . ؟ ؟ إذا بحثنا عن السبب فى ضعف هاته الحياة بل فى اضمحلالها لم نجده ينحصر فى سبب واحد أو اثنين ، ولـكنها أسباب تتراكم على من بحث عنها وقلب بين جوانبها وسنذكر أهمها فى هذه الـكلمة

١ – ضعف التعليم

هذه ناحية مهمة وسبب قوى ، بل سبب رئيسى لضعف الحياة الأدبية فى المغرب ؛ فالتعليم هو قوام كل حياة ، وإذا بحثت فى الشعب المغربى وأحصيت مقدار المتعلمين وجدت عددهم لا يزيد على خمسة فى الألف من شعب عدد سكانه يربو على خمسة ملايين . وهذا القدر الضئيل من المتعلمين يرجع إلى عدم وجود المدارس الـكافية فى أنحاء الشعب المغربى . أما مدارس الحـكومة فهى على قلتها لا تضمن للمتعلم أى مستقبل ولا توجه نظره لأية جهة ، فضلاً عن عدم اعتنائها باللغة العربية وعلومها . فلم يبق بين أيدينا سوى كلية القرويين التى يتكفل برنامجها الجديد بتخريج أدباء بل أساتذة فى الأدب العربى — وهم الذين تخرجوا فى القسم العالى الأدبى — وهؤلاء يمكن أن نعلق عليهم الأمل فى بعث حركة أدبية فى المغرب ، لولا ما ينقص هذا القسم من عـدم وجود أساتذة أكفاء يقومون بالمهمة التى نيطت بهم

إذن فأين هو الوسط الذى تنمو فيه هاته الحياة الأدبية وتزدهر ؟ إذا لم يكن وسط المتعلمين فأى وسط ؟ ؟

٢ – الصحافة

من عوامل بعث الحركات الأدبية ، بل جميع الحركات ، الصحافة . ومن البر بالأدب ألا ننسى فضل الصـحافة عليه وعملها فى بعث الحياة الأدبية فى الأقطار العربية . فهذه مصر زعيمة الشرق العربى تتخذ الصحافة أداة لترويج سوق الأدب ونفاقه ، فاليها يرجع الفضل الـكبير فى نقل نتائج الحركة الأدبية المصرية إلى الأقطار الشرقية الأخرى . فلننظر فى الحياة الأدبية المغربية ، ولنر حظها من الصحافة ، وعمل هذه الأخرى فى تـكوينها وبعثها

المغرب الأقصى من جملة الشعوب التى لم تحظ حتى الآن بصحيفة — أدبية أو علمية — سوى جريدة (السعادة) لسان الحـكومة الرسمى وناشرة أخبارها ومقرراتها . ويرجع هذا الفقر الصحفى فى المغرب إلى القانون الجائر الذى وضع للصحافة بالمغرب ، إن صح لنا أن نسميه قانوناً [1] . وقد أنشئت صحف فى منطقة النفوذ الاسبانى فطوردت فى منطقة النفوذ الفرنسى [2] . نعم هناك مجلة علمية تصدر شهرياً فى تطوان باسم « المغرب الجديد » فعليها نعلق آمالنا فى بعث الحياة الادبية فى المغرب . أما « مجلة المغرب » التى تصدر شهرياً فى رباط الفتح ، فليس يعنيها من الناحية الأدبية والعلمية شىء ، وإنما يهمها — الخبز والتعليم — على حد تعبيرها . فاذا علمنا هذا الفقر الذى يعانيه المغرب من الصحف والمجلات ، استطعنا أن ندرك بسهولة سبباً من الأسباب القوية فى خمود الحركة الأدبية فى المغرب . أما ما نسمع فيه الحين بعد الحين من طنطنة أدبية فيرجع الفضل فيه إلى الصحف الشرقية ، ولمجلة « الرسالة » الحظ الأوفر فى ذلك

٣ – المشاريع الأدبية

لسنا نعنى بالمشاريع الأدبية سوى تلك الحفلات التى يقيمها جماعة من الأدباء لتـكون مسرحاً لمباراتهم الأدبية وحافزاً لهم على القول والـكتابة ؛ وهى من دواعى النشاط الأدبى والانتاج الفكرى ورثها العرب الخلف عن سلفهم الذين كانوا يقيمون أسواقاً سنوية لقرض الشعر وانشاده ، فقد حدثنا الرواة كثيراً عن أسواق العرب فى الجاهلية وما أنشد فيها من شعر وأدب . ولقد اتبع هذه السنة أدباء العربية اليوم فأخذوا يقيمون الحفلات المتوالية لبعث الحركة

---

(١) يتضمن قانون الصحافة فى المغرب ، والعربية منها بالخصوص ، أنه لا يمكن إصدار جريدة أو مجلة عربية إلا بعد الحصول على الاذن من الصدر الأعظم (رئيس الوزارة) وله الرجوع فى هذا الاذن فى أى وقت شاء ، ولرئيس الجيش الأعلى تقديم تقرير بمنع الصحيفة فيتبع أمره بلا استثناء . هذا وعلى الخارجين عن قانون الصحافة عقوبات فادحة من شأنها أن تصرف الناس عن طلب الصحافة . ونلاحظ أن هذا القانون إنما هو صورى فقط . وإلى الآن لم يتمتع المغرب بأية صحيفة رغم مطالبات عديدة

(٢) قسمت المطامع الأجنبية المغرب إلى ثلاث مناطق (١) المنطقـة السلطانية أو منطقـة النفوذ الفرنسى (٢) المنطقة الخليفية أو منطقة النفوذ الأسبانى (٣) المنطقة الدولية

الأدبية واحيائها ؛ فهم بينما يحتفلون بالعلماء الأحياء الذين قطعوا مفازة كبيرة فى الجهاد العلمى ، إذا بهم يحتفلون بالأموات تقديراً لمجهوداتهم الأدبيـة أو العلمية أو غيرها . وفى هذه الحفلات الأدبية ترى ألسن الشعراء والخطباء تتنافس فى جيد القول ، وكفى بهذا فائدة للحياة الأدبية

وإذا نظرنا الى المغرب الأقصى وأردنا أن نعرف ما يؤديه لحياته الأدبية من ناحية هذه المشاريع لم نجد له أى عمل فى ذلك ، وهذا ما سبب لحياته الأدبية هذا الضعف وهذا الجمود ، وأوقعه فى هذه الأزمة الأدبية التى يعانيها ويذوق من أجلها الأمرين . نعم حاول بعض الأدباء أن يخطوا بالمغرب خطوة فى هذا السبيل فكان من آثارهم حفلة ذكرى الأربعين لخالد الذكر « أحمد شوقى بك » وحفلة الذكرى الألفية لأبى الطيب المتنبى (أقيمت بفاس فى ٢٥ رمضان الفارط) وهى خطوة حميـدة فى هذا الباب كان لها أثر أدبى جميل . غير أن هذا العمل الضئيل الذى قام به هؤلاء الأدباء لا يكفى فى بعث الحركة الأدبية وإيقاظها ، إذ هو لم يعدُ حفلتين كانت أولاهما منذ ثلاث سنين أو تزيد ، وأخراهما فى هذه السنة ؛ وإنما الذى نتطلب أن تكون هناك حفلات أدبية منظمة يتكفل بها أدباء مغاربة حتى يستطيعوا أن يكونوا حياة أدبية وأن يبعثوها من مرقدها . وقد حاول طلبـة القرويين مراراً أن ينشئوا جمعية أدبية علمية يكون من أهم أغراضها تأسيس ناد لهذه الغاية نفسها فلم يظفروا بذلك من الحكومة

٤ — *البخل على الأدب*

وهذا سبب آخر قد يكون وصمة فى جبين الحياة الأدبيـة المغربية ومانعاً من الموانع التى تعوقها عن التقـدم وتدفعها نحو الضعف والجمود ، ذلكم السبب هو البخل على الأدب ، أعنى عدم وجود الناشرين لهذا الأدب الذى نود أن يبعث . فمن دواعى النشاط الأدبى أن يجد الأديب الذى يقف قسطاً من حياته على تأليف كتاب أدبى أو نظم ديوان شعر ناشراً يبرز مجهوداته إلى الوجود ويخرجها إلى الناس ليعرف مقدار عمله ، ويكون ذلك مشجعاً له على المضى فى سبيله والمغاربة — مع شديد الأسف — ليس فيهم من يشفق على هذه الحياة الأدبية ، وينظر إليها بعين العطف والحنان فيقف قسطا من ماله على نشر الكتب الأدبية والدواوين الشعرية ، أو يقدم جائزة — مثلاً — لمن يؤلف كتاباً فى الأدب ، مع أن فيهم الأغنياء الذين يستهلكون ثروتهم فى شهواتهم فقط . وكما لا يوجد أفراد من هذا النوع فى الوسط المغربى لا توجـد هناك شركات تجعل موضوع تجارتها نشر الكتب الأدبية المغربية . ولست أدرى لذلك من سبب سوى عدم الاشفاق على الأدب المغربى . أمالو وجد الناشرون لبرز شطر من الأدب المغربى المخبوء ، ولتكونت حركة أدبية فى المغرب ، فلعل السبب الوحيد الذى يدعو الشعراء المغاربة لعدم نشر دواوينهم هو فقدان هاته المساعدة المـادية . فهذا شاعر الشباب الأستاذ محمد علال الفاسى يود أن ينشر ديوانه (روض الملك) ولـكن أين هو الناشر ؟

هذه جملة الأسباب التى تعين على ضعف الحياة الأدبية فى المغرب أجلنا القول فيها اجمالاً ، لنعلل فقط هذا الضعف المزرى بحياتنا الأدبية ، وليظهر للقارئ السبب الداعى لجمود الحركة الأدبية فى المغرب .....

(فاس — المغرب الأقصى) ع . ك

دراسات أدبية

فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٥ —

حنة فيفانتى وروايتها عن مصر

تعد حنـة فيفانتى Anna Vivanti أستاذة فن الخيال الواضح والأسلوب الرفيع ، وقد بدأت حياتها فى انجلترا ، ولم تر وطنها — ايطاليا — إلا فى الثانية عشرة من عمرها عند ما نزحت من انجلترا لتتعلم فن الغناء . ففى هذه السن المبكرة تتلمذت لطائفة من رجال الأدب وفى مقدمتهم كاردوتشى ، ونشرت ديوانا من الشـعر الغنائى « ليريكا » يفيض بالعواطف الذاتية والخيال الراق ، فلم يلبث نجمها أن تألق فى سماء الأدب الحديث

والواقع أن غنى اللغة الايطالية خطر عليها من بعض الوجوه ، فان طبيعة هذه اللغة تساعد على التمادى فى الوصف والاستغراق فى الخيال . ولـمـا كان كتاب هذا العصر فى ايطاليا أميل إلى التأنق فى موسيقية اللغـة ، وإلى المزاج الفنى الصريح ، فان أسلوب فيفانتى الخلاب وجد البيئة التى ينمو فيها ، وانطلق فى الجو الحالم مرددا العواطف المشبعة بعناصر الجمال . ففى روايات هذه الشاعرة نجد صفة نادرة الوجود عند كتاب الجيل المعاصر ، تلك هى غريزة الجمال . والانسان يشعر لدى مطالعته رواياتها بأن الطبيعة فى فنها تجاوزت منطقة الجلال ؛ وكما يفوق الناس بعضهم بعضاً فى المواهب وقوة الادراك السامية ، وتميز الألوان والأصوات ، فان لفيفانتى قدرة على هتك أسرار الطبيعة وابرازها فى إطار فنى جذاب

ولـمـا كان أسلوبها الروائى ليس من النوع التحليلى فالنتيجة هى أن الشخصيات الثانوية فى رواياتها أغزر حياة وتأثيراً من البطل نفسـه ، كما فى رواية الغجرية Eingaresca . ويمكن تقسيم أبطالها إلى قسمين : الفريق الأول وهم الأبطال الأقوياء الذين يتمتعون بالحياة إلى أقصى حد ، مع استفادتهم من ضعف الآخرين ؛ والفريق الثانى الفقراء الذين يحنون رؤوسهم أمام قسوة الحياة ذاكرين أنه من فعل القدر

وحنة فيفانتى صديقة وفيـة لمصر ، ويرجع تاريخ هذه الصداقة إلى يوم آزرت الوفد المصرى وهو واقف بباب مؤتمر الصلح فى باريس . وكانت من أخلص أصدقاء المغفور له سعد زغلول باشا ، وطالـمـا أيدته فى صحف بلادها ؛ ولا عجب أن توحى اليها هذه الصـداقة وتثمر فيها الضيافة التى لاقتها فى وادى النيل كتابة رواية « أرض كليوباترا Terra di Cleopatra » التى بدأتها بالرحيل إلى مصر ، إذ تقول :

حقاً إننى أحلم حلماً جميلاً من تلكم الأحلام الذهبية المترامية الأطراف ؛ فعند ما يستيقظ الانسان فى الصباح ، ويحاول أن يقربها إلى ذهنه تفر أشباحها بعيدة عنه ، ولا تلبث أن تختفى فى وادى النسيان . برهة وجيزة أستيقظ بعدها فاذا بى فى صحراء ليبيا ، فوق بعير يجوب بى الصحراء متجهاً نحو قبر الملك الشاب توت عنخ آمون . يقود زمامه أعرابى طويل القامة ، عريض الهامة ، وتتفتح عيناى عن هذه الصحراء الذهبية ، فاذا بسرب من الفلاحات المصريات يرتدين أردية سوداء ، وفوق رؤوسهن جرار المـاء ، وعند ما أقترب منهن يحدقن فىَّ بعيونهن الدعجاء قائلات : « سعيدة ، نهارك لبن »

واستطردت الـكاتبة فى وصف مشاهد الصحراء وأسواق القاهرة ، إلى أن أتت على مقابلتها للمرحوم زغلول باشا فقالت :

« وفى غداة يوم وصولى إلى القاهرة قصـدت إلى بيت « الرئيس الجليل » الذى استقبلنى واقفاً خلف مكتبه ، وعلى رأسه ذلك الطربوش الأحمر الذى لا يرفعه المصريون للتحية ، بل يبقونه فوق رؤوسهم كرمز للوقار . ويبدو لى الرئيس كما كنت أعرفه فى باريس منذ سنوات ، فلا العظمة ولا الاضطهاد ، ولا النفى ولا الهتاف باسمه فى الشوارع ، استطاع أن يغير هذه الهامة الطويلة ، ويضعف من ضياء عينيه الوقادتين . وكانت تقف إلى جانبه (صفية زغلول) التى حيتنى باشة مبتسمة . ودار الحديث بيننا بالفرنسية إذ أنها لغة الأجانب الرسمية فى مصر ، ولأن البحث بالانجليزية أمر بغيض إلى قلوب المصريين . وما إن أبلغته

تحية أصدقائه من كتاب إيطاليا وصحفييها الذين أحاطوا قضية بلاده بعطفهم حتى قال :

— إنك كنت صديقة هذه البلاد ، وقد أعطيتها محبتك قبل أن تريها ؛ فها هي ذى أمامك : اذهبي إلى أى مكان تشائين ، عسى أن تتكشف لك نفسية هؤلاء الفلاحين المساكين ، فهي نفسية نبيلة شريفة لكنها مجهولة

وعندما ودعته ختم حديثه معي بأن قال :

— عودى إلينا ثانية ، ولا تحسبي أن هذه آخر زياراتك ، وعدينا بذلك

وغادرت منزل الزعيم الوطني ووجهتي مصر العليا عن طريق النيل ، لأشاهد الأقصر بحدائقها الغناء ، وطيبة ذات المائة باب ، وكوم امبو بلدة المعابد ، وفيلى جوهرة مصر المكنونة

ها نحن أولاء في أسوان « مدينة الشلالات » التي يقصدها المسلولون طلباً للشفاء ، ويأتيها المكروبون عسى أن يفرجوا عن قلوبهم الحزينة أساها وبلواها . هنا حيث الاقامة في بقعة هادئة عميقة ، تكتنفها الصحارى من كل جانب ، يجد الايمان الصحيح طريقه إلى السماء

الله أكبر ، الله أكبر ! أدعية حارة صادرة عن قلوب عامرة بالايمان ، يرددها العرب في كل آن ، فيترجع صداها على شفاهنا المتبتلة بالتسبيح ، على حين يتوجه أبناء الصحراء شطر مكة ، وهم جاثون على الرمال ، يرددون اسم الله في تقوى وخشوع

أشرف على النيل ومياهه التي ينعكس عليها نور السماء الأزرق ، وعلى منظر الصخور التي تتراءى عن بعد كوحوش كاسرة ، راقدة تحت أقدام « اخنوم » إله الشلالات

وأخذ القارب ينساب بنا بين الجزر كالأفعى ، وترى الشمس تسقط رويداً رويداً عن الشفق ، فتلتهب السماء ، ويتغير لون الماء من سائل فضى إلى سبيكة من الذهب الابريز ، ثم تنحدر الشمس ككرة من نار ، والسماء تحترق فيقع ظلها المتورد الناري على صفحة المياه حتى حسبنا أنفسنا نسير في بحر من دماء

ها نحن أولاء أمام قصر أنس الوجود ، أمام فيلى ، جوهرة مصر المكنونة ، ودرتها الساطعة ، عروس النيل وريحانته ؛ إيه أيتها الجزيرة الصامتة الحزينة ! أيتها الجوهرة الميتة ، يازهرة اللوتس ، يا جزيرة السحر ومهبط الجمال ، أيتها الجزيرة التي يتربع فوق صدرك آخر معبد فرعوني ، لقد غمرتك المياه فغرقت وتواريت ، ورحت ضحية قحط الأرض وجوع الرجال !

والرواية مشبعة بأمثال هذه الصور الوصفية ، وتحت ستار شفاف من الحنين إلى الماضي ، والاشادة بمجد الفراعنة ، والتفاؤل بالمستقبل

بابيني

وجيوفاني بابيني Giovanni Papini من أغرب الشخصيات في الأدب الايطالي الحديث ، وقد اشتغل بالنقد قبل أن يصبح روائياً ؛ على أن الانتقال من النقد إلى الأدب ، أو المسرح ، أو الرواية أمر مألوف في ايطاليا

قبل الحرب العظمى كان بابيني ألمع شخصية في سماء الأدب ، ومحور الحياة الفكرية في الأوساط الايطالية ؛ وقد ظفر بهذه الشهرة إثر المقالات النقدية العنيفة التي كان ينشرها بعنوان « التدمير » ، والدراسات الفلسفية التي تحدى بها شوبنهاور ونيتشه وهيجل ، وأساتذة مدرسة الفلسفة الألمانية . ثم بفضل المجلات الأدبية العديدة التي كان يصدرها لثلاثين عاما خلت ، أى في الوقت الذى كانت الشبيبة الايطالية تتلهف على التهام كل ما يقدم اليها من ألوان الثقافة الحديثة ، فوجدوا ضالتهم في بابيني ، ومجدوا من شأنه . ولكن شباب هذا الجيل سرعان ما حولوا اتجاههم الأدبي عن فنه ، إذ أنهم لم يجدوا شيئاً يتعلمونه في كتبه سوى فلسفة جامدة ، وفن جاف مضطرب ، وتبشير بأساليب الكثلكة مع الرجوع إلى أحضان الكنيسة

وتعد أقوى روايات بابيني على الاطلاق « مذكرات الله » التي تحدث فيها عن خالق العالم ونشأته ، فرواية « الرجل الذى انتهى » ، وقد رسم بين سطورها حياة المتاعب والآلام التي تنتاب طبقة المفكرين الذين يقضون نصف أعمارهم بين بطون الكتب ، والنصف الآخر في ظلال الفلسفة والنظريات السفسطائية

(البقية في العدد القادم)

محمد أمين حسونة

ياليـــــل !

للأستاذ فخرى أبو السعود

يا ليلُ هل لك دونى صاحبٌ ثقةٌ ... مُغْلٍ لقدرك صافى الود فى الناس ؟

أغْلَيْتُ ساعَكَ حتى بِتُّ راعيَها ... رَعْىَ الشحيح كريم الدرّ والماس

أغليت ساعك غيرى من يبذّرُها ... مثرثراً بين أصحابٍ وجُلاس

وصُنتُ آنك لا أُمسى أُضيّعها ... وقد صفت بين سِفْرٍ لى وقرطاس

لكنّ فى ملكوتِ الحسن منتجعى ... إذا دَجَوْتَ وإسرائى وتعساسى

فى ملك حسنك ممتداً ومنبسطاً ... أحَبُّ مسرى لمرْتادٍ وجوّاس

تدعو فآتى أُغِذُّ السيرَ تلبيةً ... ما بين دَوْحٍ رطيب الغصن مياس

راوى الأزاهرِ والأوراق مابرحت ... عليه آثارُ هامى المزنِ رجاس

تتلو صفوفٌ صفوفاً منه ماثلة ... كأنها فى الدجى أشباح أحراس

أو فوق شط أتىّ الموج مرسلة ... أمواجُه خُلو أصداء وأنفاس

سالت عذوبتُهُ سيلاً وَرقَّتُهُ ... من مائه الملح أو من صخره الجاسى

يهتزُّ فيه شعاعُ النجم مؤتلقاً ... وآنة ضوء بدرٍ سابغٌ كاس

كم طالعتنى المعانى فيك سافرة ... وأسلستْ لى القوافى أىَّ إسلاس

فرداً وحيداً أوافى ملك حسنِك قد ... زهدتُ عندك فى صحب وأحلاس

فى وحدتى وسكون الكون لى طربٌ ... ووحشتى فى الدجى يا ليلُ إيناسى

لا بل خدينىَ آمالى وعاطفتى ... أيانَ سرتُ وأفكارى و إحساسى

وما جلوتَ لعينى من خلالك من ... أُفُقٍ ونجمٍ وأزهارٍ وأغراس

حديث هاتيك أشهى لى وأعذبُ لى ... يا ليلُ من قول جهالٍ وأكياس

للنفسِ ثمَّ حديثٌ كم تبثُّ به ... من ذكريات وتأميل و إيجاس

نجواك يا ليل كم تُذْكى بها هماً ... وكم تجدِّدُ من عزم ومن باس

تُحيى بها أنت آمالاً وترفعها ... عما بذا العيشِ من قبح وأرجاس

حتى أؤُوبَ — إذا آن الإيابُ — كمن ... قد آب من موكبٍ أو عُرْسِ أعراس

مُمتَّعَ اللبِّ والعينين رَاوِيهَا ... منزّهَ النفس عن همٍ وعن ياس

ما دام لى مُلكُ هذا الحسن مطرداً ... فما فؤادى على ما فات بالآسى

ولستُ أغبط من يا ليل قد جهلوا ... لديك فتنةَ أمساءٍ وأغلاس

فخرى أبو السعود

يا فلســـــطين . . . !

آفاقكِ الحمرُ انتشت راياتها ... قد أقسمت ألا تُظلّ ذليلا

ثورى ولو فرش الذين طغوا على ... طرق الجهاد أسنةً ونصولا

لا بأس إن نضحت دماً جنباتها ... فاليوم لا يغدو دمٌ مطلولا

إيه فلسطين اغضبى وتحررى ... ضاعت حقوقك بين قالَ وقيلا

مدى القلوب على الظُّبى وتبسمى ... تجدى على تلك الحدود فلولا

أمهلت ظالمك العتلَّ وما درى ... أن التهامس يستحيل صليلا

***

إيه فلسطين المجاهدة اثبتى ... فالظلم مرتعه يكون وبيلا

ها هم بنوك لووا أعنّات الردى ... وأتوك لا يرضون منك بديلا

يتزاحفون إلى اللهيب كأنهم ... ظمأى وقد عدوا اللهيب النيلا

فلوا حديد الظالمين بمثله ... وبدونه لن تبلغى المأمولا

لا مجد إلا حيث يشتجر القنا ... فتشيده مجداً أشم أثيلا

فى كل ناحية شهيد خالد ... هو من ينادى : لا نريد دخيلا

قم يا شهيد القوم واخطب فى الورى ... أصبحت حياً مذ غدوت قتيلا

***

جبل المكبّر[1] طال نومك فانتبه ... قم واسمع التكبير والتهليلا

فكأنما الفاروق دوّى صوته ... فجلا لنا الدنيا وهز الجيلا

جبل المكبر لن تلين قناتنا ... ما لم نحطم فوقك البستيلا

أبو سلمى

---

(١) الجبل الذى وقف عليه الخليفة عمر وكبر مع المؤمنين قبل دخول بيت المقدس

العلم *

مهداة إلى زعيم الشباب فخرى بك البارودى

بقلم عز الدين العطار

أيُّهذا الخفَّاق رَفرِفْ عَلَى الدهـ ... ـرِ وتِهْ فى العَلاءِ زهواً وحُسنا

الفضاء الرحيبُ مِحْرابُكَ الزَّا ... هِرُ فاخفق وأترع الجو لحنا

صورة أنت للربوع الغوالى ... غلغلت فى الإطار داراً ومغنى

وطنى أجتليه فى رمزكَ السمـ ... ـح وأَلْقى الرِّفاق خدناً فخدنا

* * *

يا تراب الشآم يا عبقَ الخلـ ... ـد ويا نفحة تناسمُ عدنا

فى ترابك القدسىّ يثوى الميامـ ... ـينُ فيختالُ طيلساناً وَرُدْنا

ملأوا الكون بالهداية والنو ... رِ وزانوا مغناهُ علماً وفنا

طلعوا فى دُجى الزمان شموساً ... هى أبهى من الضياء وأغنى

* * *

الشبابُ الشبابُ ريْحانةُ الخلـ ... ـد وبأسٌ على المدى ليس يفنى

عزمات كأنها وَهَجُ الشمـ ... ـسِ تجوسُ السماء صحناً فصحنا

تتفرّى الدياجرُ السُّحمُ عنها ... ويغيبُ الدجى ارتعاداً وجُبنا

ابسمى يا ثغورُ قد أشرقَ الفجـ ... ـرُ وحَيّى السَّنا قتاماً ودَجْنا

وَثبَ الحق وَثْبةَ الأسـد التا ... ئِهِ يفرى الفلاةَ ضرْباً وطعنا

تتهاوى من شِدْقِهِ زأْرَةُ الهو ... لِ فلا تملكُ الطَّرائد أمنا

رَجفت من صيالِه ثورَةُ الريـ ... ـحِ وَريع الأنامُ إنساً وجنّا

الصحارى تشققت عن ليوثٍ ... آدَميّين زعزعوا الموت سكْنا

عزفوا عن مناعم العيشةِ الرّغـ ... ـدِ وَعبُّوا الحياةَ رَنقاً وأَجْنا

علُّ الذلّ يشبه العلقم المُر(م) ... وصابُ العُلى من المُزْن أهنا

ليس يسمو إلى الخلود غبىٌّ ... عاشَ فى رِبقةِ الإسارِ مُعنّى

يحسَبُ العز فى المهانةِ والعا ... بِ ويعنو للخصم إما تجنى

* * *

يا صحابى سيرُوا إلى المجد صفاً ... والبسوا الحزم فى الحياة مجنّا

وتعالوا نرِدْ سبيلَ المعالى ... ونُعِدْ ماضياً من النجم أسنى

اذكروا أنكم سلائلُ صِيد ... أترعوا الأرض والسموات يُمنا

غمروا الناسَ بالمحبة والرِّفـ ... ـق ونقّوهمُ مثالاً وظنا

طاولوا الشهبَ من قِراع العوالى ... وبنوا للفخار فى الزُّهر حصنا

ملكوا فى البيان ناصيةَ القو ... لِ وصالوا يومَ التنافر لُسْنا

* * *

كفنٌ أنتَ بالشهيد رفيقٌ ... تترامى عليه لهْفاً وحزنا

رُبَّ قلبٍ على خُفوقك وَقفٍ ... كلما رفّ بندُكَ الحلوُ حنّا

نامَهُ طيفُكَ الحبيبُ فنادا ... كَ وناجى بكَ العُلى وتغنّى

لكَ هَذى الأرواح منا حلالٌ ... فادْعها تسبقِ الغمائمَ جَفنا

نحنُ يومَ البلاءِ رمزُ التفادى ... إنْ دعانا داعى الجهادِ أجبنا

بنفوسٍ لم تستكنْ لا وادِى ... وجسومٍ لم تعرفِ الدهرَ وهنا

تتنزّى كأنها النارُ وقداً ... وترامى يومَ الهزاهزِ مُزْنا

تتمشّى للمجدِ عطشَى إلى المو ... تِ ولو عبّت الخضمّات دنّا

* * *

قدْ وهبنا لك النفوس لتحيا ... ليس منا من يخبأُ النفسَ ضَنّا

أنت منا الهوى وأنتَ الأمانى ... كلُّ رُوحٍ ترَى بكَ المتَمنّى

دمشق — عز الدين العطار

* ألقيت فى حفلة تحية العلم التى أقامها معهد التجهيز والمعلمين فى دمشق

الرغـام

بقلم إلياس قنصل

اغنم العمرَ فهو أضغاث وهمٍ ... تتلاشى بسرعة الأحلامِ

وترشفْ كؤوسه قبل أن تقـ ... ـضى عليها زعازعُ الأيامِ

خُلقَ المرء لا ليلقى على أسـ ... ـمى اللذاذاتِ حلّةً من ظلام

ثم يخشى الدنوَّ منها، ويدعو ... خوفَه نفرةً من الاجرام

بل ليستقطر المسرَّة حتى ... من قتاد الهموم والآلام

ويبثّ الفتون فيما يراه ... حوله من تجهم وقتام

أنت فى ميعةِ الشباب وهذا الـ ... ـعهدُ، عهد المراح، عهد الغرام



قصة المفاتيح

للقصصي الروسي مكسيم جوركى

Maxim Gorki

« هذه القصة تكشف عن شخصية هذا الكاتب العظيم ، وتؤرخ فترة قاسية من حياته ، فضلا عن أنها تصور حياة طائفة من الناس أغفل كثير من أدباء الغرب تصويرها »

كان ثلاثتنا : « زيومكا كارجوزا » و« أنا » و« ميشكا » عمالقة بلحى طويلة وعيون واسعة لها زرقة الماء ، نبتسم دائما بثغور فرحة ، ويخيل لمن يرانا أننا نترنح من الخمر أبدا . وكنا نأوى الى بناء قديم خارج المدينة ، يكاد من فرط قدمه أن ينقض ، ولا يعرف غير الله لم سمى بمصنع الزجاج ، ولعل ذلك لعدم وجود لوح زجاجي سليم به . وكنا نتقبل أى شيء دون أن يكون لنا شيء من الخيار ، وكنا نكنس ساحات البيوت وننظف الغبار ، وننبش المقابر وأكوام القمامة ، ونهدم البيوت القديمة ، ونقطع الأسوار . وقد حاولنا مرة أن نبني زريبة للعمالقة ، إلا أننا فشلنا فى ذلك . وكان زيومكا يسعى دائما للقيام بواجبه ، ويتشكك فى معرفتنا ببناء زريبة للعمالقة . ولهذا فقد أحضر بنفسه ظهر يوم وكنا فى غفوة كل المسامير وقطعتين من الخشب ومنشارا ، وكان ذلك كله لصاحب عمل كنا نعمل عنده ، وقد طردنا من أجل تلك الفعلة . ولما كنا لا نملك شيئاً يمكن سلبه منا لم يطالبنا بتعويض عن الأضرار التى لحقته بسببنا ؛ وكنا فى كفاف من العيش ؛ وكنا غير راضين بما قسم لنا — وهو أمر طبيعى فى مثل هذه الحالة . وتطور هذا الشعور بفعل الزمن فأصبح كراهية لكل ما يحيط بنا . وجرنا ذلك الى أعمال تهديدية توقعنا تحت طائلة قانون العقوبات . والواقع أننا عشنا فى ألم ، غير مبالين بالحياة ، مرغمين على البحث عن عمل وليس لنا من مظهر الحياة المادى سوى مجاوب ضعيف

وكنا قد تقابلنا فى ملجأ لمن لا مأوى لهم قبل أربعة عشر يوماً من الحادث الذى سأقصه عليك لأنه شائق فى نظرى ؛ وصرنا بعد يومين أو ثلاثة من تعارفنا أصدقاء نسير معاً إلى كل مكان ، ويفضى كل منا لصاحبيه بآماله وأغراضه ، ويشاطر بعضنا بعضا كل شيء ؛ وبالاختصار عقدنا اتفاقا لا نص له على أن نكافح سواسية مداوفين ومهاجمين الحياة التى ناصبتنا العداء

وفى النهار كنا نبحث بجد عن عمل ، فى قطع الأحجار ، أو الهدم أو الحفر أو النقل ، وعند ما تتهيأ لنا فرصة مثل هذه كنا نعمل بجد ونشاط

ولما كان لكل منا غرض أسمى من وضع مواسير المجارى أو تنظيفها — وهو من أشق الأعمال — فقد سئمنا العمل فيها بعد يومين . ثم أخذ زيومكا يتشكك فى ضرورة الحياة .

ستصير هذه مجارىَ ، لأى شيء ؟ للقاذورات ؟ أليس فى وسع الانسان أن يلقى بها أمام داره ؟ كلا . هذا لا يصح عمله فانها تثير رائحة كريهة . هكذا ! القاذورات تثير رائحة كريهة . أعمال عظيمة من أجل أشياء تافهة ! فلو أن انساناً قذف مثلاً بحجارة

وهو يدعوك فانتبه وتنعم ... بالجمال المجسم البسام

إن ثغرى أحلى من الأمل العذ ... ب وأشهى من بابلىّ المدام

تبعثُ القبلةُ الطويلةُ . . . منه ... كلَّ خافٍ من الأمانىّ سام

وعلى جسمىَ الرشيق تجلّت ... آيةُ الله فى بديع انتظام

هيكل من هيا كل السحر تروى ... ضمة من كلّ قلب ظام

فرنا الشاعرُ الحزين إليها ... بحنان ولوعةٍ واعتصام

طاوياً فى فؤاده حسرات ... دغدغتْ مايضمه من كلام

أنتِ لا تمنحين قلباً محبًّا ... وأنا لستُ أرتضى بالرغام !

عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

مخللة ، غير كبيرة الحجم ، فماذا تبعث هذه من رائحة ؟ إنها تبقى يوماً ... ثم تختفي ... — تتعفن : لا ، ولكن إذا قذف بجثة آدمى إلى موضع فيه الشمس فانها تتعفن حقاً.. إلا أن ذلك عمل منكر ! »

مثل هذه الأحاديث كانت تفت فى عضدنا وتقلل رغبتنا فى العمل . وكان ذلك يفيدنا كل الفائدة عندما نعمل بأجر يومى فى الأعمال الجزئية . فقد كنا نتقاضى أجرنا دائماً قبل أن نتم ما عهد الينا به من عمل . وذهبنا مرة إلى مقاول وطلبنا منه أن نعمل فى عمل ، إلا أنه طردنا وهددنا أن سوف يضطرنا بمعونة الشرطة إلى إتمام العمل الذى أنقدنا أجرنا عليه من قبل . وكنا نجيبه بانه لا طاقة لنا على العمل وبطوننا خاوية . وتشبثنا مطالبين بالعمل . وكنا نحصل عليه فى أغلب الأحيان

كان ذلك خطأ منا ، ولكن لا نكران فى أنه كان مفيداً لنا . ولم يكن فى وسعنا أن نصلح شيئاً من نظام الحياة الذى فسد ، حتى أصبح القيام بعمل والانتفاع به ضدين

وكان زيومكا فى كل مرة يتولى المفاوضة مع أصحاب العمل ، وكان يقوم بها بمهارة ولباقة . وكان يبرهن على صحة مطالبه بهدوء الرجل المهدود القوى الذى يرزح تحت عبء الأعمال التى لا طاقة له بها

وكان ميشكا يقف صامتاً الى جانبه ، ويحملق بعينيه ويبتسم ابتسامة الرضا والسرور ، كما لو كان فى نيته أن يقول شيئاً ولكن خار عزمه . وكان يندر أن يتحدث ، فاذا ما ثمل أخذ فى الكلام كمن يلقى خطاباً . ثم ناداه مبتسما :

« أخى ! » وكانت شفتاه ترتجفان عجبا ، وبقى صوته محتبساً فى حلقه ، وبدا يسعل ليستر خجله ، ثم أمسك رقبته بيده

وقال زيومكا ، ولم يطق صبراً : « ما بالك ؟ »

فقال له : « أخى ! إننا نعيش كالكلاب ، بل أتعس منها .. ولم ذلك ؟ لا أحد يدرى ! ولكن لا بد من أن الله عز وجل أراد ذلك ، فكل شيء يسير بارادته . أليس كذلك يا أخى ؟ نعم هو كذلك . ولذا أقول إن ما نلقاه نحن التعساء هو العدل . أليس ذلك تفكيرا صحيحاً ؟ وعلى ذلك أفلا يمكن أن تتحسن حالنا ؟ يجب أن نرتضى حظنا صابرين ... أليس كذلك ؟ »

ولكن زيومكا أجاب على أسئلة زميله المتعددة المثيرة للخواطر بكلمة مختصرة : « يا قليل العقل ! »

فانكمش ميشكا وقد عرف خطأه ، وابتسم خجلاً وبرقت عيناه المتنفختان من الخمر وسكت . ثم قال فجأة : آه ، لو أن لنا « خنزيراً » .

وكنا ذات يوم نتسكع فى السوق نبتغى عملاً ، فاصطدمنا بامرأة عجوز ضامرة قصيرة ذات وجه كثير التجاعيد ؛ وكان رأسها يهتز فوق عنقها . وعلى أنفها منظار كبير محاط باطار غليظ من الفضة ، يتأرجح يمنة ويسرة فتعمل يد العجوز لتثبيته فى موضعه . أخذت تحدق فينا النظر ؛ وقد وجهنا إليها أنظارنا طامعين فى حديثها .

وسألتنا : أليس لكم عمل ؟ أتبحثون عن عمل ؟

ولما أجابها زيومكا فى احترام بالايجاب ، قالت : « حسناً ! عندى حمام قديم أريد هدمه . كما أريد أن تنظف النافورة . . . فكم من الأجر تطلبون ؟ »

فرد عليها زيومكا فى احترام أيضاً قائلاً : « يجب أولاً يا سيدتى المحترمة أن يرى الانسان حجم الحمام ، وكذلك النافورة ، فلكل نافورة شكلها الخاص ، إذ منها ما هو عميق جداً و ... »

وطلبت منا العجوز أن نرى النافورة . ولم تمض ساعة حتى كنا نعمل مجدين بالمناشير والمعاول فى هدم الحمام . فلما انتهينا من عملية الهدم هذه وتنظيف النافورة تقاضينا مبلغاً قدره خمسة روبلات وهو الأجر الذى اتفقنا عليه . وكان الحمام مقاماً فى ركن مهجور من الحديقة ، وعلى مقربة منه كوخ خشبي تظلله أغصان شجر الكرز . وقد رأينا ونحن نهدم بناء الحمام العجوز جالسة فى ذلك الكوخ عاكفة على قراءة كتاب كبير وضعته على ركبتيها . . . وكانت من وقت لآخر ترمينا بنظراتها الحادة ، وكان الكتاب يهتز فوق ركبتيها فيلمع القفل الفضى للكتاب .

ليس بين الأعمال أسهل من التخريب والهدم . وقد استغرقنا جهدنا وسط سحابة من الغبار . وكنا نعطس ونسعل ونمخط ونفرك أعيننا حين قد سقط الحمام وتناثرت أجزاؤه ، فقد كان عتيقاً ناخراً كصاحبته .

« هيه ياشباب ، فنجيبها : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، هوب ! » هكذا كان زيومكا يصدر أوامره . وهكذا تساقطت كتل البناء الواحدة تلو الأخرى .

وتساءل ميشكا وهو مطرق الرأس مستنداً إلى الفأس مجففاً

عرق جبينه : ماعساه يكون هذا الكتاب ؟ إنه لكتاب ضخم ! ولن يكون الانجيل إذ هذا أضخم منه . »

وسأله زيومكا مستفسراً : « وماذا يهمك من ذلك ؟ »

« يهمني ؟ كلا ! إنني أميل لاستماع من يقرأ الكتب . . . أعنى الكتب الدينية . وكان فى قريتنا جندى اسمه آفريكان يقرأ كثيراً فى الاصحاح ، وكان وقع ذلك فى أذنى كالموسيقى — ما أجمل ذلك ! »

وسأله زيومكا ، وهو يشعل لفافة التبغ : والآن ؟ »

— لا شيء . لقد كان جميلاً ، على رغم أن الانسان لا يفقهه . إنه لكلام جميل . . . وقد لا يسمع الانسان كلاماً مثله فى الشارع . نعم إن الانسان لا يعرف له معنى ، ولكنه يشعر بأن ذلك له صلة بالروح .

وهزئ زيومكا منه قائلاً : هذا ما لا أفهمه ، إن الانسان ليرى فيك من جديد غباء الحذاء القديم

فأجاب الآخر قائلاً : « إننى واثق من أنك تميل إلى السباب »

« كيف السبيل إلى مخاطبة مثل هذا الحمار ؟ إنه لا يفقه شيئاً غير ذلك : هيا ، أعمل معولك هنا — انتبه . . . هوب »

وتقوض بناء الحمام شيئاً فشيئاً وكثرت الأنقاض ، وقد أحيطت بغمامة من الغبار كست أوراق الأشجار القريبة

وبدأ ميشكا ثانية : هذا الكتاب محلى بالفضة »

ورفع زيومكا رأسه ، وصوب نظره إلى الكوخ . وقال فى اقتضاب :

— « هو كذلك على الغالب »

— « إنه لا شك الانجيل »

— « ليكن ذلك . وما ذا يهمك من أمره ؟ »

— « لا شيء ! »

— « لا شيء هذه ملء جيوبى . ولكن إذا كنت تريد أن تستمع إلى ما فى الانجيل فاذهب إلى العجوز وقل لها : اقرئى لى ياسيدتى المحترمة شيئاً من الانجيل . إنه لا سبيل لنا غير ذلك ؛ إننا لا نذهب إلى الكنيسة لأن أبداننا قذرة وملابسنا بالية ، إلا أن لنا روحاً كبقية الناس ... هيا اذهب » .

— هل أذهب حقاً ؟ »

— « نعم ، إذهب »

وقذف ميشكا بمعوله وأصلح ثيابه ومسح الأقذار عن وجهه بكمه ، وقال زيومكا فى نفسه وابتسامة السخرية على فمه : « ستركلك برجلها كأحقر دب . » غير أنه تلهف على متابعة خطوات صاحبه بالنظر ، وسار هذا بخطى ثقيلة وابتسامة الخجل والهدوء مطبوعة على وجهه ، ورفعت العجوز رأسها وصوبت نظرها إلى ذلك المتسكع القادم اليها ، وكانت الشمس تضيء زجاج منظارها وإطاره الفضى فيومض

ولم تركله برجلها برغم أن زيومكا تنبأ بذلك ، وكان حفيف الشجر يحول دون سماع ما تحدث به ميشكا إلى صاحبة المنزل ، ولكنا رأيناه يخر فجأة أمام قدميها ويجلس على الأرض حتى يكاد أنفه يمس الكتاب ، وكان وجهه يدل على الهدوء والرزانة ، وقد رأيناه وهو يحاول ما استطاع أن ينفخ فى لحيته ليبعد عنه الغبار ، وأخيراً استقر فى مجلسه ومد عنقه ووجه نظره إلى يد العجوز التى أخذت تقلب صفحات الكتاب صفحة صفحة

« أنظر اليه فهو كالكلب غير المهذب ! له الآن أن يستريح . فهل نذهب نحن كذلك ؟ وماذا نعمل هنا وحدنا ، وهو يجلس هادئاً بينما نحن نعمل من أجله وننهك قوانا . هيا ، سر إلى الأمام »

وبعد دقيقتين جلسنا إلى جواره واحداً عن يمينه والآخر عن يساره ؛ ولم تنبس العجوز بكلمة ساعة قدومنا ، ولكنها كانت تحدق فينا وتقلب صفحات الكتاب كمن يبحث عن شيء بعينه ، وكانت السماء صافية تشيع السرور فى النفس ، وكان النسيم العليل يهب من وقت لآخر مداعباً أوراق الشجر ، وانساب من هذا وذاك سحر إلى قلوبنا التى كانت تهيأ للمحبة والسلام ، وبدأ يستيقظ فينا الاحساس بأشياء غامضة مجهولة إلا أنها قريبة منا ، وأخذت أرواحنا تتحرر من الأدناس

« بولس ، خادم المسيح »

بهذا رن صوت العجوز ، وكانت ترتعش وقد هدها الكبر ، غير أنها كانت خاشعة ، ورسم مشيكا الصليب ، وأخذ زيومكا يتحرك من جنب إلى جنب ليجد مكاناً فى الأرض مريحاً ، وكانت العجوز ترمقه بعينيها دون أن تمسك عن القراءة

(البقية فى العدد القادم) ا . ا . ى

من اسخيلوس

لايوس وأوديب

« درامتان مفقودتان »

بقية المنشور فى العدد الماضى

للأستاذ درينى خشبة

— ٩ —

« ويلاه ! لقد جئت أستجلى الحقيقة فضاعفوا الغموض فى نفسى ! أبى من هذا الذى أقتله ، وأمى من تلك التى أتزوج منها ، وأى شعب هو ذاك الذى أتعسه وأشقيه ؟ أتكون الملكة صادقة وأكون ابن بوليبوس حقاً ؟ ! أتكون زلة لسان من هذا العربيد أرسلها وهو لا يدرى ما هى ؟ إذن لأبعد فى الأرض ، فأنا لا أطيق أن أرانى أقتل بوليبوس ، أبى ، إن كان حقاً أبى ... وأنا لا أطيق أن أرانى زوجاً لأمى الملكة ... إن كانت حقاً أمى ! ... »

وذهب المسكين لا يلوى على شىء ، يأوى الى الكهوف والغيران إذا جنه الليل ، ويغتذى بقليل من البندق أو الجوز أو التين إذا ألح عليه الجوع ، ويبل غلته من الجداول والغدران

— ١٠ —

وبينا هو يطوى الفيافى والقفار ، إذا به يصل إلى ملتقى طرق ثلاث ، وإذا به يصل ثمة فى الوقت الذى يصل ملأ كريم إلى المكان نفسه ، وقبل أن يعرف أوديب أى الطرق الثلاث يسلك إذا رجل طوال يبدو عليه من ملامحه أنه جندى أو قائد ، يأمره بصوت خشن أجش أن ينتحى ناحية حتى يمر الركب . وكانت لهجة الرجل من الجفاف والغلظة بحيث لم يحتملها أوديب ، فرفض أن يتزحزح خطوة واحدة ، بل زاد فاعترض طريق الركب كأنما يتحدى رجاله جميعاً . وكيف يُراد من أوديب الناشئ فى بيت ملك كورنثه والذى أعدته الأيام لتولى زمام الملك أن يصدع بأمر رجل عابر طريق ، مهما كان الرجل من حول وفى طول ؟ إذن ليلتحم أوديب مع كل هؤلاء القوم فى عراك عنيف ، وليكن من الأمر ما يكون !

وصاح الرجل مرة أخرى ، وأرغى من الغضب وأزبد ...

ولكن أوديب وقف مكانه كأنما سمر فيه ؛ وأخذ يحدج القائد بعينين تقدحان الشرر ، وتنفثان الموت الزؤام !

ولم يستطع القائد إلا أن يمتشق سيفه وينقض على أوديب كالصاعقة ... ولكنه سقط على الثرى قبل أن يصل اليه جثة هامدة ! « خذها ضربة من أوديب ! ! »

وذهل الجنود حينما شهدوا قائدهم معفرا بالتراب ... فتكاثروا على أوديبوس ... ولكنه صرعهم واحداً واحدا بضربات كأنها سنا برق يومض خلل السحاب فى يوم عاصف !

ثم نزل من المركبة التى كانت تنهب الطريق فى إثر الجنود رجل مُسِن قد وخط الشيب رأسه ؛ واقترب من أوديب وهو يهدج كالبعير الأبلق ، ثم أخذ يحذره من الموت الذى يتربص به ... « أنت شاب يا بنى والحياة حلوة جميلة ، ورد الموت لا يخلق بعنفوانك ... فانتح ناحية ، ولا تركب رأسك ، ولا تحسب أنك تقدر على كما قدرت على هؤلاء ... » وكان الشيخ يهز فى يمينه سيفاً كالنية ... ولكن أوديب تبسم من قوله ضاحكا ... وأعجله بضربة قدت رأسه وأضلاعه ... وغادرته عند حيد الجبل جزر السباع ...

وا أسفاه! . لقد قتل أوديب والده ! ونفذ ثلث القضاء ! فمتى ينفذ شطراه الآخران ؟ !

— ١١ —

سُلِّطت على مدينة طيبة هولة رائعة ما برحت تغتال أهلها وتعبث فيها فسادا ، وكلما لقيت أحدا عرضت عليه حُجَيَّا[1] ، فان فسرها وقدر على تأويلها خلت سبيله ، وإن لم يستطع غالته واغتذت به ... وقد عز على لايوس الملك ألا يقوى أحد على هذه الهولة فيخلص طيبة منها ، ويريح من شرها العباد . فلما لم يستطع أحد أن يفسر حجياها اعتزم أن يذهب إلى دلفى مستخفياً فى رهط من جنده ، عسى أن يؤول له الكهنة ذلك الطلسم وينقذ شعبه من ذلك البلاء المبين !

وكأنما سعى لايوس إلى حتفه بظلفه ! فقد لقيه ولده أوديبوس وقتله ومن معه على ما وصفنا !

— ١٢ —

وقبل أن يبلغ أوديب طيبة ، كان خبر مقتل الملك وجنوده قد ذاع فيها ، ولكن من كان أولئك القتلة ؟ فلم يكن أحد

(١) الحجيا هى ما يسميه العامة (الفزورة) وهى غير الأحجية بتشديد الياء

بدرى ... إشاعات فحسب ! فقائل إن الهولة هى التى أدركتهم وصرعتهم جميعاً ؛ وقائل إن عصابة من قطاع الطرق أحدقت بهم وذبحتهم وهم نائمون ... ...

وكان أوديپ قد سار فى طريق طويلة شاقة انتهت به إلى طيبة . فلما كان ثمة لقيه واحد من الأهالى أنس اليه ، وتبسط معه وذكر له خبر تلك الهولة الفظيعة التى قتلت ربع سكان طيبة : « وإذا لم يرح المدينة منها أحد ، فقد تقتلنا جميعاً ! ! وهى تعرض على من تلقاه (حجيّا) يا صاح ، فاذا عرفها وأدرك تأويلها خلت سبيله ... وإلا ... فهى لا بد فاتكة به مهما كان سلاحه ، ومهما كانت قوته !! وها هى ذى قد فتكت وحدها بالملك وجنده فى طريقه إلى دلفى ... وقد أجمعت المدينة على أن من يخلصها من ذلك الشر المستطير فانها ترفعه إلى العرش فيكون ملكا على طيبة الخالدة . ثم يحظى بالملكة الأيم فتكون زوجة له ! ! »

— ١٣ —

وكان أوديب قد زهد فى حياة التشرد التى شق بها بعد مغادرته كورنثه ، فصمم على أن يلقى الهولة ... فاما قتلها وفاز بعرش طيبة وبيد الملكة ... وبحياة ناعمة مخفرجة ، وإما قتلته فأراحته من شظف العيش ولؤم الزمان

ودله صاحبه على مكانها ... فذهب اليها وبيده جرازه ... أظمأ ما يكون إلى دم حار وسم زعاف ! ...

وقالت له : « مكانك أيها القادم ! أفتنى فى مخلوق غريب إذا انبلج الصبح درج على أربع ، فاذا انتصف النهار مشى على رجلين ، فاذا أرخى الليل سدوله سار على ثلاث ! قل ! فان لم تستطع ، فودع الحياة [1] »

وعبس أوديب عبسة قصيرة ، وقال : « أيتها الهولة ! أهذه حجياك ! ! إذن إسمعى وعى ! ذلك المخلوق هو الانسان من غير ريب ! أليس يحبو على أربع إذ هو طفل ، فاذا شب سار على رجلين ، فاذا بلغ من الكبر عتياً توكأ على عصا ، فكانت له رجل ثالثة ؟ ! »

وما كاد يتم قولته حتى اربد وجه الهولة ، وحتى انثنت تأخذ طريقها إلى البحر لتغيب فى أحشائه ، ولكن أوديب الذى ملأه انتصاره بحل اللغز عُجْباً وكبرياء ... انقض عليها وخوّض فى صدرها بجرازه ... وتركها على الشاطئ جثة خامدة !

— ١٤ —

وفرحت طيبة بمخلصها العظيم ، ومنقذها الكريم ، ورفعت أوديپ إلى عرشها ، ووضعت على ناصيته تاجها ، ووهبت له يد الملكة فتزوجها !

واأسفاه !

لقد تزوج أوديب أمه ! وتم الشطر الثانى من النبوءة الصارمة ، وأولدها ابنها أربعة أبناء أشقياء ، ولدين وابنتين ، كأشباح الأسى والردى ، والتعاسة والمنون ! !

— ١٥ —

وحكم أوديپ فعدل ، واطمأنت إلى رحمته قلوب العباد ، وتقدمت طيبة واستقامت أمورها ، وبلغت من الأيد والقوة مبلغاً لم تكن تحلم به ...

غير أن النبوءة تأبى إلا أن تتم ، ولا بد أن ترث ذرية أوديپ التعاسة عن أوديپ . ذلك أن طاعوناً اجتاح طيبة ، فكان الناس يموتون بالمئين ! وكلت حيل الأطباء ، فأرسل الملك من يستنبئ كهنة أپوللو فى دلفى عسى أن ترفع الآلهة غضبها بكشف هذا البلاء عن بلده الأمين ! وعاد رسل الملك يقولون : « يقول أپوللو ابحثوا عن قاتل لايوس وانتصفوا للملك منه ... يرفع عنكم ذلك الطاعون ! »

قاتل لايوس ! ! إذن يجمع أوديب شرطة طيبة ، ورجال القضاء فيها ، ويجرى تحقيق دقيق ينتهى بالحقيقة المؤلمة ...

« يا للخزى ! ! إذن أنت هو ابنى يا أوديب ! أنا أمك ! أنا أمك ! يا للعار »

وتنطلق الملكة إلى غرفتها الخاصة فتنتحر ! وقبل أن تفعل ترسل وراء الخادم الذى كان قد أخذ الطفل ليقتله ، فيحضر ، ويعترف بكل ما كان !

— ١٦ —

أما أوديب ، فانه لا يستطيع أن ينظر إلى أمه ... بل يجن جنونه ، ويتناول دبوساً فيسمل به عينيه ، وينطلق إلى البرية على غير هدى ، فتتبعه ابنته أنتيجونى ، تقوده إلى غاب كولونوس حيث تأوى ربات الذعر فيغتلنه ...

وينكشف الطاعون عن طيبة

ويقتتل ابنا أوديب على العرش ، فيقتل بعضهما بعضاً ، وتتم المأساة ! ... ...

دريني خشبة

(١) الترجمة عن سوفوكليس

البريد الأدبي

مكسيم جوركي

وافتنا الأنباء الأخيرة بنعي مكسيم جوركي شيخ الأدب الروسي المعاصر . توفي بعد مرض طويل مضن في نحو الثامنة والستين من عمره . وبوفاة جوركي يختتم ثبت أكابر الكتاب الثوريين الذين مهدوا بكتاباتهم للثورة الاجتماعية الروسية الكبرى أعني الثورة البلشفية ، وسيادة الطبقات العاملة ، مثل ليون تولستوي . والبرنس كورباتكين . وكان مولد جوركي ببلدة « نجني نفجرود » من أعمال الفولجا في سنة ١٨٦٨ . من أسرة عاملة فقيرة ، واسمه الحقيقي ألكسى مكسينوفتش بتشكوف ؛ ومات أبوه وهو طفل فكفلته جدته لأمه ؛ ولم يتلق لفقره تربية ، بل اضطر منذ حداثته أن يعمل ليعيش ؛ فالتحق في التاسعة من عمره بخدمة محل لصنع الأحذية . ولبث يتنقل من عمل إلى عمل ، وهو يعاني شظف البؤس ، ولا يكاد يثبت في عمل ما ، لأنه كان منذ حداثته يبدي مللاً مستمراً ونزوعاً إلى الثورة . وكان الفتى ألكسي مع ذلك يختلس الأوقات للقراءة والاهتمام بشؤون السياسة والثورة . وفي سنة ١٨٩٢ ، استطاع جوركي أن يخرج كتابه الأول « ماكان شودرا » ، وفيه صور قصصية مؤثرة ؛ وفي العام التالي أخرج كتابه « شلكاش » على مثل كتابه الأول فصادف نجاحاً كبيراً . وتبوأ الفتى « جوركي » مكانته كأديب وكاتب يحسب حسابه ؛ وفي ذلك الحين أيضاً قبض على جوركي لما بدا في كتاباته من النزعة الثورية وأودع السجن ، ومرض فيه حتى كاد يموت ؛ ولكنه ما كاد يخرج حتى عاد إلى الكتابة ؛ وأخذ يطوف أرجاء روسـيا متصلاً بزعماء المجاهدين والكتاب والثوريين . وفي سنة ١٩٠٠ ، أخرج جوركي قصته الكبيرة « توما جورديف » ، فلقيت نجاحاً كبيراً . واتصل منذ أواخر القرن الماضي بفلادمير إلتش أو « لنين » زعيم الثورة البلشفية المستقبلة وصحبه ؛ واشتغل بالصحافة الثورية ؛ واستمر مع ذلك في إخراج كتبه ؛ وكانت معظم كتبه في ذلك الحين قصصاً ثورية تمثل بؤس الطبقات العاملة التي عرفها وعاني ويلاتها صغيرا ؛ وفي ذلك يصل جوركي إلى ذروة فنه ؛ بيد أنه لم يتمكن قط من وصف المجتمع الرفيع بمثل هذه البراعة ؛ وكان ذلك وقفاً على أقطاب درسوا الحياة الرفيعة مثل ليون تولستوي . وأحسن ما يصف جوركي تلك الشخصيات الناقمة التي تخرج على النظم والأغلال الاجتماعية المفروضة ، وهي في الواقع شخصية جوركي ذاته

وعرف جوركي ظلام السجن أكثر من مرة ؛ ولكنه كان في كل مرة يخرج أقوى نفساً وأثبت عزماً على الكفاح . وفي سنة ١٩٠٦ سافر إلى أمريكا موفداً من الجمعيات الثورية الروسية ليدعو إلى قضية الحرية الروسية . ولكنه لم يلق النجاح المرغوب ، لما عرف أن السيدة التي ترافقه هي صاحبته وليست زوجته ؛ وقام أيضاً بالتجوال في ألمانيا وفرنسا ليدعو ضد القرض الذي كانت تحاول القيصرية عقده ، وهو ينذر بأن الشعب الروسي لن يدفعه ؛ ولكن مساعيه خابت وعقدت روسيا هذا القرض في فرنسا قبيل الحرب ؛ ومع ذلك فقد صحت نبوءته ، وجاءت الحكومة البلشفية فأعلنت إلغاء ديون القيصرية كلها

وعاد جوركي إلى روسيا قبيل الحرب وأسس مجلة أدبية ثورية ؛ ثم كانت الحرب ، فتفرق زعماء الثورة في كل مكان ، ولبث جوركي في روسيا ، حتى كانت الثورة البلشفية ، فظهر عندئذ في طليعة زعماء الثورة ؛ وقربه لينين . وكان جوركي يحترم الرجل الذي حطم طغيان القياصرة ، وحقق سيادة الطبقات العاملة ، أعني لنين ، ويذهب في هذا الاحترام إلى حد التقديس والعبادة . وغدا جوركي من أقطاب النظام الجديد ، وغدا لسانه وزعيمه الأدبي ؛ وأغدقت عليه الحكومة البلشفية رعايتها . ومنذ نحو عشرين عاماً يقود جوركي الحركة الأدبية الحديثة في روسيا ، ويغذيها بروحه الثوري المضطرم

وأخرج جوركى فى تلك الفترة عدة كتب رائعة : منها « الشريدون » و « ذكريات الشباب » و « المتفرج » و « كوموفالوف » ، وهو أعظم كتبه ؛ و « الأعماق السفلى » وهى قطعة مسرحية قوية ؛ وغيرها.

والخلاصة أن جوركى يعتبر من أعظم زعماء الأدب الروسى المعاصر . وقد نوه البرنس كوروباتكن فى كتابه عن الأدب الروسى بعبقرية جوركى الأدبية والفلسفية (ع)

جوركى أديب الصعاليك

كتبنا كلمة فى هذا الباب من أبواب (الرسالة) منذ أسبوعين عن حياة جوركى ؛ وها قد لفظ أديب الشيوعية الكبير آخر أنفاسه فى الأسبوع الثانى من هذا الشهر (٩ يونيه سنة ١٩٣٦) من أثر التدرن الذى كان يشكو منه دائماً والذى سافر من أجله إلى إيطاليا يستشفى منه ، ولكنه ما زال به حتى قضى عليه فى النهاية . وقد ذكرنا أن جوركى عمل فى حداثته عند خباز ، ونذكر اليوم أن هذا الخباز كان اسمه (راماس) من مدينة قازان ، وأنه كان ذا أثر كبير فى توجيه مكسيم جوركى ، فقد كان يعمل ليلاً فى مخبزه اتقاء لشبهة جواسيس القيصر ، ثم يبث فى عماله روح الانتقاض على ظلم القيصرية بما كان يلقيه عليهم من أحاديث ملتهبة ، وبما كان يقرئهم من كتب ويثقفهم به من معلومات . وكان الفتى جوركى أشد العمال تعلقاً براماس ، وكان يلتهم كتبه التهاماً حتى حدثوا عنه أنه كان يقضى نصف أوقات راحته ونومه مكباً على كتب راماس ! ولما علق جوركى الأدب ومهر فى الخطابة توجه إلى بطرسبرج ودعا الشعب الى مطالبة القيصر بالدستور ، ثم جمع عدداً كبيراً من العمال وتوجه بهم إلى قصر القيصر فى مظاهرة صاخبة وهتفوا بحياة الدستور ، وما هى إلا لحظة حتى حصدتهم نيران البنادق والمدافع من كل صوب ، ونجا جوركى بأعجوبة . ولكنه قبض عليه وحوكم أمام محكمة عسكرية فقضت عليه بالسجن لمدة سنة وعلى الزعيم الآخر (الأسقف جابون) بسنة مثلها (١٩٠٥)

وكان جوركى يستشفى فى إيطاليا حينما هبت الثورة فى روسيا فعاد اليها ليلق لينين وليكون هو وتروتسكى أشد أعوانه وأكبر مؤيديه ، وإن يكن جوركى كان يأخذ على طاغية روسيا وزعيمها الأكبر أخذه الناس بالشدة وسوقهم إلى نظمه بالعنف ، وكان يصارحه بعدم رضاه عن هذه الطرق التعسفية فى بث مبادىء الثورة مع علمه أن معنى معارضة لينين الشنق والقتل بالرصاص . والعجيب أن عطف جوركى هذا لم يستمر طويلا ، فقد حدث بعد موت لينين أن اختلف ستالين وتروتسكى من أجل تنفيذ مبادىء الثورة تنفيذاً حرفيا فكان من رأى تروتسكى أخذ الفلاحين بالعنف وإخضاعهم بالقوة لتعاليم لينين ، ولكن ستالين أبى ورأى فى الطفرة تمهيداً لثورة الفلاحين ففضل التدرج معهم فى جذبهم إلى حظيرة هذه التعاليم . واشتد الخلف بين أقطاب الشيوعية ، وملك ستالين زمام الأمور ، وفر تروتسكى خارج روسيا ، ولحق به جوركى ؛ ولكن جوركى عاد إلى روسيا بعد ذلك فشهد بعينه صدق نظر ستالين ، فرجع عن رأيه لما رأى من استقرار الأمور ، وعاد إلى سالف تشجيعه للاتحاد السوفيتى فعينه فى لجنته التنفيذية

وجوركى من أشد الملحدين الذين عرفهم التاريخ ؛ فهو يقول إن المعبود الذى تعنو له الجباه إن هو إلا خرافة ، أو هو مصدر الخرافات ! وتلك جراءة على الله سبحانه وتعالى من هذا الرجل الذى خبله البؤس وذهب بوجدانه العوز فى أكبر شطر من حياته . ويكاد يكون الفيلسوف الفرنسى برجسون أشد أعداء جوركى ؛ فبرجسون روحى بطبعه ، والناس فى فرنسا يصدقونه فى كل شىء حتى لو ادعى النبوة ، ولم يدافع أحد من الفلاسفة عن وجود الله فى عصرنا الحديث بمثل ما دافع عنه برجسون ، واليه وحده يرجع الفضل فى هزيمة داروين وجوركى ، وإن يكن جوركى ما يزال منتصرا بقوة الحديد والنار داخل روسيا

وإلى جوركى يعود الفضل فيما لصق بالثورة الشيوعية من تهم الاباحية وما إليها ، لأنه هو نفسه ما كان يتورع أن يظهر أمام الملأ فى أعمر ميادين موسكو وبطرسبرج (لينينجراد) محاطاً بمشيقاته و (محظياته !) . وقصته (الاعتراف) هى نموذج خبيث من أدب المنحطين تبذ قصص لورانس وجويس وبلزاك ؛ وفيها يذكر حديثاً غير محتشم لغادة من الساقطات تدعوه إلى نفسها لترزق منه غلاماً . وفى ذلك شبه من قصة لورانس التى أشرنا إليها مرة فى هذا الباب (عشيق لادى شاترلى) . وتلك القصة ثالثة ثلاث ألفها إذ هو فى إيطاليا والاثنتان هما (الأم) و (الصيف)

ونرجىء الكلام عن بقية قصصه وكتبه ومجلاته إلى نبذة أخرى د . خ

في المباراة الأدبية

اجتمعت لجنة المباراة الأدبية الخاصة بموضوع « أثر الحافز الشخصي في التطور الاصلاحي والاجتماعي والوسائل العملية لتوجيه الرأي العام » التي يرأسها معالي الأستاذ مكرم عبيد باشا فنظرت في البحوث المقدمة اليها وقررت :

١ — منح الجائزة الأولى وقدرها مائة جنيه للأستاذ عباس حافظ الموظف بوزارة الداخلية

٢ — منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيها للأديب جميل خانكي

٣ — منح الجائزة الثالثة وقدرها ٢٥ جنيها للآنسة زينب الحكيم الحائزة لدبلوم فروبل العليا بلندن

٤ — منح الجائزة الرابعة وقدرها ٢٥ جنيهاً للأستاذ حسن مظهر المحرر بمجلة اللطائف المصورة

وقد رأت اللجنة أن تتقدم إلى صاحب الدولة وزير الداخلية ليسمح بمنح هذه الجوائز برغم انقضاء الموعد المحدد لها

بين السياسة والأدب

تولى الحكم أخيراً سياسيان عظيمان ؛ هما في الوقت نفسه أديبان كبيران ، وهما مسيو ليون بلوم الزعيم الاشتراكي الفرنسي الذي فاز حزبه في الانتخابات الفرنسية الأخيرة ، وانتهى بأن تولى زعيمه الحكم ؛ ثم السنيور مانويل ازانا دياز ، الذي انتخب أخيراً رئيساً للجمهورية الأسبانية ؛ فكلاهما أديب كبير ، وله مؤلفات تتبوأ مكانها الأدبي . ولنلاحظ أولاً أن مسيو ليون بلوم فوق كونه اشتراكيا ، هو يهودي ؛ وهذه أول مرة يتولى فيها الحكم في فرنسا يهودي منذ وزارة مسيو كايو الذي تولى الرياسة قبل الحرب . وكان مسيو بلوم منذ أواخر القرن الماضي صحفياً وناقداً ، ففي سنة ١٨٩٧ ، كان يتولى تحرير « المجلة البيضاء » ، وكان يعرف يومئذ بنقده اللاذع ؛ ثم تخلى عن تحرير هذه المجلة إلى الكاتب الشهير « أندريه جيد » . ثم تحول الى الكتابة السياسية منذ حمله تيار السياسة ، وكانت مقالاته في جريدة « البوبولير » حتى العهد الأخير تثير أعظم الاهتمام في دوائر السياسة

وأما المسيو ازانا رئيس جمهورية أسبانيا الجديد فهو مؤلف ذو شهرة واسعة وله عدة كتب في السياسة والأدب نذكرمنها : (دراسات عن السياسة الفرنسية الحديثة) ، و (ترجمة جوان ڤالير) وهو كتاب نال به الجائزة القومية الوطنية ؛ و (الكتابة والقول) و (في الحكم وفي المعارضة) ، ثم رسالة أدبية عن (دون كيشوتي) ، وقطعة مسرحية عنوانها (التاج) هذا عدا روايات وقصص ومقالات عديدة

كتاب جديد لهافلوك أليس

صدر أخيرا كتاب النقادة الانكليزي الشهير هافلوك أليس عنوانه : (مسائل عصرنا) Questions of our Day والذين يتتبعون حياة هافلوك اليس وكتاباته يعرفون أنه من أعظم المفكرين والنقدة في عصرنا ؛ وقد بلغ اليوم عهد الشيخوخة ، ولكنه ما زال قوي النشاط ، قوي الأثر في الشباب المتأدب ؛ وقد كانت كتاباته من أكبر العوامل في الترويج للأدب الجنسي الحديث ، وهو الأدب الذي كان يرفضه المجتمع الانكليزي من قبل . ويشتمل كتاب هافلوك أليس الجديد على مائة موضوع من الموضوعات التي سبق أن عالجها في ظروف ومناسبات مختلفة ، وهذه بعضها : « ما هو المجرم . بديل الحرب . مسألة الثورات . التربية في العالم المتطور . الحاجة الى سماء جديدة . مسألة التعقيم الاصلاحي » وغيرها

ومع أن معظم هذه الموضوعات قد كتب من قبل ، فان الكتاب يطبعه طابع واضح من الجدة ، ويبدو تعمق الكاتب وبعد نظره في معالجات موضوعه ، حتى إن القارىء ليشعر بأن كثيراً مما تنبأ به هافلوك اليس في كتاباته عن التطورات الاجتماعية يقع اليوم في العالم بالفعل

العالم المسرحي والسينمائي

بنكنـــوت

فيلم شركة لوتس على شاشة سينما ريوموف

لناقد « الرسالة » الفنى

تدفع الأثرة الكثير من المصريين إلى الجمع بين صناعات متعددة ، وهذا فى عقيدتهم وسيلة من وسائل الشهرة وارتفاع الذكر فى حين أن العالم يسير عكس هذه الفكرة ، فهو يعمل على توزيع الأعمال بل وتوزيع العمل الواحد حتى يستطيع الفرد أن يتخصص فى ناحية واحدة ، والتخصص سبيل الاتقان والتبرز

ولقد نقدنا فى فلم شارلى شابلن « العصر الحديث » قيام صاحبه بجميع الأعمال الفنية ؛ وهانحن اليوم نعود فنكرر قولنا ، فنى رأينا أن زميلنا الأستاذ أحمد جلال يستحق اللوم الكثير لتقليده شارلى ، وجمعه بين مهمة تأليف الرواية وكتابة السيناريو وإدارة الفلم وإخراجه ثم تمثيله . ونحن إذا التمسنا الأعذار لشارلى لاعداده الفلم الواحد فى خمس سنوات ، فان الأمر على العكس من ذلك مع جلال الذى يرهقه العمل الصحفى الى جانب عمله السينمائى . ولو أنه وزع العمل واكتفى بمهمة واحدة أو اثنتين فربما تلافى الكثير من الأخطاء التى أفسدت الفلم ونزلت به الى مستوى لا نحبه ولا نرضاه لفلم مصرى

إن مخرجى الأفلام المصرية يستغلون النظارة من المصريين أسوأ استغلال بعرضهم مثل هذه الأفلام التى تنقصها العوامل الفنية التى تتوفر فى الأفلام الأمريكية والانجليزية . ولو أن هذه الأفلام تشبع عواطف المصريين ، وتصور ميولهم ونفسياتهم ، لما وجدنا مصرياً واحدا يقبل على هذه الألاعيب الصبيانية ، ولأحس يومئذ المخرجون أن القومية وحدها ليست كافية لأن تجتذب النظارة إلى دور السينما

وإذا كان الجمهور يقبل على هذه الأفلام ، فهو انما يقوم بواجبه حيال هذه الصناعة الجديدة ، وتشجيعاً لأهل الفن من أبناء بلاده ، وعسى أن يجد فيما تعرض ما يعبر عن عواطفه . على أن هذا الاستغلال سينكشف يوماً ، وسيعرف المصريون أنهم يسيئون إلى أنفسهم وإلى الفن ، إذ يقبلون على هذه الأفلام ؛ ويومئذ يدرك المخرجون مبلغ الهوة الساحقة التى حفروها بينهم وبين رواد السينما . ولا أظن هذا اليوم بات بعيدا

إن أول أساس لنجاح الفلم أن تكون القصة التى تعرض للنظارة صالحة للسينما ؛ ويشترط فيها الفن ، والصناعة ، وعلم النفس ، وغيرها من الشروط التى يجب أن تتوفر فى كل عمل فنى ، ولهذا فان الشركات الأجنبية تنتقى خيرة القصص العالمية وتقتبسها للسينما ، وتدفع من أجل ذلك ألوف الجنيهات ؛ أما فى مصر ، فان الشركات تستغنى عن المؤلف الأديب ، ولا تحفل كثيراً بموضوع القصة ، ولهذا فانك لا تجد بين أكثر الأفلام التى عرضت موضوعا سامياً ولا قصة رائعة ذات جمال وفن

ملخص قصة الفلم

سلمى ، امرأة مبتذلة ، يعود زوجها فجأة فيجدها مع عشيق لها فيطردها من بيته ؛ وتخرج لتعيش فى الأندية الليلية ، ويلتقى بها نجيب مفتش البوليس فيتزوجها وينجب منها طفلة

ويدخل شوكت يوما إلى مكتب نجيب فيراه يضع أوراقا مالية فى مكتبه ؛ ويدعو شوكت نجيباً لقضاء السهرة فى النادى ، وهناك يجد شوكت يخسر كل نقوده ويأخذ نجيب مكانه ، وينتهز شوكت الفرصة ويسرع الى بيت صديقه ليسرق الأوراق المالية . واذ هو فى محاولته يعود نجيب ويخاف شوكت أن يضبطه متلبساً بالجريمة فيسرع إلى مخدع الزوجة ، ويدخل نجيب فيظن أن زوجته تخونه ويصوب مسدسه الى شوكت ولكن هذا يفلح فى إسقاط المسدس من يده ! ؟ وتريد سلمى أن تنتقم من شوكت فتطلق عليه الرصاص ولكنها تصيب زوجها

ويحكم على الزوجة بالسجن ثلاث سنوات ، وفى هذه المدة

يتعرف شوكت الى إحدى فتيات الشوارع فيتخذها عشيقة له ، ويعدُّها لتكون شريكة له ووسيلته الى السرقة والاحتيال . وتخرج سلمى من السجن وتعمل خادمة عند هذه العشيقة فتعرف سرهما وتحبط تدبيراتهما . ويوفق شوكت الى اغتصاب آلاف الجنيهات من مكتب مدير إحدى الشركات (وكأن المدير لا يضع نقوده في المصارف !) ولكن سلمى ترشد البوليس الى السارق . ويجيء نجيب ليقبض على شوكت ، وإذ يحاول هذا الهرب مهددا نجيباً بالمسدس تطلق سلمى النار على شوكت

* * *

يرى القارىء أن الموضوع الذى عالجه الفلم تافه لا يحتاج الى كل هذا الحشو والتطويل والتعقيد والالتجاء الى الأمور غير المعقولة التى أغفلناها فى تلخيصنا لقصة الفلم ، وهذا مما يدل على جهل كاتب القصة بالحياة والخلق المصرى . فأين الرجل الذى لا يثور لمرأى عاشق زوجته فى بيته ؟ وأين الأندية الليلية التى يصحب فيها الرجال زوجاتهم ويلعبون الميسر مع الساقطات أمامهن ؟ ! وأين الرجل الذى لا تأخذه الريبة ولا الشكوك من وجود صديقه فى بيته أثناء غيبته ؟ ومدير الشركة الذى يولول ويكاد يتملكه الجنون لأن سيدة أغمى عليها فى مكتبه ، ثم هذه الطريقة المضحكة التى تتعرف بها عشيقة شوكت إلى تاجر الأقطان ومفتش البوليس الذى لا يعرف كيف يتقى شر المجرمين ولا يعرف كيف يستخدم مسدسه . . . هذه الأشياء تبين بجلاء جهل الكاتب بعلم النفس وبالحياة المصرية

وقد تكون الفكرة التى تقوم عليها القصة مما لا يصل اليه النقد ، كما صرح بعض الزملاء ، ولكن العلاج وما يحيط بالقصة من حواش وجو مليء بالأقذار والأدران مما لا ترتاح إليه النفس ،

أما تصوير الشخصيات فضعيف مضطرب ، وفى بعضها نزول عن المستوى الذى يليق أن يعرض على الجمهور ، والذى لا يتسق مع بقية الشخصيات ولا مع موضوع القصة ، مثل العشيق الأبله الذى يفتتح به أول مناظر الفلم ، أو مثل شخصية الخادم (البلدى) ومسلكه مع مخدوميه ، والفتاة السارقة عندما أخذها شوكت الى بيته لأول مرة ، وكذلك شخصية سلوى فيها كثير من الابهام الذى لا يرتاح اليه النظارة

والحوار لا بأس به ؛ غير أنه فى كثير من المواقف يشبه الحوار المسرحى ، كما أن هناك اسفافا فى الأحاديث بين شوكت وسلوى ، وبين الخادم البلدى ومخدومه ، وبين شوكت والفتاة السارقة . وقد يقول المؤلف إنه يحاول أن يرسم صورة واقعية ، ولكن الفن أسمى من هذا الواقع ، ثم إن الواقع فى حد ذاته لا قيمة له إلا إذا صقلته وأعدته يد مفتن ماهر

التمثيل والتصوير

والتمثيل ضعيف ، وكثير من المواقف انقلبت الى مواقف مسرحية ، ولو أن المدير الفنى كان همه الأول قيادة الممثلين لعاد ذلك بالخير على الفلم ؛ وإننى من رأى صديقى الأستاذ أحمد بدرخان فى أن للسيدة آسيا مواهب لو استغلت كما يجب لبرزت وعلا نجمها ، وهى جديرة بأن تسمى (ماى وست) مصر ، ولكنها مع الأسف لم تظهر فى فلم يلائمها ، ولم تعمل مع مدير فنى يستطيع أن يبرز مواهبها ، وإن ظهورها الدائم مع مارى كوينى ومع جلال مما يجعل التشابه كثيرا فى حركاتها وتمثيلها ؛ ونحن ننصح لها أن تبدل الشخصيات التى تعمل معها بين قصة وأخرى ، فللوجوه الجديدة أثر وأى أثر فى نفوس النظارة

أما تمثيل الآنسة مارى كوينى ، فماذا أقول ! إنها كانت تضحك فى أغلب أجزاء دورها ضحكا يتردد صداه ، حتى إننى لأذكر أنها كانت تضحك ضحكا متشابهاً يبعث السأم إلى النفس ، وتمثيل الرشيدى (نجيب) مسرحى أكثر منه سينمائياً ، أما جلال (شوكت) فكان يقوم بمغامراته كأنه لا يحفل بأحد وإذ هو يتسور حاجز الحديقة كأنه يقوم بلعبة فى وضح النهار لا يخشى رقيباً

كان المصور ينتقل فى بساطة لا أثر للفن فيها مما يدل على أن كاتب السيناريو والمدير الفنى لم يحافظا على الجو السينمائى . وكان يخرقان القواعد ، فهما يجهلان متى يجب أن يصور المنظر عن قرب أو عن بعد ، وكيف ينتقلان من منظر الى آخر . وعندى أن هذا أثر الحشو والتطويل . هذا وإنك لا تجد فى الفلم زوايا معبرة ، ولكن الضوء والصوت فى هذا الفلم جعلاه يفوق ما سبق أن قدمته الينا السيدة آسيا من أفلام

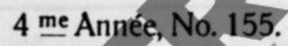
والشىء الوحيد الذى نذكره فى الفيلم هو أنه مع طوله الذى تستطيع بكل بساطة أن تحذف منه أكثر من الثلث دون أن تتأثر القصة لا تشعر أثناء عرضه بالملل والسأم اللذين كنت تحسهما أثناء عرض الأفلام السابقة لشركة (لوتس) ، وإن أحسست بثورة على المؤلف والمدير الفنى

يوسف

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٥ — ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة



4 me Année, No. 155. — Lundi - 22 - 6 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع المبدولي رقم ٣٢ عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

السنة الرابعة — « القاهرة في يوم الاثنين ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٥٥ — ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٦ » — العــدد ١٥٥

فهرس العـــدد

صفحة

١٠٠١ يا شباب العرب ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

١٠٠٣ إلى الأستاذ أحمد أمين : الأستاذ توفيق الحكيم .. ..

١٠٠٤ في النقد ... ... : الدكتور محمد حسين هيكل بك

١٠٠٥ ذات الثوب الأرجواني : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

١٠٠٧ تراثنا العربي القديم ... : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...

١٠١٠ من مسرات الحياة ... : الأستاذ عبد الرحمن شكري ...

١٠١٢ سعيد بن المسيب ... : الأستاذ ناجي الطنطاوي .. ...

١٠١٥ اشتغال العرب بالأدب المقارن : الأستاذ خليل هنداوي ...

١٠١٧ برسي شلي ... ... : خليل جمعة الطوال ... ...

١٠١٩ في الأدب الايطالي الحديث : محمد أمين حسونه ... ...

١٠٢١ الدكتور محمد إقبال ... : السيد أبو النصر الحسيني الهندي

١٠٢٤ الحول قد حال (قصيدة) : الأستاذ فخري أبو السعود ...

١٠٢٤ في قريتي « : الأستاذ أحمد الكاشف ...

١٠٢٥ أوبة الطيار « : الأستاذ أحمد رامي ... ...

١٠٢٦ قصة المفاتيح (قصة) : مكسيم جوركي .. ..

١٠٢٩ سبعة ضد طيبة (رواية) : الأستاذ دريني خشبة ... ...

١٠٣٣ سافو وليلى الأخيلية . سيف الدولة وميسيناس ... ...

١٠٣٤ أوسكار وايلد وبرنرد شو : (د . خ) ... ...

١٠٣٥ جلبرت تشسترتون ... : (ع) ... ...

١٠٣٥ جلبرت كنت تشسترتون أيضاً : (د . خ) ... ...

١٠٣٦ جريدة انكليزية لتأييد القضية الحبشية ... ...

١٠٣٦ مباراة أدبية عالية .. ..

١٠٣٧ موسم الشعر . جماعة البعث والتجديد ... ...

١٠٣٨ تدهور التعليم العالي في ألمانيا . جمعية هندية للمباحث الاسلامية

يا شبـــاب العرب!

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

يقولون إن في شباب العرب شيخوخةَ الهِمَم والعزائم؛ فالشبانُ يعتدُّون في حياة الأمم وهم ينكمشون

وإن اللهوَ قد خفَّ بهم حتى ثقلت عليهم حياةُ الجد، فأهملوا الممكنات فرجعت لهم كالمستحيلات

وإن الهزلَ قد هوَّن عليهم كلَّ صعبةٍ فاختصروها؛ فاذا هزأوا بالعدوّ في كلمة فكأنما هزموه في معركة...

وإن الشاب منهم يكون رجلاً تاماً، ورجولة جسمه تحتجُّ على طفولة أعماله

ويقولون إن الأمر العظيم عند شباب العرب ألا يحملوا أبدا تَبِعَةَ أمرٍ عظيم

***

ويزعمون أن هذا الشبابَ قد تمت الألفةُ بينه وبين أغلاطه، فحياتُه حياةُ هذه الأغلاط فيه

وأنه أبرعُ مقلِّد للغرب في الرذائل خاصة؛ وبهذا جعله الغربُ كالحيوان محصوراً في طعامه وشرابه ولذاته

ويزعمون أن الزجاجةَ من الخمر تعمل في هذا الشرق

المسكين عملَ جندى أجنبي فاتح ...

ويتواصَوْن بأن أوّل السياسة فى استعباد أمم الشرق ، أن يترك لهم الاستقلالُ التام فى حرية الرذيلة ...

ويقولون إنه لا بد فى الشرق من آلتين للتخريب : قوة أوربا ، ورذائل أوربا

***

يا شبابَ العرب ! مَن غيركم يكذّب ما يقولون ويزعمون على هــذا الشرق المسكين ؟

من غير الشباب يضع القوةَ بازاء هــذا الضعف الذى وصفوه لتكون جواباً عليه ؟

من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة ، تكون المادةُ الأولى فيها : قَـدَرْنا لأننا أردنا ؟

ألا إن المعركة بيننا وبين الاستعمار معركة نفسية ، إن لم يُقتل فيها الهزل قُتل فيها الواجب !

والحقائق التى بيننا وبين هذا الاستعمار إنمـا يكون فيكم أنتم بحثُها التحليلى ، تكْـذِبُ أو تَـصْدق

***

الشبابُ هو القوة ؛ فالشمسُ لا تملأُ النهارَ فى آخره كما تملؤه فى أوله

وفى الشباب نوعٌ من الحياة تظهر كلمةُ الموت عنده كأنها أختُ كلمة النوم

وللشباب طبيعةٌ أولُ إدراكها الثقةُ بالبقاء ، فأول صفاتها الاصرار على العزم

وفى الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها ؛ وبعد ذلك لا تصنع الأشجارُ كلها إلا خشبا ...

يا شباب العرب : اجعلوا رسالتكم : إما أن يحيا الشرق عزيزاً ، وإما أن تموتوا

***

أنقذوا فضائلنا من رذائل هذه المدنيــة الأوربية تُنقذوا استقلالنا بعد ذلك ، وتنقذوه بذلك

إن هذا الشرق حين يدعو اليه الغرب « يدعو لَمَـن ضَرُّه أقربُ من نفعه لَبِئْسَ المولى ولبئس العَشير »

لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه ، ولبئس العشيرُ إذا جاء برذائله وأطاعه

أيها الشرق ! إن الدينار الأجنبى فيه رصاصةٌ مخبوءة ، وحقوقُنا مقتولةٌ بهذه الدنانير

أيها الشرق ! لا يقول لك الأجنبى إلا ما قال الشيطان : « وما كان لى عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى »

***

يا شباب العرب ! لم يكن المسيرُ يعسر على أسلافكم الأولين ، كأن فى يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها

أتريدون معرفة السر ؟ السرُّ أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق ، فصاروا عملاً من أعمال الخالق

غلبوا على الدنيا لمـا غلبوا فى أنفسهم معنى الفقر ، ومعنى الخوف ، والمعنى الأرضى

وعلّمهم الدينُ كيف يعيشون باللذات السماوية التى وضعت فى كل قلب عظمتَـه وكبرياءَه

واخترعهم الايمانُ اختراعاً نفسيًّا علامتُـه المسجَّلة على كل منهم هذه الكلمة : لا يَذِل

***

حين يكون الفقر قلةَ المـال ، يفتقر أكثر الناس ، وتتخذل القوة الانسانية ، وتهلك المواهب

ولـكن حين يكون فقرَ العمل الطيب ، يستطيع كل انسان أن يغتنى ، وتنبعث القوة ، وتعمل كل موهبة

وحين يكون الخوف من نقص هذه الحياة وآلامها ، تفسَّر كلمة الخوف مائة رذيلة غير الخوف

ولـكن حين يكون من نقص الحياة الآخرة وعذابها ، تصبح الـكلمةُ قانونَ الفضائل أجمع

هكذا اخترع الدين انسانَـه الـكبير النفس الذى لا يقال فيه : انهزمت نفسُـه

***

يا شباب العرب ! كانت حكمةُ العرب التى يعملون عليها : أطلُب الموت تُوهب لك الحياة

والنفس إذا لم تخش الموت كانت غريزةُ الـكفاح أولَ غرائزها تَعْـمَـل

وللـكفاح غريزة تجعل الحياة كلها نصراً إذ لا تـكون

في النقد

إلى الأستاذ أحمد أمين

من الأستاذ توفيق الحكيم

يا صديقي العزيز ! حقيقة أذكر بعد قراءة فصلك الأخير في (الرسالة) أنك كنت عازماً على نقد كتابي (محمد)، فما الذي منعك ؟ وأذكر أيضاً أنك أفضيت إلى بخوفك من أن يسيء رجال الدين فهم مرادك فأضارّ أنا بذلك ؛ وهي عاطفة نبيلة حمدتها لك . على أني فيما أذكر أيضاً قد شجعتك على المضي في نقدك وهو في جملته لا يؤذيني . بل إني قد وافقتك عليه معجباً بفراستك مقدراً لبراعتك في الوقوع من فورك على المواطن التي يجوز فيها النقد والكلام . فأنت ترى أن المؤلف لم يغضب ، بل ابتسم واغتبط ليقظة الناقد . في الواقع أني لست أومن كثيراً بتلك الأسطورة التي تروي عن غضب المؤلفين . واسمح لي أن أتكلم بلسانهم فأقول إن هذا الغضب لا يجد سبيلاً الى نفس الكاتب إلا إذا شعر من ناقده بعزوف عن الحق والجد ، ونزوع الى الحط من القدر مبطن بسوء القصد . فالناقد الذي يحترم شخصي ويهدم عملي لا يغضبني . لأني أعلم أن الأديب لا يهدمه النقد . فهو كائن ممتاز لا يُهدم ، ولا يُقبض إلا باذنه ، ولا يقضى عليه إلا بارادته . إن الأديب لا يموت مقتولاً ، بل يموت منتحراً . ومع ذلك فاني لا أحب للمؤلفين أن يغضبوا على أي حال ، فان الغضب علامة الضعف الآدمي . ولا شيء في الوجود أقوى من الابتسامة . ولكن ، من ذا الذي أعطى القدرة على الابتسام الصافي الجميل في كل موقف وفي كل حين ؟ أهو الجبار وحده ؟ ألا ترى معي أن الجبروت إنما هو الصفاء ؟ (إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابسم للقدر إذا بطش بك ، ولا تبطش بأحد) تلك كلمة لعمر الخيام ، جعلتها في رأس كتابي (من الشرق) الذي لم أكتب منه في سنوات ثلاث أكثر من ثلاثة فصول . وانك لتعجب إذا قلت لك إن هذا البطء أو هذا العجز مرجعه علة واحدة قد انكشفت لبصيرتي آخر الأمر : عدم استكمال تلك الصفة العليا التي يرتديها بعض رهبان الفكر كما تُرتدى المسوح : الصفاء

إن كنت من رأيي في كل هذا فان لي عندك حاجة : أن تنشر معي تلك الابتسامة بين الأدباء ، فان الأدب شيء جميل ؛ هو جنة لا صخب فيها ؛ وهو معبد لا تدخله الأحقاد . إن أعجب ظاهرة في أدبنا أنه لا توجد فيه صداقات عظيمة جديرة أن يتحدث عنها تاريخ الأدب ؛ تلك الصداقات التي نراها في آداب الحضارات الكبرى قد أنتجت من الرسائل والأخبار والآثار ما لا يقوم بمال . ما الذي يعوزنا نحن ؟ أهو شيء في الخلق ؟ أم هو ضعف في النفس ؟ أم هو نقص في الثقافة ؟ لست أعلم . انما الذي أعلمه أن الصداقة الخالصة بين رجال الأدب والفكر هي أظهر دليل على نضوج هذا الأدب وهذا الفكر

وبعد ، فاني أرجو أن تقبل أطيب التحية من المخلص

توفيق الحكيم

الفكرةُ معها إلا فكرةً مقاتلة

عزيزة الكفاح يا شباب هي التي جمات الأسدَ لا يُسمَّنّ كما تسمَّن الشاة للذبح

وإذا انكسرت يوماً فالحجر الصَّلْدُ إذا تَرَضرَضتْ منه قطعة كانت دليلاً يكشف للعين أن جميعه حجر صلد

***

يا شباب العرب ! إن كلمة (حق) لا تحيا في السياسة إلا إذا وضع قائلُها حياتَه فيها

فالقوةَ القوةَ يا شباب ! القوة التي تقتل أول ما تقتل فكرةَ الترف والتخنث

القوة الفاضلة المتسامية التي تضع للأنصار في كلمة (نعم) معنى نعم

القوة الصارمة النفَّاذة التي تضع للأعداء في كلمة (لا) معنى لا

يا شباب العرب ! اجعلوا رسالتكم : إما أن يحيا الشرق عزيزاً ، وإما أن تموتوا ...

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

في النقد

للدكتور محمد حسين هيكل بك

عزيزي الأستاذ الزيات :

أثرت في أعداد « الرسالة » الأخيرة حواراً طريفاً حول « النقد » بمقالك الذي نشرته في عددها الذي صدر في ١٨ مايو الماضي ، والذي عقب عليه الأستاذان أحمد أمين وطه حسين . وإنني أغبطك كصحفي لما صادف موضوعاً أثرته من هذا النجاح . وأي نجاح أكبر من أن يدخل حلبة الحوار صديقان من كبار كتاب مصر وأدبائها ، فيقلبان من المواضيع في « النقد » ما كان وكد ، ويشيران إلى مواضع ضعف في كتابنا وأدبائنا ، شيوخاً وناشئين ، ويصفان علة ركود النقد مع يقظة الأدب ؛ ويدعوانني بذلك للاشتراك في حديث بعد العهد بيني وبينه ؛ وما كنت أظنني أعود من بعد اليه

ولم يكن انصرافي عن النقد عن ايثار للسلامة ، أو مداراة للجمهور ، أو اندفاع في تيار هذا الجمهور بعد أن كنت أريد جذبه إلى تياري . كلا ! وإنما كان انصرافي عن النقد وعن ألوان غيره من الكتابة أنني أيقنت أن فيما أنا بسبيله اليوم من مباحث في سيرة النبي العربي وفي عصره ما هو أجدى على القراء وعلى الغرض الذي أرجو للجماعة الانسانية أن تبلغه مما كنت بسبيله من قبل . ولست أريد الآن أن أصف كيف حدث هذا التطور في نفسي فذلك أمر يطول بيانه . وإنما ذكرت منه ما ذكرت لأبين به السبب الذي انصرفت من أجله عن النقد وما يتصل به . وما أحسب منصفاً إلا يرى أن ما يستنفده البحث في السيرة والاتصال بعصرها وبيئتها من وقت وجهد كافٍ ليشغل الباحث عن غيره من الأمور ؛ هذا ولو أنه كان منقطعاً لهذا البحث . ما بالك إذا شغل بالصحافة وبغير الصحافة من شؤون لا تدع له فرصة التنقل من قراءة إلى قراءة ، وتدبر كل ما يقرأ تدبراً يسمح له بنقده وتقديره نقداً عادلاً وتقديراً نزيهاً ؟

ولست أريد بهذا الذي قدمت أن أعتذر عن انصرافي عن النقد ورغبتي عنه . فأنا أري هـذا الانصراف طبيعياً في شأني وشأن كثيرين غيري ممن عنوا بالنقد وتوفروا عليه منذ عشرين أو خمس وعشرين سنة مضت ؛ أي في بدء حياتهم في الكتابة والأدب . وهو طبيعي إلى حد لا يجوز معه توجيه اللوم الينا . فأكثر الكتاب يبدأون حياتهم في الكتابة بالنقد ثم ينصرفون عنه . هذا شأنهم في أوربا اليوم . وذلك كان شأنهم في غير أوربا من قبل . وهذا شأنهم لأنهم يقرأون يومئذ وهم شبان ليستزيدوا من العلم ، وهم ينقدون ليمحصوا هذا العلم ، وهم يفتنون في النقد ليكونوا لأنفسهم ملكة التقدير . لعلهم لا يفعلون ذلك متعمدين . لكن ذلك هو الواقع في أمرهم ؛ فشأنهم في ذلك شأن الشجر ، وشأن كل كائن حي أول نشأته ، هو يمتص من الغذاء كل ما حصل عليه أو اتصل به ، وهو يصفي هـذا الغذاء ويتمثله لينمو بالبقية الصالحة منه للنمو ، وهو يفرز ما ينقده ولا يسيغه ؛ فاذا بلغ حد النمو قل ما يتناوله من الغذاء ، ودقق في اختيار هذا الغذاء القليل الذي يتناوله ، لأنه يكون في شغل عن النقد والتمحيص والافراز بالأثمار والانتاج ، وإن استنفد بأثماره وإنتاجه قوته حتى ينتهي من ذلك إلى استنفاد حياته

فالنقد الذي يبدأ به الناشئون من الكتاب والأدباء حياتهم هو هذا التمثل للغذاء الذي يتناولونه . وهم يعرضون هذا النقد على الجمهور ليسمعوا حكم الجمهور على نقدهم ، وليطمئنوا إلى أنهم أحسنوا التمثل . والجمهور يطرب لما يراه من آثارهم طربه لترعرع الناشئ وفتوة شبابه . فاذا انقضت هذه الفترة من الحياة مال الكاتب أو الأديب مع سجيته ، واختار الطريق الايجابي الذي يسلكه في انتاجه . وقد يتفق هذا الطريق وماضي حياته الأدبية ، وقد يكون اتجاهاً جديداً في هذه الحياة يحسبه بعضهم مناقضاً لها بينما هو أثر محتوم من آثارها ، لم يكن لصاحبه مفر من الاتجاه فيه ما دام سليم المنطق حسن التقدير

صحيح أن من الكتاب من يجعل النقد رسالته الأدبية طيلة حياته ، وقد تتصل سائر آثاره بالنقد ولو بمقدار . ولقد كان من هؤلاء في فرنسا عدد غير قليل أمثال سانت بيف وجول لمتر . لكن هؤلاء إنما جعلوا النقد رسالتهم في الأدب غير مكتفين بما يظهر من الكتب في عصرهم . وهم قد جعلوا النقد رسالتهم

[البقيـة على صفحة ١٠٣٩]

ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

— ٢ —

(ملاحظة — الـكلام ليس شخصياً وكل ما فيه متخيـل ولا حقيقة لذات الثوب الأرجوانى)

لم يكن العزم أن أكتب هذا الفصل ولـكن « الرسالة » — جزاها الله خيراً — أبت إلا أن تستزيدنى فوضعت الرقم (١) تحت عنوان الفصل السابق ، فصار لا بد أن أكتب الثانى — أو اللاحق — وإلا عدنى القراء مقصراً أو مغالطاً أو فاتراً ، وأنا أقصر فى الأغلب عن الغاية أو دونها ؛ وقد تغرينى طبيعة الحياة أو مطالب الدنيـا بالمغالطة ، ولـكنى والله لست بفاتر — والعياذ بالله ! — وإنى لحريص فى العادة على هدوء الظهر واتزان الأعصاب ، ولـكن فى جوفى ناراً «أحر نار الجحيم أبردها» كما يقول المتنبى رحمه الله — وكان فى عوننا — فقد كان يجيـد المبالغة . وما أظن بذات الثوب الأرجوانى إلا أنها تحس نارى هذه وتجد لفحها وإن كان بينى وبينها بعدان : بعد طريق وبعد منال . وإذا لم يكن هذا هكذا فسلها بالله لماذا تلبسه لى !... أليست تلبسه لأنها تعلم أنه حبيب إلى ؟ ... ومن أدراها وأنا لم أقله بلسانى ولم أفض إلى أحـد بسر قلبى ؟ . . . وما أحسب أحداً سيزعم أنها رأت فىّ مشابهةً من ثيران أسبانيا فهى تخايلنى لتهيجنى بهذا اللون ؟ !... ومما يدل على العمـد فى لبس هذا الثوب أنها تبدو ضاحكة مشرقة المحيا فى كل ما تكتسى خلافه ، فاذا ارتدت الأرجوانى قطبت وزوت ما بين عينيها وتـكلفت التجهم الشديد . وليس فى الثوب أو لونه أو تفصيـله أو حسن انسجامه على بدنها الرخص ما يدعو إلى الانقباض . وإن فى كثرة لبسها له لدليلاً على الرضى عنه ، ولو كانت تشعر بشىء من الضيق للبسه لمـا أكثرت من ارتدائه ، ولـكنها على عادة جنسها تفعل الشىء تبغى به رضى رجل معين ثم تذهب تغالط وتدعى غير ذلك . ومن هنا هذا العبوس التى لا تحسنه . وإنى لأعرف أنها قرأت بعض كتبى فقد رأيت معها « خيوط المنكبوت » — عرفته من غلافه وما عليه من الرسم ، ولـكنى أظنها لم تقرأ ديوانى لأنه قديم جداً ولأنه نفـد من زمن طويل ، ولو قرأته لوجدت فيه هذا البيت :

لا يحسن التعبيس أبلجُ واضح ضحك الجمال بوجهه وأضاءا

ولـكانت خليقة أن تـكف بعد ذلك عن عبوس لا تتقنه ؛ ولشد ما أتمنى أن أعود إلى النظم ولـكن هيهات ، فما تحركنى الحياة كما كانت تفعل ، ولو كان شىء يردنى الى الشعر لردنى هذا الثوب.. أأقول الثوب ؟ . يا للمغالطة ! . أتراني لو رأيت الثوب منشوراً فى الشرفة ولم تـكن هى فيه أكنت أحفله أو أباليه ؟ . كلام فارغ ! . ويحسن بى أن أدع الثوب وأن أكف عن ذكره فما أعرف له — بمجرده — قيمة . وإنها لجميلة فى الأبيض والأخضر والأزرق والبنفسجى والوردى ، وفى الطويل والقصير ، وفى الخفيف والـكثيف ، وفى المباذل والملاهل . ولـكنى أحب أن أجرب سلطانى عليها فأزعم أن الأرجوانى هو الثوب الأثير عنـدى . ثم إن صورة المرأة فى اللحظة التى تقع فيها من قلب الرجل هى التى تعلق بذهنه وتظل حاضرة ماثلة لا تبرحه ولا تنى تجور على غيرها من الصور ولو كانت أبرع وأفتن . وهذا فيما أعتقد — تعليل ما أراه من استبـداد هذا الثوب الأرجوانى بنفسى وخواطرى ، فلتلبس ما شاءت غيره ولتطمئن على حسنها فلن تـكون إلا جميلة ساحرة

وأحسب أن اتزانى المألوف قد خـدعها أول الأمر ، وأن ابتسامتى التى أرسمها على وجهى — بالألوان — هى التى حيرتها فما هكذا يكون المحب الولهان والعاشق المدنف فيما تصف الـكتب والروايات التى لا شك أنها قرأتها . وأين مظاهر الصبابة وآيات الوجد ودلائل الخبل الذى يورثه الحب ؟ أين الدموع الغزار التى لا تفتأ تفيض بها الجفون القريحة حتى يصبح المرء فى بركة من العبرات ؟؟ أين السهد الطويل الذى يترك الوجه مصفراً والجسم مطحوناً مهدوداً ؟؟ وأين الزفرات الحرى والشهقات العميقة التى تخرج من أخمص القدم ؟.. لا يا ستى . . لست من هذا الطراز وما أراك إلا مثـلى تحسنين أن تضبطى عواطفك كما يضبط المهندسون فيضان هذا النيل العظيم بالسدود والخزانات الضخمة ؛ ثم إن الحب جميل لا شىء فيـه يوجب الحزن والـكآبة ، وهو

يملأ النفس حياة لا موتاً ، وينضر الروح ولا يذبلها ، وهو سبب عمران هذا الكون فكيف تخرب من جرائه نفس انسان ؟ وهو مبعث الوحى ومصدر الالهام وسبب الانتاج على العموم ، فكيف يجيء بالانقباض والعقم ؟.. لا يا ستى . . أقول لك مرة أخرى اضحكى . . اضحكى واتركى هذا القطوب الذى لا يوائم الجمال والصحة

ولم أرقط كمشيتها فى المشى ... فيها دبة القوى الشاعر بقوته أو المعتز بها ؛ وقد تبد لى أحيانا كأنها تدب كما يدب الصبى حين يذهب عنك مغيظا محنقاً .. ولا داعى لغضبها أو حنقها ... وأين هذا الداعى وهى واقفة وحدها فى الشرفة تطل منها على الطريق ؟ لا بد أن يكون الداعى شيئاً فى رأسها أو نفسها هو الذى يحملها على هذه اللفتة السريعة العنيفة التى لا مسوغ لها مما حولها ، إذ كان لا شئ حولها إلا الهواء والا هالة هذا الحسن . . . وليتنى أستطيع أن أنفذ إلى موضع التفكير أو الاحساس فأطلع على هذا الباعث الخفى ! فليس أفتن ولا أسحر من حركات النفس فيما وراء الوعى . وأكبر الظن أنها هى لا تعرف ماذا يلفتها أحياناً على هذا النحو العنيف وإن كانت تحسب نفسها عارفة مدركة . ولو أنك قلت لها إن لفتتها هذه فيها عنف وسألتها عن علته لأنكرت ولكان الأرجح أن يسوءها منك ذلك

على أنى لا أحب أن يتوهم القارئ أن مشيتها عنيفة أو أن فيها ما يعاب — حاشا لله — وإن لها لخطرة تجعل أهون حركة لها رقصاً . ومن النساء من تمشى بثديها كأنما تدفعهما أمامها . ومنهن التى تتخلع وتتموج وتتقصع — تكلفاً أو طباعا — كأنما لا يمسكها شيء ، أو التى تطول وتقصر فى مشيتها والتى ، تلوح بذراعيها فتزيدها طولاً — إلى آخر ذلك إن كان له آخر — ولكن ذات الثوب الارجوانى حين تبرز لى فى الشرفة صباحا — على سبيل التحية — وهى لا تزال فى منامتها ، تنساب كالماء الرقراق ، فليس خطوها خطواً وإنما هو تموج . وإنى لأراها ماشية من هذا البعد فأذكر بيتاً لابن الرومى هو قوله فى وصف صانع الرقاق :

ما بين رؤيتها فى كفه كرة   وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة   فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر

ولا رقاق هناك ولا حجر ولا ماء تنداح فيه الدوائر ، ولست أذكر البيت لأن هذا وقت الصباح أى وقت الشعور بالجوع ، وإنما أذكره لأنى أحس — بعينى وبقلبى معاً — أن حركة المشى تبعث فى جسمها اللين اضطرابا خفيفا كاضطراب الماء حين يصافحه النسيم الوانى ؛ ويخيل إلى أن جسمها كله — حين تخطو — تتعاقب على بشرته الرقيقة موجات فى إثر موجات تطير العقل وتزدهف اللب . ولا أدرى أهذا خيال أم هو الحقيقة ، ولكن الذى أدريه أنه بعض ما للمرأة من سحر . فقد ترى رجلا قده أعدل من قد المرأة ولكن مشيته لا يكون فيها هذا التموج ، ولا يمكن أن تحدث الحركة فى جسمه — أو جلده — مثل هذا الاختلاج الخفيف الذى هو بعض سحر المرأة . واللين من خصائص الأنوثة — والنعومة والرقة والطراوة أيضاً — وليس أقبح ولا أبعث على النفور من المرأة المسترجلة كما ليس أقبح ولا أدعى الى الزراية من رجل تغلب عليه صفات الأنوثة ، وتخطىء فيه مظاهر الرجولة ومعانيها

وفتاتى تنهض مثلى فى البكرة المطلولة — أو أنا هكذا أتخيلها — خفيفة غير متثاقلة — فانها شيء صغير دقيق يخيل إلى أن فى وسعى أن أطويها وآكلها بعظامها — وتدفع باب الشرفة فأنتبه على الصوت — وتقف حاسرة الرأس متهدلة الشعر — وهل يغطى مثل هذا الشعر الذهبى ؟ — عارية الذراعين ، ثم تتهادى الى الحافة وتطوى ذراعيها عليها وتدير عينيها فى مجالى الحياة التى طلع عليها يوم جديد . فتبارك الله خالق هذا الوجه الصابح ومرقرق كل هذه الغضارة والنضارة فيه ! . وما أكثر ما وقعت على عينى عينيها وأنا أحدق فيها من حيث أحسبها لا ترانى ! ولشد ما أشعر ، حين يحدث ذلك ، بفتنة هذا اللحظ ، وما أصبحت على وجهها مرة إلا أحسست أن من حقى أن أستقبل يومى بصدر منشرح وقلب مستبشر مطمئن ، وما رأيتها إلا كان ظهورها إيذاناً لى بالاضطرام والفورة ، فيكون حسبى بعد ذلك أن أعالج نفسى حتى أردها إلى السكون وأفىء بها إلى الهدوء ؛ وليس هيناً أن ترغم اليد المرتعشة على الثبات ، والأعصابَ المضطربةَ على الاتزان ، والعين المحملقة الزائغة على الفتور المألوف ، والقلب الذى يعلو ويهبط كأنه لعبة « اليويو » على العود إلى انتظام الدق واعتدال الخفق ؛ والساقين

المتخاذلتين على الصلابة والتماسك ، والنارَ التى تندلع فى الأحشاء على الجمود . . . كلا ليس هـذا بالهين . . ولـكنى رضت نفسى على القدرة عليه ، فلأرادتى الحكم لا لشعورى وعواطفى ؛ وعسير جداً أن يبدو على وجهى شىء مما يضطرب به جنانى ويجيش به صدرى ؛ وإن جوفى ليكون كالبركان الفائر أو البحر الهائج ، وتنظر إلى وجهى وتسمع كلامى وتتأمل حركاتى وإشاراتى فلا يخالجك شك فى أنى أفرغ الناس قلباً وأخلاهم بالاً ، ولم لا ؟...

إن ما يدور فى نفسى شىء يعنينى وحـدى وليس من حق غيرى أن يحيط به ويطلع عليه فانه سرى ؛ ولا من الرجولة أن أعرضه على الناس كأنى ألتمس العون أو العطف منهم . وماذا يبقى لى مما يسعنى أن أقول إنه « لى وحـدى » إذا كنت أبيح الناس ما فى صدرى وأشركهم فى أمرى ؟.. ولست أستثقل أو أستسخف شيئاً كقول الشاعر — وأظنه أبا فراس —

فيا حسرتا ! من لى بخل موافق أقول بشجوى مرة ويقول

فان هذا ضعف وحماقة . والقول بالشجو يفضح ولا يجدى ؛ وإذا كان فى البث ترفيه ، فان الانتصار على النفس أجل وأكرم وأكبر متعة أيضاً ؛ والبث ثرثرة تليق بالمرأة ولا تليق بالرجل . وماذا ينفعك أن يعرف صاحبك أنك تحب أو تـكره ، أو أنك غاضب ساخط أو راض مغتبط ؟ . . . ماذا يستطيع أن يصنع لك ؟ . لا شىء ! . وأجـدى من ذلك عليك أن تعالج أنت نفسك وأن تردها على مكروهها — إذا احتاج الأمر — وأن تحتفظ باعتدال المزاج وهدوء التفكير واستقامة النظر ودقة الوزن وحسن التقدير . ومن كان لا يملك نفسه فأحر به ألا يملك غيره . والحب حرب بينك وبين المرأة ، فاحرص على أن يبقى زمامك فى يدك وإلا ركبتْ منـك جواداً مسرجا ملجماً تركضُه حيث تشاء هى وحدها . وليس أطغى من المرأة إذا صار فى يدها زمام الرجل

ابراهيم عبد القادر المازنى

تراثنا العربى القـــديم

ما يجب لتنظيم إحيائه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان تراث العربية حتى أوائل القرن المـاضى لا يزال مغموراً محجوباً فى ظلمات المكتبات والمجموعات الخاصة ؛ وكانت المطابع قد ظهرت فى أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر ، وطبعت فى رومه بعد ذلك بنحو قرن بعض الـكتب والوثائق العربية ، منها : مختصر كتاب « نزهة المشـتاق » للشريف الأدريسى (سنة ١٥٩٨) ؛ وفى القرن السابع عشر طبعت فى مدينة ليدن التى ما زالت منذ أربعة قرون مركزاً هاماً لنشر الآثار العربية ، عدة مراجع عربية تاريخية ، منها : « تاريخ المسلمين » لابن العميد (المكين) (سنة ١٦٢٥) ، وكتاب « عجائب القدور فى أخبار تيمور » ، لابن عربشاه (سنة ١٦٣٦) ، وكتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبرى (سنة ١٦٦٣) ، وظهرت هذه الـكتب بالعربية لأول مرة مقرونة بتراجم لاتينية كانت منذ ظهورها مستقى خصباً لمؤرخى الغرب

ولم يظهر فى أوربا حتى أوائل القرن التاسع عشر من الـكتب العربية سوى طائفة قليلة من الـكتب قد لا تعدو عشرات ؛ وإلى أواخر القرن الثامن عشر لم تـكن مصر قد عرفت المطبعة العربية ؛ وقد عرفتها لأول مرة فى سنة ١٧٩٨ ، حينما وفد نابليون على رأس حملته الفرنسية ، وحمل معه مطبعة عربية كاملة استعملت بالقاهرة لطبع البيانات والأوامر التى كانت تصدرها القيادة العليا ويصدرها الديوان الفرنسى لأهل مصر ؛ وكان فى مقدمة الـكتب التى أصدرتها هذه المطبعة كتاب عن محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر يضم خلاصة التحقيقات والاجراءات بالعربيـة والتركية والفرنسية ، وذلك سنة ١٨٠٠

ولـما بدأ محمد على فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى لم تفته هـذه الناحية الهامة من تعضيـد الحركة الفكرية والثقافية ، فأنشأ فى سنة ١٨٢١ مطبعة بولاق الأميرية ، وعنى باعدادها وتجهيزها عناية عظيمة ، فـكانت أول وأعظم صرح للطباعة العربيـة

فى الشرق ؛ ولم تقتصر مطبعة بولاق على إخراج الجريدة الرسمية (الوقائع) التى أنشئت بعد ذلك ببضعة أعوام ، وإخراج الوثائق والمنشورات الرسمية ، بل أعدت منذ إنشائها لاخراج الكتب العربية ، فطبعت فيها لأول عهدها عدة من الكتب التى ترجمها بعض أعضاء البعثات العلمية فى مختلف العلوم والفنون التى درسوها ، فكانت باكورة أعمالها فى نشر الكتب العربية

على أن مطبعة بولاق لم تقف عند هذا الحد المتواضع فى إخراج الكتب العربية ؛ وكانت المطابع العربية الأوربية ، ولا سيما فى ليدن وباريس ، قد نشطت منذ أوائل القرن التاسع عشر لاخراج طائفة كبيرة من الآثار العربية النفيسة على يد جماعة من أعلام المستشرقين ، فاتجهت الأنظار فى مصر إلى العناية بهذه المهمة ؛ ونشطت مطبعة بولاق إلى إحياء التراث الاسلامى بهمة فائقة ؛ وعكفت طوال القرن التاسع عشر على نشر الموسوعات والآثار العربية الجليلة ، وأسدت فى ذلك أعظم الخدمات للآداب العربية والثقافة الاسلامية ؛ ونظرة واحدة إلى ثبت الآثار الحافلة التى أصدرتها مطبعة بولاق تدل على فداحة المهمة التى اضطلعت بها ، وإلى مدى التوفيق الباهر الذى حققته فى إنجازها

* * *

وإلى جانب مطبعة بولاق ، قامت مطابع أهلية كثيرة ، ونشطت أيضاً إلى إخراج الكتب العربية ؛ وقد كان ميداناً جديداً يغرى بالكسب ، فأقبل الكثيرون على استثماره ؛ وأخرجت هذه المطابع الأهلية ، إلى جانب بولاق ، مئات من الكتب والآثار العربية الضخمة فى كل أنواع العلوم والفنون ، وأعادت طبع كثير مما نشرته بولاق فى طبعات رخيصة يسهل اقتناؤها ، وساهمت بذلك مساهمة قيمة فى إحيـــاء الآداب العربية ونشرها

وهذا ما نريد أن نعرض اليه فى هذا المقال ؛ فقد انقطعت مطبعة بولاق منذ أوائل هذا القرن عن نشر الآثار العربية القديمة ، وحلت محلها فى ذلك دار الكتب المصرية ؛ ولكن دار الكتب تقوم فى هذا السبيل بمجهود بطىء جداً ، أما المطابع ودور النشر الأهلية فما زالت على نشاطها القديم فى إخراج الموسوعات والآثار العربية ، ومنها كثير لم ينشر من قبل ؛ ومن المحقق أنها ما زالت تؤدى بذلك خدمات قيمة لأحياء الآداب العربية

ولكن هذا النشاط إذا كان يحمد من بعض الوجوه ، فانه يثير اليوم كثيراً من وجوه الاعتراض والمؤاخذة ، وإذا كان قد ترك فى الماضى حراً طليقاً من كل قيد ، فان الظروف تقضى اليوم بضبطه وتنظيمه وتوجيهه بطريقة تحقق الغاية منه

بدأ هذا النشاط فى أواخر القرن الماضى ، والحركة الأدبية والثقافية فى مستهل نهضتها ، فكان هذا النشاط فى بعث الكتب العربية وإحيائها بالنشر والتداول من عوامل تعضيدها وتغذيتها ، ولم يكن من المستحسن يومئذ أن يعرض هذا النشاط لشىء من القيود التى يمكن أن تؤثر فى سيره ونمائه ، وذلك رغم ما كان يعتوره من أوجه النقص سواء فى اختيار الكتب التى يراد نشرها ، أو فى الصور المزرية التى كانت تنشر بها : ورق أصفر ردىء ، وطباعة حقيرة ، وأخطاء علمية ومطبعية لا حصر لها

أما الآن فقد تغيرت الظروف تغيراً واضحاً ، وازدهرت الحركة الفكرية ازدهاراً عظيما ، وظفرت مصر بطائفة كبيرة من المعاهد والمنشآت العلمية الراقية ، وغصت بالشباب المتعلم ، وأضحى مما لا يلائم ذوق العصر وأحواله ، بل مما يضر بسير الحركة الفكرية ذاتها ، أن يترك أمر نشر تراثنا العربى القديم فوضى دون ضابط ودون اشراف

فهنالك موسوعات وآثار قيمة سبق نشرها فى طبعات جيدة وأضحت نادرة لقدم عهدها ، وهنالك بدار الكتب المصرية مئات الآثار المخطوطة التى لم تنشر من قبل ؛ وهذه جميعاً يقوم على نسخها ونشرها جماعة من الناشرين المحترفين العاطلين من كل مؤهلات علمية أو أدبية ، والذين لا هم لهم سوى الكسب الوفير ، فيخرجونها فى نفس الأثواب والصور المزرية التى ألفناها منذ القرن الماضى ، ويتقاضون فيها أثماناً فاحشة لا مبرر لها ، منتهزين فرصة ندرتها إن كانت مما نشر ، أو ظهورها لأول مرة إن كانت مما لم ينشر من قبل

وقد اتسع نطاق هذه الحركة فى العهد الأخير اتساعاً واضحاً ؛ وألفى الناشرون المحترفون فيها سوقا رابحة ؛ فكثر تهجمهم على الآثار النفيسة مخطوطة وغير مخطوطة ؛ وأخذوا ينشرونها فى استهتار وجرأة ، ممسوخة مشوهة ، مشحونة بالأخطاء الشائنة

لا يتكلفون فى إخراجها سوى الطباعة الرديئة ؛ ثم يبيعونها بأثمان فاحشة ، كأنهم هم الذين ألفوها وأجهدوا أنفسهم فى وضعها وكتابتها .

ولا يخفى ما لهذا النشر المشوه لآثارنا القديمة من نتائج سيئة ، فهو خلو من كل ضمانة أو غاية علمية أو أدبية ، ولا تحدوه سوى روح الكسب المجرد ؛ ومن ثم كانت الصور المثيرة المزرية التى تصدر بها أجل آثارنا الأدبية ، والتى كثيرا ما تصد الشباب المتعلم عن تناولها ؛ وهو من جهة أخرى عامل كبير فى إحجام علمائنا وأدبائنا عن المساهمة فى هذا المجهود مع رغبة الكثيرين منهم فى القيام على نشر بعض الآثار القديمة التى توفروا على دراستها وتحقيقها ؛ ذلك لأن جهودهم العلمية الغالية ، وحرصهم على نشر هذه الآثار فى أثواب مقبولة لائقة ، وما ينفقونه فى هذا السبيل من الجهد والمال ؛ كل ذلك يقعد بهم عن مجاراة هذا النشاط التجارى المحض ، العارى عن كل درس وتحقيق

ونحن نعرف ما يتكبده العلماء المستشرقون من الجهود الفادحة فى إخراج آثارنا القديمة ، والتوفر على دراستها وتحقيقها والتعليق عليها بدقة تثير الاعجاب ، واخراجها دائما فى أثواب أنيقة محترمة

ولهذا كله نرى أن الوقت قد حان لتعنى السلطات المختصة بالعمل على مراقبة حركة إحياء الآثار العربية القديمة ، وتوجيهها وتنظيمها تنظيما يتفق مع ما لتراثنا القديم من كرامة علمية ، ويلائم فى نفس الوقت حاجات العصر وذوقه وروحه . ويلوح لنا أن دار الكتب المصرية ، وهى وريثة بولاق فى الاضطلاع باحياء الآداب العربية ، هى أول سلطة أدبية يمكن أن تضطلع بمثل هذا الاشراف العلمى . ذلك أنها هى مستودع تلك الآثار الجليلة المخطوطة التى ترنو اليها أنظار الناشرين المحترفين من كل صوب ، فيقبلون عليها بالنسخ المحرف ، والنشر المشوه ، لا يتكلفون فى ذلك شيئا ، ولا يصدهم قيد أو إشراف ؛ وقد تكون هذه الآثار مما حصلت عليه دار الكتب من الخارج بالتصوير ، وأنفقت فى سبيله كثيرا من الجهد والمال

ونحن لا نطلب أن تقوم دار الكتب بمنع النسخ والنشر ؛ ولكننا نطلب اليها فقط أن تقوم بالاشراف عليها إشرافا فعلياً ، وأن تضع لذلك نظاماً يكفل تحققها من وجود بعض الضمانات العلمية والمالية فى الناشرين أنفسهم ، فاذا لم تتوفر الضمانات العلمية – وهى غالبا غير متوفرة – اشترط أن يقوم بالاشراف على النشر شخص تتوفر فيه مثل هذه الضمانات . ويجب أن تمتد هذه الرقابة حتى صدور الكتاب ، وأن يراعى صدوره فى ثوب لائق ، وأن يحدد ثمنه بعد صدوره بنسبة معقولة من تكاليفه ؛ ويصح أن تتولى دار الكتب الاشراف العلمى على الكتاب ذاته لقاء أجر معين ، ويصح لها أن ترفض التصريح بالنسخ والنشر إذا لم تتوفر مثل هذه الضمانات ؛ ويجب على أى حال أن يشمل هذا الاشراف كل أثر مخطوط ينشر فى مصر ، سواء استنسخ من دار الكتب ذاتها ، أو من أى مكتبة أخرى عامة أو خاصة ، فى الداخل أو الخارج ، لأن الغرض هو الاشراف العلمى على حركة إحياء الآداب العربية فى مصر ، ويجب أن يكون هذا الاشراف كاملاً شاملاً

ويمكن من جهة أخرى أن تتعاون المعاهد العلمية مع دار الكتب فى هذه المهمة ، فتشترك الجامعة المصرية والأزهر فى تنظيم هذا الاشراف

هذا ولا بأس أن تفرض الحكومة ضريبة معينة على نسخ الكتب المخطوطة التى لم تنشر من قبل ، وعلى نشرها إذا كان النشر لغاية تجارية ؛ وتقدر هذه الضريبة بحسب حجم الكتاب أو أهميته ؛ ويعفى العلماء من أدائها فى جميع الأحوال ؛ ويرصد دخلها لتوسيع حركة احياء الآداب العربية التى تقوم بها دار الكتب

إن الحق فى نشر آثارنا القديمة ملك للدولة ، وهى الأمينة عليها ؛ وإذا كان مما يرغب فيه دائما أن يشجع الاقدام على نشر هذه الآثار ، فان مما يرغب فيه أيضاً ألا يكون هذا النشر بضاعة مبتذلة يستثمرها الجهلاء لغايات تجارية محضة ، وألا يحاط بكل الضمانات المعقولة التى تكفل تحقيقه على الوجه اللائق المرضى

هذه ملاحظات واعتبارات حان الوقت لبحثها ، وقد أصبح من واجب السلطات المختصة أن تنشط لحماية تراثنا الأدبى من تلك الفوضى المثيرة ، وأن تعمل لصونه من ذلك الابتذال الشائن ، وأن تقوم أخيراً على تنظيم نشره ، وتوجيهه بطرق موقرة مستنيرة

محمد عبد الله عنان

من مسرات الحياة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال ابن خفاجة الأندلسى الشاعر :

وشأن مثلى أن يُرَى خالياً بنفسه يبحث عن نفسه

وكنت كلما قرأت هذا البيت أعجب كيف لم ينظم قائله شعراً كثيراً فى بحث ميول النفس وأحاسيسها وتعليلها وتحليلها ، وقد ذكر فى بيته هذا أن من شأنه أن يخلو بنفسه يبحث عن نفسه . ومن كان هذا شأنه فَحْص النفس الانسانية على اختلاف تربها ، وهذا عمل العمر وأكثر من العمر ؛ وهو أيضاً لذة متجددة ، وإن أدى البحث إلى ما يؤدى اليه بحث قاع الجب أو قاع البحر وما فيه من در ولؤلؤ ومرجان وغابات بحرية وأعشاب وأحياء تقتتل ويفنى بعضها فى بعض ووحوش بحرية غريبة مجهولة ، وجيف ورمم ، وكنوز ثمينة فى بقايا السفن الغائرة ؛ فهكذا قاع النفس أيضاً لدى من يسبر غورها ويغوص فى أعماقها . وسطح النفس أيضاً مثل سطح البحر ، لج وخرير ، وشمس تتلألأ أشعتها ، ونسيم عليل ، ومنظر بهيج هادئ ، أو عواصف وأعاصير ، ومرأى رائع جليل . وإذا كانت بعض مظاهر النفس تبعث الرهبة ، فان بعض بواطنها أدعى إلى الرهبة ، ولكن من الرهبة ما يستصحب المسرة ، كالرهبة التى يحسها المرء وهو يستطلع الأمر الغريب الرائع المخوف المجهول ؛ ومن أجل ما تستصحب من المسرة نشأ حب الاستطلاع لما يستدعى المخاطرة من مستطلعه

ولعل ابن خفاجة فى بحثه النفس كان ينظر اليها نظرة المستريح فى ظل الشجرة يفكر فيما حوله وكأنه لا يفكر ، فان فى مثل حالة هذا المستريح تفكيرا كلا تفكير ، وبحثاً كلا بحث ، فهو تفكير يقنع فيه المرفه نفسه بالنظر إلى المرئيات وألوانها وأجزائها من غير أن يعنى نفسه بالبحث عن سرها خشية أن تضيع لذة الراحة والدعة ؛ فشأنه شأن المسحور لاحراك له ، وفكره أيضاً لا حراك له ، ويخيل اليه فى مثل هذه الحال كأن الدهر قد أوقف دورته واستراح ، وكأنما يخشى أن يفك عنه الحراك سحر التأمل ولذته المطلقة التى لا تتقيد بتقصى الأسرار والمسببات ، ولا هى مثل لذة المُخَاطر الذى يرى فى مشقة استطلاع الغريب المخوف مسرة كما أوضحنا

على أن من الميسور أن ندرك ابن خفاجة فى حالة أخرى من حالات بحث النفس ، وهى الحالة التى يغوص المفكر على العويص الغائر من أسرارها ، ويحس لذة فى غوصه تملأ جوانب نفسه حتى تشغله عن لذة التعبير عما يراه فى بحثه تعبيرا فنياً ، فانى لا أحسب ابن خفاجة رأى أن تتبع حركات النفس وخطراتها وأحاسيسها فى شعره غير لائق بشعره إذ أى شئ ألصق بالقريض من النفس وأحوالها وميولها وخطراتها ، فالشعر هو لغة النفس وموسيقاها ، ومقر كنوزها وحكمتها وأسرارها

ولكن للبحث فى النفس مسرات مختلفة ، قد تفترق وقد يتصل بعضها وينال فى وقت واحد ، فمسرة فيما يجلبه التعبير الفنى عن أحاسيس النفس من ارتياح الفنان الصانع فى صنعه ، ومسرة أخرى فيما تجلبه مشاهدة أطوار النفس والتأمل فى أحوالها من الارتياح كارتياح مشاهد القصة التمثيلية فى تتبع روعة فن القصة كما يبرزه الممثل

وهذا الارتياح غير ارتياح المسحور المأخوذ بما يراه من المنظر الطبيعى أو الصورة الفنية النادرة ، وارتياح المسحور هذا هو أيضاً مسرة أخرى فى التأمل فى النفس البشرية

ولكل مسرة من هذه المسرات الثلاث قيمة فى الحياة ، وكل منها تعين المرء على تحمل متاعب الحياة وآلامها ، بل إنها لتعين اليائس بما فيها من لذة فن البحث والتقصى على تحمل ما يحس من بأس من النفس البشرية إذا لم يستطع غير اليأس منها . وكل إنسان له نصيب من هذه المسرات الثلاث ، فكل فنان ، وكل إنسان يعبر عما يراه فى أعماق النفس تعبيراً فنياً ، إما فى ثنايا ما يسلى به نفسه فى خلوته من الأغانى والأناشيد ، وإما فيما يفوه به من الأمثال العامية أو غير العامية ، وإما فى آهاته وأناته وأمانيه ، وإما فى ثنايا قصصه ونكاته وفكاهاته ، وفى مجالسه ومباذله ، وفيما يقول فى سخطه وحزنه وسروره ، أو فى نثره وشعره إن كان ناثراً أو شاعراً ، أو فى أدوات الفنون الأخرى من نحت أو تصوير أو موسيقى

وكما أن كل إنسان ينال نصيباً من لذة الفنان المعبر عن النفس تعبيراً فنياً ، فكل إنسان ينال أيضاً نصيباً من مسرة المشاهد

لقصة الحياة والنفس التي تمثل أمامه، وكل نفس تحاول أن تحول كل ما يمر بها من الحوادث الى قصة وفن وإن لم يفطن أكثر الناس الى هذه المحاولة في أنفسهم، وكلما اضطر الانسان الى الخروج عن نشوة المتأمل الشاهد لفن قصة الحياة والنزول الى ميدان الألم الممض والأحزان، أدى واجبه من ألم الحياة وأحزانها مما لا مفر منه، ورجع بأسرع ما يستطيع الى موقف المعبر عن الحياة والنفس، أو الى موقف الشاهد لقصتها، حتى إنه ليحول أو يحاول أن يحول آلامه وأحزانه الى قصة وفن وإن لم يشعر بتلك المحاولة من نفسه، لأنها في كثير من الأحوال محاولة طبيعية لا تعمد فيها ولا تصنع، وإن كانت أحياناً تستلزم عملاً ظاهراً يلفت المرء الى مجراها من نفسه كما يكون شأنها عند الفنانين

وإذا لم يستطع المرء أن يسرع في التنقل من موقف المؤدي واجبه المفروض من آلام الحياة وأحزانها الى مواقفه الأخرى التي ذكرت حاول أن يجمع بين الأمرين في وقت واحد بأن يقف من آلامه التي يعانيها موقف الممثل من آلام الشخص الذي يمثله في القصة، فيجمع الانسان وقتئذ في نفسه نفسين، كما يجمع الممثل بين نفسه ونفس من يمثل، سواء أكان هامليت أو الملك لير أو عطيل الخ

وترى المرء وهو في هذه الحال وفي دموع حزنه معنى آخر مع ما فيها من معنى الحزن والألم

وإذا لم تستطع النفس أن تقف موقف الممثل من آلامها وشجونها التجأت الى موقف المسحور المأخوذ بصور الحياة ومناظر النفس سواء أكانت بهجة أو غير بهجة، وقل إنها تسحر بها في بعض الحالات كما تسحر بمناظر الجلال والروعة من مناظر الطبيعة الهائلة. وهذا أيضاً تحول من النفس والتجاء طبيعي لا تعمد فيه فهو قلما يحس، وكلما كان نصيب المرء أوفر من ملكات التحول والالتجاء، أو قل الهرب والنجاة من حوادث الحياة، كانت سيطرته على آلام الحياة أعظم، لأن هذا التحول إنما هو وسيلة من وسائل مكافحة آلام الحياة لا يحتاج المرء اليها إلا بعد الوسائل الأخرى

ومن المشاهد أن النفوس عند وقوفها موقف الممثل من آلامها وحوادث أيامها تختلف في منحاها، فنفوس يكون موقفها أشبه بموقف ممثل الجد، ونفوس موقفها أشبه بموقف ممثل الهزل، والأولى قلما يفطن الناس إلى موقفها التمثيلي، والثانية قد يفطن الناس إلى موقفها التمثيلي لبعد ما بين حقيقة حالها وهزلها. ولعل فطنة الناس إلى موقفها التمثيلي تكون في الحالتين بمقدار قلة اتقانها لدورها أكثر مما يكون لميل موقفها الى الجد أو الهزل؛ والمرء في هذا الموقف النفساني التمثيلي هو باحث متفهم لدوره دارس له كما يتفهم الممثل دوره ويدرسه حتى ولو كان ممن يجيدون التمثيل بالسليقة من غير طول عناء في التفهم والدرس؛ ومسرته إذن متصلة بمسرات البحث في النفس والحياة

ولعل قائلاً يقول إن بحث النفس بحث معاد مملول يجلب السأم، وإن النفس كالتاريخ الذي يعيد نفسه؛ لكن النفس إذا أعادت تاريخاً من تواريخها لم تعده بالنص، وقد يأتي التاريخ مع الأسباب والمسببات القديمة بحوادث جديدة تستدعي التأمل وربط المسببات بالأسباب، وهذا ليس بالأمر الهين ولا هو بالأمر المعاد المملول، ثم إن تحت ما هو معاد مملول من أطوار النفس وأسبابها أسباباً أخرى لا يصل إليها التقصي، وأعماقاً يعجز الغائص عن سبر غورها وفيها مجال واسع لحب الاستطلاع الغريب حتى يأتي الموت فيسدل ستاره على لعب الحياة المقدس إلا إذا مل المرء البحث من اليأس والعجز عن بلوغ غور النفس لا من العرفان

والانسان في رحلة الحياة كالمسافر الجواب للأقطار؛ وترى بين ذوي الأسفار من يتعجب من كل أمر، ومن يضحك من كل شيء؛ ومنهم من يتأفف من كل أمر، ومن يسخر من كل شيء؛ ومنهم من يتحمل أشد مشقة من شغفه باستطلاع الغريب أثناء أسفاره. والناس أيضاً في رحلة الحياة الدنيا يختلفون في أهوائهم؛ ومنهم من يتحمل أيضاً أشد مشقة وأمض ألم من شغفه باستطلاع الغريب مما تأتي به الأيام والليالي أو ما يراه في بحث النفوس البشرية. ومن ذوي الأسفار في أقطار الأرض من يحكم على قوم بحالة واحدة رآها في أحدهم، شأنه شأن الانسان في رحلة الحياة الدنيا يحكم على النفوس بحالة واحدة يحولها إلى قاعدة ونظرية عامة. وذوو الأسفار في الأقطار كالانسان في رحلة الحياة قد يتعجب ويستغرب الطبيعي المألوف من عادات الناس أو أحوال نفوسهم وأخلاقهم لأن الانسان ذو خيال يتوقع به أن يرى الناس على ما يود من أخلاقهم وعاداتهم وعلى ما يسره ويرضيه وينفعه منها،

أعلام الإسلام

سعيد بن المسيب

بقلم السيد ناجى الطنطاوى

اسمه ونسبه ومولده

هو أبو محمد ، سعيد بن المسيّب بن حزْن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب القرشىّ المخزومىّ التابعىّ المدنىّ

وأبوه المسيّب وجده حزْن صحابيان أسلما يوم فتح مكة . والمسيّب بفتح الياء وكسرها ، والفتح هو المشهور ، ومذهب أهل المدينة الكسر . وقد روى عنه أنه كان يقول بكسرها ويقول : سيّب الله من يسيّب أبى

وأمه أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلمى . وحدث سعيد بن المسيب أن جده حزناً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا حزن ، قال : بل أنت سهل . قال : يا رسول الله ؛ اسم سمانى به أبواى فعرفت به فى الناس . قال : فسكت عنه النبى عليه السلام . وكان سعيد بن المسيب يقول : ما زلنا نعرف الحزونة فينا أهل البيت

أما تاريخ ولادته فقد اختلف فيه المؤرخون ، وتنحصر رواياتهم بين سنة ١٣ هجرية (بعد استخلاف عمر بن الخطاب بسنتين) وسنة ٢١ هجرية (قبل موت عمر بسنتين) ، والمرجح أنه ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، أى سنة ١٣ هجرية لأن أكثر الروايات تؤيدها ويؤيدها قوله : ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب

واختلف المؤرخون أيضاً فى ادراكه عمر ، فقد روى ابن سعد عن سعيد أنه قال : سمعت من عمر كلمة ما بقى أحد حى سمعها غيرى : كان عمر حين رأى الكعبة قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام

وعنه أيضاً أنه قال : سمعت عمر بن الخطاب على هذا المنبر يقول : عسى أن يكون بعدى أقوام يكذبون بالرجم . يقولون لا نجده فى كتاب الله ، لولا أن أزيد فى كتاب الله ما ليس فيه ، لكتبت أنه حق ، قد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجم أبو بكر ورَجمت . أما بكَيْر بن الأشج فيروى أن سعيد بن المسيب سئل هل أدركت عمر فقال ؟ لا

ويقول الامام مالك : لم يدرك عمر ، ولكن لما كبر أكب على المسألة عن شأنه وأمره . ويقول ابن معين : رأى سعيد عمر وكان صغيراً ابن ثمانى سنين ، وهل يحفظ ابن ثمانى سنين شيئاً ؟

شيوخه وتلاميذه

أخذ سعيد بن المسيّب علمه عن أبى هريرة — وكان زوج ابنته — وجل روايته المسندة عنه . وسمع من عمر وعثمان وعلى . وسمع من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : عائشة وأم سلمة . وكان يقال : ابن المسيّب راوية عمر ، قال الليث : لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، وروى عن أبى ذر ، وجبير بن مطعم ،

فاذا اطلع على المألوف مما لا يود منها فاجأه مفاجأة غير المألوف ، وهذا من أثر أنانيته التى تغالط نفسه مغالطات مختلفة ، فمرة تغالطه حتى يتوقع من أخلاق الناس الحسن النافع له ، ومرة تغالطه حتى يتوقع السيء الذى يتباهى بالخلو منه ، وقد لا يكون ذلك الحسن ولا ذلك السيء من خصال أو عادات الذين ينعتهم ، ولكنه يرجو النفع لنفسه فى الحالين إما بتوقع الحسن منهم كى يستفيد ، وإما بتوقع السيء كى يعلو بمنزلة نفسه عنهم ، فليس كل بحث فى النفس مصيباً ، فالناس فى بحث النفوس كالعميان فى القصة وقد تلمسوا الفيل من نواح وأطراف مختلفة ، فقال أحدهم وقد لمس ساقه إن الفيل كالدعامة المستديرة ؛ وقال آخر وقد لمس سنه إنه كالعصا الغليظة ؛ وقال ثالث وقد لمس أذنه إنه كالمروحة ؛ وأدى بهم الغيظ والغضب لما حسبوه حقاً إلى التقاتل كما يتقاتل الناس غضباً لما يحسبونه حقاً فى الحياة . ولعل لذة المفاجأة المتجددة والتى تنفى الملل عن الانسان تعوضه من ألم الحسرة ، على أن الحياة والنفوس لا تأتى له بكل ما يرتضى ويشاء

عبد الرحمن شكرى

وحكيم بن حزام ، ومعاوية ، وسعد بن وقاص ، وخولة بنت حكيم ، وغيرهم

وروى عنه جماعة من أعلام التابعين منهم عمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهرى ، وعمرو بن دينار ، وقتادة ، وابنه محمد ، وأبو الزناد ، وعطاء بن أبي رباح ، ومحمد الباقر ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وغيرهم كثير

علمه وأقوال العلماء فيه

قال سعيد : ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر منى . (قال الراوى ابراهيم ابن سعد عن أبيه) وأحسبه قال وعثمان ومعاوية

وقال يزيد بن مالك : كنت عند سعيد فحدثنى بحديث فقلت له : من حدثك بهذا ؟ فقال يا أخا أهل الشام خذ ولا تسأل فانا لا نأخذ إلا عن الثقات

وقال مالك : بلغنى أن سعيد بن المسيّب قال : إن كنت لأسير الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد

وقال قدامة بن موسى الجمحى : كان سعيد بن المسيّب يفتى وأصحاب رسول الله صلى الله عليه أحياء

وقالوا : كان سعيد جامعاً ، ثقة ، كثير الحديث ، ثبتاً ، فقيهاً ، مفتياً ، مأموناً ، ورعاً ، عالياً ، رفيعاً

وقال محمد بن يحيى بن حبّان : كان رأس من بالمدينة فى دهره ، المقدّم عليهم فى الفتوى سعيد بن المسيّب ، وكان يقال : هو فقيه الفقهاء

وقال مكحول : سعيد بن المسيّب عالم العلماء . وقال أيضاً : ما حدثتكم به فهو عن سعيد بن المسيب والشّعبى

وعن ابن أبى الحويرث أنه شهد محمد بن جبير يستفتى سعيد ابن المسيّب

وقال علىّ بن الحسين : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفقههم فى زمانه

وقال ميمون بن مهران : أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت الى سعيد بن المسيّب فسألته

وقال شهاب بن عبّاد : حججت ، فأتينا المدينة فسألنا عن أعلم أهلها ، فقالوا سعيد بن المسيّب

وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن الشىء يشكل عليه قال : سلوا سعيد بن المسيّب فانه قد جالس الصالحين

وقال يحيى بن سعيد : أدركت الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم سعيد ورأيه شيئاً كثيراً

وقال قتادة : ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه ، وقال أبو حاتم : هو أثبت التابعين فى أبى هريرة

وقال الزهرى : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبى بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام

وقال القاسم بن محمد : هو سيدنا وأعلمنا ، وقال ابن عمر : هو والله أحد المتقنين ، وقال ابن شهاب : قال لى عبد الله بن ثعلبة ابن أبى صعير : كنت تريد هذا ، يعنى الفقه ، فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب

وقال مكحول : طفت الأرض كلها فى طلب العلم ، فما لقيت أعلم منه . وقال سليمان بن موسى : كان أفقه التابعين

وقال يحيى بن معين : مرسلات بن المسيّب أحب إلىّ من مرسلات الحسن

وقال أبو طالب : قلت لأحمد بن حنبل : سعيد بن المسيب ؟ فقال : ومن مثل سعيد ؟ ثقة من أهل الخير . فقلت له : سعيد عن عمر حجة ؟ قال : هو عندنا حجة ، قد رأى عمر وسمع منه ، وإذا لم يقبل سعيد عن عمر ، فمن يقبل ؟

وقال أحمد : مرسلات سعيد صحاح ، لا نرى أصح من مرسلاته

وقال ابن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علماً من سعيد ابن المسيب

قال : وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به ، قال : هو عندى أجل التابعين

وقال الشافعى : إرسال بن المسيب عندنا حسن

وقال مالك : بلغنى أن عبد الله بن عمر ، كان يرسل إلى ابن المسيب ، يسأله عن بعض شأن عمر وأمره

وقال قتادة : كان الحسن إذا أشكل عليه شىء كتب إلى سعيد بن المسيب

وقال العجلى : كان رجلاً صالحاً فقيهاً

وقال أبو زرعة : مدنى قرشى ثقة إمام

وقال ابن حبان فى الثقات : كان من سادات التابعين فقهاً وديناً وورعاً وعبادة وفضلاً ، وكان أفقه أهل الحجاز

وقال الجاحظ : كان أبو بكر رضى الله عنه أنسب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد ابن المسيب

منزلته عند الخلفاء والولاة

قال مالك بن أنس : كان عمر بن عبد العزيز لا يقضى بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب ، فأرسل إليه إنساناً يسأله ، فدعاه فجاء ، فقال عمر : أخطأ الرسول ، إنما أرسلناه يسألك فى مجلسك

وقال أيضاً : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما كان بالمدينة عالم إلا يأتينى بعلمه . وأوتى بما عند سعيد بن المسيب

تعبيره الرؤيا

قال محمد بن عمر : كان سعيد بن المسيّب من أعبر الناس للرؤيا ، وكان أخذ ذلك عن أسماء بنت أبى بكر ، وأخذت أسماء عن أبيها

وقال عمر بن حبيب بن قليع : كنت جالساً عند سعيد ابن المسيّب يوماً ، وقد ضاقت علىّ الأشياء ورهقنى دين ، فجلست إلى ابن المسيّب ما أدرى أين أذهب ، فجاءه رجل فقال : يا أبا محمد إنى رأيت رؤيا . قال ما هى ؟ قال : رأيت كأنى أخذت عبد الملك بن مروان ، فأضجعته إلى الأرض ، ثم بطحته فأوتدت فى ظهره أربعة أوتاد . قال : ما أنت رأيتها . قال : بلى أنا رأيتها . قال : لا أخبرك أو تخبرنى . قال : ابن الزبير رآها وهو بعثنى اليك . قال : لئن صدقت رؤياه قتله عبد الملك بن مروان ، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة . قال : فدخلت إلى عبد الملك بن مروان بالشام فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب فسرّه ، وسألنى عن سعيد وعن حاله فأخبرته ، وأمر لى بقضاء دينى وأصبت منه خيرا

وقال رجل : رأيت كأنّ عبد الملك بن مروان يبول فى قبلة مسجد النبى أربع مرار ، فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب ، فقال : إن صدقت رؤياك قام من صلبه أربعة خلفاء

وقال شريك بن أبى نمر : قلت لابن المسيب رأيت فى النوم كأن أسنانى سقطت فى يدى ثم دفنتها . فقال ابن المسيب : إن صدقت رؤياك ، دفنت أسنانك من أهل بيتك

وقال رجل لابن المسيب : إننى أرانى أبول فى يدى . فقال اتق الله ، فان تحتك ذات محرم ، فنظر فاذا امرأة بينها وبينه رضاع

وجاءه آخر فقال : يا أبا محمد إنى أرى كأنى أبول فى أصل زيتونة . قال : انظر من تحتك ، تحتك ذات محرم ، فنظر فاذا امرأة لا يحل له نكاحها

وقال له رجل : إنى رأيت حمامة وقعت على النارة ، منارة المسجد ، فقال : اذبح اذبح . فقال : ذبحت . قال : مات ابن أمّ صلاء ، فما برح حتى جاءه الخبر أنه قد مات

وقال رجل من فهْم لابن المسيب إنه يرى فى النوم كأنه يخوض النار ، فقال : إن صدقت رؤياك لا تموت حتى تركب البحر ، وتموت قتلاً . فركب البحر فأشفى على الهلكة ، وقتل يوم قُدَيد بالسيف

وقال الحصين بن عبيد الله بن نوفل : طلبت الولد فلم يولد لى ، فقلت لابن المسيب : إنى أرى أنه طرح فى حجرى بيض . فقال ابن المسيب : الدجاج أعجمى ، فاطلب سبباً إلى العجم . قال : فتسرّيت فولد لى ، وكان لا يولد لى

وكان سعيد بن المسيب يقول للرجل إذا رأى الرؤيا وقصها عليه : خيراً رأيت . وقال ابن المسيب : التمر فى النوم رزق على كل حال ، والرُّطب فى زمانه رزق

وقال أيضاً : آخر الرؤيا أربعون سنة ، يعنى فى تأويلها

وقال أيضاً : الكبل[1] فى النوم ثبات فى الدين

وقال له رجل : يا أبا محمد ، إنى رأيت كأنى جالس فى الظلّ فقمت إلى الشمس . فقال ابن المسيب : والله لئن صدقت رؤياك لتخرجنّ من الاسلام . فقال : يا أبا محمد ، إنى أرانى أخرجت حتى أدخلت الشمس فجلست [2] ، فقال : تكره على الكفر . قال : فخرج فى زمان عبد الملك بن مروان فأسر فأكره على الكفر ، ثم قدم المدينة ، وكان يخبر بهذا

(يتبع) ناجى الطنطاوى

(١) الكبل هو القيد الضخم

(٢) خسل الشىء رذل وردىء والمخسول المرذول

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربى

اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنجة « littérature comparée »

فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبى الوليد بن رشد

[تابع المنشور فى العدد الماضى]

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوى

ومنه قول المتنبى :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

لو الفلك الدوار أبغضت سيره لعوّقه شيء عن الدوران

وهذا كثير موجود فى أشعار العرب ، ولا نجد فى الكتاب العزيز منه شيئاً ، إذ كان يتنزل من هذا الجنس من القول ، أعنى الشعر ، منزلة الكلام السوفسطائى من البرهان ؛ ولكن قد يوجد للمطبوع من الشعراء منه شيء محمود كقول المتنبى :

وأنى اهتدى هذا الرسولُ بأرضه

وما سكنت مذ سر فيها القساطل

ومن أى ماء كان يسقى جياده ؟

ولم تصف من مزج الدماء المناهل

وقوله :

لبسن الوشى لا مُتجملات ولكن كى يصن به الجمالا

وضفّرن الغدائر لا لحسن ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وههنا موضع آخر مشهور من مواضع المحاكاة يستعمله العرب وهو اقامة الجمادات مقام الناطقين فى مخاطبتهم ومراجعتهم إذا كانت فيها أحوال تدل على النطق ، كقول الشاعر :

وأجهشت للتوباد لما رأيته وكبر للرحمن حين رآنى

فقلت له : أين الذين عهدتهم حواليك فى أمن وخفض زمان

فقال: مضوا واستودعونى بلادهم ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

ومن هذا الباب مخاطبتهم الديار والأطلال ومجاوبتها لهم كقول ذى الرمة :

وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمنى أحجاره وملاعبه

وقول عنترة

أعياك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجم

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

وذكر أرسطو أن هوميروس كان يعتمد هذا النوع كثيرا واجادة القصص الشعرى والبلوغ به الى غاية التمام أن يكون متى بلغ الشاعر من وصف الشيء أو القضية الواقعة التى يصفها مبلغاً يرى السامعين له كأنه محسوس ومنظور اليه وهو كثير فى شعر الفحول ، لكن إنما يوجد هذا النحو من التخييل للعرب إما فى أفعال غير عفيفة ، وإما فيما القصد منه مطابقة التخييل فقط . مثال الأول قول امرىء القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالاً على حال

فقالت : سباك الله إنك فاضحى

ألست ترى السمار والناس أحوالى

فقلت : يمين الله أبرح قاعدا

ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

ومثال الثانى قول ذى الرمة يصف النار :

وسقط كعين الديك عاودت صحبتى

أباها ، وهيأنا لموقعها وكرا

فقلت لها ارفعها اليك وأحيها

بروحك واقتته لها قيتة قدرا

وظاهر لها من يابس الشخت واستعن

عليها الصبا واجعل يديك لها سترا

والمتنبى أفضل من يوجد له هذا الصنف من التخييل ، ولذلك يحكى عنه أنه كان لا يريد أن يصف الوقائع التى لم يشهدها مع سيف الدولة ، على أن تعديد كل مواضع المحاكاة مما يطول ، وإنما أشار أرسطو بذلك الى كثرتها واختلاف الأمم فيها

نقد المحاكاة

أراد بهذا الباب أن يبدى المعايب التى يجب على الأديب أن يجتنبها لأنها من عيوب الانشاء . واستشهد على ذلك بهوميروس فقد كان يعمل صدراً يسيراً ثم يتخلص الى ما يريد محاكاته من

غير أن يأتى فى ذلك بشىء لم يُعتد لكن ما قد اعتيد ، فان غير المُعتاد مُنكر . ولعله دل بذلك على مظهر من مظاهر البساطة التى يزداد بها الكلام روعة وتسلسلاً . فكلما كان الكلام بسيطا ممتنعاً كان أذهب فى البلاغة وأبعد فى الروعة . ولعل ابن رشد أراد أن يجد مغمزاً فى الشعراء الذين يحيدون عن غرضهم الموصوف الى أغراض مختلفة ليست من الموضوع فى شىء كالنسيب والغزل المتكلف البالى ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . ثم يرى أن يكون التركيب على المشهور عندهم سهلاً عند النطق ، وهو عند العرب الفصاحة . وأما أنواع المحاكاة غير المقبولة فعدٌ أشهرها :

منها أن يحاكى بغير ممكن بل ممتنع ، وهو الذهاب فى اغراب الصورة حتى لا تطابق الواقع وغير الواقع ، كقول ابن المعتز يصف القمر فى تنقصه :

أنظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وإن هذا لممتنع

ومنها تحريف المحاكاة عن موضعها كما يعرض للمصور أن يزيد فى الصورة عضواً ليس فيها ، أو يصوره فى غير مكانه ؛ وقريب منه قول بعض المحدثين يصف الفرس :

وعلى أذنيه أذن ثالث من سنان السمهرى الأزرق

ومنها محاكاة الناطقين بأشياء غير ناطقة ، وذلك أن الصدق فى هذه المحاكاة يكون قليلاً والكذب كثيراً ، إلا أن يشبه من الناطق صفة مشتركة للناطق وغير الناطق كتشبيه العرب النساء بالظباء وبقر الوحش

ومنها أن يشبه الشىء بشبيه ضده أو بضد نفسه ، كقول العرب « سقيمة الجفون » فى الحسنة الغاضة النظر ، فان هذا ضد الصفة الحسنة ، وإنما آنس بذلك العادة

ومنها أن يأتى بالأسماء التى تدل على المتضادين . ومنها أن يترك الشاعر المحاكاة الشعرية ، وينتقل إلى الاقناع والأقوال التصديقية ، وبخاصة متى كان القول هجيناً قليل الاقناع كقول امرئ القيس يعتذر عن جبنه :

وما جبنت خيلى ولكن تذكرت
مرابطها من بَرْبعيص وميسرا

وقد يحسن هذا الصنف إذا كان حسن الاقناع أو صادقا كقول الآخر :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى إن أقاتل واحدا أُقتل ، ولا ينكى عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

فهذا القول إنما حسن لصدقه ، لأن التغيير الذى فيه يسير ، ولذلك قال القائل : يا معشر العرب لقد حسنتم كل شىء حتى الفرار

وأما أمثلة المحاكاة المبنية على التوبيخات فهى غير موجودة عندنا ، إذ كان شعراؤنا لم تتميز لهم هذه الأشياء ولا شعروا بها . ولا أدرى ما يريد ابن رشد بهذه التوبيخات ، فان كانت الاعتذاريات فللأدب العربى طائفة منها قد تكون قليلة ، ولكنها رائعة لطيفة المأخذ . وكفى باعتذاريات النابغة دليلاً ؛ ومن يجحد ما للمتنبى والبحترى من لطيف الاعتذار والتوبيخ والعتاب ؟

ثم ينتقل ابن رشد الى بحث صناعة الأشعار القصصية ، ويريد بها حوادث التاريخ فيقول : إن محاكاة هذا النوع من الوجود قليل فى لسان العرب (وكأنه يعترف ضمنا بوجود أنواع منه) وهوميروس هو أبرز من عندهم . ومن جيد ما فى هذا المعنى للعرب قول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق ؟ تركوا منازلهم ، وبعد أياد
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يُلهى به يوماً يصير الى بلًى ونفاد

وقد تدل هذه الأبيات الخالية من الروح القصصية على أن ابن رشد لم يتفهم جيداً ما أراد أرسطو بصناعة الأشعار القصصية . ذلك لأنه لم يتأت له أن يقف على هذه الصناعة ويعرف مناهجها . ولأن تكون هذه الأبيات الى باب العبر أحق من الحاقها بباب القصص . وما أكثر ما تتردد هذه النغمة فى شعر العرب ! وهى نغمة شاذة عن الألحان القصصية ، لأن الشاعر فيها يستلهم عاطفته ؛ والقصة لا يغنى فيها استلهام العاطفة وحدها . وكأن ابن رشد أراد أن يستنقذ حكمه كمؤرخ فاستطرد وقال : وقد أثنى أرسطو على هوميروس . وكل ذلك خاص بهم وغير موجود مثاله عندنا . إما لأن ذلك الذى ذكر غير مشترك للأكثر من الأمم ، وإما لأنه عرض للعرب فى هذه الأشياء أمر خارج عن الطبع وهو أبين !

(البقية فى العدد القادم)

خليل هنداوى

من الأدب الانكليزي

٢ - پرسى بشـــلى

Percy - Shelley

بقلم خليل جمعه الطوال

كان پروميتس هذا - كما تحدثنا عنه الأساطير الاغريقية - شخصاً سولت له نفسه الشريرة أن يسرق من السماء قليلاً من النار، ولما استجاب للتجربة وارتـكب جريمة السرقة، غضب عليه إلـه أولمب زيوس « Zeus » وهو عظيم آلهة اليونان وابن الالـهة « كرونس » والالـهة فيا Phera وشقيق نبتون. وكان من جراء غضبه عليه أن فصله عن زوجه آسيا Asia وأمر بشد وثاقه وتقييده إلى صخرة عظيمة، حيث كانت العقبان تأتى فى كل يوم وتذيقه سوء فعلته وشر صنيعه بمخالبها المحـــددة ومناقيرها القوية. ثم ما لبث « زيوس » أن رجع عن غضبه لأسباب عديدة، وأمر بحل وثاقه وبارجاع آسيا Asia اليه ثانية. وهكذا امتزجت روح المحبة فى الانسان بروح المحبة فى الطبيعة، وتخلص كلاهما من الفناء الذى استحقاه بسبب جريمة پروميتس [1]

تناول شـلى هذه الأسطورة Mythology فوضعها فى قالب شعرى، وكان قد تناولها من قبله وليم وردزورث، الا أنه بينا يمتاز سبك وليم بما فيه من التحليل المنطقى وعمق الفكر الفلسفى. يمتاز شلى باتساع أفق الدائرة التى يسرح فيها خياله

ولعل قصـيدة پروميتس هذه هى خيرُ القصائد من نوعها التى تمثل لنا فـكرة هدى البشرية بعد ضلالها. كانت شائعة عند اليونان وكثيراً ما ضمنها الشعراء أشعارهم، ناهيك عما فيها من الـكنايات والاستعارات ومن التشابيه والمجازات التى رمى بها الشاعر من وراء ستر كثيف الى أغراض بعيدة تجنباً لـما كانت تلاقيه حرية الأفكار فى العصر الفكتورىّ من الارهاق والاذلال

وفى عام ١٨١٧ نظم قصيدة ثورة الاسلام The Revolt of Islam استفز فيها الشعور من ذلك السـبات الذى تسرب اليها عن طريق ما مُنيت به الأفكار الثورية من الاخـفاق، تلك الأفكار التى كان يُعلق عليها تحقيق مثله الأسمى، والتى كان ينظر من ورائها الى ذلك العصر الذهبى الذى كونه له خياله. تطالع هذه القصيدة فتشعر بتيار ألفاظها السحرية، وبنبرات مقاطعها النارية، تجرى فى مفاصلك بشدة وعُنف؛ وما ذلك إلا لأنه قد نظمها وعواطفه تنهال فى قلبه من شدة تأثر حسه ووثوب خياله

وفى عام ١٨١٥ طرق شلى باب الأساطير Mythology لا اعتقاداً منه بصحتها بل ليرفه عن نفسه من جد الدرس، وليدفع عنها سأم الحياة. ونذكر له من أمثلة هذا الشعر قصيدتين غنائيتين هما غاية فى الابداع وحسن الأداء وهما: القبرة Skylark، والغيوم

ومن قصائده الغنائية الاخرى: أبولو، إلى النيل، نابولى، هيلين، الريح الغربية، الثور، المتجولون فى العالم، الوقت، ثم هيلاس التى تمثل لنا يقظة اليونان وثورتهم على الاتراك واستقلالهم

وعندما توفى صديقـه كيتس عام ١٨٢١ نظم فى رثائه قصيدة عامرة الأبيات، ملأها بزفرات قلبه وفلذات كبده من شـدة ما ناله من الحزن لفقده، ولا يحسب من يقرأها إلا أن شلى كان صنبورا من الدمع لا ينضب معينه على صديقه

الدرام:

وقد حاول أن يؤلف درامة يصف فيها أحوال المجتمع ونظمه وعادات البيئة وطبقاتها، فوضع لأول مرة رواية سنسى Cenci، ثم رواية ريشارد الثانى، إلا أن محاولته هذه باءت بالفشل وارتدت بالأخفاق، ولا سيما إذا قيست بأولى محاولات شكسبير ونجاحها

ومع كثرة ما لشلى من الأشعار الغنائية، فلا نكاد نجد له قصيدة واحدة تجمع إلى رقة العاطفـة وقوة الخيال انتظام الفـكرة وابتكار المعنى. ونستطيع أن نقول خلاصـة لهذا الموضوع: إن خير ما نظمه شلى ظهر فى ست السنوات الأخيرة من حياته

أما القالب الذى كان يستوعب أفكاره وأخيلته فنى غاية السبك والابداع، بل كثيراً ما كان يُقوم من خياله المستكره الفسل، ومن عواطفه النافرة المستعصية. ولقد شهد له بجمال الأسلوب وروعته وليم وردزورث بقوله: « كان شلى خيرنا

(١) لعل هذا تمثيل لخطيئة آدم وحواء الأصلية: راجع التوراة فصل ٣

أسلوباً وأكثرنا ملاءمة بين موسيقى اللفظ وجمال المعنى » . وشعره الى جانب ذلك لا يكتظ بالكلمات اللاتينية التي يكتظ بها شعر ملتون وغيره . وهو أبعد الشعراء عن الأساليب الكلاسيكية ، وعن استعمال حوشى الكلام وغريب الألفاظ ومهجور التراكيب وأكثرهم جنوحاً إلى سهولة الاداء وإلى الألفاظ الجيلة المخارج والموسيقية الجرس ، يتناولها فيجعل منها مع المعنى لحناً موسيقياً بديعاً

وقد جمع معظم أشعاره في ديوان عنوانه Shelley Poetical Work ظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٨١٩ فنفدت لسنتها لما كان لها من الرواج . ثم ظهرت طبعته الثانية عام ١٨٢١ حاوية لقصيدته الشهيرة alastor ألستور ، وهي ترجمة دقيقة الوصف لحياته وعواطفه التي كانت تختلج في قلبه إذ يصف فيها مقدار ما يلقاه كل شاعر حر أمام نبوغه من العقبات الكأداء التي تفل من عزيمته وتحط من شاعريته . فهي صورة جلية تتعرف منها خبايا نفسه ومنبع شاعريته . وقد ضمن هذه الطبعة دفاعه عن الشعراء والشعر ضد مهاجمه « توماس بيكوك » أتى فيه على تعريف الشعر وتاريخه وفائدته في اجتثاث سوءات المجتمع وتشذيب النفوس وصقل الذوق ، بعد أن فند آراء بيكوك بلهجة علؤها الحماس ونبرات تصحبها الثورة

وفي شلي يقول المؤرخ المشهور والكاتب المأثور ما كولى : « لم أر في حديث الشعراء من تقرأ أشعاره فتعلق بجملتها بشغاف قلبك إلا شلي . أما والله لقد جمع بين جزالة السلف ورقة الخلف ، وتعمد الاجادة فأصاب شاكلتها وبلغ غايتها ، في حين أنه قصر دونها شعراء كثيرون من أترابه . » ومهما يكن في هذه الشهادة من الغلو والاسراف ، فليس لنا سبيل إلى دفعها ودحضها ، ذلك لأن شلي قد توفى وهو في سن الثلاثين قبل أن تنضج مواهبه

شلي والحركة الابتداعية :

ترجع هذه الحركة في تاريخها الى تلك البذرة التي بذرها السير فرنسيس باكون (١٥٦١ — ١٦٢٦) حين أهاب في الأدباء مناديا بأن نظم الحضارة الأرستقراطية تفسد عاطفة الأدب الصالحة ، وتبهم عبارة البلاغة الواضحة ، وأن ليس لهم إلا الخروج عليها واقتفاء أثر الطبيعة في جميع أغراض الأدب نظماً ونثراً ، بل وفي أنظمة الحياة الاجتماعية والسياسية ، إذ هي وحدها منبع جميع مشاعر الأديب الحسية ومُستفز ملكاته الخيالية : وإذ كان بيكون غارس بذرة هذه الحركة ، فقد كان جان جاك روسو هو الذي تعهد تربتها ، وترعرعت في عصره غرستها ، حتى آتت أكلها على يد وليم وردزورث ورفاقه ، وهم كيتس ، ووسلي ، وبيرون ، وشلي . وجميعهم يعنى بجمال الأسلوب قبل الفكرة ، ويعتمد على الخيال أكثر من الحقيقة ، ويهتم في البحث عن أصول الأشياء واستجلاء غوامضها ، لا في ذاتها ، بل في الطبيعة على اعتبار أنها أجزاء منها ، وهم يجعلون موضوع دراستهم الرجل العادي لا الأرستقراطي ، ويمارسون الأدب على أنه من وسائل إصلاح المجتمع واجتثاث سوءاته لا على أنه فن قائم بذاته لا علاقة له بالهيئة الاجتماعية . وعلى هذا القياس فان درجة الشاعر تعظم في نظرهم بمقدار ما يكون لاشعاره من الاصلاح ومن بليغ الأثر في توجيه دفة الهيئة نحو هذا الاصلاح وتحويل الرأي العام إلى قبوله لا بمقدار ما تثيره من الشعور وتجلبه من عوامل اللذة الروحية المجردة . ويكره شلي من الشاعر خاصة أن يلجأ إلى بحوث عالجها الشعراء من قبله ، إذ لا يرى الى ذلك من ضرورة مطلقة لا سيما والطبيعة دائمة التحول والاستمرار ..

(البقية في العدد القادم) خليل جمعة الطوال

دراسات أدبية

فى الأدب الايطالى الحديث

تتمـــــة

بقلم محمد أمين حسونه

وقد ذكر بابينى أن هذه الرواية هى قصة جيل كامل . والواقع أننا لا نلمس فيها سوى أثر الآلام التى يشكو منها جيل المثقفين من المرضى النورستانيين ، الذين تتسلط عليهم الأفكار السوداء ، فوقف تقدمهم الفكرى دون الخلق والابداع . وقد حاول بابينى فى هذه الرواية أن يطبق أصول الفلسفة العملية « البراجماتزم » ، وأن يخلط الجد بالهزل ليخرج لنا الحقائق الفاجعة ، والسخريات المرة اللاذعة

أما كتابه الذى أصدره فى غضون الأعوام الأخيرة بعنوان « جوج » ففيه ينقد بقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والدينية ناقماً على الثقافات التى تقود العالم إلى الدمار والخراب ما خلا الثقافة اللاتينية ، فهو يزعم أن فى استطاعتها وحدها أن تنقذ العالم من الويلات التى يتردى فى أعماقها

والواقع أن بابينى إنما يستقى فنه من تيار سابق لتفكير بيراندللو . والفرق بينهما أن بيراندللو استطاع أن يتخلص من آثار العقل الخصب ، وأن يخلع على أبطاله ظلاً من روح الفكاهة والمرح . أما بابينى فلفرط استغراقه فى الفلسفة تراه يطبع رواياته بهذا الطابع الجاف الذى يباعد بينه وبين تفكير الجيل

وفى الوقت الذى بدأ الناس يميلون إلى الروح الهادئة فى الفن القصصى وإلى الشخصيات التى تمثل التضحية أو الاخلاص أو المثل الأعلى ، يلجأ بابينى إلى غمر قصصه بالنظريات الفلسفية ، تاركا للقراء حرية تفسيرها فى ضوء الحوادث . ولذا نلمح أن معظم أبطاله يعيشون فى جو مظلم ، ويقاومون أعاصير الحياة عن طريق المذاهب العقلية

ولعل فى حياة بابينى الأدبية عظة بالغة ، فهو يحارب الشعراء لأنهم فى نظره بلهاء كالأطفال ، وقد اتخذ لنفسه منذ نشأته صفة المجادل الذى يحاول مناقشة آراء خصومه عن طريق هدم مجدهم الأدبى تمهيداً لتشييد صرحه فوق أنقاضه ، لكنه لم يهدم فى النهاية سوى نفسه ، حتى إن فلسفته أوشكت أن تموت فى أذهان القراء

المدرسة الاقليمية

وقبل التحدث عن أثر المدرسة الاقليمية فى الأدب الايطالى الحديث يحسن بنا أن نتحدث عن خصائصها ومميزاتها ، فهى تلتمس أسلوبها فى فن جيوفانى فرجا Giovanni Verga وتميل بعض الشىء إلى الرواية الهادئة التى تقوم على ذكريات خاصة خالية من روح التكلف ، وإلى الحياة الفطرية الساذجة ، والعودة إلى أحضان الطبيعة مع إحياء الطابع القومى الخاص فى الأدب الايطالى الحديث

وإذا اعتبرنا أن المذاهب الأدبية فى ايطاليا تقوم على الوجدانيات المبالغ فيها ، والخيال الشعرى ، والوطنية المتأججة ، أمكننا أن نوازن بين الفن الروائى القديم وبين الفن الذى ابتدعه فرجا ؛ فهو يقوم على الحس والمشاهدة الملموسة مع تصوير العادات والأخلاق والحوادث التاريخية البارزة

وربما كان فن المدرسة الأقليمية يمت بأقوى الصلات إلى اسكندر ديماس ، وأسلوبها الكتابى إلى جورج صاند التى سبق أن قضت فجر شبابها فى ربوع ايطاليا ، وكان لجو البندقية الشعرى أثر بليغ فى روحها الغنائية

لقد نشأ (فرجا) فى مدينة كتانيا بجزيرة صقلية ، وطوف بأنحاء إيطاليا بقصد التبشير بفنه الجديد ، وتكوين جمعيات أدبية فى كل من فلورنسا وميلانو . وقد ساعده على ذلك أن عصره كان يسوده الهدوء الطبيعى وفتور القلاقل السياسية . ومن السهل أن نلتمس فى روايات فرجا ظل الحياة الصقلية فهى مسرح فنه ومهبط وحيه . وقد رسم لنا فى بعض رواياته الفذة « كالارادة السيئة » طغيان حكومات عهد الاقطاع على صقلية وأساليب جمعية المافيا الاجرامية التى ظلت تبسط سطوتها على الجزيرة زهاء ثمانية قرون . وكان رائده فى كل ما يسرده من الوقائع الاخلاص والشعور المرهف . فرواياته من هذه الناحية ليست ذات قيمة أدبية فحسب ، بل يمكن اعتبارها من الوجهة التاريخية وثائق مشرفة للحياة الاجتماعية والسياسية وللأخلاق والعادات فى الريف الايطالى

وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا مغزى لها ، فاننا نلمح بين

سطورها آثار العقلية الايطالية الخصـــبة ، ووصف الحروب الاستقلاليـة والمعارك البحرية فى الأدرياتيك ، وأخلاق الطبقة الدنيا ، ومواقف غرامية مفجعة ، ونظريات أخلاقية ونفسية ، وتحليل دقيق لأفراد أسرة فقيرة تحترف صيد الأسماك ، ظلت تكافح فى الحياة وتقاوم الحظ السيء الذى لازمها زهاء نصف قرن

لقد كان فرجا يردد العواطف الصادقة فى فنـه والحقائق القاسية ، وليس مذهبه فى الأدب سوى رد فعل لمدرسة كاردوتشى ، وعلى رغم أن هذا الكاتب العظيم كان أميل إلى الصمت وإلى التحفظ فى الكلام نراه متدفقاً كالسيل فى رواياته حتى كتب نيفا وثلاثين رواية طويلة وعشرات الأقاصيص . وقد وصفه النقادة روبناس بقوله : « كان ينفر من الشهرة ، ولكن الشهرة سعت إليه من حيث لا يدرى . وكان شعاره دائماً : فنى هو مجدى ، وكتبى تراثى فى نظر الأجيال »

* * *

ومن كتاب المدرسة الاقليمية الذين اشتهروا خارج بلادهم عن طريق ترجمة أعمالهم الأدبية الى اللغات الحية الكاتب الروائى ماريو بوتشى . فى مؤلفاته تجد الجو الهادئ الحزين ، وبالأخص فى حياة الريف . وهـذه الصبغة التى تعطى رواياته طابعها الخاص تبين عبء الألم واليأس المنبعث منها . وقد حاول بوتشى فى بعض رواياته « كالمبريون » أن ينجو من الجو المظلم الذى يخلع على أبطاله ظلا من الكآبة ، ولكن ما اتصف به من الركود والتأثرات النفسية والتعلق بأهداب الخيال وغرامه بتصوير حياة القسس والفلاحين والجنود جعله بمعزل عن كتاب الجيل المعاصر . والواقع أنه ليس فى فن هذا الكاتب أى أثر للعنف أو الاندفاع ، إنما نحس من الأعماق أننا أمام شخصيات ابتدعها المؤلف فى هدوء ودقة ، كما كان أهل وطنه يصنعون الدمى الخشبية بمجهود شاق فى القرون الوسطى

وكان توتزى أقوى كتاب هذه المدرسة على الاطلاق ، ولكن الموت عاجله وهو فى قمة مجده . وإذا حكمنا على تراثه الفنى أمكننا أن نقول إنه أخرج أعظم روايات الأدب الحديث . وفى فنه تتجلى روح البساطة والسير بأبطاله فى طريقهم الطبيعى ، ورسم مظاهر الانحطاط الانسانى بأسلوب مؤثر . ومن أشهر رواياته « الصلبان الثلاثة » وهى قصة ثلاثة إخوة يدرس بعضهم أخلاق بعض ، وتتغلب الغريزة والأنانية والجشع على أعمالهم ، وينتهون أخيرا الى موت غير شريف ، ولا يبقى من آثارهم سوى صلبان سود ثلاثة فى المقبرة

ولعل شيكونيانى هو الكاتب الوحيد الذى يرتفع بفنه فوق مستوى المدرسة الاقليمية مما ذكرنا بالمدرسة التوسكانية التى ظهرت آثارها فى القرن التاسع عشر . ويخيل اليك وأنت تطالع الصور الفـذة التى يرسمها فى قصصه أنك تسير فى شوارع فلورانسا . وتعد روايته « فيليا » من أحسن الروايات التى ظهرت بعد الحرب العظمى . فالروح الواقعية التى رسم بها المؤلف شخصية بطلته على أنها فتاة من عامة الشعب محبة لنفسها ، مجردة عن الضمير ، تجر الى الهاوية جميع الذين يلتفون حولها ، من أروع حالات التصوير الاحساسى والتغلغل فى أعماق النفس

أما بور جيزى مؤلف رواية « روبى » فهو من المؤلفين الذين توفروا على دراسة النظريات النفسانية الجديدة . وفى هذه الرواية ما يعطينا صورة واضحة من فنه ، فهى تحليل دقيق لنفسية رجل أنانى مجرد من العواطف الانسانية ، معذب بالشكوك والأوهام ، ليس فى مكنته مقاومة أعاصير الحياة ، فيقـذف بنفسه فى التيار الذى يبعده شيئاً فشيئاً عن حقيقة الحياة إلى أن تدفعه المصادفة السيئة إلى الانتحار . « فروبى » كما يرسمه المؤلف رجل لا شباب فيه ولا عاطفة ؛ وهو لا يعرف الأخلاق ، وغير قادر على أن يحب حتى نفســه . وعلى الرغم من تراخيه وكسله يحلم بأن يصل إلى شيء ، وإن الصـفتين الأساسيتين فى خلقه هما ضعف الارادة ورغبته الدائمة فى تحليل عواطفه ؛ وهذا التحليل هو الذى يشل روح حركته ، ويفقده توازنه ، ويقلب فى نظره المقاييس الصحيحة للحياة ؛ فمرة يحاول أن ينسى نفسه فى غمار الحرب ولكن دون حماسة ، ومرة يتزوج من امرأة دون أن يشعر بميل اليها ؛ وهو معتقد أنه تزوج زواجا صالحا إنما هى المصادفة التى قادته إلى هذه المرأة وجعلته يقترن بها ثم يقتلها . ولكن الواقع أنه تركها تموت كمداً من سوء معاملته ؛ وقد صور له الوهم انه قتلها مع أن الشجاعة لا تؤاتيه لقتل حشرة حقيرة

أدب المستقبل

أسس هذه المدرسة بونتمبلى مؤلف رواية « امرأة أحلامى » وكان الغرض منها مقاومة التحليل المـادى فى القصة ، ومناهضة أساليب المدرسة الأقليمية ؛ ويمكن أن نعتبر عصرها عصر النفور

من الزخرف اللفظى ، وتنمية النزعة الخيالية ، والتبشير بالأدب الرمزى

ويعد أمبرتو فرا كيا من أدباء هذه المدرسة ، وقد كانت وفاته فى غضون عام ١٩٣٠ ضربة أليمة فى نفوس الجيل الجديد ، إذ كان دائم العطف على أدباء الشباب ، باذلاً جهده فى تنمية الملكة الأدبية وإظهار المواهب المدفونة فيهم ، وبسبب ذلك أنشأ مجلة « سوق الأدب » لنشر رسائلهم والدعوة الى الالتفاف حول « أدب المستقبل »

ومنذ سنوات قلائل تزعم مارينتى هذه الحركة ، وأخذ ينشر أفكاره فى مجلته « الشعر » ، وتدور دعوته حول التطلع إلى المستقبل ، وقطع الروابط الوشيجة التى تربطنا بالماضى ؛ فالمتاحف فى نظره كدور المرضى ، والافتخار بمجد الجدود وآثارهم دليل العجز منا عن مجاراتهم والتفوق عليهم . ولما كان من الصعب أن نحكم على القيمة الفنية لأدب مارينتى ، فان هذا لا يمنعنا من الجهر بأن « أسلوبه التلغرافى » وجد البيئة الصالحة التى ينمو فيها فى خارج ايطاليا ، حيث يقبل الفرنسيون على اعتناق كل فكرة أدبية طريفة ؟

محمد أمين حسونة

الدكتور محمد اقبال

فلسفته

معالم الاتفاق والاختلاف بينه وبين فلاسفة الغرب

للسيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

إن من نابذ الأديان العداء فى العصر الحاضر هو الطبيب النمساوى الفيلسوف سيجموند فرويد صاحب المذهب الخاص فى علم النفس التحليلى وقد توفى حديثاً ، فهو قد رأى فى حقيقة أعمال الانسان ، بل فى جميع حركاته وسكناته رأياً غريباً ، وهو أن أساسها العاطفة الجنسية ، وأن الولد يولد وعنده تلك العاطفة ، وأن جميع خواطر الانسان وهواجسه من الطفولة إلى الشيخوخة ترجع اليها . وعلى هذا فالانسان عند سيجموند فرويد مجسم الشهوانية وكتلة العاطفة الجنسية ، ولا حقيقة عنده للامور المنوية الأخلاقية البحتة التى كثيراً ما طمحت اليها نفس الانسان لتتسنم فيها ذروة الشرف ، ولا لنظم الروحانية المجردة عن تلك العاطفة مثل الأديان ، ولا لأمثالها التى طالما تطلعت اليها روحه فلم يأل جهداً فى حيازة كمالها . فهكذا جرد فرويد الانسانية من أوصافها المميزة ، وحطها من مراتبها الروحانية السنية ، والدرجات الأخلاقية والمنوية الرفيعة ، إلى حضيض الحيوانية والهمجية

قرر فرويد أن الدين عبارة عن وهم محض خُلِق من المهيجات والدوافع المرفوضة فى نفسية البشر ، لتجد تلك المهيجات والدوافع فى دائرة الدين حرية العمل غير المسدود ؛ وأن العقائد والمذاهب الدينية ليست إلا نظريات الطبيعة الابتدائية التى سعى بها الانسان لانقاذ الحقيقة من قبحها العنصرى ، ولجعلها شيئاً أقرب الى رغبة القلب من غير أن تسمح بذلك حقائق الحياة . ومبنى هذا القرار هو نظريته التى أتى بها فى علم النفس التحليلى ، وخلاصة تلك النظرية هى أننا حينما نقوّم بيئتنا ونرتب ما حولنا نتعرض للمهيجات والدوافع المختلفة الكثيرة فنرد عليها . وعملية هذا الرد إذا تكررت كثيرا تتحول إلى العادة فتصبح نظاماً للرد أكثر ثباتاً مما لم يتكرر ؛ ثم هى تتقدم بالاستمرار فى التعقيد ، وذلك لأننا عند الرد نقبل بعض تلك المهيجات ونهضمها ، ونرفض الأخرى التى لا توافق نظام ردنا الثابت ، فتتراجع الى منطقة من العقل مسماة « بالمنطقة اللاشعورية » ، أو « منطقة ما تحت الشعور » ، وتبقى فيها حتى تجد فرصة سانحة للانتقام من الذات المركزية والهجوم عليها ، وحينئذ تقدر أن تغير خططنا للعمل ، وتفسد أفكارنا ، وتشيد أحلامنا وأوهامنا ، أو تجرنا الى تصورات سيرتنا الأولى التى كنا تركناها طوع سنة الارتقاء على مسافة شاسعة . فالدين عند فرويد مخلوق هذه المهيجات والدوافع المرفوضة ، وثمرة اقتحامها الذات المركزية.

يخالف الدكتور إقبال هذا الرأى السقيم أشد المخالفة ؛ وقد وضح ذلك فى محاضرة ألقاها بجامعة هندية ، إذ قال : « إن من تجرد الشيطانية عن سلطة الألوهية أن قام فرويد وأنصاره بخدمة للدين تفوق التقدير ؛ إننى لا أستطيع أن أمتنع عن القول بأن النظرية الأساسية فى علم النفس الجديد هذا لا تظهر لى مؤيدة بدليل قطعى حاسم . فلو كانت مهيجاتنا ودوافعنا المتشردة تهاجمنا فى الحلم أو فى الأوقات الأخرى التى لسنا فيها فى حالتنا الأصلية ، فلا يتأتى من ذلك الهجوم

أنها تبقى مسجونة فى مكان يشبه مكان سقط المتاع وراء ذاتنا الطبيعية . إن هجوم هــذه المهيجات والدوافع المكبوتة على منطقة ذاتنا الطبيعية يفضى أكثر الى تبيين أن لنظام ردنا العادى تمزقا وقتياً من أن يثبت وجودها الدائمى فى زاوية مظلمة من العقل

« أما القول بأن المذاهب والعقائد الدينية ليست إلا نظريات الطبيعة الابتدائية التى سعى بها الانسان لانقاذ الحقيقة من قبحها العنصرى ولجعلها شيئاً أقرب إلى القلب من غير أن تسمح بذلك حقائق الحياة ، فلا أنكر أن هناك أدياناً وأمثالا من الفن تحث الانسان على الهروب من حقائق الحياة وتساعده عليـه ، ولـكن الذى أريد أن أقول هو إنه لا يصدق على جميع الأديان . فلا نزاع فى أن للمذاهب والعقائد مضامين تتعلق بما وراء الطبيعة ، ولـكنه أيضاً بين أنها ليست تفسير مدلولات الاختبار الذى هو موضوع بحث العلوم الطبيعية . إن الدين غير علم الطبيعة ، وعلم الـكيمياء اللذين يشرحان الطبيعة بقانون السبب والمسبب ، انما الدين يقصد التعبير عن منطقة الاختبار الانسانى الذى يختلف عن غيره تمام الاختــلاف — الاختبار الدينى — الذى لا يمكن أن تحول مدلولاته إلى مدلولات أى علم آخر . وفى الحق إنه يجب علينا أن نقول فى إنصاف الدين إنه أصر على ضرورة الاختبار المعين فى الحياة الدينية قبل أن يعرف ذلك العــلم بكثير . فالخصام بين الدين والعلم ليس بقائم على أن لأحدهما وجوداً والثانى لا وجود له ، بل على الاختبار المعين . فكلاهما يقصدان الاختبار المعين كنقطة الافتراق بينهما ، وعلى هــذا فالخصام المفروض بينهما ناشىء عن سوء الفهم وهو أن كلا منهما يعبر عن مدلولات الاختبار الواحد . إننا ننسى أن الدين يتوخى الوصول إلى المضمون الحقيقى لنوع خاص من الاختبار الانسانى »

« ولا يمكن أن نفسر مضمون الشعور الدينى بنسبته الى عملية العاطفــة الجنسية . فان الشــعورين — الجنسى والدينى — فى الغالب متخاصمان أو على الأقل فى أوصافهما المميزة ، وفى غرضيهما وفى نوع السـيرة التى ينتجها كل منهما يختلفان كل الاختلاف . والحق أننا فى حالة العاطفة الدينية نعلم الحقيقة الواقعية بمفهوم أنها خارجة عن دائرة شخصيتنا الضيقة ، وللشدة التى تهز بهــا تلك العاطفة الدينية أعماق وجودنا تلوح للعالم بعلم النفس أنها ثمرة « منطقة ما تحت الشعور » . إن فى كل علم يوجد عنصر العاطفة ، ويزداد موضوع العــلم وينقص فى قيمة موضوعيته على حسب الزيادة والنقص فى شدة تلك العاطفة . فان الشىء الذى يقــدر أن يهز جميع شخصيتنا هزاً شديداً أكثر حقيقة لنا

صنف فى ألمــانيا الدكتور آسوالد اشبنجلر أحــد كبار الفلاسفة المعاصرين كتاباً سماه « انحطاط الغرب [1] » ونشره بعد الحرب العظمى مباشرة ، فلقى مع اشتماله على أدق الأفكار الفلسفية إقبالا عظيما حيث بيع من الطبعة الأولى مائة الف نسخة . فى هذا الـكتاب سعى اشبنجلر لدحض الفـكرة السائدة من القرن المــاضى إلى الآن وهى أن الحضارة الغربية الحاضرة ثمرة التقدم المسلسل ، وأن مصيرها فى المسـتقبل ايضاً التقدم المستمر كالخط اللامتناهى ، وأتى بنظرية وهى أن المدنية الانسانية ليست هى التقدم المسلسل ولا المستمر كالخط اللامتناهى بل هى عبارة عن سلسلة حلقات المدنيات المختلفة كل حلقة فيها مستقلة فى روحها عن الأخرى تمثل دور الثقافة والحضارة ثم تموت [2] . ولا اتصال بين تلك الحلقات بتاتاً . وعليه فلـكل مدنية عند اشبنجلر طريق خاص للنظر الى الأشـياء والعالم وعن التلمس لأبناء مدنية أخرى

لاثبات هذه النظرية استقصى اشپنجلر فى كتابه « انحطاط الغرب » مدنيات العالم بحذافيرها تخصص بابين كبيرين للمدنية العربيــة رى اقبال أنهما يكونان جزءاً ذا أهمية عظمى لتاريخ آسيا الثقافى . غير أن ما جاء فيهما عن الاســلام هو ، فى رأى اقبال ، مبنى على سوء الادراك لطبع الاسلام كالحركة الدينية ،

(١) أى Der Untergang des Abendlanps

(٢) يوزع اشپنجلر كل مدنيــة فى دورين : دور الثقافة الذى بمثابة « الجسم الحى » لروح المدنية : ودور الحضارة الذى هو « مومياء » تلك الروح . فى الأول يعيش الرجل حياة باطنية خصبة ، وفى الثانى حياة خارجية بارزة فى المكان بين ظواهر الأجسام والأمور الواقعية التى لا يدركها رجل الثقافة إلا انها أوامر القضاء والقدر ، بينما يدرك رجل الحضارة أنها نتائج الأسباب الخاصة . فالأول يعيش من دون الشعور عيشة مندفعة ، والثانى بالشعور عيشــة يقظة . وعلى هذا فالحياة للأول شىء بديهى لا تحتاج إلى معالجة العقل فهو يقبلها كقضاء الله وقدره ، ولكنها للثانى شىء غامض تحتاج إلى حل العقل وحكمه على ضوء مبدأ النفع والضرر . لذلك كان دور الثقافة عند اشپنجلر أزهى الأدوار فى حياة الشعب ذى المدنية إذ فيه يوجد عنده قوة الخلق للعلوم والمعارف والفنون والصناعات وتسيطر عليه روح الدين . وأما دور الحضارة فتهن فيــه تلك القوة فلا يقدر الشعب على خلق الجديد إلا تقليدا للغير أو شرحا للقديم وهو دور حكم العقل والمــادية فى الشعب ؛ وعلى هذا فيرى اشپنجلر أنه فى المدنية الغربية قد بدأ هذا الدور من نهاية القرن الثامن عشر وأنها ستموت حوالى سنة ٢١٠٠ ميلادية

والتحول الثقافى العظيم الذى أتى به الاسلام فى العالم . قل فى محاضرة ألقاها فى جامعة هندية : « إن اشپنجلر فى اجتهاده لاثبات نظريته يسوق جيشاً عرمرماً من الحوادث والتراجم كالشواهد ليبين أن روح المدنية الأوربية مضادة لروح المدنية اليونانية واللاتينية ، وأن تضاد روح المدنية الأوربية هذا ناشئ عن طبع الذكاء الأوربى الخاص وليس عن أى الهام قد تكون استلهمته من الثقافة الاسلامية التى هى عنده « ماجية » فى النوع والروح تماماً . إننى قد سعيت فى محاضرتى السابقة لأثبت لكم أن تضاد روح العالم الحاضر هذا لروح المدنية اليونانية واللاتينية هو فى الحقيقة ناجم عن ثورة الاسلام ضد الفكر اليونانى[1] ؛ وظاهر أن هذا الرأى لا يمكن أن يقبله اشپنجلر ، فانه لو قيل إن تضاد روح الثقافة الحاضرة للمدنية اليونانية واللاتينية ناجم عن استلهامها ذلك من الثقافة التى سبقتها مباشرة ، لانهارت نظريته من أساسها ، لأنه قد قرر فيها أن كل مدنية منفردة مستقلة لا اتصال بينها وبين ما قبلها وما بعدها . لذلك أخشى أن يكون جهد اشپنجلر لتأسيس نظريته هذه قد أفسد نظره فى الاسلام كالحركة الثقافية افساداً تاماً . »

« يريد اشپنجلر (بالثقافة الماجية) الثقافة العامة المشتركة بين ما يسميه اشپنجلر « مجموعة الأديان الماجية » وهى عنده الديانة اليهودية ، والكلدانية القديمة ، والمسيحية القديمة ، والزرادشتية والاسلام . فلا أنكر أن الغشاء الماجى نبت على الاسلام[2] ولكن مهمتى فى هذه المحاضرة كما كانت فى محاضراتى السابقة هى حماية صورة صحيحة لروح الاسلام الخالصة المجردة عن غشائها الماجى الذى فى رأيى أضل اشپنجلر . إن جهل اشپنجلر للفكر الاسلامى فى مسألة الزمان ، وكذلك جهله للطريق الذى به ظهرت الأنانية فى الاختبار الدينى الاسلامى كالمركز الحر للتجربة ، مدهش . فبدلا من أن يستفيد ويستنير من تاريخ الفكر الاسلامى وتجاربه هو يفضل أن يؤسس حكمه على عقائد العامة فى بداية الزمان ونهايته . فكروا هنيهة ! فى رجل ذى علم غزير كالجبل الشامخ وهو يستمد لاثبات الجبر المزعوم فى الاسلام من المقولات والأمثال العامة الشرقية مثل « قوس الوقت » أو « لكل شىء وقت » . إننى على كل حال قد بينت لكم فى محاضراتى السابقة أصل فكرة الزمن فى الاسلام وتقدمها كما شرحت لكم الأنانية الانسانية كالقوة المطلقة ، وأعتقد أنه واف بالغرض ؛ وأما انتقاد آراء اشپنجلر فى الاسلام وفى الثقافة التى بحثت عنه انتقاداً وافياً فظاهر أنه يحتاج الى مجلد ضخم . غير أنى زيادة على ما قلت أحب أن أقدم اليكم ملاحظة أخرى عامة »

يقول اشپنجلر « إن لب تعليم الأنبياء ماجى . فهناك إله واحد — سواء أيقال له يهوذا ، أم اهورامزدا ، أم مردوك بعل ، وهو الأصل للخير . وأما الآلهة الأخرى فجميعها إما عاجزة أو شريرة ، وضم الى هذه العقيدة الأمل فى ظهور المسيح الذى كان أكثر وضوحا فى النبي ايشائيا ولكن ذلك الأمل ظهر فى القرون بعده فى كل مكان تحت ضغط الضرورة الباطنية بالشدة . وهذا الفكر فكر أساسى فى الدين الماجى لأنه يشمل من دون النزاع تصور حرب العالم التاريخية بين الخير والشر مع سيادة قوة الشر فى الأوقات المتوسطة وفوز الخير فى الآخر فى يوم القيامة . » لو أريد تطبيق هذه الصورة لتعليم الأنبياء على الاسلام فهو يحرفه تحريفاً تاماً ، فان الفرق الهام بينهما هو أن الرجل الماجى يقبل وجود الآلهة الباطلة وان لم يعبدها ، بينما الاسلام ينكر نفس وجودها انكارا تاماً . واشپنجلر يعجز فى هذا الخصوص عن أن يقدر القيمة الثقافية لفكرة ختم النبوة فى الاسلام حق قدرها . نعم مما لا شك فيه أن صفة واحدة مميزة فى الثقافة الماجية هى موقف الأمل الأبدى ، هى الانتظار المستمر لمجىء أولاد زرادشت غير المولودين ، أو المسيح ، أو بارقليط الانجيل الرابع ، ولكنى قد بينت لكم فى محاضراتى السابقة الطريق الذى يجب لطالب الاسلام أن يسلكه فى البحث عن المعنى الثقافى لفكرة ختم النبوة فى الاسلام . وزيادة عليه أقول إنه يمكن أن تعتبر هذه الفكرة علاجا نفسياً للموقف الماجى للأمل المستمر الذى يفضى الى تقديم صورة كاذبة للتاريخ . لذلك لما رأى ابن خلدون أنه قد ظهرت فى الاسلام تحت أثر الفكر الماجى فكرة — ظهور المهدى — التى تشابهها على الأقل فى نتائجها النفسية ، وأنها تخالف نظره فى التاريخ محقها بالانتقاد محقاً تاماً »

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

---

(١) أثبت الدكتور اقبال فى تلك المحاضرة أن روح تعليم القرآن ضد الفكر اليونانى ، فان الأهمية الكبرى عند القرآن للعمل بينما عند اليونان للنظر . والمسلمون استفادوا بادئ ذى بدء من الأفكار اليونانية ولكنهم أدركوا فيما بعد تضاد تعليم القرآن للفكر اليونانى فانتقدوه وثاروا عليه وصنفوا كتباً كثيرة فى انتقاد جميع نواحيه وفروعه

(٢) يريد به تأثر المسلمين من الروايات والحكايات الاسرائيلية والمسيحية والمجوسية وادخالها فى التفاسير والكتب الدينية الأخرى

موسم الاسكندرية

الحول قد حال

للأستاذ فخرى أبو السعود

حُيِّيت يا بحرُ إن الحول قد حالا   فاستقبل اليوم أسراباً وأرسالا
تسعى إليك من البلدانِ ظامئةً   إلى الجمال على شطَّيك قد جالا
وللضياء على عطفيك مؤتلقاً   وللنسيم على الآذيِّ مختالا
ومُلك شمس على الآفاق مُنبسطٍ   تعليه يوماً فيوماً كلما دالا
ومُزْبدٍ فيك أشهى المناظر من   حبابِ كأسٍ علا فى الكأسِ جريالا
ودافقٍ ترتوى الأرواح حائمةً   به وينقع للأجسام صلصالا
وناعس الرملِ قد مرَّت به حِقَبٌ   عدادَه وسيطوى بعدُ أجيالا
وهائج اللج يغزو الشطَّ مجتهدا   لا يأتلى عنه إدباراً وإقبالا
دوْماً يحاول أمراً ليس يبلغهُ   وما يزال لما يبغيه محتالا
إذا تكسَّر من صخرٍ إلى حجرٍ   شهدت فى كل صوب منه شلالا
يشنُّ حرباً على الخلجان عاتية   دوماً ويعدو على الشطآن صوَّالا
يشن حرباً ويهدى من نسائمه   خير التحايا كريم الفعلِ مفضالا
إذا النسيم تعالى من جوانبه   معطَّر الثوب أرداناً وأذيالا
حسبت روضاً وراء اللجِّ ذا أرجٍ   حيَّا أزاهرَهُ الوسميُّ هطّالا
هذا النسيم بقلبى مُنبتٌ زَهَراً   وباعثٌ فيه عرْفاً كلما مالا
هذى المحاسنُ كم يبعثن فى خلَدِى   من ذكرياتٍ وكم يحيين آمالا
يُفسحن عمر الفتى مهما أطاف بها   حتى تكون بها الساعاتُ آجالا
جمعتَ عندك آى الحسن قاطبةً   وطبت يا بحر أسحاراً وآصالا
إن كنت لم تجلُ حُوراً فيك عاريةً   كما روى شاعرٌ قِدْماً وما خالا
فكم على جانبيك اليوم من فتَنٍ   لم تحو أسطورةٌ منهن أمثالا
غيدٌ بلجِّك أو بالرملِ سارحةٌ   رفلْنَ فى الحسن أعطافاً وأوصالا
هذى كنوزٌ على شطَّيك مزرية   بما تزوِّدُ غوّاصاً ولآّلا
كنوزُ حسنٍ إذا أصفى مودَّته   فدع كنوزاً لقارون وأموالا
الطرفُ منهنَّ مُثْرٍ مسرفٌ بذخا   والقلبُ يندبُ إعساراً أو إقلالا
وكلما خاضَ طرْفى أنعماً وحُلى   تجشمَ القلب أوجاعاً وأهوالا
سبحانَ من أرسلَ الأحداق فى طلَقٍ   وحمَّل القلبَ فى الأضلاع أغلالا
يا من عرضتُم فغادرتُم جوانحنا   حرّى وقد نال منها الشوقُ ما نالا
بالرغمِ منّى أن تمضوا على عجَل   ولا يكونَ ودادٌ بيننا طالا
تمّتْ لديكَ صفاتُ الحُسْنِ واختلطت   لديك يا بحرُ أشتاتاً وأشكالا
فلا كشطِّكَ للألباب مُنتجعٌ   ولا كأفقك من وحىٍ لمن قالا

(اسكندرية)   فخرى أبو السعود

من أحسن ما قيل فى (موسم الشعر)

فى قريتى

للأستاذ أحمد الكاشف

جمعت فى العيد حولى سائر الآل   وملتقى الآل حولى كل آمالى
أبًا دعونى ومالى فيهمُ ولد   ولست للقوم غير العم والخال
كأننى وهمُ فى الدار مطلع   منهم على أمم شتى وأجيال
أعدهم لغـد والمقبلين غداً   فى هذه الأرض أجنادى وأبطالى
ما أحسن الشمل أرعاه وأشهده   لأمهات وآباء وأطفال
فلا أرى فرقة فى الدهر قاطعة   لمطمئن وخفاق وجوال
ولا يصاب هديل فى أليفته   ولا الغضنفر فى غيل وأشبال
أقمت فى الريف لا أشقى بطاغية   من الرجال ولا لاهٍ وختال
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة   فيما ملكتُ وماء فيه سلسال
أحرم اللحم لى زاداً وأحسبه   طعام مفترس فى القفر مغتال
وقد أقاتل للحىّ المسالم من   طير ومن حيوان كلَّ قتال
لو كان للنبت إحساس رأفت به   وبت للنبت أيضاً غير أكال
كأنما قريتى مادمت ساكنها   ولايةٌ وكأنى العمدة الوالى
أطلت فيها اعتزال العالمين ولى   بكل ناحية همى وأشغالى
لقيت فى عشرة الجهال عاطفة   لم ألقها فى رجال غير جهال
ولم أجد من وضيع الذكر خامله   ماساءنى من رفيع الذكر مختال
حملت أثقال قومى وهى فادحة   عنهم وما شعروا يوماً بأثقالى
وهان شأنىَ حتى ليس يذكرنى   من استعان بأقوالى وأعمالى
وما حرصت على عينى وعافيتى   حرصى على الود فى حل وترحال

وما أبالى ونفسى فى سلامتها ... طول اعتلالى بأعصابي وأوصالى
ومحنة لا عزاء أن أرى بلداً ... سوى بلادىَ أولى بى وأوفى لى
لو كان ما أغفلوا منى وماتركوا ... يعنيهمُ لم يطل تركى وإغفالى
ولو بُليتُ بجبارين ما بلغوا ... مدى الأحبة من قهرى وإذلالى
أريد حرية الوادى السليب وبى ... منه جراحى وآلامى وأغلالى
والدهر يعجلنى حيناً ويمهلنى ... حيناً وسيانَ إعجالى وإمهالى
ولو بلغت من الآجال غايتها ... لما انتفعت بأعمار وآجال
شعرى استوى فيه عاصيه وطيعه ... كما استوى فيه إكثارى وإقلالى
وما أفاد غنائى فوق رابيـة ... ولا أفاد بكائى فوق أطلال
وقد تبينت ما فى الناس زهدنى ... وكان فى الزهد إعزازى وإجلالى
ولست يوماً لموجود بمحترس ... ولا على رد مفقود بمحتال
ولو أتى بالنعيم الدهر ملء يدى ... لم يأت إلا لأعلالى وإملالى
ولست أسأل عن حق وقيمته ... ولو تولاه ميزانى ومكيالى
إن لم يكن لىَ ديوان وحاشية ... يوماً فحسبى محاربى وأنوالى
ألست ممن دعا الأحزاب فأتلفتْ ... وردت الأمر من حال إلى حال
كفى من القوم بالزلفى رجوعهمُ ... إلى الذى فيه كانوا أمس عذالى
أرى المودة بالقنطار بينهمُ ... ولم أفز بينهم منها بمثقال
ولم أزل بينهم للخصم متقيا ... دخائلا هى فى ذهنى وفى بالى
أخشى على رسلهم نياته وهم ... منـه أمام جلاميـد وأدغال
وما تزال كما كانت سياسته ... يدور فيها بألوان وأشكال
وموضع النّد أرجو عنده لهم ... لا موضع الصيد من أنياب رئبال
حق المصير تولوه بشملهمُ ... وهو الكفيل بتغيير وإبدال
إن لم يجئ يومهم بالخير أجمعه ... ففى غد كل إتمام وإكمال
والجو ينذر من نار بعاصفة ... حرباً وفى الأرض إنذار بزلزال
وقد يكون لهم من ضيقهم فرج ... كما تدافع أهوال بأهوال
يافتية الشعر هذا اليوم موسمكم ... ومهرجان البيان القيم الغالى
أمانة الشعر أديتم ولم تجدوا ... ماتستحقون من عطف وإقبال
وحسبكم أن فيـه إخوة لكم ... من أغنياء وأرباب وأقيال
تجاهدون بأذهان وأفئدة ... وترجعون بلا جاه ولا مال
وتملكون من الدنيا سرائرها ... ولا تحلون منها الموضع العالى
ومايتاح لكم فى الأرض متسع ... كما يتاح لعراف ودجال
قالوا انقضى الشعر بعد (الشاعرين) ولم ... يأنس بغيرهما ميـدانه الخالى
ولست وحدى له فى مصر بعدهما ... فمصر ملأى بأشباهى وأمثالى
أيشغلنَّهمُ ركب مضى ونوى ... عما أمامهمُ والمقبل التالى
إن لم ير الحى بعد الميت منزلة ... منهم فلا خير فى المحزون والسالى
وإن كل بناء لا يصير إلى ... أبناء بانيـه لهو الدارس البالى
خير من البلد الخصب المباح حمى ... صعب الجوانب من جدب وإمحال
والملك بالجند والحصن المحيط به ... لا بالحقول ونهر فيـه سيال

أحمد الكاشف

أوبة الطيار

للأستاذ أحمد رامى

فى سكون المساء والبحر ساج ... والسحاب الصبير فى الجو سار
كنت أرنو إلى الغروب وأروى ... ناظرى من صُبابة الأنوار
فإذا بى ألقى دخاناً ولا غيـ ... ـم وريحاً وليس من أعصار
فتبينت استشف جبين الـ ... أفق من بين هـذه الأستار
فإذا هى جماعة من بنات الـ ... ـريح تطوى الفضاء عبر البحار
يتلاحقن ماضيات ويهويـ ... ـن هُوِىّ النسور للأوكار

يا حداة الرياح ماذا لقيتم ... من ركوب الأهوال والأخطار
كم جزعتم من الرياح السوافى ... وسهرتم مع النجوم الدرارى
وصبرتم على المخاوف ترجو ... ن رضاء المهيمن الجبار
رفع الناس عنده درجات ... فى مقام الجلال والإكبار
وقضى أمره فأرسل سربا ... منكمُ فى مسابح الأطيار

أيها الطائر المحلق فى الجـ ... ـو سلام عليك فوق المطار
سهرت أعين ورفت قلوب ... تسأل الله رحمة الأقدار
تتمنى لك السلامة فى مسـ ... ـراك ليلا وغادياً بالنهار
تسأل الريح هل ألمت خفافا ... بجناحيك أو أطافت ضوار
تسأل البرق هل أضاء لك الأفـ ... ـق وأنجاك من مهاوى العثار



قصـــة المفاتيح

للقصصي الروسي مكسيم جوركي

Maxim Gorki

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وكان زيومكا أثناء ذلك ، وهو الملحد الحقيقي ، يتثاءب عالياً ، فنظر اليه صديقه نظرة احتقار ثم أطرق برأســـه ؛ وحدقت العجوز بنظرها في زيومكا دون أن تمسك عن القراءة ، فخجل من ذلك ومسح أنفـه وأدار عينيه ليرى نتيجة تثاؤبه فلم تكن إلا تأوهاً خاشعاً

ومضت دقائق هادئة إذ كان لصوت القارئة المرتل أثر في الطمأنينة :

« إن غضب الرب ينزل من السماء على كل غير رباني .. و .. »

وصرخت القارئة فجأة في وجه زيومكا : « أتريد . . . ؟ »

فأجاب في استكانة : « أنا . . . أنا . . . لا شيء ! تابعي القراءة ؛ إنني أستمع »

فسألته العجوز غضبي : « لماذا تلمس القفل بيديك القذرتين ؟ »

— « إنه ليهمني . . . إن صنعه جميل جداً . . . إنني أفهمه ، كنت قبلاً صانع مفاتيح ، وأردت أن أجسه . . . »

وقالت العجوز : « انتبهوا ، ماذا قرأت لكم ؟ »

وقال زيومكا : « إنني أستطيع أن أعيده .. . إنني أفهم »

وقالت العجوز : والآن ؟

— « لقـد كنت ترتلين تعاليم الدين ، وتذكرين عدم الايمان بالرب . المسألة غاية في البساطة ، فكل شيء من ذلك حقيقي . لقد كان ذلك يحز في قلبي . »

ونظرت العجوز الينا وهزت رأسها وقالت :

« انكم مفقودون . . . كالحجارة . . . ارجعوا ثانية إلى عملكم »

وقال ميشكا وعلى فمه ابتسامة المعترف بذنبـه : « يظهر أنها غضبي »

وحك زيومكا رأسـه وتثاءب والتفت إلى العجوز دون أن يراها وسار في طريقه وأطرق مفكراً : « إن قفل الكتاب من الفضة » ومرت في وجهه قشعريرة

وقضينا الليل في الحديقـة إلى جانب أنقاض الحمام الذي هدمناه عن آخره في ذلك اليوم . وفي ظهر اليوم التالي أتممنا تنظيف النافورة ، وقد ازدادت قذارتنا وتبللنا بالمـاء ، وانتظرنا أمام باب المنزل في انتظار أجرنا ، وكنا نتحدث عن غذاء وعشاء دسمين نتناولهما قريباً ؛ ولم يكن لواحد منا أي رغبة في الحديث عن شيء غير ذلك

وفرغ صبر زيومكا وقال بصوت أجش : والآن أين استقرت يا ترى هذه الغول الشمطاء ؟ لقد هلكت !

وقال ميشكا وقد هز رأسه معاتباً صديقه :

تسأل الفجر أين طالعك اليو	م وأين السبيل في الابكار
تسأل الليل هل أصاخ لنجوا	ك حنيناً إلى ربوع الديار
هذه مصر فانزل الدار أهلا	ناعماً في القلوب والأبصار
وأولاء الشباب حولك في مصـ	ـر يحيُّون أوبة الطيار
طار سرب منهم يخف إلى الفـ	ـدى ويهدى إليه إكليل غار
وسرى في ركابه يتهادى	في جلال العلا وعز الفخار
وجرى النيل بين شطين يختا	ل خلال النخيل والأشجار
وأبو الهول في الفلا كاد يقعى	ثم يرنو إليه بالأنظار
مشهد يبعث السمو إلى النفـ	ـس ويدعو إلى الأماني الكبار
فانهضوا أمة تتوق إلى المجـ	ـد وتبغي منازل الأحرار

أحمد رامى

« لقد بدأ يسب من جديد . ولماذا يسب يا ترى ؟ هذه العجوز امرأة طيبة تخاف الله ، وهو يسبها — هذا هو خلق الرجال ! »

وابتسم زيومكا وقال له إنه شديد الحساسية نحو ذلك الطائر الشارد ، تلك العجوز . . . هذه . .

وقضى ظهور العجوز على هذا الحديث الطريف . وتقدمت الينا وأخرجت النقود وقالت فى احتقار : « ها هى ذى نقودكم خذوها وارحلوا من هنا . كنت أريد أن أعطيكم أخشاب الحمام فتقطعوها قطعا صغيرة ، ولكنكم لستم أهلا لذلك »

وأخذنا نقودنا صامتين وذهبنا ولم نحظ بشرف تقطيع أخشاب الحمام الى قطع صغيرة للوقود

وقال زيومكا وقد خرجنا من باب الحديقة : أيها البشع العتيق أنظر الى هذه ! ألا أستحقها يا قبيح الوجه ؟ الآن يمكنك أن تسبح باسم ذلك الكتاب

وأدخل يمينه فى جيبه وأخرجها بقطعتين من المعدن اللامع وأرانا إياهما كمن كتب له النصر

وجمد ميشكا فى موقفه ، واشرأب عنقه ليرى ما فى يدى زيومكا . وسأله حائراً : « هل خلعت القفل ؟ »

— « هذا ما فعلته ! إنه من الفضة الجيدة . ويمكن لأى انسان أن يحتاج اليها . وهى تساوى على الأقل روبلا »

— « هيه ، وما دمت قد فعلت ذلك فارمها بعيداً عنى ! يا للخجل ! »

— « سأفعل ذلك »

وتابعنا السير فى صمت . وقال ميشكا مفكرا فى الأمر . تمت بمهارة ، انتزعها ببساطة . ثم قال : « نعم لقد كان كتابا جميلا وستحقد العجوز علينا »

وقال زيومكا هازئاً : « إنها لن تسترجعنا مرة أخرى لتقدم لنا ثناءها »

— « وبكم تبيعها ؟ »

— « بتسعة أعشار الروبل — هذا أقل ثمن ، لا أقل من ذلك فلسا . إننى أخسر فيها . أنظر لقد انقصف لى ظفر »

وقال ميشكا فى خجل : « بعنى إياها »

— « أإياك أبيعها ؟ أتريد أن تجعل منها أزراراً لقميصك ؟ أنظر : إنها تكفى لعمل زوج جميل من الأزرار — وهى تليق بك على ثيابك الخلقة »

ثم أخذ ميشكا يستعطفه : « كلا إننى جاد غير هازل . بعنى إياها

— « اشترها ، كم تدفع ؟ »

— « خذ ما تشاء ، ما هو القدر الذى أحصل عليه من شركتى فى العمل ؟ »

— « روبل واحد وعشرون كوبكا »

— « وكم تريد أن تأخذ فيها ؟ »

— « يا مغفل ! ماذا تريد أن تفعل بها ؟ »

— « بعنى إياها . أرجو ذلك »

وانتهت عملية البيع فى النهاية ، وأصبح القفل ملكا لميشكا بعد أن دفع تسعين كوبكا

ووقف ميشكا فى مكانه وقلب القطعتين فى يده وحدق فيهما . ونصحه زيومكا هازئاً بأن قال : « علقهما فى أنفك ! »

وأجاب ميشكا جادا : « ولم ذلك ؟ إننى لا أريدهما . سأرجعهما الى العجوز وأقول لها : هاك يا سيدتى العزيزة المحترمة . لقد أخذناهما سهوا معنا ، فارجعيهما الى ما كانا عليه

— ولكنك انتزعتهما فكيف إصلاحهما ؟ »

وسأله زيومكا وقد فتح فاه : « أتريد حقاً أن تحملهما اليها يا شيطان ؟ »

— « نعم ولم لا ؟ أنظر إن مثل هذا الكتاب يجب أن يبقى كما هو . ولا يجوز للانسان أن ينزع منه قطعة . وسوف تغضب العجوز وتحزن . . . وسوف تموت عما قريب . هذا ما أردت . فانتظر لحظة يا أخى فسأعود سريعاً »

وقبل أن نتمكن من إيقافه اختفى وانعطف بخطوات سريعة

وقال زيومكا فى غضب وهو يفكر فى أثر هذه الواقعة ونتائجها المحتملة : « ما أضعف هذا الرجل وما أكثر تغفيله ؟ »

ثم أخذ يؤكد لى فى كل جملة خطأه

ولكن الآن انتهى كل شيء . لقد أوقعنا فى الشرك . ولعله الآن جالس متكىء أمام العجوز . وقد لا يغيب عنها أن تستنجد بالشرطة »

« هذا مثل مما يتوقعه الانسان من مصاحبة هذا الوغد . إنه حقا يدخل الشخص إلى السجن من أجل شيء تافه . هذا الكلب ! هل رأيت رجلاً له مثل هذه النفس الدنيئة ، يبغى أن يُلقى بأصدقائه إلى التهلكة ، يا إلهى ! أهذا هو جيل اليوم ؟ هيا بنا ، لم هذا الانتظار ؟ أتريد أن تبقى هنا ؟ انتظر إن شئت ، ليخطفك عفريت من الجن أنت وكل الأوغاد من أمثالك . ذلك الوغد ! ألا تريد أن تذهب معى ؟ هيا »

ووكزنى زيومكا فى جانبى وسبنى ومضى لسبيله

وكنت أريد أن أعرف ماذا جرى لميشكا عند صاحبة آخر عمل قمنا به . فذهبت ثانية إلى ذلك المنزل ، وكنت أعتقد أن لا خطر فى ذلك ، وأن السوء لا يمسنى من جراء هذا . ولم يخب ظنى ، ووصلت المنزل وأخذت أنظر من خلال الحواجز وقد رأيت وسمعت ما يلى :

كانت العجوز جالسة على سلم المنزل ممسكة بقطعتى القفل الفضى بيدها وهى تنظر إلى ميشكا من خلال منظارها بدقة كما لو كانت تريد أن تتغلغل فى صميمه . وكان لعينيها الحادتين بريق قوى . وقد ارتسمت على طرف فمها ابتسامة خفيفة رخوة تحاول اخفاءها : هى ابتسامة المغفرة .

وتبين من خلف العجوز ثلاثة رؤوس : امرأتان إحداهما شديدة حمرة الوجه وعلى رأسها منديل زاهى الألوان ، والثانية عوراء ، وقد وقفت خلف رجل عريض المنكبين وأمارات وجهه تدل على أنه يريد أن يقول :

« أسرع من هنا يا صديقى ! أسرع بقدر ما يمكن »

وكان ميشكا يتحدث فى ارتباك :

« لقد كان كتاباً عظيما ! ! إنهما نذلان ! أما أنا فقد كنت أذكر ربى . هذا هو الحق . وهذا ما يجب قوله . إننا تعساء ورجال سوء أنذال — ثم كنت أعود فأفكر فى المرأة العجوز الطاعنة فى السن . ولربما كان سرورها الوحيد فى كتابها هذا — ذلك ما ظننته . وأردت أن أهىء للعجوز المتدينة سروراً وأن أرد اليها أشياءها : وقد اكتسبنا بحمد الله شيئاً نقتات به . فالوداع يا إخوتى . إننى أريد الذهاب الآن »

واستوقفته العجوز وقالت له : « انتظر ! هل عرفت ماقرأته لك البارحة ؟ »

« أنا ؟ أنَّى لى ذلك ؟ إننى استمعت اليك ولكن أى استماع ؟ فهل لآذاننا قدرة على استماع كلام الرب ؟ إننا لا نفهم مثل ذلك . »

وقالت العجوز : « أهكذا ؟ ألا تنتظر لحظة أخرى ؟ »

وتململ ميشكا وأخذ كالدب يضرب الأرض برجليه . فان مثل هذا الحديث لا طاقة له به

— « هل لى أن أقرأ لك شيئاً قليلاً ؟ »

— « ..... ولكن صديقىَّ ينتظران . »

— « دعهما ينتظران ، إنك رجل طيب . دعهما يسيران حيث شاءا . » وقال ميشكا بصوت خافت : « حسناً . »

— « إنك لن تسير معهما بعد الآن ؟ أليس كذلك ؟ »

— « لا . »

— « هذا هو الصواب . إنك طفل كبير على رغم ما لك من لحية تنزل إلى وسطك ! هل أنت متزوج »

— « بل أعزب . إن زوجتى توفيت . »

— « ولم تشرب الخمر ؟ إنك تشرب طبعاً ؟ »

— « نعم . »

— « ولماذا ؟ »

قال ميشكا متضجراً : « ولماذا أشرب الخمر ؟ لتغفيلى . إننى مغفل ولهذا أشرب . ولو كان للانسان عقل لما جرؤ على تحطيم نفسه بيده . »

— « إنك على حق . » فاعمل على أن تكون عاقلاً . حسن من سيرتك وأصلح من أمورك . اذهب إلى الكنيسة واستمع إلى كلام الرب ففيه كل الحكمة . »

وتأوه ميشكا وقال : « سأفعل »

— « هل لى أن أقرأ لك شيئاً ؟ »

— « نعم ، تفضلى »

وأتت العجوز بالانجيل ، وقلبت صفحاته ، وبدأ صوتها

يدوى ، ورمى ميشكا برأسه الى الوراء ، وحك بيده ذراعه اليسرى

« وهل تظن أيها الانسان أن فى وسعك التهرب من حكم الرب ؟ »

وقاطعها ميشكا وكأنه يجهش بالبكاء : « سيدتى المحترمة ، دعينى أذهب ، أرجو ذلك محبة فى الله ، سآتى مرة أخرى عن طيب خاطر وأستمع . أما الآن فانى جائع جدا . إننا لم نتبلغ منذ أمس

ودقت العجوز صدوها ، وقالت : « اذهب ! ابتعد ! » ورن صوتها المزعج فى الفضاء ، واندفع ميشكا مسرعا نحو الباب بعد أن قال لها :

« أشكرك شكرا جزيلاً أيضا »

وتمتمت العجوز تقول : أرواح مغلقة ! قلوب غلف كالحجارة !

***

وبعد نصف ساعة جلسنا فى المطعم ، وشربنا الشاى وأكلنا الخبز الأبيض ، وقال ميشكا وهو يبتسم إلىّ بعينه التى تشبه عيون الأطفال سذاجة وفرحا : « كنت أشعر كأن حمى قد انسابت فى جسمى ، وقد وقفت هنالك وفكرت فى القول : أى ربى لم جئت إلى هنا ؟ إنه العذاب ! وبدأت هى الحديث : هل هؤلاء آدميون ! اننا نريد أن نكون شرفاء معهم ونهيئ لهم ما توحى به ضمائرنا ، إلا أنهم يفكرون فى غير ذلك : يفكرون فى متاعهم . فقلت لها : يا سيدتى المحترمة ، هذا هو قفلك أرده اليك ولا تغضبى ... ولكنها قالت : انتظر ، ابق هنا ، اذكر لى أولاً لم أحضرته ؟ وبدأت تخزنى بكلماتها ، ولقد سئمت كثرة أسئلتها ... هذه هى الحقيقة »

وتابع الابتسام الهادئ المريح

واهتاج زيومكا وقال له جادا :

« أولى لك ياصديقى أن تموت ! وإلا التهمك فى الغد الذباب من فرط سخف أفكارك »

— « إنك تتحدث بغباء دائماً . تعال ، نريد أن نشرب كأساً لنسدل على المسألة الستار » . وشربنا كأساً على نهاية هذه الحادثة العجيبة

عن الألمانية ا . ا . ى

دراما من اسخيلوس

سبعة ضد طيبة

(الدرامة الثالثة الباقية من مأساة أوديب)

للأستاذ دريني خشبة

خلاصة الدرامتين المفقودتين : ولد لملك طيبة الملك لايوس طفل جميل قالت النبوءة إنه إن عاش فسيقتل أباه ويتزوج أمه ويجر البلاء على شعبه فأرسله الملك مع واحد من خدمه ليقتله ويتخلص بهذا من شره ، ولكن الخادم خشى عقاب السماء إذا قتل الطفل فعلقه من عقبيه فى شجرة وعاد إلى المدينة . ومر راعى غنم بذلك المكان فأحزنه بكاء الطفل فأخذه وذهب به إلى ملك كورنثه الذى فرح به لعقم زوجته وجعله ولياً لعهده وسماه أوديبوس (أى ذا القدمين المتورمتين) . وكبر أوديب وأقيمت حفلة راقصة فى القصر وثمل المدعوون وحدث أن أحدهم اصطدم فى نشوة السكر بأوديب فلمزه فى أصله وأنه ليس ابن ملك كورنثه ، فثار أوديب وأظلمت الدنيا فى عينيه وترك من توه قصر الملك وهام على وجهه فى البلاد باحثاً عن والديه الحقيقيين . ولقى ركباً ملكياً فى طريقه إلى دلفى فأمره القائد أن يتنحى ناحية حتى يمر الموكب ولكنه أبى والتحم مع الجماعة فى معركة فقتلهم جميعاً وفيهم ملك طيبة — وبذلك تحقق شطر النبوءة الأول لأنه قتل أباه — ثم سار إلى أن بلغ طيبة فوجد قومها فى حيرة من مقتل الملك ومن هولة بحرية فتكت بأهل المدينة لأنهم لم يستطيعوا تفسير حجياها ، وسمع أوديب أن مجلس المدينة قرر أن من يخلص الناس من هذه الهولة فانه يصبح ملكا عليهم ويتزوج الملكة الأرمل ، فذهب من فوره فلقيها وحل حجياها وقتلها وصار ملكا على طيبة وتزوج الملكة التى هى أمه وهو لا يعلم — وبذلك تحقق شطر النبوءة الثانى — وحدث وباء فى طيبة فتك بأهلها فتكا ذريعاً وقالت النبوءة إن الوباء لا يرتفع عن طيبة حتى يقتل قاتل الملك لايوس ... وأمر الملك بتحقيق مقتل سلفه فثبت عنده أنه هو القاتل وأنه ابن لايوس هذا وأنه تزوج أمه ونسل منها ولدين وفتاتين فجن جنونه وسمل عينيه وهام على وجهه إلى الغابة لتقتله ربات الذعر جزاء له ... أما ابناه فقد اقتتلا على العرش واستنجد أكبرهما بالأرجيف أعداء طيبة فثار الشعب عليه ... وفى المعركة التقى الاخوان فقتل أحدهما الآخر وبذلك تحقق الشطر الأخير من النبوءة ...

— ١ —

اختلف الاخوان ، إتيوكليس ، وبولينيسز ، بعد مقتل أبيهما من اجل العرش ، ثم اتفقا على أن يحكم كل منهما سنة ، واتفقا على أن يحكم إتيوكليس ، الأخ الأكبر[1] قبل أخيه . فلما حال

---

(١) هكذا فى إسخيلوس ، أما سوفوكليس فيعد بولينيسز الابن البكر لأوديبوس

الحول وأراد پولينيسيز ارتقاء العرش بدوره ، أبى أخوه ؛ وألب عليه الشعب ، وأوغر صـدور مجلس طيبة بما لفق على أخيه من المفتريات . واضطر پولينيسيز إلى ركوب الأسنة ، لـما لم ير له حيلة إلا ركوبها !

— ٢ —

ولاذ بملك آرجوس ، أدراستوس ، فحل به أهلاً ونزل عنده سهلاً ، واتفق الملك على أن يزوج الأمير ابنتـه ، على أن يرسل جيشه العرمرم على طيبة لأذلالها ، يقوده سبعة من أشد قواده

وعلم أتيوكليز بما دبر أخوه فهاج هائجه ، وانطلق إلى شعبه يدلهم على خيانة پولينيسيز ، ويقـدم لهم دليلاً جديداً « على هذا السارق الذى لفظه وطنه فلاذ بأعدائه يشترى الملك بالعبودية ، والتاج بالقيد الذى يعده لبلاده ، وسعادته الوضيعة بشقاء طيبة بأسرها . . . »

— ٣ —

« إتيوكليز يحرض الجند على الأسوار »

— « يا أبناء طيبة ! أيها القدميون[1] الشجعان ! يا ذادة الوطن ! الساعة خطيرة فانتبهوا ، وإياكم وسنة من النوم تأخذكم والعدو محدق بكم . إنه إن يكن نصر فمن الآلهـة التى ترعاكم ؛ فإن تـكن الأخرى ، وحاشا أن تـكون ، فإننى ، أنا إتيوكليز ابن أوديبوس الشـقى ، أنا الرجل ملء الأفواه وملء الأسماع ، سأكون عرضة لحنقكم وسخطكم ، لأننى لم أستطع الدفاع عن ذماركم فلم أستحق محبتكم . وقانا الله عاقبـة السوء ، ودفع عن طيبة هذا البلاء . يا أبناء الوطن ! إن كل نفَس يتردد فوق تلك الأرض المقدسـة حرى بأن يشترك فى الجهاد الأكبر ، شيبكم وشبابكم ، كبيركم وصغيركم ، قويكم وضـعيفكم ، كل ينفخ فى أخيه من روح الوطن ، وكل تتـدفق فى عروقه دماء النخوة حارة ترد بسواعدكم الغزاة العتاة المتدنين ! ... قد جدت الحرب بكم فجـدوا ، ألا فافزعوا الى أسلحتكم فردوا بها عادية الأشرار عن وطنكم وعن آلهتـكم ، وعن أطفالكم ، وأمهاتـكم اللائى أرضعنـكم لتـكونوا بعون السماء الـكماة الحماة الهاذم الصيد الصناديد ! أذكروا ما بعد النصر من عز وفخر ، واذكروا ما بعد

(١) نسبة إلى قدموس الملك بانى طيبة (عن كتاب وصف إغريقيا وتاريخها)

الهزيمة من عار ودمار ومذلة وأسار !! لقد حدث واعظكم وصفى آلهتكم ، تيرزياس ، قال : إزدادة الأراجيف قد اعتزموا الكبسة ليلتهم هذه ، فمن لطيبة يا أبناءها غيركم !! هلموا !! تبوأوا مواقف للقتال فى كل شبر من أرضكم ، وقفوا بالمرصاد لعدوكم ، وسدوا الثغور فإنها مفاتح بلادكم ، واستلئموا فى حديدكم ، ولا ينالن منكم غرة فتذهب ريحكم ، وخذوهم من فوق حصونكم ، ولا تهولنـكم كثرتهم فالسماء معكم ، والآلهة من خلفكم .... »

— ٤ —

« يدخل رسول »

— « حيّا الله مولاى الملك : الأخبار يا مولاى ! لقـد شهدت بعينىْ رأسى : الأراجيف يا مولاى فى سبعة جيوش جرارة ، يقود كل جيش كمىّ صنديد . لقد ذبحوا قرابينهم من كل عجل جسد وثور سمين ، وغمسوا أيديهم فى الدماء ، ثم تقاسموا ليجعلن عالىَ طيبة الخالدة سافلها أو ليهلـكن دونها . . . وكانوا يا مولاى يرمقونها بعيون تقدح الشرر إذْ هم يأخذون مواثقهم ، وكانت شفاههم تتلمظ تحناناً ليوم النصر ، وفى قلوبهم نار تسعر ! وقد عجلت اليك يا مولاى وإنهم ليعبئون صفوفهم ، ويأخـذون أهبتهم ، فخذوا عدتـكم واثقفوهم قبل أن يثقفوكم ، ولتكن طيبة كلها يداً واحدة ، وإن لنا لَلْـكَرَّةَ بمعونة السماء . . .

« يخرج الرسول »

— « يا زيوس العظيم ! يا مولاى ! يا رب هذا البلد ! احمه من الأعداء ، ولا تسلطهم عليه فيغتصبوا حريتـه ، ويهدروا كرامته ! كن فى عون عبادك من ذرارى قدموس ! إنهم يخبتون لك ويصلون من أجلك ! »

— ٥ —

ويشرف الطيبيات[1] من أعلى الأسوار ، فيرين الى جحافل الأعداء محدقة بمدينتهن فينتفز عْن فرقاً ، ويتغنين بآلام الوطن ، ويرسلن أنشودة طويلة مبللة بالدموع من أجل طيبة ، ويهتفن بالآلهة أن تنقذهن من ذل السبى وهوان الأسار ، فما يسمعهن إتيوكليز حتى يهرع اليهن

— « ألا خبّرْن أيها المخلوقات اللائى لا يحتملـكن قلب

(١) هن (خورس الدرامة)

ولا يُسر برؤيتكن طرف ! أبمثل هذه الأصوات المنكرة تدفعن عن طيبة بلاء الأعداء ! ؟ أبهذا الصراخ وذاك العويل تكشفن الغمة عن الوطن الحزين ! ؟ تالله إنكن عليه بهذا العواء الذى يقذف الرعب فى قلوب الجند ! أتحببن أن يُحبَسْن ورجالكن فى عقور دوركن ، وتكن بذاك قد دفعتن عن البلاد غائلة العدو المحدق بنا جميعاً ! مالكن تهرولن هنا وهناك باكيات منتحبات ؟ إنكن إذن بلاء هذا الوطن وشقاؤه ، ولَسْتُن أهله بل أعداءه ! إنكفئن إذن وخلين بين الرجال وبين واجبهم الأسمى من مجالدة الأراجيف ، والذود عن بيضة الوطن ! إنكفئْن ! لا سعت بكن قدم ؟ ! »

— « ياحفيد لايوس العظيم ! إن قلوبنا لتنخلع من ضوضاء هذا الجيش اللجب المحيط بنا ؟ ! »

— « إذن خبرْن يا نساء طيبة ! أإذا أحيط بالسفينة فى البحر اللجى ترك الربان سكانها وفزع الى السارية لينجو من الغرق ؟ ! »

— « بل نحن قد فزعنا الى هيا كل الآلهة أن تحفظنا من الأسار ، وصلينا فى كل معبد من أجل رجالنا وأطفالنا ! »

— « بل صلين للآلهة أن تقى أسوار المدينة ، وأن تنصر أبطالنا على خصومنا ! اهتفن بأبنائكن أن ادفعوا عن أوطانكم ، ولا تسمحوا لعدوكم أن يجوس خلال هذه المدينة ! إنهم وحدهم يقدمون القرابين من أرواحهم لهذه الديار ! اما أنتن فقرن فى بيوتكن ، ولا تلقين الرعب فى قلوب أبنائكن ! ! لقد كدتن تفعمنها جبناً وترهقن سواعدهم ضعفاً وخوراً ! »

— « ويلاه ! إن العدو يأخذ المدينة من أساسها ! اسمع ! »

(أصوات شديدة وقرقعة)

— « أجل ! وإن للمدينة لأبناءً كراماً ، وإنها لقعقعة سلاحهم تبيد صفوف الأعداء ! »

— « بل هم الأعداء يجرعون أبناءنا غصص الموت ! »

— « غصص موت تبيدكن جميعا ! أُصمتن ! »

— « أنت سبب هذا البلاء ! كل هذا من أجل لباناتك : أنت جلبتهم على طيبة بالخيل والرَّجْل ! ! »

— « يازيوس الجبار ! أى شياطين بثت فى نفوس النساء ؟ »

— « النساء التاعسات مثل رجالك الذين أشقيتهم ! »

— « أصمتْن يا شقاء الوطن ! لقد أزعجتن جنودنا بأصواتكن ! »

— « نصمت ! آه ! لنصمت بأمر الملك »

— « يا آلهة الأولمب رفقاً بطيبة ! تقبلى صلواتنا من أجل هذا الوطن ! إنى لن آلو جهدا فى تخير ستة من شجعان قادتنا يدفعون قادتهم السبع ... باركى يا سماء وانصرى يا آلهة »

« يخرج اتيوكليز »

— ٦ —

ويهوج الخورس بأناشيد يترجمن بها عن الفزع الذى يروعهن من هذه الحرب ، ثم يصلين من أجل طيبة ، ويدعين الآلهة ، ويحضر اليهن رسول ممن شهد المعارك فما يوشك يصف ماحدث عند البوابة الأولى من الطعن والضرب ، والتكبكب والانهزام ، والهجوم والارتداد ، حتى يجيء إتيوكليز فينبئ كلام الرسول ، ويخبر أن القائد الطيبي فلانا قد دحرهم ، ومزق صفوفهم وخضد بأجناده شوكتهم . فاذا حدث الرسول عما كان من نزال وقتال عند البوابة الثانية رد إتيوكليز فبالغ فى شجاعة الطيبيين ثمة ، وما أبدوا من صمود للهجمة ، وصبر فى موقف الموت ! . . وهكذا . . . فاذا بلغ الكلام عما كان عند البوابة السابعة وذكر الرسول أن بولينيسيز نفسه هو قائد الأراجيف فى تلك الجهة امتقع وجه إتيوكليز واربد جبينه ، وانعقدت فوقه سحائب من الهم والفكر ، ثم تلجلج لسانه بكلمة طويلة عن مصائر هذه الأسرة الشقية التاعسة ، وانطلق ليدافع عن البوابة السابعة ضد أخيه بنفسه . غير مصغ الى تحذير الخورس إياه . ولا حافل بأمارات السوء التى كانت ترقص أشباحها فى الميدان

— ٧ —

ويتغنى المنشدات ، فيذكرن الأحداث القدامى التى تنبأ بها الكهنة فى دلفى عن أوديب طفل لايوس ، ويوجسْنَ خيفةً أن يتم اليوم الفصل الأخير من المأساة

وما يكدن يفرغن من تغنيهن حتى يدخل اليهن رسول يزف اليهن بشرى نجاة طيبة وسلامتها !

— « نجاة طيبة ؟ هل انتصرت جيوشنا يا صاح ؟

— « كلا ، ولكن انتهى كل شيء ! لقد قُتِلا ؟

— « قتلا ! من لعمرك أيها الرسول !

— « هدئن من روعكن يا سيدات ! انيوكليز وپولينيسيز ! لقد قتل كل منهما أخاه ، ووضعت الحرب أوزارها !

وتكاد الفتاتان المنكودتان : أنتيجونى وإسمنيه ، ابنتا أوديب تصعقان لهذا الخبر ، فهما أختا الأميرين المتحاربين ، والبقية الباقية من هذه الذرية الشقية ، وسيتألف من شقوتهما أسود فصل فى المأساة[1]

— ٨ —

وترثى الفتاتان أخويهما رثاء باكياً حزيناً ، وما تكادان تفرغان حتى يدخل القائد العام لجيوش طيبة فيقول :

— « قضى الأمر وانكشفت عن طيبة غمة الحرب التى جناها عليها المارق الأثيم . . . وسنفرغ الآن للاحتفاء بدفن إتيوكليز ، حبيب الوطن ؛ وصفى الآلهة ، وبطل الأبطال . . . ستقف طيبة كلها عند قبره لتذرف عليه دموع المحبة والاخلاص والحزن . . . أما الشقى پولينيسيز ، فستنبذ جثته بالعراء ، جزر السباع وكل نسر قشعم ... ستنوشه كلاب البرية بعد أن يجيف وينتن ، جزاء له على مروقه من حظيرة الوطن ، وعقاباً له على لواذه بأعداء طيبة ، وسوقه جيوشهم عليها يقتلون أبناءها ويطفئون جذوة الحياة فيها . . . لن يبكى عليه أحد . . . ولن يوقره أحد . . . ولن تؤدى له طقوس الموت لأنه لا يستحقها ، ولن يصب أحد على ترابه خمراً . . . اللئيم المنبوذ . . . بهذا قضى عليه مجلس طيبة الأعلى ، فليذق بعض ما قدمت يداه !! »

وما يكاد يفرغ حتى تثور ثائرة أنتيجونى حزناً على أخيها وتقول :

— « ماذا أيها القائد ؟ لن تقام الطقوس الدينية لأخى ! وسينبذ بالعراء تنوشه كلاب البرية وذؤبانها ؟ ها ها !... أنت تحلم ورجالك أعضاء مجلس طيبة يحلمون ! بل أنا ... أنا الفتاة العاجزة أنتيجونى . . . أخت هذين التاعسين ، وابنة ذينك الأبوين البائسين . . . سأقوم لأخى بكل ما أباه عليه مجلسكم الموقر . . . سأدفنه وسأهيل التراب على جسمانه ، وسأضرب بقراركم عرض الأفق ! ولتفعل قوتكم بضعفى بعد ذلك ما تشاء !

— « أنصح لك يا فتاة أن تدعى لمجلس الأمة مصير هذه المسئلة !

— « بل أنا أنصح لمجلس الأمة ألا يأمر بما ليس فى مستطاعه !

— « أحذرك ، فهنا شعب نجا الساعة فقط من أهوال الحرب ، وهو لذلك لا يعرف الرحمة !

— « ليكونوا غير رحماء ؟ ولكن لا بد مما ليس منه بد ! سيدفن أخى برغم الجميع !

— « وكيف ؟ إنك تتحدين المدينة بأجمعها ! انها تكرهه !

— « لقد لقى حسابه من السماء ، فلم يعد لأهل الأرض حساب معه !

— « ولكنه عرض الوطن للبوار قبل كل شىء !

— « لقد أساء التصرف فيما لم يكن له فيه يدان ! وسأدفنه وحسبكم منى هذا ... كفى . كفى !!

— « أنت حرة ... تفعلين ما تشائين ... ولكنى سأمنع الدفن بالقوة !

ويتغنى المنشدات ، ويصلى الجميع للآلهة

دريني خشبة

(١) سنبتدئ من الأسبوع المقبل تلخيص مآسى سوفوكليس وأولها مأساة Antigone التى تعتبر الفصل الأخير من ثلاثية أوديب لأسخيلوس

من هنا ومن هناك

سافو وليلى الأخيلية

لعل ليلى الأخيلية من بين شاعرات العرب هي أشبه الشاعرات بسافو شاعرة الأغريق منـذ خمسة وعشرين قرناً .

فأشعار ليلى تفيض بالحب ، ويحس منشدها اللوعة ، ويجرى فى أبياتها الصبابة ؛ وكل هذه مزايا أشعار سافو . ولسافو بين الأغريق مكانة عالية لا يدانيها إلا هوميروس بين الرجال . وهى ثالثة ثلاثة بين شعرائهم الغنائيين : أولهم ألـكيوس ، وثانيهم أنـكريون . وقد امتاز ألـكيوس بأشعار الحماسة والوطنية ؛ وامتاز أنـكريون بقصائده التى تشبه قصائدنا العربية فى الوصف والبث والبكاء والحكمة . أما سافو فتمتاز بالغزل والنسيب والتشبيب ، وقد تختلف من ليلى الأخيلية بالغزل الصارخ الذى لا تعرفه البدويات الرعابيب . وفى نسيب سافو ثورة متأججة من نشدان اللذة فى الحب ، فهى لا تعرف هذا الهوى العذرى الذى نعرفه فى ليلى . هذا وإن لم يثبت التاريخ أن سافو كانت « عشيقة » Hetaira يوماً ما ؛ ومن يدرى ؟

والأغريق مولعون بأشعار سافو ، وكانوا يرددونها على كؤوس الخمر ، لأنها أمتع أغانيهم الخمرية (Skolia) . سئل صولون المشترع : « افرض أنك تموت الآن يا صولون . فماذا كنت تشتهى قبل موتك ؟ » ؛ فقال : « أغنية من سافو أرددها ثم أموت !! »

سيف الدولة وميسيناس

قال الثعالبى فى يتيمة الدهر : « إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك ، بعد الخلفاء ، مثل ما اجتمع بباب سـيف الدولة من الشعراء المفلقين ! »

وميسيناس فى التاريخ الرومانى يشبه سيف الدولة فى التاريخ العربى ، من حيث الميول الأدبيـة عند كل منهما واجتذاب الشعراء والأدباء بالمنح والعطايا الجزيلة . كان المتنبى شاعر سيف الدولة الفحل ، وكان كُشاجم الشاعر الرقيق أحـد خدمه ، وأبو الفرج الببغاء ، وصافة الحروب أحد كتبته ومواليه ، والسرى الرّفّـاء والواوى من شعرائه ، وكان ابن عمه أبو فراس من بطانته ، وكان سـيف الدولة مع ذلك الشاعر الفحل والنقادة البارع ؛ وربما — لو فرغ للشعر — فاق هؤلاء جميعاً . ويعزون له شعرا لا نعرف فى الشعر العربى كثيراً مما يشبهه رقة ودقة . يذكرون أنه خاف على إحـدى جواريه فحجزها فى إحدى قلاعه ، وقال فى ذلك :

راقبتنى العيون فيك ، فأشفقـ ... ـت ولم أخل قط من إشفاق
ورأيت العــدو يحسدنى فيـ ... ـك مجداً بأنفسِ الأعلاق
فتمنيت أن تـكونى بعيـداً ... والذى بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجرٍ ... وفراقٍ يكون خوف فراق

وقال يصف قوس قزح :

وساقٍ صبوح للصبوح دعوته ... فقام وفى أجفانه سِنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفاً ... على الجو دُكنا ، والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأصفر ... على أحمر، فى أخضر ، إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل ... مصبّغة ، والبعض أقصر من بعض

والذى يعنينا من عقد المقارنة بين سيف الدولة العربى وميسيناس الرومانى هو الوصول إلى أبى الطيب عن طريق سيف الدولة ، وهوراس عن طريق ميسيناس . فلقد كان أبو الطيب المتنبى خاملاً حتى اتصل بسيف الدولة فنبه ؛ وكان فقيراً فأعطاه سيف الدولة حتى اغتنى . وكان أبو الطيب يحب سـيف الدولة بقدر ما يشعر له كما يقول الثعالبى ، وكذلك كان هوراس الشاعر الرومانى الـكبير من ميسيناس الرومانى الـكبير

كان ميسيناس كبير مستشارى أكتافيوس « تلك

الشخصية الفذة التى تدور حولها وقائع الفصل الأخير من درامة الجمهورية الرومانية ، والذى ثأر من بروتس وشيعته قتلة قيصر ، وتخلص بلباقة من شراك كليوبطره ، والذى منحه مجلس الشيوخ لقب (أوغسطس) أى المعظم ؛ ولقب برنسبس Priuceps أى المجلى أو أعظم أعضاء مجلس الشيوخ ، والذى صار فيما بعد ذلك طاغية رومة وأمبراطورها المظيم » ، وقد استطاع ميسيناس أن يكون موضع الثقة من الطاغية حتى أصبح مطلق اليد فى شؤون الأمبراطورية ، وأصبح فضلاً عن ذلك أكبر شخصية فى الدولة تزيدها التفاف الشعراء ومحبة الأدباء بهجة ورواء وتألقاً

عرف الشاعر فرجيل هوراس وسمع إليه فأعجب به وضمه إلى جماعة الشعراء الرومانيين المسماة Vorius ثم وصله بحاشية ميسيناس فأغرم به المستشار وأغدق عليه النعم وصحبه معه فى حروب الدولة وحضر موقعة أكتيوم التى وصفها هوراس ووصف غيرها من الحروب الرومانيـة كما وصف أبو الطيب حروب سيف الدولة

وقد كان هوراس كما كان أبو الطيب يصبو إلى الحكم فى ظل الدولة ، فلما انتصر الرومانيون بقيادة أكتافيوس فى أكتيوم رأى ميسيناس أن يكافىء شاعره مكافأة تتناسب وقدمه العالية عنده ، فأقطعه إقطاعية واسعة فى الأراضى السابيّة (وسط إيطاليا) قريباً من روما ، وهو مالم ينله أبو الطيب لا من سيف الدولة ولا من المتضد ، ولا من إمام الآبقين أبى المسك كافور ! ! والذى يقرأ ديوان هوراس يلفته اسم ميسيناس فى أكثر صحائفه كما يلفت القارئ اسم سيف الدولة فى ديوان أبى الطيب

وسنعود إلى شعر هوراس فى عدد آخر ؛ ولكن لا يفوتنا هنا أن نشير إلى براعة ميسيناس فى نقد الآداب وتميز غثها من سمينها ؛ ثم إلى براعته فى الخطابة ومقدرته الهائلة فى التأثير على الجماهير . ولقد كان يفضل هوراس على ڤرجيل ويعتبره شاعر الرومان المعبر عن خلجاتهم ، والناطق بلسان الطبيعة فى جميع أنحاء الأمبراطورية . أما ڤرجيل فكان يعده شاعرا أسطورياً لأنه نسج على منوال هوميروس

أوسكار وبلد وبرنرد شو

يعتبر أوسكار وبلد زعيم المنحطين فى الأدب الانجليزى ، وهو قد نسج فى أدبه على طريقة بلزاك وجوتيبه من حيث نشدان اللذة الجنسيـة ، ولكنه غلا حتى أجاز الشذوذ فى تحقيق هذه اللذة ، وقصته (صورة دوريان جراى) آية ذلك الشذوذ . وكما نسج فى أدبه على طريقة بلزاك وجوتيبه فقد نسج فى فنه على مبادئ جون رسكن التى تدعو إلى محاربة الآلات ليرقى الفن وتقول بأخضاع الحياة للفن لا الفن للحياة ، وهى مبادئ خطيرة ما تزال بكل أسف تلقى لها أنصاراً كثيرين فى سائر الأقطار .

وقد كان لأدب أوسكار وبلد ولفنه فى انجلترا ثمرة مرة ، ولكنها مشتهاة ، فقد غنى على عوده كثيرون من رجال المدرسة الحديثة أمثال لورانس وجويس وألدوس هكسلى ورسل ، وإن يكن بعضهم ينهج فى قصصه من حيث الأدب الجنسى نهجاً علمياً قد لا ينافى الأخلاق وإن عظم أثره فى تكييف سلوك الشباب .

وبرنرد شو هو نقيض وبلد فى كل شىء ، إذ يكاد شو يكون صوفياً فى نظرته للأدب ، فى حين ينظر وبلد للأدب نظرة مادية كنظرة الأباحيين إلى تمثال من المرمر لامرأة غاوية خليعة تثير التشهى وتعمل لتحقيقه . وشو يدعو إلى حفظ الجسم بالاعتدال فى كل من شهوة البطن والفرج ، وقد يحتم الصوم لتحقيق مذهبـه ، وقد امتنع هو عن أكل الأطعمة الحيوانية وتناول الأدوية لهذا السبب . وها هوذا يتمتع بكمال الصحـة فى شيخوخته النشيطة الدائبـة التى ما تنى ، على حين أغمض الموت جفنى وبلد فى غصص من الأمراض والتهدم الجسمانى . . . وشو محتشم فى كوميدياته ، يثير الضحك بتعرية حقائق الأخلاق ؛ أما وبلد فمهرج ، يتبع فى ملاهيـه طريقة أرسطوفان الاغريقى الذى لا يرى بأساً من إظهار حمار على المسرح وإلباس رجل لبوس امرأة

ويتفق شو ووبلد فى ذكائهما النادر ومنشئهما الايرلندى ، وفى أنهما خدما المسرح الانجليزى خدمة لم تكن تقوم قائمته بدونهما

(د . خ)



جلبرت تشسترتون

فى الأنباء الأخيرة أن الكاتب الانكليزى الشهير جلبرت كايث تشسترتون G. K. Chesterton قد توفى فى منزله الريفى فى بيكونزفيلد فى الخامس عشر من شهر يونيه الجارى . وتشسترتون كاتب وأديب من النوع العام أو النوع « الأنسيكلوبيدى » . فهو صحفى ، وفنان ، وشاعر ، وروائى ، وكاتب مرح ، ومؤرخ ، وناقد ، وسائح ؛ وقد تبوأ مكانته فى الأدب الانكليزى المعاصر منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وكان مولده فى شهر مايو سنة ١٨٧٤ فى كامدن هل من أعمال كنسنجتون ، وتلقى تربيته فى مدرسة سانت بول ، ولكنه التحق بعد الفراغ منها بمدرسة « ملايد » الشهيرة ليدرس الفنون ، ولما غادر مقاعد الدرس بدأ الحياة أديباً ناقداً بنقد الكتب الفنية فى بعض المجلات الشهيرة مثل « بوكمان » و « سبيكر » وغيرهما ، ويشتغل فى نفس الوقت فى إحدى دور النشر ليكسب قوته . ومنذ سنة ١٩٠٠ يستقر تشسترتون فى حياته الأدبية ويتخذها مهنة ومرتزقاً ؛ وظهر بسرعة فى ميدان الصحافة ، وتولى التحرير والنقد فى كثير من كبريات الصحف مثل « الديلى نيوز » و « البال مال » و « الديلى هرالد » و « الورلد » و « الفورتنيتلى » وغيرها ، وأخذ فى نفس الوقت يخرج طائفة من الكتب الأدبية المختلفة ، نذكر منها « الفارس المتوحش » The Wild Knight وهو مجموعة شعرية ؛ وترجمة نقدية للشاعر بروننج Browning و « الاثنا عشر نموذجاً » Twelve Types و « نابليون صاحب نوتنهام » N. of Nottingham (سنة ١٩٠٤) ، و « نادى السلع المدهشة » Club of gueer Trades (سنة ١٩٠٥) وترجمة الروائى دكنز Diekens (سنة ١٩٠٦) و « الأرثوذكسية » (سنة ١٩٠٨) و « السخافات الرائعة » Tremendoris Irifles (سنة ١٩٠٩) ، وتاريخ الأدب الفكتورى Ths Victorian age in Eng Litteratu (سنة ١٩١٣) و « السحر » Msgic وهى قطع مسرحية ؛ وديوان شعر Poems (سنة ١٩١٥) ، ومختصر تاريخ انكلترا A Short History of England (سنة ١٩١٧) و « خرافات الطلاق » Superstitions of Divorce (١٩٢٠) و « الرجل الخالد » The Everlasting Man (سنة ١٩٢٥) « وليم كوبيث » (١٩٢٥) و « محاكمة الدكتور جونسون » Judgement of Dr J. ، وهى قطعة مسرحية (١٩٢٧) والفصول الكاثوليكية Catholic Essays وغيرها

وتشسترتون كاتب وافر الانتاج والطرافة ، معاً يذهب فى التحرر من الآراء والنظريات المقررة إلى أقصى حد ، وقد تأثر كثيراً بنظريات صديقه الحميم المؤرخ هلير بلوك فى التشكك ؛ وهو ذو فراسة قوية فى تفهم العوامل الاجتماعية وتكييفها ، وقد اعتنق تشسترتون الكثلكة فى سنة ١٩٢٢ ، وسجل بذلك تمسكه « بالأرثوذكسية » فى سائر المناحى ؛ فى الأدب والسياسة والاجتماع وغيرها ؛ ومن رأيه أن الارادة البشرية هى مبعث كل الأعمال والتصرفات ، ولا بأس من أن يحيى المجتمع من الأنظمة القديمة ما يناسبه

وقد أنشأ تشسترتون منذ أعوام مجلة أدبية اجتماعية باسم G. K. S. Weekly أعنى أسبوعية جلبرت تسسترتون مرموزا إليه بالحرفين الأولين من اسمه (ع)

جلبرت كنت تشسترتون أيضاً

توفى هذا الكاتب الشاعر النقادة الصحافى الانجليزى الكبير فاندك بموته صرح منيف من صروح الأدب الانجليزى المعاصر

نشأ نشأة متوسطة ، ولم تعترضه ظروف قاسية كالتى تعترض لداته من الأدباء عادة ، ولذا عاش حياة كلها مرح ، وقضى عمره الغنى الحافل فى خدمة الأدب فى جميع وجوهه ، ومال منذ حداثته إلى قرض الشعر فنظم قصائد متواضعة ثم اشتد باعه فنظم القصائد

الرائعة التي مكنت له في عالم الأدب ، ورفعت اسمه فوق أسماء الأدباء . وكل عارف بالشعر الانجليزي لا ينسى قصيدتي تشسترتون (نابليون نوتنج هل) ، و (الفندق الطائر) . وتشسترتون يشبه ردیارد كبلنج في شدة حبه للأمبراطورية ، ويشبه جون درنكووتر في تفانيه لخدمة اللغة الانجليزية والأدب الانجليزي

بيد أن قيمة تشسترتون كأديب عظيم لا ترجع إلى أشعاره ، ولكن إلى كتاباته في نقد الأدب والحياة والاجتماع . فلقد جال جولات واسعة في أمريكا وفلسطين فنقد كل مرافق الحياة في الأولى في مجلد ضخم ، ثم كتب تاريخاً حافلاً للحروب الصليبية ضمنه موجزاً لتاريخ فلسطين . وقد آمن بعد تجواله في هذه الأقطار بوجوب استقلال الفلاحين وتدريبهم على حياة التعاون فيما بينهم بما ينفعهم ، ولم ينس أن ينصح بمثل ذلك للانجليز أنفسهم عندما كتب تاريخه المفيد (Short History of England)

وبالرغم مما يدعيه هذا الكاتب الانجليزي من كرهه لطرائق السفسطائيين الأغريق فانه لم يكن سفسطائي أكبر منه في انجلترا ولا في العالم أجمع في العصر الذي نعيش فيه . وكان معروفاً عنه أنه متى ما رأى رأياً ولو كان خطلاً في خطل فانه ما يني عن سنده بالحجج وإقامه بالبراهين ، وإن تكن حججه وبراهينه دائماً أوهى من خيوط العنكبوت ، ولكن قارئه برغم ذلك يكب عليه إكباباً عجيباً ، ويشغفه منه هذا الترقرق في سوق حججه ، وذاك البيان السهل ، والأسلوب الأخاذ ، والعبارة الطلية الهينة التي يغطي بها ضعف براهينه . وكان بطبعه هذا ميالاً إلى المبالغة والتهويل ، ولذا كان يقع في التناقض دائماً . واليك مثلاً من تناقضه العجيب في فصل عقده عن (استقامة الرأي) ، قال :

« لا ينشأ الجنون من ادمان التفكير ، ولكن من التعقل (!!) فقلما يصاب الشعراء بالخبل ، في حين يأفن لاعبو الشطرنج وتنتهي حياتهم إلى العته . والرياضيون والصيارفة كذلك طالما يصيبهم الجنون أو على الأقل اللوثة ، في حين يحيا الفنانون حياة سليمة برغم أنهم دائماً يعملون قرائحهم ويبتدعون ويخلقون . وأنا بقولي هذا لا أناقض المنطق ولا أهاجم الناطقة ، ولكني أقرر أن الشر كل الشر في المنطق والناطقة .. لا في التفكير ... »

وقد ساق درنكووتر في خلاصته عن الأدب أمثالاً أخرى عن تناقض تشسترتون (ص ٩١٦) نحيل اليها القارئ

والذي سيخلد من كتابات تشسترتون هي فصوله الممتعة في نقد الأدب والأدباء ؛ وسيبقى كتابه عن (دكنز) ثروة عظيمة للمتأدبين بالأدب الانجليزي (د . خ)

جريدة انكليزية لتأييد القضية الحبشية

تلقينا الأعداد الأولى من جريدة أسبوعية تصدر في لندن بعنوان « التيمس الجديدة وأخبار الحبشة » New Times & Ethiopia News وعنوانها يدل على موضوعها وغايتها فقد أنشئت أخيراً للدفاع عن القضية الحبشية أمام الرأي العام الانكليزي والأوربي ، واقناعه بفظاعة الاعتداء الايطالي . وتتولى تحرير الجريدة المذكورة السيدة سلفيا بنكهرست ؛ وقد صدرت عددها الأخير بصورة الأمبراطور هيلاسلاسي ، ومقال للدكتور مارتن وزير الحبشة في لندن عنوانه « انتظروا وتأملوا بينما يعمل القتل عمله » ، وفيه يحمل على المبدأ السياسي القائل بالانتظار والتأمل ، لأنه هو الذي أودى بحياة الحبشة ، ولو قامت عصبة الأمم بعمل حاسم لاستطاعت وقف الاعتداء الايطالي في الوقت المناسب ، وفيه تفاصيل عن مقدم الأمبراطور ، ومقال عنوانه « يجب أن ننقذ الحبشة » بقلم مستر هوكن ، ونبذ وأخبار أخرى عن الحبشة قبل الحرب الايطالية وبعدها

مباراة أدبية عالمية

تنظم جمعية التاريخ الجديدة في نيويورك ، في الخريف القادم ، مباراة أدبية علمية ؛ وقد اختارت للكتابة موضوعاً دولياً عاماً هو « كيف تستطيع شعوب العالم أن تحقق نزع السلاح العام ؟ » How can the people of the world a chieve universal disarmament ؛ وهذه المباراة مفتوحة لكل شخص من الجنسين ، ومن أي الأمم ، ومن أي المهن أو الثقافات ؛ وستوزع على الفائزين جوائز قدرها خمسة آلاف دولار (نحو ألف جنيه)

وقد تأسست جمعية التاريخ الجديدة في نيويورك منذ سبعة أعوام ، ونظمت قبل ذلك عدة مباراة أدبية عامة وصدرت لها جوائز مالية حسنة ، وهي تعنى قبل كل شيء بتعرف آراء الشباب والجيل الجديد . ومن أغراضها أنها تدعو الى انشاء مجتمع أخوي عام من شعوب الأرض كلها ، وتدعو الى نزع السلاح ، ومؤاخاة الدول ، وعمل تشريع دولي انساني عام

وترسل الرسائل في المباراة المذكورة الى جمعية التاريخ الجديد بنيويورك : New History Society, 132, 65th Street, New York

موسم الشعر

في الساعة السادسة من مساء الأحد ١٤ يونيو سنة ١٩٣٦ أقام (جماعة الشعراء) في دار جمعية الشبان المسلمين حفلة (موسم الشعر) رأسها صاحب المعالي العرابي باشا ، وافتتحها الأستاذ أنطون الجميل بك ، وتكلم عنها الأستاذ محمد الهراوى افندى ؛ وكان الشعراء قد أخذوا مجالسهم من المنصة وعليهم قداسة من جلال الشعر أشاعت في نظراتهم وحركاتهم دلائل الفخر والعزة . افتتحت الحفلة بكلام الله تخنست لاعجازه الخالد شياطين الشعراء ، ثم قام الأستاذ الجميل بك فألقى كلمة رائعة رفعت رأس النثر في حضرة الشعر ، وتتابع بعده الشعراء فألقى كل قصيدته على منهاج معين ، وكان الجمهور شديد الحساسية للصور البيانية ، والمعاني المبتكرة ، والأغراض الجديدة ، والالقاء الجيد ، وجملة شعراء الموسم كانوا سبعة عشر شاعراً ، فرغوا من قصائدهم في ساعة ونصف ساعة ، وهم الأساتذة :

إبراهيم ناجي ، أحمد رامي ، أحمد الزين ، أحمد الكاشف ، أحمد محرم ، أحمد نسيم ، حسن القاياتي ، حسين شفيق المصري ، زكي مبارك ، سيد إبراهيم ، عزيز بشاى ، كامل كيلاني ، محمد الأسمر ، محمد الهراوى ، محمد الهمياوى ، محمد عزيز رفعت ، محمود رمزي نظيم ، السيدة منيرة توفيق

وموسم الشعر أمنية من أماني الأستاذ الهراوى ظل يرصد لها الأهبة ثلاث سنين . ففي ربيع سنة ١٩٣٣ تألفت بسعيه وبسعي إخوانه (جماعة موسم الشعر) كما تتألف المجامع الأدبية ، ونشرت على الناس بياناً جعلت فيه وسائلها قرض الشعر الفصيح ، ووضع البحوث في الأدب ، وإلقاء المحاضرات في الموسم ؛ وحددت فيه أغراضها باقامة موسم عام للشعر العربي في القاهرة ، و(العمل للاحتفاظ في الشعر العربي بقوة الأسلوب ووضوحه ، والجرى على ما تقتضيه ضوابط اللغة من الصحة وما تتطلبه خصائص البيان من بعد الأسلوب عما يضعفه أو يفنيه في غيره أو يقطع صلة حاضره بماضيه ، وتقريب ما بين الشعر العربي وغيره مع المحافظة على السنن العربي والعمل لتنوع أغراضه وفنونه وأخيلته ومعانيه ، وإبراز الحياة الحاضرة والدنية القويمة في صورها الصحيحة ، والمحافظة في الشعر على الذوق العربي مع مماشاته لحاجات العصر وروحه ، وتوجيه الشعراء إلى القيام بحاجة العامة والتلاميذ من الشعر في أغانيهم وأناشيدهم ، وحفز مواهب الشعراء إلى تهيئة السبل لظهورها والانتفاع بها ، وخدمة اللغة العربية ونشر آدابها وتقويم ملكاتها وتنمية ثروتها من الألفاظ والمعاني والأخيلة ، وتوثيق الصلات الأدبية بين مصر والأقطار العربية الأخرى)

وقلنا يوم قرأنا هذا البيان إن (الرسالة)[1] تؤيد هذه الأغراض السامية من غير تحفظ ، وتدخر غبطتها بها وتصفيقها لها ليوم التنفيذ ، فان صوغ الأماني ووضع الأنظمة وإذاعة العزم شيء ، وتجويد العمل وتنفيذ الفكرة وتحقيق الغرض شيء آخر . فاذا قرأت هذا ثم علمت أن الموسم ذا الغرض الضخم اختصر في حفلة واحدة ؛ وأن هذه الحفلة التي أقيمت بعد ثلاث سنين كانت مما يمكن أن يقام في كل أسبوع ، وأن ما قيل فيها كان كله من الشعر المطبوع على غرار واحد ، وأن أكثر هذا الشعر مما أنشد من قبل في الحفلات ونشر في الصحف ، وأن في هذا الأكثر ما لا يليق إلقاؤه في هذا الحفل ، ندمت على أن أسرفت في التصفيق ، وعلمت أن الشعراء يساعدون الزمن بكسلهم على إخماد الشعر . ولكن الأستاذين الهراوى والأسمر يقولان بعد ثلاثة أحوال ما قاله فند مولى عائشة بنت سعد : (تعست العجلة) . على أن البدء في كل عمل صعب ، وجمع الشعراء على أمر واحد شاق ، والخطوة الأولى على كل حال نصف الطريق

جماعة البعث والتجديد

تكونت من بعض أبناء الجامعة المصرية جماعة أدبية باسم « جماعة البعث والتجديد » . وأغراضها كما يأتي :

١ — بعث الأدب العربي القديم ودراسته دراسات مستفيضة ، ليستسيغه الجمهور ويقبل على كنوزه الغوالي

٢ — خلق أدب جديد يمثل نزعاتنا النفسية ، وخوالجنا الروحية ، ومثلنا الاجتماعية . فيه حياة فوارة ، وخيال دقيق ، وفن عالي بكر

٣ — النقد النزيه الحر

٤ — اذاعة أروع ما ابتكرته القرائح العالمية ، شرقية وغربية عن طريق التعريف والتلخيص والترجمة

(١) العدد الثالث عشر من الرسالة

٥ — رفع مستوى القارئ العادى الى استساغة الجمال والأسلوب الفنى

٦ — تنظيم مهرجان شعرى لشعراء الشباب والقاء سلسلة محاضرات ومناظرات وقراءات

٧ — لسان حال الجماعة « مجلة الشباب » والاتصال بها يومياً من السادسة الى السابعة مساء شخصياً أو بالمراسلة بعنوان « مجلة الشباب بميدان سوارس رقم ٣ بمصر

والجماعة ترحب بكل من يحب الانتماء اليها للعمل بمبادئها من أدباء الشباب الموهوبين وأديباته الموهوبات من أبناء الجامعة المصرية

أما « مهرجان الشعر » فعام لشعراء الشباب جميعاً وسيعلن عن نظامه وموعده فيما بعد ، والاتصال بشأنه بعامر محمد بحيرى أفندى بادارة مجلة الشباب

تدهور التعليم العالى فى ألمانيا

من الحقائق المعروفة أن الحركة الفكرية والتعليمية فى ألمانيا قد اضمحلت فى ظل الحكم الهتلرى ؛ فقد طاردت الحكومة الهتلرية أكابر الكتاب الذين لا يتفقون معها فى الرأى السياسى وسيطرت على الصحافة وصفدتها بأغلال جعلت منها أداة حكومية للدعاية ، وغيرت برامج التعليم لتتفق مع غاياتها السياسية ، وبسطت نفوذها على الجامعات حتى جعلت منها منابر للدعوة النازية وهكذا

وقد اطلعنا أخيراً فى بعض الصحف الكبرى على إحصاء يدل الى أى مدى سحيق تدهورت الحركة التعليمية فى ألمانيا فى ظل الحكم النازى خلاصته أن طلبة الجامعة الألمانية بلغ عددهم فى العام الدراسى الحالى نصف ما كانوا فى صيف سنة ١٩٣٣ ، وهى السنة التى تولى فيها هتلر الحكم ، فقد كانوا يومئذ ١٤٠٠٠ (أربعة عشر ألفاً) ، وعددهم فى هذا العام ٧٩٣٤ فقط ؛ ولم يدخل الجامعات الألمانية فى أوائل العام الدراسى المنقضى من الطلبة الجدد سوى سبعة آلاف . وكان عدد طلبة الجامعات والمدارس العالية فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ ، ١١٦٠٠٠ طالب ، فنزلوا هذا العام إلى ٧٧ ألفاً فقط ؛ وكانت الجامعات الصغيرة أشد تأثراً بهذا النقص الفادح ، وهذه الأرقام تنطق بنفسها ، وتدل دلالة واضحة على مبلغ التدهور الذى أصاب الحركة الفكرية فى ألمانيا فى عهد الهتلريين

وهذه النتيجة تعتبر من جهة أخرى طبيعية منطقية فى ألمانيا الهتلرية ؛ ذلك أن نظرية الهتلريين فى التربية تميل إلى الاسبارطية القديمة ، وتؤثر التربية العسكرية والرياضية على أى نوع آخر من التربية ، وتؤثر الأجسام القوية على العقول الراجحة ، وعلى الرؤوس المستنيرة

على أنه مهما كان من رأى الهتلريين ونظرياتهم فى التربية ، فان هذه النتيجة التى انتهت إليها ألمانيا فى مثل هذا العهد القصير ليست مما يشهد للنظم الجديدة ، وليست مما يدعم عظمة الأمم

جمعية هندية للمباحث الاسلامية

تقوم فى بومباى (الهند) منذ ثلاثة أعوام هيئة علمية اسلامية تسمى « جماعة البحث الاسلامى » ؛ وهى هيئة علمية محضة غير طائفية وغير حزبية يشرف على تعضيدها أكابر الزعماء والأمراء المسلمين ، وتضم جماعة من أعظم المفكرين المسلمين فى الهند وفى أوربا ، وقد صدر أخيراً تقريرها السنوى الثالث وفيه أنها تعنى بنشر البحوث العلمية الخالصة ، وأنها قد عملت لهذه الغاية باصدار كتب خمسة ، وأنها تعنى الآن بنشر طائفة أخرى ، ومن ذلك ترجمة هندية لكتاب « تاريخى فيروز شاهى » من الفارسية . وترجمة لمقدمة ابن خلدون من العربية ، وكتاب عن مذهب الشيعة ؛ وتعنى هذه الجمعية العلمية بنشر المباحث الاسلامية الرفيعة فى الهند

فى النقد

بقية المنشور على صفحة ١٠٠٤

على أنه لون من ألوان التصوير لتاريخ الحياة الأدبية فى عصرهم وفيما سبقهم من العصور . فهم فى عصر النضوج أدنى إلى المؤرخين منهم إلى النقاد . وما كتبه سانت بيف عن القرن السابع عشر وعن (بور رويال) لا يطلق عليه عنوان النقد بمعنى النقد المعروف للآثار الفنية بمقدار ما هو تحليل تاريخى دقيق لصورة من صور الأدب وأسباب نشوئها ، وما تأثرت به فى نموها وحياتها . ولهذا السبب تختلف آثار هؤلاء النقاد فى أيام النضوج عنها فى أيام النمو ونشاط تمثل الحياة . نقدهم أيام النضوج أثر كامل لحياتهم ونضوجهم . أما نقدهم حين النمو ونشاط التمثل فشأنه شأن النقد حين يتناوله غيرهم من الشبان ؛ هو تناول لمواد الحياة العقلية والأدبية وهضم وتمحيص إياها ، وتمثل للصالح منها ، وافراز لزيفها

وكانا يعرف طائفة من كبار الكتاب فى فرنسا وفى غير فرنسا بدأوا حياتهم بالنقد ، ثم انصرفوا عنه لغيره من ألوان الأدب . ويكفى أن يذكر الانسان أناتول فرانس وبول بورجيه وهما من أعلام أدبها القصصى فى القرنين التاسع عشر والعشرين ليقدر أن الكاتب كثيراً ما ينصرف بعد فترة من حياته إلى ما يحسبه رسالته الصحيحة فى الحياة بعد أن يكون قد استق بالنقد من رحيق الحياة صنوفاً وألواناً . وهؤلاء قد حمد الناس لهم ما اختصوا بالكتابة فيه ، ولم يطالبهم أحد بالعودة إلى ميدان النقد . ولو أنهم عادوا إلى هذا الميدان لعادوا مؤرخين ولم يعودوا نقادا على طريقة الشبان الناشئين

لهيوليت تين الفيلسوف الفرنسى الكبير فى القرن الماضى ثلاثة مجلدات فى النقد والأدب ، تناول فيها طائفة من معاصريه من الفلاسفة والكتاب تناولاً دقيقاً غاية الدقة ، بديعاً غاية الابداع . وهى مع ذلك ثمرات شبابه ، فلما تقدمت به السن شغل بكتابة تاريخ فرنسا وبوضع كتب فى الفلسفة والأدب ككتابه عن الذكاء ، وكتابه عن تاريخ الأدب الانجليزى . ولقد وضع كتاباً فريدا جعل عنوانه « مذكرات عن باريس » هو آية فى التهكم اللاذع بحياة عصره ، والنقد لطرائق أهل فرنسا فى مختلف ألوان حياتهم . وكم تمنى كتاب أن لو سلك تين هذا المسلك ووضع على هذا النحو كثيرا من الكتب . لكن أحدا لم يوجه اليه اللوم لأنه آثر الفلسفة أو التاريخ ، علما من هؤلاء الكتاب بأن الفلسفة وبأن التاريخ هم جوهر الرسالة التى هيأ القدر ذهن هيوليت تين لادائها فى الحياة

ماذا بعد هذه المقدمات ؟ ... نتيجتها الطبيعية أنه إذا وجب أن يوجه اللوم عن فتور النقد فى هذه الآونة من حياتنا العقلية والأدبية ، فانما يوجه إلى شباب هذا العصر الذين لا يجدون من أنفسهم اقداماً على تمثل الآثار الأدبية وتمحيصها بنقدها ، واشراك الجمهور بذلك فى الحياة الأدبية ، وحمل الشيوخ الذين ينتجون على تحرى الغاية من الاجادة ؛ ثقة منهم بذوق الشباب ، وحرصاً منهم على تقديم الغذاء الصالح لجمهور القراء . أما والشباب لا ينقد فمعنى هذا أنه لا يقرأ ؛ وأنه إذا قرأ لا يمحص ، وأنه إذا محص لا يثور فينقد . وقيمة الحياة الثورة بالحياة ، فهذه الثورة هى وحدها وسيلة التطور الهادئ . أما حيث لا تكون الثورة ، فالركود والجمود ، وهذا الذى يشكو منه الأستاذ أحمد أمين ، والذى يوجه اللوم من أجله إلى رجال قطعوا مرحلة النقد إلى مرحلة غيرها لعلها خير منها ولعلها شر منها

وإذا وجهنا اللوم الى الشباب لجدير بنا أن نوجه اللوم الى الذين يتولون تهذيب الشباب وإلى الذين يتولون تثقيفه . والساسة يتولون تهذيب الشباب والأساتذة المعلمون يتولون تثقيفه . أى هؤلاء أجدر بأن يوجه اللوم اليه ؟ لقد أصبح شبابنا لا يعنى بنقد أثر أدبى لأن نقد الأثر الأدبى قد يدل على علو الكعب فى العلم أو فى الثقافة أو فى التهذيب . ولكن ما قيمة ذلك فى مصر اليوم ؟ ! .. أهو يجر مالاً ؟ ! أهو يجر جاهاً ؟ ! أهو يجر احتراماً وتقديراً ؟ ! سل الشباب عن ذلك يجيبوك إنما يجر المال شىء آخر غير العلم أو الثقافة أو التهذيب . والمال اليوم هو الذى يجر الجاه والاحترام والتقدير . ذلك رأى الشباب أو كثرته مع الشىء الكثير من الأسف . لذلك توجه الشباب الى أقرب الموارد الى المال وإلى الاستكثار منه . فبعد بذلك عن العلم وعن الثقافة وعن التهذيب ، وبعد عمن كان مهذباً أو مثقفاً من الشبان

عن النقد الذى يريد الأستاذ أحمد أمين أن يراه فتياً قوياً ناهضاً بعد بهؤلاء الشبان عن النقد واصطناعه ، لأن النقد أول شروطه الحرية ، الحرية العقلية والحرية العلمية والحرية الأدبية ؛ فهو لا يعرف الصداقة ، ولا يعرف الاكبار والاجلال ، ولا يعرف المجاملة والمداجاة ؛ وهى فضائل يجب أن يتحلى بها الشباب فى كل أمر وفى كل عصر ؛ ويجب أن يتحلى بها الناس جميعاً وإن وجب أن تكون فى الشباب أكثر وضوحاً وظهوراً .

أفتريد هذا الشاب الناشىء أن ينقد كتاباً لهيكل أو لطه حسين أو لأحمد أمين أو للعقاد أو للمازنى أو لغيرهم ممن شئت ، وهؤلاء قد يكونون وسيلته الى الوظيفة وإلى مال الوظيفة وجاهها وما لها فى أعين الناس من احترام وتقدير ؟ لذلك آثر الشباب الراحة وجرى وراء الدعة وتعلم المداجاة والرياء حتى فى العلم والأدب .

والراحة سم الشباب القتال . والدعة والمداجاة مرضان لا يقلان عن الراحة فتكاً بالشباب . فاذا اجتمعت هذه الأدواء فتكت بحرية الشباب وحالت بينه وبين نقد الآثار الأدبية لقعودهما به عن الايمان بالثورة . وهذا سبب العلة وموضع الداء

فليلتمس الأستاذ أحمد أمين شباباً حراً يؤمن بالثورة وأنا ضمين له بعودة النقد الى نهضته وفتوته . أما هؤلاء الشيوخ الذين يتوجه لهم بالنقد فقد رغبوا إلى لون من الأدب غير النقد . لم يبق منهم إلا صديقى وصديقه الدكتور طه حسين الحريص على أن يبقى مع الشباب حرصه على أن يكون فى طليعة الشيوخ . ليلتمس الأستاذ أحمد أمين هؤلاء الشبان ، فان لم يجدهم فليلق التبعة عن ركود النقد على الذين يتولون تهذيبهم والذين يتولون تثقيفهم من الساسة والمعلمين . عند ذلك تتكشف له العلة فيما أصاب النقد من ركود ، وعند ذلك يكون أدنى إلى الانصاف إذ يلقى التبعة على من يجب أن تكون عليهم التبعة

محمد حسين هيكل

أدبى

مجلة شهرية أدبية تظهر مؤقتاً مرة فى كل ثلاثة شهور لصاحبها ومحررها الدكتور الشاعر أحمد زكى أبو شادى ، وبين يدينا الآن العدد الأول منها وهو باقة من شتيت الزهر النضير تفتحت عنه قريحة هذا الشاعر الواثق بجهده المخلص لفنه ، و (أدبى) مجلة للقراء لا للكتاب والشعراء ؛ فهى خاصة بقلم صاحبها « وما يدور حول آثاره من تعليق ونقاش ومساجلة للزملاء الأدباء » ، والدكتور أبوشادى مهما قال فى إنتاجه النقد ، قوة عاملة مؤثرة ، وقريحة خصيبة مثمرة ، وصوت عال من أصوات النهضة الأدبية لا يزال أينما حل يدعو وينبه

كانت القاهرة تضطرب بالجدل الأدبى العنيف ، فرحل عنها فتولاها شىء من الخمول والصمت ، وكانت الاسكندرية تضيق بالحياة الأدبية ؛ فلما حل بها اعتراها نشاط أدبى عجيب لم تشهده منذ حين

نعتقد أن لو كان الدكتور أبو شادى صرف جهده الثائر فى غير الأدب المفوق لكان له بين أقرانه شأن وأى شأن

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٦ — ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 156. Lundi - 29 - 6 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ﻁ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ — ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة		
١٠٤١	أروع أيام سعد	: أحمد حسن الزيات
١٠٤٣	ذات الثوب الأرجوانى	: الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى
١٠٤٧	حلم الدولة اليهودية ...	: مؤرخ كبير ... ...
١٠٤٩	حادثة فلسطين	: الأستاذ على الطنطاوى ... ...
١٠٥١	حماية الطالحين	: الأستاذ اسماعيل مظهر ... ...
١٠٥٤	قصة المكروب ...	: الدكتور أحمد زكى ... ...
١٠٥٧	سعيد بن المسيب ...	: الأستاذ ناجى الطنطاوى .. ...
١٠٦٠	اشتغال العرب بالأدب المقارن	: الأستاذ خليل هنداوى ...
١٠٦٢	الحياة الأدبية فى تونس	: الأستاذ محمد الحليوى ... ...
١٠٦٥	برسى شلى	: خليل جمعة الطوال ... ...
١٠٦٨	فاز سعد (قصيدة)	: الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٠٦٩	كل بيت فيه سعد مائل «	: الأستاذ على الجارم ... ...
١٠٧٠	الأعمى (قصة)	: محمود البدوى ... ...
١٠٧٣	المؤتمر الدولى لنادى القلم . تطور الفكرة التاريخية اليهودية		
١٠٧٤	موسم سالزبرج الموسيقى . عضو جديد فى الأكاديمية الفرنسية		
١٠٧٤	جوائز أدبية		
١٠٧٥	الاقتصاد وسيلة لتحقيق السلام		
١٠٧٥	إلى الأستاذ محمد عبدالله عنان : (ع)		
١٠٧٥	ديوان حافظ ابراهيم		
١٠٧٦	آثار مصرية قديمة منذ ٦٥٠ سنة		
١٠٧٦	فلوبير وحديقة الكرمب		
١٠٧٧	روبرت أون والعمال		
١٠٧٧	اليوجنيه الحديثة... ... : (د . خ)		
١٠٧٨	البراجماتزم (كتاب) : (ت . الطويل)		
١٠٨١	فهرس المجلد الأول من السنة الرابعة.		

أروع أيام سعد

لعل يوم الجمعة التاسع عشر من هذا الشهر كان أروع أيام سعد ! انتصر فيه وهو رفاتٌ وفكرة وذكرى على الحقد الذى طالما نبح المجد ، وعلى السلطان الذى طالما قهر الزعامة . كانت روعة أيامه الغُرِّ التى أسفرت عنها ليالى مالطةَ وسيشيل وجبل طارق من شخصيته التى طاولت العروش ، وعزيمته التى صاولت الجيوش ، وبلاغته التى عاجزت القدر ؛ أما يوم نقل الرفات إلى الضريح الرسمى فكانت روعته من الفكرة التى ثبتت على الاضطهاد وغلبت على الاستبداد وظهرت على الإفك ظهور الدين على الشرك بالإيمان والإخلاص والتضحية . وسر الجلالة العظمى فى سعد أنه كان وهو حى يمثل كبرياء الشعب ، ثم أصبح وهو مَيْتٌ يمثل سلطان الأمة . كان يمثل كبرياء الشعب لأنه خرج منه ونبغ فيه ، فكان حجة له على كبرائه الذين كانوا يتأبهون عنه ، ويلمزونه بالضعة ، وينبزونه بالفلاحة ؛ ثم عاد يمثل سلطان الأمة لأن جهاده الباسل بها ولها جعل اسمه رمزاً للاستقلال وعلماً على الدستور وعنواناً على الديمقراطية .

فمظاهر الفرح المستطير ، أو الحزن المُرْمض ، أو العزة المستطيلة ، التى أعلنها الشعب يوم خرج من معتقله أو رجع من منفاه ، ويوم الاحتفال بوفاته أو بنقل رفاته ، كانت مظاهر صادقة لعواطفه المتحدة ، صدرت عنه بدافع من نفسه وباعث من شعوره ، لأن سعداً لم يعدْ رجلاً محدود الوجود بذاته ومميزاته ورغائبه ، وإنما أصبح معنى مقدساً من معانى الشمول يختصر فى نفسه خصائص جنسه ، ويجمع فى قلبه أمانىّ شعبه ؛ فهو علم يخفق بالأمل ، ومنارة تشع بالهداية ، ورسول من رسل القيادة الذين يبعثهم الله إلى الناس فى متاهة السُبل وضلالة النفوس فيكونون رمزاً لرجاء الانسان فى الله ، ومثالاً لرحمة الله بالانسان

* * *

كانت النفس المصرية فى ذلك اليوم المشهود على حال عجيبة من شتى الأحاسيس ومختلف العواطف : سرور مَزْهُوٌّ بفوز الإرادة القومية واستطاعتها بعد تسع سنين أن تصحح خطأ فادحاً من أخطاء الغرور الجاهل ، وحزنٌ دخيل هادئ لاحتجاب الشعاع وقد غام الأفق واستعجم المسلك ، ثم شماتة حانقة تصيح بالجبابرة الضعاف من أفواه الطرق ومنافذ البيوت ، وعلى أطورة الشوارع وسُوح الميادين : أنا الأمة ! أنا الإرادة الأولى ، وأنا الكلمة الأخيرة !

وكان فى موكب الرفات المنتصر قوم يمشون ، وجوههم إلى الأرض ، وأفكارهم الى الوراء ، يقولون فى أنفسهم : استعنا على كبْت هذا المجد الثائر بقوة السلطان وضجة البرلمان وثروة الخزانة ، فاذا كل أولئك معناه هَوَج العاصفة ، ورهج الغبار ، وسرف المطر ؛ وإذا الشمس من فوق أولئك لا تزال ساطعة الشعاع دائبة الارتفاع لا يرتقى اليها صخب ، ولا يعلق بها قَتَم ! إن الموت نفسه قد انخزلت عنه قواه فلم يستطع طمسه فى عين الوجود ولا محوه من سمع الزمن . لا يزال ملء الحاضر وعدة المستقبل ، ومن العناء الباطل أن يحاول الجبروت مهما طغى أن يدخله فى الماضى . هؤلاء هم الجند الذين طالما أكرهناهم على أن يطاردوه فى الأقاليم ، ويحاصروه فى العواصم ، ويصادروه فى الأندية ، ويضايقوه فى المنازل ، ويحولوا بينه وبين الشعب ، قد انقلبوا — بأى معجزة لا أدرى — فصاروا زينة لمجده وقوة لوفده وحراساً لمبدئه !

وكان بازاء الباشا المفكر طالب صادق الحدس ألمعى الفراسة ، لا يزال على وجهه الأبلج أثر من عِصِىّ الشرطة وبنادق الجند ، فرأى بين الحى المستذل الضارع ، وبين الميت المتجبر الشامخ ، عبرة من عبر الدهر ، وحكمة من حكَم القدر ؛ فهبّ يصوغ من هذا المعنى هتافاً له ولرفاقه ؛ ولكنه تذكر أن الوطنى لا يحقد ولا يشمت ولا ينتقم ، فاكتفى أن يقول للزعيم الرجيم فى نفسه : لقد أدركت بعد الأوان أن المجد خير من الحطام ، وأن الشعب أبقى من الحكومة ! لقد بلغت كل عالٍ غير المجد ، وربحت كل نفيس غير الشرف !

* * *

ذلك سعد مثال الزعامة الحق يا نواب الأمة ! كان فى مماته كما كان فى حياته موضع القداسة منها وموطن الرجاء فيها ، لأنه أول مصرى حكمها بأمرها ، وساسها برأيها ، ونقلها من نظام القطيع إلى نظام الشورى ، وحول خزانتها من المتاع الخاص إلى المتاع المشترك ، وجعل العلاقة بين الأمة والحكومة « علاقة الجندى بالقائد ، لا علاقة الطائر بالصائد »

كان سعد من الشعب وظل طول عمره مع الشعب . تجبر ، ولكن على طغيان الثروة ؛ وتكبر ، ولكن على صلف المحتد . أما علينا وعلى أمثالنا من سواد الناس فكان كالأخ العطوف والوالد الحدِب

بهذه السيرة المجيدة فى الحياة يقتدى أصحابه البررة ؛ وبهذه العقلية السليمة فى الحكم يسير خليفته الى الفوز ؛ وبهذه الصفحة المشرقة فى التاريخ يضع سعد للخاصة دستور الزعامة ، ويضرب للعامة مثل البطولة ؛ وبهذه المنزلة الفريدة التى نزلها من شعبه يتولد فى النفوس الشابة الرغيبة طموح العظمة ، فيسمون لها بالحق ، ويتنافسون فيها بالكفاية

هاتان سبيلان واضحتا المعالم بيّنتا الحدود فى سياسة الأمة . أدت أولاهما بسعد إلى حياة الموت ، وأسرعت أخراهما بفلان إلى موت الحياة ! فهل لأكياس الناس بينهما خيار ؟

احمد حسن الزيات

ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

(تنبيه — كل ما هو مكتوب هنا متخيل . وأنا يوافقنى ويلائم مزاجى أن أجعل الكتابة على لسانى)

— ٣ —

سألنى صاحبى وهو يجلس : « إلى أين إن شاء الله ؟ »

قلت : « يا صاحبى ! العجلة من الشيطان . اجلس أولاً ، وتناول — ثانياً — شيئاً ، ثم سل ما بدالك بعد ذلك . على أنى أستطيع أن أريح فؤادك القلق ، فأقول لك إنا ذاهبون إلى القناطر الخيرية ؛ فهل ارتاح قلبك يامولاى ؟ »

فصاح بى وهو يخرج السيجارة : « القناطر ؟ ... ماذا أخطرها ببالك ؟ ... وماذا تصنع هناك فى هذا الحر ؟ ... شىء غريب ! »

قلت : « يا أخى إنك تفاجأ بالخبر فتستغربه ، أما أنا فقد أطلت التفكير فى الأمر ، وعرضت لى آراء شتى نفيتها واحدا بعد واحد ، حتى استقر رأيى أخيرا على القناطر »

قال : « ولكن الجو حار الآن ... الساعة العاشرة ، وسنشتوى هناك ؛ وأين يمكن أن نجد طعاماً أو شراباً ؟ »

قلت : « لعلك تظن أن القناطر صحراء سينا ... ومع ذلك لا تخف أن تجوع ، فقد أعددت لمعدتك كل ما تحتاج اليه من طعام و ... »

قال : « ولكنى رأيت السيارة ونظرت فيها فلم أجد شيئاً ، وأخشى أن تكون — كعادتك — معتمداً على أنها مدينة عظيمة مقصودة من الناس ، ثم نذهب فلا نجد شيئاً »

قلت : « بل ستجد كل شىء . والآن دعنا من حديث المعدة واسمع : إذا رأيت منى ما تنكر ، أعنى ما يخالف المألوف من عاداتى فرجائى اليك أن تذكر قول الشاعر :

إن من ساءه الزمان بشىء　　لحقيق إذن بأن يتسلى

« فهل أنت لبيب تكفيه الاشارة أم لا بد أن ... ؟ »

وفى هذه اللحظة أقبلت الفتاة — أم ترانى لم أخبر القارئ أن فتاة كانت ستقبل ؟ ؟ على كل حال ... المهم أنه — أعنى القارئ — قد عرف أن فتاة قد أقبلت ، ولا شك أنه استنتج من قولى هذا أنها وسيمة — ولا أبالغ فأقول جميلة — وأن الموعد كان مرتباً من قبل . ونظر صديقى اليها ثم إلىّ وهز رأسه ووقف استعدادا لاستقبالها وتحيتها . وكان وجهه كالطماطم — أعنى أحمر جداً — وليس هذا لونه فى العادة ، وإن كان صحيح الجسم ، معافى البدن ، حسن اللون والشارة ؛ ولكنه شديد الحياء . فقلت للفتاة : « زوزو ... هذا صديقى الذى حدثتك عنه ؛ وفى وسعك أن تعديه صديقاً لك أيضاً .. هل جاءت ليلى ؟ ؟ »

قالت وهى تناوله يدها : « نعم ... وهى تنتظر فى الخارج »

قلت : « ولماذا لم تدخل ؟ .. هل أذهب وأدعوها ؟ »

قالت : « كلا . إن معها الأشياء .... والأفضل أن نذهب الآن »

ومضينا إلى القناطر على مهل ، وكانت السيارة جديدة ، ولا بد أن أقتصد فى السرعة حتى تلين وتكتسب آلاتها المرونة اللازمة وإلا فسدت وخربت بسرعة وقصر عمرها . وكانت زوزو وليلى تنظران إلى السيارات الأخرى التى تخطف إلى جانبنا وتتركنا وراءها فتتحسران . وكانت زوزو لا تفتأ تقول لى : « ألا يمكن أن ندرك هذه السيارة ؟ » وتشير إلى واحدة من السيارات الكثيرة التى كانت تمرق كالسهم ، فأقول : « بالطبع نستطيع ، ولكن الثمن باهظ . ثم إن العجلة من الشيطان ؛ وقد كنت قبل مجيئك ألقى درساً على هذا الصديق فى وجوب التريث وتحاشى العجلة . والظاهر أنك لست خيرا منه ولا أقل حاجة إلى مثل هذه الدروس التى أعطيها للناس مجاناً »

فتصيح بى : « دروس ايه وعجلة ايه ؟ ؟ . كلام فارغ ! ! كيف تترك هذه السيارات تسبقنا ، مع أن سيارتك جديدة وجميلة ؟ »

فأقول : « أشكرك — بالنيابة عن السيارة . ولو كان لها لسان لأسمعتك المطرب المعجب من آيات شكرها وتقديرها لهذا الثناء الجميل ، ولكنها كما تعلمين خرساء بكماء لا تحسن إلا أن تجرى »

فتقاطعنى معترضة : « تجرى ؟ ؟ تقول تجرى ؟ ؟ إنها تزحف ! ! ألا ترى كيف سبقنا كل الناس ؟ .. هل تريد أن نصل إلى القناطر غداً ؟ »

فأتوكل على الله وأجازف بمستقبل السيارة وأعدو فى مسرى

الشبان الذين يكونون مع الفتيات فينطلقون كالقنابل فتتحطم سياراتهم ، وقد يلقون همُ حتوفهم ؛ فان وجود فتاة مع السائق يغريه باهمال ما يشير به العقل والحكمة . وقد أركبت فتيات كثيرات فلم أر منهن واحدة ترتاح إلى البطء ، وأحسب السبب أن السرعة مظهر من مظاهر القوة وأن السبق غلبة ، والمرأة تعجب بالرجل القوى السباق ، ولا تعجب بالرجل الضعيف الوانى ، وهى لا تدخل فى حسابها أن هذه سيارة وأن المعول عليها لا على الرجل ، وأن الذنب يكون ذنبها إذا قصرت وكانت بطيئة أو ضعيفة . وإنما كل ما تفكر فيه وتعنى به أن معها رجلاً ، وأن رجلها هذا ينبغى أن يكون الأقوى والأبرز والأسرع والأبرع ، إلى آخر ذلك . وهو عندها مسئول عن السيارة التى لم يصنعها . ولعل منطقها أنه اشترى سيارة ، فلماذا لم يشتر سيارة قوية سريعة ؟ ؟ وقد يكون قليل المال ولكن هذا لا ينهض عذرا له ، إذ لماذا يكون قليل المال ؟ ؟ وقد تكون السرعة بغيضة اليه ، ولكن الأمر يرجع إلى تقديرها هى لا إلى تقديره ، ولا إلى ما يؤثر وما يكره . وإذا كان لابد أن يتوخى ما يشير به مزاجه ، فلماذا يستصحب امرأة ؟ ؟

من أجل هذا اضطررت أن أسرع على خلاف ما يقضى به الواجب والحزم وإلا ساء رأى صاحبتى فىّ ، ومن الذى يسره أن يسوء رأى المرأة فيه ؟ ؟ ولاسيما امرأة تكون معه ويكون همه فى هذه اللحظة على الأقل أن يرضيها .. وأدركنا بضع سيارات سبقناها ففرحت وأشرق وجهها وانبسطت أسارير محياها وكثر ضحكها — بل ضحكهما — بعد التقطيب والوجوم والاعتراض ، وصارت كلما مررنا بجانب سيارة تصفق وتصيح « هيه ! ! » على سبيل الاعجاب بالسيارة التى هى فيها — أى الاعجاب بنفسها ، فان إعجاب المرأة بشىء يكون لها مظهر لاعجابها بنفسها هى — والشماتة بالمسبوق والتعيير له والتحدى أيضاً ؛ والمرأة إذا أعجبت برجل جعلت وكدها أن تتحدى الرجال به على صور شتى بعضها أخفى من بعض . وما أكثر ما يكون استمرار إعجابها به رهناً باستمرار فوزه على الأقران وغلبته لهم فيما تورطه فيه

وبلغنا القناطر بعد نصف ساعة ؛ وكانت هذه أول مرة تراها فيها فأقبلت على تسألنى عن كل ما تأخذه العين هناك وجعلت أنا أحيلها على صديقى لا تفرغ للسير ومآزقه فى هذا الزحام الشديد حتى صرنا عند أول البساتين ، وكانت الاحالة على صديقى تغضبها لتوهمها أن ذلك مبعثه الملل أو الاعراض ، ولا ملل ولا إعراض منى وإنما هى مشاغل الطريق ؛ غير أن المرأة قل أن تقدر ذلك لأن خواطرها كلها دائرة حول نفسها وشخصها ، وهى تفسر كل شىء بأنه صادر عن حب أو كره ، وعن رغبة أو زهد ، وعن إقبال أو انصراف وإعراض ، وعن ارتياح أو ملل وسآمة

وقال لى صاحبى ونحن ندخل البساتين والفتاتان أمامنا : « والآن قل لى ماذا ساءك من زمانك ويوشك أن يخرج بك عن طورك ؟ »

قلت : « يا أخى إنى شاكر لك — وأنت تعلم صدق هذه العنايةَ بالاطمئنان علىّ ، ولكنى لو أفضيت إليك بهذا السر لما بقيت له لذة تخفف ألمه . انتظر حتى يفتر كل شىء — الألم واللذة جميعاً — فلا يعدو الكلام حينئذ أن يكون حديثاً عن شىء مضى ولا يكاد يعنينى »

فهز رأسه ومضى عنى إلى الفتاتين

وظللت طول النهار أضحك وألعب وأثب وأجرى وآكل وأشرب وأرسلت نفسى على سجيتها — وإن كان ينقصنى أن أعرف أن الخفة من سجاياى — وخلعت ثوب الاحتشام ورحت أكلم من لا أعرف وأدعو إلى طعامنا كل من يمر بنا — رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً — وأبدأ بالحديث من لم أر وجهه إلا فى ذلك اليوم ، وأخطف الكرة ممن يتقاذفونها ، وأجر رِجْلَ هذا ، وأشد أذنَ ذاك ، وأفعل ما يفعل الأطفال عادة إذا شجعتهم فأنسوا منك الارتياح إلى عبثهم ، حتى ضج صاحبى وضاق صدره ولم يعد يطيق هذا الخَلْقَ العظيم الذى حف بنا واندمج فينا وشاركنى وشاركته فى اللعب والضحك والجرى . فركبنا زورقاً صغيراً ؛ لكن هذا لم ينجه ولم يمنع أن أمضى فيما وطّنت النفس عليه فى ذلك اليوم ، فقد كانت هناك زوارق أخرى فصرت أدنو بالقارب منها حتى أحاذيها ، ثم أروح أعابث من فيها ، فنفد صبر صديقى وأمر النوتى أن ينأى بنا عن الخلق جميعاً فاستلقيت على ظهرى وأغمضت عينى وتظاهرت بالنوم

ولكنى لم أنم ، وإنما كنت أحدث نفسى وأسألها عن جدوى هذا الذى صنعت ؟ أتراه أنسانى شيئاً أو أذهلنى عما بى ؟؟ ولم يسعنى إلا أن أعترف بأن كل ما صنعت كان عبثاً . فقد كانت ذات الثوب الأرجوانى ماثلة أبداً أمام ناظرى لا تبرحه ولا تفتر صورتها التى تلازمنى ، وكنت أراها فى كل من أرى وما تأخذه

العين ، فأنا حين أنظر إلى واحـدة من هاتين الفتاتين لا أراها وإنما أرى ذات الثوب الأرجوانى ، ويفتننى منظر فأقول لمن معى : « أنظروا ... ما أبدع هذا » ويكون الذى يفتننى منه ذات الثوب الأرجوانى التى تبدو لى فى إطار من هـذا المنظر . ولما ركبنا الزورق كان يخيـل إلىّ أنها سابحة فى المـاء كعرائس البحر ، وما سمعت ضحكة ناعمة إلا قلت لنفسى لعل ضحكتها أرق وأسحر

وأعجب من هذا أنى كنت أجـدنى وأنا أضاحك الناس وأحدثهم وألاعبهم وأسابقهم أفكر فيها وأسأل نفسى عنها — وكان حسبى ما أنا فيه مما يستغرق جهد النفس — وأقول — فى سرى وبينى وبين نفسى — هل أنت تحبها ؟ ؟ أواثق أنت أن هذا هو الحب . . فتجيبنى النفس أن نعم لا شك فى ذلك ، فأكر عليها معترضاً على هذا التأكيد وأقول : ولكنك لا تعرفها .. لا تعرف حتى اسمها .. وما رأيتها إلا عن بعد فماذا تحب منها .. لا تستطيع أن تدعى أنك واجد فيها غير صورة جسمية هى التى تتراءى لك من هـذا البعد . ولعلها لو دنت قليلاً لطالعك منها ما لا ترتاح اليه ، فالأرجح أنك تحب منها صورة ألّفتها أنت من الألوان التى استعرتها منها . ولا شك أنك زدت هذه الألوان قوة وأضفت اليها من خيالك . ولو أنك كنت مصـورا وحاولت أن ترسم لها صورة من ذاكرتك لما استطعت أن تثبت شيئاً من ملامحها ، ولجاء الرسم لمخلوق من مخلوقات خيالك أنت ، وإن كان لا يخلو من شبه بذات الثوب الأرجوانى . فحتى الصورة المادية — أو الجسمية — التى تبدو لك ليست ثابتة ولا مقررة فى نفسك ، لأن الصور لا تثبت خطوطها وألوانها على مثل هذا البعـد . ومن السهل أن تُمَحَّى عليها وتمحوها صور أخرى تكون أثبت لأنها تكون أقرب فأقدر على التأثير وأنفذ بسبب القرب الى أعماق النفس والاستقرار فيها . ولو أن صورة ذات الثوب الأرجوانى كانت عميقة الأثر فى نفسك ومنقوشة بألوانها وخطوطها المميزة لها على صدرك ، أكنت تظن أن فى وسعك أن تتسلى كما تتسلى الآن بهذه الفتاة أو تلك ممن تعرف ؟؟ أكان يمكن أن ترتاح الى وجود غيرها وإن كنت تزعم أنك تتسلى ؟ ؟ لا ياصاحبى !.. وحسبك أن تسأل نفسك بأى شىء تذكرها . . ماذا فى نفسك منها غير صورتها فى النافذة كما تستطيع أن تراها على بعد ثلاثين مترا ! ؟ لو كنت كلمتها !! لو كنت رأيت ابتسامتها ونظرة عينيها ومنطق وجهها وتعبير محياها ، وكيف تكون إذ ترق وتحنو ، وحين يسرها شىء ، وعند ما تبدو عليها اللهفة أو الجزع أو الاضطراب ، والزهد فى شىء والرغبة فى آخر ، وحينما تتدلل أو تسخو ، وإذ تضحك أو تتجهم !! لو كنت رأيت شيئاً من ذلك لأمكن أن تقول إنك عرفتها وأحببتها ، ولكان لحبك لها غذاءٌ ومددٌ من ذكريات هذه الحالات المختلفة .. أما الآن فبماذا يتغذى حبك ؟؟ على أى شىء يعيش ؟؟ بأى شىء تذكرها إذا غابت عنك . . . بصورة هى أشد غموضاً من الرسم الفوتوغرافى وأخفى منه تعبيرا ؟ ؟ وهى مثلك ... أتزعم أنها توليك عناية واهتماما ، وأنها تفكر فيك ، وأنها لا تفتأ تنظر اليك ؟ فما يدريك أن هذا ليس من باب التطلع ومن قبيل الاستغراب أو اطاعة لرغبة نشأت فى الوقوف على حالات غريبة تبـدو من شخص يستحق عناية على كل حال لسبب من الأسباب التى تدعو الى العناية ؟ ؟ هه ؟ ؟ وهبها — جـدلا — أحبتك كما تظن أنك تحبها فان شأنها كشأنك ! . . ولعلكما لو تلاقيتما لكره كل منكما صاحبه ، أو نفر منه ، على الأقل ، أو إذا شئت ، لفتر ما يجده من الحب ، إذ كان لا أساس له إلا الصور الغامضة التى ينقصها البيان والتأثير الذاتى المباشر . . ويظهر أنها مثلك واسعة الخيال . . . وشبابها هو عذرها إذا جمح خيالها . . فانها غريرة ساذجة لا تعرف الدنيا . وأكبر الظن أنها لم تجرب الحب فهى لهذا شديدة الحنين اليه . ولكن أنت ؟ . أنت ؟ . أنت المجرب الذى عرف المرأة ودرس وخبر كل ما يسع الرجل أن يخبر .. كيف يمكن أن تخدع نفسك وتغلط على هذا النحو فى فهم شعورك ؟ إن هذا منك مضحك !

وقد اعترضت على نفسى وأبيت أن أسايرها إلى حيث تريد فانى أعرفها خبيثة شديدة المغالطة ، وقلت لها : « كيف تزعمين يا نفسى أن لا شىء عنـدى من الذكريات أغذى بها حبها ؟ ألم تسمعنى صوتها فى ضحكة فضية ؟ (واها لهذا الرنين) أليست تبدو — أكثر الوقت — فى الثوب الأرجوانى الذى تعرف أنى أحبه ؟ أتسألين يا نفس كيف عرفتْ أنى أحب هذا الثوب ؟ . قبحك الله ! . وما شأنك أنت ؟ . أعرف أنها تعرف والسلام ! وأنا على يقين من أنها تعرف . وبينى وبينها لغة لا تحتاج الى الكلام ولا الى النظر . . . لغة أفهمها وتفهمها وإن كان كلانا معرضاً عن صاحبه ، لأنها ذكية — مثلى ولا فخر — فهى تدرك أنى حين أكف عن النظر اليها ، يلتفت قلبى إليها ، وإن كانت عينى قد تحولت عنها لسبب غير ارادة النفس وهوى الفؤاد .. ولا يخفى

عليها أنى حين أنظر الى ترام عابر أو سيارة تخطف فى الطريق أو زمرة مارة ، فانى إنما أفعل ذلك لأنى أخاف عليها الناس أن يلهجوا بنا . وليبقى حبى وحبها كنزاً لا يعرف سرَّه غيرُنا . . ولا يشاركنا فيه — بالعلم — ثالثٌ . ولست أ كلمها — هذا صحيح — ولا أنا أشير اليها ، لأنى أعرف أنها تعرف أن الاشارة تحصيل حاصل . وماثلاثون متراً بيننا ؟؟ إن قلبها كتاب مفتوح ؛ وهل تستطيع الزهرة الأرجة أن تكتم الشذى ؟؟ . نعم إنها حريصة كيسة ، ولـكنى مع ذلك أعرف حين أراها مقطبـة عابسة أن قلبها يضحك وإن كانت نظرتها صارمة الجد . . ولقد بدت منها إشارات تعمـدت ألا أفهمها — لا لأنى لم أفهم بل لأنى خفت أن تكون قد صـدرت عنها عفواً وعلى غير عمد ، فأ كون قد تسرعت وأسأت التأويل . ولا أقول ما هـذه الاشارات فانى حريص على الاستئثار بها والانفراد دون خلق الله بمعرفتها . وما أ كثر ما أذكر من حالاتها حين تـكون وحدها وحين يكون معها غيرها .. وهل أنسى أنها حين تغضب علىّ لبلادتى وبطء فهمى تذهب فتلبس ثوباً غير الأرجوانى ؟ ؟ هل أنسى كيف تلف على شعرها شريطاً وتترك خصله الوطفاء مرسـلة على جانبى محياها الصابح يعبث بها النسيم فتهز رأسها لتردها وتصلح منها وتسويها ؟ ؟ . هل أنسى كيف تجلس وفى يدها الـكتاب — على ركبتها — وظهرها إلىّ وهى مع ذلك ترانى وتعرف أنى ناظر إليها ومعجب بها ومتلهف على نظرة منها ؟؟ هل أنسى كيف تكايدنى وتهيجنى وتثير نفسى لتمتحن حبى وترى ما ذا يكون من أثر ذلك فى نفسى ؟ ؟ وما أعـذب مكايدتها وأحلاها ! ! . وما أجهلها بى إذا كانت تظن أن شيئاً من ذلك يثيرنى ويغضبنى ! فانى فى وسعى — دائماً — أن أضع نفسى فى مكان الغير ، وأن أتصور ما يُعْقَلُ أن يصدر عنـه وأن أقدر البواعث على ما يبدر منه فاعذره فى الأغلب . . والحق أقول إنى أراها مقصرة فى مكايدتى لا مسرفة . ولا أنكر أنه يعز على أن تغيب عن عينى ، ولـكنى أنا مضطر أن أغيب عنها وأنقطع عن النظر إليها ، وعزائى أنى لا أنعم بأ كثر من مرآها وأنها لم تهبنى أ كثر من منظرها من بعيد ، وأنها لم تولنى ما أتحسر على فقده إذا فقدته ؛ وما دام هذا هكذا فانى أستطيع أن أراها بعين الخيال كما أراها بعينى التى فى رأسى . ولو أنى كنت مكانها لعرفت كيف أ كايدها ، فلتحمد الله الذى خلقنى رجلاً ولم يخلقنى امرأة .

ولو شئت لعذبتها ولـكنى أوثر الترفق — بطبعى — وإن كنت لخبرتى بالطبيعة البشرية من أعرق الناس بوسائل التعذيب . وأنا أسأل نفسى دائماً « لمـاذا أعذبها وأنا أحبها ؟ ، وبماذا تستحق التعذيب وهى لو وسعها أن ترضينى لأرضتنى ؟ لا شك فى ذلك ، وصحيح أنه يسعها أ كثر مما تبـدى ولـكنى لا أحب أن أعجل باللوم . . ومن يدرى ؟ . لقد علمتنى حياتى أن اليأس سخافة ، وأن العجلة من الشـيطان ، كما أقول لصديق ، وأن طول البال ينيل الأمل ، كما يقول المثل العامى ، وأن الغضب حماقة ، وأن العتاب عبث ، وهو فى النهاية يفتر الحب ، وأنا أحب هـذه الارجوانية الثوب وأحب أن يطول حبها لى ، لأنى أعرف من نفسى أن حبى لا يفتر وإن كان فى وسعى — بفضل رياضتى لنفسى — أن أستر ناره بالرماد . كلا لن أ كايدها وسأصبر عليها وأملى لها وأمهلها لأرى ما يكون منها ولأختبر مبلغ حبها فانى على الرغم من الحب أوثر أن أقدّر لرجلى قبل الخطو موضعها . فاذا رأيت منها ما يطمئن خرجت عن هذا التحفظ الثقيل عليها وعلى أيضاً وإلا فانى قادر على خنق هذا الحب ولو كلفنى تقليع أحشائى من جذورها

فى هـذا كنت أفـكر ، وبهذا كنت أناجى نفسى ، وأنا ألاعب هذه الفتاة وتلك وأضاحكهما وأسابقهما وأسخط صديقى على بترك الاحتشام الذى ألفه منى حتى صار يستغرب منى الابتسام ، وليس أعجب من اشتغال النفس بأمرين فى وقت واحد . ولـكنى لا أ كتب مقالاً فى علم النفس وإنما أسوق حكاية وأصف حالة فيحسن أن أقتصر على ذلك

وقد عدت من القناطر بغير ما كنت أرجو أن أفوز به . نعم لهوتُ وضحكت وبدوت لمن لا يعرفنى كأسعد ما يكون إنسان . ومن ذا الذى يمكن أن يسمع ضحكتى ويرى وثبى وقفزى ويرتاب فى أنى سعيـد موفق ؟ ؟ ولـكن صديقى كان يعلم أن فى صدرى شيئاً أ كتمه ، وأن ما أنطوى عليه ليس مما يهون حمله ، وإلا لما التمست التلهى ونشدت التعزى ، غير أنه كان على هـذا يجهل — ومن أين يعرف ؟ — أن فى جوفى ناراً مضطرمة من القلق والشك والحيرة والاضطراب وقد خرجت من الحوار الذى دار بينى وبين نفسى بالشك وباعتقاد أنى جاهل ما فى ضمير الفؤاد — أو على الأقل أن الأمر فيه نظر كبير فالحق أن معرفة النفس أشق المعارف وأعسرها مطلباً . .

ابراهيم عبد القادر المازنى

حلم الدولة اليهودية
والوطن القومي اليهودي
لمؤرخ كبير

مضى اليوم أكثر من شهرين مذ بدأت فلسطين ثورتها القومية المضطرمة ؛ وقد حسب الاستعمار يوم نشوبها أنه أمام حركة تذمر عادية يسهل قمعها بالوسائل المعتدة فاذا به أمام ثورة قومية عامة ، وعزم راسخ على النضال ، ومعركة حياة أو موت من شعب يؤثر السقوط فى ميدان الكفاح الشريف ، على الاعدام البطىء المنظم

ولقد بسطت (الرسالة) قضية فلسطين فى مقال سابق ، بين فيه كاتبه مبلغ ما ترزح تحته هذه الأمة الصغيرة الباسلة من صنوف الاستعباد المرهق ، السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، سواء من جانب السياسة البريطانية التى قضت باختيار فلسطين منزلاً للوطن القومى اليهودى أو من جانب الصهيونية التى تعمل لتوطيد دعائم هذا الوطن اليهودى بكل ما وسعت من وسائل الضغط المالى والثقافى متمتعة فى جهودها برعاية السياسة البريطانية ومؤازرتها

وإذا كنا لانستطيع الآن أن نتنبأ عما تفيده السياسة البريطانية من هذا الدرس ، أو عما تزمع أن تتخذه من الخطط الجديدة فى المستقبل نحو فلسطين ، فانا نستطيع من جهة أخرى أن نقول إن هذه الفورة العنيفة التى قامت بها فلسطين سيكون لها أثرها العميق فى صدع أركان الوطن القومى اليهودى ، وفى التدليل على ما فى صياغته وتكوينه من أوجه الخيال والعوامل المصطنعة التى تتعارض مع الحقائق التاريخية والعملية

إن إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، هو الخطوة العملية الأولى فى برنامج الصهيونية الحديثة ؛ وهو التمهيد لانشاء الدولة اليهودية التى هى غاية الصهيونية الحقيقية ؛ واليهودية تحلم بانشاء هذا الوطن القومى وتعمل له منذ أكثر من قرن ؛ ولكن برنامج اليهودية النهائى لانشاء الوطن القومى لم يوضع إلا فى أواخر القرن الماضى ، حيث بدأ زعماء اليهودية يجمعون المال لانشاء المستعمرات فى فلسطين ويبذلون جهودهم لدى الباب العالى . وحيث أذاع تيودور هرتسل ، رسول الصهيونية الحديثة وروحها المضطرم ، رسالته الشهيرة عن الدولة اليهودية : « Die Judenstaat » وهرتسل كاتب وصحفى يهودى نمسوى ، ظهر فى أواخر القرن الماضى فى ڤينا بكتاباته الملهبة فى سبيل القضية اليهودية ، فالفت صيحته أفقاً صالحاً لأن معظم الدول الأوربية كانت تجيش يومئذ بعوامل الخصومة السامية ، وتلقى اليهودية الاضطهاد المنظم فى كل مكان . وفى كتاب « الدولة اليهودية » يعرض هرتسل فكرة الوطن القومى عرضا قويا ، ويرى أن يتخذ هذا الوطن صورة دولة يهودية فى فلسطين تكون تحت سيادة الباب العالى ، وتؤدى له الجزية ، وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص ؛ فصادفت الدعوة نجاحاً عظيما بين أقطاب اليهودية فى انحاء العالم كله ، وانتظمت الحركة تحت لواء هرتسل وزعامته . وفى أغسطس سنة ١٨٩٧ ، عقد مؤتمر يهودى عام فى بازل (سويسرا) برياسة هرتسل ، ووضع فيه برنامج الصهيونية الرسمى ، وعرفت غاياتها ووسائلها على النحو الآتى :

« تسعى الصهيونية لتحقق للشعب اليهودى إنشاء وطن قومى فى فلسطين يتمتع بالضمانات التى يقررها القانون العام ، ويرى المؤتمر أن يتذرع بالوسائل الآتية لتحقيق هذه الغاية :

(١) ان يشجع استعمار فلسطين بواسطة الزراع والعمال والصناع

(٢) ان ينظم العالم اليهودى باسره وان يحشد فى الجماعات المحلية أو العامة طبقا لقوانين البلاد المختلفة

(٣) أن تقوى لدى اليهود عواطف الكرامة القومية والاعتزاز بالجنس

(٤) ان تبذل المساعى اللازمة للحصول على التصريحات الرسمية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية

هذا هو هيكل الصهيونية وبرنامجها العملى ؛ وقد تطورت ظروف العالم السياسية منذ عصر هرتسل ومؤتمر بازل ، واستطاعت الصهيونية بعد جهود ومحاولات عديدة أن تلقى فرصتها فى الحرب الكبرى ، وان تظفر بتحقيق الشطر الأول من برنامجها بانشاء الوطن القومى فى فلسطين ، ولكن لا تحت سيادة الباب العالى ، وانما تحت السيادة البريطانية ، وذلك بمقتضى عهد بلفور الذى قطعته الحكومة البريطانية على نفسها فى نوفمبر سنة ١٩١٧

وقد مضى على قيام الوطن القومى اليهودى فى فلسطين زهاء تسعة عشر عاماً ، وأصبح فى ظل الانتداب البريطانى ، وطبقاً

لنصوص الانتداب ذاته ، من الوجهة الدولية ، نظاماً شرعياً معترفاً به من جميع الدول الكبرى ؛ وفى هذه الفترة بذلت اليهودية جهوداً جبارة لاقامة هذا الصرح القومى الذى تحلم به منذ الآماد ، فتدفقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى أصبح عدد اليهود فيها زهاء نصف مليون ، وأقيمت المستعمرات والمشاريع اليهودية الضخمة فى جميع انحاء البلاد ، وانشئت مدينة تل أبيب لتكون عاصمة الوطن الجديد ، وأقيمة جامعة عبرية لتعمل لأحياء التراث اليهودى الروحى والفكرى ؛ وعلى الجملة فقد استطاعت اليهودية أن تحقق فى فلسطين كثيراً من المظاهر المادية والاقتصادية والاجتماعية للوطن القومى اليهودى

ولكن هذه المظاهر على ضخامتها وقوتها تبدو اليوم ضئيلة واهنة أمام ثورة الشعب الذى يقام هذا الوطن فى أرضه ، وعلى أنقاض حقوقه وموارده ؛ فاليوم يهاجم الوطن اليهودى ، ويطعن من كل صوب ، وتقوض مستعمراته ومنشآته ، وتعطل جميع مرافقه ومصالحه ، وتشل جميع حركاته ومعاملاته ، ويكاد يغدو فى حالة حصار مطبق ؛ كل ذلك تحت بصر القوى الاستعمارية التى هرعت إلى فلسطين لحمايته . وقد شعرت الصهيونية من قبل غير مرة بخطر الفورات القومية الفلسطينية على صرحها ، ولكنها لم تكن تتصور أن الخطر قد يبلغ هذا المدى من الروعة ، أو أن هذه الأمة العربية الصغيرة يمكن أن تضطلع بمثل هذا الكفاح الشاق الجلد ؛ وإذا لم يكن ثمة ريب فى أن القوى الاستعمارية الغاشمة ستتغلب فى النهاية على الكفاح القومى الباسل ، فانه لا ريب أيضاً فى أن الوطن القومى اليهودى سيخرج من المعركة مثخناً بالجراح ، وقد وهنت قواه المادية والمعنوية ، وزادت شكوك الصهيونية وهواجسها نحو المستقبل الغامض

والواقع أن فكرة الوطن القومى اليهودى لم تكن بنت القرن التاسع عشر فقط ، ولكنها ترجع إلى أقدم العصور ؛ فمذ حطمت مملكة أورشليم اليهودية منذ نحو ألفى عام ، وشتت اليهود فى أنحاء الأرض ، تحلم اليهودية بالعود إلى أرض إسرائيل ؛ ومع أن الجماعات اليهودية قد استقرت فى الأراضى التى استوطنتها مدى القرون ، غير أنها لم تندمج قط فى الشعوب التى عاشت بين ظهرانيها ، ولبثت تكون دائماً مجتمعات مستقلة . وترجع اليهودية تلك الظاهرة إلى نظم الاضطهاد والعزلة التى كانت تفرض على اليهود ، وحرمانهم من الحقوق السياسية والمدنية طوال القرون ، حتى أنهم كانوا يرغمون على السكن والاحتشاد فى أماكن خاصة تسمى (الجيتو) . ولكن الحقيقة أن اليهودية هى التى اختارت لنفسها هذه العزلة ، وهذا الاستقلال الخالد عند الشعوب التى استقرت فيها . ذلك أن اليهودية كانت وما زالت تعتبر دائماً أن الدين هو جامعة الجنس بين اليهود ، وأن اليهودية هى ملاذ الشعب اليهودى أينما حل ، وبعبارة أخرى إن الدين والجنسية بالنسبة لليهود هما وحدة لا تتجزأ . وهذا هو الخطأ الخالد الذى وقعت فيه اليهودية ، والذى أثار عليها فى كل العصور ريب الشعوب وحقدها ، والذى هو فى الواقع أكبر عامل فى تحريك الخصومة السامية . وهذا هو الأساس الخاطئ الذى تبنى عليه فكرة الوطن القومى الذى يجتمع فيه اليهود من جميع الجنسيات واللغات

وقد فطن إلى هذا الخطأ الذى هو عنوان التعصب الخالد بعض أقطاب اليهودية ، وحاولوا أن يدعوا إلى فصل الدين عن الجنسية ، وإلى تشبه اليهود بسائر الشعوب فى اعتبار الدين مسألة روحية محضة لا علاقة لها بالجنسية ؛ دعا إلى ذلك الفيلسوف الألمانى اليهودى موسى مندلزون فى القرن الثامن عشر ، ورأى أن تتخذ القومية اليهودية صبغة محلية ، فيغدو اليهود من أبناء البلد الذى استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحى ؛ وآزر مندلزون فى هذه الدعوة بعض أكابر المفكرين الألمان من غير اليهود مثل الكاتب الشهير لسنج وغيره ؛ ولكن هذه القومية المعتدلة التى أملى بها جو التسامح الذى نعمت به اليهودية يومئذ لم تلق كبير تأييد ، ولم يطل أمدها ، واستمرت الفكرة الدينية القديمة على قوتها وحدتها

والوطن القومى اليهودى يقوم كما قدمنا على نفس هذا الأساس ، أى على جامعة الدين ؛ وهذه أكبر نقط الضعف المعنوى فى بنائه ، فالقوميات والشعوب الحديثة لا تقام باسم الدين ؛ ولم يبق الدين فى بلد من بلاد العالم المتمدين أساساً للدولة ؛ ثم إن هذا الضعف المعنوى فى الوطن اليهودى يتخذ مظاهره المادية ، ففى فلسطين يجتمع الآن يهود من جميع الجنسيات والثقافات واللغات والنزعات السياسية ، ومن المحقق أن العمل الاجتماعى المتناسق بين هذه العقليات والبيئات المتباينة صعب التحقيق . والواقع أن معظم اليهود المهاجرين يفدون على فلسطين لبواعث اقتصادية قبل كل شىء ، ولكى يحققوا لأنفسهم بعض وسائل العيش التى يفتقدونها فى بلادهم الأصلية ؛ ومنهم من يفد فراراً من الاضطهاد الذى يفرض

حادثة فلسطين

للأستاذ علي الطنطاوي

... لئن كانت حادثة الحبشة فضيحة القرن العشرين ، فان حادثة فلسطين – إن تمت – فضيحة الدهر ، وعار يلحق كل من يقول : أنا انسان ...

بيد أن الحبشة إن غلبت علايينها وسلاحها وجيوشها ، فان هذا الشعب الأعزل الذى لا يبلغ المليون الواحد لن يغلب على أرضه أبداً ، لأن وراءه سبعين مليوناً من العرب ، إن وراءه أربعمائة مليون من المسلمين ، إن وراءه ألف معركة منها أجنادين واليرموك وحطين ، إن وراءه القرآن الذى يقول عن اليهود : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةُ وَبَاءوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ » صدق الله العظيم ؛ وكذبوا ... إن الذليل لا يعز ، والمسكين لا علاك ، والمغضوب عليه لا يفلح أبدا !

***

إن حادثة فلسطين ، لو تدبرها العقل ، وفهمها على وجهها لما رآها إلا ... « جريمة » : أبطالها طائفة من اللصوص ، وشرذمة من الحرّاس ، لصوص يتسوّرون الدار ليطردوا صاحبها ، ويحتلوها ويشرّدوا أهلها ، وحراس يعينون اللص على المالك وينصرون على الحق الباطل ...

ولكنّ الجريمة لن تتمّ : إن الأسد فى العرين ، وربّ الدار يعرف كيف يحمى الدار ... فيا أحفاد كعب بن الأشرف ، وسلاّم بن أبى الحقيق ، وعصماء وأبى عفك ، نحن أبناء محمد بن سلمة ، وعبدالله بن عتيك ، وعُمَير بن عدىّ ، وسالم بن عمير ... فاذا أغنى عن أجدادكم – إذا هم كانوا أجدادكم حقاً – إذا أغنى عنهم ما لهم ، أو دفعت عنهم حصونهم ، أو نفعهم حلفاؤهم ، وما حزّبوا علينا من أحزاب ، أغنى ذلك عنكم :

« هوَ الذى أَخْرَجَ الذينَ كَفَرُوا منْ ديارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرُجُوا وظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حصُونُهم من الله . فأَتَاهُمُ اللهُ منْ حيثُ لمْ يحتَسِبوا وَقَذَفَ فى قلوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبون بُيُوتَهم بأيديهم وأيدى المؤمنين . فاعْتَبِروا يا أُولى الأَبْصار »

***

ولئن اشتدت اليوم المصيبة وعظم الخطب ، فقد كانا يومئذ أشد وأعظم ، يوم قامت أوربة كلها على قدم وساق ، ثم سارت الينا بقضها وقضيضها ، يحدوها التعصب الأعمى ، وتسوقها عصا البغضاء ، والحقد والعداوة الدينية ، فأفسدت البلاد وعاثت فى الحرم ، حتى إذا ظنت أنها قد ملكت وتمكنت ، وبنت فأسست ، وباضت وفرّخت ؛ جاءها رجل واحد فحطم جيوشها فى حطين ، ثم ردّهم على أعقابهم خاسرين ، ثم أخرجهم منها مذءومين مدحورين

أفعيينا بأوربة كلها ، وعجزنا عنها حتى نعجز عن حفنة من شذّاذ الآفاق ونفايات الأمم وعباد الدرهم والدينار ؟ أم قد جفّ الدم الذى روّى عروق صلاح الدين ، وماتت الأمة التى

عليه ؛ وهنا نستطيع أن نقول إن الوطن القومى الحديث كان وليد الخصومة السامية (حركة العداء ضد اليهود) أكثر من أى عامل آخر ؛ وهذا أيضاً عامل مصطنع فى بنائه ؛ وإذا كان الوطن القومى قد أحرز فى فلسطين شيئاً من النجاح والتوسع من حيث الاحتشاد والاستثمار الاقتصادى ، فذلك يرجع قبل كل شىء إلى الأموال الطائلة التى تستثمرها الرأسمالية اليهودية ؛ والرأسمالية لا تعرف وطناً ولا ديناً ، ولا تعرف إلا الفوائد والمغانم المادية

والخلاصة أن الوطن القومى اليهودى يقوم على عوامل وأسس مصطنعة يكشف الزمن عن ضعفها شيئا فشيئا ؛ والزمن وحده كفيل بأن يبين لليهودية أن مشروع الوطن القومى والدولة اليهودية إنما هو حلم عظيم جاشت به أذهان بعض المتعصبين من أقطاب اليهودية ومفكريها ، وأنه لا يمكن أن يعتبر بوضعه الحاضر أكثر من مشروع اقتصادى تؤيده الحراب البريطانية ، فكل ما يحرزه من نجاح أو يصيبه من فشل يرجع إلى قواعد الاقتصاد العادية دون غيرها ؛ وما جامعة الدين التى تستظل بها اليهودية إلا طلاء السياسة ، وهى أضعف من أن تقيم فى عصرنا دولة أو وطنا

مؤرخ

أخرجته ، وعقمت النساء فلا يلدن شبيهه ؟ إن كل مسلم اليوم في فلسطين صلاحُ الدين ، وكل بقعة فيها حطين :

***

ضربت عليهم الذلة والمسكنة : فالذهب فى صناديقهم والنظام جمعياتهم ، والريّ والخصب فى أرضهم ، والسلاح فى أيديهم ، والانكليز من ورائهم ، ثم لا يثبتون ساعة واحدة لهؤلاء العزل الفقراء . . . ولا يقدرون أن يقفوا فى وجوههم ، ويرتجفون إذا سمعوا ذكر أسمائهم : « إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وإنْ يَقُولوا تَسْمَعْ لقولِهِمْ كأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كلَّ صَيْحَةٍ عَلَيهِمْ » أهؤلاء الذين لا يستطيعون أن يمشوا فى الطرقات وحراب انكلترا تحميهم ، يستطيعون بعدُ أن يمدوا سدنة المسجد الأقصى وسادة فلسطين ، ويتملكوها — وحدهم — رغم أنف المسلمين أجمعين ؟ ولو نفخ عليهم المسلمون أربعمائة مليون نفخة لطيروهم ، ولو مالوا عليهم لطحنوهم ، ولو بصقوا عليهم لأغرقوهم ، ولو صرخوا فيهم لقتلوهم ؟

أهؤلاء الذين ما عرفهم التاريخ إلا مغلوبين ، يتحرشون بمن لم يعرفهم التاريخ إلا غالبين منصورين ، ومن حكموا الدنيا فكانوا نعم الحاكمين ، وعلموا العالم فكانوا خير معلمين ؟

***

إن معهم وعداً ، وإن معنا لوعداً : معهم وعد بلفور . ومعنا وعد الله : « وَعَدَ الله الذينَ آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الّذينَ من قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمْ الذى ارتضى لَهُمْ ، ولَيُبدلَنَّهمْ من بعدِ خَوْفِهِمْ أمنا »

ولكنّ الله يمتحن إيماننا وصبرنا واتحادنا وتعاوننا ، وينظر أنجاهد فى سبيله بأموالنا وأنفسنا ، وننصر إخواننا ونكون فى توادنا وتراحمنا كالجسد الواحد ، إذا تألم عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر ، أم قد فرقت بيننا السياسة ، وباعدت بيننا الغير ، ومزقتنا الأهواء والمطامع ، فأمسينا ننام فى القاهرة ودمشق وبغداد على فرش الريش والديباج ، وإخواننا على شعفات جبال نابلس والقدس لا يغمض لهم جفن ، ونأكل الشواء والحلواء وإخواننا هناك قد لا يجدون ما يقوم بأودهم من الخبز ، ونبذر المال نقذف به إلى أوروبة ثمناً لهنات هينات ، فيصنعون منه مدافع تحصد إخواننا حصداً ، وبنادق تمزق صدورهم تمزيقاً ، وإخواننا لا يجدون ثمن الحاجات الضروريات ، ونلهو ونلعب آمنين مطمئنين ، وإخواننا فى فلسطين قائمون على حد السيف ، بين النار والحديد ؟

فيا إخواننا فى مصر والشام والعراق والحجاز والمغرب ، ويا إخواننا فى الهند والصين وأينما بلغت مقالتى هذه . . .

إن الله جل وعز يقول : «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» فهل أنتم مؤمنون مسلمون بجوارحكم وقلوبكم ، مخلصون لله فى أسراركم وأعلانكم ؟ أم أنتم مسلمون بالنسب والاسم وسجل الدولة ، لا تعرفون إلا أنفسكم ، ولا تبالون إلا بلذاتكم ، ولا تنظرون إلى أبعد من أنوفكم ؟

إذا كنتم مسلمين حقاً ، مؤمنين صدقاً ، تريدون أن ينصركم الله فانصروا فلسطين ما استطعتم ، انزعوا المال من أفواه عيالكم ، وأعناق بناتكم ، لتشتروا به حياة إخوانكم فى فلسطين ، اسهروا الليالى تتسقطون أخبارها ، وتعلمون علمها ، أمسكوا عن لهوكم وأفراحكم فلا تنفرج لكم سنّ حتى تنفرج أزمتها ، اجعلوا قضية فلسطين ، قضية كل واحد منكم . . .

أما أنتم يا إخواننا فى فلسطين :

فاصبروا وصابروا « وَلا تَهِنوا وَلا تحزَنوا وَأنتم الأَعْلَونَ إنْ كُنتم مؤمنين . إنْ يَمْسَسْكُم قَرْحٌ فقد مسّ القومَ قَرْحٌ مثلُه ، وَتلكَ الأيّام نداوِلُها بَيْنَ الناس ، وَلِيعْلَمَ الله الّذينَ آمَنُوا وَيَتخِذَ منكم شُهَدَاء ، وَالله لا يحبُّ الظالمين ، وَلِيمَحِّصَ الّذين آمنُوا وَيمْحَقَ الكافرين . أمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الجنَةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الّذينَ جاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعلم الصابرين »

***

أما بعد ، فان حادثة فلسطين — ان هى تمت — فضيحة الدهر ، وعار على الانسانية ... ولكنها لن تتمّ بحول الله وقوته ثم بقوة المسلمين . . .

على الطنطاوى

حماية الطالحين

بحث علمي اجتماعي

للأستاذ اسماعيل مظهر

في أواسط القرن التاسع عشر أصابت العلم هزة من تلك الهزات العنيفة التي تغير مجرى الفكر ، وتقلب آيات العلم بعد أن يخيل إلى الناس أن المعرفة قد قامت على قواعدها الرسيسة ، رأساً على عقب . ففي سنة ١٨٥٩ نشر العلامة شارلز روبرت دروين كتابه « أصل الأنواع » فأقام الحجة البالغة على أن الأنواع تنشأ في الطبيعة بعضها منظور عن بعض على مر عصور متطاولة ، وأن نشوء الحياة من فوق الأرض موغل في القدم

ولقد أقام دروين نظريته على ثلاث قواعد أولية ، هي التناحر على البقاء ، والانتخاب الطبيعي ، وبقاء الأصلح . أما التناحر على البقاء فاصطلاح مجازي يؤدي في أوسع مدلولاته معنيين : فاما أنه يدل على العلاقة القائمة بين الأنواع الحيـة العائشة في بيئة ما ، إذا ما اتجهت الأسباب العاملة على بقاء نوع إلى إبادة آخر أو إفنائه ، وإما أنه يدل على الجهد الذي يبـذله الأحياء في سبيل الحصول على مقومات الحياة ، كمقاومة العوامل والمؤثرات الفنية للأفراد أو المبيدة للأنواع . أما الانتخاب الطبيعي فحصله أنه يبقى من أفراد الأنواع أو السلالات أقدرها على الحياة في بيئة ما وأن تفنى غير القادرة منها على البقاء . ولما كانت القدرة على البقاء وتخليف المِثْل ، انما ترجع إلى صفات حيوية تتأصل في الأحياء ، نشأ بالانتخاب الطبيعي تدريجياً على مر الأزمان سلالات وأنواع جديدة ممتازة بصفات معينة ثابتة . وقصد باصطلاح بقاء الأصلح أن الأحياء تتكاثر بنسبة رياضيـة . أي بنسبة ٢ : ٤ : ٨ : ١٦ وهكذا ؛ فاذا لم يهلك معظم نتاجها بعوارض طبيعيـة ضاقت الأرض عن أن تسع الأحيـاء . ولذا لا يبقى من الأحياء إلا أصلحها أو أقدرها على البقاء ومقاومـة العوارض . وما « بقاء الأصلح » في الواقع إلا اصطلاح يراد به إيضاح عمل الانتخاب الطبيعي المقتضي أن الأحياء التي هي أكثر صلاحية للبقاء في بيئة طبيعية تظل حية لتنتج أمثالها ، في حين يفنى غير الصالح منها

على هذه القواعد الثلاث شرع دروين مذهبه الذي غير اتجاه العلم الطبيعي برمته في أواسط القرن الماضي . أما الذين اكبوا على دراسـة الاجتماعيات فقد تساءلوا : إذا كانت سنة الطبيعة الثابتـة تقضي ، لخير النوع وبقائه واحتفاظه بمستوى خاص من الحيوية والقـدرة على مجالدة الأعاصير والأعداء ، بأن يفنى الطالح من نتاجه وألا يبقى إلا الصالح ، فان المدنيـة الحديثة بما تحوط به الطالحين من أسباب الحماية من الهلاك والفناء ، إنما تقاوم سنة الطبيعة الثابتة ، تلك السنة التي تقضي بأحد أمرين : فاما هلاك يصيب الطالحين ليفوز الصالحون بتخليف النسل فيحتفظ النوع بحيويته وبمثله العليا من حيث القوة والجهد ، وإما فساد يصيب طبيعة النوع بالابقاء على الطالحين الذين يورثونه كل الصفات التي يدركها الاحيائيون بين الأطلح والأصلح

ولنضرب لذلك مثلاً نقتطعه من حالاتنا الاجتماعيـة . فلقد استطاع الفلاح المصري أن يقاوم ثلاثة أشياء ، تسلط واحد منها على شعب غلت يد الطبيعة عن تزويده بمزايا الانتخاب الطبيعي ، كافية للقضاء عليه : فساد الحكومات ، والأمراض ، والحروب ، فلقد توالت على هذا الفلاح دورات من استبداد الحكومات منذ عهد الفراعنـة إلى الآن ، لا يروى تاريخ أية أمة من الأمم لها شبيهاً . وازدياد عدد السكان في مصر الى عشرين مليوناً في عصر من العصور الى ثلاثة ملايين في عصر محمد علي ، دليـل قاطع على عظم ما عانى هذا الشعب من عوامل الافناء وبرهان على ما فيـه من حيوية استمدها من البيئة الطبيعية ومن حالاته المعاشية التي ظلت متروكة لحكم الطبيعة فيـه الآلاف من السنين . وليس لي هنا أن أتكلم في الأمراض التي سكنت جسم هذا الفلاح منذ أقدم العصور وأخصها (البلهارسيا) وقد استدل على وجودها بالموميات المحنطة من أقدم العصور : أما الحروب فيكفي أن تعرف أن الجيش المصري حارب في خمس وأربعين وقعـة تحت لواء قائدنا العظيم ابراهيم وحده في فترة لا تزيد على ثلاثين عاماً . فما بالك بالعصور التي هدمت فيها الامبراطورية المصرية ثم بنيت على أكتاف هذا الفلاح منذ ستة آلاف خلون من الأعوام ؟

هذه الظاهرة تحملنا على أن نتساءل ما هو السر الذي جعل

هذا الفلاح على ما فى أسباب حياته من عوامل الافناء يصمد لعوادى الدهر والطبيعة فلا ينقرض ولا يبيد ، بل تراه اليوم وقد خرج من معارك التناحر على البقاء منصوراً ، وعلى ضفاف نيله المقدس سبعة عشر مليوناً يفلحون أرض مصر ويتطلعون الى أسمى المثل التى أوجدها التصور الديمقراطى الحديث ؟

قد يتفق أن يقول بعض الذين لا يقوون على وصل أسلوب التفكير العلمى بأسلوب التفكير الاستقرائى إن ذلك راجع الى صفات خص بها الشعب المصرى دون غيره من شعوب الأرض التى عاصرته . وقد يكون فى هذا الكلام بعض الحق ، فان للصفات الخلقية التى تتصف بها بعض الشعوب أثرا فى ذلك . ولكن إذا نظرنا فى الأمر من الوجهة الطبيعية الصرف ألفينا أن السبب راجع الى أن هذا الشعب قد ترك للطبيعة معرضاً لعواملها خاضعاً لقوانينها الحديدية منذ أبعد العصور . وظلت الطبيعة تتولى إنساله بالانتخاب الطبيعى فتفنى غير القادر منها على البقاء ، وتبقى فى حلبتها الصالحين للبقاء ، فاستطاعت بذلك أن تحفظ على هذا الشعب قدرا من الحيوية ظل ثابتاً على مدار العصور . وقد ترى هذا الفلاح اليوم بسحنته السفعاء وجسمه النحاسى ، فما تقرأ فيه من آية إلا آية الطبيعة خطت على ملامحه الهادئة ؛ أما وداعة أخلاقه وصبره واحتماله وحدة نظراته وذكائه الموروث ، فتحملك لأول وهلة إذا ما نظرتَ اليه أن تقول : هو ذا ابن من أبناء الطبيعة لم يَدْخلْ فى فطرته بعد شىء من تزوير المدنية

ولا شك عندى فى أن تزوير المدنية لابد من أن يدرك فلاحنا بعد عهد قصير . فقد علت الصيحة فى هذا العصر بوجوب النظر فى ترقية الفلاح اجتماعياً . أما إذا كان الذين يصيحون هذه الصيحة لا يقصدون بها إلا أن يخرج الفلاح من تلك البيئة التى نشأ فيها الى بيئة مزورة ندعوها المدنية ، بأن نغل يد الطبيعة عن أن تدرك منه أغراضها الانتخابية ، وأن نعمل على حماية أولئك الذين كتبت عليهم الطبيعة آية الفناء بأسباب اصطناعية ، فان ذلك سوف يكون أول عهد الفلاح بفقدانه الحيوية التى استمدها من الطبيعة على مدار العصور وعلى تتالى الأحقاب . ولم أدرس بعد كيف نستطيع أن نحمى فلاحنا من مفاسد المدنية التى تقضى بابعاده عن حكم الطبيعة فيه ، وإنما أقول إن كل اصلاح اجتماعى لا يعوض على الفلاح ما سوف يسلب من فعل الطبيعة ، اصلاح هو الى الفساد أقرب شىء

ولقد بحث هذا المشكل الاجتماعى فحول من معاصرى الاجتماعيين ، وزكَّى بحوثهم فئة من كبار الاخصائيين فى أوروبا وأمريكا ، ولقد بان لهم بأجلى دليل أن الحماية المصطنعة التى حدَّ بها العلم من فعل الطبيعة فى الطالحين ، أى غير القادرين على البقاء فى البيئة الطبيعية ، لولا تلك الحماية ، سبب من أكبر الأسباب التى ولدت ما يظهر على أكثر شعوب الأرض من مظاهر الهرم والضعف الحيوى ، حتى لقد لجأت المانيا وغيرها من ولايات أمريكا المتحدة والجزر البريطانية التى تعقر طبقات خاصة من المجرمين والمعتوهين والفاسدين توصلا الى طريقة عملية يعوضون بها على الأحياء شيئا مما فقدت بالحماية المصطنعة من فعل الطبيعة والخضوع لسننها الثابتة

من هذه البحوث بحث ألقاه لورد « دوصن Dawzan » فى الجمعية الطبية بمدينة يورك نشر بعنوان « الطب والتقدم الاجتماعى » تساءل فيه عما إذا كانت النزعة التى تنزع بنا الى حماية كل الأطفال الذين يولدون من قضاء الطبيعة فيهم ، مهما كانوا طالحين غير قادرين على البقاء بغير حماية فعلية ، أمراً مناقضاً لما تنشد من ارتقاء السلالات البشرية وخيرها فى مستقبل العصور . ففى خلال ستين عاما انخفضت نسبة الوفيات بين الأطفال من ١٥٦ فى الألف الى ٦٠ فى الألف ، ونزلت فى الأطفال الذين هم فوق الخامسة من ٦٨ الى ١٨ فى الألف ، وزاد عدد السكان فى خلال هذه (الفترة ١٨٧٠ – ١٩٣٤) خمسين فى المائة عما كان قبلا

على أننا نستطيع أن ندرس الظواهر التى تنشأ عن مثل هذه الحالات ، إذا رجعنا الى أنواع أخرى تعايشنا فى الطبيعة . فقد نرى أن الأنواع الأخرى ، غير النوع البشرى ، وغير الأنواع الداجنة التى يكثرها الانسان لأغراض له فيها ، تحتفظ بنسبة ثابتة فى الأعقاب ، أى فى تخليف النسل ، وأنه كلما أخذت نسبتها فى الزيادة العددية سلطت عليها الطبيعة عوامل تردها الى النسبة التى لا تسمح بأكثر منها ، فقد لحظ أن ازدياد عدد نوع من الأنواع يصحبه دائما ظهور أمرين : إما زيادة فى عدد الأنواع المفترسة ،

وإما ازدياد فى الأمراض . وفى هــذه الحالة لا يبقى من أفراد الأنواع إلا أقدرها على البقاء وأصلحها لأعقاب نسل يرث ما فيها من صفات تمكن النوع من الاحتفاظ بذاته ، فاذا صــدت الطبيعة عن أن تقضى فى نوع بحكمها هذا ، ترتب على هذا انحطاط يظهر فى أعقاب هذا النوع

والمثل على هذا عديدة ، نقتصر على ذكر مثالين منها ، فقد حدث أن حاول أهل سويسرا أن يحموا نسـل حيوان يكثر فى جبالهم يدعى (الشموا) Chamois وهو فصـيلة من الانعاميات Ungulata لها قيمة تجارية ، فأسروا عدداً منه فى داخـل مكان متسع أحيط بكل أنواع الحماية ، وبخاصــة من الذئاب التى هى أنكى أعداء هذا الحيوان . فكانت النتيجة المحتومة أن ظهر فى هذا النسل المأسور صفات انحطاطية بينة ، وكثر فيه عدد الأفراد المهزولة الضعيفة ، وبدت عليه كل علامات الانحلال الحيوى ، حتى اضطر المربون فى النهاية أن يدخـلوا إلى مكان الأسر عدداً محدوداً من الذئاب المفترسة ، فوجدت هــذه الذئاب فى الأفراد المنحطة فرائس يسهل اقتناصها ؛ وبعـد قليل استعادت البقية الباقية كل الصفات المثالية التى يمتاز بها النوع فى مرابيه الطبيعية

أما فى زيلاندا الجديدة فقد تكررت هذه الظاهرة بينها ، والمعروف أن هذه الجزر من أمثل بقاع الأرض مناخاً وطبيعة لتربية الأنعام خاصة ، وذوات الثدى عامة ، ذلك بأنها خالية من الحيوانات المفترسة خلواً تاماً . فلما أن استوطنها الايقوسـيون حسن لديهم أن يدخلوا إليها عدداً من الغزال الأحمر الذى يعيش فى جبالهم العليا ، فكانت لهذا الحيوان أمثل مباءة ، فتكاثر واكتنز لحماً ، ولكن بان لهم بعد قليل من الزمن أن النوع الذى جلب من أثيوبيا مملوء حيوية ، محتفظ بأسمى الصـفات التى يتسم بها فى مرابيه ، قد ظهرت بينه أنواع انحرفت عن صفات النوع المثالية . فكانت أضعف بنية وأقل مقدرة على العــدو ، وقد شوه منظرها الخارجى بصـفات لم يكن لها من وجود فى أسلافها ، أما الدواء فكان إدخال عدد من الذئاب المفترســة القوية إلى الجزر ، كانت عدة الطبيعة فى القضاء على الطالحين من نسل هذا الحيوان ، فاستردت البقية الصالحة ، بعد فناء غيرها ، كل الصفات الحيوية التى يتصف بها النوع فى مرابيه

أمام هذه الحقائق أخذ المصلحون يفكرون فى تلك الوسائل التى يحاول بها دعاة المدنيــة والانسانية أن يصلوا من طريقها إلى حماية كل الأطفال الذين يولدون ، أليس فى الافراط فى اللجوء إلى هذه الوسائل معاندة للطبيعة بأن نكثر من نسل أناس يتصفون بالضعف الأدبى والعقلى والطبيعى ؛ مثلنا فى ذلك مثل أولئك الذين أرادوا أن يغالبوا الطبيعة فى تربية الشموا والغزال الأحمر ؟

وحجة الذين يميلون إلى الأخذ بالميول الانسانية فى مثل هذه البحوث العلمية ، أن نسبة الزيادة فى عدد السكان آخذة فى التناقص شيئاً بعد شىء ، وقد تقف عند حد خاص بعد زمن وجيز ؛ فلا سبب إذن للانزعاج والتشاؤم ؛ غير أن هؤلاء انما تغيب عنهم حقيقة رئيسية ، هى أن نسبة زيادة عدد السكان إن كانت قد أخذت فى النقص ، فانه نقص معكوس الآية ، ففى منتصف القرن التاسع عشر كان التجار وأصحاب الحرف الفنية من ذوى الأسر العديدة الأفراد ، فى حين أن كبر أسرات رجال الدين كان مضرب المثل ، فاذا وعينا أن متوسط عدد أفراد الأسرة فى أمة تريد الاحتفاظ بكيانها لا ينبغى أن يقل عن أربعة أنفس ، ذاكرين أن هنالك أسراً قد تظل عقيما ، وأخرى تصاب بالثكل ، وعلمنا أن عدد الأسرة فى طبقتى الأطباء ورجال الدين لا يزيد عن اثنين ، علمنا أن اطراد النقص فى عدد السكان انما هو اطراد عكسى . ذلك بأن هذه النسبة تقيد الطبيعة من ناحيتين : الأولى اعقاب النسل بالنسبة الطبيعية ؛ والثانية عدم تزويد الطبيعة بمادة للانتخاب ، اذ تغربل الناتج لتبقى على الأصلح

هذه هى الحالات التى يقع تحت سـلطانها انسان القرن العشرين ، فهل من سبيل إلى اتقائها ؟ يقول لورد « دوصن » إن اتقاءها مرهون على شرطين : الأول نشر المعلومات التى تتعلق بضبط النسل : والثانى التعقير الاختيارى . أما الشرط الأول ، وهو شرط قد تحقق منه شطر عظيم بذيوع الوسائل التى تضبط النسل ، فان عليه اعتراضاً ذا خطر عظيم ، هو أن الذين يجنحون إلى ضبط النسل إنما هم أولئك الذين تعتبرهم زهرة المجتمع الانسانى من أصحاب العقول الراجحة والمزايا الفذة ، فى حين أن غيرهم من الطبقات الدنيا والطالحين يتناسلون جهد ما تبلغ استطاعتهم . وفى ذلك مشكل هو بذاته أنكى من حماية غير القادرين على البقاء بالطرق الاصطناعية . فان قلة نسل الأولين وازدياد نسل الآخرين مفسدة سوف تسرع ببعض الجماعات إلى درجــة من الانحطاط

يخشاها المصلحون ، أما التعقير الاختيارى فلا يعقل أن يكون دواء ناجماً . ذلك بأن التعقير تشويه طبيعى لا يرضى به إلا اقلية من الناس لا يعتد بهم إذا قيسوا الى مجموع الأمة

ولست أرى أن فى هذين الأمرين منجى من الأخطار التى تحيق بالجماعات فى هذا الزمان ، ولا بد للمفكرين الذين يرغبون فى خير الانسانية ، ويودون أن يحتفظ النوع الانسانى بصفاته الرئيسية ، أن يقفوا على علاجات أخرى تكون ناجعة فى التعويض عن فعل الطبيعة فى الانتخاب مع فرض الحماية على المواليد أياً كانوا ومن أى طابع خرجوا الى هذه الدنيا

اسماعيل مظهر

قصـــة المـكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

الحصانة واليهودى الأفَّاق

— ٢ —

كانت كشوف بستور وكوخ قد شاعت فى الناس فثاروا لها جنوناً ، فكان لا هم لهم الا بها ، ولا حديث الا فيها ، فلما جاء عام ١٨٨٣ انقلب متشنيكوف من باحث طبيعى Naturalist الى صائد مكروب ؛ وكان قد خاصم رجال السلطة فى جامعة أودسّا ، فترك الجامعة وذهب الى جزيرة صقلية ، وصحب معه زوجته أُلجا وإخوتها ؛ فلما حلوا جميعاً بها اتخذوا لأنفسهم فيها منزلاً صغيراً ذا طابق واحد يطل على المياه اللازوردية لشاطىء كلَبرية [١] ؛ وفى حجرة الجلوس هيأ متشنيكوف لنفسه معملاً مرتجَلاً . وأوحت اليه نفسه بأن الشىء الرائج عندئذ فى العلوم هو علم المكروب ، فأخذ يحلم الأحلام ويأمل الآمال عن كشوف خطيرة لمكروبات جديدة يكتشفها ، وكان يلذّ له العمل أيضاً فيها لذةً صدق ، ولكنه لم يكن يدرى من طرائقها الخدّاعة شيئاً ، بل قل انه لم يكن رأى مكروبة واحدة ؛ وطال تجواله فى حجرة الجلوس هذه يشرح لألجا نظريات علم الحياة تارة ، أو هو يدرس نجوم البحر [١] Starfish وأسفنجياته تارة ، أو هو يحكى الحكايات لأخوة أُلجا واخواتها ، واختصاراً كان يفعل كل شىء لا يمُتُّ بصلة الى تلك الأبحاث المجيدة التى قم بها كوخ وبستور

وذات يوم أخذ يدرس كيف تهضم الأسفنجيات ونجوم البحر أطعمتها ، وكان قبل ذلك عثر فى داخل هذه الأحياء على خلايا غريبة هى بعض أجسام هذه الأحياء ، ولكنها مع ذلك تدور فيها دوران الحر الطليق ، وكانت هذه الخلايا الأفاقة التائهة تسبح فى مجاريها كما تسبح الخلايا الأشهر المعروفة بالأميبا Amoepa تضرب ببعض جسمها الرخو قُدُماً فى سائل الجسم ، فاذا برز منه ما يشبه اللسان جرّ ما تخلف من الجسم وراءه

وجلس متشنيكوف من بيته فى غرفة الجلوس ، وقعد إلى المنضدة وجاء بعلقات [٢] من نجوم البحر ، وأدخل فى أجسامها شيئاً من صبغة الكرمين Carmine [٣] ، وجاهد فى ادخالها جهاد الرجل الذى لا تستطيع يداه مجاراة عقله ، وضاق بهذه التجربة صدره للذى عانته أصابعه الثقيلة فى إجرائها ؛ وكانت تلك فكرة بارعة من بنات أفكاره الحسان ، لأن هذا العَلَق شفاف كالزجاج ، فكان فى استطاعة صاحبنا أن يتتبع بعدسته مايجرى فيه ، ونظر فوجد تلك الخلايا الأفّاقة الطليقة تسبح إلى حبّات صبغته ، فاذا بلغتها التهمتها التهاماً ، ففرح وطَرِب ، وخال متشنيكوف الى تلك الساعة أنه يدرس كيف يهضم نجم البحر طعامه ؛ ولكن طافت فى حواشى فكره أشباح من افكار جديدة يتضاءل الى جانبها موضوع الهضم تضاؤلاً كبيراً ، أفكار رائعة مبهمة لا تتصل ببحث الهضم من قريب أو بعيد

وفى الغد ذهبت أُلجا بالأطفال إلى السرك circnus يشهدون ألعاب قردة بارعة التمثيل ؛ وبقى متشنيكوف حيث هو من غرفة الجلوس وعلى وجهه لحية كلحية القديسين ؛ وقد أخذ يشدّ شعراتها شدا ؛ وقد أخذ ينظر الى نجم البحر فى مائه بوعائه . ولكن لا يرى منه شيئاً . وفى ساعة قصيرة جرى له مثل الذى جرى للقديس بولس وهو فى طريقه الى دمشق لما شعّ فى وجهه ذلك النور الباغت فأعماه . نعم فى ساعة قليلة ،

(١) المقاطعة الايطالية السفلى التى فى مقابلة مسينا

(١) نوع من السمك ذو جسم فيه رخاوة تشع منه أذرع كالمثلثات ، عدده فى الأغلب خمسة فصورته كالصورة التقليدية للنجم

(٢) صغار السمك قبل أن يتم خلقه (٣) صبغ أحمر

فى دقيقة قصيرة ، فى ومضة برق ، أو لحظة عين نزل الوحى على متشنيكوف فتغيّر بغتة مجرى حياته

« إن هذه الخلايا الأفّاقة التوّاهة فى أجسام نجوم البحر تأكل الطعام وتلتهم حبّات الصبغة ـ إذن هى لابد تأكل المكروبات أيضاً . وفى أجسامنا نحن ، فى دمائنا نحن ، لابد أن كراتنا البيضاء هى التى تلتهم الجراثيم فتحمينا من غوازيها .. إن هذه الكرات البيضاء هى سبب حصانتنا من العدوى . . . إنها هى هى التى تقى الجنس البشرىّ من فناء سريع تحمله اليه أجناس البشلات »

وهكذا ، وبدون أى دليل ، وبدون محاولة أى تجربة ، قفز متشنيكوف هذه القفزة الكبرى من هضم نجم البحر الى أدواء الانسان

كتب فى مذكراته : « وبغتةً وجدت نفسى قد انقلبتُ عالِمَ أمراض Pathologist . وهذا انقلاب كبير لا يَعْدِلهُ إلاّ انقلاب زمّار الى فلكىّ . وكتب « وأحسست أن هذه الفكرة ستتمخض عن أمرٍ كبير الخطورة ، فاضطربت نفسى واهتاجت فأخذت أغدو فى الغرفة وأروح حتى لَذَهبت الى شاطىء البحر أستجمع فكرى » . وكتب : « وقلت لنفسى لو صحّت هذه النظرية إذن لتوقعت إذا أنا أدخلت فِلقة خشب فى نجم البحر أن تتجمع هذه الخلايا الأفّاقة حول الفلقة دفعاً للسوء الطارىء . » وذكر بهذا أن الرجل تدخل فى إصبعه الشوكة فينسى أن ينتزعها فلا تلبث أن تتجمع حولها المِدّة والقيح وما هما الا طوائف من الخلايا البيضاء التى تطوف فى دم الانسان . ذكر هذا بهذا فهرول إلى الحديقة التى وراء بيته ، الى شجيرة ورد كان ذوقها وزخرفها من أجل إخوة أولجا ليحتفلوا بها فى عيد الميلاد ، وانتزع منها بعض شوكها ، وعاد بالشوكات الى معمله ، وما هو بالعمل ، وشكها جميعاً فى جسم أحد نجوم البحر وكان شفافاً كالماء.

وما طلع فجر الغد حتى استيقظ وقد امتلأ قلبه بكل أمل بعيد ، ولم يتمهل بعد يقظته طويلاً حتى عرف أن ظنه أصاب ، وأن خيال الأمس أصبح حقيقة اليوم . نظر الى شوكات الورد فوجد طوائف عدة من تلك الخلايا الأفافة التائهة قد ازدحمت حولها وأخذت تماوج فى كثرتها وبطء حركتها . وكان فيما رأى الكفاية لاقناعه بأنه وجد تفسيراً للحصانة من جميع الأمراض ، وعادته فى الطفرة الى الاستنتاجات السريعة معروفة مشهورة . وخرج فى هذا الصباح يخبر مشاهير أساتذة أوروبا بالذى وجده ، وكانوا اجتمعوا اتفاقاً بمدينة مسينا Messeina على القرب منه ، وقال لهم : « هذا هو السبب الذى من أجله يصمد الانسان لغائلة المكروبات » . وانطلق لسانه حديداً فصيحاً يشرح لهم كيف حاولت خلاياه التواهة أن تأكل الشوك أكلا لما ، واستطاع أن يريهم تلك التجربة الجميلة مصداقا لدعواه فصدقه العلماء ، حتى ذلك العالم الجليل المخوف الأستاذ الدكتور فرشو Virchow آمن به وقد كان سَخِر بكوخ Koch لما أتاه [1]

ومن هذا اليوم دخل متشنيكوف فى زمرة صُياد المكروب

— ٣ —

ثم ترك أُلجا والأطفال وراءه يعيشون وخدمهم على قدر ما يستطيعون ، وذهب الى فينّا Vienna ليعلن من فوق منبرها أن الانسان حصين من الجراثيم لأن بدمه كريات بيضاء تائهة عملُها بلعُ هذه الجراثيم . وذهب تواً الى معمل صديقه القديم الأستاذ كِلاوُس Claus ، وكان عالم حيوان ، وكان يجهل من أمر المكروب بقدر ما جَهِل متشنيكوف ، كذلك أُعجب بالذى سمعه وقال لصديقه الضيف . « انه ليسرنى ويشرفنى كثيراً أن تنشر نظريتك فى مجلتى »

فقال متشنيكوف : « ولكن لا بد لى من اسم علمى لهذه الخلايا التى تلتقم المكروبات ، أعنى اسماً اغريقياً ، فأى الأسماء تقترح ؟ »

فرفع الأستاذ يده الى رأسه يحكّها ، وحكّ الجهابذة العلماء رؤوسهم معه ، ونظروا المعاجم ثم أخبروه أخيراً : « ان الكلمة المثلى هى فجوسه Phagocyte ، ومعناها بالاغريقية الخلية الملتهمة فهى اذن ضالّتك التى تنْشُد »

فشكرهم متشنيكوف ، وأخذ هذه الكلمة وعلقها فى أعلى ساريته ، ثم حل القلاع ومخر بسفينه بحار حياته المضطربة ، وهذه الكلمة دينه ، وبهذه الكلمة يفسر كل شىء ، وهى صرخته فى حربه وفى سلمه ، وهى أداة عيشه وآلة رزقه . وصدّقنى أو كذّب لقد كان لهذه الكلمة نصيب كبير فى حفزنا إلى دراسة ما هى الحصانة . ومن هذه الساعة أخذ متشنيكوف يبشر بالفجوسات ويذيع من أمرها كل جميل ، ويدفع عنها مقالة السوء ، وأجرى

(١) راجع ترجمة كوخ

عليها أبحاثاً لها خطرها ، وعادى فى سبيلها ، ولا شك أنه بذلك أدّى نصيبه فى إحداث الحربَ العالمية الكبرى حرب عام ١٩١٤ بما عكّرت حملاته الشديدة ما بين فرنسا وألمانيا من مودّة لم تكن كثيرة الصفاء أبداً

وذهب من فينا الى أودسا ، وهناك ألقى خطاباً عظيما فى « القوّات العلاجية للكائن الحى » ، فدهش أطباء هذا البلد مما قال وأعجبوا به إعجاباً كبيراً ، فقد كان القاؤه غاية فى الأبداع ، وحرارة قلبه لا تدع للسامع شكا فى إخلاصه ، ولكن لا يوجد فى السجلات ما يفهم منه المطالع أنه أخبر جمهرة الأطباء بهذا البلد أنه لم يكن رأى إلى هذا العهد كرة دموية بيضاء واحدة تلتهم مكروبة واحدة من مكروبات الوباء . إن الناس جميعاً — ومنهم الأطباء العلماء — لا تقع أبصارهم على كلبين يتشاجران حتى تستوقفهم تلك الحرب الصغيرة فيتجمعون حولها إرواء للطبيعة وانتظاراً لعلم من تكون له الغلبة ، وكذلك كان الحال فى أمر متشنيكوف فان حكاية تلك الحروب الطاحنة الدائمة المتواصلة بين الفجوسات الجريئة الباسلة ، وهى تنهض إلى الثغور تدفع غزوة تلك المكروبات العادية القاتلة ، تلك الحكاية أثارت شوق الناس فأرهفت آذانهم لاستماع ، وفتحت قلوبهم لاقتناع

ولكن متشنيكوف عرف أنه لا بد له من البحث عن حقائق ذات بال تقوم دليلاً على الذى يقول ؛ ولم يطل به الزمن حتى وجدها بيّنة كالشمس رائقة كالبلور ، وذلك فى براغيث الماء[1] . ومضت عليه فترة من الزمن نسى فيها الخطابة ، وعكف فيها على صيد هذه البراغيث من البرك ومرابى الأسماك . وكان اختيارا عبقرياً أوحى اليه به لا شكّ شيطانه ، فهذه البراغيث كانت كعَلَق نجوم البحر شفافة ، فاستطاع بعدسته أن يرى ما يجرى فى داخلها ، وأخذ يبحث فى جَلَد شديد عن داء يكون فى هذه البراغيث ، وجاءه صبرٌ نادر على غير انتظار ، فعَمِل طويلاً ، وبحث كما يبحث البحّاثة القُحّ وقليلا ما كانه

لعلك أيها القارئ أدركت من تاريخ المكروبات هذا أن الباحث كثيراً ما يعتزم البحث عن شيء فيبدأ بحثه فلا يلبث به طويلا حتى تقوده الطريق إلى أمور غير التى طلبها أولاً ؛ على أن هذا لم يكن من قِسمة صاحبنا ؛ فانه أخذ يرقب هذه البراغيث تضرب فى حياتها العادية ضرباً غير ذى غاية ولا نهاية . فلم يلبث أن رآها من خَلَل عدسته تبتلع بزور خمائر فيها خطر على حياتها . وكانت بزوراً حادة كالأبر . فلما بلغت إلى ما يشبه المعدة من البرغوث نفذت فيه وأخذت تسير انزلاقا فى جسمه .

هنا رأى متشنيكوف ما خصّته الأقدار برؤيته . هنا نظر ما أتحفته الحظوظ الطيبة بنظرته : سارت خلايا البرغوث الأفّاقة التوّاهة : تلك الفَجُوسات التى تقى الجسم شرّ الدخيل ، سارت نافرة إلى تلك البزور الفاتكة العادية ، فتجمعت حولها ، وحلّقت عليها . فأذابتها ، وأكلتها أكلا ، وهضمتها هضما ...

ومما زاد نظريته ثبوتاً ، أن بعض البراغيث كانت تتخاذل فَجُوساتها أحياناً عن النفْر الى العدوّ الغازى ، فكانت بزور تلك الخمائر تستقر فى جسم البرغوث فتتنفس عن خمائر حية ناشطة تتكاثر تكاثرا ذريعاً فتسمم البرغوث فتقتله ثم هى تأكله

أطلّ متشنيكوف من خلال عدسته على هذه المعارك الجليلة تدور رحاها فى هذه الميادين الصغيرة فعرف أول عارفٍ سرّاً من أسرار الطبيعة خبأته عن الناس زمانا طويلاً ، عرف كيف تدفع بعض الخلائق عن نفسها غائلةً لو قعدت عنها لكانت قاتلة . وقد كان صادقا فى الذى رآه ، وقد كان بارعا موفّقاً فى الطريق الذى سلكه ، فأنّى يخطر على بال امرىء أن يبحث عن علّة الحصانة فى مخلوق غريب بعيد كل البعد عن أذهان الناس كبرغوث الماء . وقنع بالذى وجد من بحثه ، وآمن كل الايمان بنظريته فلم يتابع دراسة تلك المعارك التى كان يقضى فيها كوخُ السنوات العديدة لو أنه اتفق له منها ما اتفق لمتشنيكوف . وأخيراً نشر مقالة نمّت عن علم جم وفضل كثير قال فيها : « إن حصانة براغيث الماء ترجع الى فُجُوساتها ، وهى مَثَل للأسلوب الطبيعى فى الوقاية من الوباء . . . فان بزرة الخميرة اذا لم تتلقها خلايا الجسم التوّاهة الدفّاعة فتبتلعها عند نفاذها فى الجسم ، استطاعت تلك البزرة أن تنبت الخميرة واستطاعت هذه أن تتكاثر وأن تفرز سمّاً لا يصد خلايا الجسم الدافعة فحسب ، بل يقتلها ويذيبها كما يذوب الملح فى الماء »

(يتبع) احمد زكى

(١) تطلق على أصناف من الحيوانات القشرية التى تعيش فى الماء ، وقد يبلغ طولها عشر البوصة وقد يبلغ جزءاً من المائة منها ، وهى شفافة الجسم فتتراءى أحشاؤها واضحة تحت المكرسكوب ، وهى تسير فى الماء قفزا كالبرغوث « المترجم »

أعلام الإسلام

٢ – سعيد بن المسيب

للأستاذ ناجي الطنطاوي

ضرب وحبس

قال عبد الله بن جعفر وغيره : استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب : لا : حتى يجتمع الناس ، فضربه ستين سوطاً ، فصاح به سعيد والسياط تأخذه : والله ما ربعت على كتاب الله ، يقول الله : انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هي إلا ليالٍ فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره . فما مكث إلا يسيرا حتى قتل ابن الزبير . وروى أن ابن الزبير لما بلغه ضرب ابن المسيب كتب إلى جابر يلومه ويقول : ما لنا ولسعيد ؟ دعه

وقال يحيى بن سعيد : كتب والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان [١] إلا سعيد بن المسيب . فكتب أن اعرضه على السيف ، فان مضى وإلا فاجلده خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة[٢] . فلما قدم الكتاب على الوالي ، دخل سليمان بن يسار ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبد الله ، على سعيد بن المسيب ، فقالوا : إنا قد جئناك في أمر : قد قدم فيك كتاب من عبد الملك بن مروان إن لم تبايع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً . فاعطنا إحداهن ، فان الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك

(١) عقد عبد الملك لابنيه بالعهد بعد موت عبد العزيز بن مروان بمصر سنة ٨٤

(٢) روى رجاء أن عبد الملك كتب اليه : مالك ولسعيد ؟ ما كان علينا منه شيء نكرهه ، فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطاً وألبسه التبان وأوقفه للناس لئلا يقتدى به الناس . وفي رواية أن هشاماً ضرب ابن المسيب من غير أن يستأذن عبد الملك في ضربه

الكتاب فلا تقل « لا » ولا « نعم » . قال : فيقول الناس بايع سعيد بن المسيب ؛ ما أنا بفاعل . (قال) : وكان إذا قال : لا ، لم يطيقوا عليه أن يقول نعم . قال : مضت واحدة وبقيت اثنتان . قالوا : فتجلس في بيتك فلا تخرج إلى الصلاة أياماً ، فانه يقبل منك إذا طلبت في مجلسك فلم يجدك . قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذني : حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ؟ ما أنا بفاعل . مضت اثنتان وبقيت واحدة . قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فانه يرسل إلى مجلسك فان لم يجدك أمسك عنك . قال : فرقاً لمخلوق[١] ؟ ما أنا بمتقدم لذلك شبراً ولا متأخر شبراً . فخرجوا وخرج إلى الصلاة ، صلاة الظهر ، فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالي بعث اليه فأتى به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين[٢] فلما رآه لا يجيب أخرج الى السدة فمدّت عنقه وسلّت عليه السيوف ، فلما رآه قد مضى أمر به فجرّد ، فاذا عليه تبّان شعر فقال : لو علمت أني لا أقتل ما اشهرت بهذا التبّان[٣] ، فضربه خمسين سوطاً ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردّه[٤] والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه ما نظرت اليها منذ أربعين سنة

وروى أن سعيداً لما جرّد ليضرب ، قالت له امرأة : إنّ هذا لمقام الخزي ، فقال لها سعيد : من مقام الخزي فررنا

وقال قتادة : أتيت سعيد بن المسيّب ، وقد ألبس تبّان شعر واقيم في الشمس فقلت لقائدي : ادنني منه فادناني منه ، فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتني وهو يجيبني حسبة والناس يتعجبون

(١) لعلها : من مخلوق

(٢) وروى أنه قال : لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فقيل ادخل من الباب واخرج من الآخر قال : والله لا يقتدى بي . وفي رواية أنه قال : لاأبايع وعبد الملك حي

(٣) وقيل إن هشاما ألبسه التبان وطاف به حتى بلغ رأس الثنية ، فلما كروا به قال : أين تكرون بي قالوا : إلى السجن . قال : والله لولا أني ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبداً ، فرده إلى السجن وحبسه . وفي رواية أن الأيليين (نسبة لأيلة) الذين كانوا في شرطة المدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس التبان طائعا فقلنا له : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك فلبسه ، فلما ضرب قلنا له : إنا خدعناك . قال : يا معجلة أهل أيله ، لولا أني ظننت أنه القتل ما لبسته (٤) إلى السجن

وقال عبد الله بن يزيد الهذلى : دخلت على سعيد بن المسيّب السجن ، فاذا هو قد ذبحت له شاة ، فجعل الاهاب على ظهره ، ثم جعلوا له بعد ذلك قضباً (١) رطباً ، وكان كلما نظر الى عضديه قال : اللهم انصرنى من هشام

وقال أسلم أبو أمية مولى بنى مخزوم وكان ثقة : صنعت ابنة سعيد بن المسيّب طعاماً كثيراً حين حبس ، فبعثت به اليه ، فلما جاء الطعام دعانى سعيد فقال : اذهب الى ابنتى فقل لها : لا تعودى لمثل هذا أبداً ، فهذه حاجة هشام بن اسماعيل ، يريد أن يذهب مالى فأحتاج الى ما فى أيديهم وأنا لا أدرى ما أحبس ، فانظرى الى القوت الذى كنت آكل فى بيتى فابعثى الىّ به ، فكانت تبعث اليه بذلك ، وكان يصوم الدهر

وقال قتادة عن سعيد بن المسيّب إنه كان إذا أراد الرجل أن يجالسه قال : إنهم قد جلدونى ، ومنعوا الناس أن يجالسونى

وقال عبد الله بن جعفر وغيره : كتب هشام بن إسماعيل إلى عبد الملك بن مروان يخبره بخلاف سعيد بعد أن وضعه فى السجن وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول : سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف (٢)

وقال الواقدى : كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يقف هشام بن اسماعيل للناس ، وكان فيه سيء الرأى ، فدعا سعيد ابنه ومواليه فقال : ان هذا الرجل يوقف للناس أو قد وُقف فلا يتعرض له أحد ، ولا يؤذه بكلمة ، فانا سنترك ذلك لله وللرحم ، فان كان ما علمت لسيء النظر لنفسه فأما كلامه فلا أكلمه أبداً !

وقال عمران : كان لسعيد بن المسيب فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه ، فكان يدعى إليها فيأبى ويقول : لا حاجة لى فيها حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان !

معاملته للخلفاء والولاة

قال على بن زيد : قيل لسعيد بن المسيب : ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ، ولا يحركك ، ولا يؤذيك ؟ قال : والله لا أدرى إلا أنه دخل ذات يوم مع ابنه المسجد ، فصلى صلاة ، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها . فأخذت كفاً من حصى فحصبته به ، زعم أن الحجاج قال :

ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة

وقال عمران بن عبد الله بن طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعىّ : حجّ عبد الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة فوقف على باب المسجد ، أرسل الى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه ؛ قال : فأتاه الرسول وقال : أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك ، فقال ما لأمير المؤمنين الى حاجة ، وما لى إليه حاجة ، وإن حاجته إلى لغير مقضية ! قال : فرجع الرسول إليه فأخبره فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له سعيد ما قال له أولاً . فقال له الرسول : لولا أنه تقدم الى فيك ما ذهبت اليه إلا برأسك . يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول له مثل هذه المقالة ؟ ! فقال : إن كان يريد أن يصنع بى خيراً فهو لك ، وان كان غير ذلك فلا أحل حبوتى حتى يقضى ما هو قاض . فأتاه فأخبره فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى الا صلابة

وقال عمرو بن عاصم : لما استخلف الوليد بن عبد الملك ، قدم المدينة فدخل المسجد فرأى شيخاً قد اجتمع الناس عليه ، فقال : من هذا ؟ فقالوا سعيد بن المسيّب ؛ فلما جلس أرسل اليه فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : لعلك أخطأت باسمى أو لعله أرسلك الى غيرى ! قال : فأتاه الرسول فأخبره ، فغضب وهمّ به ، قال : وفى الناس يومئذ بقية ، فأقبل عليه جلساؤه فقالوا : يا أمير المؤمنين فقيه أهل المدينة ، وشيخ قريش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه . قال : فما زالوا به حتى أضرب عنه

وقال ميمون بن مهران : قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، فامتنعت منه القائلة واستيقظ ، فقال لحاجبه : أنظر هل فى المسجد أحد من حداثنا من أهل المدينة ؟ فخرج فاذا سعيد بن المسيّب فى حلقة له ، فقام حيث ينظر اليه ، ثم غمزه وأشار اليه بأصبعه ثم ولى ؛ فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه . فقال : ما أراه فطن ، فجاء فدنا منه ثم غمزه وأشار اليه وقال : ألم ترنى أشير اليك ؟ قال :

(١) القضب : الرطبة (وهى الفصفصة) وقيل كل نبت اقتضب فأكل طريا (٢) وروى أن هشاماً جاءه كتاب من عبد الملك بن مروان يلومه فى ضربه سعيد بن المسيب ويقول : ماضرك لو تركت سعيداً ووطئت ما قال ؟ فندم هشام بن اسماعيل على ما صنع بسعيد فخلى سبيله

وما حاجتك ؟ قال : استيقظ أمير المؤمنين ، فقال : أنظر فى المسجد أحد من حداثى ، فأجب أمير المؤمنين ، فقال ، أرسلك الىّ ؟ قال : لا ، ولكن قال اذهب فانظر بعض حداثنا من أهل المدينة ، فلم أر أحدا أهيأ منك . فقال سعيد : اذهب فأعلمه أنى لست من حداثه ! فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلا مجنونا ! فأتى عبد الملك فقال له : ما وجدت فى المسجد إلا شيخاً أشرت اليه فلم يقم ، فقلت له إن أمير المؤمنين قال انظر هل ترى فى المسجد أحداً من حداثى فقال : إنى لست من حداث أمير المؤمنين . وقال لى : أعلمه ، فقال عبد الملك : ذاك سعيد بن المسيّب ، فدعه

وقال هشام بن عروة : لما تزوج الحجاج ، وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك ، فقال . إنى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داع بذلك وابتهل ؛ وعسى الله ؛ فان أباها لم يزوج إلا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد الى الحجاج وكتب اليه يغلظ له ويقصر به ويذكر تجاوزه قدره ، ويقسم بالله لئن هو مسّها ليقطعنّ أحبّ أعضائه اليه ، ويأمره بتسويغ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها ، ففعل فما بقى أحد إلا سره ذلك

وقال المطلب بن السائب : كنت جالساً مع سعيد بن المسيب فى السوق فمرّ بريد لبنى مروان ، فقال له سعيد : من رسل بنى مروان أنت ؟ قال : نعم . قال : كيف تركت بنى مروان ؟ قال : بخير . قال : تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب ! فاشرأبّ الرسول ، فقمت اليه فلم أزل أرجيه حتى انطلق فقلت لسعيد : يغفر الله لك ، تشيط بدمك ؟ فقال : أسكت يا أحيمق ! فو الله لا يسلمنى الله ما أخذت بحقوقه

وقال صالح بن كيسان : حجّ الوليد بن عبد الملك ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، فما ترك فيه أحد ، وبقى سعيد بن المسيّب ما يجترىء أحد من الحرس أن يخرجه ! وما عليه إلا ريطتان ما تساويان إلا خمسة دراهم فى مصلاه . فقيل له : لو قمت ، قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلمت على أمير المؤمنين . قال : والله لا أقوم إليه ! قال عمر بن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيّب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ، ومن حاله ، ومن حاله ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار فى المسجد حتى وقف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فو الله ما تحرك سعيد ولا قام ! فقال : بخير والحمد لله يا أمير المؤمنين . قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس . فقلت : أجل يا أمير المؤمنين

رفضه أخذ العطاء

قال عمران بن عبد الله : كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً ، وربما عرض عليه الأشربة فيعرض فليس يشرب من شراب أحد منهم

وقال العجلى وغيره : كان لا يقبل جوائز السلطان [1] ، وله أربع مائة دينار يتجر فيها بالزيت وغيره

(يتبع) **ناجى الطنطاوى**

(١) وقد مر أنه كان له فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه كان يدعى إليه فيأبى ويقول : لاحاجة لى فيها ، حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنجة « littérature comparée »

فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبى الوليد بن رشد

[تتمة المنشور فى العدد الماضى]

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوى

بحث فنى فى التخييلات والمعانى والألفاظ والأجزاء

وقد بحث فى ماهية الأوزان ، فجعل من المعانى والتخييلات ما تناسبه الأوزان الطويلة ومنها ما تناسبه القصيرة ؛ وربما كان الوزن مناسباً للمعنى غير مناسب للتخييل ، وربما كان الأمر بالعكس ، وربما كان غير مناسب لكليهما . على أن أمثلة هذه مما يعسر وجوده فى أشعار العرب إذ تكون غير موجودة فيها ، إذ أعاريفهم قليلة القدر ، وألفاظ الشعر يجب أن تؤلف من الأسماء المبتذلة ومن الأسماء الأخر يعنى المنقولة الغريبة المغيرة واللغوية ، لأنه متى تعرى الشعر كله من الألفاظ الحقيقية كان رمزاً ولغزاً . ويجب أن يكون الشاعر حيث يريد الابضاح وألا يخرج إلى حد الرمز كما لا يفرط فى الأسماء المبتذلة فيخرج عن طريقة الشعر إلى الكلام المتعارف . وأما موافقة الألفاظ بعضها لبعض فى القدار ، ومعادلة المعانى بعضها لبعض ، وموازنتها ، فأمر يجب أن يكون عاماً ومشتركاً لجميع الألفاظ . وقد يستدل على أن القول الشعرى هو المغير أنه إذا غير القول الحقيقى سمى شعراً وقولاً شعرياً ووجد له فعل الشعر ، مثال ذلك قول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

وإنما صار هذا شعراً من قبيل أنه استعمل بيته الأخير بدل قوله « تحدثنا ومشينا » ، وكذلك قوله : « بعيدة مهوى القرط » إنما صار شعراً لأنه استعمله بدل قوله : « طويلة العنق » وكذلك قول الآخر :

يا دار أين ظباؤك اللعس ، قد كان لى فى إنسها أنس

إنما صار شعراً لأنه أقام الدار مقام الناطق وأبدل لفظ النساء بالظباء ، وأتى بموافقة الانس والأنس . وأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال ، وما عدا هذه التغييرات فليس فيه من معنى الشاعرية إلا الوزن فقط ، والتغييرات إنما تكون بجميع الأنواع التى تسمى عندنا مجازاً ، والفاضل من هذه الأشياء أن يستعمل من كل واحد منها ما هو أبين وأظهر وأنبه ، وهذا لا يوجد إلا فى النادر من الشعراء لأنه دليل المهارة

وقد أتى المترجم على نموذج من نماذج قصائد المديح ، يريد أن يحلل الأجزاء التى تتركب منها القصيدة ، فأرجع تأليفها — عند العرب — إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول الذى يجرى عندهم مجرى الصدر فى الخطبة كذكر الديار والتغزل ، والجزء المبنى على المديح ، والجزء الذى يجرى مجرى الخاتمة فى الخطبة . وهذا إما دعاء للممدوح أو تقريظ للشعر الذى قاله . والجزء الأول أشهر من هذا الآخر ، ولذلك يسمون الانتقال إلى الثانى استطراداً ، وربما أتوا بالجزء الثانى دون الجزء الأول كقول أبى تمام : « لهان علينا أن نقول ونفعلا »

أو قول أبى الطيب : « لكل امرىء من دهره ما تعودا »

ويرى خير المدائح المدائح التى يوجد فيها التركيب أى ذكر الفضائل والأشياء المحزنة المخوفة والمرققة . . . وكأنى بابن رشد لم يفصل هذه الأشياء لأن العرب لا يمزجون الأشياء المحزنة المخوفة والمرققة بمدائحهم . . . وإنما هى من صفات الشعر اليونانى (وبخاصة الأوميروسى) . ثم انتقل إلى ذكر الخرافة ، والخرافة تكاد تغلب على الأشعار اليونانية . . . ولكن أرسطو يرى أن الخرافة ينبغى أن يكون مخرجها مخرج ما يقع تحت البصر ، لأنه إذا كانت الخرافة مشكوكاً فيها لم تفعل الفعل المقصود بها ، وذلك أن ما لا يصدقه المرء فهو لا يفزع منه ولا يشفق له ، وفى هذا سر عميق من أسرار الابداع ، إذ ليس الشاعر من أغرب وأعجب ، وليس الشعر بالشعر الأذهب فى الغرابة والتخيل البعيد عن الصدق

كما يذهب إليه بعض الشعراء . والشاعر الموهوب قد يتناول ما بين يديك ، ويدخل فى عالم نفسك ، ثم يحدثك بما تعرفه وتحسب أنك لا تعرفه ... لأنه أدرك بتعمقه وتأمله أشياء منك لم تدركها بنظراتك السطحية

ثم عرض للأشياء التى يجب أن تمدح فى الممدوح محللاً إياها تحليل الفيلسوف الذى لا يسمح بعبث فى الفضيلة ، ولا بتلاعب فى الحقيقة . هو يريد من الشعراء أن يتبعوا هذه الحقيقة ، وأن يبرزوا من الممدوح الصفات التى يتحلى بها . . . وإنما تمدح العادات الخيرة والفاضلة ، والعادات اللائقة بالممدوح والصالحة له ، وذلك أن العادات التى تليق بالمرأة ليست تليق بالرجل . وأن تكون مما يشابهه وأن تكون معتدلة متوسطة بين الأطراف ، ثم لا يورد الشاعر فى شعره من المحاكاة الخارجة عن القول إلا بقدر ما يحتمله المخاطبون من ذلك حتى لا ينسب إلى الغلو والخروج عن طريقة الشعر . وكما أن المصور الحاذق يصور الشىء بحسب ما هو عليه فى الوجود حتى إنهم قد يصورون الغضاب والكسالى مع أنها صفات انسانية ، كذلك يجب أن يكون الشاعر فى محاكاته يصور كل شىء بحسب ما هو عليه حتى يحاكى الأخلاق وأحوال النفس ومن هذا النوع من التخييل قول أبى الطيب يصف رسول الروم الواصل إلى سيف الدولة :

أتاك يكاد الرأس يجحز عنقه وتنقد تحت الذعر منه المفاصل
يقوّم تقويم السماطَيْن مشيَه اليك إذا ماعوَّجته الأفاكل[1]

ينتهى ابن رشد من مقارناته ، ويذكر شذوذ العرب فى كثير من هذه القوانين الشعرية . ويقول مع أبى نصر الفارابى : « وأنت تعلم من هذا أن ما شعر به أهل لساننا من القوانين الشعرية هو نزر يسير » وفى الحق يتبين لنا هذا الشذوذ كثيراً عند دراستنا للشعر العربى دراسة نقدية كما يتصورها ابن رشد ، وذلك عائد إما إلى جهل العرب لهذه القوانين ، وإما الى أن هذه القوانين لم تلائم طباعهم . وهذا القول أرجح عندى لأن الأمة لا يمكنها أن تخلق لشعرها قوانين قبل أن يكون لها شعر !!! وأن شعرها الذى نسوقه هو الذى يخلق قوانين نقدها ! إلا إذا أرادت أن تحاكى أمثلة سواها ، وأن تقبل التأثر بقوانين غيرها ...

وإننا لن نغلو فى التشيع لهذه القوانين لأننا نراها قوانين إذا أفادت مرة فقد لا تفيد كثيراً . . . والعبقرية فى الشعر تستلهم نفسها ولا تستلهم قوانين . ولكن هذا لا يصرفنا عن القول بأن هنالك قوانين إذا لم يحترمها الشاعر عاد عليه ذلك بالفساد .

وإنما أبلغ سقراط حين شبه الشاعر بالمصور ، فليس المصور ذلك الذى يمنح صور الأشياء ، أو يخلق أشياء غريبة لا تناسق فيها ولا فكرة . وليس الشاعر بالذى يعطل نظام الطبيعة الشامل ، ويعكس ألوان الأشياء بتخيله المضطرب ! ! ! إنما المصور من يساعد الطبيعة على ابداعها وتزيينها ، والشاعر هو من يكون أميناً على ما يتمثل له فى الحياة . . .

وقد تكون قوانين سقراط فى الشعر — صارمة قاسية لأنه يطلب من الشعر ما يطلب من الفلسفة ، اعتصام بالفضيلة ، واستمساك بالحقيقة ..! وقد يخرج عن هذه الحدود لأنه لا يطيق القيود ، وقد يرضى بأن يهذب نفسه ولكنه لا يرضى بأن يفادى بحريته . . . جناح الفن دائماً خفاق يبتغى السمو والعلو ، وويل للفن إذا استعان بجناحه على الانحدار بدلاً من الارتفاع ، لأن روعة الفن فى ارتفاعه لا فى انحداره !

وقد كان ينبغى لمثل هذه القوانين الشعرية أن تثير ضجة فى الشعر العربى لأنها مقاييس غريبة ، منطقية فى النقد ، ولكنها مرت هادئة كمر السحاب ، لا لأن الأدباء لم يفقهوها ، وقد قربها ابن رشد من الأفهام بعد أن عربها وأعربها بالنماذج والأمثلة العربية ، ولكن أهل البيان العربى ، وجدوا أن الأدب العربى الطافح بما يخالف هذه القوانين ، يستحيل عليه أن يحطم ماضيه وأن ينهج طريقاً جديداً يخطه بأيدى هذه القوانين الجديدة التى لا تلائم البيان العربى ! ! !

(دير الزور) خليل هنداوى

---

[1] يقول : أتاك وقد داخله الخوف مما أراه القتل نصب عينيه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه لتوهمه أنه انفصل عنه وتكاد مفاصله تتقطع من الخوف وكان إذا تموج مشيه من الرعدة قومه تقويم السماطين (وهما صفان من الجند) عن جانبيه

الحياة الأدبية فى تونس

للأستاذ محمد الحليوى

« يجب أن يصف أدباء كل قطر من الأقطار الحياة الأدبية فى قطرهم ، ومبلغ قوتها وضعفها ...... لنتعاون جميعاً على علاجها ومداواتها ...... »

على الطنطاوى (الرسالة ١٣٦)

الكلام عن الحياة الأدبية فى تونس يشمل الكلام عنها من ناحيتين مختلفتين . فان كان المراد بالحياة الأدبية كثرة المشتغلين بالأدب ، والمهتمين بالحديث عن رجاله ، والمقبلين على مجالسه ونواديه ، والمطالعين لكتبه ومجلاته ، ففى تونس حياة أدبية لا بأس بها . والظاهرة البارزة فى الأوساط المثقفة هى حب الأدب ، والتطلع إلى كل ما يمت اليه بصلة . فالشباب التونسى يصرف هواه وجل نشاطه ومجهوده فى الاشتغال بالأدب ولواحقه ؛ ومجالس الشيوخ والكبراء يغلب عليها الحديث عن الأدب والأدباء ، والميل إلى المطارحات الأدبية ، والمساجلات الشعرية ؛ وكل فكرة جديدة ، أو خبر أدبى ، أو كتاب ناجح تجد له صداه فى كل الأوساط المتعلمة

ولكننا إذا أردنا بالحياة الأدبية الانتاج الأدبى والمجهود الفردى لخدمة الأدب بواسطة التأليف والنشر ، فتونس ليس لها حياة أدبية تليق بمكانتها التاريخية ومركزها الجغرافى فى أفريقية الشمالية . وإنه ليُعيي الباحث أن يدلّ دلالة واضحة ملموسة على القسط الذى ساهمت به تونس فى تكوين هاته النهضة الأدبية المعاصرة فى الشرق العربى ، وأن يبين أن للأدب التونسى ناحية خاصة تميزه ، ومعالم معروفة لا يمكن أن ينكرها مُنكر ، أو يتجاهلها متجاهل

وها نحن أولاء نستعرض بعض مظاهر الحياة الأدبية فى تونس ، ونقول فيها كلمة الحق ، وإن كان من الحقائق ما هو مؤلم

***

الشعر فى تونس

هناك فى تونس شعراء كثيرون ، ودواوين شعرية مطبوعة كديوان « خزنه دار » ، وديوان سعيد أبو بكر ، وديوان مصطفى آغه ، ومجموعة للأدب التونسى المعاصر فى أربعة أجزاء جمعها زين العابدين السنوسى صاحب مجلة « العالم الأدبى » ، وترجم فيها لما يزيد على ثلاثين شاعرا ، وانتخب من شعرهم منتخبات مطولة . ولكن الشعر التونسى فى مجموعه لم يبلغ من القوة والابتكار والاستقلال الفكرى والميزات الفردية ، وظهور الشخصيات القوية ، ما يجعله يقوى على تحمل المقارنة بالشعر العالى أو ينعت بالأدب الرفيع . ومن سوء حظ تونس أن الفرد الوحيد الذى استطاع أن يعلو بشعره إلى مكانة الشعر الراق ويضاهى به أنبغ شعراء العرب والغرب قد مات فى العام الماضى فى ريعان الشباب ؛ وبكته تونس فى حفلة رائعة اشترك فيها كثير من أدباء الأقطار العربية

والشعر التونسى المعاصر يسيطر عليه تقريباً الشعراء الشيوخ وهم الذين يخصون فنون الشعر القديمة بجل عنايتهم ؛ وشعراء الشباب يغلب على شعرهم الميل الى التجديد فى المعانى والأغراض وحتى الأوزان والأساليب ، ولكن الذى يعاب عليهم هو غلبة تفكير الجرائد ومواضيعها على أدبهم ، وفقر شعرهم من المعانى القوية والصور الشعرية ، واحتياجهم إلى الثقافة العامة القائمة على سعة الاطلاع والاحاطة بتاريخ الحركات الأدبية والفكرية فى مختلف العصور ؛ ويعاب عليهم أيضاً هذا النوع من الأدب الباكى الذليل ، فلا يكاد أحدهم يشدو فى نظم الشعر حتى تراه ينظم فى البؤس وتوابعه ، ويتشاءم من كل شىء فى الحياة ؛ فنحن نقبل هذا النوع من الكهول والشيوخ الذين دخلوا معركة الحياة وتمرسوا بآفاتها ، ولكننا نرفضه من الشباب ، لأن الشباب أمل وعزيمة وحب للكفاح والغلبة

***

الحياة الكتابية

فنون الكتابة كثيرة ، فأية كتابة عندنا وأى كتّاب ؟ نقول فى الجواب إنه يوجد عندنا الكاتب الاجتماعى والمؤرخ

والصحف .... فقد نشر فى تونس فى هاته السنوات الأخيرة كتب بعضها فى التاريخ ككتب الأساتذة حسن حسين عبد الوهاب، وعثمان الكعاك، وأحمد توفيق المدنى؛ وبعضها فى الأدب والاجتماع، ككتاب أبى القاسم الشابى عن الخيال الشعرى، وكتاب الطاهر الحداد عن المرأة، وكتاب محمد المرزوق عن مسائل من الفن والجمال. وهناك خمس صحف أسبوعية، وجريدتان يوميتان، ومجلة أدبية لم يستطع صاحبها أن ينفخ فيها الحياة، فهى تحتضر منذ سنوات! وعدا ذلك فليس فى تونس من يمثل تمثيلاً مشرفاً أدب القصة والمسرح، وأدب الأطفال، والأدب القومى؛ وكذلك الناحية النقدية والعلمية فى الأدب. وتاريخ تونس لما يكتب.

فصفة الكاتب عنيت بها مايفهم من لفظها اجمالاً واطلاقا، أما اذا عنينا بالكاتب رجلاً له نظريات خاصة، وأفكار فردية، يخصص حياته لنشرها والدفاع عنها حتى تنتصر، كلفه ذلك الدفاع ما كلفه، فهذا عزيز فى الناحية الأدبية. فاذا قلنا مثلاً إن طه حسين كاتب، فليس معنى ذلك فى مذهب العقل والتاريخ أنه يجيد رصف الجمل وتأليف الكتب، وانما معناه أنه رجل يفرض فكرته على الناس فرضاً، ويكتب ما يراه حقاً وإن خالف ما رآه غيره، ولا يضيره أن يواجه قراءه بغير ما ألفوا سماعه، ويصدمهم بآراء ليست هى آراءهم التى اقتنعوا بها؛ وبعبارة أشمل يرفعهم اليه، ويبعثهم على التفكير والتأمل واعادة النظر فيما ناموا عليه من المبادئ والحقائق؛ وما يزال بهم حتى يكون من أنصار فكرته ومخالفيها مدرسة تنشر تعاليمها وتصادم تعاليم خصومها. فهذا هو الكاتب الذى يحيى الأدب ويجدد الأدب، وبهذا وحده يكون الكاتب مثقف عقول، ومغذى عواطف، وقائد أفكار

أما فى تونس فالقارئ هو الذى يقود الكاتب. فعلى الصحف أن يصلح مايحب الرأى العام أن يصلح، ويجتنب ما يغضبه ويهيجه. وعلى الكاتب أن يكتب ما يريد قراؤه، وأن يتناول من المواضيع ما يسمحون له بتناوله؛ وحذارِ أن يكون له رأى خاص يخالف رأيهم — وإذا كتب فى نقد الأدب القديم فالواجب أن تكون كتابته تقديساً لأصحاب ذلك الأدب، وكلمة الالحاد وما اشتق منها ما تزال رائحة الاستعمال تلصق بكل من يظهر نوعاً من الاستقلال الفكرى فى الأدب؛ وجمهور القراء لم يحسن إلى الآن التفريق بين ما هو أدبى وماهو دينى، فكل أديب يقول بالتجديد الأدبى فهو متهم فى عقيدته. فكانت نتيجة هذه الحالة فقر أدبنا من الكتاب ومن كثير من فنون الكتابة

معاهد الثقافة والمؤسسات

وأول مسؤول عن ركود الأدب فى تونس هى معاهده الثقافية ومؤسساته الأدبية، فانتشار الأدب لا يكون إلا بكثرة القراء، وعلى قدر نصيبهم من المعرفة والفهم يكون إقبالهم على تتبع الحركة الأدبية وتقويتها بشراء كتبها ومجلاتها. ونحن نريد أن ينتشر الأدب وتقرأ كتبه ونشراته، لأننا فى حاجة إلى تقويم العقلية التونسية وتثقيف ذهن سائر الطبقات، وتصحيح المقاييس التى نقيس بها كل شأن من شؤون الحياة؛ وليس شىء كالأدب يحيى ميت الهمم ويبعث خامل العزائم ويشذب شاذ الغرائز؛ وكل مدنية قامت فى التاريخ كانت منبعثة من نهضة أدبية أو مصاحبة لها

فما هو نصيب معاهدنا فى هذا العمل وماذا نرجو منها؟

أما المدارس الابتدائية فلا رجاء فى أبنائها لأن المعلومات العربية التى يخرجون بها من هاته المدارس لا تؤهلهم لقراءة الكتب الجدية ومطالعة الصحف الراقية، وهم حين يغادرون المدرسة يرجعون إلى أشغال آبائهم فى القرى والبوادى، وليس لهم من الثقافة إلا ذلك النزر القليل الذى يمكنهم بعض التمكن من قراءة رسالة أو كتاب عامى سخيف من تلك الكتب المملوءة بالخرافات والأوهام

أما المعاهد الثانوية والعالية فهناك جامع الزيتونة الأعظم والمدرسة الصادقية والمدرسة العليا للآداب واللغة العربية. فأما جامع الزيتونة فهو حصن العربية الأشم، وهو بمثابة الأزهر بمصر، وخريجوه هم صفوة العلماء والحكام والقضاة والعدول، وهم الطبقة الوحيدة ذات الثقافة العربية المحضة؛ وأما المدرسة الصادقية ومدرسة اللغة والآداب العربية، فان الدراسة تقع فيهما باللسانين، وربما غلبت فيهما الثقافة الفرنسية على العربية خصوصاً من ناحية الترجمة والعلوم الرياضية، ومن هاتين المدرستين تخرج جل كبار موظفى الادارة الفرنسية ومترجميها، وعن طريقهما

سافرت البعثات العلمية التى تتكون اليومَ منها نخبــة طيبة من الأطباء والمحامين والمهندسـين ، ولـكن أطباءنا ومحامينا قلما يكتبون أو يؤلفون بالعربيـة . وكم كنا نود لو أن دكاترتنا كانوا كدكاترة مصر الذين قامت على سواعد أكثرهم نهضة مصر الأدبية والعلمية

أما المؤسسات الأدبية فهناك الجمعية الخلدونية ، وهى أقدم المؤسسات التونسية ، ثم جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية ، وأخيراً جمعية الـكتاب والمؤلفين — فأما الخلدونيـة وقدماء الصادقية فأغلب نشاطهما منصرفٌ إلى تنظيم المسامرات الأدبية والعلمية ، وإقامة الحفلات لاحياء ذكرى نوابغ الأمة العربية فى القديم والحديث ؛ وأما جمعية المؤلفين والـكتاب التونسيين فانها افتتحت أعمالها باقامة حفلة ذكرى الشاعر العبقرى المرحوم أبى القاسم الشابى . ثم لم تفعل بعــدها شيئاً إلى الآن خصوصاً وقد علقت عليها آمال ضخام فى انتشال البلاد من هذا الركود الأدبى بتوحيد جهود أدبائه وتسهيل نشر كتبهم بواسطة القروض التى تسبقها والدعاية التى تقوم بها للمؤلفات .

أسباب ركود الأدب

إذن فأسباب ركود الأدب كثيرة ، ولـكن يمكن تلخيصها فى سببين :

الأول : قلة القراء فى الأوساط الشعبية نظراً للأُمية الغالبة على السواد . ثم جهل كثير من الشباب لغتــه القومية أو نزارة معارفه التى لا تسمح له بالاستفادة من الأدب والصحف الجدية

الثانى : عدم وجود من يأخذ بيد الأديب إذا هو أراد أن ينتج وينشر ، فطبقة القراء القليلة تزهد فى كل عمل تونسى ، ولا تُقبل على تأليف تونسى ، كما تقبل على التآليف المصرية والشامية ، والصحف اليومية لا تقوم بأى مجهود لاستكتاب الأدباء ، وحمل القراء على المطالعة الأدبية ، وإذا نشرت شيئاً من الأدب فالأغلب أن يكون من الأدب السهل الرخيص

والخلاصة أن الأدب فى تونس لا يعــدو كونه هواية من الهوايات ، ولا يوجــد الأديب المحترف ؛ وإن وُجد الصحافى . والمؤلف يقاسى الأمرين من فقــدان الناشر والقارىء . وليس هناك من المشجعات للأديب ما يجعــله دائب الانتاج والعمل . فلا مكافآت ، ولا جوائز ، ولا مجــلات لنشر آرائه ، ولا حرية لمن أراد أن يفكر باستقلال ؛ والأصوات التى ارتفعت فى تونس وترقّب منها كل مخلص أن تـكون فى يوم من الأيام داوية فى العالم العربى خفتت وصمتت لتكاتف هاته العوامل عليها

رجاء

على أنه لا يسعنى أن أختم هاته الـكلمة دون أن أنوه بما يبديه الشـباب التونسى فى هاته المدة الأخيرة من النشاط والحيوية . فهناك جمعيات للشبيبة لا زالت توالى الجهود فى إقامة الحفلات المختلفة وإلقاء المسامرات فى مختلف المواضيع ، ونشر النشرات التى يرى القارىء من خلال سطورها هاته القلوب الفتية التى تتقد إيماناً بمستقبل الأمة التونسية ، وحباً لأدبها ولغتها القومية . وإنه وإن كان نشاط هاته الجمعيات مقصوراً على العواصم وفى أوساط مخصوصة ، فانا لنرجو أن توفق إلى تعميم هاته الحياة فى كامل البلاد بكل وسائل النشر والدعوة ؛ فان الأمة التونسية لفى أشد الحاجة الى حيوية شبابها وعزيمته الصادقة وإيمانه القوى باسترداد مجد تونس الزاهر وعصرها الذهبى

محمد الحليوى

(رادس — تونس)

من الأدب الانكليزى

٣ - پرسى شلى

Percy - Shelley

تتمة

بقلم خليل جمعه الطوال

تعريف للشعر والشاعر

لِشلى نظرية فى الشعر طويلة لا يتسع مقالنا هذا لاستيعابها بكاملها ، نقتطف منها إحاطة بالموضوع من جميع نواحيه ما يأتى :

ليس الشعر بالحدث الطارىء الجديد على عواطفنا ولا من صفاتنا المكتسبة بطول التمرس والمران ، بل هو فينا غريزة فطرية كغريزة الجوع والنوم والكلام والألم ، وليس ما نبديه من الحركات المبهمة والاشارات الغامضة ، أو ما نفوه به من الكلام وتجيش به صدورنا من العواطف المضطرمة إلا أنواعا من الشعر فى أدنى مواضعه وأضيق حدوده . ولولا ما فينا من عواطف الشعر الهائجة الكامنة والثائرة الوادعة ، لما كنا نكتئب ونفرح لأوهى الصدمات وأدنى المؤثرات

وليس الشعر بعلم من العلوم التطبيقية كالهندسة والكيمياء وكالفلك والكهرباء وإلى ما هنالك من العلوم التى تعتمد على التجربة ولا تثبت إلا بالبرهان ، بل هو فن من الفنون الجميلة — وهى الرسم والموسيقى والرقص والغناء والشعر والبناء — التى تعنى بظواهر الأشياء وأشكالها دون باطنها ، وبجمالها وأعراضها دون جوهرها : وما الانسان إلا كآلة موسيقية تتعاقب عليها شتى الانفعالات الداخلية والمؤثرات الخارجية : فتتجاوب أوتارها لكل منها بنغمة خاصـــة تختلف عن سالفتها فى الدرجة لا فى النوع

لقد كان الانسان فى بدء أطواره يُقلد مختلف الظواهر الطبيعية بحركاته وسكناته ، فكان كل من هزيم الرعد ، وهزيز الريح ، وزمزمة النار ، وخرير المياه ، وحفيف الأشجار ، وقد غردت فوقها الأطيار الجميلة الألوان والشجية الألحان ، يحدث فى نفسه انفعالات داخلية عديدة ، وشحنات كهربائية عنيفة ، لا يرى لها مخرجاً إلا فى فنٍ من الفنون الجميلة ، ولكن الناس ليسوا سواءً فى الاستجابة لهذه المؤثرات ، فهم وإن تشابهوا فى نوع إحساساتهم إلا أن فيهم البليد الشعور ، وفيهم السريع الانفعال ، وهذا الأخير هو ما نسميه اصطلاحاً بالشاعر

والشعرُ يتكىء على الخيال كما يتكىء على الحقيقة ، ويعتمد على اللغة بمقدار ما يعتمد على الموسيقى والغناء . وليست هذه الأشياء فى مجموعها إلا من مكوناتِ الشاعر الأولية ، وبمقدار حظه منها يكون حظه من الشاعرية

على أن أسمى مظاهر الشعر وأبينها هى تلك العواطف والانفعالات المنضوحة فى وعاء من الكلام الموزون المقفى ؛ ذلك لأن جمال اللغة وموسيقى الألفاظ ، أقرب الى الخيال وأعمل فى اذكاء النفس وارهاف الحس من التصوير والبناء ، ونغمة الآلة والرقص والغناء . ولكنَّ هذه المفاضلة تحصر الشعر فى دائرة ضيقة ، لا تتسع لاستيعاب ذلك الخيال المشبوب وتلك العاطفة الوثابة اللذين لا يجدان لهما من منفذ آخر عدا الشعر المقفى إلا بالتلحين وبالحركات . ومن هنا كان تفرع الرقص والغناء عن الشعر الذى هو الأساس

الشعر هو تلك المرآة التى تنعكس عنها شتى الانفعالات النفسية التى يجيش بها الصدر وينماث لها القلب ؛ وبمقدار ما يكون لهذه المرآة من دقة الصنعة والاتقان يكون للشاعر من جودة الفن وغايته فى الابداع والاحسان

ولعل ضرورة الوزن والقافية للشعر انما جاءت من ضرورة الرقص والموسيقى للغناء . فأنت لا تكاد تنبس ولو ببيت من الشعر إلا وتختار لالقائه أجود التوقيع ، وتقرنه باشارات قد تكون فى الغالب مبهمة ، إلا أنها مع كل ذلك تدل على عاطفة كانت مكبوتة فظهرت ، وكانت هادئة فاضطربت

الشعر هو صورة الحياة فى حقيقتها الأزلية

والشاعر هو تلك الريشة التى تظهر بواسطتها هذه الصورة

والشاعرية هى القدرة على ابرازها فى أجمل ألوانها وأزهى أشكالها

الشعر هو الألمُ والسرورُ ، هو الكآبة والحبور ، والشاعر

هو ذلك الذى تضطرب نفسُه بين موجات الحزن ونغمات الفرح . بل هو ذلك الشعاع الذى يصقلَ النفسَ ويرهف الحس ويهذبُ الشعور

الشعرُ يهذب الأفرادَ والدرامة تُصلح سوآت المجتمع ، ولذا أحسن تاسو الايطالى إذ يقول : ليس من مبدع إلاّ الله والشاعر[1] ، وليس من مدنية إلا بالدرامة

ثورة شلى الفكرية

لقد تمرد شلى على الهيئة الاجتماعية وخرج على جميع نظمها وتقاليدها الدينية والمدنيـة ، فانثال على الدولة والـكنيسة بحملة متطرفة شعواء ، نقضت ما كان لهما فى نفوس الناس من الجلال والاحترام ، وكان يعلق كبير الأمل فى التخلص منهما ، وفى تحقيق مثـله الأسمى على تلك الأفـكار الثورية التى تلقحت بها عقول الناس من كتابات فولتير وروســو ومنتسكيو ، والتى كظمت مدة ثم انفجرت بالثورة الفرنسية ، ولـكن لشد ما أسف اذ رأى ما منيت به أفـكار الثوار من الاخفاق

ولـما اندلعت نيران الثورة فى أسـبانيا ونابولى وأثينا ثانية بدت له — فى عالم الخيال — بارقة أمل جديدة فى تحقيق مثله الأسمى ، فأخذ يتغنى بهمة الثوار ويستفز حميتهم بشتى القصائد الرائعة كقصيدة « نابلى » وقصيدة « هيلاس » ولـكن الثورة اشتدت ووضعت أوزارها ، دون أن تحقق له غرضاً من أغراضه التى مات وهو مصر عليها رغم ما لقيـه من قوة السلطة وصدمة الحوادث

فكرة شلى عن الله

يرى شلى أن فـكرة الانسان عن الله تشوه جماله كما يشوه الزجاج الملون منظر الأجسام التى من ورائه . وأنها فكرة خاطئة تتناقض ومبادئ العدل والانسانية العليا . ويقول إن الله لم يخلقنا لـكى يعبث بنا فى الآخرة أو يجزى شرورنا بمثلها لأنه رحيم لا حد لرحمته ، ولأن الانتقام من صفات الانسان وليس من صفاته فهو والحالة هذه يشبه عمر الخيام إذ يقول[2] :

اذا كنت تجزى الذنب منى بمثله   فما الفرق ما بينى وبينك يا ربى

ويستأنف فى قوله إلى أن ليس لله كيان مستقل بذاته بل هو متمثل فى جميع مظاهر الـكون وكائناته من انسان وحيوان . فليس ما نشعر به فى عواطفنا من عوامل الخير والفضيلة والاحسان والشفقـة أو ما نشاهده فى الدودة التى تعيش فى باطن الأرض من المحبة والاطمئنان إلا من مظاهر ذلك الالـه العادل

لقد تصور شـلى فى الانسان اسمى ما يمكننا تصوره ، وراح يعرض هذه الصورة الجديدة على معاصريه المتزمتين بلسان عيى وخلق سرى ، بل بيد جذاء وكنانة جوفاء الا من ذخيرة الايمان بدعوته . ولذا فلا عجب إذا وقرت دونه آذانهم ، بعد أن أذاقوه من لاذع النقد ومر التقريع شأن ما يلقاه أصحاب البدع فى كل جمهور متزمت

وفى عام ١٨١١ نشر رسالة مطولة : عنوانها « حاجتنا الى الالحاد » دعا فيها جميع الأساتذة الى الالحاد أو الى تفنيـد آرائه ودحضها بالمناقشة ، ولـكنهم ألقوا بدعوته دبر آذانهم ثم طردوه من الجامعة هو و « السير توماس جفرسن » المتشرع المشهور لأنه استجاب لدعوته واعتنق جميع مبادئه

وفى عام ١٨٥٨ ألف « توماس جفرسن » كتاباً عظيما عن صديقه شلى أكسبه شهرة واسـعة فى الأوساط الأدبية ، وقد نشره تحت عنوان (Uncomplete life of Shelliy) وهو يتضمن حياة شلى وتعاليمه مذيلة بشروح عظيمة لا نعثر عليها فى غيره

آراء الأدباء فى شلى

يقول روبرت براوننج : لقـد هاجم شلى مبادىء المجتمع العظيمة دون أن يتحقق صحيحها من فاسدها ، وغثها من سمينها ، ونسب الى الـكنيسة والحكومة الشىء الـكثير ، مما يزرى بشأنهما ويحط من مقامهما فى أعين الناس . ولقد كان فى حملته التى شنها على العرف والعادات ، وعلى الشرائع والديانات ، يُقاد بتهور العاطفة لا بتمحيص العقل ، وبنشوة الشـباب لا برصانة الفكرة ؛ وكان يلقى بأحكامه جزافاً قبل أن يعمل فيها مشرط العقل وقبل أن يعرضها على محك الاختبار

ويقول سوينبرن : إن إعجابى بشلى عظيم لا ينتهى ، وما ذاك إلا لفرط محبته الواسعة لجميع المخلوقات ، تلك المحبة التى تقرن اسمه بالمسيح ما دام فى الـكون فقراء ومسـا كين . لقد درس آراء افلاطون ـ ولا سيما كتابه Symposism ـ وتغلغل فى ثناياها

---

[1] هكذا فى الأصل Non merita nome di creatore, de non Iddio ed il poeta

[2] راجع رباعيات الخيام

بأسمى ما عرفه الانسان من المثل العليا ، تلك المُثل التى صرف فى تحقيقها ريق العمر وزهرة الشباب فما أفلح

ويقول أرنولد : ثلاثة ينبغى تقديسهم : بوذا لتضحيته ، والمسيح لمحبته ، وشلى لانسانيته

ويقول بيكوك : مهما يكن من الحاد شلى فانى أرى فيه مثال الدين الصحيح لاقباله على عمل البر وحدبه على الفقراء . فقد شهدته مرة وقد ابتاع من أحد التاجر مجهراً ، فما لبث أن أودعه لساعته عند تاجر آخر وأخذ مقابله قليلاً من المال ، ورأيته يركض بعد ذلك بخطوات فسيحة لينقذ بائساً رآه فى وهدة الشقاء . وكانت تلك الكمية صبابة ما بقى لديه من المال .

حياته وزواجه :

دخل شلى مدرسة أتن عام ١٨٠٤ ، وكان لا يزال فى الثانية عشرة من العمر ، ثم تركها والتحق بجامعة اكسفورد حيث طُرد منها عام ١٨١١ بسبب رسالته الالحادية . وفى شهر يونيه من السنة نفسها تزوج « هاريت وستبروك » وارتحل الى بلدة « كزوك » هرباً من تعنت والده ، وهناك التقى « بسوثى » أحد شعراء اقليم البحيرات البارزين . ثم أخذ يتعاطى مهنة الصحافة مع (وليم فودوين) السياسى الشهير فتشرب منه روح السياسة . وفى عام ١٨١٢ سافر الى ارلندا ودبلن حيث أخذ يؤلب الناس على الكنيسة الرومانية ، فاستجاب له خلق كثير وأعرض عنه الباقون

وفى سنة ١٨١٣ ولدت له هاريت صبية دعاها « لانث » . ثم ارتحل الى أدنبره وألقى هناك عصا التسيار مدة من الزمن ، كان يستجم فيها ويُعد العدة لحملة جديدة يحمل بها على الدين والمجتمع معاً . وفى مستهل عام ١٨١٤ برزت هذه الحملة الجديدة فى رسالته التى نشرها تحت عنوان « تفنيد وحدانية الله The refutation of deism » ، وفى العاشر من شهر ديسمبر اضطرب حبل مودته مع زوجه هاريت ، فطلقها وتزوج من عشيقته مارى ولستونكرافت ابنة الصحافى الكبير فودوين ، وبعدها سافر الى سويسرا ثم الى فرنسا ، وفى أثناء غيابه ولدت منه زوجه الأولى هاريت صبياً دعته شارل بيش ، وما ان رجع من رحلته هذه الا وقد توفى جده بيش شلى فورث عنه أموالاً طائلة

وفى عام ١٨١٦ ولدت له زوجه مارى ولداً سماه وليم شلى إلا أنه لم يُعمر طويلاً بل توفى بعد عامين من ولادته . وفى شهر ابريل التقى بكيتس لأول مرة ، وكانت قد اشتدت روابط الصداقة بينه وبين اللورد بيرون

وفى العاشر من شهر ديسمبر ألقت « هاريت بنفسها فى اليم وما أخرجت من الماء إلا وهى جثة هامدة . وهكذا أصبحت مارى ولستونكرافت زوجه الشرعية »

وفى عام ١٨١٧ سافر إلى إيطاليا وأقام هناك ، وكانت محكمة شانسرى قد حرمته من حضانة ولديه من زوجه الأولى (هاريت) . وفى ايطاليا تفرغ شلى لقرض الشعر ولدراسة الآداب دراسة جدية

وفى الثامن من شهر يوليو لعام ١٨٢٢ بينما كان يسبح فى خليج بيزا لقيه اليم بموجة عظيمة كان فيها حتفه إذ ألقته على الشاطئ جثة هامدة . ثم أحرقت جثته فوق رمال ذلك الشاطئ على مشهد من صديقه اللورد بيرون ووضع رماده فى قبر أُعدَّ له فى روما . وكان قد أوصى فى حياته بألا ينقش على ضريحه إلا تاريخ ولادته ويوم وفاته والكلمة الآتية : Désillusionné ومعناها غير مغرور

وفى بعض المصادر نجد أنه أوصى بنقش هاتين الكلمتين لا الأولى وهما قلب القلوب Heart of Hearts ولعل الأولى أقرب إلى الصواب

وهكذا طوت الأيام تلك الصفحة المجيدة المملوءة بجليل المآثر والحافلة بعظيم الأعمال

(شرق الأردن)

خليل جمعه الطوال

مصادر المقال

1— Shelley : I Adonais. II Revolt of Islam. III Promethus un baund
2— Maculay : Essay on Shelley
3— Becon : His Essays
4— Harjlitt : Critic sms, of poetry aud drama
5— Stopford : English literature VI. II
6— Browing : Essay on Shelley
7— W. H. Stepheus : Introduction to the Study of English Literature
8— Bagchat : Essay on Shelley
9— Hughes : The Introduction to Shelley prose and poetry
10 رسالة الغفران للمعرى تأليف الكيلانى

فاز سعد !

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرف النفيَ حياة ومماتا وأصاب النصر روحا ورفاتا
كلما أقصوه عن دار له رده الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتا وهو مَن كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبذا الخلد ثماراً للذى غرس المجد ونمّاه نباتا

***

كل أرض للمصلى مسجد غير أن الكعبة الكبرى مقام
هكذا قبرك مرفوع الذرى فى جوار البيت أو سفح الأمام
أرض مصرٍ حيث أمسيت بها فبنو مصر حجيج وزحام
غير أن الذكر يبغى منسكا مثلما يبغيه حج واستلام
فالق فى قبرك خلداً كلما مرّ عام تبعته ألف عام

***

اعبر القاهرة اليوم كما كنت تلقاها جموعا ونظاما
ساعة فى أرضها عابرة بين آباد طوال تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا تشبه الساعات بدءاً وختاما
كل من شاهدها زيدَ بها من معانيك جلالاً ودواما
قل لهم أبلغَ ما قلت لهم أيها الواعظ صمتاً وكلاما

***

جرّدوا الأسياف من أغمادها ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات فى آفاقها أين يوم الموت من يوم المعاد؟
لا يلاقى الخلد بالحزن ولا يكتسى الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناه العدى بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيداً واهتفوا: فاز سعد وهو فى القبر رماد

***

الفراعين الأولى أجليتهم لتمنوا لو أجازوك الطريق
أنت أضفيت على أوطانهم سعة، وهى من الأسر مضيق
أنت أيقظت لهم تاريخهم وهو فى نومته لا يستفيق

فضلك اللاحق أحيا فضلهم فاستوى منه طريف وعريق
آية فى الحق لا ينسخها فى مدى الدهر عدو أو صديق

***

يا بنى مصر اجعلوا نقلته رمز أحياء وعزم ومضاء
وانظروه كيف حالت دونه غِيَرٌ شتى، وما حال القضاء
المعيقون تنحوا جانبا آخر الأمر، وسعد فى البناء
كل ذى حق سيعطى حقه، ليس للمجد من الخلد نجاء
كل ما عارض سعيا باقيا عَرَض فان وزور ورياء

***

نرمز الشمس إلى نقلته بسفور غالب بعد حجاب
صرعت ليلين صبحاً فروت عن حضور ناصع بعد غياب
هو أيضا قد طوى ليل الردى وطوى ليل الغواشى والكذاب
فى السموات وفى الأرض له أثر ينبئ عن يوم المآب
أثر الفجر إذا انجاب لنا عن ضحاه، بعد لأيٍ وغِلاب

***

دان يا سعد لك الذكر بما شيد البانى وما خط الزبور
قدر نادى قلبته على موعد الذكرى صخور وسطور
أنا بان لك فى ملك النهى منزلاً يبقى ولا تبقى الصخور
من أسانيدك آساس له ومن الحق له حسن ونور
إن أنل شأوك فيه إننى بالذى شيّدت منه لفخور

***

فتية الوادى بسعد فاقتدوا إن تخيرتم له خير وفاء
أذكروه بالذى يعمله منكم العامل فى غير وناء
واذكروه بالذى امتاز به من مزاياه الأبيّات الوضاء
هكذا يخلد سعد بينكم بتماثيل حياة ورواء
كل ما يعظم من أعمالكم هو تخليد لذكرى العظماء

كل بيت فيه سعد ماثل

للأستاذ على الجارم

١ اكشفوا الترب عن الكنز الدفين
وارفعوا الستر عن الصبح المبين

وابعثوه عسجداً مؤتلقاً ... زاد فى لألائه طول السنين

واجتلوه درة ساطعة ... صدفُ الدهر بِشَرْواها ضنين

وانتضوا من غمده سيف وغى ... كان إن صال يقد الدارعين

وقناة جل من ثقفها ... للحفاظ المر والعزم المكين

لوت الدهر على باطلة ... وهى كالحق صفاة لا تلين

هزمت جيش الأباطيل فما ... غادرت غير جريح أو طعين

كتب الله على عاملها ... إنما الخلد جزاء العاملين

* * *

جدث ضم سناء وسنى ... ومُصاص الطهر فى دنيا ودين

طاعة الأملاك فيه امتزجت ... فى السموات بعز المالكين

فتشوا فى الترب عن عزمته ... وعن الأقدام والرأى الرصين

واخفضوا أبصاركم فى هيبة ... إن رأت أبصاركم نور اليقين

واخشعوا بالصمت فى محرابه ... أفصح الألسن صمت الخاشعين

وانتحوا من قبره ناحية
واحذروا أن تزحموا الروح الأمين

وحناناً بضريح طالما ... صقلته قبلات الطائفين

وجثت مصر به خاشعة ... تذرف الدمع على خير البنين

صيحة قدسية إن سكتت ... فلها فى مصر رجع ورنين

وعرين حل فيه ضيغم ... رحمة الله على ليث العرين

ومضاء عرفت مصر به ... إن للحق يميناً لا تمين

لا أرى قبراً ولكنى أرى ... صفحة من صفحات الخالدين

أو أراه قصب المجد الذى ... دونه ينفق جهد السابقين

أو أراه علماً فى فدفد ... لمعت أضواؤه للحائرين

أو أراه روضة إن نفحت ... خجل الورد وأغضى الياسمين

أو أراه دوحة وارفة ... نشرت أفياءها للاجئين

أو أراه قلب مصر نابضاً ... بمنى تمحو من القلب الأنين

* * *

نقلوا التابوت تحتفُ به ... رحمات من شمال ويمين

ذاك بعث حييت مصر به ... من جديد تلك عقبى الصابرين

هل علمتم أن من واريتم ... فى حنايا كل مصرى دفين

ما لسعد حفرة واحدة ... هو ملء القلب ملء الأرَضين

كل بيت فيه سعد ماثل ... فى إطار من حنان وحنين

بسمة الآمال فى بسمته ... وانبلاج الحق فى ضوء الجبين

هو للأبناء عم وأب ... وهو للآباء خل وخدين

كان سعد علماً منفرداً ... هل يرى للشمس فى الأفق ثنين

إن أم المجد مقلاة فكم ... سوفت بين جنين وجنين

تبخل الدنيا بآساد الشرى ... أيها الدنيا إلى كم تبخلين

أنت قد أنجبت سعداً بطلاً ... وقليل مثله من تلدين

قاد للمجد مناجيد الحمى ... كلهم أروع منبتُّ القرين

تقرأ الاقدام فى صفحته ... مثلما تقرأ خط الكاتبين

كلما مرت به عاصفة ... زعزع مرت على طود ركين

تقرع الأقدار منه عزمة ... أنفت صخرتها أن تستكين

حُشُدٌ حول الرئيس (المصطفى) ... نبعة الاخلاص والخلق المتين

وجدت مصر به واحدها ... رب فرد بألوف ومئين

ومن الناس نضار خالص ... ومن الناس غثاء وغرين

ومن الناس أسود خدر ... ومن الناس ذباب ذو طنين

وضعت مصر به آمالها ... فاستقرت منه فى حصن حصين

مسح الدمعة من أجفانها ... ومحا من لوعة القلب الحزين

* * *

أيها الربان أبحر آمناً ... وثق الركب بربان السفين

كل ما حولك رهو هادىء ... والبقيات على الله المعين

لاحت الفرصة فى إبانها ... إنها لا ترتجى فى كل حين

فتقدم بطلاً جم المنى ... أنت بالنصر حرىٌّ وقمين

صدق الله تعالى وعده ... إنما الفوز ثواب المخلصين

على الجارم



قصة مصرية

الأعمى...

بقلم محمود البدوى

تمر ترعة الكامل بقرية « س » وهى قرية صغيرة من قرى الصعيد ، فتشطرها شطرين غير متساويين ، فقد جارت على الجانب الأيسر بقدر ما أضفت على الأيمن ، فاتسع هذا واستفاض حتى أصبحت منازله وبساتينه ونخيله وأعنابه لا يحدها البصر ولا تحصرها العين ، واستدق ذاك واستطال حتى قامت منازله الصغيرة على شط الترعة ذليلة منكسرة واجمة ، تشكو الى الله ظلم الطبيعة بعد أن شكت جور الانسان الذى خلفها سوداء قذرة تمرح فيها الحشرات من كل لون وجنس

وإذا استقبلت القرية وأنت قادم على جسرها الطويل ، بصرت أول ما تبصر بمنزل صغير من هذه المنازل بنى بالطوب الأسود ، وخط جواره بستان ، ليس فيه سوى نخلتين ! مالت إحداهما على الترعة ، حتى غرقت فروعها فى الماء ، وسمقت الأخرى فى الجو ، حتى ناطحت بسعفها السماء ، ولا تدر النخلتان ثمراً الآن ، ولا يرجى منهما شيء فى المستقبل ، فقد جف عودها وذهب شبابهما . وتقيم فى هذا المنزل منذ أكثر من تسعة أعوام أرملة فى الخمسين ، وهى امرأة دمثة الطبع — على خلاف العجائز من مثيلاتها — ناحلة الجسم معروقة العظم واهية البناء ، تستريح فى بيتها معظم العام ، حتى يهل رمضان ، فاذا هل ، خرجت فى الهزيع الأول من كل ليلة حاملة على ذراعها صفيحة قديمة تطوف بها على منازل القرويين ، وهى تنقر نقراً خفيفاً ، وتغنى بأغنية قديمة ، قل من يدرك معناها ومبناها من سكان القرية ! على أنهم كانوا يهبون من مضاجعهم عند ما يصافح سمعهم إيقاعها وغناؤها ويبسطون موائد السحور ، وان كان الليل لم ينتصف بعد !! وهذا العمل الضئيل لا يجلب لها فى الغالب رزق شهرين أو ثلاثة ، فكيف تقتات باقى العام ؟ وكيف تعيش ؟ هذا هو السؤال ! على أن الذين انحدروا من الريف ، يعرفون تمام المعرفة أن هناك الملايين من أمثالها يضمون دائماً أيديهم على بطونهم ليحفظوا بذلك التوازن الاجتماعى لتخمة الأغنياء . مثل هذه الأيم السواد الأعظم من الفلاحين الذين لا يعرفون وخير لهم ألا يعرفوا ، أنهم أتعس المخلوقات البشرية فى الدنيا جمعاء . إنهم مخلوقات ذليلة تاعسة ، لصقوا بالأرض حتى أكلتهم الأرض ، وأفنوا عصارة حياتهم فيها حتى استنفدت قوتهم واستفرغت جهدهم . ولو رأيتهم وهم عائدون من الحقول مع مغرب الشمس ، والصفرة الباهتة تعلو وجوههم ، والغبار القذر يملأ أعينهم ويسد أنوفهم ، لعلمت أنهم أتعس الناس فى الناس ، وأشق الطبقات العاملة على الاطلاق . إنهم مخلوقات مريضة فقدت بهجة الحياة ونعيمها واستسلمت صاغرة للمرض والفناء

ويسكن مع هذه الأيم أعمى فى الثلاثين من عمره ، وهو شاب أسمر فارع ضليع الجسم مفتول العضل وثيق التركيب ، وهو المؤذن لمسجد القرية منذ أن شب عن الطوق وانخرط فى عداد الرجال . على أن الذى جمع بين هذه الأيم العجوز وهذا الأعمى الشاب ، لم يكن قرابة ولا نسبا ، وان كان القرويون يسمون العجوز « أم سيد » وسيد هو الأعمى ؛ وكانت المرأة تمتعض وتهتاج لهذه التسمية فى أول الأمر ، وهى التى لا «سيد» لها ، ثم ما لبثت أن استراحت لها على مرور الزمن فقر هائجها وسكن ، حتى تعمدت ألا تدفع هذا القول بما يكذبه ، وهى المتيقنة بأن الجدل فى أمثال هذه الأمور غير مجد فى الواقع . فمن الذى يقف فى وجه التيار الجارف ؟ ومن الذى يمكنه أن يمنع ألسنة الناس الطويلة جداً الى حلوقها ؟ لا أحد على التحقيق

على أن المنزل لم يكن للعجوز والشاب فى الحقيقة ، وإنما هو لرجل ملاح يعمل فى النيل ويقضى فيه العام كله . ولا يهبط القرية إلا زمن التحاريق ، فاذا جاء ، بات فى سفينته ، فقد ألف الرجل النيل ، ونسى منزله على توالى السنين

وكان المسجد الذى يؤذن فيه الأعمى فى طرف القرية الشمالى ، ولكى يبلغه لابد له أن يجتاز الترعة وعليها جسر ضيق ، يجوزه البصر وهو راجف حذر ، فكيف بالأعمى ، ثم يدور بعد ذلك فى دروب وينعطف فى منعطفات ، ويجتاز بساتين من النخيل يكثر فيها الحسك والشوك ، وعلى الرغم من هذا كله ، فان الرجل كان يبلغ المسجد وكأنه البصر الحديد البصر ، فلا يضل ولا يتباطأ فى سيره ؛ ولا يعتمد على حائط ، ولا يستند الى جدار . وشد ما تعجب لذلك وتدهش ! على أنك متى سمعت القرويين وهم يقولون إن الرجل يبصر بقلبه ذهب عنك العجب كله

وإذا طلع الفجر على القرية ، وهى غارقة فى سبات عميق ، وكل شىء فيها ساكن هاجع ، فلا نأمة ولا حركة ، اللهم إلا سامقات النخيل وهى تترنح مع النسيم الوانى ، وسيقان الزرع وهى تتمايل مع الريح الرخاء ، طلع الأعمى الى سطح المسجد ، وانطلق يؤذن فى صوت حلو النبرات عذب الرنين ، ينفذ الى كل قلب ، ويهفو الى كل أذن ، ومن الذى يسمعه وهو يقول : « حى على الصلاة ! » فيتأخر بعد ذلك عن الصلاة ؟ لقد كان صوته ليناً شجياً يرن فى سكون الليل جميل اللحن عذب الرنين ، فيهب له القرويون من مضاجعهم ، ويخفون الى المسجد خاشعين صامتين

وكان الرجل محبوباً من أهل القرية جميعاً إلا النساء والأطفال . أما النساء فيكرهنه لأنه يزجرهن عن بئر المسجد ، ويمنعهن من ملء الجرار منها بقسوة وغلظة ، حتى ينقلب صوته الحنون عند محادثتهن الى صوت أجش خشن مرعب أحياناً : والقرية لا تستغنى عن ماء البئر خصوصاً زمن الفيضان عند ما يصبح الماء عكرا نصفه طين . وكم تغفلنه مرارا ، وهو الأعمى وهن النجل العيون ! على أن سمعه المرهف دائماً كان يغيظهن أشد الغيظ ! : فاذا أدلت إحداهن الدلو فى البئر وحركت « الجبيذ » (البكرة) ، وهو خشبى يحتاج للسقى بالزيت ليحبس صوته فى جوفه ، صر هذا ، فيمد الأعمى قامته ويقول بصوت جاف :

« مين ؟ »

فيتركن الدلو والجرار ويرحن يصلصلن بالحلى ، ويطرن على وجوههن هاربات ، وقد تقع إحداهن على وجهها ، فتخوض فيها الأخرى من فرط الرعب ، ويقمن وجلات مذعورات ضاحكات أيضاً ، على أن هذا لم ييئسهن من البئر اليأس كله . فهن يعلمن أنه يتروح بعد العشاء ، فاذا بصرن به خارجا من المسجد انطلقن الى البئر وهن راجفات أيضاً . فشد ما كانت تخيفهن عصاه الغليظة وإن كانت لم تصافح إحداهن حتى الآن .

ومن هنا نشأت العداوة بينه وبينهن واشتدت مع الزمن

أما الأطفال فكانوا كلما بصروا به على الجسر ، وهو فى طريقه الى منزله ، تقوده عصاه . وصدره الى الأمام ، وسمعه مرهف ، ورأسه مستو ، وقامته منتصبة ، وخطواته ثابتة متزنة جروا وراءه يسبونه ، وقد يحصبونه بالحصى أو يرمونه بالحجارة ، وهو صامت باسم لا يلتفت اليهم ولا يكلم أحدا منهم ، حتى يقرب من بيته ، وهنا يطلع عليهم كلب للجيران أسود ضخم يربض دائما على الجسر ، فينطلق وراءهم حتى يشردهم فى الدروب . وشد ما غاظ هذا الكلب الأطفال حتى تسمعهم يهمسون خوفا من أن يسمعهم الكلب « لولا هذا الكلب .. ابن الكلب .. لكان الأعمى ... » وإن كانوا يقررون بينهم وبين أنفسهم أنه قلما كانت تصيب الرجل حصاة واحدة من كل ما يرمونه من حصى وحجر

ولم يكن لهذه العداوة سبب ظاهر فى الحقيقة ، اللهم إلا الطبع الشرير الذى ينزع بالأطفال الى السوء ، ويحبب لهم أذى الضعفاء من الناس

* * *

تأخر الأعمى مرة فى المسجد حتى زحف الليل ، وتكاثف الظلام واشتد ، فسمع وهو راقد فى ركن من أركان المسجد صوت الدلو فى البئر ، فاستوى على قدميه ، ومشى على أطراف أصابعه كاتما أنفاسه ، وصدره يضطرب ، وجسمه كله يهتز ، حتى جاز صحن المسجد ، وتيامن الى البئر ، وقلبه واجف . وكان قد خفت صوت الدلو ، ووضح صوت « الجبيذ » فقال لنفسه ، لابد أن امرأة تجذب الدلو الآن وهى مشتغلة به فلا تسمع خطوات قادم ... ووقف برهة ثم صاح بصوت خشن :

« مين ؟ »

فاستدارت المرأة وحلقت فى الظلام . أواه . . . إنه سيد الأعمى على مدى ذراعين منها ، ورمت الدلو وأذهلها الموقف المرعب عن ابداء حركة ما ، فوقفت فاغرة فاها ، ثم أسعفتها غريزة الهرب بعد توان ، فولت هاربة . فسمع وقع أقدامها تجرى وراءها ، وسمعه إلى خطاها ، وجرت حتى جاوزت المسجد ، وبودها لو تصيح بأعلى صوتها ، ولكن من أين لها القوة على ذلك ؟ وكيف يطاوعها الصوت ؟ وعثرت قدمها بحجر فى الطريق فكبت على وجهها مذعورة ، وأنت عند ذلك أنة قوية ، فجرى

على الصوت وأهوى بيده العمياء ولمس كتفها ، وكان قد بلغ منه الجهد فوقف يلهث ويده ممسكة بكتفها ، ثم أنزل يده حتى قبض بعنف على رسغها ، وقامت المرأة متراجعة ، تود لو تفلت منه بكل ما تستطيع من قوة ، ولكنه ضغط على يدها بشدة ، وتحسس بيده الأخرى وجهها وقال فى صوت متزن :

« جميلة . . . ؟ »

« . . . . »

ووقفت المرأة صامتة تهتز وترتجف

« لم لا تنادينى لأملأ لك الجرة ؟ »

وقد رق صوته جداً ، فدهشت من تطور حاله وصمتت

« لماذا ؟ »

فشجعها صوته اللين وأجابت

« إنك لاتسمح لأحد بالدنو من البئر ... فكيف أناديك ؟ »

« ليس لواحدة أو اثنتين . . . وإنما عند ما يجئن بالعشرات فتقطعن الحبل ، وتغرقن الدلو ، وتهشمن خشب الجبيذ ... فى البلد أكثر من أربع آبار قريبة ، فلماذا تجئن الى هنا دائماً . . . ؟ »

« لأن هذه أعذبها ماء . . . »

« هذا الماء العذب كثيراً ما ينزح . . . »

« النيل فى فيضانه والماء كثير ... »

« أجل ... أ ... أ ... ولكن ... أملأت الجرة ؟ »

« نصفها . . »

« سأكملها لك »

وانقلب إلى البئر ، فمشت وراءه مطمئنة ، وأدلى الدلو وهو يحس بعض الاضطراب ، فأخذ يدير الجبيذ بسرعة ليملأ لها الجرة ويصرفها عنه ، ويبعدها عن وحدته وسكونه

وقال وهو يفرغ الدلو بصوت خافت لين الخارج :

« إذا جئت مرة أخرى ... نادينى لأملأها لك »

« كتر خيرك »

وساعدها على حمل الجرة ، وانطلقت بها الى بيتها ، ووقف ينصت إلى هزيم الريح القوية فى الحقل البعيد

* * *

وأخذت جميلة بعد هذه الليلة تتردد على البئر دون خوف أو وجل ، كانت تجىء فى كل يوم مرة ، عند مطلع الفجر أو بعد أذان العشاء ، لأن زوجها لا يسمح لها بالسير فى طريق القرية إلا بعد أن ينام الناس ، وتنقطع الرجل . . فهى فتاة فى رونق صباها رائعة الحسن غضة العود وزوجها يخشى عليها العين ! ولا يحب لها ملاقاة شبان القرية الذين يقفون على رأس الطريق فى ساعات معينة من النهار ! وكانت تقابل سيد الأعمى فى غالب الأوقات التى ترد فيها البئر ، وكثيراً ما أترع لها الجرة ، وأعانها على حملها ، أو ملأ لها الحوض الصغير الذى على يمين البئر لتغسل وجهها ورجليها قبل ذهابها الى بيتها ، وكانت تطوى كميها الى مرفقيها ، وتحسر شالها عن شعرها ، وترفع ثوبها الى ساقيها وهى منحنية على الحوض تغتسل . كانت تفعل ذلك ، دون خجل أو حياء لأن سيداً أعمى

واستراح سيد على مرور الأيام لحضرها حتى أصبح يشعر فى الأيام التى تتخلف فيها بالانقباض والوحشة . كان يحس ، من أعماق نفسه ، أن شيئاً ينقصه ، شيئاً يستريح معه ، وينشرح له صدره ، وتنتشى حواسه ، وتهدأ ثائرة أعصابه

وكانت جميلة تدفعها غريزتها أول الأمر إلى الخوف منه واتقاء شره كرجل ، بصرف النظر عن كونه أعمى ، ولكنها ما لبثت — بعد الانفراد معه مرة ومرات — أن استراحت واطمأنت ووثقت من عفته وخلقه ، حتى كانت تخرج معه إلى حد المداعبة ، كأن تخفى عكازته ، أو تخلع الدلو ، أو تقطع الحبل ، أو ترشه بالماء ، وكان يضحك لهذا حتى يرقص قلبه ، ويلوح لها بعصاه مهدداً

على أن هذا التآلف الذى أصبح بين سيد وجميلة ، لم يشجع غيرها من النساء على القرب من البئر ، لأنهن كن لا يعلمن بتغير حاله ، وإن علمن لا يصدقن ، ولم يكن هو يزجرهن عن البئر ، ويمنعهن من ملء الجرار منها ، لأنه كان يخاف على الماء فقط ، بل لأن شيئاً خفياً فى أعماق نفسه ، كان يدفعه إلى النفور منهن وابعادهن عن جوه ... دافع باطنى عجيب كان يخرجه عن هدوئه وسكونه ، عند ما يسمعهن يتحدثن على الماء أعذب حديث وأرقه ، كان يرجف له ويضطرب ، وهو الرجل وهن النساء ... شعور باطنى غريب كان يحمله على فعل ذلك ولم يستطع تحليله ولا تعليله ، وهو الجاهل الذى لم يذهب إلى المدرسة ولم يدرس علم النفس . لقد قضى الرجل حياته بعيداً عن جو المرأة فأخرجها عن دائرة تفكيره ، بعد أن خرجت عن دائرة وجوده ، ولم يعد يفكر فيها مطلقاً ... لم يعد يفكر فيها ، ولا يحن إلى لقياها ، ولا يستريح لرفقتها



البريد الأدبي

وكان يتضايق حتى من وجود أم سيد معه فى منزل واحد .... وإن كان ينام بعيداً عنها ، ولا يلاقيها إلا نادراً – غالباً فى الأوقات التى كان يرجع فيها الى البيت مبكراً ليتعشى – فكان يتذمر ويضطرب لمحضرها ، وإن كان بعدها أمّاً . كان يرجف لوجودها معه ، ويحس بروحه تثور ، لأنه ما كان يحب أن يتصورها جالسة أمامه ترقبه وهو يمضغ الطعام ، ويقطع الخبز بأسنانه ، وكان لا يعود لهدوئه وسكونه إلا بعد أن يتنفس الصعداء فى قاعته

ولما اعترضت جيلة طريقه أول مرة ، كان يحمل معه عصاه ليضربها ؛ ولكنه لما سمع صوتها عن قرب ، ووقف عند رأسها ، وأمسك بيده رسغها ، وصافحته أنفاسها ، تراجع . وأيقن أنه أمام مخلوق لا يستحق الضرب :

وأخذ بعد ذلك يترقب حضورها ، ويتأخر فى المسجد عامداً ليعينها على حمل الجرة ، ويملأ أذنيه من صوتها

(لها بقية) محمود البدوى

المؤتمر الدولى لنادى القلم

يعقد المؤتمر الدولى الرابع عشر لنوادى القلم فى مدينة بوينوس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية (أمريكا الجنوبية) فى شهر سبتمبر القادم ، وتستمر دورة الانعقاد عشرة أيام من ٣ سبتمبر الى ١٣ منه . وقد اتخذ نادى القلم الأرجنتينى استعدادات عظيمة لعقد هذا المؤتمر ، وسعى جهده لجمع أكبر عدد ممكن من مندوبى النوادى المختلفة فى عاصمة الأرجنتين ولم يبخل فى سبيل هذه الغاية بانفاق آلاف الجنيهات لتسهيل سفر المندوبين من بلادهم النائية الى أمريكا الجنوبية واضافتهم مدة انعقاد المؤتمر ؛ وقد استأجر لهذه الغاية باخرة خاصة تقوم من مياه البحر الأبيض بجميع المندوبين الرسميين فى أوائل شهر أغسطس القادم ، ثم تعيدهم الى نفس المياه فى أوائل شهر أكتوبر ومنها يتفرقون عائدين إلى بلادهم

وسيشهد نادى القلم المصرى هذا المؤتمر الكبير ؛ وقد اختار لتمثيله أحد أعضائه الدكتور محمد عوض الأستاذ بالجامعة المصرية وقد سبق أن مثل حضرته نادى القلم المصرى فى مؤتمر القلم الذى انعقد فى مدينة ادنبورج باسكوسيا فى صيف سنة ١٩٣٤

وسيعنى المؤتمر ببحث جميع المسائل المتعلقة بالأدب والكتابة وحقوق التأليف وحرية القلم ومسائل النشر وما إليها ؛ وتلقى فيه عدا ذلك عدة مباحث عالية من بعض المندوبين . وسيلقى مندوب مصر ما يناسب المقام

وهذه بعض المسائل المعينة التى سيعنى ببحثها المؤتمر :

(١) مهمة الكاتب فى المجتمع ، وما يستطيع نادى القلم أن يفعل فى ذلك السبيل (٢) نشر المؤلفات الأدبية وتبادلها بين مختلف البلدان ، ومسألة التراجم ، والعلاقة بين المؤلفين والمترجين ، والعلاقة بين المؤلفين والناشرين فى الداخل والخارج (٣) مسألة إعانة الكتاب المعسرين

ومسائل كثيرة أخرى تهم الأدب والكتاب

تطور الفكرة التاريخية اليهودية

نشطت الخصومة السامية ، أعنى حركة العداء ضد اليهود فى الأعوام الأخيرة نشاطا ظاهرا وذلك لأسباب سياسية واجتماعية كثيرة لا محل لشرحها هنا . وقد أثارت هذه الحركة من جانبها نشاطا كبيرا فى التفكير اليهودى والآداب اليهودية ؛ ومما يلاحظ بنوع خاص أنه قد صدرت فى الأعوام الأخيرة عدة كتب جديدة عن تاريخ اليهود أشرنا الى بعضها فى فرص سابقة ، وقد صدرت أخيرا ترجمة فرنسية لمختصر تاريخ اليهود الذى ألفه المؤرخ اليهودى الشهير سيمون دوبنوف بالروسية ؛ وهذا التاريخ فى الأصل ضخم جدا ، ويقع فى عشرة أجزاء كبيرة ، ويعتبر من أمهات التواريخ اليهودية التى صدرت فى العهد الأخير ؛ وقد وضع سيمون دوبنوف لمؤلفه مختصرا فى مجلد واحد هو الذى ترجم أخيرا إلى الفرنسية تحت عنوان « مختصر التاريخ اليهودى منذ

نشأته حتى سنة ١٩٣٤ » Précis d'histore jinre des origines à 1943

وأهمية هذا المؤلف الجديد وما تقدمه فى الأعوام الأخيرة عن تاريخ اليهودية ترجع الى تحول النظرية التاريخية اليهودية ، فقد كانت هذه النظرية تقوم من قبل على أسس دينية وبنوه فيها دائما بما للشعب الاسرائيلى من مركز دينى ممتاز ، وبما تذهب اليه التقاليد اليهودية القديمة من أن اسرائيل هو الوسيط بين الله والناس ، وأنه الشعب المختار ، الى غير ذلك من المزاعم الدينية القديمة ؛ أما هذه الكتب اليهودية الجديدة فقد كتبت من الناحية القومية ، ولوحظ فيها أن اليهودية هى جامعة قومية لا دينية ؛ ويرجع ذلك كما قدمنا الى انتعاش الفكرة القومية اليهودية إزاء اشتداد الخصومة السامية ، وما تلاقيه الصهيونية من المتاعب والمحن

وكتاب دوبنوف برغم ايجازه قوى واضح ، وقد ألم إلماما مدهشا بمواقف التاريخ اليهودى فى مدى ألفى عام

موسم سالزبورج الموسيقى

يقام فى سالزبورج بالنمسا فى كل صيف موسم فنى عالمى للتمثيل والموسيقى . ومواسم سالزبورج شهيرة منذ أعوام طويلة ؛ وسالزبورج هى موطن موتسارت ، وما زالت بها أكاديمية موسيقية تحمل اسم الموسيقى العظيم . وسيكون موسم هذا الصيف الذى يعقد ما بين ٢٥ يوليـة و ٣١ أغسطس من أبدع وأروع المواسم المسرحية والموسيقية التى عرفها العالم فى الأعوام الأخيرة . ويكفى أن تعلم أن المشرف على تنظيم برامج هذا الموسم هو أعظم الفنانين والموسيقيين المعاصرين : ماكس رينهارت ، وارتورو توسكانينى ، وبرونو ڤالتر ، وفيلكس فون ڤاينجارتنر . وسيشمل البرنامج المسرحى تمثيل عدة من القطع العالميــة الخالدة مثل « فيجارو » وموسيقاها لموتسارت . و « فيديليو » وموسيقاها لبيتهوفن و « أقطاب الغناء فى نورمبرج » لڤاجنر ؛ و « تريستان وازولدا » وموســيقاها له أيضاً و « اريفوس وازولدا » وموسيقاها لجلوك . و « فالستاف » وموسيقا لفردى . وسيقود الفرق الموسيقية توسكانينى وڤالتر وڤاينجارتنر . ويشمل البرنامج الموسيقى عدة حفلات موسيقية بديعة لموتسارت وبيتهوفن ولزث وشوبرت وباخ وستقام فى نفس الوقت حفلات موسيقية دينية فى الكاتدرائية الكبرى

وتغص سالزبورج فى مثل هذا الفصل بالوافدين عليها من جميع أنحاء العالم . ولكن الأنباء الأخيرة تدل على أن احتشاد الوافدين فى هذا الفصل قد بلغ حداً لم تعرفه سالزبورج من أعوام بعيدة

عضو جديد فى الأكاديمية الفرنسية

من أنباء باريس الأخـــيرة أن الأكاديمية الفرنسية قد استقبلت عضوا جديدا هو لوى چيليه ، وقد انتخب فى الكرسى الذى خلا بوفاة الكاتب الشهير البير بينار ، وترجم ســلفه فى اجتماع حافل من أعضاء الأكاديمية طبقا للتقاليد المتادة . والعضو الجديد من طراز خاص من المفكرين يندر أن يوجد بين أعضاء الأكاديمية ، ذلك أن لوى چيليه رجل فن وناقد فنى فقط ، وهو منذ أعوام طويلة مدير لأحد المتاحف البارزية . وقد اشتهر فى العهد الأخير بعدة مؤلفات قيمة عن الفن وتاريخه منها « تاريخ التصوير فى أوربا فى القرن السابع عشر » Peinture en Europe au XVII e Siécle و « تاريخ الفنون فى فرنسا » Hist, dés Arts en France وغيرها ، وهو من أشهر النقـدة الفنيين فى نوعه ينقد الصور والتماثيل الحديثة ، ويكتب عن معارض الفنون رسائل قيمة

جوائز أدبية

منحت جمعية النقدة الفرنسيين المؤلفة من جماعة من أعظم الكتاب والنقدة « جائزة النقد » السنوية الى كاتبين كبيرين هما مسيو رنيه دومزنل ، ومسيو مارسـل تيبو ؛ ولـكل منهما فى النقد مواقف مشهورة ؛ وقد امتاز مسيو دومزنل بنوع خاص بدراساته لبعض أكابر كتاب الجيل المنصرم مثل موباسان وهيسمان وفلوبير . ومما يؤثر عنه أنه كان طبيباً بالمهنة فاستهواه النقد وتدرج فيه حتى اعتزل الطب ؛ وأما مارسـل تيبو فهو المحرر النقدى « لمجلة باريس » الشهيرة

ومنحت جائزة الأدب الشعبى الى ترستان ريمى ، وهو من كتاب « الصعاليك » والعوالم السفلى ، وقد اشتهر بقصته « حى سان انتوان » وله عدة قصص أخرى تدور حول حياة الطبقات الدنيا فى باريس

الاقتصاد وسبيل تحقيق السلام

يعانى العالم أزمات سياسية واقتصادية لا نهاية لها ؛ وتكاد النظم الاقتصادية فى بعض الأمم العظيمة تنهار ؛ وترى أمم عظيمة أخرى أن الحرب ربما كانت أفضل الوسائل للخروج من أزماتها ومتاعبها ؛ ويكد معظم الحكومات والساسة للخروج من هذه المآزق ، وقد نشر أخيراً أحد الكتاب الانكليز كتاباً طريفاً يدلى فيه برأى غريب لانقاذ الأمم من أزماتها ؛ وعنوان هذا الكتاب هو « فى وسع الأمم أن تعيش فى أرضها » Nations con liue at Home ومؤلفه هو المستر ولكوكس Willcox وهو عالم فى الاقتصاد الزراعى ، ويحاول المؤلف أن يرد فى كتابه على السؤال الآتى : « ما هو أكبر عدد يمكن أن يعيش من منتجات فدان أو ميل مربع من الأرض الصالحة ؟ » ويرى مستر ولكوكس أن الجواب على هذا السؤال تتوقف عليه نتائج اقتصادية وسياسية خطيرة ؛ وهذا هو ملخص رأيه :

« إن أنجع الوسائل لتحقيق السلام الدولى ، وتقليل خطر الحرب إن لم يكن إلغاؤها ، هو تحسين الانتاج الزراعى إلى حد يمكن الأمم من أن تعيش فى أرضها ، ويبعد عنها خطر الجوع أو الحرمان ، وأن تستغنى إذا اقتضى الحال عن الموارد الأجنبية وما يلزم للرفاهة والحياة الناعمة »

ولقد تنبأ العالم الاقتصادى ملتوس منذ أكثر من قرن بما سيعانى العالم من وفرة السكان ونادى بنظرية ضبط النسل ؛ ولكن العالم فى أنحاء كثيرة لم يصل فى وفرة السكان إلى الحد الذى يدعو إلى القلق . بيد أن هناك أمماً قد وصلت فى ذلك إلى حد مزعج مثل ألمانيا واليابان وإيطاليا ، ويرى مستر ولكوكس أن تقدم الانتاج الزراعى هو خير علاج لهذه الأزمة

والكتاب علمى فى أسلوبه ومناحيه ، ولكنه واضح بعيد عن ذلك التعقيد الفنى الذى يذهب بكثير من قيمة الشروح والبيانات القيمة

الى الأستاذ محمد عبد الله عنان

لما استطردتم فى مقالكم القيم عن (البارون فون أوفنباخ) فى الرسالة ١٤١ إلى ذكر الماسونية وقلتم (إن لها أغراضاً خفية غير الأغراض الانسانية التى تتظاهر بها ، وإنها تعمل لغاية ثورية شاملة هى سحق الأديان والمعتقدات القائمة كلها ، وادماج الانسانية كلها فى نوع من التفكير الحر المطلق والمساواة الاجتماعية المطلقة) قرت عيون جمهرة القراء عندنا وعدوها لكم منقبة ، وباتوا يرقبون عودة منكم إلى هذا الموضوع ، لأن الناس لا يشكون من شىء عندنا ما يشكون من الماسونية . ولا يرون ظلما ولا إلحاداً ولا رذيلة إلا وللماسونية صلة به ، ذلك أن الماسونية عندنا ليست — على الأكثر — إلا شركات نفعية مؤلفة من أشخاص ليس لهم مبدأ معروف ، ولا غاية نبيلة ، ولكن مبدأهم ومنتهاهم جلب النفع لأنفسهم ودرء الضرر عنها ، ولو كان فى ذلك ضرر المجتمع ، وذهاب الفضيلة وهدم الدين ؛ يتعاونون على الخير والشر ، ويتناصرون على الحق والباطل ، ويدوسون كل المقدسات فى طريقهم الى منفعتهم ، فيدافع القاضى عن المجرم ، ويتنكب سبيل العدل ، ويخون المعلم منهم فى الامتحان ، فينجح المقصر ، ويسقط المجتهد ؛ وإذا خلت وظيفة لم يعين العالم الكفء القدير ، ولكن يعين لها من له صلة بالماسونية التى يعتنقها من بيدهم أمر تعيينه ، ولو كان جاهلاً ، ولو كانت وظيفة رئيس المفتشين فى وزارة المعارف ، أو عضو الاستئناف فى وزارة الحقانية ، أوغير ذلك . . .

فهل هذه هى الماسونية ؟ وهل يتفضل سيدى الأستاذ فيجلو لنا غامضها ، ويكشف لنا خفيها ، فيبين منشأها وأصلها ومبادئها ، ويذكر لنا ما هى قيمتها اليوم فى أوربا وفى بلدان الشرق الأدنى ، وما هى علاقتها بالدين والوطنية فى فصل تخطه براعته البليغة ؟

(دمشق) (ع)

ديوان حافظ ابراهيم

قررت وزارة المعارف العمومية طبع ديوان الشاعر الخالد حافظ بك ابراهيم . وقد ندب معالى الوزير لهذا العمل الخطير صديقنا الأستاذ أحمد أمين ، فكلفه أن يجمع أشعاره ثم يرتبها ويبوبها ويصححها ويشرحها ويقدم لها ويعلق عليها

وهذه مأثرة جليلة لوزارة المعارف نرجو أن يساعدها على إتمامها كل من عنده أثر من آثار الشاعر العظيم مما لم ينشر فى صحيفة أو يطبع فى ديوان فيرسل صورة إلى الأستاذ الشارح خدمة للأدب وبراً بالأديب



آثار مصر القديمة منذ ٦٥٠ سنة

ألف الأديب الرحالة المصرى ابن فضـل الله العمرى كتابه الموسوعى العظيم (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) منذ خمسين وستمائة سنة (هـ) فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وظل الكتاب مخبوءاً فى زوايا الاهمال حتى أتيح بعثه على يد فقيد العروبة العامل الأستاذ أحمد زكى باشا سنة ١٩٢٤ ، والكتاب ذخيرة ثمينة حقاً ، وهو لا يقل فى قيمته عن الموسوعات المصرية الثلاث الأخرى (صبح الأعشى ، ونهاية الأرب ، ولسان العرب)

ولعل أظرف فصل عقده المؤلف فى كتابه (حـ ١) هو ذلك الفصل الذى يتكلم فيه عن آثار مصر القديمة ، وما كان الناس يفترضونه من تاريخها ، وما يعللون به تشييد تلك المبانى الضخمة والهياكل العتيدة !

وقد وصف ابن فضل الله أهرام الجيزة فقال : « . . وهى أشكال لهبية ، كأن كل هرم لهبة سراج ، آخذة فى أسافلها على التربيع مسلوبة فى عمود الهواء ، آخذة فى الجو حتى إلى التثليث ، لولا استدارة أبلوج السكر (قمع السكر !) لشبهناها به ، ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمناسبة اقتضته . . » وذكر قبل ذلك سبب بنائها قال : « قيـل إنها هياكل للكواكب ، وقيل قبور ومستودع مال وكتب ، وقيل ملجأ من الطوفان ، وهو أبعـد ما قيل فيها ! » ثم يعلل أنها لم تكن ملجأ للطوفان بأنه شاهد بعض الأهرام فى مصر العليا مبنية من اللبن ! وبعد أن يذكر بعض أقوال الشعراء فى صفتها ينتقل إلى أبى الهول فيقول : « . . . وهو اسم لصنم يقارب الهرم الكبير ، وفى وهـدة منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب . لا يبين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعنقـه ، أشبه شىء برأس راهب حبشى ، عليه غفـارية ؛ على وجهه صباغ أحمر إلى حُـوّة ، لم يحـل على طول الأزمان وقديم الآباد ، وهو كبير ، لو كان شاخصاً كله لمـا قصر عن عشرين ذراعاً طوله فى غاية مناسبة التخطيط ! ! يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزدرع . . . »

ويسمى ابن فضـل الله سلسلتى جبال العرب وليبيا (حائط العجوز !!) « وهو حائط يستدير بالديار المصرية ممتداً على جانب المزدرع بها كأنه جعـل حاجزاً بين الرمل والمزدرع . . . » ويقول . . . « إنه من بناء امرأة اسمها دلوك . . . »

ومع هذا لا يرى ابن فضل الله أن يتورط فى ذكر الخرافات التى تقال فى سبب بناء دلوك لهذا الحائط فيقول : « ويذكر فى تلك الكتب — بسبب بناء العجوز له — خرافة لسنا نرضى ذكرها ! ! »

ويسمى المؤلف تمثالى ممنون بالقرب من وادى الملوك (شامة وطامة ! !) ثم يصـف البرابى فيبدع إبداعاً تاماً ، وينتقل إلى الاسكندرية فيصف عمود السوارى ، والمنارة ، والملعب الكبير وصفاً يدل على ذوقه الفنى الدقيق ! !

فلوبير وحديقة الكرمب

يعتبر جوستاف فلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) الوارث الأكبر للمدرسة الابتداعية فى الأدب الفرنسى عامة ، والوارث لبلزاك خاصة ، وإن يكن هو من الكتاب الريالست ، وإن يكن أيضاً يمتاز من بلزاك بطلاوة أسـلوبه ونقاء عبارته وإشراق ديباجته ، وعدم إسفافه . . . وهى مزايا لم يكن بلزاك يعرف شيئاً منها

ويشبه فلوبير فى شدة عنايته بأسلوبه شاعرنا الجاهلى زهير ابن أبى سلمى المعروف بصاحب الحوليات . فلقد كان فلوبير يأرق الليالى الطوال من أجل لفظة واحدة ؛ حتى إذا فاز بها ، ثم مضى زمن يسير ، رجع فحذفها من مقاله أو من كتابه ، وقد يكون ذلك وقت الطبع ، ومن هنا هذه الموسـيقى الحلوة التى اشتهرت بها كتبه لاسيما فى (مدام بوفارى) و (سانت أنطونى وسلامبو)

وقد بلغ من شدة شغف فلوبير بتقرير الواقع فى قصصه أنه كان يجشم نفسه المشاق والأهوال ليصف منظراً عارضاً فى زاوية منسية من زوايا هذه القصص . من ذلك أنه أراد وصف مزرعة كرمب فى ليلة مقمرة مقرورة . . . فترك القصة بحذافيرها ، وانتظر حتى كان موسم الكرمب ، ثم رحل إلى ضاحية اشتهرت بنوع جيد من هذا المحصول ، وثمة تلبَّث حتى آذنت الليالى المقمرة ... ولكن صاحبه البدر طفق يتدلل ويتستر وراء السحب القاتمة.. وكان الشتاء القارس يعذبه ببرده ولياليه الطوال ، وكان فلوبير ما يبرح واقفاً وسط المزرعة بقلمه وقرطاسه ، منتظراً إشراقة واحدة من حبيبه القمر ليصف فيها منظر أشعته الفضية على أوراق الكرمب

ونال أمنيته بعد أن نال منه القمر كل أمانيه ! !

روبرت أوين والعمال

تنتقل مصر رويدا رويدا من الطور الزراعى الذى لا يتفق ومدنية هذا العصر إلى الطور الصناعى ... طور المدنية والقوة والسيادة . وقد رأت انجلترا مثل هذا الانتقال ، ورأت فيه جملة ثورات اجتماعية كانت الاشتراكية أهمها جميعاً . والاشتراكية تعنى سعادة البشر ومكافحة الفقر ، ومن هنا انضواء غالبية المفكرين تحت لوائها وسهرهم على تعميمها فى كل مناحى الحياة حتى فى دور العلم ! ويعتبر روبرت أوين (١٧٧١ — ١٨٥٨) خالق الاشتراكية وواضع مبادئها بالعلم والعمل ، بل هو الذى استحدث هذه الكلمة Socialism فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٣٥) . ومن العجيب أنه كان من أكبر غزالى القطن فى منشستر ، وله جملة ابتكارات فى صناعة الغزل تعتبر أسُساً لتقدمها

وكان أوين يحب الاختلاط بالعمال ، ودأب من كثب على دراسة أحوالهم ومعايشهم ، وكان يروعه فقرهم وقذارتهم وعدم قيام رواتبهم الضئيلة بحوائجهم ، فنذر ، إذا واتاه الحظ ، أن يحدث فى حياتهم ثورة تطفر بهم إلى السعادة ... وقد حققت الأيام مطامحه فأصبح من أغنياء منشستر ، وذكر نذره فأنشأ مصانعه المظيمة فى نيولانارك New Lanark على أحدث النظم وعلى أحسن القواعد الصحية ، وكان أهم ما عمله لترقية العمال تحسين أجورهم وتقليل ساعات العمل (وكانت ١٢ ساعة فخفضها إلى عشر ، ثم إلى ثمان) ، وأنشأ لهم مساكن صحية ، وحرّم العمل على صغار الأطفال (أقل من عشر سنوات) ، وضمن التعليم الابتدائى بالمجان لأبنائهم ، وأنشأ لعماله مستشفى بجوار المصنع جلب اليه أمهر الأطباء وأحدث الآلات الطبية ، ووضع للطاعنين فى السن منهم نظاماً يكفل لهم شيخوخة سعيدة

ولم يكتف أون باستحداث هذه النظم لرفاهية العمال فى مصانعه فقط ؛ بل عمل على تعميمها فى المصانع الأخرى ... ولذلك ثار فى وجهه أصحاب هذه المصانع ، وكان أكثرهم من اليهود ، ممن لا هم لهم إلا امتصاص دماء الانسانية وصهرها ثم تحويلها إلى ذهب ! ولكن أون العظيم صمد لهم ، وما زال بالشعب وبالعمال وبالحكومة حتى انتصرت مبادئه ، وأصبح العامل الانجليزى مدى قرن من الزمان أسعد ألف مرة من اخوانه فى جميع الآفاق

ولم يكن أون صاحب مصانع فحسب ، بل كان كاتباً وخطيباً مفوهاً ، ولذا كانت خطبه تسحر العمال وتبعث فيهم الشعور بالكرامة وتشيع فى أعطافهم الكبرياء

اليوجنيه الحديثة New Eugenics

اليوجنيه أو علم تحسين النسل هو علم حديث يرجع إلى سنة ١٨٨٥ فقط ، وموجده هو السير فرنسس جالتون المتوفى سنة ١٩١١ . وقد أوصى عند موته أن يرصد جزء كبير من دخله لانشاء كرسى لهذا العلم فى جامعة لندن ؛ وقد اشتغل السير جالتون كثيراً بعلوم الأحياء قبل أن يلتفت إلى هذا العلم . ومن رأيه قصر التناسل على الفتاة العاقلة القوية ذات الفضائل من الناس لايجاد جيل راق يقود البشرية مرحلة كبيرة إلى السوبرمان ؛ وقد سمى هذه العملية من برنامجه positive eugenics ومن رأيه كذلك حرمان البلهاء والمرضى والمجرمين وأهل الرذائل من التناسل حتى لا يؤخروا موكب الانسانية عن التقدم والرقى ويسمى هذه العملية negative eugenics

وسير جالتون يعنى عناية كبيرة بمذهب السلوكيين فى السيكلوجية الحديثة ، بل هو قد اتخذ من مباحثهم الطريقة نبراساً له فى وضع الدعائم لهذا العلم الجديد

د . خ



البراجماتزم

للأســتاذ يعقوب فام

أصدرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

بقلم الأديب ت. الطويل

يقول الأستاذ الجليل أحمد أمين فى المقدمة التى مهد بها لقصة الفلسفة اليونانية : « لا بد للأديب الحق من وقوف تام على علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال وبالجملة على فروع الفلسفة ، فذلك يجعل نتاجه أقوم ، وتفكيره أعمق ، وأفقه أوسع ، ومنابع تفكيره أغزر ، ويحمله على أن يفلسف الأدب ؛ ولا يتسنى ذلك إلا إذا أدَّبْنا له الفلسفة »

وقد أدب الأستاذ وزميله الفلسفة اليونانية فأحسنا تأديبها ، والتزما فى عرضها مسلك الأديب فى الكشف عن خواطره فى أسلوب يجمع بين السلاسة والرصانة . واستفرغا الوسع فى العمل على رفعة القارئ إلى مستوى الكاتب . . . ثم أخرج الأستاذ يعقوب فام كتابه فى « البراجماتزم » وسلك فيه مسلك العلماء فى تبيان خواطرهم وعرض آرائهم . وتبسيط المعقد من أفكارهم . لم يقف حيث هو فى ذروته ويمد يده الى القراء ليرفعهم اليه ويعلو بهم الى مستواه . بل هبط اليهم وتبسط معهم وأخذ يتألفهم ويترضاهم فى إسراف — قد يدعو الى الملل أحياناً — رغبة منه فى اكتساب مرضاتهم عنه حتى يقبلوا اصطحابه إلى حيث يعيش . . فأنت تقرأ الكتاب فلا تحس وأنت ماض بين صفحاته إلا أن الاستاذ يعقوب مدرس يلقى على تلامذته الصغار درساً فى الفلسفة ، فهو مشفق عليهم من وعورة مسالكها وظلمة سراديبها ورحابة آفاقها ، يعرضها عليهم فكرة بعد فكرة فى تفصيل وإطناب ، ولا يترك رأياً إلا دار حوله بعد الاسهاب فى شرحه متوهماً أن بعض التلاميذ لا يزالون يعالجون الفهم فيستعصى عليهم ، ولكنه يعود فيتذكر أنه يكتب كتاباً ستتناوله أيدى فئات من القراء تتفاوت فى المدارك قوة وضعفاً ، فيعتذر لقارئه عن الاطالة ويستأذنه فى المضى الى طريقه ؛ ويعود سيرته الأولى موضحاً رأيه بأسلوب يمتاز بالسهولة والبساطة وإن لازمته الركاكة ، ويسوق لتلامذته الأمثلة المستمدة من حياتهم اليومية ، حتى إذا فرغ من شرحه عاد فلخص ما أسلف فيه القول ، ولم يبق عليه بعد هذا إلا أن يضع لهم طائفة من الأسئلة يتناول بها آفاق الموضوع شأنه فى ذلك شأن المدرسين الذين يضعون لتلامذتهم مصنفات تتناول برامج الدراسة المقررة . . . !

والأستاذ أحمد أمين أديب عالم ، ولكنه قد سلك مسلك الأدباء فى الكتاب الذى صنفه بالاشتراك مع زميله الأستاذ زكى نجيب مؤثراً هذه الطريقة مقتنعاً بها راضياً عنها . وكذلك قل فى الأستاذ يعقوب وإيثاره للطريقة التى أسلفنا الاشارة اليها الآن ؛ وأكبر الظن عندى أنه لا يستطيع غيرها إن لم يكن مقتنعاً بها . وأنه غير نادم على عجزه عن « تأديب » الفلسفة . لأنه لا يحترم الأدب ولا يكبر أهله . فالأديب رجل مُخَرِّف لا تعنيه إلا زخرفة اللفظ وبهرجة الأسلوب اللغوى ..! فان كان القارئ قد تملكه العجب لهذا التعبير فليسمع نصَّ ما يقوله الأستاذ يعقوب فام ص ٧٢ :

« هل العقل الانسانى مرآة فقط ليس لها من عمل سوى أن تعكس الحقائق الخارجية دون تصرف أو تدخل من ناحية ؟ أم هو كالفنان الذى يتناول قطعة الحجر ويصنع منها تمثالاً جميلاً منظماً متناسباً ؟ أم هو لا هذا ولا ذاك وإنما يشبه الأديب الذى يخلق الأشخاص والحوادث والبيئة المحيطة بهذين خلقاً من العدم ؟ (العفو !) على الاجابة عن هذا السؤال يتوقف الشيء الكثير . فلو قلنا إن العقل كالمرآة كنا من أتباع فلسفة الواقعيين ؛ وإن قلنا إن العقل كالأديب يخلق الكون خلقاً ، وإن الأشياء لا وجود لها فى

ذاتها وانما وجودها يتوقف على العقل وحـده كنا من أتباع الفكريين Ideabsts الذين يزعمون أن الحقيقة هى عقل أو فكر وأن المـادة شيء وهمى لا وجود له . وأما إن قلنا إن العقـل يكيف الحقائق الخارجية Facts of Experiences كما أن ..... الخ »

هذه هى نظرة الأستاذ الى الأدب وأهله . ولست أعرف فى الأدب مـذهباً يتيح لصاحبه أن يخلق من العـدم أشخاصه وحوادثه وبيئته — ان كان فى وسعه أن يفعل ذلك — والغريب أن يفرق الأستاذ الـكريم بين الأدب والفن هذه التفرقة العجيبة التى لم أسمع بها على هـذا النحو من قبل اليوم . ثم كيف يخلق الانسان من العدم بيئة تعج بالحوادث والأشخاص ؟ أبالخيال ؟ إن عجبك ليشتد وينمو حتى يملأ شعاب نفسك حين ترى الأستاذ يقول ص ٨٣ ما نصه :

« هذا الشعور الخفى بالحق (عند المتصوفة) يقابل الخيال عند الرجل العادى . فالخيـال ينتج من التفاعل بين مجموعـة الاختبارات التى جازها الفرد فى حياته اليومية ، ومن نشاطه بين أفراد نوعه ، ومن الغرائز الموروثة . هذا التفاعل بين الاختبارات والدوافع الموروثة عنـد الفرد هو الذى ينتج الخيال . ومع أن النتيجة قد تكون واحدة إلا أن الفرق بين التصوف والخيال واضح ، فالأخير مبنى على العقل والاختبار ، والأول مبنى على القوى الخارقة للطبيعة التى تلقى بالمعارف الى الانسان إلقاء . الخيال إنمـا هو قفزة يقفزها الانسان إلى الامام ، والتصوف هو الاستسلام للاتصال الخفى بين الفرد وعالم الأرواح ، أو الفرق بين الرجل العادى ذى الخيال الخصب ، والرجل الصوفى هوهذا : الأول منهما متصل بالحياة وبالاختبار وبنشاط الجسد من مشاهدة وحس بأنواعه ... »

هذا هو الخيال عنـد الرجل العادى كما يفهمه الأستاذ يعقوب ، أما الخيال عند الأديب كما قال ، فهو توهم ما لا وجود له ، وتصوير مالم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يدركه حس ؛ هو نوع من الرجم بالغيب والحدس باللامعلوم ! لا تقل إن الأديب فى عرف الأستاذ رجل مجنون ، فان المجنون لا يفعل فى تصرفاته أكثر من أن يسـتعيد صورا ذهنية عن مدركات حسية فى شكل مبالغ فيه الى حد يتجاوز حدود العقل ويتخطى نطاق العرف . فالمجنون أقرب الى الحياة من الأديب فى رأى الأستاذ ..! ولهذا ارتقى الى ذهنى الظن بأن الأستاذ غير نادم على أنه لم يكن أديباً .. كما أشرت الى هذا قبلاً

وأكبر الظن أن الأستاذ يعقوب قد اختلط عليـه معنى الـIdealists فى الفلسفةومعناها فى الأدب . ففى الفلسفة يراد باللفظة « التصوريون » — وأنا أوثر هذه الترجمة على « الفكريين » التى يستعملها الأستاذ حتى لايختلط معناها بالعقليين Rationalists — وهم الذين يظنون أن الحقيقة فكر ، وأن المـادة لا وجود لها ، كما أبان الأستاذ ، ثم يراد بلفظة الـIdealists فى الأدب « المثاليين » ، وهم الذين ينزعون الى تصوير المثل العليا ، والتحدث الى الناس عما ينبغى أن يكون . فهى فى الفلسفة مشـتقة من Idea أى فكرة أو صورة ذهنية . وهى فى الأدب مشتقة من Ideal أى مثل أعلى . والأديب المثالى لا يخلق من العدم شيئاً ، وإنما يدرس «الـكائن» فى هـذه الدنيا فلا يعجبه ولا يروقه فيَحِنّ الى كمال يعوّض هذا النقص ، ويصور المثل الأعلى الذى يحقق ما ينبغى أن يكون . وهو فى تصوره إنمـا يعتمد على المدركات الحسية فى أرحب معانيها ، وخياله لا يؤلف له الصور الحبيبة الى النفس إلا بالاعتماد على ما يعرفه من مدركات الحس . فان كان للمذهب التصورى وجاهته فى الفلسفة فهو بمعناه الفلسفى هراء فى عرف الأدب وأهله

على أن هذا الـكلام لايراد به الطعن فى الطريقة التى سلـكها الأستاذ يعقوب . فان تأليف كتاب يتناول هذه الآفاق الرحيبة فى الفلسفة وعلاجها على هـذا النحو البسيط السهل الميسور لـكل قارىء لمقدرة ومهارة تستحقان كل ثناء وإعجاب . فان كنت فى شك من هذا فقارن ما كتبه الأستاذ بما يكتبه أغلب الذين ينقلون الى الجمهور نظريات علم النفس ، ترَ العجز البيّن عن تمصير ما يكتبون حتى فى نقل الأمثلة التى قرأوها فى المراجع الأجنبية . . . ! أما الأستاذ يعقوب فهو يحـدثك عن أحدث مذاهب الفلسفة وأقدمها فتُحِسّ وكأن أصحابها مصريون يحسن فهمهم ويجيد تقـــديرهم ولا تجد بينك وبينهم هوة فى فكر أو روح . . !

وقد انتهى الأستاذ إلى هذا التوفيق بعد جهد كان أبرز آياته الاتئاد عندكل فكرة والاطناب فى شرحها حتى يطمئن على سهولة فهمها ويسر إدراكها . على أن هذا الاتئاد وإن لازمه فى « شرح »

الـكتاب منذ بدايته حتى نهايته ، فان فى بعض الفصول التى أضافها الأستاذ توضيحاً للمذاهب أو تمهيداً لذ كرها أحكاماً يشوبها الضعف أو نقصاً فى استيفاء الموضوع . أو هكذا يخيل إلىّ . . . فتراه يكتب فصلاً يدلل فيه على أن الناس خاصتهم وعامتهم يتفلسفون وإن أنكر بعضهم أنه يتفلسف ..! ذلك لأنهم يعيشون فى الدنيا ويضربون فى زحمتها متأثرين بآراء قد تولت الفلسفة البحث فيها وانتهت منها إلى نظريات ومذاهب قد يعرفها طغام الناس . وهـذا رأى غريب ، لأن الفلسفة ليست « عناوين » من عرفها كان من حقه أن يكون فيلسوفاً ، وإنما هى « بحث » يتناول الآفاق المجهولة فى رحاب الحياة ، هى « بحث » مجهول للناس يتناول ما تجهله العلوم وأهلها — ونهجها فى ذلك توضحه هذه الجملة : أنى وقف التفكير العلمى بدأ التفكير الفلسفى — فالناس عامتهم وخاصتهم لا يتفلسفون وإنما تبلغهم آراء يوحى بها الدين أو يمليها العرف — بما يؤلفه من مختلف العناصر — فيعملون بها ويسيرون على نهجها من غير تفكير فى أمرها ؛ فان تناولوها بالجدل حيناً فسرعان ما ينحرفون عنه مقتنعين ولو بلاشىء . وليس هذا شأن المتفلسفة فى أى زمان أو مكان . . . أو ترى الأستاذ يكتب فصلاً ممتعاً يتناول فيه وظيفة العلم وطريقته فى البحث ويلخص لك ما ينتهى اليه ويثبته فى أرقام مسلسلة ليتيسر للقارىء معرفة الفوارق بينه وبين الفلسفة ، ولكنه ينسى أن يتحدث فى هذا الفصل عن أولى الخواص التى لا يستطيع الانسان فى العصر الحديث أن يتصور العلم من دونها ، وهى أن العلم يمتاز من سائر آفاق المعرفة الانسانية فى أنه « يبحث الشىء من حيث هو شىء » وليست تعنيه علاقة هذا الشىء بغيره من الناس . ولهذا كان العلماء آخر من يفكر فى الانسانية ويعطف عليها ، لأن التفكير فى صالحها يدخل فى باب العاطفة ، وبين العلم والعاطفة عداء مستحكم الحلقات . فمخترع الغازات السامة أو الغواصات أو الدبابات وما اليها عالم موفق قد تهيأت له أسباب النجاح فى تطبيق نظريات العلم — وإن ساء فيه رأى المجتمع وجزع الناس لمـا اخترع — وإن قلت له إن عملك يشقى الناس أجابك على الفور : أنا عالم ، أبحث الشىء من حيث علاقته بذاته ، ولا شأن لى بعد هذا بما تفضى اليه نتائج البحث وتطبيقها خيراً كان أو شراً »

على أن من العـدل أن نقول إن قيمة الـكتب لا يحددها اتفاق الرأى بين الـكاتب والقارىء ، وإن خلوها من المآخذ التى يتصورها الناقد لا يصلح أن يكون مقياساً للاعجاب بها والرضا عنها ، لأن مدارك الناس فى تفاوت ، ثم إن خلوهم من النقص محال

وقد تثير هذه الـكلمة فى نفسك سؤالاً تطلب الى فيه أن ألخص لك « البراجماتزم » ولـكنى لن أجيبك الى مطلبك إشفاقاً على نفسى من الاضطلاع بهذا العمل . وأمامك كتاب الأستاذ يعقوب فاقرأه تعلم أن لجنة التأليف والترجمة والنشر قد أنصفت فى اختيار هذا الرجل للقيام بتأليف هذا الـكتاب ، فهو عالم يكثر الاطلاع ، ويحسن الفهم ، ويجيد العرض ؛ ويحب أمريكا ! ومن أقدر على الـكلام فى « البراجماتزم » من رجل تتوفر له هذه الصفات . . ؟

ت . الطويل
ليسانسيه فى الفلسفة

فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة الرابعة للرسالة

الموضوع	نمرة الصفحة
(ا)	
الآباء البيض (قصة)	١٩٠
ابليس يعلم	٣٣٩
ابن بسام صاحب الذخيرة	٢٩٤
» » » »	٣٤٩
» » » »	٣٩٠
» » » »	٤٢٦
ابن كلس	٢٠٥
ابو الفضل بن شرف	٧٨٥
» » » »	٨٦٣
آثار العمالقة	١٩٦
آثار مصر القديمة منذ ٦٥٠ سنة	١٠٧٦
أثر الحضارة الاسلامية في الأحياء الأوربى	٢٨٦
أثر خطى نفيس	١٩٧
أجا ممنون (قصة)	٢٣١
» » »	٢٧١
» » »	٣١٣
اجتلاء العيد	٣
أحرب لم سلام ؟	٣٩٩
احمد أمين يحاضر فى بيت المقدس	٣٤
اخى (قصيدة)	٦٨
إخي الأستاذ الزيات	٥٠٦
أدب التراجم	٩١٧
الادب قبل هوميروس	١١٤
الأدب الالمانى فى المتني	٤٧٩
أدبنا الجديد	٨١٠
الأذاعة المدرسية	١١٥
آراء بعض الزملاء فى الرسالة	٧٥
آراء فنانين ارلنديين	٧٩٧
الأرحام المبلولة	٤٣٨
أروع ايام سعد	١٠٤١
ازفالد شبنجلر	٩٠٣
ازمة اوربا المبنية	٢١٦
الازهر والحياة الفكرية فى العصر الفاطمى	٦٣٨
اسبانيا العربية	٧٧٧
اسبوع المتنبى فى الجامعة المصرية	٣٥٩
استثمار نهضة المرأة	٥٨١
استثمار نهضة المرأة المصرية لخير البلاد	٨٢٤
الاستعمار والتعليم	٢٥١

الموضوع	نمرة الصفحة
الاسلام فى المجر	٩١٤
الاسلام فى اليابان	٢٣٨
الاسلام كعامل فى المدنية	٦٠٨
» » » »	٦٨٤
الاسلام والمدنية والعلم	٦٤٧
» » »	٧٣٣
اساليب الكفاح الدولى بين الأمس واليوم	٢٤٩
أشبعوا غيرهم وباتوا جياعا (قصيدة)	١٤٤
الأشباح ـ لفكتور هوجو	١٤٠
اشتغال العرب بالأدب المقارن	٩٣٨
» » » »	٩٧٨
» » » »	١٠١٥
» » » »	١٠٦٠
أشعة الأخفاء	١١٦
أشهر كتب الخلاصات الحديثة	٩٥٥
إصلاح خطأ المحدثين (كتاب)	٩٦٠
أطفال دمشق	١٧٢
اعتذار (قصة)	٧٥٣
إعرابى فى حمام	٢٩٦
الأعمى (قصة)	١٠٧٠
أغلال تتحطم (قصيدة)	٤٢٩
أغنية	٣٣٣
اقتراح القريح واجتراح الجريح	٨٥٧
» » » »	٨٩٦
الاقتصاد وسيلة لتحقيق السلام	١٠٧٥
اكتشاف طبى خطير فى علاج البلهارسيا	٩١٥
أكل هذا يصنع البرلمان	٨٤١
الألم (قصيدة)	٧١٠
إلي أخي الزيات	٤٤١
» » طه حسين	٩٦٣
إلى الأستاذ احمد امين	١٠٠٣
» » أنور العطار (قصيدة)	٧٨٨
» » محمد عبد الله عنان	١٠٧٥
إلى الحلم (قصيدة)	٨٣٠
إلى زميلنا صاحب (المكشوف)	٩٥٣
إلى صديق احمد امين	٩٢١
إلى النسيم (قصيدة)	٧٥٠
الامبراطورية الأسبوية	٥٠٠
الأمة العربية (قصيدة)	٢٢٨
آمال وآلام (قصيدة)	٦٣٣

الموضوع	نمرة الصفحة
امتزاج الأحاسيس	٨٨٩
أم سلمة	٦٤٣
امية تبعث (قصيدة)	٥٥٠
الاناشيد القومية المصرية	٨٢٩
انا قبر (قصيدة)	٣٨٩
انتظرى بغضى (قصيدة)	٩٠٥
انس بن النصر	٩
إنسان ناجح	٨٠٣
إني ارى فى المنام	٥٨٣
اوبة الطيار	١٠٢٥
اوسكارويلدو برنردشو	١٠٣٤
الاوراق (كتاب)	٣٩
ايها الشبان (لبول بورجيه)	١٦
ايها المسلمون	٩٦١
(ب)	
البارون فون أفنباخ	٤٠٨
البرا كانيزم (كتاب)	١٠٧٨
برسى شلى	٩٨١
» »	١٠١٧
» »	١٠٦٥
بريام الحزين (قصة)	٦٩
البعث (قصيدة)	١٨٦
بعثة الجامعة المصرية إلى اليمن	٦٠٠
بعد الزهاوى	٧٠٣
بعد مصرع هكتور (قصة)	٢٩
بعض أبطال النقد	٩٧٥
بعض عناوين وأسماء	٤٨٠
بغداد أو المدينة المدورة (كتاب)	٩٥٩
بيكون بين النقص والكمال	٩٥٦
بين الثريا والثرى (قصيدة)	٢٦٦
بين السياسة والأدب	٩٩٨
بين شكسبير وابن الرومى	٤٩٨
بين الماضى والآتي	٣١٩
بين ماض وحاضر (قصيدة)	٣١٠
بيوولف	١٧٥
بيردى نولدك	٢٣٦

الموضوع	نمرة الصفحة
(ت)	
تأبين الزهاوى	٣٥٩
» فقيد التعليم المغفور له محمد أمين لطفى	٣٥
تاريخ الأدب النسوى فى فرنسا	٥١
» » » »	٩٩
تاريخ الأسلام السياسى (كتاب)	٣٦
» » » »	٧٧
» » » »	١١٧
تاريخ الاسلام السياسى (كتاب)	١٥٥
تاريخ جديد لليهود	٥٩٧
تاريخ الكشف فى مصر والعالم	٨٠٠
تاريخ يثور	٢٠١
تجربة	٨٤٥
تجربة لاختبار الذكاء	١٩٦
تحت قناطر جامع قرطبة	٢٨٩
تحية ياشباب (قصيدة)	١٤٥
تدهور التعليم فى المانيا	١٠٣٨
ترات جاك بانفيل	٣٩٩
تراثنا العربي القديم	١٠٠٧
التربية الوطنية الاستقلالية واثرها فى بناء الأمة	٧٧٣
» » » » » »	٨١٩
» » » » » »	٨٥٣
» » » » » »	٨٩٤
ترجمة القرآن	٩٠٧
ترجمة لكير هاردى	٧٤
ترجمة معاني القرآن	٦٨١
» » »	٧١٧
» » »	٨٢٢
» » »	٨٦٢
تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا	١٠٠٨
» » » »	١٤٢
» » » »	١٨٨
» » » »	٢٢٩
» » » »	٢٦٨
» » » »	٣١١
» » » »	٣٥١
تطور الفكرة التاريخية اليهودية	١٠٧٣
تطور نظم التربية الألمانية	٧٥٥
التعصب اللغوى بعد التعصب الجنسى	١٩٥
التعليم والحالة الاجتماعية فى مصر	٣٦٥
» » » » »	٤٢٠

الموضوع	نمرة الصفحة
التعليم والحالة الاجتماعية فى مصر	٤٤٩
» » » » »	٤٩٠
» » » » »	٥٣٤
تقى الدين السبكى	٤٦٧
» » »	٥٠٦
» » »	٥٤٧
» » »	٥٨٧
توفيق الحكيم فى الفرنسية	٨٧٨
(ث)	
ثأر أورست (قصة)	٣٥٤
ثأر أورست (قصة)	٣٩٢
ثنية الوداع	٦٦١
(ج)	
جاموسة (قصة)	٧٨٩
جاكومو كزانوفا	٥٢٩
» »	٥٦٨
» »	٦٩١
» »	٧٢٨
الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير (كتاب)	١١٩
جريدة انكليزية تأيد القضية الحبشية	١٠٣٦
جلبرت تشسترتون	١٠٣٥
جلبرت كث تشسترتون أيضا	١٠٣٥
جماعة البعث والتجديد	١٠٣٧
جمعية هندية للمباحث الاسلامية	١٠٣٨
جميل صدقى الزهاوى (قصيدة)	٧١٠
جوائز أدبية	١٠٧٤
جوائز أدبيه مصرية	٣٥
جوائز أدبية نسوية	١٩٧
جواب عن سؤال	٣٤
جوركى أديب الصعاليك	٩٩٧
جوركى وروسيا السوفيتية	٩١٦
الجوع الروحانى	٣٢٨
جون نيتن ومشروعه لتعليم الفلاح المصرى	٣٩٧
جيمس جويس والأدب الجنسى	٨٣٧
(ح)	
حادثة فلسطين	١٠٤٩
الحاكمون بأمرهم	٣٣٩
» »	٣٧٦

الموضوع	نمرة الصفحة
الحجر المؤابى	٤٦٢
حديث عداس	٦٠٣
حرب العلم (قصيدة)	٩٠٤
الحركة الادبية	٤٣٨
الحرمان (قصيدة)	١٨٧
الحفريات الاثرية فى فلسطين	٩١٣
الحق هو القوة (قصيدة)	٢٨
حلم الدولة اليهودية	١٠٤٧
حلم ليلة صيف	٢٣٦
حماية الطالحين	١٠٥١
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة (كتاب)	١١٩
حول الاحتفال بذكري المتنبي	٣٤
حول ترجمة السخاوي أيضا	٥٩٩
» » » »	٦٠٠
حول ذخيرة ابن بسام أيضا	٥٥٧
حول راي الاندلس المجهول	٥٥٦
الحول قد حال (قصيدة)	١٠٢٤
حول كتاب (الاسلام الصحيح)	٧٥
حول كتاب الذخيرة أيضا	٥٦٠
حول المباراة الادبية	٥٣٠
الحياة الاخرى	٣١٧
الحياة الادبية فى بغداد	٣٨١
» » » تونس	١٠٦٢
» » » الحجاز	٥٨٦
» » » »	٧٨٤
الحياة الادبية فى دمشق	٢١٤
» » » السودان	٥٠٤
» » » شرق الاردن	٨٦٥
» » » فلسطين	٧٠٥
» » » لبنان	٥٤٠
» » » المغرب	٧٤٣
» » » » الاقصى	٩٨٤
حياة لابدى هستر العجيبة	٩١٣
الحياة المصرية المعاصرة	٤٠٠
حيل الضمير	٧٠٠
(خ)	
خديجة بنت خويلد	٦١٦
الخريف (قصيدة)	٣٠٩
الخصيان	٥٧١
الخطر الفاشستى	٨٨٧

الموضـــوع	نمرة الصفحة
الخطرات (كتاب)	٧٩٩
خواطر فى الحياة والموت	٤٨٩
الخيال العاقل	٤٨١
خيبة رجاء (قصيدة)	٥١٠
(د)	
دراماتشو فى مصر	٨٣٧
درس من النبوة	٦٢٤
دعاية إبليس	٤٤٣
الدكتور الرافعى	٧٥
الدكتور محمد إقبال	١٠٢١
دليل الحج والسياحة (كتاب)	٢٤٠
دمعة علي الصورة (قصيدة)	٧٨٧
ديمقراطية الموت	٧٨٢
الدينار والدرهم	٤٠٥
ديوان بشار موجود	٧٥٤
ديوان حافظ ابراهيم	١٠٧٥
(ذ)	
ذات الثوب الارجواني	٩٢٣
» » »	١٠٠٥
» » »	١٠٤٣
ذكري أمير عالم	٨٨٠
» ساقية	٤٢٣
» مأساة غرامية شهيرة	٤٣٩
» مخترع شهير	٩٥٤
» » القاطرة	٢٧٨
» المولد الشريف (قصيدة)	٩٤٤
» الهجرة (قصيدة)	٦٦٨
ذكريات يجتليها محرم (قصيدة)	٦٥٤
(ر)	
الرابطة الثقافية بين مصر والشرق العربي	٢٢٢
الربيع	٦٨٣
رثاء (قصيدة)	٢٢٧
» الاندلس	٢٢
» »	٩٠
رجائي ورجاء الزيات	٤٧٨
الرجوع (قصة)	١٥١
رسائل الشاعر الروسى بوشكين	٥٩٨
الرسالات	٣٨٣
رسالة الأزهر فى القرن العشرين	٥٢٣
» » » » »	٧٤٠

الموضـــوع	نمرة الصفحة
رسالة العلم	١٢٠
الرسالة فى عامها الرابع	١
رسوم الفطر والاضحي	٣٦٣
دعاية الفلاح واجب قومى	٤٠١
الرغام (قصيدة)	٩٩٠
رفعة المرأة	١٣١
» »	١٦٧
الرقيم	٣٠٩
رمز الخريف (قصيدة)	٤٢٩
الرمز فى الادب الصوفى	٥
روبرت أون والعمال	١٠٧٧
ربح التعصب الجنسي تهب على أوربا	١٢٦
(ز)	
الزاهدان	٢٨٣
زهرتى المختارة (قصيدة)	٥٩٠
زوجة وفت	٦٥٨
زينة المرأة الحديثة	١١٦
(س)	
سأحيي هذي الدار (قصيدة)	٨٦٩
ساعة في متحف (طوب قبو)	٥٠٢
الساعات العربية	٦٧٢
سافو وليلى الاخيلية	١٠٣٣
سبعة ضد طيبة (رواية)	١٠٢٩
سجموند فرويد فى تمام الثمانين	٧٩٤
» » أيضا	٨٧٧
سحر الطبيعة (قصيدة)	١ ٧
السخاوى	٤٧٩
السر	٣٠٠
سعيد بن المسيب	١٠١٢
» » »	١٠٥٧
سمائن الصحراء	٦٦٩
سفارة أندلسية إلى ملك النورمانيين	٤٨
سقوط البوم (قصة)	١٤٦
سكان أعالى النيل	٢٥
» » »	١٠٤
» »	١٨٣
سلسلة القصص التهذيبيه	٨٠٠
سلطة الآباء	٨٣
سلبل القرد (قصيدة)	١٨٦
السمكة	٢٤٤

الموضـــوع	نمرة الصفحة
سمو الانسانية فى قلب الرسول الاعظم	٦٥٢
السياحة فى مصر	١٦٤
السيد (رواية مسرحية)	٧٥٧
سيف الدولة ومبسيناس	١٠٣٣
(ش)	
الشاعر (قصيدة)	٢٦٧
الشاعر والربيع (قصيدة)	٧١١
شباب العراق فى مصر	٣٢١
شخصيه غامضه فى التاريخ الاندلسي	٩٦٥
الشعر القبطي القديم	٧١٨
الشفاء (قصة)	٧٥١
الشك لايهدي (قصيدة)	٢٧
شكسبير والسينما	١٠٤
شهر زاد فى اللغة الفرنسية (كتاب)	٩١٩
(ص)	
صاحب الجلالة فاروق الأول	٧٦١
صانعة الكراسى (قصة)	٤٣٤
صداقة تدين التاريخ	٦٢٢
صديق البلاء (قصيدة)	٤٦٩
الصراع بين اليابان وأوربا حول سيادة الصين وآسيا	٣٣٠
صرعى الأغراض (قصيدة)	٩٠٣
الصفات المحسودة	٩٦٨
صمت الشك (قصيدة)	٦٨
صموبل بطلر والأسرة الانكليزية	٩١٨
صوت المتنبى (قصيدة)	٥٠٨
صورة (قصيدة)	٣١٠
صورة الصداقة والعداوة (قصيدة)	٣٨٨
صيفية الفلاح	٩١٨
(ض)	
الضحية (قصة)	٩٠٦
ضريح ابن الاثير فى الموصل	٧٥
الضمير	٣٣٦
(ط)	
الطالب (قصيدة)	٥٠٨
طريقة المجمع اللغوى فى كتابة الاعلام الأعجمية	٥٥٨
الطفل (قصيدة)	٧٨٧

(ع)

الموضوع	نمرة الصفحة
عالم الايحاء	٨٥١
عبد الرءوف المناوى	٦٤
عبرات جوار لاحرار	٦٧٦
العبرات الحرار	٧١٦
عبرات حرار	٥٥٧
العجوزان	٨٠٠
»	٨٤٣
»	٨٨٤
»	٩٤١
عدد الطلاب فى الامتحانات العامة	٩٠٣
العراق فى مصر (قصيدة)	٣٤٧
عرفات	٣٤٥
العزة	٢٤١
عشرة أيام بثينة	٥٤
» » »	١٠٢
عشر كلمات	٥٣٢
عصبة الامم بين المد والجزر	٧
العصر الحديث (رواية سينمائية)	٧٠٩
عضو جديد فى الأكاديمية الفرنسية	١٠٧٤
عظة الهجرة	٦٢٧
عقبة على شاطىء المحيط	٦٢٠
العقيدة	٦٥٠
العلم (قصيدة)	٩٩٠
علم تكوين الجنين (كتاب)	٢٤٠
علم الحيل عند العرب	٦٦٥
علم غير مفيد	١٧٣
علم المثلثات والعرب	٢٧٧
العلم والدين	٩١٣
على قبر الزهاوى	٣٤٨
عميد كلية العلوم	٨٣٧
عند بحر موريس شناه (قصيدة)	٥٤٩
(عودة الروح) فى اللغة الروسية	٧٥٥
عين جالوت	٨٥٥

(غ)

الموضوع	نمرة الصفحة
الغابة (قصيدة)	١٤٤
غيرة (قصيدة)	٧٥٠

(ف)

الموضوع	نمرة الصفحة
فاجعة الروض (قصيدة)	٤٦٩
فاز سعد (قصيدة)	١٠٦٨
الفتوح الاسلامية وأثرها فى تقدم المدنية	٦٤١
الفرس (قصة)	٧٩٢
» »	٨٣٤
» »	٩٠٩
الفرقة القومية المصرية والمسرح المحلى	٨٤٠
فضيحة القرن العشرين	٨٦٧
فلاسفة الاسلام	٤١١
» »	٤٥٣
فلسفة (قصة)	٤٨٣
فلم بشكوت	٩٩٩
الفلم المصرى	٢٠٧
فلوبير وحديقة الكرنب	١٠٧٦
الفن الاسلامى فى مصر (كتاب)	٢٧٩
فن السينما	٧٩٨
» »	٨٣٩
فى الأدب الايطالى الحديث	٤٧١
» » » »	٥١١
» » » »	٥٩٢
» » » »	٩٨٧
» » » »	١٠١٩
فى تاريخ الفقه الاسلامى	٤٥٦
» » » »	٤٩٥
» » » »	٥٤٢
فى ترجمة السخاوى أيضاً	٥١٨
فى الحب أيضاً	١٢٩
فى الحب والمرأة	٤٣
فى حضرة الأمير فؤاد	٨٩١
فى غمرة الهوى (قصيدة)	٣٨٩
فى قريتى	١٠٢٤
فى ليلة العيد	١٤
فى ليلة مقرورة	٧٦٥
فى مدى استعمال الحقوق الزوجية (كتاب)	٩٢٠
فى مقبرة جنوى	١٣٤
فى ميدان الاجتهاد	٥٨
» » »	٣٦٠
» » »	٤٦٤
فى النقد	١٠٠٤
فى وقع الموت	٢٠٣

(ق)

الموضوع	نمرة الصفحة
قبر أبى عبيدة عامر بن الجراح	٣٥٩
القبلة الاخيرة (قصيدة)	٧٨٨
قبلة الحب (قصيدة)	١٠٧
قرب الموتى (قصيدة)	٥٩٠
القصة فى التعليم	٢٣٧
قصة المفاتيح (قصة)	٩٩١
» » »	١٠٣٦
قصة المكروب	١٨
» »	٩٣
» »	١٣٧
» »	١٦٩
» »	٢١٠
» »	٢٥٦
» »	٢٩١
» »	٣٦٩
» »	٥٣٨
» »	٥٧٣
» »	٦٩٦
» »	٧٣١
» »	٧٧٠
» »	٩٣٠
» »	١٠٥٤
قصص الأيام العشرة	٨٠٨
» » »	٨٤٨
» فلسطينية	٥٥٨
القصص المدرسية (كتاب)	١٦٠
قضايا التاريخ العظمى	١٥٤
القفاز (قصة)	٢٧٤
القياس فى اللغة العربية (كتاب)	٨٠٠

(ك)

الموضوع	نمرة الصفحة
كتاب البديع لابن المعتز	٨٣٦
كتاب جديد عن مصر القديمة	٨٨٠
» » » هتلر	٥١٨
» » لبول موران	٢٧٧
» » لميتر لنك	٥٩٩
» » لهافلوك أليس	٩٩٨
كتاب الذخيرة لابن بسام	٣٩٨
» عن ابرهيم باشا	٣١٦
» عن بونابرت فى مصر	٥٩٨

(ف)

فؤاد نور الدين : ١٤٠ ، ٤٣٤

فتحي رضوان : ١٣٤

فتحية عزمي : ٥٨١

فخرى أبو السعود : ٨٦٩ ، ٩٠٤ ، ٩٨٩ ، ١٠٢٤

فردوس عبد العزيز : ٦٠٠

فريد عين شوكة : ١٠٧

(ق)

قدري حافظ طوقان : ١٧٣ ، ٢٧٧ ، ٦٦٥

(ك)

كامل محمود حبيب : ٩٠٦

كمال ابراهيم : ٥٠٢

(ل)

لبيب الرياشي : ٧٤٠

(م)

مأمون عبد السلام : ٥٧١

محمد ابراهيم العفيفي : ٦٤

محمد أحمد الغمراوي : ٦٤٧ ، ٧٣٣

محمد الأسمر : ٨٧٠

محمد أمين حسونة : ٤٧١ ، ٥١١ ، ٥٩٢ ، ٩٨٧ ، ١٠١٩

محمد تقي الدين النبهاني : ٧٠٥

محمد جلال : ٢١٦

محمد حامد الفقي : ١٥٩

محمد حسن ظاظا : ٧٤٥

محمد حسين هيكل بك : ١٠٠٤

محمد حصار : ٥٥٧

محمد الحليوى : ١٠٦٢

محمد رشاد ماضى : ٧١١

محمد السعيد الزاهرى : ١٧٨ ، ٥٨٣

محمد سعيد العريان : ٣١٨ ، ٦٥٨ ، ٩٣٥

محمد طه الحاجري : ٤٦٧ ، ٥٠٦ ، ٥٤٧ ، ٥٨٧

محمد عبد البارى : ٧٧٣ ، ٨١٩ ، ٨٥٣ ، ٨٩٤

محمد عبد الله عنان : ٤٨ ، ٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٨٦ ، ٣٦٣ ، ٤٠٨ ، ٥١٨ ، ٥٢٩ ، ٥٦٨ ، ٦٣٨ ، ٦٩١ ، ٧٢٨ ، ٨٠٨ ، ٨٤٨ ، ٩٦٥ ، ١٠٠٧

محمد عبد المجيد بن جلون : ٧٤٣

محمد على الشلق : ٧٨٨

محمد فريد أبو حديد : ٢٠٧ ، ٣٢٥ ، ٦٢٩ ، ٧١٩

محمد فضل اسماعيل : ٨٦٩

محمد بك كرد على : ٣٩ ، ٥١ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ١٦٧ ، ٢٤٠

محمد مصطفى حمام : ٣٠٠

محمد مهدي الجواهري : ٣٤٨

محمد النهراوي : ٨٣٠

محمود البدوى : ١٠٧٠

محمود حسن اسماعيل : ١٨٧

محمود الخفيف : ٣٤٢ ، ٣٧٣ ، ٤١٥ ، ٩٤٦

محمود عساف أبو الشباب : ٤٧٩

محمود غنيم : ٥١٠ ، ٦٣٣ ، ٧٨٢

محمود محمد شاكر : ٩٠٥

محمود محمد صادق : ٨٢٩

محمود مصطفى : ٤٧٨

مصطفى صادق الرافعى : ٣ ، ٤٥ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١٢٣ ، ١٦٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٣ ، ٣٣٣ ، ٣٦١ ، ٤٠٥ ، ٤٤٣ ، ٤٨٣ ، ٥٢٣ ، ٥٦١ ، ٦٢٤ ، ٦٨٣ ، ٧٦٣ ، ٨٠٥ ، ٨٢٩ ، ٨٤٣ ، ٨٨٤ ، ٩٤١ ، ٩٦١ ، ١٠٠١

مصطفى عبد الرازق : ٦٥٦

معروف الأرناؤوط : ٢٨٩

معروف الرصافى : ٣٤٨

مكسيم جورك : ٩٩١ ، ١٠٢٦

(ن)

ناجي الطنطاوي : ٣٨٩ ، ٦٤٣ ، ٧٣٦ ، ١٠١٢ ، ١٠٥٧

(و)

وداد سكاكيني : ٣٨٣

وهيب رشيد : ١٨٧

(ى)

يوسف تادرس : ٧٥٧ ، ٧٥٩ ، ٧٩٨ ، ٨٣٩ ، ٩٩٩

يوسف سميح : ٣٦٠

يوسف شخت : ٤٥٦ ، ٤٩٥ ، ٥٤٢

يوسف هيكل : ٥٤ ، ١٠٢ ، ٨١٥ ، ٨٥٩ ، ٩٠٠ ، ٩٣٣ ، ٩٧٣

(ج)

جريس القسوس : ٤٦٢ ، ٨٦٥
جميل صدقي الزهاوي : ٣٧ ، ٦٧ . ١٤٤ . ١٨٦ . ٢٢٧ . ٣٤٧
جورج حداد : ٥٠٠

(ح)

حبيب زحلاوي : ١٩٠ . ٨٣١ . ٨٧١
حبيب عوض الفيومي : ٢٢٨
حسن ابراهيم حسن : ٣٦ . ٣٧ . ١١٧ . ١٥٥ . ١٤١
حسن عبد الحليم اليماني : ١٧٥
حسين شوقي : ٢٧٤ . ٧٥٣
حيدر موسى : ٥٠٤

(خ)

خليل جمعه الطوال : ٩٨١ ، ١٠١٧ . ١٠٦٥
خليل هنداوي : ٩ . ١٠٨ . ١٤٣ . ١٨٨ ، ٢٢٩ ، ٢٦٨ ، ٣١١ ، ٣٥١ . ٤٢٩ . ٥٥٦ ، ٦٥٢ ، ٩٣٨ ، ٩٧٨ ، ١٠١٥ . ١٠٦٠

(د)

دريني خشبة : ٢٩ ، ٦٩ . ١١٠ . ١٤٦ ، ٢٣١ ، ٢٧١ ، ٣١٣ . ٣٥٤ . ٣٩٢ . ٤٣١ . ٤٧٤ ، ٥١٣ ، ٥٥٢ ، ٥٩٤ . ٧١٢ . ٧٩٢ ، ٧٩٤ ، ٨٣٤ ، ٩٠٩ ، ٩٥٠ . ٩٧٥ . ٩٩٤ . ١٠٢٩

(ر)

رشوان أحمد صادق : ٢٥ ، ١٠٤ . ١٨٣ . ٣٠٦ . ٤٣٨
رفيق فاخورى : ٩٠٤
رفيق اللبابيدى : ٢٢٢
رياض معلوف : ٢٦٧

(ز)

زكي طليمات : ٨٧٣
زكي المحاسنى : ٣٨٩ ، ٧٥٠

(س)

ساطع بك الحصرى : ٣٥١
سامي الشقيفى : ٥٤٠
سعيد عبد الاله الشهابي : ٧٥١
السيد أحمد صقر : ٧٥٤ . ٨٠٠ . ٨٥٧ . ٨٩٦

(ط)

طه حسين بك : ٤٨١ . ٦٠٣ . ٩٢١
طه الهاشمى باشا : ٦١

(ظ)

ظريف زكى : ٧٩٨ . ٨٣٩

(ع)

عباس محمود العقاد : ١٠٦٨
عبد الحكيم عابدين : ٦٦٨
عبد الحليم الجندى : ١٦ ، ٣٣٩ . ٣٧٦ . ٧٨١
عبد الحميد العبادى : ٦١٦
عبد الرحمن البرقوقي : ٢٩٤ ، ٣٤٩ . ٣٩٠ . ٤٢٦ ، ٧٨٥ ، ٨٦٣
عبد الرحمن شكرى : ٦٨ ، ١٠٧ ، ١٤٤ . ٢٢٨ . ٢٦٦ ، ٣١٠ ، ٣٨٨ ، ٤٢٨ ، ٤٦٩ . ٤٩٨ ، ٥٤٩ ، ٥٩٠ ، ٦٢٧ ، ٧٠٠ ، ٧٤٩ . ٧٨٧ . ٨٥١ ، ٨٨٩ ، ٩٢٦ ، ٩٦٨ ، ١٠١٠
عبد الرحمن صدقي : ٩١٩
عبد الرزاق السنهورى : ٥٢٦ ، ٥٦٤ ، ٦٨٨ . ٧٢٥
عبد السلام رستم : ٧١٠
عبد الفتاح السرنجاوى : ٦٧٨ ، ٧٩٩
عبد القادر صالح : ٨٩٣
عبد القادر المغربي : ٦٧٦ ، ٨٩١
عبد القدوس الانصاري : ٧٨٤
عبد الكريم جرمانوس : ١٨١ ، ٢٢٤ . ٢٦٣ . ٣٠٤ ، ٨٢٢ ، ٨٦٢
عبد الله عبد الرحمن : ٦٥٤ ، ٨٧٠
عبد الله مخلص : ٧٧٥ ، ٨٥٥
عبد المتعال الصعيدى : ٥٨ ، ٢٦٠ ، ٤٦٤ . ٦٨٠ ، ٩٢٠
عبد المجيد شبكشي : ٥٨٦
عبد الوهاب الأمين : ١٥١ ، ٣٨١ ، ٧٠٣
عبد الوهاب عزام : ٣٤٨ ، ٦٢٠
عبد الوهاب النجار : ٦٣٤ ، ٨١٣
عز الدين العطار : ٩٩٠
على أحمد باكثير : ١٨٦ ، ٢٦٦ ، ٥٠٨ ، ٥٩١
على الجارم : ١٠٦٩
على الضنطاوي : ١٤ ، ٢١٤ ، ٢٩٦ . ٣٤٥ ، ٤٢٣ ، ٥٣٢ ، ٦٦١ ، ٨٦٧ ، ٩٤٧ . ١٠٤٩
على عبد الرازق : ٦١٢
على محمد فهمي : ٥٧٧
العوضى الوكيل : ٥٤٩ ، ٧٥٠ ، ٨٣٠

الموضوع	نمرة الصفحة
كتاب عن ذكري ابن ميمون	٢٣٧
« « ضحايا الثورة الفرنسية	١٩٥
« « مكيا فللي	٧٩٦
« لزعيم الاشتراكية الفرنسية	٢٧٦
« هام عن المسألة الفلسطينية	٥٥٧
الكذب والصدق (قصيدة)	٦٧
كشف جديد بصحراء الاهرام	٩٥٢
كل بيت فيه سعد مائل (قصيدة)	١٠٦٩
كلمة وكليمة	١٦٣
كنتهام جراهام	٨٧٩
(ل)	
اللآلى شرح أمالى القالى (كتاب)	١٩٨
لامرتين وربنه جارد	٧٤٦
« « «	٧٧٩
« « «	٨٢٧
« « «	٨٩٩
لا يوس وأديب (قصة)	٩٥٠
لا يوس وأديب (قصه)	٩٩٤
لحن على الماء (قصيدة)	٥٤٩
اللغة العربية منذ مائة عام	٩١٧
« والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال	٥٦١
الليلة الثانية عشرة (قصيدة)	٢٦٦
« « « «	٥٩١
ليلة فى الحمراء (قصيدة)	٣٨٩
« فى الفردوس (قصة)	٧١٢
« وداع	٦٩٤
(م)	
مؤتمر الجراحة الدولى العاشر	٣٤
المؤتمر الدولى لنادى القلم	١٠٧٣
مؤسس الادب اليهودي الشعبى	٤٣٩
المأساة الفلسطينية	٩٢٨
مار مدوك بكتال	٨٧٨
المازنى العاشق	٣٧١
المباحث المصرية والعلم الحديث	٩٥٢
المباراة الادبية	٩٩٨
مباراة أدبية دولية	٨٧٩
مباراة أدبية عالية	١٠٣٦
المباراة الصحفية الادبية	٥١٩
المتضرعات (قصة)	٥٥٢
« «	٥٩٤

الموضوع	نمرة الصفحة
المتنبي يعشق	٩٣٥
مجمع اللغة العربية الملكي	٨١
محاكمة أورست (قصه)	٤٣١
« « «	٤٧٤
« « «	٥١٣
محمد (كتاب)	١٦١
« «	٢٣٩
« «	٣١٨
محمد بن شهاب الزهري	٧٣٦
محمد الصغير (قصه)	٩٤٧
محمد النجاز	٨١٣
محمد الوالد	٦٠١
مديرية أسوان	٣٠٦
« «	٣٦٠
« «	٤٣٨
مذكرات صحافى شهير	١١٥
المسألة الحبشية	٧٦٧
مشروع علمى جليل	١٩٦
المشكلة	٤٥
المشكله	٨٦
«	١٢٣
مصادرة كتاب عن البلاط النمسوي	٩٥٤
مصر تحمى الاسلام والمدنيه فى عين جالوت	٦٢٩
مصر في المرض	٢٨١
مصرع أخيل (قصه)	١١٠
مصرع الحسين	٦١٣
المعجم الوسيط	٧١٧
« «	٧٥٤
« اللغوى الوسيط	٧٩٥
معركة عدوي	٦١
المعنى السياسي فى العيد	٣٦١
معاهدة ثقافية	٧١٨
معهد فنى للجنائيات	٩١٤
المغالطه فى الوسائل والغايات	٩٢٦
مفتاح كنوز السنه (كتاب)	١٥٩
المقتطف والمتنبي	٨٠
مقياس الشباب	٧٣٣
مكانة مصر فى المغرب العربي	١٧٨
المكتبة العربية فى الاسكوريال	٦٧٧
مكتبة القراءة والثقافة	٧٢٠
مكسيم جوركي	٩٩٦
الملك أحمد فؤاد الأول	٧٧٥
الملك العالم فؤاد الأول	٧٢١

الموضوع	نمرة الصفحة
الملك فؤاد	٧٩٣
ملك وشاعر	١٢١
الممثل والمخرج المصري	٨٧٣
من أحاديث التيروز	٤١
من أعاجيب الرادبو	٢٢٨
منذ ألف عام	٦١٢
من ربوع الغرب إلى بلاد العرب	١٨١
« « « « « «	٢٢٤
« « « « « «	٢٦٣
« « « « « «	٣٠٤
منطقة الايمان	٦٠٦
منظر النيل الأزرق فى بعض بلاد السودان (قصيدة)	٨٧٠
من العلم إلى الأدب	٩١٦
من فرساى إلى لوكارنو	٤٤٦
« « « «	٤٨٦
من كنوز البردي المصرية	١١٤
من مسرات الحياة	١٠١٠
مواجع شاعر (قصيدة)	٧٥٠
مواكب سلاطين مصر	٣٢٥
موسم سالبورج الموسيقى	١٠٧٤
موسم الشعر	١٠٣٧
ميرابو	٣٤٢
«	٣٧٣
«	٤١٥
ميشيل آنجلو	٧٥٦
(ن)	
نابليون : المائه يوم (كتاب)	٧١٩
نتيجة المباراة الأدبية الرسمية	٨٣٨
نحن والزمن (قصيدة)	٧٤٩
ندوة الزهاوى	٣٥٩
نذالة التعاسة (قصيدة)	٢٢٨
نسيم الفجر (قصيدة)	١٨٧
نشأة مقاييس الذكاء	٥٧٧
نشيد	٨٧٠
نشيد وطنى	٩٤٦
نظام الطلاق فى الاسلام (كتاب)	٦٨٠
نظر محمد إلى الأديان	٦٥٦
نظرية النسبية الخصوصية	١٢
« « «	٩٧
« « «	٣٠١
« « «	٣٨٥

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
نفسية الرسول العربي (كتاب)	٦٧٨	هنرى روبير	٨٧٨	وفاة موسيقى شهير	٧٥٦
النقد الأدبي	٨٩٣	هواجس (قصه)	٨٣١	ولدى	٥٢١
النقد أيضاً	٨٨١	» »	٨٧١	ولود وعقيم	٤٣٠
« المزيف	٨٠١	(و)		(ى)	
نهاية المجد الانسانى لدانيال ديفوا	٧٤٥			يا شباب العرب	١٠٠١
النهضات القومية العامة	٥٢٦	وثائق هامة عن حياة زعيم مسلم	٧٥	يا فلسطين (قصيدة)	٩٨٩
» » »	٥٦٤	وداع	٧٠٧	يا ليل (»)	٩٨٩
النهضات القومية العامة في أوربا وفى الشرق	٦٨٨	وداع الحرية	٤٤٠	يد الايام (»)	٢٦٧
» » » » » » » »	٧٢٥	وفاة بول بورجيه	٣٣	اليوجنية الحديثة	١٠٧٧
النيل	٧٠١	« الأستاذ جميل صدقى الزهاوى	٣٥٨	يوم الرسالة (»)	٩٠٤
(هـ)		« روديارد كبلنج عميد الشعر الانكليزي	١٠٣	اليوم السابع من مارس	٨١٥
الهاربون من القضاء (قصيدة)	٤٢٨	« علاقة كبير	٧١٨	» » » »	٨٥٩
هافلوك أليس	٩٥٧	وفاة كاتب ألماني كبير	٥٩٩	» » » »	٩٠٠
هجرة الرسل	٦٣٤	« مؤرخ وصحفى كبير	٢٧٦	» » » »	٩٣٣
هل الأمريكيون مصريو الأصل ؟	٩٧٠	« مؤلف موسيقى	١٩٧	» » » »	٩٧٣
هنرى دى رينيه	٩١٢	« الأستاذ الشيخ محمد زيد بك	٣١٦	يوم هنانو (قصيدة)	١٠٦

فهرس الكتاب للمجلد الأول من السنة الرابعة

(ا)

ابراهيم ابراهيم على : ٢٨ ، ١٤٠

ابراهيم ابراهيم يوسف : ٩٧٠

ابراهيم بيومى مدكور : ٣٣٦ ، ٤١١ ، ٤٥٣ ، ٦٥٠

ابراهيم عبد القادر المازنى : ٤٣ ، ١٢٩ ، ٢٠٣ ، ٤٨٩ ، ٦١٣ ، ٦٩٤ ، ٧٦٥ ، ٨٤٥ ، ٩٢٣ ، ١٠٠٥ ، ١٠٤٣

ابراهيم الواعظ : ٩٥٩

أبو سلمي : ٣٧١ ، ٩٨٩

أبو السمح الفقيه : ٧٨٧

أبو النضر الحسنى المندى : ١٠٢١

إحسان أحمد القوصي : ٨٢٤

أحمد أمين : ٥ ، ٨٣ ، ١٩٨ ، ٢٤١ ، ٣٢٣ ، ٤٠٣ ، ٤٤١ ، ٦٠٨ ، ٦٨٤ ، ٧٢٣ ، ٨٠٣ ، ٨٨١ ، ٩٦٣

أحمد حسن الزيات : ١ ، ٤١ ، ٨١ ، ١٢١ ، ١٦١ ، ٢٠١ ، ٢٨١ ، ٣٢١ ، ٤٣٨ ، ٥٢١ ، ٦٠١ ، ٧٢١ ، ٧٦١ ، ٨٠١ ، ٨٤١ ، ١٠٤١

أحمد دهمان : ٦٨ ، ٥٠٨ ، ١٠٢٥

أحمد زكي : ١٨ ، ٩٣ ، ١٣٧ ، ١٦٩ ، ٢١٠ ، ٢٥٦ ، ٢٩١ ، ٣٦٩ ، ٥٣٨ ، ٥٧٣ ، ٦٦٩ ، ٦٩٦ ، ٧٣١ ، ٧٧٠ ، ٩٣٠ ، ١٠٥٤

أحمد الزين : ٩٠٣

أحمد عبيد : ٣١٠

أحمد الكاشف : ١٠٢٤

أحمد محرم : ٩٤٤

ادريس الكتاني : ٥٦٠

أديب عباسى : ٢١٩

اسكندر كرباج : ٧٤٦ ، ٧٧٩ ، ٨٣٧ ، ٨٩٩

اسميل أحمد أدهم : ١٢ ، ٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٨٥

اسماعيل مظهر : ٣٦٥ ، ٤٢٠ ، ٤٤٩ ، ٤٩٠ ، ٥٣٤ ، ٨١٠ ، ١٠٥١

إلياس قنصل : ٢٦٧ ، ٣٨٩ ، ٥٩ ، ٧٥٠ ، ٧٨٨ ، ٩٩٠

أمجد الطرابلسى : ١٠٦ ، ٤٦٩ ، ٥٥٠

أمين الخولى : ٦٢٢

أنور العطار : ٣٠٩ ، ٧١٠

(ب)

برهان الدين محمد الداغستانى : ٧١٦ ، ٩٦٠

بهاء الدين طوقان : ٣٥٩

(ت)

توفيق الحكيم : ٦٠٦ ، ١٠٠٣

توفيق الطويل : ١٠٧٨